السنة السابعة ـ العدد ٧٣ ـ ربيع الأول ١٤٠٢هـ ـ يناير ١٩٨٢م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

اسجدوا لآدم : خالد محمد خالد

العرب والعالم سنة ٢٠٠٠؟ : د. محمد جابر الأنصاري

حكاية الرحيل : قصة قصيرة بقلم الشهيد ماجد أبو شرار




بطعم البرتقال الطبيعي

# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٣ – ربيع الأول ١٤٠٢ هـ – يناير ١٩٨٢ م





**المراسلات :**

التحرير والادارة :
ص . ب . د ب ٢٣٢٤
الدوحة – قطر .
العنوان البرقي :
المجلة – الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير


**الأسعار:**

| | |
|---|---|
| قطر | ٤ ريالات |
| البحرين | ٢٥٠ فلسا |
| الامارات العربية | ٤ دراهم |
| عمان | ٢٠٠ بيسة |
| الكويت | ٢٥٠ فلسا |
| السعودية | ٤ ريالات |
| الجمهورية اليمنية | ٢٥٠ فلسا |
| اليمن الديمقراطية | ٢٥٠ فلسا |
| العراق | ٢٥٠ فلسا |
| المملكة الاردنية | ٢٠٠ فلس |
| سوريا | ٢٠٠ قرش |
| لبنان | ٢٠٠ قرش |
| مصر | ١٥٠ مليما |
| ليبيا | ٣٠٠ درهم |
| السودان | ٢٠٠ مليم |
| تونس | ٣٠٠ مليم |
| الجزائر | ٣ دنانير |
| المغرب | ٣ دراهم |
| باقى دول العالم : | ما يعادل دولارين امريكيين |

**الاشتراكات :**

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

**الإعلانات :**

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

- المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
- ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة أو المجلة

# في هذا العدد


خالد محمد خالد


د. جابر الانصارى


عبد الله جفري


● كلمة العدد : متى تنتهى هذه المأساة ؟ ..................
رجاء النقاش ٥

● العرب والعالم سنة ٢٠٠٠ ..................
د . محمد جابر الانصارى ٦

● قالوا هـذا الشهر .................. ١١

● اسـجدوا لآدم ..................
خالد محمد خالد ١٢

● اللسـان لساني ، والمسافة ملكنا جميعاً ..................
عبد الله جفري ١٦

● حلم الحضــارة ..................
د . حافظ الجمـالي ١٨

● الالتزام الاخلاقي فى مجال التنمية ..................
فؤاد كامـل ٢٢

● مي زيادة : حياتها ومأساتها ..................
د . كمـال نشأت ٢٦

● الانتظار « قصـة قصيرة » ..................
يوسف الشاروني ٢٩

● عملية « أم القطن » التى اشعلت الثورة واضاءت الطريق ....
عصـام شريح ٣٠

● قصة أول مدرسة اسلامية بنيت فى سيرليون ..................
عبد العزيز سيد المصرى ٣٥

● ناس فى طريقى ..................
عبد الله الشيتي ٤٠

● ليس بالسياسة وحدها يحيا المناضل ..................
حسني شحادة ٤١

● حكاية الرحيل « قصــة » ..................
بقلم الشهيد ماجد ابو شرار ٤٥

● وعن الماء نقول ..................
درويش مصطفى الفـار ٤٧

● حتى لا يضيع التراث الشعبي فى الخليج ..................
بشرى ناصر ٤٩

● صبابات « قصـيدة » ..................
حسن طلب ٥١

● سمكة الفراشة ورحلة البحث عن الأمان
صنع الله ابراهيم ٥٦

● العمانيون والبحر .. فى ملحمة اقتحام المجهول ..................
عرض وتلخيص كمال سعد ٦٠

● المأساة هى ضمير كل فنان فلسطيني ..................
نبيل خـالد الأغا ٦٧

● باريس تحتضن الفن الذى رفضته منذ ١٥٠ عاماً ..................
نهى سماره ٧٠

● مازالت الناصرة فى البرتغال عربية ! ..................
احمد العنـاني ٧٦

● الهلالي ابو زيد : رائداً وحكيماً ..................
ابراهيم اسحق ابراهيم ٧٨

● هيمنجواي : علم نفسه الكتابة ثم اطلق على رأسه الرصاص
جمـال الكناني ٨٣

● شهادة على عصر دموي ..................
رءوف توفيق ٨٨

● حركة العاصفة والاندفاع فى الادب الالماني ..................
د. عدنان رشيد ٩٤

● عيناها والصبر « قصة » ..................
فاروق منيب ٩٦

● الخرطوم : مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الأفريقية....
جمال الغيطاني ٩٩

● أم الناس « قصيدة » ..................
محمد المهـدي المجذوب ١٠٦

● أكثر الأحداث الفنية اثارة فى سينما العالم ! ..................
مجدي نصيف ١٠٨

● مطلوب طبقة واعية من كتاب الدراما ..................
محمـد فتحي ١١٥

● الشعراء ورحلة العمر القصير .. الجميل ..................
د . الطـاهر احمد مكي ١١٨

● اضـواء ..................
النور عثمان ابكر ١٢٤

● مكائد النساء والرجل المغفل فى عالم القصص ..................
عبـاس خضر ١٢٨

● اجراءات حاسمة فى العالم للحفاظ على ذوات الدم البارد ...
د . محمد الغباشي ربيع ١٣١

● ضحكات الشهر ..................
صـلاح الليثي ١٣٦

● الشطرنج : حرب سلمية ..................
ابراهيم السمان ١٣٨

● دوحة القراء .................. ١٤٠

● استراحة الدوحـة .................. ١٤٤

● الورقة الأخيرة : أول انسان عربى قال الشعر من هو ؟..........
بقلم : حامد بدر ١٤٦


لوحة الغلاف بريشة : الفنـان حلمى التونى

# كلمة

# متى تنتهي هذه المأساة ؟

فى أوائل الشهر الماضى دخل شخصان يخفيان السلاح فى ثيابهما إلى مكتب « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » فى مبنى « برج الكارلتون » فى بيروت واستأذن الشخصان فى مقابلة مدير المؤسسة « الدكتور عبد الوهاب الكيالى » ، ولم يكن هناك حرس حول الكيالى ، ولم تكن هناك صعوبة فى لقائه ، فقد كان مكتبه مفتوحاً ، وكان بيته مفتوحاً ، وكان قلبه وعقله مفتوحين بغير قيد أو تعقيد ، ولكن الشخصين اللذين دخلا مكتب عبد الوهاب الكيالى ، كانا يحملان نية الغدر ، والغريب انهما لم يكونا على معرفة شخصية بالكيالى فقد سأله أحدهما : هل أنت الدكتور الكيالى ؟ فقال له : نعم أنا عبد الوهاب الكيالى . وهنا أخرج الشخصان المجهولان ما أخفياه من سلاح وأطلقا على عبد الوهاب الكيالى أربع عشرة رصاصة قضت عليه . وكان هذا هو اللقاء الأول بين القاتلين وبين عبد الوهاب الكيالى ، أى أن القاتلين لم يتعاملا مع الكيالى أبداً . وهما مع ذلك مكلفان من « جهة ما » لاغتيال هذا الانسان العربى الرائع الذى لا يعرفان عنه سوى ما قيل لهما من ضرورة اغتياله .

نحن أمام ظاهرتين : الأولى هى الغدر ، حيث يتسلل الغادر كأنه ضيف ، ثم يكشف فجأة عن وجه القاتل . أما الظاهرة الثانية فهى اطمئنان عبد الوهاب الكيالى إلى أنه لم يفعل أبداً ما يستحق من أجله أن يتعرض للأذى . إن « الكيالى » كاتب مثقف وطنى عربى استطاع بحيويته وشبابه المتدفق وذكائه اللامع وإخلاصه العميق أن ينشىء داراً للنشر أصبحت فى السنوات الأخيرة أكبر دار للنشر فى الوطن العربى . ثم امتد نشاطه الثقافى والفكرى إلى أوروبا ، فأنشأ فى لندن مؤسسة لدراسات العالم الثالث . وكان يمد يده إلى الجميع ، ويعمل بكل ما يستطيع على خدمة الفكر العربى والثقافة العربية والقضايا الوطنية العربية ، وعندما بدأت الخلافات تشتعل كالحرائق المدمرة فى الساحة السياسية العربية ، ابتعد عبد الوهاب الكيالى عن كل مناصبه السياسية وكان قد وصل إلى مناصب عليا وعلى رأسها عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومع ذلك فقد انسحب الكيالى من هذه المناصب البارزة ليتفرغ للعمل على الساحة القومية العامة ، من أجل هدف بعيد شامل أصيل أراد أن ينتقل من العمل بالسياسية إلى العمل بالحضارة والثقافة ، وأراد أن يبتعد عن الميادين التى يختلف فيها العرب ، إلى ميادين الاتفاق ، والمصلحة المشتركة التى لا خلاف عليها . ولم يتردد عبد الوهاب الكيالى فى خدمة أى كاتب أو مثقف عربى ، مشهوراً كان أو مجهولا ، كبيراً كان أم صغيراً ، ولم يتردد فى العمل على نشر الانتاج الفكرى العربى الجاد فى كل مكان ، فكان يحمل الكتاب الذى ينشره إلى أى أرض تنطق باللغة العربية ، ولذلك أصبح « الكيالى » معروفاً ومحبوباً من الجميع ، وكان يتحرك باطمئنان وبلا خوف ، لانه كان يشعر انه يزرع الأرض للجميع ، ويعمل فى النور والشمس الساطعة ، وينطلق من الحب لوطنه وشعبه ولا ينطلق من الخلافات أو تيارات الكراهية التى يفرضها اعداؤنا على النفس العربية ، حتى تتمزق هذه النفس من داخلها لا من خارجها ، وحتى تدمر نفسها بنفسها لا بايدى الاخرين.



د. عبد الوهاب الكيالى

وقد أحاط « الكيالى » نفسه بمساعدين يسيرون على نفس الخط الذى يؤمن به ، خط الخدمة القومية العامة البعيدة عن الخلافات والصراعات ، وكان على رأس هؤلاء المساعدين أخوه الشاب المثقف الوطنى الواعى « ماهر الكيالى » ، وكان من بين مساعديه أيضاً زوجته الأمريكية « سوزى » تلك السيدة الرائعة ، التى نشأت فى أعلى طبقات المجتمع الأمريكى ثراء وجاها وسلطة ، وقد تعرفت بالكيالى فأحبته وتزوجته ، ومن خلال الكيالى آمنت بالعرب وقضاياهم وأصبحت « موسوعة » متحركة فى المعرفة بالواقع العربى ، ثم أصبحت بعد ذلك صوتاً حياً صادقاً فى دفاعه عن العرب وقضيتهم الأولى وهى قضية فلسطين .

وهكذا عاش عبد الوهاب الكيالى يعمل بقلمه وجهده المستمر الخصب فى ميدان النشر ، والمؤسسات العلمية والفكرية ، وكان يعمل من أجل وطنه وقوميته وعروبته ، وكان الذين حوله يتعلمون منه كيف يعملون من أجل الوطن والقومية والعروبة ، وكان لا يفرق بين عربى وعربى إلا بمقدار إيمانه بعروبته وقوميته ، واستطاع أن ينتزع درجة الدكتوراه من الجامعات الانجليزية فى موضوع كان المفروض أن ترفضه هذه الجامعات وهو « تاريخ فلسطين الحديث » وقد كتب هذا التاريخ من وجهة نظر وطنية صريحة ، وهى نفسها وجهة نظر الحق والعدل ، ولكنها وجهة نظر ما تزال مرفوضة من الجامعات ومراكز البحث فى الغرب ، ومع ذلك فرض « الكيالى » امتيازه ونبوغه على الغربيين فمنحوه الدكتوراه فى بحث يثبت أن وجهة النظر الغربية فى القضية الفلسطينية خاطئة .

كان عبد الوهاب الكيالى مفكراً ووطنياً وصاحب قدرة نابغة على التأثير فى الغرب ، بالاضافة إلى ما كان له من تأثير عربى واسع .

ومن هنا كان مطمئناً إلى أن أحداً لن يفكر فى قتله ، ومن باب هذا الاطمئنان دخل عليه أثنان يتحدثان باللهجة اللبنانية وقتلاه . فمن القاتل هنا ؟ إن القاتل هو « الصهيونية » حتى لو كانت تخفى وجهها القبيح وراء قناع عربى مزيف ، فالصهيونية هى التى ترفض أن يكون العرب أقوياء بالسلاح أو بالثروة أو بالعلم أو النبوغ . ما أفدح الخسارة فى وفاة هذا المثقف الوطنى الكبير وهو فى عز شبابه وانتاجه ونبوغه.

والسؤال الآن هو : متى تنتهى هذه المأساة ، ومتى يصبح « النبوغ العربى » آمنا من طلقات الرصاص الغادرة على الصدور المطمئنة الشريفة ؟ متى يصبح أصحاب الأقلام فى أمان من أصحاب الأسلحة المخفية وراء الأثواب ؟

متى يصبح الحبر العربى خالياً من لون الدم الذى يسيل من الرأس والقلب ؟

متى يصبح الكاتب والمفكر الذى يمشى بغير حراسة ، محروساً من امته كلها ، كما ينبغى أن تفعل الأمم الحية مع أصحاب العقول الكبيرة ؟

متى تنتهى هذه المأساة فى الوطن العربى . متى ... متى ... متى . ؟ !

رجاء النقاش

ماذا عن الرؤية المستقبلية للفكر العربي؟

# العرب والعالم سنة ٢٠٠٠

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

تقع المنطقة العربية ـ الاسلامية فى قلب التفاعلات العالمية والانسانية شئنا أم أبينا ، أقول فى قلب التفاعلات من الناحية المصيرية ، وليس فى قلب العالم من الناحية الجغرافية والاستراتيجية فقط ، كما هو مسلم به .

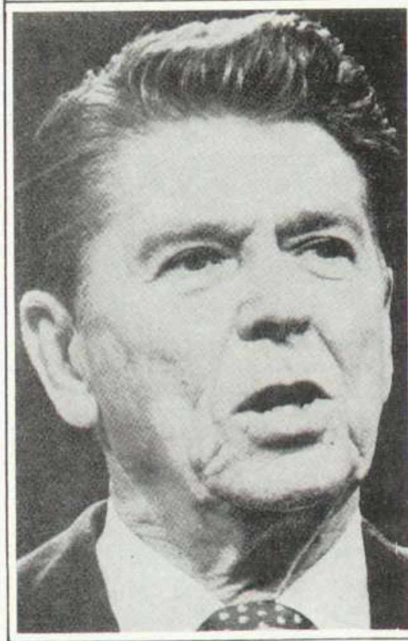
من هذه الزواية لا مفر من أن يكون العقل العربى والضمير فى قلب تلك التفاعلات أيضاً . ليس على مستوى الأحداث اليومية فحسب ، وانما على مستوى التطورات والمستجدات ـ واشدد على كلمة مستجدات ـ الفاعلة فى العمق ، والتى تعيد اليوم خريطة العالم الفكرية والاستراتيجية فى صياغة مستجدة من العلاقات والتوازنات بين القوى والأمم والأجناس بحيث نوشك أن نستيقظ فى الغد القريب على عالم جديد ، هو الذى يولد اليوم من رحم هذا العالم المتوتر بمخاض الولادة . كما نرى فى كل ساعة ، حروباً وعنفاً وخروجاً على كل ما هو مألوف وقلباً لكل ما هو متعارف عليه .



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

ونحن أمام هذه الدوامة إما أن نقع في دوارها وفوضاها فنصاب باليأس والعجز والشعور المتشائم والمأساوي بعدم القدرة على التحكم في المصير والاستسلام لكل ما يفرض علينا ، واما أن نتجاوز كل آلام المخاض العسير الطويل ، القاطع للأنفاس ، لنستشرف المشهد التاريخي بما يتجاوز منخفض الانحطاط ويأسه ، لنطل على الأفق الجديد الآتي مع الغد .. ونبصر معالمه التي نأمل أن تعيننا على رؤية أفضل .

ولقد أسهب الكتاب والمفكرون العرب في الآونة الأخيرة في تشخيص أدواء الواقع العربي ومعضلاته ، وهي عملية نحتاج اليها والى استمرارها بلاشك ، ولكن اكمالا لهذا التأمل المكثف في وضع الذات العربية والواقع العربي من الضروري أيضاً التأمل في الصـــورة



الرئيس رونالد ريغان

الانسانية الواسعة الرحبة من حولنا ، لأن العالم أصبح اليوم كما يقال بمثابة « قرية صغيرة واحدة » وهي حقيقـــة ستزداد رسوخاً في الغد القريب مع تطور وسائل الاتصال والايصال الحديثـــة وظهور أنواع جديدة منها ذات طابع تغييري جذري للعلاقات بين البلدان والدول والأفكار والتراثات ، بل بالنسبة للتأثير على سلوك الانسان ونشاطه العقلي .

ودون أن نسهب في وصف هذه الظاهرة ـ ظاهرة الانقلاب المذهل في علم الكمبيوتر ومشتقاته الايصالية والتأثيرية ـ يكفي أن نشير الى أن أبرز معضلة تواجه العلماء في الدول المتقدمة اليوم هي كيفية التوصل لاختراع أجهزة تقاوم الشلل الذي يمكن أن تحدثه أجهزة العدو في جميع انظمة الدفاع وانظمة الطاقة وانظمة الانتاج في دولة من الدول إذا أريد لهذه الدولة أن تقع في حالة من الشلل التام لبعض الوقت يفعل خلاله العدو ما يريده بها وهي في حالة شلل كامل للارادة والقدرة والرد ، بل لفهم ما يدور حولها وما يجري بداخلها ، وليس بعيداً عن الذاكرة ما تواردته الانباء قبل مدة ليست بالبعيدة عن ظهور اجسام غريبة طائرة في اجواء دولة عربية نفطية ، أو اكثر ، وكيف ان أجهزة الضخ توقفت عن الحركة في فترة اقتراب الجسم الغريب منها .. ثم اختفائه دون القدرة على معرفته .

هذا لمجرد التذكير بمدى قدرة الكمبيوتر الحديث على قلب العلاقات البشرية وخلط الأوراق بعضها ببعض والتقريب بين أطراف العالم ، وجعل كل طرف في حالة ارتباط لا فكاك منه بما تفعله الأطراف الأخرى وبما تخطط له وبما تتعرض له من تطورات ، وذلك بما يتجاوز جذرياً كل ما أحدثه اختراع القطار والباخرة والطائرة والراديو من تغييرات في الفترات السابقة ستبدو متواضعة جداً بالنسبة للانقلاب الالكتروني الحالي والمقبل في القريب .

وفي الحالة هذه ، فانه من الحكمة أن نتنبه ، وبقوة ، الى ان علم الكمبيوتر ليس هو أجهزة الفيديو التي نســتمتع بتشغيلها كل ليلة مع شرب الشاي ـ وغيره ـ ومع تسالي السمر الأخرى «وأنه ليس بالمبالغة ولا المثالية المطالبة بتأسيس هيئة عربية عليا تشرف على الاسراع بغرس وتجذير علم الكمبيوتر وصناعته في الوطن العربي ، كي لا يفوتنا هذا العلم الجديد أيضاً ، كما فاتنا من قبل علم الذرة وعلم الطاقة وغيرهما من علوم العصر » .

# العرب والعالم سنة ٢٠٠٠

واذا كنا نطالب أهل الحل والعقد فى الوطن العربى بذلك ، فانا نطالب انفسنا كمثقفين ومفكرين وباحثين ، ان ننتقل فى قفزة نوعية من علوم الماضى الى علم المستقبل ، بحيث ينشأ لدينا فى الفكر العربي « تيار مستقبلي » يعمل جاهداً على استبصار حقائق الغد حتى لا تفاجئنا بغرابتها وبمرارتها وبعجزنا عن مواجهتها ، كما فاجأتنا فى الفترات السابقة وبشكل متكرر . وغنى عن البيان ان هذا العلم المستقبلى هو الأكثر رعاية ودعماً فى الأوساط القريبة من قادة الدول المتقدمة ومؤسساتها الحاكمة أو المختصة بصناعة القرارات المصيرية .

بعد هذا التوقف الذى لابد منه لتبيان أهمية « علم الكمبيوتر » و « علم المستقبل » نعود الى موضوعنا الأساسي وهو استشراف واستبصار الصورة الانسانية الرحبة المحيطة بوطننا العربى وعالمنا الاسلامى ، بما تحمله من معالم الغد القريب للعلاقات والتوازنات الأممية وبما تخبئه من تقلبات فى مجرى الحضارة العالمية كلها .

لتكن محطتنا الأولى فى هذه الرحلة الاستكشافية : أوربا .

ففى هذه القارة القديمة المتجددة تتولد ملامح مهمة من الغد الآتى . فى أوربا الشرقية ثورة على النظام الماركسى التقليدى وعلى الدولة الشيوعية الرسمية وتطلع جريء الى نظام آخر . وما يحدث فى بولندا بالذات قلب لكل مسلمات ومعطيات النظرية الماركسية . فهاهم « العمال » يتحركون ضد « دولة العمال » كما تسميها الماركسية ، ويطالبون بالحرية قبل الخبز ، بل يذكرون العالم ان الخبز أيضاً لم يعد متوفراً فى ظل النظام الذى قام اصلا - واكتسب مبرر وجوده - من العمل على توفير الخبز !

على الضفة الأوروبية الأخرى ، تخرج الجموع اليوم لتتظاهر في هولندا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا ضد « الحليف الأميركى » ولتقول « لا » عريضة للمظلة الأطلسية كما تريدها أمريكا ، وللسلاح النووى الذى تريد امريكا ان تزرعه على امتداد القارة الأوربية . يحدث هذا مع ميل بلدان أوربية عريقة فى رأسماليتها الى النظام الاشتراكى المتميز عن الرأسمالية الأمريكية واتجاهاتها ، ومع بروز لتيارات أوربية غير معهودة منذ ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ، تتراوح بين النازية الجديدة ، والحيادية على طريقة العالم الثالث وهى الفكرة التى تستقطب أوسع التأييد .

وقبل الاستطراد فى شرح هذه الظاهرة يلح علينا الآن سؤال نود طرحه على عالمنا العربى ودوله وأهل الرأى والقرار فيه :

● إذا كانت أوربا ، التى هى أوربا بكل طاقاتها وحضارتها ، ترفض مقولة التقسيم بين نفوذ سوفياتي ونفوذ أمريكى ، وبين نظام سوفياتى ماركسي ، ونظام أمريكى رأسمالى ، فهل هو الوقت المناسب لنا نحن العرب أن ندخل من جديد فى استقطاب ثنائى حاد يمزق وحدة وطننا ووحدة إرادتنا واستقلالنا بين معسكر سوفياتي ومعسكر أمريكى ، وبين نظرية ماركسية ونظرية رأسمالية ؟

هل يجوز أن نقيد انفسنا بصيغ قديمة يخرج عليها العالم المتقدم ، كالأمم الأوربية التى أخذت اليوم تطالب بالحياد وعدم الانحياز ، وهى الفكرة التى خرجت من قلب العالم العربى قبل ثلاثين سنة على يد القائد العربى جمال عبد الناصر يوم كان العالم منقسماً الى شرق وغرب ؟ نطرح هذا السؤال ، ونحن أقرب الى التفاؤل بالغد ، لأن مصر العربية ، القلعة التاريخية والمستقبلية للوحدة العربية وللحياد الايجابى وعدم الانحياز ورفض منطق تقاسم النفوذ والمعسكرات الدولية ، قد عادت لتأكيد ايمانها القاطع بفكرة الحياد وعدم الانحياز على لسان قيادتها الجديدة ، آملين أن يتمكن العرب جميعاً من العودة الى ممارسة هذه الفكرة بالعمل والفعل .

أما بالنسبة لايمان أوربا الجديد بفلسفة الحياد ، فلقد بلغ الأمر الى حد طرح فكرة توحيد ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية فى دولة حيادية متحدة ومستقلة عن النفوذين السوفياتى والأمريكى معاً . وهى فكرة تجد لها صدى عميقاً فى الشعور الألمانى فى القسم الشرقى والغربى على حد سواء .

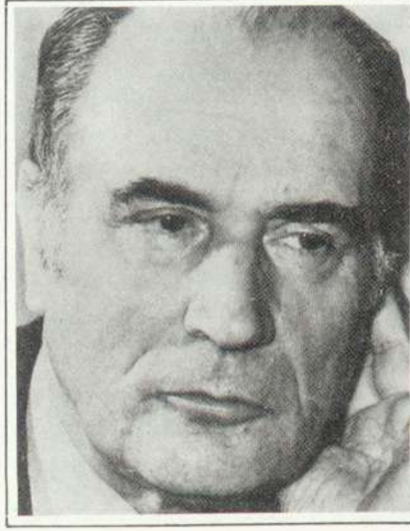
ويرى الكاتب الدولى بول إردمان ، مؤلف كتاب « انهيار ١٩٧٩ » - الذى تنبأ فيه قبل سنوات بالتطورات الايرانية وحرب الخليج - يرى فى كتاب جديد له صدر مؤخراً بعنوان « أيام أمريكا الأخيرة » بأن الولايات المتحدة ستضطر ان آجلا أو عاجلا الى ترك أوربا وشأنها أو الى تخفيض تورطها العسكرى فى الساحة الأوربية ، على أقل تقدير . وان هذا سيحدث ليس بسبب المعارضة الأوربية الشعبية والرسمية المتزايدة للهيمنة الأمريكية ، وانما أيضاً بسبب الأزمة التى يعانى منها الاقتصاد الأمريكى وبسبب تحول الولايات المتحدة

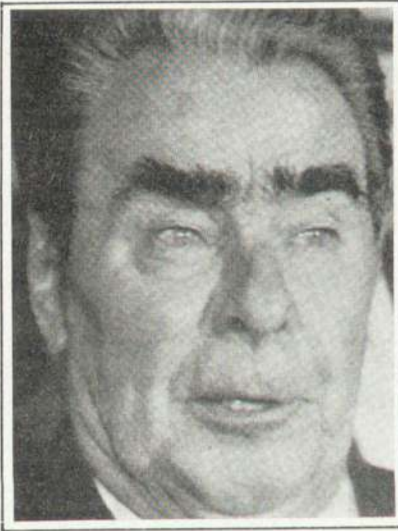
من قوة اقتصادية عظمى كانت تتحكم فى اكثر من نصف الاقتصاد العالمى حتى الخمسينات الى قوة فوق المتوسطة بقليل لا تسيطر على اكثر من خمس الاقتصاد العالمى فى الوقت الحاضر.

وهذا يجعلها أمام خيار لا مهرب منه: إذا أرادت حل مشاكلها الاقتصادية فيجب أن تقلل من حجم انفاقها العسكرى الهائل فى أوربا بالذات. وعليها أن تختار فى النهاية: إما انقاذ الاقتصاد الأمريكى بالجلاء عن أوربا، وإما البقاء فى أوربا والاستمرار فى تفاقم الأزمة الاقتصادية ومواجهة انعكاساتها على مختلف أوجه الحياة الأمريكية.

والرئيس ريغان سيحكم التاريخ له أو عليه، وسيقف أو سيسقط بمدى قدرته على التخفيف من هذه الأزمة الاقتصادية فهل سيستمر هو ـ وخلفاؤه ـ فى ممارسة تصعيد التواجد العسكرى الأمريكى فى القارة الأوربية؟

أما الاتحاد السوفياتى الذى يعانى من مشكلات اقتصادية وغذائية اعترف بها الرئيس برجنيف نفسه، فانه سيرحب بفكرة ألمانيا الموحدة وأوربا المحايدة وسيقبل باجراء تخفيض فى قواته المواجهة لأوربا، لأن ذلك سيريح خاصرته الغربية وسيمكنه من تقوية خاصرته الأخرى المكشوفة فى الجنوب الشرقى، أى بمواجهة الصين والشرق الأقصى. حيث سيتحالف هناك مع تايوان ( الصين الوطنية ) التى بدأ الأمريكيون بالتخلى عنها تدريجياً، وسيحولها الى قاعدة ثابتة للأسطول السوفياتى فى بحر الصين، بالاضافة الى توثيق تحالفه مع فيتنام التى دخلت فى حرب ضد الصين أيضاً وهذا سيؤدى


فرانسوا ميتران


بريجينيف

بدوره الى زيادة التقارب الاستراتيجى بين الصين الشعبية والولايات المتحدة، وبين الصين واليابان اللتين تمثلان تكنولوجياً وبشرياً ـ معاً ـ القوة الضاربة للجنس الأصفر، أو الكتلة الصفراء التى نرى انها على وشك استلام قيادة الحضارة العالمية من الجنس الأبيض فى مطلع القرن الحادى والعشرين. هذه حقيقة مستقبلية تستحق فى نظرنا تأملا طويلا.

وفى البداية فان الولايات المتحدة ستستخدم هذه « القوة الصفراء » فى مواجهة « القوة الروسية » وستمدها بالدعم والخبرة لتحقيق ذلك، ولكنها ستكون قد ارتكبت خطأ تاريخياً فاحشاً آخر لأن القوة الصفراء ستعرف فى النهاية ـ بما لديها من ذكاء وتنظيم وقدرة على الانتاج والتحدى ـ كيف تستخدم الدعم الأمريكى لتصفية نفوذ روسيا وأمريكا ـ معاً ـ أى تصفية نفوذ الجنس الأبيض فى آسيا والشرق، ليبدأ عهد التفوق الأصفر، عهد قيادة الجنس الأصفر للحضارة البشرية، بعد قرون من السيطرة البيضاء على مقدرات الكرة الأرضية، وما « المعجزة اليابانية » غير ارهاص بذلك.

أما الأجناس السمراء والسوداء ـ والعرب منهم ـ فان الطريق ما يزال أمامها طويلا وشاقاً ووعراً. لأن الجنس الأصفر قد سبقها الى اكتساب مقومات الحضاوة الحديثة ـ كما نرى فى هذا التفوق اليابانى التكنولوجي الهائل وفى العمل المنظم المنتج الذى تمارسه شعوب الشرق الأقصى الصفراء ـ واذا ما أردنا أن نهيىء لأنفسنا مكاناً تحت الشمس فيجب علينا أن نتعلم بتواضع من اليابان والصين وكوريا كيفية قدرة

# العرب والعالم سنة ٢٠٠٠

شعوب الشرق على استيعاب التقنية الحديثة وكيفية تحويل الفرد والمجتمع الى قوة عاملة منتجة قادرة على تجاوز التواكل والاعتماد على الغير والميل المسرف إلى الاستهلاك ، وهى الصفات التى تتصف بها مجتمعات عربية كثيرة حتى يومنا هذا – للأسف – رغم كل التحديات التى تحيط بنا .

أما ما يقوله بعض المفكرين العرب باننا نحن المؤهلين لتولي القيادة بعد الجنس الغربى الأبيض ، فأرجو أن يكون صحيحاً ، ولكننى لا أرى له أى سند موضوعى على ضوء استمرار تباطئنا وسرعة صعود القوة الصفراء الى مسرح التأثير والفعل .

غير ان العرب يمكنهم الاستفادة من هذا التحول فى ميزان القوى بين القوة البيضاء والقوة الصفراء .

فالقوة الغربية البيضاء بحكم طبيعتها التاريخية والعقيدية والاستعمارية قوة معادية للعرب والاسلام – فى التحليل النهائى – مهما كان الطابع « الدبلوماسي » الذى تغطى به حقيقة مشاعرها فى التعامل المصلحى مع العرب والمسلمين . وهى القوة التى أقامت اسرائيل بالاكراه والعنف والقهر على الأرض العربية ، وهى القوة التى مازالت تساند عدوانها وتتحالف معها استراتيجياً ضد اية ارادة عربية يتوفر فيها الحد الأدنى من مقومات الاستقلال والكرامة .

أما القوة الصفراء فانها غير ملتزمة تاريخياً ومصلحياً وشعورياً بالفكرة الصهيونية وباهداف الكيان العدوانى فى فلسطين المحتلة ، وهى أقرب للعرب بحكم الرابطة الشرقية والجوار التاريخى الطويل والرغبة فى مقاومة السيطرة الغربية .

لذلك فان الفكر الاستراتيجى العربى المستقبلى مطالب بأن يدرس « الظاهرة الصفراء » ككل فى اليابان والصين وكوريا وفيتنام وألا يكتفى بدرس « الاعجوبة اليابانية » لأن هذه الأعجوبة على ضخامتها ليست سوى العنوان والمؤشر لصعود القوة الصفراء الهائلة ، كما كانت النهضة الايطالية قبل أربعة قرون عنواناً لنهوض الجنس الغربى الأبيض كله فيما بعد ..

والأهم من دراسة الظاهرة ، الانتقال الى رسم ملامح التحالف المستقبلى بين العرب وهذه القوة الجديدة الصاعدة التى ربما أصبحت حليفهم الحقيقى فى مواجهة العدوان الصهيونى وتصفية النفوذين الروسى والأمريكى فى المنطقة العربية ، إذا عرفنا كيف نستفيد من خبرة القوة الجديدة وفهمنا تطلعاتها واندفاعاتها ، كما فهم اليهود كيف يستفيدون ، منذ اكثر من قرن من القوة الغربية البيضاء فى تحقيق مخططاتهم .

ونأمل ان نتمكن من تقديم دراسات اكثر تعمقاً فى المستقبل لظاهرة القوة الصفراء ودورها العالمى فى القرن الحادى والعشرين على صفحات مجلة « الدوحة » الهادفة دائماً لمتابعة هموم وآمال وطنها العربى الكبير بأسلوب البحث والعرض الهادىء والفكرة المبتكرة مع الالتفات بصفة خاصة – فى تلك الدراسات – الى ملامح التحالف الممكن بين العرب وتلك القوة فى عالم الغد الجديد .

ولتحديد معالم هذه الجولة الاستكشافية فى العالم الانساني الرحب من حولنا ، نلخص رؤيتنا الاستراتيجية المستقبلية فى الملامح الهامة التالية :

أولا : تضطر القوتان الأعظم – أمريكا وروسيا – بحكم أزماتهما الاقتصادية والاجتماعية الداخلية الى التقليل من تدخلهما فى الشئون العالمية لمعالجة مشاكلهما الخاصة . هذا يخفف ضغطهما على شعوب العالم الأخرى ، ويترك لهذه الشعوب شيئاً من حرية التحرك والتحكم فى المصير بعيداً عن التقاسم المتكرر للنفوذ بين العملاقين .

ثانياً : تبرز أوربا كقوة محايدة ، وتتوحد ألمانيا فى قلبها وتبتعد أوربا الشرقية عن موسكو ، وأوربا الغربية عن واشنطن ، فى ظل نوع من الديغولية الجديدة الشابة التى تؤكد الاستقلال والحياد الأوربى بين العملاقين . وتصبح أوربا فى هذه الحالة اكثر قرباً من شعوب العالم الثالث وأكثر تفهماً لها وتفاهماً معها كما يبدو من سياسة الرئيس الفرنسى ميتران فى الوقت الحاضر . ويمكن للعرب الاستفادة من أوربا المحايدة بشكل أفضل نسبياً من أوربا الحالية الممزقة بين المعسكرين الدوليين .

ثالثاً : غير ان القوة الدولية الأهم ، قوة المستقبل ، قوة القرن الحادى والعشرين ستكون القوة الصفراء ( اليابان ، الصين ، كوريا ، فيتنام ) التى ، ستتولى قيادة الحضارة فى وقت غير بعيد .

رابعاً : ان المنطقة العربية الاسلامية مازالت فى مخاضها الطويل ، ولكنها توشك أن تحسم أمرها فى صيغة حضارية واستراتيجية جديدة تؤكد خصوصيتها واستقلالها بين القوى ، وبامكانها التحالف مع قوة الشرق الجديدة لضرب النفوذ الأبيض الجاثم عليها ونقصد به النفوذ الأمريكى – الروسى – الصهيونى . غير ان دراسة تطورات المنطقة العربية الاسلامية تحتاج بدورها الى ابحاث معمقة تقع خارج نطاق هذا البحث الذى قصدنا ان يكون مجرد طرح أولى لبعض الأفكار ذات الطابع المستقبلى ونحن نستقبل فصلا جديداً فى تاريخ الانسانية ، نأمل ان تكون امتنا العربية ، رغم آلامها ، بل من خلال آلامها ، إحدى القوى الخيرة التى ستصنعه بالكد والعمل والابتكار والتقدير لكرامة الانسان .

د. محمد جابر الأنصارى
باريس

# قالوا هذا الشهر

● كلما غنيت باسم امرأة
أسقطوا قوميتي عنى وقالوا :
كيف لا تكتب شعراً للوطن ؟
فهل المرأة شىء آخر غير الوطن ؟
آه ... لو يدرك من يقرأنى
أن ما أكتبه فى الحب
مكتوب لتحرير الوطن

نزار قبانى

● لماذا لا أرشح نفسى لرئاسة الجمهورية فى لبنان .. فانا مارونى وزوجتى كاثولويكية من « زحلة » !!

فيليب حبيب ـ مبعوث الرئيس
ريجان إلى الشرق الأوسط والمعروف أنه من أصل لبنانى

● لاشك أن نسبة القراءة قد قلت فى انحاء العالم وهذا يؤثر فى توزيع الكتب . وقد وجد الجيل الجديد أنه من السهل الجلوس أمام التليفزيون من أن يفتحوا كتاباً يقرأونه ، وحتى العلوم التى تدرس فى المدارس أصبحت تذاع فى التليفزيون وتسجل فى الفيديو وكأنها تريد أن تقول لنا : نحن فى طريقنا لالغاء الكلمة !

احسان عبد القدوس

● لقد أغلقت صفحة الماضى ولن أتحدث عن ما حدث فى تجربة ٩٠ يوماً فى السجن ، ولكننى أسأل نفسى هل كان فى وسعى أن أكتم تجربتى لو لم يكن الرئيس حسنى مبارك قد قابلنى ؟ وقال : علينا جميعاً أن نطوى صفحة لنبدأ صفحة أخرى .. إذن فهذا على ما فيه من شجاعة أدبية فيه أيضاً ذكاء سياسى .

محمد حسنين هيكل

● يا امرأة .. تتمنى أن أحررها فى حين أبحث عن أنثى تحررنى !

نزار قبانى

● الأخطر من الحضارة الغربية التى هى بالنسبة لى عبث .. هو تقليدها .

أحمد بن بيللا

● لو كنت حاكماً عربياً لوقفت فى مؤتمر القمة العربى واختصرت كل خطابات العالم بكلمة واحدة أقول فيها !
« أيها السادة : اغلقوا ملفاتكم وتعالوا ننضم إلى أهالى الضفة الغربية » .
ولكننى لست حاكماً عربياً ..

نبيل خورى

● إذا لم يوجد حزم قوى يربط الجماهير بحركة الحياة ، أى بأعمـالهم التى يرتزقون منها بحيث يحترمون هذه الأعمال مهما كانت قيمتها وصورتها ، ستضطرب الأمور وتأتى المشاكل ..

الشيخ محمد متولى الشعراوى

● إذا نجح مشروع السلام السعودى عربياً فسوف يحرج الولايات المتحدة دوليا

محمود عباس « أبو مازن »
عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين


نزار قبانى

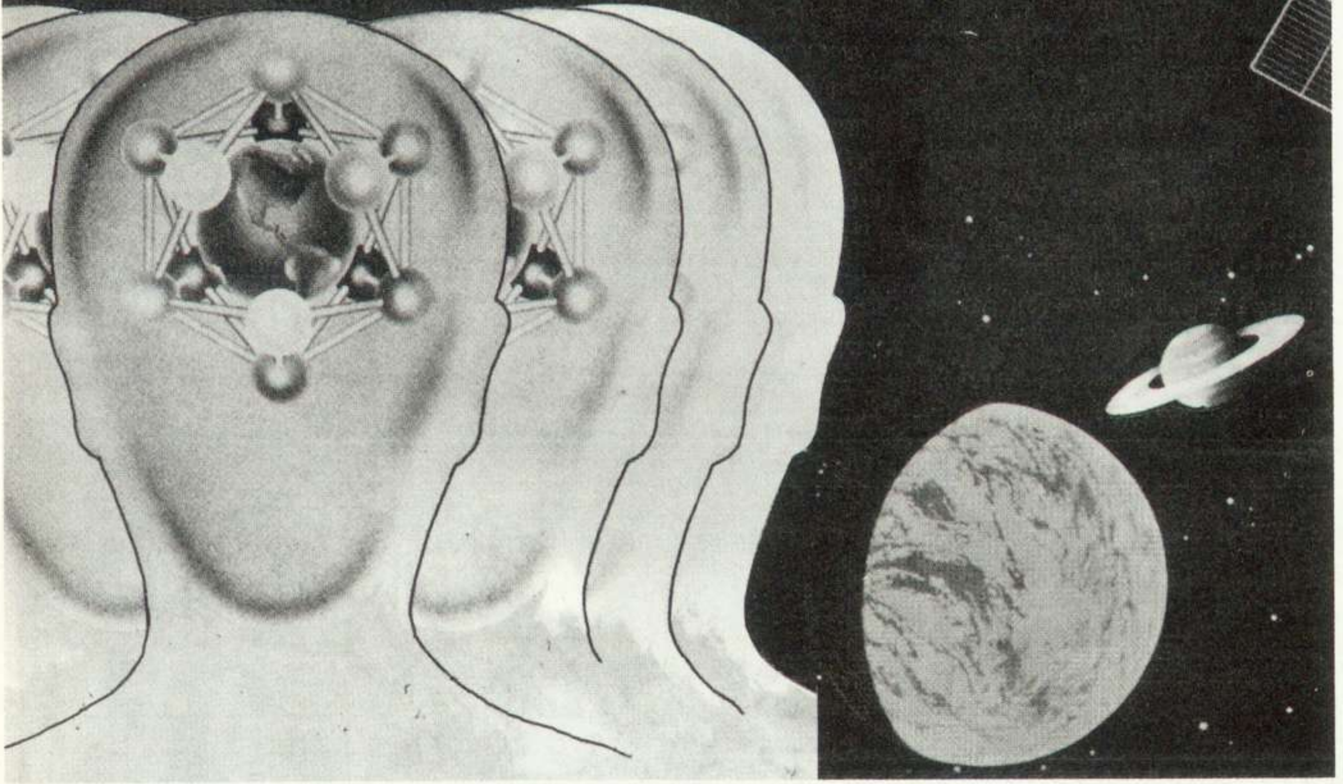

احسان عبد القدوس


محمد حسنين هيكل


نبيل خورى

# اسجدوا لآدم

بقلم: خالد محمد خالد



كم هو رائع وباهر وعظيم .. هذا الانسان !!

درة الخليقة ، وأستاذ الحياة .. الانسان ..

هذا الاسم ، ذو الرنين الصادق ، الفاتن ، العذب ، المثير ..

هذا المخلوق الكبير الذى أؤتمن على أمانات الحياة وواجباتها ..

هذا المسافر الذى لا يضع عصاه عن كاهله لحظة ، والذى يولي وجهه دوماً شطر كمال بعيد ..

هذا الانسان فى علمه وجهله .. فى ثرائه وفقره .. فى حريته وأغلاله .. فى تقواه وفجوره .. فى صحته وسقمه .. فى أمله وألمه .. فى عظمته وبؤسه ..

هذا الذى سواه الله بيديه ، واصطنعه لنفسه ، ونادى ملائكته كى يسجدوا له !!

كم هو رائع ، وباهر ، وعظيم .. !! أعطى الأرض والوجود والحياة .. ومنذ بدأ وثمت من الأعماق البعيدة نداء

لا يفتأ يتردد ويهيب به ؛ كى يواصل السير ، ويرفع مراسيه ، ويبحر الى المستقبل العظيم .

سار مع القدر ، ومع الحظ ، ومع الذكاء ..

زامل اليأس ، وزامل الرجاء ..

ذاق مرارة الاخفاق وحلاوة الظفر ..

عاش بين السفوح وتذرى القمم ..

واجه الفجائع ، وعانق المباهج ، وسار على الشوك حافياً وعانى الصقيع عرياناً وفى كل هذا وذاك كانت راية الأقدام تخفق عالية فوق قافلته التى راحت تحتدم شوقاً ، وتتضرم أملا ، وتتفجر عناء وذكاء وعزماً ..

وكان أروع ما فيه ، وأعظم خصائصه الشوق ..

أجل ـ كان الشوق رائده ، وحافزه .. ومن كل ظفر عظيم يتاح له تحقيقه ، كان ينبعث شوق جديد لظفر قادم ، وتعروه غبطة جديدة بمسئوليات تالية ..

كم تمنيت لو كنت شاعراً ؛ لأنظم فيه القصيد ، وأغنى لعظمته الفائقة .. فأنا من عشاق الانسان ، العاكفين على حبه ، المأخوذين بعظمته ، المفتونين بأسراره .. !

● ●

هذا الانسان كون عجيب لايزال مجهولا . وما أوتينا من العلم به إلا قليلا . ولقد ذهب علماء الدين ، وعلماء النفس ، وعلماء الحياة يجوسون خلال تلك القارة الغامضة ولايزالون يفعلون ..

أما الدين فقد رأى فى «الانسان» رأى الحق حين أعلن أنه «خليفة» الله فى الأرض .. والجرم الصغير الذى انطوى فيه العالم الكبير ، وهو مجلى مشيئة الله ، ومظهر عظمته واقتداره .

ويجيء العلم ـ علم الحياة ، وعلم النفس ، وعلم وظائف الأعضاء ـ فيضع الانسان تحت مناظيره ومختبراته ، فتفجأه أسرار وألغاز لا تؤذن بانتهاء !!

يقول العالم الدكتور «الكسيس كاريل» فى كتابه «الانسان ذلك المجهول» : «إننا لا نفهم الانسان ككل .. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة . وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا . فكل واحد منا عبارة عن موكب من الأشباح . تسير فى وسطه حقيقة مجهولة .. وواقع الأمر أن جهلنا مطبق .. فاغلب الأسئلة التى يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى ، تظل بلا جواب» .. !!

إن هذه الكلمات لا تعنى أن العلم عاجز ، إنما تعنى أن الانسان حقيقة ضخمة وعالم كبير ، وأنه ليس من البساطة بحيث تكفى لادراكه تلك الجهود التى بذلت ..بل لابد من مواصلة مضنية لمحاولات فهمه ، وكشف حقيقته !!

ولابد أيضاً من ترويض أنفسنا على تقبل الملاحظة الموضوعيةالتى تجعل الانسان موضوع سعيها ، والتى تعطينا نتائجها أصدق صورة لحقيقة الانسان ..

إن الدين ، والعلم ، والفلسفة ، والفن ، والأدب .. قد أبلوا جميعاً بلاء صادقاً فى تمهيد الحياة للانسان وتعبيد طرائقها .. أو قولوا : إن الانسان عن طريق هذه القوى قد وطأ أكناف الحياة لنفسه ، وعن طريقها جلى ذاته وأظهرها . ولايزال يجليها ويظهرها ..

وإن كلمة «إنسان» لتبلغ من الدفعة مبلغاً يجعل كل اضافة لها لغواً .. وتبلغ من السمو مبلغاً يجعل نعته بـ «السوبرمان» فضولا .. «السوبرمان» وصف نخلعه على الانسان لنرضى به جهلنا بحقيقة الانسان ، ولنعبر به عن أمنيات عزيزة ـ وإن تك طيبة ـ لمستقبلنا نحن البشر .

ولكن ، لماذا «السوبرمان» .. ؟؟

لماذا الانسان الأعلى . ؟؟

أولا يكفى أن يكون «الانسان» وحسب ؟

وهل وجد الانسان حتى نتعجل مجيء الأعلى ؟!

فى رأيى أن الانسان لم يتم بعد ظهوره واكتماله .. وهو حين يتم ظهوره يجيء متضمناً كل كماله . ويصير وصفه بالأعلى شبيهاً لوصفنا الشمس بالمضيئة !!

ونحن نخشى أن تخدعنا كلمة «السوبرمان» عن حقيقة الانسان التى يجب أن نتقبلها ونحترمها بكل ما فيها من طين ونور .. وأشواك وأزاهير ..

إن الناس الذين عاشوا فى العصر الحجرى ، والذين سيجيئون بعد عصر الفضاء ، سواء فى التمجيد والتكريم .

والانسان فى بداية تطورنا على الرغم من جهله وعجزه ، لا يقل شأناً عن الانسان القادم فى نهاية التطور مع شموخه وسموقه .. بل إن الانسان القادم متضمن الانسان الذاهب .. وهو ابنه وحفيده ..

من أجل هذا نولي وجوهنا فى هذا الحديث شطر الانسان . الانسان الذى ليس أدنى ، وليس أعلى .. والذى لا يترك الى جواره فراغاً لأى وصف يتعاظم قدر الانسان .

الانسان ، الذى بدأ ظهوره ، ولم يتم بعد ، والذى يتجلى شيئاً فشيئاً ، سائراً عبر نفسه .. طاوياً أعماق كيانه الأزلى أو الشبيه بالأزلى على كل إمكانات تفوقه وكماله .

هذا الذى يحول بؤسه الى عظمة ، ورذائله الى فضائل ، وعجزه الى قوة ، وانحطاطه الى رفعة ..

هذا الذى يفرغ أمسه فى يومه ، ويهدى يومه الى مستقبله .

هذا الذى عندما تجلى فى سقراط وأفلاطون ، وعمر بن الخطاب ، وماركوس أوريليوس ، وبوذا ، وغاندى ، وهيجل ، وابن سينا ، وشكسبير ، والمعرى ، واينشتاين ، وابن الهيثم ، وديكارت ، وابن رشد ، والفارابى ، والمئات من أمثالهم ـ لم يكن يعنى أنه حقق بهذا التجلى كماله .. بل كان يعنى أن يختبر معازفه التى ستعزف ذات يوم




هذه العبقريات جميعها وغيرها كانت «عينات» تجلت فيها قدرة الانسان على اكتشاف طبيعته وإهداء يومه الى مستقبله .. من أجل الانسان .


سقراط


افلاطون


بوذا


غاندى


هيجل


ابن سينا


شكسبير


اينشتاين


ابن الهيثم


ديكارت


ابن رشد


الفارابي

والى الأبد «سمفونية» وجوده ، واللحن العبقرى العظيم لحياته الوافدة الصامدة الصاعدة .. !!

أجل ـ كانت هذه العبقريات جميعها « عينات » يكتشف بها طبيعته واستعداده ، ويستبين بها وجهته ، ويدرس عليها قدراته ..

وإنه لماض الى يومه الموعود وأيامه الآتية .. تلك الأيام التى يرتفع فيها جميع أفراد النوع الى مستوى القدوة .. الأيام التى يصير فيها كل فرد جديراً بحمله كلمة «انسان» حيث تتحول كل الخصائص العظيمة التى تجلت فى عباقرة البشر ؛ لتصبح طبيعة عادية لكل أفراد البشر !!

هذا ، هو دور الانسان ، وهذه رسالته التى من أجلها يعمل ، والتبعة التى استحق بها الزعامة على الأرض وعلى الحياة ..

هذه هى المخاطرة الكبرى الظافرة التى كتبها الله له ، والتقى عندها بأسرار الكون مسخرات لأمره ، مذعنات لمشيئته.

● ●

والى هذا الانسان البطل والجسور بعث الله أنبياءه ورسله ليعاونوه على تحقيق انسانيته ، والاحتفاظ فى يمينه برايته .. ولقد كانت حفاوة الله بالانسان عظيمة اذ أرسل اليه من لدنه رسلا مبشرين ومنذرين .

وتخلقاً بأخلاق الله ، كانت حفاوة المرسلين بالانسان عظيمة . فلاحتفوا به ، وأحاطوه بكل ما فى قلوبهم الكبيرة من حب وحنان .

انظروا المسيح ، كم كان دائم الترديد الممعن لاسمه ، ودائم الحفاوة الصادقة به !!

إنه لايفتأ يكرر ويعلن أنه «ابن الانسان» .. !!

ها هو ذا يتحدث : «إن ـ ابن الانسان ـ لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص» .. «ها نحن صاعدون الى أورشليم ، و ـ ابن الانسان ـ يسلم الى رؤساء الكهنة» .. «لا يذوقون الموت حتى يروا ـ ابن الانسان ـ آتياً» .. «ومن قال كلمة على ـ ابن الانسان ـ يغفر له» .. «إن ـ ابن الانسان ـ ماض كما هو معروف عنه» ..

وفى عشرات المرات يصف نفسه بأنه «ابن الانسان» ويردد كلمة «الانسان» فى حفاوة وتمجيد .

أما أخوه «محمد» فما أكثر وما أعظم حفاوته بالانسان ..

إن القرآن الذى تنزل عليه يتحدث عن الانسان خمساً وستين مرة ــ هذا عدا حديثه عن الناس وعن الأنس ، وعن الأناسي .

«أولا يذكر ــ الانسان ــ أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» ..

«لقد خلقنا ــ الانسان ــ فى أحسن تقويم» .. «يا أيها ــ الانسان ــ إنك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه» .. «لقد خلقنا ــ الانسان ــ فى كبد» .. «علم ــ الانسان ــ ما لم يعلم» .. «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها ــ الانسان ــ» .

هكذا يشعرنا القرآن وهو يتحدث عن الانسان بحدبه عليه ، وتقديره لدوره ورسالته .

ولأن الانسان عظيم ، ولأن الانسانية جليلة فقد اختار الله رسله الأكرمين منه ومنها .

يقول الله سبحانه وتعالى : «ولو شئنا لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا» .

وهو لم ينزل ملكاً ، بل وجعل الملائكة فى عون الانسان وخدمته ، لأن الانسان الصامد أمام تجربة الحياة .. الانسان الذى حمل أمانة الوجود بعد أن أشفق من حملها خلائق كثر كانت تسير معه فى سباق التطور العظيم ..

الانسان هذا ، كان فى عين الله خليقاً بأن يتلقى من نفسه الدرس والمثل .. ومن هنا جاءته رسله منه : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم» ..

ومن هنا يبدأ توقير الرسل عليهم السلام للانسان .. من إمعانهم فى توكيد بشريتهم ، وإعلان انسانيتهم ، ووضع وجودهم دوماً داخل هذا الاطار .

ولقد كانوا وهم يرفضون المبالغة فى




اطرائهم ، والغلو فى توقيرهم . إنما يقررون القيمة العليا للانسان .

كأنهم يقولون لمن يحاول الارتفاع بهم عن مستوى الانسان فيهم : أى مقام هناك أسمى وأعظم تريد أن تذهب بنا اليه ؟!! وماذا فوق «الانسان» من خلق ؟ الملائكة مثلا .. ؟ إنهم فى خدمة الانسان الصالح الكادح . هكذا جعلهم الله ..

وحين أراد الله أن يصطفي فى الأرض خليفة ، تعالت ترنيمات الملائكة ضارعة مبتهلة أن تكون صاحبة الحظ فى هذا الاصطفاء . بيد أن الله سبحانه رمق الانسان بعين حانية ونظرة راضية ، وأشار اليه فى حب غامر وقال : هذا هو الخليفة .. !!

والانسانية إذن ، هى الجنسية المشرفة التى يحملها المسيح ومحمد والمرسلون جميعاً عليهم صلاة ربنا وسلامه .

عيسى يقول : أنا ابن الانسان ..

ومحمد يقول : إنما أنا بشر مثلكم .. ويرتل هذا النداء كل الأنبياء .

ولماذا لا يفعلون ، وفى أسماعهم اليقظى يرن الصدى القوى لقول الله لملائكته «اسجدوا لآدم» .. !!

ألا من كان يعرف تمجيداً للانسان أصدق من هذا التمجيد فليأتنا به ..

ومن كان يعرف قدر الانسان ، فليختبر نواياه تجاهه .. حاكماً كان أو محكوماً ..

إن أى إساءة للانسان .. أى تثبيط لعزمه .. أى كبت لطاقاته وكظم لأنفاسه .. أى استغلال لعرقه وامتهان لشأنه .. أى ترويع له وتعطيل لرغبة الله فى ارتقائه .. أى تقنيط لآماله وكبت لأشواقه .. أى تعويق لمسيرته بالكلمة أو بالحركة بالقول أو بالفعل .. أى شىء من ذلك كله لن يكون سوى تمرد على قرار الله بأن «الانسان» سيد كونه ، والمهيمن بأذنه على أرضه ، والواعد بما لا يخطر على قلب بشر من الرقى والصعود .

وإن أمر الله «اسجدوا لآدم» ليس تكريماً وتمجيداً للانسان بأقل مما هو تحذير له ألا يسمح بأن يخرج من بين صفوفه من يتمردون عليه ويسيئون اليه ، ويبغون حياته عوجا ، وينتقصون من حقوقه الكاملة فى الحرية والأمن والعدل وبقية الحقوق التى يحلق بها فى آفاق حياته ووجوده .

كما أن أمر الله ملائكته «اسجدوا لآدم» نذير رهيب لكل من يسهم بالكلمة أو بالحركة ، أو حتى بالصمت فى استعباد الانسان ، وتعتيم رؤاه عن الحقيقة ، وكبح ارادة السيادة والتفوق فيه .

فيا من ترجون لله وقاراً .. قدموا كل وقاركم ، وكل تمجيدكم ، وكل عونكم للانسان .

خالد محمد خالد

عبد الله جفري

# اللسان لساني ..
# والمسافة ملكنا جميعا

والآن توقفوا !!
استعيدوا أنفاسكم اللاهثة ، ثم آه .. خذوها إلى صدوركم ، وتفرجوا على وقفتكم !!
ثم .. شاهدوا صدوركم من الداخـــل .
المهمة صعبة .. بالغة الارهـــاق !
أيضاً ــ من الوجه الآخـر ــ المهمة سهلـة . بليغـــة التنـــاول !!
دعـــوا عقولكم تمارس الألعـــاب السويدية : روضوهـــا . دلكـــوها .. بعد ذلك اغسلوها بكل محتوى صدوركم ، وزحـام العالم ينتظرهـــا بلا مجاملـــة .
افرجـــوا ــ على مهـــل ! ــ عن خفقاتـكم .. فليس كل الركض حريـــة .. أحيانـــاً هو يعبر عن التيـــة ، والتيـــة حرية الضيـــاع ! .
دعـوهـــا ــ خفقاتكـم ــ تقف تحـت أشعـــة الشمـس ، وخـذوا أنفاسـكم !
الآن توقفـــوا ..
هذا ليـس اقتراحـــاً .. أنه نـــداء بلـغ حدقـتي ، وتقلقـني الرؤيـــة ، ويستفـزني الصـدى الصاخـب !
عفوكـم .. إنى أتكلم من مسافة طولها « عقلة » أصبع لشـخص ممتلىء !
اللسان لساني .. والمسافة ملكنـــا جميعاً ، و « العقلة » أداة خاصة .
وقد يعوزنا التشبيـــه فنضطـر أن نحـــفظ « المعلقـــات » !!

إن ندائى .. مخاض ليلة استمتعت فيها بسأمى الطويل ، وسئمت فيها من كتابى الضخم الذى أقرأه من زمن طويل أيضاً وموضوع الكتاب يمكن أن نضغطه فى كلمات . ربما يكتبها أديب أصابه الملل ، وتعب من الحقائق واشتاق للخيالات ، فكتب قصيدة رديئة مترنحة الأبيات .

لكن .. ليس أمام هذه الأشياء نضطر للوقوف ..

توقفوا أمام ليلكم . أمام نهاركم .. أمام عقولكم ، وخفقكم .

إن « متاريس » العالم تتساقط فى الليل ، ويستحكم رتاجها فى النهار ! غير مفهوم ؟!

حسناً .. ماذا يقول هذا الكاتب ؟؟ فى البداية ، هو لم يقل شيئاً .. كان يمسك قلمه ، ويحبس قرطاسه تحت كف يديه ، و « يحك » شعر رأسه بعِدَاء ، ولم يكتب حرفاً ، ولم يطق السكوت الداخلى فى صدره ، ولم يحتمل الصخب من حوله .. غير أنه لا يستطيع أن يتوقف .. إنه يمشي حتى وهو جالس .. إنه يرحل بين أربعة جدران !

مع ذلك لم يقل شيئاً .. اللسان لسانه ، والمسافة ملكنا جميعاً !

وبقي ينتظر من يسأله .. من يفتح جمجمته ليأخذ ما بداخلها ، ويريحه !

داخـــل الجمجمـــة الصغيرة هذه مسافات عريضة لكنها داخل « فريزر » ..

داخل الجمجمة أفكار يتمنى لو تفجرت ونسفت رأسه ومات مقتولا بأفكاره بدلا من أن تبقى جُوانِيَّة .. تؤخزه ، وتسبب له الصداع المزمن وتستعدى الآخرين أن يسألوه .

● أليست هناك فكرة بدون سؤال مسبق ؟؟

● الا يمكن أن يصحو ذات يوم ، فيكتشف أن محتوى جمجمته يماثل محتوى جمجمة « عم عثمان » بائع اللفت والسلك والزبانخ ؟؟

لحظة من فضلكم . رجاء .. رجاء توقفوا قليلا ..

إنه يحاول أن يبصر .. يحاول أن يسمع .. يحاول ان يقول شيئاً !!

ــ قال : نعم . قال هذه العبارة التى أسمها : يتيمة الناس !!

ــ قال : مساء الخير يا نجمتى الطالعة فى ليلة غائمة !

ودوت جمجمته بالتصفيق . العبارة رائعة . العصر هو زمن الخطف ، وهذه عبارة مخطوفة من التبلد ، مخطوفة من الرغبــــة فى التوقف . مخطوفة من « الوصل » .. مخطوفة من «الأصول» !

ـ قال مثالا : اسمعوا .. ألم تحسوا أن عبد الوهاب « خطف » أم كلثــوم من سنواتها الطويلة واعادها الى السنة التى غنت فيها « جددت حبك ليه » ؟ .. لقد جعل صوتها يرقص « الفالس » لقـد جعلها أكثر شباباً من عايدة الشاعر فى زمانها عندما غنت لحنه : إنت عمرى !

ـ قال مثالا آخر : ألم تشاهدوا كيف يخطف « بيرت لانكستر » فتاته الحسناء « ديبوراه كير » فى فيلم : ( من الآن والى الأبد ) ويجرى بها ليقتلها بمعانيه ، ولم تقتله بمعاناته ؟ .. وكيف خطف دكتور بيرنار شباب عروسه « بربـــاره زولنر » وواراه فى خمسيناته .. وكيف تخطف الدول الكبيرة المستعمِرة خيرات الشعوب النامية واستقلالها لتضيفها الى تاريخها ؟!

قال أمثلة .. وأشـــعل لفافته على طريقة « سومرست موم » ، وصمت !!

● ●

وتناهى إلى سمعه صوت يسأله : لمــاذا هــو « عالم مخطوف » ؟! .

كان ينتظر ـ قبل الاجابة ـ أن يصل الاحتراق الى عقب سيجارته ليتـــكلم ، لكنه ملول .. كسر اللفافة ، وقال :

ـ العـــالم مخطوف وخاطف .. ان سكانه يخطفون أنفسهم ، فلم يعـــد الوقت كاف للتريث .

ان الناس يخافون الحرب الثالثة وقد وقعوا فيها .. فهل بدأت فى ٥ يونيـــو ١٩٦٧ ؟!

وهل مات الناس فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ؟!

وقد ماتوا مرتين قبل ذلك فى عام ١٩١٤ ، و ١٩٣٩ ، وقبل ذلك كانوا يموتون بالقنص .. تقتنصهم الحروب الأهليــة والمقـــاصل ، وتقتنصهــــم الاضطرابات الجانبية .

ان كل شىء توسع ، والأصوات تضخمت ، والفرحة قصيرة .. فاذا أحب الشاب فتاة سئمها بعد شروق الشمس ، واذا كتب شاعر قصيدة .. عارضها فى اليوم الثانى ، واذا استقلت دولة رزح على صدرها الاستعمار قروناً .. تناحرت داخلياً بعد أسبوع ، واذا اكتشف العلماء علاجاً للشلل ابتكروا بعد شهر سلاحاً للحصد ، واذا يئس شاب من فرص النجاح فى العمل تحول عند منتصف الليل الى « هيبى » يلبس بنطلوناً مرقعاً ، و « ينكش » شعر رأسه ، ويفترش الرصيف ، ويقول كلاما نظرياً فقط !!

● أتعنى أن الناس يموتون لــكثرة ما هم أحياء ؟؟

ـ قال : العجيب هو العكس .. انهم يزدادون حياة لكثرة ما يموتون كل يوم !!

● إنهم لا يموتون يا سـيدى .. انهم مخطوفون فقط ، هكذا قلت !

ـ بلى .. غير أن تكرار الاختطاف دليل على الفوضى النفسية .. دليل على البعثرة الخلقية .. دليل على ان من يختطف يحمى ، ومن يحمى مريض بالاختطاف .

● لكننا مضطرون للمعرفة .. عليك ان تجرب لتعرف . وهذه احلام فى ذهنك .. انك « انفصامى » ومقهور الركض !

ـ أحد علماء الفضاء قال مرة : « مثــل هــذه الأحــلام خير زاد للتغلب على الواقع » !!

● وأحد الشعراء الانجليز الشبان قال بعد هبوط « ابوللو » على ســطح القمر : أريد الآن أن انظم قصيدة على سطح القمر لأرسم صورة للألوان كيف تتحد ؟!

ـ مخطوف .. إنه يخطف نفسه من واقعه . إنه لم يستطع ان يرسم ألــوان مشاكل الأرض . هل رأيت صورته ؟!

● لا .. لكنى أهتم بكلامه !

ـ لا .. « ان الأديب حجم انسانيته » وَكَيَّفَ نفسه !!

● سؤال اذن : لماذا نطلب من العـــالم ان يتوقف ؟!

ـ جواب : لكى يلتقط أنفاسه ، لكى يعيدها الى صدره . ان انفاس الناس اليوم فى عيونهم . إن صدورهم مهشمة !

● سؤال : ماذا يخطف الناس ؟؟

ـ جواب : يخطفون أنفســـهم من أنفسهم .. انها « حالة » من القلق .. حالة من التفريط والفقد معاً !

● سؤال : الى أين يهربون ؟؟

ـ جواب : الى بدايتهم .

● سؤال : وماذا نحتاجه ؟

ـ جواب : نحتاج الى جيل جديد .. يفهم ما يقرأ .. يعي ما يفعل .. يفرق فيما يشاهد .. يسمع جيداً !

● ســـؤال : والاديب ، أنت ماهــو عملك ؟؟

ـ جواب : أعالج المشكلة بأسلوبها !

● سؤال : كيف تتمكن ؟؟

ـ جواب : باختصـــار ... بمثــل مـا جاء فى هذه العبارة التى قرأتها : ( لابد من اختطاف بحر الأمية الى مرفأ الأدب .. لابد من اختطاف زبائن الكلمـــات المتقاطعة وبختك هذا الاسبوع . ونوادر جحا ، وزبائن النكتة ليقرأوا مفيداً ، أو يلمسوا متعة أكبر » !!

● سؤال : لكن العالم اليوم ثقافى ، وحضارى ، ومتمدين ، وسفاح ان العبارة متوقعة !

ـ جواب : إننى أريد أن تقرأ بعينيكَ ، وذهنك ، ولا تدع غيرك يقرأ لك .

● ●

والآن ؟؟ ..

توقف هو . أشعل السيجارة الحادية عشرة ثم ضحك ، وأنهى الكلام قائلا :

ـ « يبدو اننى أدمنت كل شىء .. رغم أن المسافة « عقلة » أصبع !

لقد احببت « تبغى » لأنه أصبح كلمات أغنية مرحة وجذابة .. ترددها بعض الاذاعات التى تنطق بالعربية .. فلم يتبق لنا من لغتنا إلا النطق !!

# حلم الحضارة

بقلم : د. حافظ الجمالي

لو أن انساناً ما ، أى انسان من العالم الثالث ، لا على التعيين سئل عن أغلى أمانيه ، وأسعد أحلامه ، لأجاب ، أو لظننت أنه سيجيب : إن حلمى هذا هو أن تصبح بلادى متحضرة ، تصنع الماكنات ، والطائرات ، وغير ذلك من وسائل اخضاع الطبيعة لحاجات الانسان ، والدفاع عن وجوده ضد أعدائه . وحقاً فان هذا الحلم مشترك بين جميع الشعوب المتخلفة ، من أقاصى آسيا ، الى آخر أدغال افريقيا مروراً بالوطن العربى .

لكن الشعب العربى يتميز عن غيره من هذه الشعوب من حيث أن له ماضياً حضارياً متألقاً ، بدا ، فى حينه ، وكأنه كل الحضارة ، لا بعضها ، تماماً كما نقول الآن ، عن الشعوب المتقدمة ، بأنها تملك كل الحضارة . فاذا بدا للعربى اليوم ، أن حنينه الى استعادة ماضيه ، بالصورة المعاصرة ، هو الحنين الأول ، فان هذا الشعور يتضاعف دوماً بواقع التخلف الذى انحدر اليه بعد تاريخ عريق فى التقدم والمدنية .

وكذلك يتميز العربى ــ على مثال الواعين من قادة الدولة العثمانية ، بأنه أول من شعر ، فى البلاد المتخلفة ، بواقعه البائس ، وحاجته الى التقدم ، بسبب من المجابهات المخفقة الكثيرة ، التى كانت تتعرض لها الدولة العثمانية أولا ، وبسبب من تقمص العربى ، فى تلك الأيام ، لمشاعر الدولة التى كان يخضع ، طوعاً أو كرهاً ، لسيادتها . إن تلك الاخفاقات المتتالية التى اتضحت من جراء الهزائم التى كان يصاب بها العثمانيون ، فى كل حرب ، مع الروس أو مع غيرهم من الشعوب الأوروبية ، كانت كافية ، منذ منتصف القرن السابع عشر ، لفضح الواقع العثمانى المتخلف ، تجاه واقع غربى متقدم . ولئن كان السلاطين العثمانيون يعزون بعض هزائمهم الأولى الى «سوء الحظ» أو الى ضعف المنجمين ، وعجزهم عن حسن اختيار «البرج» والساعة ، والمكان ، فان تتالى الاخفاقات كان كافياً لحمل الواعين على التفكير بأن الهزيمة ، لم تعد قضية «برج» وساعة ، ومكان ، أى لم تعد قصوراً فى علم التنجيم ، بل هى تعبير عن قصور حضارى ، لم يكن معه بد من الهزيمة ، وان الحرب لو تكررت مئة مرة ، لما كان وراءها إلا النتيجة نفسها ، أى الهزيمة . ومن هنا كان القادة الأتراك ، أو قل بدأ هؤلاء بملاحظة السبب الموضوعى الذى يجعل النصر فى أية معركة ، حليف الآخرين ، لا حليفهم ، ومن هنا أيضاً بدأ عهد التفكير بالاصلاح أو بما كان يسمى باسم التنظيمات الخيرية ، والخطوط الشريفة ، مثل خط كولخانة الشهير عام ١٨٣٩ ، والاستعاضة عن الانكشارية بالجيش الحديث ، وانشاء المدارس العسكرية ، والمدارس جملة ، ونشر المعرفة ، واقتباس علوم الغرب ، لينتهى المطاف الى ضرورة انشاء حكومات دستورية تستغنى عن الحكم الفردى ، وتجعله مسئولية مشتركة بين أهل الحل والعقد ، أى بالدرجة الأولى ، بين رجال الفكر ، والعلماء ، والاختصاصيين وكان السبب الآخر الذى أسرع بعملية الوعى هذه ، لدى العرب ، هو اصطدامهم بفرنسا فى مصر ، على يد نابليون عام ١٧٩٩ .


نابليون


محمد علي

وكان يكفى بطبيعة الحال أن يدرك الواعون أن أول قراءة للهيروغليفية ، وأول ترجمة لها ، وأول كشف عن أسرارها لم يتم على يد مواطن ، يعيش جانباً ضخماً من حياته بجانب الأهرامات ، والأقصر ، والمعابد الأثرية المتناثرة ، وما كان عليها من كتابات مصرية قديمة ، بل على يد أول عالم بالآثار ، وفد مع نابليون الى مصر . ولا يعنى هذا أن علم الآثار نفسه علم حديث ، نما وتطور بين ما نما وتطور من علوم عصر النهضة ، بل يعنى أن العالم الأثرى شامبوليون طرح على نفسه هذا السؤال : «كيف تقرأ الهيروغليفية . ؟» فاكتشف الجواب ، ولكنه لم يكن أول من طرحه ، بل إن «ذا النون» الصوفى المصرى الذى توفى «عام ٢٤٥ هـ ــ ٨٥٩ م» كان يدعي أنه يعرف قراءة الهيروغليفية ، ويزيد قدراً فى عيون الناس لمعرفته هذه . ولولا أن هذا النوع من المعرفة يعلي شأن صاحبه إذن لما أعاده صوفينا العظيم ، وبالتالى فانه لابد أن التساؤل حول أسرار الكتابة المصرية القديمة كان قائماً لدى نخبة مفكرة ، ولو أنها صغيرة ، بل إن اكتشاف هذا السر ، كان ينبغى أن يكون أسهل فى

زمن ذى النون ، منه فى زمن شامبوليون . لكن صوفينا إدعى المعرفة مجرد دعوى أما شامبوليون فقد عرف وجعل الآخرين يعرفون . غير أن هذه المعرفة لم تكن إلا جانباً هامشياً من الصدام الحضارى الكبير الذى تم بين الفرنجة والعرب فى ذلك الحين .

ويبدو لي أن محمد علي باشا هو الذى فهم معنى هذا الصدام أكبر الفهم ، واستفاد منه أكبر الفائدة ، وأوفد البعثات العلمية من أجله ، وأنشأ جيشه ودولته على أساسه ، وبدأ أول نهضة جدية فى مصر ، بوحى منه . وإنى لأحسب أحياناً أن الدرس العظيم ، لايستفيد منه إلا العقل . ولأول مرة كان السلطان العثمانى هو الذى يطلب من محمد علي باشا مؤازرة ثقافية ، على حين أن هذا الأخير كان يظن أنه يستوحى ما يعمل مما سبقه اليه السلاطين .

وعلى ذلك فان العرب كانوا أول من استيقظ على الواقع المتخلف الذى يعيشون فيه ، وحتى قبل اليابان بنحو من ستين سنة ، ومع ذلك فان شعوباً كثيرة متخلفة قفزت فى الحضارة قفزات أوسع . مما فعله العرب ، على تخلف اليقظة لديهم عن اليقظة العربية (مثل الهند ، والصين وأمريكا الجنوبية) ، وإذا كان الناس يرددون دوماً عندنا أن أمريكا اللاتينية متخلفة ، مثلنا ، فلابد من الاشارة ، على سبيل المثال ، الى أن متوسط دخل الفرد فى أمريكا اللاتينية (وبدقة أكبر متوسط انتاجه الخام) يبلغ ٢٠٠٣ دولارات فى الأرجنتين ، و ١٦٩٩,٣ فى الشيلى ، و ١٣٠٩ فى البرازيل ، و ١٣١١ فى السلفادور و ١٦٦٨ فى الأوروغواى و ١٤٨٨ فى الباراغواى ، على حين أنه ما من متوسط دخل فى الدول العربية يبلغ الألف دولار، أو يزيد عليها إن لم يكن من دول النفط وحدها . أما الصين والهند ، فحسبهما ، على فقرهما ، أنهما ، على ما لديهما من أعداد سكان ، هائلة ، تملكان أسرار الطاقة النووية ، والقدرة على صناعة الأسلحة منها ، وأننا ، فى هذا المجال ، وفى غيره أيضاً ، نتسكع على أبواب الميسورين ، ليقدموا الينا فتاتاً غير ذات خطر من هذه المعرفة .

## ابتداء من الابرة !

لابد من التساؤل اذن : لم يطول بنا الحنين الى الحضارة ــ الصناعية طبعاً ، لا الأخلاقية بالتأكيد ، ذلك أننا محلقون فى عالم القيم ، بلا ريب ــ لم يطول ويتطاول حتى لكأنه ليل امرىء القيس الذى لا ينجلى ، ثم لا يسفر صبحه أو ما يقال انه صبحه عن الأمثل والأفضل ؟ ولم تبدأ النهضة فى مصر منذ ١٧٠ سنة وتبدأ فى سورية منذ ستين سنة ، وفى المغرب منذ عام ١٩١٢ ، أى مع اتصال هذا القطر بالحضارة الفرنسية ؟ هذا إن كان كل ما سبق هذا التاريخ قطيعة كاملة ، ويبدأ فى الأقطار العربية الأخرى ، فى لحظة ما ، قبل سورية أو بعدها ، ثم تنظر فتجد أنه ما من قطر عربى إلا ويقع تقريباً ، على المستوى الحضارى نفسه ، بلا فارق نوعى ملحوظ ، لا فى الأدب ولا فى العلم ولا فى الصناعة ؟ ولم توجد دويلة اسرائيلية ، أكثر سكانها من بلادنا المتخلفة جداً ، أو المتطورة بعض الشىء ، دون أن يقصر بها هذا كله عن بلوغ المستوى الحضارى الذى نعرفه لأوروبا الغربية ؟ ولم تذكر جامعاتها ومراكز البحث فيها ، كما لو أنها على قدم المساواة هى وأوروبا ؟ بل لم سهل عليها هذا الذى نراه غاية فى الصعوبة عندنا ؟

إنى أتذكر الآن عرس «بوران» على الخليفة المأمون ، وما حفظه لنا التاريخ عن ليلة هذا العرس ، وكيف نثرت الدنانير بين المدعوين ، أو على الناس ، كما لو أنها تأتى من كنز لا آخر له ، وكيف وزعت رقاع كتب عليها اسم بعض القرى والمزارع ، فمن أصاب رقعة منها ، امتلك مباشرة ما كتب عليها . لكنى لا أذكر هذه التفاصيل إلا لأتصور أن «بوران» هذه كانت بلا ريب حتماً تلبس ثياباً أنيقة جداً ، وأن هذه الثياب مخيطة بالابرة حتماً ، لا كالأثواب الهندية أو الباكستانية اليوم التى تلف على الجسم لفاً بسيطا ، بلا خياطة ضخمة ، وأقول : من أين كان الناس فى ذلك الحين يحصلون على الابر ؟ إن أوروبا لم تكن متقدمة آنذاك ، ولم تكن ذات حضارة صناعية ، فبأى الوسائل ، أو من أى المصادر كان الناس فى بلادنا يأتون بالابرة ؟ لقد سألت منذ أيام قليلة بعض المهندسين الصناعيين عما اذا كنا فى بلادنا نملك مصانع للابر والدبابيس ، أعنى فى سورية . فاذا بى أفهم أن الدبابيس موجودة دون الابر . ولماذا ؟ لأن صناعة الابر تحتاج الى مستوى أعلى من التقنية لكنى أتساءل : كيف تهون علينا إذن صناعة المدفع ، اذا كانت تصعب صناعة الابرة ؟ وكيف نطمح الى امتلاك الطاقة النووية ، إذا كنا لا نحسن لا هذه ولا تلك ؟

ولكم يضحكني ، ولكن بمرارة كبيرة ، أن أجد صنبوراً من الماء ، لدي أو لدى الآخرين ، يحتاج الى بعض الاصلاح ، وأن انتظر «السباك» شهراً بعد شهر ، لأفوز به ، كنصر كبير ، وانجاز ضخم ، فاذا أتى وأصلح مافسد ،بدا لي بعد قليل أنه زاد الفساد بدلا من أن يحسن الاصلاح . وأقول : رباه ! أهؤلاء الفرنجة يصنعون لنا كل شىء ، وحتى الصنابير ، ونحن لا نحسن إصلاح أبسط الأشياء من أقل فساد ... وتتابعت فى ذهنى صور أخرى شبيهة بالمثال الذى ضربته ، وتساءلت فى نفسى : فى العام الماضى نجح لدينا فى سورية ١٤ ألف طالب فى القسم العلمى .. ولكن أيهما أفضل للوطن : أحامل بكالوريا بعلامات دون الوسط بكثير أو بقليل ، أم «سباك» يصلح الحنفيات ؟ ولكن الأنكى من ذلك أننا نملك عدداً ما بين الطلاب أدنى بكثير من عدد الناجحين فى البكالوريا الأدبية والعلمية ، إلا أنهم يحملون البكالوريا الصناعية .ترى أيمكن حقاً أن نطمئن الى كفاءة هؤلاء ، من أصحاب الاختصاص المناسب ، لاصلاح صنابير الماء ؟ أما أنا فاشك فى ذلك أكبر الشك .

## سيارة وليست لعبة !

لكن هذا كله ليس إلا جانباً أسود من

# حلم الحضارة

الحياة الحاضرة . فهل غاب الجانب الأبيض نهائياً ، أو هو موجود أيضاً . حسبى إذن أن أروى بعض الملاحظات .

● يحتاج كل صاحب سيارة الى اصلاح خلل ما فيها فى يوم أو آخر . ويحتاج خاصة الى بعض قطع التبديل ، ويروعه أنها بسيطة جداً ، وأن سعرها عال أو غال . ويدفعه الفضول الى السؤال : ألا تستطيع يا صاحبى أن تصنع أنت هذه القطعة البسيطة ، بدلا من استيرادها من الخارج ، ودفع هذا المبلغ الباهظ ثمناً لها ؟ ويكون الجواب فى أكثر الأحيان :

ـ يا سيدى ، إننا قادرون على صناعة هذه السيارة كلها ، من أولها لآخرها ... لا أنا وحدى ، بل مجموعة معينة ، أو عدة مجموعات منا ، نحن معاشر الميكانيكيين لكن هل يسمح لنا بانجاز مثل هذا المشروع ؟

وألاحظ أن هنالك قناعة ضمنية عميقة بانه لن يسمح لأمثال هؤلاء بانجاز من هذا النوع ، ولابد أن لهذه القناعة العميقة المشتركة ، من مبرر قائم فى الواقع ، ليس أصحابها هم المسئولون عنها حتماً .

● وتحتاج أبنيتنا المسكينة الى اصلاحات شتى فى جانب أو آخر . ولكن قطع التبديل كلها مستوردة . وتطرح نفس السؤال ، على النجار ، والحداد ، واختصاصى التدفئة والتبريد ، فاذا بك تجد الجواب نفسه ، وتقول فى نفسك : لابد من أن يكون لهذه القناعة المشتركة بين جميع هؤلاء الصناع ، من كل الأنواع ، مبرر من خارج نفوسهم ، لا من داخلها .

● لكن الأهم من ذلك تجربة قادها وزير التموين السورى وكانت تجربة ناجحة جداً . وخلاصة الأمر أن أزمة التموين فى الخبز كانت قائمة على أشدها فى طول البلاد وعرضها ، عندما جاء هذا الوزير ، وتسلم منصبه ، حتى أن المواطن ليحتاج الى انتظار على باب المخبز يتراوح بين ربع الساعة ونصفها ، على أقل تقدير .

ودعت الحاجة الى استيراد مخابز آلية ، تصنع لنا خبزنا التقليدى .. إن أولئك الذين لا يألفون فى بلادهم خبزنا ، هم الذين يتولون ، بدلا منا ، صناعة المخابز له ، ولو شئنا ، ذات يوم ، أن نطلب من الغربيين مصانع أخرى لحلوياتنا التقليدية ، من كنافة ، وبقلاوة ، وقطائف ، وتورتات ، وسنبوسك ، و «أم علي» المصرية ، لكنا متأكدين أنهم سيمدوننا بها . وعلى كل فقد استوردت المخابز الآلية ، وخفت الأزمة الى حد كبير .

وخطر ببال الوزير ذات يوم ، أن يستدعى مهندسيه وأن يعرض عليهم تقليد هذه المخابز الغربية ، بما يشبهها ولكن بالصناعة المحلية . ولقد تردد هؤلاء ، وأطالوا التردد وخافوا من عدم النجاح .. لكن الوزير طمأنهم ، وقال لا عليكم ، إن خسرنا التجربة ، فسنرد حديدها الى مصنع «الخردة» كمادة أولية .

وعلى أكبر دهشة من المهندسين أنفسهم ، نجح الرهان ، وصنع المخبز الآلى الأول ، وتلاه الثانى بكلفة لا تزيد على ربع الثمن الذى يدفع للمصانع الغربية ، وبالعملة المحلية بالدرجة الأولى ، وعلى ما أعلم فان عدة مصانع من هذا النوع ، أو قل عدة مخابز ، هى الآن قيد الانشاء ، وخلال مدة ما ، يسيرة ولاشك ، سيكون فى وسع سورية أن تقدم



هذه المخابز الأفضل من مثيلاتها الأوروبية بغير قليل ، الى كل من يطلبها .

ولئن تكلمت فى هذا المجال على ما أعرف ، فلاشك أن الاختصاصيين السوريين قد أنتجوا فى مجال آخر ، ما يعادل الصناعة الأوروبية . بل إن مهندساً سورياً ، أخرج للناس ذات يوم ، سيارة من صناعة دمشقية ، أو أكثرها دمشقى ، سميت باسم سيارة الشام ، ولو أن المسئولين فى وزارة الصناعة أذاعوا على الناس ، بكل الوسائل ، ما يجب أن نفهم منه أن هذه السيارة تزييف فى تزييف . ومع ذلك فان سيارة تمشى أمامك فى الطريق ، لا يمكن أن تكون مجرد لعبة أطفال .

## عوائق مصطنعة

والذى أستخلصه من هذا كله هو أن المعطيات الموضوعية لقيام حضارة صناعية ، حتى ولو كانت مجرد تقليد فى البداية ، أصبحت جاهزة ، وفى وسعها أن تبدأ الانتاج ، والقفز بالمستوى الحضارى القائم فى سورية . ولاشك أن مثل هذه المعطيات ، متوفر فى غير سورية ، وبدرجة أكبر أو أصغر ، تبعاً لمستوى ثقافة البلد . لكن العلة ، كل العلة ، هى أن هذه المعطيات لا تستثمر .

أقول هذا وفى ذهنى معلومات عن عدد الجامعيين من الطلاب ، لا من الأساتذة . إنهم أكثر عدداً فى سورية الآن منهم فى فرنسا نفسها عام ١٩٣٩ ، وبينهم كل أنواع المختصين ، من الهندسة الذرية ، الى علم الاجتماع ، أفيمكن ألا يستطيع هؤلاء بناء حضارة صناعية كالتى كانت فى فرنسا عام ١٨٥٠ أو عام ١٩٠٠ ؟ ولاريب أن فى مصر خمسة أمثال عدد الطلاب والمتخرجين والأساتذة الجامعيين فى سورية ، أفيمكن ألا يستطيع هؤلاء أن يجعلوا بلادهم على مثال ايطاليا عام ١٩٠٠ أو المانيا عام ١٨٨٠ ـ ١٨٩٠ ؟ إن من الصعب أن يفهم الانسان ذلك . ولكن الواقع يوضح أن بلدينا لايزالان متخلفين عن مستوى أوروبا عام ١٩٠٠ ، وكذلك كل الدول العربية ، نفطية كانت أم

غير نفطية .

وهنالك طبعاً من يقول : إن الحضارة بنت تطور طويل ، لابد من قطع مراحله ، خطوة فخطوة ، ومن الصعب أن يتم ذلك كله فى غضون خمسين أو مئة سنة . وهذا صحيح من حيث المبدأ ، لأن تقدم العلم فى الغرب كان هو الذى صنع الحضارة الغربية ، وكان مسار العلم ومسار الحضارة متوازيين . وكان تقدم العلم بطيئاً نسبياً ، ولئن تضاعف حجم المعرفة مرتين منذ الميلاد حتى عام ١٥٠٠ ، ثم تضاعف مرة أخرى بين عام ١٥٠٠ و ١٨٠٠ ، وثالثة بيت ١٩٠٠ و ١٩٤٥ ، ورابعة بين عام ١٩٤٥ و ١٩٦٠ ، وخامسة بين ١٩٦٠ و ١٩٦٨ ، فانه كان لابد من أن تتضاعف الحضارة الصناعية على هذا النسق ، وببعض التأخر أيضاً . أما عندنا فانه لا مجال لانتظار تقدم العلم . فهذا قد صنعه الآخرون ، ويكفينا جيل واحد من الأذكياء لتمثل كل أو أكثر علوم العصر ، على نحو ما فعل اليابانيون . وأما التراكم الرأسمالى ، والسوق الداخلية للصناعة مما يعتبر لدى بعض المنظرين شرطاً لنمو الحضارة الصناعية ، وحاجة ذلك كله الى التراكم الرأسمالى ، فاننا نحمد الله على أن هذه الشروط متوفرة موضوعياً ، ولا حاجة بها لشىء آخر غير انعكاسها فى النفوس ، أعنى أن ندرك ، نفسياً ، توفر هذه الشروط موضوعياً .

كل شىء إذن مهيأ لنمو الحضارة . فاذا كانت خطاها تتعثر عندنا ، فلأن «إنساننا» ، والانسان المسئول خاصة ، لا يحسن استثمار هذه الشروط الموضوعية .. وعبثاً نملك أرضاً خصبة ، إذا لم يكن هنالك من يريد استثمارها ، أو من لا يحسن هذا الاستثمار . فلو قيل إن التخلف طبيعى فى بلادنا فى العشرينات ، والثلاثينات والأربعينات ، وحتى الخمسينات ، لكان هذا القول صحيحاً جداً ، أما أن يبقى هذا التخلف حتى الآن ، فهذا هو الأمر اللامعقول واللاطبيعى ، لا فى سورية وحدها ، بل فى أكثر من بلد عربى واحد . ولئن عذر التخلف فى بلاد أخرى ، ينقصها المال ، أو الأرض ، أو الأنهار ، أو الماء ، لما وجد له عذر عندنا ، بأية حال . فكأن هنالك عوائق مضافة ، أو مصطنعة ، أو مخترعة ، أو لنقل هنالك ما يشبه اللاعزم أو اللاارادة أو التآمر على التقدم .

## التعبير عن الذات

لابد إذن من «إخلاء سبيل» المبادرات الفردية ، ومن دراسة أفضل الحدود التى يفرج فى إطارها ، عن «حرية المواطن» ولاسيما حرية التعبير عن الذات ، سواء أتجلت هذه الحرية فى التعبير المقول ، أو المكتوب ، أم كانت فى القيام بالمشاريع بحفز من الدولة ، أو بالاستغناء عن هذا الحفز ... وبصورة علمة لابد من التخلى عن المستبقات الايديولوجية التى لا تبرهن ضرورة التطور على سلامتها ، وبكلمة أفضل وأوضح لابد من عقلنة الحياة العامة ، وإبعادها أكثر ما يمكن عن عالم الرغبة والنزوة والهوى والميل وكل ما هو ذاتى لا يخضع للمقاييس الموضوعية . ولو رحنا نتقصى خطوط التطور المتوازية لوجدنا ، أول ما نجد ، توازياً شبه كامل بين كبت الحريات الفردية ، وبين الهبوط المتزايد فى هوة التخلف ، وبين التزايد فى غلبة النزوات الفردية ، وضعف العقلانية فى الحياة العامة ، وتصلب الشرايين الفكرية .

وأنا أعرف أن جانباً ما من جوانب الحياة العامة ، سيظل أرعن ، أهوج ، مفعماً بالطيش واللاعقلانية ، وأن فى هذا الجانب ما يكفى ويزيد عن حاجة الطائش والأرعن . ولا أطالب ، تبعاً لذلك إلا بشىء من العقلنة يزيد عن حصة «الجهلنة» . فاذا انتفى ذلك ، فاقرأ على التقدم السلام .

## الفارس العربى المنهك !

ولقد قضيت شطراً كبيراً من حياتى وأنا أدرس الفلسفة والعلوم الانسانية فى الثانويات والجامعة ، وكانت الصفوف التى أدرس فيها صغيرة تارة ، وكبيرة أخرى . ولكننى لم أجد فى حياتى مرة واحدة ، صفاً واحـداً بلا طلاب أذكياء ، وآخرين على شىء من الغباء . وعندما أنظر إلى الدول العربية الثلاث والعشرين ، على ما أظن ، ولا أجد واحدة منها متقدمة بوضوح على غيرها . فسرعان ما أقول فى نفسى : هذه الدول كلها تشبه أى صف فى أى مدرسة ، أفيمكن أن يكون كل طلابه متواضعى الذكاء ؟ لئن صح هذا فانه ينافى كل القوانين الطبيعية . وعلى ذلك فانه ليست الحضارة هى الصعبة ، أو المستحيلة ، وليست عقولنا هى الكسيحة أو الغبية ، وليست الامكانيات العامة هى المفقودة .. ولكن كل ما فى الأفق يشير الى أن التقدم معطل بشىء ما قد أستطيع تحديده ، ولكنى أؤثر أن يكون هذا التحديد من عمل جماعة مختصة .

وأخيراً فليست الحضارة كلها تقدماً فى الصناعة ، أو فى الانتاج ، أو فى مقدار الدخل المتوسط ، على ما لهذه القرائن من دلالة كبيرة ، ولكنها كذلك قيم ، وصور تعامل انسانى ، وهدوء بال ، وراحة نفس ، واطمئنان على الغد ، وحد أدنى من الخوف ، لا حد أعلى ... فان فقدنا «حسنى» الحضارة الصناعية ، فلا أقل من أن لانفقد «حسنى» القيم .. أمـا الاستغناء عن الحسنيين معاً ، والكبت من الداخل والخارج ... فذلك كثير وخطير ... ولا أدرى إن كان تاريخنا لم يهب أجدادنا كل أنواع الشر فلم يمنعهم بأكبر الأذى ... ولعله قد آن الأوان لطى صفحة الشرور المتلاحقة ، لنوازن بعض الشىء بين أيام الشر وأيام الخير ، أيام الشقاء وأيام الهناء ، أيام البؤس وأيام الأنس ... فاذا لم يئن هذا الأوان ، فينبغى أن نعرف كم من القرون يجب علينا أن نقضيها فى الشقاء ، بعد القرون الماضية ؟ .. وكما قالت مرة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، بعد أن طال صلب ابنها عبد الله بن الزبير : أما آن لهذا الفارس أن يترجل ، فيجب ، أو قل لعله يجب أن نتساءل ، وقد طالت أيام الشقاء علينا ، ترى أما آن لهذا الفارس العربى المنهك أن يستريح ؟

حافظ الجمالى
دمشق

فـــــؤاد كـــامــل

# الالتـــــــزام الأخــــلاقي في مجـــال التـــنميـــة

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن وضع نظام اقتصادى عالمى جديد . وقد نشأت الحاجة إلى وضع هذا النظام نتيجة للهوة العميقة الواسعة ، التى تزداد عمقاً واتساعاً على مر الأعوام ، بين الدول الفقيرة والدول الغنية ، أو بين الدول النامية ــ دول العالم الثالث ــ وبين الدول المتقدمة صناعياً ، أو بين الشمال والجنوب كما يقال اليوم إيثاراً للبساطة فى التعبير .

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر من هذا العام دورة خاصة لمواصلة الحوار بين الشمال والجنوب بهدف حل المشكلات المعلقة بينهما ، وكان من المقرر أن تستمر هذه الدورة عشرة أيام ، ولكنها امتدت إلى أسابيع ثلاثة على أمل التوصل إلى شيء .. وانفضت أخيراً دون أن تبلغ مما أرادت شيئاً ، اللهم إلا الاتفاق على عقد دورات أخرى وإجراء مزيد من المناقشات ، ومزيد من الحوار.

وعندما يطرح موضوع للمناقشة على مائدة المفاوضات بين الأغنياء والفقراء ، فمن المتوقع دائماً ، كما تقضى بذلك طبيعة الأشياء . أن يكون الأغنياء هم المتحكمون فى سير المفاوضات ، وفى مصير الفقراء الذين يجلسون معهم ــ غير متكافئين ــ على مائدة واحدة . ومن المتوقع أيضاً ، أن تكون المعونة التى يتكرم بها الأغنياء على الفقراء هى محور الأزمة ، وهى مفتاحها فى آن واحد .. وتقديم مزيد من المعونة والمساعدة هو بلاشك مطلب البلدان الفقيرة تتقدم به فى توسل ورجاء ، أو بالحاح وإلحاف ، حسب الظروف والأحوال ، إلى البلدان الغنية . ولكن ، هل هذه هى الصورة الوحيدة ، أو الصيغة الواحدة التى ينبغى أن يكون عليها الموقف بين الشمال والجنوب ، بين دول العالم المتقدم الغنية ، وبين دول العالم الثالث الفقيرة ؟ وما هو « المبدأ » الذى يتحكم فى هذا الموقف والذى يدفع الدول الكبيرة إلى تقديم المساعدة للدول الصغيرة ؟ أهو المصلحة ؟ ألا يمكن أن يكون ثمة « مبدأ » آخر غير المصلحة ، دافعاً إلى تقديم يد العون من هذه إلى تلك ؟ ألا يمكن أن يكون هناك « حق » للدول الفقيرة على الدول الغنية فى طلب المعونة ، يجعل هذا الطلب صادراً عن عزة وكبرياء ، لا عن ذلة واتضاع ؟ أو فى عبارة موجزة : هل يمكن أن تصدر الدول الكبرى فى موقفها من الدول الصــغرى عن « التزام أخلاقي » يلزمها بتقديم المساعدة طائعة مختارة لا تبغى مصلحة ولا نفعاً ، بدلا عن تقديمها مجبرة مكرهة بحكم تبادل المصالح والمنافع ، وإذعاناً لموازين القوى ، وانصياعاً لشهوات السيطرة والهيمنة والاستعلاء ؟ هذا ما نحاول أن نجيب عليه فى هذا المقال ، معتقدين أن الكلمة المكتوبة هى فعل فى حد ذاتها ، أو هى سلاح ، فان لم تكن فعالة بما فيه الكفاية ، فهى على أضعف الايمان دالة على قدر الامكان .

## المعيـــار الأخلاقى

لا جدال فى أن دافع « المصلحة » هــو الدافع الرئيسي فى العلاقات الدولية ، ولم يكن للدافع « الأخلاقى » أية سيادة أو سيطرة فى مجال هذه العلاقات إلا فى النادر من العهود ، والقصير من الحقب . وليس عصرنا الحاضر بدعاً فى العصور ، فما زال « دافع المصلحة » هو سيد الدوافع وهو سلطانها ، ولكن الجديد حقاً هو ظهور نوع جديد من المفكرين ينادون بالنظر إلى عملية المعونة على أنها عملية أخلاقية إنسانية فى المقام الأول ، بعد أن كان النظر إليها مقصوراً على أنها عملية سياسية اقتصادية ، وبالتالى فانهم يضفون عليها « قيمة إبداعية » ، بعد أن كانت مجرد قيمـة « مالية » أو « نفعية » ، وبهذا تتخذ عمليـة « التنمية » معناها الاصطلاحى الحقيقى ، بأن تكون تطويراً وتقدماً للشعوب والأفراد لا مجرد نمو للموارد والانتاج ، وهو ما يستهدفه رجال التخطيط ويعتزون به ، وتصبح عملية التنمية حينذاك علاقة جوهرية بين الانسان والانسان ، إنسان العالم المتقدم وإنسان العالم النامى ، لأن الانسان هو الانسان فى كل زمان ومكان ، وهنا يكون إلهاب الحماسة ، وإثارة المشاعر الانسانية والبواعث الوجدانية أهم الجوانب فى عملية التنمية ، ويكون الهدف الرئيسي هو إقامة « المجتمع العالمى » و « الحضارة العالمية » .

وفى الوقت الذى ترتفع فيه هذه الأصوات الانسانية داعية إلى « التضامن العالمى » ، منادية بمزيد من الترابط بين شعوب العالم متقدمها ومتخلفها ، غنيها وفقيرها ، تتعالى أصوات أخرى فى الدول الكبرى تستحث حكوماتها على تخفيض برامج المعونة الخارجية ، وعلى التركيز على الانفاق الداخلى وحل المشكلات الداخلية أولا وقبل كل شيء . وعلى أساس هذه الدعوة الأخيرة أخــــذت المساعدات الحكومية التى تمنحها الدول الكبرى للدول الصغرى تتناقص وتنكمش ابتداء من عام ١٩٦٨ ، وبعد أن كان اسهام هذه الدول فى مساعدة الدول النامية يمثـــل ٥٤ر ٪ من دخلها القومى فى ســنة ١٩٦١ ، انخفض فى سنة ١٩٧١ إلى ٣٩ر ٪ من ذلك الدخل ، وهذه هى الأرقام التى وردت فى تقرير بيرسون الشهير الذى أشار أيضاً إلى أن برامج المعونة الخارجية تتم فى جو « مثقل بالريبة وانقشاع الوهم » .

ذلك أن الدول الكبرى كـــانت تحتضــن « أوهاماً » معينة تصبو إلى تحقيقها وراء ما تقدمه من معونة . كان تبدد هذه الأوهـــام نابعاً من الكشف عن « حقائق داخلية » أخرى فى تلك البلدان المتقدمة نفسها . إذ تكشف الأمر عن وجود « جيوب من الفقر والبطالة » قابعة فى أعماق مجتمعاتها ذاتها ، وكان التفاوت بين الجماعات والطوائف فى المجتمع

الواحد ، وهو تفاوت يزداد شدة وحدة مع السرعة التى تنمو بها تلك المجتمعات فى مجال التقدم الصناعى – حافزاً على « التمركز القومى » لتلك الدول ، انعكاسا « للتمركز الذاتى » الذى تتخذه تلك الطوائف والجماعات دفاعاً عن مصالحها وذودا عن منافعها ، وتطلعا إلى الرفاهية التى تنعم بها الطبقات العليا من تلك المجتمعات فى الشرق والغرب ( وما أحداث عمال بولندا ببعيدة ، وكذلك ثورة الطلاب واضرابات العمال المتلاحقة فى العالم الغربى ) . وكان هذا الانسحاب إلى القومية والذاتية والأنانية من جانب الدول الكبرى مدعماً بادراك نوع من الجحود الذى لقيته جزاء معونتها للدول الصغيرة ، وكانت تأمل بوعى قل أو أكثر – أن تعود عليها هذه المعونة بشىء من الفائدة بعد أن تشرع الدول النامية فى التقدم ، وتكون هذه الفائدة على هيئة اعتناق لأفكارها ، ولطريقتها فى العيش ، وأسلوبها فى الحياة ، أى أن تحالفها فى السراء والضراء ، بيد أن الأمر جاء على غير ما تتوقع ، إذ قامت فى تلك الدول الصغرى سلسلة من الثورات والانقلابات والصراعات . وهكذا انتهت الدول الكبرى إلى هذه النتيجة وهى أنها قد أضاعت أموالها فى غير طائل ، واستثمرتها فى غير عائد .

وهنا أخذت الدول الكبرى تتساءل عن دوافعها إلى تقديم المعونة . إن الهدف الذى تزينه لها المحافل الدولية هو مساعدة الدول النامية على تنفيذ خططها للتنمية . وها هى تبوء بالفشل فى إنجاز تلك الخطط بالاضافة إلى ما قدمناه من أسباب دفعت الدول الكبرى إلى تخفيض معونتها . ولكن هل يتوقف الأب فى الانفاق على ابنه إذا رسب فى أحد الامتحانات ؟ هل يحجم المواطن عن ولائه لوطنه لمجرد أن حكومته تنتهج سياسة اقتصادية أو خارجية لا ترضيه ؟ بالطبع لا . ولكن هذا هو ما يحدث فى العلاقات الأصيلة التى لا تنفصم عراها ولا تتغير مهما تعاورت عليها التقلبات ، وطرأت عليها الأحداث ، وهى التزامات غير قهرية تنبع من الذات ، ويقبلها المرء راضياً مختاراً .

فهل يمكن أن تقوم بين بلدان العالم هذه العلاقة الحميمة من الالتزام الاختيارى الذى يترابط به أفراد مجتمع واحد لا انفصام للعلاقات التى تقوم بين بعضهم والبعض الآخر ؟ وبعبارة أخرى : هل يمكن أن تقوم المعونة على « أساس دائم » لا يخضع للمتغيرات والتقلبات التى تطالعنا بها وسائل الاعلام صباح مساء فى أنحاء العالم كله : شرقه وغربه .. شماله وجنوبه ؟

وهنا تبرز للعيان حقيقة لا ريب فيها وهى أن بلدان العالم لم تلتزم بعد بقانون أخلاقى يتحكم فى تصرفات بعضها تجاه البعض الآخر فحتى مع وجود دستور للأمم المتحدة وقوانين تخضع لها العلاقات الدولية هذا الدستور ، وتلك القوانين ليست معتمدة فى السلوك الفعلى للدول . وهذا راجع إلى تنازع المصالح وتضاربها من جهة ، وإلى اختلاف الايديولوجيات والأديان والثقافات من جهة أخرى . والسؤال المطروح الآن هو : هل يمكن أن ينبع من تلك العقائد المختلفة « التزام واحد » وإن اختلف التعبير عنه فى كل منها ؟ هل هناك « أمر مشترك » واحد بين شعوب الأرض جميعاً ، « أمر عالمى » يمكن أن يواجه « تحدياً عالمياً » ؟ هل هناك « معيار أخلاقى » واحد يمكن أن تتخذه دول العالم قاطبة وتؤمن به ؟

## ثلاثة مواقف

والحجج التى تساق لتقديم المعونة إلى الدول النامية تنبع من ثلاثة مواقف أخلاقية :

● الصدقة أو الاحسان : بمعنى أن يتصدق الغنى على الفقير لكى يتخفف من شعوره بالذنب ، ويتخلص من تأنيب الضمير ، ويخفف فى الوقت نفسه من آلام الفقراء الذين يعترضون سبيله ويشعرون نحوه بالحسد . وتنظر المجتمعات التقليدية إلى الفقراء بوصفهم ضحايا أبرياء لنظام محتوم للأشياء ، فهى تنظر إلى الفقر نظرتها إلى الكوارث الطبيعية التى تقع قضاء وقدراً ، ومن ثم لا يمكن القضاء على الفقر قضاء مبرماً ، وإنما من الممكن تخفيفه فحسب .

● المسئولية تجاه الفقراء : بمعنى أن يشعر الرجل الغنى بأنه مسئول إلى حد ما عما يعانيه الفقير من فقر ، وبالتالى كان لزاماً عليه أن يمنح الفقير نسبة ضئيلة من ثروته التى لو أحسن توزيعها ، لكانت كافية لتلبية احتياجات الجميع هنا كانت الدعوة إلى العدالة الاجتماعية فى توزيع الثروة ، وقيام الجمعيات والهيئات الخيرية التى تهدف إلى تصحيح التفاوت بين الفقراء والأغنياء .

● اتقاء العنف من جانب الفقراء : ذلك أن الجماهير الفقيرة يمكن أن تلجأ إلى أعمال العنف تجاه الأغنياء ، مدفوعة بيأسها من حالة الاملاق التى تعانيها . وتتوقى طبقة الأغنياء هذا العنف الذى قد تلجأ إليه « الطبقات الخطرة » بالتنازل عن أجزاء من ثروتها .

وفى الحالات الثلاث تكون الدوافع إلى تقديم يد العون للفقراء هى على التوالى العطف والشعور بالذنب والخوف ، وهى بلاشك دوافع تمد جذورها العميقة فى الضمير الانسانى والنفس البشرية ، وكان لها تأثيرها الذى لا سبيل إلى إنكاره على الرأى العام فى الدول المانحة للمعونة . وثمة قطاع من الناس فى تلك الدول يندفع متطوعاً متبرعا بطاقته وأحياناً بحياته لتقديم معونة منزهة عن الغرض ، وهو يعتقد أنه إنما يفعل ذلك علاجاً للشرور الذى ارتكبتها أمته فى استعمارها للبلدان الفقيرة أو كانت مسئولة عنها . فلا جدال فى أن شطراً كبيراً من التخلف فى العالم الثالث يرجع إلى استنزاف الاستعمار لموارده الطبيعية ، وكبت حريات أبنائه وتعطيل نموهم الثقافى والمادى والروحى .. الخ . فكان طبيعياً أن تشعر الدول الامبريالية بشعور من الذنب تجاه مستعمراتها السابقة ، وبرغبتها فى اصلاح شىء مما أفسدته . ولا يقتصر هذا الشعور على الدول الاستعمارية الكبرى ، بل يشمل أيضاً الدول الصناعية المتقدمة بوجه عام التى اعتمدت فى تنمية مجتمعاتها على تصدير منتجاتها إلى البلدان النامية واستيراد المواد الخام من تلك الدول بأبخس الأسعار ، واستغلال الأيدى العاملة فى صناعاتها وحروبها على السواء . ولعل أسوأ مثل على هذا الموقف هو تجارة الرقيق التى كانت تمارسها الدول الغربية الكبرى ، وهى الدول التى تعد مسئولة عن افقار افريقيا السوداء ، كما كانوا يسمونها . وعلى الرغم من انحسار الاستعمار عن معظم دول العالم ، فقد ظلت تلك الدول تدور فى فلكه إقتصادياً وثقافياً ، إن لم يكن سياسياً ، ومازالت معتمدة فى تحقيق أهدافها الانمائية على الدول المتقدمة صناعياً ، ولهذا كانت شروط التبادل الاقتصادى مجحفة – بوجه عام » للدول النامية ، ذلك أن الدول الكبرى تأخذ المواد الخام من البلدان النامية بأسعار غير ثابتة تحددها الاحتياجات الموقتة للدول الغنية ، ثم تبيع منتجاتها المصنعة من تلك المواد الخام بأسعار أعلى من الأسعار

● لاجدال في أن "المصلحة" وليس "الأخلاق" هي الدافع الرئيسي في العلاقات الدولية

● الدول الكبرى تحتضن أوهاماً معينة تصبو إلى تحقيقها وراء ما تقدمه من معونة

# الالتـــزام الأخـــلاقي في مجـــال التـنمـيـــة

السائدة فى الدول المتقدمة حيث تؤدى المنافسة إلى إغراق الأسواق بتلك السلع ، وموجز القول أن البلدان النامية تلعب دوراً ثانوياً فى عملية السوق العالمية ، على حين تربح الدول الغنية ربحاً إضافياً من البـــلدان النامية ، عند طرفى الدائرة الاقتصادية بائعة ومشترية .

## الشـــعور بالذنب

أضف إلى ذلك أن الثقافة الغربية مسئولة إلى حد كبير عن الدعوة إلى العقلانية التاريخية والتقدم التكنولوجى ، مما حدا بدول العالم كله – أرادت ذلك أو لم ترد – أن تاخذ باسباب التقدم الحضارى فى الاطار الذى رسمته الثقافة الغربية ، أعنى إطار « العلمنة والتصنيع » . فاذا أراد الفكر الغربى أن يكون متسقاً مع نفسه ، فينبغى عليه أن يقبل نتائج تلك النزعة العالمية الشاملة » التى جعلها من مبادئه .

بيد أن الشعور بالذنب لا يمكن أن يدوم طويلا ، لأنه من المشاعر التى يود المرء التخلص منها سريعاً ، وبالتالى فان المتهم يصبح متهما ، ويقوم بتوجيه النقد إلى البلدان التى سبق أن استعمرها لأنها لم تستطع أن تفيد من استقلالها . والعطف نفسه يمكن أن يكون دافعاً إلى الضجر والملل ، بل إن البلدان موضع العطف تميل إلى التخلص منه لأنه مهين لها محقر لشانها . وكذلك الخوف لا يمكن أن يستمر حافزاً على المعونة ، وقد يؤدى الخوف من العنف إلى اصطناع العنف . ولهذا لا يمكن أن يقوم « التزام اخلاقى » دائم على هذه الأسس العاطفية الثلاثة التى تتسم بالتقلب والتحول والوقتية .

و « الالتزام الأخلاقى » معناه أن نرى كل حياة إنسانية جديرة بالاعتبار وأن لكل إنسان علينا حق الاحترام بوصفه إنساناً .

والصيغة التى وضعها « كانت » للأمر المطلق فى الأخلاق : « اعمل بحيث تعامل الانسانية فى شخصك وفى أى شخص آخر كغاية لا كوسيلة » ما برحت هى الصيغة التى يقوم عليها « الالتزام الأخلاقى » تجاه الآخرين . فهل يمكن أن يكون هذا القانون الأخلاقى هو نفسه القانون الذى تتأسس به العلاقة بين الدول ؟ قد يكون من المفهوم أن يلتزم الفرد فى مجتمع ما بهذا القانون الأخلاقى تجاه مواطنيه نظراً لوحدة المصير المشترك التى تربط بين أبناء الوطن الواحد . ولكن ، كيف نقنع فرداً فى دولة متقدمة بأن يلتزم بهذا المبدأ نفسه تجاه بلد متخلف ، وأن ياخذ نفسه بشىء من التضحية من أجل أبناء بلد لا ينتمى إليه ؟

## نحو ســلام دائم

إن للأمر المطلق الذى وضع « كانت » صيغته المشار إليها صفة الشمول والكلية ، ولكنه من حيث التطبيق فى العلاقات الدولية فانه يحتاج إلى قيام حكومة عالمية ، وهذه الحكومة العالمية مازالت حلماً طوباوياً لم يخرج بعد إلى حيز الواقع . ولهـــذا يقترح « كانت » فى كتابه « نحو سلام دائم » أن تبرم دول العالم فيما بينها « عقداً اجتماعياً » مع احتفاظ كل منها باستقلالها وسيادتها ، ويتاسس على هذا العقد حق جديد هو حـق « المواطنة العالمية » وهو شرط مبدئى ينبغى أن يتحقق قبل أن تتمتع كل دولة – وبالتالى كل فرد – بسلام دائم بدلا من أن تظل دائماً عرضة للقرارات المتعسفة وللتهديد بالحرب .

كان ذلك فى القرن التاسع عشر . أما فى عصرنا الحالى فان اشتراك دولة ما فى القانون الدولى يتطلب شروطاً اقتصادية واجتماعية معينة وتتضمن هذه الشروط أقصى استغلال ممكن لمواردها من جهة ، وزيادة فى حجم تجارتها من جهة أخرى . ومن ثم لم يعد السلام مجرد تهيئة الظروف السياسية التى تسمح للدول بعقد اتفاقات تجارية فيما بينها ، بل إنه يقتضى إقامة النظم والمؤسسات واتخاذ الوسائل التى تتيح للدول كافة – وبخاصة الدول النامية – أن تستغل مواردها أفضـــل ممكن بمساعدة الدول الأخرى ، وهكذا لم يعد السلام مطلباً سلبياً بتجنب الحرب ، بل أصبح مطلباً إيجابياً ينشأ عن تنسيق أو تنغيم تطلعات الدول المختلفة التى يسعى كل منها إلى تنمية نفسه بطريقته الخاصـــة . وبذلك لا يتوقف السلام على التجمعـــات بقدر ما يتوقف على الترابطات الديناميـــة التى تستهدف غايات إنمائية متبادلة .

وكما نعلم أن التخصص قد أصبح سمة من سمات العصر الحديث بين أفراد الأمة الواحدة فكذلك يمكن أن نعده سمة من سمات الأمم المختلفة داخل الاطار العالمى ، بحيث أصبح احتياج الأمم بعضها إلى البعض الآخر حقيقة لا مراء فيها لا نستثنى من ذلك أمة كبيرة او صغيرة . ولهذا يفترض التعاون بين الـــدول ترشيداً لاستخدام موارد العالم لرفع مستوى الأمم والأفراد فى آن واحد ، وبالتالى تكون التنمية هى المبدأ وهى الغاية من تقديم المعونة ، ويكون الأساس الذى يقوم عليه القانون الدولى – من ناحية التطبيق العملى – هو الرغبة المتبادلة فى التنمية . فلو أن التفاوت بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية أخذ يتزايد لاستحالت التجارة بينهما ، ولتوقفت العلاقات الدولية تماماً ، وأصبح الجو مهيئاً لنشوب الحروب ، وسيادة الهمجية

ومساعدة الشعوب الأخرى على التنمية معناه إعانتها على تأسيس حقها فى الانضمام إلى عضوية المجتمع الدولى التى لا يمكن بدونها أن تتمتع الدول بسلام دائم ، وحياة مستقرة . والبديل الوحيد لهذه النزعة الانمائية الشاملة هو هيمنة دولة كبرى على العالم أو التنافس على هذه الهيمنة بين أكثر من دولة ، وبالتالى العودة إلى استعمار الشعوب التى ظفرت حديثاً باستقلالها ، أو استعمار شعوب لم تعرف الاستعمار من قبل .

## إحياء الناس جميعا

وهذا هو ما يدفعنا إلى القول بان الدول الكبرى حين تساعد الدول الصغرى فانما تساعد نفسها فى حقيقة الأمر من حيث انها تنتمي إلى مجتمع دولى واحد ، وتشارك فى سلام منشود ، ولهذا الغرض انشأت الأمم المتحدة ومنظماتها ووكالاتها الدولية المتخصصة ضماناً وتنظيماً للعلاقات المتبادلة السليمة بين الدول المانحة والدول المتلقية . ومهما تكن العثرات والعقبات التى تعترض طريق هذه المؤسسات الانمائية الدولية والوليدة ، فانه لا مندوحة عن الاعتراف بانها تتحدث باللغة العالمية الوحيدة التى تتجاوز حدود القوميات والايديولوجيات وبانها تمثل البدايات الصحيحة على طريق المجتمع العالمى الجديد .

وكما أن « الالتزام الاخلاقى » يخلو من مضمونه ، ويتجرد من معناه ان لم يخرج الى مجال التطبيق والفعل ، فانه لا يتقدم فى مسيرته ان لم تزدد الدائرة التى يشملها اتساعاً . فالمتتبع لتاريخ التقدم فى الأخلاقيات البشرية يجد أن هذا التقدم يتم على هيئة توسع وامتداد للواجبات والالتزامات لتشمل تجمعات بشرية أوسع وأكبر . القبيلة ،

الطائفة ، المدينة ، الأمة ، الدولة ، العالم كله . وهذا ما يمكن أن نسميه التقدم الافقى للاخلاقية ، وان يكون من الواجب ان يواكبه تقدم راسى ، أى تقدم فى طبيعة الاخلاقية نفسها حين تزداد عمقاً وتعقيداً . وربما لمسنا هذين الاتجاهين للتقدم الاخلاقى فى هذه الآية الكريمة من سورة المائدة : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ..... » ( آية ٣٢ ) .

الالتزام الأخلاقى يمكن أن يكون إذن رسالة ذات شعبتين : تحقيق الذات والمساعدة على إحياء ذوات الآخرين ، أو بمعناها الشامل إحياء الناس جميعاً . وهنا لا تكون التنمية مجرد نشاط خارجى ، أو واجب على المجتمعات أن تؤديه ضمن سائر الواجبات الأخرى ، بل تصبح ضرورة مرتبطة بماهية الانسان وحريته ورسالته الروحية ، وتعبر حينئذ عن طموح الانسان إلى النمو والتقدم والكمال ، فلا تكون التنمية مجرد واجب اخلاقى قائم على أساس مبادىء اخلاقية معينة ، بل تكون هى الموقف الأخلاقى نفسه بلا منازع ، من الذات ومن الانسانية ككل .

ويقتضى هذا الموقف الأخلاقى أن نساعد الآخرين على أن يصبحوا أكثر إنسانية ، والمساعدة معناها تقديم الوسائل وتوفير السبل . ولا يكون ذلك إلا بالعمل على استخدام الموارد الطبيعية لصالح البشرية جمعاء ، وتنمية الثروة وتوزيعها بالقسط على الناس ، فالمطلوب هو إضفاء الطابع الانسانى على ضروب التبادل الاقتصادى الدولية بحيث تتجاوز النظرة الحسابية الضيقة ، نظرة الربح والخسارة ، وأن نجرى أنواعاً أخرى من التبادلات تكون أكثر اتساعاً وتنوعاً من التبادلات القائمة حالياً ، وبفضل هذه الأنسنة - إن صح هذا التعبير - تفقد السلع تدريجياً أهميتها الكمية والنقدية لتصبح علامات على النشاط الابداعى ودعوات للحوار الاجتماعى ، والمعرفة ، والحياة الحافلة بالحيوية والتنوع . وتصبح الرغبة فى العطاء - وهى من أهم الدوافع الانسانية - أساساً من أسس الاقتصاد الدولى ، على ألا يفهم هذا الدافع بوصفه مرادفاً للاحسان ، بل بوصفه مقوماً من مقومات الروح الانساني ، وعنصراً اساسياً من عناصر النزعة الغيرية فى الانسان . وهذا الاقتصاد الجديد يدفعنا إلى التخلص من اقتصادنا القديم القائم على التنافس ، ويشمل تدريجياً على أمور لا سبيل إلى التعبير عنها بالأرقام كالعلاقة بين الافراد والعلاقة بين الأمم ، وأسلوب الحياة ، وتقدم الثقافة ، والسعادة والحرية .. الخ . ولم تعد هذه الأمور كلها الآن مجرد احلام طوباوية ، وذلك أن الوسائل التى أصبحت فى متناول التكنولوجيا بلغت حداً من القوة يجعلها مؤدية إلى الخراب والدمار إن لم توجه إلى التنمية المشتركة . فمن الممكن توجيه الصناعة المتقدمة وبخاصة الصناعة النووية إلى الأغراض العسكرية أو الأغراض السلمية على حد سواء وهذا إنذار كاف للبشرية : ألا تتوانى فى الاختيار بين الفناء الشامل أو الخلاص الشامل .

## بين التنمية والتقدم

وهذا الطابع الحيادى للتكنولوجيا يجرنا إلى تفرقة هامة بين التنمية والتقدم . فقد يحدث فى كثير من الأحيان أن ينشىء الاستعمار من الأنظمة وينشر من المعرفة والعادات ما يؤدى إلى « التقدم » التقنى ، بيد أن هذا التقدم لا يتجاوز حدود الاستيعاب أو المحاكاة أو التبعية . أما التنمية فهى استغلال القيم والامكانيات الخاصة بكل شعب على حدة ، وهى تفترض الايمان بقدرة كل المجتمعات على استخدام « أدوات » التقدم لصالحها . فليس من الضرورى أن يكون النموذج الغربى - أى الاستجابة الغربية للتقدم التكنولوجى - هو المعيار المحتوم لكل تنمية . وهذه التفرقة ضرورية للتمييز بين المساعدة الحقيقية على التنمية والمساعدة التى يتستر وراءها الاستعمار لاستعادة سيطرته على دول العالم الثالث . والتضامن ليس مرادفاً للتجانس بل إن التنوع هو أساس التبادل النافع بين الشعوب . والشعب المتمسك بتقاليده ، المدرك لشخصيته هو وحده الذى يستطيع أن يقيم علاقة سليمة مع شعب آخر يختلف عنه ، إذ يكون لديه حينئذ ما يقوله . وكثيراً ما يصاحب الطموح إلى التنمية تطلع للبحث عن الهوية ، ورغبة فى أن يكون الشعب ذاته ، فلا عجب أن تكثر فى هذه الآونة الأبحاث المكرسة لقضية التراث فى بلدان العالم الثالث .

ولا يتعارض البحث عن الذات مع الانفتاح على الآخرين ، كما لا تتنافى القومية مع التضامن العالمى ، ذلك المثل الأعلى الذى وضعته الثقافة الغربية لشعوب العالم كافة . فمن التناقض البين إذن أن تأتى الدول الكبرى اليوم فتمتنع عن مساعدة بلدان العالم الثالث التى اعتنقت هذه المثل العليا فى الحرية والاخاء والمساواة بعد أن أوشكت هذه التعاليم أن تؤتى ثمارها ، ولا يمكن أن تعيش أية مدينة إن هى غلقت على نفسها الأبواب ولم تشارك غيرها فى ثمار حضارتها ، خاصة وأنها هى التى عملت على نشر هذه المبادىء ما وسعها الجهد وتحملته الطاقة . فهى عندما تتنكر لمطالب الشعوب الصغيرة فانما تتنكر لصورتها ، وترفض النموذج الذى اقامته للاحتذاء .

وربما كان هذا التناقض الواضح فى موقف الشمال من الجنوب هو الذى يفسر لنا موجات الاحتجاج الصارخة التى انطلقت من الشباب المثقف فى الدول المتقدمة ضد النظم القائمة . فقد صدمهم فى حقيقة الأمر ذلك التعارض الواضح بين ما ينادى به ساستهم من مبادىء سامية ، وبين ما يمارسونه من سياسات مكيافيلية . فهناك سباق التسلح والعنصرية والتخلف ، وانقسام العالم إلى اغنياء وفقراء ، كل هذا لا يكف عن وخز ضمائر البلدان الصناعية ، وما سخط الأجيال الشابة إلا علامة على سوء الطوية الذى يضمره الشمال للجنوب . والسؤال المطروح الآن هو : متى تسلك الدول الكبرى سلوكاً يتفق مع مبادئها المعلنة ومثلها العليا التى تبشر بها منذ أواخر القرن الثامن عشر ؟

## مواجهة الخطر المشترك

إن الخطوات الأولى التى يخطوها العالم الآن نحو التعاون تدل على أن البشرية تتطلع إلى الوحدة ، وأنها تتقدم على جبهة واحدة لمواجهة خطر مشترك . ولن يحقق الأفراد والأمم رسالتهم الخاصة إلا إذا قبلوا التنمية بوصفها مهمة تتجاوزهم وتوحدهم فى آن معاً . وقد أصبح استغلال موارد العالم واكتمال الجنس البشرى غايتين لا تنفصل إحداهما عن الأخرى ، وصارت المساعدة الانمائية ضرورية للشمال ضرورتها للجنوب .

فؤاد كامل

● إن الخطوات التي يخطوها العالم الآن نحو التعاون تدل على أن البشرية تتقدم على جبهة واحدة لمواجهة خطر مشترك



ومرّت أربعون سنة :

# مي زيادة

## حياتها ومأساتها

بقلم : الدكتور كمال نشأت

في يوم ٢٠ اكتوبر ( تشرين أول ) من العام الماضي تكون قد مرت على وفاة الأديبة النابغة «مي زيادة» أربعون سنة كاملة ، إذ أنها توفيت في العشرين من أكتوبر عام ١٩٤١ ، وحيدة منسية .

وعلى الرغم من ألمعيتها ، والشهرة التي حققتها ، في وقت كانت المرأة العربية فيه قعيدة المنزل ، بعيدة عن الاشتراك في الحياة العامة ، فان هذه الشهرة لم تستطع أن توطد لها مكاناً بحيث تفرض نفسها على الناس ، فتحتفل بذكراها المجلات والجرائد والاذاعة والتليفزيون كما يحدث لغيرها من الأدباء والمفكرين .

وإننا نتساءل : أيرجع ذلك إلى أنها كانت من الكتاب المنشئين الذين كان أدبهم يدور في قالب المقالة والخواطر النثرية كالرافعي وأغلب كتابات المنفلوطي ؟ أيرجع إلى أن كل اهتمامها الأدبي انصب على تصوير خوالج ذاتية وأنها كانت مهتمة ـ إلى جانب ذلك ـ بقضية المرأة العربية ، في فترة أصبحت الآن تاريخاً ، بعد أن شاركت المرأة في الحياة العامة هذه المشاركة الفعالة في مجالات الحياة المختلفة ؟

ربما تكون الاجابة على هذين السؤالين هي السبب ، فان المرحلة التي عاصرتها مي قد أبرزت كثيراً من الكتاب والمفكرين ، ولم يبق التاريخ القريب منهم إلا العمالقة الذين تجاوزوا شكل المقالة والخواطر الذاتية والقضايا العامة الآنية فكتبوا الدراسات والأبحاث كما كتبوا في النقد التطبيقي ، وفي الترجمة المحللة لشخصيات تاريخية كبيرة ، وفي القصة والرواية كما فعل طه حسين والعقاد ، وظل في الحدود الزمنية لهذا الجيل كتاب مرحليون ، كان لهم أثرهم في هذه الحقبة من تاريخنا الأدبي منهم الرافعي والمنفلوطي .



ولدت «ماري إلياس زخور زيادة» في الناصرة عاصمة الجليل في فلسطين ، من أب لبناني يعمل معلماً ، وأم فلسطينية من الناصرة ، ولم ينجبا إلا ابنتهما هذه ، فكانت «مي» طفلتهما الوحيدة ، اشتغل الأب بالتعليم في هذه المدينة الصغيرة التي نالت شهرة لأن المسيح عاش فيها صباه وفترة من شبابه ومن هنا أصبحت مزاراً معروفاً . عاشت «مي» ثلاثة عشر عاماً فيها ، وقضت أربعة أعوام في معهد للراهبات ، ثم انتقلت إلى لبنان حيث قضت خمسة أعوام في معهد للراهبات أيضاً في قرية «عينطورة» وليس من شك في أن جو المعاهد الدينية ـ وكان غالباً في أديره والمدرسات راهبات ـ قد ترك أثره في نفسها الحساسة ، خاصة أنها كانت تحس بوحدة قاسية ، فهي وحيدة والديها .. وهي وحيدة في الدير الذي تغادره الطالبات في المناسبات كالأعياد ، وها هي «مي» تسجل في مذكراتها صورة لهذه الفترة من حياتها .. تقول على لسان (عائدة) وهو الاسم الذي كتبت المذكرات ونسبتها إليه ( أخذت «عائدة» تكتب ، ولا سيما أن عيد الميلاد قد دنا ، وأخذت أيام العام الأخيرة تسرع نحو هوة العدم

كانت تكتب لأن رفيقاتها الصغيرات أخذن يغادرن الدير ليصرفن الأسبوع بين أهلهن المقيمين في المدينة أو ضواحيها . وعائدة من بلدة بعيدة كل البعد ، لذلك لا يزورها من ذويها في العيد أحد . وستقضي هذه الأيام وحدها بين أولئك النسوة الصائمات المصليات الزاهدات ، اللائي كانت تشعر بأن منهن غير السعيدات رغم امتثالهن الظاهري ، فتودع رفيقاتها الواحدة بعد الأخرى متمنية لهن عيداً سعيداً . حتى إذا مضت آخرهن انطلقت إلى الكنيسة وحجبت وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء وكان مساء العيد حزيناً ، وجوّه مكفراً ، والدير صامتاً كتوماً ، مرمريا كالمقابر القديمة يضن بخفاياه ، وكان لعائدة

« إنما حياة الانسان على الأرض جهاد مستمر رغم كونها محض عبور ورغم أننا نموت فى ذاتنا كل يوم .. »

« مى زيادة »

يومئذ أن تفعل ما شاءت دون قانون يقيدها فتقضى أكثر أوقاتها فى غرفة الموسيقى المنفردة فى أطراف الحديقة تخيم عليها الأشجار ذات الغصون العارية . هنالك جلست طويلا والسماء تمطر رذاذاً ، ثم نهضت إلى البيانو وما كادت تمس أصابع العاج حتى سحبت يدها قائلة : «ما أشد برد البيانو !» ثم أضافت : بل البرد فى يدى ، البرد فى روحى ، البرد فى وحدتى وغربتى وألقت برأسها إلى خشب الآلة الموسيقية ، على أن يداً لطيفة اجتذبتها مداعبة شعرها وخدها ، فصرخت الفتاة قائلة «اتركنى» لا أريد أن يشفق عليَّ أحد لأنى لا أطلب الشفقة .. ) .

## ... إلى القاهرة

وعادت «مى» إلى الناصرة بعد ان انتهت من دراستها فى «عينطورة» ، عادت لتعانى فراغاً كبيراً حاولت أن تبعده بقراءات فى الأدب الفرنسى ، فقد كانت تجيد الفرنسية وبعضاً من اللغات الأجنبية الأخرى . الا أن هذه القرءات قد توقفت زمناً لانتقال الأسرة إلى القاهرة عام ١٩٠٨ . سافرت الأسرة إلى هذه المدينة التى كانت مناراً أدبياً وفكرياً على الساحة العربية الكبيرة ، وهناك عمل أبوها فى الصحافة فترة أصدر بعدها جريدة (المحروسة) ، وفى مصر تفتحت مواهب «مى» فابتدأت تكتب فى جريدة أبيها ، وأخذت كتاباتها تظهر بعد ذلك على صفحات الجرائد والمجلات المصرية كما كثر وقوفها خطيبة أو محاضرة فى النوادى المختلفة ، وفى عام ١٩١١ أصدرت ديواناً باللغة الفرنسية أسمته (أزاهير حلم) واختارت اسماً مستعاراً هو «ايزيس كوبيا» ، إلا أن «مى» كشخصية أدبية لم تعرف على نطاق الصعيد الأدبى إلا بعد أن استقبلت كبار الأدباء والمفكرين فى منتداها الأدبى بمنزلها كل يوم ثلاثاء . كانت «مى» فى هذه الفترة شابة متألقة ، جميلة ، لبقة تعرف كيف تدير الحديث ، وكيف تجالس صفوة المفكرين والمثقفين المصريين والعرب الذين كانوا يزورون القاهرة . لقد كان يوم الثلاثاء عيداً للفكر ، ولقاء خصباً للأرواح الخصبة .. لطفى السيد ،

اسماعيل صبري



جبران خليل جبران



وطه حسين ، وعباس العقاد ، وحافظ ابراهيم ، والرافعى ، وإسماعيل صبرى ، والبشرى ، وولى الدين يكن ، ومنصور فهمى ، ومطران ، ومصطفى عبد الرازق ، والمازنى ، وغيرهم .

يقول اسماعيل صبرى ذاكراً يوم الثلاثاء فى بيتين اشتهرا بعد ذلك :

روحى على دور بعض الحى هائمة<br>كظامىء الطير تواقا إلى الماء<br>إن لم أمتع بمى ناظرى غداً<br>لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

ويصف طه حسين هذا المنتدى الأدبى .. يقول : «كان الذين يختلفون إلى هذا الصالون متفاوتين تفاوتاً شديداً ، فكان منهم المصريون على تفاوت طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية ، وعلى تفاوت أسنانهم أيضاً ، وكان منهم السوريون ، وكان منهم الأوربيون على اختلاف شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء ، وكانوا يتحدثون فى كل شىء ، ويتحدثون بلغات مختلفة بالعربية والفرنسية والانجليزية خاصة ، وربما استمعوا لقصيدة تنشد أو مقالة تقرأ ، أو قطعة موسيقية تعزف ، أو أغنية تنفذ إلى القلوب . وقد أتيح لى أن أكون من خاصة «مى» بفضل الأستاذ لطفى السيد فكنت أتأخر فى الصالون حتى ينصرف الزائرون ، وما أكثر الليالى التى انصرف فيها الزائرون جميعاً ، ولم يبق منهم إلا الأستاذ لطفى السيد ، ومحمد حسن نائل المرصفى ــ رحمهما الله ــ وأنا .. وفى تلك الوقت كانت «مى» تفرغ لنا حرة سمحة ، فنسمع من حديثها أو إنشائها ، ومن عزفها أو غنائها ..» .

ويقول العقاد عن براعتها فى الحديث كأديبة وسيدة صالون : ( لا يحضرنى مثل لذلك أدل على البراعة من إدارتها الحديث فى مجلس حضره نحو ثلاثين كاتباً وأديباً ووزيراً للتشاور فى الاحتفالات بالعيد الخمسين للمقتطف وكان اجتماع هذا المجلس عندها فى إبان المنازعات السياسية التى وصلت بكثير من الكتاب والأدباء إلى حد التقاطع والعداء .. قضينا عندها ساعتين نسينا

# مي زيادة

## حياتها ومأساتها

فيها أن فى البلد أحزاباً أو منازعات سياسية بفضل براعتها فى التوفيق بين الآراء والأمزجة ، وقدرتها على توجيه الحديث إلى أبعد الموضوعات عن الخلاف والملاحاة ) .

وعلى الرغم من أن مياً قد أثارت مشاعر زوارها واعجابهم ، ومنهم من أحبها ، ومنهم من ادعى أنها تحبه ، فان أحداً منهم لم يجرؤ على مفاتحتها فى الزواج منها ، ولا نستثنى غير المتزوجين .. لا لأنها مسيحية وأغلب المعجبين بها مسلمون ، ولكن لأن ظروف المجتمع المصرى الشرقى فى ذلك كانت تقف سداً قوياً أمام هذه الفكرة .

خطرت لى هذه الخاطرة وأنا أشاهد فى شهر أكتوبر الماضى فى تليفزيون بغداد مسلسلة عن حياة عباس العقاد أسماها كاتبها عامر العقاد ـ والعقاد عمه ـ «العملاق» . وقد تعرضت المسلسلة إلى علاقة العقاد بمى ، وإذا بالعقاد فى هذه المسلسلة يبدو فى صورة المحب المتحفظ ، والرجل الجريء فى مخاطبة النساء ، وإذا بمى عاشقة مولهة تذرف الدموع وتطارد العقاد باكية ذليلة .. وهنا وقفت حائراً .. فالمعروف ان الرافعى كان يحبها ويدعى أنها تحبه ، ويقول بعض من كتبوا عن العقاد انها كانت تحبه ، أما زكى مبارك فقد كان يغص بعطف لطفى السيد على مى ، ويقال إنه كان يُعمل لسانه فى هذه المسألة ، وقد تناولت فى كتابى عن مصطفى صادق الرافعى الذى صدر عام ١٩٦٨ فى سلسلة الأعلام هذه القضية خاصة ما يتعلق منها بالرافعى ، ولكن الذى لاشك فيه هو أن مياً أحبت جبران خليل جبران ، فرسائلها ورسائله دليل مادى على هذه العلاقة الروحية التى قامت بينهما ابتداء من عام ١٩١٢ حين أرسلت «مى» خطاباً إلى جبران تعرب فيه عن اعجابها بأدبه واستمرت المكاتبات بينهما حتى قطعتها الحرب الكبرى ثم عادت بعد الحرب لتنقطع بموت جبران عام ١٩٣١ .

### مى تعتزل الناس

وبموت يعقوب صروف مرشدها وصديقها عام ١٩٣٠ ، ثم موت أبيها الذى تلاه موت أمها وموت حبيبها جبران بعد هؤلاء اشتدت أزمة وحدتها ، فاعتزلت الناس ، وأدمنت التدخين ، فاهتزت أعصابها وانهارت نفساً وجسداً . وقد حكى لى الصحفى أسعد حسنى منذ سنوات أنه فى هذه الفترة الأخيرة من حياتها ذهب بصحبة سلامة موسى لزيارتها ، ولكنهما فوجئا وهى تفتح لهما باب شقتها بامرأة نال منها الشحوب والهزال وهدمتها شيخوخة مبكرة ، فانصرفا بسرعة منعاً لاحراجها .

ابراهيم المازني



لطفي السيد



وقد سمع أهلها بحالتها المتردية ، فجاء قريبها الدكتور جوزيف زيادة من بيروت وصحبها معه إلى لبنان ، وهناك أدخلوها مستشفى (العصفورية ) وهو مستشفى للأمراض العقلية .

واندلعت الحرب العالمية الثانية ، وشغل الناس بأخبارها ، وفي العشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٤١ ماتت «مى زيادة» وحيدة ، مكسورة الجناح والمشاعر . وقد أقيم لها حفل تأبين شاركت فيه صفوة من الأدباء ، كان منهم العقاد الذى رثاها بقصيدة قال فى بعض أبياتها :

أين فى المحفل مى يا صحاب
عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب
مستجيب حين يدعى .. مستجاب

خلفت «مى» وراءها ١٥ كتاباً تدور كلها حول خواطر منثورة أقرب إلى روح الشعر إن لم تكنه ، وأحاديث ومقالات تتناول قضية المرأة العربية وتحررها . وقد كانت صاحبة أسلوب شاعرى شفاف ولعلنا نلمس هذه الصفة فيه حين نقرأ قولها فى رثاء عصفور من عصافير الكناريا : « طائر صغير نسجت أشعة الشمس ذهب جناحيه ، وانحنى الليل عليه فترك من سواده قبلة فى عينيه ، ثم سطت عليه يد الانسان ، فضيقت من دائرة فضائه وسجنته فى قفص كان بيته فى حياته ، ونعشه فى مماته . طائر صغير أحببته شهوراً طوالا ، غرد لكآبتى فأطربها ، ناجى وحشتى فآنسها ، غنى لقلبى فأرقصه ، ونادم وحدتى فملأها حناناً » .

د. كمال نشأت ـ بغداد

# الانتظار

قصة بقلم : يوسف الشاروني




فى حجرة التحقيق جلس صابر – ابن تلك القرية شبه الجبلية شبه الريفية حيث يضيق وادى النيل – يروى للمحقق كيف استراح أخوه فى قبره :

منذ أربعين سنة سهرت قريتنا احتفالا بزفاف أخى عامر . ووسط انطلاق الزغاريد والرصاص ابتهاجاً بالزفاف ، انطلقت رصاصة فى قلب أخى ، وسالت دماؤه أمامنا فوق ملابس عرسه .

أغمى على العروس وولولت النساء ، وأعلن شهود الحادث ان القاتل زيدان ، انتقم من عامر لأنه تزوج سعدية التى كان يحبها .. عندما أفقنا من ذهولنا حاولنا الفتك به ، لكنه كان قد اختفى عن القرية كلها . أربعون عاماً لا نعرف عنه شيئاً . لكننى كنت قد اقسمت على الانتقام ولو بعد مائة سنة .

واليوم عاد زيدان – بعد ان أصبح تاجراً كبيراً من تجار الاسكندرية ، وجدا لأحفاد، والبياض في شعر رأسه – محملا لأهله بالهدايا وبالشوق لرؤيتهم وبتوهم الامان بعد سنوات الهرب والخوف . تغير كل شىء ، حتى سعدية ماتت ، كل شىء .. الا انتظارى . راح يعانق اقرباءه لتنهال عليه قبلاتهم ، ووسط انطلاق الزغاريد انطلقت رصاصتى فى قلبه . كان عائداً يظن أن دم أخى عامر راح هدراً لكنى كنت أنتظر . قضيت على فرحتهم كما قضوا على فرحتنا منذ أربعين عاماً . والآن يمكننى أن أقيم العزاء فى وفاة أخى .

وأخرج صابر – ذو الستين عاماً – مظروفاً من جيبه ناوله للمحقق قائلا : هذه مائتا جنيه – هى كل ما ادخرته خلال هذه السنوات – لهذه المناسبة ، سلمه لأهلى ليقيموا سرادقاً للعزاء ويشيعوا جنازة عامر من جديد .

وقبل انتهاء التحقيق ، فجأة سقط رأس صابر على مكتب المحقق ، وعندما جاء الطبيب أعلن أنه فارق الحياة .

# عملية "أم القطن"

## التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق

بقلم : عصام شريح

يقول الكاتب والمحلل العسكري العربي المعروف السيد الهيثم الأيوبي ، « ان نجاح الثورة الفلسطينية في البقاء حية حتى الآن ، يشكل في حد ذاته انتصاراً يرقى إلى مستوى المعجزة » .

ويروى السيد هاني الحسن ـ المستشار السياسي لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ان الزعيم الصيني الراحل « ماوتسي تونغ » قال لوفد فلسطيني زار بكين فى عام ١٩٦٤ ما يلى : « لقد درست قضيتكم ، والظروف المحيطة بها بدقة .. انها قضية صعبة ، تتداخل فيها المشاكل تداخل اسنان القرش ( سمك القرش ) ، فاذا تمكنتم من تفجير ثورة والاستمرار فيها ، فانني سأكون سعيداً لدراسة قوانين جديدة لحرب شعب فى ظروف لا تنطبق عليها قواعد حرب الشعب التقليدية » .

ثم يروي السيد هاني الحسن حادثة اخرى فيقول ، انه زار بكين فى عام ١٩٧٤ ، واجتمع إلى رئيس وزراء الصين آنذاك ، والرجل الثانى فى القيادة الصينية « شوآن لاي » ، الذى ابلغه ما يلى :

« لقد درست قضيتكم ، ووجدت فيها شيئاً محيراً ، وهو أن ظروفها الصعبة ، ولياليها السوداء لا تطول إذا ما استمريتم فى النضال ،والمهم أن تجدوا جبهة تستمرون فيها بعمل مسلح ذي صوت مسموع » .

ومن الواضح هنا الفارق بين التقييم الصيني للثورة الفلسطينية فى عام ١٩٦٤ ، وبين التقييم فى عام ١٩٧٤ ، وهذا الفارق يعود إلى الظروف الصعبة بل البالغة الصعوبة ، التى نشأت فيها الثورة الفلسطينية التي أطلقت رصاصتها الأولى نحو العدو الصهيوني فى ١ ـ ١ ـ ١٩٦٥ .

وقد تمثلت هذه الظروف العصيبة ، فى واقع التجزئة الذى خلفه الاستعمار وراءه فى العالم العربى ، وفى حجم السيطرة والهيمنة التى كانت للامبريالية فى ذلك الوقت ، وفى الأهمية الاستراتيجية للمنظمة العربية وثرواتها اضافة إلى الطبيعة التوسعية ـ الاستيطانية للحركة الصهيونية ، وحالة التشرد والضياع التى عاشها الفلسطينيون الموزعون بين اقطار العالم المختلفة .

لكن الثورة الفلسطينية اخترقت جميع الحواجز الموضوعة فى طريقها ، وتغلبت على جميع قوى العدوان الخارجى الضخمة التى جابهتها خلال مسيرتها طيلة السبعة عشر عاماً الماضية ، وكان ذلك كله بفضل إدراكها لمسألتين فى غاية الأهمية والخطورة :

الأولى : ان الكفاح المسلح ودماء الشهداء هما الطريق إلى اكتساب الشرعية وحق الوجود والاعتراف سواء فى ذلك من الاصدقاء أو الاعداء .

والثانية : أن التناقض الرئيسي الذى يتوجب عليها أن تواجهه ، وألا تغفل عنه لحظة واحدة ، انما هو التناقض مع اسرائيل وحاضنتها الولايات المتحدة الاميركية ، وأن اى انتصار او تقدم تحققه الثورة الفلسطينية وجماهيرها العربية ، فى مواجهاتها مع هذا التناقض الرئيسي سوف ينعكس على الوطن العربى بأسره ، ويؤدي بالتالى إلى ضمور التناقضات الداخلية أو الذاتية والتى هى فى المحصلة النهائية تناقضات من الدرجة الثانية .



هانى الحسن

### العملية الأولى

ولنعد إلى التقييم الصيني للثورة الفلسطينية حين كانت ما تزال جنيناً فى الرحم ، وحين صارت وليداً قادراً على المشي وتلقي الضربات ، بل وتوجيه اللطمات ، ولندرس ذلك على خارطة الواقع ، فالعملية الفدائية الأولى ، بدأت ونفذت بأسلحة ووسائل شبه بدائية ، وبامكانيات محدودة فى العتاد والرجال .

وقصة العملية الأولى توضح ذلك :

« قبل ان تختفى الغزالة خلف الأفق ، والشمس تبعث بآخر خيوطها الذهبية ، أومأت لزوجتى « أم ابراهيم » أن تحمل « الجرة » التى كنا قد ملأناها بالمتفجرات المصنوعة محلياً فحملت أم ابراهيم الجرة ، وسارت فى طريقها إلى « العين »


المقاومة الفلسطينية

(عين الماء) ، وهناك وضعت الجرة ، ثم عادت أدراجهـا.. »

ويمضى « ابو ابراهيم » ( احمـــد ابراهيم الشمالي ) قائلا : سرنا .. أنا .. وعبد العزيز جبران ، والشهيد وديع ، وموسى محمود ، فى حوالى السـاعة التاسعة من ليل ٣١ ــ ١٢ ــ ١٩٦٤ ، وسلكنا طريق « بيت علام » ثم « وادى ابو الخيل » ، ثم « خلة النعجه » من اراضى قرية « وادى نخاس » ، ثم إلى « دير نخاس » نفسها ، ومنها إلى « أم القطن » حيث يوجد « موتور الماء » هدف عمليتنا ..

ويستطرد « ابو ابراهيم » فيقول : كانت « غرفة الموتور » مغلقة ، و « خلة أم القطن » تنام حالمة فى وهدة الليل .. والسكون مطبق تماماً على الموقع ، وكان « الموتور » محاطاً بكمية كبيرة من براميل الوقود ، فوضعنا الجرة فى الموقع ووصلنا بها فتيلا بطيء الاشتعال يبلغ طوله حوالى متر ، ثم وصلنا الفتيل بالصاعق ، واشعلنا الفتيل . وهنا .. اخذت أفئدتنا تخفق بشدة ، ونحن ننتظر « القمر » وهو اسم عمليتنا الفدائية الأولى ــ وكنا نوجس خيفة من أن لا تنفجر جرة الديناميت .

وارتفعت درجة الحرارة فى أجسادنا على الرغم من البرد القارص ، الذى كان يلفح أجسادنا ، فقد كان البرد شديداً فى تلك الليلة ، فيما كانت ساعات الانتظار تبدو قاتلة ، بالرغم من اننا قمنا بأكثر من عملية واحدة لاستطلاع العدو ، حيث كان اثنان منا ينتظران خارج مبنى الموتور للحراسة ، فيما تولى اثنان آخران تثبيت العبوات الناسفة ، اما ساعة التثبيت فقد كانت محددة على الدقيقة البكر من اليوم البكر من الشهر البكر من عام ١٩٦٥ ، ومضت ربع ساعة كانت من أدق اللحظات فى تاريخ عمرنا .. وفجأة تطايرت أشلاء البناء فى الجو ، فلقد كان الانفجار شديداً إلى درجة أن « أم ابراهيم » التى كانت تنتظرني سمعت الصوت ، كما سمعه آخرون فى قرية « اذنا » ــ كما اخبرونا عند عودتنا إلى القرية .. ولدى سماعنا صوت الانفجار الذى هزنا من الأعماق ، شعرنا أننا نطير فى الهواء ، ولا ندري أكان ذلك من الفرح ، أم من قوة الانفجار .. وغادرنا موقعنا فى أرض الوطن لننتقل إلى موقع آخر .

واختتم «أبوابراهيم» روايته عن العملية الفدائية الأولى بالقول : « وفى طريق العودة ، شاهدنا سيارات العدو تتحرك من «بيت جبرين» إلى « دير نخاس» ، وهى تطلق نيراناً غزيرة فى كل اتجاه ، كما شاهدنا سيارات أخرى تتحرك مسرعة من « أم القطن » إلى « موقع الموتور » .

## البلاغ الأول

وفى بيروت صدرت الصحف في ١ــ١ ــ ١٩٦٥ ، وهى تحمل البلاغ الأول للثورة الفلسطينية على صدر صفحاتها :

« اتكالا منا على الله ، وايماناً منا بحق شعبنا فى الكفاح لاسترداد وطنـه المغتصب ، وايماناً منا بواجب الجهاد المقدس .. وايماناً منا بموقف العربى الثائر من المحيط إلى الخليج ، وايماناً منا بمؤازرة احرار وشرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت اجنحة من القوات الضاربة فى ليلة الجمعة ٣١ــ١٢ــ١٩٦٤ ، وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ، ضمن الأرض المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة .. واننا لنحذر العدو من القيام بأية اجراءات ضد المدنيين العرب الآمنين اينما كانوا ، لأن قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة ، وسنعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب .. كما واننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان .. لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح الدول للدمار اينما كانت » .

عاشت وحدة شعبنا
وعاش نضاله لاستعادة كرامته
« القيادة العامة لقوات العاصفة »

## مولد الثورة

ومع العملية الفدائية الأولى فى «أم القطن» كان مولد الثورة الفلسطينية ، وقد سجل تاريخ هذه الأمة العظيمة ، صفحة مشرقة جديدة ــ هى صفحة النضال والثورة ، بعد هجوع طويل فى ظل الاحتلال الصهيونى العنصرى ، وفى ظل التشرد والبؤس والحرمان والقمع الذى فرض على الشعب الفلسطيني .

ومنذ انطلاقتها ، اعلنت الثورة الفلسطينية ، أن هدفها هو تحرير أرض فلسطين ، وتحرير الانسان العربى ، والأجهاز على الكيان الصهيوني المزروع فى قلب الأمة العربية .

لكن الثورة الفلسطينية ، مع تشددها على التمسك بالهوية الفلسطينية وايقاظ الشخصية الفلسطينية ، لأسباب موضوعية تتعلق بمرحلة الكفاح المسلح الراهنة ، فانها كانت وما تزال عربيـــة

# عملية "أم القطن" التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق

« الوجه واليد واللسان » ، وطليعة حرب التحرير القومية الشاملة ، إذ أن تحرير فلسطين يعنى فى نهاية المطاف ، تحرير العالم العربى بأسره من الكابوس الصهيونى والاستعمارى ، ومنطلقاً لنهوض عربى شامل ، ولقيام وحدة عربية حقيقية تقف سداً فى وجه المطامع الاستعمارية ، وتعمل من أجل ولادة عالم أفضل .

## من أم القطن الى فندق سافوى

لقد ظن كثيرون لدى سماعهم بالعملية الفدائية الأولى للثورة الفلسطينية ، ان المسألة لا تعدو ان تكون زوبعة في فنجان ، أو نوعاً من أنواع المغامرة ، وأن العدو الصهيوني قادر على سحق مثيلاتها ، اذا ما فكر الفلسطينيون بذلك ، لكن الذين عاشوا بعد الفاتح من كانون الثانى ( يناير ) من عام ١٩٦٥ ، رأوا بأم أعينهم كيف تنامت الثورة الفلسطينية حتى تعملقت وسارت من انتصار إلى آخر ، واجتازت حاجزاً بعد حاجز ، كما شهدوا التطور المذهل فى نوع العمليات الفدائية وكميتها .

بل إن العدو الصهيوني نفسه ، اضافة إلى الدوائر الاستعمارية الحاضنة له ، أصيبوا بالذهول لذلك التنامي والتطور ، ولم يستطع هؤلاء إخفاء ذهولهم وارتباكهم ، بعد عملية « فندق سافوى » بتل ابيب ، حيث اقتحم تسعة فدائيين قلب الكيان الصهيونى فى تلك المدينة فى آذار ( مارس ) ١٩٧٥ ، وخاضوا مع العدو معركة طويلة ، ابتدأت فى الحادية عشرة ليلا ، وانتهت فى الثامنة والنصف من صبيحة اليوم التالى ، أوقعوا خلالها فى صفوف الصهاينة ، أكثر من خمسمائة اصابة بين قتيل وجريح ، اضافة إلى تدمير الفندق وعدد من المبانى المجاورة .

ولم تكن عملية فندق سافوى ، هى العملية الفدائية الوحيدة المتطورة ، ولكنها النموذج الأكثر تطوراً فى الواقع من حيث التقنية العسكرية ونوع العمليات ، فهناك على سبيل المثال « عملية معلوت – ترشيحا » التى قتل فيها أكثر من ثمانين صهيونياً ، وعملية « سينما حين » فى تل ابيب التى قام بها فدائي واحد ، وعملية « ثلاجة القدس » التى اسفرت عن مقتل ١٤ صهيونياً وجرح أكثر من سبعين آخرين .. الخ ، وقد كانت عملية فندق سافوى التى تمثلت فى الأنزال البحرى الفلسطينى على شاطىء تل ابيب وأجتياز الفدائيين لحاجز الحراسة البحرية الاسرائيلى فى عرض البحر ، ثم حاجز الحراسة على الشاطىء ثم حواجز « حرس الحدود » و « الحرس الأهلى » و « الشرطة » و « الجيش » ، التطور الطبيعى لعملية « أم القطن ».. ويكفى هنا ان نستشهد بأقوال العدو

ماوتسى تونج



شواين لاى



الصهيوني نفسه بعد عملية فندق سافوي ، لنحكم على أهمية الثورة الفلسطينية وقدرتها كطليعة لحرب التحرير القومية الشاملة .. ففى المناخ العام من الاضطراب والقلق الذى اسفرت عنه العملية بين مليون صهيونى من سكان تل ابيب ، عقد رئيس بلديتها مؤتمراً صحفياً قال فيه : « عندما وقعت العملية الفدائية السابقة فى « سينما حين » بقلب تل ابيت : لا يمكن اغلاق تل ابيب بصورة كاملة ومحكمة ، والآن أستطيع بعد عملية فندق سافوى ، أن أكرر – وأنا عسكرى ايضاً – ما قلته قبل ثمانية أشهر : « لايمكن اغلاق المدينة باحكام » . أما وزير الشرطة الصهيونى « شلومو هليل » ، فقد قال : « يجب ان نعترف بأن هذه العملية متطورة جداً من جانب الفدائيين ، ويمكن القول انها محكمة » ، واضاف : « لا يمكن اغلاق تل ابيب ، كما لم يكن ممكناً إغلاق الحدود الشمالية » .

ولايضاح حالة الهلع التى انتابت المستوطنين الصهاينة فى أعقاب عملية « فندق سافوى » لا بأس ان نورد الحادثة التالية :

« بعد أيام من الانزال البحرى الفلسطينى على شاطىء تل ابيب ، قطعت الاذاعة الاسرائيلية برامجها لتعلن الخبر التالى : فى نحو الساعة الحادية عشرة توجهت سيارات الشرطة بسرعة نحو « مدرسة غولومب » الابتدائية فى « كفر شليم » بعد عدة اتصالات ، أبلغت الشرطة خلالها ، أن أشخاصاً مسلحين سيطروا على المدرسة وقد تم إبعاد مئات الطلاب عن المدرسة ، وعن مدارس أخرى ، وسادت الفوضى ، وقفز الطلاب من النوافذ وهربوا إلى منازلهم ، ثم وصل مئات من ذوى الطلاب إلى المكان ، بعد انتشار النبأ ، للمساعدة فى نقل الأولاد ، وبعد أكثر من ساعة ، عادت الاذاعة الاسرائيلية لتعلن : « بعد أن تمت عملية الاخلاء ، تبين أن الخبر عن وجود مسلحين فى المدرسة ، لم يكن صحيحاً .

## عملية دلال المغربي

وقد جاءت « عملية الشهيد كمال عدوان » ، التى قادتها الشهيدة البطلة « دلال المغربي » فى ٢١–٣–١٩٧٨ ،

لتسجل ملحمة اسطورية فى صفحات النضال العربى الفلسطينى .. فقد وضعت تلك العملية العدو الصهيونى فى « حجمه الطبيعى » الذى لا تراه سوى العيون الثاقبة ، كياناً هشاً ، يضم خليطاً متنافراً من البشر المشوهين عقلياً ونفسياً ، يعيشون على ذكرى أساطير بالية ومتحجرة ، ويحلمون « بأرض الميعاد » من النيل إلى الفرات !!

ولعل أهم النتائج التى أسفرت عنها « عملية الشهيد كمال عدوان » على الساحل الفلسطينى بين حيفا وتل ابيب انها أثبتت بجدارة وبجرأة نادرتين ، أن الذراع الفلسطينية التى تناضل من اجل تحرير الأرض ، قادرة على الوصول إلى اية نقطة فى أرض فلسطين المغتصبة متجاوزة بكفاءة معزوفة النظريات الامنية ، والأحزمة العسكرية من الكترونية وبشرية .

إن بضعة رجال ، تقودهم فتـــاة ، تمكنوا من اختراق جميع تلك الأحزمة وقوضوا جميع تلك النظريات الامنية ، عندما تمكنوا من الوصول إلى وطنهم ، وإلى مسرح العملية المحـــدد لهم ، ونفذوا المهمـــة المطلوبة منهم والتى « سافروا » إلى فلسطين من أجل تحقيقها وقد فعلوا ذلك بوحي من ايمانهم بوطنهم غير عابئين بحسابات العدو وزوارقه الحربية وحواجزه البشرية ، وتم لهم فى النهاية السيطرة على المنطقة الواقعة ما بين حيفا وتل ابيب فى عملية نمت عن تطور فى نوعية العمليات الفدائية ، ويومها تصدرت فلسطين واجهة العالم كله ، وعاد إليها لونها النضالي الأصيل عبر وسائط واجهزة الاعلام العالمية ، ويكفي انه كان من نتائجها المباشرة ان رئيس حكومة العدو مناحيم بيغن اضطر إلى تأجيل زيارة لواشنطن بسبب العملية ، كما أن وزير الحـــرب آنذاك « عيزر فايتسمان » قطع زيارة للعاصمة الاميركية ، وعادمسرعاًالى تل ابيب ، بل ان حكومة العدو أعلنت للمرة الأولى فى تاريخ الكيان الصهيونى حظر التجول فى « اسرائيل » .

## تاريخنا المعاصر

عندما يكتب تاريخ العرب المعاصر ، فسيقف المؤرخون طويلا امام القضـــية


دلال المغربى


مناحيم بيجن


عزرا وايزمان

الفلسطينية والنضال الفلســـطيني ، وستكون الصفحات الفلسطينية محطـة تقف عندها الاجيال العربية الصـــاعدة طويلا ، لتقرأ فيها كيف استطاع الشعب العربى الفلسطينى ، التمرد على حيـاة المنفى والاغتراب القسرى ، والتشريد والضياع ، ثم الانطلاق من أرضية صلبة وعزيمة لا تعرف اللين أو التراجع لتخطى جميع الصعاب المستعصية والعوائق المنيعة ، والانطلاق نحو تحرير فلسطين ـ كل فلسطين ، ورفض هزيمـــة عــــام ١٩٤٨م وامتداداتهـــــا وتشعباتهـــا .

ولسوف تتوقف الأجيال العربيـــــة الصاعدة أكثر ما تتوقف عند قراءتها التاريخ اعتباراً من ١ـ١ـ١٩٦٥ ، حين انطلقت الرصاصة الفلسطينية الأولى نحو العدو الصهيونى ، المغتصب للأرض والوطن ، معلنة ميلاد الثورة الفلسطينية بعد سبعة عشر عاماً من النزوح والتشرد والعذاب .

ففى الأول من يناير لسبعة عشر عاماً خلت ، استطاع الشعب العربى الفلسطينى ، أن يخرق جدار الضياع والهزيمة والتمزق ، الذى انتصب فى وجهه ، وأن يلـد باصالته وروحه النضالية العالية ، ظاهرة فذة فى التاريخ العربي المعاصر .. فلقد كانت الثورة الفلسطينية منذ اللحظة الأولى لميلادها ، تحمل جميع معاني الأصالة العربيـــة مـن تضحيـــة وفـــداء ونكران للذات ، وبعد أن كان العربي الفلسطيني يعيش تحت شعار «الفلسطيني اللاجيء» ، صارت صورته بعد عام ١٩٦٥م تحتل الأحلام الثورية لجميع الشعوب المستعبدة والمقهورة والمستعمرة ، فلقد لقنت الثورة الفلسطينية الأصدقاء قبل الأعداء درساً بالغ الأهمية ، يتلخص فى أن البندقية هي الأسلوب الوحيد لانتزاع الحق السليب ، وأن طريق الكفاح المسلح هو قصر الطرق لاسترداد الأرض والحرية والكرامة ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وأن طريق الشهادة والشهداء ، هو السبيل الوحيد لاختصار الزمن ، وإفهام العدو ، أنه لن ينام ملء جفنيه على وسادة من حرير ، كما كان يعتقد قبل اغتصابه الأرض والوطن ، بل سيظل ساهراً لياليه ، يلملم قتلاه ، ويلعق دماءه حتى القطرة الأخيرة .

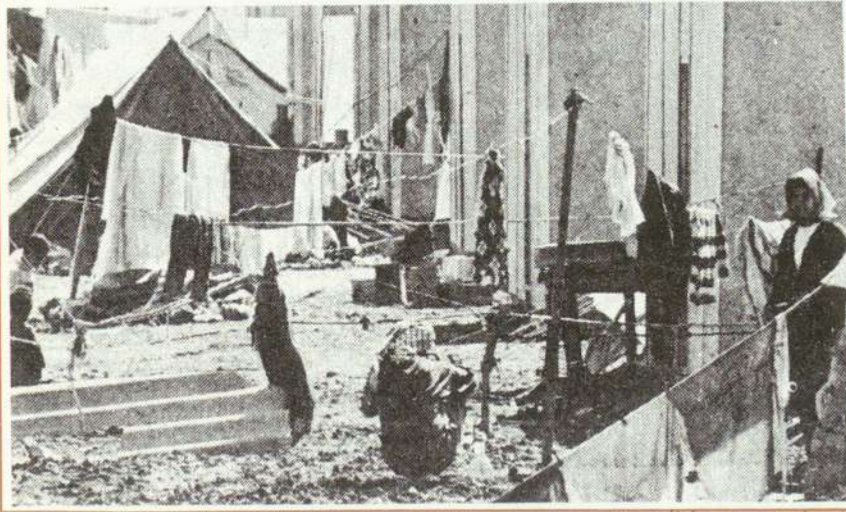
أجل .. لقد كانت انطلاقة الثورة الفلسطينية لسبعة عشر عاماً خلت ، بارقة الأمل التى وضعت نهاية لمرحلة الضياع والتباكي على الحق السليب والوطن المغتصب ، والتى بشرت فى المقابل بميلاد مرحلة العمل الجاد من أجل رفض مقولة الأمر الواقع ، والانطلاق فى طريق التحرير .

## الحق لا يموت

وما لابد من تأكيده هنا ، أن النضال الفلسطينى خلال السنوات السبع عشرة الماضية ، قد أبرز أهمية الثورة الفلسطينية فى اطلاق مرحلة جديدة من الكفاح فى سبيل تحرير الأرض والوطن ، وتثبيت حق تقرير المصير ، وفى كون الثورة الفلسطينية وقدرتها على إحياء روح النضال ، واشعال نار الكفاح ، مثبتة بذلك أن حق أى شعب لا يمكن أن يموت ، مادامت جذوة النضال مشتعلة وراية الكفاح خفاقة .

ولقد كانت الثورة الفلسطينية ، بانطلاقتها المظفرة ، استمراراً ثورياً أصيلا للنضال الفلسطينى العربى منذ عام ١٩١٨ ومجيء الانتداب البريطانى الى فلسطين .

# عملية "أم القطن" التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق


المخيمات فى جنوب لبنان

فمن ثورة عام ١٩٣٦ الى معارك عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وحتى صدور البلاغ الأول عن العملية الفدائية الأولى فى مطلع عام ١٩٦٥ ، الى معركة الكرامة فى عام ١٩٦٨ ، الى الغزو الصهيونى لقواعد الفدائيين والمخيمات الفلسطينية فى جنوب لبنان فى عام ١٩٧٨ ، الى معارك تموز (يونيو) الماضى (١٩٨١) فى جنوب لبنان وشمال فلسطين المحتلة ، نمت حركة النقض الوطنى الأصيل للاغتصاب الصهيونى للارض العربية فى طول العالم العربى وعرضه ، فى تلاحم وتفاعل مدهشين مع النضال الفلسطينى ، مما جعل مرحلة ما بعد عام ١٩٦٥ ، كفيلة بتأهيل النضال الفلسطينى والعربى ، للدخول فى مرحلة امتداد الوعى القومى بالحق القومى فى فلسطين المغتصبة ، وقد جاء الالتفاف العربى حول الثورة الفلسطينية ، ليسهم فى كسب تأييد قطاعات واسعة فى العالم الخارجى الى جانب الحق العربى ، مما دفع ببعض حلفاء العدو الصهيونى ، الى مراجعة حساباتهم ، وتكوين نظرة أكثر موضوعية عن ذى قبل وأقل انحيازاً ودعماً للمحتلين الصهاينة.

وهكذا يكون مبدأ الكفاح المسلح نفسه ـ لا غيره ـ قد ضمن الهوية الحقوقية والشرعية الدولية فى مواجهة الادعاءات الصهيونية ، وأخذ فى الحد من نمو العدو الصهيونى إن لم يكن قد أوقفه فعلا ، كما أسهم فى زعزعة أركان الكيان الصهيونى الذى بناه العدو وهو يعتقد انه سيكون كياناً أزلياً ، لا تضربه الأمواج ، ولا تهب عليه الرياح والأعاصير . لقد كان لظاهرة الكفاح المسلح ، أثر واضح فى اثارة التناقضات داخل الكيان الصهيونى من طائفية وعنصرية أثنية ، وكان من نتائج بروز هذه التناقضات أن بدأ كل يهودى داخل ذلك الكيان يضع علامة سؤال كبيرة حول مستقبله فى فلسطين المغتصبة ، ثم حول مستقبل الصهيونية التى شحنته بالأوهام المستحيلة . وما بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٨١ ، قطعت الثورة الفلسطينية أشواطاً بعيدة فى بناء كيانها الوطنى ، وفى تنظيم وحشد طاقات الشعب الفلسطينى ، فأعادت بناء نفسية هذا الشعب بايمان وطنى وقومى عاليين ، وبعثت فيه روح العمل والكفاح من جديد ، لتصبح قواته المسلحة ، قوة رئيسية فى الصراع الدائر على الأرض العربية مع الحركة الصهيونية ، كما تمكنت الثورة الفلسطينية من تحقيق استقطاب دولى وعالمى واسع حولها ، واستطاعت التواجد فى جميع المحافل والمؤتمرات الدولية التى اعترفت بنضالها العادل ، وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى وفى طليعتها حقه فى تقرير المصير فوق أرضه وترابه الوطنى .

أما المفاجأة التى كانت احدى ثمرات الكفاح المسلح ، والتى لم تخطر على بال العدو الصهيونى ، فقد كانت انتفاضات المواطنين العرب داخل الأرض المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، بل وداخل الوطن المحتل فى عام ١٩٤٨ ، فلقد جاءت الانتفاضات المتلاحقة ضد العدو ، لتكشف عن مدى قوة الثورة الفلسطينية وطول ذراعها الضاربة ، ففى الوقت الذى ظن فيه الصهاينة أنهم نجحوا فى تفتيت الشعب الفلسطينى وتجزئته وبعثرة قواه فى كل أرض وصقع ، وعزل من فى الداخل عن اخوانهم فى عمق الأرض العربية ، فوجئوا بأن الكفاح الفلسطينى وحدة لا تتجزأ ، وأن هذا الكفاح يكتسب يوماً بعد يوم ، مواقع جديدة ، داخل فلسطين المغتصبة ، لأنه نابع من عمل شعبى متفاعل ، ونضال بطولى متلاحم ، وهو يشكل بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال . وإذا كان لابد من كلمة أخيرة فى الذكرى السابعة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية البطلة ، فهى أن الآفاق أمام الأجيال العربية الصاعدة لتحرير فلسطين وتحقيق الأطماح العربية ، قد غدت رحبة وواسعة .

بل ان كل متمعن فى قراءة المعنى العميق للأحداث المتوالية فى مسيرة الصراع العربى ـ الصهيونى ، يلمس فعلا ، أن الثورة الفلسطينية ببعدها القومى الشامل ، تقف الآن على أبواب مرحلة جديدة مشرقة وأكثر أملا فى تحقيق النصر ، وما الهبوط والانحسار اللذين تشهدهما الثورة فى غمرة مسيرتها الطويلة ، سوى النذير بنهاية مرحلة ، والانتقال الى مرحلة أكثر تقدماً وغنى بالقدرة على الفعل والحسم .. ولن يطول الزمن بعد ، حتى تنفجر بدايات المرحلة الجديدة ، والقفزة النوعية الوثابة .

عصام شريح

# قصة أول مدرسة إسلامية في غابات سيراليون

بقلم : عبد العزيز السيد المصري



سيراليون .. جبل الأسود كما سماها البرتغاليون مستعمروها الأوائل حين تناهى إلى أسماعهم هزيم الرعود يدوى فى صدور الوديان ، وتهوم أصداؤها من وراء الجبال .. فترددوا طويلا قبل أن تطأ أقدامهم أرضها .

سيراليون هى طرف حزام المد والجزر على شاطىء افريقيا الغربى حيث كانت تتصادم أمواج الاسلام مع أمواج الوثنية سنين طويلة فى عهد الأمبراطوريات الافريقية العتيدة ، بدءاً من أمبراطورية مالى .

سيراليون .. بلد الماس ، والأناناس ، ونخل الزيت ، والكسادا ، والكاكاو ، والسمسم ، والفول السودانى .

سيراليون موطن القبائل المتعددة المتباينة اللغات والعادات ، التمنى ، والمندى والماندنجو ، والفولا ، والكورانجو الخ ..

سيراليون مقر الكريول العبيد الذين حررهم الصراع السياسى والاقتصادى بين قوى الاستعمار ، وأقام لهم الانجليز مستعمرة سموها « فريتاون » المدينة الحرة .

سيراليون التى آلت الى المستعمر الانجليزى ففتح مصاريع أبوابها واسعة للمبشرين الذين تعاقبوا عليها لأكثر من مائة عام وحرم على مسلمى الشمال أن يدخلوها الا متسللين فرادى أو رعاة بقر أو تحت شعارات صوفية باهتة هشة .



سيراليون بلد جماعة البورو المقدسة الوثنية والديانات المختلفة المذاهب ومدارس المبشرين ذات الملل واللغات المتباينة ، والمساجد التى يخص كل منها قبيلة ويصطبغ كل منها بمذهب صوفى يتشيع له .

وأخيراً سيراليون البلد الواقع فى حضن غينيا وليبيريا أشبه بحدوة الحظ على جبين الشاطىء الغربى لافريقيا .

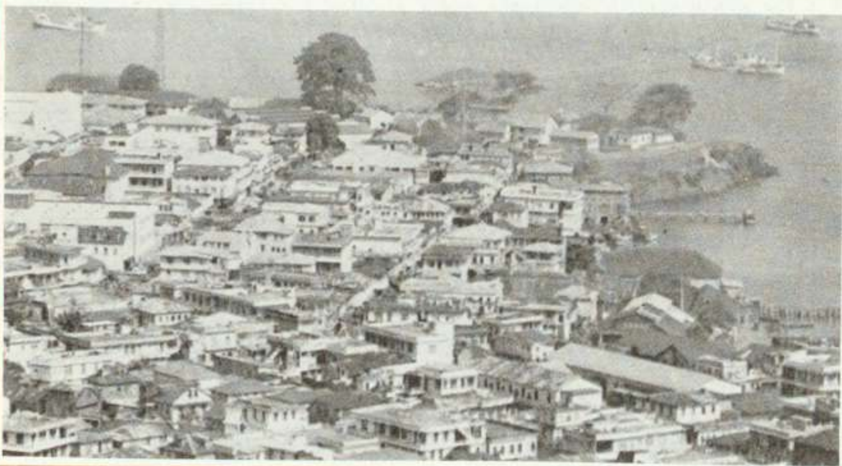
● ●

كان أول عهدى بها فى أواخر عام ١٩٥٩ م حين أوفدت مبعوثاً إلى جماعة الأخوة الاسلامية .. كنت لا أملك الا حماسة الداعية الذى يتوق الى أن يفعل شيئاً نافعاً أى شىء ، ولم تكن لدى الخلفية التاريخية أو الاجتماعية اللازمة للتعامل والتكيف مع هذه البيئة الغريبة الجديدة التى وجدت فيها ، فكل ما قرأته عنها هو كتاب « سيراليون أو مقبرة الرجل الأبيض » . كان على أن أستمد معرفتى مباشرة من سكانها وأهليها ، كان على أن أجد الوسيلة لتتحدث تلك الشفاه الصامتة وتنظر اليك بعينين ثاقبتين تستشف أعماقك وتصل إلى أغوارك ، فقد تعودت أن تستريب فى كل غريب .. وكانت جماعة الأخوة الاسلامية مجرد فكرة واسم دعا إليها رجل صلب من قبيلة التمنى اسمه الحاج سورى ابراهيم كانو ، تعلم فى مدارس المبشرين فغيروا اسمه ودينه وهو طفل ، فضاق بهم وخلع كل شىء وعاد لاسمه ودينه . وصاحب دعاة الأحمدية القاديانية ليتعلم عنهم الدين والقرآن ، ولكنه رفض باصرار عقيدتهم فى فتح باب النبوة وبعث نبى مجدد للدين الاسلامى بعد محمد بن عبد الله خاتم النبيين .. وفى طريقه الى الحج طلب العون من سفارة مصر فى أكرا .. وكانت حرب أكتوبر سنة ١٩٥٦ وما أن خمد دخانها وعادت العلاقات السياسية نوعاً ما الى طبيعتها حتى كنت فى طريقى الى سيراليون .

كان الرجل فقيراً يعمل « جزاراً » وكانت سنه قد كبرت ، ولكن حماسته لدينه وغيرته عليه جعلته يركب الصعب – كما يقولون – وأى صعب ؟! ان عليه أن يصمد أمام جماعات التبشير بثقلها الثقافى والدينى والمالى ، ونفوذها فى دوائر الحكم آنذاك ، وعليه أن يقاوم الدعوات الاسلامية القبلية التى ترفض ان تتحد لأنها لا تريد أن تنطوى تحت لواء زعامة من قبيلة أخرى ، وعليه أن يثبت أمام الأحمدية القاديانية التى ينتشر دعاتها ويمتد نفوذها فى أوساط أنصاف المثقفين من المسلمين ، ثم أمام نفوذ الفولانية الذين يرون أنفسهم وحدهم أصحاب هذا الدين وأولياء شئونه والقائمين على أمره ، لأنه قدم على أيديهم الى هذه البلاد . ثم أمام مجمع الأئمة فى « فريتاون » العاصمة وهو المجمع الذى يرى فى الرجل دخيلا جاهلا على مجتمع علماء المسلمين . ثم أمام جماعة البورو السرية الوثنية برصيدها الرهيب من أساطير السحر وقدرات « السوكوبانا » ساحرها الأعظم الخارقة التى تثير الفزع فى نفس كل مواطن مهما كان قدره وبلغت ثقافته .

لقد كان نبأ وصولى أشبه بكارثة أصابت الرجل .. كيف يتدبر الأمر ؟ .. كيف سيعد لى مسكناً ؟ .. كيف يرتب لعملى ونشاطى فى إطار قوانين ونظم الدولة .. كيف وكيف ؟ وماذا يكون الحال لوصرت إلى ما صار إليه غيرى من الدعاة المتطوعين الذين كثيرا ما قدموا من صحارى المغرب والجزائر وموريتانيا

مدينة « فرى تاون » عاصمة سيراليون التى تطل على أجمل ميناء فى غرب افريقيا



من شيوخ الصوفية ، ولم يصمدوا أمام جدل الأحمدية ومحاورات المبشرين الافريقيين المدربين ، فتركوا المنطقة ورحلوا عائدين .. ان كل ما فعله مسلمو العالم ممثلين فى مصر انهم أرسلوا هذا المعلم .. على حين أن دولا لها ثقلهاتدعم الجماعات الاسلامية ذات الصيغة القبلية الانفصالية بكل وسائل الدعم وتمدها بكثير من أسباب القوة ..

## الاخوة يرحبون

وبقيت فى « فريتاون » أنتظر وأنتظر وطال الانتظار حتى دعيت أخيراً الى مقابلة وفد جاء لزيارتى .. كان وفداً لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة على رأسه رجل فاره الطول ذو ابتسامة خفيفة فيها من الحياء والتواضع ضعف ما فيها من الغبطة والبهجة ، فقد كانت هناك سحابة كثيفة تغيم على هذه الابتسامة .. دخلت وسلمت فردوا السلام وأدهشتنى طريقتهم فى التحية .. كان الرجل منهم يخلع حذاءه ويتقدم نحوى منحنياً واضعا يده اليسرى على ذراعه الأيمن مسلما على بيده اليمنى ، ثم يتراجع بظهره الى مكانه لا يحول ناظريه عنى .. ثم أعقبت التحية فترة من الصمت شعرت فيها أن عيونهم تنفذ الى أعماقى تحاول أن تستطلع صورة لمستقبل مبهم يرجونه ، ولحلم طالما صوروه . وطال الصمت فسألت : هل فيكم من يتكلم الانجليزية ؟ فأجاب الرجل الفاره الحيي بلغة انجليزية راقية : نعم .. ولكنهم لا يريدون أن يتكلموا .. انهم يريدون فقط ان ينظروا إليك .. لقد طال شوقنا وشوق آبائنا وجدودنا الى رؤية معلم عربى مسلم .. دعهم يملئوا عيونهم بصورتك ليصفوك الى ذويهم عندما يعودون .

وكانت هذه بعثة أوفدها القوم هناك ليتعرفوا على المعلم القادم ويبدوا رأيهم . ويبدو أن ماروته البعثة حين عادت قد راق القوم ، وشد أزر الحاج سورى كانو فما لبث أن عاد بعد أيام ليأخذنى معه إلى « ماجبوركا » عاصمة الاقليم الشمالى وحاضرة مديرية تونكوليلى ، وأخطر مراكز الالتحام بين العقائد والثقافات .. وتبرع شيخ قبيلة التمنى فى المنطقة «الحاج ماساكما» ببيت جديد لاقامتى قرباناً لله وتأييداً لجماعة الأخوة الاسلامية .. ورحب بنا أخواننا المهاجرون اللبنانيون هناك وأبدوا من كرم الترحيب ما يحمده لهم الله والعروبة وتبرع لخدمتى رجل طيب اسمه «مومو» أى محمود وبقيت أياماً وليالى طوالا أشبه بأولئك المعزولين فى الحجر الصحى ، لا أزور ولا أزار ولا أرى بين الحين والحين سوى الحاج سورى وبعض الأخوة اللبنانيين .. وذات مساء ارتقى سلم الشرفة الممتدة أمام البيت قسيس افريقى يطأ الأرض باعتداد وتثاقل تحوطه مجموعة من المثقفين .. كان كلامه خشنا على غير المعتاد من القساوسة ، فيه عنف وتهجم وتجريح ، ورفض أن يشرب تحيتي لأنها على حد تعبيره نوع من الرشوة .. ودار حوار يتسم بالهدوء والصبر والحلم من جانب الضيف العربى القادم من بعيد ، وبالغلظة والتبجح وابذأ الألفاظ من الجانب الآخر .. وكان للحكمة ــ والتى هى أحسن ــ الكلمة العليا .. وانطفأت نيران كثيرة .. وانكسرت سهام جارحة عديدة ، وتواضعت رءوس شمخت بالكبرياء الكاذب .. وشرب الرجل تحيتى !!

وأصبح الصباح لأجد وفود الناس من كل مكان فى المنطقة قادمة للترحيب بي والاستماع إلى .. لقد كان الجميع يلتقطون أنفاسهم فى انتظار هذا اللقاء . كانوا يخشون أن يرحل داعيتهم كما رحل آخرون .. ولكنه لم يرحل .

ضاحية من العاصمة .. على تل وسط جمال الطبيعة الساحر



## الكتاب .. كان البداية

لقد كان الصمت المتأمل والقراءة المستفيضة عن المنطقة وتاريخها وناسها وعاداتها ، والانصات الواعى لكل ما يقال وتحليله ووزنه بأدق الموازين هو المرحلة الأولى فى العمل هناك .. وتبرع السيد يوسف شامل المهاجر اللبنانى بمخزن قديم ليتعلم فيه الأطفال اللغة العربية والدين .. ووضعت فيه دكك بدائية ، وأقبل عدد ضخم من البنات والأولاد على



المخزن .. وبدأ الكتاب .. وتساءلت : ألم يكونوا فى مدارس ؟ فقيل : نعم ، لم يكونوا فى مدارس .. لأن تعليم المرحلة الأولى كله فى يد المبشرين والأحمدية القاديانية ، من دخل هنا خلع دينه واسمه وصلته بأسرته ، ومن دخل هناك شوهت عقيدته بفكرة المهدى المنتظر والمسيح الموعود الذى جاء ..وآمن بنبى جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم .. ومن هنا كان لابد أن تبدأ الخطوة الثانية .. لابد من بناء مدرسة .. مدرسة حقيقية يتعلم فيها أبناء المسلمين جميع المواد التى يتعلمها نظراؤهم فى المدارس الأخرى الى جانب اللغة العربية والدين الاسلامى . وطرحت الفكرة، كما تلقى بحجر فى نهر راكد ـ أمام مجموعة الأخوة الاسلامية المحدودة العدد والدخل من عمال وفلاحين وحرفيين .. وكان الجواب .. الصمت .. فهم لا يملكون فى أيديهم شيئاً ، وليس لهم من يساندهم فى الداخل أو الخارج .. يمضغون حسرتهم وألمهم فى صبر عجيب وإصرار على الحفاظ على دين أبنائهم هؤلاء الذين كان يقرأ خطيبهم خطبة الجمعة من الديوان المطبوع وهم يؤمنون وراء كل كلمة حتى على الدعاء للسلطان الناصر قلاوون ، لا يفهم ولا يفهمون شيئاً مما يقول .. هؤلاء الذين كان الرجل منهم إذا مرض يذهب الى أحد الحجاج فيدفع ما يستطيع ليأخذ ورقة مطوية صفراء من كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ليضعها على موضع الألم ليشفى .. هؤلاء الناس الذين اختلفت العقيدة الاسلامية فى رءوس بعض ألفواتهم « معلمى الدين » فجعلوا المسيح إلههم والنبى محمداً مبعوثه إلى العرب لأنهم أدنى من أن يفرغ لهم المسيح نفسه .. هؤلاء الناس هم أنفسهم الذين كانوا يرفضون أن يدخلوا أبناءهم وبناتهم هذه المدارس حفاظاً على إسلامهم غير ناظرين الى ما قد يفوتهم من مناصب أو ثروة أو جاه .. لابد من بناء مدرسة لهؤلاء الأطفال .. وما السبيل الى ذلك ؟ لقد هدى الله سبحانه السبيل .. واخترت من بين أطفال الكتاب خمسة عشر طفلا وطفلة تتراوح أعمارهم بين ٦ و ١٢ سنة واستأذنت ذويهم فى أن ينفقوا وقتهم عندى فى البيت .. وأعد لهم برنامج خاص .. كنت أشعر أن النتائج العملية هى وحدها خير ما يقنع الافريقى ويحفزه .. وأعددت ثلاث مسرحيات : الأولى عن « زيد بن حارثة » العبد الذى رفض الحرية وآثر البقاء فى رعاية النبى فرفع النبى صلى الله عليه وسلم قدره وتبناه والثانية عن « بلال » مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وأول أسود يعتنق الاسلام . والثالثة عن « حليمة » مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم التى أغناها الله ببركة النبى الفقير .

وكان جهد يفوق الطاقة فى التدريب على النطق العربى ثم فى تمثيل الأدوار بعد فهمها فهما تاماً ، وما صحب ذلك من فقرات تشرح بعض تعاليم الاسلام ، وسور قصار من القرآن الكريم ، ومحادثات مبسطة بين الأطفال وأناشيد وترجمة ذلك كله إلى الانجليزية واللغة القبلية المحلية الغالبة وهى التمنى .. وبعد شهرين متواصلين أجرت صاله العرض فى الفندق الوحيد بالمدينة ، فندق « آدمز » .. وأعددت المسرح بنفسى مستفيداً من خبرتى أثناء عملى بالمدارس النموذجية فى مصر .. ودعوت الى الحفل صفوة قليلة من أعيان المدينة وعلى رأسهم المحافظ وشيخ قبيلة التمنى فى المدينة .. وبدأ الحفل بتلاوة طفل لآيات من القرآن الكريم ، ثم أعقبت التلاوة محادثة بين طفلين بالانجليزية أولا عن معنى الآيات التى تليت ، ثم محادثة بالتمنى .. عجباً . ان فى استطاعة طفل عادى أن يفهم القرآن الكريم .. هذا الطفل الافريقى الصغير يفم ما يتلو .. لا يهرف بكلمات لا حس فيها ولا فكر .. ان القلوب تستطيع ـ إذن ـ ان تتصل بنبع القرآن الالهى مباشرة لتستضيء وتتجدد .. ان ذلك يعنى ان المسجد لن يعود آخر مكان تسمع فيه شيئاً يفهم كما يقول أعداء الاسلام .. واندفع بعض الحاضرين فى حماسة شديدة والدموع تسيل على خدودهم يختطفون الممثلين من فوق المسرح ويدسون فى أيديهم بعض المال .. وتكرر المشهد .. فاقترح أحد الحاضرين أن يوضع طبق كبير على جانب المسرح فمن أراد أن يدفع لهؤلاء الأطفال شيئاً يضعه فى الطبق ليكون نواة لبناء مدرسة يتمون تعليمهم فيها . وانتهت الحفلة بمبلغ من التبرعات لا بأس به تجمع فى الطبق ، وإحساس غامر بالغبطة والسعادة والفخر يملأ جوانب كل افريقى شاهد هذا الحفل الصغير .. وتنازل « آدمز » صاحب الفندق عن أجر الصالة تبرعاً منه واظهاراً لاعجابه بهذا العمل الذى سماه معجزا .. لقد كان أحمدياً قاديانياً ولكنه كان افريقياً مسلماً قبل كل شيء .

## وجاء دور المدرسة

ومضت ثلاث ساعات من نهار اليوم التالى .. وجاءنى الحاج سورى متهللا لامع الوجه ومعه رسول مدير التربية والتعليم فى الاقليم يرجو أن يعاد تقديم الحفل على مسرح كلية المعلمين استجابة لالحاح جماهير المسلمين .. وأقيم الحفل مرة أخرى بعد ثلاثة أيام وسط خضم زاخر من المشاهدين .. وتضاعف قدر

التبرعات كثيراً .. وظهرت وجوه جديدة فى صفوف جماعة الأخوة الاسلامية ، وتبرع بعض اللبنانيين المهاجرين من سكان مجبوراكا ولونشار – وماكينى وبو وصفد وغيرها بكرم وسخاء ، وتسابقت البلاد الى دعوتنا وانتقلنا بفرقتنا المسرحية من مدينة الى أخرى ، وفى كل مكان نذهب إليه يؤسس فرع لجماعة الأخوة الاسلامية ويزداد التبرع .. لبناء أول مدرسة اسلامية ابتدائية لتعليم أبناء المسلمين « غير الأحمدية » وفق أحدث المناهج بالاضافة الى تعليم اللغة العربية والدين الاسلامى .. وعقدت أول جمعية عمومية لجماعة الأخوة الاسلامية واختير الحاج سورى كانو بالاجماع رئيساً دائماً للجماعة يعاونه مجلس استشارى، وتسابق الأئمة وأعيان المسلمين الى اعلان انضمامهم الى جماعة الأخوة الاسلامية .. وكان علينا ان نختار مكاناً للمدرسة .. ولم تطل الحيرة فقد أخذ الحاج «ماساكما» شيخ التمنية بالمنطقة بيدى ذات يوم وأشار الى تل ضخم يطل على مشارف المدينة وقال : أترى هذا التل ؟ قلت : نعم . قال : لقد تبرعت به لجماعة الأخوة الاسلامية لتقيم عليه مدرستها . وكانت مفاجأة كبرى من رجل كبير .. وذهبنا لنرى المكان على طبيعته .. وكان حرشا يصعب النفاذ اليه تملؤه الأشجار الضخمة التى يعجز عن تطويق جذعها أربعة رجال .. كان علينا أن ننقى الأرض من الأحراش وأن نقطع هذه الأشجار الباسقة ونقتلع جذورها من الأرض الصلبة ، ونظرنا إلى ما فى أيدينا من مال .. وأرجعنا البصر مرات إلى الأحراش القائمة أمامنا ثم تراجعنا وكل منا يطحن فى رأسه ملايين الأفكار .

وفى المساء كان فى المسجد اجتماع بعد صلاة العشاء .. وسمع الناس .. حقاً نحن فقراء .. ولكن لابد أن فى استطاعتنا عمل شىء .. بذل جهد ما .. نستطيع أن نوفر الكثير من النفقات .. لو أن كل مسلم تبرع لله بأسبوع عمل من أجل بناء هذه المدرسة لاستطعنا اقتلاع


الغزالى .. يعالجون المرضى بأوراق من كتابه

الأحراش والأشجار وتنظيف المكان ، لو أن كل مسلم لديه آلة زراعية أقرضها الله يومين ليسر ذلك كثيراً من مصاعب العمل .. ألقيت الفكرة .. فاحتضنتها الأرض الطيبة .. وتتابعت الاجتماعات من مساء الى مساء .. وذات صباح مشرق جميل .. صعدت صفوف هؤلاء الناس الطيبين يحملون آلاتهم وأدواتهم كأنهم جنود الله فى أول معارك الايمان ضد الضعف والعجز .. ومرت الأيام ، وأخذ وجه الأرض الأحمر ينكشف من وراء غطاء الخضرة الكثيف .. وبدت قمة التل الأرجوانية كأنها تاج يتوهج تحت أشعة شمس الغروب .. واستلقت الأشجار الضخمة هنا وهناك على جوانب الأرض الحمراء .. ووضع تصميم لبناء المدرسة وخطط للأساس .. واستقرت نظرة على أكوام الجذوع الضخمة .. وتساءل صوت خافت متأمل ألا يمكن الاستفادة من هذه الجذوع ؟ وأجاب صوت خبير من بين أعضاء الجماعة : نعم .. انها صنف جيد من الخشب .. كيف ؟ .. فى استطاعة الذين اقتلعوها أن يحولوها الى ألواح خشب إذا وفرنا لهم المناشير .. وتحولت الكتل بعد أسابيع الى صفوف متراصة جميلة من ألواح الخشب .. وما أن ارتفعت جدران المدرسة حتى بدأ النجارون من أعضاء الجماعة الذين تبرعوا بجزء من أجرهم للمدرسة .. صناعة الأبواب والمقاعد والأدراج وجميع لوازم المدرسة الخشبية .. ثم بيعت الأخشاب الباقية وجذور الأشجار ليسهم ثمنها فى شراء النوافذ الحديدية والزجاج وجمالونات الحديد والزنك لتغطية سقف المدرسة .. كان المشتركون جميعاً يتأملون البناء قبل هبوطهم من التل مع غروب الشمس ليملأوا عيونهم المتعبة بمنظر حبات العرق التى تتحول إلى جدران صلبة من الأسمنت .. أعرف ناساً منهم كانوا لا يجدون ما يأكلون وكانوا يتعففون عن ذكر ذلك ، ولكن الاعياء كان يفضحهم بعد يوم طويل من العمل .. وكم تفطر قلبى ألما حين سقط أحد الألفوات « معلمى القرآن » فاقد الوعى ، ثم علمت بعد جهد جهيد أنه لم يتناول طعاماً منذ يومين .. !!

وتم بناء المدرسة .. لم ينفق عليها أغلى من الجهد المخلص الصادق .. وكل ما أنفق عليها من أموال كان لشراء ما لم يكن صنعه فى طوق العاملين فنياً وتكنولوجياً . وقام أطفال المدرسة الكبار بطلاء جدرانها بالجير فى تعاون ونظام أشبه بما فعله آباؤهم . وحدثت نفسى قائلا : ألا يعيد هذا الحدث الى الذهن ما حدث عند بناء أول مسجد فى الاسلام ؟ ان معجزة الايمان هى فى هذه القوة الغلابة المبدعة التى تبنى وتخلق فتضع كيانها فيما تفعل فتصير هى نفسها ذلك الصرح الشامخ الذى شيدت تراه فترى كل الوجوه المستبشرة والأذرع المتضافرة والقلوب النابضة بحماسة الايمان والغيرة عليه .. اننى أذكر مئات الأسماء التى أسهمت بأذرعتها المعروقة الناحلة فى هذا العمل . ولا أنسى فرحتهم وهم يستقبلون أبناءهم بالأغانى وهم قادمون الى مدرستهم يحملون ما يصلح من أثاث كتاب « مخازن يوسف شامل ، جزاه الله أحسن الجزاء » صاعدين التل الى أول مدرسة حديثة بنيت فى سيراليون للمسلمين ، مدرسة الأخوة الاسلامية بمجبوركا .

عبد العزيز السيد المصرى

# ناس في طريقي

عبد الله الشيتي
الكويت

● وما أكثرهم هؤلاء الناس الذين هم فى طريقي ، أو أنني فى طريقهم ! واحد من هؤلاء كنت أزوره فى متجره . كان منتفخاً كالطاووس أو كديك الحبش ــ اللهم زد وبارك ــ بفعل كرش الوجاهة وقروش الغنى الفاحش ! وطوال ساعة كاملة ، راح حضرته يحدثني عن الانسانية المعذبة ، وواجب كل واحد منا فى تخفيف آلام الآخرين من حولنا وأمامنا باعتبار أنه ما من أحد مخلد فى هذه الدنيا الخالدة ، وأكبرت فيه « نخوته » ووعيه الانساني الفريد ، في زمن ماتت الرحمة فى قلوب الناس ، وسحقت المادة كل القيم أو تكاد ، وفيما كنت مستغرقاً فى سماع درره واستحسان مشاعره ، وقف فى بابه سائل يرجوه عوناً من مال الله ، فما كان من صاحبنا المنتفخ الاوداج والمحفظة ، إلا أن قال له بلطف وحنان : ( روح يابني ، الله يبعتلـــك ... ) !

● ● ●

ــ لي قريبة عجيبة ، راحت تشكو لي كثرة الكذب على ألسنة أبنائها وبناتها . وسألتني حائرة : كيف السبيل الى انقاذهم من هذه العادة السيئة ياأستاذ . وتساءل ( الأستاذ .. ) الذى هو محسوبكم : لابد أن فى الأمر سراً أو سبباً ؟ قالت : ماذا تعني يابني ؟ . قلت :

ــ أعني من شابه أمه ما ظلم .. !

أتدرون لماذا ...؟

لأنها اعتادت أن تطلب من ابنتها الصبية مثلا ، أن تقول لجارتها إذا طرقت عليها الباب : أمي « مش » موجودة فى البيت ! أو ترد على التليفون قائلة ــ بحسب تعليمات الأم المربية الذكية ــ أمي راحت على الخياطة . وكذلك الولد وولد الولد . حتى تمرسوا فى فن الكذب حتى على أمهم ...

ففى يوم ــ تقول قريبتنا ــ عادت ابنتها متأخرة جداً عن ميعاد عودتها من المدرسة ولما سألتها تعنفها ــ أين كنت يابنت ؟ أجابتها بهدوء وثقة : رحت مع صديقتي لعند الخياطة ، يامــاما ! .

● ● ●

ــ هي زميلة صحافية ، تعمل فى مجلة نسائية ، وبالذات فى حل المشكلات العاطفية والاجتماعية للقراء . وهل تعجبون إذا قلت لكم ، إنني ما ذهبت مرة لزيارتها فى منزلها ، إلا ووجدتها باكية شاكية مما تعاني من مشاكل لها أول وليس لها آخر ، مع زوجها ومع أولادها وحتى مع جيرانها وأقاربها ... وسألتنى مؤخراً : ماذا تقول في مشاكلي ..؟ أجبتها ضاحكاً ( طبيب يداوي الناس وهو عليل ... ) !

● ● ●

ــ تزوجا عن حب ، على أساس أن يكون التفاهم عشهما والتعاون ثروتهما والحب زادهما فى الحياة كي يتغلبا على مصاعبها وغلائها ومسؤولياتها . وبعدما رزقا بباكورة ( السعادة ) وتكاثرت المشاكل اليومية من حولهما ، دب الخصام محل الوئام ، وصار كل منهما يلعن اليوم الذى قاده الى ( القفص الحديدي ) وكان اسمه ( القفص الذهبي ) . وراح كيوبيد يقهقه شامتاً وهو يصوب سهامه الى ناحية أخرى!

● ● ●

ــ من متناقضات الأسماء ، أن انساناً ما يكون اسمه (كريم) وهو من بخلاء الجاحظ . أو أمين واساءة الائتمان فلسفته . أو حليم والغضب بين عينيه . أو ناجح وهو راسب مزمن فى تعليمه . أو أيمن وهو أعسر يكتب باليسرى . أو يكون اسمها جميلة ، وهي تقول للقبح : قم لأجلس مطرحك وأخيراً .. لي صديق اسمه : (رصين) ، وهــو ضارب طبلة فى فرقة موسيقيــة ...

ــ وبعد ، هل تصدق .. لقد رأيت أعمى يقود مبصراً . كان المبصر ، أعمى بصيرة .. سلامة بصائركم قبل أبصاركم .. !!

حسني شحادة

● استشهد المناضل الفلسطيني ماجد أبو شرار في الغربة بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٨١ ●

# ليس بالسياسة وحدها.. يحيا المناضل

## الفن.. له دور ورسالة



المناضل الشهيد ماجد ابو شرار

تشامخت أرض الأسراء والمعراج بقدسيتها فى عينيه ، مع كل خطوة خطاها بعيداً عن جبال الخليل ، وأشجار الجليل ، وبيادر بئر السبع ، وشاطىء غزة الذهبي ، كان يرقب نجمة الاصباح ، التى آمن إيماناً صادقاً ، أنها ستطلع عليه يوماً ، وهو بين أحضان « دورا » مسقط رأسه .

آه أيها الفارس الشجاع ، ركبت فى لحظة شعاع الصبح المسافر الى روما ، لتكتب بآخر قطرة من دمك لفلسطين ، لتصبح يا صديق الصبا ، ورفيق العمر . اسماً وذكرى ، لتصبح باستشهادك فجراً يقهر الصهيونية ، ويرد الغزاة ، لتحرير الأرض ، ويغدو « ماجد ابو شرار » بطلا من ابطال التحرير .

إن استشهادك ، اكتمال النضج ، وتتويج الحياة ، لأن أصداءه النفاذة ستخترق أسماع الأجيال ، امتداداً فى صميم الذات ، لتحقيق الهدف ، لأنك وهبتها عيوناً قادرة على رؤية النصر الآتي ، فقد انتظم النهر الهادر الذى أنت ومن سبقوك من الشهداء ، دفقات من منبعه الطاهر .

العمر لمحة فى مدى الزمان ، قد تطول وقد تقصر ،
طريق تسلكها الأجيال وتتوالى عليها الآجال ،
همنا أن نوفق بين مداه وعرض أحلامنا ،
كقصيدة حسن معناها ، وجمل ايقاعها ،
مطلعه طفالة ، وبيت قصيده شباب وعزم ،
ومقطعه الأخير حكمة الأيام ،
ولكن الأعمار ليست سواسية كلها ،
بعضها يمضى ولا أثر له ،
وبعضها قوى يوجه الأحداث ،
فلا عجب أن تجيء الأعمار متفاوتة الأثر والقيمة ، متباينة الخصوبة والتمر ،
فالأعمار التى تتابع أيامها على وتيرة واحدة ، كأنها يوم واحد مكرر ،
تمضى وكأنها لم تك شيئاً مذكوراً ،
أما الأعمار التى تجيء أيامها تقالا بأحمالها ،
تمضي تاركة وراءها أثراً كبيراً على وجه الزمان ،
وإرثاً عريضاً تفخر به الأجيال ،
فتسم العصر بفعاليتها ،
وأصحابها يصنعون الحضارات ،

ويكتبون بدمائهم التاريخ ،
فيعيشون مع الدهور أعلاماً .
ماجد ابو شرار .. علم مضيء .. بدمه لنشوده العزم على التحرير .. ومن ورائه الأبطال يكملون الدرب الذى عليه سار ،

### البطاقة الشخصية

● فمن هو ماجد أبو شرار ؟
بطاقة الشخصية تقول :
الاسم : ماجد محمد عبد القادر ابو شرار ،
الجنسية : فلسطيني
المولد : « دورا » من أعمال خليل الرحمن .
الحالة الاجتماعية : متزوج .. وأبناؤه : « إسلام ، واسماء ، وعزه ، ودالية » .
الديانة : الاسلام .
المهنة : فى حركة دؤوب : ـ مدرس فى مدرسة رفح . ـ أديب يكتب القصة فى مجلة « الأفق الجديد » المقدسية ـ صحفي فى صحيفة « الأيام » السعودية ـ رائد من رواد حركة فتح ـ مسئول الأعلام الفلسطيني الموحد .

ـ عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ عضو المجلس المركزى لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ عضو المجلس الوطني الفلسطيني ـ عضو القيادة العليا للعمل فى الوطن المحتل ـ عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » .

### فى البدء كانت اللغة العربية

بدأ كما يبدأ الناشئة فى فلسطين ، رافق أباه فى عمله منتقلا فى مدنها وقراها ، حتى التقينا فى غزة هاشم جيران منزل وزملاء دراسة ، فى مدرسة الأمام الشافعي الثانوية .
فى المدرسة كان متميزاً بشخصية قوية دمثة جعلته موضع المحبة والاحترام من المعلمين والطلاب .
هوى الحركة الكشفية ، حتى وصل رتبة قائد ، وله فى هذا المجال انشطة وحكايات ، فكان يقظاً باستمرار قائداً يلتف حوله جميع الكشافين ، متعاوناً ، متحملا لكل مسؤولية ، ويقوم بأى عمل .
فى الدراسة ، كان متفوقاً فى اللغة العربية وخاصة فى الانشاء ، حيث تتجلى رؤاه وخياله



الشهيد ماجد ابو شرار

الواسع وأفكاره المستقبلية ، التى تنم عن أرضية ثقافية واسعة ، جعلت مدرس اللغة العربية يعجب بكتاباته ، ويكلفه بقراءتها ، بالقاء معبر ونبرات مؤثرة .
بعد انهائه مرحلة الدراسة الثانوية ، توجه الى جامعة الاسكندرية لدراسة الحقوق .. وعاد ليعمل مدرساً فى مدرسة رفح للاجئين الفلسطينيين ، حيث ترك بصماته على زملائه وتلاميذه .

### حكاية الرحيل

وكدأب الشباب ، الذين تفرق كل فى طريق ، اختار مهنة الكتابة ، فى وقت كانت الصحف والمجلات الأدبية قليلة جداً ، تهوى الأسماء اللامعة المعروفة ، ولكنه تمكن بقلمه من التعبير عن ذاته ، فنشر عدداً من القصص القصيرة ، فى مجلة «الأديب» البيروتية، وفى مجلة «الأفق الجديد» المقدسية ، وبين سطورها ، يوجد المحتوى الكامن فى نفسه ، عشق فلسطين ، وتمجيد أبطالها ، والعمل لتحريرها ..
قصة «حكاية الرحيل» ، قصة فيها وجد وألم ، فيها استنهاض للهمم ، دون بكاء على أطلال درست ، بل رسم لمعالم باقية ، وتعبيد لدرب العودة ، باسلوب أدبى رفيع ، يقول فى مقدمتها :
«كانت لى مدينة لها بحر تنام فيه الشمس كل مساء ، كانت لها أبنية متواضعة تاخذ مكانها تحت السماء الزرقاء ، فلا تتطاول لتنطح الفضاء حول مدينتى مزارع ، ومنذ كانت تلال رمل لها لون أشقر ، حول مدينتى كانت تتناثر بيارات برتقال ، لثمارها مذاق منعش ، ولأزهارها رائحة عطرة ، كان لى فى مدينتى بيت يقوم عند آخر انحدار للتل الرملى الأشقر ، الذى كان يحرس المدخل الشرقى لمدينتى .
عمرى تسعة وثلاثون عاماً ، وأنا الآن فى مدينة لها بحر ، منه الشمس تولد كل صباح ، تلك لها بحر فيه الشمس تنام ، وهذه لها بحر منه الشمس تولد ، كان هناك لي بيت وأرض ، وهنا لى بيت بلا أرض ، هناك ، كان لى ماض ، وانا هنا بلا ماض ، يومى بطاقة سوداء ، تسلمنى بعناد ونزق

## ليس بالسياسة وحدها يحيا المناضل

الى غد أشد سواداً ، هنا ، كانا بلا جذور ، بلا دعائم ، بلا أهل ، ولكنى يوماً ساعود ، لأن شمس مدينتى مازالت نائمة فى البحر» .

### التين والسلاح !

«مكان البطل» قصة مهداة الى روح البطل «ابراهيم أبو دية» القائد الفلسطيني فى ثورة ١٩٣٦ ، وقد نشرت عام ١٩٦٢ ، فيها يتحسس طريق الجهاد ويتلمس درب النضال يقول :
«قلة أولئك الذين يعلمون أن العاصفة وشيكة وستاتى مزمجرة عنيدة طاحنة ، أما الكثرة فقد استسلموا لراحة لا لذة فيها .. منهم من يعلمون أن الراحة سيعقبها تعب .. أى تعب ...» .
«سلة التين» قصة النساء المجاهدات ، اللاتى كن يرفدن المجاهدين فى الجبال والوديان والكهوف بالمأكل والمشرب والسلاح .
تدور أحداث هذه القصة عن فتاة تحمل سلة من التين تعرضت أثناء سيرها لأنواع من عنت وصلف الجنود المحتلين ، ولكنها تمكنت من إكمال سيرها ، معرجة الى مغارة الرجال المجاهدين ، وكانت المفاجأة ، قسمان : احدهما استدراج لجنود الاحتلال ، والأخرى ، أنها لا تحمل تيناً ولكنها تحمل ذخيرة وسلاحاً ، تمكن به المجاهدون من اصطياد جنود الاحتلال ...

### عيون الرجال تقول : لا

«الزنجية» قصة مليئة بالرمز ، ذات مرام وأبعاد عميقة فى النفس ، يحس قارئها انه يجول فى صحراء ، يبحث فيها عن ظلال وثمار ... ولكن لا أدرى لماذا وقعت يدى عليها ، ألأنه أورد هذا المقطع ، متحدثاً الى تمثال الزنجية التى أزعجته مرافقتها له فى غرفته ، فاينما اتجه بصره يرى التمثال يرنو اليه بعينين واسعتى الحدقتين .. فيقول :
«أخشى أن أستيقظ ذات صباح فاجد نفسى ميتاً ... وحتى اذا مت ، هل ستموت الحياة ؟ عيون الرجال تقول لا ... وأنا أقول الحياة لا تموت» .
وفى قصة «الشمس تذوب» يحكى ماجد أبو شرار ، جانباً من احداث حياته الخاصة ، من حيث الزمان والمكان ، ولعلها قصة حب شريفة عاشها الشهيد ، مع بطلة قصة «عريب» .. وكيف قضى العدو الصهيوني على جمال هذا الحب ..
● يقول ماجد :
«وتعود اعمدة الدخان تنتصب فوق بيوت غزة من جديد ، واشد «عريب» إلي بقوة ،

والقنابل تتناثر ، والحياة تخبو فى الشوارع ، أعمدة الدخان تقترب .. تقترب ... الدخان يزكمنى ... والحياة فى جانبى تحتضر ، سائل حار لزج يسيل فى ساقى اليسرى ... والدخان الملون يلفنى ... عيناى تبحثان بلهفة وجنون عن نور .. ، اى نور ... يدى تصدم جسد غريب ... إنه هادىء مترنح .. ايد غريبة تسحب الجسد من جانبى ... وبرفق ترفعنى ... ومحرك يهدر فى رأسى .. إنها تذوب .. تذوب .. إنها النهاية » !

## قلق وراء الهاتف

قصة اخرى تصور المأساة الفلسطينية .. عائلة من يافا هجرت بلدها .. واستشهد رب العائلة .. ليترك زوجة وخمس بنات .. وتشقى الأم الرؤوم فى تربية بناتها .. وتكبر «نجاح» وتتخرج من الثانوية .. لتعمل فى ادارة الهاتف .. وتنتعش الاسرة براتب «نجاح» ... ولكن الانتعاش لم يدم .. فقد تم بناء عمارة المقسم الآلى ... واستغنت الادارة عن كل العاملات وعاد الشقاء ..

إن تصوير ماجد فى قصته ومعظم قصصه .. تصوير يكشف عن عظم المأساة .. مأساة الهجرة واللجوء .. هذه المأساة التى حفرت فى نفسه الأبية جرحاً عميقاً .. فغدت فلسطين أغنية .. ومدنها وقراها شدوة .. وسهلها وجبلها وبحرها وبياراتها وبساتينها احلى واغلى جمال عنده ... لذلك أصبح تحريرها محور حياته .. أصبح هدفه ومقصده ..

يقول ماجد :

«إنها من يافا» .. واسمها «نجاح» ، زهرة ندية رائعة ، نبتت فى مناخ رائع وفى بلد جميل .. سماؤه غطاء أزرق ، وارضه بساط اخضر .. والكل فيه سعيد .. سعادة شاطئه الهادىء تدغدغه كل حين موجة حانية لبحر خير ...، وتمتد يد أثمة غاشمة لتقطف الزهرة ... وتلقى بها بقسوة .. واستهتار الى صحراء .. بلا ماء ولا ظلال ... ومنذ ذلك اليوم .. والزهرة تعيش بأوراق زائفة .. بدون رائحة ولا شذى .. حبيسة أرض جافة ومناخ قاس» !

## وانهار الجدار :

هذه القصة على نحو جديد ... كنا نلمس فى القصص .. ذكريات جميلة .. وأوصافاً بديعة .. ولمسة حب .. ولحظة سعادة ... يسرقها خلسة من بين السطور .. ولكن فى هذه القصة عبر فيها عن نهاية الصبر .. وغاية الضيق ... يريد أن يصنع شيئاً ... يريد أن يشلرك بايجابية ... يريد مخرجاً ..

يقول :

«أعيش انا التجربة ... التجربة التى نعرفها .. نعرفها كلنا .. ولكننا لم نلتق بها ابداً .. انا سالتقى بها .. لحظات مهما طالت ... فلن أعجز .. ويكون اللقاء» ..

ثم يورد هذا المقطع وكانه يحادث أحداً :

يا ماجد

— ......

الم تقل منذ البداية إنك لن تستسلم ؟

— ......

ساتحرر انا من الزنزانة ... وساصل الى القرار!



لقد شعرت بعد قراءتى ما نشره «ماجد» من قصص .. أن خيطاً واحداً ينتظم هذه القصص ... شىء فاجع حدث فى حياته ، هو النكبة .. وارتبط بها ارتباطاً صميمياً .. يرتبط بايمان عميق بأن الحياة لن تموت بموتك أيها الشهيد .

إن قصص ماجد ، قصص تنم عن فكر مستقبلى ، ينفذ الى طبيعة الخطر الذى يتحرك لينفذ الى جوهر المأساة ، وتجسيدها كقضية ضمير ، ووجود ، ومصير ، وليست ابداعاً لفظياً ، أو هتافاً خطابياً آنياً ، بل هى تعبئة غير مباشرة للوعى القومى ، حتى أن المتتبع لما كتبه ماجد فى تلك الفترة ، يلحظ انه يعبر عن التحديات التى تنطق بها أعماق اللاجئين الفلسطينيين ، الذين كانوا يعانون آلام التمزق والانصهار ، فى رمزية غير مبهمة أو غامضة ، تتسم ببراعة التكتيك ، وعمق الرؤية ، وتحديد الهدف .

لقد كان «ماجد» من هذا النمط من المثقفين ، الذين تحرقهم معاناة الثقافة وضميرها الحى ، فتدخل أجسام حامليها وتسرى فى كل شريان وفى كل نبض حياة فى اجسامهم المتعبة المثقلة بهموم البشر ، وسعادتهم وقضاياهم .

## ماجد الصحفى

لعل ثقافته العريضة ، وطموحاته الكبيرة ، لم يستطع ابرازها من خلال كتاباته الأدبية ، فولج الى عالم الصحافة الرحيب حيث بدأ ينشر فكره بقلم بارع وأسلوب مبدع ، بعرض واضح ، وحماس ظاهر ، دونما تحد أو انفعال ، ثم يترك للقارىء القرار .

ولكنه لم يستمر كثيراً ، لأن نداء الواجب كان اقوى ، وكانت حركة التحرر الوطنى الفلسطينى فتح تتفتح اكمامها .

## الجهاد هو الطريق

وكما يتنفس فجر ، كذلك تحركت أضلاع شعب كامل ، الشعب الفلسطينى ، لتتفتح فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ ثورة .

وكان ماجد من الطليعة ، مثقفاً فلسطينياً التزم بالثورة منذ انطلاقتها ، فعاش من اجلها ، حياته وأيامه وعمره ، عندما تعانقت الكلمة بالبندقية ، تعلن هذه حقوق شعب فلسطين ، وهذه ارض فلسطين ، وطريق الجهاد فى سبيل الله هو الطريق .

ماجد الأديب الثائر . وصحبه من أرباب الكلمة المقاتلة ، ساروا على الطريق ، بوجوه سمراء ، لفحتهاهاجرة الهجرة ، فملأت الاهاب بالتجربة والوعى ، تدفعها العزيمة ، ويحدوها التصميم .

اضطلع ماجد بالاعلام الثورى ، وكان الاعلام عنده ، علاقة مع البشر ومع العقول ومع الأفكار ، وكان دائماً يحرص على أن يقدم الثورة الفلسطينية فى اطار الكلمة والموقف وحرية التعبير .

وكم عانى ماجد دون أن ييأس ، ودون أن يهرب بل ظل واقفاً ، صلباً ، وكم كان يقلق ، ولكنه قلق المثقف الملتزم الذى يريد تصحيح الأخطاء وتجاوز العقبات .

على الرغم من قسوة الواقع وظروفه القاهرة ، لم يعتر ماجد يأس ولم يصبه مرض المثقفين ، لأن الثقافة عنده ليست هروباً ولا راحة ولا جلسة كتاب ، إنما هى كتاب وقلم وفكر فى قلب الواقع الحى .

لذلك كان ماجد أبو شرار خطيراً ، وكانت اسرائيل تعرف مدى خطورته ، كوجه ثقافى ملتزم فى صفوف الثورة الفلسطينية من جهة ، وكوجه ثقافى عربى معروف فى الأوساط الثقافية العالمية من خلال القاءات والندوات والمؤتمرات ، فصبت جام حقدها الارهابى الأسود عليه ، فدبرت له قنبلة روما ، التى فجرت هذا الجسم المثقل بقضايا النضال ، وبعمق الايمان ، ولئن كان استشهاده رحمه الله غياباً لجسم ماجد أبو شرار ، فان ابتسامته وفكره وثقافته وثوريته . سوف تبقى شعاعاً ساطعاً فى دروب الجهاد حتى النصر .

حسنى شحادة

# حكاية الرّحيل

قصة بقلم : الشهيد ماجد أبو شرار

كانت لي مدينة لها بحر تنام فيه الشمس كل مساء .. كانت لها أبنية متواضعة تاخذ مكانها تحت السماء الزرقاء فلا تتطاول لتنطح السماء بحجارتها واعمدتها .. حول مدينتى كانت مزارع ، ومنذ الأزل ، كانت تلال رمل لها لون اشقر .. حول مدينتى كانت تتناثر بيارات برتقال لثمارها مذاق منعش ولأزهارها رائحة عطرة كان لنا فى مدينتى بيت يقوم عند آخر انحدار للتل الرملى الأشقر الذى كان يحرس المدخل الشرقي لمدينتي ..

عمرى تسعة وثلاثون عاماً ، وانا الآن فى مدينة لها بحر منه الشمس تولد كل صباح .. تلك كان لها بحر فيه الشمس تنام ، وهذه لها بحر منه الشمس تولد .. كان هناك لي بيت وارض ، وهنا لي بيت بلا أرض .. هناك كان لي ماض ، وكنت املك ناصية يومي .. وكنت ازرع احلاماً تشرق بهية فى غدى ، وانا هنا بلا ماض .. يومى بطاقة سوداء تسلمنى بعناد ونزق الى غد أشد سواداً .. هنا أنا بلا جذور .. بلا دعائم .. بلا أصل ..

– اتأكل شيئاً .. الجوع يكاد يفريني .

فى كل صباح كانت اشعة الشمس تذيب حبات الندى المرشومة على ألواح زجاج غرفتى بعد ان تمسح آخر آثار الليل عن ذرات التل الرملي الأشقر فأفتح عينى وادعكهما بدعة وانهض نشيطاً لاستقبل يوماً جديداً من عمر كنت أحبه .. كان أبرز ما فى يومى آنذاك ابتسامة رضى تطل من شفتى أمى .. كانت بسمتها برعم زهرة برتقال فيه عطاء وله شذى طيب . كنت اتملى وجه أمى المجعد الشمعى اللامع فأرى فيه كل معانى الخير والحب والاخلاص .. كانت تحبنا وكنا نحبها كانت فى البدء تود ان تقبلنى كل صباح كما تفعل مع شقيقاتى وشقيقى .. لكننى رفضت فقطبت جبينها ثم فردته وتنهدت ، فهمست بحنو :

– أماه .. بسمتك برعم زهرة برتقال فيه عطاء وله شذى طيب وأنا لا أريد لهذا البرعم الا أن يظل بكراً نضراً ندياً .. لا أريد لآثار النوم التى تطبع وجهى كل صباح أن تذبل البرعم وتفقده نضارته .. أريده بكراً وبكراً دوماً ..

ويزداد البرعم تفتحاً ونضارة وتربت بكفها الطرى على كتفى وتهمس بصدق وحرارة .

وفقك الله يا محمد ومنحك كل ما عنده من خير وهناء ..

كانت تجمعنا مأدبة الافطار التى كانت تكون فى أيام الصيف تحت اغصان شجرة الجوافة الضخمة والتى كانت والدتى دوماً تتحسس اغصانها بتمهل وتأمل وتهمس :

– لقد زرعها المرحوم يوم نزلنا هذا المنزل .. كان كل ما يتمناه ان يملك بيتا .. جد واجتهد وبنى البيت وزرع الحديقة .. لكنه ويا حسرتى لم يأكل من ثمارها .

وتهمس ( عطاف ) اكبر شقيقاتي والتى كانت لها كل ملامح امى :

– زرعوا فأكلنا ، ونزرع فيأكلون .

وتعود والدتى لتهمس وحبات دمع تكاد تتسلل مجفلة مع شواطىء عينيها :

– فيكم الخير يا ابنتى واطال الله فى اعماركم ..

وتنهض أختى ( آمال ) وتقطف حبات الجوافة المبللة بالندى وتضعها في طبق فتسارع إلى تناولها بنهم وتلذذ وعيونها تتحاشى ان تلتقى مع عيون الوالدة التى امتنعت عن تناول حبات الجوافة منذ أن حرم منها الذى غرسها وجعل منها أغصان عطاء وخير .. وينصرف كل فرد من عائلتى الى عمله . ( عطاف ) تبقى فى البيت و ( أحمد ) يركب دراجته متوجهاً الى مدرسته و ( آمال ) من خلفه تصيح وترجوه ان يركبها خلفه فيقف قليلا ليوهمها بأنه ينتظرها حتى اذا ما كادت تدركه يتركها مبتعداً فتضرب الأرض بقدمها الصغيرة وتتوجه هى الأخرى الى المدرسة .

كنت فى تلك الأيام أعمل مدرساً فى المدرسة الثانوية الوحيدة فى المدينة وكان لي طلاب كنت أرى الأمل فى الغد المرجو يتفتح فى صفاء عيونهم بساتين دفء وحياة .

كنت أرى فيهم كلهم أخى احمد ، فيزداد حبى لهم وتتضاعف جهودى من أجلهم .. كان كل ما حولك يدعوك لأن تعمل وتعمل دون إبطاء أو تواكل ، وكذلك كنت اطمع فى غد مشرق وكنت أعلم ان هذا الغد لن يكون الا اذا شاركنى كل من حولى فى بنائه . كنت سعيداً . سعادة عارمة قوية لا حدود لها .. شىء واحد كان يحاول أن يخدش صفاء سعادتى .. أمل عزيز كان يعز على امى الا تحققه قبل ان تغادرنا لتلحق بالذى زرع شجرة الجوافة .. قبل ان أنام وفي بعض الامسيات كانت تجلس على طرف

سريري وتطرق فأرى الأمل مشوباً بتهيب وخوف يسبح في صفاء عينيها فاستنتج سلفاً ما الذى يدور فى نفسها ويعذبها وانتظر حتى تهمس .

ـ محمد ..

ـ ما الذى تريده الراعية .. ؟

ـ محمد .. هل .. هل انت سعيد ؟

ـ ما دمت كذلك ..

ـ شكراً يا ابنى .. لكن .. لكن أريد لسعادتى ان تكتمل .. اريد ان ارى لك زوجة ..

ـ اشكرك ياراعية .. لكن مهلا .

ـ مهلا .. مهلا متى ننتهى من هــذه آل (مهــلا) ؟

ـ حتى تتزوج ( عطــاف ) وكــذلك ( آمال ) وحتى يكمل ( أحمد ) دراسته الجامعية ..

كانت فى البدء تستمر فى مجادلتى لكنها فى الفترة الأخيرة أقلعت عن ذلك وصارت تتركنى متعكرة مصدومة وأظل مع رؤى حلوة عذبة أرى فيها « عطاف » و « آمال » وقد ضمهما بيت زوجية سعيد .. وأرى « أحمد » محامياً كبيراً .. أرى ( سلام ) يحبو ويبتســم أنــا أبوه و ( فاديه ) أمه .. كنت احب فاديه حتى العظام . وكذلك كانت هى . لكن واقعي كان يؤجل دوماً لقاءنا المعطاء ، ويؤخر بالتالى أطلالة حلوة لابننا ( سلام ) كنت أعيش على أمل أن تكون .. فهل كان هذا اللقاء ؟ كان ان ازداد الواقع تعقيداً .. واقع يغبشه دم ، يخنقه دخان قنابل تهدم بيوت مدينتى ، تمزق أجساد أبناء مدينتى تنشر الدمار والموت فى كل أجزاء مدينتى .. وكنت يائساً لكن بعناد .. واظبت على الذهاب الى المدرسة لاجد فى النهاية ان ليس ثمة من طلاب بل مقاعد يعشش الغبار فى شقوقها ويكسبها لون تراب القبور . فعدت لاقبع فى البيت ونظرات والدتى وشقيقاتى تلهبنى فى كل لحظة كنت أعيش .. كانوا يريدون ان يقولوا الكلمة .. لكنهم يعرفون ردي فماجرأوا على التفوه بها .. واخيراً وبعد ان نامت الشمس فى بحر مدينتى قلتها .. قلتها وانا اكاد اتمزق ( لنغادر المدينة ) .. وصعدت مع التل الرملى الأشقر وجلست على نعومته وتفرست الغرب .. كانت ثمة أعمدة دخان ازرق تنتصب متلوية فى فضاء مدينتى ، وكانت الطلقات تعوى فى أجواء مدينتى .. وكانت شمس مدينتى قد نامت فى البحر مخلفة سواداً أخذ يفرش الكون من حولى .. صحوت على صوت امى المشروخ ..

ـ نحن جاهزون يا ابنى ..

كانت هناك ، تحت شجرة الجوافه متشبثة ببعض اغصانها .. انحدرت مع التل مخدراً ممزقاً .. مررت بشجرة الجوافة .. كانت الراعية لا زالت هناك .. شعرت بوحشة قاسية .. وددت ان اقول شيئاً .. اى شىء . لكن لساني كان ملوياً بقوة فى فراغ فمي ، وغصة مدمرة تكاد تخنقني .. تحركت وسحبت الراعية من يدها وحاولت أن أضمها الى صدرى لكنها سبقتنى الى ذلك وطوقتني بذراعيها وصدرها يعلو ويهبط بنشيج حاولت أن تخفيه فما استطاعت ، وتدلت يداها فأمسكت بيسراها بينما كانت يمناها مضمومة باصرار على حزمة أوراق خضراء خشنة .. كانت من أوراق أغصان شجرة الجوافة .. كان هذا آخر عهدنا بالجوافة .. فمنذ ان غادرنا الغرب متجهين الى شرق متجهم يابس ، حرمنا منها .. كان هناك شبه اتفاق بيننا على الا نذوقها .. رائحتها الآن تغيظني وتفتت أعصابي ..

ـ لنأكل شيئاً .. الجــوع يــكاد يفريني ..

ـ لا رغبة لدي فى تناول الطعام .

ـ لكنك لم تأكل شيئاً منذ الصباح .

ـ اى صباح ؟!!

ـ صباح هذا اليوم .

ـ هيه .. وهل لهذا اليوم صباح . أنا لا أراه .. ولا أحس به .. لا أكاد أميزه عن أى شىء آخر .. الصبح يا أخى يغسل السواد . يغسل كل شىء . هذا الذى تسميه صباحاً لا يفعل ذلك . بالله لا تنظر الي هكذا يا أخى .. نظراتك فيها شىء .. نظراتك تود ان تقول من انا .. انا أعرف من أنا . أنا مجرد قرمة خشب ملقاة على قارعة طريق ، تركلها كل حين قدم نزقة ، تتحسسها يد معروقة هزيلة ثم تأكلها فى النهاية نار ملعونة .. انا لا احب نظراتك .. لا أحبها .لا.أحبها يمكنك ان تتركني لتتناول طعامك . لكن مهلا . مهلا .. علك تتوق الى سماع بقية الحكاية . لا بأس .. لا بأس . فالدنيا كلها حكاية .. حكاية تبسم مرة وتعبس اخرى .. فى الشرق اقمنا .. وفى الشرق اقمنا بيتاً لنا .. كان كالبيت الذى كان لنا فى المدينة التى كانت لنا .. جعلنا له حديقة .. زرعناها ورداً ورياحين وتركنا بقعة داكنة لا تزال تنتظر عرقاً داكناً يغرس فيها ليصبح مع الأيام شجرة جوافة .. هذا العرق لم يغرس حتى اليوم .. الراعية لازالت ترعانا ، و « عطاف » الرائعة الحلوة ماتت فجأة بعد أن غادرنا الغرب بعامين ، آمال لها ابن اسمه ( سلام ) .. أحمد كما كنت أريد أن يكون .. محام ارجو له كل توفيق ونجاح وسعادة .. وأنا هنا .. لازلت اروى كل يوم حكاية الغرب .. وأغصان شجرة الجوافة لا زالت حطباً يتقصف كل لحظة فى قلبى .. تلة الرمل الشقراء لا زالت تنهال على جسدى المحطم كل لحظة فتخنقني .. « عطاف » الميتة لم تزرع ما يؤكل .. وشمس مدينتي ما زالت نائمة فى البحر .



# وعن الماء.. نقول

بقلم : درويش مصطفى الفار

تماماً ، كما لا يدرك الشوق إلا من يكابده ، فانه لا يدرك قيمة قطرة من الماء ، ويعرف قدرها ، إلا من عركته الصحراء ، برمضائها ولفحه حر قيظها ، فى مهمه قفر بلقع ، يتراءى فيه السراب بكل قيعة ، وقد نفد مافى سقائه من ماء، مع يقينه ببعد الشقة عن كل ثميلة ، أو ثمد ، أو قليب جفر ... هنالك فقط ، يدرك المرء ، حقيقة أهمية الماء ... ذلك السائل العجيب ، الفريد بين كل ما خلق الله سبحانه فى هذا الكون الفسيح ... فمن بين الآلاف المؤلفة من المركبات الكيمائية ، طبيعية أو صناعية ، معدنية أو حيوية ، ينفرد ذلك السائل الذى لا لون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ، بخصائص تدعو كل ذى عقل ، أن يتامل فيها ، ويتساءل عنها ... هل تلك الخصائص ، فى الماء ، مجرد (صدفة) عمياء ، انقشعت عنها قوانين الاحتمال ؟ أم أن ( صانع الماء ) قد أوجده بصفاته تلك ، ليقضى أمراً كان مفعولا ؟

من تلك الصفات والخصائص — على سبيل المثال فقط — أن الماء :

١ — وهو أحد مركبات الهيدروجين ، مع أحد أفراد مجموعة العناصر السادسة ، فى جدول مندليف المشهور ، يتميز عن (كل) مركبات الهيدروجين ، مع غير الأوكسجين ، من عناصر تلك المجموعة كالكبريت ، والسيلينيوم ، والكروم ، والتنجستن بأنه المركب الأوحد الذى يكون سائلا فى درجات الحرارة العادية ، فى حين أن المركبات الأخرى تكون إما غازية أو صلبة القوام

ب — أن الماء ، وحده ، هو الملائم للأحياء ، دون مركبات الهيدروجين الأخرى ، وكلها دون استثناء ، عدا الماء، سامة قاتلة للأحياء من النبات والحيوان ، على السواء ...

جـ — أن الماء ، له خاصية مميزة فريدة عجيبة ، تسترعى الانتباه ، وهي أنه إذا برد فان كثافته تزداد ، أي يثقل وزنه ويقل حجمه ، حتى إذا ما وصل إلى درجة (٤) مئوية فان أمره ينعكس ، فتقل كثافته ، بازدياد يطرأ على حجمه ، حتى إذا ما أصبح ثلجاً عند درجة الصفر المئوي ، طفا فوق بقية الماء ، وحماه من التجمد ... وهنا تشرق أمام ذوى البصائر حكمة بالغة ... إذ كيف تكون حال الكائنات الحية كلها ، مما يعيش فى الأنهار والبحيرات والمستنقعات ، بل والبحار القطبية ، لو أن صاحبنا ذاك ( الماء ) لا تتغير صفاته الفيزيائية ذلك التغير العجيب عند درجة (أربعة) تلك ، فوق الصفر المئوي ؟ ذلك سؤال نترك الاجابة عنه لكل من يكرم عقله وينزهه عن الأخذ بنظرية الصدفة ، فىوجود هذا الكون ... ثم نطالب كل من يكرم عقله وينزهه ، بالتفكر معنا ، فى أمر ، قد لا يبدو لأول وهلة ، ذا أهمية أو بال ... فقد نكون ، نحن معشر العرب ، من أقل الناس علماً ، بحاجتنا الى الماء ، ولا أقول نحن أقل الناس اهتماماً إذ منا من يفكر فى نقل الماء على هيئة كتل من الثلج نجدها عبر المحيطات والبحار ، من القطب الجنوبي إلى البحر الأحمر ، ومن واجبنا أيضاً التفكر فى نقل ثلوج القطب (الشمالي) ، إلى أهلينا فى غرب أفريقيا ، حيث الحاجة إلى الماء بالغة ... هذا الأمر الذى نحن بصدده اليوم ، فى عجالتنا هذه ... هو التوصل إلى انشاء « مؤسسة عربية (شعبية) للدراسات المائية » بعيدة تماماً عن الصراعات السياسية ، والاختلافات العربية العديدة الكثيرة الفروع والتشعبات ... تكون مهمتها الأساسية والفرعية ، المعلنة والخفية ، بتضافر العقول العربية ( المقيمة والمغتربة ) دراسة كل الآفاق والسبل العلمية والتكنولوجية لزيادة الثروة المائية فى أرجاء الوطن العربى بلا استثناء ، بعيدة كل البعد عن ( فقه بيزنطة ) تعمل على :

أولا : استنقاذ كل قطرة ماء تضيع هباء ، فى البطائح والمستنقعات ومصبات الأنهار ومجاري الوديان بعد المطر ...

ثانياً : استنباط مصادر جديدة للماء ، فى مضمار المطر الصناعي ، أو تحلية مياه البحار بالطاقة الذرية أو بطاقة الغازات الطبيعية .

ثالثاً : وترويض ما يمكن من المحصولات الزراعية لمواءمة بعض أنواع المياه المالحة فى وطننا كله ، وخاصة حواف السباخ البحرية .

رابعاً : التفكير فى ابتداع طرق جديدة لتوفير الماء ، فى الاستعمالات اليومية ، فاعلم أن (غيرنا) قد ابتاع جهازاً جديداً لتوفير الماء العذب الذى يضيع فى دورات المياه والحمامات بحيث أصبح الاستهلاك فى هذا الباب أقل من السدس !! فهل يستطيع أحدنا أن يبتدع لنا أسلوباً لتوفير الماء الضائع أثناء الوضوء — مثلا — فيما بين غسل مختلف الأعضاء ؟؟ .

خامساً : رصد مكافأة أو جائزة لذلك العالم أو التكنولوجي العربى ، أو مجموعة من العلماء والتكنولوجيين العرب ، ممن يستطيع أن يحقق عربياً وعالمياً ، جهازاً يعمل بالطاقة (الحرارية) الشمسية ، أو بالطاقة (الحرارية)

المستمدة من الغاز الباطني ، سواء الغاز المصاحب للزيت الذى نحرقه قرب مستودعات الحقول ، أو الغاز الطبيعي المستقل عن الزيت ، ويكون عمل ذلك الجهاز استنقاذ الماء من ( الرطوبة الجوية ) القريبة من سطح الأرض ، والتى تكون الضباب والندى فى بعض الأحوال . والرطوبة الجوية على مستوى السواحل العربية لدى الخليج ، وبحر العرب ، والبحر الأحمر بشاطئيه على وجه الخصوص ، يمكن أن تكون مصدراً مفيداً للماء ، لو أعطيناها من العناية العلمية ماتستحق.. ويستحق جائزة عالمية المستوى ذلك الذى يبتدع جهازاً اقتصادياً لاستنقاذ ذلك الماء ، يستوحيه من مشاهدة ، قد لا تغيب عن بال الانسان الجيد الملاحظة ، إذا راقب أجهزة التكييف المنبثة فى مدينة كعاصمتنا هذه الدوحة ، حيث أمكن التوصل الى حساب مبدئي يقول بأن ( خمسة آلاف ) جهاز تكييف ، تكثف من الرطوبة الجوية ( يومياً ) ما يقارب ( مليوني ) لتر من الماء ... قد لا يكون هذا الرقم سارى المفعول على كل أيام السنة ، ولكنه بالتأكيد مؤشر هام إلى خطورة ضياع ماء الرطوبة الجوية ...

فهل يتحقق حلم انتاج جهاز تكنولوجي حديث بابداع عقليات عربية للاستفادة من الرطوبة الجوية على طول سواحلنا ، لنصنع بها الماء للشرب ، والزراعة ولو على نطاق ضيق جداً ؟ .

إن انجازاً كهذا يستحق من التمجيد والاحترام ما لا طاقة لى بوصفه ، إذ يعيد إلى الأذهان عالمياً حقيقة عنصر هذه الأمة وقدراتها فى العلم والتكنولوجيا دون ريب .

درويش مصطفى الفار




## الجامعية

أصدر مكتب الخريجات بجامعة قطر العدد الجديد من مجلة « الجامعية » ، وفى هذا العدد قدمت الفتاة القطرية المثقفة صورة حية لنشاطها الفكرى والفنى ، وكشفت صفحات العدد الجديد من « الجامعية » عن مواهب أصيلة قدمتها جامعة قطر ، من بين المتخرجات فى هذه الجامعة الشابة ، فقد كان الغلاف الأول لوحة فنية بديعة للرسامة القطرية بدرية جاسم الدرويش ، كما كان الغلاف الأخير لوحة للفنانة القطرية الموهوبة أمينة كاظم ، وجاء فى افتتاحية العدد الجديد من « الجامعية » أن « الخريجة القطرية لها حقوق لابد أن تتوفر لها ، وعليها واجبات لابد أن تؤديها ، والخريجة لا تطالب بالمراكز والمناصب العالية كما يشاع عنها ، بقدر ما تسعى للحصول على الخبرة الجيدة والعطاء المثمر فى أى مجال تتولاه .. إننا نؤمن بأن عمل المرأة ليس صادراً عن كونه ضرورة لتطور المجتمع وموازنته الانتاجية فحسب ، بل معناه أوسع وأشمل من هذه المفاهيم ، فهو عمل يحث الانسان على إثبات ذاته واكتشاف قدراته » ، وفى ختام افتتاحية « الجامعية » نجد « صرخة » تطالب « الخريجة بالمشاركة فى سائر الأنشطة الاجتماعية والثقافية » حتى « نثبت دائماً أننا نملك عقولا وشخصية متكاملة الجوانب » وعلى صفحات « الجامعية » نلتقى باقلام الخريجات القطريات فى المقالات والأبحاث والدراسات والقصص والقصائد والتحقيقات الصحفية ، وفى كل هذه المجالات أثبتت الخريجة القطرية جدارتها وموهبتها وعمق نظرتها إلى الأمور وجديتها فى البحث والتفكير والتعبير .. تحية للجامعية ، فى عددها الممتاز ، شكلا وموضوعاً .. وتحية لمريم الخليفى ولطيفة المناعى المشرفتين على تحرير « الجامعية » .. وفى انتظار أعداد أخرى وخطوات « للجامعية » أكثر ثقة وثباتاً على طريق المستقبل .

« الدوحة »




# حتى لا يضيع التراث الشعبي في الخليج

بشرى ناصر

جاء فى مفتتح مشروع وثائق التأسيس لمركز التراث الشعبى لدول الخليج ما يأتى :

تعتبر منطقة الخليج والجزيرة العربية من أجزاء الوطن العربى التى تأخرت كثيراً فى رعاية وحماية التراث الشعبى والعمل على الاستفادة منه .. وتوظيفة توظيفاً علمياً لاغناء تقدم بعض المجالات الأخرى .. على الرغم من اكتساح المتغيرات لكل نواحى الحياة ونفاذها الى أعماق الانسان بسرعة مذهلة فى هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم .. بحيث طغى الجديد الوافد على أصالة القديم وطمر منابعه وأخذ يعمل منه تغيراً وتحويراً... .. ويبعد به عن الأصول حسبما تقتضيه روح العصر الحديث وأدواته ..

وقبل حوالى مائة عام من الان أدركت الشعوب المتقدمة بأنه اذا كانت هذه سنة الحياة وقانون التطور .. فلا بد من رعاية وحماية جذورها وأصولها من الضياع والتلف .. فأنشأت المراكز والهيئات والجمعيات الوطنية لرعاية وحماية التراث الشعبى وبذلت من أجل ذلك المال والخبرات والتضحيات .. واستطاعت أن تصل ماضيها بحاضرها وتحقق قدراً كبيراً من التوازن والتواصل بين مختلف الأجيال .

من أجل ذلك وبعد تخطيطات جادة وجهود واعية يتم افتتاح مركز خاص بالتراث الشعبى وكل ما له صلة بذلك ... وقد اختيرت دولة قطر مكاناً لمقر هذا المركز .

وبعد المؤتمر الذى أقيم في الشهر الماضى وما دار من نقاش وحوار .. وجدت نفسى أبحث عن أجوبة لأسئلة تزيل كل غموض يعلق فى وقته .. حملت أوراقى واتجهت الى على عبد الله خليفة والذى وجدته ساهراً حتى ساعة متأخرة من الليل مع افراد يشاركونه هذا الحب للموروث الشعبى وقال على عبد الله خليفة فى البداية عن مركز التراث

الشعبى :

إن أهداف المركز تتلخص فيما يأتى :

● جمع وتدوين وتحقيق كل ما له علاقة بالثقافة الشعبية التى كانت سائدة فى الماضى بدول الخليج العربية والتى تمثل روح الشعب وحكمته وابداعاته المختلفة مثل اللغة المحكية وصوتياتها وعلوم صناعتها والأشعار والاهازيج والأزجال والرقص والحكايا والأساطير .

● تقديم الدراسات ونشرها حول التراث الشعبى الخليجى من منطلق الدراسة الشاملة لتراثنا .

● رعاية هذا التراث كثروة وطنية وقومية وحمايته من استغلال الغير .

● تأكيد المحتوى الوطنى لطبيعة العمل الميدانى لتجميع التراث الشعبى وحفظه عن طريق خلق مشاركة شعبية واسعه تساهم فى جمع المواد وتسند العمل الرسمى فى رعاية التراث وحمايته

● انشاء مكتبة متخصصة للتراث الشعبى (سمعية وبصرية) بأحدث الاساليب العلمية لتكون مرجعاً للدراسين .

● العمل على ادخال المناسب من أجل الثقافة الشعبية وما طرحته من قيم سامية الى مناهج التربية الحديثة بالدول الاعضاء .

● تطوير امكانيات الدول الاعضاء فى مجال الاهتمام والرعاية الخاصة بالتراث .

– أما وسائل تحقيق تلك الأهداف فتكون بالنقاط التالية :

● تشجيع وتبنى جهود الافراد والمؤسسات الأهلية التى تمس مجال عمله .

● تقديم منح دراسية واقامة دورات تدريبية متخصصة لتأهيل الكوادر المحلية والاعتماد عليها .

● اصدار مجلة علمية متخصصة وإقامة مواسم ثقافية وابتداع الأفكار والوسائل الحديثة فى نشر التراث وربط الأجيال الجديدة بأصالته .

● التعاون مع المركز الأقليمى للتوثيق الاعلامى لدول الخليج فيما يختص بالتراث .

● تشكيل اللجان الدائمة والمؤقته اللازمة لدراسة بعض المسائل الخاصة .

● أية أمور أخرى يقررها مجلس الادارة فى حدود اغراض المركز .

## التراث الواحد

قلت لعلى عبد الله خليفة : بصفتك المشرف على مشروع مركز التراث ، نريد منك توضيح ذلك التشابه الكبير فى مأثوراتنا الشعبية سواء كانت حكاية أو أمثلة أو مقولات ؟

– منطقة الخليج والجزيرة العربية منذ فجر التاريخ كانت مهداً لحضارات ، وكان لها دور كبير فى التراث الانساني .. وأثناء ازدهار تلك الحضارات وتفاعلها مع الحضارات الأخرى ، كانت أغلب دول المنطقة يطلق عليها اسم تاريخي واحد يشمل كل أجزائها .. وبتطور الأحـداث التاريخيـة والسياسـية والاجتماعية ظلت لهذه المنطقة ظروفها المشتركة الواحدة .. فنتاج الناس على هذه الأرض على مر العصور تعبير عن همومهم المعيشية .. ولقد توصلت الدراسـات الفلكلوريـة والأسطورية المقارنة إلى أن هناك أساساً أسطورياً وفلكلورياً لأغلب الشعوب العربية منذ أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد سواء كان فيما بين النهرين أو فى الجزيرة والشام ولبنان وفلسطين . وهذا يعنى أن منابع الميثلوجيا العربية تقترب بجذورها على مدى ستة آلاف عام فى الجزيرة العربية وما جاورها . ولقد تواتر هذا النتاج الحضاري الذى أسهم فيه الشعب الخليجي بنصيب وافر وتواصلت حلقاته تأثراً وتأثيراً حتى ورثناه اليوم .

فالتراث الشعبي الذى بين أيدينا الآن نتاج منطقة واحدة وهو كل لا يتجزأ ويعتبر أحد جوانب الفولكلور العربي . فالأشعار ، والأزجال ، والأمثال الشعبية ، والحكايات ، وكل جوانب التراث الشفاهي فى كل المنطقة واحد لظروف متشابهة ومعاناة واحدة اضافة إلى أن العادات والتقاليد التى أفرزتها الممارسات اليومية للأجيال الماضية فى كل منطقة الخليج واحدة .

وهي تعكس جوانب المعاناة الاجتماعية للأجيال المتعاقبة .. وإذا أخذنا الجوانب الأخرى كالرقص والغناء والحلي والأزياء والطب والصناعات ، فلا تختلف فيه أية دولة خليجية عن أخرى إلا بقدر اختلاف القرية الواحدة عن الأخرى فى البلد الواحد . فتراثنا الشعبي هو تراث عرب الجزيرة العربية وما جاورها وما تفاعل به مع الحضارات الأخرى حتى وصل إلينا .

## المهارات والاستعداد

وعدت لأسأله : إذن ماهي الطريقة التى تتم بها الدراسة والبحث فى المركز ؟

قال لي : لكل جانب من جوانب التراث الشعبي طريقته الخاصة فى التناول والبحث .. ففى مجال الأدب الشعبي لابد أن يبدأ الباحث عمله بجمع المادة الشفاهية أو ( المحكية ) وهذه البداية هى التى توفر المادة الخام موضوع البحث ، ثم تمر هذه المادة بعد جمعها بمراحل عديدة متعارف عليها لدى الباحثين فى هذا المجال حيث تأخذ طريقها أولا إلى تدوين النصوص على الورق وتحقيقها وضبط مفرداتها ثم توثيقها وتقديمها كمادة موثقة توثيقاً علمياً ليستفيد منها الباحثون فى علوم الانسان والميادين العلمية الأخرى ذات العلاقة .

وفى مجال أخر كمجال فنون الغناء والرقص .. لابد من تسجيل المادة تسجيلا سمعياً وبصرياً وإعداد مادة فلمية وثائقية تسجل الموسيقى والأغنيات وتعرض للحركات الايمائية . والايقاعية التى يقوم بها الراقصون ، ثم تعرض هذه المادة على الباحثين فى المجالات المتعددة .. فالباحث الأدبي يتناول النص .. والموسيقى يتناول مجاله .. وهكذا .

وفى مجال الصناعات الشعبية لابد أولا من حصر تلك الصناعات التى كانت سائدة فى تلك الأزمان .. وتحديد ما انقرض منها .. وما هو مستمر .. مع توصيف كل صناعة على حدة .. طريقة الصانع فى إبداع بضاعته وتسويقها وطريقته فى ابتكار الأشكال واكتشاف المواد الخام .

وفي اعتقادى أن الباحث فى مجال التراث الشعبي لابد وأن يتمتع بمهارات متعددة واستعداد ثقافي للتعاون والاستفادة من جميع مجالات العلوم والفنون المساعدة الى جانب مجال تخصصه .



# حتى لا يضيع التراث الشعبي في الخليج

●● أستاذ على .. أى المناطق برأيك في ( منطقة الخليج ) تمتلك قوة حبك وخلق الحكايات والأمثلة الشعبية ؟

– تتميز بعض مناطق الخليج نتيجة للموقع الحضاري والتاريخي ونتيجة لكثافة السكان وتنوع سبل العيش بكثافة انتاج الموروث الشعبي .. فمنطقة مثل سلطنة عمان تعتبر غنية بالتراث الشعبي .. فتاثيرها التاريخي بعيد الأثر .. إلى جانب كونها البوابة التى عبرت منها الفنون الخليجية الوافدة .. وهي الفنون التى قدمت من الساحل الأفريقي عن طريق عمان إلى بقية أجزاء الخليج .. وبصفة عامة تعتبر المناطق القريبة من الساحل هي المناطق المتعددة الفنون نتيجة لكونها نقطة الاتصال والتواصل مع الشعوب والحضارات المجاورة ، فكلما اتجهنا إلى الساحل تعددت الفنون وتنوعت .. وكلما اتجهنا الى الداخل بعيداً عن الساحل انحصرت هذه الفنون وقلت كثافتها . ففنون البادية مثلا .. فنون محدودة ومعروفة .. لأن البدوي بطبعه كان غير ميال لقبول الجديد على عكس أبناء الساحل نتيجة احتكاكهم بأقوام ولغات وعادات مختلفة ميالون إلى استقبال الجديد الوافد ، والتأقلم معه وتبنيه فى بعض الأحيان . وكما هو معروف فى منطقة الخليج تتوزع الثقافة الشعبية التى كانت سائدة فى الماضى ثلاث بيئات اجتماعية.

البيئة الصحراوية أو البدوية .. والبيئة الساحلية أو البيئة الزراعية والتى تمثلها القرى الصغيرة المتناثرة فى الخليج .. ولكل بيئة من هذه البيئات فنونها وعاداتها المميزة.

## منابع الأصالة

وهنا سألت على عبد الله خليفة عن اعتقاد البعض بأن العودة للماضي قمة الصدق والنظافة .. وكيف نتمكن بعد التسليم بأن التراث جزء من الماضى أن نجرى تقنية علمية لغربلة ما يصلح للأخذ به وإبعاد ما لا يصلح ؟ .

وقال : هناك اسلوبان للعودة إلى الماضى .. أسلوب يرفض الحداثة ويرفض المعطيات والمكتسبات الجديدة ويعتقد أن فى الماضى عودة إلى الجذور الصحيحة التى لا يوجد غيرها .. والأسلوب الآخر يرى بأن المنجزات التى حققها الانسان فى عصرنا الحديث هي نتاج مسيرة طويلة من المعاناة التى بذلتها الأجيال من أجل حياة أفضل .. ويرى فى منجزات الماضى مكتسبات أخرى لولاها لما تحققت انجازات اليوم .. وأن القديم والحديث على الرغم من بعد الشقة بينهما خط حياتي متصل .. فبدون الاستفادة من تجارب الأولين ، لايمكن ابتداع اشياء افضل ، وان العودة الى الماضي ليست بهدف بعثه وإحيائه من جديدة .. فالماضي فى لغة الحياة هو ابن الأمس . والعودة إليه هي للحفظ والتسجيل والدراسة والتأمل وتغذية مجالات العلوم بمكتشفات كثيرة مازالت هذه العلوم بحاجة إليها للتعرف على مسيرة الانسان وعطائه وطرائق عيشه .

وعندما تهتم دول الخليج بحفظ ورعاية وحماية تراثها الشعبي ، فانها انطلاقاً من الدراسة الشاملة للتراث الشعبي العربي تتوجه لمعرفة الأصول والمكونات والخصائص لهذا التراث بحثاً عن منابع اصالتها وما يكمن فى موروثها الشعبي من ثراء وتعبير صادق عن معاناة أبنائها وابداعاتهم المختلفة .. وفي ذات الوقت تتوجه إلى توفير مادة علمية للدراسات الاجتماعية فى علوم وتاريخ الانسان ، بالاضافة إلى محافظتها على مأثوراتها من الضياع والعبث والخلط والتشويه .. خصوصاً وأن مجتمعاتنا تعيش المتغيرات البليغة الأثر التى تحاول أن تقتلعنا من الجذور .

## مهمة الباحث

وتوقفت عندئذ عند سؤال مطروح يؤكد أصحابه أن أجترار الماضى استهلاك للحضارة ، وأن الأولى بنا البحث عن صيغ حضارية جديدة تتفق والواقع المعاش . ؟

وقال : إن معالجة زماننا بطرائق حديثة لا ينفى أن نرعى ونحافظ على ما ورثناه .. إن الخطوات حثيثة للمضى بالحياة قدماً وبشكل مذهل .. ولا أعتقد أن تفرغ مجموعة من الباحثين لدراسة جانب من جوانب التراث أو التاريخ أو أى مجال من المجالات المتصلة بالماضي سيعيق تلك الاعداد الهائلة المشغولة بالبحث والابتكار لتقدم البشرية . وأرى أن الابحاث فى أى مجال من المجالات مكملة لبعضها البعض . فكل مجال ينير الطريق للمجال الآخر ويدعم تطلعاتها ويسند براهينه .. ويعزز القيم السامية التى جعلت من البحث العلمي خدمة وطنية ومكسباً حضارياً لكل جيل .

وقلت له : إذن كيف نستطيع التفريق بين ما هو تراثى .. وما هو تاريخي ؟ .

قال : فى اعتقادى أن التراث مادة من مواد التاريخ .. فاذا كان التاريخ بصفة عامة يهتم بالمتغيرات الحياتية الكبرى للشعوب والأمم .. فان البحث فى مجال التراث يهتم بقاع هذه الأحداث وجزئيات مؤثراتها وطبيعة وحياة وظروف الناس الذين أوجدوا هذه المتغيرات الكبرى . فالتاريخ يوجز الحديث .. والباحث فى مجال التراث يفصل دقائقه ويشرح جوانبه .. وكل منهما يقدم خدمة جلى للآخر .. فعلى سبيل المثال ، الباحث فى مجال الآثار يهتم بمادة الأثر إن كانت حجراً أو معدناً أو ماشابه .. والباحث فى مجال التراث الشعبي يهتم بالذى شكل المادة والظروف التى أحاطت به ، وهل تشكيل هذه المادة امتداد لفن متوارث أم مكتسب أم طارىء جديد ، وما إلى ذلك من جوانب .. وكما سبق أن ذكرت أن العلوم فى بعض مجالاتها تتداخل وتكمل بعضها بعضاً .

بشرى ناصر

# صبابات

شعر : حسن طلب



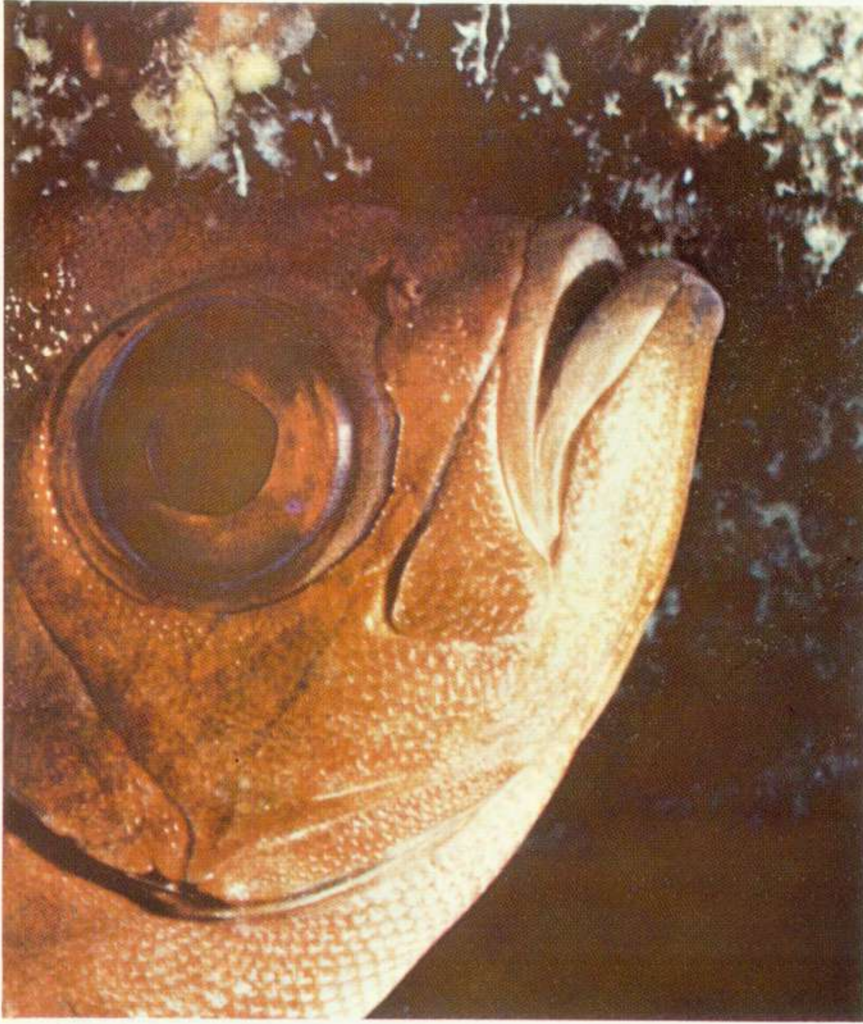
## ١ - ديمومة

زمنٌ يتخلقُ فى عينيكِ ،
وتاريخٌ يتراءَى
زمنٌ كالحُلمِ أضاءَ
وتجسَّدَ فى حِنطَةِ عينيكِ :
عقيقاً ..
وأقانيمَ ..
وماءَ
زمنٌ فى عينيكِ تراءَى
وارتدَّ إلى عينيَّ :
رموزاً زرقاءَ ،
وأشْياءَ
فكَأنْ قد فى أبدٍ كانَ ..
كأنْ قد من أزلٍ جاءَ
وكأنْ شربتْ عيناكِ من النيلِ :
طقوساً
وأساطيرَ
وأسماءَ

## ٢ - تجريد

قواريرُ الندى شفتاكِ
.. عيناكِ الأهازيجُ
رأيتُكِ تدخلينَ
.. وكنتِ واضحةَ الجَّبينِ
وتخرُجينَ ..
وصرتِ سانحةَ العيونِ
وجالَ فى عينيكِ دمعٌ
.. فهو منشوجُ
اسمِّيكِ : الوليدةَ
حين يحملُ صوتُكِ العادىَّ
عِطرَ الموْجةِ الأُولى
وأرقبُ جِلدَكِ العلنىَّ
ينضجُ تحت حبَّاتِ الندى
.. ويذوبُ فيها .. فهو ممزوجُ
لماذا لا أسمِّيكِ القَصيدةَ ؟
ثم أرسمُ :
آهِ يا دُعجَ العيونِ .. وفى حواجِبِهنَّ تزجيجُ !

صنع الله إبراهيم



الحياة والموت في بحر ملوّن

# سمكة الفراشة

## ورحلة البحث عن الأمان فى عالم الخطر!

أخذ ضوء النهار يتراجع تدريجياً من أعماق البحر .

ذهبت أولا الأشعة البنفسجية المبعثرة التى لا تكاد تبلغ الكائنات الساكنة تحت ألف قدم . فعلى ذلك العمق ، تكون أكثر الساعات اشراقاً هى درجة خفيفة بين الغروب وسواد الليل الفاحم ، وتعتمد الحيوانات على خلايا خاصة فى أجسادها تزودها بما تحتاج إليه من ضوء ، أو تتخلى تماماً عن حاسة الرؤية ، ملتجئة إلى حواس أرهف وأقوى .

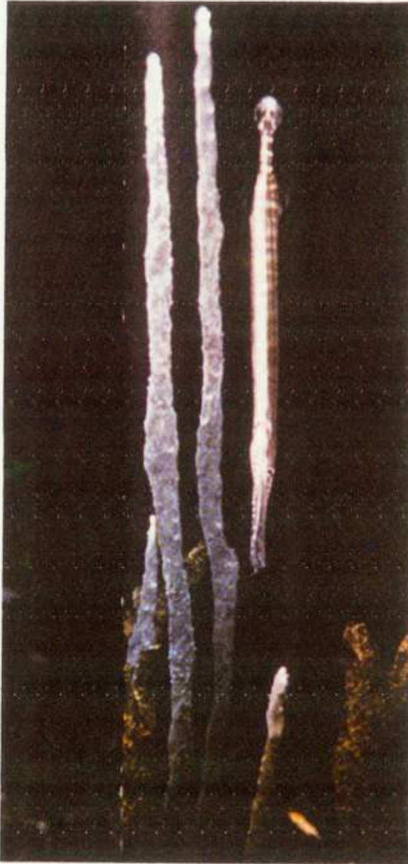
وسرعان ما تلاشى الضوء الأزرق فى المنطقة التالية ، وتبعه اللون الأخضر الذى ينتشر حتى عمق ٥٠٠ قدم ، ويعتبر أسهل الألوان رؤية لدى الأسماك .

وجاء الدور بعد ذلك على الأشعة الحمراء التى تدفىء وتضىء أعلى طبقات البحر . عندئذ قررت جماعات من سمك سليمان القوى ، و «البينيت» ذات القشور الزرقاء الداكنة ، و «السردينيلا» الفضية ، أن تهجر الشعاب ، بعد ساعات من اللعب تخللتها اعتداءات وحشية من جانب أسماك سوداء مثل السخام . وانطلقت إلى عرض البحر ، مستأنفة حياتها الجوالة بين البحار والمحيطات .

بينما بدأت أسماك البحر الأحمر ذاته

هذا الوحش المفترس هو من اكثر حيوانات البحر الأحمر انطواء .. وهو من أنواع الثعابين البحرية .. وكان الرومان يستأنسونه فى قديم الزمان ويقيدونه بالسلاسل

الكثير من حيوانات البحر تلجأ إلى التخفى لتضليل أعدائها .. ويستغل « الحزمان » شكله ليتمدد بين الفروع المرجانية أو الصخرية كأنه واحد منها



رحلة عكسية من الطبقات العليا للمياه إلى الشعاب المرجانية . وانتشرت بألوانها الصارخة ، ونقوشها الفاتنة ، متجهة فرادى وجماعات إلى ملاجئها ، حيث يرقد بعضها فى خمول ، ويغفو البعض الآخر ، اغفاءة خفيفة بعيون مفتوحة ، ويظل البعض الثالث يقظاً ، ويحتمى الجميع من مفترسى الظلام .

شقت « المشيط » طريقها ببطء وسط الماء ، وهى تتهادى كالعروس ، وتتأمل جانبى العالم الأخضر المحيط بها ، بتلك النظرة الوادعة التى اشتهرت بها فى عالم الأسماك .

لكن وداعة نظراتها كانت تخفى ، فى الحقيقة ، حذراً بالغاً ، وانتباها فائقاً ، لأى بادرة توحى بالخطر . وهو أمر طبيعى طالما أنها لا تملك من وسائل الدفاع المتنوعة لدى الأسماك شيئاً ذا بال .

فعدا خفتها وقدرتها على الزوغان والاختفاء فى أدق الشقوق ، بفضل جسدها المسطح الرفيع على شكل القرص ، وزعانفها القصيرة ، يتمثل سلاحها الدفاعى الوحيد فى ألوانها .

ذلك أن ألوانها الصارخة ، التى تمتد من الأصفر إلى البنفسجي ، والتى جلبت لأنواعها العديدة المنتشرة فى البحار

المدارية والاستوائية حول العالم اسم « سمكة الفراشة » ، تكاد تجعلها غير مرئية عندما تعوم بين الألوان الزاهية للمراجين والأسفنجيات ، وما يسعى خلالها من قشريات ورخويات .

بل إن الخلايا الحاملة للألوان على سطح جسدها ، تتميز بحساسية بالغة لدرجات الضوء الواقع عليها ، وبالتالى للألوان التى تعكسه . وفى نفس الوقت يستجيب الجهاز العصبى للسمكة ، عن طريق العينين ، بدرجة معينة لكل لون من هذه الألوان .

والنتيجة أن خلايا الألوان تتلقى اشارات بالانقباض أو التمدد ، فيختفى أحد الألوان أو ينتشر بحيث يطغى على البقية ، مما يؤدى إلى تغيير الألوان التى تغطى السمكة . فاذا انتقلت من أمام شعاب عليها اللون الأحمر ، إلى أخرى يسود فيها اللون الأصفر أو الأزرق ، تغيرت على الفور ألوانها لتضاهى اللون الجديد .

وعندما يتلاشى النهار ، تنقبض خلايا الألوان الساطعة ، وتكتسى السمكة بدرجات قاتمة منها ، تجعلها تلتحم بالظلمة السابغة .

لكن هذه الخاصية الرائعة لم تكن مصدر أمان كاف .

فالقدرة على تغيير الألوان ليست سراً مجهولا بين سكان الشعاب . وهى خاصية تستعين بها الأسماك المفترسة أيضاً ، مثل « البصيلى سمارة » المعروفة باسم سمكة الكردينال بسبب عباءتها القرمزية . فعندما يحل الليل يتحول لونها إلى رمادى فضى تتخلله أشرطة سوداء .

وبالاضافة إلى ذلك فان السمك يعتمد فى نشاطه على حواس عديدة أخرى غير حاسة الرؤية .

لهذا لا تجد « المشيط » الأمان الكامل الا داخل الشق الرفيع الذى تلجأ إليه فى نهاية النهار .

ولولا المهمة التى وضعتها نصب عينيها اليوم ، لكانت اندفعت نحوه بكل ما تملك من قدرة على الاسراع .

## المسكن المناسب

وعادة لا تغير الأسماك مواقعها طالما تملك مسكنا ملائماً . لكن « المشيط » لم

## سمكة الفراشة



سمكة « المشيط » تقدم خدماتها لسمكة من أسماك « أبو ذقن » المعروفة باسم سمكة العنزة

تكن راضية عن الشق الذى تقطنه .

وبداية فانها لم تختره لنفسها . وليس معنى هذا أن ثمة هيئة لتوزيع المساكن فى عالم الأسماك . لكن الذى حدث هو أنها عندما نما عودها ، وتغطى جسدها بالحراشيف ، أرادت أن تستقل بنفسها عن حياة الجماعة ، فلم تجد أمامها غيره .

ففى عالم لا يحكمه غير قانون التنازع على البقاء ، تأخذ كل سمكة ما تستطيع . ومن الطبيعى أنها تأخذ أفضل مكان . أما الضعيف أو الأصغر ، فلا ينال سوى أسوأ الأماكن .

وكان لمسكنها عيبان رئيسيان . فهو عرضة لتيارات قوية من الماء ، كما أنه لم يكن ضيقاً بما فيه الكفاية .

وصبرت المشيط على هذين العيبين ، الى أن وجدت نفسها مقبلة على وضع البيض ، فأدركت بغريزتها أن تيارات المياه القوية يمكن أن تجرفه معها ، وأن سعة الشق تعرضه للالتهام على يد الأسماك معقوفة الفكين ، ذات الخطوم البارزة كمناقير الطيور .

وأصبح من المحتم العثور على مسكن جديد .

لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل . فبالاضافة إلى الشروط العديدة التى يجب أن تتوافر به ، لابد وأن يكون غير مأهول ، والا نشبت معركة دموية مع أصحابه .

لهذا السبب لم يكن بوسعها أن تجرى البحث بالنهار ، عندما تكون أغلب الأسماك خارج مساكنها ، ويستحيل تحديد المهجور منها . والا كان ذلك ممكنا بالليل ، عندما تخرج الأسماك المفترسة للصيد .

الوقت الوحيد المناسب لذلك هو تلك الفترة الوجيزة عند الغروب ، التى تعود الأسماك خلالها إلى مساكنها ، فيمكن الاحتماء فى جماعاتها ، كما يسهل تبين المساكن الخالية من المأهولة .

## أمام الوحش الصغير

عامت المشيط على حافة فوج هائل من سمكة «الكشكوشة » ، غطى مساحة واسعة تربو على المائة متر ، وتمتد إلى عمق ثلاثة أمتار .

فهذه السمكة الصغيرة التى لا يزيد طول الفرد منها على ثلاثة سنتيمترات ، تتحرك دائماً فى أعداد ضخمة لتحمى نفسها من أعدائها الكثيرين ، الذين يحجمون عن مهاجمة التجمعات الكبيرة لما يصابون به حينذاك من ارتباك ناجم عن صعوبة التركيز على واحدة من الفرائس العديدة المتشابهة .

وواقع الأمر أن اثنين من هؤلاء الأعداء ، كانا يعومان على مقربة ، يتحينان الفرصة لالتقاط بعض السمكات الشاردة دون التورط فى مهاجمة الفوج نفسه .

أحدهما هو جماعة من سمك الخرمان الرفيع ، الذى يشبه العصا أو الترومبيت الموسيقى حتى أنه سمى باسمه . والثانى هو سمك العقام أو البراكودا الذى انتشرت أفراد قليلة منه وسط جماعة الخرمان ، وقد فغرت أفواهها

عنه حركة ما . وفى اللحظة التالية اختفت « الملاص » .

فقد استنشق الوحش الصغير قليلا من المياه ، امتص معها السمكة . وعندما استقرت فى فمه ابتلعها على الفور .

## الضيوف الثقلاء

حومت الأسماك المختلفة ، فرادى وأفواج ، حول مداخل الشعاب ، وتحت تكويناتها المختلفة ، المتعددة الأشكال ، التى تكونت من أجيال لا حصر لها من البوليبات المرجانية .

فعبر آلاف الأعوام ، عاشت الأجيال المتعاقبة من هذه البوليبات داخل كؤوسها الحجرية ، تتمدد أجسادها وتنكمش ، وتنقبض لوامسها المتفرعة وتنبسط ، ثم تتبرعم وتتفرع مثل النباتات والأشجار ، وتموت لتنمو البوليبات الجديدة فوق أنقاضها ، مكونة فى النهاية ذلك الحائط الملون العظيم الذى يمتد على شاطىء البحر الأحمر بعرض يتراوح بين عشرات الأمتار ومئاتها .

وطوال النهار كان الحائط العظيم جامداً يكاد يخلو من أى علامة على الحياة ، اذ انكمشت البوليبات الحية داخل كؤوسها ، أو اختفت داخل فروع مستعمراتها متجنبة كل ضوء . أما الآن فقد أطلت بأجسادها وانتشرت لوامسها من حولها تبحث عن الطعام .

شقت « المشيط » طريقها بين المستعمرات المرجانية فى حرص ، وهى تتطلع فى الشقوق والحفر بعين ، بينما العين الاخرى تتابع باهتمام ما يجرى حولها من تحركات ، لتلتقط أى بادرة من بوادر الخطر .

وبهذه العين راقب موكبا من سمك الجوبى الصغير ، الذى لا يزيد طول الفرد منه عن أصغر أصبع انسانى ، وهو يقترب من الممرات الحلزونية لكتلة ضخمة مستديرة من المرجان المعروف باسم مرجان المخ ، حيث يقضى الليل تحت بوليباته الرقيقة ، فى حماية شبكة من الخلايا اللاسعة تظله مثل ترسانة من القذائف الصاروخية .

لم تكن لتجرؤ على التماس بغيتها فى هذا الملجأ الامن ، الذى ينفرد به سمك الجوبى ، بحكم علاقة فريدة بينه ، وبين





تعتبر ظاهرة تغيير الألوان من أعجب ظواهر حياة الكائنات البحرية وأكثرها إرباكا للعلماء .. هاتان الصورتان مثلا لسمكتين مختلفتين فى حين انهما تمثلان سمكة واحدة !

كاشفة عن أنيابها المرعبة .

وربما كان مشهد هذه الأنياب هو الذى دفع المشيط الى أن تبتعد عن فوج « الكشكوشة » وتنضم الى سمكة « ملاص » وحيدة بعد أن تجنبت فوجاً من سمك « سحل » ذى اللون الأزرق والخطوط الطولية الصفراء ، الذى يعرف بسمك الجراح أو الدكتور بسبب شوكتين حادتين على الذنب ، تشبهان مشرط الجراح ، وتصيبان من يتعرض لهما بجراح بالغة .

مضت « المشيط » بعض الوقت خلف سمكة «الملاص» ، وقد اجتذبتها ألوانها الزاهية التى يغلب عليها اللون القرمزى يتخلله اللون الأزرق على هيئة صفوف من نقاط بطول الجسد ، وخيوط كالأشعة تحيط بالعينين ، بينما ينفرد اللون الأصفر الخالص بالذيل .

وعندما كفت « الملاص » عن الهبوط ، واتجهت إلى أقرب مستوى من الشعاب ، لتدفن جزءاً من جسمها فى الرمال الطرية التى تغضىء ، ترددت « المشيط » لحظة وقد خطر لها أن تتبعها لتلتمس مطلبها عند هذا المستوى ، ثم عدلت عن ذلك حالما لمحت بركن عينها أحد أفراد « أبو عدس » يقترب بسرعة ، وخياشيمه تنبض فى قوة ، بينما تحدق عيناه الصغيرتان فى حذر .

و « أبو عدس » واحد من أسماك الكشر ذات الرؤوس المخيفة ، يستمد اسمه من لون ظهره الداكن الذى تنتشر فوقه نقاط بنية فاتحة تشبه حبات العدس .

استدارت «المشيط» مبتعدة بهزة صغيرة من ذيلها ، بينما فتح « أبو عدس » فمه قليلا دون أن تصدر

# سمكة الفراشة

نكر وأنثى من سمكة « المشيط » المعروفة باسم سمكة الفراشة بين المرجان



سمكة أخرى من أغرب أسماك البحر الأحمر التى تسمى « الخرمان » ويطلق عليها احيانا اسم « الصفارة » بسبب شكلها !

البوليبات المخية ، تشبه تلك التى ترسمها معاهدات الصداقة وعدم الأعداء بين البشر . فاذا اقترب منها أحد غيره ، أطلقت عليه خيوطاً حلزونيـــة تكبله ، وسهاماً مسممة تخدره وتقتله .

واذ انزلقت « المشيط » فى الماء متجاوزة المرجان المتكور وسكانه المحظوظين ، أوشكت أن تصطدم بسمكة « ابو عربية » ، التى يتغطى جسدها بأشواك دقيقة تكسبه ملمساً خشناً كالمبرد ، رغم أنه يبدو ناعماً كالمخمل ، وتحدث فى الجسد الذى تحتك به اصابات دموية .

تمكنت من أن تثنى جســـــدها فى اللحظة المناسبة ، لكن الحركة التى قامت بها قربتها من كتلة مرجانية متحجرة ، استقرت فوقها عدة أفراد من الحيوان البحرى ذى الصدفتين ، المعروف باسم بلح حر .

ويشاء سوء حظ شيط » ، ان بيض لحدى الصدفات اختار هذه اللحظة بالذات ليطلق يرقاته . فمن عادة هذه اليرقات أن تتعلق بالأجسام الحية المتحركة ، لتتغذى على دمائها وافرازاتها الرغوية .

تمكنت بعض اليرقات من القفز إلى جسد « المشيط » ، لكن السمكة لم تشعر بالأمر الا عندما غرزت اليرقات الدقيقة الأسماك الأشد دقة فى لحمها ، معتمدة على خيوط رفيعة تتدلى من هذه الأسنان وتغوص بسهولة فى الأجسام اللينة .

تلوت « المشيط » عدة مرات فى محاولة فاشلة للتخلص من ضيوفها الثقلاء . ثم شعرت بعد قليل بجلدها يأكلها فى مواقع متفرقة . وحاولت تجاهل الأمر ، منصرفة إلى البحث عن المسكن الموعود ، لكن الأكلان جعل يتزايد حتى أصبح لا يحتمل .

إقتربت من صخرة بارزة ، وحكت أحد جانبيها بسطحها الخشن . ثم استدارت وحكت الجانب الآخر . وعندما استأنفت طريقها فوجئت بجلدها يأكلها بشدة فى أماكن جديدة . فقد شقت اليرقات العمياء طريقها بعناية إلى الزعانف ، وانكمشت بين ثناياها بعد ان غرزت أسنانها ، وشرعت تمتص دماء السمكة .

## الأسماك المنظفة !

احتلت أسماك الشعاب أماكنهـــا الثابتة بجوار منتجاتها الليلية . وأوحت تجمعاتها الهادئة بأنها فى أمان نسبى ، بينما كانت مهددة ـ فى الواقع ـ بخطر عظيم .

ففى تلك اللحظـــات الوجيزة التى تفصل بين النهار والليل ، تـكون أغلب الأسماك قد تخلت عن وسـائل دفاعها النهارية ، ولم تتكيف بعـــد مع حلول الظلام .

ذلك أن عملية تغيير اللون التى سبق ذكرها ، تتم بصورة تدريجية مع غيـاب الضوء . فسمكة « أبو طنقور » ، مثلا التى ينتشر اللون البرتقالى نهـاراً فـوق خطمها البارز كالمنقار ، ويلون قزحتى عينيها اللتين تشع منهما خطوط زرقاء ، ويصبغ جسدها كله المزركش بنقاط زرقاء تظهر عليها عند الغروب بقع قاتمة تزداد مساحتها كلما خفت الضوء ، الى أن تغطى جسدها كله تقريباً .

وبهذا تظل السـمكة عاجـزة عن مواجهة المفترسين الماهرين ، من قروش وفرنكات إلى كشر وجنخ ، الذين يسعون بين المراجين والطحالب والأسفنجيات ، ويعتمدون فى ملء بطونهم على هذه الفترة الحرجة التى لا تتجاوز ربع الساعة بمواقيت البشر ، والتى يبدأ بعدها صيد مختلف هو صيد الليل الوحشى .



لكن صيد الغروب ليس قاصراً على المفترسين الكبار وحدهم . فعلى مشارف المنتجع الليلى ، وعلى «نواصى» تتوافر فيها درجة من الأمان ، سواء من حيث ضيق أماكنها أو بعدها عن طريق المفترسين الكبار المألوف ، تجرى عملية صيد من نوع مختلف ، تقوم بها عدة أسماك من أكلات الكائنات الدقيقة ، أغلبها من عائلات « التربان » ، التى تضم أسماك « أبو ذقن » أو العنزة ، ومن عائلات « المشيط » ذاتها .

هذه الأسماك شاءت أن تتجنب مخاطر الحصول على اللقمة فى المياه الخارجية ، فراضت نفسها على الاكتفاء بما يعلق بأجساد الأسماك الأخرى – فى نهاية نهار حافل بالأحداث – من طحالب وبراغيث وديدان وغير ذلك من الكائنات الدقيقة .

وتسبب العوالق المختلفة ضيقاً شديداً للاسماك ، اذ يتعذر عليها ، فى غالب الأحيان ، أن تتخلص منها بنفسها ولا تستطيع النوم أو الراحة قبل أن تفعل ، لذلك تلتمس العون لدى « المنظفات » .

وفى ظاهرة من أعجب الظواهر فى عالم البحار ، تتجمع الأسماك المنظفة بأماكن محددة ، حيث تقف معتمدة على ذيولها فى صفوف متباعدة – كما يفعل الحلاقون فى أسواق القرى البشرية – فتتقدم منها الزبائن معلنة – مطلبها بايماءات وأوضاع معينة . عندئذ تهرع إليها المنظفات لتلتقط من فوق أجسادها ، أو من أفواهها وخياشيمها ، الكائنات الدقيقة التى تضايقها ، وتبتلعها فى استمتاع .

والى أحد هذه المواقع ، اتجهت « المشيط » ، بعد أن حكت جسدها بكل ما قابلها من صخور وطحالب واسفنج ، دون أن تنجح فى التخلص من اليرقات التى دفنت نفسها فى أماكن لا يمكن أن تبلغها سوى الأفواه المدربة للمنظفات .

## فى انتظار الزبائن

كان الموقع الذى قصدته « المشيط » ، عبارة عن ممر ضيق بين صخرتين ضخمتين ، برزت احداهما فى الماء برأس متكورة ، غطتها المراجين الميتة ، بينما اختفت الثانية تحت غابة صغيرة من مراوح البحر الوردية ، التى التصقت بها نجوم ريشية فى لون النحاس وطحالب متحجرة ، واسفنجيات بنفسجية وخضراء وصفراء ، ودودة ريشية ، ومراجين زرقاء .

وداخل الممر ، بالقرب من أحد طرفيه ، وقفت ثلاث من السمكات المنظفة فوق ذيولها ، تنتظر زبائنها فى صبر . وانتشرت أفراد من سمك« الناخر » ، بين المراجين والطحالب ، تبحث عن الرخويات والقشريات المدفونة فى الرمال وقد أوشكت شرائطها الصفراء اللامعة أن تختفى أسفل بقع داكنة .

ولم تكن « الناخر » فى حاجة ماسة الى هذا الغطاء التنكرى ، بحكم الامان النسبى المتوفر فى أماكن التنظيف ، رغم أنها كانت فى متناول الفك المفترس لأحد وحوش البحار ، هو الثعبان الكبير ، الذى اتخذ لنفسه جحراً بين المراجين المتحجرة .

وحقيقة الأمر أن الوحش البحرى ، الذى يتجاوز طوله مترين ، هو من أكثر سكان الشعاب المرجانية خجلا وانطواء بالاضافة إلى ضعف ابصاره ، الأمر الذى أتاح للرومان الأقدمين أن يستأنسونه كما تستأنس الكلاب .

وهو يقضى أغلب الوقت داخل جحره وعندما يهبط الظلام ، ويشتد به الجوع ، يغالب تردده ويبرز رأسه من العرين .

# سمكة الفراشة

فاذا ما لاحت له احدى الفرائس ، سرت فى جسده موجة من التموجات السريعة تمكنه من مهاجمتها دون ان يضطر الى اخراج جسده كله من العرين ، وخاصة نيله الذى يستعين به كرافعة فى جذب الفرائس الكبيرة بعد أن يطعنها باسنانه الحادة .

وربما كان المصدر الوحيد للخطر فى هذا الجو الآمن ، يتمثل فى واحـــدة من أعجب أسماك البحار ، هى سمكة الرعاد نفنت جسدها المسطح فى القاعدة الرملية للصخرة المقابلة ، التى تظللها المراوح البحرية .

وتنفرد الرعاد ، التى يبلغ طولها متراً بوسيلة دفاع فذة وفعالة للغاية ، عبارة عن جهاز كهربى تبلغ شحنته عشرين فولت . أما توليد الشحنة الكهربية فتقوم به ، عند أى تماس ، زائدتان على شكل كليتين فوق سطح رأسها . ورغم ان الطاقة المولدة لا تؤدى الى قتل الانسان ، فانها تكفى لقتل الأسمال الصغيرة والقواقع والصدفيات التى تتغذى عليها السمكة الكهربائية .

لكن الرعاد كانت راقدة فى خمـــول ، تنتظر فى صبر أن تزداد حلكة الظلام قبل ان تنطلق للصيد ، الأمر الذى شجع سرطاناً صغيراً على الخروج من أعماق جحر قريب ، يقطنه مع أنثاه ، وسرعان ما انهمك فى تمهيد الطريق أمام جحره ، مزيحا الرمال بكلابتيه ، مطمئناً إلى الحماية التى تقدمها له سمكة صغيرة من جوبى « القوبيون » تشاركه الحياة فى البحر .

وليس معنى ذلك أن السمكة الصغيرة ، ذات الزعانف الشائكة ، تستطيع الدفاع عنه . كل ما هنالك أنها تحتل مكاناً ثابتاً فى الماء قرب الحجر ، فاذا ما شعرت بأقل خطر اندفعت داخله وتكون فى ذلك اشارة كافية للسرطان ، ضعيف الأبصار ، المنهمك فى العمل ، كى يختفى عن الانظار .

ووافت سرطاناً مجاوراً فكرة جريئة ، فجمع بكلابتيه حفنة من الطحالب نثرها فوق ظهره بحيث أخفته ، وتسلل فى حذر إلى المياه الخارجية بحثاً عما يؤكل .

أما سمكة « البلينى » المفترســـــة ، ضئيلة الحجم ، فكانت أكثر دهاء ومكراً .

فقد تظاهرت بأنها من أسماك التنظيف مستغلة مشابهتها فى الحجم واللون لاحداها ، فاتخذت وضعاً رأسياً بالقرب منها ، مستندة الى ذيلها مثل الأخريات ، مقلدة بقية حركاتها ، حتى تنتهز اللحظات التى تستسلم فيها الزبائن لعملية التنظيف فى اشباع شهيتها للافتراس .

وليس من الصعب تصور مجموعـــة العوامل التى أوصلت « البلينى » الى هذا السلوك الشائن ، سواء ما يتصل منها بالتجارب الأولى فى الحيـــاة ، وما يرتبط بتكوينها الجسدى . ولاشك أن الاساس فى هذا الشأن يعـــود الى ما تتميز به من أسنان ماضية ، وطبيعة مفترسة ، وجسم نحيف رخص ، يخلو من الزعانف الشائكة والعضلات القـــوية ، اللازمة للدفاع والهجوم ، مما حرمها من القدرة على القتال ، وأتاح لها فى الوقت نفسه مرونة بالغة ، مكنتها من تقليد الأسماك الأخرى .

على ان الألوان التى تحملها ، كانت هى العامل الحاسم فى الأمر . فهى من ناحية ألوان ثابتة لا تقبل التغير بحيث لا يمكن الاعتماد عليها فى التنكر من أجل اشباع الطبيعة المفترسة للسمكة . وهى من ناحية أخرى ، تماثل ـ بالصدفة البحتة ـ الألوان الزرقاء ذات الأشرطة الداكنة لاحدى المنظفات المعروفات ، وهى سمكة من نوع الراص .

## الفخ المميت

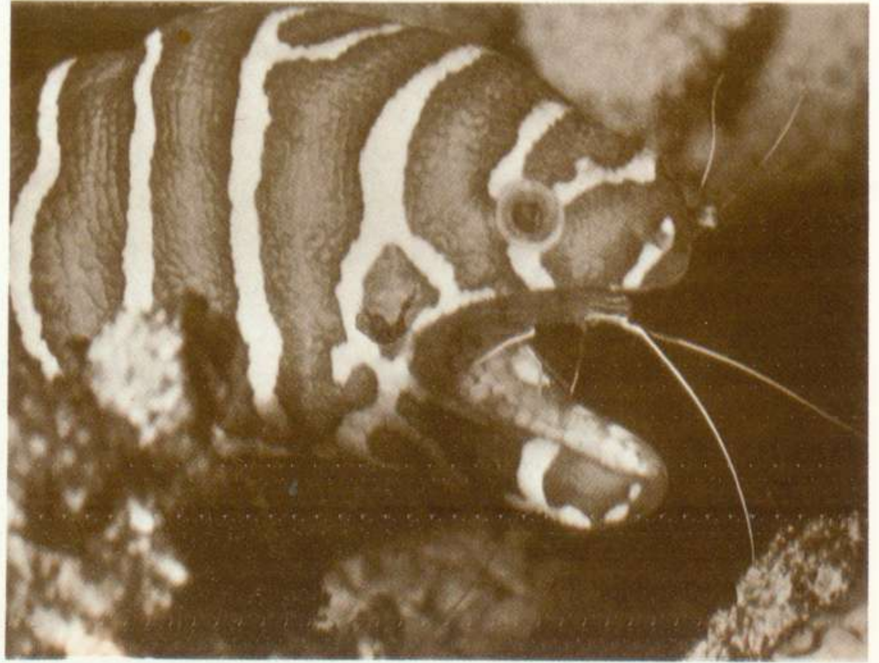
كان أول من تقدم من السمكة المتنكرة سعياً وراء خدماتها ، كشر أحمر ضخم ، تخلى عن ميوله العدوانية ، وقرب جانبه الذى امتلأ بالطفيليات والعوالق ، الى فمها .

لكن « البلينى » الداهية تجاهلتـــه وابتدت عنه فى حذر . فلم تكن من السذاجة بحيث تضيع وقتها فى تنظيف جسد ضخم ، يصعب أيضاً افتراسه بسبب ما يتمتع به من قوة .

واذ أدرك الكشر انها لاتنوى تنظيفه ، هز ذيله ، واستأنف طريقه متقدما من المنظفات الأخريات ، وان كان خلاصه الحقيقى لن يتحقق الا على يد نوع من الروبيان ( شبيه الجمبرى ) يمتهن التنظيف . فهو الوحيد الذى يتمكن من ارتقاء جسده والتجول فوقه بحرية ، بحيث تصل كلاباته الى أكثر الأماكن



هذا السرطان وضع على ظهره بعض الطحالب فبدا جزءاً من المستعمرة المرجانية التى استقر فوقها .



لاتخشى حيوانات التنظيف شيئاً من زبائنها .. وفى هذه الصورة الفريدة تسلل « الجمبرى » المنظف الى حلق ثعبان بحرى وعكف على التقاط الفضلات الغائرة بين أسنانه !

انزواء بين قشور الكشر الغزيرة وزعانفه الكبيرة .

أحدث مرور الكشر ذبذبات خفيفة فى الماء ، التقطتها حواس الثعبان ، فثارت شهيته ، وساعده هذا على أن يتغلب على خجله وتردده ، فيبرز رأسه من جحره فى حذر ، ليتبين ما يجرى فى الخارج .

ولمحته « البلينى » على الفور فقررت ألا تغفل عن مراقبته .

ولم تلبث « المشيط » أن أقبلت تتهادى فى رقة وخيلاء كعادتها ، دون أن يخطر ببالها أنها تخطو إلى فخ مميت .

ابتلعت « البلينى » الماء فى انفعال وهى تتأمل « المشيط » بعين غادرة . فالسمكة الرقيقة ، ذات الألوان الساطعة من الفرائس الجذابة ، اذ يخلو جسدها من الأشواك ، ولا تملك من وسائل الدفاع غير خفة الحركة ، وسرعة الزوغان .

فاذا استلمت لعملية التنظيف عجزت عن الالتجاء الى هذه الوسائل فى الوقت المناسب .

وكانت حركة « المشيط » توحى بانها تعانى من الحشرات وتبغى المساعدة .

وليس على « البلينى » سوى ان تتقدم منها قليلا ، وتتظاهر بأنها ستتولى تنظيف خياشيمها ، ثم تقضم لنفسها قطعة كبيرة من لحمها ، وينتهى كل شىء فى لمح البصر .

تملك الأسماك ، رغم محدودية ادراكها مقدرة خاصة فى أمخاخها الضئيلة ، أشبه بالساعة الزمنية ، تقوم بتسجيل معالم الأماكن والأوقات والظواهر المرتبطة بها .

وتعمل هذه « الساعة » بصورة آلية اذا ما طرأ تغيير ما على الأماكن المعهودة أو على سلوك سكانها ، كأن يظهر أحدهم فجأة فى مكان وموعد غير مألوف .

وبفضلها أدركت « المشيط » لأول وهلة أن شيئاً غير طبيعى قد طرأ على موقع التنظيف ، ثم تبينت السر فى الأمر عندما وقعت عينها على « البلينى » . فلم يكن هذا الموقع من الأماكن المطروقة من جانب المنظفة التى تنكرت « البلينى » على صورتها . وكان فى هيئتها وحركاتها ــ بالاضافة إلى ذلك ــ ما يوحى بغربتها عن المكان ، وربما أيضاً عن المهنة .

وليس ثمة قانون فى البحر يمنع أى سمكة من الوقوف فى أى مكان تحب ، طالما لم يعترض قاطنوه الأصليون ، كما ان مهنة التنظيف مفتوحة لمن يشاء ان يمارسها من الأسماك المختلفة . لهذا واصلت « المشيط » الاقتراب من السمكة الرفيعة دون تردد . لكن مخها بدأ يرسل اشارات التنبيه لبقية فروع الجهاز العصبى .

أصبحت أخيراً بجوار السمكة الأخرى ، وهنا التقت عيناهما .

كان ثمة نظرة قاسية باردة تطل من العين الصغيرة للسمكة الغريبة ، التى كانت تبلع المياه بجرعات كبيرة ، فى تنفس متلاحق يشي بانفعالها الشديد .

وتقدمت « البلينى » من اعنق « المشيط » وهى تفتح فمها على سعته .

وسجل مخ « المشيط » الانفعال غير المألوف الذى تبديه المنظفة المدعية ، والذى لا يتنافى مع البرود التقليدى لأبناء المهنة .

وأدركت فجأة أنها فى خطر .

وقبل أن ينطبق فم « البلينى » على رقبتها ، كانت قد استدارت حول نفسها فى سرعة البرق ، بمساعدة زعانفها القصيرة ، وأصبحت بعيدة عن متناول الفم المفترس .

وفى هذه اللحظة الحاسمة ، وقعت أمور كثيرة .

عامت « الرعاد » صاعدة بعد أن تغلبت على خمولها وخلصت جسدها من الرمال .

وولت أسماك « الناخر » الفرار .

وتوجست جوبى القوبيون شراً ، فأسرعت تلج جحر السرطان . وشعر بها الأخير بينما كان يتقدم من الممر الذى مهده ، حاملا صدفة صغيرة فى كلابته كى يزين بها مدخله . فتخلى عن حمله واندفع خلف القوبيون .

واجتذبت هذه التحركات المفاجئة اهتمام الثعبان ، فكبح جماح خوفه ، وأطل من عرينه برأسه ، وجزء من عنقه .



وفى الجزء من الثانية الذى التوت فيه « المشيط » مبتعدة عن فم « البلينى » وجدت الأخيرة نفسها فوق رأس «الرعاد» مباشرة .

ولم يلبث ذيلها أن اصطدم بالقضيبين الكهربيين اللذين يعلوانه .

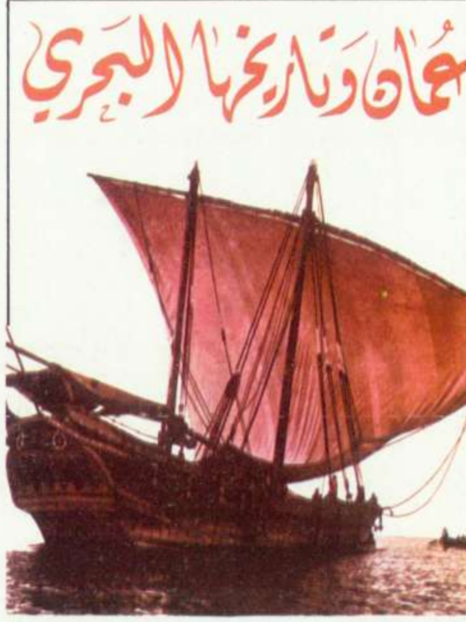
وفى اللحظة التالية ، كانت «البلينى» تطير فى الماء بتأثير الصدمة الكهربية ، ليتلقفها فم الثعبان الملهوف .

أما « المشيط » فقد أسرعت بالابتعاد ، وخياشيمها تخفق فى انفعال ، وقد كفت مؤقتاً عن التفكير فى الضيق الناشىء عن كل من اليرقات العالقة بزعانفها ، والمساوىء المتعددة لمسكنها .

صنع الله ابراهيم

# كتاب الشهر

عـــرض وتـلخيص :
كـمـال ســـــعـد

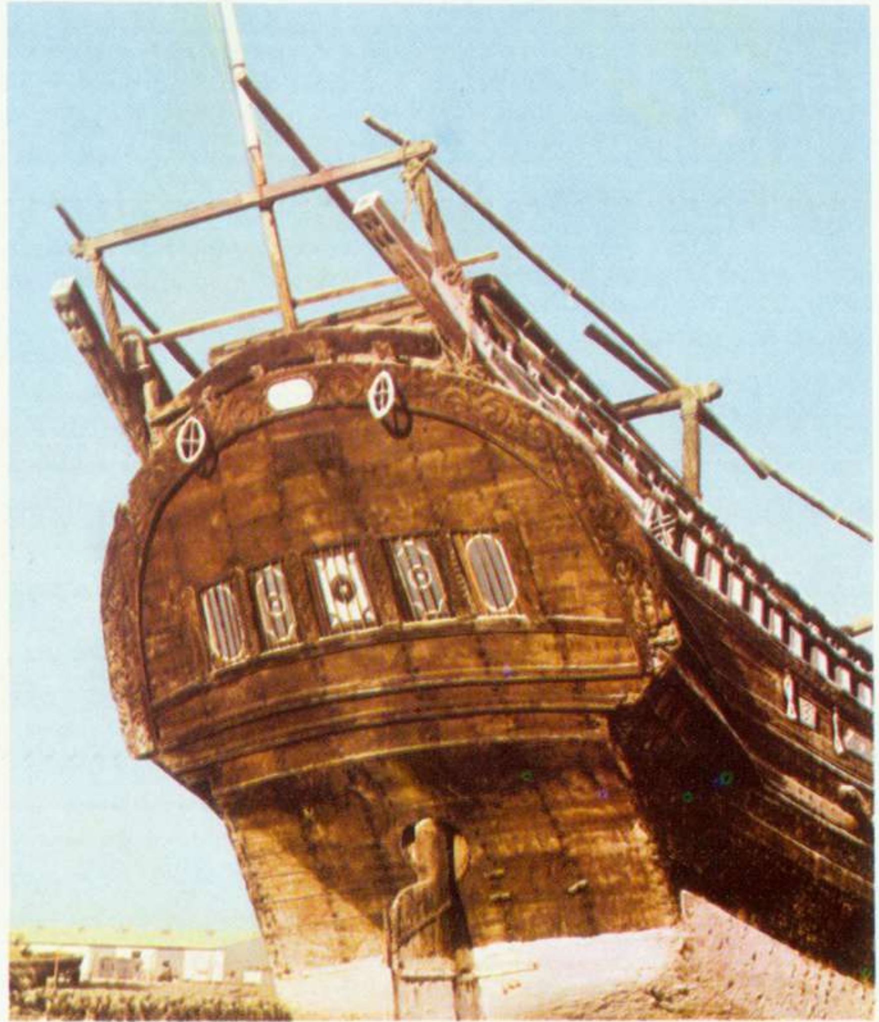



# العُمانيّون والبحر.. فى ملحمة اقتحام المجهول

الكتاب يتحدث عن دور عمان البحرى منذ بزوغ فجر الحضارة الانسانية فى العالم القديم ، عندما كان العمانيون يرتادون البحار والمحيطات كتجار ومغامرين ورحالة بصورة فيها الكثير من الاقدام والجرأة والشجاعة ..

ويروى الكتاب قصة الروح الوثابة لبحارة الماضى البعيد والمهارات التى أظهروها فى بناء السفن ، وجعلتهم يمدون أيديهم لشعوب العالم بكل ما اكتسبوه من علم وحضارة وتقدم ..

ويؤكد الكتاب الحقيقة القائلة بأن الخليج كان مهداً للملاحة البحرية ، حيث رأى أولى محاولات الانسان لارتياد البحر ، وكيف كانت عمان ملتقى طرق بحرية هامة تربط الخليج بالهند والبحر الأحمر وافريقيا الشرقية ..



مركب عمانى تم بناؤه منذ حوالى خمسين عاماً .. حمولته مائة طن وطاقمه من ١٩ بحاراً .. وهذه اللقطه النادرة أثناء رسوه ، فى ميناء « ممباسا » بشرق افريقيا




هذه اللوحة الهامة تعطينا فكرة عن طبيعة مراكب الخليج والمحيط الهندى قبل وصول البرتغاليين للمنطقة .. اللوحة من مخطوطة مقامات الحريرى ليحيى بن محمود الواسطى الذى كتبها وضمنها الصور فى القرن الثالث عشر الميلادى .

# العُمانيّون والبحر..

## البحارة العمانيون

إن جذور التجارة البحرية فى الخليج متأصلة منذ قديم الزمن .. فقد دلت اللوحات السومرية والأكادية فى بلاد ما بين النهرين .. منذ أربع آلاف سنة .. على وجود تجارة نشطة مع مناطق تسمى دلمون ومجان وملخة .. ودلمون هي البحرين اليوم ، وكانت مراكبها تنقل الأخشاب لملك « لاجاش » فى سومر عام ٢٥٢٠ قبل الميلاد .. ومجان كانت فى شمال عمان ، وتميزت بحضارة عظيمة ولطالما عبرت سفنها من منفذ بحرى فى مناطق أم النار فى دولة الامارات العربية المتحدة .. وملخة هى بلاد الحضارة فى وادى السند ..

وفى ذلك الزمن القديم كان البحارة العمانيون يقومون بدور حيوى لاستكشاف الطريق البحرى القديم وابقائه مفتوحاً أمام الملاحة .. وهناك نص من مدينة « لاجاش » السومرية عمره أكثر من أربع آلاف سنة يؤكد أن أهل مجان – أى عمان – كانوا يبنون السفن التجارية !

وفى مقدمة السلع التى كانت تنقلها المراكب فى ذلك الوقت ، النحاس ، الذى كانت تنتجه مجان بالطريقة القديمة لصهر النحاس فى بوتقة فخارية .. وهذا غير المعادن الأخرى التى كانت تحملها المراكب ، إضافة إلى الديوريت والعقيق والبصل والتوابل والأخشاب التى من أهمها خشب الساج الذى كان يستورد من الهند ويستخدم فى بناء السفن ..

وكان التعامل مع هذه السلع يتم بالمقايضة بسلع ومحاصيل من مناطق الأنهار الخصبة كالمنسوجات القطنية والحبوب والأصباغ والجلود والمواشى والزيوت والمواد الدهنية .

وكان تجار الخليج يستخدمون الأختام لتحديد ملكية السلعة وكان أول من ابتدع طريقة لتدوين المعاملات التجارية بالكتابة هم سكان العراق القدماء !

إلا أن هذا المجد البحرى الذى رآته عمان ، سرعان ما تدهور فى الفترة الألفية الثانية قبل الميلاد ، بسبب ما حدث من اضطرابات فى سائر انحاء آسيا الغربية فقد انعزلت عمان فى تلك الفترة انعزالا تاماً ، وأصيبت منطقة وادى السند بكوارث ، وجاء عصر مظلم عندما اجتاحها الآريون ونشروا دمارهم حتى وصل إلى الهند ، وظلت هذه العزلة قائمة ولم ينقشع هذا الظلام إلا عقب انفتاح الصلات البحرية الدولية فى الفترة الألفية الأولى قبل الميلاد ، وما تبع ذلك من نشاط اقتصادى بين سكان جنوب الجزيرة واليونان والرومان ..

## الشهرة البحرية

وفى الفترة التى سبقت فتوحات الاسكندر الأكبر كان النشاط البحرى فى عمان قد دخل إلى دائرة الظل ، وأصبحنا لا نعرف عنه غير النزر اليسير من المعلومات .. إلا أن هذه الفتوحات رغم قصرها ( ٣٣٤ – ٣٢٣ قبل الميلاد ) أحدثت تغيرات عميقة فى المنطقة ، وأصبحنا نرى الدول الكبرى ساعية لاستجلاب بحارة وبناة سفن فينيقيين لرحلات البحر الأحمر والخليج ..

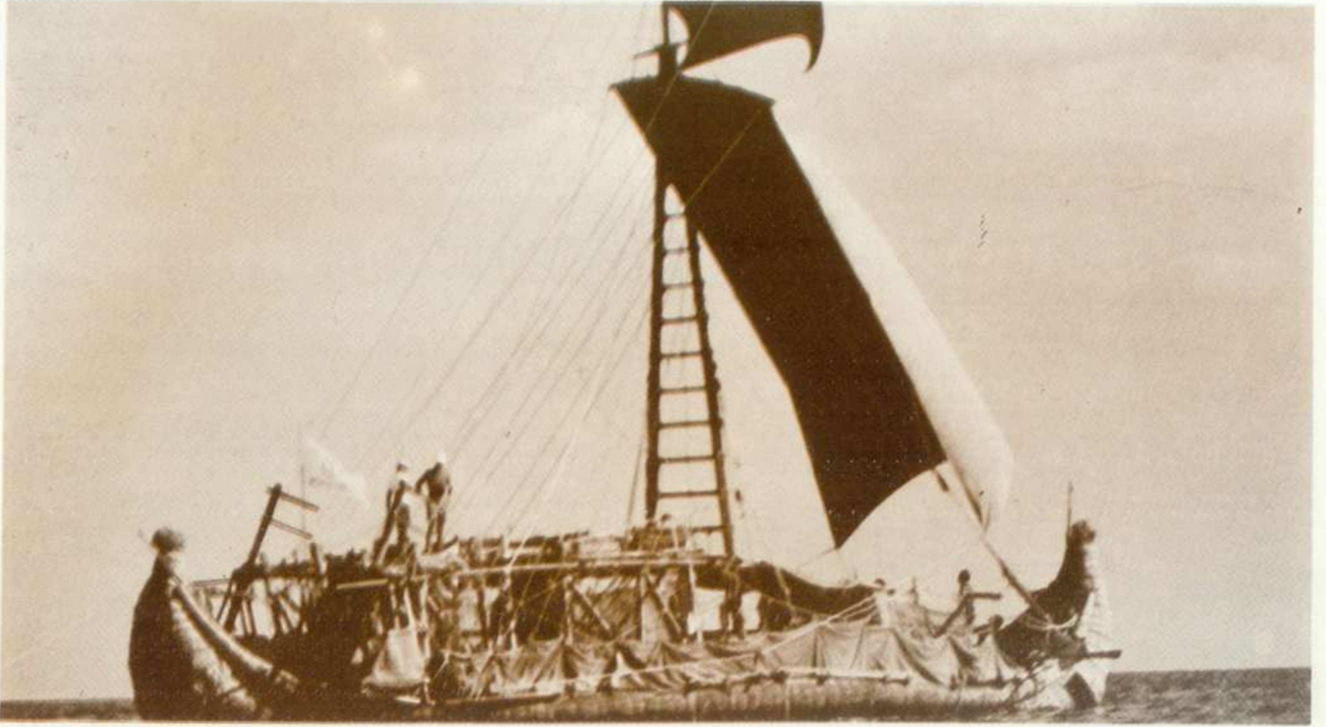
غير أن الاعتماد على البحارة الفينيقيين لم يؤثر على دور البحارة العمانيين الذين ظلت مكانتهم تتعاظم فى التجارة البحرية فى المحيط الهندى ، ناشرين الرخاء فى منطقة جنوب جزيرة العرب وخاصة سبأ ومعين ..

وعندما جاء خلفاء الاسكندر وجدوا خبرة ملاحى جزيرة العرب فى علوم البحار متقدمة ومتطورة .. فقد اتضح لهم مثلا أن الطرق البحرية حول جزيرة العرب كانت معروفة ومستخدمة قبل فتوحات الاسكندر ..

وقد اتضح من نقوش الحفريات التى اكتشفت فى « خور رورى » فى جنوب عمان أن هذه المنطقة كانت تتمتع بنفوذ فى الجنوب العربي ، وكانت مركزاً لصناعة اللبان أو المسك كما كان يسميه اليونانيون ، وأن مؤسس هذه المدينة أحد ملوك مملكة حضرموت فى جنوب شبه الجزيرة العربية الذى أراد أن يمد نفوذه إلى منطقة اللبان فى عمان الجنوبية ، فتم له ذلك ، وأقيم فيها ميناء لتصديره اسمه « سمهر » أصبح بمرور الوقت من أهم الموانى التجارية ، تجتازه السفن المسافرة إلى الهند ، لتعود شهرة عمان البحرية من جديد بعد عام مائة قبل الميلاد ، ولتدخل عمان فى عصر جديد من النشاط البحرى والتجارى ، ظل قائماً حتى عام ٢٠٠ ميلادية عندما بدأ التدهور التجارى فى البحر الأبيض المتوسط بسبب التضخم وانخفاض ميزان المدفوعات وتناقص عدد السكان ،



حصاد اللبان فى الجزيرة العربية كما سجله الرسامون الأوربيون فى القرن السادس عشر الميلادى ..وكانت مراكب عمان تنقل هذا الحصاد إلى بلاد عديدة .



قارب عالم الأجناس الشهير النرويجى « ثور هايردال » بالقرب من ساحل عمان أثناء رحلته من العراق إلى البحر الأحمر .. القارب من البوص .. وابحر به ليؤكد قدرة مراكب البوص على قطع مسافات طويلة أثناء رحلاتها فى سنوات ما قبل الميلاد

وأدى ذلك إلى انكماش التجارة وانحسارها فى المحيط الهندى بعد أن أغلقت أسواق الرومان فى وجهها الأبواب ! .

وعندما جاءت دولة الساسانيين فى فارس عام ٢٢٥ ميلادية ، بدأت تشجع النقل البحرى فى الخليج ، وألقت الأضواء مرة أخرى على شمال عمان ، خاصة بعد المحاولات التى كانت تبذل لتحويل تجارة المحيط الهندى من البحر الأحمر إلى الخليج واتخاذ مدينة صحار مركزاً للنشاط البحرى العمانى ، وقد استعان أردشير الأول مؤسس الدولة الساسانية ببعض العمانيين للعمل كبحارة ..

وتدخل المنطقة عقب ذلك فى صراع بين الساسانيين من جهة ودولة أكسوم القوية فى الحبشة والمسيطرة على جانبى البحر الأحمر من جهة أخرى ، كان من أثره غزو أكسوم لليمن وتدخل الساسانيين فى جزيرة العرب ..

إلا أن هذا الصراع سرعان ما انحسر مع ظهور الدعوة الاسلامية عام ٦٦٢ ميلادية وما تلاها من فتوحات عربية أدت إلى إدراك دولة الخلافة لأهمية الخليج كمركز تجارى وملاحى ..

## رحلات الصين

وفى ظل الدولة الاسلامية لم يعد التنافس على المصالح التجارية قائماً بين الخليج والبحر الأحمر ، وتم التنسيق بينهما من خلال التعاون القائم بين مختلف أجزاء الدولة الاسلامية ، وطوال حكم الخلفاء العباسيين فى بغداد أصبح للخليج علاقة مباشرة بقلب الدولة الاسلامية ، وعادت عمان — وخاصة صحار — مرة أخرى إلى الأضواء

ومن الوقائع التى ترويها كتب التاريخ العمانية نكتشف خبرة العمانيين بالبحر وعلمهم الواسع فى كافة مجالاته .. من أهم هذه الكتب « كشف الغمة » الذى يروى كيف أن هارون الرشيد فى أواخر أيامه أمر بحملة إلى عمان ، ولكنها هزمت هزيمة نكراء ، وعندما أراد قائدها أن ينجو بسفنه طاردته السفن العمانية وأسرته وأودعته فى سجن صحار .. وفى نفس الكتاب يتضح أنه بعد تلك الحملة بسنوات جاءت مجموعات من القراصنة من ساحل الهند الغربى على متن سفن كبيرة كانت تسمى «بوارج » وبدأوا يعبثون فساداً فى السواحل العمانية وينهبون تجارتها ، فأعد لهم الامام غسان ابن عبد الله مراكب للرد على غاراتهم وابعاد خطرهم عن المنطقة !

وهناك وثائق صينية نادرة تؤكد أن العرب حلوا محل الفرس فى مزاولة التجارة البحرية مع الصين وذلك فى أوائل القرن الثانى للهجرة ، وكان أول عربى يقوم برحلة إليها هو التاجر العمانى أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذى ملأ مركبه فى عام ٧٥٠ ميلادية بالصبار والأخشاب من سواحل الصين !

وكان العرب يشترون — أيضاً — من الصين الحرير والكافور والمسك والتوابل ومصنوعات الخزف الصينى قبل عودتهم مع بداية الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التى تهب على البلاد ما بين أكتوبر وديسمبر من كل عام ..

ولكن هذه العلاقة التجارية الوطيدة بين الخليج والصين تعرضت فى القرن التاسع الميلادى لنهاية مؤسفة ، حينما هجم المتمردون الصينيون على مدينة «كانتون» باعتبارها عصب التجارة الصينية ، ونهبوا كل شىء ، واعتدوا على الجاليات الأجنبية ، وعندئذ توقفت الرحلات المباشرة ، وإن كانت التجارة بين الصين والخليج استمرت ولكن من خلال مناطق أخرى !

وكانت الهند — بالطبع — أقرب الى التجار العرب من الصين ، فنشطت



لقطة من مدينة صور العمانية التى تبذل الجهود الآن لتشجيع السفن التجارية على ارتيادها

أحمد بن نعمان الكعبى .. رسمه أشهر فنان فى نيويورك إدوارد موني (١٨٤٠) وعلى الحائط خلفه صورة سفينته الشهيرة : سلطانة !



## العُمَانيّون والبحر..

الرحلات اليها ، حيث كانت تزود عمان بالانتاج الضرورى كالمواد الغذائية ، ومنها أخذ العمانيون زراعة الليمون الذى أصبح من أهم محاصيل البلاد ، كما أخذوا صناعة الأدوات الخشبية والمعدنية الدقيقة الصنع بكل ما فيها من مؤثرات حرفية وفنية !

وقد ذكر «المسعودى» كيف أن أصحاب المراكب التى كانت تبحر الى افريقيا الشرقية فى القرن العاشر الميلادى كانوا من العرب العمانيين ، وكان أقصى ميناء يصلون اليه هو ميناء «سفالة» فى موزمبيق الذى كان مقراً لتجارة الذهب !

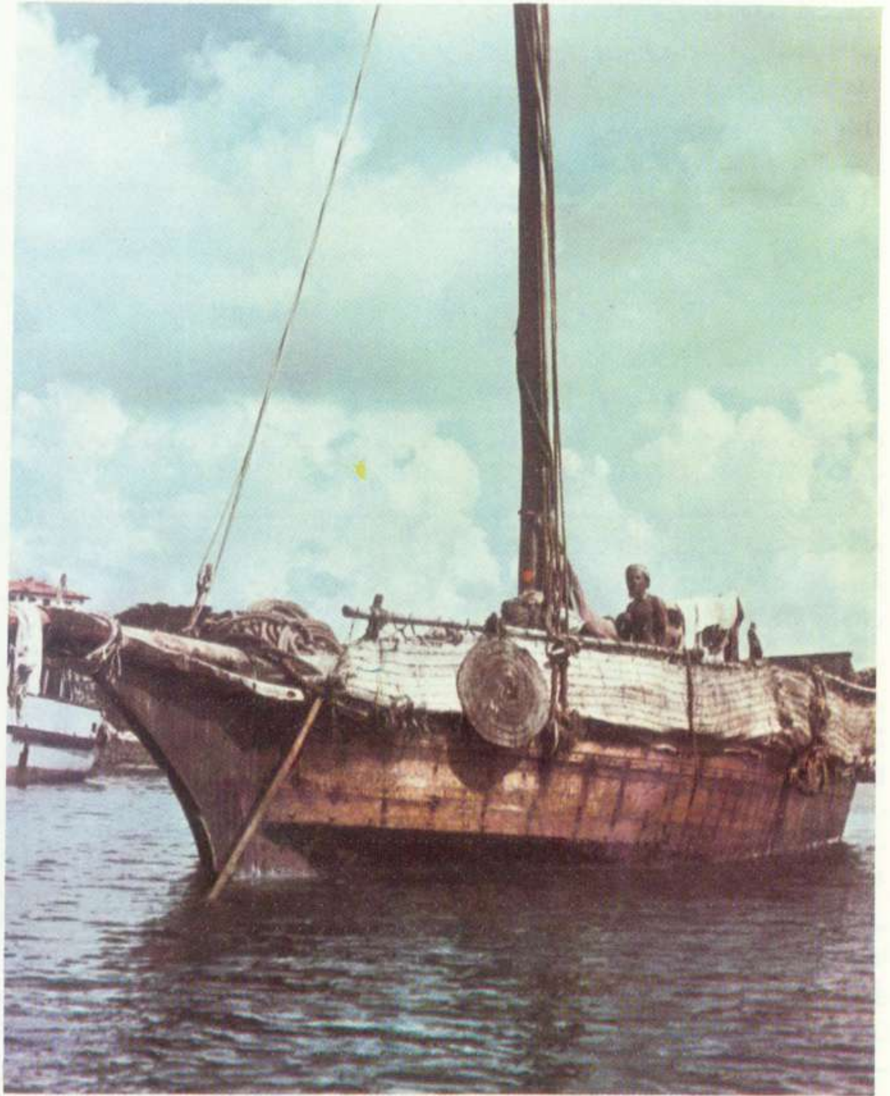
وكانت أغلب مدن الخليج فى تلك الفترة تعيش على التجارة البحرية .. وكانت صحار من أهم الموانىء العمانية التجارية التى بلغت أوج شهرتها عندما نالت عمان استقلالها عن السلطة العباسية ..

وفى القرن العاشر الميلادى كانت المفاجأة عندما هاجمت عمان بأساطيلها ميناء البصرة .. ولعل ذلك هو الذى دفع العراق فى عام ٩٦٥ ميلادية الى توجيه حملة تأديبية الى صحار دمرت ٧٩ مركباً ، لتصبح عمان عقب ذلك خاضعة – مرة أخرى – للولاة الذين تعينهم السلطة المركزية !

إلا أن هذا لم يمنع صحار من إعادة بناء سفنها لتمخر عباب البحر ، ولتعيد الصفحات التى ذكرها عنها الرحالة الأصطخرى من قبل عندما قال : «وهى على البحر .. وبها متاجر البحر وقصد المراكب ، وهى أعمر مدينة بعمان وأكثر مالا ، ولا تكاد تعرف بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عماراً ومالا من صحار» !

## الزلزال والسندباد

ويأتى بعد «صحار» فى الأهمية البحرية منطقة «ظفار» التى ساعد موقعها على الاستفادة من الطريق التجارى للبحر الأحمر ، فكانت ترسو بها السفن العائدة من المحيط الهندى أثناء طريقها الى باب المندب فى البحر الأحمر .. وقد وصفها الرحالة الشهير ماركو بولو عندما قال ، ان ميناءها جيد جداً ، وأن بينها وبين الهند حركة نقل بالمراكب عظيمة ، وبها أعداد كبيرة من الخيول العربية التى تحقق فى الهند



أكثر المراكب العمانية شهرة هو ما يطلق عليه « البدن » وهو من المراكب التى سبقت النماذج البرتغالية .. ومازال يستخدم حتى يومنا هذا على المستوى المحلي




الملاح البرتغالى الشهير «فاسكودى جاما» الذى قاده الملاح العمانى الشهير أحمد بن ماجد إلى أول رحلة عبر المحيط بين أوربا والهند

أرباحاً طائلة ، وتنتج أرضها اللبان الأبيض بكثرة ، وأحياناً يسيل اللبان من الأشجار بسبب شدة حرارة الشمس !

أما «هرمز» القديمة فقد قامت على الساحل عند مدخل الخليج ، وكانت تسيطر عليها قوة عربية من عمان ، وكانت لها تجارة رائجة مع الهند ، واهتم حكامها بساحل عمان وخاصة «قلهات» التى كان ملك هرمز يلجأ اليها كلما وجد نفسه فى حرب مع ملك أقوى منه ، نظراً لمناعتها وموقعها الاستراتيجى النادر !

وبعد غارات التتار اضطر أهل هرمز القديمة للهجرة الى جزيرة «قشم» وجزيرة «جيرون» ثم زحفوا على قلهات وظفار .. وبدأت هرمز الجديدة ــ عقب ذلك ــ تحتل مكانتها التجارية ، وزار ابن بطوطة ميناءها الأول «قلهات» فى القرن الرابع عشر الميلادى وقال عنه : مدينة على الساحل ، حسنة الأسواق ، لها مسجد من أحسن المساجد ، حيطانه بالقاشانى وهو مرتبع يطل على البحر ، وهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتى اليهم به البحر الهندى ، وإذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح» !

غير أن «قلهات» تدهورت فى القرن السادس عشر ، وتقول الروايات ان زلزالا وقع بها فدمر منازلها !

وقد وصف كثير من الرحالة دور ربابنة السفن فى هذه المنطقة وغيرها ، حيث كانوا يرتادون البحار ويقطعون أطول الطرق البحرية فى القرون الوسطى ، ويؤلفون القصص والحكايات التى انحدرت منها قصص السندباد التى ذاع صيتها !

## اختفاء السفن الشراعية !

ومع وصول البرتغاليين الى الخليج فقد العمانيون مع غيرهم السيطرة على تجارة الشرق ، وأدى اكتشاف طريق جديد الى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح إلى أن فقدت التجارة فى البحر الأحمر والخليج أهميتها ..

وقد بدأت الكوارث فى عمان عندما وصل «الفونسو البوكيرك» بسفنه البرتغالية الى المنطقة ، وأحرق فى عام ١٥٠٧ ميلادية أسطولا من مراكب صيد السمك .. وزحف عقب ذلك إلى قلهات ونهب المدن وأحرقها ، وعندما فشل فى

# العُمانيّون والبحر..



هذه اللقطة فى مدينة «مسقط» تبدو فيها الواجهة البحرية التى كانت متواجدة قبل تنفيذ برامج التنمية فى السنوات الأخيرة .. هذه اللقطة عمرها ٢٢ عاماً .. تبدو فيها نماذج لبعض القوارب

اجراء مفاوضات مع «مسقط» أطلق على مبانيها ومراكبها النيران ، وأبحر الى صحار ثم خورفكان التى نهبتها قواته !

وعندما وصل البرتغاليون الى هرمز وجدوا فى انتظارهم العديد من المقاتلين ودخلوا معهم فى معركة اعتمدوا فيها على مراكبهم الستة التى حققت لهم الانتصار والسيطرة على تجارة الخليج بعد سقوط هذا المعقل البحرى الهام !

إلا أن الأحداث توالت عقب ذلك مع ظهور منافسة حامية بين الاتراك العثمانيين والبرتغاليين من أجل السيطرة على الخليج ... واستطاع العمانيون فى نهاية الأمر انهاء السيطرة البرتغالية بأنفسهم ، وكان قائدهم هو الامام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربى الذى طرد البرتغاليين نهائياً من البلاد فى عام ١٥٦٠ ميلادية، ومع رحيلهم لم يبق من آثارهم غير بعض المبانى والمخلفات والأساليب الجديدة التى دخلت على صناعة السفن فى المنطقة ومن بينها استخدام المسامير الحديدية وتصميم مؤخرة المركب بشكل عريض !

وخلال حكم «اليعاربة» نجح العمانيون فى استخدام الأساليب الجديدة فى صناعة السفن واتقنوها وأدخلوا تغييرات جوهرية جديدة عليها أدت الى اكتشاف أساليب جديدة فى الملاحة ..

واستطاع العمانيون عقب ذلك أن يبنوا أسطولا فرضوا به هيبتهم على الساحل كله وأن ينهوا نفوذ البرتغال فى سواحل افريقيا الشرقية بما فيها مدينة «ممباسا» على ساحل كينيا !

ووصلت السيطرة العمانية على بعض الموانى الى حد اقامة حاميات دفاعية بها ، وكان وصول السيد سعيد – ألمع الحكام العرب فى القرن التاسع عشر – الى زنجبار على سفينة مزودة بـ ٦٤ مدفعاً تحرسه ثلاث فرقاطات وسفينتين ومائة مركب نقل وستة آلاف مقاتل ، هى بداية مرحلة جديدة فى تاريخ عمان ، فقد أصبحت زنجبار بوصوله عاصمة للأقاليم العمانية !

وظل النفوذ البحرى لعمان يتعاظم حتى عام ١٨٥٠ ميلادية عندما أصبحت أقل قدرة على الدخول فى منافسة مع تجارة النقل البعيدة المدى ، وأخذ هذا التدهور يزداد مع ظهور الأساطيل البحرية الحديثة واختفاء دور السفن الشراعية من عالم التجارة البحرية !

## المراكب العمانية

ويتطرق كتاب «عمان وتاريخها البحرى» عقب كل ذلك الفيض من المعلومات ، الى الحديث عن طرق الرياح الموسمية فى المحيط الهندى ، وعن الملاحة العمانية ونظرياتها واكتشافاتها البحرية بما فيها استخدام الملاحين العرب للابرة المغناطيسية ورسم الخرائط التى كانت مثار اعجاب المكتشفين البرتغاليين الأوائل .. ويتحدث – أيضاً – عن الملاح الشهير أحمد بن ماجد الذى اقترن اسمه بتاريخ الملاحة وعلوم البحار وكيف قاد الملاح البرتغالى «فاسكو دى غاما» الى أول رحلة تتم عبر المحيط بين أوربا والهند..

ثم يصف الكتاب فى دراسة مطولة المراكب العمانية قبل البرتغاليين وبعدهم ويقدم لنا كافة أنواعها بما فيها القنجة والبغلة والبوم والسنبوق والشوعى والجالبوت وأبو بوز والبدن والعويسية والبتيل والبقارة والشاحوف والهورى والشاشة والرمث وغيرها ..

ويتناول الكتاب عملية بناء السفن وتجارة المراكب العمانية المعاصرة ورحلات أشهر السفن العمانية كالسفينة سلطانة التى زارت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٨٤٠ ميلادية ..

وهو يقدم كل مادته من خلال سرد تاريخى وعلمى ، يجعلنا ندرك مدى الجهد الذى بذل من أجله .. فقد اشترك فى اعداده – الى جوار وزارة الاعلام والثقافة العمانية – عدد من كبار رجال الثقافة والتاريخ فى المؤسسات البريطانية والأمريكية والأردنية والكينية .. وكان الهدف الواضح من الكتاب هو إلقاء الضوء على حضارة عمان وتاريخها البحرى الذى أثر فى العالم كله !.

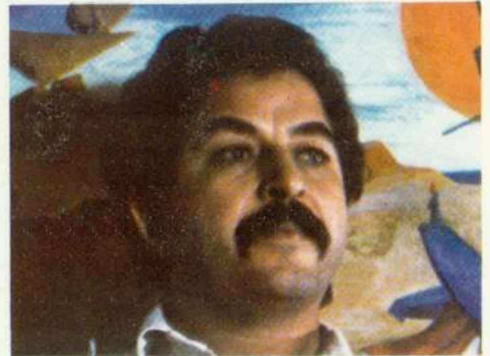
كمال سعد

## لوحات فنان تبحث عن الحياة والحرية

# المأساة هي ضمير كل فنان فلسطيني

من لوحة الشهيد .. عندما يتحول الانسان إلى رمز للصمود

الفنان ياسر أبو سيدو



الفنان الفلسطينى ياسر أبو سيدو الذى أقام معرضه الثالث فى فندق رامادا بمدينة الدوحة يطالب بتسجيل التراث الشعبى الفلسطينى من العبث الصهيونى الذى يستهدف تطويعه لصالحه واغتصاب كل الجذور الأصيلة لهذا الفن الذى ارتبط بتاريخ الشعب الفلسطينى منذ آلاف السنين .

وهو كرسام تشكيلى يرى أن الفنان الفلسطينى مطالب فى هذه المرحلة بالذات بأن يكون ملتزماً بواقع المأساة ، حتى يوصل رسالته الى العالم اجمع خاصة وأن الفن ــ كما هو معروف ــ لغة عالمية حضارية !

● وأسأله : ولكن لماذا تتجه فى أعمالك الى السيريالية ؟

ــ ويقول لي : لانها احدى لغات الفن المعاصر والفنان مهما كان شكل اتجاهه الفنى فان التزامه الحقيقى يبرز من خلال أى اتجاه فنى .. وأنا أرى أن الحياة من حولنا تدور فى سريالية .. وأصبحت أدرك أن السريالية الحقيقية أصبحت موجودة فى ضمير العالم

زهرة البرتقال .. رمز الأمل والحلم

طفل وطعام ورصاص .. من وحى حياة المخيمات



من حولنا .. الا ترى معى ان احلام الخيال أصبحت تبدو فى نظرنا اكثر منطقية من الواقع ؟!

● لماذا ؟

– لأن قوى الضغط العالمى أصبحت تحول الأكاذيب الى حقائق ، والحقائق الى أكاذيب .. ومن هنا اصبح المظلوم ظالما ، وأصبح المجاهد فى سبيل أرضه وشعبه وبيته ومرتع طفولته – فى نظرهم – مجرد ارهابى يستحق اقسى القصاص !

● هل هذا الراى هو الذى تقدمه فى لوحاتك من خلال رموز كالزهرة والشمس والبيضة والصخرة ؟

– نعم .. فالشمس هى الحقيقة ، والزهرة هى الأمل .. والصخرة هى القدس .. والبيضة هى الأجيال القادمة التى ستحقق حلم العودة ان شاء الله .

● وماذا عن الطبيعة الخاصة بالالوان التى المحها فى لوحاتك ؟

– اننى كفنان ملتزم بقضيتى أعتبر جميع أعمالى الفنية مقالا سياسيا ، ورغم التحوير فى الأشكال المألوفة فلابد ان يكون العمل مقالا سياسيا يحكى قصص البطولة ،



محاكمة بريء

ويعيش مع التطلعات المستقبلية للشعب الفلسطيني وثورته المسلحة ، وقد حاولت قدر جهدي أن أجعل الألوان مشاركة في ابراز هذا المعنى .

● اذن .. ما هي اللوحة الفنية في نظرك ؟

ـ هي عبارة عن طلقة صامتة تحمل شحنة انفعالية ، ولابد من استثمار هذه الطلقة لصالح قضيتنا الفلسطينية العادلة .

● وما الذي تعنيه أسماء بعض لوحاتك ؟

ـ (مفتاح القدس) .. هذا العمل تصميم للمفتاح التذكاري للمدينة المقدسة ، وهو يحمل أول اسم لمدينة القدس وهو (يبوس) عندما أسسها أجدادنا الكنعانيون العرب ، كذلك يحمل اسم (بيت المقدس) وهو اسمها عند الفتح الاسلامي ، ويحمل اسم (القدس) وهو اسم عاصمة فلسطين حالياً .

اضافة الى قبة الصخرة وكنيسة المهد والشمس .. وكما ترى فان مقدمة المفتاح هي مقدمة البندقية التي يرفعها شعبنا المناضل لاستعادة هذه المدينة العظيمة .

ـ لوحة (الفلسطيني) تصور الانسان الفلسطيني وهو يحمل مسئولية تحرير وطنه على كاهله في صورة كفاح مسلح .. وهي ـ كما أرى ـ الصورة الوحيدة والصيغة الفريدة لاستعادة فلسطين .

ـ أما لوحة (الشهيد) فهي ترمز الى بطولة هذا الانسان الفذ الذي تحول الى شمعة محترقة من أجل أن يضيء طريق النصر للآخرين .

ـ أما لوحة (الموناليزا تقاتل) فهي ذات طبيعة خاصة وهي تعني في لغة الفنانين اعادة الصياغة لبعض الأعمال الفنية الخالدة من خلال رؤية جديدة ، فلو عادت الموناليزا من جديد لحملت السلاح وانتظمت في صفوفنا تقاتل الظلم والظالمين !

ـ (انهم يعتقلون الشمس) .. الشمس رمز للحقيقة الساطعة التي يحاولون طمسها ... وكفى !

ولا يفوتنا أن نقول بأن الفنان التشكيلي ياسر أبو سيدو من مواليد مدينة يافا عام ١٩٤٧ م ، وقد درس الفنون الجميلة بالقاهرة وحصل على البكالوريوس من كلية التربية الفنية عام ١٩٧٣ م ، وفي نفس العام أقام معرضه الأول في قاعة اخناتون بالقاهرة ، وبعد عام واحد أقام معرضه الخاص الثاني في مدينة بنغازي بليبيا .

والمتأمل لجميع لوحات هذا الفنان الشاب يلمس فيها مزيجاً من الواقع والخيال السريالي ، كما يلاحظ تعدد المعالجات الفنية في كافة أعماله ، فاللوحات بين الحفر والتصوير بالألوان الزيتية ، واللاكيهات والاحبار .

وفي قراءة صغيرة لكتيب المعرض الذي أعده أبو سيدو عن لوحاته الخمسين ليوزعه على عشاق الفن التشكيلي في مدينة الدوحة نجد أنه قد كتب في بدايته كلمات رقيقة تعبر عن مشاعره المتدفقة وأحلامه في النصر والعودة يقول فيها : «فلسطين يا حبيبتي .. الى كل ذرة من ترابك ، الى كل شهيد قضى في سبيلك ، الى كل انسان يعمل من أجل تحريرك .. أقدم خطوطي وألواني وهمومي ومشاعري أقدمها هكذا بعيداً عن الحواجز والأسلاك الشائكة التي يناضل من أجل ازالتها كل الباحثين عن الحرية والحياة» .

إنها نبضات فنان يعبر عن مشاعره ، غارساً أقدامه في تراب الأرض ، داعياً الى الجهاد في سبيل الله .

نبيل خالد الأغـا

# باريس تحتضن الفن الذي رفضته منذ ١٥٠ عامًا!



لوحة بعنوان « الراقصة » للفنان تولوز لوتريك ( ١٨٦٤ ـ ١٩٠١ )

بقلم
نهى سمارة

منذ مائة سنة ونيف ، رفضت أعمال ثلاثين فناناً انطباعياً من قبل هيئات التحكيم الرسمية ، واعتبروا حركة ساخطة على الفن الأكاديمي الرسمي .

اليوم يتصدر هؤلاء متحفاً كاملا باسمهم فى ساحة كونكورد فى باريس ، وفى بعض قاعات اللوفر ، ومتاحف كثيرة أخرى .. هؤلاء هم أصحاب المدرسة الانطباعية التى ثارت على كل مفاهيم الفن الكلاسيكي القديم بكل ما فيه من أشكال قديمة فقدت مضمونها مع الزمن .

## الرسم بالألوان

جاءت كلمة انطباعية ، فى لوحة عرضها « كلود مونيه » بعنوان « شمس مشرقة ـ انطباع » .

وقد أثارت هذه اللوحة موجات



راقصة باليه على المسرح .. عنوان لوحة خالدة للفنان ديجا ( ١٨٣٤ ـ ١٩١٧ )

## باريس تحتضن الفن الذي رفضته!


امرأة تحت المظلة .. لوحة تعبر عن الصدق الذى تحمس له الفنان مانيه

استياء وغضب من المتزمتين ، واشتق من اسمها كلمة الانطباعية ، لكي تشير الى الحركة الفنية الجديدة التى كان هؤلاء الفنانون يمثلونها .

فالفنان الانطباعي تغلب عليه النزعة الذاتية على النزعة الموضوعية .

والفن كما نعرف لا يمنطق أو يعلل ، إنما يخترق بالبصيرة . وفنانو المدرسة الانطباعية هم فنانو البصيرة . فالى ما قبل حوالي المئة سنة ونيف ، كان الفكر يعد - ضمناً - القوة المسيرة للفن ، فالفكرة كانت سيدة الشكل .

وجاء الانطباعيون بتحد جديد لتاريخ الفن ، وهو أن يرسموا عن طريق الألوان ، فقط بوضعها فى لطخات سريعة ، ضمن تلاعب نور الشمس على الأرض ، فكان التصور الذهني لا نفع منه ، بل كانت محاولتهم متوترة ، مباشرة ، يمكن تشبيهها برسم الخطوط على نمر متحرك . واقتضى بالتالي تحقيقها لحظوياً ، من التخطيط الى اللون ، من التصور إلى التنفيذ ، من رؤية الذهن ، إلى رؤية العين .

### الانسان والصورة

وإذا استمعنا إلى « سيزان » وهو من أبرز أقطاب هذه الحركة ، يصوغ لنا المبادىء الفنية الأساسية لدى الانطباعيين فيقول :

« لا يعدو الفنان إلا أن يكون جهاز تسجيل للمدركات الحسية . لا نظريات ، بل عمل ، فالنظريات تفسد الناس ، وإنما نحن فوضى لامعة . أنا أتجه لموضوعي وأضيع فيه . إن الانسان يجب أن يختفى تماماً من الصورة ، ويستغرق كلياً فى الطبيعة والمنظر ، ذلك الاختراع البوذي الذى يعطينا الاطمئنان بلا عواطف حارة بلا روابط ، بل بالألوان » .

ويستطرد سيزان مؤكداً :



العائلة .. للفنان بازيلي ( ١٨٤١ ـ ١٨٧٠ )

وجبة الغذاء .. من واقع الطبيعة والمنظر للفنان جوجان ( ١٨٤٨ ـ ١٩٠٣ )



لاعبو الورق .. للفنان سيزان ( ١٨٣٩ ـ ١٩٠٦ )

## باريس تحتضن الفن الذي رفضته !

« الانطباعية هي تفكيك الألوان على اللوحة ثم اعادة تراكيبها فى العين . أي أن اللوحة لا تمثل شيئاً . ولا ينبغى لها أن تمثل شيئاً غير الألوان » !

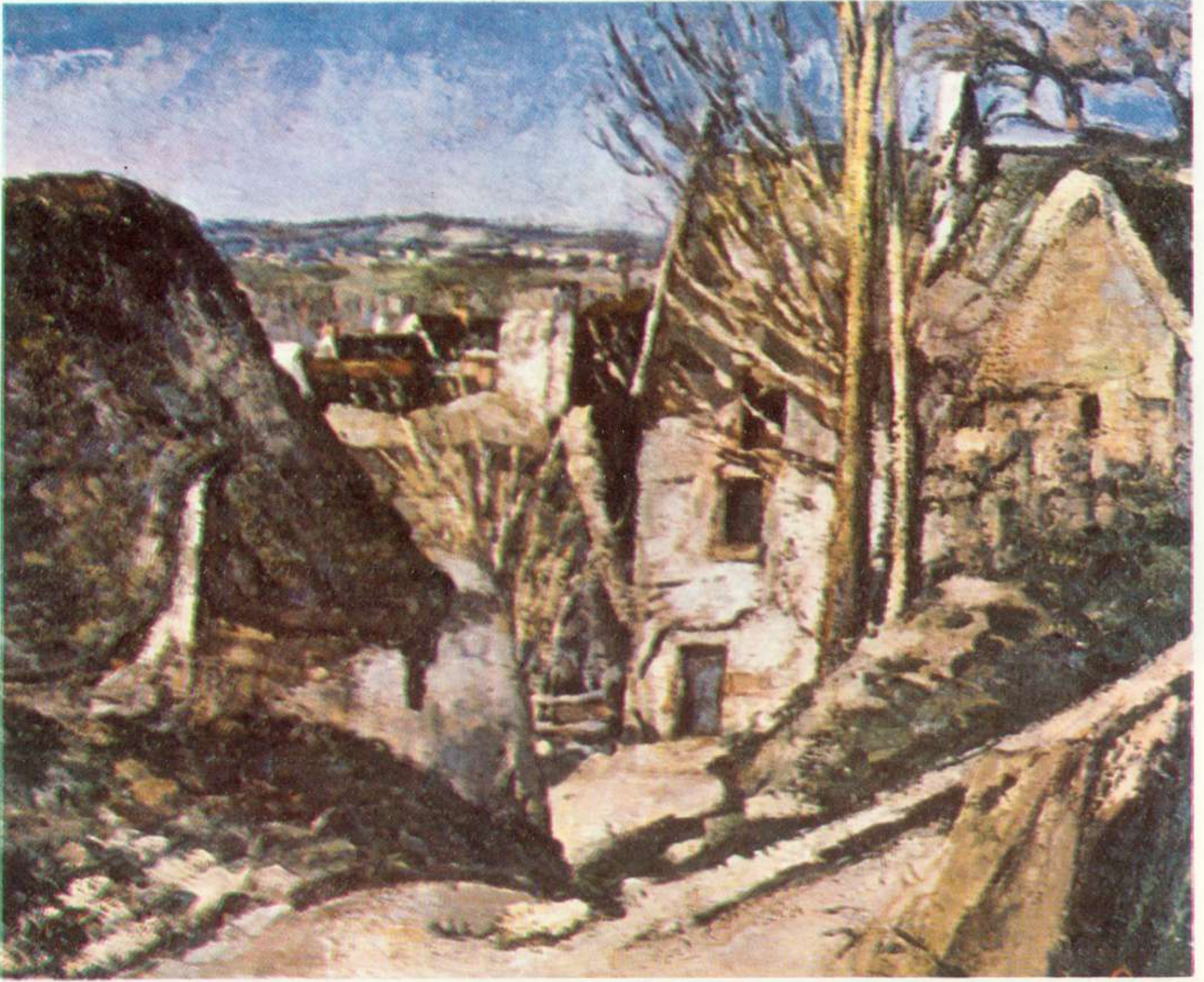
### مع أحداث الحياة

وقد اتجه الانطباعيون ـ بحماس شديد ـ إلى تصوير أناس عصرهم وموضوعاته . أخذوا يتأملون الأشياء العادية باهتمام ، بلا خوف أو تكتم ، حتى إذا كانت تلك الأشياء قبيحة أو مشوهة ... ولقد صاغ « مانيه » هذا الموقف بقوله :

« إن الرسام اليوم لا يقول : انظر إلى هذه اللوحات الخالية من الخطأ ، بل يقول : انظر إلى هذه اللوحات الصادقة »

ويومها نصح مانيه ـ صديق بودلير وزولا ـ محافظ باريس بألا يغطى حوائط قاعات الاجتماع فى فندق « دوفيل » بلوحات تاريخية أكاديمية بل بأشخاص وموضوعات من العصر فلا يشعر المشاهد باغتراب عن الفن .

وقد رسم الانطباعيون أحداث الحياة اليومية ولاحظوا جماليتها فى رسمهم : الأسواق التجارية ، محطات سكك الحديد ، جسور السين ، الحدائق العامة وكل نشاطات الحياة اليومية ... ولم يكونوا جميعاً متفائلين ، فالفنان « فان جوخ » ، الذى يعتبر منهم ، ويعد كرمز للابداع ، اختار موضوعات لوحاته من الواقع الاجتماعي الذى يفيض بالتعاسة فكانت خطوطه عريضة مكثفة وخشنة لتعبر عن مضمون موضوعه ...



منزل الرجل المعلق .. رائعة اخرى من روائع الفنان سيزان

ويلتقى الانطباعيون عند ايمان عميق لديهم هو التغير ، إنهم يؤمنون كما قال ذات يوم الكاتب العالمي د. هـ. لورانس بأن كل شيء يتغير ماعدا التغير نفسه !

وهم بذلك يؤكدون أيضاً فلسفة « هيرقليطس » بذلك « النهر الذي لا يستطيع المرء أن ينزل إليه مرتين » .. فكل لوحة انطباعية هي تسجيل للحظة فى الحركة الدائمة للوجود ، وعرض لتوازن مهدد ، غير مستقر ، لتفاعل القوى المتصارعة .

والرؤية الانطباعية تحول الطبيعة إلى عملية نمو وتحلل ، فكل ما هو ثابت متماسك يتجه إلى تحولات ، ويتخذ طابعاً متجزئاً غير مكتمل .. فتصوير الضوء والهواء والجو ، وتحليل السطح المتساوي إلى بقع وخطوط لونية ، وتفكيك اللون الموضعي إلى قيم ، والنقط المرتعشة المرتعدة ، وضربات الريشة السريعة ، المفاجئة ، وكل التكتيك

المرتجل بتخطيطه السريع الخشن ، والادراك العابر الذى يبدو غير عابىء بالموضوع ، كل هذا إنما يعبر آخر الأمر عن الشعور بواقع مثير ، حيوي ، دائم التغير ، وهو الشعور الذى بدأ بتغير الاتجاه القديم فى التصوير ، الآخذ بفكرة « المنظور » حيث لم يعد الانطباعيون يلتزمون بقواعد المنظور ! .

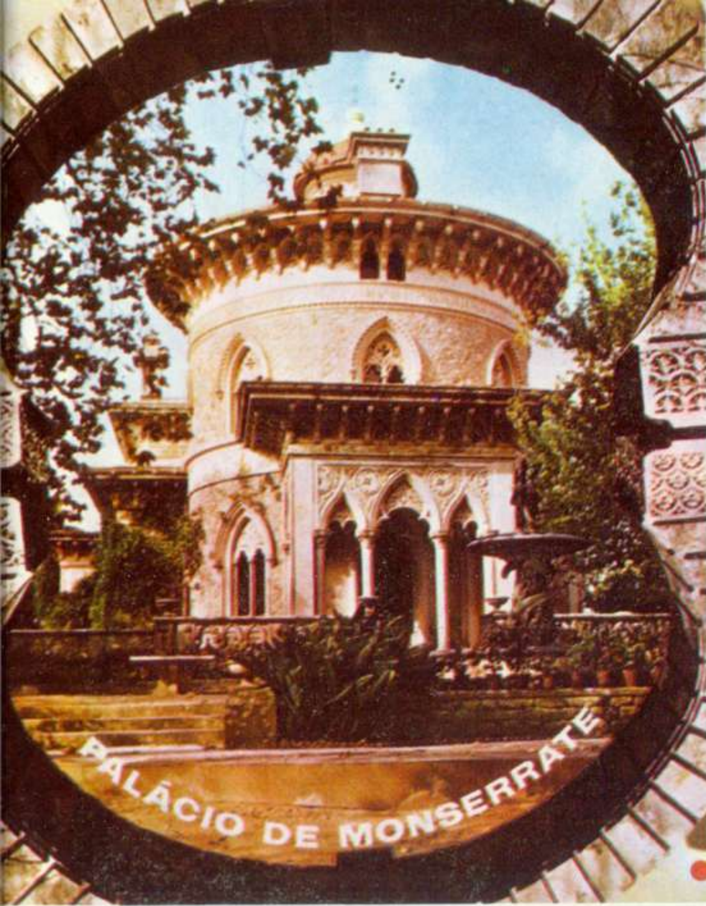
ولقد حرر الانطباعيون الفن التشكيلي من الموضوع الأدبي ومن الحكاية ومن كل معنى يمكن أن يصاغ بكلمات اللغة . وأصبحت وسيلة تلقى هذا الفن وتفهمه هي العين لا العقل .

لذلك خرجوا بأعينهم الى الطبيعة ، ورفضوا الرسم من الذاكرة ، وفى داخل مراسمهم ، فعايشوا الطبيعة لحظة بلحظة ، وتلقوا الانعكاسات اللونية للأشياء لا الأشياء ذاتها .

## المجد بعد الموت

ويغص متحف الانطباعيين فى ساحة الكونكورد يوميا بخمسة آلاف زائر ... وأصبح هؤلاء الفنانون جزءاً من تراث فرنسا ، تفخر أنهم وجدوا فيها وتفاعلوا فى أرضها . وأصبحوا ككل الفنانين فى العوالم المختلفة يعيشون أمجادهم بعد موتهم .

نهى سمارة




بقلم: أحمد العناني

## رغم المأساة..

# مازالت الناصرة في البرتغال عربية!

ليت صاحبي ما توقف بي في « الفيرا » فهناك لم تكن الدور وهندستها ، وقسمات الوجوه وتعبيراتها تعيد لي صور الماضي العظيم المندثر وحسب ، ولكني كنت من قريب قبل ذلك قرأت كتاب المرحوم علي أدهم عن حياة « المعتمد بن عباد » ، والرجل أقدر كتّاب التراجم في أدبنا الحديث لأنه لا يعيد لك سيرة من يقص حياته وحسب ، ولكنه يستنهض عصره كله من ركام الماضي البائد فاذا أنت مع أهل ذلك العصر تشاطرهم حياتهم ، وتعيش معهم مخاوفهم وأزماتهم ، وتغني لهم في أفراحهم ... وبكل سحر العربية المطواعة بين أنامل ذلك الرجل فانك تحيا بهجة الساعات مع مؤلفاته تماماً كما يحصل لك من قراءة تراجم « أندريه موروا » و « روزبري » وغيرهم من عمالقة كتاب التراجم في الغرب

### مدنية شهدت تقلبات القدر

أقول قد كنت لثاني مرة قرأت ترجمة على أدهم لسيرة المعتمد بن عباد ، فماتزال « ألفيرا » تلك المدينة التي شهدت مراراً تقلبات القدر الحادة في حياة المعتمد ، تمثل في خيالي بكل روائها وخيرات أرضها وسمات الأندلس العربي تتجلى فيها ... فحين قال لي مرافقي نحن الآن في « الفيرا » فكأنما طعنني بآلة حادة ، فما لي لغير الجرح حس ولا اهتمام ..

ألفيرا ... يقول لي « ألفيرا » بملء فمه كأنما لا يعرف ماذا يمكن أن تعنيه « الفيرا » هذه لعربي دارس تاريخ هذه البلاد .. ولاحظ الرجل شدة اضطرابي ، وغلبة الدمع على محاجري ، ورعدتي لما سمعت وما كنت أرى فهز رأسه يقول وهو يخاطب نفسه بالانجليزية - حيث هي وسيطة الاتصال بيننا - نعم .. نعم .. إنها كانت مدينة عربية في كل شيء لمئات السنين ... هاهو ذا اسمها بأل أداة التعريف العربية ، ما يزال على حاله ...

الله يا ألفيرا .. مازلت طفلة الحسن كله تميسين في رواء شباب لا يشيب ، وحياة خضراء ضج اخضرارها حتى في السوق والعروق ... عزاء للمسلمين عرباً وبربراً وصقالبة لما أصابك من خفوت الأذان ، وانقطاع الذكر للواحد الأحد لم يلد ولم يولد .. فمن قبل المسلمين طالما تداولتك الأيادي .. وتعاورت على فضائك البنود والأعلام .. سقيتهم جميعاً كؤوس الهوى وطارحتهم أرق عبارات الغرام .. وثملوا وغاب صوابهم ، وضاعت في هذا الجمال الحافل مراشدهم .. ثم ارتخت عن السلاح أياديهم ، وجانب العدل والرحمة سلوكهم ، فلما ظنوا أن الدنيا دانت لهم وأنه لا غالب لهم أتاهم أمر الله فاذا هم حصيد خامدون ..

عبق البرتقال وثرثرة جداول الماء ، وهينمات الغصون يثنيها نسيم الأصيل فتحاكي قدود الأوانس المنبثات في هذي الجنان .. كلها تميل الرأس ، وتخدر الحس ، إلى أن تنهض من الوجدان غلائل سوداء من مأساة الاسلام في الأندلس فاذا أنت ترى كل شيء خلل الدموع متشحاً بالسواد فيالله لي ما الذي جاء بي إلى هنا .. ويالها من لقيا كأنها لقيا قيس بليلى وهي في عصمة ورد .. وذكرتني ليلى ومجنونها بشوقي ونفيه ههنا في الأندلس أيام همست له بسينيته العصماء فهو أبداً :

مسطار إذا البواخر رنت
أول الليل أو عوت بعد همس

قال صاحبي : ألا نجلس للقهوة في ألفيرا ؟ . فقلت له على تراخ وحزن : بل أخرجني منها سريعاً ، فأنا ضائع اللب فيها بين صورتها في عصر المعتمد وواقعها الآن بغير توحيد ولا رشد ..

ومضت السيارة تنهب الدروب المتسترات بتشابك الأغصان فما لشعاع من الشمس واحد درب بين زحمة الأوراق والأفنان



ثلاث لقطات .. الأولى على اليمين لبناء فى لشبونة نرى فى أعمدته وأقواسه الطراز الاسلامى الجميل .. ونرى نفس الطراز الفنى فى اللقطات الأخرى لبعض الأبنية فى مدينة القباصة .

الآثار الاسلامية الباقية فى البرتغال





إلى أن انحسرت الجبال عن ساحل امتدت فوقه رمال بيض نواعم لا تنكر القدم الحافية منها شيئاً ولا تخشى غائلة ، وأمواج الأطلسى فى الجو الرائق باتت تمازج اليابسة مزاحاً لطيفاً ، وقد انبثت على الساحل اكشاك عليها للسائحين مصبغات من الملابس ، ومن الداخل تعبق رائحة السردين فى أشهر بقاع تواجده فى الأرض .. وجلسنا للغذاء ، وأنا أتمتم .. ما كان ضر قومى لو خافوا الله حق مخافته ، وشكروا له هذه النعم حق الشكر له .. فأبقاهم هنا فى هذه الجنة الفيحاء .

## القرية المعلقة

وألقيت إلى أعلى الجبل نظرة .. فقلت لصاحبى : ما تلك القرية المعلقة فى أعلى الجبل هناك ؟ قال : هى «الناصرة» ونحن نلفظها «نازره» ولكنى لست سائراً بك إلى هناك .. قلت : لم ؟ قال : قد أشجاك ما رأيت فى «ألفيرا» والقباصة فكيف لو رأيت ما يمكن أن تراه فى الناصرة .. فقلت ما عليك من شجني فأصعدنى إليها ولك مني ما تريد ... فوالله إني لفى شوق إلى ناصرة بلادى فى فلسطين ، فما دخلتها حياتى كلها إلا مرة واحدة أشفقت بعدها على نفسى أن ينالها من هوس سحرها نظير ما أصاب طوقان» .. فقد ظل حياته باكياً على كفركنه .. جارة الناصرة .. على العنب والتين وسحر القدود والجفون .

خذنى لها فلأمر ما سماها أجدادى هنا بالناصرة ؟ قال وماذا عندكم من الفواكه والزراعة فى ناصرتكم بفلسطين ؟ .. قلت الرمان والتين والعنب والزيتون .. وقداسة من عطر المحبة فى بلد المسيح .. فقال يبتسم : والله ان هذه لهى مفاخر هذا البلد سوى أن الرجل الذى جعل الناس قبره مزاراً غير معروف الهوية تماماً . والبعض يقول إنه كان من الأولياء العارفين من رجال المسلمين .. فامض معى الآن لأريك ما يدهشك .. ولكن تماسك ولا تضعف كما ضعفت بالفيرا ..

أبداً لن أنسى ناصرة البرتغال ما حييت .. كل شىء فى ذلك البلد الجبلى الجميل مازال عربياً مسلماً إلا أسماء الناس دون أسماء الأحياء وبعض الأسر والأسماء المستجدة لمساجد قديمة محولة عن أصل صبغتها .. أما الملابس فهى عربية فضفاضة محتشمة وعلى رؤوس النساء وصدورهن خُمُرٌ ساتره .

ويقول لى صاحبى : ههنا يقرون الضيف ، ويدفعون عن كرامته بالسيف ، ولا يسامحون فى العرض ، ويحيون الحياة وكأنهم فى مأساة لا تنتهى مشاهدها .. وانظرهم في ملابسهم فهل ترى لونا واحداً فاتحة ؟

واويلاه إن المأساة ما تزال تمد رواقها عبر القرون على ذراري أولئك المستضعفين من بواقي المسلمين الأندلسيين ، فكأنما الشجر لا يردد بحفيفه إلا أصداء نشيج أجدادهم حين كان التعصب المجنون ومحاكم التفتيش الدموية تحيل حياتهم جحيماً لا يطاق ..

الله أكبر ..هنا أفهم بوضوح كما لم افهم فى حياتى كلها معنى قوله تعالى «وتلك الأيام نداولها بين الناس» ومعنى قوله «واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال » .

وسألت نفسى : ما الذى جاء بأجدادى من العرب إلى هذا المكان الأوربى من ساحل بحر الظلمات ؟ والجواب طبعاً دعوة الله ورسالة الاسلام .. ثم تذكرت كتاب علي أدهم عن المعتمدبن عباد وما أمضت به الحال بالنلس من التنكر لنُهية الدين ورسالة رب العالمين .. ورأيت منطقياً جداً أن يخرج العرب حتى بعد سبعمائة من السنين من هذه الجنات الممتدة على مدى البصر .. وأخشى ما أخشاه ألا يظل لهم سوى أرض العرب وحدها ما تخلّوا عن الاسلام ورسالته ..

أحمد العناني




أبو زيد الهلالى الذى تغنى بسيرته الرواة فى كل انحاء العالم العربى

# أبوزيد الهلالي

## رائدًا وحكيمًا

بقلم : إبراهيم إسحق إبراهيم

من رأى الدكتور عبد الحميد يونس وتلامذته «محمود ذهنى وعبد الحميد حواس وآخرين» أن السير الشعبية العربية اهتمت فى عفوية بنائها بتمكين المبادىء الحقة للوحدة العربية الشاملة سلالياً ، وسياسياً ، وثقافياً . ولو جاز لنا الاختلاف مع هؤلاء العلماء درجات فقد لا نخرج على التمييز بين العفوى والارادى فى مقاصد الشعراء والرواة الذين صاغوا والذين طوعوا وطوروا لنا هذه السير بنسيجها الاقليمى المميز من حجازية ، وعراقية ، وشامية ، وقاهرية ، وصعيدية ، وسودانية ، ومغربية . الذاكرة السردية فى مناطق القلب من البلاد العربية كدمشق والقاهرة غالباً ما تنسج رواياتها إنطلاقاً من الوعى الكبير بقضايا الاسلام والعروبة ، وذلك فى ظروف صعبة مثل تدهور الحكم العباسى والشتات الذى تبعه فى العصرين الفاطمى والمملوكى حينما ساد حكم الطوائف وأسرات المغامرين والشيع الدينية المتحمسة . أما الأطراف الدائمة التمدد بالترحال العربى المسلم من صقع الى صقع بعيداً عن دائرة القلب فشغلها الارتياد والمزيد من الارتياد ، سلالياً وسياحياً وثقافياً ، داخلة كل حين فى أوطان ربما لم تأت منها الأخبار بعد . هناك تعزز الأعراب البدو معدات التأقلم السريع مع العناصر التى تحل وسطها ، وقد لا تشرع فى عمليات التأقلم أكثر من موهبتين أساسيتين من مواهب البطولة أينما وجدت وهما البسالة والحكمة .

سيرة بنى هلال فى مراحلها الثلاث ، ببلاد السرو ثم فى نجد وعلى مرامى التغريبة ، تزدحم بالأبطال العرب ، والعربيات . ورغم ذلك فان ملاحظة دكتور عبد الحميد يونس تصدق حول وضع أبى زيد سلامة بن رزق كبطل حقيقى لسلاسل الحكايات الطويلة المتداخلة والمتفاصلة أزمنة وأمكنة . واذا كانت التقسيمات القبلية الباكرة فى الجزيرة العربية تكترث لانتساب الأبطال العظام خاصة الى أصولهم لدى زغبة ، ورياح ، ودريد ، والزحلان ، وما سواهم ، فان هذه الفروع تحتفظ بأهميتها فى أطوار السيرة وهى تتفرهد فى مصر وبلاد المغرب حتى عهد قريب . الاهتمام بالفرديات القبلية هذه لحد ملحوظ ينتج عن أهمية التفاصيل فى

سرد المواقف والفروق بين الأبطال ومحال الأزمات فى أصناف ونسح السيرة التى ظلت تمثل بضاعة وصناعة مهنية للشعراء والمحدثين فى مصر أكثر من غيرها . أما اذا تابعنا انحدار العرب الى البادية الصحراوية وراء ساحلى ليبيا ، وتونس وقدامها فى سهوب شمال نيجيريا وتشاد والسودان فالوضع يتغير كثيراً .

## أهمية الروايات الشعبية

بداية قد يفرض انقطاع الوصل بين مسميات القبيلة العربية الأم والجماعة العربية فى الأعماق الافريقية امتناع كل داع للاحتفاظ للأبطال الهلاليين بأنسابهم القبلية فى سير افريقيا العربية . فما يستفاد من الراوى بين أعراب الشوا بضفاف بحيرة تشاد من ذكر زغبة والزحلان ، أو ماذا يعنى دريد ورياح للرواة فى ضواحى الخرطوم وكردفان ودارفور . إن إنعدام الاتصال الاسمى بين الجد الهلالى الاسطورى والحفيد العادى المتسكع فى هذه البقاع الافريقية يستحق منا فهماً دقيقاً . فالمعروف من قديم أن الأسر المبتعدة عن بطونها حتى فى حقب الجزيرة العربية سرعان ما تتخذ من اسم الأب الأكبر أو الأم المسيطرة لائحة قبلية جديدة تصبح لها شعاراً أينما سارت ووسط من فى الأقوام المغايرين حطت . وبهذا تجعل قبائل البقارة فى غرب السودان من وجود العناصر الهلالية الضئيلة بين عشائرها حجة للانتماء الى أبهة سمعة البطل المرفوع على الدوام ميسماً للذاتية الهلالية أينما وجدت . ان انعدام الركيزة الوثائقية للزمان والمكان الذى مات فيهما سلامة بن رزق لهو أجمل ما تمنحه كل يوم السيرة الهلالية للعروبة البدوية والافريقية خاصة من فرص باهرة لصياغة أيدولوجية ديناميكية عفوية وموفورة الاخصاب .

عبد الرحمن الأبنودى يحدثنا عن تكور الفلاح المصرى على أبى زيد وبقية الأبطال الهلاليين ليقيم من أخبارهم ديواناً يحوى مواجد الانسان الصعيدى فى الحقل والبيت والمقهى . وفى القاهرة يرى عبد الحميد يونس والباحثون غيره أجانب وبلديون ، أهمية هذه الروايات




الزناتى خليفة .. أبرز أبطال السير الشعبية

الشعبية كتنفيس مستمر للرئة القاهرية . ويحسن عبد الحميد حواس التعبير عن طبيعة هذا التعلق بالسيرة الهلالية أينما وصلت فيجعل ذلك التعلق مفتاحاً لمقدرتها على حمل التلوينات والتنويعات المحلية المعبرة عن خصوصيات البيئة وتمايزاتها الثقافية والاجتماعية . أحمد ممو فى تونس يحتفل بنفس هذا الدور للرواية الهلالية ببلاده ويصوره فى قالب أسماه «التحولات فى أقاصيص بنى هلال» . فهناك التحول المستحدث فى الوقائع التاريخية والجغرافية وزخرفتها وهناك التحول الموضوع على الوظائف المهنية والاجتماعية للأبطال . واستقراء مؤشرات هذه التحولات والتنويعات هو من صميم هموم الدارسين والمستمتعين بالظاهرة الحيوية والانتشارية الشاسعة للسيرة الهلالية فى افريقيا العربية .

كان للدكتور عبد المجيد عابدين السبق فى لفت الأنظار الى التوظيف المدهش الذى وجهت به الجماهير فى القرن الرابع عشر الميلادى سيرة سيف

# الهلالي أبوزيد

## رائـــدًا وحكـيـمًا

ابن ذى يزن ضد عمليات التيار الحميرى المسيحى الحبشى الذى أنعشه من اثيوبيا الملك عمدا صهيون (١٣١٢ – ١٣٤٤ م) فيما عمل على ترويجه من دعاية تحت اسم «سيف أرعد» . فكان التحول الذى طرأ على السيرة السيفية العربية مطاوعاً لدرجة عكست ترتيب التواريخ وأصبح سيف بن ذى يزن التاريخى المتوفى فى العصر الجاهلى مسلماً ومعاصراً للنبى صلى الله عليه وسلم . لكننا قد نستطيع ملاحظة الشىء الذى يجعل معظم السير العربية ، من السيفية ، والعنترية ، وذات الهمة ، وبيبرس ، وعلي الزيبق ، والزير سالم ، الى حمزة العرب ، أقل انتشاراً ومفعولية من الهلالية فى الوقت الحاضر . فعنترة وأبو زيد هما وحدهما اللذان لا يرتبطان بالمحل الضيق أو المرتكز الواحد . وهما يشتركان أيضاً فى صفة لصيقة بفؤاد العرب الأفارقة وهى سواد البشرة . فى مقدور عنترة أن يسوح الى الحبشة والسودان وبلاد العجم لكسب الأحلاف وشهود الملاحم مع الأمم فى مقابل احتباس البطال فى الشام أو الشطار فى حوارى المدن . وأما أبو زيد فيركب الريح سارحاً مع الجموع الهلالية فلا ينتهى تطوافهم حتى وهم على مشارف خط الاستواء بافريقيا . وحتى عندما يموت الأبطال المؤسسون فان السيرة الهلالية تخلق من أجيال أبنائهم الأيتام أبطالا جدداً أكثر مطاوعة لمتطلبات المراحل والأعصر والبلدان التى يعبرون عما يلقونه فيها .

حينما اخترت فى عنوان المقال تقديم نسبة الهلالى على أبى زيد (الكنية أو اسم العلم لا أدرى) أردت من ورائه شيئين . فى بادية عرب السودان يفضلون الحديث عنه هكذا . والسبب الآخر هو الأمل فى أن يكون طرقى لموضوع بطولة أبى زيد ناشئاً وواصلا لشىء جديد ومغاير للمعتاد فى غالبية حديثنا عن الهلالية وبالتالى يستطيع هذا التقليب فى الاسم استيعاب مفاهيم معالجتى لهلالية أقارب أبى زيد فى أعماق افريقيا . ابراهيم الصيرفى ينضم أيضاً الى أحمد ممو وبعض الدارسين الموثوقين فى التركيز على جانبين من السيرة الهلالية وتقديمها كأهم الجوانب فيها وهما البطولات وقصص الحب . وهذا صحيح . ولكننى فضلت أن أقول مفسراً ومميزاً بأن البطولة فى معناها العنترى الواسع وحتى النبوى المقدس ليست هى البسالة العادية ولكن أيضاً هيمنة العقل والحيلة والحكمة على سلبيات الحياة أجمع . ومن هنا يتسق ما قصدت اليه مع مقالات أولئك الدارسين المجودين لمزايا الهلالية .

### تغريبة بنى هلال

المدقق فى «تغريبة بنى هلال» سيلاحظ مدى الاحتفاء بمقدرتى أبى زيد الهلالى المتوازنتين تماماً وهما الحيلة والبسالة . فهذا الرجل الأسود يتنكر مرات فى زى المغنين الجوالين فيطرب مستمعيه ويبهرهم ، ومرات فى زى الدراويش فيتكلم الفارسية ، ومرات على هيئة الرهبان فيرطن الرومية (أى الاغريقية) ، ويندس بين الأعجام فلا ينكشف ، ويتهيأ بملابس أشرار اليهود ليهزمهم ، ويدعى الطب فيؤتمن على الأرواح ، ثم يستعمل البنج لقهر أعدائه . ولولا هذه الحيل والألاعيب لما عبر الهلاليون تلك الممالك البربرية المشتتة على كل شبر من الأرض حتى وصلوا من نجد الى تونس .

هذا الأرث من التحايل المبدع يضعه الأعراب البدو نصب أعينهم وهم يتوغلون فى بلاد البربر والسودان ومنه يستفيدون فائدة قصوى . فاذا أرادوا تدريب أذهان ناشئتهم على الحكمة والحيلة المطلوبتين للبقاء الصالح فى بلاد غريبة سردوا عليهم أخبار أبى زيد .

وفى «التغريبة» كما فى السير الهلالية بمصر وتونس يلاحظ المكترث بروز دور النساء المقربات للأبطال مثل الجازية وشيحة فى بذل الرأى المفيد للقبيلة . وهذا الدور لعلة ما يتقلص فى السير الهلالية بغرب السودان . ثم لم يرض الناس هناك لهذه الحكمة أن تنتفى فأضافوها لخصال الحيل والمهارة اللغوية المتعددة والبديهة الحاضرة عند أبى زيد . فى الحياة المصرية العامة انعزلت تدريجياً بعض مواقف الحكمة من النسيج الكلى للسيرة الهلالية وأصبحت سائرة على لسان الجماهير ، حتى وسط الذين لا قبل لهم بتبيان الخطوط الهامة لأخبار بنى هلال . عن عبد الحميد يونس ومن عنه يأخذون نعلم أن الشارع المصرى يقول للمهندم الفنجرى «عامل أبو على» تشبيهاً له بحسن بن سرحان أمير بنى هلال . وأخذوا عن استيلاء دياب بن غانم على مجهودات أبى زيد واغتياله إياه مثلهم الساير «كأنك يا أبو زيد ماغزيت» . ويتفق المصريون تماماً مع أعراب السودان فى جعل نصيب أبى زيد من اللماحية هائلا وكاسحاً وذلك فى قولهم «سكة أبو زيد كلها مسالك» .

أما فى أرض الجزيرة بوسط السودان فيحكون أن أبا زيد ودياب تغالطا فى حقيقة الرجل الكريم الأجواد فقال دياب «الجود من الموجود» وقال أبو زيد «الجود قطعاً من الجلود» أى العطاء حتى فى قمة العسرة وهو مصداق الآية القرآنية الكريمة «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» . فى هذه البيئات الاسلامية كثيراً ما تندرج الموعظة الدينية فى الحكمة الشعبية بمنتهى العفوية . وفى بلاد بين النيلين قالوا أيضاً ان دياب الهلالى قال «الوجع إما ضرس وإما عرس» . فرد عليه أبو زيد بأن الضرس يمكن قلعه والعرس يمكن تأجيله لكن الوجع الحقيقى هو وجع العين والهم الأفظع هو هم الدين (بفتح الدال) . أو كما يضع أبو زيد ذلك فى اللغة الشعبية السودانية «السهر يا دين يا عين» . فالعين لا تقلع والدين ليس تأخيره فى متناول يد المديون .

قد يعود التمسك الحادب بالسيرة الهلالية كأداة لتثبيت الذاتية وتعميقها فى وجدان الأعراب السودانية الى أساس لايزال طلاب التاريخ فى مراحل تمحيصه وهو الوجود الفعلى لبنى هلال وسط الجماعات البدوية التى سارت جنوباً منذ القرن الثالث عشر الميلادى وأنتجت تدريجياً رعاة الابل والبقر فيما وراء الصحراء الكبرى بجمهوريتى السودان وتشاد . كانت الغلبة وسط

أولئك المهاجرين للقبائل اليمانية . لكن عناصر من فزارة ورفاعة وفيهما بنى هلال كانت موجودة بينهم كما يشير لذلك حشد من الدلائل . ولما كانت الجماعات اليمانية بافريقيا تفتقر لحد ما الى الأسطورة الأصولية ذات الانتشار والذيوع كما لدى بنى هلال فقد جرى فى تعامل غالبية هؤلاء البدو قانون طبيعى ومعروف هو تغليب القطاع الأشهر على الجموع المتلازمة والمتضامنة سعياً وراء اصطناع كيان تكتلى ضخم وصلب وغير قابل للتفتيت . وهكذا أصبح معظم هؤلاء البدو فى إخبارهم عن أنفسهم أحفاداً للهلالى أبى زيد . وحتى المالكة فى سلطنتى التنجر والغور (حوالى ١٥٠٠ - ١٩١٦) تنتسب الى أحمد المعقور العربى الهلالى الذى يدعون له قرابة بأبى زيد .

رعاة الابل من الزيادية ودار حامد والمحاميد فى القطاع الشمالى من هذا الحز الرعوى يحكون عن أبى زيد ونوادره وملحه نفس الأخبار التى يرويها عنه رعاة البقر فى القطاع الجنوبى كالرزيقات ، والحوازمة ، والمسيرية ، والبنى هلبا ، والهباينة . الفارق الوحيد هو أن تميز كل من القطاعين عن الآخر يبرز ويتضح فى تغييرات طفيفة على الحكايات فى كل حالة ، تغييرات تعنى بالجانب المعيشى لكل جماعة وترسم على الرواية سمات ذلك المعاش وملامحه البيئوية . فسعاة الابل يحملون أبا زيد على جمل أو ناقة ، وسعاة الأبقار يحملونه على ثور . ويعيش أبو زيد فى كل من الحالتين فى ظروف جغرافية وعرقية وثقافية مخالفة للأخرى ومفصحة عن ذلك الاختلاف .

## الهلالى رائداً وحكيماً

سأختار الآن عينات موجزة من وظيفتى الريادة والحكمة عند أبى زيد الهلالى معروفة لدى الزيادية والرزيقات والبنى هلبا التى تمثل للجماعات السودانية البدوية العريضة التى ذكرتها . وجدير بالذكر أن الرشايدة فى شرق السودان والرباطاب والمناصير والجعليين فى شمال السودان يسردون الأخبار الهلالية كحكايات ومواقف مجملة تتبع خطوطها العامة تلك المغامرات التفصيلية التى نجدها لدى المصريين والتونسيين والليبيين ، فى الوقت الذى يكاد أهل غرب السودان لا يحكون من تلك المغامرات النمطية شيئاً . ولأن أبا زيد فى بادية غرب السودان يمثل جداً للرعاة لا يتعدى بعده الزمنى عنهم عدة أجيال كما يحسبون ، فهم لا يميزونه بشىء عن نمط حياتهم الحاضرة . وأول مهام هذا الحكيم القبلى فى البداوة هو أن يكون رائداً لمواقع القطر ومنابت العشب ومسارب المياه فى البرية حيثما تسير القبيلة . وهو مؤهل تماماً لذلك شجاعة وصواب رأى وادراكاً للغات الغريبة . ومن هنا نجد فى أخبار أحمد المعقور الهلالى أنه ساعة يلقاه أهالى دارفور معرقباً ومهجوراً فى القفار يدخل معهم فى تفاهم ومخاطبات مباشرة دون حاجة لمترجم أو شرح من الرواة لصعوباته الأولى فى التلقى والايصال المعنوى معهم .

عن الريادة يقول الرزيقات ان أبا زيد هو الذى اكتشف لهم الأرض التى استوطنوها ووجههم لسكناها ، ربما لملاءمتها لتربية الأبقار . فحينما عاد أبو زيد من ريادته سألوه كيف وجد البلد الذى راده لهم فأجابهم بأن فيه ذبابة صعبة (ذبابة التسى تسى الضارة للحيوان خاصة الابل) وكلب جسور (ويعنى الأسد) وأشجارها بلا صفق (مما لا يناسب الجمال) وأرضه اذا ابتلت تميعت وإذا تيبست تشققت . أما لرعاة الابل فقد أعطاهم أبوزيد درساً مأسوياً . يقولون ان أبا زيد سار فى القفار بدرب تونس الخضراء وحده حتى كلت دابته فنزل منها وصعد على شجرة هناك ما وراء الكثبان . لكنه لغفلته لم يعقل بعيره ولم يضع عليه رسناً فيربطه . إنصرف البعير وعليه الماء والزاد والأخفاف . نزل أبو زيد وجرى كل وجهة حتى أعيا فلما دهمه الموت عقل رجله ورسن ذراعه ومات . وتلك وصيته الغالية لأخلافه فى بلاد السودان ، على أثر نبيهم يقول لهم «اعقلها وتوكل» . وهكذا تكاد كل مقالات الحكمة فى هذه المناطق تتشكل فى الزمن الشعبى بما يتناسب وشخصية أبى زيد الهلالى .

يوصى أبو زيد الهلالى ابنه قائلا «عليك بسوق كل يوم وضيافة كل يوم والسلام راكباً» . فلما احتار الآخرون من



الفارس الذى لا يتحدث إلا بالعبارات الحكيمة .. هكذا نرى شخصية أبوزيد فى السودان

# الهلالي أبو زيد

## رائـداً وحكيمـاً

هذه الأقوال فسر لهم الابن مقصد أبيه فقال : سوق كل يوم هو أن تكون لك نعاج تبيع منهن متى شئت . وضيافة كل يوم هى من أولويات حياة البدو وذلك باستغلال تنافس الضرائر على الزوج ومبالغة كل منهن فى التودد اليه . والسلام راكباً هو ان تكون على دابة وليس راجلا . أبو زيد الهلالى الافريقى يستغل إجادته للغات الافريقية وبداهته فى تقريب الشقة بين أهله وجيرانهم الجدد . إشارة للتأقلم اللغوى للعربان مع الأهالى السودانيين فان الكثير من هذه النوادر تنشأ على ألغاز قائمة على ألفاظ ذات جرس ومعان فى الرطانات المحلية . من هذه أخبار طويلة عن زواج أبى زيد الهلالى بنساء الجماعات الأخرى أثناء تطوافه وتركهن وأطفاله فى بطونهن . فلما يكبر الصبى وتعلم به العرب وتسأل عنه أبا زيد تراه يوصى الرجال العقلاء بالذهاب الى ذلك الحى وامتحان الصبى . فالمطلوب الشائع من الصبى هو أن يخبرهم ما هو المقصود بكلام مثل : اللو فى اللو واللو فى اللو واللو فى اللو .. ولهذه الأخبار مسارات طوال .

فى مجالى الحكمة تتفق روايات السودان الشمالى مع أخبار الرعاة بغرب السودان عامة على أن أبا زيد بعد ريادته لدروب تونس الخضراء ورجوعه الى فرقان العرب سألوه رأيه عن كيفية الانتقال الى تونس فقال لهم : سأخبركم برأيى غداً . ثم إنه قبض على حمامتين وحشيتين ودسهما فى قارورة بعد أن نتف ريش احداهما . فلما جاءوا من الغد قال لهم أبو زيد : رأيى فى تلك القارورة فافتحوها . وبعد التعجب كله فتحوا القارورة فاذا بالحمامة السليمة تطير فتبعد ، واذا بالمنتوفة واقعة تتخبط . وغلبهم أيضاً فهم مقاصد أبى زيد فطلب منهم أن يستعينوا لذلك بابنه بريقع . فكان لابد من الارسال فى طلب الابن .

وهنا يستطرد الراوى فى ذكر اختبار حصافة بريقع . بريقع حدثهم فقال ان أباه يعنى طريق الوصول الى تونس الخضراء جد شاق ولا يتم قطعه إلا للقوى . فمن كان قوياً من الأعراب طار مثل الحمامة السليمة ، ومن لم يكن قوياً فيصير حاله الى غلبة الحمامة المنتوفة . وهكذا باع العرب المهاجرون نعاجهم ومعيزهم وأكثروا من اقتناء الابل الشديدة فحملوا عليها الزاد والروايا ثم عبروا الى تونس الخضراء . ويبدو لى أن مثل هذه الحكم تخاطبنا أيضاً ضمن صحوتنا العامة ونحن مرتبكون أمام عدو راصد وطموح فى التطوير الحضارى الذى يلحقنا بدرجات المتقدمين .

## فيض من الحكمة

لربما صح أن الريادة العاقلة التى جسدها أعراب افريقيا فى شخصية أبى زيد لا تزيد ولا تنقص كثيراً عن كونها أيدولوجيـــة سـلالية وثقافيـة تهدف لمواصلة التوسع والتعمق فى استكشاف الآفاق البكرة للعروبة والاسلام أينما



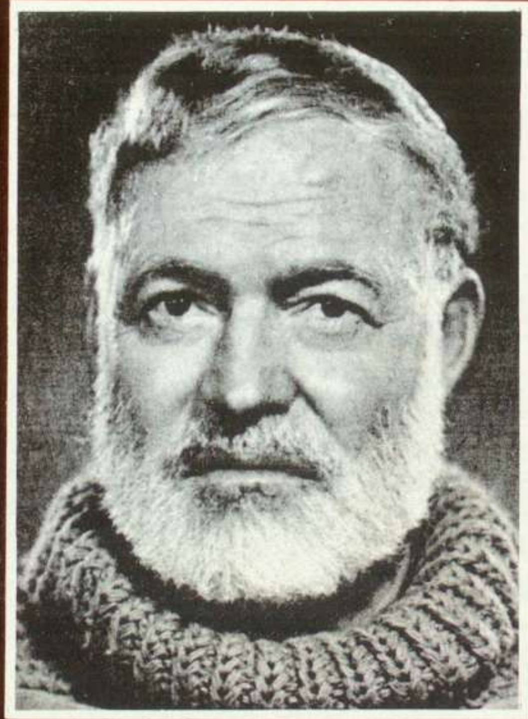
البطل الهلالى أبو زيد الذى تمنحه سيرته حق التجول فى بقاع الأرض

يسير هؤلاء البدو ومستعربوهم فى صعيد مصر تحفر هذه الريادة فى الأعماق ، فى أغوار النفس ، لأجل استبطان قوى التحمل والصمود وإحياء الطاقات المحبوسة كما يوحى لنا عبد الرحمن الأبنودى . وفى بوادى غرب السودان يدخل البقارة والأبالة أصحاب البقر والابل كل مرة فى تجارب أوسع وأعمق محتكين بالبيئات المعيشية والثقافية الجديدة ومختلطين بسلالات لم يعايشوها أو يعاشروها من قبل إلا لماماً . فى بحر الغزال وأطراف الكنغو على حواشى الغابات الاستوائية قطعان الرزيقات والهبانية وغيرهم أحياناً تسرح بهم . وحتى ركوب أبى زيد الهلالى فوق الثور فى تشاد وكردفان ودارفور تعلمه فقط من هذه البيئات الجديدة .

هنا تلد الريادة فيضاً من الحكمة لتجارب العروبة والاسلام فتثريها . وكما تسنى للمؤتمرين فى تونس للتباحث حول الدراسات الهلالية عام ١٩٨٠ أن يطلعوا على مواضيع متجددة فى هذه المجالات مثل بحث المستشرقة الفرنسية جاكلين أرنو عن «بنى هلال فى أعمال كاتب ياسين» فان للمؤسسات العلمية والثقافية فى العالم العربى أدواراً يجب عليها الاكتراث لها . إنطباعى عن هو أن السينما والمسرح والمسلسلات العربية تكاد تنهك حكايات عنتر وعبلة ، وقيس وليلى ، ووضاح اليمن ، وأمثالهم من أبطال الجزيرة فى القديم الأبعد . وربما تستفيد الذهنية العربية شيئاً جديداً لو تتعرف على البطل الهلالى فى ذاتيته الزئبقية التى تمنحه حق التجوال غير المنقطع ولا المحدود فى أنحاء الأرض طالما يذهب بعيداً عن منبعه فى نجد . والتشكل على كل هيئة فاضلة أينما يصل. لقد عاشت أمريكا مثلا أكثر من قرن من الزمان وهى تستولد أساطير ذلك المغامر الجوال فى البر والبحر لأجل تحديد وتعميق مفاهيم إنسانية البطل الأمريكى من اسماعيل فى «موبى ديك» وعبر «هك فن» فى «مغامراته» على المسيسبى وحتى جوناثان سيقل طائر النورس المصعد فى الفضاء . ولنأمل نحن أننا سنراعى لطاقات أبطالنا الشعبيين مثل أبى زيد الهلالى مرات ونتدبر معطياتهم .

ابراهيم اسحق ابراهيم ـ الخرطوم

# همنجواي



# علم نفسه الكتابة..
# ثم أطلق على رأسه الرصاص!

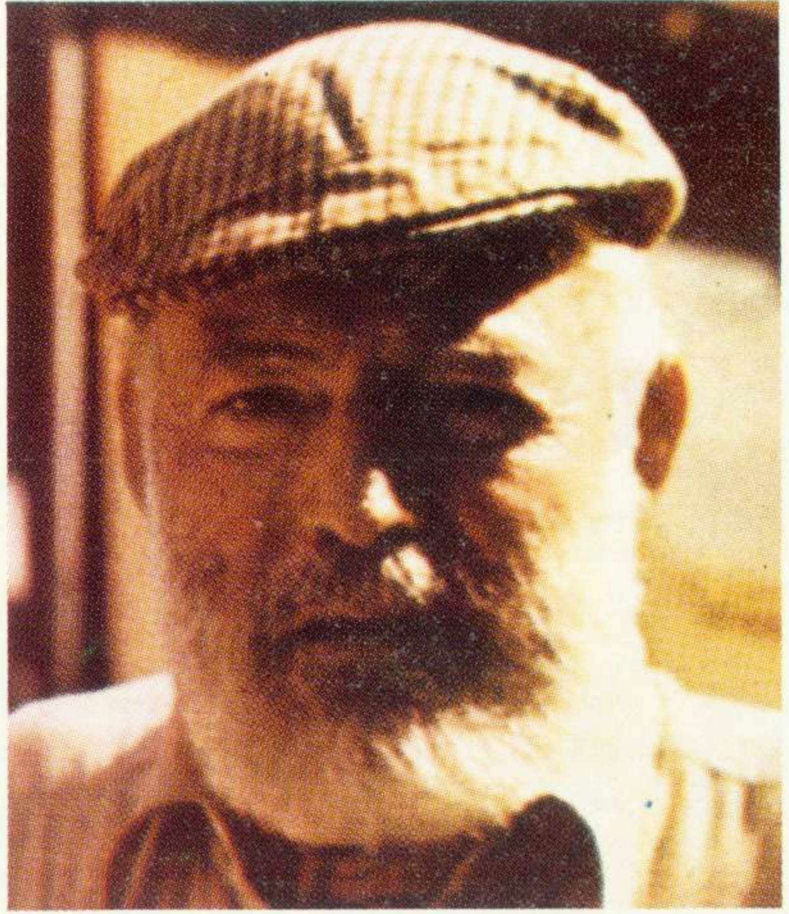
بقلم: جمال الكناني

خشيت عندما هممت بالكتابة عن إرنست همنجواى أن تغلبنى نوبة من حماسة فأضعه على رأس قائمة الكتاب الأمريكيين المحدثين ، فيهب لمعارضتى فريق يخص تى.اس. إليوت بهذه الزعامة ، أو فريق يؤثر وليام فوكنر» ويراه أحق منهما ... لهذا رضيت بالقليل وقلت لنفسى يكفى أن يكون صاحبنا همنجواى واحداً من العظام الثلاثة ، رغم ما أثارت كتاباته من عواصف النقد والتقريظ ، ورغم ما كان له من أثر ملحوظ على أدب أمريكا وانجلترا وأوربا ...

همنجواى ، أديب فحل حار النقاد فى وصفه وتحديد موقعه من مدارس الأدب .. فمن النقاد من وصفه بالبدائية ، أو بأنه مثقف منحل ، أو بأنه نموذج للامريكى الصميم ، أو انه أوروبى اقتلع من جذوره ، أو بأنه واقعى ، أو طبيعى ، أو رومانسى ، أو كلاسيكى ، أو رمزى ، أو نيهسيلى ، أو وجودى ، أو انسانى ... وليس فى الأدب الانجليزى والامريكى غير همنجواى من نخل النقاد حياته

# همنجواي

## علم نفسه الكتابة .. ثم أطلق على رأسه الرصاص !



كان أرنست همنجواي يفضل أن يراه الناس صياداً للسمك على أن يروه أديباً !



مصارع الثيران .. إنه فى رأى همنجواى مثل الكاتب !

وغربلوها أكثر مما نخلوا حياة اللورد بيرون ، بحثاً وراء ما يشين سمعته أو يلوث اسمه الأدبى .

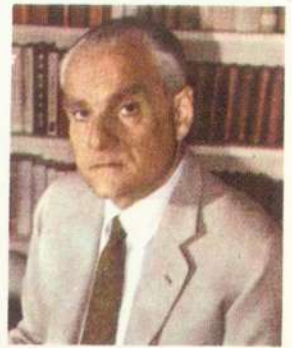
ولم يكن اهتمام النقاد بمحاولة الحط من قدر هذا الأديب والنيل من سمعته عفو الخاطر ، ولكن كانت له أسباب وعلل أهمها شخص همنجواى نفسه .. فهو من ناحية كان فريسة لما أصاب من نجاح بعد نشر كتابه «وداعاً أيها السلاح» فى عام ١٩٢٩ . واختار همنجواى بعد هذا النجاح أن يتنصل من «وصمة» كونه أديباً .. ولكم أثار حفيظة قرائه والمعجبين به بالافراط فى استعمال استعارات مأخوذة من محيط الملاكمة أو كرة المضرب .. ورفضه بأن يظهر بمظهر الأديب ، إذ كان يؤثر أن يراه الناس صياداً للسمك أو الوحوش ، أو ملاكماً ، أو محباً لمصارعة الثيران

ولهمنجواى بعض العذر فى ذلك ... فالجمهور الأمريكى الذى عاصره لم يكن يرتاح من الناحية الاجتماعية لفكرة «رجل الأدب» .. ولعلنا نذكر أن تى.إس. إليوت ، وهنرى جيمز ، وهمنجواى نفسه ، آثروا الاقامة فى انجلترا أو فى أوروبا أو كوبا على الاقامة فى أمريكا نفسها ... وكانت فكرة التخفى وراء قناع ما ، شائعة إذ ذاك ومثال ذلك باوند،وييتس ، وإليوت ... إلا أن ما أثار سخط الناس على همنجواى ، هو أنه كان يرفض أن يظهر بمظهر الجد وأنه كان يعادى الاتجاه العقلانى ... ولكنه على الرغم من هذه الألاعيب وذلك التظاهر ، كان كاتباً جديا مجيداً . والواجب أن لا تضلل حياته الخاصة بعض النقاد .. فهى خاصة به وحده .. خاصة بذكراه .. لا تعنينا .

### علم نفسه الكتابة !

الذى يعنينا هو أدب همنجواى .. كتاباته .. حصاده الفنى .. وعندما تمر عاصفة النقد الموجه اليه فسيجد الناس أنهم مدينون لهمنجواى بالكثير ... فلقد كان فى أغلب كتاباته كلاسيكياً كما كان له أثر بيرونى (نسبة لبيرون) رومانسى على معاصريه ، لم يظهر فى الأسلوب الأدبى فحسب ، وإنما تجلى كذلك فى الأسلوب العام والخاص .

ولقد تمكن همنجواى حتى قبل نشر كتابه «وداعاً أيها السلاح» من تعريف أسلوب للكلام ، بل أسلوب لحياة جيل كامل .. أسلوب استمر أثره على البعض الى يوم نشبت الحرب العالمية الثانية . وهمنجواى ، أكثر من غيره من رجال الأدب ، هو الذى قدم لشباب الثلاثينات ولجيل الحرب العالمية الثانية تعريفاً للحرب وحدد مكان الفرد فيها إن كان له ثمة مكان . ولسنا نتردد فى أن نقول إن همنجواى هو المسئول الأول عن تجرد أطراف النزاع فى الحرب العالمية الثانية من كل ملامح المثالية أو التأثر بالانفعالات . وكان أثر همنجواى أكثر انتشاراً من أثر بيرون ، لأنه بلغ مكانة أسطورية ، فتأثر به حتى من لم يقرأ له ، وتعلم قراؤه أيام الحرب العالمية الثانية



البرتو مورافيـــا .. من الذين تأثروا بهمنجـــواى



د. هـ. لورانس .. هل أثر فى كتاباته ؟



إليوت .. كان مثل همنجواى بفضل الاقامة فى أوربا



أثناء الحرب العالمية الثانية استطاع همنجواى أن يعلم الناس كيف يعيشون مع الكوارث

كيف يعيشون مع الكوارث .. بل ومنهم من تعلم كيف يموت معها .. فكان همنجواى بذلك واحداً من قلة استطاعت أن تعلم الناس درساً مباشراً .

لم يعتمد أثر همنجواى على مادة كتاباته ولا محتواها .. فقد سبقه كثيرون بالكتابة فيما طرق من مواضيع مثل مصارعة الثيران ، والرياضة والحرب ، والطفولة ، والدين ، والحب ، والموت . ولكن لم يكن لأى منهم ما كان له من أثر على الناس ... وكان أثر همنجواى يكمن فى أسلوبه فهو أول أمريكى منذ «مارك توين» غير لغة الأدب فى أمريكا تغييراً جذرياً .. ولكنه للأسف أثار حفيظة الكثيرين لأنه كثيراً ما لمح الى أنه الوحيد بين الكتاب الذى علم نفسه الكتابة

ولقد شغل نقاد همنجواى أنفسهم لفترة طويلة بالبحث عن العوامل التى أثرت فى أسلوبه .. ورددوا اسم «مارك توين» ، «شروود أندرسون» و «إرزا باوند» و «فورد مادكس» وغيرهم ... أما همنجواي نفسه فقد اعترف دون تـردد بدينه «لمارك توين» . ثم إنه عزز رأى القائلين بانه تأثر بمن ذكرنا غير «مارك توين» لما بالغ وألح فى انكار ونفى أثر هؤلاء الكتاب على أسلوبه . فالمفروض أن همنجواى استعار شخصيات الأميين البدائيين من «شروود أندرسون» الذى يمكن أن نلمح أثره جلياً فى رواية «رجلى العجوز» .

فموضوع سباق الخيل والاستعانة بغلام كراوية ، وجو الغموض الذى يسود الرواية توحى جميعا بأثر «أندرسون» على همنجواى .. والمفروض كذلك أن همنجواى تعلم من «جرترود ستاين» طريقة بناء الجمل والعبارات التى تربطها «واو الوصل» ، بدلا من الاستعانة بالطريقة التقليدية . ويقال إن «ستاين» علمته صنعة تكرار بعض الكلمات والأفكار ... وأنها بالاشتراك مع «باوند» و «فورد» علمته كيف يستبعد كل ما هو غير ضرورى أو غير لازم وكيف يستغنى عن استعمال الصفة والظرف والحال .

## أسلوب ذو ثلاث طبقات

وواجب كل من يريد تقييم أثر أسلوب همنجواى أن يدخل فى حسابه أن عديداً من صغار الكتاب قد قلدوه ، فلابد إذن من تقييم الأسلوب قبل أن يرخصه هؤلاء المقلدون . ويجب على من يريد التقييم أن يذكر أن همنجواى ، وإن كان قد تأثر بغيره ، فان أسلوبه كان أصيلا لا يشوبه أي تقليد ، وأن هذا الأسلوب يمكن أن يوصف على نحو ما تصف الجيولوجيا طبقات الأرض ، بأنه يتألف من ثلاث طبقات .. طبقة بكيرة ، وطبقة وسطى ، وطبقة متأخرة ، وإن كانت هذه الطبقات تتراكب حافاتها أحياناً .

أما أسلوب الطبقة البكيرة ، كما يتجلى فى «والشمس تشرق كذلك» فيتميز بقصر جمله التى تنطوى فى الغالب على إعلان حقيقة من الحقائق .. ويتميز بالبساطة وبعده عن اللاتينية .. وفيما عدا «رجلى العجوز» نجد أن قصص «فى عصرنا» تروى كلها بصيغة الغائب مع الاحتفاظ بسمة الموضوعية ، كما نجد الحوار فيها دراميا ساخراً فيه تكرار والتواء ...

ويضاف الى ما يتجسم أمامنا من ذكاء همنجواى ، روح دعابته وبعده عن المبالغة ، ويقظته وانتباهه الى الحقائق وما فى الحياة وفى سلوك الناس من تنوع .. وعندما يبلغ أسلوب هذه الطبقة البكيرة ذروته ، نجد أنه يولد آثاراً عاطفية تفوق فى عمقها تلك الوسائل القليلة التى يعتمد عليها المؤلف فى كتاباته .. على أن هذا الأسلوب يتدهور وينحط أحياناً كما هى الحال فى «اليوم هو يوم الجمعة» فيصبح أسلوباً عاطفياً زائفاً .

وأما أسلوب الطبقة الوسطى من كتابات همنجواى فله ميزات أسلوب الطبقة البكيرة إلا أنه أكثر مرونة وأطول باعاً وأوسع مدى .. استعمل الكاتب فيه الجمل الشرطية والعبارات التبعية بدلا من الاعتماد على الجمل التى تربطها واو العطف .. وهذا هو أسلوب رواية «وداعاً أيها السلاح» ، وأحسن ما جاء بعدها من

همنجواي

علم نفسه الكتابة..
ثم أطلق على رأسه الرصاص!

قصص قصيرة مثل «حياة فرانسيس ماكوبر القصيرة السعيدة» .

وأسلوب ألطبقه المتأخرة الذى نراه فى «الموت بعد الظهر» فهو على نقيض سابقه .. مبالغ فى زينته ، طويل الجمل ، ثقل فى سخريته ، يستعمل لغة المتكلم وتغوص ناحيته الخيالية فى رمزية مجردة من كل رشاقة ... ولكن كتابات هذه المرحلة لا تخلو من فقرات أو صفحات ، أو حتى من فصول لا تقل جودة وحبكة عن أفضل ماكتب فى المراحل السابقة التى تتميز بنقائها .

ويمكن تعليل نجاح أسلوب همنجواي وشعبية صنعته ، بأنه قادر على أن يبرز خلاله ما يوهم القارىء بأن الأمور المعقدة التى تتعلق بالسلوك والضمير ، يمكن اختزالها الى عناصرها الأولية وترتيبها ثم السيطرة عليها . ويبدو أن همنجواى قد حذق هذه الطريقة وأتقنها الى حد الكمال .

وحقيقة الأمر هي أن اسلوب همنجواى ، فى بعض نواحيه ، محدود معيب ، ولكن العيوب مستورة بمهارة ، والحدود تبدو وكأنها مصادر قوة . وأسلوب همنجواى أسلوب معاصر دون أن يكون محلياً أو اقليمياً . وفى ذلك ما يعلل نضرته وجاذبيته . وهمنجواى يعتمد أبداً على الذاكرة بدلا من الاعتماد على التاريخ .. فهو يصور دنيا الحاضر المتفتح ولا يرسم دنيا الماضى حتى وإن تجلت مظاهر الماضى فى قصصه .. استمع اليه يقول :

«وركب أربعتنا عربة مفتوحة الى سان سيرو . وكان اليوم جميلا ، وسارت العربة خلال المتنزه وعلى محاذاة خط الترام الى خارج المدينة حيث كان الطريق كثير الغبار .. ومررنا بعدد من الفيلات تحوطها أسوار من حديد وحدائق مشحونة بالشجر وحفر مليئة بالماء ينساب منها ، وحدائق فيها الخضر والتراب يعلو أوراق الشجر ...» .

وهنا نجد أن «واو» العطف الوصفية تخلق سلسلة من الصور المرئية الواضحة دون أن تستطيع تحقيق أكثر من ذلك .

## وداعاً أيها السلاح

ويؤخذ على همنجواى أن الرواة فى قصصه ، وخاصة «فريدرك هنرى» فى «وداعاً أيها السلاح» ، غير عاديين ، أو قل إنهم أهل بطولة ، يرغمهم الكاتب على سرد قصص بطولاتهم فينتهل بذلك أخلاقهم لأن الأبطال يعزفون عادة عن التحدث عن أعمالهم البطولية . وكان همنجواى يدرك هذا العيب ويحاول التغلب على هذه الصعوبة بصبغ أعمال هذه الشخصيات بشىء من الفكاهة والميل الى عدم المبالغة ، ولكن ذلك لم يشفع لهم أو يخفف من امتعاض القارىء مما يتفاخرون به من علم لا تحده حدود وخبرة ثقيلة للغاية .. خذ مثل هنرى .. تجد أنه يعرف كل شىء عن السلاح وهو خبير بانواع النبيذ والطعام ، يعرف المدن وفن العمارة والرسم واللغات والجراحة والتكتيك الحربي والاستراتيجية والخيل ، ويعرف حتى سواحل بحيرة ماجيورى .. ونتيجة ذلك ؟ موسوعة .. شخصية لا تطاق .. ولا تحتمل .. ومع ذلك نجد أن القارىء لا يبرم بهمنجواى نفسه .. لأنه يحتفظ بتعاطف القارىء بسبب اتقانه لفن الحوار .. فحوار همنجواى واقعى .. ورام .. يعكس رأياً أو أكثر عن موضوع بالذات أو عن الحياة كلها .. وهو ملىء بالاشارات والايحاء والايماء والالتواء .. متأرجح فيه إيجاز وبلاغة غير البلاغة التقليدية المألوفة .

والآراء التى تجمع على مدح حوار همنجواى وإطرائه ، تختلف وتتضارب فيما يتعلق بالنواحى الأخرى من أدبه .. ومرجع هذا الخلاف والتضارب هو التخبط فى تحديد الهدف الذى يرمى إليه همنجواى ، أو تعريف ما كان يريد تحقيقه ، والمادة التى كان يريد تقديمها .

ولعل « ويندام لويس » نطق بلسان غيره من النقاد أو عبر عن آرائهم في مقال له بغيض عنوانه « الثور الأخرس : دراسة لأرنست همنجواى» سخر فيه من طريقة اختيار همنجواى لشخصياته ، لأنه اعتبرهم «مجردين من كل عزيمة» وأنهم «سلبيون» وأنهم «نهب للأحداث» .. وجاء بعده «جون بيل بشوب» وقال عن شخصيات همنجواى :

«ولأنهم مجردون من كل إرادة أو عزيمة دون أن يعوزهم الذكاء ، نجد أن رجال همنجواى ونساءه مجردون من كل كيان روحى . فدنياهم تعاصر الحرب وما أعقبها من فوضى واضطراب ، وهى دنيا مجردة من كل القيم التقليدية» ..

ومن الواضح أن هذا التعليق صادر عن شخص صلف يحتقر نوعاً معيناً من الشخصيات ونوعاً خاصاً من الآدميين سواء أكانوا من الملاكمين أو من رجال العصابات أو الجنود أو مصارعي الثيران .. ولكن من ذا الذى يقول إن هؤلاء غير جديرين باهتمام الكتاب ؟

## جوانب لاتخلو من الغرابة

ونعود إلى الوجه الثاني من نقد «ويندام لويس» وما ذهب إليه من أن شخصيات همنجواي مجردة من كل إرادة أو عزيمة ، ونقف لحظة عند شخصية « جيك بارنز » وهو بطل مسيحي يناهض معايير السلوك فى عصره ، ويقيس السلوك ويحكم عليه ، وهو موضع احترام الناس واعجابهم ، بل ومنهم من يتبعه ... وهذه الصفات ذاتها تتجلى بوضوح أكثر فى شخصية « فريدرك هنري » بطل « وداعاً أيها السلاح » ... والحوار بينه وبين القس فى هذه الرواية يشير إلى إلمام تام بتعاليم المسيحية ، وهمنجواي يصور الحرب بطريقة تجعلها وحشية بشعة مجردة من كل انسانية ، وفرار هنرى من الجندية كان بمحض ارادته ، ولحرصه على الاحتفاظ باحترام نفسه .

ولسنا من بين من يقولون بأن الناحية الدينية فى كيان همنجواي وتكوينه الأخلاقي كانت من بين العوامل التى جعلته كاتباً مجيداً .. ولكن هذه الناحية تعين على تفسير ما ظنه بعض النقاد قوة رمزية فى كتاباته ، وبيان أنها فى الواقع قوة روحية شبه دينية ، وهى القوة التى تعينه على خلق ما نلمس فى كتاباته من بساطة وما لها من جاذبية عالمية .

ومن دواعي فخر همنجواي أنه أول

أديب غير أسباني استطاع أن يدرك وأن يسجل بما له من سلطة ونفوذ أدبي ، أن مصارعة الثيران ليست رياضة بدنية فى ذاتها ، ولا هي لعبة من ألعاب السيرك ، ولكنها فن أصيل خالص . وأهم من ذلك أن همنجواي أدرك ما بين مصارعة الثيران وبين النثر الخيالي من علاقة ، فكتب عن المصارعة ما رآه بعين خياله ، فكان في كتابته مقنعاً للغاية . ويعتبر كتابه « الموت بعد الظهر » دليلا يهدى القارىء إلى خبايا مصارعة الثيران ، ولقد وجد همنجواي بوصفه كاتباً يهتم بالحاضر دون الماضى ، فى مصارعة الثيران هدفاً يدعو لاهتمامه . فمصارعة الثران مادة طبيعية لكاتب يهتم بالناس وهم يواجهون مواقف بالغة التطرف تحت تهديد العنف ويرى كرامة الفرد وراحة نفسه حين يحسن الأداء وهو فى موقف بالغ الخطورة .. وهو يرى أن مصارع الثيران كالكاتب ، يخلق كياناً لم يكن له وجود قبل أن يبدأ عمله .. وأنه يتمكن بما له من مواهب وقدرة على ضبط النفس ، من التحكم فى نفسه وان يتحكم فى الثور عن هذا الطريق ، وبذا يجمع كل هذه العناصر .. طقوس المصارعة .. والثور .. وهو نفسه ، فى واقع جديد .

هناك ناحية من نواحى أثر همنجواى الأدبى لا تخلو من غرابة .. فالملاحظ هو ان همنجواى كان له كبير الأثر على الكثير من الكتاب الامريكيين غير النابهين ، بينما كان له أثر واضح فى كتابات عدد من كبار الكتاب الانجليز من أمثال جريهام جرين وكرستوفر أشروود ، وعلى المؤلفات الأولى لألدس هكسلى .. وأغرب من ذلك ، على دى . إيتش لورانس نفسه . وكان لهمنجواى فى فرنسا أثر على بريفوست وكامو وسارتر .. ويقال كذلك ان همنجواى هو المسئول عن البساطة النسبية التى تتميز بها كتابات بعض أدباء المانيا مثل وولف جانج وهيندرك بل ، ومولر وسجفريد سومر .. ولم ينج كتاب إيطاليا من أثر همنجواى الذى يظهر فى كتابات اليوفتوريني ، وجوزبى برتو وألبرتو مورافيا .

ولن يفوتنا فى هذا المجال أن نشير إلى أثر همنجواى على الكاتب الفرنسى هنرى دى مونثرلان حتى ان هذا الكاتب كان يلقب باسم همنجواى الفرنسى رغم أنه كان يحتقر كل من يسميه بهذا الاسم .



إرنست ملر همنجواى ، هذا الروائي الامريكى ، كاتب القصص القصيرة ، والذى تميز بأسلوب رائق بارع الايجاز ، ولد فى «أوك بارك» بولاية إيلينوى ، فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يوليه ١٨٩٩ .. ولم يتعد تعليمه المرحلة الثانوية ، ولكنه فاز بجائزة نوبل للأدب فى عام ١٩٥٤ .

بدأ هذا الأديب حياته صحفياً صغيراً يراسل صحيفة «كانساس سيتى ستار» ، فلما نشبت الحرب العالمية الأولى التحق بوحدة الاسعاف من فرقة المشاة فى ايطاليا . وفى ليلة الثامن من شهر يوليه ١٩١٨ ، أصابته شظية من قنبلة قرب قرية بياف فى شمال ايطاليا وجرحته جرحاً بليغاً دون أن تقتله . وبعد فترة نقاهة فى ميلان ، عاد إلى مدينة شيكاغو يمارس الصحافة ثانية إلى أن أبحر إلى فرنسا يوم ٨ ديسمبر ١٩٢١ وعمل مراسلا من الخارج لصحيفة «تورنتو ستار» . وعاش بعد ذلك خمس سنوات فى شظف من العيش يمارس الصحافة فى فرنسا واسبانيا وسويسرا والمانيا واليونان .

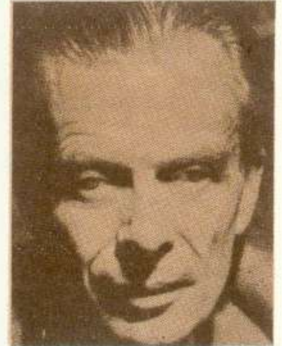
فى عام ١٩٢٣ نشر همنجواى ثلاث قصص وعشر قصائد ، وفي ١٩٢٤ صدرت فى باريس رواية «فى عصرنا» ، فكان ذلك مشجعاً على نشرها فى نيويورك (١٩٢٥) وأصاب همنجواى أول نجاح لما نشرت له رواية «والشمس تشرق كذلك» فى عام ١٩٢٦ ، نشر بعدها مجموعتين من قصصه القصيرة رسخت بعدهما قدمه واحتل مكانته كأحد كبار الكتاب . أما الرواية التى أكدت سمعته كروائى من الصف الأول فهى «وداعاً أيها السلاح» التى نشرت عام ١٩٢٩ وهى مأساة ضابط أمريكى وممرضة بريطانية وقعت أحداثها فى ايطاليا وسويسرا المحايدة أثناء الحرب .. وانصرف همنجواى بعد ذلك إلى الكتابة عن مصارعة الثيران « الموت بعد الظهر» (١٩٣٢) ، وقضى فى ذلك عشر سنوات .

فلما نشبت الحرب الأهلية فى أسبانيا اهتم همنجواى بأمرها اهتماماً شديداً وكتب فيها قصته المشهورة التى ظهرت على الشاشة البيضاء «لمن تدق الأجراس» (١٩٤٠) وتعتبر أعظم رواياته .وهي تروى قصة أمريكى متطوع ينضم إلى احدى العصابات وراء خطوط الثوار .. وتصور القصة كيف خذلت القوات الفاشية الشعب الاسبانى ، كما خذلته العناصر الرجعية فى اسبانيا نفسها .

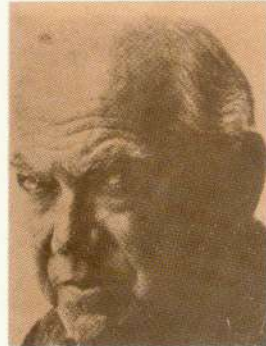
ولقد أثنت اللجنة التى تقرر منح جائزة نوبل على فن همنجواى القوى وسيطرته على طريقة القصص الحديثة وقدرته النادرة على بناء هياكل من الرمزية الطبيعية .

ومات همنجواى ، الذى صمد للقنابل ، فى داره فى «كتشوم» بولاية «أيداهو» يوم ٢ يوليه ١٩٦١ من أثر جرح سببته رصاصة أطلقها على نفسه .. وخسر الأدب وخسرت القصة وخسرت الرواية بموته كاتباً فحلا .

جمال الكنانى



الدوس هكسلى .. الأثر واضح فى مؤلفاته الأولى



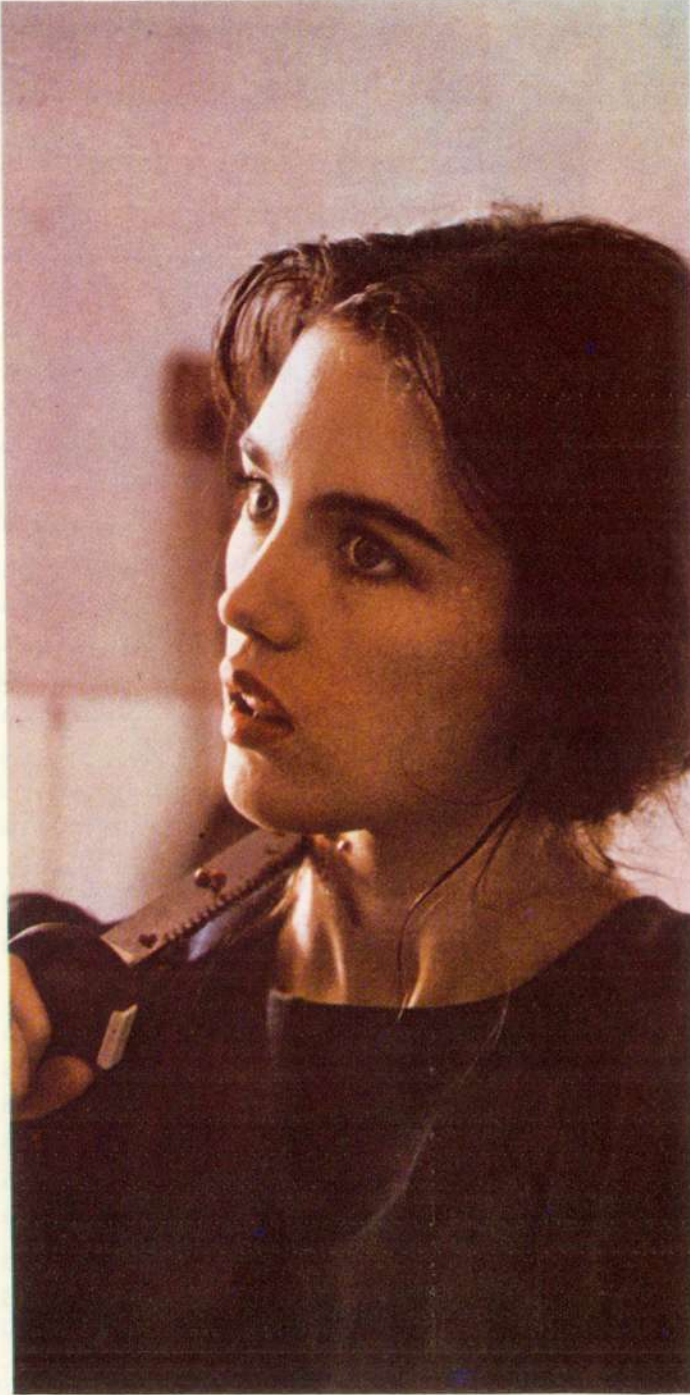
جراهام جرين .. كان أثر الأديب على كتاباته واضحاً



وليم فوكنر .. يراه الكثيرون احق بالقمة




السكين على العنق .. حالة من حالات العنف ، تقوم بهـــا الممثلة « ايزابيل أدجانى » فى فيلم امتلاك



## ماتبقى من سينما عام ١٩٨١

# شهادة على عصر دموي

بقلم : رءوف توفيق

لم يشهد العالم حالة من العنف والارهاب ، مثلما يحدث الآن ، فيما يشبه الأعصار الرهيب الذى يطحن كل شيء أمامه ! .

أصبح الرصاص هو اللغة السائدة .. والدم هو الطعام اليومي !!

ومنذ سنوات قليلة .. كانت حادثة عنف واحدة ، من الممكن أن تهز العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وتسجلها وكالات الأنباء على أن شيئاً خطيراً قد حدث .!

أما الآن .. فان اليوم الذى يمر دون حادثة عنف .. يعتبر يوماً فريداً !!

وامتد العنف من دائرة اللصوص والسفاحين فى جرائمهم المعروفة .. إلى دائـرة المعارضيـــن والمتطرفيـــن فى السياسة . !

وشمل العنف العالم كله ، وكأنه وباء سريع الانتشار !

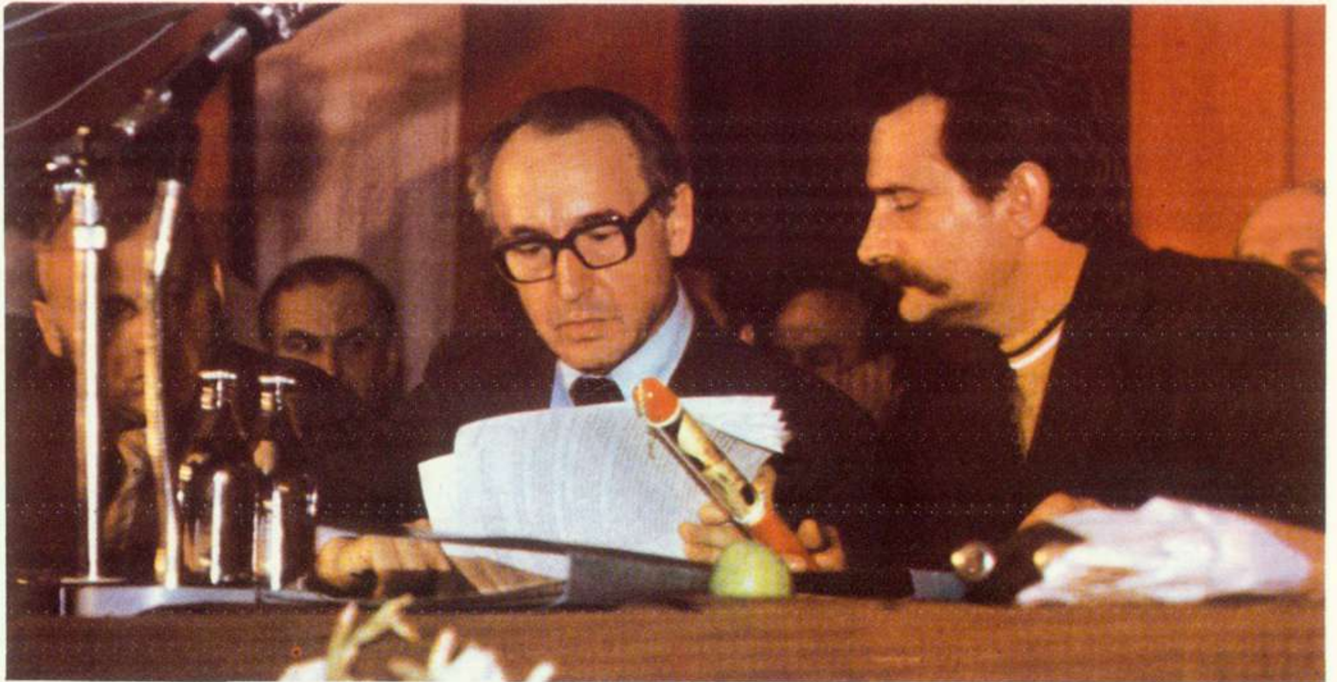
وسجلت الشاشة العالمية هذا العنف .. بمزيد من العنف !

وتبارت الأفلام لتأكيد المعنى الدموى!

وقد كانت كل الظواهر السينمائية ، تشير خلال الأعوام الماضية ، إلى أن ظاهرة العنف فى الأفلام ، تنمو وتتسع بطريقة سرطانية .. وكانت التوقعات أيامها تتنبأ بأن هذه النوعية من الأفلام لن يستمر الحماس لها ــ من المشاهدين



الصورة العليا .. لقطة من الفيلم البولندى « رجل من حديد » حيث يقوم أحد الممثلين بدور زعيم العمال أثناء توقيع الاتفاقية مع الحكومة .. والصورة السفلى لنفس اللقطة .. ولكن فى الحقيقة وكما حدثت بالفعل



وبالتالي من المنتجين ـ ... وأنها مجرد موجة لاتلبث وأن تأخذ مداها وتنتهي .. ولهذا أسرعوا وتنافسوا فى انتاج الأفلام المليئة بالعنف ، حتى يستفيدوا منها أقصى استفادة !

ولكن الموجة لم تنته .. بل ازدادت وأخذت أشكالا مختلفة .. لا لسبب إلا أن الواقع اليومي لأحداث العالم أصبح واقعاً أكثر عنفاً وشراسة !

وهكذا استمد صناع السينما مبرر الاستمرار لأفلام العنف .

البعض يحاول أن يحلل ما جـرى للعالم بهدوء وحكمة .. والبعض يستفيد من دم الواقع ، ليسفك مزيداً من الدماء على الشاشة فى تلذذ غريب ، وهوس شاذ ، أقرب ما يكون إلى المرض النفسي !

وبجانب أفلام العنف .. ظهرت أفلام تعكس حالة الضياع والتمزق الحاد عند الشباب ...

وأفلام أخرى من داخل المناطق الملتهبة فى العالم ، تدلي بشهادتها حول ما يجرى فى بلادها !

وهكذا .. فان المتأمل لخريطة السينما فى عام ٨١ .. يكتشف أنه أمام خريطة اجتماعية وسياسية ـ متفاوتة التعبير ـ عن نبض أيام مشحونة بالقلق والتوتر !

فى الأسابيع الأخيرة من عام ٨١ ..

# شهادة على عصر دموي



المسدس في اليد دائما .. في الفيلم الأمريكي « شوارع العنف »

بدأ عرض فيلم «المزيف» للمخرج الألماني العبقري «فولكر شلندروف» الذي أذهل العالم بفيلمه السابق «الطبلة» .

هاهو يقود أبطال فيلمه الجديد «المزيف» داخل بيروت التى هدمتها الحرب الأهلية .. من خلال قصة هذا الصحفي الألماني الذي يعتبر من أحسن المحققين الصحفيين في ألمانيا ( يلعب الدور الممثل الألماني برونو جانز ) والذي جاءته فرصة السفر لتغطية الحرب اللبنانية .. فيترك زوجته وحياته الجافة الباردة ، ليلقى بنفسه داخل بيروت .. وتتحول عينا رأسه الى كاميرا دقيقة ومراقبة لكل ما يجرى في الشوارع ، وبين الحواجز والمتاريس ، وخلف الجدران المهدمة .. ويكتشف أن الحياة تنمو جنباً الى جنب مع الموت والخراب .. فالأطفال يذهبون الى مدارسهم والشوارع تنبض بالحياة العادية .. بينما القناصة في الأطراف المتحاربة ، يتبادلون الرصاص والقتل والدمار . ! ويقع الصحفي في علاقة عاطفية مع امرأة متزوجة .. ويحاول أن يكتشف حقيقة ما يجرى في داخله .. وأيضاً ما يجرى على أرض المعركة في لبنان ..

ويكتب مقالا عن الزيف الذي أصبح حقيقة يومية ، يتعامل معها الناس وكأنها هي الحقيقة الأصلية . فما يراه بين أطراف القتال في لبنان ، انهم يحاربون بتناسق وطبيعية تدعو للحيرة والدهشة .. فهم يرتدون نفس الأقنعة ، ويستخدمون نفس الأسلحة ، وفي جميع الأحوال يستخدمون نفس أساليب العنف .. فعندما تقع مذبحة في إحدى المعسكرات ، يكون رد الفعل .. هو مذبحة بنفس الشكل والأسلوب في المعسكر المعادي .. وهذا النموذج ـ كما يقول الصحفي ـ يصور حالة الزيف في هذه الحرب . !

وعندما ينشر الصحفي مقاله .. تثور حوله الاعتراضات ويتهمونه بالكذب والخداع .. ولكنه يدافع عن نفسه وعن منطقه ، وكيف أن مايراه هو مزيفاً ، يراه الآخرون على أنها الحقيقة .. ويقول :

« إن ما يثير ضيقي وحزني ليست هي الحياة التى أحياها .. ذلك لأني مازلت غير قادر على استيعابها .. رغم اعتقادي القوي بأن هذه الحياة المزيفة هي الحياة الحقيقة » . !

وهكذا يربط المخرج الألماني «شولندورف» بين التمزق الداخلي لهذا الانسان .. والتمزق الداخلي في لبنان .

وهذه النظرة الفلسفية يطرحها الفيلم من داخل بانوراما هائلة ومليئة بالتفاصيل عن الحياة والموت في لبنان .. أو بمعنى أدق عن الحياة والموت في هذا العالم التعس !

## ايطاليا والارهاب

ومن داخل ايطاليا .. قدم لنا اثنان من أكبر مخرجي السينما الايطالية .. فيلمين عن الارهاب ومنظمات القتل والخطف التى ترفع شعارات سياسية .. وهي

الظاهرة التى تنوء ايطاليا بآلامها ومآسيها اليومية المتكررة في شراسة !

المخرج الايطالي المرموق «فرانشيسكو روزي» يقدم فيلم «الأخوة الثلاثة» ليحكي ٢٤ ساعة في حياة أسرة بجنوب ايطاليا ، تفرق أبناؤها كل واحد في مهنة ، وكل واحد في بلد .. وكل واحد في مشكلته :

الابن القاضي مع مشكلة الارهاب .. يحقق قضاياه .ويطاردونه بالاغتيال اذا استمر في نظر هذه القضايا !

الابن العامل ومشكلته مع ادارة المصنع .. وحيث لا يجد وسيلة للاحتجاج سوى الاضرابات والعنف .. ولكن لا يدرى متى يتحقق الهدف سريعاً .

الابن الثالث .. المدرس في اصلاحية الأحداث ، والذي تشغله فكرة ان العالم لكي يتم انقاذه ، يجب أن يبحث عن إلهام روحي ، وقلب جديد وإلا جاء السقوط مدوياً ورهيباً !

هؤلاء الأبناء الثلاثة (الذين يمثلون مشاكل ايطاليا المثارة حالياً) يجتمعون في بيت العائلة ، تلبية لبرقية وصلتهم من والدهم العجوز (لعب الدور الممثل البارع شارلز فانيل) يبلغهم فيها بوفاة أمهم .. وها هم يلتقون معاً بعد غيبة طويلة .. وفي البيت الذي شهد طفولتهم وصباهم .. ومع جثمان الأم التى كانت تمثل لهم الحب والحنان .. كل منهم الآن يحكي مشكلته ويفضفض عن همومه .. حتى تأتي لحظة الوداع ، وتشييع جثمان الأم .. لينفجر كل منهم في بكاء مرير ..

إنهم في الحقيقة يبكون أمهم .. ويبكون أيضاً أنفسهم !

ويعود الأخوة الثلاثة إلى دنياهم .. وهمومهم .. بعد أن استخلص المخرج من خلالهم - وبأسلوب فني يشع بالعذوبة والانسانية والجمال - أهم القضايا التى تشغل ايطاليا اليوم .. وربما أخطرها قضية الارهاب .. حتى أنه يكاد يكون أول مخرج ايطالي يجرؤ على طرح هذا الموضوع الملتهب للنقاش !! .

وعندما سألوه فى حوار صحفي : لماذا تأخر كثيراً فى اثارة هذا الموضوع .. بينما الارهاب يعشش فى ايطاليا منذ أكثر من عشر سنوات.؟!

أجاب المخرج « فرانشيسكو روزى » بمرارة واضحة :

« هل تظنون أنه من السهل صنع فيلم عن مأساة الارهاب ؟! .. لقد فكرت فى هذا طويلا .. ودائماً ماكنت أشعر بأن هناك شيئاً ناقصاً .. وقد كان من الممكن أن أصنع هذه الأفلام من وجهة نظر المشاهدين .. ولكن لكي أقول لهم ماذا ؟ .. كيف يمكنني أن أحكي قصصاً للجمهور .. بينما أنا شخصياً لا أفهم قواعد اللعبة الدائرة»..؟!

## مأساة رجل أحمق

ومن ايطاليا أيضاً .. يقدم المخرج «برناردو برتولوتشي» فيلماً عن جانب آخر من القلق الذى تعيشه ايطاليا حالياً .. وهو الاختطاف والمطالبة بفدية كبيرة .. والضحية هنا فى قصة الفيلم .. رجل من الطبقة المتوسطة استطاع بجهده أن يبنى مصنعاً لمنتجات الألبان ، وأن يعيش حياة مترفة .. وهذا الرجل له ابن وحيد ، ويفاجأ باختطافه عن طريق منظمة تسعى للحصول على الأموال لزيادة مواردها وتدعيم خططها .

ويعكس الفيلم ماجرى للأب ( أوجو تونيازى ) والأم ( أنوك ايميه ) وحالة الرعب والقلق التى انتابتهما .. وكيف بدأ الأب يرهن المصنع ويبيع ما يستطيع منه ، لكي يجمع النقود المطلوبة كفدية لابنه المخطوف .. ويعود الابن ، لنكتشف أنه عضو فى هذه المنظمة وأنه مشترك معهم فى هذه اللعبة السخيفة !

ويقدم لنا المخرج حالة الفوضى والارتباك الفكرى والاخلاقي بين أعضاء تلك المنظمة وكلهم من الشباب .. فى محاولة لادانة هذا الاسلوب الذى تفشى فى ايطاليا .

ورغم أن الفيلم لم يأت على المستوى المأمول من المخرج « برتولوتشي » .. إلا أنه تجرأ ودخل المنطقة المحظورة ، ليتحدث عن الارهاب .. ويحصل الممثل « أوجو تونيازى » على جائزة أحسن ممثل فى مهرجان كان ٨١ .

## شباب أوربا والأزمة

وعن الضغوط التى يعاني منها الشباب الأوربي .. قدم المخرج الانجليزى ( كين لواش ) فيلم « نظرات وابتسامات » عن مشكلة البطالة فى انجلترا من خلال قصة شابين أحدهما التحق بالجيش هرباً من البطالة .. والآخر حاول أن يعمل فى أية وظيفة ولم يستطع .. وأصبح عليه إما أن يقف فى طابور الحصول على اعانة بطالة .. أو أن يلتحق بالجيش ، وهذا ما لايحبه ! .. ولكن هل هناك اختيار فى ظل هذه الظروف الاجتماعية الشديدة القسوة ، والتى يعرضها الفيلم بجرأة وصدق .

يقول المخرج الانجليزى « كين لواش » عن شخصيات فيلمه :

« انهم شباب فى عمر ١٧ .. كلهم حيوية وحماس وتفاؤل .. إنهم نتاج مجتمع غربي صناعي .. ولديهم الكثير ليقدموه للعالم .. ولكن ماذا لدى العالم ليقدمه لهم » . !

● ومن المانيا الاتحادية .. يأتي فيلم « مدينة اليأس » كأول فيلم يخرجه الممثل الألماني « فاديم جلوفنا » ليقدم مأساة الشباب فى مدينة ألمانية .. حيث لا أمل .. ولا مستقبل .. ولا طريق للهروب .. وهناك حلم يترنح بين الحين والآخر بين بطلي الفيلم وهما شاب وفتاة فى العشرينات ، إنه ربما تكون هناك فرصة للهجرة إلى أمريكا .. ولكن يتبدد الحلم .. فليس هناك مكان فاضل يستطيع أن يقدم الحب والفهم للشباب...

والفيلم ليس به قصة لها بداية ونهاية .. ولكنه صرخة مستمرة ، ورحلة معاناة مع بطلي الفيلم وهما يحاولان أن يجدا مبرراً للحياة .. فكل ما حولهما يلفظهما ، ويطاردهما .. الأهل يفرضون عليهما أسلوبا لا يقبلاه .. والعمل يضعهما فى قوالب يرفضانها .. والمدينة تلتهم كل شيء بسرعة .. ولا تدع فرصة للتأمل والخلاص .. وفى النهاية يأتى الضياع والتمزق واليأس .. ويصبح الحب مستحيلا ! .

● ومن المانيا الاتحادية أيضاً .. يأتي فيلم « كريستيان . ف . » من اخراج «أيرلش أيدل » لينقل على الشاشة قصة حقيقية نشرتها فى مسلسل مجلة «اشتيرن» الألمانية .. عن اعترافات فتاة



بعض أفراد منظمة الاختطاف فى فيلم « مأساة رجل احمق » .

شهادة على عصر دموي



حوار حول الارهاب بين القاضي واخيه العامل فى فيلم « الأخوة الثلاث »



القناصة فى بيروت .. لقطة من فيلم المزيف



الضياع والتمزق كما تجسده هذه الالمانية فى فيلم « مدينة اليأس » .

بدأت تدخل عالم المخدرات فى سن ١٢ عاماً .. ثم أدمنت وانحرفت لتنفق على شراء المخدرات !!

وأبشع ما يقدمه هذا الفيلم هو رؤية طفلة تفقد أجمل سنوات البراءة والنقاء، نتيجة ظروف عائلية مرتبكة .. وفى مجتمع لا يرحم .. وبين جموع مراهقين وشباب لا عزاء لهم إلا المخدرات . !!

## رجل من حديد

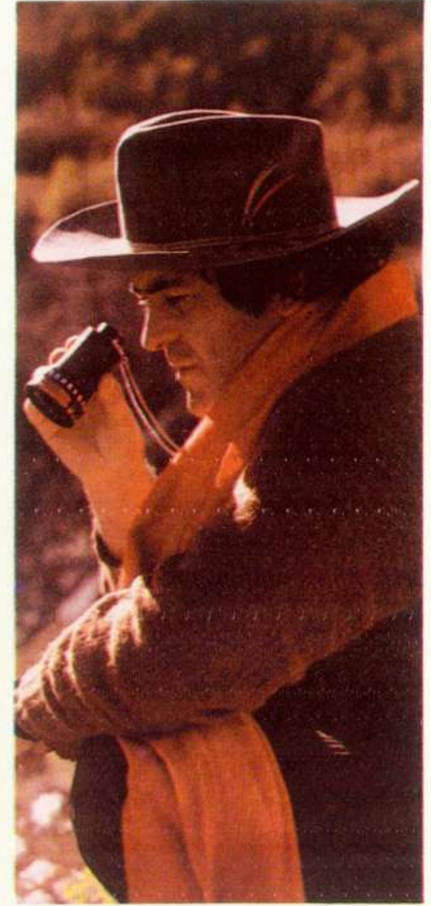
ومن واقع حركة العمال فى بولندا .. التى كانت ، ومازالت ، تشغل اهتمام العالم كله .. يقدم أكبر مخرجي السينما البولندية « أندريه فايدا » فيلمه « رجل من حديد » ليصبح هذا الفيلم أحد أهم أفلام عام ١٩٨١م .. وليسجل على خريطة السينما العالمية .. يقظة وجرأة السينما البولندية التى قدمت خلال عام ٨١ عدداً من الأفلام الهامة عن جذور الاحتجاج والمقاومة فى تاريخ بولندا .

وفيلم « رجل من حديد » يعود إلى بدايات احتكاك العمال مع السلطة البولندية منذ أحداث ٦٨ ثم صدامات عام ٧٠ وعام ٧٦ .. لتتوج فى النهاية ، باتحاد العمال فى حركة التضامن عام ١٩٨٠م .

والمخرج « فايدا » يؤكد فى فيلمه .. على أن حركة العمال ، حركة وطنية ، وأن شهداء معارك العمال مع السلطة طوال هذه الأعوام .. كانوا بمثابة القوة الملهمة للاستمرار والصلابة .

وأثار الفيلم اهتماماً عالمياً بالغاً .. وقد علق المخرج « فايدا » على التساؤلات التى ترددت حول مدى الاستفادة بالحقائق الكاملة لما حدث فى بولندا ، أثناء اخراج هذا الفيلم ؟ .

قال المخرج بتواضع شديد وثقة : « أعتقد أن الانسان لا يستطيع أن يقدم الحقيقة كاملة فى أي عمل يعتمد على الفن .. فهي مسألة احداث أو وقائع تاريخية .. نستخدم فيها الصور والوثائق والاعترافات والأدلة .. وبفضل كل تلك المصادر نستطيع الاقتراب من الحقيقة .. وقد ركزت كل جهدى فى ذلك الاتجاه .. وبقدر المستطاع استخدمنا صوراً فوتوغرافية للوثائق الأصلية والأفلام والشرائط المسجلة ، بالاضافة إلى أننا كنا مبهورين بهذه الشخصيات الأصيلة الصادقة ، التى صنعت





المخرج « براتولوتشى » والممثلة « أنوك ايميه » والممثل « أوجو توجمازى » وفيلم « مأساة رجل أحمق »

الأحداث وخلدها التاريخ .. وكل ما صنعناه أننا حاولنا اعادة تقديم هذه الشخصيات » . !

## وثيقة فنية خطيرة

وشهد عام ٨١ .. وثيقة فنية خطيرة .. سجلها المخرج الأمريكي الكبير « جون هيستون » عام ١٩٤٥ .. وظلت هذه الوثيقة موقوفة عن العرض منذ ذلك التاريخ ، بأمر من وزارة الدفاع الأمريكية .. حتى تم الافراج عنها فى بداية ٨١ ..

وهذه الوثيقة الفنية .. عبارة عن فيلم تسجيلي مدته ساعة بعنوان « ليكن هناك ضوء » .. أخرجه جون هيستون من خلال المستشفيات الأمريكية العسكرية والتى استقبلت الجنود الأمريكيين الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية ، وأصابتهم الحرب بصدمات نفسية وعصبية عنيفة .

والفيلم يتابع دخول نماذج من هؤلاء الجنود ، بداية من الفحص الطبي لاقرار مدى الاصابة ، ونهاية بعودتهم إلى حالتهم الطبيعية . !

وبراعة ذلك الفيلم ـ وقسوته أيضاً ـ أنه يقدم الحقيقة الكاملة الرهيبة على بشاعة الحرب ومافعلته فى هؤلاء الجنود الذين فقدوا النطق والسمع .. أو أصابت أجسادهم ارتعاشة دائمة .. أو عدم القدرة على الحركة .. أو النوم .. واحساسهم الدائم بالفزع .

ويعتمد الفيلم على مادة واقعية تنبض فى كل لحظة من مدة عرض الفيلم بهذه الآلام الانسانية المروعة ، والعذابات التى تفصح عنها عيون الجنود والتى استطاعت كاميرات دقيقة موضوعة فى زوايا مدروسة بعناية شديدة ، أن تلتقط أدق التفاصيل والمشاعر .. ليؤكد بها المخرج العبقري ، نداءه الذى اختاره عنواناً للفيلم « ليكن هناك ضوء » !

إن مئات الأفلام التى شهدتها دور العرض خلال عام ٨١ .. وهذه الأنهار المتدفقة من الدم ، على شاشات السينما .. وهذه العواصف المدوية بطلقات الرصاص ، والصراخ والأنين ، والتى جسدتها مكبرات الصوت ..

هذا المخزون الهائل من الألم .. والخوف .. والضياع ..

هذا الايقاع المجنون للحياة .. وسقوط القيم والأخلاق .. وتبدد الأحلام والآمال .. ليس إلا شهادة سينمائية حزينة على عصر مرتبك .. دموى ..

وقراءة سريعة لأهم الأحداث الواقعية التى شغلت العالم فى ٨١ .. تجعلنا نقول إن السينما العالمية لم تبالغ فى شهادتها .. بل لم تقل كل الحقيقة !

ويبقى الأمل فى عام جديد .. أكثر استقراراً وهدوءاً ..

وأفلام جديدة .. أقل عنفاً ومرارة ! .

رءوف توفيـق

# حركة العاصفة والاندفاع في الأدب الألماني

بقلم الدكتور عدنان رشيد

● يتميز الأدب الألمانى بملامح خاصة وفريدة تميزه عن الآداب الأوربية الأخرى وذلك لتاريخه الحافل بالكفاح المرير الذى خاضه هذا الأدب والمراحل التى تمخض عنها حتى استطاع فى منتصف القرن الثامن عشر وضع اللبنات الأولى لصرح الأدب القومى فى ألمانيا ●

تعتبر حركة العاصفة والاندفاع ثورة ادبية عصفت بالكتاب الشباب عام ١٧٧٠ ، وكان هدفها تقويض الاقطاع واطلاق الحرية الفكرية للكتاب والمفكرين وتحقيق التحرر السياسى والاقتصادى للطبقة البرجوازية لكى تاخذ مكانها فى مسيرة التطور وتحل محل الاقطاع .

وقد طالب الكتاب فى هذه المرحلة بالتحرر من التبعية الاقتصادية للاقطاعيين الذين كانوا يرتبطون بعلاقات قوية مع الكنيسة كما طالب الكتاب الشباب فى كتاباتهم بالتحرر من سيطرة الكنيسة على الحياة الفكرية ، وقد وصل هذا التطور ذروته عام ١٧٥٠ عندما ظهر كلوبشتوك ولسنغ .

عكس كلوبشتوك فى قصائده التى نشرها آنذاك الروح العاطفية التى تعبر عن القلب الانسانى ومشاعر الحرية والصداقة وحب الطبيعة والوطن .

وأعلن لأول مرة بان المسيحية جزء من المشاعر النفسية ، كما أن الشاعر لم يعد بعد الآن مجرد واعظ للمثل الأخلاقية

كلوبشتوك لم يجد فى ألمانيا جمهوراً يتفهم افكاره وكان لسنغ فى ذلك الوقت احد دعاة التحرر من سيطرة الكنيسة ونادى بشعارات وطنية تنطوى على مفاهيم ومثل اخلاقية وتقدمية .

إن العاصفة والاندفاع مدينة فى نشاتها وتطورها الى المفكرين الانجليز والفرنسيين لاسيما فيما يخص المشاكل التى عالجوهاءمنها الاهتمام بالشعر الشعبى والأدب القومى .

وقد حدثت فى انجلترا ثورة هزت المجتمع واعترفت بمبادىء العقل والحكمة . وقد أثر هوم وغيره من مفكرى عصر التنوير الانجليزى وكذلك فولتير وروسو وغيره من مفكرى عصر التنوير الفرنسى على مسار حركة العاصفة والاندفاع وعلى تفكير ممثليها مثل هردر ، وجوته ولنز وهامان وفاكنر ومالر مولر .

كان تاثير الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو كبيراً على ممثلى حركة العاصفة والاندفاع لاسيما فى دعوته «العودة الى الطبيعة» والتخلى عن الحضارة الشكلية التى افسدت اخلاق الانسان .

وقد أثارت مؤلفات روسو عام ١٧٥٠ ضجة كبيرة بين أوساط المفكرين الألمان آنذاك .

وأدركت البورجوازية الألمانية المغزى البعيد لدعوة روسو فى العودة الى الطبيعة فى اقامة مجتمع متحرر ويعتمد على اساس العقل وان يتحرر من السيطرة الاقطاعية ، أما الطبيعة فكانت تعنى عند روسو مناهضة الاقطاع واشاعة العدل الاجتماعى .

لقد دعت العاصفة والاندفاع الى ضرورة إضفاء الطابع الألمانى على الأدب والفن وعدم الاعتماد على التاثير الفرنسى والانجليزى كما استهدفت دعوة ممثلى العاصفة والاندفاع نسف مصالح الاقطاعيين الذين كانوا يحكمون المانيا من خلال دويلات صغيرة لم يكن يوجد ما يشابهها فى أوربا . وكان يوجد فى قصور هؤلاء أجانب من دول عديدة لم تربطهم اية رابطة قومية مع القومية الألمانية أو مصلحتها العامة ، وكان هؤلاء يعادون بتصرفاتهم المصالح الوطنية الألمانية . ومن هنا ارتفع صوت المفكرين والكتاب الى ضرورة تطهير قصور الاقطاعيين من الأجانب كما طالب جيل العاصفة والاندفاع بضرورة المحافظة على حقوق الأمة وعدم التفريط بها ، حيث كان الحكام الاقطاعيون يبيعون الجنود الألمان الى انجلترا لاستخدامهم فى قمع حرب الاستقلال الامريكية وثورتها ضد الاستعمار البريطانى ، كما كان قيصر المانيا فريدريش الكبير لا يتكلم فى قصره سوى الفرنسية وكان يقول ... «إننى لا اتكلم الألمانية سوى مع خيولى» .

لقد أعارت حركة العاصفة والاندفاع للشخصية الألمانية أهمية كبيرة واصبح المواطن يطالب بالتكافؤ والمساواة فى الحقوق ومنحه مطلق الحرية لتطوير شخصيته دون قيود أو حواجز اقتصادية وسياسية واجتماعية . وتعنى الشخصية هنا تطوير العبقرية الألمانية وازدهارها فى جو من الحرية والتشجيع ولذلك اطلق الكتاب على هذا العصر بعصر العبقرية .

ولأجل ازدهار هذه العبقرية لابد من وجود أرض صلبة تنطلق منها هذه العبقرية ، لذلك استهدف كفاح ممثلى العاصفة والاندفاع تطوير ورعاية الشعر والمسرحية الألمانية والاعتماد على قابليات الألمان الأصيلة . ان الانسان العبقرى فى مفهوم العاصفة والاندفاع هو ذلك الفنان العبقرى الفريد فى عمله ولا يهاب الصعاب ولا يخشى التقاليد ، وينطلق فى عمله الفنى من مصلحة الجماهير وان ينتج فناً يفهمه الشعب

لقد اتسم عصر التنوير بالحكمة والتعقل ، أما عصر العاصفة والاندفاع فقد اطلق العنان للعواطف والمشاعر الانسانية دون حدود أو قيود وقد انعكس ذلك فى رواية آلام فرتر لجوته التى صدرت عام ١٧٧٤ والتى جسدت المشاعر والعواطف الشخصية .

وقد أدت المقاومة الاجتماعية ضد أدب القصور والصالونات الى التخلى عن القيود الجمالية ، وكان الكاتب الانجليزى ادوارد يونغ قد نشر بعض الأفكار عن الأعمال الأصيلة وترجم هذا العمل الى الألمانية عام ١٧٦٠ ودعا فيه الى



جوته « ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ »



شيللر « ١٧٥٩ ـ ١٨٠٥ »

تحرير العبقرية من جميع القيود .

وقد وصف يونغ فى كتابه ، هومير وشكسبير بالسذاجة لأنهما كانا يتخذان من الطبيعة نموذجاً لفنهما ، كما أن شكسبير لم يكن يعرف القيود والأصول الكلاسيكية ، ولكنه كان مترجماً لطبيعة اخلاق البشر .

وعندما قرأ جوته شكسبير لأول مرة قال عنه : «لقد عرفته واحسست بعبقريته بكل احاسيسى ومشاعرى وأدركت أبعاده اللانهائية ، ولا توجد أصالة اكثر من اصالة شكسبير فى تشريح شخصياته على طبيعتها . اما مسرح شكسبير فهو خير مكان لتوضيح وكشف خفايا العالم أمام انظارنا» . ا.

وقد اهتم كتاب العاصفة والاندفاع بالأغانى الشعبية القديمة وجمع جوته فى شتراسبورغ عدداً منها بتشجيع من هردر . لقد تاثر كتاب العاصفة والاندفاع بالكتاب الانجليز الذين سبقوهم بالاهتمام بالشعر الشعبى . وقد اكتشف الشاعر الانجليزى ماكفرسون عدداً من الأغانى الشعبية الايرلندية ونشرها تحت اسم أوسيان ما بين عام ١٧٦٠ وعام ١٧٦٥ .

وقد أشاد هردر بالشعر الشعبى وقال انه يمثل الأصالة لأنه ينبع من نفس سليمة ومشاعر صادقة وليس فيه أى تزويق أو رتوش عاطفية مصطنعة . وعلى هذا الأساس اكد هردر على أن الشعر أسبق الى الظهور من النثر ، لأن الشعر يصدر عن خلجات النفس ولا يحتاج الى دراسة واتقان كما هو الحال فى النثر .

وقف هردر ضد مفهوم الجمال القديم وطالب بتوسيعه لكى يستوعب ما أطلق جوته عليه بالشعر الشعبى المميز .

واشار هردر الى أن هذه الأشعار تتميز بالخيال والروعة والدلالة الواقعية وقد نشأت أغلبها تحت تأثير الحماس المباشر وقوة التخيل.

وصف جوته لغة الشعر الشعبى بانها ليست فقط وسيلة تبليغ فحسب ، بل وسيلة تعبير أيضاً . وكما قال هردر عن الشعر مستنداً على قول هامان : «إن الشعر هو لغة الأم للجنس البشرى»

وقد أشار الى ذلك أيضاً الكاتب الالمانى بوركر الذى ينتمى الى مرحلة العاصفة والاندفاع بأن الشعر الشعبى أعلى مرحلة فى سلم الأدب .

لقد انعكس تاثير الشعر الشعبى فى كثير من مؤلفات ممثلى العاصفة والاندفاع ، فقد قام هردر بترجمة بعض الأغانى الشرقية للشعوب السامية ، ونشر بحثاً عن أغانى سالمون عن الحب .

كما أشاد جوته فى روايته العاطفية «آلام فرتر» بالشعر الشعبى وقاله انه الأصالة وان الحب الريفى هو الحب الأصيل والنقى . وتجدر الاشارة الى أن العاطفة طغت على ادب هؤلاء واعتبروا مغامرات الحب جزءاً من الحياة باسرها وقد صدرت أنذاك أشعار وروايات ينتهى فيها الحب الى نهاية مفجعة بسبب التقاليد السائدة .

ففى رواية «آلام فرتر» لجوته يفشل البطل فى الظفر بمحبوبته ويؤدى به ذلك الى الانتحار ، رغم أن انتحار فرتر كان احتجاجاً سلبياً ضد الأنظمة الاجتماعية أنذاك . وقد أدت هذه النهاية المأساوية للرواية الى انتحار عدد من الفتيات فى مدينة فايمار وغيرها تضامناً مع البطل ، وقد انتقد جوته هذه الموجة من الانتحارات وقال ان القراء لم يفهموا المغزى الحقيقى لانتحار فرتر .

ويعتبر فريدريش شلر خير من مثل العاصفة والاندفاع فى مسرحيته «كيد وحب» التى صور فيها كيد الاقطاعيين ضد فتاة تحب مواطناً من طبقة النبلاء لاحباط هذا الحب .

كما انعكست أفكار العاصفة والاندفاع فى أعمال لنز الذى نشر مسرحيتين هما « الجنود» و «المعلم الخاص» .

كما تجسدت أفكار العاصفة والاندفاع فى الصراع الذى صوره لنا جوته فى مسرحية فاوست حيث يحطم فيه فاوست صديقته كريتشن التى تتميز بالبراءة الطفولية فيتعاطف جوته معها وينتصر لتلك البراءة .

وتعانى كريتشن صعوبة فى التحرر من أخلاق وتقاليد المجتمع الاقطاعى أنذاك فتمنح الرجل الذى تحبه كل عواطفها ، الأمر الذى يؤدى الى جحود المجتمع عليها وتضحيتها باخيها فى سبيل ذلك ، كما أنها تقتل طفلها جراء الياس

إن جميع هذه الصراعات مؤشرات واضحة لمساوىء المجتمع الاقطاعى بجميع اخلاقياته

وقد طرق جوته هذا الموضوع أيضاً فى مسرحية «أكمونت» حيث تعلن الفتاة المنحدرة من أوساط الشعب حبها للنبيل أكمونت وتصبح بطلة التحرر .

وفى خضم هذا النقد الحاد للاقطاع نشر شلر مسرحية «اللصوص» التى صور فيها كارل مور الذى ينتمى الى طبقة النبلاء ويقوم بسرقة الأغنياء والاقطاعيين بغية نصرة الفقراء معلناً سخطه على النظم الاقطاعية البالية وقد حدث مثل ذلك فى انجلترا بقيادة روبن هود وكذلك فى العراق أثناء ثورة القرامطة فى القرن الثالث الهجرى حيث كان العيارون يسلبون اموال الأغنياء ويوزعونها على الفقراء .

ويعلن فى المسرحية النبيل فرديناند الهجوم على الأخلاق والمثل الاقطاعية السائدة فى المانيا وكذلك سخطه على استرقاق الجنود وبيعهم لانجلترا وهولندا لاستخدامهم فى الحروب الاستعمارية .

إن نداء بوزا فى مسرحية اللصوص لشلر لازالة الاقطاع لم يؤد الى نجاح الدعوة ضد النظام السائد أنذاك ، فهو يموت كما مات دون كارلوس ضحية الحرية من أجل الشعب ، ولكن صيحاتهم ظلت مدوية فى ضمير الشعب وساعدت على التحرر السياسى والاجتماعى فى المانيا فيما بعد .

وكما حارب أكمونت وضحى من اجل حرية شعب الأراضى المنخفضة ضد السيطرة الاسبانية فى القرن السابع عشر ، نجد أبطال العاصفة والاندفاع ينهون حياتهم بنهايات ماساوية رومانتيكية كرد فعل للاوضاع الشاذة فى المانيا فى القرن الثامن عشر .

وقد كان تاثير أعمال ممثلى العاصفة والاندفاع كبيراً خارج حدود المانيا ، وليس مستغرباً أن تمنح الثورة الفرنسية عام ١٧٩٢ الشاعر شلر وسام البطولة تقديراً لمسرحية «اللصوص» التى ألهبت مشاعر الشعب الفرنسى ضد الاقطاع وأسهمت فى الأعمال الأخرى الفرنسية والالمانية والانجليزية ، فى اشعال جذوة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

د. عدنان رشيد ـ جامعة الرياض .



قصـــة قصـــيرة

# عيناها والصّبر

بقـــلم : فـــاروق منـــيب

أخذ يعد الأيام ويفكر فيها . يوم أسود ويوم أبيض . ولما انتهى وجد أنه خسر نصف دقيقة واحدة من عمره الطويل . كانت عندما أشار إليه الملك أن يقول في مدحه بيتاً واحداً من الشعر . حك جلد رأسه يعصره .. وضاعت الفرصة فى لمح البصر . لو طاوعته قريحته على الفور لتغير مسار حياته كله . ياله من انسان غبي وبليد وخامل البصيرة . بدل أن يمطر عليه الخير ، قيدوه بالسلاسل والحديد ، ورموه فى السجن ، حتى كاد يتعفن من النسيان . وفى الزنزانة الضيقة كان يتذكر كل اللحظات التى مرت به ، حلوها ومرها على السواء . وكان قد تعود على هذه العادة السيئة ، فأهمل الحاضر والمستقبل . وقال لنفسه : درجت على الحمق وصلابة الرأس منذ طفولتك الباكرة ، فتربصت بك عصابة الأصدقاء أشبعوك ضرباً وقهراً . وها هي الأيام تعود . فيم كنت تفكر ... قاموس اللغة فياض ، وبحور الشعر وقوافيه بين أصابعك ، تلعب بها كما تشاء ياخيبتك الثقيلة . وضرب الجدار بعنف

حتى سال الدم من كفه . الآن يتأسف على ضياع لحظة العمر التى لا تتكرر . الملك لا يطلب من أحد شيئاً . الكتاب والشعراء هم الذين يتقدمون إليه بالكلمات الموشاة بماء الذهب . يا أبله كان المعنى حاضراً فى ذهنك ، فما الذى أصاب قريحتك ؟ . السجن حلال عليك . إذن تعلم من تجاربك المحزنة . هل تتعلم ؟ .

## أصداف الفقر والفن

تنفس فى راحة شديدة . العالم الآن ملك يديه . ليس لحريته حدود . أمامه كسرة الخبز وبقايا العسل الأسود ، وقليل من الجبن القديم والبصل ... ومشروع قصة يهل عليه من الماضي . تتهادى الفكرة منتشية بنفسها ، مزهوة بابداعها الجديد . آه لو ينزل البحر ، ليلتقط أصدافه الذهبية ولؤلؤه ومرجانه ؟ . فعلها مرات كثيرة . ورغم العناء الذى لاقاه ، لكنه كان يخرج فى كل مرة فرحاً وسعيداً ونابضاً . الفقر ليس عيباً ، القهر هو العيب . تذكر الحادثة القديمة ، فبصق مغيظاً وحانقاً ، ثم شع فى صدره أمل باهر . بدأ يستعد للمغامرة اللطيفة ، يدخل إلى عالمه المضيء . كان ياما كان .. رجل وامرأة أو طفل وشعب كان ... وامتلأ قلبه بالدفء والاشعاع . كيف يبدأ .. لا يعرف . المهم أنه لا يسبح وحده .

وجوه الأطفال تفرش الأفق أمام عينيه . وفي ركن مظلم كان يقعد اسكافي فقير ، يرتق أحذية المارة . حياه ورأسه يشع بكلمات النبي .. اللهم احشرني فى زمرة المساكين . وقال :

ـ صباح الخير ياعم زلطـة

قال الأسكافي :

ـ صباح الخير ياولدي ..

ويحلق بعينيه الضيقتين اللامعتين ثم أردف :

ـ لم أصلح مركوبك بعد ... الشغل كثير ياولدى ...

قال :

ـ لم أجيء من أجل المركوب .. جئت لأآتنس بـك .

قال الأسكافي :

ـ أحك ياسيدي .

قال :

ـ ليس لدى حكايات ...

قال الأسكافي :

ـ العالم اليوم مملوء بالشرور ... وتمخض وهو يدق المسامير فى كعب حذاء على السنديان . وكان عجوزاً وضامراً ومنهكاً . وقال عم زلطة حين وجده ، صامتاً :

ـ فيم تفكر ؟ .

قال :

ـ فى احوال الدنيـــا .

قال عم زلطة :

ـ صل ع النبي ... تشرب شاى ؟

قال :

ـ أشرب ...

واشعل الأسكافي راكية النار فى الحفرة أمامه ووضع البراد ، ثم قال :

ـ هل تعلم أن العساكر يطاردوني من مكان لآخر . لأني لا أدفع لهم المعلوم . انهم لا يرحمون ، ولا يريدون أن تنزل رحمة ربنا على أحد . وضحك فى أسى ضحكة مشروخة تحمل همومه المزمنة ، ثم همس وهو يمسح قطرات من العرق تجمعت على جبهته :

ـ لكني تعودت على قرفهم ... يرتقون أحذيتهم بالعافية ... سفلق مفلق ! .

وصب الشاى الدافيء . كان الوقت فى الشتاء ، والريح تضرب خيمته الرقيقة القديمة ، ورشح أنفه لا يكف عن السيل . ذقنه المخروطية ، بيضاء الشعر ، تكسبه مكر الثعلب ، الذى تدرب على حيل الحياة . كان يفترسه بنظراته التحتية ليعرف خباياه . وكان هو الآخر يحاول أن يعرف منه . وظل الأسكافي الفقير يشاغله على مدى الأيام دون أن ينسى .

## على مرفأ الدم والصبر

اليوم الأسود يختلط باليوم الأبيض الفرح بالحزن ، الظلام بالنور ، الحياة بالموت . ومن الصحراء القاحلة تنبع المياه ، ومن وسط الصخر ، وعلى حوافيه ، ينبت الورد . المثل يقول ، نزف ساعة ، ولا كل ساعة ، ولكن نزيفه لا يتوقف ، يوماً بعد يوم وهو ينزف . الجدول معلق على الحائط .

يعرف الآن بسليقة حب الحياة وغريزتها أن لابد من النزف . وهذا الانفصام الذى يعيشه ، هو انفصام الموت مع الحياة ... وقطرة وراء قطرة يذبل ، ثم يصحو يرتل الآية التى يحبها : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » . الجسد والروح معاً . والدم النازف ضريبة الكبرياء والفقر وشقاوة الطفولة . وتعلق قلبه بالمجهول ، فرأى أنه استحال الى بكتريا متعفنة يأكلها الدود . أبتسم بمرارة وسخرية . هل يبقى المعنى والذكرى ؟ . ربما ... ربما . المثل يقول ... الصبر طيب ..ولو كان مراً نصبر له . وفى تلك اللحظة يخرج من ذاته ، ليعانق كل الأصدقاء : لماذا يا أحبائي تغرقون فى الصراع ؟ . ومن صعيد مصر إلى أمدرمـان ، إلى بسكرة الى طرابلس ، الى بغداد ، الى لندن وباريس ، الى قطر والبحرين ... الى كل البلاد والمنافي على وجه الأرض ... نحن غرباء أيها الأحباب ... لأننا مازلنا نعاني ونرسم الأشواق . واحتضن ألمه وغربته وصبره . فتدفق دمه ونبضه مفتدياً عطاءهم . واخترقت شعاعات

# عيناها والصبر

الشمس الدم ، فتألق ونقى من السموم ، وخف وزنه ، فأصبح كريش النعام . ووقف على الشاطىء وحده ، يناشد المودات القديمة أن تدوم ، وأن تعمر الأرض بالمصانع والمعامل ودور العلم ، وألا يقهر أو يستغل انسان آخر . وكاد أن يسخر من امنياته المنطلقة . فمايزال السيف أصدق إنباء من الكتب ، واليد العليا ، لمن يمتلكون البارود والنار . ولو كان فى يد الأسكافي الفقير بندقية وميكروفون لتغير حاله ، ولما ضعف بصره ، ونام نومته الكئيبة ، وسط نفايات القرية . ولكن لا بأس أن نحلم ونتمنى ، وسط النزيف الدائم . وتقلصت عضلات قلبه ، فاستغفر الله من ذنوبه ، وشرب كوباً من الماء . وغمرته لحظات من الهزيمة الهادئة ، فأرخى لتأملاته العنان ... سوف يتحول الى عدم ، ولكن لسانه لن ينطق ببيت الشعر الذى طلبوه منه . وهذا هو عناد وإرث الانسان الكاتب على الأرض ، ان يقاوم الذل ، ولهج بكلمات عرابي الخالدة ... إن الله خلقنا احراراً ، ولم يخلقنا إرثا وعبيداً ... ووالـــله لن نقهر أو نستعبد بعد اليوم . ذهب الخديوي وبقى عرابي . وعادت إليه ضربات القلب من جديد . بعد مائة عام تنفذ إليه روح الفلاح المصـري ، تخفف من نزيفه . ياخسارة عليك ياعرابي ، صبرت ولم تنل ما تتمنى.

## ● نهر الحب والانكسار ●

زلت قدماه فى الطريق . غشيت عيناه بالظلام . قاوم وهو ينفض الغبار عن ملابسه ، فى البيت ظل ساكناً وصامتاً فى ركنه الأليف .

قالت له المحبوبة الصغيرة ، وهي على عتبة الدار :

ـ خلاص يابابا ، لن أستطيع أن أبقى ... نظر فى عينيها العسليتين .

فى تلك اللحظة كان يود الهروب من العالم . تساند بجسده على أحد الجدران . خرجت الكلمات من فمه مفككة الأوصال ، ضعيفة وواهنة ... يخونك العيش والملح يانانا . إني احاول ألا أظلم أحداً ، فكيف أظلم فلذة كبدى ؟ يابنت الحــلال حرام عليك . قالت وهي تسرع الخطى :

ـ باي ... باي ...

هل انتهى الحلم الذى عاش من أجله عشرين عاماً ؟ . سالت الدموع عــلى خده . انه يتذكر دموع أبيه الكهل وهو يبكي متهدجاً : أين عبد العزيز ؟ هل أموت دون أن أراه ؟. وصدق حسه ، إذ مات عبد العزيز فى مستشفى الأمراض العقلية ، بعد ثلاثين عاماً من الاقامة الدائمة يضربونه . عندما ذهب أخوه ليراه ، حاملا له الطعام والملابس اخبروه بموته . كيف يا جماعة ؟

ردوا عليه فى صوت واحد :

ـ شيخوخة مبكرة ياأستاذ ، وقد دفناه فى مقابر الصدقة .

وسبح فى نهر انكساره . الماضى مع الحاضر يحكمان الخناق على رقبته . وخاطب نانا هامساً لماذا تجددين الأحزان فى قلبي يانانا ؟ . كنت احاول أن أنسى . وكنت وأنت صغيرة تسأليني : كم أخ لك يابابا ؟ . فاتحاشى الحديث عن عمك عبد العزيز . ولما كبرت أخبرتك بالقصة كاملة . أنا لا أتحمل المهانة ، فهل أهون عليك ، بعد أن أعطيتك سري ؟ . أنت تعرفيني أني لا أحترف الكذب ، فكيف تتركيني فى الوهم كل تلك السنين ؟ . هل نسيت الحصان القديم عندما قدمته إليك فى



عيد ميلادك ، وأنت تتعلمين المشي ، تتعثرين بين كل خطوة وأخرى ؟ . أين أيام مدرسة العائلة المقدسة ؟ . هل تذكرين عندما جريت إليك ملهوفاً ، فى لحظات الحرب أحملك بين ذراعي ، خوفاً وحناناً ، ولأفديك من المكروه . ومع أن الدماء شحيحة فى رأسي الآن إلا أني اتذكر ... اتذكر ... أتذكر ... فى الماضى كنت أبذل عرقي من أجلك . الآن أبذل دمي وعرقى ودموعي ، متعب حتى الثمالة . قبل أن أنام كنت أطبع على جبينك قبلة تريحني من نزيف اليوم كله . أغضب في بعض الأحيان ، ولكن قلبي يطرد الكدر الزاحف دائماً . أصررت أن أخــاطبك رأساً برأس ، وعقلا بعقل ، ولكن الهاوية كانت تتسع شيئاً فشيئاً . قلت لي : أريد أن أعيش حياتي كما أريد ، ولم يكن لي حيلة إلا أن أقول : الحرية لا تنفصل عن المسئولية . ومع هذا ، كان القلق يأكلني ساعات وساعات ، حتى إذا ما وضعت المفتاح فى قفل الباب عائدة ، فان وهمي ينفرج ، وكربي يتفتت .. أطمئن عليك ... تدبين فى البيت ... خطواتك بلسم لجراحي . طيفك يداويني ... وماذا أقول لك يانانا ؟ .. إني أخاف على كبريائي من حبك ... الآن تخرجين بلا عودة . لماذا تجسدين كآبتي ، التى حاولت أن أتخلص منها ، على طول السنين العجاف ؟ . مهلا ، فمازلت أركب قطار الأحزان ، أقطف منه ، وأغزل ، فى عذاب وألم وأمل . فمن يدري ، فقد تحدث المعجزة ، وأعود أسبح فى نهر مياهي العذبة النقية . قال لي الطبيب الجراح : إن الفرصة أمامك فى زرع كلية نادرة . ولم أتعود على اقتناص الفرص تعودت على الزرع الصبور ، والحصاد الناضج . فهل يضيع حصاد عشرين عاماً معك . باي ... باي ... تشرخ صدري . والطريق الذى مشيت فيه يهزمني . قاومت ولازال النزيف ، ولكني لا استطيع أن أقاوم دموعي واكتئابي لفراقك . فهل ترحمين انكساري وكبريائي وحبي وتعودين ؟! .

ربمـــا ... ربمـــا ! .

« فاروق منيب
لنـــدن

جمـــال الغيطـــاني

# الخرطوم

## مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية!

«أتيحت لي الفرصة لزيارة السودان لأول مرة عام ١٩٧٠ ، كانت المناسبة حضور احتفالات العيد الأول لثورة مايو ، غير أننى اعتذرت ، كانت حرب الاستنزاف تشهد تصعيداً خطيراً فى تلك الأيام النائية ، القصية ، وكان الطرفان الرئيسيان للقتال ، سلاح الدفاع الجوى المصرى ، والطيران الاسرائيلى المعادى ، كنت مقيماً فى الجبهة وقتئذ ، أصف لمواطنى المعارك من خلال عملى كمراسل حربى» .



الخرطوم اليوم بكل مافيها من حياة معاصرة

وأعيش الحرب فى البقعة ـ التى كانت ملتهبة ـ من بلادى ، ولم أكن مستعداً للابتعاد ولو يوماً واحداً ، عن الضباط والجنود الذين عرفتهم ، وكنت استمد عوامل اتزانى النفسى من بطولاتهم ، ووقائع الأحداث اليومية ، اعتذرت عن السفر الى السودان ، مع اننى لم أكن قد خرجت الى أى قطر عربى فى ذلك الزمن الذى يبدو لي نائياً الآن كالقرون الخوالى ، ومضى أحد عشر عاماً قبل أن تتاح الفرصة من جديد ، فى مارس (آذار) ١٩٨١ ، وفى أحد لياليه الحارة ، نزلت إلى مدينة الخرطوم عبر المطار الذى يقع فى قلب المدينة ، موقع فريد لمطار دولى ضخم ، كانت المناسبة ، وصول وفد اللجنة المصرية للتضامن الآسيوى الأفريقى ، وكنت أحد أعضاء الوفد ، وكأى بلد عربى لا يشعر الانسان بغربة حال وصوله اليها ، الملامح العربية الأصيلة تطالعنا فى الوجوه وان امتزجت بالملامح الافريقية . السيارة تخترق شوارع الخرطوم الليلية ، الهادئة ، شبه الخالية من المارة ، لا تستغرق المسافة للوصول الى شاطىء النيل حيث الفندق ، إلا دقائق قليلة ، وقبل أن أرحل عبر المدينة ، أبدأ الرحيل فى تاريخها ، وتاريخ الخرطوم برغم حداثته ، إلا أنه حافل بأحداث تاريخية ذات طابع درامى ، وتكوين المدينة العمرانى ، مرتبط أشد الارتباط بهذه الأحداث .

# الخرطوم

## مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية !

### الأصل

ما أصل الاسم ؟

لم يختلف الناس حول اسم مدينة ، كما اختلفوا حول «الخرطوم» يقول بعض الأوربيين أن الاسم مأخوذ من القرطم ، وهو نبات تكثر زراعته فى مصر ، وكان يستعمل زينه للاضاءة ، آخرون يقولون ان الاسم يعنى فى لغة الشلك ، أو لغة الدينكا ، المكان الذى تجتمع عنده العيون والأنهار ، ويرجع الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم اللفظ الى أصول نوبية. من ناحية أخرى يقال ان العرب أطلقوا هذا الاسم على المكان لأن طرفه يمتد فى شكل شريط يشبه خرطوم الفيل حتى يلتقى النيلان الأبيض والأزرق ، ويبدو أن أصل اللفظ بالتاء أي الخرتوم ، ثم قلبت التاء الى طاء ، كنوع من تهذيب اللسان العربى ..

روايات متعددة ، ولكن لا توجد رواية واحدة حاسمة ، وفى التاريخ لا يذكر المؤرخون شيئاً عن الخرطوم فى عهد مملكة النوبة المسيحية العليا ، فى سنة ١٦٩٨ زار الرحالة الفرنسى بونسيه السودان ، ذهب من قرى الى سنار مباشرة بدون أن يتوقف فى الخرطوم أو يذكرها ، فى سنة ١٧٧٢ اتجه الرحالة بروس من سنار الى شندى عبر الحلفاية دون أن يذكر الخرطوم ، وتجاهلتها أيضاً الخرائط التى طبعت فى أوروبا أوائل القرن التاسع عشر ، لم يكن الموقع يشكل أهمية بالنسبة للرحالة الأوربيين ، وفى سنة ١٨٣١ زار ادوارد بارون فون كالو السودان ، ويعرف باسم ارسلان بك ، ودون مشاهداته ، وذكر أن رأس الخرطوم ليس به شىء إلا بعض الأكواخ الفقيرة ، لم تكن الخرطوم وقتئذ سوى نقطة عسكرية ، بينما كانت عاصمة الاقليم الحقيقية فى الحلفاية ، وبرغم ذلك ، فقد أدرك ارسلان بك أهمية هذا الموقع ، ومرور طرق القوافل به ، اقترح انشاء مدينة تجارية بها ووضع الخرائط اللازمة ، وفى مخطوطة كاتب الشونة – المطبوعة فى القاهرة – يذكر الموضع مرة واحدة فى فترة حكم الفونج ، ثم يأتى ذكر الخرطوم عند الحديث عن عبور جيش اسماعيل النهر من أم درمان الى الخرطوم ، ثم عند مجىء عثمان بك ، وتشييده النقطة العسكرية بها . ثم مجىء محو بك خلفاً لعثمان بك ، وفى كتاب طبقات ود ضيف الله الهام ، لا يرد ذكر الخرطوم على الرغم – كما يقول الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم من أن مؤلفه من الحلفاية ، ويذكر كثيراً من أولياء هذه المنطقة ... لم يكن للخرطوم أهمية ، كانت منطقة مغمورة بالفيضان ، تغطيها الغابات ، وفى سنة ١٦٩١ ، جاء أحد الأولياء واسمه ارباب العقائد ، وعبر النهر لينشىء فى هذا الموضع أول قرية مأهولة ، كان من عادة الفقيه الذى يشتهر أمره ، أن يفارق مكان مولده ، وان يبحث له عن مكان جديد يستقر فيه ، وهكذا غادر الشيخ أرباب العقائد جزيرة توتى ، الى هذا الموضع ، وكان لارباب العقائد تلاميذ ، منهم الشيخ خوجلى عبد الرحمن الذى استقر بالخرطوم بحرى وبنى فيها مسجداً ومنزلا ، وتوجد منطقة الآن تعرف باسم حلة خوجلى ، وفى الخرطوم بحرى منطقة تسمى الآن حلة حمد ، ترجع الى أحد تلاميذ الشيخ ارباب العقائد وهو حمد ولد مريوم ، وقد ساهم هؤلاء المشايخ فى نمو مدينة الخرطوم ، مع الفتح المصرى وصل اسماعيل باشا بجيشه الى هذه النقطة ، وأنشأ معسكراً للجيش ، وكان ذلك بداية لمدينة الخرطوم الجديدة ، وفى عهد محو بك اتسعت الخرطوم ، ويطلق اسمه الآن على منطقة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم ، وتعرف بشجرة محو ، كانت المنطقة تسمى فى البداية شجرة النقارة وكانت القبائل تتجمع حولها تدق الطبول وتقام فيها المهرجانات القبلية ، وحتى



الصناعات الشعبية فى ام درمان

اليوم تدق الطبول فى المواسم والأعياد ، ثم أطلق على المكان اسم شجرة ماحي ، وقيل انه المكان الذى ضرب فيه خيمته ، وظلت تعرف باسم شجرة ماحي حتى سقوط الدولة المهدية ثم فكر أحد مفتشى الحكومة فى اثارة خيال السواح ، فزعم أن جوردون الانجليزى زرع شجرة ضخمة ورعاها حتى كبرت ، ومن ثم اطلق الناس عليها شجرة جوردون ، أما اليوم فيطلق عليها الناس اسم الشجرة فقط .

## أول تخطيط

فى سنة ١٨٤٨ ، وصل الى الخرطوم فوج من المبشرين يقودهم الأب ريلو ، وقد قدر عدد سكان الخرطوم بحوالى ١٥,٠٠٠ نسمة ، وقد استقبل هؤلاء المبشرين تاجر سودانى مسلم ، رحب بهم ، وقدم اليهم مساعدات شتى نظراً لافتقارهم الى المال ، واشترى لهم من ماله قطعة أرض على شاطىء النيل الأزرق فأقاموا فيها ارسالية الخرطوم فى الموضع الذى تقوم فيه بلدية الخرطوم الآن ، وتجلى فى هذا التصرف سماحة أهل البلاد تجاه من يخالفونهم العقيدة .

.. تتعدد الروايات ، بخصوص ميلاد المدينة الفعلى ، ولكن المجمع عليه أن الخرطوم لم تصبح مدينة رئيسية إلا فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، ويرجع الشكل الحالى للمدينة الى أواخر القرن التاسع عشر ، بالتحديد بعد هزيمة الثورة المهدية ، ودخول كتشنر الى الخرطوم ، منذ اليوم الأول لدخوله أولى المدينة اهتماماً كبيراً ، وضع التخطيط الجديد بمعاونة بعض المهندسين ، وقد استوحى فى التخطيط شكل العلم البريطانى . ويعتبر هذا أول تخطيط لمدينة سودانية ، إذ قامت الخرطوم القديمة ، وأم درمان عفواً ، استهدف كتشنر انشاء مدينة على النمط الأوروبى ، خاصة الانجليزى ، ويذكرنا ذلك بالأماكن التى أنشأها المستعمرون الانجليز لتصبح صورة من مناطق العمران فى بلادهم ، يتمثل هذا فى منطقة المعادى بالقاهرة ، والجلاء بمدينة الاسماعيلية ، قسم كتشنر المدينة الى قطاعات متعددة ، الأول يقع بين شارع الخديوى (شارع الجامعة الآن) وما بين النيل الأزرق ، وفيه توجد المصالح الحكومية وبيوت الموظفين ، ثم يلى ذلك القطاع التجارى ، وهو يقع جنوب شارع الخديوى ويمتد غرباً الى المسجد الكبير ، وشرقاً الى شارع فيكتوريا (القصر حالياً) وجنوباً الى ميدان عباس (ميدان الأمم المتحدة حالياً) . ثم يقع وراء هذا الميدان السوق العربى ، والى الغرب من شارع فيكتوريا القطاع الصناعى ، حيث تتجمع الصناعات الخفيفة كالحدادة ، والنجارة ، حرص كتشنر على ربط قطاعات المدينة بواسطة شوارع عريضة تسير من ركن مربع الى آخر لهذا السبب ، وحرص أيضاً على أن تكون المدينة فى طابعها سكنية ، بدأت الحياة تدب فى الخرطوم مع نهاية القرن التاسع عشر ، وجند كتشنر ثلاث كتائب من الجيش المصرى وعدداً كبيراً من أسرى جيش المهدى لتنظيف الشوارع من الأنقاض وردم الأماكن المنخفضة من المدينة ، فى سنة ١٩٠٤ سويت الشوارع ، وتم رصف شارع رئيسى يربط بين قصر الحاكم العام ، والفندق الكبير ، والسوق ، والمسجد الكبير ، وقصور يمتلكها الوطنيون ، وأنشأ مصنعاً للثلج فى شرق المدينة ، وكلية جوردون التذكارية ، ثم توسعت المدينة ، وبدأ البناء ، ويضم كتاب «تاريخ الخرطوم» تفاصيل دقيقة عن تطور حركة العمران ، وشق الشوارع ومبانى المدينة ، والطابع الأوروبى الذى نشأت على أساسه «الخرطوم» لازال مسيطراً حتى الآن ، بعكس مدينة أم درمان المدينة الافريقية الصميمة ، التى تموج بالحياة ، والحركة ، ذات الشخصية المتميزة .

وقد لاحظت فى المبانى الجديدة التى أقيمت بعد الاستقلال ، وبعد ثورة مايو ١٩٧٠ ، استيحاء النمط الأوروبى الحديث ، يبدو هذا واضحاً فى قاعة الصداقة الضخمة وقاعة مجلس الشعب ، كذلك شيدت الفنادق الكبرى على النمط الأوروبى الحديث ، فيما عدا الفندق الكبير الذى بني أوائل القرن ويشبه فنادق اسوان الكبرى القديمة ذات الطابع الانجليزى المختلط بالطراز المحلى ، وبعد تجديد الفندق الكبير بعد ثورة مايو احتفظ بطابعه الأصلى ، وشرفته الفسيحة المطلة على النيل ، والحقيقة ان الخرطوم تتمثل فيها نفس المشكلة التى تعانى منها بلاد العالم الثالث ، فيما يتعلق بالعمارة ، وتقليد



الفنان التشكيلي السوداني ابراهيم الصلحي

# الخرطوم

## مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية !

الأنماط الأوروبية ، بصرف النظر عن الطابع المحلى للعمارة الوطنية ، أو مراعاة ظروف المناخ الخاصة فى البلاد الحارة ، والتى تؤدى الى الاعتماد التام على أنظمة تكييف الهواء الصناعية ، لذلك فان الطابع العام لمدينة الخرطوم يبدو حائراً ، فى التطلع الى النمط الأوروبى فى العمارة بمجمله ، وما بداخله من تناقضات فى الشكل الخارجى ، (قاعة رومانية ، ومنازل بالطوب الأحمر على الطراز الانجليزى ، وعمارات حديثة امريكية الطابع) وبين الطابع الوطنى للعمارة ، والذى يتمثل فى منازل الفقراء التى تقوم على الأطراف أو المساجد ، وأضرحة الأولياء ، ذات الشخصية المتميزة اذا ما قورنت بالعمارة الاسلامية فى البلاد الأخرى ، ومن أهم العوامل التى تكسبها هذا التميز شكل القباب التي تتوحد فى جميع مناطق السودان ، القبة العالية التى تستوحى فى استدارتها الى حد ما شكل ثمرة البصل الخارجى .

### أم درمان

.. مع عبور النيل ، والانتقال من الخرطوم الى أم درمان ، يتم الانتقال من نمط فى العمارة والشكل ، الى نمط آخر مختلف تماماً ، أم درمان مدينة افريقية صميمة ، تتدفق شوارعها بالحركة المستمرة ، بعكس شوارع الخرطوم التى تقفر فى غير ساعات العمل ، تقف أم درمان على حدود الصحراء ، ولأقسامها وشوارعها نظام خاص فى الانتشار والاتصال ، نابع من التخطيط النابع من داخل احتياجات المدينة ، وغير المفروض عليها من الخارج ، ويتمثل التخطيط ويتجسد فى السوق الكبير الضخم ، الذى يضج بالحيوية ، حيث تخصص لكل سلعة قسم معين ، بدءاً من سن الفيل ، والمصوغات ، وحتى الخضروات ، واللحوم ، كانت أم درمان مجرد موضع صغير بالجانب الغربى للنيل ، وعندما قامت الثورة المهدية وبات زحف الأنصار على الخرطوم متوقعاً بنى الجنرال جوردون طابية من الطين فى أم درمان ، ركز المهدى هجومه على الطابية حتى سقطت ، وبعد أن فتح مدينة الخرطوم جاء الى خلاء أم درمان ليقيم فيها معسكراً للهجرة ، وقد نما هذا المعسكر نمواً كبيراً ، حتى أصبح عاصمة للدولة المهدية .

ولكن مدينة أم درمان لم تنته بعد سقوط الدولة المهدية ، والتركيز على عمران الخرطوم ، ويقال ان المهدى اختار موضع المعسكر بأن أطلق لجمله العنان فسار الجمل حتى برك فى الموضع الذى توجد به القبة الآن ، وقد وقع اختيار المهدى على الموضع وبنى حجرة من الطين فى المكان الذى برك فيه الجمل ، ولما توفى الامام دفنه أصحابه فى حجرته أسوة بما فعله الصحابة عندما دفنوا رسول الله فى حجرة السيدة عائشة التى ماتت فيها ، أطلق المهدى على المكان أسم البقعة ، وكان يقال البقعة الطاهرة ، أو المباركة ، وعرف الموضع باسم دار الهجرة ، ولكن هذا الاسم اختفى ، وبقى «أم درمان» الاسم القديم الذى يقال انه اسم مكان قديم يرجع الى امرأة كان لها ولدا اسمه (درمان) .



الجامع الكبير بالخرطوم

فى قلب المدينة تقع قبة المهدى السامقة بلونيها الأخضر والفضى ، وغرب القبة يقع المسجد الكبير ، وهذه المنطقة كانت تقسم المدينة نصفين تقريباً . القسم الجنوبى ، حيث جناح الخليفة عبد الله وأقربائه وحرسه وأهل الغرب عامة ، والجناح الشمالى وهو جناح الخليفة علي والخليفة شريف وأهل البحر عامة ، ثم تطورت المدينة واتسعت فيما بعد ، إلا أن قبة المهدى – فى رأيى – تعد بمثابة القلب للمدينة حتى الآن ، وقد بدىء فى حفر أساس القبة يوم الاربعاء الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٠٦ هـ ، وكان ذلك بحضور الخليفة عبد الله ، والخلفاء ، والقضاة ، والأمراء ، وجماهير الانصار ، وقد بدأ الخليفة عبد الله الحفر بنفسه ، استمر الحفر حتى التاسع من نفس الشهر ، وفيه وضع الخليفة الحجر الأول الى التاسع ، ثم تبعه الخلفاء والانصار ، وكان أساسه فوق الأرض بالحجر ثم بنى فوقه بالطوب الأحمر ، وكان البناء مربع الزوايا ، وبعد أن ارتفع الى ١٤ ذراعاً ، أصبح مثمناً ، ثم تبدأ القبة . وبعد اكتمالها أصبح الارتفاع خمسين ذراعاً ، وكان فى علوها هلال ، ومن وسط الهلال يرتفع رأس حربة كبيرة ، إلا اننى لم أر هذه الحربة التى يبدو أنها زالت منذ زمن وطليت القبة فى البداية بالجير الأبيض اللامع ليكون له بريق فى النهار والليل ، وداخل القبة يقوم الآن الضريح المحاط بالخشب المنقوش والمطعم ، وتفرش الأرض مجموعة من السجاد الثمين المهداة ، وعلى الجدران علقت بعض أعلام المهدى التى كانت ترفع أثناء المعارك ، ولازال قماشها يحتفظ بألوانه الأصلية .

كذلك بعض اللوحات الزيتية التى تمثل معارك المهدى ، لوحة تمثل الحرب بين السودان واثيوبيا ، ولوحة أخرى يبدو فيها عدد من الفرسان والمشاة وهم يقتحمون البحر تنفيذاً لأوامر المهدى ، كما يوجد بالقبة أيضاً الحزام الذى كان يتمنطق به المهدى ، وسبحته ، ولوحة كبيرة تمثل شجرة نسب المهدى وينتهى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين جدود المهدى نجد محمد بن حاج شريف وقد حدثنا حارس القبة فقال انه عاش

مائتين وثمانين عاماً ، قضى منها مائة وثمانين عاماً فى الاسفار ، والترحال ، ثم عاد الى السودان ليستقر ، وليعبد الله حتى نهاية عمره ..

الى جنوب القبة نجد المقر الرسمي للخليفة عبد الله ، وهو بناء بسيط يتكون من طابقين ، أنشأ الخليفة الدور الأرضى منه سنة ١٨٨٧ ، ثم بنى فوقه الطابق الثانى عام ١٨٩١ ، والبيت عبارة عن مجموعة من الأفنية والغرف يؤدى كل منها الى الآخر ، ويستخدم الآن كمتحف ، ونجد به العنقريب (السرير) الذى ينام فوقه الخليفة ،وصوراً لمعارك المهدى ، والأسلحة التى استخدمت ، وقارب استخدمه الجنرال الفرنسى مارشند لعبور نهر الجور عندما كان فى طريقه الى غزو فاشودة ، وعدداً من عربات حكمدارات السودان ، وتمت الى طراز العربات الذى صنع فى بداية القرن ودفة الوابور الذى كان يركبه كتشنر أثناء حملة دنقلا ، وصور الزعيم السودانى عثمان دقنـة ، وكان قائداً عسكرياً موهوباً من قادة المهدى ، وقميصاً أحمر للسلطان على دينار كان يرتديه عندما يذهب لحضور تنفيذ حكم الاعدام ، وكان السلطان علي دينار موجوداً بأم درمان خلال الثورة المهدية ، اشترك فى موقعة كررى فى ٢ سبتمبر ١٨٩٨ تحت قيادة الأمير يعقوب ، ثم عاد الى دارفور ونصب نفسه سلطاناً عليها بعد هزيمة الثورة ، دفع الجزية حتى عام ١٩١٦ ، ثم رفض دفعها ، وأرسلت اليه حملة ، ومات فى الحروب التى تخللت هذه الحرب .

ونفارق البيت ، والقبة ، والمسجد الفسيح الذى يقع الى جوار القبة ، ونطوف بالسوق الكبير ، ولا تخطىء العين تعدد الأجناس داخل حركة السوق اليومية ، القادمون من افريقيا الغربية ، من كانو فى نيجيريا ، يبدأون رحلة طويلة شاقة ربما تستغرق سنوات للوصول الى مكة ، بعضهم يصل ويؤدى فريضة الحج ، والبعض يموت فى الطريق ، واعداد منهم تستقر فى السودان ، وتوجد أحياء كاملة على أطراف الخرطوم يسكنها هؤلاء المهاجرون أو كما يعرفون هنا بالفلاتة ، وبالقرب من أم درمان توجد منطقة اسمها أم بدة بيوتها من الطين ، لم تصلها الكهرباء ، يسكنها عدد كبير من المهاجرين القادمين من الجنوب ، أو الغرب .

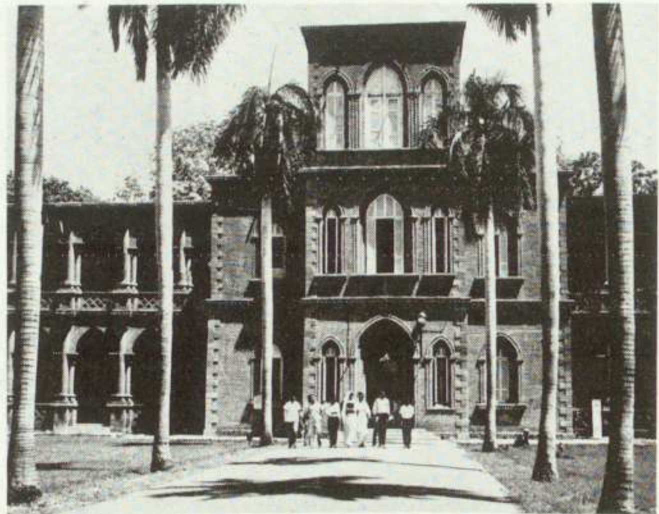
فى أم درمان تنظم مهرجانات شعبية بشكل تلقائى تماماً ، خاصة يوم الجمعة الى جوار ضريح الشيخ حمـد النيل ، رأيت حلقة ضخمة تضم آلاف الرجال والنساء ، يشاهدون مباريات المصارعة ، بين أبناء القبائل المختلفة ، وللمباريات أصول ، وقواعد ، ومحكمون ، ويهتز الفضاء بزئير أبناء القبيلة التى انتصر مصارعها ، بالقرب من حلقة المصارعة ، وأمام مسجد حمـد النيل يقوم ذكر اسبوعى بعد صلاة الجمعة ويستمر حتى المغرب ، وهو ذكر ذو طابع خاص ، ينتظم المريدون صفوفاً ، ثم يتحركون حركة دائرية ، تصدر أصواتهم المكتومة ، تتشابك أيديهم ، بينما يطوف حولهم بعض الدراويش فرادى ، أحدهم يشير بأصبعه الى السماء ، بينما يتوقف آخر ويدور بسرعة شديدة حول نفسه على ساق واحدة ، وينبطح آخر فوق الأرض مصوباً سلاحاً وهمياً الى عدو وهمى ، وينتهى الذكر بارتفاع صوت المؤذن داعياً الى صلاة المغرب ..

## الثقافة

اكتشاف المدينة ، المقاهي ، الشوارع ، الطابع الخـاص ، الروح الداخليـة ، المعمـار ، حضور لقاءات اللجنة المصرية للتضامن الآسيوي الأفريقي باعضاء اللجنة السودانية ، لقاء عـدد مـن الشخصيات العامة ، هذا ما كان يشغل البرنامج اليومي ، ولكن فى اطار ذلك كان لي هدفي الخاص ، وهو اكتشاف الحياة الثقافية فى السودان بقدر ما تسمح به المدة المحدودة ، والزمن المضغوط .

فى اليوم التالي مباشرة تجولت بالمكتبات ، ثم عرفت طريقى إلى قسم النشر بجامعة الخرطوم الذى يشرف عليه الأديب السوداني علي المك ، وإلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون ، الانطباع الأول ، هو جدية حركة النشر المحدودة هنا ، وارتقاء مستوى مطبوعاتها التى لا تصل إلى مصر ، ولا اظنها تصل إلى اقطار العالم العربي الأخرى .

فى السودان تصدر مجلة الثقافة السودانية ، ربع سنوية ، تصدرها وزارة الثقافة السودانية . هناك مجلة آداب السنوية المتخصصة التى تصدر عـن كلية الآداب فى الخرطوم . وتعالج قضايا التراث العربي ، والثقافة العربيـة ، وليست السودانية فقط . توجد مجلة اخرى خاصة بالفلكلور السوداني يصدرها معهد الدراسات الفولكلورية ، وتهتم الصحافة اليوميـة بالأدب . وتخصص جريدة الأيام يوميـن فـي الأسبوع ( الاثنين والجمعة ) لاصدار ملحق أدبي . ويشرف عليه الصحـفي والأديب عيسى الحلو ، ومادة الملحق متنوعة ، من الواقع المحلي ، والعربـي



جامعة الخرطوم

# الخرطوم

## مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية!

والعالمي ، وهذا الملحق من انضج الملاحق الأدبية فى العالم العربي .

فى مجال نشر الكتب ، تتركز جهود النشر فى دار التأليف والنشر بجامعة الخرطوم . كتب الدار منتقاه بعناية ، تشمل الدراسات العلمية ، والأدبية ، والابداع ، كما أن اخراجها متقن وأنيق . من أهم الكتب التى صدرت عن الدار (طبقات ود ضيف الله) ومؤلفه محمد النور بن ضيف الله الذى ولد بحلفاية الملوك (١٧٢٧ ـ ١٨١٠م) وترجم في الكتاب لـ ٢٧٠ فقيهاً ووليا وخطيباً وقاضياً ، ويعد كتابه مصدراً أساسياً في حياة السوادن الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية ، ويكشف عن المؤثرات الخفية التى أسهمت فى تكوين جذور الشخصية السودانية . بل انه أحد المفاتيح الأساسية لفهمها ، حققه الدكتور يوسف فضل ، من كتب الدار الأخرى المهمة « محمد على فى السودان » للدكتور حسن أحمد ابراهيم . و « دراسات فى تاريخ السودان » ليوسف فضل حسن ، و « المهدية والحبشة » لمحمد سعيد القدال ، و « السودان والثورة المهدية » لمكي شبيكة ، و «القصة الحديثة في السودان » و « نماذج من القصة القصيرة فى السودان » لمختار عجوبة ، و القصيدة المادحة للدكتور عبد الله الطيب « الروابط الثقافية بين مصر والسودان » للدكتور ابراهيم الحردلو الذى عمل مستشاراً ثقافياً فى مصر لسنوات عديدة

لقد عدت بأكثر من خمسين كتاباً قيماً من مطبوعات الدار ، معظمها ـ إن لم يكن كلها ـ لم يوزع فى العالم العربي ، قال لي صاحب إحدى المكتبات ، أنه فى أول القرن وحتى منتصفه ، كان الكتاب يصدر فى القاهرة وبعد أسبوع يوزع في السودان ، أما الآن فهناك الجمارك والرقابة ، وقوانين الاستيراد والتصدير فى كل قطر عربي ، متى يكون هناك سوق عربية مشتركة تتجاوز الخلافات والمحظورات ؟ وهل من المعقول أن يتردى الوضع بالنسبة للكتاب العربي في أواخر القرن العشرين عن أوله ؟ إن الأمر لا يقتصر على السودان فقط ، ويكفي أننا الآن فى القاهرة لا ندري شيئاً عما يصدر من كتب فى بغداد ، ودمشق ، والمغرب العربى كله . وهذا وضع خطير ستكون له آثار سلبية على الثقافة العربية في المدى البعيد .

الجهة الثانية التى تتولى النشر ، المجلس القومى للفنون والآداب ، ويغلب نشر الأعمال الابداعية على مطبوعات المجلس ، لفت نظرى مسرحية يمنية من مطبوعات دار النشر بجامعة الخرطوم ، فبرغم الامكانيات المحدودة يجد مؤلف عربى من قطر آخر مكاناً له هنا .

هناك أيضاً معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ، وله مطبوعات قيمة ، تشمل دراسات علمية ، يتم من خلالها اكتشاف وتسجيل التراث الشعبى للقبائل فى السودان ، ذات الأصول العربية ، أو الزنجية ، وهو تراث متنوع وخصب ، وما تحويه هذه المطبوعات يمثل ثروة فنية ، ومادة علمية هامة ، وهذا جهد رائد يتم لأول مرة فى افريقيا بجهد افريقى لا ينظر الى هذا التراث نظرة سياحية .

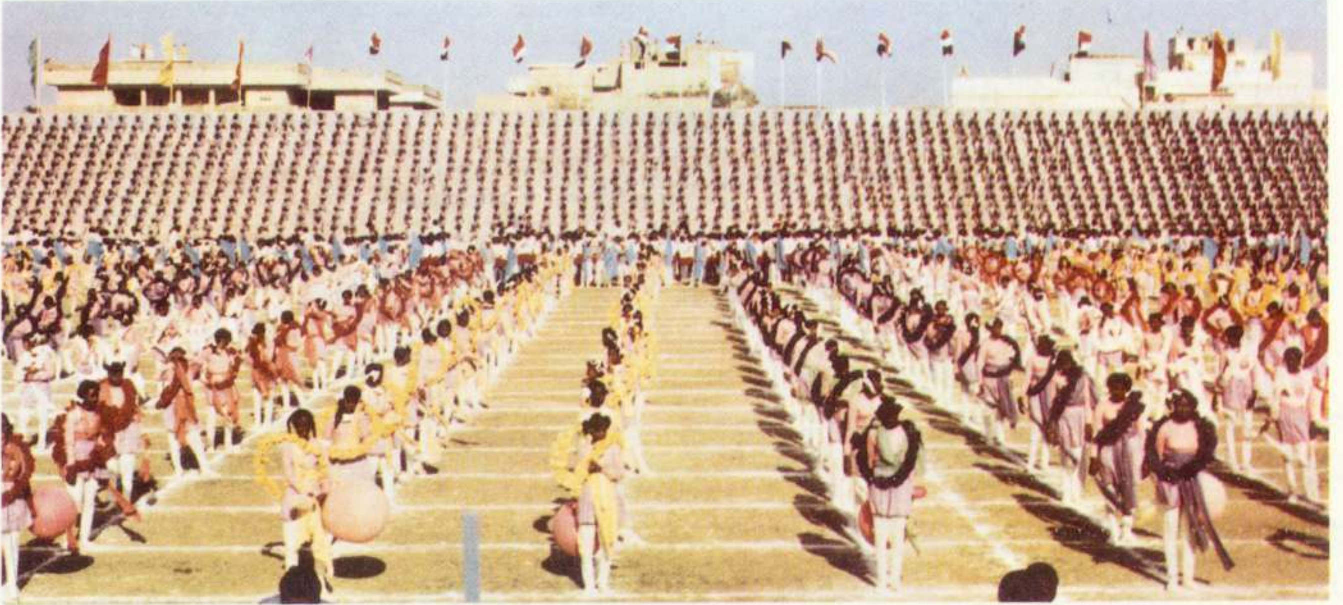
فى الخرطوم التقيت بوزير الثقافة الدكتور اسماعيل الحاج موسى ، وأصغى باهتمام الى ملاحظاتى حول ضرورة مد الجسور بين الثقافة العربية فى الأقطار الأخرى والسودان ، إن الثقافة العربية كل لا يتجزأ ، واذا انعزل قطر عن الآخر انعكس هذا بشكل سلبى على مجملها . كيف يتم ذلك ؟ أعتقد أنه من الضرورى أن تخطو الجامعة العربية خطوة فى هذا الاتجاه . بأن تدرس الوسائل الكفيلة بتسهيل حركة الكتاب العرب .

فى احدى أمسيات الخرطوم الحارة ، جمعتنى فى حديقة المجلس القومى لرعاية الفنون والآداب جلسة تعارف مع عدد كبير من الأدباء السودانيين بالنسبة لنا فى مصر وجدت أنهم يعرفون أدق التفاصيل عن حقيقة الأوضاع الثقافية ، وما يصدر من كتب ، وأعمال فنية ، وللأسف لا نلم نحن بكل ما يصدر فى السودان ، نتيجة لتخلف وسائل تبادل الكتاب والمجلات الأوعية الأساسية لنقل الثقافة .

صحيح أن السودان قدم الى العالم



نهر النيل .. مصدر الجمال والهدوء والالهام للحياة الثقافية الخصبة



احتفالات الشباب حيث الألوان الزاهية ورشاقة الأداء

العربى الروائى المعروف الطيب صالح ، ولكن أعمال الطيب صالح ظلت فترة طويلة فى السودان مجهولة لنا ، ولولا أنه قدم من خلال القاهرة ، فلا ندرى كم من السنوات كانت ستمضى قبل أن نسمع عن «موسم الهجرة الى الشمال» ، و «عرس الزين» .

## الفن التشكيلى

.. تعرفت الى الفن التشكيلى السودانى من خلال الفنان الكبير ابراهيم العوام . الذى تتميز أعماله برؤية شفافة ، فيها روح صوفية ، واستلهام لتقاليد الفن العربى الأصيل ، خاصة الخط ، تخرج ابراهيم العوام فى الجامعة الأمريكية عام ١٩٦٤ ، ومن كلية الفنون الجميلة المصرية عام ١٩٧١ . أقام أول معرض له عام ١٩٦٥ ، فى الفاشر ، وعرض فى مصر ، وكوريا الشمالية ، والمانيا ، حدثنى ابراهيم العوام عن مدرسة الخرطوم :

«هذا تعبير أطلقه ناقد نيجيرى ، قال ان هناك حركة متميزة . فى البداية كانت هناك ردة الفعل نتيجة للتلقى الأوروبى ، والمعالجات الأكاديمية ، ثم يجىء الادراك بأن الروح الأوروبية غير مناسبة ، وهنا حدث رد فعل مضاد الى التراث ، واستلهام عناصر تشكيلية من الواقع السودانى ، موجودة فى الخلوة ، فى الكتاب ، فى المسجد ، أشكال الأهلة ، الأقنعة الافريقية ، وهذا يوجد رؤية مختلفة للرؤية الأوروبية ، ويبدو ذلك فى أعمال أحمد شبرين ، وابراهيم الصلحى المقيم حالياً فى قطر وأعماله مقتناة فى متحف الفن الحديث بنيويورك .

ويقول ابراهيم العوام :

هناك المدرسة الجمالية الجديدة الرافضة للتراث ، والقضية عندهم جمالية بحتة ، يرفضون تسمية اللوحة. ويمثل هذه المدرسة حسن موسى ، وعبد الله بولا ، وهناك أيضاً الاتجاه الواقعى ، وثمة اتجاه آخر يحدث ضجة. الاتجاه البللورى أو الكريستالى ، وممثلوه رفضوا أى مستوى من الحرفية ومع هذا الرفض تتحدث عن الشفافية فى العمل الفنى ، ويعتقدون أن الشفافية هى الأساس الجمالى فيه ، والفكرة مأخوذة من مسألة الجوهر والمظهر . على رأس هذه المدرسة حامد شداد وكمالا ابراهيم ، ومن الفنانين المتميزين ، أحمد عبد العال ..

والفنان ابراهيم العوام ، يعمل الآن فى لوحة ضخمة بدأها مع بداية القرن الرابع عشر الهجرى ، يحاول فيها استقراء التاريخ الاسلامى ، ومحاولة القاء نظرة على المستقبل ، وتتجسد فيها فكرة اكتمال دفتر الكون فى القرن الرابع عشر ، كما يكتمل القمر فى اليوم الرابع عشر ..

يستوحى ابراهيم العوام عمله من الصوفية ، وقد دخل الاسلام السودان بطريق سلمى ، وليس بالفتح ، وانتشر عن طريق الصوفية . وفى الاسلام توجد التعادلية بين الروحية والمادية ، ويبدو واضحاً فى أعماله التى تستخدم الخط العربى محاولة استعادة القوى البصرية للحرف ، وتحريره من بعديه ، واعادة تقديمه من جديد ، خلفيات اللوحات بيضاء ، بينما تتشكل الحروف فى أشكال معينة ، يحاول ابراهيم العوام استخراج امكانيات وأسرار الحرف ، والحرف فى النهاية ما هو إلا وسيلة من وسائلنا التى نتواصل بها ، وتذكرنا لوحاته بتفسيرات الصوفية للحروف ، واستخراج الدلالات من أشكالها ، ونطقها ، وعلاقتها ببعضها ..

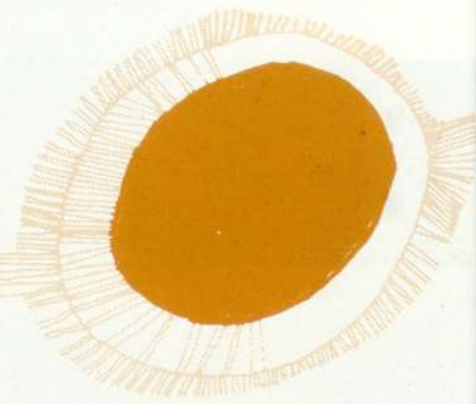
فى السودان حركة فنية تشكيلية نشطة ، متميزة وخصبة ، وحركة نشر محدودة ولكنها جادة ، وعميقة ، وحيوية ثقافية ، وخصوصية نابعة من وضع السودان كبلد عربى افريقى ، متى نتواصل مع الثقافة السودانية ؟ ، لاشك أننا فى حاجة الى مجهودات صادقة ومخلصة ، تتخطى كل الحساسيات حتى يتم ذلك ، وليت الأمر قاصر على السودان فقط .

جمال الغيطانى

# أم الناس

شعر: محمد المهدي المجذوب

يا بائعةَ الكسرةِ
ألقاكِ
الشاشُ الأبيضُ بين يديك غمامٌ نامتْ فيه لفائفُك الغناءْ
يا سمراءْ
أشتمُّ سماحتَك الخضراءَ وترحاب الاتقان رضاء جمالك يضحك لا لِلْغَنَى
لا غيرةَ من أترابك رزقُ الله تقسَّم فى أصحابكْ
كدْحٌ شاكرْ
أهواكِ أصابعِ صبرك والعمل الموصول الجيد لـبُّ نقائكْ
وَرَزَانتك الشَّمَّاءْ
الفقر تجمَّلَ سَمْتٌ من كبرٍ وحنانٍ بصَّرنى معناك
يشفينى من سخطى يشكو فى السوق لغير سميع
أسَمِعْتِ بذاكِ البائع ذاك السارق فى الديوانْ
خان الميزان سمعت شكايَتَه الحَيْرَى
يا ويلاهُ إذا شكَّ الميزان
كفَّتُه الأخرى تسألنى عن توأمها المفقودْ
أسمعتِ بظل سجينٍ غُربَتُه عن ظلِّكِ تسألنى
وأرى أطفالَكِ فى ذاكَ البيتِ الأقْصَى
ينتظرونَ الخَبْز العائدَ كل مساءْ
يحبو أطفالُك فى بيتٍ يحبُو
معراجُ شُعْبَتُه فى راحاتِ الزَّغبِ ولَثْغِ الألسِنَةِ الأولَى
ذاك البيتُ الناشىءُ فوق ركائزَ
لا يَعْنِيهِ نفاقٌ مكتحلُ العيْنَيْن
لا يعنيه
لا يعنيه لصوصُ الشمسِ ولؤمُ السِّعر ولا تطفيفُ الكَيْل
وأوزارُ الخرطومِ المفتونَة
تعنيه الأم تُدِرُ الحُبَّ العائِدَ كل مساءْ




أطفالُك أطفالى
أبكى فى سري بين يَدَيْكِ
ودموعى ألوانٌ شتىَّ فى جَنْبى
زهرٌ يتفتحْ
وجراحاتٌ منسياتٌ تَتَذَكَّرْ
أتسَاءَلُ هل صادَفَهُمْ ذَاكَ السُّكَّرْ
يَتَعَشَّقُهُمْ لم يعرف إلا فيهم حُلْوَ مَذَاقِه
أنكرنى لم تعرف نفسى إلا مُرَّ زُعَاقِه



أهواك عزيمتُك الغَرَّاءُ وهذا العملُ الطيبُ منذ الفجرِ عَلَى رأْسِكْ
وجلست به كالوردةِ رَيَّا تومض فى ظَلْمَاءِ السوقِ المستَنْقَعْ
تَيَّمنى ثوبُك هذا الأبيضُ ، وجهك يسفر لا كالبدرِ ولا كالشمسِ
ولكن من إيمانِك

الثوبُ السابغُ دِرْعَ بلادى لا الباروكة والفستان العارى
فى وجهك هذا الباسم حزنُ الصَّبْرِ تَفَاعَلْ
ما أجمل هذا الحزن الصابرْ
ما أجمل هذا العمل الساهرْ
يتخطىَّ القشرَ الصائحَ فى الصَّفحات وفى التَّلفاز وفى المذياعْ
يتخطى اللغْوَ الخادِعَ والساعِينَ إليه بأطماع شوهَاءْ
يا رَاهِبَةَ السودانْ
يا أم الناسِ جميعاً لا يشْرُونَ الكِسْرةَ بل يجنون بَهَاءَ صفائك
يزن الأعمال ولا يزن الأقوال يضيع بها الانسان
أقبلتُ عليكِ أطهِّرَ نفسى من أعبائِى
أتعلمُ منك الخيرَ الكاسِبْ
أتعشَّقُ حسْنَكِ والاحْسَانْ
وأضاحكُ فيكِ عَزائِى



رسالة لندن من
مجدي نصيف



## مهرجان لندن السينمائي الدولي الخامس والعشرون

# أكثر الأحداث الفنية إثارة في سينما العالم!

«كان مهرجان لندن الدولى للسينما محظوظاً دائماً» .

هكذا قال كين فالشين مدير عام المهرجان فى جلسة النقاد والصحفيين التى سبقت الاحتفال هذا العام باليوبيل الفضى لمهرجان لندن السينمائى، وفالشين كذلك واحد من أشهر نقاد السينما فى الغرب .

ومهرجان لندن الدولى للسينما أصبح الآن واحداً من أكثر الأحداث الفنية إثارة فى بريطانيا والعالم . ويأتى فى شهر نوفمبر ،قبيل نهاية العام ،وقبل أن ينصرف البريطانيون الى الاعداد للكريسماس

شابرول» . وخلال عامين فقط تضاعف حجم المهرجان كماً ونوعاً . وما إن حل العام الثالث حتى كان المهرجان قد أصبح ظاهرة فنية عالمية لا يمكن لصناعة الفيلم فى العالم الاستغناء عنها .

ومنذ العام الماضى مارست ادارة المهرجان تقليداً جديداً ، هو تقسيم الأفلام المعروضة الى مجموعات نوعية لمساعدة المتفرج على الاختيار من بين هذا الكم الهائل من الأفلام . فهناك الرسوم المتحركة ، وأفلام الأطفال ، والسينما البريطانية . وهناك قسم «الأفلام الأمريكية المستقلة» وهى تلك الأفلام من الموجة الجديدة التى انتجها الشبان الأمريكيون بتكاليف قليلة وبعيدة عن الشركات الكبرى السينمائية ، وهى عادة ما تكون أفلاماً تلتزم بقضايا الانسان المعاصر .

ولقد شهد المهرجان هذا العام ١٧٧ فيلماً من ٣٩ بلداً من أنحاء العالم ، وليس بينها بلد عربى واحد . بالرغم من وجود فيلمين عربيين ، واحد للمغربى أحمد المانونى (انتاج فرنسى) ؛ والثانى للفلسطينى ميشيل خليفى (انتاج هولندى ــ بلجيكى مشترك) .

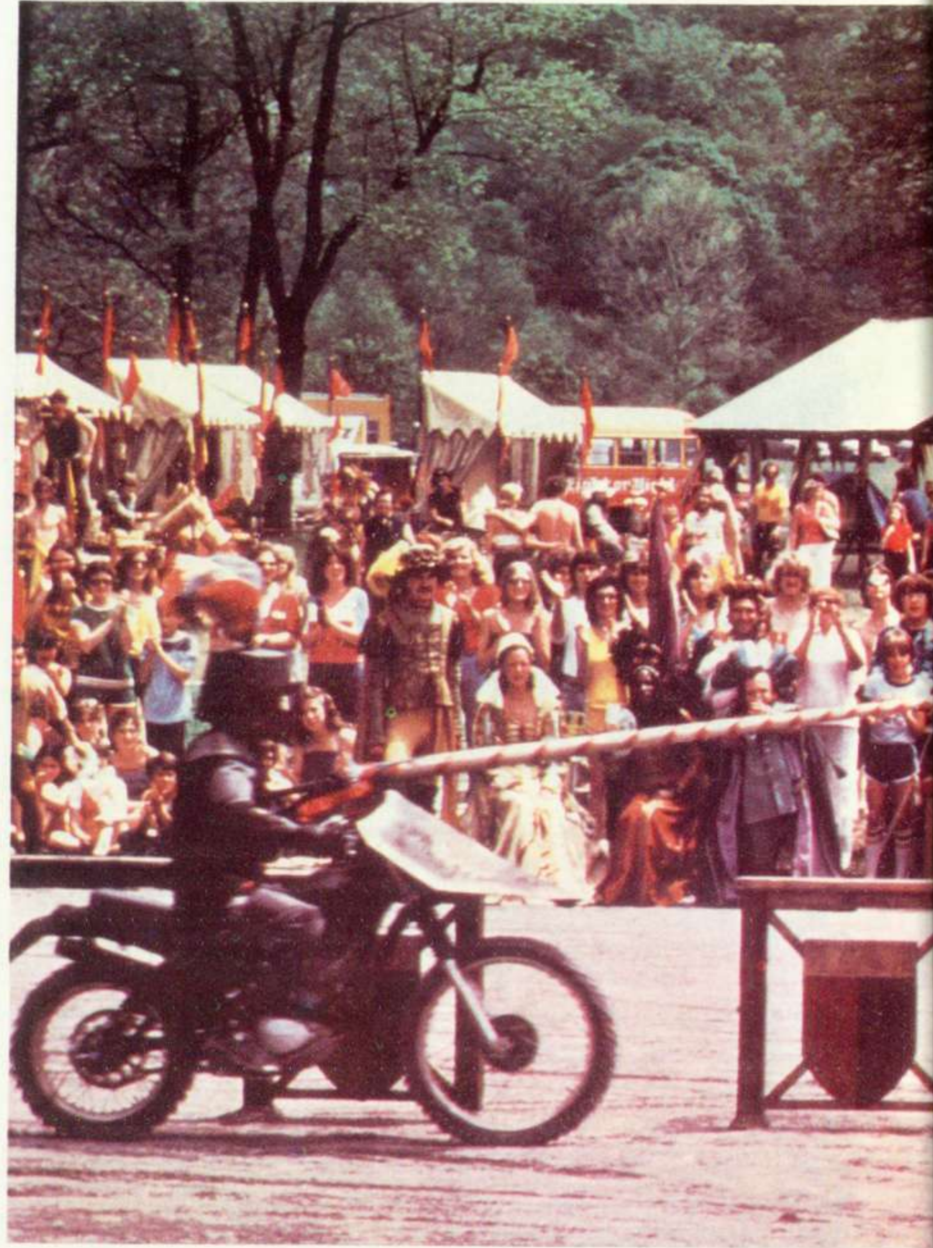
## مهرجان المهرجانات

لقد نجح مهرجان لندن السينمائى الدولى الى درجة أن النقاد يطلقون عليه اسم «مهرجان المهرجانات الدولية» . بل وأصبح المهرجان مميزاً عن المهرجانات الدولية الأخرى رغم أنه لا يقدم جوائز وكانت الأسباب التى يظن أنها ستتسبب فى فشله ، هى الأسباب وراء نجاحه :

فأولا : لا يتبع المهرجان مؤسسة تجارية أو حكومية ، وإنما يتبع هيئة أكاديمية مستقلة هى «معهد الفيلم البريطانى» الذى يعتمد على الدعم المباشر من وزارة التعليم ومن «مجلس الفنون البريطانى» .

و«معهد الفيلم البريطانى» من أعرق معاهد العالم السينمائية والفنية ، وتعتبر مكتبته سواء تلك الخاصة بالكتب أم تلك الخاصة بالأفلام ، من أقدم وأكمل مكتبات السينما فى العالم .

وثانياً : يصر المهرجان على استقلاليته عن الشركات الكبرى السينمائية



الفرسان الراكبة .. كان مفاجاة أفلام مهرجان لندن .. الفيلم من اخراج «جورج روميرو» الذى اعتاد تقديم أفلام الموت والرعب !

ورأس السنة وأجازاتها . ويصبح المهرجان فرصة طيبة لمعايشة التجارب السينمائية وإعادة تقييم العديد من الأفلام ذات الأهمية والدلالة من مختلف أنحاء الأرض. ورغم أن ميزانية المهرجان محدودة للغاية فهى أصغر ميزانية مهرجان دولى للسينما؛

إلا أن المهرجان اكتسب سمعة عالمية واسعة الانتشار جعلت منه مقصداً للمهتمين بفن السينما ، وأصبح ساحة خصبة للمناقشات الفنية والندوات والمحاضرات عن الأفلام وصناعاتها .

يقول كين فالشين حول المهرجان :

ــ بدأت فكرة المؤتمر عام ١٩٥٧ ، وكان عدد الأفلام المعروضة آنذاك لا يزيد عن ستة عشر فيلماً . لكن بداية المهرجان واكبت أيضاً انبلاج فجر عصر جديد فى السينما : أفلام «الواقعية الجديدة الايطالية» و «الموجة الجديدة» الفرنسية ، التى ما إن أوشكت الخمسينات على نهايتها حتى صارت حركة فنية متماسكة متكاملة على يد «فيتوريو دى سيكا» و «فريدريكو فلليني» و «كلود ليلوش» و «جان لوك جودار» و «آلان رينيه» و «كلود

ولهذا لا يقدم المهرجان أية جوائز . وإنما يقوم قضاته باختيار أفضل عشرة أفلام من كل مهرجان عالمى (موسكو – قرطاج – طشقند – كان – البندقية) . ويقوم النقاد بترشيح عشرة أفلام أخرى . ولا يعنى ذلك أنها الأفلام الفائزة بالجوائز ، لأن حسابات الربح والخسارة والسياسة والاحتكار تتدخل فى هذا ، وإنما يضع القضاة لوائح خاصة بهم تعتمد على أسس فنية وأكاديمية بحتة .

ويعطى المهرجان الفرصة للمخرجين الشبان والجدد ، الذين يمثلون تيارات جديدة ويعبرون عن مضامين فكرية جديدة . وعادة ما يكون هؤلاء المخرجون من الشبان السينمائيين الذين يعالجون قضايا اجتماعية هامة تتناولها أفلامهم . كذلك يقدم المهرجان أفلاماً عن قضايا التحرر الوطنى والتفرقة العنصرية والمراة .

أما مفاجأة مهرجان هذا العام ، فيقدمها كين فالشين بقوله :

– مثلما قدمنا عام ١٩٥٨ المخرج اليونانى أنجلو بولس ، نقدم هذا العام المخرج الفلسطينى ميشيل خليفى فى فيلمه «الذكرى الخصبة» .

يقول ريتشارد راود الناقد السينمائى الأمريكى ، والمستشار الأدبى للمهرجان :

– بينما أحجم مهرجان «كان» ومهرجان «البندقية» عن تقديم ما يدور فى جميع أنحاء العالم ، من كفاح الانسان ضد الاستعمار والعنصرية فى الخمسينات والستينات ، أعطى مهرجان لندن ، ومايزال ، الأولوية لهذه الموضوعات .



## مهرجان لندن السينمائي الدولي



انظر وابتسم .. أحد الأفلام الانجليزية الجديدة التى تعالج مشاكل الشباب

كان مهرجان لندن سباقاً فى تقديم الأفلام الأمريكية المعروفة باسم «أفلام تحت الأرض» ، التى كشفت بشاعة قصف النابالم على الشعب الفيتنامى وغير هذا من الموضوعات

وعرض المهرجان أفلام المخرج الجزائرى محمد الأخضر حامينا ، عن كفاح الشعب الجزائرى من أجل الاستقلال .

وفى العام الماضى عرض المهرجان الفيلم الايطالى «اسرائيل البدو» للمخرج الشاب كارلو كارلوتو ، والفيلم شبه تسجيلى . وهو يقول لنا ما وراء الأخبار ، حيث أن الأخبار التى يقدمها لنا التليفزيون هى أخبار تخاطبنا وتتركنا عند اللحظة التى يقع فيها الحدث موضع الخبر . وهى لا تحاول أن تقدم لنا تفسيراً لما وقع قبل هذا الحدث ،

ولا توصلنا الى النتائج المترتبة على حدوثه . وهنا يقضى كارلو كارلوتو أسابيع طويلة فى مخيمات البدو الذين أصبحوا لاجئين بعد «الحدث الخطير عام ١٩٤٨» . وقد منعت السلطات الصهيونية عرضه لأنه يكشف المؤامرات الصهيونية ضد الفلسطينيين ، وضد بدو صحراء النقب .

والظاهرة الملفتة للنظر هذا العام هى دخول المخرجين من أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية فى انتاج الأفلام الأنسانية ، ففى الأعوام السابقة كانت الأفلام الانسانية – الفنية المحتوى الجيدة التعبير السينمائى القليلة التكاليف – تقتصر على العالم الثالث وبعض الدول . والسبب فى عودة السينما الغربية إلى انتاج أفلام هادفة هو ظهور أشكال جديدة من التعاونيات السينمائية ، تعرف فى الولايات المتحدة باسم «السينما المستقلة» . ويمثلها فى مهرجان لندن الدولى هذا العام ١١ فيلماً . كما يشترك المخرجون البريطانيون فى هذا المجال بـ ١٢ فيلماً أيضاً بعضها تم اخراجه عن طريق منح تقدمها وزارة التعليم .

### موضة الأخلاقيات

وقد بدأت شركات السينما الكبرى تدرك أهمية التيارات الجديدة ، فدخلت

كمنافس فى الأفلام الهادفة بتوظيفها لمخرجين على درجة من الثقافة ، وفي رأى عدد من النقاد البريطانيين أن السبب وراء هذا هو حرص هؤلاء على «ألا يتخلفوا عن حركة المد فى رفع الوعى السياسى» . وفى رأى عدد آخر من النقاد أن السبب هو ظهور تيار أخلاقى جديد بين صفوف أصحاب الشركات والمنتجين أنفسهم ، تيار يعادى الحرب ويحذر من «تدهور قيم المجتمع» .

شركة يونايتد ارتست على سبيل المثال ، تقدم فيلم «على طريقة كاتر» تتردد فيه أصداء بشاعة الحرب الفيتنامية التى تركت بصماتها الفظيعة على المجتمع الأمريكى ومازال يعانى من ذلك حتى الآن رغم مرور سنوات على انسحاب الجيش الأمريكى . وسيناريو الفيلم كتبه جيفرى آلان فيسكين الذى اقتبسه عن رواية للكاتب الروائى الشهير نيوتن تورنبرج . وقد استدعت الشركة الأمريكية المخرج التشيكوسلوفاكى ايفان باسير الذى اشتهر عام ١٩٦٦ بعد أن فاز فيلمه الثانى «كرة رجل المطافىء» باحدى جوائز مهرجان موسكو للسينما ، لاخراج هذا الفيلم .

يتركز الفيلم حول شخصية كاتر الذى يحسبه الناظر «عالة على المجتمع» ، «لا يصلح لشىء» . فهو «مشوه» «مشلول الذراع» «مبتور الساق» «أعور» . وهو يعاقر الشراب طوال الليل والنهار ، ويسىء معاملة زوجته . ولا نكتشف حقيقة المأساة إلا فى منتصف الفيلم ، حينما يتحدث «كاتر» عن رجل الأعمال السيد ج.ج. كورد الذى يمتلك الشاطىء والمدينة والصحافة المحلية ونصف اسهم شركة التليفزيون . نكتشف الحقيقة عندما يقول كاتر :

— «نذهب أنا وأنت لنموت فى أدغال فيتنام ، ليزداد ج‌ج كورد ثراء» .

وقد برع جون هيرد فى رسم أبعاد شخصية «أليكس كاتر» ، الذى يطرح مأساة جيل كامل من الشبان الأمريكيين الذين ساقتهم مصالح الشركات العالمية الكبرى ، وخاصة شركات السلاح ، الى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، والقوا بآلاف الأطنان من القنابل والمحرقات والنابالم على رؤوس أبناء الشعب الفيتنامى البسيط البرىء



الكاتبة سحر خليفة فى فيلم «الذكرى الخصبة» الذى كان مفاجأة المهرجان هذا العام

وحقولهم ومزارعهم وبيوتهم ومصانعهم .

وتكمن روعة الفيلم ، وبراعة المخرج ، فى اللغة السينمائية الراقية التى استخدمها . فالاشارة الى فيتنام قليلة جداً ، وفى جمل قصيرة للغاية ولكنها ملتهبة الغضب ، مثل :

— «كنت ملقى على الشاطىء أنزف ، مبتور الساق ، وانتم هنا تتعاطون المخدرات» .

ويركز الفيلم على البنية الاجتماعية الداخلية للمجتمع الأمريكى ، والفساد الأخلاقى الكامن وراء «العنف» الذى تصدره الولايات المتحدة الأمريكية الى فيتنام والعالم ، فخلف واجهة «الشاطىء» و «النادى» و «اليخت» و «حمام السباحة» ، «السيارات الفارهة» يقبع القبح والعنف وتناقضات مجتمع الظلم الاجتماعى . والمحصلة هى تعفن وانحلال البناء من الداخل : إنه يتهاوى وينهار عند أول صدمة .

ويشير كثير من النقاد الى أن دور الزوجة «مو» الذى قامت به ليزا ايتشهورن ، يعتبر أفضل دور نسائى لهذا العام ، فرغم قلة الحوار الذى أفرد لها ، تمكنت ليزا من رسم أبعاد تعقيدات شخصية أنثى نضجت فى السبعينات بعد امتصاص خبراتها الأولى فى الستينات ، وهى اشارات واضحة الى الحرب الفيتنامية .

## ذكرى من فلسطين

واذا كان المخرج التشيكوسلوفاكى إيفان باسير قد نجح فى استخدام ظاهرة «العنف» فى كشف حقيقة مجتمع الرفاهية ، فان الفلسطينى ميشيل خليفى استخدم لغة سينمائية رقيقة ومبتكرة فى حركات كاميرا شاعرية رشيقة ولقطات انسانية تدور حول «الحياة اليومية» لعرب الضفة الغربية ، فتمكن رغم الرقة والشاعرية من نقل واقع مأساوى مرير ، للظلم الذى لم يسبقه مثيل فى التاريخ ، ذلك الظلم الذى تعرض له الشعب الفلسطينى .

ورغم بساطة الفيلم وقلة تكاليفه ، إلا أن كاميرات ايقزفان ديرميرين ، ومارك أندريه باتيجن ، تمكنت من تسجيل أدق تفصيلات الحياة مع المونتاج العبقرى الذى قامت به مفيدة الطلاطلى ، والذى ساعد على الاظهار الموهوب لثراء الحياة

احدى لقطات الفيلم الفائز بجائزة النقاد وهو فيلم الجماعة الجديدة



# مهرجان لندن السينمائي الدولي

الاجتماعية للفلسطينيين فى ظل الاحتلال الاسرائيلى ، وهم يحاولون المحافظة على شخصيتهم «العربية الفلسطينية» بملامح ثقافتها ، رغم العذاب اليومى تحت نير سلطات احتلال فظيع .

ومن خلال التناقض بين الحوار البسيط لفلاحات فلسطينيات فقيرات ، أثناء اعدادهن لوجبات فخمة ، تمكن المخرج عن طريق الحوار العاطفى الذكى والساخر أن ينتزع الضحكات وأن يشحذ الذاكرة لتفتح النوافذ على حقيقة المأساة الفلسطينية .

ويتمكن فيلم «الذكرى الخصبة» لميشيل خليفى من أن يصبح دراسة انسانية هامة للمجتمع الفلسطينى فى الضفة الغربية فى ظل الاحتلال وينجح فى أن يقدم «الانسان الفلسطينى» فى شخص «امرأة عجوز» تصبح أمثالها وحكاياتها هى معين لا ينضب يروى «الذكرى الخصبة» من التقاليد والعادات والتراث الثقافى الذى يعبر عن تشبث الشعب الفلسطينى بالأرض ، رغم محاولات الصهيونية . وقد شاركت الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة بالتمثيل الى جانب فرح حاتوم فى تقديم لغة سينمائية راقية قال عنها الناقد السينمائى إيان كريستى :

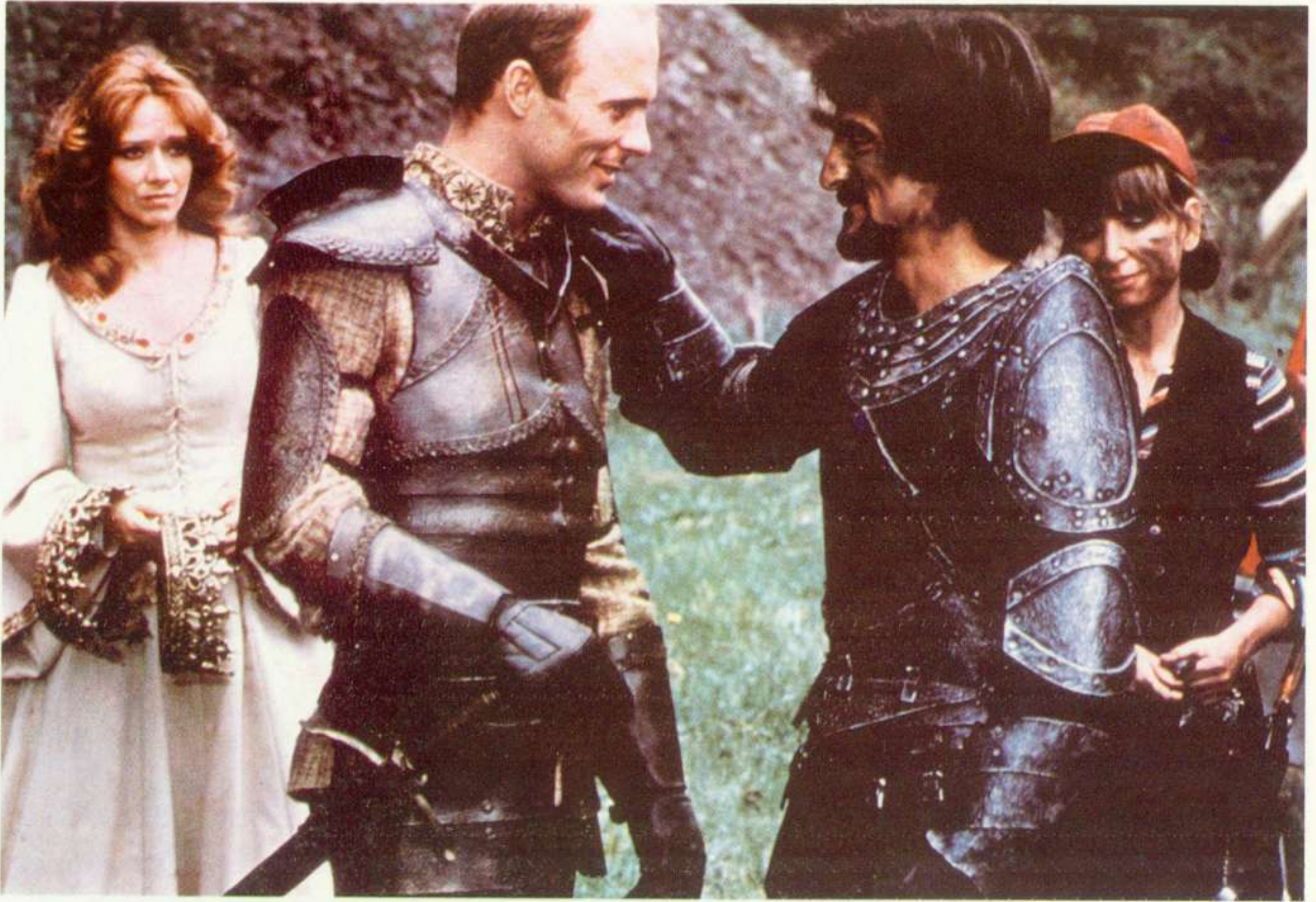
ـ اذا تمكن المخرج من أن ينسج موضوعاً انسانياً ، حول محور فكرة فنية فانه يكون قد أبدع بلغة السينما .

ولقد تمكن المخرج بمساعدة الممثلتين من أن يرسم خريطة الجغرافيا الانسانية للمشكلة الفلسطينية حول محور «الذكرى الشعبية» لفلسطين العربية .

## صعاليك معاصرون

أما المخرج المغربى أحمد المانونى فقد قدم فيلماً اسمه «الحال» استخدم فيه الثقافة القومية . ويدور فيلمه حول فرقة موسيقية مغربية اسمها «الناس الغوانى» تحاول تقديم أغنيات عربية على طريقة فرق «الروك أند رول» الغربية باستخدام آلات موسيقية عربية . والفرقة نفسها محاولة عصرية لاحياء حلقة من التراث الجاهلى ، مجموعة شعراء الصعاليك الذين كانوا يرتحلون من مكان الى آخر .

وتعتزم هذه الفرقة الطواف بعواصم العالم مع التركيز على أوربا الغربية ومن ثم يعتبر فيلم «الحال» ، مقدمة فنية طيبة



جدل ساخن حول اخلاق الفرسان فى مجابهة اغلال العصر .. اللقطة من فيلم الفرسان الراكبة .. ابرز افلام المهرجان !

لطوافهم هذا . ويشير المخرج فى نفس الوقت بأسلوب ممتع ، الى رفض الكبار وحملة التقاليد فى وجه هذه الظاهرة الجديدة .

ولعل فيلم «الفرسان الراكبة» هو أبرز أفلام المهرجان هذا العام . إنه عن «المجموعات المتجولة» ذات الثقافة الخاصة جداً ، والتى تنفرد بها عن الثقافة الاجتماعية السائدة ـ كظاهرة الهيبيز فى الستينات على سبيل المثال ـ والفيلم من اخراج المخرج الأمريكى جورج روميرو . وروميرو مخرج غريب فريد من نوعه ، فما بين فيلمه «ليلة الموتى الأحياء» (عام ١٩٦٨) و «الفرسان الراكبة» الذى يقدمه فى العام الحالى ، قدم سلسلة من «أفلام الرعب» المتميزة الخاصة به ، عن الموتى الذين يتركون القبور . وإن كانت كلها تعليقاً نقدياً بشكل غير مباشر على المجتمع

وأبطال فيلمه الجديد ، الدقيق الصنع الانسانى المحتوى ، مجموعة من الشباب راكبى الدراجات البخارية ، الذين يستخدمونها بدلا من الجياد ، فى حلقات نزال كالتى شهدتها أوربا فى القرون الوسطى بين الفرسان . وفى هذا المجتمع الجديد ، هناك مجتمع بأكمله يرتدى ملابس بداية عصر النهضة ، بالرقص والموسيقى . وتتعرض الجماعة لمسألتين تتحول كل منهما الى امتحان عسير : الأولى عندما قابلوا الشرطى الشرير المرتشى الذى يريد فرض أتاوة عليهم . (وتتكرر ظاهرة العداء للشرطة فى معظم أفلام روميرو) . والثانية عندما يتعرض عدد من «الفرسان الراكبة» لاغراءات التليفزيون والشهرة وشركات الانتاج الاحتكارية ، هنا يفكرون أمام الاغراءات فى التخلى عن مبادئهم ، المتمثلة فى رفض المدنية الحديثة والتحلى بأخلاق الفرسان .

وهنا يطرح روميرو السؤال الأخلاقى التالى : هل يمكن أن يعيش «المفكر» و «الكاتب» حياة نقاء رومانسية فى المجتمع المعاصر ؟ وهل يمكن للفنان أن يقدم فنه لنفسه فقط وبقيم أخلاقية مجردة ؟

ولأن روميرو نفسه يعيش هذه «التجربة» ، فهو يلح على الجمهور لمحاولة البحث عن إجابة لحيرة الفنان بفحصه لعالمه الخاص جداً ، الفنان النقى «أحادى» الفكرة . ولا يقدم روميرو إجابة شافية .

● ●

ولاشك أن المهرجان فرصة طيبة للنقاد والسينمائيين والكتاب العرب الذين لم نر واحداً منهم فى القاعة القومية للعروض السينمائية على الضفة الجنوبية لنهر التيمز ، والتى تحتل مكانها فى مدينة الفنون التى تضم مبانى المسرح القومى ومعرض هايوورد وقاعة الاحتفالات الملكية وقاعة الملكة اليزابيث .

مجدى نصيف

بقلم : محمد فتحي

مطلوب للتليفزيون العربي :

# طبقة واعية من كتاب الدراما

المتعة التى يلقاها ويسعد بها المتتبع للمسلسل الدرامي ـ ذى القيمة الفنية ـ لا تجيء من مجرد التشويق ، النابع من التسلسل الحكائى . أو من إزاحة الستار عن سر غامض ( مَن مِن أولئك الذين تحوم حولهم الشبهات هو القاتل ؟ ) . المتعة الحقيقية تجيء عن طريق التأمل ، التأمل فى مصير .. فى موقف إنسانى قاصم للظهر ، موقف درامى قد يرى المرء نفسه مغروساً فيه .. انظر الى ذلك الطاغية جى أر فى المسلسل الامريكى المشهور دالاس . انك تسائل نفسك ، داخل نفسك .. أما من أحد قادر على الوقوف فى وجه هذا الطاغية ؟ هل يقوى أخوه الأصغر عليه ؟ أليس لطغيانه من نهاية ؟! انه يخرب البيوت .. يدمر الأسر .. يهدم بيوت المال .. يذبح كل قيمة اخلاقية موروثه .. يفلس الشركات ، ويدفع بالمفلس الى الانتحار .. ؟! وقد تجد نفسك فى اخر الأمر تقف مع الضحايا ، تبرر مسلكهم غير المشروع .. لقد ضاقت فى وجوههم السبل ، ولم يبق أمامهم للتخلص من هذا الشر الكبير الا ان يصطفوا فى الطابور .. لاغتياله .!؟ أظهر من فى الطابور كانت أقرب الناس إليه .. زوجه ؟! زوجه وأخت زوجه .. نعم ولكن ليس أقرباء الدم ! أواصر العرف الأسرى ـ وهو هنا فى هــــذا المجتمع مكين ـ تكف يد الأخ عن أخيه ، وتدفع به بعيداً عن الطابور .. كما دفعت بأخ له من قبل بعيداً .. الى أرض الله الواسعة .. ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟!

أو انظر الى ذلك الموقف الآخر ، الذى يواجه فيه الأخ الأصغر قوى لا قبل له على احتمالها .. من دسائس تغرق ناقلات الزيت الثمين .. ومبتز يطلب الملايين أو يدمر آبار الزيت .. ويدمرها بالفعل ، أمام أعيننا ، ونراها تشتعل لهيباً بنفسجياً مأساوياً ماله إلى رماد متفحم .

لارى هاجمان يؤدى دورج . آر . الشخصية المستبدة فى جميع تصرفاتها




تلك نماذج من نهاية الحلقات فى المسلسلات الأجنبية . مواقف لا تدعو الى التشويق والترقب بقدر ما تدعو الى التفكر والتأمل العميق .. الى تحريك الضمير الانسانى .. كأنما تلتمس الاستهداء فى مواقف التيه .. فى موقف هذا الرهين الانسانى من هذا الكون اللجي ، العجيب المثير المعقد .

عندما يبلغ المسلسل الدرامى العربى فى حياكته ونسيجه مثل هذا المستوى يكون قد تجاوز مرحلة الاضطراب الى الاستقرار والسير على الطريق المستقيم المسألة فى المقام الأول مسألة تأليف . ولعل المشاهد العربى طعم مذاق التأليف الجيد فى قلائد طه حسين وجوده السحار الأيام وعلى هامش السيرة ومحمد رسول الله .

بيد أن التأليف وحده ، لا يمكن اعتباره ، فى التليفزيون ، بمثابة جواز المرور ، أو بمثابة الشهادة المسوغة للقبول . فالجانب الآخر من العمل الدرامى أو الصبغة أو الحرفية الفنية ،

## مطلوب للتليفزيون العربي طبقة واعية من كتاب الدراما

تلك التى تتضمن عمليات ما يسمونه السيناريو أو التجزىء المشهدى ، والاخراج ، والتمثيل ، وبقية الاجراءات الحرفية التى تصب الحياة فى المؤلف وتجسمه للعيان ـ هذا الجانب جوهرى لا يستقيم عمل درامى متلفز بدونه . فهو الأصل . بدون المسرح وخشبته وفنونه لا توجد المسرحية . بدون المنبر لا مكان للخطيب والخطبة . كذلك بدون أداة التليفزيون لا وجود لمسلسل تليفزيونى . اذن فهو فن له أصالته وتميزه وخصائصه . قد يكون لب الدراما الانسانية واحداً . لكن فن الكتاب غير فن المسرح ، غير فن التليفزيون ، الالكترونى .

من هنا لم تظهر بعد عندنا ، فيما أحسب ، طبقة من الدراميين التليفزيونيين المتفهمين تفهماً علمياً لأدائهم ، بطبيعتها البصرية ( أى الدارسين لطبيعة الضوء والصوت والتصوير دراسة علمية ) ، والمتفهمين لسيكولوجية الفرد وردود فعله وتجاوباته والمتفهمين أيضاً للخصائص الذاتية فى مختلف الأدوات الأخرى مثل أداة الكتاب والراديو والمسرح . كثيراً ما يلتبس عليك الأمر وأنت تشاهد المسلسل التليفزيونى العربى .. هل أنت أمام مشهد مسرحى .. فهو ثابت ، جامد ، لا يتغير ، الحوار فيه مستفيض مستطيل .. أم أمام مشاهد تليفزيونية يتعين أن تتغير بمعدل زمنى لا يقاس بالثانية وإنما بجزء من الثانية ؟!

شىء آخر جوهرى يغيب عن المخرجين والسينارست العرب وهو أنهم لا يدركون حقيقة تختص بهـا أداة التليفزيون ، مما ينتقص من أعمالهم



طه حسين .. من عمالقة الأدب الذين قدم لهم التليفزيون بعض الأعمال



عبد الحميد جودة السحار .. معظم مؤلفاته تقريباً قدمها التليفزيون فى اعمال درامية

كثيراً من القيمة . تلك هى أن التليفزيون فى جوهره ، يكره الاصطناع . انه يكبر ( الواقع والكائن ) ، يقرب ، يبصر ، يسمع ، يصفى ، يجمل ( بتشديد الباء والراء والصاد والميم والفاء واللام على الترتيب ) . لكنه لا يحب التلفيق والتزييف والاصطناع إذ قل ان ينجح فى الايهام بها . لذلك يكون التليفزيون فى أحسن حالاته عندما يقدم الأخبار والوقائع والأحداث وكل ما هو واقع وكائن وصادق . بل ان فيه لصفة عجيبة سحرية . عين الكاميرا الالكترونية ذات خصيصة يدركها المتعاملون تعاملا وثيقاً مع الجهاز .. تلك هى التغلغل فى الأعماق ، والكشف عن الباطن ، وخاصة فى نفس الانسان . انه مثل أشعة إكس يكشف عما يكنه الباطن مما لا تراه العيون المجرده . تستطيع أن تتحسس الحكم على شخص تراه على الشاشة . تستطيع الحدس هل هذا الرجل صادق فيما يقول ، أم كاذب ، أم ملتو ، أم مزيف ، أم مذعور .. هل يتظاهر بما ليس فيه ؟!

### نعم التليفزيون نَمّام

لذلك وبناء على هذه الحقيقة وهى كراهية التليفزيون للاصطناع تحاول الأداة عندما تقدم الدراما - إذ أنها وان كانت تعكس واقعاً إلا أنها بعد كل شىء تأليف وخلق - نقول تحاول أن تلبسها لباس الواقع أو أن تقتطع من الواقع ذاته . فعندما تصور مجتمعاً مثل مجتمع المزرعة ـ فى دالاس مثلا ـ نرى هذا المجتمع رؤية واقعية شاملة . ولا يتسرب إلينا أدنى شك فى أن المزرعة التى نراها مزرعة وهمية صنعها لنا المزيفون ! نرى البيت تحيط به الخضرة الحية والمراعى الشاسعة . ونرى اصطبلات الخيل . ونرى الخيل وسائسيها . ونرى الأبقار ترعى . ونرى رياضات المزرعة مثل مطاردة الثيران والأبقار وصغار العجول وكيفية الامساك بها . ونرى كيف تساس الخيل الجامحة والثيران الهائجة . ونرى الآفات والأمراض التى تصيب البهائم وكيف تعالج . ثم نتذوق الحشائش

لنتأكد من صلاحيتها للماشية ترعاها .

نحن لا نرى فقط مشاهد المزرعـــة الخارجية ، بل نرى أيضاً داخل البيت . حجرة النوم ، وغرفة المعيشة العامة والمائدة فى الفراندا ، وحمام السباحة والسابحين فيه من اهل البيت . كذلك نرى أفراد هذا المجتمع العاملين فى المكاتب فى العمائر الشاهقة . نرى العمارة ومصاعدها ونرى داخل المكتب .. رئيس المكتب بمكتبه وتليفوناته وخزانة مشروباته ونرى السكرتيرات والآلات الكاتبة ، تماما كما هم فى الحقيقة والواقع غير الروائى .

مجتمع المزرعة موزع بين الزرع والرعى فى ناحية وإنتاج البترول الموجود فى الأرض فى ناحية أخرى . لذلك نرى آبار البترول وهى تعمل وتضخ حقيقة لا تمويها ، ونرى المصفاة . نشهد على الطبيعة كل ذلك وكل مايدور من صراع فكرى حول طبيعة البترول وطبيعة المراعى والتنافر بينهما بسبب ما يصيب البيئة الزراعية من تلوث ..

يمرض بعض أهـــل المزرعة فنرى المستشفى الحقيقى ، ومصحة عـامرة بنزلائها . ونرى المرضى يستشـــفون ، ويتدربون على الأجهزة المساعدة ، كمـا نرى الحديقة والشارع والسيارات تجرى فيه ، والجراجات والبارات والمقاهي والمطاعم .. المجتمع الكبير الشامل يمثل أمام عينيك وكأنما أنت تسيح بين أرجائه .

أو انظر الى المسلسل المرح الضحاك ، المدعو سفينة الغرام .. أنت ترى سفينة وليس إيهاماً بسفينة . بل كأنك تعيش فيها . ترى الكبائن والقمرات ، وترى ظهر السفينة .. المشرب ، والملهى والبيانو قائم فيه ، والمسبح والمقاعد مصطفة حوله . وترى مشاهد الغرام بين الأحباء ومن خلفهم البحر الممتد ، بأمواجه ، ثائراً أو هادئاً كبحر من زيت ، أو داكناً ، أو بترولى اللون . وترى المطبخ ، والمطعم منسقة فيه الموائد المهيئة تنسـيقاً لا شائبـــة فيه ، عمـــل مطعميين لا تليفزيونيين !

وقس على هـــذا فى كل مـا ترى من مسلسلات أجنبية وتفكر فيه .

ثم انظر بعد ذلك الى أى مسلسـل عربى يجرى على شاشتك . وتفكر فى ذلك الذى ذكرناه من الطبيعية والتوازن والتنقل بين المشــاهد الداخليــــة والخارجية . وهيىء نفسك لتنتقل مع المخرج من الداخل الى الخارج أو بالعكس . أغلب الظن أن المخرج سيخيب أملك تماماً . فالمشاهد كلها تجرى فى غرفة أو غرفتين أو ثلاث ، كل شىء فيها ينطق بالزيف من أثاث وستائر وأبواب ونوافذ وزهور .

ان تكن الأحداث فى طائرة أو قطار فنحن نصنع فى الاستديو شيئاً يمثل ركنا من الطائرة أو ركناً فى عربة قطار .



وان تكن محطة سكة حديد فنحن لا نشهد غير غرفة مصنوعة تمثل غرفة ناظر المحطة .. ولا نرى رصيفاً ولا قضباناً ولا ركاباً ولا سيمافور ولا نرى قطاراً ولا نسمع صفيراً ولا .. ولا ..

فى مسلسل تجرى أحداثه فى قرية ، لم نشهد من القرية غير غرفة نوم شيخ البلد ، وامرأته على الدوام نائمة فى سريرها ، وهو يستقبل فى نفس الغرفة خفيره وحلاقه وعيونه من الخطاب . لم نر حقلا ولا بقرة ولا حماراً ولا ترعة ولا كوم سباخ ولا شجرة صفصاف .. حتى الساقية والبئر والطريق صنعت جميعها داخل الاستديو !

تمويه وإيهام لا يخفى على عين مشاهد . ولعل فيه يكمن السر فيما ينتابه من انقباض وبرم ، فى حين ينشرح صدره ، عندما يمتد بصره وخياله ، عبر المشاهد الطبيعية الممتدة الآفاق التى تقدمها له المسلسلات الأجنبية الجيدة .

هل المنتجون والمخرجون العرب ، وهم عاملون على نطاق الوطن العربى كله ، يستهينون بعقلية الجمهور ، عامدين ، وكأنما يقولون له طظ !؟

هل المنتجون والمخرجون العرب يجهلون الحقائق الأساسية عن طبيعة الأداة التى يتعاملون معها وتغل عليهم ما تغل من دخل سمين ؟!

هل يصدق عليهم القول المشهور .. ان كنت لاتدرى فتلك مصيبة . أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم ؟!

طبقـــة واعيـــة من الدراميين التليفزيونيين .. متى تظهر ؟!

محمد فتحى

شيء ما .. هاجس خفي فى أعماق النفس ، يدفع الكثرة من الشعراء ، إلى الحديث عن الموت فى زمن مبكر من حياتهم . يدورون حوله فى قصائدهم . يرحبون به ، أو يخافون منه . وعندئذ يقبلون على الحياة يعبون منها قبل أن تقلع بهم السفينة يوماً .. إلى مالا نهاية !

# الشعراء

## ورحلة العمر القصير.. الجميل !

بقلم : د . الطاهر أحمد مكي

أراد جوان مرجال (١٨٦٠ ـ ١٩١١) ، وهو شاعر عظيم من قطلونية ، إحدى مقاطعات اسبانيا فى الشمال الشرقي ، أن يكتب قصيدة مدح أخيرة ، بعد أن أبدع الكثير من قصائد المديح ، وأن تكون فى مدح الموت ، فامسك القلم ذات ليلة ، وخط الكلمات التالية : « إن أعظم ما يمكن أن يمدح به الموت أن يقال إنه لا يوجد » . ولم يكتب غير هذه الجملة ، ومات فى اليوم التالي .

لم يتجاوز الشاعر الواقع ، ولم يكن متجنياً على الموت ولا منكراً له ، وإنما أراد أن يقول ان الموت لا وجود له فى عالم التجربة ، وإنما يوجد فى الاحساس فقط ، ويمكن أن نعيشه فقط ـ وياله من تناقض ! ـ ولا يمكن أن نموته فعلا ، لأن الحي يمكن أن يفكر فى العدم ، وأن يتصوره ويعايشه ، ولكنه لا يستطيع أن يكون العدم نفسه ، ثم يتجاوزه إلى الوجود ثانية ، ويصف ما رأى وأحسّ ، ومامن احد تحدث عن الموت تجربة ، كلنا نتحدث عنه تصوراً ، وإحساساً ، وما اكثر ما نتحدث عنه ! .

ورغم أن الشعر يضيق بالكلمات ذات المعاني الجامدة ، والمصطلحات المحددة ، لأنها تحاصر الخيال وتسجنه ، خيال المبدع والمتلقى على السواء ، ومع أن كلمة «الموت» ذات معنى واضح محدد ، إلا أن جهل المرء باسبابه وما وراءه ، وما يحدث أثناء الانتقال من الوجود الى العدم ، فتح الباب واسعاً أمام الخيال الانساني ليتصوره بالطريقة التى يحبها ، فى ضوء مزاجه ومعتقداته ، وتسليمه أو تمرده ، ورضاه أو سخطه ، ومن ثم أصبح لفظ «الموت» كثير الدوران فى الشعر العالمي والعربى على السواء .

شيء ما ، هاجس خفي فى أعماق النفس ، يدفع الكثرة من الشعراء ، أحَدَّهم عبقرية ، وأعظمهم إبداعاً ، وأسبقهم رحيلا عن الدنيا ، إلى الحديث عن الموت ، والدوران حوله فى قصائدهم ، فى زمن مبكر من حياتهم ، وإلى الترحيب به ، أو الخوف منه ، فيقبلون على الحياة يعبون منها ، قبل أن تقلع بهم السفينة يوماً الى عالم الفناء ، ويتكرر حديثهم عن الموت لفظاً ومعنى وصفة ، حتى يكاد أن يصبح «فكرة ملحة» ، تقفز بين الأبيات ، وتفرض نفسها على القصائد ، تتطلبها الدواعي حينا ، وتجيء عرضاً لأوهى الأسباب فى أغلب الأحيان .

كان طرفة من شعراء الجاهلية أول من تحدث عن الموت ، وأبان عن رأيه فيه : «إذا لم يكن من الموت بد ، وإذا لم يكن وراء الموت شيء ، وإذا كان الموت ملماً بالفقير والغني ، بالجواد والبخيل ، بالشجاع والجبان ، أفليس من الخير أن يأخذ المرء فى هذه الحياة بلذات النفس والجسم جميعاً ، فيرضى نفسه باداء الواجب ، والارتفاع عن الدنيات ، ويرضى جسمه فى الأخذ بأعظم نصيب ممكن يتاح له من اللذة والمتاع» ؟ .

ألا أيهاذا اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
لعمرك إن الموت ، ما أخطأ الفتي ـ
لكا لطول المرخى وثنياه باليد
أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوي فى البطالة مفسد .

وقتل طرفة ، وهو دون الثلاثين .

وتقول القصة إن عامل عمرو بن هند على البحرين قال له ، حين أراد أن ينفذ فيه حكماً بالموت : إني قاتلك لا محالة ، فاختر لنفسك ميتة تهواها . فقال : إن كان لابد فاسقني الخمر ،

وافصدني . ففعل به ذلك ، فمازال ينزف دمه حتى مات .

ويمضي العصر الجاهلي ، ويجيء الاسلام ، وتفيض الجزيرة العربية باهلها شرقاً وغرباً ، وأيان ذهبوا يحملون معهم دينهم ولغتهم ، وتدخل الحياة الفكرية فى صراع مرير من الآراء والمبادىء والمعتقدات ، ويصبح الموت قدر الله لا مهرب منه ، ويمضى عدد من الشعراء به الى جوانب مختلفة ، فياخذ منه أبو العتاهية مقرعة يذكّر بها المقبلين على الدنيا ، والغافلين عن الآخرة ، فى عظات خطابية ، افقدها الكثير من تاثيرها،انه توجه بها الى الآخرين ، ولم يقف بها عند نفسه ولا مرة واحدة :

لـدوا للموت وابنـوا للخـراب
فكلكـم يصيـر إلـى تبـاب
لمـن نبـني ونحـن إلـى تـراب
نصيـر ، كمـا خلقنـا من تـراب

وقد تضطرب نفسه لمشاهدة البؤس البشري على أيامه ، فتجيء صرخاته حديثاً عن الموت ، وتعلقا به ، فى أن يحسم الأمر ، وأن يلقى العظـة أمام المقبلين على الدنيا ، يريدونها باي ثمن ، ومهما كانت تعاسة الآخرين فادحة :

حسمـت المنـي ، ياموت ، حسمـا مبرّحاً
وعلّمـت ، ياموت ، البكـاء البواكيـا
ومزقتنـا ، يامـوت ، كـل ممـزق
وعرفتنـا ، ياموت ، منـك الدواهيـا
أفـي كـل يـوم نحـن نلقـى جنـازة
وفى كـل يـوم منـك نسمـع ناديـا
وفى كـل يوم منـك نرثـى لمعـول
وفى كـل يـوم نحـن نسعـد باليـا

وكان شعر الرثاء فى الأصل يهتم بالميت فحسب ، وقلما يعرض للمـوت نفسـه فلما حاول المتنبي أن يرثى حالت كبرياؤه دون أن يبكي أو يتحسر ، فجعل من رثائـه بسطاً لفلسفته فى الحياة والموت ، ورأى المـوت امراً محتوماً على كل حـي ، لأن الحياة من كسب الزمان ، والاجسـام من تـراب الأرض ، وسوف تستعيـد الأرض ما اخـذ منهـا ، ولذلـك ينبغـي ألا نجزع أمام الموت ، وأن نستقبله كامـر محتوم :

نحـن بنـو الموتـى فمـا بالنـا
نعـاف مـا لابـد مـن شربـه
تبخـل أيدينـا بارواحنـا
علـى زمـان هـن مـن كسبـه
فهـذه الأرواح مـن جـوه
وهـذه الأجسـام مـن تربـه

وقد اختلف الناس على كل شيء إلا الموت ، فقد اتفقوا عليه ، ثم اختلفوا فى حقيقته ، فقال قوم : إنه هلاك للجسم تخلص به النفس ، وقال آخرون : إنـه هلاك للجسم والنفس معاً ، وتردد المتنبي بينهما ، فلم يستطع أن ينتهي إلى نتيجة حاسمة ، فاقامه الفكر بين العجز والتعب :

تخالـف النـاس حتى لا اتفـاق لهـم
إلا علـى شجـب والخلـف فى الشجـب
فقيل : تخلـص نفـس المـرء سالمـة
وقيل : تَشْـرك جسـمَ المـرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيـا ومهجتـه
أقامـه الفكـر بين العجز والتعـب .

والموت آت لا محالة ، ومن يخال انه ناج بما يملك من مال ، أو يلوذ به من جاه ، فهو احمق :

فالمـوت آت والنفـوس نفائـس
والمستعـز بمـا لديـه الأحمـق

وكما لا يرحم السلطان مهما قوى واستبد ، ولا يتردد امام صاحـب المال مهما طاول وحاور ، لا يضعف أمام الجمال مهما سحر وفتن:

يدفّـن بعضنـا بعضـاً وتمـشى
أواخرنـا علـى هـام الأوالـى
وكـم عيـن مُقبّلـة النواحـي

● إنـه يـبدو مخيفـاً لنـا لأننا نتخيـل أننا سنلقـاه.. لكـن فـي الحقيـقـة لا لقـاء بيـنـنـا

كحيـل بالجنـادل والرمـال
ومغـض كـان لا يغضـي لخطب
وبـال كـان يَفْكُـرُ فـي الهـزال

والمتنبي يحتقر الخوف من المـوت ، ويـذم الجـزع قبـل فرقـة الـروح ، ويندد بالأسى بعدها :

إلـف هـذا الهـواء أوقع فـى الأن
فس أن الحمـام مـر المـذاق
والأسـى قبـل فرقـة الـروح عجز
والأسـى لا يكـون بعـد الفـراق

وهو فى هـذا يلتقي مـع ابيقـور ، الفيلسوف اليوناني ، في فكرتـه عن المـوت ، إذ يقول : « إن الموت يبدو مخيفاً لنا ، لأننا نتخيل اننا سنلقاه ، ولكن فى الحقيقة لا لقاء بيننا ، فاننا حينما نكون لا يكون موت ، وحينما يكون موت لا يكون لنا وجـود » .

وجاءت رؤية المعري للموت وليدة فلسفته ، وجماع فكر حائر متردد ، ركب صاحبه عقله ، ومضى به ، تتدافعه العواصف الهوج ، فلم يستقر على شاطىء ، ولا انتهي إلى رأي واضح محدد ، لأن الأمر غم عليه فى أمور كثيرة ، فقد عاش مرحلة انتشر فيها الفساد ، وعم الشر ، وشاع البلاء ، فاثر كل ذلك فى نفسه ودفع به الى التشاؤم ، واثر فى سلوكه فلزم الوحدة ، وسجن نفسه زهاء خمسين عاماً ، واثر فى ادبه وتجلى ذلك واضحاً فى « اللزوميات » ، وفى «الفصول والغايات» :

اراني في الثلاثـة من سجوني
فلا تسال عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتي
وكون النفس فى الجسد الخبيث .

لقد هجرته الحياة فهجرها ، واسرفت فى إيذائه فحمل عليها ، وجلبت له البؤس فيئس منها ، ولم ترفعه الى المنزلة التى يستحقها فاخذ يحط من قدرها ، ويذيع فى الناس أن الموت أفضل منها :

ربي متى أرحل عن هذه الد
نيا فاني قد اطلت المقام
لم أدر ما نجمي ولكنه
فى النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدى

# الشعراء

## ورحلة العمر القصير.. الجميل!

ولا عـدوى يتخشى انتقـــام
والعيـن سقـم للفـتى مُنْصِـب
والمـوت يـاتي بشفـاء السقـام
والتـرب مثـواى ومثواهـم
ومـا رأينـا احـداً منهـم قـام .

واخيراً اوجز ابو العلاء فلسفته فى الموت فى قصيدته الدالية الشهيرة ، التى رثا بها ابا حمزة الفقيه ، ومطلعهـا :

غيـر مجـد فـى ملتـى واعتقـادي
نـوح بـاك ولا ترنـم شـادي .

وتعد من روائع الشعر العربي ، فقد جمعت بين صدق اللوعة وعمق الفكرة ، ومزجت بين عاطفة متأثرة مؤثرة تتغلغل إلى اعماق النفس، حكمة رصينة معبرة تتجلى فيها قيمة الحياة بإزاء الموت ، فى تصوير رائع ، ولفظ حسن ، وكاني به يرثى فيها البشرية جمعاء ، فهو يرى الأرض فاضت بالمقابر على امتداد تاريخ الانسانية ، فاستحالت الأجساد تراباً ، وتحولت إلى معادن نستخرجها ، او اسمدة تخصب الأرض وتغذى الشجر ، أو ترابا نسير عليه ، ورب حفنة منه بين ايدينا ، هي فى أصلها البعيد رماد جسد ، وما اكثر القبور التى تستقبل اكثر من وافد ، يختلفون صفات واخلاقاً :

صاح ! ، هذى قبورنا تملأ الرحب
فاين القبـور من عهد عـاد
خفف الوطء ما أظـن أديم الأرض
إلا من هذه الأجساد
سر إن اسطعـت فى الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مرارا
ضاحك من تزاحم الأضداد
تعب كلها الحياة . فما اعجب إلا
من راغب فى ازديـاد .

ويذبل وهج الحضارة العربية ، ويعود كل شيء حديثاً معاداً وقولا مكروراً ، ولم يعد الشعراء يلتفتون الى الموت قوة وظاهرة ، حتى حين يبكون رفاقهم ، وإنما قنعوا بان يعددوا ماكان لهم من صفات ممدوحة حقاً او متخيلة ، دون أن تكون لديهم القوة والشجاعة ، وتوهج الداخل ، لكي يقفوا أمام الموت نفسه متاملين . وجاء علماء البلاغة بعدهم لياخذوا من أشعارهم تعريفاً للرثاء فقالوا عنه إنه لا يختلف عن المديح إلا فى صيغة الفعل ، هذا يستخدم المضارع ، وذاك يتحدث عن الماضى .

ويركن الأدب العربـى مع أهله الى إغفاءة طويلة ، حتى إذا استيقظ ، وتحرك ، ووقف على قدميه ، ايقظهم معه ، وتغذى بتيارات وثقافات جديدة ، فكان له مع نهضتنا هذا الثراء فى الشعر والنغم ، والاتجاهات والقضايا ، والصدق والمغامرة ، وكان الموت بين ما شغل الشعراء ، والرومانسيين منهم بخاصة ، وقضوا أمامه امراً غامضاً ، وقوة ماحقة ، وسراً محيراً ، وقدرا لا حيلة لأحد فى دفعه ، وليس بكاء على رفاق ذاهبين فحسب ، وكان اكثر المتاملين له ، والمتحدثين عنه ، أسبق الجميع رحيلا عن الدنيا .

كان محمد عبد المعطي الهمشرى (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨) ، اكثر الشعراء حباً فى الحياة، وفَرَقاً من الموت ، واشدهم إصراراً على الحديث عنه ، وقلما تخلو له قصيدة فى مرحلته الأولى من الاشارة إليه ، كانما استقر فى أعماقه نبعاً ، فهو يلون انغامه بالحزن والتشاؤم والبكاء ، رغم انه كان موفور الصحة والعافية ، يفيض نضارة وقوة ، وشباباً وحيوية ، فهو عملاق ، عريض المنكبين ، لا يشكو مرضاً ، ويحب ان يتانق فى ملبسه ، ويمشى فى الأرض مرحاً ، يشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد . ومع ذلك يكره ركوب البحر مخافة ان يغرق ، وإذا سار فى الشارع آثر وسطه ، وابتعد عن جانبيه حتى لا تسقط المباني عليه فتدفنه تحت انقاضها .

● سِرْ إن اسطعت في الهواء رويدًا
لا اختيالًا على رفات العبادِ
تعبٌ كلّها الحياة فما
أعجَبُ إلّا مِنْ راغبٍ في ازديادِ

فى قصيدة « عاصفة فى سكون الليل » ، وقالها ولم يزل طالباً فى كلية الآداب ، يطل الموت فى كثير من مقاطعها ، رغم طولها ، فاذا حمل الليل الحزن لقلبه ، واقام منه هيكلا ، جعل هو من الموت « شَمَّاساً » يرتل فيه الحانه ، فتجيء أشعاره الحزينة صدى لها :

هاهو الليـل كمـا بدا
يحمـل الحـزن لقلبـي والحنيـن
هيكل الأحـزان فى مذبحـه
قـرَّ العشـاق قربـان العيون
رتـل الشمـاس فيـه لحنـه
وصـدى ترتيلـه هـذى الشجـون .

ويناجي الليل يترضاه ، يامل عنده العزاء ، ويود أن ينشده اغنية فنيت فى الزمـن ، واستحالـت فى البلى قبرة ، غير انها لا تشقشق فجراً على غصن بان ، ولا تهدهد ضحى فى أيك حديقة ، وإنما تغنى ليلا فى وادى الموت ، واستحالت احلامه زهوراً فى عالم غامض ، تنعق موتاً ، ويتدلى عودها على اشباح من الموتى :

إننى ياليـل احكي غنـوة
فنيت فيـك على مـر السنين
واستحالـت فى البلـى قُبَّرَةً
تتغنى فى دجـى وادى المنون
....................
واستحالت عندها من غضـب
زهـرة فى عالم غير مبين
تنضح الموت .. وتدلى عودها
نحو أشباح المنايا العابرين .

والشاعر عاطفة غالها فكر طيه الموت ، وحين اقترب من الليل يحاول أن يعرف أسرار الأسى والأنين ، استحالت هذه جداول تعبرها «فزعات الموت ليلا فى سفين» . وبعد أعوام خمسة عاد الهمشرى الى هذه القصيدة ، يشذبهـا ، ويصقلها ، ويستبدل بعض الفاظها ، حذف بعض ابياتها وأبقى على بعضها ، فعل ذلك فى أواخر حياته ، قبل أن يدهمه الموت ، ونشرت بعد أن فارق دنيانا ، ومن عجب أنه لم يمسس منها بيتاً واحداً ، ولا فكرة واحدة ، مما تتصل بالموت .

وقال قصيدته «الذكريات» فى نفس العام

الذى أبدع فيه «عاصفة فى سكون الليل» ، وهو ١٩٣٣ ، واخذ فيها يسترجع ماضيه ، ويتحدث عن الحب ، مما لا مجال معه لذكر الموت ، لكن شيئا فى اعماقه ، يدفع به ، على غير ارادة منه قطعاً ، الى ابياته هذه ، فيقول ان حبه لا يخشى الموت ، وكانما ادرك ان قولته هذه كانت مجازفة ، لا تعبر عن إحساس يعمل فى أعماقه ، فعاد يسائل حبه : ماذا يصنع اذا حاصره الموت ، هل يواجهه ، ويلقى على يديه مصرعه كما تفعل النفس ، وما يلبث أن يسترد ايمانه به ، فيرى الحب اقوى ، فيهيب به : «أنت للموت موت» ، وأنت صنو الحياة ، ونور الله ، وسوف تبقى بعد الفناء شبحاً شفافاً تسبح فى الفضاء ، ترقب الكون فى سبات الموت ، وتراها مثل حلم يرف :

ويك يا حب ، أين تمضى اذا ما
نسجت حولك المنون شباكاً
وبعثت الأنفاس معسولة حيـ
ـرى اليها تبثها شكواكا ؟
أترى يا هوى ستقتحم المو
ت وتلقى كالنفس منه رداكا ؟
..........
أيها الحب أنت للموت موت
ذو غلاب على البلى مستخف
سوف تبقى بعد الفناء سبوحاً
فى فضاء من الأثير يشف
تلحظ الكون فى سبات المنايا
مثل رؤيا تهوى به وتدف

وفى هذه السن الباكرة يخص الموت بقصيدة كاملة ، ويجعل منه كائناً وهو عدم ، وجسداً وهو لا شيء ، وله سفن يلفها فى غياهبه السود ، تمضى بمن تقل خفافاً ، وتموت السنون ليلا ،

ياخيالي ! ، ماذا يطوف بقلبي
ياخيالي ، ماذا يسارق اذني
اى شيء احس ؟ اى دبيب
مستلذ يخدر الروح مني
إنه ارغن الفناء يغني
ويعيد الحياة في مثل لحن

ويرى فى شاطىء الأعراف واديا للموت ، الطيور فيه تنعب موتاً ، وكل ما تقع عليه العين موت :

لهفي ! كل ما أرى فهو موت
ينذر الأرض موعداً بالثبور

وفيه يستريح الزمان والموت ، ومن ظلام الكهوف تنبعث الاحلام تشكو الموت ، وتستغيث منه الأرواح وتبكي ، ويفزع الجن والأناسي ويضنى.

رسل الليل أن تخوض ظلامه
لو رأوه خروا لديه سكارى
يسألون : أيان يوم القيامه ؟ .

وإذا أعجبه السكون واطمان إليه لم ير فيه إلا أنه حاكم الموت ، وكان يحكم الحياة قبله ، فاذا جمح به الخيال تصور مغنياً فى وادى الموت يغني الفانين لحناً صامتاً ، والحب طائر تلفه عواصف الموت ، فاذا احب اشتهى أن يموت راشفاً ثغره ، فاذا ّمات فشعاع ذاب فى قطره ، أو نحلة ماتت على زهرة ، ويرى القمر عاشقاً ، فاذا مدحه خال النفوس حانت منيتها ، وفي عيونه سحر سوف يحييها .

ويوقف قصيدة باكملها على «حياة الشاعر» ، فيناجي خياله : إن ضحكاتنا ، والآمنا ، ومشاعرنا ، غدا تفنى ، وتسلمنا الحياة إلى العدم ، « ويحكم فينا الموت والموت جائر » ، ثم يسائل نفسه : لقد عشت فى دنيا الخيال معذباً فهل ترانى أموت سعيداً ؟

كان الهمشرى يغنى للموت وهو فى سن الصبا والمراهقة ، تلميذا فى الثانوى ، وطالباً فى كلية الآداب ، وحيداً يحلم ويامل ويخاف ، ويلوذ من نفسه الى نفسه ، فلما عمل محرراً فى مجلة التعاون بوزارة الزراعة ، وكان يرأس تحريرها الدكتور ابراهيم رشاد ، ولم يكن مجرد موظف عادى ، وإنما فيلسوفاً داعية ، يؤمن برسالته ، ومعه الأديب القصاص الدكتور محمد أبو طايلة ، والشاعر الراوية « محمد مصطفى حمام » ، وجد فى صحبتهم أنساً أخرجه من أحزانه ، ودفئاً أنساه برودة الوحدة ، ورفقة أزاحت عنه قتامة الحياة ، فنسي الموت والحديث عنه ، والفناء وما يتصل به ، وبدأ يغنى للفلاحين ، ويصف حياتهم ومواشيهم ، ويترجم عن الانجليزية شعراً ما يوائم هذا الاتجاه ، ومن عجب أن موجة التفاؤل التى غمرته ، ولفت أحاسيسه الداخلية ، لم تنجه من الموت المفاجىء الذى كان يخافه ، فاجريت له عملية الزائدة الدودية ، واثناء العملية أصيبت امعاؤه بالشلل ، ولقى وجه ربه بعد أربعة أيام ، وهو فى عنفوان شبابه لما يتجاوز الثلاثين من عمره إلا ببضعة شهور :

ومضى الركب فى الردى وتلاشى
أثر الركب فى « ضريح الليالي »
فكأن الحياة كانت مناما
وغرور الحياة طيف خيال

كان حديث الهمشري عن الموت رومانسياً خالصاً ، حين يناجيه أو يخافه ، حين يتحدث عنه ويتأمل أفعاله ، ولكنه لم يتعمق مشكلة الحياة والموت فلسفياً ، وانما وقف عند ظاهرها فحسب ، وهو أمر طبيعي ، فقد عرض لها فتى لم تحنكه التجربة ، وجاءت وفق شعور لا أثر للعقل فيها ، وكانت إرهاصاً برحلته المبكرة ، وافتعالا أن نردها إلى تأثره بالشاعر الانجليزى كيتس ، وكان فى موقفه من الحياة والموت مثله ، أو الى جماعة « أبولو » التى احتضنته ، وفتحت له صدر مجلتها ،لأن كثيرين مثله ،

● في آخر لحظاته مع الحياة .. بلغت معايشة الشابي للموت، حَدَّ الترحيب به ، واللهفة على لقائه ، بعد رحلة شَرِيَّة غنى فيها للحياة وتأمل العصافير والربيع والشمس

# الشعراء

## ورحلة العمر القصير.. الجميل!

امتدت بهم الحياة ، وكانوا رومانسيين خالصين ، ولكنهم لم يعرضوا للموت من قريب أو بعيد ، وإنما أقبلوا على الحياة نهمين ، وعاشوها طويلا ، واعتصروها حتى أخر قطرة ، واحتسوا كأسها حتى الثمالة ، والوحيد من بينهم الذى شاركه مشاعره واتجاهه رحل عن الحياة فى مثل عمره ، وحتى دونه بأعوام ، واعني به : أبا القاسم الشابي .

رحل الشابي عن الدنيا فى عمر الزهور ، كما يقال ، مات فى الخامسة والعشرين من عمره ، بعد أن عانى المرض سنوات ، ومات شيئا فشيئا ، ومن ثم كان لحديثه عن الموت رحيق متميز ، فقد كان الموت قاب قوسين منه أو أدنى لسنوات طويلة ، فلم يعد يخافه أو يخشاه ، ولم ير فيه شيئاً غير عادي أو مفاجأة غير متوقعة ، وهو فى حديثه عنه أصيل يستمد أفكاره وصوره من دفق مشاعره وفيض خاطره ، فجاء موقفه منه ، والتعبير عنه ، جديدا وطريفا .

فى أخر لحظاته مع الحياة ، وأخر قصيدة له فى الدنيا ، وهي « فى ظل وادى الموت » ، بلغت معايشة الشابي للموت حد الترحيب به ، واللهفة على لقائه ، بعد رحلة ثرية مع الحياة ، شدا فيها وغنى ، وتأمل العصافير والربيع والشمس ، وبدأ الظلام يلفه ويتغشاه من كل جوانبه ، والظلام والموت توأمان فى شعر الشابي ، ورأى نفسه غريباً فى الدنيا ، بعد أن عدا فى شعاب الحياة حافياً ، وأكل التراب حتى مله ، وشرب الدموع حتى ارتوى ، وخبر الأحلام والحب ، والآلام واليأس والأسى ، حتى شاب فتى :

ثـم مـاذا ؟
هذا أنـا : صرت فى الدنيـا
بعيداً عن لهوهـا وغناهـا
فى ظـلام الفنـاء أدفن أيامي
ولا استطيع حتى بكاهـا
وزهور الحيـاة تهوى بصمت
محـزن ، مضجـر ، على قدميـا
جـف سحـر الحيـاة ياقلبي الباكي
فهيـا نجرب المـوت .. هيـا !

«هيا نجرب الموت هيا» ، فى بساطة ألقى بها الشاعر العظيم ، كما لو كان يدعو حبيبة له الى مغامرة فاتنة .

ولم يكن الشابي وهو يفتح قلبه وذراعيه للموت متشائماً ولا قانطـا ، وإنما نهر متدفق من الأحلام والطموح والارادة ، وبها راح يبشر بين أمته ، يود أن يرى شعبه وقد تحرر من الاستعمار والفقر والجهل ، فأبدع فنا ، وصاغ أنغاماً ، ولكن الواقع مختلف ، فلا شيء « إلا الموت والصمت والأسى والظلام » ، فاذا يئس منه ارتحل بعيداً ينشد السلام فى «قبور الزمان» ، وأثر البقاء مع الموتى ، وارتضى القبر سكنا ، وتناسى الحياة والزمان ، وحن الى العالم الذى وفد منه ، فما قبل الحياة وما بعدها صنوان :

ليتني لـم أزل
ـ كما كنت ـ ضـــوءاً ،
شائعـا فى الوجود غير سجيـن .

وهو فى هذا يلتقى مع بعض الاتجاهات الفلسفية ، إسلامية وعالمية ، ومع أراء المتصوفة ، فى أن النفس ، أو الروح ، نور من أصل علوى ، ينزع دائماً الى العودة الى الأصل الذى صدر عنه ، حيث الصفاء والطهر ، ولا يعوقه عن ذلك إلا أدران الجسم وشوائبه ، فالروح سجينة فى الجسم ، والموت يحررها منه .

**وإذا كنا ندين للمتنبي بوصفه الرائع للحمى حين زارته وهو فى مصر ، وتقديم صورة مجسمة لها نابضة بالحياة ، فنحن ندين بتجسيم الموت ، وتصويره كائناً يرى ويلمس ، ويجيء ويمضى أمامنا ، لأبي القاسم الشابي ، وهي صورة لا أذكر لها شبيهاً فيما قرأت ، فى أدبنا العربي أو الأجنبي ، وكمال الصورة واستغراقها ينبىء بأن الموت لم يعد في نظر الشاعر كابوساً مفزعاً يهرب من ذكره ، ويجيء لماما بغيضاً على خاطره . إنه يهبط على المرء متقنعاً بالصمت كأعماق الكهوف ، مظلماً كالليل البهيم ، متلصصاً تحمله أجنحة السكون ، ولكن ظلام الدجى رحيم ، وطيف الموت قاس لا يرق فى مواجهة الحياة ، ولاترتعش يده أمام تملق القلب ، يعتصر الزهرة فيعريها من أوراقها ، ويرى الطير طيفه فيجمد النشيد فى أعماقه :**

قد قنعت كف المسـاء الموت
بالصمت الرهيب ،
فغدا كأعماق الكهوف
بـلا ضجيج أو وجيـب ،
يأتي بأجنحـة السكـون
كأنـه الليـل البهيم .
من وراء الظـلام
وهدير الميـاه .
لكـن طيـف الموت قـاس
والدجـى طيف رحيم .

..........

أرأيـت أزهـار الربيـع
وقـد ذوت أوراقهـا
فهـوت إلـى صـدر التراب
وقـد قضـت أشواقهـا
أرأيـت شحرور الفـلا
مترنمـاً بيـن الغصـون
جمـد النشيـد بصدره
لمـا رأى طيـف المنـون ؟

وكان الشابي فى الأيام الأولى من مرضه قوى الارادة ، واسع الأماني ، عريض الأحـلام والآمـال ، فجاء تشبثـه بالحياة قوياً فى مستوى روحـه ومشاعـره :

سأعيـش رغـم الـداء والأعـداء
كالنسـر فـوق القمـة الشمـاء
أرنو إلـى الشمـس المضيئـة هازئـاً
بالسحب والأمطـار والأنـواء
لا ألمـح الظـل الكئيب
ولا أرى
ما في قـرار الهـوة السـوداء
وأسير فـي دنيـا المشاعـر حالمـاً
غـرداً
وتلـك طبيعـة الشعـراء !

وكان تشبثـه بالحيـاة وهمـاً ، وانتصـاره على الموت طيفـاً ، فلمـا انزاحـت عنـه الغشـاوة ، أدرك الحقيقـة واعيـاً ، وبكل ما في روحـه من عذوبة ، وما في شعـره من طلاوة ، احتضـن نهايتـه متفائلا ، فلـم يعد له بقـاء فى هذه الدنيا ، ولم ير الموت ظلاما كما اعتاد ، ولا جاء فى الظلام ، وإنما أصبح فجراً انشق عن الليـل ، جاء مع هدير المياه ، وربيع الحياة ، يدعوه إلى الرحيل، فيهز قلبـه ، ويعلنه بألا بقاء لـه ، فنشر قلوعه ، وخلف الهمـوم وراءه ، وجرى زورقه فى الخضم العظيم من عالم الفنـاء ، ومضى يلوح : الوداع .. الوداع ! :

قـد دعاني الصبـاح
وربيـــع الحيـاه .
يالـه من دعـاء
هـز قلبـي صـداه .
لـم يعـد لـي بقـاء
فـوق هـذى البقـاع .
الوداع الوداع !
ياجبال الهمـوم
ياضبـاب الأسى
يافجـاج الجحيـم
قـد جـرى زورقي
فى الخضم العظيم
ونشرت القلاع
فالوداع الوداع !

هذه الرقة فى تناول الموت والحديث عنه ، والعذوبة فى تصويره ، مع الاعتراف بقسوته ، لا تتأتى إلا لروح شفاف رأى وراء العدم شيئاً أجمل من الحياة ، ورأى فى هذه الدنيا ما هو أتعس وأقسى من الموت ! .

هذا الاحساس الصارخ بالموت عند من رحلوا عن الحياة فى زمن مبكر ، وليد شىء فى أعماق النفس يتجاوز التقليد ، وهو ليس وقفاً على الأدب العربى وحده ، وإنما نجده فى الآداب العالمية الأخرى كلها ، وساختار منهم شاعراً واحداً فحسب ، قل أن يعرفه احد فى اللغة العربية ، أو حتى لا يوجد ، ومن ثم فلا تأثير له فى أحد من شعرائها ، ولكنه من ابناء حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو عند من يؤمنون بالحتمية الجغرافية ، له طابع مشترك ، وخصائص تجمع بين اهله فى العمق ، وتؤثر فى سلوكهم ، وتقارب بين مشاعرهم ، وتوحد نظرتهم الى الكون ، وموقفهم من الحياة والموت رغم الاختلاف الظاهر بينهم ، أو اللون ، أو الأزياء ، وهذا الشاعر من ايطاليا ، وهو : سرجيو كورازينى (١٨٨٧ ـ ١٩٠٧ م) .

رحل كورازينى عن الدنيا فتى فى عمر الزهور لما يتجاوز الواحد والعشرين من عمره ، ورغم أن حياته كانت قصيرة للغاية ، كان شاعراً ملهماً أبدع حركة ، وانشا مذهباً ، وخلق فى عالم الفن اتجاهاً ، ودخلت مدرسته تاريخ النقد الأدبى تحت اسم «الشفقيون» ، وازدهرت فى روما بين عامى ١٩٠٥ و ١٩١٠ م ، وجاءت تعبيراً عن مجتمع قلق ، ومغلق فى وجه التجديد ، ويتسم بالعجز والخوف ، فسجن شعراؤها انفسهم داخل ذواتهم يقتاتون حزناً جافاً ، وينطوون على آلام لا سبيل الى الشفاء منها ، وجاءوا رمز عالم منهك يتهيأ للرحيل ، ويومىء فى الوقت نفسه الى أن الشعر الايطالى على أبواب فجر جديد .

بدأ كورازينى يتغنى بالموت صبياً ، مدفوعاً الى ذلك دفعاً بقوى داخلية لا حيلة له فى ردها ولم يكن راضياً عن اتجاهه هذا ، وكان يقول عن نفسه إنه ليس بشاعر ، فلكى تكون شاعراً يجب أن تحب الحياة ، وأن تعيشها بكل جوارحك ، وأن تعتصر مباهجها آخر قطرة ، وأن تندمج فيها حتى تصير معها شيئاً واحداً ، ولكنه على النقيض من هذا كله ، لم ير غير الموت ، ولم يشعر بشىء غيره ، ولم يغن لأحد سواه :

آه ، إنى مريض حقاً
وأموت كل يوم قليلا
انظر : كيف تمضى الأشياء
ولهذا لست شاعراً
أعرف
كى أكون شاعراً علىّ
أن أعيش حياة تختلف تماماً
ولكنى ـ يا إلهى ! ـ
لا أعرف شيئاً
غير الموت .
آمين ! .

ان يموت او يبكى كل الأشياء ، يبكيها حتى تعز عليه الدموع نفسها ، وهو مشفق على نفسه تقمص فى مواجهتها شخصاً آخر محايداً يرقب آلامها وعذاباتها ، ومن يفعل صنيعه ليس شاعراً ، إنما هو طفل يبكى ، فحين تغيب الحياة يمضى الشعر معها ، وأصبح مفهومه مع «الشفقيين» أن يرقب واقع الحياة ، وقد تحول كل شىء فيها الى خرائب واحزان :

لماذا تدعونى شاعراً
انا لست شاعراً
لست إلا طفلا صغيراً يبكى
انظر :
لا أملك غير الدموع أقدمها للصمت
لماذا تدعونى شاعراً .
احزانى
مجرد احزان مسكينة وشائعة .
ومباهجى
كانت بسيطة وساذجة ،
بالغة السذاجة
فاذا اعترفت بها اخجلتنى
افكر اليوم فى أن أموت
أريد أن أموت
لمجرد أنى متعب فحسب
انا الآن مرآة مهملة .
مرآة غلبانة حزينة
انا لست شاعراً .
وإنما صبى حزين يريد أن يبكى !

لماذا كان الشعراء العباقرة وحدهم هم الذين يغازلون الموت سباقين ، ويصحبونه مبكرين ؟

الحق أن الخوف من الموت يختفى ، فيما أرى كلما ارتفع ادراكنا بمعنى الحياة ، ووظيفتنا فيها ، ومن ثم يصبح تقبله شيئاً سهلا حين يدرك المرء دوره وأهميته ، فالحياة نفسها لا قيمة لها ما لم يكن المرء قادراً على أن يميز نفسه عن الآخرين برسالة يؤديها أو دور يضطلع به ، وحين يمل المرء الحياة ، ولا صلة لهذا بقصرها أو امتدادها ، ويشعر بأن يومه كأمسه ، وغده سيكون كيومه ، لا يحمل جديداً له ، ولا لغيره على يده ، يصبح الموت شيئاً جديداً بالنسبة له يمكن أن ينتظره وأن يتطلع اليه . ومثل هذا الاستعداد لا تجده عند الانسان العادى ، وإنما هو وقف على العباقرة وحدهم ! .

د. الطاهر أحمد مكى

● الحياة لاقيمة لها مالم يكن المرء قادرًا على أن يميز نفسه على الآخرين برسالة يؤديها ودور يقوم به . إدراكنا لمعنى الحياة يجعلنا أقل خوفًا

## كاتب مجهول آخر يفوز بالجائزة !

باقتراب أكتوبر من كل عام تتصاعد فورة تخمين من سيفوز بجائزة نوبل للأدب ، وكانت الدوائر الأدبية الغربية تتوقع فوز واحد من عدة كتاب ابرزتهم في العامين الأخيرين بشكل خاص ، منهم الروائى البريطانى غراهام غرين والروائى نايبول ، ولكن ستوكهلم كانت تبشر بفوز واحد من الكتاب المسرحيين من أمثال هارولد بينتر وارثر ميللر وبيتر فايس ، لكن جائزة هذا العام ، مثل جائزة العام الماضى كانت من نصيب كاتب يهودى الأصل ، بلغارى المولد ، أوروبى النشاة ، بريطانى الجواز ، هو ايلياس كانيتى ، خير من يمثل «اليهودى المتجول» وبذا صارت جائزة نوبل للأدب وللعام الثالث على التوالى الى كاتب ظل خارج تيار الكتابة المؤثرة على الأجيال المعاصرة وغير معروف حتى فى الدوائر الاكاديمية أو الاعلامية سواء فى بريطانيا التى ظل يحيا بها منذ عام ١٩٣٩ او المانيا التى يكتب بلغتها .. لأنه يهودى • كما قال والقاذفات الألمانية النازية تمطر سماء لندن عام ١٩٤٤ بوابل من قنابلها : «لو قدر لى أن أعيش فان ذلك بفضل جوته» . وقد حاولت بعض الصحف الغربية أن تترك الانطباع بأنه أول كاتب بلغارى يفوز بجائزة نوبل ولكن «النيوزويك» الأمريكية اكدت انه لايسهل تحديد هذا الكاتب لامن جهة جنسيته أو نوعه الأدبى ، فهو يهودى من أصل أسبانى ، ولد فى بلغاريا عام ١٩٠٥ ، ونشا فى انجلترا ، والنمسا ، وسويسرا ، وألمانيا ، وهاجر الى فرنسا عام ١٩٣٨ ، وظل يسكن فى مدينة لندن منذ عام ١٩٣٩ فى عزلة تامة حتى أن اسمه لايظهر فى أى قائمة تعريفية بالكتاب وغيرهم .


الياس كانيتى

ويبدو أن لجنة الأكاديمية السويدية لجوائز نوبل قد شعرت بأنها بالغت فعلا فى انتشالها لمغمور لاغداق ما يقارب ١٨٠ ألف دولار عليه ، اذ قال احد أعضائها :

«اننا يجب أن ننتصف للأدب المكتوب فى الدول قاصرة النمو» وأضاف : «بالطبع كانت هناك أخطاء .. وربما تمضى سنوات كثيرة قبل أن يتم تقدير قيمة كاتب ما .» .

وكلمته حق أريد بها باطل ، لاكثر .. فلا هو كاتب يمكن أن يكون ذا قيمة يحتمل اكتشافها وتقديرها ، ولا بلغاريا التى لم يشر ناقد لأعمال هذا الرجل الى وجودها فى روايته الوحيدة ، وبعض مذكراته ،تمثل الدول قاصرة النمو ، إلا اذا كانت هى الهدف التالى — بعد وارسو — لزعزعة الاطراف الهشة فى أوروبا الشرقية ، وجاء في التقارير الأدبية التى حاولت أن تلملم ملامح لكانيتى أن لجنة الجائزة المكونة من ١٨ عضوا ، والتى عادة ما تكتم سر ترشيحاتها ومداولاتها وتصويتها ، قد انقسمت فى أرائها هذه المرة أكثر من السنة الماضية عندما منحت الجائزة للبولندى تشيسلوف ميلوش .

وتقول الآنسة ماريان بويـارز ، النـاشرة الانجليزية لاعمال كانيتى ان المؤسسة الأدبية الانجليزية لم تكترث اطلاقاً بهذا الكاتب بالرغم من أنها — أى الناشرة — قد أخبرت النقاد بان سيكون له شان يحرز به جائزة نوبل .. وقالت أن تجاهل النقاد له كان كبيراً حتى أن كتابه الأخير «أصوات المغرب» لم يجد من يكتب عنه فى صفحات تقديم الكتب الجديدة ومراجعتها ، بالرغم من أن الناشرة قد كتبت الى النقاد مشيرة الى أهمية الكتاب .


اوديسيوس اليثيس


تشسلاف ليموش

فما شان هذا الكاتب ؟

فى عام ١٩٣٥ كتب كانيتى أول رواية له ، وظلت هى «بيضة الديك» فى محاولته الروائية ، وهى باللغة الألمانية بعنوان «الأغشاء» ونشرت عام ١٩٤٧ مترجمة الى الانجليزية تحت عنوان «برج بابل» فى الولايات المتحدة ، وهى عن حياة أستاذ أعزب متخصص فى الدراسات الصينية ، انقطع عن العالم ليعيش بين ٢٥ ألف مجلد فى مكتبته ، ولايعرف أى شىء عن الحياة .. حتى يتزوج المرأة التى تقوم بخدمة بيته ، فيواجه العالم الحقيقى وينتهى الى تدمير مكتبته ونفسه ، باحراقها والاحتراق فيها

ويرى النقاد أن عمله هذا تاثر بالروائى الألماني الرومانتيكى طوماس مان و بالانطباعى الألماني الفريد دوبلين ، مما يسقط عنه عنصر الاصالة المطلوبة فى كاتب مؤثر ومقدر ومع ذلك نجد الأكاديمية السويدية تخصه بالجائزة على هذه الرواية ، وتصف كتاباته بأنها تتسم بالنظرة الواسعة ، وثراء الأفكار والقوة الفنية .

وكانت نيـة الكاتب ، كما يقول ، تتجه الى كتابة جزء ثان من تلك الرواية ، ولكنه مثل بطل روايته انطوى منزويا عن الحياة العامة طوال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة والفترة التى طغت فيها عملية إعادة بناء أوروبا الغربية ، ولم يكتب جزءا ثانيا ، بل عالج بشكل تحليلى القوى الاجتماعية والسيكولوجية التى كان قد عالجها فنيا فى روايته ، كما تقول الغارديان البريطانية وكان أن صدر كتاب «الجموع والسلطة» الذى استغرقت كتابته عشر سنوات ونشر عام ١٩٦٠ ، وهو يستمد معظم مادته المصدرية من علم الانثروبولوجى من نوع يعتبر الان متخلفاً ، ولم يستطع بنبرته التشاؤمية أن يجذب جيل التفاؤل في أواخر الستينات .

وبجانب عدد من المسرحيات التى تمثل نوعاً من الأقنعة الساخرة ، كانت أولاها «الزفاف» عام ١٩٣٢ وآخرها «المهلة الأخيرة» عام ١٩٥٦ ، كتب كانيتى «محاكمة كافكا الأخرى» وهو عبارة عن كتيب يعالج فيه حياة كافكا الخاصة .

واذا كان المحكمون قد شبهوا كانيتى بالكاتب الروسى ديستوفسكى وأظهروا قرب الشبه بينه وبين كتاب آخرين ترعرعوا فى مدينة فينا التى فرمنها كانيتى عام ١٩٣٨ من أمثال كافكا ، وروبرت موسيل ، وأرثر كوستلر ، فما ذلك إلا محاولة للرفع من شانه على حساب سمعتهم .. ويمكن أخذه كدليل على افتقاره الى عناصر الابداع والتأثير .

## ٢١ وجها لممثل « الكابوكى »

ياله من امتحان لمدى قدرة التحمل أن يقوم ممثل واحد بأداء ٢١ دورا يستغرق أداؤها ١٢ ساعة ، وهذا كفيل بان يحطم ممثلين كثيرين ، ولكنه بالنسبة لأينوسوكى ايشيكاوا فرصة طيبة لاظهار مهاراته وقدراته فى أفضل تقاليد مسرح الكابوكى اليابانى ويقول اينوسوكى الذى ورث تقليدا مسرحياً تجاوز عمر تجربته ٣٥٠ عاماً :

«كان ممثلو الكابوكى فيما مضى يؤدون أدوارهم مثلى ، ولكنهم في هذه الأيام لايحرصون على التفانى فى العمل بتلك الجدية» .

وهو يبدأ اداءه فى مسرح كابوكيزا بمدينة طوكيو بتصوير كلاسيكى لرجل وحيد يتأمل الوجود فى جزيرة منقطعة عن الحضارة ، وذلك فى مسرحية (شونكان) التى تدور حول ثلاثة رجال يثورون على زعيم العشيرة ، فيتم نفيهم وبعد حين يأتيهم مبعوث خاص منتفخ الأوداج زهوا بنفسه ، يحمل العفو لأثنين منهم ، ليس (شونكان) واحدا منهما ، ومن توتر وتقلصات الأداء يدرك المشاهد أن (شونكان) قد قتل المبعوث الخاص .

بعد ذلك ينتقل لأداء دور الأسد الأب وهو يعد شبله لمعارك البقاء التى تنتظره ، يدفعه من حافة صخرة عالية ، وينتظر عودته سالماً ، ويرى المشاهد كل خلجة من القلق على محيا الأسد الأب . وتعقب ذلك رقصة لفراشتين ، ثم يعود الشبل عبر ممر الأزهار ، ويؤدى والده رقصة بأزياء تمثل روح الأسدين ، رقصة منطلقة شجاعة ثم يقوم اينوسوكى بدور امرأة عجوز تستثار فتنقلب ساحرة ..

وفى الجزء الثانى من البرنامج اليومى يؤدى اينوسوكى أدواراً تكلفه تغيير الازياء لها ، ورحلة من العاصمة الامبراطورية القديمة كيوتو الى مدينة ايدو ، طوكيو حالياً .

إن مسرح الكابوكى مازال فناً مثيراً ورائعاً بالنسبة لأهل اليابان ، بالرغم من طغيان التلفزيون وشيوع الأفلام السينمائية والمسرح الغربى الطابع ، وفيه يبكون ويضحكون ويهللون .. وفقاً لما يقتضيه المسرح الشعبى الأصيل .

سينتقل مسرح الكابوكى الى أوروبا الغربية ، لتقديم بعض العروض ، والمشكلة التى تواجه ممثليه هى مدى استطاعتهم أن يحركوا المشاهد الغربى حين يقومون بأول جولة لهم فى أوروبا ، والى أى مدى يستطيع المشاهد الأجنبى أن يفهم العمل المقدم بمجرد قراءة ملخص للقصة ، ويمتابعة الاداء وتخمين مايدور .. من النبرات والتعابير والايماءات ؟

«على أن أقدم سلسلة متتابعة من المشاعر الصريحة فى وقت قصير» هكذا يقول اينوسوكى البالغ من العمر ٤١ عاماً ، وأكثر ممثلى الكابوكى شهرة ، ثم يستطرد :

«وهناك تغيرات شعورية كثيرة ، من ضيق وحزن وسعادة . اننى أريد أن يرى الأجنبى فى هذه الدراما أوسع مدى ممكن لفن الكابوكى حتى وان لم يفهم ما يقوله الممثل» .

ومثل كل ممثلى الكابوكى يعارض اينوسوكى اشتراك المرأة للقيام بادوار النساء ، والتى كانت محرمة على النساء ، وحجته فى ذلك أن الأزياء ثقيلة جدا على المرأة !











## ج . ب . شـــو والمرأة الخارقـــة

لا يخلو مؤلف عن بيرنارد شو من بث مثير ينزع واحداً من اقنعته . فالرجل كان واسع العـــلاقات ، متنوع النظـــرة ، وكـــان يرتاح الى النساء ، وان مقت فيهن الانوثة . ولكن ذلك كله لم يمنعه من ان يكون موقفه من المراة مليئاً بالتناقض . فهو يصر على ان النساء لم يلعبن دوراً مهما فى حياته اذا ما قورن باصدقائه ولكن ألم تكن بياتريس ويب صديقة عمر له ؟ وماذا عن الادلة المتوفرة التى تشير الى انه كان واقعاً تحت سحر عدد من النساء اللائى كان يطالبهن كطفل مدلل بالاهتمام به ، يكاتبهن فيكثر ويصارحهن فيغدق . ألم يكتب لبعضهن مسرحيات ؟ وغامر بسمعته وارتضى المهانة فى سبيل السيدة باتريك كامبل بسبب سلوكه الولهان . وما حرصه على زوجته الغيورة سوى رضائه بالحماية التى امنتها له لأنه كان يدرك مدى ضعفه أمام النساء .

وكتاب مارفوت بتيرز الصادر عن دار نشر كولومبس ـ ٤٦١ صفحة ـ مداره «بيرنارد شو والممثلات» وفيه اضاءة لعدد من النساء اللائى فتن بهن شوفى المسرح وكشف لمواقفه تجاههن .

هناك فلورنس فار .. الجميلة ذات الموهبة الموسيقية والصوت العذب .. والقدرة الصحفية وكانت تكتب فى مجلة (العصر الجديد) تحت اسم مستعار . وقد تخلصت من زوجها دونما حرج تماماً مثلما كانت تتخلص من معجبيها الكثر .. وقد أعجب شو بسلوكها ، ورآه نظيفاً ، بينما كان الشاعر بيتس يحسبه سلوكاً كريها . ولكنه اتهمها فيما بعد بانها سقطت عن المستوى الرفيع من الأداء الذى كان يتوقعه منها . وفى دفقة من الشعور بالوحدة هاجرت الى سيلان لتصبح مديرة لكلية للبنات . وماتت هناك بذات الصدر .

واخرى .. هى اليزابث روبنز .. جميلة ، عارمة مثقفة ، امريكية ، غرق زوجها الشاب فى نهر وهو يرتدى بذلة كاملة من الدروع . جاءت انجلترا عام ١٨٩١ ارملة مشحونة الراس بروايات ومسرحيات عن تحرير المراة . وقد وصفتها مؤلفة هذا الكتاب بانها تذكرنا ببيرنارد شو نفسه ، ولابد انها لم تنخدع باطرائه وتعاليه .. وكان هنرى جيمس ، الروائى الأمريكى ، مفتونا بها ، وقرأ مسرحيتها «حق التصويت للنساء» وكاد أن يوقع فى وثيقة تطالب بحق المراة السياسى .. من أجلها .

وهناك جانيت اشيرش التى لعبت دور (نورا) فى أول اخراج لمسرحية (إبسن)(بيت الدمية) فى يونيو ١٨٨٩ ، والتى كانت نقطة مشعة فى تاريخ شو المهنى . ولكن جانيت دمرت جمالها وموهبتها .. وماتت . ومن بين الممثلات الشهيرات تبرز الن تيرى لأنها تجنبت بمهارة اى لقاء فعلى بينها وشو لسنوات طويلة ، وان كانا يتراسلان فى خطابات مليئة بعبارات الوله والغزل المكشوف .

ولكن ، اذا صدق مايكل هولرويد فان حب شو كان لأمرين فقط (الضحك والاصلاح) .. وكانت مسرحياته والادوار التى كتبها لممثلاته بريقاً يشع عن هذين الأمرين ، وبهما ايقظ عصباً جديداً فى جمهور المسرح البريطانى .

برنارد شو



جانيت أشيرش . ممثلة — اليزابيث روبنز . كاتبة مسرحية — فلورنس فار . صحفية



## كمبيوتر لرصد « العشاء الاخير »



تعتبر لوحة «العشاء الاخير» لليوناردو دافنشي من اكثر معالم مدينة ميلانو الايطالية جذباً للسياحة . لكن معالم المدينة الصناعية بتلوثها وحركة الجلبة بها ، ورطوبة جوها كادت أن تدمر كنزها الفني .. الذى بدأت الشقوق تظهر فيه ، وتزداد ، مما دفع بالحكومة الايطالية الى اتخاذ اجراءات لحماية اللوحة . فاقيم جدار حديدي متين خلف اللوحة يسندها من السقوط ، وهناك محاولة لاستصدار قانون يبطل حركة المرور فى المنطقة المحيطة بالكنيسة التى تضم اللوحة ، وخاصة حركة الحافلات الضخمة التى يستقلها السواح الى الموضع .

ولكن افضل تدبير قامت به الحكومة الايطالية هو شراء «عقل اليكتروني» به شعيرات استشعار حساسة لرصد التشقق الذى تعاني منه اللوحة . وقد كلفها خمسمائة مليون ليرة ايطالية ، أو ما يعادل ٤٠٠ الف دولار أمريكي .

وقد وضعت اجهزة الاستشعار على بعد متر من الحائط الذى رسم فيه ليوناردو لوحته فى الأعوام ٩٧/ ١٤٩٥ ، لتقوم هذه الأجهزة مرة كل ساعة برصد اللوحة وإرسال المعلومات الى العقل الاليكتروني.

## الشعر والطب النفسي



الشاعر الأمريكي ا . ا. كمنغز

### محلل نفسانى يستخدم قصائد «كمينغز» كمرشد للعقل

كان الشعر دائماً ملاذ من يبحث عن الحقيقة ولكن ديفيد فوريست توجه الى الشعر بحثاً عن الحقيقة النفسانية ، وعقد حلفاً خاصا مع أشعار ا.ا. كمينغز لاعتقاده بانه حين يكون شعر هذا الشاعر الأمريكي بجانبه ، يستطيع أن يتفهم الصراعات التى ترقد فى البال المضطرب ، ويسبرها بشكل افضل .

«إن كمينغز يتعامل مع بعض اصعب واشق المسائل والأسئلة فى التحليل النفسى ، كما ان قوته البيانية قادرة بشكل يمكنه من المضي الى الحدود القصوى للتعبير ، نحو الافكار التى ترقد فى عمق تقصر عنه الدموع ـ حسب قول الشاعر الانكليزى وردزورث .

وإذا اطرحنا المعالجات المهنية ووسائلها جانباً ، فان الدكتور فوريست يشعر بان الشاعر كمينغز يمكن أن يقدم نوعاً من المرشد الشعرى لكل من يحب الشعر ، مرشداً لتوليد واشعال وتنشيط اجهزة الدفاع ووسائله التى يستخدمها الناس لتعينهم على التعامل مع المواقف المختلفة فى وجودهم ، وسائل مثل حسن الدعابة والفكاهة ، والتسامى ، والحرمان والتبرير ، والتى تمكن الناس من معالجة الم الحياة والموت والحب والبغض والوحدة والنزعة العدوانية ، والعدوان .

### معالجة الموت

يستحوذ الموت كموضوع شعرى على جل انتاج كمينغز ، ولم يبدع فى أى موضوع آخر قدر ابداعه فى معالجة الموت : فهو يضحك عليه ومنه ، ويتعامل معه وكانه موضوع جنس ، يغازله ويهينه ، ويخشاه ، ويقبله ، ويتقبله فى آخر الأمر كقدر .

وقد استخدم كمينغز حس الدعابة أيضا فى معالجة الموت كما فى قصيدته عن الرجل العادى الطاعن فى السن ، الفلاح الذى نجح أخيراً بعد موته فى إقامة مزرعة للديدان ، أو كما فى قصيدة اخرى عن موت من نوع آخر .

عمى (ايد)<br>
الذى هو ميت من العنق فما فوق<br>
يقتاده على طول شارع برايتل<br>
جرو مخصي

إن مؤهلات الدكتور فوريست لقراءة وتقويم شعر كمينغز تعادل مؤهلاته الطبية ، فقد ظل يقرأ الشعر ويدرسه مع التركيز على اعمال كمينغز منذ أن كان طالباً ، ولأكثر من عشرين عاماً . وقد تخرج من كلية برينستون بامتياز فى اللغة الانجليزية ، ويرجع فوريست تفوقه الأكاديمى الى أن كمينغز نفسه هو الذى نصحه فى اختيار موضوع دراسته الجامعية العليا . ومنذ ذلك التاريخ كتب فوريست عدة أوراق عن اعمال كمينغز ، ومازال يعمل مع أستاذين عارفين باعمال الشاعر هما «نورمان فريدمان» و «ريتشارد س كيندى» وذلك لانشاء جمعية «ا.ا. كمينغز» لتشجيع الدراسات وبعث الاهتمام بشعر كمينغز . وقبل أشهر قليلة مضت نشرت أول طبعة من مجلة الجمعية .

إن فوريست لا يصف الشعر كدواء لمرضاه لأن تفسير الأشعار أمر ذاتى فى معظم الأحوال ولكن اذا وجد مريضاً يظهر اهتماماً بكتابة الشعر أو قراءته ، فان ذلك يحفز اهتمامه ، لانه قد يساعده ومريضه على التعبير عن صراعاتهما .

ويرى الدكتور فوريست أن فى عمليات الخلق الشعرى لدى كمينغز ، وفى تجاريبه اللانهائية مع وضع المسافات والترقيم والاستخدام الواعى للأحرف الكبيرة فى اللغة الانجليزية ، وفى تقسيم الكلمات ، ما يوازى الكتابة الفصامية ، والتى يراها أطباء النفس طيلة الوقت . وكان «كمينغز» فى حالته الطبيعية ماهراً مثل مرضى انفصام الشخصية فى توليد كلمات جديدة ، ويظهر ذلك فى قصيدته ضد العلوم الطبيعية والتكنولوجية ، حيث يقول :

لا تدخلنك رقة على هذا الوحش المشغول ، اللابشرية

إن التقدم مرض مريح : ضحيتك (الموت والحياة سالمان) يتلاعب بضخامة ضالته الالكترونات تحسم شفرة موسى حلاقة واحدة كسلسلة من الجبال ، والعدسات تمدد اللارغبة عبر المنحنيات أين ومتى وحتى تعود اللارغبة الى لا نفسها) .

إن استخدام كمينغز للحروف الصغيرة والكبيرة فى اللغة الانجليزية ليس استخداماً متعسفاً عشوائياً كما قد يظن بعض القراء .. فهو يكتب كلمتى (انا) و (انت) باحرف صغيرة ، ولكنه كثيراً ما يكتب (نحن) وكل ما يشير الى صفة جمع المتكلم بالأحرف الدالة على علم ؛ وتلك ، كما يرى د. فوريست ، هى طريقة الشاعر فى إطراح فرديته جانباً للاحتجاج بقوة الحب :

(إن من يخلص الحب يقوم باعمال تبدو جنونية) كما يقول د. فوريست ، (فالناس كثيراً ما تعانى الكثير فى الحب ؛ ويقول بعضهم إنهم قد يلحق بهم الأذى إن منحوا مشاعرهم للآخرين . هناك امتزاج للشخصيات فى الحب).

وقد حاول كمينغز أن يجد حلا شعرياً لهذه المشكلة .. مثال ذلك هذه القصيدة :

سيدتى هل تاتين معى الى بيت عقلى البالغ الصغر . إن القمر مستدير كما ترين عبر النافذة وليس لي فى الحقيقة من يقوم بخدمتى . هناك غرفة خالية . ونكاد نستطيع أن نذهب (انت وأنا) فى توحد ابيض كبير هناك ، ولكن ان كذا أو كذا .

ببطء فتحت النافذة ضالة بالغة ؛ القمر (بشعر ابيض مستعار وأزرار مجلوة) سياخذك بعيداً .

وكل الساعات ستنهار فى اليوم التالى .

ولقد سئل د، فوريست عما يشاع عن موقف كمينغز المضاد للعلوم ، فقال :

«كان يكره آلات ثقب الصخور الضخمة ، والضجة وأجهزة الراديو والتكنولوجية . ولكنه سمح ذات مرة باجراء تحليل نفسانى له ، وكان يعود الطبيب إن مرض . لقد قام بعمله كشاعر وتحدث عن كوننا اشخاصاً ، وعن عواطفنا وعلاقاتنا مع عواطفنا ؛ وكمرشد فى هذه المسائل . لم يكن كمينغز سيئاً .

عبـــــاس خضـــــر

# مكائد النساء والرجـــل المغفـــل فى عـــالم القصـــص

« كيد النساء غلب كيد الرجال » .

هذه القضية كانت غالبة على القصص فى العصور الوســطى : فى قصصنا الذى تمثله حكايات ألف ليلة ، وفى قصص الغرب الذى تمثله قصص « بوكاتشيو » الايطالى ، وخاصة ما يسمى « الكاميرون » .

الرجل يظن أنه المسيطر المهيمن على المرأة ، يحكمها كما يشاء ، يقفل عليها الأبواب والشبابيك ، أو حتى يضعها في قفص ، ويظن أنه صانها بهذا التكبيل ، ولكنها ـ فى الحقيقة ـ تفعل ما تشاء ، لايعوقها عائق ، ولايقف فى سبيل ما تريد أى حاجز ، بل هى تكيد للرجل كيداً ، وتوقعه فى الحبائل ، وتلعب به لعباً .

على هذا المحور كانت تدور القصص التى كان يتداولها الناس فى أحاديثهم وأسمارهم ، ومازالوا يفعلون . وهم يتعجبون ويمصمصون الشفاه من هـذا المخلوق الضعيف القوى ، اللطيف الشرس ، الناعم الملمس الذى تنشب أظفاره وتدمى ، الباكى المفترس ، الذى يأتمنه الرجل وهو لا أمان له ..

## تستغفل العفريت

وبلغ الأمر بالمرأة أن تستغفل العفريت .. الذى خطفها ليلة عرسها ووضعها فى علبة ، وجعل العلبة فى صندوق له سبعة أقفال ، كما فى حكاية الملك شهريار التى يبدأ بها ألف ليلة ، إذ سار شهريار وأخوه شهرمان الملكان ، هـــائمين على وجهيهما ، على أثر استكشافهما خيانة زوجتيهما ، فرأيا عفريتاً من الجن على بعد ، فخافا منه وصعدا على شجرة واختبأ بين أغصانها .. وجاء العفريت الى تحت الشجرة ، وأخرج صبية جميلة من علبة ، ونام متوسداً ركبتها ، ولاحت منها التفاتة الى أعلى الشجرة ، فرأت الملكين ، فرفعت رأس العفريت برفق ووضعته على الأرض ، وأمرتهما بالنزول وراودتهما عن نفسها ، وهددتهما ان لم يستجيبا ان توقظ لهما العفريت .. ثم طلبت منهما خاتميهما لتضيفهمـــا الى خمسمائة وسبعين خاتمـــاً اتصلت بأصحابها فى غفلة من العفريت ! وقالت لهما :

« إن المرأة منا اذا أرادت أمراً لم يغلبها شىء » .

وقال شهريار لأخيه :

« اذا كان هذا عفريتاً ، وجرى له أعظم مما جرى لنا ، فهذا شيء يسلينا » .

## فى القصص الحديث

ولما بدأ الرواد من قومنا يكتبـــون القصص فى العصر الحديث كـــانت « ألاعيب النساء والرجل المغفل » من أهم موضوعاتهم فى القصص القصيرة : طاهر لاشين ـ مثلا ـ له مجموعة اسمها « يحكى ان » وتحكي القصـــة الأولى التى بهذا العنوان حكاية رجل استغفلته امرأة .. يبدأ القصة هكذا :

« يحكى أن غزالا عطش مرة فورد عين ماء فى بئر عميقة ليشرب منها ، فلما شرب حاول الطلوع فلم يقدر ، فنظر اليه ثعلب من فوهة البئر وقال له : لماذا لم تتبصر فى الطلوع قبل ورود الماء ؟ » .

وتشتمل المجموعة على قصص مماثلة منها قصة بعنوان « بيت الطاعة » يأخذ الرجل فيها حكماً من المحكمة يجر به زوجته الى بيت الطاعة ، ويحكم عليها الحراسة ، اذ يأتى بامرأة عجوز تقوم بشأنها وتكون رقيبة عليها .. ولكن العجوز تيسر لها الاتصال بشـــاب من الجيران ! ويقع الزوج فى الغفلة .

والعجوز فى قصص « كيد النساء » ذات دور بارز ، فهى قد مارست حيـــاة طويلة ، واكتسبت خبرة فى تغفل الرجال وأصبحت غير مرغوب فيها منهم ، فتستغل خبرتهـــا وتقـــوم بـــدور « الدبلوماسية المكوك » بين الفتى والفتاة حتى تجمعهما على خلاف ما يجمـــع المأذون الشرعى .. وتسميها ألف ليلة وليلة « ذات الدواهى » .

والقصص القصـــيرة الأولى التى كتبها نجيب محفوظ كان بعضها يدور على ذلك المحور : خداع المرأة للرجل وجر رجله الى الشرك ..

## المغفل وقصص أخرى

وأخيراً وقع فى يدى كتـــاب عنوانه « المغفل وقصص أخرى » لـــكاتب من أوائل من كتبوا القصـــة فى مصر ، هو « عبد الله حبيب » الذى جر عليه النسيان ذيله .. وما أكثر ما يختـــال النسيان ويجر ذيله فى مجتمعنا ! ولهذا الكتاب فضل نبش هذا الموضـــوع فى رأسى ، ان كان هذا فضلا ..

صدر الكتاب بمقدمة للأستاذ عباس محمود العقاد قال فيها :

« وقد قرأت فى هذه المجموعة للكاتب الأديب عبد الله أفندى حبيب قصصاً مسجلة وأخرى واصفة من طراز جميل يضاهى أشباهه فى قصص أشهر الكتاب الغربيين » .

فهو يلقب الكاتب بلقب « أفندى » الذى كان شائعاً اذ ذاك ويطلق على كل لابس طربوش .. ومثل ذلك فعل العقاد

مع مؤلفين آخرين كتب مقدمات لكتبهم ، منهم « كامل افندى كيلانى » فى مقدمة لديوان « ابن الرومى » .

## قانون الانصاف

والغريب أن « عبد الله افندى حبيب » تخرج من الأزهر ونال شهادة العالمية ، ثم انشغل بالأدب والصحافة ، وخلع العمامة والجبة والقفطان ، ولبس البدلة والطربوش ، وعاش حياة مدنية بعيدة عن الأصل ، عين موظفاً بالقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية براتب صغير ، وكان يقول : اتمنى ان أعين وزيراً ، وامنح نفسى « الدرجة السادسة » ثم استقيل من الوزارة ! وكانت « الدرجة السادسة » مطمح آمال الموظفين فى درجات دونها ، وخاصة حملة العالمية الأزهرية الذين كانوا يعينون فى وظائف حكومية بمرتبات ضئيلة ، وبعضهم باليومية ، اى يحسب أجرهم بالأيام التى يعملون بها فقط ، ولا ينالون شيئاً عن أيام الجمع والعطلات الرسمية .. حتى جاء مكرم عبيد وزيراً للمالية فى وزارة الوفد ، وأصدر قانوناً يقضى بوضع كل موظف يحمل شهادة عالية فى « الدرجة السادسة » وسمي هذا القانون « قانون الانصاف » واستفاد منه عدد كبير جداً من حملة العالمية الأزهرية ، وهى طبعاً شهادة عالية ، وممن استفادوا منه الشاعر الكبير احمد الزين ، وكان موظفاً باليومية فى دار الكتب وهو يحمل العالمية .. وقد رقى الى الدرجة الخامسة بعد وفاته ! لأن ادارة المستخدمين لم يكن عندها علم بهذه الوفاة !

والشاعر الزين ممن افترسهم غول النسيان .. وكان الى جانب شعره من فطاحل الأدباء الذين ضمهم القسم الأدبى بدار الكتب امثال حافظ ابراهيم وصادق عنبر ومحمد ابو الفضل الذين حققوا كتب التراث مثل الأغانى وعيون الأخبار ، وتجد اسم احمد الزين على الكتاب الأخير .

تبدأ مجموعة عبد الله حبيب بقصة « المغفل » فيها تتغفل البطل امراة عجوز تستعمل النساء المنحرفات فى اغراء الرجال تستاجرهن فى منزلها للسهرات ، وتستخدمهن فى النهار على وجه عجيب: تزودهن باطفال تستاجرهم كذلك من



# مكائد النساء

الملاجىء ، يصحبونهن ليظهرن فى مظهر بنات العائلات المصونات وبصحبتهن أخوانهن الصغار .. ثم يتعرضن بهذا المظهر للمغفلين من الرجال !

## الشيخ عبد الله

وفى المجموعة قصة بعنوان « الشيخ عبد الله » نشرت بمجلة الفكاهة التى كانت تصدر أسبوعية من دار الهلال بالقاهرة ، فى ٢٠ يونيه ١٩٣٠ ، كما ذكر فى هامش القصة بالكتاب ، مصدرة بما يأتى :

« كتب الأديب المعروف الأستاذ عبد الله حبيب هذه القصة بضمير المتكلم وجعل عنوانها الشيخ عبد الله ، فهل هى سلسلة اعترافات حقيقية عن حياته الدراسية الأولى ؟ ذلك ما نميل الى القول به . أما هو فيقول فى هذا الصدد « إن فن القصة يتطلب من الكاتب أن يندمج فى شخصية البطل التى يمثلها فى قصته ، وان من أسباب نجاح كتاب القصص تحدثهم عن أبطال قصصهم بما يجعل القارىء يحس كأنه يسمع لنجوى الكاتب نفسه » .

وقد نقل هذا التصوير من المجلة الى الكتاب على هامش القصة . ونحن نميل الى ما مال اليه محرر « الفكاهة » فان شخصية الكاتب تطل علينا من العنوان ومن خلال القصة ، فهى تصور حياة طالب بالأزهر جاء من قريته يطلب العلم وفى القصة امرأة شابة تتغفل زوجها المسن وتحاول الاتصال بالفتى القروى الأزهرى : الشيخ عبد الله !

وحقاً ما قاله الكاتب من أن فن القصة يتطلب ما ذكره ، ولكن على شرط ألا تظهر شخصية الكاتب ، ومن التمويه فى ذلك أن يسمى البطل باسم غير اسمه . ونجد اسم « عبد الله » يتردد فى قصص أخرى من المجموعة .

والكتاب يشتمل على موضوعات أخرى تأخذ أسلوب القص ، ولكنها لا تعد قصصاً بالمعنى الأدبى ، فهى إما أحاديث صحفية أو حوادث بوليسية أو وصف لشخصيات غريبة فى المجتمع كالشحاذين الأغنياء ! والفتوات والحانوتية . ويبدو أنها كانت تنشر فى مجلة الفكاهة ، ثم جمعها المؤلف فى هذا الكتاب .

## المفاجأة

ومن القصص التى نوه بها الأستاذ العقاد قصة « اللآلىء الخداعة » اذ قال :

« والأديب صاحب هذه المجموعة يحسن حبك القصص وتدبير المفاجاة فيها إحساناً يشهد له بالبراعة ويمتع القارىء بلذة الاستطلاع . ومن أفعل مفاجاته فى النفس ختام قصة « اللآلىء الخداعة » الذى يأخذ القارىء على غرة كما تأخذه حوادث الغيب المخبوء » .

والواقع أن كتابنا رواد القصة فى تلك الفترة كانوا يهتمون جداً بالمفاجاة فى القصة ، واللآلىء الخداعة كانت تجمعها زوجة من إهداء خليلها .. وتقول للزوج المخدوع انها لآلىء زائفة رخيصة حتى لا يسألها عن مصدر الثمن ، وانها تهوى هذا النوع من الحلى ، ثم تموت الزوجة ويحتاج الزوج الى المال فيضطر الى بيع اللآلىء ، فيفاجأ بأنها جواهر حقيقية ، ويعرف حقيقة الأمر وأنه كان « مغفلا » .



## أساس اجتماعى

وبعد فانه يبدو لى أن ذلك المنحى القصصى كان يقوم على أساس اجتماعى فهو يصور نوعاً من النساء مغلوباً على أمره فى الظاهر ، اذ يقع تحت ضغط الرجل . فيضطر الى التنفيس والانتقام من المتسلط المغرور .. وقد يؤدى هذا الى الانحراف والسقوط .. كما نرى فى قصة « بيت الطاعة » : الزوجة التى كانت على مستوى طيب من الخلق الفاضل يسوقها رجال الشرطة الى بيت الطاعة تنفيذاً لحكم المحكمة ، فتشعر بالاهانة والمذلة ، بالاضافة الى سوء معاملة الزوج وأوامره من مثل : النافذة لا تفتح ، الخادم لا يخاطب ، الملابس حسبما يصف ، العتبة لا ترى إلا بمشيئته وتحت إشرافه .. هذه الزوجة حينما ترى نفسها قد فقدت « المودة والرحمة » شعار الزوجية الكريمة تتحول إلى عشيقة لرجل آخر فى الخفاء ، وفى الظاهر تبدى الطاعة لزوجها المغفل .

على أن الأمر فى تلك القصص لا يخلو من تخيل مبالغ فيه ، فالمرأة غائبة عن الرجل فى المجتمع ، تكاد تعيش منفصلة تستقل فى عالم خاص بالنساء ، لا يعرفها الرجل الا دمية يلهو بها ويستمتع. فهو يتخيلها من بعيد ، ويحكي عنها ما يمليه عليه خياله !

## البنت هى المغفلة !

ثم يتغير المجتمع ، ويصير موقع المرأة فيه إلى حال آخر : تتعلم وتخرج الى النور ، وتصاحب الرجل ، وتشاركه الحياة . وتنتفى الصورة المقهورة ، ولا يكون ثمة مجال للخيال القديم . وتبعاً لذلك يتغير موقف القاص منها ، فيعتدل فى تصويرها والتعبير عنها . بل أدى الأمر الى العكس ، فحمل الكاتب القصصى على « الرجل الذئب » الذى يغرر بالبنات الساذجات ، ويخدعهن بوعد الزواج ، ويسلبهن أثمن ما تعتز به العذراء ، وصارت البنت هى « المغفلة » !

ولا يزال كثير من القصص والتمثيليات والأفلام يدور على هذا المحور ، وسبحان مغير الأحوال .

عباس خضر

بقلم: د. محمد الغباشي ربيع

بعد انقراض الديناصورات العملاقة

# إجراءات حاسمة في العالم للحفاظ على ذوات الدم البارد!

علماء العالم كله يدقون جرس الانذار ويحذرون من اختفاء الزواحف من عالمنا المعاصر .. إن التماسيح والزواحف القشرية كالثعابين والسلاحف البرية والبحرية مهددة بالانقراض مثل « الديناصورات » العملاقة التى أصبحنا لا نراها إلا فى الأفلام الخيالية .. وفى نيوزيلندا مثلا اتخذت الحكومة اجراءات حاسمة من أجل الحفاظ على نوع نادر من الزواحف اسمه « السفندن » ولذا فاننا فى هذه الدراسة العلمية نحاول أن نلقى الضوء على عالم الزواحف الذى يرجع تاريخه إلى مئات الملايين من السنين . !



## بعد انقراض الديناصورات العملاقة

للزواحف تاريخ طويل عريق مليء بالتغيرات على مدى مئات الملايين من السنين ..

فالزواحف حيوانات من ذوات الدم البارد ، انحدرت من البرمائيات البدائية وتطور البعض منها الى الطيور والثدييات ..

والزواحف تتميز بأنها تتنفس تنفساً كاملا عن طريق الرئة بمعنى أن جلد الزواحف ليس له أية وظيفة تنفسية وهو يستعمل فقط لحفظ السوائل من التبخر لكى يقى الجسم من الجفاف الذى تتعرض له أثناء معيشتها ، خاصة فى الأجواء الحارة ، وهذا الجلد حرشفى خال تماماً من الغدد مما جعله يقوم بهذه المهمة بكفاءة عالية ، ويساعد فى ذلك الجهاز الاخراجى لها فى اخراج حامض البوليك عن طريق الكلية فى صورة غير ذائبة .

والزواحف يطلق عليها ذوات الدم البارد ذلك لأنها تستمد كل حرارتها من الجو الذى يحيط بها ويشترك معها فى تلك الصفة الأسماك والبرمائيات . وهى لا تستخدم الغذاء الذى تتناوله فى توليد الحرارة إلا بصورة ضئيلة جداً لذا نجد أن درجة حرارة الزواحف ترتفع وتنخفض حسب درجة حرارة الجو الذى تعيش فيه .

وهى تستمد الحرارة بتمددها فوق



نوع من التماسيح يعيش فى الهند .. يفتح فمه لتلطيف درجة حرارة جسمه



صغير التمسلح الشهير بـ « الكايمان » الذى يعيش فى المناطق الاستوائية بامريكا الجنوبية



هذا النوع من الزواحف نادر جداً ، واستطاع ان يحافظ على صفاته خلال ٢٠٠ مليون سنة ويطلقون عليه « التيوتارا » أو « السفندن »

سطح الرمال الساخنة أو بعض الأحجار فى الصحراء أو الأراضى القاحلة ، أما فى فصول الشتاء وأثناء الأيام شديدة البرودة فانها تلجأ الى الجحور تحت الأرض معلنة عن مرحلة البيات الشتوى لها لتظل كامنة فى هذه البيوت تحت الأرض طوال فترة الشتاء دون الغذاء أو الماء .

وقد كان لعدم قدرتها على توليد الحرارة من داخل اجسامها أكبر الأثر فى توزيعها الجغرافى فهى قليلة فى الأماكن شديدة البرودة ، وربما كان معظمها فى تلك المناطق من الزواحف صغيرة الحجم ، والحال عكس ذلك فى المناطق المعتدلة والحارة من العالم !

وبالرغم من قلة امكانيات الزواحف الطبيعية ، إلا أنها سيطرت على الأرض وسادت أرجاءها لفترة بلغت مائة وستين مليون عام ، كانت تشكل خلالها المواد الأعظم من الكائنات الحية ، ومنها ما بلغ أحجاماً ضخمة جداً ، ومنها ما كان يمتلك الأجنحة التى تشبه أجنحة الخفافيش ، ومنها من لجأ للماء لكى يعيش فيه وبعضها تحورت أطرافه وأصبح لديه القدرة على أن يمشى على أرجله الخلفيتين !

## لماذا انقرضت ؟

والزواحف من الحيوانات التى تضع البيض ، إلا أن بعضها يفقس البيض داخل جسم الأم بعد تلقيحه داخلياً لتلد الصغار ، وفى حالة وضع البيض فانه يفقس بتأثير حرارة الشمس أو الحرارة المتولدة من تحلل المواد العضوية فى التربة دون أن تحتضنه الأم كما تفعل الطيور !

ويختلف بيض الزواحف عن بيض الطيور ، فالبيض فى الزواحف يغلف بقشرة كلسية أو جلدية وهى مسامية لكى تسمح بتنفس الجنين لكنها تقاوم الجفاف فى نفس الوقت .

والزواحف لا توجد لها أطوار يرقية تمر بها فى دورة الحياة كما هو الحال فى البرمائيات .

لذا فانها لا تضطر للعودة الى الوسط المائى فى بعض مراحل حياتها كما تفعل البرمائيات !

والقلب فى الزواحف يتكون من ثلاث حجرات وهو لذلك يعتبر أقل كفاءة من قلب الثدييات والطيور ، وقد يكون ذلك هو السبب فى قلة نشاطها فترات طويلة من السنة ، بالاضافة الى أن الدم فى الزواحف لا يحتوى على كميات كبيرة من الأكسجين كما هو الحال عند الثدييات والطيور !

والغريب أن الزواحف لازمها سوء الحظ منذ ملايين السنين فانقرض الكثير من أنواعها واختفت تماماً ولم يعثر إلا على هياكلها المتحجرة من ملايين السنين .. وانقراض هذه الأنواع حير العلماء ، وذهب كل يعلل انقراضها الى عوامل مرضية أو تغيرات طبيعية ، والبعض يرجح انقراضها لعدم درايتها الكافية بالعناية بمواليدها أو لعدم مقدرتها على مسايرة الظروف المتغيرة على امتداد ملايين السنين .

ويرجع انقراض بعض أنواع الزواحف الى حوالى ثمانين مليون عام مضت ، وربما أراد الله لها ذلك حماية للكائنات الأخرى لكى تستمر الحياة ، ذلك لأن بعضها كان من أكلات اللحوم بكميات كبيرة وبشراهة فائقة ، ولقد ثبت أنه فى الوقت الذى بدأت فيه الزواحف فى الاضمحلال ، فان الثدييات أخذت تسجل الانتشار والازدهار ، ذلك لما للثدييات من قدرة على ممارسة نشاطها وتأقلمها مع كافة الأجواء والبيئات ، ولما تمتاز به عن الزواحف فى رعاية صغارها وحمايتها من الآخرين !

## السحالى المروعة

ومن الزواحف المنقرضة وأكثرها شهرة «الديناصور» آكل اللحوم ، وكان يمشى على رجليه الخلفيتين ، أما الأماميتين فكانتا صغيرتين جداً ، وطوله كان حوالى ستة أمتار وهوواقف



إلى اليسار .. تمسـاح النيل اثناء خروجه من البيضة والى أسفل .. العش الذى تبنيه التماسيح لتضع البيض ويرى فى الصورة البيض قبل الفقس فى تجويف الأرض



وطول الجمجمة حوالى المتر وربع المتر وكان الفكان مزودين بأسنان حادة !

وديناصور معناها الحرفى (السحالى المروعة) وقد ازدهرت لمدة ١٢٠ مليون سنة ثم انقرضت فجأة ـ وقد عاشت متباينة الأحجام فبعضها كان لا يتعدى حجم الانسان العادى بينما كان يصل بعض أنواعها الى أكثر من خمسين طناً وزناً .

وترجع نشأة الديناصورات الى العصر الترياسى منذ حوالى ٢٠٠ مليون سنة مضت ، من مجموعة صغيرة من الزواحف يطلق عليها مغمدة الأسنان ، تطورت الى مجموعتين كبيرتين ، المجموعة الأولى هى ذوات الأرداف شبيهة السحالى ، والأخرى ذوات الأرداف شبيهة الطيور .

كما دلت بعض الحفريات على أن أنواعاً منها كان لها منقار يشبه منقار البط وأقدام ذات كف يشبه أقدامها وذيول مفلطحة تساعدها على العوم فى الماء .

ويرجع انقراض الديناصورات الى العصر الكريتاسى من حوالى ٨٠ مليون سنة تقريباً .

ويعلل انقراض الديناصورات الى أنها أصيبت بأمراض وبائية قضت عليها أو أن الثدييات كانت تتغذى على بيضها بشراهة .

على أنه لم تكن الديناصورات وحدها التى انقرضت فى تلك الفترة بل صاحبها انقراض أنواع أخرى من الثدييات .

ويرجح بعض العلماء أن يكون سبب ابادتها عوامل تدميرية هائلة مثل تكون جبلى أو انفجار فى الأشعة الكونية أو سقوط بعض النيازك على سطح الأرض !

## الزواحف المعاصرة

والزواحف المعاصرة تتمثل فى اربع رتب هى التماسيح ، والتيوتارا أو السفندن ، والزواحف القشرية وهى تضم الثعابين والسحالى ، أما الرتبة الأخيرة فهى رتبة السلاحف البرية منها والبحرية .

والتيوتارا أو حيوان السفندن يعتبر من أقرب الزواحف المعاصرة فى التقسيم الى الديناصورات المنقرضة ، إلا أنه هو النوع الوحيد من تلك الرتبة الذى استطاع أن يحافظ على نوعه من الانقراض ليقطع هذا المشوار الطويل وعلى مرور ٢٠٠ مليون سنة ، وهو يحتفظ ببعض العلامات التى وضعت أساساً لتقسيم الزواحف ومنها وجود علامات معينة على الجمجمة وكذا العين الصنوبرية التى تنمو مع نموه باستمرار طوال حياته بالاضافة الى سقف حلق كامل ! .

وكاد حيوان التيوتارا أو السفندن أن ينقرض بعد أن بلغ ذروته فى الانتشار فى نيوزيلندا ، إلا أن الحكومة النيوزيلاندية سرعان ما تنبهت الى خطورة الأمر مما اضطرها الى اتخاذ اجراءات حاسمة للحفاظ على هذا النوع النادر من الحيوانات ، فعاد مرة أخرى الى الانتشار فى الجزر الشمالية منها .

والسفندن أو التيوتارا يبلغ حوالى قدمين طولا ولونه أسود أو زيتونى ، مزود ببقع صفراء . وهو من الزواحف التى تفضل العيش فى الأجواء الباردة على عكس السواد الأعظم من الزواحف وهو يقضى معظم نهاره داخل الجحور ولا يخرج منها إلا عندما يحل الظلام باحثاً عن غذائه الذى يتكون من بعض الحشرات والقواقع وغيرها .

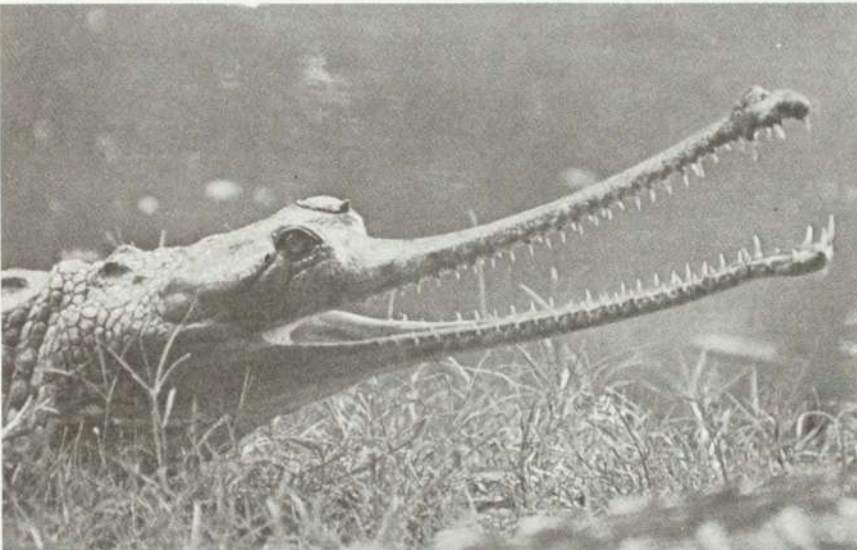
والسفندن له صوت يشبه نقيق الضفادع ، والأنثى تضع بيضاً قد يصل عدده الى أربع عشرة بيضة فى حفرة تحفرها له فى الأرض ثم تغطيها كى لا يتعرض لسطو الطيور الجارحة أو بعض الحيوانات الأخرى ، ثم ينقضى على هذا البيض علم كامل لكى تخرج الصغار منه ، والصغار تبلغ من الطول حوالى ١٠ سم وتنمو ببطء طوال حياتها الى أن تبلغ من الطول قدمين تقريباً !

أما عن سنوات عمره فقد سجل التيوتارا فى نيوزيلاندا فى الأسر خمسين عاماً من العمر ، وفى حديقة حيوانات دبلن عاش ٢٥ عاماً . أما فى السويد فقد سجل ٢٨ عاماً ، وكان طوله يكاد أن يكون ثابتاً بعد فترة زمنية معينة بلغ فيها ٣٧ سم فقط !

## الزواحف الكسولة

أما التماسيح فهى تعد من الزواحف المائية ، ويوجد منها ١٢ نوعاً شهيرة

تمساح « الجيفال » الهندي الذي يتغذى على الأسماك



تعيش جميعها فى المياه العذبة بالمناطق الدافئة فى العالم ، ويوجد منها نوع واحد تطيب له المعيشة فى المياه المالحة فى جزر الهند الشرقية .

ومن صفات التماسيح أنها كسولة ، تقضى معظم نهارها مستلقية فى الماء أو على ضفاف الأنهار تحت أشعة الشمس وصغار التماسيح تتغذى على الحشرات والضفادع وتتدرج فى تغذيتها على الأسماك ثم صغار الحيوانات الى أن تكبر فتستطيع أن تتغذى على الثدييات والطيور ، وبعضها يأكل الانسان اذا ما أتيحت له الفرصة .

والتماسيح تضع البيض فى حفرة على الشاطىء قريبة من المياه التى تعيش فيها ثم تغطيه بالطين أو بعض النباتات وتقوم بحراسته الى أن يفقس، وأثناء الفقس تقوم الأم بمساعدة الصغار على الخروج من البيض وتسهيل مأموريتها ويبدو أن الصغار بحكم الغريزة تعرف ذلك فهى تصدر أصوات الاستغاثة أثناء محاولتها الخروج من البيض !

ومن أشهر التماسيح تمساح النيل وقد كان منتشراً فى نهر النيل ، إلا انه اختفى تماماً بعد بناء خزان أسوان ، ولكنه يوجد ويعيش بكثرة عند منابع النيل ، وهو يبلغ ٦ أمتار طولا ولون ظهره أخضر برونزى مزين يتحرك بسرعة فى الماء ولكنه أقل حركة على الأرض ، وعند السباحة فى الماء لا يظهر منه سوى عينيه وأنفه .

ويتغذى تمساح النيل على الأسماك ، ولديه من الصبر والخداع الكثير فهو يختبىء على ضفاف النهر لعدة ساعات فى سكون تام حتى تقترب بعض الحيوانات لتحصل على ماء الشرب وهى فى غفلة تامة لينقض قابضاً عليها بفكيه القويتين ويغوص بها فى القاع

وانثى التمساح تضع بيضاً فى حجم بيض الأوز ، وتقوم بوضعه فى حفرة وتغطيه حتى يفقس بعد ذلك لتعود الصغار الى الماء بالغريزة لتسبح فيه من أول يوم لها .

ولتمساح النيل تاريخ عند قدماء المصريين فكانوا يطلقون عليه «تشابسا» وهى كلمة معناها فى اللغات المصرية القديمة شروق الشمس ، وربما كانت تلك التسمية نظراً لبريق عينيه الشديد الذى يبدو ظاهراً بوضوح عندما يطفو على سطح الماء — وكان قدماء المصريين يقيمون لتمساح النيل الشعائر والاحتفالات الدينية فى مواسم معينة وذلك فى معابد طيبة ، كما كانوا يقومون بتربيته أيضاً فى تلك المعابد ويتقربون اليه بتقديم الحلى والجواهر حتى اذا مات قاموا بتحنيطه وحفظه فى المقابر !

## أشهر التماسيح

ومن التماسيح الشهيرة المعاصرة أيضاً تمساح «الكايمان» وهو يعيش فى المناطق الاستوائية فى أمريكا الجنوبية ومنه الكايمان الأسود ، وسمى كذلك نسبة الى لون الظهر ، أما البطن فلونها مائل الى الاصفرار ، وهو يبلغ خمسة أمتار طولا ، وتوجد عدة أنواع من تمساح الكايمان تعيش فى نهر الأمازون ومعظم أنهار أمريكا الجنوبية وتهاجر منها فى فصل الجفاف الى البرك والمستنقعات داخل الغابات ، وبعض هذه الأنواع تعمد فى فصل الجفاف الى دفن نفسها فى الطين الى أن يحل موسم سقوط الأمطار لكى تعود مرة أخرى من بياتها وتدب فيها الحياة من جديد !

والليجاتور من التماسيح المعاصرة أيضاً ومنه الليجاتور الأمريكى الذى يعيش فى نهر المسيسبى ولونه أخضر داكن أو أسود ، والليجاتور الصينى الذى يتميز بالصغر فى الحجم عن الأمريكى ولون ظهره أسود مرقط باللون الأخضر وتوجد عليه خطوط صفراء أما بطنه فلونها رمادى .

وتمساح المصبات يوجد عند مصبات الأنهار ويحلو له التنقل بين ماء البحر المالح ومياه الأنهار العذبة ، ويمتاز هذا النوع بكبر حجمه ، ويبلغ طوله ٣٣ قدماً ، ويعرف بشراهته واعتدائه المتكرر على الحيوانات الكبيرة وحتى الانسان ، ولهذا النوع من التماسيح غدد فكية تفرز نوعاً من المسك إلا انه غير مقبول الرائحة !

والتمساح الأمريكى أيضاً من التماسيح التى تقطن أماكن متفرقة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى كولومبيا وفلوريدا وفنزويلا ، كما يوجد أيضاً فى جزر الهند الغربية — ولون ظهره زيتونى ضارب الى السواد.

أما تمساح الكاتافراكتس فهو يعيش فى أنهار غرب افريقيا من السنغال الى الكونغو ، وهو يسمى التمساح طويل الفم نظراً لأن فمه بالغ الطول رفيع ، وطول هذا النوع من التماسيح ١٨ قدماً وهو أكثر التماسيح خوفاً وحذراً ، ولقد تعود الأهالى فى تلك المناطق على صيده وأكل لحومه .

وهناك تمساح الجافيال الذي يشبه فمه المنقار ، وله أسنان رفيعة مقوسة مخروطية ، ولون ظهره زيتونى داكن ، وهو يتغذى على الأسماك التى يسهل عليه اصطيادها بمنقاره الطويل الرفيع وأسنانه الحادة ، وهو أكثر أنواع التماسيح اجادة للسباحة ، وهو لا يميل الى افتراس الحيوانات الثديية أو الانسان بل يقتصر فى أمر غذائه على الأسماك ، لذلك فان بعض الهندوس يقدسونه ويعبدونه !

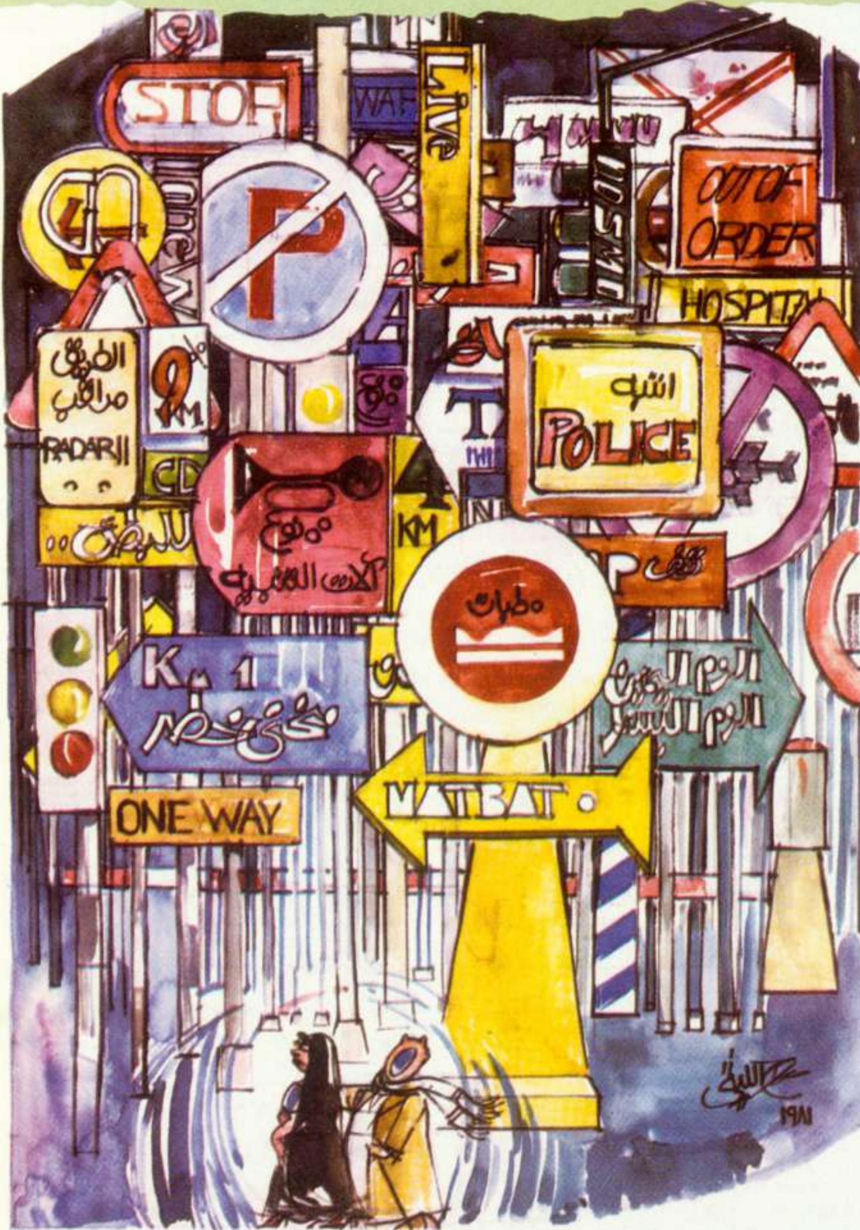
ويعيش هذا النوع فى أنهار الهند وبعض الأنهار المنتشرة فى قارة آسيا !

د. محمد الغباشى ربيع


التمساح الامريكى ويشتهر بأسنانه القوية

# ضحكات الشهر







العلامات موش لينا ياحميده ، أنا وانت « رحال » يعني مشاة



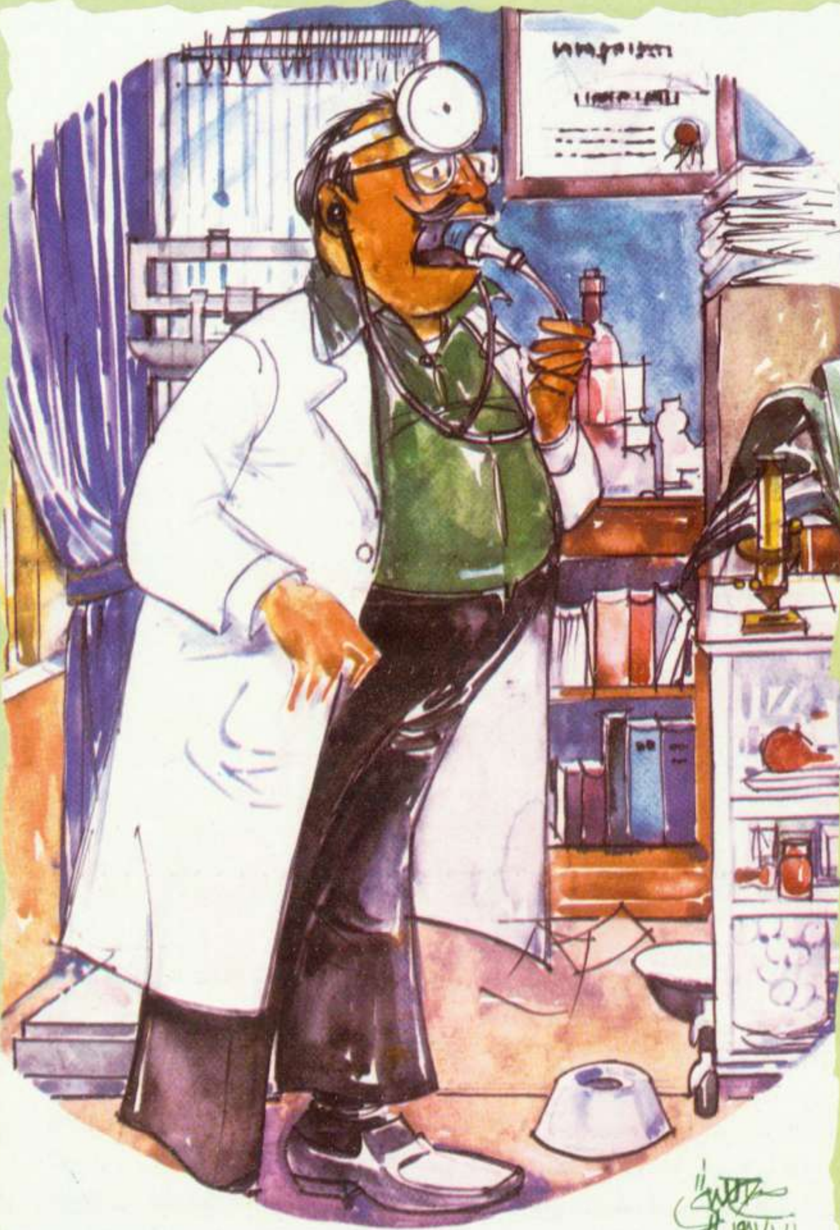
( الحر ) نيران حرارة .. !!



حارس مـــرمى ــ .. الحارس الله .. !!



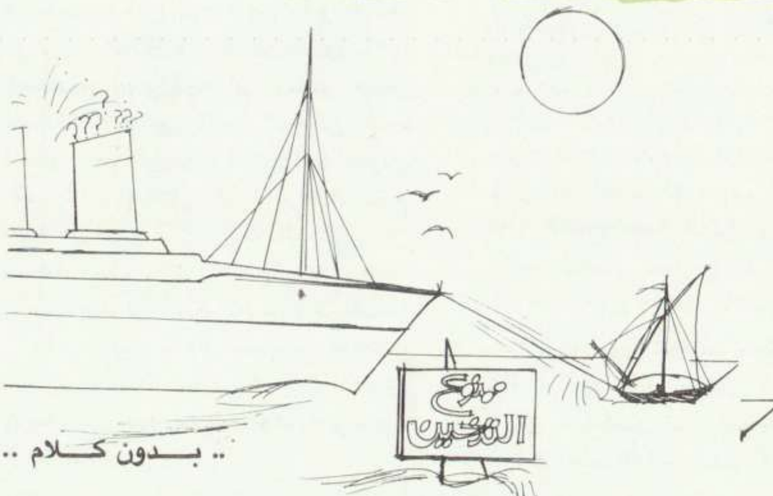

طبيب لاخوه الغلبان ـ دى اخر مرة اسالك عن الصحة .. وبعدها حضطر اعالجك بفلوس .. ..



.. طبيب ـ .. اهلا .. ازيك يا روحى .. !!



ست ـ .. مالهم .. أهله !!



.. بـدون كـلام ..



قطع من الشطرنج من القرن الثانى عشر تم العثور عليها فى اسكتلندا

# الشطرنج .. حرب سلميّة

بقلم : إبراهيم السمّان

لقد اختلفت الروايات فى معرفة تاريخ الشطرنج ، فنسب تارة الى القائد الاغريقي ( بالميداس ) فى حصار طروادة ، ومن المؤرخين من نسبه الى الكلدانيين أو الاشوريين أو الفراعنة ، وذكر المؤرخ السويسرى «ليوبولد دى سوسور» أن الشطرنج من اختراع الصين فى القرن العاشر قبل الميلاد .. وقد عثر علماء الآثار السوفيتيون على أحجار شطرنج يعود تاريخها الى القرن الثانى بعد الميلاد ومنها حجر على هيئة فيل وآخر على هيئة ثور

على أن العلماء المعاصرين يجزمون بأن الشطرنج هو اختراع هندى . معتمدين فى ذلك على مصادر الثقافة العربية الاسلامية التى أكدت أن مخترعه هو «صصه بن داهر البرهمى الهندى» . وانه وضعه فى القرن السادس الميلادى . فقد قال المسعودى إن «صصة» وضعه للملك «بلهيث» وجعل احجار الشطرنج على صورة آدميين وغيرهم من الحيوان وجعلهم درجات ومراتب قد يظن أنها صور البروج .. وقال الزمخشرى « ان ملوك الهند كانوا حكماء لايريدون القتال وإراقة الدماء فوضعوا الشطرنج ، وكانوا اذا تنازع ملكان اصطف الجيشان وتقابل الفريقان وتقدم الملكان فلعبا فى موقع المعركة بالشطرنج ، فمن غلب استولى على الشيء المتنازع عليه من غير قتال» وذكر اليعقوبى أن فضائل الهند ثلاث : «الشطرنج ، وكليلة ودمنة ، وتسعة أحرف تجمع الحساب» .

وقد حظيت لعبة الشطرنج باهتمام بارز فى التاريخ العربى فحققت انتشارا واسعاً فى عهد الدولة الاموية والدولة العباسية ...

ومن الشخصيات العربية التى عنيت بهذا الفن ابو عثمان الجاحظ .

وأما الفيلسوف يعقوب بن اسحق الكندى فقد قال فى وصيته لولده «يابنى كن كلاعب الشطرنج مع الناس تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم، فان مالك اذا خرج من يديك لم يعد اليك» .

وقد ورد كثير من شعر العرب فى وصف الشطرنج كاشارة الشاعر صفى الدين الحلي فى قصيدته القومية المشهورة :

سلى الرماح العوالى عن معالينا
واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا

والتى جاء فيها :

بيادق ظفرت أيدى الرخاخ بها
ولو تركناهم صاروا فرازينا

ومن درر الشعر العربى فى الشطرنج قول الشيخ جمال الدين بن نباته :

أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت
فى حسنه من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة
والخد فيه لقتل النفس شامات

وذكر الثعالبى فى «يتيمة الدهر» أخباراً عن مشاركة ابى العلاء المعرى فى لعبة الشطرنج فقال على لسان الشاعر المصيصى «رأيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب الشطرنج ويدخل فى كل فن من الجد والهزل ، يكنى ابو العلاء» .

● ●

ومن الشطرنجيين الذين لمعت اسماؤهم فى التاريخ العربى احمد بن يحيى بن ابى بكر بن ابى حجلة التلمسانى ، شهاب الدين ابو العباس (٧٢٥ ـ ٧٧٦ هـ) الذى ولد فى تلمسان ثم رحل الى دمشق ثم انتقل الى القاهرة واشتغل بالأدب وولع به ثم ولى مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة ومات فيها . وقد صنف أكثر من ثمانين كتاباً فى شتى فنون المعرفة والعلوم وأشهرها (ديوان الصبابة) ، و (منطق الطير) وقد عالج فيها أمور الشطرنج .

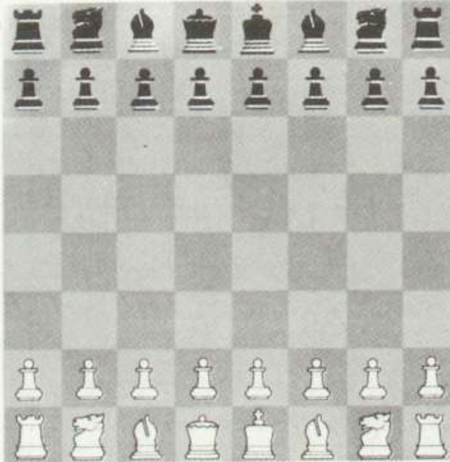
وقد تألق فى الأندلس نجم شطرنجى هو ابو زيد محمد بن عمار وهو شاعر كبير وقد لاعب ملك قشتالة الفونس فغلبه .

وقد ذكر مستشرق اسمه كرجكوفسكى أن فى متحف أرميتاج فى لينغراد كتاباً



مباراة بين الملك والملكة فى ايطاليا فى القرن الثانى عشر

هكذا يرتبون قطع الشطرنج قبل المباراة



عربى المنشأ فيه صور لشتى الالعاب يمثل الحياة فى زمن الفونس الذى كان من أكبر دعاة الثقافة الاسلامية فى اسبانيا . وكان للشطرنج مكانة كبيرة بين مخلفات الاسلام ، ويرجع الشطرنج الأوروبى فى أصله الى الشطرنج الذى نقلته أوروبا عن المسلمين ، ذلك أن لعبة الشطرنج تمثل لوناً من ألوان النشاط الفكرى . ومن الذين اشتهروا بالشطرنج فى الاندلس الوزير والأديب الشاعر تمام ابن عامر الثقفى .

●●

وقد حظى الشطرنج بقسط وافر فى أدب العرب : نثرهم وشعرهم . ففى الأرجوزة الشطرنجية يقول الشاعر مهدى البغدادى المتوفى عام ١٣٢٧هـ .

إياك والسرعة فى المحاربه
لتدرك المراد فى المغالبه
يلزم للشطرنج أن يصطنعا
بيتا ثمانيا له مربعا
مجموعه الستون بعد الأربعه
وكل ابيات له مربعه
ونصفها يصبغ بالسواد
على اختلاف لأعلى اتحاد
وفى البياض منه يبقى نصف
وكل وجه فيه صف

إلى آخر الأرجوزة التى يصف فيها بدقة، وفن لعبة الشطرنج .

ولعبة الشطرنج هى حرب بين جيشين يجرى فيها كل مايقع فى الحرب من هجوم ودفاع وخدعة ومبادرة وتكتيك وفيها هزيمة وانتصار وتعادل وهدنة وصلح ! ولكنها حرب سلمية ، إذا جاز هذا التعبير ، بين فكرين ساحتها الرقعة وجنودها القطع وقادتها اللاعبون.؟؟ وهى صراع فكرى يسهم فيه الذكاء والدهاء والفن والعلم . وقد اهتم بهذه اللعبة معظم شعوب العالم المتقدم في الشرق والغرب فقامت فيها اندية وجمعيات الشطرنج ، وألفت حولها الكتب . وأسست فى بعض الدول جامعات وطنية ترعى شؤون الشطرنجيين وتنظم لهم المباريات وتمنحهم الجوائز والمكافآت . كما أنشىء اتحاد دولى للشطرنج فى باريس عام ١٩٢٤ تحت شعار ( نحن أسرة واحدة ) .

●●

ومن طريف ما يروى ، دلالة على مدى ارتباط هذه اللعبة بالذكاء أن الملك الهندى اراد مكافأة الحكيم «صصه» مخترع الشطرنج ، فطلب المخترع طلباً متواضعاً هو أن توضع له حبة قمح واحدة على المربع الأول من الرقعة ثم تضاعف بمتوالية ١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ الخ .

وقد استهان الملك الهندى بالطلب . ولكن عند التنفيذ وبعد الحساب الدقيق تبين أن المخترع قد طلب ما يعادل محصول الكرة الأرضية لو زرعت جميعها قمحاً بعد تجفيف بحارها وتسوية جبالها لمدة ستة الاف عام؟؟ هذا على ذمة الراوي !! ومن يشك فى صحة هذا التقدير فليحسب .. اذا ما اتسع وقته .. وصدوره !!

ابراهيم السمان
عمان ـ الأردن



# دوحة القراء

؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

## حاول أن تعرف




( صورة ١ ) عاصمة دولة أوروبية صغيرة ، لا يتجاوز عدد سكانها سبعة ملايين نسمة ، يمر فى أرضها نهر مشهور ، تشتهر بالمهرجانات الفنية وعلى الأخص الموسيقية .

ما اسم العاصمة واسم النهر ؟

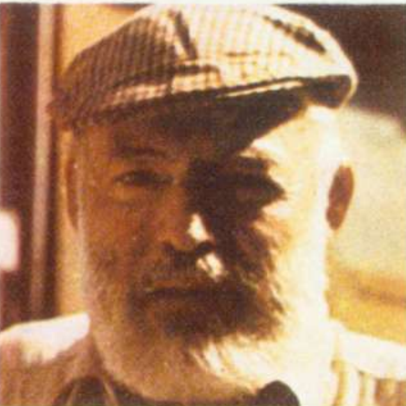


( صورة ٢ ) مغنية أوبرا شهيرة ، يونانية الأصل ، أمريكية الجنسية ، درست الموسيقى فى كونسرفتوار أثينا ثم بنيويورك ، وقد بدأت شهرتها عام ١٩٤٧ ، وظلت حتى موتها أشهر مغنية أوبرا فى العالم تؤدى «السوبرانو» .. من هي ؟

## حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٧١



الصورة الأولى :
ساحة الأسود بقصر الحمراء بقرطبة ، بدأ بناؤها عام ١٣٥٤ م .
ـ مختار خلفى ـ تونس
ـ هيثم بن فهد ـ الرياض



الصورة الثانية :
الروائى الأمريكى أرنست همنجواى مات منتحراً بالرصاص عام ١٩٦١ .
ـ محمد اسحق عبد الله ـ السعودية
ـ منيرة حامد أحمد ـ ج . م . ع

## من يملك السعادة

غاضب الرجل زوجته وقال لها متوعداً لأشقينك ، فقالت فى هدوء .. ليس فى مقدورك أن تشقيني ، فقال لها وكيف ذلك ؟ .. قالت .. لو كانت السعادة فى مال لحرمتنى منه ، أو فى حلى لمنعته عنى ، ولكنها فى شىء لا تملكه أنت ولا الناس ، .. إنى أجد سعادتى فى ايمانى ، ايمانى فى قلبى ، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى .

**محمد فارس عبد المنعم**
**القاهرة**

## قالوا في كتمان السّر



قال علي كرم الله وجهه ، سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره .

وقال عمر بن عبد العزيز ، القلوب أوعية والشفاة أقفالها والألسن مفاتيحها . فليحفظ كل انسان مفتاح سره .

وقال عمرو بن العاص : إذا أفشيت سرى إلى صديقي فأذاعه ، كان اللوم علي لا عليه ... قيل له وكيف ذلك ، قال : لأني كنت أولى بصيانته منه .

وقال الشاعر :

صن السر عن كل مستصحب
وحاذر فما الرأى إلا الحذر
أسيرك سرك إن صنته
وأنت أسيرله إن ظهر

وقال غيره :

كل علم ليس فى القرطاس ضاع
كل سر جاوز الاثنين شاع

وقال شاعر ثالث :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودع السر اضيق

**محمد مهدي النسعة**
**عمان ـ العبدلي**

## لقطة الشهر



**عازف الجيتار**

**فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال القارئة السيدة ابراهيم محمد ـ قطر**

## الطفل المعجزة



طفل صينى فى الحادية عشرة من عمره ، يرى بعينيه ماتراه أشعة «إكس» أو الأشعة السينية ، فهو بامكانه أن يرى القلب والرئتين والكبد ، وكل الأعضاء الداخلية بجسم الانسان .

هذا الطفل المعجزة اسمه «تشي زوهوى» يعيش فى مدينة «وان» بجنوب الصين ، وقد أجرى عليه الأطباء كثيراً من التجارب لمعرفة صحة ما يقوله ، وأثناء التجارب دخلت سيدة «حامل» فنظر اليها وقال أنه يرى طفلين .. وبعدها وضعت السيدة توأمين .. وحتى الآن لا يستطيع الأطباء التوصل لحل هذه المعجزة علمياً !

**عبد الملك حمواشو**
**تطوان ـ المغرب**



# دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت.

## مسابقة الدوحة

### مَن؟

عالم رياضيات مسلم عبقري كان له الفضل فى انشاء أساس الجداول المعروفة باسمه المكون من تسعة احرف :

٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٨ ـ ٦ أم الكبائر

٧ ـ ١ ـ ٤ ـ ٩ مدبب الحواف

### أين؟

مدينة عربية حدودية شهدت حروباً ولازالت فى حاجة إلى تحرير ، واشتهرت أيام نابليون . اسمها من كلمتين فى سبعة أحرف :

٣ ـ ٧ ـ ٦ ـ ٢ ـ ٧ حيوان مضحك .

٢ ـ ١ ـ ٥ ـ ٤ ذو قرابة .

### ما؟

خلق رفيع لا تفقده أية جماعة بشرية إلا وهوت فى أوحال الرذيلة والغش والفساد اسمه من خمسة احرف :

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ فعل أمر بمعنى أقبل .

١ ـ ٤ من عقوق الوالدين

## الإجابة الصحيحة

١ ـ ابنة السلطان الملتاث خمارويه ، والتى جهزها لزفافها من الخليفة المعتضد جهازاً أدى إلى خراب الدولة وجوع الرعايا وانتشار الثورات ، كان اسمها :
جمانة ـ قطر الندى ـ قطقوطة بسبوسة .

٢ ـ جاء ذكر الزيتون فى القرآن الكريم :
ست مرات ـ ثلاث مرات ـ مرتين

٣ ـ الهيئة البرلمانية فى دولة قطر تسمى :
مجلس الأعيان ـ مجلس النواب ـ مجلس الشورى

٤ ـ المادة المنبهة فى الشاي هي مادة :
الكفايين ـ الثيامين ـ الهيوسيامين .

٥ ـ أول من اكتشف تأثر أملاح الفضة بضوء الشمس ؛ فكان ذلك فاتحة التفكير فى التصوير الفوتوغرافي المعروف ؛ هم :
الاغريق ـ العرب ـ الهنود الحمر

٦ ـ العدوان الذى شنته بريطانيا وفرنسا بالاتفاق مع اسرائيل على مصر وسمي بالعدوان الثلاثي كان بتاريخ :
١٩٤٨/١١/٢٩
١٩٥٦/١٠/٢٩
١٩٥٨/٩/٢٩

٧ ـ « تنتقل عدوى الملاريا باستعمال ثياب المريض للسليم »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

٨ ـ ولد الأمام الشافعي رضي الله عنه فى البلدة العربية الفلسطينية :
القدس ـ يافا ـ عكا ـ صفد ـ غزة .

٩ ـ وطني لو شغلت بالخلد عنه
أكمل هذا البيت وانسبه إلى قائله .

١٠ ـ تبلغ مساحة شبه جزيرة سيناء :
١٠١ ـ ٨١ ـ ٦١ ألف كيلومتر مربع .

## حل مسابقة العدد ٧١

من : كافور
أين : الطائف
ما : الجهل .

الاجابة الصحيحة

١ ـ الاستر كنين
٢ ـ ٧٧ هـ
٣ ـ داود
٤ ـ هذا أوان الشد فاشتدى زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
وزن الشعر يسمى : الرجز
٥ ـ الأزرق
٦ ـ غير صحيحة ، لأن العنبر يستخرج من احد انواع الحيتان بالمحيطات .
٧ ـ القرامطة
٨ ـ ٢٥٥ هـ
٩ ـ ابن منظور المصري .
١٠ ـ التانين

## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : العمارتى محمد .
حومه المعطوبين رقم ٣٨/ شارع باب النوادر / تطوان / المغرب .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : غسان سامى نعيم حمود .
مدرسة ميرة الملك فيصل / ساحة المريجه .
مؤسسة غصيبه / ملك يوسف السباعى / بيروت .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارئة : لولوه شاهين المضحكي
منزل رقم ٣٩ شارع الشيخ خليفة بن محمد .
طريق رقم ٢٧٢٧/ منطقة رقم ٢٢٧/ البستين / المحرق / البحرين .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ــ منتصر خالد أبو عيشة — الكويت
٢ ــ هيثم سعد الموسى — الامارات
٣ــ وديع بن محمد سعيد الصابري — تونس

٤ ــ ليلى ابراهيم زاهر — ليبيا
٥ــ محمد أمين الكسم — سوريا
٦ ــ مصطفى فزاكة — المغرب
٧ ــ ميسون عبد الهادي — الأردن
٨ ــ خالد صلاح الدين عبد العزيز — جمهورية مصر العربية

٩ ــ عبد الرحمن عبد العزيز الخطيب — المملكة العربية السعودية

١٠ــ خير الدين المسعودى — تونس
١١ــ فوزية محمد عياد — مصر
١٢ ــ عيثم بن فهد — السعودية

# قرأت

## لا معنى للحياة بلا كتاب !

كان سومرست موم الكاتب الانجليزى الشهير مولعاً بالقراءة ، وكان يخصص ست أو سبع ساعات يومياً لقراءة أحدث الكتب ، ولم تكن كتب الأدب والتاريخ وحدها التى تستهويه ، فقد كان مولعاً أيضاً بقراءة كل جديد فى الطب والعلوم . وقد ظل على عادته هذه حتى بعد أن جاوز الثمانين !

سألوه يوماً : «لقد نصحك الأطباء بالاقلال من القراءة ، فقد تعبت عيناك ، لماذا لاتترك الكتب جانباً ؟، أو تطلب الى سكرتيرتك أن تقرأ لك ؟»

وأجاب الكاتب الكبير وشبح ابتسامة ترتسم على شفتيه : «انكم كمن جاء يطلب منى أن أعيش بلا غذاء أو أن أكتفى بما تأكل سكرتيرتى لأشبع أنا . لا ، لن أكف عن القراءة مهما تعبت عيناى ، لا لأننى أريد أن أشبع فحسب ، بل لأننى أحس بعد قراءة كل كتاب جديد أن أسلوبى فى الكتابة قد تحسن !!» .

**محمد حسام الدين مراد**
**جمهورية مصر العربية ــ الزقازيق**

# سمعت

## أول الخيوط حول التحنيط



لاتزال اسرار التحنيط عند الفراعنة ــ تحير كثيراً من علماء الاثار والباحثين .

ولكن أخيراً ــ أعلن فريق من أساتذة كلية الصيدلة بجامعة أسيوط أنهم وضعوا ايديهم على أول خيوط كشف سر تحنيط المومياء .

أثبتت الابحاث العلمية أن نسيج «الكتان» الذى تلف به المومياء تعطى المرونة للجسم ، وتتحمل درجات الحرارة والرطوبة .

وأن المواد الحافظة تتضمن : القطران والصمغ العربى والقرفة والصبر والحنظل والمر ــ وكلها مواد تعمل على سد مسام الجسم ، وقتل الميكروبات الداخلية لجسم المومياء ، وبالتالى يحتفظ الجسم بمعالمه ..
وما زالت الابحاث مستمرة فى هذا الشأن .

مهندس زراعى / السيد محمد شفيق
القاهرة ــ مصر

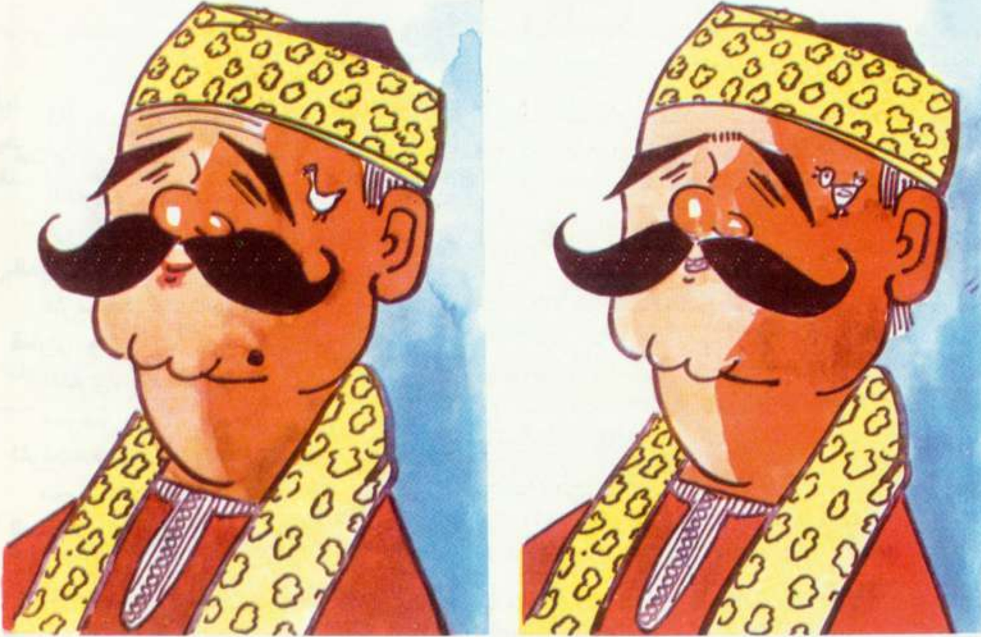


# استراحة الدوحة!

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

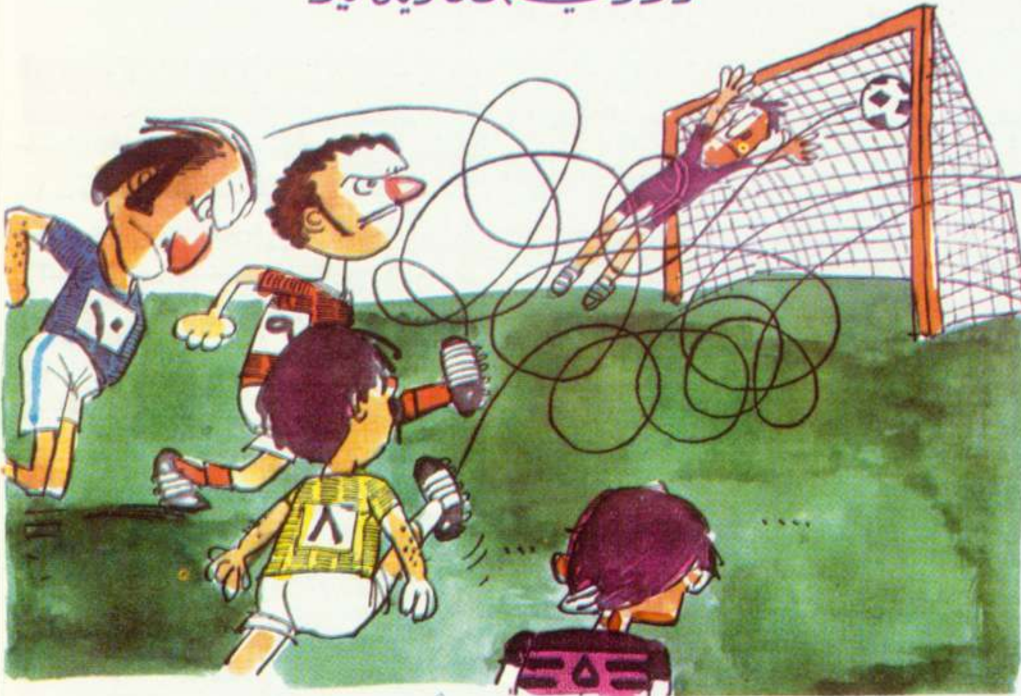
رؤوف

## أصل وصورة



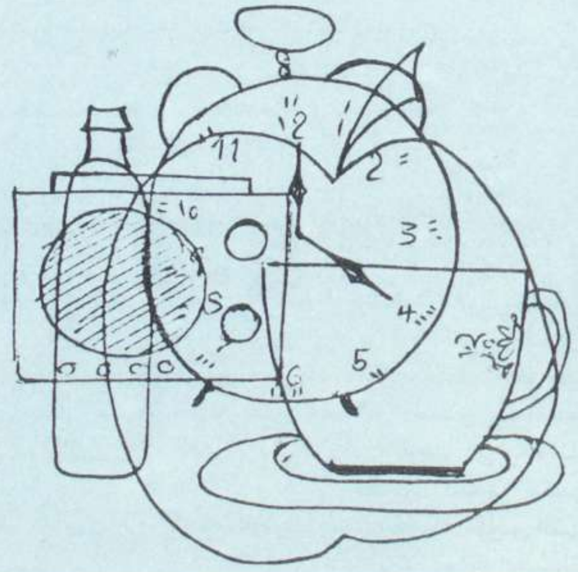
هناك سبع اختلافات بين أصل وصورة فنان الكوميديا المعلم محمد رضا .. هل تستطيع التعرف عليها
( الجائزة ٦٠ ريال )

## دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب الهدف ، وما رقم فانلته بدون الاستعانة بالقلم أو أصبعك ؟ .. إذا استطعت فجائزتك هى شهادة منا بانك قوى التركيز والملاحظة .

## لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسـوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصـل على جائزة ( ٦٠ ريال ) .

## لوحة لم تتم !

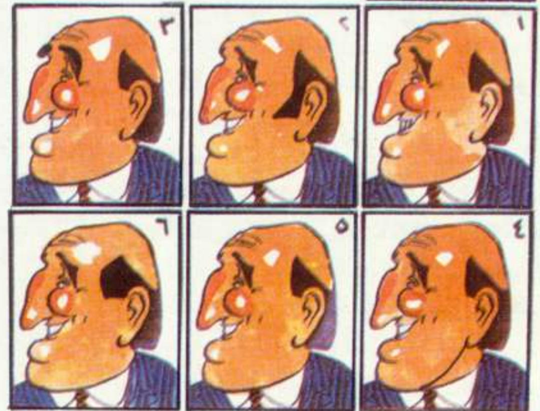


هذه اللوحة لشاعر عربى كبير ، لم يستطع الرسام ان يكملها لرغبته الشديدة فى ان تكملها بنفسك وتتعرف على شخصية هذا الشاعر لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريال ) .

## يخلق من الشبه أربعين



( وديع الصافى )




الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون مطرب للمغتربين .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة .. الجائزة ( ٦٠ ريال ) .

## هات أجمل تعليق



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريال ) .

# أول إنسان عربى قال الشعر من هو ؟

بقلم : حامد بدر

كيف نشأ الشعر ؟ وأين ؟ ومتى ؟ أسئلة يستقبلها الذهن ، ويبحث لها عن جواب .

والجواب البسيط المرتجل الذى لا يرد عليه اعتراض ، ولا يحتاج إلى تنقيب فى مراجع الأدب والتاريخ ، هو أن الشعر نشأ مع الانسان من كل جنس وكل لسان ، فى كل زمان ومكان .

وهذا الجواب لا يتفق مع ما زعمه الجاحظ ، قال فى الجزء الأول من كتابه ( الحيوان ) :

« .. وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالاسلام – خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام »

ولو قال: إن أول شعر جاهلي جيد وصل إلينا كان للمهلهل وأمرىء القيس ، لما ورد على هذا القول اعتراض ، فهو قول لا يمنع أن للعرب الجاهليين قبل هذين الشاعرين شعراً كان نصيبه الضياع ، فليس ما وصل إلينا من شعر هو كل ما قيل ، وليس هو أقدم ما قيل . بل لابد أنه مسبوق بشعر أكثر منه قدماً ، وأقل حظاً من التهذيب والصقل . فشعر المهلهل وامرؤ القيس وصل إلينا بعد شعر جاهلى أكثر قدماً ، وبعد مراحل وتجارب انتهى منها إلى هذا المستوى من الجودة

لابد أن هذين الشاعرين قد سبقا بشعراء كثيرين مجهولين ذهبت أسماؤهم نسياً منسياً كالآف الذين لم يعرفهم التاريخ ولم يعرفوه ، ولابد أن هذا الشعر الذى وعاه الحفاظ ، ودونه المدونون قد سبق بشعر كثير لم ينل حظاً من الحفظ والتدوين فأودى به الضياع .

ولاشك أن للشعر العربى بذوراً نبتت ونمت فى وطنها الأول وهو الجزيرة العربية ، وفي عهدها الأول وهو العصر الجاهلى . أمـا كيف كانت تلك البذور ، وكيف تعمقت جذورها وبسقت سيقانها ، والتفت أغصانها ، وأينعت ثمارها .. فمن البدهيات أن البذور لكى تنبت وتنمو تحتاج إلى التربة والماء والمناخ ، فهى تتغذى بالتربة ، وترتوى بالماء ، وتشب وتترعرع فى المناخ الصالح ، حتى تصير شجرة صغيرة ، أو شجرة باسقة ، أو دوحة وارفة الظلال . فلا مانع لدينا من وجود تلك البذور والجذور قبل المهلهل وأمرىء القيس.

لماذا لا يكون أول انسان عربى قال الشعر هو شاعر عاش قبل المهلهل وأمرىء القيس له مثل ما لهما من الطبع والوجدان ؟ من هو ذلك الشاعر العربى الأول ؟ .. لا نستطيع أن نعرف لأن حظوظ الشعراء من وسائل التاريخ والتدوين والرواية الصحيحة المتصلة لم تكن متكافئة فى كل زمان لاسيما العصر الذى عاش فيه ذلك الشاعر المجهول .

واذا كنا نشك فى بعض ما وصل إلينا من شعر منسوب إلى العصر الجاهلى ، نشك فى من نسب إليه،هل هو قائله أم وضعه غيره ، وهل قائله الحقيقى جاهلى أم اسلامى ؟ فلا ريب أننا عاجزون عن معرفة أول شاعر عربى ، وإن وجدنا فى أنفسنا الدليل على أن بذور الشعر الجاهلى موجودة قبل المهلهل وأمرىء القيس .

وبنظرة بعيدة إلى الشعر عموماً ، لا إلى الشعر العربى فقط ، نجد أن الشعر والحياة صنوان ، فمن الناس من خلق بطبعه شاعراً ، لا فرق فى ذلك بين عربى وغير عربى . بل ان أى مخلوق فيه حياة واحساس ، ولديه القدرة على التعبير الجميل عن حياته واحساسه يمكن أن يكون شاعراً أو شبه شاعر .

ولو رجعنا بتفكيرنا إلى تصور النشأة الأولى للانسان ، والنشأة الأولى للشعر فقد لا نرى موجباً لافتراض الفاصل الزمنى بين النشأتين . وأكاد أجزم بأن أول شاعر هو أول انسان استطاع التعبير باللغة التى عرفها عن وجدانه وتأثره بالحياة تعبيراً صادقاً متقناً جميلا مؤثراً . ومنذ اللحظة الأولى التى ولد فيها أول شاعر حتى نهاية الحياة الدنيا لم يخل ولن يخلو جيل من شاعر أو شعراء .

وفى كل عصر من العصور عاش شعراء من كل جنس ، ومن كل دين ، فهم مختلفون فى لغاتهم وعقائدهم وميولهم وأغراضهم . وهذا الاختلاف أمر طبيعى ما دام الشعر ترجمة للاحساس والطبع والوجدان .

فمن الأئمة شعراء ومن المتصوفة شعراء ، ومن الزنادقة شعراء . وقد تناول الشعر كل الأغراض الشريفة وغير الشريفة .

ولأن خاتم الأنبياء محمداً صلى الله عليه وسلم بعث بأبلغ وانقى دستور سماوى ، عصمه الله من الهوى والاثم والضلال ، وطهره من كل شائبة تدعو إلى الاتهام ، فلم يعلمه الشعر . قال سبحانه « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقران مبين » صدق الله العظيم .

هل نستطيع بعد ما تقدم أن نحكم بأن البذور الأولى للشعر وجدت عند أول انسان لديه القدرة على تصوير وجدانه فى عبارات جميلة موزونة مؤثرة ؟

فان لم تكن تلك البذور الأولى قد وجدت عند أبينا الأول آدم عليه السلام ، فهى بلاشك قد وجدت عند أحد أبنائه السابقين إلى هذا الفن ، أو احدى بناته السابقات إليه منذ بدء الخليقة .


بيبسي



"لعبة الكتور"

للفنانة القطرية : أمينة كاظم

عن مجلة "الجامعية" التي يصدرها مكتب خريجات جامعة قطر

السنة السابعة ـ العدد ٧٤ ـ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ـ فبراير ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## دعوة جريئة لناقد عربي كبير
د. عبد الله الطيب

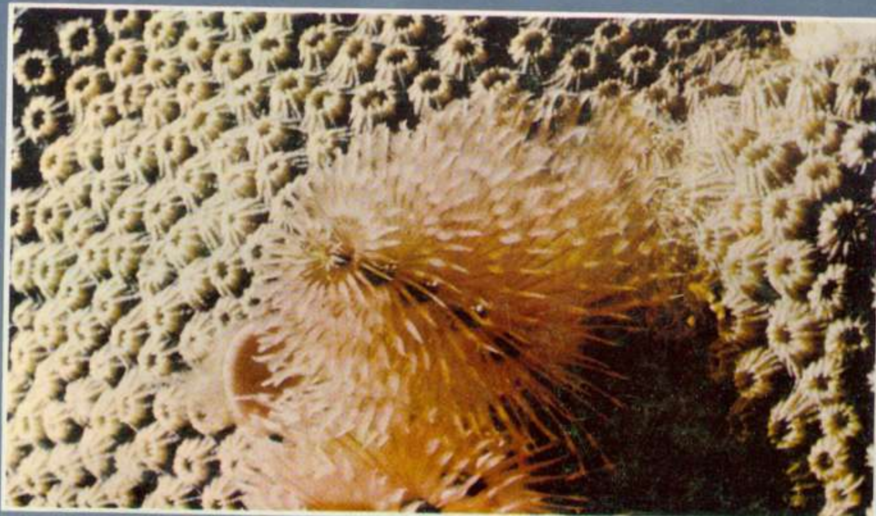
## محمد في عيد مولده العظيم
خالد محمد خالد


بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون والذين
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

## هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



## فاس مدينة لا تبوح بأسرارها إلا للمحبين



## المهرج يبتلع صديق العمر


MIRINDA

# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٤ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ - فبراير ١٩٨٢م





**المراسلات :**

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ـ الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

**الأسعار:**

قطر ٤ ريالات
حرين ٢٥٠ فلسا
مارات العربية ٤ دراهم
ان ٢٠٠ بيسة
كويت ٢٥٠ فلسا
سعودية ٤ ريالات
مهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
من الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
راق ٢٥٠ فلسا
لكة الاردنية ٢٠٠ فلس
وريا ٢٠٠ قرش
ان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

**اشتراكات :**

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

**الإعلانات :**

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة أو المجلة

طبعت بمطابع على بن على — Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# في هذا العدد


خالد محمد خالد


د . عبد السلام العجيلي


عبد الله جفري


د . عبد المحسن صالح


● « محمد » في عيد مولده العظيم ... ... ... ... ...
خالد محمد خالد ٦
● الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان في فلسطين المحتلة
د . عبد القادر ياسين ١٠
● ذكريات « شعر » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
محمد الفهد العيسى ١٧
● الآن .. ما هو الثابت ؟ ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله جفري ١٨
● بائعو الاوهام ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد السلام العجيلي ٢٠
● جديد الأدب في شبه الجزيرة والخليج ... ... ...
د . محمد جابر الأنصاري ٢٢
● في عروبة البنفسج ( شعر ) ... ... ... ... ... ...
حسن طلب ٢٥
● اطفالنا ومجلاتهم ... ... ... ... ... ... ... ... ...
حصة العوضي ٢٦
● الفتنة بالشاعر اليوت خطر على الأدب العربي ... ...
د . عبد الله الطيب ٢٨
● كلام عن سيناء ... ... ... ... ... ... ... ... ...
درويش مصطفى الفار ٣٢
● في الملهى ( شعر ) ... ... ... ... ... ... ... ...
د . كمال نشأت ٣٤
● القدس ( شعر ) ... ... ... ... ... ... ... ... ...
ناهض الريس ٣٥
● الثلاجة ( قصة ) ... ... ... ... ... ... ... ... ...
مصطفى ابو النصر ٣٦
● الانسان بين التراث والآلة ... ... ... ... ... ... ...
ا . د . عبد الوهاب المسيري ٤٠
● ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي ... ... ... ... ٤٤
● دانه القطرية : مفاجأة المهرجان العربي الاول للتمثيلية التليفزيونية بتونس ... ... ... ... ... ... ... ٤٨
● هكذا ساهم الخط العربي في احياء العقيدة والتراث ...
فوزي تادرس ٥١
● أوديسا الفضاء ... ... ... ... ... ... ... ... ...
مجدي نصيف ٦٢
● اكل المال بالباطل ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . محمد زكي عبد البر ٧٠
● بين احضان الطبيعة ( شعر ) ... ... ... ... ...
علي الفقي ٧٥
● فنان عالمي ساخر يكشف مأساة الانسان ... ... ... ...
جمال قطب ٧٦
● الصفوف الامامية والصفوف الخلفية ( قصة ) ... ...
ديزي الامير ٨٠
● كل شيء أمامك دون أن تبرح مكانك ... ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ٨٣
● فاس : مدينة لا تبوح بأسرارها الا للمحبين ... ... ...
ابراهيم الصلحي ٨٨
● اسرار عالم الثعابين ... ... ... ... ... ... ... ...
د . محمد الغباشي ربيع ٩٢
● العشرة الزوجية في عالم الطيور والحيوان ... ... ...
د . عز الدين فراج ٩٨
● ليلة السبت في أثينا ... ... ... ... ... ... ... ...
مفيد فوزي ١٠٠
● المهرج يبتلع صديق العمر ... ... ... ... ... ... ...
صنع الله ابراهيم ١٠٤
● أكتوبر نوفمبر ( شعر ) ... ... ... ... ... ... ...
حبيب الصايغ ١١٥
● أدباء ومفكرون كالساعة ... ... ... ... ... ... ...
محمد فتحي عبد الفتاح ١١٦
● دمعة على عنتر ( قصة ) ... ... ... ... ... ... ...
عباس خضر ١٢٢
● ظاهرة الابداع وتأثيرها في الاقتصاد القومي ... ... ...
د . جلال شوقي ١٢٤
● مأساة مخرج يرفض الانحناء ! ... ... ... ... ... ...
رءوف توفيق ١٣٢
● ضحكات الشهر ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٤٠
● الورقة الأخيرة : من بعيد ( شعر ) ... ... ... ...
عبد العليم القباني ١٤٦

# كلمة

# تحية فلسطينية كريمة للدوحة

**تلقى رئيس تحرير الدوحة هذه الرسالة الكريمة من الأستاذ يس الشريف مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين فى الدوحة ، وهذا هو نص الرسالة :**



يس الشريف مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة التحرير الفلسطينية

مكتب قطر



الدوحة – صندوق البريد : ١٣٨ – هاتف : ٢٢٥٣١ برقياً : « تحرير »

التاريخ ١٤٠٢/٣/١٦
١٩٨٢/١/١١

الرقم ق ط/١٧/١

الأخ الكريم رئيس تحرير مجلة الدوحة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

يسعدني وقد اطلعت على العدد الاخير من مجلة " الدوحة " الغراء ، والتي صدرت بثوب فلسطيني مميز يعطي أكثر من دلالة على أن الكلمة المناضلة الصادقة تستقر في الوجدان الحر شعاع أمل ، وتتجذر في النفس آفاق اشراق شمولي يعبر بالمناضلين المخاضات الصعبة وما اكثرها في زمن المعاناة الذى نعيشه جميعا .

وقد وجدت لزاما علىّ أن أكتب مقدرا لاخ عزيز جهدا مشكورا بذله ، واختيارا موفقا انتقاه ، ليجعل من غلاف العدد الاخير تلك اللوحة الرمزية بمفتاح العودة في ذكرى انطلاقة الثورة في وقت تغافلت فيه العديد من المجلات العربية هذه المناسبة .

وختاما . . . ابعث بعاطر الشكر وصادق التقدير للاخ الكريم ولاسرة تحرير المجلة التي نتمنى لها الاستمرار في حمل راية الكلمة الحرة الكريمة ، وتأدية رسالتها الانسانية والثقافية والحضارية لخدمة امتنا واجيالنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

أخوكم

يس الشريف




غلاف عدد يناير ١٩٨٢ من «الدوحة» بريشة الفنان حلمى التونى

وليس لنا من تعليق على رسالة الأستاذ يس الشريف إلا بان نقول : إننا نعتز بهذه الرسالة ، التى تنبض سطورها بالروح الفلسطينية العزيزة على قلب كل مسلم وعربى ، ونؤكد أن «الدوحة» حرصت ، وسوف تحرص دائماً على أن تساهم فى التعبير عن قضية فلسطين والكشف عن جوانبها المختلفة ومتابعة ما يجرى على ساحتها من احداث وتطورات .. وذلك هو الموقف الثابت لمجلة الدوحة ، تنطلق فيه مستوحية سياسة قطر الواضحة المحددة فى التأييد الكامل والمطلق لقضية فلسطين ولكل حقوق شعب فلسطين وكفاحه العظيم المليء بالالم والبطولة والاصرار والايمان ... إن «الدوحة» ما هى إلا مؤسسة اعلامية تؤدى واجبها ، وتحمل رسالتها ، ضمن سياسة وزارة الاعلام فى قطر ، وسياسة قطر كلها فى مختلف الميادين .

تحية لشعب فلسطين ، وللأستاذ يس الشريف ممثل هذا الشعب الصامد فى قطر ... ولسوف تبقى «الدوحة» دائماً سلاحاً للأمة العربية والاسلامية فى الدفاع عن قضايانا الغالية وعلى رأسها قضية فلسطين ... وسوف تعمل «الدوحة» على الاستفادة من توزيعها الواسع الذى يصل بها الى كل مكان عربى من أقصى المحيط الى أقصى الخليج فى أن تحمل العطر الفلسطينى ، من قطر ، الى كل مواطن عربى أينما كان .

«الدوحة»



# محمد
## في عيد مولده العظيم

لم تفت مناسبة الحديث عنه ، وما كنا عنها بغافلين .. فنحن لا نزال فى الأيام التى فى مثلها أهل على الدنيا أشرف الخلق وخاتم الرسل منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام .

اسمه محمــد ، واسم أبيه عبد الله ، واسم أمه آمنة .. وإنه ليأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق . ويحب ويكره ، ويرضى ويسخط ، ويعافى ويمرض ، ويصحو وينام ..

هو إذن بشر مثلنــــا ولكن أى بشر كان ..؟؟ وأنى له تلك الحياة التى عاشها طولا وعرضاً ، وأودعها جليل العمل ، ومعجز القول ، وطاهر السلوك ؟

هذا اليتيم ، الذى أخذ مكانه بين آباء البشرية ورعاتها .. الأمى ، الذى أخذ مكانه فى الذروة بين هداة الحياة وأساتذتها .. العربى ، الذى حمل وحملت أمته من بعده مشعل الحضارة ومنحوا مدنية الانسان ثراء لا يغيض .

إنه من طينتنا ، ومن طبيعتنا .. لم يخلق من نور ولا من نار .. ولم يكن بين العالمين أول موجود .. ولم تحط بمولده تلك الخوارق التى نسجتها أساطير المؤمنين .

جاء الدنيا كما جئتها أنت ، وأنا ، والآخرون ..

لم يهبط من السماء فى كوكبة من الملائكة ، ولم يعش بين الناس ملكاً ، بل بشراً .

وهو – عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام – كان يعرف هذا ويعتز به .

وكان دائم الأعلان عن بشريته ، حتى لكأنه يرى فيها وحدها مناط عظمته وفخاره .

أينا يجد الشجاعة ليتحدث فى ملأ من الناس عن أمه بهذه الصيغة التى تحدث بها حين قال للأعرابى الذى وجل من هيبته حين أدخل عليه : « هون عليك فأنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » .. ؟ !!

ألا حياه الله من انسان ، وحياه الله من رسول ..



وكما ولد بشراً ، عاش حياته بشراً .. وما نظن أن ملائكة هبطوا من السماء يحملون إناء من ذهب ، حيث شقوا صدره الشريف وانتزعوا منه مسكن الشيطان ، ثم غسلوه بماء الورد ، وأعادوه كما كان !!

بقلم
خالد محمد خالد

ولو حدث هذا ما كان له - إذن - كبير فضل فى عظمة نفسه، وجليل نسكه، وبناء شخصيته.

لكن الذى حدث هو أن الله سبحانه خلى بين « محمد » ونفسه، ليصارع رغباتها، ويتفوق على كل أهوائها، ويحقق استعداداً فذاً وأهلية كاملة للرسالة العظمى التى سيحملها فى ميقاتها المعلوم .. وبهذا، تتألق فيه عظمة الانسان وعظمة الرسول.

ذلك انه جاء ليكون قدوة، فلو صاغت فضائل نفسه قوة خارقة، وسارت حياته خارج قوانين الحياة وأسبابها المألوفة، لبطل معنى القوة وتعذر التأسى، ولصار للمطالبين بالايمان به، واتباعه عذر صادق فى إعلانهم العجز عن اللحاق به.

كيف - إذن - بلغ هذا الرسول العظيم ما بلغ، وكيف طبع الحياة الانسانية بطابعه الخالد الوثيق؟ ؟

لاشك أن اصطفاء الله له كان خليقاً بأن يختصه برعايته ونفحاته، ويؤيده بروح من عنده، ويبسط عليه يد رحمته وعنايته وتوفيقه. لكن ذلك كله يتم داخل إطار بشريته.

والذين بهرتهم عظمته معذورون. فرسول الله هذا الذى أرسله الله إلى الناس فى قيظ الحياة، وجعله رحمة مهداة - كان نسقاً من البشرية جد عظيم وجد فريد.

ومن أى النواحى جئناه وجدنا ألقاً يبهر الأعين والألباب. لقد ظفر من نعم الله بالقدر الذى جعله أهلا لحمل رايته، والتحدث باسمه .. بل وجعله خاتم أنبيائه ورسله.

ومهما تتبار القرائح والأقلام متحدثة عنه، عازفة أناشيد عظمته، فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها، ولم تحرك بالقول لسانها .. وتبقى الصفحات المتحدثة عنه مهما تبلغ من الضخامة والكثرة مجرد « بنان » تومىء فى استحياء إلى القليل القليل من سمات تفوقه وعظمته .. !!

هذه العظمة التى جعلت أفئدة الناس تهوى إليه، والتى جذبت نحوه فى ولاء منقطع النظير كل الذين آمنوا به والتفوا حوله، ورأوا فيه الهدف والطريق، والرسول والمعلم والأب والأخ والصديق. !! ترى أى سر جعل أشراف مكة والمدينة يهرعون إليه ويؤمنون به ويبايعونه على أن يخوضوا معه البحر والهول إذا دعاهم لخوضهما .. وما الذى جعل فقراء مكة والمدينة الذين اتبعوه يصدقون أن الدنيا ستفتح عليهم أقطارها، وأن أقدامهم ستخوض فى ذهب العالم وتيجانه .. وأن هذا القرآن الذى يتلونه فى استخفاء ستردده الآفاق عالى الصدح قوى الرنين، لا فى جيلهم فحسب ولا فى جزيرتهم فحسب. بل عبر جميع الزمان وجميع المكان ؟!

ما الذى جعلهم يصدقون نبوءات الرسول، وهم الذين يتلفتون حولهم، فلا يجدون أمامهم وخلفهم، وعن ايمانهم وعن شمائلهم سوى القيظ والسغب، وحجارة تلفظ فيح الحميم وشجيرات يابسة طلعها كأنه رءوس الشياطين ..

ما الذى ملأ قلوبهم باليقين وبالعزم ؟؟

إنه « محمد » بكل عظمة نفسه وسمو فضائله، وبكل ما حباه الله به من نور فى شخصيته، ومن خلق عظيم.



وإذا بهرتنا جميع خصائصه المتفوقة وخصاله المتألقة، فأن أمانته على مسئولياته كرسول أمة وبانى دولة تستأثر منا بالاهتمام الشديد.

مسئوليته عن دينه ودعوته،

ومسئوليته عن صحبه وأمته،

ومسئوليته عن الحياة والأحياء جميعاً، حتى الهرة التى أخبرنا أن امرأة دخلت النار بسببها حين حبستها فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .. وحتى الكلب الذى أخبرنا عنه أن بغياً دخلت الجنة وشكر الله لها حين رأته يلهث من العطش، فخلعت خفها وأدلته الى ماء البئر وسقته رحمة به وحناناً عليه !! .. مسئولية رسول أمين، وحاكم أمين، وأخ للبشرية وللحياة كلها. حان عليها وبر بها وأمين.

تتجلى مسئوليته عن دينه ودعوته حين لم يجعل التخلى عنهما أو المجاملة فيهما ثمناً لسلامته من الأذى والخطر، بل ومن الموت الذى كان يبدو محققاً .. وهكذا سمعته الدنيا كلها وهو يقول لعمه ساعة بدا أنه ينوء بعبء مناصرته : «والله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» !!! ..

لم يكن سيد الرجال فحسب، بل كانت كلماته رجالا !! ...

وتتجلى مسئوليته عن الدين والدعوة حين رفض أن يكونا موضع مساومة ستفضى به الى النصرة والمنعة.

ففى تلك الأيام اللافحة القائظة، وقد رحل عنه الى الآخرة عمه أبو طالب وزوجه خديجة، وتألبت القبائل ضده فى حنق وسعار ... ورفضت فى خسة ونذالة إيواءه أو مسالمته، عرض نفسه على

# محمد في عيد مولده العظيم

قبيلة بنى عامر بن صعصعة ، وراح يحدثهم عن الله ويتلو عليهم آياته ويسألهم النصرة حتى يبلغ دعوة ربه ، فسأله زعيمهم قائلا : «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك . أيكون لنا الأمر من بعدك» ؟؟ .

وهنا يجيبهم الصادق مع الله ، ومع نفسه ، ومع الناس : «الأمر لله يضعه حيث يشاء» !!

عندئذ انفضوا عنه قائلين «لا حاجة لنا بأمرك» ..



وكان عليه السلام يمارس الأمانة هذه وهو على وعى كامل بقيمتها ، وإدراك سوى لمضمونها .. لم تكن عنده كما هى عند الناس اليوم مجرد المحافظة على وديعة أو عارية . بل كانت حفاظاً رشيداً لوديعة الحياة كلها .

وبهذه المثابة اتسعت الأمانة عنده لكل فضيلة . فهو صادق ، ووفى ، وشجاع وجواد ، ودءوب : لأن أمانة مسئولياته تتطلب أن يكون ذلك جميعه .

وتبدأ الأمانة عنده مع نفسه ، فلا يبتذلها فى موقف أبداً ، حتى تلك المواقف التى لا يعتبرها العرف ابتذالا ..

تصوروا إنساناً لا يمد رجله فى مجلس أبداً .. ولا يقهقه أبداً .. ولا يتلفت خلفه وهو يسير ..

وكما قال البوصيرى :

ضحكه التبسم ، والمشى الهيونا ، ونومه الاغفاء .

وإنه ليحمل تبعات أمانته طفلا ، ويافعاً ، وفتى ، ورسولا ..

ففى طفولته لا يسرف فى التلهى واللعب ويقول : «أنا لم أخلق لهذا» !!

وفى شبابه يصون نفسه عن أن تفقد كرامتها أمام صنم يخر له ساجداً وعابداً ، ويلتزم الصدق المطلق ، والعفة المطلقة ، والكمال الميسور ، ويلقبه قومه بالأمين ..

وفى مطلع رسالته تتجلى أمانته على دينه فى مواجهته العذاب ، والسخرية ، والمشاق دون تململ . وبتفوقه على المغريات التى تفتن كل رجل طماح ، والتى نثرتها قريش تحت قدميه وهى تحاوره أو تساومه وتعده بالمال حتى يكون اغناهم ، وبالجاه والمجد حتى يكون سيدهم ، وبالملك حتى يتوج ملكاً عليهم !!

وذات ليلة تفتقده زوجه «خديجة» فى بهمة الليل وسواد الظلام .

وأخيراً تعثر عليه يعانق الأرض فى سجود طويل . وبعد أن ينهى صلاته تناديه فى رفق : «حسبك يا رسول الله ، وهيا الى النوم فقد أجهدت نفسك» .

فيجيبها فى رهبة الواعى لمسئولياته الأمين عليها : «انتهى عهد النوم يا خديجة» !! ..

أجل انتهى عهد النوم يا خديجة .. تلك هى القضية !! قضية رجل لم يعد يملك نفسه ولا راحته .. لم يعد يرى لنفسه حقاً حتى فى الراحة !!

إنها الأمانة على مسئولياته ، ومسئوليات دوره الجديد والفريد الذى اصطفاه الله له ، والذى أعد نفسه له بعظائم الخصال ، ومكارم الأخلاق .

أجل . تلك هى القضية ..

قضية رجل تراكمت الأموال بين يديه بعد نصر الله له ، فلم يتغير ، ولم يأخذ منها لنفسه ولا لأهله مطمعاً ، ومات ودرعه مرهونة !!

قضية رجل دانت الجزيرة لدعوته ، ووقف كثيرون من ملوك الأرض وحكامها أمام رسائله التى دعاهم بها الى الاسلام ضارعين وجلين . فما استطاعت ذرة من زهو أو كبر أن تقترب من نفسه ، ولو على بعد فراسخ !! ..

قضية رجل ألقى كل أعداء دينه السلاح ، ومدوا اليه أعناقهم صاغرين ، ليحكم فيهم بما يرى . بينما عشرة آلاف سيف تتوهج تحت حرارة وضياء شمس الفتح ، فما زاد على أن ناداهم : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» !!

قضية رجل تملأ راياته الأفق عزيزة ظافرة ، بينما هو فى مسجده المتواضع يخطب المسلمين ويناديهم : «من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتد منه . ومن كنت أخذت له مالا ، فهذا مالى فليأخذ منه» !! ..

قضية رجل يسأله عمه العباس رضى الله عنه أن يستعمله على احدى الولايات فيصرفه فى رفق وهو يقول : «إنا والله يا عم ، لا نعطى هذا الأمر أحداً يسأله ، أو أحداً يحرص عليه» !! ..

قضية رجل لا يشارك الناس ما ينزل بهم من خصاصة وحسب . بل يضع لنفسه ولأهل بيته مبدأ لا يحيدون عنه هو : «أن يكونوا أول من يجوع اذا جاع الناس ، وآخر من يشبع إذا شبع الناس» !! ..

قضية رجل يقول بحق وصدق : «والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها» !! ..

قضية رجل تلم ظاهرة الكسوف بالشمس يوم وفاة ولده الحبيب «ابراهيم» فيتحدث المسلمون بأنها كسفت حزناً على «إبراهيم» فيسارع الرسول الأمين الى تفنيد هذا الزعم ودحض هذا الهاجس ، قبل أن يتحول الى أسطورة ، ويقف فى المسلمين خطيباً ويقول : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته» !! ..

ماذا عليه لو سكت ، وأضيف هذا الهاجس لأمجاده ؟!..

ولكن لا ، فهو الأمين على عقول الناس وتفكيرهم .. وقيامه بحق هذه الأمانة خير عنده وآثر لديه من ملء الأرض مجداً أو حمداً ..

قضية رجل يعلم أن الله قد اختاره

ليختم به المرسلين ، ويعلم أنه ليس رسولا الى قريش وحدها ، ولا الى شبه جزيرة العرب وحدها . بل هو رسول الله الى الناس كافة .. وقد فتح الله بصيرته على المدى البعيد الذى ستبلغه دعوته ، وتخفق عنده رايته .. ورأى رأى اليقين مستقبل الدين الذى بشر به ، والخلود الحى الذى سيكون له الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ورغم ذلك كله ، لم ير فى نفسه ، ولا فى دينه ، ولا فى نجاحه المذهل أكثر من «لبنة» فى بناء كبير !!

ووقف الانسان العظيم والرسول الكريم يعلن ذلك ويقول : «مثلى ومثل الأنبياء قبلى ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين» !! ..

أقول : تلك هى القضية .. قضية رسول عظيم ميزت شخصيته أمانته على مسئولياته ، وبهرت هذه الأمانة فيه أفئدة أعدائه قبل أصدقائه .. ولم يكن فى حياته مطمح يحث نحوه الخطى ، ويتبتل لبلوغه تبتل الأبرار سوى الوفاء بما عليه من حق تجاه هذه المسئوليات .

وهذه القضية تشكل جوهر أخلاقه ، وجوهر مبادئه ودعوته .. فاذا كان الدين – أى دين – يتطلب رجالا من أولي العزم ليشقوا الصخر فى طريقه ، ويهيئوا الأرض لتقبل غراسه واحتضان بذوره ، فان هؤلاء الرجال لن يكونوا رجالا إلا بقدر ما يكون ولاؤهم لمسئولياتهم عظيماً .

من أجل ذلك راح سيدنا محمد يعطى القدوة ، وينشىء الرجال ويصنع الأحرار .

وإن عيد مولده فى هذا العام وفى كل عام لينادى المسلمين ،لاسيما الحكام منهم والأمراء ، أن يكونوا أمناء على مسئولياتهم تجاه الدين ، وتجاه الأمة .

وأن يذكروا أنهم لن يمكن لهم فى الأرض إلا بقدر ما يمكنون لدين الله وكلماته ، وإلا بقدر ما يمكنون شعوبهم من تحمل مسئولياتهم بالمشاركة الكاملة فى توظيف حياتها وتقرير مصيرها .

ومن يتقاصر به الجهد عن بلوغ هذه الغاية ، فقد ظلم نفسه ، وظلم أمته معه .

لقد كان الرسول يدرك أن المسئولية جسيمة ، وأنه لن يستطيع وحده أن يقوم بها .. من أجل ذلك راح يذيب فى أصحابه ارادة التهيب ويضع مكانها رجولة الرجال وتقحم الأحرار .

وهكذا نحن اليوم ، لن يستطيع حاكم مهما اشتد بأسه أن يتحمل وحده المسئوليات الشداد ..

وكلما كثر الأحرار حوله توزعت عليهم المسئوليات .

فلننم رصيدنا من الرجال ، ورصيدنا من الأحرار .

## حـــــول إخـــــوان الصـفـــــا

طالعت فى العدد ٧٢ من مجلة الدوحة ما كتبه الحاج عبد الأمير علوش مناقشاً ما ورد عنهم فى مقالى « أنا أفكر ، إذن أنا مسلم » ..

وإنى أولا ، لأشكر السيد على اهتماماته العلمية والثقافية ، ومناقشته الواعية لما يعرض الفكر من قضايا وآراء .

ثم أذكر السيد والقراء معه اننى لم أكن بصدد عرض فلسفة إخوان الصفا ولا بصدد مناقشتهم فيما ذهبوا إليه من اقتناع ورأى .

إنما ضربتهم مثلا لا غير لما يفيئه الاسلام ، أو لما يفيئه الفكر الاسلامى على ذويه من حرية سابغة ومتراحبة .

أما مناقشة فلسفتهم ، فيمكن أن يكون لها مجال آخر .

ولم يكن من الصواب أن أستبعدهم من دائرة الاستشهاد على حرية الفكر فى الاسلام لمجرد أن البعض حكم عليهم بالكفر .

فالذى يقرأ تاريخ الفقه الاسلامى فى عصره الأول يرى كيف كانت تهمة التكفير تلاحق الكثيرين من الأعلام الأفاضل ، بل وتطارد بعض الأئمة الكبار . ويرى كيف كان أنصار بعض المذاهب يحكمون ببطلان صلاة الذين على غير مذهبهم ، ويحرمون مناكحتهم ومعايشتهم بينما يرون ذلك مباحاً مع اليهود والنصارى أهل الكتاب .. !!

ولقد حكم بالكفر على رجال عظام من أمثال « ابن رشد » واضطهدوا ، لأنهم أنسوا من الاسلام حرية تفكير وتعبير ، فراحوا يهتفون باقتناعهم فى غير وجل ولا زيف .

إن ديناً سماوياً ، أو وضعياً ، لم يمنح الانسان حقه فى استخدام العقل مثلما منح الاسلام – فلماذا نغمط الاسلام هذا الشرف .. ؟

وأين تكون حرية الفكر إذا كان كل مخالف لنا كافراً وزنديقاً .. ؟ !

ومرة أخرى ، لست بصدد مناقشة ولا بصدد تقييم أو تقويم فلسفة إخوان الصفا . إنما أعرضهم كمفكرين إسلاميين استثمروا حرية الفكر فى الاسلام أوسع استثمار .

خالد محمد خالد

# الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

بقلم
الدكتور عبدالقادر ياسين

في العاشر من كانون الأول ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة أول تعريف دولي لحقوق الانسان هو « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » .

وقد أدرجت الحقوق الواردة في هذا الاعلان في اتفاقيتين دوليتين هما اتفاقية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية واتفاقية الحقوق المدنية والسياسية . وكانت الجمعية العامة قد وافقت عليها بالاجماع عام ١٩٦٦ . وتلتزم جميع الحكومات التي تصدق على الاتفاقيتين التزاماً قانونياً بتطبيق كافة حقوق الانسان المدرجة في الوثيقتين .

ومنذ ذلك الحين اهتمت الأسرة الدولية بشكل لم يسبق له مثيل بحماية حقوق الانسان الفردية والجماعية . ونتيجة لهذا الاهتمام تم وضع قائمة بحقوق الانسان المعترف بها دولياً وقد ادرجت هذه الحقوق في مواثيق ومعاهدات واتفاقيات وبروتوكولات . ومع ذلك لازالت هذه المواثيق دون تنفيذ . وعلى الرغم من انه جاء في اعلان قيام الكيان الصهيوني في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ ان « الدولة ستعمل لخير كل سكانها وعلى أساس الحرية والعدالة والسلام ، وستعمل على المساواة الكاملة في الحقوق السياسية والاجتماعية لكافة المواطنين دون تمييز على اساس العقيدة أو العرق أو الجنس » وقد شكلت الممارسات الصهيونية ، منذ البداية ، خرقاً صارخاً لأبسط قواعد حقوق الانسان ابتداء بالاحتلال الأرض والارهاب الذي تشهد عليه مذبحة دير ياسين الجماعية في التاسع من نيسان ١٩٤٨ والذي قتل فيها نحو ٢٥٠ شخصاً (١) وطرد السكان المدنيين اثر موجة الأرهاب التي ساهمت في تفريغ قرى بكاملها مثل : صفد وقالونية وبيت اكا (٢) .

وما زالت « اسرائيل » مستمرة في انتهاك حقوق الانسان ضاربة عرض الحائط العديد من قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة التي اعترفت بأن للشعب الفلسطيني الحق في « حقوق متساوية في تقرير المصير (٣) طبقا لميثاق الأمم المتحدة » . وقد طالبت المنظمة الدولية في العشرات من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة بضرورة السماح للشعب الفلسطيني بالعودة الى وطنه وممارسة حقوقه الوطنية .

وتؤكد التقارير الصادرة عن الهيئات القانونية التابعة للأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية - بما لا يدع مجالا للشك - استمرار العدو الصهيوني في انتهاكه لحقوق الانسان في الوطن المحتل منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا . ومن ابرز الدلائل على ذلك :

أولا : ما ذكرته صحيفة « الواشنطن بوست » الامريكية مؤخراً نقلا عن برقيات واردة من القنصلية الامريكية في القدس أن المعتقلين السياسيين العرب في « اسرائيل » يتعرضون لعمليات تعذيب منتظمة خلال استجوابهم . وتقول الصحيفة « ان أعمال التعذيب هذه تشمل التبريد لدرجة التجمد واستخدام اشكال التعذيب وعدم توفير الغذاء » (٤) .

ثانياً أصدرت الرابطة الاسرائيلية لحقوق


حلمي التوني ٨٢

# الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

الانسان بيانا ، فى أيلول الماضى نددت فيه بتعريض العديد من الطلبة العرب الى قيود وتفتيش ليلي وتقديم تقارير للشرطة بسبب اصدارهم بيانا يعبر عن أرائهم . وجاء فى البيان أيضاً أن هذا يعتبر طرداً للطلاب من الجامعة . وهو عبارة عن خطوة غير ديموقراطية ضد حقوق الانسان فى «اسرائيل» اذ انها تعطى الشرطة حق الملاحقة والتنفيذ دون السماح للمتهم بالكلام أو الدفاع عن النفس (٥) .

ولقد قام العدو الصهيونى بوضع العديد من التشريعات التى تهدف الى الغاء الصفة الفلسطينية وتقييد حرية الحركة ، وقامت الحكومة العسكرية بتشريع وممارسة ما من شانه إبعاد الأهالى ومنع عودتهم . ومن القوانين التى ساعدت فى تحقيق انتهاك حقوق الفلسطينيين قوانين الدفاع والطوارىء لعام ١٩٤٥ ، وقوانين الدفاع (المناطق الأمنية ) لعام ١٩٤٩ ، وقانون املاك الغائبين لعام ١٩٥٠ ووضع أملاك الفلسطينيين تحت الحراسة ، وقانون استغلال الأراضى غير المزروعة ، وقانون العودة لعام ١٩٥٠ ، وقانون الجنسية لعام ١٩٥٢ (٦) .

ولا يتسع المجال الا لاستعراض بعض الأمثلة المأخوذة من مصادر عديدة والتى تؤكد انتهاك العدو « لحقوق الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة»:

## الاضطهاد السياسى :

تنص المادة الثانية من « الاعلان العالمي » « لحقوق الانسان » ان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الاعلان بصرف النظر عن الجنس واللغة أو الدين أو الرأى السياسي أو أى رأى آخر ، أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الميلاد أو أى وضع آخر ، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء . وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أى تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولى للبلد أو البقعة التى ينتمى اليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتى أو كانت سيادته خاضعة لأى قيد من القيود . كما جاء فى المادة التاسعة عشرة أن لكل شخص الحق فى حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » .

لكن حرية التعبير والتنظيم التى وردت فى الاعلان ليس معترفاً بها للفلسطينيين . فقد جاء فى صحيفة « هارتس » الصهيونية الصادرة فى ١٩٧٣/٥/٧ ان الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله الغي تصاريح تجار رام الله والبيرة باستيراد المواشى فى الضفة الشرقية واعلن انه لن يسمح بتسليم مبلغ ١٠٠ر٠٠٠ دولار تبرع بها المهاجرون الفلسطينيون من رام الله وذلك بسبب اضراب سلمى قام به سكان المدينة (٧) .

لا تسمح سلطات الاحتلال « لرؤساء البلديات فى الضفة الغربية وغزة الا بالقليل من النفوذ ، وتحتفظ للحاكم العسكرى بحق البت فى كل القرارات الهامة ». ويقول بسام الشعكة رئيس بلدية نابلس ان «اسرائيل» تحاول التقليل من سلطة رؤساء البلديات بجعل ارتباط الناس وتعاملهم المباشر مع الحكام العسكريين فى كل منطقة (٧) وبالاضافة إلى ذلك فان رؤساء البلديات ليسوا محصنين ضد الاهانات التى تصيب باقى الفلسطينيين ، وقد وصف كريم خلف رئيس بلدية رام الله حادثاً حصل معه فى ١٩٧٦ عندما استقال هو وغيره من رؤساء البلديات احتجاجاً على قمع سلطات الاحتلال لمظاهرات الطلاب الفلسطينيين ويتلخص فى أن الجنود الاسرائيليين اقتحموا منزله وجمعوا أقاربه وأطلقوا النيران فوق رؤوسهم (٨) .

قامت « لجنة الطلاب العرب فى الجامعات الاسرائيلية » بتوزيع بيان اعلنوا فيه تأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية . وفى اليوم نفسه اعلن الحاخام مائير كاهان رئيس « عصبة الدفاع اليهودية » الصهيونية المتطرفة أن الطلاب العرب يعتبرون بمثابة « قنبلة موقوتة فى الدولة اليهودية » وطالب بطردهم من الجامعات وانزال اقصى العقوبات بحقهم (٩) .

أعلن العمال والمستخدمون الفلسطينيون فى بلدية الناصرة اضراباً وذلك احتجاجاً على المعاملة السيئة ، والمطالبة بالمساواة مع زملائهم اليهود . فعلى سبيل المثال تلقت بلدية الناصرة العربية والتى يسكنها ٤٥ر٠٠٠ نسمة ٤ر٥ مليون دولار بينما حصلت الناصرة العليا حيث يسكن ١٨ر٠٠٠ يهودى على ٨ ملايين دولار (١٠) .

## العقوبات الجماعية

نصت المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف على انه « لا يجوز معاقبة شخص لمخالفة لم يرتكبها شخصياً » . ونصت المادة ٢٢ من الاعلان العالمى لحقوق الانسان انه ( لا يتعرض احد لتدخل تعسفى فى حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته . ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات) . بيد ان سلطات الاحتلال الصهيونى لا تقيم وزناً للأعراف والمواثيق الدولية . وهى لا تتردد فى فرض حظر التجول . وفرض الحصار على المناطق والقرى والمخيمات الفلسطينية واطلاق الرصاص دون سابق انذار على كل من يخالف ، وفرض القيود على بيع المنتوجات وحتى تدمير المنازل وتدمير قرى بأكملها . وسنكتفى هنا بعرض بعض الأمثلة التى تتحدث عن نفسها :

● دمرت سلطات الاحتلال بلدة قلقيلية عام ١٩٦٧ بالديناميت ونهبتها . كذلك تم تدمير وطمس قرى عمواس وبيت نوبا ويالو (١١) .

● ذكرت صحيفة « تسوهاديريخ » الصادرة فى ١٩٦٩/٥/١٤ ان منزل السيدة عايدة عيسى سعد فى غزة نسف فى ١٩٦٩/٣/٢٠ م رغم انه ليس ملكها أو ملك والديها . وعندما سئل وزير الدفاع الصهيوني موشيه دايان عما اذا كان هذا العمل من قبيل المسؤولية الجماعية للعائلة عن أفرادها اجاب « نعم » (١٢) .

● يفرض منع التجول على قرى باكملها انتقاماً لاضراب أو تظاهرة . فى عام ١٩٧٦ على سبيل المثال فرض منع التجول غير مرة على مدن الخليل وجنين ورام الله ونابلس والبيرة وحلحول وطولكرم وعلى المخيمات الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وكل هذه الاجراءات كانت تتبع تظاهرات معادية للاحتلال (١٣) .

● دمرت بيوت لأشخاص من المعتقد ان لهم علاقة بالارهاب وفى حالات أخرى اغلق

المنزل وطرد سكانه مع عائلاتهم . وفى السنة الماضية دمر منزلان على الأقل واغلقت ستة منازل أخرى (١٤) .

## طرد الأهالى وترحيلهم

تنص اتفاقية جنيف الرابعة على أنه لايجوز «نقل الأفراد أو الجماعات بالقوة وترحيل الأشخاص المحميين من اراضى محتلة الى اراضى القوة المحتلة أو الى أى بلد أخر محتل أو غير محتل مهما كانت الدوافع » . ونصت المادة التاسعة من « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » على انه« لا يجوز القبض على أى انسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً » . ونصت المادة الثالثة عشرة من الاعلان على أن « يحق لكل فرد ان يغادر اية بلاد بما فى ذلك بلده كما يحق له العودة اليه » ونورد فى ما يلى بعض الأمثلة التى تشير الى انتهاك العدو لهذه المواثيق :

● « جاء فى صحيفة « معاريف » الصهيونية الصادرة فى ١٩٦٨/١٠/٣٠ ان عشرة فلسطينيين معروفين طردوا الى الأردن ومن بينهم رئيس جمعية المعلمين فى الضفة الغربية ورئيس جمعية الهلال الأحمر وثلاثة معلمين ومفتش فى التعليم » (١٥) .

● ذكرت صحيفة هارتس ( ٧٩/١٠/٢٨ ) ان امراتين هما أمينة سر الجمعية النسائية فى نابلس وابنتها طردتا الى الضفة الشرقية لنهر الأردن (١٦) .

● وجاء فى هارتس ١٩٦٩/٥/٢١ ان قبيلة بدو بأكملها طردت من وادى الأردن (١٧) .

● « فى الساعة ١١ر٣٠ مساء فى ١٩٧٤/١١/٢٠ تلقي الدكتور حنا ناصر رئيس جامعة بيرزيت مكالمة هاتفية من الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله تدعوه فوراً إلى مكتب الحاكم العسكرى . وايقظ الدكتور ناصر عدداً من اعضاء الهيئة التدريسية فى جامعة بيرزيت واخذهم معه . وفي مكتب الحاكم العسكرى فصل الدكتور ناصر عن باقى أعضاء الهيئة التدريسية وبعد ساعة اخذت اوراقه الثبوتية واحاط به مجموعة من الجنود وعصبت عيناه ووضعت السلاسل فى يديه ووضع فى سيارة كان فيها ثلاثة فلسطينيين – مهندس ومدرس وطبيب أسنان ، واخذ الأربعة الى الحدود اللبنانية واجبروا على الدخول الى الأراضى



اللبنانية عبر تضاريس جبلية وحقول الغام . ولم توجه أى تهمة لأى منهم لكنهم اتهموا بعد طردهم بالانتماء إلى منظمة التحرير الفلسطينية . ويقول الدكتور ناصر ان لا أحد منهم كان له علاقة بالمنظمة » (١٨) .

● نشرت جمعية الأمريكيين للسلام في الشرق الاوسط تقريراً في كانون الاول ١٩٧٧ جاء فيه ان ١٥٠٠ فلسطيني من الضفة الغربية وغزة طردوا منذ عام ١٩٦٧ من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية ... ويحتوي التقرير على أسماء الذين طردوا وتواريخ الطرد والأعمار والمهنة ومكان السكن ومصدر المعلومات . (١٩)

## الاعتقال الادارى واوضاع السجون

● تنص المادة الخامسة من «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» على ان «لا يعرض أي انسان للتعذيب ولا للعقوبات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة» وتنص المادة الحادية عشرة على أن «كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً حتى تثبت إدانته قانونياً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه».. الا أن عدداً لايحصى، من التقارير الرسمية تؤكد استخفاف العدو بالاعتراف بالمواثيق الدولية :

● فى عام ١٩٧٥ اعترفت سلطات الاحتلال الصهيوني بوجود ١٨٠٠ معتقل اداري في المناطق المحتلة . ويمضي الكثيرون من هؤلاء فترة طويلة دون محاكمة ، وأحياناً يطلق سراحهم قبل تقديمهم للمحاكمة ، ويوافق الكثير منهم على الهجرة أو كما يطلق على الموضوع رسمياً «يوافقون على طردهم» . (٢٠)

● ذكرت صحيفة «تسوهاديريخ» الصادرة في ٦٨/٩/٤ أن المعتقلة عبلة طـه قالت في مقابلة مع المحامية فيليسيا لانغر انها تركت عارية بعد اعتقالها لمدة ثمانية أيام في زنزانة ، وضربت بوحشية حتى بدات تنزف . ذلك انها كانت حاملا ورفض طلبها للعلاج . كما روت لطيفة الحوراني للمحامية قصة مماثلة . (٢١)

● اعتقل الطالب عبد الرحمن الجاسم في تشرين الاول ١٩٦٨ وهو طالب ثانوي من غزة وبقي ١٠ أشهر ينتظر المحاكمة واحتج على التعذيب ثم الغيت تهمته ولكن لم يطلق سراحه وبقي في المعتقل . (٢٢)

● اعتقل الطالب حسن عيسى الباطات وعمره ١٥ عاماً وذلك في عام ١٩٦٨ بتهمة عدم وجود بطاقة «هوية» معه ، ورغم انه فسر للسلطات أنه لا يعطى بطاقة هوية لان عمره ١٥ عاماً فقط الا انه اخذ الى سجن الخليل وضرب على رأسه وتوفى بعد ساعات من الافراج عنه وقال طبيب محلي أن سبب الموت إصابة في الدماغ . (٢٣)

● ذكرت جمعية الصليب الاحمر الدولي في تقريرها لعام ١٩٦٨ أن عدداً من المعتقلين يتعرض للتعذيب أثناء الاستجواب من قبل الشرطة العسكرية ويأخذ التعذيب الأشكال التالية :

- التعليق من الأيدي لساعات حتى يفقد المعتقل وعيه .
- الحرق باعقاب السجاير
- الضرب على الأعضاء التناسلية
- الربط وعصب الاعين لايام طويلة
- عض الكلاب
- استخدام الكهرباء على الرأس والفم والصدر والاعضاء التناسلية . (٢٤)

● وجاء في تقرير جاء عن لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة «ان الصور التي تكونت لديها تشير الى أن المعتقلين في الأراضي المحتلة يتعرضون لمعاملة لا يمكن وصفها بشيء غير أنها تعذيب» . (٢٥)

● هناك دلائل تشير الى أن التعذيب يحصل في السجون الاسرائيلية بشكل منتظم وليس عملا يقوم به بعض المحققين بشكل فردي لكن الواضح ان المسؤولين الاسرائيليين الكبار على علم تام بكل ما يجري حيث ان هناك معسكراً مخصصاً لهذا الغرض وقد

# الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

تاكدت صحيفة «صنداي تايمز» اللندنية من ان هذا الموقع هو على الأغلب سجن الصرفند وتقول الصحيفة أن هناك زنازين صغيرة بدون نوافذ يوضع فيها المعتقلون في الفترات ما بين التعذيب . (٢٦)

● ويحدث ان يختفي سجناء ولا تعرف أسرهم عنهم شيئاً ومن هذه الحالات : وجدي قمحاوي (٢٧ عاماً) محمد زايد (٤٤ عاماً) – بسام هندي (٢١ عاماً) – بسام أمير (٢١ عاما) وجميعهم من نابلس واعتقلوا في ٧٤/١/١٥ ولا يزال مصيرهم مجهولا . (٢٧)

## استغلال الأيدي العاملة وسلب الأراضي الزراعية

تنص المادة السابعة عشرة من : «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» انه «لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً» أما المادة الثالثة والعشرون فتؤكد أن «لكل شخص الحرية في العمل وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة» وان «لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر مساو للعمل» وان «لكل شخص الحق في أن ينشيء وينضم الى نقابات حامية لمصلحته» .

لكن التفرقة واضحة بين العامل الفلسطيني والعامل الاسرائيلي . فالعمال العرب يتركزون في قطاع الخدمات والاعمال التي يأنف العامل الاسرائيلي من القيام بها ويتعرض العامل العربي الى الطرد بحجة «أمن الدولة» وليس هناك من يدافع عن مصلحته بينما يعطى العمال الاسرائيليون كافة حقوقهم التي يرعاها «الهستدروت» بينما لا يسمح للفلسطينيين بتشكيل نقابات . ويواجه الفلسطينيون صعوبات كثيرة في الحصول على تصاريح التجارة والعمل ، بينما تجرى كل التسهيلات للعمال اليهود . وتفرض سلطات الاحتلال ضرائب باهظة على المصانع الفلسطينية مما أدى الى تناقص الانتاج في هذه المصانع . (٢٨)

وفي كثير من الاحيان يوضع العمال الفلسطينيون في مساكن في المصانع الاسرائيلية هي اقرب الى الاسطبلات منها الى المنازل وتغلق عليهم الابواب كل مساء وذات مرة حصل حريق نتج عنه احتراق ثلاثة منهم (٢٩) في غرفتهم لأن الباب كان مقفولا من الخارج .

ومن صور الاستغلال للعمال الفلسطينيين ايضا ان سلطات الاحتلال الصهيوني تخصم ٤٠٪ من أجر العامل الفلسطيني للتأمين رغم انه لا يتمتع باي من الضمانات التي يتمتع بها العامل اليهودي مثل العطل المدفوعة ، والتأمين الصحي ، والتامين ضد البطالة ، وتعويض التقاعد . وقدرت المبالغ التي اخذت للخزينة الاسرائيلية من الخصومات بمبلغ ٢٦٠ مليون دولار في الفترة ما بين ١٩٦٨ – ١٩٧٤ .

وفيما يتعلق بالاراضي الزراعية فقد كان هناك تفرقة دائما بالنسبة للري وأسعار المحاصيل الزراعية بين الاراضي الفلسطينية وبين تلك التي يمتلكها اليهود ومن الامثلة على هذه التفرقة :

● كانت نسبة الري حسب احصاءات عام ٦٢ – ٦٣ للاراضي اليهودية ٤٥٫٥٪ وللاراضي الفلسطينية ٣٫٨٪ وفي عام ١٩٦٣ – ١٩٦٤ كانت النسبة ٤٣٫٩٪ للاراضي اليهودية و ٣٫٦٪ للاراضي الزراعية الفلسطينية (٣١) .

● كان سعر طن زيت الزيتون الاسرائيلي في عام ١٩٦٢ – ١٩٦٣ يبلغ ٩١٫٨ ليرة اسرائيلية وسعر طن الزيت الفلسطيني ٧٠٫٠ ليرة اسرائيلية (٣٢) .

هذا بالاضافة الى مصادرة الأراضي «لاسباب عسكرية وامنية» .

● قدر الدكتور أ . باركجيان مبعوث الامم المتحدة أن سلطات الاحتلال الصهيوني سلبت ٢٥٪ من أراضي الضفة الغربية بين ١٩٦٧ – ٧٧ وقد وضعت هذه السلطات تشريعات وقوانين لتحقيق هذه الغاية ومنها أملاك الغائب والأراضي غير المستصلحة وغيرها (٣٣).

● وجدت بعثة المحلفين الدولية في عام ١٩٧٧ أن اغلبية الاراضي التي اقيمت عليها المستوطنات الاسرائيلية هي أراضي مصادرة أو مسلوبة . (٣٤)

تنص المادة الثامنة عشر من : «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» أن «لكل شخص الحق في حرية التفكير والدين . ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر ومراعاتها سواء كان ذلك سراً أم مع جماعة » الا ان سلطات الاحتلال الصهيونية لا تراعي هذا النص وتمضي في انتهاك المقدسات والحرمات دون مراعاة المشاعر الدينية للفلسطينيين .

● فقد نهبت المساجد والكنائس والمتاحف وكان من بين المسروقات تاج اثري من الذهب الخالص كان يجلل رأس السيدة العذراء في كنيسة القيامة عام ١٩٦٧ . (٣٥)

● كما طبقت السلطات الصهيونية عام ١٩٦٧ قانون الاحوال الشخصية في اسرائيل على المسلمين ودمرت مسجدين صغيرين في الحي العربي من القدس . (٣٦) كما قامت باحراق المسجد الاقصى في أب عام ١٩٦٨ .

● ذكرت صحيفة الجيروزالم بوست الصهيونية الصادرة فى ١٩٧٣/٢/١٦ ان عبد الحميد شرف مندوب الأردن الدائم لدى الأمم المتحدة اتهم السلطات الصهيونية بهدم سور داخل المسجد الأقصى فى المدينة القديمة نتيجة الحفريات (٣٧) .

● وذكرت صحيفة ( الديلى ستار ) اللبنانية فى ١٩٧٣/٩/١٢ ان وجهاء الضفة الغربية وقطاع غزة طلبوا من موشى دايان والحاكم العسكرى لغزة وقف العمل فى موقع يعتبر مقبرة اسلامية بعد ان رفعت الجرافة الاسرائيلية جماجم ٢١ طفلا (٣٨) .

● وجاء فى صحيفة دافار ( ٧٣/٢/٨ ) ان الهيئة الاسلامية العليا احتجت على تدمير مساكن عربية فى باب السلسلة واعتبرتها تغييراً لمعالم المدينة المقدسة (٣٩) .

● وأشارت صحيفة الديلى تلغراف اللندنية فى ٧٣/٢/١٣ الى ان أربعة من « عصبة الدفاع اليهودية » المتطرفة قاموا باشعال النار فى مركز البعثة الانجيلية فى جبل الزيتون وان عشرات النسخ من الكتاب المقدس قد اتلفت نتيجة للحريق (٤٠) .

## التفرقة العنصرية

نصت المادة الثانية والعشرون من « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » على ان « لكل شخص بصفته عضواً فى المجتمع الحق فى الضمانة الاجتماعية ... والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التى لا غنى عنها لكرامته للنمو الحر لشخصيته » ونصت المادة الخامسة والعشرون على ان « لكل إنسان الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته ويتضمن

تلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة . وله الحق فى تأمين معيشته فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته » ونصت المادة السادسة والعشرون على ان « لكل شخص الحق فى التعليم . ويجب أن يكون التعليم فى مراحله الأولى والاساسية على الأقل بالمجان » .. « وان للآباء الحق الأول فى اختيار نوع تربية اولادهم » وان « لكل فرد الحق فى حماية المصالح الأدبية والمادية والمترتبة على انتاجه العلمي والاستفادة من نتائجه » .

ويلاحظ المرء أن السياسة الصحية والاجتماعية والتعليمية التى ينتهجها العدو هى امتداد للسياسة العسكرية والسياسة فى الأراضى المحتلة .

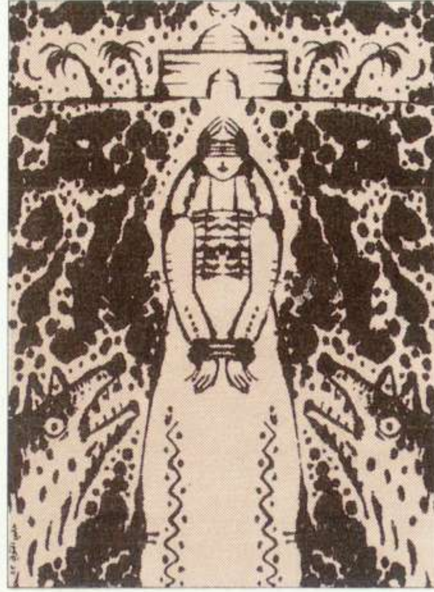
يسعى العدو « الى تشجيع الفلسطينيين على الاعتماد على خدماته الصحية وذلك باتباع أساليب تمنع تطور المؤسسات الطبية الفلسطينية وتحسين الخدمات الطبية الموجودة لدى العرب الفلسطينيين (٤١) .

● فقد منعت السلطات الصهيونية جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني من جمع التبرعات ومن المعروف أن الجمعية تعتمد على التمويل الخاص وتقدم خدماتها مجاناً . كذلك لا يسمح لها بتلقى الادوية من الخارج أو شرائها بأسعار مخفضة مثلها مثل المؤسسات الصحية الرسمية الأمر الذى حال دون تطور الجمعية (٤٢) .

● وعلى الرغم من أن الحاجات تزايدت فى النواحى الصحية الا ان السلطات الاسرائيلية تعطي موارد تكفى فقط لابقاء المؤسسات الصحية على حالها الذى وجدت عليه عام ١٩٦٧ . فعلى سبيل المثال كان عدد الأسرة فى المستشفيات الحكومية فى الضفة الغربية : ( فيما عدا مستشفى الأمراض العقلية فى بيت لحم ) فى ١٩٦٨ حوالى ٦٢٣ وفى عام ١٩٧٧ أصبح ٦٢١ سريراً وهذا يعنى تدهوراً كبيراً لو اخذنا فى الاعتبار الزيادة السكانية (٤٣) .

● استولت سلطات الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٨ على ثلاثة مستشفيات فى رام الله والقدس ونابلس وحولتها الى مراكز للشرطة (٤٤) .

● أكد ان الدكتور سمير كاتبه ان هناك نقصاً فى الاخصائيين وهذا راجع لرفض



السلطات الصهيونية السماح للطلبة الفلسطينيين الذين درسوا الطب فى الدول العربية والأجنبية بالعودة الى وطنهم واضاف أن هناك ٨٠٠ طبيب فلسطيني فى ألمانيا الغربية قدم الكثير منهم طلبات للعودة ورفضت طلباتهم (٤٥) .

● وقال الدكتور عبد الرحمن نزال ان الميزانية الصحية السنوية للضفة الغربية كلها لا تزيد على ٦ ملايين دولار بينما تبلغ الميزانية السنوية لمستشفى شعار زيديك الاسرائيلى فى القدس الغربية ١٠ مليون دولار (٤٦) .

أما بالنسبة للاوضاع التعليمية فانها لا تقل سوءا عن الأوضاع الصحية فقد فرضت سلطات الاحتلال الصهيونية تدريس العربية العامية فى كل المدارس الابتدائية فى اسرائيل على اعتبار ان العربية الفصحى لغة أجنبية ومجرد درس ثانوى فى المدارس الثانوية فقط (٤٧) .

● يعاني الطلبة الفلسطينيون فى الجامعات العبرية من تفرقة عنصرية . فقد حدث أثناء انتخابات مجلس الطلبة فى جامعة حيفا في آذار ١٩٧٣ أن اهان مرشح القائمة الصهيونية الموحدة « امنون انجل » مجموعة من الطلبة الفلسطينيين المشاركين فى الانتخابات بأن قال لأحدهم علناً « لماذا يعطى كل عربي قذر هنا ورقة للانتخاب ؟ لقد قتلت الكثير من الفلسطينيين امثالك لدرجة انني اتمنى ان يكون في جيبي نقود بعدد الذين قتلتهم » (٤٨) .

● أوضح الدكتور غابي برامكى عميد جامعة بيرزيت ان الضرائب التى تفرضها الحكومة الاسرائيلية على اللوازم والكتب التى تشتريها الجامعة تعيق عمل الجامعة واضاف ان الجامعات العبرية معفاة من مثل هذه الضرائب والرسوم . وأحياناً تضطر جامعة بير زيت الى الاستغناء عن كثير من لوازم المختبرات والابحاث لغلاء ثمنها . ومما يعيق عمل الجامعة أيضاً منع استلامها دوريات باللغة العربية من الدول العربية وطرد افراد من الهيئة التدريسية أو عدم منح اذن اقامة لأساتذة آخرين (٤٩) .

● اتهمت منظمة اليونسكو فى عام ١٩٧٤ سلطات الاحتلال الصهيونى بأنها تتبع سياسة تهدف الى « احداث شلل فى الثقافة الفلسطينية » وقالت اليونسكو ان المناهج التعليمية غيرت واجريت تعديلات فى الكتب المقررة وحظر استخدام كثير من الكتب المدرسية (٥٠) .

● قالت السيدة سميحة سلامة خليل رئيسة جمعية رعاية الأسرة فى البيرة ان الجمعية التى تعمل كمركز ثقافى ومركز للتدريب المهنى للفتيات الفلسطينيات افتتحت عام ١٩٧٥ بعد انتظار أربع سنوات للحصول على تصريح من الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله . وأضافت ان الجمعية تتعرض لمضايقات السلطات العسكرية ومن الدلائل على هذه المضايقات مصادرة السلطات العسكرية الاسرائيلية بأمر من الحاكم العسكرى ماكينات الخياطة التى تستعمل فى التدريب . ولقد منعت الرقابة الاسرائيلية نشر وصفات لاطباق فلسطينية أو صور للازياء الفلسطينية فى الكتاب السنوى الذى تصدره الجمعية فى محاولة لمنع الجهود المبذولة للمحافظة على التراث الفلسطينى (٥١) .

يشير كل ما تقدم الى ان العدو الصهيونى ما زال ماضياً فى انتهاك حقوق الانسان والحريات الأساسية فى الأراضى العربية المحتلة رغم البيانات والقرارات الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الأمن والهيئات والمنظمات واللجان التى حققت فى ممارسات السلطات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة والتى اجمعت على ادانة كافة الممارسات من ضم الأراضى واجلاء السكان ومصادرة الممتلكات العربية وتدمير المنازل والتعذيب والتعرض للحريات الدينية والحقوق والعادات العائلية والاستغلال غير المشروع للثروة الطبيعية والسكان . وحتى التقرير السنوى لوزارة الخارجية الامريكية عن حقوق الانسان « انتقد اسرائيل بشدة لسوء معاملتها لفلسطينيي الأرض المحتلة » .

د. عبد القادر ياسين

## هوامش

(١) يعقوب خورى ، حقوق الانسان فى فلسطين ، ( مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ١٩٦٨ ) ص ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٣) الذكرى الثلاثون ـ الامم المتحدة وحقوق الانسان ( الأمم المتحدة ١٩٧٨ ) .

4. T. R. Reid & Edward Cody. "Reports Indicate Israeli Abuse of Palestinians" **The Washington Post** (February 7, 1979).

5. "Israeli Civil Rights" **Middle East International** No. 92, P. 16.

6. M. Cherif Bassiouni, **The Palestinians' Rights of Self-Determination**, (Association of Arab-American University Graduates, December : 1978).

(٧) صحيفة « تسوغاديريخ ٧/٩/١٩٧٧ .

8. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** Report of the National Lawyers Guild (New York : 1978) P. 44-47.

9. "A Time for Israel", **Time** (February 19, 1979) P. 19.

10. **Ibid**, P. 19.

(١١) د. يعقوب خورى ، حقوق الانسان فى فلسطين المتحدة مركز الابحاث الفلسطينى بيروت : ١٩٦٨ ، ص ٥٦ .

12. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 15.

13. **Ibid**, P. 70.

14. "Israel & Human Rights" **Middle East International** (February 16, 1979) No. 93, P. 15.

15. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 19-20.

16. **Ibid**, P. 20.

17. **Ibid**, P. 20.

18. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 75.

19. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 74.

20. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 18.

21. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 23, 24.

22. **Ibid**, P. 24.

23. **Ibid**, P. 24.

24. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 103.

25. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 102.

26. **Ibid**, P. 114-115.

27. Adnan Amad, **Documents & Reports on the Israeli Violations of Human and Civil Rights.** (Beirut, 1975) P. 27.

28. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 35-40.

29. **Ibid**, P. 38.

30. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 38-39.

(٣١) صبرى جريس ، العرب فى اسرائيل ( مؤسسة (٣٢) الدراسات الفلسطينية بيروت ، ١٩٦٨ ) ص ١٦٢ .

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٦٠ .

33. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 4.

34. **Ibid**, P. 6.

(٣٥) صحيفة السفير ٣/٨/٦٧ .

(٣٦) د . يعقوب خورى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦٠ .

37. **The Arabs Under Israeli Occupation 1973.** (The Institute for Palestine Studies) P. 3.

38. **Ibid**, P. 3.

39. **Ibid**, P. 6.

40. **Ibid**, P. 2.

41. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 47.

42. **Ibid**, P. 48.

43. **Ibid**,

44. **Ibid**, P. 50.

45. **Ibid**, P. 50.

46. **Ibid**, P. 50.

47. **The Arabs Under Israeli Occupation 1973.** Chapter P. 10.

48. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 161.

49. **Treatment of P alestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 51.

50. **Ibid**, P. 51.

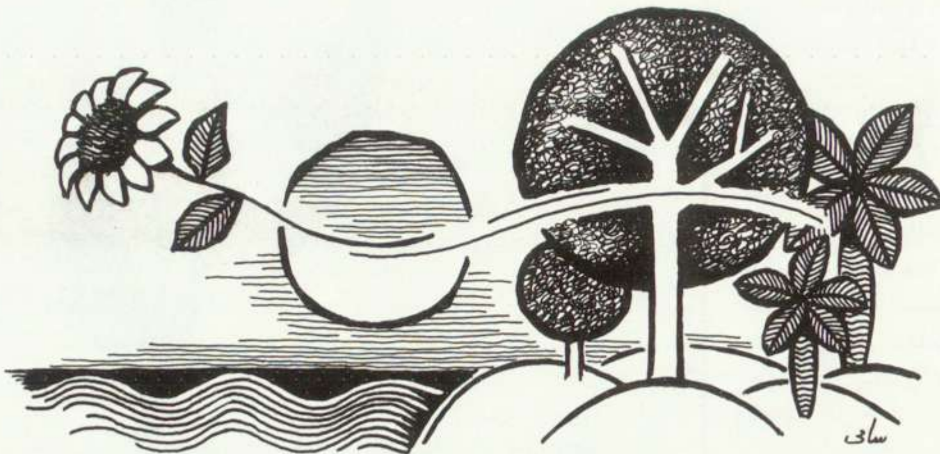
51. **Ibid**, P. 52.



شعر:
محمد
الفهد
العيسى

# ذكريات

اثملتنى ذكرياتُ الأسي
( فى وادى مسَرَّه )
وشجانى بلبل الدوح ..
بشدوٍ ألِفتهُ الروح ..
كم تغنيناه معاً الفَ مرَّه !!
كم تفيئنا غُيَيْمات هنا
ورعينا احرف الوجد – كَبُهْمٍ –
وسقينا واستقينا
من ينابيع المجرَّه
كم ( سحبتُ ) ( القوسَ ) لحناً
فوق اوتارِ ( كمانى ) ؟
كم تغنيتَ بشـــعرى ؟
( إيه يا وادى مسرَّه )
الأمسيات ( القمريَّه ) ..
كم ملأنا الكأسَ من شلالِ ضوءِ البدرِ ..
ونهلناه معاً
وغرسْنا كل حفا فى الدرب فيه
لهفةً
شوقً
شجونً
الف غِمرٍ من ورودِ الحب ..
اضحى شوك ( سدره )



عبد الله جفري

# الآن..

# ماهو الثابت ؟!



«الآن» ...

كلمة كان يبحث عنها في الشروق وفي الغروب . ينبش الساعات ويفتت الثواني ليخرجها ـ زمناً ـ يوحد فيه بين البشر وعزلتهم .. بين عزلتهم ومحسوساتهم ودهشاتهم ونطاق عناصر الانسانية !!

كان يغوص في أعماقه ليمنح كل مافيها ، ويتحدث عن الحياة ونماذجها المدهشة ، ويردد : «الحياة على الأرض غيرمشروطة بالخلود» ! .. لكنه كان يعشق خلوداً معينا .. تشرق في تضاعيفه أفكار تحارب التحليلات الاجرامية التي يتعقبها الناس ليتورطوا فيها ، وكان يحب «خلوداً» له وجهه الفلسفي المضيء باللمسات الانسانية .. تلك التي تتكشف احياناً في نفس درجة الارهاق ، والغيبية !!

وابتدأ «فرانسوا مورياك» رحلة طويلة في غابات البشر .. كان قد فتح نافذة كبيرة هي الرؤية الدقيقة ، وعاش سنوات يكتب الرواية الطويلة ، ويصوغ أشعاره المرهفة ، ويكتب تحليلاته ، وانطباعاته الصحفية . ويقف في داخل نفسه حائراً .. صارخاً .. يتواجد مرة ، ويتشرد مرات في دروب شائكة ، ومرعبة وسئل عما في داخله ، فأجاب :

ـ «أنا غيبي ـ ميتافيزيقي .. يشتغل المحسوس» !!

واهتم «مورياك» بأشياء الانسان الداخلية التي تشكل جوهره ويحاول اخفاءها .. وفجرها الانسان ليس احتفالا معلناً تتردد في جنباته الاصوات العالمية . ان الانسان منعزل ، ومجرد .. غير أن احتكاكاته ، واصطداماته تجعل منه طغياناً جباراً من الماديات على أصائل النفس ، وجوهرها . ومورياك يقول : «ان البشر كثافة انسانية ، وهذه الكثافة تتطور ، وتعتمل من تلقاء نفسها ، لكنها في تطورها ، واعتمالها تتوازعها أدوار البطولة الشريرة في التعامل البشري ، وتعتسفها «مآسي الوصول الى المستحيل» .. بينما هي تعسف كل محصولها من العلم .. ان الانسان في غمرة هذا يعاني من عزلة النفس ، وتواجد الروح !!

● ●

لقد مات «فرانسو موریاك» قبل سنوات وكان قبل موته بأيام قليلة يترقب الموت .. الذي فلسفه في كلمته الأخيرة : «الآن» ! .. فكل امرىء يجري على طرقات الحياة ليموت .. انه يعمل ، ويشقى ، ويحب ، ويتعذب ، ويفرح لانه سيموت .. والموت هو نتيجة تلك الكثافة ، وذلك الاعتمال .

وفي حياته الطويلة الحافلة .. قدم «موریاك» اعمالا أدبية ضخمة ، وكتب الرواية الفرنسية المعاصرة التي صور فيها اضطراب الانسان وهو يتساءل : كيف يقدم تمييزاً للاشياء المنتصبة ، والاشياء المنعدمة ؟!

ان الانسان مطحون باختلاط الانتصاب ، والانعدام .. ومن خلال رؤية «موریاك» لهذا العالم المتفجع ، والمنكفىء .. مارس حضوره ، وغيبته ، واستبقى في ذاته القلق الصاهر الذي انطلق كما جواد أصيل يرتاد به نفوس الآدميين ، ويقتحمها ، وقد قيل :

● «ان عالم موریاك كعالم بروست .. موجود فيما وراء وخارج روابطه .. مع عالم واقعي ، انه التراب الذي تنبت فيه وترتفع مخلوقات لا تتوقف عليه فقط» !!

وكان «موریاك» خلف ، وفي غمار تلك المخلوقات لا يتوقف فوق التراب ، ولا يرحل عنه .. انه يستبدل الانسان احياناً بالوردة المتفتحة ، واحياناً يستبدله بالمستنقع الآسن المولد للجراثيم ، والامراض الفتاكة .. ذلك ان المخلوقات تقتل نفسها بحدودها ، وبخيالاتها ، وبواقعيتها ، وبرغباتها .

ان الانعدام لا يبدو جزئياً كلما كان صوت الانسان أعلى من مطالبه .. كذلك فان المطالب الدنوية تقسرك أن تصنع عملة توصلك الى الخسارة !!

وفيما قرأت .. عبارة قالها ــ جاك روبيشون ــ الفرنسي عن أدب موریاك .. تقول :

● «موریاك دجن الانسان الآبد ، وباربعين سنة من التمرين . فان الرواية الموریاكية ــ نسبة الى موریاك ــ هي الوحيدة في عصره التي تستطيع ان تحملك على القول : هذا من موریاك ، كما كان يقال في السابق : هذا من بلزاك . وعالم موریاك مغلق .. بل الأكثر اغلاقاً والأكثر خصوبة بين جميع الاكوان المختلفة» !!

لقد أعطى «موریاك» في الرواية تعبيراً عن واقع وحالة ونفسية الانسان .. ما بين الانغلاق ، والخصوبة . وهو قد تسنم مكانة شامخة في الأدب العالمي المعاصر .. حتى منحوه عطاء بلزاك لحضارته وفكره .

ان أعماله الروائية اهتمت ــ كما قال هنري سيمون ــ : « بجعل عالم الجسد محسوساً وواقعياً في كل مكان ، ومتخلصاً من كل مقصد يشير الى تصوير الوجود» ...

كان يعني «موریاك» بما قدمه ان الأشياء المترابطة ، والدالة على الحياة ، والمؤثرة فيها لا يمكن تجزئتها ، وفصلها . ان ما نستطيع ان نقرر انه عيب هو أصل في نوازع البشر ، وان الجدل احياناً «يدوكر» العيوب حتى يستسيغها الانسان كتعامل ، وكاستعارة مسلكية في واقــع مضــخم بالتطــورات ، وبالانبجاسات !! ولقد تأملت عبارات متعاقبة تنفس بها «موریاك» قبل أن يعلن عن قدوم موته .. فرأيته فيها زوابع عصفت زمناً ثم انكسرت وتلاشت بفعل السنين ، ورأيته فيها احساساً غنياً أفرط في الاضافات الانسانية نحو بشر استحقوا حماقة تكثفهم ، ولكنه تشبث بالحب ، والتزم بالمحاولات التي تبدأ بها الانثى الداخلة حياة الذكر كأنما للمرة الاولى ، ولا تعترف ولا يهمه فيها سوى الوقفة الفريدة التي تستمر طالما تواجد احساس الرجل بعيداً عن انعداميته ، وغيبيته !!

رأيت «موریاك» الذي عاش طفولة حزينة ومنعزلة ، وتربى تحت وقع الصرامة .. وهو يتطلع من حوله ، وكأنه يتساءل : هل كل الناس مثلي ؟!

واذا لم يكن كل الناس مثله .. فلأن المرء وحده لا يرى في غيره الا نفسه ، وبالصورة المعاشة ، وبالصورة المأمولة ، والتي يحلم بها . والآن «موریاك» هو ذلك الفنان الأصيل والمأساوي والضاج بالاحتجاج والرفض فقد تناول ما حوله لحظة بحث مضن عن الحب والفرح ، لذلك فقد تحدث «ناقد» عن هذا الجانب الصميمى في معاناة ، وتفكير «موریاك» فقال يصفه :

● «يستطيع ــ موریاك ــ ان يفتخر بأنه وصف عشرين مرة ــ دون تطاول غيبي ــ مأساة الوصول المستحيل للنفوس خلال الاجسام ، وبانه وضع في قلب مبتدعاته العطش الذي لا يرتوي لقفر الحب» !!

● ●

وعبرهذه الرحلة الطويلة من الحياة ، والتأمل ، والتفكير ، والاقتناع .. أعطى «موریاك» أدباً حياً ، وأديباً مسعداً .. من تضاعيف التعاسة فيه ، وأبدع في استنطاق مضامين الانسان ، واستشرافاته ، وارتطاماته .. وفي النهاية ، وقبل أن يتوقف نبض هذا الانسان قال :

«كل شيء مركمالو أن الباب قد أقفل الى الأبد في داخلي . الآن .. في الساعة الأخيرة لا أحد يستطيع أن يتكهن . حتى التظاهر بالاستسلام للموت لا يثبت شيئاً» !!

«الآن» .. هذه الكلمة المتفاعلة ، والمتحركة ماذا تعني .. ماذا تثبت ؟!

ان الانسان لا يقدر أن يمتلك «الآن» .. ان كل شيء في «الآن» هو محكوم لما يأتي بعده .

إن «الآن» وقفة دهشة ، وانشغال مؤقت .. ثم لا يبقى بعد ذلك شيء !!



د. عبد السلام العجيلي

# بائعو الأوهام

هي امرأة بسيطة مصابة بداء في الصدر . في كل مرة كانت تراجعني فيما كانت تحمل معها صورتها الشعاعية لأرى مدى سيرها نحو الشفاء . وكانت طبيعة دائها تتطلب أمدا طويلا من المعالجة والمراجعة . وفي ذات مرة جاءت من دون الصورة ، ولما سألتها عنها قالت انها احرقتها . لماذا ؟ تلعثمت في البدء وغمغمت الكلام ، ثم اعترفت بأن تلك الصورة تمثل في نظرها المرض الخبيث المعند على المداواة ، وانها اعتقدت ، أو أنها أملت ، انها حين تحرق الصورة تحرق ذلك المرض معها !

حنقت في البدء لفعلة الامرأة التي حرمتني من أداة ذات قيمة استعين بها في مراقبة حالتها . ثم تملكتني السخرية ولحقها الاشفاق لجهل هذه المسكينة وخضوعها لاوهام طبقتها المترشحة اليها من قصص السحر والسحرة .

كانت الساحرة ، في الحكايات التي قرأناها في صغرنا ، تفصل من الجلد أو الورق صورة من تريد أن تسحره ، ثم تغرس في مكان القلب إبرة فيصاب ذلك المنكود على بعد آلاف الأميال بداء في قلبه .. وهذه مثل تلك . لقد كنت واثقاً بأن مريضتي لم تحرق صورتها من عندها ، بل من وحي أحد اولئك الدجالين الذين يعيشون على ضعف عامتنا وجهلهم : كتب لها حجاباً واعطاها بخوراً ثم نصحها بأن تحرق الصورة ، ففعلت بعد ان دفعت له ما فيه النصيب ثمناً للحجاب والبخور والنصيحة ..

## من ؟ وكيف ؟

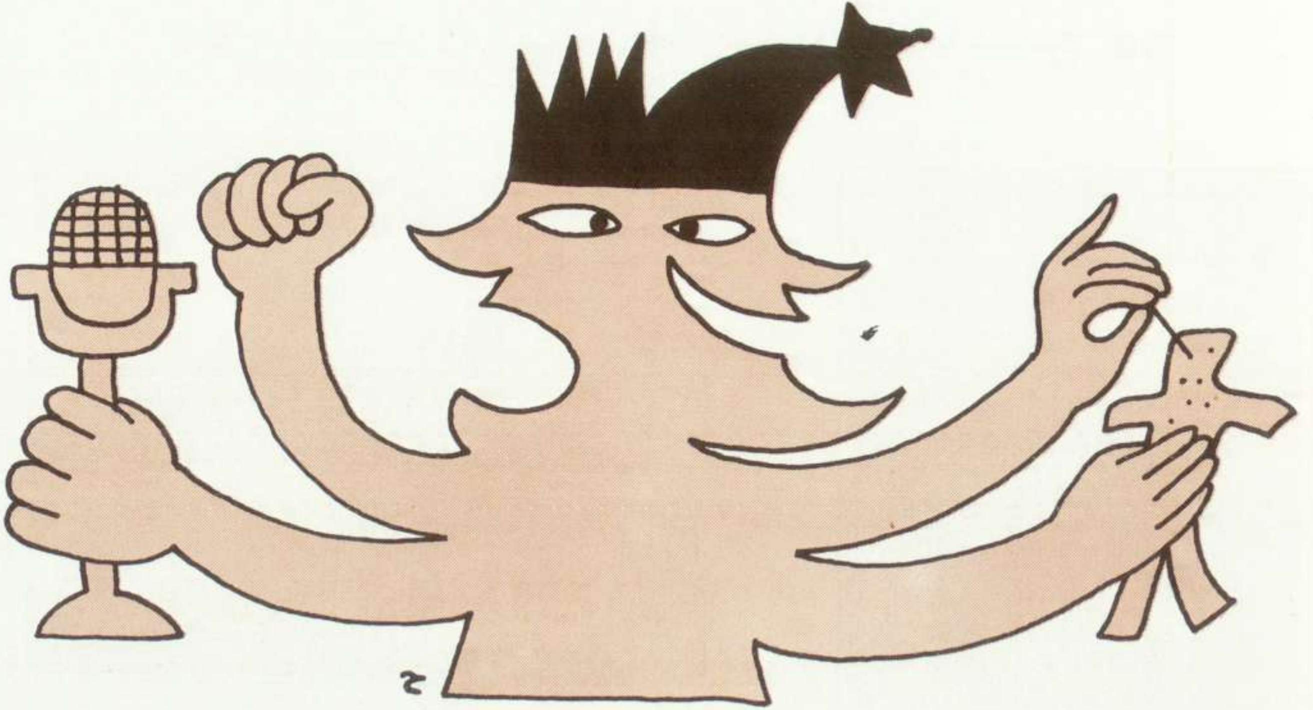
حنقت على مريضتي وسخرت منها ثم اشفقت عليها . ولكنى بعد ان امعنت فى التفكير وجدتني التمس لها فى فعلتها الاعذار . ترى من يسلم المرضى الى الدجالين وباعة الأوهام غيرنا ، نحن الذى ندعى العلم ، فى ضعفنا وجهلنا ؟ كل هم هذه المريضة كان ان تشفى من دائها ، فلما وجدت ان الطب الرسمى لم يحمل إليها الشفاء الكامل والسريع قالت لنفسها : فلنجرب الآخرين ... إنهم ، مثل الأطباء ، رجال لهم عيون وآذان ، ولهم السنة أقدر على الاقناع وأساليب أكثر اجتلاباً للثقة ..

وحكاية الدجل ، أو بيع الأوهام فى الطب مثلها فى الفن مثلها فى السياسة ، قديمة قدم العالم . ومن الخطأ الظن بأن اللجوء إلى من يتاجرون بالوهم مقصور على العامة فى البلاد المتخلفة . إنه أمر شائع بين المتعلمين شيوعه بين الجهلة ، ومتفش فى الغرب تفشيه فى الشرق . تقول آخر الاحصاءات مثلا ان فى فرنسا سبعين ألف طبيب مجاز ، وفيها الى جانبهم أربعون ألف متطبب ممن يبيعون قليلا من العلم مجبولا فى كثير من الوهم . وهؤلاء يجدون صيدهم فى مختلف طبقات المجتمع ، ويثرون من تجارتهم اكثر مما يثرى من علمهم وتجربتهم فطاحل الطب واساتيذه .

فكيف تروج فى هذا العصر الذى تستند مدنيته على العقل ومعطياته بضاعة بائعى الأوهام ، رواجاً يقارب رواجها فى عصور الجهل والاظلام ؟

## حين يتحول الحنظل عسلا

ربما كان أهم الأسباب فى رواج تلك البضاعة ان المجاهيل فى الحياة ، سواء فى جسم الانسان أو فى تقلب الأحوال الجوية أو فى سياسة الدول ، لا تزال أكثر من العناصر المعلومة فيها . لذا يظل العقل عاجزاً عن أن يسيطر السيطرة التامة على مصير الانسان أو ان يجد كل الحلول لمشاكله . فتتدخل النفس عندها لتبحث عن حلول للقضايا المعقدة بطريقتها الخاصة .



النفس لا تستسلم إلى اليأس بسهولة وتبحث عن الأمل ولو فى الوهم . فالمريض الذى لا يجد من يحمل إليه الشفاء بين الأطباء الحقيقيين ، مثل صاحب المشكلة الذى لا يجد فى طرق المعقول حلا لقضيته المستعصية ومثل الشعب الذى لا يجد من يخرجه من مأزقه بين رجال الدولة الاكفاء ، لا ييأس .. بل يبحث عن من يقوده إلى السلامة فى عالم آخر غير عالم المعقولات . اعني فى عالم الغيبيات التى تعجز عن التغلغل فى كنهها العقول .

وهنا يسيطر من يحوز قوة الاقناع والقدرة على الايهام إلى درجة يسقى بها العلقم موهماً من يسقيه بأنه الشهد ، ويلقى على النكبات الأضواء من زوايا بارعة تبدو فيها كأنها أشباح انتصارات ، ويرسم العضو المريض على ورقة يحرقها مدعياً أنه احرق المرض واستجلب الشفاء ..

بغير هذا لا يمكن ان نفسر كيف يؤمن كثير من المتعلمين تعليماً عقلانياً بخرافات التنجيم والطوالع الفلكية ، وكيف تغص اوكار المتطببين بطالبى الشفاء من كل الطبقات ، وكيف تلتف الأمم أحيانا حول قادة لم تجلب سياساتهم على اممهم غير الخسائر والنكبات .

## الحاجـــة إلى سـيد

من يتصور مثلا ان أمة كألمانيا ، فى قرن كالقرن العشرين ، كانت ترضى لنفسها أن تسير وراء دهان محدود الثقافة هستيرى التصرفات ، يحطم فيها أولا حرية الأفراد والجماعات ، ثم يقودها بذلاقة لسانه وحدة نبراته إلى الخسائر المتلاحقة الى دمار شبه كامل ؟ ثم أن يظل الشعب الالمانى ، برغم كل تلك النكبات وخلال سنين كثيرة ، متعلقاً بذلك الدهان وهو هتلر ، حتى ليكاد يؤلهه ؟

ولكن بعد هزيمة الحرب العالمية

ولكن ذلك جرى حقاً فى ألمانيا ، مثلما جرى فى غيرها من أمم الغرب والشرق ، لأن ألمانيا كانت بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى فى حاجة الى من ينهضها من كبوتها ويعيد اليها اعتبارها . ولما عجز المؤهلون للقيادة عن القيام بواجبهم ، عجزوا أو تلهوا بالصغائر أو تخاذلوا ، تصدى لها الواغل الجرىء . كمريض نفض الأطباء ايديهم منه فصادته حبالة متطبب شاطر . ولقد سحر هتلر قومه بانتصاراته الأولى ، وكان كلما رفع عقيرته صارخاً دغدغ الكبرياء وأثار الحماس ، ولكن النتيجة الأخيرة كانت خسارة الأرواح وانتقاص الأرض والهزيمة المذلة .

وقد تعارف الناس على ان تلك الحقبة الهتلرية من تاريخ ألمانيا قد تركت ظلا كئيباً على وجدان شعبها وشكا كبيرا فى حسن تقديره للامور والتميز بين خيرها وشرها . ولكن المفكر قد يعود إلى الحقيقة المرة التى عدت إليها بعد أن سخرت من مريضتى البسيطة التى تحدثت عنها فى أول هذا الكلام . اترى المريض البائس أو الشعب الباحث عن حقه المغتصب وعن عزته المفقودة ملومين ، حين لا يتوفر الطبيب الكفء أو القائد الكفء ، اذا تعلقا بمن يسوقه إليهما القدر المفروض أو القدر المصنوع ؟

يروون أن شاعراً عربياً وقف ذات مرة على رأس أحد السادة غير الاكفـــاء وقال :

وان بقـــوم سودوك لحاجة
الى سيد لو يظفـــرون بسيد

سيد أو طبيب أو مفكر مرشد الى الطريق القويم .. لابد للافراد والجماعات من هؤلاء . فاذا لم يتهيأ القائد الكفء والطبيب الحاذق والمرشد المخلص ، فحذار من الواغلين الذين ستلقى إليهم مقاليد الأمور والأجساد والنفوس ... حذار من بائعي الأوهام .




# "لحظة ضعف" لحظة مصارحة في الرواية السعودية

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

**معظم النتاج القصصي فى أدب الجزيرة والخليج يتجه لتصوير شخصيات من ماضى البادية والبحر والقرية بأسلوب رومانسى فى الأغلب ، وواقعى فى بعض الأحيان ..**

**ولكن ما يزال نادراً أن تجد أدباً قصصياً يعالج شخصيات ونماذج اجتماعية من الحاضر المعاش ومن واقع مجتمعنا الراهن وحياتنا نحن فى هذا الجيل ، فى هذه المرحلة ، فى لحظة الصيرورة الجارية حيث ما زال الكائن الاجتماعى الانساني فى طور التكوين والتفاعل لم يأخذ صورته النهائية بعد ..**

وهذا ما يفسر قلة أو ندرة هذا النوع من الأدب القصصي ذلك ان شخصيات الماضى قد تحددت واتضحت ملامحها وأمكن تسجيل صورتها الثابتة ، والقاص فى تصويره لهذه الشخصيات كانما يقوم بعمل المصور الفوتوغرافي الذى يلتقط بالته وجوهاً ثابتة ، مسلط عليها ضوء كاشف .. أما شخصيات الحاضر ، خاصة هذا الحاضر العربى المتارجح المتقلب كصفحة البحر الهائج ، فان ملامحها المتقلبة وسحناتها تمثل تحدياً للأديب الذى يحاول سبر أغوارها واستجلاء غوامضها واخراجها بالتالى كائنا حياً متحركاً أمام وقائع محددة وفى أوضاع مقررة لأن هذه الشخصيات المعاصرة تابى التحديد ، بل لا تقدر عليه ، لأن قدرها كما يبدو ان تظل قلقة حائرة تجمع بين الضعف والقوة ، والأمل واليأس ، والشك واليقين كواقعها العربى الراهن هذا .. من هنا فان من يحاول رصدها وتسجيلها فى مرآة الأدب لن تجديه آلة التصوير الفوتوغرافية ( الكاميرا ) لأن هذه الآلة ليس فى مقدورها تسجيل الملامح المتقلبة المتغيرة بين لحظة وأخرى فى صيرورة كالدوامة — ومن هنا عجز الكومبيوتر الغربى عن فهم الشخصية العربية ! — هذه

الشخصية التى يتطلب تصويرها شيئاً من خيال الرسام وخفة حركة ريشته فى متابعة الملامح المتغيرة المتقلبة و « ضبطها » فى حالة تقلبها « متلبسة » بفعلها الحقيقي : فعل التقلب والتغير ورفض تحديد الهوية ، بل العجز عن تحديدها .. !

وكم تمنيت لو أن مجتمع الجزيرة والخليج قد اتيح لأدبه القصصي رسام روائى مبدع كنجيب محفوظ فى ثلاثيته وروايانه الأخرى ليتناول نماذجنا الإجتماعية وانماطنا النفسية فيعمل فى ملامحها بريشته سبراً لاغوارها وكشفاً لأستارها حتى نراها كما هى عارية ، عرى الحقيقة المجردة ، فندرك من نحن ومن نعايش والى اين نسير والى أى مصير .

ولكن ذلك ما يزال يتطلب نمواً أكثر ونضجاً أعمق فى بنية المجتمع وتطور الأفراد ونمو الأدب .

## قيمة اخلاقية

غير ان طلائع هذا الاتجـــاه القصصي الواقعى ، بوعيه الاجتماعى المتقدم ، اخذت تبدو فى أفق النتاج الأدبي تشق طريقها الصعب غير الممهد وغير المطروق من قبل فى أدب هذه المنطقة حاملة تباشير البـــداية ومصاعبها فى الوقت ذاته .

وتأتى رواية « لحظة ضعف » للأديب السعودى فؤاد صادق مفتي نموذجاً لمثل هذا الاتجاه فى المعالجة القصصية الاجتماعيـــة - وهى بمعالجتها هذه لنموذج من الجيل الحاضر تكتسب ما تستحقه من تقييم نقدى ، لأنها تحملت عبء المغامرة الجديدة فى هذا الصدد ، وبوعى من كاتبها الذى نراه شديد الوضوح وشديد التواضع - أيضاً - فى تقديم محاولته الجديدة للقارىء ، وهو تواضع اعتقد ان كثيرين من ادبائنا الشباب - بالذات - يحتاجون إليه فى طريقة تقديم نتاجهم الى القارىء وفى طريقة رؤيتهم لأنفسهم وللناس وللأدب ولمعايير النقد .

لذلك فاننى أرى فى هذه التقدمة التى يقدم بها فؤاد مفتي قصته قيمة اخلاقية بالاضافة الى محتواها الفني فلأتركه يقدم عمله لقارئه :

« ترددت كثيراً عند كتابة هذه المقدمة لقصة « لحظة ضعف » ، فهذه أولى محاولاتى فى اقتحام ميدان القصة الطويلة ، وهو ميدان - فى رأيي - شائك ووعر . ! ولهذا لابد لمن يتصدى له ، لأول مرة ، من الوقوع فى بعض العثرات .. واعترف - عزيزى القارىء - بأنى لم انج من ذلك تماماً .. إنها محاولة أتاحتها لي الظروف ، خلال اغترابي خارج أرض الوطن بسبب عملى الدبلوماسى ، وتكونت لدى فكرة



فؤاد صادق مفتى

القصة كجزء من معايشتي لأحـــداث الوطن والتغيرات الاجتماعية التى تلاحقت الى حد أثار تساؤلات قلقة لدى المهتمين بدراسة هذه الأزمة الطفيلية على مجتمع عرف منذ الازل بتشبثه العفوى بجذور التراث والتقاليد .. ولهذا لم تكن هذه القصة كمصنف أدبى ذى قالب محكم الصناعة بالمعايير المتعارف عليها للقصة الطويلة بقدر ما هى مساهمة متواضعة فى تسليط الضوء على بعض من جوانب الحياة لمجتمع جـــديد يتعرض كغيره من المجتمعات التى سبق لها أن مرت فى نفس الظروف لموجة من الحيرة والقلق والمعاناة .. تلك التى قد تؤدى فى لحظة من لحظات الضعف الى فقد التوازن ، وربما الانســـياق اللاإرادى وراء التيار الجارف ، حيث محاذير الوقوع فى تلك الدوامة التى تبتلع فى طريقها كل شىء » .

وبعد تقدمة المؤلف هذه ، علينا ان نقوم بواجبنا النقدي فى تقدمة القصة .

وليس أصعب من اختصار عمـــل أدبى وتجريده من تفاصيله وجزئياته ، وتقديمه أفكاراً أو أحداثاً مجردة الى القارىء ، ولكن ذلك من المحاذير التى لا مفر منها فى النقـــد حيث لابد من الاختصار والتجريد ، بسبب قيود الزمان والمكان اللذين ينحصر فيهما العمل النقدي ، وان كنا سنحاول التقليل من أثر هذا الاجتزاء بالاستشهاد قدر الامكان بمقاطع من القصة ذاتها حيثما كان ذلك ممكناً ودالا على روحها .

يسافر الشاب « طارق » لاكمال دراسته فى الولايات المتحدة وينتقل من جدة على ساحل البحر الأحمر الى لوس انجلوس على ساحل المحيط الهادى . هذه النقلة الجغرافية تمثل انقلاباً فى النفس والفكر والروح يتجاوز أبعاد الجغرافيا .

ولو كان الأمر يتمثل فى مشكلات الدراسة والتحصيل واكتساب العلم الجديد ولغته الأجنبية لهان الأمر . هنا لم تنشا مشكلة . فالشاب العربى بذكائه وحساسيته ورغبته فى اجتياز الفارق الحضارى بين أمته والعالم سريع الاستيعاب والهضم .. ولكن المشكلة تتمثل فى استحالة التوفيق بين قيم الذات وبين مسلك العالم الجـــديد حيث التناقض حدي فى تقاطعه وتقطيعه بين نوعين من النظم والقيم لا علاقة بينهما غير علاقة التضاد المطلق !

هذه أول تجربة يمربها طارق فى ميـدان البيكاديلى بلندن وهو فى طريقه الى لوس انجلوس . أول تجربة فى علاقة التضاد بين الماء والنار :

« دلف الى منعطف قريب جذبته إليـــه اضواء صارخة لاحدى دور اللهو الليلى ، كانت واجهة المحل الزجاجية مليئة بالصور العارية لكلا الجنسين .. كان المنظر مدغدغاً لحواسه البهيمية استغرق فى النظر على غير وعى منه وقطع عليه استغراقه صوت أحد الواقفين على باب الملهى يدعوه للدخول .. وبلا شعور منه وضع يده فى جيبه يتحسس ما معه من نقود بالعملة الانجليزية وهو يفكر فى اقتحام هذه المغامرة المثيرة .. واصطدمت يده بشىء صلب داخل جيب سترته واقشعرت يداه وانتفض انتفاضة كمن مسه تيار كهربائى صاعق ، واخذ يتمتم بصوت مرتفع مبحوح : استغفر الله .. أخرج يده من جيب سترته وهو يحمل المصحف الصغير الذى أهداه له والده لحظة الوداع وقبله بحنو وخشوع والدموع تترقرق من عينيه .. كانما تغسل آثام نزوته العابرة .. وعاد الى فندقه مطأطىء الرأس خشية أن تقع عيناه من جديد على مشهد آخر يفسد عليه تلاوة فعل الندم » .

## الى أين نتجه ؟

هذا النمط من التجربة .. تجربة الغواية ثم الندم ثم الغواية مرة أخرى ثم التراجع عنها للوقوع فى غواية أكبر وهلم جرا ، إن هذا النمط من التجربة يصبح فى حياة « طارق » نوعاً من اللازمة الموسيقية التى تتكرر فى سيمفونية القصة كلها بين مقطع وآخر وبين مرحلة جديدة وأخرى ، دون ان تحسم إرادته هذا التذبذب ودون أن يستطيع أن يقـــرر بوضوح ماذا يريد ومن هو : هل هو مع ضميره وقيمه الموروثة أم مع غرائزه واغراءات عالمه الجديد . يتزوج « طارق » وهو فى امريكا من فتاة أجنبية اسمها « ليزا » تعرف اليها فى

# "لحظة ضعف"

ليالي الشباب العابث بعد أن اجتاز «تجارب» عديدة حولته من شاب خجول متدين الى رجل خبير بملذات الدنيا ومتعها .. ولكن « ليزا » تتركه هو وطفلها منه ليتولى مسئولية الطفل بينما تذهب هى بعيداً فى تيار الحياة الصاخبة التى لا تبالى بالصلة حتى بين الأم وطفلها ..

ويعود طارق الى الوطن وقد أعياه المسير المتذبذب فى حياة الحضارة الحديثة أو ما يعرف بهذا الاسم .. ويتذكر ان له قريبة كانت تنتظره منذ عهد الصبا البكر ، فيتزوجها وينجب منها ليكتشف انه من المحال العودة الى الحياة العائلية البريئة الملتزمة بعد تلك التجارب وصخبها ولذاتها الحارقة . .

وماذا تكون النتيجة ؟

تكون هذا الاعتراف فى لحظة الحقيقة أمام زوجته الثانية سهام – « أعرف يا سهام انى تعس مثلك ، بل ربما كنت اكثر تعاسة . انني أدرك مدى خطئي، تجاهك ولكن المصيبة هى انني لا أدرك سر خطئي مع نفسي أنا .. نعم أنا مخطىء فى حق نفسي أيضاً ، وقد اخطأت معك يا سهام ، اخطأت معك مرتين ، بل ثلاث مرات . أخطأت عندما تجاهلت عواطفك ، بل عواطفنا البكر ، وتزوجت من ليزا ، رغم ما يربطنا منذ الصبا ، واخطأت مرة ثانية عندما سمحت لنفسي بالتسرع فى اتخاذ القرار قرار الزواج منك !! فى الوقت الذى لم اكن فيه قد أفلحت بعد فى استعادة ثقتي بنفسي ، وكانت النتيجة ماذا ؟ خطأ ثالث يتمثل فى هذا الواقع المؤلم الذى نعيشه أنا وأنت » .

وتزداد الهوة ليس فقط بين الزوجين ، وانما بين الزوج وبين نفسه ، وبين مكونات تلك النفس ذاتها حيث يستمر التباعد ويزداد بين جذورها القديمة وبين هذه الأهواء الجديدة التى لا تكف عن التلون وزيادة الاغراء والضغط والجذب الى حيث لا يدري أحد ..

وينتقل طارق من عمله الذى وهب له عمره وعلمه الى عمل تجاري حر يغري فقط بالمزيد من المال ، كما يفعل معظم ابناء جيله ، ويفتح له عمله الجديد مجال الأسفار المتتالية الى عواصم العالم حيث تجارب الغواية القديمة المتجددة بينما تذوي امراته وتذبل وهى تغالب وحدتها الباردة فى بيت الزوجية .

ويكون آخر درس يلقيه طارق على زوجته سهام هو هذه الكلمات التى تنبئنا جميعاً بأي نوع من المجتمع نعيش والى أين نتجه :

« افهميني ياسهام .. الدنيا تغيرت ، لم تعد السعادة تقاس بعدد أبيات الشعر التى يستطيع العاشق أن يتغزل بها فى حبيبته ، أو عقود الياسمين التى يحلى بها جيدها عند كل لقاء . المرأة الآن استبدلت عقد الياسمين بعقد الألماس واللؤلؤ . لم يعد الشاعر بقادر على ابتياع قوته ببيت من الشعر قد يرفعه الى مصاف الآلهة وجهابذة الفن ، ولم تعد الحسناوات يتأوهن تحرقاً لنيل نظرة اعجاب من أديب ناجح .. كلمة واحدة فقط ، كلمة واحدة غير واضحة المعالم تغري أحلى حسناوات الدنيا بالركوع تحت قدمي صاحب تلك الكلمة غير واضحة المعالم فى ذيل ورقة خضراء اسمها شيك !! » .

ومن منطلق هذه « القناعة » التى تبدأ وتنتهى بالمادة لا يجد طارق من معنى لحياته غير البحث أيضاً عن لذة المادة التى ذاقها بكثير من الندم فى مطلع حياته ويقبل عليها الآن بكثير من اللامبالاة ..

وتنتهى القصة حيث تبدأ ، فى ميدان البيكاديلي بلندن ، حيث يتجه طارق الى دار اللهو الليلى ، كما فعل أول مرة ، ولكن جيبه هذه المرة يحوي فقط حافظة نقوده الضخمة .. أما ذلك المصحف الصغير الذى وقاه فى البداية من الزلل فلم يعد موجوداً فى أى جيب من جيوبه ..

## انها لحظة قوة

– « امتدت يده الى جيب سترته قبل أن يهم بالدخول الى ذلك النادى الليلى ، فاصطدمت بشيء صلب أفاقه من ذهوله قبل أن ينزلق فى ذلك الماخور .. واغتصب ابتسامة شوهاء وهو يحتضن حافظة نقوده كي لا ترتد به الذكرى الى تلك الليلة ( الأولى ) .. ودلف الى الصالة كطفل أفلت من بين يدى حارسه الأمين وابتلعته الدوامة .. كعادته .. فى كل لحظة ضعف » ..

وتنتهى القصة لتبدأ الحقيقة : هى أن العمر كله بالنسبة لجيل طارق ، هذا الجيل العربى الحاضر ، ما هو الا سلسلة متواصلة من لحظات الضعف . العمر كله لحظة ضعف طويلة متصلة الحلقات ، وليس كما قد نتصور لأول وهلة بان القصد تصوير لحظة ضعف عابرة يعقبها تماسك وتجاوز للضعف وانتصار للارادة وعودة الى طريق الصواب .. أو طريق الايمان والتصالح مع الجذور والقيم الأصيلة.

من هنا الاختلاف ، رغم التشابه فى الملامح الأولية ، بين قصة « لحظة ضعف » لفؤاد مفتي وقصة « قنديل أم هاشم » ليحيى حقي .

فيحيى حقي استمد أيضاً من تجربته الدبلوماسية خارج وطنه نموذجاً للشاب المصرى الذى يذهب للدراسة فى الغرب فتصطدم جذوره بالتيار الجديد ، وتؤرق روحه ويقترن بفتاة انجليزية تقلب كيانه ، ثم يعود الى موطنه ليتذكر قريبته الفتاة الساذجة التى تنتظره وقد ذهب نور عينيها من تاثير زيت القنديل العتيق الذى كانت تعالج به ، ولأنه قد تخصص فى الطب فقد سارع الى علاجها بكل وسائله الحديثة دون جدوى ، ثم اكتشف بعد لأي من واقع التجربة المرة إنه لابد من الجمع بين زيت القنديل ، رمز التراث والايمان ، وبين الدواء الحديث ، رمز الحداثة والعلم . بهذا الجمع السعيد يشفي عينى فتاته ويعيد لهما النور ، وعلى هذا النهج تستقر حياته هو وتهدأ وتشع من عينيه سعادة العارف بالله المتيقن من غفرانه .

هذه النهاية لو وضعها فؤاد مفتى لبطل قصته « طارق » فى أيامنا هذه ، التى تختلف عن زمان قصة يحيى حقي ، لجاءت نهاية غير واقعية تصطنع التفاؤل أمام واقع ليس فيه من التفاؤل الشيء الكثير بالنسبة لمسار الجيل الحاضر ..

فجيل يحيى حقي ، تجاوز بالفعل محنته ، وعاد الى بر الأمان وتصالح مع نفسه وجذوره .. أما جيلنا نحن فى هذه المرحلة فمازال حائراً متردداً لا يملك ارادة العودة الى الجذور ولا يأخذ من الحداثة غير قشورها وملذاتها الحسية ..

هذه الحقيقة المرة عن جيلنا ومجتمعنا الحاضر تختفي فى أحيان كثيرة تحت غلالة الرخاء والوفرة والتقدم الاستهلاكي المتلألىء باضواء النيون ، وفضيلة هذا العمل القصصي لفؤاد مفتي انه يتجاوز بنا هذه القشرة البراقة ليرينا ما تحتها بصراحة ، دون وعظ ومثالية ، ودون مبالغة فى الادانة .. وانما بعرض الواقعة كما هى من خلال فرد واحد فقط يترك لنا نحن ان نبصر من خلاله واقع الكثيرين من ابناء هذا الجيل .. الذى ربما انتصر على لحظات ضعفه فى قصة تالية .. أعني فى مرحلة مقبلة .. إذا شاءت له ارادته أن ينتصر .

ولكن حتى اشعار آخر فحياته لحظة ضعف طويلة .. متصلة الحلقات واذا كان ذلك أمراً مؤسفاً من الناحية الاجتماعية ، فان الاقرار به فى أدبنا الجديد علامة قوة وعافية لأن الصدق فى الفكر والفن والكشف عن عيوب المجتمع ، هو بداية الطريق للمعالجة الصحيحة .

من هنا فان « لحظة ضعف » هى لحظة قوة فى سير الرواية السعودية رغم هنات الأداء الفني .

د . محمد جابر الأنصاري

# في عروبة البنفسج

شعر: حسن طلب

فى زمانِ التبرجْ
والسكوتِ الذليلْ
يستطيعُ البنفسجْ
أن يكونَ البديلْ

يستطيعُ البنفسَج أن يستهلّ
ويصنعَ خبزَ الوفاقْ
يستطيعُ – إذا شاءَ
– أن يستدلّ
ويجمعَ كلّ الملايينِ فى غمضةٍ وَمْضةٍ
فالبنفسج ضد الشقاقْ
كيف لا يستطيعُ ؟
وتلك جماهيرُهُ :
فى الجزيرةِ .. أو فى الجزائرِ
كيفَ ؟ وفى كفهِ :
قمحُ مصْرَ
ونفطُ الخليجِ
وتمرُ العراقْ

« كانتِ الأرضُ صومعةً
والسماواتُ من فوقها سَعَةً
والبنفسجُ يطلعُ فى أُفْقِها
مرةً كلّ عامْ

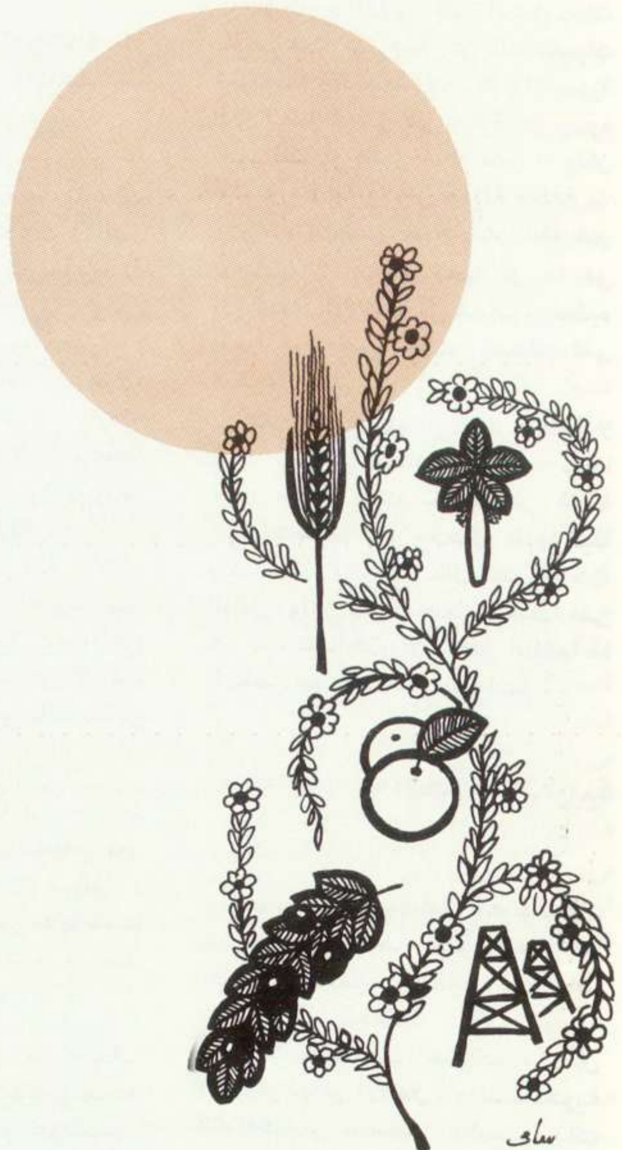
آهِ كانَ البنفسجُ مملكةً
والمدىٰ مُلْكَهُ

من نخيل الحجاز إلى برتقالِ الشآمْ
يشهدُ النهرُ أنّ البنفسجَ كانَ الغمامَ
وماءَ الوئامْ »

وأمسِ رأيتُ البنفسجَ يبكى الطُّلولْ
البنفسجُ كان مُكِبًّا على ذاتِهِ
كان يبكى دماً .. ويقولْ :

إنها أمةٌ غُمّةٌ .. ونداءٌ ثُغاءٌ
وقولٌ كثيرٌ وفعلٌ قليلْ
إنها مدنٌ فِتَنٌ
يتآلف من دُودُها وطنٌ عطِنٌ
وذبولُ البنفسجِ أقوى دليلْ
وطنٌ مرنٌ .. يتثلّثُ
أو يتربعُ
أو يستطيلْ

ولذلكَ لا يستطيعُ البنفسجُ أن يستقلّ
ولا أن يستهلّ
ويركب دبّابةً
ليحرّرَ سيناءَ والقدسَ
يصعّدَ صوبَ الجليلْ
البنفسَجُ لا يدّعِى ذلكَ الشرفَ الممكنَ / المستحيلْ
ما بوسعِ البنفسجْ
أن يكونَ البديلْ
فى زمانِ التبرّجْ
والسكوتِ الذليلْ



# أطفالنا ومجلاتهم

## إلى متى هذا الغزو الثقافي لعقول الصغار؟

حصة العوضي

نسعى جاهدين عبر قنوات الاتصال المختلفة إلى تنمية ادراك الطفل، وتنقية مداركه، ومده بالعديد من الثقافات الهادفة التى يجب أن يعيها بأساليب مبسطة.

فالطفل فى مجتمعنا ـ المحلى والعربى ـ لا يأخذ حقه كاملا من الرعاية والعناية بالرغم من الامكانيات البشرية والمادية المتوفرة. ففى الفترة الأخيرة.. بدأ سيل من الثقافات الغربية، يغزو أفكار الطفل عن طريق المجلات المختلفة ومسلسلات الكبار المتنوعة، وأفلام الرعب بما تحمله من اثارة، وعنف وبدأت بعض دور النشر تنشط فى توزيع ما تحمله تلك الأفلام والمسلسلات فى أشكال قرطاسيات وملصقات تثير اهتمام الطفل. كما أنتجت مصانع النسيج والأقمشة ملابس للأطفال والكبار تحمل رسوم أبطال تلك الأفلام والبرامج التليفزيونية بغرض الترويج للسلعة، والربح.

ولكن.. ما الذى فعلناه نحن لصد هذا الهجوم الثقافى على أطفالنا..؟؟

حتى الآن.. لم نجد من يتصدى لهذا الغزو على عقول أطفالنا!

وحتى الآن.. ما تزال عقول الأطفال تهفو للمزيد من ذلك الصخب وذلك الضجيج المثار حول تلك البرامج!! وعليه نحن فى مواجهة سؤال هام وملح: ماذا عن مجلات الأطفال العربية..؟؟ وما دورها إزاء التصدى لهذه الهجمة الضارية على عقول أطفالنا؟ سؤال أحاول البحث عن اجابة شافية له، وها أنذا أتصفح مجموعة من مجلات الأطفال المتنوعة التى تصدرها دور النشر العربية، والتى يطالعها الأطفال العرب. سأحاول قدر الامكان ان أتصفحها جميعاً مع القارىء العربى.. ليعرف ماذا يقرأ طفله.

### المجلات المترجمة عن مجلات أجنبية

للأسف ان هذه النوعية من المجلات كثيرة ـ بالنسبة لعدد مجلات الأطفال العربية ـ ومعظمها يصدر عن دار واحدة للنشر، والباقى عن دور متفرقة. وهذه المجلات تحمل جميعها أسماء خارقة، لأبطال خوارق. وكل بطل من هؤلاء الأبطال يحيا فى عوالم أخرى، وأزمنة أخرى، لا يملك الطفل الا أن يصدق وجودها بغض النظر عن ادراكها وذلك لأن تلك الشخصية الخارقة، تعيش مع القارىء الصغير منذ الغلاف الأول وحتى الصفحة الأخيرة عبر القصص المغرقة فى الخيال بعيداً عن عالمنا وواقعنا.. والتى تحمل من الأسماء والمعلومات ما يفوق تصور ذلك الكائن الصغير.. الطفل.

لكنها بما تحمل من إثارة ومغامرات مصورة تحلق بذلك المخلوق الصغير عبر آلاف السنين، وعبر متاهات خيالية لا يلبث إلا أن ينقاد لها ويسير معها طوعاً وشوقاً لمعرفة المزيد، والمزيد من تلك الخوارق..

وعلى الرغم من ذلك.. فان الهدف النهائى من كل قصة خارقة يظهر واضحاً.. ألا وهو.. الخير.. والشر.. وانتصار الخير دائماً..

«لكن أليس بامكاننا غرس هذا المبدأ وتنميته ضمن قصص أقرب إلى مدارك الطفل سواء فى نماذجها.. أو فى طريقة عرض القصة ومعالجتها ؟!».

أما النوع الثانى: فتلك المجلات ذات الموضوعات المترجمة عن الشخصيات الكرتونية (الرسوم المتحركة) المشهورة لدى الطفل والتى هى عبارة عن رسوم لحيوانات أو طيور.. أو بشر.. ولكن بأشكال جذابة وألوان جميلة ممتعة..

وهذه القصص تترجم عن القصص الأجنبية.. حاملة معها كل ما فى المجتمعات الأجنبية من عادات، وتقاليد وقيم.. تعكس آثارها السيئة على النشء العربى..

الكثير منا يعتقد أن الطفل مخلوق لا يدرك جيداً ما يتلقاه من المعرفة لكننا نجهل ان هذا الطفل تترسب فى ذاكرته كل المعطيات التى يحصل عليها فيما بعد. ماذا لو قمنا بنقل تلك المجلات للطفل، ولكن بعد التعديل المناسب على كل جزء فيها حتى لا نعطى أطفالنا ما يتناقض مع مجتمعاتهم وتراثهم؟

### المجلات العربية

تعددت مجلات الأطفال العربية.. وتنوعت من بلد لآخر.. ومن دار نشر الى أخرى. كما تنوعت الغايات والأهداف من وراء تلك المجلات.

فهناك مجلة تصدر للشباب.. إلا أن أغلب قرائها من الأطفال.. وذلك لما تحويه تلك المجلة من ملصقات اعلانية ذات رسومات وألوان جميلة.. سواء على

الغلاف الخارجي .. أو في داخل العدد ..

ولا تحمل هذه المجلة من مضامين ثقافية جيدة .. سوى ما تقدمه من طرائف وبعض النوادر والمقالات القصيرة جداً .. والتي ترعاها وتشرف عليها الشركات التجارية .

وبالطبع فان هدف هذه المجلة هو الربح أولا والربح ثانياً .. ولا شيء آخر ..

ومن الأنواع الساعية للربح أيضاً ظهرت مجلات أخرى .. لكن ذلك الهدف لا يظهر للقارىء مباشرة ، وانما بعد تصفحه لصفحات المجلة ، اذ هي تشترط اقتناءها والاحتفاظ بجزء صغير من احدى الصفحات لتقديمه الى مسابقة كبرى مؤجلة رصدت لها جوائز قيمة جداً

كما تحوى المجلة جزءاً كبيراً من الصفحات المخصصة للمسابقات الفكرية والثقافية التي تفوق مستوى وادراك الطفل . كذلك تحوى عدة صفحات لرسائل الأطفال .. وهواة التعارف .. وصور الفائزين في المسابقات السابقة ..

ومن بين القصص التي تقدمها المجلة قصص مترجمة .. بالأضافة للقصص المحلية .. حيث يظهر الفرق واضحاً بين هذه وتلك من حيث الفكرة والرسوم والعادات المستهدف غرسها في الطفل ..

المهم هو أن هذه النوعية من المجلات تسعى لاجتذاب أكبر عدد من القراء بطرح أغلى أنواع الجوائز من أن لآخر ..

وهناك مجلات أخرى ، ظهرت مؤخراً .. وازدادت نسبة مبيعاتها سريعاً .. وذلك لأنها اعتمدت على بعض المسلسلات التليفزيونية التي عرضت ولاقت نجاحاً من قبل الجماهير المختلفة (الأطفال والكبار) والتي قدمت في معظمها قصصاً أسطورية بعيدة جداً عن الواقع .. مما شجع بعض المجلات الأخرى لافراد عدد من صفحاتها لمثل هذه القصص المستمدة من أساطير الجان والعفاريت ، والقوى الغامضة ، وغيرها من الخرافات دون مراعاة لمدى استفادة الطفل من هذه القصص . والقصد هو أن تحقق المجلة أكبر قدر من الربح !!

ومع وجود تلك النوعيات التجارية تطالعنا نوعيات أخرى ..

إحداها .. مجلة ظهرت مؤخراً للطفل الذي يقل عمره عن الست سنوات .. وهي مجلة ثقافية علمية .. مصورة ، ذات رسوم زاهية .. ومزايا تربوية متعددة .. نالت اعجاب الطفل واستحسانه .. الا أن الكثير من الصغار كانوا ينظرون الى المجلة في واجهة المكتبات .. وتملأ أنفسهم الحسرة لعدم قدرتهم على اقتنائها نتيجة لارتفاع سعرها ، الذي يعادل اربع نسخ من مجلات الأطفال الاخرى .. ترى .. أتهدف تلك المجلة للثراء السريع من وراء الطفل .. أم ماذا .. ؟

نوعية أخرى نالت اعجاب الطفل واستحسانه لاحتوائها الرسم الملون .. والصور الجميلة .. والأنشودة العذبة .. والقصة الهادفة .. لكنها مع ذلك تسعى لتطبيع ذلك الطفل بمبادىء تصدر عنها المجلة ..



مجلة ثالثة ذات مستوى ثقافي جيد ومضمون هادف .. وقصص تربوية هادفة .. ومسابقات ثقافية مبسطة .. وذات سعر منخفض .. لكن الطفل لا يقبل عليها كثيراً .. ربما يكون ذلك لشكل الطباعة ، أو الشكل النهائي الذي تظهر عليه المجلة ، من الوان باهتة .. وحروف صغيرة ..

أو ربما يكون السبب هو انحراف الطفل نحو المجلات الأخرى التي تقدم جوائز أكبر .. أو تنشر قصصاً خيالية أكثر ..

ان هذا الطفل الآن لم يعد يفكر في شراء مجلة أطفال الا للاشتراك في مسابقة أو للاحتفاظ بالوريقة الصغيرة التي تحمل رقم العدد .. أو لنشر صورته واسمه ضمن ركن التعارف والمراسلة .. أو لأن طابع تلك المجلة غريب عنه .. وعن عالمه .. مليء بالرعب .. بالاثارة بالمغامرات المدهشة .. والقوى الخارقة للطبيعة .. فهل نترك أطفالنا ليجرفهم ذلك التيار .. أم نحاول انقاذهم قبل فوات الأوان .. ؟؟

## ما هو المطلوب إذن ؟

● المطلوب رقابة عربية أو محلية على جميع مجلات الاطفال لتقييم ما ينشر للطفل قبل وصوله الى أيدي الأطفال .. ولتحديد صلاحية منشورات الأطفال قبل توزيعها على المنازل ..

● المطلوب اصدار دوريات ثقافية .. ترفيهية .. تتناسب مع مراحل العمر المختلفة للأطفال .. وتتناسب والظروف المرحلية للبلاد والأمة العربية والاسلامية .. بعيداً عن المصالح التجارية .. وجعلها في متناول اليد بحيث تطرح للبيع بأسعار مناسبة للطفل العربي في كل مكان ..

● المطلوب تجنيد بعض المسئولين عن ثقافة الطفل .. لصد ذلك الغزو التجاري بعيداً عن عقول أطفالنا وحمايتهم من كل ما يصل اليهم من ذلك الهجوم ..

وختاماً .. ليس ذلك غير تحليل بسيط لما خرجت به من قراءاتي لعدد من مجلات الأطفال ..

فرفقاً بأطفالنا أيها الناشرون .. ورفقاً بالغد الجديد ..

حصة العوضي ــ بنت الخليج

دعـــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـبـيـر

# الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي



بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

توماس ستيرنز إليوت Thomas Steams Eliot ولد سنة ١٨٨٨ وتوفي سنة ١٩٦٥ م نشأ بسنت لويس، مسوري من الولايات المتحدة بامريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعي بين سنة ١٩٠٦م و ١٩١٥في هارفارد بامريكا، والسوربون في باريس، واكسفورد بانجلترا. استقر بانجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس بالجنسية البريطانية. ويذكر مترجموه انه كان من أسرة عريقة الأصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه وثراء. وكان هو مع أدبه في انجلترا من رجال الأعمال الناجحين في ميدان النشر. وكان مرموق المكان بين ادباء عصره من جانبي المحيط الأطلسي، قريباً في المنزلة عندهم مما كان عليه اديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله. اشتهر اول امره بعد نشره منظومته (الارض المقفرة The Waste Land) سنة ١٩٢٢. ويقال ان الذى نشر حينئذ كان شيئاً مختصراً، اختصره منها ـ وهي طويلة جداً ـ صاحبه واستاذه الروحي إزرا باوند Ezra Pound وعندي أن مثل هذا القول، صح أو لم يصح، مما لا ينبغي أن يُعَوَّل عليه. وإليوت أعظم بها شهرة بين أدباء العرب المتعلقين به منه بغيرها ولكنه في فرنسا مثلا أعظم شهرة بمسرحيته (مقتل في الكنيسة Murder in the Cathedral) وللناس في ما يعشقون مذاهب.

## الفتنة باليوت والأرض المقفرة

الفتنة باليوت بين أبناء العرب المعاصرين كبيرة جداً. وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار. ومما ينسب إليه في باب الابتكار مذهبه في الاشارات والاقتباس. وهذا المذهب قديم في اللغة الانجليزية وأقدم في اللغة العربية افتن فيه من الجاهليين، على سبيل المثال زهير ونابغة بني ذبيان، وَدَعْ الفرزدق وجريرا وذا الرمة وأبا نواس وشيخ المذهب في المحدثين أبا تمام وتلاميذه من لدن أبي العلاء إلى الحريري. ومن جون ملتون John Milton الشاعر الانجليزي الكبير المشهور، استفاد هو طريقة مذهبه في الاشارات والاقتباس فتامل هذه الالتواءة، وكانما كان أسلوب أمثالها له ديدناً وطبيعة والله تعالى أعلم بسرائر غيابات النفوس.

ويدعو الداعون إلى الاقتداء بأسلوب إليوت والتمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربي الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون. وفي هذه القضية نظر. هذا أقل ما يقال. ولو قلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا. وإليك بعض البيان.

## الاضراب عن ذكر العرب

أولا: لفت نظري أن تعليقات إليوت التى جعلها في ذيل منظومته المسماة The Waste

## هــذه الدعوة الأدبيــة الجريئة

الدكتور عبد الله الطيب ناقد عربى كبير ، وباحث أدبى يحتل مكانه الآن بين الصف الأول من النقاد والباحثين . وقد جمــع عبد الله الطيب فى شخصيته الأدبية بين الأصالة ، حيث أنه من كبار العارفين والدارسين والمتذوقين للتراث العربى شعراً ونثراً وفكراً ، وبين المعرفة العميقة الواسعة بالأدب الأوروبى والثقافة الغربية ، كما جمع عبد الله الطيب بين شخصية الناقد الباحث وشخصية الشاعر المبدع ، وجمع أيضاً بين « الأستاذية » الجامعية ، والجماهيرية الواسعة حيث أنه من كبار القادرين على مخاطبة الرأى العام الأدبى ، كتابة ومحاضرة .. والخلاصة أن عبد الله الطيب هو شرارة من شعلة « طه حسين » التى أضاءت الأدب العربى والثقافة العربية خلال نصف قرن من الزمان ومازالت تضىء .

ويسعد الدوحة أن تنشر هذا البحث الجديد للناقد الشاعر الباحث الدكتور عبد الله الطيب ، حيث يهوى بقلمه على فكرة أساسية وجهت الشعر العربى منذ الأربعينات حتى اليوم ، وهذه الفكرة هى التأثر والافتتان بالشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » ، فقد كان لهذا الشاعر الكبير تأثيره العميق الواسع على شعراء هذا الجيل من السياب إلى نازك الملائكة إلى البياتى وصلاح عبد الصبور وحجازى وغيرهم من الشعراء اللامعين ، حتى لقد أصبح « اليوت » حقيقة مسلماً بها فى الحركة الشعرية العربية الجديدة ، من حيث تأثيره ونفوذه الأدبى ، وها هو الدكتور عبد الله الطيب ، يقدم هذه الدعوة الأدبية الجريئة التى نرجو أن تحظى بما تستحقه من المناقشة والاهتمام ، فالدكتور الطيب يكشف عن الجوانب السلبية فى اليوت ، وعن الجوانب السلبية فى التأثر العربى الواسع بهذا الشاعر .. والذين يتابعون الواقع الشعرى العربى يدركون ما فى هذه الدعوة من جراة ، ويسمعون ما فيها من طرقات عنيفة على باب الشعر العربى الذى أوشك أن يكون مغلقاً الآن على حدود جامدة تعتمد على التكرار ولا يبدو فيها من ملامح الجديد إلا القليل .

والدوحة تنشر اليوم الجزء الأول من هذه الدراسة الكبيرة وسوف تنشر فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير من البحث ، وقــد اضطررنا لتقسيم البحث إلى حلقتين لطوله مما يصعب معه نشره فى عدد واحد .

على أن « الدوحــة » وهى تنشر هذا البحث الهام وما يتضمنه من دعوة جريئة ، تدعو النقاد والشعراء وذوى الرأى الأدبى إلى المناقشة فيما أثاره الدكتور عبد الله الطيب من اراء أدبية جديدة وجريئة .

« رئيس التحرير »

Land « أى الأرض المقفرة » خالية من الاشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه « القرآن مثلا والاسلام » مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو فى ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل اكثر امم الأرض ولغتها وآدابها الحاضرة والغابرة .

ثانياً : لفت نظري أن إليوت قد ضمن منظومته راجع = The Waste Land and other Poems = طبعة لندن فى السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٥ م ) فى السطر ١٠٠ـ١٠٣ ص ـ٣ إشارة إلى شىء من شـــعر وليم وردزورث William Words Worth الرومانتكي الانجليزي الكبير وفي السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شىء من شعر والتردى لامير Walter de la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدي التأثر بالرومانتكية . ولم يذكر فى تعليقاته شيئاً يدل على هاتين الاشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هوشهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر فى منظومته من شعر Spencer سبنسر (راجع ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣ ) وآخر مشهور جداً من شعر Andrew Marvel اندروهارفيل ( راجع ص ٣٤ س ١٩٦ ) واشياء معروفة من التوراة والانجيل وغير ذلك . إذن ينبغى أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما أشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثاً : لفت نظري أن ذكر العرب الذى قد أضرب عنه إليوت كل الاضراب له ورود واضح فى أصل الاشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظهما الأسطار التى أشرنا إليها من قبل فى منظومته ـ الاشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، فى الأسطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ، والاشارة الديلميرية ، نسبة إلى والتردى لامير ، فى الأسطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ « أ » الاشارة التى وردت من إليوت فى س ١٠٠ ـ ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شىء من شعر وليم وردزورث هى قوله :

......... Yet there the nightingale
Filled all the desert with inviolable voice
And still she cried, and still the world pursues
'Jug jug' to dirty ears —

ترجمــة تقريبيــة :

ولكن هناك البلبل
ملأ كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد
زقزقة صفيره إلى الآذان القذرة

هذا والذى أشار إليه إليوت من شعر وليم

# الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

وردزورث هو قول هذا فى منظومته
The Solitary Reaper
اى الحاصدة المتوحدة : ـ

O listen for the vale profound
Is overflowing with the sound
No nightingale did everchant
More welcomes notes to weary bands
Of travellers in some shady haunt
Among Arabian sands.

وضعا خطا تحت الكلمة الدالة على العرب من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها وترجمة هذا النظم التقريبية كما يلي : ـ

الا فاسمع فان الوادى العميق
يفيض مفعما بالصوت
وما غنى ابدا بلبل
نغمات اطيب لجماعات مضناة
من المسافرين فى ظل مكان ما
بين الرمال العربية

اخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه بالصوت من قول وليم وردزورث حيث قال : ( راجع السطر الثاني من كلامه الذى مر ) :

......... overflowing with the sound

اى : يفيض مفعما بلصوت .
فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

اى ملأ كل الصحراء كما مربك فى الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بان صوته الذى ملأ الصحراء لا يستطيع احد له اغتصابا وطمثا inviolable واصل هذا المعنى ماخوذ من حاصدة وردزورث المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء الحاصدة المتوحدة التى افعم صوتها الوادى العميق وفضله وردزورث على صوت كل بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لا تنال لتوحدها وبداوتها الى الصوت نفسه فزعم له عذرية سرمدية لا يستطاع نيلها بغصب وطمث ، لا يطمثها احد لا انس ولا جان كحور الجنة . وازعم ان إليوت لايخلو أن يكون نظر فى قوله الى هذا المعنى القرانى ـ قال تعالى فى سورة الرحمن فى وصف الحور العين : «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» ؛ وذلك ان ترجمات القران فى اللغة الانجليزية وغيرها من لغات اوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت فى السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميل Philomel فى نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .........

وهو يريد بذلك ان يوقع فى وهمنا انه يشير الى خبر Philomela فيلوميلا الأسطورى وخلاصته (وقد اشار اليه فى التعليقات ص ٤٦) ان ملكا تزوج اخت فيلوميلا (او فيلوميل) ثم شغف بها هى حبا وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم احدا بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته . وتنتهى الأسطورة بمسخ الغاصب والمراتين طيرا ، وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بلبلا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذى قطع . وما اشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز ان اصل اللفظين واحد قديم موغل فى القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهى من أمهات الحضارة ؟ ومن خطا اليونان او غيرهم فى هذه الأسطورة نسبة الغناء الى انثى البلبل لأن الصادح فى الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على أن اصل معنى إليوت اخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث . استبدل إليوت قول وردزورث «الرمال العربية Arabian Sands» ، بقوله هو «كل الصحراء all the desert» وما قوله كل الصحراء إلا كما لو قال رمال العرب أو الرمال العربية أو الصحراء العربية. واستبدل إليوت قول وردزورث «لجماعات مضناة to weary bands» بقوله هو «للآذان او الى الآذان القذرة to dirty ears» وشبه الصياغة ودليل الاخذ فى النص الانجليزى واضح جداً . ولاحظ مع هذا ان إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث «بين الرمال العربية» بقوله هو «كل الصحراء» :

وردزورث : Among Arabian sands
إليوت : Filled all the desert :

وقول إليوت :

Jug jug to dirty ears ............

اى : زقزقة صفير البلبل الى الآذان القذرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت «زق زق» ليوهم بانه يشير الى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية فى اشعارهم ويصرف الأذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى ان ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وان هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

«ب» : الاشارة الديلميرية نسبة الى والتر دى لامير .

قال إليوت فى منظومته السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ص ٣٠ : ـ

Where fishmen lounge at noon, where the walls of magnus martyr hold
Inexplicable splendours of Ionian white and gold.

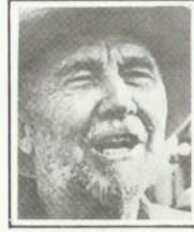
الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت فى نصف النهار حيث جدران (كنيسة) ماغنس الشهيد تحوى ما يعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى والذهبى .

الكلمة inexplicable فى هذا النص ومعناها ما يعجز الشرح والتفسير تشبه فى روح الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت فى اخذه من وردزورث وهى inviolable اى لا يستطاع اغتصابه . وفكرة الأبيض اليونانى والذهبى فيها مشابه من فكرة إقحامه «فيلوميل» من قبل من حيث الايهام بالرجوع الى الأصول القديمة الكلاسيكية وصرف النظر عن موضع الأخذ القريب . وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعليقه بذكر المعمارى رن Wren فى ص ٤٨ وهو السير كرستوفر رن Sir Christopher Wren يشبه إقحامة «زق زق» ليصرف النظر عن اخذه عن دى لامير ويوهم باشارة بدل ذلك الى هذا المعمارى وعصره الرفيع فى تاريخ الحضارة والفن والادب .


وليم شكسبير


جون ملتون


عزرا باوند

عنى إليوت بالابيض اليونانى والذهبى من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التى فى سقف الكنيسة من الداخل واصلها يونانى . وقول إليوت : Magnus Martyr اى ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس Saint Magnus وذلك اسم كنيسة مما صممه المعمارى المهندس السير كرستوفر رن . ومعنى «مارتر Martyr التى اقحمها إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة . (راجع A History of Architecture اى «تاريخ العمارة» لمؤلفه السير بانستر فلتشر Sir Banister Fletcher طبع مدينة لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ ـ ٨١٥) .

السير كريستوفر رن Sir Christopher Wren (١٦٣١ ـ ١٧٢٣ م) من كبار رجال الفكر والعلم والهندسة والعمارة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة بملكها شارلس الثانى ، اعاد تصميم عدد كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها الكبير فى سنة ١٦٦٦ م ومما اعاد تصميمه كاتدرائية القديس بولص المعروفة Saint Paul's ونقوش سقفها الداخلية البيض المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان العظيم فى تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما وقد حاكى كرستوفر رن فن النهضة فى سائر ما صممه ولا يستبعد ان يكون إليوت ضمن قوله (ماغنس مارتر Magnus Martyr) على شرحه المتكلف له فى ص ٤٨ فى التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبيهاً لها بكنيسة القديس بطرس فى روما إذ لا يخفى أن بطرس الحوارى هو شهيد المسيحية العظيم (ماغنس مارتر) وهذا معنى جانبى تجيء ظلاله من طريق تداعى المعانى والأول مع الشرح هو الظاهر ولكنى احسب ان هذا هو المقصود وهو الأصل .

أضرب إليوت عن ذكر دى لامير واخفاه .

وقول والتر دى لامير الذى أشار اليه هو أول كلمته Arabia اى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان ـ (انظر ص ١٥٥ من مختارات الشعر الانجليزى المسماة Selections from modern Poets لصانعها ج . س . سكوير J. C. Squire طبع لندن ـ مارتن سكر Martin Secker سنة ١٩٢١) . قال والتر دى لامير فى أول منظومته :

Far are the shades of Arabia,
Where the princes ride at noon,

هذان أول سطرين وقد نظر الى هذين السطرين والى ما بعدهما إليوت نظراً شديداً فى الأسطار التى ذكر فيها فيلوميل والتى قبلها (راجع من أول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدا بشيء كمحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوباترة الى السطر ٩٩) وليس هنا موضع تفصيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيهات ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الأمراء فى نصف النهار ...

استبدل إليوت عبارة دى لامير ... the shades of Arabia .. (ظلال جزيرة العرب) بعبارته هو ... the walls/of magnus martyr (جدران كنيسة ماغنس الشهيد) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتر دى لامير . ولا يخفى ان الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والفرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادراً عن تعصب دينى أو عنصرى أو عقابيل شعور صليبى مما يدعو الى التماس ملجا عند الكنيسة إذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد .

وقد كان والتردى لامير (١٨٧٣ م ـ ١٩٥٦ م) معاصراً لاليوت ، اسن منه شيئاً .. وقد وصفه تاريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الجذاب ـ (انظر ص ٨٤٧ ـ ٨٤٨ من كتاب The Concise Cambridge History of English literature دى لامير : — Where the Princes ride at noon لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م) وقد كان ذا روح رومانتيكى . وطوى اليوت ذكره طياً مع ان شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية .

واستبدل اليوت لفظ الأمراء the Princes الوارد فى بيت دى لامير بقوله the fishmen اى صائدو الحوت وقول دى لامير ride (يركب) بقوله lounge (يستريح) واحتفظ بلفظ نصف النهار at noon وهو وحده كاف فى النميمة بالمحاكاة . وكرر اليوت لفظ where (حيث) الوارد فى بيت (حيث يركب الأمراء فى نصف النهار) يترنم به كما ترى .

لا يخفى أن ثم رابطة قوية بين طي اليوت لذكر دى لامير وجزيرته العربية كما بين طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى والتعصب العنصرى ، وبعضه مرده الى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان واوروبا والسوربون وهارفارد واكسفورد والاستنكاف عن ان ينسب الى الرومانتيكية لادعائه الانتساب الى الكلاسيكية مع انه غارق الى اذنيه فى الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق له فى الأوان ولشاعرها والتر دى لامير المعاصر له فى الزمان ، وبعضه مرده الى شخصيته وبيئته كنشاته فى أمريكا وتحوله الى الجنسية البريطانية وتقلب اهوائه فى السياسة والدين ، واكثره مرده الى طموح جامح طلب بمملكة محدودة المدة ان يساوى ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلهما فى عصره ، معتمداً فى ذلك على الكد والمكر والدهاء كالذى رايت من كتمانه محاكاته لوردزورث ودى لامير وتغطية ذلك بضباب من الكلاسيكية والتعليقات الأكاديمية . وككتمانه أمر دينه لهما وإضرابه عن ذكرهما فى النص والتعليقات . كذلك كتم أمر دينه للعربية واضرب عن ذكره والاشارة اليه كل الاضراب .

الجزء الثاني فى العـــدد القـادم

# كلام عن.. سيناء

## درويش مصطفى الفار

لم تبرح شبه جزيرة سيناء ، تتسنم قمة الأحداث ، طوال القرون الخمسين المنصرمة ، شاهدة جيشاً مغرباً أو مشرقاً بمعدل مرة كل خمسين عاماً ... ولا أظنها ستفقد صفتها تلك، طالما ظل الخطر اليهودي الصهيوني العنصري التوسعي قائماً بغير رادع (عربي اسلامي) فعال ... وسيناء ، فيما يعلمه من عرف التاريخ ، ولست هنا للخوض فى ما قبل التاريخ ، ولست هنا للخوض في هذا الأمر ومناقشته ، ولا للحديث عن جبالها ورمالها وهضابها ، وسواحلها ، وسباخها ، وقبائلها ، وحيوانها ، ونباتها وآثارها ، ودروبها ، ومسالكها ، وغير ذلك من خصائصها ومميزاتها التي حظيت في جملتها وتفصيلها بما يزيد ، مما أحصيته في ثبت،حتى الآن ، عن ألف وخمسمائة كتاب بشتى لغات الأرض ، ظناً أنها (سيناء) التي عناها كل من التوراة والانجيل والقرآن الكريم ، فيما يخص موسى عليه السلام ومناجاته والألواح ، ذلك الأمر تعددت فيه الآراء والتفسيرات والظنون ، مما حدا بكثيرين الى الاعتقاد بأن سيناء الكتب المقدسة ، ليست بالتأكيد ذلك المثلث من الأرض العربية المصرية الذي تبلغ مساحته زهاء واحد وستين الف كيلو متر مربع ، ويتخذ قاعدته على ساحل البحر المتوسط ، ورأسه عند التقاء خليجي السويس والعقبة في دخولهما بحر القلزم أو البحر الأحمر ، وانما هي مكان آخر يقع في الصحراء الواسعة الرحبة الى الشمال الشرقي من مدينة العقبة .... لست بصدد هذا الآن ... بيد أني بصدد رفع الستار عن بعض حقائق التاريخ التي حدثت فعلا، اكشفها ما وسعني الجهد لعلها تنير بصائرنا ، بعلمنا بحقيقة ما حدث ، لعلنا نعي ما يحدث اليوم .... فقد ظل الاستعمار الغربي ، وهو مشغول ببذل الود للصهيونية العالمية ، ليتخذها ـ لحاجات في أنفس يعاقيب ـ سوطاً أو مقرعة على ظهور وأوجه (أصدقائه) العرب ، حتى ينفس عن مكبوت من الألم وقر في القلوب منذ معركة حطين سنة ١١٨٧ م ، ظل يناور ويداور ويحاور لاثبات أن (سيناء) ليست أرضاً مصرية عربية ليستطيع اقتطاعها للوطن القومي اليهودي ، طالما كانت الشام بجملتها (ومنها فلسطين) تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ... ولكن ظروفاً لا تحصى حالت دون تلك الهدف بعد أن اختلف اللورد كرومر (صاحب الأمر والنهي في مصر حتى سنة ١٩٠٨) مع لجنة هرتزل التي درست (ساحل العريش) سنة ١٩٠٢ ... من تلك المناورات والدسائس ، خطاب وقع في يدي ، أرسله الكولونيل (العقيد) رتشارد ماينر تزهاجن ، الى رئيس الوزراء لويد جورج بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، خطاب يجب أن يقراه كل عربي ، لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، يقول فيه ـ لا رحمه الله ولا طيب ثراه :

سيدي رئيس الوزراء :

لقد سالتني بالأمس ، أن أسطر لك رسالة ـ غير رسمية ـ حول موضوع (السيادة على سيناء) .وانني أعتبر هذا السؤال ذا أهمية قصوى ، ليس اليوم (١٩١٩) ولكن في الأعوام القادمة .. فهل تسمح لي أن أزيد الأمر توضيحاً ، عنى بالامس ...

لقد كنا ، في منتهى الحكمة بسماحنا لليهود أن ينشئوا لهم وطناً قومياً في فلسطين ، ونحن قد (حررنا) العرب من ربقة الأتراك !! كما أننا لن نخلد في مصر .. ولقد وضع مؤتمر السلام بيضتين هما القومية اليهودية ، والقومية العربية ، ومن هاتين البيضتين سوف نحصل على ديكين مزعجين ، الديك اليهودي ، (رجولي شجاع ،ذكي وذو عزيمة !!!) والديك العربي ، (منحط ، بليد خئون) ليس لديه ما يعطيه غير الضلالات التي منحتها اياه تلك الصحراء السرمدية الهدوء!!! واليهود ـ ياسيدي الرئيس ـ رغم شتاتهم قد استطاعوا أن يتميزوا في الفنون والعلوم والموسيقى ، وقد كان

منهم واحد من أعظم رؤساء وزراء بريطانيا!!

وفي خلال خمسين سنة من الآن (١٩١٩) فان كلا من اليهود والعرب سوف يحمل لواء (قوميته) وهذا نتيجة طبيعية لاعلان الرئيس (ولسون) عن حق تقرير المصير ... والقومية تفضل الحكم الوطني مهما كان غير كفء أو غير أمين، على الحكم الأجنبي مهما كانت مميزاته والقومية تهتم بتحرير الحكم من الأجنبي، وتتجاهل حرية الفرد، وهي بالطبع (الطبيخ) الذي يحترفه السياسيون والمهيجون، وقد يتأتى من ورائه ظلم شنيع للجماهير. ولسوف يتطور الوطن القومي لليهود ان عاجلا أو آجلا الى (سيادة) وأنا افهم أن هذا التطور الطبيعي يدركه ويسعى اليه المحيطون بجلالة الملك. كما وأن القومية العربية سوف تنمو من ما بين النهرين الى مراكش. ولسوف تصطرع السيادتان، اليهودية والعربية. فاذا ما تحقق برنامج التهجير اليهودي الى فلسطين فان الدولة اليهودية سوف تتوسع، على حساب العرب، الذين سوف يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون نمو (فلسطين يهودية) وهذا سوف يتطلب، اراقة الدماء ... ووضع بريطانيا اليوم (١٩١٩) في الشرق الأوسط، وضع متفوق، ولسوف تجابهنا تحديات القومية ... ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للطرفين، العرب واليهود ... وأقترح أن نصادق القوم الذين سوف يكونون أصدقاء (أوفياء) لنا، وهم اليهود بالطبع، وهم مدينون لنا بأمور كثيرة، ونحن نعرف أن (الوفاء) من خصائص اليهود (!!!!) اذ على الرغم من أننا قدمنا الكثير للعرب (فانهم) لا يعرفون معنى الوفاء !!!! فضلا عن أنهم سوف يكونون (عبئاً) علينا، بينما اليهود سوف يكونون عوناً !! وفلسطين ياسيدي الرئيس هي حجر الزاوية في الشرق الاوسط وهي محصورة بين

## ● رسالة غير رسمية حول موضوع السيادة على سيناء عمرها ٦٣ عاما

الصحراء والبحر، وبها أفضل مرافىء شرقي البحر المتوسط، ولقد أثبت اليهود مقدرتهم الحربية منذ احتلال الرومان لفلسطين (؟؟) والقدس ... والعربي محارب (ضعيف) لا يتقن الا السلب والنهب والقتل !!!!

والآن نأتي الى موقع فلسطين بالنسبة الى مصر، فالمصريون على كثرة العدد وتفوقه لا يمكن مقارنتهم باليهود وجيشهم !! ولكن عندما تتطور الأسلحة – الدبابات والطائرات – فان القوة الهجومية سوف تعتمد على الشجاعة والصلابة، ولهذا فانني أعتبر مصر العدو الكامن الدائم لفلسطين (اليهودية)... وبنمو القومية العربية والقومية اليهودية سنة ١٩٦٦ أي بعد سبعة وأربعين عاماً من الآن فلسوف نفقد وضعنا في الشرق الاوسط فاقتراحي اليك أمس هو اقتراح بأن ننظر بجدية الى تقوية وتأمين موقفنا في الشرق الأوسط.

ولقد كانت الحدود المصرية (التركية) قبل سنة ١٩٠٥ تمتد من رفح الى السويس. وهكذا كان كل شرق سيناء وجنوبها جزء من (الحجاز) وهي ولاية عثمانية، وفي اكتوبر سنة ١٩٠٦ منحت مصر حق ادارة سيناء كلها غرب الخط الواصل من رفح الى العقبة، وظلت تركيا محتفظة بسيادتها !!! ولقد قام الجنرال اللنبي بالقوات البريطانية (دوّن مساعدة من الجيش المصري) بغزو (وتحرير) سيناء (التركية)، وبذلك فان سيناء، بحق الفتح الحربي هي أرض بريطانية !! وهذه الحقيقة الواضحة الصلعاء يمكن لوزارة الخارجية أن تجعلها حقيقة دولية !! فاذا ما توصلنا الى الحاق سيناء بممتلكات التاج، فاننا سوف نحقق المغانم التالية :

١ – انشاء منطقة تعزل ما بين مصر، وفلسطين (اليهودية) ...

٢ – الحصول لبريطانيا (العظمى) على موقع ممتاز للسيطرة التامة على البحرين الأحمر والمتوسط ..

٣ – وكذلك على متسع لقاعدة ستراتيجية، بموافقة اليهود لانشاء أكبر الموانىء في شرق البحر المتوسط.

٤ – تصبح بريطانيا في موقع تستطيع منه كبح جماح أي تحرك مصري لتعطيل الملاحة في قناة السويس فضلا عن التمكن من دراسة توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بقناة ثانية

٥ – ليس هنالك خوف من قيام نزعة تحررية بين سكان سيناء لأنهم فقراء قليلو العدد ومعظمهم من البدو الرحل .. ولئن كان قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) قد غير من خطوات فلسفة هذا الخطاب العجيب، فان مضمون تلك الفلسفة قد نفذ، ولعل أهل كاتب هذا الخطاب قد عرفوا معنى (الوفاء)، ولعلنا قادرون على أن نرى (الأصدقاء) زلاتهم وخياناتهم للأمانة، لعلهم يرعوون ويفيقون قبل أن يصبح استمرار (الصداقة) من المستحيلات، وحيث لا ينفع الندم.

دعـــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـبـــير

# الفتـنـة بالشاعر إليوت خطـر على الأدب العـربي



بقلم : الدكتور عبد الله الطيب

توماس ستيرنز إليوت Thomas Steams Eliot ولد سنة ١٨٨٨ وتوفي سنة ١٩٦٥ م نشا بسنت لويس ،مسوري من الولايات المتحدة بامريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعي بين سنة ١٩٠٦م و ١٩١٥في هارفارد بامريكا ، والسوربون في باريس ، واكسفورد بانجلترا . استقر بانجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس بالجنسية البريطانية . ويذكر مترجموه انه كان من اسرة عريقة الأصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه وثراء . وكان هو مع ادبه في انجلترا من رجال الأعمال الناجحين في ميدان النشر . وكان مرموق المكان بين ادباء عصره من جانبي المحيط الأطلسي ،قريبا في المنزلة عندهم مما كان عليه اديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله . اشتهر اول امره بعد نشره منظومته ( الأرض المقفـــرة The Waste Land ) سنة ١٩٢٢ . ويقال ان الذى نشر حينئذ كان شيئاً مختصراً ، اختصره منها – وهي طويلة جداً – صاحبه واستاذه الروحي إزرا باوند Ezra وعندي ان مثل Pound هذا القول ، صح او لم يصح ، مما لا ينبغي ان يُعَوَّلَ عليه . وإليوت أعظم بها شهرة بين ادباء العرب المتعلقين به منه بغيرها ولكنه في فرنسا مثلا اعظم شهرة بمسرحيته ( مقتل في الكنيسة Murder in the Cathedral ) وللناس في ما يعشقون مذاهب .

## الفتنة باليوت والأرض المقفرة

الفتنة باليوت بين ابناء العرب المعاصرين كبيرة جداً . وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار . ومما ينسب إليه في باب الابتكار مذهبه في الاشارات والاقتباس . وهذا المذهب قديم في اللغة الانجليزية واقدم في اللغة العربية افتن فيه من الجاهليين ، على سبيل المثال زهير ونابغة بني ذبيان ، وَدَعْ الفرزدق وجريرا وذا الرمة وأبا نواس وشيخ المذهب في المحدثين ابا تمام وتلاميذه من لدن أبي العلاء إلى الحريري . ومن جون ملتون John Milton الشاعر الانجليزي الكبير المشهور ، استفاد هو طريقة مذهبه في الاشارات والاقتباس فتأمل هذه الالتواءة ، وكانما كان اسلوب أمثاله له ديدناً وطبيعة والله تعالى أعلم بسرائر غيابات النفوس .

ويدعو الداعون إلى الاقتداء باسلوب إليوت والتمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربي الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون . وفي هذه القضية نظر . هذا أقل ما يقال . ولو قلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا . وإليك بعض البيان .

## الاضراب عن ذكر العرب

أولا : لفت نظري أن تعليقات إليوت التى جعلها في ذيل منظومته المسماة The Waste

## هــــذه الدعوة الأدبيــــة الجريئة

الدكتور عبد الله الطيب ناقد عربى كبير ، وباحث ادبى يحتل مكانه الآن بين الصف الأول من النقاد والباحثين . وقد جمـــع عبد الله الطيب فى شخصيته الأدبية بين الأصالة ، حيث انه من كبار العارفين والدارسين والمتذوقين للتراث العربى شعراً ونثراً وفكراً ، وبين المعرفة العميقة الواسعة بالأدب الأوروبى والثقافة الغربية ، كما جمع عبد الله الطيب بين شخصية الناقد الباحث وشخصية الشاعر المبدع ، وجمع أيضاً بين « الأستاذية » الجامعية ، والجماهيرية الواسعة حيث انه من كبار القادرين على مخاطبة الرأى العام الأدبى ، كتابة ومحاضرة .. والخلاصة أن عبد الله الطيب هو شرارة من شعلة « طه حسين » التى أضاءت الأدب العربى والثقافة العربية خلال نصف قرن من الزمان ومازالت تضىء .

ويسعد الدوحة أن تنشر هذا البحث الجديد للناقد الشاعر الباحث الدكتور عبد الله الطيب ، حيث يهوى بقلمه على فكرة أساسية وجهت الشعر العربى منذ الأربعينات حتى اليوم ، وهذه الفكرة هى التأثر والافتتان بالشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » ، فقد كان لهذا الشاعر الكبير تأثيره العميق الواسع على شعراء هذا الجيل من السياب إلى نازك الملائكة إلى البياتى وصلاح عبد الصبور وحجازى وغيرهم من الشعراء اللامعين ، حتى لقد أصبح « اليوت » حقيقة مسلماً بها فى الحركة الشعرية العربية الجديدة ، من حيث تأثيره ونفوذه الأدبى ، وها هو الدكتور عبد الله الطيب ، يقدم هذه الدعوة الأدبية الجريئة التى نرجو أن تحظى بما تستحقه من المناقشة والاهتمام ، فالدكتور الطيب يكشف عن الجوانب السلبية فى اليوت ، وعن الجوانب السلبية فى التأثر العربى الواسع بهذا الشاعر .. والذين يتابعون الواقع الشعرى العربى يدركون ما فى هذه الدعوة من جراة ، ويسمعون ما فيها من طرقات عنيفة على باب الشعر العربى الذى أوشك ان يكون مغلقاً الآن على حدود جامدة تعتمد على التكرار ولا يبدو فيها من ملامح الجديد إلا القليل .

والدوحة تنشر اليوم الجزء الأول من هذه الدراسة الكبيرة وسوف تنشر فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير من البحث ، وقـــد اضطررنا لتقسيم البحث إلى حلقتين لطوله مما يصعب معه نشره فى عدد واحد .

على أن « الدوحـــة » وهى تنشر هذا البحث الهام وما يتضمنه من دعوة جريئة ، تدعو النقاد والشعراء وذوى الرأى الأدبى إلى المناقشة فيما أثاره الدكتور عبد الله الطيب من آراء أدبية جديدة وجريئة .

« رئيس التحرير »

Land « أى الأرض المقفرة » خالية من الاشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه « القرآن مثلا والاسلام » مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو فى ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل أكثر أمم الأرض ولغتها وآدابها الحاضرة والغابرة .

ثانياً : لفت نظري أن إليوت قد ضمن منظومته راجع = The Waste Land and other طبعة لندن فى السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و = Poems ١٩٧٥ م ) فى السطر ١٠٠ـ ١٠٣ ص ـ ٣ إشارة إلى شىء من شـــــعر وليم وردزورث William Words Worth الرومانتكي الانجليزي الكبير وفي السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شىء من شعر والتردى لامير Walter de la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدي التأثر بالرومانتكية . ولم يذكر فى تعليقاته شيئاً يدل على هاتين الاشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هو شهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر فى منظومته من شعر Spencer سبنسر (راجع ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣ ) وآخر مشهور جداً من شعر Andrew Marvel أندروهارفيل ( راجع ص ٣٤ س ١٩٦ ) واشياء معروفة من التوراة والانجيل وغير ذلك . إذن ينبغى أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما أشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثاً : لفت نظري أن ذكر العرب الذى قد أضرب عنه إليوت كل الاضراب له ورود واضح فى أصل الاشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظهما الأسطار التى أشرنا إليها من قبل فى منظومته ـ الاشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، فى الأسطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ، والاشارة الديلميرية ، نسبة إلى والتردى لامير ، فى الأسطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ « أ » الاشارة التى وردت من إليوت فى س ١٠٠ ـ ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شىء من شعر وليم وردزورث هى قوله :

......... Yet there the nightingale
Filled all the desert with inviolable voice
And still she cried, and still the world pursues
'Jug jug' to dirty ears —

ترجمـــة تقريبيـــة :

ولكن هناك البلبل
ملأ كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد
زقزقة صفيره إلى الآذان القذرة

هذا والذى أشار إليه إليوت من شعر وليم

# الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

وردزورث هو قول هذا فى منظومته
The Solitary Reaper
اى الحاصدة المتوحدة : ــ

O listen for the vale profound
Is overflowing with the sound
No nightingale did everchant
More welcomes notes to weary bands
Of travellers in some shady haunt
Among **Arabian** sands.

وضعنا خطاً تحت الكلمة الدالة على العرب من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها وترجمة هذا النظم التقريبية كما يلي : ــ

الا فاسمع فان الوادى العميق
يفيض مفعما بالصوت
وما غنى ابداً بلبل
نغمات اطيب لجماعات مضناة
من المسافرين فى ظل مكان ما
بين الرمال العربية

اخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه بالصوت من قول وليم وردزورث حيث قال : ( راجع السطر الثاني من كلامه الذى مر ) : ......... overflowing with the sound اى : يفيض مفعماً بلصوت . فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

اى ملأ كل الصحراء كما مربك فى الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بان صوته الذى ملأ الصحراء لا يستطيع احد له اغتصاباً وطمثاً inviolable واصل هذا المعنى ماخوذ من حاصدة وردزورث المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء الحاصدة المتوحدة التى افعم صوتها الوادى العميق وفضله وردزورث على صوت كل بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لا تنال لتوحدها وبداوتها الى الصوت نفسه فزعم له عذرية سرمدية لا يستطاع نيلها بغصب وطمث ، لا يطمثها احد لا انس ولا جان كحور الجنة . وازعم ان إليوت لايخلو ان يكون نظر فى قوله الى هذا المعنى القرانى ــ قال تعالى فى سورة الرحمن فى وصف الحور العين :«لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» ؛ وذلك ان ترجمات القران فى اللغة الانجليزية وغيرها من لغات اوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت فى السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميل Philomel فى نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .........

وهو يريد بذلك ان يوقع فى وهمنا انه يشير الى خبر Philomela فيلوميلا الأسطورى وخلاصته (وقد اشار اليه فى التعليقات ص ٤٦) ان ملكاً تزوج اخت فيلوميلا (او فيلوميل) ثم شغف بها هى حباً وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم احداً بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته . وتنتهى الأسطورة بمسخ الغاصب والمراتين طيراً، وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بلبلا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذى قطع . وما اشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز ان اصل اللفظين واحد قديم موغل فى القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهى من أمهات الحضارة ؟ ومن خطا اليونان او غيرهم فى هذه الأسطورة نسبة الغناء الى انثى البلبل لأن الصادح فى الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على أن اصل معنى إليوت اخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث . استبدل إليوت قول وردزورث «الرمال العربية Arabian Sands» ، بقوله هو «كل الصحراء all the desert» وما قوله كل الصحراء إلا كما لو قال رمال العرب او الرمال العربية او الصحراء العربية. واستبدل إليوت قول وردزورث «لجماعات مضناة to weary bands» بقوله هو «للآذان او الى الآذان القذرة to dirty ears» وشبه الصياغة ودليل الاخذ فى النص الانجليزى واضح جداً . ولاحظ مع هذا ان إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث «بين الرمال العربية» بقوله هو «كل الصحراء» :

وردزورث : Among Arabian sands

إليوت : Filled all the desert

وقول إليوت :

Jug jug to dirty ears ............

اى : زقزقة صفير البلبل الى الآذان القذرة . إنما جاء فيه بحكاية الصوت «زق زق» ليوهم بانه يشير الى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية فى اشعارهم ويصرف الأذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى ان ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وان هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

«ب» : الاشارة الديلميرية نسبة الى والتر دى لامير .

قال إليوت فى منظومته السطر ٢٦٣ ــ ٢٦٥ ص ٣٠ : ــ

Where fishmen lounge at noon, where the walls of magnus martyr hold
Inexplicable splendours of Ionian white and gold.

الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت فى نصف النهار
حيث جدران (كنيسة) ماغنس الشهيد تحوى
ما يعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى والذهبى .

الكلمة inexplicable فى هذا النص ومعناها ما يعجز الشرح والتفسير تشبه فى روح الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت فى اخذه من وردزورث وهى inviolable اى لا يستطاع اغتصابه . وفكرة الأبيض اليونانى والذهبى فيها مشابه من فكرة إقحامه «فيلوميل» من قبل من حيث الايهام بالرجوع الى الأصول القديمة الكلاسيكية وصرف النظر عن موضع الأخذ القريب . وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعليقه بذكر المعمارى رن Wren فى ص ٤٨ وهو السير كرستوفر رن Sir Christopher Wren يشبه إقحامة «زق زق» ليصرف النظر عن اخذه عن دى لامير ويوهم باشارة بدل ذلك الى هذا المعمارى وعصره الرفيع فى تاريخ الحضارة والفن والأدب .


وليم شكسبير


جون ملتون


عزرا باوند

عنى إليوت بالأبيض اليونانى والذهبى من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التى فى سقف الكنيسة من الداخل واصلها يونانى . وقول إليوت : Magnus Martyr اى ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس Saint Magnus وذلك اسم كنيسة مما صممه المعمارى المهندس السير كرستوفر رن . ومعنى «مارتر Martyr التى اقحمها إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة . (راجع A History of Architecture اى «تاريخ العمارة» لمؤلفه السير بانستر فلتشر Sir Banister Fletcher طبع مدينة لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ ـ ٨١٥) .

السير كريستوفر رن Sir Christopher Wren (١٦٣١ ـ ١٧٢٣ م) من كبار رجال الفكر والعلم والهندسة والعمارة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة بملكها شارلس الثانى ، اعاد تصميم عدد كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها الكبير فى سنة ١٦٦٦ م ومما اعاد تصميمه كاتدرائية القديس بولص المعروفة Saint Paul's ونقوش سقفها الداخلية البيض المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان العظيم فى تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما وقد حاكى كرستوفر رن فن النهضة فى سائر ما صممه ولا يستبعد ان يكون إليوت ضمن قوله (ماغنس مارتر Magnus Martyr) على شرحه المتكلف له فى ص ٤٨ فى التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبيهاً لها بكنيسة القديس بطرس فى روما إذ لا يخفى ان بطرس الحوارى هو شهيد المسيحية العظيم (ماغنس مارتر) وهذا معنى جانبى تجيء ظلاله من طريق تداعى المعانى والأول مع الشرح هو الظاهر ولكنى احسب ان هذا هو المقصود وهو الأصل .

اضرب إليوت عن ذكر دى لامير واخفاه .

وقول والتر دى لامير الذى اشار اليه هو أول كلمته Arabia اى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان ـ (انظر ص ١٥٥ من مختارات الشعر الانجليزى المسماة Selections from modern Poets لصانعها ج . س . سكوير J. C. Squire طبع لندن ـ مارتن سكر Martin Secker سنة ١٩٢١) . قال والتر دى لامير فى أول منظومته :

Far are the shades of Arabia,
Where the princes ride at noon,

هذان أول سطرين وقد نظر الى هذين السطرين والى ما بعدهما إليوت نظراً شديداً فى الأسطار التى ذكر فيها فيلوميل والتى قبلها (راجع من أول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدأ بشيء كمحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوباترة الى السطر ٩٩) وليس ههنا موضع تفصيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيهـات ظـلال جزيـرة العـــرب
حيـث يركـــب الأمراء فى نصف النهار ...

استبدل إليوت عبارة دى لامير ... the shades of Arabia .. (ظلال جزيرة العرب) بعبارته هو ... the walls/of magnus martyr (جدران كنيسة ماغنس الشهيد) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتر دى لامير . ولا يخفى ان الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والفرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادراً عن تعصب دينى او عنصرى او عقابيل شعور صليبى مما يدعو الى التماس ملجا عند الكنيسة إذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد .

وقد كان والتر دى لامير (١٨٧٣ م ـ ١٩٥٦ م) معاصراً لاليوت ، اسن منه شيئاً .. وقد وصفه تاريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الجذاب ـ (انظر ص ٨٤٧ ـ ٨٤٨ من كتاب The Concise Cambridge History of English literature دى لامير : Where the Princes ride at noon لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م) وقد كان ذا روح رومانتيكى . وطوى اليوت ذكره طيا مع ان شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية .

واستبدل اليوت لفظ الأمراء the Princes الوارد فى بيت دى لامير بقوله the fishmen اى صائدو الحوت وقول دى لامير ride (يركب) بقوله lounge (يستريح) واحتفظ بلفظ نصف النهار at noon وهو وحده كاف فى النميمة بالمحاكاة . وكرر اليوت لفظ where (حيث) الوارد فى بيت

(حيث يركب الأمراء فى نصف النَّهار)

يترنم به كما ترى .

لا يخفى ان ثم رابطة قوية بين طي اليوت لذكر دى لامير وجزيرته العربية كما بين طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى والتعصب العنصرى ، وبعضه مرده الى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان واوروبا والسوربون وهارفارد واكسفورد والاستنكاف عن ان ينسب الى الرومانتيكية لادعائه الانتساب الى الكلاسيكية مع انه غارق الى اذنيه فى الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق له فى الأوان ولشاعرها والتر دى لامير المعاصر له فى الزمان ، وبعضه مرده الى شخصيته وبيئته كنشاته فى امريكا وتحوله الى الجنسية البريطانية وتقلب اهوائه فى السياسة والدين ، واكثره مرده الى طموح جامح طلب بمملكة محدودة المدة ان يساوى ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلهما فى عصره ، معتمداً فى ذلك على الكد والمكر والدهاء كالذى رأيت من كتمانه محاكاته لوردزورث ودى لامير وتغطية ذلك بضباب من الكلاسيكية والتعليقات الأكاديمية . وككتمانه أمر دينه لهما وإضرابه عن ذكرهما فى النص والتعليقات . كذلك كتم أمر دينه للعربية واضرب عن ذكره والاشارة اليه كل الاضراب .

الجزء الثاني فى العـــدد القــادم

# كلام عن.. سيناء

درويش مصطفى الفـــار

لم تبرح شبه جزيرة سيناء ، تتسنم قمة الأحداث ، طوال القرون الخمسين المنصرمة ، شاهدة جيشاً مغرباً أو مشرقاً بمعدل مرة كل خمسين عاماً ... ولا أظنها ستفقد صفتها تلك، طالما ظل الخطر اليهودي الصهيوني العنصري التوسعي قائماً بغير رادع (عربي اسلامي) فعال ... وسيناء ، فيما يعلمه من عرف التاريخ ، ولست هنا للخوض فى ما قبل التاريخ ، ولست هنا للخوض في هذا الأمر ومناقشته ، ولا للحديث عن جبالها ورمالها وهضابها ، وسواحلها ، وسباخها ، وقبائلها ، وحيوانها ، ونباتها وآثارها ، ودروبها ، ومسالكها ، وغير ذلك من خصائصها ومميزاتها التي حظيت في جملتها وتفصيلها بما يزيد ، مما أحصيته في ثبت،حتى الآن ، عن ألف وخمسمائة كتاب بشتى لغات الأرض ، ظناً أنها (سيناء) التي عناها كل من التوراة والانجيل والقرآن الكريم ، فيما يخص موسى عليه السلام ومناجاته والألواح ، ذلك الأمر تعددت فيه الآراء والتفسيرات والظنون ، مما حدا بكثيرين الى الاعتقاد بأن سيناء الكتب المقدسة ، ليست بالتأكيد ذلك المثلث من الأرض العربية المصرية الذي تبلغ مساحته زهاء واحد وستين الف كيلو متر مربع ، ويتخذ قاعدته على ساحل البحر المتوسط ، ورأسه عند التقاء خليجي السويس والعقبة في دخولهما بحر القلزم أو البحر الأحمر ، وانما هي مكان آخر يقع في الصحراء الواسعة الرحبة الى الشمال الشرقي من مدينة العقبة .... لست بصدد هذا الآن ... بيد أني بصدد رفع الستار عن بعض حقائق التاريخ التي حدثت فعلا، اكشفها ما وسعني الجهد لعلها تنير بصائرنا ، بعلمنا بحقيقة ما حدث ، لعلنا نعي ما يحدث اليوم .... فقد ظل الاستعمار الغربي ، وهو مشغول ببذل الود للصهيونية العالمية ،ليتخذها ـ لحاجات في أنفس يعاقيب ـ سوطاً أو مقرعة على ظهور وأوجه (أصدقائه) العرب ، حتى ينفس عن مكبوت من الألم وقر في القلوب منذ معركة حطين سنة ١١٨٧ م ، ظل يناور ويداور ويحاور لاثبات أن (سيناء) ليست أرضاً مصرية عربية ليستطيع اقتطاعها للوطن القومي اليهودي ، طالما كانت الشام بجملتها (ومنها فلسطين) تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ... ولكن ظروفاً لا تحصى حالت دون نلك الهدف بعد أن اختلف اللورد كرومر (صاحب الأمر والنهي في مصر حتى سنة ١٩٠٨) مع لجنة هرتزل التي درست (ساحل العريش) سنة ١٩٠٢ ... من تلك المناورات والدسائس ، خطاب وقع في يدي ، أرسله الكولونيل (العقيد) رتشارد ماينر تزهاجن ، الى رئيس الوزراء لويد جورج بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، خطاب يجب أن يقراه كل عربي ، لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، يقول فيه ــ لا رحمه الله ولا طيب ثراه :

سيدي رئيس الوزراء :

لقد سألتني بالأمس ، أن أسطر لك رسالة ـ غير رسمية ـ حول موضوع (السيادة على سيناء) .وانني أعتبر هذا السؤال ذا أهمية قصوى ، ليس اليوم (١٩١٩) ولكن في الأعوام القادمة .. فهل تسمح لي أن أزيد الأمر توضيحاً ، عنى بالامس ... لقد كنا ، في منتهى الحكمة بسماحنا لليهود أن ينشئوا لهم وطناً قومياً في فلسطين ، ونحن قد (حررنا) العرب من ربقة الأتراك !! كما أننا لن نخلد في مصر .. ولقد وضع مؤتمر السلام بيضتين هما القومية اليهودية ، والقومية العربية ، ومن هاتين البيضتين سوف نحصل على ديكين مزعجين ، الديك اليهودي ، (رجولي شجاع ،ذكي وذو عزيمة !!!) والديك العربي ، (منحط ، بليد خئون) ليس لديه ما يعطيه غير الضلالات التي منحتها اياه تلك الصحراء السرمدية الهدوء!!! واليهود ـ ياسيدي الرئيس ـ رغم شتاتهم قد استطاعوا أن يتميزوا في الفنون والعلوم والموسيقى ، وقد كان

منهم واحد من أعظم رؤساء وزراء بريطانيا!!

وفي خلال خمسين سنة من الآن (١٩١٩) فان كلا من اليهود والعرب سوف يحمل لواء (قوميته) وهذا نتيجة طبيعية لاعلان الرئيس (ولسون) عن حق تقرير المصير ... والقومية تفضل الحكم الوطني مهما كان غير كفء أو غير أمين، على الحكم الأجنبي مهما كانت مميزاته والقومية تهتم بتحرير الحكم من الأجنبي، وتتجاهل حرية الفرد، وهي بالطبع (الطبيخ) الذي يحترفه السياسيون والمهيجون، وقد يتأتى من ورائه ظلم شنيع للجماهير. ولسوف يتطور الوطن القومي لليهود ان عاجلا أو آجلا الى (سيادة) وأنا افهم أن هذا التطور الطبيعي يدركه ويسعى اليه المحيطون بجلالة الملك. كما وأن القومية العربية سوف تنمو من ما بين النهرين الى مراكش. ولسوف تصطرع السيادتان، اليهودية والعربية. فاذا ما تحقق برنامج التهجير اليهودي الى فلسطين فان الدولة اليهودية سوف تتوسع، على حساب العرب، الذين سوف يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون نمو (فلسطين يهودية) وهذا سوف يتطلب، اراقة الدماء... ووضع بريطانيا اليوم (١٩١٩) في الشرق الأوسط، وضع متفوق، ولسوف تجابهنا تحديات القومية ... ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للطرفين، العرب واليهود ... وأقترح أن نصادق القوم الذين سوف يكونون أصدقاء (أوفياء) لنا، وهم اليهود بالطبع، وهم مدينون لنا بأمور كثيرة، ونحن نعرف أن (الوفاء) من خصائص اليهود (!!!!) اذ على الرغم من أننا قدمنا الكثير للعرب (فانهم) لا يعرفون معنى الوفاء !!!! فضلا عن أنهم سوف يكونون (عبئاً) علينا، بينما اليهود سوف يكونون عوناً !! وفلسطين ياسيدي الرئيس هي حجر الزاوية في الشرق الاوسط وهي محصورة بين

## ● رسالة غير رسمية حول موضوع السيادة على سيناء عمرها ٦٣ عاما

الصحراء والبحر، وبها افضل مرافىء شرقي البحر المتوسط، ولقد أثبت اليهود مقدرتهم الحربية منذ احتلال الرومان لفلسطين (؟؟) والقدس ... والعربي محارب (ضعيف) لا يتقن الا السلب والنهب والقتل !!!!

والآن نأتي الى موقع فلسطين بالنسبة الى مصر، فالمصريون على كثرة العدد وتفوقه لا يمكن مقارنتهم باليهود وجيشهم !! ولكن عندما تتطور الأسلحة – الدبابات والطائرات – فان القوة الهجومية سوف تعتمد على الشجاعة والصلابة، ولهذا فانني أعتبر مصر العدو الكامن الدائم لفلسطين (اليهودية)... وبنمو القومية العربية والقومية اليهودية سنة ١٩٦٦ أي بعد سبعة وأربعين عاماً من الآن فلسوف نفقد وضعنا في الشرق الاوسط فاقتراحي اليك أمس هو اقتراح بأن ننظر بجدية الى تقوية وتأمين موقفنا في الشرق الأوسط.

ولقد كانت الحدود المصرية (التركية) قبل سنة ١٩٠٥ تمتد من رفح الى السويس. وهكذا كان كل شرق سيناء وجنوبها جزء من (الحجاز) وهي ولاية عثمانية، وفي اكتوبر سنة ١٩٠٦ منحت مصر حق ادارة سيناء كلها غرب الخط الواصل من رفح الى العقبة، وظلت

تركيا محتفظة بسيادتها !!! ولقد قام الجنرال اللنبي بالقوات البريطانية (دوّن مساعدة من الجيش المصري) بغزو (وتحرير) سيناء (التركية)، وبذلك فان سيناء، بحق الفتح الحربي هي أرض بريطانية !! وهذه الحقيقة الواضحة الصلعاء يمكن لوزارة الخارجية أن تجعلها حقيقة دولية !! فاذا ما توصلنا الى الحاق سيناء بممتلكات التاج، فاننا سوف نحقق المغانم التالية :

١ – انشاء منطقة تعزل ما بين مصر، وفلسطين (اليهودية) ...

٢ – الحصول لبريطانيا (العظمى) على موقع ممتاز للسيطرة التامة على البحرين الأحمر والمتوسط ..

٣ – وكذلك على متسع لقاعدة ستراتيجية، بموافقة اليهود لانشاء أكبر الموانىء في شرق البحر المتوسط.

٤ – تصبح بريطانيا في موقع تستطيع منه كبح جماح أي تحرك مصري لتعطيل الملاحة في قناة السويس فضلا عن التمكن من دراسة توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بقناة ثانية

٥ – ليس هنالك خوف من قيام نزعة تحررية بين سكان سيناء لأنهم فقراء قليلو العدد ومعظمهم من البدو الرحل .. ولئن كان قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) قد غير من خطوات فلسفة هذا الخطاب العجيب، فان مضمون تلك الفلسفة قد نفذ، ولعل أهل كاتب هذا الخطاب قد عرفوا معنى (الوفاء)، ولعلنا قادرون على أن نرى (الأصدقاء) زلاتهم وخياناتهم للأمانة، لعلهم يرعوون ويفيقون قبل أن يصبح استمرار (الصداقة) من المستحيلات، وحيث لا ينفع الندم.



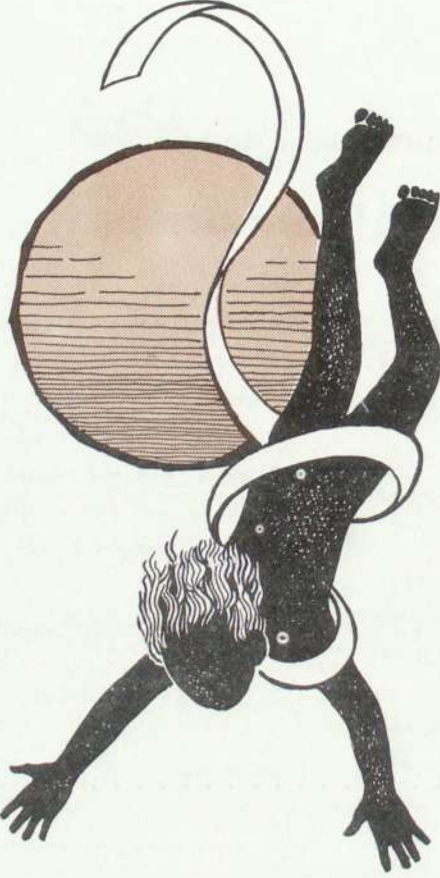
# في الملهى

شعر: د. كمال نشأت

أيتها الصـبيةُ النحيلة
كجيـد مُهْرٍ عربى
من الذى أتَى بقلبك الغَرير هاهنـا
بين العيونِ الجشـعاتِ النَّزِقه
والنفوسِ المُتْعَبَـاتِ القَلِقه
لا تدخلى الحلبـةَ للرقصِ .. كفَـاكِ
هـذه الكأسُ الصغيره
أيتهـا الغَرِيرَه
يا جدولاً من بجـعٍ فى ضـوءِ فجرٍ زئبقى
أشم فيك الأرضَ قـد تشربتْ مطرْ
أشم فيك خصبَها ..
لو كنتِ لى ..
رسمتُ وجهَكِ القمحىَّ فى أجنحةِ البلابلْ
لو كنتِ لى ..
قضَّيْتُ عمرى كلَّه ... لكننـا
مبتعـدانْ ..
واحسْرَتَا .. مبتعـدان
فالشمسُ فى أصيلها
والبـدرُ عُنْفُوَانْ .

# النجاة

قصة بقلم :
صلاح عبد السيد



الى الحزانى .. !!
الى الذين يحملون العالم داخل قلوبهم .. !!
الى أصحاب العيون الدامعة .. الذين يستشعرون الوحدة تحت جلودهم ..
الى الذين ما يزالون يقشعرون .. ويندهشون .. ويبكون بفرح ..

اليهم .. أتوجه بالنداء ..
غداً .. فى لحظة بزوغ الشمس .. فى اللحظة التى تفتح الشمس فيها عينيها .. فى تلك اللحظة .. عليكم أن تتوجهوا الى البرج العالى .. لأنى بمشيئة الله تعالى .. سأنتحر ..
أريدكم أن تنطلقوا .. فى دفقة واحدة .. تصبها الشوارع .. والحوارى .. والأزقة .. متلاصقين .. لاهثين .. عارين إلا من حزنكم .. ولترفعوا أعينكم لأننى سأكون لحظتها فى الأعلى .. وسأكون مستعداً للقفز ..

سأقفز من هذا المكان العالى .. إلى الأرض الصخرية .. وأعرف أننى قد أموت لكننى أعرف أيضاً أننى قد لا أموت ..
لو تجمعتم .. لو شخصتم بقلوبكم .. لو رفعتم أحزانكم عالياً .. لو انسابت الدمعات فى قلوبكم .. لو ارتفع النبض ليصبح دقات ترج العالم .. لو أن رموشكم طالت وامتدت تحتى .. فان الأرض لن تكون صخرية ..
لابد أن أقفز .. العالم أثقلنى .. وأحس بجسدى ثقيلا .. ولابد أن أتخفف منه ..
سأقفز يا أصدقاء الحزن .. لحظة البزوغ .. فتذكروا .. أريدكم كتفاً الى كتف .. العيون الحزينة الرائقة .. والأيدى المعروقة .. والقلوب التى تحمل العالم بين دفتيها ..
ادعوا لى .. تجمعوا وادعوا لى .. الهم واحد .. همنا .. نحن محزونون .. ونريد لحزننا الفرح فلتأتوا فى لحظة البزوغ ..
وليمتنع الذين يتفرجون .. واللامبالون .. والمتطفلون .. والجهلة .. والذين يشيعون انى أريد أن أتخلص مما يثقلنى .
لحظة القفز أريدكم معى .. عيون تحملنى .. وأذرع ممدودة .. عيون وأذرع .. اننى لن أسقط فى الفراغ .. لكننى سأسقط بين العيون والأذرع ..




ادعوا لى .. فقد يتحقق الذى أريده .. الذى نريده .. جسدى ثقيل .. ولم يعد حزنى شفيفاً .. كبلنى حزنى .. أريد أن أنفلت أن ننفلت ..
هنا تجمعوا فى لحظة البزوغ .. فاننى بالنيابة عنكم سأفعلها ..
لو أننا جميعا .. امتددنا شهقة .. ودمعة .. لو أننا .. فقد أتهادى حين أقفز .. أتهادى بجناحين رفافين .. أرف .. وأرف .. الى أن أصل الى الأرض فأتلامس معها ..
ولحظة التلامس .. قد ينبثق لى حزن آخر .. شفيف .. وراعش .. وقد أتحول .. ونتحول جميعاً ..
ألم تكن النار برداً وسلاماً على ابراهيم .. !! ؟

# نظرات في اللغة العربية

من المعلوم أن موازين الفعل الثلاثي المجرد عند تصريفها فى الماضى والمضارع هي ستة أبواب جمعت فى البيت التالي :

فتح ضم ، فتح كسر ، فتحتان
كسر فتح – ضم ضم – كسرتان .

فالباب الأول ( فتح ضم ) نحو : أكَل – يأكُل .

الباب الثاني ( فتح كسر ) نحو : جَلَس – يجلِس .

الباب الثالث ( فتحتان ) نحو : جَمَعَ – يجمَع .

الباب الرابع ( كسر – فتح ) نحو : تَعِب – يتعَب .

الباب الخامس ( ضم ضم ) نحو : كَرُمَ – يكرُم .

والباب السادس ( كسرتان ) نحو : وثِق – يثِق .

هذا وإن الدارس الباحث ليلاحظ تنوع معاني الفعل الواحد باختلاف حركة عينه . فالفعل (كبُر – يكبُر ) الباب الخامس : ضم ضم : كِبَرا وكُبْرا وكَبَاره : نقيض صغر فهو كبير وكبار ( اذا أفرط فى الكبر ) . وكبر أيضاً بمعنى : عظم وجسم .. ومن معنى هذا الفعل قوله تعالى : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون » وكبر عليه الأمر : شق واشتد وثقل .

بينما ( كبر – يكبر ) الباب الرابع : كسر فتح : كِبَر ومَكْبَراً : طعن فى السن . وكبره بسنه . زاد عليه . والكَبْرَة : الكبر فى السن . ومن هذا قول جرير فى رثاء زوجه :

ولَّهْتِ قلبي إذ علتني كَبْــرَةً
وذوو التمائم من بنيك صغــار

وكبر – يكبر : الباب الثالث فتحتان : كَبْرا . فلاناً بالسن : كان أكبر منه سناً .

والفعل نعم – ينعم : الباب الرابع : كسر فتح . من النعمى : وهي الدعة والمال . وقد وردت فى وصف الحطيئة للبدوي :

أخى جفوة فيه من الانس وحشــة
يرى البؤس فيها من شراسته نُعْمَى

ومنه انعمها الله عليك ، وأنعم بها . ونعيم الله تعالى : عطيته . ونعم الله تعالى بك ونعمك : أقربك عين من تحبه . ومن هذا المعنى قولهم : ( هذا منزل ينعمهم ) : يطيب لهم . ومنه قولهم : (أنعم الله صباحك ) : أى جعله ذا لين ورغد ، ويقال فى صيغة الأمر : ( أنعم صباحاً ) . وكثيرا ما تحذف الهمزة والنون لكثرة استعماله وللتخفيف ( عم صباحاً أو عم مساء) ومنه قول عنترة العبسي :

يادار عبلــة بالجــواء تكلمــي
وعِمي صباحــاً دار عبلة واسلمي

أما نعم . ينعم الباب الخامس : ضم ضم . نعومة . الشيء : أى صار ناعماً ليناً ولان ملمسه ومنه قول الشاعر فى وصف جناح الفراشة :

هــذا الجنــاح جناحهــا
فى الحســن منقطع النظير
أطــرى وأنعــم ملمســا
من راحة الطفل الصغــير

والفعل قَدَم – يقدُم ( الباب الأول فتح ضم ) القوم : قدما وقدوماً بمعنى : تقدمهم ومنه قوله تعالى : ( يقدُم قومه يوم القيامة ) ، وعلى أقرانه : أجترأ عليهم ، وعلى الأمر : شجع . ومنه القَدِم : كثير الاقدام ومن هذا المعنى مبالغة اسم الفاعل : مقدام . كما فى قول الخنساء ترثى أخاها صخراً :

وإن صخرا لمقدام إذا ركبــوا
وإن صخراً إذا جاءوا لنحــار

بينما قَدُمَ – يقدُم ( الباب الخامس ضم ضم ) قدامة وقدماً : بمعنى تقادم فهو قديم . والقدم ضد الحدوث ولذلك يقال قدماً ما كان الشيء فجعل أسم زمان . ومنه قول أبي تمام :

أهــنَّ عــوادي يوسف وصواحبه
فعزمــا فَقِدْما أدرك السؤل طالبــه

أما الفعل قَدم – يقدِم ( الباب السادس كسرتان ) قدوماً ومقدما وقدماناً المكان : أتاه ومن سفره : عاد . وقدم الى الأمر : قصد لــه .

والفعل نصَب – ينصِب ( الباب الثاني فتح كسر ) الشيء : اقامه ووضعه ورفعه فهو فعل متعد ومن هذا الباب : النصب والأنصاب : وهي حجارة حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى . ومن الباب نفسه : تيس أنصب : منتصب القرنين ، وناقة نصباء: مرتفعة الصدر أما نصِب – ينصَب (الباب الرابع كسر فتح) فهو فعل لازم بمعنى تعب . ومنه قول النابغة الذبياني

كليني لهم يا أميمــة ناصِــبٍ
وليــل أقاسيــه بــطيء الكواكب

وهو فاعل بمعنى مفعول فيه ، لأن هذا اليوم ينصب فيه ويتعب كقولنا : يوم عاصف أي تعصف فيه الريح . ونصبه : أتعبه . ونصَبه المرض ينصِبه : أوجعه . ونصب لفلان : عاداه . ونصب له الحرب : وضعها ومن هذا المعنى النواصب وأهل النَّصْب : المتدينون ببغضة علي رضى الله عنه لأنهم نصبوا له : أي عادوه .

ماجدة رحيباني

مراجع البحث :

١ – القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي
٢ – مختار الصحاح للرازي
٣ – المنجد

# القدس

شعر: ناهض الريس



على جبلِ الزيتونِ كانت لنا الدنيا
فسقيا لأرض القدس من جنَّة عُلْيا
وسقيا لعهدِ القدسِ عهداً محبَّباً
وسقيا لأهلِ القدسِ إن عزَّت اللُّقْيا
وللسُّور من حول المآذنِ والحمى
وللدُّور والأجراس فى ظلِّها سُقيا
وللشفق المنثور فوق قُبابها
وللعبَقِ المذرور عطراً ربيعيَّا
وفرطِ بهاءٍ فى حجارةِ أرضها
ولون ترابٍ قد تخالُ به وشْيا
فكيف بأهليها وهُمْ أسمحُ الورَى
وأعرقُهم أصلاً وأشرفُهم سَعْياً
إليها تناهى الطُّهر والبشرُ والتُّقى
وباركها فى الوحى من أنزلَ الوحْيا
عشية أُسرى بالنبيِّ وفُتِّحتْ

من القدس ابوابٌ ليرقى لها رَقْياً
وربُّك أدرى حيث يفتحُ بابه
ويعلم أيَّ الأرضِ اطهرُها أيَّا
معالم كالأحلام لم ينطبقْ على
مثيلٍ لها جَفْنٌ ولا حلَّقتْ رُؤْيا
نَعِمْتُ بها فى عمرِ عينيَّ طَرْفَةً
فكانت هى العمرَ الجميلَ لعينيَّا
أقول وقد ناحت بقلبى حمائمٌ
إذا لم أعُدْ للقدسِ لا كانت الدنيا

* * *

ولما رأيت الدَّرْبَ طالَ ودونَنا
معاركُ مدَّ الأفْقِ والسدَّ ناريَّا
همزتُ حصان النار فى حُلْكةِ الدُّجى
ويمَّمْت شَطْرَ القدسِ أطوى المدى طيَّا
فان أحترقْ إنى لأهَوَنُ حرقةً
من المسجد الأقصى وقد بات مسبيَّا
وهمٌّ صلاح الدين همِّى ، وخيله
ركابى ، وإن كان الزمان صليبيَّا

قصــــــــة

# الثلاجة

بقلم : مصطفى أبو النصر

فى الطريق إليهم فكرت فيما يمكن أن أقوله لهم ، وبأية كيفية . إننى لا أخدع أحداً ، ولا أحب أن أكون خادعاً ، ولكن من الضرورى أن أكون حازماً .

قالت لى فى آخر مرة : « إننى لا آبه بكل ما تقول ، ولا يهمنى ما تفعل ، وأعلى ما فى خيلك فاركبه » . ولما كنت لا أملك حتى حماراً ، فاننى لم أفعل شيئاً .

سيضحك الجميع منى لو أننى رويت القصة كاملة . ما فائدة أن أحكى حكاية مضت ؟ ليست العبرة فيما حدث ، بل فيما هو آت . إذا هددنى أحدهم ، أو قال لى مالا يعجبنى ، فسأكيل له الصاع صاعين .

« من فضلك ابتعد عنى قليلا . الهواء مكتوم ، والجو خانق . اننى لا أكاد أطيق نفسى فكيف. بالله أطيق أنفاسكم الكريهة أنتم أيضاً ؟ لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لست عدواً لك ، ولا أنا أعرفك من قبل ، وهذه هى المرة الأولى التى يقع فيها بصرى عليك . تبتسم ، تظننى مجنوناً . أعرف كيف تفكرون كلكم عقلاء إلا من يخالفكم . الشجاعة وحرية الرأى فى رأيكم تهور ، والضعف والجبن والاستكانة ، هى المثل العليا لمن يريد أن يعيش فى هذا الزمن . من أدرانى أنكم لستم إلا شرذمة من اللصوص والخونة ؟ المظهر قد أعمى بصيرتكم عن حقيقة الانسان ، فحسبتم أن كل ما يلمع ذهباً » .

حين طرقت الباب ، فتحه صبى فى نحو الثانية عشرة . نظر إلى وكأنه ينظر إلى عفريت ، وانطلق يعدو معلناً عن حضورى بصوت كالصفارة . لم أره من قبل ، ولا أعرف ما صلته بأهل البيت . عاد بسرعة ، ودعانى للدخول .

الحجرة ضيقة ، والأريكة والكراسى الأربعة متقاربة ، بصعوبة يستطيع المرء أن يمر من بينها ، لم أتحمل رائحة الحجرة ، فما كدت أجلس ، حتى قمت على الفور ، وفتحت باب الشرفة بعد أن أزحت عنه الستارة القديمة والتى كان مرسوماً عليها صورة طاووس يختال برأسه المرفوع وذيله المنتشر . لم يجدد فتح الشرفة الهواء ، فقررت أن أتصرف وكأننى فى بيتى ، فقمت ثانية ، وفتحت باب الحجرة . تناهت إلى أصوات مبهمة أدركت من حدتها أن شجاراً ما يقع فى الخارج . الحقيقة أننى استرحت لنغمة الشجار ، انه – بلا جدال – المقدمة الطبيعية لكل ما قد يحدث بعد ذلك .

طالت مدة الانتظار . كنت مشحوناً بالأفكار ، وبما سأقوله لهم . ترى هل سيستقبلنى الجميع ، أم أنهم سيكتفون بمندوب عنهم ؟ الوقاحة لا تنقصهم ، ولا أحد منهم يمكن أن أعده رجلا بمعنى الكلمة . أما النساء فان البلاهة وضيق الأفق هى السمات الرئيسية لهن ، لاشك أننى كنت مغفلا ، مغفلا حقيقياً ، وكنت أيضاً قصير النظر . من الضرورى أن أكون البادىء ، وأن أكون مباشراً ومهاجماً فى آن واحد حتى لا أسمح لهم أن يأكلونى . تركتهم فى الماضى حتى اغتالونى ، ولكن لا ، لن أتكلم عن الماضى

– أهلا وسهلا .

قيلت لى بصوت جاف ليس به أى



ترحيب ، لماذا تقولها إذن إذا لم تكن تريد ؟ مددت يدى صامتاً ، وكان وجهى جامداً . لم أحاول أن أتصنع أية عاطفة . ما كل هذا التحفظ والصمت المكتوم ؟ يجلس أمامى ويصر على ألا يتكلم . لماذا دخلت إذن ؟ كان الأحرى أن يدخل غيرك . هل تظنني سأقدم رجاءات وتوسلات؟ لقد مضى ذلك العهد ، ولن أعود إليه . فعلتها أكثر من مرة ، وفى كل مرة كنت أتحمل الضغط على نفسى حتى كدت أمرض ، غير أننى كنت ساذجاً . الآن لا يجوز لى أن أكرر ذلك .

نظرت إلى الساعة حول معصمى . خمس دقائق فقط ، سأظل خلالها محدقاً فى وجهك ، سأجبرك على الكلام ، على النطق ، على الاعتراف بالخطأ . انت تعرف جيداً ما الذى فعلته ابنتكم . هل تظن أننى جئت هذه المرة أيضاً لأصغى ما حدث ؟ إذا كنت تعتقد ذلك أو تتصوره فأنت ساذج وأبله ، ساذج ومغفل . فى المرات السابقة كنت أتغاضى وأتجاهل ما تقولون ، حتى لا يقع الشىء البغيض . أما اليوم فالنائم قد استيقظ ، والقزم قد صار عملاقاً ، والضعيف قد صار قوياً ، والبسيط قد صار معقداً ، والانسان فى داخلى قد استحال إلى وحش مفترس . الآن تبتسم . تضع ساقاً على ساق . سأتركك تفعل ما تشاء ، ولكن إلى حين . عدت فنظرت إلى الساعة . دقيقتان ونصف تقريباً . ما الذى تنوى أن تقوله ؟ إياك أن تعيد على الحكاية ، إننى أعرفها ولا حاجة بى لسماعها من جديد . مادمت تبتسم فلابد أنك قد أعددت لى مفاجأة . ربما اتفقتم على خطة معينة . من المؤكد أن خطتكم قد بنيت على أساس ما حدث فى المرات السابقة . سأقلب خططكم رأساً على عقب . إذا قلت يميناً فسأقول شمالا . إذا قلت فوق فسأقول تحت . إذا قلت أمام فسأقول وراء . لن تنجح فى شىء معى هذه المرة . لقد انتهى كل ما بيننا ، والقرار الذى اتخذته لن تستطيع قوة أن تغيره . قل إذن ما تريد ، ولا تحاول بهذه الابتسامة أن تستفزنى . جئت إلى هنا ، وقد تسلحت بالارادة والاصرار . إذا كانوا قد أوصوك باتخاذ هذه الصورة البلهاء ، فقد خدعتم جميعاً الن تكف عن هذه الابتسامة ؟ هذا كله لن يجدى .

من الشارع تناهى إلينا صوت اصطدام سيارتين . انتفض فى جلسته وأنزل ساقه . مضت لحظة تلفت فيها حوله ، وعاد ينظر إلى . كنت أبادله النظر مباشرة . وجهى قطعة من حجر لا يقول شيئاً . يحاول أن يصمد . منذ عرفتك وأنت تظن نفسك ذكياً واعياً أديباً فطناً . تلعب بالبيضة والحجر . لقد انتفضت مأخوذاً حينما سمعت صوت الاصطدام . كيف إذن ستتحمل صدامنا ؟ لماذا لا تقول شيئاً ؟ لقد غاضت الابتسامة الآن وضح كل شىء . لا توجد خطة موضوعة ، تنتظرون كلامى . انكم تستجدون ، تريدون أن تعرفوا ما فى رأسى .

مضت الآن الدقائق الخمس . آن لي أن أتكلم . من المحال أن أقول ما تريدون.

ـ الجو حار .

نظر الي ، حدق في بعينين لا تفهمان شيئا .

ـ فعلا الجو حار .

وصمت موافقا على كلامي بهزة من رأسه .

ـ ليس حاراً فقط ، وانما حار وخانق .

رفع رأسه وعاد يحدق في . لابد أن يقول شيئاً .

ـ حقاً ، الحرارة شديدة ، والجو خانق .

هذا لا يكفي .

ـ حرارة الشمس في الخارج ملتهبة .

رفع حاجبيه في دهشة .

ـ تشوي الوجوه .

قطب ما بين حاجبيه .

ـ تذيب العقول .



# الثلاجة

لوى شفته السفلى ، وهز رأسه قائلا :
ـ هذا العام حر شديد .
ـ ليس هذا العام فقط ، هذه ظاهرة بدأت منذ حوالي عشر سنوات .
حاول أن يبتسم ، ولكنه لم ينجح ، ربما ظن أن ما أقوله مقدمة للدخول فيما يريد ، فعاد يهز رأسه :
ـ فعلا .
ـ هناك حقائق علمية تفسركل ذلك .
عاد يرفع حاجبيه مندهشاً . لا يهمني لا يهمني ، لتندهش حتى يوم القيامة .
ـ ما هي ؟
ـ لا أعرفها .
طفرت الحيرة من عينيه .
ـ اذا سمحت كوب ماء .
ـ ماذا ؟
ـ كوب ماء .
بسرعة هب من مقعده ، وغادر الحجرة ، وكأنه قد اكتشف الحقيقة السافرة . سيذهب اليهم الآن ، ويخبرهم انني قد صرت مجنوناً . هذا ماأردته بالضبط، ليعرفوا ما الذي يمكن أن يفعله المجانين ، ولكن مهلا ، لا يجوز أن تأخذوا كلامه كقضية مسلم بها . لماذا لا تدخلون جميعاً وتتفرجون على ؟ وقع أقدام تقترب . رأس امرأة يطل من الباب . رمقتها في برود . لم اعرفها ، لم أشاهدها من قبل . الغرباء في هذا البيت كثيرون . أين الأم ؟ أين زوجتي ؟ أخواتها ؟ ربما كانت قريبة أو زائرة من الجيران والصبي ابنها . لم يعد شيء خافياً ، لقد صار الموضوع مباحاً للجميع . من لم يشتر فليتفرج . ولكن صبراً سنرى من الذي سيتفرج في النهاية . اختفى الرأس .
ثمة رأي آخر سيقال الآن . الكل يستمعون اليها . ستصف نظراتي . لقد تأكد للجميع ما قاله الأب . الحيرة في العيون . الاضراب يأخذ بعقولهم . هل تعود لتعاشر مجنوناً ؟
دخل الأب حاملا كوب الماء . قدمه الي بمجرد أن لمسته أدركت أن الماء ليس بارداً ، ومع ذلك رفعته الى شفتي ، ولكني
ـ على الفور ـ أبعدته قائلا :
ـ الماء ليس بارداً .

أجابني في برود وهو يجلس :
ـ ليس عندنا ماء بارد .
ـ لديكم ثلاجة ، أم أنكم بعتوها ؟
ـ ما هذا الكلام لقد تلف المحرك .
ـ كان واجباً عليكم أن تصلحوه أو تغيروه .

حدق في وكأنه لا يصدق ما اقول . لم يجبني بشيء . وضعت الكوب على منضدة صغيرة أمامي .
ـ هل اصنع لك فنجان قهوة ؟
ـ في هذا الجو ؟! علي بزجاجة كولا على أن تكون مثلجة .
ـ لا يوجد أحد لشرائها .
ـ كيف ؟ وهذا الصبي الملعون من هو
ـ انه .. انه
قاطعته :
ـ لا اريد أن أعرف . واضح أنك لا تريد أن تقدم لي شيئاً .
ـ كلا ، ولكنها الظروف .
كلام لا معنى له . أية ظروف ؟ ولكن لا بأس ، يريد أن يحرجني . يقول لي بصراحة انني غير مرغوب في . يريد أن أتكلم في الموضوع ، غير أن هذا لن يكون
ـ لا شك أن سبب تلف المحرك هو ضعف التيار الكهربائي . هذا يحدث كثيراً .
ـ ربما يكون هذا هو السبب .
ـ لماذا لا ترفع دعوى على مصلحة الكهرباء ، وتطالبها بتعويض على هذه الخسارة؟ نظر الي في بلاهة ، ثم سألني في صوت بدت فيه نبرات الضيق واضحة :
ـ وهل هذا ممكن ؟
ـ ليست العبرة فيما هو ممكن أو غير ممكن . المسألة في بساطة أن كل شيء يجب أن يقف عند حده ، والا فالفوضى ستجتاح البلاد .
ـ لم أسمع عن أحد رفع قضية من هذا النوع .
ـ أنت لم تسمع ، أما أنا فقد سمعت .
ـ كيف ؟
ـ لا أعرف الطريقة ، ولا أريد أن أعرفها ، فمحرك ثلاجتي لم يتلف .
ـ ما العمل اذن ؟

ـ عليكم بشراء الثلج ، كما كنا نفعل في الماضي ، حتى تنتهي القضية بينكم وبين مصلحة الكهرباء .
رمقني بنظرة أدركت معناها : انه يجاريني في الكلام .
ـ لنفرض أنني خسرت القضية ، ما العمل ؟

ـ كل شيء محتمل ، ولكن من المفروض ان توكل محامياً فذا للدفاع عن ثلاجتكم .
ـ ما هذا الكلام ؟
ـ ألا يعجبك ؟
ـ الكلام لا يكون بهذه الطريقة .
ـ قل لي اذن ما هي الطريقة المثلى للكلام في هذه القضية الصعبة ؟
ـ لقد اعتبرتها قضية وصعبة أيضاً .
ـ بالطبع والا ما هو الحل في نظرك ؟
ـ لم أفكر في هذه المسألة بهذا الشكل كل ما في الأمر انني أنتظر ...
قاطعته :
ـ طبعا تنتظر منحة أو مكافأة ، ليتيسر لك شراء محرك جديد .
ـ أظنك لم تأت للكلام عن الثلاجة ومحركها .
أخيراً صرح بما في داخله . ولكن لا يكفي هذا .

ـ ما دام هذا الموضوع قد أثير ، لم لا نتكلم عنه ؟ ثم انها مشكلة يجب حلها ، وكلما كان الحل فورياً ، كان هذا ادعى الى هدوء النفس ، وراحة البال ، ففي مثل هذا الجو الخانق ـ اسمح لي أن أسأل ـ كيف تشربون ماء الصنبور ؟ انه تعذيب حقيقي . ليس أمامكم ـ كما أرى ـ الا شراء ربع لوح ثلج يومياً . أظنه يكفي . طبعاً عندكم ثلاجة من النوع القديم . كانت أياماً ظريفة ، لم يكن يوجد تلف محرك أو غيره ، ولكن هذه هي ضريبة المدنية ، ولابد أن نأخذ بقسط وافر من التمدن ، والا فما الذي يمكن ان يفعله شعب مثلنا في مثل هذا الجو ؟ اني على أتم استعداد أن أرسل لكم مهندساً كهربائياً لاصلاح الثلاجة ، وتأكد أنه لن يرهقكم . انه مهندس ماهر وشريف ، ومن عائلة محترمة جداً . يعمل في الصباح

في الحكومة ، أما بعد الظهر فيمر على الذين تلفت ثلاجاتهم لاصلاحها . هو مضطر إلى ذلك ، فمرتبه لا يكفي ، غير انه ماهر وشريف ، ولم يفكر لحظة واحدة في الاختلاس . طبعاً كان يمكن أن يفعل ذلك ولكنه متمسك بمكارم الاخلاق . تسمع طبعاً عن الاختلاسات ...

ـ من فضلك ، من فضلك .

ـ نعم ؟

أدركت أنه يريد أن يتكلم في الموضوع

ـ ما علاقة كل هذا بـ ...

ـ بماذا ؟

ـ بزيارتك .

أجبته ببساطة وكأنني لا أفهم شيئاً :

ـ ليس له أية علاقة ، ولكن الحديث هو الذي جرفنا .

ـ ليس لدي وقت لمثل هذا الكلام .

ـ ولا أنا أيضاً . ـ اذن أدخل في الموضوع .

ـ أي موضوع ؟

ـ الذي جئت من أجله .

ـ لم آت من أجل موضوع معين مجرد زيارة.

ـ اسمح لي أن أقول ..

ـ قل ما تشاء .

أظن أن اصلاح ...

قاطعته :

ـ الثلاجة ؟

انتفض في جلسته ، وعلا صوته في غضب : ـ أنا لا تهمني الثلاجة في شيء

تأملته في برود شديد وأنا أسأله :

ـ ما الذي يهمك اذن ؟

ـ اصلاح ...

ـ أيوجد شيء آخر قد تلف ؟

تململ في جلسته وبدت على وجهه علامات الغيظ :

ـ لماذا لا تصبر ؟

ـ لقد صبرت أكثر مما يجوز .

ـ فلا داعي اذن لكل ما حدث .

( وصحت لحظة ، وبدت الحيرة في عينيه ثم نطقها بسرعة )

انها تنتظرك بالداخل

هذا ما أردته .

ـ من هي ؟

ـ من هي!؟

ـ نعم من هي ؟

ـ ألا تعرف

ـ ليس التطفل من طبيعتي .

استند على ظهر الكرسي ، ونفخ في ضيق :

ـ لقد أرهقتني .

ـ اذن سأستأذن . هل أرسل لك مهندس الكهرباء ؟

كان يمكن أن ينفجر في هذه اللحظة .

ـ لا أريد مهندسين ولا شيء .

كان لابد أن أتحلى ببرود قاتل .

ـ ماذا تريد اذن ؟

ـ سبحان الله .

ـ اذا كنت لا تريد اصلاح الثلاجة ، فهذا شأنك .

ـ لنترك الثلاجة في حالها ، تكلم في الموضوع الرئيسي .

ـ ليس لدي موضوع رئيسي ولا فرعي

ـ هكذا

ـ نعم هكذا .

هم واقفاً .

ـ أهذا كلامك الأخير ؟

ـ نعم .

ـ اذن المحاكم بيننا .

قلت وأنا خارج من باب الحجرة :

ـ المحاكم حبلها طويل ، أفضل أن تصلحها دون اللجوء الى رفع قضية ، فلن تأخذ من الحكومة شيئاً.

مصطفى أبو النصر

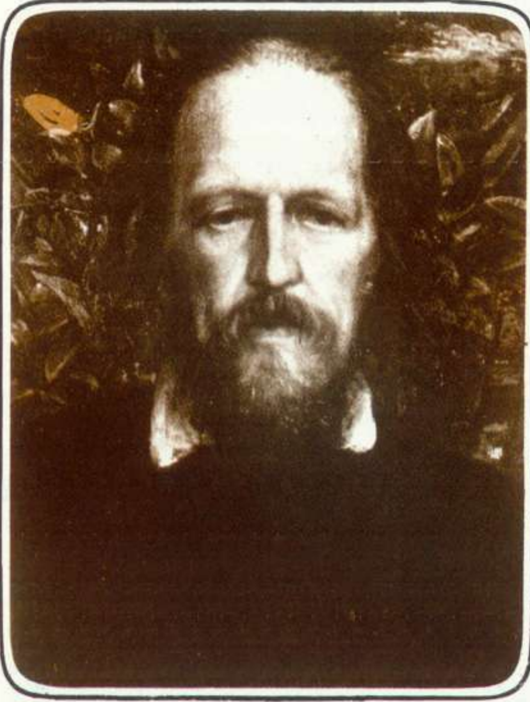


# الإنسان بين التراث والآلة

## قراءة في قصيدة "يوليسيس"

## للشاعر الإنجليزي : الفريد تينسون

بقلم : أ د عبدالوهاب المسيري
جامعة عين شمس



الشاعر الانجليزى تينسون

تسيطر على اشعار الفريد تنيسون ( ١٨٠٩ ـ ١٨٩٢ ) ، الشاعر الفكتورى ، مجموعة من التوترات والتناقضات ، تناقض بين الفن والواقع ، بين التامل والعمل ، بين الهروب والاقدام ، وهو تناقض عبر عن نفسه فى كل قصائده تقريباً وترجع جذوره الى كل من عصر الشاعر وحياته ذاتها . فهو قد ولد لأسرة متدينة فى عصر انتصار العلم والتكنولوجيا ، وقد ولد لأب كثيراً ما كانت تنتابه نوبات من الكابة والحزن فى زمن كان التفاؤل هو المناخ العاطفى العام فيه . وحينما التحق بكمبريدج للدراسة انضم لجماعة «الحواريون» وهى عبارة عن مجتمع طلابى ذى عقلية إصلاحية ، اهتم بالمشكلات الاجتماعية والثقافية ، وحاول للزاوجة بين العلم والدين . وقد قامت إبان هذه الفترة ، صداقة عميقة بينه وبين « أرثر هالام » ، وهى صداقة منحت «تنيسون» كثيراً من الثقة فى النفس والطمانينة . غير أن للنية أودت بصديقه فانقلب الشىء الى نقيضه واصبحت ذكرى « هالام » هى مصدر احزان الشاعر وكآبته .

ولكن لعل مصدر التناقض الأساسى يكمن فى أن « تنيسون » كان شاعراً فى عصر انتصار الآلة والمجتمع الصناعى . ويجب ان نتذكر أن هذه الآلة التى انتصرت كانت الة قبيحة تحدث كثيراً من الضوضاء وتسبب كثيراً من التلوث . وأن المصنع الذى تواجدت داخله كان يشبه معسكرات الجنود ، وكانت ساعات العمل تصل إلى ما يزيد عن الأثنتى عشرة احياناً ، أى انها آلة كانت تقف ضد الانسان بعنف وضراوة . كما أن هذه الآلة كان يساندها تصورات علمية تؤمن بالحتمية المطلقة وبالسببية الواضحة ، فالعلم فى القرن التاسع عشر كان لا يزال بكراً فجا يتصور أن القوانين التى تحكم العالم قوانين رياضية واننا ان كنا لا نعرف هذه القوانين ، فاننا ولاشك سنعرفها عما قريب ـ والمسالة هى مسالة وقت وحسب . وقد ظهر أيضاً مع الآلة والعلم الفلسفات النفعية التى حاولت ان تحكم علم الوجود الانسانى من منظور عملى كمى وحسب ، فقيل ان السعادة هى أكبر قدر من اللذة لأكبر عدد من الناس ، كما أن فائدة شىء ما عرفت بشكل نفعى مباشر ، ولذا أصبح لكل شىء ثمن ولم يعد لأى شىء قيمة ، والجمال ، لأنه قيمة لا ثمن لها ، فانه لا جدوى ولا طائل من ورائه ، خاصة اذا كان هذا الجمال تعبيراً عن حقيقة نفسية لا يمكن لحواس النفعيين الغليظة إدراكها .

ولعل الفلسفة النفعية لم تجد حليفاً لها اكثر اخلاصاً من « تشارلز داروين » صاحب نظرية النشوء والارتقاء المعروفة والتى ترى الانسان لا فى علاقته بالسماء أو بالملائكة ، كما تراه الأديان السماوية ، وانما فى علاقته بالحيوانات والطبيعة . فالانسان حسب الرؤية الداروينية ليس فيه ما يميزه عن سائر الكائنات وانما هو مثلها يخضع لنفس القوانين « ويتطور » حسب نفس النسق .

وجوهر عملية التطور هذه هو مبدأ الانتقاء الطبيعي حيث يكون البقاء للأصلح ( وليس للأجمل أو للأتقى أو للأروع ) .

## وظيفة الشاعر في المجتمع الصناعي

هذه هي الخلفية الفكرية الحضارية لألفريد تنيسون ولكننا قبل ان نعرض لبعض جوانب استجابة شاعرنا لعصره يجب أن نتذكر انه جنباً الى جنب مع هذه الدوامة النفعية ، العلمية المادية ، كانت الحركة الرومانتيكية ، في عالم الفكر والأدب والفن ، قد وصلت الى قمة عنفوانها تؤكد على فردية الفرد وعلى حرية الانسان ، وتنظر الى الشاعر باعتباره أنقى مثال للانسان الفرد ، فيه تتجسد قيمة الحرية والخيال المتحرر ، والتمرد والتفرد واللاتحدد ، على عكس التصور الكلاسيكي الذى يرى الشاعر باعتباره لسان حال مجتمعه أو أمته أو طبقته . وإذا كان التصور الرومانتيكي يعلى من شأن الشاعر فانه يعزله باعتباره فوق البشر ، بل إنه ليتسبب للشاعر في مشكلة جوهرية وهي انه اذا كان الشاعر متسامياً حقاً لهذه الدرجة ، منفرداً الى هذا الحد فما جدواه وما فائدته .. ما هي وظيفته خاصة في مجتمع نفعي ، مادى ، صناعي ؟ وهذا هو السؤال الذى طرح نفسه على : « تنيسون » وعلى شعراء عصره وحاولوا قصارى جهدهم أن يجيبوا عليه . ففي قصيدة « قصر الفن » على سبيل المثال تغنى الروح الشاعرة لنفسها وتتمتع بشدوها ، ولكن يتملكها الاحساس بالذنب فتنزل من قصرها أو برجها العاجي الى عالم البشر لتشـــاركهم حياتهم . وتقابل نفس القضية في قصيدة « سيدة جزيرة شالوت » حيث تجلس هذه السيدة الارستقراطية ( رمز الفن والخلق ) بمفردها في برجها في جزيرة شالوت التى تطل على مدينة كاميلوت . تقف الجزيرة في عزلتها رمزاً ناصعاً على اكتفاء الفنان والفن بذاتهما ، وتقف مدينة كاميلوت بصخبها وضوضائها رمزاً حياً على الواقع النابض الذى يعج بالبشر وتصعد السيدة عناءها وهي تنسج ناظرة إلى مرآة تنعكس عليها مناظر الطبيعة والمدينة ، ولكنه ثمة نبوءة غامضة تقول انه لو نظرت السيدة الى المدينة مباشرة وليس من خلال المرآة لتكسرت المرآة ولقيت هي حتفها . وتمضي السنون والسيدة تنسج وتنظر وتغني ، والمدينة تزرع وتحصد وتبيع وتشترى ، كل يدور في دائرته ، ولكن حينما يمر السيد « لانسلوت » ، هذا المحارب الفتى الشجاع ، بجوار البرج والجزيرة تراه سيدة جزيرة شالوت فيفيض بها الجوى وتلقى بالنسيج وتنظر الى الواقع مباشرة فتتحقق واأسفاه النبوءة ، وتموت السيدة في زورقها السابح . ان عالم الفن هنا جميل لكنه خال من الحياة ، وعالم الحياة هنا حى ولكنه خال من الجمال ، ويبدو أن الشاعر يقول إنه لا يمكن للفن أن يعيش بمعزل عن الواقع ولا يمكن للواقع ان يصل الى الكمال والانسانية دون الفن .

ونفس الشد والجذب بين الفن والسكون والتأمل من جهة ، والواقع والحركة والفعل من جهة أخرى يسمان قصيدة تنيسون «آكلو نبات اللوتس المخدر » . فبحارة يوليسيس يلقون بالمرسى في جزيرة مسحورة « أرض تهب عليها ريح تخدر الحواس كأنها أنفاس شخص غارق في الأحلام » ، ثم يأتي بعض الرجال الذين يرتسم الحزن الهادىء على وجوههم ويقدمون لهم نبات اللوتس الذى يفقد الانسان الذاكرة ، فيتعاطاه البحارة ثم ينشدون نشيد الهروب من الواقع المركب ، واقع الاحزان والنضال والكفاح والعناء اليومي ، واقع الأسرة والزوجة والأولاد والحياة ثم الوعى والموت ، ويتذاكرون الماضي بكل أوجاعه وآلامه ويؤثرون عليه الحاضر الأملس لامواجع فيه ولا آلام ، ويفضلون البقاء في الجزيرة النائية ، وتنتهي القصيدة بالدعوة الى السكينة وعدم التجوال . إن الهروب هنا هو هروب من عالم صناعي تهيمن عليه القيم الانتاجية وتنسحب منه القيم الأخلاقية الى عالم قد يكون غير حقيقي ، ولكنه على الأقل جميل يجلس فيه البشر جنباً الى جنب فيما يشبه الجماعة والصداقة .

## هذا البطل الملحمي

ونحن نقابل يوليسيس في قصيدة أخرى من قصائد تنيسون تحمل اسم هذا البطل الملحمي :

لا يفيد كثيراً أن أصبح ملكاً عاطلا
يجلس الى جوار هذه المدفأة الصامته ، وبين هذه الصخور الجرداء
متخذا لنفسه زوجة عجوزاً ، يصدر قوانين نصف متحضرة لشعب من المتوحشين ،
يكتنز المال وينام ويأكل ـ ولكنه لا يعرف من لكون .
لا أقدر أن اكف عن الترحال ، ولسوف أشرب من الحياة حتى الثماله . استمتعت في كل الأوقات

أيما استمتاع ، وعانيت أشد المعاناة مع من يحبونني
وبمفردى . فوق الشاطىء وبين الأمواج المتضاربة ،
حينما يهطل المطر من النجوم مطراً غزيراً
يزعج البحر المظلم ، لقد اصبحت اسماً
إذ أجول دائماً بقلب جائع .
وما أكثر ما رأيت وما عرفت : مدنا ماهولة ،
وعادات الشعوب ، وأجواء البلاد ، ومجالس وحكومات ،
كما عرفت ايضا نفسى وهي ليست اقل شأنا ،
وكلهم أكرموا وفادتى .
ولكم شربت لذة المعركة مع أندادى
بعيداً فوق السهول الصداحة لمدينة طروادة العاصفة .
أنا جزء من كل ما قابلت ،
ومع هذا ، فالتجارب كلها ليست سوى بوابة
يضيء من خلالها ذلك العالم الذى لم نطرقه بعد ،
والذى تختفي حدوده دائما حينما ارتحل محاولا الوصول .
ثقيل هو التوقف عن الحركة ، مضجرة هى النهاية ،
كالمعدن حين يعلوه الصدأ ، وإلا اشع بريقا في حركتي ،
كما لو كانت الحياة هي التنفس وحسب ! حياة فوق حياة
لا تكفيني لقلتها ، ومع هذا لم يبق لى
من حياتي الواحدة سوى القليل : ولكن ثمة شيء أكثر أبديه
ينقذ الساعات من ذلك الصمت الأبدى ،
حينما يأتيني بالأشياء الجديدة ، كم كان اثما عظيما
ان اختزن نفسى وأحبسها لمدة ثلاثة اعوام ،

# الإنسان بين التراث والآلة

هذه الروح التى تدب فيها الشيخوخة تحترق شوقاً
لأن اتبع المعرفة كالنجم الذى يهوى
وراء أقصى حدود فكر الانسان .
ها هو ذا ابنى ــ ابنى تليماخوس ،
والذى سأترك له الصولجان والجزيرة ،
لقد نال محبتى ، وعنده من البصيرة
ما يؤهله لأن يقوم بهذا العمل ، وأن يستخدم فطانته
فى تهذيب شعب فظ ، وان يخضعهم رويداً رويداً للقيام بما هو نافع وخير .
ان ابنى الطيب هذا ، قد استغرقه تماماً
عالم الواجبات العادية ، وهو مهذب
لا يفشل قط فى الوظيفة التى تطلب الرقه ،
ولا فى أن يقدم
دلائل الطاعة والاجلال لأرباب المنزل ،
بعد رحيلى يؤدى هو عمله ، وأؤدى انا عملى .
ها هو ذا الميناء ، وقد نشرت السفينة شراعها !
وعلى البعد تمتد البحار العابسة المظلمة .
يارفاقى الملاحين !
أيتها الأرواح التى كدت وشقت وتفكرت معى
يا من كنتم ترحبون فى فرح بمقدم
الرعد والشمس ، واعترضتم طريقها
بقلوب أبيه وبحياة حرة ــ لقد نالت الشيخوخة منى ومنكم !
ولكن الشيخوخة لها شرفها وكدها .
الموت هو خاتم كل الأشياء ، ولكن قد ننجز
شيئاً ما قبل النهاية ، عملا يتسم بالنبل والجلال
عمل يليق برجال تصارعوا مع الآلهة .
هاهى ذى الأضواء تتألق بين الصخور
واليوم الطويل أخذ يذوى ، والقمر المتمهل يصعد بروج السماء ،
وتتردد أصداء التأوهات العديدة فى البحر:
تعالوا يا أصدقائى !
فالوقت لم يفت بعد كى نبحث عن عالم جديد .
ادفعوا السفينة ، واتخذوا أماكنكم فى نظام
ثم اضربوا
الأمواج الصارخة بقوة ، إذ أنوى
أن أبحر إلى ما وراء الشمس الغاربة ، وإلى منابع
نجوم الأفق الغربي كلها ، إلى أن تحين منيتى .
قد تبتلعنا الدوامات ،
وقد تلمس أقدامنا جزر الفردوس ،
ونرى أخيل العظيم الذى نعرفه جميعاً .
حقاً لقد ضاع منا الكثير ، ولكن لم يزل أمامنا الكثير أيضاً ،
وعلى الرغم من أننا لم نعد تلك القوة التى حركت الأرض والسماء
فى الماضى ، إلا أن كياننا هو هو لم يتغير
جماعة واحدة مؤلفة من عزائم بطولية ،
أوهنها الزمن والقدر ، ولكنها لم تزل قوية الارادة :
أن نكافح ونسعى ونكتشف ــ ولا نستسلم .

دون « تنيسون » فى مذكراته هذه الكلمات عن هذه القصيدة : « حينما اكتب قطعة قديمة مثل هذه ، فعادة ما اضعها داخل إطار .. اطار معاصر . إذ لا فائدة تجنى من أن تعاد رواية الأساطير القديمة وكانها طعام أعيد تسخينه » وبالرغم من ان «تنيسون» لم يكن ناقداً جيداً لا لشعره ولا لشعر الآخرين ، الا انه حالفه التوفيق هذه المرة ، ويمكننا ان نعد كلماته هذه خير مدخل لفهم القصيدة ، فهى ليست قصيدة قصصية عن «يوليسيس» أو عن اليونان ، وانما هى تعالج مشكلة من مشكلات الانسان المعاصر ، ومع هذا لابد وأن نتعرف على بعض الشخصيات والأماكن التى يرد ذكرها فى القصيدة فى سياقها القديم حتى نفهم مغزاها المعاصر ، إذ أن معنى القصيدة لا ينتج عن الأسطورة مباشرة وانما عن اعادة صياغة الأسطورة .

## عالم الأساطير الاغريقية

يوليسيس أو أوديسيوس هو بطل ملحمة هومر الأوديسه ، رمز العقل البشرى الذى لا يهدأ ، ورمز الرغبة العارمة فى اقتحام المجهول . تقول الأسطورة ، والملحمة الهومرية انه بعد سقوط طرواده فى أيدى ابطال الاغريق قفلوا عائدين الى أوطانهم ، بما فى ذلك بطلنا ، ولكن أفروديت ، حامية باريس بطل طرواده ، طلبت من «بوسايدون» آله البحر أن ينتقم لها من «يوليسيس» وكان لها ما أرادت إذ ظل يغالب الأمواج والصعاب ما يقرب من عشرين عاماً ، بينما كانت تنتظره زوجته بنلوبي وابنه تليماخوس . وفى النهاية يعود الى جزيرة « إيثاكا » ليصرع أعداءه وينضم الى زوجته ويعيش معها ومع ابنهما بقية عمره فى هناء وسعادة .

والقصيدة مليئة بالاشارات الى عالم الالياذه والاوديسه وعالم الاساطير الاغريقية القديمة . فيتحدث يوليسيس عن رغبته فى أن يذهب الى الجزر الفردوسية ( أو الجزر الاليزية ) وهى المكان الذى كان يتصور الاغريق ان الاخيار سيذهبون اليه بعد الموت ، وهناك يقابل « اخيل » أشهر أبطال الاغريق الذى صرعه « هكتور » بطل الطرواديين ، وثمة عبارات عديدة يستخدمها « هومر » فى ملحمته مرة بعد الأخرى مثل عبارة « طروادة العاصفة » و « أضربوا الأمواج الصارخـــة بقوة » ، وتكرار عبارات بعينها من سمات الشعر الذى كان يتناقل شفهياً بين المنشدين ، كما ان الرحلات فى شعر « هومر » عادة ما تبدأ عند المغيب مثل رحلة يوليسيس فى قصيدة تنيسون .

ولكن هومر ليس هو المصدر الوحيد لهذه القصيدة ، إذ أن شاعرنا اعتمد على قصيدة دانتى « الكوميديا الالهية » ( الكتاب السادس والعشرون من الجحيم ) حيث يخبر يوليسيس كلا من « دانتى » و « فرجيل » أنه قام برحلته من جزيرة الساحر كيركى فى سفينة واحدة مع مجموعة من رفاقه الأوفياء ليخوض تجارب جديدة ويخبر رفاقه :

فلتفكروا فى أصولكم
ان الله لم يخلقكم على شاكلة الحيوانات
الا لكى تبحثوا عن الفضيلة والمعرفة .

## المغامرة البطولية الأخيرة

يوليسيس الهومرى والدانتى هو اذن الأصل فى هذه القصيدة وهما شخصيتان مختلفتان تمام الاختلاف ، اذ أن الأول يوجد فى سياق وثنى يعلى من شأن الفروسية ، عالماً بدائياً بطولياً يعج بالمحاربين أنصاف الآلهة الذين يصرعون ويصرعون ، والذين يتحاربون حتى مع عناصر الطبيعة مثل يوليسيس ، أما عالم دانتى فهو عالم كاثوليكية العصور الوسطى والرهبنة والتقوى والملائكة ذات الوجوه النحيفة الحزينة ، ولذلك فيوليسيس

حينما يتباهى برغبته الفاوستيه فى المعرفة انما يدمغ نفسه ، فالبحث عن الفضيلة والمعرفة ، خارج إطار من القيم الدينية ، هو بحث عقيم يؤدى الى طريق مسدود ، إذ انه لا يمكن أن يوجد نسق أخلاقى لا يستند الى قوى ما وراء الطبيعة حسب تصور المفكرين المسيحيين والدينيين عامة .. فالسياق الهومرى يرى فى « يوليسيس » البطل الملحمى الحق ، أما فى السياق الدانتى فهو الانسان الوثنى الخير الذى ضل طريقه ولذا انتهى به الأمر الى الجحيم .

ولعل « تنيسون » لم يتنبه الى هذا التناقض أو لعله تنبه له وأبقى عليه ليقدم رؤية مركبة تخفى على القارىء المتعجل . ومهما كان الأمر فالقصيدة مقسمة الى ثلاثة أقسام : يصف القسم الأول منها حيـــاة « يوليسيس » بعد عودته الى إيثاكا ومدى سأمه من حياته الروتينية هذه ويتذكر سابق أمجاده . يبدأ الجزء الثانى بالحديث عن « تليماخوس » وعن كفاءته المحدودة وكيف يمكنه القيام بالأعمال المحدودة الموكلة إليه . وإذا كان الجزء الأول يتعامل مع الماضى والجزء الثانى مع الحاضر وربما المستقبل المباشر ، فالجزء الثالث يتعامل مع المستقبل البعيد وعالم الرؤية .. المغامرة البطولية الأخيرة التى سيقوم بها يوليسيس ، ليترك عالم السكون والسكينة .

وقد فسر النقاد والقراء فى العصر الفكتورى هذه القصيدة على انها دعوة للعمل وللاقبال على عالم المنفعة والانتاج . فيوليسيس هنا هو مثال الرجل الصناعى الذى لا يرضى بالسكون وبالتأمل ، وإنما يبحث دائماً عن مغامرات أو استثمارات جديدة حتى يزيد من تجربته أو من معدل إنتاجيته وأرباحه . وقد صفق النقاد لهذه القصيدة باعتبارها نقيضاً لقصيدة تنيسون الهروبية التأملية « آكلو نبات اللوتس المخدر » . ولكن هذه القراءة سطحية ولاشك . فعلى الرغم من أن يوليسيس فى هذه القصيدة لا يأخذ بحارته الى جزيرة نبات اللوتس المخدر الا أنه لا يقبل البقاء فى لندن أو إيثاكا وانما يقرر الرحيل عنهما إلى عالم مجهول وجميل ، لا نفع مباشر من ورائه . أى أن يوليسيس يقوم بمغامرة غير محسوبة ، فى عالم هيمنت عليه الحسابات ، ويذهب إلى أماكن غير معروفة ، فى عالم كان لا يذهب فيه الناس لمكان إلا لزيادة الربح . إن التناقض هنا ليس بين التأمل والفعل وانما هو بين الحياة النفعية الروتينية ( التى يمثلها تليماخوس وبنلوبى ) ، والحياة الخلاقة البطولية ( التى يمثلها تنيسون والبحارة ) ، إنه عين التناقض بين الشاعر والمجتمع الصناعى وقد أخذ شكلا آخر .

وقد استخدم الشاعر مجموعة من الصور الشعرية المبهمة ، ذات الدلالة التى تتخطى والتى تناقض ما يقرره هو نفسه بشكل مباشر فى القصيدة . فحينما يصف « يوليسيس » تجربته المقبلة يقول انه سيتبع « المعرفة كالنجم الذى يهوى وراء أقصى حدود فكر الانسان » وحينما تبدأ الرحلة فهو لا يبصر سوى « البحار العاتية المظلمة » و « اليوم الطويل وهو يذوى » وهو يعتقد أن سفينته « ستبحر الى ما وراء الشمس الغاربه ، والى منابع نجوم الأفق الغربى كلها » ( أى نهاية الدنيا ) وقد تبتلعه الدوامات وقد يقابل « أخيل » العظيم فى الجزر الفردوسية . أى أنها رحلة تحيطها الظلمات وقد تؤدى الى العدم . ولذا ثمة تشويه لروح القصيدة حينما فسرها المعاصرون لتنيسون على أنها دعوة للاجتهاد والتفاؤل ، وحينما اتخذ المنتجون الصناعيون كلمات يوليسيس الأخيرة شعاراً لهم :

« ان نكافح ونســـعى ونكتشـــف ..ولا نستسلم » .

فيوليسيس يكافح الملل والروتين ويسعى الى أن يترك عالم النظام المصمت هذا ليكشف المجهول الذى قد يؤدى به الى التهلكة ، وهو بهذا لا يستسلم لمجتمعه الصناعى الذى يحسب تكاليف وأرباح كل شىء .

ولعل شخصية الشاعر الرومانتيكى المختبىء وراء « يوليسيس » تظهر فى موقف هذا البطل فى القصيدة من أسرته ، فبنلوبى الصبور يشير اليها على انها زوجته العجوز ، أما تليماخوس فهو مجرد بيروقراطى يصلح لإدارة دفة الحكم وأما عامة الشعب فهم شعب من المتوحشين . إن أسرة وشعب يوليسيس يعيشون فى عالم الأشياء المألوفة التى ينفر منها هذا المتمرد الرومانتيكى .

وبذا يمكننا القول ان قصيدة « يوليسيس » ليست نقيضاً لقصيدة « آكلو نبات اللوتس المخدر » وانما هى طرح مغاير لنفس المشكلة فكلا القصيدتين قصيدتا رفض للمجتمع الصناعى ، وان كان الرفض فى القصيدة الثانية يأخذ شكل «الهروب» الى عالم الخدر والتأمل . فانه فى القصيدة الأولى يأخذ شكل هروب الى عوالم مجهولة مليئة بالمغامرات .

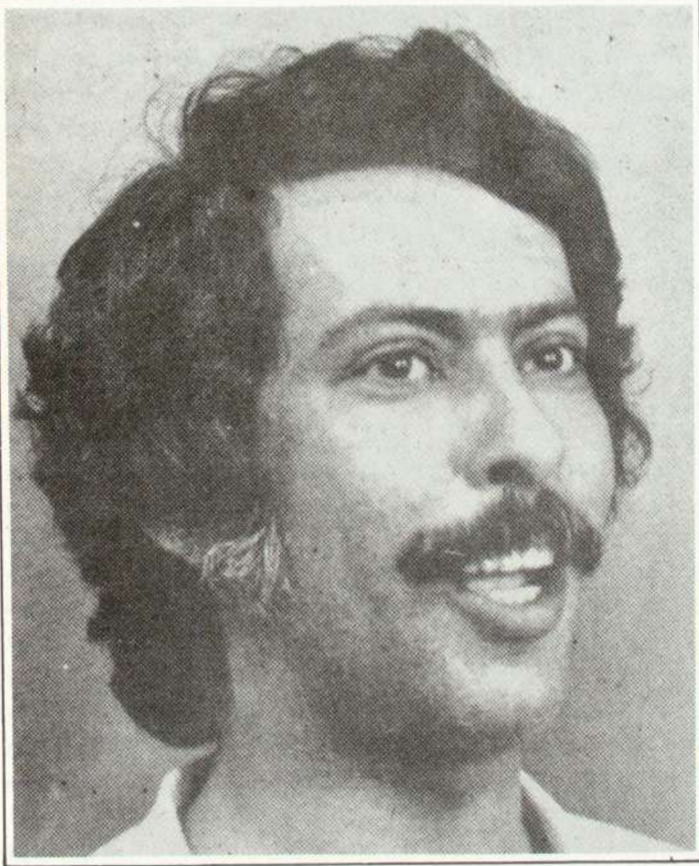
والقصيدة مونولوج درامى . أى انها قصيدة تحتوى شخصية واحدة عادة ما تكون البطل ، يقوم هو بسرد الأحداث ومن خلال سرده هذا ندرك بقية الشخصيات والخلفية والحبكة ، أى أن كل العناصر الدرامية متضمنة فى كلمات الشخصية الوحيدة .

وقد لجأ بعض شعراء العصر الفكتورى لهذا النوع الشعرى كمحاولة للهروب من الغنائية الرومانتيكية التى كانت قد استهلكت نفسها مع منتصف القرن التاسع عشر . وقد نجح فى هذا المضمار الشاعر روبرت براوننج . أما تنيسون فتغلب عليه النزعة الغنائية ولم يتمكن من الانتقال من المصطلح الدرامى ، ولذا « فيوليسيس » ، مثل « آكلو نبات اللوتس المخدر » ، قصيدة تبدأ بداية ملحمية ودرامية ولكنها سرعان ما تغرق فى الغنائية والتأملات الذاتية .

إن عالم « تنيسون » ، على الرغم من بعده عنا ما يزيد عن قرن ، قريب كل القرب منا ، فهو لا يزال عالمنا الذى نعيش فيه ولازلنا نجابه نفس مشاكله ، بل اننا نحن العرب نجابهها بحدة أكثر اذ أننا نود ان ندخل العصر الحديث ونود أن ننشىء قاعدة صناعية ضخمة ونود أن ندير مجتمعنا على أسس علمية عقلانية ولكننا نود – عن حق – الاحتفاظ بالقيم الاخلاقية الانسانية المتمثلة فى تراثنا الدينى والحضارى . وهذه هى مشـــكلة « تنيسون » أيضا الذى تيقن من حتمية العلم والآلة والذى كان يعرف تمام المعرفة أنه لا سبيل للهروب الى قصر الفن أو إلى برج جزيرة شالوت ، أو إلى جزيرة آكلو اللوتس ، أو الى جزر يوليسيس البعيدة ، ولكنه كان يعرف أيضا ان هذه الأماكن تجسد الجمال والقيم الأخلاقية والانسانية ، وأن المجتمع الصناعى لن لم ينجح فى التزاوج مع هذه القيم فانه سيؤدى بالانسان الى التهلكة وسيعطى الانسان بيتاً وسيارة وثلاجة وسيسلبه ضميره وروحه ، وذاته !

أ. د. عبد الوهاب محمد المسيرى

بقلم : د. أحمد عثمان



# ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي

فى لقاء صحفى نشر بمجلة الهدف فى ٢١/١٠/١٩٦٤ قال فنان الكويت الرائد الراحل ( فى ١٩٧٨/١٢/٢٤) صقر الرشود : «إننا لا نستطيع أن نطلق كلمة مسرح على المسرح إلا اذا كان له تاريخ» . ولم يكن صقر الرشود حين أدلى بهذا الحديث يدرى أنه هو نفسه من صانعى تاريخ الحركة المسرحية الكويتية وانه أول من خطا بها الخطوة التى وضعتها فى المسار السليم والاتجاه الصحيح . ولا ندرى ماذا كان سيقول صقر الرشود لو أنه عاش ليرى كتاباً بأكمله يؤلف من أجله ويتصدى لهذه المهمة واحد من خيرة الباحثين بل مؤرخ الأدب الكويتى المعروف الدكتور محمد حسن عبد الله . ويحمل الكتاب عنوان «صقر الرشود مبدع الرؤية الثانية» (منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية جامعة الكويت ١٩٨٠) . ويقول المؤلف (ص ١٩) «إن التاريخ الفنى لصقر الرشود هو بذاته تاريخ الحركة المسرحية بالكويت تقريباً» . وبالطبع يعنى الفترة التى عاشها الفنان الراحل مبدعاً .

وسنتخذ من تصفح هذا الكتاب معاً وسيلة لتحقيق غايتين : الأولى هى تحديد ملامح ظاهرة صقر الرشود فى المسرح الكويتى . أما الغاية الثانية فهى محاولة متواضعة لتقييم هذا الكتاب سعياً منا للافادة منه مستقبلا كتجربة مثمرة ينبغى أن تتلوها تجارب أخرى عديدة فى سبيل تاريخ الأدب والفن فى منطقة الخليج العربى التى وضعت قدمها مؤخراً على طريق النهضة الطويل. ولكننا لن نتمكن من تقييم هذا الكتاب قبل أن نحدد الهدف من وضعه أصلا . ومن الجلى الذى لا يحتاج الى تبيان أن للكتاب ثلاثة أهداف رئيسية : أولها هو تمجيد وتخليد اسم صقر الرشود ، ولا أدل على ذلك من صدور الكتاب بعد ما لا يزيد عن عام ونصف عام تقريباً من وفاته . فهو إذن كتاب تكريمى وضع بمناسبة معينة . أما الهدف الثانى فهو تسجيل السيرة الشخصية والفنية لهذا الفنان الراحل خوفاً عليها من الضياع .

والهدف الثالث هو تقييم دوره فى النهوض بالحركة المسرحية الكويتية .

## عبارة مبهمة

ومن البديهى أن يكون عنوان أى كتاب تكثيفاً دقيقاً لكل محتوياته ، وهذا ما لم يتحقق فى العنوان الذى وضعه الكاتب لكتابه «صقر الرشود ، مبدع الرؤية الثانية» . فمن النظرة الأولى على هذا العنوان نصطدم بحقيقة أنه لا يضم كلمة «مسرح» من قريب أو من بعيد . ومع أن «الرشود» كان قد جرب حظه وقلمه فى فنون أدبية أخرى ــ كالمقالة والقصة القصيرة مثلا ــ إلا أنه أولا وأخيراً رجل مسرح كما نفهم من معطيات الكتاب نفسه . ثم نأتى الى عبارة «مبدع الرؤية الثانية» فنجدها عبارة مبهمة حتى على القارىء المثقف لدرجة أن المؤلف نفسه يضطر الى تفسير هذا العنوان داخل الكتاب (ص ١٨) . ونفهم من الشرح المطروح أن كل فنان مبدع هو صاحب

رؤية اخرى (ثانية) تختلف عن الرؤية العادية (الأولى) من قبل عامة الناس للأشياء والأحياء . ومن الملاحظ إذن أن معنى «الرؤية الثانية» ـ برأى المؤلف نفسه ـ متضمن فى كلمة «مبدع» . فما معنى عبارة «مبدع الرؤية الثانية» فى هذه الحالة ؟ . يستعين المؤلف لكى يقنعنا بالمعنى الذى أراده لهذه العبارة ـ العنوان بمقولة أن «لا شىء ينشأ من لا شىء» بمعنى أن الفنان المبدع يأخذ جزئيات من هنا وهناك سبقه اليها الكثيرون ولكنه يصنع منها وبها شيئاً جديداً . وينسب المؤلف هذه العبارة الى «ناقد عربى» لا يذكر اسمه وهى فى واقع الأمر مقولة فلسفية إغريقية قديمة . وأغرب من ذلك أن المؤلف يذهب الى القول (ص ١٩) بأن الرؤية الثانية قد تكون ثالثة ورابعة !! وهذا أمر لم يشرح لنا المؤلف معناه ولا يعنينا هذا المعنى كثيراً مادام صاحب الكتاب قد وقف بنا عند الرؤية الثانية فقط !!

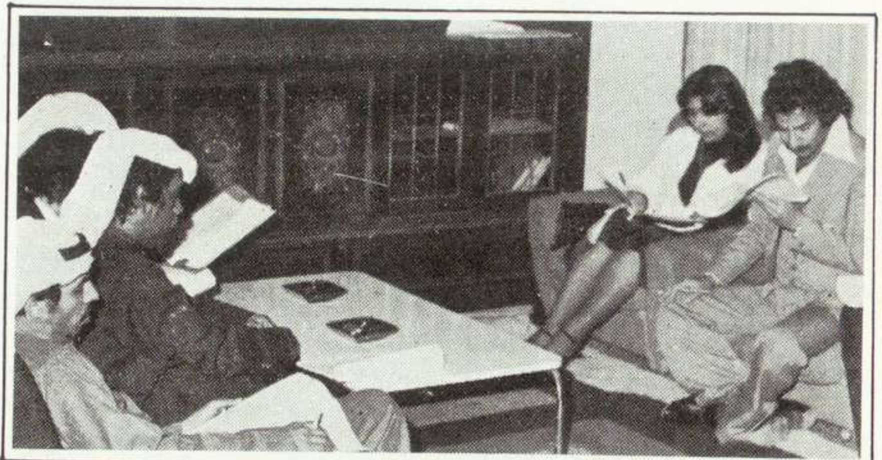
## مقارنة لا داعي لها

لقد توزع اهتمام المؤلف بين اهتمامات ثلاثة هى : حياة صقر الرشود ، مؤلفاته الدرامية ، الرشود مخرجاً مسرحياً . ولكن يلاحظ أن عدد الصفحات المخصصة للجانب الثالث أى الاخراج لا يتعدى ٥٨ صفحة وهو عدد ضئيل جداً إذا قيس بعدد صفحات الكتاب التى تربو على ٢٧٠ صفحة . هذا مع أن المؤلف نفسه يعترف بأن الاخراج هو أهم جوانب هذا الفنان المسرحى الراحل ، إذ يقول (ص ٤٤) «ينبغى أن نذكر هنا بشكل واضح تماماً أن الرشود هو أول مخرج مسرحى عرفته الكويت» . كان من الواجب إذن أن يكون الاخراج المسرحى هو المنطلق والركيزة التى تقوم عليها دراسة ظاهرة صقر الرشود ، وهذا ما لم يحدث فى الكتاب . فى حين لم يفت الكاتب أن يفيد من هذه الحقيقة نفسها ـ أى أن الرشود مخرج مسرحى بالأساس ـ ليؤيد زعم عبد العزيز السريع (ص ١٨٤ ـ ص ١٨٥) أن الفنان الراحل هو الذى كان يحشر نفسه حشراً فى تاليف مسرحيات مشتركة معه لأن الرشود ـ على حد قول السريع «يعتبر قد توقف عملياً عن التاليف بعد كتابتى «ضاع الديك» التى حققت نجاحاً ملحوظاً وبلغ صقر فيها قمة فنه فى الاخراج المسرحى» . ويؤيد صاحب الكتاب هذا الرأى بصريح العبارة (ص ٢١٤) فيقع فى تناقض ملحوظ بسبب تحيزه الواضح . فهو نفسه الذى قال بعد ذلك فى كتابه (ص ٢٥٩) ان اخراج مسرحية «على جناح التبريزى هى التى جعلت الرشود يتخطى حدود الكويت ليصبح مخرجاً عربياً مرموقاً» .

وعدم التركيز على الاخراج المسرحى فى فن صقر الرشود هو الذى أوقع صاحب الكتاب فى مزلق آخر . وذلك عندما يعقد مقارنة بين صقر الرشود المؤلف الدرامى وتوفيق الحكيم كاتب المسرحيات الذهنية . لقد قيل ذلك عن الحكيم لأنه مؤلف واسع الاطلاع عريض الثقافة ، قبع فى برجه العاجى بين الكتب الصفراء يكتب للمسرح فجاءت بعض مسرحياته ـ وليست كلها ـ غارقة فى التفكير الذهنى مما جعلها أصلح للقراءة منها للعرض المسرحى . هذا ما نفهمه من عبارة «المسرحيات الذهنية» واستخدامها بالنسبة لتوفيق الحكيم . أما صقر الرشود فمن المحال أن يكون مؤلفاً ذهنياً . وإذا كان ولا بد من مقارنته بتوفيق الحكيم فهو محدود الثقافة وهذا ما يؤكده صاحب الكتاب نفسه (ص ١٣٠) حين يقول «سيدل هذا كله ليس على عمق الثقافة المسرحية ، فلا تظن أن هذا كان قد تحقق ، بل يدل على سلامة الحس الفنى وبصيرة التعبير» . فصقر الرشود إذن فنان موهوب كانت تنقصه الثقافة المتعمقة ومن ثم فلم يكن مؤلفاً ذهنياً كما أنه لا داعى لمقارنته بتوفيق الحكيم .

## أهمية الجانب التسجيلى

والحقيقة التى قد تغيب عن أذهان الكثيرين هى أن التاريخ للكتاب والفنانين المعاصرين يعد من أشق المباحث وأكثرها عرضة للمزالق . وأسباب ذلك عديدة نذكر منها الحرج فى نشر بعض الوثائق والمعلومات . وكذا عدم توفر الموضوعية الكاملة لأن العوامل الشخصية شئنا أو لم نشأ تلعب دوراً فيما نكتب عن معاصرينا . وفضلا عن ذلك لا تتوفر الرؤية الشمولية فى الكتابة عن المعاصرين لأنه بطبيعة الحال لا يتاح لنا أن نضع الكاتب أو الفنان الذى نؤرخ له فى خريطة عامة تشمل ما قبله وما بعده . ومن ثم فان عملية تقييم الفنان أو الكاتب لا تكتمل فى عصره وتترك أشياء كثيرة ليقولها أبناء الأجيال القادمة . ولا يعنى قولنا هذا بأية حال من الأحوال أننا ندعو للتقاعس أو لعدم الاهتمام بتدارس الأدباء والفنانين المعاصرين لنا ، وإنما نرى أن الجانب الأهم فى مثل هذه



خلال بروفات القراءة لآخر اعماله فى الكويت « عريس لبنت السلطان »

# ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي

الدراسات هو الجانب التسجيلى . ومن هنا جاء الدكتور محمد حسن عبد الله وبذل أقصى ما فى وسعه لحشد أكبر قدر ممكن من المعلومات المباشرة وغير المباشرة عن حياة صقر الرشود منذ ولادته وحتى مماته . وعاد كذلك الى لقاءاته الصحفية ، واستند الى شهادة الفنانين المعاصرين له والمتعاونين معه . بيد أننا نصطدم بقلة الوثائق المنشورة فى نهاية الكتاب ، فهى ثلاثة فقط ، إثنتان منها متعلقتان بوفاة صقر الرشود وتكريمه بعد الوفاة من قبل مؤسسة التقدم العلمى الكويتية . كنا ننتظر وثائق أكثر ، وكنا نتوقع قوائم مصنفة وفهرساً منظماً بكل الوثائق والمقالات وكذا المعلومات وكل ما كتب ليس فقط بقلم صقر الرشود وإنما أيضاً ما كتب عنه . فمثل هذه القوائم والفهارس هى التى ستشد انتباه الباحثين والنقاد مستقبلا إذ ستسهل عليهم عملية دراسة وتقييم صقر الرشود فى إطار الحركة المسرحية الكويتية .

## بين النشمى والرشود

ويعيب د. محمد حسن عبد الله على زميله الباحث د. علي الراعي أنه يتحمس لمحمد النشمى الذى أوجد للمسرح الكويتى – برأى الأخير – ولادة شرعية شعبية . ومن الملاحظ أن د. محمد حسن عبد الله فى رده على هذا الرأى قد عانى هو أيضاً من شدة التحمس لمسرح الخليج حتى أنه يصدر حكماً قاسياً على النشمى فيقول إنه كان يدور فى حلقة مفرغة (ص ٩٦ – ٩٩) . ويستند د. محمد حسن عبد الله فى حكمه هذا على حقيقة أن النشمى كان يدعو لمسرح شعبى إقليمى ضيق . ونود التنويه هنا الى أن الشعبية أو الاقليمية فى المسرح والأدب لها دور لا يلغى ولا يتعارض مع التوجه القومى والعلى . والنشمى كما يقول د. محمد حسن عبد الله نفسه هو الذى سبق الرشود بنقد القضايا الأساسية فى المجتمع الكويتى ولا سيما فى مسرحية «قرعة وصلبوخ» التى ألغيت بعد ليلة واحدة من عرضها لأن ما بها من نقد كان أكبر وأخطر من أن تسكت عليه الرقابة (ص ٨٧) . وفي هذا الصدد تلزمنا الاشارة الى الاطروحة التى تقدم بها سليمان الخليفى لنيل درجة البكالوريوس من المعهد العالى للفنون المسرحية بالكويت والتى طبعها فى كتيب بعنوان «صقر الرشود والمسرح فى الكويت» (مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ١٩٨٠) . فى هذه الأطروحة – الكتيب – (ص ١٤ – ١٨) أشار الخليفى الى أن النشمى ومسرحه الشعبى المرتجل يذكرنا بكوميديا دى لارتى (أى كوميديا الحرفة كما أفضل تسميتها) وهو الفن المسرحى الشعبى الذى أعطى الحياة والدفء لمسرح ايطاليا بخاصة وأوروبا بعامة فى بدايات عصر النهضة (وهذا موضوع قد نعود اليه فى مجال آخر) . وأهم من ذلك أن الخليفى يلفت انتباهنا الى حقيقة مفادها أن أول نص مكتوب قدمه الرشود وهو مسرحية «تقاليد» التى عرضت فى ١٩٦٠/١٢/٣ «قد كتب له أن يرى النور فى أحضان المسرح الشعبى ومن بين يدى رائد المسرح فى الكويت الأستاذ محمد النشمى» (ص ١٨) .

ويقرر د. محمد حسن عبد الله «أن الرشود لم يكن أولا بل كان مسبوقاً دائماً» (ص ٩٥) وإن كان ذلك لا يقلل من عبقريته التى جعلت من مسألة السبق الزمنى غير ذات أهمية . فالرشود لم يكن أول من جعل للمسرح الكويتى نصاً مسرحياً مكتوباً و «المخلب الكبير» ليست هى أول مسرحية كويتية فصيحة ، إذ سبق فى ذلك كل من الشاعر أحمد العدوانى والأستاذ حمد الرجيب . ويتحلى د. محمد حسن عبد الله بالموضوعية فى أغلب صفحات كتابه فهو مثلا يعالج الأخطاء اللغوية فى مؤلفات صقر الرشود ( ص ١٢٠ وما يليها) ، ويذكر فى أكثر من موضع أنه لا يهدف الى تفخيم أو تضخيم صورة صقر الرشود . ولكن الحماس يعاوده بين الحين والآخر إذ يصف مسرحية «المخلب الكبير» على أنها «على مستوى اللغة الرسمية وطبقاً لمواصفات المسرح العالمى أيضاً !» (ص ١١٤) .

## الحاجز .. والمخلب الكبير

ولقد حرص صاحب الكتاب على أن يربط صقر الرشود بالكاتب والمخرج الألمانى الشهير برتولد بريخت (ص ١٣٠ ص ٢٠٢ ، ص ٢٣٩ وما يليها) . ولكنه يتحدث عن أسلوب صقر الرشود البريختى فى الاخراج دون التأليف ولا ينوه مجرد التنويه الى أنه من العسير الفصل بينهما كما يقول بريخت نفسه . ويقول الباحث (ص ٢٤٥) ان هدف بريخت كان «رفض النظرية الأرسطية تماماً ، تلك النظرية التى قامت على المحاكاة» . فهذا يعنى أن فن بريخت – كتابة واخراجاً – لا يقوم على المحاكاة.

ونرى من ذلك قصوراً فى فهم المسرح الملحمى البريختى الذى يستمد أصوله – رغم ما يزعمه بريخت نفسه – من المسرح الاغريقى ومن بعض القواعد الأرسطية ولاسيما المحاكاة . ولكن هذا موضوع آخر يحتاج الى تفصيل لا مجال له هنا .

وعن مسرحية «الحاجز» لصقر الرشود (عرضت علم ١٩٦٦) يقول :. د. محمد حسن عبد الله انها أقرب الى الدراما التلفزيونية لأنها «تهتم بالتفاصيل ، وتكتفى بالاشارة الرامزة دون الدخول فى صراع حاد صارخ» (ص ١٨١) . وهذه العبارة التى تعرف الدراما التلفزيونية غير دقيقة وبها شىء من التناقض والغموض . وأكثر من ذلك أنها لم تشرح مسرحية «الحاجز» وإنما زادتها التباساً . ومع ذلك فكنا نود أن يوجه الباحث مزيداً من الاهتمام الى جهود صقر الرشود فى الاذاعة والتلفزيون ولا يكتفى بالاشارات المتفرقة هنا وهناك إن كان حقاً يعتقد – مثلنا – أن الاذاعة والتلفزيون قد أثرا فى نشاطه المسرحى تأثيراً كبيراً .

وهناك سؤالان هامان لم يجب عنهما الكتاب لأنه أصلا لم يطرحهما . الأول خاص بحقيقة أن ظاهرة صقر الرشود فى المسرح الكويتى وقعت فى الستينات وعاصرت الانتعاشة المسرحية فى مصر وبعض البلدان العربية الأخرى . ما تعليل ذلك ؟ أما السؤال الثانى فهو بشأن تقسيم صقر الرشود لمسرحية «المخلب الكبير» الى مسرحيتين احداهما تحمل نفس العنوان الأصلى والأخرى بعنوان «الطين صار اسمنت» ألا يدل ذلك على أنه كمؤلف قد بدأ يكرر نفسه مما يوحى بالنضوب ؟ أم أن انشغاله بالاخراج – وهو أسلس موهبته ومجال تفوقه – والعمل فى الاذاعة والتلفزيون وجمع المال كان وراء عدم التزود بالثقافة والتجدد بالتجارب والتفرغ للتأليف المسرحى ؟

ومما يؤسف له أن الكتاب لا يضم قائمة بالمراجع ولذلك لا نعرف مثلا فى أية جريدة أو مجلة تم اللقاء الصحفى مع الرشود والمشار اليه فى صفحة ١٥ وصفحة ٦٧ . ويشير المؤلف الى مقالات «بصراحة» الاسبوعية فى جريدة الأهرام دون ذكر اسم صاحبها محمد حسنين هيكل ولا حتى اسم الجريدة نفسها (ص ٣٨ – ٣٩) وينسى أن هذا الكاتب قد توقف عن كتابة هذه المقالات منذ أكثر من عشر سنوات وأن هناك شباناً يعيشون معنا ولم يقرأوا هذه المقالات بل ربما لم يسمعوا بها . وبعد عشر سنوات أخرى مثلا ستكون هذه المقالات مجهولة إلا لخاصة المثقفين المهتمين بقراءة التاريخ .

بقي أن نشير الى أن صقر الرشود كان يسمع هذه المقالات من الراديو ويعتبرها صاحب الكتاب مصدراً من مصادر ثقافته . ولا يذكر الباحث قط تاريخ ولا مكان نشر أى من الكتب والمراجع التى عاد اليها ، فنحن مثلا لا نعرف ما إذا كان قد عاد الى كتاب الكسندر وين «أسس الاخراج المسرحى» بلغته الأصيلة أى الانجليزية أم مترجماً . كان على الباحث أن يعرفنا بأن هذا الكتاب ترجمة سعدية غنيم وراجعه محمد فتحى وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ .

وبعد فان الكتاب الذى بين أيدينا حافل بالمعلومات القيمة ليس فقط عن صقر الرشود ، بل عن الحركة المسرحية والأدبية بالكويت . وهى معلومات جمعها واحد من أبرز المهتمين بالأدب الكويتى وأكثرهم له متابعة بالقراءة والبحث ، ومشاركة بالتأليف ، ونتوقع لهذا الكتاب أن يحتل مكاناً هاماً فى مراجع الدراسات النقدية عن المسرح الكويتى . فلن يستغنى عنه أى باحث يريد دراسة مسرح الكويت فى الستينات والسبعينات . ويا حبذا لو تتلو هذا الكتاب كتب أخرى تؤرخ للكتاب والفنانين المعاصرين بالكويت ومنطقة الخليج العربى .

د. أحمد عتمان

## من كلمـــات نابليـــون

- الحيـــاة التى لا فائدة فيها حمـــل ثقيل .
- ليس بين النصر والهزيمة إلا خطـــوة واحـــدة .
- يجب ان ننظر إلى الأمور كما هى لا كما نشتهى أن تكون .
- أسرع الناس مشياً من سار وحـــده .
- الكذب زائل والصدق دائم .
- الليل ناصح ا مين .
- لا يظفر المقامر بأى ثقة منى ، وإن ثقتى بأى إنسان عند أول علمى بأنه مولع بالقمار .
- كنت أيام سعادتى أحسبنى أعرف الرجال ولكن لم أكن أدرى أن عرفانى بهم على حقيقتهم إنما كان فى أيام محنتى .
- ليس فى قدرتى خلق الرجال فلابد لى إذن أن أستفيد ممن أجـــد .
- عدو مبين خير من حليف مريب .
- كيف تقوم الفضيلة ؟ .. ألا إنه لاسبيل إلى ذلك إلا بنشر الدين .

انتظار الأهل لذويهم العائدين من رحلة الغوص

# دانه القطرية

## مفاجأة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس

### تونس : خاص بالدوحة

موسيقى وصوت الفنان الخليجى احمد الجميرى تنساب فى شجن ورقة .. حاملة كلمات الشاعر علي عبد الله خليفة .. علي خلفية من عدد من اللوحات الرقيقة .. التى تشبه رسوم الأطفال .. تصور بيوت قرية قطرية عتيقة تواجه البحر .. ويواجهها طفل وطفلة وقنديل صغير ، ثم اسم التمثيلية التليفزيونية ( دانه ) التى شاركت بها قطـــر فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية الأول فى تونس .. ثم تتالى بعد ذلك اسماء الفريق الفنى المتجانس الذى انجز هذا العمل ـ جاســم صفر ، وعبد الرحمن محسن « القصة والسيناريو والحوار » .. وداد عبد اللطيف .. ســـعد بورشيد،عبد الله غيفان ، ومجموعة كبيرة من الممثلين القطريين الهواة .. وأخيراً ياتى اسم المخرج .. أو مايسترو هذا العمل الذى كان بحق مفاجاة مهرجان التمثيلية التليفزيونيـــة « ابراهيم الصباغ » فرغم أن قطر كانت الدولة الوحيدة من الدول المشاركة التى تقدمت بعمل واحد .. إلا أن هذا العمل قد فاز بجدارة باهم ثلاثة جوائز من الجوائز التى منحتها لجنة تحكيم المهرجان .

ففى المدة من ٢٣ إلى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨١ نظمت الأمانة العامة لاتحاد الاذاعات العربية التابع لجامعة الدول العربية المهرجان الأول للتمثيلية التليفزيونية الذى عقد فى دار ابن خلدون للثقافة بتونس . وقد اشترك فى هذا المهرجان سبعة عشر عملا تمثل ثمانية دول هى : الأردن ، سوريا ، العراق ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقطر ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر . وتشكلت لجنة التحكيم من الفنان العراقى يوسف العانى رئيساً والطيب الصديق من المغرب وعلاء كوكش من سوريا ، ومحمد محفوظ وعلى منصور من تونس كأعضاء .. وقد حددت لائحة المهرجان الجوائز التى سيتم التنافس عليها كالآتى :



جاسم صفر ـ احد مؤلفي العمل



عبد الرحمن محسن ـ كاتب السيناريو

(١) جائزة لأحسن عمل مشارك .
(٢) جائزة لأحسن إخراج .
(٣) جائزة لأحسن سيناريو .
(٤) جائزة لأحسن أداء لدى الممثلين .
(٥) جائزة لأحسن أداء لدى الممثلات .

فكانت مفاجاة المهرجان الكبرى بحق .

منذ اللقطة الأولى تأكد الجميع أنهم أمام عمل لا يمكن أن ينتمى لأى مكان إلا المكان الذى انتج فيه ويحمل اسمه – إلى قطر – وإلى ذلك الزمن القريب البعيد حين كانت الحياة فى هذه البقعة من الخليج العربى تعتمد أساساً على الصراع بين الانسان والبحر يعطيه عمره .. ليحصل منه على لآلئه التى تكفل استمرار الحياة .

الفجر يوشك أن يشرق على قرية قطرية عتيقة ، ببيوتها المتساندة التى تواجه البحر ، ويواجهها .. وخبز الصباح يوشك أن ينضج فى الأفران .. وقهوة الصباح المرة تدور فى الأكواب .. البعض بكر فى السعى والبعض يوشك .. وسعد « مطوع » القرية الشاب يردد حروف الأبجدية العربية فيرددها خلفه أطفال القرية « كتابها » الوحيد الصغير ..

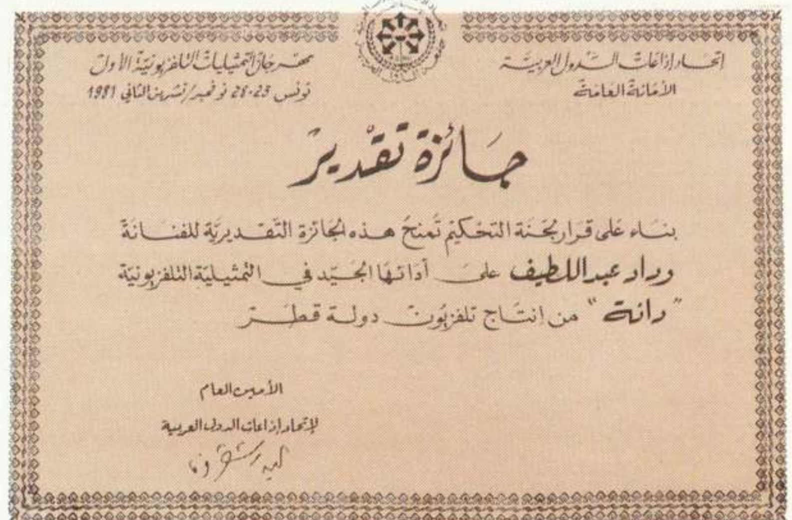
هكذا يبدأ أول مشهد فى « دانه » . ولم تكن القرية التى صورها المخرج مصنوعة من الخشب أو النسيج المطلى . ولم تكن الأفران أو المواقد مصنعة فى أركان استديو تليفزيون قطر بل كان كل شىء فى هذا المشهد حقيقيا حياً ، قرية حقيقيـة .. وأدوات حقيقيـة وأصيلة ، ولغة تنتمى إلى ذلك العصر .

تتقدم احداث القصة لتثبت مع الوقت أنها تنتمى أيضاً الى نفس المكان .. لتعبر عن طبيعة تلك الحياة التى صنعها الصراع مع البحر وتلك العادات التى رسختها الصحراء والأمل القادم فى الخروج من هذه الدائرة – – إلى أفق أوسع وأرحب – وتتجسد كل هذه الحيوات فى شـخصيات من لحم ودم. « النو خذا » ربان سفينة الغوص ، والمتحكم فيها وفى « دانه » ابنة أخيه مالكة السفينة الحقيقية، وسعد الشاب المتطلع للغد والذى يدفعه الأب الى التعلم أملا فى أن يجنبه المصير المؤلم لكل غواص فقير . وأخـيراً « دانه » صاحبة « المحمل » ومحط الطمع والحب . ويتوقد الصراع حين نواجه بالعم يرفع سيف التقاليد .. « الذى يقضى بأن تكون « دانة » من نصيب ابن العم فهو أولى بها من الغريب » .. ولكن التقاليد أيضاً تقضى باحترام رغبة الأب الذى مات بعد أن وعد ابنته بالزواج من سعد . وهنا يحاول الحب أن يواجه الشر والطمع بنفس سلاحه .

على السطح تطفو قصة حب رومانسية رقيقة وعادية يجسدها المخرج فى لغة سينمائية شاعرية تجيد استخدام امكانيات الطبيعة .. البحر .. والشاطىء .. والنوارس .. والسفن المهجورة . ويقود مجموعة الممثلين الهواة الى حرفية جديدة تماماً تختلف كل الاختلاف عن الأسلوب المسرحى الاذاعى السائد فى الاداء التليفزيونى . التلقائية ..



مشهد من رحلة الغوص



اتحاد اذاعات الدول العربية
الأمانة العامة

مهرجان التمثيليات التلفزيونية الأول
تونس ٢٣-٢٨ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨١

جائزة تقدير

بناء على قرار لجنة التحكيم تمنح هذه الجائزة التقديرية للفنانة وداد عبد اللطيف على أدائها الجيد في التمثيلية التلفزيونية "دانة" من انتاج تلفزيون دولة قطر

الأمين العام
لاتحاد اذاعات الدول العربية

## الصراع بين الانسان والبحر

الأيام الأولى للمهرجان مضت دون مفاجآت .. وكما يقول بيان لجنة التحكيم : « إن اللجنة لاحظت أن مضامين بعض التمثيليات لا ترتبط بأرضية أو تربة البلد المنتج ، ولا تمت بصلة إلى واقعه أو مشاكله أو تاريخه بل كانت محلقة تبحث عن هوية وتستجدى الاصالة والصدق فى التعبير » ..

وكان من الممكن ان تحجب لجنة التحكيم الجائزة – الأولى لأحسن عمل مشارك – وظل هذا هو الاحتمال الغالب .. الى أن عرضت على اللجنة والجمهور المتواجد فى دار ابن خلدون التمثيلية التليفزيونية القطرية «دانه»



الفنانة وداد عبد اللطيف وجائزة تقديرية عن التمثيل

# دانه القطرية

## مفاجأة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس

والعضوية التى تقترب من الطفولة التى تتفق مع وعى وسن دانة وسعد .. وتأتى كلمات الحوار البسيطة الرقيقة القليلة ، فى مكانها المحدد ،، لا ثرثرة ولا احاديث معادة عن الحب

ولأن المخرج قرر منذ اللحظة الأولى ان يركب المركب الصعب وأن يصور كل لقطاته خارج الاستديو .. فقد امتلك ثروة لا تنتهى من القدرة على استخدام حركة الكاميرا وحركة الممثلين والمجاميع بحرية شديدة . فنحن لا نواجه كما تعودنا بلقطه للبطل يتحدث ثم لقطة للبطلة . بل تدور الكاميرا حول تفاصيل المشهد لتبرز جمال الحركة التلقائية ولتعطى لكل استخدام لاحجام اللقطات معناه الحقيقى .. فحين يطبق اليأس تبتعد الكاميرا وتتحول صورة دانه وسعد إلى شئ ضئيل صغير فى مواجهة البحر وهذا الفراغ الهائل ولا تقترب الكاميرا من الوجوه إلا فى لحظات الانفعال الحارة لتبرز ما يريد أن يقوله المخرج بالخلجات وارتعاشات الشفاه والعيون . على السطح تبدو قصة الحب الرقيقة هذه .. وفى الباطن نواجه بالحياة القاسية بالواقع وتفاصيله المرة .. البحر .. والسفن الصغيرة البدائية التى يتكدس فيها عشرات الغواصين فى رحلة الغوص الشرسة التى تستغرق فصل الصيف كله .. يعيش الغواصون خلالها على التمر والقهوة المرة فقط . يغوصون ويغوصون يجلبون اللآلىء والثروة « للنوخدا » مقابل السلفة الصغيرة التى قبضوها مسبقاً ليكفلوا بها قوت بيوتهم هناك على الشاطىء .

ومع ذلك فمن ابناء هؤلاء الغواصين من يطمع فى دانه — ابنة شقيق النواخدا — والمالكة الحقيقية « للمحمل » يطمع فيها وفى ما تملك . هكذا يعتقد النوخدا . ولكن القلوب الصغيرة تحلم بالحب وتفكر فى التخلى عن المحمل .. وما يجلبه من أحزان — ولكن من يصدق — لابد لدانه أن تظل فى منزل العم وصياً عليها ، ثم زوجة لابنه الذى تربى معها

وعلى عكس الصورة التقليدية لابن العم الذى ينفذ مخططات الأب أو الذى يعيش قصة حب أخرى بعيدة يبدو ابن العم هنا شخصية انسانية حية — يحب ابنة العم ويتمناها لنفسه ولكنه يرفض ان يحصل عليها غصباً .

ويموت أبو سعد الغواص الفقير على سطح « المحمل » كما مات عشرات غيره — من الغواصين المرضى لأن السفينة لابد ان تكمل رحلتها — ولكن بعد ان يجبر النوخدا على الاعتراف بالوعد الذى قطعه والد دانه بتزويجها من سعد فهو لا ينكر الوعد ولكن هناك ألف طريق للخلاص منه . فدانه صاحبة المحمل لابد لها من مهر كبير . والظـروف لا تتيح لسعد حتى سداد الديون التى مات الأب وخلفها وراءه . ويترك سعد حلمه فى حياة افضل ويركب البحر .. مادام هذا هو الطريق الوحيد الى دانه ويتكفل الشر بالبقية .. ففى أول رحلة له على سطح المحمل يتهم بالسرقة .. وهذا كاف حتى يبرر النوخدا رفضه لتزويجه من دانه . وعلى الشاطىء يعلن النوخدا عن موعد زفاف ابنه على دانه ويجمع سعد ما يملك — ويقرر الرحيل — الى المجهول — وتحلم دانه بأن تحرق « المحمل » سبب المأساة ومحط الطمع — لكنها لا تملك القدرة على الفعل — لا تملك إلا ان تعدو خلف القارب الصغير الذى يقل سعداً الى البعيد تعدو وتصرخ وتغوص فى الماء فى مشهد يصل استخدام المخرج فيه لأدواته الى ذروة تذكرنا بالأفلام الرومانسية العالمية الجديدة . تتقاطع لقطات العدو والصراخ فى الماء مع عودات سريعة قصيرة لذكريات أيام الهناء .. وتزداد سرعة اللقطات إلى أن تصل إلى ذروتها .. فتسكن وتصمت لتجول بنا الكاميرا على سطح البحر حيث يختفى القارب الصغير الذى يقل «سعداً» وترحل النوارس بعيداً عن الشاطىء ثم تزحف الكاميرا الى دانه ، مبتله ونديه .. وقد رقدت هامدة إلى الأبد على الشاطىء .

ولم يكن نجاح المخرج مجرد نجاح تقنى فى استخدام أدوات التصوير التليفزيونى بشكل بارع — بل كان نجاحه الاساسى فى توظيف هذا الاستخدام فى خلق عمل محلى عربى يرتبط بواقع قطر ويستغل جماليات هذا الواقع — فقد استطاع المخرج أن يغلف عمله الذى يدور فى عالم البحر والغوص بالفنون الشعبية وبالموسيقى التى تعبر عن هذا الواقع وذلك العصر .. استخدم فى مشاهد الغوص والبحر سفينة غوص حقيقية قديمة كما استخدم فريقاً من الغواصين القدامى — ولم يكن استخدام المخرج لكل هذه الأدوات مجرد محاولة لاضفاء المحلية على العمل — بل استطاع بحق ان يوظف كل هذه الأدوات للتوظيف الدرامى الصحيح الشعبى التقليدى البطىء فى كل مشاهد القرية والبحر والغوص — فى حين استخدم ايقاعاً أكثر سرعة وحداثة

### قرار لجنة التحكيم

يقول قرار لجنة التحكيم فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية حول فوز التمثيلية القطرية ( دانه ) .

لقد تميزت التمثيلية بمستواها الفنى العالى وبالاخراج المتقن والتمثيل العفوى الذى بدا ظاهراً لدى كل الشخصيات المشاركة ، الأمر الذى جعلنا نقتنع بواقع الأحداث والأجواء وبصدق التعبير ورهافته والذى أولاه المخرج عناية فائقة ، إضافة الى استغلال الأماكن الحقيقية والفن الشعبى بصيغة جمالية ومؤثره » .

لقد كانت تجربة المخرج ابراهيم الصباغ فى اخراج هذا العمل بالكامل خارج الاستديو ، وبعربات الفيديو رداً بليغاً على أسلوب الانتاج التجارى السائد ، الذى يتحجج دائماً بارتفاع تكاليف التصوير خارج الاستوديوهات والذى يتم عـادة باسـتخدام ادوات التصـوير السينمائى وخاماته — التى تضـاعف التكاليف — فقد استطاع هذا المخرج ان يقدم عملا تليفزيونياً عربياً يرقى الى مستوى تلك الأعمال العالمية التى نشاهدها دوماً — ونتساءل عن السبب فى قدرتها على اقناعنا

وأخيراً فقد استطاع هذا العمل والفريق الذى انجزه أن يعيد الى التمثيلية التليفزيونية بعضاً من سمعتها كفن تليفزيونى خالص .. كفن مرئى .

تونس : خاص بالدوحة

« دانه »

فازت التمثيلية التليفزيونيـــة القطرية « دانه » بثلاث جوائز فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية الأول فى تونس . والتمثيلية من انتاج تليفزيون قطـــر ..

قصة وسيناريو وحوار — جاسم صفر ، عبد الرحمن محسن .

إخراج ابراهيم الصباغ .

بطولة : وداد عبـــد اللطيف . سعد بورشيد ، عبد الله غيـــفان . عبد العزيز جاسم ، وصلاح درويش . مبارك الخميس . محمد البلم .

المخرج المساعد خليفه المناعى .

تصوير : عبد الرؤوف داود . محمد القريطى ، محمد عبد المنعم .

الديكور واللوحات .. الفنان فؤاد الشبينى .

الغناء والألحان : أحمد الجميرى .

كلمات الأغانى : الشـــاعر علي عبد الله خليفة . وقد فازت دانه باهم ثلاث جوائز فى المهرجان وهى جائزة احسن عمل مشارك . وجائزة أحسن اخراج مشارك . وجائزة تقديرية لأحسن أداء لدى الممثلات .

* الدانه : اللؤلؤة الكبيرة .

بقلم : فـوزي تـادرس

# هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



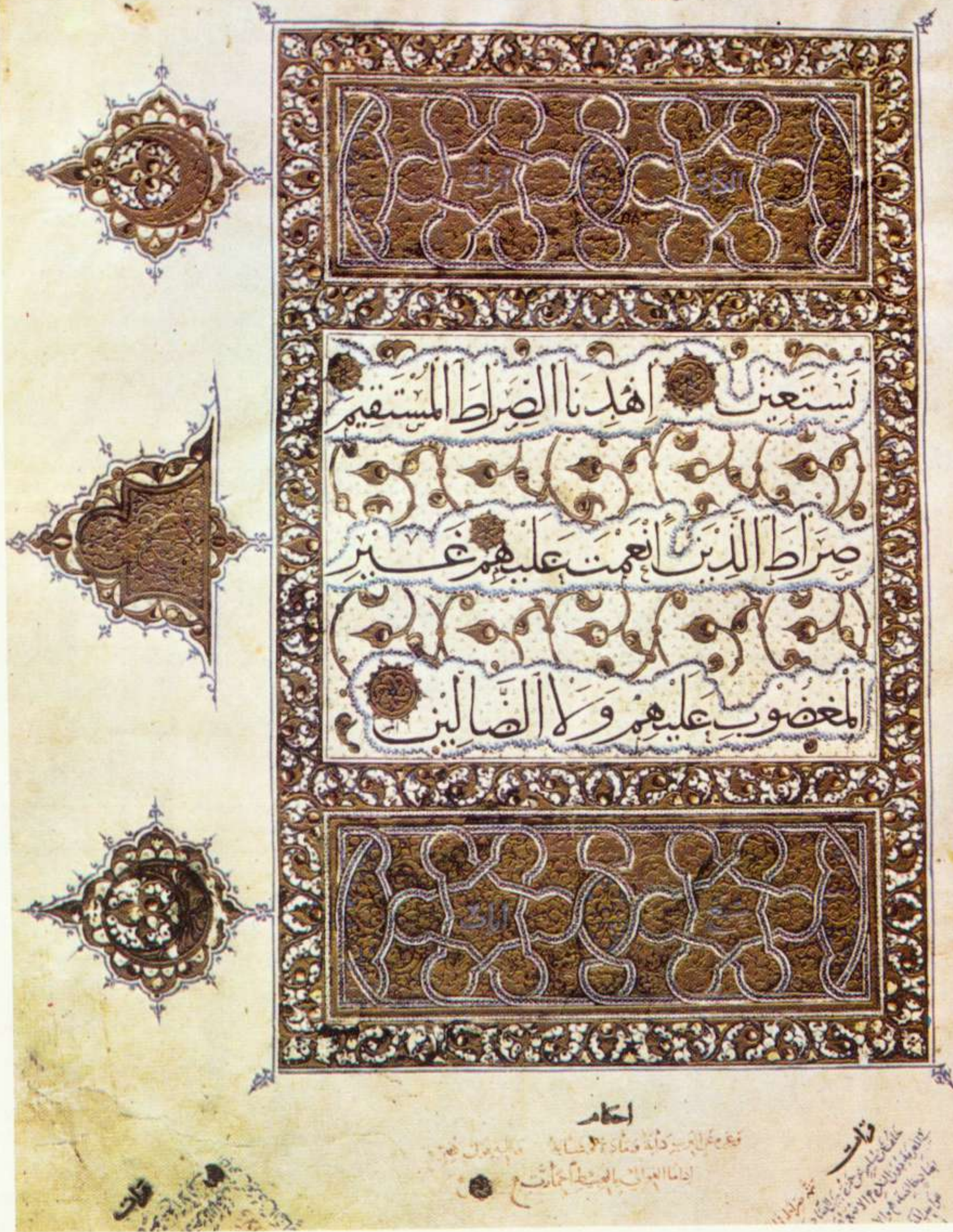
فاتحة القرآن بالخط النسخى المغربى مع رأس السورة بالخط الكوفى البديع

لقد كان استعمال اللغة العربية كواحدة من المقومات الأساسية التى وحدت بين المسلمين ، وهى فى نفس الوقت التى ميزتهم عن غيرهم كاحدى أساسيات الثقافة الاسلامية باشكال وصفات أبجديتها حتى أصبحت على مر العصور هى المحور المركزى للفنون الاسلامية (١) .

وبينما كانت الكلمة المكتوبة فى أول انتشار الاسلام لأغراض مقدسة لكتابة القرآن الكريم ، استخدمت الكتابة أيضاً للمعاملات الدنيوية . ولقد اتخذت فى كل مرحلة طابعاً وشكلاً معيناً طبقاً للفترة الزمنية التى تغطيها وتبعاً للبيئة المحلية التى ينتشر فيها ، ثم إلى مواد الكتابة التى يستعملها الخطاط (٢) .

ولقد بقى الخط العربى مديناً بتطوره التاريخى لذكاء الفنان العربى المسلم ولقدرته على الابداع الانسانى ، والتى تدين لتطورها عندما اختارها الله لتكون أداة لنشر الرؤية الدينية التى نزلت بالقرآن الكريم على الرسول محمد سيد المرسلين (٣) .

# هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث




روعة الخط الثلث مكتوبة باللون الأسود والأزرق

## رسالة الكتابة العربية

لقد أخذ العرب المسلمون معهم لغتهم وكتاباتهم وعقيدتهم إلى كل البلاد التى فتحوها ، وبينما قبلت معظم هذه الشعوب اللغة العربية بخطها والديانة الجديدة بعقيدتها الاسلامية ، قبل الايرانيون والأتراك الديانة الاسلامية والحروف العربية ولم يقبلوا اللغة . وبقيت اللغة العربية هى التعبير الرسمى لعالمية الاسلام وطموحه .

فى مثل هذا الموقف المركزى للحضارة الاسلامية احتلت الكتابة العربية الصدارة وبدأت تظهر شخصيتها كأداة ثقافية واحدى الدعائم الأساسية للاشعاع الروحى الذى أتى به الاسلام (٤) فقد كانت الكتابة العربية الجميلة تشكل طريقاً اخلاقياً ممتازاً يقصد منها ابتغاء الغفران من الخطايا ، وعملا دينياً محبوباً بما فيها من كتابة اسماء الله الحسنى (٥) ، وأيضاً اسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا إلى جانب ان القراءة والكتابة كانتا هما حجر الزاوية والدعاية الأساسية التى قام

عليها الاسلام (٦) . وغنى عن البيان ، فكلنا يعرف أن أول آيات القرآن ( اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ) (٧) .

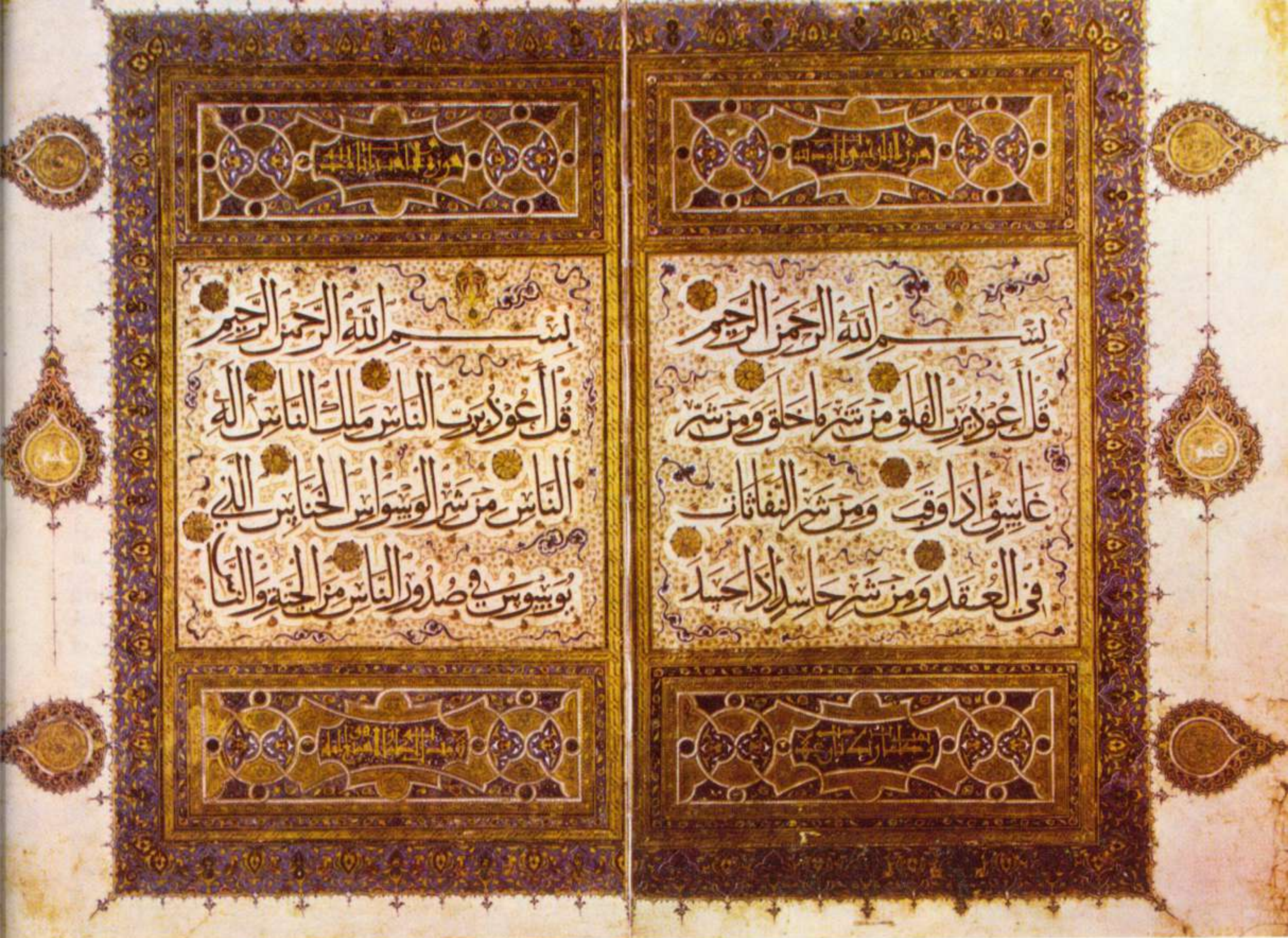
لم يكن الخطاطون المهنيون وحدهم هم الذين انشغلوا بذلك بل شاركهم فى هذه الأمور كل المسلمين والأدباء . وكما أصبحت الكتابة مظهراً دينياً رائعاً ، أصبحت مركزاً حيوياً للعقيدة الاسلامية فحملت الكتابة العربية معها تأكيداً ضمنياً للسلطة ، فكان يكتب بها الرسائل والعهود والمصالحات (٨) التى بعث بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها للاسلام ، وساهمت الكتابة العربية ، فى حفظ أحاديث الرسول وشروح رجال الفقه الاسلامى إلى العالم أجمع . واستخدمت أيضاً للمعاملات الدنيوية مثل كتابة الرسائل لمخاطبة العمال ورجال الخراج والجند والشرطة والقضاة . ثم اشتغل العرب بعد ذلك فى تدوين التاريخ وخصوصاً كتب المغازى ، وكتب التراجم ونتيجة لازدياد حركة القراءة والكتابة وانتشار التعليم ، بدأت تظهر حرفه الوراقه ، وظهرت طبقة الوراقين وبدأوا ينسخون عشرات النسخ من الرسائل وشرح كتب الوحى ، وساهم الوراقون فى حفظ التراث الاسلامى بابعاده الروحية والخلقية . وبدأت حركة الترجمة وظهور المكتبات سواء أيام الخلافة العباسية أو الأموية (٩) .

## بصمات فى الفن

وتحدثنا المراجع العربية وعلى رأسها صبح الأعشى فى صناعة الانشاء (١٠) . للقلقشندى ( ٥٨٢ هـ) وعشرات غيره من كتب التراث العربى ، عن الكتابة وفضائلها وأنواع اقلامها وخطوطها وأشكال الحروف وطولها وعرضها وتناسقها وتناغمها . فمنها من يذكر انها هبة الله للانسان ، وانها توقيف ، ومنها من قال انها ظهرت على يد ملوك جبابرة مثل أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ، ومنها من يقول بأشياء غريبة . أما العلماء المحدثون فقد استعانوا فى دراساتهم بالنقوش العربية القديمة التى اكتشفوها مثل نقش النمارة وتاريخه ٣٢٨ م ، ونقش زبد وتاريخه ٥١٢ م ، ونقش حران وتاريخه ٥٦٨ م وغيرها من النقوش العربية القديمة (١١) .

ولقد شهدت القرون الهجرية الأولى وخاصة فى الفترة العباسية ٧٥٠ - ١٢٥٨ م انتشار الدعوة المحمدية الى الشرق والغرب لتغطى مساحة كبيرة إلى أواسط آسيا ، أزبكستان ، ايران ، أرض الفرات ، شرق تركيا ، سوريا ، شمال افريقيا ، صقلية ، جنوب ايطاليا وأسبانيا . ولقد سارت الكتابة العربية جنباً إلى جنب مع ما قدمه الاسلام إلى تلك الربوع من ذلك الاشراق الالهى الذى حملته الرسالة المحمدية من نور وايمان . فالى جانب ما تركه العرب الفاتحون فى هذه البلاد من فلسفة ودين مقدس ، فقد ترك الاسلام بصماته أيضا فى الفن .

هكذا ربط الفنان المسلم بين الوحدات الخطية والزخرفية




هذه السورة مكتوبة بالخط الرقعة وعنوانها مكتوب بالخط الكوفى

## المعنى التجريدى

والخط العربي هو أحد الفنون الاسلامية ان لم يكن أهمها ، وهو يعتبر ذا وظيفة معينة تتضح فى النماذج الخطية والتى أثبتت براعة وذكاء الفنان المسلم وحريته فى التعبير والربط بين الوحدات الخطية والزخرفية . ومما لاشك فيه ، لقد كانت يد الفنان المسلم هى امتداد عقله ووسيلة تعبير احساساته فى فن ربطه بالدين (١٢) ، ساعد فى ذلك أن الاسلام يرفض الصور (١٣) . ومن ناحية أخرى ، طبيعة الحروف العربية وأشكالها المختلفة سواء كانت مستقيمة أو منحنية أو أفقية أو مائلة أو رأسية ، فهذه الأشكال المختلفة ومرونتها ساعدت الفنان العربى على تطويع الكتابة العربية حسب ارادته ، ووفقاً لنوع الخط الذى يكتبه ، والقلم الذى يستعمله ، والمادة التى يكتب عليها . ولذلك يمكن القول بأن الكتابة العربية تتمثل فيها صفة الحركة ، وصفة الايقاع ، بالاضافة الى ما تحمله من معنى تجريدى فى حد ذاته (١٤) .

## أنواع الخط العربى

والخط العربى أنواع كثيرة منها الخط الكوفى وهو أصل الخط العربى وقد سماه البعض بخط الجزم وفسروا كلمة الجزم بأن الخط الكوفى مقتطع من الخط الحميرى أو الخط المسند (١٥). والبعض الآخر يقولون انه بالنسبة إلى أول نشأته بمدينة الكوفه . على أية حال يتميز الخط الكوفى عن غيره من الخطوط العربية لما فيه من زخرفة مضلعه ، وشدة استقامة تقوم على الزوايا والاستعمال الماهر للخطوط الهندسية (١٦) . ومن الغريب ان هذه الزوايا الهندسية التى دخلت بثقلها فى تنفيذ هذا الخط بما فيها من قواعد متميزة خاصة لم تكن تمثل عقبة فى حد ذاتها ، بل على العكس ، فانها سهلت ، بل وأعطت تأكيداً تمثلت فيه شخصية الفنان وعطاؤه الذاتى . ويتضح ذلك بصفة خاصة فى الخط الكوفى الهندسى بأنواعه المختلفة : المثلث ، والمسدس والمثمن والمستدير (١٧) .

وهناك الكوفى المورق ، اذ كان يستعمل فيه الزخرفة المستوحاة من الطبيعة ، فنجد فى هذا الخط الحروف القائمة والمستلقية على شكل سيقان تحمل وريقات نباتية مختلفة . وتعتبر النقوش الموجودة على الجامع الحاكمى أشهر الأفاريز المورقة فى مصر ، ومنها انتقلت الى فارس (١٨) .

ثم الكوفى ذو الأرضية النباتية ، وفيه تملأ الزخارف النباتية اللولبية الفراغات الموجودة حول الحروف وأحسن الأمثلة لهذا النوع من الكتابة الذى نجده فى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة (١٩) .







سورة أخرى مكتوبة بالخط النسخ وعنوانها بالخط الثلث الذى أبدع الفنان فى اتقانه

والكوفى المضفر ، وتتداخل فيه حروف الكلمة الواحدة فيما بينها أو تتداخل حروف الكلمتين المختلفتين وخاصة المتباعدتين لتكون منها اطاراً جميلا . وحروف هذا النوع من الخط صغيرة . ويوجد هذا النوع من الخط بكثرة فى جامع القيروان بالقاهرة ، وفى ضريح الخلفاء العباسيين وفى مدخل مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة .

واذا كان لابد أن نفرق بين الكتابة العربية والرسم كفن ، فان الخط الكوفى بأنواعه يمكن ان يعتبر أقرب إلى الرسم من أية نوع آخر من أنواع الكتابة العربية فهذا النوع من الخط الهندسى ملىء بالسحر الخلاب .

## كتابة النصوص القرآنية

لقد شهد القرن التاسع تطور الخط الكوفى أو اليابس سواء فى الشرق أو فى شمال أفريقيا . وكان كل منهم يختلف عن الآخر فى شكله، ومن هنا اتخذت التسميات المختلفة فهناك الكوفى الفارسى ، والبغدادى ، والمغربى ، والأخيران أكثر حيوية وأكثر زخرفة من الكوفى الأصلى (٢٠) .

ثم حل الخط النسخى محل الخط الكوفى فى كتابة المخطوطات . والكتابة فى الخط النسخى مدورة وأقل عمودية تتماشى مع حركة اليد الطبيعية .

ولقد كثر استعمال الخط النسخى فى الفترة بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر واستعمل بصفة اكثر لكتابة نصوص القرآن الكريم ، واحتفظ بالخط الكوفى لكتابة عناوين الصور .

وهناك أنواع مختلفة من الخط النسخى انشقت منه أهمها خط الثلث وكان يستعمل أساساً فى كتابة النصوص القرآنية ، إلى جانب استعماله فى الدواوين « وفيه عدة أقلام مرجعها الى أصلين : وهما التقوير والبسط . فالمقور هو المعبر عنه الآن باللين وهو الذى تكون عرقاته وما فى معناها منخسفه منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما . والمبسوط وهو المعبر عنه الآن باليابس وهو مالا انخساف وانحطاط فيه كالمحقق » (٢١) .

لقد ظهر فى ايران فى القرن الثالث عشر خط التعليق على يد الخطاط الفارسى مير على وقدم خطاً آخر بين خط التعليق والخط النسخى سمى بخط النستعليق واستعمل بالذات فى كتابة الشاهنامه ، وفى كتابة أشعار نظامى وغيره من شعراء الفرس المشهورين . وبالرغم من انه خط مدور ، فان خط النستعليق يمتاز بالوضوح وبالثبات ولذلك ساد أسلوبه معظم المخطوطات الفارسية الصغيرة .

لقد كان ابن مقلة ( ٨٨٦ ـ ٩٤٠ م ) من الشخصيات الفنية التى لعبت دوراً



الخط الكوفى المورق .. كان يستعمل فيه الزخرفة المستوحاة من الطبيعة



الخط الكوفى الذى يعتبر أصل الخط العربى ، ويتميز عن غيره بما فيه من زخرفة مضلعة

كبيراً فى تطوير الخط العربى وأرسى دعائمه على أساسيات ثابتة . لقد تبنى ابن مقله خصائص هذه الأساســيات الهندسية فى الخط العربى . وبالرغم من معاناة شخصية فى حياته الخاصة فانه قد خصص كل حياته لفن الكتابة العربية .

ولقد كان الخط العربى المنمق طريقاً إلى المناصب الحكومية يدفع صاحبه للمجد الوظيفى . فقد حدث هذا لابن مقلة وبدأ حياته الوظيفية فى سن مبكر وتدرج فى الوظائف الحكومية حتى شغل منصب وزير لثلاث مرات فى عهد الخلافة العباسية فى بغداد . ولكن العمل السياسى يدور فى بعض الأحيان على صراعات ، ولسوء حظه انه وقع فى هذه التيارات السياسية . وكان فى أغلب الأحيان غير ناجح أو موفق . وانتهت به الحال لأن يخلع فى سنة ٩٣٦ م وأن يسجن وأن تؤمم ممتلكاته وان تقطع يده اليمنى وسيلته الوحيدة فى فنه كعقاب صارم لتشل حركته ، وبعدها مات فى سنة ٩٤٠ م (٢٢) .

لقد أصبحت الكتابة العربية على يديه كما لو كانت قرصاً هندسياً نسج خيوطه النحل . هذا بالرغم من أن هناك من يعارض ان ابن مقلة هو الذى ابتدع الخط النسخى والأساليب الأخرى الستة فى فن الكتابة العربية . وعلى العكس ، لقد اعطى ابن مقله كل الاصلاحات ، وأدخل عليه كل التطورات الثابتة للقياس والمؤثرات الرياضية ووضع تقنينات قياسية لكل الحروف العربية ، فمثلا كانت النقطة التى تشبه العين والتى يتركها القلم الغاب على رأس حرف الألف لها قياس معين : معها فى بعض الألفات بمقدار ثلاث نقط فى الارتفاع وفى البعض الآخر بمقدار خمس نقط وأحياناً سبع . ثم انه أعطى للحروف قواعد هندسية موزونة فى تناغم السلم الموسيقى تلعبه فى براعة يد الفنان المسلم المرهف الحساسية .

## مدرسة الأناقة والتناغم

وجاء بعد ذلك ابن البواب فأسس أيضاً مدرسة فى الخط العربى واستمر أثرها لمدة طويلة . ولقد نسب اليه اختراع خط المحقق والريحانى (٢٣) .

ولقد كان له تحقيقات رئيسية فى وضع وتوسيع أساسيات النظام الخطى الذى وضعه من قبل ابن مقلة وزاد فى أن مدرسته كانت مشهورة باناقة خطها وتناغم حروفها ، وتوفى ابن البواب فى سنة ١٠٢٢ م .

والشخصية الفنانة الثالثة هو ياقوت المستعصمى فى القرن ١٣ (٢٤) . لقد تبنى ياقوت نظام ابن مقلة الهندسى ونظام ابن البواب الرياضى وان كان ابن البواب قد غير قليلا من النظريات الرياضية . ولقد استطاع ابن البواب ان يكتب فى حرية وفقاً لما تعطيه وتقدمه الحروف العربية التى يستعملها ، ويتضح ذلك فى براعته الفائقة فى كتابة الخط النسخى . ولعل ميزة الخط النسخى فى أنه كان يقابل احتياجات الانسان فى الحصول على احجام مختلفة كبيرة أو صغيرة تحمل النصوص القرآنية الكريمة والتى يريدها

كلا لا تطعه واسجد واقترب

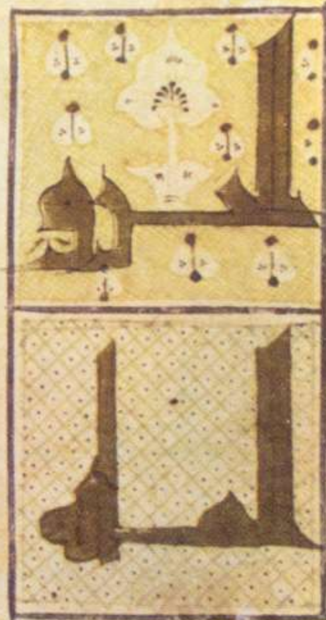







بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر



آيات من القرآن الكريم مكتوبة بالخط النسخي المغربي وسط زخرف من الفن الاسلامي الجميل

# هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث

وفقا للحجم الذى يبتغيه .

على اية حال ، لقد كانت شخصية ابن مقلة كالشخصيات البطولية لما قدمه للخط العربى الأنيق وما أرساه من قواعد اساسية ثابتة ، ولقد تبعه ابن البواب فى تأثيراته ، ثم المستعصمى. ويعتبر هؤلاء الثلاثة ائمة الخط العربى الذين اتخذوا الدور الأسطورى الذى قامت عليه مدارس الخطوط الحديثة فى العالم العربى والاسلامى .

ولقد كان تلاميذ هؤلاء النجوم فى الخط العربى يتكسبون من أعمال أخرى فلم تكن حرفة الكتابة العربية مصدر رزقهم الوحيد الا فى حالات نادرة مثل الذين كانوا يقومون بعملية نسخ الكتب ويعملون فى الوراقة نتيجة لحركة التأليف والترجمة التى ظهرت مع اوائل العصر العباسى على أيدى العناصر الفارسية التى أثرت الأدب العربى ، ونتيجة لتصنيع الورق فى بغداد وسهولة الحصول عليه (٢٥) .

لقد لعب الخطاطون العرب دوراً كبيراً فى الفنون الاسلامية الأخرى ، فلم يكن فنهم منعكساً فقط فى المواد الكتابية التقليدية كالمخطوطات والرق والبردى والورق ، بل ظهر منه الكتابة العربية أيضاً على الأماكن المرئية للعيان فى ترحال الناس وغدواتهم . وكانت بيوت الله التى يؤمها المسلمون للصلاة أهمها . فقد أضفت الفنون الكتابية العربية المنقوشة على المساجد روعة وأناقة . وبرع الفنان المسلم فى اظهار قدراته حيث نالت الكتابات الدينية المنقوشة على هذه المساجد اعجاب الذين يؤمونها للصلاة . وقد خدمت هذه النقوش فى أن أصبح لها وظيفة رمزية تؤكد قوة الاسلام وروحانيته (٢٦) . لقد كانت تلك الوظيفة الرمزية هى الجانب الاجتماعى للفن العربى مؤكداً قدراته على اضفاء الهندسة الفنية الى جانب العطاء الروحى الذى يقدمه الاسلام لراحة النفوس والدعوة الى الشفافية الخالصة والطهر العفيف .

فوزى تادرس

## المراجع


1. Alexandre Papadopoulo : **Islam and Muslim Art**/ trans by Robert Erich Wolf. London : Thames and Hudson, 1980, P. 165.

٢ ـ صلاح الدين المنجد : دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته الى نهاية العصر الأموى . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ ، ص ١٠ .

٣ ـ القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء : القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد (د.ت) جـ ٣ ص ١٩ ـ ٤٢ .

4. Anthony Welch : **Calligraphy in the Arts of the** Muslims World. Folkestone Kent : Dowson, 1979, P. 19.

5. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 25.

6. Martin Lings : **The Quranic Art of Calligraphy and Illumination**. England : World of Islam Festival Trust, 1976, P. 11-14.

٧ ـ القرآن الكريم : سورة الفلق ، اية ١ ـ ٥ .

٨ ـ المنجـد ، : دراسات ، ص . ٢٣ .

9. Papadopoulo, A. : **Islam**, P. 48-49.

١٠ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ١٠ ـ ٧٥ .

١١ ـ سهيله الجبورى : أصل الخط العربى وتطوره حتى نهاية العصر الأموى . بغداد : مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٧ ، ص ٥٣ .

12. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 33.

13. Papadopoula, A. : **Islam**, P. 35-40.

14. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 31.

١٥ ـ الجبورى ، س : الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية فى العراق . بغداد مطبعة الأديب ، ١٩٧٨ ص . ٣٨ .

16. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 60-65.

17. Lings, M. : **The Quranic Art**, P. 15-18.

18. Adolf Grohmann, "The Origin and Early Development of Floriated Kufi", **Arts Orientails** 2 (1957) : P. 183-214.

١٩ ـ محمود عباس حموده : دراسات فى علم الكتابة العربية القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨١ ، ص ٨٢ ـ ٩٢ .

20. Claude Humbert : **Islamic Ornamental Design**. New York : Hastings House Publishers, 1980, P. 33-41.

٢١ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ـ ٤٠ .

22. Nabia Abbott, "The Contribution of Ibn Mukla to The North Arabic Script", **American Journal of Semitic Languages and Literatures** 56 (1939) : P. 70-84.

23. David Storm Rice : **The Unique Ibn al-Bawwab Manuscript in the Chester Beatty Library**. Dublin, 1955, P. 60-65.

24. Ibn Hassan al-Tibi Muhammad : **The Kinds of Arabic Calligraphy According to The Method of Ibn al-Bawwab**, ed. by Salah al-Din al-Munajjid. Beirut, 1962, P. 25-40.

٢٥ ـ ابن خلدون : المقدمة . بيروت : مطبعة دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٥٦ ، ص ٩٦٢ .

26. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 31.

# لقطات من الكون المثير

## «حقيبة» بها وديعة حياة !



(أ)

من علقها ؟ .. هل تعرفها ؟ .. ثم ماذا تحوى بداخلها ؟

لو عشت معها فى عالمها ، فسوف تعرف الجواب بعد ١٢ يوماً بالتمام والكمال ، وعندئذ سوف تنشق هذه الحقيبة ( أ ) عن فراشة جميلة تراها هنا (ب) وهى تقف على زهور نوع من أنواع النبات .

والواقع أن الذى جهز هذه الحقيبة وعلقها على فرع النبات دودة أو يرقة ذات ألوان زاهية كذلك (ج) .. والحقيبة ليست فى حقيقة الأمر إلا الشرنقة التى صنعتها الدودة الملونة لتسكن بداخلها ، وكانما هى ـ أى الدودة ـ قد تحولت إلى مومياء ، لكنها على أية حال مومياء حية ، وفى داخل الشرنقة تتحول إلى طور العذراء أو الخادرة ، وفيها تتطور العذراء إلى فراشة يافعة تختلف فى التفاصيل عن الدودة التى منها قد جاءت ، وعندما تخرج الفراشة إلى الحياة تتلقح وتضع بويضاتها ، لتفقس وتعطى ديداناً ، فخادرات ، ففراشات ، ثم تتكرر القصة الأزلية كما تكررت قبل ذلك ملايين المرات ، أو عبر مئات الملايين من السنين .

إنه عالم غريب ، يمر بأطوار أكثر غرابة ، حتى لكأننا نحن نرى فيه قصة الموت والبعث بين طور وطور ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(ب)



(ج)



## جنون .. أم فنون ؟ !

هذه الصورة الفريدة توضح « طابوراً » قائماً من عملة معدنية تراصت قطعة من فوق قطعة حتى وصل عددها إلى ١٣٠ قطعة ترتكز على حافة دولار أمريكى ، وكما تراها هنا .

ولقد استمر المدعو أليكس شيرفنسكى من لوك هافن بولاية بنسلفانيا يتدرب على هذه اللعبة ٢٦ عاماً ، عله يحقق هذا الرقم القياسى ، فحققه فى عام ١٩٧٤ ، ورغم أن هذه التسلية الغريبة تحتاج إلى صبر ودقة وحساسية بالغة فى التوازن ، إلا أنها قد تدعونا إلى تساؤل : لماذا ضيع الرجل عمره ومجهوده فى هذا العمل الذى ليس من ورائه طائل ؟ .. والجواب عند اليكس الذى يقول :

إن أحداً فى العالم لن يستطيع تحقيق ما حققته !

على أية حال : إن بعض الفنون جنون !

## تنسيق زهرى .. ولكن !

دقق النظر جيداً ، لأن هذه الزهريات المنسقة تنطوى على خدعة فالزهور التى تراها هنا ليست زهوراً طبيعية ولا صناعية ، ولا هى تمت لها بصلة تذكر ، اللهم إلا من حيث الشكل والتنسيق فقط .

هل عرفتها ؟

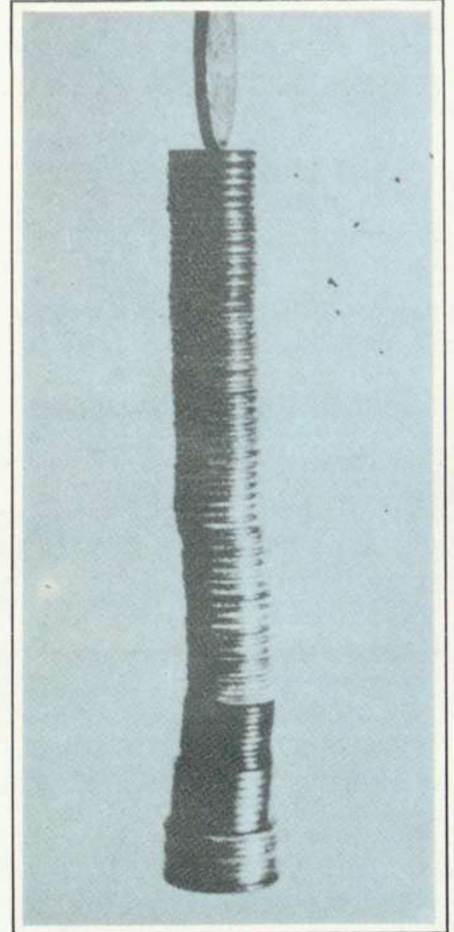
الواقع أننا أمام تنسيق بديع من صنع الله أولا ، ثم من صنع الانسان بعد ذلك .. فهذه الزهور ليست إلا أصدافا وقواقع طبيعية ، ولقد جذبت لجمالها أنظار الانسان الفنان ، فكان أن نسق بينها ، ووضع الصدفة بجوار الصدفة ، فجاءت على هيئة ورود وزهور متراصة بجمال وفن يجذب عقول العاشقين للفن والجمال .

ثم ألا ترى معنا أن الانسان الذى صنع ونسق هذه الزهريات الصدفية ، كان أكثر جدية وواقعية من الانسان الذى ضيع من عمره ٢٦ عاماً ليرص قطع النقود التى تراها منشورة هنا ضمن صور عالم غريب ؟

إنه على أية حال عالم عجيب يحوى من المتناقضات ما يحملنا على التأمل والتفكير فى كل ما نرى ، وما لا نرى !







رسالة لندن من
مجدي نصيف



# أوديسا الفضاء

## اسطورة العلماء تتحقق بسفينة تدور على كواكب المجموعة الشمسية



أربع شاشات تليفزيونية ضخمة تستقبل الصور التى بثها فويجر (١) من كوكب زحل وذلك فى مختبر اطلاق الصواريخ

**وقف المشتغلون بمعمل أبحاث الفضاء بباسودينا ، يتابعون فى اعجاب الصور التى ترسل من على بعد مئات الأميال، ترسلها سفينة فضاء أوتوماتيكية لا يزيد حجمها على حجم سيارة . كانت الصور تتابع على شاشات التليفزيون العملاقة ، وسفينة الفضاء تستكمل المرحلة المرسومة لها من رحلتها الملحمية ، التى تسبق فى واقعها أفلام المسلسلات التليفزيونية لمغامرات الفضاء .**

مرت سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فوياجر » بجانب الكوكب « زحل » الهائل الضخامة ، ذى الحلقات المشهورة وثاني أكبر الكواكب فى المجموعة الشمسية بعد كوكب المشتري فأرسلت أفضل وأوضح صور حتى الآن لذلك العالم الغريب المليء بالأعاجيب .

صور لملكوت بعيد المنتهي فى المجموعة الشمسية ،لم تشاهد عين بشر من قبل صوراً بهذا الوضوح والبريق . لذلك علق أحد العلماء وهو يراقب شاشات التليفزيون الضخمة :

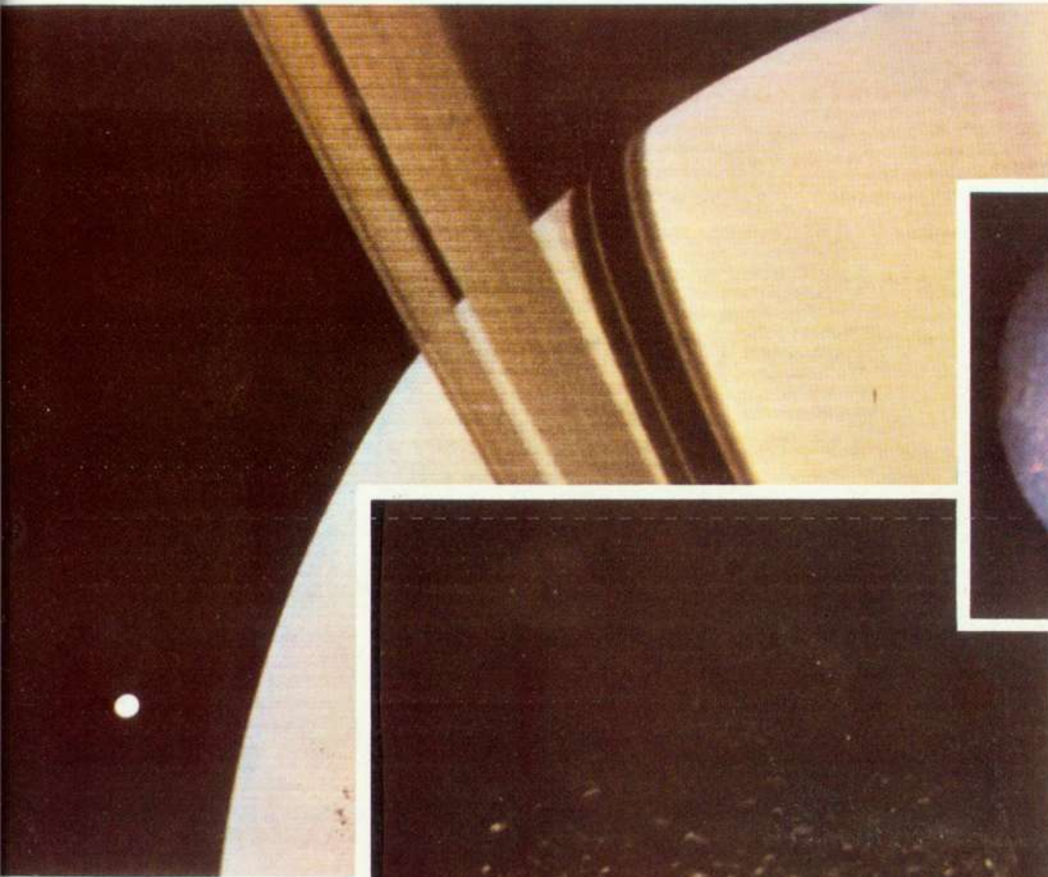
« لقد علمنا عن نظام الكوكب زحل فى أسبوع واحد ، أضعاف أضعاف ما عرف عنه فى تاريخ الانسانية المدون كله » .

وبالفعل ، لقد ازداد ما نعرفه عن الكوكب زحل خلال السنوات العشر الماضية ، قدر ما كنا نعرفه عن الكوكب منذ القرن السابع عشر الميلادى . فقد جمعت سفينتا الفضاء « فوياجر الأولى » و « فوياجر الثانية » اللتان مرتا بالقرب من الكوكب ، من المعلومات ما يقدر بآلاف أضعاف ما جمعته البشرية عنه طوال حياتها على الكرة الأرضية .

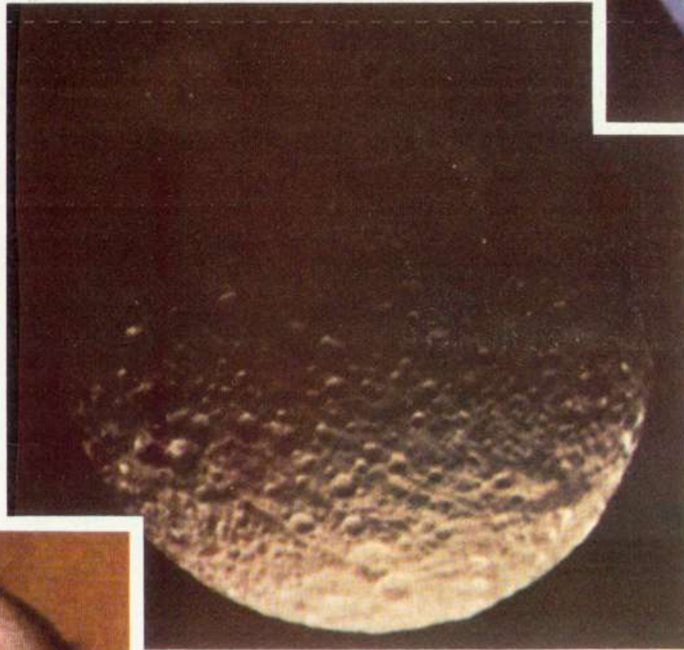
## جاليليو كان الأول

مرت « فوياجر الثانية » بالقرب من زحل وأخذت ترسل صوره يوم الأربعاء ٢٦ أغسطس عام ١٩٨١م ، لكن جاليليو كان أول من نظر إلى زحل من خلال المنظار الذى اخترعه عام ١٦١٠م . ثم تلاه كريستيان هوجنز عام ١٦٥٥ أول من حدد وجود « تيتان » أكبر اقمار « زحل » . ثم ج . كاسيني أول من تحقق من أن حلقات « زحل » الشهيرة ليست كتلة واحدة صماء من المادة ، وإنما بينها فراغات ، واكتشف فى نفس الوقت ثلاثة اقمار أخرى للكوكب . وكان هذا عام ١٦٧٥ .

وكان هذا التقدم الذى تحقق خلال الستين عاماً ، يرجع الى اختراع المنظار الفلكي الذى ظل يتطور ويكبر ، وتنمو معه المعرفة البشرية بالكون . لكن علماء الفلك ظلوا مع ذلك محصورين فى نفس الاطار البحثى العلمي طوال هذه القرون الثلاثة .... حتى الأسبوع الأخير من شهر أغسطس ١٩٨١م ، عندما «نظرت» سفينة الفضاء الأوتوماتيكية إلى الكوكب زحل وأقماره ، بمنظار عن قرب أكثر من أي منظار آخر نظر به العلماء إلى الكوكب ، ومن على بعد بليون من الأميال







ثلاثة من أقمار كوكب زحل الخمسة عشرة المعروفة .. وهى : انسلادوس ( قطره ٣٢٠ ميلا ) ، ميماس ( قطره ٢٢٠ميلا ) ، وديون ( قطره ٧٥٠ ميلا )

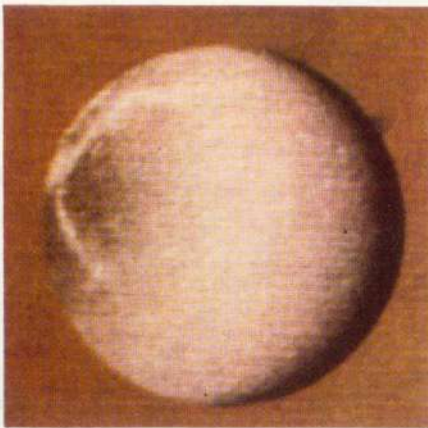
عن الأرض ، أخذت السفينة ترسل اشاراتها ، فالتقطتها رادارات كاليفورنيا لتحولها الى صور رائعة للكوكب وأقماره

وقدمت السفينة العديد من المعلومات الجديدة التى ستجعل علماء الفلك مشغولين لعدة سنوات بالدراسة : لقد أظهرت الصور آلاف « الحلقات » التى تدور حول الكوكب ، ليست تلك الحلقات المعدودة التى يراها العلماء بالمناظير من على الأرض . وأظهرت الصور كذلك العديد من التفصيلات الفنية لتلك الحلقات ، وبشكل لم يتوقعه العلماء ، خاصة وأن التفصيلات التى أرسلت تبين كل شيء ، وكأن العلماء لا يبعدون عن الكوكب بأكثر من مائة متر .

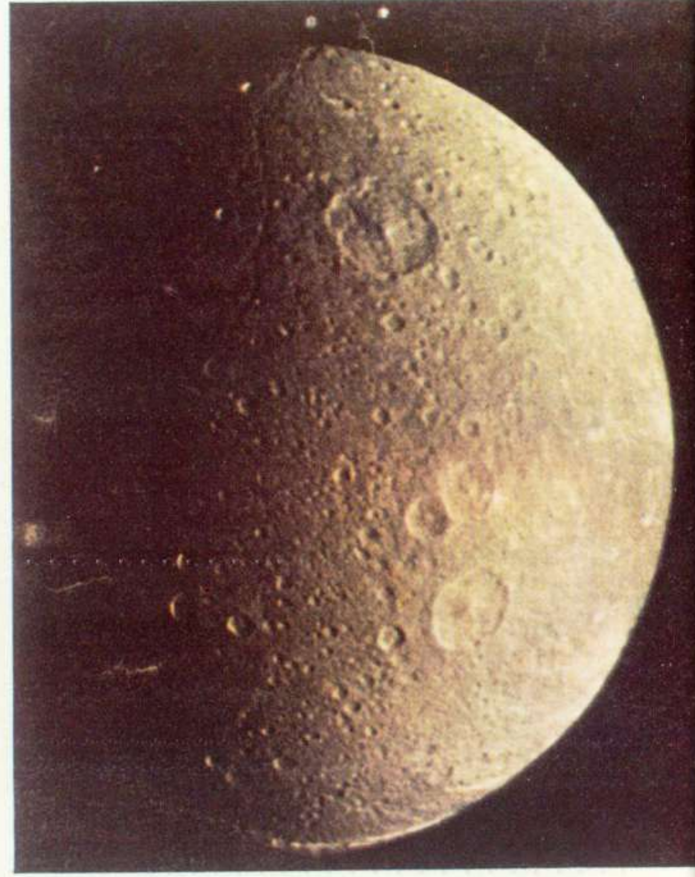
## فوياجر الأولى

وحتى نتصور رحلة الأوديسة الفضائية ، علينا أن نقدم المسافات التى تقطعها « فوياجر » خلال المجموعة الشمسية التى تتكون من الشمس أساساً ـ فى المنتصف ، وتدور حولها الكواكب التسعة ـ وربما كانت عشرة إذا ما أثبت العلم أن هناك كوكباً بعد بلوتو ـ بتوابعها الاثنين والثلاثين ، ثم هناك أجسام أخرى معروفة يصل عددها ١٧٠٠ حجمها فوق الكيلومتر ، وكان يطلق عليها من قبل اسم النجيمات ، لكن العلماء يفضلون أن يطلق عليها الآن اسم الكويكبات ، ويقدر أن هناك ٤٠ ألفاً أو يزيد من النيازك والشهب .

والكواكب التسعة نفسها تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الأرضية وتضم أربعة كواكب قريبة الشبه من الأرض حجماً وهي عطارد والزهرة والمريخ



(والأرض بطبيعة الحال) وهي أيضاً الأقرب إلى الشمس . ثم هناك الكواكب العملاقة التي تضم المشتري وزحل وأورانوس ونبتون وكلها يصل حجمها إلى حجم الأرض مابين ١٥٪ إلى ٣١٨ مرة وإن كانت لا تمتلك أكثر من ٢٠٪ من كثافة الكواكب الأرضية . لذا يعتقد العلماء أنها تتكون أساساً من غازات وعناصر خفيفة مثل الأيدروجين





القمر ( ديون ) التابع لكوكب زحل وهو أصغر من أن يكون له جوا ، مما سهل على النيازك مهمة حفر سطحه عند سقوطها .. واللقطة الثانية لثانى أكبر الأقمار فى المجموعة الشمسية ( تيتان ) وقطره ( ٣٠٠٠ ميل )

والهليوم التى قد تتحول إلى حالة صلبة – وربما معدنية – فى عمق الكواكب العملاقة .

والكوكب زحل هو سادس كوكب فى الترتيب من ناحية المسافة إلى الشمس ، فهناك قبله الكواكب الأرضية الأربعة، ثم المشتري من الكواكب العملاقة ، وعندما يكون أقرب الى الأرض فى مداره الأهليلجي تكون المسافة ٧٤٠ مليون ميلا، ويصل كتلته إلى ٩٥,١٤ مرة قدر الأرض أما حجمه فهو ضعف حجم الأرض ٧٤٣,٧ مرة .

لكن الشيء الفريد فى المجموعة الشمسية بالنسبة لزحل هو حلقاته الغامضة والتى لم يصل العلماء منذ اكتشفها جاليليو إلى تفسير منطقي لوجودها . وزحل له عشر توابع أو أقمار أكبرها وأكثرها بريقاً القمر تيتان الذى اكتشفه هيجنيس عام ١٦٥٥ ، وآخر أقماره التى اكتشفت هو جانوس عام ١٩٦٦م .

هذا هو العالم الغامض الذى ألقى على عاتق سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فوياجر الأولى » و « فوياجر الثانية » اكتشافه . وتحت قيادة العقول الالكترونية مرت « فوياجر الأولى » بجانب القمر تيتان مقتربة إلى مسافة ٢٥٠٠ ميلا من سطحه المجعد . وبدأت سرعتها فى الازدياد عند وقوعها تحت تاثير جاذبية مجموعة زحل الكوكبية ، ثم مرقت إلى أسفل متجهة إلى الحافة الخارجية لحلقات الكوكب ، مثيرة دوامة من البقايا الكونية المتناثرة .

## الصورة الصفراء

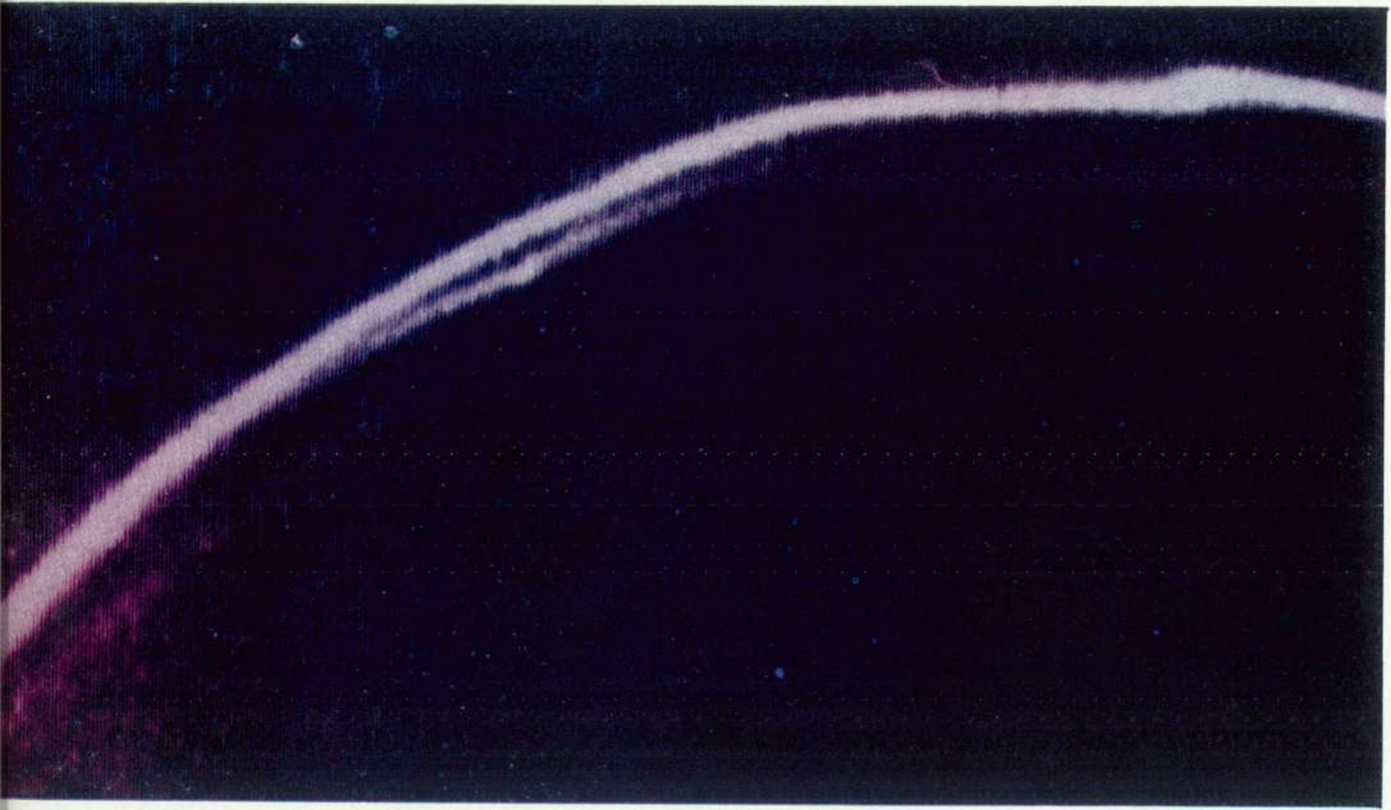
فى الأسبوع الثاني من نوفمبر ١٩٨٠م بدأت السفينة الأوتوماتيكية « فوياجر الأولى » تأخذ دورة واسعة على شكل قوس ، عندما وصلت سرعتها إلى الحد الأقصى ٥٦,٦٠٠ ميلا فى الساعة ، لتصبح على بعد ٧٧,٢٠٠ ميلا من السحب التى تغلف الكوكب زحل ، وهذه كانت أقرب نقطة إلى الكوكب فى مسار السفينة .

فى هذه الأثناء كانت كاميرات السفينة التليفزيونية تعمل وحدها ، وتومض وكأن لها حياة مستقلة .

كان الكوكب زحل يبدو ضخماً لامعاً فى أعين الآلة الالكترونية ، ولم تكن هناك فرصة للكاميرات إلا التقاط صور لأجزاء من الكوكب بسبب ضخامة الصورة . وقامت السفينة الأوتوماتيكية بتنفيذ مناوراتها بدقة بالغة ، حيث وصلت نسبة انحراف مسارها فى نهاية المطاف اثني عشر ميلا فقط .

ثم بدت « فوياجر الأولى » تصعد مرة أخرى عابرة خارج حلقات الكوكب ، ملتقطة صوراً خلفية ، متجهة خارج نظام المجموعة الشمسية ، إلى الفضاء اللانهائي بين النجوم .

وقبل أوديسا الفضاء هذه ، التى قامت بها فوياجر ، كان الكوكب زحل غير معروف نسبياً . انه كوكب يتكون من كرة غازية بالغة الضخامة ، ومعظم مكوناته من الأيدروجين والهليوم ، ويمكن أن



هذه الصورة أذهلت العلماء .. وهى تخالف ما عرفناه وفق نظرية الجاذبية .. فاللقطة هنا لا تظهر هالة ضوئية عامرة بالعقد والتعرجات ، ولكنها بيضاوية خالية من التعاريج

يحتوى ٨١٥ كوكباً ، يماثل حجم الأرض . وحتى عندما استخدم العلماء أقوى المناظير وأكثرها دقة ، لم يروا من زحل غير صورة صفراء ذات حلقات . والآن بسبب الرحلة الفضائية ، أصبح الكوكب معروفاً أكثر بغرائبه ومفاجاته وغموضه

## الحلقات الشهيرة

بعد أول دراسة ـ خاطفة ـ لفيض المعلومات التى أرسلتها « فوياجر الأولى » عن زحل ، دهش العلماء لهذه الاكتشافات المتتابعة التى قدمتها السفينة . كان كثير منها خاص بحلقات زحل الشهيرة ، والتى كان يعتقد أنها فريدة من نوعها ، حتى جاءت بعض الاكتشافات المماثلة لملامح متواجدة حول الكوكب أورانوس والمشتري .

قبل زيارة « فوياجر » ، كان المعتقد وجود ست حلقات بينها فواصل . لكن عرف الآن أن هناك حوالي الألف من هذه الحلقات ، وأن ما يعرف بالفواصل أو الفراغات قد تحتوي كل منها على عشرات من الحلقات الصغيرة . أما تيتان أكبر أقمار زحل ، بل والمجموعة الشمسية ، فمن الواضح أنه مغلف بجو كثيف من الأبخرة النيتروجينية وليس الميثان ، كما كان يعتقد من قبل . وقد يكون سطحه مغموراً فى بحر بارد من النيتروجين السائل .

أما الأقمار الأخرى ، والتى لم تكن غير مجرد نقط مضيئة على المناظير الأرضية فقد زاد عددها بعد رحلة «فوياجر» لتصل إلى خمسة عشر من الكتل الأرضية والثلجية ، ربما يعود عمرها إلى نشأة المجموعة الشمسية ذاتها ، منذ ٤,٦ بليوناً من السنوات .وفوق ذلك بدت هذه الأقمار واضحة ومختلفة ، تحمل الآثار والتشويهات الناجمة عن ارتطام آلاف النيازك والشهب وربما المذنبات أيضاً ، إلى جانب الشقوق والفوالق الناجمة عن الزلازل .

وبـأي المقاييس فان هذه « الأودية الفضائية » لفوياجر الأولى والثانية ، هي انجاز تكنولوجي هائل ، وهي مثال مذهل على امكانية برمجة العقول الالكترونية كي تعمل بصورة تلقائية ، وبدون تدخل من مراقبى المعامل الأرضية عن طريق الاشارات اللاسلكية . فوصول الاشارات التى نقلت المعلومات استغرق ساعة ونصف قبل أن تصل الى الأرض . ولذا فان فوياجر صممت بحيث تتمكن من اصلاح اعطابها ، ومن تصحيح الأخطاء الملاحية التى تقع فى مسارها ، لأن انتظار الاشارات والأوامر من الأرض يستغرق وقتاً طويلا .

وباستكمال استطلاع الكوكب زحل ، يكون العلماء قد أكملوا استكشاف جميع الكواكب ، التى عرفها الأقدمون بالعين المجردة قبل اختراع المنظار ، لكن الاستكشاف هذه المرة كان عن قرب كبير .

فخلال العقد الماضى تمكنت سفن الفضاء الأوتوماتيكية من القاء أول نظرة « قريبة » على سطح الكوكب عطارد الجاف المليء بالحفر . وعطارد هو أقرب كواكب المجموعة للشمس . وتطلع العلماء باستخدام الكاميرات والرادارات إلى كوكب الزهرة المغطى بالسحب ، وجوه يشبه الجحيم حيث تصل درجة حرارته إلى ٤٨٠ درجة مئوية ( أو ٩٠٠ درجة فهرنهايت ) ويتكون من غازات ثاني أكسيد الكربون ، كثيفة خانقة . ثم بحث العلماء كوكب المريخ واضعين



عاصفة فوق زحل فى خط عرض ٥٥ . والصورة تبرز منطقة من الغازات المتلاطمة المتصاعدة



سر الهالات المشعة حول زحل .. وتبدو بها النقاط السوداء التى تدور حول الكوكب

نهاية لأسطورة وجود القنوات المائية عليه ، وهبطت سفينتان آليتان لتحليل عينات من تربة المريخ لاقتفاء أثر أي وجود بيولوجي .

ثم وصلت سفن الفضاء الأوتوماتيكية إلى أبعد من هذا ، إلى كوكب المشتري أضخم كواكب المجموعة الشمسية ، ووصلت منه إلى الأرض صور رائعة الألوان لجوه الخلاب ، ولأقماره العديدة ومنها القمر « أيو » الصغير الذى فاجأته الكاميرات وسط ثورة بركانية .

## الحل فى بطارية نووية

جاءت رحلة فوياجر الاستكشافية نتيجة جهود اعداداستمرت أكثر من عشر سنوات. وجاءت الفكرة الأصلية من حدث فلكى كان العلماء يتوقعون حدوثه فى نهاية السبعينات ، وهو حدث يتكرر مرة كل ١٧٥ عاماً ، أثناء دوران الكواكب البطيء حول الشمس ؛ عندما تصطف الكواكب الدائرة فى المسارات الخارجية وهى المشتري وزحل وأورانوس وبنتون ، فى صف واحد .

وعندما قام العلماء بعمل حساباتهم ، اكتشفوا أن هذه فرصة ذهبية لاستخدام قوة جاذبية الكواكب ، بحيث تتمكن سفينة الفضاء المنطلقة من الأرض بشكل دقيق محسوب ، من الانتقال من كوكب الى آخر من هذه الكواكب .

وفى أواخر السبعينات قرر علماء «وكالة الفضاء الأمريكية» (الناسا) استغلال هذه الظاهرة ، للبدء فى الرحلة العظيمة : «أوديسة الفضاء» وهى زيارة تقوم بها سفينة فضاء أوتوماتيكية لكل هذه الكواكب قبل نهاية الثمانينات .

وتطلب المشروع تصنيع معدات الكترونية يمكنها مقاومة الصقيع والجو القاسى لمدة اثنى عشر عاماً . وفى نفس الوقت لم يكن من الممكن الاعتماد على الطاقة الشمسية ، لأن السفينة تسير فى الاتجاه المعاكس . وجاء الحل فى بطارية نووية تحول الحرارة الناجمة عن تفتت البلوتونيوم المشع الى طاقة كهربائية .

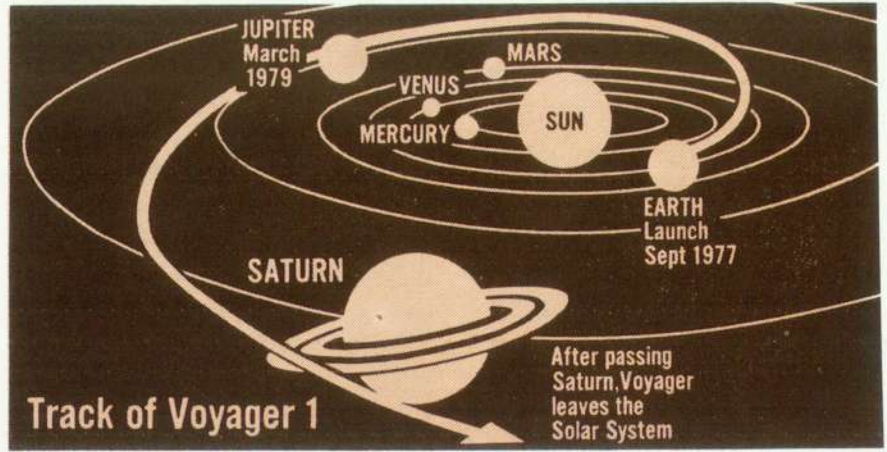
وكان لابد من تصميم السفينة بحيث يمكنها أن تصحح مسارها بنفسها بدون الاعتماد على توجيه من المراكز الأرضية لأن المسافة بعيدة لدرجة أنه اذا سارت الاشارة من الأرض بسرعة الضوء ، فهى لن تصل الى كوكب أورانوس مثلا ، حيث السفينة ، إلا بعد ساعتين . ومن ثم تم تصميم «عقل الكترونى» خاص للسفينة يمكنه مراقبة المسار وتصحيح ما يحدث فيه من أخطاء وبسبب التخفيض فى الميزانية عام ١٩٧٢ ، اقتصرت «الرحلة العظيمة» على استكشاف اثنين من الكواكب العملاقة فقط هما : المشترى وزحل .

وعندما وصلت «فوياجر الأولى» الى زحل ، كانت هناك عشرة أجهزة علمية تعمل فى نفس الوقت ، ابتداء من «الأجهزة الباحثة عن الأشعة الكونية» الى «أجهزة قياس المجال المغنطيسى فى الفضاء» الى «أجهزة تحليل الطيف بالاشعاعات فوق البنفسجية وتحت الحمراء» . أما الجهاز الوحيد الذى تعطل فيها ، فهو «مقياس استقطاب التصوير» . وبتوجيه الموجات اللاسلكية خلال سحب الكواكب وأجوائها ، استطاعت السفينة استخدام أجهزة ارسالها للاستطلاع العلمى ، لمعرفة كثافة الأغلفة الجوية ، ومكوناتها . لكن لعل أكثر الأجهزة فائدة هى «كاميرتا» التليفزيون ، كانت هناك واحدة بعدسة أفقية متسعة الزاوية ، والثانية بعدسة مقربة . ويمكن توجيههما الى أى اتجاه ، ويمكنهما كذلك تصوير أجسام لا يزيد قطرها عن خمسة أميال وهى على بعد مليون ميل . ولانتاج صور ملونة ، كانت الكاميرتان تستخدمان ثلاثة فلترات (حمراء وخضراء وزرقاء) ، يتم ارسالها الى الأرض كثلاث اشارات لاسلكية مختلفة يعاد تركيبها بواسطة عقل الكترونى على فيلم ملون .

## أخاديد على اسطوانات ذهبية

ورغم أن «فوياجر الأولى» أطلقت من كيب كانافيرال بفلوريدا عام ١٩٧٧ بعد اطلاق «فوياجر الثانية» باسبوعين ، إلا أنها وصلت الى زحل قبل «فوياجر الثانية» بثمانية أشهر ، لأن الثانية أخذت مساراً أطول ، وقامت باستطلاع عدد من الأقمار لم تصادفها الأولى .

ومنذ أغسطس ١٩٨٠ ، بدأت كاميرتا «فوياجر الأولى» فى التقاط بقعة حمراء في النصف الجنوبي من زحل ، مما ذكر العلماء بالبقعة الحمراء على كوكب




استغرقت رحلة فويجر ( ١ ) لبلوغ زحل ٣٨ شهراً .. وكانت السرعة ٨٠ ألف ميل فى الساعة

المشترى . وهى عاصفة استمرت على المشترى لما يزيد على ثلاثة قرون . أما بقعة زحل فهى أصغر حجماً ، ولا يزيد قطرها على ٧٥٠٠ ميلا ، ولا يقل جوها عنفاً عن جو المشترى .

وبمجرد اقتراب عدسات الكاميرتين المقربة من حلقات زحل ، اكتشف العلماء قمرين جديدين على مسافة ٣٧٠ ميلا فقط من حافة نظام الحلقات ، وأطلقوا عليهما إس ١٣ و إس ١٤ ، بسبب الترتيب العددى لاكتشافهما . الغريب فى الأمر أن القمر إس ١٣ يدور حول الكوكب زحل خارج الحلقة «ف» التى تبعد بمقدار ٨٠ ألف كيلومتراً عن قمة سحب الكوكب ، ذلك أن الكرة الغازية ليس لها سطح بالمعنى الحقيقى للكلمة . أما القمر إس ١٤ فيدور بالكاد داخل الحلقة ، فيما يبدو أن القمرين يمنعان جسيمات الحلقة من الانفراط فى الداخل على سطح زحل أو فى الخارج الى الفضاء .

وقبل رحلة «فوياجر» قام علماء الفلك بعد ١٢ حلقة ، المفترض أنها كلها تحتوى بقايا ثلجية فى حجم السيارة . ورغم أن الحلقات تمتد الى مدى عشرات الآلاف من الأميال بعيداً عن الكوكب ، إلا أن سمكها على ما يبدو لا يزيد عن الميل أو الميلين .

وباقتراب كاميرات فوياجر ، ازداد عدد حلقات زحل بشكل هائل . وعند التقاط الصور من أسفل الحلقات بدا عددها من بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ حلقة . وبدت الحلقات فى الصور المرسلة كأخاديد على اسطوانات ذهبية سماوية وحتى «فاصل كاسينى» وهى منطقة مظلمة لوحظت لأول مرة منذ ثلاثمائة عام ، كان يعتقد أنها فجوة فى سطح صلب ، حتى هذه المنطقة صورت الكاميرات حلقات بداخلها ، واكتشف وجود حلقتين أخريتين على الأقل ، بجوار مركز الكوكب . ومما يزيد الأمر تعقيداً ، ظهور خطوط من مواد بدا وكأنها أنثنت وإلتوت بالقرب من الحافة الخارجية للحلقة «ف» . واللغز الأكثر تعقيداً هو تلك الومضات التى يبدو أنها تتكون فى بعض مناطق الحلقات ، كلما انثنت المادة خارجة من ظل الكوكب ، ويبقى بريقها ساطعاً لساعات طويلة ، كما لو كانت تريد أن تهدم عن عمد كل النظريات العلمية حول الحلقات . وكما قال برادفورد سميث عالم الفلك المشرف على فريق الصور التى ترسلها «فوياجر»: «إن بريق هذه الومضات يسبب لنا كابوساً مزعجاً» !

## أقمار زحل

أما أقمار الكوكب الذهبية فقد أطلقت عليها أسماء من الأساطير المرتبطة بزحل . وكانت هناك ألغاز ومفاجآت أيضاً بالنسبة للأقمار .

وبالرغم من أن السحب الكثيفة المحيطة بالقمر « تيتان » لم تسمح ولو بلمحة واحدة خاطفة لسطحه ، إلا أن قراءات الأشعة تحت الحمراء اخترقت هذا كله ، وبينت أن درجة حرارة سطحه تصل الى ١٨٣ م تحت الصفر . ولا يمكن تفسير هذا ، الى جانب ما قدمته الأجهزة الأخرى من قراءات مختلفة ، مع التركيزات الكثيفة لغاز الميثان التى توقعها المراقبون على الأرض . وبدلا من ذلك يعتقد العلماء الآن أن النيتروجين هو الغاز السائد فى جو تيتان ، بينما لا تصل نسبة غاز الميثان فيه الى أكثر من ١٪ ، الى جانب الايدروكربونات مثل البروبين والايثان والاستيلين .

وعلى الفور دفعت هذه المعلومات بصورة أخرى الى ذاكرة العلماء : حالة الأرض منذ ثلاثة بلايين عام ، مع الفارق أن الأرض فى عمرها المبكر هذا ، كانت محفوظة فى حالة متجمدة للغاية . وبالرغم من تواجد مركبات عضوية معقدة مثل سيانيد الايدروجين ، إلا أن تيتان يبدو بارداً أكثر من اللازم لنشأة عمليات بناء الحياة ، كما كان يعتقد بعض العلماء .

أما بقية أقمار زحل التى فحصتها سفينة الفضاء ، فقد كانت أقل خضراً وخجلا من تيتان الذى غلفه جو كثيف . فالقمر «ميماس» الدقيق الحجم تغطى فوهة بركانية كبيرة وجهاً من وجهيه . واذا كان الجسم الذى تسبب فى إحداث مثل هذه الفوهة أكبر حجماً بقليل ، لكانت الصدمة قد تسببت فى انشطاره دون شك . أما وجهه الآخر فتغطيه بكثرة فوهات صغيرة كما هو الحال عند سطح قمرنا الأرضى ، مما يدل على أنه جرم سماوى قديم .

ومع ذلك فالقمر الآخر زميل «ميماس» وأسمه « أنسيلادوس » ، فيعكس طوبوغرافيا أقل إثارة . ويعتقد العلماء أن مصدراً حرارياً غامضاً ، ربما يكون قد تواجد بسبب ضغط الجاذبية ، قد قام «بتنعيم» سطحه الثلجى وكذلك الشقوق والفوهات .

أما سطح القمر «تيثيس» ، وهو أحد أقمار زحل المتوسطة الحجم ، فقد قطعه أخدود متعرج ، ربما كنتيجة لصدمة حادة تلقاها على الوجه المقابل ، الذى تغطيه الفوهات والمرتفعات .

ويشبه القمر «ديون» قمرنا الأرضى ، حيث تلاحظ عليه كل أنواع الفوهات ، الكبيرة والصغيرة ، وهى سمات قريبة الشبه من «بحار» قمرنا ، والتساقطات الثلجية والوديان الضيقة الطويلة والمرتفعات المتواجدة على سطحه .

ويظل «ايابيتوس» هو أكثر أقمار زحل مدعاة للتساؤل ، ذلك أن بريق وجهيه يبلغ خمسة أضعاف بريق الوجه الآخر . وهو لم يشاهد إلا من على بعد كبير .

وربما كان القمر «رهيا» هو أكثر مشاهد الفضاء عقداً للألسنة ، ورهيا هو اسم أخت زوجة زحل فى الأساطير . فقد اقتربت السفينة «فوياجر الأولى» الى درجة كبيرة منه حتى وصلت الى مسافة أقل من ٧٢ ألف كيلومتراً منه ، مما أدى الى مشاهدة قسماته بوضوح بللورى . وبدا أنه بدوره يشبه سطح قمرنا الأرضى لكن الفوهات كانت متجمعة بكثافة فى مكان واحد الى درجة دعت الجيولوجى «لارى سودر بلوم» من «هيئة المساحة الجيولوجية الكوكبية» لأن يقول «كأنها سقطت الواحدة فوق الأخرى» !

وبالمثل ربما كانت أكثر الصور غرابة ، هى تلك التى التقطتها سفينة الفضاء الأوتوماتيكية «فوياجر الثانية» للقمر «هيبيريون» ، إذ بينت أنه يشبه «حبة البندق» أو «قالب الطوب» ، ويصل طوله الى ٣٠٠ كيلومتراً ، بينما عرضه لا يزيد عن ٢٤٠ كيلومتراً ، ويحمل سطحه فوهة فى اتساع حوالى مائة كيلومتراً ، مما يؤكد أن تاريخه تاريخ عاصف من الناحية الجيولوجية . ومشكله هذا يجعله أغرب جرم سماوى فى الفضاء شاهدناه بوسائلنا حتى الآن .

## فوياجر الثانية

وجاءت الصور التى أرسلتها سفينة الفضاء الأوتوماتيكية «فوياجر الثانية» مفيدة من الناحية العلمية ، وقد أرسلت العديد من الصور والمعلومات ، قبل أن تتعطل كاميراتها خلال دخولها نظام الحلقات ، وقد يكون هذا العطل مصادفة أن يحدث فى هذه المنطقة ، لكن الأكثر احتمالا أن يكون صدام قد حدث بين السفينة التى تسير بسرعة ٤٠ ألف ميل فى الساعة ، وقطعة من الثلج أو الصخر من تلك التى تشكل مادة الحلقات . ولحسن الحظ أن هذا العطل قد حدث بعد أن أرسلت السفينة ما يصل الى اثنى عشر ألف صورة ، بينها ست آلاف صورة مشابهة لتلك التى أرسلتها شقيقتها «فوياجر الأولى» . وأصلح العلماء العطل الذى أصابها من على بعد .

ويعتقد علماء «وكالة الفضاء الأمريكية» أن هذه الاكتشافات هى البداية لأن المعلومات المرسلة سيتم تحليلها واكتشاف المزيد ، خاصة وأنه أمكن تطوير تكنيك تحميض وطبع الصور الملونة ، مما يمكن العلماء من تكثيف أو تخفيف الألوان ، ويساعد هذا على كشف أدق التفصيلات . وخلال هذه العملية على سبيل المثال ، تم اكتشاف القمرين إس ١٣ وإس ١٤ من أقمار زحل .

وبعد أن تجاوزت السفينة «فوياجر الأولى» الكوكب زحل ، أخذت تلتقط صوره بعد أن استدارت الكاميرات ، أثناء اتجاه السفينة الى الفضاء البعيد اللامنتهى . وبعد أن تنفذ بطارياتها تسبح فى سكون أبدى . وستكون المهمة الأخيرة لهـــا هى مراقبة الجسيمات الشمسية فى محاولة لتحديد «نهاية» تأثير الشمس ، و «بداية» تأثير النجوم ، وبمعنى أصح تحاول رسم الحدود الخارجية لمجموعتنا الشمسية .

أما «فوياجر الثانية» فالمفروض أن تكمل ملحمتها «أوديسة الفضاء» فى المجموعة الشمسية لمدة خمس سنوات أخرى . ويتساءل العلماء الآن عن مدى امكانية استمرارها فى ارسال صور أخرى عندما تقترب من الكوكب أورانوس عام ١٩٨٦ ؟ واذا ما أتمت رحلتها هذه فهل تستطيع أن تستكمل رحلتها الى الكوكب نبتون البعيد والمفروض أن تصل اليه عام ١٩٨٩ لترسل لنا مجموعة أخرى من صوره ؟

علماء وكالة «الناسا» الأمريكية التى أطلقت السفينتين ، يقولون أن فرص نجاح الرحلة الى أورانوس تصل الى ٦٠٪ ، أما فرص استكمال الرحلة الى نبتون فتصل ٤٠٪ وحتى بعد العطل الذى أصاب الكاميرات ، فهناك «ميكانيزم» آخر يمكن استخدامه لارسال الصور والمعلومات .

وستكون رحلة «فوياجر الثانية» الى أورانوس ونبتون فى غاية الأهمية ، ذلك أنها بكلمات العالم كارل ساجان «ذلك أن هذين الكوكبين يلفهما الجهل المطبق» فكل ما نعلمه عنهما أنهما يشبهان زحل والمشترى ، وأن أورانوس له خمسة أقمار بالاضافـــة إلـــى بعـض المعلومـــات الفيزيائية ؟

وماذا بعد «أوديسا الفضاء» من مشروعات ؟

المشروع الوحيد الموجود الآن فى جدول الأعمال ، هو «مشروع جاليليو» . والمشروع يتلخص فى وضع مرصد بصفة شبه دائمة ليدور فى مدار حول كوكب المشترى ، ومن المقرر اطلاقه عام ١٩٨٤ ، وإن كان من المتوقع تأجيله لأن وسيلة اطلاقه هى «السفينة المكوكية» ، أما السبب فهو المشاكل الكثيرة المتعلقة بمحركاتها ، ومصاعب الدروع الواقية من الحرارة .

وينتظر العلماء الانتهاء من مشاكل «السفينة المكوكية» للبدء فى مشروع فضائى آخر ، هو وضع تلسكوب عملاق وزنه عشرة أطنان وقطر عدسته ٩٦ بوصة ليدور حول الأرض مستكشفاً الفضاء بعد أن يتجاوز الغلاف الجوى الأرضى الذى يعيق الرؤية ، ثم ارسال الصور التى يتطلع اليها باللاسلكى الى مراكز المراقبة الأرضية . وسيتمكن هذا التلسكوب الآلى من رصد العوالم والأجرام السماوية بشكل أعمق وأبعد .

وربما تمكن هذا المنظار «المدارى» من رصد أضعف آثار الكواكب التى تدور حول النجوم القريبة .

لقد أدت صناعة الفضاء الى نتائج مرضية ، خاصة فى تطوير الصناعات الالكترونية ، وافران «الموجات الصغرى» والاذاعات المرئية المباشرة بواسطة الأقمار الصناعية . وسوف تتأتى المزيد من الثمار كلما ازداد فهم العلماء لنظام المجموعة الشمسية . فالتكنولوجيا التى استخدمت فى صناعة العقل الالكترونى للسفينـــــة « فوياجـــر » وتغذيتهـــــا بالمعلومات ، يمكن اقتباسها لاستخدامها فى تشغيل روبوت (انسان آلى) يحل محل الغطاس البشرى فى المناطق العميقة الخطيرة ، وكذلك فان معرفة حالات الجو والحالات الطبيعية للعوالم البعيدة ، ستؤدى بالانسان الى أن يتعلم كيفية بذل جهد أكبر للعناية بكوكبه الأرضى .

لكن تبقى كلمة أخيرة . إن استكشاف الفضاء قد تكون له فوائد عديدة للبشرية لكن البحث عن المعرفة يظل هو الشىء الأساسى ، أو كما يقول كارل ساجان : «إن غريزة الاستكشاف متواجدة فى أعماقنا وربما تكون جزءاً هاما فيما حققناه كجنس بشرى» .

وبنجاح «فوياجر الأولى» ، وملحمة «أوديسة الفضاء» التى تقوم بها «فوياجر الثانية» تثبت البشرية أن حب المعرفة شىء سيظل فيها الى الأبد .. طالما أستمرت على وجه الأرض .

مجدى نصيف



دراسة إسلامية

# أكل المال بالباطل

بقلم: د. محمد زكي عبد البر

**قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم» (النساء: ٢٩).**

**وقد تناول المفسرون، جزاهم الله خيراً، هذه الآية الكريمة بالتفسير، كل حسب منهجه، إجمالا وتفصيلا، مبينين المناسبة بينها وبين ما سبقها وما لحقها من الآيات الكريمة. ولسنا نريد أن نكرر هنا كل ماقالوه، فهو فى كتبهم، وهى مطبوعة، والاطلاع عليها ميسور لمن نشده ولكنا نريد عرض فهم لنا لم نره فيما قرأناه من تفسير لها، فان يكن صواباً فمن الله تعالى، وله المنة، وان يكن غير ذلك فمن أنفسنا والله غفور رحيم. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (متفق عليه).**

**ونعرض أولا أقوال المفسرين ثم نعرض رأينا.**

## (١) أقوال المفسرين

(يا أيها الذين آمنوا):
الخطاب كما هو ظاهر للمؤمنين
(لا تأكلوا):
عبر الله سبحانه وتعالى بالأكل عن مطلق أخذ المال، لأن الأكل من أغلب مقاصده وألزمها، فكما أن الأكل محرم فكذلك سائر وجوه التصرفات.

ويرى ابن حزم فى الإحكام (٤ : ٩٣٦ - ٩٣٧) أن المحرم بهذه الآية هو الأكل فقط وما عداه حرام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» وبآيات أخر وأحاديث أخر أو بالاجماع.

(بينكم):


ابن حزم

معناه: فى معاملاتكم وأماناتكم فهى نصب على الظرفية أو الحالية من أموالكم. ويقول الامام محمد عبده رحمه الله: إن قوله «بينكم» للاشعار بأن المال المحرم، لأنه باطل، هو ما كان موضع التنازع فى التعامل بين المتعاملين كأنه واقع بين الآكل والمأكول منه، كل منهما يريد جذبه لنفسه، فيجب أن يكون المرجح للمال بين اثنين يتنازعان فيه هو الحق، فلا يجوز لأحد أن يأخذه بالباطل.

(بالباطل):
اختلف فى تفسيره:

فذهب قوم منهم ابن عباس الى أن المقصود هو أن يأكله بغير عوض، وبهذا التقدير لا تكون الآية مجملة. وعلى هذا قال ابن عباس: هى منسوخة إذ يجوز أكل المال بغير عوض اذا كان هبة أو صدقة أو تمليكاً أو إرثاً أو نحو ذلك مما أباحت الشريعة أخذه بغير عوض. قالوا: لما نزلت هذه الآية تحرج الناس من أن يأكلوا عند أحد شيئاً، وشق ذلك



محمد عبده

على الخلق فنسخه الله تعالى بقوله فى سورة النور (الآية ٦١) : «... ولا (أى لا حرج) على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تاكلوا جميعاً أو أشتاتاً.. ...»

وقال آخرون منهم ابن مسعود : هو أن يأكل بالربا والقمار والبخس والظلم وغير ذلك مما لم يبح الله تعالى أكل المال به ، أى بغير طريق مشروع أو بما لم يبحه الشرع : فتكون الآية مجملة ، لأن هذه الطريق المشروعة غير مذكورة هنا على التفصيل . وتكون هذه الآية محكمة : ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة . وأدخل فيه البعض العربون وأخرج منه البعض الغبن .

(إلا) :

استدراك فى صورة الاستثناء أو استثناء منقطع ، لأن التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكانت «إلا» هنا بمعنى «لكن» . والمعنى : لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض . وهو استثناء لا يدل على الحصر .

ويرى الامام محمد عبده رحمه الله أن الاستثناء متصل ويبين ذلك بقوله : «إنما استثنى الله التجارة من عموم الأموال التى يجرى فيها الأكل بالباطل أى بدون مقابل لأن معظم أنواعها يدخل فيها الأكل بالباطل ، فان تحديد قيمة الشىء وجعل عوضه أو ثمنه على قدره بقسطاس الحق المستقيم عزيز وعسير إن لم يكن محالا . فالمراد من الاستثناء التسامح بما يكون فيه أحد العوضين اكبر من الآخر ، وما يكون سبب التعارض فيه براعة التاجر فى تزيين سلعته وترويجها بزخرف القول من غير غش ولا خداع ولا تغرير كما يقع ذلك كثيراً فان الانسان كثيراً ما يشترى الشىء من غير حاجة شديدة اليه ، وكثيراً ما يشتريه بثمن يعلم انه يمكن ابتياعه بأقل منه من مكان آخر ولا يكون سبب ذلك إلا خلابة التاجر وزخرفه ، وقد يكون ذلك من المحافظة على الصدق واتقاء التغرير والغش فيكون من باطل التجارة الحاصلة بالتراضى ، وهو المستثنى ، والحكمة فى اباحة ذلك الترغيب فى التجارة لشدة حاجة الناس اليها وتنبيه الناس الى استعمال ما أوتوا من الذكاء والفطنة فى اختيار الأشياء والتدقيق فى المعاملة حفظاً لأموالهم التى جعلها الله لهم قياماً أن يذهب شىء منها بالباطل ، أى بدون منفعة تقابلها . فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا خرج به الربح الكثير الذى يكون بغير غش ولا تغرير بل بتراض لم تنخدع فيه ارادة المغبون ، ولو لم يبح مثل هذا لما رغب فى التجارة ولا اشتغل بها أحد من أهل الدين على شدة حاجة العمران اليها وعدم الاستغناء عنها ، إذ لا يمكن أن تتبارى الهمم فيها مع التضييق فى مثل هذا ...»

(أن تكون تجارة) :

قرىء بالنصب على أن «كان» ناقصة . وهى قراءة الكوفيين (قراءة عاصم وحمزة والكسائى) .

وقرىء بالرفع على أن «كان» تامة . وهى قراءة باقى السبعة (قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر) .

فمن قرأها بالنصب كان تقديره : «إلا أن تكون الأموال تجارة عن تراض» فتكون التجارة الواقعة عن تراض مستثناة من النهى عن أكل المال إذ أن أكل المال بالباطل قد يكون من جهة التجارة ومن غير جهة التجارة ، فاستثنى التجارة من الجملة ، وبين أنها ليست أكل المال بالباطل .

ومن قرأها بالرفع كان تقديره : «إلا أن تقع تجارة» واذا كان معناه على هذا ، كان النهى عن أكل المال بالباطل على اطلاقه لم يستثن منه شىء وكان ذلك استثناء منقطعاً بمنزلة : «ولكن ان وقعت تجارة عن تراض فهو مباح» .

قال الواحدى : والاختيار الرفع ، لأن من نصب أضمر التجارة ، فقال : تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة ، والاضمار قبل الذكر ليس بقوى وإن كان جائزاً .

وقال ابن حيان : التجارة اسم يقع على عقود المعاوضات المقصود منها طلب الأرباح .



ابن حيان

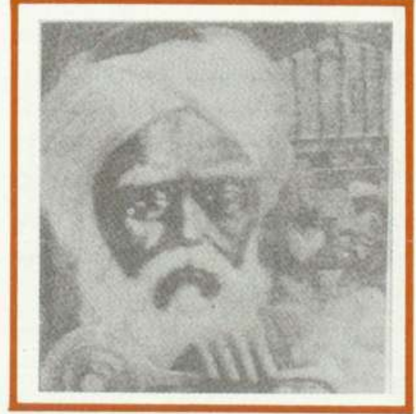
وقال ابن كثير : قال مجاهد : «بيعاً أو عطاء يعطيه أحد أحدا» . ورواه ابن جرير وخصت التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها ولأنها أوفق لذوى المروءات .

وفى الألوسى والبيضاوي والفخر الرازى : انه يراد بالتجارة الانتقال مطلقاً بطريق شرعي ، سواء كان تجارة أو إرثاً أو هبة أو وصية وكذا أخذ الصدقات والمهر وأروش الجنايات ، من استعمال الخاص وارادة العام .

وفى البيضاوى انه قيل : المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله . وبالتجارة صرفه فيما يرضاه .



# أكل المال بالباطل


الرازى

قال الفخر الرازى : فان قلنا : إن الاستثناء منقطع فلا اشكال فانه تعالى ذكر ههنا سبباً واحداً من أسباب الملك ولم يذكر سائرها لا بالنفى ولا باثبات .
وإن قلنا الاستثناء متصل كان ذلك حكماً بأن غير التجارة لا يفيد الحل وعند هذا لابد من النسخ أو التخصيص . كما قال : وأيضاً ظاهر الآية اذا فسرنا الباطل بما ذكرناه (أى ما يؤخذ من الانسان بغير عوض) يحرم الصدقات والهبات . ويمكن أن يقال : هذا ليس بنسخ وإنما هو تخصيص .

(عن تراض) :
«عن» متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة . أى : إلا أن تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض . أو : إلا أن تكون الأموال أموال تجارة .

وفيه دلالة على أن ما كان على طريق التجارة فشرطه التراضى . وهو من اثنين الباذل للثمن ، والبائع للعين .
ولم يذكر فى الآية غير التراضى ، وفى تحققه اختلاف ، ومثاله :
ـ عند أبى حنيفة رحمه الله : التراضى رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الايجاب والقبول .
وعند الشافعى رحمه الله : تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين .

على ما هو مفصل فى كتب الفقه :
ـ عند الشافعى : لا يصح البيع إلا بالقول (الايجاب والقبول) لأن القول يدل على التراضى بخلاف المعاطاة (وهى التقابض من غير ايجاب وقبول) فانها قد لا تدل على الرضا ولذا لا ينعقد بها البيع
وخالفه الجمهور فى ذلك : مالك وأبو حنيفة وأحمد فرأوا أن الأقوال كما تدل على التراضى فكذلك الأفعال تدل على التراضى فصححوا بيع المعاطاة .
ومنهم من قال : تصح فى المحقرات وفيما يعده الناس بيعاً .
ـ لو باع ما يساوى مائة بدرهم جاز اذا تراضيا على ذلك ، سواء أعلم مقدار ما يساوى أم لم يعلم . وقالت فرقة : اذا لم يعلم قدر الغبن وتجاوز الثلث ، رد البيع .

(منكم) :
صفة «تراض» أى إلا أن تكون التجارة تجارة صادرة «عن تراض» كائن «منكم» .

## (٢) رأينا

نعرض فيما يلي رأينا ثم ثمرته .
ونحن ـ فى بيان رأينا ـ نقف عند كلمات أربع هى : «تجارة» و «عن» و «تراض» وفقاً لترتيبها فى الآية الكريمة ثم نرجع الى كلمة «بالباطل» السابقة عليها ، فذلك أبين لمرادنا .

(تجارة) :
هى ، على ما فى لسان العرب ، البيع والشراء . وفى الفقه ـ قال الكاسانى (٧ : ٣٣٤ : س ٦ من أسفل) : «التجارة هى معاوضة المال بالمال» . وركنها التراضى المتمثل فى الايجاب والقبول .

(عن) :
قال علماء اللغة إن من معانى «عن» : «التعليل ـ نحو : وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة (التوبة : ١١٤) . ونحو : وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك (هود : ٥٣)» (انظر : الزمخشرى ، وابن هشام ، والسيوطى ، والصبان) .
ونحن نؤثر فهم الآية على هذا المعنى فيكون المعنى : «إلا أن تكون تجارة لأنها عن تراض» أى لأن قوام التجارة التراضى . وبذلك تفيد «عن تراض» فائدة أخرى غير تكرار شرط التراضى المضمن فى كلمة «تجارة» وهى بيان العلة .
فيكون التراضى : ١ـ ركناً للتجارة لا توجد بدونه ، فما لم يوجد التراضى لا تكون تجارة . وهو ما يقرره الفقهاء بقولهم إن التراضى ركن المبادلة (أى التجارة) فلا تنعقد أى لا توجد بدونه .
و ٢ ـ علة لحل مالها ، كقولنا «حرمت الخمر لشدتها» فالشدة صفة لازمة للخمر وعلة لتحريمها .

(تراض) :
صيغة «تفاعل» . وقد استعمل الله سبحانه وتعالى هذه الصيغة لأنها تحقق حصول المشاركة فى الرضا صريحاً من الجانبين على قدم المساواة .
ولم يستعمل ، جل وعلا ، صيغة «المفاعلة» (المراضاة) لأنها لا تحقق ذلك كله وإنما تحقق حصول الرضا من الجانب الأول صريحاً ومن الجانب الثانى ضمناً لا صريحاً ـ ومثال ذلك : اذا قلت «تراضى زيد وعمرو» (بصيغة التفاعل) دل على وقوع المشاركة فى الرضا من الجانبين صريحاً أى على نسبة الرضا الى زيد متعلقاً بعمرو صريحاً ونسبة الرضا الى عمرو متعلقاً بزيد صريحاً أيضاً . أما اذا قلت : «راضى زيد عمراً» (بصيغة المفاعلة) فانه يدل على نسبة الرضا الى زيد متعلقاً بعمرو صريحاً ونسبة الرضا الى عمرو متعلقاً بزيد ضمناً ، والضمنى ليس فى مستوى الصريح ، لأن الصريح نص فى وقوع الفعل ممن نسب اليه بخلاف الضمنى فليس نصا فى ذلك .

وهى دقة لغوية وشرعية لا تستغرب على كلام الله سبحانه وتعالى .

(راجع فى بيان الفرق بين الصيغتين بالتفصيل : ابن الحاجب ، الشافية ، وشروحها ، ص ٨٧ وما بعدها) .
ونلاحظ أن صيغة «التفاعل» قد استعملت فى أكثر من موضع من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

● ـ «فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن

اذا تراضوا بينهم بالمعروف» (البقرة : ٢٣٢) ●

● - «فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما» ( البقرة : ٢٣٣) . ●

● - «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به ، من بعد الفريضة» (النساء : ٢٤) . ●

كما نلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم ، التزم الصيغة التى استعملها القرآن الكريم فى أكثر من موضع فقال «إنما البيع عن تراض» و «البيع عن تراض» (السيوطى ، الدر المنثور ، ٢ : ١٤٣) .

وذلك ، فيما نرى ، اشارة الى اشتراط الرضا صريحاً من كل من الطرفين على قدم المساواة مع الآخر ، فذلك هو طيب النفس من كل منهما - قال الحطاب .

(٤ : ٢٢٨) : «والمقصود من التجارة إنما هو أخذ ما فى يد غيرك بدفع عوض عن طيب نفس منكما» .

بعد ذلك يرد الخلاف فى التراضى : هل يتحقق بمجرد صدور القبول مطابقاً للايجاب ، أم لابد من انفضاض المجلس أو التخيير . وهل يشترط له اللفظ أم تكفى الاشارة أو المعاطاة . وهل يؤثر الغبن أو لا يؤثر ... الخ على الخلاف بين المفسرين والفقهاء استناداً الى أدلة خاصة بكل حالة أو أخذاً بمطلق التراضى هنا .

(بالباطل) :

ظاهر لنا من سياق الآية الكريمة التقابل بين «الباطل» وبين «التراضى» فيكون المراد بالباطل عدم التراضى أى الأخذ عن غير تراض . والقول بهذا التقابل بين «الباطل» و «التراضى» أبين للمراد فى مقام التشريع ، وهو بذلك أليق بكتاب الله .

وبهذا التفسير يتسق الحكم مع الخطاب للمؤمنين فيما بينهم ومفهومه . ذلك لأنه يحرم على المؤمنين أخذ أموال المؤمنين بدون تراض ويحل لهم أخذ أموال غير المؤمنين بدون تراض (عنوة) فى بعض الحالات كالحرب ، فيكون الخطاب خاصا بالمؤمنين والحكم خاصاً بالمؤمنين أيضاً . أما على تفسير الباطل بمطلق «غير المشروع» فلم يتسق الحكم مع الخطاب ومفهومه ، ذلك لأنه لا يحل للمؤمنين أخذ أموال المؤمنين ولا غير المؤمنين بطريق غير مشروع كالغش والخديعة والخيانة ، فيكون الخطاب خاصاً بالمؤمنين فيما بينهم والحكم عاماً بالنسبة الى المؤمنين وغير المؤمنين . واتساق الحكم مع الخطاب ومفهومه أدق وأحكم فهو أجدر بكتاب الله جل وعلا .

## أما ثمرة رأينا فهو ما يأتى :

أ - يترتب على القول بأن «عن» للتعليل :

١ - أن يكون «التراضى» هو «العلة» وليس مجرد صفة (شرط) كما ذهب المفسرون فى أقوالهم التى تقدمت .

٢ - وأن تكون العلة «منصوصة» .

ولكل من النتيجتين ، بدورهما ، ثمرة ، سواء عند أصحاب القياس أو عند نفاة القياس .

فعند أصحاب القياس :

يترتب على القول بان التراضى «علة» -أن يقاس على التجارة كل أخذ وعطاء للمال بتراض ، فيحل .

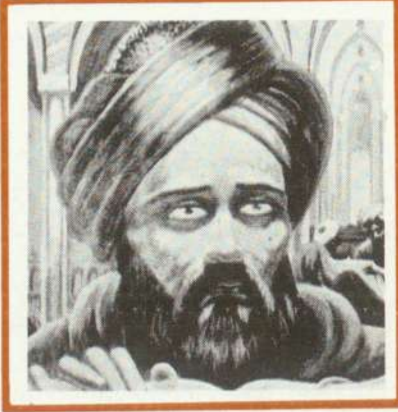
- أن يخرج عن حكم التجارة هنا ، وهو الحل ، كل أخذ وعطاء للمال بغير تراض.

فمن الناحية الايجابية تدخل فى الحكم ، وهو الحل ، الهبة والعطية وغيرها مما يعطى بتراض ولو كان بدون مقابل ، إذ العلة هى وجود «التراضى» لا وجود «المقابل» كما ذهب البعض .

ومن الناحية السلبية يخرج عن الحكم ، وهو الحل ، ما لا يتوفر فيه التراضى ، ولو وجد المقابل ، كالمال يؤخذ بالاكراه والغش ونحوهما مع المقابل .

وعند نفاة القياس :

يترتب على القول بان العلة ، وهى التراضى ، «منصوصة» :



الغزالى

- الحاق كل تعامل مالى ، فيه تراض ، بالتجارة ، فى الحل ، عند بعض من لا يقول بالقياس ، قال الغزالى فى المستصفى (٢ : ٦٩) : «قال النظام : العلة المنصوصة توجب الالحاق ، لكن لا بطريق القياس ، بل بطريق اللفظ والعموم إذ لا فرق فى اللغة بين قوله : «حرمت كل مشتد» وبين قوله : «حرمت الخمر لشدتها» .

- جواز القياس هنا عند بعض نفاة القياس - قال الغزالى فى المستصفى (٢ : ٧٠) : «وذهب القاشانى والنهروانى الى الاقرار بالقياس لأجل اجماع الصحابة لكن خصصا ذلك بموضعين : أحدهما - أن تكون العلة منصوصة كقوله : «حرمت الخمر لشدتها» و «فانها من الطوافين عليكم والطوافات» ...»

ويترتب على كل ذلك أن يكون حكم الهبات وغيرها ، مما يؤخذ بالتراضى ، دون عوض ، الحل عند القائلين بالقياس وعند طائفتين من نفاته . فيكون أبعد عن النزاع من القول بمفهوم الصفة على القول بان التراضى «صفة» للتجارة ، إذ من المتكلمين ومن حذاق الفقهاء من يقول بألا دلالة للمفهوم (الغزالى ، المستصفى ٢ : ٤٢) .

وعلى ذلك :

- فليس هناك ما يدعو الى الحرج على من يأكل الهبات والصدقات الصادرة عن



رضا وطيب نفس كما ذهب اليه بعض المفسرين وقد تقدم .

ـ ونتيجة لذلك ليس هناك حاجة الى القول بالنسخ أو التخصيص كما ذهب اليه بعض السلف والخلف وقد تقدم .

وفى ذلك رد على ما قدمناه من قول الفخر الرازى : «فان قلنا ان الاستثناء منقطع فلا أشكال ، فانه تعالى ذكر هنا سبباً واحداً من أسباب الملك، ولم يذكر سائرها لا بالنفى ولا باثبات . وإن قلنا الاستثناء متصل كان ذلك حكماً بأن غير التجارة لا يفيد الحل ، وعند هذا لابد من النسخ أو التخصيص» .

وفى ذلك تأييد للنتيجة التى انتهى اليها الامام محمد عبده فى قوله : «قالوا ان الآية دليل على تحريم ما عدا ربح التجارة من أموال الناس أى كالهدية والهبة ثم نسخ ذلك بآية النور المبيحة للانسان أن يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه . وهو افتراء على الدين لا أصل له ـ أى لم تصح روايته عمن عزى اليه إذ لا يعقل أن تكون الهبة محرمة فى وقت من الأوقات ، ولا ما فى معناها كاقراء الضيف ، وإنما يكون التحريم فيما يمانع فيه صاحب المال فيؤخذ بدون رضاه أو بدون علمه مع العلم أو الظن بأنه لا يسمح به» .

ب ـ كما يوافق ما تقدم ، وهذه ميزة أخرى لما نذهب اليه من تفسير :

ـ قصر التجارة على معناها الحقيقى ، وهو معاوضة المال بالمال ، دون مده الى الانتقال مطلقاً كما قال الألوسى والبيضاوى والفخر الرازى رحمهم الله على ما تقدم دون سند إلا تبرير إباحة أكل أموال الناس هبة أو صدقة أو نحوهما .

ـ أن تحمل «عن تراض» فائدة هى بيان العلة فلا تكون تكراراً لاشتراط التراضى الذى تفترضه كلمة «تجارة» وهذا أليق بكلام الله عز وجل .

ـ ألا نذهب الى ما ذهب اليه الامام محمد عبده رحمه الله ، من مشروعية التجارة عن تراض ولو بها شىء من الباطل ترغيباً فى التجارة لشدة حاجة الناس اليها كما تقدم . لأن القول بالمشروعية يتنافى مع «الباطل» لأن الأمر اذا شرع لم يعد باطلا ، وإذا كان باطلا فلا يكون مشروعاً ، وليس لما يقوله الامام رحمه الله ، فيما نعلم ، نظير فى الشرع الاسلامى إلا أن يقال «الرخص» وهى غير ذلك .



فبالتفسير الذى نذهب اليه ننزل عند المعنى الحقيقى للتجارة ، وهو أولى . ونعمل قواعد أصول الفقه ، ونصل الى الحكم الشرعى الصحيح الموافق للقواعد .

وهكذا يكون «التراضى» هو دستور التعامل فى الاسلام مما يعلى من قدر المسلم وينشر الود والحب بين المسلمين . والله ولي التوفيق .

د. محمد زكى عبد البر

## أنــــــا ...

حـــر ومذهب كل حـــر مـــذهبى
ما كنت بالغـــاوى ولا المتعصب
إنى لأغضـــب للكـــريم ينوشـــه
من دونه وألوم من لم يغضـــب
وأحب كل مهـــذب ولـــو أنـــه
خصـــمى ، وأرحم كل غير مهـــذب
يأبى فؤادى أن يميـــل إلى الأذى
حب الأذية من طبـــاع العقـــرب
لى أن أرد مســـاءة بمســـاءة
لو أننى أرضى ببـــرق خلـــب
حســـب المسىء شـــعوره ومقاله
فى سره : يـــا ليتنى لم أذنـــب

ايليا أبو ماضى

# بين أحضان الطبيعة

للشاعر : علـى الفـــقي

انظرى النهر تهادى فى صفاء وحنـــان
رقصت أمواجه تيهاً ، وغنى الشاطئان
وهفـــا الملاح للشـــدو وهاجته المغـــاني
إى وأيم الحق ما أشجاه إلا ما شـــجانى

* * *

وانظـــرى البـدر على الأفق تجلى وتــلالا
يبعث النـــور إلى الدنيا فيكسوها جــلالا
وانظرى من حـــوله الأنجم تختــال اختيالا
قيصر الدنيـــا ، وما أحراه بالملك جـــلالا !

* * *

وانظرى الروضـــة غشاها مع الليـل السكون
وسرت من بينها الأنسام كالطيف الحنـــون
فانتشى الروح وحنت لتثنيها الغصـــون
ياله من مشهد طافت به شتى الفنـــون !

* * *

وانظرى الطير على الأغصـــان يشدو بلغـانا
نحن لقنا الهوى الطير فغنى بهوانـــا !!
انظريه كيف يهتز مـــع الغصن حنانـــا ؟
أترى أغراه يا دنياى بالشدو لقانـــا ؟

* * *

وانظرى الكون قد استسلم للصمت الرهيب
وخلا من أذن الواشى ومن عـــين الـرقيب
ليت شـــعرى مـــا به غير محب وحبيب !!
وغريب فى الهوى يصغى إلى شكوى غريب

ما علينـــا لو أقمنـــا بين هاتيك المجـــالى
ساعة نحيـــا بها إن شئت فى دنيا الخيـــال
فتعـــالى بادلينى الحب والنجوى تعـــالى
فى سبيل الحب ما ذقنـــاه من ظلم الليالى

* * *

هـــذه الدنيا كما يرضى لنـــا الحب فهيا ! !
زودى من ســـحر جفنيك وروى مقلتيـــا
وابعثى صـــوتك قدسى الصدى فى أذنيا
يا لها من ليلة عذراء لو دامت مليـــا !

* * *

آه من طرفك يســـبينى بلحظ فـــاتر !
آه من خـــدك يغرينى بحسن باهـــر !
آه من ثغـــرك يحيينى بلفظ ســـاحر
آه من وجهـــك يبـــدو لى فيغضى ناظـــرى

* * *

آه من عطفك إن أحسنت فى العطف عليـــا
وابتساماتك إن لم تبسم الدنيـــا إليـــا !
وليال فى حمى الطهر قضيناها ســـويا
هن أشهى يا منى نفسى من الدنيـــا لديا !

* * *

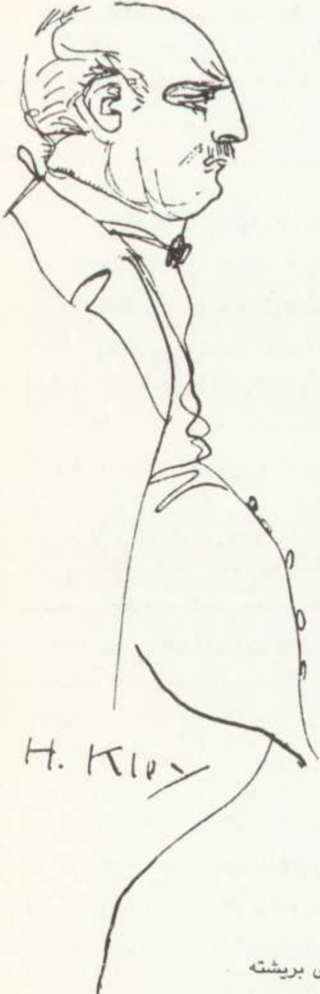
فهلمى فى سكون الليل يحدونا القمـــر
واتركى الماضى بما يحويه من شتى الصـــور
إن يكن أحسن أو أذنب فالحب غفـــر
كل ذنب فى ســـبيل الحب يمحوه القـــدر

كلاي آخر .. بعيداً عن الملاكمة

# فنان عالمي ساخر يكشف في لوحات ضاحكة مأساة الإنسان!

بقلم : جمال قطب

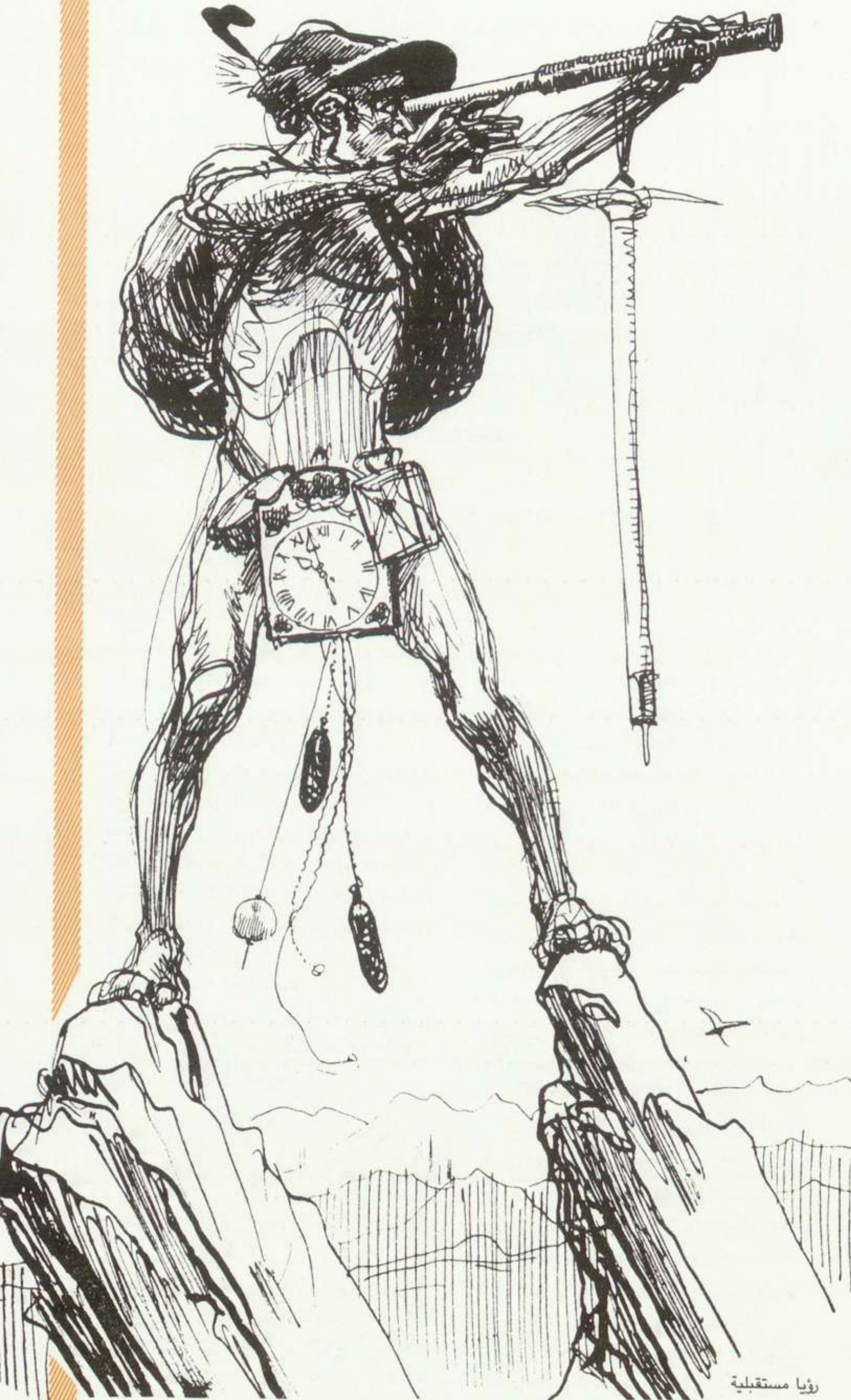
**هنريش كلاي .. غير محمد على كلاي .. الأول فنان رسم فى لوحات ساخرة قصة الانسان ومأساته فى هذه الحياة ولم ينل حظه من الشهرة رغم اعجاب النقاد بأعماله .. أما كلاي الآخر فقصته معروفة مع النجاح والثروة والشهرة ! .**




هنريش كلاى بريشته

الهجوم




رؤيا مستقبلية

« هنريش كلاي » فنان ألماني سمع عنه العالم بعد وفاته ، ولكنه كان انطوائيا متقوقعا في حياته لأسباب لم يعرفها احد .. ولعله كان يعاني ـ لسبب أو لآخر ـ من شعور مأساوي بالمرارة .. شكلت أحاسيسه على تلك الرؤى القاتمة التي اصطبغ بها فنه الساخر . طال به العمر حتى مشارف العقد العاشر ، فقد ولد عام ١٨٦٣ وتوفى نحو عام ١٩٥٢ . قد لا يصادفك اسمه بين المشاهير العالميين من فناني أوربا البارزين . وقد لا يكون معروفاً بالقدر الكافي خارج حدود وطنه ، مثله مثل آلاف الفنانين والمفكرين العظام ممن آثروا الانطواء والتامل في ملهاة المأساة الانسانية ومحنة البشرية !

هذا ما فعله هنريش كلاي .. اذ تعدى واقع مجتمعه ، بل تحدى طبيعة الحياة ومنطق الأشياء .. وابتدع عالمه الخاص المفعم بالأحلام والرؤى والاطياف ، وسيطر عقله الباطن ببراعة على شخوصه الاسطورية التي عبر بها عن رغباته المكبوتة . وكما يقول داروين : ان الاحلام هي خلاصة حياة ونوازع نفسية وجسدية لا تجد متنفساً لها إلا في عالم الموت الاصغر وهو النوم ! فان الفن يقوم بنفس الدور في الحياة الواعية . ولذلك نرى أن أعمال « كلاي » ليست مجرد رسوم ساخرة لمظاهر واقعية ، ولكنها تحليل نفسى لحياة مليئة بالحركة ومفعمة بالحياة والانفعالات المتصارعة . وقد يكون هذا التعبير ( عالم الفنان الخاص ) تعبيراً ذاتياً ، ولكن الملايين من البشر تشارك الفنان إحساسه بتلك الرؤى الغامضة ، وتعايش عالمه وتتفاعل معه وتنفعل به ويصبح منطلقاً لأحلامهم كذلك !

نشأ هنريش كلاي كأى فنان ذى موهبة فذة ظهرت مبكرة فى سنوات عمره الأولى ، وكان نبوغه فى الرسم حديث أهل بلدته فى وادى الراين ، والحقه والداه بأكاديمية الفنون الجميلة حيث تتلمذ على فنان ألمانيا الكبير « فرديناند كيلر » الذى عنى به عناية خاصة وأرسله على نفقة الدولة إلى ميونيخ ليتم دراسته الفنية العالية . وكما هو الحال فى جميع المناهج الأكاديمية ، أجاد



▲ الآلة تسحق البشر



◄ قبل المعركة

الأساليب الواقعية الملتزمة وتفوق فيها على رفاقه وأساتذته، وعرفت أعماله طريقها إلى المعارض والمتاحف، وتسابقت قاعات الفن على شراء إنتاجه أولا بأول، وقد أجمع النقاد حينذاك على أن هذا الشاب سيكون له دور مؤثر فى الحركة الفنية الألمانية! ولا غرو أن نرى لوحات كلاي وهو فى تلك السن المبكرة فى الفترة بين عامي (١٨٨٨، ١٨٩٢) معروضة فى متحف ميونيخ بجانب أعمال الخالدين من فنانى ألمانيا العظام. وذاعت شهرته، بل وتألقت حتى صارت حديث ألمانيا كلها عندما كلف بتنفيذ اللوحات الحائطية الضخمة التى تحكى تاريخ ألمانيا، وخصصت لهذه اللوحات الرائعة عدة مبان حكومية فى (بادن بادن)، واعتبر منذ ذلك التاريخ فنان الشعب الألمانى الشهير!

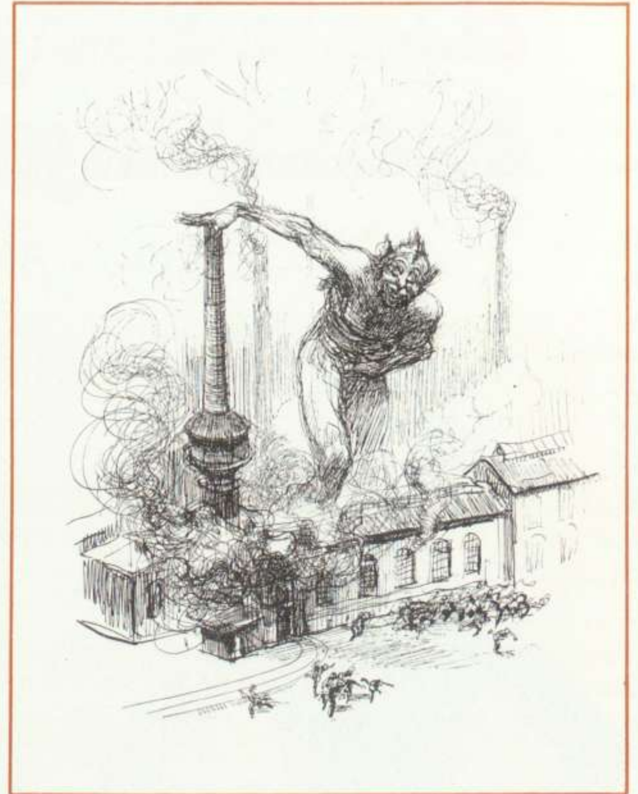
## الانطلاق إلى عالم الرؤيا الخاصة

بعد هذا النصر الكبير الذى حظى به الفنان، لجأ إلى فلسفة التحول الاجتماعى فى الشعب الأوروبى عامة والألمانى خاصة: ألم بأسرار التقدم الصناعى وتحول الطاقة من عصر البخار والفحم الى عالم الكهرباء والصناعة العصرية المتقدمة، وأخذ يعبر بسخرية لاذعة عن تفتت الكيان الانسانى بين تروس المصانع الصاخبة.. ولجأ الى الرسوم السريعة الهازئة من سيطرة الآلة على البشر، ومن تكالب الناس على بناء (الحضارة) الحديثة وهم فى نفس الوقت يقومون بهدم القيم والسلوك المهذب والترابط بينهم! وكانت أعماله فى معظمها كالرسوم الصحفية النقدية، تطبع الابتسامة على الشفاة، ولكنها تترك فى الوقت ذاته أثراً عميقاً فى العقل والضمير والوجدان.

وما نراه على هذه الصفحات اليوم من رسوم الفنان، ليس «هنريش كلاى» صاحب اللوحات الحائطية الضخمة فى «بادن بادن»، ولا هو صاحب الأعمال الخالدة فى متحف ميونيخ ومعظم المتاحف الألمانية الأخرى، ولكنه الفنان الفيلسوف الساخر الذى ضاق ذرعاً بمظاهر الحضارة المزيفة! إن التقييم الفنى لهذه الرسوم يصل بها الى مرتبة اللوحات المتكاملة من الوجهة الفنية، من حيث البناء المدروس والخط المنطلق الرشيق والموضوع الهادف والحيوية النابضة. وهى فى مجملها بحث رائع من أبحاث «الجروتيسك» التى تتسم بالملهاة الكوميدية ذات الصبغة الانسانية.

وكثيراً ما نرى الفنان وقد لجأ الى تصوير المدينة الحديثة على هيئة غابة أسطورية تسكنها الأشباح والشياطين والمخلوقات الممعنة فى الغرابة والسخرية، فهى خليط بين الحيوانات والآدميين.. كما فعل الفنانون فى القرن الثالث عشر، حيث تميزت تلك الحقبة من تاريخ الفن اليابانى بهذه الملامح الخرافية.

واذا كان هذا التعبير القاسى يبدو غريباً وشاذاً من وجهة النظر العقلانية، الا إنه تجسيد منطقي من وجهة نظر الفنان لروح العصر الذى غلبت عليه سيطرة المادة وتداعى القيم والفضائل وشراسة آلات الحرب والدمار.. ولذلك، انتهج كلاى نوعاً خاصاً من





▲ معزوفة لمن يفهمها

◀ الكارثة

السيريالية النقدية اللاذعة بأسلوب جماهيرى بسيط وكأنه السهل الممتنع ، فنرى انفعالاته من خلال رسومه قد تثير الضحك ، ولكنها تبعث على الشفقة !

## الفنان وأطياف الغموض

وكأى فنـــان درس الفن الأكاديمى وتنقل بين ( الأتيليهات ) الدراســية ، كانت المرأة - كمصدر للالهام ورمز للجمال - ممثلة فى أعماله كومضة نور بين تراكمات الظلام النفسى الكئيب .. فنجد أن كلاى قد أظهر جمالها ومفاتنها فى صورة تكاد أن تكون مثالية بمقاييس الجمال الفنى والبصرى على السواء .

وقد جنح الفنان الى معادلات غامضة فى رسومه ، فقد صور الحيوانات بشكل جعل المحللين والنقاد فى حيرة .. ولكنهم اتفقوا على أن الرمز هو البناء الدرامى ومحور إبداعه بصفة عامة ، وأنه نتيجة منطقية لمعاناته وفلسفته الخاصة تجاه مجتمعه الصناعى ( المتقدم ) !

وبالرغم من أن هنريش كلاى بخيالاته وانفعاله وثورته ونقده اللاذع قد انفرد بأسلوبه المميز ، وأصبح علامة بارزة فى مسيرة الفن الألمانى الحديث ، إلا أننا لم نعثر فى المكتبات العالمية عن ترجمة لحياته مفصلة كباقى الفنانين الكبار !

وكل ما وصل إلينا عن الفنان لا يعدو أكثر من خمســـة كتب هى أقــــرب الى ( الألبومات ) المصورة ، اهتمت أساساً بنشر أعماله التى كانت تطبع تباعاً فى عدة صحف أوروبية شهيرة فى أعوام ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١٢ - ١٩٢٣ - ١٩٣٩ . وبعد هذا التاريخ الأخير احتجبت أعمال الفنان ، كما انقطعت صلته بالعالم نهائياً . ويبدو أن انتاجه الفنى كان مثل حياته الخاصة .. يلفه الغموض والانطواء داخل أسوار التأمل والعزلة الموحشة ، ولاشك ان تلك العزلة قد فوتت على الفنان فرصة التألق والانتشار العالمى اللائق بمن لديه مثل تلك العبقرية النادرة !

وفى كتابه الأخير عام ١٩٣٩ كان الناشر - فى مقدمته - يتساءل عن الأسرار الغامضة التى تلف حياة الرجل .. ولم يستطع أن يورد شيئاً ذا قيمة علمية لاستجلاء بعض جوانب حياته الطويلة المثمرة ..

ومن مجموع ما كتب عن كلاى فى كتبه الخمسة ، أوردنا هذه المعلومات التى يراها القارىء على هذه الصفحات .

ومن عجب أن تاريخ وفاة الفنان .. هو أيضاً لم يعرف على وجه التحديد ! فقد قرأت فى مقدمة آخر كتاب من الكتب الخمسة - وقد صدر عن مؤسسة ( دوفر ) بنيويورك - أن تاريخ وفاة هنريش كلاى لم يكن أحسن حظاً من حياته نفسها .. كل شىء يكتنفه الغموض .. فقد ذكرت بعض المصادر أنه توفى فى عام ١٩٤٠ ، وذكرت مصادر أخرى أنه مات فى الثانى من أغسطس عام ١٩٤٥ ، وطبقاً لمعلومات ثالثة أن تاريخ وفاته هو ٨ فبراير عام ١٩٥٢ !

ولعل هذا التضارب لا يدع مجالا للشك فى أن الفنان لم يحفل فى حياته بأن يكون نجماً فى المجتمعات العامة ، أو أنه كان حريصاً على أن ينال أكبر قدر من التألق والشهرة ، وخاصة فى آخر أيامه ، بل آثر الانطواء والتأمل الهادىء حتى رحل عن هذا العالم ، حيث لم يخلق الانسان الا ليمتهن فيه كما عبر عن ذلك فى لوحاته الساحرة الخالدة !

جمال قطب

• قصــــة •

# الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية

بقلم : ديزي الأمـــير




الساعة الثالثة صباحاً ، وهى مؤرقة جافاها النوم . لا تزال صورة المريضة التى فحصتها تلاحقها . تغمض عينيها فتراها أمامها وتفتحهما فتسمع حديثها .

لم تكن هذه أول مريضة تفحصها تعانى من مشاكل بيتية . ولكنها كانت تظن أن خدمتها فى الأرياف ، صورة مغايرة لما ستشاهده فى المدينة حينمـــا تنتقل إليها وترى مجتمعها الواسع المتعدد الطبقات الثقافية والمادية . ولكن الصورة تتضح أمامها اليوم ، فاذا هى واحدة . زوجة مظلومة لا تستطيع البوح بأمراضها البيتية فتلجأ إلى الطبيبة تطلب منها العلاج العضوى . والطبيبة عاجزة . يجب ان تقابل الزوج ، الأب ، الأخ ، الأم ، المجتمع .

يجب ان تعلن ان النساء المريضات لسن مريضات بالمفهوم الحقيقى انهن مريضات نفسياً . كيف تقول هذا للزوج والمريضة تتوسل إليها ألا تدع أحداً يعـرف أنهـا زارتهـا فى العيـــادة لاستشارتها .

المريضة التى تؤرقها اليوم لم تنجب بعد أطفالا والزوج يهددها بالطلاق أو الزواج من أخرى . ألا يكفي انها تخدمه كأَمَة ؟ تدلله كجارية ؟

لا .. لا لايكفى كل هذا يجب أن يصبح أباً والطبيبة واثقة ان الزوجة ليس بها ما يعيقها عن الانجاب ونصحتها ان يذهب زوجها لطبيب اخصائى ليتاكد من امكانيته هو.فارتاعت الزوجة وكاد يغمى عليها . هى تقول هذا لزوجها ؟! تطعن برجولته ؟! والمصير أيتها الطبيبة ؟ ما المصير ؟!

وسألت الطبيبة نفسها ، نعم ما المصير ؟!

لمن تقول هذا ؟ لا تستطيع التوقف عن العلاج فهذه مهنتها . لا تستطيع الصمت فالصمت لا يعالج .

وتعترف المرأة صاغرة انها هى

السبب . ولكنها بمساعدة الجارات الكتومات وغير الكتومات تصل عيادة الطبيبة تشتكى همها .

الساعة الرابعة صباحاً وعليها الاستيقاظ مبكرة للذهاب إلى المستشفى أولا ، ثم إلى عيادتها الخاصة وهى تكتشف فى كل يوم أن هناك عشرات الحالات من أمراض النساء هى امراض رجال متخلفين أو جبناء أو ادعياء أو .. أو ...

تراكمت ملفات المريضات الواجب كتمانها ، ولكن ما فائدة الكتمان ؟ هل تنتظر ان يتحضر الرجال فجاة ويتنور المجتمع ليفهم مشكلة المرأة المريضة غير المريضة ؟!

وحينما سجلت هذه النقاط أحست بعض الهم ينزاح عن كتفيها . ألقته على الورق ولكن المريضات الموعودات بالشفاء المنتظرات .. هل صارت مهنتها بيع الوعود ؟

وبتراكم الملفات تراكمت البحوث الطبية فنشرت الطبيبة واحداً منها تريد ان تلقى الهم على عاتق القارىء .

الطب أولا وأخيراً عطاء إنسانى قبل ان يكون مهنة . وتوالت أبحاثها فجمعتها فى كتاب نال شهرة واهتماماً من النقاد .

إنتقلت من طبيبة جسد إلى طبيبة نفوس وتساءلت إذا كان كتابها الجرىء يلقى كل هذا الصدى الكبير لدى النساء والرجال ، فالمجتمع اذن ليس بهذا السوء .. فلم الخوف من البوح ؟

مرت مرحلة والطبيبة تعالج من يمكن معالجتها عضوياً ، وتعالج بابحاثها من لا تستطيع معالجتها جسدياً .

جاءتها مريضة ، الطب لا يصلح لمعالجتها جسدياً ولا بكتابة بحث . إنها قصة جديدة غريبة .

سجلت هذه الحالة على شكل رواية . نالت الرواية نجاحاً وأعيد طبعها وكذلك طبع الأبحاث .

نسي الناس أن القاصة طبيبة ولكنها هى لم تنس فلم تغلق العيادة . تحاول العلاج وتكتب . والقارىء يتلقى . والدنيا لم تتغير .

كانت الطبيبة جميلة وهذا ما أثار استغراب عارفيها .

طبيبة ذكية جميلة تتخلى بملء إرادتها عن الاستمتاع بمباهج الحياة لتعالج وتبحث وتكتب !

استقلت فى حياتها الخاصة تقلع أشواك الحياة بأهدابها وتحفر الأرض بأظافرها تزرع جذوراً . ستنبت لها شجرة تتفيأ بظلها وكتبت عن تجربتها فى الصراع مع الحياة . صراع امراة وحيدة تريد حل مشاكل الأخريات وتامين مستقبل واضح لهن .

حينما أعلن عن قرب افتتاح معرض الكتاب الذى اعتاد الجميع انتظاره سنوياً قررت الطبيبة المشاركة فيه .

تواصل رنين الهاتف من الصحف والمجلات يطلبون إجراء حوار صحفى تحدثهم عن كيفية تحولها إلى أديبة مع الاحتفاظ بعيادتها .

وكان اللقاء ينتهى باستغراب المحاور ان تنجح امرأة دون مساعدة رجل . وكان هذا السؤال اكثر ما يغيظها . ابعد كل هذا الكفاح مع النفس ومع الآخرين يسالونها عن دور الرجل فى حياتها .

قرأ الرجال مقابلاتها الصحفية وكذلك فعلت القارئات ، والفريقان تأملا طويلا صورتها بوجهها الجميل الصبوح .

وكذلك انقسم القراء فريقين . قسم يفخر وآخر يستغرب ويكذب ان يكون نتاجها الأدبى من صنعها حقاً . امرأة فى مثل وضعها خرجت من حائط أو هبطت من سقف تصبح لها هذه المكانة ولا يكون وراءها رجل .

أجمعوا على حسن سلوكها ولكن بعض القارئات همسن لبعضهن انها تعلن غير ما يعرف عنها القراء . وبعض القراء علق أن لا أهمية لنجاحها ما دامت لم تكون أسرة ناجحة . ومن يدرى فلعلها فشلت فى حياتها العاطفية وكان أن حولت مشاعرها لانتشال الاخريات .

صباح يوم افتتاح المعرض ذهبت إلى القاعة ووضعت سلة زهور ومساء كانت تقف بجوار كتبها ، والعاملون فى التليفزيون يثبتون أماكن آلاتهم والمصورون يتجولون .

مرت نصف ساعة على موعد الافتتاح ولم يصل المسؤول الذى سيقص الشريط ثم .. سمعت ضجة وهرع الحضور من ادباء ومفكرين وسياسين ومصورين و .. وإلى الباب الخارجي .

لم تستطع رؤية الداخلين لشدة الازدحام .. بعد فترة تقدمت الموكب سيدة . سيدة جميلة انيقة تأملتها . لم يكن وجهها غريباً . هذا الوجه تعرفه ولكن لا تدرى اين .

خلف السيدة مشى رجل عرفته من أول نظرة . إنه المسئول الكبير الذى تملأ صورته الصحف .

اقترب وصوله من جناحها تتقدمه السيدة الجميلة الأنيقة .

كان المسؤول يتوقف قليلا أمام الكتب وحرمه تسرع فى مشيها ، فيضطر إلى اللحاق بها تستبقهما آلات المصورين ومصورى التلفزيون . كانت آلات التصوير مسلطة على العطر الفواح الذى ملأ قاعة المعرض .

ساعة وصلت إلى البيت أدارت مفتاح التلفزيون لتشاهد حفلة الافتتاح . آلة التصوير لم تنقل غير صورة العقيلة المصون ، وكشفت كم كانت تحمل السيدة جواهر براقة . ولكن التلفزيون لم يستطع نقل العطر الفواح الذى لا يزال يملأ انفها

الصحف نشرت صورة المسؤول وزوجته الأنيقة الجميلة . أما الكتب فالحاجة إلى مجهر كانت ضرورية لاكتشاف وجودها . حدقت فى صورة السيدة الجميلة الأنيقة فتذكرت ... تذكرت أين التقت بها .

تعرف هذا الوجه تماماً مضافاً إليه بعض التجاعيد البسيطة وقليل من السمنة .

كانت السيدة الأنيقة زميلة لها فى المدرسة وكانت تجلس فى الصفوف الخلفية من غرفة الدراسة . فالترتيب يعتمد على سن التلميذات الصغيرات فى الصفوف الأمامية والكبيرات خلفهن .

تذكرت تماماً تلك الزميلة . عاصرتها لاشهر فقط كم نالت فيها تأنيباً من المدرسات على إهمالها وتغيبها وعدم تقيدها بنظام المدرسة الذى يفرض تسريحة بسيطة وفساتين موحدة الزى خاصة بالطالبات .

# الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية

وتذكرت كذلك كيف اختفت تلك التلميذة فجأة وتكاد تتذكر ان الزميلات قلن انها تزوجت حامل شهادة دكتوراه وصل حديثاً من اميركا ليقنع أهله برغبته فى الزواج من زميلة أجنبية تعرف عليها هناك فكان أن أسرعوا بتزويجه من فتاة جميلة أنيقة لا تحب الاستمرار فى الدراسة .

رمت الصحف حواليها .. واستعرضت الماضى . هل ما تذكره هو الحقيقة أم أن غضبها أوحى إليها بكل هذه الأوهام ؟ قامت إلى الهاتف تسأل صديقة عن قوة ذاكرتها فاكتشفت ان ذاكرتها لم تتخيل شيئاً وما تمنت ان يكون وهماً هو حقيقة .



مرت سنة وجاء موعد إقامة معرض الكتاب السنوى ، ولكن هناك أموراً كثيرة تغيرت .

الطبيبة الأديبة انشأت داراً خاصة بها تنشر كتبها بعد أن تأكدت أن الرجال ليسوا اكثر جدارة من المرأة فى النشر والتوزيع .

القضية الأخرى الجديدة التى تناقلها المجتمع أن المسؤول الكبير انفصل عن زوجته بعد أن تعلق بسكرتيرته التى تصغره بسنوات .

حان الموعد وتجمع المصورون والصحفيون والعاملون فى التلفزيون وغطت الأضواء الساطعة الوجوه .

وقفت الأديبة الطبيبة أمام جناحها تتساءل كيف ستتصرف المسؤولة الجديدة ؟ وللعجب دخل المسؤول الكبير وحده . اين الزوجة القديمة هل تركها حقاً ؟ والجديدة هل يخجل من الاعتراف بها ؟

هذا المسؤول الذى يقرر مصير البلد الا يستطيع ان يقوى امام اغراء الصغيرات . واذا كان قد ضعف فأين هى هذه القوية الصغيرة .

ألف سؤال ازدحم فى رأسها قبل ان ترى المسؤول الكبير يقف فجأة امام جناحها ، وتتسلط الأضواء المبهرة للبصر عليهما معاً ، ويصافحها المسؤول ويهنئها على نجاحها لأن نجاحها على حد تعبيره نجاح لكل النساء . صمتت . كانت تتمنى لو تسأله : ألم يشاهد كتبها فى السنة الماضية .. والتى كانت معه ما مصيرها ؟ اهو حقاً معجب بالمرأة الذكية المبدعة ؟ واذا كان كذلك فلم اختار امرأتين لا أحد يدرى ايتهما اقل شأناً من الأخرى ؟

اذاع التلفزيون ونشرت الصحف صورها مع جناح كتبها والمسؤول الكبير يحدثها .

وتساءل البعض هل هى المرأة التالية فى حياته ؟ ولم يفكروا بسؤالها هي . أترضى أن تكون ظل هذا الرجل الذى لا يعرف أن يختار شريكة حياته ، ولا أن يحتفظ بها .

رأت غرفة الدراسة فى المدرسة الابتدائية وهى تجلس فى الصف الأمامى والمعلمة توبخ تلميذة تجلس فى الصف الخلفى على عدم حسها بالمسئولية نحو الدرس والمظهر والمواظبة .

كان موعد المعرض شهر شباط . ولما جاء آذار أقامت التجمعات النسوية على عادتها السنوية ندوات للمرأة فى شهرها يوم لها . ويوم لطفلها . ويوم لأمومتها . طلب من الأديبة الطبيبة المساهمة فى يوم المرأة .

حاولت أن تعتذر . فقد قالت فى كتبها ورواياتها وقصصها وأبحاثها ومقابلاتها الصحفية كل ما تريد قوله . فماذا يمكن ان تضيف ؟ ولكن مجرد ذكر اسمها فى ندوة كان سيضمن لها النجاح . قبلت بعد إلحاح وهى تتطلع إلى أكداس الملفات فى عيادتها وفى بيتها عن هموم المرأة وقضاياها .

جلست على المنصة مع الذين سيشاركون من نساء ورجال .

فى الصف الأمامى مع امتلاء القاعة كرسى شاغر .. كرسى فاخر مغاير لبقية الكراسى .

حان موعد البدء . ولكن مدير الندوة طلب التأجيل معتذراً من الحضور بأن ضيفة الشرف لم تصل بعد . حينذاك عرفت أن المسؤول الكبير جاءته الجرأة أخيراً ليعترف أنه تزوج سكرتيرته وأعلن هذا الزواج .

إذن فالكرسى الأنيق الشاغر ستملأه السيدة المهمة الجديدة .

وحينما بهرت عينيها أضواء آلات التصوير وتزاحم الناس يقتحمون الطريق جلست تنتظر بفضول خامل رؤية القادمة المكرمة .

تقدمت فتاة جميلة صغيرة رشيقة أنيقة ترتدي آخر صرعات أزياء الموسم لتجلس بهدوء مرتبك .

مرت دقائق طالت قبل أن يفرغ المصورون من التقاط صورة السيدة الجديدة الصغيرة الجميلة الأنيقة الجالسة على العرش . أما آلة تصوير التلفزيون فظلت مسلطة عليها .

حيا مدير الندوة السيدة ثم الحضور وأخيراً المناسبة وبدأ الكلام .

تحدث أول المفكرين ...

لم تصغ الأديبة للكلام .. مرت أمامها صور مريضاتها غير القادرات على البوح وتذكرت أكوام الملفات عما لا يمكن إعلانه .

جاء دور متكلمة ثانية ... سرحت الأديبة الطبيبة فرأت معرض الكتاب .. الأول والثانى وتوالى المتحدثون ..

سمعت مدير الندوة يلفظ إسمها لتتحدث وسمعت نفسها تقول بعد كل ما قيل : لن اضيف جديداً غير أن تعمل المرأة على ان لا تكون ظلا لرجل بل تعمل على أن تكون ..

وسكتت إذ ضجت القاعة بالتصفيق ولمع أمامها بريق حاد صادر عن العروس المرصعة بالخواتم الثمينة وهى تصفق بشدة .

حجب بريق الجواهر المشع بالاضواء بصرها عن النظر إلى الصفوف الخلفية لترى ان كانت الزوجة السابقة للمسؤول الكبير قد عادت إلى مكانها هناك .

ديزى الأمير

د. عبد المحسن صالح

## في عصر المعلومات:

# كل شيء أمامك دون أن تبرح مكانك

خيوط المستقبل الزجاجية التى ستحدث ثورة فى الاتصالات وتبادل المعلومات عن طريق النبضات الضوئية .. وبهذا ستحل محل الاسلاك النحاسية .. كل خيط رفيع كشعرة الرأس ، ومع ذلك فانه سيكون بالامكان ارسال واستقبال ٤٠٠ ألف مكالمة تليفونية بخيطين اثنين لا غير !

نحن ـ بلاشك ـ مقبلون على عصر فيه من أنماط الحياة كل ما هو غريب ومثير - بل هو فى الواقع ـ أغرب مما نتصور ، لأن كل شىء يصقل ويتطور ، وينطلق نحو آفاق واسعة قد لا تعيها عقول البشر ـ على الأقل عقولنا الحالية ـ رغم أنها تعيش فى عصر الذرة والصواريخ والحاسبات الاليكترونية ، والاتصالات والبرامج التى تنقل من الأرض والى الأرض عبر الأقمار الصناعية !

هناك ثورة علمية وتكنولوجية هائلة تنطلق كحصان جامح فى شتى مجالات المعرفة .. فى اعماق البحار ، واجواز الفضاء ، وملكوت السماء .. فى الطب والزراعة والمواصلات .. فى علوم الاتصالات والفيزياء والكيمياء والحياة ،

وكل ما يخطر لنا على بال .. لكن أى جانب من هذه الجوانب نختار ، حتى لا تتفرق بنا السبل ، ونتوه فى معمعة ليس لها من قرار ؟

دعنا نتعرض للتطور الهائل الـــذى حققه العلم فى خيط أرفع من شعرة الرأس ، لكنه اصبح بمثابة العين التى بها نرى ، والأذن التى بها نسمع ، والعقل الذى به نفكر ، والمعلم الذى يعلمنا ويثقفنا ، والطبيب الذى يكتشف الداء الخافى عن عيون الأطباء ، والمنقب عن الثروات الكامنة فى أعماق البحار ، والوسيط الذى يجمع بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء .. إلى آخر هذه الانجازات الهائلة التى حققها هذا الخيط الرفيع ، والذى لا يوجد له فى الطبيعة مثيل ، لأنه ابتكار رائع لعقول ذكية جاءت لتكون خليقة الله فى الأرض فتيسر حياة الناس ، وتنفعهم من حيث لا يعلمون

هذا الخيط اسمه الخيط البصرى أو الضوئى ، أو الحامل لموجات الضوء ، ولقد جاء نتيجة للتزاوج بين ابتكارين تكنولوجيين حديثين ، ظهر أولهما فى نهاية الخمسينات من هذا القرن ، وهـو المعروف باسم اشعة « الليزر » .. وهذه الأشعة بدورها صورة جديدة لم تعرفها الأرض والسماوات من قبل ، لأنها لم تكتشف فى الطبيعة ، بل جاءت نتيجة لسيطرة الانسان على «ترويض» الضوء ، وتوجيهه من خلال تصميمات علميـة خاصة ، ليصبح اقوى وأعنف ضوء عرفته البشرية حتى الآن ، فلو انه قد سلط على شىء ، فانه يرفع درجة حراراته الى مائة مليون درجة للحظة خاطفة .. اى اقوى بكثير من حرارة جوف الشمس ( ٢٠ مليون درجة ) .

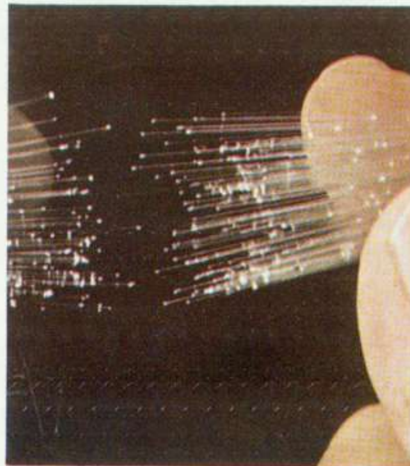
والحديث عن اكتشاف اشعة الليزر ، وما تبع ذلك من تطبيقات كثيرة ، قـد يتشعب ويطول ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى منفصلة ، ولهذا كان لزاماً علينا أن نعود الى خيطنا الرفيع الذى يتعامل مع هذه الأشعة الرهيبة ، وينقلها من مكان لآخر بسرعة الضوء .. والخيط من زجاج ، وهو نقى وشفاف غاية الشفافية ، ولو امكن تجمع هذه الخيوط وتكديسها على هيئة جبل ارتفاعه مئات أو آلاف الأمتار ، ثم نظرت اليه من القمة فانك تستطيع ان ترى من خلاله كل ما يرتكز عليه هذا الجبل الشفاف المتكون من خيوطنا الزجاجية النقية .

وصناعة هذه الخيوط الرفيعـة ليست صعبة ، اذ هى ميسرة جداً لأى فنى يتناول صناعة الادوات الزجاجية ، ومع ذلك ، فهو لا يستطيع أن يقدم لنا خيطاً زجاجياً ينفع لنقل أشعة الليزر ، لأنها ستتشتت وتضيع ، ولهذا قضى العلماء سنين طويلة من أجل تطوير هذه الفكرة ونحن لن نتعرض هنا لتفاصيلها حتى لا نتوه ، لكن يكفى ان نذكر ان « قلب » هذا الخيط العجيب يتكون من أكثر من مائة طبقة من مواد كيميائية مختلفــة مترسبة فوق بعضها البعض ، وهـــذا يعنى ان تلك الطبقات رقيقة غاية الرقة ، وهى التى تقوم بتوجيه أشعة الليزر وصيانتها من التشتت حتى تصل الى هدفها .

## الحاضر والمستقبل

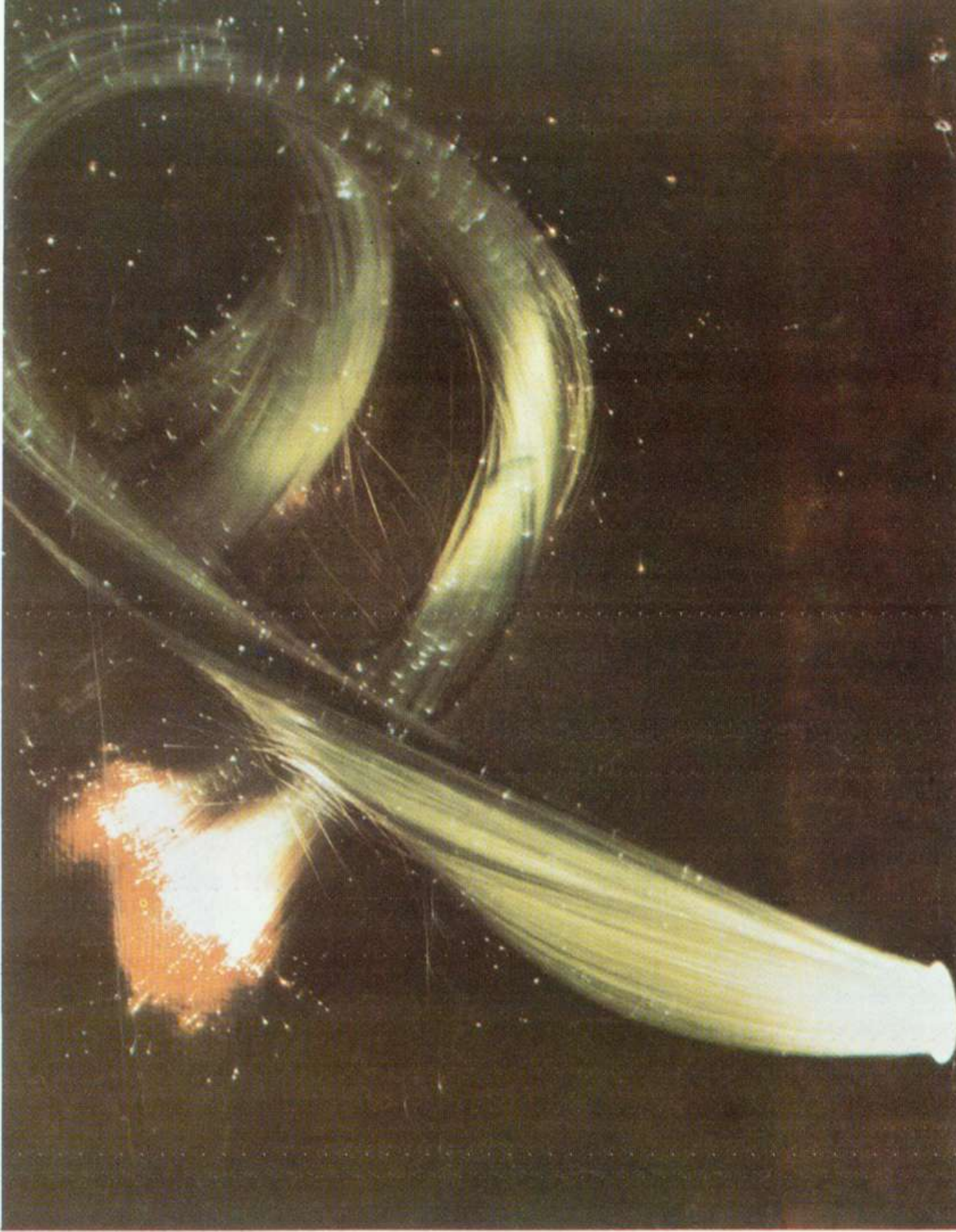
وقد يقول قائل : ان استخدام السلوك المعدنية الرفيعة المصنوعة من النحاس قد اثبتت كفاءتها فى كل التوصيــلات الكهربية التى نراها فى التليفون والراديو والتليفزيون ونقل الكهربــاء وتوزيعها لكل مستفيد .. بشراً كانوا أو أجهزة أو آلات .. فلماذا اذن اللجوء الى خيوط من زجاج ؟ .. اليس ذلك مغالاة ورفاهية لا مبرر لها ؟

ليس ذلك تماماً ، لأن اسلاك النحاس – وان كانت صالحة للتوصيــلات الكهربائية ، الا انها ليست كذلك بالنسبة لأشعة الضوء المركز – اى الليزر .. اضف الى ذلك ان عمليــة التزاوج بين هذه الأشعة وبين خيوط الزجاج الموجهة والناقلة لها ، قد دفعت البشرية للدخول فى ثورة تكنولوجية اكفأ واعظم من كل ثورة سابقة ، أو كما يعبر عنها دكتور البرت بندر – وهو واحد من رواد هذا العلم – بقوله « انها سحر » !



ان سر التقدم الحقيقى والسريـــع للبشرية يعتمد أساساً على تبــادل المعلومات ونقلها بطريقة شائعة وميسرة ونحن – فى الواقع – نعيش فى هذا العصر ، لكنه بالنسبة للأجيال القادمـة قد يصبح عصراً بدائياً ، لأن مجتمعـات المستقبل ستكون بحق مجتمع المعلومات التى تصب فى كل ادارة وصــحيفة ومصنع وبيت .. الخ ، صحيح اننــا نستقبل فى بيوتنا ما يدور حولنــا فى عالمنا المعاصر ، لكن ذلك يتم عن طريق محطة ارسال واستقبال .. اى ما تختاره لنا محطات الاذاعة والتليفزيــون من برامج ، أو ما تحمله لنا الصحف والمجلات والكتب التى اصبحت جزءاً من حياتنا ، لكن عالم المستقبل هو الــذى سيختار ، فينتقل اليه فى بيوته كل ما يتوق الى رؤيته أو الاطلاع عليه ، دون أن يبرح مكانه ، أو يكلف نفسه مشقة النزول الى الأسواق أو المكتبات أو حتى التوجه الى المستشفيات وعيـادات الأطباء ، لأن تكنولوجيا الخيوط الضوئية ستصبح ميسرة للبشرية ، تماما كما تيسر لها التليفون أو الهاتف فى اتصالات محدودة عن طريق الأسلاك المعدنية !

خذ لذلك مثالا ، حتى يتضح لنا الفرق بين عالمنا ، وعالم الغد المثير .. ولنفرض الآن ان رجلا اراد ان يقوم بجولة فى الأسواق ، لينتقى معطفاً أو ثلاجة أو سيارة أو كتاباً .. الخ ، ان ذلك يستلزم – بطبيعة الحال – ان يرتدى ملابسه ، ويترك بيته ، ويركب مواصلة عامة أو خاصة ، ثم ينزل إلى الســوق ، ويلف ويدور ويستعرض ويشــترى ويدفــع ويعود الى بيته .. وفى هذا مضـيعة للوقت والجهد والطاقة .. لكن انســان الغد لن يسلك مثل هذا السلوك البدائى ، بل عليه ان يضغط على زرار ، فيحدث اتصال فورى ، وعندئذ تنتقل اليه – على شاشة كبيرة فى احدى حجرات منزله – المعروضات التى يرغب فى شرائها .. انه يريد شراء حذاء أو سرير أو معطف ، وعندئذ يظهر على الشاشة البـائع أو البائعة ، وهى تعرض عليه كل الموديلات واسعارها ، انها تراه كما يراها ، وكأنما هو قد ذهب بالفعل الى محل المعروضات



من ميزات الخيوط الزجاجية المعاملة بالمواد الكيمائية التى تترسب طبقات من فوق طبقات فى تجاويفها الداخلية .. ومن مميزاتها أنها تنثنى ـ كما تراها هنا ـ دون أن تنكسر .. لاحظ كيف تستقبل هذه الحزمة مصدراً ضوئياً ( إلى اليمين ) فينطلق فيها ، ثم يخرج من الناحية الأخرى .. ثم ان البقع الضوئية المبعثرة هنا وهناك تنبثق بدورها من خيوط لا تكاد ترى .

رغم انه لم يبرح مكانه ، الفضل فى ذلك يرجع الى تلك الخيوط الضوئية التى تصل بين البيوت والمحلات والشركات والأفراد والمطارات والمكتبات والمدارس والجامعات .. الخ .. الخ ، المهم أن تدفع لذلك اشتراكا كما تدفع فى عصرنا الحاضر اشتراك التليفون لمصلحة التليفونات ، وان تشترى طبعاً الجهاز المتصل بمحطات الأرسال المقامة فى الأماكن المختلفة ، والمتصلة عن طريق هذه الخيوط الضوئية العجيبة ، لتربط الناس بالناس ، أو بأى شىء آخر !

والواقع ان عالم الغد ـ أو عالم المعلومات ـ سيكون أغرب من الخيال ، لكن الخيال سيتحول أن آجلا أو عاجلا الى حقيقة ملموسة ، لأن علماء العصر الحاضر قد وضعوا البذرة ، وامدوها بعصارة عقولهم حتى تحولت الى نبتة صغيرة ، وبمزيد من الصقل والتطور فى الأفكار والتطبيق ، سوف تنمو النبتة لتتحول الى شجرة باسقة تغذى عقول الناس لا بطونهم ، لأن ثمارها هى المعرفة وفرق كبير بين غذاء العقول والبطون !

ان فكرة هذا التطور الهائل ليس من السهل تقديمها فى هذا المجال ، لأن ادراكها يستلزم الالمام بمبادىء علوم الاليكترونيات والموجات والمواد والخامات الداخلة فى تكوينها ، هذا بالاضافة الى معرفة أساسية بتفاصيل الأجهزة التى تستخدم فى ارسال واستقبال « تيارات » الضوء خلال اليافنا السحرية .. لكن ابسط تقديم لهذه الفكرة هو ما ذكره ماثيوتيكولسكى فى احدى المجلات العلمية ، وفيها يقول : تصور شعاعاً من الضوء النابض أو المتردد بمعدل ٤٤٫٧ مليون مرة فى الثانية الواحدة ( نضيف الى ذلك ان بعض العلماء قد نجحوا فى جعل هذا التردد بليون مرة فى الثانية ) .. خذ الآن هذا الشعاع ووجهه نحو خيط زجاجى لا يزيد سمكه عن ٠٫٠٠٢ من البوصة ـ أى بسمك الشعرة .. وعند الطرف الذى يستقبل الشعاع ، حاول ترجمة نبضات الضوء إلى معلومات مفصلة ، أى صوت بشرى ( لأن الصوت بدوره ترددات صوتية خاصة ) أو صورة تليفزيونية .. ان هذا يمثل لنا أساسيات الثورة

التكنولوجية التى نسميها الخيوط البصرية.

انتهى تقديم تيكولسكى للفكرة ببساطة شديدة ، الا أن الموضوع أعمق وأعوص من ذلك بكثير ، لكن يكفى ان نذكر ان التطور الهائل الذى ينتظر هذه الثورة الجديدة ، يرجع الى كفاءة خيوط الزجاج المعاملة بالمركبات الكيميائية ( التى اشرنا اليها ) فى نقل اشعة الليزر وتحويلها الى سيل جارف من المعلومات التى تنطلق فيها كنبضات ،لتتحول فى النهاية الى صوت وصورة ، فتجعل هذا الكوكب العظيم ، كانما هو بين ايدينا ، أو تحت سمعنا وبصرنا !

ان كفاءة الخيط الزجاجى الواحد مقدر له فى المستقبل القريب أن يستوعب حوالى ٤٠٠ ألف خط تليفونى فى وقت واحد .. اى ان الكلام الذى ينطلق من ٤٠٠ ألف انسان يجرى جيئة وذهاباً فى خيط ودون ان يتداخل حديث انسان مع حديث انسان آخر .. اى انجاز عظيم يربط بين سكان مدينة كبيرة فى خيطين زجاجيين لا يزيد سمك الواحد منهما عن سمك شعرة فى رأس انسان أو شاربه ؟

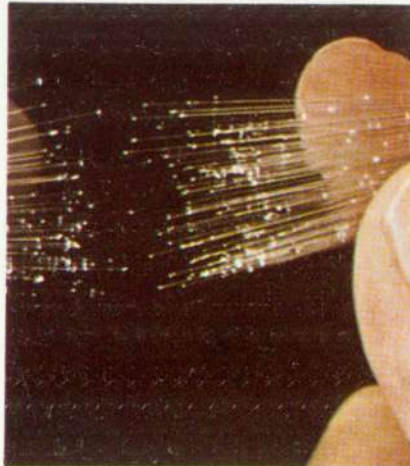
ولنا هنا وقفة تأمل .. ولنتصور فيها حجم ووزن الأسلاك النحاسية المغلفة بأنسجة عازلة ، والتى تربط بين التليفونات والسنترالات ، وما يتبع ذلك من استهلاك فى الطاقات والخامات .. ولاشك ان تكنولوجيا الخيوط الضوئية ستوفر كل ذلك ، ربما بنسبة واحد الى عدة مئات أو ربما عدة آلاف .. كل هذا يعتمد على تطور تكنولوجيا المستقبل التى خطونا نحوها الآن خطوة متواضعة .

بل أن واحداً من أشهر المفكرين بالتنبؤ العلمى هو آرثر كلارك ، الذى صدقت معظم تنبؤاته عن المستقبل ، يذكر انه بعد مائة عام من الآن ، لن يحتاج الانسان الى ادارة قرص التليفون لطلب رقم معين ، ولا كذلك الضغط على ازرار ، بل قد يكفيه ان يتحدث الى « عقل » اليكترونى طالباً منه ان يوصله بالمدعو بيل سميث ، ويضيف كلارك قائلا : أو قد تقول : اطلب لى رقم ٥٥١٢ ــ ٣٤٥ ــ ٢١٢ ، وعندئذ يجيبك العقل الاليكترونى : بكل تأكيد انت تريد ٥٥٢١ ــ ٣٤٥ ــ ٢١٢ . ( لاحظ ان العقل الاليكترونى قد عرف الخطأ وصححه فى الرقم الكائن الى اليمين ــ اى ٢١ بدلا من ١٢ ) .

## أهداف المستقبل .

وطبيعى أن شيئاً لا يأتى من لا شيء ــ فالحاسب أو العقل الاليكترونى لا يصحح الخطأ بذاته ، ولا هو أكثر ذكاء من الانسان ، بل يرجع ذلك الى ذاكرة اليكترونية تحتفظ بطوفان من المعلومات ثم تقارنها بما يرد اليها ، وأذكر ــ فى هذا المجال ــ اننى كتبت سؤالا على آلة كاتبة متصلة بحاسب اليكترونى فى معمل الفيزياء القومى بانجلترا أثناء قيامى باجراء بعض البحوث هناك ، وقد طلبت فى سؤالى ان يدلنى على اسم اليوم الموافق لتاريخ ميلادى وهو ٣١ فبراير ، وعندئذ جاءنى الرد مكتوباً على شريط هكذا : ان هذا سؤال ساذج ..جرب سؤالا معقولا ــ اى ان الحاسب الاليكترونى ليست لديه معلومات عن وجود ٣١ يوماً فى شهر فبراير ( فهو اما ٢٨ أو ٢٩ يوماً ) .. ولقد اردت خداعه ، فلم تجز عليه الخدعة ، أو بمعنى ادق : لم تجز على صاحب الفكرة الذى أمده بالمعلومات الصحيحة ، ليحتفظ بها فى ذاكرته الاليكترونية .

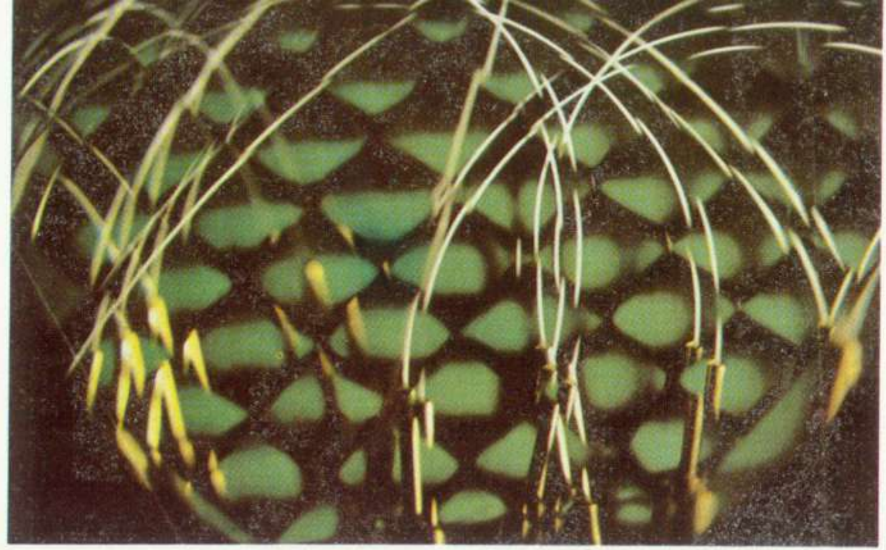
كل هذا قد يهون بجوار الانجازات المثيرة التى ستتحقق فى هذا المجال ، فمن الممكن ان يعود الولد أو البنت الى المنزل ، وهو أو هى مستوعبة لدرس الحساب أو الهندسة أو الجغرافيا الذى تلقاه أو تلقته فى المدرسة ، ولن يحمل الوالدان لذلك هما ، لا فى درس خصوصى ولا خلافة ، اذ كل المطلوب أن يضغط



احدهم على عدد من أزرار خاصة لها شفرة محددة ، ومتصلة ببنك المعلومات فى المدرسة أو الوزارة ، فيحضر اليه مدرس الجغرافيا بادواته وسبورته ونماذجه التوضيحية ، لكنه لن يحضر بذاته ، بل يراه امامه ، فى هيئة صورة مجسمة ، وكأنما هو بالفعل فى فصل دراسى ، فيعيد شرح ما فاته استيعابه ، فاذا أراد تكراراً ، كان له ما يريد .. فضغط على الأزرار .. يحصل على المزيد !

أو قد لا يحتاج التلميذ الذهاب الى مدرسة ، خاصة فى الأماكن النائية ، وعليه ألا يحمل لذلك هما ، اذ يكفيه ان يصل بيته بهذه « الشعرة » من ناحية ، وبمركز الدروس الخصوصية من ناحية أخرى ، فيأتيه مدرسو كل المواد ، واحداً بعد الآخر ــ صوراً مجسدة ــ لا أجساداً حقيقية ، ومع ذلك فهى تحمل معها كل الوسائل التوضيحية ، فتكون الدروس دروس العمر ، لأن المدرسين الذين سيحضرون الى بيته (صوراً) سيكونون بلاشك من أكفأ المدرسين علماً وشرحاً وتوضيحاً ، وبحيث يحببون التلاميذ فى دروسهم ، ويجذبون انتباههم ، وهذا مالا يتأتى فى كثير من مدارسنا أو جامعاتنا الحالية .

انت مثلا تريد ان تقرأ كتاباً فى مكتبة عامة ، أو تطلع على محتويات متحف من المتاحف ، أو من المدمنين على قراءة الصحف والمجلات ، أو من هواة الأنشطة الرياضية .. الخ ، لكن لا تحمل لكل ذلك هما ، لأن هذه الخيوط الحاملة للحزم الضوئية ستتولى ذلك .. اذ ستكون متصلة بجميع مراكز الأنشطة الثقافية والترفيهية والتعليمية والسياحية وما شابه ذلك ، وكل مركز من هذه المراكز لديه بنك معلومات يحتوى على كل ما يخطر ومالا يخطر لك على بال ، ولكل منها شفرات خاصة مسجلة فى دليل يشبه دليل التليفونات الحالية فى الشكل ، وليس فى المضمون ، وعليك ان تنتقى الشفرة الخاصة بأية معلومة أو نشاط يهمك معرفته .. وما عليك الا ان تضغط على عدة ازرار ، ( أو حتى تتحدث مع العقل الاليكترونى طالباً منه ما تريد ) فاذ بعناوين الصحف الصباحية ، أو ملخصات الأنباء ، أو صور الأحداث تظهر امامك على شاشة كبيرة ومريحة ،



دوائر من الخيوط الزجاجية الناقلة للنبضات الضوئية بعد أن تم استخدامها فى بعض الأجهزة العلمية .. وهى هنا تتداخل وتنتظم فى احدى مكونات جهاز للتجسس أو الاستكشاف فى ظلام الليل

أو قد تنتقل محتويات المتحف الى منزلك كصور مجسدة ، وكأنما أنت تنتقل فى المتحف من حجرة الى أخرى ، أو من ركن الى ركن .. يحدث كل هذا وأنت مسترخ على كرسى مريح ، ودون ان تبرح مكانك ، ثم ان ذلك وفر فى الجهد والوقت والطاقة المستهلكة فى المواصلات ، اذ مما لاشك فيه ان انسان المستقبل سيكون مشغولا بأمور كثيرة ، وقد لا يجد وقتاً كافياً لذلك ولهذا يتنبأ بعض العلماء بأنه بالامكان انجاز حوالى ٩٠٪ من الأعمال المكتبية والادارية الهامة دون ان يبرح الانسان بيته ، لأن التكنولوجيا الجديدة ستضع امامه كل الملفات والبيانات والرسومات وما شابه ذلك ، وعليه ان يتخذ فيها القرارات دون ابطاء ، لأن المحادثات أو المناقشات بين الرئيس والمرؤوسين ستبدو وكأنما هى تتم فى مكتبه ، فهو يراهم ، وهم يرونه عن طريق تصميمات اليكترونية وضوئية خاصة ، ولا يهمه هنا ان كانت المسافات بين الرئيس والمرؤوسين عدة أميال ، أو عشرات أو مئات الأميال !

انت مثلا لا تستطيع ان تحضر مؤتمراً علمياً ، أو ندوة أدبية ، أو مجلساً من المجالس الرسمية التى تؤخذ فيها قرارات هامة ، وذلك لسبب طارىء يمنعك من المشاركة ، لكنك تستطيع ان تحقق ذاتك دون ان تبرح مكانك ، لأنه بالامكان ان تكون معهم ، ويكونوا معك ، وتناقشهم ويناقشوك ، أيضاً وجها لوجه ، لأن تكنولوجيا المعلومات سوف تنقلك اليهم صورة أو صوتاً ، أو تنقلهم اليك صوراً واصواتاً ، لتعيش – وأنت فى منزلك – فى جو المؤتمر المنعقد فى مدينتك ، أو خارجها ، أو حتى فى دولة أخرى غير التى تنتمى اليها .

الانجازات بعد ذلك كثيرة ومثيرة – لكن يكفى ما قدمنا فاوجزنا ، لنعرف الى أى عصر نحن مقبلون .. وفيه سوف يبدل العلم الأمور ، فيجعل العسر يسراً .. والخيال حقيقة .. ربما فى حياة هذا الجيل ، أو فى أجيال ما بعد عام ٢٠٠٠ .

والواقع أن سبل الاتصالات ، وتبادل المعلومات ، بين الأفراد والدول والجماعات ، يمكن ان تتم من خلال طريقتين أساسيتين .. ففى الأولى يتم الاتصال عن طريق نبضات كهربية تنشأ من مكان ، وتنتهى فى آخر ، مارة خلال وسط معين ، أو قنوات تتولى نقلها ، مثال ذلك فكرة التليفون ، اذ تتحول الموجات الصوتية نبضات كهربائية فى سماعة التليفون ، فتنقلها اسلاك الى الطرف الآخر ، لتتحول مرة أخرى من نبضات كهربية الى موجات صوتية ، وكذلك الحال مع التليفزيون ، اذ تتحول الاشارات الى موجات ، ثم يتم نقلها خلال كابلات خاصة الى اجهزتنا ، فتتحول فيها الى صوت وصورة .

وفى الطريقة الثانية يتم الاتصال عن طريق شفرات Codes أو نبضات تتفرق وتتجمع ما بين المنبع والمصب ( اى يمكن تشبيهها بتفصيص الرسالة المكتوبة الى رموز من نقط وشرط ) ، وطبيعى ان لهذه الشفرات اجهزة تفصصها الى ما يشبه النقط والشرط ، أو ( ١ ، ٠ ) – أو أية شفرة ثنائية من ذلك النوع المستخدم فى الحاسبات الاليكترونية التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من أية تكنولوجيا متقدمة فى تبادل المعلومات ، وهذه الطريقة يطلق عليها اسم التغير الشفرى النابض ، ومن الممكن هنا ادخال الضوء أو أشعة الليزر كمصدر نابض أو متردد ، لكن من خلال أجهزة خاصة تقوم بهذا العمل ، وبها يمكن تفصيص شعاع الضوء الى ترددات تصل الى ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فى الثانية الواحدة ، ثم ان هذه الترددات يمكن اعتبارها بمثابة الشرط والنقط التى نستخدمها فى التلغراف أو الحاسبات الاليكترونية ، وكل تردد قد يرتفع وينخفض على حسب المؤثر الذى يأتيه من خارجه ، وليكن ذلك صوتاً بشرياً متداخلا فى هذا التردد ، لكن الصوت ذاته يمكن تفصيصه الى ٨٠٠٠ تردد أو شفرة فى كل ثانية ، وعلى حسب نبرة الصوت ، تكون الترددات أو النبضات أن ارتفاعاً أو انخفاضاً ، وعندئذ تنتقل خلال الألياف الضوئية كمعلومات أو اشارات ضوئية ، وبحيث يمكن تجميعها مرة أخرى ، لتتحول الى صوت أو صورة .. كل هذا يتوقف على الأجهزة التى تتناول هذه المؤثرات بالتحليل والنقل والتجميع .. الخ .

لكن لا علينا من كل ذلك ، حتى لا نزج بك فى متاهات .. فالعلم لديه الآن كل الامكانات .. ميكروفونات تلتقط ، وكاميرات تسجل ، واجهزة تفصص ، واشعة تتداخل وتتردد ، وخيوط زجاجية تنقل وتوزع ، وحاسبات اليكترونية تختزن وتحلل وتقرر .. الخ ، وفي النهاية شاشات كأنما هى البساط السحرى الذى يحلق بنا فى آفاق المعرفة الواسعة ، أو هى بمثابة مصباح علاء الدين والجنى الذى ورد فى اساطير القدماء ، وكأنما هو يقف بين ايدينا قائلا « شبيك .. لبيك .. انا عبد بين يديك » .. لكن الأساطير قد تحولت الى حقيقة واقعة ، بفضل التكنولوجيا المتطورة ، التى تقف وراءها عقول مفكرة !

ان مهمة العلماء الآن تتركز فى عمليات تزاوج بين كل الأجهزة المكتشفة لتجعل منها وحدة واحدة ، وتربط بينها فى جهاز واحد متطور .. طبيعى اننا لانجنى ثمرة الاكتشافات العظيمة بين يوم وليلة ، لأنها غالباً ما تصطدم بعقبات يجب التغلب عليها أولا ، وهذه تحتاج الى صقل أعظم ، وتطوير اتقن ، وجهد أكبر ، وزمن أطول ، ليتحقق حلم من احلام البشر ، طال الزمان أو قصر .. وان غداً لناظره قريب .

د . عبد المحسن صالح



الدور الشاهدة على الماضى التليد المعاش فى مدينة فاس والحاضر المتجدد

# فاس

## مدينة لا تبوح بأسرارها إلا للمحبّين!

بقلم وعدسة: إبراهيم الصلحي

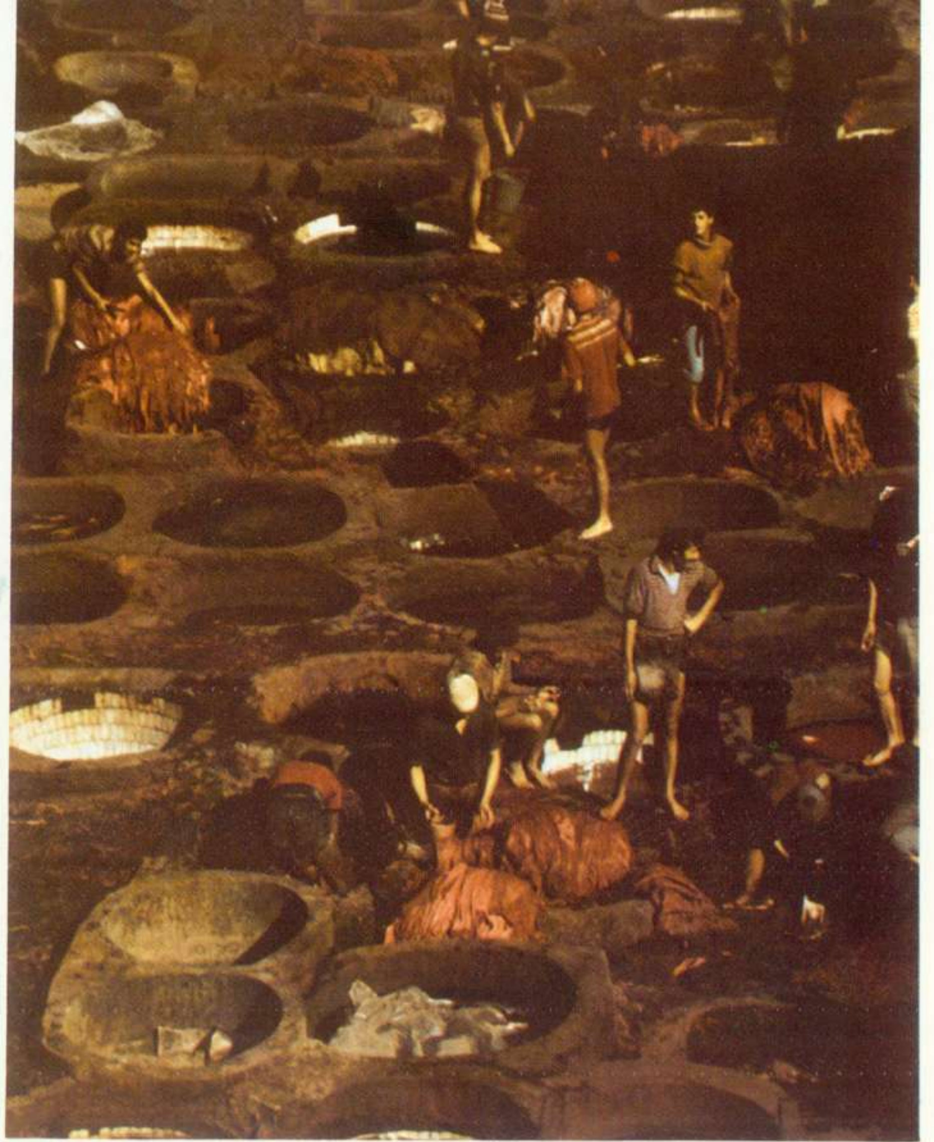
كان من بين ما يحكى لنا ، ونحن صغار ، عن مدينة فاس ، عبارة تقول أن ليس وراءها ناس ، وانطبعت فى أذهاننا تبعاً لذلك صورة رهيبة ظلت تنعكس على مر الأيام فى مخيلتنا شبحاً مبهماً لمدينة تعبق حواشيها بالغموض ، ذات أسرار وألواح ودسر ، تربض كأبى الهول عند حافة بحر الظلمات ، نهاية الدنيا والعالمين .حيث المخاطر جمة والأهوال ، الذاهب نحوها لا محالة هالك مفقود ، والعائد منها مولود، وأى مولود تذبح له الذبائح ، وتقام لشأنه الولائم حمداً على سلامة العودة والوصول .

ومرت أيام وأعوام ودهور ، حلقت بعدها طائراً على بحر شديد الزرقة مشمس مضيء ، تلت حافته المعمورة ، حيث السهول ثم التلال فالجبال والوديان الخضر ، ثم هُبطَ بنا أرضاً يفوح منها البشر والخصوبَة ، ثرة معطاءة ذات أريج ومروج تجود بالكرْم والتمور والتين والبرتقال والزيتون .

ودلفنا الى داخل المدينة راكبين ، طالعتنا عند فاس الجديدة ، اعلام العرب ترفرف عالية كعهدها خفاقة ،



دروب مدينة فاس القديمة تواصل الحياة والشباب المتجدد والعمل



سوق الصباغين حيث أفواه المشاغل كالكهوف التى يأتيك صوت المياه من أعماقها .. وفى اللقطة الأخرى فاس الحديثة برونقها وجمالها



**والدور والأشجار والحدائق الغناء والطرقات واللافتات كلها أهل وسهل للوافدين تحية « لا بأس ـ لا بأس » وكيف البأس ونحن هنا فى جنة من جنات الله فى أرضه . تزخر بالخير والخيرات وبالرجال والنساء وبالشباب العامل والأطفال ، العمامة والبرنس والقلنسوة والجلابة والبلغة والسترة**



أعمال النحاس المطروق الذى تدقه آلاف المطارق

# فاس

والجينز ، بالماضى التليد المعاش ، والحاضر المتجدد ، الكل فى حركة دؤوب سلسلة من الهمة والنشاط والعمل .

## الحبيب العائد

فى وسط هذا الزخم الحركى وقفت أبحث عمن يرشدنى الى الاسطورية فاس اخت مراكش ومكناس ، ولم أعدم من يتوقف لحظة ليدلنى مؤكداً أنها حية موجودة ترزق ، على مسـيرة خمس كيلومترات فقط لا أكثر ، هى تقرينى السلام ، والطريق اليها سالم آمن معبد .

ولم أضع وقتاً بشروق شمس يومى الأول بالجديدة فاس . حملت الكاميرا وتزودت بما تيسر لنا من الأفلام . وتوجهت والشوق يهز جوانحى . أول الطريق اتساع ثم يضيق ، يتلوى بين التلال والزروع وافرع النهر ، يتعرج بين الجسور والقلاع والأسوار ، ثم يضيق اكثر فأكثر ، والدور شواهد تعلو على الجانبين ، ثم ينكشف الضيق فجأة عن ساحة متسعة الأرجاء نوعاً ما ، توقفت فى حدها السيارات والاتوبيسات . يقال لك ها انت وفاس التاريخ ، ولتبدأ بعدها مسيرة الأرجل !

تلفت حولى فلم أر سوى جدران ، رؤوس التلال من خلفها تكاد تناطح السماء . لا يطالعك من الدور سوى نوافذ صغيرة بلا أبواب ، أعين وجوهها ملثمة منظر رهيب كنهه لا ولن يدرك لأول وهلة .

ينتابك الشعور الغريب بأن شيئاً ما فى هذه المدينة قد اشاح عنك بوجهه الترحاب . أولاك ظهره ولكن .. فى حياء وترقب وخفر ، تكاد تسمع الترداد بعد أن أضحت قريبة منك « هل أنت الغريب الحبيب الغائب العائد المنتظر ، هـل أنت .... » والصدى فى تكرار رتيب همساً يجيب « المدن القديمة لا تبوح بأسرارها الا للمحبين ، أهل العشق والشوق والهوى » .

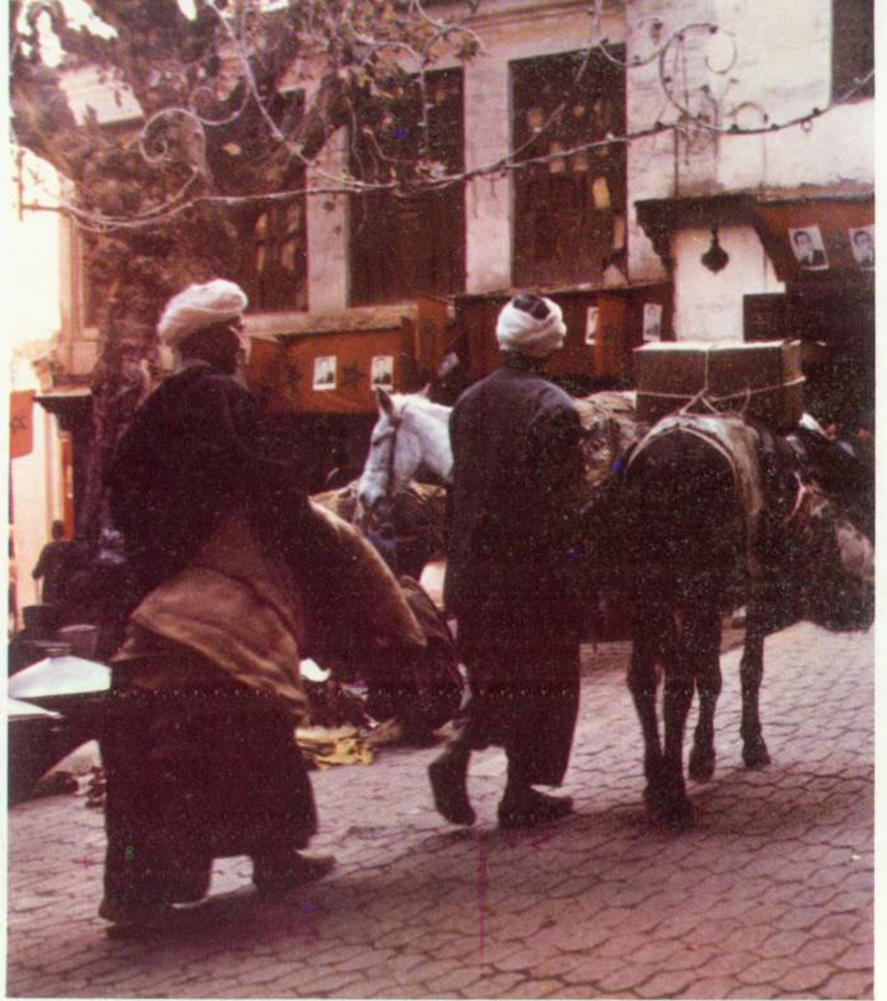
فاسائل نفسي ، من أين البدء وأنا بين ظهرين من فاس .

الدليل السياحى باختصار يقول ان اسمها مشتق من فأس وجد عند حفر الأساس ، وفى رواية أخرى أكثر تفصيلا يقولون انه كان من ذهب خالص ، أهداه سكان المدينة الأول إلى مؤسسها ومشيد عمرانها المولى ادريس الأول قرابة ألف ومائتى عام مضى ، ولا تزال دورها ودروبها المرصوفة وأسوارها وقنواتها قائمة تجارى الزمن على الضفة اليمنى من وادى نهر فاس ، ثم جاء عهد ابنه المولى ادريس الثانى فبنى عام ٨٠٨ م ، على الضفة اليسرى مدينة أخرى اسماها العالية ومع مرور الزمن قدم آلاف المسلمين من الأندلس واستوطنوا مدينة ادريس الأول والتى عرفت فيما بعد « بعدوة الأندلس » توالت بعدها موجات اثر موجات قدمت من القيروان واناخت رواحلها بالعالية ومن ثم تسميتها « بعدوة القرويين » وتكون من العدوتين معاً مدينة فاس ، مركز الاشعاع الثقافى والدينى فى البلاد منذ نشأتها ، الى أن هجرها المرابطون والموحدون الى مراكش حينا من الدهر ثم عاد إليها أوجها عاصمة للبلاد عام ١٢٥٠ م . إبان فترة دولة المرينيين ، وشهدت فاس توسعاً مضطرداً واشراقة كبرى بفضل مدارسها وجامعاتها الشهيرة علاوة على سمعة تجارية وصناعية ركينة ذات منتوج رفيع المستوى ، وجمال مآثر تاريخية لا تزال قائمة تحكى من المجد تليده ومن العمر مديده أو كما يرى .

## صرخة الألوان

بقعة مباركة ، لله در من اختارها موقعاً ، مناخها اللطف بعينه ، خصيبة التربة سهلة الرى ، كثيرة المياه ، تنحدر إليها صافية من محابس فى أعلى الوادى نافذة عبر أنابيب قدت مراقدها فى الصخر ، تتخلل الدور والحارات والدروب والأزقة ، تغشى الأسواق والحوانيت والمشاغل والمصابغ والمدابغ رياً وطهراً .

ومع الماء دخلت الى باطن فاس ، ولجت من باب على جدار قصير القامة ، سبقتنى إليه بغال هى فى حجم الأسطورة ، ضخمة الكراديس خرافية والحمير المحملة والراجلة .



عندما دخلت إلى قلب فاس من باب على جدار قصير القامة

أول الدرب صمت وهدوء مشكل الألوان مزدحم الجنبات، باعة ومتاجراً وبضاعة معروضة، ويقود آخره إلى قنطرة احدودب العود منها وانحني، تفتحت بعدها القماقم دفعة واحدة، فورة بالحياة تنبض، وتدق آلاف المطارق مرعدة مشقشقة، الكير والنار لها اوار، يطقطق منها الشرر، ودخان يتصاعد فى كل مكان بساحة الصفارين. أعمال الفضة المجلية، والنحاس المطروق والمباخر والأباريق والقدور، تباين الحجم منها واللون فيها والصور.

وأخذت ميسرتى بسوق الصابغين على مهل، الدرب فيها هابط وصاعد وهابط بلا درج، والماء يجرى ويسيل من كل صوب وحدب، وعلى الجنبين افواه المشاغل كالكهوف، يرهقها ظلام، داكنة يأتيك صوت الماء قادماً من الأعماق والأيدى عليه عاملة، والماء يعرف كيف يجتذب السمع، لتطل فى العتمة، الأحمر القانى ولون البرتقال، والأصفر الفاقع والأخضر الزرعى، والأزرق والبنفسج، خيوط القطن، واصواف الغنم والنسيج والوبر، أشعة تغمر الحارات والطرقات والدواب، تنبع من داخل المشاغل الكهفية.

ظاهر الدور لا يحكى بواطنها، كقشرة الرمان والثمر، اطار القدم ما ظهر، وما بطن .. لا يدانيه لا اللؤلؤ المنثور ولا الياقوت أو المرجان أو العنبر.

الساحات والدروب تتفرع دروباً وساحات أخر، أجوس فيها تائهاً بين مكشوف ومفروش من الطرقات، عرضها لا يزيد عن حمولة بغل، واقتفى الأثر، يقودنى الى حيث تصرخ الألوان فى أحواضها وتشتعل، الناس فيه وجلود البقر والمعيز والغنم لونها الكركم والنيلة والحناء والكبدى ولون الدم، تملأ الساحات بين الجدران، على اسطح الدور شع قوس غنى لقزح. شاهداً للناس والحياة والعمل.

## التراث فى أحضان الوادى

فاس تذكرنى بجدة لى عجوز معمرة، اطال الله عمرها وابقاها، هزم منها الجسد وشاخ، ولكنها تواصل الحياة والشباب المتجدد والعمل، كنا نداعبها بين حين وآخر، بعد أن اغفلت ذاكرتها حساب السنين وعمرت، بقولنا لها ممازحين .. كم عمرك الآن يا جدتى؟ فتقول وكان سمعها كالفرس، مالى وللزمان يا عيال، حسبى انى أعيش واحيا، حسبى وحسبكم انى حية موجودة أرزق، واحمدوا الله على هذا يا عيال: حية موجودة أرزق!

وهكذا حال مدينة فاس القديمة «فاس البالى» كما يسمونها بالمغرب، درة من درر تراثنا العربى الاسلامي، ترقد آمنة مطمئنة في أحضان وادى نهر فاس شامخة تطل من بين اشجار النخيل والزيتون، تعيد الى الأذهان مع الفارق غرناطة الاندلس المفقود، غرناطة اليوم باسبانيا، رغم الروعة وجمال المآثر المصانة، قصور وحدائق ونوافير تغلب عليها برودة متحفية، أما فاس، حجراً هى كانت أم ذهب، فهى التراث المعاش بعينه.

مزيج حضارى متجانس من الماضى والحاضر، شواهد من القرون الوسطى، وسحر اندلسي إلى جوار عصرنا الراهن!

## مازالت حية

ودنت ساعة الرحيل بساحة القرويين فى وسط المدينة الأروقة المظللة، برودة منعشة محببة تعبق بالند والبخور والبركات، أبواب التوبة والطهر والغفران مفتوحة ممهدة، والشمس فى كبد السماء شعاعها الدفىء ينير صحن المسجد، والفسقية العتيقة الماء من حوالها يتناثر، والفسيفساء المصقولة بخطى المحجلين الابرار، والحصائر والأكاليم والزرابى مبثوثة من الحائط الى الحائط تمتد، وأعمدة الخشب والأرابيسك والقيشاني تحتضن الحيطان، والقرميد والسقوفات المزانة بالآيات والخطوط والرسوم الهندسية، وبأصوات المصلين تحية ونافلة، والأذان وقلوب المؤمنين الذاكرين العامرة.

تذكرت قولة جدتى المعمرة وحمدت الله أنها حية موجودة ترزق في الأرض والدنيا من حولها الفانية.

ابراهيم الصلحي



عملية استخراج السم من الثعبان تمهيداً لعمل المصل

## أســــرار عـــالم الثـــعابين!

# ثعابين تذكرها الكتب السماوية

## وقبائل تطلق الثعابين على أطفالها

د. محمد الغباشي ربيع

● مع مسيرة الزواحف التى استطاعت أن تزحف عبر ملايين السنين ضاربة الرقم القياسى فى الصراع من أجل البقاء ، نتحدث عن الزواحف القشرية التى تتمثل فى السحالى والثعابين أو الحيات .

وقد وضعت السحالي والثعابين فى رتبة واحدة ذلك لأن هناك بين النوعين ما يحمل صفات مشتركة ولأن الثعابين انحدرت من أصل السحالى ثم تطورت وأخذت شكلا آخر وطباعاً غير التى عليها السحالى ، وتشعبت الى عدة عائلات تمتاز كل منها بصفات خاصة !

### أنواع الثعابين

والحيات أو الثعابين زاحفات قشرية أجسامها ممطوطة خالية من الأطراف وأحياناً توجد فيها الأطراف الخلفية على هيئة شوكتين على جانبى المجمع ، وليس لها جفون متحركة أو آذان ظاهرة ، وأسنانها مقوسة الى الداخل ، واللسان رفيع مشقوق له غمد فى قاعدة الفم !

وتعتبر الحيات والسحالى أكثر الزواحف المعاصرة عدداً حيث يوجد من الحيات فقط أكثر من ألفى نوع معروف ، وهى تنتشر فى جميع أنحاء العالم إلا أنها تكثر عدداً فى المناطق الاستوائية



الثعابين ذات الأجراس التى تعيش فى الصحارى والبرارى

وتقل فى الأماكن الباردة والمتجمدة !

ولقد نشأت الحيات من مجموعة من السحالى ، خاصة الحفارة التى كانت تعيش قديماً تحت سطح الأرض فى جحور من صنعها .

وعيون الحيات مستديرة وخالية من الجفون المتحركة ، ولكن يوجد عليها غشاء رامش أو الجفن الثالث ، واللسان رفيع مشقوق فى حركة شبه دائمة داخل وخارج الفم وهو عضو للحس وليس للتذوق ، ومن الحيات ما يسمى بالحيات العمى وينتشر معظمها فى المناطق الاستوائية .

وحركة الثعابين أو الحيات تنشأ عن تموجات جانبية يساعدها في ذلك مفاصل خاصة على الأقواس العصبية للفقرات إلى جانب صفائح قشرية على السطح البطنى .

وثعابين البواء والأصلات أنواع بدائية ولها أسنان عديدة وهى غير سامة تعيش عادة فوق الأشجار وتختفى بين النباتات ومنها ما يعرف باسم ( كلبرنيا ) وهى تضم أكثر من ألف نوع كلها غير سامة ويرجع تاريخها الى العصر « الأليجوسينى » ومنها حنش الماء وهو واسع الانتشار .

وفصيلة آكلات البيض من الثعابين تستوطن قارتى آسيا وأفريقيا وهى تتغذى على بيض الكائنات الأخرى .

أما فصيلة الصلال فترجع الى العصر الميوسينى وهى بالغة السمومة وتضم الناشر والبخاخ والبرجيل وغيرها، ومن خواصها نشر العنق للارهاب وبث الرعب فى قلوب أعدائها ..

والحيات البحرية كانت تنتمى إلى فصيلة الصلال وأصبحت فصيلة مستقلة وهى مائية .

والأفاعى تعد من أرقى الحيات منها ذوات الأجراس ومنها الأفعى الأوربية بيروس. وذوات الأجراس تتميز بحلقات قرنية على الذنب مجوفة كالأجراس ينشأ من تداخل بعضها فى البعض الآخر رنين خاص ناتج عن احتكاك تلك الحلقات ببعضها ، ويكون هذا الرنين بمثابة الانذار والتحذير من الاقتراب منها أو محاولة النيل بها ، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه الاعتداء عليها .

والشكل الخارجى للثعابين عادة يتميز بثلاث مناطق هى الرأس والجذع والذنب وإذا تميزت الأعناق عن بعضها فهى عبارة عن الجزء الواقع بين منطقة الرأس والثلث الأول من الجذع ، وتختلف أشكال الثعابين أو الحيات اختلافا بينا ، فقد يكون الجسم اسطوانياً أو مفلطحاً بعض الشىء أو طويلا ضخماً أو رفيعاً أو سميكا قصيراً وأحياناً على درجة من الصغر يصعب معها تمييزه من دودة الأرض ..

ورأس الثعبان مستطيل رفيع أو عريض منبسط أو مستدير قد يكون فى ضخامة الجسم أو أعرض أو أصغر منه

والعيون إما صغيرة تختفى تحت حراشيف شفافة أو متوسطة الحجم أو كبيرة ..

والفم كبير تمتد فتحته إلى خلف العينين ..

والقشور التى تغطى ظهر الثعبان تسمى حراشيف أما التى تحت الذنب وعلى البطن فتسمى صفائح .

وقد يقتصر وجود الأسنان فى بعض الثعابين على أحد الفكين دون الآخر وقد تكون الأسنان ضامرة فى بعض أجناسها وغير موجودة فى البعض الآخر .. والأسنان إما مصمتة أو ذات قناة خارجية أو داخلية وهى عادة مدببة

# أسرار عالم الثعابين!

ومقوسه إلى الداخل ويساعدها هذا الوضع على التحكم فى الفريسة أثناء البلع .

وكثيراً ما يفقد الثعبان أسنانه عند الدفاع عن نفسه أو أثناء البلع ذلك لأنها سهلة الانتزاع ، لكنه يستطيع أن يجدد أنيابه وربما أكثر من مرة طوال حياته .

ويتم زحف الثعبان بتقلص عضلاته القوية فى تموجات منتظمة شمالا ويميناً يساعده فى ذلك مرونة عموده الفقرى ومرونة الضلوع ، والثعبان فى الحالة العادية بطيء الحركة .

وبعد قتل الثعبان يلاحظ أن حركته قد تستمر عدة ساعات حتى ولو فصلت الرأس عن الجسد فان كلا منهما يتحرك ويرجع ذلك إلى قوة العضلات وحيويتها .

وغذاء الثعابين يتكون من الثدييات والطيور والسحالى والضفادع والأسماك وبعضها يأكل البعض الآخر .

الا أن بعض أنواع الثعابين يفضل طعاماً خاصاً، فالأفاعى تفترس صغار القوارض وصغار الطيور وبعض الحشرات . وحنش الماء يأكل الضفادع والأسماك أما الناشر والبرجيل فانهما يفضلان الفئران وأبو السيور يأكل السحالى والباح المصرى يأكل الديدان !

## ابتلاع الفريسة

وعادة فان الثعبان يبتلع الفريسة مبتدءاً برأسها ، وقد يكون حجم الفريسة أكبر من حجم رأس الثعبان وقد تبلغ أحياناً أكثر منه أربع إلى خمس مرات ، لكن الفم فى استطاعته أن يتسع بزاوية قدرها ١٣٥ درجة بمساعدة الغدد اللعابية . وترجع قدرة الفم على الاتساع لعدم وجود تمفصل ثابت بين الفكين العلوى والسفلى إضافة الى أن فرعى الفك الأخير لهما قدرة كبيرة على التباعد الشديد .

والثعابين بعضها يقوم بقتل الفريسة بحقن سمومه فيها قبل بلعها والبعض الآخر يبتلعها وهى على قيد الحياة .. أما الثعابين الكبيرة الحجم فانها تلتف بعضلاتها القوية حول الفريسة وتعتصرها حتى الموت أو فقدان التوازن ثم تقوم ببلعها !

ومع أن عملية بلع الفريسة تستغرق وقتاً طويلا أحياناً إلا ان التنفس فى هذه الحالة يتم بصورة طبيعية ، وذلك بفضل امتداد القصبة الهوائية إلى الأمام ومرونة حركتها .

وقد لا يجد الثعبان طعاماً ما فيستطيع أن يصوم عدة شهور وربما أكثر من سنة فى بعض الأنواع الضخمة والثعابين التى تعيش فى الصحراء تستطيع أن لا تشرب الماء طوال حياتها أما التى تعيش فى الأماكن القريبة من الماء فانها تشربه بكميات كبيرة .

## مواليد خطيرة

والثعابين بعضها يضع البيض والبعض يفقس البيض فى أجسامها وتلد الصغار ، ويتراوح عدد البيض فى الثعابين ما بين ٦ ــ ٤٠ بيضة ، وهو مستطيل نسبياً وقشرته رقيقة عن بيض الطيور ، وبعض الثعابين من فصيلة الأصلات تحتضن البيض ، أما معظم الثعابين فانها تترك البيض للظروف دون أن تبالى به حتى إذا ما فقس اعتمدت الصغار على نفسها فى طفولتها . وتنمو صغار الثعابين بسرعة فائقة فى بداية حياتها ثم يأخذ هذا النمو فى البطء رغم أن الثعبان ينمو طوال حياته !

وصغار الثعابين السامة تخرج من البيض مزودة بالسم والأنياب ، لذا فانها لا تقل خطورة عن آبائها إلا أنها تزداد خطورة كلما يفعت وبلغ بها النضج والتعقل أقصى حدوده !

أما عن صوت الثعبان فهو ليس صوتاً بالمعنى الصحيح لأن الثعبان ليس له أحبال صوتية ، بل ان الثعبان يصدر ما يسمى فحيحا لذا نقول فحيح الثعبان !

## السموم القاتلة

أما سم الثعبان فهو عبارة عن سائل أصفر اللون يتكون من بروتينات سامة تختلف نسبتها باختلاف نوع الثعبان .

ولسم الثعبان تأثير فتاك على ضحاياه حيث أن هذا السم يتكون من عنصرين أساسيين أحدهما يؤثر على الجهاز الدورى فيقوم بتحليل وتدمير الكرات الدموية الحمراء والغشاء المبطن للأوعية الدموية .

والعنصر الثانى يؤثر على الجهاز العصبى وبالتالى الأعصاب الخاصة بالجهاز التنفسي مما يؤدى الى الهبوط التام والشلل وصعوبة التنفس ..

والمعروف أن سم الثعابين ليس له تأثير ضار إذا أخذ عن طريق الجهاز الهضمى ما دام الأخير خالياً من الجروح ويرجع السبب فى ذلك الى تأثير العصارات الهضمية فى ابطال تلك السموم ..



كاتب المقال يمسك الثعابين بعد انتزاع سمها



حيوان المنجوس أثناء قتله للثعبان



أحد الثعابين الضخمة يتربص للفريسة بين الصخور

وسم الثعبان قابل للذوبان فى الماء المقطر أو محلول الملح الفسيولوجى ويكون مع السائل المذيب شكلا هلامياً .

وتفاعل سم الأفاعى حمضى لكن سم الثعابين إما حمضى خفيف أو متعادل وهو يتكون من خمائر ومواد زلالية ومخاطية ودهنية واملاح ، كما أن نسبة الماء به تتراوح بين ٦٥ ـ ٨٥٪ والعناصر التى يتكون منها السم هى الكربون والأزوت والكبريت والزرنيخ .

وعن صناعة مصل الثعابين فانها تتم بعملية ترشيح السم ، ويوضع فى أوان زجاجية داخل جهاز للتجفيف على درجة حرارة ٣٧ درجة ثم تذاب كميات كبيرة من السم فى جلسرين معقم ويحفظ على درجة حرارة ٣٧ درجة لاضعافه الى حد يسمح باستعماله دون خطورة .

وهناك طريقة أخرى (فيتال برازيل) وفيها يتم حقن الخيول بالسم لتوليد الأجسام المضادة والتى تؤخذ بعد ذلك من الدم ويتم معالجتها طبياً لتكون جاهزة للاستعمال !

## الثعابين فى الديانات

والثعابين على الرغم من نعومة ملمسها وجمال منظرها وهى فى بيوتها الزجاجية داخل حدائق الحيوان تبعث فى النفس الاشمئزاز والكراهية ، وعلى الرغم من أنها سجينة داخل هذه البيوت إلا أن القلب يهتز لها فزعاً ، ولعل السر فى ذلك يرجع إلى الاعتقادات السائدة التى تناقلها الناس جيلا بعد جيل عن خطورتها وفتكها !

وقد يكون ذلك راجعاً إلى طبيعة شكلها وحركة ألسنتها الدائمة السريعة واعتقاد البعض خطأ أنها أعضاء اللدغ وبث السموم .

والحقيقة أن تلك المخلوقات بعضها سام والبعض الآخر غير سام وأنها جميعاً رغم ضخامتها تفزع منا نحن البشر ولا تحاول إيذاء أحد إلا إذا اضطرتها الظروف إلى ايذائه دفاعاً عن نفسها !

ولقد وردت الثعابين والحيات فى الكتب السماوية وفى الديانات على اختلافها ، وكذلك فى الكتب العلمية والأدبية فهناك حية آدم عليه السلام ، وعصا موسى عليه السلام ، وثعبان كليوباترا ، واله الطب عند اليونان يحمل عصا ملتفة عليها أفعى ، وقد صنع عقد الآلهة مينرفا من صور الأفاعى وكذا رأس ميدوزا اله الانتقام معصوب بها ، وكان قدماء المصريين يعبدون الناشر المصرى المعروف !

ولقد حظيت الثعابين بضروب كثيرة من الخرافات والحكايات القديمة فقد روى بلوتارك المؤرخ الرومانى أن السلر وهى قبيلة من القبائل البائدة كان لرجالها مناعة طبيعية موروثة ضد سم الثعابين وكانوا يحافظون على طهارة أصلابهم فلا يسمحون لنسائهم أن يتزوجن أو يعرفن رجالا من غيرهم ، وكانوا إذا ما أرادوا أن يتأكدوا من هذه الطهارة أطلقوا الأفاعى أو الثعابين على أولادهم حين ولادتهم فاذ قتل أحد الأطفال حكموا على أمه بالخيانة !!!

# أسرار عالم الثعابين!



ثعبان الكورال السام
الذى يعشق القتل !

ويعتقد بعضنا أن الحواة لديهم من السحر والقوة ما يسلطونها على الثعابين ، ففى الهند يمر الحواة بالناشر الهندى ومعه العصا والمزمار فيظل يداعبه بالعصا ويروضه بها إلى أن يناله التعب والارهاق وهو يطلق مزماره فيهدأ الثعبان ويسكن ويعتقد المتفرجون أن الثعبان لا يلدغ الحاوى خوفاً منه أو أنه واقع تحت السحر ولكن الحقيقة أن الثعبان قد أفرغ سمه فى العصا أثناء المداعبة وكثيراً ما ذهب هؤلاء الحواة ضحية لهذه الرياضة القاتلة . ومثل الحواة فى الهند الحواة فى بعض البلدان العربية والذين يتخذون من الثعابين سركا متحركاً لعرض بعض الألعاب الشيقة ومعظم تلك الثعابين هى من الأنواع غير السامة والتى لا تشكل أية خطورة على حامليها .

ومن السهل جداً القبض على الثعابين وتفادى سمومها ، ولكن يستلزم ذلك شيئاً من الشجاعة والحذر مع المهارة ، بالاضافة إلى أن الثعبان كثيراً ما يعتريه الذعر والخوف المفاجىء من هجوم صياده !

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن سلط بعض مخلوقاته على بعض حتى لا تكتظ بها الأرض .

فالثعابين برغم ما هو مشهور عنها من عداء للمخلوقات الأخرى فان لها أعداء تتربص بها وتبحث عنها من مكان إلى مكان ، واذا ما وجدتها فانها تنقض عليها لتقتلها وتفتك بها دون أن تجد لذلك مخرجاً ، ومن الغريب أن من بعضها ما سلط عليها ، فالناشر البنغالى الذى يطلق عليه فى الهند ( ملك الحيات ) لا يجد أشهى وألذ عنده من أن يلتهم ثعباناً من الثعابين !

وثعبان المصرانا وإن كان هذا الثعبان غير سام فان غذاءه الوحيد الثعابين الأخرى التى يقتلها أولا ثم يبتلعها غذاء شهياً مريا ـ والمصرانا يعتبر من الحيات الأليفة فى البرازيل حيث يربيها بعض الناس لحراسة بيوتهم وتنظيفها من الثعابين الضارة .

وثعبان الخضارى لا يقتصر فى غذائه على القوارض بل يطيب له مبارزة الثعابين الأخرى التى تكون فى النهاية فريسته المفضلة بعد أن يشل حركتها بسمه الزعاف ، ولديه من المكر والخداع ما يؤهله إلى ذلك فهو يعيش على الأشجار مختفياً بين أوراقها ، يساعده على ذلك لونه الأخضر المشرب بصفرة ، إلى أن تحل أمامه الفريسة وهى احدى الثعابين الأخرى فتكون النهاية ، لكن القصة لا تنتهى فربما هناك من يتربص بثعبان الخضارى ليلتهمه ويكون بذلك قد فاز بالفريسة وقانصها .

أما أبو السيور الغيطى فهو ثعبان شرس جرىء سريع الحركة مراوغ من الدرجة الأولى ، وإذا ما رأى حية الغريبة وهى قاتلة انقض عليها والتف حولها ليعتصرها بعضلاته حتى يقتلها ثم يلتهمها .

وأحياناً يقع أكبر الثعابين وأخطرها فريسة لجماعة من النمل تتسلق جسده وتقوم بالاعتداء عله فتشبعه لسعاً حتى الموت وتتغذى عليه ولا تبقى منه إلا عظامه !!

وهناك نوع من الطفيليات الخارجية يشبه القراد يصيب الثعابين ويعيش على أجسامها ويمتص دماءها ولا يفارقها إلا عندما تجف الدماء فى عروقها .

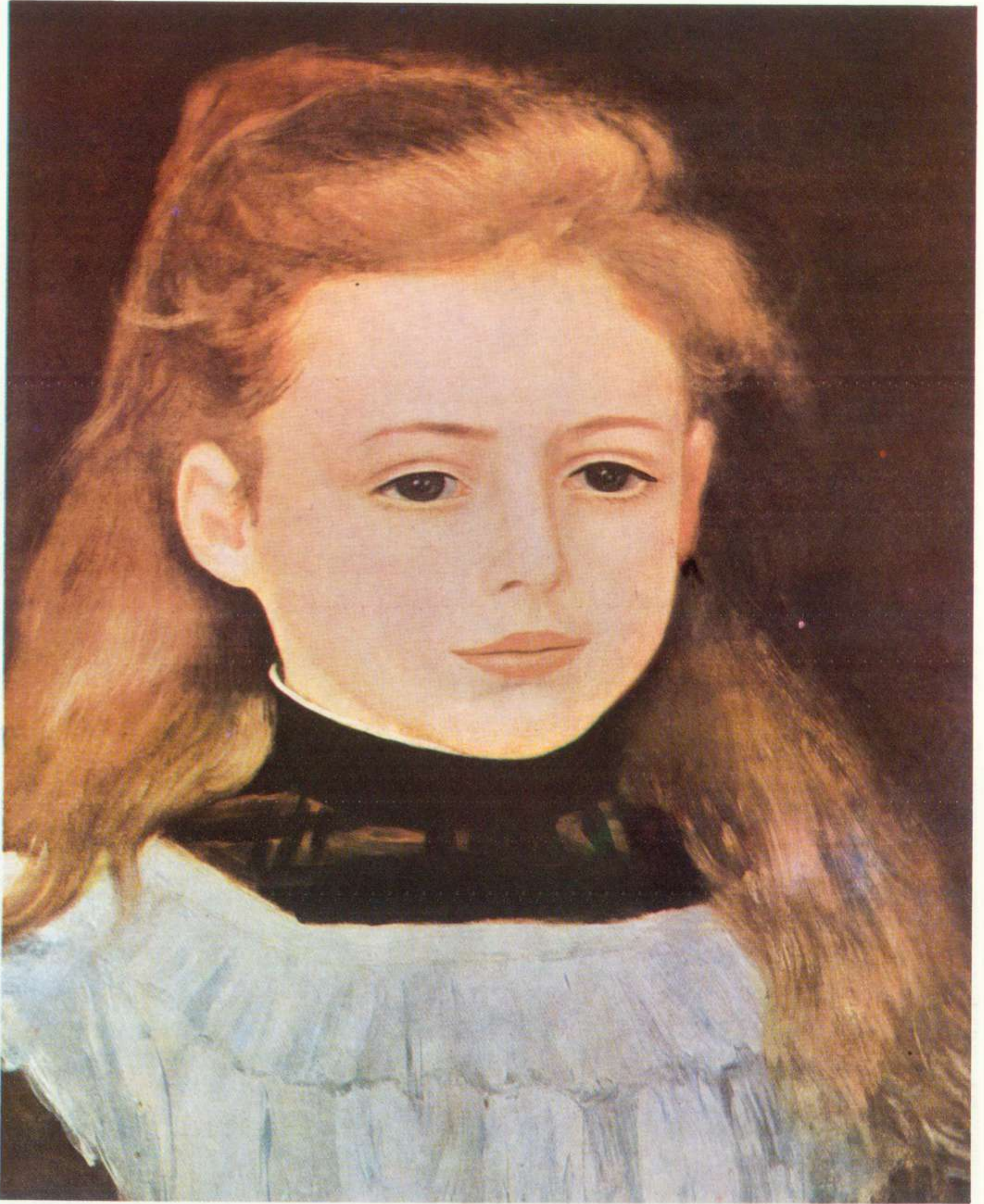
ومن أعداء الثعابين أيضاً القنفذ وابن عرس وحيوان أبو منتن والنمس المصرى والثعلب وحتى الغربان والصقور والنسور وعلى الباغى دائماً تدور الدوائر !

أما الانسان فهو يعتبر من ألد أعداء الثعابين ، فهو يستخدم عقله وعلمه وقوته فى إبادتها ، بل وتفنن فى أساليب القضاء عليها بدراسة بيئتها وأنواعها والتفريق بين الضار وغير الضار منها !

والانسان معذور فى عدائه للثعابين ، فهى كثيراً ما تقوم بالاعتداء عليه أو على حيواناته أو طيوره كلما اضطرتها الظروف إلى ذلك ، لكن الثعابين ليست مخلوقات عديمة الفائدة كما يتراءى للبعض منا ، فهى تتغذى على الفئران وتحد من انتشارها وكذا بعض الحشرات الضارة ولا ننسى ان من جلود بعض الثعابين نصنع أجود أنواع الأحذية والأحزمة وحقائب السيدات ، والغريب أن هناك أنواعاً من الثعابين الضخمة تؤكل لحومها ..

ومن كل ذلك ندرك كيف أن عالم الثعابين ملىء بالخفايا والأسرار والحكايات التى ليس لها أول من آخر !

د. محمد الغباشى ربيع



من روائـــع الفـــن العـــالمي

● وجـــه « لوتشـــيا بيـــرارد » ـ ١٨٨٤
● من أعمال الفنـــان : بيير أوجست رينـــوار ـ فنان فرنسى عاش فى الفترة ما بين ( ١٨٤١ ـ ١٩١٩ )

# العشرة الزوجية
## في عالم الطيور والحيوان

بقلم: الدكتور عزالدين فــراج

كل من راقب الحمام وتفهم غــرائزه وطبائعه ، عده من أكثر الطيور اخلاصاً ووفاء لأنثاه ، فهو فى الغالب يحتضن انثى معينة ، ولا يسعى غالباً الى استبدالها الا إذا فقدها .. فمن حقه اذن أن يختال فخوراً بما أنعم الله عليه بنعمة الوفاء والاخلاص .. هذا فضلا عما يبديه الذكر من ضروب التعاون مع انثاه ، فهو يتعاون معها على أعباء الحياة ، ويشتركان معاً فى بناء عشهما ، والرقاد على البيض وحضانة صغارهما حتى تكبر .

يتعاون ذكر الحمام مع أنثاه على بناء العش ، فيجمع الذكر لها العيدان ، وتتولى الأنثى نسج هذا العش واعداده ويعض الذكور أحسن همة من بعضها فى جلب أعواد هذا العش ، وبعضها يقنع بالقليل منها . سواء أقلت كمية الأعواد أم كثرت ، فهو يغتبط بما حمل بالترجيع والتودد الى صاحبته ، وكأنه يحدثها بما لقيه من جهد عند البحث عن هذه الأعواد .

وقد لا ترضى الأنثى عن هذه الأعواد ، ولكن تأبى ان تغضب أليفها وقرينها ، فتبذل جهدها فى ثني هذه الأعواد .

ويأبى ذكر الحمام ان يلقى عبء حضانة البيض والرقاد على الانثى وحدها .. لهذا وزعت فترة الحضانة بين الذكر والأنثى توزيعا دقيقاً ، فترقد الأم

على البيض من الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر الى العاشرة من صباح اليوم التالى ، وفى خلال هذه الفترة نرى الذكر يختال ويهدل ليثير اهتمام زوجته .





حياة قصيرة وأجيال جديدة من النحل

يعتبر الحمام من أكثر الطيور اخلاصا لأنثاه



واذا ما حلت الساعة الحادية عشر جاء دور الذكر فى الحضانة والرقاد .. وبذلك يتاح لانثاه أن تنشر جناحيها وأن تلتقط بعض الحب .

وليست ظاهرة التعاون بين الذكر والأنثى خاصة ببعض الطيور والثدييات بل تجدها أيضاً عند بعض الاسماك ، حيث نجد الذكر يبنى لانثاه عشاً تبيض فيه ، ثم يقوم هو من بعد ذلك بتعهد هذا البيض بالعناية والرعاية ، بأن يقف عند مدخل هذا العش يحرك زعانفه الصدرية محدثاً تيارات مائية لتجديد الماء المحيط بالبيض . وحركة تجديد الماء هذه عملية هامة ، من شأنها أن تزيل ما يعلق بسطح البيض من رمال وطحالب تعوق نمو الأجنة بداخلها . وفى أنواع أخرى من الأسماك لا تجد الذكر يعين أنثاه على فقس البيض وحضانته فحسب ، بل يسعى لجلب الغذاء لصغاره من بعد هذا الفقس كما فى الرسم .

والعشرة الزوجية عند الحيوان لا تخلو من غيرة الاناث على ذكورها .. فهى فى هذا الصدد كالانسان تماماً . حتى فى الحمام نفسه الذى يعد أكثر الطيور وفاء لاناثه ، لوحظت عنده بعض مظاهر هذه الغيرة . وقد وصف « ت. ماكيان داونز » أحد غواة حمام السباق بخبراته مظهراً من مظاهر هذه الغيرة عند اناث الحمام فقال :

« قد يكون بجوار ذكور الحمام حمامة أو أكثر لا أليف لها ، فتكون فتنة للازواج وقد يحدث أحياناً عند الحمام وهذا نادراً أن يخلو الذكر فى ساعات راحته باحدى هذه الحمائم العزاب التى لا أزواج لها ..



الأمومة فى الحيوان

ولكن أنثاه الغيور تترقبه وتلحظه ، فان رأت زوجها قد جاوز حدود الغزل ، انقضت كالصاعقة وراحت تنقر تلك الانثى الدخيلة ،لتبعدها عن هذا الزوج الحبيب» .

وقد لوحظت مظاهر الغيرة الزوجية أيضاً عند حمام الزاجل ، فاستغلها المربون فى زيادة سرعة طيرانه .. وذلك بوضع ذكر غريب فى قفص الانثى قبل انطلاق زوجها برسالته ، فكان هذا الزوج الغيور يعود من مهمته فى ثلاثة أرباع المدة التى كان يعود فيها من قبل ، خشية ان يجد أنثاه فى احضان هذا الذكر الجديد .

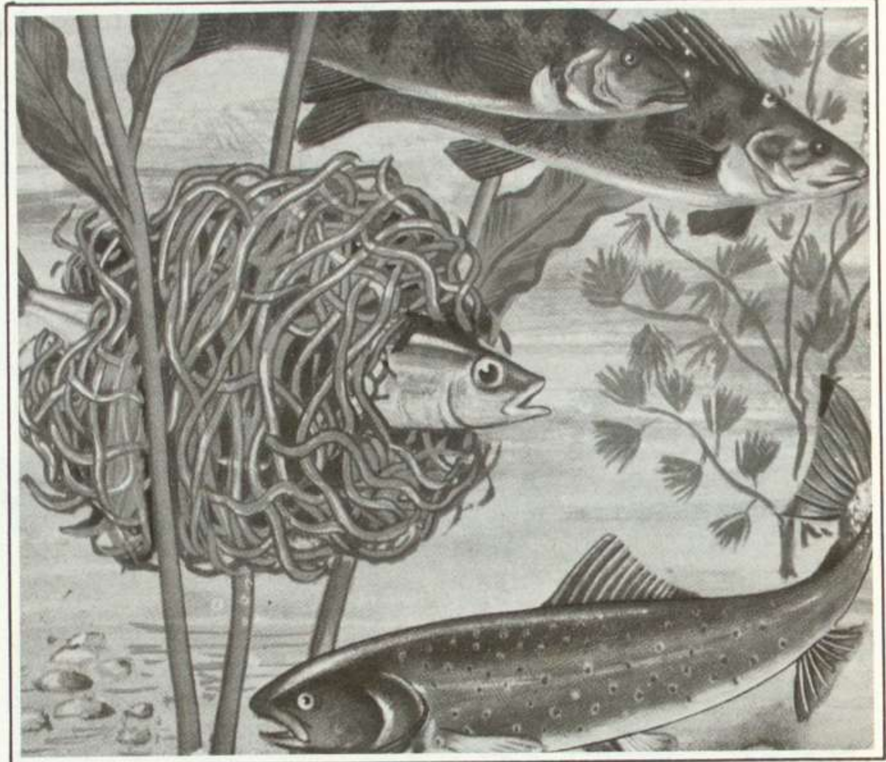
والعشرة الزوجية قد تطول عند بعض الحيوانات الثديية ، وتقصر عند بعض الحشرات ، حتى تصل الى لحظات غاية فى القصر ، كما هو الحال بين ملكة النحل وأحد ذكور خليتها .

وتأبى ملكة النحل أن تزف بين رعيتها فى الخلية .. ولا ترضى الا بزفاف فى اجواز الفضاء . حيث تنطلق فى يوم تختاره مناسباً لها الى قبة السماء الزرقاء ، وينطلق من ورائها ذكور الخلية كل يود اللحاق بها . ولكن سرعان ما ترتد الذكور الضعيفة والمسنة والجائعة . وكلما ازدادت الملكة صعوداً فى السماء لزداد عدد المتخلفين عن ركبها ، والعاجزين عن اللحاق بها ، وأخيراً يدركها أقوى الذكور ، فيمضيان معاً ثم يدوران متشابكين .. واذا بالعشرة الزوجية التى رأيناها تطول الى سنين عند بعض الطيور ، قد استحالت الى لحظات قصيرة من نشوة ووصال وتزاوج .

ولا يكاد يتم اجتماعهما ، حتى تنزع الملكة جهاز التذكير من جسم الذكر وتجر معه ما فى احشائه ، فيتراخى جناحاه ، وكأن صاعقة أصابته فيسقط جسمه ويلاقى حتفه ، وتهبط الملكة بعد ذلك من السماء ، وترجع إلى خليتها وقد أعطاها الذكر كل ما عنده ، وكل ما تخصب به بيضها ، وكل ما يحقق البقاء ويحفظ النوع .

د . عز الدين فراج

الذكر والأنثى فى الأسماك يتعاونان على رعاية البيض والصغار





عـــزف منفـــرد في رحـــلة يونانيـــة

# ليلة السبت في أثينا

## نزيـف الحنـاجـر فـوق الأسطـح!

بقلم: مفـيـد فوزي

— ١ —

إما أن ترى أو .. تموت !

حكمة قديمة قالها عاشق صبابة للسفر ، ومن يدرى ، لعل قائلها مسافر ذاق متعة الترحال ولم تتعب بعد حقائبه من السفر . فالذى يسافر ، يرى ! وفى الحقيقة ، تستقبل « بصيرته » صور الكون ربما قبل « بصره » .

وكان الفليسوف برتراند راسل يعتقد أن «الاسفار كتب حية» .

وهذه عبارة اصابت كبد الحقيقة كما يقولون . فالسفر رؤية . وبدون رؤية ومعايشة ، يظل الكتب شديد الجفاف !

وأنا طفل ، كنت أكره حصة الجغرافيا لانى لم أتعود أن ارسم الخرائط باتقان ، وكان نصيبى الضرب بالمسطرة فى ايام البرد الشديد .

كنت أتعذب ولكن احساساً خفيفاً يبدد عذابى ، كان حلماً من أحلام اليقظة انه يوماً ما ، سوف امسك بيدى «تعاريج» هذه الخرائط .. وتطأ قدمى ، هذه الأرض ، وأهتف كما صاح ارشميدس «وجدتها» ، يوماً ما ، سوف أحقق هذا الحلم ، لن ارسم الخرائط .. ولكنى سوف اعانقها وتحضنها عيناى !

— ٢ —

منطلقاً من هذا الايمان بأهمية الرؤية حزمت امتعتى وتخففت من كل شىء الا من «مال» يكفينى ويسلحنى ضد المجهول وركبت طائرة نيتها .. اليونان ! لماذا اليونان ؟ لانها أرض ، أجد فيها نفسى . زرت أوروبا أو معظمها ، فاكتشفت اننى فى اليونان ، أعيش طفولتى وصباى . ماذا منها على وجه التحديد ؟ لاأدرى . ربما علاقة كيميائية بين الانسان والمكان تنمو دون أن تخضع للتحليل ! ان للفليسوف المعاصر أرثر ميللر قولا دقيقاً انه يرى اية معادلة من الفهم تنشأ بين الانسان والجدران لابد أنها تعود الى طفولته البعيدة لو رغبنا فى التأصيل . ! ربما كان فى طفولتى ما يجعلنى اهفو الى هذه الجزر الموغلة فى القدم . هل هو عطر التاريخ ؟ هل هو مذاق الحكمة بوصفها أرض فلسفات ؟ هل هى حزام الزيتون ، كما كان يسميها أحد قادة حلف الاطلنطى فى الخمسينات ؟ ربما !!

ولكنى حزمت أمتعتى .. ومضيت !



منظر عام لمدينة أثينا من الأكروبول .. وقد اختارها اليونانيون كعاصمة فى عام ١٨٣٤ ميلادية

— ٣ —

لقد ظل مؤرخو الغرب لفترة طويلة يعتقدون أن مهد المدنية الغربية كان أرض اليونان ، ولكنهم اكتشفوا فيما بعد أن المدنية رأت أول مارأت النور ، هناك على ضفاف النيل .. ودجلة !

إن مؤرخاً مثل جورج سارتون .. يعتقد أن الدارسين وقعوا فى خطأ كبير عندما تصوروا أن «العلم» كان مهده اليونان ، و «الدين» كان مهده فلسطين . ويستطرد جورج سارتون فيقول : واقع الأمر أن العلم اليونانى لم يكن بدءا لحركة علمية ولكن كان ذروة لجهود علمية ترجع الى ما قبل ألف عام . فهناك رسائل مصرية فى الرياضيات والطب تعود الى القرن السابع عشر . لقد تعود أطباؤنا أن يسموا ابو قراط «ابو الطب» .. ولكن من الخير والانصاف أن يذكروا أن "ابو قراط" .. ليس رأس الطب ولكنه يقف فى منتصف تاريخ الطب بين امحوتب وبيننا !

كان امحوتب وزير فرعون سوسر وطبيبه ، واشتغل بالطب فى مصر من القرن الثلاثين قبل الميلاد !

ان هناك علاقة «مصاهرة» بين

الحضارتين المصرية واليونانية . فقد زار هيرودوت مصر وكتب نشيداً بفضل الحضارة المصرية على اليونان

بعضاً من التاريخ ، وأنا أمضى الى أرض المعارف . ان الفلسفة هى خير ما ابتدعه العقل اليونانى ، وكانت الحضارة الأغريقية الخلاقة معيناً فياضاً نهلت منه الأمم من شتى مشارق الأرض ومغاربها .

ومن ينسى أن الأغريق ، كان أول شعب نادى بالحرية الفردية . من هناك خرجت للدنيا كلمة «ديمقراطية» .

— ٤ —

العاصمة اليونانية المعاصرة أثينا ، صارت كعواصم العالم ، لها وجه سياحى خلاب ! فهناك اثينا ، الفكر والذهن المشتعل ، وهناك اثينا السياحة والبحث عن الدولار بين الجيوب وحقائب السفر !

فى اثينا القديمة كان سقراط يسير فى الطرقات ويتحدث مع الناس ويجادلهم الى أن يقودهم الى الصواب ! فى اثينا اليوم يجوب الطرقات بشر يتحدثون همساً مع الناس ، يحاولون اقناعهم ليقودوهم الى الخطأ ! هؤلاء يميزون وجوه الغرباء مثلى فى ثوان وبلا أى جهد ! فالغريب يتطلع بنظرة الى كل شىء لانه لم يفقد بعد اللهفة الى رؤية الاشياء .

فى أثينا القديمة ، لم يكن التعليم مقصوراً على دور خاصة .. بل كانت في المجتمعات والاسواق .. والملاعب وفى الاجتماعات السياسية والمسارح وفى الاماكن العامة كانت تروى اشعار «هومير» لقد هيأ المناخ المعتدل استثمار «الخلاء» وربما كان هذا من أقوى عوامل الديمقراطية .. وشىء آخر ، لعله فن التمثيل !

وفى اثينا اليوم شاعر تعدى التسعين يقول «ما كانت اثينا تصل الى هذا المجد ، لو أن أهلها التصقوا بجدران بيوتهم» .

يقول ليتليسيس ، الذى حصل على جائزة نوبل منذ ٥ سنوات فى قصيدة من أشهر قصائده «نعى .. لاثينا القديمة» !

إن الشاعر اليونانى المعمر لايحب الوجه السياحى لاثينا . يقول انها تطمس ماضى هذه المدينة بالتراب والوحل !

— ٥ —

ليلة السبت فى أوروبا ، ليلة مثيرة كلها صخب .. وسمر وسهر ربما حتى الفجر ، فى لندن يسهرون فى حى سوهو . فى باريس يسهرون فى الحى اللاتينى . فى امستردام يسهرون فى حى العائلات الذى لايمت بالطبع لأى جو عائلى ! فى اليونان ، وفى اثينا بالذات يسهرون فى البلاكا . الحى القديم الضيق الحوارى !

البلاكا ، كلمة يونانية فشلت فى معرفة معناها ، لكن كل الذين سألتهم قالوا إن معناها شىء يمت بصلة للمرح ! ولست أنوى دراسة الادب اليونانى لأرهق نفسى فى التوصل لمعناها .. ولكن يكفينى أنها بالفعل لها دلاله المرح والفرح ! ففى البلاكا ، يرقص الناس فيتحررون من همومهم . قال مرة انطونى كوين «الرقص اليونانى يجعلنى افقد نصف وزنى من همومى الروحية الخاصة ...» .

لايغار من شهرة اثينا — اليوم — الا جزيرة كريت . اقدم جزر اليونان . لماذا ؟ لأن لجزيرة كريت تاريخاً لقد نشأت أول حضارة للاغريق فى جزيرة كريت ومنها انتقلت الى جزائر بحر الأرخبيل والى جنوب ووسط اليونان وسواحل آسيا الصغرى . وبين انقاض كريت ، ما يدل على هذا التاريخ . حتى أن الكريتيين القدماء كانوا يعرفون نوعاً من الكتابة لم يستدل أحد على فهم رموزها حتى الآن !

إن «مينوس» كان أول ملوك كريت وكان له اسطول كبير جعلها تهيمن على المياه الأغريقية . وهناك اسطورة تقول أن الاثينيين فى وقت سيطرتها عليهم كانوا يرسلون كل عام سبعة شباب وسبع فتيات الى ملك كريت قرباناً لوحش يسمى المينكور .. وكان هذا الوحش فى قبو القبة بقصر الملك .. وكان القصر كثير الردهات والممرات التى يضل فيها الانسان !!!

— ٦ —

ولا تزال جزيرة كريت تحتفظ بعفافها القديم وترفض أن تهتكه للسياحة ، مهما كان الاغراء . انها كما يقول الشاعر الأردني حيدر محمود « سافرت فـي الحضارة وحافظت على ثوبها المطرز » !

تغار كريت من شهرة اثينا ، ولكنها ترفض أن تسير على نهجها ! .

فى البلاكا ، قابلت اسرة قادمة من كريت . جلست تستمع للغناء اليوناني باحساس الضيق والتبرم ! قال رب العائلة الكريتى .. أثينا تنزف من أجل دولار الغرباء .

وعندما يلمح مغنى البلاكا ، اسرة من كريت ، فانه يعتذر قبل الغناء لها كأنه يريد أن يقدم لهم فناً أصيلا .. ولا يستطيع . كأنه يريد أن يقول هـذا الفن ليس لكم .. ولكن للسياح ! وسمعت من يقول أن الانسان الكريتى له ذوق حساس للغاية . وعندما ذهب ديميس روسوس ليغنى مرة فى جزيرة كريت ، وقف يقول .. ها أنا استعد للامتحان ..!

ويبدو أن الكرايته اعجبهم هذا الاستهلال وهذا الاعتراف بخطورة ذوقهم فصفقوا له كثيراً خصوصاً عندما غنى اغنيته الشهيرة .. زوجه من كريت تساوى كل الرجال .. ! وفى الأغنية عبارة تقول .. ما أحلى انتظار الزوجة المخلصة للرجل العائد من رحلة مجد أو تعب .. هكذا تصف الأغنية المراة فى الجزيرة القديمة !

— ٧ —

حى البلاكا .. من أغرب أحياء اليونان وأوربا عموماً . أنه حى الغناء حتى الموت والرقص حتى الموت ! لاشىء معقول . لاشىء وسط . فى الصيف ، تكون عروض الرقص والغناء فوق اسطح العمارات . وفى الشتاء ، يهبطون الى الأدوار السفلى ! أحياناً يغطون الاسطح بطريقة لاتسمح للبرد أن يتسلل أو للامطار أن تقلق الزوار وتعكر صفوهم . ويمضى الليل وتستقبل أذنك زئيراً . بل نزيف

● المغني اليوناني يبكي شجرة زيتون .. كما ينتحب على حُب ضاع !

حناجر .. ويخيل اليك أن الدماء سوف تسيل بعد قليل ! فالذى يغنى يكاد يموت ! انه يغنى أحياناً من أجل شجرة زيتون .. وتتصور من فرط النجوى والشكوى والاحتراق أنه يبكى حباً قد ضاع . انه حين سمع أنهم قد ذبحوا شجرة الزيتون لانهم سيبنون فندقاً يصرخ ويشتم سكان الفندق القادمين ويقول لهم لو عرفتم أنكم جئتم مكان شجرة زيتون .. فلن تهنأوا بالاقامة !! يغنى مغنى البلاكا بحرقة شديدة ، ويصل الى قمة العذاب ، حين يرقص ألماً .. أو يتألم رقصاً ! قل ما تشاء .. لكنها تقاليد البلاكا التى تنتهى بمشهد يتكرر كل لحظة . الاطباق يكسرها السياح عند قدمى المغنى أو الراقصة . زمان ، كان الزوار يكسرون أطباق المحل وكان صاحب البلاكا يصرخ . وفيما بعد ، أصبحت هناك «أطباق جاهزة للكسر» مصنوعة من مادة معينة .. توضع عند اشارة السائح والغريب !

من الممكن وأنت جالس أن تمر سيدة عجوز تبيع لك الزهور ثم تعرض عليك أن تقرأ كفك !

بالعودة للتاريخ ، كان الأغريق يؤمنون بالنبوءات .. وما كان أحدهم يقدم على عمل هام إلا اذا قيل له أن طالعه سعيد وأنه سيكون موفقاً فيه .. وكانت أشهر مصادر الوحى فى مدينة «دلفى» حيث اقيم هناك معبد بين الصخور وكانت تقيم بالداخل ، راهبة تجيب على كل ما يوجه لها من الأسئلة بعبارات غامضة .. يفسرها الكهنة للسائلين !

ـ ٨ ـ

بعض أغانى البلاكا .. اساطير قديمة برؤية حديثة !

من هذه الحكايات القديمة .. قصة المغنى الذى كان يهيم بحب ، آلته الموسيقية « وزوجته الجميلة يوريديس » .. والذى كان اذا مر بأصابعه على أوتار جيتاره طربت عند سماعه كل الأحياء وسعت نحوه لتستمتع بالألحان ، فتطير الطيور الى الشجرة التى يغنى تحتها .. وتزحف الأفاعى من جحورها .. وتخرج الوحوش من غاباتها ، وكانت الزوجة الجميلة تطرب لموسيقى زوجها حتى قبل زواجه منها . وصحبها ذات يوم الى نزهة فى الحقول واذا بها تصرخ لأن حية لدغتها ويجرى «أوزفيس» ليستطلع الخبر فيجدها جثة هامدة . ويقضى

● جزيرة "كريت" سارت فى شارع الحضارة وحافظت على ثوبها المطرّز !



الزوج الحزين أيامه هائماً على وجهه ، يغنى ويرقص فى الشوارع ألماً . ويستبد الحزن به فيذهب الى كبير معبوداتهم يطلب منه أن يسمح له بدخول مملكة الأموات ليعود بزوجته وتستمر الاسطورة لتعبر عن أن الفراق فى حياة الأحياء حقيقة .. وأنه قادم ولاشك !

إن المغنى المعاصر يأخذ هذه الأسطورة وغيرها ، ليكتب شيئاً مستمداً من الفكرة الاساسية ، ثم يضع «عبارة» يرددها .. حين يستبد به الشجن . عبارة اشبه بالمذهب فى الغناء العربى !

الليل يمضى فى البلاكا . عشرات بل مئات الملاهى يختلط اصواتها وموسيقاها وتفشل أحياناً فى تميز من أين يأتى الصوت . وكل الجنسيات تسعى الى المكان .. وتكسر الاطباق ، وهى عادة قديمة جداً ولها اصل تاريخى . يقال ان الناس فى إسبرطه القديمة كانوا يكسرون الأطباق تحت اقدام الرهبان أيام الأحد كجزء من طقوس السعادة والامتنان . وظلت هذه العادة تنتقل من جيل الى جيل حتى استقرت .. فى البلاكا !!

ـ ٩ ـ

البلاكا .. ليلة السبت ، وكل ليلة هى تلخيص للمجتمع اليونانى !

إن الأغنيات والرقصات تسللت الى عاداتهم القديمة والتى مازالوا مخلصين لها بشدة !

سمعت المغنى يشدو ، والفتيات يرددن وراءه بسعادة ، فلما طلبت ترجمة ما يقول ، عرفت أنه يطلب منهن أن تحمل كل واحدة وعاء وتذهب به الى أقرب بئر وتقول كل واحدة : ها أنا ذاهبة .. لأجرب حظى !

ما الحكاية بالضبط ؟

فى الثالث والعشرين من ديسمبر من كل عام ، تملأ فتيات القرى الأوعية من الآبار .. دون أن تنطق الفتاة بكلمة .. وعندما تنتصف ليلة عيد الميلاد تلقى كل فتاة ذلك الماء الذى جلبته من البئر على نوع خاص من الحشائش ثم يخلط ذلك بشىء من الطعام أو الشراب اعتقاداً منهن بأن من أكله أو شربه من الشبان لابد أن يتقدم ويخطبها ويهيم بحبها !

هذه العادة أو عادات أخرى ـ بالفعل ـ لازالت تحكم اليونانى الحديث . هناك قديس اسمه «باسيلى» يحتفلون به فى اليوم الأول من يناير . وقديس آخر اسمه «نيقولا» يسمونه راعى البحار . ولو انك دخلت بيت أى بحار فى هذا العيد لوجدت على مائدة الطعام مكاناً خالياً وصحناً وملعقة وسكيناً .. وتراه يقول : هذا مكان القديس نيقولا وهو لابد آت ليبارك طعامنا .. .

ـ ١٠ ـ

لم ينفصل الماضى عن الحاضر فى بلاد مثل اليونان . بل ان الماضى يدخل فى عروق الحاضر بشكل لامثيل له .. وفى جامعة أثينا العريقة دراسات هائلة عن تراث اليونان التى تحاول وزيرة الثقافة اليونانية ميلينا ماركورى الان أن تعيد صياغته .. وتغربله ..

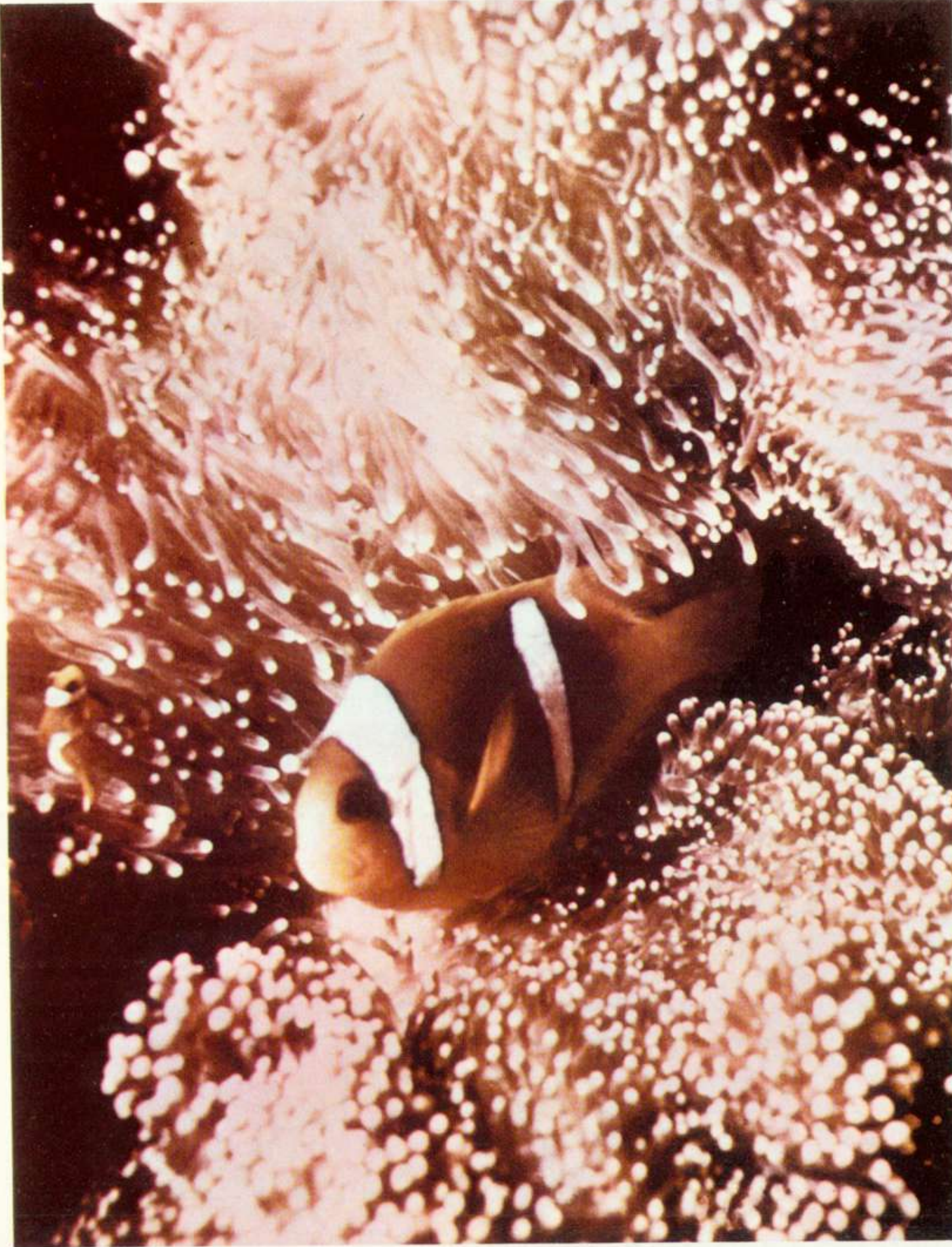
هناك دراسات عن «البلاكا» . الحى القديم فى أثينا . الدراسة ترمى الى مرمى هام وهو «معتقدات» اليونان التى لم تهاجر من حياتها العصرية . ويقول لى استاذ جامعة : « لو هاجرت هذه المعتقدات والعادات من حياتنا فسوف نختل حقاً» !

ويبدو أن هذا حقيقى الى حد كبير .. وكذلك لا يتأفف اليونانى من «البلاكا» ولا يتنكر لها .

لماذا ؟

لأنها «الواحة القديمة» وسط مدينة عصرية شديدة التعقيد ! تذكرهم البلاكا .. بفجر الأيام ، فى اليونان . كما تتذكر أيام الحب الأولى .. اللهفة والاشواق .. واللمسات والهمسات . انها لاتضيع ابداً

مفيد فوزى



الحياة
والموت
في
بحر ملون

بقلم:
صنع الله إبراهيم

# المهرّج
# يبتلع صديق العمر!



لوامس واحد من الشقائق البحرية الضخمة .. وتحمل هذه اللوامس آلافاً من الخلايا اللاسعة الميكروسكوبية

مضت عدة دقائق ، والسمكتان تدوران حول بعضهما فى بطء .

احداهما كانت سردينة قاتمة ، يتدرج لونها من رمادى الى أسود فاحم ، وفمها مقوس لأعلى ، كى يساعدها على التقاط ما ينتشر قرب السطح من كائنات صغيرة شهية .

والثانية كانت على العكس زاهية الألوان ، ترفل فى ثوب أحمر تعترضه شرائط بيضاء ، ولها فك قوى عريض ، يتسع لكائنات تماثلها فى الحجم .

وفيما عدا هذا لم يكن ثمة ما يفرق بينهما فى السمت . فرأساهما منخفضتان ، وزعانفهما منتصبة ، وظهراهما مقوسان كظهور القطط الغاضبة .

## الهجوم الغريب

اندفعت السردينة فجأة نحو السمكة الأخرى ، لكن هذه مالت على أحد جانبيها ، وتركتها تمر من فوقها ، ثم اعتدلت بسرعة خاطفة ، وقامت بقفزة كبرى فى الماء ، وضعتها أمام السردينة بحيث اعترضتها وحالت بينها وبين الهرب .

أصابت هذه المناورة السريعة السردينة بالارتباك ، فعاودت الهجوم وهى تتذبذب مثل الشوكة الرنانة . لكنها لم تعد تدرى ما يجب عمله على وجه

التحديد .

والواقع أن سلوك السمكة الأخرى التى تعرف فى عالم الأسماك باسم «المهرج» ، كان يبعث على الحيرة .

كانت السمكتان متماثلتان فى الحجم، لكن التفوق العضلى للمهرج كان واضحاً

وهو الذى اعترض طريق السردينة وناوشها بعدوانية واضحة .

ومع ذلك فانه لم يحاول مهاجمتها من الجانب كما كان منتظراً منه أن يفعل . فعن هذا الطريق وحده يمكنه أن يقلبها رأساً على عقب ، بحيث يستطيع ابتلاعها من جهة الرأس .

وبدلا من ذلك جعل يضرب ذيلها برأسه ، ويقرضه باسنانه ، كانما يفكر فى ابتلاعها من هذه الناحية ، وهو ما لا تفعله الأسماك عادة كى لا تقف الزعنفة الظهرية الشوكية للفريسة فى رقبتها .

وأخيراً تخلى المهرج عن مهاجمة ذيل السردينة ، واكتفى بأن يدور حولها ، وهو يرفع زعنفته الظهرية ويخفضها مرة بعد أخرى ، فى اشارة تهديدية واضحة .

لم تدرك السردينة ما يرمى اليه المهرج .

لكنها كانت تتحرك ، دون أن تشعر ، فى الاتجاه الذى يدفعها اليه تماماً ، مقتربة من احدى صخور الشعاب .

وعلى حين غرة ، غاصت فى الماء وقد خفضت زعانفها ، استعداداً للهرب . لكن المهرج كان أسرع منها . ولم يلبث أن قبض على ذيلها باسنانه ، وقذف بها فى قوة نحو الصخرة . وقبل أن تنتبه لما حدث ، لحق بها ودفعها بمقدمة رأسه فى عنف ، بحيث أوشكت أن ترتطم بالصخرة .

شعرت السردينة بالدوار من اللطمات المتتابعة ، فكفت عن المقاومة .

لكن الأطراف العصبية المنتشرة على خطها الجانبى ، التقطت ذبذبات غريبة فى الماء . واستطاع منها أن يحدد المصدر على الفور ، فلوت رأسها فى حركة سريعة وبطرف عينها رأت الزهرة المائلة على جانب الصخرة .

استولى عليها الذعر لمرأى الزهرة ، فاستجمعت قواها ، واندفعت نحو المهرج فى هجمة يائسة .

ورآها هذا تشق الماء نحوه فى تصميم ففقد ثباته وجراته ، والتجأ مسرعاً الى البتلات القصيرة الممتلئة للزهرة ، فاندس بينها .

ولم تجرؤ السردينة على ملاحقته بين بتلات الزهرة ، فتوقفت على مسافة آمنة منها ، ثم لوت ذيلها لتلوذ بالفرار .

لكن المهرج كان لها بالمرصاد . فقد غادر مكمنه ، مستعيداً المباداة ، واعترضها موجهاً اليها لطمات قوية من راسه ، صوبها بعناية ، بحيث جعلتها تقترب تدريجياً ، رغماً عنها ، من الزهرة المرعبة .

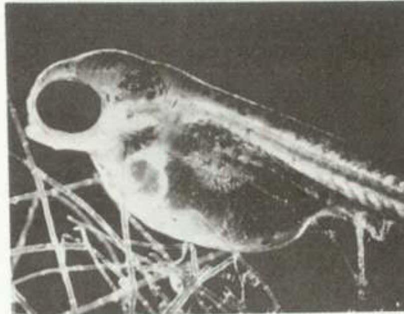
## الخلايا المميتة

كانت الزهرة التى تشبه احدى زهور الداليا المعروفة ، تعلو ساقاً اسطوانية قصيرة ، لا يزيد طولها عن بضعة سنتيمترات ، استقرت قاعدتها فوق حافة الصخرة ، بالقرب من زهور أخرى متنوعة الألوان ، بين برتقالية وخضراء وأرجوانية ، تتفاوت أحجام بتلاتها ، بين عريضة كأوراق الأشجار ، ورفيعة مثل أنصال الحشائش .

أما الزهرة شبيهة الداليا فكانت لها بتلات قصيرة ممتلئة ، تلاعبت بها المياه فى حركات وادعة جميلة .

لكن شيئاً غير الشكل وحده ، لم يكن يربط هذه «الزهور» بعالم النبات فهى ليست سوى الحيوان الذى يعرف باسم الشقيق البحرى ، لمشابهته لشقائق النعمان البرية .

## المهرّج



هذا العصفور الجالس فوق شجرة ليس سوى سمكة خارجة لتوها من البيضة وما زالت تتغذى على كيس المح الذى يبدو ملتصقا ببطنها

وهو ينتمى إلى نفس العائلة التى تضم البوليب المرجانى بين أفرادها . ذلك أنه يشبه البوليب المرجانى فى تركيبه ، وشهيته للافتراس ، بل ويحمل نفس الخلايا اللاسعة المميتة التى تحملها أغلب المرجانيات ، ولا تميز بين الاثنين غير فروق جد محدودة .

فبوليب الشقيق لا يفرز جيرا ، كما تفعل مرجانيات عديدة ، ولهذا يبدو جسـده العضلى دائماً عارياً ، دون هياكل خارجية صلبة . كما يعيش كل بوليب ـ عادة ـ مستقلا عن غيره ، دون أن يشترك فى تكوين مستعمرات جماعية وهو فى العادة كبير الحجم بصورة واضحة .

على أن الفارق الجوهرى بين الاثنين ، يتمثل فى خاصتين ، تجعلان من الشقيق حيواناً أكثر رقياً فى سلم التطور .

فهو قادر على الحركة ، إذ ان القاعدة التى يستند إليها فوق الصخور ، تتألف من قرص عضلي لزج يتشبث الحيوان عن طريقه بالصخور فى شدة ، بحيث تؤدى أية محاولة لاجتذابه إلى تمزيقه . ويمكنه هذا القرص اللزج من تغيير موقعه بالانزلاق البطيء فوق الصخور .

ويتصل بهذا أن للحيوان شبكة عصبية متطورة تتحكم فى عدة مجموعات من العضلات المتخصصة . ووجه تطورها عن الجهاز العصبي البدائي للبوليب المرجاني ، هو قدرتها على التنسيق بين العضلات المختلفة . وهى على قدرة محدودة للغاية ، إن لم تكن معدومة تماماً ، لدى المرجان .

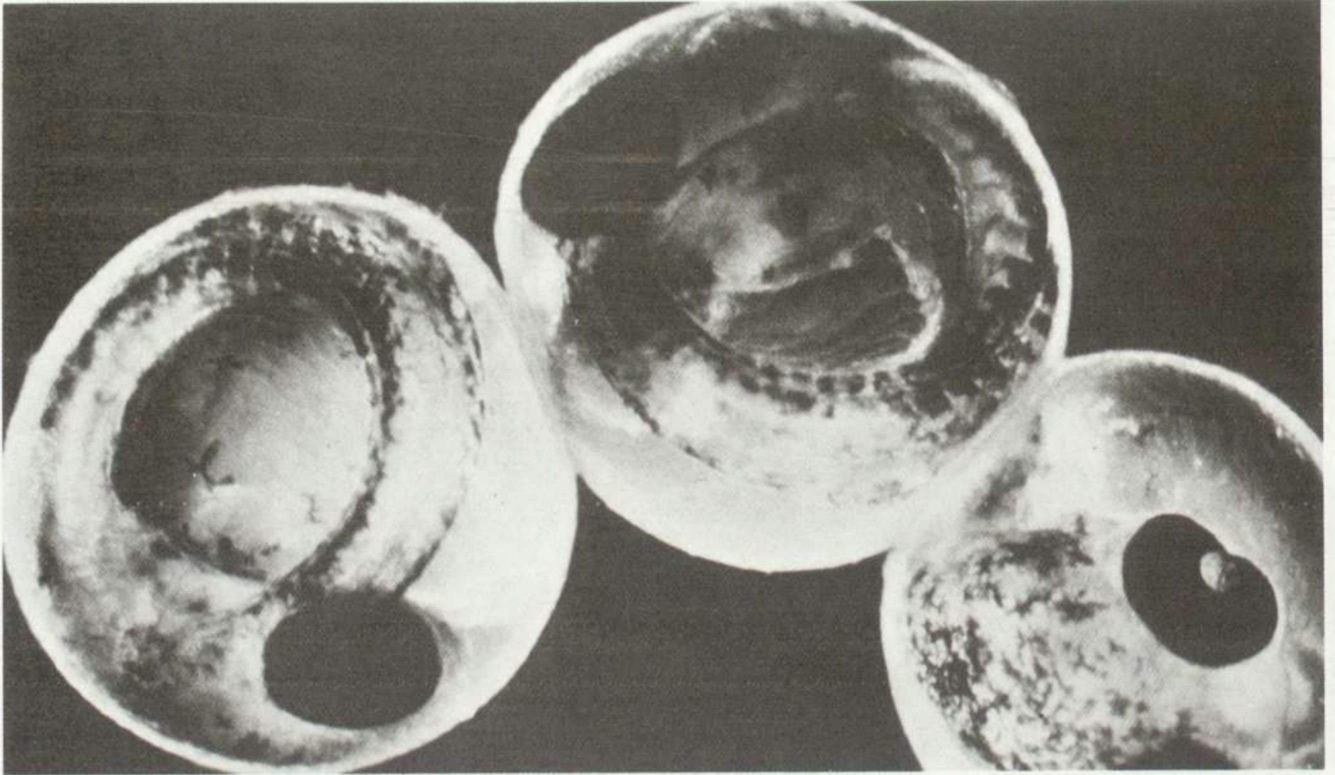
## داخل جوف السمكة

أصبحت السردينة على مبعدة سنتيميترات من بتلات الزهرة المفترسة .

وكأنما شعرت البتلات أو اللوامس باقترابها ، فقد تمددت وانتفخت ، وامتدت أطرافها المدببة نحو الأمواج الخفيفة التى احدثتها السردينة فى الماء

وفي حركة تشى بنفاد الصبر ، انقض المهرج على السمكة المذعورة ، واطبق اسنانه على ذيلها .

كان قد ازدرد زميلة لها منذ ساعتين ، ولهذا لم يمسها بأذى ، وانما حملها بين اسنانه وعام متجهاً الى لوامس الشقيق مباشرة .


صورة نادرة ومكبرة لثلاث من بيضات سمكة بعد أيام معدودة من تلقيحها .. وتبدو ملامح الأسماك القادمة داخلها .

خفقت لوامس الشقيق في انفعال ، وقد توترت أطرافها للغاية ، وبدا كان الحيوان الأعمى يقوم بمحاولة جاهدة لاستكشاف المياه المحيطة به .

فقد حدس بالتجربة من حجم الموجات المتتابعة التى ترتطم به ، وقوتها ودرجة ترددها ، أن ثمة فريسة تقاوم .

ولم يلبث طرف أحد لوامسه أن اصطدم بها . وعلى الفور تحركت شعيرات دقيقة فوقه ، كما يتحرك الزناد ، مما أدى الى تفجير كبسولات دقيقة مخبأة أسفل كل منها ، داخل جلد اللامس ، انطلقت منها خيوط دقيقة تنتهى بأشواك مثل الخطاطيف ، انغرزت فى لحم السمكة التعسة .

وأفرزت الكبسولات سائلا ساماً انساب فى مجارى دقيقة داخل الخيوط .

حاولت السردينة عبثاً التخلص من هذه المحقنة السامة . فقد كان المهرج ما يزال قابضاً عليها بفك من حديد . ومن ناحية أخرى ، كانت الاشواك الخطافية التى يحملها كل خيط ، تمتد فى اتجاهات مختلفة ، أغلبها على عكس اتجاه الخيط نفسه ، مما يجعل انتزاعه أمراً شبه مستحيل .

والأهم من هذين العاملين ، أن التيار العصبى الذى أطلق كبسولات احد اللوامس ، انتقل الى اللوامس الأخرى بالتدريج ، فانهالت السهام المسممة على السردينة . وفى ثوان معدودة كان الشلل قد اصابها ، فتوقفت عن الحركة تماماً .

واذ شعر الشقيق بما طرأ على جسد السمكة من ارتخاء شامل ، امتنع عن اطلاق السهام . وهنا تقدم المهرج بحمله بين اللوامس ، نحو القرص الدائرى الذى يعلو جسد البوليب ، تتوسطه فتحة واضحة تقوم بدور الفم والشرج فى آن واحد ، فالقى بالسمكة المخدرة فوقها ، واستدار منصرفاً .

واتسعت الفتحة لتبتلع الفريسة ، لكنها عجزت عن ذلك .

فقد كانت السمكة كبيرة الحجم .

كف الشقيق عن كل حركة لحظات ، وما لبثت العضلات الطولية التى تمتد على جسده فى أحزمة بارزة من أعلى الفم الى أسفل ، أن ضاعفت تمددها ، واتسعت فتحة الفم بالتدريج نتيجة لذلك ، حتى تجاوز قطرها الخمسة سنتيمترات .

وانزلقت السردينة من فتحة الفم الى المرىء .

وفى الحال نشطت حركة الأهداب الطويلة المثبتة فى شقوق بمدخل المرىء والتى تعمل طول الوقت فى اجتذاب الماء داخل بطن البوليب ، ليزوده بحاجته من الاوكسجين .

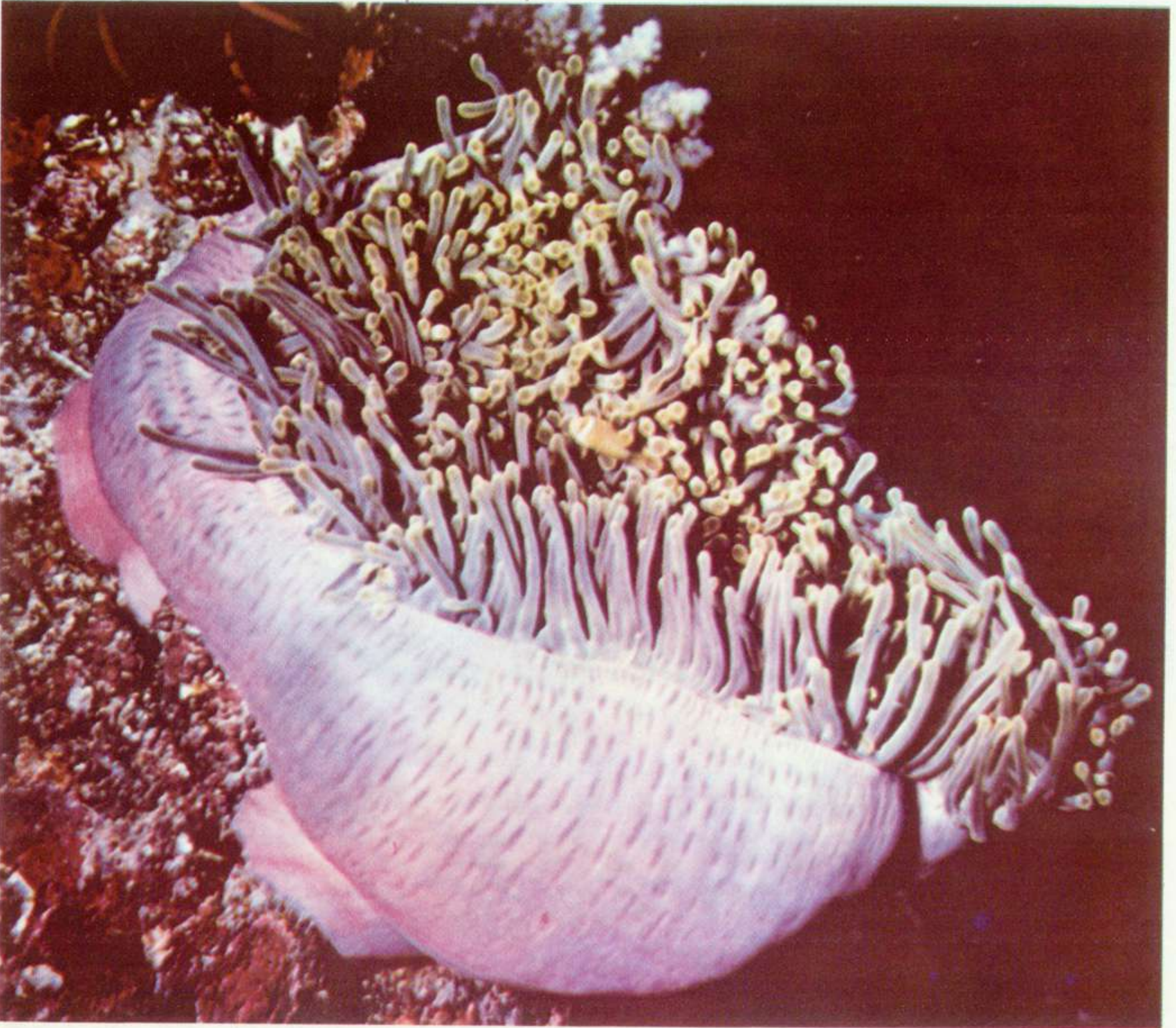
وكان ثم مجموعة أخرى من الأهداب عند اتصال الفم بالمرىء ، تتحرك فى الاتجاه المعاكس ، كى تدفع إلى الخارج بفضلات البطن والمياه المحملة بثانى أكسيد الكربون . وقد عكست هذه الأهداب الان اتجاهها ، وتعاونت مع المجموعة الأخرى فى اجتذاب السمكة داخل المرىء ، ومنه الى الكهف الهضمى أو البطن .

وسرعان ما تدفقت العصارات الهضمية من جدران الكهف الداخلية ، بينما عرتها تقلصات حادة ، طحنت السمكة بين طياتها ، وحولتها الى عجينة لينة ، يسهل اذابتها وامتصاصها

## حيرة العلماء

فى هذه الأثناء كان المهرج يمرح راضياً بين لوامس الشقيق .

فهذا ما توحي به الحركات البهلوانية التى تصدر عن عضلاته وزعانفه ( والتى ربما جلبت له ــ بالاضافة إلى الوانه ــ



بعض الشقائق البحرية التى تتميز بأحجام ضخمة

الاسم الذى اشتهر به بين الأسماك ) بينما هو يتنقل بين اللوامس فى خفة ورشاقة ، غير هياب ولا وجل .

لم يكن هناك ما يدعوه إلى الخوف . فاللوامس التى تطلق سهامها الفتاكة على من يغامر بالاقتراب منها ، تتعرف على المهرج بسهولة من حركاته البهلوانية المميزة ، فتتحاشى إيذاءه .

وهي ظاهرة حيرت العلماء زمناً طويلا وذهبوا فى تفسيرها مذاهب شتى . فقال البعض إن جسم المهرج تكسوه مادة معينة تجعله آمناً من سم الشقيق . لكن هؤلاء فشلوا فى تعليل امتناع الشقيق عن إطلاق سهامه على المهرج . فاذا كانت البوليبات المرجانية تطلق سهامها بمجرد أن يحتك جسم ما بلوامسها ، فان الشقيق

## المهرّج

لا يفعل هذا إلا بعد أن يتخذ جهازه العصبى المركزى قراراً فى الأمر .

ويميل أغلب العلماء إلى الافتراض بأن الحيوانين قد توصلا ، عبر ملايين السنين ، إلى نوع من الاتفاق الضمني يقوم على أساس تبادل المنافع ، وهي ظاهرة شائعة بين مختلف أنواع الكائنات الحية .

فالطبيعة لم تزود المهرج بوسائل دفاع أو هجوم يعتد بها ، وأمدته فى

الوقت نفسه بشهية بالغة للحوم ، ولحوم الأسماك الأخرى بالذات .

وهي قد أمدت الشقيق بشهية مماثلة ، وقدرة على ابتلاع أجسام تفوقه فى الحجم ، وحرمته من نعمة الأبصار وسهولة الحركة ، بعد أن عوضته عنها بخلايا لاسعة فوق لوامسه .

ولابد أن المهرج اكتشف فى وقت من الأوقات ، ملجأ أميناً بين هذه اللوامس يحميه من الأسماك التى تبزه فى القوة ووسائل الافتراس ، ومنصة جيدة التحصين ، يعمل من فوقها .

ومن المحتمل أنه كان يحمل فائضاً من الطعام ، عندما اقترب من الشقيق للمرة الأولى ، فاتاح للأخير أن يشبع جوعه ، فهدأت مشاعره العدوانية ، وامتنع عن



مهرج البحر الأحمر الشهير بين لوامس شقيقة !

استخدام أسلحته الدفاعية . وما لبثت الحركات البهلوانية للمهرج أن وجدت هوى فى نفس الشقيق ، لما أحدثته من تدليك لطيف للوامسه ، وهي إحدى النتائج الهامة التى توصل إليها رائد علوم البحار المصري د. حامد جوهر عام ١٩٤٥ ، فى أعقاب أبحاث طويلة بدأها فى عام ١٩٣٢ .

ولم يكن من العسير بعد ذلك ، أن يتحول الاكتشاف المتبادل إلى عادة فعلاقة متوارثة بين الحيوانين ، يحرصان عليها ، ويستمتعان بثمارها .

شعر المهرج بالجوع فجأة ، فتسلل بين اللوامس حتى أشرف على فم الشقيق .

كان هذا قد انتهى من هضم جسد السردينة ، وعجز عن هضم رأسها فلفظها ، ثم انقبضت عضلاته ،وضاقت فتحة الفم تدريجياً تبعاً لذلك حتى انغلقت تماماً ، وبقي رأس السمكة بجوار الفتحة المغلقة .

التقط المهرج رأس السردينة بفمه ، وابتلعه ثم استأنف تجواله بين اللوامس فى قلق ، فقد كان مايزال جائعاً

والواقع أن شهيته تفتحت فى الأيام الأخيرة بصورة لم تحدث من قبل . ورافق ذلك ظاهرة أخرى ، إذ اكتسبت ألوانه لمعاناً خاصاً . أما السبب فى كلا الأمرين فهو النشاط الهرمونى الذى يسبق التكاثر .

التقطت أعصابه الجانبية حركة غريبة فى المياه ، فأبرز رأسه من بين اللوامس .

كان ثمة نشاط غير عادى بين الأسماك يوحي على الفور بالطعام . واستحث الجوع فضوله ، فانطلق الى الخارج .

لمح عدة ذكور من سمك «أبو شريطة» الذى يتميز بشرائط عريضة داكنة حول جسده ، تطارد أنثى ممتلئة من نفس النوع . وتبع المهرج الذكور على مهل ، فرأى الأنثى تتجه الى أكثر الزوايا ازدحاماً بالكائنات الدقيقة ، وتشق طريقها كالزجزاج بين التكوينات المرجانية ، والأسماك الأخرى فى أعقابها .

ولحظ المهرج أن الأنثى تزداد انتفاخاً باطراد ، وما لبث أن برز من تحت زعنفتها الشرجية شريط أبيض .

أثار هذا المشهد الذكور ، فأقبلوا

يحتكون بالأنثى ، ويدفعونها هنا وهناك ، بينما الشريط يزداد طولا ، ويتكوم فى ثنيات متلاصقة فوق بعض الطحالب ، الى أن انفصل عن جسد الانثى .

تزاحمت الذكور على الشريط ، وانقض البعض على اجزاء منه يلتهمها بينما انزلق آخرون فوق مادته الرغوية الناعمة ، وهم يطلقون غددهم التناسلية فى الماء . وحمل التيار شيئاً من هذه الغدد الى الفتحات الأنفية وبراعم التذوق لدى المهرج ، فالهبت شهيته .. للأكل .

لكن المهرج غالب رغبته فى التقاط البيض خوفاً من عدوان الذكور . وتحول يلتمس بغيته فى «سيبيا» صغيرة ، من اقارب الحبارات والأخطبوطات ، لمحها بركن عينه فوق كتلة من الاسفنج الأحمر.

وما إن بلغ مكانها حتى الفاها قد اختفت داخل احدى الفتحات الدائرية التى تنتشر على سطح الاسفنج ، تتخللها المياه ، لتزود الحيوان الغريب – المجرد من اية اعضاء أو حواس – بحاجته من الأوكسجين والطعام .

كان المهرج يعرف بالتجربة أن هذه الفتحات هى مداخل لممرات متفرعة تصب فى قناة رئيسية ، تفتح بدورها على الخارج . ولهذا أسرع يدور حول كتلة الاسفنج متلمساً الفتحة التى قد تخرج منها السيبيا ، ليواجه بمفاجاة غير متوقعة .

فقد أوشك أن يصطدم بسمكة فاتنة تحمل نفس الوانه ، مع ظلال زاهية بعض الشيء ، تنطق بالاضافة الى تضخم صدرها وبطنها ، بانها من اناث النوع .

نسي السيبيا وتجاهل ما يشعر به من جوع ، واقبل يمتص الافراز الرغوى فوق ذيل المهرجة التى اخذتها المفاجاة فجمدت فى مكانها . لكنها سرعان ما اندفعت تشق الماء مبتعدة ، والمهرج من خلفها .

كانت المهرجة على معرفة جيدة بممرات الشعاب ومخابئها ، فقادته الى شبكة معقدة منها ثم اختفت فجاة .

ظل يبحث عنها بين فروع المرجان ، وتحت مظلاته ، وخلف الصخور والاسفنجيات ، دون جدوى . وأخيراً شعر بالتعب ، وتبين أن الضوء يتلاشى بسرعة ، منذراً بحلول الليل ، فقرر العودة .

## انقاذ الصغار

عام وهو يتطلع حوله بحثاً عما يؤكل . وتجنب الاقتراب من مجموعة من الشقائق المختلفة الألوان ، بين برتقالية وخضراء ، وان اشتركت فى دقة اللوامس كثافتها .

اشرف على جحر بين الصخور استقرت فى مدخله استاكوزا ضخمة ، اكتسبت مظهراً مخيفاً من الوانها وزخارفها العجيبة ، والكلابين الضخمين اللذين مدتهما امامها بصورة تهديدية .

أوشك المهرج أن يستأنف طريقه لولا أن لمح حشداً من الصغار أسفل الشعر الكثيف الذى يغطى أطراف سيقان الحيوان الغريب ، فثارت شهيته للصيد .

دار حولها متلمسا طريقة لالتقاط الصغار لا تعرضه للكلابين ذوى الاسنان الحادة . ودارت الاستاكوزا معه ببطء ، لتبقيه فى مجال رؤية عينيها ، المستقرتين فوق عصاتين طويلتين بارزتين من رأسها .

وادت حركة الأم الى تدحرج بعض الصغار ، وسقوطهم فى الماء ، ورآهم المهرج يتلوون فى عجز ، فادرك انها الفرصة التى ينتظرها واندفع نحوهم .

قامت الاستاكوزا بحركة خاطفة من ذيلها ، وقفزت فى الماء وهى تمد كلابيها أمامها . ورأى المهرج الكلابين يستطيلان ويقتربان منه ، فحلول تجنبهما ، لكن احدهما لم يلبث أن انطبق على زعنفته الصدرية فى قبضة حديدية لا فكاك منها.

جذفت الاستاكوزا باطراف سيقانها الخلفية عائدة الى حجرها . وما أن لمست الصخر حتى انزلت الأزواج الخمسة من سيقانها فوقه . ثم زحفت الى مكمنها ، ممسكة باسيرها ، تنتظر موته غرقاً . ولم يكن لديها شك فى هذا المصير ، لأن وضع المهرج بين طرفى كلابها كان يحول بينه وبين التنفس .

وفجاة أدركت الاستاكوزا ما لحق بصغارها .

ففى أثناء ملاحقتها للمهرج ، تبعثر هؤلاء فى الماء ، فاجتذبوا جماعات من السمك ، تدافعت لالتهام القشريات الصغيرة اللذيذة .

تخلت عن فريستها كارهة ، وهرعت تجمع بكلابيها أكبر عدد ممكن من الصغار ، قبل أن تاتى عليهم الأسماك .

وانتهز المهرج هذه الفرصة لينجو بجلده .

لكنه لم يتمكن من الابتعاد كثيراً .

فقد كانت خياشيمه تعمل بصعوبة بالغة ، كما تسببت الزعنفة التى احتوتها قبضة الاستاكوزا الحديدية ، وأصبح عاجزاً عن حفظ توازنه فى الماء .

التجا الى أول سطح ممهد قابله فارتمى فوقه ، وبعد أن استجمع قوته قليلا ، بحث عن شق آمن بين الصخور ، فانزوى فيه .

هدأ تنفسه بعد قليل ، واستعادت خياشيمه حركتها الطبيعية ، لكن انتشار الظلام لم يشجعه على الخروج ، وقرر أن يبقى فى مكانه الى الصباح .

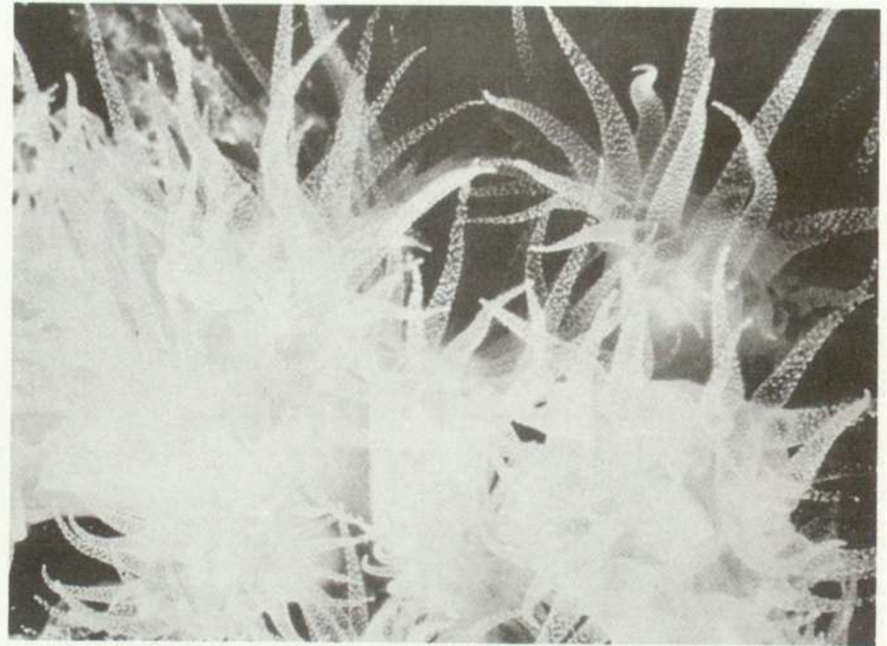
## الحلم والواقع

قضى المهرج «ليلة مضطربة» ، حسب التعبير الذى يستخدمه أبناء البشر .

كان يعاني من الجوع والارهاق ، فما لبث أن غفا . لكن حواسه ظلت مستنفرة لالتقاط الروائح والأطعمة والذبذبات المنتظمة ، التماساً لأى بادرة توحي بالخطر ، ينتفض عندها من إغفاءته وقد انتصبت زعانفه ، فيزداد انكماشا فى حفرته . ثم يستانف النوم بعد أن يزول

المهرج


أنواع مختلفة من الأسفنج



لقطة فريدة لعدد من الشقائق المتجاورة .. ويمكن بسهولة تبين الخلايا اللاسعة الدقيقة

الخطر .

وتجسدت مشاعره ومخاوفه فى صور مختلفة عبرت مخه . فرأى ، فيما يرى النائم ، أنه يلتهم سمكة شهية ، ذات جسد رخص يخلو من الزعانف والأشواك بل والسلسلة العظمية الداخلية . ثم ألقى نفسه ملاحقاً من جانب سمكة عقرب مفترسة ، أوشكت أن تلحق به .

انتبه من إغفاءته وهو يرتعش من الرعب ، فوجد نفسه آمناً فى حفرته . وظل فترة طويلة عاجزاً عن النوم الى أن هدأ روعه ، وعندئذ عاوده الحلم . لكن السمكة التى طاردته هذه المرة ، وتمكنت من القبض على ذيله بفكيها ، لم تكن سوى الأنثى التى تسببت مطاردته لها فى كل هذه المتاعب . والأهم من ذلك أنها لم تكن تبغى إلحاق الأذى به ، واكتفت بامتصاص الافراز الرغوى الذى يغطى جسده .

وكما حدث مع السمكة العقرب ، لم يجد أثراً للمهرجة عندما أفاق .

لكنه عندما استعاد عافيته فى الصباح ، وانطلق مسرعاً بقدر ما يستطيع ، عائداً الى شقيقه ، شعر بمن يتبعه عن كثب . واكتشف بعد لحظة أن المهرجة هى التى تعوم فى أعقابه .

أشرف المهرج على الصخرة التى يعيش الشقيق فوقها ، والأنثى تتبعه على مسافة بوصة .

كان ثمة عدد من الشقائق المتشابهة المتقاربة ، تنتمى كلها الى نفس النوع ذى اللوامس القصيرة الممتلئة ، الذى يشبه زهور الداليا البرية . لكن المهرج تعرف على شقيقه بسهولة فاتجه اليه مباشرة ، بينما تشاغلت المهرجة بمطاردة احدى القشريات .

وقبل أن يبلغه بعدة بوصات ، أدرك المهرج أن شيئاً ما قد حدث .

كان الشقيق منكمشاً على نفسه وقد تراجع قرصه الفمى باللوامس التى يحملها ، واختفى كلية داخل الساق الاسطوانية العمودية . وبدا الحيوان كله أقرب الى كتلة هلامية متجمدة ، ذات مظهر ذابل .

هرع المهرج الى صديقه وحاميه وأويه فاستقر فوق قرصه الفمى ، وجعل يتحرك فوقه بخفة ورشاقة ، كما لو كان يربت عليه فى عطف ، أو كأنما يعتذر عن غيبتـه الطويلة .

وحدثت المعجزة :

دبت الحياة فى كتلة الهلام الذابلة ، وتمددت الساق ببطء ، كاشفة عن الملامس وفتحة الفم ، وسرعان ما انبسطت الملامس الى أقصاها ، وخفقت فى حيوية ومرح .

وسواء كان السبب فيما أصاب الشقيق من اكتئاب نتيجة غياب صديقه هو تضاؤل فرص الطعام الذى يشبع شراهته ، أو حرمانه من التدليك اللطيف للوامسه الحساسة ، الذى يقوم به المهرج طوال مرافقته له ، فانه استرد عافيته على الفور .

وبعد دقائق ، كان يبتلع فى حماس خيارة بحر صغيرة ، التقطها له صديقه من بين المرجانيات المجاورة .

## الزائرة الخائفة

راقبت المهرجة ما جرى باهتمام بالغ .

وكان المهرج قد غادر اللوامس عدة مرات ثم عاد اليها على الفور ، كأنما يستحثها على الانضمام اليه بينها ، ويريها أنها لا تؤذى ولا تضر ، بل حاول أن يدفعها بفمه نحو الشقيق ، دون فائدة . فلم تستطع التغلب على خوفها الغريزى من الحيوان الغريب ذى اللوامس الخطرة .

لكنها لم تنصرف ، وظلت تحوم حول الصخرة ، وعينها على الطريقة التى يداعب بها المهرج اللوامس ، والكيفية التى يثنى بها جسده أثناء انتقاله بينها .

وبحلول الظلام ، استجمعت شجاعتها ، وتقدمت من اللوامس .

مرت بها لحظة عصيبة للغاية ، وهى تلمس احداها بطرف زعنفتها الصدرية .

توتر لامس الشقيق ، وتوقف لحظة عن الحركة ، وبدا كان الحيوان المفترس ، المجرد من الحواس المألوفة ، يقوم بتحليل الأثر الذى تركته اللمسة المفاجئة .

كان ثمة شيء مألوف فى هذه اللمسة ، جعله يمتنع عن اطلاق صواريخه ، ويترقب اللمسة التالية فى اهتمام .

وساعده على ذلك أن معدته كانت ممتلئة ، فقد أطعمه المهرج سمكة كبيرة منذ هنيهة ، كأنما يستبق هذا الموقف .

ثم ان المهرج نفسه كان يقبع هادئاً مطمئناً بين اللوامس ، مما يوحي بأن كل شيء على ما يرام ، وأن الزائر الغريب ليس عدواً ، ولا فريسة .

تشجعت المهرجة فمالت بزعنفتها الصدرية الثانية على لامس آخر ، وجاءت درجة ميلها ، والقدر الذى استقر منها على اللامس ، والمدة التى استغرقها احتكاكها به قبل أن تنتقل الى غيره ، مماثلا لما يصدر عن المهرج من حركات .

واذ لم تصدر عن الشقيق بادرة

عدوان ، سمحت المهرجة لبقية جسدها أن يلمس أجزاء أخرى منه .

وشيئاً فشيئاً ، تلاشى التوتر الذى استولى على لوامس الشقيق .

وتم قبول الزائرة .

## ضحايا اليوم الموعود

قضت المهرجة الأيام التالية فى استكشاف امكانيات المأوى الجديد .

فالتنقل بين اللوامس مصدر لعب لا يبارى ، يتيح الاشتراك مع المهرج فى لعبة مطاردة واستخفاء لا تنتهى .

وفى حماية قذائفها الصاروخية ، يمكن اعتراض فرائس كبيرة الحجم بجرأة ، والقيام بمغامرات عديدة كانت مستحيلة أيام الحياة فى العراء .

إلا أن الانتفاخ المتزايد فوق زعنفتها الشرجية ، جعلها تعزف تدريجياً عن اللعب والصيد ، وصارت تقضى أغلب وقتها فى استكشاف المنطقة المحيطة بمأواها الجديد .

فقد كانت تختار المكان الملائم لوضع البيض .

بحثت فى عناية عن الأماكن التى لا يكون التيار فيها قوياً بحيث يجرف البيض ، ولا يكون ضعيفاً بحيث يحرمه من التهوية المناسبة . والتمست أكثرها دفئاً ، وأقربها الى ضوء الشمس ، وأبعدها عن طريق الأنواع المختلفة من الأعداء .

وكان المهرج يلاحظها فى اهتمام ، يتزايد يوماً بعد آخر ، كأنما يدرك ما هى بسبيله .

وجاء اليوم الموعود أخيراً .

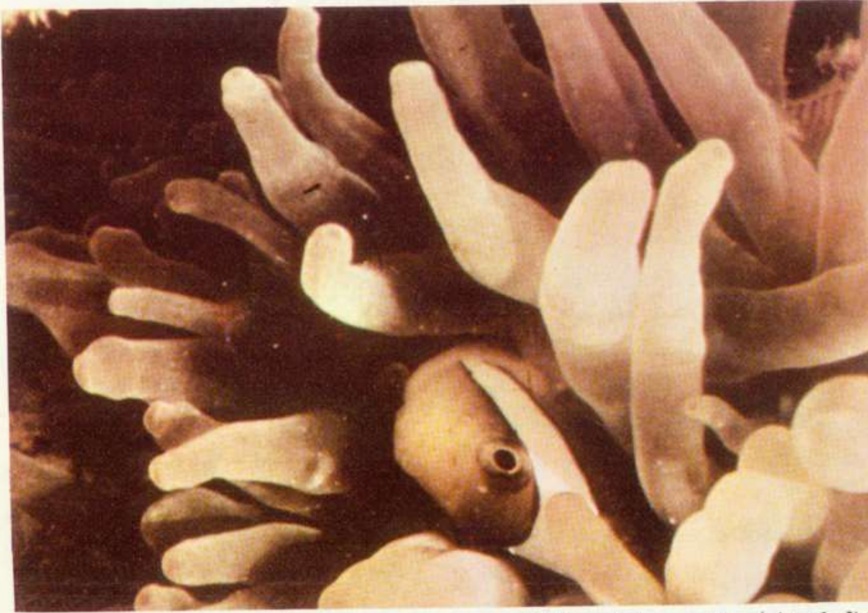
ومنذ الصباح بدت منتفخة للغاية ، ثقيلة الحركة ، تنوء بحملها . وعندما جن الليل ، لم تهجع كمألوف عادتها به ،

وانما انتابها قلق غريب ، مست عدواه رفيقها ، فأخذ ينتقل بين اللوامس فى انفعال شديد .

وفجأة ارتعش جسد المهرجة ، واندفعت الى الخارج ، متجهة الى المكان



نوع آخر من سمكة المهرج ، يتميز بلونه الأسود وشرائطه البيضاء .



لقطة مكبرة لرأس المهرج بين لوامس الشقيق

الذى اختارته فوق سطح صلب لمرجانيات ميتة ، يتميز بنظافته من الرمال والطحالب ، فوضعت عدة مئات من حبيبات دقيقة برتقالية اللون ، طويلة الشكل ، استقرت متجاورة بصورة عمودية ، وقد التصقت قواعدها بالسطح الصلب ، فى مساحة لا تتجاوز أربعة سنتيمترات .

هرع المهرج خلفها ، وما أن انتهت من وضع البيض ، حتى عام فوقه وهو يطلق حيواناته المنوية فى ارتعاشات متلاحقة.

لم تغفل الأم لحظة واحدة بعد أن تم تلقيح البيض . فكل عدة دقائق ، تخرج من بين أذرع الشقيق ، وتندفع نحوه ، ثم تتحرك أمامه الى الخلف والامام حركة أشبه بالرقص ، تنشأ عنها تيارات فى الماء ، تهز البيض وتؤرجحه ، الأمر الذى يساعد على تنفسه .

وفى الصباح بدت البويضات أشبه بعصى غليظة ، يبلغ طول الواحدة منها



لقطة مكبرة لمهرج حمل الطعام لشقيقه بين فكيه ليطعمه .

ملليمترين ونصف ، وعرضها ثمانية أعشار المليمتر ، ذات قشرة ملساء شفافة تكشف عن مخ غزير ذى لون برتقالى زاه انتثرت فوقه خلايا صبغية سوداء .

والظاهر أن الذكر لم يتمكن من تلقيح كل البيض ، فقد تحول بعضه الى اللون الأبيض ثم تعفن ، وذهب طعاماً للحلازين واليرقات .

وداخل البيض الملقح كان يجرى نشاط عنيف . فقد جعلت الخلايا تنقسم وتتوزع الى طبقات من الأنسجة وأعضاء وتلاشى لونه البرتقالى الزاهى تدريجياً ، وحلت مكانه قتامة واضحة .

وفى اليوم التالى كان البعض قد مات من جراء ضعف وراثى ، وجرفت المياه بعضاً آخر لم يكن ملتصقاً بسطح الشعاب بصورة جيدة ، وتعرض الباقى لهجوم الديدان الزجاجية .

فقد ظهرت هذه الكائنات التى تقوم بدور التنين فى عالم الكائنات الدقيقة رغم أن طولها لا يزيد على نصف سنتيمتر — ظهرت فجأة بأجسادها الرشيقة الشفافة ورؤوسها المتجهمة ذات الفكوك المسننة ، وشقت الماء مثل السهام مندفعة فى كل اتجاه لتمسك بأى شىء يقابلها ، من بيض وقشريات بل وأبناء جنسها أنفسهم .

وقبل أن تخف المهرجة للدفاع عن بيضها ، كانت الوحوش المفترسة قد التهمت بضع عشرات منه ، بينما

المهرّج

تبعثرت عشرات أخرى جرفتها المياه .

وهكذا لم يتبق من حوالى ثلاثمائة وخمسين بيضة وضعتها المهرجة سوى احدى عشرة بالتمام والكمال .

## البحث عن الأمان

بدأ الجسد الخيطى للسمكة يتكون داخل كل بيضة من حول كرة المخ التى تمده بالحياة ، بعد ليلتين ويومين من الفقس والتلقيح .

وظهر تل رفيع أسفل الخط الوسطى ، سيتحول فيما بعد الى سلسلة فقرية . كما تكون انتفاخ كبير فى الطرف الامامى مكان الرأس القادمة ، يعلوه بروزان صغيران فى مكان العينين .

وفى اليوم الثالث ظهرت آثار دستة (درزينة) من العضلات ، على شكل الرقم ٧ ، فوق كل جانب من السلسلة الفقرية . وتجلى فص المخ من خلال أنسجة الرأس الشفافة ، كما قاربت العيون الاكتمال ، وبدت نقاطاً سوداء تتطلع الى البحر من خلف جدار البيضة دون أن ترى .

وفى فجر اليوم الخامس ارتعش كيس رقيق أسفل الرأس ، ذو لون قرمزى يعود الى ما يحمل من دماء ، وخفق ثم بدأ نبضه الثابت الذى سيستمر طول حياة السمكة .

وطوال ذلك اليوم مضى التطور بمعدل شديد . فعلى الذيل ظهرت حافة من النسيج ستتشكل منه فيما بعد سلسلة من الزعينفات ، مثل صف من الاعلام المرفوعة فى الهواء .

ونمت باطراد جوانب أخدود يمتد على بطن السمكة الصغير من أسفل تحميه صحيفة تتألف من أكثر من سبعين فصا من العضلات . وبعد الظهر انغلق هذا الشق مكوناً القناة الهضمية . وازداد كهف الفم ـ الواقع فوق القلب النابض ـ عمقاً ، لكنه ظل بعيداً عن القناة .

وفى اليوم التالى بدأت جلود البيض تنفجر واحدة وراء الأخرى ، وبرز المهرجون الصغار الى الوجود .

كانت أحجامهم ضئيلة للغاية ، فلم يكن الطول المشترك لهم ـ من الرأس الى الذيل ـ ليزيد على سنتيمتر ونصف .

لكن التطور لم يكن قد انتهى بعد .

ففتحات الخياشيم الواضحة لا تنفذ الى العنق ، ولهذا لا تصلح للتنفس .

والفم مازال كهفاً مغلقاً من كل الجوانب . ولحسن حظ السميكات أن أكياس المح ظلت معلقة بها ، فأمكنها أن تتغذى على ما تبقى بها من طعام . لكن هذا الكيس ذاته جعل السميكات مقلوبة فى الماء ، عاجزة عن التحكم فى حركاتها .

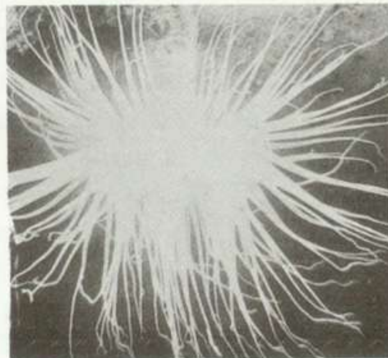
وجاءت الأيام الثلاثة التالية بتحولات بارزة . فقد انفتح الفم على الخارج ، وعلى القناة الهضمية ، واتصلت الخياشيم بالعنق ، ونمت الزعينفات البارزة من الظهر والجوانب والبطن ، واكتسبت قوة وصلابة . وبدأت العيون ترسل الى المخ الصغير أولى رسائلها عما تراه .

وفى هذه الأثناء كان كيس الطعام قد تقلص ، فانفصل . واستطاعت السميكات أخيراً أن تعتدل على بطونها وتعوم .

إلا أن الزعانف ماتزال أضعف من أن تواجه التيارات ، فطفت السميكات جزءاً من مملكة الكائنات المجهرية ، تبتلع ما تحويه من طحالب دقيقة (دياتومات) ، وتتعرض هى نفسها للابتلاع على يد حيوانات أكبر .

ولحسن الحظ أن الأبوين لم يتخليا عن صغارهما ، الذين كان عددهم فى تناقص مستمر ، وتمكنا فى النهاية من دفع من تبقى منهم نحو الشقيق ، حيث يتوفر الأمن والأمان بين لوامسه .

التأم شمل الأسرة الصغيرة ، وعاشت فى وئام مع مضيفها وعائلها .



نوع آخر من الشقائق له لوامس رفيعة كالشـــعر

وهنا يمكن أن تنتهى قصتنا ، بنفس الطريقة التى تنتهى بها أغلب القصص الساذجة .

فكما يحدث بين البشر ، لم تكن هذه ـ فى الواقع ـ غير النهاية الأولى .

أما النهاية الثانية ، فقد تجمعت خيوطها على مدى الشهور القليلة التالية .

فقد جعل الصغار يختفون ، واحداً وراء الآخر . منهم من فقد حياته فى احدى الجولات بالمياه الخارجية ، ومن هجر الشقيق بمحض ارادته ، ليستقل بشقيقه الخاص ، حيث تتوفر فرصة أكبر للحركة ، ومكان أرحب لرفيقة المستقبل .

ثم اختفت الأم بدورها .

خرجت ذات يوم ولم تعد .

واستأنف المهرج حياة «العزوبية» التى يشاركه فيها الشقيق .

وانقضت عدة شهور .

وذات صباح شعر المهرج بفتور غريب فى جسده ، لم يعهد مثله من قبل .

وعندما أراد أن يحرك ذيله وزعانفه استعصت عليه ، وبدت ثقيلة ، متصلبة .

عزف عن الخروج ، وقنع بأن يرقد بين الملامس ، تبدر منه بين الحين والآخر ارتعاشة مفاجئة ، قد تكون من آثار حمى أو محاولة تحريك الأطراف الثقيلة .

وعند الغروب بدأت لوامس الشقيق تتحرك فى قلق .

فقد انتاب الحيوان الأعمى الشك .

فذلك الجسم الراقد بين أذرعه يبدو بالتدريج مختلفاً عن الجسم الآخر المتقد حيوية الذى عهده من قبل ، والذى ترسل حركاته موجات من الراحة والطمأنينة عبر خلاياه .

وبدأ يشعر بالجوع .

وسواء كان السبب هو الجوع ، أو يقين متزايد بأن الجسم الراقد بين اللوامس ليس إلا كائناً غريباً ، لا علاقة بينه وبين المهرج المألوف ، فان النهاية كانت محتومة .

فقد تجمعت اللوامس بالتدريج والتحمت ببعضها ، ودون أن تحفل باطلاق صواريخها المعهودة ، انطبقت على الجسم الخامل الراقد بينها ، وجذبته نحو المركز .

وانفرج الفم الشره ليبتلع رفيق العمر !

صنع الله ابراهيم

# أكتوبر نوفمبر

شعر: حبيب الصايغ




سأنأى عن القـــبر ،
فليصفح المـــوت عني .
سأمسح هذا الجبين اللعين
عن التربة الباليـــه
سأنأى عن القـــبر ،
وهو سينأى معي فيَّ ..
في الجـــذوة ـ الـــدهر
إن الحدائق قد شرشت في دمي ،
واصطفتني .
وها هى تستنفر الخيل في جسدي ،
وتداعب عمـرى حتى يجيء ،
ويشـــهدني في يقيني .
لســوف يراك تمرين بين المفاصل والقلب
صـــاخبة

• •

وتستيقظين ، فتستيقظ المــدن الغافيه
ويسرج حفـــل التعـــارف
في طرقـــات التشرد
بين الميـــاه وبين الميـــاه ،
فيعدو المحيط اليك .
ويعدو الخليج إليَّ ،
ويركض موج حميم إلى شفتينا .
ألا إنهـــا ســنة الحلم ،
فلتسبقيني اليك
ادخلى الجســـد الحلو
وانتظري زحمة الرحب
لن أتطاول حتى أغـــامر
وأختصر النـــار في الجملة العـــارية

• •

لك المرحـــله
وزهو التفاصيل في اللوحة المقبله
لك الطقس والأسئله
وصـحو المســـافات في السنبله

لك الكـــون ،
فاستقبليه على شرفة الصـــبح
واحتضني وهجـــه
إنه قـــادم
في انتشـــار الجنـــون المؤدي اليك
فكوني له كونه
لـــونه
صباباته واحتراقاته
كل أوقاته
بعضـــــه
نبضـــه
احتضـــــنيه ،
وكوني لـــه الأرض والزلزله

• •

هى الســـنة ـ الحلم
هل يتجاهل هذا الثراء الخرافى ،
والأرض عقد من الياسمين الفدائى ،
والفصـــل شرَّع أبوابه
واســـتضاف التنوع
هل يتجاهل مـــا أذهله ؟

• •

ألا انهـــا الســـنة ـ الحلم
كيف تراود أجنحة الطير
عن نفســـــها
خفقات المـــوانيء ؟

• •

كيف يداهم وقت الحصـــاد الكسالى ؟
ألا انهـــا الســـنة ـ الحلم
لا توقظيني من الســـنة ـ الحلم
لا توقظيني من الشـــط والصاريه .

حبيب الصايغ ـ الامارات

بقلم : محمد فتحي عبد الفتاح

# أدباء ومفكرون كالساعة!

## ينامون بنظام
## ويأكلون بنظام

## والنتيجة :
## إنتاج غزير
## وعمر طويل




نجيب محفوظ


عباس محمود العقاد


الفيلسوف كانط

**إن احترام الساعات الحيوية للجسم .. هو الطريق المستقيم إلى الصحة ، والانتاج الوفير المتميز . فهل تحاول أن تكون لك مثل ساعة نجيب محفوظ ، والعقاد ، والحكيم ، وكانط . نقصد : أن تكون منضبطاً بشدة .**

- نجيب محفوظ يلقي بالقلم ولا يكتب المجرور اذا جاءت لحظة انتهاء الكتابة وقد وصل الى حرف جر !! وبالرغم من ذلك طاولت كتبه قامته !!

- لماذا لا يرى العقاد شيئاً عجيباً فى أن يتمتع بالشباب فى شيخوخته ؟ سر من الأسرار التى جعلته واحداً من اكبر المثقفين فى كل عصور الثقافة العربية .

- لم يخرق كانط موعد استيقاظه مرة واحدة على مدى ٣٠ سنة !! وباستير عاش ٧٤ سنة برغم ضمور وموت نصف دماغه أيام الشباب !!

- جسم الانسان نسيج من ايقاعات حيوية كثيرة يقودها ايقاع «مايسترو» يجب احترامه حتى لا يتحول عزف الاوركسترا الى نشاز .

- النابهـون جميعاً حلوا التناقض بيـن الايقاعات الاجتماعيـة والايقاعـات الحيوية لصالح هذه الاخيرة .

- هل تشبه القبرة أم البومة ؟ ان معرفة ذلك يفيدك فى فهم مدى توافقك مع مهنتك وشريك حياتك ...

- احترام الايقاعات الحيوية يتطلب : ـ ان يواكب مستوى نشاطك منحنى الايقاع الحيوى شبه اليومى . ـ التحميل التدريجى والخروج التدريجى بالنسبة لاى نشاط . ـ التزام مواعيد محددة لكل نشاط من انشطتك والنوم واليقظة بالذات .

- القرود تمرض وتموت عند العبث بمواعيد نومها ويقظتها بالرغم من اكرامها في كم النوم !!

تناول الكاتب الساخر محمد عفيفى فى مقال له «العلاقة الغريبة» بين نجيب محفوظ والساعة فكتب : «يستطيع جيران نجيب محفوظ ان يضبطوا ساعاتهم على مواعيد نشاطات نجيب المختلفة .. مرة فى الصباح على لحظة خروجه من البيت .. ومرة فى المساء على اللحظة التى يضاء فيها النور فى حجرة مكتبه ... أو على اللحظة التى ينطفىء فيها النور معلناً عن انتهائه من الكتابة . فنجيب يكف فى اللحظة المحددة لذلك من قبل مهما كان عنده من الأفكار الجاهزة .. تلك اللحظة التى ربما حلت وقد انتهى من السياق الى حرف جر ، فيلقى بالقلم وينهض دون أن يكتب المجرور» . ويقرر محمد عفيفى ان «الساعة ما هى إلا رمز لما تتسم به حياة نجيب من الدقة البالغة ومن العادات الحديدية الصارمة» .

ويستمر محمد عفيفى فى تفصيل جوانب هذه الدقة حتى يأتى الى الطقوس الصيفية لحياة نجيب محفوظ فيقول «وله مقعده الخاص الذى لا يتغير بجانب نفس المائدة فى نفس الركن الذى اصطفاه رجل منظم آخر هو توفيق الحكيم . فانت تستطيع ان تضبط ساعتك أيضاً على اللحظة التى ينظر فيها الى ساعته ويصفق طلباً لفنجان القهوة الثانى» !

واذا تركنا مقال محمد عفيفى الى مقال كتبه العقاد عن نفسه بعد الستين بعنوان «كنت شيخاً فى شبابى» ، نجده يستهله مستطرداً «فلا عجب أن أكون شاباً فى الشيخوخة» ، ويقول فى طياته «ولا أرانى صنعت معجزة ان احتفظت بهذا القسط من الشباب لأنه حظ يصيبه من شاء ، وأخال طريقتى فى إصابته من أيسر الطرق للجميع فلي وقت للعمل ولي وقت للرياضة ، ولي يوم في كل أسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف ، وفض رسائل البريد ،

# أدباء ومفكرون كالساعة!

ولي مواعيد للطعام والنوم لا تختل فى يوم» .

وهكذا نرى أن العلاقة الغريبة مع الساعة ليست قصراً على واحد من كتابنا او مفكرينا البارزين . وكان بالامكان الاستطراد الى أمثلة كثيرة أخرى من حياة رهط الكبار المنضبطين ، أو من حياة امامهم جميعاً عمناويل كانط ، الذى كانت حياته تمضى فى كل جوانبها على وتيرة محسوبة «بالثانية» ، حتى انه لم يخرق موعد استيقاظه على مدى ٣٠ سنة مرة واحدة ! نقول كان يمكن الاستطراد لو أن استقصاء هؤلاء الجهابذة المنضبطين بقضهم وقضيضهم هو هدفنا . لكن ما نسعى اليه حقاً هو تفهم جوهر هذا الانضباط . وهل هو عادات غريبة أو مجرد اختيار ؟ وان لم يكن كذلك فما هى الدوافع او الضرورات التي أوجبته .. الخ ؟




ولن نبذل جهداً كبيراً فى البحث عن أسباب هذا الانضباط حتى نرى أن العقاد الذى كان مريضاً بالصدر فى بداية شبابه قد تمكن مستعيناً بالنظام الصارم الذى فرضه على نفسه من حماية جسمه من الهلاك تحت وطأة المرض الخطير ، وعاش خمساً وسبعين عاماً .. وحتى نرى ان لكانط ـ الذى عاش ٨١ سنة ـ كتابات كثيرة حول «صنعه» صحته بنفسه ، حتى انه بلغ العامين الأخيرين من حياته دون أن يعرف مرضاً من الأمراض ، بعد أن كان سقيماً ضعيفاً هزيل الجسد فى شبابه ! .. ونرى شيئاً من هذا القبيل فى حياة جوته (٨٢ سنة) وتولستوى (٨٢ سنة) وباستير (٧٤



جوته



باستير — تولستوى

سنة) فنفهم ان انضباطهم كان وسيلة لمغالبة المرض والعيش فى صحة وعافية عمراً مديداً .




لكن ما إن تطول رحلتنا بعض الشىء حتى ندرك ان العقاد صار واحداً من أكبر المثقفين فى عصره بل وفى كل عصور الثقافة العربية ، وانه لم يترك قلمه إلا قبل وفاته بأيام . أو نرى انتاج نجيب محفوظ والحكيم . أو نرى كانط واحداً بين اعظم الفلاسفه فى كل العصور ، ونعرف انه نسخ من الصفحات (بخط يده) أكثر مما نسخ أى انسان اخر على الاطلاق ... أو يطالعنا النصب العملاق الذى أقامه جوته لنفسه فى حديقة الثقافة الانسانية ...

نرى ذلك كله وغيره كثير فنفهم ان هذا الانضباط وسيلة يتحول معها الانسان الى «آلة» غزيرة الانتاج كماً وكيفاً .




وقد تطول جولتنا أكثر فنكتشف حقيقة ثالثة ورابعة وخامسة . لكننا هنا وهناك لا نكون قد أصبنا سوى جانب واحد أو مظهر من مظاهر جوهر أساسى ، احسه هؤلاء الجهابذة بما تمتعوا به من حس مرهف وتفكير سديد ، إذ وجدوا أن بعض مظاهر التمدين تعاند هذا الجوهر من حيث لا فرصة لنا فى معاندته مما يعود على الانسان بالخسران . فقرروا احترامه وتجاوز العناد . ولعل القارىء يسأل : ما هو هذا الجوهر وفيم العناد ؟

## الايقاعات الحيوية

هناك ناموس يحكم عالمنا هو ايقاعية ظواهره ، أى تكرارها خلال آماد زمنية متساوية . وجسم الانسان ليس استثناء من هذا الناموس . ويكفى لايضاح ما نقول نظرة الى عمل القلب أو الرئتين أو الدماغ ..

لقد كشفت الأبحاث العلمية التى تناولت جسم الانسان من هذه الناحية عن وجود آلاف مؤلفة من إيقاعات الأعضاء والأنسجة بل والخلايا ، يتراوح ترددها بين جزء على ألف من الثانية (أى

انها تتكرر الف مرة فى الثانية الواحدة) وبين ١١ سنة (تتكرر كل ١١ سنة) .

ولأن جسم الانسان وحدة متكاملة فلابد وان تعمل الايقاعات المختلفة فى توافق عجيب . وبالفعل وجد أن ايقاعات الكائن الحى لا تعمل خبط عشواء ، وإنما تخضع لايقاع عام يلعب دور المايسترو فى قيادتها ضامناً الا يتحول عملها الى نشاز . وعرف هذا الايقاع بالايقاع شبه اليومى لأن تردده حوالى ٢٤ ساعة . ولعل سمته الأولى هى الاتفاق مع زمن دوران الأرض حول محورها وبالتالى مع دورة الليل والنهار واليقظة والنوم . ولايضاح طبيعة عمل هذا المايسترو نذكر على سبيل المثال أنه اذا كان الايقاع العام لعمل القلب ٦٠ دقة فى الدقيقة فانه يتراوح فعلا بين ٧٠ دقة نهاراً و ٤٥ دقة ليلا . واذا كان الايقاع العام للجهاز التنفسى ١٦ دورة فى الدقيقة فانه يتراوح بين ١٨ دورة نهاراً و ١٢ دورة ليلا ... أى أن كل عضو ونسيج يخضع الى جوار ايقاعه الخاص لايقاع شبه يومى . وقد أمكن تحديد ما يقرب من ٥٠ عملية فسيولوجية فى جسم الانسان تتعرض لتذبذبات متكررة فى دورات يومية . ويمكن تشبيه هذا المايسترو بأمين على مخزن الموارد المحدودة الموجودة لدى الجسم يصرفها ويوزعها زمنياً بالصورة التى تمكن من التوفيق بين عمل الأجهزة وتجنب الجسم أية اختناقات فى الموارد . ولهذا تختلف درجة نشاط أجهزة جسمنا خلال النهار والليل ، ولهذا نحس فى وقت ما بالجوع وفى وقت آخر بالرغبة فى النوم ، وفى وقت ثالث بالملل

## ايقاع خاص بالجسم نفسه

وإن كان هذا الايقاع يتفق مع دورة الليل والنهار كما قلنا ، إلا أنه خاص بالجسم نفسه فقد ظهر أن من يعزلون عن دورة الليل والنهار يستمرون فى العيش وفق دوراتهم الخاصة شبه أو قرب اليومية . هذا وقد أثبت بعض العلماء بالتجارب التى أجروها على ذباب الدروزفيل الطابع الوراثى للايقاعات الحيوية ، إذ تمكنوا من تغيير ايقاعات حركة أجناس من هذا الذباب تعرضت لتغيرات وراثية بمؤثرات كيماوية . كما اثبتت التجارب التى أجريت على حيوانات مختلفة ان الايقاعات الحيوية محافظة للغاية . إذ أدى تغيير نظام نوم ويقظة القرود حتى مع إكرامها فى كم النوم الى تعرضها للمرض والموت بالاضافة الى أن محاولات تجريبية متعددة قام بها متطوعون للتعود على دورات عيش تستغرق ٤٨ ساعة أو ١٨ ساعة ، .. اذ وجد أن أجهزة أجسامهم تستمر بالرغم من ذلك فى العمل وفق الايقاع شبه اليومى . ومن الأمور الطريفة فى هذا الصدد أنه كان على بعض رواد الفضاء الأمريكيين العمل وفق جدول ٤ ساعات عمل تتلوها ٤ ساعات راحة ، وبعد فترة من التحليق أبلغ الملاح محطات المراقبة الأرضية بأنه يرى ملاكاً يحلق بجوار نافذة سفينته ، لكن الملاك سرعان ما اختفى بعد أن تم تغيير ايقاع عمله وراحته !

ولعل مثال رائد الفضاء ينقلنا مباشرة الى جوهر المشكلة التى يواجهها الانسان المعاصر والتى ذكرنا أن هؤلاء الجهابذة قد حلوها بالانضباط الشديد .

## الايقاعات الاجتماعية

إن الانسان لا يعيش وحده فى الكون. ولكل جسم فى الكون ايقاعاته الخاصة . وللايقاعات المختلفة علاقات متبادلة تحكم حياة الكون كله . وهذا يعنى أن ايقاعات الانسان قد عملت دوماً فى علاقة بايقاعات الطبيعة . لكن المدنية جاءت لتضيف مجموعة اخرى من الايقاعات الاجتماعية نكتفى منها على سبيل المثال بأن ليلنا كثيراً ما يتحول الى نهار ، بكل ما ينطوى عليه ذلك من تحول أنشطة النهار الى أنشطة ليل .. فمن عمل الى حفلات ساهرة وموائد شهية .. الخ . وكل هذه التأثيرات تعاكس نشاط المايسترو وتثير الفوضى بين ايقاعات أوركستراه — فان كانت توجيهاته تقضى بأن تفرز المعدة أنزيماتها وعصاراتها لآخر مرة فى الثامنة فانها تفاجأ بالطعام بعد منتصف الليل دون أدنى استعداد ، وإن كانت أوامر المايسترو تقضى بأن تبدأ بعض أجهزة الجسم خفض نشاطها اعتباراً من التاسعة ، فان هذه الأجهزة تفاجأ بتصاعد الاحمال عليها اعتباراً من العاشرة !! والنتيجة الحتمية هى الخلل الوظيفى فى أداء الأجهزة ، الأمر الذى يؤدى الى ما نسميه بأمراض العصر من القرحة الى الأرق والاجهاد والتوتر . الخ

واذا عدنا الى ما ذكرناه من أن الايقاعات الحيوية وراثية ومحافظة للغاية وأضفنا الى ذلك أنها تشكلت من خلال انتقاء تطورى طويل ، أدركنا مدى استحالة تغيير الايقاع شبه اليومى وضرورة احترامه وعدم معاندته . وهذا ما توصل اليه صف الجهابذة المنضبطين الذين افتتحنا بهم المقال . إن الانضباط ضرورة استجابوا لها سواء عن وعى (بابعاد تأثيره) أو عن غير وعى ، فكان نصيبهم أن غنموا الصحة والعافية وطول العمر ، لأنهم تجنبوا النشاز ، وكفوا عن قتل أجسادهم بالتدريج . ولأن العقل السليم فى الجسم السليم فقد اهدوا البشرية ما أهدوها من ثمار عقولهم اليانعة ..



هنا نكون قد أقمنا المسالة على قدميها وبعدنا بها عن كل تغريب واغراب . لكن هدفنا أبعد من ذلك كما هو ظاهر من عنوان المقال . لقد استعنا بهذا الصف المهيب من النابهين إمعاناً فى إغراء القارىء ، بعد إقناعه ، بتنظيم مختلف أنشطته تنظيماً صارماً يتفق وايقاعاته

# أدباء ومفكرون كالساعة!

الحيوية . لهذا نود تفصيل بعض الخطوط العملية العامة التى تساعد كل من يريد الأخذ بنواميس الايقاعات الحيوية فى وضع البرنامج السليم لمعيشته وعمله .

## توجيهات عامة تطبيقية

والبداية الصحيحة هنا تنطلق من تدقيق ماقلناه من أن الايقاع المايسترو هو الايقاع شبه اليومي. وفى اتصال بذلك وجد أن كمية الهرمونات الموجودة فى الدم تقل ليلا بالتدريج ، وتصل هى ودرجة حرارة الجسم الى اقل مستوى لهما فى الساعات الأولى من اليوم (الثانية الى الرابعة) وبالقرب من الفجر يبدأ الاثنان فى الارتفاع تدريجياً ، وتستمر هذه العملية خلال النهار ، وبالقرب من المساء يبدآن فى النقصان تدريجياً ، وبالتدقيق فى منحنى تغيرهما الذى يجب أن ينظم نشاط الانسان بحيث يتفق معه ، وجد أن له ذروتين (مثل جمل بسنامين) إذ ينحدر بعض الشيء بعد النصف الأول من النهار ، ثم يعاود صعوده من جديد .

ويستطيع كل انسان أن يحدد وقت ذروتى نشاطه الحيوي بتسجيل درجة حرارته دورياً (شرط قياسها بصورة صحيحة) وتوقيعها بيانياً ، وذروتا النشاط تتفقان كما أشرنا من قبل مع بلوغ درجة الحرارة أقصى مستوى لها .

وقد بينت التعميمات الاحصائية أن القمة الأولى تقع بين الحادية عشرة والثالثة عشرة ، والقمة الثانية بين السابعة عشرة والعشرين ، وان كنا نحيل القارىء من جديد الى إيقاعه الخاص . هذا ويمكن تحديد وقت الذروتين بصورة وضعية عن طريق رصد حالة النشاط خلال عدة أسابيع .

وإن كانت نقطة البداية بالنسبة لأى فرد هى معرفة الشكل العام لمنحنى نشاطه فان الخطوة التالية هى معرفة ما اذا كانت موجة النشاط الأولى أم الثانية هى الأعلى .

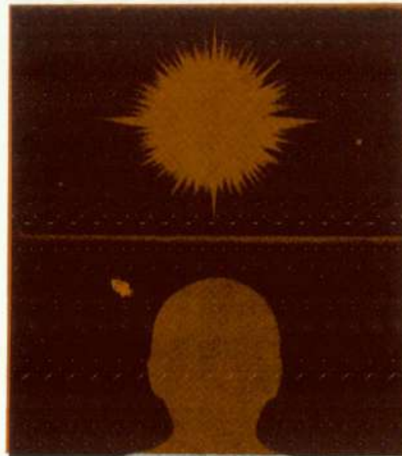


## هل أنت قُبَّرَة أم بومة ؟

وتجدر الاشارة هنا الى أن بين بنى البشر من يشبهون القبرات ، وهؤلاء يبكرون فى الاستيقاظ ، ويعملون على نحو أفضل خلال النصف الأول من اليوم – وبينهم من يشبهون البوم ، وهؤلاء يفضلون الاستيقاظ متأخراً ، وتتزايد أنتاجيتهم فى المساء .

وهذا لا يعنى أن كل فرد ينتمى بصورة صارمة الى مجموعة من المجموعتين فوفقاً لمعطيات الفسيولوجى النمساوى «هامب» تبين أن نصف من فحصهم يستطيع التأقلم على نمطي النشاط الصباحى والمسائى ، وأن سدسهم من النوع الصباحى ، وثلثهم محض مسائى .

ومن دراسة قام بها العالم السويدى «أوستبرج» تبين أن الصباحيين من حيث الايقاع الحيوى يرتبكون ويضارون على نحو أكبر عند تعرضهم لما يخل بايقاع نشاطهم ، وان أكثر ما يتأثر بذلك هو نومهم وطعامهم .



فعلى سبيل المثال كان الواحد منهم ينام نصف ساعة أقل من المعتاد كلما عمل وردية ليلية ، وكان يعانى خلال ذلك من ضعف فى الشهية وخلص «أوستبرج» من دراسته الى أن ايقاع نشاط الصباحيين أقل مرونة فى مواجهة التغيير مقارنة بالمسائيين . ومن الطريف فى هذا الصدد أن اليابانيين يقصون عن العمل فى الوردية الليلية كل عامل يتجاوز النقص فى وزنه حداً معيناً ، معتبرين إياه غير صالح للعمل فيها .

ومراعاة ما اذا كان الانسان من الصباحيين أو المسائيين أمر لا تقتصر أهميته على معرفة أنسب ساعات النوم واليقظة بالنسبة له وبالتالى التوزيع الزمنى الأمثل لمنحنى النشاط اليومى فله أهميته الكبيرة بالنسبة لمعرفة مدى موافقة المهنة للمرء (العاملون بالطيران المدني مثلا عليهم باستمرار مواجهة آثار الانتقال بين المناطق الزمنية المختلفة خلال رحلاتهم) وبالنسبة لمجالات كثيرة أخرى منها على سبيل المثال العلاقات الأسرية و الشجار . وهناك إحصائيات تؤكد أن الشجار النـــاتج عن تفاوت الأمزجة يزيد كثيراً فى الأسر التى ينتمى احد أفرادها الى النوع الصباحى بينما ينتمى الفرد الثانى الى النوع المسائى لهذا يستحسن أن يعرف المقدمون على الزواج الى أى نوع ينتمى كل منهم . وكذا يلزم ان يعرف الطالب الى اى نوع ينتمى قبل الانخراط فى عملية السهر خلال فترة الامتحانات . ويمكن للانسان أن يحدد النوع الذى ينتمى اليه من الاختبار المرفق وهو مقتبس من اوستبرج .

## تسخين الوظائف الحيوية

وعلينا بعد ذلك الاشارة الى ضرورة انخراط المرء فى أى نشاط بصورة تدريجية اذا أراد أن يمارس هذا النشاط لفترة طويلة وعلى مستوى طيب . ويرجع ذلك الى حاجة الوظائف الحيوية الى «عملية تسخين» مثل تلك التى يقوم بها الرياضيون حول الملعب قبل دخوله . وحبذا لو وصل المرء الى ذروة نشاطه الفعلى مع ذروة منحنى نشاطه الحيوى.
ومن الطريف أن العلماء ينصحونك

بادخار فترة الذروة لأهم ما تقوم به من أعمال ، ويصفون هذه الفترة بأنها ساعات القرارات الهامة والقيام بالأعمال الحساسة .



هذا ويجب أن يراعى المرء الخروج من كل نشاط بصورة تدريجية ، ويراعى أن تتابع دائرة النشاط اليومى بعد اليقظة فى موعد ثابت من «تسخين» الى عمل ثم راحة واسترخاء ، يتبعهما النوم . أى على المرء أن يوقت ذروة عمله مع أوج منحنى النشاط الحيوى ، ويقلل من نشاطه تدريجياً بعد ذلك حتى النوم ، الذى يجب أن يأتيه المرء فى موعد ثابت . ولابأس من أن نذكر هنا تدليلا على أهمية النوم واليقظة فى مواعيد ثابتة أن القرود التى تعرضت لتجارب فى هذا الصدد ، كانت تمرض وتموت عند عبث الانسان بمواعيد نومها ويقظتها بالرغم من أنه كان يكرمها فى كم النوم !!

ولابأس فى النهاية أيضاً من التأكيد على أن العلماء توصلوا الى أن التوافق فى عمل أوركسترا الايقاعات الحيوية الذى يقوده الايقاع شبه اليومى ، يعنى الصحة والعافية وأن الخلل فى توافق الايقاعات الحيوية يعنى المرض ، وأن بلوغ الخلل مدى يقضى على الانتظام تماماً يعنى فناء الكائن الحى .

إن احترام الساعات الحيوية للجسم هو الطريق الى الصحة والعافية ، والانتاج الوفير فهل تحاول أن تكون لك مثل ساعة محفوظ ، والعقاد ، والحكيم ، وكانط ؟

محمد فتحى عبد الفتاح





# هــل أنت قبرة أم بومه ؟

عليك باختيار الاجابة المناسبة عن الأسئلة التالية :

● هل يصعب عليك الاستيقاظ مبكراً ؟
١ ـ نعم على الدوام ب ـ فى بعض الأحيان . ج ـ نــادراً . د ـ نادراً جداً .

● إن كان الاختيار لك ، ماهو الموعد الذى تفضل فيه الذهاب إلى سريرك ؟
١ ـ بعد الواحدة ليـلا .
ب ـ بين الساعة ٢٣.٣٠ والواحدة . ج ـ بين ٢٢ و ٢٣ .
د ـ قبل الساعة ٢٢ .

● ما هو الأفطار الذى تفضل تناوله خلال الساعة الأولى بعد يقظتك ؟
١ ـ ثقيل . ب ـ متوسـط .
ج ـ خفيف . د ـ يكفى كوب شاي أو قهوة .

● تذكر نوبات الشحان الأخيرة فى العمل والمنزل . فى أى وقت وقعت ؟
أ ـ خلال النصف الأول من اليوم ب ـ خلال النصف الثانى .

● عن أى شىء يمكن أن تتخلى بسهولة أكبر ؟
أ ـ شاى أو قهوة الصباح
ب ـ شاى المساء .

● ما هى الدقة التى يمكنك بها أن تحدد مرور دقيقة من الوقت (استعن بأحد على تحديد ذلك) ؟
أ ـ بفارق يقل عن دقيقة
ب ـ بفارق يصل الى دقيقة أو أكثر .

● باى درجة من السهولة تختل عاداتك الغذائية خلال العطلة أو الاجازة ؟
أ ـ بمنتهـى السـهولة
ب ـ بسهولة ج ـ بصعوبة
د ـ تبقى دون تغيير .

● ما هى الفترة التى تبكر بها عند الذهاب الى الفراش ان كان ينتظرك عمل هام فى الصباح ؟
أ ـ أكثر من سـاعتين
ب ـ ساعة الى سـاعتين
ج ـ أقل من ساعة د ـ أذهب فى الوقت المعتاد .

بعد الاجابة قدر درجاتك مستعيناً بالجدول التالي :

---

١ و ٢ و ٨ ـ ١ = ٣ ب = ٢ ج = ١ د = صفر
٣ و ٧ ـ ١ = صفر ب = ١ ج = ٢ د = ٣
٤ ـ ١ = ١ ب = صفر
٥ ـ ١ = ٢ ب = صفر
٦ ـ ١ = صفر ب = ٢

---

اجمع درجاتك بعد ذلك . والحد الأقصى للدرجات ٢٠ والأدنى صفر . كلما صغرت درجتك كنت أقرب الى النوع الصباحى (القبرة) ويجمع النوم المتوسط عدداً من النقاط يدور حول (١٠) بينما يجمع النوع المسائى (البومة) عدداً كبيراً من الدرجات .

# دمعة على عنتر !

بقلم : عبـاس خضـر

أعدت مائدة الغداء ، وجلسنا إليها صامتين فاترين ، نحس أن شيئاً ناقص .. هو «عنتر» كلبنا المحبوب ، وقد تعودنا أن نأكل وهو يطوف بالمائدة يهز ذيله ويتمسح بأرجلنا ، وخاصة رجلى ولدى «تامر» الذى يرمى اليه بما يحب من الطعام فى سخاء ، وأحياناً يتغفلنا : ينظر يميناً وشمالا ليتحقق أن أحداً لا يراه ، فيرمى إليه قطعة لحم .. فاذا لمحته أمه نهرته وحثته على أن يأكل اللحم ويرمى العظم للكلب .

نهاية الأمر أن « عنتر » قد مات قتله صباح اليوم أحد المكلفين . بمكافحة الكلاب الضالة ، وعلم الله أن «عنتر» لم يكن كلباً ضالا ، وإن لم يكن فى رقبته الطوق الجلدى الذى يدل على أنه ينتمى إلى صاحب قد استخرج له «رخصة» .. كان عنتر ينتمى إلينا برغم ذلك .

مسكين عنتر ، ونحن أيضاً مساكين .. لأننا فقدناه ، فقدنا أنيساً وحامياً حمانى مرة من شر مستطير سأحدثك به بعد قليل .

قمنا عن المائدة حزانى صامتين ، منا من لم يذق الطعام ، ومنا من لاك بعضه وازدرده بدون شهية ولم يواصل ! تجمدت الدموع فى أعيننا ، كأننا نخشى أن يقال إننا نبكى على كلب ..

قالت لى زوجتى عندما عدت ظهراً :

ـ لقد صوب إليه البندقية ، وأطلق عليه رصاصة صرعته .. هتفت به :

ـ شلت يمينك .. ألم تجد غير عنتر ؟

الواقع انى لم أدر ماذا قلت بالضبط ، فقد غبت عن الوعى ..

قلت لها وأنا حزين :

ـ لماذا لم تخبئوه عن أعين أولئك القساة ؟

ـ كيف كنا نفعل وقد خرج عنتر إلى ذلك الرجل ينبح بشدة ويهجم عليه يريد أن يفترسه ..

ـ لابد أنه توجس منه الشر .

عنتر لم يكن له مثيل فى توجس الشر ، كأنه يشم رائحته ، ليست حاسة الشم عنده قاصرة على الأشياء المجسمة ، بل تشمل ما يدور فى نفوس الناس !

أنا شخصياً مدين بحياتى له : لتلك الخاصية فيه ، كما سأحدثك بعد قليل ، أمهلنى حتى أفضى إليك بنبذة وجيزة عن حياته : حياة الفقيد العزيز .. من حيث علاقته بنا ، لم أكن أحب اقتناء الكلاب ، ولم أقتن كلباً قبل عنتر ولا بعده عدت يوماً إلى المنزل فوجدت جرواً ، وسألت مستنكراً :

ـ ما هذا ؟ ومن جاء به ؟

قالوا :

ـ إن «تامر» تعلق به وأصر على استبقائه .

و «تامر» ولدى الصغير رغباته مستجابة ، ولكنى فى لحظة الاستنكار قلت :

ـ هذا كلام فارغ .. أخرجوه حالا .

وهموا باخراجه ، ولكن الولد الصغير تشبث به وبكى ! وأنا «أشخط وأنطر»



ولكنى ضعيف أمام تامر ولا يسعنى إلا تلبية رغباته ..

أطلقت عليه اسم «عنتر» رافضاً الأسماء الافرنجية التى تسمى بها الكلاب ، وقلت فليبق من أجل تامر .

ونشأ عنتر وتامر معا ، يلعبان معاً ، ويتواثبان معاً ، لا يكادان يفترقان .

قلت لزوجتى :

ـ وهل رأى تامر ما حدث ؟

ـ لا ، كان نائماً ، ولم يعلم حتى الآن ، فهو لا يزال نائماً .

كان ذلك لحسن الحظ ، ولا تسأل عما حدث بعد ذلك حين علم وفهم ـ على قدر علمه وفهمه ـ أن عنتر ذهب ولن يعود .. كأنما كانا توأمين ومات أحدهما وبقى الآخر فى حسرة .. ولحسن الحظ كذلك أن الأطفال ينسون بسرعة ، فلم يبق فى ذاكرة تامر بعد مدة شىء عن عنتر ، ولكن ذاكراتى تعى كل شىء ، وكيف أنسى أنى ـ كما قلت ـ مدين بحياتى لعنتر ..

وهاك الحكاية :

كنا نسكن فى ضاحية منعزلة عن العاصمة ، بينهما فراغ من مزارع واسعة يقطعها قطار حديدى يسير بين الضاحية والعاصمة ، ليس ذلك الفراغ موجود الآن فقد زحفت إليه المبانى وملأته ، ومع هذا مازالت أزمة الاسكان قائمة !

ما علينا .. كان بيتنا قائماً وحده بين أرض فضاء لم تبن بعد ، وفى ليلة كنت وحدى هناك ، ليس معى إلا عنتر .

دق الباب ، ونبح عنتر . تراخيت قليلا عن الذهاب إلى الباب وفتحه ، واتصل دق الباب ، وارتفع نباح عنتر ، وصار يجرى بين الباب وبينى كأنه يحول بيننا .. أو كأنه يقول لى : لا تفتح الباب !

ولكن لابد أن أفتح الباب ، وخاصة لما تعذر سماع صوت من يدق ، لنباح الكلب الشديد الذى يشبه العواء .. وفتحت ، فوجدت رجلا يرتدى ثيابا بلدية وبيده عصا غليظة ،وقال لى انه من الشرطة ، ويريد أن ينبه على ضرورة وضع مصباح أمام البيت فوق الباب ، لأن الشارع مظلم لم تشمله الانارة بعد ..

كان يتكلم بصوت عال كى أسمعه ، لأن عنتر وقف بيننا مستمراً فى نباحه الشديد . ثم انصرف الرجل بعد أن



أبديت له الموافقة على وضع المصباح .

ثم تحدثت بعد ذلك إلى من قال لى :

ـ أحمد الله على سلامتك ..

ـ كيف ذلك ؟ الحمد لله على كل حال ، ولكن ماذا تقصد ؟

ـ إن الرجل ليس من الشرطة ، ولولا الكلب لأنفذ فيك باقى خطته ..

ـ خطته ؟ أى خطة ؟

ـ ألم تقرأ فى الصحف عن حوادث مشابهة ، إذ يفتح صاحب البيت أو صاحبته ، فيبادره الرجل بضربه فوق رأسه فيغيب عن الوعى ويسقط على الأرض ، وقد تكون الضربة قاتلة ، على حين يسرع الرجل المقتحم إلى إغلاق الباب ، ثم يدخل فيسرق ما تطوله يده ويسرع بالفرار ..

ـ آه .. قلما أقرأ تلك الحوادث .

ـ يجب أن تقرأها لكى تلتفت الى مثل ذلك .

ـ الآن فهمت نباح عنتر الشـــديد وموقفه من الرجل ، حتى جعله يتراجع عن تنفيذ خطته خوفاً منه .

وأردت أن أستوثق من حقيقة الأمر ، فذهبت إلى قسم الشرطة الذى يقع منزلنا فى دائرته ، وسألت ، وأجبت بأنهم لا يرسلون أحداً بمثل ذلك !

ولما عدت إلى البيت ناديت عنتر ، فهرع الى يهز ذيله ، ووددت لو يفهم الكلام فأشكره ، وأقول له إنى مدين له بحياتى ، ولكنى شكرته عملياً ، إذ مسحت على رقبته بحنان وعطف وحب ، وجاء «تامر» فأخذته بالحضن وقبلته ، ورأيت أن له هو أيضاً مثل فضل عنتر ، اذ كان سبباً لاقتنائه ، ولولاه مارضيت ببقاء الكلب عندنا .

●●

بكت زوجتى يوماً بعد حادث موت عنتر إذ تذكرته حينما تناثرت منها الدجاجات وشردت من الحظيرة التى أقامتها لها فى حديقة المنزل الصغيرة .. فتحت باب الحظيرة فخرجت الدجاجات تجرى هنا وهناك ، وهى تعدو وراءها لتمسك بها وتعيدها الى الحظيرة ـ تذكرت عنتر وبكت ، لأنه كان يجرى وراء الدجاجة الناشزة ويحملها على العودة إلى الحظيرة دون أن يمسك بها .. لا تدرى كيف !

●●

ويوم مات عنتر وبعده بأيام شعرنا بفراغ حزين .. لم أملأ ذلك الفراغ بعد بأى كلب .. فأنا كما قلت لك لا أحب اقتناء الكلاب ، وكان عنتر فلتة .. كان شيئاً آخر لا يعوض ..

كنا نذكره خاصة عندما نجلس الى المائدة لتناول الطعام ، يمضغ الواحد منا قطعة اللحم حتى اذا بلغ العظم تلفت حوله بحثاً عن موقع عنتر .. فلا يجده ، فيضع العظم على المائدة وقد تغير طعم اللحم فى فمه .. صار مراً وكان طيباً ..

وكانت زوجتى تذكره عند حظيرة الدجاج فتفر من عينها الدمعة ..

أما «تامر» فقد ظل يذكره عدة أيام ، ويناديه ، ويسأل عنه ، ويعلله المجيب بأن عنتر ـ وان كان قد ذهب ـ سيرجع قريباً .. ثم نسي تامر عنتر ، وليتنا أطفال فننسى ..

كانت «الجنازة حارة والميت عنتر» وليس موت عنتر بالأمر الهين .. فليكف الساخرون عن سخريتهم وليغيروا أو يلغوا هذا المثل : «الجنازة حارة والميت كلب» من أمثالهم ، فهو مثل كاذب ، على الأقل بالنسبة الى عنتر !

واحسرتاه عليك أيها الفقيد العزيز !

عباس خضر


أينشتين


ليونارد دافنشي

التطورات العلمية والتكنولوجية التى تجرى حالياً ، ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين ، تفوق بشكل جذرى ما كان يجرى منذ نصف قرن مثلا . وذلك من اتساع المجال وشدة التعقيد ، ومن ثم حيث تصبح الحاجة ملحة أشد ما يكون الالحاح لأعداد متزايدة من العناصر الموهوبة ، فى كل المجالات .


توماس اديسون


جيمس وات

## الابتكار العلمي والتكنولوجي

# ظاهرة الإبداع وتأثيرها في الاقتصاد القومي

بقلم : الدكتور جلال شوقي عميد كلية الهندسة - جامعة قطر

إن الفكر الأصيل المبتكر ـ الذى يعد من أعلى إنجازات الانسان مرتبة ـ قد استحوذ ولاشك على اهتمام ودراسة عدد كبير من الباحثين فى شتى الميادين من تربية وعلم نفس وعلوم وفنون وهندسة وتكنولوجيا ، ولقد عرجت بعض هذه الدراسات على موضوع الابداع الخلاق من وجهة النظر العلمية ، بيد أن كثيراً من البحوث التى أجريت مؤخراً قد ركزت تركيزاً خاصاً على وسائل تنمية القدرات الخلاقة وتنشيطها ، كذلك هناك دراسات تجريبية كثيرة ترمى إلى الوقوف على تأثير العوامل المختلفة على القدرات الخلاقة ، وتعد هذه الدراسات ذات أهمية خاصة فى المجال التطبيقى وذلك لعدة اعتبارات نجملها فيما يلى :

أولا : إن معدل تراكم الانجازات والمعارف العلمية فى تزايد متواصل ، الأمر الذى تواكبه الحاجة الماسة لمزيد من الاستثمار التكنولوجى لهذه المعلومات العلمية التى تزداد بعلاقة أسّيّة ، وعلى ذلك فان التطبيق الهندسى والتكنولوجى يلهث وراء التقدم العلمى ولا يكاد يلتقط أنفاسه .

وجدير بالذكر أن نشير فى هذا الصدد إلى ما قاله اللورد هالسبرى ( LORD HALSBURY ) فى محاضرة ألقاها

عام ١٩٧١ من أنه قام بإجراء تحليل لمائة اختراع ، خلص منه إلى أنه فى المتوسط يبدأ المخترع العمل فى اختراعه متأخراً بفترة تبلغ حوالى ٣٠ عاماً عن سنة التوصل إلى المعلومات العلمية التى يبنى عليها اختراعه ، أى أن التطبيق الهندسى يجيء متأخراً عن الانجاز العلمى بفترة زمنية ليست بالقصيرة .

ثانياً : إن التطورات العلميـــة والتكنولوجية التى تجرى حالياً – ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين – تفوق بشكل جذرى هائل ما كان يجرى منذ نصف قرن مثلا ، وذلك من حيث اتساع المجال وشدة التعقيد ، كذلك فان مستويات الأداء والسلوك فى ارتفاع متصل ، ومن ثم كانت الحاجة ملحة أشد ما يكون الالحاح لأعداد متزايدة من العناصر الموهوبة ، كذا من المهندسين ذوى القدرات الخلاقة ممن يستطيعون العمل بنجاح ضمن مجموعة عمل .

ولما كان مجال الهندسة يختص بتطوير المنتجات وتحديث الأساليب وتطويع وتسخير المصادر الطبيعية لخير البشرية ، فان النجاح الهندسى يرتكز ارتكازاً أساسياً على استيعاب الانجازات العلمية ، وعلى التطوير المناسب للأفكار الجديدة ، وعلى ذلك يتعين على المهندس المصمم أن يكون قادراً على ابتكار حلول جديدة للمشاكل ، وتطوير هذه الأفكار إلى مفاهيم يقبلها المجتمع ويفيد منها .

## الابداع الخلاق

الابداع اسم يطلق على العمل المتميز بشكل هائل ممتنع ، يفوق بكثير ما هو عادى أو مألوف أو معروف ، وقد يكون الابداع ابداع أداء ، أو ابداع خلق ، وهذا الأخير هو ما نعرض له هنا بالدراسة .

إن الابتكار أو الاختراع يقوم على فكرة أصيلة غير مسبوقة ، بينما التجديد هو أسلوب تحقيق أو تجسيد الاختراع من الوجهة العلمية ، أما الابداع الخلاق فانه يقوم على فكر عبقرى فذ رفيع الدرجة يفتح آفاقاً جديدة لم تكن موجودة من قبل .

هذا ويعتبر الأستاذ جيلد فورد GUILD FORD من أهم رواد دراسة الملكة الفكرية ، وله فيها نظرية تقول بأن هذه الملكة يمكن تعريفها بوساطة ١٢٠ عاملا مستقلا . ويقول جيلد فورد إن العوامل التى تخص الابداع الخلاق يمكن تقسيمها إلى مجموعتين أساسيتين هما :

● مجموعة الفكر المتشعب ، وتتصل بتكوين أو تركيب الأفكار .

● مجموعة الفكر المتركز ، وترتبط بالتعريف والتحليل والتقويم .

## حدود الابداع وظروفه

إن الحديث عن الابداع لا تتسع له مجلدات ضخمة وإن تعددت ، بيد أن هناك سمات وقضايا هامة ترتبط بالابداع لا مناص من الاشارة إليها هنا استكمالا للخلفية العامة لموضوع هذه الدراسة .

● إن العمل الابداعى الخلاق لا يمكن التوصل إليه بطريق التعليم او الدراسة إن لم يكن المرء يملك قدراً من مثل هذه القدرات ، وإنما يمكن الكشف عما هو موجود من هذه القدرات ، كما يمكن أيضاً حسن توجيهها والافادة منها ، ولعل ما قاله المخترع العظيم توماس إديسون من أن الاختراع يجرى من الانسان الموهوب مجرى الدم فى العروق ، لعل هذا القول يكون من أروع ما قيل فى هذا الشأن .

يقول توماس إديسون (١٨٤٧ – ١٩٣١) :

« إن كان الالهام يشكل واحدا بالمائة من العبقرية ، فان التسعة والتسعين جزءاً الباقية تجرى من العبقرى مجرى التنفس فيه » ، أو بعبارة أخرى إن العبقرى قد خلق مالكاً لهذه القدرة الابداعية الخلاقة .

● من المعروف أن نسبة ذوى القدرات المبدعة بين الناس لا تتعدى حوالى ٢ فى المليون .

● يتباين الابداع من حيث أنواعه ومجالاته وأنماطه ودرجاته ، كما أنه يختلف كما وكيفا .

● لم تثبت الدراسات الحديثة وجود ارتباط وثيق بين الذكاء والمقدرة الخلاقة .

● ظهرت حالات إبداع كثيرة بالرغم من تواضع النشاة والتربية ، وهناك أمثلة كثيرة لعباقرة لم يتلقوا قسطاً من التعليم ، ولم يقف هذا القصور عائقاً فى ظهور ملكاتهم .

● بينت الدراسات المتخصصة أن هناك علاقة بين القدرة الابداعية وعمر الانسان حيث إن هذه القدرة تصل – فى المتوسط – إلى ذروتها فى مقتبل الثلاثينات ، إلا أنها تتعرض لانخفاض حاد عند سن الخامسة والثلاثين .

● هناك اتجاه سائد يدعى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الابداع الخلاق واختلاف الأجناس البشرية ، من ذلك ما جاء على لسان النظّام ( ٨٠١ – ٨٣٥ م ) على سبيل المثال حيث يشير إلى تأثير خصائص الانسان بالبيئة التى ينشا فيها ، فيقول (١) : « إن الأمة التى لم تنضجها الأرحام ، ويخالفون فى ألوان أبدانهم أو حدق عيونهم وألوان شعورهم سبيل الاعتدال ، لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم وشمائلهم وتصرف هممهم فى لؤمهم وكرمهم ، لاختلاف السبك وطبقات الطبخ وتفاوت ما بين الفطير والخمير ، والمقصر والمجاوز .

– وموضع العقل عضو من تلك الاعضاء ، وجزء من تلك الأجزاء – وكالتفاوت الذى بين الصقالبة والزنج ، وكذلك القول فى الصور ومواضع الأعضاء .

ألا ترى أن أهل الصين والتبت وحذاق الصناعات لها فيها الرفق والحذق ولطف المداخل والاتساع فى ذلك والغوص على غامضه وبعيده ، وليس عندهم إلا ذلك ، فقد يفتح لقوم فى باب الصناعات ، ولا يفتح لهم سوى ذلك » .

هذا ولا نميـــل إلى الاعتقاد بأن الابداع وقف على جنس دون آخر ، وإنما قد يمكن تفسير ظاهر الأمر بضعف الفرص المتاحة أمام الشعوب الأقل حضارة فى ظهور المواهب الابداعية الكامنة فيها .

## القدرات الابداعية الخلاقة

لاشك أن هناك تبايناً كبيراً فى ميادين الابداع وانماطه ، إلا أن هناك عوامل مشتركة بين ذوى القدرات الابداعية ، نخص منها بالذكر ـ فى مجال الابتكار العلمى والتكنولوجى ـ العوامل الآتية :

● التنبه إلى المشكلات والاحساس بها والاستجابة لحلها .

● الطلاقة فى الموهبة الابداعية ، ونقصد بها :

أ ـ طلاقة الفكر .
ب ـ طلاقة الترابط .
جـ ـ طلاقة التعبير .

● الطاقة الدافعة .

وبها يجد المرء المبدع ضالته بالانغماس فى العمل الجاد الأصيل والاستمتاع به ، فهو خير ملجأ له لا سيما عند مواجهة المصاعب والتحديات .

● المرونة والتجديد فى التفكير ، أى عدم التصلب أو التحمس لفكرة دون سواها .

● القدرة على التحليل والتكوين .
● القدرة على الاستفاضة والتوسع .
● القدرة على مواجهة التعقيد .
● القدرة على إعادة التنظيم والتنسيق والتحويل والتحوير .
● القدرة على تقويم العمل .

## صفات المبدع وسلوكه

من الطبيعى أن المرء الذى يتمتع بقدر عال من القدرة الابداعية هو إنسان غير عادى والا لما كان متميزاً بين من سواه ، ومن ثم كانت له سمات خاصة بعضها فيه إفراط ، وبعضها الآخر فيه تفريط ، ونجمل فيما يلى أهم الصفات والسلوكيات التى يتسم بها المبتكرون :

ـ يكون المرء المبدع ذا فكر حر مستقل أصيل له قيمه الخاصة ، ويتمتع بالاكتفاء الذاتى ، ومن ثم فقد لايهتم برأى الآخرين فيه ، ولا يعبأ بنقدهم له .

ـ يتمتع المرء المبدع بثقة كبيرة فى نفسه ، حيث إن الأصالة تؤدى إلى النجاح ، وهذا يؤدى بدوره إلى الثقة بالنفس من حيث حسن حكمه وتقديره للأمور .

ـ من مزايا الثقة بالنفس دفعها المرء إلى التصدى لمشكلات صعبة قد يحجم عنها الآخرون .

ـ قد يؤدى فرط الثقة بالنفس إلى العجب والغرور ، كذا إلى توكيد الذات وتولد الحساسية ضد التعليق أو النقد ، كما أنه قد يدفع المرء إلى ممارسة العناد الاجتماعى .

ـ يتمتع المرء المبدع بشجاعة معنوية عالية .

وفضلا عن هذه السمات العامة لشخصية المبدع فان هناك صفات أخرى يختص بها المبتكرون من أهل الهندسة منها :

ـ العزم والاصرار على تطويع الظروف المحيطة والسيطرة عليها ، وهذه السمة هى التى يشير إليها جورج برنارد شو بقوله : « المرء المعقول يكيف نفسه على هوى العالم ، أما المرء غير المعقول فانه يصر على محاولة تطويع العالم لذاته ، ومن ثم فان التقدم بأسره يعتمد على المرء غير المعقول » .

ـ التمتع بروح المغامرة وارتياد المجهول .

ـ شدة حب المعرفة العلمية .

ـ الأصالة فى نوعية الأفكار والانطلاق فى طرحها .

ـ الاستقرار العاطفى وانخفاض مستوى القلق العام .

ـ القدرة الفائقة على التفكير المنطقى وتحليل وتفسير الظواهر والنتائج .

ـ القدرة الفائقة على التصور المجسم ( فى الفراغ ) واستيعاب المفاهيم والمساقط والمسارات ومعالجتها بيسر واقتدار .

ـ القدرة على التخيل المنطلق خارج المحسوسات والملموسات ، أى القدرة على التوجه بالفكر وإعماله خارج أرض الواقع ، إلى عالم آخر من نسج خياله ، هو أقرب إلى التصور الحالم .

ـ مع استيفاء حد أدنى معين من الذكاء ، لم يثبت أن هناك ارتباطاً بين الذكاء وبين القدرة الخلاقة .

ـ التوازن بين التصور والخبرة ، وهو ما يمكن من تحقيق الأفكار المبتكرة .

## مراحل الفكر الخلاق

يمر الفكر الخلاق بمراحل أساسية تبدأ بمرحلة التعرف على المشكلة أو

تحديدها وتعريفها وهى مرحلة لاشك فى غاية الأهمية ، عنها يقول أينشتين وانفيلد :

« إن صياغة المسألةكثيراً ما يكون أكثر قرباً للأساسيات من حلها ، ذلك الحل الذى قد لا يقتضى أكثر من معالجة رياضية أو مهارة تجريبية ، أما إثارة أسئلة جديدة وامكانيات حديثة وامعان النظر فى مشكلات قديمة من زاوية جديدة ، فان كل ذلك يتطلب تصوراً خلاقاً الأمر الذى يحدو إلى طريق التقدم الحقيقى فى العلم » .

وتلى مرحلة صياغة المسألة مرحلة جمع المعلومات والبيانات والعلاقات العلمية الخاصة بالمشكلة ، ثم تجىء مرحلة الحضانة حيث يجرى تقليب الأفكار واسترجاع واستعراض المعلومات الكامنة وهى المرحلة التى تؤدى إلى تولد الأفكار وإطلاقها من عقالها ، وتعقب ذلك مراحل التجريب والتعديل والتحقق والتقويم .

## الانتاجيــــة العلمية والتكنولوجية

فى بحث أجراه البروفسور ماركيس MARQUIES الأستاذ بمعهد ماساشوسيت التكنولوجى M.I.T. بالولايات المتحدة الأمريكية بخصوص تباينات القدرة الانتاجية للأفراد ، وجد ماركيس أن صفات :

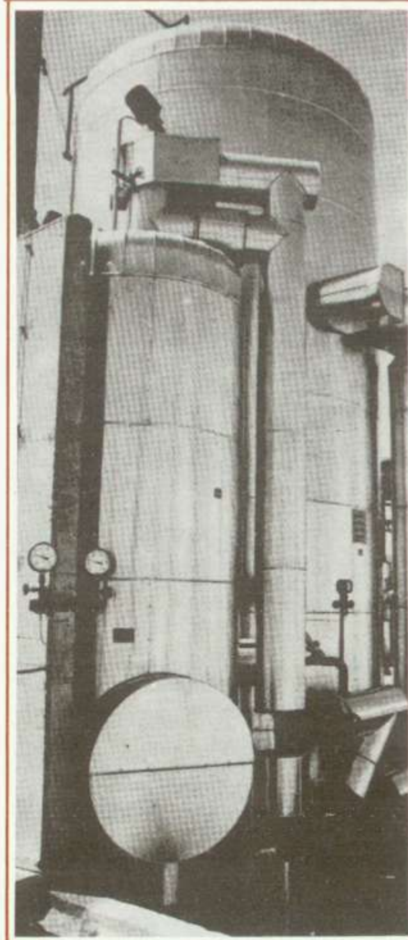
- الذكاء .
- والمقدرة الابتكارية .
- والتوجه العلمى .
- وعلو الهمة والدافع .
- والسن .

لا تشكل هذه الصفات جميعها إلا من ٣٠ إلى ٣٥٪ فقط من التباينات التى تم تسجيلها فعلا فى القدرة الانتاجية للأفراد ، ومن ثم فان هذه العوامل لا تعطى آمالا عريضة لتحسين السلوك العلمى عن طريق اختيار أفضل للأفراد العلميين .

ويخلص ماركيس من دراسته إلى أن أساليب وسياسات وجو العمل فى المختبرات ربما كانت مجتمعة أكثر أهمية بمراحل من التباينات بين الأفراد العلميين ، أو بمعنى آخر فان بيئة أو مناخ العمل يلعب دوراً هاماً — إن لم يكن الدور الأهم — فى سلوك الفرد المتوسط ، ويرى ماركيس أن هذه النتيجة تصدق بوجه خاص بالنسبة للمهندس المتوسط أما الفرد ذو القدرة الابتكارية العالمية فانه لا محالة مبدع بصرف النظر عن طبيعة مناخ العمل أو نوعية الظروف البيئية التى تتوفر له .

## الملكية الصناعية وبراءة الاختراع

تنبهت دول العالم منذ حوالى قرن من الزمان إلى أهمية حماية الملكية



الصناعية فقامت بابرام اتفاقية باريس عام ١٨٨٣ ، تلك الاتفاقية التى جرت مراجعتها عدة مرات ، كان آخرها عام ١٩٦٧ فى ستوكهولم ، ويصل عدد الأعضاء الملتزمين بهذه الاتفاقية فى الوقت الراهن إلى ٨٠ دولة .

وعلى مدى قرابة المائة عام التى مرت على إبرام هذه الاتفاقية نشر عدد من الوثائق الخاصة ببراءات الاختراع يقرب من ١٤ مليون وثيقة ، أما عدد براءات الاختراع الذى يحظى بالحماية القانونية اليوم فانه يصل إلى حوالى ٣٫٥ مليون براءة اختراع . وهنا تجب الاشارة إلى أن الاختراع الواحد لنفس المخترع يجرى إصدار براءات له فى عدة دول ، ومن ثم فان هذه البراءات المتكررة لنفس الاختراع تسمى «عائلة براءة الاختراع» .

وتكون حقوق الاختراع محفوظة لفترة تتراوح بين ١٥ ، ٢٠ عاماً من تاريخ التقدم بطلب البراءة إلا أن بعض الدول تعتبر أن فترة الحماية القانونية تبدأ من تاريخ منح البراءة أو من تاريخ نشرها .

ويبلغ المتوسط الحالى لتزايد وثائق براءات الاختراع حوالى ٩٠٠٫٠٠٠ وثيقة فى السنة الواحدة منشورة بلغات مختلفة .

هذا وتفيد وثائق الأمم المتحدة أن عام ١٩٧٢ — على سبيل المثال — قد شهد نشر ٩٣٠٫٠٠٠ وثيقة براءة اختراع منها ٥٨٠٫٠٠٠ طلبات منح البراءات ( أى بنسبة ٦٢٪ من مجموع الوثائق ) ، وحوالى ٣٥٠٫٠٠٠ براءة اختراع ممنوحة ( أى بنسبة ٣٨٪ من مجموع الوثائق ) .

وبالنسبة للدول العشر ذات أعلى عدد من براءات الاختراع ، فان مجموع هذه البراءات لعام ١٩٧٢ يشكل ٨٣٪ من مجموع وثائق براءات الاختراع المنشورة فى ذلك العام فى العالم أجمع ونفصلها فى الجدول رقم (١) .

جدول (١) وثائق براءات الاختراع للدول العشر الأكثر تقدماً فى العالم (عام ١٩٧٢ م) .

| البلد | عدد الطلبات التى لا تزال تحت الدراسة | عدد البراءات الممنوحة | مجموع الوثائق |
|---|---|---|---|
| اليابان | ٣٠٠٫٠٠٠ | — | ٣٠٠٫٠٠٠ |
| ألمانيا الغربية | ٩٧٫٠٠٠ | ٣٩٫٠٠٠ | ١٣٦٫٠٠٠ |
| الولايات المتحدة الأمريكية | — | ٧٥٫٠٠٠ | ٧٥٫٠٠٠ |
| فرنسا | ٣٠٫٠٠٠ | ٤٢٫٠٠٠ | ٧٢٫٠٠٠ |
| المملكة المتحدة | ٤٢٫٠٠٠ | — | ٤٢٫٠٠٠ |
| الاتحاد السوفيتى | — | ٣٦٫٠٠٠ | ٣٦٫٠٠٠ |
| ايطاليا | — | ٣٤٫٠٠٠ | ٣٤٫٠٠٠ |
| كندا | — | ٣٠٫٠٠٠ | ٣٠٫٠٠٠ |
| هولندا | ٢٢٫٠٠٠ | ٤٫٠٠٠ | ٢٦٫٠٠٠ |
| سويسرا | ٥٠٠ | ١٧٫٠٠٠ | ١٧٫٥٠٠ |
| المجموع | ٤٩١٫٥٠٠ | ٢٧٧٫٠٠٠ | ٧٦٨٫٥٠٠ |

## أثر الابتكار فى الاقتصاد القومى

لاشك أن ازدياد الابتكارات فى أية دولة يؤدى حتما إلى نمو عظيم فى دخلها القومى ، ولا أدل على ذلك من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تضاعف إنتاجها القومى تقريباً فى الفترة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٥ فى حين أن متوسط ساعات العمل السنوية ظلت ثابتة تقريباً فى هذه الفترة ، وينعكس ذلك بشكل حاد فى صناعات الطائرات والتلفزيونات والمسجلات والحاسبات الالكترونية ، ولعل المنافسة الخطيرة التى تجرى فى العالم اليوم تتمثل فى ذلك السباق الرهيب على ابتكار وتطوير وإنتاج الانسان الآلى المسخر ( ROBOTS ) ، حيث إن اقتناء مثل هذا الانسان المسخر يشكل ثورة صناعية جديدة ، ويبين الجدول رقم (٢) عدد الوحدات العاملة من هذا الانسان المسخر فى دول العالم المتقدمة ، ومن الجلى أن لليابان اليد الطولى فى هذا المجال .

ومن الآثار الجانبية للابتكارات على الاقتصاد القومى دخل الدولة من حقوق التصنيع وحقوق الاختراع .

هذا وتبين المقارنة بين إنجازات الشركات الكبيرة وإنجازات المخترعين والشركات الصغيرة أن إنجازات الأخيرة تتفوق على إنجازات الأولى وذلك إذا ما أدخلنا فى الاعتبار الاستثمارات الموجهة فى هذين المجالين .

جدول ( ٢ ) بيان اعداد وحدات الانسان المسخر ( ROBOT ) فى دول العالم المتقدمة ( تقديرات عام ١٩٧٩ ) .

| الدولة | عدد الوحدات العاملة |
|---|---|
| اليابان | ١٠٫٠٠٠ |
| الولايات المتحدة الأمريكية | ٣٫٠٠٠ |
| ألمانيا الغربية | ٨٥٠ |
| السويد | ٦٠٠ |
| إيطاليا | ٥٠٠ |
| بولندا | ٣٦٠ |
| فرنسا | ٢٠٠ |
| النرويج | ٢٠٠ |
| بريطانيا | ١٨٥ |
| فنلندا | ١٣٠ |
| الاتحاد السوفيتى | ٢٥ |

هذا ويعزى تفوق الصناعة فى بعض المدن أو المقاطعات على المدن الأخرى – إلى حد كبير – إلى أن الجامعات فى المقاطعة الأكثر نجاحاً تلعب دوراً أعظم فى تشجيع إنشاء شركات جديدة تقوم على أسس علمية ، كذلك يعزى هذا التفوق إلى الموقف المشجع الذى تتخذه المصارف المحلية فى تمويل مثل هذه الشركات ، ونشير هنا – على سبيل المثال إلى تفوق «بوسطن» على «فيلادلفيا» للسببين المتقدمين .

ويشير فيشر فى تاريخه لأوروبا إلى رواد الثورة الصناعية فى بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، وكيف أنه بفضل اختراعاتهم ازدهرت الحالة الاقتصادية فى بريطانيا فى ذلك العصر ، يقول فيشر « إن حفنة صغيرة من رجال متميزين من اسكتلنديين وانجليز يقل عددهم عما هو مطلوب لتشكيل فريق كرة قدم ، قد نجحت – بفضل عبقريتها وقدرتها الابتكارية – فى تحويل الحياة الاقتصادية للبلاد » .

## العوامل المساعدة على الابتكار والمنشطة لـه

إن تنمية وإذكاء القدرات الخلاقة ليس بالأمر السهل الميسور ، إذ أن هناك عوامل كثيرة تؤثر ولاشك تأثيراً بالغاً على هذه القدرات ، بيد أننا نعرض فيما يلى لبيان الاتجاهات العامة والخبرات المكتسبة فى هذا المجال :

● بالرغم من أن الابتكار أو الابداع لا يخضع للتعليم بالنسبة لأولئك الذين يخلون تماماً من أية قدرات إبداعية ، وبالرغم من أن بعض الرجال يتمتعون بقدر هائل من هذه القدرات بصرف النظر عن ظروف نشأتهم وتعليمهم ، إلا أن قدراً مناسباً من التعليم سيعجل حتماً بتقدم مثل هؤلاء الرجال ودفعهم إلى الصف الأول فى الابتكار والابداع . كذلك فان المران على التصور قد يؤدى إلى قدح زناد فكر أولئك الرجال الذين يملكون



مركبة الفضاء

قدرات إبداعية كامنة لم تتح لها فرصة الاكتشاف أو الظهور .

● ضرورة التزود بقاعدة متينة عميقة وعريضة فى العلوم الأساسية .

● أهمية تشجيع البحث العلمى والتطوير حيث إن الابتكارات التكنولوجية غالباً ما تقوم على ما تتوصل إليه البحوث العلمية ، ومن الممكن أيضاً أن تنبنى هذه الابتكارات على بحوث علمية تجرى خارج البلاد ، أى بحوث مستوردة ، ومن ثم كانت أهمية توفير نتائج البحوث العلمية ، والعمل على تحديث المعلومات بصفة متواصلة ، وإتاحتها لذوى القدرات الخلاقة .

● تشجيع التعليم باستخدام أساليب الحل المبتكر للمشاكل .

● إدخال تعديلات أساسية فى البرامج الدراسية تهدف إلى التصدى لحل المشاكل البعيدة كل البعد عن المشاكل التقليدية أو الروتينية .

● دراسة أمثلة ونماذج لتطور الأفكار العلمية والتكنولوجية أو بعبارة أخرى دراسة الحلول المتطورة التى أمكن التوصل إليها وذلك بالنسبة لمشاكل محددة .

● الاهتمام بالتدريب على عمليات التحليل والتكوين .

● الاهتمام باستخدام الحاسبات الالكترونية وإتاحة الفرصة للافادة من هذه الوسائل على أوسع نطاق .

● عقد مسابقات بين الدارسين ، كذا بين الممارسين لتقديم حلول غير مسبوقة لمشاكل غير مألوفة .

● يعد توافر براءات الاختراع حافزاً قوياً على الابتكار ، وهو أمر يدعو إلى قدح الذهن بحثاً عن حلول وأفكار وتصميمات بديلة لتلك الواردة ببراءات الاختراع ، هذا فضلا عن الاغراء المادى الذى يحدو إلى الابتكار .

● العمل على خفض مصادر ضياع الوقت والجهد ، وإعفاء الموهوبين من الأعمال الروتينية والمتكررة .

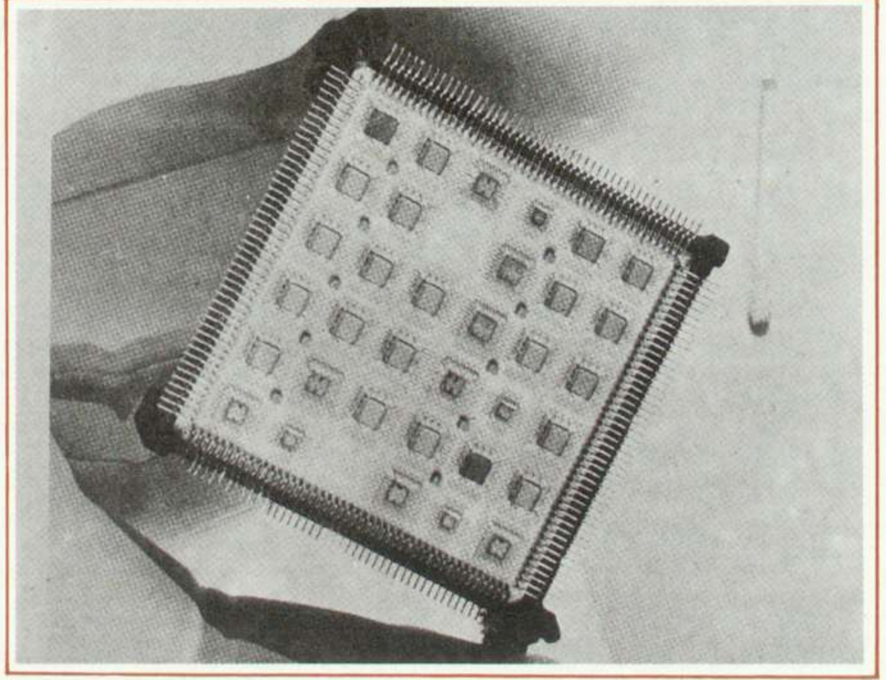
● تترعرع القدرات الابتكارية بالتشجيع والتقدير ، كذا بمواجهة التحديات .

● منح صلاحيات العمل التنفيذى لذوى القدرات الخلاقة .

● توفير المناخ المناسب للمبتكرين ، وذلك من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعملية .

● توفر الدافع القوى وتواجد الحاجة للاختراع ، سواء كانت هذه الدوافع روحية أو فكرية أو اجتماعية أو فيزيائية كذا تنبه المبتكر تماماً لهذه الدوافع سواء فى عقله الواعى أو فى عقله الباطن ، وكما يقولون «الحاجة أم الاختراع» .

● فى دراسة أجراها الأستاذ بلز ( PELS ) الأستاذ بجامعة ميتشيجان بالولايات المتحدة الأمريكية على ١٣٠٠ من العلميين والمهندسين العاملين فى ١١ مركزاً من مراكز البحوث والتطوير ، وجد «بلز» أن هؤلاء العاملين – موضع الدراسة كانوا أكثر فعالية عندما مارسوا حالة «توتر ابتكارى» بين حال أمن من ناحية ، وحال تحد من ناحية أخرى .



أما الحال الآن فقد انضوى على أمور عدة مثل تشجيع أفكار المرء واستحسان الجمهور له ، وإتاحة الفرصة له للمناقشة مع رؤسائه إلى غير ذلك من وسائل التشجيع والتقدير ، بينما يأتى التحدى من المناقشات والخلاف فى الرأى بين الزملاء ما بين متحمس لفكرة ومنكر لها ، كذلك عندما يطلب من المرء الاضطلاع بأعمال متنوعة يحتاج فيها إلى اكتساب مهارات جديدة .

● تواجد مصادر تمويل المشروعات الابتكارية مع توفر روح المغامرة لدى جهات التمويل والاستثمار .

## العمل فى جماعات

● قد يقتضى التعقيد المتزايد فى المشاكل العلمية والتكنولوجية اللجوء إلى التفكير والعمل الجماعي(٢) إلا أن الاختراع أو الابتكار يبقى ملكة فردية ، وتقدر المخترعات النابعة من الأفراد والشركات الصغيرة بحوالى ٨٠٪ من مجمل الاختراعات .

● عند التصدى لمشروعات شديدة الصعوبة والتعقيد يتعين إحكام التنظيم الفعال لمجموعات من ذوى القدرات الخلاقة لتنفيذ المشروعات بالغة الطموح ، كبرنامج أبولو الأمريكى الخاص بأبحاث الفضاء على سبيل المثال .

● تزدهر القدرات الابتكارية فى المؤسسات العريقة ذات التقاليد الابتكارية ، حيث تضم مثل هذه المؤسسات جماعات متعاقبة من ذوى القدرات الابتكارية مما يرفع معدلات الانجازات على مر السنين .

يكون الانضمام لمثل هذه المؤسسات من أهم الحوافز والدوافع للفرد الموهوب لاستثمار ملكاته الابداعية حيث التقدير والاعزاز .

● يجب التنبه إلى أنه فى بعض الأحيان قد تؤدى زيادة عدد المبتكرين فى مجموعة عمل إلى تدمير نشاطها ، فان مخترعاً واحداً يكفى لطرح أفكار كثيرة تكفل دفع عجلة العمل لجماعة كبيرة من أفراد أقل قدرة على الابتكار ، كذلك فان تعطيل أعمال المبتكر وتجاهلها قد يودى بهمته ونشاطه .

● دعم التفاهم والتفاعل البناء والمثمر بين الأفراد والمؤسسات ، ونود أن نشير فى هذا الصدد إلى الحكمة القائلة بأن التفاعل يولد التجديد .

ونسوق هنا مثالا ممتازاً للتفاعل المثمر وهو ما كان بين رجل الأعمال ماثيوبولتون MATTHEW BOULTON) وبين صديقه المخترع الكبير جيمس وات ( JAMES WATT ) حيث أدى التعاون بين الاثنين إلى اختراع الآلة البخارية ذات المكثف ، تلك الآلة التى دخلت بالبشرية عصر القدرة .

## كلمة ختامية

هذا ولقد نوقشت ظاهرة الابداع الخلاق فى مؤتمر عالمى عقد فى ألمانيا الغربية فى شهر مايو من ١٩٧٤ اشترك فيه ٢١ من الحائزين على جوائز نوبل فضلا عن فلاسفة فى العلوم ، وبالرغم من أن المجتمعين توصلوا إلى اتفاق على كثير من السمات والقدرات المؤدية إلى الابداع الخلاق إلا أنهم لم يتمكنوا من الاتفاق على ما يمكن أن يتخذ من اجراءات ويهيأ من وسائل لتنمية هذه القدرات ، ولقد أكدوا على أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه ، وعلى تعهد الأول للثانى بالرعاية والتوجيه ، ولا غرو فان هناك أمثلة كثيرة على نجاح هذا التفاعل فى الكشف عن المواهب الخلاقة وتنميتها وتوجيهها ورعايتها .

د. جـلال شوقي

(١) عن كتاب «ابراهيم بن سيار النظام» تاليف محمد عبد الهادى أبوريده مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة عام ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م ، صفحتا ١١١ ، ١١٢ .

(٢) مثل اللجوء إلى طريقة الزوبعة الفكرية .



صوفيا لورين .. نجمة ايطاليا التى تركت وطنها هرباً من الضرائب




الرجل داخل مصيدة .. لقطة من فيلم « مدينة النساء »

# مأساة مخرج يرفض الانحناء

## هل تتنازل السينما الإيطالية عن ابنها العبقري "فلليني" ؟

رءوف توفيق

عبقرى السينما الايطاليـــة ، المخرج « فلليني» ، يفكر جدياً فى الهجرة من ايطاليا الى امريكا .. لأنه لم يعد يحتمل البقاء عاطلا فى بلده ، بعد أن تعذر عليه العثور على التمويل اللازم لتنفيذ مشروعاته السينمائية !

هذا هو الخبر الـــذى اهتزت له كل الأوساط السينمائية خلال الأسابيع الماضية .. والخبر مصدره فنـــان « المونتاج » الذى رافق « فلليني » فى رحلته السينمائية طوال السنوات الماضية ، وأصبح أحد المقربين جداً منه .. وقد أعلن الخبر ضمن حوار صحفى أجرته معه احدى الجرائد الفرنسية الموثوق بها !

وتناقلت وكالات الأنباء هذا الخبر فى دهشة وحزن ..

فهجرة « فلليني » من ايطاليا .. هى بالتأكيد أشبه بهجرة عاشق متيم لمحبوبته التى طالما تغنى بها وارتبط اسمه باسمها .. وهو الذى قال ذات يوم « روما هى بيتى » !

فكيف يترك الانسان بيته .. الا اذا فاض به الكيل ولم يعد يحتمل ما يجرى به .. ولم يعد قادراً على أن يكون موجوداً هذا الوجود الذى يشبه العدم !!

وكيف هان على ايطاليا أن تفرط فى أحد ابنائها العباقرة ، والذى شارك فى صنع مجدها السينمائى ؟ !

هل يبدو السؤال رومانسياً ؟!

بعض النساء فى فيلم مدينة النساء الذى يدور حول عالم المرأة وتأثيره فى المجتمع













المخرج « فللينى» فى لقطة ساخرة



فكيف هان على السويد من قبل أن تطارد ابنها العبقرى المخرج « انجمار برجمان » بتهمة التهرب من الضرائب .. حتى قرر « برجمان » الرحيل الى امريكا ، وهو الفنان الذى عاش حياته من أجل السويد ، والسينما والمسرح السويدى . ! ولم تشعر الحكومة السويدية بخطئها الا منذ شهور قليلة عندما قدمت له اعتذاراً رسمياً وطلبت منه العودة الى بلده . !!

وكيف هان على اليابان من قبل .. أن تقسو على مخرجها العبقرى « أكيرا كيراساوا » والذى وضع اسم اليابان على خريطة السينما العالمية .. هذا الفنان الذى قرر الانتحار بتمزيق شرايين يديه ، حزناً على ما وصل إليه حال الفن فى بلده .. ولكن لتدابير القدر ، يرفض جسده الموت ، ويتم إنقاذه .. ويتقدم إليه الاتحاد السوفيتى ليمول فيلمه التالى « درسو أوزالا » ويحقق من خلاله معجزة فنية .. وتستمر اليابان تدير له ظهرها .. فيتقدم له اثنـان من تلاميذه فى السينما الامريكية ليمولا فيلمه الجديد « ظل المحارب » والذى حقق به انتصاراً جديداً ومذهلا !!

يقول المخرج « كيرا ساوا » فى مرارة بالغة :

« الذين يتخذون القرارات فى شركات الانتاج السينمائى اليابانية ، ليسـوا مسئولين فنيين ، وانما هم المسئولون التجاريون أى أكثر الناس غباء فى



« ماسترويانى » ورحلة مثيرة إلى المدينة

العالم .. انهم لا يفهمون شيئاً فى سيناريوهات الأفلام ، ويحكمون عليها بأنها لن تعجب الجمهور .. واعجاب الجمهور هو قضيتهم الكبرى .. ومع ذلك فانهم لا يعرفون شيئاً عن الجمهور » !!

## الوطن والعباقرة

والآن .. كيف هان على ايطاليا .. ألا ترعى فى حدقة العين فنانها العبقرى « فللينى » .. حتى تأزمت به الأمور ليفكر فى الرحيل الى امريكا . ؟!

هل مازال السؤال رومانسية ؟!

أم انه يفجر قضية الوطن الغربى الذى يقسو على ابنائه العباقرة .. وقضية الفن وابنائه المخلصين ، الذين يرفضون التنازلات ويتوقون الى الحرية والحنان والرعاية حتى يبدعوا أكثر وأكثر . ؟!

## أزمة السينما الايطالية

ولكن .. مما لاشك فيه ان ازمة المخرج فللينى .. هى جزء من الأزمة الطاحنة التى تعيشها السينما الايطالية الآن . حتى أن اخلص العشاق للفن يضعون أيديهم على قلوبهم خوفاً من أن تتمزق هذه السينما المبدعة .. وتتحول الى اشلاء متناثرة نتيجة ضغوط اقتصادية وسياسية تعيشها ايطاليا ككل .!

فالسينما جزء من المجتمع .. وتخضع بطبيعة الحال للجو العام .

والجو العام فى ايطاليا .. يشهد تناقضات اجتماعية حادة ، وصراعات سياسية أكثر حدة .. تتمثل فى الشارع الايطالى من خلال حوادث العنف والارهاب والاختطاف ، والاضرابات ، وايقاع الحياة المشحون دائماً بالتوتر والخوف ..

ومع سرعة تلاحق الأحداث وتفاقمها .. وعدم وضوح الرؤية .. عجز كثير من المؤلفين والفنانين عن التعبير السليم عن هذا الوضع .. ولهذا خرجت الكثير من الأفلام بعيدة عن الواقع .. وحدثت الهوة بين السينمائيين والفنانين من جانب .. والجمهور من جانب آخر ..

## انخفاض عدد المشاهدين

وكانت النتيجة انخفاض عدد المشاهدين للسينما .. الى أقل من النصف !!

وهذا الانخفاض ظاهرة عالميـــة .. وايطاليا بالرغم من هذه النسبة الضخمة ، فهى أقل الدول تأثراً بالمقارنة بما حدث فى انجلترا وفرنسا وألمانيا .

ولكن لأن الذهاب الى السينما ، احدى المتع الرئيسية للمواطن الايطالى .. لذلك كان الانخفاض مزعجاً للغاية !

وقد حاول الخبراء تحليل هذه الظاهرة ، فوجدوا ان النسبة الكبرى فى الانخفاض ، حدثت فى الستينات مع انتشار التليفزيون وجاذبيته .

أما الانخفاض الثانى ،، فقد جاء أخيراً نتيجة ارتفاع ثمن تذكرة الدخول للسينما بنسبة الضعف فى بضعة شهور قليلة .. مما أدى الى حرمان طبقة اجتماعية معينة من مشاهدة السينما .. وهدد السينمائيون بالتوقف عن العمل .. ولكن الحكومة الايطالية رفضت العودة عن قرارها . !

واكتشف الخبراء ما هو أدهى وأمر .. ان عدد الايطاليين الذين يذهبون للافلام الايطالية لا يتجاوزون ٢٨٪ من اجمالى المشاهدين .. بينما الأفلام الامريكية تجذب ٥٠٪ من المشاهدين !!

اى ان الجمهور لا يمول السينما الايطالية .. بل تذهب نقوده إلى السينما الأمريكية !!

وهكذا تلقت السينما الايطاليـــة ، الضربات من كل جانب .. وألقى الواقع المرتبك ظلالا قاتمة على السينمائيين .. فالبعض منهم طاردته الضرائب حتى هاجر من ايطاليا .. ومنهم المنتج « دينو دى لورنتس » والمنتج « البرتو جيرالدى » والمنتج « كارلو بونتى » وزوجته نجمة ايطاليا « صوفيا لورين » .

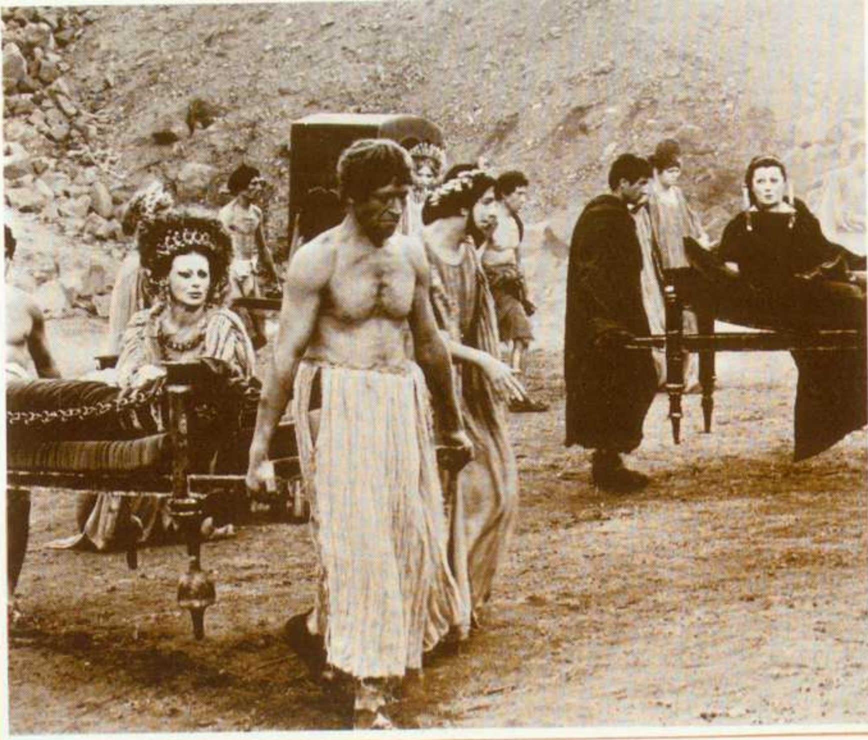
وقصة صوفيا أصبحت مادة محزنة للصحف .. بعد ان اصبحت تعيش خارج بلدها .. مهاجرة من مدينة الى أخرى . ولا تستطيع العودة هى أو زوجها لأنهما محكوم عليهما بالسجن لمدة ثمان سنوات .. وقد قامت الحكومة الايطالية بالاستيلاء على القصر الذى كانا يعيشان فيه بروما .. واستعانت قوات الحكومة بسيارة نقل حملت كل التحف واللوحات الزيتية القيمة بالقصر ونقلتها الى متحف ميلانو .

اما الذين لم يهاجروا .. فقد تعرض بعضهم لعمليات اختطاف وطلب فدية ضخمة .. مثلما حدث لأحـــد المنتجين الايطاليين الذى اختطف ، ولم يطلق سراحه الا بعد دفع فدية توازى ٦ مليون دولار .. ومنتج آخر دفع فدية ٣٠٠ ألف دولار !!

وتراكمت المشاكل على الســـينما والفنانين .

## فللينى والأزمة

والمخرج « فريدريكو فللينى » ـ يبلغ هذا الشهر عامه الثانى والستين ـ واحد من أنبغ وألمع المخرجين الايطاليين .. ويعد من أهم مخرجى السينما العالمية على الاطلاق .. فهو صاحب الرؤية



لقطة من فيلم « ساتير يكون » الذى يصور انهيار الحضارة



أحد الوجوه المميزة التى يصر « فللينى » على ظهورها فى افلامه

المتفجرة بالحيوية والانطلاق .. وتفيض أقلامه بالجرأة والمشاعر المتدفقة ، والروح الفكاهية العالمية .. والسمو الملحمى .. ويقف النقاد دائماً أمام أعماله بالتأمل الطويل والاهتمام البالغ !

وقد عكست أزمة السينما الايطالية همومها عليه .. ولكنه لعشقه للسينما ، ولتعذر وجود الممولين .. اتجه فى السنوات الأخيرة للتليفزيون .. ليخرج فيلمين « المهرجون » عام ٧٠ ـ و «بروفة أوركسترا» عام ٧٨ .. وأثار الفيلم الأخير ضجة كبرى على مستوى العالم .. لأنه فى هذا الفيلم القصير ـ ٧٠ دقيقة ـ عبر عن الفوضى التى تسود ايطاليا وأوربا عموماً ( مقال الدوحة عدد يناير ١٩٨٠ ).

ورغم هذا النجاح الفنى .. الا انه كان يشعر بأن مجال العمل المناسب له هو السينما .. وليس التليفزيون .. ولهذا يقول :

« لا علاقة للتليفزيون بالسينما .. التليفزيون يقلل من شأن الأفلام ويعمقها .. فالمشاهد لا يستطيع ان يعايش خيال الفنان الا من خلال شاشة السينما .. حيث يكون هو فى موقف الشيء الصغير الحجم بالنسبة لضخامة الشاشة .. والعكس امام التليفزيون .. فالمشاهد هو صاحب السلطة .. فانت لا تخضع للصورة ، ولا تضطر للنظر إليها باحترام » !





لقطة من فيلم « إنى أتذكره » الذى رأينا فيه تأملات المخرج الخاصة

## مدينة النساء

ولهذا عندما فكر فى فيلمه التالى .. وبحث عن ممولين داخل السينما الايطالية ، فلم يجد .. لجأ فى النهاية الى صيغة المشاركة بين تمويل فرنسى وتمويل ايطالى .. وقدم فيلم « مدينة النساء » الذى ضمنه رحلة غامضة ومثيرة فى عالم المرأة وجمعيات التحرير النسائية ، بكل ما فيها من مناقشات وصخب ومفاجآت ..

وخلال الساعتين والثلث هى مدة عرض الفيلم .. نحن مع هذا الكاتب : ( لعب الدور مارشيللو ماسترويانى ) الذى يجد نفسه مجذوباً بامرأة غامضة تجلس أمامه فى القطار .. وتهبط فى مكان غريب تحيط به غابة كثيفة .. فيتحرك وراءها ليجدها تدخل بناء مغلقاً .. فيدخل هو أيضاً ليفاجأ بمستعمرة نساء !! . وتدور الأحداث داخل هذه المستعمرة التى يبدع فيها فللينى فى تقديم حكاياته المبهرة والغامضة ونماذجه الانسانية الملخصة تلخيصاً مذهلا .. وينتهى الفيلم لنكتشف ان هذه الرؤية ما كانت الا حلماً .. !! ويفيق الكاتب ، والقطار يعبر به نفقاً مظلماً .. وشعاع من الضوء ينبعث من نهاية النفق .. وكأنه يرمز لميلاد جديد سيحدث !

وكما هو الحال فى افلام « فللينى » فقد أثار فيلم « مدينة النساء » جدلا كثيراً ومحاولات للتفسير.. ولكن بقي الفيلم شامخاً كعمل ملحمى يفيض بالجمال والسحر والدهشة !

ورحلة المخرج « فللينى » فى السينما

# مأساة مخرج يرفض الانحناء!



فلليني يقود العمل في فيلم « بروفة أوركسترا »

الايطالية .. رحلة طويلة وغنية .. وكل فيلم من افلامه يحمل رسالة شخصية منه ، هى بعض ملاحظاته ، وتأملاته الخاصة فى الحياة والحب والفن .

ففيلم « ٨½ » ــ عام ٦٣ ــ يقدم بعض تأملاته فى مشاعر ومخاوف مخــــرج سينمائى قبل البدأ فى تنفيذ فيلم .

وفيلم « ساتيريكون فلليني » ــ عام ٦٩ ــ تأملات فى انهيار حضارة .. وان كان يضع الفيلم فى زمن ســـقوط الامبراطورية الرومانية .. الا انه يشير الى عالمنا الحالى بوضوح .. حيث الأجساد المشوهة ، والوحوش من كل نوع .. وبشر يأكلون لحم انسان ميت فى مقابل الحصول على أمواله .. وشاعر فيلسوف ينعى هذا العالم بقوله : « لقد ماتت الفنون .. ماسبب هذا الانحلال ؟ .. هو هو المال .؟ كنا فيما مضى نبحث عن الفضيلة البسيطة والمطلقة .. أما اليوم فاننا بين الموبقات ، اصبحنا عاجزين عن تذوق أى عمل فنى » !!

وفى فيلم « روما ــ فلليني » ــ عام ٧٢ ــ يقدم تأملاته الخاصة فى مدينة روما .. القبح والجمال .. التناقضات والغموض .. وهذا الهدير الجارف من راكبى الدراجات البخارية الذين يزخفوف ليلا فى تشكيل ضخم ومرعب .. يكتسحون شوارع روما .. وكأنهم النذير بثورة الشباب . !

وفى فيلم « انى اتذكر » ــ عام ٧٣ ــ يقدم تأملاته الخاصة من ذكرياته أيام الصبا والمراهقة .. واكتشاف الحب والحياة .. اللذة والألم ..

وفى فيلم « كازانوفا » ــ عام ٧٦ ــ يقدم رؤيته الساخرة اللاذعة لهذه الشخصية الاسطورية .

## الأفلام تختارنى

يقول فلليني « لا تسيطر الذكريات على أفلامى .. وسأكون كاذباً اذا قلت اننى اتحدث عن نفسى فى افلامى .. بل ان حياتى الخاصة قد تشكلت لأن تكون مادة سينمائية » ..

انه لا ينكر ذاتيته .. بل يقول : « اننى لا اعرف أبداً لماذا أختار هذا الفيلم أكثر من ذلك .. بل اننى استطيع أن أقول انه لست أنا الذى يختار الفكرة .. بل ان الفكرة هى التى تختارنى » !

هل هو نـــوع من العبقـــرية .. أو الجنون .؟

مهما كان الأمر فهو الجنون الممتع .. الذى يثرى الشاشة بهذه الطاقة المتفجرة من الحيوية والألوان والحكايات المسلية ذات المعانى المكثفة ..

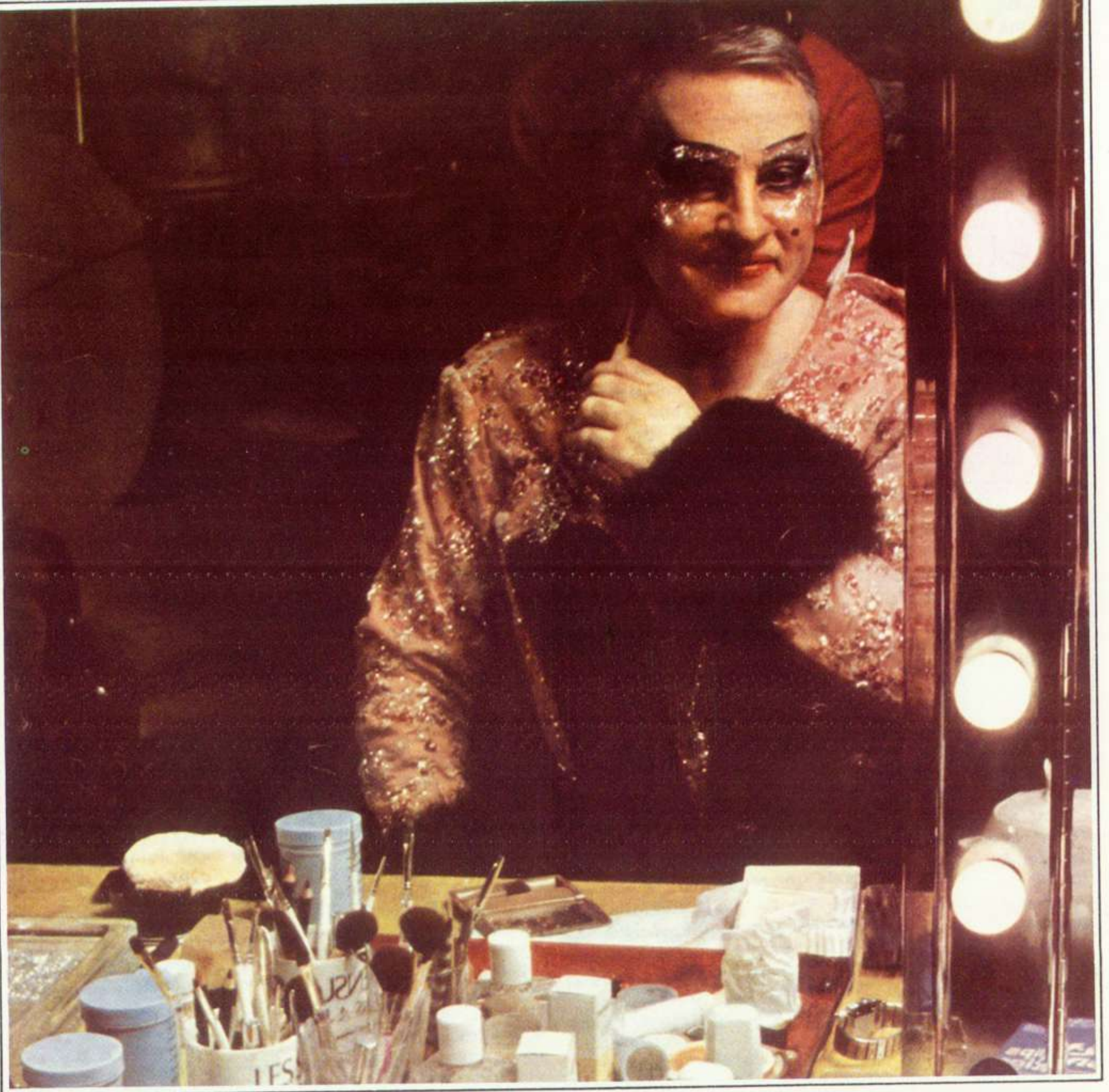
فى فيلم « روما ــ فلليني » يظهر هو شخصياً فى مشهد من الفيلم وحوله بعض الطلبة يسألونه .. لماذا تصف دائما سيرة ذاتية خيالية .. لماذا لا تصنع شيئاً اجتماعياً وسياسياً أكثر من ذلك .. شيئاً يساعدنا على ان نتعمق فى فهم انفسنا ، وفى فهم المجتمع والحياة . ؟!

وكأنما أراد ان يثير هذا التساؤل على ألسنة الطلبة ، ليقول لهم فى الفيلم .. ولنا ايضاً كمشاهدين : « قد يكون من الواجب مساعدة الناس على حل المشكلات الخطيرة .. ولكن حيث اننى لا استطيع ان أحل مشاكلى الخاصة .. فأنا لا أجد نفسى مستعداً لتناول مشكلات الآخرين » !

وتمضى رحلة الفن بالمخرج «فلليني»



المرأة التى اختارها « فلليني » لتعبر عن فيلمه مدينة النساء



أحد ممثلى أفلام « فللينى » حيث يلعب الماكياج الغريب ، دوراً هاماً فى تشكيل الشخصيات والألوان

ليجد نفسه الآن متوقفاً عن العمل بسبب احجام المنتجين فى السينما الايطالية عن تمويل أفلامه .. بحجة ان افلامه تتكلف كثيراً ..

وهو الذى لم يكف طوال عمله فى السينما الايطالية عن التنديد بعقلية المنتجين وحسابات التكلفة والأرباح .. فهو صاحب الرأى الساخر الذى أعلنه عام ٧٥ وقال فيه :

« لا يوجد فيلم ردىء ليس مسئولا عنه أحد المنتجين .. كما لا يوجد فيلم جيد لم يصنع « رغم » المنتج . ان المنتجين لا يقررون فقط المسائل الانتاجية ، ولكن ايضاً الجو النفسى للمشاهدين المترددين على دور العرض .. فالسينما التجارية اشبه ما تكون بعملية بيع المخدرات ، نظراً للارباح الضخمة الناتجة منها » .

« اننى اتمنى ان يتم احراق كل الأفلام السخيفة والضارة .. فى ميدان عام على صوت الطبول . وعلى العكس من ذلك فانه يجب بالنسبة للأفلام التى تثرى الانسان ان تلف العالم والا يتوقف عرضها أبداً » .

« ما الذى استطيع اقتراحه غير المقاومة الصلبة ، ان يتحالف المخرجون ويعلنوا غضبهم واحتقارهم .. ويتوقفوا عن الانحناء » !

## روما .. الحكمة واللامبالاة

ها هو « فللينى » الآن يفكر فى هجرة بلده .. ليتنفس فى مكان آخر .

فهل يستطيع حقاً ؟!

لقد قال عن روما عندما اخرج « روما ـ فللينى » .

« روما هى الواقع والطعام والفراغ .. انها مدينة معروفة لى .. وغامضة فى نفس الوقت ..

روما أم تتميز بأمومة غير مبالية ، تجعلها جذابة جداً .. ولروما ابناء كثيرون لا تستطيع أن تضمهم كلهم الى صدرها .. وتلك هى روما بين الحكمة واللامبالاة » !

فهل تصبح هجرة عبقرى السينما الايطاليـــة من بلده .. هى بعض اللامبالاة ؟!

« رءوف توفيق »

# ضحكات الشهر



صلاح الليثي



ـ .. موش مهم أنا مين .. أنا واحد من أهل الأرض ..!!



( الكرسى الكهربائى )

## مقاعد الليثي



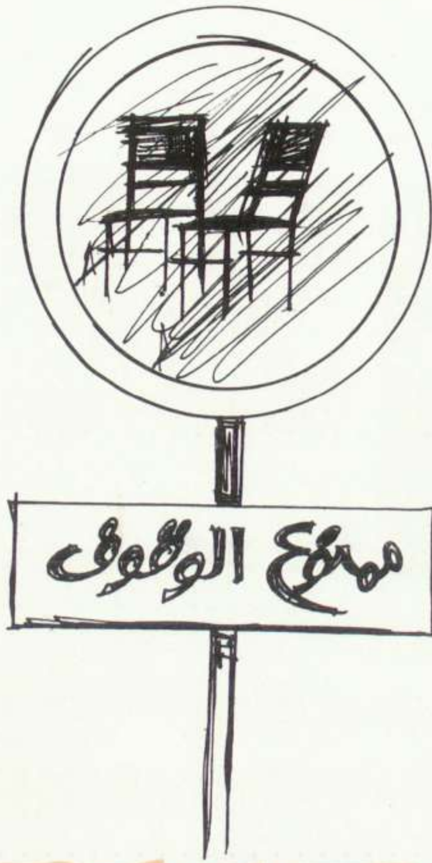
الكرسى المناسب ..
للرجل المناسب .. !!

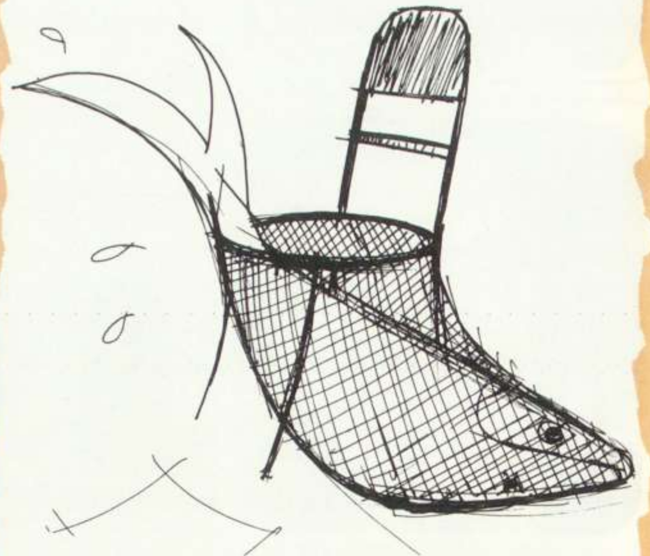




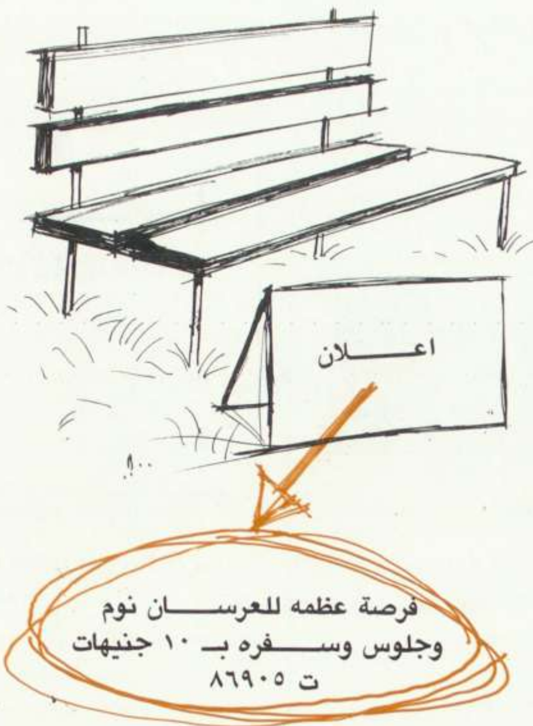


ـ .. باريح راسى شـــويه .. !!



.. !!





# دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

# مسابقة الدوحة

## حاول أن تعرف



( صورة ١ ) أكبر متحف شمع فى أوروبا ، أسسته سيدة فرنسية ، يضم تماثيل لأشهر الشخصيات العالمية السياسية والفنية . أين يوجد هـــذا المتحف ؟ .. ومن مؤسسته ؟ .



صورة ( ٢ ) : كاتب عالمى ولد عام ١٨٢٨ م ، تحولت معظم أعماله الروائية التى تتســم بالتعاطف مع جماهير الناس الى افلام سينمائية انتجتها كبرى شركات السينما فى العالم .. توفى عام ١٩١٠ على رصيف احد الفنادق بعد ان هرب من سوء معاملة زوجته ..

ولعلنا نتذكر روايته الشهيرة التى دارت احداثها حول فكرة الحرب والسلام .

## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٢



(صورة ١) يقع مسجد القرويين بمدينة فاس التى تعتبر العاصمة الدينية والثقافيـــة للمغـــرب ..

ـ إيدوز مصطفى ـ الدار البيضاء .
ـ سعد سليم سعد ـ ليبيا .



( صورة ٢ ) فرنانديل الممثل الكوميـــدى الفرنسى الذى بنى شـــهرته على إستغلال قسمات وجهه ، واشتهر بتمثيل سلسلة افلام «دون كاميلو»

ضياء محمد كيلانى ـ سوريا
حمدى عبد السلام ـ القاهرة

## هــــؤلاء قــــالــــوا

● العلم مصباح النفس ، ينفى عنها ظلمة الجهل ، فاذا أمكنك أن تضيف الى مصباحك مصباح غيرك ، فافعل .
«أفلاطون»

● الخلق كالشجر والصيت كالظل .. والناس عادة يرون الظل ولا يرون الشجر .
«ابراهام لنكولن»

أحمد عبود السومحى ـ اليمن الديمقراطية

## أرقــــام فضــــائيــــة



إذا افترضنا إنشاء خط حديدى يمتد من القمر الى الأرض تسير عرباته بسرعة ٤٠ ميلا في الساعة ويقطع ألف ميل في اليوم فان رحلة القطار إلى القمر تستغرق ٢٤٠ يوما .

ونفس القطار يحملنا إلى الشمس فى نحو ٢٥٠ سنة أي أن من يقم ببداية الرحلة لن يرى نهايتها ...

ومن الارقام الفضائية الأخرى الحقيقية التى تقول ان الشمس والأرض اذا مثلناهما بكرتين فان الكرة التى تمثل الشمس يجب أن يبلغ قطرها نحو ست وعشرين قدماً أى حوالي ٩ أمتار ـ أما الكرة التى تمثل الأرض فيجب أن تكون فى مثل حجم كرة التنــس

وقد كتب جون فيرن فى قصته الشهيرة « ثمانون يوماً حول العالم » أن رحلته حول كوكب الأرض التى استغرقت ثمانين يوماً تستغرق ٢٤ عاماً كاملة لو استخدم نفس السرعة فى القيام بها حول الشمس !

والمعروف أن قوة جاذبية الشمس تفوق جاذبية الأرض سبعاً وعشرين مرة وبالتالى فان الشخص العادى يبلغ وزنه فوق سطحها أكثر من ٢٠٠٠ كيلوجرام مما يعجزه عن الحركة ويمنعه من السير !

ميرفت سامى داود ـ بنى سويف

## الحنــين إلى التــوب البــدوي في مدينــة طبريــا !



مدينة طبريا بفلسطين .. تتناثر حولها القرى .. صغيرة وكبيرة .. وأكثر هذه القرى وخاصة حول البحيرة . يسكنها البدو المستقرون الذين امتهنوا تربية الماشية والزراعة وبالأخص البستنة .. حيث تزرع حول البحيرة بساتين الرمان والزيتون والتين .. يساعد على ذلك الجو الدافيء شتاء المعتدل صيفاً ، ويساعد هذا الجو على زراعة انواع الخضار فى الشتاء ..

كانت هذه القرى ـ التى ولدت فى احداها ـ تصدر محصولاتها الى مدينة طبريا . وبعد النكبة أزالت اسرائيل معظم هذه القرى ، إن لم يكن كلها من الوجود ، ولم يبق لها أى أثر الا فى افئدة ومخيلة أهلها ، ومن خلال هذه المخيلة والاستعانة بذاكرة من بقوا أحياء من كبار السن .. استطعت أن أرسم نموذجاً من ثياب النسوة فى هذه القرى البدوية البائدة فى منطقة طبريا ..

علي فلاح محسن ـ سوريا ـ دمشق

## المــــال والدنــيــا

● سئل الفضل بن يحيي وزير الرشيد « ما خير ما يصنع المرء إذا اقبلت الدنيا عليه وإذا أدبرت عنه ؟ »

فقال الفضل : « خير ما يصنع ان ينفق فى الحالتين ، فالدنيا فى حال الاقبال لا يفنيها الانفاق ، وفى حالة الادبار لا يبقيها الامساك »!

الجخشي عبد العزيز ـ المغرب

## الســـــرور

قيل لحكيم : ما السرور ؟

قال : عقل يقيمك ، وعلم يزينك ، وولد يسرك ، ومال يسعدك ، وأمن يريحك ، وعافية تجمع لك المسرات .

فقيل له : ما اجتمعت لأحد .

فقال الحكيم : لو اجتمعت مادامــت !

صالحة محي الدين خليفة
الدوحة ـ قطـر



# دوحة القراء

## مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

### مَن ؟

من : ـ قوم أسيويون ، أرهبوا العالم كله فى حقبة من التاريخ ، لم يحطم طغيانهم ويردهم عن غيهم إلا اتحاد العرب والمسلمين تحت راية سلطان مصر الظاهر بيبرس .

اسمهم من ستة أحرف ، :

٤ ـ ٢ ـ ٥ قرأ بصوت مسموع .

ب ـ ١ ـ ٣ ـ ٦ قاطع .

### أين ؟

أين : ـ صحراء نشأ فيها القوم المذكورون قاسية شديدة الحر والبرد . اسمها من ستة أحرف :

١ ـ ٥ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٦ ضد الفقر .

٢ ـ ٤ ـ ١ ضد الصحو .

### ما ؟

ما : ـ نهر عربى مشهور شهد امجاد العروبة والاسلام ، سماه المصريون القدماء باسم النهر المقلوب لأنه يسير عكس اتجاه النيل ، اسمه من ستة أحرف :

٣ ـ ٢ زهر عبق

١ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٤ ـ ١ ـ ٦

اسم الجبل الذى يعتقد بعض الناس ان سفينة سيدنا نوح عليه السلام قد استقرت عليه وهو الجودى .

## الإجابة الصحيحة

(١) الغت دولة قطر ارتباطها مع بريطانيا وأعلنت استقلالها فى سنة ١٩٧١ فى :

٢٢ فبراير ـ ٧ مايو ـ ٣ سبتمبر .

(٢) « قطر الأرض بين القطبين أطول منه عند خط الاستواء » هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟

(٣) كان سيجموند فرويد صاحب نظريات علم النفس المعروف :

مجوسياً ـ يهودياً ـ نصرانياً .

(٤) وقعت معركة حطين التى قهر فيها صلاح الدين الايوبى الصليبيين فى سنة ١١٨٧ م ـ ١٢٩٧ م ـ ١٣٩٨ م .

(٥) يبلغ ارتفاع الهرم الأكبر بالجيزة :

٢٠٠ ـ ١٣٤ ـ ١٢٢ متراً .

(٦) ما أصل اسم المدينة العراقية سامراء ؟

(٧) سلام من صبا بردى أرق : أكمل هذا البيت وانسبه لقائله وما مناسبته ؟

(٨) (الكروم) لفظه تطلق لدى العلماء على أحد :

العناصر الفلزية ـ المعادن ـ الصخور ـ العصارات النباتية .

(٩) تلاميذ السيد المسيح عليه السلام يسميهم القرآن الكريم :

الأبناء ـ الحواريين ـ القوم .

(١٠) البحار العربى الشهير ، صاحب المؤلفات والجولات أحمد بن ماجد أصله من : عمان ـ قطر ـ الكويت .

### حل مسابقة « العدد ٧٢

من : انس بن مالك .

اين : الربع الخالى .

ما : الرمل .

الاجابة الصحيحة :

١ ـ ١٨١٥ م

٢ ـ حالول .

٣ ـ الثديية .

٤ ـ ابن طفيل .

٥ ـ الأزهر الشريف .

٦ ـ المدينة المنورة .

٧ ـ صحيحة علمياً .

٨ ـ العربى ابن النفيس .

٩ ـ المعلقات .

١٠ ـ ١٥ ساعة .

# قرأت

## الثـــــوم .. يغـــني عن البنسلين



عرف الناس الثوم وأقبلوا على أكله منذ قديم الزمان ، يصدق هذا على أهل بابل فقد ثبت أنهم أكلوا الثوم قبل أكثر من ٦٠٠٠ سنة ، وعلى بناة الأهرامات الذين وجدوا فيه خير غذاء لهم قبل نحو ٥٠٠٠ سنة ... واكتشف أهل الهند والصين مزايا الثوم الصحية منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة .

ولم يغفل الطب الحديث عن فوائد الثوم وخصائصه العلاجية .. وحسبك مرجع (مرك) الشهير ، الذى ينشر ويوزع على نطاق واسع فى الولايات المتحدة .. والذى يؤكد فاعليته الثوم فى الميكروبات .. تلك الخاصة التى دفعت العلماء فى الاتحاد السوفيتى الى انتاج عصارة الثوم وتوزيعها باعتبارها عقاراً مضاداً للحيويات .

وعلماء الصين وأطباؤهم أولوا الثوم اهتماماً كبيراً مركزاً فى السنوات الأخيرة .. ويصدق هذا بخاصة على ما قام به فريق من الأطباء العاملين فى كلية هونان الطبية ، وفى المستشفى التابع لها .. فقد أجرى هؤلاء العلماء ابحاثاً وتجارب تناولت خصائص الثوم العلاجية بصفة عامة وقدرته على معالجة التهاب السحايا بصفة خاصة ، والمعروف أن التهاب السحايا هذا ، مرض قاتل ويؤدى الي موت المصاب به فى غضون شهور قليلة !

طارق عبد الفتاح شديد

ج . م . ع

# سمعت

## كهربـــــاء من البـــراكـــين

نجحت تجارب العلماء فى الحصول على مصدر جديد للطاقة من باطن الأرض . فقد أقام العلماء الأمريكيون محطة لتوليد الكهرباء بالاستفادة من الطاقة الحرارية لجوف القشرة الأرضية على عمق ١٠ كيلومترات . تقوم الفكرة على أساس ان جوف الأرض تنبعث منه الحرارة التى تصهر المعادن فى أعماقها . فحفروا ابارا على تلك المسافات وصبوا فيها مياها عندما تصل الى جوفها فانها تغلى لتقذف بأبخرة قويـــة ، أمكن استقبالها لادارة محركات لتوليد التيار الهربائى . وبناء على هذه الفكرة أنشأ خبراء الطاقة بالولايات المتحدة أول محطة لهذا الغرض ، كما يحاول أحد علماء المكسيك الحصول على مصدر آخر للطاقة من البراكين ، بحفر ثقوب فى جوانبها يستفاد بها فى تزويد المصانع بالقوى المحركة

منى سيد عبد الحميد ـ القاهرة

## أســماء الفائـزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء محمد عبد الغنى محمود .
الأردن ـ عمان ـ ص.ب ٨٥٤٥ .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : وحيد الدين ادريس أحمد .
السودان ـ الخرطوم ـ ادارة المحاكم الشرعية ـ ص.ب ١٠٧ .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : احمـــد عبـــد الرحمن عبد السلام .
ج . م.ع . طنطا ـ ٨٢ حارة الدكتور حسنى متفرع من شارع سعد الدين .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

| | |
|---|---|
| ١ ـ احمد عارف الفانى | لبنـــان |
| ٢ ـ ايمن يوسف عليان | السعودية |
| ٣ ـ محمد سعيد الملاح | سوريـــا |
| ٤ ـ هدى الرمحى | الكويت |
| ٥ ـ نجيب غبريال نجيب | ج.م.ع |
| ٦ ـ مريم صلاح الدين | البحرين |
| ٧ ـ مجد السيد مراد | الكويت |
| ٨ ـ خالد أحمد بشار | أبو ظبى |
| ٩ ـ جمار أحمد سيدى ميمون | المغرب |
| ١٠ ـ علي بن عمر الصابرى | تونس |
| ١١ ـ طبى عمار | الجزائر |
| ١٢ ـ أحمد صالح فارس | قطـر |



# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

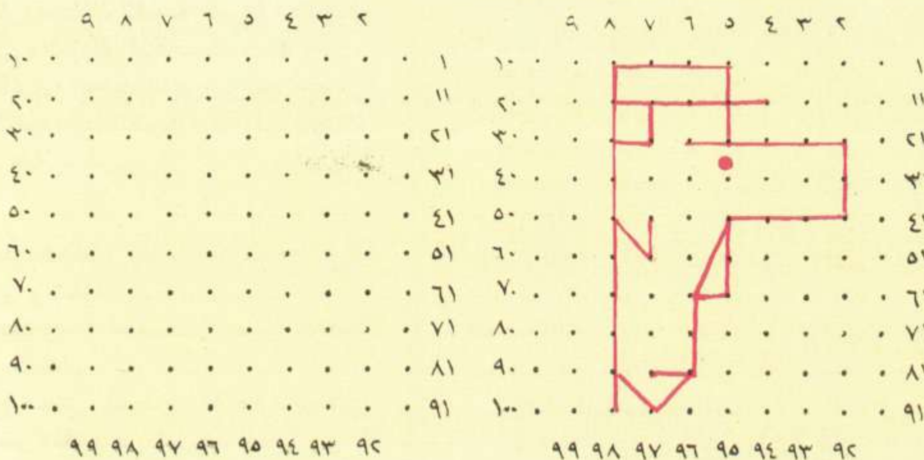
الفائزن فى مسابقة استراحة الدوحة تنشر اسماؤهم بداية من العدد القادم ..

## ارسم مع رؤوف

هذه مسابقة خفيفة .. يمكن من خلالها ان تتعلم الرسم .. وهى عبارة عن مجموعة نقط على أبعاد متساوية عددها ١٠٠ نقطة .. تبدأ برقم ـ ١ ـ وتنتهى بالرقم ١٠٠ .

وقبل أن تحل مسابقة هذا العدد .. طالع المثال المرفق وهو للرئيس الفرنسى الراحل : شارل ديجول .

الحلقة الأولى :



رسم هذه الحلقة يتكون من أربعة خطوط فقط .. وهو مكان عزيز على قلب كل عربى ومسلم .. صل الأرقام التالية .. كل خط على حده :

الخط الأول : ـ ٥ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ٣٨ ـ ٤٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٩٠ ـ ٨٧ ـ ٥٧ ـ ٨٧ ـ ٨٣ ـ ٥٣ ـ ٨٣ ـ ٨١ ـ ٥١ ـ ٥٩ ـ ٥١ ـ ٤٢ ـ ٣٢ ـ ١٤ ـ ١٥ .

الخط الثاني : ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٤٣ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٤٤ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٤٥ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٤٦ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٤٧ ـ ٣٧ ـ ٣٨ .

الخط الثالث : ـ ٤٢ ـ ٤٨ . الخط الرابع : ـ ٧١ ـ ٧٩ ـ ٨٩ ـ ٨٨ ـ ٧٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧٩ .

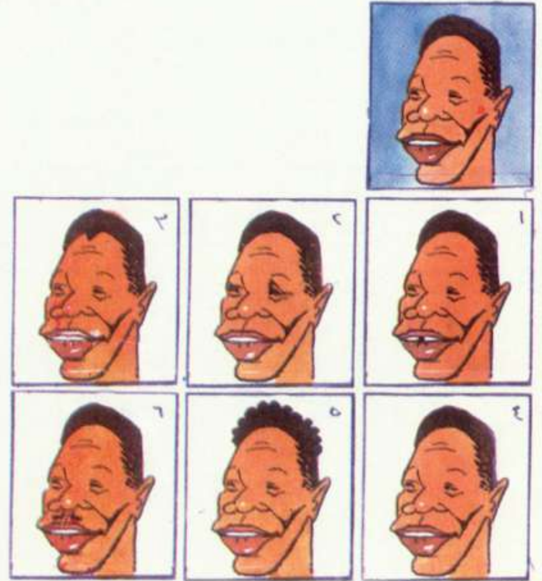
بعد الانتهاء من توصيل الأرقام .. تحصل على الرسم النهائي .. أرسله الينا .. ولك جائزة قدرها ( ...... ) الجائزة ( ٦٠ ريالا )

## دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب الهدف وما رقم فانلته بدون الاستعانة بالقلم أو اصبعك ؟ .. إذا استطعت أرسل لنا الحل لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## يخلق من الشبه أربعين




الصور الست المنشورة هذا الشهر لستة أشخاص يشبهون لاعب الكرة الشهير « بيليه » الذى كانت تلقبه جماهير الملاعب بالجوهرة السوداء .. إلا أنك لو دققت النظر لاكتشفت اختلافات بسيطة موجودة فى هذه الصور فيما عدا صورة واحدة تشبهه تمام الشبه .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. حاول لتكسب ( ٦٠ ريالا ) .

## هات أجمل تعليق




حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الكاريكاتير لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريال ) على أن تكتب أعلى الظرف مسابقة أجمل تعليق !

## لوحة لم تتم !



هذه اللوحة لفنانة عربية كبير عاشت فى قلوب الملايين من الخليج إلى المحيط .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذه الفنانة .. فى انتظارك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## خيال من ؟



( ...... ) الجائزة ( ٦٠ ريالا )

# من بعيد

للشاعر :
عبد العليم القباني

قلبي على البعد ، لا سالٍ ولا ناسِ
هلّا تذكرته .. يا أجمل الناسِ ؟

تركتني والغد المأمول في خلدي
رؤى ظنون وأوهام ووسواس

أغدو مع الصبح والحرمان يصحبني
ويقبل الليل والأشجان في كاسي

لا شيء بعدك تغريني ملاحته
فأنت وحدك إسعادي وإيناسي

وأنت وحدك روح الشعر في كلمي
وأنت وحدك قيثاري وأجراسي

• • •

يا قاسي البعد ، آمالي شقيتُ بها
فهل علمتَ بما ألقاه يا قاسي ؟

أرى سواك فلا تهتز عاطفتي
ولا يَهشُّ له بالود إحساسي

كأنما الحسن مقصور عليك فما
أرى بغيرك إلا بعض أقباس

سرٌّ من الله ، في عينيك أقرأه
وحدي ، ويقصر عن معناه نبراسي

• • •

يا من على القرب ينساني ، وأذكره
رغم البعاد ، وحولي كلُّ جُلّاسي

ماذا لو انك لم تسمع لما نقلوا
من قال إن زجاج الود كالماس ؟

ماذا لو انك قد أحرقت زَيْفَهُمو
بلاهبٍ من شعور القلب حسّاس ؟

أم كان حبُّك لي وهمًا ؟ وكنت أنا
ضحيّة ؟ أم ترى الظمآن كالحاسي ؟

يا أجمل الناس ، قلبي ليس بالقاسي
فكيف تقسو إذن .. يا أجمل الناس ؟






"حياء"

للفنانة القطرية : بدرية جاسم الدرويش

عن مجلة "الجامعية" التي يصدرها مكتب خريجات جامعة قطر

السنة السابعة العدد ٧٥ - جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ - مارس ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## جزء خاص بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير العاشرة









## سوق الفن : نحو أزمة عالميّة

فشلت محاولة استدراج ثروات العرب
والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية

MIRINDA




بطعم البرتقال الطبيعي

# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٥ - جمادى الأولى ١٤٠٢هـ - مارس ١٩٨٢م





## المراسلات:

التحرير والادارة:
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي:
المجلة - الدوحة
تليكس:
4521 MAGDO DH
تليفونات:
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير: ٢١١٢١
التحرير: ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري: ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات:
ترسل باسم رئيس التحرير



## الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم:
ما يعادل دولارين أمريكيين

## الاشتراكات:

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريل قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

## الإعلانات:

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات





طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# فى هذا العدد


محمد المهدى المجذوب — د . جابر الأنصارى — د . عبد السلام العجيلي


● عايش الحياة بفرح وخذها بقوة .. هذه نصيحتي ... ...
خالد محمد خالد ٦
● الأديب الذى يستحق تمثالا في كل مدينة عربية ... ...
د . محمد جابر الأنصارى ١٠
● فرعونيون وعرب ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
أحمد حسن الزيات ١٢
● الاسلام السياسي ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
فتحي رضوان ١٤
● الاسلام وولاية المرأة للقضاء ... ... ... ... ... ... ...
د . محمد عماره ١٨
● معنى العظمة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
فؤاد كامل ٢٠
● قراءة فى قصيدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي ...
أحمد عبد الله متولي ٢٤
● الفرح « قصـــيدة » ... ... ... ... ... ... ... ...
محمد الفهد العيسي ٢٧
● غاندى وجذوره الفكرية ... ... ... ... ... ... ...
محمد العزب موسى ٢٨
● بياض وذهب وتعاويذ ( قصيدة ) ... ... ... ... ...
محمد المهدى المجذوب —
● وجهان فى الزحام ... ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله جفري —
● ذكريات ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
جورج خوري ٣٥
● التاريخ .. هذا الفضولي المزعج ... ... ... ... ...
د . عبد السلام العجيلي ٣٦
● النشـــو ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
جمال الغيطاني ٣٨
● شجون ودروس من سيناء ... ... ... ... ... ...
درويش مصطفي الفار ٤٦
● الأمومة عند الحيوان ... ... ... ... ... ... ... ...
د . عز الدين فراج ٤٨
● نزار قبانى .. قمة شعرية ... ... ... ... ... ... ...
علي حسن تقي ٥١
● الفتنة بالشاعر اليوت خطر على الأدب العربي ... ...
د . عبد الله الطيب ٥٢
● شعراؤنا وقضية تحرير المرأة ... ... ... ... ... ...
صبري أحمد نصره ٥٨
● اشتياق « قصة » ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
فؤاد قنديل ٦٠
● قراءات ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
طلعت حسن جاد الله ٦٢
● رسائل غير عادية .. الى أم ... ... ... ... ... ...
معروف رفيق ٦٣
● أضواء على تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق ...
وجيه الشريجي ٦٤
● جزء خاص : « ٢٢ فبراير بعد عشر سنوات » ... ... —
● دائرة المعارف القرآنية : « الصدقة » ... ... ... ...
د . محمد البهي ١١٥
● إلى أين أيها الانسان الآلي ؟ ... ... ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ١١٦
● الرحلة داخل المغلف الرمادي ( قصة ) ... ... ... ...
نهى سمارة ١٢٢
● « الكشر » يقع فى فخ المناورات الماكرة ! ... ... ...
صنع الله ابراهيم ١٢٤
● الفنان القطري يوسف أحمد بين الحرف العـــربى
وقضايا التراث ... ... ... ... ... جمال قطب ١٣٢
● لقطات من الكون المثير ... ... ... ... ... ... ...١٣٦
● الخروج من الظل بين السينما التسجيلية والسينما
الروائيـــة ... ... ... ... ... ... ... رءوف توفيق ١٣٨
● الزجاج بين يدي الفنان السوري ... ... ... ... ...
عادل أبوشنب ١٤٤
● مع انور المعداوى فى كتابه « كلمات فى الأدب » ... ...
د . عيسي الناعوري ١٤٧
● انطون بوتجيج : رئيس جمهورية مالطا وشاعرها الاول
عبد العزيز السيد المصرى ١٥٠
● ميشيل خليفى : أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة
سمير فريد ١٥٤
● لماذا لايفكر الانسان المعاصر الا فى الدمار والانتحار ؟!
جمال كنـــاني ١٥٨
● انطلاق « قصيدة » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
شهاب غانم ١٦٣
● سوق الفن : نحو أزمة عالمية ... ... ... ... ... ...
عبود عطيه ١٦٤
● ضحكات الشـــهر ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الليثي ١٧٠
● دوحـــة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٧٢
● استراحة الدوحـــة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٧٦
● الورقة الأخيرة : ادب سياحي ... ... ... ... ... ...
عباس خضر ١٧٨

# كلمة

# كيف ننقذ الثقافة العربية من هذا الطوفان؟

في حياتنا الأدبية والثقافية ظواهر تثير الألم ، وتدعونا إلى الانتباه واليقظة والحذر ، حتى لا تسقط ثقافتنا العربية المعاصرة بصورة نهائية في الفوضى . وقد اثرت على صفحات الدوحة منذ شهور ، قضية « الأمن الثقافي العربي » ، ووضعت في مقدمة الأخطار التي تهدد امننا الثقافي « خطر » تزوير الكتب ، وهو الخطر الذي انتشر كالنار في حركة النشر العربية ، وخاصة في بيروت ، ففي الوقت الذي نجد فيه ناشرين مسئولين يلتزمون بكافة القوانين الأخلاقية والثقافية ، ويحاسبون انفسهم – برقابة من ضمائرهم – على كل ما يقدمونه للقارىء من انتاج أدبي ... في الوقت الذي نجد فيه هذا النوع من الناشرين المسئولين ، نجد إلى جانبهم طبقة أخرى من الناشرين ، يتعاظم شانها ونفوذها وتزداد ثروتها وقوتها يوما بعد يوم ، وهذه الطبقة من الناشرين تعمل أساساً بتزوير الكتب لا بنشرها ، فهي تنشر ما تختاره من الكتب الرائجة الناجحة من المكتبة العربية أو العالمية ، دون أن تهتم بأن ينال المؤلفون أو المترجمون حقوقهم ، وبذلك تذهب جهود المثقفين عبثاً ، ويعيشون في ظل معاناة مادية كبيرة ، في الوقت الذي تمتلىء فيه بالذهب والفضة جيوب هذه الطبقة من الناشرين الذين احترفوا تزوير الكتب وتقديمها إلى الأسواق بكميات كبيرة ، دون اتفاق أدبي أو مادي مع أصحاب هذه الكتب .

على أن ظاهرة تزوير الكتب قد تجاوزت كل الحدود ، فلم يكتف الناشرون المزورون بسرقة الحقوق المادية للكتاب والمثقفين ، بل امتد ذلك إلى سرقة الحقوق الأدبية كذلك ، وامامي نموذج حي من هذه «السرقة المعنوية» ، واعتقد أن هذا النموذج ينبغي أن يدفع جميع المسئولين عن الثقافة في الوطن العربي إلى اتخاذ موقف حازم ضد هذا النوع من التزوير والسرقة ، لأن الضرر هنا يمتد ويتسع ليصبح تشويها كاملا للثقافة العربية المعاصرة .

والنموذج الذي اتحدث عنه هو نموذج يتمثل في مجموعة قصص قصيرة مترجمة من الأدب العالمي بعنوان « صديق الشدة وقصص أخرى » ، وهذه المجموعة كما ظهرت في الطبعة البيروتية المزورة قد امتلأت بأخطاء فادحة منها .

١ – ظهرت المجموعة وعلى غلافها اسم « سومر ست موم » مما يوحي بأن المجموعة القصصية كلها من تاليف « موم » والحقيقة أن « موم » ليس له من المجموعة سوى القصة الأولى فقط ، بينما المجموعة تتضمن سبع عشرة قصة لكل منها كاتب مختلف .

٢ – لم تذكر الطبعة المزورة من هذه المجموعة اسم مترجم القصص ، وهو أديب عربي كبير رحل في العام الماضي بعد أن تجاوز الثمانين من عمره ، وبعد أن خدم الثقافة والأدب في الوطن العربي ستين عاماً متصلة ، حيث ظل يؤلف ويترجم منذ سنة ١٩٢٠ حتى وفاته في العام الماضي « ١٩٨١ » . هذا الأديب الكبير هو الأستاذ « علي أدهم » ، الذي كان مثالا للجد والاخلاص والعمق والأمانة في كل ما كتبه وترجمه خلال حياته الثقافية ، بالاضافة إلى ما اتصف به من التواضع والبعد عن الغرور والادعاء طيلة حياته الأدبية والفكرية . هذا الأديب الكبير هو مترجم هذه المجموعة القصصية ، وقد ضن عليه الناشر الذي قام بتزوير الطبعة البيروتية بذكر اسمه كمترجم للمجموعة فحذفه نهائيا من الكتاب .




غلاف الطبعة المزورة من كتاب .... صديق الشـــدة



علي أدهم حذفوا اسمه وأنكروا حقوقه المادية والأدبية

٣ – لم يكن جهد « علي أدهم » في هذه المجموعة هو جهد الترجمة فقط ، بل لقد كتب مقدمة للمجموعة تعالج وضع القصة كفن في الأدب الحديث ، كما كتب لكل قصة مقدمة عن كاتب القصة واتجاهاته الأدبية والفكرية وسيرة حياته ، ولذلك جاءت المجموعة جهداً يجمع بين الدراسة والبحث والترجمة في ان واحد . ومع ذلك قام الناشر بحذف اسم « علي أدهم » ، وبذلك فان الناشر لم يكتف بحرمان الكاتب من الحقوق المادية ، بل حرمه ايضا من حقوقه الأدبية .. وهذا الحرمان الأخير أخطر من الحرمان المادي .

٤ – في الطبعة المزورة اختلطت مقدمات القصص بالقصص نفسها مما أساء إلى الكتاب إساءة موضوعية كبيرة .

هذه بعض أخطاء الطبعة المزورة من مجموعة « صديق الشدة » ، ولقد اتيح لي أن أكتشف هذه الأخطاء ، لانني كنت على صلة بعلي أدهم وانتاجه الأدبي ، وكنت قد حصلت على المخطوطة الأصلية بهذه المجموعة ، عندما كنت رئيساً لتحرير مجلة الهلال وسلسلة روايات الهلال الشهرية ، وقد قدمت المجموعة إلى دار الهلال الشهرية ونشرتها الدار في «روايات الهلال» بالفعل . وجاءت الطبعة المزورة من هذه المجموعة ، لتلتهم اسم المترجم وتشوه الكتاب تشويها كاملا على الصورة التي اشرت إليها .

إنني أحاول أن أكتم غيظي وسخطي وانا أكتب هذه الكلمة ، لأنني أود أن تتحول القضية من قضية انفعالية عاطفية ، إلى قضية موضوعية واقعية ، نسعى فيها إلى علاج هذه الظاهرة الخطيرة ... ظاهرة تزوير الكتب والعبث بالحقوق المادية الأدبية التي تتصل بهذه الكتب .

ولا حل في تصوري إلا أن يستيقظ ضميرنا الأدبي يقظة حقيقية ، وأن تتحول يقظة الضمير الأدبي العربي إلى « قانون » يضرب على أيدي المزورين ، ويغلق كل الأبواب في وجه ما يطبعون وما ينشرون ... على أن تلزم كل وزارات الثقافة في الوطن العربي ضد التزوير والمزورين .

هذا ... وإلا فسوف تغرق الثقافة العربية في طوفان من الفوضى ، لن ينجو منه العقل العربي خلال أجيال متعددة قادمة .

رجاء النقاش

نحن لا ننتظر من شبابنا أن يحزن وييأس ويستكين . إننا ننتظر منه أن يشعل لنا شمساً جديدة ، وأن يخلص أوطانه مما هى فيه من ضياع وخداع وهوان .. وأن يرينا من عزمه المقتدر جنون الشجعان . ننتظر منه أن يضع مكان يأسنا أملا .. ومكان خوفنا اقتحاماً .. ومكان انكسارنا عزة وصلابة .. ومكان وجومنا بهجة وانطلاقاً ..

# عايِشْ الحياة بفرح وخُذْها بقوة .. هذه نصيحتي

بقلم

خالد محمد خالد

دخل عَلَيّ مكتسى الوجه بتهلل متكلف ، تعلو ثغره ابتسامة متعبة ، ويتهدل جفناه تحت رموش وهنانة . ووراء هذا كانت شخصيته تتلفع بقدر كبير من التشاؤم والحيرة .

هو فتى غض الأهاب ، ريان الشباب . أتاه الله ذكاء ووسامة . ومع الذكاء والوسامة صحة جيدة . ومعه كل ما يجعله للحياة صديقاً ودوداً ، وما يجعل الحياة توده وتحابيه ..

جلس حيث تعود أن يجلس . وراح يتدفق فى الحديث المكرر تارة والجديد تارة أخرى . وأنا مشغول ومشغوف بالطريقة التى يحلل بها نفسه ، ويستعرض بها حياته .

لو اشتغل بالفلسفة لجاء منه فيلسوف جيد ، ولكن ظروف التعليم فى بلدنا ذهبت به الى دراسة الفنون الجميلة . وأى بأس .. اليس الفنان كالفيلسوف . كلاهما قادر على تفسير الحياة ومصادقتها ؟!

رأيت فيه وفى حيرته ومخاوفه شبابنا العربى المعاصر . وزاد ذلك من رغبتى فى الأصغاء لما يقول .

إنه واحد من القافلة المزدحمة التى تشق طريقها وسط الأتربة والصخور .

قلت له بعد أن أصغيت إليه طويلا : فلنرجع إلى طفولتك . فسرح بفكره بعيداً ثم قال : لا شىء غير عادى . اللهم إلا ذلك المشهد الذى أظن أنه قد ترك بصماته الضاغطة فى حياتى . مشهد جدتى وهى تعانى مرض الموت ، ثم وهى تسلم أنفاسها ، ويطوقها الموت بذراعيه القويتين الرهيبتين .

أومن أجل ذلك تحمل أكفانك ، وتعيش أنضر أيام حياتك بهذا المزاج

الماتمى .. ؟!!

كل الناس يرون المرض ويرون الموت . ولكنهم يتفوقون عليهما برغبتهم فى الحياة وإصرارهم عليها .. فلنبحث فى شبابك الماثل ..

إنه شبابٌ فتىً أنهى حياته المدرسية والجامعية بنجاح . وإنه ليحيا حياة طيبة . لا هى حياة ترف ، ولا هى حياة فاقة .. ثم هو يشتغل بالتدريس . وله أنامل ذكية تستطيع أن تمارس مائة صنعة بمقدرة المتخصص . وفى هذا عون له على ملء فراغه .

إذن فما هى أزمته التى تجعله يفكر فى الموت بعمق ، وفى الحياة بحزن وفى المستقبل بفزع .. ؟!

إنها أزمة جيل بأسره كتب عليه أن يعيش فى عصر يضطرم بالمفارقات والتناقضات ..

جيل يكاد حكامه وسادته يدفعونه بسلوكهم إلى الانتحار إذا هو فكر تفكيراً جاداً ، أو إلى الضياع إذا هو أسلم نفسه إلى اللامبالاة . جيل يتمثل بقول الشاعر :

إنى لافتح عينى حين أفتحها
على كثير ، ولكن لا أرى أحداً

جيل يسبح ضد التيار :

فى بحار تئن فيها الرياح
ضاع فيها المجداف والملاح

● ●

قلت للشاب الذكى : ان خوفك من الموت امتداد لخوفك من المستقبل .. والتهيب من المستقبل آفة الشباب فى عصرنا الموئس .

ان الشاب قد يفقد أباه فجأة ـ كما حدث لك ـ فتتوتر علاقاته بمستقبله ، لأن الأب كان كل ما يحتاجه من أمن ودفء وكفالة .. وسقوطه بينما أبناؤه وسط الطريق يجعلهم يوجسون خيفة من مستقبلهم .

ولقد سقط الأب الكبير لكل عربى . هذا الأب المتمثل فى الوطن العربى ..

إنه يسقط كل يوم مرة أمام المؤتمرين والمتربصين له .. وجيل شبابنا المعاصر يستمع فى غثيان إلى غوغائية الساسة ، وديماجوجية الحكام والقادة . ويبصر تلك الدولة الصغيرة ـ اسرائيل ـ وهى تعيث فساداً فى وطنه العربى الكبير دونما أى عمل ايجابى من سادته وحكامه ، فيتراءى له المستقبل مظلماً نكداً ، وتملأ روع الشباب فكرة الانفصال عن المستقبل وتخطيه إلى يأس الموت وظلمات العدم !!

وقد يدفعه إلى اليأس من المستقبل أيضاً ما يراه من نهم القطيع الجشع المتمثل فى تلك الطغمة المسعورة فى كل بلد عربى ممن يسعون إلى الثراء الفاحش غير المشروع بوسائل متلصصة . وكأنهم صمموا على ألا يتركوا لغيرهم شيئاً يناله .. !!

ويتسلى الشباب بقصة ذلك الطفل الذى جلس بين رجال كبار ، عراض الأكف حول قصعة لحم وثريد وعندما رفع الطفل إلى فمه أول لقمة من الثريد لسعت حلقه ولسانه ، فبكى .. وسأله الرجال ما يبكيك ؟ قال الثريد ساخن .. قالوا : دعه حتى يبرد قال : أنتم لا تدعونه .. !!

وقد يقطع ما بين الشباب والمستقبل فقدان هدف نبيل يحيون به ، ويحيون له . إذ لا شىء يسمو بالحياة فوق كل المثبطات مثل تكريسها لهدف عظيم . هدف شخصى أو هدف إنسانى يخرج بها من التقوقع داخل الذات .

قلت هذا للشاب . وقلت له : إنك تذكرنى بطرفة تذكر عن بلد اسمه « إديث » وصفوه فقالوا : « إديث بلد يحده من الشمال إديث ، ومن الجنوب إديث ، ومن الشرق إديث ، ومن الغرب إديث » !!! أى أنه بلد مقطوع الصلة بالعالم الخارجى ، وهو كنقطة تائهة فى الفضاء .

كذلك الانسان الذى يسجن نفسه حيث يعيش فى عالم من المرايا . لا يرى أمامه ولا خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن شماله إلا صورته وذاته !!

وتكريس الحياة لهدف نبيل يتطلب منها الغيرية .. ويتطلب منها أن تنتشر خارج ذاتها .. يتطلب منها أن تكدح وتكد من أجل تحقيق هدفها مهما يجشمها ذلك من مشقة وألم ، فصدقاً قيل : لا شىء يجعلك عظيماً سوى ألم عظيم !!

# عايش الحياة بفرح وخذها بقوة..

## هذه نصيحتي

قلت للشاب : غادر نفسك وعايش الحياة بفرح ، وخذها بقوة ، وتعرف إلى كل ما هو نبيل فيها وجميل .

● ●

قال : ان لى خطايا توبقنى وتثقل خطاى ..

قلت له : هنا تجد الأمن والملاذ فى قول ربنا عز وجل : « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعاً » ..

وتجد الأمل والبشر فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل بنى آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون » ..

وأنت تعرف أن التجربة والخطأ هما المعراج الذى عرج عليه الانسان إلى سماوات تألقه وتفوقه . ولو أن كل انسان يخطىء ثم يعيش حياته يجتر الندم على خطئه لكان بمسلكه هذا يقدم لشيطان الغواية والعجز فرصة لا تعوض فى هدم حياته وجعلها تراباً فى تراب ..

إن التوبة ترفع الانسان إلى مقام الفرح بالله . وليس هناك خطيئة مهما كبرت تتعاظم رحمة الله ..

إن الله سبحانه يقول فى حديث قدسى : « أنا عند ظن عبدى بي . إن خيراً فله ، وإن شراً فله » .

وإن أقدر الناس على ترويض مشقات الحياة ، وتطويع أيامها . هم أولئك الذين يعيشون معها فى فرح حكيم ، ولا يعرف اليأس اليهم سبيلا .

فلا تيأس . وإذا غلبك اليأس ، فامض فى طريقك وأنت يائس .. تماما مثل الحكمة التى تقول : « لا تخف . وإذا غلبك الخوف فامض فى طريقك وأنت خائف » .. !!

إننا لا ننتظر من شبابنا أن يحزن وييأس ويستكين ..

إننا ننتظر منه أن يشعل لنا شمساً جديدة ، وأن يخلص أوطانه مما هى فيه من ضياع وخداع وهوان وأن يرينا من عزمه المقتدر جنون الشجعان .. !!!

ننتظر منه ألا يسجن داخل نفسه ، وداخل أوهامه ومخاوفه ..

ننتظر منه أن يضع مكان يأسنا أملا .. ومكان خوفنا اقتحاماً .. ومكان انكسارنا عزة وصلابة .. ومكان وجومنا بهجة وانطلاقاً ..

وطريقه لذلك أن يتبنى الأهداف الكبيرة وأن يهبها حياته . وليس الطريق أن يقف جباناً مفزعاً أمام الصعاب أو أمام الموت .

ومهما تكن ظروف الشباب فأن فى استطاعته أن يتفوق على كل المثبطات . فى استطاعته أن يواجه الموج مبسوط الذراعين ، وأن يحول الهول إلى هباء .

● ●

واذا كنا نطالب الشباب خاصة بأن يواجه الحياة بشجاعة ، فنحن مطالبون بأن نعرف له الشجاعة ..

فالشجاعة اقتحام تقوده الحكمة . بينما التهور انتفاض يدفعه النزق ..

وإذا كنا مطالبين بأن نوازن بين ما نريد أن نعمل ، وما نستطيع أن نعمل ..

إذا كنا مطالبين بألا نلقى بأنفسنا من حالق رغبة فى تصفيق الجماهير.

إذا كنا مطالبين بألا نستدرج إلى مسئوليات وأعمال تقوم بينها وبين طاقتنا جسور متهاوية .. فليس معنى ذلك أن نستعين بالحكمة على هدم الشجاعة . إنها عندئذ لن تكون حكمة بل ستكون تبريراً . والجبان يستطيع أن يجد مائة عذر لتبرير جبنه . وليس هذا ما نريده من شبابنا .

ان جنون الشجعان يساوى حكمة الشجعان حين تكون الشجاعة فضيلة النفس ونداء النجدة .

ومن ثم ، فنحن نريد من شبابنا أن يجعل شعاره حكمة «فيكتور هيجو» — « إنى أرى ، لا أكثر .. وأومن ، لا أقل .. أما العواقب فشىء لا يدخل فى حسابى أبداً » .. !!

أجل — علينا أن نرى ونفكر جيداً . ثم نؤمن ، ونؤمن كثيراً .. وبعدها لا نجعل للعواقب المحتملة سيادة على إرادتنا وشجاعتنا .

قلت للشاب ، وأقول لجيله كله : إن أفتك فيما يبدو أنه ليست لك مسئوليات نبيلة وعظيمة تشغلك ، وتشد إليها فكرك وإرادتك .. فنحن فى عصر ، وفى بلاد يحيا الناس فيها حياة تلقائية وعشوائية . ويخشون أن تكون لهم مسئوليات واضحة يرتبطون بها ويحيون لها !!

فحاول أن تكتشف مسئولياتك . وسواء كانت هذه المسئوليات متعلقة بشخصك أم بالناس .. بأمور عادية أو بجلائل الأعمال ، فابذل فيها مهما يكن حجمها كل روحك وجهدك ،

فعظمة الروح لا تتجزأ . وهى فى الأعمال الضئيلة مثلها فى الأعمال الجليلة . قلت له : ابحث عن قضية عامة من قضايا وطنك أو من قضايا الانسانية وعش لها ، وضعها ضمن مسئولياتك أو على رأسها ، وثبت نفسك بالقدوة العظمى التى ضربها للناس خيار الناس .

• •

تذكر رسول الله « محمداً » وهو يحتضن مسئولياته فى رسوخ أشم ، ويهتف فى وجه خصومه الضالين : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يقضيه الله أو أهلك دونه » .. !!

وتذكر السيد المسيح ، وهو يبصر أكثرية قومه من اليهود تتحول إلى خراف ضالة تحترم الباطل وتمتهن الحق وتكذب على الله .. وتتراءى له الخشب الموبقة التى كانت تعد صلباناً للدعاة والهداة ، فلا يجزع ولا يخاف ولا يهرب من مسئولياته الجسام .. !!

لا تقل : هذا المسيح ومحمد . فمن يبلغ شأوهما ؟!

فهناك أعداد هائلة من الذين حملوا مسئولياتهم فى شجاعة وغبطة .. هذا هو الشيخ الجليل « ابن تيمية » يناهض فى أيامه الذين يحكمون الناس بالظلم ، والذين يملأون عقول الناس بالخرافة ، فيؤذى ويضطهد ويسجن ، فلا يلقى مسئولياته من يمينه . بل يشبع مضطهديه سخرية ويقول : « ماذا يصنع أعدائى بي ؟ إن حبسى خلوة .. وقتلى شهادة .. ونفيى سياحة .. فماذا يصنع الأعداء بي » ؟!!

وهذه « مدام كورى » ـ ترى صرعى العلة والمرض يتهاوون كالعهن المنفوش . وتلتمع أمام بصيرتها بادرة أمل فى اكتشاف الدواء الناجع . فتحمل من فورها مسئولية هذه البادرة . كما لو كانت رسالة تلقى إليها ، أو وحياً يتنزل عليها ، فتثابر وتضنى وتعيش هى وزوجها فى « بدروم » منزل . وتلاقى فى بحثها الفشل تلو الفشل ، ويذوى عودها تحت وطأة المرض والفقر والسهر حتى يفتح الله لها مغاليق السر ، وتضع يدها على « الراديوم » فيه شفاء للناس . ثم ترفض رغم فقرها عروضاً مغرية قدمها لها سماسرة الشقاء والحرب الذين حاولوا أن تأذن لهم بتحويل الخير الذى كشفته إلى أداة قتل وتدمير .. !!

وكان عندنا فى مصر رجل يملك من المال والجاه مالا يجد معه من وقته فراغاً يملؤه بعمل جاد . فضلا عن تضحيات تزهو على كثير مما نعرف من تضحيات .

وجد أمته تسام الخسف والقهر من مستعمر دخيل ، فخلع جاهه وجعله للقضية دثاراً .. وجمع ماله الكثير وجعله للقضية فدية .. وترك القصر ودخل السجن .. ثم قضى حياته محروماً من كل راحة بعيداً عن كل مرفأ ، حتى مات غريباً لا يجد ثمن الدواء . !!

إنه « محمد فريد » معجزة الرجال ، ومفخرة الأبطال .

• •

قلت للشاب وأقول لجيله : لا تخش خطراً ما ، إذا دعتك مسئولياتك وناداك واجبك .

وسواء كانت هذه المسئوليات سياسية ، أو اجتماعية ، أو انسانية ، أو حتى شخصية .. سواء كانت عملا من أعمال القمة أم من أعمال السفح .. سواء كنت وزيراً أو كاتب « أرشيف » . لا تلق مسئولياتك على الأرض خوفاً على منفعة ترجوها ، ولا حذراً من خطر تخشاه ..

ولا تخش أن تقول لنفسك ولغيرك « لا » إذا اقتضت مسئوليتك العادلة أن تقولها . فليس فى الحياة أمتع ولا أبهج من كلمة « لا » عندما توجه إلى باطل ، وعندما يتوجه بها الأدنى إلى الأعلى .. والأضعف إلى الأقوى .. !!

قلت للشاب : والآن تعال نرجع إلى حيث بدأنا .. إلى الفرح بالحياة والقوة فى أخذها ، فليس لدى الحزانى والضعفاء سوى الحيرة والدموع .

وبدون أن تفرح بالحياة وتأخذها بقوة سيصعب عليك أن تتحمل مسئولياتك ، بل وسيصعب عليك أن تحيا ..

فعايش الحياة فى فرح ..
وخذها بقوة ..
وهذه نصيحتى ..

خالد محمد خالد

لماذا تعرّض هذا الرجل للإهمال ؟

# الأديب الذي يستحق تمثالا في كل مدينة عربية



بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

**شيء ما في تاريخ الحركات الأدبية يجعل بعض الأدباء مشهورين يتردد ذكرهم على كل لسان وفي كل كتاب وتصدر عنهم عشرات الدراسات ويبقى صداهم حياً في فترات لاحقة ..**

**بينما أدباء آخرون يكونون ملء السمع والبصر بنتاجهم ونشاطهم ومواقفهم .. ثم يختفي ذكرهم فجاة ويفقدون المساحة التى استحقوها ويسدل عليهم الستار !**

هل السبب ـ دائماً ؟ ـ في أن من بقي ذكرهم استحقوا ذلك لآثارهم الخالدة التى تركوها وان من أسدل عليهم الستار ، استحقوا ذلك أيضاً لخلو آثارهم الأدبية من مقومات البقاء ؟؟

ثم ان في الأمر عوامل أخرى تعلو بمن تشاء وتهبط بمن تشاء ، كما يحدث لشخصيات التاريخ التى يختفي ذكرها لبعض الوقت وتبرز محلها وجوه أخرى ، أصغر منها بكثير ، وأضال ، الى أن يعود ميزان الحقيقة التاريخية الى خط الاستواء بعد زمان يقصر أو يطول ، فيعود العملاق عملاقاً ، وتختفي الظلال الصغيرة الداكنة وتتلاشى تحت وهج الشمس العائدة من جديد ؟

أطرح هذا السؤال وفي ذهني من الأدباء أحمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ،

وصاحب الأفكار القومية والاجتماعية الخالدة ، وصاحب الأسلوب العربى المشرق الأصيل .. لماذا أسدل الستار عليه واحيط بالصمت والأهمال ومحيت مساحته الرحبة الشاسعة من حقل الأدب العربى بعد أن كانت رسالته الصحفية ( مجلة الرسالة ) مدرسة الأجيال العربية ، ورسالته القومية الفكرية من طلائع حركة التوحيد العربى المنطلق من مصر العروبة ، ورسالته الأدبية اللغوية الجمالية مثالا ونموذجا يحتذى برشاقة الأسلوب العربي المصفى ومتانته ورقته وسموه ؟

إنني لم أجد حتى الآن كتابا واحداً عن حياة هذا الأديب الخالد وآثاره وأدبه ـ وأرجو أن أكون مخطئاً ـ على الرغم من ان الزيات يمكن اعتباره ابرز الأدباء الرواد الذين مهدوا طريق الفكر والأدب والصحافة لظهور حركة ٢٣ يوليو فى التاريخ المصرى والتاريخ العربى الحديث .

إن المعالم الرئيسية فى تفكير الزيات هى المعالم الرئيسية ذاتها فى حركة القومية العربية والوحدة العربية ، بل ان الأفكار هنا وهناك هى هى ذاتها الى حد التطابق ، والفارق ان الزيات سبق اليها فى الثلاثينات بينما الفكر الوحدوى العربى طرحها فى الأربعينات والخمسينات . وهذا السبق الزمنى يمنح أحمد حسن الزيات حق الأبوة وحق الريادة الأصيلة للاتجاه الوحدوى العربى فى مصر أكثر من أى أديب آخر من الذين تتصدر اسماؤهم الواجهات الأدبية حتى يومنا هذا .. والذين يغيرون جلودهم بين وقت وآخر ..

والأفضل أن ندع الزيات يتحدث إلينا بصوته وبكلماته الخالدة لنستعيد حيوية تلك اليقظة القومية العربية فى مصر فى ثلاثينات هذا القرن وكيف انطلقت الروح المصرية الأصيلة منذ ذلك الوقت المبكر ـ وهى تحت وطأة الاستعمار البريطانى ـ تقارع الاتجاهات الاقليمية والانعزالية والانحطاطية لتؤكد وجه مصر العربى وجوهرها الاسلامى وارتباطها المصيري بأمتها العربية ووطنها الكبير .

عام ١٩٣٣ حاول بعض دعاة الانعزالية انكار عروبة مصر فأثاروا ردوداً كثيرة من رجال القلم والفكر فى مصر . وكان أول هذه الردود رد عبد الرحمن عزام فى جريدة « البلاغ » على طه حسين ، حيث قال :

« لقد قبل المصريون دين العرب ، وعادات العرب ، ولسان العرب وحضارة العرب ، واصبحوا عرباً فى طليعة العرب ، والذى نعلمه من البحث فى أنساب أقاليم مصرية بأكملها ان اكثرية دماء أهلها ترجع الى العرق العربى ، وان فرداً واحداً من تسعين فى المائة من سكان مصر لا يستطيع أن ينكر ان عروقه تجرى فيها الدماء العربية ، والواقع الملموس ان مصر الآن من جسم الأمة العربية فى مكان القلب « تلك هى الأمة العربية وتلك هى أمتنا التى ننتسب اليها ونفخر بتاريخها » .

وتوالت ردود كثيرة على هذا المنوال ، غير ان الكلمة الفصل التى حسمت الجدل ، ونفذت الى صلب القضية وجوهر الموضوع وجسمت الحقيقة خالدة باقية ، لايطالها جدل المجادلين ولا يؤثر عليها انكار المنكرين كانت كلمة أحمد حسن الزيات فى افتتاحية « الرسالة » بتاريخ ١٩٣٣/١٠/١ .

فى هذه المقالة أسبغ الزيات على صلابة الفكرة حرارة العقيدة وجمع بين ثبات العقل وعنفوان القلب وجمال التعبير ، فجاءت كلمته الخالدة التى ستبقى ما بقيت أرض الكنانة فى قلب الأرض العربية :

● « هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً من التاريخ العربى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال . أزهقوا ان استطعتم هذه الروح ، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر ، وهل يبقى إلا أشلاء من بقايا السوط وأشباح طائفة ترتل كتاب الأموات ، وجباه ضارعة تسجد للصخور ، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة ، لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى ، لأنها لا تجد مدداً لحيويتها ، ولا سنداً لقوتها ، ولا أساساً لثقافتها إلا فى رسالة العرب . انشروا ما ضمت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب أخبار الهالكين .. ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائماً ان الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وان اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وان القيثار الذى توقعون عليه الحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وان آثار العرب المعنوية التى لا تزال تعمر الصدور وتغذى العالم هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر وأجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة » .

هذا الحسم فى الانتماء وفى تقرير الهوية أعلنه الزيات بهذا الصوت الذى لا شبهة فيه قبل ربع قرن من اعلان دستور ١٩٥٦ الذى نص فى احدى مواده الأساسية على ان مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية .

واذا كان الزيات قد شاركه آخرون فى درجة من هذا الوعى القومى العربى ، فانه تميز عنهم باضافة وعي آخر ، جديد بمعيار المرحلة ، الى الوعى القومى ، ونعنى بـه « الوعى الاجتماعى » أى التنبه الى ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية والاهتمام بالحياة المعيشية للغالبية العظمى من المواطنين ووقف ترف القلة الزائد والقائم على جهد الآخرين وعرقهم .

والزيات يطرح المسألة الاجتماعية بمنتهى الوضوع والنضج الفكرى ـ فى الثلاثينات أيضاً ـ وكأنه ينطق باسم دعاة التوحيد القومى والاصلاح الاجتماعى فى الخمسينات والستينات بمصر وغيرها من البلاد العربية .

ولقد أحصيت للزيات ٩٣ مقالة كتبها فى الرسالة بين يناير ١٩٣٩ ومارس ١٩٤٤ ، فوجدت حوالى ثلاثين مقالة من بينها ـ أى ثلث عدد مقالاته فى خمس سنوات ـ تتناول المشكلة الاجتماعية ، وبالذات مشكلة الفقر والغنى وطرق مكافحة الفاقة .

فى ١٦ يناير ١٩٣٩ كتب الزيات يقول : « يا صاحب السعادة لِمَ ترضى أن أكون صاحب الشقاء؟ أنا وأنت نبتتان من أيكة آدم نمتا فى ثرى النيل ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب الى الماء ومغرسي لسوء حظى كان أقرب الى الصحراء ، فشبعت انت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذويت » .

فى ٦ فبراير ١٩٣٩ ينبه الزيات الى خطورة المشكل الاجتماعى قائلا : « هيهات أن يكون فى الأرض ايمان مادام فى الأرض فقر » .

فى ١٣ فبراير ١٩٣٩ يعالج الزيات مشكلة الفلاحين المصريين الذين يشكلون السواد الأعظم من الأمة : « من لنا بمن يفتح قلوب المالكين لاولئك الفلاحين الذى اصطلحت عليهم محن الدنيا وبلايا العيش وجهلتهم الحكومة فلا يعرفهم إلا جباة

## لماذا تعرّض هذا الرجل للإهمال ؟

الضرائب وحراس السجن ، أما المعارف والأوقاف والأشغال فشأنها شأن المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير التمدن » .

في ٢٤ ابريل ١٩٣٩ ينبه الزيات ولاة الأمر فى مصر فى ذلك العهد الى خطورة المشكلة بالنسبة للنظام الاجتماعى كله قائلا : « كل ثورة فى تاريخ الأمم ، وكل جريمة فى حياة الأفراد انما تمت بسبب قريب أو بعيد الى الجوع » .

• • •

بالاضافة الى « التصور القومى » و« التصور الاجتماعى » هل كان لدى الزيات تصور عملى لتحقيق الغايتين القومية والاجتماعية ، ونقلهما الى حيز التطبيق ؟

هنا أيضاً يفاجئنا الزيات بطرافة فكره وريادته .

فهو يرى ان هذا المشروع القومى الاجتماعى الكبير يحتاج الى « مصلح قومى » والى « رجل منتظر » يخرج من بين صفوف الأمة ويفرض قيادته التاريخية على مجرى الأحداث ليحقق بالسلطة وبالفكر ما تطمح نفوس الأمة اليه من خلاص ومن اصلاح .

يقول بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٤١ :

« والمتوقع الذى لا حيلة فيه ان نظل كما نحن لعبة تلعب أو نهبة تنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذى ننتظر ... وهو بين اصحاب السلطات يكون أسرع نجاحاً وأوسع صلاحاً منه بين اصحاب الفكر ، ولهذا الرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تتماسك فى قول أو فعل .. واستبهام المذاهب ، وانقطاع الأمة عن ركب الحياة ، ومن أياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه، ولأمته قبل أسرته ولانسانيته بعد وطنه ، لا ينضج رأياً إلا أمضاه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه .. ولقد ظهر أمثاله فى بعض الأمم وهى على شفا الهاوية فاعادوها الى الحياة وردوها الى الجادة ، ولا تزال الأمة العربية تحدق النظر فى الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره .. رباه ! « انا نسألك الراعي الذى يطرد الذئب والنظام الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم والأستاذ الذى يعلمنا أن نصنع الابرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة » .

ونلاحظ ان الزيات يدعو الى ظهور مصلح قومي وقائد قومي للأمة العربية كلها يتجاوز الحدود الاقليمية ويمثل الوحدة القومية الشاملة ، دون ارتباط بهذا القطر أو ذاك ، وذلك قبل ظهور أى تجمع عربى مشترك كالجامعة العربية ونحوها .

وهو بهذا يبدو منسجماً مع دعوته القومية وايمانه بالوحدة العربية .

• • •

وهكذا كان الزيات رائداً فى طرحه لهذه المسائل الكبرى الثلاث فى الفكر العربى وفى جمعه بينها بشكل منسجم وبدرجة عالية من الوعى :

- المسألة القومية .
- المسألة الاجتماعية .
- المسألة القيادية .

ولا أعتقد ان فكر الزيات قد درس على ضوء معالجته لهذه المسائل وجمعه بينها فى تصور فكرى متكامل كان بمثابة التمهيد لحركة التوحيد العربى والاصلاح الاجتماعى فى التاريخ العربى المعاصر بشكل دقيق الملمح مستشف لمجرى التطورات .

وهذا جانب واحد فقط من جوانب ابداع الزيات ، فقد كان بالاضافة الى ذلك صاحب اسلوب شفاف أقرب الى الشعر ، وصاحب معالجات نقدية وقصصية ، وصاحب دراسات فى تاريخ الأدب العربى والأجنبى ، وفي شئون التربية وطرق تجديد اللغة العربية .

وضمن التوجه الجديد لاعادة كتابة تاريخنا العربى وابراز اعلامه ورجالاته ، فان الزيات يستحق ان يكون من أوائل الرجال الذين من حقهم علينا واجب التقدير والدرس والتقييم المنصب فى عشرات الابحاث والمقالات .

وفى رأينا ان الزيات لو لم يكتب غير تلك الكلمة الخالدة فى عروبة مصر ، فان من حقه على العرب ، كل العرب ، أن يقيموا له تمثالا فى كل مدينة عربية يذكرهم ، رغم توالى المحن وتغير الزمن ، بمن كان لهم من رجال قالوا كلمة الحق والضمير القومى ، دون تلون ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

د . محمد جابر الأنصارى

## من تراثنا المعاصر

# فرعونيّون وعرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ، ويبعثوا حرباً من غير جند !

حلا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطياً يجادل فى الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الأخرى ! فقال على هذا القياس : أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية ؟

نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأعنة الأهواء يقول لها كونى فرعونية فتكون ، أو كونى عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأى الفرعونى اثنان أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام ، فبسطوه فى المقالات ، وأيدوه بالمناظرات ، ورددوه فى المحادثات ، حتى خال بنو الأعمام فى العراق والشام أن الأمر جد ، وأن الفكرة عقيدة ، وأن ثلاثة من الكتاب أمة ، وأن

**هذه المقالة بأسلوبها البديع وتفكيرها القومى الأصيل الواعى كتبها الأديب العربى الكبير أحمد حسن الزيات فى أول أكتوبر سنة ١٩٣٣ أى منذ ٤٩ عاماً. وتبدو هذه المقالة وكأنها مكتوبة اليوم، رداً على كل هؤلاء الذين يحاولون إثارة الغبار والضباب حول عروبة مصر ... فالى هؤلاء جميعاً والى الأجيال العربية الجديدة نقدم هذه المقالة كوثيقة نلحقها بالمقال الذى كتبه الكاتب الكبير الدكتور الأنصارى على الصفحات السابقة!**

---

مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات، والمساجد معابد، والكنائس هياكل، والعلماء كهنة!

مهلا بنى قومنا لا تعتدوا بشهوة الجدل على الحق! ورويداً بنى عمنا لا تسيئوا بقسوة الظن الى القرابة! إن الأصول والأنساب عرضة للزمن والطبيعة: تواشج بينها القرون وتفعل فيها الأجواء حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم وفوق الطاقة. فاذا قلنا فلان عربى أو فرنسى أو تركى فانما نعنى بهذه النسبة انطباعه بالخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب، كاللغة والأدب والأخلاق والهوى والدين فمهيار عربى وأصله فارسى، وروسو فرنسى وأصله سويسرى، والأمير فلان تركى وأصله مصرى، لأن كلا من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءاً من شعبه، ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه.

فبأى شىء من هذا يتمارى إخواننا الجدليون وهم لو كشفوا فى أنفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الالهام لرأوا الروح العربية تشرق فى قلوبهم ديناً، وتسرى فى دمائهم أدباً، وتجرى على ألسنتهم لغة، وتفيض فى عواطفهم كرامة؟ ...

لا نريد أن نحاجِّهم بما قرره المحدثون والعلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بعرق الى العربية الجاهلية، فان هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل ... وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة. هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلثاً من التاريخ العربى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال ... وذلك هو ما ماضى مصر الحى الذى يصيح فى الدم، ويثور فى الأعصاب، ويدفع بالحاضر الى مستقبل ثابت الأس شامخ الذرى عزيز الدعائم.

أزهقوا إن استطعتم هذه الروح، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر. هل يبقى غير أشلاء (١) من بقايا السوط وأنضاء (٢) من ضحايا الجور، وأشباح طائفة ترتل «كتاب الأموات»، وجباه ضارعة تسجد للصخور وتعنو للعجماوات، وقبور ذهبية الأحشاء ابتلعت الدور حتى زحمت بانتفاخها الأرض، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة؟ وهل ذلك إلا الماضى الأبعد الذى تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة تصور بألوانه وتشدو بألحانه وتحيا أخيراً بروحه؟ ولكن أين تحسون بالله هذه الروح؟ إن أرواح الشعوب لا تنتقل الى الأعقاب إلا فى نتاج العقول والقرائح. فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان، وتشريع كتشريع الرومان، وشعر كشعر العرب؟ أم الحق أن مصر القديمة دفين فنيت روحه مع الآلهة، وصحائف موت ذهب سرها مع الكهنة، والخامد لا يبعث حياة، والجامد لا يلد حركة؟

لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى، لأنها لا تجد مدداً لحيوتها ولا سنداً لقوتها ولا أساساً لثقافتها إلا فى رسالة العرب. أما أن يكون لأدبها طابعه ولفنها لونه فذلك قانون الطبيعة ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه؛ لأن الآداب والفنون ملاكها الخيال، والخيال غذؤاه الحس، والحس موضوعه البيئة، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها فى كل قطر. فاذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة، ويؤلف بين روحه وروح البيئة فاته اللون المحلى وهو شرط جوهرى لصدق الأسلوب وسلامة الصورة.

وقديماً كان لون الأدب فى الحجاز غيره فى نجد، وفى العراق غيره فى الشام، وفى مصر غيره فى الأندلس، دون أن يسبق هذا التغاير دعوة ولا أن يلحق به أثر!

انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين، واستقطروا من الصخور الصلاب أخبار الهالكين، وغالبوا البلى على ما بقى فى يديه من أكفان الماضى الرميم، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب، ولكن اذكروا دائماً أن الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو، وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر، وأن القيثار الذى توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار امرىء القيس، وأن آثار العرب المعنوية التى لاتزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم، هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر وأجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة.

إنما تتفاضل الأمم بما قدمت للخليقة من خير، وتتفاوت الأعمال بما أجدت على الانسان من نفع. أليس (الخزان) خيراً من الكرنك، والأزهر أفضل من الأهرام، ودار الكتب أنفس من دار الآثار!

وبعد فان ثقافتنا الحديثة إنما تقوم فى روحها على الاسلام والمسيحية، وفى أدبها على الآداب العربية والغربية، وفى علمها على القرائح الأوربية الخالصة. أما ثقافة (البردى) فليس يربطها بمصر العربية رباط، ولا بالمسلمين ولا بالأقباط.

(أول أكتوبر سنة ١٩٣٣)

(١) الاشلاء جمع شلو وهو العضو بعد البلى والتفرق.

(٢) الأنضاء جمع نضو وهو المهزول.

أحمد حسن الزيات

# الإسلام السياسي

بقلم : فتحي رضوان

**قد يقع هذا العنوان فى سمع القارىء ، موقعاً غريباً ، أو منكراً ، لأن المسلم الذى يعرف دينه جيداً ، لا يعتقد أن هناك اسلاماً سياسياً ، وآخر اجتماعياً ، وثالثاً اقتصادياً ، بل انه يؤمن بان الاسلام ، وحدة لا تنحل الى أجزاء ، لأن للاسلام غاية واحدة ، هى الدعوة الى عقيدة التوحيد ، وتثبيتها فى النفوس ، وهذه العقيدة هى الأساس الذى يقوم عليه بناء شامخ ، متعدد الطبقات ، يطل على جميع الجهات ، يدخل فى اطوائه المادى والمعنوى ، وما يتصل بالدنيا ، وما يتصل بالآخرة ، وما ينظم علاقة الفرد بالمجتمع ، وما يرى أحكام المال ، واستنباطه ، واستثماره ، والتصرف فيه ، وبناء الدولة ، وحقوقها على الفرد ، وحقوق الفرد قبل الحاكمين ، وقوانين السلام والحرب ، وأصول التربية ، ومبادىء تنشئة المسلم وتنشئة الجماعات .**

فالقول بان هناك اسلاماً سياسياً ، يتحدى هذه القاعدة الكلية ، من قواعد الاسلام ، ولا يتسق مع منهجه الثابت ، الذى يأبى أن يقسم بين عناصر حياة المسلم ، لايمانه بأن جسد المسلم ، وعقله وفكره ، وما يحب ، وما يكره ، وما يخفى ، وما يصدر عنه من قول ، أو ما يتلقاه من فكر ورأى هو كل يتفاعل بعضه مع بعض ويفضى أوله الى آخره ، وظاهره الى باطنه .

ولكن مع ايماننا بهذه القاعدة ، ودعوتنا اليها ، باعتبارها المدخل الى كل ما يتمناه المسلم لدينه ، من رد العدوان عنه ، واقامة سلطانه ، وبسط أحكامه ، وتجديد حضارته ، واستئناف عزته ، فنحن نقر أن هناك اصطلاحاً صحفياً ، أو سياسياً ، ساد الدوائر العالمية ، مؤداه أن هناك اسلاماً سياسياً ، بمعنى أن الظروف الدولية الأخرى ، والتغيرات التى طرأت على مسرح الأحداث العالمية أضفت على الاسلام والمسلمين ، أهمية سياسية .

ولم يكن ظهور هذه الأهمية السياسية بالأمر الذى تستبعده دوائر السياسة فى الشرق والغرب ، أى عند الاتحاد السوفيتى ، ومن لف لفه ، وجرى فى فلكه أو عند الولايات المتحدة ، وحلفائها فى أوروبا ، فانشغال بال أوروبا والغرب كله بالاسلام استمر منذ بزغ نجم الدولة العثمانية ، فى الشرق العربى ، وفى المنطقة التى تحيط بهذا الشرق ، وتتصل فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، حتى أفل نجم هذه الدولة فى الحرب العالمية الأولى التى استمرت من سنة ١٩١٤ حتى ١٩١٨ ، والتى أعقبها سقوط الخلافة الاسلامية العثمانية على يد كمال أتاتورك فى يناير ١٩٢٤ ، ثم انسلاخ تركيا ، من العالم الاسلامى ، واعلانها العلمانية مذهباً لها .

وكان الغرب على اختلاف نزعاته السياسية والمذهبية ، يساوره خوف عميق من أن تندلع من تحت رماد الدول

الاسلامية المنهارة ، نار جديدة ، يمكن أن تلتهم ما يبدو راسخاً وباذخاً من ملك أوروبا وأمريكا ، وسلطانهما الذى ترامت آفاقه . ولقد طالت نومة المسلمين ، وتعاقبت القرون ، وغفوتهم لا تريد أن تنتهى ولا يبدو أن ستكون لها نهاية ولو بعيدة . وقد كان هذا كله جديراً بأن ينفث فى نفوس دهاقين الاستعمار الغربى شعور الراحة والطمانينة لأن الاسلام لفظ أنفاسه كقوة سياسية ، وان لم يكف المسلمون عما يشبه الثرثرة عن تجديد الاسلام ، وبعث أمجاده ، ولم شعثه ، وبعث وحده المؤمنين به .

ولكن هذه الثرثرة ، صاحبها شىء من التنبه السياسى الذى كان نذيراً بأن الاسد الاسلامى ، يمكن أن ينطلق من الغابة التى أوى الى ركن فيها مستسلماً لأحلام الماضى وعظمته ، راضياً من الحياة ، بما يقيم الأود ، ويبقى على الدماء فى الأبدان .

وكان أكثر هذه الحركات عسكرياً ، وكان العمل العسكرى فيها جميعاً ، يكشف عن عبقرية المقاتل والقائد المسلمين ، لم تنطفىء جذوتها ، وأن فى مقدور كليهما ، مع قليل من التهيئة والاعداد الجادين ، أن يعود الى امتشاق حسامه وارهاف سلاحه ، والاهابة بالاخوان والأهل ، لأن ينفضوا عن أنفسهم غبار النوم ، ليبدأوا حياة ، جديرة بماضى الاسلام ، وبحضارته وبثقافته وبالعمران الذى شاده ، والعلم الذى بعثه ، وبالمبادىء الانسانية الرفيعة التى بشر بها ثم طبقها ...

فليس ثمة سياسى أوروبى أو أمريكى ، أو سوفيتى ، ينسى حروب الهنود المغول المسلمين ضد الاستعمار الانجليزى ، وكيف أثخنوه جراحاً ، وضيقوا عليه الخناق ، ولا كيف أفزع عبد القادر الجزائرى ، الاستعمار الفرنسى ١٧ عاماً وهزأ به ، وأنزل الهزائم ، ولا كيف أسقط محمد بن عبد الكريم ، الوزارات ، الوزارة تلو الوزارة فى فرنسا ، كما أسقط نظام حكم الملك الاسبانى الفونسو الثالث عشر وديكتاتوره دى ريفيرا حين قاد قبائل الريف فى أقصى شمال المغرب ضد الاستعمار الاسبانى والفرنسى .. الى جانب الثورات المدنية التى قادها مصطفى كامل وسعد زغلول ، والتى كانت فجر عهد جديد ..

لكن هذا كله كان بشائر ، تلوح



## أول مقال بعد السجن

هذا أول مقال يكتبه الكاتب العربى الكبير فتحي رضوان بعد خروجه من السجن ، فقد كان ضمن مجموعة كبيرة من الكتاب والأدباء والمثقفين تم اعتقالهم في سبتمبر ١٩٨١ ، حيث قضى في السجن مائة يوم ، وكان ضمن أول مجموعة أفرج عنها الرئيس حسني مبارك ،

واستقبلهم في مكتبه في ديسمبر الماضى ، ويسعد الدوحة أن تنشر هذا المقال ، كما يسعدها أن تنقل الى قرائها وعد فتحي رضوان والتزامه بالكتابة الدائمة للدوحة ، وبذلك ينضم هذا القلم الواعي النظيف المؤمن باسلامه وعروبته ووطنه الى النخبة التى أصبحت الآن جزءاً عزيزاً غالياً من أسرة الدوحة ، حيث أصبحت «الدوحة» بفضل هذه الأسرة الكريمة مجلة كل قارىء عربى وأصبحت تنفد بعد ساعات من صدورها ، ومرحباً بفتحى رضوان في أسرة «الدوحة» الى جانب أفراد هذه الأسرة اللامعة من خالد محمد خالد الى غازى القصيبى ومحمد الفهد العيسى وعبد السلام العجيلي ومحمد جابر الانصارى وعبد الله جفرى وغيرهم من أصحاب الفكر النقى والأقلام اللامعة الواعية والفن الرفيع .

وتختفى ، ولم يكن يربط بعضها ببعض أى رباط ، وكانت تتناثر وتتباعد ، زماناً ومكاناً ، فلا توحى قط بعمل منتظم ، ولا بحركة تتسق ، ولا ببدايات تتلاحق ، حتى تأتى الى نتائج ، تغير ولو قليلا من واقع المسلمين الكريه .

### شىء جديد على المسرح الدولى

إلا أن النصف الثانى من القرن العشرين ، شهد شيئاً جديداً . فثورة سنة ١٩٥٢ استطاعت أن تحقق على مسرح الحياة الدولية أموراً لم يكن يخطر على العالم أن أمة مسلمة يمكن أن تضطلع بها ، وتتحمل نتائجها . فالاحتلال البريطانى حمل عصاه ورحل ، والسلطان الاقتصادى الغربى فى مصر ، الذى اتسع وتغلغل ، وثبتت جذوره ، اقتلع من هذه الجذور ، وألقي به كشجرة جافة ، والاستعمار الثقافى الذى تحصن فى آلاف المدارس والمعاهد ، يعلم المسيحية الغربية ، ويشوه صورة الاسلام ، ويقيم الحواجز بين بنات وأبناء المسلمين وبين تاريخ دينهم ، وتاريخ أمتهم العربية ، فجرى من مصر ، وهو لا يكاد يلوى على شىء ، وقناة السويس أعظم شرايين المواصلات استعادتها مصر وبسطت عليها سلطانها ، وعمقتها ووسعتها ، وزادت كفاءتها والساسة الغربيون أمثال انطونى ايدن الانجليزى وجى موليه الفرنسى

# الإسلام السياسي

سقطا من عرش سياسة بلادهما ثم تحطما حقاً لا مجازاً .

لم تكن كل هذه الانتفاضات العنيفة ، فرقعات محلية قصيرة العمر ، وإنما كانت ارهاصاً واضحاً ،بما يعتمل داخل العالم الاسلامى وفى قلبه وعقله .

ولم يخف هذا على أساطين الاستعمار ، فتنبهوا تماماً وحسبوا حساب كل حركة ، وسكنة ، وكانت تدفقات البترول ، فى بلاد العالم الاسلامى العربى منها ، وغير العربى ، وأصبح البترول السيد الذى لا يقاوم له أمر ، أو تعصى له اشارة ، وامتلأت الخزائن العربية والاسلامية بالملايين ثم البلايين . وصحبت هذه الثروة غير المسبوقة والتى لا نظير لها ولا شبيه فى التاريخ ، احساس قوى وواضح ، ما لبث أن أصبح ملحاً ، بأن كل حجة كان المسلمون يلتمسونها فى تبرير تخلفهم ، وتبعيتهم ، وتقصيرهم فى استعادة دورهم ، قد نفدت قيمتها ، فلم يعد المال وحده الذى أسلم قياده لهم ، بل إن موقعهم الاستراتيجى بين الشرق والغرب ، بين آسيا وافريقيا وأوروبا ، واتصال دولهم ، وتشابه عاداتهم ، ووحدة ثقافتهم ، يمنحهم من المزايا فى كل جانب من جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ما يعد فى ذاته ثروة لا تتمتع بها مجموعة من الدول الأخرى .

ثم جاءت تطورات أخرى على الساحة الاسلامية تثير بعض الحزن والاحساس بخيبة الأمل ، مما لا يخفى عن عيون الناظرين الى واقع العالم الاسلامى اليوم ، وما يجرى من صراعات بين المسلمين مما جعل الغرب يتنفس الصعداء ، ويمنى نفسه بأن المد الاسلامى قد أصبح جزراً .

ومع كل هذه التطورات المؤسفة التى ملأت قلوب معظم المسلمين حزناً وهماً فان الحقائق الباقية – بعد الخسائر وخيبة الأمل – أن الاسلام يفيض بالحيوية ، وأن غفوته انتهت ، وان جموعه الكثيرة ، قادرة على أن تحقق بعمل سلمى جماعى خال من العنف وبعيد من العثرات . وهذا ما أدركه الغرب والشرق ، وجلسوا يحسبون حسابه ، ويفكرون فى نتائجه وعوائقه . ويقولون همساً حيناً ، وبأعلى الصوت حيناً آخر .هل ستنصبر حتى تأتى موجة أخرى من المد الاسلامى فتتعظ بما تم فى السنوات الأخيرة وتستطيع أن تضع لبنة قوية متينة ، فى أساس الاسلام السياسى .ثبت لهذا العالم ، أن ما يجرى فى الميدان الشرقى الشمالى من العالم الاسلامى ، وما يخالطه من أخطاء ، وخلافات ، وسوء تقدير ، وعنف ، لن يستمر ، فالاسلام سيفعل شيئاً جديداً أو حاسماً ليضع حداً لكل هذا ، ليبدأ العالم الاسلامى السياسى ، أو ليحاول أن يخطو أولى خطواته .

## ماذا عن هذا العالم

فماذا يكون أولا هذا العالم الاسلامي السياسي ؟

يقصد بالعالم الاسلامى السياسى ، هذا العالم الذى سيحس بنفوذه وأثره على توجيه الأحداث الكبرى ، التى تمس مصالح الناس قاطبة ، كما تمس مصالح دول المسلمين وشعوبهم ، ودول العرب وشعوبهم . العالم الذى يدرك انه أكبر مجموعة انسانية ، تشغل حيزاً جغرافياً يكاد يكون قطاعاً متصلا فى الكرة الأرضية ، يقف من خلفه تاريخ واحد وحضارة واحدة ، وثقافة واحدة ، كان صاحب سلطان عظيم ، فى وقت ما ، ثم فقد سلطانه بالتدريج فى عصور متقاربة. وأنه الآن – لأكثر من سبب – يستطيع أن تكون له كلمة مسموعة ، تؤيد الحق ، وتحول دون المظالم التى يعانى منها الانسان الفقير والمغلوب على أمره ، فى آسيا وأفريقيا ، بلا مواقف تزيد من الفرقة والتخلف بين الشعوب .

العالم الاسلامى السياسى هو عالم المسلمين الذين تأمل علماؤهم فى حقائق العالم اليوم .. علماؤهم فى الدين بفروع الذهن المختلفة ، وعلماء المادة من أفذاذه وكبار أساتذته ، ثم علماء الانسانية من قادة الجامعات فى العالم ، ورجال التربية ، والاحصاء والاقتصاد فى دنيا المسلمين .

وقد يبدو هذا القول ، قولا خطابياً لا يمثل أى مدلول بمعنى أن اجتماع هؤلاء العلماء الذين تعلموا فى بلادهم ثم أتموا تعليمهم فى جامعات أوروبا وأمريكا ثم عادوا الى بلادهم فترة ، ومالبثوا أن استأنفوا حياتهم العلمية فى أكبر جامعات الغرب كأساتذة فى تلك الجامعات ، يضيفون الى بحوثها ، ويقومون بغزوات كبرى فى كل اتجاه ، يظن بعض الناس أن من العبث جمع هؤلاء الأساتذة فى مؤتمر اسلامى ، يطلب منهم فيه ، أن يضعوا برنامجاً فضفاضاً لما يرونه العلاقة المثلى بين العالم الاسلامى ككل ، والعالم الغربى والشرقى ، كوحدة يكون بدوره أساساً لخطة شاملة ، للعمل السياسى لمجموعة الدول الاسلامية يعلو فوق الخلافات بين الدول الاسلامية والدول العربية ، ويطل على مستقبل قريب تتوارى فيه هذه الخلافات ويبدو مستقبل جديد للعالم الاسلامى يلعب فيه دوراً أكبر من دوره الحالى ، يحتل بفضله هذا العالم المكانة اللائقة .

ولكى أضرب مثلا لما يمكن أن يفطن اليه أعضاء هذا المؤتمر ، أضع تحت نظر القارىء هذه الحقيقة التى تغيب عن أكثر مفكرى العالم الاسلامى ، وهى أن نسبة عدد مواطنى الاتحاد السوفيتى من المسلمين بلغت فى العام الماضى ٥٦,٨٪ بمعنى أنها أوشكت أن تصل الى نحو ثلثى مجموع سكان الاتحاد السوفيتى وهى نسبة هائلة ، واذا اضطردت نسبة المسلمين فى الاتحاد السوفينى بهذا المعدل ، فان نتائج هذه الزيادة السياسية والاجتماعية ، من الخطورة بحيث لا تخفى على أحد . ومما يزيد هذه الخطورة حقيقتان أولهما أن المسلمين في الاتحاد السوفيتى يتوطنون الجمهوريات الآسيوية فى وسط آسيا

والحقيقة الثانية أن هذه الجمهوريات تقع فى محاذاة الحدود مع كل العالم العربى الاسلامى والصين . وقيام هذه التجمعات الضخمة من المسلمين على حدود الصين أو على الأقل قريباً منها ، سيجعل من السهل اتصال تلك التجمعات بهذه القوة الدولية الجديدة ، ذات المستقبل الواسع ، وأعنى بها الصين .

ومادمنا قد ذكرنا الصين فانه من الواجب على السياسى المسلم أن يفكر طويلا فى عقد صلات ذات طبيعة خاصة متسمة بالود والتعاون بالصين وباليابان وكلاهما ، يكره هيمنة الدولتين الأعظم ، ويسره ان ينسق خطوط سياسته مع دول الاسلام والعرب ، وكل من اليابان والصين فى حاجة الى بترول العرب وبترول المسلمين .

## نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية

ويسرنى أن أختم هذا المقال بفقرتين جاءتا فى بحث وضعه الدكتور أنور عبد الملك ، الاستاذ بجامعات باريس ، ومن أكثر الباحثين المصريين العرب ، استنارة ، قال فى صفحة ١٢ من البحث المقدم الى الاجتماع السنوى الثالث للمائدة المستديرة الاشتراكية فى العالم .

«ان الاسلام أكثر من أنه مجرد واحد من الديانات التوحيدية الثلاث : ان التركيب التاريخى للاسلام ، خصوصاً فى فترة القرن الثانى من الهجرة ، أى القرن التاسع الميلادى ، هو تركيب الحضارة العالمية التى امتدت من الأندلس الى شواطىء الشرق فى أسية شاملة بذلك تشكيلات كبيرة من الثقافات والقوميات والمجموعات فى جنوبى أوروبا ، وشمال ووسط افريقيا الشرقية ، وكذلك وسط وجنوبى أسية حتى جنوبى شرق آسية ، ولقد تعرضت الدائرة العربية الاسلامية فى شواطىء أوربا الى موجة من الغزوات على شكل غزوات صليبية ما بين القرنين التاسع والخامس عشر . ولقد وجدت هذه الشعوب ومجتمعات هذه المنطقة فى الاسلام ، كفلسفة ودين ونظام سياسى وكثقافة ، حصنها المنيع فى مواجهة العدوان والسيطرة الغربية ، وللحفاظ على مجتمعها الوطنى ، وشخصيتها الثقافية وبذلك فان الاسلام يقوم الآن بدور الفلسفة الشمولية القادرة على حماية الوجود الوطنى للمجتمعات فى هذه المنطقة عبر القرون ، منذ القرن التاسع حتى قرننا العشرين ، فى مواجهة الصليبيين والصهيونيين والأمبريالية الطبقية المتسلطة . وبهذا المضمون يختلف الاسلام عن المسيحية ، وديانات رئيسية أخرى ، خصوصاً أن المسيحية واليهودية ، دعمت جانب العدوان ، والتسلط والهيمنة العنصرية ضد المناطق الاسلامية العربية ، لقد أعطت الاسلام مضمونها السياسى والثقافى المميز . وفى المنطقة السياسية على وجه التحديد ، كان الاسلام السياسى ، هو حامى الاستقلال الوطنى».

ثم يقول ان الاسلام بالاضافة الى كونه ديناً سماوياً :

«هو نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية ، والتطور الاجتماعى ورخاء الجماهير ، ولقد خلقت هذه الطبيعة العامة للاسلام وضعاً ، لم يعد معه مكان لأية فلسفة شمولية أخرى سواء أكانت تلك الفلسفة الليبرالية للبرجوازية الوطنية ، أم فلسفة الماركسيين الغربيين . وبذلك يصبح من الواجب أن يكون تطور الفكر الوطنى التقدمى فى اطار الاسلام الحضارى والسياسى».

إن الاسلام السياسى والحضارى يؤلف الاطار الرئيسى الذى يجب على الفكر التقدمى أخذ عناصره منه .

فتحى رضوان


سعد زغلول


مصطفى كامل

# الإسلام وولاية المرأة للقضاء

بقلم: الدكتور محمد عمارة

من الناس من يظن أن ولاية المرأة للقضاء وتوليتها لمهام الفصل بين الناس فى المنازعات واحدة من المسائل الشائكة التى استقر الفقه الاسلامى - قديماً - فيها على رأى ثابت، هو الرفض، رفض توليها للقضاء والحكم بين الناس فى المنازعات .. ومن ثم فلا مجال لفتح باب الاجتهاد فى هذه المسألة من جديد!..

لكن واقع هذه المسألة، إسلامياً، يؤكد أن هذا الظن لا يقوم على أساس، فضلا عن أن يكون الأساس إسلامياً، ومتيناً؟!..

وبادىء ذى بدء، فان على من يريد فقه موقف «الفكر» الاسلامى من مسألة ولاية المرأة وتوليها للقضاء، أن ينظر الى هذه المسألة فى ضوء الموقف العام الذى وقفه الاسلام من المرأة .. وهو موقف كان ولايزال، وبكل المقاييس على مستوى الثورة التى حررت المرأة العربية والمسلمة وانتقلت بها الى حال كيفى جديد .. ويكفى أن القرآن الكريم قد أسس هذا الموقف على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، عندما قالت آيته الكريمة (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) - البقرة: ٢٢٨ - .. أما «العوامة» التى قررها الاسلام للرجل على المرأة فى بقية الآية (وللرجال عليهن درجة) فانها الرياسة التى لا تنتقص من حرية المرؤوس، وإنما تقتضيها الفطرة القاضية بوحدة القيادة فى المجتمع، صغيراً كان أو كبيراً .. ثم إنها مرتبطة ومؤسسة على القدرات والامكانيات والعطاء، لا على اختلاف الجنس والنوع فقط!..

تلك هى نظرة الاسلام للمرأة، وهذا الاطار والمدخل الذى يجب استحضاره وتصوره قبل النظر فى جزئيه: موقف «الفكر» الاسلامى و «الفقه» الاسلامى من قضية تولى المرأة لمنصب القضاء.

ولقد يكون مناسباً، بل وضرورياً، التنبيه، فى البداية على عدد من النقاط:

فأولا: إن ما لدينا فى تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء، هو «فكر» إسلامى، «وآراء فقهية»، و «اجتهاد فقهاء» .. وليس «ديناً» وضعه الله وأوحى به الى رسوله، عليه الصلاة والسلام .. فالقرآن الكريم لم يعرض لهذه القضية. كما لم تعرض لها السنة النبوية الشريفة .. لأن القضية لم تكن مطروحة على حياة المجتمع عندما ظهر الاسلام .. فليس لديه فيها نصوص دينية أصلا، سواء أكانت هذه النصوص قطعية الادلة والثبوت أو ظنية فيهما أو فى إحداهما .. فهى خاضعة للاجتهاد.

وثانياً: إن أقوال الفقهاء حول تولى المرأة للقضاء مختلفة باختلاف اجتهادهم فى هذه القضية، ولقد دام اختلافهم فيها جيلا بعد جيل .. فليس هناك اجماع فقهى فيها حتى يكون هناك الزام للخلف باجماع السلف .. فهى من قضايا الاجتهاد المعاصر، كما كانت من قضاياه بالامس القريب والبعيد ..

وثالثاً: إن جريان «العادة» فى الأعصر الاسلامية السابقة، على عدم ولاية المرأة لمنصب القضاء لا يعنى «تحريم» الدين لولايتها هذا المنصب .. فدعوة المرأة وانخراطها فى جيوشه هو مما لم تجربه «العادة» فى الأعصر الاسلامية السابقة ولم يعن ذلك «تحريم» اشتراك المرأة، عند الحاجة والاستطاعة، فى القتال .. فهى قد مارسته وشاركت فيه على عصر النبوة .. بدءاً من معاونة الجند، وامدادهم بالسلاح، الى مداواة الجرحى وتجهيز الشهداء ودفنهم .. بل وممارسة القتال، كما حدث فى غزوة أحد وغزوات أخرى، على عهد النبى، صلى الله عليه وسلم، وصحابته، عليهم رضوان الله .. «فالعادة» لا تحل حلالا ولا تحرم حراماً، لارتباطها «بالحاجة» المتغيرة بتغير الظروف والملابسات ..

ورابعاً: إن علة اختلاف الفقهاء حول جواز تولى المرأة لمنصب القضاء - فى غيبة النصوص الدينية التى تتناول هذه القضية - كانت اختلافهم فى الحكم الذى «قاسوا» عليه توليها للقضاء .. فالذين «قاسوا» القضاء على «الامامة العظمى» التى هى رئاسة الدولة والخلافة - مثل فقهاء المذهب الشافعى - قد منعوا توليها للقضاء، لاتفاق الفقهاء على جعل «الذكورة» شرطاً من شروط الخليفة، فاشترطوا هذا الشرط فى القاضى، قياساً للقضاء على الخلافة والامامة العظمى ..

والذين أجازوا توليها القضاء فيما عدا القضاء فى قضايا «القصاص والحدود» - مثل أبى حنيفة وفقهاء مذهبه - قالوا بذلك لقياسهم «القضاء» على «الشهادة»، فاجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه، أى فيما عدا «القصاص والحدود» ..

أما الذين أجازوا قضاءها فى كل القضايا - مثل الامام محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠ هـ ٨٣٩ - ٩٢٣ م) وفقهاء مذهبه - فلقد حكموا بذلك لقياسهم «القضاء» على «الفتيا» .. فالمسلمون قد أجمعوا على تولى المرأة لمنصب الافتاء الدينى، وهو من أخطر المناصب الاسلامية، فقاسوا القضاء عليه، وحكموا بجواز تولى المرأة كل أنواع القضاء ..

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الجوهرى والثابت فى شروط القاضى إنما يحكمه القصد والهدف من القضاء، وهو ضمان وقوع الحكم بالعدل بين

المتقاضين .. وبعبارة أبى الوليد بن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) : فان « من رأى حكم المرأة نافذا فى كل شىء قال : إن الأصل هو أن كل من يأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الاجماع من الامامة الكبرى » (١) والخلافة ورئاسة الدولة ..

وخامساً : فلم تكن « الذكورة » هى الشرط الوحيد الذى اختلف حوله الفقهاء من بين شروط من يتولى القضاء .. فمثلا : اختلفوا فى شرط « الاجتهاد » ، فاوجب الشافعى وبعض المالكية أن يكون القاضى مجتهداً ، قياساً على أمية النبى صلى الله عليه وسلم .. (٢)

واختلفوا فى شرط كون القاضى «عاملا» ـ وليس مجرد « عالم » ـ بأصول الشرع الأربعة ، الكتاب والسنة ، والاجماع والقياس .. فاشترطه الشافعى (٣) وتجاوز عنه غيره من الفقهاء ..

كما اشترط ابو حنيفة ، دون سواه ، أن يكون القاضى عربياً من قريش (٤) ! ..

فشرط « الذكورة » فى القاضى ، هو واحد من الشروط التى اختلف فيها الفقهاء .. اشترطها البعض باطلاق ، ورفض البعض اشتراطها باطلاق ، واشترطها البعض فى بعض القضايا دون البعض الآخر .. فليس عليها إجماع فى « الفكر الفقهى » ، كما أنه ليس فيها نصوص دينية تمنع أو تقيد اجتهاد المجتهدين والمفكرين .. واذا كانت الشريعة مقاصد ، والهدف من التشريع هو تحقيق المصالح والغايات للأمة ، فان توافر الاهلية والكفاءة لاقامة العدل بين المتقاضين هى محور الشروط التى يجب توافرها فيمن يلى منصب القضاء ..

●●

لكن بعض الذين اشترطوا « الذكورة فيمن يلى منصب القضاء قد أضافوا الى علة قياسهم القضاء على الامامة العظمى والخلافة العامة ، أضافوا « الاحتجاج » ببعض الأحاديث النبوية التى رويت فى المرأة ، رغم انقطاع الصلة بين المراد بهذه الأحاديث النبوية وبين تولى المرأة للقضاء وأهليتها كى تتساوى بالرجل فى هذا الأمر وفى أمثاله من الأمور ..

● فالماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨ م) ، مثلا ، يورد ـ فى معرض رفضه مذاهب الذين يجوزون قضاء المرأة ـ يورد حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « ما أفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة » (٥)

ولعل من الأهمية بمكان أن نقف وقفة تجلى المراد النبوى بهذا الحديث ـ الذى شاع كسلاح يحاول الكثيرون به حرمان المرأة من الحقوق باسم السنة النبوية الشريفة .. وليس سوى معرفة ملابسات قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لهذا الحديث سبيلا لفقه المعنى المراد منه والغرض المقصود .. إن الصحابى «أبو بكرة» ، رضى الله عنه يروى هذا الحديث فيقول : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

ـ من يلى أمر فارس ؟

ـ قالوا : امرأة

ـ قال : ما أفلح قوم يلى أمرهم امرأة (٦)

فهذا الحديث كما يتضح من سياق قوله هو نبوءة سياسية من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بفشل الفرس المجوس ، أولئك الذين ملكوا عليهم امرأة وليس حكماً بتحريم ولاية المرأة للقضاء .. فلا ولايتها العامة ولا ولايتها الخاصة كانت بالقضية المطروحة على النبوة كى تقال فيها الاحاديث ! ..

● وحديث أخر يورده الماوردى فى هذا المقام ، هو قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن النساء :

« أخروهن من حيث أخرهن الله » .. وهو يستدل به على وجوب تأخير النساء عن منصب القضاء ، لأن الله قد أخرهن !

ونحن عندما نرجع الى مصادر السنة النبوية الشريفة ، ونطالع الحديث كاملا وفى سياق قوله وملابسات هذا القول وأسبابه، نعلم يقيناً أن لا علاقة لهذا الحديث بتولى المرأة للقضاء .. فهذا الحديث هو أمر تنظيمى لصفوف المسلمين والمسلمات عندما يصلون بالمسجد ، خلف الامام .. فقديما ، وفى معابد بنى اسرائيل كانت النساء يصلين مختلطات بالرجال .. وفى البداية الاسلامية كان المسلمون يصنعون ذلك ، فنهى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، وطلب تقدم صفوف الرجال وتأخر صفوف النساء ، حتى لا ترى الرجال عورات النساء من « الأزر » الضيقة ! .. وقال فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى ، رضى الله عنه :«... وان خير الصفوف صفوف الرجال المقدم وشرها المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشرها المقدم . يا معشر النساء ، اذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن ، لا ترين عورات الرجال من ضيق الأزر ! »

بل وحتى هذا الحديث الذى يورده الماوردى نجد مقدمته التى يقدم له بها راوية عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، تقول : « كان فى بنى اسرائيل الرجل والمرأة يصلون جميعاً » .. الأمر الذى يكشف عن المراد بهذا الحديث ، الخاص بتنظيم صفوف الرجال وصفوف النساء فى الصلاة بالمسجد ...

فاين من ذلك أهلية المرأة للقضاء ؟ ! .. وما علاقة هذه الأحاديث بتوليها الفصل بين الناس فى المنازعات ، اذا هى حصلت شروط العدل فى فصل الخصومات ؟ ! ..



وهكذا .. فسواء أنظرنا الى القضية فى اطار النظرة العامة التى نظر الاسلام بها الى المرأة .. أم من خلال « الفكر الفقهى » الاسلامى ، الذى اختلف أئمته حول هذه القضية .. أو بالنفاذ الى فقه النصوص التى أوردها البعض حولها ... فاننا سنجد ولاية المرأة للقضاء واحدة من القضايا التى خضعت للخلاف والاجتهاد ، والتى يجب أن تبحث مجدداً على ضوء تغير واقع المرأة المسلمة وتطورها ، وما أحرزت فى عصرنا من أهلية وقدرة لم تكن لها فيما تقدم من العصور .

---

هوامش

(١) ( بداية المجتهد ونهاية المقتصد ) جـ ٢ ص ٤٩٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م ، وانظر كذلك : الماوردى : ( أدب القاضى ) جـ ١ ص ٦٢٥ ـ ٦٢٨ . طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م و ( الأحكام السلطانية ) ص ٦٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

(٢) ( بداية المجتهد ونهاية المقتصد ) جـ ٢ ص ٤٩٣ . ٤٩٤ .

(٣) ( أدب القاضى )جـ١ ص ٦٤٣ .

( ٤ ) محمد محمد سعيد ( كتاب دليل السالك لمذهب الامام مالك ) ص ١٩٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣ م .

(٥) ( أدب القاضى ) جـ ١ ص ٦٢٧ .

(٦) رواه أحمد بن حنبل .

(٧) رواه ابن ماجة وابن حنبل .

# معنى العظمة

بقلم: فؤاد كامل

**نقول عن سقراط إنه فيلسوف عظيم ، ونقول عن نابوليون : كان قائداً عظيماً ، ونقول عن جيته وشكسبير ودانتى وأبى العلاء المعرى : هؤلاء شعراء عظام ، ونقول عن بيتهوفن لقد كان موسيقياً عظيماً ، ونقول عن ونستون تشرشل إنه سياسى عظيم .. الخ . فما هذه العظمة التى تسلك فى حبات عقدها هؤلاء الأشخاص جميعاً رغم تفاوت المجالات التى لمعوا وبرزوا فيها ، ورغم تباعد الأزمنة والأمكنة التى نشأوا وظهروا فيها ؟ أهناك صفة واحدة أو عدة صفات يشتركون فيها وتنتظمهم جميعاً ؟**

والاجابة على هذا السؤال من أصعب الأمور : فمازالت عظمة هؤلاء جميعاً سراً من الأسرار لا يستطيع أن يجلوه إلا عظيم مثل هؤلاء العظماء أتيح له ما أتيح لهم من سر ، وما أغدق عليه من مواهب .

على أن الله سبحانه وتعالى بما كرم به الانسان ، وبما سخر له من الكون ، وبما أسجد له من الملائكة ، بعد أن علمه الأسماء كلها ، واستخلفه فى الأرض ليمتلك زمامها ، ويطلق فيها يده ، وليبرز فيها مشيئة الخالق فى الابداع والتكوين ، والتركيب والتحليل ، والتحوير والتبديل .. «وسخر لكم ما فى الأرض جميعاً» ، قد وضع فيه من الطاقات الكامنة ، والقدرات الهائلة ، والمواهب المذخورة ، والامكانيات الكثيرة بحيث يستطيع أن يكون أعظم الكائنات فى هذا الكون البديع المسخر له : «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» و «اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين» فالانسان بحكم وضعه الكونى ، والروح الالهية التى نفخها فيه الله ، وبما سواه وقومه عظيم بالامكان دائماً ، عظيم بالفعل أحياناً : «فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ..» وهو «.. الذى خلقك فسواك فعدلك ..» و «نفس وما سواها ..» .. و «لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ..» ولكن هذا الانسان نفسه يمكن أن يتردى فى حضيض المهانة والتحقير : «ثم رددناه أسفل سافلين ..» .

فالانسان كائن مزدوج يمكن أن يصعد الى أعلى عليين فيكون «قاب قوسين أو أدنى» ، ويمكن أن يهبط الى الدرك الأسفل من الفجور والضلال : «.. فالهمها فجورها وتقواها ..» ذلك أن الانسان وهب سر المعرفة ، الذى رفعه فوق الملائكة ، كما وهب سر الارادة المستقلة التى توقفه موقف الاختيار .

ومع هذه العظمة الكامنة فى الانسان بحكم خلقه وطبيعته ، فان عظماء الناس نادرون ، فهل العظمة هبة من هبات الله سبحانه وتعالى يمنحها لمن يصطفيه من عباده ؟ أم هى نتيجة جهد مبذول وكد موصول ، وكدح طويل ، وثمرة للكسب والتحصيل ؟

وهذا سؤال آخر تختلف الاجابة عليه . ولكنى أميل الى القول بان العظمة نعمة من نعم الله يمن بها على من يشاء من عباده ، ولكنها فى الوقت نفسه ثمرة للكد والنصب ، فما رأينا عظيماً متوانياً أو كسولا ، أو مكتفياً بموهبته عن العمل المتواصل ، والسعى الدءوب ، وكم رأينا من مواهب بددها أصحابها فلم يصلوا الى أعتاب العظمة ، بل ظلوا على أبوابها لا يدخلون !

وخلاصة القول ان العظمة لغز لم يسبر بعد غوره كالشخصية سواء بسواء .. فمازالت الشخصية الانسانية لغزاً يحير علماء النفس وعلماء الاجتماع ، فأولى أن تكون العظمة لغزاً محيراً وهى الدرجة التى تتمثل فيها الشخصية فى أوج اكتمالها ، وذروة كمالها .

## الخلفية التاريخية

شهد التاريخ منذ غابر أزمانه وعصوره أشخاصاً ميزهم الناس عن سواهم ، ورفعوهم درجات عليهم ، واتخذوهم أسوة وقدوة .. بل لقد


سقراط


جوته

استحال هؤلاء الأشخاص الى كائنات أسطورية ، وأحياناً الى أبطال قوميين يمجدهم البشر ، وفى الحقب البدائية من تاريخ الانسانية كان الانسان العظيم ، أو البطل القومى جامعاً لبطولة المحارب وحكمة المشرع ، وعقلية المخطط والمخترع ، وبراعة الشاعر والفنان والمفكر . كان هذا كله يؤلف شخصاً واحداً ، فلا غرو أن تمجيد الأبطال كان أمراً منتشراً بين الشعوب فى المرحلة البدائية من التاريخ . (جلجامش عند الفرس ، وبتاح حقب عند المصريين ، وأدون عند الاسكندنافيين ) ، بل لقد ظل تمجيد الأبطال ظاهرة منتشرة عند بعض الأقوام حتى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، كما نرى ذلك عند أهل الشمال فى السويد والنرويج .

ولم يكتب الانسان التاريخ إلا عندما أحس


نابليون


تشرشل

بالحاجة الى تخليد ذكرى عظمائه وأبطاله .

والمؤرخون العظماء من أمثال هيرودوت ولويخان – لم يكتبوا التاريخ إلا بعد أن اتصل الحديث بينهم وبين عظماء الانسانية فى الأزمنة السحيقة ، معتقدين أن اتصالهم بهؤلاء العظماء وتدوين أعمالهم ، وتسجيل أفعالهم ، إنما هو اتصال بكل ما هو عظيم ، وبكل ما تتمثل فيه عزيمة الانسان الأخلاقية ، وارادته المبدعة ، ونظرته الشاملة ، ووضوح رؤياه .. وهذه صفات تضرب بجذورها ، وتمتد أصولها فى الأفراد العظماء .


شكسبير


بتهوفن

ومنذ ذلك الحين السحيق اصبح التاريخ هو تاريخ من ظهر فى الدنيا من العظماء كما يقول كارلايل : «... فهم الأئمة وهم المكيفون للأمور ، وهم الأسوة والقدوة ، وهم المبدعون لكل ما وفق اليه أهل الدنيا ، وكل ما بلغه العالم» .

ولكل شعب طريقته فى توقير العلماء وتبجيلهم . وهذه الطريقة التى تنسب بها العظمة هى التى تحدد مستوى هذا الشعب من الشعوب أو ذاك ، وبالتالى تحدد الانسانية فى مجموعها . فالرجل العظيم لا يكون عظيماً فى شعبه وحسب ، بل يكون عظيماً بالنسبة للانسانية جمعاء وهذا شرط من شروط العظمة ..

وفى العظماء يتعرف كل عصر على نفسه ، فهم الذين يحددون معالم العصور واتجاهاتها ومبدأها ومنتهاها . وقد ينسى الناس العظماء ، ولكنهم لا يغيبون طويلا ، بل يعودون الى الظهور ويراهم الناس فى صور أوضح ، ثم ينسحبون مرة اخرى ويحتجبون ويعاود التاريخ اكتشافهم وابرازهم ، فلا تاريخ بغير عظماء ، بل إن الوجود نفسه يظل تافهاً بغير دلالة إن خلا من العظماء .

ولقد كانت العظمة تحظى منذ أقدم عصور التاريخ بصنوف من التشريف والتكريم .. وكانت تتمثل غالباً فى زعماء القبائل البدائية ، وفى

رهبان الهند الأسطوريين (الرتيشى) الذين ينطقون عن الالهام ، وفى بعض المفكرين الهنود الأوائل من أمثال باجنا فالكيا وساندليا ، وكابيلا) ، وفى مؤسسى العصور القديمة فى الصين ، وفى حكماء مصر من أمثال امحوتب وبتاح حقب ، وايبورو ، وفى جلجامش فى بابل القديمة .. وهؤلاء جميعاً يتخذهم الناس مرشدين لهم فى مجال الفكر والتقاليد والسياسة والاختراع .. الخ . وتأتى بعدهم الشخصيات التاريخية الحقيقية ، وفى مقدمتها شخصيات «العهد القديم» والاغريق والرومان ، ثم بعض الصينيين والهنود المتفرقين ، من زعماء ومصلحين ونماذج للسلوك القويم ، ودعاة للخير والحياة السعيدة .

وكانت العظمة فى أول ظهورها مجرد واقعة بسيطة ، لكنها تحولت منذ نظم هوميروس ملحمته البطولية الشهيرة المعروفة باسم «الالياذة» الى موضوع للتأمل والتفكير . وأعلن هرقليطس قولته المشهورة : «شخص واحد يعادل عندى عشرة آلاف شخص ، لو كان الأفضل !» وفسر السوفسطائيون وأفلاطـون وأرسطو وبوزيدونيس العظمـة على أنها موهبـة تدفعهم الى الحماس ، وتميزهم بكمال فى الذكاء فهى عبارة عن اتحاد أصيل لكل الملكات المبدعة فى الطبيعة البشرية .

وكان « لونجان » (القرن الأول الميلادى) أول من كتب تخطيطاً للعظمة الانسانية . ومن ضمن ما قاله إننا نعجب دائماً بما هو خارق للعادة ، وعظماء الرجال لا يهتمون بالتفاصيل ودقتها ، بل يستهدفون دائماً عظائم الأمور وجلائل الأعمال ، وبهذا يرتفعون فوق مقاييس الفانين . ومن لا يرتكب خطأ يعض من اللوم ، أما الرجل العظيم فيرغمك على الاعجاب .

وتعاورت على العظمة مفاهيم كثيرة مع التقلبات التاريخية . ففى عصر النهضة مثلا تركز معناها على فكرة العبقرية . وكان من مميزات هذا العصر تخلصه الواضح من التعصب لطائفة من العظماء دون طائفة ، بل كان تأمل العظمة والتفكير فيها موضوعياً ، واشتمل البحث عن العظماء شعوب الأرض جميعاً ، حتى الشعوب المعادية . وهذه حسنة من حسنات ذلك العصر .

وشحذ هذا الاحترام الحقيقى للعظمة فى كل زمان من حسلسية البحث ، وسمح بتمييز أفضل لكل ما هو فريد ، ولم تعد هذه الحساسية تكتفى باعجاب مجرد لا يرتبط بشىء ، بل على العكس من ذلك ، أخذت مأخذ الجد ما تعرضه العظمة من مطالب ، وما تدعو اليه من تحد ، وما تدفع اليه من نظرة جادة كل الجد .

## معنى العظمة

وشرع البعض فى اكتناه هذا اللغز المغلق ، وهذا السر المستغلق وكان كارل يسيرز الفيلسوف الألمانى المعاصر من أبرز المهتمين بالكتابة فى هذا الموضوع . وهذا هو مجمل رأيه :

« الرجل العظيم أشبه بانعكاس للكل فى الوجود ، وظهور الرجل العظيم فى العالم هو فى الوقت نفسه ثغرة تخترق هذا العالم ، قد تكون هذه الثغرة على هيئة شعاع جميل صادر عن انجاز جليل ، أو على هيئة سقوط فاجع (تراجيدى) ، أو بوصفه نوعاً من الراحة أو السكينة الملغزة فى الحركة الدائبة التى يصخب بها أعماق وجوده» .

وقد يرى بعض الناس العظمة فى العمل النافع ، لكنها فى حقيقة الأمر قد لا تكون عملا ، ولا نفعاً ، أياً كانت كميتهما . ذلك لأن العظمة لا يمكن ان تقاس . إذ هى تتعلق بوجودنا كله ، وبالعالم كله ، وبالعلو . والعنصر النافع فى التحقيق لا يصبح عظيماً الا إذا تلقى معناه من شىء أبعد من ذلك كثيراً .. أعنى من الشامل .

وتظهر العظمة عندما يصير ما هو واقعى بواسطة ذلك الانعكاس البعيد ، رمزاً للكل . وحيثما وجدت العظمة ، كانت القوة . بيد أن القوة ليست هى العظمة . وسواء أكانت هذه القوة طاقة حيوية دافقة فياضة لا تستنفد ، أو كانت قوة روحية خلاقة مبدعة ، أو قوة قاهرة لذهن متوقد ، فان فيها ـ بلا شك ـ شيئاً ينتمى الى العظمة . ذلك أن الفاتر الرتيب الكئيب الشاحب الباهت السريع التبرد ، لا يمكن أن تكمن العظمة فيه . ومع ذلك فان الحيوية ، والخصوبة والغزارة فى الانتاج ، والذكاء ، وسرعة التصرف والقدرة على العمل .. هذا كله منفرداً لا يصنع العظمة ولن يفعل ذلك إلا إذا شاعت فيه وسمت به روح العلو .

ومع ان فى العظمة شيئاً من الكلى ومن الشامل ، فان فيها أيضاً شيئاً فريداً لا يمكن استبداله من الناحية التاريخية . فالشخصية العظيمة لا تذوب ولا تنحل فى الكلى الذى تجىء به الى العالم . فهى لا توجد عدة مرات بنفس الطريقة . فما كان من الممكن أن يحققه شخص آخر أيضاً لا يمكن أن يكون عظيماً . وكل ما يمكن اعادة صنعه ، وتعلمه ، واجادته ، وان كان الذى فعله فى البداية ، وبالضرورة ، شخص واحد ، مثل هذا العمل لا يمكن أن يكون عظيماً . وعلى هذا يمكن أن نقول ان ما لا يستبدل هو وحده الذى ينسب الى العظمة .

بيد أن هذا الاستبدال لا يتصف بالعظمة من حيث هو فرد فىجزئية الفردية ، بل لابد أن يكتسب طابعاً موضوعياً بواسطة وسيلة للتحقيق ، والانجاز ، أى لابد أن يخرج الى حيز العمل والفعل والابداع ، وعندئذ يصبح حقيقة أمام الكل ، أوجدتها شخصية فريدة لا تتكرر . فالعظمة تفترض أن ما هو صحيح صادق حقيقى على نحو كلى ، يتخذ شكلا شخصياً من الناحية التاريخية . واتحاد الفرد الشخصى بالعمومية الموضوعية هو الذى يحقق العظمة . الفائق على الشخصى يتحدث فى العظمة بواسطة الشخصى ، وعندئذ يتخذ ما هو شخصى دلالة موضوعية .

## كيف نتعرف على العظمة

وأنا لا أرى اختلافاً كبيراً بين نظرية يسيرز فى العظمة وبين النظرية الاسلامية اللهم الا فى المصطلح ، فهو يرى أن الانسان يكون عظيماً بمقدار مشاركته فى العلو ، ومؤدى النظرية الاسلامية أن الانسان يكون عظيماً بمقدار تحقيقه لاستخلاف الله له على الأرض .

ثمة حدود تقيد طبيعتنا الانسانية ، وفى المجهود الذى نبذله لتجاوز هذه الحدود نبحث عن رجال يكونون أعظم منا وأعظم . وبينا نكون

● لا ينبغي أن يصل تبجيل العظمة إلى حدّ تأليه صاحبها .. فإن أعظم الناس وأندرهم يظل بشرًا مثلنا ، ومن طينتنا وجنسنا

فى وعى بضالتنا . نخوض فى الوقت نفسه بالعظماء الذين نعرفهم تجربة ذلك الطلب المطلق الذى نحاول به توسيع حدود امكانياتنا البشرية وتعميق أبعاد طبيعتنا الفانية . فالعظمة تكون حيثما ندرك – فى تبجيل عميق ، ورؤية واضحة – ما يمكن ان نصبح به نحن أنفسنا أفضل مما كنا . ومن عظماء الرجال تشع قوة تجعلنا ننمو ونزيد بمحض حريتنا واختيارنا ، وهم يعمروننا بالعالم اللامرئى الذى يكشفونه ويستشفون شيئاً مما فيه . إنهم بعظمتهم يكشفون لى عمن أكون . وأما كيف أشاهد العظمة ، وكيف أتوصل معها ، فهذا ما يكشفنى لنفسى وكلما كانت الارادة أقوى ، وكلما كان الفكر أنقى وأصفى ، تحدثت الى ارادة العظماء بمزيد من الوضوح والبيان . فبفضل إمكانيات طبيعتى الخاصة أستطيع أن أدرك معنى العظمة .

وتبجيل العظماء وتوقيرهم يحتم على احترام الكائن الانسانى أياً كان . فمن يحترم الانسان هو وحده القادر على رؤية العظمة المستجدة فى العالم الحاضر ، وكما تعطى لنا فى العصر الذى نعيشه . ومعاصرونا الذين ننظر اليهم بعين الاعتبار فى حب واجلال يزودونا بالمعايير التى تعيننا على تقييم الانسان بوجه عام ، وتقييم امكانيته .

ولا وجود للعظمة حين يبهرنا ما هو كمى ، ذلك اننا ندرك بمقياس عجزنا وقصورنا قوة أولئك الذين يسيطرون علينا . فنحن لا نستطيع أن نرى العظمة عندما تحرمنا غريزة الخضوع فينا من مسئوليتنا ، وعندما تعكر رغبة العبودية الكامنة فينا رؤيتنا الواضحة ، فنخترع انساناً أعلى هو فى حقيقة الأمر انسان أسفل .

ولا وجود للعظمة أيضاً عندما نقنع بالابحاث والتحليلات ، إذ تغوص العظمة وتختفى فى خضم علم النفس وعلم الاجتماع ، ذلك أن طرائق التفكير فى هذين العلمين تطمس ملامح العظمة وتعمى عن رؤيتها ، إذ تذوب العظمة بواسطتها فى صفات وخصائص ، وفيما يمكن تقريره أو اثباته موضوعياً وكمياً بواسطة اختبارات ، ووقائع ... الخ .

ان وجود العظماء أشبه بضمان ضد العدم ، ومجرد رؤيتهم هو فى حد ذاته غبطة لا تضارع ، ولا مثيل لها . ونتساءل مع كارلايل : « ألا يحس المرء أن فى إجلاله لمن هو أرفع منه رفعة لنفسه ؟ وهل جال فى صدر المرء إحساس هو أشرف من ذلك وأعظم ؟ » .

ولا ينبغى أن يكون بتبجيل العظمة وتوقيرها تأليهاً للانسان .. ذلك أن أعظم الناس وأندرهم وأكملهم يظل بشراً مثلنا ، ومن طينتنا وجنسنا .

## ● الصغار وحدهم هم الذين يجدون متعتهم في إبهار الآخرين وانتزاع حرّيتهم

وقد وصف الرسول الكريم نفسه فى القرآن بانه بشر فيه كل ما للبشر من صفات النقص ، وأنه ينزل عليه الوحى من ربه بين آن وآخر ،ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى إنما إلهكم إله واحد» « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب » . وكان الرسول حريصاً على أن ينفى عن نفسه صفة الألوهية . « قل سبحان ربى هل كنت الا بشراً رسولا ؟ » وكذلك حرصت بقية الرسل ، «قالتلهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم» ويؤكد القرآن الكريم هذا الأمر تأكيداً قاطعاً فيقول : «ما كان لبشر أن يؤته الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله » . ، كما يؤكد الرسول الكريم أنه لم ير الله قط أو يطلع على أسراره ، وأنه لا يتنبأ بالغيب ولا يفعل المعجز وخوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله . هكذا كانت شخصية الرسول التاريخية ، حتى لقد صعب على معاصريه التصديق به وعجبوا من أمره عندما أنكر كل شىء خارق للعادة .

وتحويل الانسان العظيم الى أسطورة ليس هو ما يحفظه ويبقيه للأجيال ، بل النظر الى حقيقته نظرة نفاذة شاملة تحيط بجوهره ، وتقترب من مكنون سره . وربما انتشر هذا التأليه فى العصور البدائية عندما لم يكن التفكير منصباً على الشخصية العينية والفرد الواقعى الماثل أمام الناس بقدر ما كان منصباً على القوى الروحية التى تفعل فيه وتحركه . ولم يلتفت احد الى مشاعره الباطنية أو جوانيته أو فرديته أو عقليته المتميزة ، وانما كان الالتفات كله الى عمله والى المثل الذى يمثله ، وخضوع الناس لفرد بوصفه سلطة عليا ، لم يكن بسبب طبيعته الشخصية ، ولكن للاعتقاد بانه إرادة عليا ، وقوة خارقة تتجسد فيه .

ومن واجب الفلسفة بل من اهم واجباتها أن تضع حداً لتمجيد الانسان عن طريق وضوح العقل ورؤيته ، وذلك لحساب احترام العظمة الانسانية نفسها . ولم يتسامح العظماء قط فى تأليه الناس لهم حتى المسيح نفسه إذ يحاوره الله : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » .

فالعظماء حقاً وصدقاً فى كل زمان ومكان ، وضعوا علاقاتهم مع الآخرين على نفس المستوى المشترك مع بسطاء الناس ، وان فعلوا غير ذلك ، فقدوا عظمتهم . ومن الحق أن بعض عظماء الفلاسفة قد تمتعوا فى حياتهم وبعد مماتهم بصنوف من التشريف والتكريم غير المألوفة عبر الأجيال ، فكان أفلاطون مثلا يسمى أفلاطون الالهى ، وبمثل هذا استمتع زعماء المدارس الرواقية والأبيقورية والافلاطونية المحدثة ، وكذلك كان كونفوشيوس وبوذا ولاوتسى بين أتباعهم . ويحدث هذا بصورة أقل لكبار الأساتذة فى الجامعات المعاصرة .

بيد أن هذه الظاهرة شىء مناف تماماً للفلسفة وان كان من المقبول طبعاً أن يحظى عدد قليل أو شخص واحد ، باعجابنا واختيارنا دون الآخرين ولكن ينبغى أن يظل هذا الحب جزئياً دون ادعاء للكلية الشاملة . والمهم هنا هو التأثير الذى يمارسه هذا العظيم على تربيتنا الشخصية ، وان نضع فى اعتبارنا أنه من المستحيل معرفة كثير من الفلاسفة بنفس الدرجة من العمق التى نعرف بها فيلسوفنا المفضل .

والواقع أن ما حدث لكبار الحكماء بعد مماتهم لم يكن شيئاً يريده هؤلاء . والصغار وحدهم هم الذين يريدون أن يكونوا عظماء ، وهم وحدهم الذين يجدون متعتهم فى ابهار المشاهد وانتزاع حريته ، أما العظمة الحقيقية فهى التى تسعى لحمايتنا منها ضد نفسها . وأعظم الناس هم أولئك الذين يعتقدون أنهم يتحدثون باسم روح أعظم منهم ، ويفعلون بتأثير ارادة أقوى منهم . ولا يستطيع انسان مهما بلغت عظمته أن يحتوى الكل ، أو أن يكون كاملا كمالا مطلقاً ، ولهذا ينبغى أن ننصرف عن البحث عن «الانسان الكامل» . لقد وجد العظماء لكى يوجد من هم أعظم منهم .

والانسان العظيم يظل انساناً ، وعظمته توقظ فينا ما يمكن ان يكون مشابهاً له . وفى مقابل القيمة التى تتمتع بها العظمة ولا يمكن أن يحل محلها شىء آخر ، هناك ما لا يمكن استبداله فى كل نفس انسانية ، وما يظل خافياً متستراً غير مرئي . ومن يدرك العظمة يحس بانه ينبغى عليه هو نفسه أن يكون عظيماً .

فؤاد كامل

# قـراءة في قصيدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي

بقلم: أحمد عبدالله متولي



الشاعر الدكتور غازي القصيبي

جميع المطارات عندى سواء
جميع الفنادق عندى سواء
وكل ارتحال قبيل الشروق
وبعد المســـاء
ســـواء

بهذا يستهل الدكتور غازى القصيبى قصيدته (فيم الغناء ؟) .. إيقاع كجدول رقراق يصب فى قافية (السكون) .. فيه شعور بالسأم .. يذكرنى باستهلال صلاح عبد الصبور لرائعته (الظل والصليب) – رغم اختلاف الرؤيا والرأى للقصيدتين .. حيث يقول صلاح :

هذا زمان السأم
النفخ فى الأراجيل سأم

بداية فيها الشكل التقريرى .. المقصود والمتعمد .. مدخل حيث الألوان – فى لحظة ما – مختلطة .. لا فرق بين الأحمر والأخضر والأزرق .. الاحساس بالأعماق مختلط .. الساخن بالبارد .. والبارد كالساخن ! .. لا طعم للأشياء ! .. لا شعور بفرحة الوجود، لا فرق بين الليل الوديع الساكن الحالم للشعراء .. أو الشروق، حيث خلق عالم جديد فيه الحركة والتجدد ...

ترى ما الذى يدفع شاعرنا دفعاً نحو هذا الشعور القاسى والمدمر ؟ –

يقول الدكتور غازى القصيبى :

وكل الوجوه
تطاردنى عند كل وداع
تلاحقنى عند كل لقاء
سواء

فى جو غير عادى ، تتسطح الأشياء .. ويستوى النور بالظلام .. والصواب والخطأ .. نعم جو غير عادى لهذه الدنيا غير الصريحة ..

ولأن النفس مرهفة .. شديدة الشعور بايقاع الحياة .. وتوقيعاتها .. هنا يتحول الحب «الشكلى» و «الرسمى» الى مطاردة وملاحقة ! .

وما أتعس أن تختنق لحظات الوداع .. وما أتعس أن تموت لحظة اللقاء .. وما أشق على نفس تبحث عن الحق والخير والجمال أن يستوى الوداع باللقاء ، واللقاء بالوداع . فيصبح الكل سواء .

ومن هذا الواقع ينبت الشعور بالسؤال : فيم الغناء ؟

## الغربة والغرابة

الكل باطل .. فى لحظة يضيع فيها الشعور الحقيقى بالحب ، ويضيع اليقين فى غابات الوجوه ومئات الابتسامات المرسومة .. والورقية .. والقبلات الجاهزة المضمخة بالمصالح أو بحكم التكلف أو (التكليف) أو – العادة على احسن تقدير .. عندئذ يتساءل الشاعر ، بايقاع مرير .. فيم الغناء ؟

تساؤل فيه الغربة والغرابة والاستغراب .. ممزوج بتساؤل العالم ببواطن الأمور . وكثير من المعرفة والمشاعر المرهفة يساوى كثيراً من الألم والمعاناة ! .

إن الوقوف على قلوب الناس ضرب من المستحيل ، والوقوف على مشارف الظن بهم عذاب .. وماذا يفعل القلب وسط دياجير الظلام ؟

أسير الى غابة الأمس واليوم
حيث تسيل الدماء
أصافح نفس الأيادى المليئة
بالعطر والمكر . ألمح نفس الرياء
ونفس الخداع
ونفس الغباء
ففيم الغناء

صحيح أن الشعراء لا يلتزمون بأبحاث العلوم النفسية – وفى عصرنا اهتمام بذلك . ولكن لا يمنع الأمر أن يعنى الشعراء بتحليل النفوس والعواطف والأهواء .. وها هو ذا الشاعر يقف وقفة أو وقفات يركز بصره فى داخله آلاف المرات .. وحوله آلاف المرات ! ويرصد الخواطر .. المشاعر والأحاسيس والأفكار .. ويعصر أفكاره فى الوجود ، الى تأملات نفسية .

ففى درب الحيـــاة ، قد نسـير فى درب ملوث بالدماء والظلم ، وقد نصافح أيادى قتلة وسفاحين ، ومن يرسمون البراءة والطهارة والرياء والخداع ، ويدهنون وجوههم المستعارة بالف لون براق .. ولسان ذلق حرير .

ولأن الشر والخير ، توأمان فى الحياة ، وفى

قلب الانسان .. وقد يستسلم الخير للشر أحياناً فى قلوب البشر .. ويظل نموذج الانسان الثعلب أو الانسان الذئب .. موجوداً بيننا .. مطروحاً فى الاسواق وفى المجالس وبين الاصابع فى الطعام .. وتحت اللسان !.

وقد يطل اللؤم بين باقات الورود .. وقاعات الاستقبال ! .. ولكن روح الشاعر المرهفة تتألم .. رغم علم صاحبها أن الحياة فيها الأقدار المتصارعة، صراع الأشباه، وصراع الأضداد .. ودفع الناس بعضهم لبعض .. حيث الدثرة لا تنتهى ! .. إنها الأقدار .. والروح الشاعرة، المرهفة، تعرف أن المشكلة عويصة فعلا ..

## هذا المعجم الخاص

هل تأتى رياح تنزع أقنعة النفاق، وتعريها على حقيقتها ؟

يقول النبى محمد، صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب) ولكن ألا يحتاج الأمر لوقفة .. لسؤال .. لماذا النفاق ؟ ذلك السم الرهيب ! فحين يتوارى الصدق خجلا، ويتضاءل .. ويغيب القلب الشجاع .. ويرحل من دنيا القلب آخر شعور رحيم وفد الى داره .. يستحيل الغناء مستحيلا ! وحين يصير الدينار والدولار وثنا. الغناء مستحيل.

وحين يغيب الحب عن القلب .. مستحيل الغناء.

يقول الشاعر غازى القصيبى :

والهو بنفس القرارات
اهذى بنفس الخطابات
أسمع نفس الغناء
وأضحك حين يشاء القضاء
وأحزن حين يشاء القضاء
ففيم الغناء
ففيم الغناء

الشاعر يمشى – بكل وعيه ومشاعره الفياضة – فى غابة كثيفة بالأدعياء، أصحاب الأقوال الجوفاء .. وتصبح الكلمات عارية – عن الحقيقة – وخالية من رنة الصدق.

وقرارات وأوراق صماء .. بلا فعل .. لعله يذكرنا بالمثل الشائع .. أسمع جعجعة ولا أرى طحناً.

وفى عالم الشعراء، يتعمق بكل حسه، وينقل ما يشاهده أو يبصره فى الكون يغوص فى باطنه وخفاياه .. فيتسرب تحت جلدنا .. وكأننا تحت سحر رائع .. إنه يسرى عنا .. يمتعنا .. يزيد وعينا بانفسنا .. يضيف الى حياتنا حيوات.

وحين تلبس الألفاظ أثواباً غير فضفاضة، ولا يلجأ الشاعر الى الرنين والبهرجة اللفظية .. والابتعاد تماما عن الالفاظ الخلابة الفخمة، يكون قد نجا من مصيدة اللفظ !

وهنا – واسمحوا لنا – تثار مسالة اللفظ ! . بطرح سؤال هل ينبغى لألفاظ القصيدة الابتعاد – أو الارتفاع – عن نثر اللغة اليومية للناس ؟ أو بطريقة أخرى هل يجوز لألفاظ القصيدة أن تترك برجها العاجى وتنزل للشارع ؟ النقاد العرب .. أجمعوا على أن يظل قاموس الشعر كما هو، ولا يحق للشاعر أن يتجاوز هذا المعجم الخاص.

## اللغة البسيطة

ولكن .. هل سكت الشعراء والتزموا بإرادة النقاد ؟ .. أغلب الظن لا.

أبو العتاهية كان يرى أن من حق الشاعر الخروج عن اللغة الكلاسيكية القديمة، الى لغة مشتقة من حياة الشارع، لغة المجالس والطرقات والحياة العامة.

وليس وحده صاحب الدعوة، ها هما أبو تمام وابن الرومى أيضاً .. يخرجان عن طوق النقاد. وكل من خرج استحق غضب النقاد ولعنتهم !

ثار النقاد على ابى تمام وابن الرومى بحجة أن شعرهما أشبه ما يكون بالنثر ! – وما أشبه اليوم بالبارحة ! – نفس الكلام نسمعه حين يصرخ النقاد عن (القصيدة النثرية) .. هذا ليس بشعر .. سموه أى شىء آخر .. الا انه شعر !

لابد للشعر من قاموس .. وقالب .. يفضلونه عمودياً .. منتظم القافية .. وهنا سؤال هل من الأصوب أن يسجن الشاعر نفسه فى ألفاظ بعيدة عن لغة الناس ؟ فتصبح مكررة .. معادة ! .. ألا يمكن أن نكف عن القصيدة المعملية ؟..

عفواً لهذا الابتعاد. لنعد الى قصيدة الدكتور غازى القصيبى وهو ينشد بأسى :

افيق مع الفجر
أشرب شاى الصباح
أسير الى غابة الأمس واليوم
حيث تسيل الدماء
أصافح نفس الأيادى المليئة
بالعطر والمكر .. ألمح نفس الرياء
ونفس الخداع
ونفس الغباء
ففيم الغناء.

لغة بسيطة خالية من الزخرف اللفظى، تشرح فى بداهة نفسها، وهنا نشد على يد الدكتور غازى القصيبى، ونحيى شاعريته الأصيلة، لأنه لم يستسلم لاغراء الألفاظ – وللألفاظ قوة رهيبة – إنها تعبر عن مداركنا ومعارفنا وكل ما فى الحياة.

إن البعد عن الغموض – فى عالم مضطرب متداخل ومليء بالمفاجآت – مطلوب. إن ما يعاب فعلا على الشعر الحديث .. والموجة الجديدة بالذات – جنوح الكثيرين الى الغموض والابهام وكأنهم يحملون الينا أشباحاً تكلمنا .. وحين نقرأ قصيدة فى الصباح – وفى ظنى أن القصيدة وسط أخبار السياسة والاعلانات وأخبار الناس هى الوردة والبقعة المضيئة فى صفحة الجريدة – قصيدة مغلقة بالغموض ومسربلة بالابهام والضباب، أكاد أصرخ فى صاحبها – أو فى نفسى غالباً – لماذا الغموض ؟ هل لأن الرؤية لدى الشاعر .. ناقصة أو مضطربة ؟ أم انه يخاف الافصاح عن نفسه ؟ إذن الصمت أصوب، حتى لا يزيد رصيد هؤلاء الذين يتكلمون كلاماً هراء ! وهم المسئولون عن الدنيا التى تستحيل (سواء) .. ويستحيل الغناء !

لا نطالب الشعراء بالطبع أن يتكلموا بلغة المنطق .. أو الدروس العلمية .. ولكن رفقاً بنا .. وقليل من الابهام والغموض أيها السادة. فنحن قوم تشيع بيننا أمية رهيبة ! ومثقلون بهموم العالم الثالث .. وضغوط العوالم الأخرى !

العناية باللغة الشعرية مطلوبة .. ولكن ليست اللغة مطلباً !

الموسيقى فى الشعر مطلوبة ولكن ليست الموسيقى هدفاً.

و[illegible] ى أن يتحول الشعراء الى الانفعالات الموسيقية واثارة نفوس القراء.

هل المطلوب تحويل الشعر الى ذبذبات صوتية ؟ حتى لو ابتعدت عن معانيها العميقة،

وحوافزها النفسية .

فحين تقرأ قصيدة مثل (أغنية الجندول فى كرنفال فينيسيا) للشاعر علي محمود طه . تجد حلاوة الألفاظ وثراء المادة اللفظية ولكن لا شيء آخر . لا فكرة أو معنى وراء القصيدة .. وإنما العناية بأصوات الكلمات المنتقاة ، والموسيقى الخلابة !

يستوقفنى قول د. غازى القصيبى :

واضحك حين يشاء القضاء
واحزن حين يشاء القضاء
ففيم الغناء
ففيم الغناء

كل منا حين يتأمل حياته ، يرى القدر يرسم له أبعاداً كثيرة .. فنحن لا نختار لون جلودنا ، ولا عصرنا الذى نعيشه ، ـ وكان يمكن أن نولد فى فجر التاريخ أو يستبد بنا العصر الحجرى فى عصور ما قبل التاريخ ـ ونحن لا نختار الأم والأب ولا الميلاد والموت ! ، ولا التركيب العصبى الذى يتحكم فى مزاجنا . فنحن نخضع للبيئة والوراثة ومئات القوانين الأخرى !

ولكن يبقى سؤال عملاق بحجم الحيرة والعذاب لكل البشر :

الى أى مدى يتفاعل الانسان مع القدر ، فيصنع التاريخ (المقدر له بخيره وشره) ؟ .

الى أى مدى يحيا الانسان الواعى العارف ، الساعى أبداً للتقدم والتسامى فوق ترابيته ؟ ليصنع الأمل ..

القضاء والقدر فى صميم الحياة .. وكل مؤمن يسلم بقضاء الله خيره وشره .. ولكن قلب الشاعر الكبير .. يتأمل الأشياء بحب كبير ... وينحنى للحب ..

يقول الشاعر د. غازى القصيبى :

ولا يعرف القفر أنى
سكبت دموعى عليه
ولا يعرف الحب أنى
ارتميت ، لثمت يديه
ولا يعرف الظلم أنى
تململت فى قبضتيه
ولا يعرف الناس أنى
غضبت وقد عذب الأبرياء
وحاربت حين طغى الأدعياء



# قراءة في قصيدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي

ففيم الغناء
ففيم الغناء

قلب كبير .. حب كبير .. يستوعب العالم كله .. يتعاطف مع الدنيا .. يلتصق بالبشر ، حتى القفر يجد من يبكيه ! لغياب الحياة فيه . واللهفة الى دنيا الحب والوفاء والمودة والاخاء .. تستحق منه أن يرتمى يلثم يد الحب .. لعقيدة الشاعر أن فى الحب خلاص العالم . فكيف لا تهفو النفس الى الحب دائماً ؟ وقبضة الظلم القاسية وهى تتحكم فى أقدار العالم بشراسة تدعو للتململ ثم الغضب وقد عذب الأبرياء . وطغيان الأدعياء .. لهذا العالم المسكون بروح ساديه .. يصرخ شاعرنا ويتألم ..

فيم الغناء ؟

انه رفض صريح لعالم مهترىء .. عالم مزور ، مدع ، تهفو الروح الى هواء نقى حيث تسترد أعلى حالاتها سمواً وارتقاء . وهو حزن يختلف عن الحزن المرضى الذى انتاب أبا القاسم الشابى (مع حبى للشابى) ـ حين قال الشاعر التونسى :

لا تعنينى أغاريد الصباح
بلبل الأفراح
ففؤادى وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور
وأغانى النور

إن أبا القاسم الشابى يرفض غناء العصفور ! لأنه لا يرسل الى قلبه حنيناً ولا حباً عميت رؤيته عن الصباح ، وصمتت آذناه أمام صوت البلبل الفرح ، وصارت الدنيا ظلاماً ..

السواد يفرش أجنحته فوق دنيا ـ الشابى ـ وتعصف به رياح الذعر والخوف من ربوع العالم .. ويبقى الفزع مزروعاً فى قاع القبور المرعبة ـ (ربما لمرض الشاعر بالقلب ، وأبو القاسم الشابى الشاعر التونسى مات سنة ١٩٣٤ ولما يبلغ الخامسة والعشرين بعد صراع مع المرض . وهو فلته من عصرنا الحديث فى حدة الاحساس وعمقه ، ودقته)

وظنى أن حب الحياة ـ كما ينبغى أن تكون ـ ذلك الحب العميق الذى يسطع فى كل حرف ونبض لشاعرنا د. القصيبى .. دائم البحث عن ينابيع الحب ، (ولا يعرف الحب انى ارتميت .. لثمت يديه) .

ويقف شاعرنا .. متأملا مشارف النهاية :

وحين أغيب .. وراء المغيب
يقولون كان عنيداً
وكان يقول القصيدا
وكان يحاول شيئاً جديداً

نعم .. لابأس من التفكير فى الموت حتى ننطلق فى الحياة ، والموت يعطى المبدع الأصيل فرصة كبيرة للحرية ولمزيد من الابداع . ويجدد عشق الشاعر للحياة . وليس كما فعل أبو حيان التوحيدى ـ الأديب الفيلسوف ـ الذى أحرق كتبه وقال : حرام أن يبقى المعقول ويفنى العاقل !

والسؤال : فيم الغناء ؟ .. نابع من حب الحياة العظيم ، واستلهام أجمل ما فيها . وإذا كان القانون الأزلى فى الوجود أن نسقط ، فلا يصح أن نضيع كل حياتنا نتهيأ للسقوط ونتحول الى أوراق خريفية تكنسها الرياح فى خضم اللانهاية . وخير للانسان أن يتحطم من أن يعلن الهزيمة والاستسلام ، تماماً كما صرخ الصياد العجوز فى «العجوز والبحر ـ رائعة همنجواى» ، أن يحاول الانسان شيئاً جديداً .. وأن يمد يده لاخراج الليل من أفق النهار .. والعمل على ظهور الفجر من عمق الليل .. يكفى أن يقال : مات وهو يحاول (وهو أرقى وسام فى الأساطير اليونانية) ..

وكان يحاول شيئاً جديداً ..

إنها المحاولة الأبدية لكتابة التاريخ الجديد .. بالنور .. حتى يختفى السؤال .

فيم الغناء ؟ .. ليكون .. الى : الغناء .. والبناء

أحمد عبد الله متولى
الرياض



محمد
الفهد
العيسى

# الفرح

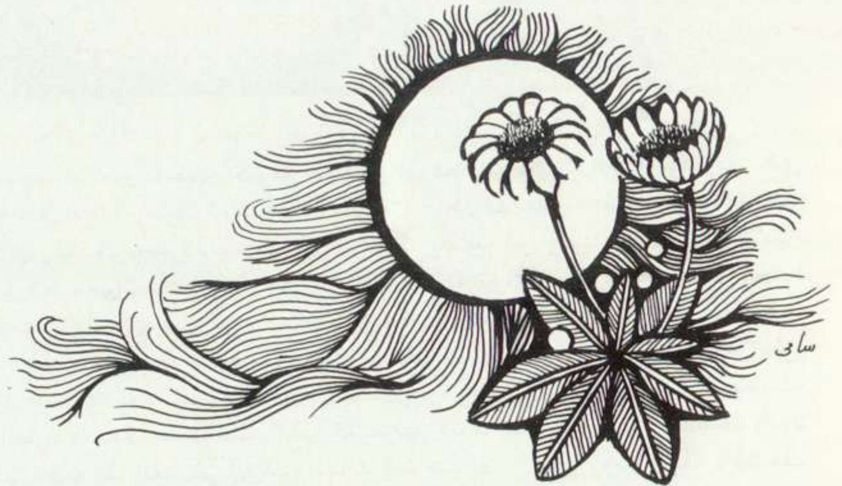
تَدَفَّقى شَلَّالَ بَوْح ..
زَغْرَدتْ فيه انثيالاتُ الفَرَحْ .
تألَّقى أفوَافَ زَهْرِ الأقحُوان
والخُزَامى ..

(يا ربيعَ الوسْم) فى رَوْضِ الحَبَقْ
اشْرِعِى ابتسامةً تثل
ـ فيها غُيْمَة فلِّية المطَرْ ..
(يا هلا) ..

نهدةٌ تموجُ من جوانح وَلْهَى ..
الى اشْرَاقةٍ منسوجةٍ بمغزل
عذْب الصُّورْ ..
الدفءُ والحنانُ أجمعا

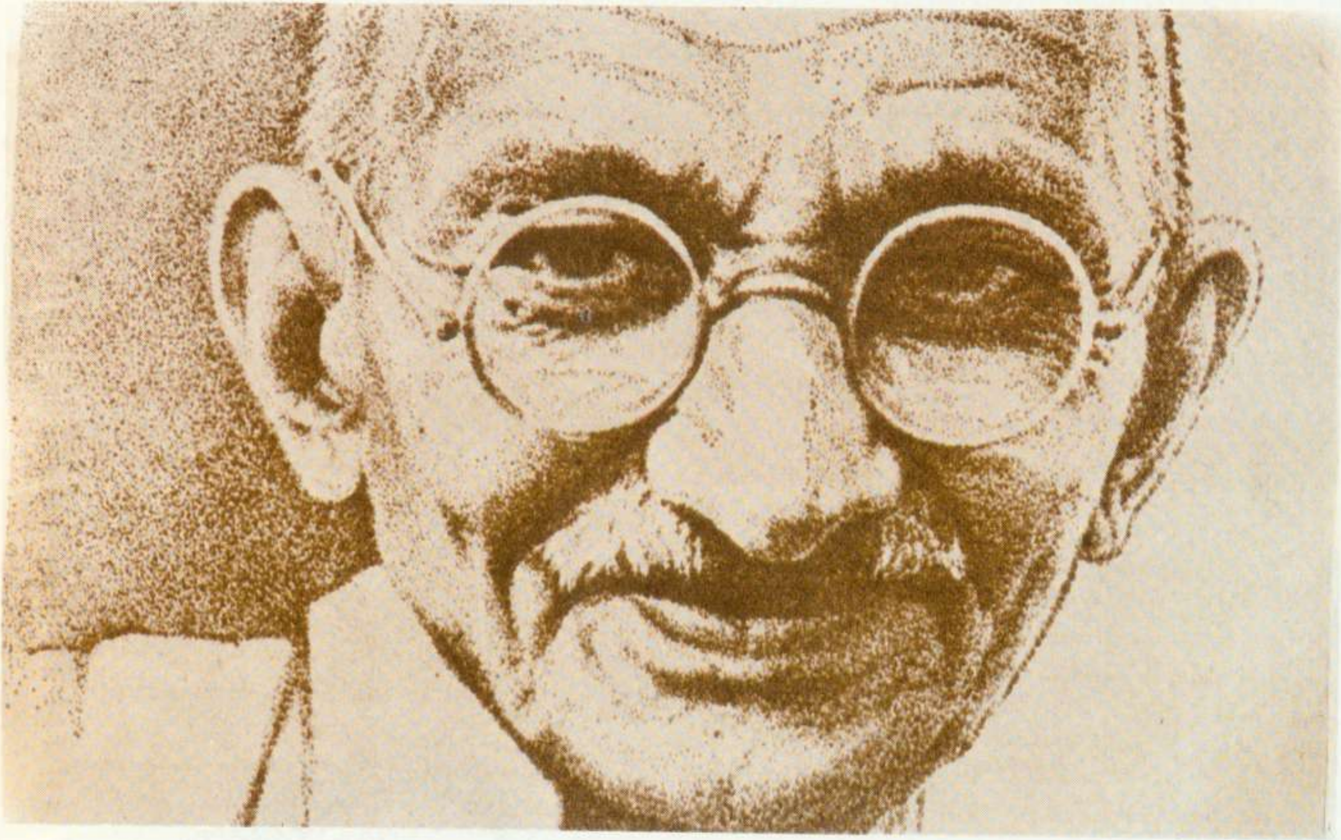
..............................

لا يبرحَانِ منبَعَ العَبَقْ
تدفقى فَرَح ..
مَهْمَا تَنَاغَتْ الحُرُوفُ ...
لن تَتِمَّ الملحَمَةْ



# غاندي وجذوره الفكرية

بقلم: محمد العزب موسى



من بين قادة القرن العشرين جميعاً قد يكون غاندى اكثرهم غرابة وأقدرهم على تحريك الخيال والتأمل . قال عنه أنيشتاين فى عام ١٩٤٤ « ان الأجيال القادمة سوف تشك فى أن مثل هذا الرجل قد عاش فعلا بلحمه ودمه على الأرض » ، فهذا الرجل الذى تصدى لأعتى قوة فى عصره ، قوة الامبراطورية البريطانية فى أوجها ، والذى قاد الملايين من أبناء وطنه المهانين المطحونين الى الحرية والتسامح والكرامة ، والذى أيقظ ضمير العالم من سبات عميق .. هذا الرجل لم يكن يملك أية قوة مادية أو عسكرية ، ولم تكن لديه أسلحة وجيوش ، وكان فقيراً لا يملك شيئاً من المال ، ضعيفاً يشبه هيكلا متهالكاً من العظام ، حتى الثياب لم يكن يضع شيئاً منها على جسده ، فهو عريان البدن إلا من مئزر يلفه حول نصفه الأسفل ، فى يده مغزل ينسج به ثيابه البسيطة ، والى جانبه عنزه يقتات على لبنها ، وعلى أرنبة أنفه تقبع نظارة مستديرة الحجرين من الطراز القديم يعلقها على أذنيه الكبيرتين بينما تفتر شفتاه عن ابتسامة ودود باهتة كأنه يريد أن يقول : واغفروا لى أيضاً هذا القدر من الجلد والعظام فما أحب إلا أن اكون روحاً هائماً لا تضيف شيئاً الى أثقال هذه الأرض !

عاش هذا الرجل فى عالم لا يفهم غير لغة القوة ولا يؤمن بغير منطق الحديد والنار ، ولم يكن غافلا عن هذه الحقيقة وانما كان ثائراً عليها ، كانت لغة العصر واضحة بما يكفى فى اذنيه الكبيرتين ، فعندما بدأ كفاحه فى أوائل هذا القرن كانت ثورة ١٩٠٥ تهز روسيا بعنف ولم يلبث أن ظهر لينين رافعاً راية الثورة الحمراء ، وتلاه ماوتسى تونج فى الصين على طريق الزحف الطويل ، ثم أخذت رياح الفاشية تتجمع فى سماء أوربا الباردة لتلد عما قريب زوابع النازية والفاشية فى المانيا وايطاليا واسبانيا واليابان ، وبدأ المسرح العالمى يهيأ لأكبر حربين فى تاريخ البشرية ، وسباق التسلح يبدو صمام الأمن الوحيد ، والاستعمار الغربى فى أوج طغيانه وجبروته .. كل ذلك كان يعرفه غاندى حق المعرفة ومع ذلك لم يتردد فى إعلان ثورته السلمية واعتماد عدم العنف طريقاً وحيداً مقدساً للنضال .

ولكن يخطىء من يظن أن غاندى لم يكن قوياً فى عالم الأقوياء ، لقد كان غاندى قوياً وثائراً وايجابيا الى أقصى حد ، غير أن قوته كانت مستمدة من الروح لا المادة ، كان كجميع الثوريين يرى ان الواقع يجب أن يتغير ، ولكنه يؤمن بأن التغير يجب أن يبدأ من الداخل ، فالثورة السياسية يجب أن تعتمد على التحول النفسى الداخلى قبل أن تعتمد على المعطيات والظروف الخارجية ، ولم يكن نضاله يهدف الى تحرير الهند سياسياً واقتصادياً فحسب ، وإنما يهدف فى المحل الأول الى ايقاظ روح الهند الأصيلة ، وايقاد جذوة الحق والكرامة فى نفوس الهنود البسطاء . ومن هنا كانت ثورة غاندى ثورة روح أساساً ، وكان هو بمثابة الروح العظيمة لبلاده أو « المها — اتما » وهو اللقب الذى أطلقه عليه بحق — رغم استياء غاندى ورفضه — شاعر الهند الكبير رابندرانات طاغور .

وقد فهم البعض خطأ أن « الساتيا جراها » — وهى حركة غاندى النضالية — تعنى المقاومة السلبية ، والحقيقة انها كانت نضالا ايجابياً فى سبيل الحق ، والفرق بين المقاومة السلبية بمعناها الحرفى والمقاومة السلمية المرتكزة على الساتيا جراها ان الأولى تفسح المجال للالتجاء الى السلاح فى الفرصة المناسبة أما الثانية فتستبعد العنف كاثم حتى فى أحسن الظروف الملائمة لاستخدامه ، الساتيا جراها معناها « قوة الحق » وكان غاندى يقول ان من الخطأ اعتبارها قوة وجدت ليستخدمها الضعفاء ماداموا غير قادرين على مجابهة العنف بالعنف . فالضعفاء حقاً لا يستطيعون استخدام هذه القوة وانما يستخدمها الأقوياء بالروح الذين يدركون ان فى الانسان شيئاً أسمى من الطبيعة الوحشية الكامنة فيه .



المهاتما غاندي

هذا هو جوهر الفلسفة النضالية لدى غاندى ، أن تعلو الروح على المادة ، أن ينتصر الداخل على الخارج ، أن تحسم المعركة فى ساحة الحق — كما فعل كريشنا وارجونا فى كتاب غاندى المفضل البهاجافاد جيتا — وليس المقصود بالساتيا جراها مواجهة العدو وانما تحويله الى صديق ، أن تكسبه لا أن تضره ، لذا كانت كل تدابير الساتيا جراها علنية ، فهى حركة لا تعرف الوسائل التآمرية أو نشاطات حرب العصابات .

## الطفولة والشباب

من يريد أن يفهم غاندى عليه أن يصحبه فى طفولته وشبابه ، اذ يقول مؤرخوه الهنود والغربيون ان كل أفكاره الأساسية التى شكلت مواقفه السياسية والروحية فيما بعد قد تكونت لديه فى مراحل حياته المبكرة ، وحتى ثقافته العامة استكملها فى النصف الأول من حياته ولم يضف اليها شيئاً مهما فى النصف الآخر .

ولد موهانداس كرامشند غاندى يوم ٢ اكتوبر ١٨٦٩ ، وكان الابن الذكر الثالث لكرامشند غاندى من زوجته الرابعة بوتليباى التى كانت تصغره بثلاثين عاماً ، وكان مولده فى مدينة بوربانذر على الساحل الغربى لشبه الجزيرة الهندية المطل على بحر العرب مما جعل من هذه المدينة مركزاً للنشاط التجارى والثقافى الاسلامى ، ولكن عندما بلغ الطفل السابعة انتقلت الأسرة ١٢٠ ميلا شرقاً الى مدينة راجكوت حيث تلقى موهانداس تعليمه الابتدائى والثانوى ، دون ان تقطع الأسرة روابطها القوية مع مسقط رأسها بوربانذر .

وكانت أسرة غاندى منذ الأجداد الأول تنتمى الى طبقة التجار ( بانيا ) غير أن الجد المباشر لغاندى ويدعى أوتامشاند عين لنجابته فى بلاط الأمير رنا خيماجى حاكم بوربانذر ثم تلاه ابنه كرامشند فى وظائف الديوان الاميرى وظل يترقى حتى اصبح كبيراً لوزراء الولاية .

ولم يكن الاب كرامشند على قدر كبير من التعليم الاكاديمى ، ولكنه كان وافر التجربة متعدد المعارف والاصدقاء ، يصفه غاندى بانه كان « باراً بأسرته صادقاً شجاعاً كريماً ، ولم يكن يهمه جمع المال ، وعندما مات لم يترك لنا شيئاً ذا بال » . ولكن بيته كان ملتقى للمثقفين المحليين ، وكثيراً ما كان الطفل موهانداس ينصت فى شغف الى مناقشات ضيوف ابيه من النساك الجانيين والرهبان الزرادتشيين والشيوخ المسلمين ، أو يستمع الى فصول من «الراميانا» و «المهابهارتا» تتلى بين الحين والآخر فى المنزل وكانت ديانة الأبوين الهندوسية على مذهب «فشنو» أما الأم بالذات فكانت تنتمى داخل هذا المذهب الى طائفة « برانامى » التى تمزج بين العقائد الهندوسية والاسلامية . وفى معابد هذه الطائفة كان القران الكريم يحتل مكاناً رفيعاً الى جانب كتب الفشنا المقدسة ، ومن تعاليم هذه الطائفة الحب والسلام والتسامح بين جميع العقائد والأديان الى جانب الحض على بساطة العيش وتحريم اللحم والخمر والتدخين والصيام فى مواسم معينة ، وقد تشرب غاندى هذه المبادىء فى طفولته ، فنشأ باحثاً عن الحقيقة المجردة بغض النظر عن اختلاف المذاهب ، مقاوماً لسيطرة الجسد ونزعاته وقد غذته امه بالذات بهذه المشاعر والتعاليم ، وكانت امرأة تقية متدينة يمكن اعتبارها نصف هندوسية ونصف مسلمة ان صح التعبير ، لا تخلف يوماً دون التردد على المعبد الخالى من الأوثان ، وقد ذكرها غاندى وهو فى الثانية والستين قائلا « ان كل ما ترونني أتحلى به جاء من أمى وليس من أبى » .

نشأ غاندى طفلا مطيعاً لوالديه محباً لهما وقد تأثر بشدة بشخصية الغلام الاسطورى « شرافان بتريباكتا » الذى تصوره الحكايات الشعبية القديمة مضحياً بلا حدود من أجل والديه الشيخين الضريرين الفانيين ، فكان يحملهما فى خرجين يعلقهما بسيور من الجلد على كتفيه ويقطع بهما مئات الأميال لزيارة الأماكن المقدسة . ومن حب الوالدين تعلم غاندى إطاعة المدرسين ثم توقير الكبار بصفة عامة ، ولما كانت الفضائل تلد الفضائل فان حبه لوالديه علمه فضيلة الصدق ، وراح فى احلام يقظته يتصور نفسه ايضاً تجسيداً للامير الاسطورى الصادق هاريشاندرا الذى ضحى بمملكته من أجل البحث عن الحقيقة . وانقذته فضيلة الصدق من كثير من الرذائل والاخطاء ، فقد حدث ان اغراه زميل له بأكل اللحم ، وهى معصية لا تغتفر فى عقيدته ، وقصدا معاً إلى مكان منعزل على شاطىء النهر

# غاندي
## وجذوره الفكرية

حيث أكلا لحم الماعز ، وقضى غاندى ليلته تلك يعانى الغثيان والاشمئزاز « كنت اشعر كأنى أسمع ثغاء العنزة فى بطنى » ولكنه تمكن من التغلب على اشمئزازه وعاود أكل اللحم بعد ذلك مرات حتى كاد أن يستطيبه غير أن شيئاً واحداً كان يقض مضجعه ، ذلك أنه كان يضطر للبحث عن مبررات كاذبة يبدد بها شكوك أمه حين يرفض دعوتها لتناول الطعام مع الأسرة ، وأخيراً قرر التوقف عن أكل اللحم حتى لا يضطر الى شيء من هذا الكذب .

وكان التدخين انحرافاً خطيراً آخر فى تلك الفترة من مراهقة غاندى ، فبدأ مع صديق آخر يجمعان أعقاب السجائر التى يلقى بها عمه ليدخناها سراً ثم أخذا يسرقان عملات صغيرة من خادم الأسرة كى يبتاعا بها السجائر ، وكانا يدخنان كذلك سيقان بعض النباتات ذات المسام . وفجأة تيقظ ضمير الولدين فقررا الانتحار داخل المعبد بقطع شرايين معصميهما وفى المعبد خانتهما الشجاعة فلم يستطيعا الانتحار ، ولكن غاندى قرر من تلك اللحظة الامتناع عن التدخين ولازمته كراهيته الى آخر حياته .

وفى سن الثالثة عشرة تزوج غاندى من طفلة تصغره سناً جرياً على عادة أهل الهند فى زواج الأطفال ، كانت طفلة تدعى كاستربای وهى ابنة أحد أصدقاء الأسرة من بوربانذر ، وقد أثر هذا الزواج المبكر فى نفسيته وجعله يثور فيما بعد على عادة زواج الأطفال ويحاربها بشدة ، بيد أن زواجه المبكر هذا لم يكن فيما يبدو خالياً من أى نفع ، إذ حاول غاندى جرياً على ما يشاهده من عادات الرجال الكبار أن يفرض سيطرته على زوجته ويحرمها من اللعب وزيارة أهلها ، وقاومت الزوجة الطفلة سلطةزوجها فى هدوء وتصميم حتى اجبرته على احترام ارادتها . قال غاندى فيما بعد « لقد تعلمت أول درس فى عدم العنف من زوجتى الطفلة ، كنت أريد أن ارغمها على ارادتى وكانت مقاومتها الهادئة المصممة تجعلنى أخجل من حمقى وغبائى ، وفى النهاية أصبحت زوجتى هى استاذتى الأولى فى فن المقاومة السلبية » .

تسبب الزواج فى ضياع عام دراسى كامل على غاندى ، ثم عاد الى مواصلة دراسته فى فتور ، والواقع انه لم يكن بالتلميذ النابه أو النجيب ، اذ لم يبد تفوقاً فى أية مادة علمية أو نشاط مدرسى وكان خجله الفطرى يمنعه من أن يشق طريقه بمنكبيه بين اقرانه ، ولكنه كان يخفى تحت خموله الخارجى رغبة متاججة فى تحسين الذات ، لقد بدأت معاركه الداخلية فى سبيل الحق والعدل والايمان ، وبينما كان زملاؤه يتنافسون للحصول على الجوائز والدرجات كان هو يشغل ذهنه بعشرات الاحاجى الفلسفية التى يخلقها لنفسه ويملأ بها تفكيره .

### فى بلاد الانجليز

أتم غاندى دراسته الثانوية فى عام ۱۸۷۸ وأغلق فى وجهه باب التعليم الجامعى فى بلاده بسبب ضعفه المزرى فى اللغة الانجليزية ، وهنا اقترح أحد أصدقاء الأسرة أن يسافر غاندى الى انجلترا ليتعلم اللغة ويدرس القانون كى يعود ليشغل منصباً رفيعاً فى بلاط الأمراء المحليين شأن أبيه وجده من قبل .

واقتنع غاندى بالفكرة وأخذ يستعد للسفر ولم يكن هذا القرار سهلا بحال بل قامت دونه عقبات كئود استطاع الشاب أن يتخطاها بصلابة فقد قرر كبار رجال الطائفة الهندوسية التى ينتمى اليها أن السفر الى انجاترا مخالف للدين . وأمام اصراره العنيد عقدوا له محاكمة وأصدروا أمراً بحرمانه تماماً كما كانت تفعل الكنيسة الكاثوليكية مع من يشقون عليها عصا الطاعة فى القرون الوسطى . كذلك كانت أمه تعارض سفره بشدة خوفاً من شرور مجتمع الغرب الاباحى ، ولم تمتثل فى النهاية إلا بعد أن قطع على نفسه يميناً مغلظة أمام أحد الرهبان الجانيين بأن لا يقرب الشراب والنساء واللحم ، أما العقبة المالية فقد تطوع أخوه الأكبر بحلها اذ تعهد فى كرم وشهامة أن يغطى نفقات سفره وإقامته ، وبقيت عقبة اللغة وهذه تكفلت اقامته فى انجلترا بحلها .

ومكث غاندى فى لندن ثلاث سنوات استطاع خلالها أن يبر بقسمه لوالدته ، وقد ساعده على ذلك اكتشافه لجمعيات النباتيين فى انجلترا وانضمامه اليها ، وأصبح غاندى عضواً نشطاً فى هذه الجمعيات وعليها قصر كل فكره ونشاطه .

وكانت قد سحرته الحياة الغربية فى أول الأمر ، فاقام فور وصوله فى فندق فيكتوريا الضخم . واشترى حلة بيضاء كلفته عشرة جنيهات كاملة ، وقبعة مرتفعة ، وساعة جيب ذات سلسلة ذهبية ، وبدأ يأخذ دروساً فى الرقص واللغة الفرنسية وعزف الكمان . ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلا ، فما أن بدأ يشعر بنقوده تتلاشى حتى تيقظ حسن ادراكه ، فباع آلة الكمان واستغنى عن مدرسيه ، وارتدى ثياباً رخيصة ، وأقام فى غرفة متواضعة وقتر على نفسه فى الانفاق ، وكان على استعداد لأن يمشى على قدميه عدة أميال ليوفر بنساً واحداً حتى استطاع تدريجياً أن يعيش بجنيهين فقط فى الشهر ، وبذلك أصبح لا يرهق أخاه بطلب النقود .

كانت رياح التغير الأدبية والاجتماعية والسياسية تعصف بانجلترا بشدة فى ثمانينات وتسعينات القرن الماضى ، ولكن غاندى لم يكن يبدى أى اهتمام بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية من حوله ، ولم يعرف أثناء اقامته التى استغرقت ثلاث سنوات شيئاً عن ماركس أو داروين أو هكسلى ، وكذلك لم يبد أى تفوق ملحوظ فى دراسته الاكاديمية ، أو بكلمة أخرى لم يكن فيه ما ينبيء بمستقبل باهر أو استثنائى ، كان ما يهمه ويشغله هو شئونه الشخصية والاخلاقية ، كيف يمكنه أن يبر بوعده لأمه ويوفر النقود لأخيه .

ومع ذلك كانت أيام الدراسة فى انجلترا من أكبر المكونات الفكرية والثقافية فى شخصية غاندى ، فقد اتصل بالثيوصوفيين وقرأ كتب « نبيتهم » مدام بلافاتسكى ، ولم تترك هذه الكتب تأثيراً كبيراً فى نفسه ولكن أنصارها قادوه الى اكتشاف ثروات التراث الهندى العظيمة التى لم تكن تعنى بالنسبة له شيئاً أثناء اقامته فى وطنه ، فراح يعب من كتب « الحقيقة » الهندية المترجمة الى اللغة الانجليزية ، أو على حد تعبير توماس ميرتون « اكتشف الشرق خلال الغرب » لقد ذهب غاندى الى انجلترا ليعرف سر قوة الانجليز فاذا به يستجلى سر حكمة الآسيويين ، فقرأ البها جافاد جيتا والمها بهارتا فى ترجمة سير ادوين ارنولد ، وقرأ لنفس المؤلف قصيدته الطويلة المسماة « نور آسيا » ومنها عرف لأول مرة شيئاً عن حياة بوذا وتعاليمه ، ثم بدأ يدرس الكتاب المقدس فلم يعجب بالعهد القديم الذى رآه مليئاً بالحشو الممل بينما ترك فيه العهد الجديد تأثيراً عميقاً ولاسيما موعظة الجبل « الحق أقول لكم لاتقاوموا الشر » .. وفى نفس المرحلة أيضاً قرأ ما كتبه كارليل عن النبى محمد وأعجب اعجاباً بالغاً بحياة نبى الاسلام وتقشفه وخلقه ، وراح ذهنه يهضم فى هدوء هذه العقائد جميعاً ويمزج فى نسيج واحد بين المسيحية والبوذية والهندوسية والاسلام .

وفى عام ۱۸۹۱ أتم غاندى دراسته القانونية وسجل اسمه فى نقابة المحامين بلندن ، وأبحر فوراً عائداً الى بلاده . كان

حينئذ شاباً فى الثانية والعشرين ، خجولاً حيياً غير واثق بنفسه ، ولكن تعتمل فى أعماقه نزعات قوية من الطهارة والاصالة ، ولم يكن بوسع أى مراقب محايد فى ذلك الوقت أن يتنبأ لهذا الشاب الذى يحمل اجازة الحقوق بمستقبل باهر فى بلاده وخاصة فى مجال المحاماة .

## يا ولدى .. فلتعرف الحياة

عاد غاندى إلى الهند ليجد أن كل عالمه الخاص قد تغير ، فقد ماتت أمه ، وتضاءل نفوذ أسرته فى أعقاب وفاة أبيه من قبل ، ولم يجد لنفسه مكاناً فى بلاط أمراء راجكوت وبوباندر ، وكانت المدن الصغيرة فى الولايات ملأى بالمحامين ومساعديهم الذين يعرفون عن القانون الهندى والشريعة الاسلامية أكثر مما يعرف والذين هم أيضاً على استعداد لتقاضى أبخس الأجور نظير خدماتهم القضائية . وقرر غاندى بناء على نصيحة بعض معارفه أن يمارس المحاماة فى بومباى ، ولكنه منى هنـــاك بفشل ذريع فعندما وقف لأول مرة يترافع أمام المحكمة أصابه « خوف المسرح » فلم ينطق بكلمة واحدة ، فانسحب « راهب المعبد » من القضية مهزوماً مهاناً ، وغادر بومباى على الفور عائداً الى راجكوت يحاول يائساً أن يكسب عيشه بكتابة العرائض والمذكرات القانونية للمتخاصمين أمام المحاكم المحلية .

ولكن إعجابه الشديد بالحياة الغربية الحديثة ظل يلازمه ، ومن دخله المحدود راح يقتنى تلك الأدوات المنزلية « الانجليزية » كالملاعق والشوك والسكاكين ، وظل شديد الاعجاب بالانجليز أنفسهم الذين عايشهم فى انسانية وبساطة اثناء وجوده فى انجلترا : اتجاهاتهم الليبرالية ، ومؤسســـاتهم الديموقراطية ، وثقافتهم المتنوعـــة ، واسلوبهم فى احترام الغير ، فلم تكن قد اتيحت له الفرصة حتى ذلك الحين كى يعرف حقيقة المستعمر الانجليزى فى الهند .

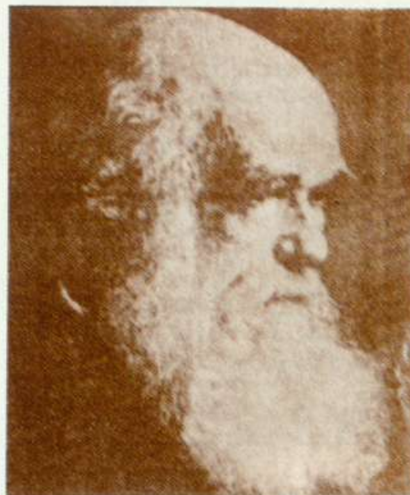
ولم تلبث أن جاءت هذه الفرصة .. فقد حدث أن وجهت الى شقيقه الأكبر وصاحب الفضل عليه اتهامات سياسية معينة ووجد غاندى أن من واجبه أن يسعى لمقابلة المقيم الانجليزى العام فى راجكوت ليشرح قضية أخيه . وكان غاندى يعرف هذا الرجل ـ ويدعى شارلس أوليفانت ـ اثناء اقامته فى انجلترا ، فقد التقى به عدة مرات فى بيوت بعض الأصدقاء وكانت بينهما أحاديث ودية طويلة . ولكنه استقبل بخشونة فى مكتب المقيم العام ، وأفهم أن عليه أن يقدم شكواه بالطرق الرسمية المعتادة ، وعندما حاول أن يناقش طرد بالقوة من المكتب ، فكتب غاندى للموظف الانجليزى الكبير محتجاً على المساس بكرامته فى مكتبه ، ولكن صديقه الجنتلمان القديم رفض الاحتجاج قائلاً انه ليس من حق الهندى أن تكون لها كرامة يغضب لها .

وحدث فى هذه الأثناء أن وصل إلى راجكوت المحامى البارسى الشهير سير فيروز شاه مهتا فى زيادة قصيرة ، فشكا له غاندى ثله النفسى وطلب مشورته ، فرد سير فيروز شاه فى تلطف قائلاً ان المحامى الشاب فيما يبدو لا يعرف الانجليز على حقيقتهم وعليه اذا أراد أن يأكل خبزه فى بلاده أن يحتفظ بما يتلقاه من اهانات فى جيبه ، وقد ذكر غاندى هذه الواقعة بعد ذلك فى مذكراته واضاف قائلاً : « وقال لى عليك يابنى أن تعرف الحياة وكانت لنصيحته تلك وقع السم فى حلقى ، ولكنى قبلتها فى هدوء .. وقد غيرت هذه الصدمة مجرى حياتى » .

لقد علمته حادثة المقيم أوليفانت كيف يمكن أن تفسد العلاقات الانسانية عندما يحكم شعب شعباً اخر ، أو تسيطر طبقة على طبقة أخرى ، ان اعظم ما فى الانسان عندئذ سوف يهان : كبرياؤه النفسى وكرامته الانسانية . وقد جاءت ثورة غاندى أساساً من أجل الكرامة الانسانية ، وهذا هو المفتاح الحقيقى لشخصيته .

## جحيم التفرقة العنصرية

أصبحت الحياة فى الهند مستحيلة فى نظر المحامى الشاب ، اذ أدرك الى جانب فشله فى المحاماة ان عليه ان يتعامل خلال محاكم يشرف عليها أوليفانت وامثاله ، أى أن يستمر



داروين

فى تحمل اهانات لا تحتمل ، وفكر أن يبحث عن مكان اخر يعيش فيه فقد ضاق به الوطن على اتساعه ، وحانت له الفرصة على نحو غير متوقع عندما عرض عليه بعض التجار المسلمين فى بورباندر أن يسافر الى جنوب افريقيا ليساعدهم فى قضية منظورة هناك ، فقبل غاندى على الفور وابحر من بومباى فى شهر مايو ١٨٩٣ دون أن تكون لديه فكرة واضحة عن مهمته فى ديربان ودون أن يدرى بالطبع انه اتخذ بذلك أهم قرار فى حياته .

وفى جنوب افريقيا تلقى غاندى أول دروسه فى التفرقة العنصرية عندما دخل قاعة المحكمة فى ديربان بأن يخلع تلك العمامة التى لا تليق بهيبة المحكمة ، ولكن غاندى رفض بأدب وانسحب خارج القاعة ، ثم كتب إلى إحدى الصحف المحلية يفسر موقفه ، وجذب المقال انتباه الأوربيين والهنود على السواء ، فرد بعض البيض على هذا التطاول فى قحة وغضب ، فى حين نظر الهنود فى دهشة واشفاق الى هذا القادم الجديد الذى لا يعرف شيئاً عن حقيقة أوضاع مواطنيه فى جنوب افريقيا .

كان الهنود فى جنوب افريقيا ـ كغيرهم من السود والملونين ـ يخضعون لتفرقة عنصرية مقيتة يزيد من وقعها انهم كانوا أقلية متخلفة جاهلة ، أقلية يستهان بها كما وكيفاً ، فعددهم فى أواخر القرن الماضى لم يكن يتجاوز ٧٥ ألفاً يعيشون بين مليونى افريقى اسود وثلاثة أرباع مليون مستوطن أوربى ، أى أن نسبتهم لم تكن تتجاوز ٣٪ من السكان ، وقد قدم معظم هؤلاء الهنود من ولاية تاميل الهندية للعمل فى مزارع الموز التى يملكها الأوربيون ، وكان على العامل الهندى أن يستمر فى هذه السخرة خمس سنوات قبل أن يسمح له بالاستقرار فى البلاد كفرد « حر » وعندئذ كان يستطيع أن يبعث فى إحضار زوجته وأولاده ، وهكذا نشأت مستوطنات الهنود فى جنوب أفريقيا ، وجاء فى أعقاب هؤلاء المستوطنين الفقراء طبقة هندية أخرى من التجار المســـلمين و «الكتبة» البارسيين ، ولكن هؤلاء كانـوا يحتقرون مواطنيهم التاميليين الجهلاء فينكرون قوميتهم الهندية ويسمـون أنفسهم عرباً أو فرساً على التوالى ، وعندما ظهر غاندى فى هذا الوسط بعمامته الهندية البيضاء كان كمن يدمغ نفسه بالانتماء الى هذه الطبقة المهانة تلك التى يطلق على الفرد منها لقب « سامى » وهو تحوير تحقيرى لكلمة «سوامى» التى معناها « السيد » باللهجة التاميلية . وهكذا كان غاندى فى نظر المستوطنين البيض فى جنوب افريقيا مجرد « سامى حقير » اذ لم يكن فى استطاعتهم أن يميزوا بين عامل هندى فى مزارع الموز والقصب ومحام هندى يحمل درجة علمية من انجلترا .

# غـانـدي
## وجـذوره الفـكرية

وهكذا راح غاندى يتعرض لسلسلة من المواقف والحوادث وصلت الى قمتها فى رحلته الشهيرة من ديربان الى بريتوريا ، اذ كان عليه أن يسافر الى بريتوريا لتمثيل مصالح موكله دادا عبد الله ، واشترى غاندى تذكرة تخوله الجلوس فى مقصورة الدرجة الأولى بالقطار ، وانطلق القطار من الساحل مصعداً فى الجبال حتى وصل فى المساء الى بيتر ماريتز بورج عاصمة الناتال ، وهناك صعد راكب أبيض الى المقصورة ، وعندما أبصر غاندى خرج وعاد بمفتش القطار الذى أمره بمغادرة المقصورة الى عربة البضائع ، ولما رفض أن يستجيب محتجاً بأنه يحمل تذكرة الدرجة الأولى طرده المفتش بالقوة من القطار . وأمضى غاندى ليلته يرتجف من البرد والغيظ فى قاعة الأنتظار بالمحطة ، وفى الصباح سافر بدون صعوبة الى شارلس تاون ، ثم ركب عربة تجرها الخيول قاصداً جوهانسبرج ولكن حارس العربة رفض أن يسمح له بالجلوس فى الداخل وأمره أن يجلس الى جانب السائق ، واستجاب المحامى الهندى صاغراً كى يتحاشى المتاعب ، وفى الطريق جاء حارس العربة وأراد أن يجلس الى جانب السائق فأمر غاندى بأن يخلى مكانه ويجلس على حصيرة عند اقدامهما ، ولما احتج غاندى مذكراً الحارس بأنه هو نفسه الذى أجلسه فى هذا المكان حاول الحارس أن يلقيه خارج العربة المسرعة ، ولكن غاندى تشبث بأسوارها بقوة فضربه الحارس ضرباً قاسياً حتى تدخل الركاب وخلصوه من قبضته ، وفى آخر مراحل الرحلة التعسة عندما أخذ القطار من جوهانسبرج الى بريتوريا كادت نفس المأساة تتكرر إذ أصر حارس القطار على عدم السماح له بالجلوس فى مقصورة الدرجة الأولى وحاول ارغامه على الخروج بالقوة لولا أن تدخل أحد الركاب الانجليز هذه المرة وأبقاه الى جانبه فى المقصورة ، ولكن حتى هذه الدماثة الانجليزية اكدت للمحامى المهان ان الهنود فى جنوب افريقيا ليست لهم من الحقوق أو الحريات الا ما قد يسمح به البيض ، بل انهم كانوا أسوأ حظاً من الزنوج أنفسهم اذ كان هؤلاء على الأقل فى مأمن من الطرد والترحيل الى خارج البلاد .

وسرعان ما تبين للمحامى القادم من الوطن ان الهنود فى جنوب افريقيا يفتقدون كل الحقوق ، فهم مكروهون كمنافسين ، محتقرون كملونين ، ليس لهم حق التصويت ، ويقيمون فى معازل لا يسمح لهم بتركها ، ويخضعون لضرائب باهظة وظالمة .

وفى بريتوريا دعا غاندى الى اجتماع عام للهنود ، ولأول مرة يتخلص من خجله الذى لازمه طيلة حياته ويستغل ثقافته ومهنته فى ابراز زعامته لمواطنيه وهو ابن الرابعة والعشرين ، فدعا الهنود الى تغيير عاداتهم كى يحترمهم الأوربيون ولا يعودون الى اتهامهم بالقذارة والكسل والاهمال ، ودعاهم الى تعلم اللغة الانجليزية حتى يمكنهم الدفاع عن حقوقهم . وهكذا ربط غاندى منذ البداية بين فكرة تحسين الذات والحصول على الحقوق من الآخرين . كما قاضى فى نفس الوقت ادارة السكك الحديدية وحصل على تعويض لحرمانه من السفر بالدرجة الأولى فى قطاراتها .

وفى ابريل ١٨٩٤ انهى غاندى مهمته القضائية التى جاء من اجلها الى جنوب افريقيا بالتوفيق بين الشركتين الهنديتين المتنازعتين ولكنه بدلا من أن يعود الى الهند قرر البقاء فى البلاد لمواصلة الدفاع عن حقوق الهنود .

لقد حصل المحامى على قضية حياته الكبرى .

## الساتيا جراها

كانت السنوات الثلاث التى قضاها غاندى فى انجلترا هامة من حيث تكوينه الفكرى ولكنها ليست بالحاسمة ، ففى انجلترا وجد غاندى معالم الطريق التى قادته نحو فلسفته فى عدم العنف وهى بالتحديد « الجيتـــا » الهندوسية و « موعظة الجبل » المسيحية ، ولكنه فى جنوب افريقيا لم يلبث ان تعرف على كتابات المؤلفين الغربيين الذين دعموا لديه هذه الأفكار وأمدوه بالاساس العملى لحركته .

وكان أبرز هؤلاء الكتاب تولستوى الذى قرأ له غاندى كتابه « مملكة الله فى داخلنا » عام ١٨٩٣ ، واذا كان تولستوى قد بشر بفلسفة عدم العنف دون أن يمارسها هو أو مواطنوه فان غاندى هو الذى حول كلماته الى عمل وأفعال . ومرة أخرى اذا كان تولستوى هو الذى أرسد غاندى الى « الساتيا جراها » فان جون رشكن هو الذى علمه فضيلة العمل اليدوى التى بدونها لا يمكن لفلسفة عدم العنف أن تحرز أى نجاح لأن الذى لا يعتمد فى حياته على عمل يديهيكون محتاجاً لغيره وبالتالى لا يستطيع أن يقاومه أو يتخلص من تبعيته . كما قرأ غاندى فى نفس الفترة هنرى ديفيد ثوريو صاحب « العصيان المدنى » وتأثر بصدقه واخلاصه وحبه للطبيعة لقد أثر فيه هؤلاء الكتاب الغربيون الثلاثة تأثيراً عميقاً يضاف اليهم فيلسوف هندى رابع ينتمى الى مذهب « فشنو » كان يعمل جواهرياً فى جوجارات ويدعى رايشاندباى وكان أقرب الجميع الى قلب غاندى بحيث يمكن اعتباره المعلم الهندى الوحيد أو « الجورو » الذى تتلمذ على أفكاره المحامى الشاب .

والواقع ان غاندى لم يكن قارئا من طراز ممتاز ، ولعل فى هذا ما يفسر كيف أن بعض الأعمال القليلة الأهمية لتولستوى ورسكن وثوريو قد أثرت فيه هذا التأثير الكبير . والواقع أيضاً ان كل الكتب التى أثرت فى تكوين غاندى العقلى قد قرأها فى النصف الأول من حياته واشتق منها قلة من الأفكار العامة التى أمضى بقية حياته فى تطويرها وبلورتها ووضعها على محك التجربة .

بدأ غاندى كفاحه السياسى الجماهيرى فى جنوب افريقيا بتكوين المؤتمر الهندى بالناتال على غرار المؤتمر الوطنى الهندى الذى كونه الان اوكتافيوس هيوم فى الهند عام ١٨٨٥ ، وعن طريق هذا التنظيم الذى يمثل المستوطنين الهنود فى جنوب افريقيا راح يبعث بالعرائض الى المجلس التشريعى فى الناتال والى مكتب المقيم البريطانى مطالباً بتحسين أحوال الهنود وفاضحاً المظالم التى يتعرضون لها . ولكنه احرز فى كفاحه نجاحاً جزئياً كان يكتفى به عادة . فمثلا استطاع ان يحتفظ للهنود بحق التصويت ـ وكان الاتجاه لالغائه ـ على أن لا تضاف اسماء جديدة الى قوائم الناخبين الهنود ، واستطاع تخفيض ضريبة الرأس المقترحة من ٢٥ جنيها الى ثلاثة جنيهات فقط ، وهكذا ـ جرياً على عادته فى قبول انصاف الحلول ـ استطاع تضييق نطاق التفرقة ضد الهنود دون أن يلغيها .

واصل غاندى نضاله فى جنوب افريقيا حتى ١٩١٤ لم يغادرها الا فترات قليلة الى الخارج سواء الى الهند أو انجلترا ، وخلال هذه السنوات العشرين كان يشحذ أسلحة النضال التى سوف يستخدمها بعد ذلك فى الوطن الكبير : الهند ، وتنقسم هذه الفترة الى مرحلتين الأولى واصل فيها غاندى نضاله عن طريق تقديم العرائض واتباع الطرق القانونية والثانية وتبدأ فى عام ١٩٠٤ تحول فيها غاندى الى تنظيم حملات « الساتيا جراها » بهدف تحدى السلطات وخرق القوانين التعسفية . ومما له دلالة خاصة ان كفاحه فى المرحلتين لم يكن يتعدى مصالح مواطنيه الهنود دون أن يشمل الفئات المضطهدة الأخرى ، فمثلا عندما قامت ثورة الزولو عام ١٩٠٦ اكتفى غاندى بالتعبير اللفظى عن تعاطفه .

كما ظل يعتبر نفسه مواطناً فى الامبراطورية البريطانية على استعداد تام لاداء واجباته نحوها ، وعندما نشبت حرب البوير أنشأ غاندى قوة اسعاف هندية قوامها ١١٠٠ رجل لمساعدة الانجليز واسعافهم ، وعندما قامت الحرب الكبرى عام ١٩١٤ شارك فى انشاء كتيبة هندية محاربة فى صفوف الانجليز ، وكان يرد على منتقديه من الوطنيين الهنود قائلا مادمت أطالب بحقوقى كمواطن فى الامبراطورية البريطانية فعلى أن أؤدى واجبى نحوها . ولم يفطن إلا متأخراً فى اواخر الحرب الكبرى الى ضرورة انفصال الهند عن الامبراطورية على أساس انه من المستحيل تحقيق العدالة للشعوب المستعمرة طالما ظلت تحت نير الاحتلال .

خلال المرحلة الأولى من كفاحه القانونى افتتح غاندى فى جوهانسبرج مكتباً قانونياً للدفاع عن حقوق الهنود أمام المحاكم ، ولكنه فى المرحلة الثانية اغلق المكتب وانشأ صحيفة « الرأى العام » التى كانت الأولى فى سلسلة الصحف التى انشأها بعد ذلك . كما انشأ خارج جوهانسبرج مستوطنة زراعية اسماها « مزرعة فونيكس » عاش فيها كرب أسرة مع اتباعه من الهنود والأوربيين النباتيين وكان هذا التحول الى الحياة الجماعية بداية لسلسلة من التغيرات فى حياته استجابة لدواع روحية ودينية . ولم يلبث فى عام ١٩٠٦ ان قرر الامتناع عن مزاولة الجنس والبحث عن المال متخذاً طريق « البراهما شاريا » أو التقشف الكامل . وبدأ يعلم اتباعه فضيلة التحكم فى النفس التى كان يعتبرها ضرورة لا غنى عنها لأسلوب الكفاح السلمى الذى يدعو اليه مواطنيه ، لأنهم اذا فقدوا هذه الفضيلة وانقلبوا بأية حركة سلمية الى العنف ضاع كل شىء .

ولم تلبث أن ظهرت عملياً بالفعل الحاجة الى هذه الفضيلة ..

ففى عام ١٩٠٦ فكرت سلطات الترنسفال فى اصدار قانون يحتم على جميع الهنود تسجيل اسمائهم مع أخذ بصماتهم لاصدار هويات شخصية لهم ، ومثل هذا التشريع المقترح كان يعطى البوليس سلطة دخول منازل الهنود دون اذن أو ابلاغ مسبق للتأكد مما اذا كان ساكنوها قد حصلوا على بطاقات الهوية ، وقد ثارت خواطر الهنود ضد هذا الاجراء واعتبروه ماساً بكرامتهم الانسانية وكان المسلمون منهم اكثر ثورة بسبب ان القانون كان ينطبق أيضاً على النساء مما اعتبروه انتهاكاً لمبدأ الحجاب الاسلامى .

وفى ١١ سبتمبر ١٩٠٦ دعا غاندى الى اجتماع فى المسرح الامبراطورى بجوهانسبرج أعلن فيه رفض الهنود لهذا القانون ولكنه حذر اتباعه من مقاومة السلطات بالقوة لما فى ذلك من سجن وخراب اقتصادى ، ومما له دلالة أن هذا الاجتماع اختتم بالهتاف للملك ادوارد وانشاد النشيد الوطنى البريطانى اذ كان غاندى لا يزال يعتبر أن ويستمنستر هى قلعة العدالة . ثم واصل غاندى السعى لدى مكتب المقيم البريطانى حتى حصل على وعد من الحكومة البريطانية بعدم اصدار القانون . ولكن لم يكن ذلك الا انتصاراً مؤقتاً ، ففى العام التالى حصلت الترنسفال على الحكم الذاتى وانتخبت ادارة يسيطر عليها البوير برئاسة الجنرالين بوتا وسمطس وأصدرت هذه الادارة القانون محل الجدال فى أول يوليو ١٩٠٧ .

وهنا قام غاندى بأول حركة للمقاومة السلمية عملياً ، واختار لها « الساتيا جراها » ومعناه « قوة الحق » لأنه كره تعبير « المقاومة السلبية » التى كان يراها سلاح الضعيف كما كره تعبير « العصيان المدنى » الذى كان يشتم فيه رائحة العداء والتحدى . لقد كانت المقاومة التى يريدها غاندى هى مقاومة أناس لا يخافون من اتباع طريق العنف ولكنهم يختارون عمداً طريق عدم العنف والمقاومة بقوة الحق لا بقوة البدن ، أو بمعنى آخر « المقاومة بلا عداء » بهدف كسب الخصوم من الداخل لا اشعال غضبهم .


طاغور

بدأت الحملة فى صيف ١٩٠٧ بتنظيم مظاهرات مقاطعة أمام مكاتب التسجيل مع تعليمات مشددة من غاندى بعدم مقاومة عنف رجال الشرطة او التعرض لأى هندى يريد أن يدخل المكتب ليسجل اسمه وبصماته ، والواقع ان نسبة ضئيلة جداً من الهنود لا تتجاوز واحداً من عشرين هى التى امتثلت للقانون مما اثار حنق الحكومة فاصدرت سلسلة من التحذيرات ثم بدأت تلقى القبض على المتظاهرين السلميين وتصنع منهم الابطال والشهداء ، وجاء الدور على غاندى فى يناير ١٩٠٨ حيث قبض عليه وأودع السجن لقضاء عقوبة مدتها شهران ، ولكن شيئاً غريباً حدث فجأة ، فبعد ايام من ايداعه السجن اقتيد من زنزانته الى حيث قابل الجنرال سمطس شخصياً ، وأجريا محادثات سرية ، وخرج غاندى من الاجتماع يدعو مواطنيه الى انهاء الحملة وتسجيل أنفسهم ، فقد فهم غاندى من سمطس انه اذا قبل الهنود أن يسجلوا أنفسهم اختيارياً فان القانون سوف يلغى ، وكان هذا سبباً فى أول محاولة لاغتيال غاندى قام بها مجموعة من الوطنيين المتطرفين الذين لم يصدقوا وعود الجنرال وظنوا بزعيمهم الخيانة وقد صحت مخاوفهم بالفعل اذ ظل القانون قائماً وانكر الجنرال سمطس انه اصدر مثل هذه الوعود !

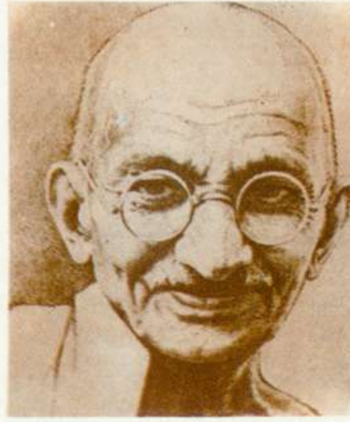
ولما تبين غاندى انه خدع عاد الى المقاومة باشكال جديدة من التحدى السلمى ، إذ أرسل الهنود للمتاجرة فى الشوارع دون ترخيص من السلطات وذلك بهدف ان يقبض عليهم وتمتلىء بهم السجون مما يشكل ضغطاً وإرباكاً للسلطات ، وفى اغسطس ١٩٠٨ حين أصبح واضحاً تماماً ان الجنرال سمطس لن ينفذ وعده قام حوالى ٣٠٠٠ من الهنود على رأسهم غاندى باحراق بطاقات التسجيل الخاصة بهم فى ميدان جامع جوهانسبرج الكبير ، والقى القبض على غاندى بدعوى انه لا يحمل بطاقة تسجيل ، ثم تكررت بعد ذلك مرات اعتقاله وسجنه .

واستمرت لعبة « القط والفار » بين السلطات والهنود زهاء سنتين ، ثم جاءت الضربة القاضية من جانب الحكومة حين

# غاندي
## وجذوره الفكرية

أصدرت المحكمة العليا فى جنوب افريقيا حكماً باعتبار عقود الزواج بين المسلمين والبارسيين والهندوس غير صحيحة ولا يعتد بها ، وانه يتعين اعادة عقدها امام السلطات إذا أريد أن تكون لها حجة قانونية ، فرد غاندى بالتحول من المقاومة السلبية الى العصيان الايجابى ، فانذر الحكومة بانه سيدعو عمال المناجم الهنود الى الاضراب عن العمل ما لم تلغ ضريبة الرأس ، وعندما رفضت حكومة سمطس الاستجابة للانذار جند غاندى النساء الهنديات للقيام بمسيرات جماعية الى مناجم الفحم فى الناتال لدعوة العمال الى الاضراب ، وردت الحكومة باعتقال مئات النساء اللاتى تحركن فى موجات متعاقبة ، فلجأ غاندى الى عمال المناجم يناشدهم الاشتراك معه فى مسيرة الى الترنسفال للمطالبة بالافراج عن النساء المعتقلات ، واستجاب له الفان من العمال بدأوا معه مسيرة وجهتها « مزرعة تولستوى » التى انشأها غاندى فى عام ١٩١٠ ومرة أخرى تدخلت السلطات بوحشية فاعتقلت المتظاهرين جميعاً وشحنتهم فى القطارات الى سجون الناتال وعلى رأسهم زعيمهم غاندى وبعض الأوربيين الذين انضموا له . وأثار الحادث بقية عمال المناجم وعمال المزارع فانفجروا فى اضرابات شاملة ، وهنا جن جنون الحكومة فلجأت الى العنف الدموى بلا حدود ، وهاجمت العمال المضربين بالرصاص والسياط .

ايقظت طلقات الرصاص الرأى العالمى فانهالت الاستنكارات والاحتجاجات بشدة على حكومة جنوب أفريقيا من كل انحاء العالم ، كما احتج المقيم البريطانى على حكومة سمطس وأمرها بالتراجع ، وخرج غاندى من السجن مدعماً بهذا النصر الأدبى فدعا الى عقد اجتماع شعبى لتأبين قتلى العمال الذين ارتفعوا الى مصاف الشهداء . وفى هذا الاجتماع تخلى غاندى عن ردائه الأوربى الذى

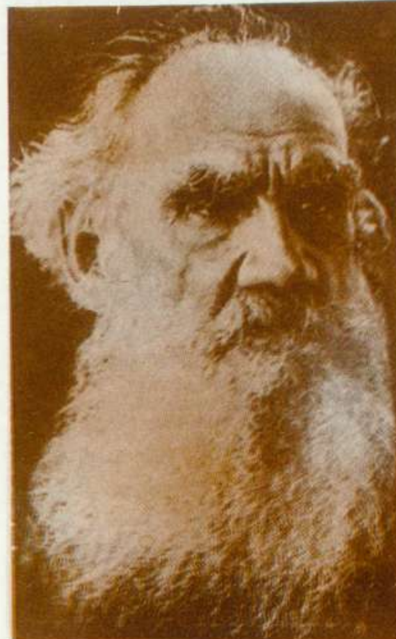


لازمه منذ رحلته الأولى الى انجلترا ، وظهر لأول مرة ـ والى أخر حياته الا فيما ندر ـ حليقاً حافى القدمين ملتفاً بالمئزر الهندى .

ودعا غاندى فى اجتماع تأبين الشهداء الى مسيرة شعبية كبرى يشارك فيها عشرات الألوف من الهنود وانصارهم ..

ولكن المسيرة لم تتم ، وحلت محلها ضربة أخرى قاضية فى كفاح غاندى السلمى ، اذ حدث فى ذلك الوقت ان أضرب عمال السكك الحديدية البيض ، فأعلن غاندى على الفور الغاء مسيرته المقترحة على أساس ان : « الساتيا جراها » لا يجب أن تنتهز فرصة سوء حظ الخصم ، وبهذه الروح الرياضية

تولستوى



الفريدة فى الكفاح السياسى كسب غاندى مزيداً من تاييد الرأى العام المحلى والعالمى ، وحوصرت حكومة سمطس واضطرت الى الدخول فى مفاوضات مع غاندى أدت الى صدور « قانون الخلاص الهندى » فى صيف ١٩١٤ . وفى هذا القانون اعترفت الحكومة بصحة عقود الزواج بين الهنود ، وأسقطت ضريبة الرأس ، وخففت تدابير الهجرة وأعمال السخرة .

وبهذا النصر ضرب غاندى مثلا عملياً على قدرة حركة المقاومة السلمية ذات الأهداف المحددة الواضحة والتكتيكات المرنة على أن تحرج خصماً يفوقها فى العدد والامكانيات والقوة المادية ، حقاً كان هذا نصراً مؤقتاً ومشكوكاً فيه اذ لم تلبث سلطات جنوب افريقيا أن سلبت بالشمال ما منحته باليمين ولم يبرز بين هنود جنوب افريقيا بعد ذلك من يستطيع مواصلة كفاح غاندى ومتابعته الدءوبة للموقف ، ولكن ما حدث كان نصراً عظيماً فى حينه . وشعر غاندى بانه اتم عمله وحقق رسالته ، فغادر جنوب افريقيا فى يوليو ١٩١٤ عائداً عبر انجلترا الى الهند تسبقه شهرته الواسعة كزعيم منتصر .

وعلى أرض الوطن بدأ غاندى متسلحاً بخبرته العلمية وفكره الناضج كفاحه الأعظم من أجل تحرير الهند .. ولكن تلك قصة أخرى ..

محمد العزب موسى

«المقال التالي والأخير : غاندي وتحرير الهند

# بيـــاض وذهـــب وتـعـاويــذ

شعر: محمد المهدي المجذوب
الخرطوم

بيضاءُ تحب نسيمَ النيل يشكلها تمثالا من جسدٍ ضامرْ
الشعرُ الأسودُ يمرحُ فوق جبينٍ شـــاعرْ
وعذارى الزنج لعبْن على مراةِ غديرْ
وتأوّهت الأسرارُ تذيعُ شكاةَ الشوق الساحِرْ
السعَفُ الأخضرُ يلثمُ خفْقَ البلح الناضرْ
عسل توقدُه الشمسُ يذوِّبها بدرٌ نوبيٌّ عاصرْ
ونذوق سرورَ الخلق وسرَّ اللهِ القـــادرْ
ويورِّدُ همسَ حبيبى همسُ هوايْ

وذراعٌ دارَ عليه سُوارْ
صبحٌ مازجه يتألّقُ من شيبونَ أصيلْ
والمصحفُ والتعويذةُ والمسحورُ الساحرْ
وهوايَ غَريرْ
وحقيبتها عشٌ يتفتح تحت أصابِعِها ويَسقِسِق حَلىٌ عاطرْ
وتجوسُ يَدي فيها وتعودُ بحرقة حبِّى الزاهرْ
وتزر حقيبتُها شفتين يضمهما الكِتْمانْ
ورأنا بحرُ النيل نحبّ ولا نختارْ

الشمس تغيبُ ستارٌ يكشف منا ما كنا نخفيهْ
جمرٌ يتوهَّجُ فى أنفاسِ الليلْ،
خشينا منـــه وبادرنا نطفيهْ
وأعود أجر ظلالَ الليلِ واسمعُ نَقْر عَصَـــايْ
الورقُ اليابسُ حول خطايَ حفيفُ سرابْ



# وجهان في الزحام

فصل من كتاب يصدر قريباً بعنوان « حوار فى الحزن البارد » ..

بقلم : عبد الله جفري

## الوجه الأول

● ● تبدل وجهه الحقيقى ...

تلك الابتسامة الصافية المقبلة على الحياة والأحياء .. تنغمر كل يوم فى مزيد من الارهاق ، واللهاث والضنا !

ذلك الوجه المعبر عن قيمة العمر فى عمق الوشائج بين الناس ، وفى صدق الشعور لهم ومنهم .. يبدو الآن وجهاً مكفهراً .. أملس النظرة .. باهت الصدى . ردود الفعل فى الصدى غريبة عن الأفعال !!

كان يبدو كمن يتجرع شراباً مراً ، ولكنه مضطر الى تجرعة لئلا يقتله العطش .

كان يشعر ان حصيلة تجربته مع من حوله من الناس تقنعه بالانسحاب وحده بعيداً .. لعله بذلك يقدر على استرجاع وجهه الحقيقى ، وينجح فى استعادة التعبير الى وجهه .. حتى اذا مات يوماً ما .. وجد الناس وجهاً حقيقياً أفلت من التنكر والتلون !!

ولكن .. حتى الموت لا يعرف موعده ، تماماً مثلما الصدق الذى أصبحنا لا نعرف موعد ظهوره على وجوه بعض الناس !

فاما ان « تعايش » وجوه الناس المتقلبة سحناتها أناء الليل واطراف النهار .. واما ان تعتزل الحركة فى وسطهم .

وهو يصمت فى هذه المعاناة . ويتردد ان يحاور احداً ، فلا شىء أصبح يعطيه للاخرين الا هذه النظرة الملساء التى تزحلق كل المرئيات ، وتدفن كل المحسوسات فى أعماق نفسه .

وانقضى وقت طويل .. كان لايفتأ وهو يصرمه ان يلتزم البكم المتكلم فى صمته ، ويقابل الكثير من القذائف الموجهة الى ابتسامته القديمة ووجهه المضطرب بالصبر والتبرير ان استطاع ..

كان يحاول فى كل مرة ان يستخلص من معايشته وتامله كل الأعذار لهذا السياج البشرى المتلون الصاخب . السارق والمسروق .. يقرح نفسه .. يحملها ، وينوء داخله بذلك الضنى المعذب !

ذات مرة .. حرك وجهه المستغرق فى تامل البحر امامه وجادت نفسه :

– يبدو لي انك تحمل الحياة أكثر من ظروف كل عصر من عصورها ، وتطلب من الناس فيها أكثر من طبائعهم وأنانية رغائبهم ومصالحهم ، واذا صعدت ذلك فى نفسك فلا شك انك ستموت مبكراً ولا احد يدرى بك ؟!

ولم يزل وجهه يغذ المسير على صفحة البحر .. وجاء صوته واهنا يقول .. يرد على نفسه :

– هل تعرف .. إننى أستغرب لهؤلاء الذين يفكرون فى الانتحار أو يفعلونه ، فلاداعى لذلك أبداً .. أو ليست الحياة بشكل هذا العصر الذى نعيشه هى الانتحار ؟! .. ولكنه انتحار بطىء لا يستطيع كل واحد ان يحتمل سلحفائيته !

– ولكن ... لابد أن تعرف أيضاً أن الذين فكروا فى الانتحار ليسوا هم أكثر الناس .. إنهم قلة يئست من الأمل ، وفقدت الثقة فى قدرتها هى على تغيير ظروف الحياة ، وحتى الذين فعلوا الانتحار ماذا جنوا .. ماذا حققوا بتعبيرهم العنيف هذا عن رفض بعض ظروف الحياة ؟! .. لا شىء ، فالمثل الشعبى يقول : ( كلام الناس ثلاثة أيام ) . وبعد ذلك ينسى الناس ، أو انهم قد انشغلوا فى رغائبهم وطموحهم ومشاكلهم !

– ( اعرف ذلك .. ولكن فعلهم يحقق الصدمة المفاجئة والعنيفة فى نفوس الناس الذين لابد ان يتساءلوا : لماذا اقدم فلان على ذلك ، واذا تراكمت الصدمات فعلت التغيير فى نفوس الناس . ولو جاء هذا الفعل متأخراً ، وفى عصر آخر ) .

– دعنى أناقش معك فعلا واحداً من أساليب التغيير فى نفوس الناس .. مثلا : الفتاة التى احرقت نفسها فى الساحة العامة امام الناس احتجاجاً على شيء ترفضه .. كانت شابة جميلة ناضجة مرغوبة من كثير .. هل بامكانها عن طريق احراق نفسها ان تحقق ما تريده لغيرها ؟! .. اجزم لك ان الكثير قد مط بوزه شبرين استهجانا بفعلتها ، وقال : لم تفقد الا نفسها لماذا ؟ ... لأنه لا احد يقدر ان يغير الآن كل الذى يسرق الناس من صدقهم ، ومن عواطفهم ، ومن عقولهم أيضاً .. فالسارق لهذه الجواهر فى النفس الانسانية هو أكثر بشاعة وقوة وقدرة .. ان السارق هو العنف ، والماديات ، والنظرة الى الحياة على انها قيمة مال وليست قيمة معنى وروح !!

– ( نستطيع ان نعثر على وجه الحياة الحقيقى رغم كل ما وصفت .. ففى المقابل لهذه الصورة .. تجد هناك شعوباً تكافح المرض والجوع والأوبئة .. وتجد شعوباً تتصدى لقوة المستعمر والطامع . وتجد شعوباً تحترم الحياة فتاخذ من ثروات أرضها لتطور حياتها . واحسب ان خطط التنمية – نظام اقتصادى حديث تنفذه اذن بعض الدول – يحرص على التطور والحياة فلا أحد يرضى ان يموت فى وقت مبكر ، والا فقد كان من الممكن ان يذوب الشعب الفلسطينى فى فترة ما من فترات التاريخ .. عندما عرف ان سارق أرضه « الصهيونية » تدعمه القوى الكبرى فى العالم ، وتمده باحدث واخطر الأسلحة ، وان «الصهيونية» قد نجحت تماماً فى تمزيق الشعب الفلسطينى إرباً . وقذف تلك المزق فى كل انحاء العالم ، فكيف يجتمع الفلسطينيون من جديد ، وكيف يقومون من موتهم احياء أشداء ، وكيف عرف العالم كله اليوم ان فلسطين الحقيقية سرقها اليهود . وطمسوا معالمها ، واحـرقوا فيها المسجد الأقصى ، وبغوا ؟! .. ولو ان الشعب الفلسطينى عمد الى اسلوب تلك الفتاة التى أحرقت نفسها .. فأحرق نفسه هو الآخر لاستراحت اسرائيل ونعمت بالأمن المسروق لأنه لا احد يطالبها بعد ذلك ، ولذلك فهى تحاول الآن ان تنسف الكيان الجديد للفلسطينيين وتحرقه بأساليب متعددة .. ابرزها العدوان ، والحروب ، وملاحقة الفدائيين : فوق أرض لبنان ، والأردن وسوريا ، وحاولت ان تكسب ايضاً جبهة مهمة من جبهات النضال والمقاومة ضدها فتوقع معاهدة سلام لتضمن حياد هذه الجبهة ) .

– لكننا لم نزل فى مواجهة كثير من غيبيات مصير الانسان ، وذلك الكثير لاشك انه يحمل النذر ، ومازال انسان هذا العصر فى انسياق وراء ماديات الحياة ، ومشاكله الذاتية ينسى وجدانه ، ويتناسى روحه وأعماقه .. يسدر فى متاهات يفرح بعطائها المؤقت ولا ينظر الى المستقبل ، ان الكثير من الناس اليوم لا يبوح ولكنه يصرخ ، أو يبكى ، أو يقهقه حتى ينقطع نفسه ، فمن يفكـر فى « البوح » .. من يحترمه ، ومن يفكر فى الراحة النفسية قبل التفكير فى رغائبه واحتياجاته المادية .. من هو الذى يصدق الآن مع نفسه ليقدر ان يصدق مع الناس ؟!

– ( لا تسخط على كل شيء .. فالسخط عقاب المتوترين ، والتوتر لم يكن يوماً دلالة على التفكير ، أو مخاضاً لفكرة . لا تدع عصرك يعقدك ، ولكن عليك ان تحاول فك عقد عصرك بالاقبال على الحياة بتفاؤل ، والخير لا يمكن ان ينتهى ابداً .. حتى لو وجدته فى صدر ناسك متعبد على رأس جبل فهذا خير مازال موجوداً ، ويستطيع ان يبلغ الناس .

ان مشكلتك انك اعتقدت ان « الثقة » يستأهلها كل الناس ، وعليك قبل كل شيء ان تزرع الثقة فى نفسك .

وبدمعة تنحدر على وجنتيه ساخنة :

– دعنى ابكى قليلا ، فهذا بوح يعز الآن على كثير من الناس ممن جفت فى مآقيه الدموع !

– هل فكرت الآن لماذا أنت تبكى ، وهل تبكى على اناس لا يحسون بك ، أم تبكى من أجل أناس تحس بهم ؟!

– ان من نبكى لأجلهم .. هم قيمة لا تهون فى خلجاتنا وافئدتنا ، والدموع لا تسح من عيوننا بدوافع تفاهاتنا ، ومن أجل سقط الأيام .. ان الدموع أغلى ما فى الانسان ، وعندما جفت فى ماقى البعض قلت لك ان هذا نذير يفقدنا لاصالة الانسان وجوهره !

– احياناً .. تجد الناس يظلمون بدافع الانصاف .. مثلما البعض يظلم بدافع الحب لنفسه .

– ودمعى امام من أحب ؟!

– ليس شرطاً ان تكون دموعنا امام من نحب ، ولكن من الضرورى ان تكون دموعنا من أجل من نحب .. انها تنصفك فى اعماقهم الدفينة ، وستجلو نظرتك للناس أكثر ، فلا ترى الا الصفاء .. مهما كانت المسافة بعيدة

– وهذا العالم من حولى .. انه يصيبنى بالتوتر ، وبالخوف ، وبفقدان الثقة فى الحب !

– مرة قال – توم بين – : ان العالم قريتى وكان يعاني الكثير من الحرب الأهلية ، ومن اغنياء الحرب ، ومن جهل الذين لم يبلغ نور العلم الى عقولهم وافئدتهم ، ثم اصبحت قريته كبيرة : كرة أرضية ، وحل السلام ، ثم اندلعت حروب كثيرة ، وعاد السلام ثانية ، وظهرت امراض وأوبئة ، واكتشفت مضادات لعلاج تلك الأمراض ولافساد تلك الأوبئة ، وظهرت امراض أخطر يحاول العلماء والاطباء القضاء عليها .. وهكذا الحياة بكل ما فيها من متناقضات أما الذى لم يتغير لأنه الأصيل والأصل لعمار هذا الكون ، فارفع رأسك اليه .. ترى السماء الرحبة الصافية ..



# وجهان في الزحام

## الوجه الثاني

ترى زخات المطر تغسل الأرض ، وتسقى التربة وتغذى الزرع . ترى الشمس فى دورانها المعهود .. ترى القمر فى جماله وبهائه ، وعندما ترفع رأسك الى السماء وترى كل ذلك .. فتأكد ان هذه هى الحياة الحقيقية .. لأنك بذلك ترى الايمان وتحسه !

* * *

●● لم تبلغ به الحيرة مثل ذلك العنف الذى مار فى داخله ، بل كانت اضخم حيرة مرهقة تفوق ما عاناه « أرثر ميللر » فوق صفيح ساخن عندما كان يقدم على تجربة جديدة ، وكل تجربة فى بدايتها تبدو غامضة ، أو ان الانسان لا يحاول الالتفاف حولها لئلا يفقد مفاجاتها .. مهما كانت تلك المفاجاة !

كانت أمامه تجربة جديدة ، وكانت تتنازعه نوازع مختلفة تشده من كل جوانبه ان التجارب لا تضيع فى قفلتها .. لا تجعل أصحابها يقولون : ليتنا لم نفعل ، فكل تجربة لابد انها تعطى انفتاحاً جديداً على معرفة وجه من وجوه الحياة ، ومن وجوه الادراك ، ومن وجوه الناس ، وتخضع زمن الشخص منا للمقياس الذى تضعه مجموعة التجارب تلك !!

كان يصغى الى كل الحيرة فيه ، لكنه يود تمزيقها ليرتاح .. حتى لو كانت راحة البلهاء أو المجانين .

ولكنه كان يقول : ان هذه تجربة قاسية قاتمة ، ويتمنى ان يزيحها قبل استفحال اسبابها وتفاصيلها ، فهو ـ فى معرفة الناس له ـ قد كان انساناً « وجدانياً » .. لا يقحم نفسه فى أمور الناس ، ولا يتطلع الى محاكاتهم فى أمر من أمور ركضهم السريع اللاهث .. انه شىء قانع رغم ان النفس تامره احياناً ان يندس فى زحام الناس ويفعل ما يراد منهم !

وهو ليس مسالماً الى درجة متناهية ، فهذه الصفة لا تنطبق عليه تماماً .. بقدر ما هو ينجذب الى طبيعة الانسان الذى يقول لك فى كل فكرة وعمل وموضوع :

ـ خلينا بعيد ... بعيد اسلم !

لكن انفه مشكلة .. ان له أنفاً يتورم كل يوم .. يكاد لا يرى غير أنفه !

واحساسه بالتجربة القادمة دفعه ان يحاول القضاء على الحيرة التى عنكبت فى داخله ، فاذا تخلص من الحيرة ـ يقول هو ـ تمكنت ان افكر ، واذا فكرت لابد ان اصل الى حلول ونتائج !

ولكن ... ما هى حيرته ؟!

ثم .. ما هى تجربته ؟!

واين وصلت به النتائج ؟!

اما حيرته .. فقد لا تختلف كثيراً عن كل ما يعانيه الآخرون فى حياتهم العادية ، والتى لابد ان تربط وثاقها جيداً بالمستقبل . فلديه مشاكل تغرق فى نفسه حتى تتحول الى حيرة ، ويفكر فيها الى درجة الصداع .

يحتار كثيراً : كيف يستطيع ان يوفر مبلغاً كبيراً من مرتب ضئيل وتافه .. لتاكل امه ، وهو ، واخته التى تصغره بعامين ، ويحيا فى المتوسط كما أغلب الناس ؟!

يحتار كثيراً : كيف يجمع من مرتبه الضئيل ذاك مبلغاً يرضى به الرجل الذى سيختار ابنته زوجة له ، وهو جاد فى فكرة الزواج لأنه يرتاح كثيراً كلما مرت شهور واكتشف انه مازال هو ذلك الشاب المستقيم ومن الضرورى ان يدعم تلك الاستقامة بزوجة تغنيه عن لحظة السقوط فى المحظور فمن اين له المهر ، وتكاليف الشبكة ، والزفاف وتاثيث البيت ؟!

يحتار كثيراً : كيف يسلك الطريق الذى سلكه من قبله من اصبحت لديه أرض ، وفيلا ، وديكور فى الفيلا ، ثم توفير وتحصيل وانماء حتى يصبح صاحب ثروة ؟!

اما تجربته القادمة .. فيسأل نفسه : هل استطيع ؟!

لقد كان له سعي يوماً ما .. عندما استطاع فى موسم الحج قبل عامين ان يأخذ اجازة من عمله الحكومى ، ويعمل سائقاً لأحد اتوبيسات نقل الحجاج ، ويعمل ايضاً ما يمكنه منه الوقت فى خدمة الحجاج ، ووجد بعد الحج انه جمع مالا لا بأس به .. وبذلك المال الذى وفره من سهر الليل ، والركض تحت الشمس وفى الصحراء استطاع ان يشترى له قطعة أرض صغيرة .. وراح يجرى الى صندوق التنمية ليحقق ما كان جزءاً من حيرته ، وهو فى هذا السعى لبناء الفيلا حاول ان يقترض من الآخرين ليبنى حلمه ، وتراكمت عليه الديون .

فى البيت .. أمه تملأ اذنيه بصوتها :

ـ يا ولدى .. لقد آن لك ان تتزوج !

ـ يقول لها : ولكن .. ليس قبل ان تتزوج اختى !

ـ قالت اخته : هل انا عبء عليك ؟!

ـ قال : لا تقولى ذلك .. مستقبلك مع زوج يحبك ويرعاك .. ثم اننى لا احب رؤية البنات فى سن عانس !

ـ قالت امه : لا عليك .. اذا جاء نصيبها فلن يستأذننا !

( ترتعش قدماه .. يدق قلبه .. يتصلب جفنا عينيه )

ـ حقاً يا ولدى .. ما اجمل ان تكون بجانبك زوجة وفية مؤنسة مريحة !

حقاً يا ولدى .. الفلوس تجيب الفلوس ، وديونك ستسددها وستنعم بحياة حلوة !

وانتهى بناء الفيلا .. فجاء الى أمه يقول :

ـ احتفلوا الليلة .. اطبخى لنا خروفاً يا أمى فلقد انتهت الفيلا !

ـ قالت أمه : ألف مبروك .. فمتى سنسكنها يا ولدى ؟!

ـ قال نسكنها ؟! ... انني عرضتها للايجار ، ويمكن للبيع اذا جاءتنى فيها بضعة ملايين !

ـ قالت امه : وهل نبقى فى هذا الجحر يا ولدى .. وما قيمة ما فعلت ؟!

ـ قال : هل جننتم .. لابد أن أسدد ما تبقى من ديونى !

ـ قالت اخته : ولكنك تسلمت بقية المبلغ من صندوق التنمية ؟!

ـ قال : سددت به بعض ديون البناء ، وبقى الآن أن اكون ثروة ، فاذا اجرتها بمبلغ كبير شريت بذلك المبلغ قطعة أرض ، واذا بعتها شريت فيلا أكبر ، أو عمارة !

ـ قالت الأم : يا ولدى .. انك ستتزوج ، والبيت لا يكفى لك ولزوجتك ، ولى ولأختك !

ـ قال ساخراً : أتزوج ؟! .. لا .. هذا شىء مبكر الآن !

ـ قالت اخته : واين تلك الفرحة التى رأيتها فى عينيك قبل شهور ، واين احلامك فى الاستقرار ، ودقات قلبك التى قلت تصفها كأنها دقات « بيج بن » ؟!!

ـ قال : لا تكثرى من الكلام من فضلك .. اذهبى الآن وجهزى لي ملابسى فى حقيبة ، وسأنزل ..

عبد الله جفري ـ جدة

# ذكريات

بقلم: جورج خوري

## من اطرف الذكريات المدرسية أربع نوادر حدثت ونحن فى الصفوف الثانوية فى فلسطين

### ● ذهب الذين أحبهم

كنا مرة فى صف مختلط ، حضر استاذ الخط العربي وطلب من الجميع إعداد أوراق للخط ، وكان من عادته ان يكتب بيتاً من الشعر على اللوح الأسود لينسخه الطلاب بخط جميل ، حسب طلبه ، عشر مرات .

اتفقت الفتيات وقتها على الاضراب ، فما كان من الأستاذ إلا أن أخرجهن من الصف وتوجه غاضباً الى اللوح ليكتب بيت الشعر المطلوب نسخه ، ومن بين مئات الالوف من الأبيات الشعرية التى يزخر بها أدبنا العربى لم يخطر بباله الا البيت الجاهلى المعروف :

ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فرداً

فما كان من أحد الطلاب الخبثاء الا ان قال: « ولكنك ، يا استاذ ، انت الذى اخرجتهن »

### ● هذا النشاط غير المتوقع !

كانت معلمة اللغة الانكليزية بريطانية الجنسية ولم تكن تعرف حرفاً واحداً من العربية ، وكانت الأشعار الانكليزية التى تطلب من الطلاب حفظها ليست سهلة بطبيعة الحال لجميع الطلاب .. ظلت المعلمة تتذمر من كسل الطلاب وعدم اهتمامهم ، حتى خطر لأحدهم أن يكتب الشعر المطلوب باللفظ العربى على اللوح قبل دخولها ، وهكذا كان الطلاب يقرأونه بالعربية ويلقونه بلغة شيلي وبايروك وشيكسبير ، سرت المعلمة كثيراً لهذا النشاط غير المتوقع والذكاء الفائق الى ان لفت أحد الطلاب نظرها الى أن الكتابة العربية على اللوح ليست لدرس اللغة العربية بل من الوسائل المساعدة لحفظ الاشعار الانكليزية ، وبعدها أصبح اهتمام طلابها أكثر تركيزاً على اشعار المتنبى وابى تمام من اشعار بنى قومها المستعمرين !

### سريع الغضب .. فى رقة شديدة

الطلاب يتصرفون كأطفال فى كل زمان ، وبالطبع فان الهواية الأولى لمعظمهم ، ورغم إحصاءات اليونيسكو وغيرها التى تقول عكس ذلك ، هى إغاظة المعلم .. ولاشك انهم ينجحون فى هذا المجال أكثر من نجاحهم فى أى من النشاطات الأخرى ، سواء كانت منهجية أو غير منهجية .

كان أحد معلمينا لبنانياً متمكناً من موضوعه ، ولكنه سريع الغضب ، وسرعة غضب الأستاذ ، كما يعلم الجميع ، من الصفات المحببة للطلاب ، اذ تساعدهم على ممارسة هوايتهم المفضلة ، المذكورة أعلاه .

كان الأستاذ المذكور كثير الحياء والأدب ولكنه عندما يستشيط غيظاً من العفاريت الذين يحتلون معظم مقاعد الصف متنكرين كطلاب يقول بلهجته اللبنانية المحببة :

لا تؤاخذوني ، يحرقبيكم ( أى لعن الله أباءكم ) .

بالطبع كان الطلاب يتقبلون تلك اللعنة بصدور رحبه ، لأنها مسبوقة بعبارة اعتذار رقيقة !



### ● مطلوب معاقبة المدير

كانت المدرسة تضم طلاباً داخليين الى جانب طلابها الخارجيين ، وكانت محاطة ببساتين تحتوي على مختلف أنواع أشجار الفاكهة اللذيذة . مما يشجع الطلاب ، رغم ولعهم بالعلم ، ان يتسللوا زرافات ووحدانا الى تلك البساتين ليقطفوا ما لذ وطاب من ثمارها الشهية .

وبالطبع كان ذلك مخالفاً لنصوص إتفاقيات حسن الجوار وعدم الاعتداء على أملاك الغير ، ولكن اتفاقيات كهذه ليست إلا حبراً على ورق كما يعلم كل من يقرأ الصحف ويستمع للراديو.

كانت ساعة التسلل المفضلة هى فسحة تناول الغذاء عندما يتوجه جميع المعلمين والطلبة الداخليين لتناول طعامهم فى عمارة تبعد عن بناية المدرسة حوالى المائتى متر .

صمم الشيخ الوقور صاحب أكثر البساتين تعرضاً للهجوم ان يلقى القبض على أولئك المعتدين لتقديم شكوى رسمية ضدهم إلى إدارة المدرسة مدعومة بالمستندات الرسمية ، طالباً تطبيق العقوبات المعروفة فى هذا الشأن .

ما كادوا يجتازون الحدود قليلا ويبدأون بممارسة عمليات جني الثمار المحرمة حتى انطلق الشيخ من مكمنه محاولا اللحاق بهم والقبض على احدهم على الأقل ، ولكن دون جدوى اذ ان دروس الرياضة البدنية ساعدتهم على ، اتقان رياضة الركض .

تقدم منه أحد الطلاب المحايدين مطيباً خاطره وقائلا انه سيكتب له اسماء جميع أولئك الجناة لينالوا عقابهم العادل عند عودة المدير ، سر الشيخ بذلك وامسك بالقائمة منتظرا عودة المدير بفارغ الصبر .

عندما عاد المدير ، أسرع صاحب البستان نحوه مطالباً بانزال كافة العقوبات بحق المعتدين وناوله قائمة بأسمائهم ، فما كان من المدير الا ان انفجر ضاحكا عندما قرأها فقد كان اسمه يتصدر قائمة تضم بقية اعضاء الهيئة التدريسية .

# التـــاريـــخ هـــذا الفضـولي المزعـــج !

بقلم : الدكتور . عبدالسلام العجيلي

كنا نتحدث عن المناهج المدرسية واختلافها بين بلد وآخر ، فقلت لصاحبي :

فى فرنسا ،وفى نهاية عام دراسى فائت ، نال فتى عمره ثلاثة عشر عاماً وبضعة شهور شهادة البكالوريا بتفوق . لم يتابع هذا الفتى ، بل هذا الطفل ، دروسه فى مدرسة عادية بل تلقاها فى البيت ، على يدى أمه . وتقول هذه الأم ان طفلها لا يتميز عن غيره من لداته الأطفال بمواهب عقلية خارقة وان ذكاءه لا يتجاوز الحد المألوف . ولكن أم هذا الفتى ، وهى تعمل مدرسة للفلسفة ، اتبعت فى تدريس ابنها اسلوباً خاصاً . فقد حذفت من برنامج دراسته كل فضول العلم وزيادات الدروس التى لا تدخل فى صميم حاجته الى المعرفة . وبهذا ، وبدون جهد خارق أو دراسة فوق العادة ، استطاعت ان تضمن لابنها نجاحاً متفوقاً فى البكالوريا فى هذا السن المبكر. وما الذى الغته هذه الأم ، مدرسة الفلسفة ، من برنامج دروس ابنها ؟ لقد لفت نظري قولها بأنها الغت ، أول ما الغت ، دروس التاريخ . فان ذلك الصبى لم يتلق درساً واحداً فى هذا العلم ولم يحل ذلك دون نجاحه الباهر !

حدثنى صاحبى بكل هذا فهتف قائلا : ــ ما اجمل هذا ! اذن من الممكن ان نلغى التاريخ من دروسنا ، ومن معارفنا ، ومن ثقافتنا العامة ، دون ان يقف ذلك عثرة فى طريق النجاح . بل انه بالعكس ، كما يتبين مما رويته لى ، يبدو ان هذا الالغاء يخفف العبء عن مداركنا ، فندرك به النجاح بسرعة ... قبل أربعة أعوام أو خمسة ، من الموعد الذى الفنا فيه ان نصل الى غايتنا ، اذا كانت غايتنا هى البكالوريا مثلا !

وسكت صاحبى قليلا ثم اضاف : ــ تلك فكرة رائعة . فماذا لو ناقشناها ، وبحثنا عن ميزان الخسارة والكسب فى تعلم التاريخ أو تجاهله ؟؟

## ماذا نكسب ؟

قلت انا : ــ لاشك فى ان أول مكاسبنا من الغاء التاريخ من تعليمنا ومن ثقافتنا هى المكاسب المكانية . تصور مثلا عدد الرفوف التى تخلو فى كل مكتبة من المكاتب العامة وفى مخازن بيع الكتب اذا القينا فى المحرقة ، او فى البحر ، كل ما كتبه المؤرخون وكل سير القادة والأبطال ، وكل كتب المذكرات ، وكل مجلدات الأرشيف ..

قال صاحبى : ــ والقصص والروايات اليست فى حقيقتها تاريخاً لعوالم وهمية وانها تحتل مئات الألوف من الرفوف بغير حق ؟

فاضفت انا : ــ والمؤرخون ، اولئك الذين مزقوا طبلات اذاننا بقولهم المتكرر « التاريخ يعيد نفسه ! » . انه قول غير صادق . فالتاريخ يمضي الى غير عودة ، وهو لا يعيد نفسه ابداً ، اذن فالى المحرقة بهم ، وليتركوا اماكنهم الى اناس اكثر فتوة وأكثر ضرورة للمجتمع ..

قال صاحبى : ــ اتدرى اننا لو فعلنا كل هذا ، اعنى لو اننا القينا فى المحرقة أو الى البحر بكتب التاريخ ، وبالروايات والقصص بأنواعها ، وبالمؤرخين واساتذة التاريخ ، فان ذلك يجعلنا أكثر انسجاماً فى ثقافتنا مع سير الفكر الانسانى فى تاريخه العصرى ؟ ان فكر اليوم فكر يتطلع الى المستقبل ليبني ، وليس لديه وقت يدير رأسه فيه الى الوراء ليتأمل ويذكر ويجتر . فاكتشاف العوالم المجهولة ، والسفر الى الكواكب السيارة والنجوم النائية ، وقهر الجراثيم ومعرفة اسرار الأمراض المستعصية ، كل تلك أمور تجرى فى المستقبل . أما الماضى الذى يدرسه التاريخ فما هو الا صخرة معلقة فى رقاب الباحثين أو المكتشفين أو المغامرين .

لذا فان اسقاط التاريخ من حساب علومنا العصرية هو اسقاط ثقل عن كاهل العلماء وتحقيق انسجام بين اعمالهم




وافكارهم ..

وهكذا مضينا ، انا وصاحبى ، نعدد المكاسب التى تجنى من اسقاط التاريخ من ثقافة الناس ومن حياتهم . واتفقنا على ان اخلاق المجتمع جديرة بأن تربح من هذا الاسقاط ، وضربنا لذلك مثلا ظاهرة التغلب فى الآراء والتذبذب بين الأحزاب والهتاف للزعماء فى يوم ثم رجم هؤلاء الزعماء أنفسهم بالحجارة فى اليوم التالى . فان هذه الظاهرة أصبحت خصلة بشرية مألوفة لكثرة اتصاف الناس بها مسوقين بالروح النفعية وبدافع المصلحة الشخصية . وكان يمكن لهذه الخصلة ان تكون امرا طبيعيا لا انتقاد عليه لولا ان التاريخ ، الذى يسجل المفارقات والتناقضات فى سلوك الأفراد والجماعات، ينعت باللااخلاقية ظواهر التقلب والتذبذب . انه يخلق النقمة فى نفوس الذين لا يستطيعون ، لسبب أو لآخر ، ان يتقلبوا أو يتذبذبوا . كما انه ينغص المتذبذبين فى التنعم بالطيبات ، التى يجنونها ثمرة لخصالهم هذه ، بما يثيره منهم من عوامل تبكيت الضمير ومما يرسب فى نفوسهم من العقد الاخلاقية ، دون ان يستطيع ان يغير سلوكهم أو اجتثاث النفعية من نفوسهم . فلنلغ التاريخ نلغ معه تلك النقمة وهذه التنغيصات والعقد ! وليتذبذب الناس حينئذ أحرارا كما يشاؤون ، يعتنقون رأيا اليوم ويسفهونه غدا ، يعبدون موسولينى بالأمس ثم يشنقونه من قدميه اليوم ، يرفعون لستالين اضخم التماثيل ثم يحطمونها ليرفعوا مكانها تماثيل الحرية التى خنقها الطاغية ، يبصقون اليوم على من كانوا يغنون بامجاده الأمس ! .. ليفعلوا ما يشاؤون ، فليس ثمة تاريخ يسجل أو يثير النقاش والتساؤل ..

## وفى الانسانية

واضفت انا قائلا :نستطيع أن نسمى كذلك مكاسب انسانية نستطيع ان نحصل عليها بنفس الطريقة ، اذا لم نعلم أولادنا التاريخ . تأمل فى الحروب التى ابتلى بها البشر منذ خلقوا فى مجتمعات ، هل لها سبب غير التاريخ ؟ ان الله قد خلق الأرض متشابهة الارجاء فى كل أصقاع الدنيا . ولكن التاريخ جاء فقسمها الى أوطان ، واعطى لبعض الشعوب حقوقا فيها ووصم شعوبا أخرى بانها معتدية ومغتصبة ، فنشبت لذلك الحروب وما تزال تنشب . لولا التاريخ اذن لا ستقر المعتدى عليه ما اغتصب منه . الست معى فى ذلك ؟

قال صاحبى : نعم ، لولا التاريخ لانتفت الحروب . اعنى لنسى المظلومون حقهم .. لنسوا ارضهم المغتصبة ونسوا معها شرفهم ومثلهم العليا ، ولقرت عيونهم بأنهم يعيشون فى أمن ودعة !

وسكت صاحبى سكوت المفكر . فقلت له ضحكا :

– اراهن على انك اخذت تتراجع عن تقديرك لقيمة المكاسب التى تحصل عليها البشرية فيما اذا اسقطت التاريخ من مناهج دراسة اجيالها المقبلة ..

قال : ربما كنت على حق . ان اسقاط التاريخ من ثقافة البشر يريحهم ، ولكن راحة الموت . الآن فطنت الى السبب الذى من أجله تحاول بعض الفئات ان تطمس تاريخ شعبها ، أو تتنكر له ، أو تنتقص من جهود اسلافها . ولماذا تزور التاريخ او تدير رؤوس الجماعات عن ماضيها بحجة ان الماضى لا قيمة له . ان التخلص من التاريخ يعنى التخلص من المسؤولية ، من اعبائها ومشاقها . كما يعنى تخلص المرء من مقارنته باسلافه . ومن حقه ان يفعل مثل ما فعلوا ، او خيرا مما فعلوا . فياله من فضولى مزعج هذا التاريخ ! .. ولكننى مع ذلك لن أكون من صف صاحبتك مدرسة الفلسفة . انى افضل لابنى ان يتعلم التاريخ ولو تأخر خمسة أعوام لينال البكالوريا . صحيح ان الحيوانات التى لا تعرف التاريخ تعيش فى دعة وراحة بال ، ولكنى لا أريد لابنى عيشا مثل عيشها .. اني أريد لابني ان يكون إنسانا .

## شخصيات معاصرة من تاريخنا القديم:

# "النَّشْوُ"

## يسعى في الناس بالشرّ ولا ينجو من أذاه أحد!

بقلم جمال الغيطانى

يفصلنا عن شرف الدين عبد الوهاب النشو سبعة قرون هجرية ، مات الرجل منذ زمن بعيد ، ولكنه لازال يسعى بيننا هذا ما تقوله سيرته وأفعاله ، وما تقوله سيرة وأفعال الكثيرين ممن يعيشون حولنا الآن .

والنشو لم يكن بطلا من أبطال التاريخ ، إنما كان رجلا عادياً ، بدأ حياته بخدمة الأمراء فى زمن السلطان الناصر ابن محمد بن قلاوون . كان مستخدماً عند ابن هلال الدولة شاد الدواوين ، وكان يتردد عليه كثيراً ويبالغ فى خدمته ، واستخدمه ابن هلال الدولة فى الأشغال ، وأثناء ذلك تزوج الأمير آنوك ابن السلطان من ابنة الأمير بكتمر الساقى ، وبدأ السلطان يفكر فى شخص يعينه لخدمة ابنه ، ولابد أنه فكر فى النشو ، كان النشو قد وقف بين يديه أكثر من مرة ، وتحدث اليه ، وعندما كان يتكلم الى السلطان كان يركز كل حواسه ، ومواهبه ، حرصاً على أن يترك أثراً ما فى نفس السلطان . فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة هجرية ، التحق النشو بخدمة الأمير آنوك ، وكان هذا أول صعوده ..



أصبح النشو قريباً من السلطان بحكم موقعه الجديد ، وصار يتردد كثيراً على القلعة ، ويخلو الى السلطان ، ويحادثه فى أمور الدولة ، ويبدى الحرص البالغ على أموال السلطان ، ومصالحه . وسير العمل فى الدواوين ، وفى أثناء ابدائه الحرص ، كان يرمى عبارات هنا وهناك فى حديثه فى البداية كان يلفظها بحذر ، ثم لاحظ أن أذنى السلطان مصغيتان اليه ، فزاد من الدس والوقيعة ، وكان مظهره يساعده . إنه طويل القامة ، مليح الوجه ، حلو التقاطيع ، بريء السمات ، أثر كلامه فى نفس السلطان حتى بات مقتنعاً ان النشو بحرصه عليه يمكنه أن يحصل له مالا كثيراً ، فأصدر مرسوماً بأن يتولى النشو نظارة الخاص ، أى يكون مسئولا عن أموال السلطان وممتلكاته . وهذه وظيفة هامة جداً ، ولكن النشو لم يهدأ ، ولم يتوقف ، أخذ يتحدث الى السلطان عن أولاد موظف كبير اسمه التاج اسحق ، راح يحدثه عن الأموال التى جمعوها بالباطل ، وكرههم له ، وكان أحد هذين الولدين قد تولى وظيفته فى نفس اليوم الذى عين فيه النشو ناظراً للخاص ، وهو شرف الدين موسى ، لم يمض إلا عشرين يوماً فقط ، وعمل كلام النشو عمله فى السلطان ، فأصدر مرسوماً بعزل شرف الدين موسى من نظر الجيش ، وأمر بالقبض عليه ، وعلى شقيقته ، ومصادرة ثروتهما ، وكان أسلوب السلطان الناصر قلاوون غريباً فى ضرب موظفيه



لقد استدعى ابن هلال الدولة ، وأسر اليه أن يمضى ليحاصر بيوت أولاد التاج اسحق بمجرد دخول الأمراء البلاط ، وبالفعل دخل الأمراء وكبار موظفى الدولة ـ وبينهم شرف الدين موسى ـ الى السلطان ، عندئذ التفت السلطان الى القضاة وأخذ فى الثناء على شرف الدين ، وقال فى آخر كلامه :

« أنا رأيت هذا وعملته كاتبى » .

فى هذه اللحظة بالذات كان الجنود يحيطون ببيته ، وبيت شقيقه ، وعندما خرج من البلاط ، واتجه الى مقر وظيفته ، كانت العيون تحيطه بالرهبة ، ألم يثن عليه السلطان علناً ، ولكنه ما إن جلس بديوان الجيش حتى بلغه أن الحوطة قد وقعت على بيته ، وان رسل الديوان على باب الجيش ، وبلغ الخبر أيضاً الى أخيه علم الدين .

وفى العصر صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة (كشوف جرد المحتويات) وهى تشتمل على أشياء كثيرة جداً ، منها على سبيل المثال ، أربعمائة سروال لزوجة علم الدين . أمر السلطان بتسليم الأخوين الى ابن هلال الدولة للتحقيق معهما ، والتوصل الى الثروات المخفية ، وأحضرت آلات التعذيب ، من أسواط ، ومعاصير وسئل موسى عن صندوق ذكر انه أخذه من تركة أبيه ، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة ألف دينار ، وكان النشو قد أفضى الى السلطان بوجود هذا الصندوق . فأنكر موسى ذلك ، واقسم الأيمان المغلظة ، فرق له ابن هلال الدولة ولم يعذبه ، وهنا استنكر النشو ذلك ، وأخذ على ابن هلال الدولة هذه الرقة ، مع أن الرجل هو أول من استخدمه ، وهو ولى نعمته ، واضطر ابن هلال الدولة الى التضييق على موسى ، لينتزع منه كل ما لديه . إن النشو الآن لا يقيم وزناً لابن هلال الدولة ، إنه يتحدث الى السلطان رأساً ، والكلام يخرج من فمه الى أذنى السلطان رأساً ، كما أنه لم يكن يدع فرصة إلا ويظهر فيها إخلاصه وولاءه عند عودة السلطان من الحج ، تولى النشو الاشراف على مظاهر الاحتفال ، خرج الناس للقاء الناصر ، وغلقت الدكاكين والأسواق ، وجمع النشو من الأمراء الأبسطة ، والمنسوجات الحريرية الثمينة المشغولة بالذهب ، وبسطها فوق الأرض أمام القلعة ، وحتى مقعد السلطان .

وتمضى الأيام ، ونفوذ النشو يقوى ، ويتزايد ، يقول المقريزى فى كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك :

«وفى هذا الشهر كثرت مصادرات النشو للناس ، فاقام من شهد على التاج اسحق أنه تسلم من المكين الترجمان صندوقاً فيه ذهب وزمرد وجوهر مثمن ، فرسم لابن الحسنى بعقوبة موسى بن التاج اسحق حتى يحضر الصندوق ، وطلب النشو ولاة الأعمال وألزمهم بحمل المال ، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبع مواشى ابن التاج اسحق ، فقدم قنغلى والى البهنسا ، وقشتمر والى الغربية وفخر الدين إياس

# النشــــو..
## يســعى في النـاس بالشـر ولا ينـجـو من أذاه أحـد !

متولي المنوفية ، وعدة من المباشرين فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال ..

كان النشو اذا اضطهد شخصاً فانه يتتبعه حتى يدمره تماماً ، ويتتبع اى انسان يمت اليه .. هكذا فعل مع موسى بن التاج اسحق .

### ● يستعين بالأشخاص ذوى السمعة السيئة والأشرار

بدأ النشو يعتمد على أقاربه ، وأرسل أخاه واسمه المخلص الى الصعيد فى مهمة ، عاد منها ليقدم اليه تقريراً عن ثروات مباشرى الوجه القبلى ، وطلع النشو الى السلطان ، راح يغريه بهم جميعاً ، ويتحدث عن إتلافهم مال السلطان ، وهنا صدر مرسوم بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى ، واعتقالهم ، وطلب النشو تجار القاهرة ومصر ، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمتها ، كان يبيع بضائع السلطان بأسعار مرتفعة جداً ، وهكذا يحصل له على أموال طائلة ، فى الوقت الذى بدأ هو بتكوين ثروته ولكن فى حذر شديد .

وكان السلطان الناصر يصدر أحياناً بعض المراسيم التى تتسم بالخير ، وهكذا أصدر مرسوماً بمسامحة الأمراء فى الأموال المدينين بها للديوان . ولكن النشو لم ينفذ هذا المرسوم ، والزم مباشرى الأمراء بتسديد هذه الأموال وركب الى السلطان ، وأوضح له قيمة الأموال التى يمكن أن تضيع نتيجة لهذه المسامحة ، وان مال السلطان يضيع ويتبدد ، وان الدواوين تسرق بحجة مسامحة الأمراء .وتأثر السلطان بما سمعه ، ومكن النشو من عمل ما يختاره . وألا يسامح أحداً بشىء مما عليه للديوان . وشق ذلك على بعض الأمراء ، فراجع الأمير قوصون السلطان ، ولكنه لم يجبه الى شىء . عندئذ كف الأمراء عن السؤال . وعظم النشو فى أعين الناس .

واستعان النشو بالأشخاص ذوى السمعة السيئة . استدعى الشمس بن الأزرق وكان ظلوماً غشوماً ، فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار ، وفرض عليهم قماشاً بثلاثة أمثال قيمته .

يقول المقريزى :

«وعمت مضرة النشو الناس جميعاً . وانتهى اليه عدة من الأشرار ، ونموا على الكافة من أهل الوجه القبلى والوجه البحرى ، ودلوه على من عنده شىء من الجوارى المولدات لشغف السلطان بهن ، فحملت اليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن . وسعوا عنده بأرباب الأموال أيضاً . فدهى الناس منه بلاء عظيم» ..

وبين الحين والآخر ، كان كبار رجال الدولة يفضون بشكواهم الى السلطان ، ولكنه كان ينهرهم ، ويبدى الثقة بالنشو ، وأذن له فى عمل ما يختاره ، وأن يتصرف فى أمور الدولة كما يشاء وألا يبالى بأحد ، ووعده بتقوية يده ، وتمكينه ، ومنع من يعارضه . بل ان السلطان استدعى اخوة النشو وأقاربه ، وعينهم عند كبار الأمراء ، فجعل المخلص أخ النشو مباشراً عند الأمير سيف الدين الناق ، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجازى ، واستخدم صهره ولى الدولة عند الأمير ارغون شاه ، وخلع عليهم .

انبسطت يد النشو ، واشتدت وطأته ، واستدار ليضرب أول شخص أحسن اليه ، وكان بداية صعوده ، التفت الى ابن هلال الدولة نفسه .

### ● ابن هلال الدولة يلزم بيته بتدبير من النشو

أخذ النشو فى التدبير على ابن هلال الدولة . رتب عليه أنه أخذ من مال السلطان جملة ، وأنه أهمل فى المحافظة على أمور السلطان ، وأنه بسببه ضاع مال كثير . وانتدب لتحقيق ذلك ثلاثة . أمين الدولة بن قرموط المستوفى ، والشمس بن الأزرق ناظر الجهات ، وشخص ثالث اسمه لؤلؤ الحلبى . وحدد يوم للمواجهة . بالطبع رتب النشو كل كبيرة وصغيرة . انعقد المجلس فى القلعة . وفى البداية برز قرموط وواجه ابن هلال الدولة بانه أهمل الأمور ، وبرطل (رشا) بالأموال ، ولم يستمع السلطان الى الباقين . بل أمر ابن هلال الدولة أن يلزم بيته . وعين شخصاً آخر بدلا منه فى وظيفته . وأمر بدر الدين لؤلؤ الحلبى باستخلاص الأموال . قبض على ابن هلال الدولة ، وصودرت أمواله . وهكذا أجهز النشو على ولى نعمته . والذى كان وجوده يذكره بأيام الزمن القديم عندما كان موظفاً صغيراً فى خدمته .

ثم اختار النشو شخصاً قاسياً ، غتيتا ، هو ايدكين الأزكش لولاية القاهرة ، وبدأ نشاطه بمهاجمة البيوت ، ومصادرة الأموال ، وصار يتنكر فى الليل ويمشى فى أزقة القاهرة ، فاذا سمع صوت غناء أو شم رائحة خمر هاجم المكان وأخذ من أهله أموالا طائلة طبقاً لأحوالهم . وكان النشو يوجهه ، وينفذ أغراضه من خلاله . ولما

تزايد أمر ايدكين . طلع الأمير قوصون وشكاه الى السلطان . وهنا تغير السلطان على قوصون وقال له :

«انتم كلما وليت أحدا ينفعنى أردتم اخراجه ، ولو انه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت» .

وفى الحال أصدر مرسوما بان يتولى أيدكين ولاية مصر ، الى جانب القاهرة ، ولم يجمع الولايتين احد قبله . وعظم أمر أيدكين . فى أحد الأيام خرج من القاهرة الى قرية النخيلة بالوجه البحرى ، وكانت متنزهاً للناس . هاجمها وقت الغروب فما قبض على أحد إلا وسلبه ثيابه وتركه عارياً ، عرى البلدة كلها عن بكرة أبيها ، وجمع أموالا كثيرة .

غير أن أيدكين لم يستمر طويلا فى منصبه ، ففى أول سنة خمس وثلاثين وسبعمائة هجرية عزل ، ونفى الى الشام ، وكان السبب سعاية عدد من كبار الأمراء ضده عند السلطان .

وفى نفس السنة لاحظ النشو أن مستوفى الدولة أمين الدين قرموط يكثر من الاجتماع بالسلطان . فخاف عاقبة ذلك ، مع انه هو الذى قدمه الى السلطان ، وبدأ يتكلم فى حقه . وقال انه جمع كثيرا من مال السلطان لنفسه . فقبض عليه ، وعلى جماعة معه ، وعوقب قرموط وضرب بالمقارع سعياً لاستخلاص أربعين الف دينار منه . ولكنه صمد للضرب . عندئذ قيل انه جلد ، وانه لن يعترف إلا اذا ضرب ابنه أمامه . وجاءوا بولده وبدأوا بضربه فلما اشتد البلاء بقرموط ضرب نفسه بسكين فى حلقومه محاولا الانتحار ، ولكنهم انتزعوها منه ، واستمر تعذيبه ، وتعذيب ابنه .

فى هذه الفترة قدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الاربعاء الحادى عشر من رجب (٧٣٥ هـ) ، وسعى عند السلطان ليفرج عن ابن هلال الدولة ، وساعده الأمير قوصون . وبالفعل استجاب السلطان لهما ، وأفرج عن الرجل ، وكان النشو مسافرا الى الاسكندرية . وعند عودته فوجىء بالخبر ، وشق عليه الافراج عن ابن هلال الدولة ، وطلع الى السلطان ، وراح يتحدث عن ابن هلال الدولة وخطورته ، ومال السلطان اليه ، فأمر الوالى باحضاره الى القلعة ، وخرج الوالى الى ابن هلال الدولة ، سبه ولعنه ، وابلغه عن السلطان انه متى اجتمع به أحد شنقه . فنزل وأقام بالقرافة منقطعاً عن جميع الناس .

واستمرت سعاية النشو فى الناس . اتهم والى دمياط بانه خرب أساساً قديماً فى البحر بين البرجين ، كانت عليه طلسمات تمنع ماء البحر المالح عن ماء النيل ، حتى تلفت الطلسمات وغلب البحر على النيل ، فتلفت بساتين ، وان الوالى نال من ثمن هذه الحجارة أموالا طائلة . واعتقل والى دمياط ، وعذب ، واستخرج منه وجمع أموالا كثيرة .

وقبض النشو على امرأة موسى بن التاج اسحق ، عاقبها وهى حامل عقوبة شديدة على احضار المال حتى طرحت ما فى بطنها ولدا ذكرا .

كان النشو يستخدم شرار الخلق ، وكانت له نساء عجائز يتجسسن فى البيوت الكبيرة ، وحدث أن احدى هؤلاء النسوة أبلغته عن أولاد «ابن الجيعان» وأنه يسعى فى نظر الجيش ، والآخر يسعى ليتولى نظر الخاص ، عندئذ طلب النشو كاتب الاصطبل منهم ، وطلب منه أن يكتب حساب الاصطبل . فامتنع ، ورد عليه بكلام خشن عندئذ سعى النشو عليه عند السلطان حتى قال له السلطان :

«لم لا تعمل حساب الاصطبل ، وتعطيه الناظر ؟»

يقصد النشو ، فقال :

«يا خوند : بدل أن تطلب حساب الصبى والمقاود ، اطلب حساب الذهب الذى يدخل الى خزائنك» .

وأغلظ فى حق النشو ، وعندما قابله ، قال له :

«ونعمة مولانا السلطان أظهر فى جهتك مائتى الف دينار» .

وهنا قامت قيامة النشو ، وانفض المجلس على ذلك ، فمازال النشو بأولاد ابن الجيعان حتى سلمهم الى لؤلؤ . فعاقبهم حتى هلكوا ، وصودرت ثرواتهم . ولم يكتف النشو بذلك ، بل قبض على اقاربهم ، وصادر أموال عدد من أصحابهم .

---

## ● مملوك السلطان

---

فى هذه السنة ٧٣٥ هـ ، كثر شغف السلطان بمملوكه الطنبغا الماردينى شغفاً زائداً ، الى درجة أنه قرر أن ينشىء له مسجداً يحمل اسمه . واختار موقعه خارج باب زويلة ، وكان لابد من ازالة عدد من البيوت بعد شرائها ، طلب السلطان النشو وكلفه بتحقيق ذلك ، عندئذ استدعى النشو أصحاب البيوت ، وابتاعها منهم بنصف قيمتها ، وتم بناء المسجد والذى لازال قائما حتى الآن .

وفى نفس هذه السنة جرت محاولة للتخلص من النشو عن طريق الوقيعة ، إذ كتبت رقعة الى السلطان تذكر ظلم النشو ، وتسلط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم ، وعشق صهره لغلام تركى . استدعى السلطان النشو ، وبعد أن قرئت عليه القصة قال : أنا أعرف من كتبها ، وحلف على براءة اقاربه من هذا الشاب . وبكى ثم انصرف .

وحاول عدد من الأمراء أن ينبهوا السلطان الى ثروة النشو الطائلة ، لكنه لم يستجب اليهم ، ولم يصدقهم . كان النشو يحرص دائما على أن يبدو أمام السلطان فى مظهر الفقير المعدم حتى تزداد ثقة السلطان فيه ، ولكى يؤمن السلطان بفقره كان يقترض من كبار موظفى الدولة المتصلين بالسلطان ، مبالغ صغيرة من المال بين الحين



والآخر ليوهمهم انه لا يملك شيئاً . أرسل ذات يوم الى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم بحجة ان ضيفاً نزل عنده وليس لديه ما يكرمه به ولكي تجوز حيلته على السلطان انتهز فرصة وجود كبير الأطباء عنده ذات يوم . وشكا فقره للسلطان . وقد أمن رئيس الأطباء على هذه الدعوى بحكم ما وقع بينه وبين النشو من قبل وأمعن النشو فى تصرفاته التى لحقت الخاصة والعامة على السواء ، فتدخل فى تجارة السلع الضرورية للحياة من لحم وفول وأقمشة وكان يشترى منها باسم السلطان كميات كبيرة بأسعار رخيصة ثم يبيعها للناس بأثمان عالية .

وهنا لندع المقريزى يحدثنا من خلال كتابه السلوك عن وقائع النشو ..

### ● رسالة تتضمن الوقيعة فى النشو وأقاربه

فى يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول (٧٣٦) عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية ، واستقر عوضه سيف الدين ،كاجار الماردينى ، ثم أخرج بغا على أمرة عشر بصفد . فى ليلة الجمعة سادس ربيع الأخر . وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثياباً بضعفى قيمتها كما هى عادته ، فرفع قصته للسلطان على يد بغا ، وأحضره بغا بين يديه فشكا حاله ، فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر وقال له : كم تشكو الناس منك ! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه بأغلى الأثمان . فقال ،يا خوند ! هذا ما يشتكى من أمر القماش لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار ، وقد هرب منى وأنا اتطلبه . وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر وهى من جوارى الشهيد الملك الأشرف خليل ، ماتت عنده وخلفت نحو مائة ألف دينار وما بين جواهر وغيرها ، فأخذ الجميع ولم يظهر على السلطان شىء» .

ثم التفت النشو الى التاجر وقال له :

«بحياة رأس السلطان ! ما كنت متزوجاً بفلانة ؟» .

يعنى الجارية المذكورة ، فقال «نعم» ، فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال . فأخذه ابن صابر وشهره بالقاهرة وعاقبه بالقيسارية مراراً حتى أخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم ، ثم تحول النشو على بغا ، وراح يقول عنه انه مرتش ، وكان السلطان يكره الرشوة ، فاثر فيه كلام النشو ، فأخرجه ، وسعى النشو أيضاً بطقتمر الخازن حتى غير السلطان عليه .

.. وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشر رجب قبض على ابن هلال الدولة ، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسنى ، وأخرجا الى الاسكندرية بسعاية النشو .

## النشــــــو.. يســعى في النــاس بالشــر ولا ينــجو من أذاه أحـــد !

.. واشتدت وطأة النشو على الناس ، وابتكر مظلمة لم يسبق اليها وهى انه الزم أهل الصاغة ودار الضرب ألا يبتاع منهم احد ذهباً ، بل يحمل الذهب جميعه الى دار الضرب ، ليصك بصكة السلطان . فجمع من ذلك مالا كثيراً للديوان . ثم تتبع النشو الذهب المضروب فى دار الضرب ، فاخذ ما كان منه للتجار والعامة ، وعوضهم عنه بضائع ، وحمل ذلك كله للسلطان . وانحصر ذهب مصر بأجمعه فى دار الضرب ، فلم يجسر أحد على بيع شىء منه فى الصاغة ولا فى غيرها . ثم ان السلطان استدعى منه بعشرة آلاف دينار ، فاعتذر عنها فلم يقبل عذره ونهره فنزل النشو والزم امين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الأيتام ، وطلب منه عشرة الاف دينار قرضاً فى ذمته ، فدله على مبلغ أربعمائة الف درهم لأيتام الدوادارى تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال ، فاخذها منه وعوضه عنها بضائع . ثم بعث النشو الى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الاخنائى المالكى فى تمكينه من مال أولاد (الأمير) أرغون النائب ، وهو ستة آلاف دينار ، وكانوا تحت حجره فامتنع وقال «السلطان ما يحل له اخذ مال الأيتام» . فرد عليه «السلطان إنما يطلب المال الذى سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها ، فان الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة» ، وقام فى فورة الى السلطان ، ومازال به حتى بعث الى القاضى يلزمه بحمل المال الذى سرقه اخوه من الخزانة ، ويقول له «انت إيش كنت من مملوكى ؟» ، فلم يجد قاضى القضاة بداً من تمكين النشو من اخذ المال .

.. فى ذى القعدة من نفس السنة ، سقط طائر حمام بالميدان ، وعلى جناحه ورقة تضمنت الوقيعة فى النشو واقاربه ، والقدح فى السلطان بانه أخرب دولته ، فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، وطلب النشو وأوقفه على الورقة ، وتنمر عليه لكثرة ما يشكى منه ، فقال : «يا خوند ! الناس معذورون ! وحق رأسك لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كتبت ، وهذه فعلة العلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت ، كتبها فى بيت الصفى كاتب الأمير قوصون ، وقد اجتمع هو واقاربه» ، وأخذ النشو يعرف السلطان بما كان من امر سعيد الدولة فى ايام بيبرس الجاشنكير واغراه به حتى طلبه ، وسلمه الى الوالى علاء الدين علي بن حسن المروانى ، فعاقبه عقوبة مؤلمة ، وطلب السلطان الامير قوصون وعنفه على فعل الصفى كاتبه ، فطلبه قوصون وهدده ، فحلف بكل يمين على براءته مما رمى به . فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة ، وقبض عليهم بسبب ابن شاكر ، ونوع العذاب عليهم بيد الوالى ، وخرب دورهم بالمحرات ، وقبض النشو على الموفق هبة الله بن سعيد الدولة . ثم افرج عنه بعناية الأمير اقبغا عبد الواحد ، وعذب ابن الأزرق ناظر الجهات .

### ● أرباب الدواليب يتضررون من سطوة النشو

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

.. وفيها أجدبت زراعة الفول ، فالزم النشو سماسرة الغلال الا يباع الفول الا للسلطان فقط ، فتضرر أرباب الدواليب (المقصود بالدواليب جميع الآلات المستخدمة فى الزراعة والصناعة ، وهذه الآلات كانت تدور بالأبقار ، والأبقار تعتمد على أكل الفول) .

وفيها صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب بالوجه القبلى ، وأخذ من محتسب البهنسا وأخيه مائتى ألف درهم والفى أردب غلة ، فرافع بن زعلزع من أمراء الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو ، فاقتضى رأيه مصادرة ابن زعلزع لكثرة ماله ، وأوقع الحوطة على موجوده . وكتب الى والي البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة ، فلف والي البهنسا على أصابعه الخروق وغمسها فى القطران وأشعل فيها النيران ، ثم عراه ولوحه على النار ، حتى أخذ منه ما قيمته الف الف وخمسمائة الف درهم ، ووجد له أربعمائة فرجية بفرو ، ومائة وعشرين جارية ، وستين عبدا ، ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمائة الف درهم ، واحتج النشو بمصادرته بانه وجد كنزا .

.. وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة جلب الأغنام حتى بيع الرطل بدرهم وربع ، وسبب ذلك ان النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها ، فكتب الى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام ، ثم ان النشو استجد للسواقى التى بالقلعة ابقارا ، وأحضر أبقارها التى ضعفت وعجزت مع الأبقار التى ضعفت بالدواليب ، وطرحها على التجار والباعة بقياسر القاهرة ومصر وأسواقها حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصمه منها شىء على قدر حاله ، فبلغ كل رطل منها درهمين وثلثا ، ورميت تلك الأبقار على الطواحين والحمامات كل رأس بمائة درهم ولا تكاد تبلغ عشرين درهماً فبلى الناس من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة .

.. واتفق ان النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج اسحق حتى رسم بعقوبته الى ان يموت ،

فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيباً (الشيب سير السوط أى الكرباج) . حتى سقط كالميت ، ثم ضرب من الغد أشد من ذلك ، وحمل على أنه قد مات ، فسر النشو بذلك سروراً زائداً ، وذهب ليرى موسى وهو ميت فوجد به حركة ، وفى أثناء ذلك طلب السلطان الأمير لؤلؤاً فاخبره بأن موسى قد بدأ يئن ، وبعد ساعة يموت ، فرسم الا يضرب بعد ذلك ، فشق هذا على النشو .

.. وفيها قل فرو السنجاب من الاسواق ، وذلك لقلة جلبه ، فامر النشو باخذ ما على التجار من الفرجيات ذات الفرو ، فهوجمت حوانيت التجار والبيوت حتى اخذ ما على الفرجيات من السنجاب ، فبلغ النشو دعاء التجار عليه فسعى عند السلطان عليهم ، ونسب اليهم أخذ الربا ، وقال ان عندهم كميات كبيرة من الأخشاب والحديد واستأذنه فى بيعها عليهم ، فاذن له السلطان فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيرا من ارباب الأموال ، ووزع عليهم من الف دينار كل واحد الى ثلاثة آلاف دينار ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفاً من الاصناف ، فبلغت الجملة خمسين الف دينار ، وضرب من تخلف منهم بالمقارع . ويبدو أن أحد هؤلاء التجار كان على معرفة بالست حدقة زوجة السلطان وأم ابنه انوك ، فذهب اليها وشكا النشو ، وقال ان الخشب الذى فرضه عليه قيمته الحقيقية الفا درهم . وطلب منه النشو الف دينار ثمنا له ،عندئذ تحدثت السيدة حدقة الى السلطان فى ظلم النشو للناس فطلب السلطان النشو ، وانكر عليه ذلك ، وتجهم له . فانصرف النشو وهو فى حالة شديدة من الغيظ ، وبدأ يدبر انتقاما من ذلك التاجر . استدعى رجلا واتفق معه على الانتقام من التاجر ذهب الرجل الى التاجر وسأله فى قرض مبلغ من المال ، فاخذ التاجر يشكو مما به من الزامه بالفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو ، فقال له الرجل « ارنى الخشب فانى محتاج اليه » . فلما راه أعجبه واشتراه منه بفائدة الف درهم فى الشهر ، امتلأ التاجر فرحاً ، وأشهد عليه بذلك ، ومضى الرجل ليأتى بثمن الخشب . عاد الى النشو واخبره بما تم ودفع اليه بنسخة المبايعة ، فقام من فوره الى السلطان وأعلمه انه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة الف درهم فطلب السلطان التاجر وسأله عما رماه عليه النشو . فاعتر البائس وأخذ يقول « ظلمنى واعطانى خشباً بالفى دينار يساوى الف درهم » فقال له السلطان « واين الخشب ؟ » قال « بعته بالدين » . فقال النشو « قل الصحيح فان هذه معاقدتك ببيعه » . فلم يجد بداً من الاعتراف ، فحنق عليه السلطان وقال « ويلك ، تقيم الغاثة » تستغيث « وانت تبيع بضاعتي بفائدة ؟ » ثم أمر النشو بضربه وأخذ الالف دينار منه مع مثلها . وعظم النشو عند السلطان ، ثم عبر السلطان الى نسائه وسبهن وعرفهن ما جرى . وقال : « مسكين النشو ! ما وجدت له احدا يحبه كونه ينصحنى ويحصل مالى » .

وفى نفس السنة شكا المماليك من تأخر كسوتهم ، فطلب السلطان النشو والزمه بحمل كسوتهم من الغد ، ومعها مبلغ عشرين الف دينار فنزل النشو والزم الطيبى ناظر المواريث بتحصيل خمسة آلاف دينار ، وبعث المقدمين الى الاسواق ففتحوا حوانيت التجار واخذوا كسوة المماليك وحوائجهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك ، واخذوا مركباً فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها ، واحيط بتركة نجم الدين محمد الأسعودى ، وقد مات وترك زوجة وابنة ابن . وأخذت كلها . وأخذت وديعة من تركته لأولاد ايتام تحت حجره ، مبلغها نحو خمسين الف درهم ، وانفقت فى يومها على المماليك والخدام ، وفتحت قيسارية جهاركس ، وأخذ منها مقاطع الشرب « قماش رفيع من الكتان » برسم الكسوة . فارتجت المدينة بأهلها ، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا ، فصارت مفتحة ، والأعوان تنهب لأنفسها ما ارادت ، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر الا باك أو صائح أو نائح ، فكانا يومين شنيعين ، وعول أرباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها ، فعرف النشو السلطان ذلك فنودى « من أغلق حانوته أخذ ماله وشنق » ففتحوها .. نعم ..

لم يبق فى مصر الا باك او صائح أو نائح .

هكذا فى بساطة وقوة يلخص المقريزى ما وصل اليه حال الناس تحت سطوة النشو ، وتمضى السنوات حافلة بظلمه ،يمضى النشو الى الاقاليم فيصادر الأموال ، واذا أفرج عن انسان يشق هذا عليه ، ولا يهدأ له بال حتى يعيده مرة أخرى الى السجن ، وفى هذا الخضم تجرى



سنة أربعين وسبعمائة .

فى يوم الاثنين ثانى صفر قبض على النشو ، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله ، وعلى اخيه المخلص ، ورفيقه مجد الدين ، وعلى صهره ولى الدولة .

كيف ؟

لنصغ الى المقريزى محدثنا عن هذا الزمن البعيد .

« .. وسبب ذلك أنه لما أسرف النشو فى الظلم بحيث قل الجالب للبضائع وذهب أكثر أموال التجار لطرح الاصناف عليهم باغلى الاثمان ، وطلب السلطان منه يتزايد ، خاف النشو العجز فرجع عن ظلم العامة ، الى التعرض الى الخاصة ورتب مع اصحابه ذلك .

وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع اخوته وصهره ومن يثق فيه للنظر فيما يحدثه مذ مظالم فيدله كل منهم على داهية ، ثم يفترقون وقد أبرم للناس بلاء يعذبهم الله به من الغد على يده ، فكان مما اقترحه ان رتب أوراقا تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف الف دينار عيناً . وقرأها على السلطان ، ومنها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحــى من الدولة الظاهريــــة ببيبــرس والمنصورية قلاوون فى اقطاعات الامراء والاجناد وجملتها مائة الف وستون الف اردب ، سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى ومنها الرزق الاحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك وهى مائة الف فدان ( وثلاثون الف فدان ) .

محاولة لاغتيال النشو ، إذ حدث فى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان أن اعترضه فارس ، ضربه ، فاخطأ سيفه رأس النشو ، جرح كتفه فقط ، فغضب السلطان غضباً شديداً ، ولم يحضر السماط ، وارسل الاطباء لمعالجة النشو ، وأغلظ على الأمراء بالكلام ، وما زال يشتد ويحتد حتى عاد القصاد بسلامة النشو فسكن ما به .

وتجيء سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، ولا يكف النشو ، ولا يهدأ ، يسعى فى الناس بالشر ، ولا ينجو من أذاه أمير أو طحان . وعندما يبلغه أن الوعاظ يدعون عليه من فوق منابرالجوامع ، يسعى عند السلطان حتى يمنع الوعاظ بأجمعهم من الوعظ . وتستمر الأحوال على ما هى عليه فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، يأخذ النشو مال الاقباط مع أنه كان فى الأصل قبطياً ثم أسلم ، ويستولى على حلى النساء ، يقول المقريزى :

« وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه البحرى والقبلى ، حتى خرج فى ذلك عن الحد » .

ولكن لكل أول اخر ، ولكل بداية نهاية ..

---

● النهاية

---

# النشــــو..
## يســعى في النـاس بالشــر ولاينـجو من أذاه أحـــد!

ويمضى المقريزى فى سرد تفاصيل ما خططه النشو مع اقاربه للاضرار بكبار الأمراء وكان ماتفتق عنه ذهنه ، هو الزام متولى كل اقليم باستخراج التقاوى من ارضه وحملها الى خزائن السلطان ، ثم تباع من جديد الى الناس بمعرفة الخاصة السلطانية . انزعج الأمراء من هذا القرار ، وقال احدهم للسلطان . « يا خوند والله ان النشو يضرك اكثر مما ينفعك

ويبدو انالسلطان أمعن الفكر ، وأحس ان النشو مكروه لدى الجميع ، ولم يكن اتخــاذه القــــرار سهلا ، فكتب الى الأمير تنكز نائب الشام يستشيره فى الأمر ، ويخبره ان النشو اصبح مكروها من الجميع ، ولكنه يخدم السلطان وينفعه ، واجاب الامير تنكز مؤيداً سوء سيرة النشو ، وختم خطابه قائلا « ورأى السلطان فيه أعلى » .

وكثرت الأوراق التى كانت تلقى الى السلطان وتحوى ذما للنشو ، ومما قيل فى بعضها :

ايا ملكا اصبح فى نشـــــوة
من نشـــوة الظـــالم فى نشيه
أنشيته فلتنشئن ضغائنـــــا
سترى غباوتها بصحبة غيــــه
حكمته فحكمت أمرا فاســـدا
وتوحشت كل القـــلوب لفحشه
سترى بوارقها اذا ما أظلمت
وتحكمت أيـدى الزمان ببطشــــه
ولتندمن ندامـــــة كسعيه
يوما اذا ذبح الخروف بكبشـــه

وقرأ السلطان فى ورقة اخرى :

أمعنت فى الظلم واكثرتـــه
وزدت يا نشو على العــــالم
ترى من الظالم فيكم لنـــــا
فلعنة الله على الظـــــالم

وحدث ان مرض الامير يلبغا ، وكان السلطان يثق فيه ، فاقام عنده حتى يطمئن عليه ، وخلال حديثهما قال يلبغا «يا خوند ! قد عظم احسانك لي ووجب على نصحك . والمصلحة تقضى بالقبض على النشو ، فالامراء جميعا يكرهونه ، ويكرهونك لحبك إياه ، وما من مملوك من مماليك الا يترقب غفلة منك ليقضي عليك انتقاما منك لأنك تركت هذا الشخص يعبث بمصالح الناس »

وبكى يلبغا ، وبكى الناصر ، وقام من عنده مبلبل الخاطر ، ليصدر أمراً بالقبض على النشو يقول المقريزى .

« وطلب السلطان المقدم ابن صابر ، واسر اليه ان يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة ، ولا يدعو أحداً من حواشى النشو واقاربه واخوته ان ينزلوا ، وان يقبضوا عليهم كلهم ، وامر السلطان الامير بشتاك والامير برسبغا الحاجب ان يمضيا الى النشو ، ويقبضا عليه وعلى اقاربه فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة وطلب النشو من داخلها ، فظن النشو انه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود اقبغا عبد الواحد ، فساعة ما وقع بصره عليه امر مماليكه باخذه الى بيته من القلعة ، وبعث الى الامير ملكتمر الحجازى فاخذ اخاه رزق الله وأخذ اخاه المخلص وسائر اقاربه . فطار الخبر الى القاهرة ومصر ، فخرج الناس كانهم جراد منتشر » .

خرج الناس كالجراد المنتشر !!

لحظة مدببة فى مسار الزمن ، عندما ينتهى الكابوس العلم ، فيسرى الأثر الى كل انسان ، البعيد ، الوافى ، الكبير ، الصغير . لحظة الخلاص ، عندما يندفع الانسان الى خارج بيته ، يظن انه بمفرده ، واذا بالجميع فى الشارع ، هكذا خرج الناس كالجراد المنتشر عندما سمعوا بخبر القبض على النشو وزمرته ، وفى القلعة جلس السلطان ولازال فى نفسه شك ، انه يقول للامراء .

« وكم تقولون النشو نهب اموال الناس ! الساعة ننظر المال الذى عنده » .

فى القاهرة يعم الفرح ، اغلقت الأسواق ، واتجه الجميع الى ميدان الرميلة تحت القلعة ، كما يتجهون الى ميدان التحرير فى العصر الحديث ، أو ميدان العتبة ، أو إلى منشية البكرى ( ليلة التاسع من يونيو ١٩٦٧ ، وليلة وفاة عبد الناصر ) ، جاء الليل والناس لم تنصرف بل أوقدوا الشموع ، يرفعون على رؤوسهم المصاحف ، وينشرون الاعلام ، وهم يضجون ويصيحون استبشاراً وفرحا بقبض النشو ، والامراء يشيرون اليهم ان يكثروا مما هم فيه . وقضوا الليل كله على ذلك ، وفيه زاد النيل بعد توقفه ، فقال علاء الدين الشاعر :

فى يوم الأثنين ثاني الشهر من صفر
نادى البشير الى ان اســمع الفلكا
يا اهـــل مصر نجـــا موسى ونيلكم
طغـــا وفرعـــون وهو النشو قد هلكا

صباح الثلاثاء ، نودى فى القاهرة :

« بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو » .

صباح الثلاثاء ايضا انتحر شقيق النشو ، واخرجوه فى تابوت امرأة حتى دفن فى مقابر الأقباط خوفاً عليه من العامة . وتمت الحوطة على اموال النشو ، النشو الذى كان يتظاهر بالفقر والحاجة ، والذى كان السلطان يظن حتى آخر لحظة انه لا يمتلك شيئاً ، فماذا وجدوا عند النشو ، فى بستان بجزيرة الفيل وجدوا امه وامرأته واخته وولديه ، ومعهم ستون جارية ، ومائتا جنبه (كيس من جلد البعير ) عصير عنب ثم حمل الامراء ثروة النشو الى السلطان ووضعوها بين يديه ، وضعوا خمسة عشر الف دينار ذهب ، والفين وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين الفى درهم الى الف درهم ، وسبعين فصا بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة الاف درهم الى الفين ، وقطعتين زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف وستين حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك اربعمائة مثقال ، ومائة وسبعين خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمنة ، وكف مريم مرصع بجوهر ، وصليب ذهب مرصع ، وعدة قطع زركش سوى حواصل لم تفتح ، فخجل السلطان لما راى ذلك ، واستمر الأمراء ينزلون كل يوم لاخراج حواصل النشو ، فوجد له من الأوانى الصينى والبلور والتحف السنية الشىء الكثير ، ثم وجدت عنده مائتى برميل مملوئين بالملوحة «سمك مملح» ، وثمانين بالجبن ، واحمالا كثيرة من بضائع الشام ولحما كثيرا من لحم الخنزير ، واربعة الاف جرة خمر ، سوى مانهب ، ووجد له اربعمائة بدلة قماش جدد ، وثمانون بدلة مستعملة ، وزراكش ومفرجات ( عباءات ) ، وستون قفطانا نسائيا ، ومناديل زركش عدة كثيرة ، ووجد له عدة صناديق بها قماش سكندرى كان قد صنع لحساب ملكة المغرب ولكنه اختلسه وكثير من قماش الامراء الذين ماتوا او قبض عليهم ، ووجد له مملوك تركى كان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا ، ثم وجدوا لاخوة النشو ذخائر نفيسة ، منها لصهره ولى الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش ، وستة وثلاثون مرملة ( ظرف كان يوضع فيه الرمل الذى يستخدمه الكتاب لتجفيف الكتابة) مكللــة بالجواهر الرائعة ، واحدى عشرة عنبرية مكللــة بلؤلؤ كبار ، وعشرون طراز زركش ، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد ، وكوافي زركش ، وقدر الجميع بأربعة وعشرون الف دينار .

وفى نهاية هذه السنة ٧٤٠ هجرية ، مات النشو ، واندثر امره مات النشو عام ٧٤٠ هجرية بالتحديد يوم الأربعاء ثانى ربيع الاخر .

ولكن بعد انقضاء سبعة قرون على اختفائه ، هل يمكن القول انه اختفى من حياتنا ؟ » .

جمال الغيطانى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

درويش مصطفى الفار

# شجون ودروس .. من سيناء

إثر جلاء قوات الاعتداء الثلاثي ( ١٩٥٦ ) عن سيناء ، قرر المجلس الأعلى للبحث العلمي بالقاهرة ، بأمر من (جمال عبد الناصر ) تكوين ( لجنة ) ترسم خطة لتعمير سيناء ، كي لا تقع فريسة للاحتلال مرة أخرى .. ودعاني رئيس اللجنة ، الدكتور رياض حجازي ، رحمه الله ، لحضور جلسة الافتتاح ، بحكم أنني من ابناء سيناء .. فسمعت العجب العجاب التالي :

قال الخبير التعميري الأول ، ان أهل سيناء قوم يحترفون صناعة تهريب المخدرات ( !! ) فلن يصلحوا للقيام بمهام التعمير ، فرد عليه خبير ثان وقال : إننا سنعمر سيناء بقوم نرحلهم من الوادي لأنهم أهل علم بشئون الزراعة ، فبادره خبير ثالث ، ذو شعر أشد بياضاً ، وفي فمه غليون معقوف ، وقال إن أهل الوادي سوف يذهبون الى سيناء ويتعلمون تهريب المخدرات ، فلا أمل في قيامهم بأي تعمير .. عند ذلك رفعت يدي مستأذناً في الكلام وقلت ، مادام الأمر هكذا ، والدولة تصر على تعمير سيناء ، حتى لا تقع فريسة للاحتلال تارة أخرى ، فأرجو النظر ايها السادة في موضوع ( استئجار ) بعض ( الخواجات ) للقيام بعمليات التعمير ، وتأكدوا أيها السادة ، ان سيناء ، ستحتل مرة أخرى ، مادمنا نفكر بهذا الأسلوب العقيم .. وهنا طلب إلى ( بغلظة ) ان أغادر مكان الاجتماع ( فورا ) ، ففعلت ، بعد مشادة ..

وبعد اسبوعين ، أمرت مع زميلي المرحوم احمد الأدنداني ، وحافظ عابدين بدوي ، بدراسة منطقة ( عيون موسى ) ، فرفعنا لسطحها خريطة جيولوجية طبوغرافية من مقياس واحد الى عشرة آلاف ، وحددنا عليها المكان الصالح لحفر بئر عميقة بحثاً عن الفحم .. ووجدت من المفيد أن أضع أيضاً على تلك الخريطة ، مجموعة عيون الماء ( الخمس والأربعين ) التي يظن بعض المؤرخين ( دون برهان علمي ) أنها هي المقصودة في قصة خروج موسى عليه السلام من مصر .. وارسلت عينات الماء للتحليل الكيمائي مشفوعة بمذكرة للمساحة الجيولوجية برجاء دراسة إمكانية الاستفادة من تلك المياه الغزيرة الضائعة لاقامة عمران بأية صورة ، وانطلقت في مهمة لدراسة أعالي وادي العريش فيما بين التيه والعجمة في أغسطس سنة ١٩٥٧ إلى أغسطس سنة ١٩٥٨ .. ثم كلفت بدراسة رواسب الرمال السوداء بين بور فؤاد ورفح في شمالي سيناء ، وفي ديسمبر سنة ١٩٥٨ انتقلت للعمل في منطقة جبل المغارة بين الاسماعيلية والعريش ، وهنالك في سنة ١٩٦١ جاءتني الأنباء المتواترة على ألسنة الثقات تقول إن جهاز ( تعمير الصحاري ) قد كلف أحد ( المقاولين ) الكبار لانشاء شبكة من القنوات والخزانات ( بالأسمنت المسلح ) وقبض المقاول أجره ، ثم ، بمحض الصدفة ، خطر على بال ( المسئولين ) أن ( يحللوا ) التربة . فاذا بالتحليل يقول بأن أرض عيون موسى ( لا تصلح ) للزراعة التقليدية !!! وظلت القنوات الأسمنتية شاهد إثبات على جريمة ( لا مبالاة ) مجهولة النسب ، حتى حطمتها المجنزرات سنة ١٩٦٧ .. وقبيل اكتشاف دلائل وجود الفحم ،بمعاونة أصدقائي من البدو ( سويلم أبو نيفة ، وحميد زيدان الوط ) في الطبقات الجوراسية بجبل المغارة بشمال سيناء في ابريل سنة ١٩٥٩ ، ورد الى خطاب ( سري جدا ) من الوزارة التي يتبعها العمل الجيولوجي ، يطلب مني تقريرا ( مفصلا ) عن تواجد خام الفيروز ، في جبل ( مغارة ) لأن شركة ما قد تقدمت الى الحكومة بطلب امتياز لاستغلال ذلك الخام !!! فما زدت على أن علقت على ذلك الخطاب بكلمات مفادها ، أن جبل ( المغارة ) الذي أعمل فيه هو غير جبل ( مغارة ) الواقع بفيروزه ونحاسه في جنوب سيناء ، وأنه أقرب للقاهرة منه الى ، راجياً النظر ( بفهم ) في أرقام خطوط الطول والعرض ، التي كانت على الخريطة المرفقة بذلك الخطاب ..

● تلك مجرد عيّنات من علامات الطريق التي أدّت تباعًا إلى هزائم السنوات : ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧

● أيها العرب إن بعد عودة سيناء ما بعدها .. فأجمعوا أمركم بوعي وإيمان بالله وعلم بحقائق العالم

واعترانى تساؤل ، كيف يمكن الاحتفاظ بسيناء ، بمثل تلك العقليات التى شاء قدرنا ان تكون ( قيادية ) ؟؟؟

وحدثت الكارثة ، سنة ١٩٦٧ ، ووقعت سيناء كلها ، مع فلسطين كلها والجولان كلها ، بفضل العقلية العربية ( الواحدة ) .. واستدعيت بعد خروجى من سجن غزة فى مايو سنة ١٩٦٨ لحضور الاجتماع الموسع لمجلس بلدى مدينة العريش ، حيث ابتدرنى ( ضابط الاتصال ) اليمنى الأصل ، يسألنى عن سبب فشل ( جهاز تعمير الصحارى ) فى اكتشاف الماء الذى اكتشفته شركة ( ماكوروت ) خلال الكثبان الرملية جنوب مدينة العريش ؟؟ فلما وجمت ومن معى من المقهورين ، قال الرجل ، أنا سأشرح لك لماذا فشلتم فى اكتشاف هذا الماء الذى نجحنا ( نحن ) فى اكتشافه ، رغم أنكم عملتم فى نفس البقعة بالذات .. لقد صدر الأمر لأحد ( مهندسي ) تعمير الصحارى عندكم ( بمأمورية ) لمدة شهرين ، فوصل الرجل بخيله ورجله وآلاته وأجهزته الى المنطقة وأمر ( العمال ) بالبحث عن الماء ، وطفق هو يتحسس السبل ويستطلع المكان التى يستطيع من خلالها ( تهريب ) قائمة مطالب السيدة ( زوجته ) من مدينة غزة وما أدراك ما سوق غزة .. وما كاد يستوفى تلك القائمة من مصنوعات ( ماكس فاكتور ) وأنواع الجوارب والملبوسات ( النايلون ) وأجهزة ( الترانزستور ) حتى يأتيه البريد بخطاب مسجل من ( أخت ) السيدة زوجته ، يحوى قائمة حافلة بطلباتها وطلبات جاراتها وصويحباتها وسوق ( الشواربى ) .. وهكذا تنقضى أيام المأمورية فى إعداد ( القوائم ) ولا يظهر الماء ، بل ينتفى وجوده ، طبقاً لتقرير ( فنى ) من ذلك السيد المهندس ، الذى لا يوجد مثيل له ، قطعاً ، فى شركة (ماكوروت) .. وعند هذا الحد طأطأ كل الحاضرين من بنى يعرب بن قحطان والعدنانيين وانا منهم ، رؤوسهم الكريمة خجلا ...

تلك مجرد ( عينات ) من علامات الطريق ، التى أدت تباعاً الى هزائم سنة ١٩٤٨ ، سنة ١٩٤٩ ، سنة ١٩٥٦ ، سنة ١٩٦٧ .. ولا يخطرن ببال أحد ان تلك العينات ، ( وقف ) على قطر عربى واحد بعينه .. لا .. إنها علامات مبثوثة شائعة تتشكل بصورة أو بأخرى فى كل الأقطار العربية بين المحيط والخليج .. ولعل أقل وصف لتلك العلامات أنها ( اللامبالاة ) العربية المميزة لنا دون بقية خلق الله فى هذه الحقبة من التاريخ .. وكل ما يغمر المسرح العربى ( كله ) على سعته فى هذه الأيام العجاف ، نتيجة حتمية ، بعدل القضاء وحكمته ، لاتصافنا بتلك الصفة .. وطالما ظلت ( ريمة ، بعاداتها القديمة ) من اللامبالاة وعدم الجدية ، واتخاذ مختلف المشاجب لتعليق الأدران والأخطاء ، فلا تغيير ، حتى ثمالة الكأس.

قد تعود سيناء فى ابريل ( نيسان ) القادم ، وقد أكون من اسعد خلق الله بعودتها آنيا .. ولكن أؤكد بمنتهى الوعى والادراك أن سيناء ، سوف تقع مرة أخرى ولمدة قد تطول تاريخيا ، اذا ارتضينا ( التغافل ) عما هو مكتوب على باب ( الكنيسيت ) لشعار دولة اليهود الكبرى ، واذا لم نعمل جادين على إقامة ( دولة فلسطين ) الواحدة بعربها وغير العرب فيها ، على قدم المساواة ودون أى تمييز عنصرى ، عملا سداه الانتباه والتجرد ولحمته الصدق والاخلاص ومواجهة العدو والصديق بايمان بالحق ورغبة صادقة فى الاستشهاد فى سبيل ان تكون كلمة الله هى العليا ، وتجريد للفكر والقضية من كل ملابسات الدجل والتعمية والاتجار بالتاريخ والانفلات الصادق من ربقة الغرب والشرق على سواء .. ايها العرب ، إن بعد عودة سيناء ما بعدها ، فأجمعوا أمركم بوعى وإيمان بالله وعلم بحقائق العالم ، وإلا فان لعنة التاريخ سوف تواكبنا ( جميعاً ) إلى يوم الدين ..

درويش مصطفى الفار







# الأمومة عند الحيوان

بقلم : الدكتور عزالدين فـراج

الأمومة قبس من رحمة الله وعنايته بعباده ، أودعه فى قلوب الأمهات ، فأصبح فى قلب كل واحدة منهن شعلة من العطف والرحمة لا تخمد نارها ، وينبوعاً متدفقاً من البر والحنان لا ينضب معينه .

ولولا هذه الشعلة ، وهذا الينبوع ، لما تعاقبت الأجيال ، ولما رأينا هذا الكون الشاسع قد امتلأ بالانسان ونسله .

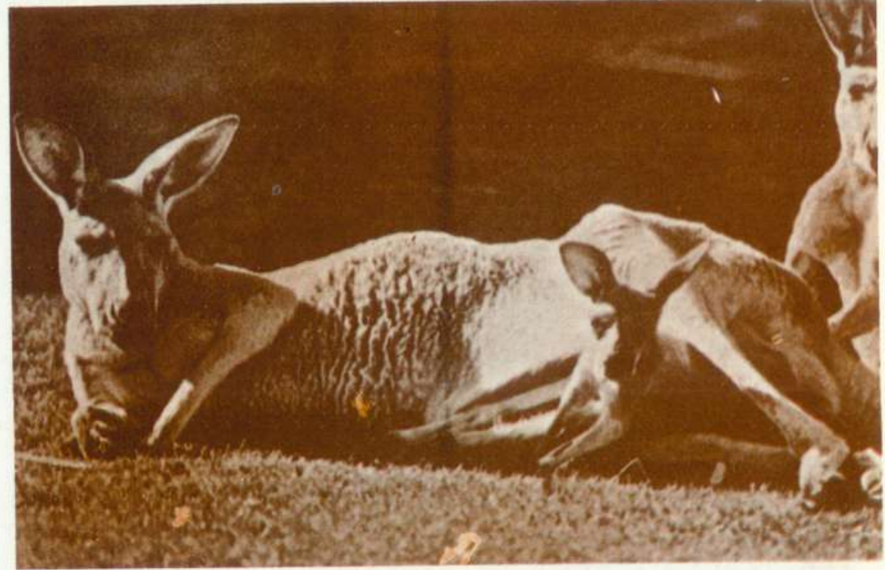
ولم تكن شعلة العطف والرحمة والحنان تضيء قلوب أمهاتنا نحن معشر بنى الانسان فحسب ، بل أودعها الله أيضاً فى قلوب اناث الحيوانات ، حتى بتنا نرى بينها ضروباً من الأمومة الراقية لا تقل روعة عما نراه عند بنى الانسان .

ولا يبدأ حنان الأم عند الحيوان بمجرد رؤية وليدها أو فقسها لأول مرة ... بل يبدأ قبل ذلك وهو جنين فى أحشائها .. وقد يبدأ هذا الحنان بابتداء وضع البيض . فالحيوانات التى تضع بيضاً كالاسماك والطيور ، تدفعها أمومتها ورغبتها فى المحافظة على نسلها الى وضع بيضها فى مكان أمين ، بعيد عن الأعداء الطبيعية ، إنها تضع هذا البيض تحت صخر أو فى داخل شق وبعض الطيور يبنى لهذا البيض عشاً محكم الصنع . ولا تكتفى الأم بذلك .. بل تسعى جاهدة إلى وضعه فى البيئة المناسبة له .

وبعض إناث الحيوانات تخشى على بيضها من عوامل الفناء ، فلا تضعه فى الأرض أو العش ، بل تحمله بنفسها . فسمك البلطى يحمل بيضه بين طيات خياشيمه .

ولكى يضمن الآباء لصغارهم الغذاء اللازم ، نرى الزنابير تجمع اليرقات وتخدرها بحقنها ببعض إفرازاتها .. ثم تضع فى كل واحدة منها بيضة ، حتى إذا ما فقس البيض وجد نسله غذاء كافياً





فى جسم الفريسة التى اقتناها له أبوه .

وهناك أنواع من الجعارين ، تخزن الغذاء فى شكل كور ، تضع بيضة واحدة فى كل منها .

ونرى بعض الحشرات تجمع الغذاء اللازم لصغارها ، وتجهزه فى عش محكم الصنع ، حتى إذا ما خرجت اليرقات وجدت ما تتغذى به ، كما هو الحال فى نحل العسل ، الذى يخزن الرحيق وحبوب اللقاح فى عيونه وخلاياه ، لتكون غذاء لصغاره بعد فقسها .

وإذا راقبنا البقرة الحامل ، لكى نقف على مدى عنايتها بجنينها النامى بين أحشائها عند دخولها حظيرتها وسط قطيع كبير ، وجدناها تسير ببطء ، وتعمل ألف حساب لهذا الجنين ، بينما نجد الابقار العادية ، التى لا يرقد بين أحشائها جنين ، تندفع إلى باب الحظيرة من غير مبالاة أو اهتمام .

وإذا ما ولدت البقرة وليدها ، نراها تلعقه لتنظفه مما علق بجسمه . هذا اللعق غريزة طبيعية عندها تأتيها دون تفكير .

وتدريب الأم لصغارها على الطيران والسباحة والعوم وافتناص الفريسة ، ضرب من ضروب الأمومة ، ومظهر من مظاهرها المتباينة . فالفراريج الرومية البرية التى تعيش فى بعض الغابات ، تظل شهراً كاملا بعد فقسها وخروجها من البيض عاجزة عن الطيران ، فتضطر أمهاتها إلى البقاء بجوارها ، لا عمل لها سوى قيادة صغارها داخل الغابة أو خارجها ، حرصاً على سلامتها ، حتى يشتد جسمها .

والبطريق طائر هادىء يعيش فى نيوزيلنده واستراليا وجزر المحيط المتجمد الجنوبى ... وهو هادىء الطباع يعيش معيشة اجتماعية راقية ، ومن أبرز خصائصه حنوه على صغاره . وأمه أكثر الأمهات حنوا ورعاية لصغارها ، تضمهم إلى صدرها كما كانت تضمنا أمهاتنا ونحن صغار أو كبار .

وإذا ماتت الأم تكفل الأب بتربية صغاره ، وإذا مات الأبوان تهافتت طيور البطريق الأخرى على تبنى هذه الطيور اليتيمة .

وتضع عادة أنثى هذا الطائر بيضتين فى وكر من الحصى وتحتضنهما بالتناوب مع زوجها . ومتى فقس البيض وخرجت الصغار ، يذهب الوالدان إلى البحر بحثاً عن غذاء هذه الصغار ، فيصيدان له السمك بكميات وفيرة ، وكثيراً ما يكلفهما ذلك عناء ومشقة وجهداً .

وقد تداس الصغار عند غياب أبويها بالأقدام فى الزحام ... أو تخطفهما الطيور الجارحة . ولدفع مثل هذه الاضرار تلجأ طيور البطريق إلى طريقة اجتماعية عجيبه ، فتجمع الصغار فى مكان واحد ، ويتعهد فريق من الطيور الكبيرة بحراستها والدفاع عنها ، كما يتعهد فريق آخر بجمع الغذاء وأعداده . وقد يكون الفريق الأول ليس له صغار على الاطلاق ، وقد يقوم الثاني بتغذية صغار لاتربطه بهم رابطة دم أو صلة . وفي ذلك لون جميل من ألوان التعاون والترابط الاجتماعى .

# الأمومة عند الحيوان



والطيران والعـوم والسباحـة واقتناص الفريسة غرايز أسسها موروثة، ولكن لا سبيل إلى اظهارها إلا بارشاد الأمهات وتدريبهن ولهذا نجد البجع تزج بفراخها قهراً إلى الماء لأول مرة لتتعلم العوم .

ولهذا نجد النسر يدفع فرخه وهو في العش إلى تمرين عضلات أجنحته فاذا ما أجبر هذا الفرخ على التمرين الجدي خارج العش ، كان ذلك تحت اشراف أبويه ، فتجدهما يشجعانه على الطيران بطيئاً بالقرب منهما ، حتى لا يتسرب إليه اليأس . وتارة يحركان أجنحتها ليقلدهما هذا النسر الصغير . وإذا وجدا أن صغيرهما على وشك الفشل ، مال أحدهما بجسمه تحت جسم هذا الصغير ، ودعمه وقاية له من شر السقوط .

والأسود أيضاً تروض أشبالها وتدربها ولهذا نجد رعاة الأغنام فى الجهات القريبة من مرابض الأسود ، لا يهدأ لهم بال مادام هناك أشبال تحت التمرين على مقربة منهم ، إذ أن أول دروس الشبل هى اقتناص الحمل من مراعاه القريب . حتى القطط فانها تعود أولادها على مداعبة وقنص الجرذان ، وكذلك حال ابن عرس فهو يحضر الفرائس الصغيرة الحية إلى العش ليتدرب عليها الصغار .

حتى العقارب التى نخشاها ونتقى أذاها تعرف الأمومة وتدركها إلى حد يثير الدهشة والحيرة ، فهى متى ولدت صغارها تبقى دون غذاء أسبوعاً كاملا ، وتحمل صغارها على ظهرها وتسير بها ، وإذا سقطت واحدة منها تناولتها باحدى يديها ووضعتها فوق ظهرها ، حتى إذا كبرت الصغار نوعاً وضعتها الأم على الأرض ، وراقبتها من بعد لتحميها من الأعداء ، فاذا ما اشتد ساعدها تركتها وشأنها ، تسعى لشأنها وتدافع عن نفسها .

والـدب مـن الحيوانـات المعروفة بالحنان الزائد ... وتروى عن ذلك قصص عديدة كلها تنطق بتعلقه بأبنائه وحنوه عليهم . ومن أروع هذه القصص ما نقله بحارة السفينة كاركاس التى تجمد حولها الماء فى الأصقاع الشمالية ، وتعطلت مدة من الزمن عن السير .

فذات يوم خرج هؤلاء البحارة من سفينتهم ، وراحوا يوقدون النار للتدفئة بقطع كبيرة من دهن الحوت ... وفجأة اقبلت نحوهم دبة وجروان صغيران ، وقد بدت عليهم علامات الجوع وطبيعى أن يفر البحارة أمام هذه الدبة إلى سفينتهم التى كانت على مقربة منهم .

واقتربت الدبة الأم من النار ، ومدت مخالبها فى النار الموقدة معرضة نفسها للضرر والأذى ، وأخرجت قطعة من دهن الحوت وأعطتها لولديها الجائعين .

وفجأة وهى تطعم الصغيرين ، أطلق بحارة هذه السفينة بنادقهم فأصابوها مع ولديها ... فهرولت نحوهما تضمهما وتلحس جروحهما . دون أن تفكر فى نفسها وما أصابها من رصاص قاتل . حاولت أن تقيم كلا منهما على قدميه . ولما عجزت عن ذلك همت بالمسير لتغريهما بالوقوف ومتابعة السير خلفها ، ولكن كان ذلك من غير جدوى ، فعادت إليهما فوجدتهما جثتين هامدتين فادركت أن هؤلاء البحارة هم المسئولون عن قتل ولديها ،فكشرت عن أنيابها وصاحت فى صوت قوى كالرعد .. وجرت خلفهم والدماء تندفق من جراحها ، لتنتقم من قتلة ولديها .. ولكن كان رصاص البحارة أكثر أذى وأشد فتكا ، فوقعت على الأرض ، تشكو إلى الخالق ظلم الانسان للحيوان .

وحنان الفيلة وأمومتها لا تقف عند حد رعاية صغارها والدفاع عنها ، بل تعمل على تأديبها إذا اقتضى الأمر . ولقد ذكر أحد الرحالة قصة شاهدها بنفسه ، تصور هذه الناحية من الأمومة .

كانت الأم تجر جذعاً كبيراً من الخشب ، إلى جوارها صغيرها يسير بجانبها جنباً إلى جنب ، وكان جذع الشجرة مشدوداً بخطافين معلقين بسلسلتين مربوطتين فى طوق حول عنق هذه الأم . ولما بلغت الأم منحدراً من الأرض ، راحت تستجمع كل قواها لتصعد هذا المنحدر . وفجأة حرك الصغير أحد الخطافين ، فانكفأت هذه الأم على وجهها ، ففر الفيل الصغير مذعوراً إلى الغابة المجاورة ، وانطلقت الأم وراءه حتى لحقت به ، وراحت تضربه بخرطومها مرة بعد مرة . وأخيراً عاد وهو يمشى وراءها ممسكاً ذيلها بخرطومه ، وكأنه بذلك يقدم لها فروض الخضوع والطاعة .

# نزار قبّاني قمّة شعريّة

بقلم : علي حسن تقي



حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
سريعاً ويدعوه الندى فيجيب

لو استبدلنا كلمة الندى بكلمة الشعر لانطبق هذا البيت على الشاعر نزار قباني . فنزار هو حليف الشعر يدعو الشعر فيجيبه سريعاً ويدعوه الشعر فيجيب . وذلك لعمري هو الشعر الحقيقى وذلك هو الشاعر الأصيل .

عندما قرأت نزاراً لأول مرة أحببته من أول قراءة وذلك هو معيار الشعر الجميل الشعر اما ان تحبه لأول وهلة أو ان تكرهه من أول نظرة . الشعر الذى يحتاج إلى دراسة وتفكير وتقليب وتمحيص ليس شعراً الشعر الحقيقى هو الهام قبل كل شىء وانفعال ، والانفعال يأتى بسيطاً ومباشراً لا يحتاج الى اكراه واغصاب ولا يعتمد على الموضوع لكى يصبح شعراً جيداً . فكما قلنا فى مكان آخر فان الموضوع قد يكون من اتفه الأشياء ولكن الشاعر الحقيقى يطرقه فيضفى عليه جمالا ونبلا .

لقد طرق نزار قبانى مواضيع شتى وكل موضوع يطرقه يخلده ويجمله . ولكن موضوعاً واحداً خلده نزار قبانى أكثر من غيره وخلد نزار قبانى أكثر من غيره ، ألا وهو موضوع المرأة . لقد قيل عن نزار انه شاعر المرأة وهل أجمل من هذا النعت ؟ وهل أخلد من هذا الموضوع والمرأة قد عالجها نزار من مختلف الجوانب وبارق الشعر . ولا داعى للدخول فى التفاصيل فدواوين نزار متوفرة وهى تروي ذلك ولكن ما نريد ان نقوله هنا بهذا الخصوص هو ان علاقة نزار بالمرأة هى علاقة خالدة وابدية . علاقة ود ومحبة . علاقة تفاهم وتجاذب . وهى علاقة بسيطة ومباشرة كشعره ليس بها تعقيد أو عقد . لذلك جاءت امرأة نزار انساناً جميلا راقياً وجاء نزار عاشقاً رقيقاً . ان نزار قباني ظاهرة غير عادية فى شعرنا المعاصر ولولا اسلوبه وموضوعه المجدد لحسبناه من شعراء العصر العباسي فى قمته . ولوضعناه الى جانب ابي نواس وابن الرومي والمتنبي . هؤلاء الشعراء المميزون الذين رفعوا مكانة الشعر العربى وجعلوا منه شعراً عالمياً خالداً . وهكذا نزار فهو شاعر عالمى بمعنى الكلمة . فليس من المبالغة فى شىء اذا ما قارناه بالشاعر الفرنسى الحديث لوي أراجون . بل ان نزار واراجون هما من جنس واحد من الشعراء . فأراجون قد جاء فى عصر كثر فيه أنصاف الشعراء فى فرنسا وكثر فيه التعقيد والزيف بعد ان وصل الشعر الفرنسى إلى قمته فى القرن التاسع عشر أما نزار فانه يأتى فى زمن يخرج فيه العرب من عصر الانحطاط فيكثر فيه التخبط والتقليد .

هناك وجه شبه آخر بين اراجون ونزار . فكلاهما الى جانب حبهما للمرأة بكل ما فى ذلك من رقة وعذوبة وعطر قد طرقا موضوعاً يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك ألا وهو السياسة . فأراجون كان ولا يزال شاعراً ملتزماً أما نزار فقد التزم القضية العربية . وكلا الشاعرين أجادا فى طرق هذا الموضوع إجادتهما فى طرق المواضيع الأخرى . وكلاهما لم يفقد رقته الشعرية المباشرة عند علاج موضوع كالسياسة التى يعتقد البعض أنها معقدة .

لقد ظهر نزار قبانى فى فترة كانت فيه الأمة العربية فى أمس الحاجة الى شاعر أصيل ومميز . ولكن يجب ان لاننسى الشعراء الاقل شأناً الذين سبقوا نزارا أو عاصروه فكل ادلى بدلوه بعد عهود الانحطاط الطويلة . وكل ما نأمله هو ان يكون نزار منطلقاً نحو قمم جديدة تعيد الى الشعر العربى مكانته التى يستحقها فى التراث العالمى .

دعـــوة جـــريـئـة لنـاقـد عـربي كـبـيـر

# الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي



الجـزء الثـاني

بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

## صورة اليوت

وجدت فى كتاب برنارد برغونزى عن ت.س.اليوت فى طبعته البريطانية الثانية سنة ١٩٧٢ م ص ١٤٣ (راجع الكتاب واسمه بالانجليزية : T. S. Eliot By Bernard Bergonzi
اشطاراً هجاه بها احد نقاده ونصها كما يلى :

How unpleasant to meet Mr. Eliot!
With his features of clerical cut,
And his brow so grim
and his mouth so prim
and his conversation, so nicely
Reatricted to What Precisely
And If and Perhaps and But.

وترجمتها على وجه التقريب :

ما اسمج لقاء المستر إليوت
بسمت تقاطيعه الاكليروسى .
وبحاجبه جد الكالح .
وبفمه جد المتنطس
وبمحادثته الحريصة على ان
تتقيد بأمثال ماذا تقول على وجه التحديد
وامثال إذا كان ويجوز ولكن .

ومع ما فى هذه الأشطار من سخرية ومرارة فان الصورة التى تطالع القارىء منها غير بعيدة الصفة والملامح جداً مما يطالع قارىء شعر اليوت من اثناء أسطاره وتعليقاته قبل ان يطلع عليها . وفى الذى قدمنا ما عسى أن يشهد بصحة ما نقوله فى هذا الصدد .

## الأرض التى أقفرت

قال الشاعر الجاهلى احد أصحاب المعلقات ، لبيد بن ربيعة العامرى :

عفـت الديـار محلهـا ومقامهـا
بمنـى تأبـد غولها ورجامهـا

وضعنا خطأ تحت (عفت الديار) إذ لفتتنا قوة الشبه بين هذا التعبير وبين عنوان إليوت لمنظومته The Waste Land أى الأرض التى جعلت عافية فاقوت واقفرت وعفت وعفتها السنون :

... وغير الأيام والليلي ...

كما قال ذو الرمة .

فى قاموس الدكتور صمويل جونسون أن معنى Waste الصفة المشتقة من الفعل أولا يدل على تعفية المكان وجعله قفراً وثانياً يدل على الخلو مثل خلو الصحراء والبرية التى لا ديار فيها . وكلا المعنيين متضمن فى عنوان اليوت The Waste Land أى الأرض التى اقفرت أو الأرض المقفرة أو قل عفت الديار .

وللاليوت بعد هذا العنوان عنوان ثان لفصله الأول هو :

The Burial of the Dead

أى : دفن الموتى .

هذا أيضاً لفت نظرى على بعد فى ذلك . شعراء العرب تبدأ فى باب الأطلال بذكر تعفية الديار ثم ذكر أن الرياح دفنتها بما أهالته عليها من غبار ثم جاءت رياح أخرى فازالت هذا

**نشرت الدوحة فى الشهر الماضى القسم الأول من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب ، وتقدم الدوحة فى هذا الشهر الجزء الثانى من البحث ، ونحن نعتذر للقراء الأعزاء ونعتذر للناقد الكبير عن اضطرارنا لتجزئة البحث بسبب طوله ، مما لايحتمله عدد واحد ، وقد أثار الناقد الدكتور عبد الله الطيب فى الجزء الأول من بحثه قضية تأثير الشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » فى الشعر العربى المعاصر ، ودعا الناقد الكبير شعراء العرب إلى التخلص من أثر اليوت ، لأن فى هذا الأثر ضرراً عليهم وعلى مستقبل الشعر العربى ، وفى هذا الجزء الجديد من البحث يواصل الناقد الكبير شرح دعوته وتدعيمها بالحجج والأسانيد ، والدوحة تدعو الرأى العام الأدبى فى الوطن العربى إلى متابعة هذا البحث الهام ومناقشته ، وسوف تفتح الدوحة باب المناقشة بعد نشر الجزء الثالث والأخير من البحث فى العدد القادم .**

**« رئيس التحرير »**

الغبار فبدت معالم الدار ظاهرة فيعرفها الشاعر بعد تامل ، قال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسـمها
لما نسجتها من جنـوب وشـمال

وقال ذو الرمة وبائيته مما ترجمه الأفرنج ونشروه وحققوه :

من دمنـة كشفت عنها الصبا سفعاً
كما تنشر بعد الطيـة الكتـب

وقال لبيد بعد قوله : (عفت الديار) الذى معناه كمعنى عنوان اليوت
The Waste Land :

فمدافـع الريـان عـرى رسـمها
خلقـاً كما ضمن الوحى سـلامها

أى كانت مدفونة فعرتها الرياح وعرتها السيول فاظهرتها ، وذلك قوله : ـ

وجلا السـيول عن الطلول كانهـا
زبـر تجـد متونهـا أقلامهـا

وبعد تعفية الديار ودفن الرياح لها ثم كشفها لها من بعد وتعريتها لرسومها حتى بدت كالنقش القديم على حجارة آثار الأمم الماضية ، بعد هذا يقول لبيد : ـ

رزقـت مرابيع النجـوم وصابهـا
ودق الرواعـد جودها فرهامهـا
فعلا فـروع الأيهقـان واطفلـت
بالجلهتيـن ظباؤهـا ونعامهـا
والعيـن ساكنـة على أطلائهـا
عـوذا تاجـل بالفضـاء بهامها
وجـلا السـيول عن الطلول كانها
زبـر تجـد متونهـا اقلامهـا

وموضع استشهادنا هو البيت الأول الدال على أن مدافع الريان التى دفنتها الرياح ، وهذا المعنى متضمن معروف ، قد عريت فبدت ملساً عليها الآثار كالنقوش ، إما عرتها رياح معاكسة للتى دفنتها وإما عرتها السيول .

ورب قائل إن المعانى مشتركة والعواطف الانسانية التى تلابس المعانى متقاربة ، وخواطر البشر كثيراً ما تتفق ، ولذلك قديماً ما قيل ، قد يقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، ويرد على مثل هذا القائل بأن الصياغات والأشكال البيانية والرنات المعبرة المؤثرة هى التى يتفوق بها الشعراء والكتاب والخطباء ويتميزون عن غيرهم ، وهى التى يقع فيها التقليد والاخذ والتوليد والنظر والاغارة والاختلأس . ولقد فطن الى ذلك نقاد العرب القدماء وخصصوا له الأبواب فى تصانيفهم . ومما تعمقوا فى الفطنة اليه والتنبيه عليه أن الاخذ يكون فى نوع الصياغة كما يكون فى المعانى . من ذلك مثلا ما ذكروه عن أبى عبادة البحترى انه سال النوبختى عن بيت أبى نواس : ـ

ولم ادر من هم غير ما شـهدت به
بشرقى سـاباط الديـار البسابس

وهو آخر أبياته السينية الجميلة التى أولها :

ودار ندامـى عطلوهـا وأدلجوا
بهـا اثـر منهـم جديـد ودارس

اتدرى من اين اخذ ابو نواس قوله ؟ قال النوبختى فقلت لا . قال من قول أبى خراش :

ولم أدر من القـى عليـه رداءه
ولكنـه قـد سـل عن ماجـد محض

قلت له : والمعنى مختلف ؟ قال : اما ترى حذو الكلام واحداً ؟ وأبو خراش من شعراء هذيل

## ● التشابه والتوافق وتوارد الخواطر في المعاني جائز .. أما الصياغات وأشكال الأداء فأمرها مختلف

والبيت من قطعة يذكر فيها ابو خراش مقتل اخيه عروة ونجاة ابنه خراش ويمدح رجلا القى على خراش رداءه ليجيره حتى نجا ولم يعرف هذا الرجل فهذا مراده من قوله : «ولم ادر من القى عليه رداءه» وفطن البحترى الى ان ابا نواس حذا كلامه على نهج كلام ابى خراش مع اختلاف المعنى والموضوع . وقد كان البحترى ناقداً ثاقب النظر (راجع الذخيرة لابن بسام ، دار الكتب مصر ١٩٣٩ م القسم الأول المجلد الأول ص ٥٩ ـ ٦٠) .

ومن امثلة حذو الكلام على الكلام مع شدة مراعاة الصياغة على تقارب المعانى قول المعرى يصف نار القرى :

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى
ترمى بكل شرارة كطراف

والطراف ضرب من بيوت البادية .

حذا المعرى كلامه على الآية : «إنها ترمى بشرر كالقصر» وقد نبه الى هذا الزمخشرى فى تفسير هذه الآية فى الكشاف .

ومن امثلة الحذو بمراعاة الصياغة مع تباعد المعانى قول المتنبى : ـ

فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى
ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما اصبى

وهو فى نسيب قصيدته (فدينك من ربع وان زدتنا كربا) حذاه على منهج ليلى الأخيلية فى رثائها توبة بن الحمير حيث قالت :

فيا توب للهيجا ويا توب للندى
ويا توب للمستنبح المتنور

اهتم ابو الطيب كما ترى بمحاكاة الايقاع . (راجع التماسة عزاء بين الشعراء ص ١٢٢) .

وإنما استطردنا هذا الاستطراد للتنبيه على ان الاخذ لا يقع فى المعانى وحدها وان التشابه والتوافق وتوارد الخواطر فى المعانى جائز ، اما الصياغات واشكال الأداء فامرها مختلف ، ومتى وجدنا تشابها فيها وجب علينا ان نرجح اخذ المتاخر فى الزمان عن المتقدم وان نجزم بذلك متى ما وجدنا ما يدل على الصلات والوسائط التى يكون بها الأخذ . ورب حدس كترجيح وترجيح كجزم . والله تعالى أعلم .

ونحن إذ ذكرنا لبيد والأبيات الأوليات من معلقته نريد التنبيه على حذو إليوت على شكل القصيدة العربية بوجه عام وعلى اول معلقة لبيد بوجه خاص وكذلك حذا على نماذج من معلقة امرىء القيس ـ على انه لا ينبغى ان ننسى غموض إليوت والتواءات اسلوبه ولا شيئيته ذات السطح المتعبق .

سياق معانى لبيد هكذا : ـ

(١) تعفية الديار The Waste Land

(٢) اندفان الرسوم ثم تعريتها حتى وضحت معالمها The Burial of the Dead

(٣) هطول امطار الربيع وما نشا عنها من زيادة التعفية .

April is the cruellest month

جعلنا فى مقابلة سياق لبيد بعض عناوين إليوت وابتداءاته سياق تاليف إليوت ينتهى بعد عناوينه ، Tre Waste Land (الأرض المقفرة ، الارض التى عفت ، عفت الديار)

(اى دفن الموتى وقد تقدم كلامنا عنه) ، بذكره الربيع وامطاره كالذى صنعه لبيد فى قوله :

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

قال اليوت بعد العنوانين اللذين يشبهان طريقة بدء قدمائنا بعفاء الديار واندفانها (انظر منظومته من السطر ١ ـ الى ـ ٨ ص ٢٧) : ـ

April is the cruellest month breeding
Lilacs out of the dead land, mixing
Memory and desire, stirring
Dull roots with spring rain.
Winter kept us warm, covering
Earth in forgetful snow, feeding
A little life with dried tubers.
Summer suprised us ..............

تلفت النظر اول شيء الى لزوم إليوت فى خمسة من اسطاره هذه نظاماً ذا شبه بالقافية العربية وهو الصيغة الصرفية (انق) ing . وقد جاء بسجعة تامة فى (بريدنق ـ breeding القاف مقاربة للكاف كنطقها فى دارجتنا ودارجة كثير من البلاد العربية) و feeding (فيدنق) وكالتامة فى Stirring (ستيرنق) وفى covering (كفرنق) وترجمة كلام إليوت الذى مر كما يلى على وجه التقريب :

ابريل اقسى الشهور ، منبتا
زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجا
الذكرى بالشهوة ، مثيرا
الجذور الفاترة بمطر الربيع .
كان الشتاء قد حفظنا فى دفء ، مغطياً
الأرض فى الجليد الناسى ، مطعماً
حياة قليلة بانابيش جافة .
فاجانا الصيف .....

قول إليوت : ابريل اقسى الشهور الخ بعد تعفية الأرض The Waste Land وبعد دفن الموتى The Burial of the Dead يشبه قول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

الجود بفتح الجيم وسكون الواو المطر الغزير والرهام بكسر الراء وهاء مفتوحة بعدها الف ثم ميم جمع رهمة بكسر الراء وسكون الهاء ، وميم مفتوحة بعدها علامة التانيث التاء المتحركة وهى الأمطار الخفاف اللطيفة .

ترجمة هذا البيت كما ترجمه المستشرق الانجليزى السير وليم جونز :

The rainy constellations of spring have made their hills green and luxuriant: the drops from thunder clouds have drenched them with profuse as well as gentle showers.

مجمل معنى كلام لبيد ان امطار نجوم الربيع هطلت على هذا المكان المقفر فزادته توحيشاً لتعفيتها كل اثر ولخلوه من الأحبة ولحلول النعام والبقر الوحشية وما اشبه فيه بعد عهدهم. هذه قسلوة لا تخفى .

مع هذا علينا ان نتذكر ان السير وليم جونز جاء في ترجمته بكلمة.. showers ومعناها رش المطر وهموله فى قوله :


أبو نواس


المتنبى


أبو العلاء المعرى


برتراند راسل

......... profuse, as well as gentle Showers ...

ليدل بذلك على معنى المطر الغزير ( الجود ) والأمطار الخفاف اللطاف ( الرهام ) أو كما قال لبيد : « ودق الرواعد جودها فرهامها » .

— قول وليم جونز هنا « ... Showers ينبغي أن يوقف عنده لأن هذه الكلمة كثيراً ما ترتبط في الذهن بالقول الانجليزى المعروف الجاري مجرى المثل :

March winds, April showers,
Bring fourth May flowers.

اى رياح مارس وامطار ابريل .
تخرج بهن ازهار مايو .

( لايخفى أن مارس هو اذار وابريل نيسان ومايو ايار فمن شاء ان يضع ذلك مكان ما وضعناه فله ان يفعل ) .

وابريل بحبوبة اشهر الربيع فذكره يدل عليه . واستشهدنا بترجمة وليم جونز لنشير إلى انه لوصح أن إليوت اطلع عليها فانه يكون بنى قوله « ابريل اقسى الشهور » على كلمة Showers الواردة فيها . وقد سبق التنبيه منا على أن قوله : « ابريل اقسى الشهور » بعد عنوانيه الدالين على العفاء والاندفان شبيه في سياقه بسياق لبيد :

(١) عفت الديار محلها فمقامها ...
(٢) ... جلا السيول عن الطلول ..
(٣) رزقت مرابيع النجوم ...

ولا يقف الأمر عند هذا كما سيجيء من بعد ان شاء الله .

هنا نتساءل : هل اطلع إليوت حقاً على ترجمة السير وليم جونز للمعلقات ؟

## أعمال مستشرق قدير

كان السير وليم جونز Sir William Jones من قدماء الاستشراق وجهابذتـه تعلم في هارو واكسفورد ( التى قصدها إليوت وتعلم بها ) واتقن اللغات الكلاسيكية ( أى اليونانية القديمة واللاتينية ) مع الفرنسية ولغات اوربية معاصرة اخرى ودرس العربية والفارسية وكتب ملخصا فى نحوها وبعد درسه القضاء واشتغاله بالقانون عين قاضياً بالمحكمة العليا بفورت وليم ( كلكتا ) بالهند وتعمق فى درس السنسكريتية ( لغة الهند القديمة ) وكتب رسالة عن الشعر الشرقي باللغة الفرنسية Traité sur la Poésie Orientale طبعت أول مرة بلندن سنة ١٧٧١ م واعيد طبعها واعاد كتابتها بلغته الانجليزية أيضاً اشاد فيها بمكان الشعر العربي ونبه على موضع معلقة لبيد وامرىء القيس ، واستشهد في ما استشهد بقول ابي تمام :

إن القوافي والمساعي لم تزل
مثل النظام اذا اصـاب فريداً
هى جوهر نثر فان الفنه
بالنظم صار قلائداً وعقوداً

مترجماً للبيتين من دون ذكر نصهما العربي . وله مختارات من اشعار العرب والفرس وامم للشرق من ضمنها لامية المعري :

اعن وخد القلاص كشفت حالا
ومن عنـد الظلام طلبت مالا

أوردها نموذجاً لشعر المدح الذى استشهد على اهميته ببيتي ابي تمام المتقدمين . وكان ابو تمام من أوائل من عرفه المستشرقون وطبعت حماسته فى المانيا سنة ١٧٤٨ وترجمت باللاتينية وقد تاثر جوتة الشاعر الالماني فى ترجمته للامية المنسوبة إلى تابط شراً :

إن بالشعب الذى دون سـلع
لقتيـلا دمـه ما يطـل

بترجمة فريتاغ اللاتينية فى ما زعمه المستشرق الانجليزى السير شارلس ليال . ( انظر ترجمته لها وتعليقه ص ٥٠ من مختاراته للترجمـة من الشـعر العربي القـديم Translations of Ancient Arabian Poetry تاليف شارلس جيمس ليال Charles James Lyall الموظف ببنغال طبع لندن ١٨٨٥ م ) .

وترجمة السير شارلس ليال هذه ذكر هو نفسه انه صنعها متاثراً بترجمة المانية للحماسة .

## ترجمة المعلقات السبع

وقد ترجم السير وليم جونز المعلقات السبع ترجمة حـسنة ناصعة الأسلوب وجعل لكل معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن الوزن وما يقابله من أوزان الانجليزية وعن طريقة أسلوب الشاعر ومعانيه وتشبيهاته ومجازه وعناصر الوحدة في نظمه واردف ذلك بكتابة بالحرف اللاتيني بحسب النطق لكل مبالغة منه فى التقريب . وقد تاثر به واقتدى ليال فى كتابه للشار إليه انفا ونيكلسون فى ترجماته التى ضمنها تاريخه للادب العربى . ولم يترجم ليال من المعلقات غير اخر لامية امرىء القيس وغير ميمية زهير وكانه اكتفى فى هذا المجال بعمل السير وليم جونز لجودته . وترجمة السير وليم جونز للمعلقات فى ٤٦ صفحة نشرت وطبعت بلندن سنة ١٧٧٢ م وسنة ١٧٨٣ م ومرات بعد ذلك وتوجد من ذلك نسخ فى مكتبة المتحف البريطانى رايتها ومن قبل اعتمدت على نسخة صورت لى منها وفى كمبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير وليم جونز صورت لى منها نسخة من رسالته عن الشعر الشرقي المشار اليها انفا ولا ريب فى وجود نسخ من مؤلفاته باكسفورد وسوى ذلك من الخزانات الجياد وترجمة السير وليم جونز المستشرق فى الجزء الثالث عشر من الموسوعة البريطانية ومكان اسمه فى الفهارس عامر بما له من تصانيف ومن أهم تاليفه ترجمته للسكونتالة وهى من مسرحيات اللغة الهندية القديمة وترجح الموسوعة البريطانية (ج ١٣ ص ٢٤٤ طبعة ١٩٤٧ م ) أن مؤلفها كالداسـة Kalidasa من أدباء الهند القديمة عاش فى المائة الميلادية الثالثة . وللسير وليم جونز كتاب فى الموازنة بين تشريع الملكية الخاصة عند المسلمين وعند الهندوس وغير ذلك مما هو ادخل فى حدود فلسفة القانون وعلوم الاجتماع .

## صـلة إليوت بالاستشراق

إذا تذكرت أيها القارىء الكريم أن إليوت كان على جوينب من الاستشراق إذ قد درس لغة الهند القديمة سنتين بهارفارد وفلسفة الهند مدى سنة وهو يعد للدكتوراه ، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر وقد قال إن دراسته هذه ، معترفاً بما

اصاب فيها من مشقة ، تركته فى حيرة مستنيرة enlighted myctification ( راجع كتاب برغونزى ص ٢٣ ) ومع ذلك كان يزعم انه كان يتذوق الشعر السنسكريتى وقد ترك فى نفسه اثراً عظيماً . إذا تذكرت هذا واضفت إليه صحبته لازراپاوند وتاثره به وكان هذا ذا ولع صادق فيه أو كاذب بلغة الصين وآدابها . وإذا اضفت أيضاً أن إليوت اتصل بجماعة التصويريين (Imagists) - وكانوا يدعون إلى محاكاة أشعار الشرق وأساليب أغانى العهد القديم العبرانية ، وزدت على هذا أن إليوت نفسه قد ذكر انه كان قرأ فى صباه رباعيات الخيام المترجمة وأعجب بها . ( أحسب أن إليوت ذكر ان ذلك كان منه فى زمان الصبا انفة منه أن ينسب إلى الرومانتيكية وهو صاحب كلاسيكية فى زعمه وواقعية جادة ، ونذكر على سبيل الاستطراد فى هذا الصدد مقال برتراند رسل Bertrand Russel فى كتابه History of Western Philosophy تاريخ الفلسفة الغربية طبعة ١٩٧٤ ص ٦٥٤ حيث قال عن الرومانتكيين الألمان انهم كانوا شباباً وفى أوج شبابهم كان أجود تعبيرهم عن الروح الرومانتيكى ، اما الذين لم يسعدهم الحظ منهم بالموت فى الشباب كما قال فقد طاحت فرديتهم إذ طغت عليها فغطتها الكثلكة بما تتطلبه من خضوع وتسليم . فهل كان تراجع إليوت من مذهب أسرته وآبائه البيوريتاني - والبيوريتانية طرف من المذهب البروتستانتى - إلى محافظة الكثلكة الانجليزية من دافع رومانتكى ياترى ؟ ) - هذا وإذا تذكرت مع ما تقدم أن إليوت أديب مثقف ناقد قارىء وذو دعوى فى ذلك طويلة عريضة ، الا ترجح معى حينئذ الا يكون قد خفي عنه مكان السير وليم جونز المستشرق فى معرفته باللغات الشرقية والصينية والسنسكريتية وادابها وفلسفة الهند القديمة مما زعم انه اثر فيه وإن يك قد وجد فيه عسراً وانصرف عن مواصلة درسه متحيراً مستنيراً كما زعم ، ولعل السكونتالة مع ترجمة فيلم جونز كانت من مقرر الدرس . وقد كانت رسالته الفرنسية واختها الانجليزية عن الشعر الشرقى معروفتين عند المستشرقين وقد ذكرنا انه نبه على المعلقات وعلى إمرىء القيس ولبيد وقد دافع عن شعر العرب وقطع بان الافرنج الأوائل إنما اخذوا القوافى عن عرب الأندلس .

اضف الى هذا أن اليوت كان معجباً بالبريطانيين وإمبراطوريتهم معتزاً بذلك ، وقد ترك بلاده التى كانت تعد من بلاد الرمز إلى الحرية لثورتها على الاستعمار فى سنة ١٧٨١م ولاعلانها حقوق الانسان ، وتجنس بالجنسية البريطانية وببريطانية اقام والى كنيستها الانجلوكثلوكية انتهى .

## ● من هو الذي فطن إلى أن إليوت أخذ من الأدب العربي القديم ؟!

### الشىء بالشىء يذكر

ونذكر من باب الاستطراد ان اليوت كان شديد الاعجاب بالشاعر المعاصر لزمان شكسبير جون دون John Donne

وكان غامض العبارة كثير الاشارة متلوى عقد الأسلوب واسع الاطلاع عالماً بالكوميدية الآلهية لدانتى فى نصها الاصيل من أسرة متطرفة فى الكثلكة نشا كاثوليكيا ثم تحول الى كنيسة انجلترا الانجلوكثوليكية واخلص فى خدمة الملك واتهمه بعض نقاده بانه كان فى نفسه منطوياً على شعور بالخيانة لعقيدته وتراث اسرته فذلك جر عليه كثيراً مما اخذ به من عقد الأسلوب . وحمد النقاد لجون دون انه قارب برنة نغمه الشعرى رنات نبرات الكلام الذى يدور فى حديث الناس . هذا الشىء بالشىء يذكر ، فتأمل .

ونعود الى ما كنا فيه فنقول لابد أن يكون اليوت قد اطلع على مؤلفات السير وليم جونز فى شعراء فارس والصين والهند وضروب تصانيفه فى هذا الباب الشرقى الفضى الذى كان فيه من أعمدة استاذيه شارلس لامان وجيمز وود (Charles Lammans and James Wood) استاذى السنسكريتيه والفلسفة الهندية بهارفارد بلا ريب . وهل تظن أيها القارىء الكريم أنه إذا دعا واجب الدرس إليوت الطالب المعد للدكتوراه أن يتحير ويستنير بشعر السنسكريتيه - وهو أمر اقر بمعرفته وادعى تذوقه وسكونتالة جزء منه ومعرفة ترجمتها متممة لتذوقه - هل تظن انه اذا اطلع على ذلك وعلى ما ترجم من أدب الفرس وكان اليه مائلا ولوليم جونز فيه من العمل ما قد قدمنا ذكره مع اختياراته من شعراء الشرق ومن بينهم حافظ الشيرازى ... هل تظن انه اذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافى الذى ترجم فيه المعلقات ؟ هذا مع العلم بان السير وليم جونز قد نبه فى رسالتيه الفرنسية والانجليزية عن مكان شعر المعلقات الرفيع ؟

### المستشرقون قبيلة فكرية

إن مكتبات الاقسام الشرقية فى جامعات اوروبا كثيراً ماتكون فى موضع واحد ، وكثيراً ماتقع بين طلبة لغات الشرق الذين يختلفون اليها ضروب من التعارف وتبادل الآراء ، ويكونون اشبه بقبيلة فكرية واحدة ، فيشتاق من يقرأ الهندية مثلا أن يقرأ لمستشرق مشهور كتب في آداب الفارسية أو التركية أو العربية مثلا أو كتب فى باب من أبواب الأدب المحض ذى الطابع الشرقى القوى كالسير شارلس دواتى Sir Charles Doughty فى كتابة Arabia Desert (اى الصحراء العربية) ورديارد كبلنج Rudyard Kipling فى قصته (كم) Kim وغيرها واشعارها وكان اليوت به معجباً وقد عاصره ولعله لقيه وكان يقال له شاعر الامبراطورية الكبير ووصفه إليوت بانه كان من كتاب التراتيل الدينية العظام فيما ذكره روبسون (ص ١٧) a great human writer . وكان للمدرسة الهندية البريطانية فى المكتبة الشرقية مكان مرموق وقد قدمنا ذكر السير وليم جونز وكان فيها بمنزلة المؤسس وممن كان ينتمى اليها من كبار المستشرقين السير شارلس ليال صاحب ترجمة المختارات التى مر ذكرها ومن بينها شىء من المعلقات (زهير وامرىء القيس) وصاحب ترجمة المفضليات والشرح والتعليق الوافى (اكسفورد ١٩١٨) وراجع للمزيد فى هذا الصدد تاريخ كمبردج الصغير للأدب الانجليزى الذى مر ذكره فى الفصل الذى جعله للأدب الهندى الانجليزى من ص ٧٣٤ إلى ص ٧٤٤ . وقد نشر مكانتي على زمان اليوت شعر ذى الرمة ولعله لقيه وقد ترجمت بائية ذى الرمة من قبل . وقد ترجمت المعلقات بالفرنسية وبانت سعاد وترجم بالالمانية شعر عربى كثير وكان اليوت بالفرنسية والالمانية وغيرها عالماً وقد درس بالمانيا كما درس بباريس .

إذا صح ما قدمناه من تعارف أسرة من يعرفون اللغات الشرقية وتقارب اسباب قبيلتهم فكيف يكون الأمر إذ كان احد هؤلاء اديباً شاعراً طموحاً موسوعياً ذا مقدرة ودهاء مثل إليوت واصاب ضالة نادرة فى موسوعى نادر مثل وليم جونز الذى لما وصل الى الهند كان مستشرقاً ناضجاً وزاد فيها نضجاً وفتح الطريق لمن بعده ؟

على أن الاستشراق فى زمان إليوت فى هذا القرن الميلادى العشرين إلى قريب من أوساطه قد صارت تغلب عليه سمة التخصص مكان الموسوعية فاذا اخذ اليوت مثلا من الأدب العربى وهو غير معروف بانه درس لغة العرب وآدابها ولكن معروف بان درسه إنما كان للغة الهند

القديمة ، فمن سيفطن الى انه اخذ من الادب العربى القديم ثم يتهمه بناء على ذلك بالسرقة من أدب العرب ؟

بعيد جداً أن يتنبه احد الى السير وليم جونز صاحب ترجمة السكونتالة او الشاكونتالة Shakuntala (تاريخ كمبردج ٧٣٥) والمختارات من اشعار فارس والهند والصين هو ايضاً قد كان طريقاً سرياً خفياً سلكه إليوت الى النظر او الاخذ او الاختلاس او السرقة من اسلوب المعلقات وشكل صياغتها ومعانيها وكتمان ذلك وإخفائه كل الاخفاء وحذفه كل الحذف ، كما قد حذف كلمة (العربية Arabian ) واشارته الى وليم وردزورث وكلمة (جزيرة العرب Arabia) واشارته الى والتردي لامير . نعود بعد هذه الفذلكة الى ما كنا فيه من تتبع أسطار منظومة إليوت .

## ليلاك أو ليلك

أول ما ذكره إليوت من شواهد قساوة ابريل انباته زهرة ليلى وهى التى يقال لها في الانجليزية ( ليلاك lilac ) ونقل برغونزى ( ص ٥ ) أن الليلاك كان كثيراً فى سياجات هارفارد النباتية كانه يشرح بذلك وروده في شعره . وذكر إليوت هذه الزهرة الشرقية الاسلامية المعدن فى سياقه الذى يقرنها فيه بالذكرى والجنس عجب : ( راجع قوله :

........., breeding
Lilacs out of the dead land. mixing
Memory and desire, ..............

والترجمة : منبتا
زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجا
الذكرى بالشهوه )

إذ قد كان أشبه باساليب لغته وحضارته لو قد نكر الورد وكان من ضروب نواوير أوروبا وبريطانية وامريكا – أم ليت شعرى هل فر من رومانتكية الورد وما بمجراه ؟

فى معجم اكسفورد فى تخريج كلمة ( ليلاك Lilac ) أن أصلها من ( ليك ) العربية ولا وجود لهذا اللفظ ( ليلاك أو ليلك ) فى العربية إسماً لهذه الزهرة ، واصل هذا التخريج من للستشرق ر . دوزى R. Dozy (راجع المجلد الثانى ص ٥٦٢ من معجمه طبعة باريس ولندن ١٩٧٢ – واسم المعجم يدل على انه تكملة وملحق للمعاجم العربية : Supplement aux Dictionaires Arabes)

ظن دوزي أن النيلج بكسر النون هو الليلاك lilac مع انه كان يعلم ان النيلج هو النيلة الزرقاء . وذكر الفيروزابادي ( النيل ) بلا تاء فى


دانتى


حافظ الشيرازى

أخرها فى مادة ( وسم ) فى تفسير لفظ الوسمة بفتح الواو وكسر السين او سكونها وبعدها ميم مفتوحة فهاء التانيث قال الفيروزابادى : « ورق النيل او نبات يخضب بورقه» وأحسب أن الشك جاء الفيروزابادي من أن لفظ العظلم الوارد فى شعر عنترة يستخرج منه صبغ اسود او النيلة وقيل هو صبغ احمر وبيت عنترة هو قوله فى معلقته :

عهدي به مد النهار كانما
صبغ البنان وراسه بالعظلم

وذكر الفيروزابادي ( النيلج ) بكسر النون فى مادة ( نلته ) وذكر طريقة استخراج ( النيلج ) بمعنى ( النيلة ) من العظلم . جاء هنا بالنيلة مقرونة بالتاء المتحركة علامة التانيث وفى شرحه لكلمة ( الوسمة ) ذكر النيل مثل اسم نهر النيل بلا تاء التانيث . وكلمة ( النيلج ) بكسر النون غير عربية الأصل ولكن معربة مثل فالوذج ولوزينج وهلم جرا ومعنى النيلج كما تقدم النبات الذى تستخرج منه النيلة الزرقاء .

واضطرب شراح بيت عنترة واكتفى السير وليم جونز برسم لفظ العظلم نفسه بالحرف اللاتيني من دون ترجمة له ، هكذا (Idhlim) والراجح عندى أن عنترة أراد الزرقة لا الحمرة يكني بذلك عن الموت وذهاب حمرة دم الحياة . وقد نقل عن الأزهرى أنه اختضب بالعظلم يسود به شعره فهذا يقوى ما ذكره الفيروزابادي وعليه تفسير التبريزي فى شرحه أن العظلم هو الوسمة ولم يزد على ذلك .عنى عنترة ان عهده به ، وقد قتله ، وقد صار لون رأسه كله ، والوجه من الراس ، ولون أصابعه أزرق هامداً بعد ان كان كل ذلك مشرقاً ناضراً بالحياة . ولا يخلو عنترة فى قوله هذا من بعض التعريض الساخر المر ، كان يقال مثلا : « صار المسكين أسود مثلى أنا العبد بعد أن كان حراً أبيض » : قال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » . والله تعالى اعلم .

ليس ( النيلج ) بكسر النون هو الليلاك lilac الليلاك شىء غير النيلج . الليلك lilac هو زهرة ليلى الفارسية وقد يقال له فى عربية اليوم زهر البنفسج وليس كله بنفسجياً ولكن منه ذو اللون البنفسجى وذو اللون الأبيض . وفى معجم اكسفورد ومعجم وبستر أن الشبه المتوهم بين اللون الأزرق واللون البنفسجي هو مما جعل اسم « ليلاك lilac » يطلق على الزهرة المسماة باسمه اشتقاقاً من كلمة ( النلج الدالة على اللون الأزرق وهذا أصله من دوزي وهو بعيد وليس بشىء . وفى معجم لاروس الفرنسي أن أصل « الليلاك » من بلاد الشرق الأوسط وانه يزرع من اجل نواويره البيض والبنفسجيات وذكر لاروس انه من أسرة Oléacées ( اوليايسه ) التى منها الياسمين والزيتون .

ويظهر أن هذه الكلمة الفرنسية Oléacées ( اوليايسه ) نفسها قد حرفت من الفارسية ( جل ياس ) تنطقها كالجيم المصرية بين الكاف والقاف وتكتب بالكاف المعقودة ( كل ياس ) .

و ( جل ياس ) أصلها من ( جل ليلى ) او ( كل ليلى ) أى وردة ليلى أو زهرة ليلى ثم شبهوها بالياسمين فقالوا ( جل ياس ) او كل ياس ) . ونبئت أن ( جل ) بالجيم التى كالكاف معناها بالفارسية الورد وهى أصل الجل بفتح الجيم وضمها الواردة في شعر الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمو
ن والمسـمعات بقصابهـا

قال الفيروزبادى : ( وبالضم ويفتح الياسمين والورد ابيضه واحمره واصفره ) ومن (جل ياس) اخذت كلمة Oléacées الفرنسية ومنها اخذت الكلمة الدالة على هذا الزهر فى الفرنسية الآن وهى : ليلا بكسر اللام بعدها ياء فلام ألف (lilas) – راجع لاروس الكبير طبعة ١٩٧٥ م المجلد ٤ ص ٣٠٥٣ والمجلدة ص ٣٧٦٠ . وراجع أيضاً المعجم الفارسي المتوسط لمحمد معين طبعة طهران ١٩٧٥ ص 5243 في المجلد الرابع وقد اطلعت عليه واستعنت بمن يعرف الفارسية ومنه أفدت ما تقدم وذكر كلمة ( ليلك ) وهى ذات مدلول مختلف فى المجلد ٣ فى ص ٣٦٧٠ . وقد ذكر لين Lane فى معجمه العربى الانجليزى أن الجل من أصل فارسي واصاب ( طبعة بيروت المصورة ١٩٨٠ م ٢ ص ٤٣٧ ) والعجب لبادجر Badger فى معجمه العربى الانجليزى تصوير بيروت ١٩٨٠ م ص ٥٧٦ ) إذ ترجم : (ليلاك lilac) بـ(لعلى) وهى لفظ لا وجود لـه .

الجزء الثالث والأخير
في العدد القادم

بدأ الاهتمام بتعليم الفتاة وتربيتها منذ أن قام رفاعة الطهطاوى بتاليف كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » ، ثم تطورت قضية المرأة العربية منذ الف قاسم أمين كتابيه : « تحرير المراة » و « المراة الجديدة » وقد اختلف المفكرون من قضية تحرير المراة ، فقالوا عنها ما قالوا ، وذهبوا فيها مذاهب ، وكان الممانعون فى تحريرها وتعليمها أكثر بكثير من المؤيدين لها . وقد دخل الشعراء ميدان المعركة مؤيدين ومعارضين فالهبوا ضرامها ..

# شعراؤنا وقضية تحرير المرأة

بقلم : صبري أحمد نصره

ساند الشعراء فكرة تعليم المراة وتربيتها حتى تتمكن من تادية رسالتها على الوجه الأكمل لأن المراة هى الأم التى تغرس النبتة الأولى من التربية فى نفوس النشء ، وتضع الحجر الأساسي فى بناء اخلاقه ، وإذا كان نور المعرفة لم يشع على عقلية الأم ، فكيف يتيسر لها ان تمثل دورها على صورة نافعة ، ومن اين تغترف هذه الثقافة التى تحتم عليها رسالتها بان تبثها فى الطفل .

يقول الشاعر العراقي معروف الرصافي :

هل يعلم الشرقي أن حياته
تعلو إذا ربى البنات وهذبا ؟
وقضى لها بالحق دون تحكم
فيها وعلمها العلوم وأدبا ؟

ويقول شاعر العراق الكبير جميل الزهاوي :

إنما المراة والمرء
سواء فى الجداره
علموا المراة فالمراة
عنوان الحضاره

ويقول حافظ ابراهيم :

من لي بتربية النساء فانها
فى الشرق علة ذلك الأخفاق ؟
الأم مدرسة إذا أعددتها
اعددت شعباً طيب الأعراق ؟

ويقول خليل مطران :

هذب بنات الشعب إن شئت ان
تبلغه اقصى المنى من أمم
إن لم تكن أم فلا أمة
وإنما بالأمهات الأمم

إن أغلب الشعراء قد أيدوا تعليم الفتاة من اجل أن تكون أماً صالحة فقط ، ودون أن تشارك فى الأعباء الاجتماعية ، والحياة السياسية

يقول العقاد :

« والواجب أن نعني أولا بتعليمها ما تنشأ به امراة قادرة على النهوض بنصف أعباء الهيئة الاجتماعية » .

## الحجاب والسفور

وقف الشعراء إزاء الحجاب والسفور فريقين : فريق يؤيد الحجاب ، وفريق يؤيد السفور ، فاما الفريق الأول فهو يرى أن سفور المراة مخالف للدين والتقاليد ، واعتبروا هذا نذيراً من نذر الشر . وأما الفريق الثاني فهو يتحمس لهذا السفور ويعده دعامة قوية من دعامات التقدم .

يؤيد شوقى السفور قائلا :

قل للرجال طغى الأسير
طير الحجال متى يطير ؟
أوهى جناحيه الحديد
وحز ساقيه الحرير
ذهب الحجاب بصبره
وأطال حيرته السفور

ثم يقول شوقي إن حرية المراة كحرية الرجل على حد سواء :

حرية خلق الاناث
لها كما خلق الذكور

وكان الشاعر العراقى جميل الزهاوى من أجهر الشعراء صوتاً بالدعوة الى تحرير المراة . فقد قال فى ذلك :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا
واسفرى فالحياة تبغى إنقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث
فقد كان حارساً كذابا

ومن المعارضين للسفور : الشاعر محمد بن عبد المطلب ، فهو القائل :


هدى شعراوى


حافظ ابراهيم


معروف الرصافى


خليل مطران


عباس العقاد

ما هــذه الحبـرات تهفـــو
فـــى الخمائـــــل والحقـــول ؟
نكـــر العفـــــاف ذيولهـــــا
ومـــن الخنـــا قصـــر الذيــول
أودى شفيـــف نقابهـــــا
بكرامـــة الأم البتــــــول
وانجــاب جيـــب قميصهــــا
عـــن وصمـــة الشيـــخ البجيل
وعـــلا رنيـــن حجولهـــا
أسفـــاً عـــلى الذيـــل الطويل
فـــاذا مشـــت هتك النقـــاب
محاســـن الوجـــــه الجميـــل

أما حافظ ابراهيم فكان ذا موقف معتدل فى الحجاب والسفور ، فهو القائل :

أنـا لا أقول دعـوا النساء سوافـرا
بين الرجال يجلـن فى الأســواق
يفعلـن أفعـال الرجـال لواهيـا
عـن واجبـات نواعس الأحـداق
كلا ، ولا أدعـوكم ان تسرفــوا
فى الحجب والتضييق والارقـاق
ليست نسـاؤكم حلـىً وجواهـرا
خـوف الضياع تصـان فى الأحقاق
فتوسطـــوا فى الحالتين وانصفـوا
فالشـر فى التقييد والاطـــلاق

لم تكن حرية المرأة فى مجموعها إيجابية ، بل كانت لها سلبيـات ، وهذه السلبيات لم تكن من صنع دعاة حرية المرأة ، بل ممن أخطأن فهم هذه الحرية ...

## الايجابيـات

● أصبحت الحركة النسوية قوة وطنية يعتد بها وعاملا قوياً من عوامل النهضة الوطنية ، فقد خرجـت أول مظاهرة نسوية فى مصـر عام ١٩١٩م للاشتراك فى الثورة القائمة آنذاك . وعن هذه المظاهرة يقول حافظ ابراهيم :

خـرج الغوانـــى يحتججـــن
ورحـــت أرقـــب جمعهنـــه
فـــاذا بهـــن اتخـــذن مـــن
ســـواد الثيـــاب شعارهنـــه
فطلعـــن مثـــل كواكـــب
يسطعـــن فى وســـط الدجنـه

● أسست السيدة هدى شعراوى زعيمة الحركة النسائية فى الشرق العربي جمعية الاتحاد النسائي ، وأصبح هذا الاتحاد يمثل فى المؤتمرات النسائية التى تعقد فى أوربا ، كما انشأت هـدى شعراوي مجلـة نسائية بالعربية والفرنسيـة لتعريف الشرق والغـرب بنساء العـرب .

وفى صيف عام ١٩٣٣م احتفل نادى الاتحاد النسائي بتخرج أول فوج من فتيات جامعة القاهرة ، وكن خمس فتيات ، ودعي الشاعر خليل مطران ، فالقى قصيـدة قال فيهـا :

أنصفـت يا (نور الهـدى) ولحكمة
أذكيـت شعلـة عزمـك المتوقـد
نعـم المثـال مثالك الأعلـى لمـن
بـك فى الرياســة والكياسة يقتدى

## ومن الآثار السلبية

● إسراف بعض النساء فى السفـور ، مما جعلهـن عرضة للسخـط والنقـد اللاذع .

يقول علي الجنـدى :

قلت ياحسنـــاء هـــذا الـ
حســن بالستـر قمـــين
بـــات نهبـــاً مستباحـــا
لعيــــون الناظريـــــن
كـــان قبل اليوم فى حصـــن
مـــن الصـــون حصيـــن

● استرجال بعض السيـدات مثل إدمانهن التدخين . يقول على الجندى في قصيـدة له تحت عنوان (الحسان المدخنـات) :

قـل للغوانـــى عـن نصيـــح
ضـاق ذرعـــا بالغوانـــي
: تلك الشفـــاه الحائمـــات
علـــى سلافتهـــا الأمانـــي
النافحـــات إذا انفرجـــن
بعطـــر أزهـــار الجنـــان
الرامـــزات الـــى المحبـــة
والبـــراءة والحنـــــان
فى ورقـه الـــورد النضيـــر
وفـي احمـرار الأرجـــوان
تغـني مراشفهـــا ربيـــب
الكـأس عن « بنـت الدنـان »
هانـــت ، وهان بهـــا « لمـــى »
ما كـــان أهـلا للهـــوان
عبـث «الدخـان» بحسنهـــا
والحســن أولـــى بالصيـــان

● ● ●

وهكذا الشاعر منذ القـدم نجده وثيـق الصلة بالحياة ، ومسايـراً للوعـي القومـي ، حافـزاً لـه ، معبـراً عنـه . مؤثـراً فيه ومتأثـراً بـه .

• قصـــــــــة •

# اشتياق

بقلم : فــؤاد قنـديـل

عندما تنادى حفيدها الصغير :

ـ يا شمير .. يا ولد يا شمير .

يغرق اخوته فى بحر هادر من الضحك .. يتبعثرون فى كل اتجاه ، أجمل ما فى الدنيا أن يسمعوا جدتهم تنادى أخاهم الصغير . بفمها القطنى الفارغ ككيس نقود قديم شدوا خيطه .

العجوز وحدها فى الدار .. تبتسم فى أسى .. تتكىء على سنيها السبعين .. تتأمل خيمة الصمت تنسدل على الجدران .. تشمل الكون كله .

الكآبة وغياب الأنفاس تنسج خيوط البرد .. تنهال أكوام الثلج على كل ركن .. فى جو الوحدة والشيخوخة تنبت أعشاب الغربة والوحشة .. لا يرغب فيك أحد .. تلقى على قارعة طريق .. من يسأل عنك .. هذا زمن الفرد المتعجل يستهدف نفسه .

لم يبق من أهلها غير ابنتها وزوج ابنتها القاضى وأولادهما .. يسكنون الدور الثامن بعمارة فى نهاية نفس الشارع العملاق .. بينهما نصف ميل .

وحدها تعيش .. بلا أنيس إلا قطة ضامرة مثلها تماماً .. الوحدة والشيخوخة شيبا صباها .

منذ هذا الصباح وقلبها يأكلها عليهم لهفاً .. لكنها لن تترك بيتها الذى ضم زوجها حلماً جميلا ملوناً ، مازال يشع حتى الآن دفئاً تؤججه الذكريات .. أنفاسه فيه .. شريك الأيام الصعبة .. لا تنسينا الأيام رفيق الغربة .. زميل الدرب المجهول .

زوج ابنتها قاض مجرب .. يقول .. صدقت كلماته :

ـ حتى لو ضحكت فى الوجه الأيام .. وتبسم للانسان وجه الزمان العابس وتغطينا بالمال والجاه .. لا يمكن أن ننسى زميلا فى ثلاثة .. الجيش والسجن والغربة .. والغربة ما أقساها لو كانت داخل وطنك .

أحفادى .. أنفاس جدكم فى بيتى .. لا أتركه .

صورته مرسومة على كل جدار .. هذه نظراته ترقبنى .. ترشدنى .. تسألنى .. يده تسندنى حين أهم بنقل الخطوات .. أسمع صوته وأرد عليه .. هل يملك لسانى الا يرد عليه ومن قبله قلبى .. لم يغيبه التراب ، فالتراب لا يخفى الأحباب .. لم يخفه القبر .. ولم تبعده السنون الخمسة .

ألح عليها زوج ابنتها القاضى كى تسكن معهم :

ـ رائحة المرحوم .

ـ وكيف نطمئن عليك ؟

ـ تعالوا .

ـ القضايا بالليل والنهار .

ـ أدرسها عندى .

ـ مرتبط بالمراجع والكتب .. وكلها فى منزلى .

ـ دع ابنتى تزورنى والأولاد .

ـ مرتبطة بى .

ـ تمنع ابنتى عنى إذن .. تحرمنى منها .

ـ لا أقصد .. لكنها لازمة لتحضير ملفاتى ومذكراتى وترتيب المكتب ومطالب الأولاد .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أرى أنك تقبلين يا أمى لنفسك الارتباط بزوجك الميت . ولا تقبلين لابنتك الارتباط بزوجها الحى .. والحى كما تعلمين ..

ـ أبقى من الميت .. أليس كذلك ؟

على نفسها تحاملت العجوز ونهضت .. ألح زوج ابنتها عليها بالبقاء .. قدم الأسف وأبدى الاعتذار واللاقصد .. تركتها ابنتها تخرج . تعرف أن اصرار أمها أقوى من الحديد . وعنادها بلا حدود .. واذا مسها تيار الغضب فلن تفلت من قبضته .

بعد يومين زارها القاضى والأولاد .. ومعهم كل ما يلزم لاقامة يوم جمعة كاملة فى شمس دارها .. التى لا تعرف دارهم .

مر أسبوع .. أسبوعان ولا خبر .. لعل المانع خيراً .. اليوم هو الجمعة منذ الصباح وقلبها يأكلها عليهم .. لو كان فى نيتهم الحضور .. لحضروا منذ الصباح .. الوقت الآن بعد العصر .

لا تستطيع الجدة العجوز مقاومة الرغبة الجياشة فى رؤيتهم .. لحظتها تحس بالانتعاش ، تحس بدم الصبا يجرى فى عروقها المتهرئة .

هل تذهب لتأخذ أحفادها فى أحضانها ؟ .. لا .. هل تترك المرحوم ؟ .. لا .. ما العمل ؟ .. يا لها من حيرة ؟ .. الأفضل أن تذهب .. الألم ينخر فى ركبتيها كالنمل .. يمتص رحيق العافية .. أين العافية ؟ ياللــه حسن الختام .

تنهدت .. نهضت .. يداها فوق ركبتيها .. هربت الحياة من عظامها .. كل شىء غارق فى بهمة السكون إلا زحف المداس .

مرت على حاجياتها فى البيت .. طبق مكشوف تغطيه .. بالذات الملح لأنه يحوى الأبراص ، لكن اللبن ستتركه مكشوفاً .. لتلعقه القطة .. ستبيت غالباً عند ابنتها .. قلبها يأكلها عليهم منذ الصباح .. تلفتت الى الجدران الذاهلة فى غباء .. عن اذنكم يا أهل البيت سأعود فى الصباح .

أقفلت الشقة فى أناة .. استدار جسدها المقوس فى حركة آلية واهنة .. نزلت السلم واحدة واحدة .. طفل صغير .. يعود الانسان كما كان .. تاتا .. يدها

على السور ، درجة أخرى وتقف .. هبطت الأدوار الثلاثة حتى الباب الخارجى .. الباب يبدو من الداخل ثغرة كبيرة فى كهف يفضى الى نور الشارع .. تقطعت أنفاسها .

الشارع عملاق مهيب . الحركة فيه كيوم النشور .. سيارات تتسابق كأنها تهرب من النار .. الناس يتدافعون بلا وعى .. ينطلقون كالآلات بلا بصيرة .. عربة بلا قائد .. أبواق تتعالى تصم الآذان .. التراب والدخان .. الشخص يقابل أخاه لا يعرفه .. عيناه فى عينه .. ولا يعرفه .

خطواتها وجلة . وقبل أن تنقلها . تنظر الى اليمين ثم تنظر الى اليسار .. الشارع فى المدينة الكبيرة غول يأكل الأطفال والعجائز .

ترتعد عند كل بوق . رمح يشق الجسد الهش . يهتز هزة الموت . تستعيذ بالله .. وصلت عند كشك فى منتصف الطريق تقريباً .. استدارت تنظر الى بيتها كأنها ستفارقه .. كأنهم سيخطفونه إذا واصلت طريقها .. بدا زوجها يلوح لها .. حسبت المسافة الباقية على العمارة الحمراء العالية .. هانت .

هذا الشارع كان أيام شبابها خالياً من المارة أو يكاد .. والحركة فيه ضئيلة .. سيارتان أو ثلاثة .. تسير فيه معصوب العينين .. فلا تخاف ، تمشى ذاهلا عن أحوالك ولا يهمك .. تحمل أكياساً وصناديق تحجب عنك الرؤية .. لابأس تمشى وأمامك أولادك يجرون كقطيع الغنم .. لا خوف عليهم .. أما الآن فانت لا تأمن على نفسك وأنت فى قمة شبابك وفى منتهى القوة والنشاط .

بلغت العجوز باب العمارة .. أبلغها البواب أن الكهرباء مقطوعة .. يا نهار أبيض ! وكيف ستصعد الى الثامن ؟ .. جلست على مضض تنتظر .. كلها آذان صاغية لعودة الكهرباء .. الأولاد يقفزون فى قلبها .. ستصعد السلم ولا تنتظر .. يا أم العواجز .. درجة سلم وتقف .. درجة وتقف .. درجة أخرى وتقف ..

يدها على الجدار .. شهيق الأنفاس وزفيرها أخذ يعلو بصدرها ويهبط فى عجلة كذراع قطار قديم ..

العرق ينبت على جبهتها وتحت أنفها كحبات من السكر .. الله يسامحك يا هيئة الكهرباء .. الله يسامحكم يا أولادى .. تضطروننى للمجىء وصعود هذه السلالم ..

فى كل دور ترتاح .. ترقع الأنفاس المقطوعة .

بلغت شقتهم .. ضربت الجرس وجلست منهارة على الأرض تنتظر .. لم تسمع له صوتاً ولم يفتحوا .. دقته بالمداس .. لا مجيب .. يا خبر أبيض .. دقته .. دقته .. الشقة مهجورة .. سترجع هذا كله .. انتظرت وانتظرت ثم هبطت الدرجات من جديد .

سألت البواب . فأكد لها أنهم فوق .. انهم فى الشقة المقابلة يحتفلون بعيد ميلاد ابن جارهم الطبيب .

اغرورقت عيناها بالدمع .. عيد ميلاد الصغير .. وأنا أعانى من الوحشة .. تمسك الوحدة بخناقى ليل نهار .

استدارت لتغادر المنزل .. قفزت فى صدر البواب مشاعر الانسان .. رجاها أن تبقى حتى يدعوهم اليها .. جلست على أريكته تلتقط الباقى من أنفاسها .. صعد البواب الطيب ثمانية أدوار .. أبلغ القاضى بحضور أم زوجته .

هبطوا جميعاً اليها فى عجلة ولهفة .. وجدوها تتجه خارج العمارة .

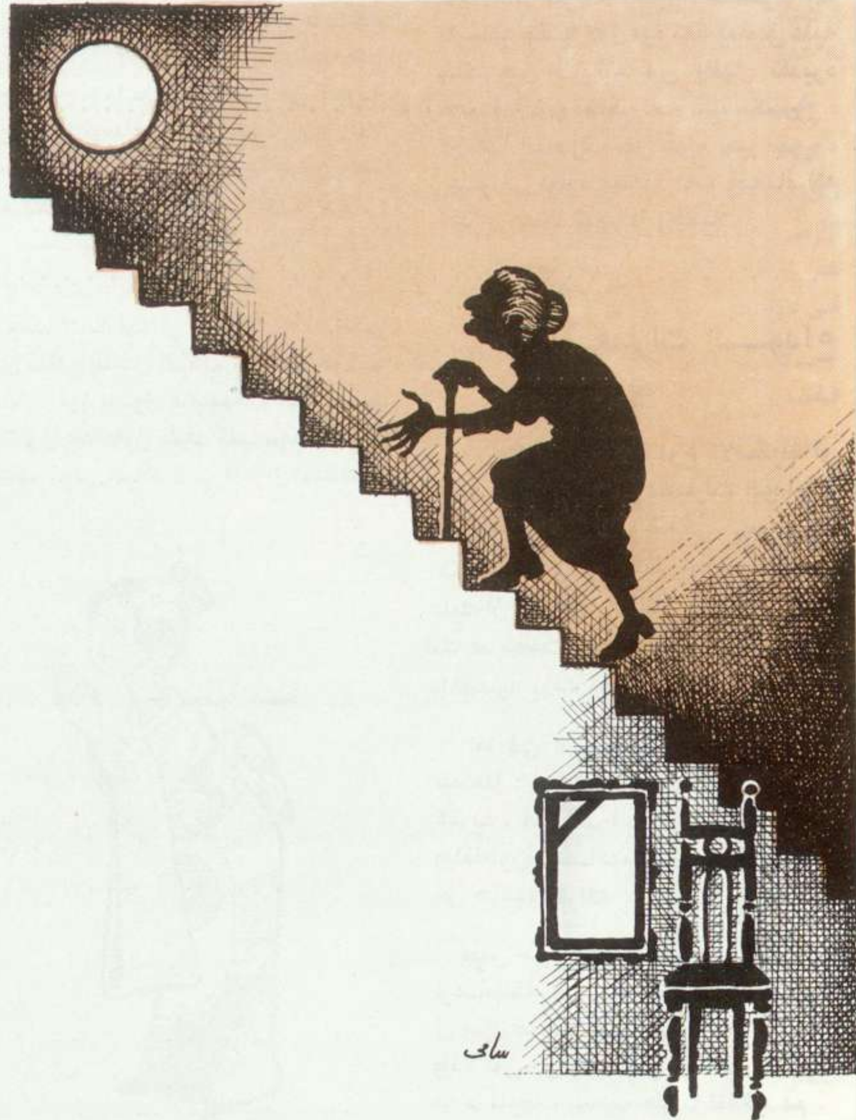
ــ أمنا .. أمنا .. حمداً لله على سلامتك .

نظرت اليهم بعيون عاتبة .. قالت :

ــ الحى أبقى من الميت .. أليس كذلك ؟

تهدل جسدها وانهار .. حملوها الى شقتهم .. ودموعهم تتساقط على وجهها فتطفىء نارها .

فؤاد قنديل



طلعت حسن جاد الله

# قــــــراءات

## آداب التحيـة

ان آداب التحية وقواعد السلوك تختلف فى بعض البلاد عنها فى البلاد الأخرى .

لنذكر مثلا الصينيين ، فانهم عندما يرغبون فى تبادل التحية يشدون على الأيدى .. ولكن على أيديهم هم بدلا من الشد على يد الصديق .. وهم فى ذلك يقولون ان طريقتهم هذه أكثر ملاءمة للصحة وأكثر رزانة من طريقتنا نحن ، ذلك لأنها تتجنب ملامسة أيدى الغير التى قد لا تكون نظيفة بدرجة كافية ، أو يتصادف أن تكون حاملة للجراثيم ، أو قد تكون غزيرة العرق ، أو شديدة العنف ..

من عادة الغربيين أن يرفعوا قبعاتهم عند التحية . وترجع هذه العادة إلى عهد فرسان العصور الوسطى . فقد كان اولئك الفرسان عندما ينتقلون يرتدون حلة من المعدن تغطى كل أجزاء الجسم ، إذ كان العصر يفتقر إلى الثقة .. وعندما يتقابل فارسان كانت ثمة مشكلة فى أن يتعرف أحدهما على الآخر ، وقد تدرع كل منهما بحلة معدنية تغطيه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه .. وكثيراً ما كان يحدث أن يتصايح الفارسان بصوت مرح فيقول أحدهما : « سلام عليك يا برتراند !! »

ويجيبه الآخر من خلف قناعه المعدنى بصوت يغلب عليه الضيق والتوجس .. ولذلك فقد اتفق الفرسان على انه فى حالة تلاقيهم يرفع كل منهم غطاء رأسه الحديدى .. وحتى من كان منهم شديد الريبة ، كان عليه أن يرفع الجزء المتحرك الذى يغطى الوجه .

ومـرت قرون واختفت الخـوذات والدروع ، ولكن الرجال الذين لبسوا القبعة حافظوا على عادة كشف الرأس . أما العسكريون فيكتفون بلمس حـافة « الكاب » الأمامية ، ولعل طبيعتهم المحاربة تجعلهم يحترسون من تعرية الرأس ! وبالمثل فان عادة مد اليد للمصافحة لها جذور واضحة : فان اليد المـدودة وهى مفتوحة ، كانت تعنى أن صاحبها ليس مسلحاً ، وأن نواياه وديـة .

ومما لاشك فيه أن طريقة التحية التى لدى سكان ساحل الذهب « الاسم القديم لغانا » لها أصول مشابهة ، فهم عندما يتلاقون يسقطون طرف قميصهم لتعرية الكتف . وفى البلاد التى لا تزال تستخدم السهام والحراب ، فان مثل هذا الأسلوب فى التحية ، يدل حقيقة على الثقة المتبادلة بين الشخصين المتلاقيين !



وفى إحدى القبائل الأفريقية ، ثمة عادة أكثر طرافة ، فان المحـارب إذا ما شاهد صبياً لأول مرة فانه يبصق عليه وتلك هى طريقته فى إظهار تقديره للصبى الذى يشعر عند ذلك بالسرور ، لأن هذا التصرف ممن هو « أكبر منه » ، يعتبر فى نظره مفخرة له ، ومعناه أنه أصبح صبياً شجاعاً وجميلا .

## عبارات الــوداع

ولا يقل عما ذكرنا تنوع الأساليب أو التقاليد فيما يختص بعبارات الوداع . فاذا كنت فى بلاد التبت وكان لديك ضيف على وشك الانصراف ، وجب عليك أن تخرج له لسانك ... لتبين له أنك قد نعمت كثيراً بتذوق أفعاله ، والمقصود بذلك لطف حديثه .

أما فى غينيا الجديدة ، فهم أكثر تبسطاً : فعندما يشرع زائر فى مغادرة القرية ، فان أهلها يأخذون فى النواح ، ويلطخون أجسامهم بالطين ، تعبيراً له عن حزنهم لفراقه .

ليس من المحتمل كثيراً أن تتاح لنا فرصة للقاء أحد سكان ساحل الذهب ، أو أن ننزل ضيوفاً على أسرة من بلاد التبت ولذا فلن نواجه خطر ارتكاب حماقات نندم عليها ، بسبب جهلنا لتقاليدهم .

# رسائل غير عادية

## إلى أم ...

بقلم : معروف رفيق

سيدتى .. أكتب إليك بمشاعر متميزة .. لأنها خليط من الأحترام والتكبير ، والاشفاق والحذر والحيطة . فانت أم ، إذن وانت ممن كانت الجنة تحت قدامهن .. وانت ممن عناهن الشاعر حين قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً ، طيب الاعراق

من هنا احترامى العظيم ، لك ، ولكل أم هى والمدرسة سواء ، هى والنبع سواء .. الحنان جزء منها ، والعطف قبس من قباسها .. وقلبها فسيح فسيح .. يتسع لكل شقاوة قام بها ولد ، منذ كان لأول أم ولد ...

ولكنى ياسيدتى .. ألاحظ انك تزيدين من تدليل ولدك .. الى درجة أصبح معها لايطيق البعد عنك .. بينما الدنيا لا تدوم على حال ، لأن دوام الحال من المحال فهل تظنين بعد هذا ، بدوام الدلال .!؟

إن التعريف الواقعى للمدرسة ، الحديثة ، يقول ان المدرسة مصنع يعد الأجيال للحياة ،، وأضع خطين تحت كلمة يعد .. ذلك أن الاعداد هو من لتخاذ العدة لكل طارىء .. والحياة يا سيدتى مجموعة للطوارىء لا تنتهى .. وأنت المدرسة الأولى للناشئين .. أنت دار الحضانة بادىء ذى بدء ، وعليك يتوقف نجاح الصغير من فشله . لأنه فى الحقيقة ، تلك الصفحة البيضاء الناصعة .. عليها تكتبين ما تريدين له .. فاما كتابة بيضاء .. واما كتابة سوداء .. فما أعظم واجبك وأجله ..

أما الدلال ياسيدتى .. فانه أقرب إلى الضلال .. والطفل المدلل يبقى طفلا ولو وقف على شاربيه الصقر فيما بعد .. ألم تسمعى قول القائل :

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده ذووه

ناشدتك الله ياسيدتى .. أن تاخذى ولدك بأصول التربية .. شدة فى غير عنف ، ولين فى غير ضعف .

تعويد على مواجهة الحياة أولا بأول ، وتعويد على صعود درجات السلم واحدة واحدة .. لا نريدها طفرة تقود إلى الاحباط ، ولا نريدها قفزة تكسر القدم ، ولكننا نريدها على منهاج واضح ، تتكامل فيها التربية بين بناء الأجسام والأحلام .. وتنسجم فيها العقول والأرواح ، لا يطغى جسم على حلم ، ولا نفس على جسد .. وانما هو اعتدال وعدل بين كفتى الميزان .. عين تنظر إلى السماء ، ويد تحفر الأرض فى بحث دؤوب عن الخير ، وغداً ، عندما يشب ولدك على هذا النهج الحميد ، لا على نهج الدلال والتفريط .. سنقول له بكل فخر واعتزاز .. لله درك .. وحسبك هذا دعاء .. واسلمى للأجيال ..

## فنون من التأويل

من بين صفحات تراثنا العربى سطور تمتلىء بالتعبير البليغ ، والصورة البيانية المشرقة ، تحتاج فى تذوقها واستيعابها إلى امعان نظر ، وفهم ثاقب لحقيقة الكلمة العربية ، بايحاءاتها الفنية .

يروون عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه لقى حذيفة بن اليمان فقال له عمر :

كيف أصبحت يا حذيفة ؟

قال : أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصلى بغير وضوء ، ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فغضب عمر غضباً شديداً ، ودخل عليه على بن أبى طالب وهو غاضب ، فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين ... على وجهك أثر الغضب .

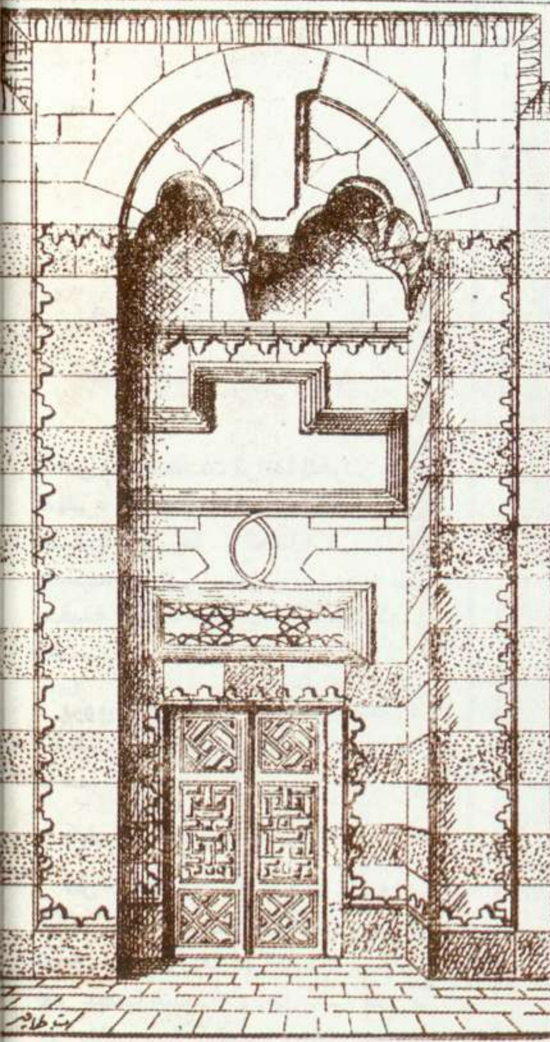
فقال عمر : على حذيفة بن اليمان ، قلت له : كيف أصبحت .. فقال :

أصبحت أحب الفتنة ، واكره الحق ، وأصلى بغير وضوء ، ولي فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فقال له علي : صدق يا عمر ، انه يحب الفتنة يعنى المال والبنين لأن الله تعالى يقول « انما أموالكم وأولادكم فتنة » .. ويكره الحق يعنى : الموت : ويصلى بغير وضوء .. يعنى انه يصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغير وضوء فى كل وقت ، وله فى الأرض ما ليس لله فى السماء يعنى له زوجه وولد وليس لله زوجه ولا ولد .

فقال عمر : أصبت والله يا أبا الحسن .. لقد ازلت ما فى قلبى على حذيفة بن اليمان ..

وجيه
الشربجي

أضواء على


باب المجمع الرئيس


محمد كرد على – أول رئيس للمجمع

# تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق

## ٦٣ عاما في خدمة اللغة العربية والتراث القومي

- طه حسين، والعقاد، والزيات من مراسلي المجمع
- العجلاني، وسبح، والفحام، وفيصل.. من أعضاء المجمع

**يجتاز مجمع اللغة العربية بدمشق عامه الثالث والستين، وهو ماض قدماً فى اداء رسالته العلمية والقومية فى خدمة لغة الضاد ونشر آدابها وجلاء تراثها وتطوير قدرتها على مواكبة العصر الحديث، وتوفير المصطلحات العلمية والفنية للاستخدام الاعلامى والتعليمى لصالح الأجيال العربية الصاعدة.**

لقد أصبحت حياة المجمع وتجربته الطويلة جزءاً من تاريخ النهضة العربية الحديثة، ويعبر عن اليقظة العربية لأهمية التراث القومى وضرورة بعثه من خلال ثوب لغوى متين وأصيل، والعمل على استكشاف كنوز اللغة العربية التى اختفت تحت غبار قرون من العجمة والجهل والجمود، تمهيداً لاعادة استخدامها فى احتياجات الثقافة والعلوم والفنون.

ولهذا يحق للقارىء أن يتعرف على تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق بصورة خاصة لأنه أصبح واحداً من معالم النهضة العلمية العربية فى الوطن العربى ولأنه أول مجمع علمى

عربي انشىء فى عصرنا ، ولهذا السبب اطلق عليه ( ابو المجامع ) اعترافاً بأسبقيته من الناحية التاريخية وقد اعطته هذه الميزة قصب السبق فى استقطاب العلماء والمفكرين العرب وحث جهودهم حينما كان المجمع العلمى العربى الوحيد ، ورغم ان سوريا موطنه ومسقط رأسه لم تكن آنذاك من البلدان الناشئة فى المجال العلمى نتيجة لظروفها السياسية الصعبة فى ظل الاحتلال الأجنبى .

ومما يجدر ذكره أيضا ان أحداث المجمع ، تم بعد فترة وجيزة من زوال الحكم العثمانى ، وكان من أول الخطوات الجيدة على طريق بعث العروبة واحياء الطابع ، والمضمون العربى للثقافة ، بعد قرون عديدة من السيطرة غير العربية التى كانت دائبة فى مسخ اللغة العربية وتشويهها ، ودفن تراثها تحت ركام الجهل والامية والاستبداد .

وكان قيام هذا المجمع حدثاً علمياً اثار اهتماماً واسعاً فى الوطن العربى بدليل انه استقطب مجموعة من ابرز المفكرين والادباء والمثقفين العرب وانضم اليه كاعضاء مراسلين الراحلون عباس محمود العقاد ، الدكتور طه حسين ، الدكتور أحمد زكي ، الشاعر أمين نخلة ، محمد الطاهر ،فيليب حتي ـ بن عاشور .

وفى طليعة اعضائه العاملين الأوائل السادة الاعلام محمد كرد علي ، خليل مردم بك ، الدكتور حسني سبح ، مصطفى الشهابي ، الدكتور منير العجلاني ، امجد الطرابلسي .

وفى عداد الأعضاء العاملين الحاليين الدكتور شاكر الفحام ، الأستاذ راتب النفاخ ، الدكتور شكرى فيصل .

وقد شكل المجمع بموجب الوثيقة المؤرخة فى الثامن من شهر حزيران عام ١٩١٩ والصادرة عن حاكم سوريا العسكرى الفريق علي رضا الركابي ، وعهد برئاسته الى العالم المؤرخ الأستاذ محمد كرد علي ، وبين اعضائه الأوائل الشيخ طاهر الجزائرى الشيخ أمين سويد ، سعيد الكرمي .

وعقد المجمع أولى جلساته فى مقره بمبنى المدرسة العادلية فى باب البريد بدمشق ، وهى المدرسة التى انشأها السلطان نور الدين بن زنكي الملقب بالشهيد فى عام ٥٨٦ للهجرة ودفن فيها الملك العادل



شهادة بانتخاب العضو فى المجمع



شعار المجمع

شقيق السلطان صلاح الدين الايوبي ولا زال ضريحه قائماً فى هذا المبنى الأثرى الهام حتى اليوم .

وفى أولى جلساته اختار المجمع أعضاء شرف من اعلام دمشق منهم المرحومان الدكتور عبد الرحمن شعبندر والاستاذ فارس الخورى .

لماذا تأسس المجمع ..؟

ويحدد قرار أحداث المجمع اهدافه بما يلى :

● خدمة اللغة العربية والنظر فى أوضاعها العصرية ، ونشر آدابها واحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية ، وتأليف ما تحتاج اليه من الكتب .

● جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة .

● جمع الآثار القديمة .

● اصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها افكاره وأعماله .

وقد جعل المجمع من نفسه رقيباً على الجامعات ودوائر الدولة والصحف والمدارس والثقافة الشعبية ، حيث كان يتقصى الخطأ ويطالب بتجنبه عن طريق وضع الكلمة العربية الفصحى مكان الكلمة الدخيلة المستعملة ، وقام المجمع بتهيئة المصطلحات الادارية عن طريق الترجمة والوضع والتعريب ، وترجم بعض القوانين ، وعرب اسماء الرتب والالقاب ، وعمد الى تدقيق وتصحيح لغة الكتب المدرسية ، ونظم سلسلة من المحاضرات اللغوية على طلاب المدارس ودور المعلمين ، وحمل الدولة والمجتمع على تبديل الكثير من المصطلحات التركية والأجنبية مثل ( البوليس ـ الشرطة ) ـ نوبتجي ـ آذن أو بواب ) ( نومرو ـ رقم ) ـ ( رابور ـ تقرير طبي ) ـ ( بول ـ طوابع ) وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

ولم ينفرد المجمع بالعمل فى وضع المصطلحات الحديثة بل كان دائباً على الاتصال بالعلماء الاختصاصيين فى الوطن العربى للتعاون معهم فى هذا المجال والاستفادة من خبراتهم ، وتسنى له أيضاً اجتذاب نخبة من العلماء الشرقيين والغربيين منهم الأساتذة جبرايلي ( ايطاليا ) وغوفر ( اسبانيا ) وبدرسن ( دانيمرك ) دريدرنغ (السويد) اربدى ( بريطانيا ) على اصفر حكمت ( ايران ) كولان ( فرنسا ) ابو الحسن علي الحسني الندوى ( الهند ) .

وعلى الصعيد الشعبي نشط المجمع

# تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق

لمكافحة العجمة ، واللحن ، وعمل على نشر المصطلحات العربية بين الناس لتحل محل المصطلحات الأجنبية المستخدمة ، والقيت المحاضرات لخدمة هذا الهدف ، كما كانت مجلة المجمع همزة الوصل بينه وبين آلاف القراء ، تنشر أعماله وتعبر عن انتاجه وآرائه .

وقد سميت المجلة منذ صدورها باسم المجمع (مجلة المجمع العلمي العربي) ولما أصبح اسم المجمع (مجمع اللغة العربية بدمشق) سميت (مجلة مجمع اللغة العربية) وكانت تصدر في سنتها الأولى عدداً واحداً في ٣٢ صفحة كل شهر ، ثم أصبحت المجلة تصدر أربعة أجزاء في السنة الواحدة ، اضافة الى الأعداد الخاصة التي تتصل بمناسبات علمية ، ويطبع المجمع مجلدات من اعداد المجلة التي نفدت .

وغني عن البيان أن كتاب المجلة كانوا من أبرز علماء وأدباء الوطن العربي ، بالاضافة الى أعضاء المجمع أنفسهم ، وهم الذين تفرغوا للبحث الأدبي والدراسات اللغوية والتاريخية ، وكانت مرآة رصينة لرسالة المجمع في ساحة العمل اللغوي .

وليس من شك فى أن تجربة مجمع دمشق كانت حافزاً قوياً لقيام الأقطار العربية باحداث مثل هذه المؤسسة ، فقد تأسس مجمع القاهرة في عام ١٩٣٢ بعد ثلاثة عشر عاماً من قيام مجمع دمشق ، وتأسس المجمع العراقي في عام ١٩٤٧ ، ثم تأسس منذ سنوات قليلة مجمع اللغة العربية في القطر الأردني .

## دار الكتب الظاهرية

وحقق مجمع دمشق أيضاً أهدافه فيما يتعلق بتأسيس دار كتب عامة ، فقد استفاد من وجود المبنى الاثري الرائع للمدرسة الظاهرية ، التي تقوم قبالة المدرسة العادلية ، التي كانت مقراً للمجمع فاتخذ منها داراً للكتب أصبحت فيما بعد ذات شهرة كبيرة نظراً لأهمية ثروتها من المخطوطات وأمهات الكتب والوثائق ، ولا تزال دار الكتب الظاهرية تؤدي رسالتها في اتاحة مجال مطالعة أهم المؤلفات ، أمام كل متعطش للثقافة .

وقد أنشأ الملك الظاهر بيبرس عام ٦٢٠ للهجرة هذه المدرسة لتكون مدرسة للعلم وتربة تضم رفاته . وفى عام ١٩٢٧ تحولت المدرسة الظاهرية الى مدرسة ابتدائية وظلت في عهدة دائرة الاوقاف ثم الحقت بالمجمع .

وكان فريق من علماء دمشق لاحظوا تفرق المخطوطات والكتب في المساجد وتعرضها للضياع ، فقاموا بحملة لجمع ما تبقى منها وما هو هام جداً وثمين واودعت في خزانة داخل قبة المدرسة الظاهرية ، وكانت نواة دار الكتب الحالية .

## مطبوعات المجمع

أما نشاطات المجمع فى مجال اصدار الكتب العربية التى تصنف فى عداد تراثنا الثمين ، فهى جديرة بالتنويه ، وقد طبع وحقق المجمع منذ قيامه وحتى يومنا الحاضر ما يزيد على (٢٥٠) كتاباً ورسالة من التراث ، منها : رسالة الملائكة لأبى العلاء المعرى ـ ديوان علي بن الجهم ـ عثرات اللسان للاستاذ عبد القادر المغربي ـ كنوز الأجداد للاستاذ محمد كرد علي ـ تاريخ علم الفلك في العراق ـ الثقافة الاسلامية فى الهند ـ تراجم الاعيان من أنباء الزمان ـ كتاب الاضداد لأبى الطيب اللغوى ـ اخطاء شائعة فى ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية ـ سؤال فى يزيد بن معاوية لابن تيمية ـ معجم المصطلحات الاثرية باللغتين العربية والافرنسية ـ المعاصرون ـ ديوان الفرزدق ـ تاريخ حكماء الاسلام ـ تاريخ الخلفاء .

وشرع المجمع منذ سنوات عديدة بتحقيق تاريخ ابن عساكر وهو مؤلف تاريخى ضخم عن تاريخ دمشق يتألف من ثمانين مجلداً ضخماً ، وقد تم تحقيق واصدار عدة اجزاء من هذا التاريخ الكبير ، وتستمر الجهود لاصدار المزيد من اجزائه .

وفى مجال الحفاظ على التراث قام المجمع منذ تشكيله بخطوة هامة فقد انشأ أول متحف للآثار العربية فى دمشق ، وخصص جانباً من مبنى المدرسة العادلية للحفاظ عليها ، وقد ضمت هذه الآثار مجموعة هامة من التحف والمنحوتات والنقوش الأثرية التى اصبحت فيما بعد نواة لمتحف دمشق الوطني .

## رؤساء المجمع

لقد تعاقب على رئاسة المجمع علماء اعلام لهم باع طويل فى البحث والتأليف والتقصي أولهم الأستاذ محمد كرد علي الذى اعتبر المؤسس الفعلي للمجمع ، واعقبه الأستاذ الشاعر خليل مردم بك ، فالأمير مصطفى الشهابي وبعد وفاته اسندت رئاسة المجمع الى السيد الدكتور حسني سبح الأستاذ فى الطب والعالم اللغوى ولا يزال الرئيس الحالى للمجمع يقود خطاه بعزم وفعالية ، ونائبه الأديب الكبير الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالى السابق .

## بناء المجمع الجديد

ومما يجدر ذكره ان الدولة كرمت المجمع فاقامت له مقراً حديثاً فخماً فى شارع المالكى بدمشق . بحيث يتسع لجميع النشاطات التى يمارسها المجمع ، اذ يتضمن مكتباً خاصاً لكل عضو من اعضائه ، ومقراً للمكتبة ومستودعاً للكتب وقاعة ذات تصميم شرقى للمحاضرات ، اضافة الى مكاتب العمل الادارى .

وهكذا كان قيام المجمع العلمى العربى بدمشق عام ١٩١٩ بداية لأحداث سلسلة من المؤسسات الثقافية الحديثة التى تطورت فيما بعد وأصبحت من أهم مراكز النشاط الثقافى فى سوريا والعالم العربى ، وفى الوقت نفسه كان حافزاً لاحداث عدد من المجامع العربية وقد أصبحت هذه المجامع مسؤولة عن حماية اللغة العربية وتطويرها وملاءمتها مع مقتضيات العصر الحديث كما انشىء لها اتحاد ينسق جهودها فى اتجاه العمل العربى الموحد .

وجيه الشريجي ـ دمشق

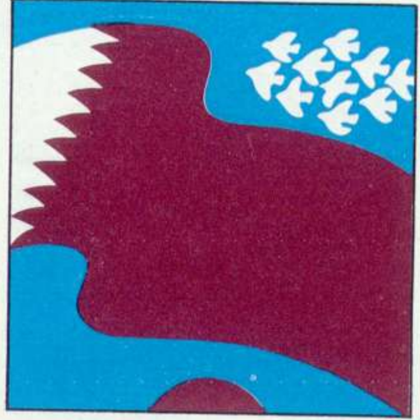
# جزء خاص
# بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير العاشرة

لقد أشرق على بلدنا الغالي هذا اليوم

عهد جديد سنحرص بتأييد الله وتوفيقه على أن نجعله

عهد يمن وازدهار وعدالة واستقرار

خليفة بن حمد آل ثاني



# شعب و قائد

كانت قطر قبل ظهور البترول جزءاً من أرض الخليج العربى الذى كان أهله يعانون ويكافحون فى أصعب الظروف وأكثرها مشقة وقسوة ، من أجل المحافظة على حياتهم اليومية ، ومن أجل المحافظة على تراثهم وعقيدتهم ، وقد سجل الانسان العربى القطرى فى فترة « المعاناة » هذه ، قدرة أصيلة على الصمود فى وجه الظروف الصعبة القاسية ، فلم يكن أمام الانسان فى قطر إلا أن يكافح ضد الطبيعة المتمثلة فى البحر والصحراء ، وكان عليه أن يكافح ضد الغزاة والطامعين ، هؤلاء الذين أرادوا أن يجعلوا من قطر مجرد « محطة » يعبرون منها إلى مصالحهم الكبرى فى الهند ، وبقية القارة الآسيوية ، وقد أراد هؤلاء الغزاة والطامعون أن « يمحوا » الشخصية العربية لشعب قطر ، ولكن هذا الشعب الصغير فى عدد أفراده ، الكبير فى طموحه وآماله ورسوخ جذوره ، لم يجعل أحلام الطامعين ممكنة ، وظلت قطر عربية مسلمة ، راسخة الشخصية فى أصولها الحضارية السليمة .

وبعد هذه المرحلة من المعاناة ، كشفت الصحراء عن سرها الدفين ، وتدفق البترول ومعه تدفقت الثروة . ومع هذا « التحول » فى عطاء الطبيعة ، ازداد طمع الطامعين فى قطر وأرضها وشعبها وثروتها التى تفجرت من باطن الصحراء .

وفى هذه المرحلة الحاسمة من « التحولات » التاريخية ، يظهر دور القائد التاريخى ، حيث يستطيع مثل هذا القائد أن يمضى بالسفينة فى اتجاه صحيح .

وقد أتيح لقطر هذا القائد التاريخى وهو أميرها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

فمنذ أن خرج سمو الشيخ خليفة إلى الحياة العملية ، ليشارك فى المسئولية العامة بجهده ، إلى أن أصبح فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٢ ، متحملا للمسئولية الأولى فى قيادة قطر وتوجيهها ، وهو يعمل باخلاص القائد الوالد ، وأمانة المسئول الذى يفهم دوره ويقدره حق التقدير ، من أجل أن تتحول الثروة فى قطر إلى نهضة كاملة تشمل كل جوانب الحياة ، وينال منها كل فرد فى الأسرة القطرية نصيبه العادل وفرصته الكاملة فى الحياة الكريمة والتقدم والرخاء

وخلال السنوات العشر الماضية ، وفى ظل قيادة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، تحققت فى قطر انجازات كبرى كانت تحتاج إلى عشرات السنين ، ولكن الجهد المخلص الواعى الأمين لقائد البلاد جعل من هذه الانجازات الكبيرة أمراً ممكن التحقيق فى هذا الوقت القصير الذى لم يتجاوز عشر سنوات .

ولقد أتيح لى – بصورة مباشرة – أن أراقب نهضة قطر عن قرب منذ أوائل السبعينات ، ثم أتيح لى أن أعيش فى قلب الصورة منذ أواخر سنة ١٩٧٨ إلى اليوم .

وليس من السهل على أى صاحب قلم حر أمام قرائه أن « يمتدح » بغير برهان قوى يرتضيه الضمير الحى المسئول . ومن قلب هذا الضمير وحده وبوحى منه ، وبغير هدف آخر غير احترام الحقيقة وتسجيلها ، أقول : إن ما يجرى فى قطر فى عصر أميرها وقائدها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، هو نموذج حى لما ينبغى أن يجرى على كل أرض عربية كريمة تريد أن تنهض وترتقى بنفسها وشعبها ، وتريد أن يكون لها دور فى الأسرة العربية والأسرة العالمية على السواء .

إن نظرة أمينة إلى الواقع القطرى الراهن تكشف عن خطوط للحركة واعية وأصيلة ومخلصة ومثمرة باذن الله خير الثمار .

ففى المجال العربى تلتزم قطر بمسئوليتها الكاملة ، وتقف دائماً فى المقدمة من حيث أداء التزاماتها المختلفة المطلوبة منها ، كل ذلك دون بطء أو تأخير ، وباحساس عميق بالواجب العربى العام ، الذى ينبع من إيمان بأنه لا سعادة لقطر إلا ضمن أسرة عربية سعيدة ، ومن هنا فكل الهموم العربية لها فى قطر انعكاسها حيث تسارع الدولة وقائدها إلى الوقوف فى مقدمة الصفوف العربية فى أى مشكلة أو محنة أو أزمة ، وما موقف قطر وقائدها من قضية فلسطين إلا نموذج مضيء ، يكشف عن بقية المواقف القطرية فى الساحة العربية ، وليس سراً أن قطر وقائدها يقفان فى المقدمة من عملية مساندة شعب فلسطين بأقصى الامكانيات والجهود .

وإذا كانت الساحة العربية مليئة بالخلافات والخصومات ، فاننا نجد قائد قطر فى سياسته العربية ، عميق الحرص على أن يكون بقوته وقوة شعب قطر عاملا أصيلا من عوامل « التجميع » و « التوفيق » والتوحيد ، مع الارتفاع الدائم المتعفف عن كل الخصومات العنيفة الحادة الدائرة على الساحة العربية . وبذلك أعطت قطر ، وأعطى قائدها ، مثالا كريماً للعمل العربى الذى يبنى ولا يهدم ، ويعطى قبل أن يأخذ ويترفع ويتعفف دائماً فى كل المواقف والظروف الصعبة .

وإذا انتقلنا من الساحة العربية إلى الساحة القطرية وجدنا الكثير ، فقد كرر القائد مراراً حرصه على بناء الانسان فى قطر ، وتحويل الثروة فى البلاد إلى مؤسسات تخدم هذا الانسان ، بجيله الحالى وأجياله القادمة ، ومن هنا قامت « الجامعة » التى تبناها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وتابع قيامها ونهوضها بكل الجهد والاخلاص والحرص على أن تكون



منارة تضيء العقل والمستقبل بالنسبة لأبناء قطر ، ثم كان مستشفى « حمد » الذى تم افتتاحه فى شهر فبراير ١٩٨٢ ، وهو أحد أكبر المستشفيات فى الوطن العربى كله ، بل ويعتبر هذا المستشفى إحدى المؤسسات الصحية البارزة ، التى تم بناؤها على أحدث الأساليب وتم تجهيزها بأرقى وسائل الطب الحديث ، مما جعل هذا المستشفى انجازاً حضارياً من الدرجة الأولى وهو انجاز تم التخطيط له وإعداده على هذا المستوى العالمي من أجل الخير والسعادة والصحة والسلامة لكل إنسان على أرض قطر ، حيث العلاج مجانى ، والرعاية الصحية عامة .

وإذا التفتنا بعد ذلك إلى حركة التصنيع وجدنا اندفاعاً فى هذا الاتجاه ، لا يمكن وصفه إلا بانه لون من الاحساس الحضارى والاحساس بمسئولية المستقبل ، وبضرورة تحويل الثروة البترولية ، إلى مؤسسات لها القدرة على الانتاج الدائم المستمر ، مما يمثل ضماناً وحماية حقيقية للأجيال القادمة فى هذه البلاد ، وبذلك لا يصبح البترول مجرد "ثروة عارضة".. تنتهى بانتهاء عصرها . بل يتحول إلى ثروة ثابتة تبقى ما بقى الانسان على هذه الأرض .

وما أكثر ما نجده من مظاهر أصيلة للنهضة فى قطر ، وكلها تولد وتنمو وتزدهر فى ظل اهتمام كامل ورعاية حقيقية وجهد صادق يبذله قائد البلاد للوصول بقطر إلى حاضر مطمئن ومستقبل أمن سعيد .

فكل فرص التعليم والتنوير متاحة ومفتوحة على مصراعيها لأبناء قطر ، ابتداء من أول مراحل التعليم إلى أعلى هذه المراحل ، فى جامعة قطر ، أو فى الجامعات العربية العريقة ، أو فى جامعات العالم حيث لا توجد جامعة من هذه الجامعات إلا وفيها شباب قطرى يتعلمون أرقى العلوم وأكثرها اتصالا بمشاكل الغد ، ثم يعودون بعد ذلك إلى قطر ، لتنفتح أمامهم فرص العمل المنتج والمسكن الآمن ، والمناخ المناسب لكى يؤدوا دورهم فى بناء وطنهم على خير وجه ودون عائق يعوقهم أو يقف فى وجههم أو يضع أمامهم السدود والقيود .

وتأتى على رأس قائمة الانجازات تلك النهضة الثقافية والاعلامية التى يتبناها أمير البلاد ، ويساندها ويحرص عليها كل الحرص وقد حققت قطر فى هذا المجال وخلال السنوات العشر الماضية خطوات واسعة كبيرة ، فى الاذاعة والتليفزيون والمسرح والصحافة والطباعة والنشر .. والمتاحف ،والآثاروحفظ المسكوكات القديمة ، واصبحت هذه الخطوات جميعاً عنواناً لنهضة ثقافية وإعلامية واسعة ، تشمل بنتائجها قطر ، وتتجاوزها إلى الأرض العربية باقطارها المختلفة ، ونحن فى مجلة الدوحة ، التى كان انشاؤها والاهتمام بها ثمرة من ثمرات النهضة الثقافية والاعلامية فى قطر ، نحس بهذا النبض الصادق الذى يسعى إلى خدمة القارىء العربى والكاتب العربى ، والثقافة العربيةكلها ، ويضع فى سبيل ذلك كل الامكانيات .

وهناك نقطة أخرى مضيئة ، كتبت عنها من قبل ، ولن أمل الحديث عنها وتكرارهـــا ، نظراً لقيمتها ومغزاها وأهميتها الكبرى ، ففوق أرض قطر وفى ظل قيادة أميرها ، تلتقى مجموعة من أعظم الخبرات العربية ، تلك الخبرات العالية التى فتحت لها قطر صدرها وأتاحت لها الفرصة الواسعة للعمل والانتاج والمساهمة الفعالة فى بناء النهضة القطرية، التى هى جزء من حركة النهوض والتقدم فى الوطن العربى ، وهذه الخبرات العربية التى تعمل على أرض قطر وتساهم بجد واخلاص فى بناء الحاضر والمستقبل ، ما كانت لتفكر فى الارتباط بقطر والاستمرار فيها ، لولا ما وجدته فى هذه البلاد وقائدها من التشجيع الصافى الكريم ، حيث يعامل العربى على أرض قطر معاملة مواطن من أهلها لا معاملة غريب أو مواطن من الدرجة الثانية ، وذلك إحساس صادق وعميق بالانتماء العربى الأصيل ، وبأن تبادل الخبرة كان على مر التاريخ والأجيال أسلوباً حياً واعياً من أساليب التحرر والنهوض فى الوطن العربى .

تلك بعض ملامح الصورة الكريمة المشرقة ، التى تقوم على العزيمة والعمل الدائب والجهد المتصل لكى تتحول كل قرية فى قطر إلى مدينة ولكى ينتقل الانسان العربى على هذه الأرض الطيبة إلى العصر الحديث فى أسرع وقت دون أن يفقد جذوره فى عقيدته وتاريخه وانتمائه ، لقد كانت السنوات العشر الماضية فيما تحقق فيها من انتاج وانجاز قفزة حضارية كبرى ما كان بالامكان على الاطلاق أن تتحقق فى هذا الزمن القصير لولا ما وقف وراءها من الجهد والارادة والاخلاص والحرص الكامل على تحويل الثروة إلى نهضة حقيقية باقية ...

كل ذلك حققته قطر فى ظل قيادة أميرها الوالد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الشاب العربى المخلص الواعى الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ... وبذلك تحققت المعادلة الصعبة :

من العناء إلى الثروة ومن الثروة إلى النهضـــــة .

**رئيس التحرير**

# من كلمات قائد المسيرة

● « ان قضايانا ومصالحنا الاسلامية ليست أشتاتاً متفرقة بل هى كليات مترابطة لا يمكن معالجتها الا بالعمل المشترك الذى لا يمكن ان ينبت نباته الحسن ، الا اذا ارتكز على اساس متين من تعاوننا الوثيق ، ابتغاء تقدير امكاناتنا الحقيقية أصح تقـــدير » .

● « طبيعى ، وقد جاء قرارنا انتهاج سبيل الاستقلال ، نتيجة للظروف السابق ايضاحها ، أن لا نجد أنفسنا بحاجة الى تأكيد أن مثل هذه الظروف التى نرجو زوال اسبابها ، لا يمكن ان تؤثر على ايماننا الوطيد فى أن اتحادنا فى هذه المنطقة ضرورة مصيرية تحتمها مصلحتنا العليا المشتركة ، وتقتضيها كل تلك الروابط العميقة الجذور التى تربط بعضنا بالبعض الآخر ، والتى قل أن توجد بلاد فى العالم تجمع بينها روابط تضاهيها قوة وشدة واصالة » .

● « دولة قطـــر دولة عربية مسلمة ، وشعبها جزء من الأمة العربية » .

● « لقد اقتضانا الواجب الوطنى المقدس ، ان نقف منذ اللحظة الأولى لاندلاع معركة الشرف ــ شأننا فى ذلك شأن جميع اشقائنا العرب ــ موقف التضامن الكلي المطلق مع الشقيقتين مصر وسوريا اللتين هبتا هبتهما الجسورة » .

● « اما عن الانسان القطرى ، وهو فى آن واحد ، وسيلة كل تقدم ننشده وغاية كل رجاء نبتغيه ، فاننا نبذل اقصى الجهد ونسلك خير السبل لينهل شبابنا ، بقدر الامكان ، من العلم اكثره وأنفعه لبلدنا ، ومن الخبرة أغزرها وأكبرها فائدة فى ظروفنا ، كيما يستطيع ان يحتل كل منهم موقعه من المسؤولية العامة عن جداره ، ويدعم ــ بفكره الواعى وتجربته المستنيره فى ميدان تخصصه ــ الجهود الكبرى المثابرة التى نبذلها فى سبيل رفعة الوطن وقوته ومنعته »

● « اننا إذ نعمل على بناء دولتنا بناء قوياً ، انما نفعل ذلك اداء لواجبين مقدسين متكاملين : اما الواجب الأول فهو واجبنا نحو وطننا العربى القطرى الذى يقتضينا ان نحقق لشعبنا غاية ما يمكن من أسباب الرخاء والارتقاء ، واما الواجب الثانى ، فهو واجبنا نحو وطننا العربى الكبير الذى يقتضينا ان نساهم بأكثر ما نستطيع من قدرة وفعالية فى الذود عن حياضه ، ومساندة قضاياه والمشاركة فى دعم اسباب تقدمه وازدهاره » .

● « من المسلمات أن للنصر طريقاً واحداً ، هو طريق الحق الذى تدعمه القوة ، وحقنا ناصع أبلج ، ولنا من الامكانيات الهائلة المتكاملة ، اذا اتحدت كلمتنا وتضافرت جهودنا ، ما يؤمن لنا القوة الكفيلة باستخلاص هذا الحق كاملا غير منقوص باذنه تعالى » .

● « بين المبادىء الرئيسية التى تؤمن بها دولتنا الفتية ، أن الوطن مسؤوليتنا جميعاً وحقنا جميعاً » .

« واننا لنقف بكل ما تتيحه امكاناتنا من قدرة الى جانب الاشقاء العرب لحمل نصيبنا من مسؤولية استعادة اراضينا العربية المحتلة وفى مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربى الفلسطيني وفى مقدمتها حقه فى وطنه ، وفى تقرير مصيره فوق أرض الوطن » .

● « .. ولقد كان التطلع الى حق التمتع بالمساواة والحرية والعدالة عنصراً رئيسياً من عناصر حياة الانسان والشعوب فى كل زمان ومكان ، ومن ثم كان الحرمان من هذا الحق أهم الدوافع لقيام الحركات الوطنية التحررية التى عرفها العالم عبر التاريخ » .

● « ليست حرب رمضان المجيدة ببعيدة ، فلقد بهرنا فيها العالم بترابطنا الشامل ، وكان تكاتفنا على كل صعيد وفى كل مجال خلال معاركها الضروس ، سمتنا البارزة وعلامتنا المميزة » .

● « ان دولنا اعضاء اوبيك دول نامية لا تعرف الطمع بطبيعة مبادئها وأوضاعها ، وهى لا تكن إلا مشاعر المودة للجميع ، وتدعو مخلصة للتعاون الدولى لتحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية التى تنشدها الأسرة الانسانية » .

**خليفة بن حمد آل ثاني**
**أمير دولــة قطــر**



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دولة قطر

# شبابنا وبناء الدولة العصرية

من أجل صنع حضارة الغد المشرق ، حرصت دولة قطر فى انطلاقتها طوال العشر سنوات الماضية على بناء الشباب واعداده ليتولى مسئولياته فى مختلف مجالات الحياة ، اعتماداً على ما اكتسبه من دراسة وخبرة ووعى وقيم رفيعة نابعة من الايمان بتعاليم ومبادىء ديننا الحنيف ..

وقد وفرت الدولة لشبابها كل ما يؤمن لهم أحسن حياة وأفضل غد ، حتى يكرسوا كل وقتهم لاكتساب المعارف العلمية والقدرات الفنية التى تجعلهم قادرين على المشاركة بدورهم فى مسيرة البناء والتعمير وتحقيق التطور المنشود ..

ومن أجل رعاية الوجدان الوطنى والقومى للشباب ، وتوحيد طاقاته ، وترسيخ إيمانه بالمثل العليا النبيلة ، وتثبيت اعتداده بعقيدته ، والنهوض بمستواه الاقتصادى والفكرى .. كان لابد من انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، حتى يؤدى دوره الهام فى إرساء قاعدة التخطيط الضرورية التى تتابع الشباب وترعاه فى مختلف مراحل النمو ..

وعن أهمية تنمية قدرات الشباب واضاءة طريق المستقبل أمام جيل الغد ، قال سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب :

« إن المرحلة التى نعيشها هى مرحلة بناء صرح الدولة العصرية وتأمين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وأنه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له أفضل تكوين روحى وعقلى وبدنى ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ومركز الأمانى فى اضطراد الرخاء والازدهار » ..

ورغم حداثة انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، فقد حقق خطوات هامة نحو تحقيق أهدافه ، من بينها اصدار لائحته الداخلية لتنظيم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الأجهزة الحكومية والأهلية ودعمها وتوجيهها والتنسيق بينها حتى تعطى لنا باستمرار المواطن الصالح بدنياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ، وحتى ترشد جيل الغد إلى كل ما يرفع مستواه المادى والمعنوى وكل ما يصونه ويحميه ويدعم روحه الوطنية والقومية ويقوى عقيدته الدينية ..

وإلى جوار اهتمام المجلس الأعلى لرعاية الشباب بمجالات البحوث والدراسات العلمية بالتعاون مع الهيئات المختلفة فى الدولة ، أعدت لائحة موحدة للأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التربوية للشباب ..

وقد رأينا فى السنوات الماضية — فى ظل اهتمام الدولة بالشباب — حركة واسعة لنشر الوعى الرياضى بانشاء النوادى الرياضية والثقافية الجديدة فى كل انحاء البلاد .. كما رأينا تنظيماً شاملا لرعاية الأنشطة الخاصة بالشباب كان من بينها تكوين الاتحادات الرياضية ، واللجنة الأوليمبية ، ومد الخدمات المكتبية إلى كل المدن حتى تتوفر أمام الأجيال الجديدة فرصة الثقافة والاطلاع على علوم العصر وتراثنا الخالد ..

وكانت مدينة خليفة الرياضية التى تضم استاداً يتسع لحوالى أربعين ألف متفرج ، هى أبرز دليل على اهتمام الدولة بالرياضية ورعايتها للشباب ..

وفوق هذا الصرح الرياضى ، أقيمت فى العام الماضى الدورة الادارية الثالثة التى اشترك فيها خبراء فى التنظيم الادارى للأندية الرياضية والثقافية ..

ورأينا فى العام الماضى أول معرض يقام لكتاب الرياضة والشباب ..

وكل ذلك وغيره ، إلى جوار تقديم المكافآت المالية للفرق الفائزة بالمراكز الأولى فى الدورى بمختلف درجاته ومسابقات الكأس ، حتى نرتفع بمستوى لعبة كرة القدم التى حققت بها دولة قطر نصراً عالمياً بحصول المنتخب القطرى للشباب على المركز الثاني فى تصفيات كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا ..

وهكذا نرى مدى حرص دولة قطر فى انطلاقتها الحضارية على بناء الشباب واعداده الاعداد اللائق الذى يتيح أمامه كل فرص العلم والعمل والتقدم .



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة



عشر سنوات من النهضة التعليمية

# الاختيار الصعب والمستقبل المشرق



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

أرجو أن أؤكد ـ بادئ ذي بدء ـ على أهمية التربية في حياة الأمم، فالتربية كانت ـ منذ كان الانسان ـ ولا زالت، الوسيلة المثلى لاجراء حركة تغيير جذري، وتحول حضاري ـ مبنى على أسس سليمة، ومعطيات موضوعية قويمة ـ في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، ذلك لأن حركة التغيير نحو الأفضل، لابد وأن تتم طبقاً لجهد مدروس منظم يتمتع بالعمق والاستمرارية، حتى تؤتي ثمارها في المستقبل، الذي هو رهن بما نقدمه للحاضر من جهود مخلصة مثمرة بناءة.

ولاشك في أن أقدر الناس على القيام بهذه الجهود هم الشباب من ذوي الهمم العالية الذين حباهم الله الوعي والاخلاص، والايمان والحماس، والعلم والمعرفة، فصقل الايمان ضمائرهم، وشحذ الاخلاص مواهبهم، وسدد العلم خطاهم، وحفز الوعي عزائمهم فسمت أهدافهم، وتطلعت الى المجد نفوسهم. ومثل هذا الشباب لن يتأتى لأي شعب من الشعوب بالمنى والأماني، وانما بناء على تربية شمولية متكاملة، رصينة السياسة والأهداف، حكيمة الاستراتيجية والتخطيط، تتمتع بعمق المحتوى، وسلامة الوسائل، ويتميز القائمون عليها بالايمان والاخلاص من ناحية، وبالعلم والوعي من ناحية ثانية.

من هنا تستقطب التربية اهتمام كل مواطن واع، وكل عالم عامل، وكل مصلح غيور، وتوليها الأمم كل اهتمامها، وجل جهودها وتفكيرها، لأنه بتقدمها وتجددها وتطورها تزداد فاعليتها، ويزداد عطاؤها ومردودها، ويعمق تأثيرها على الأجيال الذين ستغدو بأيديهم مقاليد الأمور في المستقبل، وهم انما يصدرون عن مبادئ وقيم ومفاهيم تلقوها في تربيتهم الأساسية في المدرسة، لذلك .. بقدر ما تكون صورة التربية مشرقة، بقدر ما تشرق صورة المستقبل.

وانطلاقاً من هذا المفهوم الواضح لأهمية التربية في حياة الأمم والشعوب كان اهتمام دولة قطر بالتربية والتعليم منذ الأيام الأولى لنهضتها الحديثة. ومن هنا كانت أول وزارة أنشئت في البلاد على الاطلاق هي وزارة المعارف، ولا يزال الاهتمام بالتربية والتعليم يزداد رسوخاً على مدى الأعوام، ويأخذ أبعاداً وأعماقاً جديدة مع الأيام.

## الأصالة والتجديد

كثيراً ما تواجه المجتمعات النامية




احتفالات يوم العلم

ما يسمى بالاختيار الصعب بين الأصالة والتجديد وفى كثير من الأحيان تفقد بلدان أصالتها وانتماءها الى تراثها فى غمار البحث عن التجديد . ولكنا فى قطر تفادينا ذلك والحمد لله ، فمنذ البداية حرصنا كل الحرص على ألا يؤدى التزايد المعرفى ، والتفجير العلمى ، والتسارع الحضارى فى العصر الذى نعيش فيه الى التأثير على أصالتنا ، والأخلال بالتوازن المستهدف بين الأصالة والتجديد .

اننا أمة لها عقيدتها السامية التى تستمد عظمتها من عظمة مشرعها ـ سبحانه وتعالى وتستقى مفاهيمها من سنة وسيرة مبلغها صلى الله عليه وسلم وهذه العقيدة تتمتع بكامل الحيوية ، وتنتظم أخلاقاً وقيماً ومثلا لا تفنى ، وتستوعب نظماً وتعاليم ومفاهيم لا تبلى ، وقد انتجت حضارة نبيلة قدمت للانسانية السعادة الحقيقية التى لم تعرفها فى تاريخها الطويل ، وان تاريخ أمتنا العلمى يحتل أنصع الصفحات فى سفر البشرية . لذلك فاننا حريصون على التمسك الكامل بهذا التراث النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق وأصالة .

## المعاصرة الواعية

ونحن لا ننسى اطلاقاً أننا نعيش فى عصر يتميز بسرعة الانجاز العلمى ، حتى أصبح يعرف بعصر الذرة وغزو الفضاء ، وقد تمكن الانسان فيه من استثمار خيرات الأرض ، وتسخير قوى الطبيعة ، وانطلق الى أجواز الفضاء يبحث عن المزيد . وكل يوم يحمل جديداً الى الحضارة الانسانية ، ويثرى التقدم العلمى والتكنولوجى .

ونحن لا نعيش بمعزل عن هذا العالم وانما نحن منه ، نتأثر به ، ونؤثر فيه ، ونتفاعل معه .

لذلك كان لابد من أن نأخذ الطوفان العلمى بعين الاعتبار ونحن نخطط لتطورنا التربوى . وبهذا جاءت مناهجنا متمتعة بدرجة عالية من المرونة ، مكنتها من القدرة على المحافظة على تراثها ، والافادة من معطيات العصر فى مجالات العلم البحث والتطبيقى والمعارف الانسانية ، وبذلك امكن هضم النظريات والأفكار الخصبة التى تجود بها الحضارة المعاصرة ، وتطويعها لمفاهيمنا ونظرتنا الاسلامية للكون والانسان والحياة ، بحيث يتواءم العلم والايمان ، ويحتفظ ناشئتنا بشخصياتهم المستقلة المتميزة كأفراد فى مجتمع خليجى عربى اسلامي . ◁

# الاختيار الصعب والمستقبل المشرق



تكريم قدامى رجال التربية والتعليم فى يوم العلم

## البعد الكمى للتطور

كان لابد وأن يتطور التعليم تطوراً ملحوظاً من حيث الكم والنوع ، وتوضح المقارنة التالية مدى التطور الكمى فى التعليم ونسب التزايد التى حظيت بها الحقول الكمية المختلفة خلال السنوات العشر الماضية :

| | العام الدراسى ١٩٧٣/٧٢ | العام الدراسى ١٩٨٢/٨١ | نسبة التزايد |
|---|---|---|---|
| أعداد الطلاب | ٢٣٣٩٢ | ٤٢٧٢٠ | ٨٢ر٦٪ |
| أعداد المدارس | ٩٣ | ١٤٩ | ٦٠ر٢٪ |
| أعداد المعلمين | ١٣٧٤ | ٣٦٩٦ | ١٦٩ر٪ |
| أعداد طلاب البعثات | ٥٨١ | ٣٩٢٥ | ٥٧٥ر٦٪ |
| أعداد الخريجين | ١٠٩ | ١٦٣٠ | ١٣٩٥ر٤٪ |
| أعداد المعلمين القطريين | ٣٨٩ | ١٢٩٢ | ٢٣٢ر١٪ |
| محو الأمية وتعليم الكبار | ٣٢٨٢ | ٨٦١٥ | ١٦٢ر٥٪ |

ولا تعطى الأرقام الجامدة مدلولات كبيرة ، وان ما نستطيع أن نؤكده أن نسب التزايد سواء فى الحقول المختلفة قلما يحظى بها مجتمع ما ، هذا وقد بلغت نسبة الطالبات الى الطلاب فى مدارسنا فى العام الدراسى الحالى ١٩٨٢/٨١ م . ٤٨ر٦٪ وهى من أعلى النسب العالمية لتعليم الفتاة . كما أن التزايد المتلاحق فى أعداد الخريجين القطريين مكننا من تقطير الوظائف الادارية الرئيسية فى التربية والتعليم فى قطاعى تعليم البنين والبنات ، سواء أكان ذلك على مستوى الادارة التربوية ( الوزارة ) أو على مستوى الادارات الميدانيـة فى المدارس ، ليتولى أبناء البلاد قيادة المسيرة التربوية ، لكونها متعددة أبعاد التأثير على مستقبل أبنائهم ومجتمعهم

## البعد النوعى للتطور

ولم يقتصر التطور التربوى فى دولتنا الفتية على الكم فقط ، فمحدودية الكتلة السكانية فى بلدنا تجعل من الأهمية بمكان الاهتمام بالكم من ناحية للحفاظ على كل عنصر من عناصرنا المثقفة ، وفى نفس الوقت رفع نوعية الخريجين ، بحيث يتمكنون من تولى زمام الخطط التنموية الطموحة التى تحياها البلاد بكفاءة وقدرة وفعالية ، بحيث يؤدى النوع الى تعويض قصور أو نقص الكم

ولا يمكن استقصاء ما تم فى هذا المضمار لذلك نكتفى بالاشارة الى أهم المنجزات خلال السنوات العشر الماضية ـ مجرد اشارة فقط ، ومن ذلك :

ـ وضع سياسة تربوية لدولة قطر ، ووضع استراتيجية لتطوير التربية فى البلاد .

ـ تطوير شامل للمناهج والكتب المدرسية القطرية وبخاصة فى مناهج الرياضيات المعاصرة والعلوم المتكاملة ، والمواد الاجتماعية ، واللغة الانجليزية ، مع انجاز مجلدات فى الفاظ الطفل القطرى بغية تضامها الى مثيلاتها فى البلاد العربية بقصد وضع قاموس الطفل العربى .

ـ تطوير التقنيات التربوية ، والاتجاه الى التصنيع المحلى لمعظم الوسائل التعليمية ، مع انجاز تنميط الأسماء الجغرافية فى قطر ، وبدء العمل بمشروعى التليفزيون التربوى والاذاعة المدرسية .





لقطتان : الأولى لمكتبة مدرسية تنمي في النشء حب الثقافة والاطلاع .. الثانية لطلبة فصل مدرسي يتدربون على تنمية مواهبهم الفنية

– تطوير اعداد المعلم وتدريبه : اذ أخذ اعداد المعلم لجميع المراحل يتم عبر الجامعة ، وأنشىء لهذا الغرض نظام بكالوريوس التربية للمرحلة الابتدائية ، وشمل الاعداد تأهيل جميع العاملين فى المدارس تربوياً فى برنامج متكامل لحصولهم على الدبلوم العام فى التربية ينتهى ١٩٨٥ م . والدبلوم الخاص فى التربية ينتهى ١٩٩٠ م . بالاضافة الى انشاء قسم لتدريب المعلمين فى أثناء الخدمة وامداده بكل الكفايات والفعاليات التربوية .

– تطوير المبنى المدرسى : حيث جرى تعديل جذرى فى المبنى المدرسى من حيث التصميم والتسهيلات التربوية وفعالية المبنى ومرونته ، وملاءمة المبنى للمرحلة المعد لها ، وتكامل البيئة المدرسية .

– تطوير النظم المختلفة : كما جرى تطوير معظم النظم التربوية ، من حيث نظم قبول الطلاب ، ونظم تدفق المعلومات التربوية ، ونظام الادارة التربوية ، ونظم تقويم الطلاب ، ونظم التقويم العامة .

– تطوير نظام الحوافز : ذلك بزيادة الحوافز المادية لتنمية اتجاه معين ، كالاتجاه العلمى ، والاتجاه الدينى ، والاتجاه للتعليم الصناعى والتخصصى وكذلك الحوافز المعنوية بتقدير المتفوقين فى كل مجال .

– رعاية المعوقين : حيث افتتح معهدا الأمل للبنين والبنات ، لرعاية المعوقين جسدياً والمعوقين فكرياً ، وتقديم التعليم الملائم لكل منهم .

## جامعة قطر

ولعل من أبرز نتاج السنوات العشر الماضية انشاء جامعة قطر التى بدأت بانشاء كليتى التربية للمعلمين والمعلمات ١٩٧٣ م . ثم اتسعت لتشمل خمس كليات هى : كلية التربية ، وكلية العلوم الانسانية ، وكلية الشريعة ، وكلية العلوم ، وكلية الهندسة .

فالجامعة صرح علمى وتربوى يدعم الاستقلال الفكرى والثقافى والعلمى للوطن ، وله دوره الفعال فى تطوير العملية التربوية والتعليمية بما يتاح للجامعة من كفايات علمية ، ولذلك يجرى تطوير العملية التربوية بتلاحم جهود كل من الاختصاصيين فى وزارة التربية والتعليم ، وأساتذة جامعة قطر ، حيث يفيد الميدان من الفكر النظرى ، وتكتسب النظرية واقعيتها ابان التطبيق .

هذا غيض من فيض ما حظى به التعليم من تطور خلال السنوات العشر الماضية ، ولا يمكن استقصاء حيثيات هذا التطور فى هذه العجالة ، ولكننى أؤكد أن اعداد أجيال الغد يتم بكفاية وقدرة ووعى ، وباعداد شمولى متكامل ، يحفظ للناشىء عقيدته وأخلاقه وقيمه ، كما يضعه على طريق البناء فى مجتمع نام متطور ، وعالم سريع التغير والتحول .

والله تعالى أسأل .. ان يوفق بهذه الجهود أبناءنا – الذين هم أثمن مقدراتنا – لبناء مستقبلهم على أسس قويمة ليحققوا لوطنهم رجاءه ولشعبهم أماله ، ولأمتهم ما تصبو اليه . انه تعالى من وراء القصد ويهدى السبيل .

**محمد بن حمد آل ثاني**

سياسة قطر الخارجية :

# حرّية ورخاء للأمّة العربية صفاء ومحبّة بين شعوب العالم





بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

بعد أن حصلت دولتنا الفتية على استقلالها فى الثالث من شهر سبتمبر عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين ، وأثر تقلد سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لمقاليد الحكم فى الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين ، بدأت تجربتنا السياسية فى التبلور والنضوج والرسوخ وكان محتماً على قيادتنا الواعية أن تمضى بمسيرة بناء وطننا قدماً الى الأمام ، من خلال الوفاء بكافة الالتزامات الوطنية والعربية والدولية . وعلى هدى من توجيهات سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى بدأ نشاطنا السياسى يتنافس ويتطور . على مختلف الأصعدة وفى شتى المجالات .

وداخلياً ، صدر فى ١٩٧٢/٤/٢٣ أمر أميرى بتعيين أعضاء مجلس الشورى فى دولة قطر . وكان عدد أعضائه عشرين ثم أصبحوا بعد صدور قرار فى ١٩٧٥/١٢/٩ ثلاثين عضوا ، فتعززت بذلك مسيرة الديمقراطية فى بلدنا الأمين الذى يؤمن ايماناً عميقاً بأن المواطن والوطن هما أثمن ما نحرص عليه . ومن هذا المنطلق بدأت عملية تنمية شاملة لمقدراتنا ولشبكة علاقاتنا الدبلوماسية على المستوى الخليجى والعربى والاسلامى والدولى .

## مع الأشقاء فى الخليج العربى

ومنذ فجر استقلالنا ، سعت دولة قطر الى التكامل والتعاون مع دول الخليج . وقد أكد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى هذا النهج السياسى وأوضح أبعاده ، فى خطابه السامى أمام مجلس الشورى فى دور انعقاده العادى العاشر حين قال :

«وفيما يتصل بعلاقاتنا العربية الاقليمية ، تنطلق سياستنا من طبيعة روابط الأخوة الحميمة التى تجمعنا فى صعيد واحد بدول الخليج العربية . تلك الروابط التى تنفرد بظاهرة الجوار ، وتعززها حاجتنا الخاصة المشتركة الى التنسيق بين مستوياتنا التى تتميز بالتشابه فى كل المجالات . ولا ريب أن هذا التنسيق هو أسلم السبل المؤدية الى تعاوننا الايجابى الشامل الضرورى لبناء قوتنا الذاتية الجماعية الكاملة التى ننشدها من أجل توفير المزيد من عوامل أمننا واستقرارنا ورفاهنا . وهو فى ذات الوقت أقوم سبيل لقطع الطريق على كل تدخل أجنبى فى شؤوننا ، واحباط كل محاولة لاضعاف موقفنا الثابت على اصرارنا على عدم الانحياز لأى من القوى

سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر على رأس وفد بلاده فى مؤتمر القمة العربية فى عمان



العظمى ..» .

وتمشياً مع هذه الرؤية السديدة ، والنهج السياسى الحكيم ، بادرت دولة قطر خلال العشر سنوات الماضية الى المساهمة الايجابية فى كل نشاط خليجى ، من خلال الحرص على المشاركة فى كافة المؤتمرات والندوات والاجتماعات التى تقوم بها دول المنطقة .

وقد شهد العام المنصرم ، حضورنا الفعال سواء من خلال اجتماعات وزراء خارجية مجلس التعاون فى كل من الرياض ومسقط وأبو ظبى ، أو من خلال مشاركتنا فى قمتى مجلس التعاون الخليجى اللتين كانت أولهما فى أبو ظبى والثانية فى الرياض .

## يداً بيد مع أمتنا العربية

أما توجهنا السياسى فى اطار علاقاتنا العربية ، فان دولة قطر تؤمن تماماً بأن «أمتنا العربية يربطها بعضها ببعض اشتراك المصالح والأهداف والمخاطر والآلام والآمال واتحاد اللغة والعقيدة والفكر والنضال ، والايمان العميق بحتمية العمل العربى المتكامل» .

كما تؤمن دولة قطر ، بأنه «ليس ثمة مأساة أفدح من تمزق أمتنا على النحو المهلك الذى تعانيه ، رغم اجتماع سائر العوامل لجعلها كياناً واحداً متماسك الأجزاء» .

ومن هذا المنطلق بذلت دولة قطر أقصى الجهد فى مجال دعم الشعب الفلسطينى فى نضاله العادل ضد الاحتلال الصهيونى ، كى يتمكن هذا الشعب الأبي المقاتل من استرداد كافة حقوقه المشروعة ، وأولها حقه فى العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطنى .

كما أبدت دولة قطر كافة الجهود العربية الرامية الى الحفاظ على وحدة لبنان وصون عروبته واستقلاله .

وشاطرت الأمة العربية فى السلم والحرب كافة الأعباء والواجبات . وشاركت فى كل مؤتمر عربى عقد فى ظل جامعة الدول العربية ، سواء على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى القمة التى كان آخر مؤتمراتها القمة الثانية عشرة التى عقدت بمدينة فاس فى ١٩٨١/١١/٢٥ .

ولزيادة توثيق عرى روابط الأخوة مع الأشقاء العرب ، ولدعم التضامن العربى قام صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولي العهد ووزير الدفاع فى ١٩٨١/٩/٩ بجولة شملت كلا من الأردن والمغرب وتونس .

ونظراً لازدياد فاعلية الدور السياسى لدولة قطر ، على المستوى العربى ، فقد غدت الدوحة ذات وزن سياسى مرموق ، الأمر الذى تجسد فى قيام جلالة الملك حسين بزيارتين متتاليتين لدولتنا الفتية الأولى فى مايو والثانية فى شهر أكتوبر كى يبحث مع أخيه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى مختلف جوانب الأوضاع العربية الراهنة والسبل الكفيلة بتجاوز الأزمة العربية .

كما رحبت دولة قطر بالسيد / ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال زيارتين متتاليتين الأولى فى مايو والثانية فى نوفمبر .

وفى نهاية شهر سبتمبر من العام الماضى كان صاحب السمو أمير البلاد المفدى على رأس مستقبلى شقيقه ، فخامة الرئيس / حافظ الأسد . وقبل ذلك استقبل سموه الأخ الرئيس علي ناصر محمد الذى زار الدوحة فى منتصف شهر نوفمبر من العام الماضى .

## دعم للعالم الاسلامى

شهدت العشر سنوات الماضية ، تكثيفاً متواصلا للقاء مع قادة الدول

# حرية ورخاء للأمة العربية
# صفاء ومحبة بين شعوب العالم



سمو أمير البلاد المفدى أثناء حضوره مؤتمر القمة الاسلامى الثالث بالطائف

الاسلامية فدولة قطر «تؤمن ايماناً عميقاً بما يقرره القرآن الكريم من أن أمتنا الاسلامية أمة واحدة» هذا ما أكده صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، كما أكد : «ان واجبنا يقتضينا أن نوحد صفنا الاسلامى ، وأن نعتصم بحبل الله لنناضل فى سبيله . أقوياء باتحادنا أشداء بتكاتفنا . وللأسف فان عالمنا الاسلامى يعيش مأساة محزنة من الانهيار، مردها الفشل فى تنسيق امكاناته الذاتية الهائلة» .

ومن منطلق الحرص على مصالح الأمة الاسلامية ، شاركت دولة قطر فى كافة المؤتمرات الاسلامية ، والتى كان أخرها مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى الطائف ومكة فى الخامس والعشرين من يناير من العام الماضى .

وقد استقبلت الدوحة ، أميراً وحكومة وشعباً فى العام الماضى ، سيادة الرئيس الباكستانى الجنرال ضياء الحق والرئيس السنغالى عبده ضيوف . كرمزين لبلدين تربطنا معهما روابط اسلامية وثيقة .

## تضامن مع التحرر الافريقى

ودولة قطر ، فى مجال علاقاتها مع افريقيا ، فانها تحرص أشد الحرص على تعزيز التضامن العربى الافريقى وتساند شعوب افريقيا المضطهدة ، سواء فى ناميبيا أو فى ارتريا ..كما أن دولة قطر تقدم كافة المساعدات الممكنة للدول الافريقية الصديقة .

وقد استقبلت دولة قطر عدد أمن رؤساء الدول الافريقية ومبعوثيها خلال السنوات العشر الماضية .

## مع الأسرة الدولية

إن نهجنا السياسى يرتكز على «أن السلام والأمن الدوليين اللذين تنشدهما البشرية ، لامكان ارساء أسس تعاون وثيق فى جو من الصفاء والمحبة بين شعوب العالم كافة ، سيظلان محل التهديد والاحتلال حتى تؤتي جهود الانسانية ثمارها فى تحقيق أمانيها فى تصفية الاستعمار بكل أشكاله ، نهائياً وبصورة شاملة فى كل مكان . كما أنهما يتطلبان تهيئة الفرص العادلة لتمكين جميع الأمم من أن تنعم بكامل استقلالها القومى وحرية ارادتها الوطنية .ويحتمان اشتراكها كلها على قدم المساواة فى اقامة نظام اقتصادى واجتماعى جديد منصف على أنقاض النظام الحالى المجحف» .

ومن هذا المنطلق ، التقى صاحب السمو أمير البلاد المفدى خلال العشر سنوات الماضية بعدد من رؤساء دول العالم .

وقد تم بحث مختلف القضايا العربية والدولية ، معهم والسبل الكفيلة بحلها حلا عادلا .

## علاقات دبلوماسية متينة

رافق نمو دور ووزن دولة قطر ، سياسياً ، سواء على المستوى الاقليمى ، أو العربى أو الدولى نمو فى عدد البعثات الدبلوماسية القطرية فى الخارج وازدياد فى عدد البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى دولة قطر .

ويمكن ادراك حجم شبكة العلاقات الدبلوماسية التى بنتها دولة قطر من خلال معرفة عدد البعثات المعتمدة لدى دولة قطر ، والتى وصل عددها الى ٥٥ بعثة .. وهذا بخلاف خمسة مكاتب ومنظمات دولية هى :

١ ـ مكتب منظمة التحرير الفلسطينية .
٢ ـ برنامج الأمم المتحدة الانمائى .
٣ ـ منظمة اليونسكو .
٤ ـ المدراء المسئولون عن مشاريع الأمم المتحدة .
٥ ـ منظمة الخليج للاستشارات الصناعية .

## قطر والعالم

وخلال العشر سنوات الماضية ،توزعت البعثات الدبلوماسية القطرية ـ سواء على مستوى السفارة أو القنصلية ـ على قارات العالم ، لتعزيز علاقات دولة قطر عربياً ودولياً . فأصبح لها ١٨ سفيراً فى أنحاء العالم وسبعة من القائمين بالأعمال وثلاثة قناصل عامون لدولة قطر فى الخارج ..

ومنذ فجر الاستقلال عملت دولة قطر على أن تتبوأ مكانها اللائق بين الأمم ، من خلال المشاركة الفعالة فى كل المنظمات والوكالات والمؤتمرات الدولية . حرصاً منها على مسيرة البناء والنماء العالمية لصالح المواطن القطرى ، ولصالح الأسرة الدولية .واليوم أصبحت الدولة عضواً فى العديد من الاتحادات والبنوك والمؤسسات والمنظمات الدولية والهيئات والوكالات والمراكز الثقافية فى العالم ..وهذا بخلاف



سمو أمير البلاد المفدى اثناء مشاركته لأخوانه اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون الخليجي في اجتماعاتهم التاريخية

مشاركتها فى ٢٧ منظمة عربية على مستوى جامعة الدول العربية ..

أما على مستوى منطقة الخليج فهى اليوم عضو فى : ـ

١) مجلس التعاون الخليجى .
٢) مجلس طيران الخليج .
٣) مكتب الخليج للتربية .
٤) مكتب الخليج للابحاث التربوية .
٥) بنك الخليج الدولى .
٦) لجنة الخليج الدائمة للترددات اللاسلكية .
٧) مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج .
٨) مجلس الخليج الأعلى للتعليم العالى .
٩) اتفاقية انشاء المركز الاقليمى للتوثيق الاعلامى .

## دائماً ... الى الأمام

إن طموحاتنا الوطنية ، العضوية الارتباط بطموحات الأمة العربية الرامية الى تحقيق الرخاء والتحرر من قبضة الضغوط الدولية واستكمال سيادتنا تغدو استراتيجية بالنسبة لنا .

وستمضى دولة قطر ، على هدى من توجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى دائماً وأبداً الى الأمام .

**أحمد بن سيف آل ثانى**

### السفراء فى الخارج

سفراء دولة قطر فى الخارج هم :

| سعادة السفير | المركز | الدول المحال اليها |
|---|---|---|
| السفير / شريدة الكعبى | لندن ـ المملكة المتحدة | السويد ـ النرويج ـ الدنمارك ـ هولندا ـ ايرلندا |
| السفير / أحمد حمد العطية | الكويت ـ دولة الكويت | |
| السفير / أحمد الخال | بون ـ المانيا الاتحادية | فنلندا |
| السفير / عبد الرحمن العطية | جدة ـ المملكة العربية السعودية | الجمهورية العربية اليمنية |
| السفير / عبد الله يوسف الجيدة | الرباط ـ المملكة المغربية | السنغال ـ الجابون |
| السفير / علي حسين مفتاح | بغداد ـ العراق | |
| السفير / حمد عبد العزيز الكوارى | باريس ـ جمهورية فرنسا | ايطاليا ـ اسبانيا |
| السفير / أحمد غانم الرميحى | الخرطوم ـ جمهورية السودان | اثيوبيا ـ اوغندا |
| السفير / عبد القادر بريك | واشنطن ـ الولايات المتحدة الامريكية | فنزويلا |
| السفير / علي عبد الرحمن مفتاح | مسقط ـ سلطنة عمان | |
| السفير / أحمد علي الانصارى | اسلام اباد ـ الجمهورية الباكستانية | ماليزيا ـ اندونيسيا |
| السفير / محمد علي الانصارى | طوكيو ـ الامبراطورية اليابانية | |
| السفير / محمد سعد الفهيد | دمشق ـ الجمهورية العربية السورية | |
| السفير / راشد محمد الخاطر | تونس ـ الجمهورية التونسية | |
| السفير / الدكتور حسن علي نعمة | نيودلهى ـ جمهورية الهند | سريلانكا |
| السفير / محمد سالم الكوارى | جنيف ـ سويسرا | |
| السفير / الشيخ حمد بن محمد بن جبر آل ثانى | عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية | |
| السفير / جاسم يوسف جمال | نيويورك ـ الامم المتحدة | كندا ـ الارجنتين ـ البرازيل. |
| القائم بالأعمال / يوسف عبيدان | بيروت ـ الجمهورية اللبنانية | تركيا |
| القائم بالأعمال / ناصر المناعى | القاهرة ـ جمهورية مصر العربية | |
| القائم بالأعمال / سعد الكبيسى | الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية | |
| القائم بالأعمال / ابراهيم أحمد نعمة | أبو ظبى ـ دولة الإمارات العربية المتحدة | |
| القائم بالأعمال / عبد الحميد الكبيسى | مقديشو ـ جمهورية الصومال الديمقراطية | |
| القائم بالأعمال / ابراهيم المقيصيد | نواكشوط ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية | |
| القائم بالأعمال / عبد الله المطوع | طرابلس ـ الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية | |

القناصل العامون لدولة قطر فى الخارج :

١ ـ السيد / سلطان محمد الكوارى ـ بومباى
٢ ـ السيد / عبد الله مبارك الكعبى ـ شيراز
٣ ـ القائم بالاعمال / يعقوب المعضادى ـ دبى

أرقـام تصنـع الرخـاء :

# النمـوّ الاقتصادي والقـدرة الذاتيّـة



من واقع استمرار الأهداف التى تشهدها البلاد جاءت الموازنة العامة للدولة هذا العام لتعكس صورة التطور والنمو فى اقتصاد البلاد ، ولتعبر عن سياسة الدولة المالية لتحقيق الرخاء والنمو الاقتصادى والاجتماعى .

وفى هذه المناسبة ركز بيان معالي الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول ، على الملامح الرئيسية للموازنة العامة ، وأوضح كافة الجهود التى بذلت من أجل أن تأتى التقديرات فى هذا العام متفقة مع البرامج الانمائية فى البلاد والاستراتيجية المعلنة من قبل والتى يتم استكمالها من خلال خطـة طموحة وواقعية وقادرة على تحقيق التنفيذ بالقدر المطلوب وفى الوقت المحدد

سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول



خلال فترة الميزانية ..

وتعكس الأرقام الواردة بالموازنة الجديدة خطة الدولة فى استمرار دعم قدراتها الذاتية فى مجالات الانتاج والخدمات حيث تبرز بصفة خاصة أهمية الاعتمادات المدرجة لتنفيذ المشروعات الرئيسية والتى بلغت فى مجموعها ٧٨٠ر٧ مليون ريال قطرى .

ويضاف الى ما تقدم ما تم تخصيصه لتمويل احتياجات الصناعات الوطنية والقروض العقارية والمساهمات فى المؤسسات المحلية والأجنبية والتى بلغت فى مجموعها ٥٨٣ مليون ريال وبذلك يصل مجموع مخصصات موازنة المشروعات الرئيسية للدولة ٣٦٣ر٨ مليون ريال قطرى .. وهكذا فان حجم الاعتمادات المخصصة للمشروعات بموازنة الدولة لهذا العام يدل على الرغبة الأكيدة المتطلعة دائماً لتوجيه الموارد والامكانيات المتاحة نحو أفضل استثمار اقتصادى واجتماعى ..

فقد رصدت الدولة مبلغ ٣٠٧ مليون ريال لتنفيذ عدد من المشاريع الصناعية والزراعية وذلك باستكمال البنية الأساسية لمواقع الصناعات ومنشآتها والخدمات التى تقوم عليها وانشاء مصنعين للسماد العضوى ولزيادة انتاجية صناعة مواد البناء علاوة على الاهتمام بالصناعات الخفيفة وعلى الأخص ما يتعلق منها باحتياجات المواطنين الأساسية كما توالى الحكومة دعمها لهذا النشاط فى مجال الدراسات لاعداد خطط تنفيذ صناعات جديدة بالاضافة الى الأبحاث والتجارب الزراعية فى مجال التربية والمياه والثروة الحيوانية واستصلاح الأراضى وانشاء المزارع النموذجية للانتاج الزراعى علاوة على عمليات التشجير وانشاء الحدائق .

كما يتضمن النشاط الصناعى المشروعات التى تشرف عليها ادارة شئون البترول لتطوير حقول الآبار والدراسات المتعلقة بذلك وتلك الخاصة بالمؤسسة القطرية العامة للبترول التى تستهدف تنمية مصادر الدولة من الزيت الخام والغاز الطبيعى .

وبلغت الاعتمادات المخصصة للاسكان والمبانى العامة ١٣٠٦ مليون ريال بما يستهدف توفير سبل الحياة الكريمة لجميع المواطنين بالاضافة الى زيادة المناطق العمرانية فى المدن والقرى والمناطق السكنية المختلفة واستمرار خطة الدولة فى تحديث مبانى الوزارات والادارات الحكومية كما يتضمن هذا النشاط المبانى الجديدة فى الخليج العربى وامسيعيد ومناطق أخرى مختلفة علاوة على استكمال برنامج بناء ٢٠٠٠ مسكن شعبى جديد فى مناطق متفرقة من البلاد بالاضافة الى الخدمات العامة لمناطق اسكان جديدة وبناء مخازن للمواد الغذائية وبناء العديد من المساجد فى الدوحة والمدن والقرى المختلفة كما يتضمن هذا النشاط مبلغ ٣٠٠ مليون ريال لصندوق القروض العقارية وقروض الاسكان بالاضافة الى ما يقدم من دعم للقطاع الخاص فى هذا المجال بما يدل على أخذ الدولة بزمام المبادرة فى معالجة اى اختناقات قد تحدث فى مجال الاسكان نتيجة التطور والنمو الاقتصادى المتزايد فى البلاد .

ورصدت الدولة لمشروعات خدمات المجتمع مبلغ ٥٨٧ مليون ريال لتنفيذ العديد من المشروعات الثقافية والاعلامية والرياضية والترويحية

وايماناً من الدولة بأهمية دور العلم فى التقدم والرقى وبأن رفعة الأمم والشعوب رهن بتعليم ابنائها فقد أولت هذا النشاط جل اهتمامها ورصدت للمشروعات الخاصة به مبلغ ٧٧٧ مليون ريال

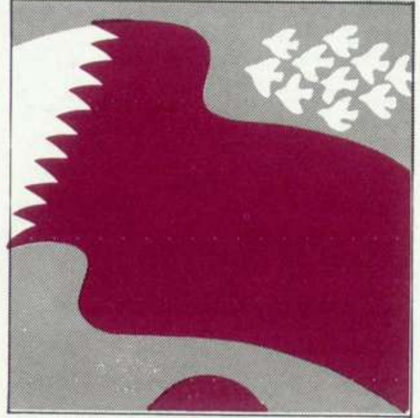
وتشهد الرعاية الصحية التى توفرها الدولة طفرة من منطلق تعميمها وتطويرها باستكمال بناء وتجهيز مستشفى حمد العام والتوسع فى بناء المراكز الصحية الجديدة .. لتؤدى خدماتها لكافة المواطنين فى انحاء البلاد بالاضافة الى انشاء مستشفى جديد للنساء بتكلفة اجمالية ٣٠٠ مليون ريال علاوة على التعديلات والاضافات والتحسينات بكل من مستشفى النساء الحالى ومستشفى الرميلة والعيادات الطبية المختلفة ولقد ادرج مبلغ ٢٣٠ مليون ريال لهذه الأعمال .

ولأن الطاقة الكهربائية والمياه العذبة هى عصب الحياة وأساس التطور الاقتصادى والاجتماعى لذا فان الدولة توليهما أكبر الاهتمام سواء من ناحية زيادة الانتاج أو توسيع نطاق التوزيع لتوفير احتياجات المواطنين وخدمة أغراض الصناعة والزراعة فقد خصص لهذه الأنشطة مبلغ ٢٣٤١ مليون ريال

ونظراً لأن قطاع النقل والمواصلات والطرق يعتبر احد ركائز النشاط الاقتصادى والاجتماعى فى البلاد فان مخصصاتها التى بلغت ١٠٥٩ مليون ريال بموازنة هذا العام تدل على اهتمام الدولة بكل فروع هذا القطاع من نقل برى وبحرى وجوى وخدمات الهاتف والبرق والاتصالات عبر الأقمار الصناعية والخدمات البريدية وشبكات الطرق الحديثة داخل المدن وخارجها وانشاء الجسور العلوية لمعالجة اختناقات المرور بالميادين الرئيسية

وهناك نشاطات أخرى تشمل المشروعات الخاصة بالأمن والدفاع والدراسات والأبحاث الفنية كما يندرج تحتها مبلغ ١٠٠٠ مليون ريال خصص لاستملاكات الأراضى .

ومما تقدم يتبين ان الموازنة الجديدة باهتماماتها بالنشاطات المختلفة والمتنوعة ارتكزت على اسس ومبادىء نبعت من واقع المسئوليات الكبيرة الملقاة على عاتق الدولة فى النهضة الشاملة للبلاد والتطوير الاجتماعى لأفراد المجتمع القطرى ومن منطلق تحقيق القوة الذاتية للدولة مادياً ومعنوياً فى ظل القيادة الرشيدة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين .



# خطة لصحة المواطن حتى عام ٢٠٠٠



بقلم: الدكتور حجر أحمد حجر
وكيل وزارة الصحة

**فى خلال السنوات القادمة سيكون هناك حصر وتقييم كامل للنظام الصحى فى دولة قطر .. ومن خلال الجهود الاحصائية ستوضع خطة صحية شاملة فى البلاد حتى عام ٢٠٠٠ ميلادية ، وذلك أسوة بأحدث النظم المطبقة فى دول العالم**

تقتضى التنمية الاقتصادية والاجتماعية اجراء تحسينات تدريجية فى الظروف المعيشية وفى نوعية الحياة التى يتمتع بها المجتمع ويعيشها افراده . وتلك عملية مستمرة فى جميع المجتمعات ، وقليل منها يمكن ان يدعى انه قد استكمل حظه من التنمية .

ولما كانت الرعاية الصحية هى المدخل الى بلوغ الجميع مستوى مقبولا من الصحة فهى تساعد الناس على الاسهام فى تنمية انفسهم اجتماعياً واقتصادياً . ولا يمكن ان يقوم الفرد بدوره الكامل فى المجتمع ، الا عندما يكون فى مستوى مقبول من الصحة ، وبذلك تكون التنمية الصحية اساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهناك ترابط وثيق بين وسائل بلوغها جميعاً . ويستتبع ذلك ان تكون الرعاية الصحية جزءاً لا يتجزأ من التنمية الشاملة للمجتمع .

لقد خطت دولة قطر - ومنذ تولى صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم - خطوات عملاقة فى مضمار التقدم والرقى واستوجب ان ينعكس ذلك على المستوى الصحى للمواطن وكان لزاماً الاسراع بالعجلة الصحية لمواكبة هذه الخطة التنموية الطموحة عن طريق بلوغ ارفع مستوى صحى ممكن .

ان الأفكار والمبادىء التى تهدف اليها فلسفة الصحة فى دولة قطر ترتكز على المفهوم المتكامل للصحة وبمعنى ان الصحة ليس غياب المرض فقط وانما هى حالة متكاملة جسمياً وعقليا واجتماعياً . لذا لزم تأسيس البناء الصحى على ركائز أربعة هى الوقائية والعلاجية والتأهيلية والادارية .

## طبيب العائلة

لقد سارت وزارة الصحة العامة وتسير الآن فى خطين متوازيين أولهما تطوير وتحسين الخدمات الصحية الموجودة وثانيهما خلق تلك التى تفى بالاحتياجات الصحية للفرد . ومن أجل ذلك نفذت الوزارة خطة طموحة لا مجال لذكرها كاملة الا أننا نستطيع ان نوجزها فى عدة أمور :

## الرعاية الصحية الأولية

وأهم القواعد الثابتة والمساندة لباقى الخدمات الصحية ومترابطة معها هى

خدمات الرعاية الصحية الأولية الشاملة التى تقدم للجميع على مستوى رفيع من الكفاءة الفنية والكلينيكية حريصـــة على تغطية كافة سكان دولة قطر اينما يقطنون وبسهولة الوصول الى امكنة خدماتهـــا بالاضافة الى وضع نظام فعال يربط هذه الخدمات فى تفاعل تام مع خدمـــات الاخصائيين والمستشاريـن الطبيين فى المستشفيات هذا بالاضافة الى ارتباطها بالخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى فى الدولة . ومرت هذه فى مرحلتين هما :

– تعزيز المراكز الصحية الموجودة مثـل المراكز الصحية بمدينة الشمال والخور وام سعيد والوكرة .

– انشاء ثمانى مراكز صحية جديدة فى مناطق بني عمران والشحانية والنعيجة والجميلية والغويرية ومدينة خليفة والريان وام غويلينة والسد والمنتزه وأم صلال والعسيري والغرافة .

وتقدم هذه المراكز خدماتها ضمن اطار طبيب العائلة ومعتمدة على نظام التسجيل الصحى الهادف الى ايجاد نظام صحى موحد يسجل عليه كل مواطن ومقيم ويمنح بموجبه بطاقة صحية تحمل رقماً صحياً موحداً يستعمل فى جميع الخدمات الصحية بالوزارة وبعد تسجيل المواطنين والمقيمين يوزعون على مراكز صحية قريبة من منطقة سكنهم بحيث يحدد كل مواطن أو مقيم مركز صحى واحد يراجعه عند الحاجة ويوضع به السجل الطبى والصحى الخاص به وبحالته الصحية ومن الجدير بالذكرانـــا قد بدأنا العمل بهذا النظام فى منتصف عام ١٩٨١ م .



لقطتان لمستشفى حمد العام الجديد



## أهداف مستشفى حمد

وقد كان من ضمن الأهـــداف التى اقيم من أجلها مستشفى حمد :

أولا : تقديم ارقى الخدمات الصحية من الناحية النوعية والكمية بحيث تشمل :

أ – قليلا من الرعاية الأولية الخاصـــة بالحالات الاضطرارية .

ثانياً : تقديم ارقى الخدمات الطبيـــة الثانوية التخصصية .

ثالثاً : تقديم أعلى مستويات الخدمـــة الطبية الفرعية فى الاختصاصات الفرعيـــة فى جميع حقول الطب سواء كان ذلك فى الأمراض الداخلية أو الجراحية أو الأطفال أو النسائية والتوليد بالاضافة الى الفروع المتخصصة الأخرى .

رابعاً : ان تتولى مؤسسة حمد موضوع التعليم والتدريب الطبى المستمر لكافة الأطباء فى دولة قطر سواء كانوا ممن يعملون بشكل مباشر بمستشفى حمد أو مؤسسة الرعاية الصحية الأولية وغيرها ؛

قام المسئولون فى مستشفى حمد بالعمل الدؤوب على تنسيق الجهود مـــع الـــدول العربية الأخرى ومؤسساتها الرسمية وغير الرسمية لخلق برنامج تدريب اختصاصى فشاركت المؤسسة بالهيئة العربية العليـــا للتخصصات الطبية ومجالسها الأولى الاربعة ، اخص بالذكر :

– الأمراض الداخلية .
– الجراحة العامة .
– الأطفـــال .
– النسائية والتوليد .

واضعين هذه الأهداف نصب العين . وقد عمل المسئولون فى هـــذه المؤسسة منذ البداية على استقطاب العدد الكافى من الاخصائيين ذوى الكفاءات العالية من العالم العربى أو ممن استهوتهم ظروف الحياة فى الدول الامريكية والأوروبيـــة ووجدوا فى مستشفى حمد مؤسسة يستحق الرجوع اليها . لذا قام المسئولون بالاتصال مع هؤلاء بشكل فردى أو عن طريق اعلانات فى الصحف الطبية المتخصصة المتعددة وقاموا بمقابلة الكثيرين منهم واضعين الامكانيات المالية للبحث العلمى كمشجع اساسى للعودة الى هذا البلد العربى .

وذلك تحضيراً لوضع برنامج علمى متخصص لتدريب العاملين من الأطباء العامين بعد انهاء فترة تدريبهم الأولية لكى يكونوا مختصين . حيث ان فرص التخصص فى البلاد الغربية وامريكا أصبحت شبه مقفولة امامهم . بالاضافة الى ان كثيراً من الجهد والمال يذهب سدى باقامة هؤلاء الأطباء خـــارج وطنهم العربى . بالاضافة كذلك الى ان كثيراً منهم تستهويهم الحياة الغربية فيقرروا البقاء فى هذه البلاد دون العودة الى بلدهم . قام المسئولون ايضاً بالتعاون مع بعض المؤسسات الطبية فى البلاد العربية لوضع الخطوط الأوليـــة لاقامة تعاون اكاديمى بين هذه المؤسسات

# خطة لصحة المواطن حتى عام ٢٠٠٠

الجامعية ومؤسسة حمد الطبية مما سيكون له الفائدة الكبرى على كلا المؤسستين فى المستقبل .

ورغم ان الافتتاح الرسمي لمستشفى حمد تحت رعاية أمير البلاد المفدى سيكون فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ م الا انه تسهيلا للمهمة الطبية فقد بدأ المستشفى بتقديم بعض الخدمات الطبية لأهل قطر منذ ١٩٨٢/١/١٦ . حيث بدأت بعض العيادات التخصصية باستقبال المرضى واخص بالذكر :

- الغدد الصماء .
- امراض الأعصاب .
- امراض العيون .
- امراض الأنف والأذن والحنجرة .

وقد اتخذ القرار قبل ايام بابتداء العناية المرضية فى داخل المستشفى بداية من أول فبراير ١٩٨٢ م حيث قد تشمل قسماً مبسطاً من الأمراض الداخلية والسكرى والغدد الصماء وبعض مرضى القلب . كما ستبدأ فى ١٥ فبراير استقطاب بعض الأطفال المرضى مما يتناسب مع سياسة المستشفى العامة بتقديم الخدمات الطبية المتخصصة تدريجياً كلما استكمل قسم من الأقسام .

أما افتتاح المستشفى فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ م فستكون البداية الرسمية للعمل الدؤوب الذى نتوقع ان يتم فى أول يوليه ١٩٨٢ م حيث سيكمل استقطاب كافة الاخصائيين . اما القوى العاملة التى استقطبت الى الآن فهى كما يلى :

| حقل التخصص | عدد الاخصائيين |
|---|---|
| امراض القلب | ٢ |
| امراض الصدر والرئة | ٢ |
| امراض المعدة والامعاء | ٢ |
| امراض الدم والسرطان | ٢ |
| امراض الكلى | ١ |
| امراض الغدد الصماء | ٢ |
| امراض الاعصاب | ٢ |
| الامراض النفسية | ٢ |
| الامراض الجلدية | ٢ |

كذلك استقطب فى فرع الأطفال (٤) من المستشارين ذوى الكفاءة العالية وفى قسم النساء (٣) بالاضافة الى ان قسم الجراحة بدأ باستكمال ما كان ينقصه من الاختصاصيين فى امراض العظام والتخدير والمجارى البولية والجراحة التجميلية وسيباشر معظم هؤلاء قبل ١٩٨٢/٧/١ م .

اما النواحى البحثية فقد قام المستشفى منذ مدة بالتنسيق الى لقاء علمى بين المستشارين فى هذا المستشفى ومقابليهم من بعض الاخصائيين فى فرنسا لاقامة اسبوع علمى بحثى فى شهر مايو ١٩٨٢ م . ويعمل المستشفى على قيام اسبوع بحثى محلى فى اواخر هذا العام .

اما التدريب للعاملين فى هذا المستشفى فقد بدأ على مستوى التمريض ومستوى السكرتارية والمترجمين والعاملين فى العيادات الخارجية . وقد بدأت بوادر النجاح تظهر فى المعاملة اليومية للمرضى الذين بدأوا يؤمون العيادات الخارجية فى هذا المستشفى .

## خدمات المستشفيات

وتشمل المستشفيات العامة كمستشفى حمد العام ( ٦٦٠ سرير ) ومستشفى الرميلة العام ( ٤٧٠ سرير ) بالاضافة الى المستشفيات التخصصية كمستشفى الولادة وامراض النساء ( ١٨٩ سرير ) ومستشفى الدوحة للامراض المزمنة والدرن ( ١١٢ سرير ) ومستشفى العزل ( ٢٥ سرير )

اما للافراد ذوى الامراض المستعصية فانهم يحولون اما الى الخارج للعلاج أو يعرضون محلياً على كبار الاخصائيين الاستشاريين العالميين عن طريق برنامج زيارتهم الدورية .

العناية الطبية



لقد انشىء مستشفى حمد العام لمواجهة العناية الصحية المتخصصة للاهالى وسيخدم المستشفى كمركز تخصصي تحويلى للمرضى من والى شبكة خدمات الرعاية الصحية الأولية ، كما يعمل على اقامة علاقات مع المؤسسات الطبية الخليجية والعربية والعالمية لتبادل الخبرة والمعلومات الثقافية فى الأمور الصحية والطبية والتقنية .

تضم منشآت المرضى فى المستشفى وحدات مخصصة للرعاية الطبية الباطنية والجراحة العامة فى معظم تخصصاتها والعناية الجراحية المركزة والعناية الطبية المركزة ، رعاية امراض القلب المركزه والعناية بالحروق ، العظام ، الأطفال والعناية المركزة للاطفال وخدمات امراض العيون ... الخ ... ووحدة الكلى الصناعية .

ويحتوى المستشفى كذلك على ثمانى غرف للعمليات تدعمها تسهيلات الانعاش الكاملة .

ويمكن لجميع وحدات المستشفى العمل لدعم دائرة الطوارىء والحوادث الكبيرة اذ تتوفر فيه عشرة غرف لفحص ومعالجة ضحايا الحوادث واثنان وعشرون سريراً للمراقبة .

## الصحة الوقائية

تقوم الوزارة من خلال مجموعة كبيرة من المراكز المنتشرة فى مختلف المناطق والموانىء الجوية والبرية والبحرية بأعمال مراقبة المسافرين والقادمين بطريق الجو

والبحر والبر وتنفيذ القوانين والاتفاقيات الصحية الدولية . بالاضافة الى مراكز مكافحـــة الأمراض المعـــدية والتحصين باللقاحات الواقية منها وتسجيل المواليد والوفيات . كما تقوم بالاشتراك مع البلدية وادارة المياه بوزارة الكهرباء والماء ومن خلال المركز الاقليمى لرقابة الأغذية - وهو مختبر علمى على كفاءة علمية عالية - بمراقبة الأغذية ومياه الشرب .

كما انشات اقساماً مختلفة مثل قسم الصحة المهنية وقسم رعاية الأمومة والطفولة وقسم الصحة الغذائية وقسم الاحصاء الحيوى وتدعيم مختبر الصحة العامة .

## القوى العاملة

وقد تم تخريج دفعات من الكـــوادر القطرية فى المجالات الصحية والطبيـــة كالاطباء والممرضات والمفتشين الصـحين . اما بالنسبة للصنفين الاخرين فقـــد تم تدريبهما محلياً . ويقوم هؤلاء الآن بتحمل مسئوليات قيادية فى مجالات اختصاصاتهم

كما تم تنظيم برنامج لتدريب عدد من الاداريين القطريين بالوزارة فى ايرلندا ... ولقد عادوا بعدها لاستلام مراكز قيادية فى مجالات عملهم المختلفة .

## الخبرات الدولية

لقد حرصت الوزارة منذ البداية الاعتماد الكبير على الخبرات الدوليـــة لتحسين خدماتها الصحية وفى سبيل ذلك :

- اصبحت دولة قطر سنة ١٩٧١ عضواً كاملا فى منظمة الصحة الدولية واصبحت كذلك عضواً فى مجلس وزراء الصحة للدول العربية فى الخليج سنة ١٩٧٦ وتشارك بفعالية فى اجتماعات اللجان الفنية المتعددة والمنبثقة عن الامانة العامة التابعة للمجلس المذكور . ولقد اثبت هذا المجلس خلال سنواته الست الأخيرة أهمية وسهولة التنسيق فى المجـــالات الصحية بين دول المنطقة لما فيه من تحسين للمستوى الصحى لمواطنيها .. بالاضافة لما تقدم من مشاركة فى أعمال مجلس وزراء الصحة العرب التى هى عضو فعال فيـــه أيضاً .

- أبرمت دولة قطر عدة اتفاقيات صحية مع كل من ايرلندا وفرنسا والدنمارك واستراليا ومصر والسودان وجامعة بيروت الامريكية .

- استضافت الدولة مؤتمرين هما الاجتماع السنوى لاقليم شرق البحر الأبيض المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية ( ٢٣ دولة ) عام ١٩٧٩ وكذلك المؤتمر السادس لمجلس وزراء الصحة للدول العربية فى الخليج عام ١٩٧٨ .

## الصحة والمستقبل

أما بالنسبة للمستقبل فان الوزارة ستقوم بتوسيع شبكتها للرعاية الصـــحية للمواطنين عن طريق انشاء مراكز صحية جديدة فى ضواحى الدوحة : النجمـــة ، المنصورة ، السلطة ، الجديدة وخليج الدوحة الغربى أما خارج الدوحة فسنعمل على افتتاح مركز صحى بقرية الذخيرة بالاضافة الى تقييم الخدمات المتاحة فى المراكز التى افتتحت تمهيداً لتطويرها .

أما بالنسبة للمستشفيات فان الوزارة حريصة على تعزيز مستشفى حمد العام وكذلك بدىء فى انشاء مستشفى جديد للنساء والولادة يضم ( ٣٣٠ سريرا ) يكون على شكل ملحق لمستشفى حمد العام . وسينتهى العمل به خلال العامين القادمين .

أما بالنسبة لمستشفى الرميلة العـــام فسيحول الى مستشفى لخدمات طب المسنين والامراض النفسية والعقلية والعناية الطبية المطولة وخدمات التـــاهيل المتكاملة للكسور والشلل وغير ذلك وتركيب الأطراف الصناعية وغير ذلك من التأهيل مما يكمل الخدمات العلاجية الأخرى . ويقوم الآن فريق استرالى فى التخطيط والتنفيذ لذلك . وستقوم الوزارة كذلك بتعزيز خدمات الصحة الوقائية لتأخذ دورها المطلوب فى الوقاية من الأمراض .

ومن أجل ارساء النظام الصحى على اسس علمية سليمة قامت الوزارة أخيراً بتوحيد الجهود الاحصائية بالوزارة للخروج بنظم للمعلومات الصحية المتكاملة لتكون الدعامة الاساسية لعملية التخطيط الصحى الشامل لدولة قطر والتى ستشمل فى خلال السنة القادمة حصراً وتقييماً كاملا لنظامنا الصحى الوطنى لنستطيع من خلاله وضع خطة صحية شاملة لدولة قطر حتى عام ٢٠٠٠ اسوة بدول العالم المتقدمة

لقد كانت تلك لمحة خاطفـــــة لبعض ما حققته وزارة الصحة العامة فى الاحدى عشر سنة الماضية اما بالنسبة للمستقبل فاننا سنسعى جاهدين الى الاستفادة من اخطاء الماضى ونبنى على ذلك أساساً منيعاً يكون لبناية الاسلوب العلمى الصحيح .

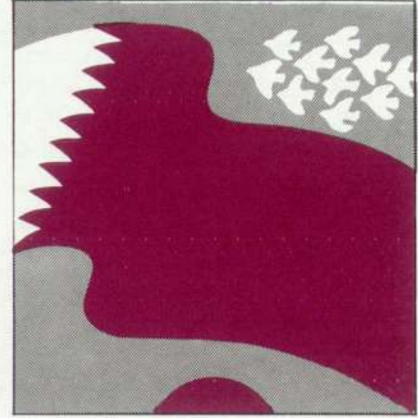
لاشك ان معايير التقدم البشرى عديدة الا اننا نعتبر ان اهمها هو المستوى الصحى الوطنى .. وفى سبيل تحقيق ذلك المستوى الصحى الرفيع نحـــاول دائمـاً وباقصى ما نستطيع توفير الرعاية الصحية والطبية للمواطن الا ان مسئولية المواطن تجاه صحته هى الضمان الأول لها ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : ( ان لبدنك عليك حقا ) .

د . حجر أحمد حجر

معهد التدريب الصحى



# عشر سنوات
# من التوجه الحضاري في الإعلام القطري



بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري
باريس

الوجه الثقافي ، الفنى ، الأدبى ، الفكرى للاعلام القطرى ـ أى بكلمة الوجه الحضارى ـ هو من المنجزات الغالية التى يتوجب تسجيلها فى صفحة هذه النهضة الاعلامية الواعية والمثمرة ، التى رافقت النهضة الشاملة التى شهدتها دولة قطر العربية فى العشر سنوات الماضية بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قائد هذه الدولة الفتية ومؤسس نهضتها وبانى تاريخها الحديث .

وفى هذه الذكرى التى ترمز لعشر سنوات متواصلة من العمل التأسيسي ، فان من واجب الوفاء علينا ، كرجال قلم وثقافة ودعاة تنوير فكرى ، أن نلتفت الى هذا الجانب الثقافى الحضارى فى سياسة سمو الأمير القائد الذى ركز منذ البدء على قضية بناء الانسان وتنمية قواه الفكرية والاخلاقية والروحية كهدف وكغاية للنهضة وللتنمية ولسياسة الدولة فى كافة الميادين .

فمثل هذا التوجه هو أحوج ما تحتاج إليه الأمة العربية كلها فى زمنها الحاضر الصعب ، وهو ما يبحث عنه ويطالب به رجال الثقافة العربية فى كل مكان لأن تنمية الانسان حضارياً هو ما يقيل الأمم من عثارها ، ويرد عنها المحن وكيد الأعداء ، ويفتح أمامها طريق النهضة



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

## دور الإعلام القطري لإبراز الكلمة الهادفة والحقيقة النيّرة

والكرامة .

وإذا ما وجد المثقف العربى فى الحاكم العربى مثل هذا التوجه الحضارى المثمر ـ الذى يتجلى بوضوح فى سياسة قائد قطر العربية ـ فان واجب الكلمة يحتم على كل مثقف عربى ـ أيا كان موطنه وموقعه ـ أن يشيد بهذه السياسة المتحضرة الرشيدة وأن يكون عضداً لها خدمة للنهضة العربية الجديدة المأمولة التى هى غاية كل عربى مخلص حاكماً كان أو مواطناً ، مسئولا كان أو مفكراً .

ومع دخول هذه السنوات العشر الحافلة فى تاريخ قطر والخليج والعرب ، بحجمها وأبعادها ، فان مساحة الاشعاع الحضارى للاعلام القطرى تتسع هى الأخرى بمساحة السنوات من الجهد والعمل ، لتتجاوز حدود قطر ، وحدود الخليج وتصل الى مشرق الوطن الكبير ومغربه لترفد أمتها العربية بما فى روح قطر وروح الخليج من أصالة عربية ومحبة عربية سمحة تسعى لتجاوز محن الزمن الصعب الى زمن الخلاص المقبل قريباً باذن الله ، بقيم العمل والصبر والنظرة البعيدة والايمان بقدرة الأمة والتفاؤل بالمستقبل والاصرار على المشاركة فى السراء والضراء ، وسائر مقومات الروح العربية المتأصلة فى أهل هذا





مجموعة من اللقطات تمثل بعض مظاهر الوجه الثقافي فى دولة قطر .. الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية .. والمسرح الجديد .. ثم المحطة الأرضية للاتصالات الفضائية .. واخيراً متحف قطر الوطنى

الركن العربى المكين : خليجاً وجزيرة ، بادية وحاضرة .

●●●

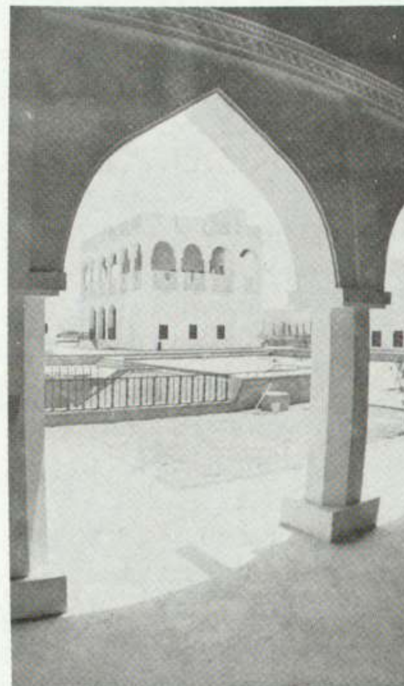
وها هى ذي مجلة « الدوحة » كمنبر من منابر هذا الاشعاع الحضارى ، تؤدى باسم قطر لأمتها العربية فى مطلع كل شهر خدمة الكلمة الهادفة والحقيقة النيرة ، خدمة خالية من كل غرض ، مجردة لوجه الثقافة العربية ، هادفة لكل ما ينهض بالروح العربية ويساعد على التئام الجراح العربية .

هذا بينما تتفوق وتتألق الفرق القطرية من فنية ومسرحية فى مختلف المحافل العربية وتنال قصب السبق بين الأشقاء فى مجالات الاستحقاق مبشرة بقدوم موسم الحصاد لانماء الانسان وبناء الانسان الذى أراده القائد .

وكأساس مكين لهذه الانطلاقة نحو المستقبل ، يعود الاعلام القطرى لانشاء ورعاية مركز التراث الشعبى الخليجى ، متعاوناً مع الاشقاء كافة ، تأكيداً لأصالة النهضة المنشودة وعودة لجذورها الراسخة .

والواقع أن تعداد المآثر الثقافية للاعلام القطرى حديث يطول ويستحق رصداً أطول ولكنها مآثر بينة واضحة يستطيع أن يدرك حقيقتها بتجرد من يقدر جهد العاملين ويعطى كل ذي حق حقه .





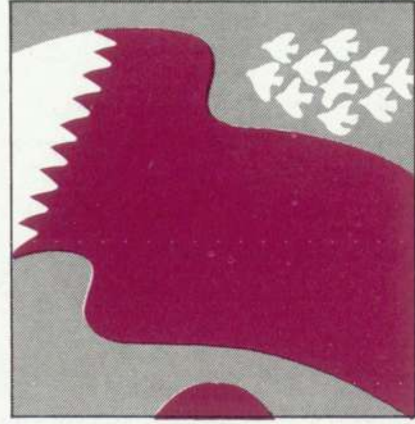
## وتحية لرجل العمل الصامت

ثم يبقى فى النهاية من واجب الوفاء لرجال أمتنا المخلصين العاملين بصمت وجهد وتجرد ، أن نسجل ، أمانة للحقيقة ، جهاد رجل صامت ، بعيد عن الأضواء ، رغم قربه منها ، بعيد عن الظهور رغم نشاطه الجم .. رجل أحب عمله حبه لأمته وبلده وقائده ، فأعطى الكثير من جهده ووقته وفكره ، وأصبح - بتواضع - رائد العمل الاعلامى المتحضر الهادىء المستنير ، ليس فى قطر وحدها ، وانما فى منطقة الخليج كلها ، وصار مثالا يعتز به من يريدون النهضة والتقدم لهذه المنطقة ، ويقدمونه وجهاً مشرفاً لهم أمام أمتهم العربية .

هذا الرجل بطبيعة الحال هو سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطرى ، وأبرز وجوه الاعلام الخليجى والعربى ، الذى كان اختياره من قبل سمو الأمير القائد لهذه المهمة اختياراً من جانب سموه للعمل الدؤوب والتفكير المتفتح المستنير .

هذا الرجل هو الفنان الذى أبرز الملامح المشرقة للوجه الحضارى. للاعلام القطرى ليكون علامة أمل مضيء ، فى الزمن الصعب ، لرجال الكلمة الخيرة فى خليج العرب ووطن العرب الكبير .

د . محمد جابر الانصاري - باريس



# طموح المرأة القطرية لم يتوقف عند المرحلة الجامعية

بقلم: نعيمة المطاوعة

اذا أردنا أن نتحدث عن مساهمة المرأة القطرية فى بناء مجتمعها ونهضته ، فاننا سنبدأ من الماضى ، حيث كان للمرأة ـ سواء فى قطر أو الخليج ـ دور اضطلعت بأعبائه ، وذلك قبل تدفق البترول ـ على المنطقة ـ فكانت تساهم في دخل الاسرة ، وخاصة اذا كانت من الأسر المتوسطة أو الكادحة ، وكثيراً ما تضطر للعمل لسد حاجة بيتها وتجنيب أطفالها شر الفاقة أثناء غياب رجل البيت شهوراً طويلة فى الغوص ، بحثاً عن مصدر الرزق الوحيد حينذاك .

وكان عملها ينحصر فى الأعمال المنزلية من طبخ وتنظيف وتربية الأولاد .. وهى تنتظر صابرة .. زوجها .. أملة عودته .. والقلق يكاد يقتلها من شعور يأتيها أحياناً بامكانية عدم عودته ..

ومع ظهور البترول وتدفقه ، حدثت تطورات جذرية فى المجتمع ، وقل الاعتماد على الغوص وصيد اللؤلؤ ، وتغيرت الحياة فى قطر والخليج !

وكان طبيعياً أن ينعكس هذا على المرأة لكونها تشكل عنصراً هاماً فى بناء المجتمع ، فقلت مساهمتها فى دخل الأسرة ، ولم تعد تعمل كالسابق ، وأصبح الرجل هو المسئول ، وذلك لتوفر العمل المريح الذى لا يضطره للتغيب طويلا والذى يدر عليه الربح الكثير ..

وقد ساعد على هذا عودة المرأة القطرية الى خدرها .. ومملكتها .. وأصبحت لا تخرج إلا لحاجة ملحة .

## البنت فى المدرسة

وبازدياد موارد البلاد .. ظهرت النهضة .. وبدأت ملامحها تبرز بشكل ملحوظ .. وانعكس التقدم على كل مظاهر الحياة ..

وبالتالى ظهرت الحاجة الى ايجاد شعب متعلم .. يعرف واجباته وحقوقه مما دعا لانشاء المدارس ، حيث كان الاعتماد فى الماضى على مدرس القرآن الكريم «المطوع» ..

واقتصر على انشاء مدارس البنين فى البداية .. ولكن فى منتصف الخمسينات أتيحت للفتاة فرص التعليم وذلك بافتتاح أول مدرسة للبنات عام ١٩٥٥ ، تضم بين صفوفها ٥٠ طالبة ، تقوم بالتدريس لهن معلمة واحدة ، وهكذا بدأت خطوات الفتاة فى طريق التعليم بكل حماس وطموحات . وتحمس الأهل لأهمية التعليم للبنت ، رغم وجود معارضة من البعض ، الذين لم يسهل اقتناعهم بالتطور الجديد ..

ولقد كان للجانب الايجابى فى اتجاه غالبية الأهل لتشجيع التعليم أثره فى تشجيع الدولة على افتتاح العديد من المدارس وتشجيع الأهالى على ارسال فتياتهم اليها . وذلك بتقديم الرواتب الشهرية ، وكل مستلزمات الدراسة ، واعفاء الأهل من أية التزامات تجاه تعليم بناتهم ، مما دعا بقية الأهل أخيراً الى الاقتناع بأهمية التعليم .. وخاصة بعد ملاحظتهم ، أن الفتاة استطاعت أن تساعد أهلها فى بعض الأمور ، خاصة كتابة الرسائل لأقاربهم وصنع بعض الوجبات الجديدة مما تعلمته فى المدرسة .

ولكن نلاحظ فى منتصف الستينات حدثت ردة فعل عنيفة من قبل الأهل فقد أجبر البعض منهم بناتهم على ترك المدرسة والمكوث فى المنزل لحين قدوم الزوج المناسب ، وكثر فى ذلك الوقت زواج الفتيات بحجة أن ما تحصلت عليه الفتاة لهو كاف بالنسبة لها ، ولا حاجة لها أن تصل الى الصفوف العليا ، رغم أن الفتيات لم يصلن إلا الى مرحلة بسيطة فى التعليم الابتدائى !

ولكن هناك الكثير قاوم رد الفعل هذا ، واستمرت الفتاة القطرية تكافح من أجل نيل أعلى مراتب العلم ..

## مربية الأجيال

وازدادت مدارس البنات حتى أصبحت الآن أكثر من ٦٨ مدرسة .. ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة مهما صغر حجمها من مدرسة للبنات ..

الفتـاة القطرية أثناء
حفظ وتلاوة القــرآن



وبانشاء كلية التربية التى كانت نواة للجامعة والتى افتتحت رسمياً عام ١٩٧٧ ، ارتفع مستوى الفتاة القطرية ، التى لم تعد تكتفى بالمرحلة الثانوية ، بل حاولت الحصول على أعلى الشهادات ..

وخير دليل على ذلك .. عدد الخريجات الذى وصل منذ عام ١٩٧٧ ـ حيث تخرجت أول دفعة ـ وحتى عام ١٩٨١ حوالى (٦٧١) طالبة .

وتسلمت مقاليد العمل . فنراها تعمل كمربية أجيال فى المدارس ، وذلك ليقل الاعتماد على الاعارات الخارجية من المدرسات .. ولا نكاد نرى مدرسة الآن تخلو من قيادات قطرية ، تشعر بأهمية التعليم ..

وقد أثبتت الفتاة قدرتها على تحمل المسئولية ، ومراعاة التنظيم ، بالاضافة لذلك فقد أتيح للفتاة فرصة الدراسة فى الخارج للتخصص فى مجالات حيوية مثل الطب والاعلام والحقوق ، فنرى الأعداد الهائلة التى تسافر فى كل عام ، للدراسة سواء بالالتحاق أو الانتساب للجامعات العربية ، وبذلك استطاعت ان تقتحم مجالات لم تكن تجرؤ على الاقتراب منها أو التفكير فيها ، فعملت فى مؤسسات الاعلام ، والمؤسسات العامة والتمريض .. تلك المهنة الانسانية ، حيث نرى الأعداد الكبيرة التى تتخرج كل عام من مدرسة التمريض .. وأثبتت المرضة القطرية جدارتها فى هذا العمل الانسانى التى يشهد بها الكثيرون .. وبالبالطو الأبيض تخطو الفتاة فى قطر الآن خطواتها الأولى ، كطبيبة .. فى ردهات المستشفى والعيادات بعد حصولها على شهادة الطب التى تعتبر وسام شرف على جبينها ..

## تعميق النظرة

وقد أدى هذا كله الى احداث نوع من الوعى لديها ، لأهمية دورها فى المجتمع . وعمقت نظرتها للأمور .. واستطاعت أن تبرز ايجابيتها ، وبعد أن كانت معدومة التأثير فى حياتها الاجتماعية أصبح لها دور فى التأثير فى أسرتها واتخاذ القرارات الحاسمة فى أمور كثيرة ..

وقد أدى عمل الفتاة القطرية أيضاً الى خلق نوع من الاستقلالية لديها . وأيضاً ـ لخلق رد فعل ـ من جانب الرجل عندنا .. فوقف ينادى بأن لا يحق للفتاة أن تعمل فى مجالات يكون الرجل طرفاً فيها .. بحجة أنها تؤدى الى نوع من الاختلاط لا يناسب العادات والتقاليد .. ويحاول البعض من الرجال أن يعيد المرأة الى بيتها رغم التعليم الذى حصلت عليه وانه لا حاجة لها بالعمل .. فهم المكلفون برعايتها والانفاق عليها .

وقد يقول البعض ان هذا القول فيه بعض من الصحة .. ولكن يجب الادراك أن عمل المرأة ليس فقط بهدف المال والمشاركة فى معيشة الحياة ، رغم أن حياتنا الآن تتطلب تلك المشاركة .. ولكن عمل المرأة هو اثبات لوجودها وكيانها وأحقيتها فى بناء مجتمعها ومحاولة تقديم شىء بسيط له .. مقابل ما قدمه من خدمات ، بحيث تجعل لبيتها وحياتها الخاصة وتربية أطفالها الجزء الأكبر من اهتمامها .

ولكن .. رد الفعل هذا .. لم يحد من طموحات المرأة فى قطر ، ولم يثبط من عزيمتها .. وواصلت السير .. فبجانب الفتاة المتعلمة ، حاولت المرأة القطرية الأم ، أن تحصل على جزء من التعليم ولم تخيب الدولة أملها .. بافتتاح مدارس محو الأمية للنساء .. فأقبلت المرأة من أمهات وفتيات انقطعن عن الدراسة فى الستينات على التعليم بنهم .

وعلى الجانب الآخر لم تقتنع الفتاة القطرية بالمرحلة الجامعية ـ ولكن ازداد طموحها للحصول على أعلى الشهادات العليا مثل الماجستير والدكتوراه فى مختلف العلوم .. ومن مختلف الجامعات .

وخير مثال على ذلك الدكتورة جهينة سلطان سيف .. التى تعتبر أول فتاة تحصل على مثل هذه الشهادة . والتى أثبتت جدارتها فى مجال

◁

# طموح المرأة القطرية لم يتوقف عند المرحلة الجامعية

تخصصها ، ومشاركتها فى الكثير من المؤتمرات بأبحاث كانت جديرة بالاهتمام ، وحصولها أخيراً على شهادة تقديرية من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى للأبحاث التى تقدمها .

ولطيفة الحوطى الحاصلة على درجة الدكتوراه فى العلوم .. وغيرهن ممن يحاولن نيل مثل هذه الشهادات .. وهناك الكثيرات الآن ممن يحملن درجة الماجستير .. أو يحاولن الحصول عليها

## المرأة والأدب

ولكن نلاحظ أن بعض الخريجات ممن يحملن شهادات فى تخصص معين يرفضن العمل فيه ، ويتجهن إلى أعمال لاتمس هذا التخصص من قريب أو بعيد رغم توفر الامكانية واتاحة الفرصة لهن للعمل فى مجال دراستهن .. وهنا أقول ان الأجدر بمن كافحت سنوات طويلة للدراسة فى علم معين أن تضع نصب عينيها أن تعمل على الاستفادة منه ، وتجند كل طاقتها لتنفيذه ..

وقد يرى البعض أن هذا انعكاس لبعض الصعوبات التى تصادف الفتاة فى بعض الأعمال مما يبعث اليأس فى نفسها ويدعوها لاختيار أعمال تتوفر فيها الفرصة أكثر لتحقيق طموحاتها ..

ولكن باصرار الفتاة القطرية وتصميمها على تحقيق ما تريد تستطيع ان تقنع المسئولين بتوفير كل ما يلزمها وما تحتاج إليه بكل صبر وجهد ..

وفى مجال الحركة الأدبية ساهمت الفتاة القطرية ببعض المساهمات ، فظهرت على السطح اسماء بعض الكاتبات اللاتى جعلن الكتابة على صفحات الجرائد والمجلات أولى محاولاتهن .. أمثال كلثم جبر ، التى نشرت أول مجموعة قصصية لفتاة فى قطر .. وهى « انت وغابة الصمت والتردد » وهى عبارة عن قصص قصيرة .. تتحدث فيها الكاتبة عن افكار واحاسيس الفتاة لدينا وما يلفها من عدات وتقاليد ..

وأيضاً هناك بعض الفتيات اللاتى لازلن يتخذن من المجلات والجرائد مكاناً لنشر انتاجهن .. مثل نورة السعد ، وحصة الجابر ومايسة الخليفى ، ومريم السعد ولولوة المسند ، وغيرهن ، ممن يساهمن فى الكتابة ..

وقد تنشر الفتاة القطرية انتاجها بأسماء مستعارة ، وذلك اما مراعاة لأحاسيس ومشاعر الأهل الذين مازالوا منقادين للعادات والتقاليد التى لم تعترف بعد بحرية الفتاة فى طرح أرائها وافكارها، واما لخوف الفتاة من الفشل !

وتحجم بعض الفتيات عن الكتابة ، رغم قدرتهن عليها والاجادة فيها ، وقد يرجع بعض هذا الاتجاه إلى الترسبات التى رسخت فى عقول واذهان الفتيات ، من أن الكتابة سواء فى الشعر أو القصص بالنسبة للفتاة « عيب » وفيه ما يخدش حياء البنت ويسيء إلى سمعتها !

## الخدمات الانسانية

ونلاحظ أن مساهمة الفتاة فى مجال الكتابة الصحفية .. ليست كبيرة .. فالفتاة اذا ما كتبت فى الجرائد والمجلات تعبر عن مشاكلها الخاصة بشكل شعر أو خواطر أو قصص قصيرة .. ولا تحاول فى كثير من الأوقات مناقشة أى قضية من قضايا المجتمع .

والصحافة النسائية لدينا مازالت فى البداية .. فهناك مجلة واحدة تصدر شهرياً وهى الجوهرة ، تحاول أن تناقش وتطرح حلولا لكثير من المشاكل رغم أنها تعانى من نقص يكاد يكون شديداً فى الاقلام القطرية التى تكتب ، ومن المؤلم حقاً أن نرى أغلب صحفنا ومجلاتنا وخاصة فى صفحاتها التى تخص المرأة لا تساهم فى ابراز ومناقشة أمور المرأة القطرية ونضالها ضد التخلف والمشاكل اليومية التى تعيشها .. وتقتصر صفحات المرأة على نقل كل غريب وأخبار المرأة فى العالم وقضايا غير هامة للمرأة لدينا كالمكياج والأزياء ، ونتصورها كالعلب المحفوظة التى نستوردها .. والأمل معقود الآن فى أن تستطيع الفتاة القطرية المساهمة الاكثر فى الصحافة وابراز كل ما يمت لهذا المجتمع بصلة ، وان لا تنفصل عنه ، وحتى تكون لنا صحافة نستطيع حقاً أن نسميها « قطرية » .

ولا ننسى أيضاً مساهمة طالبات الجامعة .. فى المجال الصحفى .. فقد استطاعت مجموعة من الطالبات والخريجات إصدار مجلة دورية باسم « الجامعية » من مكتب الخريجات بجامعة قطر ، وتعتبر هذه نقطة مضيئة وخطوة مشرفة تبشر بالخير وتثبت أن الفتاة القطرية تستطيع ابراز جدارتها وكفاءتها فى أغلب الأعمال .

ولم تغفل الفتاة القطرية عن المشاركة فى المجال الاجتماعى .. فنرى الكثير من خريجات الجامعة .. اخصائيات يساهمن فى العمل سواء فى المدارس أو المستشفيات،والعمل فى الشئون الاجتماعية كمحققات وباحثات حالة .. ومن وقت قصير – افتتح الفرع النسائى التابع لجمعية الهلال الأحمر القطرى واقبلت الفتاة القطرية للمساهمة فيه لتؤدى خدمة انسانية هامة ، حتى لا يقتصر العمل فى هذا المجال على الرجل .

وتناضل الفتاة القطرية منذ فترة ، وتطالب بانشاء جمعية نسائية .. تقوم بنشر الوعى سواء الصحى أو الاجتماعى أو الثقافى بين الطبقة غير المتعلمة من النساء وتقديم المعونات الاجتماعية ومحاولة ابراز طاقات الفتاة القطرية .. ومازالت تنادى بها .. وقد اكدت الكثيرات من الفتيات القدرة على المساهمة فى انشاء مثل هذه الجمعية .. والأمل مازال قائماً .. ينتظر الرد من المسئولين .

وهكذا نرى أن الفتاة القطرية تبذل محاولاتها للحصول على كل ما تريد .. وقد سارت خطوات واسعة وسريعة وبشكل يلفت اليها الأنظار .

والحديث عن هذه الخطوات قد يأخذ منا كتباً ومجلات وصفحات طويلة – وينتظر من الفتاة أن توسع من خطواتها ، وتحاول أزالة ترسبات الماضى ، والنظر للمستقبل .. فالدين يدعو المرأة للعلم والعمل فى حدود طبيعتها واحتشامها .. فالمرأة هى أم الحضارة وبانية مجدها على مر العصور .

نعيمة المطاوعة



# المؤسّسات السياسية في دولة قطر

عرض وتقديم: عصام شريح

عندما عكفت على قراءة مؤلف الاستاذ يوسف محمد عبيدان « المؤسسات السياسية فى قطر » لم أكن اتصور في البداية أن هذا الكتاب ، وهذا الدبلوماسي القطري الشاب ، سوف يشدني بهذا القدر الكبير ، ويستاثر بشغفي المتواصل ، لمتابعة أبواب الكتاب ، بل وفصوله جميعاً .

فكتاب « المؤسسات السياسية فى دولة قطر » الصادر في بيروت في عام ١٩٧٩م ، هو فى الأساس اطروحة نال عليها مؤلفها اجازة بدرجة ماجستير فى العلوم السياسية بتقدير ( ممتاز ) ، من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهـرة .

وبالطبع فان كون الكتاب اصلا رسالة جامعية ، قد أضفى عليه طابع الرصانة العلمية الى جانب صفات البحث الموضوعي والدقة والأمانة المطلوبة فى اي عمل اكاديمي مشابه .

لكن اهمية الكتاب تبدو في شكل أكثر جلاء ووضوحاً ، فى المضمون الذى جاء فى شكل بناء منسجم اللبنات ، وان كان المؤلف قد اسهب فى الحديث فى الباب الأول منه عن الاطار التاريخي لقطـر ، وكذلك عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية كعوامل الدين واللغة والعادات والتقاليد والفنون والثقافة والتعليم « التى اسهمت بشكل أو باخر فى تشكيل وبلورة كيان المجتمع والحفاظ على وحدته وتماسكه . »

لكن ـ والحق يقال ـ فانه بالرغم من الاسهاب فى هذا الباب والذى يلاحظ القاريء أن لا صلة مباشرة له بموضوع المؤسسات السياسية فى دولة قطـر ـ وهي عنوان الكتاب ـ فانه لا يخلو من فائدة ـ واكاد اقول فائدة جلى » ـ للقاريء العادى والباحث الاكاديمي معاً ، وذلك قياساً مع الندرة (المزعجة) فى توفر كتب من مستوى مؤلف الأستاذ عبيدان عن تاريخ قطـر ومناحى الحياة فيها قديماً وحديثاً .

وعلى اية حال فان كتاب ( المؤسسات السياسية فى دولة قطر ) ، قد فتح الباب على مصراعيه أمام الشباب القطري والخليجي الناهض ، بل والعربي ايضاً ، للاسهام بدراسات علمية من وزن هذه الدراسة ، عن قطـر ، هذا البلد العربي الناشيء ، والذى لم يمض على استقلاله وتمتعه بالحرية والحكم الوطني اكثر من عقد واحد من الزمن ، خطا خلاله خطوات واسعة الى الامام وعلى كل صعيد ، وخاصة على صعيدي النهضة العمرانية والنهضة الصناعية .

## البناء الاجتماعي والاقتصادى

وفى الفصل الأول من الكتاب ركز على البناء الاجتماعي والاقتصادى للمجتمع القطري ، وقد اشتمل على ثلاثة فصول ، تناول في الأول منها الخلفية التاريخية للمجتمع القطري ، اى المراحل الزمنية التى تشكل خلالها هذا المجتمع ولم ينس المؤلف وهو يستعرض هذه المراحل الزمنية أن يشير الى موقع قطـر الجغرافي وتضاريسها وأهم مدنها ، واتفاقية الحماية التى ابرمت بين قطـر وبريطانيا فى عام ١٩١٦ .

اما فى الفصل الثاني من هذا الباب ، فقد تحدث الأستاذ عبيدان ـ وهو بالمناسبة دبلوماسي مرموق في السلك الخارجي لدولة قطـر ـ تحدث عن أهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية التى اسهمت فى تشكيل المجتمع القطري وبلورة كيانه .

وفى الفصل الثالث تناول بالدرس البناء الاقتصادى للمجتمع القطري بعناصره المختلفة مركزاً فيه بصفة اساسية على النفط ، باعتباره المصدر الرئيسي للدخل القومي ، ولم يغفل هنا الاشارة الى سياسة حكومة قطـر الرامية الى تنويع مصادر الدخل القومي عن طريق تشييد المصانع والمؤسسات الاقتصادية ، بهدف التخفيف من الأخطار الناجمة عن الاعتماد على مصدر واحد للدخل .

## البناء السياسي القطـري

الباب الثاني فى الواقع موضوع الاطروحة ـ الكتاب ـ وقد تناول فيه المؤلف نظام الحكم الحديث فى دولة قطر ، انطلاقاً من ( النظام الأساسي المؤقت ) الصادر فى عام ١٩٧٠ ، ثم ( النظام السياسي المؤقت المعدل ) الصادر فى عام ١٩٧٢ . وقد بدأه بمقدمة عن التطور التاريخي للنظام السياسي في قطـر حتى الاستقلال ١٩٧١، ثم قيام الحركة التصحيحية بقيادة سمو الشيخ خليفة بن حمـد آل ثاني أمير البلاد المفدى.

قسم الاستاذ عبيدان هذا الباب الى اربعة فصول رئيسية ، عالج في الأول منها الملامح الأساسية للنظام السياسي فى دولة قطـر ، من خلال ( النظام الاساسي ) ، وما ورد فى هذا النظام من مبادىء . وفى الفصل الثاني ، عالج

◁

# المؤسسات السياسية في دولة قطر

تشكيل ( مجلس الشورى ) فى قطر ، واختصاصات هذا المجلس ، و ما طرأ عليه من تعديلات بعد التجربة الأولى التى خاضها ، وخاصة لجهة زيادة عدد اعضائه ، كما لجهة تفريع اختصاصاته .

وتطرق المؤلف فى الفصل الثالث من هذا الباب لأوضاع السلطة التنفيذية بالتفصيل ، مبينا مركز الأمير ودوره فى النظام ، باعتباره امير الدولة ورئيس مجلس الوزراء ، موضحا اختصاصات مجلس الوزراء ومبدأ المسؤولية الوزارية . ثم اسهب فى الحديث عن التنظيم الادارى المعاصر فى قطر ، ابتداء من مطلع الستينات وحتى الوقت الحاضر ، وختم هذا الباب بفصل رابع تناول فيه السلطة القضائية فى الدولة ، وتطورها وانشاء المحاكم بانواعها المختلفة وذلك تجاوبا مع متطلبات العصر الحديث وتشعب مصالح المواطنين .

## السياسة الخارجية

أما الباب الثالث والأخير فى الكتاب ـ الأطروحة ، فقد خصصه المؤلف ـ الباحث ، للحديث عن السياسة الخارجية كميدان لعمل المؤسسات السياسية فى العلاقات الدولية ، وكدراسة تطبيقية لعمل مؤسسات الحكم في الدولة ، وأشار الى أن اهمية هذا الباب "أنما تكمن في كون السياسة الخارجية من أهم ركائز اية حكومة وفي اية دولة ، كما اشار ايضا الى نقطة اخرى حول هذا الباب ، وهي أن موضوع الكتاب ، ينصب أساسا على دولة قطر فى ضوء المبادىء الموجهة لسياستها ونظام الحكم فيها » ولا يمكن بالتالي اغفال السياسة الخارجية كأحد العناصر او المبادىء المؤثرة فى المؤسسات السياسية فى الدولة ( قطر ) » ، هذا الى جانب « أن السياسة الخارجية بدأت اهميتها تطغى على ما عداها ، بتزايد اهمية منطقة الخليج وبروز معطيات جديدة فى المنطقة ، كالأمن الخليجي والدعوة لقيام اتحادات على شكل سياسي او اقتصادى ، مما يلزم ان تكون هناك سياسة لكل دولة تجاه هذه المواقف » .

وانطلاقا من هذا المفهوم لأهمية السياسة الخارجية المتعاظمة فى دول الخليج العربية ، قام المؤلف بتقسيم الباب الثالث من الكتاب الى فصلين ، أوضح في الأول منهما الأسس والخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية القطرية وركز فى الفصل الثاني على واقع السياسة الخارجية لدولة قطر نحو منطقة الخليج على وجه الخصوص ، ثم نحو العالم العربي ، فالدول الأخرى فى العالم .




## ملاحظات عامة :

بعد العرض التاريخي الذى بدأ به المؤلف الباب الأول من الكتاب ، والذى بين فيه المراحل الزمنية التى مرت بها قطر ، والروح الاستقلالية التى يتمتع بها شعبها ، حتى فى فترة المعاهدة البريطانية ـ القطرية ( ١٩١٦ ـ ١٩٧١ ) ، ركز الاستاذ عبيدان على اهمية العوامل الاجتماعية والاقتصادية فى تشكيل المجتمع القطري المعاصر ، ورأى فى جملة العوامل الاجتماعية هذه ـ وهى عوامل متداخلة ومتشابكة ومتكاملة فى أن ـ اللغة العربية والعقيدة الاسلامية ، ثم وحدة العادات والتقاليد ، والثقافة والتعليم والاخلاق والفنون والآداب ، ثم الموقع الجغرافي وما يشكله من جاذبية للغزاة والطامعين ، إضافة الى المصير المشترك والأشكال السياسية والتجانس القبلى .

بالنسبة للعادات والتقاليد ودورها فى تكوين مجتمع موحد الاتجاه والرؤيا والمصير فى قطر ، أشار المؤلف الى أن هذا العامل يرتبط أصلا بعامل الدين الاسلامي ، الذى يستقى المجتمع القطري عاداته وتقاليده أصلا منه ، وهذا ما ساعد الى ابعد الحدود على تكوين « اسرة واحدة » من الشعب القطري ، قوامها التضامن والمودة والمساواة ، إذ لا حواجز بين الأمير وابناء شعبه ، وبالتالي بين الوزراء والمسئولين والأفراد العاديين ، وكل قطري يستطيع ان يقرع باب الأمير ـ الذى هو رئيس الدولة ـ وان يقدم اليه شكواه ، فيسارع الأمير الى احقاق الحق ، والتجاوب مع الرغبات العامة لأبناء الشعب دون تلكؤ .

وللتدليل على وحدة المجتمع في قطر ، والتى تعبر عنها وحدة العادات والتقاليد بشكل كبير ، اشار الاستاذ يوسف محمد عبيدان الى ان «الناس يخاطب بعضهم بعضا على قدم المساواة ، فلا القاب ولا رتب ولا تكلف فى الحديث ، وانما هم يتفاهمون فى صراحة ووضوح ، مع ذكر الأسماء مجردة ، ومع احترام الكبير والعطف على الصغير »

أما بالنسبة الى العوامل الاقتصادية ، فالمؤلف يحدثنا اولا عن الفترة التى سبقت ظهور النفط ، حيث كان اعتماد الشعب القطرى فى تدبير أمور معاشه وحياته اليومية يقوم ببساطة كلية على موردين أساسيين هما تجارة اللؤلؤ حيث كانت حركة الغوص للظفر باللؤلؤ ناشطة جدا ، ثم صيد السمك الذى يتوافر فى بحر الخليج بكثافة وباشكال متنوعة ملفتة للنظر حقا . ويشير فى مجال صيد اللؤلؤ واثره فى وحدة الشعب القطري ، فيقول ان عشرات القصص تروى عن إصالة القطريين فى هذا المجال ، بما « ينم عن شدة تماسكهم وتلاحمهم كالأسرة الواحدة ، فعندما كان يصاب احد التجار بالكساد فى تجارته باللؤلؤ ويتعرض للافلاس نتيجة كوارث طبيعية ، يبادر الجميع لنجدته ومساعدته بالمال ، على قدر ما تجود به نفسه ، مدللين بذلك على مظهر وحدتهم ، وضاربين المثل على تعاونهم المثمر البناء » .

أما بالنسبة للعامل الآخر ـ أى صيد الأسماك ـ فان المؤلف يستشهد للدلالة على أهميته فى ترابط أفراد المجتمع القطري بعضهم بالبعض الآخر ، بعبارة لسائح اجنبي قال فيها : « إن الناس (فى قطر) يعتمدون فى معاشهم على البحر ، ويتجولون في مياهه ما يقرب من نصف



مجلس الشورى

السنة ، وذلك فى الغوص على اللؤلؤ ، اما فى النصف الآخر من السنة ، فانهم يصطادون السمك ، ويمارسون أعمال التجارة ، وهكذا فان بيوتهم الحقيقية هي القوارب التى لا يحصى لها عد ، والتى تملأ المرفا الهادىء أو تشكل خطاً أسود طويلا على امتداد الشاطىء » .

## الثروة الطبيعية

يشير الاستاذ عبيدان إلى أن اسس الاقتصاد المتعارف عليها لأية دولة انما تقوم على الصناعة والزراعة والتجارة ، لكن هذه بالطبع امور نسبية تختلف من دولة لأخرى ، وفى عصرنا الحديث نشأت مكونات جديدة للاقتصاد فى بعض الدول كالثروات الطبيعية المخزونة فى الأرض ، وأهم هذه المكونات أو الثروات البترول ، الذى أصبح يشكل العامل الأهم ، وأحياناً الأعظم بالنسبة للدخل القومي ، ومن هنا بدأ اقتصاد قطر يعتمد بالتدريج على البترول ، حتى اصبحت عائداته تشكل ٩٥٪ من اجمالي الدخل العام للدولة فى السنوات الأخيرة .

## ملامح النظام السياسي

بالطبع لن نستطيع من خلال هذا العرض السريع لكتاب « المؤسسات السياسية فى قطر » الواقع فى ٤٢٨ صفحة ، أن نتناول بالعرض والحديث جميع موضوعاته وصفحاته ، لذلك سنكتفي بالاشارة الى ملامح النظام السياسي والمؤسسات السياسية ، تاركين للقارىء والمهتمين من العرب وغيرهم بأمور دولة قطر خاصة والخليج العربي عامة ، العودة الى الكتاب نفسه ، نظراً لأهميته البالغة ضمن اختصاصه وموضوعه .

فقد صدر النظام الأساسي المؤقت للحكم في قطر في نيسان « ابريل » من عام ١٩٧٠ ، حاوياً سبعة وسبعين مادة تتناول نظام الحكم ، وتنظيم السلطات ، وتحديد اختصاصاتها ، اضافة الى تعيين حقوق المواطنين وواجباتهم ، وكان هذا «النظام الأساسي» بمثابة دستور هو الأول من نوعه الذى تعرفه قطر ، والثاني بعد الدستور الكويتي فى منطقة الخليج العربي .

وقد عدل هذا النظام فى عام ١٩٧٢ ، بما يتلاءم مع أوضاع قطر وظروفها والتطورات التى شهدتها خلال مسيرة سنتين ، وبعد إنهاء المعاهدة البريطانية ـ القطرية ، واعلان استقلال الدولة بسنة واحدة .

ويستشهد المؤلف على المرونة التى يتحلى بها « النظام الأساسي » و « النظام الأساسي المعدل » ، بقول الدكتور حسن كامل مستشار دولة قطر ـ «إن دولة قطر درجت على الأخذ بهذا المبدأ كركيزة ترتكز عليها دعائم الحكم الحديث ، وهي في هذا لا تدعو الى اغلاق النوافذ على العالم ، ولكن آخذة من تجارب الحكم فى الدول ما يناسب وضعها وكيانها وواقعها » .

وفى الواقع فان سمة الاتزان والموضوعية هي التى تهيمن على الخطوات الدستورية فى قطر .

وهو فى نفس الوقت لا ينسى فى بنوده الأساسية أن يؤكد الالتحام والارتباط الكامل بالشريعة الاسلامية باعتبارها المصدر الرئيسي للتشريع ، فهناك حرية اقتصادية ، لكن الدولة «تشرف على الاقتصاد الوطني لتوجيهه بما يضمن له السلامة لخير الوطن » ـ كما تقول المادة ٦/ب ـ وهكذا نرى أن الاقتصاد الوطني في غالبيته محصور بيد الدولة ، مما يبعده عن الفوضى الاقتصادية التى يتسم بها الاقتصاد الفردى الحـر .

وبالنسبة لشكل الحكم فان امير البلاد هو فى نفس الوقت رئيس مجلس الوزراء والقائد الأعلى للجيش ، وهذا الشكل من الحكم هو أقرب الى النظام الرئاسي المعمول به فى بعض البلدان الغربية ، خاصة وأن مجلس الشورى يتمتع بمكانة أساسية فى مناقشة مشاريع القوانين وأعمال الحكومة والوزارات وله حق استدعاء الوزراء للاستماع لشروحهم عن مشاريعهم ضمن وزاراتهم ، أو الاستفسار أو الاستيضاح عنها ، ثم لمجلس الشورى أن يتخذ توصيات أو يبدي «رغبات» فى أعمال الحكومة وأمور المواطنين والدولة .

ومن خلال استعراض مسيرة مجلس الشورى ( أقرب فى صيغته الى البرلمان ) ، « وباستقراء القوانين أو مشروعات القوانين التى صدرت بعد انشاء مجلس الشورى ، نجدها فى معظمها قد أخذ فيها مشورة المجلس » .

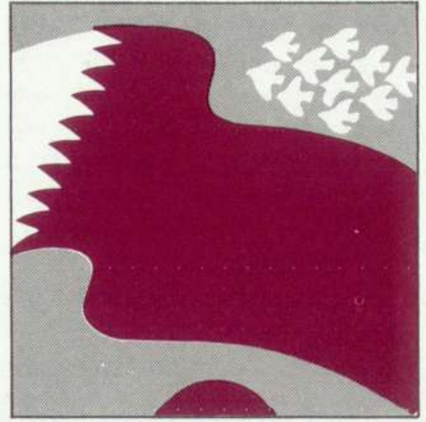
أما بالنسبة لسياسة الدولة الخارجية فالكتاب يتحدث بالوقائع والأرقام احيانا عن بنود هذه السياسة التى يمكن اختصار خطوطها العامة فى تاييد دولة قطر ودعمها المطلق للشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد لهذا الشعب ، فى النضال ضد الصهيونية ، وبدعم القضايا العربية ، وقضايا العالم الثالث ، ومكافحة العنصرية والاستعمار بكافة اشكالهما ، ثم .. وهذا أمر فى منتهى الأهمية .. إن دولة قطر تعتبر نفسها جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، والشعب القطري جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، كما تعتبر أن الوحدة العربية هي الهدف الأسمى لها فى نهاية المطاف .

## كلمة أخـيرة

إن كتاب « المؤسسات السياسية فى دولة قطـر » لمؤلفه الدبلوماسي القطري الفطن الأستاذ يوسف محمد عبيدان ، قد أضاف جديداً الى المكتبة الخليجية بصفة خاصة ، وإلى المكتبة العربية بصفة عامة .

والمؤلف يستأهل التهنئة على بحثه الجديد فى السياسة الخليجية والعربية ، وعلى الجهد المضني الذى بذله ، والروح العلمية التى جعلها معياراً لتقويماته وأفكاره .

عصام شريح



# الشخصية القطرية أمام التجربة الكبيرة

بقلم : أحمد العناني

هكذا استقبلت الدوحة لاعبيها العائدين من أستراليا بعد الفوز .

كبرت لله تعالى، وشكرته حين سمعت ذلك الخبر عن قطر وأنا فى مهمة فى أوروبا أكابد مشقة الليل فهو على فى الغربة ليل ثقيل طويل .. ففيه أحس كانسان مسلم وطأة الرفض المطلق لحياة الليل كما يحيونه هم .

كان المذيع معلقاً رياضياً يحلل فرص الفوز بكأس العالم بين قطر وانجلترا .

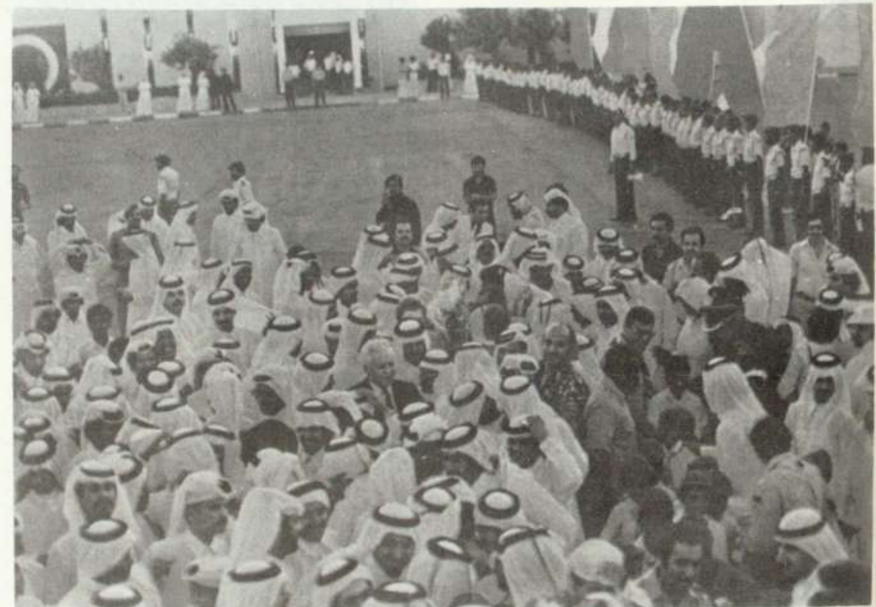
واجتاحتني موجة اعتزاز، ونهضت أرتدى ملابسي، فلم يعد ضيق الغرفة يسعني .

الأفكار التى أخرجها النبأ من مكامنها فى وجودى الداخلى المجهول أكبر من أن أقعد وهى تتسارع فى انطلاقها من اعماق نفسي، فأهتز لها اعتزازا وإكباراً .

ووجدتنى فى بهو واسع أمام جمهور شد أسماعه حديث المعلق الرياضى، يتساءلون عن قطر، موقعها وسكانها وامكاناتها .. ويعجبون من قول المذيع إن هذا البلد كان من أصغر البلدان المشمولة بالحماية البريطانية منذ عشر سنين فكيف وصل إلى منافسة بريطانيا ذات أعرق ماض فى لعبة الكرة، وذات الملايين الكاثرة، والتقاليد الرياضية المجيدة ..

لقطتان .. الأولى للهدف الأول الذى سجله خالد سلمان على البرازيل .. والأخرى للجماهير تستقبل العائدين بالمطار



وأشار إلى رجل من موظفى الاستقبال فى الفندق فما أسرع ما تجمع البعض حولى يسائلوننى عن قطر ما هى ؟ وما تكون ؟ وكيف ؟ وماذا حصل حتى وصلت فى برهة وجيزة غير ذات شأن لهذا الوضع المتقدم المذهل ؟ وكثرت على الأسئلة فقلت محتجاً إما أن تجلسوا فتستمعوا لما أقول لكم واما أن تدعونى لغايتى التى خرجت لها من حجرتى فاتمشى لوقت فى الشارع وأعود .

وجلسوا يستمعون .. وانطلقت اتحدث فلا أذكر أنى ألقيت درساً ممتعاً، ولا كتبت مقالا مشوقاً، ولا أحسنت فى عرض سريع وتلخيص موجز كما فعلت تلك المساء قلت لهم كأحسن ما أذكر ... الحكاية أعمق مما تتصورون فلا يصعد دخان بغير نار ... ولا يصل انسان إلى عسل بغير أن يتصدى لوخز النحل .. ومسألة هذا الفوز القطرى ـ لها جذور تمتد فى الأرض إلى ألوف السنين وزهر على السطح الظاهر بدأ ينمو وينتشر منذ عشر سنين ..

تحدثت تلك الليلة عن مكونات الشخصية القطرية .

تحدثت عن وطن وضع أهله منذ ألوف السنين أمام تحديات لا تنتهى فى البر والبحر ..

وأشرت لشهادة هيرودتس وبلايني من قدامى مؤرخي اليونان والرومان إلى القطريين كأقدر بحارة العالم وأشرت للخطر الماثل فى الصحراء الذى ينشىء نفوساً لا يزيدها عنف الحياة الا صلابة وعنفواناً .

وكيف وقفت بكر بن وائل وعناصر من تغلب وتميم فى الأرض القطرية فى وجه نظم الاسلام والتزاماته .. فلما آمنت به وحسن ايمانها صارت من أفضل المجاهدين فى بث الاسلام ومفاداته ..

ولما أحست ظلم الأهل تحولت إلى أعنف جبهة لمعارضة الظلم والتحكم فى تاريخ الاسلام .

وترسخت فيها تقاليد النخوة والقوة وروح الفروسية والفتوه، وكانت آخر بلد فى الخليج وقع عليه عبء الحماية فى معاهدة جائرة ولكنه مع ذلك رفض فى صلب تلك المعاهدة أن يقبل حاكماً أجنبياً أو مستشاراً استعمارياً ..

حتى اذا ظهر البترول كان لا مفر من قبول الأجانب خبراء وفنيين، وهكذا لم

◁

# الشخصية القطرية أمام التجربة الكبيرة

تبدأ معركة التحدي الكبير بالاختلاط بالغربيين الا بعد عام ١٩٥٠ .

ثم تحدثت عن قائد هذا البلد ورائد نهضته ، ومكونات شخصيته فما كدت انتهى حتى أمطرنى القوم بالأسئلة ولكنى أشهد أن أقلها كان عن الرياضة ، واكثرها عن نهضة العالم الاسلامى .. وهل تنتهى الأمور بصدام عالمى جديد بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية ، ؟

وعن مدى الدلالة المبهجة لذلك الحدث الرياضى الذى شد الأنظار بكل تلك القوة ، وأثار فى الخواطر كل ذلك الاهتمام .

وعادت بى الذاكرة القهقرى عشر سنوات كاملات ، وسرحت مع الخيال من وطن الغابرين من أجدادنا فى هذه الجنات الحسان من أرض الأندلس القديم ، حيث حقق الأجداد لنهضة العلم والفكر العالميين نظير ما أراه من علائم الفن الباهر الباقية آثاره فى المبانى وفى الموسيقى وفى العديد من الملامح المبهجة فى هذه الرياض الخضر الحسان .. أقول سرحت من هنا الى الدوحة .. وساءلت نفسى بسعادة .. أذلك خيال أم حقيقة من كان يتصور أن يصعد من الدوحة فريق من أى نوع الى هذا المستوى العالمى من لا شىء تقريباً فى مجرد عشر سنين ؟!.

حقاً ما يزال الخير فى محمد صلى الله عليه وسلم وفى أمته الى يوم القيامة مهما عدت عوادى الزمن ، وثقلت وطأة النكسات والمحن ...

حقاً إن الأمر لم يكن أمر رياضة وكرة وحسب ، ولكنه أمر أكبر من ذلك جداً كما كنت أؤكد بحماسة لهؤلاء الناس الأجانب قبل حين أن هناك أموراً من أمور التنمية والتقدم يمكن أن تعرض فى مجموعة صور أو فيلم وثائقى ، ويمكن أن تقاس بالحقائق الرقمية ، ولكن أمورا غيرها لا تخضع لمثل ذلك القياس أبداً ...

إن مستوى المواطنة الصالحة ، وطريقة السلوك الاجتماعى فى الشارع وفى المدرسة كما فى الدائرة والعيادة الصحية والمرفق العام مهما كان نوعه لا يمكن أن تخضع لغير حكم المنطق السليم والمشاهدة الذكية .

وعادت بى الذاكرة كما قلت الى اللحظة التى هبطت فيها بمطار الدوحة لأول مرة قبل عشر سنين .. فأين هى الدوحة القديمة من هذه الدوحة الجديدة ؟ وأين هو المستوى الحضارى والثقافى مما هو عليه الآن ، وكيف يمكن أن تقاس مؤسسات ما قبل عشر سنوات بمؤسسات اليوم ؟ ...

لقد كانت امكانات الحضور القطرى فى مؤسسات علمية وثقافية وصناعية إذ ذاك ضرباً من التمنى ... واليوم تجد حضوراً رائعاً وواعداً فى الجامعة وفى المراكز والمشافى الصحية ، وفى المصانع الضخمة ، وفى الموانىء ووسائط الأعلام والاتصال وادارات الدولة والمناشط



فرحة اللاعبين بعد الفوز على البرازيل

الهندسية والفنية .. بل انك لترى الفارق الكبير واضحاً فى التعامل مع المسجد ومع المكتبة العامة والدائرة الحكومية ، والعديد من المؤسسات الخاصة ، بل وحتى مع الشارع العام وفناء البيت وما حوله ...

لم تكن إلا عشر سنوات أفلحت فيها الجهود الصادقة الموضوعية فى تغيير صورة الحياة بعامة . تستطيع الآن أن تحصل على جريدتك الصباحية ، وأن تحصل على مجموعة رائعة حقاً من المجلات الفكرية والأدبية والدينية والمتخصصة فى شئون كالبترول والمتحف والتنمية الصناعية وأنت اليوم تستطيع أن تتحول الى غير قناة واحدة من البث التليفزيونى الملون فتطرد ملالة المساء ، وتشارك فى حركة العالم الدائبة نحو آفاق جديدة من التكوين الذى جعل من الانسان الحديث شيئاً مغايراً فى كل وسائل الحياة ومظاهرها عن انسان القرن التاسع عشر مثلا .. وأنت اليوم تستطيع أن تحصل على العديد من الأغذية المصانة من كل مكروه صحى ، وأن تجد للوافد أى مستوى يريده لمنامه وطعامه وهداياه كأحسن مايكون ذلك فى البلدان المتقدمة .

لم يكن هذا التفوق فى المستوى الرياضى الذى شد الأنظار على مستوى عالمى قفزة فى فراغ ، فكل المجاهيد الخيرة التى بذلتها قيادة البلد المستنيرة الجادة ، وكل ما بذله المواطنون والمساهمون فى نهضة البلد فى سائر الاتجاهات هو طبقات البناء الهرمى تحت القمة التى حققها ذلك النصر الرياضى .

وما كان لهذا التقييم ، مهما يبلغ حظه من الصدق والتفاؤل أن يغيب بعض الحقائق الهامة الأساسية ، فالطريق على رحلة الشرف والحق دائماً طريق طويل محفوف بالمصاعب والتحديات ، ولكن البداية هى دائماً نصف الطريق ، وقد قطعت قطر حتماً ما هو أكثر بكثير من البداية ، فالله نسأل أن يحفظ لهذا الجزء الغالى من الوطن الأكبر كل الوعى والمجد والحماسة التى برهنت عليها قيادته الواعية الموفقة وشعبه الطيب المسماح والله ولي التوفيق .

أحمد العنانى

# ٢٢ فبراير

شعر: عبد الرحمن المعاودة

أَطَلَّ عَلَيْنَا الْفَجْرُ بَعْدَ انْحِجَابِهِ
وَجَاءَتْ إِلَيْنَا بِالسُّعُودِ الْبَشَائِرُ

وَأَشْرَقَ مَغْنَاهَا بِعَهْدِ خَلِيفَةٍ
وَفَاضَتْ بِآيَاتِ الثَّنَاءِ الْمَشَاعِرُ

وَغَنَّى حَمَامُ الأَيْكِ فِي الدَّوْحِ وَازْدَهَتْ
رُبُوعٌ عَلَيْهَا بَاهِرُ الْمَجْدِ طَائِرُ

فَأَهْلاً بِعَهْدٍ فِيهِ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ
وَخَيْرٌ لِهَذَا الشَّعْبِ بِاللهِ وَافِرُ

أَخَا الْفَضْلِ حَيَّتْكَ الْقَوَافِي يَسُوقُهَا
إِلَيْكَ امْرُؤٌ مَا عَاشَ بِالْوُدِّ شَاعِرُ

أَبَا حَمَدٍ وَالْفَضْلُ أَنْتَ مَنَارُهُ
فَذِكْرُكَ مَحْمُودٌ وَفَضْلُكَ بَاهِرُ

بِكَ الْيُمْنُ مَقْرُونٌ لَكَ اللهُ نَاصِرٌ
وَبِيضُ أَيَادِيكَ الْجِسَامِ مَفَاخِرُ

أَيَادِيكَ فِي الْمَاضِي عَلَى الشَّعْبِ جَمَّةٌ
سَيَعْقُبُهُ يَا أَيُّهَا الْفَذُّ حَاضِرُ

هَنِيئاً لَكَ الْمَجْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
أَتَتْكَ بِهِ صِيدٌ كُمَاةٌ أَكَابِرُ

وَعَزْمٌ وَحَزْمٌ ثُمَّ نَفْسٌ كَبِيرَةٌ
بِسَاحِ الْمَعَالِي مَا لَهَا مَنْ يُكَابِرُ

عبد الرحمن المعاودة



# جامعة قطر حاضرها ومستقبلها

بقلم : د. محمد إبراهيم كاظم

سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أثناء الاحتفالات بتخريج دفعة جديدة من جامعة قطر

الجامعة مؤسسة حضارية ، وهي مؤسسة تعليمية ذات طبيعة خاصة ، الا أنها فوق هذا كله مجتمع من العلماء ومن طلاب العلم الذين يبذلون كل ما لديهم من جهد وطاقة من أجل تطوير المجتمع باعداد الأجيال التي ستتحمل المسئولية في أمانة واخلاص ..

وبهذا المعنى نستطيع أن ندرك مدى الدور الملقى على عاتق جامعة قطر باعتبارها جزءاً من المجتمع القطري الذي هو بدوره جزء من المجتمع الخليجي والأمة العربية ، والأمة الاسلامية والمجتمع الانساني المعاصر بكل ما فيه من تراث شامل ورغبة في الوصول الى أعلى مراتب الحضارة .

## فكرة الجامعة

وكما نعرف فان المجتمعات تحتاج أثناء حركتها الى الامام الى مقومات نشطة وصحية ومثمرة وبعيدة عن العوائق حتى تؤدي وظيفتها ورسالتها في قوة واستقرار وهذا ما نراه في جامعة قطر التي تواصل رسالتها العلمية والثقافية بصورة مشرقة ومتطورة ، بفضل رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى والرئيس الأعلى للجامعة ، فقد كانت فكرة انشاء الجامعة ضمن أفكاره ، وكان الشروع فى خطواتها التنفيذية يتم بموجب منه للهيئة التأسيسية عندما بدأت بكليتى التربية فى عام ١٩٧٣ ، ومنذ ذلك الوقت يتابع سموه خطى الجامعة بالرعاية والتوجيه لتصبح جامعة قطر اليوم تضم الى جوار كليتى التربية : كلية العلوم ، وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ثم كليـــة الهندسة .

وأذا ما تطرقنا الى واقع الحياة العلمية والثقافية داخل جامعة قطر ، لوجدنا أن كلياتها أصبحت تدرس الى جوار البرامج التقليدية المعروفة ، برامج للاقتصاد المنزلى بمفاهيمه الحديثة العصرية وبرامج للتخطيط الاقليمى وبرامج للاعلام وبرامج للخدمة الاجتماعية ، وبرامج علوم البحار ، وبرامج التعليم الابتدائى التى تفخر بها دولة قطر والتى تتجه الى أن يكون معلم الابتدائى معداً اعداداً جامعياً كاملا مع منتصف الثمانينات .

وهذا الواقع العلمى يتكامل مع نظام الدراسة الذى يقوم على العمل داخل قاعات الدراسة سواء فى صورة محاضرات أو ندوات أو مناقشات وحوار وأعمال تجريبية فى المختبرات والحقل ، بالاضافة الى دور المكتبة فى الدراسات والبحوث التى يستقل فيها الطالب بعمله العلمى وتظهر أثناء ذلك مبادراته وايجابياته فى المختبرات وفى الحقل . وهذا كله يتكامل مع مجموعة من الأنشطة الرياضية التى يشارك فيها كل طالب ، ومع الموسم الثقافى للجامعة الذى يمثل لقاء شبه أسبوعى فى موضوعات متنوعة ومتشعبة تتجه الى جمهورها من الطلبة والطالبات وأعضاء هيئة التدريس والمثقفين فى المجتمع ، بالاضافة الى الرحلات الجامعية السنوية لكل طلاب الجامعة .

وهذه النشاطات كلها سواء كانت علمية أو ثقافية تتكامل فيما بينها لتعطى تصوراً للمجتمع الجامعى فى قطر ، فهى الوعاء الذى يتنسم فيه الطالب الحياة التى تسمح له بالانطلاق والنمو ..

مجموعة من الخريجين فى جامعة قطر أثناء احتفالات التخرج



# جامعة قطر حاضرها ومستقبلها

## الصحافة الجامعية

ومعنى الخريج الجامعي في جامعة قطر لا يقف عند حصوله على مجموعة من المقررات بنجاح ، ولكن ينصرف بالدرجة الأولى الى مجموعة من القدرات النامية التى تستمد ثراءها من الدراسة الأكاديميـة والنشاطات الثقافيـة والاجتماعية والعلمية التى تحدثنا عنها والتى تضيف اليها الصحافة الجامعية ميزة أخرى ..

فالجامعة تموج بصيغ التعبير عن نفسها وعن نشاطاتها ، على هيئة صحف حائط ، وصحف مطبوعة مثل صوت الجامعة التى نأمل أن تصدر بصورة أسبوعية فى القريب العاجل ومجلة الجامعية التى يصدرها مكتب الخريجات والتى أصبحت ملتقى فكرياً ثقافياً اجتماعياً لزهرة شابات الأمة .

وبهذا يكون معيار نجاح الجامعة فى أداء رسالتها هو فى تقديم نوعية خريجيها الذين لا نوجههم فقط نحو استيعاب المعرفة ، ولكن ندربهم على حسن التصرف فى التطبيق والحياة العملية ..

كما نتجه الى أن يكونوا قادرين على استمرار النمو وتصحيح المسار ، مما يعطى للخريج كفرد وللخريجين كمجتمع بعداً أكبر للجامعة وأثراً أبقى وأكثر دواماً .

## اعداد الطالب

وليس معنى هذا أن اعداد الطالب فى جامعة قطر يتم بصورة كاملة ، لاننا نقول دائماً ان الأعمال العظيمة لا تبدأ كاملة ولكنها تبدأ تامة ، وان الأعمال العظيمة لا تبدأ كبيرة ولكن تبدأ جيدة .. وجامعة قطر عندما تتحدث مميزة بين التمام والكمال فهى تميز بين الحركة والسكون .. التمام الذى نتحدث عنه هو بذل أقصى الجهد مما يترك فسحة مستمرة لمزيد يضاف كل يوم اقتراباً من الكمال الذى لا نصل اليه . فنحن رغم كل انجازات الجامعة وكل ما يتحقق بها وفيها ورغم المراكز المرموقة التى نجح خريجوها فى احتلالها ، رغم كل ذلك فان رضاءنا عنها فى نطاق محدود ، لأن طموحاتها أكبر من ذلك بكثير .

## الكفاءة والجمال

وسوف يتم الاعداد بصورة أكبر عندما يتسع وعاء هذه الجامعة بعد الانتقال الى مبانيها الجديدة فى العام المقبل .

وكم كنا نود أن تحتفل جامعـة قطر بانتقالها الى مبانيها الجامعية الجديدة فى هذه المناسبة .

ولكن على أية حال سنحتفل فى هذه المناسبة بما حققته هذه الجامعة بفضل توجيه سمو الأمير الرئيس الأعلى ، وبفضل رعايته المستمرة واهتمامه بخطاها وبما سوف تحققه بعد انتقالها فى العام المقبل ان شاء الله .

وقد روعى فى هذه المبانى أن تتميز بالكفاءة والجمال معاً . والكفاءة المعمارية فى الجامعة إنما يقصد بها قدرة هذا الوعاء من المبانى على أن تنطلق نشاطاته محققة للمجتمع كل فرص التطور والنمو والحياة .

أما الناحية الجمالية فهى عنصر أساسى أيضاً ، ولقد روعى فيها أن تشتق من الذوق العربى الاسلامى المتطور .

ولست فى حاجة هنا الى أن أؤكد أن الجامعة كمجتمع متكامل ليست مجرد مؤسسة تعليمية موضعية الأغراض محدودة المقاصد ، فهى مكان تعايش انسانى كامل ولذلك يشترط فى الجامعة أن تكون مكاناً جميلا ، نظيفاً ، متنوع الوظائف ، قادراً على تحقيق دوائر متعددة من احتياجات الانسان الحى المتطور .

## العنصر الحضارى

ولاشك أن ما أنجزته الجامعة فى تسع سنوات وما حققته لنفسها كمنارة رفيعة للفكر والثقافة وكصرح للحضارة الرفيعة الحية القادرة على التطور والبقاء ، يجعلنا ندرك أحياناً أنها جامعة عريقة .

فالواقع يؤكد بأن ما حققته جامعة قطر فى هذه الفترة الوجيزة من تأثير على اسراع حركة التغيير الاجتماعى فى قطر والخليج ، ومساهمة فى توجيه هذا التغيير ، مع الحفاظ والحرص على بقاء الأبناء والآباء جبهة متحدة متكاملة تتحرك معاً قدماً الى الأمام ، إنما يمثل أحد أكبر منجزات الدولة .

إن الدولة التى تتنبه الى العنصر الحضارى فى منجزاتها ، هى دولة قادرة على مقابلة التحديات والانتصار فى صراع الحياة .

## كليتان جديدتان

وتتطلع جامعة قطر بعد الانتقال الى مبانيها الجديدة ، الى البدء بكلية الاقتصاد والادارة وكلية الاعلام ، ولا يعنى هذا أن جامعة قطر تريد أو تستطيع أن تحقق كل احتياجات المجتمع من الخريجين ، بل إن جامعة قطر تريد أن تركز على التخصصات التى تستطيع أن تنجزها على أعلى المستويات العالمية . ولذلك فهى تتجه الى أن يتكامل مع النشاط التدريسى والثقافى فيها النشاطات البحثية .

ولظروف قطر الخاصة الديمجرافية (السكانية) والاجتماعية ، فلقد انشىء بها أربعة مراكز للبحوث : مركز البحوث العلمية ، ومركز البحوث التربوية ،



الأجيال الجديدة من طلاب العلم أثناء استلام شهادات التخرج من الجامعة

ومركز بحوث السيرة والسنة النبوية ، ومركز بحوث الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، كما أن بها مشروع دراسات التنمية لدول الخليج .

وهذه المراكز تتكامل فيما بينها ، لتتجه بالبحث العلمى المتانى والمتعمق الى الحصول على اجابات حقيقية قابلة للتطبيق ذى الجدوى الاجتماعية والاقتصادية ، وقادر على التكامل مع المفاهيم الشاملة للتنمية الحقة . وهى بالاضافة لذلك ، تعتبر مجالا للعمل البحثى للطلاب والأساتذة .

وبهذا تكون جامعة قطر قد حققت بالاضافة الى القيمة الاجتماعية والاقتصادية لبحوث هذه المراكز ، توفير مجالات البحث العلمى لعلمائها وطلابها بما يؤدى بهم الى مزيد من التقدم والحيوية .

## الدراسات العليا

وتستعد الجامعة للبدء فى برامج الدراسات العليا المتمثلة بدرجة الماجستير والدكتوراه .

والواقع أن الدراسات اللازمة للبدء فى الماجستير والدكتوراه موجودة ومنتهية وكل ما هناك أننا فى انتظار استكمال المقومات الأساسية لنجاح هذه البرامج التى تحتاج الى كل عناية وحرص نظراً لما تتميز به من حساسية خاصة ومستوى رفيع .

ولاشك أن الانتقال للمبانى الجديدة وإتاحة الفرصة لتطوير المكتبات والحاسب الآلى بالجامعة وتوفير المكاتب المناسبة لأعضاء هيئة التدريس التى تسمح باللقاءات الأساسية للأساتذة المشرفين والطلاب ، وتوفير المناخ الجامعى اللازم للتقاليد الجامعية ، كل هذه عناصر تحقق المزيد من التقدم والازدهار .

## الأرقام تتكلم

وإذا كانت الأرقام مقياساً لنمو وتطور الجامعة ، فاننا نلاحظ ازدياد اعداد الطلاب ، فقد وصل عددهم خلال هذا العام الى ٣٤٠٠ طالب وطالبة وسيرتفع العدد خلال العام الدراسى القادم الى ٤٠٠٠ طالب وطالبة .. وتمثل الطالبات من هذا العدد نسبة ثلثى التعداد الجامعى ، كما يمثل أبناء قطر حوالى ٧٠ فى المائة من التعداد الكلى للدارسين بينما النسبة الباقية أغلبها من أبناء الخليج ، فى نفس الوقت الذى تتسع فيه برامج الجامعة لدارسين من ٣١ جنسية متعددة يمثلون شعور دولة قطر بمسئولياتها الحضارية ، ويضيفون للمجتمع الجامعى فى قطر بعداً انسانياً ودولياً يثرى حياتها وفكرها .

ومن المتوقع أن يكون عدد الخريجين لهذا العام ٦٤١ طالباً وطالبة ، ومع ذلك فنحن نؤكد أن العبرة ليست بالعدد ، ولكن بنوعية الانسان .

## المعيدون القطريون

ولا يجوز أن ننهى هذا المقال دون الاشارة الى أعضاء هيئة التدريس ، فمنذ بداية الجامعة وهى تعتمد بالدرجة الأولى على أفضل الأساتذة من الجامعات العربية والعالمية ، ولذلك فانها اليوم تضم أساتذة من الجامعات المصرية على وجه الخصوص والجامعات السورية والعراقية والسودانية والأردنية واللبنانية والأمريكية والبريطانية والأسترالية والكندية وسيريلانكا ، ويبلغ عدد هيئة التدريس فى الجامعة ٣٥٩ من بينهم ١١ مدرساً مساعداً من القطريين الحاصلين على درجة الماجستير ، و ٨٨ معيدة قطرية ، و ٣٧ معيداً قطرياً ، كما يوجد فى بعثات دراسية بالخارج ٢٦ قطرياً و ٣٢ قطرية يعدون للدراسات العليا ، ومن المنتظر تعيين ١٢ معيدة قطرية فى خلال هذا العام .

ومع منتصف الثمانينات نأمل أن يصل أعضاء هيئة التدريس من القطريين الى حوالى نصف أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة ..

كما تعتز الجامعة أيضاً بأن تكون رائدة وسباقة من حيث اداراتها القطرية التى تتميز بالحيوية والكفاءة ..

وهكذا نرى أن جامعة قطر فى خطواتها العلمية ، إنما تؤكد ذاتها بالجهد الشاق والعمل المستمر والاستفادة من كل وسائل التطور فى جامعات العالم .

د. محمد ابراهيم كاظم



# الفن التشكيلي في قطر

في عام ١٩٧٧ أصدرت وزارة الاعلام فى قطر كتاباً عن الفن التشكيلى تناول جوانب متعددة لتاريخ الفن فى قطر ومراحل تطوره والمؤثرات التى أحاطت به وتشجيع الدولة ورعايتها للفن والفنان ، كما تعرض الكتاب للفن القطرى بين العالمية والقومية وعلاقته بالمدارس الفنية .. وكان الهدف من الكتاب هو تعريف سائر البلاد العربية جانباً مهماً من جوانب النهضة الثقافية المتصلة بالتراث الروحى والحضارى .. ولذلك فقد اختارت وزارة الاعلام فناناً عربياً مرموقاً هو الفنان جمال السجينى الذى رحل منذ سنوات قليلة تاركاً لنا هذا الكتاب الذى يعتبر من المراجع الهامة فى الفنون التشكيلية فى قطر والذى نقدم منه هذه الصفحات ..

### البعد الزمنى للفن التشكيلى فى قطر

إن قراءة تاريخ قطر القديم تشير إلى أن الفنان التشكيلى وجد على أرض قطر فى وقت مبكر . وتاريخ الفن فى قطر ليس قاصراً على الفترة الحالية فقط ، وإنما يعود إلى الانسان القطرى القديم .. وإذا تعمقنا فى دراسة تاريخ قطر لطالعتنا حضارات زاهرة عبر القرون الماضية .

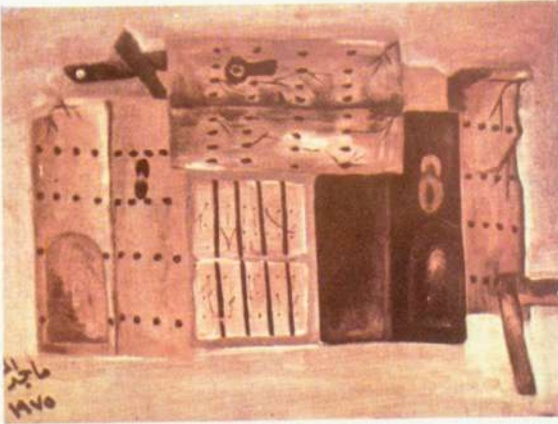
فقد أسفرت عمليات التنقيب ، عن الآثار فى قطر ، والتى بدأت عام ١٩٥٦ فى منطقة « أم الماء » الواقعة على الشاطىء الغربى على بعد نحو ١٩ كم جنوبى الزبارة وما حولها من الأماكن المجاورة . وكذلك المنطقة ما بين دخان وسلوى ، أسفرت عن العثور على كثير من الآثار التى تعود إلى ما قبل التاريخ ، وتدل على وجود نوع من الحياة المستقرة فى شبه جزيرة قطر منذ أقدم العصور ، فقد استطاعت البعثة الدانمركية التى قامت بالبحث والتنقيب فى الأرض القطرية أن تعين حوالى أربعين قطعة يرجع تاريخها إلى العصور الحجرية المختلفة .

القطريون رجال بحر منذ أقدم العصور ، وهم من أشهر من ركبوا البحار قديماً . وظل اللؤلؤ عماد الحياة فى قطر منذ القدم إلى أن ظهرت صناعة النفط . فتناقص عدد البحارة لانخراطهم فى أعمال أخرى .. وكان ظهور اللؤلؤ الصناعى ـ الذى اشتهرت به اليابان ـ وأسعاره الزهيدة ، سبباً فى تدهور تلك.


الضالة ـ جاسم زينى


من السوق ـ على .....



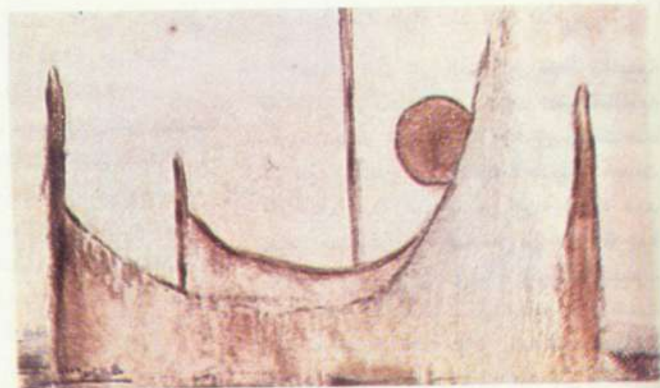


تكوين – ماجد السلماني

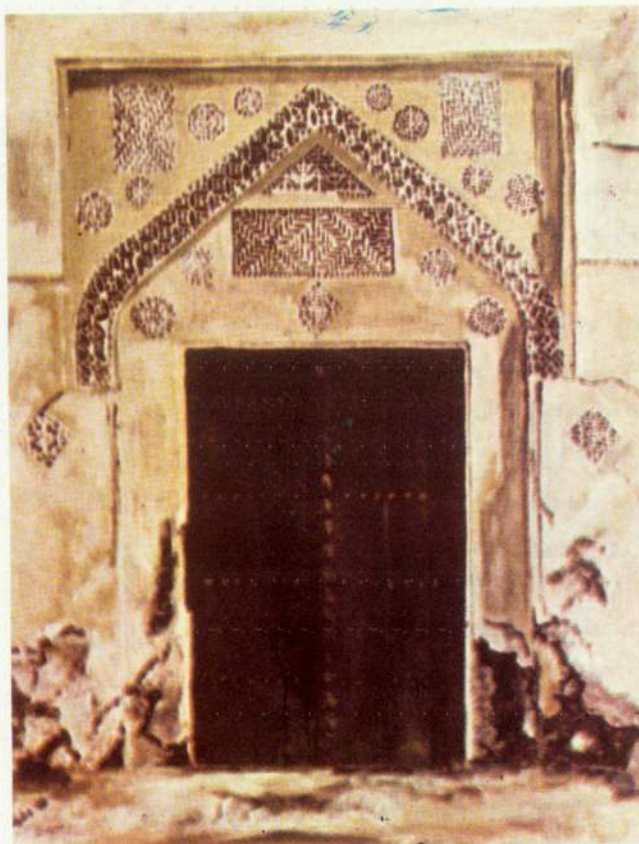




منظر خلوي – محمد علي عبد الله







نموذج من الفن المعماري الاسلامي في قطر – وفيقة سلطان

# الفن التشكيلي في قطر

الصناعة العريقة .

وكان للؤلؤ أثره الواسع فى تكوين قدره التشكيل والابداع لدى الفنان القطرى ، بما له من خيال خصب وواقع أكثر خصوبة ، ومن حديث ذى شجون وذكريات غاليه وفى إثراء خيال الفنان القطرى ، فصاغه أعمالا تشكيلية رائعة خلابة سجل فيها الصيد ، ومراحل استخراج اللؤلؤ والحركات الجماعية للصيادين ، وأغانيهم وأفراحهم عند العودة بالرزق الوفير ، كما عالج الفنان القطرى مشاق الصيد واخطاره فى خضم البحر الواسع ، كما كانت الصحراوات والبوادى لها تأثيرها أيضاً على نفسية الفنان .

وفى هذا الجو المشحون بالمؤثرات ، انطلقت الحركة التشكيلية ، انطلاقة عالج فيها الفنان القطرى موضوعاته معالجة فياضة غنية ، وظل هذا الجو مصدراً ملهماً لشاعرية الفنان ، فيه الخيال قائماً على قدم وساق إلى جوار الحقيقة التاريخية ، فيه الواقع والأسطورة .

## مرحلة ما بعد استخراج النفط

وإذا تحدثنا عن الفترة الثانية من حياة المجتمع القطرى ، وما حققته من طفرة اقتصادية كبيرة ، انطلقت بالبلاد إلى مستوى متقدم من الحياة المعاصرة ، واستحدثت فى حياة الانسان القطرى الكثير من المنجزات الحضارية ، شملت كل المرافق ، فان تغيرات معينة قد طرأت أيضاً على المجتمع القطرى نتيجة لوفادة عناصر عربية وأخرى أجنبية إلى أرض قطر ، وإلى توافر الامكانيات الاقتصادية الكفيلة بفتح النوافذ على تيارات الحياة العصرية من كل جانب ، وإلى تحقيق الانطلاقة العلمية فى البلاد وكل ذلك أدى إلى احداث تأثيرات موضوعية بالنسبة للفنان القطرى وإنتاجه الفنى .

ولقد ظل الفنان القطرى يقظاً لقضيته ، متأثراً بها ، عاملا من خلال الاحساس بالواقع والتعايش معه ، مسايراً لايقاعات الحياة على أرضه .. وظل ذلك يمثل الجزء الأكبر من إنتاجه .

وكانت القومية رائداً للفنان ، وليست قيداً على انطلاقته ، فمع ارتباط الفنان القطرى بدور العلم والتطور فى مسيرته الفنية ، فانه لم يدخل فى نطاق الاغتراب الذى يبعده عن واقعه ، ويضعف من لغة التشكيل عنده ، ويمكن أن يقال : إن مدرسة الفنانين التشكيليين القطريين ، مدرسة تشعر بالمسئولية إزاء مجتمعها وقضاياها القومية وهى تترجم واقعها ، وتعبر عن تاريخها الطويل ، وعروبتها ، وهى تحقق فى نفس الوقت إضافة ثرية للحركة التشكيلية العربية وتسهم فى نموها .

* * *

يقول فنان تشكيلى قطرى عاصر المرحلتين : مرحلة ما قبل اكتشاف النفط ومرحلة ما بعد اكتشاف النفط :

كانت حياتنا القديمة غنية فنياً بمصادر عدة قد لا تتوافر اليوم فمثلا :

كانت النساء تخرج فى مناسبات الأعياد الدينية مثل : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، حيث يؤدين رقصة « المراداة » وكانت تؤدى جماعياً دون اختلاط بالرجال ، وذلك فى أزياء جديدة ملونة زاهية ، مطرزة بالخيوط الذهبية وهن متحلين بالحلى الجميلة من الذهب والفضة من صناعة الفنان القطرى .

وكان الرجال أيضاً يؤدون رقصة «العرضة» المنتشرة فى الجزيرة العربية والخليج العربى وذلك فى أماكن خاصة بهم .

وقد اختفت هذه الرقصات الآن ، ولم يبق منها إلا القليل الذى يؤديه الرجال فى مناسبات نادرة ، وعند زيارة ضيف عزيز للبلاد ..

وقد تميزت هذه الفترة بصناعة حلى النساء والملابس النسائية ، وكانت الحلى تصنع من الذهب والفضة : كالاقراط والأساور والخواتم والأشياء التى تزين صدر المرأة ، وصناعة الحلى ما زالت قائمة حتى الآن فى قطر ، وإن كانت الصناعة الآلية قد زحفت إلى مواقع الانتاج اليدوى للحلى ..

## موضوع الفن القطرى

.. أول الحقائق عن الفن التشكيلى القطري وجود لمحات خليجية أصيلة ، تشير الى أن هذا الفن ومبدعه من الخليج العربى ، ذلك أن التكوين والتشكيل يترجم ما يختلج فى وجدان فنان الخليج من أسى على ضياع بعض ما اندثر من الماضي تحت وطأة المدنية الحديثة بكل عناصرها .

فالفنان القطري ، يسجل التراث القديم من خلال لوحاته ، وهى ذات مضمون عربى ، وان كان في الشكل يأخذ بالاسلوب العالمى في محاولة لتلمس الطريق الى أسلوب خاص للفنان القطري.

والفن القطرى عموماً ، يتناول موضوعات متصلة بالتراث الاسلامي ، والعربي المعاصر ، وموضوعات انسانية أخرى ، ذلك لأن الفنان اختزن تجارب ذاتية كونت شخصيته ، وهو يندفع الى التعبير عن نفسه وما يخالجها من أشتات الموضوعات ، والهامات الخواطر والمشاعر ، فالفنان ليس فرداً فقط ولا جماعة ، وانما هو فرد ينتمي الى جماعة ، وهو حين يعبر عن ذاته كفرد اجتماعي ، يعبر أيضاً عن قصد أو عن غير قصد في آن واحد ، عن الجماعة التي يعيش فيها ، فلا نستطيع أن نتصور فناً منقطعاً عن تيار الحياة الاجتماعية واذا اتجهنا الى الناحية العملية ، وجدنا أن الفن ، ليس أمراً خيالياً ، يتنافى مع حاجة المجتمع ، بل ان الفن يساعدنا في شئوننا اليومية بما يكسبها من عناصر الترتيب وأسباب الرفاهية ، فالفن يتصل بسلك خفي بكل ذرة من شئوننا .

والحقيقة أن الفن التشكيلى في قطر ، يلعب دوره الى حد مبشر في سبيل تنمية حاسة التذوق الفني ، وتطويرها عند المواطن القطري .

## النهضة التعليمية تصقل المواهب

عندما بدأت النهضة التعليمية فى البلاد ، وفتحت المدارس المتعددة ، كانت مادة التربية الفنية ضمن المواد التى تدرس فى هذه المدارس ، كمادة دراسية مقررة على أبناء المدارس ..

وهكذا وفدت الى البلاد أول بعثة تعليمية تضم بين أفرادها عدداً من مدرسى التربية الفنية مع زملائهم من مدرسى المواد الأخرى ، وكانت هذه هى البداية لبناء حركة تشكيلية جديدة .. فبدأت المواهب الفنية الناشئة من أبناء البلاد تجد مناخاً مناسباً لنشاطها الفنى من خلال توجيه علمى ، ودراسة موضوعية ، وترشيد سليم ، فكانت تلك الدراسات ـ بوجه عام ـ ودراسات التربية الفنية بوجه خاص ، باعثة على خلق جيل من النشء يمارس هواية التشكيل أو يتذوق هذا الفن ، وقد عرف أساليبه وأشكاله المتعددة .

وعندما بدأ أبناء المدارس ينتجون أعمالهم ، بدأت المعارض تقام لعرض انتاجهم الفنى فى معارض سنوية ، تضم أعمال طلبة الصفوف المختلفة ، وكانت هذه المعارض بمثابة النافذة التى يرى منها المجتمع القطرى مواهب أبنائه من الطلاب . وقد شجعت حكومة البلاد والى أقصى الحدود اقامة هذه المعارض على مستوى الدولة كلها . وقد ساهمت قطر ابتداء من الخمسينات فى عدد من المعارض الدولية التى نظمت لرسوم الطلاب ، وحصلت بعض المعروضات على جوائز تقديرية . وقد استطاع المشاهدون الأجانب أن يروا قطر من خلال هذه الأعمال التى نقلت البيئة

القطرية وعبرت عنها فى بساطة وصدق للمشاهد الأجنبى .

وكانت هذه هى البداية لاشتراك قطر فى المعارض الدولية ، كما كانت أيضاً البداية لخروج الفن التشكيلى القطرى من دائرة المحلية الى دائرة العالمية ... وبدأ الفن القطرى يقوم بدور السفارة خارج حدود البلاد .

ونتيجة للحركة التصحيحية فى ٢٢ فبراير ١٩٧٢ ، بدأت النهضة الشاملة فى البلاد ، فتغير العمل وأساليبه في مختلف القطاعات ، واتجه الركب نحو بناء المجتمع القطري الجديد ، وكان للفن التشكيلي حظه الوافر من الاهتمام ، وأولت الدولة الفنان الرعاية والتشجيع ، وهيأت له ولنشاطه الفني كل الفرص المناسبة حيث شعرت الدولة بأهمية الفنان ، وبالفن كشكل من أشكال الحضارة ، وعملت على تقديره وتقريبه للمواطن للتعرف على هذا الفن ، وتنمية الاحساس الجمالي عند المواطن .

كيف !!

## الدولة .. والفن

– لأول مرة فى تاريخ البلاد قامت الحكومة بتوجيه دعوة عامة لجميع الفنانين التشكيليين في قطر ، لاقامة معرضهم الفني الأول الذي اقيم بمناسبة الذكرى الأولى لتولي أمير البلاد المفدى سلطاته الدستورية ، وقد شملت الدعوة أيضاً جميع الفنانين من الجنسيات المختلفة والموجودين في قطر .

وقد اشترك في هذا المعرض واحد وعشرون فناناقطريا .. بحوالي خمسة وثلاثين عملا ، شاهدها المواطنون القطريون ، وأبناء الجاليات الأجنبية في قطر ، وضيوف البلاد ، وكان المعرض مقاماً في فندق الخليج بالدوحة ، وقد افتتحه أمير البلاد وحقق نجاحاً كبيراً .

– وقد رأت الدولة رعاية الفنان الى أبعد الحدود ، ونقله الى مرحلة الدراسة العلمية الأكاديمية ، فالموهبة وحدها لا تصقل الفنان . فصدر قرار الحكومة بتسهيل ايفاد الطلاب الراغبين في الدراسة الفنية ودون قيد أو شرط ودون مجموع محدد ، اللهم الا توافر شرط الموهبة وذلك الى عدد من الدول العربية لدراسة الفن واصوله ، وقد عاد بعض المبعوثين ممن أتموا دراستهم الى وطنهم فنانين دارسين ، ومازال الابتعاث مفتوحاً أمام كل من يرغب فى الدراسة الفنية من أبناء البلاد .

ونتيجة لنمو الحركة التشكيلية فى قطر ، وزيادة أبناء المدارس والمبعوثين للخارج ، ونتيجة لرعاية الدولة للفن والفنانين ، أصبحت الحاجة ملحة الى زيادة عدد أماكن العرض ، فعملت الدولة على زيادة الأماكن المخصصة كمعارض فاقامت قاعة للعرض فى وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب ، وأخرى فى متحف قطر الوطنى ، وثالثة فى نادى الجسرة الثقافى ، ويجرى الآن اعداد قاعة أخرى فى المقر الجديد لوزارة الاعلام .

وكذلك أتاحت الدولة فرصة اقامة المعارض الجماعية للفنانين ، وعملت على تنظيم المعارض الفنية الفردية للفنانين القطريين .

واستحدث قسم للفن التشكيلى بادارة الثقافة بوزارة الاعلام ، للعمل على رفع مستوى التذوق الفنى على مستوى الدولة ، وتنظيم المعارض ، ورعاية شئون الفنانين ، وتدعيم العلاقات الفنية المتبادلة بين قطر والدول الأخرى وقد أسند الاشراف على هذا القسم لأحد الفنانين التشكيليين القطريين .

## الفن القطرى بين المدارس الفنية

إن قطر .. وهى تضع على عاتقها اليوم مسئولية حضارية متمثلة فى وثباتها الصناعية ، والعمرانية والثقافية ، قد وضعت بالتالى فنانيها التشكيليين موضع المسئولية الحضارية .. وما عليهم إلا أن ينهضوا بتلك البداية الفنية الممثلة فى محاولات ناجحة فى المدارس الانطباعية أو السيريالية ، أو الفطرية أو المدرسة الطبيعية .

الطريق شاق وطويل ... والفنان دائماً وأبداً ، فى حاجة الى المزيد من منهل الطبيعة الرقراق ، والدراسة الصادقة لها .

ويمكن تقسيم مدارس الفن فى قطر على وجه التقريب الى المدارس الآتية :

● المدرسة الانطباعية :

وقد تأثر الفنان القطرى نتيجة لدراسته على أيدى بعض الأساتذة العرب الانطباعيين باللمسة السريعة المعبرة فى الظل أو الضوء ، وبالتوزيع التشكيلى لعناصر التكوين بشكل يسمح للمتلقى بانطباع خاص ، نتيجة الحيوية فى اللمسة واللون والتركيب الذى يخلو من التنظيم الارادى .

● المدرسة السيريالية :

ساعدت التقاليد الشرقية الأصيلة المستندة على روحانيات تميز الفنون الشرقية – أفريقية وآسيوية – على إفساح حاسة التخيل ذى التعبير الذى يتخطى حدود المعقول ، وينحو نحو التحليق فى آفاق معطرة بأريج الموضوع الذى يشغل بال الفنان .

● المدرسة الفطرية :

تتمثل فى أغلب اتجاهات الفنانين القطريين ... فنجدها واضحة المعالم فى الاتجاه السيريالى .. كما أنها تتخفى فى عجز بعض المحاولات الانطباعية ، كمحاولة بعض الفنانين ، تجاهل المنظور والعنصر الآدمى لنقص فى الدراسة العلمية ، ويا حبذا لو اهتم فنان الاتجاه الفطرى بتقوية سمات الفطرة ، والاطلاع والدرس لتاريخ عصور الثراء الفنى قبل المراحل الرسمية للحضارات عبر التاريخ .

● – المدرسة الطبيعية :

وهى المدرسة التى تتجه نحو محاكاة الطبيعة بشكل تقريرى ، لا أثر فيه لجهود الفنان الابتكارية ، فهو يرسم ما تسجله عيناه ، ولا شأن له بجوهر الأشياء ، بل تشغله مظاهرها ، وبريق سطحها ، والموضوع له شكل أقرب الى التعبير الأدبى وليس للغة الشكل واللون ، أو دراميتها أهمية الى جانب الرؤية التقريرية للأشكال .

## الفنان القطرى المعاصر

والفنان القطرى حباه الله بعناصر ملهمة قلما تتاح لغيره .. فهو نبت أرض مباركة ساخنة رمالها ، نقية سماؤها ، ومياه فيروزية الموج حالم أفقها .. لذا نرى أعمال شباب الفنانين تنبض بالألفة والأصالة : لانبثاقها من بنية واحدة وقومية موغلة فى القدم .



الصيد مصدر الهام لكثير من أعمال الفنانين القطريين



### في متحف قطر الوطني

# كيف نحمي تراث الخليج ؟

بقلم : درويش مصطفى الفار

حلى من الفضة والأحجار الكريمة .. صناعة يدوية عربية صميمة

الى اليمين ـ طالب يطلع على التراث بقراءة مصحف شريف قديم ـ والى أسفل لقطة أخرى لقارب بحرى عربى ، كان العرب به سادة البحار يوماً ما ، وهو قارب « البوم » .



فى زمان تداعت علينا فيه الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، لا يخطرن ببال أمرىء يعقل ، ان الدعوة إلى ( إحياء التراث ) هى دعوة التقوقع والتحجر و ( التعصب ) اللاعقلانى للقديم ، على علاته ، والانصراف عن معايشة الحاضر والخوض فى بحاره ، علماً وفناً وتكنولوجية ، وانما إحياء التراث ، كما يفهمه متحف قطر الوطنى ، دعوة إلى التبصر فى الماضى ، وفى انجازات الآباء والأجداد ، وما أدوه للحضارة البشرية وما غالبوا به البيئة المحيطة بهم ، حتى تستمر عجلة الحياة ويتعمق الانتماء ، وتتميز الشخصية العربية الاسلامية طوال قرون عديدة من الزمان ، فتتولد من ذلك شجاعة نتحدى بها كل تحد قائم امامنا ..

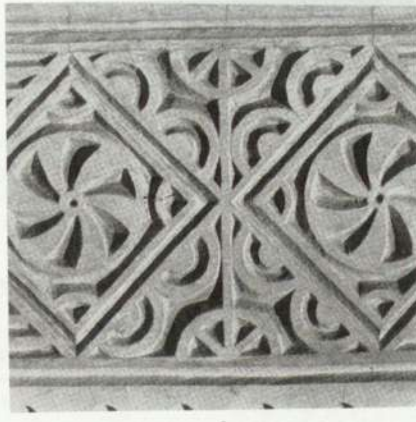
## احياء التراث



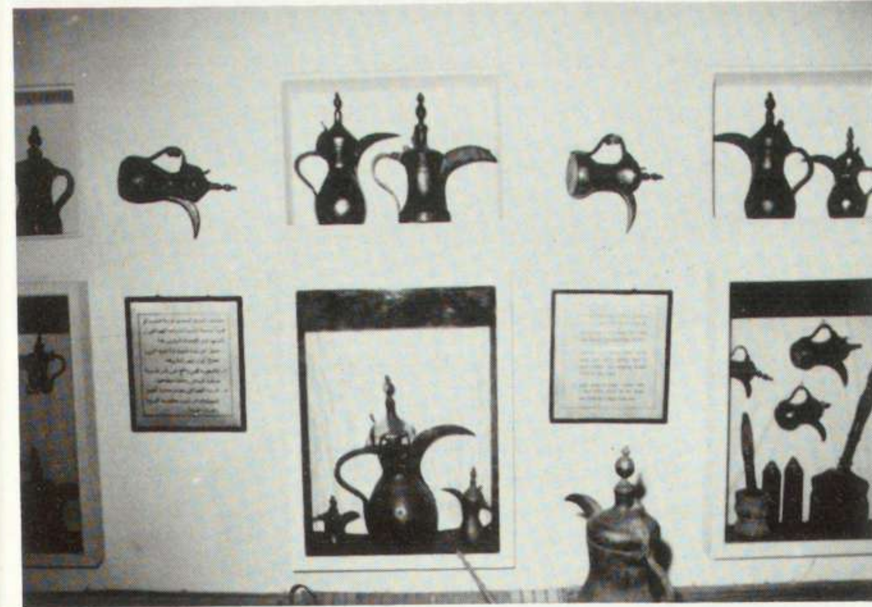
وإحياء التراث ، فى متحف قطر الوطنى ، له انتماءات ثلاثة لا يمكن فصل أحدها عن الآخر ، فهى ، أى دولة قطر ، ليست كوكباً منعزلا سابحاً فى اجواز الفضاء فى فلك وحده ، اذ هى ، بمن عليها من البشر الذين يعيشون على أرض شبه الجزيرة أو فى الجزر التابعة لها شرقاً وغرباً ، تنتمى إلى المشرق العربى ، فهى جزء من الوطن العربي بين المحيط والخليج ، وتنتمى الى الأمة الاسلامية المترامية الأطراف ، فضلا عن انتمائها الانسانى المعاصر فى هذا الزمن الذى تعددت فيه وسائل المواصلات والاتصالات ، بحيث تلاشت الأبعاد ◁

# كيف نحمي تراث الخليج ؟







مجموعة لقطات .. الأولى والثانية للزخارف الجصية .. والثالثة لأنواع من الأعشاب للتداوى ، فطب الأعشاب جزء هام من تراثنا العربى الاسلامى .. أما اللقطة الرابعة فهى تمثل القهوة كجزء من تراثنا العريق ، لها تقاليدها ، وادواتها وآداب صناعتها وتقديمها ، مما يحرص المتحف على شرحه واستيفائه .

الى اليسار – قصر الحاكم القديم قبل ترميمه واصلاحه ليكون نواة لمتحف قطر الوطنى الذى افتتحه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى ١٣٩٥/٦/١٤ (٦/٢٣/ ١٩٧٥) . وتبدو فى الصورة الأخرى واجهة المتحف القطرى من الجنوب فى ثوبه الجديد .

والمسافات ، وأصبح العالم كله فى حجمه الطبيعى كجزء تافه من المجموعة الشمسية بل والمجرة ذات الابعاد الفلكية الهائلة ، أى أن عالمنا الأرضى نقطة صغيرة لاتكاد ترى فى هـــذا المحيط الرحب الوسيع .

## حياة البحر وطرز البناء

فالتراث المحلى القطرى فى متحف قطر الوطنى ، ممثل خير تمثيـــل فى ما يخص حياة البحر أيام الغوص بحثاً عن اللؤلؤ وفى مكونات بيت الشعر البدوى ، ووسائل العيش للنوم والملبس والطعام والشراب والتداوى والتعليم فى البادية والحاضرة ، وطرز البناء ومادته ، جداراً وطلاء وسقفاً وشكلا هندسياً وزخرفة .

والتراث القطرى ذو الانتماء العربى والاسلامى ، يتمثل فى أنواع القوارب التى كان يستخدمها الانسان العربى فى الخليج والمحيط الهندى منذ أيام أحمد ابن ماجد ، ومنها ستة أنواع قابعة على سطح البحيرة الصناعية داخل المتحف تشترك فيها قطر مع بقية بلاد الساحل العربى للخليج تســمية وتفصيلا وفى المصنوعات اليــدوية من نســيج وأدوات خشــبية ، وأدوية من الأعشاب ومصـــنوعات من الفخار والنحاس والجلد والذهب والفضــة ، وأنــواع الطيب والعطــور وأدوات الزينـــة ،



# كيف نحمي تراث الخليج ؟





وفى مضمار القهوة العربية والحلى والأسلحة ، وأسلوب تعليم القراءة والكتابة والحساب ، قبل بزوغ شمس المدارس والمعاهد والجامعات . ويقتنى متحف قطر الوطنى ، بحكم انتماء قطر العربى الاسلامى ، مجموعة نادرة من المسكوكات العربية الاسلامية ، سوف تتخذ نواة لانشاء ( معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ) كما أمر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى الذى افتتح هذا المتحف فى الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٩٥ ( ٢٣ / ٦ / ١٩٧٥ ) كمركز حضارى لاحياء التراث القطرى العربى الاسلامى ، وكتعبير عن البيئة القطرية بمفهومها الواسع الشمولى ، فى موقع من مدينة الدوحة العاصمة كان يشغله فيما سبق قصر الحكم الذى كان قد بناه المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حوالى سنة ١٩٠١ م ، وتم ترميمه واصلاحه كنواة لمتحف قطر الوطنى فى ما بين سنة ١٩٧٢ ، سنة ١٩٧٥ ، حيث أصبح متنفساً ثقافياً وترويحياً وعلمياً لسكان العاصمة وزائريها ، وذاعت شهرته حتى طبقت الآفاق شرقاً وغرباً ، ولا يزال ينمو ويزداد سعة وشمولية على مر الأيام ، تنفيذاً لتعليمات وتوجيهات القيادة العليا لهذه الدولة العربية المسلمة الفتية .

درويش مصطفى الفار



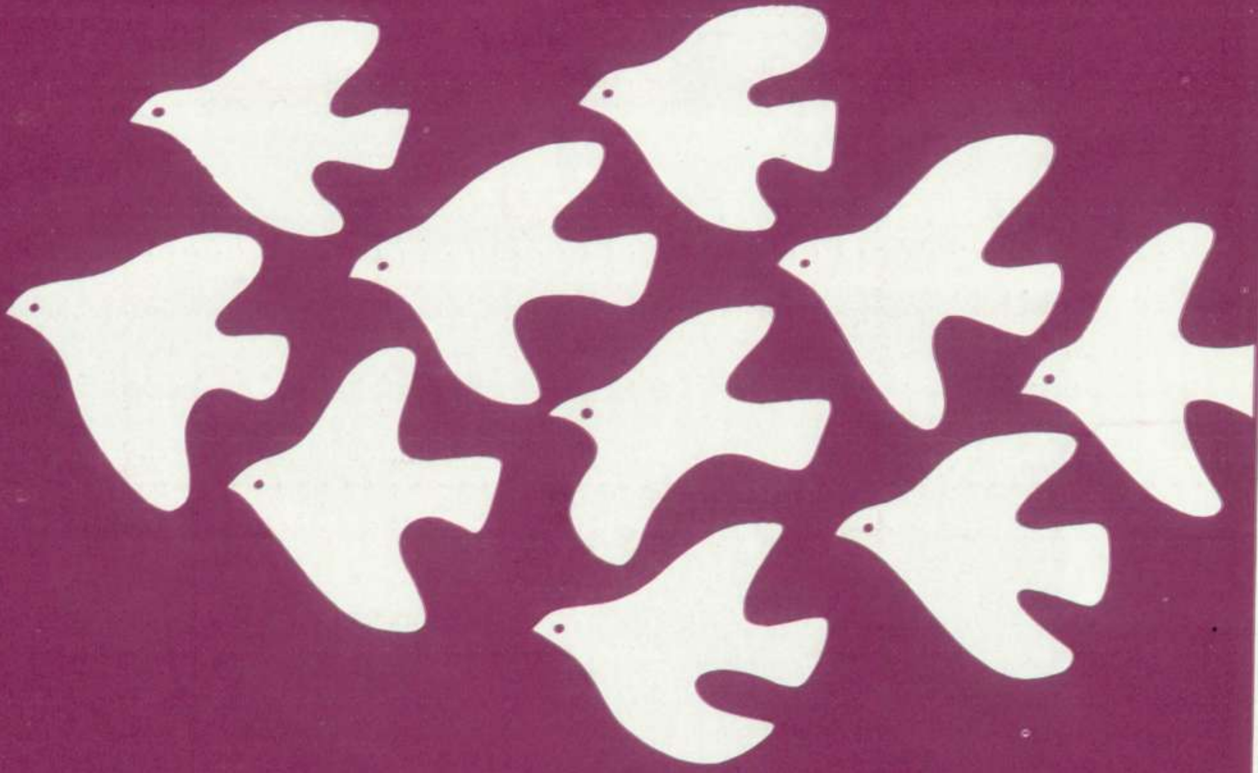




الى اليمين – المجلس الرسمى ، بقصر الحاكم القديم بالمتحف ، أسسه الشيخ عبد الله بن قاسم رحمه الله ، وكان يلتقى فيه بالكبير والصغير لحل المشاكل ..

وفى الصورة الأخرى ، نسيج يدوى من وبر الابل زاخر بالألوان والزخارف والأصالة .

الى أعلى بالترتيب – ثوب مطرز بيد قطرية .. ثم بعض أدوات البدوى فى صحرائه ، من قطر شرقاً الى موريتانيا غرباً ، لا تختلف فى أنها من تراث الصحراء العربية الخالد .. ولقطة ثالثة للدويرع ، وهو من الزخارف الجلدية اليدوية التى يصنعها البدوى لتجميل بعيره أو ناقته .. وأخيراً اللقطة الرابعة لخنجر موشى بالذهب ، فمن تراثنا الاعتزاز بالسلاح .



"هنا في قطر نعتقد أن نوعية الدول لا تقاس بحجمها ، بل بمدى إنجازاتها في نطاق إمكاناتها .. والإنجازات لا تقاس ببدايتها الناجحة ، بل بالقدرة على مواصلتها بكفاءة وجد ومثابرة"

خليفة بن حمد آل ثاني

# دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

# " الصدقة "

يأتى مفهوم : « الصدقة » فى بعض آيات القرآن الحكيم بمعنى : العطاء للطعام أو لغيره من رزق الله على الانسان ، لصاحب حاجة فى غير انتظار جزاء من أحد . يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا : اذا ناجيتم الرسول ( أى اذا اردتم التحدث اليه فى سرية فى شأن من الشئون التى تهمكم ) فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ( أى فاعطوا عطاء لصاحب الحاجة قبل دخولكم الى المناجاة مع الرسول عليه السلام ) ، ذلك خير لكم وأطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ( أى فاذا لم تجدوا ما تعطونه لأصحاب الحاجة فان الله مع ذلك سيسعكم بمغفرته ويشملكم برحمته ) . » ( آية : ١٢ ) .. فالصدقة هنا : هى العطاء القائم على المشيئة الفردية دون الالزام ، من صاحب الفضل فى الرزق . وربط الصدقة هنا بالدخول لمناجاة الرسول عليه السلام هو التماس مناسبة عزيزة على المؤمنين جميعاً لحمل الموسرين على سد حاجات الناس بمحض اختيارهم ، وهى مناسبة اللقاء مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وربما يدخل فى مفهوم الصدقة دخولا أوليا ـ بجانب المشيئة فيها ، وعدم انتظار الجزاء من أحد عليها ـ أن يكون المعطى من طعام أو لباس . أى أن يكون مما يحتاج اليه صاحب الحاجة فى غذائه أو فى كسائه ، ومما يدفع به حد نفسه على الآخرين معه فى مجتمعه ممن يملكون تلبية حاجاتهم فى الأكل والكساء . لأننا لو رجعنا مثلا الى كفارة اليمين لوجدنا القرآن الكريم ينص على الطعام أو الكسوة من بين ما يطلبه فيها :

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم . (المائدة : ٨٩) . وكذلك ينص على الطعام فى كفارة الظهار ، فى قوله تعالى « فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا » . (المجادلة : ٤) .. والكفارة هنا هى التماس من الله جل شأنه : أن يغفر ذنباً أرتكب فى حقه سبحانه ، وهو عدم الوفاء بما أقسم الانسان بالله عليه . إذ القسم يعرض اسم الجلالة للزج به فيما ينبغى أن يصان عنه ، ولذا تستتبع آية الكفارة عن اليمين هنا قوله تعالى : « واحفظوا أيمانكم » عقب تحديد الكفارة .

والكفارة فى المعنى : هى صدقة . لأن المكفر عن ذنب لا ينتظر جزاء من أحد من البشر عليه . والطعام أو الكساء كلاهما اذن أقرب الى مفهوم الصدقة ، وليس معنى ذلك أنه لا يجوز التصدق بالمال أو بأى شىء آخر مما يملكه الانسان أو يتفوق فيه على غيره : من علم ، أو حكمة . ، انما فقط : اعطاء المال لصاحب الحاجة قد يحمله على ادخاره وكنزه ، ويظل مع ذلك محروماً .. ويظل مع ذلك ينفث حقده بسبب حرمانه على الآخرين معه . ولكن اذا كان عطاء المال ، أو عطاء العلم والتوجيه أو العلاج من مرض أو عجز ما ، سيحمل الفقير ، أو الجاهل أو غير المدرب ، أو المريض والعاجز : على عدم السؤال والحاجة الى الآخرين .. فان التصدق بأى منها أفضل من التصدق بالطعام أو الكساء ، لأن ذلك ذو ثمرة طويلة ، بينما هذا مؤقت .

وقد يأتى مفهوم الصدقة فى بعض آيات القرآن الكريم أيضاً بمعنى الزكاة ، التى هى عبادة وفريضة لازمة . يقول الله تعالى : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » . ( التوبة : ٦٠ ) .. لأن تحديد بعض المصارف هنا ـ بالاضافة لقوله فى آخر الآية : فريضة من الله ـ يعين أن تكون الصدقات هنا بمعنى الزكاة . فتحديد العاملين كمصرف .. والمؤلفة قلوبهم كمصرف آخر .. والغارمين كمصرف ثالث .. وفى سبيل الله كمصرف رابع .. وابن السبيل كمصرف خامس يوجب ان تكون الزكاة هى : المعنى من الصدقات هنا .

وربما يكون من أهداف التعبير عن الزكاة هنا بالصدقات : ان الزكاة وان كانت واجبة فهى مع ذلك كالصدقة التى تقوم على المشيئة وعدم الالزام : فى حسن جزاء الله عليها .. وفى أن أداءها لا يترقب عليه المزكى جزاء من أحد من البشر .

# إلى أين أيّها الإنسان الآلي ؟

بقلم

د. عبدالمحسن صالح

أن الأوان ، وجاد الزمان ، بمعلم أمين يعلم الأولاد اللغة والحساب ، ودون ارهاق فى دفع الأتعاب ، أو فى تأخير عن موعد سابق أو غياب ، أضف الى ذلك ان معلمنا المرتقب لا يستخدم العصا ، ولا ينهر الطلاب ، كما أنه صبور فى الشرح والتكرار ، ومحبوب عند الصغار والكبار ، وبالاختصار نراه معلماً مثالياً من كل الوجوه .. اطلبه تجده فى كل الظروف والأحوال !

ولاشك أن تلك بشرى طيبة تستحق منا ان نسعى لها سعيها ، وربما يسيل لها لعاب الآباء والأمهات ، فيتساءلون بلهفة : انى لنا اذن بمثل هؤلاء المعلمين الأوفياء ؟

منذ حوالى قرنين من الزمان ، صنع احد اليابانيين هذه الدمية وكانت تتحرك وتحمل طاولة ، وتقدم عليها الشاى .. وكان ذلك يتم عن طريق زنبلك يحرك أجزاء الية ، ثم جاء علماء هذا الزمان ليطوروا الفكرة فى مخلوقات تحركها عقول اليكترونية ، لتؤدى أعقد المهام وأصعبها .




طرازات كثيرة من دمى الية تؤدى حركات مختلفة لتسلية الصغار والكبار وكانما الانسان كان يحلم ــ من خلال ذلك ــ بانتاج مخلوق الي يقوم بعمل البشر ، ولقد تحول الحلم الى حقيقة ، بفضل التقدم المذهل فى الحاسبات الاليكترونية .

# إلى أين أيها الإنسان الآلي



الواقع أنهم الآن فى الأسواق .. لكنهم يتكلمون لغات أجنبية ، ولم يحن الوقت بعد للناطقين بلغة الضاد .. فمعلم اللغة بخمسين دولاراً ، ومعلم الحساب بسبعين ، ولكل معلم مستوى يتناسب مع عمر التلميذ ، والصف المدرسى الذى ينتمى اليه ، وكلما ارتقى الولد أو البنت فى مراحل التعليم ، كلما استدعى ذلك ان تشترى له معلماً متطوراً يتناسب ومستواه !

ليست هذه فى الواقع أضغاث أحلام ، ولا شطحات خيال ، فلقد وقعت أول مرة على واحد من هؤلاء «المدرسين» ـ أثناء وجودى فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ بين يدى طفل لا يتجاوز عمره ست سنوات ، وكان يحمله بسهولة بين يديه ، فاذا ضغط الطفل على الأزرار نطق « المدرس » بالحروف وبالكلمات ، حتى اذا أخطأ الطفل ، قال له أخطأت ، واذا اصاب قال له : أحسنت .. مدرس لاشك مسل وجذاب ، ودائماً مثير للانتباه ، ولهذا لا يمله الصغار ولا الكبار فلقد جذبنى بدوره ، وجلست اليه ، لأحاوره ويحاورنى فى تكوين الكلمات ، أو اجراء تمارين الحساب ، ولكن مستواه يتناسب مع مستوى مراحل التعليم الأولى ! .

## طفرة فى وسائل التعليم

ولاشك ان معنى ما قدمنا فاوجزنا لا يخفى سره على لبيب ، فهؤلاء المعلمون الجدد هم ثمرة تطور مستمر فى استخدام الحاسبات والعقول الاليكترونية ، فالذى يعلم الأطفال والصبية مبادىء اللغة والحساب ، جهاز صغير يعمل ببطارية أو تيار كهربى ضعيف ، ولا يكاد يستهلك من الطاقة شيئاً مذكوراً ، وفى الجهاز ذاكرة اليكترونية تحتفظ بالمعلومات المطلوبة والمناسبة لمستوى التلميذ ، أى كأنما البرنامج الدراسى ـ أو جزء منه ـ مبرمج أو مسجل على هيئة دوائر اليكترونية دقيقة فى شريحة أو رقاقة صغيرة ، وعلى الجهاز عدد من الأزرار والمفاتيح التى توجه التلميذ .. فزرار منها لبداية الدرس وثان لاظهار الحروف على لوحة صغيرة ، ثم نطق الحروف بصوت واضح مسموع وثالث لتكوين الكلمات ، ورابع للاعادة ، وخامس لتغيير البرنامج ، وسادس وسابع .. الخ ، ليجعل هذا « المدرس» الآلى متعة حقيقية ، خاصة أنه لا يمل ولا يكل مهما بلغ غباء التلميذ !

لكن ليس معنى ذلك ان مراحل التعليم الأعلى لم يكن لها نصيب فى مثل هؤلاء المدرسين أو الأساتذة الاليكترونيين ، بل يرجع عدم شيوعهم الى اننا لازلنا فى بداية طريق يبشر بآمال عريضة ، وليس ببعيد ان يكون لكل مادة ، ولكل مرحلة من مراحل التعليم مدرسها الاليكترونى ، ليعلم الجغرافيا ، والتاريخ ، والرياضيات والمنطق والفنون والكيمياء والفيزياء ، وغير ذلك من علوم عصرنا ، أو قد تتطور الأمور الى ما هو أبعد من ذلك ، فيظهر « عقل اليكترونى » ليعلم عقول البشر مناهج دراسية مختلفة تناسب كل مرحلة .. أى سيصبح الحاسب الواحد بمثابة أستاذ الأساتذة !

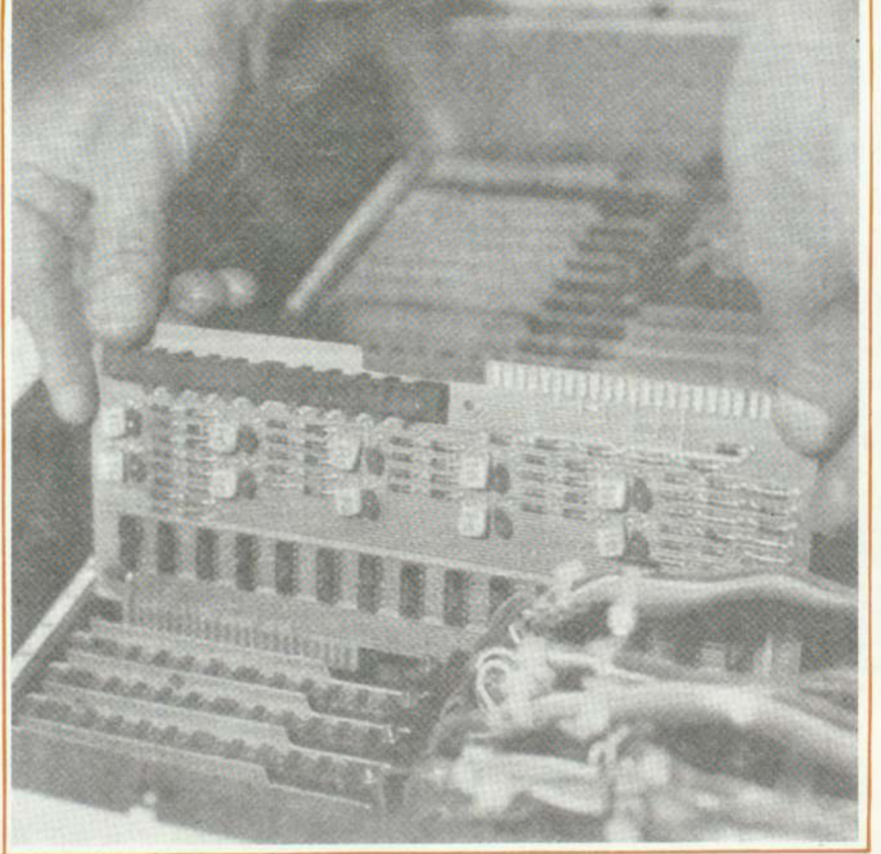
وليس ذلك ـ فى الواقع ـ خيالا محضاً ، لأن نواة هذه الأفكار الغريبة قد تحولت بالفعل الى تطبيقات عملية ، وهى بذلك تشير الى أن المستقبل سيكون أغرب مما نتصور ، فبجوار الآلة التعليمية الاليكترونية التى ذكرناها آنفا ، وتعرف باسم « تكلم وتهج » ، توجد آلتان جديدتان متطورتان طرحتا منذ شهور قليلة فى الأسواق ، ويطلق على الأولى « تكلم واقرأ » .. والثانية « تكلم واحسب » .. اى انهما يقرآن ويتكلمان ويحسبان ، ثم ـ فى الوقت ذاته ـ يعلمان بلغة قومهما ، ولاشك ان ظهور المدرس الآلى العربى آت لا ريب فيه .

## حكاية هارفى المريض

لكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد ، فلقد تطورت أيضاً الى تعليم طلبة وطالبات السنوات النهائية فى بعض كليات الطب بالدول المتقدمة دروساً فى الطب .. ولنقدم هنا ـ على سبيل المثال ـ « هارفى » .. انه مريض ، وانه الأستاذ ، وانه الممتحن ـ واضع درجات الامتحان ، فهارفى انسان آلى ( انظر الصورة المنشورة على ذلك ) ، وهو دائماً يستلقى على سرير فى مدرسة الطب بجامعة ميامى الأمريكية ، وبالتحديد فى قسم أمراض القلب برئاسة البروفيسور ميشيل سى . جوردون ، ومريضنا أو انساننا الآلى ذو جلد من مادة مرنة تشبه جلودنا ، ويتخللها شرايين واوردة تماثل شراييننا واوردتنا ، ويبدو عند تشغيله وكأنما هو يتنفس ، لكن الغريب فيه انه يحمل بروجراماً يحتوى على ٤٠ مرضاً من أمراض القلب المعروفة ، ليس هذا فحسب ، بل يستطيع أن يمثل لطالب الطب الذى يفحصه بعض هذه الأمراض وعلى الطالب أن يكتشفها ، فاذا شخص المرض تشخيصاً صحيحاً ، منحه الدرجة التى يستحقها ، واذا اخطأ ، اظهر له خطأه ، وعليه ان يسارع بتصحيحه ، فاذا فشل ، أو ارتكب خطأ فاحشاً ، اعلن المريض الآلى ذلك بطريقة توحى بأنه مات ، وعندئذ يتوقف البروجرام ، ولا يستجيب للفحص بعد ذلك الا بعد تشغيله فى دورة جديدة !

وليس الأمر مقصوراً على مجال القلب وحدها ، بل هناك مرضى آليون يمثلون أمراضاً اخرى كثيرة ، ففى مستشفى بوسطون العام بولاية ماساشوسيتس الأمريكية يوجد مريض آلى من هذا النوع ، وعلى الطالب ان يفحصه ، ويكتشف الداء عن طريق محادثة بينه وبين هذا الانسان الآلى المريض !

وفى جامعة بتسبيرج يوجد فريق



محتويات «المخ» أو «العقل» الاليكترونى عبارة عن لوحات ذات دوائر اليكترونية ، وهى توضع هنا واحدة بجوار الأخرى لتكون البروجرام المتكامل الذى يدير مصنعاً بأكمله .

علمى يتكون من ثلاثة ، اثنان منهما بشر ، والثالث انسان آلى ، فمن البشر دكتور جاك مايرز ، وهو متخصص فيما يسمى بالذكاء الصناعى — اى الذى يمكن اكسابه للآلة ، أو الانسان الآلى ، والثانى « هارى بويل » متخصص فى علوم الحاسبات الاليكترونية ، وعلى الأخص كيفية تزويدها بالمعلومات واختزانها ثم استخراجها على هيئة اجابات ، أما ثالثهم — الانسان الآلى — فهو خبير فى تشخيص اعراض ٥٠٠ مرض ، والعمل قائم ايضاً لتزويده بمائة وخمسين مرضاً اضافياً ، وربما بعد سنوات يزود بمعظم الأمراض التى عرفتها البشرية !

والطبيب الآلى فى استنباطاته لتحديد الأمراض ، يشبه الى حد ما الطبيب البشرى ، اذ ان الأعراض التى يشكو منها المريض قد تشير الى أكثر من مرض ، وعلى الطبيب أن يقرر أى الأمراض أكثر احتمالا ، وكذلك الحال مع الطبيب الآلى ، فهو أيضاً يشتغل على مبدأ الاحتمالات ، ومن أجل هذا لكل مرض اعراضه المبرمجة ، وقد تصل تلك الأعراض الى حوالى ٦٠ عرضاً لكل مرض ، ولهذا وضعت فيه كل صغيرة وكبيرة من المعلومات الدقيقة الملازمة للمرض .

وليس حتما — الآن على الأقل — ان يحدد الطبيب الآلى نوع المرض ، بل يقدم عدداً من الحلول ، وعن طريق مزيد من الأسئلة والاستفسارات بين الطبيب البشرى والآلى ، يمكن تضييق الخناق لتحديد هوية المرض ، ليس هذا فحسب ، بل أيضاً توضيح الأسباب التى ربما يكون المرض قد نشأ منها ، وبهذا يوجه الطبيب الآلى الطبيب البشرى الى معلومات جديدة قد تكون عليه خافية !

لكن ذلك كله يشير الى أننا لازلنا فى البداية ، أو كأنما هذه المرحلة بمثابة نبتة صغيرة ، والمستقبل كفيل بتغذيتها بعصارة الأفكار المتطورة ، لتنمو وتتفرع وتزهر وتثمر ثمار المعرفة ، ذلك ان الطبيب الآلى سوف يتطور الى درجات اكفأ ، وبحيث يحدثه الانسان ويتخاطب معه — دون حرج — بمرض قد يستحيى ان يعرضه على الطبيب البشرى ، وعندئذ يحدد له مرضه ، ليس ذلك فحسب ، بل يقوم الطبيب الآلى بتوضيح كيفية وصوله الى هذا التشخيص بالتفصيل ، او كأنما هو يذكر لمريضه تاريخ المرض ، وكيفية نشأته ، وربما ايضاً طريقة علاجه مع نصائح أخرى لازمة فى فترة العلاج ، أو بعد تمامه !

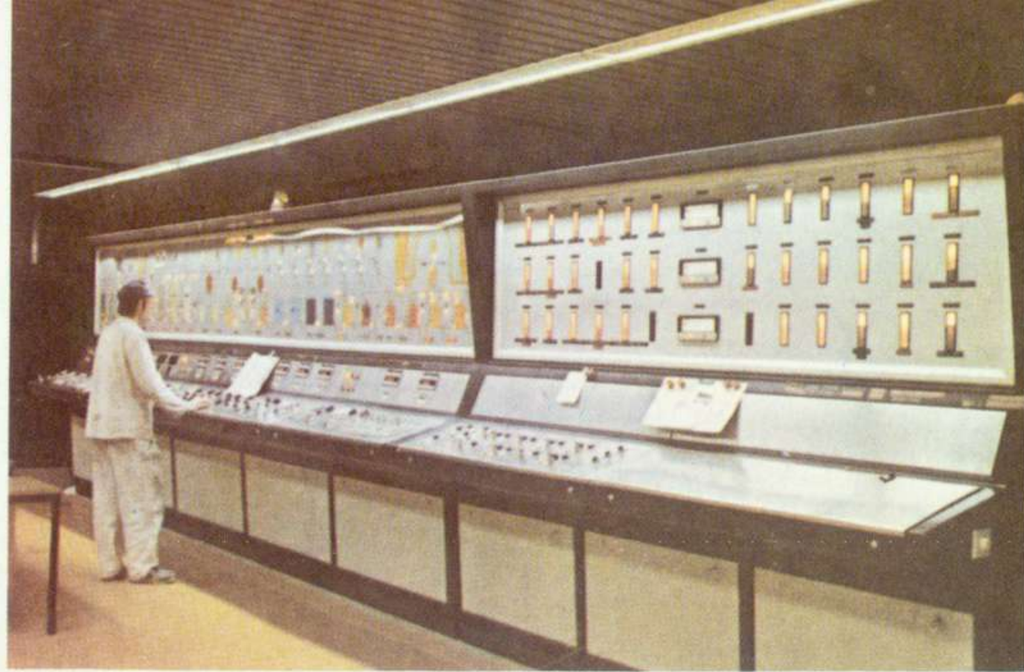
وليس الطبيب الآلى ولا المعلم الآلى هما نتاجا العقول البشرية فى ميدانى الطب والتعليم ، بل توجد بالفعل انماط أخرى كثيرة تؤدى اعمالا لا غنى عنها للبشرية .. فلقد توصلت جامعة ادنبره باسكتلندا الى تصميم اليكترونى لتشخيص ما قد تتعرض له آبار البترول من انهيارات ، أو ما قد يحل بالأرصفة العائمة من الخلجان والبحار من كوارث ليست فى الحسبان ، فتشير اليها ، وتحذر منها قبل فوات الأوان .

وفى جامعة استانفورد الأمريكية جهاز اليكترونى آلى يحدد للعلماء التركيب الكيميائى الدقيق لبعض الجزيئات المعقدة ، فلكل جزئ طيفه الضوئى ، أو بصمته التى لا يشاركه فيها أى جزء آخر ، وعندما يزود « الكيميائى الآلى » بهذه الأطياف أو « البصمات » ، فسرعان ما يحللها بطريقته أو ببروجرامه الموضوع فيه ، ويوضح بطريقة — لا لبس فيها ولا غموض — التكوين الدقيق للجزيء الذى يعجز العلماء عن الوصول اليه الا بشق الأنفس .

والذى يتنبأ بحالة الطقس لأيام ، وربما لأسابيع قادمة ، حاسب اليكترونى يستقبل سيلا جارفاً من المعلومات ، « فيهضمها » ويفندها ، ويشير الى احتمالات سقوط الأمطار ، أو هبوب الأعاصير ، أو أية تقلبات جوية قد تكون خطراً على الملاحة البحرية والجوية والفضائية ، وهو فى ذلك يجرى آلاف الحسابات ، ويطبق أصول المعادلات ، ويقدم الاجابات بسرعة فائقة فى أية لحظة بالليل والنهار ، وهذا ما لا يقدر عليه بشر !

ومن السماوات تنهال ملايين المعلومات على أجهزة حساسة ، فتستقبلها وتغربلها وتفندها ، وتدفع بالحصيلة الى عقول اليكترونية فلكية ، فتعيد ما استقبلت ، وتترجمه الى لغة بشرية مفهومة ، وهى — فى هذا المجال — تؤدى للانسان خدمات هائلة ، وتوضح له من اسرار السماوات ما يخفى على حواسه القاصرة ، وبذا يعرف أنباءها دون أن يصعد اليها ، أو يرقبها بحواسه لأن حواسنا أضعف من أن توضح لنا بواطن الأمور !

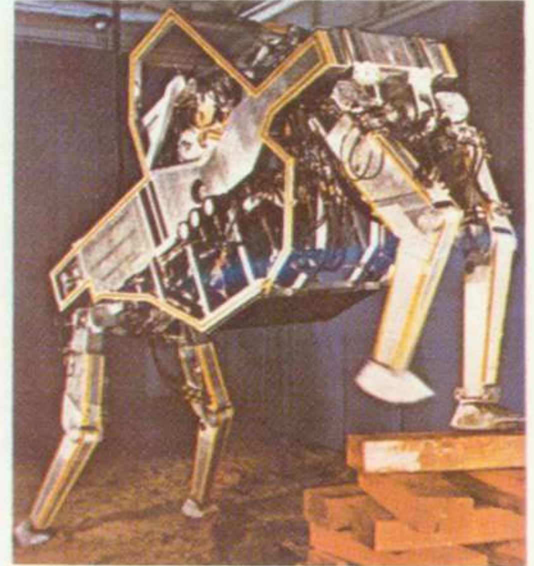
ونحن لا نريد ان نسترسل فى ذكر المزيد والا لخرج الموضوع من ايدينا ، لكن يكفى ان نذكر ان هذه الالات الاليكترونية الدقيقة قد أصبحت عين



«العقل» أو الحاسبة الاليكترونية التى توجه أوامرها الى الآلات التى تقوم بعمل الانسان داخل المصنع . وكل شىء هنا يحكمه عالم الأزرار .



وحدة كاملة فى مصنع وقد خلت من العمال البشريين ، إذ حل محلهم عمال اليون ، يؤدون عملهم حسب بروجرام محفوظ فى ذاكرة اليكترونية (الانسان الذى تراه هنا يراقب فقط من بعيد) .



انسان آلى بذراعين وساقين ، وبينهما بروجرامه المكدس فى ذاكرة العقل الاليكترونى ، وبه يتحرك ويدور ويؤدى بعض المهام .

# إلى أين أيها الإنسان الآلي ؟

العلم التى يرى بها ، وأذنه التى يسمع من خلالها ، بل ومخه وفكره الذى يشتغل له ليل نهار ، دون أن يكل أو يغفو أو ينام فتريح العقل البشرى من الأجهاد الفكرى الذى يتعرض له فى كل آن وحين ، وكأنما هذه العقول الآلية توفر للعقول البشرية طاقاتها لمزيد من الخلق والتطوير والابتكار الذى نشهد ثمراته فى كل ما هو جديد ومثير وجذاب .

## أكفأ واتقن من البشر !

ولنتصور بعد ذلك ان مناقشة قد جرت بين صاحب مشروعات صناعية ، وبين مورد يقدم له أكفأ العمال ، وان المناقشة قد جرت بينهما هكذا ، حيث يقول ثانيهما لأولهما : ما رأيك فى مجموعة من العمال الفنيين يشتغلون ساعات اطول ، وبأجر اقل ، ولا يقومون باضراب ، ولا يشكلون أية نسبة من الغياب ، ولا تصيبهم الأمراض ، ولا تطلب الدولة منك لهم أية تامينات أو معاشات .. وهم مطيعون غاية الطاعة ، وانتاجهم غاية فى الجودة ، ولا يحتاجون لعلاوات ، بل العكس هوالصحيح ، لأن أجورهم قد تميل الى النقصان .. لا الى الزيادة ؟!

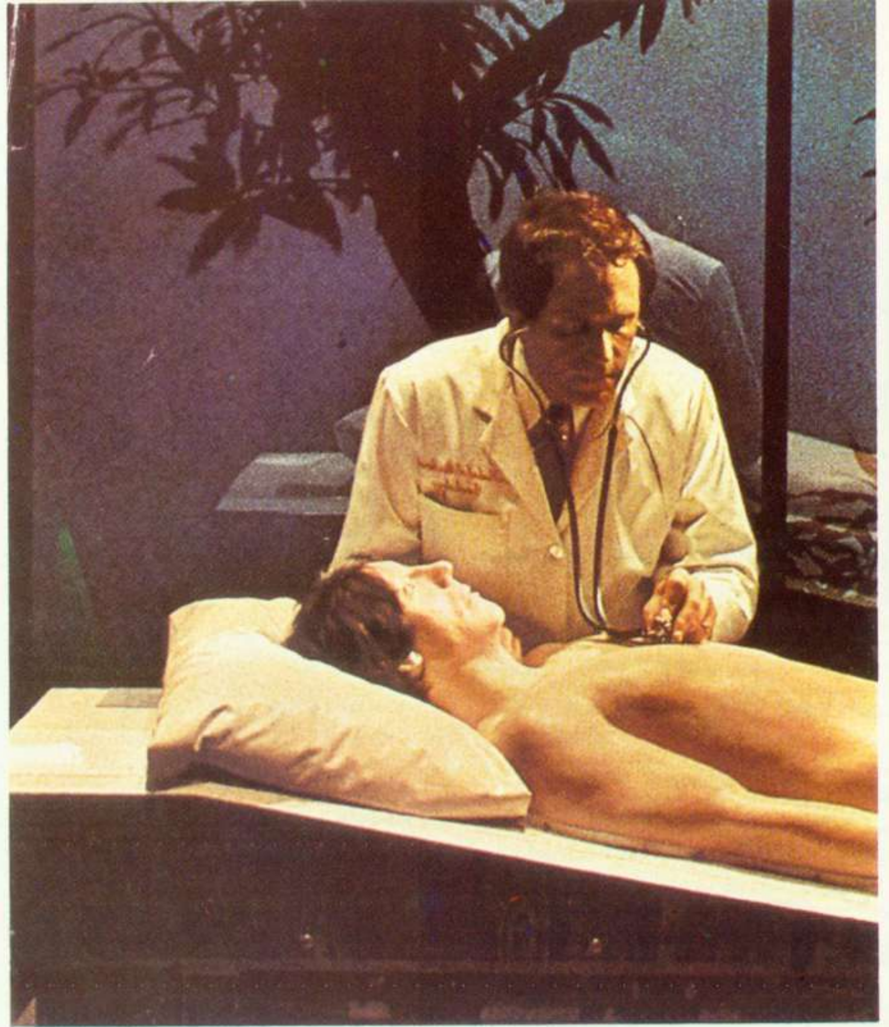
عندئذ قد يتنهد صاحب المشروعات بحسرة ، ويردف قائلا : انى لنا بهؤلاء إلا فى عالم الخيال والأحلام ؟ !

فيقول صاحب الفكرة : انهم موجودون .. وهم يتمثلون فى الانسان الآلى الذى لا يكل ولا يشكو ولا يتبرم !

وبالفعل ، فمنذ سنوات عدة بدأ الانسان الآلى ينتشر ويحل فى المصانع محل البشر .. فحيث يدفع صاحب العمل للعامل البشرى ما بين ١٥ ــ ٢٠ دولاراً فى الساعة ، فان العامل الآلى لا يتكلف فى المتوسط الاخمسة دولارات لا غير ، بما فى ذلك الثمن المدفوع فيه ، وصيانته والطاقة اللازمة لتشغيله ، وهو قادر على ان يشتغل دوريتين أو ثلاث دوريات فى اليوم الواحد ، ويستغل وقته فى العمل بكفاءة تتراوح ما بين ٩٥ ــ ٩٨٪ من الزمن الذى يعمل فيه ، فى حين ان العامل البشرى بالمقارنة لا يزيد عن ٧٥٪ (طبعاً فى الدول المتقدمة ، اما فى الدول النامية أو المتخلفة ، فما أكثر الوقت الضائع !) .

ان شركة جنرال موتورز تمتلك الآن وحدها أكثر من ٤٥٠ انساناً آلياً فى عمليات لحام ودهان وتجميع وربط وتفتيش على الجودة وما شابه ذلك ، ولما ثبت العامل الآلى قدرته وكفاءته ودقته ، فقد خططت الشركة لزيادة طاقة العمالة الآلية الى خمسة آلاف بحلول عام ١٩٨٥ تزيد الى نحو ١٤ ألفاً فى عام ١٩٩٠ .. لكن شركة جنرال موتورز ليست وحدها فى الميدان ، بل ان معظم شركات صناعة السيارات الكبرى مثل فيات وفولفو وتويوتا .. الخ ، بدأت تستخدم الانسان الآلى لدرجة ان بعضها قد استغنى عن حوالى ٥٠٪ من الأيدى البشرية ، وليس ببعيد ان يدار معظم اجزاء المصنع بالانسان الآلى ، وبهذا لا تمثل فيه القوة البشرية الا بنسبة ضئيلة قد تتراوح ما بين ٣ ، ٥٪ من العمالة الفعلية .

لكن ظاهرة الاستغناء لن تقتصر فقط على الفنيين والعمال والمهندسين ، بل ستتعداها الى الاداريين ، لأن حاسباً اليكترونياً ضخماً ومزوداً ببروجرام يجمع بين كل التخصصات الادارية ، يستطيع ان يقوم بعمل المئات ، وينجز



طبيب بشرى ، ومريض آلى يدعى هارفى ويحمل فى بروجرامه أربعين مرضاً من أمراض القلب التى يكشف لدارسى الطب أعراضها ، علهم يكتشفوا حقيقة كل مرض ، لاحظ أن بروجرام المريض الآلى موجود فى تصميم اليكترونى تحت المنضدة .

مهامه بمعدلات أسرع واتقن ، ولاشك ان هذا النوع من الحاسبات ينتشر الآن انتشاراً واسعاً ، وليس ادل على ذلك من ان جميع شركات الطيران تستخدم منذ سنين عدة هذه الحاسبات ، وكأنما هى بمثابة المرجع النهائى فى تنظيم رحلات الطيران !

## مستقبل مظلم أو مشرق

الموضوع بعد ذلك كبير جداً ، لكن المجال هنا لا يتسع لذكر المزيد ، اذ مما لاشك فيه ان العالم مقدم على استخدام الانسان الآلى ، والعقل الآلى ، ليغزو بهما المجالات التى يعمل فيها البشر .. فمن مدرس آلى ، الى طبيب آلى ، الى عامل آلى ، الى ادارى آلى ، الى طيار آلى الى غواص آلى ، الى مفتش آلى ، الى مترجم آلى ، الى مضحك أو مسل آلى الى آخر هذه القائمة الطويلة والعريضة التى تبدو وكأنما هى فى طريقها الى فرض نوع جديد من الاستعمار ، وبه تحل محل البشر .. مثل هذا التحول الغريب فى انماط الحياة ، قد يؤدى الى نتائج من الصعب التنبؤ بها أو بأبعادها فرغم ان فى ظاهرها الرحمة ، الا أنها تنطوى على نقمة ، اذ ستؤدى الى اردأ انواع البطالة والفراغ القاتل الذى سيتعرض له البشر ، وقد يؤدى ذلك ايضاً الى ثورة تقوم بها العقول البشرية ، فتعلنها حرباً مدمرة على هؤلاء المستعمرين الغرباء – اى الآلات الصماء التى تحاكى البشر ، وتقلدهم فى معظم أنشطة حياتهم !

ان الانسان الآلى هو – فى الحقيقة – آلة تحمل فى طياتها بروجراما يحتوى على المعلومات التى تحدد لها اختصاصاتها ، وكأنما هذا البروجرام بمثابة ذاكرتها أو مخها الذى يحرك فيها اجزاء محددة تؤدى بها عملها ، وقد يكون لها ساقان وذراعان وكفان بهما اصابع ، واذنان وعينان .. الخ ، ذلك أن البحوث المتطورة سوف تتمخض عن مخلوق آلى يسمع الأوامر وينفذها أو يرد عليها ، اى يكلمنا ونكلمه ، كما انه سيزود بعينين تليفزيونيتين يرى بهما الطريق ، فيتجنب العقبات التى تقابله ، أو ينتقى بهما الأشياء المكلف بتصنيفها وحملها ووضعها فى الأماكن الذى يوجهها إليه بروجرامه .. وبالاختصار فنحن مقبلون على زمن كل ما فيه غريب وعجيب ، ولقد بدأت بشائر هذه التطبيقات فى الظهور فى زمننا الحالى ، لكنها لازالت بمثابة النواة التى سيتمخض عنها تطويرات هامة فى هذه المخلوقات الآلية ، لتقوم بأعمال صعبة وشاقة ، وبحيث لا تتحملها طاقات البشر ، وعلى رأسها – مثلا – غزو كواكب المجموعة الشمسية .

ان سفينة الفضاء التى هبطت على كوكب المريخ منذ سنين عدة ، استطاعت ان تلفظ من جوفها آلات مبرمجة ، فكانت هناك بمثابة الكيمائى أو البيولوجى البشرى ، اذ قامت بتحليل تربة المريخ ، وأخذت منها عينات ، وأجرت عليها تجارب بيولوجية ، علها تكتشف فيها صورة من صور الحياة البدائية ، ثم قامت بتسجيل النتائج ، وتصنيف محتوياتها ، وبعثت بها الى كوكبنا ، لتستقبلها أجهزة أرضية ، فترجمتها وحولتها الى معلومات تناسب مداركنا ، وبهذا نعرف فى الأجرام السماوية من اسرار دون أن نبرح مكاننا .. اى انها قد حلت محلنا ، فادت لنا خدمات هى فوق قدراتنا الحالية .

على ان الأمر الأغرب من ذلك ، ان افكار العلماء تمهد الآن لانتاج اجيال من هذه الكائنات الآلية بحيث يمكن ان تتصل ببعضها ، وتكون مجتمعات قائمة بذاتها ، ولها لغات موجية تتفاهم بها فيما بينها ، وتتوجه على هداها ، وليس ببعيد ان يتحكم فيها عقل اليكترونى ارقى منها ، وقد يوجهها الى تحقيق أهداف محددة ، ويعنى ذلك – ببساطة شديدة – ان عليه الأمر ، وعليها الطاعة ، وكأنما نحن بالفعل أمام مخلوقات موجهة اسوة بما يحدث فى عالم البشر !

ان الأجيال البشرية المقبلة سوف تتصارع مع الأجيال الآلية ، وقد تكون نتيجة هذا الصراع نعمة على البشرية ،أو قد تكون عليها لعنة .. لا أحد يدرى يقينا ، ذلك أن المستقبل ليس غريباً فقط بل سيكون اغرب مما نتصور .

وان غداً لناظره قريب .

د . عبد المحسن صالح

● قصـــة ●

# الرحلة داخل المغلف الرمادي

بقلم : نـهى سمارة

سـلفاً كانت تعرف مـاذا داخل المغلف الرمـادي الذى ناولهـا اياه كريم .

فلسطين تدعوها بواسطة عائلتها في ورقة معبأة وممهورة بأختام سلطوية أذنة لها بزيارة « جمع شمل » لمدة شهر .

فلسطين تنتظرها ، لتنعش الصور ، لتمزق الصور ، لتخلق صوراً جديدة .

سلفا كانت تعرف رحلة التعبؤ : بالخوف بالهزيمة ، بالذل ، بالانفعال ... انها الصدمة التي كانت تنتظرها لتواجهها داخل المغلف الرمادي . الصفعة التي جاءت لتوقظها من ركامات الانسحاب والتقوقع ، ولتكشف الستار الذي أسدلته عنها طويلا .

كم يصعب عليها أن تقرر ، فكعادتها حين تسقط في حالة تردد ، تأخذ بقطعة نقود حجرية ، ثم : « طرة أو نقشة » ، الاختيار نتيجته عبثية بقدر ما تقرره وجها العملة .

كريم مازال يتأمل صفحة وجهها ، تسأله مازحة عن قطعة نقدية ، يضحك ويقول :

أهكذا حسب وجه العملة الساقط يكون قرارك .

ثم يقف ويقول :

سأترك لك أن تقرري بروية أكثر من عبثك هـذا ، ان خالتك وأولاد عمك سيفرحون لو التقوا بك بعـد هذه السنوات .

ماذا يعنى هنا العامل الانساني ؟! أن تضيء عيوناً فرحة للقائها . ثم تنطفيء حزناً لفراقها .

الآخرون كم يصغرون اليوم أمـام موضوعها ، هذه المرة لن يكون قرارهـا صدى لاسعاد الآخرين .

لاحظت كريم يتمشى بعصبية أمامها ، لو حدثته بعوالم معاناتها لأجابها جازماً لا افهم ، ستسافرين أم لا ، حتى اتدبر لك رحلة العبور الى عمان ، ثم جسر الأمير محمد وبعدها .... وبعدها تلجين الأرض .. المحتلة .

قالوا لها في عمان ينادي سائقو السيارات العمومية :

« نابلس ، طولكرم .. جنين . القدس » كما كان ينادي سائقو الباصات العمومية في بيروت : « عين الرمانة ، الشياح ، الطيونة » .

وهي في طريقها لأول مرة الى باريس وقفت تنتظر تاكسياً يقلها الى المطار ، ثم جاءها باص مترهل وقف في وجهها حائلا دون رؤية الشارع ، ودعاها المنادي الذي يقف على عتبة الباص والذي يجمع الركاب بصراخه والحاحه : « الشياح الشياح » ، أومأت له يومها بالرفض ، فظل يصيح بوجهها « الشياح الشياح » ... لم يبتعد كأنه استمتع بغضبها الصامت وهو يرى حقيبتها قربها تلهث مثلها بالركض نحو المطار ...

اليوم نسيت الركض ، نسيت معنى اللهفة على الوصول ، فقدت حماسها بالركض أيضاً خلف الأشخاص والمواعيد . وفقدت أيضاً لذة الامتلاك ، ما ان نمتلك شيئاً جميلا حتى نبادر باهدائه لأي قريب .. منذ وقت تشعر انها معزولة ومبعدة ، بل أصبح وقع الحياة عليها أشبه بأصداء صوت يتسرب من خلف ثقب جدار ، كبطل « بروست » في رواية الجحيم ، تنتظر معجزة ولا تأتي ، وكل شيء ينقلها من قبو بارد الى قبو يوم رطب والدفء أصبح الضفة الأخرى التي يعيش فيها الآخرون .. أما هى فما تبقى ليس إلا الاستمرار بحيادية وسلم .

الصفعة جاءت اليوم بواسطة المغلف الرمادى ، عليها المواجهة . أن تقـوم بأخطر رحلة : « اكتشاف الجذور » .

ولكن ما معنى : لو ظلت هناك ولم يحصل ذلك الاحتلال .. ماذا كانت لو لم يكن ؟! .. هل تكون أكثر فى مدرسة ، أو خياطة القرية التى جاءت منها . أو زوجة تكثر من الأنجاب والبـدانة .. أليس الاقتلاع عن الوطن هو اقتلاع أيضاً عن التقاليد والأعراف ؟

ولكن ! بعيداً هنا خارج الرداء الذى لبسته العائلة ، المجتمع ، التقاليد .. ماذا فعلت ؟ لم تتمرد على خلعه ، ولم تستمتع بارتدائه والاندماج مع المجموع .. وبدت الحياة كأنها « قصة يرويها أبله ولا يعنيها أى شيء » .

ربما لأجل هذا لم يعد للاختبار لديها دلالة ، كذلك التحدي ، تتحدى من ؟ ولأجل ماذا ؟ تؤكد جدارتها لمن ؟ إنها بلا عائلة تود أن تستقطب اعجابها ، وليس لها أصدقاء تسابقهم الركض نحو الوصول ، المنافسة ربما كلمة يعرفها الانسان الذي يعيش داخل وطنه ... خارج كل هذا يبدو كل شيء كأنه يعرض على شاشة ما .

حضرت مرة فيلماً مدهشاً ، كان اسمه الانفجار ، في بداية الفيلم شاب يشتغل كمصور ، يمر يوماً في طريقه بفريق لعبة كرة الطائرة ، الأرض مخططة دائرية تفصل اللاعبين عن المارة ، رمى اللاعبون الكرة نحو الشاب برغبة زجه في اللعبة يتناول الشاب الكرة ويرميها أليهم متجنباً الدخول في دائرة اللاعبين ... ثم تقحم الحياة الشاب المصور في حكاية يكون الشاهد الوحيد عليها ، ويصبح متورطاً في الموضوع ، طرفاً انسانياً فيه ... في نهاية الفيلم يمر الشاب المصور بذات ساحة اللاعبين ، ترمى اليه الكرة كالسابق عليه ، ينفعل ، يلتقطها ، يدخل ساحة اللاعبين ، يبدأ اللعب تأخذ سحناته ايقاعاً أكثر صخباً ، يبدو أكثر سعادة ونضارة ، يصبح هو والحياة ولاعبوها شيئاً واحداً .



اليوم ! جاءتها الكرة داخل المغلف الرمادى وساحتها الماضى ، وبيت صغير ، وقطعة أرض خضراء غفل عنها الأعداء ، وأوراق واشياء مازالت هناك فى حراسة وجوه الماضى . الأمل هو الساحة ، لكن هل فى قدرتها مواجهة فسحة الأمل هذه ؟! أتستطيع أن تراهم يمضغون العلكة ببذلاتهم العسكرية ونجمة داوود على أذرعتهم ؟ أتستطيع أن ترى جباههم ملوحة بشمسها ، ويبصقون العلكة حين يضجرون فوق ترابها ، قالت لها هدى مرة : أكثر ما أزعجنى حين وقفت قبل حرب ٦٧ ، أطل فى القدس العربية الى قدسهم المغتصبة ، منظر حبال الغسيل إذن ، انهم يعيشون حياتهم بسلام ، تتسخ ثيابهم فيغسلونها ثم ينشرونها ثم يرتدونها من جديد .. ولتستهلك .. وليشتروا أخرى جديدة . هذا الأطمئنان . يظنون انهم باقون .. تأوهت وقالت : « الحمد لله لم أشم رائحة طبيخهم » .

وهى .. ! هل ستحتمل صوت أحذيتهم العسكرية الغامقة ، ونظراتهم فوق وجهها وجسدها وروابيها تصول وتجول بلذة الامتلاك ؟

ثم تفاصيل كثيرة ، هل تدخن من تبغهم ؟ تتداول عملتهم ؟ تأكل اللحم الذى علفته حيواناتهم فى أرضها ؟ وحيواناتهم ، أهى فلسطينية أو اسرائيلية ، هل ستحب البقر والماعز والقطط هناك ؟ وما رجع رحيق الورد والقرنفل والياسمين عليها ؟

وما رأى هؤلاء اذا سئلوا الى من كان انتماؤهم ؟

ضحك جدها الفلاح مرة وقال هذه الأرض خصبة ، اذا رميت فيها صحناً نبت ألف صحن ؟ . « هل لأجل هذا لم ينس الفلسطيني أرضه ؟ ! » .

المغلف الرمادى أمامها يصيح ، يصرخ كمنادى باص بيروت المترهل .. أين يكون قرارك .. حيث هى ، راحة أشبه براحة الميت فى قبره .. وحيث الرحلة ، لقاء الوجع ، لقاء الشريان الذى يمتد حتى الوريد النابض الأحمر نحو القلب ..

القرار !! العباقرة أو المجانين وحدهم يعرفونه ..

« طرة أو نقشة » !!

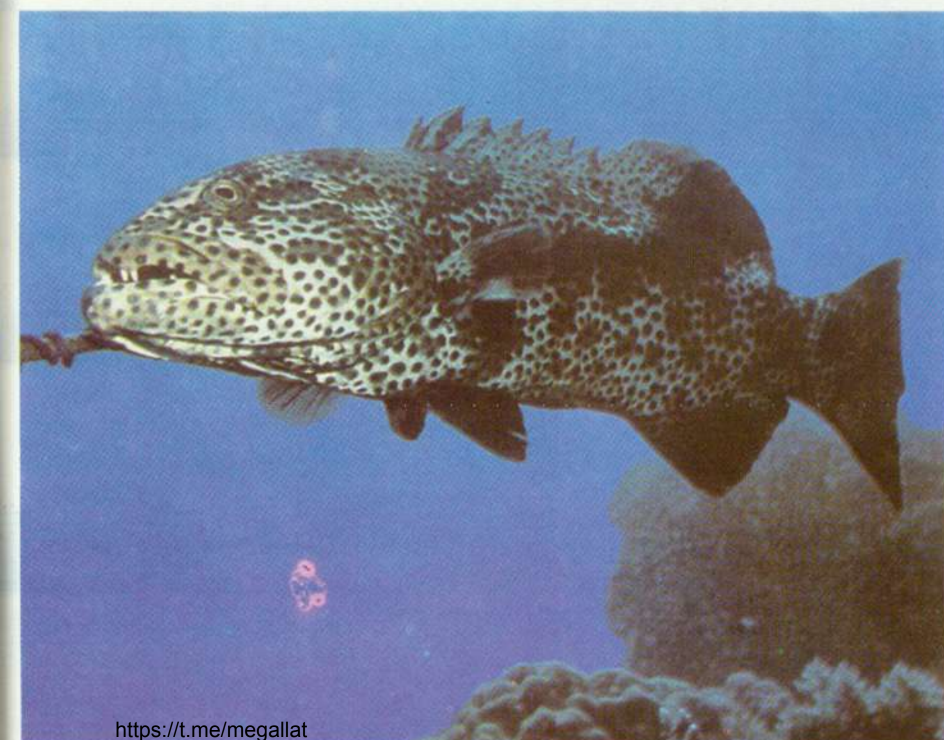
ذهب كريم ، وليس عندها قطعة نقود حجرية لتأخذ عنها حجم القرار . !

## الحياة والموت في بحر ملون

# الكِشر يقع في فخ المناورات الماكرة !

بقلم : صنع الله إبراهيم

كشر البحر الأحمر .. فى المرآة !



أكبر وأشهر أنواع الكشر بالبحر الأحمر والخليج العربى على السواء .. ويعرف باسم كشر «توينه» ويتميز بأنه صائد من الدرجة الأولى يجمع بين الدهاء والسرعة .

هذا الكشر من سكان البحر الكاريبى .. لكنه نفس النوع الذى يعيش فى مياه البحر الأحمر ، ويتميز بقدرته على ابتلاع أسماك تماثله حجماً .

ربما كان السبب فى اطلاق اسم « الكشر » على هذه السمكة ، **التى تعتبر من أبرز اسماك الشعاب المرجانية ، وتنتشر انواعها العديدة فى مياه البحر الأحمر والخليج العربى على السواء ـ هو التكشيرة الغاضبة التى تعلو رؤوسها بصفة دائمة ..**

لكن البعض يرون أن صحة الاسم هو «القشر» اشارة الى القشور الغزيرة التى تغطى أجسادها

وأيا كان الأمر ، فان بطل قصتنا ، طوال اليوم الذى انتهى بطريقة مأساوية ، كان يعوم نافخاً شدقيه ، ناصباً أشواكه ، خافضاً رأسه المحدبة عظيمة الجمجمة ، مبرزاً شفته السفلى ، فى تعبير واضح عن الاستياء والسخط .

والواقع أنه كان غاضباً بالفعل ..

فكلما بدرت من ذيله حركة عنيفة ، شق جانبه ألم حاد لا يحتمل ، من آثار معركة شرسة خاضها بالأمس مع سمكة أخرى من نفس النوع ،



سمكة الحريد أو الببغاء التى تتغذى على الصخور المرجانية .

# الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة !

اجترات على حدودة الاقليمية ..

والكشر الآخر يسكن الى جواره مباشرة . ومعنى ذلك أن ثلاثين متراً على الأقل تفصل بينهما ، يقع فى منتصفها الخط الوهمى الذى يفصل بين منطقة كل منهما ، الويل لمن يعبره ..

ولسبب غير مفهوم عبر الجار الخط الوهمى ، فكان لا مفر من المعركة ، وما تمخضت عنه من اصابات ..

وأمثال هذه المعركة وما تلحقه من اصابات يقع كل يوم ، ولا يلبث الألم نفسه ان يخف تدريجياً . وبهذا كان فى وسعه أن يتجاهل الأمر كلية ، لولا انه كان يوشك على الاختناق ..

فلليوم الثالث على التوالى ، بلغت درجة الحرارة فى الغور الذى يعيش و «يعمل» به ، حداً من الارتفاع لا يطاق . وعند الظهر وصلت الى خمسين درجة بمقاييس البشر ..

## هجران المكان

ورغم أن احياء المياه المدارية لا تطيق الجو البارد ، فانها أيضاً لا تحتمل شدة الحرارة . وبالاضافة الى ذلك ، كان الغور المذكور يتميز بشىء من الضحالة ، الأمر الذى ضاعف من معاناة سكانه .

فقد ازداد انكماش بوليبات المراجين والشقائق ، واعترى الذبول أغلبها .

وكفت النجمة الهشة عن استخدام اذرعها الطويلة المرنة فى حركاتها الراقصة ، إذ تقف على طرفى ذراعين منها وتتارجح مع حركة الماء وقد ثنت الأذرع الأخرى . وسرعان ما رقدت جامدة بين ثنايا الشعاب ، وماتت .

وجفت الجلود العارية للبزاقات الصغيرة ، وتحولت ألوانها المزركشة اللامعة ، الى زرقة قاتمة . وتخلص بعضها من معاطفه الجلدية ، مما سيعجل بموته .

بل إن الكائنات الكبيرة التى تتميز بقوة الاحتمال ، مثل السلاحف البحرية ، تجمدت فى أماكنها ، عاجزة عن الحركة .

وقرب السطح ظل واحد من ذكورها ــ ساعات طويلة ــ متشبثاً بقوقعة انثى بمخالبه الامامية وذيله ، رغم أن الجماع الذى لا يستغرق فى العادة أكثر من عشر دقائق ، كان قد انتهى من زمن .

وتحت السطح مباشرة استلقت اسماك كثيرة وقد أصبحت هى وغيرها بين نارين ، الموت شيأ عند السطح أو اختناقاً فى الأعماق .

ذلك أن السطح الذى لم تعبر به نسمة هواء واحدة ، صنع ملاءة شديدة الحرارة ، تحول دون مرور الأوكسجين . فالماء الدافىء أخف من البارد الذى تحته . ودون الهواء الذى يزيح الطبقات العليا الدافئة ، لن تتمكن السفلية الباردة من الوصول الى السطح ، للتزود بالأوكسجين .

ولم يعد أمام الكشر وغيره سوى أن ينتقل بين المستويين ، ملتمساً البرودة فى الأعماق ، والأوكسجين الذائب فى الماء قرب السطح الملتهب ، بعد أن تخلصت منه الكائنات الدقيقة ، مستعينة بضوء الشمس .

لم يكن بوسعه أن يهجر المكان برمته الى جزء آخر من الشعاب الممتدة الى ما لا نهاية ، تكون المياه فيه اقل ضحالة ، وبالتالى اقل تأثراً من ارتفاع درجة الحرارة .

فهو من حيوانات الشهاب المقيمة ، التى لا تغير مواطنها بسهولة . فهنا ولدت ، وهنا ستموت .

وبالاضافة الى ذلك ، كان الكشر يتمتع فى هذا الغور ، بمسكن ممتاز ذى مدخلين ، فى افضل المواقع . ومن المستحيل أن يجد مسكناً مماثلا فى أرجاء الشعاب المزدحمة بالسكان ، وخاصة فى هذا الوقت من العام الذى تفد فيه كثير من حيوانات الأعماق والمياه الخارجية ، فى أعداد ضخمة ، من اجل التكاثر ووضع البيض .

## العجز عن الحركة

رقد الكشر قرب السطح ، وخياشيمه تعمل فى جهد .

وفى كل مكان من حوله رقدت آلاف الأسماك مثله ، فى غير حراك ، وهى تتنفس فى صعوبة .

وهو أمر كان ــ وحده ــ كافياً لاثارة الغضب .

فالكشر من الأسماك المفترسة التى تعيش على لحوم الأسماك الاخرى . وهو يتمتع بشهية غير محدودة لا يبزه فيها سوى القرش ، زعيم المفترسين . فمهما كانت معدته ممتلئة ، لا يتــورع عن مهاجمة اية فريسة تقابله . وكثيراً ما يشاهد وقد تدلى من فمه جزء من سمكة ، ليس له مكان فى معدته . ويمكن أن يستمر هذا الوضع عدة ساعات . وفى النهاية يذيب الجزء المختفى من السمكة ــ بما فيها من عظام ــ بواسطة عصاراته الهضمية . وبذلك يتمكن من استيعاب الجزء الآخر .

لكن الصيد لم يكن متوفراً بسهولة .

كانت ألوانه تماثل ألوان المرجان والاسفنج الأمر الذى يساعده على التخفى والتربص بين الشقوق ثم الانقضاض فى الوقت المناسب .

لكن الفرائس كانت تتمتع أيضاً بنفس الميزة وما تحمله على أجسادها من نقوش وزخارف وخطوط وبقع ، يؤدى الى ارباك أعتى المهاجمين ويتيح لها أن تلتحم بالشعاب وتصبح جزء لا يتجزأ منها .

ومثل هذه الفرصة التى هياها الطقس ، ل تسنح له قط من قبل .

فلم يحدث أبداً أن ألفى نفسه محاطاً بكتل من الأسماك الشهية ، لا تفصله عنها سوى أقدا قليلة ، وتبدو كأنما فقدت كل قدرة على الحركة فضلا عن المقاومة والهرب .

مثلما يتراءى له ــ بالضبط ــ عندما يحلم .

وما كان يبعث على الغضب حقيقة ، انه كان عاجزاً عن اغتنام هذه الفرصة الذهبية ، لأنه كان مثلها ، فاقداً لكل قدرة على الحركة أو التنفس يسيطر عليه خدر كالغيبوبة .

## هروب الطريدة

خفت حدة الشمس اللاهبة مع بدء الغروب فدب شىء من النشاط بين الأسماك الراقدة قرب السطح .

كانوا يعرفون أن أمامهم فسحة ضيقة من الوقت ، سيعود بعدها كل شىء ــ بالرغم من اختفاء الشمس ــ الى أسوأ مما كان ، طالما ظل الهواء معدوماً .

فمع حلول الظلام ، يكف سكان مملكة الكائنات الدقيقة عن التخلص من الأوكسجين ، ويبدأون فى استهلاكه بشراهة . وبذلك يفقد التواجد قرب السطح ميزته الوحيدة .

وخلال الفسحة المتاحة من الوقت حتى حلول الظلام ، كان على هذه الأسماك أن تجد ما تأكله وتعود الى مساكنها ومنتجعاتها الليلية .

وهو ما انتوى الكشر أن يفعله ، عندما مرت بالقرب منه سمكة صغيرة زرقاء اللون ، تمتد على ظهرها شرائط طولية صفراء .

انباه النتوء الحاد الذى يشبه مبضع الجراح ويبرز من بطنها ، أنها من جنس «سحل» الشهير بسمكة الدكتور أو الجراح .

وكان يعرف أن ذيل السمكة يحمل على طرفيه المتباعدين ، شوكتين قويتين تلحقان بمن يتعرض لهما اصابات بالغة .

لكنه لاحظ فى نفس الوقت شيئين مهمين .

أولهما أن السمكة فى حالة من الاعياء البالغ .

والثانى أنها وحيدة تماماً .

فهى تتجول ــ عادة ــ فى أفواج كبيرة ، عندما تتلقف غذاءها من فوق مسطحات الشعاب .

ولم تلتقط أعصابه الجانبية ما يوحى بأن ثمة فوجاً منها على مقربة .

استجمع قواه ، وابتلع كميات من الماء ، ثم

عام خلف السمكة .

وشعرت الأخيرة به ، فبذلت أقصى ما تملك من جهد لتبتعد عنه .

وبدأت مطاردة فى أدغال الشعاب .

فقد انطلق الكشر خلف سحل عبر سهوب من مراوح البحر ، وصفوف من اسفنج بنى اللون على شكل الكأس ، واجمات من المرجان والشقائق ذات ألوان بيضاء ووردية وزرقاء ، وكتل متشعبة بفروع ذهبية اللون .

لمحها تتجه الى فجوة ضيقة – تشبه الكهف – بين صخرتين كبيرتين . فايقن أنها سقطت فى حباله . إذ انباته حواسه وتجاربه بأن الكهف ليس له منفذ آخر .

ورآها تقترب من مستعمرة مرجانية ، ذات فروع بيضاء ، على عتبة الكهف .

وفجأة اختفت .

أبطأ فى عومه وقد انتابه شىء من القلق . فسحل فريسة لا يمكن الاستهانة بها ، وربما كانت تدبر شيئاً .

اقترب فى حذر من مدخل الكهف وقد أرهف كل حواسه .

كانت بوليبات المستعمرة المرجانية الصغيرة منكمشة داخل كؤوسها الحجرية ، فتيسر له أن يتبين على الفور أن السمكة الهاربة لم تتوار بين فروعها .

وجه اهتمامه الى جدران الكهف التى غطاها نسيج كثيف من الكائنات المتشابكة ، فى أشكال وألوان فريدة ، يبدو أغلبها كأنه معلق فى الماء دون أطراف تثبته الى الجدار .

تحاشى أن يدنو من لوامس مجموعة من الشقائق الخضراء اللون ، تدلت فى الماء وخلاياها اللاسعة على أهبة الانطلاق . وابتعد بالمثل عن محقنة بحر ، تشبه قربة بفتحتين بارزتين فوق أنبوبين صغيرين ، تنتظر من يلمسها لترشه بالمياه .

ورغم ذلك ، تأكد له بعد لحظات أن الكهف يخلو تماماً من المنافذ والشقوق التى يمكن أن تهرب منها طريدته .

فأين اختفت ؟

## سلاح الدفاع الاحتياطى

حرك رأسه وهو يمتص المياه . وأدت هذه الحركة الى حركة مماثلة داخل كيس غشائى فى كهف عظمى بمؤخرة رأسه . فقد تدحرج ببطء نتوء جيرى به ، فوق شعرات حسية مغموسة فى مادة سائلة . وانتقلت حركة النتوء على الفور الى المخ .

واصل تحريك رأسه وامتصاص الماء فى الوقت نفسه من اتجاهات مختلفة . وتتابعت حركات النتوء الجيرى الداخلى ، كل حركة منها مختلفة عن الأخرى فى القوة والسرعة ، طبقاً لتنوع الأصوات المحيطة بالكشر .

وكان ثمة خلايا ميكروسكوبية قريبة الشبه بهذه «الأذن الداخلية» ، تنتشر فى سلسلة من الفتحات الدقيقة المتجاورة على طول الجسم ، تعرف بالخط الجانبى ، وتتصل بعصب خاص يمتد الى المخ . وتحمل كل خلية عدداً من الأهداب التى تهتز لأدنى حركة فى الماء ، فيتلقى المخ هذه الاهتزازة على الفور ، ويترجمها الى المعنى المناسب .

وعلى الشفتين والوجنتين والخياشيم ، انتشرت براعم التذوق ، تجمع مختلف الأحاسيس ، وتلتقط الأطعمة والروائح .

لكن أياً من هذه الأجهزة الدقيقة لم يلتقط أثر السمكة . كأنما ذابت كلية فى الماء .

والحقيقة أنها لم تذب فى الماء ، بل انها لم تختلف أصلا . فقد كانت أمامه طول الوقت ، أو على الأصح ، تحت قدميه ، باستخدام التعبير البرى .

فخلال المطاردة ، اكتشفت سحل أمرين :

أولهما ، أن الكشر يلاحقها فى تصميم عنيد ، يبلغ مرتبة الاستماتة اليائسة ، ولا أمل بالتالى فى أن يمل المطاردة وينصرف عنها .

والأمر الثانى ، أنها فى حالة من الاعياء لن تمكنها من الافلات ، ومن باب أولى ، لن تتيح لها الاشتباك معه فى قتال .

استولى عليها الرعب نتيجة لهذا الاكتشاف . وأحدث الرعب نشاطاً معيناً داخل جسدها ، تأثرت له الغدد اللونية ، التى تمثل سلاح الدفاع الاحتياطى لديها .

واذا أبصرت بالمستعمرة المرجانية البيضاء فى مدخل الكهف ، اتجهت اليها رأساً ، بينما كان لونها الأزرق يختفى تدريجياً .

وما كادت تبلغ المرجان ، حتى كان لونها قد أصبح يضاهيه فى البياض ، فيما عدا أثر خفيف من الشرائط الصفراء ، فالتصقت به وتجمدت فى مكانها ، وأصبحت هى والمستعمرة البيضاء كتلة واحدة .

لم يلحظ الكشر ما حدث لأنه كان بعيداً عنها بعدة أقدام ، وهى أقصى مدى لقوة ابصاره .

أما لماذا لم يتلقط رائحتها ، فلأنها – فى دهاء – رقدت فى اتجاه تيار خفيف من الماء حركته نسمة ريح بدأت تهب على السطح . وكان التيار ينساب بعيداً عن أجهزة السمكة المفترسة .

يئس الكشر أخيراً من العثور على السمكة المراوغة ، فاستسلم لفشله .

تحول منصرفاً فلمح رأساً بارزة من بين المرجان لدودة عملاقة من سكانه ، فمد خطمه ليستعيض بها عن الفريسة الضائعة . لكن الدودة التى تعيش فى أنبوب جيرى من افرازها ، أسرعت بالانسحاب داخله ، بل وأغلقت فتحته .

## لماذا يكرهها ؟

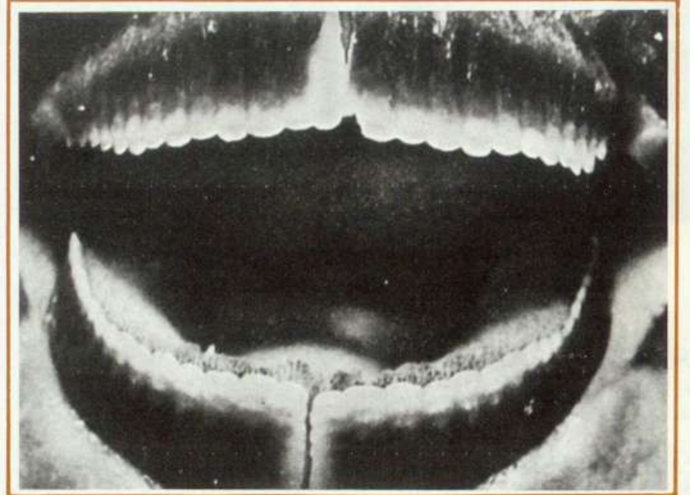
استشاط الكشر غضباً فهاجم الأنبوب . وكان سطح فتحته دون السطح الخارجى للمرجان ، فاصطدم خطمه بالصخر صدمة آلمته .

التقطت حواسه فجأة دورة الهواء المتجدد التى أحدثتها نسمات السطح ، فأقبل يبتلع الماء فى نهم ثم يطرده من فتحتى الخياشيم ، بعد أن يحتجز ما به من أوكسجين .

شعر بحركة فى الماء ، وما لبث أن لمح عدة أسماك على مبعدة تعوم فى هدوء نحو القاع . وتبين الكشر بعد لحظات أنها تختلف فى ألوانها وزخارفها ، فدب فيه الحماس . فقد استنتج من ذلك أنها أفراد متفرقة ، وليست فوجاً من نوع واحد تصعب مهاجمته .

لكنه كان مخطئاً .

فقد كانت الأسماك القليلة جزءاً من فوج كبير من السمكة المعروفة بأبى النوم ، يتبعها عن كثب



تشكل منقار الحريد بحيث يساعدها على نحت المرجان .



تعيش دورة الأنابيب العملاقة بين المرجان داخل أنابيب جيرية تفرزها بنفسها .. وتتغذى هذه الدورة بواسطة لوامس مروحية تراها فى وسط الصورة .. وعند الخطر تتراجع داخل أنبوبها وتغلق فتحته بغطاء جيرى مزود بأشواك بارزة مثل قرون الغزال كما يبدو فى الركن الأيسر العلوى من الصورة .

## الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة !

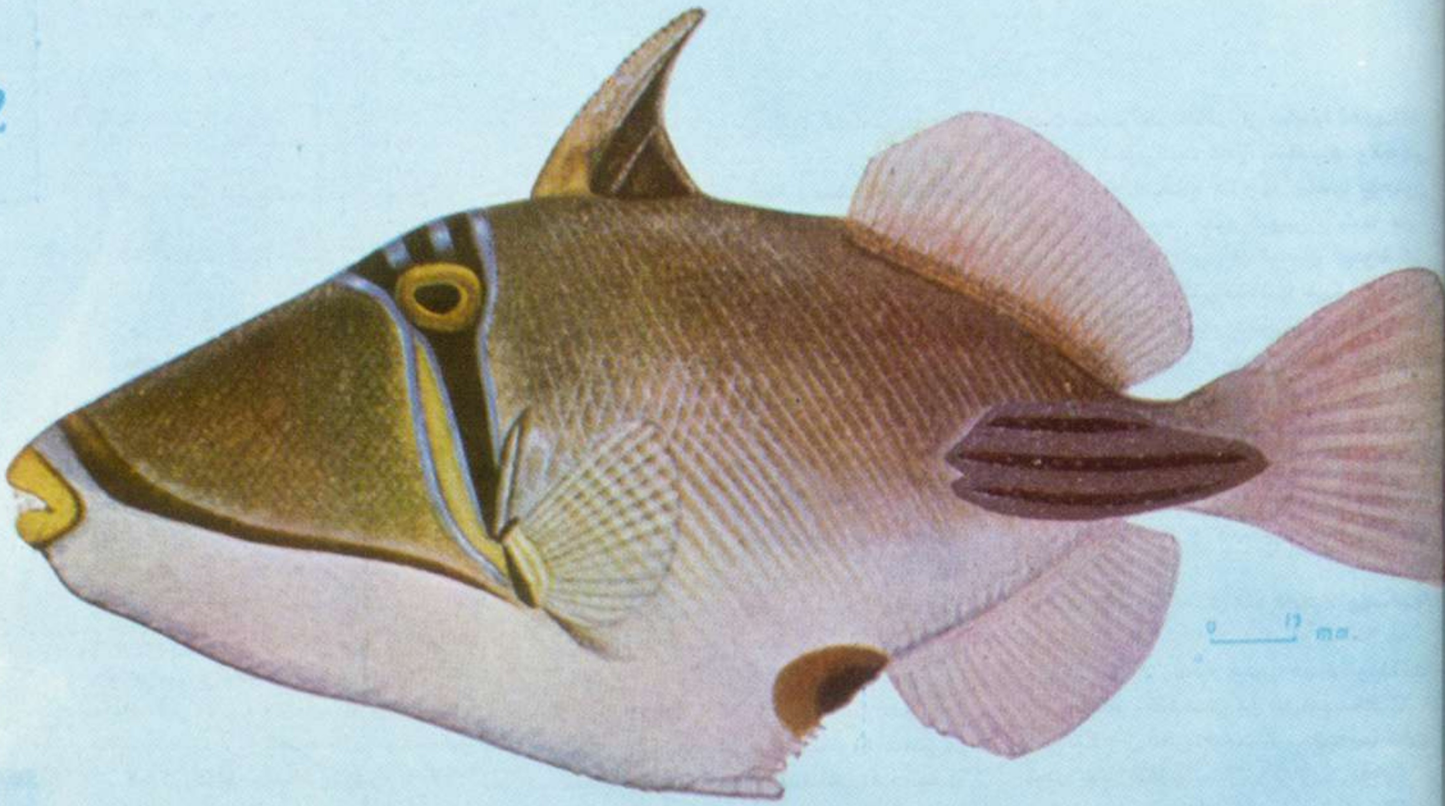
أما اختلاف الألوان والزخارف فلا يعنى اختلاف النوع ، وإنما اختلاف مراحل العمر .

فاصغر سمكة من هذا النوع العجيب ، الذى استبدل الأسنان بمنقار ، لا يزيد طولها عن ١٦ ملم ، وتتميز بلون أسود تعترضه خطوط بيضاء . وباضطراد نمو الجسم يزيد عرض الخطوط البيضاء حتى تصبح بعرض المساحات السوداء

ثم تنقلب الآية بالتدريج ، فيزداد عرض الخطو البيضاء حتى تبدو السمكة بيضاء ذات شرائ سوداء .

أما أكبر هذه الأسماك سناً ، ويربو طولها عل نصف المتر ، فتتميز ببياض سابغ ، تتخلله نق سوداء من أثر الشرائط الغابرة .

وقد تبين الكشر حقيقة الأمر عندما ازد



واحدة من أجمل أسماك الشعاب المرجانية وتوجد فى أماكن مختلفة من العالم ، وتسمى أحياناً بسمكة «بيكاسو» بسبب زخارفها وألوانها الغريبة .



مستعمرة من الحيوان المعروف بالمحقنة البحرية أو بطاطس البحر .

اقتراب الجماعة منه .

كان يحمل كراهية شديدة لهذا النوع من الأسماك ، بسبب ما يصدر عنها من أصوات حادة عندما تحك جانبى المنقار الذى يعلو فكيها ، وهى أصوات تسبب له انزعاجاً بالغاً .

وكان يعرف أنها تبتلع — اذا ما انفعلت — كميات كبيرة من المياه فى جيب خاص بمعدتها مما يؤدى الى انتفاخها بدرجة تخلق لمن يحاول افتراسها عقبة لا يمكن تخطيها .

آثر السلامة فابتعد صوب أحد الممرات ، وعلى وجهه المتجهم ذى العينين الدقيقتين المحدقتين ، أمارات الاستياء .

مر بسمكة من عائلة الخنزير ترقب بيضها الذى أودعته احدى الفتحات . لكنه لم يفكر فى مهاجمتها . فقد كان يعرف أنها الآن فى أقصى حالات الاستنفار والاستعداد للاستبسال فى القتال دفاعاً عن بيضها .

تبع سمكة خضراء ذات زعانف وردية ، تنتشر على جسدها نقاط داكنة ، وزخارف متنوعة .

ورآها تتجه الى مستعمرة مرجانية ذات فروع لينة ، برزت بوليباتها الصغيرة مبكرة

# الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة!

كانت السمكة من أقارب أسماك الزناد المعروفة التى سميت بهذا اللقب بسبب جهاز غريب على زعنفتها الظهرية يشبه جهاز الأمان فى البندقية . ويتألف هذا الجهاز لدى السمكة من شوكتين ، احداهما كبيرة سميكة ، بالغة القوة ، والثانية صغيرة وتقوم بتثبيت الأولى عند انتصابها لتبقى على هذا الوضع مهما حدث .

ظن الكشر انها ستمارس هوايتها فى التهام لحم البوليبات الحية ، فتتعلق بها بواسطة فمها وتجمد فى موضعها موجهة رأسها الى أسفل ، وذيلها الى أعلى ، مما يجعلها فريسة سهلة . لكنها لم تلبث أن اختفت داخل احد الشقوق .

أصيب الكشر باحباط مفاجىء . فما كان يستطيع مهاجمة السمكة فى شقها ، إذسيعوقه خطمه العريض عن ذلك . وكان من العبث أن ينتظر خروجها منه . فقد كان موقناً انها ولجت الشق لتقضى الليل ، وانها الآن آمنة بين جدرانه بعد أن ثبتت شوكتها الكبرى فى السقف لا يستطيع كائن ما ـ فى البحر أو على البر ـ انتزاعها .

وكان يتدبر أمر العودة الى مياه السطح عندما تلقى خطه الجانبى صدمة مفاجئة، فعام نحو مصدرها .

ولم يكد يتقدم قليلا حتى رأى سحابة الرمل .

تحركت خياشيمه بسرعة ، وبدأت عصاراته الهضمية تسيل .

فليس للسحابة الرملية غير معنى واحد ، هو أن «الحدية» تتقيأ .

تنتمى سمكة الحدية الى واحدة من أشهر عائلات الأسماك فى البحر الأحمر ، هى التى تعرف باسم عائلة الحريد ، ويطلق عليها فى البحار الأخرى ، اسم أسماك الببغاء ، بسبب مشابهة رؤوسها وألوانها لرؤوس وألوان الطائر المعروف .

وتتميز الحدية عن بقية أسماك الحريد ، باجسامها الكبيرة التى يربو طولها على القدمين وزعانفها القوية الزرقاء ، وفكوكها الثقيلة المزودة بمناقير ببغاوية .

لكن السمكة التى اجتذبت انتباه الكشر كانت تتميز ـ فوق ذلك ـ بنتوء بارز فوق رأسها ـ بين العينين ـ جلب لها اسم «الحدية أم رأس» .

وتعيش هذه السمكة على المراجين الميتة بعد أن تتحجر وتنضم الى صخور الشعاب . فتقترب منها وهى تلوى رأسها الى أسفل ، ثم تنطح كتلها الصخرية ، محدثة صوتاً واضحاً ، هو الذى التقطته أعصاب الكشر .

وسرعان ما تزيح بمنقارها قطعة من المرجان فى حجم بيضة النعامة . فتطحن هذه البيضة بين أسنان بلعومية قوية ، متضامة وملتحمة بالمنقار الببغاوى ، وتتلقى معدة السمكة المسحوق الناشىء ، فتهضم ما يتخلله من مواد عضوية تخلفت عن البوليبات الميتة ، وتطرد الباقى فتتقيؤه السمكة على شكل سحابة من الرمال البيضاء .

عدة ضربات من الرأس تتلوها عدة هجمات بالمنقار ، ثم سحابة من غبار أبيض يملأ خمسين متراً مكعباً من الماء .

والواقع أن كافة أسماك عائلة الحريد ، التى تضم بين أنواعها الحدية والحريد والحدية أم رأس وأبا ربيع وغيرها ، تتغذى بنفس الطريقة . وقد قدر العلماء أن السمكة الواحدة من هذه العائلة «تنتج» خمسة أطنان من الرمال فى العام .

وتتحلل هذه الرمال فى الماء حتى تبلغ درجة التشبع فتتبلور على شكل صخرى يساهم فى تشكيل القاعدة الحجرية للشعاب المرجانية .

وما كان الكشر ليفكر فى مهاجمة الحدية ذات الرأس القوية ، لكنه ادرك أن سحابة الرمال التى تصنعها ، وتؤدى الى «الشوشرة» على حواس السمك ، يمكن استغلالها فى افتراس سمكة اخرى اقتربت فى هذه اللحظة من أطرافها .

اقتحم السحابة كالسهم مقدراً أنه يستطيع عبورها فى وقت مناسب بحيث يخرج منها الى جوار الفريسة مباشرة ، قبل أن تراه وتشعر به .

لكنه اخطأ التقدير ، فقد بلغت السمكة أطراف السحابة قبل أن يبزغ هو منها ، وسرعان ما اختفت بين طياتها .

أوشك أن ينطلق خلفها عندما اجتذبت انتباهه الظلال اللونية لسمكة عابرة ، فاندفع نحوها .

كانت السمكة من نوع الحريد الفاتن ، الذى تتجلى ألوانه الزاهية فى ضوء النهار وقد امتزجت فيها الزرقة بالخضرة بالاضافة الى ظلال برتقالية تتدرج الى اللون الوردى .

اكتشفت الحريد على الفور أن الكشر يتجه اليها ، فغاصت الى أسفل ، وحاولت أن تتخلص منه مستغلة اللحظات الأخيرة من زحام الغروب فضلا عن معرفتها بالممرات والمتاهات والشقوق مزدوجة الفتحات .

لكن الكشر كان على معرفة جيدة ـ مثلها ـ بأركان الشعاب وخباياه . كما تلاشت البقية الباقية من أشعة الشمس ، وانتشرت الظلمة فى الماء ، فخلت الممرات من العابرين .

أدركت الحريد أن الكشر لاحق بها لا محالة ، فانتابها الهلع وجعلت تتلمس فى لهفة شقاً ضيقاً تتوارى فيه .

فرغم امتلاء جسدها ، إلا انها تتمتع بميزة فريدة ، إذ يمكنها أن تلوى ذيلها فتتحول الى قرص مسطح قادر على النفاذ من أضيق الشقوق حيث يتعسر على الكشر أن يطولها .

لكن الشقوق كانت عامرة بساكنيها ، والخالى منها استقر أصحابه خارجها ، كانما يؤجلون بعض الوقت موعد النوم اليومى .

لم يعد أمامها سوى أن تواصل الهبوط الى الأعماق المعتمة ، التى تتجنبها عادة . وغاص الكشر خلفها وقد أصبح يعتمد فى تحديد مكانها على رائحتها القوية ، بعد أن انعدمت الرؤية تماماً .

وقادته الرائحة الى هيكل ضخم ، غريب الشكل ، تغطيه سحابات من الأسماك وشبكات من البوليبات المرجانية المتنوعة ، وتتخلله فتحات بيضاوية أو مستديرة ، بين ضيقة وواسعة .

تقدم الكشر من احدى هذه الفتحات ونفذ منها ثم توقف مرتبكاً .

فقد انقطعت رائحة الحريد فجاة ، واختفت آثارها تماماً ، كما حدث من قبل مع سحل .

والواقع أن الحريد كانت اقرب اليه مما كانت سحل عند اختفائها .

فعندما مرقت من الفتحة ، توارت على الفور خلف أول كتلة مرجانية قابلتها ، بينما كان جلدها الخارجى يفرز خيوطاً شفافة من سائل مخاطى ما لبث أن التف حول جسمها كالملاءة .

وحجبت الملاءة العجيبة رائحتها عن حواس الكشر .

## مولد مستعمرة

لم يكن الجسم الغريب سوى بقايا سفينة ضخمة ، اصطدمت منذ سنوات بصخور الشعاب وغرقت ، فاستقر هيكلها فوق قاع رملى على عمق حوالى خمسين متراً .

وكان ذلك بمثابة الفصل الأول فى واحد من كتب الحياة المألوفة بالبحر .

فلم تمض أيام قليلة ، إلا وأصبح الهيكل الغارق محوراً لحياة حيوانية نشطة ، بسبب عاملين .

أولهما انه يقدم مجموعة من التجاويف والممرات والشقوق تصلح بمثابة مساكن جاهزة لأفواج الأسماك .

والثانى انه يمثل اطاراً يمكن أن تنمو فوقه الأشكال الحيوانية الثابتة مثل المرجان .

فلم تلبث المياه أن حملت الى الهيكل الغارق يرقة دقيقة للغاية ، على شكل كمثرى تغطيها الأهداب ، تعجز العين المجردة عن تبينها . واستقرت اليرقة على سطح نظيف لم تلوثه بعد افرازات الحيوانات أو بقايا موتاها ، فتوفر لها أهم شرط لنموها . وبعد أن كونت قرصاً قاعدياً التصق بسطح السفينة ، بدأت على الفور تفرز كأساً جيرياً من كربونات الكالسيوم التى امتصتها من المياه .

وعندما اكتمل تكوين الكأس ، كانت اليرقة

نفسها قد تحولت ـ فى قاعة ـ الى بوليب رقيق، عبارة عن أنبوب رفيع من الأنسجة الشفافة يتوجه فم تحف به ملابس كبتلات الزهور. وما لبث هذا البوليب أن نما وتفرع مكوناً مستعمرة كاملة من عشرات البوليبات.

وهكذا ولدت من بوليب واحد لا يزيد قطره على ثلاثة ملليمترات، مستعمرة يبلغ حجمها عدة أقدام، ويرتبط أفرادها سوياً ارتباطاً وثيقاً يبلغ درجة الاشتراك فى قناة هضمية واحدة.

وتتابع وصول اليرقات التى نمت مكونة مستعمرات متباينة الألوان والأشكال غطت الأسطح والممرات الصدئة للسفينة الغارقة.

فالبعض تشكل فى دوائر غير منتظمة من الوسائد أو الأوراق الشوكية المسطحة. وتجمع آخرون فى كتلة هائلة يتألف سطحها الخارجى من اخاديد ملتوية تشبه تلافيف المخ البشرى.

وبرز البعض الآخر فى فروع تشبه القرون الملكية لوعل ضخم. وتفرع غيرهم برشاقة مثل باقة من الزهور المتألقة المشعة. وازدهر الأعضاء البالغو الرقة من الأسرة المرجانية مثل مراوح البحر العريضة، وسياط البحر الرفيعة، التى لا تجمعها هياكل جيرية، وإنما تغطى نفسها بدلا من ذلك بافراز جلدى سميك.

وخلال ذلك انضمت جيوش من الاسفنج والطحالب الخضراء الى حطام السفينة، فتدلت من هيكلها المتعرج المتآكل مثل الحشائش فى غابة استوائية.

وسرعان ما انتشرت فى أرجائها الحلازين والمحارات والبزاقات، والمحاقن البحرية التى تشبه القرب المنتفخة. واستقرت جماعات الأسماك فى الأركان المختلفة.

أرهف الكشر حواسه وهو يعوم فى بطء وحذر فى أنحاء الهيكل الغامض، وغضبه يتصاعد شيئاً فشيئاً.

فقد شعر أن الحريد افلتت منه، وأن لا أمل فى اصطيادها.

بل لا أمل فى اصطياد شىء بالمرة، فى هذا المكان الحافل بالسكان.

فقد كانت الأسماك تتنبه لوجوده من قبل أن يحس بها، فتتوارى على الفور فى فجوات وأركان لا يستطيع بلوغها أو تتجمع فى كتل متراصة لصق أحد الجدران، مستمدة من تجمعها الحماية الكافية.

مرت من أمامه جماعة محدودة العدد من أسماك صغيرة الحجم للغاية، ولفت انتباهه انها لم تكن تتحرك فى تشكيل منتظم متلاحم كعادة الأفواج، وإنما صنعت كتلة شبه كروية كان كل فرد داخلها يعوم بزاوية مختلفة عن الآخر.

شجعه هذا الوضع على أن يغامر باختطاف أقرب الأفراد اليه، فاندفع نحوه فى هجمة صاعقة.

شعرت الجماعة بحركته، وبدلا من أن يلوذ أفرادها بالفرار ازدادوا قرباً من بعضهم البعض حتى تحولوا الى كتلة متماسكة، ثم استداروا جميعاً فى لحظة واحدة لمواجهته.

وفى اللحظة التالية انفجرت فى وجهه كشافات من الضوء المبهر.

كان الكشر يواجه احدى أسماك البحر الأحمر المثيرة التى تعيش فى أعماقه وتسمى بالفوتوبلافيرون.

وتحمل هذه السمكة الصغيرة، التى يمكن أن تضمها قبضة انسان بالغ بسهولة تامة، عدة مليارات من بكتريا بالغة الدقة، داخل جيب خاص أسفل كل عين من عينيها.

وتعيش هذه البكتريا على امتصاص دماء السمكة، فتستمد منه حاجتها من السكريات والأوكسجين. لكنها تتفاعل مع هذه المواد بصورة فريدة تؤدى الى توليد الضوء.

وتتضاعف قوة هذا الضوء بفضل طبقة من البلورات الفضية داخل كل جيب، تقوم بتركيزه. كما يحمل الجيب على جداره الخلفى طبقة أخرى من مادة لونية معتمة تحول دون تسرب الضوء خلف الجيب، كى لا يحرم السمكة من القدرة على الرؤية.

ورغم أن هذا الضوء يتوهج بصورة مستمرة طالما ينبض قلب السمكة، فانه يظهر ويختفى حسبما تشاء بفضل طية جلدية أسفل كل جيب، يمكن أن ترتفع لتغطى المنطقة المضيئة كلها، مثلما يفعل جفن العين البشرية عندما ينزل ـ على العكس ـ فوقها.

جمد الكشر فى مكانه وقد أعماه الضوء المفاجىء غير المألوف، وشل قدرته على التفكير. وفجأة اختفى الضوء كما ظهر.

فقد رفعت الأسماك الصغيرة جفونها، واخفت كشافاتها.

اندفع الكشر غاضباً الى المكان الذى صدر منه الضوء، فلم يجد أثراً للأسماك الصغيرة.

جمد فى مكانه حائراً ثم استدار فى بطء، واذا بالضوء يسطع أمامه مباشرة، كاشفاً عن جدار بينهما تتوسطه فوهة دائرية فاغرة، كانت فى الماضى نافذة لاحدى ممرات السفينة الغارقة.

اتجه نحو الفوهة كالقذيفة العمياء، ولم يكد يبلغها حتى تلاشى الضوء مرة واحدة، فاصطدم بحافتها الحديدية.

أثارت الصدمة آلام جانبه التى تمخضت عن



معركته مع جاره، فتضاعف غضبه، وتمكن فى صعوبة من النفاذ بجسمه الممتلىء خلال الفوهة.

أصبح داخل القمرة الحالكة الظلمة، وفى هذه اللحظة عاد الضوء من جديد، صادراً هذه المرة من قاع القمرة.

وعلى مدى الدقائق التالية، ظهر الضوء ثم اختفى فى أماكن مختلفة متباعدة، مجتذباً الكشر الهائج كل مرة الى محاولة فاشلة للامساك به أو مهاجمته، وقد وقع فى فخ المناورات التى تلجا اليها الأسماك المضيئة الماكرة عندما يتهددها الخطر.

وفى احدى المرات فوجىء الكشر بالضوء قريباً منه للغاية، فانتابه الذعر، وتراجع الى الوراء فى حركة عنيفة، فارتطم ذيله بحائط معدنى صلب.

وفضلا عن الألم الذى أحدثته هذه الصدمة، فانها كانت كافية لأن تفتح باباً أوهنت الرطوبة والمياه من مفاصله على مدى السنوات المنصرمة، ولم يكن ينتظر سوى دفعة صغيرة ليكشف عن محتوياته.

واستدار الكشر فى حنق ليتبين سر الحركة المفاجئة التى شعر بها خلفه، فاذا به يرى كشراً آخراً أمامه.

والذى حدث أن الباب المفتوح كان يحمل مرآة مثبتة على مصراعه الداخلى، فسقطت أضواء الكشافات السميكة عليها، وتبدت للكشر صورته.

لكن المخ الصغير للكشر لم يدرك غير شىء واحد، هو أن جاره الذى اعتدى عليه بالأمس وأحدث به اصابات مازالت تؤلمه، قد لحق به ووجه اليه اللطمة التى أصابت ذيله، وأنه يبغى الاستيلاء على صيده الخاص.

وفقد الكشر صوابه.

ودون تفكير، ألقى بنفسه على عدوه.

وبالطبع ارتطم بسطح المرآة ارتطامة قوية آلمته فعاود مهاجمتها بعنف.

لكن عدوه بقى أمامه لا يريم.

هاجم المرآة للمرة الثالثة. وفى هذه المرة تحطمت وتناثرت قطعها فى الماء.

وفوجىء الكشر باختفاء عدوه كما سبق أن اختفت فرائسه واحدة بعد الأخرى بطريقة غامضة.

جن جنونه فانقض على قطع الزجاج المتناثرة وابتلعها فى عصبية، بينما كانت الأسماك الصغيرة الداهية تتسلل خارج القمرة فى سكون.

وكتب الجهاز الهضمى للكشر النتيجة المحتومة لثورته العمياء، والنهاية المأساوية لأحداث اليوم كله.

فهو ـ رغم قوته ـ لا يستطيع هضم الزجاج.

ولم تكد الشمس تشرق فى الصباح، حتى سقطت أشعتها ـ أول ما سقطت ـ على جثة الكشر المنكود وقد طفت فوق سطح البحر!

صنع الله ابراهيم

الفنان القطري يوسف أحمد :

# بين الحرف العربي وقضايا التراث

جمال قطب

ثلاث لقطات .. الأولى للفنان القطرى يوسف احمد .. ثم لوحتان للفنان يمثلان تشكيلات الخط العربى فى أعماله

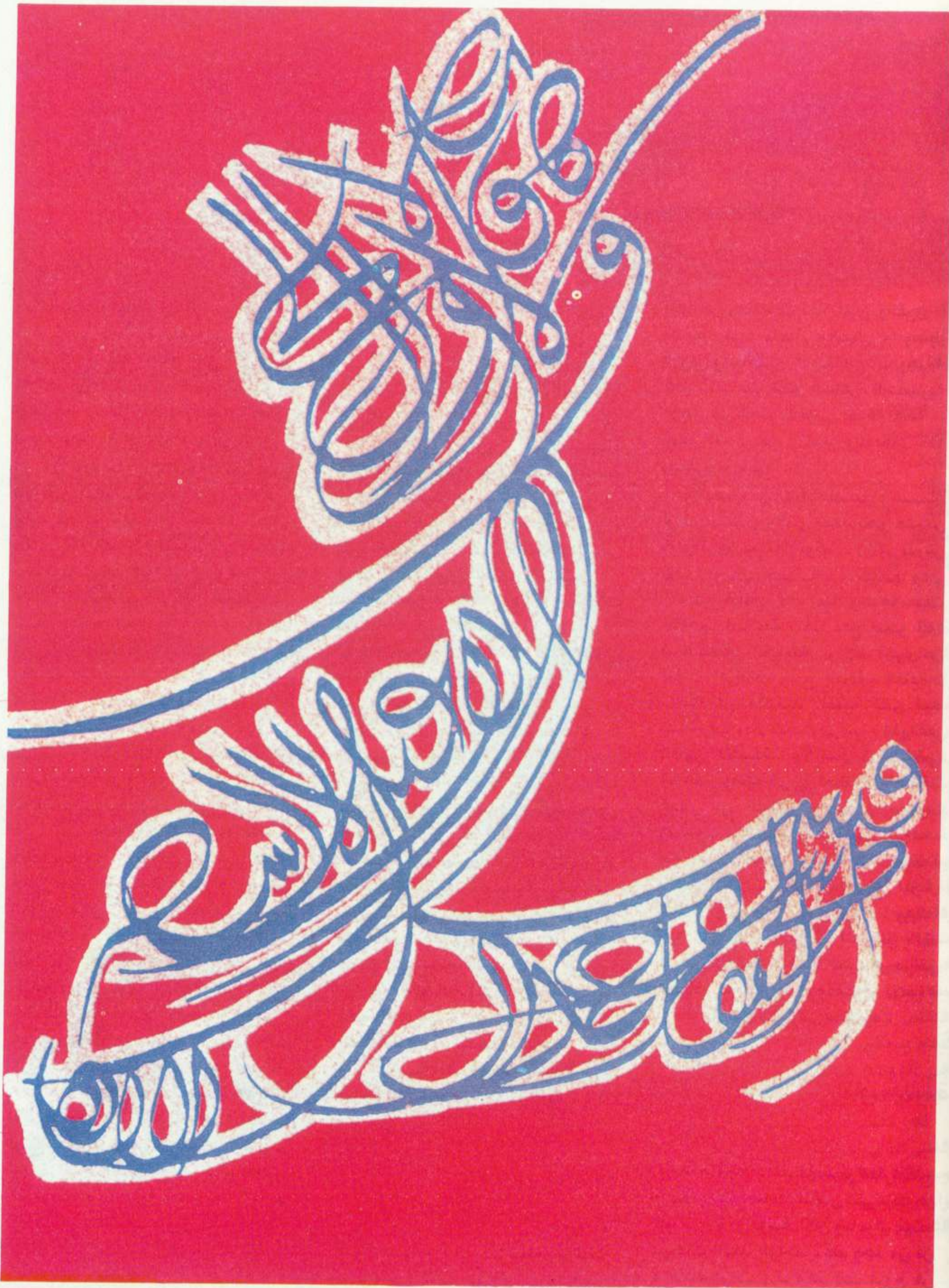




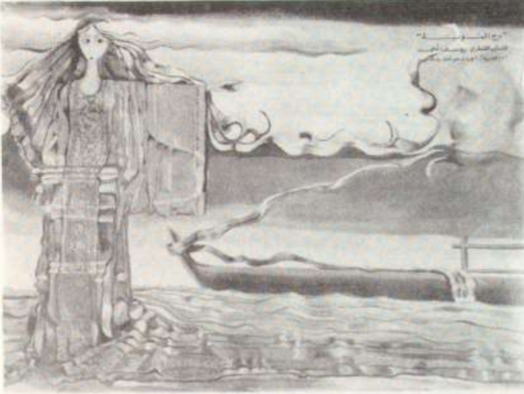
المتتبع لمسيرة الفن القطرى ــ وهى من أحدث مظاهر الحضارة المعاصرة ــ يجد أن حركة الفنون التشكيلية لم تكمل بعد العقد الأول من عمرها ، فعشر سنوات أو نحو ذلك ، من الاهتمام بالفن ، ليست بالمدة الكفيلة ببلوغ التألق والازدهار ، ولكنها سنوات مثمرة خيرة ، أصيلة فى عطائها ، نبيلة فى فحواها ومرماها ، وكان لابد لهذه الحركة من أن تنمو فى أحضان النهضة الثقافية الشاملة ، تلك التى تفتحت عليها عقول القادة والمسئولين بالبلاد . فنجد أن الفنان القطرى لم ينسلخ أبداً عن تراثه وعاداته البيئية الراسخة فى وجدانه ، ورأينا الرعيل الأول ، وقد التصق التصاقاً عضوياً بأرضه وتقاليده ، ولم يشتط فى معالجته ( التكنيكية ) التى جرفت معظم الفنانين فى العالم الثالث . ولكنه التزم من حيث الموضوع والشكل معاً بما يتفق ومفاهيم المواطنين الذين يسعون حثيثاً إلى تعويض مافاتهم من استكمال البناء الفكرى والتذوق الجمالى وهذا ، إن دل على شىء ، فانما يدل على دعامتين هامتين فى العمل الابداعى : تقدير المسئولية وصدق الأداء !

## المضمون من البيئة

وكان فناننا يوسف أحمد ــ رغم



# بين الحرف العربي وقضايا التراث



حداثة سنة وثقافته الفنية ـ يمثل حجر الزاوية فى كل النشاطات فى السنوات الأخيرة ، فقد جعل من الأساليب المعاصرة المستحدثة ، مجرد تطوير فى المعالجة ، أما المضمون فكان ومازال دائماً مستمداً من البيئة والتراث .

بدأ ممارسته الطليقة منذ بضع سنوات بأسلوب تعبيرى بين التأثيرية والرمزية .. وكان فى مجمله تعبيراً متحرراً ذا أصول واقعية . واستهوته أبحاث ( البعد الواحد ) أو ما يعرف عالمياً ( بالكاليجرافى ) ، فغاص فى أعماق ( الحرف العربى ) ، وجعل من الحروف والكلمات تشكيلات بصرية معالجة بتجريدات لونية مختلفة ، وسرعان ما اتخذت لوحاته طابعاً خاصاً به ، واكتسب شخصية مميزة . ووصل فى هذه الاجتهادات إلى درجة مبشرة ، وأصبح علماً فى جميع المعارض القطرية المحلية والدولية . وقبل سفره إلى أمريكا كان دائب الحركة لا ينقطع عن البحث والممارسة ، وكان يراعى مقتضى الحال ، ويميز بين ما يعرضه فى ( معارض الهواء الطلق ) بالدوحـــة والأقــــاليم القطرية ، وبين ما يمثل الفن القطرى فى المعارض الدولية .. وكثيراً ما تنازل طواعية عن أعماله التى استأثرت بجل اهتمامه فى أبحاث البعد الواحد ، وصاغ لوحاته بأسلوب أقرب إلى الواقعية ، لكى يخاطب أكبر عدد من الجماهير القطرية .. ولكنه فى كل الأحيان يؤدى موضوعاته بمسـطحات لونية تصل بلوحاته فى شكلها العام إلى وحدة بصرية هى أقرب إلى التجريد اللونى ، ولم تستول عليه دقائق اللوحة أو تستأثر باهتمامه ، ومن هذا المنطق ، حافظ على شمولية التكوين ، واكتسب شخصيته المميزة !

## الدراسة الفنية

ومنذ عامين ، ذهب يوسف أحمد إلى أمريكا لدراسات فنية تكميلية فى التصوير الزيتى .. ووجد الفرصة مهياة بغير حدود للبحث عن قيم جديدة تتسم بحرية التعبير تحت لواء التجريدية الحديثة وتشجع الفكر الذاتى للفنان . ومن المعروف أن أبحاث ( التكنيك ) التى تعنى بالشكل والبناء الهندسى ، أصبحت هى السائدة حالياً فى مجالات الابداع الغربى بشكل عام . ولاشك أن هذا الاتجاه قريب كل القرب لروح الفنان واهتماماته بأبحاث البعد الواحد وتشكيلات الحرف العربى ، وهو ما يدخل فى نطاق التجريدية بمعناهـــا الشمولى .

وساقت له الأقدار أحد أساتذته الصينيين وهو ( دكتور وو ) خبير الفنون الشرقية ، والذى يقوم بتدريس فن الخط الصينى ، ولم يكد يوسف أحمد أن بهرته تشكيلات الحروف الصينية ـ وهو الذى يهيم حباً بالحروف العربية ـ فأتخذ من هذه المقارنة الفنية الرائعة مادة لبحثه الذى يعكف عليه حالياً .. ويقول الفنان :

« إن الخط الصينى ـ وهو من أعرق الفنون الشرقية ـ يبلغ فى عراقته مبلغ الهيروغليفية ، المصرية ويعتمد مثلها على التكوينات التجريدية ، مكوناً جملا هى فى الحقيقة لوحات متكاملة » !

## الابداع والوعى

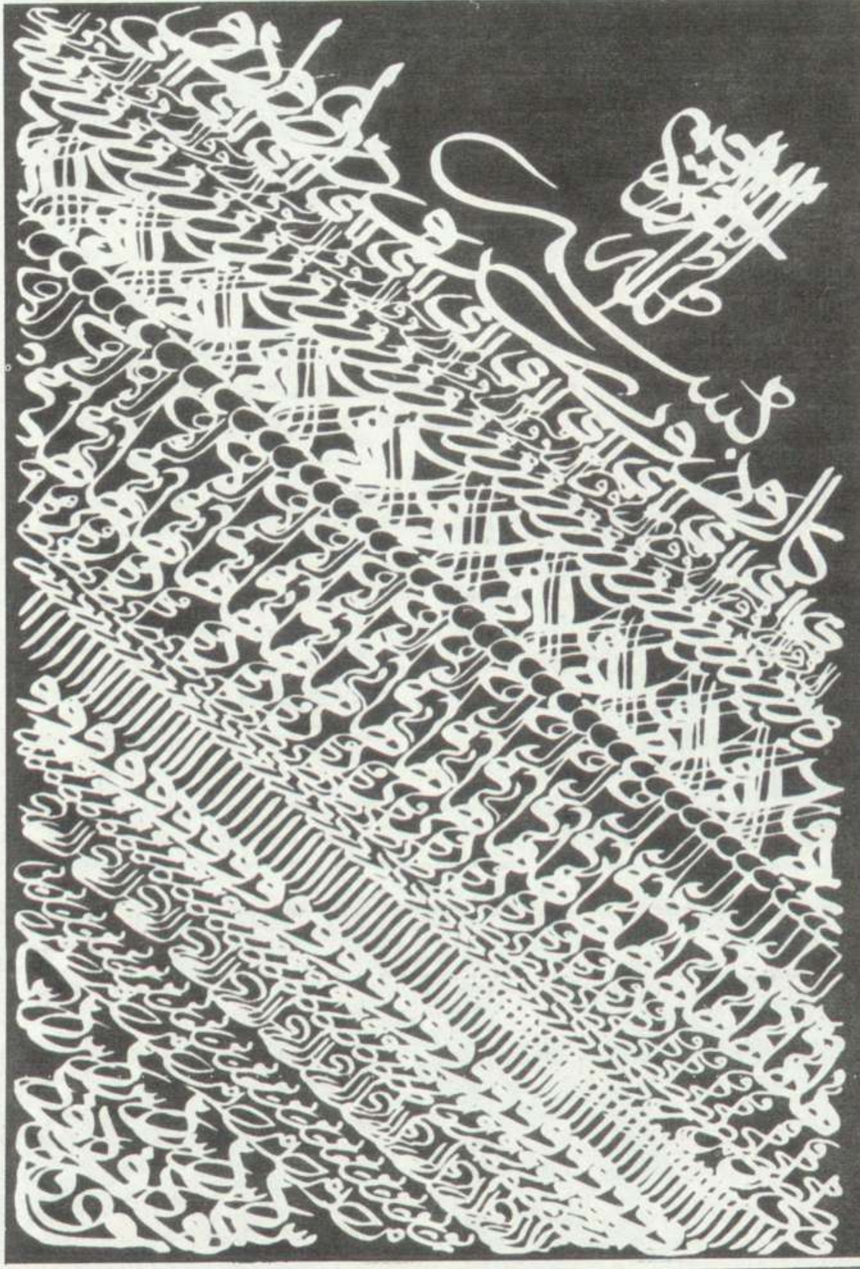
والحياة فى أمريكا بالنسبة لفنان عربى شاب ، تبدو مثيرة ومبهرة للغاية : المعارض والمتاحف تملأ المدن والقرى .. والعمل فيها بالليل والنهار .. وسيل الزوار والباحثين لا ينقطع .. وحركة الفن التشكيلى تمثل الظاهرة الحضارية الأولى فى الفكر الغربى بصفة عامة .. ويلقى الفنان من التقدير والتبجيل مالا يحظى به غيره ..

ولنتصور أن مدينة مثـــل ( ســـان فرانسيسكو ) والتى تبعد نحو عشرين كيلومتر من مدينة ( أوكلاند ) التى يدرس فناننا يوسف أحمد باحدى كلياتها وهى ( ميلز كوليج ) ، بها وحدها مئات المتاحف النوعية ، كما تعج بنحو ألف قاعة للفنون الجميلة ، وآلاف أخرى من قاعات المزادات وبيع التحف الفنية ! ناهيك عن المجلات الفنية التى تعد بالعشرات ، ولا تبحث فى شىء آخر غير الفنون الجميلة ! ولا تسل كيف يقضى الفنانون وقتهم فى أى لحظة من لحظات النهار أو الليل .. فالفنان مطلوب ومرغوب ، تتهافت الناس على انتاجه ، وتغمره المحافل والمنتديات الفنية بالدعوات لاستضافته وإفساح المجال لأعماله وعرض آرائه وأفكاره ! وهكذا وجه الحضارة المشرق .. إنه الفن ، لقد أصبح اللمسة الواعية على كل مرافق الحياة المعاصرة ! وأصبح الابداع مرادفاً للوعى فى أرقى مظاهره !

## آفاق جديدة

من هذه الأجواء المعبقة بعطر الفكر تتفتح الآفاق رحبة فسيحة للفنان لكى يزيد من خبراته ، ولأن يوسف كان وما يزال مهتماً بأبحاث البعد الواحد ، فقد وجد من فن ( الليثوجراف ) ـ وهو أحد فروع فن

الى اليمن ــ لوحة «دح المويه» وهو الثوب الشعبى القطرى القديم .
والى اليسار ــ لوحة توضح جمال وابداع الخط العربى داخل التشكيل الفنى .



الحفر ــ بغيته ، حيث يستطيع استنساخ العديد من اللوحات المطبوعة بألوان مختلفة من أصل لوحة واحدة !

ونجحت تجاربه فى الليثوجراف ، واستمر فى الممارسة العملية على يد أساتذته من أمثال : أورنالد بومباديرو ، رولف دوكاس ، روبرت ديمار ودكتور وو فنان الخطوط الصينية ومع كل هؤلاء سيظل الحرف العربى هواه الدائم فى دراساته وأبحاثه التقنية المتقدمة .

وبنفس الحركة والنشاط المستعر فى نفس الفنان ، لم يكف عن إقامة المعارض .. ويتردد اسم قطر فى الدوائر الفنية الأمريكية : ففى مارس ١٩٨١ أقام معرضاً خاصاً لأعماله فى مدينة ( بافالو ) وهى إحدى مدن ولاية نيويورك على الحدود الكندية والتى تعرف بشلالات نياجرا الشهيرة ، وقد لاقت المعروضات استحساناً لما حوته من عناصر التراث والحرف العربى وتشكيلاته الجميلة . ومعرض آخر ، يعد له الفنان منذ الآن ، حيث تقوم السفارة القطرية على اقامته فى إحدى قاعات سان فرانسيسكو ، ثم ينتقل إلى واشنطن فى شهر يونيه من العام الحالى . ومعرض ثالث دعا إليه المركز العربى الثقافى ( التابع للجامعة العربية ) ليقام ببعض المدن الأمريكية ، ثم ينتقل إلى الدوحة ليكون أول معارض الفنان عند عودته فى الصيف القادم .

لقد كانت هذه ومضة من الاشعاع الفنى الذى يشرق على الأرض القطرية .. وسرعان ما يعم الآفاق بنور الفكر والمعرفة فى المستقبل الزاهر إن شاء الله .

جمال قطب

## يوسف أحمد فى سطور

● تخرج عام ١٩٧٦ فى كلية التربية الفنية بالقاهرة .

● عمل موجهاً للتربية الفنية عقب عودته ، ثم انتقل إلى إدارة الثقافة والفنون رئيساً لقسم الفنون التشكيلية بها .

● اشترك فى جميع المعارض المحلية والخليجية والدولية التى تمثل الفن القطرى فى هذه المحافل .

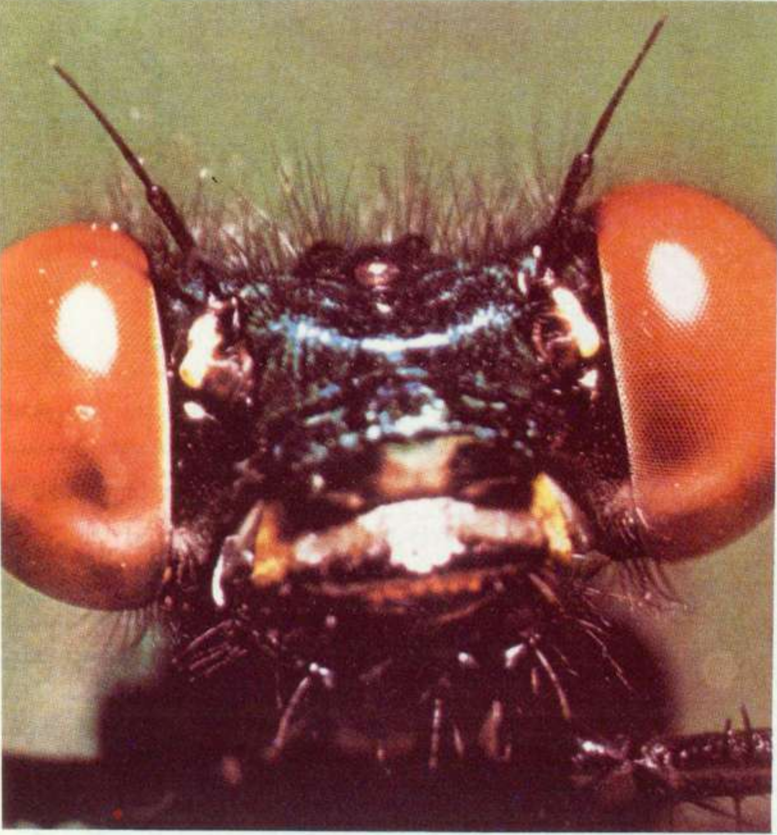
● استحدث فكرة ( معارض الهواء الطلق ) مع زميليه حسن الملا ومحمد علي وطافت هذه المعارض معظم المدن القطرية .

● فاز بعدة جوائز وشهادات تقدير ، كان آخرها من معرض روما فى أكتوبر ١٩٨١ .

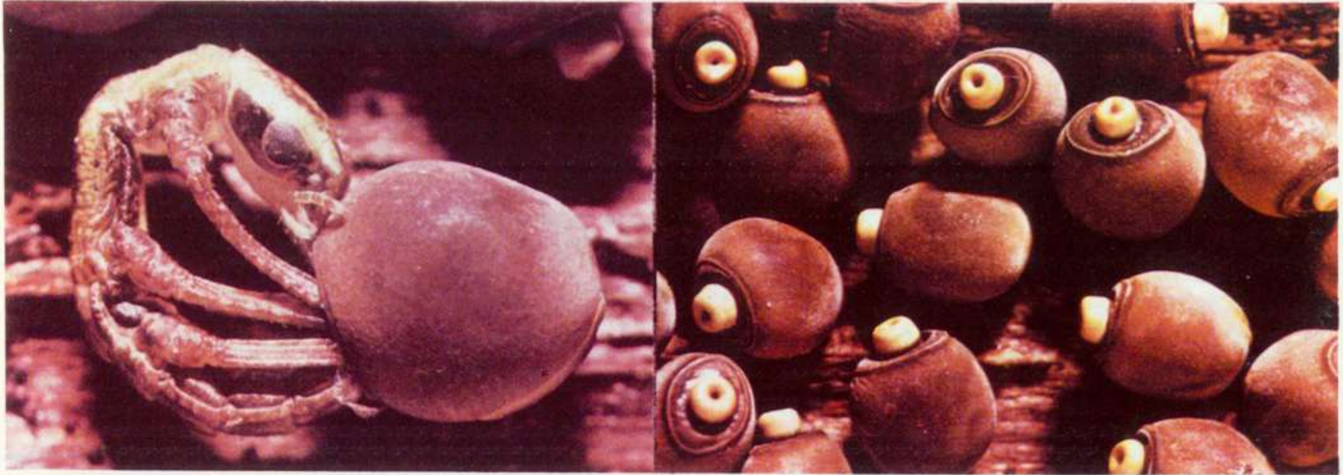
● أوفد فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات للحصول على ماجستير فى الفنون الجميلة ( من يونيه ١٩٧٩ الى يونيه ١٩٨٢ ) من كلية ميلز بأوكلاند ، وهى إحدى مدن ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

# لقطات من الكون المثير

## خلايا ضوئية .. فى تصميمات اليكترونية ؟!



كانما هى جهاز اليكترونى ذات أسلاك وتوصيلات وملفات وتصميمات متداخلة ومعقدة أشد التعقيد ، وهى فعلا كذلك ، لأن الصورة لرأس نوع من أنواع الذباب ، ولقد جاءت بهذا المنظر المخيف ، لأنها مكبرة حوالى ١٨ مرة ، وكلما كانت درجات التكبير أعظم ، ظهر المنظر أبشع ، والتفاصيل أوضح ، لكن حمداً لله أن جاءت هذه الكائنات باحجامها المناسبة ، وإلا لحسبناها مخلوقات أخرى جاءت من الفضاء ، وأكثر ما يجذب النظر فى هذه الصورة هما العينان الكبيرتان اللتان تبرزان على الجانبين ، فاصبحتا أكبر من رأس الحشرة ، وهذا ينبئك بان الله يخلق ما يشاء بغير حساب .. ولو دققت النظر فى احدى العينين ، لوجدت أن كل عين مركبة من عدد كبير من العوينات التى تبدو كنقط صغيرة ، وهى هنا أشبه بالخلايا الضوئية ، إذ عندما ينعكس عليها الضوء ، فانه يتحول الى نبضات عصبية كيميائية اليكترونية ، لتصب فى مركز الابصار فى رأس الذبابة ، وبهذا تستطيع أن ترى عالمها بالصورة التى تلائمها ، ولكل خلق ما يناسبه .



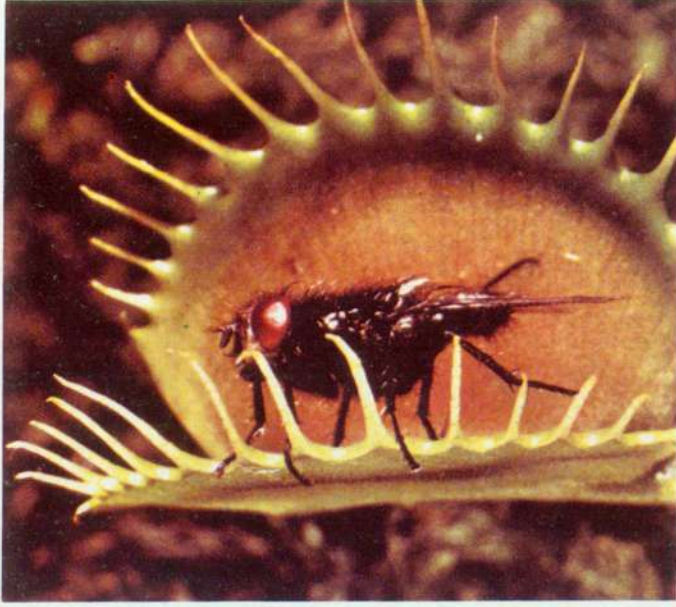
## قماقم .. أم قنابل ؟

من أول نظرة قد تحسبها قنابل أو قماقم أو «شيكولاته» بيضاوية من ذلك النوع المزود بحلية لتعطيها شكلا ومذاقاً خاصاً يجذب اليها الآكلين ، أو قد تكون أى شىء آخر يطوف بالبال ، لكن كل ما خطر ببالك ، فالصورة غير ذلك ، لأن ما نراه هنا ليس إلا «قماقم» أو أوعية تحمل فى داخلها كائنات خافية عن عيوننا .. هلى عرفتها ؟ .. إنها بويضات حشرة اسمها «الحشرة العصا» ، لأن الحشرة ذاتها تشبه الأغصان الجافة ، ولقد جاءت البويضات بهذا الشكل والحجم الواضح ، لأنها مكبرة حوالى ١٨ مرة ، وعندما يتطور «الجنين» فى داخلها ويكتمل ، نراه يضغط على الغطاء المميز أو «المختوم بسدادة» صفراء ، وكأنما هو يفتح «صندوق» الحياة ، ليخرج الى الحياة كأى كائن آخر .. ولكى تتبلور هذه الحقيقة فى أذهاننا ، فلا أقل من عرض صورة للخروج أو «البعث» من توابيت أو قماقم الحياة .. ما عليك إذن إلا أن تلقى نظرة على الصورة الأخرى المنشورة هنا ، لترى ما يخفى علينا من غرائب الحياة .

ثم خروج «المارد» من القمقم ، أو اليرقة من البويضة (الصورة مكبرة حوالى ٣٠ مرة) .. لكن كيف تكور هذا «العملاق» داخل هذا الحيز الضيق ، وكأنما هو يعيد الى أذهاننا أسطورة الجنى والقمقم ؟ .. الواقع أن ذلك يرجع الى مبدأ اقتصادى من مبادىء الحياة ، نعنى تصميم أكبر قدر ممكن من التكوينات الحية ، داخل أقل حجم ممكن من الحيز أو المكان ، دون اخلال بما هو كائن وسيكون !

# نبات يأكل الحيوان

أن يأكل الحيوان النبات ، فهذا أمر طبيعى ، ولا يشذ عن المألوف ، ومع ذلك ، فلكل قاعدة شواذ ، إذ قد تنعكس الصورة ، فيعيش النبات على التهام اللحوم ، وكأنما قد جاء « بمعدة » يهضم بها ما أكله .. وهذا هو الحادث تماماً ــ مع الاختلاف بين معدة حيوان ونبات ــ فالصورة (الى اعلى) توضح كيف انعكست الآية ، إذ عندما جاءت هذه الذبابة لتتغذى على الرحيق السكرى الذى تفرزه الورقة ، لتستدرج به الحشرة ، ينقلب الأمر ، فيصبح الآكل مأكولا ، أو الصياد صيداً .. والفكرة التى قامت عليها حياة هذا النبات اعمق واتقن من فكرة الفخ التى تمخضت عنها عقول البشر ، إذ عندما تحط الحشرة على الورقة ، نراها وقد تحركت ببطء وحرص حتى لا يحس الصيد بحركة الفخ الذى يضم شقيه وكأنما هما يتحركان على مفصلات ، وبالفعل تطبق الورقة على الحشرة (الى أسفل) ، وتفرز عليها عصاراتها الهاضمة ، فتذيب أو تهضم لحمها ، ثم تمتصه على هيئة أحماض أمينية ، فتوزعها على أنسجة النبات المختلفة ، لتبنى بها بروتيناتها ، وهذا ما يحدث تماماً فى معدتنا وأمعائنا ، فكأنما هذه الورقة قد ضربت عصفورين بحجر واحد .. لكن ، لماذا هذا الشذوذ عن المألوف ؟ .. لأن مثل هذه النباتات تعيش فى ارض فقيرة بالمركبات النيتروجينية وكان لابد للحصول عليها من مصدر آخر ، فتحورت أوراقها لتعيش على اللحوم .. وكل مخلوق قد جاء لما هو ميسر .






كمال الشناوى فى دور العم ، وقد ارتضى بحياته المتواضعة بعد رحلة طويلة من التجارب

# الخروج من الظل

## بين السينما التسجيلية والسينما الروائية

## وتساؤلات يثيرها فيلم مصري جديد

بقلم : رءوف توفيق

فنانو السينما التسجيلية فى وطننا العربى .. يعيشون غالباً فى الظل .. اسماؤهم غير متداولة ، وغير مشهورة .. وأفلامهم لا تعرض الا نادراً وفى المناسبات .. ربما من خلال مهرجان سينمائى لا يتابعه غير النقاد والمهتمين أصلا بالسينما .. وربما من خلال هوجة حماس لعرض بعض هذه الأفلام فى القرى والمدن الصغيرة ، كنوع من التوعية ، وشحذ الهمم .. وغالباً ما يستقبلها الجمهور فى تلك الأماكن ، بنوع من عدم الارتياح .. لأنهم عندما يجلسون امام شاشة السينما .. فهم يتوقعون ان يروا النجوم الذين يسمعون عنهم .. ويروا حدوته فيها الشجيع والمغامر الذى يدخل فى معارك ومآزق لانقاذ حبيبته !!

العامل ( احمد بدير ) في محلج القطن قبيل أن يبوح بالحقيقه



المخرج بشارة



المصور محمود عبد السميع

والسينما التسجيلية ليس فيها نجوم .. وليس فيها حدوتة .. وليس فيها مطاردات عسكر وحرامية .. أو مغامرات عشاق .. أو خيال مؤلفين يعرفون كيف يقدمون الوهم .. ويبيعون الاحلام .. ويمسكون بأنفاس المتفرجين !

فهى سينما تعتمد على الواقع .. ومادتها لا تخضع لأى خيال .. وانما من قدرة فنان على الملاحظة .. والاختيار من الواقع ، لأعادة صياغته داخل أطار فكرة تعرض فى دقائق قليلة .

والسينما التسجيلية .. لها تاريخ طويل ، ومدارس متعددة ، ومعروفة فى العالم أجمع ... كأخطر الفنون المرئية .. لقدرتها على التعبير المركز ، والتأثير السريع .

وفى الدول المتقدمة يعاملون السينما التسجيلية باحترام شديد .. ويضعونها فى أهمية السينما الروائية .. وربما قبلها !

اما عندنا .. فالوضع مختلف .

انها سينما من الدرجة الثانية .. لاتحصل الا على الرعاية الأقل .. وفتات الأهتمام !

سينما تكاد تكون سرية .. يصنعها فنانون مجهولون ، قد يقضون طوال حياتهم فى صراع من أجل تقديم افلامهم .. على أمل ان يراها أحد .. ويعيشون على هذا الحلم حتى يموتوا ! .. وربما لا يعرف أحد بخبر وفاتهم الا من خلال سطور النعى فى صفحة الوفيات بالجريدة اليومية .

● مصرع مخرج تسجيلى

وفى الأيام الأولى من هذا العام .. فجعت السينما التسجيلية فى مصر .. بمصرع المخرج الشاب « سامى المعداوى » ـ ٤١ عاماً ـ الذى لقى حتفه فى حادث سيارة وهو عائد من دمياط بعد تصوير لقطات من فيلم تسجيلى عن حياة الدكتور يوسف أدريس .. كانت معه فى السيارة الصغيرة ، أسرته المكونة من الزوجة وطفليه .. وقع الحادث فى ثوان .. مات على الفور سامى المعداوى .. أصيبت زوجته بعدة أصابات ، وانتابتها حالة غياب عن الوعى .. اما طفلاه فقد أصيب احدهما بارتجاج فى المخ .. وأصيب الأخر بعدة كسور !

وهكذا انتهى احد فرسان السـينما التسجيلية .. فى صمت مأساوى ..

# الخروج من الظل

وقد هزنى الحادث تماماً .. فانا اعرف سامى المعداوى من خلال افلامه القليلة ، ومن خلال لقاءاتى به فى مهرجان ومسابقات الأفلام التسجيلية .. حتى رأيت له فيلما تعليمياً قصيرا بعنوان « فول الصويا » يشرح فيه للمزارعين كيف يتعاملون مع هذا المحصول الجديد .. ورغم جفاف الموضوع ومباشرته .. الا اننى أحسست بمدى إيمانه بالرسالة التى يؤديها .. صريح .. ومحدد .. وواضح .. يعرف كيف يبسط المعلومات ، ويركزها فى اقل وقت .. داخل صورة معبرة وصافية . وتحمست كثيرا لهذا الفيلم – وكنت وقتها عضواً فى لجنة التحكيم – ودافعت عنه طويلا باعتباره نموذجاً سينمائياً متميزا .. ولم يحصل الفيلم الا على شهادة تقدير .. لأن نتيجة التصويت كانت من نصيب افلام أخرى نافسته بشدة .. وتقبل سامى الفوز الأقل بروح عالية .. وبسعادة من حقق نصرا ولو محدودا .. وزاد احترامى له .. حتى كانت النهاية المؤسفة التى اختطفته ، وهو يسعى لتحقيق حلم آخر صغير !

## ● الفيلم المفاجأة

وقد شغلتنى طويلا .. الأحلام الصغيرة لفنانى الافلام التسجيلية .. والقضايا الكبيرة التى يسعون لطرحها فى افلامهم القصيرة .. الى ان شاهدت فيلم « العوامة رقم ٧٠ » الذى أبدعه اثنان من فرسان السينما التسجيلية فى مصر .. المخرج خيرى بشارة .. والمصور محمـــود عبد السميع .. ليقدما من خلاله أزمة مخرج فى الافلام التسجيلية .

والفيلم مفاجأة حقيقية على كافـــة المستويات .. فهو يتخطى الاشكال التقليدية للسينما المصرية .. ليقف على نفس مستوى السينما العالمية الجديدة . فى اللغة البصرية .. وفى تدفق المشاعر والتساؤلات .

## ● قصة الفيلم

يحكى الفيلم قصة هذا الشاب ( احمد زكى ) الذى يعمل مخرجا تسجيليا .. والذى أختار ان يكون فيلمه الجديد عن « القطن

كمال الشناوى يتذكر حكاياته



تيسير فهمى .. واحمد زكي ، ومحاولة للفهم

لحمد زكي وماجدة الخطيب .. ومحاولة لاعادة الماضي

العامل ( احمد بدير ) والصحفية ( تيسير فهمي )

# الخروج من الظل

المصرى الآن » .. وينتقل مع مجموعة الفنيين الى احد المحالج الصغيرة المنتشرة على خريطة مصر .. لتصوير جزء من رحلة القطن .. وهناك داخل المحلج ، يتعرف على الماكينات القديمة التى يعود تاريخ صنعها الى اوائل القرن الحالى ، والتى مازالت تعمل حتى الآن .. ويتعرف على عمال المحلج .. ومنهم نسبة كبيرة من الأطفال الصغار الذين يقضون بجوار الماكينات يلقمونها بالات القطن .. وكثيراً ما تلتهم الماكينات اذرعهم الصغيرة فى غفلة منهم .. ولهذا اطلق العمال على هذه الماكينات اسم « العفريتة » !

ويكتشف المخرج التسجيلى اثناء تصويره لهذا الفيلم .. ان احد العمال يسعى متلهفاً لأن ينفرد به ليحكى له عن الجرائم التى تدور فى المحلج .. ويحدد له موعداً فى العوامة التى يسكنها على النيل

ويأتى العامل ( يلعب الدور احمد بدير ) خائفاً متردداً .. حتى يشعر بالأمان .. ويحكى للمخرج وخطيبته الصحفية ( تلعب الدور تيسير فهمى) كيف تتم طرق تبديد القطن ، وتهريبه .. تحت ستار افتعال حرائق بأكثر من طريقة !

وتتحمس الخطيبة الصحفية للموضوع .. اما المخرج الشاب فهو يتلقى معلومات العامل بنوع من الشك .. واحياناً بنوع من اللامبالاة .. وان كان يؤمن تماماً بأن احتمال التخريب موجود .. سواء فى هذا المحلج .. أو فى غيره من مواقع الانتاج .. وان النشر فى الصحف ، لن يتم الا اذا كان هناك دليل مادى يؤمن كلامها .. وهى هنا لا تملك دليلا مادياً ! .

ولكن الخطيبة تحسم الموقف بضرورة الالتجاء الى الشرطة لابلاغها باقوال العامل .. ويوافق العامل .. ويخرج من العوامة على موعد فى اليوم التالى بمركز الشرطة .. واثناء خروجه من العوامة .. يتلقفه اثنان من عمال المحلج ، واللذان كانا يراقبانه .. وينقضان عليه فى صمت حتى يفتكا به .. ويلقيان جثته فى النيل .. وتنحشر الجثة تحت العوامة بضعة أيام !

ويتسبب اختفاء العامل فى قلق الصحفية .. لماذا لم يحضر فى الميعاد .. ولماذا اختفى ايضاً عن المحلج .. بينما المخرج الشاب اعتبر ان الموضوع قد انتهى بالنسبة له .. فقد توقع منذ البداية ، بأن كلام هذا العامل .. ما هو الا مجرد « هلوسة » !

حتى تحدث المفاجأة المرعبة .. تطفو جثة العامل القتيل مرة أخرى أمام العوامة .. لتفتح طريقاً من التحقيقات ، التى تنتهى الى لا شىء .. ويدرك المخرج انه تسبب بلا مبالاته فيما جرى .. ويعذبه دائماً منظر جثة العامل القتيل .. يقول لخطيبته فى لحظة ندم : « مهما حاولت اشغل نفسى بأى حاجة .. بأشوف الجثة فى كل وقت .. مرة شفتها فى كابوس .. ودلوقت بأشوفها وأنا صاحى » !

ويسرع المخرج الى غرفة المونتاج ، لينهى العمل فى الفيلم التسجيلى الذى صوره في المحلج .. انه هنا يحاول ان يقول رأيه فيما يحدث .. فيقترح ان تكون أول لقطة من الفيلم هى لقطة العامل الذى قتل ، والذى صوروه فى المحلج .. لينزل عليها صوت المعلق قائلا « هذا العامل قد قتل اثناء تصوير الفيلم .. لأنه حاول ان يكشف جريمة من اخطر الجرائم التى تهدد الاقتصاد القومى المصرى » ! .

ويتوقف المونتير فى دهشة .. لينظر للمخرج متسائلا .. بأن هذا يعتبر خروجاً عن الموضوع الأصلى للفيلم .

فينتفض المخرج مشدوداً .. متحمساً .. وكأنما أراد أن يسترد بعضاً من جراته .. ليقول بصوت محدد .. انه يتحمل مسئولية الفيلم كاملا .

ولكن .. هل هذا يكفى .. انه يشعر بأن عليه ان يفعل شيئاً ملموساً أكثر .. فيسعى الى عمه ( يلعب الدور كمال الشناوى ) الذى كثيراً ما يجلس إليه يستمع الى تجاربه الطويلة فى الحياة .. فى تلك الليلة كان العم يحكى عن جريمة قتل قام بها ضد الجنود الانجليز فى معسكرات الانجليز ايام احتلالهم لمصر .. يقول العم ملخصاً تجربته « تعلمت ان أبادر .. قبل ان يبادر الآخرون » .

ويلتقط المخرج الشاب .. هذه الجملة .. ليسرع فى اتجاه المحلج .. ليبحث عن الحارس ، الذى شهد ويشهد عمليات تهريب القطن .. ويعرف من هم قتلة العامل الذى حاول ان يكشف الحقيقية .. وعندما يرى الحارس ينقض عليه ضرباً ولكماً .. يحاول انتزاع الاسماء منه .. ولكن زملاء الحارس يخلصونه من قبضته .. ولا يحصل المخرج على شىء .. فيعود الى عوامته .. وقد قرر أن يصفى حسابه مع نفسه .. وان يقطع كل الارتباطات التى يتصور انها تعوق حركته .. حتى علاقته مع خطيبته .. التى تفاجأ بأنه يخلع دبلة الخطوبة ، ويلقيها جانباً .. فتنظر له بدهشة وقد هزتها الصدمة .. لتقول له وكأنها تصحح موقفه « بقى بعد الحواجز اللى بينا كلها ما انكسرت .. بعد ما بقينا واقفين على الأرض لأول مرة فى حياتنا .. تيجى انت بمنتهى السهولة ترمى اجمل حاجة فى حياتنا .. اجمل حاجة فى حياة اثنين فى اى حته فى العالم » !

ينظر بعيداً .. وفى عينيه كل الاصرار والتحدى .. ليقول « فيلمى الجاى عن البلهارسيا .. اللى ماخفش منها اخويا وابن عمى لغاية دلوقت .. مين المسئول ؟ » !!

وينتهى الفيلم بهذه الكلمات .

## ● التصوير فى الأماكن الحقيقية

وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » .. جرعة مكثفة من المشاعر .. تقتحم المتفرج ، هادرة ، متدفقة .. لتضعه على نفس الأرض التى يتحرك عليها ابطال الفيلم .. فكل شىء صور فى اماكنه الطبيعية .. وبكاميرا حساسة واعية لا تفسد الواقع بالاضاءة الصناعية .. وانما يشع كل مكان بالضوء الحقيقى له .. وبعد دقائق من عرض الفيلم تكاد تنسى انك فى قاعة عرض تشاهد فيلماً .. وانما ينتابك هذا الاحساس بأنك جزء مما تراه .. فهذه الهموم والتساؤلات .. وهذا القلق ، والرغبة فى الفرار ، ثم الرغبة فى الاقتحام .. وهذا اليأس والاصرار .. هى مشاعر حقيقية ربما انتابتك يوماً .. أو احسستها فى صديق او قريب !

## ● الممثلون

وجسد الممثلون ادوارهم ببراعة وصدق وفهم ..

احمد زكى .. الفنان الذى ينطلق فى السينما المصرية بسرعة رهيبة ، متجدداً ، متنوعاً ، كأنه نصل سيف حاد ، يمزق كل الانماط التقليدية فى التعبير .. ليعرض مبدأ الصدق والتقمص الكامل للشخصية التى يؤديها .. وفى هذا الفيلم يعطى احمد زكى جزءاً من طبيعته الخاصة .. كفنان قلق .. عصبى .. وعندما جلست معه لاناقشه فى دوره بالفيلم .. أحسست بمدى حماسه له .. وكأنه يتكلم عن تجربته الشخصية فى الحياة .. يقول لى انه عندما عرض عليه سيناريو الفيلم .. وافق دون أى شروط .. لأنه على حد تعبيره .. وجد فيه بعضاً من نفسه .. واثناء التصوير .. شعر انه لا يمثل .. وانما يعيش حياته !

وقدم الفيلم .. الوجه الجديد « تيسير فهمى » ليضعها فى مصاف الممثلين الكبار ..

ونجحت « تيسير » فى ان تكون النغمة الصحيحة داخل هذه المعزوفة .

ولعب « كمال الشناوى » و « ماجـــدة الخطيب » احسن ادوارهما فى السنوات الأخيرة .. واذكر بالتحديد ماجدة الخطيب التى اعادت الى اذهاننا تألقها الفنى فى فيلمها « زائر الفجر » .. انها هنا تلعب دور ابنة القرية التى هجرتها مع عائلتها ، بعد خلافات كثيرة مع عائلة المخرج الشاب .. كانت تكبره بست سنوات .. وكان هو طفلا صغيرا يخرج من بيته .. ليلعب معها .. ثم ينام على ساقيها .. وكبر كل منهما .. وتغيرت احوالهما .. انها الآن تعيش فى القاهرة .. ترعى والدها المشلول الذى اصابه المرض بعد رحيل ابنه الوحيد الى امريكا .. انهار الأب .. وعاشت هى تحاول ان تتماسك .. حتى التقت بالمخرج من جديد وشعرت من قلقه انها من الممكن ان تعطيه بعض الاستقرار .. ولكنها كمن قبضت على الهواء

## ● السيناريو

وقد استطاع سيناريو الفيلم الذى كتبه « فايز غالى » ، كما كتب الحوار ايضا ، ان يضمن الفيلم العديد من المواقف والتفاصيل الانسانية الصغيرة .. التى تشكل فى النهاية هذا الواقع القلق للشباب فى مرحلة الصراع والتحولات الأخيرة التى مرت بها مصر .

فهذا المخرج التسجيلى الشاب .. بطل الفيلم يستطيع ان يصنع افلاما تسجيلية جريئة تثير الاهتمام .. ولكنه لا يستطيع ان يعيش حياته بنفس الجراة .. وهو لهذا يشعر بالتوتر .. والحيرة .. والقلق .. وبقدر حيرته يصبح لغزا بالنسبة للذين يتعاملون معه ..

انه فى احدى لقاءاته مع عمه .. يشعر برغبته فى المكاشفة .. فيقول له : « تعرف يا عمى .. اجمل حاجة فى حياتك انها غنية .. الواحد لما يبص لها .. ويبص لحياتى يلاقيها فاضية .. أو على الأصح متلخبطة .. الغريبة ان انا وسط كل اللى بيحصلى .. مش لاقى حكاية .. حكاية واحدة ممكن احكيها زى حكاياتك » !

ويقول هو عن نفسه بين اصدقائه .. يشكو لهم عدم فهم خطيبته له :

« اناكده .. وحافضل كده .. جايز فى يوم اتغير .. وجايز فى يوم ما أتغيرش .. لكن اللى اعرفه ان افلامى حتعيش .. وحتحرك الناس يوم ورا يوم » !

وربما هذه الكلمات الأخيرة .. هى أحسن تعبير عن حلم مخرجى السينما التسجيلية ، فى صراعهم المرير من أجل تأكيد رسالتهم السينمائية .

## ● حوار مع المخرج

والمخرج خيرى بشارة – ٣٤ عاما – قدم للسينما التسجيلية عددا من الافلام الهامة منها : صائد الدبابات – طبيب فى الأرياف – حديث القرية .. وفاز عن هذه الأفلام بعدة جوائز .. وله ايضا تجربة سابقة فى الأفلام الروائية الطويلة حيث اخرج فيلم « الأقدار الدامية » عن مأساة هزيمة حرب ٤٨ .. وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » هو فيلمه الروائى الثانى .. وقد كتب هو قصته .

وفى لقاء معه .. سألته عن المعنى الذى يقصده من عنوان فيلمه « العوامـــــة رقم ٧٠ » ؟ .

اجاب – انني اقصد فترة السبعينات التى مرت بها مصر .. وقلق جيلى خلال عشر سنوات .

سألته – ما الذى تريد ان تقوله فى الفيلم ؟

اجاب – الفيلم مجرد تشخيص حالة .

– وما الذى وصلت اليه فى هذا التشخيص ؟

– ان الحل الفردى ليس هو الاسلوب الأجدى لمواجهة المشاكل .. بل هو الحل الجماعى .

– اين انت من بطل هذا الفيلم ؟

– الفيلم عنى .. وليس عنى .. فجذورى ليست ريفية .. ولم احتك بجريمة كبيرة فى حياتى .. ولكن كل القلق الذى مر به بطل الفيلم .. مررت به انا .. والمتغيرات التى حدثت فى المجتمع المصرى انعكست على حياتى فى شكل صراعات مستمرة .. هل أبيع نفسى واخرج افلام الحواديت .. أم استمر فى الافلام التسجيلية .

– لقد عشت فترة فى بولندا .. ما الذى استفدته هناك ؟

– بعد تخرجى من المعهد العالى للسينما .. اكتشفت اننى تزودت بثقافة سينمائية .. ولكنى افتقر الى خبرة الحياة .. وفى لحظة يأس .. قطعت تذكرة ذهابا بلا عودة على ظهر مركب مسافره الى بيروت .. ومنها تنقلت الى أكثر من بلد .. حتى وصلت الى بولندا .. كان عمرى وقتها ٢١ عاما .. عشت هناك عامين .. لم أتلق فى بولندا دراسة عن السينما أو الايدلوجيات .. ولكنى درست الحياة وتأثرت جدا بأسلوب البولنديين فى حبهم الشديد للحياة .. والروح الساخرة عند الفنانين فى نظرتهم للواقع .. وتعرفت على افلام كبار المخرجين البولنديين .. وعندما عدت للقاهرة .. اكتشفت اننى جاهل بمصر .. وقلت وداعا للغة السينمائية .. وداعا لانبهارى بها .. وبدأت أغوص فى قرى ومدن مصر .. أبحث عن الحقيقة والانسان .

– ماذا استفدت من تجربة العمل فى السينما التسجيلية ؟

– استفدت الكثير .. ربما أهم شىء .. اننى اقتربت اكثر من الناس .

## ● حوار مع المصور

وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » هو أول فيلم روائى طويل يصوره الفنـــان محمـــود عبد السميع بعد رحلة طويلة مع الأفلام التسجيلية صور منها ما يزيد عن المائة فيلم .. وفاز بعدة جوائز .. وهو عندما يحكى عن تجربته السينمائية ، يقول انه بالرغم من تخرجه من كلية الفنون التطبيقية الا ان تخرجه الحقيقى جاء من جمعية الفيــلم « فانا عضو فيها منذ انشائها عام ١٩٦٠ .. حتى اصبحت رئيسها فى الفترة الأخيرة .. ومن احتكاكى بالمثقفين والنقاد ومشاهداتى للافلام .. قررت ان اكون على نفس المستوى

سألته كيف تفهم التصوير السينمائى ؟

اجاب – التصوير بالنسبة لى ليس بحثا عن جماليات الصورة .. وانما بحثا عن قوة التعبير عن الموضوع بالصورة .. فانا ضد التكوينات المفتعلة .. أو الكادرات الغريبة وما يأسرنى تماما هو قوة الموضوع ومدى واقعيته .

– من الواضح فى فيلم العوامة .. تحكمك فى توزيع الأضاءة ..

– لقد علمتنى تجارب التصوير فى الافلام التسجيلية .. أن أتصرف فى أضيق الامكانيات .. فقد تعرضت لمواقف صعبة وكان على أن أصور بلا اضاءة تقريبا .. وبالفعل صورت أفلاما تسجيلية على كشافات السيارات ولهيب أعواد الكبريت .. ان قلة الامكانيات تولد حلولا عظيمة .. ولكن من أهم الأشياء التى تعلمتها من الأفلام التسجيلية .. ان المكان لا يقل أهمية عن الانسان .. فمثلا الحائط لا يقل عندى أهمية عن أى ممثل .. فالاثنان يمثلان أمامى ..

وهكذا أهدت السينما التسجيلية فى مصر .. اثنين من افضل رجالها .. الى السينما الروائية ..

وكأن السينما التسجيلية هى الأم .. التى تربى أولادها .. حتى يكبروا .. ويستقلوا بانفسهم .. ويخرجوا من بيت العائلة الى بيوتهم الجديدة .

ربما كان هو خروجا من الظل .. الى دائرة الضوء .. والشهرة .

ولكن .. نادرا ما ينكر احد منهم ، فضل السينما التسجيلية عليه .. انها المدرسة الحقيقية للسينما الواقعية .. ولهذا يعود اليها الكثيرون اذا ما شعروا يوما بصعوبة الحياة .. واشتاقوا الى دفء الأم .. وحنانها .. وصدقها . !

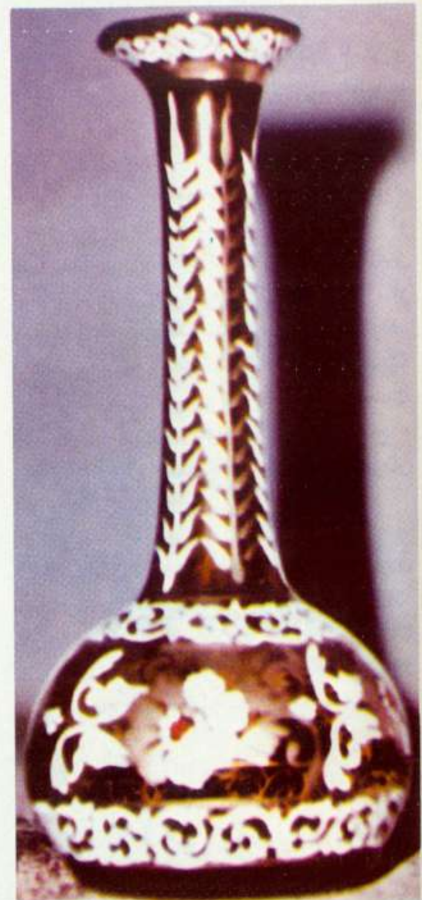
رءوف توفيق

# الزجاج
## بين يدي الفنان السوري

بقلم: عـــادل أبو شنب

لحد العمال يصهر الزجاج

لحدى الاواني الجميلة



من الزجاج يصنع الزجاج . هذا هو العنوان الكبير ، لكن التفاصيل أكثر من مثيرة .

فى وقت ما ، ربما قبل عدة آلاف من السنين عرفت دمشق بأنها من أوائل المدن التى صنعت الزجاج ، وفى الآثار المكتشفة ما دل على أن صناعة الزجاج فى هذه المدينة كانت رائجة ،لكن المدن الأخرى سرقت هذه الصناعة واحتكرتها وطورتها ، ونبذت طرائقها القديمة ، واستنبطت طرائق جديدة ، يصنع الزجاج فيها آلياً ، وحدثت المفارقة عندما تنكرت دمشق لتراثها ، وأقامت عدداً من المصانع التى تنتج الزجاج آلياً . اثنان أو ثلاثة رجال فقط .. تمسكوا بتراث دمشق فى هذا النوع من الصناعة ، فانشاوا معامل تصنع الزجاج يدوياً ، كما كان الأجداد يفعلون .. وبالتحديد ، تصنع الزجاج بطريقة النفخ .

## القديم الجديد

فى بعض الأوقات ، كان رجال شعبيون يطوفون بحارات دمشق وأزقتها ـ ومازالوا حتى الآن ـ يقايضون على قطع الزجاج المكسرة بشيء مما يسلى الاطفال . وكان كثيرون يتساءلون : ماذا يصنع هؤلاء الرجال بشقفات الزجاج المكسورة الى أين يأخذونها ؟ وماذا يفعلون بها ؟ وهل من الممكن الاستفادة من قطع الزجاج التى تنبذ عادة ؟ كان الرجال يبتسمون اذا ما جوبهوا بأسئلة كهذه ، ومن ثم يحملون أكياسهم فوق ظهورهم ، ويسرعون بها الى معامل الزجاج اليدوية . فهناك ستصهر شقفات الزجاج التى لها ألف لون ولون ، وستصبح سائلا لزجاً من شدة حرارة الفرن الذى تصهر فيه ، وهناك ستتحول الى زجاج جديد . نعم .. من الزجاج القديم يصنع زجاج جديد .. وبالطريقة نفسها التى كان الأجداد يصنعون بها الزجاج فى دمشق قبل آلاف السنوات ، أى بطريقة نفخ السائل الزجاجى المستخرج من الفرن (لنلاحظ أن الفرن يعمل الآن بالمازوت وهو تطوير اقتضته الظروف) .

هاهنا تتدخل المهارة والخبرة والذوق . فالعمال (الذين صاروا قلة والذين يندثرون واحداً بعد الآخر) يتكيفون بكتل الزجاج اللزج التى يخرجونها من الفرن بأنابيب حديدية



مجموعة من الاواني الزجاجية

# الزجاج

مفرغة . ينظر واحدهم الى الكتلة التى اخرجها مقدراً حجمها، بضوء الآنية التى ينوى صنعها، ثم يهيئها للصناعة بطرقها على مصطبة رخامية أو حجرية موضوعة فى فم الفرن ، ثم ينفخها ، وأحياناً يلوح بها الى الأعلى والأسفل عدة مرات ، فبهذه التلويحات تتمدد كما يشاء ، ثم يضعها فى قالب حديدى مصنع بحجم الآنية ، ثم يضيف اليها القطع اللازمة أو التزينية المطلوبة ، ومن ثم يسويها بملقط خاص ، ثم يضعها فى الفرن لمدة محددة حتى تشوى ، وبعد ذلك يخرجها ، ليضعها مساعده فى مكان التبريد المعد ، وهو يضعها بحرفية ، إذ عليه أن يتخلص من الأنبوب الحديدى الملتصق بها ، ويتم ذلك بضربه متأنية عليه ، فينفصل عنها ، ويصبح جاهزاً لاستخدامه فى صنع آنية جديدة .

## اعادة تشكيل

وبقدر ما فى العودة من تأكيد على قيمة التراث الشعبى .. فان هذه العودة تتيح للذوق الشعبى أن يعلن عن نفسه ، لأن المهارة فى تكوين الآنية الزجاجية فى مصنع كهذا .. تعبير عن قدرة الفنان الشعبى على الابتكار فى اعداد كل نموذج كما يريد ، وعلى هذا فان تصنيع الزجاج ، هنا ليس فلكلوراً فحسب ، بل هو ميداناً فنياً تتاح فيه للمواهب أن تبرز وتتكامل . ومن المؤكد أن المتلقين ، أى الجمهور يقبلون على هذا النتاج الزجاجى باعتباره نتاجاً فولكلورياً وفنياً ، وغالبا ما يعرض للفرجة أو الزينة وليس للاستعمال . ولقد عرف عمال ومنتجو هذا الزجاج هذا .. فاتجهوا الى التجديد فى التزيين ، بل اتجهوا الى انتاج آنية تنفع فى العرض أكثر من نفعها اذا ما وضعت فى الاستخدام اليومى . فالثريات المصنوعة من مئات القطع الصغيرة تحف فنية تفى بالغرضين ، الاستخدام والفرجة ، والعقود الزجاجية التى توضع فى نحور الفتيات .. لها الخاصية نفسها ، لكن الأباريق الصغيرة وبعض « الفازات » لم تصنع الا لتعرض .. وجمالها فى معرفتك بانها نتاج يدوى ، وأن الفنان الشعبى هو الذى أبدعها بهذه الصور وأنه ليس فى العالم ما يماثلها حرفياً .

ان الفرجة على فنانى الزجاج اليدوى السورى وهم يعملون .. مثير والسواح الأجانب غالباً ما تجد فى برامجهم زيارات لمعمل الزجاج اليدوى ، يجلسون ، يرون كيف يقوم الفنان بعمله أمام الفرن ، وكيف يستخدم مهاراته فى تحريك الأنبوب أو فى نفخ المادة الزجاجية السائلة ، أو فى طرقها على الرخامة السوداء المثبتة فى الفرن ، أو فى التدخل لتوسيع فمها أو تضييقه ، أو وضع اضافات تزيينية من الزجاج . ودائماً يقف المعلم (وهو أبو أحمد صاحب المعمل فى محلة الباب الشرقى بدمشق) يمنح النصح ويتحدث عن دقائق العمل وخواص الزجاج المنتج ، ويرحب بك .. ويأخذك بنفسه الى صالة العرض لترى النتاج الرائع .

نعم .. من الزجاج يصنع الزجاج . والفارق بين الزجاج المكسور والزجاج المشكل من جديد ، هو الفارق بين ما هو مادة خام وبين ما هو نتاج فنى . ان الفارق كبير اذن ، والفنان الشعبى هو الذى يجعل ما لا قيمة له .. شيئاً ذا قيمة كبرى .

عادل أبو شنب

# مع أنور المعداوي في كتابه كلمات في الأدب



بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

**حين أكتب اليوم عن أنور المعداوى ـ بعد نحو ستة عشر عاماً من وفاته ـ تعود بي الذاكرة الى عهد مجلة ( الرسالة ) القاهرية الزياتية فى أواخر أعوامها ، حين كان أنور المعداوى من أكبر النقاد الذين يصولون على صفحاتها ويجولون بأقلام قوية جريئة ، لا تتردد فى أن تفقأ الدمامل حيثما وجدتها ، ولا تخجل من أن تقول للأعور « أعور فى عينه » ، فى مجالات الأدب والفكر .**

من المؤسف أن المعداوى اليوم غاب فى طيات النسيان ، فما عاد يتردد اسمه على الاقلام الا نادرا . ولولا وفاء صديقه الأستاذ رجاء النقاش ، الذى شاء أن يحيي ذكره بكتابه « صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر » ، لقلت أن أدباء الجيل الحاضر قد نسوا المعداوى كل النسيان .

ولعل الكتاب الذى أكتب حوله الآن ، وهو كتاب «كلمات فى الأدب» ، لأنور المعداوى ، المطبوع فى لبنان سنة ١٩٦٦ ، بعد وفاة المعداوى بسنة واحدة ، هو الكتاب الوحيد الذى قرأته للمعداوى . وهو يقع فى ١٧٢ صفحة من القطع الكبير ، ويضم اثنى عشر فصلا من بحوث الأدب المختلفة التى كان يكتبها المعداوى . ويذكر النقاش فى كتابه (صفحات مجهولة) أن للمعداوى كتابين مطبوعين غير هذا الكتاب ، وهما : (نماذج فنية فى الأدب والنقد) ، ١٩٥١ ، و (علي محمود طه الشاعر والانسان) ، المطبوع فى العراق سنة ١٩٦٥ ، قبل وفاة المؤلف بشهور .

هذا الكتاب ينبش أموراً كثيرة : من الأدب العربى المعاصر ، ومن غير الأدب العربى ، لكنها

مع أنور المعداوي في كتابه

# كلمات في الأدب

كلها من أمور الأدب : ابتداء من «المسرح الاتجاهي بين سارتر وتشيكوف» و «الأثر الفنى بين الفهم والتذوق» و «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، الى «رواية الأرض ، بين ايديولوجية الفن وواقع الحياة» ، و «من واقع الأدب فى مصر» وما بين هذه الفصول من دراسات أدبية أخرى .

فالكتاب مجموعة دراسات من مقالات المعداوى التى كان ينقل بها الى القراء أفكاره ومفاهيمه الأدبية ، فى زمن لم تكن قد طغت فيه مفاهيم الثورة السياسية والانقلابية العسكرية على مفاهيم الأدب والفن وجرفتها فى طريقها .

## الأثر الفنى بين الفهم والتذوق

من هذه الدراسات المركزة التى شاء المعداوى أن يشق بها لنفسه طريقا الى القراء ، ويشق بها للقراء طريقا الى نفسه ، باعتباره ناقداً له موقف وأفكار ، وله مفهوم واتجاه ، المقال الثانى من الكتاب ، وعنوانه : «الأثر الفنى بين الفهم والتذوق» : وقد اختط فيه المعداوى درباً فى النقد الأدبى دعاه (الأداء النفسى) ، وشاء أن يجعل من هذا «الأداء النفسى» ميزاناً يزن به ما يريد دراسته من أدب الأدباء وفن شعر الشعراء .

والذين قرأوا كتاب النقاش (صفحات مجهولة) ، يذكرون أن النقاش قد أطال الحديث فى كتابه عن المقال ليؤكد أهميته بالنسبة الى المعداوى ، ويقول عنه انه : «ليس نظرية ولا مذهباً أدبياً ، ولكنه فكرة ذكية» (صفحات مجهولة ، ص ٣٢ وما بعدها) . وهو فعلا مقال جدير بأن نقف عنده ، ونقدم نماذج من آراء المعداوى الواردة فيه .

يهتم المعداوى بأن يؤكد أن «الفهم» وحده للأثر الفنى ـ والفهم عملية عقلية صرف ـ لا يكفى ، بل لابد مع الفهم من «التذوق» ـ وهو عملية وجدانية مشاركة فى الاحساس بالأثر الفنى ـ وهو يشرح ذلك فى الصفحة (١٦) من الكتاب ، فيقول :

«إن الفهم أداته الذهن الثاقب ، وأن التذوق أداته الاحساس الرهيف ... انهما طاقتان : طاقة عقلية وطاقة شعورية» .

ويقول أيضاً فى الصفحة عينها : «ان فهم الحياة هو أن نفتح «لمشاهدها» أبواب العقل ، أما تذوق الحياة فهو أن نفتح «لتجاربها» أبواب الشعور .. اننا «نراها» هناك تحت اشعاع الومضة الذهنية ، ولكننا نتلقاها هنا تحت تأثير الدفقة الوجدانية» .

والمعداوى يقدم بهذا الشرح الموجز لفكرة «الأداء النفسى» ، التى يعتبرها «نظريته» الخاصة وطريقه الى القراء ، وطريق القراء اليه كناقد متميز ؛ فهو يقول بعد ذلك مباشرة :

«هذه الكلمات هى معالم الطريق الى «الأداء النفسى» ، أو الى هذه المحاولة المذهبية التى تحمل ذلك العنوان ، وهدفها أن تزن قيم الفن بميزان جديد ...» (ص ١٧) .

وهو يرى أن الفن فى جوهره ليس فهماً للحياة يقف بنا عند حد الرؤية المادية والاثارة العقلية .. وإنما هو الى جانب ذلك حركة فى الوجود الخارجى ، تعقبها هزة فى الوجود الداخلى ، يتبعها انفعال : انفعال يحدث تلك المشاركة الوجدانية بين منتج الفن ومتـــذوق الفن» (ص ١٧) .

وما هو الفن ؟

يشرح المعداوى الفن فيقول :

«ان الفن ، فى حقيقته المثلى ، عملية استقبال حسية ، تعقبها عملية ارسال نفسية ... وإننا لنفرق ، تبعاً لهذا التحديد ، بين انتاج فنى لا يهز من الكيان الشاعر غير الحواس الخارجية ، وانتاج آخر يثير فى هذا الكيان ما أثاره الانتاج الأول ، ثم يزيد عليه حقيقة أخرى حين يطرق أبواب الشعور فى صدق وأصالة» (ص ١٨) .

والخلاصة : «ان المحور الرئيسى الذى ندور حوله منذ البداية ، هو التذوق الشعورى الكامل للوجود الخارجى حين يتحول الى تجربة داخلية كاملة فى النفس الانسانية» (ص ٢٢) .

ويضيف قائلا : «هذا التذوق الشعورى الكامل هو أساس الأداء النفسى» (ص ٢٣) .

وأيضاً : «إن الأداء النفسى لا يكمل معناه إلا وهو قائم على دعامتين ، هما : الصدق الشعورى والصدق الفنى ، متحدين فى مجال صورة تعبيرية . أما الصدق الشعورى فهو ذلك التجاوب بين التجربة الحيـــة ومصـــدر الاثارة ....» (ص ٢٤) .

لقد أطلت فى الاقتباس من أقوال المعداوى فى شرح فكرة «الأداء النفسى» . والحقيقة أن المعداوى كان فى الكثير مما قاله يكرر المعنى نفسه ، على طريقة المعلمين فى محاولة ادخال الأفكار والمعلومات الى عقول طلابهم بواسطة التكرار . والمهم أن المعداوى شرح فكرته ـ بهذا التكرار ـ شرحاً وافياً ومنطقياً ومعقولا . وكان تطبيقه لفكرته ـ أو فلنسمها «نظرية» ، كما يريد هو أن يسميها ـ على النماذج التى اختارها : من حكاية فرانز ليست وزميله فريدريك شوبان ـ وهما من أعاظم الموسيقيين ـ وكذلك من قصة (أم) لفرانسوا مورياك ، موفقاً ومقنعاً كذلك ، ودالا على ذكاء ، وعلى مقدرة نقدية جديرة بالاحترام .

## بين مي وجبران

ثم ننتقل من هذا المقال الى المقال الذى يليه ، وعنوانه : «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، وهو كذلك بحث جدير بأن نقف عنده وقفة خاصة لنرى كيف ينظر المعداوى الى هذه العلاقة بين مي وجبران .

والمعروف أن علاقة حب بالمراسلة قامت يوماً بين جبران ، فى أمريكا ، ومي زيادة ، فى مصر : ولم يحاول أى من الحبيبين الأديبين أن يلتقى بحبيبه ؛ وكان من أسهل السهل عليهما أن يلتقيا لو أرادا ، ولو كانا جادين فى حبهما ، وأن يخرجا عن طور المراسلة الورقية ـ الحب على الورق فقط ـ الى طور النظر والسمع واللمس .. ولكنهما لم يشاءا ، ولم يلتقيا قط .

يرى المعداوى فى مي رأياً لا أعرف أحداً سبقه اليه . وأنا أرى فى جبران أيضاً الرأى عينه ؛ وقد سجلت رأيى هذا فى أكثر من مقال لي .

يقول المعداوى فى مقدمة البحث : «الحقيقة التى قتلها الدارسون «المسرعون» هى أن عاطفة الأنوثة فى مي لم تتجه يوماً الى جبران !! (ص ٢٥) .

ثم يضيف الى ذلك قوله : «إن صورة تلك العلاقة قد بدأت فى نفسى وهى داخل اطار من الشك المثير . أما مصدر هذا الشك فهو طبيعة مي الأنثوية : لقد بدت لي هذه الطبيعة يوماً وهى مغلفة بالانحراف ، ملفعة بالشذوذ ... هل كانت مي امرأة ؟ امرأة ورثت ، كغيرها من النساء ، تلك التركة الخالدة عن الأم الأولى حواء» (ص ٢٥) .

ويشرح المعداوى ما يعنيه بالانحراف والشذوذ ، فيقول :

«المرأة الطبيعية ـ فى رأيى ـ هى التى يستيقظ فى أعماقها الشعور بالرجل ... أما المرأة الشاذة فهى تلك التى (تنام) فى أعماقها مثل هذه (اليقظة) ... هى مي فى حقيقتها العميقة التى لم

«تتذوق» طعم الحب ، لأنها فقدت «شهية الأنوثة» (ص ٢٦) .

والمعداوى يؤكد ان هذا الذى يقوله « كان نتيجة لتتبعه حياة مي النفسية وهى بين الرجال ، وهى فى صالونها الأدبى فى أيام الثلاثاء» . وهو يرى ان امراة مثلها «كان يحيط بها رجال ممتازون ، بعضهم لا تنقصه الرجولة ، وبعضهم لا تنقصه الشهرة ، وبعضهم لا تنقصة المكانة الأدبية والاجتماعية» ، فلم تلتفت قط الى واحد منهم ، رغم ان فيهم من كانوا يكتبون اليها الرسائل الملتهبة بالشوق ، والمضطرمة بالعشق ، ومنهم ولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعى ، واسماعيل صبرى ، وغيرهم .

ثم يتساءل المعداوى ، بعد أن يورد أمثلة من رسائل ولي الدين يكن والرافعى اليها : «أتكون مي قد نظرت الى الرجلين نظرة المراة المدلة بكبرياء الأنوثة الى كل حب ذليل ؟ أم قد تكون نظرت اليهما كأديبين نظرة الأديبة المعتزة بشرف الثقافة الى كل أدب غير خلاق» ؟ (ص ٢٧) .

ويعلق على ذلك بقوله : «فتور عجيب يزلزل فى نفسك قوائم الايمان بانها كانت امراة : امراة يضطرب بين جنبيها الاحساس الخالد بالأنوثة ، وينطلق من وجودها الداخلى نداء الأعماق» (ص ٢٨) .

قد يكون المعداوى على حق فيما استنتجه من صالون مي الأدبى ، ومن صلاتها الطويلة والمستمرة مع رجال من صفوة المجتمع المصرى ، وقد نستطيع أن نفسر تصرف مي هذا فى أنها لم تجد قلبها فى واحد منهم ، لأنه كان مع واحد آخر بعيد ... كل هذا ، وغير هذا أيضاً ، جائز .

ولكن المعداوى لا يكتفى بما ساقه من حديث الصالون الأدبى ومن كانوا يؤمونه من الرجال ، بل ينطلق من هناك ليبحث فى علاقة مي وجبران معتمداً على بعض ما دار بينهما من رسائل ، ومقتبساً فقرات منها : واقتباسه موفق فعلاً .

المعداوى يرى أن جبران كان محباً حقيقياً لمي يشعر نحوها بنداء الأعماق لدى الرجل الذى يسعى الى نصفه الآخر . ولكنه يرى فى مي أنها هى التى لم تكن تلك الأنثى الباحثة عن نصفها الآخر فى الرجل ، بل كانت «مقتولة الأنوثة» ، كما يقول .

«أنوثة مقتولة ولو التمست لها مي الأسباب والمعاذير ، ولو حاولت أن تبرر شذوذها وهى تقول لجبران ... «... ما معنى هذا الذى أكتبه ؟ اننى لا أعرف ماذا أعنى به ، ولكننى أعرف انك محبوبى ، وانى أخاف الحب . اننى أنتظر من الحب كثيراً ، فأخاف ألا يأتينى بكل ما أنتظر ... كيف أجسر على الافضاء اليك بهذا ... ؟ الحمد لله أننى أكتبه على الورق ، ولا أتلفظ به ، لأنك لو كنت حاضراً بالجسد ، لهربت خجلا ... ولاختفيت زمناً طويلا ، فما أدعك ترانى إلا بعد أن تنسى» (ص ٣٠) .

أما تعليق المعداوى على هذا فهو كما يلى : «تزعم مي أنها تخشى الحب ، ولو صدقت لقالت انها لا تستطيع أن تتذوقه ، لأنها ــ كما سبق القول ــ قد فقدت أبرز الخصائص عند المرأة الطبيعية» (ص ٣٠) .

ويقول : «لقد أرادتها صداقة فكرية ، وأرادها ــ أى جبران ــ علاقة وجدانية» (ص ٣١) .

والخلاصة كما يراها المعداوى : «على ضوء هذا كله تستطيع أن تقول ان علاقة مي بجبران لم تكن علاقة قلب ، وإنما كانت علاقة فكر» (ص ٣٥)

وانا أضيف الى ذلك أن علاقة جبران بمي أيضاً كانت علاقة فكر ، ولم تكن قط علاقة قلب : فالذى يراه المعداوى فى مي ، أرى مثله تماماً فى جبران . ودليلى على ذلك شيئان :

● رسائل جبران الى مي ــ كما جاءت فى كتاب (الشعلة الزرقاء) ، لسلمى الحفار الكزبرى ، والدكتور سهيل بشروئى .

● مذكرات مارى هاسكل ، كما جاءت فى كتاب (أضواء جديدة على جبران) . لتوفيق الصائغ .

وحسبك من مذكرات مارى هاسكل اعترافها بمحاولاتها العديدة اغراء جبران بها ، ومرة واحدة عرض عليها جبران أن يتزوجها ، لا لأنه يريد الزواج حقا ، ولكن لأنه يريد أن يرد لها الجميل الذى أضفته عليه منذ شبابه الباكر حتى آخر عمره .

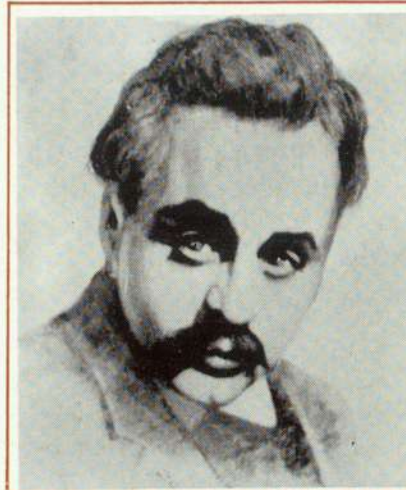
فى رأيى أن جبران كان «مقتول الرجولة» ، مثلما يقول المعداوى ان ميا كانت « مقتولة الأنوثة» . وهكذا كانت العلاقة بينهما علاقة فكر لا علاقة حب . ولو لم تكن حقيقتهما كذلك ، لكان من المؤكد أن يسعى أى منهما للقاء الآخر ، لتحويل الحب من مجرد كلام على الورق ، الى لقاء ، فزواج ، كما هى خاتمة كل حب طبيعى . ولقد كانت فرص اللقاء متاحة لكليهما : فى مصر أو فى أمريكا ، وكانا قادرين عليه لو أرادا . حتى لو لم يكونا قادرين عليه مالياً ــ وهذا عكس الواقع ــ فان الحب الطبيعى يتغلب على كل العوائق لكى يصل الى غايته . ولكن ثمة شيئاً أساسياً كان يعوز هذه العلاقة ، من طرفيها معاً ، بين الأديب الكبير والأديبة الكبيرة ، لكى تصبح علاقة حب حقيقى .

فى نظرى أن دراسة المعداوى لهذه العلاقة بين مي وجبران ، دراسة مهمة وفى الصميم . ولكن يبدو أن المعداوى فهم حقيقة أحد طرفيها فقط ، وغابت عنه حقيقة الطرف الثانى : فجبران ومي كانا ، كما يبدو ، فاقدين لرجولة الرجل الكاملة ، ولأنوثة الأنثى الكاملة : وكلاهما كان يتسلى عن نقصه الكبير بالحديث عن الحب العقلى لا الحب العاطفى . ولذلك ظل حبهما على الورق فحسب .

**الدكتور عيسى الناعورى**



مي زيادة



جبران خليل جبران



# في مالطا أدب له جذور عربية

# أنطون بوتجيج

## رئيس جمهوريّة مالطا وشاعرها الأول

بقلم : عبدالعزيز السيد المصري

بالرغم من هذا الشعر الأبيض
الذى يكلل رأسى
بالرغم من هذه التجاعيد .. والأخاديد
التى تركتها الأيام فى وجهى
لم أهرم
لأنى شاعر
وشاعر الجماهير ..
قلبى غض
وأجنحتى مازالت قوية
قادرة على أن تحلق بى هناك ...
وراء الأفق
اننى أغنى للكادحين والشرفاء
وأغنى للحب .. والأمل
وأغنى لجمال الطبيعة
ولجمال الروح
فأنا شاعر الأشياء .. كل الأشياء بلا خجل
أغنى للصغير
وأغنى للكبير
وإذا مات جسدى
فستظل روحى حية خالدة
تسكب أنغامى فى ضوء كل فجر
وتغنى للدنيا بمزمارى من وراء زرقة السماء

قائل هذا الشعر ليس غريباً عنا ، إنه يتحدث لغة ثمانين فى المائة من ألفاظها ـ على الأقل ـ ألفاظ عربية ، وبقاؤها حية حتى الآن يعد إحدى الظواهر العجيبة فى البحر المتوسط ، فالمتحدثون بها لا يزيدون عن ...ر...٣ نسمة ، ويعيشون فى جزيرة صغيرة تقع فى منتصف المسافة بين شمالى افريقيا وأوربا ، ولم تعش لحظة من تاريخها بمنأى عن أحداث التاريخ وحركته ، فقد استوطنها الفينيقيون ومن بعدهم الرومان ، ثم جاءها العرب بالاسلام واللغة العربية ... لم يتخذوها مستعمرة بل اتخذوها كعادتهم موطناً عمروه .. وعرفت جزيرة مالطا لأول مرة فى تاريخها معنى الاستقلال الاقتصادى .. والاكتفاء الزراعى الذاتى حين فرش العرب وجهها الحجرى الأبيض بالتربة الحمراء ، وانتشرت ظلال أشجار الفاكهة فى كل

مكان ... وامتدت الخضرة الجميلة فى معظم بقاع الجزيرة القاحلة ... ولم تعد مالطا مجرد محطات تجارية ، ولا أوكاراً للقراصنة من هنا وهناك ، ولا مركزاً عسكرياً استراتيجياً تتنازعه قوى العصر الكبرى .. وعرفت الاستقرار والازدهار والأمان وترعرعت جذور لغتها السامية فى الحديقة العربية ، وامتزجت بها امتزاجاً ، وامتدت جذورها عميقة فى وجدان السكان الأصليين ، ولم تستطع موجات الاستعمار التى تعاقبت على الجزيرة بعد أفول الشمس العربية فى ربوعها منذ سنة ١٠٩٠ م أن تزيلها. وما استطاعت لغات المستعمرين التى فرضوها – مستعمراً وراء الآخر – لغة رسمية أن تقتلع هذه الجذور أو تضعف تمسك أهلها بها . بل كانت هذه اللغة هى هويتهم التى بقيت لهم من عبث الاستعمار بكل ما خلفته الحضارة العربية من آثار فى الجزيرة .. ظلت تكافح من أجل الحياة منزوية فى أحراش الجزيرتين « جوزو ومالطا » ، وفى أكواخ « البدو » الفلاحين ، وفى قيعان مراكب الصيد وفى الحانات المنعزلة بين صخور الشطئان ، وبين آنية المطابخ فى بيوت السادة الأجانب .

ولوى الاستعمار وجه مالطا الصغيرة ناحية أوربا ، فاتخذت الحروف اللاتينية أبجدية لها بدلا من العربية ، واتخذ شعراؤها من قوالب وإيقاعات الشعر اللاتينى والأوروبى الحديث قوالب وإيقاعات شعرهم ، ولكن اللفظ العربى .. التركيب العربى .. النكهة العربية لم تمت بعد . وجاهد مثقفو مالطا وأبطال الوطنية فيها من أجل بعث اللغة المالطية وترسيخ قواعدها وتأكيد شخصيتها ، وإثبات وجودها كلغة حية لمجتمع حى .. وبذلت جهود فى جميع المجالات منذ ٥٠٠ سنة حتى ازدهرت وصارت لغة ذات أدب وتراث وقواعد وقواميس .. الخ مما شجع الانجليز على أن ينتهزوا فرصة تورط ايطاليا فى حرب الحبشة سنة ١٩٣٤ ويعتبروها اللغة الرسمية الأخرى لمالطا مع الانجليزية بدلا من اللغة الايطالية ، ثم صارت فيما بعد اللغة الرسمية الوحيدة لجمهورية مالطا بعد استقلالها .

كان شاعرنا انطون بوتجيج واحداً من شعراء الرعيل الأول الذين أمدوا اللغة المالطية بروحهم الشعرى ، وارتقوا بأدائها الفنى إلى مستوى اللغات الحية الحديثة ، وأعطوها من ملامحهم الفنية سمة الانسانية والشمول ، والنضال من أجل الحرية والصلاة فى محاريب السلام والجمال ، والتفاؤل ورفع رايات الأمل بيضاء بلون الفجر فوق غيوم اليأس والألم .. إلى جانب عالم الانسان الفرد بهمومه وأفراحه وأمانيه ..

تعلم أنطون بوتجيج وحصل على ليسانس الآداب من جامعة مالطا ثم درجة الدكتوراة فى القانون وعمل مفتش شرطة ثم محامياً ثم اجتذبته الحياة السياسية فانضم لحزب العمل الاشتراكى ومثله فى مجلس النواب ، ثم صار نائباً لرئيس الحزب ثم نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، ووزيراً للعدل والشئون البرلمانية ثم تولى فى أواخر سنة ١٩٧٦ منصب رئيس جمهورية مالطا ولا يزال يشغله حتى الآن .

كتب « انطون بوتجيج » شعره كله باللغة المالطية .. وقد ترجم مجموعة منه إلى اللغة الانجليزية صديقى الكاتب الشاعر المالطى فرنسيس إبير ، وقبلت هذه المجموعة ضمن سلسلة اليونسكو للترجمات الأوروبية .

أذكر فى حديث عابر مع الشاعر الكبير فى احدى الحفلات الوطنية الرسمية أنه قال : إنه لم يطل على الشعر العربى الحديث إلا من نافذة جبران خليل جبران .. وأنه يشعر أن بينه وبين روح الشرق نسباً ووشائج قديمة .. وإنه يطرب لكل إيقاع شرقى يسمعه ، ويحس بمزيد من الحرية والأصالة ، وهو ينسج شعره على نوله .. ولذا لم يتردد أن يكتب شعراً على مثال « الهايكو » اليابانى عندما اطلع عليه ، و « الهايكو » يعد من أقصر قوالب الشعر اليابانى يركز فيه الشاعر تجربة شعرية سريعة قصيرة سواء أكانت مجرد صورة لمنظر طبيعى أو حالة نفسية عابرة منفصلة :

● إنه واحد من شعراء الرعيل الأول الذين أمدّوا اللغة المالطية بروحهم الشعري وارتقوا بأدائها الفني إلى مستوى اللغات الحيّة الحديثة

● تطربه كل الإيقاعات الشرقية التي يسمعها ، ويحسّ بالمزيد من الحرّية والأصالة وهو ينسج شعره على نولها

أنا كالفجر
أبتكر كل يوم عالماً جديداً
يفيض بالجمال .
فؤادى هو الشرق
وأنت الشمس
تشرقين منه فى بهاء
إلهى .. أشكرك
أشكرك على الشياه والحملان
وأشكرك على ... الأفاعى
يأكل الشحاذ
ويلتقط الطير من حوله
فتات خبزه
أيتها الشجرة .. رميت فى حضنى
ورقة ذابلة
أنا أدركت ...
فهمت يا شجرة
أيتها القوقعة الصغيرة
بالرغم من صغر حجمك ..
علمتنا كيف نعشق بيوتنا
بسط الطفل
أصابعه العشر
ليبدى لى مقدار حبه

كما كتب شعراً متأثراً بقوالب « التانكا » اليابانية أيضاً . ومنه قصيدة تحتوى على واحد وثلاثين مقطعاً فى خمسة أبيات ، فى كل من البيتين الأول والثانى خمسة مقاطع وكل من الأبيات الثلاثة الباقية يتكون من سبع مقاطع :

الربيع

أطل الربيع من الشرق
مع نور الفجر
كان يتنفس برقة
فاستحال كل نفس من أنفاسه
إلى وردة

ماريا

بيت ماريا بعيد منعزل
وماريا تقيم فيه وحيدة

# أنطـون بـوتجيـج
# رئيس جمهورية مالطا
# وشـاعرهـا الأولــ



لكن الربيع ذهب إلى فنائها
وملأ إصصها بأجمل الأزهار

### أجــراس مالطا

كنسوة ذوات ألسنة طويلة
تضايق العبــاد
ولكن من يستطيع
أن يقطع لسان أيهن ؟

### على شواطىء مالطا

كانت هناك صبية غضة
خلعت بجمالها ومرحها على الشاطىء بهاء
كانت ترتدى « البكينى »
وكان الناس مشمئزين
لكنهم يحملقون

### حزمة قصــب

كنت فى الحياة
كحزمة قصب فى مهب الرياح
لم تحطمنى .. لم تقتلعنى الريح أبداً
ولكن لا تسلنى
كم مرة كفأتنى ، ولعقت الرماد

### النعناع

دخلت الحديقة مساء
لم أر شيئاً .. كان الظلام كثيفاً
ولكن النعناع
نادانى برائحته العطرة
أنا هنا .. بأى شىء تريدنى أن أبوح

### الموسيقار

عندما تسكن كل حركة من حولى
ويلفنى الصمت الشامل
يشرع قلبى فى العزف على قيثارته
لأنه موسيقار السكون .

## شاعر كل الأشياء

يقول الشاعر أنطون لوبجيج انه شاعر الأشياء كل الأشياء . وهذه حقيقة . فانه في شعره يرصد اللمحات الخاطفة ، ويبرز ما قد تتخطاه العين ويلتقطه كما يفعل ناقد خبير ، ويتصيد الومضات الدقيقة من عمر الأشياء ، ويبرز ذلك كله من خلال احساس دافق بجمال وقيمة الأشياء كل الأشياء ، لكنك تجده دائماً وراء كل ومضة أو لقطة أو لمحة أو احساس عابر هو هو بآرائه واتجاهاته الفكرية والسياسية والاجتماعية .. وتكاد تلمح وجهه بابتسامته الرقيقة العذبة التى لا تفارقه وراء ذلك كله . ولكنه يستغرقه الحزن فتشعر برطوبة دموعه ورجفة قلبه وشحوب النور فى عينيه ، فى كلماته ، وصوره، لا تكاد تتوقع أن يجف نهر الدموع ويخمد أوار الحزن وينقشع ليل اليأس ولكنك سرعان ما ترى كل شىء مشرقاً نضراً رقيقاً يتطلع ببسمته الحلوة إلى نور الأمل البهى الرفيق .. ففى قصيدته « وفاة الرفيقة » عن زوجته الأولى التى رحلت إلى السماء وتركت ثلاثة أطفال يقول :

طائران : ذكر « الصفنج » وأنثاه
كانا يحلقان فى غابة جميلة
وبينما هما يرفرفان بين الأشجار فى سعادة
وينتقضان ويلتقطان الديدان
ويطعمان فراخهما
طائران سعيدان في ميعة الشباب
استقبلا وليدهما الثالث منذ وقت قريب
يكافحان ليطعما نفسيهما وأفراخهما
منهمكان يستطعمان أفراح الحياة
بينما هما كذلك
سمعت فجأة طلقة
لطخت الشظايا الأوراق بالوحل
أصيبت أنثى الصفنج في صدرها
وسقطت ميتة في مياه النافورة
تمزق قلب الزوج
ولكنه كان عليه أن يعود ... وحيداً ... الى العش
ماذا يمكن أن يحدث لأفراخه
لو انه تركها وحدها بين أشجار الغابة؟
بكى حتى جفت ماقيه
وصمت عن الغناء
وظل يربي ــ باكياً ــ ثلاثة أفراخ
لم يكن في مقدور أحدهم أن يفهم أنه فقد أمه !!

وفي قصيدته سان مارك يقول :

حطت حمامة بيضاء على كتفي
وحدقت في عيني
قالت لي : عرفتك منذ ثلاث سنوات
لقد اخذت مع زوجتك صورة تذكارية في
هذا الميدان .. وقد أكلت إذا كنت تذكرٌ
من يدها
فلماذا أتيت وحيداً
ومنها :
فقالت : الى أين أنت ماض
انني منطلق هائم مع الايام
وحيداً .. أهيم خلال دروب هذا العالم القفر
أبحث عن حبي الذي لم أجده في أي مكان

ويقول في قصيدته «أقبل الربيع» :

أقبل الربيع وسألني : أين زهور شبابك ؟
أين الفراشات ؟ أين النحل ؟
قل لي : أين أحلامك المشرقة ؟
فأجبته :
لم يمل الخريف فى حديقتي بعد
انظر ... كثيرة هي الازهار في جنتي
املأ جرابك

وانثر أزهار الحب في كل مكان
ويقول في قصيدته «في الساحة» :
عندما كنت صبياً
ذهبت الى الساحة
وأخذت أتكلم
فقالوا لي : دع الكبار يتكلموا
اسكت .. انك ما زلت صبياً
وعندما صرت كهلا
عدت الى الساحة
أخذت أتكلم .. فلووا وجوههم عني
وقالوا :
دع الشباب يتكلموا
اسكت فانت رجل عجوز
فتساءلت : اذن متى أستطيع الكلام ؟
فردوا جميعاً قائلين
نحن آسفين .. لقد ولدت في غير زمانك
وفي قصيدة «الفجر» يقول :
الفجر يبزغ
انظر فوجه البحر ينور
وشعاع من ضياء يظهر
فوق سحابة حمراء
وتتفقق الورود فى حديقتى
ان الفجر يلتقط براعم البحر والسحب
لكنه يدع ورود حديقتي لي
وفي قصيدة «الدار» نقرأ له :
أملك داراً جميلة
مليئة بالورود
الناس جميعاً يودون استئجارها
بيد أني سأعطيها هبة
عندما تتفتح كل وردة فيها
بلا أشواك
وفي قصيدة «الفانوس» :
كل مساء
والضوء يلفظ أنفاسه الاخيرة
والنهار تخور قواه
يأتي «مايسي» بسلمه الصغير
ويشعل تحت نافذتي فانوساً صغيراً
يذوب الظلام
وتخور قواي مع كل نهار
لكنما .. هناك أنشودة
تتسلق سلمها الصغير
كل مساء
فتضيء في قلبى فانوساً يبدد وحشته
حزين هو اليوم الذي يتخلف فيه «مايسي»
فلا يشعل الفانوس
وحزين هو اليوم الذي لا تتسلق فيه
أنشودة سلمها الصغير
لتبدد من قلبي وحشته .
ويقول فى قصيدة «تنهيدة» :
ياألله
قلب الانسان .. أصلب من الجرانيت
أشد البرونز ...
تسلقت الجبال
لأشعل مصباحاً في فناء معبدك
لكن الأنفاس الباردة ... أطفأت المصباح
أشعله فتطفئه ... أشعل فتطفىء
ضاعت محاولاتي سدى
وساد سلطان الظلام
ياالله
الشمس التي خلقها لتضيء للانسان
قد أخفقت .. كما أخفقت وانا
أشعل مصباح المعبد
ياالله
من أجل قلب الانسان المكدود
اخلق شمساً جديدة .. أبهى ضياء
من تلك التي شاخت وذهب رواؤها
يا الله
لا تسخر مني وتقول
ماذا يريدني أن افعل
هل أرغم الانسان على فعل الخير؟
يا الله
لا أجد الجواب
لكن تنهيدة المرضى والجياع
المكبلين في الأغلال ...
والقتلى الابرياء في حروب مجرمة آثمة
تجعلني أتنهد أمامك دون ملل
كالبحر في ليلة عاصفة
ألتمس السكينة والهدوء
وبعد أخشى أن يطول بى الحديث وأنا اتنقل معك في حديقة الشاعر الفسيحة المتعددة الأشجار والأزهار والثمار فدعني أعرض عليك الآن مقطوعة صغيرة من شعره كما كتبها هو بلغته المالطية
تورؤ تا مالطا
بليسيم تا ألاديسين
فوين يعيشو شياتين
وهي قريبة جداً من كثير من اللهجات العربية العامية مثل الطرؤ بتاع مالطا «طرق مالطا» بالاسم بتاع الاديسين «بأسماء القديسين» في وين يعيشو الشياطين «فأين تعيش الشياطين»
أرأيت ألم أقل لك من قبل ان الشاعر يتحدث لغة قريبة من لغتك .؟

عبد العزيز السيد المصرى

● كنت في الحياة كحزمة قصب في مهب الرياح .. لم تحطمني .. لم تقتلعني الريح أبداً .. لكن لاتسلني : كم مرة كفأتي ولعقت الرماد؟

● دخلت الحديقة مساء .. لم أرشيئاً .. كان الظلام كثيفا .. ولكن النعناع ناداني برائحته العطرة : أنا هنا .. بأي شيء تريدني أن أبوح ؟

# ميشيل خليفي

# أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة

بقلم : سمير فريد

أسبوع النقاد الدولى الذى يقيمه اتحاد نقاد السينما هو أقدم البرامج الموازية فى مهرجان كان . وقد أقيم عام ١٩٨١ للمرة العشرين حيث عرض ٧ أفلام طويلة من ٧ دول من بين ٩٩ فيلماً من ٢٨ دولة شاهدتها لجنة الاختيار ، وكلها الأفلام الأولى والثانية لمخرجيها حسب قواعد الأسبوع .

وأهم فيلمين عرضا فى أسبوع النقاد العشرين هما الفيلم الألمانى من ألمانيا الاتحادية «مالو» اخراج جانين ميرافيل ، والفيلم الفلسطينى «صور من مذكرات خصبة» اخراج ميشيل خليفى ، وهو فى الواقع فيلم بلجيكى صور فى فلسطين المحتلة (اسرائيل) ، ولكن مخرجه فضل أن يعرضه باسم بلاده فلسطين .

ومن غريب المصادفات أن يعبر فيلم «مالو» عن المشكلة "يهودية بينما يعبر فيلم «صور من مذكرات خصبة» عن المشكلة الفلسطينية . وأن تكون مخرجة الفيلم الأول يهودية ، ومخرج الفيلم الثانى فلسطينياً . أما فيلم «مالو» فيعبر عن «المشكلة اليهودية» من خلال مدرسة ألمانية تدعى حنا تعيش مع زوجها المهندس فى برلين الغربية ، وتحاول أن تعرف كل شىء عن والدتها «مالو» التى هربت فى الثلاثينات من الاضطهاد النازى ، وهاجرت مع زوجها الى الأرجنتين حيث ماتت هناك . والفيلم سيرة ذاتية لمخرجته التى عاشت سنوات الحرب مع أسرتها فى الأرجنتين وعادت الى المانيا الغربية بعد الحرب ورغم جودة الفيلم من الناحية الفنية ، إلا أنه فيلم ميت يكرر اسطوانة مشروخة عن اضطهاد اليهود فى عهد النازى ، والمؤكد أنه لم يكن جديراً بالفوز بجائزة فيبريسى لأحسن افلام البرامج الموازية .

أما فيلم «صور من مذكرات خصبة» فهو أحد أهم أفلام مهرجان كان ١٩٨١ بصفة عامة ، وليس فقط افلام برنامج أسبوع النقاد . وقد عرض لأول مرة فى مهرجان قرطاج سنة ١٩٨٠ وفاز بجائزة العمل الأول وجائزة النقاد ، وكان اكتشاف المهرجان بحق ، بل لقد خسر المهرجان التونسى بعدم فوز هذا الفيلم بالجائزة الكبرى سواء من الناحية الفنية أم من الناحية السياسية.ففيلم «صور من مذكرات خصبة» يمثل فصلا جديداً فى تاريخ سينما المقاومة الفلسطينية ، انه أهم فيلم تسجيلى فى السينما العربية منذ الفيلم السورى «الحياة اليومية فى قرية سوريا» اخراج عمر أميرالاى عام ١٩٧٢ .

ميشيل خليفى ولد فى قرية يافة الناصرة بالجليل فى فلسطين المحتلة عام ١٩٥٠ هو ظاهرة فى حد ذاته . انه من جيل فلسطينى ولد فى ظل الاحتلال الصهيونى الاستيطانى لفلسطين ، فتعلم العبرية مع العربية منذ نعومة أظافره ، وحمل هوية «اسرائيلية» منذ أصبحت له أوراق رسمية وقد كان المتوقع بالنسبة للسلطات الاسرائيلية أن يكون هذا الجيل هو اقل الأجيال الفلسطينية قدرة على مقاومة الصهيونية ، بل لقد كان هذا ما يعتقده بعض العرب أيضاً خارج وداخل الأرض المحتلة ، ولكن على العكس تماماً يبدو هذا الجيل من خلال فيلم «صور من مذكرات خصبة» أكثر الأجيال رغبة فى المقاومة ، وأكثرها قدرة على المقاومة أيضاً . انه جيل يعرف جيداً ما هى اسرائيل وما هى الصهيونية . ومعرفة اسرائيل والصهيونية جيداً تجعل أى انسان فى العالم ، وليس فقط فى فلسطين المحتلة ، معادياً لاسرائيل والصهيونية .

ولقد شاهدت أغلب الانتاج السينمائى الصهيونى الذى صور فى فلسطين وكذلك أغلب الانتاج السينمائي الاسرائيلى ، ولكن المرء لا يستطيع أن يتعرف على «المكان الفلسطينى» إلا فى فيلم ميشيل خليفى . انهم جميعاًيصورون داخل الغرف المغلقة ، أو فى المعسكرات الحربية ، أو شوارع المدن التى تم بناؤها على اطلال القرى العربية ، ولكننا فى فيلم «صور من مذكرات خصبة» نشاهد لأول مرة الأرض

الفلسطينية وجمالها الطبيعى الخلاب ، والعمارة الفلسطينية القديمة . بل ونشعر بايقاع مختلف ، واحساس مختلف بالضوء واللون .

ويبدو هذا الأمر للوهلة الأولى مثيراً للدهشة . ولكن الواقع انه أمر طبيعى تماماً . فميشيل خليفى يصور أرضه ، وأولئك الغزاة يصورون فى أرض غيرهم والغزاة يشعرون دائماً بوعى أو بغير وعى انهم غزاة . و «صور من مذكرات خصبة» هو أول فيلم فلسطينى فى تاريخ السينما . فقبل الاحتلال عام ١٩٤٨ لم يتمكن أى فلسطينى من اخراج فيلم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وبعد الاحتلال لم يتمكن أى فلسطينى من صنع فيلم داخل فلسطين إلا ميشيل خليفى مستغلا هويته «الاسرائيلية» الرسمية ، وتناقضات الكيان الصهيونى



سحر خليفة فى فيلم ميشيل خليفي

درس ميشيل خليفى بالمعهد القومى العالى لفنون العرض فى بروكسل وتخرج عام ١٩٧٧ بدراسة عن الأدب والثقافة عند العرب فى «اسرائيل» وفيلم تجريبى بعنوان «حدود» عن قصة قصيرة للكاتب الفلسطينى أميل حبيبى وأثناء دراسته عمل ميشيل خليفى مساعداً للمخرج الفرنسى روبير حيروتيس فى مسرحية «القصر فى الحقول» التى قدمت على المسرح القومى البلجيكى عام ١٩٧٥ م ، وفى مسرحية «السلطة البيضاء» التى عرضت فى باريس فى نفس العام .

وبعد تخرجه ، عمل ميشيل خليفى فى التلفزيون البلجيكى مساعداً للمخرج ميشيل جاكار فى فيلم «المناجم» عام ١٩٧٧ ، ومخرجاً لثلاثة تحقيقات سينمائية هى «الضفة الغربية : أمل الفلسطينيين» و«المستعمرات الاسرائيلية فى سيناء» عام ١٩٧٨ ، و «الفلسطينيون والسلام» عام ١٩٧٩ . كما اشترك فى اخراج تحقيق «الحرب فى جنوب لبنان» و «الاشرفية» عام ١٩٧٨ . واخرج للراديو البلجيكى ثلاثة برامج عن الموسيقى العربية ، ورواية «المرأة الثانية» للكاتب الارجنتينى جوليو كورتازار عام ١٩٧٩ ، واشترك فى اخراج رواية «أرض المنفى» للكاتب البلجيكى بيير ميرتينس فى نفس العام .

وبالتعاون بين خمس شركات صغيرة اثنتان فى بلجيكا وثلاث فى هولندا تمكن ميشيل خليفى من اخراج فيلمه الطويل الأول «صور من مذكرات خصبة» الذى صوره ايف فاندرميرسين ومارك أندريه باتين وقامت بمونتاجه المونتيرة التونسية مفيدة التلالى .

وكما أن «صور من مذكرات خصبة» هو أول فيلم فلسطينى يصور داخل فلسطين فى تاريخ السينما ، كذلك هو أول فيلم يعرض باسم فلسطين فى تاريخ مهرجان كان . ومن المعروف أن مهرجان كان هو أكبر ميدان تستخدمه الدعاية الصهيونية فى مجال السينما . وقد كان وجود كلمة فلسطين فى البرنامج ولو مقرونة بكلمة بلجيكا حدث هام . والفضل فى ذلك يرجع الى البندقية الفلسطينية التى تفرض الوجود الفلسطينى على عالم لا يعترف إلا بالقوة ، ثم الى المستوى الفنى الرفيع للفيلم الذى لم تملك ادارة المهرجان ازاءه إلا أن توافق على رغبة المخرج فى عرض الفيلم باسم فلسطين حتى يحظى جمهور المهرجان بمشاهدة هذا الفيلم الجميل الأصيل .

يبدأ فيلم «صور من مذكرات خصبة» بكتابة أهم تواريخ القضية الفلسطينية فى لافتة واحدة من المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ الى حرب ١٩٧٣ مروراً بفرض الانتداب البريطانى على فلسطين وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، ثم انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

وهذه اللافتة الموجزة التى تسبق عناوين الفيلم تشير الى موضوع الفيلم فمن خلال التركيز على حديثين طويلين لامراتين من فلسطين قد يبدو الموضوع هو المرأة الفلسطينية ، ولكن الواقع أن موضوع الفيلم هو القضية الفلسطينية ، والأرض الفلسطينية ، وما المرأة هنا إلا رمز للارض ، ورمز للأمومة والخصوبة المتجددة .

وما يؤكد ذلك ان المرأة الأولى وهى فرح رومية من يافة الناصرة أى من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٤٨ ، وان المرأة الثانية وهى سحر خليفة من رام الله بالضفة الغربية ، أى من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ . وان كلا منهما تقاوم الاحتلال ، ولكن بطريقتها الخاصة النابعة من بيئتها والطبقة التى تنتمى اليها والزمن الذى عاشت فيه . وتكمل كل منهما الأخرى على نحو مدهش فهذه عاملة فى مصنع وتلك كاتبة من الطبقة الوسطى . هذه من قرية وتلك من مدينة . هذه مسيحية وتلك مسلمة . هذه فى الخمسينات من عمرها وتلك فى الثلاثينات . هذه تقاوم عن طريق التمسك بالأرض ، وتلك تقاوم بالكلمة عن طريق الكتابة .

وليس معنى أن موضوع الفيلم هو القضية الفلسطينية والأرض الفلسطينية أنه لا يتناول قضية المرأة ، وهى هنا المرأة الفلسطينية فى ظل الاحتلال ولكنه يتناول هذه القضية فى اطار تناول القضية الأساسية التى

# أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة

يعانى منها الانسان الفلسطينى رجلا كان أم امرأة . والحقيقة التى تبدو فى الفيلم أن المرأة الفلسطينية من خلال مقاومة الاحتلال تنهى كل الأوضاع الشاذة الموروثة للمرأة العربية حيث يصبح تحرير المرأة شرطاً للمقاومة ، ويصبح تقييدها تكريساً للاحتلال . ومن الملاحظ أن كلا المرأتين تعيشان بدون رجل .

فالأولى فرح رومية أرملة مات زوجها فى بيروت بعد حرب ١٩٤٨ ، وكان عليها أن تعمل لتربى أولادها . والثانية سحر خليفة مطلقة لم تستطع أن تعبر عن نفسها بالكتابة إلا بعد طلاقها .

تقول سحر خليفة «تزوجت وانا بنت ١٨ سنة ، وطلقت بعد ١٣ سنة وبدأت من جديد . كانت أمنية حياتى أن أعبر عن نفسى بطريقة أخرى . بعد أن طلقت فكرت أرجع للدراسة . دخلت جامعة بير زيت ودرست أربع سنين .. وفى هذا الوقت نشر كتابى الأول . وبعد أن انتهيت من الدراسة نشر كتابى الثانى .. والآن أنا أعمل فى نفس الجامعة ، وقد انتهيت من كتابى الثالث» . وتقول الكاتبة التى أصدرت ثلاث روايات عندما يسألها المخرج من وراء الكاميرا عن المرأة الفلسطينية المناضلة تحت الاحتلال «شو بتقصد بالمناضلة .. اذا كان بدك مناضلة صحيح مش لازم تكون أنا .. أنا لي حياتى العادية لا باخرج بالمظاهرات ، ولا سجنت ، ولا عملت اللي ممكن أتسمى بيه مناضلة .. نضال حقيقى» . وفى هذا تعبر سحر خليفة بصدق عن شعور الكاتب بالعجز ازاء البندقية .

ويبدو التركيز على قضية المرأة فى الحوار مع سحر خليفة ، وذلك بحكم تكوينها وثقافتها . فالى جانب حديثها عن حياتها الخاصة كمثال على قدرة المرأة العربية على التحرر من سيطرة المفاهيم الموروثة السائدة ، نراها تتحدث فى زهو عن ابنتها التى تدرس طب الأطفال فى لينجراد ، وتشترك مع فرقة موسيقية للشباب فى اعداد اغنية ذات طابع فولوكلورى تسخر من الرجل التقليدى الذى يتعامل مع المرأة مثل الديك ، ولا يترك للمرأة من البيضة إلا قشرتها ، ومن الفرخة إلا ريشتها .

وبقدر ما تمثل سحر خليفة مستقبل الانسان الفلسطينى ، بقدر ما تمثل فرح رومية ماضيه العريق ، وبقدر ما يمثلان معاً حاضره المضطرم حيث يواجه هجمة شرسة لم يتعرض لها شعب آخر فى التاريخ الحديث والمعاصر . تغنى فرح رومية لحفيدها "شادى" أغنية فلسطينية قديمة من أغانى المهد ولكن هذه الأغنية تتحول بالتدرج الى أغنية حزينة تندب الأرض الضائعة . وفى مشهد آخر تحكى فرح رومية عن عائلتها المشردة فى أقطار العالم من خلال صور ألبوم العائلة . فهذا فى أمريكا وذاك فى كندا ، وهذه فى الأردن ، وتلك فى لبنان . يجسد هذا الحديث «الشتات الفلسطينى» أدق تجسيد .

وفى مشهد من أروع المشاهد فى السينما العربية نرى فرح رومية فى المطبخ تقشر البطاطس ، ومعها ابنتها وزوج ابنتها . يطلب منها زوج الابنة أن تبيع قطعة الأرض الصغيرة التى صادرتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، فتقول لا . يرد عليها بان الأرض ضائعة لا محالة ، وعلى الأقل تستفيد العائلة من ثمنها . تقول لا ، لقد عملت من أجل تربية أولادى ، والآن كبروا وتزوجوا ويعيشون مثل كل الناس . ويرد عليها بأن هذا الوضع استمر ثلاثين سنة ، ومن الممكن أن يستمر ثلاثين سنة أخرى . تقول لا ، ولو استمر ثلاثمائة عام .. لا .. لن أبيع الأرض .. لا يتوقف الحوار إلا عندما تنهيه ابنتها قائلة لا فائدة ، ولا داعى لارهاق العجوز أكثر من ذلك .

لقد قال الملوك والرؤساء العرب ثلاث لاءات ، وقالت فرح رومية مائة لا وهى تجلس فى المطبخ تقشر البطاطس . ولو عاش بريخت ورأى هذا المشهد لانتفض من الفرح فالمقاومة الحقيقية هى مقاومة الانسان العادى وهو يمارس أعماله العادية حيث تصبح المقاومة جزءاً من الحياة اليومية ، وليست ترفاً لاثبات الذات ، أو اخفاء الشعور بالذنب .

ان فرح رومية تملك هذا الحس التاريخى اليقظ بأن الزمن مهما طال لا يجعل الحق باطلا ، ولا يجعل الباطل حقاً . انها تدرك أن الانسان الفلسطينى عاش على هذه الأرض قروناً طويلة ومن يحسب تاريخه بالقرون لا يؤثر فيه عشر سنوات ، أو ثلاثين ، أو ثلاثمائة على حد تعبيرها . وهذا الحس التاريخى سواء كان مدركاً بوعى كامل ، أو دون وعى دقيق ، هو الذى يحمى الانسان الفلسطينى من الفناء الثقافى ، كما تحميه البندقية من الفناء الجسدى وينتهى فيلم «صور من مذكرات خصبة» ببطلته فرح رومية وهى تمارس عملها فى



فرح روميه فى فيلم ميشيل خليفي

المصنع ، وتضرب القطن بقوة ، وفى ايقاع منتظم ، وتتوقف الصورة لنركز عليها طويلا .

وتبدو أصالة ميشيل خليفى فى تعامله مع الواقع الفلسطينى الذى يعرضه باعتباره جزءًامنه ، وليس طرفاً ينظر اليه من عل فنرى أحد المشاهد يصور فتاة تتجمل وهى تغنى أغنية «غازلاله يا امه بايدى الطاقيه» ، وإزاى يامه ما يلبسهاش» من أولها الى آخرها . ومع استمرار الأغنية ، نرى العديد من اللقطات لفتيات ينتظرن فى الشرفات والنوافذ . وفى مشهد آخر يصور فرح رومية وهى تذهب الى أحد «الشيوخ المباركين» حتى يصنع لها تعويذة تحميها ، وتحمى أسرتها وأرضها . وطوال المشهد نرى لقطات طويلة للأرض على صوت الشيخ ، وهو رجل مسلم يستشهد فى مناجاته بالعديد من آيات القرآن الكريم .

إن أغلب المخرجين العرب وخاصة أصحاب الشعارات الكبيرة والأحاديث الكثيرة يترددون فى تصوير مشهد للعذارى ينتظرن الرجال فى فيلم يدافع عن حقوق المرأة ، أو فى تصوير مشهد تستعين فيه البطلة بالتعاويذ لكى تحمى أسرتها وأرضها فى فيلم عن النضال من أجل حرية الانسان وتحرير الأرض ، بل وفى تصوير امرأة مسيحية تستعين بشيخ مسلم يردد آيات القرآن . ولكن ميشيل خليفى لا يتردد فى تصوير كل هذا ليس فى اطار وصف الواقع ، فنحن بازاء فيلم تحليلى من الدرجة الأولى ، وإنما لانه يسعى لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية بكل جوانبها ، ولأن هذه الشخصية بكل جوانبها وليس بجانب منها فقط ، هى التى تقاوم الاحتلال الصهيونى .

ويبدو هذا السعي لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية أيضاً في المشاهد التى يصور فيها ميشيل خليفي شوارع قرية يافة الناصرة وحقولها ، والفلاحين وهم يعملون فى هذه الحقول ، والمشاهد التى يصور فيها مدينة نابلس حيث تعيش سحر خليفة ، وبناياتها المتميزة فى سفوح الجبال ، وكذلك في المشهد الذى تتطلع فيه اسرة فرح رومية الى التليفزيون يعرض مسلسلا يمثله يوسف شعبان مع تيسير فهمي فى ملابس عربية قديمة ، وفى مشهد العرس الفلسطيني الذى تحضره هذه الأسرة ، والذى يقدمه بكافة تفاصيله وطقوسه، ومشهد زيارة النساء للمقابر فى الأعياد والمناسبات الدينية .

والبناء الدرامي لفيلم «صور من مذكرات خصبة» يوضح طابعه التحليلي فهو يقدم فرح رومية تحكي قصة حياتها على شريط الصوت ، بينما نراها فى حياتها اليومية على شريط الصورة تذهب الى محطة الأتوبيس وتنتظر لتذهب الى عملها . ثم يقدم بعد ذلك سحر خليفة فى منزلها . وبعد تقديم بطلتيه ، وتحديد المكان الذى تنتمي اليه كلا منهما على الشاشة والزمان الذى يتم فيه اللقاء معهما عام ١٩٨٠م ، يبدأ مونتاج متواز طويل بينهما ، ولكنه ليس المونتاج الذى يقارن ، فيقدم لقطة هنا ولقطة هناك ، وانما المونتاج الذى يدرس ويحلل بمنطق جدلي . فقد نستمر مع فرح رومية طويلا ونعود فجأة فى لقطة سريعة الى سحر خليفة . وقد نستمر مع هذه طويلا ، و نعود الى تلك فى لقطة أخرى وهكذا .

إن ما يحكم الانتقال بين لقطة وأخرى عند ميشيل خليفي ليس هو منطق الرد ، وانما منطق التعبير عن فكره . فنجد الانتقال من حوار فى سيارة سحر خليفة عن ظروف المقاومة ، الى أغنية «باديك يا أبو القنبره عليش طلقت المره » . ومن فرح روميه تغني لحفيدها فى المهد ، أى العمل فى الحقل . ومن الحديث عن العائلة المشتتة أى العرس الفلسطيني . ومن النساء في المقابر ، الى ابنة فرح روميه تنظف طفلها .

وفيلمنا ليس مزيجاً من السينما الروائية والسينما التسجيلية ، وانما هو من هذه الأفلام التى يمكن أن نطلق عليها الى حين العثور على تسمية أفضل بأفلام السينما الخالصة . فقد يقال انه فيلم تسجيلي يتقن مخرجه ادارة شخصياته كما يدير المخرج الروائي ممثليه ، وقد يقال انه فيلم روائي يستخدم مخرجه شخصيات عادية بدلا من الممثلين المحترفين . ولكن الابداع السينمائى هنا فى علاقة الكاميرا بما تصوره ، وهي علاقة مباشرة وحميمة . والحديث عن المخرج بين السينما الروائية والسينما التسجيلية هو نوع من العبودية لتقسيم الأجناس السينمائية ، وهو فى جوهره عبودية للغرب ولمنطق ديكارت .

ويجمع ميشيل خليفى بين فكر المناضل واحساس الشاعر . والشعر هنا هو شعر اللغة السينمائية حيث يصبح فنان السينما فناناً تشكيلياً فى تكويناته واستخدامه للألوان ، وفناناً موسيقياً فى التعامل مع الفيلم كمساحة فى الزمان وفى استخدامه للموسيقى والمؤثرات الصوتية ولحظات الصمت . والموسيقى فى فيلم « صور من مذكرات خصبة » تنويعات على لحن شعبي فلسطيني يعبر عن رؤية الفنان للواقع ، ويؤكد سعيه لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية .

وتبدو شاعرية ميشيل خليفي منذ اللقطة الأولى بعد العناوين ، وهي لقطة «طبيعة صامتة» للخضروات والفاكهة فوق مائدة مطبخ . وفى اللقطات التالية لمنزل فرح روميه من الخارج ، والحياة اليومية فى قرية يافه الناصرة فى الصباح المبكر . وعندما تحكي فرح روميه عن عملها فى إحدى الأديرة قبل أن تعمل فى المصنع ، نرى لقطات للدير ولتمثال العذراء ، تعقبها لقطات للعمل فى المصنع . ومن أروع مشاهد فيلمنا مشهد العمل في الحقل ومشهد أغنية المهد التى تغنيها فرح روميه لحفيدها ، والتى تبدو مثل لوحات رمبرانت . وهنا تبدو الخلفية الثقافية لمصوري الفيلم ، وإن كان من الممكن أن نشاهد مثل هذا التكوين فى لوحات فناني أوربا التى تصور حياة المسيح في فلسطين . ويقدم المخرج أغنية المهد فى لقطتين طويلتين الأولى عامة والثانية متوسطة مع تحول معاني الأغنية .

إن ميشيل خليفي شاعر سينمائى فلسطيني عربي مسيحي يملك من الموهبة ، ومن الاصالة ، ما يجعلنا نأمل الكثير فى أفلامه القادمة ، ولعله يفرحنا دائماً ، كما أفرحنا فى فيلمه الأول . وإذا كان الاعجاب هو الشعور الغالب أمام بعض الأعمال الفنية فان الفرحة هى الشعور النادر : الفرحة العميقة التى تسيطر على كل الوجدان . إن « صور من مذكرات خصبة» عمل لا مثيل له فى السينما العربيـــــة .

سمير فريد

العالم في محنة

جمال كناني

# لماذا لا يفكر الإنسان المعاصر إلا في الدمار والانتحار ؟!

البشرية فى محنة لأنها تقف على شفا هاوية سحيقة تكاد تتردى فيها لولا أن الله لطيف بعباده فالبشرية تتفنن فى اتقان واعداد وسائل انتحارها وتدميرها لذاتها .

والبشرية فى محنة لأنها لم تقنع بالقنبلة الذرية سلاحاً يفتك بالناس كما فتكت بهيروشيما وناجاساكى ، بل أضافت اليها القنبلة الهيدروجينية ليكون الفتك أشمل والدمار أعم والقضاء أكثر حتمية على أكبر عدد من المخلوقات ..

وليت البشرية اكتفت بذلك كله ولكنها أضافت القنبلة النيوترونية لتصون البيوت وتفنى ساكنيها .. قنبلة رحيمة بالحجارة والأصنام ، تبيد بنى آدم والأنعام .

والبشرية فى محنة لأن الانسان بما اخترع وما ابتكر قد حرم نفسه حرية اتخاذ القرار فكل من الدولتين الأعظم مثلا تنظر الى الأخرى وتحسب لها ألف حساب قبل أن تتخذ أى قرار له أية صبغة دولية .

ولعل أحد أسباب هذه المحنة أن التوازن بين العلم من ناحية وبين الفن والأدب وما اليهما من ناحية أخرى قد اختل تماما فرجحت كفة العلم وشالت كفة الأدب والفن والفلسفة وما اليها ورجحت مع العلوم كفة الماديات وشالت مع الفنون كفة المعنويات والمثل والقيم .

وفى عصر العلم الذى يعيشه المجتمع ويعتمد فيه على التكنولوجيا ـ وبالتالى على العلم نفسه ـ يحمل العلماء على أكتافهم أكبر قسط من المسئولية .

العلم نفسه يواجه أزمة ..

وأزمة العلم تؤثر على بقاء الانسان مباشرة ، ولها مدلول عميق فيما يتعلق بمعتقداته وحكمه على القيم .

ومن العلماء من ينكر أن هناك أزمة ، ومنهم من ينكر أن العلم يواجه محنة ، وهؤلاء يواصلون عملهم كما واصل غيرهم العمل على مدى نصف القرن الماضى .

علماء أمريكا واليابان يزورون المختبرات البريطانية ويبدون إعجابهم بما تتمتع به من هدوء وسكينة واستقرار .. ومن هنا ندرك مدى اختلاف الظروف التى يواجهها العلماء فى مختلف البلاد ..

والمعروف أن مبنى البحوث العلمية فى إحدى الجامعات الأمريكية نسف ودمر ، وان العمل فى بعض المختبرات الأمريكية الرئيسية قد تعطل لأشهر طوال .. وأن الاضطراب شاع فى اليابان من زمن غير بعيد بعد أن كان العلم فيها يسير قدماً .. وعلى حين أن مرجع هذا الاضطراب ، أو الجزء الأكبر منه هو القلق الذى يملأ قلوب طلاب الجامعات ، وما يدركونه من فشل السياسية والسياسيين ، فانا نرى أن بعض هذا الاضطراب يرجع الى العلم نفسه بماله من منظمات وأسبقيات اجتماعية .

والملاحظ أنه حتى أولئك العلماء الذين يعملون فى هدوء بعيداً عن الاضطرابات ، قد تغيرت اتجاهاتهم نحو عملهم منذ نهاية الحرب بدرجة كبيرة . وعلى الرغم من ان العديد من العلماء لا يناقشون ما يعملون لا أننا نلمح ، على وجه العموم ، بعض التغيير . والسبب الرئيسي هو « القنبلة » .. فمن العلماء من كاد يفقد ثقته التى لا تتزعزع فى قيمة العلم . أما غير العلماء فيتساءلون علنا وبقدر متزايد عن قيمة العلم . وهناك من يذهبون الى أبعد من ذلك ويعترضون على الفكر العقلانى كلية ويلاحظون أن العقل وحده لا يحيط إدراكا بالتجربة الانسانية بكاملها ، وهم لذلك يشجبون العقل وينادون بأن يكون التصوف وحده هو الذى يهدينا خلال حياتنا ويوصلنا الى المستقبل .. ونرى شواهد انعدام الثقة فى العقل ممثلة فى الشعبية التى اكتسبتها الأنواع الدنيا من علم التنجيم . والدليل على أن هذا الاتجاه المنافى للعقلانية قد أخذ يسود وينتشر هو أنه اليوم رائج بين الشباب ومنهم المثقف . كما أن تلاميذ المدارس لا يقبلون كثيراً على المواد العلمية رغم الدور الهائل الذى يلعبه العلم فى الحياة اليومية .

## القيمة الفعلية للعلوم

ولما كان أمر القنابل النووية وما يتبعها من تلوث اشعاعى يشغل بال الناس ، فاننا نجد أن الملايين قد أخذت تتساءل عن القيمة الفعلية للعلوم . ولكن حتى اذا صرفنا النظر عن النواحى السلبية والتدميرية للقنابل النووية فاننا نجد أن المبالغ الفلكية التى تنفق على رحلات الفضاء والوصول الى القمر والدوران حول المريخ وغيره من الكواكب والأجرام السماوية تحدونا الى التشكك فى الفوائد التى تعود بها هذه المغامرات على البشر . زد على ذلك أن الناس فى هم وقلق بسبب السرعة التى بها يغير العلم حياتنا ونظمها ونسيجها .. السيارة والطائرة وأقراص منع الحمل والكمبيوتر وغيرها تغير تفكيرنا واتجاهاتنا . وهذا التغيير السريع لا يمكننا من الافادة مما نمر به من تجارب .. فالعلم يبدو وكأنه يجردنا من انسانيتنا .. نحن نعيش فى عالم جديد ... له قصصه الأسطورية الجديدة ... أجنة فى أنابيب اختبار ، ورجال يستبدلون بالكمبيوتر وغيرهم بالميكروتشب .. والفكر المنطقى المجرد يقضى على الدفء الانسانى والشعر .. فالراديكاليون اليساريون يعتبرون أن العلم وسيلة بعض الحكام لاخضاع الناس ، أكثر منه قوة لتحسين المجتمع وتغييره .

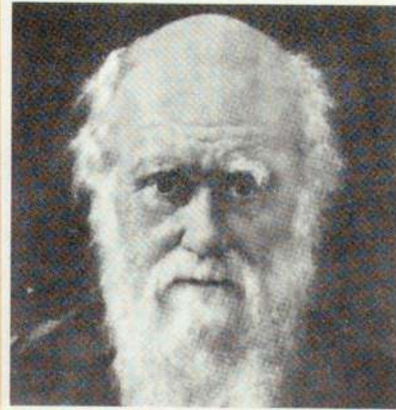
والعلماء ينظرون الى هذه المصائب كل من زاويته . والغالبية منهم تعمل بميل غريزى مبهم غامض دون أن تكون لها القدرة الكلامية والبلاغة اللازمة للرد على نقادهم . ومنهم من يرى أن مناقشة الصعوبات التى يواجهها العلم قد تؤثر على الوضع الراهن وتؤكد الجوانب غير المرغوب فيها . وهم يدينون الفئة التى تبشر بالويل والثبور ، لأن هؤلاء إما يرفضون العلم رفضاً تاماً أو أنهم يدفنون رؤوسهم فى الرمل . والعلماء ينفرون بفطرتهم ممن يكثرون وعظهم ولفت أنظارهم الى مسئولياتهم الاجتماعية . ولعل غريزتهم تصدقهم فى ذلك إذ أن العالم لن يحرز تقدماً لمجرد أن يضيف طبقة رقيقة من المسئولية الاجتماعية الى كتلة ما حققه العلم . والعلماء على حق فى قولهم إن العلم لكى يزدهر يحتاج الى أكبر قسط من الحرية وهم مع ذلك يسلمون بأن حرج موقف الانسان قد بلغ حداً يستلزم ويتطلب اجراء سريعاً .

وأهم ما فى هذه الاعتبارات جميعاً هو تكوين فكرة سليمة عن قيمة العلم حالياً . وليست الحاجة الى احساس بالقيم أمراً قاصراً على العلم وحده ، ولكنها تنتمى الى درجات المعرفة العليا على وجه العموم . وليس يخطىء من يقول إن للعلم قيمة لأن فى تطبيقه ما يعود على الانسان بفوائد جمة ، لكن هذا القول على صحته وسلامته لا يكفى . فهذه الفوائد معظمها مادى ، مثل تحسين مستوى المعيشة أو التغلب على الأمراض . ولهذه الاعتبارات الأسبقية الأولى فى المجتمعات المتخلفة ولكن الحاجة الى تقدم مادى فى البلاد المتقدمة تكنولوجيا ليست ماسة بهذا القدر ، والناس ، وخاصة الشباب يولون أكبر اهتمام لنوعية الحياة من حيث قيمتها الروحية وما فيها من علاقات انسانية .

وعلينا إذن أن نحدد قيمة العلم من ناحية تتعدى الناحية المادية وأن نذكر أن تطوير العلوم التجريبية فى القرن السابع عشر اكتسح الأثر العقدى السلبى الذى جاء نتيجة لعدة قرون من السكولاستية ، وفتح السبيل أمام عصر الفكر والثورة الفرنسية .

وكان افتتاح العالم الجديد رمزاً للتحرير الروحى للانسان ، ولازال من الممكن حتى يومنا هذا أن نمارس شيئاً من النشوة المبدعة التى صحبت ذلك التحرير ... خذ مثلا تلك الفرع من الطب الذى يتعلق بالجهاز العصبى ... مثل هذا العلم يجب أن لا يقتصر على التحكم فى الأمراض العصبية وحسب ، بل يجب أن يمهد لنا سبل فهم الطريقة التى يعمل عقل الانسان بمقتضاها وأن يلقى ضوءاً





داروين


فرويد

على ذات العقل نفسه ... داروين وفرويد كلاهما غير تفكير الانسان تجاه نفسه ، وكلاهما غير احساس الانسان بالقيم ... ومن نتيجة ذلك اننا نستطيع الآن أن ندخل الطبيعة الحيوانية فى حسابنا ونحن نقيم التسامح بين الناس ونرفعه على عمد وأصول جديدة . ولنا أن نتوقع عندما يتقدم علم النيورو بيولوجيا ، أى عندما يتواشج علم النيوروفسيولوجيا وعلم النفس بصورة اتم ، ظهور أضواء جديدة تلقى على طبيعتنا البشرية ، وأن تؤثر معرفة الذات على ما عندنا من قيم . فالعلم مفيد إذن من ناحية تعريفنا بذاتنا ومادمنا جزءاً من هذا العالم المادى فواجبنا هو دراسة ذلك العالم كله لكى يكون فهمنا لأنفسنا أكمل وأتم . وفى هذا تكمن قيمة العلم .

وواجبنا هو أن نسلم باننا لا نستطيع اليوم استعادة أو استرجاع تلك الثقة والدفعة التى مهدها العلم للانسان فى الماضى . فعلى الرغم مما هناك من توقعات ، منها مثلا معرفتنا لذاتنا عن طريق علم الأعصاب ، فاننا ندرك أن زيادة معرفة الذات لا تعنى بالضرورة زيادة فى الحكمة . ثم إن هناك ما يخاف من سوء استخدام هذا العلم فى السيطرة على بعض العقول . والهم الذى نحمله ، نتيجة قصورنا وعجزنا ، والذى كتف أيدينا ومنعنا من استعمال القنابل الذرية مرة أخرى هو الخوف وليست الاريحية أو التسامح .

ومن الناس من يسال عن الحاجة التى يسدها العلم ..

المفروض هو أن تطوير العلوم جاء نتيجة للقدرة على حل المشاكل ... تلك القدرة التى حصل عليها الانسان عن طريق الانتخاب الطبيعى ، لمواجهة الحاجات اللازمة للبقاء .

واذا قبلنا أن الانسان فى حاجة أساسية الى تطوير عقله وتنميته – وإلا تاخر وتراجع عقلياً – فان هذه الحاجة نفسها تنتمى الى مستلزمات البقاء ، وبهذا تتصل حاجات الانسان الأساسية بعضها ببعض .

ويجب لكى نوضح قيمة العلم أن نستغنى عن فكرة الفصل بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية وحاجات الانسان وهكذا ... ويجب أن لا يبتعد البحث العلمى وتدريس العلوم عن الحياة بجملتها (أى النواحى العاطفية للفرد والنمو العقلى والنشاط الثقافى والتنظيمات الاجتماعية ...) ونذكر أن اللورد سنو أشار ذات يوم الى ثقافتين مفصولتين فى مجموعتين من الرجال – العلوم والآداب ... وتقول إن الأدهى أن يكون هذا الفصل والانفصام فى داخل الفرد الواحد .. وفكرة المسئولية الاجتماعية فى العلم توحى بأن للعلم جزءه التفكيرى وجزءه العاطفى .. فاذا أمكن التوحيد بين الجزئين كان انتساب العلم لحاجات الانسان وآماله أفضل وأتم ، وكانت نواحى تجريد العلم للانسانية اقل ، وأصبح العلم قوة وأداة لتحسين المجتمع ، والمسئولية الاجتماعية جزءاً من كيان العلم نفسه .

وقد تتضح هذه الأفكار اذا نحن بحثنا ماهية العلاقة بين العلم والفن .. فهناك أولا مشكلات بينهما مشتركة .. وازمة العلم ليست إلا جزءاً من الأزمة الكبرى للثقافة . كما أن الفن والعلوم المتقدمة والسياسة والاقتصاد لا تنتمى كلها لحاجات الانسان تماماً وكلها مفتتة مقسمة . ولهذا أصبح الفن ، شانه فى ذلك شان العلم ، بعيداً عن مجرى الحياة ولم يعد كما كان مثلا فى بعض المجتمعات البدائية ، جزءاً من التراث لا يتجزأ يتواجد فى كل نواحى الحياة ، وفى كل الأمور والشئون اليومية ، وفى الدين . لقد أصبح الفن منفصلا ومتخصصاً لا يفهمه إلا القلة ، معزولا فى صالات العرض والمتاحف وصالات الموسيقى (وهو كالعلم يستعمل لأغراض سياسية وأغراض تجارية) .

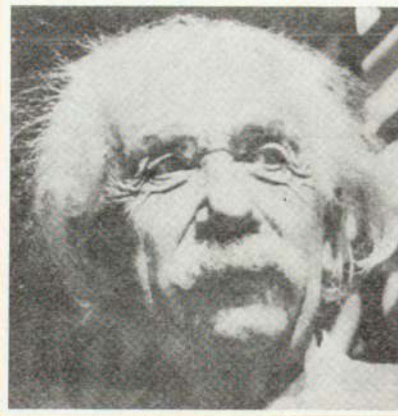
## بين العلم والفن

على أن هناك ما يدل على عودة التقارب بين العلم والفن ... هناك بعض معارض الفن / التكنولوجيا وغيرها مما يوحى بأن الثقافة تحاول بناء كيان جديد على قاعدة أوسع ، وفى هذا ما قد يؤدى الى تغيير يدخل على العلم نفسه ... ونحن نلمح بعض تباشير هذا التغيير ، فمن الطلاب من يلح فى المطالبة بنوع العلم الذى يتصل بالمجتمع .. وهناك البحوث العلمية فى مشاكل البيئة .

ومن الناس من يفترض أحياناً أن الحرص على تجنب التطبيقات الخطرة للعلوم، قد يحمل المجتمع على فرض قيود بغيضة على البحث العلمي، لأن في العلوم ناحية لا يمكن توقع نتائجها الفعلية، وقد نحرم من نتائج بحوث مفيدة بهذا السبب .. فالكنيسة مثلا كانت تؤمن باخلاص بأنها إنما تقوم بواجبها الاجتماعي لما حاولت منع جاليليو من ممارسة عمله. على أن مثل هذا الموقف لا يكون خطراً اذا لم يكن العلم في عزلة تامة عن المجتمع، فالمجتمع في هذه الحالة يقر ويسمح بالقدر من الحرية اللازم للبحث العلمي ويعتبره حاجة من حاجات الانسان الأساسية.

في القرن السابع عشر، مر تطور العلم بمرحلة كانت حرجة للغاية ولكنها كانت مرحلة ايجابية تنطوي على ثقة في العلم. أما اليوم، وبعد تطور هائل على مدى ٣٠٠ سنة، فالعلم يواجه مرحلة حرجة أخرى ولكنها هذه المرة مرحلة سلبية تعوزها الثقة في العلم ومواجهة هذه الأزمة تقتضينا أن نتوقع أن يحتاج العلم الى وسائل جديدة والى اتجاهات جديدة تبلغ من الراديكالية حداً يعادل راديكالية القرن السابع عشر التي واجهت الأزمة حينذاك .. ويجب هنا أن نلجأ الى الطريقة التجريبية، وقد نصل الى نتائج غير متوقعة عن طريق اعداد مشاريع جديدة للبحوث ورسم دراسات جديدة للطلاب وتنظيم ندوات ومناظرات وغير ذلك .. وليكن بدء الحوار محاولات لبناء أطر عقلانية، ومناقشة قيمة العلم. ثم علينا بعد ذلك أن نبحث بعض نواحي علم الحياة وتطبيقاتها العلمية، لأننا لا نستطيع بحث كل النواحي .. فهذا عمل ضخم ..

لنبدأ مثلا بالخصائص والصفات الوراثية للمكروبات، ثم للانسان، وننتقل بعدها الى بيولوجيا الجزيئات والخلية، ثم الى الطب. ونحن نبحث هذه الحقول العلمية المختلفة لا لأننا نهتم أساساً بتفاصيلها ـ رغم أن دراسة التفاصيل قد تكون لازمة لما نحن بصدده ـ ولكن لأننا نهتم بما قد تكشف عنه هذه الاعتبارات فيما يتعلق


اينشتاين

بالنظريات العلمية العامة والمجتمع.

وهناك أزمة الضمير التي تواجه العلم والعلماء .. هل نجح العلماء في حل هذه الأزمة يوم اتفقوا على صيغة قسم أو يمين جديد أقرها الاتحاد البريطاني لتشجيع العلوم في اجتماعه السنوي الذي عقد في عام ١٩٧٠ .. وهاك نص اليمين:

«نقسم بوصفنا علماء مسئولين اجتماعياً بأن لا نخفي على الناس أية معلومات تتعلق بالطبيعة العامة للبحوث التي نجريها أو عن استعمالاتها الخطرة».

على أن من العلماء من يرى أن هناك من المواقف ما قد يرغم العالم على إخفاء نتائج بحث من بحوثه اذا رأى أن للنتائج مدلولات خطرة أو أن فيها مثاراً للنزاع .. ويعارض هذا الرأي فريق يقول بأن ما يخفيه أحد العلماء اليوم قد يكشفه غيره وينشره غداً .. فلا داعي اذن لاخفاء النتائج بل الواجب أن تنشر على الملأ .. ويذكر الناس المشكلة التي واجهها عالم الفيزياء المجري زيلارد، أحد من اكتشفوا أهمية فلق الذرة، والاشعاع الذري، فلجأ الى صديقه أينشتاين وطلب منه أن يعلم الرئيس ايزنهاور بالأمر حتى لا يكون للألمان السبق في اختراع قنبلة ذرية يكون فيها هلاك العالم أو إذلاله ... ترى هل كان العالم المجري على حق فيما فعل ؟ ألم تكن نتيجة عمله ضرب هوريشيما وناجاساكي بقنابل الأمريكيين الذرية ؟ وهل هناك فرق أخلاقي أو مادي بين قنبلة ذرية يلقيها الأمريكيون وأخرى يلقيها السوفييت أو غيرهم ؟

يجب أن نذكر أن العالم قد لا يكون كفوأ لما يخترع .. قد يخترع مارداً ويعجز عن وضعه في قمقم ... الاختراع قد يكون أكبر من المخترع، والعلم أقوى من العلماء مجتمعين. ونعود الى صاحبنا زيلارد ونقول إنه كتب في يوم ٢ فبراير ١٩٣٩ لصديقه البروفسور جوليو كوري الفرنسي مقترحاً أن يعقد علماء الذرة اتفاقية ثورية مبتكرة تلزم كل من يوقع عليها بألا ينشر أي كشف جديد يحققه في مجال الانقسام النووي لليورانيوم. وكان ذلك في أعقاب ما جرى في ميونخ، وهتلر في أوج قوته وجبروته يدق طبول الحرب ...

وحدث أن نشر بعض العلماء إذ ذاك ما يدل على أن ذرة اليورانيوم يمكن فلقها وحذر زيلارد من عواقب التفاعل المتسلسل ومن أنه يوصل حتماً الى قنبلة ذرية بالغة الفتك والخطورة وهكذا نجد أن عالماً نووياً من وزن زيلارد ومكانته قد عبر عن حلم رجل الشارع الذي يطمع في فرض موراتوريوم على العلم والحد من نشاطه.

## أسئلة تشغل بال العلماء

على أن ما تلا ذلك من «يمين» أعده العلماء كما ذكرنا يدلنا على ناحية من نواحي الأزمة التي يواجهها العلم. ثم إن فرض موراتوريوم على العلم يعتبر اليوم، كما كان يعتبر من قبل. أمراً غير واقعي وغير عملي، إذ يستحيل فرضه إلا اذا أوقفت الحكومات والمؤسسات كل ما تقدم من عون مالي للبحوث والعلماء ... وهل توجد اليوم في العالم حكومة مهمة تقدم على ذلك والعالم في قبضة سباق التسلح ؟ والمفروض أن العالم الذي يسعى الى اضافة جديدة الى العلم لا يمكن أن يقبل مختاراً أن يفرض موراتوريوم على عمله ..

على أن فكرة الموراتوريوم الذي يقترح البعض فرضه قد تحتوي في طياتها على بذور فكرة أخرى قد تكون أقرب الى حيز




التنفيذ .. ونعنى بذلك فكرة اتفاقية اختيارية تبرم بين العلماء .. لأنه اذا جاز للعلم أن يعبر عن دخيلة ضميره فلابد وأن يكون التعبير تلقائياً صادراً عن محض اختيار العلماء أنفسهم وهنا يتساءل أهل الشك : هل يمكن التبشير والتأثير على العلماء وهم كتلة واحدة ؟ وهل العلم قادر على أن يخلق فى العلماء احساساً جماعياً بالمسئولية ؟ وهل يمكن للعلماء مجتمعين أن يقبلوا الأحكام الأخلاقية التى يفرضها عليهم مركزهم فى هذه الحضارة ؟

هذه أسئلة تشغل بال العلماء ، ولا تسمح لبعضهم بنوم هادىء ... ويمكن أن نقسم هذه الأسئلة الى قسمين يشغل كل منهما ناحية مختلفة من نشاط العالم وشخصيته ، رغم أن كلا منهما ينتمى الى الضمير الأخلاقى .

فالقسم الأول من هذه الأسئلة يتعلق بوجه عام بموضوعات «إنسانية» والثانى يتعلق بما نسميه التمامية الخلقية .

فالناحية الانسانية تتعلق بموقف الانسان من كفاح الشعوب المستمر للتفوق على غيرها وخاصة فى القدرة على شن الحروب . وعلى العالم أن يوازن بين شعوره بالوطنية وبين احساسه بالانسانية الكونية فاذا كان هناك ما يخصه هو أكثر مما يخفى غيره فهو شعوره كعالم بأنه ينتمى الى عشيرة دولية .

أما الناحية الثانية ، ناحية التمامية الخلقية ، فهى تنبع من ظروف العمل التى يفرضها العلم على من يزاوله ، فالعلم بحث عن الصدق والحقيقة لا ينتهى ، وعلى من يكرس حياته للعلم أن يقبل قيوده الصارمة ، وعليه أن لا يخفى أية حقيقة لأى سبب كان ولأى غرض ما يكون ، وعليه أن لا يفرق بين الهدف والوسيلة فالعلم لا يعترف إلا بالصدق والحقيقة وهو لذلك يرفض الوسائل الملتوية التى يلجأ اليها بعض الحكام الذين يستعملون وسائل غير مشروعة بحجة انهم يحققون بها أغراضاً نبيلة .

ويندر أن نجد بين الناس عاقلا متحضراً يرضى مختاراً أن يشن على غيره حرباً نووية .. أو حرباً يستعمل فيها قنابل النابالم أو الصواريخ الموجهة ، ولكنا نعرف أن الكثير من الحكومات تشجع تطوير هذه الأسلحة لأن واجبها نحو شعوبها يقضى عليها بذلك . لهذا نجد أن رجل الشارع يتمنى لو أن العلماء احتفظوا لأنفسهم بما يكشفون من أسرار رهيبة وهو يعلم أن رئيس حكومته مغلوب على أمره لأن مهمته الأولى هى حماية الشعب .

ومن العلماء من يرى أن الواجب الوطنى يقضى باطلاع رئيس الدولة على كل سر يكشف ، ولرئيس الدولة أن يتصرف فى ضوء ما يعرف من ظروف وبما يضمن مصالح بلاده . ومن الواضح إذن أن العالم الذى لا يجد من ضميره وازعاً على اجراء البحوث التى تساعد مجهود بلاده الحربى ، يجب أن لا يقبل القيام بأى جزء من هذه البحوث . واذا كان العالم ممن يكرهون الحرب ويشجبونها فواجبه هو أن لا يقبل أى منح أو مكافآت تقدمها أية هيئة عسكرية. ونحن نسلم بأن هذا عسير تنفيذه وخاصة فى بلاد مثل روسيا أو الولايات المتحدة حيث تتولى الدوائر العسكرية تحويل البحوث الفيزيائية كلها إما بطريق مباشر أو عن طريق غير مباشر .

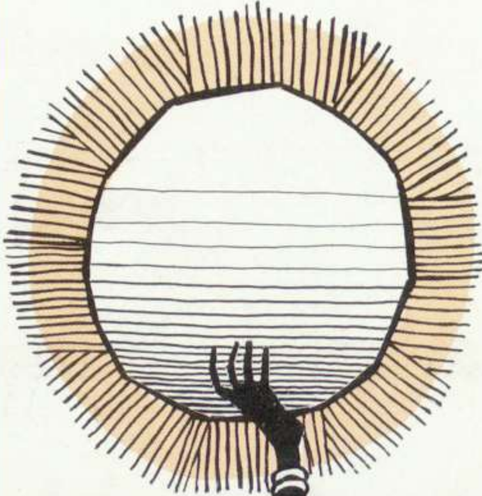
ولعل الوقت قد حان للوصول الى طريقة يمكن أن يفصل بها العلم عن الحكومة فصلا يكاد يكون تاماً فى جميع أنحاء العالم . والذى نعنيه هنا هو فصل من نوع الفصل بين الحكومة والكنيسة مثلا ... وعندنا على ذلك مثل كابتزا الذى رفض أن يمتثل لأوامر ستالين فى روسيا وماكس فون لاو الذى رفض العمل من أجل ألمانيا الهتلرية .

وهذا الفصل بين السلطتين ــ سلطة العلم وسلطة الحكومة ــ يعنى حتماً استبدال السياسات الوطنية بسياسات دولية يناقشها العلماء ثم يضعون صيغها التى يتفقون عليها . والأمل هو أن يكون حكمهم صائباً ، وكل حكم فى هذه الحياة يحتوى على تقدير صامت للقيم الانسانية والاجتماعية ، ولن يستطيع ممثلو العلم أن يتخلوا عن ذلك. ولسنا نضمن أن ينجح العلماء فى التوفيق بين العلم والانسانية ولكن الوقت قد حان لأن يواجه العلماء التزاماتهم الأخلاقية .

جمال الكنانى


ستالين


هتلر



# انطلاق

شعر: شهاب غانم



اريد البكاء
فيمنعي الخوف .. لا الكبرياء
وفي أضلعي جبل من شقاء

•

أريد السؤال
ولكن محال
لأن الظلال
تصيخ الى كل قيل وقال

•

أريد التنفس والانطلاق
وإلا فبعض هواء يطاق
فقد حز في لحم روحي الوثاق
وكدت اموت من الاختناق

•

اريد ولو لحظة من سلام
واحلم بالنور يولد بين الركام
بصيصا ..
فغيضاً يمزق حولي ستور الظلام
فاحظى بقهقهة في القتام

•

اريد ولو لحظة من أمان
اريد .. ويهزأ منى الزمان
ويغرز بين ضلوعي السنان

•

اريد الذهاب
ولكنه مثل لمع السراب
وامنع من ريشة فى عقاب
فقد أوصدوا ألف باب .. وباب

•

اريد الرحيل
فكيف السبيل ؟
وفي كل ركن تردى قتيل

•

اريد
ولكن .. ولكن .. ولكن ..
أريد الخلاص
ولو دكني وابل من رصاص



# سوق الفن نحو أزمة عالمية

## فشلت محاولة استدراج ثروات العرب والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية

رسالة باريس

من : عبود عطية

فى سنة ١٨٢٥ ، تزوج احد الموظفين فى مكتبة قرطاسية فى باريس ، ويدعى « جان دوران » من صاحبة المكتبة الآنسة « روبيل » وخطر على باله أن يضيف الى بضاعته بعض المواد التى يحتاجها الرسامون . مثل الأقمشة ، الدهان ، الريش الخ ... فكانت مناسبة لأن يتعرف على الكثيرين منهم الذين كانوا يعطونه بعض لوحاتهم مقابل المواد التى كانوا يأخذونها منه وبسرعة كبيرة ، اتبع نفس النظام ثلاثة من أصحاب المكتبات القرطاسية فى باريس . صحيح ان هذه اللوحات كانت تباع بأسعار بخسة جداً ، وكانت تؤجر فى غالب الأحيان ولا تباع ، ولكن خطوة « جان دوران » كانت نقطة الانطلاق فى تأسيس نظام تجارة الفن المعاصر . هذا النظام الذى سيضيف الى الذهب والنقد النادر الفن الذى أصبح بدوره نقداً نادراً ، وجزءاً مهماً من اقتصاد القرن العشرين واليوم ... ؟



قطعه من الفن الاسلامى من الهند .. عرضت فى أشهر مزاد فى العالم ◄

● العرض بدأ يفوق الطلب، وبعض الأعمال الهامة لا تجد من يشتريها

● فشلت محاولة استدراج ثروات العرب والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية



أغلى لوحة رسمت فى القرن العشرين .. بيكاسو بريشته .. واللوحة ثمنها خمسة ملايين و ٣٠٠ ألف دولار .

بيعت ، خلال شهر آيار من العام الماضي ، مجموعة لوحات حديثة حطمت أرقاماً قياسية عديدة : «جولييت ومربيتها» للانكليزي «تورنر» حصلت على أغلى سعر دفع مقابل أية لوحة فى التاريخ : ٢٦٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنك فرنسي ( حوالى ٤٫٦ مليون دولار ) . « حديقة الشاعر » «لفان غوخ» بيعت بـ ٢١٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنك فرنسي لتصبح أغلى لوحة من الانطباعية الجديدة . لوحة أخرى لبيكاسو وجدت من يشتريها مقابل ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك وأصبحت بذلك أغلى لوحة رسمت فى القرن العشرين . وخلال صيف هذا العام تحطمت الأرقام القياسية المدفوعة لأعمال بعض الرسامين مثل فرنان ليجيه ،سيسلي ، راوول دوفي ، بالتوس وبيكاسو . كل هذا يوحي بأن سوق الفن بات فى عز ازدهاره . ولكن ..

## صالات العرض

لجس نبض سوق الفن ، وللحديث عن ازدهاره وازماته ، لابد من العودة الى نقطتى انطلاق مترابطتين :

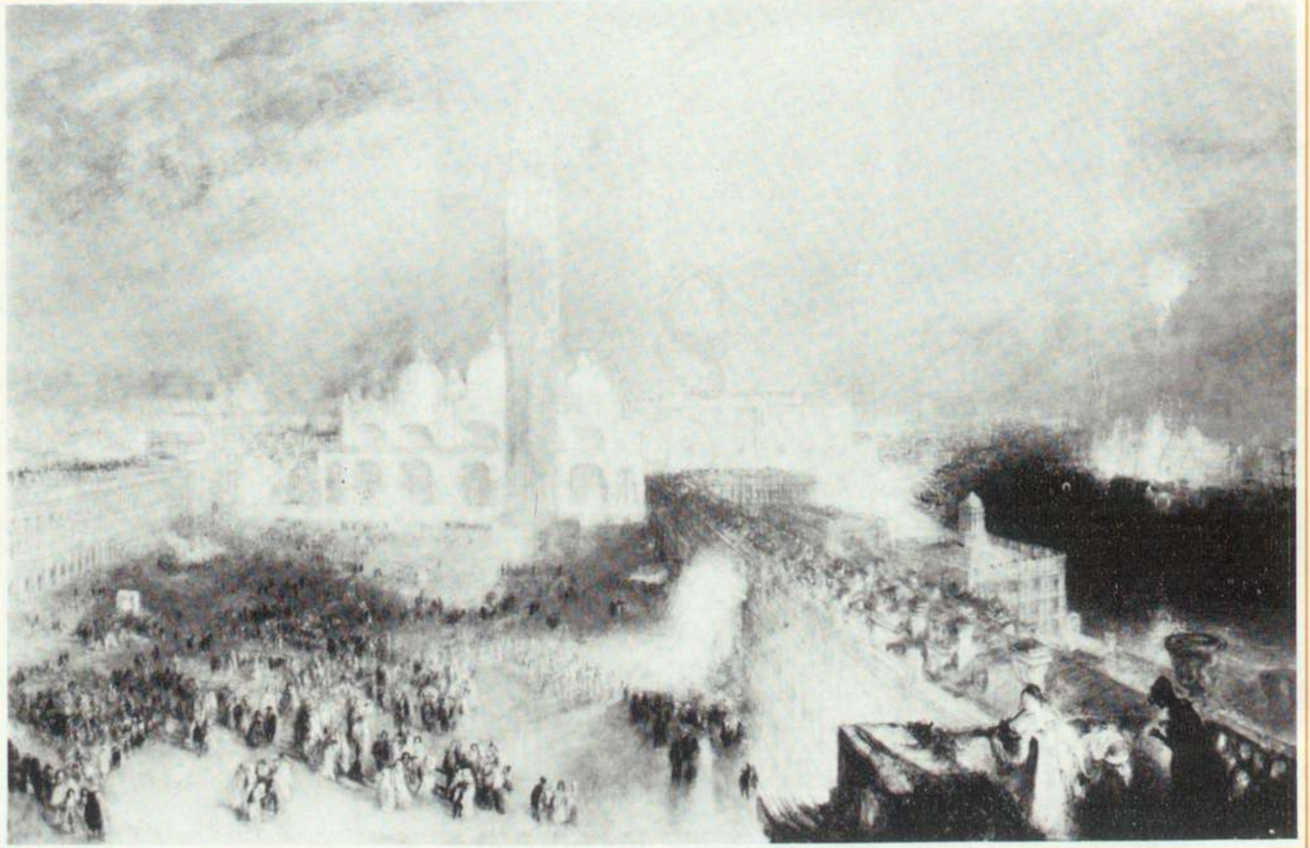
أولهما : نظام صالات العرض التجارية .

عندما تقيم صالة عرض معرضاً لفنان معاصر تأخذ بالاضافة الى العمولة المالية على المبيعات ، عدداً معيناً من اللوحات اذا كان هذا الرسام جديداً . المهم فى هذه الناحية ، أنه عندما تتبنى صالة عرض معينة رساماً ما ، تقيم له أكثر من معرض ، وأحياناً تلزمه بعقد يمنعه من التعامل مع غيرها فى بلدها . أي أنه مع الوقت ، تصبح هذه الصالة صاحبة عدد من لوحات هذا الفنان ، ويجب أن تبيعها والمعروف أنه كى تباع اللوحات بأسعار مرتفعة ، يجب أن تكون نادرة . أي بات على الصالة تحويل ما تملكه إلى نادر . الأمر ليس صعباً : فى الموسم التالى تتبنى الصالة رساماً جديداً ينتج بشكل مختلف . أي تساهم فى خلق مدرسة فنية جديدة . كي تصبح اللوحات المجمعة لديها منتمية الى مدرسة قديمة . لكنا نعرف أن الانطباعيين احتاجوا الى عشرات السنين كي يتم الأعتراف بهم كرسامين كبار . « الفن النظرى » لم يحتج الى أكثر من ٦ أشهر كي يصبح مدرسة رسمية . « والواقعية الدقيقة » أصبحت مدرسة عالمية خلال بضعة أسابيع فقط . حتى المتاحف التى كانت ما تزال متأخرة عن اللحاق بالسوق ، بدأت تساهم بشكل فعال وأكثر من صالات العرض ، فى تتويج بعض الرسامين .. متحف الفن الحديث فى نيويورك بات ينظم « معارض شاملة » تدعى « اعادة رؤية » لرسامين شباب . مثل المعرض الذى أقيم سنة ١٩٧٠ للرسام فرانك ستيلا . ولم يكن الرسام قد بلغ آنذاك ٣٤ عاماً. هذا التسارع ، كان ولابد من أن يؤدى الى أزمة ولكن كي تكون الأزمة حقيقية يجب أن ترافقها أزمة توزيع .

## سقوط الأسعار

أما النقطة الثانية فهى العرض والطلب ، فمبدأ سوق الفن لا يختلف عن غيره : عرض وطلب . وكي تستمر أسعار الأعمال الفنية فى الارتفاع يجب أن يبقى العرض دون الطلب والمثال الأوضح هو بلا شك الأسعار المدفوعة للوحات بيكاسو . فالمعروف أن بيكاسو ترك وراءه أكثر من ١٣ ألف لوحة ومنحوتة . ومع ذلك لا توجد فى باريس كلها سوى ما بين ٦ و ١٠ صالات عرض تملك أعمالا لهذا الرسام . ومن بينها لا توجد سوى ثلاث صالات فقط تملك لوحات مهمة من صنعه . فى حين أن الأكثرية الساحقة من أعماله مخبأة فى خزائن المصارف السويسرية والأمريكية .

ولكن الحفاظ على التوازن بين العرض والطلب لا يخضع دوما لمشيئة التجار أو الهواة . ففى سنة ١٩٧٤ ، كان سوق الفن أول ضحايا الأزمة الاقتصادية التى وقعت فى الغرب . والسبب هو أن هذه الأزمة أثرت على القوة الشرائية عند الهواة الذين هم فى غالب



جولييت ومربيتها للفنان الانجليزى « تورنر » .. أغلى لوحة فى التاريخ .. ثمنها ستة ملايين و ٤٠٠ الف دولار

الأحيان رجال أعمال ، وأصحاب أموال مستثمرة . فقد توقف هؤلاء الهواة عن الشراء لفترة . فسقطت الأسعار .

وتراوح السقوط ما بين ٢٠ و ٥٠ فى المائة ، وطال كل الفنون من الكلاسيكية حتى الحديثة مروراً بالانطباعية وغيرها ، ولكن سقوط الأسعار فى السوق يعين هبوط قيمة المجموعات التى يملكها الهواة بنفس النسبة .. وهكذا وجد الهواة أنفسهم مجبرين على الشراء ، على الأقل للحفاظ على قيمة ما يملكونه . وبالرغم من ذلك ، فان آثار هذه الأزمة ما تزال واضحة المعالم على السوق حتى اليوم !

## مؤشرات المستقبل

والسؤال المطروح الآن : وغداً ماذا سيحدث ؟

لاستكشاف وضع سوق الفن فى المستقبل القريب ، لابد من العودة الى بعض المؤشرات الحالية ، إن كانت هذه المؤشرات توحي بأن الطلب سيفوق العرض ، فلا خوف عندها على وضع هذا السوق ، ولكن إن كان العرض سيفوق الطلب ، فان السقوط سيكون عندها أكيدا . وقد يصعب الآن حسبان نتائج هذا السقوط ، ومعرفة الدرك الذى سيصل اليه .

وإذا ما نظرنا إلى مؤشرات الأزمة لوجدنا أن :

١ ـ عند افتتاح « مركز جورج بومبيدو للفن والثقافة » ، كان أكثر من ٤٥ تاجرا فرنسيا قد استاجروا صالات عرض فى الشوارع المحيطة بالمركز ، لأنهم اعتقدوا بأن وجودهم بالقرب من هذا القطب الثقافى سينشط أعمالهم . ولكن الرياح جرت بمالا تشتهي السفن ، فاضطر بعضهم لاعلان افلاسه ، وانسحب بعضهم من الميدان قبيل وصوله الى حافة الافلاس . من هذه الصالات يمكننا أن نذكر « لوبالكون دي زار » ، التى قدمت بضجيج كبير معرضاً جماعياً لسبعة رسامين من امريكا اللاتينية ، وبعد انتهاء المعرض باسبوع ، تحولت صالة العرض الى ... مطعم . واليوم ، لا يمكننا أن نعدد أكثر من ١٥ صالة عرض تمكنت من النجاة وبقيت فى المنطقة المذكورة .

٢ ـ فى « شارع السين » ( وول ستريت الفن فى باريس ) ، بدأ الركود يظهر بشكل واضح .. السيدة ليليان فرانسوا ، صاحبة الصالة التى تحمل نفس الاسم ، أكدت بانها دفعت ١٣ فرنكاً فرنسياً فقط كضريبة دخل عن فصل الشتاء المنصرم . بالرغم من أنها لم ترفع أسعار معروضاتها الغرافيكية والليتوغرافية منذ عامين . هذا وشهد الشارع المذكور والأحياء المحيطة به فى الضفة اليسرى من باريس ، افلاس خمس صالات عرض خلال الموسم الماضى ..

٣ ـ تتوقع دار المزاد العلنى البريطانية « سوثبي » أن تبلغ مبيعاتها حتى نهاية العام الحالى ٣١٧ مليون ليرة استرلينية . أى بزيادة ٣٤٪ عن العام الماضى الأمر نفسه ، تقريباً ، ينطبق على دار المزاد العلني كريستي التى تتوقع أن تبلغ مبيعاتها هذا العام ١١٧ر٥ مليون ليرة استرلينية . أى بزيادة ١٦٪ عن العام الفائت . وإن كانت هذه الأرقام تبعث السرور فى قلوب المسؤولين فى هاتين المؤسستين ، فانها تبدو للعديد من المراقبين خطرة وملغومة . وذلك لسببين :

● هذه الأرقام تفضح ضخامة الكميات المعروضة للبيع . وتدل على ظهور اختلال بين العرض والطلب .

● هذه الأرقام تحوي ايضاً الأسعار التى دفعها أصحاب المجموعات لاعادة شراء مجموعاتهم . مثل ما حدث عند « كريستي » خلال مبيعات شهر تموز من هذا العام ، والتى كانت نتيجتها فى غاية السوء ، اذ أن أكثر من ٥٠٪ من اللوحات المعروضة للبيع اضطر أصحابها الى اعادة شرائها ، لأنها لم تجد من يدفع مقابلها الحد الأدنى المطلوب . ومن جملة

اللوحات التى لم تبع بعض القطع الهامة مثل لوحة تمثل الملكة « ماری - انطوانيت » رسمتها « فيجيه - لوبرون » ، وبعض رسوم « جان فوكيه » .

٤ - الجزر اليابانى : حتى سنوات قليلة مضت ، كان اليابانيون فى عداد زبائن الفن الأوربى المهمين . ولكن بعد أزمة ١٩٧٤ بدأ اليابانيون انسحابهم التدريجي . ولأول مرة ظهروا كباعة وليسوا كمشترين . خلال معرض « بال » للفن الحديث فى العام الفائت اقتصر حضور اليابان على ثلاث صالات فقط . وفى سوق الفن المعاصر فى باريس من نفس العام تمثلوا بخمس صالات فقط . الأمر ملفت للنظر بشكل خاص بسبب حضور اليابانيين القوى الذى اعتادته المعارض الأوروبية فى الماضى .

## ضرائب على الفن

٥ - الا ان أهم مؤشر لهذه الأزمة ظهر فى باريس خلال شهر اكتوبر من هذا العام ، عندما تقدم الوزير الفرنسي « لوران فابيوس » بمشروع قرار تعتبر بموجبه الأعمال الفنية من ضمن الثروات الخاضعة للضرائب .. صحيح أن مشروع القرار هذا قد الغي بتدخل من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران شخصياً . ولكن الحملة العنيفة التى خاضها تجار الفن والمعارضة اليمينية عبر وسائل الأعلام فضحت اكثر من عيب فى وضع سوق الفن فى باريس . كما أن هزيمة الوزير « فابيوس » لم تكن ساحقة . اذ استطاع فرض قيدين جديدين على سوق الفن :

● رفع الضرائب على سماسرة ، المزاد العلني بنسبة ٥٠٪ ودفعة واحدة .

● منع كل بائعي الأثريات والأعمال الفنية من قبول ثمن اية قطعة فنية نقداً ان كان هذا الثمن يتجاوز مبلغ ٥ الاف فرنك فرنسي . واجبار المشترين على توقيع شيك بالمبلغ لتسهيل مراقبته من قبل السلطات . وهذا يعني انه بات من الممكن أن يبيع الهاوى وهو مجهول . ولكن من المستحيل شراء قطعة فنية ذات قيمة كبيرة دون الافصاح عن هوية المشترى ، وبالتالى لفت الانظار الى ثروته فى فرنسا الاشتراكية . وهذا امر قد يدفع بالعديد من الهواة الى الابتعاد عن هذه السوق الملغومة . مما يصيب التوازن بين العرض والطلب باختلال كبير ، هذا الاختلال ظهر بشكل واضح فى تصريح لصاحبة مخزن الأثريات « ليتي »


Myles Birket Foster, R.W.S., *The Ferry*, one of a pair, both heightened with white, signed with monogram, each 17·5 by 12·5 cm.


Sir Edward John Poynter, Bt., P.R.A., H.R.S.A., R.W.S., *The Princess and the Frog*, signed with monogram, 58·5 by 43 cm.


Helen Allingham, R.W.S., *Gathering Firewood*, signed, 51 by 43 cm.


Charles Edward Wilson, *By the Cottage Door*, signed and dated 1904, 53 by 37 cm.


Buddig Anwylini Pughe, *The Nurse*, heightened with bodycolour, signed and dated 1896, inscribed on a label on the backboard, 62 by 81·5 cm.


Edward Killingworth Johnson, R.W.S., *The Arrival*, heightened with bodycolour, signed and dated 1878, 48 by 76 cm.


Myles Birket Foster, R.W.S., *A Village near Witley, Surrey*, heightened with bodycolour, signed with monogram, 23 by 33 cm.


Edward Robert Hughes, R.W.S., *A Viking: Portrait of Harold Norbury*, heightened with white, signed inscribed and dated 1903 on a label on the backboard, 51·5 by 32 cm.


George Goodwin Kilburne, R.W.S., *The New Arrival*, 28 by 24 cm.

Enquiries:
Simon Taylor

صفحة من كتالـوج مزاد « سوزى » الذى تم فيه بعض الصفقات الخيالية

فى باريس ، حيث لا توجد اية قطعة سعرها اقل من ١٠ آلاف فرنك ، اذ قالت : « انى لم ابع اية قطعة منذ ثلاثة أشهر .. وللاثبات ، الأمر بسيط : لم أدفع أي قرش كضرائب » .

## التهريب إلى الخارج

٦ - الصحف الفرنسية بأسرها بدأت تتحدث عن تهريب التحف والأعمال الفنية الى خارج فرنسا . خاصة بعدما شددت المتاحف الفرنسية فى فرض حظرها على الأعمال الهامة ومنعها من الخروج من البلاد . ولكن الهواة الذين تمكنوا من تهريب مجموعاتهم من فرنسا والتجار الذين بدءوا يعتمـــدون على الزبون الرئيسي المتبقى ، أى الزبون الامريكى ، أصبحوا اشبه بمقامرين منجرفين فى لعبة خطرة ، وذلك لسببين :

● اضطراب السوق الأمريكى . صحيح ان نيويورك هى المدينة التى تعرف أكثر من غيرها تحطيم الأرقام القياسية فى سوق الفن . ولكن الصحيح أيضاً ، هو ان السوق الأمريكى هو الأقل خضوعاً للمنطق والقوانين . العالم بأسره يتذكر ما حدث فى أواخر العام الماضى عندما اعلن متحف « ويتني » ، ومن دون اية مقدمات ، عن شراء لوحة لجاسبر جونس بمبلغ مليون دولار . وهو اغلى سعر دفع لأية قطعة فنية ما يزال صاحبها على قيد الحياة . وكان السوق الأمريكى اراد وضع هذا الرسام ، وفجأة ، فوق شاغال ودالى وأمثالهما . الأمر الذى علق عليه « جاسبر جونس » نفسه بالقول : « انها دعاية .. ليس لها أية علاقة باللوحة » . من ناحية أخرى ، نرى ان السوق الأمريكى لم يرفع قط من قيمة أعمال : « فرنسيس بيكون » و « دايفيـــد هوكني » و « اندى وارهول » بنفس المستوى خلال العامين الماضيين . هذا اذا تجاهلنا الهمس الذى يدور فى باريس حول سقوط أسعار لوحات اندى وارهول .

● ارتباط الهواة الامريكيين بوضع الدولار

## ● الاضطراب يقلّص عدد المشترين للوحات في فرنسا

وبنسبة الفائدة المدفوعة عليه . ان كان الفرنسيون يفضلون بيع لوحاتهم لأمريكيين ، وقبض قيمتها بالدولار . خاصة بعد سقوط الفرنك الفرنسي . فمن الغباء التوهم بأن الأثرياء الأمريكيين سيرمون بدولاراتهم فى سوق الفن من دون تفكير . فى حين أن المصارف باتت تعرض فوائد تتجاوز الـ ٢٠٪ ، وارتفاع اسعار الفائدة على الدولار الامريكى ، سيجعل من عائدات الودائع فى المصارف اضمن وأكبر من عائدات الاستثمار فى الفن . وسيقلص عدد الزبائن فى السوق .

### سوق للعرب

وبما ان هذا التحقيق موجه أساساً الى القراء العرب ، تجدر الأشارة الى بعض نقاط علاقتنا بالموضوع . وهى علاقة أكبر مما حاول البعض أن يظهرها حتى الآن .

بعد أزمة ١٩٧٤ ، انتبه تجار الفن فى أوربا الى ان العرب والايرانيين باتوا يملكون ثروات طائلة فحولوا قطع الفن الاسلامى التى كانت تباع كمتفرقات وفى مخازن قليلة ، الى سوق منظمة ، لها مزادات علنية خاصة بها ، ولكن ، وان عرفت بورصة الفن الاسلامى صعوداً مذهلا ومستمراً حتى عام ١٩٧٩ ، فيجب الاعتراف ان هذا السوق لم يعرف أبداً الاستقرار . ومنذ عام ١٩٧٩ باتت كل الدلائل تشير الى فشل المحاولة الهادفة الى جر الرساميل العربية والايرانية الى هذا الميدان . ويمكننا ان نذكر من أسباب الفشل ما يلى :

● جهل الخبراء الأوربيين بالبضاعة الجديدة . والأمثلة هنا أكثر من ان تحصى . منها ما جرى عند « كريستي » فى ٢٤ نيسان من العام الفائت عندما بيعت مخطوطة انجزت فى أيلول سنة ١٦٢٩ وتحوى ٨٠ رسماً ، قال عنها الخبير انها مجهولة الصانع . فى حين انها موقعة بيد « محمد صادق بن محمد الحافظ » . وللرسام نفسه مخطوطة مؤرخة ١٦٣٢ ومحفوظة فى المكتبة الوطنية فى طهران وخلال نفس المزاد ، وصف الخبير احدى القطع كما يلى : « .. وعاء اسبانى ــ عربي من الفولاذ صنع فى القرن السادس عشر » . فى حين ان القطعة هى من البرونز وصنعت فى ايران فى القرن التاسع . وفى باريس ، بيعت مجموعة من القطع الاسلامية فى ١٨ نيسان من العام نفسه ، وجاء المزاد العلني حافلا بالمفاجآت والفضائح . نكتفي هنا بذكر بعضها: خنجر ايرانى من القرن التاسع عشر كتبت عليه صلاة معروفة . صحيح ان احرفها متداخلة وتتعقد قراءتها ، ولكن الصلاة تحولت عند الخبير . الى اسم صاحب القطعة . كما ان قطعة تحمل بيتاً شعرياً بالفارسية للسعدي معناه « الهي ، اجعل المصير سعيداً » ( الهي اكبت محمود كردان ) أو شيء من هذا القبيل ، ظن الخبير انه توقيع الرسام . وقراه « من عمل محمود كردان » ، اسم وهمي آخر . الى كل هذا يضاف بعض « الأخطاء » . كأن يقول الخبير : « وعاء نحاسي من تركيا ، صنع فى القرن الثامن عشر » .. فى حين ان نفس الوعاء يبدو مالوفاً جداً فى سوق الحميدية فى دمشق ، وتفوح منه رائحة القرن العشرين .

● جهل الهواة . وهم فى معظمهم ايرانيون ولاعطاء أمثلة يمكننا ان نبقى فى نفس المزاد الذى تحدثنا عنه ( ١٨ نيسان ١٩٨٠ فى باريس ) . فى هذا المزاد ، رأينا أحد الايرانيين يشترى صحناً تركياً من السيراميك يعود للقرن السادس عشر ( قطره ٢٩ سم ) بمبلغ ٢٣٫٥٠٠ فرنك فى حين انه يستحيل بيعه فى أوربا بأكثر من ١٠ ــ ١٢ الف فرنك فرنسى . وقطعة من مخمل الحرير صنعت فى ايران فى القرن السادس عشر ( ١٢٢ × ٤٥ سم ) ومصابة بأضرار كبيرة بيعت بـ ٢١٫٥٠٠ فرنك . فى حين قطعة قماش صوفية من مصر الفاطمية وعليها النص التالى « نصر من الله لنزار ابي المنصور الامام العزيز بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه . باسم الله الرحمن الرحيم » . هذه القطعة تعود الى القرن العاشر ونادرة جداً ( ٧١ × ٣٢ سم ) قدرت قيمتها بـ ١٥ ألف فرنك على أقل تقدير . ولكنها بيعت بـ ٦ آلاف فقط . كما ان معظم المخطوطات والرسوم الهندية بيعت فى نفس المزاد بنصف قيمتها المقدرة . وأحياناً أقل .

● عدم انجراف العرب فى هذا السوق وذلك لسببين رئيسيين وهما أن نسبة القطع العربية الأصل لا تتجاوز ١٠٪ من مجموع القطع الفنية الاسلامية المطروحة للبيع فى أوربا . وقد يمكن فهم موقف المتاحف العربية التى لا ترى نفسها مهتمة بقطع فنية من صنع ايران أو الهند أو تركيا . خاصة وانها لم تستكمل بعد سيطرتها على كنوزها الفنية الخاصة بالبلاد العربية .. والسبب الثانى يكمن في أن مستوى القطع الاسلامية المعروضة فى أوربا لا يضاهي موجودات المتاحف والمكتبات فى الشرق ، بالرغم من أن مخطوطات وكنوز المكتبات العربية لا تلقى الأضواء التى تستحقها .

### قلق التجار والهواة

والآن ماذا سيحدث .

١ ــ قد لا يحدث شيء يستحق الذكر ، الا أن أكثر التوقعات تفاؤلا ، والتى تؤكد ان هبوطاً ملحوظاً فى سوق الفن امر غير وارد ، بدأت تعترف بأن ارتفاع الأسعار بالشكل الذى عرفناه فى الستينات وبداية السبعينات بات حلماً يصعب تحقيقه .

٢ ــ نظام سوق الفن بات يشبه صخرة كبيرة ــ تسندها حصاة صغيرة . وبامكان أي هاو كبير ، أو أي تاجر كبير أو وزير ، ان يزيح هذه الحصاة لتتدحرج الصخرة وينهار كل شيء . اذ يكفى اليوم ان يسجل سوق الفن هبوطاً لا يتجاوز ٣ ــ ٥٪ كي يسارع الهواة الى طرح مجموعاتهم للبيع بسبب قلقهم والجو المشحون الذي يعيشون فيه حالياً . وهذا ما سيجعل الأمور تتطور فى واحد من ثلاثة اتجاهات .

● استمرار هبوط أسعار الأعمال الفنية حتى وصولها الى أدنى مستوى عرفته سابقاً . أى خسارتها ما بين ٢٠ و ٥٠٪ من قيمتها التجارية ، وهذا ما عرفناه سنة ١٩٧٤ . وبعدها يعود الهواة الى الشراء لوقف التدهور وللحفاظ على قيمة ما يملكون .

● ان يتابع الهواة طرح مجموعاتهم للبيع ولو بخسائر كبيرة . فيكونون بذلك اشبه بمن يطفىء النار بالبنزين . خاصة اذا كان المناخ الاقتصادى العام لا يوفر هواة جدداً ، وعندها قد تهبط أسعار الأعمال الفنية بنفس الشكل والمستوى الذى هبطت فيه الأسهم الأمريكية خلال أزمة ١٩٢٩ .

● أن يتوقف الهواة عن الشراء ، وأن يمتنعوا عن البيع تماماً ، عندها قد يلجأ التجار الى تخفيض الأسعار للترهيب أكثر مما هو للترغيب . ولكن الكل يعلم انه ليس باستطاعة التجار تخفيض اسعار بضائعهم أكثر من ١٠ ــ ١٥٪ على الفنون القديمة ، و ٢٠ ــ ٤٠٪ على الفنون الحديثة . تبدأ بعدها سلسلة من إعلانات الافلاس فى صفوف التجار .

قد تبدو هذه التوقعات متشائمة . ولكن وضع سوق الفن حالياً يبرر كل أنواع القلق . خاصة وان الفن الذى كان يفترض به ان يكون تعبيراً عن مشاعر وتطلعات انسانية ، وان يقدم الملجأ والطمأنينة اللذين يبحث عنهما الانسان باستمرار ، تحول الى مصدر لقلق يقض مضاجع المستثمرين من تجار وهواة !

عبود عطية ــ باريس

# ضحكات الشهر





جاء الشتاء ... !!



بدون كلام ...!!



كرسى هندسى .. !!

الكاتب الجالس القرفصاء .. !!
ـ .. اتفضل يا بيه .. استريح .. !!





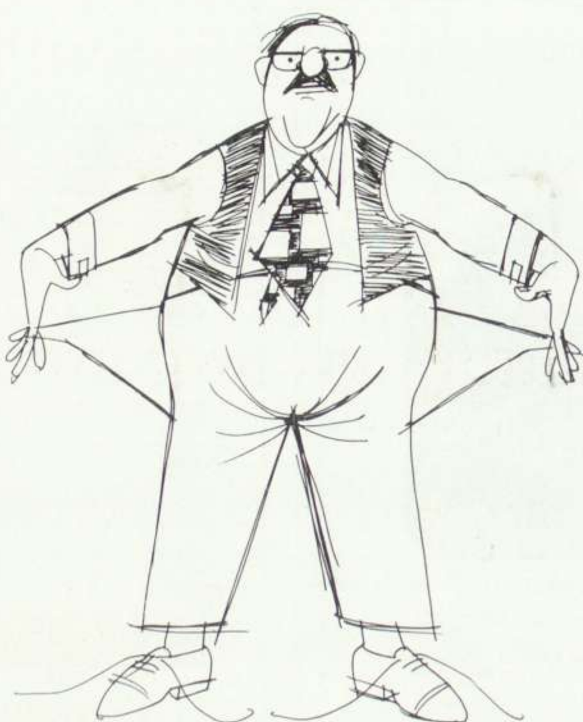




ـ ... !!



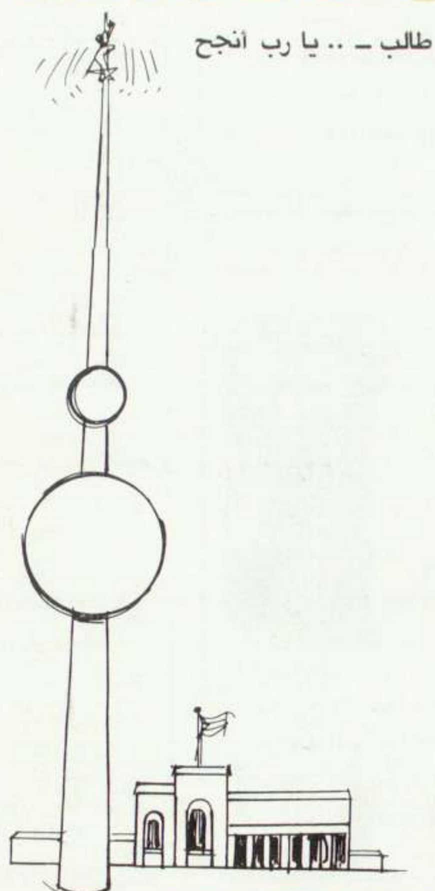
.. طبيخ الكوره ... !!



عصر الفضاء



الايرلنديون المضربون عن الأكل حتى الموت)
حرامى لحرامى .. ونضرب عن السرقة والنهب حتى نموت



طالب ـ .. يا رب أنجح



# دوحة القراء

## حاول أن تعرف



صورة ١ بلدة عربية تطل على أحد الأنهار الشهيرة ، وتعد الميناء الرئيسى للدولة التى تقع بها،منها يتم تصدير أهم منتجات تلك الدولة وهى البلح والقطن والبترول .. كما ينسب اليها كثير من ائمة اللغة العربية .. ما اسم البلدة — وأين تقع ؟



صورة ٢ عالم عربى ولد بتونس عام ٧٣٢ هـ وعاش بالمغرب ، ثم بمصر .. يعد المنشىء الأول لعلم الاجتماع حيث استفاد العالم كله من تجاربه ومشاهداته فى شئون الاجتماع الانسانى عندما كتب بحثاً طويلا فى هذا الشأن ، كما كتب فى التاريخ والفقه وامتاز أسلوبه بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق .. من هو هذا العالم .. وما اسم مؤلفه الشهير ؟ .

## ؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

### حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٣



الصورة الأولى :
اسم العاصمة فينا ، والنهر الذى يمر بأرضها هو الدانوب .
اسماء الفائزين :
— عبد السلام بونوير — الجزائر .
— حمود بركات — اليمن .



الصورة الثانية :
مغنية الأوبرا هى ماريا كالاس .

أسماء الفائزين :
سلطان الراشدى — أبو ظبى .
مها محمد أحمد — مصر

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## كلمات لها معنى

● إذا أردت أن تحيا بعد موتك فافعل واحداً من اثنين .. اكتب شيئا يستحق أن يقرأ ، أو اعمل شيئا يستحق أن يكتب .
● الغضب ريح تهب .. فتطفىء سراج العقل .
● المثل العليا نجوم لا يسعك أن تلمسها بيديك ، ولكنها كبوصلة البحار يتخذها المرء مرشداً له ويتبعها فيبلغ غايته .
● أحسن الناس من إذا مدحته خجل ، وإذا هجوته سكت .
● اعرف صاحبك بصاحبه قبلك .

**عبد العظيم السعدنى - الزقازيق**

## من نوادر العرب

قال المنصور للفضل بن الربيع يوماً :
« ما أطيب الدنيا لولا الموت يا ربيع »
فقال الفضل : « ما طابت الدنيا الا بالموت يا أمير المؤمنين » ..
فقال المنصور متعجباً « وكيف ذلك يا أبا الفضل » ؟ ..
قال « لولا الموت لما وصلت اليك الخلافة » !

**صالح ناطور - سورية**

## ذكاء طفل



أحضر رجل طفله الى مجلس أحد الخلفاء فأراد الخليفة أن يختبره ، فأراه خاتماً من الماس في يده وقال :
- أرأيت أحسن من هذا الخاتم ؟ .
أجاب الطفل :
- نعم الاصبع التى فيها .
ثم سأله الخليفة سؤالا آخر :
- أيهما أجمل .. دار أمير المؤمنين أم داركم ؟ .
فاجاب الطفل :
- اذا كان أمير المؤمنين فى دارنا كانت أجمل .!!

**يوسف طه معتوق - البصرة**

## لقطة الشهر



### تمر بدون جريد

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال . القارئة هدى احمد برمو - جمهورية مصر العربية

## إطالة الحياة في خلايا المخ !

توصل فريق من الباحثين اليابانيين بمعهد أمراض المخ بجامعة توهوكو الى ابتكار طريقة جديدة لاطالة حياة خلايا المخ بعد الاصابة بانسداد فى الأوعية الدموية !

وتتمثل هذه الطريقة فى حقن المريض بمحلول المانيتول الذى يعمل على تخفيض الضغط الداخلى على المخ خلال فترة زمنية محددة تتراوح ما بين نصف ساعة وساعة ، ثم تليها حقنة من دم صناعى مركب من الفلورين والكربون الذى يحدث تأثيره بالدخول حتى فى الشعيرات الدقيقة لان جزئيات هذا الدم الصناعى اصغر من مثيلاتها من الدم الطبيعى ، ثم تتكرر هذه العملية كل ساعتين . وبالتالى تبقى خلايا المخ حية لمدة ست ساعات دون أن تحدث اى آثار جانبية عندما يبدأ الدم الطبيعى فى التدفق بعد انتفاخ الشعيرات مرة أخرى .

والجدير بالذكر أن الانسداد فى شرايين المخ والسرطان يشكلان ٥ فى المائة من أسباب الوفاة فى اليابان .



**مرتضى أنور على - عدن**

# دوحة القراء

## من ؟

: مؤرخ عاصر أول اتصال فى العصر الحديث بين أوروبا والوطن العربى، عبر عن دهشته اذ يرى لأول مرة بعض انجازات العلم وطريقة القضاء بأسلوب متميز انفرد هو به ،

اسمه من سبعة أحرف :

٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ عربى اسس علم الكيمياء الحديثة .

٢ ـ ٧ ـ ٦ للتمنى .



## أين ؟

: البلد العربى الخالد الذى كتب فيه المؤرخ المذكور اعلاه تاريخه المشهور .

اسمها من ثلاثة أحرف :

١ ـ ٣ صمغ عطرى من جنـوب جزيـرة العـرب استعمل فى الطب منذ القدم .

٢ ـ اسم احدى سور القرآن الكريم .

## ما ؟

مـا : حجر اكتشفه العلماء أيام المؤرخ المذكور اعلاه وكان لاكتشافه وفك رموزه فضل عظيم على المعرفة والعلم .

اسمه من كلمتين فى سبعة أحرف :

٥ ـ ٤ ـ ٣ ما يتطاير من النار الموقدة .

٦ ـ ١ ـ ٧ ـ ٢ ينظر بجنب عينه .

## الإجابة الصحيحة

١ ـ كنية كافور الاخشيدى الذى حكم مصر فى سنة (٣٥٥) هـ ، هى
أبو سمرة ـ أبو المسك ـ أبو دومة ـ أبو سنجة .

٢ ـ «يبيض اليربوع مرة واحدة كل سبعة أشهر» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟ .

٣ ـ اذا لم تخش عاقبة الليالى
اكمل البيت ، وانسبه الى قائله .

٤ ـ رتب البلدان العربية التالية من الغرب الى الشرق :
مكة المكرمة ـ السلوم ـ مسقط ـ قنا ـ العريش ـ مكناس .

٥ ـ الخليج الواقع بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر هو خليج :
هرمز ـ باب المندب ـ سلوى .

٦ ـ أحد المركبات التالية هو الأمل الكبير لدى العلماء فى تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية للاستخدام اليومى ، اقتصاديا :
كلوريد الصوديوم ـ فلوريد السليكون ـ كبريتات الكالسيوم .

٧ ـ مؤلف كتاب «البيان والتبيين» هو
قدامة بن جعفر ـ الجاحظ ـ المبرد ـ ابن الأثير

٨ ـ وقعت معركة الكرامة على الجانب الشرقى لنهر الأردن وهزم فيها الصهيونيون شر هزيمة فى مارس سنة : ١٩٦٨ ـ ١٩٥٨ ـ ١٩٤٨

٩ ـ يبلغ طول الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب بين عمان شرقا وعدن غربا :
٢٤٥١ ـ ٧٢١٨ ـ ٩٩٠٤ كيلو مترا

١٠ ـ صنع انسان العصر الحجرى القطرى رءوس السهام والحراب من حجر :
الدولومايت ـ الصوان ـ الجرانيت .

# مسابقة الدوحة

## حل مسابقة العدد ٧٣

الاجابة الصحيحة

مـن : الخوارزمى
أيـن : خان يونس
مـا : العفة

١ ـ قطر الندى
٢ ـ ست مرات .
٣ ـ مجلس الشورى .
٤ ـ الكفايين .
٥ ـ العرب .
٦ ـ ١٩٥٦/١٠/٢٩ .
٧ ـ غير صحيحة علمياً ، لأن العدوى تنقل عن طريق بعوضة الأنوفيل .
٨ ـ غزة .
٩ ـ وطنى لو شغلت بالخلـد عنه
نازعتنى اليه فى الخلـد نفسى
قائله أمير الشعراء أحمد شوقى .
١٠ ـ ٦١ الف كيلو متر .

## أسماء الفائزين في مسابقة

### ١ ـ أصل وصورة :

الحل : العصفورة ـ الحواجب ـ الشارب ـ الفم ـ شامة على الخد ـ الشعر ـ تجاعيد الجبهة .
الفائز : طارق اسماعيل خليل العسكرى ـ دمنهور ـ ج.م.ع

### ٢ ـ لوحة لم تتم :

الحل : نزار قبانى
الفائز : محمد عزيز سعيد الملاح ـ الموصل ـ الطيران ـ العراق

### ٣ ـ دورى الكاريكاتير :

الحل : اللاعب رقم ٩
الفائز : منـى محمـد كاظـم الدراز ـ البحرين

# قرأت

## قطار المترو والسرعة الخارقة!

أقبلت دول الغرب المتقدمة على انشاء القطارات الأرضية أو المترو فى عواصمها ومدنها منذ مطلع القرن حتى بلغ عدد شبكات هذه القطارات مائة أو يزيد .. ولا عجب .. فالقطار الذى يسير تحت الأرض هو الحل الحاسم لمشكلة ازدحام المرور .

وتأتى شبكة مترو باريس فى طليعة الشبكات جميعاً ، فهى من أقدمها وقد بدأ انشاؤها سنة ١٩٠٠. وذلك بمناسبة المعرض الدولى الذى أقاموه آنذاك فى باريس .

أما شبكة موسكو فهى الأولى أناقة وفخامة باجماع الكثيرين ، وقد بنيت محطاتها بالمرمر وكثرت مظاهر التزيين فيها .

وقد أنشئت شبكة موسكو سنة ١٩٣٥ ، وأعقبتها شبكة لينينجراد سنة ١٩٤٨ ثم شبكة كييف سنة ١٩٦٠.

ولعل أطرف ما يذكرعن قطار المترو شعور ركابه وكأن سرعته كبيرة أو خارقة فأنت تظن وهو ينطلق بك أن سرعته تبلغ ١٥٠ كيلومتراً أو تزيد ، وهى فى واقع الحال لا تزيد عن ٣٥ كيلومتراً فى الساعة ، إذ لا يمكن لهذا القطار أن يسير بأسرع من ذلك نظراً للمحطات العديدة التى يجب أن يقف عندها .. أما الشعور بالسرعة الفائقة فسببه جدران النفق الضيق الذى يسير ضمنه القطار ... فهذه الجدران التى تبدو لك متحركة تبعا لحركة القطار قريبة جداً، بحيث توحى لك بانها تسير بسرعة فائقة جداً خلافاً للواقع .

**محمد أحمد المصمودى ـ تونس**



## الاعتقاد الخاطىء !

يروى أن امرأة فقدت طفلها جاءت الى « بوذا » لاعتقادها أنه يستطيع ان يعيد ابنها الصغير الى الحياة ثانية ، ولكن بوذا أمرها أن تأخذ اناء فارغاً وأن تستعطى حبة من الفلفل الأسود من كل بيت وأمرها الا تأخذ شيئاً من أى بيت مات فيه أب أو أم ، أو زوجة ، أو زوج ، أو ابن أو ابنة واخبرها بأن الحياة ستعود لطفلها عندما يمتلىء الاناء .

وبدأت الأم المسكينة نهارها يحدوها الأمل ، ولكن حينما جاء المساء لم تكن هناك حبة واحدة فى الاناء .. وهنا أدركت أنه لا يوجد بيت واحد لم يدخل اليه الموت والحزن.

**عونى فوزى عبد النور ـ أسيوط**



## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
عايدة عبد الغنى يونس ـ الشارقة ـ ص.ب ٨٥٣ ـ الامارات العربية المتحدة .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارى :
محمد عدنان محمد أسعد الدوحة ـ قطر ـ ص . ب ٨٠

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
أمل حامد سالم قاسم ـ الجامعة الأردنية / كلية الشريعة / قسم الفقه ـ السنة الرابعة .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ عفاف محمد مرسى سالم ج.م.ع
٢ ـ عبد العزيز عبد القادر الريس ـ الامارات
٣ ـ محمد كامل أحمد أبو سعدة ـ ج.م.ع
٤ ـ يوسف عبد الله الشبعان ـ البحرين
٥ ـ عبد الله محمد القرشى ـ سلطنة عمان
٦ ـ سامى حسين حسن محمد ـ الأردن
٧ ـ منى محمد مراد ـ الكويت
٨ ـ مراد عبد الغنى محمود ـ الأردن
٩ ـ حسين أحمد أبو مطر ـ ليبيا
١٠ ـ رجاء سليم عدى ـ أبو ظبى
١١ ـ حسنة يوسف ناصف ـ بورسعيد
١٢ ـ خالد حسن عباس ـ أم القيوين

## استراحة "الدوحة" العدد ٧٣

### ٤ ـ يخلق من الشبه اربعين :

الحل : الصورة رقم ٥
الفائز : مصطفى حسن احمد الخرطوم ـ السودان

### ٥ ـ لأقوياء الملاحظة

الحل : ساعة ـ تفاحة ـ راديو ـ فنجان ـ طبق ـ زجاجة
الفائز : عايض سعد الغامدى حالة عمار ـ المملكة العربية السعودية

### ٦ ـ أجمل تعليق :

«انت مالك اتلخبطت كده هو السؤال صعب للدرجة دى ؟».
الفائز : نبيل عبد المنعم السيد يوسف طلخا ـ المنصورة ـ ج.م.ع

# استراحة الدوحة

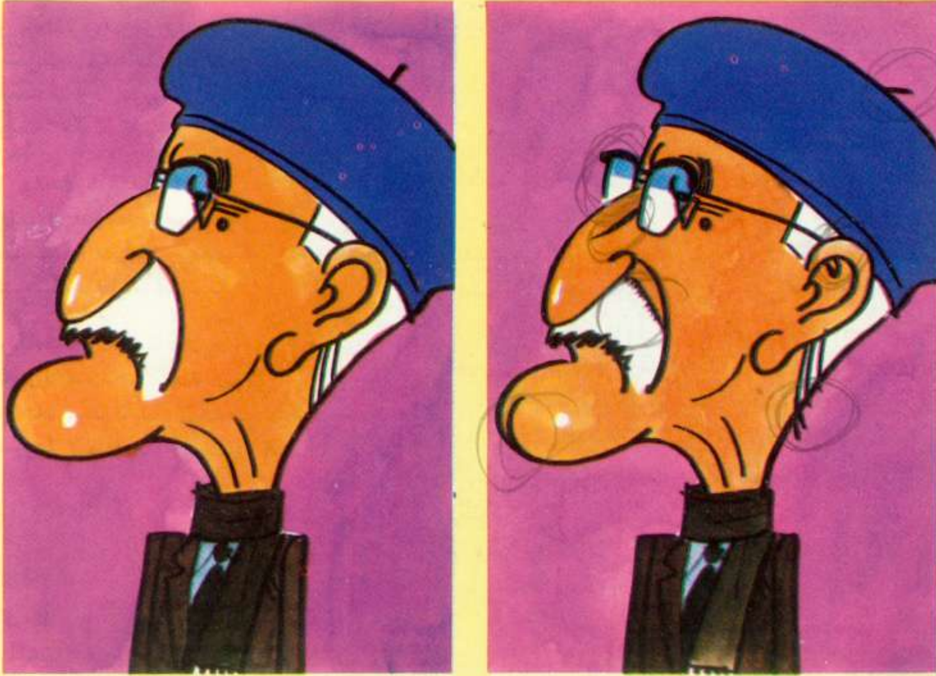
مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

روؤوف



الفائزن فى مسابقة استراحة الدوحة تنشر اسماؤهم بداية من العدد القادم ..

## أصل وصورة



هناك سبع اختلافات بين اصل وصورة عملاق الادب العربى عباس محمود العقاد .. هل يمكنك التعرف على هذه الاختلافات ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا)

## دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفاً رائعاً .. زلزل مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد رقم فانلة صاحب هذا الهدف بدون استعمال القلم ، أى بالنظر فقط ؟ .. إذا نجحت فى ذلك فجائزتك (٦٠ ريالا) .

## لأقوياء الملاحظة فقط!

أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. اذا توصلت الى الحل أرسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

## ارسم مع رؤوف

٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩
١ ... ١٠
١١ ... ٢٠
٢١ ... ٣٠
٣١ ... ٤٠
٤١ ... ٥٠
٥١ ... ٦٠
٦١ ... ٧٠
٧١ ... ٨٠
٨١ ... ٩٠
٩١ ... ١٠٠
٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩

الحلقة الثانية : رسم هذه الحلقة يتكون من أربعة خطوط فقط .. أوصل أرقام كل خط على حده :

الخط الأول : ٥٩ ـ ٣٨ ـ ٣٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ١٨ ـ ١٦ ـ ٣٥ ـ ٢٤ ـ ٣٣ ـ ٥٥ ـ ٩٧ ـ ٦٧ ـ ٦٩ ـ ٤٩ ـ ٢٨ ـ ٣٨

الخط الثانى : ١٨ ـ ٧ ـ ٥ ـ ٣٣ ـ ٧٥ ـ ٩٧

الخط الثالث : ٥ ـ ٤ ـ ٤١ ـ ٥١ ـ ٦٣ ـ ٧٣ ـ ٨٢ ـ ٨١

الأخير : ٧٣ ـ ٧٥

بعد الانتهاء من توصيل الأرقام سوف تحصل على رسم لتمثال كبير من أشهر تماثيل العالم وقد تم صنع هذا التمثال منذ أكثر من ٧ آلاف سنة . أرسل الحل وسوف تحصل على جائزة قدرها (٦٠ ريالا) .

## يخلق من الشبه أربعين

١ ٢ ٣
٤ ٥ ٦

المثل الشعبى يقول : «يخلق من الشبه أربعين» .. ولذلك فان هذه الصور الست المنشورة تحت صورة البطل العالمى محمد علي كلاى ، لست شخصيات شديدة الشبه بالبطل الذى خسر مبارياته الأخيرة .. ومن بين هذه الصور واحدة فقط مطابقة تماماً لملامح البطل ، فهل يمكنك التعرف عليها .. فى انتظارك جائزة (٦٠ ريالا) .

## لوحة لم تتم!

هذه لوحة بدأ فنان يرسمها لشاعر عربى كبير وقبل وضع اللمسات الأخيرة عليها توقف ولم يكملها .. هل تستطيع التعرف على شخصية هذا الشاعر ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا) .

الورقة الأخيرة

# أدب سياحي

بقلم : عباس خضر

قرأت المقال الذى كتبه الاستاذ درويش مصطفى الفار فى « الدوحة » ـ العدد ٧٢ ـ بعنوان « أدباؤنا والبادية » والذى ذكر فيه أدباء الغرب الذين جاسوا خلال البوادى العربية واندسوا بين البدو وخالطوهم ، ثم ألفوا عنهم الكتب ونشروا المقالات والبحوث ، ثم نعى على أدبائنا العرب أن أحداً منهم لم يفعل مثل ذلك ، إذ قال :

« وتتلفت باحثاً ، لاهثاً ، عن قلم أديب عربى غاص صاحبه فى أعماق الصحراء أو حتى قرب من مشارفها يستطلع البادية والبدو ، فلا تجد » .

أقول : لا داعى لعناء البحث وكفاك الله شر اللهاث .. فمن نحو خمسة عشر عاماً فعلها الكاتب القصصي المصرى صبرى موسى (غير موسى صبرى) إذ منحته وزارة الثقافة المصرية منحة تفرغ لمدة سنة قضاها في « جبل الدرهيب » وهى الصحراء التى تقع شرق الصعيد وتمتد الى البحر الأحمر ، وتشارف حدود السودان جنوباً . وخالط البدو هناك وعايشهم ، ثم كتب رواية اسمها « فساد الأمكنة » كشىء لا مثيل له فى أدبنا العربى الحديث ، وأظن أنه نال بها جائزة الدولة التشجيعية ، وقد تناول فيها رجالا من البدو ورجلا يونانياً جاء الى هذه البادية وعاش فيها ، ثم لحقت به ابنته وأقامت معه .

والحق ان ذلك عمل لم يتكرر ، والحق مع الأستاذ درويش فيما قال ، فى ما عدا رواية صبرى موسى ، الحق معه فى تقرير الظاهرة ، لا فيما أخذه على أدباء العرب ، فأدباؤنا مساكين .. من منهم يستطيع أن يترك عمله الذى يرزق منه ويجوب الصحراء ؟ أدباء الغرب يرتزقون من كتاباتهم وتآليفهم ، بل أن كتبهم تدر عليهم ما يعيشون منه مترفين ويسيحون فى الارض . أما نحن فلا أديب منا يحترف الأدب بحيث يستمد من جهده فيه ما يقوم به حياته ، ولولا منحة التفرغ ما استطاع صبرى موسى أن يفعل ما فعل وهل يستطيع الأستاذ درويش أن يفعل ؟ اذا كان يستطيع فهيا ...

الأديب منا يصدر الكتاب فلا يجد له صدى يشعره بان الناس يتجاوبون معه اذا كانت الناس لا تقرأ الكتاب فكيف يجوب لهم المؤلف الصحارى ويعيش مع البدو ؟

على أن الذين يستطيعون ذلك من القادرين على الانفاق ليسوا في الغالب من الأدباء ، وموسرونا يتجهون الى الغرب : الى لندن وباريس وما اليهما طلباً لأجواء أخرى غير التى يعيشون فيها ، كما يأتى بعض الغربيين الى البوادى لنفس الغرض ، فكل منهم مشتاق الى جديد مختلف عما هو فيه .

وأقول : ان ما يكتبه السائحون عن البدو والبادية انما هو « أدب سياحى » فلا يعرف دقائق الحياة الا من يكابدها . والنفس الانسانية لها أغوار لا يسبرها الا صاحبها ، فلا يستطيع التعبير الصادق عن البدو الا من كان منهم ، عاش حياتهم التى هى حياته وعرف دخائلها وما يضطرب فى أعماق أهلها .

حتى رواية « فساد الأمكنة » لا أظنها صورت وعبرت كما كان يمكن أن تكون لو كتبها واحد من أهل الدرهيب تيسر له أن يتعلم ويتأدب .

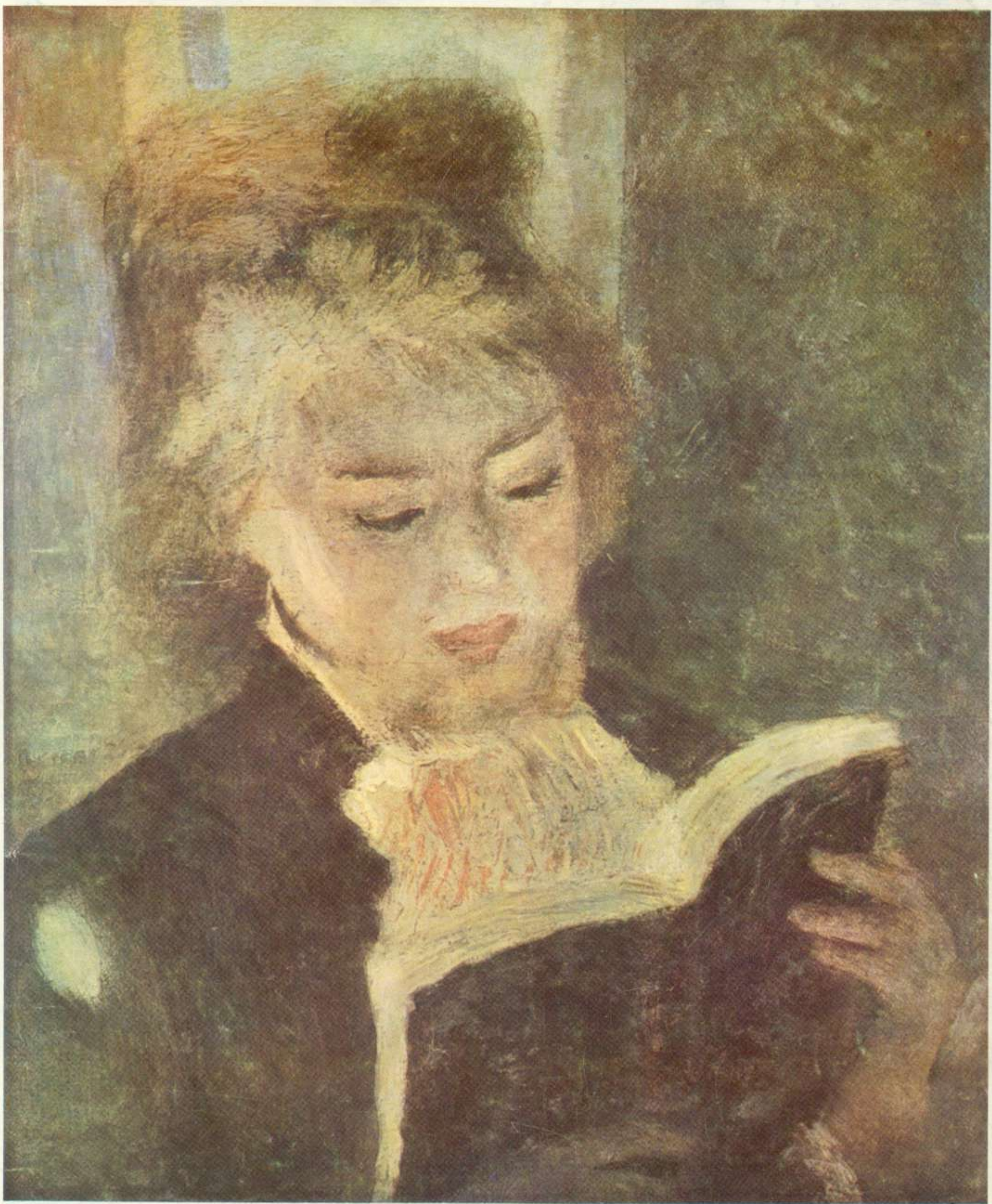
عرفت شاباً نوبياً أديباً اسمه عبد الوهاب الأسوانى كان قد تقدم بقصة الى مسابقة نادى القصة بالقاهرة ، ففاز بالجائزة الأولى . كانت القصة عن ناس من بلاد النوبة ، وكنت أحد المحكمين ف المسابقة ، ولابد أن القصة أعجبتن فأعطيتها الدرجة القصوى . رآنى عب الوهاب داخلا الى دار مجلة الاذاع وكان رئيس تحريرها الأست رجاء النقاش ، وكان هو محررا بها فتفضل بتقديم نفسه الى ، وذكرن بقصته الفائزة ، وكنت سعيداً بمعرفته وان كان اللقاء الشخصى لم يتكرر ، ولك اللقاء الأدبى لم ينقطع ، إذ قرأت له عد من القصص النوبية . لم أقرأ أدباً ع بلاد النوبة مثل ما قرأت لعبد الوها الاسوانى عن قومه النوبيين .

ويذكرنى ذلك بالرحلات التى كان تنظمها جمعية الأدباء بالقاهرة الى غ ، كى نرى هناك اللاجئين الفلسطينيي فى خيامهم وسوء حالهم . فتنفعل ونكت عنهم .. وكان معنا المرحوم مأمون أ شوشة الأديب الاذاعى الذى كان مشهو اذ ذاك ولم يعد يذكر الآن ، كان ظريفاً ف تعليقاته ونكاته ، رآه أحد الزملاء خار من الفندق فقال له : الى أين ؟ : قال ذاه لأنفعل !

لم يكتب كاتب ولم يقل شاعر ع محنة فلسطين مثلما كتب وق الفلسطينيون العائشون فى الأرض المحتلة ، وحسبك منهم فدوى طوقان

وأقول أخيراً : ان مجلتنا هذه « الدوحة » وقد اقترح عليها الأست درويش أن تفعل شيئاً فى هذا الموضوع تستطيع أن تتحفنا باستطلاع أو تحقي صحفى عن احدى البوادى ،، أما الأد الصادق العميق الذى يرجى أن يكتب ع البدو فلن يكتبه غير البدو أنفسهم حين يتاح لهم ذلك .

عباس خ



ثقافة

للفنان الفرنسي: رينوار "١٨٤١ - ١٩١٩"

السنة السابعة العدد ٧٦ جمادى الثانية ١٤٠٣ هـ - ابريل ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟
● .. ولماذا نصادر هذه الكتب؟!
● قصيدة جديدة لمحمود درويش

حلمي التوني

من روائع الأدب العالمي
## النورس الرمادي

إجعَل نهارك عيد مَع



## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديكان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NIO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ١٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
- مكتب جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٠٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الاردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER


# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٦ - جمادى الثانية ١٤٠٢هـ - أبريل ١٩٨٢م


### المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

### الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

### الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

### الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر


طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# في هذا العدد


د . محمد جابر الأنصارى


خالد محمد خالد


عبد الله الجفرى


فتحى رضوان

لوحة الغلاف الأول : النورس الرمادى : للفنان حلمى التونى





● لماذا نصادر هذه الكتب ؟ ... ... ... ... ... ... ... ...
رجاء النقاش ٦

● محاكم التفتيش العربية والاجنبيه ... ... ... ... ... ...
د . يوسف ادريس ١٠

● قالوا هـذا الشهر ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٣

● اني اتهم ! ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . محمد جابر الأنصارى ١٤

● لا باس الا يكون لي تاج . ما دام معي قلم ! ... ... ... ...
خالد محمد خالد ١٨

● لماذا يضعون الاسلام فى قفص الاتهام !؟ ... ... ... ...
فتحي رضـــوان ٢٢

● لبنان فى انتظار الرئيس السابع ... ... ... ... ... ...
عصام شريح ٢٨

● من القدس إلى القاهرة ... بالقطار ... ... ... ... ...
سياسي عربي كبير ٣٢

● الساعة الثانية « قصيدة » ... ... ... ... ... ... ...
محمد المهدي المجذوب ٣٥

● السفر على الرمال ... ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله جفري ٣٦

● الموت على تل العقـاب ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح عيسى ٣٨

● معرض فني للتراث العربى فى شيراتون الدوحة ... ٥٠

● عيون تنفذ إلى باطن المستور ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ٥٨

● حـــوار مع فنان عربي ... ... ... ... ... ... ... ...
حسن الملا ٦٤

● مسرح قطـر الوطني ودوره في تطوير الحركة المسرحية
كمـال سـعد ٦٨

● معجم عربي .. للتعريف بالعلوم .. ... ... ... ... ...
درويش مصطفى الفـار ٧٣

● سنة اخرى ... فقط « قصـيدة » ... ... ... ... ... ...
محمـود درويش ٧٤

● حكاية مخرج تعذبه الحكايات ... ... ... ... ... ...
رءوف توفيق ٧٦

● شاعرة على خلاف المعهود ... ... ... ... ... ... ...
ترجمة : عبد اللطيف عبد الحليم ٨٢

● الصخرة والهزيمة « قصيدة » ... ... ... ... ... ... ...
م . كجراي ٨٧

● تلك الليلة « قصـــة » ... ... ... ... ... ... ... ...
مايسـة الخليفي ٨٨

● غاندي ومواقفه السياسية ... ... ... ... ... ... ...
محمد العزب موسى ٩٠

● الـــذكاء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد الرحمن العيسوي ٩٦

● البلبل ولغته القديمة « قصيدة » ... ... ... ... ... ...
د . كمال نشات ٩٩

● سجينة المرجان .. فى انتظار الزيارة القادمة ... ... ...
صنع الله ابراهيم ١٠٠

● لقطات من الكون المثير ... ... ... ... ... ١٠٨

● عبد القادر درويش .. ٥٠ عاماً مع الشعر ولا يزال مجهولا !
يوسف محمد سليمان ١١٠

لوحة الغلاف الأخير :
راعية الغنم : للفنان القطرى محمد الجيده




● ...وة الجذور « قصة » ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله الطوخي ١١٢

● ...لفتنة بالشاعر اليوت .. خطر على الأدب العربي ... ...
د . عبد الله الطيب ١١٦

● ...لحظات ثقافية ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٢٤

● ...النورس الرمادي ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
ترجمة : عادل شريف ١٢٦

● ...دائرة المعارف القرآنية : « الكفارة » ... ... ... ... ...
د . محمد البهى ١٣١

● ...احمد البشر الرومي : العاشق الذى اصبح جزءاً من تاريخ بلده ... ... ... ... ... ... ... محمد عبد الحميد ١٣٢

● ...دوحة الماضي ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٣٧

● شعر عمر بن ابي ربيعة فى الغناء الاموي ... ... ... ...
كمال النجمي ١٤٠

● شاعر العاصفة والأمطار « قصيدة » ... ... ... ... ...
د . سعد دعبيس ١٤٤

● ...سر الجاذبية فى اللغة العربية ... ... ... ... ... ...
حامد بدر ١٤٦

● الحرب بين الفلسطينيين والصهاينة على جبهة طوابع البريد ... ... ... ... ... صلاح عيسى

● فيروز « قصيدة » ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
ناهض الريس ١٤٧

● العرب .. وفن صياغة الحلي ... ... ... ... ... ... ...
نجلاء العزي ١٤٨

● مواطن افريقي يجد فى الموت كل احلامه فى الحرية
قيلي احمد عمر ١٥٤

● دوحة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٥٦

● استراحة الدوحة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٦٠

● الورقة الأخيرة : الشعر ومستقبله ... ... ... ... ...
د . علي حسن تقي ١٦٢



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبدالله جابر
نادية رزوق
ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الاشراف الفني : محمد نبيل الحداد
نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبدالله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

صرخة لعلها تجد صداها عند الذين يسمحون ويمنعون

# لماذا نصادر هذه الكتب؟

## ولماذا لا نواجه الأفكار بالأفكار والعقول بالعقول؟

بقلم : رجاء النقاش

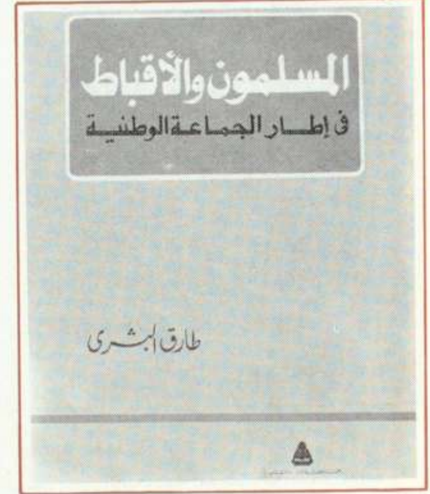
**بالتجربة ... ثبت أن كل كتاب نصادره يزداد انتشاراً ويصبح عزيزاً عند كل قارىء ... وبالتجربة أيضاً ... ثبت أن محاربة الأفكار لا تكون إلا بأفكار أخرى ... وخير ما يواجه العقول إنما هى عقول مشابهة ترد وتناقش وتحاور وتجادل بالتى هى أحسن ... ومن هنا نتساءل لماذا صدر قرار بمصادرة هذين الكتابين ... وغيرهما من الكتب الأخرى التى أصبحت ممنوعة بقرار رسمى واضح ، أو قرار سرى مجهول المصدر ؟**

لقد أثبتت حقائق الحياة الفكرية فى العصر الحديث ، بل وقبل ذلك أيضاً ، أن أكثر الكتب انتشاراً ، هى الكتب التى تتعرض للمصادرة ، حيث لم تنجح المصادرة أبداً فى حجب فكرة أو منعها أو الوقوف فى وجهها .

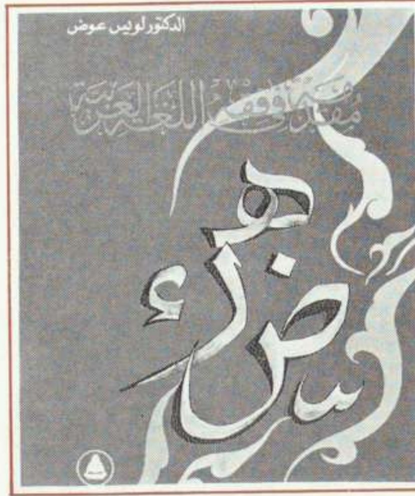
وأذكر فى هذا المجال تجربة وقعت سنة ١٩٦٨ ، عندما صدر فى مصر قرار بمصادرة قصيدة « نزار قبانى » المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » والتى كتبها الشاعر من وحى انفعاله وانفعال الأمة العربية كلها بهزيمة ١٩٦٧ . لقد رأت الرقابة التى كانت مفروضة على الصحف والكتب فى مصر – بسبب ظروف الحرب – أن قصيدة « نزار قبانى » تعبر عن أفكار تنطوى على تعريض ونقد لمصر ونظام الحكم فيها ، ولذلك قررت الرقابة مصادرة القصيدة ، وفى فترة المصادرة التى تعرضت لها القصيدة ، كانت هذه القصيدة تنتشر بين الناس بسرعة عجيبة ، وكأنها النار فى يوم عاصف ، ذلك لأن الناس كانت تنقل القصيدة بخط يدها ، وكان الكثيرون ينقلون نسخة لأنفسهم ونسخة أخرى يوزعونها على أصدقائهم ، إحساساً منهم بأنهم يقومون – من خلال هذا العمل البسيط – بكشف النكسة وفضح بعض الأسباب الكامنة وراءها ، وهكذا أصبحت النسخ المخطوطة من القصيدة تفوق فى عددها أى نسخ مطبوعة .

### عبد الناصر ونزار قبانى

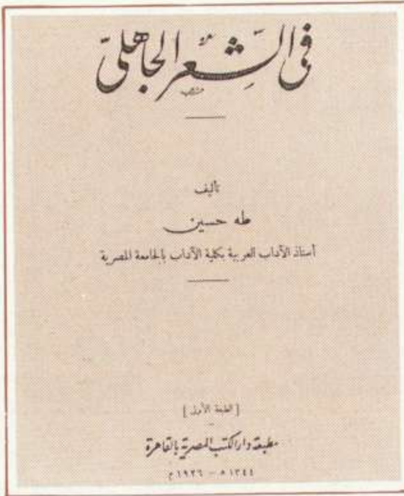
على أن مصادرة القصيدة لم تستمر ، فقد التقيت بنزار قبانى فى بيروت فى تلك الفترة ووجدته منفعلا غاضباً لقرار المصادرة ، وللحملة التى كان يشنها عليه – بسبب القصيدة – عدد من كتاب مصر وعلى رأسهم المرحومان : يوسف السباعى وصالح جودت وأشرت على « نزار قبانى » بكتابة رسالة إلى




غلاف كتاب « المسلمون والأقباط فى الجماعة الوطنية » لطارق البشرى ، وهو الضحية الأولى التى تعرضت للمنع والمصادرة وكان المفروض على العكس أن يكافىء المؤلف على كتابه العظيم .




غلاف كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض ، ورغم ما فى الكتاب من اراء نعترض عليها اشد الاعتراض ، إلا ان فى الكتاب جهدا علميا كبيرا ، ومواجهة ما فى الكتاب من اراء خاطئة يكون بالجدل والحوار ، وليس بالمصادرة .




الطبعة الاولى من كتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » وقد صدرت هذه الطبعة سنة ١٩٢٦ ، وصدر بعدها عشرة كتب على الاقل فى الرد على هذا الكتاب ومناقشته وتفنيد ما ورد فيه من اراء .

الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » ، وكتب « نزار » رسالة جميلة ومؤثرة وجريئة وحملت الرسالة معى إلى مصر ، وسلمتها – عن طريق بعض الأصدقاء – إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة ، ووصلت الرسالة إلى عبد الناصر ، وكان لها تأثيرها السريع ، وطلب منى الصديق الكبير النبيل الأستاذ محمد فايق الذى كان وزيراً للاعلام فى ذلك الحين أن أبلغ نزار قبانى بقرار عبد الناصر ، الذى ألغى المصادرة وألغى كل إجراء ضد نزار وقصائده ، وأطلعنى الأستاذ فايق على تعليق عبد الناصر بخط يده على رسالة نزار ، وفيه يقول عبد الناصر ما معناه – فانا لا أذكر الآن نص التعليق : يلغى قرار مصادرة القصيدة ولا تتخذ أى اجراءات ضد نزار قبانى .

وكان محمد فائق نفسه ضد المصادرة ومع حرية الفكر .

على أن قرار عبد الناصر مع ذلك جاء بعد أن أصبحت القصيدة فى فترة منعها موجودة فى أيدى الناس على نطاق واسع .

## بين كافور والمتنبى

وإذا كانت « المصادرة » فى العصر الحديث غير مجدية ، حيث أصبحت أجهزة الاتصال من تليفزيون وإذاعة ونشر و« كاسيتات » وغير ذلك ميسورة ، مما يتيح لأى فكرة أن تنتقل بسهولة بين الناس ... إذا كان هذا صحيحاً فى العصر الحديث ، فقد كان الأمر على نفس الصورة فى العصور القديمة ، حيث لم تكن هناك تلك الأجهزة المتطورة ، التى تجعل وصول الكلمة ميسوراً إلى الناس سواء كانت هذه الكلمة مسموحا بها أو كانت ممنوعة ومصادرة .

ويكفى أن نذكر مثالا معروفاً فى تاريخ الأدب العربى ، وهو مثال المتنبى فى قصيدته العنيفة الشهيرة ضد « كافور الاخشيدى » ، والتى كان مطلعها :

عيد باية حال عدت يا عيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

لقد « هرب » المتنبى من مصر ، وترك هذه القصيدة الهجائية المريرة فى بيته الذى كان يقيم فيه بالفسطاط ، وهى الحى الذى نسميه الآن باسم « مصر القديمة » ، وكان « كافور » حاكماً قوياً ، وقد حاول – بكل قوته ونفوذه – أن يطارد المتنبى ليقبض عليه ولكنه عجز عن ذلك ، فقد أفلت منه الشاعر فى عملية هروب رائعة منظمة أشد التنظيم على أن « كافور » لم يعجز عن مطاردة الشاعر ورده إلى مصر فقط ، بل عجز عن منع انتشار القصيدة التى كتبها المتنبى ، ولم يترك منها فى مصر – كما روت بعض المصادر – سوى نسخة واحدة ، وهذه النسخة الواحدة أصبحت آلافا من النسخ ، وانتشرت القصيدة وحفظها الناس فى عصرها ، وبعد عصرها ، ومازالت إلى اليوم قصيدة محفوظة ومشهورة رغم مرور أكثر من الف سنة على كتابتها .

وهكذا فان « المصادرة » -بالدليل الواقعى – لم تكن فى يوم من الأيام وسيلة ناجحة فى منع الفكرة أو الكلمة من الانتشار والذيوع ، وليس من سبيل سليم لمواجهة الكلمة إلا بكلمة مثلها ، والفكرة بفكرة مقابلة .

## طه حسين فى العاصفة

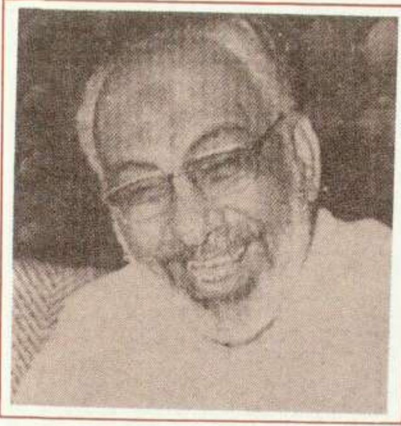
ولاشك ان الجيل السابق فى تاريخنا الأدبى والفكرى كان يدرك هذا المعنى أكثر مما ندركه نحن فى هذا الجيل ، فعندما أصدر « طه حسين » سنة ١٩٢٦ كتابه المعروف « فى الشعر الجاهلى » ، كان هناك من يطالبون بمصادرة الكتاب ومحاكمة المؤلف ، ولكن المثقفين أنفسهم رفضوا فكرة المصادرة والمنع ، وتصدوا لطه حسين يناقشونه بعنف وقوة ، وصدرت على الفور عدة كتب ترد على كتاب طه حسين ، وتفند ما جاء فيه من آراء ، وقد بلغت هذه الكتب التى صدرت فى الرد على كتاب طه حسين ما يقرب من عشرة كتب ، من بينها كتاب « تحت راية القرآن » للأديب العربى الكبير « مصطفى صادق الرافعى » ، ومن بينها كتب أخرى للشيخ « محمد الخضر حسين » ، والدكتور « محمد الغمراوى » والدكتور « نجيب البهبيتى » و الدكتور « ناصر الدين الأسد » ، والأستاذ « محمود محمد شاكر » . فى مقدمة الطبعة الجديدة من كتابه عن المتنبى . وقد قام الأستاذ شاكر بالسفر إلى السعودية ليعيش فى نفس البيئة التى عاش فيهاشعراء الجاهلية ،وليجمع الأدلة الواقعية الدقيقة ضد رأى طه حسين صحيح أن طه حسين قد اضطر إلى سحب الطبعة الأولى من كتابه ، ثم قام باجراء بعض التعديلات فيه وغير اسمه الأصلى وهو « فى الشعر الجاهلى » إلى اسمه المعروف به الآن وهو « فى الأدب الجاهلى » ، ولكن الرأى السائد هو أن طه حسين



عبد الناصر .
لم يوافق على مصادرة قصيدة نزار قبانى



محمد فايق .
موقف فى صف الحرية الفكرية



محمود محمد شاكر .
سافر الى السعودية ليبحث عن أدلة علمية واقعية ضد كتاب « الشعر الجاهلى »

# لماذا نصادر هذه الكتب؟

لم يغير جوهر نظريته فى الشعر الجاهلى ، وهى النظرية التى أشبعها الباحثون نقداً وتفنيداً ، وكشفوا عن جوانب الخلل والخطأ فيها ، وكشفوا أيضاً أن نظرية طه حسين هذه ، إنما هى فى الأصل نظرية المستشرق الأوروبى « مار جليوث » ، وكانت هذه الردود العلمية على طه حسين أفضل وأنفع وأكرم للعقل العربى من قرار يتخذه موظف مهما علا شأنه بمصادرة الكتاب .

## حكاية المطار السرى

لعلنا بهذه المقدمة نكون قد أطلنا على القراء ، ولم ندخل بعد فى صلب الموضوع ، فالقضية التى أريد أن أثيرها اليوم هى قضية « قرار » بمصادرة كتابين كبيرين هما : « المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية » للأستاذ « طارق البشرى » ، والثانى هو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور « لويس عوض » ، وقد سمعت أن هناك قرارات بمصادرة عدد آخر من الكتب ، ولكننى ساتوقف عند الكتابين اللذين أشرت إليهما ، وساجعل حديثى مركزاً على هذين الكتابين دون غيرهما ، وما ينطبق على هذين الكتابين ينطبق على الكتب الأخرى . وأول ما يلفت النظر فى الأمر ، أن هناك بعض الأخطاء الشكلية فى قرار المصادرة . وأول هذه الأخطاء ، أن الكتابين معاً قد صدرا عن هيئة رسمية هى « الهيئة المصرية العامة للكتاب » ، أى أن الكتابين لم يصدرا عن جهة مجهولة ، أو جهة مشبوهة أو متهمة ، فهيئة الكتاب مؤسسة تابعة لوزارة الثقافة المصرية ، والمفروض أن هذه الهيئة لا تسمح بصدور كتب تحمل اسمها ، دون أن تكون قد مرت بعملية مراجعة وتقييم ، بحيث يكون النشر نتيجة لقرار مدروس هو أن هذه الكتب لا خطر منها على البلاد أو على الرأى العام ، ولا معنى لأن تصدر هيئة الكتاب فى وزارة الثقافة أعمالاً ، تقوم إدارة أخرى فى وزارة الثقافة نفسها بمصادرتها ، فهذا أمر يستحق المراجعة بل ويستحق إجراء تحقيق رسمى فيه من جانب وزير الثقافة المصرى ، الأستاذ محمد عبد الحميد رضوان ، وهو شاب نشيط متحمس ، لا أظن أنه يقبل مثل هذا التضارب فى القرارات .

هذه هى « العجيبة » الأولى فى أمر مصادرة الكتابين ، فاما أن هيئة الكتاب كانت تدرى بما فى الكتابين من أخطاء - إن كان هناك مثل هذه الأخطاء - ومع ذلك فقد سمحت بنشرهما ، أو أن الهيئة لا تدرى بما فى الكتابين من أخطاء وهنا يصح قول الشاعر العربي :

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة
أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

أما العجيبة الثانية فى قرار المصادرة بالنسبة لهذين الكتابين ، فهى أن « القرار » نفسه ليس « معلناً » ، بل قرار « داخلى » يقضى بمنع الهيئة من توزيع الكتابين اللذين قامت الهيئة نفسها بطبعهما ، ومعنى اصدار هذا القرار فى « الخفاء » أن هناك نوعاً من عدم الاقتناع بالقرار ، والاحساس بأن القرار غير سليم .

والعجيبة الثالثة فى هذا القرار ، أن الجميع يعلمون به ، فى الأوساط الثقافية ، رغم أنه قرار « خفى غير معلن » ... ولعل ذلك يذكرنا بالقول المشهور بانه « لا شىء يخفى فى مصر » ، ويذكرنا أيضاً بالنكتة الواقعية المعروفة ، حيث كان سائق « الأتوبيس » يقف فى إحدى المحطات ليعلن للركاب بأعلى صوته : هنا محطة المطار السرى !

## كتاب عظيم

نعود بعد ذلك كله إلى الكتابين نفسهما لنسأل عن القضية الجوهرية وهى : ما السبب فى مصادرة الكتابين ؟!

أما الكتاب الأول ، وهو « الأقباط والمسلمون فى إطار الجماعة الوطنية » فهو بحق أحد الكتب « العظيمة » ، وعندما أقول إنه كتاب عظيم فأنا لا أبالغ ولا أنافق مؤلفه الفاضل الذى لا يملك لى ولا لغيرى شيئاً ، بل لعله لا يملك لنفسه شيئاً ، فهو إنسان متواضع أشد التواضع ، مخلص إلى أبعد درجات الاخلاص ، لا يسعى لمنصب أوجاه أو سلطة ، وهو يعمل فى هذا الكتاب منذ أكثر من عشر سنوات ، أى قبل أن تندلع نيران ما سمى بالفتنة الطائفية ، والمؤلف طارق البشرى ، مؤرخ جديد يتمتع بالعمق والموهبة والصبر على البحث والكشف العلمى والدراسة التى تبحث عن الجذور ولا تهيم فوق سطح الموضوعات أو تعشق الكلمات البراقة التى ليس عليها دليل من التاريخ أو من العلم الصحيح ، والكتاب كله فى صفحاته التى تبلغ ٧٦٢ صفحة من الحجم الكبير يقوم على إثبات نظرية أساسية هى أن « الوطنية » قد جمعت بين أهل مصر - باغلبيتها المسلمة وأقليتها القبطية - على أعمق صورة ، وانه ما من خلاف نشأ بين المسلمين والأقباط على أرض مصر إلا وكان - بالدليل القاطع - عملا



مصطفى صادق الرافعى .
دخل فى معركة مع طه حسين تحت راية القرآن



عبد الوهاب الكيالى .
وافق على نشر الكتاب رغم معارضته لمضمونه



لويس عوض .
ليس حزباً ولا دولة ولكنه مفكر يخطىء ويصيب

يحركه عنصر خارجى لا علاقة للشعب به ، ولا مصلحة له فيه ، ويؤكد طارق البشرى فى صفحات كتابه على أن المسلمين والمسيحيين فى مصر قد انصهروا فى مضمون الحركة الوطنية حيث أصبح واضحاً أمام الجميع « أن تحرير مصر لم يعد متصوراً إلا فى إطار حركة تحرر عربى شاملة ، وأن الحفاظ على مصر لم يعد متصوراً إلا فى انتمائها إلى الجامعة الوطنية العربية وإعلاء شأن « القومية المصرية » لن يفيد الآن تنعزل مصر لينفرد بها أعداؤها ، وضرب فكرة العروبة « وهى الفكرة التى تجمع بين المسلمين والأقباط » لن ينتج حفاظاً على مصر » .

هذه هى فكرة الكاتب المؤرخ طارق البشرى ، وهى الفكرة التى غاص من أجلها فى الوثائق والمراجع ، وقدم عليها – بروح علمية بالغة الأمانة والدقة والسمو – أدلة حاسمة ، وعالجها بأسلوب واضح موضوعى لا تطرف فيه ولا صخب .

فماذا نأخذ على هذا الكتاب أو على صاحبه ؟

ألم يكن من الأجدر أن نحتضن الكتاب والمؤلف ، ونضعهما فى عيوننا ، ونكافئهما بأحسن الجزاء ، ونقول لمؤلف الكتاب : سلمت يا طارق البشرى وسلم قلبك النبيل وعقلك الكبير وعلمك الغزير وتواضعك الغالى لكى تنفع أمتك بثقافتك ووطنيتك وأمانتك ؟ ! ، بدلا من أن نفعل ذلك أصدرنا هذا القرار الخفى الغريب ، الذى لا ينفع وإنما يضر ، وهو قرار يقضى بمنع تداول الكتاب .

ولنفترض أن فى الكتاب بعض ما يستحق التعديل والمناقشة ، فلماذا لا نناقش المؤلف ونعترض على ما قد نراه خطأ فى البحث والفهم والتقدير ، وأنا لم أجد شيئاً من هذا الخطأ ، ولكن غيرى قد يجدون فيه هذا الخطأ ، وعليهم فى هذه الحالة أن ينتقدوا الكتاب ويعترضوا عليه ويناقشوه .

إن الكتاب ليس بياناً رسمياً صادراً من الدولة ، وليس قرآناً منزلا من السماء ، بل هو جهد علمى لكاتب ومؤرخ أصيل ، من الطبيعى أن يخطىء ويصيب ، ومن الطبيعى أن « يحاوره » ويعترض عليه الذين يخالفونه فى الرأى لا أن يصادروه ويمنعوه .

## الحوار لا المصادرة

نأتى بعد ذلك إلى الكتاب الثانى وهو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للكاتب الكبير الدكتور لويس عوض ، وهو أيضاً كتاب بذل فيه مؤلفه جهد سنوات طويلة مضنية ، وصدر الكتاب فى أكثر من ستمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير . ولقد أتيح لى أن أقرأ هذا الكتاب وهو «مخطوط» بل لقد تحمست لنشره منذ ما يقرب من عشر سنوات ، وقدمته إلى صديقى شهيد الفكر والثقافة المرحوم الدكتور عبد الوهاب الكيالى ، الذى اغتاله أعداء وطننا منذ شهور قليلة فى مكتبه ببيروت ، وأقنعت الكيالى بنشر الكتاب ، فاشتراه بالفعل من الدكتور لويس عوض ، وبدأ يستعد لنشره رغم اعتراضه على ما كان يتضمنه من آراء ، ولم يمنعه من ذلك إلا صعوبة نشره ، لما يمتلىء به من حروف يونانية قديمة ، كان من العسير أن تتوفر فى معظم مطابع الوطن العربى ، ولذلك لم يتمكن الكيالى من نشر الكتاب بعد محاولات عديدة ، واستطاعت هيئة الكتاب فى مصر أن تطبع الكتاب بعد أن تمكنت من توفير الحروف اليونانية القديمة ، ولعلها حصلت على هذه الحروف – فقط – من أجل إصدار هذا الكتاب وحده لأنها حروف « غير متداولة » حتى فى اللغة اليونانية الحديثة نفسها ، وصاحب الفضل فى طبع الكتاب هو الشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور ، عندما كان رئيساً لهيئة الكتاب فى مصر .

وقد يندهش القارىء بعد ذلك كله ، إذا قلت إننى كنت منذ أن قرأت الكتاب مخطوطاً أعارض كل المعارضة ما يطرحه الكتاب من أفكار ، فالكتاب فى النهاية هو دفاع علمى عن وجهة النظر المعروفة للدكتور لويس عوض ، والتى أرفضها كل الرفض جملة وتفصيلا ، وهى وجهة النظر التى تقول : إن الحضارة العربية بأدبها وفلسفتها وعلومها ولغتها وعمرانها وكل شىء فيها ليست حضارة أصيلة ، وإنما هى حضارة «منقولة» عن الغرب ، وقد ناقشت الجوانب السياسية والفكرية لهذه النظرية فى كتابى « الانعزاليون فى مصر » ، ولذلك فلن أعود إلى هذا الجانب من القضية ، كما أننى لا أرى أن مقالى اليوم هو المجال المناسب لمناقشة هذه القضية ، فالقضية التى أطرحها ، هى حرية الكتاب والمفكرين فى التعبير عن آرائهم ، حتى لو كان هناك اعتراض على هذه الآراء . حقاً إننى واحد من أشد المعارضين والمعترضين على كتاب الدكتور لويس عوض ، وعلى آرائه التى يطرحها فى هذا الكتاب عن اللغة العربية ، ولكننى لا أفهم ولا أوافق أبداً على مصادرة الكتاب .

فالدكتور لويس ليس حزباً ولا دولة ولا يملك قوة مسلحة ، وإنما يملك قلمه وفكره .

ومن حق الدكتور لويس أن يعبر عن آرائه ، ولسوف يجد بين المفكرين العرب المعاصرين من ذوى العلم الغزير والكفاءة

العالية من يستطيعون التصدى لآرائه وتفنيدها، ولن يكون الدكتور لويس عوض أخطر نفوذاً لدى الرأى العام الفكرى فى الوطن العربى من طه حسين، الذى حين أخطأ فى كتابه عن «الشعر الجاهلى» وجد من يردونه ويردون عليه، وجاءت نتيجة الحوار العنيف بين طه حسين ومعارضيه مكسباً للعقل العربى والثقافة العربية، ولقد «تشكك» الدكتور طه حسين فى «الأدب الجاهلى» وقدم بعض الأدلة على أن هذا الأدب الذى نسميه باسم الأدب الجاهلى، لا علاقة له بالجاهلية، بل هو أدب «منتحل» أو «مزيف»، وكان شك الدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلى، سبباً فى أن يتفرغ بعض العلماء والأدباء لتقديم أدلة علمية بالغة العمق والدقة، ساندت الأدب الجاهلى، وأثبتت وجوده وصدقه، وكان شك الدكتور طه حسين بأدلته الضعيفة المحدودة، خيراً على الأدب العربى وتاريخه، ولم يكن شراً على أحد.

## الفصحى والفار الكبير

على أن الحرب على اللغة العربية بالذات، ليست جديدة، وكتاب الدكتور لويس عوض ليس أول كتاب «يحمل» على اللغة العربية، وإن كان واحداً من أهم الكتب وأخطرها فى هذا المجال. فمنذ أواخر القرن الماضى والحملة على اللغة العربية قائمة، وقد اشترك فيها عدد من كبار علماء أوروبا الذين عملوا فى الشرق، مثل «سبيتا» الألمانى فى كتابه «قواعد اللغة العامية فى مصر»، والدكتور «كارل فولرس» الألمانى أيضاً فى كتابه «اللهجة العربية الحديثة فى مصر»، و «وليم ويلكوكس» الانجليزى فى محاضرته التى كانت بعنوان «لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين»، وهذا المستشرق الأخير بالذات ربط «قوة الاختراع عند المصريين» بضرورة تغيير اللغة العربية والكتابة باللهجة العامية، حيث قال بصريح العبارة: «إنكم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على ايجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا، فانه يوجد فيكم اناس كثيرون توفرت فيهم الشروط ـ الضرورية لذلك ـ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم، لم تتحصلوا على شىء، واضعتم أعمالكم سدى، والسبب فى ذلك أن الكتب الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال، وفى آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فاراً صغيراً، وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة. فبمجرد وضع الأفكار فى الكتب - باللغة العربية الفصيحة - تموت ولا تعود إلى الحياة، فكأنهم يكفنونها فى الورق ويدفنونها فى جلود» ..

والحل عند هذا المستشرق هو فى اللهجة العامية المصرية... وهكذا يتم انقاذ مصر - فى نظره - من العروبة ولغتها الفصيحة، ويتم - أيضاً - دخولها فى مجال التقدم العصرى الأوروبى.

على أن المسألة لم تقتصر على المستشرقين الأوروبين، فقد كان هناك مفكرون عرب نادوا بنفس الأفكار، وفى مقدمتهم الكاتب الكبير سلامة موسى الذى أصدر سنة ١٩٤٥ كتاباً بعنوان «البلاغة العربية واللغة العصرية» وفى هذا الكتاب يقول بصراحة كاملة: «نحن بين اختيارين:

١ - إما أن نهلك ونبيد، كما باد الديناصور، إذا التزمنا عاداتنا الذهنية والاجتماعية والثقافية لا نغيرها.

٢ - وإما أن نعين لشعبنا، وسائر العرب آفاق التطور البشرية، يتطلعون إليها وينشدونها ويهيئون لها، فنبقى ونحيا.

ووسيلة البقاء والحياة فى عصرنا هى العلم والصناعة.

ولا سبيل إلى الصناعة بغير العلم.

ولا سبيل إلى العلم بغير الحروف اللاتينية».

أى أن سلامة موسى يدعو العرب بصراحة إلى تغيير الكتابة بالحروف العربية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية كما فعل الأتراك، فى لغتهم التى كانوا يكتبونها بالحروف العربية، فغيروا ذلك وكتبوها بالحروف اللاتينية منذ الثلاثينات إلى اليوم، ولم يستفيدوا من ذلك شيئاً سوى أن يخسروا ارتباطهم بالعالم العربى وفى ذلك للأتراك خسران مبين.

## المجادلة بالحسنى

فالدكتور لويس عوض إذن، يقدم لنا كتابه الكبير «مقدمة فى فقه اللغة العربية» فى نفس الاطار الذى سبقه إليه مفكرون كبار من الشرق والغرب على السواء، ومع ذلك لم يطالب أحد بمصادرة كتبهم، بل لقيت هذه الكتب والآراء مناقشات واسعة عنيفة، ترد عليها، وتواجه حجتها بحجج أخرى قوية، ولم ينهدم صرح اللغة العربية، لمجرد أن كاتباً كبيراً مثل «سلامة موسى» هاجمها ودعا إلى تغيير حروفها إلى الحروف اللاتينية، ولم ينهدم صرح اللغة العربية لأن مفكراً انجليزياً ذكياً مثل «ويلكوكس» دعا إلى إحلال العامية محل الفصحى، كل هذه الآراء واجهتها آراء أخرى، كسبت للغة العربية حججاً قوية دقيقة، ساندتها ووقفت فى صفها وجعلت قضيتها أقوى وأشد.

وهذا ما يجب أن نفعله مع كتاب الدكتور «لويس عوض» فالمصادرة لا جدوى منها ولا معنى لها ولا يمكن أن تمنع ما فى الكتاب من افكار، ولا أن تقنع أحداً بخطأ هذه الأفكار، والطريقة الصحيحة الوحيدة، هى أن نسمح بظهور الكتاب، وأن نترك الأمر لعلماء اللغة والسياسة والحضارة ليردوا عليه، والأمة العربية غنية بالقادرين على محاورة الدكتور لويس عوض بالحجة والعقل والرأى، مهما كان فى كتابه من العمق والجهد العلمى - والعقل العربى لم يعد قاصراً، والرأى العام العربى ليس طفلا صغيراً بحاجة إلى من يحميه بمنع الأفكار عنه خوفاً من الضرر والأذى.

وأكرر هنا أننى اختلف مع الدكتور لويس عوض، جملة وتفصيلا، فى كتابه الكبير، ولكننى أرى فى نفس الوقت أن المصادرة خطأ، وفيها الكثير من التجنى على الثقافة العربية المعاصرة، كما أن من الخطأ أيضاً أن نستسلم - بجانب المصادرة - إلى ذلك الأسلوب السهل فى وصف رجل مثل الدكتور لويس عوض بأنه «متآمر» وأنه «عميل فكرى» للغرب وما إلى ذلك من الشطط فى الفهم والتقدير والتعبير، إن المعركة فى جوهرها معركة فكرية، والدكتور لويس صاحب رأى وجهد واجتهاد، والحل هو مواجهة رأيه برأى آخر يرد عليه ويفند حججه ويثبت ما فيها من خروج على الصواب.

هذا هو الطريق الصحيح أمام الفكر العربى ولا طريق سواه، حتى ننهض وننمو ونتقدم.

فالمصادرة لا خير فيها ولا نفع منها.

والحل هو المحاورة، ومواجهة العقل بالعقل، والأخذ بالمبدأ القرآنى العظيم: «وجادلهم بالتى هى أحسن».

صدق الله العظيم.

رجـاء النقاش

شهريات



يوسف إدريس

# محاكم التفتيش العربية والأجنبية

حسن جداً . لنواصل ما انقطع من حديث ولكن كيف ؟ إن الكاتب كاتب أولا وأساساً لأنه انسان مرهف الحس إلى درجة تكون مرضية . بل أجسر وأقول إنه حساس إلى درجة مرضية فعلا . ولولا أنه بكتابته تلك ينتج فناً ، أى أروع وأجمل وأصح ما فى الوجود من إنتاج بعد إعجاز الخلق الأعظم والحياة لولا هذا لكان على البشرية أن تودع كل إنسان تظهر عليه علامات الكتابة أو الفن ، تودعه فى مستشفى لعلاج الأمراض النفسية ، كما تودع الخطرين على الحياة .

بل إننا لو راجعنا تاريخ الفن لوجدنا أن البشرية قد فعلت هذا فى كثير من الأحيان ، وأدت شدة الحساسية ببعض من الفنانين والكتاب إلى أن يدخلوا مصحات نفسية ، وأحياناً عقلية . ذلك أن البشرية ليست فى كافة عصورها تلك الأم الرءوم التى تحنو على أبنائها جميعاً وتستجيب وتربت عليهم وتستجيب لصرخاتهم وآهاتهم ، وتكون البلسم الشافى لأى وكل مـا يعانونه . البشرية فى معظم أحوالها ومجتمعاتها غليظة القلب لا ترحم ، تدوس ، كالقطيع المذعور الأهوج ، على أقدام بعضها البعض بل أحياناً على رقاب بعضها البعض ، وهى تمضى خائفة مرعوبة تلهث وراء لقمة العيش والوجود . وجود إنسان حساس من المحتم عليه أن يعيش وسط هذا القطيع الحيوانى المهرول ، كارثة ، ليست كارثة البشرية ومجتمعاتها وقطيعها المهرول ، ولكنها كارثة لهذا الكائن ، ولهذا فعلى الانسان إذا خلق حساساً خلق أن يدفع ثمن حساسيته تلك . ومثلما ذكاء المرء محسوب عليه وليس محسوباً له ، فأيضاً حساسيته محسوبة عليه لابد أن يدفع ثمنها كل يوم من

## محاكم التفتيش العربية والأجنبية

عمره ، وربما دفع عمره كله ثمناً لها دون أن يوفى بالثمن !

وطوال الأسابيع الماضية وأنا أحس أن بعض كتابنا وشعرائنا العرب مستهدفون . وأنا لا أتحدث عن نفسى هنا باعتبارهـا نفسى . فالحديث عن النفس دائماً شىء مكروه لقائله ولسامعه على حد سواء . ولكن إذا أصبحت تلك النفس نموذجاً و « عينة » لبشر يحيون بيننا ، وندرسهم ونحن نهرول فى طريقنا لتحقيق الوجود الأحمق التائه ، احمق واتفه واحط لون من ألوان الوجود ، فانه لا يصبح حديثاً عن النفس بقـــدر ما يصبح حديثاً عن النوع كله ، وحينذاك ينتفى الحرج ، فالموضوع عام ، والقضية خطيرة ، ولابد من حل .

اقول مستهدفاً وأتوقف عمداً عن الافصاح فقد كانت الطعنات تأتي من أكثر من جهة ، ومن الأصدقاء والأعداء على حد سواء . بل ويحدث ويا للغرابة أن يتفق هدف الأعداء مع هدف الأصدقاء ، ويلتقون جميعاً للنيل منك ، وإلا فبربك فسر لى هذه الحملة الضارية التى تأتينى من صحفى وكاتب إسرائيلى ينشر فى جريدة عالمية كبرى ويحاول أن يشكك فى ولائى العربى لأننى فى نفس الوقت الذى تحاول فيه أقلام وصحف عربية لا أشك لحظة فى أنها قومية وخالصة القومية والاتجاه والهدف ، تحاول هى الأخرى أن تشكك فى انتمائى القومى !

أما أن يهاجمك الأعداء فهذا شىء طبيعى لابد أن تتوقعه باستمرار ولا تتوقف عنده ، بل تتوقف عنده فقط إذا كف هجومهم عليك ، لأنك بموقفك أو بحسن نيتك لابد حينذاك أن تكون قد خدمت قضيتهم .

هجوم الأعداء هذا شىء طبيعى . محاولاتهم المستمرة للتشكيك فى قومية بعض الكتاب العرب وبالذات بعض الكتاب المصريين ، مسألة كما يقولون واردة . وكان الرد عليها مفروض أن يكون تلقائياً . كان مفروضاً أن يدرك القارىء الذكى سواء فى مشرقنا العربى أو مغربهم الأوروبى الأمريكى ، أنه لولا أن هذا الكاتب لازال يقاوم ، وبشدة أن يحنى للعاصفة رأسه ، ولهذا فهم يلوون ذراعه ، وبطريقة فى غاية الذكاء والاحكام ، ويحاول أن يظهروه بمظهر أنه صديقهم وأنه لا يعاديهم ، لما تعمدوا التشكيك فى مواقفه ، بل ولفعلوا العكس تماماً وحاولوا أن يظهروه فى نظر قومه على أنه قوى ووطنى وعنيد لتغطية موقفه . هكذا يفعلون مع كتاب غيره يعرفون تماماً ميولهم وكنه معسكرهم الحقيقى ، وتظهرهم الدعاية الصهيونية بمظهر البطل الرافض الصنديد ، بل وأحياناً يهاجمونه لنزداد نحن تقديراً له ، وإيماناً به .

أى قارىء ذكي كان باستطاعته أن يدرك هذا ؟ !

ولكن مالا يستطيع أن يدركه ابداً ذكاء أى قارىء فهو أن يحدث ، وفى نفس الوقت أن تتولى أقلام عربية قومية التشكيك فى انتماء هذا الكاتب . وإن لم يكن فى انتمائه فالتشكيك فى موقفه وإهالة التراب على رأسه وتصويره على أنه قد « سقط » أخيراً هو الآخر ، وتحس من لهجتهم أنهم سعداء تماماً بهذا « السقوط » وكأنهم كانـــوا يستعجلونه أو بالأصح يتمنونه . فالانسان المخلص حقاً يحزن لكل رجل فى المعركة يسقط أو لكل قلم صادق يسقط أو حتى يتعثر ، ذلك أنهم جميعاً فى النهاية قواته التى تدافع عنه والتى يشكل كل فرد منها درعاً لابد أن يحزن الانسان حقاً إذا سقط ، أما أن يفرح ويهلل ويزعق قائلا : انظروا .. ها ها ها .. ها هو ذا أخيراً قد سقط .

إنهم بسرعة يريدون أن يلحقوك بطابور الذين سقطوا فعلا ، ربما لكى تخلو لهم الساحة ، ويمرحون كتابة ووجوداً باعتبارهم هم « الأشراف » وهم « الأطهر » وهم « الذين لا ينافقـــون » وهم فى النهاية العظماء وحدهم .

وليت سقوط كل الكتاب - حتى إذا كل الكتاب سقطوا - يصنع من غير الكاتب كاتباً ، أو يعطى للتافه منهم مهما كان شريفاً أو خيل إليه أنه شريف ، يعطى له مقاماً وقدرة . فقدرة الكتاب ومبلغ عطائهم مسألة لا يحددها حتى الكاتب نفسه . إنها خاصية فيه يعطيها له الله سبحانه وتعالى يوم يخلقه ويدرجه فى سجلات الوجود . وكما يقول الكاتب المسرحى « بريخت » فى مسرحيته عن جاليليو : إن سقوط نملة من فوق ناطحة سحاب لا يقتلها أو حتى يصيبها بكسر أو جرح ، ولكن سقوط جواد من الطابق الثانى فقط يقتله .

وهذا عن سقوط « جواد » فما بالك والذى يسقط « كاتب » .

لقد انتقلت العدوى وكان لابد أن تنتقل من بعض السياسيين العرب إلى بعض الكتاب العرب ، وأصبح الحديث عن سقوط فلان الكاتب أو خيانته أو نهايته هكذا وبجرة قلم مسألة نضعها بمنتهى البساطة وفى أى مجلس شراب أو جلسة قهوة . مع ان سقطة الكاتب شىء مدو تماماً ، وخطير جداً إذ وكأنها أمة بأسرها هى التى تسقط . إن موقف « إزرا باوند » من النازية لم ولن تغتفره له البشرية بأية حال ، والأمثلة على سقوط الكتاب الأوربيين أو الأمريكيين أو الروس المعروفين ليست كثيرة ، لأنها لا تحدث ، وليست أبداً القاعدة ، بل هى الشاذ الخارج على كل عرف . فالكاتب ليس كالسياسى يحترف مبادئه . الكاتب هو مبادئه ، وسقوطه يعنى تخليه عن أى مبدأ أو عقيدة ، بل وأكاد أقول إنه يعنى أنه لم يكن موهوباً أبداً ، مشهوراً ممكن ، أما موهوباً وفعلا جاءت موهبته تعبيراً عن إخلاصه وحرارة صدقه ، فسقوطه مسألة تكاد تكون مستحيلة .

وحين تذكر كلمة سقوط تعنى عنـــد المتحضرين كافة أن إنساناً « خان » مواقفه أو مبادئه أو أمته . أما أن نقولها لأن هذا الانسان تحمس لقائد أو لحاكم ، مجرد تحمس فهو أمر لا يحدث الا فى بلادنا العربية دوناً عن بلاد الدنيـــا . فكان ، وبالضرورة لابد أن يكون موقف الكاتب هو موقف المعارض الدائم لأى نوع من الحكم ، ولكن هذا هو بعينه موقف الطفل المريض ، أما موقف الانسان والرجل العاقل فهو أن يقول للمحسن أحسنت ، مثلما يقول للمجرم أجرمت . أجل لقد تحمست للرجل حسنى مبارك ولا أزال لأنى اعتبرته آخر عربة نظيفة فى آخر قطار يحمل أمانى مصر الوطنية فى التحرير الوطنى والاجتماعى والحيـــاة الدستورية . ولقد قلتها يوم لم يكن للرجل أو بالأصح قبل أن يكون للرجل مواقف تؤكد هذا المعنى وتدعمه ، وحمداً لله أن جاءت


نزار قبانى


بلقيس

مواقفه وخطواته وإجراءاته تؤكد كلها أن حماسى كان فى محله تماماً . كل ما فى الأمر أن الناس كلهم لم يكونوا قد التقوا به أو عرفوه ، وأنى أردت لا أن أفعل مثلما يفعل قضاة العفة الثورية فى وطننا العربى وما أكثرهم أولئك الذين لا يعملون أبداً للتغيير إلى الأصلح ، أو حتى للثورة على الفاسد ، إنما هدفهم الدائم الدائب هو انتظار الناس لكى يسقطوا أو لكى يسقطوهم هم ، فى النهاية زهقاً من انتظار سقوطهم ليهللوا ويرقصوا ويقولوا : أخيراً .. ها ها ها .. ها هو ذا يسقط . أردت أن لا أنتظر سقوط التجربة مرة أخرى لأهتف أو أحكم ، وأن لا أترك للشياطين الحرباويين المغيرين لألوانهم دوماً ، مجال أن يفرغ المسرح لهم ، ويلعبوا لعبتهم المفضلة من تغمية وتعمية ونفاق وتهديم داخلى حتى فعلا ، فى معسكرهم ، تسقط التجربة . أردت أن أهتف بكل الشجعان وبكل المخلصين أن نتحرك ونغير نحن بأيدينا ، وأن نمنع ، ليس بقلوبنا فقط ، وإنما بأقلامنا وبكلماتنا ، نمنع الزيغ ونغير إلى الأحسن والأكثر صدقاً ووطنيـــــة وديموقراطية وشعبية ، ومن هنا ، من هنا فقط أخذت كلماتى « شكل » الحماس الزائد الذى لا تستطيع أن تفرقه عن أى نفاق . إلا إذا مرة أخرى أقول : إلا اذا استعملت المقياس الحقيقى الوحيد لمعرفة الصدق من الكذب ، والحماس النابع عن الاخلاص ، من كلمات النفاق النابعة عن زيف وعن رغبة ذاتية جشعة تستعمل الكلمات والأقلام وسيلة لتحقيقها . ذلك القياس الوحيد هو : تاريخ القلم الذى كتب الكلمة ، وتاريخ الكلمات التى قالها الرجل . نعم ، حين تتشابه علينا الرؤيا ، وما أكثر ما تتشابه علينا ، فى عالمنا العربى ، الرؤيا ، فليس سوى التاريخ ملجأ يقينا شر أن نخطىء . أن نخطىء فى الحكم على شهادة الشاهد ، وأن نخطىء بالتالى فى الحكم على شخص المشهود له أو ضده فليس كل الحكام «فلانا» وليس كل الكتاب « علانا » وكلمة الشرف تستعملها أى امرأة لا شرف لها أكثر مما تستعملها المرأة الشريفة فعلا ، والتى تعتبر مسألة شرفها مسألة لا تستحق أبداً أن تباهى بها وإنما هى مجرد سلوكها العادى الذى لا حاجة لها أن تفخر بأنه سلوك شريف لأنها لا تعرف سلوكاً آخر ، أو تدرك أن لسلوكها هذا فى سوق التوصيف والتوظيف قيمة . والمنظر بالمناسبة ، فى قاهرتنا العزيزة هذه الأيام حقاً يدعو للتفرج ، فما أكثر المقالات التى تكتب الآن مطالبة الناس بالالتزام بالشرف وضرورة القدوة الحسنة ، وحتمية « النظافة » « هل يذكر بعض القراء مقالة كتبتها ذات يوم عام ١٩٧٧ عن ضرورة أن « ننظف » مصر ؟ » الآن ، هم ، أولئك الذين طلبت ذات يوم أن ننظف مصر منهم ، هم الذين الآن يدعون لتنظيف مصر ، وفى يقينى أنهم يدعون لتنظيفها من كل نظيف فعلا ، بحيث لا يبقى سواهم نظيفين ، وما أروعها آنذاك من نظافة . المنظر مضحك فعلا وليتصوره معى أولئك الذين يحيون فى لندن أو باريس حين تقوم مظاهرة من محترفـات « ســوهو » مثـلا يطـالبن الانجليزيات بأن يتصرفن بشرف وبنظافة ، يطالبن ربات البيوت الطيبات ، والزوجات المحبات الوفيات المتفانيات ، يطالبهن بأن يصبحن مثلهن شريفات ، ويضربن من أنفسهن مثلا للشرف وقدوة !!

قد تضحك ، والمنظر مضحك فعلا ، لكنه ليس كذلك هنا ، إنه حقيقة نحياها ونقرؤها كل صباح ، ونضحك !

مرة أخرى أعود فأقول سامح الله أولئك الذين أرادوا بسوء أو بحسن نية ، وعفا الله عما سلف ، وليساعدنا الله أن نكون عند حسن الظن من من أحسنوا الظن بنا ، وأن يخيب الله أصحاب النيات الخبيثة ، ولا يحقق لهم ذلك الهدف الذى تمنوه طويلا : أن نسقط .

وأنا لا أدعى أن الكتاب منزهون أو أنى شخصياً منزه ، بل إنى لأرجع الأمر كله إلى مواقف شديدة التهافت والتخاذل اتخذها نفر من كتاب القمة فى مصر وفى بعض البلاد الأخرى ، ولكنى أؤكد لهم أن قاهرتنا على طول تاريخها لم يكن السقوط فيها هو المودة ، وإنما كانت وستظل دائماً وأبداً هى الصمود ، وكل ما أستطيع قوله أننى شخصياً ، وإلى الآن على الأقل لم أسقط بعد ، وفى نيتى ألا أسقط ، بارادة الله سبحانه طبعاً ، إذ لو تخلت عنى إرادته ، أو عن أحد لسقطنا جميعاً ، ولأصبحنا والعياذ بالله مثل تجار النظافة .

الحق أن كل ما كان يشغلنى ويلهينى طوال تلك الأسابيع عن مشاكلى وبالذات الشخصى منها ، هى أن المشكلة الغريبة الرهيبة التى جمعت بين فجيعتنـــــــا الشخصية وفجيعتنا القومية معاً ، مشكلة صديقى وأخى ووجهى الجميل ولسانى الفصيح نزار قبانى . كلما كانت تدلهم الأمور وأبدأ فى الرثاء لنفسى أتذكر جلسة نزار التعسة أمام أنقاض السفارة العراقية المدمرة فى بيروت والتى يرقد تحت أنقاضها أعظم حب له ، وأعظم حب شهدته عيناى لشاعر حى .. بلقيس .

أتذكر الجلسة ، وأتذكر الصديق ، وأتذكر الفاجعة ، وأتذكر بلقيس الانسانة ، وفى صمت أبكى ، عاجزاً عن أن أوافى نزار فى بيروت ، أو حتى أكتب عنه أو إليه . فأنا رغم أنه أصدق أصدقائى فى الشام ، إلا أنى لا أعرف له الآن عنواناً . فاسمح لى يا نزار أن أكتب لك عبر « الدوحة » وأن يكون موعدنا عدداً قادماً إذا عشنا .

يوسف إدريس

أغرب معركة بين أديب ومدينة

# "إني أتهم"

## بين الروائي الإنجليزي جراهام جرين ومدينة نيس الفرنسية

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

● **هذه القضية هل هي تذكير جديد بالانحطاط الذي تعاني منه أوروبا .. أم أنها دليل على حيوية الضمير الأدبي ويقظته ضد الانحراف ؟ .. لنبدأ القصة أولاً من بدايتها ولنؤجل الحكم حتى النهاية**

يبدو ان الريفييرا الفرنسية تعطى الحرية للجميع للكشف عن اجسامهم فى شواطئها تحت شمس النهار ، بينما هى تخفى أشياء وأشياء تحت جنح الظلام فى عالمها « السفلي » المرعب ..

هذا ما حاول أن يقوله ، بكلمات أخرى ، الروائى الانجليزى المعروف ، غراهام غرين البالغ من العمر السابعة والسبعين ، وأحد المعجبين بأجواء « شاطىء اللازورد » حيث يقضى الآن سنوات تقاعده بهدوء فى قرية « أنتيب » الساحلية التى لا تبعد عن « نيس » عاصمة الشاطىء سوى عشرة أميال ، وليس له من سلوى غير الكتابة والشراب .

ولكن يبدو ان شيئا ما قد جعل الروائى العجوز ، المشهور بمغامراته الاستكشافية والبوليسية فى افريقيا والبرتغال والشرق الأقصى ، يقرر ثانية الخروج من هـــدوء الشيخوخة وعزلتها ليخوض معركة شخصية أكثر منها أدبية ضد سلطات مدينة « نيس » ، التى تستضيفه والتى اختارها سكنا نهائيا له ، وضد ما اسماه بعصابات « العالم السفلي » التى تتحكم كما يقول بأقدار الناس واموالهم فى المدينة ، بل وتسيطر على رجال الشرطة والقضاء وترغمهم على الصمت ! ليس هذا فحسب ، بل انه سارع إلى طبع كتيب صغير للتداول المحدود فى الاوساط الصحفية والسياسية والقضائية جاء فى مقدمته بصريح العبارة :

« الى كل اولئك الراغبين فى المجىء والاقامة فى شاطىء اللازورد ، أقدم هذا الانذار : تجنبوا مدينة نيس لانها أصبحت معقلا لأقوى الاوساط الاجرامية فى جنوب فرنسا . هذه الأوساط التى يمكن ان يتورط معها حتى الاجانب كما حدث لى ولاصدقائى فى السنوات الثلاث الماضية » .

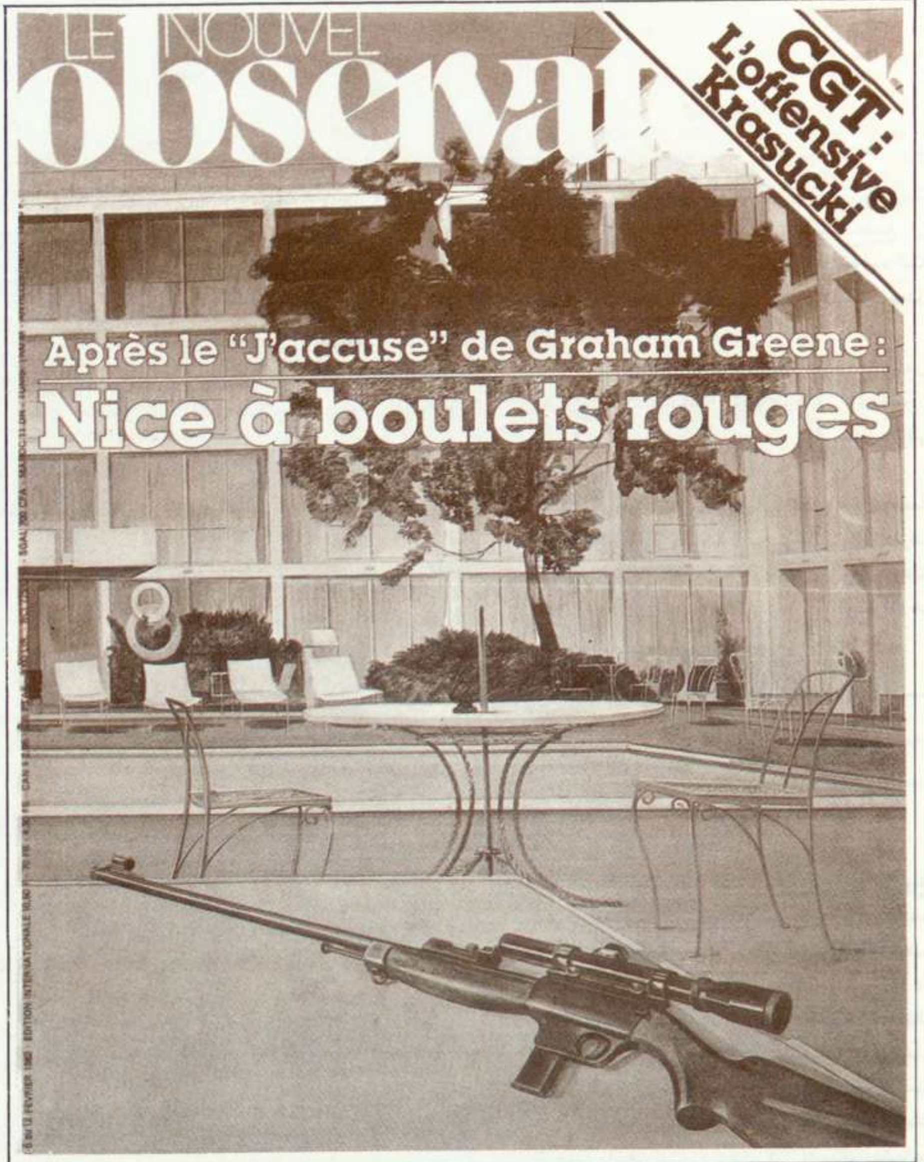
هذه « النصيحة » الصادرة من أديب شهير انتشرت عبر معظم صحف اوربا وامريكا ، بينما محافظة مدينة « نيس » تستعد لكرنفال الربيع ، وتمنى النفس



غراهام غرين والخط الفاصل بين الرواية والحقيقة .



ماكس غالو نائب نيس الاشتراكى: غرين عنده حق




لونوفل ابزرفتور حولت الاتهام الى موضوع غلاف !

بازدهار موسم الصيف المقبل بعد شهور .. !

ولو اقتصر الامر على احتمالات الخسارة السياحية لهان الامر ولكن الانكى من ذلك ان ادباء فرنسا وسياسييها استيقظوا على صرخة روائى انجليزى عجوز وهو يدق جرس الانذار ضد فساد خطير يتهدد مصير اجمل مدنهم . ويحمل عالياً راية الاصلاح لحماية المواطن الفرنسى والزائر الاجنبى القادم الى فرنسا :

مدينة فرنسية لا تجد من يصلح امورها غير اديب انجليزى ؟ يالثارات واترلو ! .. يالثارات نابليون !

وماذا حدث لأدباء فرنســـا ، المتميزين تاريخيا بين كل الأمم بخوض مثل هـــذه المعارك الاصلاحية والتطهيرية ؟

## إني اتهم

بل ان غراهام غرين إمعاناً فى استثارة الكوامن الفرنسية اختار عنواناً فرنسياً لكتيبه عن القضية ـ الفضيحة هو « انى اتهم » « J'Accuse » وهو العنوان الشهير الذى اختاره الأديب الفرنسى اميل زولا ، فى القرن التاسع عشر ، لاثارة إحدى القضايا الشهيرة فى عهده ، وكان « غرين » يقول للفرنسيين : لم تعودوا اوفيــــاء لتقاليدكم وها نحن نحملها نيابة عنكم !

أما أساس القضية كلها فهو أن « غرين » يعيش قريباً من أسرة فرنسية ـ سويسرية تعرف إليها منذ زمن بعيد أثناء إقامته فى الكونغو . فلما انتقل إلى الحياة فى الريفيرا الفرنسية وجد ان هذه العائلة المكونة من أب وأم وابنة قد انتقلت هى الأخرى الى الاقامة فى الريفييرا ، فظل قريباً منها يرقب ابنتها التى أصبح أباً ثانياً لها وهى تكبر وتتزوج وتصبح مذيعة تليفزيون بمحطة مونت كارلو . وقد تزوجت الفتاة ، واسمها ( مارتين ) ، من سمسار عقارات

فرنسي شاب اسمه ( دانيال غاي ) وعاشت معه ست سنوات وانجبت منه ابنتين . ثم جاءت المشاكل والطلاق . وحاول دانيال ان ياخذ حق حضانة ابنته الكبرى من مطلقته . ولكن الأخيرة كسبت القضية جزئياً بابقاء الابنة معها على أن تبقى فى نفس الحي الذى يقيم به الأب وان تعود إلى ابنتها كل ليلة فى الساعة الثامنة والنصف مساء .

هذا الحل لم يعجب الأب دانيال ، فأعاد الكرة ثانية وكسب حكماً قضائياً بحضانته لابنته بعد أن « اقنع » المحكمة بطريقة ما أن مطلقته غير صالحة لتربية الابنة .

كان « غراهام غرين » يرقب هـــذه القضية من خلال علاقته الحميمة بأسرة مارتين . ورأى كيف تحطم قلب الشابة بفقدها لابنتها الكبرى ثم اضطرارها للهرب من نيس إلى مكان مجهول مع ابنتهـــا الصغيرة .

واستغرب « غـــرين » كيف كســـب « دانيال » هذا الحكم القضائي .. وتساءل عن سر قوته واخذ يراقبه ويتتبعه وهو القاص المغرم بالأسرار البوليسية وحياة العوالم السفلية منذ كان شاباً يغامر فى الحرب العالمية الثانية وما قبلها ويتصيد الجواسيس الألمان فى البرتغال ، ومهربى الأفيون فى الشرق الأقصى .. ليكتب عنهم قصصه الحافلة بالألغاز !

واكتشف « غرين » في « دانيال » صيداً ثميناً .. فهذا السمسار الفرنسى يركب السيارات الفارهة من نوع الروز - رايس ، ويكسب الملايين على موائد القمـــار فى الريفييرا ، ويوقع أكبرأندية القمار فى الافلاس ليشتريها ، ويتعاون مع شبكة من الايطاليين « العريقين » فى هذه العمليات . ثم تبين انه قد دخل السجن ثلاث مرات فى شبابه الباكر ومع ذلك فهو الآن على اوثق الصلات مع رجال الشرطة فى البلد ، بل ويشهدون فى المحاكم لصالحه !

## ما بين الأديب والسمسار

بدأ « غرين » يثير التساؤلات حول هذا الرجل ومداخلاته ، فى الأوساط الأدبيـــة والسياسية المقربة منه . واحس « دانيال » بهذه المتابعة ولم يرتح لها .

وذات يوم جاءت صديقة قديمة لدانيال ، اختلفت معه هى الأخرى ، لتقول للأديب الانجليزى العجوز بان دانيال يخطط للتخلص من والدي الفتاة مارتين ومنه هو شخصيا ، وانه قال امامها بان « الشرطة فى جيبى » ولن : « ادخل اى سجن » وبان حماته وحماه السابقين « سيذهبان ضحية حادث سيارة » وان « المدعو غراهام غرين » سيكون فى تلك السيارة أيضاً » !!

وهنا احتدمت المواجهة بين الرجلين . وقال دانيال لغرين متحدياً : أنا جدار صلب لا اخترق ، فرد عليه غرين : أنا هو ذلك الجدار !

واخذ الرجلان ، الأديب الانجلـــيزى والسمســـار الفرنسى ، وبين الأديب والسمسار ما بينهما من نفور طبيعي فى كل مكان ، وبين الانجليزى والفرنسى ما بينهما من جفاء تاريخي عبر الأزمان ، نقول اخذ الرجلان يستعدان لمناطحة « جدرانيـــة » طويلة الأمد .

وللمصادفة المريبة ، فان صديقة دانيال القديمة التى أخبرت الأديب غراهام غرين بخطط غريمه للقضاء عليه فى حادث سيارة قد وجدت من « يزورها » فى مكتبها ليكسر لها انفها بضربة تحذيرية يستطيع أن « يشم » معناها .. حتى الأنف المكسور !

## اسماك كبيرة

اتجه غرين أولا للبوليس وطلب منـــه التحقيق فى مخالفات الرجل . ولكن الأيام مرت والتحقيقات بلا نتيجة .

وقال رجـــل بوليس كبير للأديب الانجليزى : « ان دانيال وأعوانه أسماك كبيرة لا نقدر عليها » - والعهـــدة على الراوى .

ثم اتصل غراهام غرين بما له من سمعة وشهرة بوزارة العدل فى باريس وطلب منها التدخل فى الأمر ، وأرسلت الحكومة مسئولا كبيرا اعترف ان الصورة تبدو « مخيفة » بالفعل ، ولكن فجأة حدثت تنقلات للقضاة فى المدينة أضفت غموضاً أكبر على سير التحقيق ، وتركت المسألة تبرد ، واعصاب غراهام غرين تحترق على نار هادئة !

ورد غرين بتصعيد الأمر ، فقرر إعادة وسام الشرف الممنوح له من الحكومـــة الفرنسية قبل سنين ، وذلك للفت انظار كبار المسئولين فى العاصمة لخطورة الأمر فى « نيس » ، ولكن الحكومة الفرنسية ردت عليه وسامه قائلة انها لا تســـتطيع ان تسترجعه منه إلا فى حالتين : إذا توفاه الله أو اذا أوقع نفسه فى عمل مشين مخل بالشرف .

عندما أصدر غرين كتيبه الذى يتضمن معلوماته وتحقيقاته الخاصة عن المسألة ، والذى حذر فيه السياح من القـــدوم إلى نيس ..

وهنا تحولت المسألة الى قضية سياسية بين الحكومة والمعارضة واخذ كل طرف يعمل على تحويلها لصالحه واتسعت الدائرة بما يتجاوز « نيس » وموائدها الخضراء وشاطىء اللازورد الحالم ..

## .. وقضية سياسية

خرجت صحيفة « لونوفل ابزرفتور » المقربة من أوساط اليسار الحاكم بموضوع غلاف يقول : « بعد ( انى اتهم ) لغراهام غرين : نيس تصـــــبح تحت القـذائف الحمراء » .

وفى معالجتها للموضوع اتخذت موقفاً مزدوجاً مؤيداً ومعارضاً لحملة غراهام غرين فى وقت واحد ، وذلك ليحقق اليسار الحـاكم من القضية اكبر كسب ممكن ضد اليمين المعارض ، دون ان يستفز مشاعر الفرنسيين وسكان « نيس » بصفة خاصة الذين انزعجوا من تدخل الأديب الانجليزى فى شئونهم .

وقد نشرت الصحيفة المذكورة مقالا لنائب نيس الاشتراكى « ماكس غالو » - وهو فى الوقت ذاته أديب وروائي - ذهب فيه الى أن اتهامات غراهام غرين لها أساس من الصحة فى بعض جوانبها على الأقل ، وأن رائحة الفساد تنبعث من وقت لآخر من أقبية المدينة ، وان هذا الوضع هو من مسئولية النظام اليميني الذى حكم فرنسا فى ربع القرن الاخير ، ومن مسئولية محافظ « نيس » اليميني أيضاً ومن مسئولية بعض اجهزة الأمن والقضاء ذات الميول اليمينية أيضا وأيضاً !

وأضاف : على الدولة الفرنسية أن تفتح ملف هذا كله ولا تنتظر حتى تنشر صحيفة « التايمز » البريطانية رسالة لأديب بريطانى حولها لتاخذ علما بالموضوع ، كما كان يحدث




فى نيس أضواء تخفى أكثر مما تكشف !

فى المستعمرات البريطانية . وهو يسير بذلك إلى أن بداية تسرب المعلومات حول هذه القضية قد بدأت برسالة من غراهام غرين الى صحيفة « تايمز » فى لندن ، بينما كانت اجهزة الاعلام الفرنسية ، الكثيرة الكلام حول كل قضايا العالم ، غافلة عن هذه القضية رغم ارتباطها بصميم الأوضـــاع الفرنسية .

أما محافظ نيس اليميني ، المهتم بتنشيط السياحة فى مدينته وتشجيع الســياح الأثرياء على القدوم إليها بكل وسائل الاغراء – فقد رد على هذا كله بالقول : « ان غرين يفتعل هذه القضية كلها ، ويضــخم مسالة عائلية صغيرة جدا ، ليلفت إليه الأنظار ويمهد الجو لقصته الجديدة ، بعد أن أفلس أدبيا » .

بينما يتهمه غريمه السمسار الفرنسي بانه كان على علاقة خاصة بام مطلقته كل هذه السنوات ، وانه الآن يتحرك تحت تاثير تلك المراة ليثار لابنتها منه . ويرد غرين قائلا : انا رجل فى السابعة والسبعين وعندما يتهمنى دانيال غاي بهذه العلاقة ، فانه يشرفني بها ، ويبعث فى نفسى الشعور بالشباب !!

أما الناقد الادبى فى صحيفة « لونوفل ابزرفتور » فقد ذهب لغراهام غرين ليساله : « ماذا لو ظهر اديب فرنسى فى بريطانيا واتهم السكوتلانديارد بالفساد والتآمر مع المجرمين . ماذا سيكون شعورك نحوه كبريطانى ؟ » .

فرد غرين بجفاء : « فى بريطانيا لا يحدث كل هذا ولا يستمر إن حدث ، كما لا يظهر لدينا زعماء عصابات أصحاب نفوذ ! » .

## رأى فرنسى

## في عقدة الانجليزي

ولكن الناقد الفرنسى لا يدعه يذهب سليما وسعيدا بهذه الاجابة ، فقد اخذ يحلله نفسيا إلى حد تقطيع الشعرة كما يقولون .

ومما قاله فيه : ان غراهــام غــرين البروتستانتي الذى تحول الى الكاثوليكية ، ولم يحسن إيمانه بها ، يريد الآن ان يشن حملة صليبية ضد الحياة الحرة الطليقة فى « نيس » لأن نفسيته المتشددة لا تحتملها ، وانه يريد لنيس أن تعود كما كانت فى أوائل القرن نقطة مرور لبحارة الأسطول البريطانى ، الذين كانوا يتســـكعون ويتشمسون على سواحلها فى طمانينة لم تعد متوفرة لهم الآن . وان بقاء غرين فى « نيس » حتى الآن ورفضه الذهاب الى بلده ليشرب فى حاناتها اللندنية ، دليل على حنينه لأيام المجد الاستعمارى البريطانى وبحاره الدافئة ! .. وان غرين الذى تعود على إثارة القضايا بمغامراته فى أفريقيا والشرق البعيد ولم يعد قادراً عليها الآن يريد – بدافع الحنين لمغامرات الشباب – أن يثير قضية على حساب سمعة مدينــة « نيس » ، بينما هو غارق فى الشراب لينسى اصدقاءه القدامى الذين ماتوا فى الكونغو وماليزيا وفيتنام .. وانه قد وقع بسبب ضعف الشيخوخة تحت تاثير صداقته لعائلة الفتاة مارتين التى تستغله لتصفية حساباتها الشخصية من مطلق ابنتها .. وبأنه لم يقدم فى أدبه غيرصورة قاتمة عن الحياة ملؤها الشر والحقد والجريمة .

كل هذا قالته « لونوفيل ابزرفتور » فى الأديب البريطانى ولكنها قبل سوق هذه التهم صدرت تحقيقها كما اشرنا بمقالة نائب « نيس » الاشتراكى التى قال فيها ان غراهام غرين قريب جداً من الصدق فيما يقوله عن عصابات نيس المحمية من بعض أوساط اليمين .

فاين الحقيقة .. ولماذا هذا الموقف المزدوج ؟ إنهم يريدون استغلال ما يقوله غرين لفتح معركة ضد اليمين ، وضد ماضى الرئيس السابق جيسكار ديستان . ولكنهم فى الوقت نفسه لا يريدون الوقوف مع الأديب البريطانى أمام الرأى العــــام الفرنسى . لذلك فهم يعترفون أن غراهام غرين على حق .. لينتقدوه بعد ذلك بقسوة !

وغراهام غرين لا يخرج هذه الأيام إلا وفى جيبه علبة خاصة تحتوى غازاً مسيلا للدموع تحسباً لأى طارىء . وهو يطالب بمحاكمته على التهم التى ساقها ضد سلطات « نيس » فى كتيبه عن القضية وهو يقول إنه سيحول محتوى هذا الكتيب إلى قصة طويلة بالحقائق والأرقام بعد ستة شهور ، أى عندما يزداد عدد المصطافين في نيس !

والمعركة مستمرة بين الرجل والمدينــة التى يعشق ! .. رجل عمره سبعة وسبعون عاماً ومدينة عمرها سبعة وعشرون قرناً . هل حقاً هى معركة ضمير وإصلاح وتطهير ، أم معركة نفوس مرهقة تريد التعويض عن شىء ؟

المهم أن يخرج لنا غراهام غرين بأثر ادبىناجح فى النهاية ... وهذا ما يشكك فيه الفرنسيون !

**د . محمد جابر الانصاري – باريس**

«إلام يصير العالم لو علق فجأة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية أو من تراثها الروحي فحسب .. بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها» .

«ديهاميل»

# لا بأس

# ألا يكون لي تاج ما دام معي قلم ..!

هذه الكلمات الشامخة ، الصادقة والمتألقة ، قالها المفكر الفرنسي «فولتير» ولعله أراد أن يهديها الى كل كاتب حر صادق وشجاع .. ذلك أن الكاتب الذى يحمل الصفات ، يحمل على مفرقه تاجاً غير منظور .

إنه يصف لنا عالم الله ، ويهدينا الى الحقيقة ، ويضع عنا إصرنا وأغلالنا .. ولولاه لبقيت الأرض يطمرها اليأس وتغطيها الظلمات . فالكلمة منطوقة ومسطورة كانت في بدايات حياتنا بمثابة أجراس النصر تدق للانسان .

ومع الكلمات الأولى التي انفرجت عنها الشفاه أو سطرتها الأقلام أعطت المقادير إشارة البدء للقافلة البشرية ، وأصبح معروفاً من يومئذ أن لواء السيادة على هذا الكوكب سيعقد للانسان ، وأن المستقبل سيدخل في طاعته ، وأن المجهول سيفضى له شيئاً فشيئاً بأخباره وأسراره .

وأمام كل عمل وكل ابداع – من العصور الموغلة في القدم حتى يومنا هذا ، نجد الكلمة الحرة الشجاعة الذكية تنشىء العمل وتخلق الابداع .

كانت الكلمة منذ بدئها تعنى ميلاد فكر جاء على شوق وقدر ، ولقد بدأنا نعي وجودنا يوم تكلمنا ، ويوم فكرنا وكتبنا .. يومها شرعنا نجاوز الظلام ونتخطى العماء ونخترق أسوار العزلة . ولا نكون مغالين اذا قلنا : إننا يومئذ – لا قبلئذ – أعطينا شهادة ميلادنا ، ووثيقة آدميتنا .. ذلك أنه حين فضت عن الأفواه أقفالها وأمسكت الأنامل بأقلامها بدأت أولى خطواتنا في السيطرة على ما معنا وما حولنا ، وبدأ الوجود الانساني ينهض قائماً ..

ولكي نعرف قيمة الكلمة وما وراءها من فكر حر رشيد ، علينا أن نتصور الكوكب الذى نعيش فوقه وهو خال من صاحب الكلمة – الانسان .

أعزل الانسان عن هذا الكوكب ..

تصور أو تخيل الأرض في غياب الانسان ، وانظر ماذا ترى ؟!.

لن ترى سوى التيه والظلام .. حقاً سيكون هناك بحار تصطحب أمواجها ، وعواصف تزلزل الأرض بزئيرها ، ورجوم وشهب ، ووحوش ودواب وزواحف .. ثم ماذا ؟ لا شىء سوى الخواء والعماء ، وظلمات من فوقها ظلمات .

إن الطبيب والأديب الفرنسى «ديهاميل» يتساءل في كتابه «دفاع عن

بقلم
خالد محمد خالد

الأدب» ترجمة الدكتور محمد مندور فيقول : «إلام يصير العالم لو علق فجأة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات ترابة ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية أو من تراثها الروحى فحسب . بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها» .

أهناك إذن جلال يفوق جلال الكلمة ؟..

أهناك غرض مهما تكن قداسته وحتميته يستحق أن تعطل من أجله الكلمة ، ونقدم اليه قرباناً ؟! ..

إن الأمر ليبدو وكأنما أعدت الأرض وهيئت لتكون مسرحاً للكلمة ومجالا للفكر ليس غير ..

وبعد أن كانت الأرض ـ بالصمت ـ مكاناً موحشاً ، صارت ـ بالكلمة ـ مكاناً مأنوساً .

ولا شيء ينقص من عظمة دور الانسان على الأرض مثل الانتقاص من سيادة الفكر والتحديد غير المشروع لنشاط الكلمة ..

ولننظر مثلا .. ألسنا نؤمن بأن المسيح ومحمداً أخرجا الناس من الظلمات الى النور ، وأضاءا في الضمير الانسانى نوراً سدد خطاه ؟ ..

فلننظر إذن أية جناية على العائلة البشرية كانت ستحيق بها لو استطاعت قوى الظلام أن تخنق الكلمات التي انبعثت من محمد وأخيه حاملة الهدى والنور ؟! .

لو أن «المسيح» في أولى محاولاته ساعة استقبل الدنيا ليقول لها «وقد اقترب ملكوت السماوات» راح ضحية قوة باطشة ، فمن الذى كان سيملأ الحياة ووجدانها بهذا اللحن المضيء الهادر المتمثل في «موعظة الجبل» ؟ ومن الذى كان سيجابه الكهنة المتجرين بالدين ، والطغاة الناهبين أجور الفعلة والحصادين ؟! ..

ولو أن «محمداً» حين وقف يعلن أنه لا إله إلا الله ذهب ضحية خصومه من أعداء الكلمة والصدق والحقيقة ، فمن ذا الذى كان سيبلغ رسالة الله ويتلو على الناس قرآنه ؟؟

من الذى كان سيرفع راية التوحيد فوق أنقاض الوثنية ، ويذيع نعي أرباب الأرض المتجبرين فيها ، وينادى الكادحين والبسطاء الى يومهم الموعود فى عالم الناس فيه سواسية كأسنان المشط ؟؟ ..

حقاً إن الكلمة هي الحياة .. أطفىء الكلمة ينطفىء نور الحياة .. أعد الألسنة الى صمتها القديم ، واكبح الأقلام بالشكائم ترتد الحياة فى نفس اللحظة ولنفس السبب الى بداوتها وخشونتها ووحشتها .



ذات يوم حمل رجل أوربى قلمه وراح يسجل رأيه في «العصيان المدنى» كسلاح تستخدمه الشعوب المهيضة والمظلومة ..

كان اسم هذا الرجل «ثورو» خط كتابه بيمينه عام ١٨٤٩ ، ثم مات .. وضاعت الصفحات التى خلفها فى زحام الحياة ، أو ظن أنها ضاعت وذهبت مع الريح ، حتى وقعت ذات يوم من أيام ١٩٠٧ فى يد شاب هندى كان يعانى فى جنوب افريقيا مع المغتربين من بنى وطنه اضطهاداً وقحاً واستبداداً مذلا ، فاذا الكلمات التى حسب الزمان أنها اختفت وتاهت تشعل فى قلبه النار المقدسة وتناديه الى طريق الخلاص .. ولندعه يحدثنا عن أثرها فى نفسه فيقول : «وبينما كنت أبدأ نضالى تلقيت من صديق لي كتاب ـ العصيان المدنى ـ فما إن قرأته حتى ملأنى قوة ويقيناً . وذهبت أترجم بعض فقراته وأنشرها فى المجلة التى كنت أنشرها فى ذلك الحين . ولقد كان فى كلمات «ثورو» من صدق التعبير وقوة الاقناع ما جعلنى أشعر بحاجتى الى المزيد من المعرفة به .. وأخيراً عرفت أن رجالا فرادى أمثال «ثورو» قد انتصروا لأنهم تقدموا الصفوف بتضحياتهم وكانوا قدوة للعالم» .

هكذا تأثر المحامى الشاب الهندى بكلمات ظن الكثير من الناس أنها تلاشت بينما هى رابضة فوق صفحاتها . وما إن لامست روح هذا الثائر الهندى الناشىء حتى أبانت له الطريق ، وسلحته بالوسيلة ، فهب ناهضاً وقهر الطغيان الذى كان يعذب قومه فى جنوب افريقيا ، ثم انتقل برسالته الى وطنه الكبير ـ الهند ـ وهناك ، وكلمات «ثورو» تنمو داخل ضميره قاد أمته المستعبدة حتى حققت تحت زعامته أعظم انتصار بأنظف وسيلة .

هل عرفتم ذلك الثائر الذى صنعته كلمات ثورو ؟! ..

إنه قديس عصرنا الحديث . غاندى !!! ...

وحين نقلب أبصارنا مستعرضين كل ثورات التحرير عبر التاريخ نجد بين أيديها جميعاً فكراً باسلا ، وكلمات أشد

# لا بأس

## ألا يكون لي تاج

## مادام معي قلم ..!

مضاء من السيوف المرهفة ، وأهدى فى ظلمات الليالى من كل ضياء !!

والقوى التى هدمت صروح الجبارين وأزاحتهم من طريق الشعوب ـ كانت الكلمة ..

والنور الذى هدى البشرية الى مدارج ارتقائها ، وانتزعها من ظلام التأخر ـ كان الكلمة ..

احمل بيدك ورقة بيضاء ، وسل نفسك: كم تساوى هذه الورقة ؟ .. انها لا تساوى شيئاً .. ومع هذا فان ورقة ضئيلة مثلها خط عليها «اينشتاين» هذه الكلمات (الطاقة ، تساوى الكتلة ، مضروبة فى سرعة الضوء ، ثم مضروبة فى سرعة الضوء مرة أخرى) فاذا بها تغير وجه العالم وتنقله فى لمح البصر الى عصر الذرة والفضاء بكل فتوحاته واحتمالاته !! ..

وبعض الكلمات التى يخطها الكاتب لا تقل خطراً عن الكلمة أو «المعادلة» التى يضعها الرياضى .

ففى كراسة بيضاء ، تستطيع أن تشتريها بدراهم معدودة ، كتب «روسو» ـ العقد الاجتماعى ـ ، فأجج به الثورة الفرنسية !! .. وكتب «توم بين» ـ الفهم ـ فأجج به حرب الاستقلال الأمريكية !! ..

وكتب «ماركس» ـ رأس المال ـ فأجج به الثورة الشيوعية !! ..

وكتب «تولستوى» ـ الحرب والسلام ـ فأشعل به ثورة الضمير الانسانى فى كل العصور !! ..

● ●

وهنا نصل الى ما للكاتب الحر من منزلة ومكانة .. وهنا نرى الكتاب والمفكرين بحق «أصحاب جلالة» إذا هم احترموا عقولهم ، ووقفوا الى جانب الحقيقة . باحثين عنها ، هادين اليها ، واذا هم فكروا من أجل المصير الانسانى



تولستوى

فى مثابرة واحترام .

وقبل أن يدعو الكاتب الناس الى الايمان بالكلمة وتبجيلها ، عليه أولا أن يؤمن بها ، ويحمل تبعاتـ تجاهها .

وليس هناك سوى الكاتب المؤمن برسالته من يستطيع أن يمنح الآخرين هذا الايمان .

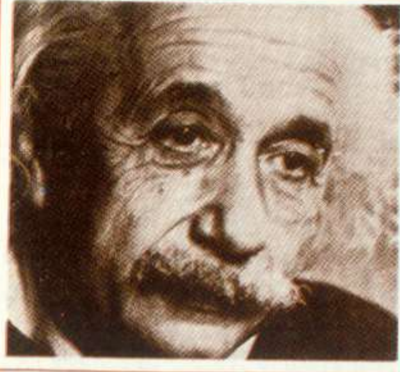
فالكاتب والأديب اللذان يخلصان لفنهما كل الاخلاص هما رعيلنا الوثاب نحو مستقبلنا المأمول .

يقول «ديهاميل» مخاطباً حملة الأقلام: «نحن إذا أردتم نملك العالم بأجمعه . وفى هذا التملك سنجد خلاص أرواحنا .. نحن نملك آلافاً وآلافاً من أشياء الحياة .. ونحن نملك نار الفكر التى لا تنطفىء والتى من لهيبها المقدس تنبعث كل حياة جديدة» .

صديقى الكاتب . هل أنت حر ، وصادق ، وشجاع ؟؟ اذن فأنت صاحب جلالة . وعلى مفرقك يتألق تاج غير منظور .. أنت النور الذى تبصر البشرية طريقها فى ضوئه ، وأنت الروح الذى يملأ الحياة رشداً ..

لكن ذلك مرتبط بما تكنه لنفسك ولقلمك من احترام ، وبقدر ما تتحلى به من تواضع يرفض الزهو والغرور ، وبقدر ما تتحرر من إغواء الشهرة وإغراء النجاح .

لطالما كان رواد الكلمة الأحرار



أينشتاين

يحاذرون على موهبتهم من النجاح التجارى الذى يجرف الكاتب بعيداً عن المرفأ الآمن . حتى لقد قال أحدهم : «العبودية والانحطاط جزاء وفاق للنجاح والكتاب الذى يروج قبر مذهب للموهبة المتعجلة غير الممتازة» ..

ويحدثنا «ديهاميل» فيقول : «لو غامر أحد أولادى يوماً واحترف الأدب ، وسألنى أن أنصحه لما قلت له غير هذه العبارة : احذر النجاح !! وسأفكر وأنا ألقى اليه بهذه النصيحة فى النجاح الملتوى المخاتل الذى يثني يوماً بعد يوم من أهداف الكاتب ، ويقص أجنحته حتى يزج بقدميه فى رفق الى مباذل المجد .. سأفكر فى هذا النجاح الذى ينال من الشجاعة الحقيقية برضاب قبلاته السامة .. أجل ـ احذر النجاح . فكل نجاح باب يغلق .. وكل نجاح أمل يكبل .. وكل نجاح مستقبل يقبر .. وكل نجاح عدو .. أجل ـ احذر النجاح . احذر هجماته ومكايده . واذا رغبت فى النجاح فاحذر أن تكون رغبتك اندفاع السغبان .. واذا احتقرته فاحذر أن يكون فى احتقارك نبرة الحقد .. وفى كلمة واحدة : احذر النجاح» !! ..

ويقول «جوركي» : «ليس من المستحسن أن يكون للكاتب كثير من

المعجبين ، وكل رجل ذى عمل مع الجمهور عليه أن يطهر الهواء المحيط به بمطهر الحقيقة» .

إن خوف «ديهاميل» من النجاح مرده الى أن النجاح فى كثير من حالاته يكون كما قال ملتوياً ومخاتلا يثنى من اهداف الكاتب ومبادئه ، ويطوعها للأغراض السافلة والأطماع الباطلة .. ثم إنه كثيراً ما يجرف الكاتب بعيداً عن الأصالة والخلق حين يطرح عن كاهله كل جهد يتطلبه التجويد والاتقان معتمداً على التوقيع الذى سيذيل به عمله الأدبى والذى يحمل اسماً ناجحاً لامعاً .

وهذه «اللامبالاة» لا تلد أعمالا ضحلة وحسب . بل إنها تصيب الموهبة بالهزال.

إن نجاحاً من هذا النوع – وكثيراً ما يكون النجاح كذلك – لا يكف نباحه وراء الكاتب ، مطالباً إياه بتموين سوقه الرائجة .

والعمل الفنى والأدبى الأصيل لم يكن فى يوم ما سلعة تصنع على عجل وتقدم عند الطلب .. وهذا ما أخاف «ديهاميل» حين قال ما تلونا ، وحين يقول : «إن الأفكار التى يمكن أن تكون مادة لعمل فنى تحتاج دوماً الى نضج بطيء . فهى تولد فينا كالنطف ، وتبقى زمناً طويلا بغير حراك . ثم نحس شيئاً فشيئاً أنها تتغذى وتأخذ فى التكون ، وأخيراً تبدأ الحركة المضنية . ومع هذا يمضى زمان قبل أن يتهيأ الكائن للمجيء الى الضوء .. ولكننا اذا انتظرنا حتى نهاية الحمل فستكون لدينا الفرصة لأن نخرج الى العالم كائناً قابلا للحياة ، كاملا حسن التكوين» ..

● ●

وبعد فاذا كان هناك ناس يعيشون والسروج فوق ظهورهم ، فان الكاتب الحر الصادق الشجاع لن يكون من هؤلاء أبداً .. ليس ذلك فحسب .. بل إن مهمته ورسالته أن يدعو الأخرين الى التمرد على الأغلال ، وإلقاء السروج أرضاً ..

واجبه ألا يكون بوقاً للسلطة ، ولا عبداً للشهرة .

مهمته أن يقف كحارس البرج يدفع عن الحقيقة كل زيف ، وينادى المأسورين الى الانطلاق .

وعاره الأكبر أن يشترى منصباً أو ثروة أو جاهاً بمكانه ككاتب ومفكر ومقاتل باسل فى سبيل الحقيقة والناس .

وكل كاتب ،، إنما يكبر ويعظم بقدر استعداده للتضحية فى سبيل كلمته وقلمه .

وليس هناك أروع من هذا الذى يرفض أشياء كثيرة يسيل لها اللعاب من أجل أن تبقى له حريته وسيادته على فكره ونفسه ..

إن هذا الطراز من الكتاب ، هم الذين أبحروا بالبشرية الى مستقبلها الواعد العظيم .. هم الذين خلدوا قيمة الصدق ، وأثبتوا جدارة الانسان بأمسه ويومه وغده .

إن الكاتب الحر لا يحاول أن يوفق بين نفسه والدنيا فى ضعف وخور .. فكثير من الرجال كانوا رجالا ، لأنهم انشقوا على السائد المألوف . ولا شيء فى النهاية يبعث على احترامك مثل نزاهة عقلك ومضاء روحك .

ماذا ينتظر الناس من الكاتب حين يحمل قلمه بيمينه ويتهيأ ليكتب ؟؟

هل ينتظرون منه أن يسليهم أو يجاملهم أو يخدعهم ؟ ..

كلا – إنما ينتظرون منه أن يجلو لهم الحقيقة ويساعدهم على رؤيتها .. ينتظرون منه أن يفسر لهم التجربة الانسانية فى بؤسها وعظمتها .. ينتظرون منه أن يسبقهم الى الدروب غير المطروقة حاملا روح الرواد .

ينتظرون منه أن يحررهم من أوهامهم وأن يكون عوناً لهم فى مواجهة قراصنة الحياة .

هذه مهمة الكاتب وعمله المقدس .. الكاتب الذى لديه فكر يريد أن يبلغه للناس ، ولديه ايمان وثيق بالكلمة ، وبالانسان ، وبالحياة .. الكاتب الذى تعود أن يحمل قلمه كلما بدا له ، لا كلما طلب منه ..

أولئك يناديهم «بتهوفن» من مكان بعيد :

«ألا فلنفعل كل ما فى وسعنا من أجل الخير والصدق .. ولنحب الحرية فوق كل شيء آخر .. ولنتجنب خيانة الحقيقة ، ولو كان ثمن الخيانة تاجاً وعرشاً» !! ..

**خالد محمد خالد**



جان جاك روسو



فولتير

ملف كامل لقضية خطيرة

بقلم: فتحي رضوان

# لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

● قصة الجانى الخطير الذى لم نسمع به فى البلاد العربية إلا قليلا ، أو لم يسمع عنه أكثرنا شيئاً ● نائب رئيس الوزراء الذى خرج من الوزارة إلى السجن ● قصة القانون الذى ألغى الطربوش وألزم المواطنين بلبس القبعة ● قانون آخر يفرض على شعب اسلامى أن يستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ● المسلمون الذين يأخذون أجازتهم يوم الأحد بدلا من الجمعة

من الحقائق الاجتماعية التى لا يكاد يثور حولها خلاف ، أن قرار الاتهام الذى يصدره أى مدع عام ، فى قضية جنائية ، يتضمن صورة المجتمع ، أو جزءاً من صورة هذا المجتمع الذى ينتمى إليه « المدعى والمتهمون » معاً فى تلك القضية ، فالجريمة ـ صغرت أو كبرت ـ سواء كانت فى مجال الاجرام العادى الذى يصدر من أفراد من عامة الناس ، أو عن اقوام يتصلون بالحكم والسياسة ويؤثرون فى مجريات الأمور العامة ، بالكثير أو بالقليل .. الجريمة هذه ، على أى صورة من صورها ، هى « عمل اجتماعى » ، والمجرم هو « ابن المجتمع » ، يحمل فى شخصه ، وفى تصرفاته ، السوية أو المنحرفة ، أجزاء أو أشياء من البيئة التى نشأ فيها ، والعائلة التى خرج منها ، والحى أو القرية التى يروح فيها ويغدو ، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاشة فى موطن المدعى والمتهم على السواء .

ولكن هذه الحقيقة لا تبدو أكثر وضوحاً منها فى هذه « الجناية » المقدمة إلى المحكمة العسكرية العليا التى انعقدت فى «أنقره» عاصمة الدولة التركية فى اليوم السابع من مايو سنة ١٩٨١ ، وكان « المدعى العسكرى » فى هذه القضية ، هو العميد « نور الدين سوير » ، وقد كان الاتهام فى هذه « الجناية » موجهاً ضد الدكتور « نجم الدين أربكان » ، ومعه ثلاثة وثلاثون متهماً آخرون ، من مختلف المهن والأعمار والدرجات الاجتماعية ، طالباً الحكم عليهم جميعاً بمواد القانون الجنائي ، منها المادة ٦٤ فقرة أولى ، والمادة ١٦٣ فقرة ٤ ، والمادة ١٧٣ فقرة ٣ والمادة ٣١١ فقرة أولى وثانية ، ومواد أخرى واردة فى قوانين خاصة مثل قانون الطوارىء .

## خمسة عشر جناية

ونحن لا نذكر هذه المواد القانونية لأنها تعنى شيئاً لدى القارىء أو الكاتب ، فالحقيقة أننا لا نعرف فحوى هذه المواد ولا مضمونها ، ولكننا نذكرها لنبين مدى ما ذهب إليه المدعى العام من التشدد فى تلمس أسباب العقاب على الدكتور « نجم الدين أربكان » وأعوانه ، ومن ثم لا يجدر أن تفوتنا الاشارة إلى أن قرار الاتهام الذى نحن بصدده يتهم « الدكتور أربكان » بمخالفته لحكم الفقرة الرابعة من المادة ١٦٣ ست مرات ، كل منها تكون جريمة قائمة بذاتها ، وتحتاج إلى عقاب خاص ، ثم بمخالفة للفقرة الثالثة من المادة ١٧٣ من أحد القوانين الخاصة خمس مرات ، ومؤدى هذا كله : أن المتهم الأول فى هذه الجناية ، منسوب إليه ، وهو مقدم للمحكمة العليا أنه ارتكب فوق خمس عشرة جناية .

## المتهم نجم الدين

فمن هو نجم الدين أربكان ؟

من هو هذا الجانى الخطير الذى لم نسمع عنه فى البلاد العربية إلا قليلا ، أو لم يسمع عنه أكثرنا شيئاً قط .

إن « الدكتور نجم الدين أربكان » ليس شاباً غرا ، غلبته على أمره حماسة طائشة ، فدفعت به إلى مقاومة سلطات الأمن فى بلاده مروجاً دعاية ممنوعة ، أو الدعوة إلى افكار مرفوضة ، بل هو رجل تجاوز منتصف العمر .. تلقى العلم العالى فى بلده وفى ألمانيا ، فحصل على أكبر الدرجات العلمية فى « الكهرباء » وعاد ليعمل أستاذاً بجامعة



المحاكمة التى لم يلتفت إليها العرب رغم أنها تعتبر محاكمة العصر .. ويظهر فى الصورة الزعيم نجم الدين أربكان أثناء محاكمته وعليــــة علامة ( X )

« أنقرة » ، ثم اختير ليعمل على تنفيذ برنامج تنمية صناعى واقتصادى ، فحقق من النتائج الباهرة ما جعل اسمه على السنة الكثيرين من أهل الرأى ، ومعهم عامة الناس الذين تابعوا نشاطه المتدفق ، فى إعجاب عميق . وما لبث أن انتخب للوزارة ، ثم أصبح نائباً لرئيس وزراء بلاده مرتين . فهو إذن رجل مسئول ، اطمأنت إليه سلطات تركيا العليا فأسندت إليه أكبر المناصب ، وشهدت له أعماله وأقواله وتصريحاته انه يبعث الثقة فى النفوس ، ويبشر بمقدم شخصية سياسية ذات أثر كبير ، يصلح وينصح ويقود .

وقد كان ممكنا أن يتقدم الدكتور « نجم الدين أربكان » لولا انه أقدم على شىء لا تطيقه سلطات تركيا ، ولا حلفاؤها ، منذ أكثر من ستين عاماً . ذلك هو التحدث عن الاسلام والشريعة ، والحق ، والله ، والرسول ، والأمة الاسلامية . فهذه كلها محرمات . وقد بالغ « نجم الدين » ، فى تحدى السلطات ، إذ ألف ــ كما يقول قرار الاتهام ــ حزباً هو حزب « السلامة القومى » واسمه بالتركية « ملى سلامات » ، إذ أن لفظ ملى فى التركية يساوي « قومى » بالعربية . أما الثلاثة والثلاثون متهماً الآخرون ، شركاء « نجم الدين » فى الجريمة ، فهم أعضاء اللجنة المركزية والتنفيذية للحزب ، وفيهم أعضاء فى مجلس الشيوخ التركى ، وأعضاء فى مجلس النواب أو المجلس الملى .

## أركان الجريمة

وقد آن أن نعرف بالضبط ما هى جريرة هؤلاء الجناة .

باختصار شديد فان هؤلاء المتهمين ، بين رئيس وتابع ، قد عقدوا العزم على تأسيس وإدارة حزب هدفه تغيير أو تعديل القواعد الأساسية لدولة تركيا ، سواء كانت تلك القواعد سياسية أو اجتماعية أو تشريعية ، وإقامة حكومة دينية بدلا من الحكومة القائمة ، أى إحلال الحكم الدينى ، محل الحكومة « العلمانية » ، ثم الترويج لتلك الحكومة التى يؤمنون بها ويدعون إليها .

وقد وضع السيد العميد « نور الدين سوير » المدعى العام العسكرى ، قرار اتهامه التاريخى ، فى نحو خمسين صفحة ، وقد أعانه فى تحرير هذه الوثيقة عدد من المحققين ومساعدى المدعى العــــــام ، واستنفدوا فى هذا العمل الضخم أكثر من أربعة أشهر ، ولما فرغوا منه وأذاعوه ، رأى قراء صحف « أنقرة » وباقى مدن تركيا ، ان قرار الاتهام ، تتقدمه مقدمة تشرح الأسباب التى تقوم عليها التهمة ، ولاشك أن الاطلاع على هذه المقدمة ، يكشف لنا ما يدور فى رأس زعماء وقادة تركيا العسكريين ، قالت المقدمة :

« إن الدولة التركية ــ بشكلها الجديد ــ قد نبتت فكرتها فى عقل وقلب « أتاتورك » وقد كان هذا الشكل هو : الجمهـــــورية ، فالجمهورية هى الساق الأولى التى تقوم عليها تركيا الحديثة ، أما السيقان الأخرى ، فهى ثورات أتاتورك السبع » .

## الثورات السبع

ومن هنا يتضح أن أبناء تركيا الحديثة لا يؤمنون بأن « أتاتورك » قد قام فى سنة ١٩٢٤ وما بعدها ، بثورة واحدة ، أسقطت خلافة بنى عثمان ، وحررت تركيا من هذه الخلافة التى رآها الزعيم التركى عبئاً على مواطنيه لن يكونوا قادرين على حمله ، وقيداً فى أقدامهم سيمنعهم من التقدم

ملف كامل لقضية خطيرة

# لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

والتنافس مع الدول الحديثة فى ميدان العمل السياسى والتجديد الاقتصادى . فالمواطنون الأتراك يؤمنون بأن التغييرات التى أدخلها زعيمهم « أتا تورك » ، والذى احتفلوا سنة ١٩٨٠ بمضي مائة سنة على ميلاده .. هذه التغييرات التى أحدثها « أتاتورك » هى « ثورات » عديدة ، لا ثورة واحدة . وقد تم نشر بيان رسمى بعنوان كل ثورة وتاريخ وقوعها ، وهذه الثورات هى :

١ ـ قانون توحيد التعليم فى تركيا بجعله تعليماً مدنياً فقط والغاء التعليم الدينى من البلاد ،وذلك فى ٣ مارس ١٩٢٤ ، وهذا القانون يندرج تحت رقم ٤٣٠ .

٢ ـ القانون الثانى ـ أو الثورة الثانية فى نظر الأتراك ـ هو القانون الذى فرض لبس « القبعة » على المواطنين بدلا من « الطربوش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ورقمه هو : ٦٧١ .

٣ ـ القانون الثالث هو القانون الذى يقضي بقفل « تكايا الدراويش » وتسريح هؤلاء « الدراويش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ .

٤ ـ القانون الرابع هو الذى الغى الزواج الشرعى ووجوب تسجيل وثيقة الزواج أمام موظف دينى ، وقد جاء هذا النص بتحويل الزواج من صيغته الدينية إلى صيغة مدنية فى المادة ١١٠ من القانون المدنى التركى الحديث وذلك فى ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ .

٥ ـ القانون الخامس هو قانون العدول عن استعمال الحروف الأبجدية العربية وإحلال الحروف الأجنبية « اللاتينية » محلها ، وحسب هذا القانون أصبحت اللغة التركية تستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وقد صدر هذا القانون فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، وكان رقم القانون هو ١٣٥٣ .

٦ ـ القانون السادس هو إلغاء الألقاب التركية الموروثة عن الآباء والأجداد وهى « باشا » و « بك » و « أفندى » للرجال و « خانوم » للسيدات ، وقد صدر هذا القانون برقم ٢٥٩٠ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤ .

٧ ـ القانون السابع والأخير هو الذى حرم ارتداء ملابس معينة مثل « الكاكوله » لرجال الدين ، و « الحجاب » للمراة ، وقد صدر هذا القانون فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٤ وكان رقمه هو ٢٥٩٦ .

## مقاومة وتضحيات

هذه سبعة قوانين ، تمثل عند تركيا الحديثة سبع ثورات ، كل ثورة منها قائمة بذاتها ، ولا يمكن إدخالها جميعاً فى نطاق واحد ، لأن لكل واحدة منها أثراً خاصاً فى حياة الشعب التركى ، وكان لكل منها رد فعل ومقاومة وتضحيات ، مما دفع الحكومة إلى استخدام القوة وشنق العديد من رجال الدين والدنيا ، ومن الحكام وعامة الناس ، واقتضت هذه القوانين أو الثورات السبع شدة وعنفاً عن جانب « أتاتورك » الزعيم الذى تصور كل قانون من قوانينها ، وقرر إصداره وتنفيذه ، تحريراً للأتراك ـ فى نظر هذا الزعيم ـ من ربقة الماضى ، وإطلاقهم فى مجال الحياة الدولية ، دون أن تثقل خطاهم العمائم الضخمة ، ولا تحجب عنها الرؤية الحسنة البراقع وأنواع الحجاب المختلفة ، ونفض أتاتورك بهذه القوانين هذه « المتاحف » التى كانت ترضى فضول السائح الأوروبى حينما يزور تركيا ، كما ترضى ذوق الكاتب الذى يريد أن ينقل لقرائه صورة عن الشرقيين والمسلمين .

فالمدعى العسكرى العام فى تركيا ، رأى فى أقوال ونشاط ومطبوعات وخطب وتصريحات الزعيم « نجم الدين اربكان » وأعوانه السائرين فى فلكه تدبيراً ضخماً ، يريد أن يبتلع البناء الذى أقامه أتاتورك .. تخيله أولا ، ثم رسمه على الورق ، ثم صاغه فى قوانين ، ثم أصبح عنصراً من عناصر الحياة التى يعيشها الأتراك ، وقد جاء الجيش التركى ليحمى ثورات أتاتورك السبع ، ويرد عنها كيد المتآمرين ضدها ، فالجيش هو أكثر مؤسسات تركيا الحديثة إيماناً بثورات مؤسس تركيا المعاصرة وهو « مصطفى كمال أتاتورك » .

## بطل الأبطال

وقد نص دستور تركيا الصادر فى سنة ١٩٢٤ ، والمعدل فى دستورها فى سنة ١٩٦١ ، على « الجمهورية » و « العلمانية » ، وجعلهما شيئاً واحداً لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

وقد أصبح الأتراك ينظرون إلى « أتاتورك » على أنه أكبر وأعظم من مجرد بطل قومى ، أو زعيم وطنى ، فهو عندهم بطل الأبطال ، وصاحب الصفات الخارقة فى كل مجال .

ولا يهم عند الأتراك أن يرى غيرهم من الشعوب ، أو أن يرى علماء فى أوروبا وفى الشرق أن « الجمهورية » و « الثورات السبع » ليست إلا خواء فى خواء . على أن الثابت فى كل الأحوال أنه ليس هناك تركى يريد أن يسقط النظام الجمهورى ، حتى تحتاج الدولة إلى حمايته بالقوانين والجيش ووسائل القمع ، ربما تختلف الأحزاب والجماعات السياسية فى جعل الجمهورية التركية : ديمقراطية ليبرالية ، أو جمهورية إسلامية ، أو غير ذلك من صور النظم السياسية المعاصرة ، أما أن تعمل على تغيير النظام كله فذلك أمر غير مطروح بين الجماعات والأحزاب السياسية فى تركيا .

ونعود إلى ثورات أتاتورك السبع لنقول إنها لم تجعل تركيا حديثة على صورة لا يجوز تغييرها ، فان مقتضى التجديد أن تتابع الدولة كل تطور يأتى به الزمان ، وأن الجديد الذى طرأ منذ قرن أو نصف ، لا يمكن أن يبقى جديداً وجديراً بالبقاء على حاله لمجرد أن مصدره محبوب وعظيم ، فان ذلك يمكن أن يتحول إلى سد الطريق أمام التجديد والتطوير الحقيقيين ، لا دعمهما والانتفاع بهما .

والواقع أن هذا ماردت به دوائر المسلمين فى تركيا على ما جاء فى مقدمة الاتهام ضد « نجم الدين أربكان » وجماعته .

## العلمانية والدين

وقد ردت الدوائر الاسلامية على تهمة أن « نجم الدين أربكان » وأعوانه قد تحدوا





كوبر نيكوس وجاليلو ـ اتهمتهما الكنيسة بالكفر لأنهما قالا إن الشمس مركز الكون....

مبدأ « العلمانية » وخرجوا عليه ، وهو المبدأ الذى فرضه « كمال أتاتورك » ، وجعله إحدى الدعائم التى تقوم عليها الدولة التركية ، ردت الدوائر الاسلامية على هذه التهمة فقالت : إن المدعى العسكرى العام فى أنقره لم يفهم جيداً المعنى المقصـــود من « العلمانية » ، فالعلمانية هى عكس « الحكم الدينى » بالمفهوم الأوروبى المسيحى خلال عهود « ديوان التفتيش » ، والحكم الدينى فى ذلك العهد القاتم المظلم ، معناه تحكم « البابا والكنيسة » فى كل رأى يقال ، وكل كتاب يصدر ، وكل فكرة تظهر ، فاذا لم يوافق « البابا والكنيسة وديوان التفتيش » على أى نشاط فكرى أو علمى ، تم منعه واعتبر كفراً والقى بالمؤمنين به فى جحيم التعذيب الوحشى ، وأمثـــال « جاليليـــو » و « كوبرنيكوس » اعتبرا كافرين ، لأنهما قالا « إن الشمس مركز الكون » خلافاً لما كانت تؤمن به الكنيسة من أن « الأرض » هى مركز الكون ، لأن روما فى الأرض ، ولأن مدينـــة « الفاتيكان » فى روما ـ ومن هنا ثار المفكرون الأحرار ضد هذا الطغيان ورفضوا سيطرة رجال الكنيسة على الأفكار العلميـــة والدراسات الانسانية ، فنشأت نظـــرية « العلمانية » التى تقضى باســـتقلال المدارس والجامعات ومعاهد البحـــوث العلمية عن سلطات الكنيسة ، وإخراج النشاط الدينى من أعمـــال الـــدولة واختصاصاتها . على أن العلمانية لا تعنى مطلقاً ، لا فى أوروبا ولا فى أى مكان آخر ، تحريم النشاط الدينى ولا تقف فى وجه نشر الدعوة الدينية بالطـرق المشروعة ، أى بالاجتماع والخطابة والكتابة ، فضلا عن ممارسة العقائد والشعائر الدينيـــة فى أبنية وأماكن يملكها المؤمنون بهذه العقائد فى هدوء وسلام ، دون أن يكون لسلطات الأمن أى حق فى التدخل فى اجتماعات ونشاط هؤلاء أو إلحاق أى أذى بهم .

ولكن السلطات العسكرية فى تركيا قلبت الأمر رأساً على عقب ، إذ حرمت على المؤمنين بالاسلام ، وهم أكثر من ٩٩٪ من سكان تركيا ، أن يدعوا إلى دينهم ، وأن يجهروا بايمانهم بعقيدتهم ، واعتبرت هذا العمل المباح بمقتضى دستور تركيا عملا خارجاً على القانون ، رغم أن الدستور يحفظ لكل صاحب رأى حقه فى أن يجهر برأيه ويدعو إليه بالطرق المشروعة ، مع أن السلطات العسكرية التركية تعلم أن المساجد تملأ البلاد ، حتى أصغر قرية فيها ، وأن الملايين تؤمها كل يوم جمعة ، وتؤدى فيها فريضة صلاة الجماعة ، وأن خطباء المساجد يدعون فوق منابرها إلى دين الله الحنيف .

هذا ماقاله رجال الدعوة الاسلامية رداً على اتهامات المدعى العسكرى التركى ضد « أربكان » وجماعته .

ونحسب أنه قد آن الأوان لأن نعرف الأدلة التى ساقها المدعى العام العسكرى فى أنقرة ضد « نجم الدين أربكان » وزملائه ، فان التأمل فى هذه الأدلة يطلعنا على حقائق كثيرة وطريفة عن أسلوب التفكير العسكرى التركى وفهمه لمبادىء الاسلام والدعوة إليه .

## اتهامات عجيبة

بادىء ذى بدء يأخذ المدعى العسكرى على المتهمين أنهم رفعوا الشعارات الآتية :

الاسلام هو السبيل الوحيد .
ومحمد هو القائد الأوحد .
والشريعة هى الاسلام .
والقرآن دستورنا .
كل الأوثان المعادية للاسلام يجب أن تتحطم ، والاسلام يجب أن يعود إليه سلطانه .

وأعلنت السلطات العسكرية إلى جانب ذلك غضبها العنيف على استعمال المصطلحات الاسلامية مثل : لفظ « الحق » تعبيراً عن : الله والصواب والحقيقة ، ولفظ « الباطل » تعبيراً عما يضاد الحق ، أى الزائف وغير الصحيح .

ويقول « نجم الدين أربكان » :

« إن السلطات العسكرية تجهـل أن لفظ « الحق » ورد فى القرآن ٢٢٧ مرة ، وأن لفظ الباطل ورد فى ٢٤ موضعاً من سور القرآن .

كذلك قام اعتراض العسكريين على مصطلحات « الجهاد » و « التبليغ » بدعوى أن هذه الألفاظ لا تروج ولا تستعمل إلا بقصد تحويل تركيا إلى دولة دينية اسلامية

ويتساءل المتهمون : ما الذى يحول بينهم وبين تحويل تركيا إلى دولة اسلاميـــة ما دامت الوسائل التى يستخدمونها هى وسائل مشروعة يقرها القانون ، بل يقرها الدستور الذى لا يحرم سوى تغيير صـــفة « الجمهورية » عن الحكومة التركية ، أما الصفة غير الدينية التى تنص عليها المادة « ٢ » من الدستور ، فانها تدخل فى نطاق التغيير الدستورى إذا ما تم العمل على ذلك بوسائله المشروعة والقانونية ، وإذا لم يكن مسموحاً به فان تركيا تفقد خصائص حكومتها « الديمقراطيـــة » وهى الديمقراطية التى يتباهى بها أتبـــاع « أتاتورك » وتلاميذه وحواريوه .

## الفكر الدينى والأحزاب

ويستمر الاتهام فى تقديم الأدلة ضد « نجم الدين أربكان » وجماعته ، فيقـول :

إن الرغبة المتأججة لبعض الجماعات المعروفة لدى سلطات الدولة فى تغيير أصول حكم الدولة التركية السياســية والاجتماعية وتحويلها إلى دولة اسلامية ، هذه الرغبة المتأججة ، لم تهدأ قط وقد سعت تنظيمات مختلفة لتحقيق هذا الهدف كما جرت مؤامرات عديدة للوصول الى الغاية ذاتها . وقد أرادت هذه الجماعات الانتفاع من المزايا التى تتمتع بها الأحزاب فى ظل الدستور ، فالبسوا جماعاتهم الدينية

ملف كامل لقضية خطيرة

# لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

ثوب الأحزاب ،وتزيوا بزيها ، من ذلك حزب « النظام الملى » ، أى القومى ، الذى سبق تجريمه سنة ١٩٧٢ بمقتضى حكم صادر من المحكمة الدستورية وقد صرح « أربكان » زعيم هذا الحزب المحظور فى اجتماع عقده فى السابع عشر من سبتمبر ١٩٧٠ ، بانه سوف يشكل حزباً ، مراعاة لمقتضيات الأحوال القانونية ، ولكنه هو وأعوانه ليسوا فى الواقع رجال أحزاب ، بل إنهم — كما يسمون أنفسهم — أتباع « الحق » أى أتباع « الله » ، وهذا كلام صريح الدلالة فى أنهم يريدون التستر وراء مظهر « الحزب » ، والانتفاع بالحقوق الدستورية الممنوحة للأحزاب السياسية ، ليتيسر لهم أن ينظموا أنفسهم فى طول البلاد وعرضها ، وليصلوا إلى أسماع الجماهير ، وليؤثروا عليها . والحق أن الجماعات الأخرى التى قلدت « أربكان » لم تنجح نجاحه ، فلم يتسللوا إلى الشعب ، ولم يظفروا بثقته .

ولكن عددا غير قليل من المواطنين تأثروا بهذه الدعوة الدينية ، وتكونت قوة لا بأس بها حول هذه الفكرة ، فكرة أن الشريعة الاسلامية ، يمكن أن تطبق فى البلاد ، بل ويجب أن تطبق على جميع فروع الحياة الوطنية ، كما أن حظر هذا الاتجاه من جانب المحكمة الدستورية لم يوقف النشاط فى هذا المجال ، كذلك فان القوى التى تجمعت حول حزب « أربكان » لم تتبدد ، بل تمت المحافظة عليها ، بفضل منشورات ومطبوعات متعددة ومتنوعة ، بل إن بعض أعضاء الحزب المحظور ، قاموا بتأليف حزب جديد ، وانضم إليهم العديد من أعضاء الحزب السابق .

ولقد أثبتت الأحداث التى وقعت فى الفترة ما بين منتصف سنة ١٩٧٧ حتى ديسمبر سنة ١٩٨٠ أن زعماء حزب « النظام الملى » « م . س . ح » مع أشخاص آخرين يعملون لنفس الهدف مثل « أحمد أوجور » قد ألفوا جماعة تسعى لهذه الغاية ، متحدين القانون فى مادته ١٦٣ والتى تحرم التنظيمات غير المسموح بها ، كما أنهم حاولوا الاختفاء تحت اسم جماعات مصرح بها ، وذلك بهدف القيام بعمل غير مشروع وهو قلب أساس الدولة إلى دولة إسلامية .

ويعترف المدعى العسكرى فى هذا الموضع من قراره ، أن عددا من المواطنين أكثرهم من الشباب قد تأثروا بدعوة هذه الجماعة ، وتورطوا فى أعمالها ، وقد عقدوا اجتماعات تحت أكثر من ستار .

## الاسلام هو السبيل

وتوالت اجتماعات هؤلاء الدعاة ، من ذلك اجتماع تم عقده فى ٢٩ مايو سنة ١٩٨٠ فى «قونية» ، وهى إحدى مدن تركيا القديمة ، وكان قد سبق عقد اجتماع مماثل فى مدينة «يوزجات» فى ٢٩ مايو سنة ١٩٧٩ ، وفى هذين الاجتماعين هتفت الجماهير بشعارات مثل «لتسقط الدولة غير الدينية» و «الدولة الاسلامية لابد منها» و «الاسلام هو سبيلنا الوحيد» و «الشريعة هى الاسلام والدستور هو الحق » وقد رفعوا أعلاماً كتبوا عليها «من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » لقد جاء الحق وزهق الباطل» و «جهادنا صراع بين الحق والباطل» ، وقد وقع كل هذا أمام «أربكان» وأعوانه ، ومن بين الشعارات التى ترددت أيضاً : «محمد صلى الله عليه وسلم هو قائدنا الأوحد» و «الوثن سوف يسقط والاسلام سوف ينتصر» .

ويقول المدعى العام العسكرى : إن «الوثن» أو «الصنم» هنا مقصود به «أتاتورك» لأن المتهمين يعتبرون أتاتورك وما نادى به من مبادىء عائقاً فى وجه الدولة الاسلامية .

ويواصل المدعى العسكرى اتهاماته «لأربكان» وجماعته فيقول :
لقد تم تشكيل جماعتين للشباب ، إحداهما تحت اسم «أكين سيلار» والثانية تحت اسم «أك جش » ، وقد تشكلت الجماعة الثانية بعد أن بطل وجود الأولى بمقتضى نص فى قانون الطوارىء ، ولاشك — عند المدعى — أن هاتين الجماعتين وحزب «أربكان» على تعاون وثيق للوصول الى الهدف النهائى ، هدف اقامة دولة إسلامية فى تركيا ، وشباب هاتين الجماعتين يبدى اعجاباً وتقديراً عظيمين «لأربكان» وقد أثبتت اجراءات التفتيش التى جرت لمقر هاتين الجماعتين حقيقة أن حزب النظام يزودهما بالمعونات المالية ، وكان من بين المضبوطات منشور بعنوان «منظمة الشباب الاسلامى فى أوروبا» ، وجاء فى هذا المنشور : هذه المنظمة تقوم أساساً على الاعتقاد الدينى ، وأنها تقيم معارضة ضد اضطهاد الحكومة للدين ، وتعبر فى الوقت نفسه عن حنين الشباب وأشواقهم نحو دولة تقام على أصول الدين .

## التقدم والتخلف

وقد دافع بعض المتهمين عن أنفسهم بقولهم إنهم حضروا اجتماعات دعوا اليها كضيوف وخطبوا فيها كمدعوين لا كمنظمين ، ولكن المدعى العام العسكرى يكذب هذا الدفاع ويقول : إن أحد كبار المتهمين افتتح أحد المؤتمرات فى سنة ١٩٧٧ بخطبة قال فيها :

«ليبارككم الله لجهودكم النبيلة ، وليكتب لكم النجاح ، وإنى أود أن أقدم لكم تحياتى بمناسبة رأس السنة الهجرية ، ونحن اذ نطيع الله ورسوله ، نقيم أعظم الحضارات ولكن مانكاد نعصى الله حتى نتخلف ، لقد حاربنا فى الحرب العالمية الأولى فى سبع جبهات وكانت النتيجة أن الوطن احتل ، وقد بدأ شعبنا العظيم يقاتل لينقذ الأناضول نزولا على أمر الله ورسوله ، ولم يكن هذا القتال من اجل أن نخرج أبطالا بل لتعلو كلمة الاسلام ، ولكن ماحدث بعد ذلك النصر هو الطمع المتأجج الذى فرض علينا ثورات لا علاقة لها بقضيتنا النبيلة .

ولكن مهما قالوا فان الشريعة لاتزال هى سبيلنا الوحيد لنصبح أمة يحترمها الناس ، ولتصبح دولتنا قائدة ، ودولة حضارة ، تحق الحق . ثم أشار «يازجان» بعد ذلك إلى «هؤلاء الذين يسيرون فى غير سبيلنا ، وعليهم أن يتبعوا طريقنا والدعوة لايمكن أن تتحقق بالعنف والقتل ، وأول ما يجب

علينا هو أن نقوم «بالتبليغ» ، ولكنهم إن أصروا على الرفض وطلبوا القتال فانه يحق لكم أن تقاتلوا حينئذ دفاعاً عن أنفسكم»

## قوانين منقولة

وقد القى «أربكان» خطاباً فى الحجاج الأتراك فى مكة سنة ١٩٧٧ فتلا بعض آيات القرآن فى بداية خطابه ثم قال :
«إن الله قد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله»
ثم قال :
«علينا أن نتأمل موقفنا كمسلمين أتراك ، ونتساءل : أنحن فى طاعة الله أم فى معصيته ، وهل تحكمنا أحكام الاسلام ، وآيات القرآن ، أم يحكمنا شىء آخر ، إن قوانيننا ليست سوى ترجمة للقوانين الغربية ، فالقانون المدنى منقول عن سويسرا ، والقانون الجنائى عن ايطاليا ، وببساطة نحن نحكم طبقاً لقوانين المسيحيين واليهود ، وبالتالى فان أحكام القرآن لاتحكمنا . ورسالتنا هى أن نعيد سيادة القرآن ، وهذا يقتضى جهاداً» ، وقد صرح «أربكان» يوماً فقال :
«إن طريقنا واضح ونحن ننشىء كتائب فى كل قرية ، ومدرسة فى كل مدينة ، وسنعيد فتح مسجد «أيا صوفيا» الذى جعله السلطان محمد الفاتح مسجداً بعد أن كان كنيسة ، ومهما فعل الآخرون فان ما نريد سوف يتحقق» .
وفى اجتماع تم عقده فى ١٩ من مايو سنة ١٩٧٨ فى مدينة «قونية» خطب «أربكان» فردد نفس المعانى .
وفى اجتماع عقد للاحتفال بذكرى فتح استانبول على يد السلطان محمد الفاتح ، وزعت رسالة جاء فيها :
بدلا من الاحتفال بأيام مجيدة أخرى ، كان يجب الاحتفال بيوم الفتح باعتباره «يوم الشباب» ـ ويقول المدعى العسكرى : إن هذه العبارة يقصد منها الحط من أهمية يوم ١٩ مايو ١٩١٩ الذى وصل فيه أتاتورك الى مدينة «ساسون» التى كانت بداية حرب التحرير .

## الجمعة بدلا من الأحد

وفى اجتماع عقد تحت اشراف المؤتمر العام لشباب المسلمين قال «أوجلو» ، أحد الزعماء الاسلاميين : « إن ثورات أتاتورك قطعت تركيا عن ماضيها ، والاصلاحات التى قام بها أضرت بالقيم الروحية للشعب وعقب التوقيع على معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء «انجلترا وفرنسا وايطاليا» ، مع الملحقات السرية لهذه المعاهدة ، ألغيت الخلافة ، وأصبح المسلمون بلا قائد ، وحلت الحروف اللاتينية التى لاتلائم اللغة التركية محل الحروف العربية ، والقوانين العثمانية القائمة على الشريعة حلت محلها القوانين الغربية التى لاتحقق احتياجات الشعب ، وبعد ذلك أصبحت الدولة «لادينية»وهو حدث لانظير له فى التاريخ ، وقد كان لهذه المواقف «الأتاتوركية» رد فعل عنيف عند الشعب ، انتهى بشنق الكثيرين» .

وفى ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، علق أعضاء حزب «أربكان» شعاراتهم المعروفة على تمثال «أتاتورك» نفسه ، والحقوا بالتمثال الأذى ، وهذا يكشف بجلاء شعورهم نحو الجمهورية وعداءهم ضد مؤسسها .

وقال «أربكان» : إنه حينما كان مشتركاً فى الحكم ، كان حكام الاقاليم يؤدون الصلاة خمس مرات في اليوم كما يأمر الله ، ولكن هذا انتهى حينما ترك الوزارة .

ويقول المدعى العسكرى إن أعمال المتهمين ، عملا بعد عمل ، وخطبهم الواحدة وراء الأخرى ، تكشف عن نواياهم بجلاء ، وهو العمل على إقامة الدولة الاسلامية ، أو دولة الشريعة .

وفى اجتماع مغلق قال «أربكان» :
«إنى أشكر الله وأحمده ، إن حزب السلامة قدم اقتراحاً بجعل يوم «الجمعة» يوم العطلة الأسبوعية بدلا من يوم «الأحد» ولكن حزب الشعب الجمهورى ، وحزب العدالة رفضا ذلك الاقتراح لأنهما لايهتمان بالدين . وتوثيق الزواج لايتم على أيدى رجال الدين لأن الدين لم يعد «مهماً» ، ولكنى أدعو الله أن تتم دعوة سريعة الى عقيدتنا السليمة ، فان الله قد أرانا الحق من الباطل» .

ويقول المدعى العسكرى : إنه قد تم ضبط مسودة خطاب أرسله شاب لأبيه : إن نظام التربية فى المدارس يبعث فى القلوب حب أتاتورك واحترامه وليس حب الله ، وإن جميع القوانين غريبة عنا ، ولا يعلموننا العربية لأنهم يودون أن يقطعوا الصلة بيننا وبين سائر العالم الاسلامى .

## الماسونية والصهيونية

وقد علق أربكان على جانب من تاريخ تركيا السياسى الحديث فقال :
«إن الحركة الماسونية سعت سعيا شديداً لعزل السلطان عبد الحميد ونجحت فى سعيها وإن أول محفل فتح فى تركيا كان على يد «أميل كورسو» وهو صهيونى ، وقد انضم اليه ضباط منطقة سالونيكا ، وكان من بين هؤلاء الضباط كمال أتاتورك ، فالحركة الكمالية كان من ورائها الصهيونية»

وتلك كلمات «أربكان» عن تاريخ بلاده ، وذلك رأيه الصريح المعلن أمام شعبه فى هذا التاريخ .
ولعل هذا كله يرينا كيف أن الحركة الاسلامية فى تركيا قد بلغت من القوة والاتساع والعمق ، ما يدعونا الى متابعة ما يجرى هناك ، وفهم دلائله العظيمة وإرهاصاته الكبيرة ...

فتحى رضوان

بقلم: عصام شريح

# لبنان في انتظار الرئيس السابع..

وفقاً للدستور اللبناني ، يتوجب اجراء الانتخابات الرئاسية فى لبنان خلال الفترة الواقعة ما بين الثالث والعشرين من تموز ( يوليو ) والثالث عشر من ايلول ( سبتمبر ) ١٩٨٢ . ومدة الرئاسة كما ينص على ذلك الدستور ست سنوات . وقد شارفت ولاية الرئيس الحالي الياس سركيس على نهايتها ، فيما بدأ الطامحون إلى منصب الرئاسة يستعدون لخوض معركتها ، والجدير بالذكر ان مجلس النواب اللبناني ( البرلمان ) هو الذى يقوم بعملية انتخاب الرئيس سواء من بين اعضائه أو من السياسيين من خارج مجلس النواب ، ولا يجوز للرئيس خوض الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية على التوالى ، غير أن بالامكان استصدار تعديل دستورى بهذا الشأن من مجلس النواب .

وقد نال لبنان استقلاله من فرنسا فى عام ١٩٤٣ ، وفى ٢١ أيلول منه انتخب المجلس النيابي أول رئيس للبنان فى عهد الاستقلال ، وهو الشيخ بشاره الخوري ، اما أول رئيس للوزارة فى فجر الاستقلال فهو السيد رياض الصلح . وقد تعاقب على منصب الرئاسة فى العهد الاستقلالي حتى الآن كل من الرؤساء بشارة الخوري ، وكميل شمعون ، واللواء فؤاد شهاب ، وشارل حلو ، وسليمان فرنجية ، وأخيراً الياس سركيس . ويبدو ان انتخاب رئيس جديد يخلف الرئيس سركيس هو عملية معقدة جداً ، نظراً للأزمة التى تعصف بلبنان منذ اندلاع الحرب الأهلية فيه فى عام ١٩٧٥ ، التى تعود فى جذورها إلى ما يسمى بـ « الميثاق الوطني اللبناني » الذى شاءه واضعوه ان يكون تسوية طائفية بعد رحيل الفرنسيين عن لبنان . ولأن « الميثاق الوطني » هذا يشكل لب وجوهر الأزمة اللبنانية المستعصية كان البحث التالى عن « الميثاق الوطني اللبناني » .

ليس هناك شك فى أن الحرب الدائرة فى لبنان منذ عام ١٩٧٥ ، والتى لا يستطيع أحد التكهن بنهايتها ، إنما تعود الى جملة أسباب وعوامل داخلية وخارجية ، وكان فى طليعة الأسباب الخارجية سياسات اسرائيل والولايات المتحدة ، الهادفة الى اشعال حرب طائفية فى لبنان ، على أمل نقل هذا اللون من الحرب الى بقية الدول العربية وبالتالى اشغال العرب بحروب استنزاف ذاتى فى الداخل والهائهم عن التصدى للكيان الصهيونى الآخذ فى التمدد كالسرطان فى الأرض العربية ، وعن سياسة النهب الاستعمارى لثرواتهم . لكن العامل الخارجى ، ليس هو فى الواقع السبب المباشر للحرب ، بقدر ما هو العامل الداخلى والعامل الخارجى فى الحرب اللبنانية ، إنما جاء نتيجة للعامل الداخلي .

ذلك أنه بعد اثنين وثلاثين عاماً من التعايش المشترك ، بين المسلمين والمسيحيين فى لبنان ، انفرط عقد ذلك التعايش فجأة ، وانهارت صيغته المسماه « الميثاق الوطنى » ، ورفع ابناء الطوائف الاسلامية صوتهم عالياً ، رافضين تلك الصيغة ، ومطالبين ببناء صيغة جديدة ، تنهى عهد الهيمنة المسيحية على الدولة اللبنانية ، بل عهد هيمنة الطائفة المارونية المسيحية بوجه خاص ، تلك الهيمنة التى فرضتها صيغة الوفاق الوطنى غير المتوازن فى عام ١٩٤٣ ، ويقترحون قيام دولة علمانية ديمقراطية .

أما الفريق الثانى ـ اى المسيحيون ـ فانهم يرفضون بدورهم العودة الى « الميثاق الوطنى » ويطالبون بدلا من ذلك بدولة فيدرالية أو كونفدرالية ، تقوم على اللامركزية السياسية والادارية ، وعلى التعددية الثقافية . والمهم أن الجميع باتوا متفقين حول فشل صيغة التعايش التى وضعت فى عام ١٩٤٣ ، عشية رحيل المستعمرين الفرنسيين عن البلاد ، وبدء عهد الاستقلال . والجميع يطرحون الآن صيغاً مختلفة لاعادة اللحمة بين ابناء المجتمع اللبناني ( الفسيفسائى ) .

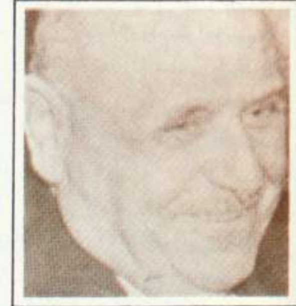
## ما هو الميثاق الوطنى . ؟

عندما شعر المسيحيون فى لبنان ، أن فرنسا تفكر فى انهاء استعمارها لكل من سوريا ولبنان ، والرحيل نهائياً عن البلاد ، بدأوا يسيرون فى تظاهرات حاشدة ، كانوا يتددون خلالها بالعروبة ، ويظهرون تعلقاً غريباً بفرنسا .

أما المسلمون ، فكانت تظاهراتهم المعاكسة ترفع شعار الوحدة العربية ، وخاصة وحدة لبنان مع سوريا .

وفى هذا الوقت برزت الدعوة إلى

# نظرة جديدة إلى الميثاق الوطني

بشارة الخورى


كميل شمعون


فؤاد شهاب



شارل حلو


سليمان فرنجية


الياس سركيس

« الفينقة » ـ أى كون اللبنانيين غير عرب وإنما ينحدرون من الفينيقيين القدماء ـ كرد على مشروع قيام اتحاد فدرالى عربى يدخله لبنان على قدم المساواة مع الدول العربية الأخرى .

وكان حزب الكتائب الذى ظهر فى عام ١٩٣٦ ، احد الأطراف المسيحية التى تبنت هذه الهرطقة « الوطنية » وعندما أصبحت « الفينقة » تياراً عاماً بين المسيحيين ، برزت الدعوة الى « القومية اللبنانية » لمواجهة القومية العربية ، وكانت البعثات التبشيرية المسيحية الأجنبية والفرنسية بوجه خاص وراء قيام وبروز هذه الهرطقة .

لكن بالرغم من هذا الانشقاق الخطير فى هيكل المجتمع اللبنانى ، فان الاتفاق على صيغة للتعايش والتفاهم المشترك لم يتم فعلياً قبل حلول عام ١٩٤٣ .

## ولادة الميثاق الوطنى

ساهمت احداث محلية واقليمية ودولية فى عام ١٩٤٣ ، على بلوغ مرحلة الاستقلال عن فرنسا ، وكان أهم تلك الأحداث الهبة الوطنية الواحدة التى قابل بها اللبنانيون اعتقال السلطات الاستعمارية الفرنسية للقادة الوطنيين . وابرزهم رياض الصلح وبشارة الخورى . أما أهم الأحداث الاقليمية التى ساهمت فى صنع استقلال لبنان ، فقد تمثلت كون سوريا « الطرف الثالث » فى صياغة الميثاق الوطنى ، والتوفيق بين المسلمين والمسيحيين ، فالزعماء الوطنيون السوريون هم الذين «اقنعوا» العروبيين الوحدويين فى لبنان ، وعلى رأسهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامى ، بالاقلاع عن مطالبتهم بالوحدة السورية والقبول بكيان لبنانى منفتح على العرب والعروبة .

أما الحدث الدولى المهم الذى ساهم هو الآخر فى انجاز استقلال لبنان ، فهو الصراع الدولى انذاك بين فرنسا وبريطانيا إذ كان البريطانيون يشجعون «الوطنيين» فى سوريا ولبنان على التخلص من الفرنسيين ، أملا فى نشر النفوذ البريطانى فى البلدين فى مرحلة الاستقلال .

## بنود الميثاق

المهم أن البنود تبلورت على قاعدة صريحة بين المسلمين والمسيحيين ، هى قاعدة الاستقلال عن فرنسا ، وقد جاءت الانتخابات العامة التى جرت فى عام ١٩٤٢ لتكرس نجاح اللوائح الانتخابية التى تضم الوطنيين المؤيدين للاستقلال ، ولتحجم المنادين بعقد معاهدة «أبدية» مع فرنسا بعد خروجها من لبنان ، باعتبارها « الأم الرءوم » للموارنة فى لبنان .

هناك من يقول ان البيان الوزارى الذى القاه رياض الصلح فى ٧ تشرين الأول ١٩٤٣ أمام مجلس النواب ( البرلمان ) هو بعينه « الميثاق الوطنى » أو انه على الأقل يتضمن أهم بنود الميثاق وخطوطه السياسية العريضة .

أما أهم مبادىء البيان الوزارى هذا فهى أولا : الاستقلال التام والسيادة الكاملة :

فقد جاء فى البيان الوزارى لرياض الصلح : « ان هذا الاستقلال نريده حقيقياً ، وتلك السيادة نريدها كاملة ، بحيث نتمكن من تقرير مصيرنا كما نشاء وكما تقتضيه مصلحتنا الوطنية ، باستثناء أى مصلحة أخرى » .

ولتحقيق هذا الاستقلال ، اقترح البيان تعديل الدستور ، الذى يتضمن مواد تتعارض مع بناء الاستقلال ، ونصوصاً تعترف لغير الشعب اللبنانى وممثليه بحق ادارة الحكم .. « .. ولذلك فان الحكومة ستطلب فوراً بادخال التعديلات اللازمة حتى يصبح الدستور دستور دولة كاملة الاستقلال » .

ثانياً : وجه لبنان العربى ، وأولوية التعاون مع الدول العربية :

جاء فى بيان الصلح أيضاً : « ان موقع لبنان الجغرافى ، ولغة شعبه وثقافته ، وتاريخه وأوضاعه الاقتصادية ، تحتم عليه وضع علاقاته بالدول العربية الشقيقة فى مقدمة اهتماماته » .

إلا أن ما يجدر ذكره هنا ، أن البيان ، باعتباره موقفاً رسمياً ، اتخذ فى ظروف سياسية معينة ، وبنوع خاص بما يتعلق بتعديل الدستور اللبنانى ضد ارادة السلطة الاستعمارية الفرنسية ، فان بيان رياض الصلح الوزارى ، لم يتضمن ، جميع النقاط التى اتفق عليها بشارة الخورى ورياض الصلح ، ولا الأسس التى رمى اليها أو الاطار الدستورى الذى سيمارس فيه .

ومع الاعتراف بتقصير البيان عن التعبير عن مبادىء « الميثاق الوطنى » فانه دون شك يشكل مؤشراً أساسياً لمضمون الميثاق .

أما أهداف « الميثاق الوطنى » ، كما حددها بشارة الخورى ونقلها يوسف يزبك فهى :

● استقلال لبنان التام والحقيقى بالنسبة لكل الدول الغربية .

● استقلال لبنان التام والحقيقى بالنسبة لكل الدول العربية .

● لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ، ولا افضلية بالنسبة لأية دولة .

● التعاون الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة .

● الصداقة مع كل الدول الأجنبية التى تعترف باستقلال لبنان وتحترمه .

لكن قد يكون من المبالغة أو الخطأ اعتبار المبادىء المتقدمة هى التعبير الأوفى عن الميثاق ، تماماً كما أنه من المبالغة والخطأ اعتبار البيان الوزارى لأول حكومة فى عهد الاستقلال تعبيراً شاملا ووافياً عن مبادىء الميثاق .

فجميع الذين تحدثوا عن « الميثاق الوطنى » كانوا متفقين على التأكيد بأن الهدف الرئيسي منه ، كان إيجاد صيغة وطنية – سياسية ، قابلة لاقناع جميع اللبنانيين باجتياز الخطوة الأخيرة التى تفصلهم عن الاستقلال التام والسيادة الكاملة .

وكانت الفكرة الرئيسية فى الميثاق عند هؤلاء الباحثين السياسيين تتمثل فى « تخلى المسيحيين عن فكرة الحماية الأجنبية ، فى مقابل تخلي المسلمين عن فكرة الاتحاد مع سوريا » ، ويقول صائب سلام ( رئيس وزراء سابق ) : « إن المهم فى هذا الاتفاق ، هو أن الفريق الأول ، المؤلف من ابناء جبل لبنان ( الموارنة ) والمسيحيين بوجه عام ، تخلى عن حماية فرنسا واقتنع بسلامته فى إطار بلد مستقل وحر ، وفى إطار كيان وطنى يعترف به جميع ابنائه وجيرانه وان الفريق الثانى المؤلف من أكثرية المسلمين وأبناء « ولايتى » بيروت ودمشق فى السابق ، يتخلى عن موقفه السلبى من الكيان اللبنانى ، ومطالبته بالاتحاد مع سوريا ، ويعترف بلبنان كموطن عربى مستقل .

اما إميل البستانى ، فقد شرح فى دراسة نشرها فى عام ١٩٥٨ موقف المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم فى عام ١٩٤٣ على فكرة التعايش المشترك ، فيقول : كان فريق من اللبنانيين يرى « استقلاله » مهدداً من الداخل السورى ، ومن العرب بوجه عام ، والمتطرفون فى هذا الفريق ينادون بوطن قومى مسيحي تحت حماية أجنبية ( يقصد الموارنة ) أما المعتدلون فكانوا يعتقدون أن لبنان يجب أن ينفرد بوضع خاص فى المحيط العربى ، وأن يتعاون مع الدول الأوربية ليدافع عن كيانه .

أما الفريق الثانى ( المسلمون ) فكان يطالب بالوحدة مع سوريا أو بالمحيط العربى أو باعادة بعض المناطق لسوريا مدفوعاً بعقيدته القومية ، إلا أن الزعماء المعتدلين فى هذا الطريق مالبثوا أن ادركوا أن قيام وطن قوسى مسيحي بحماية الدول الأجنبية ، يشكل خطراً على الدول العربية المجاورة له ... ومن أجل المحافظة على مصلحة اللبنانيين والعرب مجتمعين ،

يقول إميل البستاني إن الفريق المسيحي تخلى عن مشاريعه الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الأجنبية وقبل بالتعاون مع الدول العربية مقابل أن يتنازل الفريق الثاني ( الاسلامي العروبي ) عن مطالبته بضم لبنان أو أجزاء منه الى كيان عربى وحدوى اكبر .

فالمسيحيون ، بتخليهم عن فكرة الحماية الأجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان ( فى حدود لفظية ) ، والمسلمون ، بتخليهم عن فكرة ضم لبنان لكيان عربى أو سورى ، اعتبروا لبنان فى حدوده الراهنة وطناً نهائياً لهم .

أما المبدأ الثاني فى الميثاق ، فهو اعتراف الدول العربية بكيان لبنان واحترامها لسيادته ، وقد اقتضى هذا المبدأ انفتاح لبنان على العالم العربى ، وتعاونه مع الدول العربية الشقيقة ، لما فى ذلك من « مصلحة مشتركة » .

لكن المبدأ الآخر الأهم فى بنود « الميثاق الوطنى » اللبنانى هو الاتفاق بين رياض الصلح وبشارة الخورى ، على مسألة توزيع مراكز السلطة بين الطوائف .

والواضح – برغم الاجتهادات المختلفة حول هذا المبدأ – أن الميثاق كرس توزيع مراكز السلطة بشكل غير متوازن ، بحيث ضمن هيمنة مسيحية واضحة ، فقد اعطيت رئاسة الجمهورية للموارنة ، ورئاسة الحكومة للسنة ، ورئاسة المجلس النيابى ( البرلمان ) للشيعة ، وقد اعترف للطائفة المارونية بأنها الأكثر تعداداً بين الطوائف ، وهو ما تنفيه الوقائع الديمغرافية الحالية فى لبنان ، حيث لم يسمح الموارنة باجراء أى احصاء للطوائف منذ عصر الاستعمار الفرنسى . وقد أسندت قيادة الجيش ومازال حتى هذه اللحظة الى الموارنة ، وبذلك قبض الموارنة على أهم سلطتين فى الدولة .

أما بالنسبة لتوزيع مقاعد مجلس النواب ، فان الميثاق ضمن للمسيحيين نسبة من المقاعد تساوى ستة نواب لقاء خمسة نواب للمسلمين ، أى أن النسبة تساوى ٦/٥ ، وهذه النسبة تظهر تفوق المسيحيين فى البرلمان أيضاً وبذلك تكون جميع القرارات التنفيذية أو الاشتراكية بيد المسيحيين عامة والموارنة منهم بصورة خاصة .

وفى الواقع يمكن القول ، كما يذكر الدكتور انيس صايغ فى كتابه « لبنان الطائفى » . أن « الميثاق الوطنى » « لم يضع أسس النظام الطائفى فى لبنان ، ولكنه جمل وهندس واجهة لبنان الطائفية » « فالنظام الطائفى تكرس ، ضمنا فى عام ١٩٤٣ ، فعلى الصعيد الداخلى ، تكرست الطائفية بالابقاء على دستور ١٩٢٦ ، وبتعزيز

ممارستها على مستوى الادارة والحيـــاة العامة .

## اهتزاز قواعد الميثاق

لقد عاش اللبنانيون على القواعـــد والمبادىء المتقدمة الواردة فى الميثـــاق الوطنى ، على مضض ، حيث كان فريق من المسلمين والمســيحيين يحتفظ بارائـه ومعتقداته الخاصة حول طبيعة الكيـان اللبنانى .

وقد جاءت الهيمنة المارونية على الدولة من خلال رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش والنسبة المتفوقة للنواب المسيحيين فى البرلمان ، لتوسع الهوة بين المســلمين والمسيحيين ، ولتزعزع قواعد الميثـــاق ومبادئه ، ولتظهر أن التعايش المشترك انما كان مجرد وهم كبير .

ففى عام ١٩٥٨ ، انفجرت ثورة لبنان ، كان شعارها المعلن الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ( التى كانت تضم مصر وسوريا ) ، وكان دافعها الاساسى شعور المسلمين بالغبن والظلم فى دولة يشكلون فيها أكثرية مطلقة بالنسبة لمجموع الطوائف المسيحية .

وعندما وضعت الثورة سلاحها ، وجاء قائد الجيش أنذاك اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية ، حاول شهاب سد الثغرات ، واقامة توازن فى الامتيازات والسلطات بين المسيحيين والمسلمين ، وكان شعاره فى ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية ، والانمـــاء الاقتصادى ، معطوفين على التوازن الطائفى والنظام الديمقراطى البرلمانى ، ومحاطين بالتعـــاون الوثيق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة .

لكن فى عهد الرئيس شارل حلو ، الغيت قواعد السياسة « الشهابية » التى تضايق منها المسيحيون أشد الضيق ، حتى أن بعض الفئات كانت تنعت فؤاد شهاب بانه اقرب إلى المسلمين منه إلى المسيحيين . لقد عاد شارل حلو إلى القواعد التقليدية فى السياسة المارونية الاستئثارية التى سـار عليها بشارة الخورى – أول رئيس للجمهورية فى عهد الاستقلال – وعندما جاء الرئيس سليمان فرنجية الى رئاسة الدولة ، وسار على نفس سياسة سلفه أو أسلافه ، بدأت نذر انفجار جديد تتجمع فى أفق لبنان وقد لعب فى تفجيرها دون شك العـــامل الاسرائيلى والعامل الاستعمارى جنباً إلى جنب ، حيث عمل الاسرائيليون والأمريكيون على تحريض الموارنة وتسليحهم وتمويلهم وتدريبهم فى بعض الأحيان ، لمقاومـة انتفاضة المسلمين المتوقعة ، والتى أخذت بعض عناصر قوتها من تواجد الثـــورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية فى الجنوب فى أعقاب عام ١٩٧٠ .


رياض الصلح

وبالفعل استبق حزبا الكتائب والاحرار الانعزاليان انتفاضة المسلمين الذين أخذوا يرفعون شعار المشاركة فى الحكم وانهـاء الاستئثار المسيحي بالسلطة ، واجـــراء احصاء لعدد سكان لبنان ، وتوزيع السلطات الأساسية فى الدولة على أساس هذا الاحصاء ، ثم اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ، كما هو يوم الأحد عطلة رسمية .. الخ .

وفى ١٣ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٥ جرت « مجزرة عين الرمانة » على ايدى الانعزاليين ، حيث قتل سبعة وعشرون لبنانياً وفلسطينياً كانوا فى حافلة ركـاب (باص ) فى طريقهم من القطـاع الغربى من بيروت الى بيوتهم فى مخيم تل الزعتر ومنطقة الدكوانة فى القطاع الشرقى من المدينة ، عندما تصدى مسلحون انعزاليون للحافلة وأطلقوا عليها النيران والقنابل .

وكان هذا الحادث كافياً فى حـد ذاته لتفجير الأزمة ، حيث بدأت الاشتباكات بين الفرقاء المتنازعين ، وما تزال حتى الآن .

لقد أكتشف اللبنانيون – مسـلمون ومسيحيون – فى عام ١٩٧٥ ، انهم كانوا يتكاذبون ، وانهم كانوا يعيشون « كاخوة اعـداء » .

وخلال الحرب ( حـــرب الســنتين ١٩٧٦/٧٥ ) اضطر الرئيس ســليمان فرنجية الى اعادة النظر فى صيغة « الميثاق الوطني » فاذاع ما يعرف « بالوثيقـــة الدستورية » . التى رفضتها الحركة الوطنية فى حينه ( اذيعت فى ١٤ شباط ١٩٧٦ ) ، نظرا لصيغتها الطائفية ولكن هذه الوثيقة جاءت لتلغى « الميثاق الوطنى » عملياً ، وليبدأ اللبنانيون مخاضاً جديداً ، يبحثون من خلاله عن صيغة جديدة للتعايش الطائفى . فالوثيقة الدستورية طرحت توزيع السلطات بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين شكلياً لا جوهرياً فقد نصت على توزيع مقاعد مجلس النواب بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين ، واعتماد مبدأ الثلثين فى البرلمـــان لاقرار « القضايا المصيرية » وأكثرية ٥٥ بالمـائة لانتخاب رئيس الجمهورية فى الدورات التى تلي الدورة الأولى ، ثم اصدار جميع المراسيم ومشاريع القوانين بالاتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومـــــة ، باستثناء مرسومى تعيين رئيس الحكومة وقبول استقالة الوزارة وإقالتها ، وتعزيز اللامركزية واستقلالية القضاء .

لكان « الوثيقة الدستورية » أبقت رئاسة الجمهورية للموارنة وكذلك قيادة الجيش ، أى أنها كانت محاولة تجميل « للميثاق الوطني » على حد تعبير الدكتور أنيس صايغ .

والآن .. ما هو مستقبل لبنان .. وأية صيغة سيتمكن اللبنانيون من التعايش مجدداً على أساسها ، وكم سنة سيدوم هذا التعايش .. ؟؟

اسئلة تلقى فى المجهول .. لأن جميـــع الصيغ التجميلية ، ليست حلولا ، والتسويات بين المسلمين والمســيحيين لا يمكن أن تعيش طويلا ، لأنها أيضـــاً ليست حلولا .. ويبقى فى نظرنا أن مستقبل لبنان مرهون بالحل القومى ، وبكون لبنان جزء لا يتجزأ من وطن أكبر وأن الحدود المصطنعة التى رسمها الاستعمار قبل رحيله من البلاد العربية يجب أن تزول يوماً ما .

**عصام شريح**

## من أوراق سياسي عربي كبير

# من القدس .. إلى القاهرة بالقطار


الملك فاروق

**● فى الأزهر كان الطالب يختار أستاذه والمواد التى يدرسها ● أول درس للأزهريين كان عنوانه : كيف تكون على خلق حسن ؟ ● عندما كان مكرم عبيد المسيحى يستشهد فى خطبه بالقرآن الكريم ● ملامح من العصر الذهبى للحركة الفكرية فى مصر .**

### الورقة الأولى

فى صيف عام ١٩٤٥ ركبت القطار من القدس متجها إلى اللد ، ومنها إلى القطار القادم من حيفا فى طريقه إلى القاهرة .

وفوجئت منذ بداية رحلتى بوجود حشد من الجنود البريطـانيين الذين يحتلون عربتين متجاورتين من القطار فى طريقهم إلى مصر . وكان لهم ضجيج عال مازال صداه يرتج فى ذاكرتي منذ ذلك اليوم ، فلقد اخاف امثالى من الطلاب صغار السن الذين تركوا اهليهم لأول مرة .

بقى الانفعال الحاد مرسوماً على وجهي ، ومحفوراً فى قلبى حتى وصلنا إلى محطة حديد غزه ، وفيها التقيت بشيخ فلسطينى معمم تبدو عليه سمات السماحة والوقار فدعاني للجلوس معه فى احدى المقصورات الخاصة .

ترددت فى البداية ، ولكنني ـ امام الحاحة ـ استجبت للدعوة ، وعرفت فيما بعد ان هذا الشيخ الجليل هو الاستاذ محمد ابو سردانه الذى يعمل الآن قاضياً شرعياً فى الأردن .

بدأ الشيخ محمد يحدثني عن الأزهر ، وعن علوم الدين واهميتها فى هذا العصر الذى كاد الناس فيه أن يبتعدوا عن دينهم امام مغريات الحياة وغزوات الملحدين .

وذكر لى ـ ضمن ما ذكر ـ كثيراً من قصص المعاناة التى واجهها السلف الصالح فى سبيل طلب العلم ، كما ذكر لي ما اعده الله سبحانه وتعالى من خير وبركة ومثوبة لطلاب العلم .

والواقع انني سعدت بحديثه ايما سعادة لأنني ما تركت وطني ، وابتعدت عن أهلي واحبابى الا من أجل ان اتعلم اصول الدين والفقه واللغة فزادني هذا العالم ـ جزاه الله خيراً ـ ايماناً وقناعة بما ان مقدم عليه .

عندما وصلنا إلى محطة ( باب الحديد ) بالقاهرة أصر الرجل بأن يصحبني فى عربة ( الحنطور ) التى اوصلتنا إلى الأزهر الشريف .

### بين اروقة الأزهر

كان القسم الداخلي بالأزهر ـ وما زال ـ مقسماً الى عدة أروقة منها : رواق الشوام ويسكنه الطلاب الوافدون من فلسطين والأردن والعراق وسوريا ولبنان ، ورواق الصعايده ، ويسكنه الطلاب القادمون من صعيد مصر ، وكذلك رواق الاتراك والسودان وهكذا ، كل مجموعة اسلامية لها رواق خاص . ولكل رواق وقف معين ينفق على طلابه ، واذكر ان رواق الاتراك كان اغنى الأروقة جميعها .

وكانت ادارة الأزهر تخصص لكل رواق شيخاً معيناً له وكيل يباشر مهماته التنفيذية بهدف تنظيم حياة الطلاب .

وكأى طالب جديد على الأزهر نزلت فى بدروم عمارة من ثلاثة طوابق ، وهناك

كاتب هذه « الأوراق » واحد من الشخصيات العربية السياسية البارزة وهو يشغل حالياً منصباً مهماً فى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اختص مجلة الدوحة بهذه « الأوراق » التى يركز فيها الضوء على مجموعة من الوقائع والأحداث التى مرت فى حياته ، وبشكل خاص إبان فترة وجوده ـ كطالب جامعى ـ فى القاهرة بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م وهى فترة « العصر الذهبى » للنهضة الفكرية كما أحب هو أن يطلق عليها .

وقد برر تركيزه على ذكر تلك الوقائع بقوله : « لعل القارىء الكريم يجد بين سطورها ما يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم ، ويشحن المشاعر » .


مصطفى النحاس


مكرم عبيد


احمد حسين

سلمني الشيخ محمد ابو سردانه إلى الشيخ حافظ صندوقه ـ رحمه الله ـ حتى يقوم بولاية امري ورعايتي ، وذلك بناء على توصية حملتها إليه من احد اقاربي بالقدس .

وكان أول عهدي بالدراسة الأزهرية استماعي لدرس بعنوان : كيف تكون على خلق حسن ؟ وهو عبارة عن توجيهات وارشادات فى فن الاستماع ، والمناقشة ، واجابة الامتحانات وخلاف ذلك .

وعندما اردت ابتياع الكتب الدراسية رافقني أحد الزملاء إلى احدى المكتبات ، فقال صديقى للكتبي : هذا زميل جديد شافعي المذهب ، وإذ بالرجل يعطيني مجموعة كاملة من الكتب عبارة عن جميع مقررات السنة الأولى !

واعترتني الدهشة لذكائه ، فقد كانت هذه العبارة ذات الخمس كلمات كافية لأن يعطينا حاجتنا بدون ذكر الاسماء والمؤلفين .

لقد كانت الدراسة يومذاك « حرة » بمعنى ان الطالب يختار « الشيخ » الذى يستريح له ويشعر بالفائدة الأكثر من علمه ، وهذه الطريقة ـ فى رأيي ـ ذات دلالات كثيرة ، لأنها تترك للطالب حرية الاختيار بما يعود عليه بالنفع والراحة النفسية . وبدأنا الدراسة بحفظ المتون ، وكانت المقولة فى الأزهر حينذاك تقول : « من حفظ المتون حاز الفنون » بمعنى أن الذى يحفظ متن اللغة أو متن الأصول مثلا ، فانه مؤهل قبل غيره من الطلبة لكى يحرز السبق والنجاح .

كانت الدراسة التمهيدية فى الجامع الأزهر ـ القسم العام ـ تعني التمهيد لدخول احدى الكليات الثلاث فيه وهى : كلية اصول الدين ، كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة .

ولا يحق للطالب ان يدخل احدى هذه الكليات الا اذا نجح فى امتحان القسم العام واذا نجح فى هذا القسم حصل على الشهادة ( العالمية ) ، ثم تبدأ الدراسة الجامعية التى تستمر لمدة أربع سنوات يحصل المتخرج بعدها على ( الشهادة العالية ) التى تؤهله للعمل فى حقل التدريس أو المحاكم الشرعية أو الوعظ والارشاد .

ومن ابرز المظاهر الايجابية فى الدراسة الأزهرية هو التعارف الوثيق ، والتالف الوطيد الذى كان يتم بين الطلبة القادمين من مختلف انحاء العالم الاسلامى وغير الاسلامى ونتيجة لذلك اتسعت دائرة معرفتنا الانسانية ، وتوطدت علاقاتنا الأخوية ، فهذا شامي مع مغربي ، وذلك سوداني مع تركي ، وذاك افغاني مع مصرى .. وباختصار فان الوحدة الاسلامية كانت متجسدة وقتذاك فى طلبة الأزهر الشريف .

ومن حسنات فترة دراستنا فى ذلك الوقت ـ والتى نسجلها بمداد الاعزاز والفخار ـ اننا عاصرنا احداثاً مهمة فى مصر ، وتركت فى نفوسنا اطيب الذكريات .

## مع الاحزاب فى مصر

لابد من المرور هنا على مجمل الأحزاب المصرية التى كانت تتصارع كلها من أجل الوصول إلى سدة الحكم ، وكانت لكل حزب افكاره ومبادئه ، وصحفه ومجلاته التى تبشر بتلك الأفكار والمبادىء .

وكان الشارع المصرى موزعاً بين هذه الأحزاب ، فئة تؤيد هذا ، وفئة أخرى تناصر ذاك ، وفئة ثالثة ملتزمة بتاييد حزب معين ، وهلم جرا .. وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن كطلبة كنا نستفيد من مثل هذه الصراعات ، فكنا نعرض بعض مشاكلنا على الحزب المعارض للحكومة القائمة ، فيفسح لنا المجال لنشر ما نريد لتحقيق اهدافنا ، فكانت صحف المعارضة هى النافذة لكل مظلمة أو شكوى .

فيوم يكون الوفد خارج الحكم يفتح لنا صحفه ومنابره ، ويوم يكون السعديون خارج الحكم يفتحون لنا صحفهم ومنابرهم . وهكذا ومن هنا أيضاً برزت لنا ـ كطلاب ـ ناحية مهمة ، وهى اننا كنا نشبع رغباتنا فى المعارضة من خلال احزاب المعارضة نفسها .

كنا نتصل بأحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، نستمع إلى خطاباته الحماسية التى كانت تنمي فينا بذور النقمة ضد التخلف والقهر ، والملك فاروق والحكومة المؤيدة له ، فنستفيد من كل هذا سعة فى المدارك ، ومعرفة ببواطن الأمور ، ولو كانت من وجهة نظر مغايرة .

وما زلت اذكر يوم انفصل مكرم عبيد عن حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس باشا بسبب خلاف وقع بينهما فأسس « عبيد » حزباً جديداً اسماه « الكتلة الوفدية » . نكاية فى النحاس .

والحقيقة اننا كنا فى ذلك الوقت نحب أن نستمع لخطابات مكرم عبيد بالذات نظراً لما يمتاز به من فصاحة اللسان ، وسلاسة التعبير ، والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم ، فلقد كان ـ وهو من اتباع سيدنا عيسى عليه السلام ـ يحفظ القرآن عن ظهر قلب !

وكنا نحب أن نلتقى بأغلب زعماء الأحزاب السياسية فى مصر . نقرأ افكارهم ونستفيد من تجاربهم وحنكتهم بغض النظر عن الافكار التى كانوا يطرحونها ، وكان كل زعيم يؤكد على صحة نظريته ، وصدق مقولته ويصف نفسه بأنه الوطني المخلص الذى لا يشق له غبار ، وأن غيره بحاجة إلى دخول المدرسة من جديد ليتعلم فيها مبادىء الوطنية كى يصبح فى درجة مناسبة تؤهله لمبارزته ، والوقوف امامه !

والجدير بالذكر ان زعماء الأحزاب كانوا من الطبقة الارستقـراطية المصرية ، وكانت لهم مميزات يفتقدها رجل الشارع العادى .

وفى رأيي ان جميع الأحزاب فشلت فى خلق كوادر حزبية واعية ، بدليل انها لم تستطع كلها ان تحقق للشعب المصرى هدفه الرئيسي فى طرد الاستعمار البريطاني الذى كان جاثماً على صدر مصر فى تلك الفترة .

لقد كانت الأحزاب كلها تعتمد على الكم الكلي ، دون الكيف النوعي ، بمعنى انها كانت تعتمد على الكثرة العددية دون الالتفات الى نوعية القيادات التى كان يجب عليها أن تخلقها لتتحمل المسئولية ، وتضع القرار .

ان الشعب المصرى الذى يمتاز بطيبته وبحسه الوطنى المرهف قد ضاع بين مصارعات الأحزاب التى كان همها الأوحد ان تصل إلى السلطة .. والى السلطة فقط !

## العصر الذهبي

خلال فترة وجودي بالقاهرة كنت اشعر بأن المرحلة التى اعايشها هى مرحلة العصر الذهبى العلمي ، عصر النهضة الفكرية فى مصر .

كانت القاهرة يومذاك تغص بالعمالقة من الأدباء والعلماء والرواد والمفكرين فى شتى مناحي المعرفة الانسانية .

كان لا يمر يوم الا وتشهد فيه محاضرة أو مناظرة أو ندوة ، وما شابه ذلك ، وكنت شغوفاً بذلك النشاط المكثف انتقل من محاضرة إلى أخرى ، ومن مقر إلى اخر ، أغترف من هذا علماً وحكمة ومن ذاك أدباً وقولا ، ولن انسى « دار الحكمة » التى كانت المحاضرات القيمة تقام فيها اسـبوعياً ويحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم .

كثيراً ما اسرح اليوم بخاطرى اتذكر تلك المرحلة الذهبية ، واعض على بنان الاسى والألم حين اتامل ندرة هذه الأنشطة فى يومنا الحاضر ، وانظر بعين الاشفاق على لا مبـالاة الناس فى حضور الندوات والأمسيات والمحاضرات التى تقام بين حين وأخر هنا وهناك .

فما الذى غير الامزجة يا ترى ؟ عصر ذهبي فى الاربعينات والخمسينات ، وعصر جفاف فكري فى الثمانينات ؟

هل عقمت الامهات ولم يعدن يلدن عباقرة من امثال طه حسين والعقاد والمازني وشوقي وحافظ ابراهيم وغيرهم ؟

تلك لعمري قضية ملحة فى حاجة لمن يسبر غورها ويكشف اسرارها .

# الساعة الثانية

شعر: محمد المهدي المجذوب

إحدى القصائد الأخيرة للشاعر العربى السودانى الكبير محمد المهدى المجذوب الذى رحل عن دنيانا فى نهاية الشهر الماضى وفى العدد القادم سوف ننشر مجموعة أخرى من قصائد الشاعر الكبير الراحل .



محمد المهدى المجذوب

وضاقت الذرة بالكتمانْ
الساعةُ المجهولةُ الثانيةْ
تدق دقةً تتبعها بدقةٍ وتُصغى
ينهارُ في أشلاءِ عشِّها الزمنْ
يسَّاقط الريشُ على رؤوسنا
بكارةُ الموتِ يفضها العقمُ وناجزاكى نثرت دماءَهَا
على وسائدِ الحضارةْ
والبيضةُ الحمقاءُ نزعتْ أستارَهَا واخْرَجَتْ أثقالَها
ونَطَقَ الغرابُ حين شابْ
وامَّحت الألوانُ فى عماية الوهجْ
وينظر الصبحُ إلى مصباحِه اختلَجْ
ويكذبُ العيانْ
الموتُ والميلادُ أعميان صفة واحدة وارتفَعَ الحجابْ
وأمِنَ الخرابُ فى سكينةِ الغيابْ
واتَّحد الذهابُ والأيابْ

● ●

وشبحٌ يبحثُ عن أحفادِه
يحمل أثداءً تَحِنُّ للرضَاع يابسَاتْ
تظلّها شمسيةٌ بلا غِطَاءْ
يذكر ألوانَ الصباحِ ذهبَتْ مع الصِّغار
يجمِّعُ المحَارْ
يسمع فيه البحرَ آهةً بعيدةً خاويةً محبوسةَ الآفاقْ
فى إطارْ
وغارة الموج على الآفاق زَبَدٌ فى الشاطىءِ الحبيسْ
الموجُ ورقٌ يبيسْ
ودَمْعتى يابسةٌ على وسَادَتى

وانبسطت يدى وأجفلت منها رجية بلا جسدْ
وفى فمى رمادِى

● ●

هل أقفر الانسانُ من ميلاده الشجاعْ ؟
من يبدأ الصراع مرة ثانية ويدمن الضياع ؟

● ●

يرتحلُ المساءُ وحدَه يفارقُ السوادْ
يرتحلُ النهَارْ

● ●

الساعةُ الراحلةُ الثانيةْ
تدق خارجَ الزمَنْ
وضحكتْ جمجُمَةٌ تنظُرُ نظرةً وتُصْغى
تحنُّ والموتُ لها جَسَدْ
هل عَرَفَتْ احلامَهَا سيدةُ الأبَدْ

● ●

من الذى يسهَرُ فى الكونِ بلا سُهادْ
من الذى مَضَى بذلك المِهَادْ
المَاءُ فى الظهورِ احتجبا فكيف غَارْ ؟

● ●

وبقيَتْ أنثى على انتظَارْ
تشكِّل الخواء شبحًا يزورُ قلبَهَا الوحيدْ
واعترفَتْ أنوثةُ الجرح بلا ادِّعاءْ
واحتَدَمَ اللقاءْ
وفى مدى سمعىَ شهْقَةٌ ولبَنٌ جديدْ

● ●

حبيبتى
صبَّحك الهوَى بصبْحِهِ الجَميلْ

# السفر على الرمال

بقلم: عبد الله الجفري

●● إن الأحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين والطيبين والمسالمين، وحولوها إلى سلاح يطعن ويدافع ●●

ليلة الصيف هذه:

مركبة رمل تتحرك رتيبة .. تحمل الأحلام المنتهبة المتفائلة . والخطوات الملولة الساذجة وهى انطباع مناخ نفسى سادر ،، تحمل الزمن كله تساقطا ، وغوراً ، وإغماضة !!

وبدأت رحلة المساء الصيفى فوق الرمال هذه .. التى التفت سياجاً حول البحر المغفى .. سياجاً تحت نجوم الليلة الواحدة بعد الالف عندما غابت «شهرزاد» وأصبح لزاماً أن يسترق «شهريار» نومه من صدى ما مضى !!

سافرت الخواطر فوق الرمال فى عتمة (صافية اللون) !

واضطجع جسد انسان متحمس للصمت .. يتحد مع ذرات الرمال ، ويفتت الكلمات المتيبسة الهشة بجانبه كساق زهرة حرقتها الشمس ، وذرتها الريح !!

والرحلة طويلة فى أحشاء المساء ..

النسمة مبللة بالتعب ..

المسافة مشروخة بالبرق المتقطع .

الانسان يحاول استراق ما يلوح أمامه ، أو فى ذهنه ، أو بين جدران صدره ، ومشية الرمال كسلى من حوله ... كل شىء رتيب سوى الأحلام فهى التى تسابق أجزاءها ، ومسافاتها والبرق المتقطع !!

عندما تسترخى حوافزنا نستطيع أن نسرق الكثير من الأحلام ، وندعى ملكيتها ، ونخبئها فى أعماقنا حتى لانعرضها للفضح لأنها ليست ملكنا .. لأن قدرتنا على حيازتها قدرة متهالكة وخائفة ومفجوعة ! .. أما حينما تسترخى أحلامنا فاننا نستطيع أن نحقق الكثير من انتصاراتنا المادية الخاضعة لتوقيت الحاجة !!

وعلى أرضية العالم اليوم يعانى الانسان من «ورقة النشاف» التى اندلعت عليها أحلامه وامتصتها ، ولم يحقق من انتصاراته المادية الا ما كان خاضعاً للحاجة الملحة لدرء أخطار الكوارث النابعة من استرخاء الحوافز . إنه عالم يحلم ، غير أن أحلامه ليست ملكاً له ، وقدرته على حيازتها ، متهالكة وخائفة ، ومفجوعة !!

إنها أحلام مذبوحة .. يتأملها إنسانها بنفس الصورة التى رسمها - ليبولد سنغور - فقال : «أتأمل أحلامى ودمها المجانى المهدور على مدى الشوارع» !!

وأكثر من ظاهرة تدل على ذلك الهدر ..

إن أغانينا باتت لا أكثر من أحلام نعزفها فى منتصف الليل بعد تعب حارق ، أو نرددها فى أوقات القيلولة بعد أن نسدل الستائر ، ونشيع المتعة في الغرف المهياة بتثاؤباتنا ، ونغنى الآه ، وتدليل الجراح .. تلك المطلوب منا أن نربيها وأن نضمدها بالصحو ، وبرفعة الأمانى ، وبصلابة الاحتمال !

إن نكسات المبادىء والقيم .. تكاد تجرف الكثير من الحق العادل .. ذلك المرغوب في تقويم المجتمع الانسانى .. وأضحت قاعدة العصر التى يقف عليها انسان اليوم تخضع لبوادر الانحرافات الفكرية والارتطامات الخلقية ، والتفتت الحسي !!

إن الصورة مرهقة ، ومصدوعة .

إنها تعكس ما يمارسه الرمل تحت أقدام السائرين !!

والانسان المعاصر يمشي ايامه الحاضرة - مسافراً على الرمال - وكل ثمينه وذخائره ، وحتى انتصاراته الخاضعة لتوقيت الحاجة تغور جميعها فى الرمال تحت أقدامه .. تحت سنابك قسوته على زمنه !!

إنه لم يكن هناك زمن قاس ، ولكن هناك أفكاراً قاسية ، ونوايا قاسية ، وقوة قاسية وأحقاداً قاسية ، وحرماناً قاسياً ، وضعفاً قاسياً !!

إن الافكار القاسية دفعت الانسان أن يفكر فى القنبلة الذرية ويخترعها ويدمر بها وينتزع الانتصار الخاضع لتوقيت الحاجة !

إن النوايا القاسية جعلت كل انسان يشك في الآخرين ، ويخافهم ويتألب ضدهم ، ثم يحاربهم ، ويموت بنواياهم !!

إن القوة القاسية زينت سرقة أحلام



الذين استرخوا . انها قوة تسرق السرقة ، وتجسدها وتفتعل بها حياة جديدة ، مبنية جدارها من الكرتون !

إن الاحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين ، والطيبين ، والمسالمين ، وحولوها الى سلاح يطعن ويدافع ، وسقطت فى الرمال تلك العبارة التى قالها : «أندريه جيد» من زمن : (ليس الحكمة فى العقل ، وانما هى فى الحب) !!

إن الحرمان القاسى طمر الرقة ، والحنان والانسانية فى رماله الكثيفة ، ولم يتبق فى النساء إلا اثداء ناهدة تحجرت من رفض الرضاع بالهرب من الأمومة ، وخضعت لضرورة جمال الشكل ، والفزع من انشغال الذكور ! .. ولم يتبق فى قلوب الرجال الا المجابهة ، وتلحفت بالرمال أنشودة ـ ليبولد سنغور ـ التى غناها ذات يوم فقال (نحن فى الحقيقة رجال الرقص الذين تزداد اقدامهم حماسة كلما ضربت الأرض القاسية) !!

إن الضعف القاسى هو انتصار الافكار القاسية ، والنوايا القاسية ، والقوة القاسية والاحقاد القاسية ، والحرمان القاسى !!

• • •

وفوق الرمال .. ومعاناة السفر عليها وهى تبدو مركبة رمل تتحرك رتيبة تحمل الاحلام المنتهبة المتفائلة ، والخطوات الملولة الساذجة .. فوقها تعتادنى أناشيد «سنغور» وهو يتحدث فيها عن حبيبته الزنجية التى قذفوها بالقسوة المتحدة أفكاراً ، ونوايا ، وقوة ، وأحقادا ، وحرمانا ، وضعفا !

إن «سنغور» فى أشعاره .. يصف أحلامه المذبوحة لحظة هدر دمها المجانى على مدى الشوارع .. يصفها على أوراقه الرتيبة وهو متعب ، وهو يتاوه قائلا : «آه يا لضجيج المطر فوق الأوراق الرتيبة» !!

ذلك الضجيج بدأ وهو ينادى رياح الفصل البديع .. يقول لها : «احرقى كل زهرة وكل فكرة باطلة ، فحين يعود الرمل يتساقط على كثبان القلب» !!

إن كل أحلام الانسان وأمانيه لاتظهر بوجهها الحقيقى . إنها مثل «كومباتام» زنجية سنغور التى أهدى قناعها الى الرسام العالمى بيكاسو ، وخاطبه بعد ذلك قائلا :

ـ هذه حبيبتى التى كانت تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل ، وقد أغمضت جفنيها .. وهما ينبوعان مزدوجان مخبوءان !!

• • •

ان الصيف قائظ .. ان الرمال تسافر ، ولكن ببطء ، والذى يركض فى هذا الكون كله هى أحلامنا !!

لقد سئمنا أحلامنا .. لقد استهلكناها حتى الملل لكثرة ما نضاجعها هذه الأحلام !! إن الحب العصرى أصبح رطيناً وسافلا وملطخاً بالدم وبالسادية . إنه هذا الذى امتهن به «تشارلى مايسون» زعيم الهيبيز مشاعر الناس ، وامتهن به حريته هو ، وكرامته كانسان !

ان القيم .. بلغت درجة انحرافها حد العدم ، والعدمية تبلورت سلوكاً اجتماعياً يقود الانسان الى تنازلات أليمة !!

والحب ، والقيم : هما بنيان الانسان ، وهذا البنيان يقف على الرمال .. تكسوه أوراق النشاف التى تمتص عرق الانسان ، ودموعه ، ورحيقه ، وبســـماته ، ويبقى «بيكاسو» أبدع ريشة تعكس ملامح الوطن العالمى !! .. بينما ما تزال «كومباتام» حبيبة «سنغور» تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل وما تزال عبارة ـ توم بين ـ القائلة : «حيث لا حرية فهناك وطنى» .. عبارة تستلقي على الرمل عند سفح الانسان !!

أما الحب والقيم ... فهما دائماً : هما السفر على الرمال .

**عبد الله الجفرى**
**جده**

كان يوم السبت ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م ، أطول أيام الجنرال كليبر فى مصر . حين بدأ اليوم ، لم ينبىء بشىء جديد عما تعوده الجنرال منذ تولى القيادة العامة لجيش الشرق قبل عشرة أشهر ، فشمس يونيو الساطعة توحي بيوم صيفي حار ، مكتظ بالعمل ومبلل بالعرق .. وفى جدول أعماله ، مهام لا تخلو من مشقة ، ولكنها لا تفتقد إلى الترفيه ، أما الذى لم يكن يعلمه الجنرال - حين فتح عينيه فى الصباح بمسكنه المؤقت فى معسكر الجيزه - فهو أن هذا اليوم سيكون آخر أيامه فى الدنيا ..

# الموت على تلِّ العقاب

## عندما لقي قائد جيش الشرق مصرعه على يد أزهري من حلب



س . الحلبى يقتل كليبر و بروتان يهم باللحاق به .

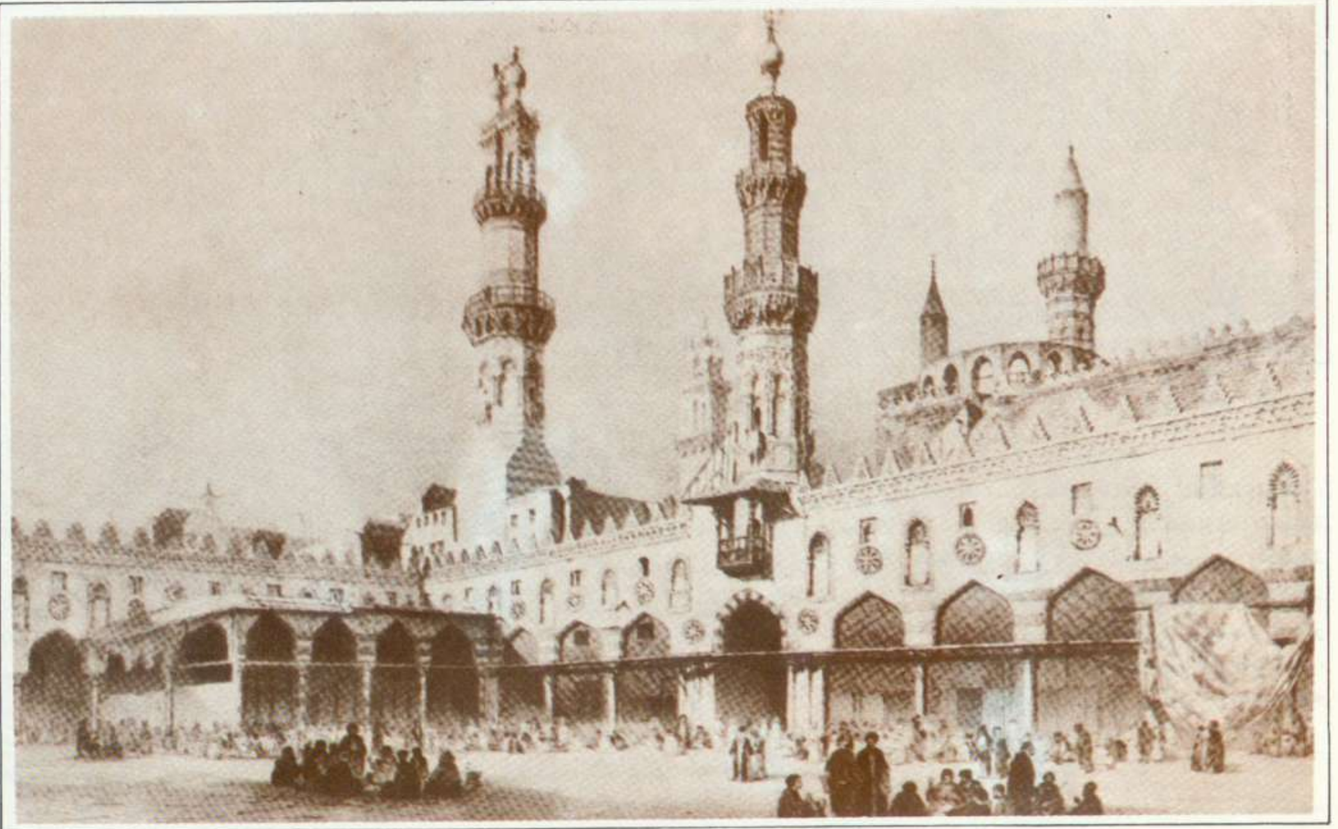


القائد الفرنسى كليبر



نابليون بونابرت

يرويها: صلاح عيسى


الازهر من الداخل . حيث التقى سليمان الحلبي بأصدقائه الأربعة

كان عليه أن يعبر النيل إلى الروضة ، ليستعرض الجنود اليونانيين ، الذين تتكون منهم « كتيبة الأروام » ويلتقى بقائدهم القبطان « نيقولا بابا زوغلو » لعله يسمع منه ما يطمئنه على كفاءة فرقته ، وقدرتها على دعم الجيش الفرنسي ، إذا ما اضطر للدخول فى مواجهة جديدة مع العثمانيين أو الانجليز أو المصريين ..

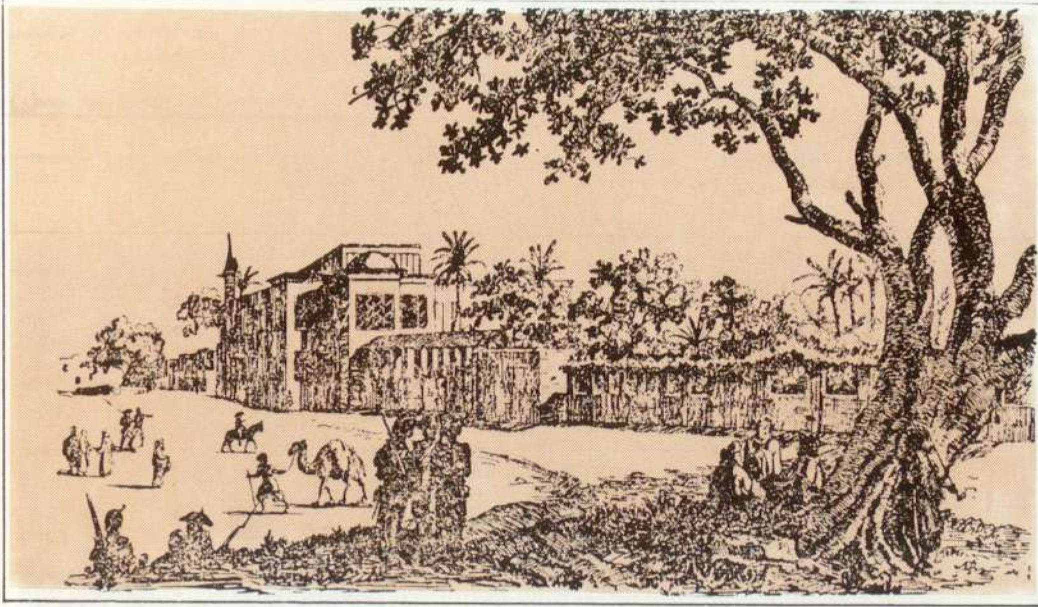
ومع أن أحوال الكتيبة كانت تدعو للتفاؤل ، إلا أن « كليبر » لم يهضم بسهولة الواقع الذى قضى بأن يحتاج جيش الشرق لمن يدعم قدرته على المواجهة والصمود . أين الأحلام الجامحة التى قاد بها نابليون بونابرت هذا الجيش نفسه – قبل ثلاثة أعوام – ليبني امبراطورية فرنسية شرقية ، تضرب انجلترا فى الصميم ، وتقطع طريق تجارتها إلى الهند ، ؟ .. اين صيحة نابليون أمام الأهرام : أيها الجنود .. ان اربعين قرناً تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام ؟ وأين قاموسه الذى خلا من كلمة مستحيل ؟ .

ضاعت جميعها بين الصحراء والبحر ، كما ضاع نصف جيش الشرق فى الطواعين والثورات وأمام أسوار عكا تبدد الجيش والحلم . هرب قائده « المظفر » . نابليون بونابرت تحت جنح الليل ، مخلفاً أربع خطابات مليئة بالنصائح ، وتركة مثقلة بالديون ورثها كليبر : خزانة مفلسة بها عجز يصل إلى عشرة ملايين من الفرنكات ، وجيش فقد نصف قواته ، وتدهورت معنوياته ، وبلغت متأخرات رواتبه أربعة ملايين فرنك ، يرتدى ملابس باليـــه ، لا يستطيع أن يجددها ، لانه إذا وجد النقود اللازمة لذلك ، فلن يجد السبيل لاستيراد الأخواج ، وهو محاصر بين البحر والصحراء ..

فهل تصلح « كتيبة الأروام » التى يقودها القبطان « نيقولا بابا زوغلو » ما أفسده الدهر ؟ هل تمكن جيش الشرق المحاصر من الخروج من المحنة حيا ؟ فتنقذه من براثن الأعداء الكثيرين الذين يتربصون به : الانجليز فى البحر .. والاتراك فى الصحراء .. وهؤلاء المصريون الذين لم تمض سوى أسابيع قليلة على إخماد ثورتهم اللاهبة ؟ .

كانت آثار الثورة ما تزال واضحة على مبنى القيادة العامة للجيش الفرنسى ، حين وصل إليه الجنرال كليبر قادماً من الروضة ، ليتفقد أعمال الترميم الذى أمر باجرائه به . طالت قنابل الثوار غرف القصر وطرقات حدائقه ونافوراته ، وثكنات الجنود المحيطة به . لم يتمتع أحدٌ بالأقامة فى هذا الترف الجنونى ، حتى صاحبه الأمير المملوكى ، « محمد بك الألفى » ، الذى بناه وزخرفه ، واستورد له نافورات من ايطاليا ، وانواعاً من الرخام والأعمدة ، وخرط له مشربيات وشبابيك يزينها زجاج ملون ، وفرشـــه بالوسائد والمساند والستائر ، واضاءه بالقناديل والشموع والمشكاوات ، لم يمكث

## الموت على تل العقارب



سراى الالفى .. مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى حيث قتل كليبر ، وتقوم مكانها الآن محطة بنزين على ناصية شارعى الألفى والجمهورية بالقاهرة

به سوى ستة عشر يوماً ، ثم جاء جيش الشرق ، فهرب الأمير المملوكى فيمن هرب ، أما البيت فسكنه سارى عسكر بونابرته الكبير ، قائد الجيوش الفرنساوية الذى جاء ليلتقى باربعين قرناً من التاريخ ، فحوصر ، ودمر الانجليز أسطوله فى « أبى قير » ، ولم يجد متعة تخرجه من الحصار إلا أن يدفن إحباطه فى أحضان المواطنه « بولين فوربيه » .

● ●

صعد الجنرال « كليبر » سلالم القصر المصنوعة من الرخام والمرمر والجرانيت المصقول المجلوب من أسوان ، يتفقد العمال الذين انهمكوا يصلحون ما طال الجدران من قذائف ، وينزعون النوافذ المحترقة ، ويستبدلون الزجاج المحطم ، تامل النافورة الفخمة فى قاعة الاستقبال التى شهدت احتفال « الألفى » الأول والأخير بقصره الذى لم يسكنه بعد ذلك أبداً ، وسمعت أكاذيب نابليون على شيوخ الأزهر يوم أعلن أمامهم إسلامه ، وأكاذيبه على جنوده يوم وعدهم بأن يحصل كل جندىمنهم عند عودته إلى فرنسا ما يكفى لشراء ستة أفدنة من الأرض ، فمات معظمهم دون أن يجدوا قبراً يدفنون فيه .. أما فى غرفة النوم ، فقد كانت وعوده الباطلة لمدام فوربيه بالزواج منها منقوشة على الجدران ، كاثر تذكارى للكذب والجبن ، فقــــد دبر رحيله من مصر فى سرية تامة وتركها دون أن يصحبها أو يكتب لها حرفاً واحداً .

لم يكن المهندس « جان بروتان » هو الذى تنبه لذلك الشاب الرث الملابس الذى يرتدى عمامة خضراء ، وقفطاناً رديئاً ، ويمشي فى إثر الجنرال من غرفة لغرفة خلال تفقده للاصلاحات التى تجرى فى القصر ، إذ كان بروتان مشغولا بتقديم إيضاحات حول عمليات الترميم للجنرال ، ولكن الملازم « فورتينيه » ياور كليبر ، تنبه لذلك الفتى الذى أخذ وجهه يظهر أمامه فى كل غرفة أو قاعة استقبال يدخلها الجنوال ومرافقوه . ولم تكن ملامحه تشى بشىء ، ولعل آخرون قد تنبهوا أيضاً له ، لكن أحداً لم يفسر الأمر بأكثر من مظاهره ، فالقصر مليء برجال مثله يصلحون ما أصابه من دمار ، فلعله واحداً من العمال الذين يصلحون الزجاج أو يخرطون الخشب ، فجميعهم يرتدون ملابس رثة ، وحتى لو لم يكن ، فليس هناك أدنى احتمال لأن يقوم أى انسان فى مصر الآن بعمل طائش ، وأطلال حى الأزبكية شاهد على أن الطيش سيء العاقبة ، فقد احترقت عن بكرة ابيها ، لأن حفنة من المهيجين ظنت أن رحيل « بونابرت » يمكن أن يضعف موقف الفرنسيين فى مصر .

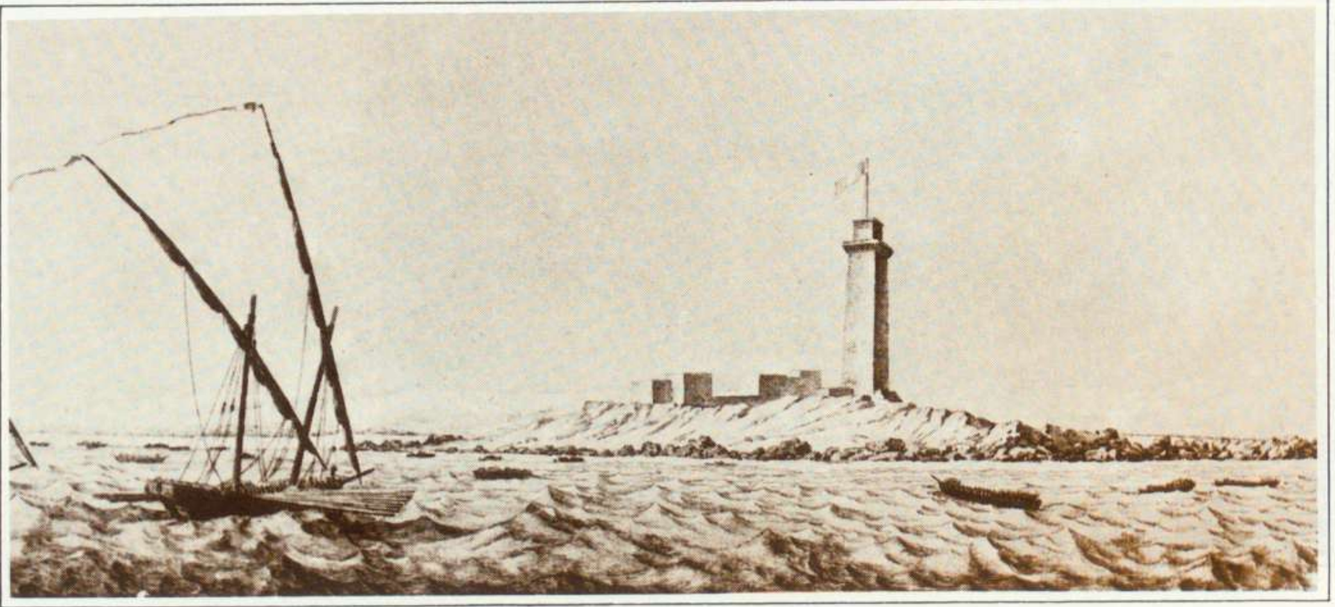
● ●

وحين اقترب موعد الغذاء ذكر المهندس بروتان ، الجنرال بدعوة للغذاء ، كان قد وجهها إليه « الجنرال داماس » رئيس أركان حرب الجيش ، فغادر الاثنان القصر إلى الحديقة ، وبصحبتهما الحاشية ، واخترقاها عبر الأرض المصنوعة من الفسيفساء الملون ، إلى ممشى يقود إلى حديقة بيت داماس المجاور للقيادة العامة ، ولاحظ فورتينيه أن الشاب ذا العمامة الخضراء مازال ضمن صفوف حاشية الجنرال ، ولما كان ذلك فى رأيه تطاولا ، فقد أمر أحد الخدم بطرده قبل أن يدلف إلى دار رئيس الأركان ، وحين القى نظرة أخيرة ، وهو على سلم منزل « داماس » ، لم ير وجه الرجل ، فتنهد براحه .

### الشاب ذو العمامة الخضراء

فى قاعة الطعام بمنزل « داماس » تخفف « كليبر » من سترته العسكرية بسبب حرارة الجو ، وسرعان ما شمل المدعوين جو من الألفة ، وزاد « كليبر » الجو مرحاً بسخريته اللاذعة من « البطل القوى القادر » بونابرت الذىهرب فى جنح الظلام ، وترك له خلافة لم يكن يريدها ، وخطاباً مليئاً بالأكاذيب عن فرنسا التى هرول لنجدتها ، ولو كان صادقاً لقال : عن السلطة التى لابد أن آخذ لنفسي نصيباً منها قبل أن تتوزع وأنا محاصر هنا فى مصر ..

وإذ تطرق الحديث إلى الأحوال فى مصر ، بدا كليبر مطمئناً ، صحيح أن مشروعه للجلاء عنها بشكل مشرف قد فشل ، ولكنه انتصر على الأتراك فى معركة عين شمس ، واخمد الثورة التى قام بها المصريون ضده خمسة أسابيع متصلة ، وهو واثق أن سياسته ستثمر ، فالشىء الوحيد الذى



الأسطول الفرنسي يقترب من شواطىء الاسكندرية

يحترمه المصريون هو القوة ، ومصر ـ فى نظره ـ اقليم تحت الاحتلال العسكرى ، وينبغى أن تخضع له ، وسوف يخضعها شاءت أم أبت ، فأى محاولة لكسب مودة الأهالى عن طريق التظاهر بالاخوة مقضى عليها بالفشل ، فهى خدعة لا تنطلى على هؤلاء القوم الماكرين ، الذين يخطئون فهم التسامح ويظنونه ضعفاً ..

فى الساعة الثانية بعد الظهر غـادر «كليبر» المادبة قبل أن تنفض ليواصل تفقد أعمـال الترميم وليستعرض مـع كبير المهندسين بروتان تصميماً أعده لمبنى جديد يلحق بقصر الألفى عبر حديقة قصر الجنرال داماس بقامته المديدة التى تقرب من ستة أقدام دون أن ينتظر ياوره الملازم ديفوج الذى لم يكن قد انهى طعامه بعد ، ولحق به بروتان ، وانهمكا فى حديث حول المبنى الجديد الذى يريد كليبر إضافته لمقر القيادة العامة ، لكى يتوقى فى المستقبل أى محاولة يقوم بها الغوغاء المصريون ، للهجوم على القيادة ، كما حدث منذ أسابيع ، وحين مر الاثنان أمام بئر أقيمت عليه ساقيه ، لم يتنبها لذلك الشاب ذى القفطان والعمامة الخضراء ، الذى كان يكمن متستراً بدواليب الساقية .

دلف الرجلان إلى رواق طويل ، يفصل بين الحديقتين ، وتظللة تكعيبة من العنب وهما يواصلان الحديث ، وفى حين التفت المهندس بروتان إلى الخلف يتفحص بعض التدمير الذى لقيه فى طريقه ، واصل كليبر سيره فتقدمه بخطوات ، آنذاك ، ظهر ذو العمامة الخضراء من خلف الساقية ، وتقدم نحو الجنرال ، الذى ظنه متسولا جاء يطلب عطاءه ، أو صاحب حاجة جاء يعرضها ، فقال بعجرفة :

ـ مافيش ..

* * *

واصل الشاب تقدمه بلا تردد . مادأ يده اليسرى إلى أمامه . ظن الجنرال أنه يريد تقبيل يده . ما أن اقترب منه حتى مد إليه يده مبسوطة كي يقبلها . فى ثوان قليلة كان الشـاب قد اخرج يده اليمنى من صدره ، وفيها خنجر حاد طعن به كليبر فى صدره ، فى اللحظة نفسها كان بروتان يتلفت وراء كتفه . رأى القاتل يسحب مديته ، وبينما كان كليبر يترنح أغمدها فى بطنه ، ثم فى ذراعه اليسرى وخده الأيمن . أذهلت المفاجأة بروتان للوهلة الأولى فألقى بنفسه أرضاً ، وحين سمع «كليبر» ينادى حراسه بصوت ضعيف ، استرد شجاعته فقام مسرعاً ليلحق بالقاتل ، ورفع عصاً كان يحملها وانهال بها ضرباً على رأسه ، التفت إليه الشاب ، تماسكا فى شبه شجار ، حسمه الشاب بمديته فطعن بروتان ست طعنات حتى سقط فاقد الوعى .

انقضت ست دقائق قبل أن يتنبه احد لما جرى ، أما الشاب ذو العمامة الخضراء فقد اختفى وحين اكتشف الحراس ما جرى ، كان «كليبر» قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وعلى اثرها انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر ، فجاوبته على الفور كل الطبول الفرنسية فى القاهرة ، تدعو الجنود إلى مراكزهم . «واحتاطوا ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ بالبلد ، عمروا المدافع ، وحرروا القنابر ، وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع ، وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم» . واندفع الجنـــود الفرنسيون كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم وقد اشتد غضبهم ، وبدا أن جنوناً وبائياً قد أصاب الجميع ، قتل الفرنسيون بسيوفهم وخناجرهم جميع من صادفهم من الرجال والأطفال .

لم يترك القاتل وراءه أثراً يدل عليه سوى جزء من شال عمامته الأخضر الذى تمزق خلال المعركة القصيرة التى وقعت بينه وبين بروتان ، وانتشر الجنود يفتشون المنطقة التى جرى بها الحادث وما حولها من بيوت ، وبعد ساعة عثر عليه الجنديان «بيران» و«روبير» فى حديقة مجاورة لبيت الجنرال داماس . كان منهكاً ، تتساقط الدماء من رأسه ـ التى أصابتها عصا المهندس بروتان إصابات مؤثرة ـ فتلطخ ثيابه ، وتلون الجدران القصيرة نصف المتهدمة التى استند إليها . وكان عارى الرأس إلا من غلالة من قماش اخضر ، وكان يصلى . !

قال الجندى جوزيف بيران ـ فى التحقيق الذى أجرى فى وقت لاحق من اليوم نفسه :

ـ لقد اضطررنا أن نضربه بالسيف عدة ضربات لكى نحمله على المشى ..

... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

تحولت المأدبة فى بيت الجنرال «داماس»

# الموت على تل العقاب



سور مدينة عكا

إلى مكتب للتحقيقات – أشرف الجنرال « مينو » – اقدم جنرالات الجيش وقائد القاهرة – على التحقيق. قال « المتهم » أن اسمه سليمان عمره ٢٤ عاماً ، وصناعته : كاتب عربى ، وسكنه : حلب . انكر انه قتل الجنرال كليبر . وبرر العثور عليه فى الحديقة بأنه كان جالساً هناك لأن الخياله كانوا يحاصرون جميع الطرق ، فلم يستطع أن يغادرها إلى أى مكان . وحين ووجه بالخنجر الذى عثر عليه « بيران » و « روبير » مدفونا فى التراب فى نفس المكان الذى قبض عليه أنكر أنه يخصه . وسئل عن غلالة القماش الأخضر التى وجدت بجانب جثة الجنرال ، وتبدو مكملة لغلالة اخرى مماثلة لها توجد فى ملابسه ، فاجاب بانها ليست له . وقال ان الجروح التى براسه احدثها من قبضوا عليه .

تقول الترجمة العربية لنصوص التحقيقات « فلما أن كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، أمر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد . فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ، ووعد انه يقر بالصحيح ، فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد .. » .

● ●

مات الجنرال جان بابتست كليبر ، قبل أن يحتفل بعيد ميلاده السابع والأربعين . وحين ولد فى مدينة ستراسبورج عاصمة الالزاس عام ١٧٥٣ م ، لم يكن احد يظن انه سيلقى حتفه فى ركن من حديقة بيت مملوكى بميدان الأزبكية بمصر المحروسة – تشغله الآن محطة بنزين على ناصية شارع الألفى – على يد رجل لم يولد – فى مدينة حلب السورية – إلا بعد ذلك التاريخ بثلاثة وعشرين عاماً كاملة .

فروق كثيرة فصلت بين الرجلين ، أهونها شأنا العمر والمقام ، فنحن نقرأ أكثر من اللازم عن كليبر « بطل معركتى ما يستريك وعين شمس » وصاحب « المواقف العسكرية البطولية على ضفاف أنهار الراين والنيل والأردن » . وهذا طبيعى ، فالقائد الالزاسى ترك مذكرات ووثائق وسكرتيرين ومصورين وشعراء ، كتبوا عنه وأشادوا به ، وأبنوه قبل أن يدفن فى حديقة « قصر العينى » بالقاهرة . أما سليمان الحلبى ، فان أحداً لم يعن بان يكتب تاريخه ، وهو لم يكتب مذكرات ، ولم يترك صوراً جرافيكية أو زيتية ولا شك أن شاعراً مجهولا قد أبنه ، ولكن المؤرخين الذين يعنيهم هذا النوع من الشعر ، كانوا نادرين فى ذلك الزمان . وهكذا لم يبق لنا من سليمان الحلبى إلا معلومات قليلة ، وأقوال بسيطة غير مزوقه – بل وأحياناً ركيكه – أدلى بها أمام هيئة من الجنرالات المتزمتين الذين تنوشهم مشاعر الثأر والانتقام ، بعد أن « انضرب لحد انه طلب العفو » ، وأوصاف تافهه منحها له الجبرتى – مؤرخ القاهرة – الذى قال عنه انه « رجل أفاقى أهوج » ، وأهم تلك الكلمات البسيطة الأسرة ، قالها « بعد أن ارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده » ، سألوه لماذا جئت من غزه إلى مصر . قال :

– كان مرادى أن أغازى فى سبيل الله !

رأس سليمان الحلبى – التى قطعوها بعد ذلك – كانت خالية من ذلك الذى يسمونه « أحلام المجد » . وكان هدفه عارياً عن أى تزويق أو تهويل أو أوهام بشرية . لذلك جاءت كلماته بسيطة . فهو لم يكن يملك خبرة « كليبر » الواسعة فى وضع هالات العظمة حول ما يفعل ، ومن المؤكد أنه كان خالياً تماماً من أى احساس مريض بالذات ، أو حرص على ابراز العنجهية والعظمة كما كان القائد الالزاسى يفعل . كان شاباً تطهرياً يرى المسائل فى مباشرتها ونقائها ، ففعل ما فعل ، لأن « مراده أن يغازى – أى يجاهد – فى سبيل الله » ولا لشىء أكثر من ذلك ..

والمواجهة الدموية التى حدثت فى « رواق العنب » بين سليمان الحلبى وبين جان باتيست كليبر تصور على لسان مؤرخين كثيرين باعتبارها مواجهة بين رجل متعصب مصاب بهستيريا – أو هلاوس – دينيه ، وبين قائد عظيم من أبناء حضارة الحرية والاخاء والمساواة ، جاء لينشر العلم والعمران والتقدم فى الوطن العربى ، ولينقله من القرون الوسطى إلى العصر الحديث ..

تلك بعض أكاذيب المؤرخين ، وهى ليست قليلة ، فلا احد يعرف – على وجه التحديد – أين تكمن الحضارة فى تاريخ حياة الجنرال « جان باتيست كليبر » ، ولا أحد يستطيع أن يضبط ذلك الانتماء لمقولات الثورة الفرنسية فيما فعله – هو وسيده بونابرت – باهل القاهرة وأهل يافا وأهل رشيد ، وكل الذى نضبطه ، هو المدافع والبنادق والبارود والمذابح والقسوة التى لاحد لها ، وحفنة من الشعارات عن الحرية والاخاء والمساواة ، اعترف بونابرت – بعد ذلك – بأنها كانت دجلا من أعلى طراز !



مدينة يافا ـ للرسام وود وارد ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

وفى السنة التى رزق فيها الحاج محمد أمين ، تاجر الزبد بمدينة حلب السورية بابنه سليمان ( ١٧٧٦ م ) ، كان جان باتيست كليبر قد أنهى دراسته للعمارة وللهندسة الحربية ، والتحق بجيش مملكة بافاريا ، حيث خدم ثمانى سنوات وحين أنشىء الحرس الوطنى ـ فى بداية الثورة الفرنسية ـ انضم إليه ، وهكذا أصبح الضابط السابق المتفوق فى خدمة الامبراطورية ماريا تريزا والملك لويس السادس عشر ، جمهورياً متحمساً ، وهو أمر يصعب فهمه على الذين يأخذون الحياة ببساطة ، ولكننا نجد أن أشباهاً ونظائر فى حياة كل جنرالات الثورة الفرنسية ، الساعين إلى مجد السيف وعظمة السلطة ، دون أن يشغلوا أنفسهم بالبحث المزعج عن أهداف عليا أو غايات سامية ، فهم يقاتلون ويقتلون ، وليس فى مرادهم أن يغازوا فى سبيل الله أو سبيل الوطن ..

## كليــــبر
## حاكماً للاسكندرية

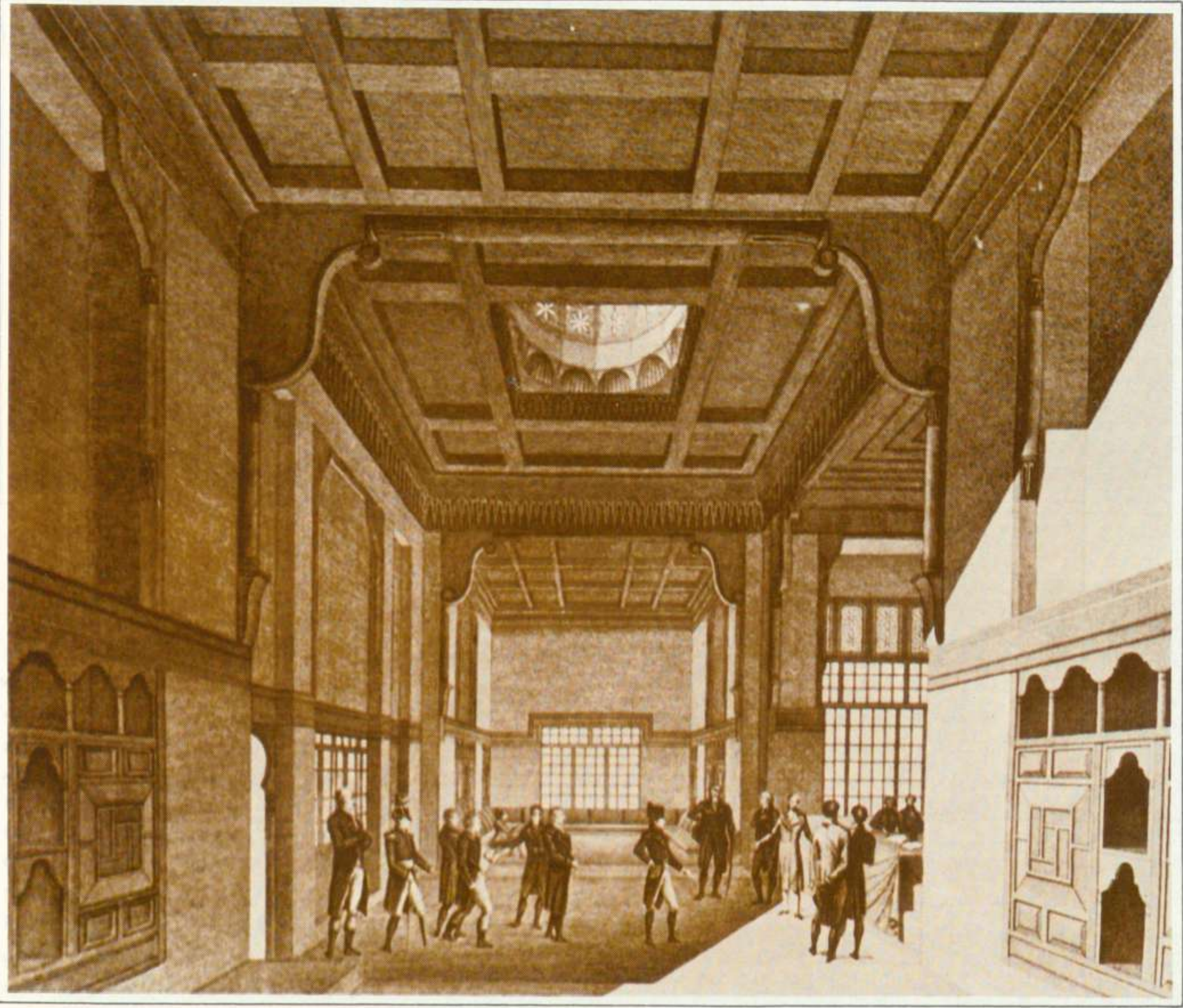
وهكذا شارك كليبر بكفاءة عسكرية فى قمع الاضطرابات التى قام بها فلاحو الأقاليم الغربية الفرنسية ضد الثورة فى الفندية واللوار وسيفرو بريتانى ، وشارك فى حروب الثورة ضد التدخل الأوروبى فدافع عن ماينز التى حاصرتها القوات البروسية شهرين ، وانضم إلى جيش الجنرال بونابرت الذى فتح ايطاليا ، ولمع اسمه فى معارك شامبانيا وشالروا ومايستريك وحين قرر بونابرت أن ينشىء امبراطورية فرنسية شرقية ، صحبه معه إلى مصر ، حيث كان مقدراً له ، أن يموت فى « مواجهة دموية » بعد عامين من رحيله إلى الشرق .

ولا أحد يعرف أين كان سليمان الحلبى حين وصل كليبر إلى الاسكندرية فى ٢ يوليو (تموز ) ١٧٩٨ م ، لعله كان فى القاهرة ، أو فى مكه أو فى الاسكندرية ذاتها . فالذى نعرفه من تاريخه ، انه شاب قلق ، كثير التجوال ، فهو ابن لتاجر فى زمن كان التجار فيه موضـــع عسف من يحكمون ، تتوالى عليهم الضرائب والغرامات والمصادرات ، وينتقلون بسرعة من الحياة الرخية السهلة إلى حياة تصل إلى حد الفاقه . وهو لم يأخذ عن أبيه إلا أنه كثير التجوال ، فقد عاش ثلاث سنوات فى مكة والمدينة مجاوراً للبيت العتيق ولقبر الرسول ، وعاش ثلاث سنوات أخرى فى القاهرة ، مجاوراً للازهر الشريف ، يدرس القرآن ويحفظه على يد شيخ تركى عجوز اسمه مصطفى افندى . وهو قد زار القدس ونابلس ، وكان على صلة وثيقة بأهل غزه ، حتى أن الشيوخ الثلاثة الذين عرفوا مشروعه لقتل الجنرال كانوا جميعاً من غزه !

وكان أول ما فعله « كليبر » حين نزل إلى البر على شاطىء العجمى بالاسكندرية ، أن ارتوى من ماء بئر قريبه ، واستغرق فى نوم طويل أيقظه منه البرد ، وفى الصباح التالى بدأ هجوم المتحضرين على « المتوحشين الهمج .. العرب .. المسلمين .. المصريين » من أهل الاسكندرية . وفى الهجوم تلقى كليبر طلقة إنذار أصابته فى جبهته ، أطلقها جندى من قوات الدفاع عن المدينة المحاصرة كان يقف على سور المدينة ، ولم يفهم «كليبر» مغزى الأنذار الذى أصابه فى جبهته ، فقد شغل بعد ذلك بعلاج إصابته ، وبالضيق من قائده بونابرت ، الذى تركه فى الاسكندرية قومندانا وحاكماً ، واصطحب الفرقة التى كان يقودها فى زحفه لفتح القاهرة ، وحرمه من رؤية القرون الأربعين التى اطلت على الغزاة من قمة الاهرام .

وفى الفترة التى حكم فيها « كليبر » الاسكندرية أثبت انه مخلص حقاً لمبادىء « الفرنسوية المبنية على الحرية والتسوية» ـ كما جاء فى الترجمة العربية للمنشور الذى وزعه نابليون على المصريين ـ وآية ذلك الاخلاص أن سكان الاسكندرية احتموا ـ بعد أن اقتحم الغزاة مدينتهم ـ بالمساجد فذبحهم الغزاة : الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وحتى الأطفال ، ذبحوهم عن بكرة أبيهم .. وبعد أربع ساعات هدأت سورة جنود الحضارة ، رافعى أعــــلام « الحرية والتسوية » !

وتلك واقعة لم يروها الدفاع عن سليمان الحلبى فى المحاكمة الهزلية التى اجريت له عقب مقتل كليبر . ذلك أنه لم يكن هناك دفاع أما هو نفسه فقد ظل صامتاً هادئاً كرجل فعل ما يريد ولا يعنيه ما يجرى أمامه . ولو أنه تكلم لنقلت جثة كليبر التى كانت حتى ذلك الوقت فى منزل الجنرال داماس المجاور لمقر المحكمة ، لتوضع فى قفص الاتهام . ولكف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ـ مدير مهمات جيش الاحتلال ـ عن الاندفاع فى مرافعته الشائنة . وتعرف حقاً من هو صاحب « اليد الأثيمة والروح الخائنة المتعصبة » الذى جاء ليقتل « القائد العظيم



قصر حسن كاشف بالناصرية المقر الرئيسي لبعثة العلوم والفنون التي صاحبت الحملة الفرنسية. بالقرب منه يقع تل العقاب الذي أعدم فوقه سليمان الحلبي

## الموت على تل العقاب

المجلل الرأس بغار المجد ، الذى تراجعت عنه فى المعامع أخطار الحروب » .

« أكاليل الغار » التى تزين رأس كليبر أكثر من أن تحصى ، لكن سليمان الحلبى آثر الصمت ، أما مؤرخو الحضارة فقد تحدثوا أحيانا . فبعد عشرة أيام من تعيينه قومندانا على الاسكندرية أمر الجنرال كليبر بالتحفظ على عدد من كبار أعيان المدينة ووجوهها واتخذهم رهائن . والسبب أن جثة لأحد جنود مدفعية الأسطول الفرنسى وجدت فى أحد الشوارع ، ولفظ البحر - فى اليوم نفسه - جثة لخادم فرنسى لأحد الضباط ، فغضب الجنرال ، وطلب تسليمه الجناة ، وتهدد بشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن إذا لم يسلموا له . مؤكداً بذلك فهمه للمساواة ، فلا أحد فى شعب مغلوب ومقهور أيا كان مقامه ، يساوى جندياً قتل غالباً لأنه تسلل إلى بيت يريد أن يدب على نسائه فنال جزاء عدوانه على حرية الآخرين ، ولا أحد فينا نحن المتخلفين الجهلة ، يساوى خادماً طوح به السكر إلى مياه البحر . أما أخذ الابرياء رهائن والتهديد بقتلهم على جريمة ارتكبها غيرهم ، فهو أفضل تطبيق لقاعدة « شخصية العقوبة » وهذا هو فهم الغزاة لما قاله روسو ومونتسكيو وفولتير ..

وكما اثبت بونابرت - حين حكم مصر - أنه مجرد عاهل مستبد ، فضلا عن أنه غازى فقد أثبت كليبر نفس الشىء ، الفرق بين الرجلين ، ان الأول كان بشوشاً ، أما كليبر ، فكان جهماً . يقول الجبرتى أن أكابر البلد من المشايخ والأعيان ،حين قابلوه « لم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشاً يباسط الجلساء ويضحك معهم » ، وكان بونابرت ينطلق من قاعدة ثابتة هى أن يقطع ست رءوس كل يوم ، ويحتفظ مع ذلك ببشاشته ، أما كليبر ، فكان يقطع الرءوس - بنسبة أقل - ويعوض

الفرق بجهامة تفرض هيبته ، وبفرض غرامات جماعية تستنزف المال بلا رحمة ، واجتمع المنهجان ليطيحا برأس السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية ، إذ أصدر الجنرال كليبر فى ٢٠ يوليو ( تموز ) ١٧٩٨ قراراً بالقبض عليه بتهمة إثارة العصيان ضد الحملة ، وبعث به إلى نابليون فى القاهرة فأصدر أمره باعدامه ، وخيره بين الموت بالرصاص ، وبين افتداء نفسه بدفع غرامة ثلاثين ألف ريال ، فلم يقبل ، وقالوا له : انت رجل غنى ، فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟ قال : إذا كان مقدراً لى أن أموت ، فلا يعصمنى من الموت مال مهما كثر ، وإذا كان مقدراً لى أن أعيش ، فلماذا اشترى قدرى !

ولم يكن سليمان الحلبى « الأفـــاقى الأهوج » بتعبير الجبرتى ، يملك ثلاثين ألف ريال ليفتدى نفسه ، وكل الذى كان معه ، حين قدم إلى القاهرة من القدس ليقتل كليبر أربعون قرشاً قيمة كل منها أربعون باره ، ولم تكن رأسه محملة باكاليل الغار وأوهام المجد ، إذ كان يسعى مختاراً للفداء ، لمعانقة قدره ، للمغازاة فى سبيل الله ..

وهو قد ولد فى حلب ، وجاء من القدس عبر الخليل ويافا ونابلس وغزة ، أى جاء من الشام : الأرض التى كانت بعض حلم نابليون وكليبر ببناء امبراطورية فرنسية شرقية ليقطع الطريق على انجلترا ويضربها فى الصميم . يضربها فينا ، يدميها برءوسنا المقطوعة ، بجوعنا وقهرنا وذبحنا ونحن نصلى ، ملوحاً أمامنا بالجوكارد شارة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان ، وبزخارف الحرية والاخاء والمساواة التى لم نشهد شيئاً منها ..

## فى الطريق
## إلى عـكا

كليبر أيضاً ذهب إلى غزة ويافا . حدث هذا قبل مقتله بعام . فلم يكن أمام بونابرت ، بعد أن حطم نلسون ــ قائد الأسطول البريطانى ــ أسطوله ، قبل أن يمر شهر على نزوله مصر ، وبعد أن ثارت عليه المدن المصرية جميعاً ، إلا أن يحاول خرق الحصار وأن يؤكد لنفسه ، ولجيشه وللشعب الذى يرفض « جوكارده » ولأعدائه فى أوربة ، أنه مازال منتصراً وقوياً وفى ذروة المجد ، فكان قراره بغزو الشام . وفكر فى أن يولى كليبر قيادة الحملة ، لكنه عدل عن ذلك وآثر نفسه بالمجد المتوقع فتولى بنفسه القيادة ، وحرم القائد الالزاسى المتكبر الذى كان يعتبر نفسه أقدم من بونابرت وأكفأ منه عسكرياً ، من مجد الشام !

وفى الشام لم يكن هناك مجد لبونابرت أو كليبر ، وفيما بعد قال أولهما « لو استطعت الاستيلاء على عكا ، للبست عمامة ، ولجعلت جنودى يرتدون السراويـــل الفضفاضة ، ولجعلتهم فيلقاً مقدساً ، ولنصبت نفسى امبراطوراً على الشرق ، ولعدت إلى باريس بطريق القسطنطينية .. ولكن هذه الأحلام قد دفنت تحت أسوار عكا » !

المجد الذى تحقق فى حملة الشام ، حققته عكا التى صمدت للحصار ٦٢ يوماً كاملة رغم ضرب الأسوار والأبراج بالمدافع ، وما فتحته المدفعية الفرنسية فى أسوارها من ثغرات ، وموجات الهجوم عليها ، موجة بعد موجة ، لكنها لم تفتح أبوابها للغازى الذى يحلم بعمامة وسروال فضفاض ، أما أكاليل الغار التى عاد بها كليبر وعاد بها بونابرت ، فهى تملأ كتب التاريخ : مذابح وقسوة وولوغ فى الدم تخجل منه الوحوش ذوات الظفر والناب التى لم تقرأ فولتير ، ولم تتأثر بروسو .

فى الطريق إلى عكا سقطت العريش وغزة والرمله ويافا ، ونال كليبر بعض « مجد » هذا الفتح ، فقد كانت فرقته طليعة الجيش . أما التفاصيل فهى كثيرة . فقد تسللت كتيبة من فرقته إلى معسكر العريش فقتلت بالسلاح الأبيض خمسمائة من الجند والأهالى ، كانوا نائمين فيما بين إفطار يوم رمضانى وسحوره ، لم يستيقظ الباقون إلا حين شم كلب المعسكر رائحة الدم بعد أن تشبعت بها الرمال ، فنبح ، حينئذ أخذوا أسرى ، ولولا ذلك لواصلت الكتيبة مهمتها فى محو الفارق بين المحاربين وسفاكى الدماء . معلقاً على ما جرى فى معســكر العريش قال نابليون « والحقيقة أن هــذا الهجوم يعتبر من أجمل العمليات الحربية التى يتصورها العقل » . والشىء المؤكد أن سليمان الحلبى ــ القذر الثياب والزرى الهيئة والذى كان كثير التجوال فى فلسطين وسوريا ومصر والحجاز ــ كان يفهم معنى مختلفاً للجمال عن مفهوم الجنرال بونابرت

ما جرى فى يافا كان تنويعاً آخر على تلك المفاهيم الفرنسية للجمال ، فمع أن المدينة قد سقطت بعد ساعات من الهجوم ، إلا أن الفاتحين بدل أن يناقشوا مع الحامية شروط التسليم ، اندفعوا يقتلون كالمجانين كل من يلقهم من أهلها ، فعلوا ذلك طوال ليلة ونهار نبح خلالها كل من له وجه انسان : الشيوخ والفتيات .. الرضع ومن لم يبلغوا الحلم ، المسلمون والمسيحيون . أصبحت السيوف والمدى سيدة الموقف وقائدة البشر . جنون مجنون يعربد فى شوارع يافا ظامىء للدم . يتضاعف هياج الفاتحين حين يسمعون صرخات الاسترحام . ينزون شهوة . ينتعظون رغبة حين يرون فتيات تتشبث باحضان أمهاتهن المائتات فيغتصبونهن . وحين يتعبون : يكفون .

يتذكر قادتهم أن حامية المدينة ما تزال فى قلعتها ، يفاوضونها فى التسليم . يطلب جنود الحامية بالا يعاملوا كما عومل المدنيون من أهل يافا . يبذل لهم الوعد سخياً بأن يعاملوا كأسرى حرب . يسلم ثلاثة آلاف جندى سـلاحهم . فيهم مغاربة وسوريون وفلسطينيون ومصريون وأتراك . يعقد بونابرت مجلساً عسكرياً يضم قادة حملته على الشام . فيهم كليبر . يناقش المجلس مشكلة الأسرى : كيف يطعمهم الجيش الفرنسى وهو بعيد عن خطوط تموينه ؟ . من يحرسهم والحملة فى حاجة إلى كل جندى من جنودها ؟ . كيف يطلق سراحهم وقد ينضمون إلى عكا فيحاربون الفرنسيين مرة أخرى .

## قرار باعـدام
## حامية كاملة !

لم يقل أحد من الذين ثبتوا أكاليل الغار على جبين « كليبر » أنه تحدث ــ فى هذا الاجتماع ــ عن كلمة الشرف التى استسلم جنود الحامية تصديقاً لها . ولم نسمع أنه تحدث عن قوانين معاملة أسرى الحرب الذين سلموا سلاحهم ، وكفوا عن القتال . تلك القوانين « الحضـــارية » التى لا نستحقها نحن « الهمج المتوحشين » ، ولأن « كليبر » ــ أو غيره ــ لم يثر هذا الدفع البسيط ، فقد صدر القرار باعدام حامية يافا عن بكرة أبيها ( ٣٠٠٠ عربى ومسلم من مصر والشام والمغرب وتركيا ) .

وصف التنفيذ كتبه المواطن الفرنسى ــ بيروس ــ فى خطابه لأمه .. قال فيه :

ــ فى صباح اليوم التالى أخذ المغاربة جميعهم إلى شاطىء البحر ، وبدأت كتيبتان فى رميهم بالرصاص ، وكان أملهم الوحيد فى النجاة هو ان يلقوا بأنفسهم فى البحر ، فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة فضربوا بالرصاص على مهل ، ولم تمض لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم ، وانتشرت جثثهم على سطحه ، وأسعد الحظ نفراً قليلا فوصلوا إلى بعض الصخور ولكن الأوامر صدرت للجنود باقتفاء أثرهم فى قوارب والاجهاز عليهم وصـــدرت التعليمات للجنود بألا يسرفوا فى الذخيرة فبلغت بهم الوحشية أن أعملوا فيهم الطعن بالسونكى . وقد وجدنا بين الضحايا أطفالا كثيرين تشبثوا وهم يموتون بآبائهم .



بولاق .. بدأت منها ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين وأمر كليبر بحرقها

# الموت على تل العقاب

على شاطىء البحر ، كان من بقى من أسرى حامية يافا ، يخوضون بحر الدم دفاعا عن حياتهم ، ويصنعون من جثث رفاقهم الذين ماتوا بالرصاص ، متاريس تحميهم من طعنات السونكى .

بعد خمسة أسابيع من ذلك التاريخ تكرر المشهد بمعظم تفاصيله أسفل جبل طابور جنوبى بحيرة طبرية . وكان البطل هذه المرة كليبر نفسه ، إذ طوقه جيش والى دمشق أسفل الجبل ، واستمر يحاصره عشر ساعات ، حتى كادت ذخيرته تنفد ، واستبد العطش بالجنود ، وأمامهم ـ على مسافة قريبة بحيرة عجزوا عن الوصول إليها ، وانقذ نابليون الموقف ، وقاد بنفسه فرقة من الجيش بدأت فى إطلاق المدافع من مرتفع جنوبى ساحة القتال ، وحين بدأ جيش والي دمشق ينسحب توقياً للمدفعية التى أصبحت هدفاً سهلا لها ، أمر كليبر رجاله المجهدين عطشاً بمطاردة الجيش الدمشقى المنسحب . خاضوا فى البحيرة ، لا ليشربوا ، ولكن ليقتلوا . كتب أحدهم فى مذكراته يقول :

كنا نموت ظمأ .. ولكن ظمأنا للانتقام أطفأ ظمأنا للماء ، وألهبت ظمأنا للدماء . رحنا نخوض إلى خصورنا مياه هذه البحيرة التى كنا نشتهى أن نشرب منها قدحاً قبل لحظات ، غير اننا لم نعد نفكر فى الشراب ، بل القتل وفى صبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج ، حتى امتلأت بجثثهم ..

فى تلك الأيام كان نابليون قد طبع منشوراً لأهل فلسطين قال فيه « ... وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية والاحترام ، لأن جميع الطيبات من عند الله .. والنصر من عند الله » .

جثث أهل يافا المتعفنة فى شوارعها ، متاريس جثث الحامية التى ظلت على الشاطىء . الدم الذى روى عطش جيش كليبر أسفل جبل طابور . كل هذا أثمر طاعوناً ما لبث أن هزم الجيش الغازى تحت أسوار عكا . يقول هيرولد « فى اليوم الثانى من مذبحة يافا ، أرسل الله ـ الذى من عنده تأتى جميع الطيبات ـ الطاعون على الجيش الفرنسى »

ومع أن أحداً من المؤرخين لم يذكر شيئاً عن سليمان الحلبى ، فمن المؤكد انه كان يومها فى مسجد ما من مساجد حلب ، أو دمشق ، أو القاهرة ، يقرأ بخشوع :

ـ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول .

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

قضى سليمان الحلبى الشهور الخمسة الأولى من عام ( ١٨٠٠ م ) فى فلسطين . وصلها فى الشتاء ليصلى فى المسجد الأقصى ويجاوره زمناً . ولابد أنه سمع هناك بما فعله الفرنسيس بأهل يافا وبحامية دمشق ومعسكر العريش . كان مكدوداً وضائقاً ، ذلك أن والى حلب العثمانى ابراهيم باشا ، فرض على أبيه غرامة ضخمة وألزمه بدفعها ، فرحل الشاب القلق عن عمل يقتات منه ، وعن باب يشكو إليه ما يفعل الوالى الظالم .

وكانت فلسطين أيامها قد أصبحت مركز تجميع الجيوش العثمانية التى تستعد للهجوم على الفرنسيين لتجليهم عن مصر . أما كليبر ، الذى تولى قيادة الجيش فى مقتبل الخريف ، فقد كان يقرأ ساخراً رسائل نابليون إليه :

ولا تنس يا مواطنى الجنرال أن قمبيز واجزرسيس والاسكندر الأكبر وعمرو بن العاص وسليم الأول كلهم دخلوا مصر من فلسطين .

فماذا تفيد تلك البديهيات التاريخية ،

قائداً استخلف على جيش هبطت قوته المقاتلة الى النصف ، وهذه الطاعون ، والحصار يخنقه من البر والبحر . ويكتب كليبر إلى حكومة الديركتوار الفرنسية قائلا :

إنى اعترف باهمية احتلالنا مصر ، وقد كنت أقول فى أوربا ان مصر بالنسبة لفرنسا كنقطة الارتكاز التى نستطيع بها أن نقبض على ناصية التجارة ، ونتولى زمامها فى سائر انحاء العالم ، ولكن يجب أن يكون لفرنسا محرك قوى . وهذا المحرك هو البحرية ، ولقد كانت لنا بحرية ثم ضاعت فتغير كل شيء ، وتغيرت المسالة من كل وجه ولم يعد لنا فيما يظهر لى سوى عقد صلح مع تركيا لنمهد لأنفسنا طريقاً شريفاً نخلص به من حملة لا يمكن أن تحقق أغراضها التى دعت إليها !

ولأن احداً فى فرنسا ـ حتى بونابرت ذاته ـ لم يرد عليه ، فقد دخل مفاوضات الصلح مع العثمانيين ، ووقع معهم ـ فى ٢٤ يناير (ك ٢) ١٨٠٠ م ـ معاهدة العريش وتطبيقا لها بدأ جيش الشرق فى الرحيل ، لكن اللعبة الدولية أبت عليه هذا « الطريق الشريف » ، فالانجليز الذين كانوا طرفاً فى المفاوضات ، لم يرضهم أن يرحل جيش الشرق بأسلحته لينضم إلى جبهات القتال ضدهم فى أوروبا ، فقطعوا طريق البحر عليهم ، واسروا كل من خرج منهم . ولم يجد العثمانيون بدأ من الهجوم على الجيش الفرنسى لاجلائه بالقوة . فكانت معركة عين شمس ..

## بين « العظمة » و « الوحشية »

لم يتطلب الجيش العثمانى سوى يوم واحد ليهزم فى معركة عين شمس ، لكن « القاهرة » تمردت خمسة أسابيع كاملة ، فما كاد كليبر ينتصر على العثمانيين ، حتى تحولت شوارع المدينة إلى متاريس ، امتد الغضب من بولاق إلى كل انحاء المدينة . خرجت السيوف والبنادق والرماح والعصى بل والمدافع المدفونة فى باحات المنازل . وسرعان ما استولى الثوار على المدينة ، قاموا متاريس قوية فى مداخل الشوارع ، هاجمت فصائل منهم مقر القيادة العامة لجيش الاحتلال ، حيث يسكن كليبر ، فى ميدان الأزبكية . انشاوا معملا لصنع القنابل وصب المدافع ، جمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه . استعانوا بكرات الحديد التى تستخدم فى الموازين « كقذائف » . اخذوا يجمعون القنابل التى تتساقط من المدافع الفرنسية فى الشوارع فيحيلونها إلى قذائف جديدة . تشكلت لجان للاعاشة ، وللتجنيد ، ولمراقبة المتاريس ورسم الخطط

وحين دخل كليبر المدينة ،كانت فى أيدى الثوار ، فلم يبق أمامه سوى النار . بدأت مدافع الفرنسيين تطلق قذائفها على المنازل واحتلت فرق من جيش الاحتلال الآكام المشرفة على المدينة ، فاحاطت بها شمالا وشرقاً ، وحوصرت بحيث لا يصلها طعام ولا ماء . وتقدم جيش الشرق يشعل النار فى المتاريس والمنازل تطفئها الأمطار الغزيرة التى هبطت على القاهرة ، فيعيدون اشعالها من جديد . خمسة أسابيع كاملة والقاهرة تقاوم ، والنار ترعى فى مساكنها ، ولا أحد يقبل التسليم .

وأخيراً .. اقتحم الفرنسيون بولاق ، ففعلوا بأهلها ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ ما تشيب من هوله النواصى . « صارت القتلى فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الدور والقصور » ، أما الأزبكية وما جاورها من الأحياء التى دار فيها القتال ، فقد صارت كلها « تلالا وخرائب ، كانها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن انس ونزهات ، جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، واقفرت مساكنها . تسكب عند مشاهدتها العبرات » .

بكى الجبرتى المؤرخ ، أما الجنرال كليبر ، فقد أضيف إلى أكاليل غاره ، إكليل جديد ، وبات من الدقة العلمية أن نسمية : بطل معارك مايستريك وشارلوا وفانييه وجبل طابور وعين شمس وبولاق .

فى القدس كان سليمان الحلبى ـ القادم من قلب القهر ـ قد قرر أن يغازى فى سبيل الله ..

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

لا أحد يدرى كيف نبتت فكرة مشروع اغتيال كليبر ، ومن الذى أوحى بها ، ذلك أن سليمان الحلبى ، لم يكن من هؤلاء الذين يدونون خواطرهم ، كما أنه لم يعن كثيراً باطلاع الآخرين على مادار فى رأسه . وحين قبضوا عليه ، وعذبوه « حكم عوائد البلاد » لم يفض كثيراً فى الحديث . ومع أن جوهر روايته لما جرى ، صحيحه ، إلا بعضاً مما قاله ، وقاله الآخرون ، يحتمل الشك وربما الاهمال .

وطبقاً لروايته ، فقد نبت المشروع فى حوار بينه وبين « أحمد اغا » محافظ القدس وكان المحافظ قد تسلم منصبه فى نهاية مارس ( آذار ) ١٨٠٠ م ، وذهب اليه سليمان يشكو ما يلاقى أباه ، الحاج محمد امين ، تاجر المسلى بحلب ، من اضطهاد ، إذ تعود ابراهيم باشا ، محافظ حلب ، أن يفرض عليه ـ وعلى غيره من التجار ـ غرامات فادحة ينوءون بها . وأسفر اللقاء عن مواعيد اخرى متعددة ، جرت فى الأيام التالية ، وتراجعت خلالها المشكلة بين تاجر المسلى ومحافظ حلب ، ليطرح مشروع اغتيال كليبر ..

وأسفرت اللقاءات بين الرجلين عن اتفاق بان يتوجه سليمان إلى القاهرة لتنفيذ المهمة ، وطلب منه احمد اغا أن يسافر إلى غزة ، ليلتقى هناك بشخص اسمه « ياسين اغا » ، سيقدم له المساعدات الضرورية لتنفيذ مهمته . ولم يزوده باى خطابات تقدمه أو رسائل تعريف ، إذ فضل أن يرسل تلك عن طريقه ، حتى لا تتعرض الرسائل للوقوع فى يد غريبه ، أو تطلع عليها عين متطفله .

ولم تستغرق تلك المباحثات جميعها سوى ثلاثة ايام . وفى اليوم الرابع غادر سليمان « القدس » إلى الخليل ، حيث ظل عشرين يوماً فى انتظار قافلة يرافقها إلى غزة ، ليكون فى مأمن من قطاع الطرق . وحين وصل إلى غزة فى نهاية ابريل (نيسان) ١٨٠٠ ، التقى بياسين اغا ، الذى قال له بأن لديه علماً بالمهمة التى قدم من اجلها ، ورتب له إقامة مؤقتة بجامع غزة الكبير ، وتردد عليه هناك عدة مرات ، تباحثا خلالها فى المشروع ، وكان ياسين اغا حريصاً على أن يكون اللقاء خفية عن الأعين ، لذلك تمت معظم اللقاءات ليلا . وحين تمت الصفقة ، وعده ياسين برفع الاضطهاد عن أبيه ، وأن يشمله بحمايته فى جميع المناسبات ، وأعطاه أربعين قرشاً تركياً ـ قيمة كل منها أربعون باره ـ لمصاريف سفره ، وأوصاه أن يكون حذراً ، وألا ينفذ المشروع إلا بعد أن يضمن نجاحه والا يحدث أحداً بشانه .

وخلال الأيام العشرة التى أمضاها بغزة فى انتظار قافلة تقوده للقاهرة ، اشترى سليمان الخنجر الذى اغمده فيما بعد فى صدر كليبر ، ولم يبذل مجهوداً كبيراً فى الانتقاء ، إذ اشترى أول خنجر صادفه ، والتحق بأول قافلة مسافرة ، وكانت محملة بالصابون والدخان ، قطعت المسافة بين غزة والقاهرة فى ستة أيام ، قضاها سليمان على ظهر هجين .

ولأن القاهرة كانت ـ حين وصل إليها سليمان فى منتصف مايو ( ١٨٠٠ م ) ـ ما تزال تلعق جراح الثورة ، أبوابها مخفورة وآثار الحريق فى كل شوارعها ، والبحث لا يهدأ ـ ليل نهار ـ عن الجنود العثمانيين

# الموت على تل العقاب

الذين تسربوا إليها ، والمتمردين الذين قادوا المقاومة ، فقد أثرت القافلة الا تدخل المدينة ، وحطت رحالها فى قرية صغيرة بجوار الجيزة اسمها : العياط . ومن هناك استاجر سليمان الحلبى حماراً ، دخل به المدينة فى ١٤ مايو ١٨٠٠ م .

أمضى سليمان الحلبى شهراً كاملا فى القاهرة ، كانت الثورة قد خمدت ، أما أعمال الثار فكانت فى قمتها . وكان كليبر يطبق قاعدته : رؤوس اقل تذبح ، وأموال كثيرة تنهب ولا بشاشة هناك . لذلك صمم – كما قال – أن يعصر مصر كما يعصر الشربتلى الليمونة . وتطبيقا لسياسة « الارهاب المالى » تلك ، فرض على المدينة العاصية ، غرامة قدرها ١٢ مليون فرنك ، واعتقل خمسة عشر رجلا من أعيان المصريين حتى تجمع الغرامه الذى وزعت – كما يقول الجبرتى – على « الملتزمين وأصحاب الحرف حتى الحواة والقرداتية والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم ، كل طائفة عليها مبلغ معلوم ، وكذلك بياعو الدخان والتنباك والصابون والخروجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع أهل الصنائع والحرف ، وجعلوا على الأملاك والدور أجرة سنة كاملة » .

وعند التنفيذ ، كان البلاء عظيما ، يقول الجبرتى « مضى عيد النحر ولم يلتفت إليه احد ، بل ولم يشعروا به ، ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف . وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشانه ومصيبته ، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى ، اذا أعطوهم ذلك لا يقبلونه ، فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه . ثم وقع الترجى فى قبول المصوغات والفضيات ، فاحضر الناس ما عندهم ، فيقوم بأبخس الأثمان ، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه ، وحين يشتد الطلب ، وينبث المعينون والعسكر فى طلب الناس ومهاجمة الدور ، وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم ، والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره » .

وهكذا دخلّ سليمان الحلبي ، ليجد القاهرة ، بتلخيص الجبرتى – فى شر حال ، فـ « الطرق مجفرة ، والاسواق مقفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والحانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة ، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميمــــة ، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة .. وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

انتهى التحقيق فى اليوم نفسه – السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠ م – وتحدد اليوم التالى لبدء المحاكمة ، وأصدر الجنرال منو – الذى خلف كليبر فى القيادة العامة – أمراً بتشكيلها من تسعة من قادة الجيش . وفى جلستها الأولى ، ندبت المحكمة رئيسها ، وممثل الاتهام فيها ، لاجراء التحقيق ، وجمع أدلة الاتهام . فاسفر تحقيقهم عن اتهام سليمان الحلبى ، والأزهريين الأربعة الذين أفضى اليهم بعزمه ، وهم محمد الوالى وعبد الله الغزى وعبد القادر الغزى واستاذه مصطفى افندى الذى بات عنده عند حضوره الى مصر ، فكان عدد المتهمين ستة ، ولما كان رابع المتهمين « عبد القادر الغزى » قد فر قبل المحاكمة ، فقد حوكم غيابياً ..

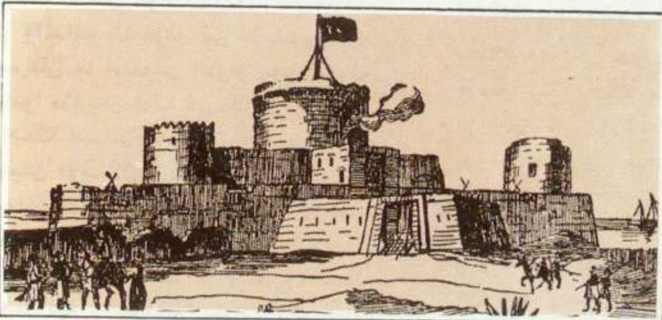
وحين انعقدت المحكمة فى اليوم التالى – الاثنين ١٦ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م – وقف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ، يترافع ضد المتهمين ، فتحدث عما يكتنف الجيش الفرنسى فى مصر « من حداد عام ، وحزن عميق فيهما الدليل على عظم المصاب ، ففى مجال المجد والنصر ، اختطف من بيننا قائدنا قتيلا » ، وتساءل « ماذا عسانى أن أضيف الى التعبير عن الألم المبرح الذى نشعر به من اجله ؟ هل أذكر دموع جنوده ؟ الذين كان لهم بمثابة الوالد ، أم أذكر ما يملأ قلوب قواده – الذين حضروا فعاله وزاملوه فى مواطن المجد – من أسى » .

وفى مجال المقارنة بين عظمة كليبر ، وجيشه ، وبين « وحشية » سليمان الحلبى ورفاقه ، تحدث سارتلون عن « بحبوحة التسامح والكرم التى يرتع فيها المصريون من قاهريهم » أما العثمانيون والمصريون والعرب ، فقد وصفهم « سارتلون » بأنهم « متوحشون ، جبناء ، لا تحمر وجوههم خجلا من اقدامهم على الانتقام لهزيمتهم بالاغتيال ، لذلك لن يكسبوا أمام العالم سوى العار » .

وأرجع المدعى العمومى « جريمة » سليمان الحلبى ، الى التعصب والهلاوس الدينية ، فهذا « الشاب المتوحش الموصوم بوصمة الاجرام ، أثرت روح التعصب الدينى ابلغ الأثر فى رأسه المضطربة بخاطىء الأقاويل عن مقتضيات الاسلام الصحيح ، حتى بات يعتقد أن أقوى دعائم الدين ، وأعز وسائله هى الجهاد فى سبيل الله وموت المشركين » .

وفى ختام مرافعته طلب المدعى العمومى من المحكمة ادانة سليمان الحلبى والحكم بحرق يده اليمنى ، ثم يوضع على الخازوق حتى يموت وتنهش الطيور الجارحة جسمه وأن يقضى بادانة الشيوخ الثلاثة محمد وعبد الله وأحمد الغزى فى الاشتراك بالجريمة ، لعدم ابلاغهم عنها رغم علمهم المسبق بها ، ويحكم بقطع رؤوسهم ، وأن يحكم على رابعهم عبد القادر الغزى – الذى هرب ولم يتمكن الفرنسيـــون من القبض عليه – بنفس الحكم ، على أن تنفذ الأحكام إثر تشييع جنازة الجنرال كليبر بحضور الجيش وأهالى البلاد ، وأن يحكم ببراءة ساحة مصطفى أفندى ويفرج عنه ، إذ لم يثبت أن سليمان الحلبى قد أنباه بمشروعه وأن يطبع من الحكم وأوراق الدعوى خمسمائة نسخة وتنشر مع ترجمتها الى اللغتين التركية والعربية فى مختلف انحاء مصر بالمواقع المعتادة والمخصصة لذلك ..

وبعد أن انتهى المدعى العمومى من مرافعته ، أعادت المحكمة استجواب المتهمين ، فاعترفوا بالوقائع كما وردت فى أقوالهم النهائية ، وسالتهم هل يريدون توكيل محام للدفاع عنهم ، فلم يردوا ،



استحكامات يافا

فانتدبت المحكمة المترجم « لوكاهاما » للدفاع لكنه قال ان لا شيء لديه ليقوله .

اختلت المحكمة للمداولة فى الحكم ، وسأل الرئيس اعضاءها إبتداء من أصغر الأعضاء رتبة ، عن كل متهم على حدة ، فكان قرارهم أنهم جميعاً مذنبون ، ما عدا مصطفى أفندى الخطاط واستفتاهم جميعاً عن نوع العقوبة التى توقع على كل منهم ، فوافقوا على ما اقترحه المدعى العمومى فى مرافعتــه ..

... ... ... ...

... ... ... ...

أمضى سليمان أول ليلة له بالقاهرة بمنزل أستاذه مصطفى أفندى ، واستضافه الشيخ العجوز الذى جاوز الثمانين من عمره ، إذ كان هو الذى علمه الخط وحفظ عليه القرآن حين كان بالقاهرة قبل ذلك بثلاث سنوات . وفى الصباح ،اعتذر له ، فهو شيخ عجوز فقير ، لا قبل له بضيافته . وقبل سليمان عذر الرجل ، واستأذنه أن يمر عليه بين الحين والآخر لزيارته ، فاذن له ، فظل يتردد عليه طوال الشهر التالى كل أثنين وخميس .

ونقل سليمان اقامته الى الجامع الازهر ، حيث التقى بأربعة من أصدقائه ، جميعهم من غزة ، ويقيمون كغيرهم من طلاب فلسطين وسوريا ، فى رواق الشوام ، وكان أكبرهم « عبد الله الغزى » فى الثلاثين من عمره ، امضى منها عشر سنوات فى الأزهر ، وهى .المدة التى قضاها ثانيهم « أحمد الوالى » الذى كان يناهزه عمراً ، أما أحدثهم إقامة فى القاهرة وفى الأزهر ، فكان الشيخ « محمد الغزى » ، إذ لم تمض على إقامته فى الجامع الكبير سوى خمس سنوات . وهرب الرابع « الشيخ عبد القادر الغزى» بعد مقتل كليبر ، فلم يترك أى معلومات تخصه .

سهل المشايخ الأربعة لسليمان الحلبى الالتحاق بالجامع الازهر ، والاقامة فيه ، دون إخطار السلطات الفرنسية ، التى كانت قد أصدرت أمراً بالاخطار عن كل عثمانى يصل الى القاهرة . ومنذ البداية أخطرهم بمشروعه ، فنصحوا له بعدم الاقدام عليه ، وأشاروا الى الصعوبات التى تحول دون تنفيذه ، ونبهوه الى أنه سيقتل ، لكن سليمان لم يقتنع بما قالوه ، وواصل الحديث عن مشروعه خلال الأيام التالية ..

وطوال الوقت كان سليمان مشغولا بالبحث عن كليبر ، ودراسة أنسب مكان لتنفيذ مشروعه ، وكان القائد العام قد نقل إقامته الى معسكر الجيزة ، حتى تنتهى الاصــــلاحات التى كانت تجرى فى بيت الألفى ، مقر القيادة العامة ، الذى كان يقيم به قبل أن تصيبه قنابل الثوار باضرار ، أصبح معها غير صالح لاقامته قبل ترميمه ، كما أنه كان كثير التجول فى المدينة ، يراجع متطلبات الدفاع عنها ، ويطمئن الى سلامة قلاعها وحصونها ، ويشرف على اجراءات تحصيل الغرامة التى فرضها على أهلها ، فلم يكن له خط سير ثابت يسهل معه اقتناصه ..

ولظنه أن الفرصة المتاحة لتنفيذ مشروعه ، قد تتاخر بعض الوقت ، فقد اخذ سليمان يبحث عن عمل يقتات منه ، ككاتب عربى ، ومع أن الفرصة لم تسنح ، الا انه وجد أعمالا متفرقة . وكان يقضى معظم أوقاته بالأزهر ، ويكتب أحياناً أوراقاً تتضمن أدعية وآيات من القرآن ، يوزعها على الطلاب والمصلين فى الجامع الكبير .

وحين عرف مقر إقامة الجنرال بالجيزة ، انطلق الى هناك ، وراقب موكبه ، وسأل النوتية الذين ينقلونه عبر النيل من الجيزة الى القاهرة عن السبيل للقياه ، وحين استفهموا منه عن سبب سؤاله ، قال لهم انه يود أن يقدم اليه شكوى .. فأخطره أحدهم أن الجنرال يذهب عصر كل يوم الى حديقة الأزبكية ليتفقد أعمال الترميم فى مبنى القيادة العامة .. لحظتها كان قدر كليبر قد أدركه ..

... ... ... ...

... ... ... ...

## آخر مشاهد « المجـــد »

القاهرة

الثلاثاء ١٧ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م .

حين بدأت جنازة الجنرال كليبر تحركها من مبنى القيادة العامة ، انطلقت طلقة مدفع القلعة ، مرة كل ثلاث دقائق . وتقدمت كتائب الجيش من الفرسان والمدفعية ثم حرس القائد العام ، فموسيقى الجيش موكب الجنازة ، حمل الجنود بنادقهم منكسة ، ووضعوا أشرطة سوداء على أكمامهم ، أما الطبول التى كانت تدق دقاً جنائزياً خافتاً ، فكانت هى الأخرى مجللة بالكريب الأسود .كذلك كان النعش الذى حمل على مركبة تجرها الجياد ، وفوقه سيف كليبر وقبعته وشاراته والسكين الذى قتل به . خلف النعش وفد من فرسان المماليك ، ثم الجنرال منو – خليفة كليبر – وقواد الجيش وأعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، ثم أعيان القــاهرة من التجار والعلماء والقساوسة ،ومندوبو طوائف الصناع ، وسارت الجنازة من الأزبكية الى درب الجماميز الى الناصرية ، حتى تل العقاب ..

وهناك توقفت الجنازة ، وما احتشد فيها ، ليشهد كليبر – قبل الدفن – آخر مشاهد المجد !

أنزل نعش كليبر من فوق عربته ، ووضع على تل العقاب ، حيث كانت مراسم تنفيذ الحكم فى سليمان الحلبى وشركائه فى انتظار وصول النعش . وما أن انطلقت المدافع ، حتى بدأ الشطر الثانى من الاحتفال . تقدم « بارتليمى » محافظ القاهرة اليونانى ، فأطاح برؤوس المشايخ الثلاثة .

وكان الفحم آنذاك ، يحمى فى مجمرة ، وحين انتهى المحافظ من مهمة اعدام المشايخ ، تقدم الى سليمان ، ووضع كفه فى المجمرة ، لكنه لم يشك ، ولم يتكلم والنار تأكل لحمه الحى ، غير أنه اعترض حين تعمد « بارتليمى » أن يعدل من وضع يده ، لتطول النار مرفقه ، منبهاً أن الحكم لم يذكر المرفق بل اليد فقط ، وتشاجر سـليمان مع « بارتليمى » ونعته بالكلب ، وأصر على حقوقه حتى أزيحت عن مرفقه الجمرة ..

وبعد أن احترقت يد سليمان ، بدأ تنفيذ القسم الثانى من الحكم الصادر بحقه . وقام « بارتليمى » بعملية الخوزقة بمهارة ، أحضر قضيباً مدبباً من الحديد ، ثم بدأ فى إدخاله فى شرج سليمان الحلبى ، بالدق عليه دقات خفيفة ، حتى لا يحدث نزيفاً يؤدى الى موته قبل أن يتعذب بما يكفى ، وبعد أن انتهى ذلك الاجراء التمهيدى ، رفـع الخـازوق قائماً ، وعليه سليمان ،ثم غرس فى الأرض.

طلب سليمان من جندى فرنسى كان يقف على مقربة منه ، أن يعطيه شربة ماء . كان الجندى على وشك أن يعطيه زمزميته ، منعه «بارتليمى» ، إذ سوف تؤدى أى نقطة ماء الى موته فوراً ، فتنقذه من عذابه ، وهذا مخالف لمنطوق الحكم ..

على تل العقاب .. فارق جثمان كليبر سليمان الحلبى .. مضوا به ، تتقدمهم الفرسان والموسيقى ، وحين وصلوا الى فناء قصر العينى ، حيث أعدوا فى حديقته قبراً للجنرال ، على درج عال زرعوا حوله أعواد السرو . وبعد انتهاء مراسم الدفن ، القى المواطن فورييه – سكرتير المعهد العلمى الفرنسى – كلمة طويلة ، تحدث فيها عن الجنرال كليبر بطل معارك فانديه وشارلوا وفلوريس ومايستريك والفكريش وفريدبرج ، ومقتحم الاسكندرية وبطـــل معركة جبل طابور وعين شمس ، من أخمد ثورة القاهرة ، وجاء – مع جيشه – لينشر أعلام الحضارة والعدل على ضفاف النيل ..

فى تلك اللحظة .. كان سليمان الحلبى جالســـاً على خازوقه فـــوق تل العقاب .. يصلى .. !!

صلاح عيسى

الحياة بكل بساطتها فى مقهى شعبى كما صورها الفنان جوزيف أوستن بينويل فى عام ١٨٦٥ ميلادية .. واللوحة بالألوان المائية ، ومقاس ١٦ × ٢٢ بوصة ، وتبدو فيها بعض التقاليد القديمة التى اندثر معظمها ودخل إلى دنيا التراث !

سوق السلاح فى القاهرة .. كان من أهم زبائنه التجار المسافرون إلى شبه الجزيرة العربية .. واللوحة من أعمال الفنان تشارلز روبرتسون الذى حاول اظهار اهم انواع الأسلحة المستخدمة فى القرن الماضى .

## معرض فني للتراث العربي في شيراتون الدوحة :

# هؤلاء الفنانون ليسوا مستشرقين .. ولكنهم عشاق للحياة العربية !

أقام متحف (جاليرى لندن) فى هذا الشهر معرضاً هاماً فى فندق شيراتون الدوحة ، ضم ٧٢ لوحة زيتية ومائية ، تمثل التراث العربى خلال القرن التاسع عشر ، وتراوحت أسعار هذه اللوحات ما بين ١٨ ألف ريال قطرى و ٦٠ ألف ريال قطرى ، أى أن الثمن الاجمالى للوحات المعروضة يفوق المليون ريال أو ما يعادل ١٤٠ ألف جنيه استرلينى ..

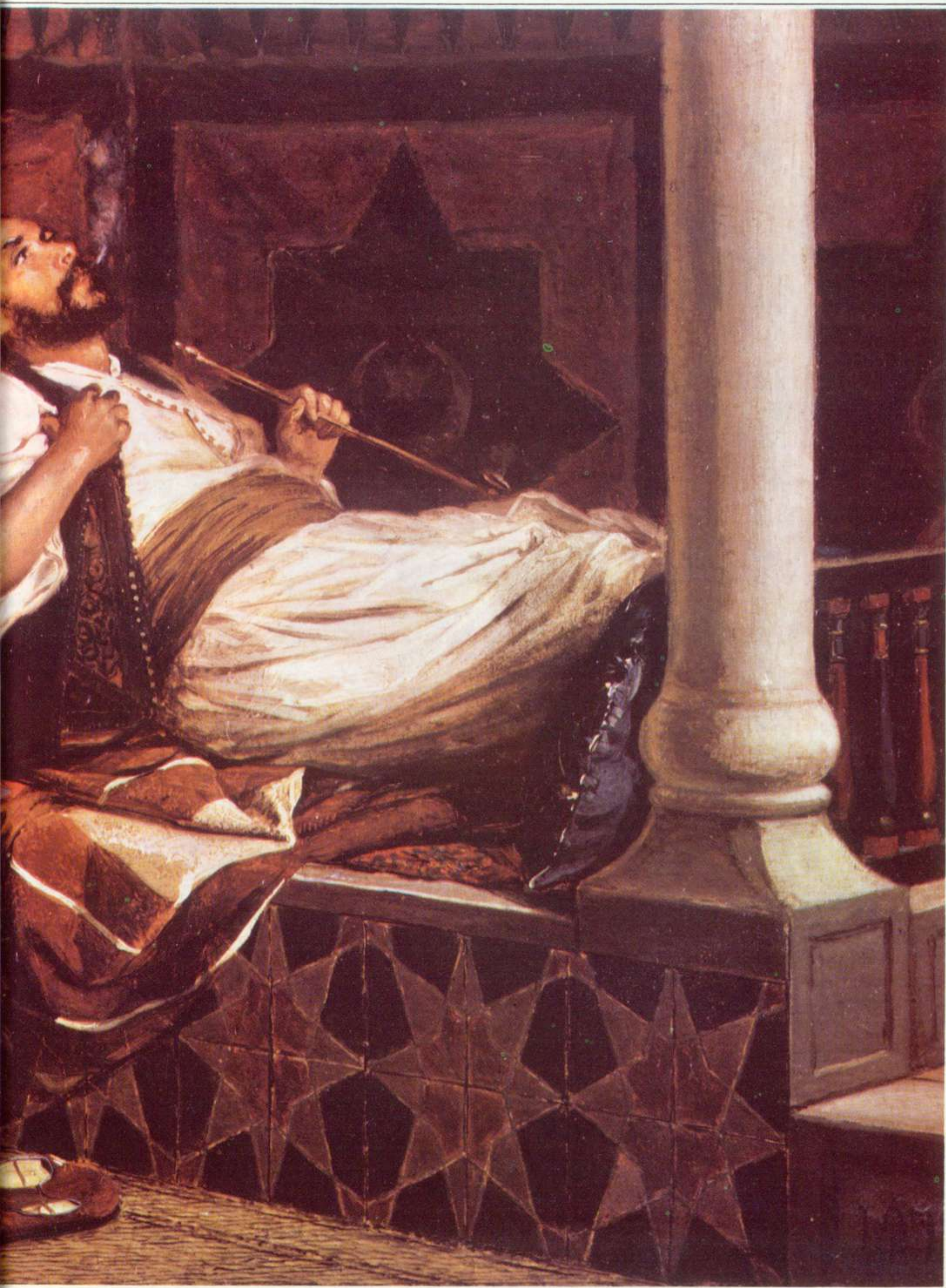
وأهمية هذا المعرض تأتى من ناحية تخصصه المتميز فى اللوحات التى تعبر عن واقع الحياة العربية أيام زمان ، الأمر الذى جعلها محط اعجاب وتقدير هواة الفن فى كل مكان ..

ويقول المسئولون عن المعرض أن هذه اللوحات تمثل سجلا قيماً للعادات والحضارة العربية القديمة الأصيلة فى بلدان الخليج والمملكة العربية السعودية .. وأن صاحب هذا المعرض واسمه « هـ . ماكديرمت » قضى سنوات عديدة فى البلاد العربية ، وعايش البدو فى حياتهم اليومية ، ولم يمنعه عمله كمنتج أفلام ومدير استثمارات فى لندن ، من أن يعبر عن حبه للمنطقة بجمع مجموعة من اللوحات تعبر عن الواقع الحى لتقاليد شبه الجزيرة العربية بكل ما فيها من الوان زاهية وموضوعات جذابة ، حيث أن الكثير من هذه التقاليد أصابها التغير السريع نتيجة لنمط الحياة الجديد فى المنطقة ..

واللوحات التى تم عرضها فى مدينة الدوحة ، جاءت من صالة متحف « جاليرى لندن » الذى أنشىء فى عام ١٩٧٥ ، وقد نظر البعض الى هذه اللوحات على أنها من انتاج فنانين مستشرقين ينظرون الى الحياة العربية بعين السائح المغامر الذى يرى هذه الحياة من الخارج ولا يحس بها أو يتذوقها ، ولكن الحقيقة أن هؤلاء الفنانين هم من الغربيين القلائل الذين أحبوا العرب وأحسوا بهم إحساساً عاطفياً عميقاً ، انعكس على أعمالهم الفنية ، التى جاءت فى حقيقتها عملا من العشق والفهم والمحبة ، وليست عملا من أعمال السياحة والاستشراق والرؤية السطحية السريعة .

ولذا فاننا باختيارنا لأهم لوحات المعرض ، انما نقدم عملا فنياً رائداً يصور التقاليد والعادات القديمة التى ستظل راسخة فى ذهن المواطن العربى كجزء عزيز من تراثه ، حتى وان أخفى الزمن والتطور بعض معالمها !





# هؤلاء الفنانون

تدخين الغليون .. لوحة رائعة أضافت فيها تفاصيل زخرفة المكان للواقع الانسانى بعداً زمنياً جعلنا نحس بواقع الحياة فى القرن التاسع عشر .. اللوحة للفنان جان بابتست هوسمنز .



تدريب الخيول .. تلك الرياضة المحببة إلى قلوب العرب .. إنها هواية عشقها سكان شبه الجزيرة العربية ...واللوحة هناللفنان جون هارنجتون وهى بالألوان المائية ومقاسها ٥ر٢٠ × ١٤ بوصة.



أمومة .. الحصان العربى الأصيل يقف شامخاً فوق الأرض الشاسعة الأرجاء .. بينما المهر الصغير يستلقى فى اطمئنان فوق هذه الأرض الطيبة وفى لحظة الغروب .. اللوحة للفنان جون هارنجتون بيرد ، وهى مرسومة بالألوان المائية ، وحجمها ١٤× ٥ر٢٠ بوصة

# هؤلاء الفنانون

محارب عربى يودع أطفاله قبل الرحيل وهى للفنان الايطالى جوليو روزاتى الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨٥٨ إلى ١٩١٧ ، ودرس فى متحف مدريد ، وقد وجدت كل مجموعته الخاصة فى ايطاليا ، ولكنها تسربت فى مجموعات إلى انجلترا وأمريكا .



البتراء فى الأردن .. لوحة من القرن التاسع عشر للرسام ديفيد روبرت الذى زار سوريا والقاهرة . فى عامي ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ وذهب إلى القدس العربية وأعد مجموعة من اللوحات .

ملتقى الماء للقوافل .. لوحة زيتية للفنان تيرينس .ج . جلبرت ، ومقاسها ٢٠×٣٠ بوصة ، وقد حاول فيها الفنان أن يعطى للصحراء غموضها وسرها الذى لا يدرك مغزاه غير الذين عانوا على أرضها فى القرن الماضى .

## هــــــؤلاء
## الفنــــــــانون



مرفأ عربى .. حيث يصل المسافرون بقواربهم من كل صوب من أجل البيع والشراء والراحة بعد عناء السفر وأهوال البحر .. اللوحةللفنان الفرنسى تشارلز ثيودور فرير الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨١٤ و ١٨٨٨ وذهب إلى الجزائر واليونان وتركيا وفلسطين وسوريا ومصر والنوبة فى عام ١٨٥٠ وانتشرت اعماله عقب وفاته فى باريس فى كافة متاحف العالم .

استراحة المسافرين .. وهى لوحة للفنان هول لازيرييه قدم لنا فيها إحدى عادات المسافرين بعد عناء الطريق فى الصحراء ، إذ كانوا ما إن يجدوا ربوة عالية تطل على أرض خضراء ، حتى يستريحوا من مشاق الطريق ومخاطره .. اللوحة رسمها الفنان فى عام ١٨٨٤ ميلادية .

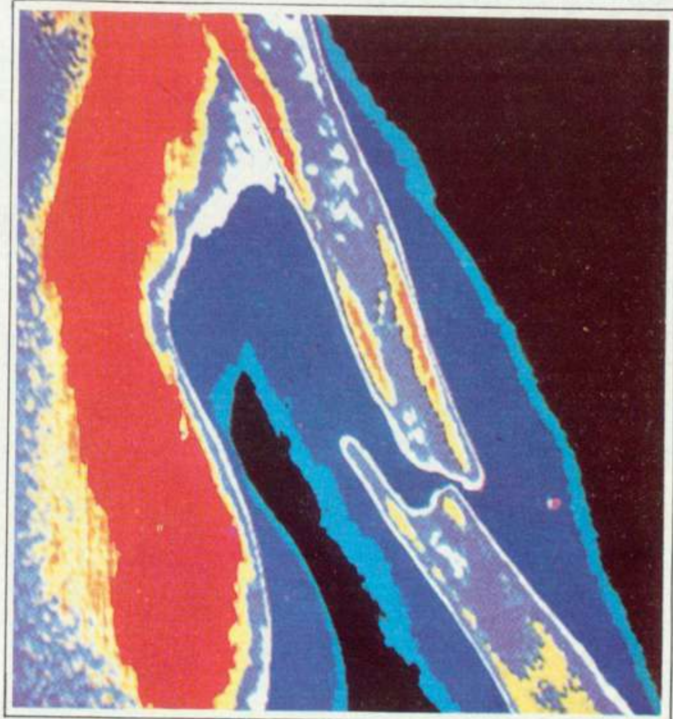


# عيون تنفذ إلى باطن المستور

صورة بالتصوير الاشعاعى اللونى ، وفيها يمكن مشاهدة رصاصة أثناء انطلاقها ( الأثر البرتقالى فى ماسورة المسدس ) .. وكذلك جزء من رسغ واصابع الانسان الذى يمسك بالمسدس ( المشار إليها بعلامات X )

بقلم : د . عبد المحسن صالح

مما لاشك فيه أن العين البشرية تنطوى على تكوينات مذهلة ، و « تكنولوجيا » بيولوجية متقنة مع موجات كهرومغناطيسية محددة ، ذات أطوال مقدرة فتتحول هذه الموجات الى نبضات عصبية لتصب فى مراكز الابصار فى امخاخنا ، فتحيل الاشارات الواصلة إليها إلى صور ملونة .. تماماً كالتى نراها فى عالمنا .



تستطيع أن ترى هنا بسهولة تامة الكسر الكائن فى عظمة الذراع ، فالصورة الملونة توضح الانسجة المختلفة .. الجلد والعضلات والعظام والنخاع وغيرها



صورة لونية بالرسم السطحى لليد بالاستعانة بأشعة إكس .. واختلاف الألوان قد يوضح أية أعراض شاذة ، وهى تبين هنا أن اليد مصابة ببعض الالتهابات المفصلية

# عيون تنفذ إلى باطن المستور

لكن رغم كل هذا الاتقان فى الخلق ، إلا أن عيوننا لاشك قاصرة ، ويرجع قصورها الى تعاملها فقط مع موجات الضوء المنظور ـ أى انها لاترى الا فى حدود ضيقة وضئيلة فهى لا تتعامل الا مع موجات تتراوح أطوالها ما بين ٤٠٠٠٠ر٠ ـ ٧٠٠٠ر٠ من المليمتر ، فاذا طالت الموجات أو قصرت عن هذه الحدود ، فان العين تتخبط فيها كالاعمى سواء بسواء ، فهى مثلا لا تستطيع أن ترى في الأشعة فوق البنفسجية ، ولا في الأشعة الحرارية (أى تحت الحمراء) ، لأن أطوال موجاتها أقصر أو أطول من حدود الموجات الكهرومغناطيسية التى قدر لعيوننا أن ترى فيها ، فلا تستطيع أن تتخطى الحدود الى ما عداها !

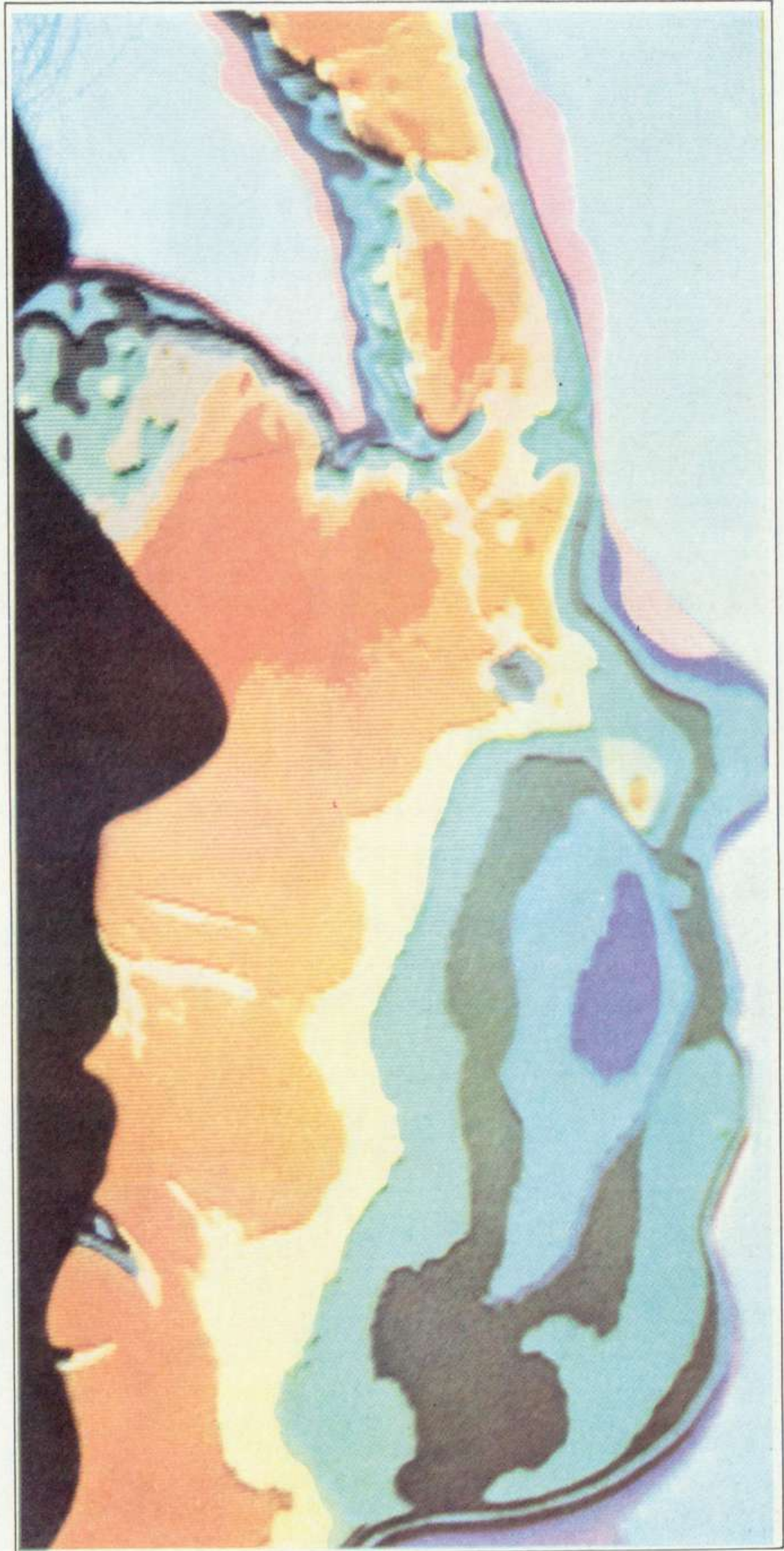
ثم أن عيوننا ايضا قاصرة ، لأنها لاتستطيع أن تكبر الصغير جداً ، لنراه على حقيقته ، ولا أن تقرب البعيد جداً لتتجلى لنا طبيعته ، وهى كذلك عاجزة عن أن تنفذ الى باطن الخلق ، لنرى ما انطوى عليه ذلك الخلق من تكوينات من داخل تكوينات من داخل تكوينات .. الخ .

وكان نتيجة هذا القصور فى توضيح ما انطوت عليه بواطن الأمور ، ان لجا العلم الى عيون أخرى كثيرة ومتنوعة ، لترينا «ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» !

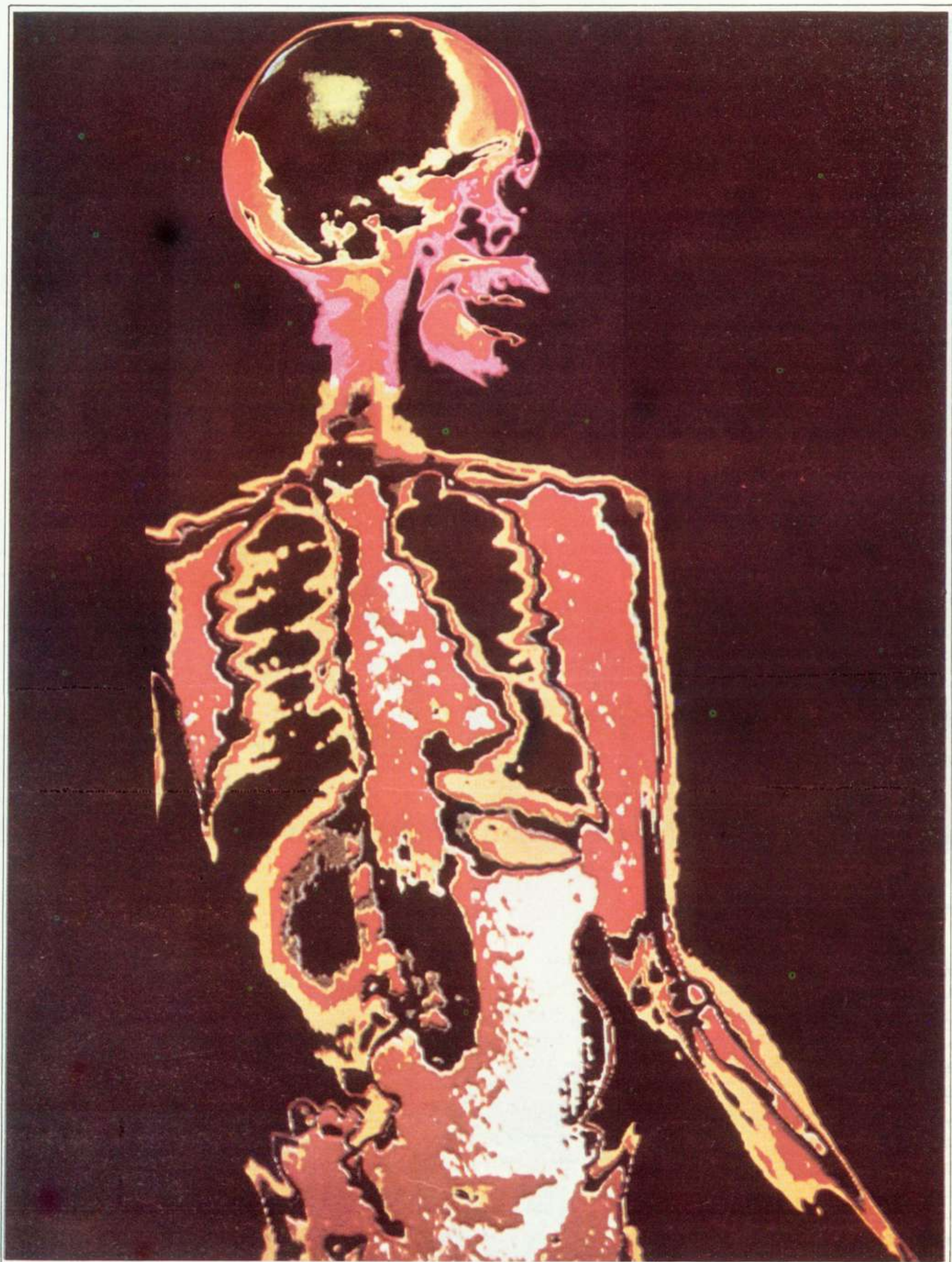
## عيون متنوعة وغريبة

وطبيعى أننا لو اعتمدنا على عيوننا ، لما رأينا الا ظواهر الأمور ، وسيبقى باطنها الى الأبد عنا فى حكم المحجوب أو المستور ، إذ ما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد ، وما أغرب ما يزخر به الكون ، وتنطوى عليه الحياة .

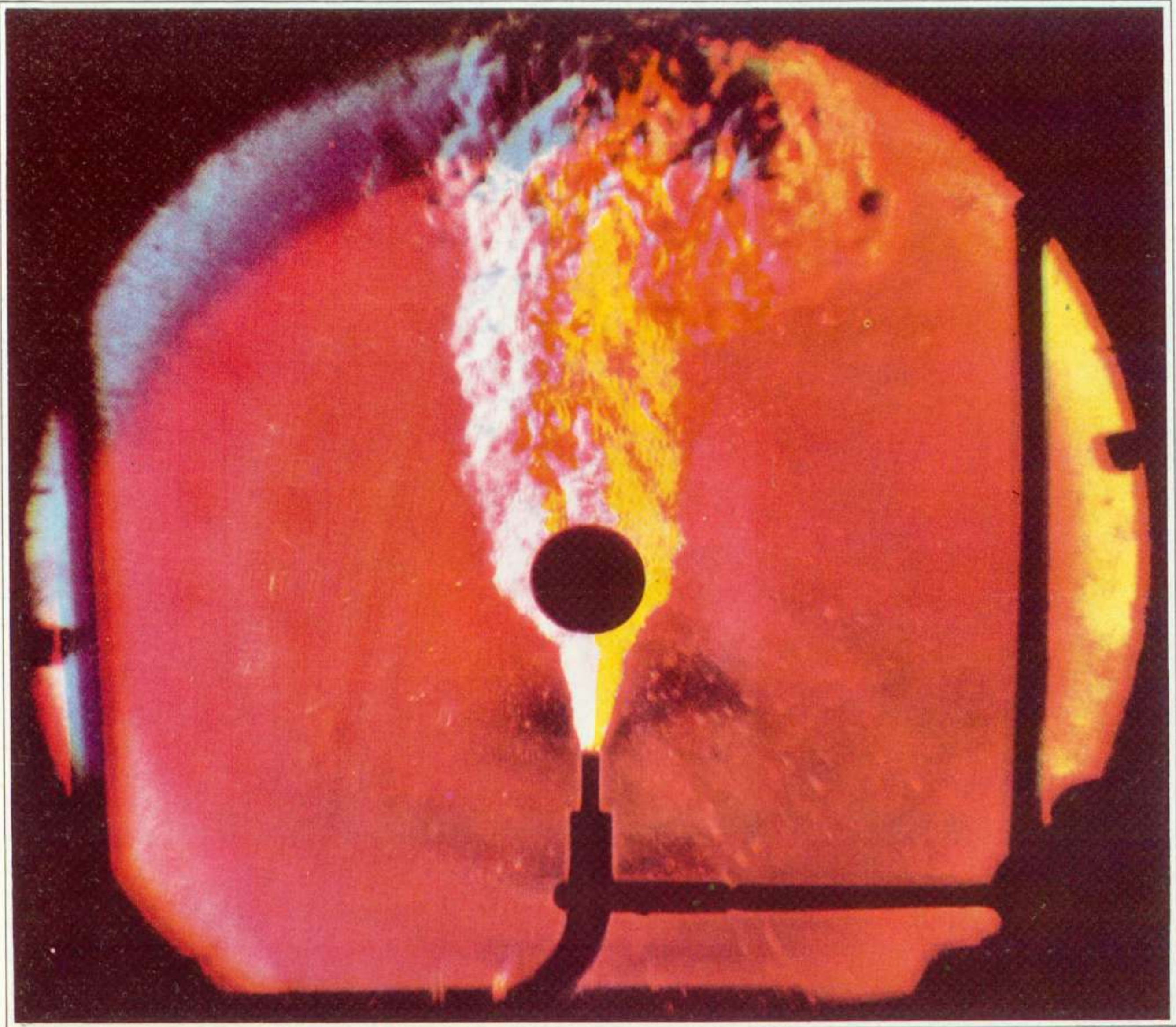
ولاشك أن عيون العلم كثيرة وغريبة ومتنوعة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها بالاسهاب ، والا لخرج الموضوع من ايدينا .. لأن هذه العيون العلمية قد اختلفت باختلاف الهدف الذى تتسلط عليه ، فللسماوات عيون ترصدها ، ولاجسامنا



صورة حرارية لوجه انسان ، وفيها نرى ما يشبه الخريطة التى توضح تضاريس غريبة ، ومن الممكن عرض مثل هذه الصور على شاشة ، ومنها يستدل على أى شذوذ لا تراه عيوننا .



الجزء العلوى من الجسم البشرى ، وقد ظهر بهذا الشكل الغريب من خلال استخدام نوع من التصوير الحديث ، وهو فى سبيله إلى التطوير والاتقان ليكون وسيلة من وسائل الكشف عن الداء .



ما نراه هنا هو كرة تنس الطاولة فى مسار تيار هوائى يخرج مندفعا من أنبوبة ، وكأنما الهواء قد تحول إلى انبثاقة من لهب ، وطبيعى أن مثل هذه الصور لم تكن متاحة فى الماضى ..

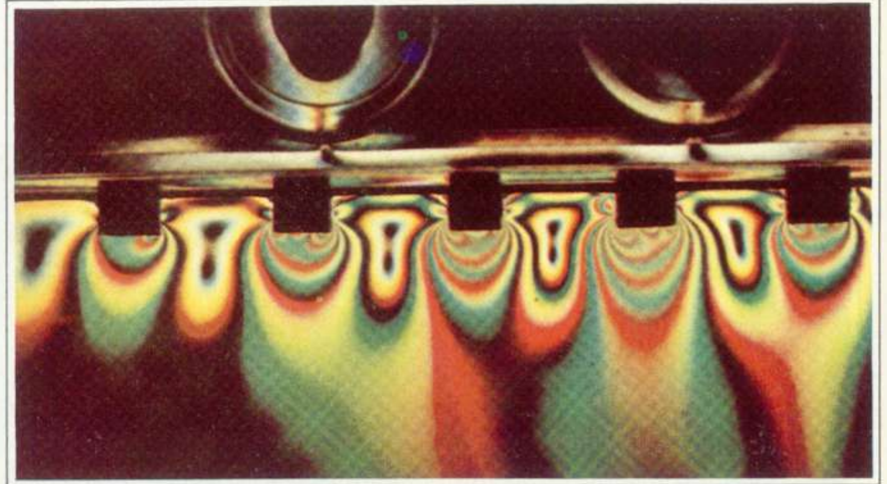
## عيون تنفذ إلى باطن المستور

عيون أخرى تنفذ الى باطنها ، وللأقمار الصناعية عيون حساسة تستكشف من البعد ما يكمن فى باطن الأرض من ثروات ، وما ينتشر فى البحار من خيرات ، وللبحوث الذرية والبيولوجية وسائل للابصار الصناعى ، لتتعرف على التكوينات الدقيقة للمادة التى تدخل فى بناء الكون والحياة ، وللأسلحة الحديثة «عيون» توجهها إلى أهدافها بدقة تامة ، وكأنما هى بدورها ترى ما لا نستطيع أن نراه ، حتى ولو كان ما نراه مختبئا فى باطن الأرض ، أو تطويه ظلمات فوق ظلمات ، ثم ما أكثر العيون التى دخلت عالم الطب ، لترشد الأطباء الى مواطن الداء وتحدد لهم ما شذ وما استقام من الأنسجة والأعضاء ، وكأنما هى تتجسس وتحدد وتصور وتنقل الى عيوننا صوراً دقيقة لما كان علينا فى الباطن خافياً ، وبحيث تتجلى أجسامنا وكأنما هى أكوان داخل أكوان من داخل أكوان .. وهلم جرا !

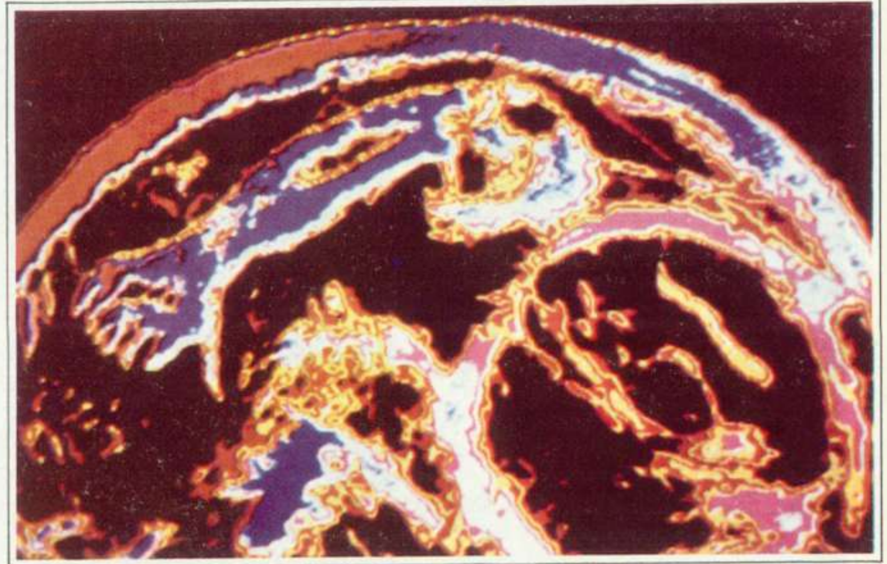
والعلم دائماً فى حالة تطور الى الأحسن فكأنما هو ينشد الاتقان ، أو هو يسعى للاقتراب منه على الدوام ، إذ كلما عرفنا أكثر ، واستخدمنا أجهزة أتقن ، كلما اقتربنا من فهم كوننا وأنفسنا بدرجات أحسن وأقوم وأدركنا الآيات البديعة والمذهلة التى تدل على قدرة «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى» .. وعندئذ يحق لنا أن نردد عن علم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون» !

### اكتشاف العوالم الحية

فمن العيون والأجهزة الحساسة التى نستكشف بها العوالم الحية بوجه عام ، والعوالم الكائنة فى أجسامنا بوجه خاص ، من هذه العيون نذكر – على سبيل المثال لا الحصر – جهاز مسح الجسم البشرى باشعة



هذه الصورة الغريبة توضح الاجهاد الواقع على شريحة من البلاستيك . فتنبعث منها خريطة حرارية تبين للعلماء شدة الجهد الواقع ، فيراجعون حساباتهم وتقديراتهم على أساسها ، خاصة أن المواد كثيرا ما تتعرض لاجهادات تضعف من مقاومتها



جدار رحم أم بداخله جنين يظهر منه رأسه وذراعه .. وللأطباء المتمرسين فى هذه الألوان المتداخلة تفسير وتعليل .. والصورة بالموجات فوق الصوتية

اكس ، وبحيث يقدم لنا «خريطة» متقنة لجميع مستويات الجسم أو «تضاريسه» إن صح التعبير ، وغالباً ما يتصل بهذا الجهاز حاسب الكترونى ، ليختزن المعلومات التى رأتها هذه العين العلمية ، ثم يعرضها بطريقة توضح ما كان يخفى على الأجهزة القديمة ( مثل جهاز الكشف بأشعة اكس التقليدى ) ، ثم إن هذا الجهاز المتطور يستطيع أن يعطينا معلومات دقيقة عن المخ ويحدد موقع أى شذوذ بداية من ورم خفيف الى خراج ، الى نزيف ، الى أنسجة متكيسة .. الى كل ما يتوق الطبيب والجراح الى معرفته — ليس على مستوى المخ فقط ، بل على مستوى الرئات والقلوب والأكباد والكلى والأمعاء .. الخ

ومن هذه العيون ما ترى بالأشعة الحرارية ، أو تحت الحمراء ، وهى التى نطلق عليها اسم التصوير الحرارى ، اذ تستطيع بدورها أن تعطينا خريطة حرارية للاشعاعات المنبعثة من الأنسجة المختلفة وبحيث تستكشف بدورها أى شذوذ حرارى قد يستدل منه على بداية ورم أو قرحة أو اصابة ... الخ .

ومن هذه الأجهزة ما يرى ويحدد باستخدام الموجات فوق الصوتية ، ومنها ما يعرف باسم التصوير السكليرينى ، وهى كلمة ألمانية تعنى التخطيط أو الرسم الضوئى ، وترى على هذه الصفحات بعض الصور التى التقطت بتلك الوسيلة ، والواقع أن هذا النوع من التصوير كان يستخدم أساساً فى بحوث الديناميكا الحرارية ، وفى سريان الغازات ، والاشعاع الحرارى من الأجسام ، وفى بحوث الانفاق الهوائية المستخدمة فى تجارب الطيران ، ومدى تأثر جسم وحركة الطائرة عندما تحتك بجزيئات الهواء ، خاصة عندما تطير بسرعة أسرع من الصوت .

## لغة لونية للعلماء

ونحن لانريد أن نسترسل هنا فى ذكر المزيد ، ولن نزج القارىء فى معمعة علمية قد لايكون مؤهلا للخوض فى أسرارها ، بل إن هدفنا فى هذه الدراسة ينصب أساساً على عرض ما توصل اليه عالمنا المعاصر من انجازات تكنولوجية ليوضح بها ما خفى عن عيوننا ، وبها يتخطى الوسائل القديمة نسبياً في الكشف عن تلك الألغاز المدفونة فى طبائع الاشياء ، وبهذا نمهد للقارىء أن يعيش دائماً مع عصره ، ويعرف بعض ما حققه هذا العصر من أمور كانت بالنسبة للأقدمين ضرباً من الخيال .

ولاشك أن الصور هنا تغنى عن أى كلام يمكن أن يقال فى هذا المجال ، ومن أجل ذلك ، فقد اخترنا بقدر الامكان صوراً تمثل فروعاً مختلفة من العلم ، وبها يتضح لنا أهميتها فى البحوث التى تتعامل مع الحياة والجماد والغازات ، فنرى من خلالها عالماً آخر ينطوى على أمور ما كانت لتطرأ لنا على بال .

بقيت نقطة أخيرة : فلقد بدأ كل شىء فى أوله بسيطاً ، لكنه تطور وتعقد ، فأراح وأضفى على النفس بهجة ، من ذلك مثلا أن التصوير الفوتوغرافى قد بدأ بعرض صور ليس فيها إلا الأبيض والأسود ، أو ظلال ما بين هذا وذاك ، لكننا عرفنا فيما بعد الصور الملونة ، والأفلام الملونة والتليفزيونات الملونة .. وأخيراً بدأنا ننظر الى الباطن «بعين ملونة» ، فنرى الأنسجة مثلا وقد اتخذت ألواناً شتى ، نتيجة لتصميمات تكنولوجية ، وليس لوناً طبيعياً فى الأنسجة ، وطبيعى أن هذه الاختلافات فى الألوان تعكس حالات خاصة ، وكأنما هى «لغة لونية» للعلماء فيها تفسير وتعليل ، وهم أدرى بها ، لأنهم المكلفون بكشف الغموض الذى تنطوى عليه الأكوان المحيطة بنا .. وكل قد جاء لما هو له ميسر .. «ولكن أكثر الناس لايعلمون» .

د. عبد المحسن صالح

حوار
مع فنان عربي

# مدير متحف اللوفر يتجنى على الفن العربي

بقلم: حسن الملا

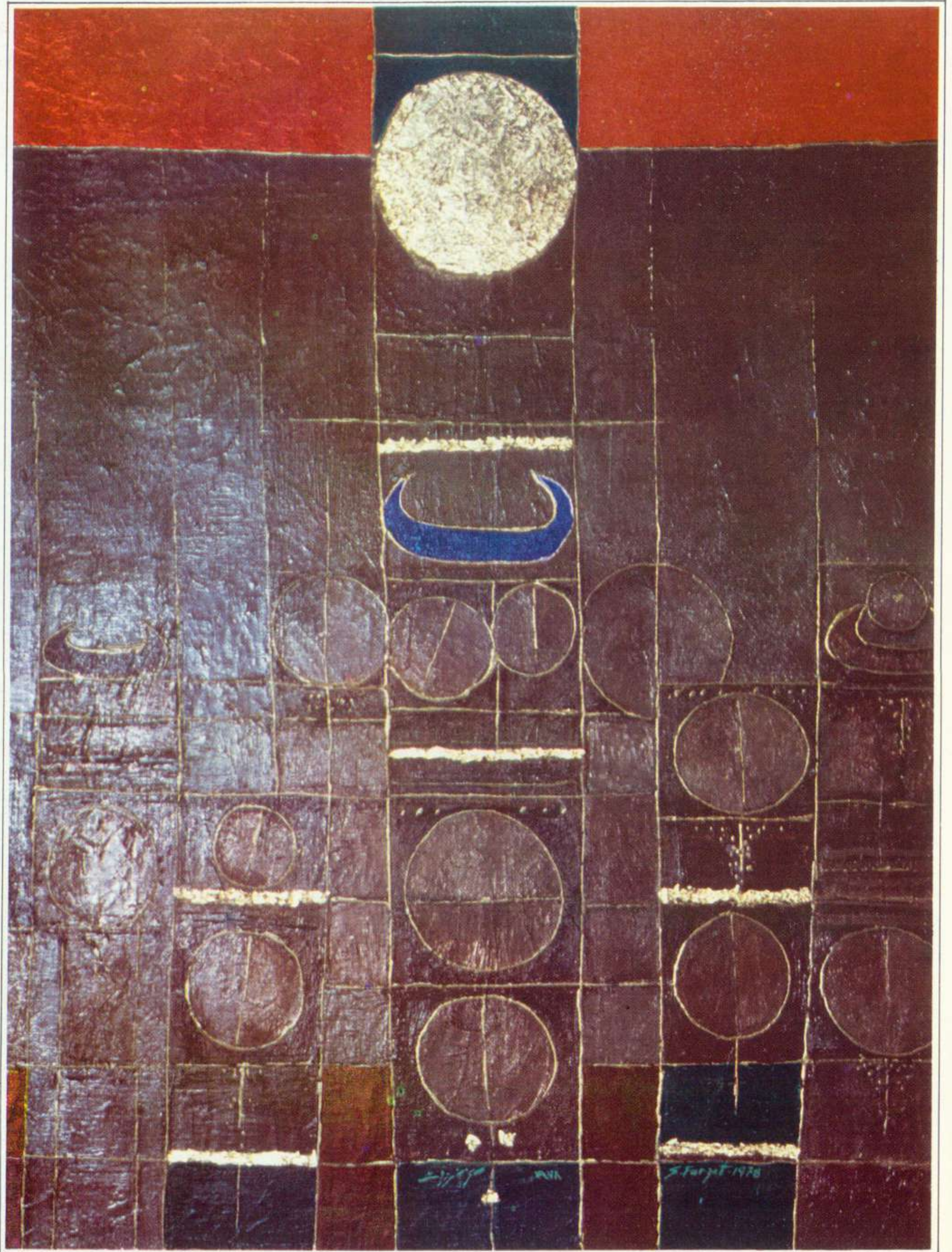
أقيم مؤخراً فى متحف قطر الوطنى معرض للفنان العربى السورى صخر فرزات بدعوة من إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ..

وتضمن المعرض ٣١ لوحة تشكيلية ، تميزت بأصالتها العربية وصدق خطوطها والأنغام المتشابكة فى ألوانها وعمق موضوعاتها التى تعالج مشاكل الانسان وأحلامه وذكرياته وكافة شجونه على الأرض العربية ..

والمعروف أن الفنان صخر فرزات من الفنانين العرب الذين حملوا على أكتافهم سلاح الفن العربى ليحاربوا به فى الساحة الفنية فى باريس ، مزاحمين بذلك أهم فنانى العالم ..



فى معرض الفنان العربى صخر فرزات الذى أقيم مؤخراً فى الدوحة.



ولادة الحلم .. إحدى لوحات الفنان التى تميزت بصدق الخطوط وعمق الموضوع والألوان ذات الأنغام المتشابكة.

هؤلاء الفنانون

# حوار مع فنان عربي



ذكريات .. لوحة تعبر عن الفنان الذى تقتنى أعماله معظم الدول الأوربية والحاصل على جائزتين عالميتين

وقد ولد هذا الفنان عام ١٩٤٣ فى سوريا وأقام فى باريس منذ عام ١٩٧٦ ، وتفرغ للعمل الفنى منذ تخرجه من كلية الفنون الجميلة فى سوريا ، ليصبح اليوم أحد الأعضاء المؤسسين لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ، وعضوا فى دار الفنانين الفرنسيين بباريس ، وعضوا فى الاتحاد العالمى للفنانين المحترفين ، وليشترك فى عدة معارض فنية ما بين دمشق وتونس وباريس ، ولتقتنى عدة دول أعماله لتضعها فى متاحفها فى فرنسا وانجلترا والأرجنتين واستراليا وألمانيا والنمسا ، والبرازيل ، وبلغاريا ، وهولندا وايطاليا ، وأمريكا ، وفنزويلا ، وبولونيا وسويسرا وغيرها ..

ولأجل كل ذلك وغيره ، جرى هذا الحوار مع الفنان صخر فرزات حول مشوار حياته والحركة التشكيلية فى سوريا والعالم العربى ..

## رواد الفن

قلت للفنان العربى : هل يمكن أن نتعرف على بداية الحركة التشكيلية فى سوريا

قال لى : بداية الحركة التشكيلية فى سورية قديمة ، لأن سوريا بقيت لفترة طويلة مركزا من مراكز انتاج الفن الاسلامى والصناعات التقليدية والزجاج الملون والمعشق ، بالاضافة إلى الزخارف الاسلامية التى وجدت على جدران البناء القديم .. وكما تعرف فان الغربيين عندما سحرتهم الحضارة العربية والاسلامية ، جاءوا إلى سوريا ورسموا لوحات عديدة عن الحياة الشعبية والأماكن التاريخية ، وجاءت معهم أيضا بعثات تبشيرية كانت تضم رساميها الذين استخدموا فى تزيين الكنائس والجداريات .. وكل هؤلاء مع أهمية المركز التجارى للمنطقة حيث أنها تربط الشرق بالغرب ، كان له أثره على الفنان السورى ،

الذى تأثر بما رآه ، واصبح على اتصال دائم مع أوربا فى بداية القرن العشرين ، وكانت النتيجة هى ظهور عدد من الفنانين السوريين الأوائل الذين نضعهم فى مرتبة الرواد ، ومن بينهم سعيد تحسين وتوفيق طارق الذى كانت لوحاته قبل الحرب العالمية الأولى تتميز بالأصالة العربية رغم دراسته فى أوربا ، ثم عبد الوهاب أبو السعود وميشيل كرشه الذى نعتبره أول فنان انطباعى فى سوريا بعد عودته من أوربا فى الثلاثينات ، وكذلك محمود جلال ورشاد قصيباتى .. وتلى هؤلاء فاتح المدرس الذى اهتم بالفن التدمرى واستنبط منه اسلوب جديدا ..

وعدنان ميسر وأدهم اسماعيل الذى اهتم بالعودة إلى التراث وحاول تقديم لوحة لها علاقة لونية بالفن الاسلامى واهتم بالخط اللامنتهى ، أى أنه حاول احياء الزخرفة الاسلامية .. ويبقى بعد كل هؤلاء عصمت رضا الذى كان أول من رسم اللوحات التجريدية .. وكذلك الفنانون البارزون حاليا أمثال : لؤى كيالى ، وفؤاد المدرس وغيرهم ممن درسوا فى أوربا وخاصة ايطاليا ..

## الحرب على الفن العربى

وهنا انتقلت مع الفنان العربى صخر فرزات إلى الحديث عن العالمية فى الفن ، وكيف نصل إلى هذا المستوى ، وهل للفنان العربى قيمة فى بلاد العالم ، أم أن انتاجه مازال جليسا فى نطاق بلاده فقط ؟

وقال لى : إن هناك حقيقة مؤكدة بأن الغرب يهملنا تمام الاهمال ويتحاشى كل ما يمت بصلة للفن العربى ، والدليل على ذلك ظهور كتاب من الكتب الهامة فى الفن فى فرنسا ، وهو كتاب موسوعى من تأليف « رينويك » محافظ متحف اللوفر عن الفن فى العالم ، وقد اختصر المؤلف الفن العربى كله فى هذا الكتاب إلى نصف صفحة ، أما باقى الدول – والكثير منها أقل منا فى المستوى الفنى بكثير – أعطاها عدة صفحات .. وهذا يعنى بالتحديد التجاهل التام للفن العربى بل والحرب الحضارية على الأمة العربية .. ونتيجة لذلك وغيره فليس من البساطة أن يحصل فنان عربى على مكانته فى هذه المجتمعات طالما أنها تحارب أفكارنا وحضارتنا سعيا نحو التقدم .. وهناك مثل آخر ممثل فى الفنانين المتواجدين فى المغرب العربى الذين على مستوى ممتاز تعرفه أوربا جيدا بحكم قرب المغرب العربى وكثرة احتكاكه بالعالم الغربى .. إن هؤلاء الفنانين لا يستطيعون الحصول على صالة لعرض أعمالهم ذات القيمة الفنية إلا بصعوبة بالغة وفى مناطق متطرفة وبعيدة



الفنان العربى صخر فرزات الذى يقيم فى باريس منذ عام ١٩٧٦

تجعل معارضهم فى معزل عن جمهور المتفرجين وزوار المعارض فى أوربا !

وبالاضافة لكل ذلك فانه من الممكن أن يقيم الفنان العربى معرضا فى أماكن التبادل الثقافى بين الدول ، ولكن هذا لن يؤكد بأى حال وجود الفن العربى ضمن السوق العالمية الفكرية والفنية ، ولهذا فان الفنانين العرب فى فرنسا وغيرها يقاتلون من أجل دخول مجالات العالمية فى الفن !

## لماذا الهجرة ؟

قلت للفنان صخر فرزات : مادام الأمر بهذه الصعوبة ، لماذا إذن هاجر الفنان العربى إلى أوربا وأمريكا ؟

وقال لى : فى الواقع ، هناك غربة يعيشها الفنان العربى فى بلده ووطنه ، فهناك ثغرة بين فكر الفنان العربى وثقافته وبين الثقافة العامة للمجتمع ، فالفنان عندنا يشعر بالأسف لأنه غير مفهوم فى مجتمعه ، وحتى الفنانين الذين يغوصون فى بيئتهم ومجتمعهم ويطرحون موضوعات اجتماعية يجدون أنهم فى النهاية غرباء لا يجدون من يهتم بفنونهم ..

وأنا فى ذلك لا أوجه اللوم إلى الفن العربى ، ولكن أحمل المسئولية لنظام التعليم فى الوطن العربى ، فهو نظام يتجاهل وسائل تنمية التذوق لدى النشء ويهملها بشكل متعمد .. وسأحكى هنا تجربة حدثت لى عندما رأيت أحد المواطنين فى دمشق ينظر من وراء زجاج خارج معرضى ، فدعوته لأجده على درجة من الوعى الفنى ممتازة ، فسألته : هل درست ؟ فقال لى : لا .. عندئذ تعجبت وسألته كيف وصل إلى هذا المستوى من الفهم ؟ فقال لى : أذهب إلى كل معرض وأعايش اللوحات واهتم بألوانها وزخارفها وتفاصيلها الأخرى .. وهكذا نرى أن هذا المواطن درب نفسه على التذوق الفنى الذى أهملته التربية المدرسية وهى تخطط لصنع أجيال المستقبل !

## تنمية التذوق الفنى

وعندئذ قلت للفنان العربى : مادام لدينا قصور فى التذوق الفنى ، هل يمكننا التعرف على الوسيلة ؟

وقال : نبدأ بأبسط الأشياء ، يجب ألا يخرج أى كتاب للطلاب إلا باخراج جيد واشراف فنى .. ويجب ألا يعرض برنامج فى التليفزيون إلا بمراقبة فنان حتى لا نعطى نتاجا متخلفا من الناحية الذوقية .. وحتى الشارع يجب أن نعطى للمواطن احساسا بمسئوليته عن نظافة الشارع واحترامه وعدم رمى القاذورات بدون مسئولية .. وإذا ما طبقنا ذلك الاحساس القومى بأهمية الجمال والنظافة والنظام فى المدرسة والبيت والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والشارع وغير ذلك ، لأصبح لدينا فى سنوات قليلة جيل يتذوق الفن ويحب الجمال ويحافظ عليه !

## الحركة النقدية ومشاكلها

وفى نهاية لقائى مع الفنان سألته عن أهمية الحركة النقدية الفنية فى العالم العربى ، فقال أنها كانت معدومة ، وأن هناك من يحاول أن يضع لها اليوم حجر أساس بجهود فردية ، فهناك جبران ابراهيم جبران وبلند الحيدرى تتابعان مشوارهما فى وضع أسس للنقد الفنى فى العالم العربى .. وغيرهما هناك دراسات حول علم الجمال يقوم بها أسعد عرابى .. إلا أننا لا نستطيع بالطبع أن نقول أن لدينا فعلا حركة نقدية محسوسة أو نقاد ، مثل انجريه مونغو وزير الثقافة فى عهد ديجول أو مثل روجيه جارودى وغيرهم من أصحاب الدراسات النقدية العظيمة .. وفى فرنسا هناك بعض الكتاب العرب المشهورين فى الصحف الفرنسية أمثال طاهر بن جلون من المغرب والذى يكتب عن الصحافة العربية والفن العربى والمجتمع العربى فى جريدة الليموند الفرنسية ، ومن الكاتبات المشهورات بالنقد فى فرنسا الكاتبة اللبنانية أمية عدنان .. وهناك فنان تونسى استطاع بصعوبة أن يعرض فى مركز بومبيدو وبينالى باريس لوصوله إلى مستوى عظيم من العالمية وهذا الفنان هو التريكى .. وغيره هناك الفنان السورى الحلبى « كرزو » الذى أصبحت تعرفه الأوساط الفنية فى باريس ، وكذلك الفنان السورى شفيق عبود .. وهذا دلالة على أن الطريق يمكن تمهيده واقتحامه إذا تجملنا بالصبر والعمل والبحث الدائم عن كل جديد فى الفن !

حسن الملا



سعادة عيسى غانم الكوارى وزير الأعلام وسعادة علي بن أحمد الانصارى وزير العمل والشئون الاجتماعية أثناء افتتاح مجمع الأعلام ومسرح قطر الوطنى .

## مسرح قطر الوطني ودوره في تطوير الحركة المسرحية

# كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟

كمال سعد

لاشك أن بناء أى مسرح فى أى بلد عربى ، لابد أن تتبعه حركة نشطة من أجل تأصيل مسيرة المسرح العربى وربطها بالتراث الأدبى والشعبى والصور المختلفة فى المجتمع ، حتى تكون هناك علاقة حية بين المتفرج وخشبة المسرح تدعمها الكلمة الموضوعية والمعالجة الجذابة للفكرة وكافة المؤثرات الفنية ذات المستوى والمدلول !

وقد لخص هذا الهدف الهام سعادة السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام عندما قال فى كلمته أثناء افتتاح مجمع وزارة الاعلام ومسرح قطر الوطنى ، أن المسرح بما يتضمنه من ثقافة وفنون يمثل واجهة حضارية متميزة فى صرح النهضة ، ونتيجة لتقدم البلاد فى مجال المسرح فى السنوات الأخيرة ، كان لابد من الأخذ بيد العناصر الصاعدة والبراعم الواعدة فى هذا الميدان الحضارى ومساعدتها على تأدية رسالتها فى مسرح حديث جامع للأدب والفن والتراث الشعبى والحضور الانسانى من غير هدر لجانب القيم الأخلاقية الموروثة والتقاليد العريقة ..

وحدد وزير الاعلام رسالة المسرح الجديد وتنمية قدرات المواهب المسرحية بقوله : استقر الرأى على بناء مسرح حديث يتمشى مع

صالة المسرح مزدحمة بالمتفرجين أثناء العروض التى رأيناها على خشبته أثناء احتفالات ٢٢ فبراير



موسى زينل.. مدير ادارة الثقافة والفنون

متطلبات العصر وتعمل فيه أحدث المبتكرات الفنية والمعدات التكنولوجية ، بحيث تستطيع بواسطته الحركة المسرحية فى قطر أن تؤمن لنفسها ولعشاق هذا الفن الرفيع مكاناً للعرض والمشاهدة والاحتكاك مع المسرح العربى والعالمى من خلال ما يقام على خشبته من عروض .. وانه لجدير بالذكر أن نشير الى أن وزارة الاعلام بصدد انشاء مسرح اخر يوفر الاتساع فى القاعدة المسرحية ويساعد الفرق المسرحية الموجودة فى قطر على تنمية قدراتها وصقل مواهبها ..

## جاهز للفرق الكبيرة

إن مسرح قطـــر الوطنى ، الذى اقيم ضمن مجمع اعلامى يضم مبنى وزارة الاعلام ، يعتبر أول مسرح من نوعه على مستوى الخليج والوطن العربى من حيث الاستعدادات الحديثة والامكانيات الفنية ، فقد أقيم المسرح الجديد على الحيز الأكبر من مبنى المجمع الاعلامى الذى روعى فى تصميمه الطابعان العربى والحديث والذى بلغت تكاليفه ١٢٠ مليون ريال قطرى ..

وتحتوى صالة مسرح قطر الوطنى على ٥١١ مقعدا كل منها مزود بجهاز للترجمة الفورية الى أربع لغات ، كما يضم خشبة مسرح مكونة من ثلاثة أجزاء ، الأول تقليدى ثابت ، والثانى دائرى ، والثالث يستخدم كمقدمة لخشبة المسرح تنخفض وترتفع حسب احتياجات العمل وهى بالطبع مقرا للأوركسترا والموسيقيين ..

ويعمل المسرح بواسطة جهاز كمبيوتر لتنفيذ الاضاءة والصوت وتحريك لوحات الديكور وخشبة المسرح الدائرية !

وهناك ثلاثة طوابق خلف المسرح مخصصة للعاملين والممثلين ، كل منها به غرفتين للماكياج وتغيير الملابس ، إضافة الى قاعة كبرى لاجراء البروفات . .

ويضم المسرح ـ كذلك ـ مطعماً كبيراً واستراحة لكبار الزوار .

أى ـ باختصار ـ تتوفر فى مسرح قطر الوطنى كل احتياجات الفرق الكبيرة ، بالأضافة الى مراعاته لكافة الظروف التى تعمل على راحة المتفرج وتهيء أمامه فرصة الاستمتاع بالعمل الفنى والاستغراق فى جوانبه الذهنية ...

## أول العروض

وقد كان أول عرض رأيناه على خشبة مسرح قطر الوطنى عقب افتتاحه فى يوم ٢٢ فبراير

احدى اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية

## كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟



محمد أبو جسوم



سالم ماجد



مجموعة من معهد الموسيقى القطرى قدمت أعذب الألحان العربية

١٩٨٢ ، هو اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية فى المناسبة الوطنية ، والتى استطاعت ـ بحق ـ أن تستخدم الامكانيات الهائلة فى المسرح من أجل ابراز ماقدمته من صور جذابة ، بداية من المقدمة الموسيقية المستقاة من لحن شعبى خليجى «ياحمام اللعب» إلى رقصات العرضة والمراداة والطحن بالرحى والليوه والطنبورة وغيرها ، فقد اتضح مع اتساع المسرح ورشاقة الحركة فوقه وجاذبيتها مدى الجهد المبذول من أفراد الفرقة ومديرها سامى يونس من أجل العمل على ميلاد فرقة قومية تخدم رسالة الفن الشعبى بالمحافظة عليه وابراز طابعه التراثى ، الذى أصبحت كافة دول العالم تنظر إليه بكل تقدير واحترام ، بل وتعتبره دليلا على مدى اصالة الأمة وتطورها

أما العرض الثانى على مسرح قطر الوطنى فكان يتضمن سهرة موسيقية غنائية ممتعة

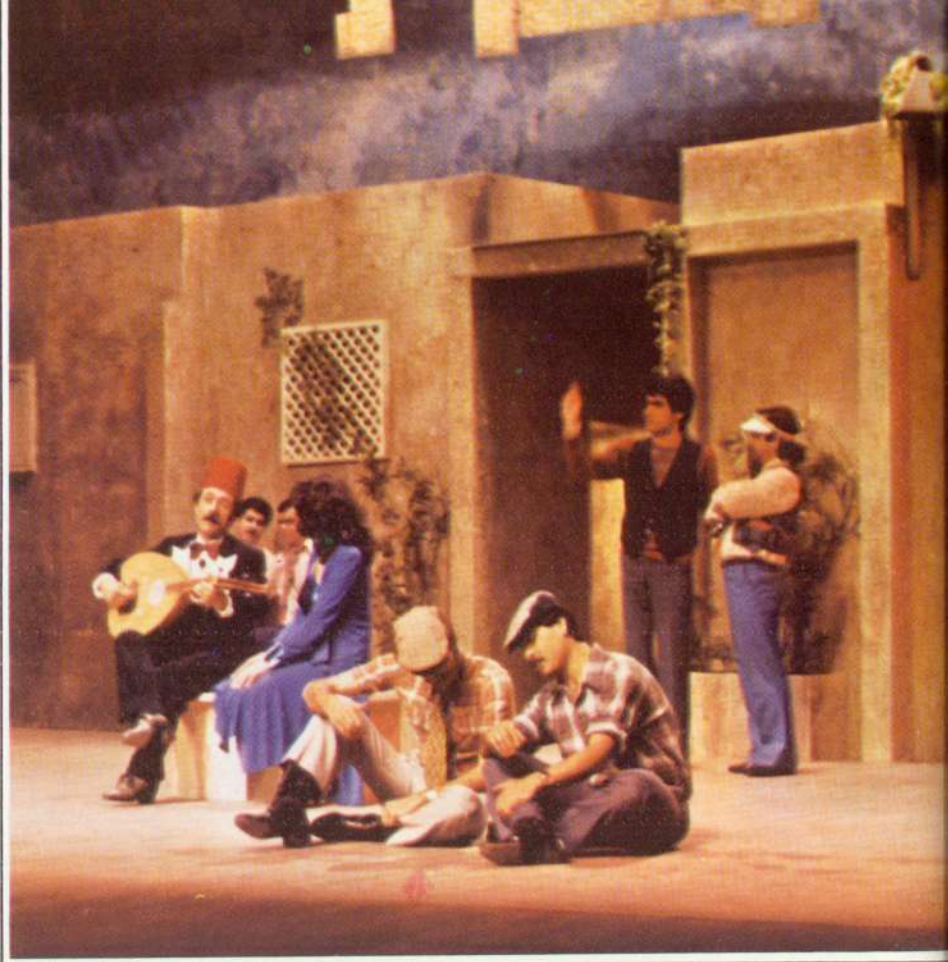
المسرح ضرورة إحضار فرق عربية وعالمية على مستوى الاحتراف لا الهواية ، وذلك عن طريق التبادل الثقافى أو العقود .. أما بالنسبة للمسرحيات الخليجية والتى استقبلت قطر الكثير منها ، فاننا سنستقبل فرقاً من الكويت والبحرين وغيرها .. وفى مخططنا عدة أمور يدخل فى نطاقها المهرجانات المحلية والخليجية والعربية واللقاءات والندوات مع أهم رجال المسرح والفنون المختلفة ، إلا أن كل ذلك سيتم وفق برنامج مدروس ، فنحن فى مرحلة نحاول فيها أن نرتقى بالتذوق الفنى حتى نزيد من أعداد الجماهير المستقبلة لفن المسرح ، وبالطبع هذا الهدف لن يتحقق إلا باصرارنا على إختيار الأعمال الجذابة ذات المستوى الرفيع والتى لاتقيم جداراً من الغربة بين المتفرج وخشبة المسرح .

## فرقة قطرية قومية

وهنا قلت لمدير الثقافة والفنون : هذا عظيم .. ولكن فى نطاق هذا التفكير المتطور يظهر سؤالان .. أولهما : مع الرغبة فى الارتقاء بفن المسرح لماذا لانجد أنظمة تنظم العمل المسرحى فى قطر وثانيهما : هل عملنا خطة لتوفير مسارح جديدة مناسبة للمسرحيات التى لا يمكن عرضها على المسرح الجديد بامكانياته الكبيرة ؟ .

وقال لى بالنسبة للاجابة عن السؤال الأول فنحن نسعى الآن لاستحداث أنظمة ولوائح تنظم العمل المسرحى في الدولة وتنظم العلاقة بين الفرق المحلية وادارة الثقافة والفنون ، فالفرق الثلاثة - القطرى والسد والأضواء - نشأت كفرق أهلية بدعم غير رسمي ثم أصبحت بدعم رسمى ، ورغم أن هذا الدعم يزداد عاماً بعد عام فما زالت العملية غير محكومة بأية ضوابط ، ولذا فان تدعيم علاقة هذه المسارح بالادارة سيؤدى الى ظهور الكيان المستقل والشخصية الاعتبارية لكل مسرح ، ولدينا الآن فكرة ندرسها لانشاء فريق قومى للتمثيل على غرار الفرق القومية المتعارف عليها فى البلاد العربية ، وبحيث تصبح هذه الفرقة هى المسرح الرسمى للدولة ، وقد وضعنا بديلا لهذه الفكرة فى حالة عدم اتفاقنا حولها ، بان نستعين عند ذلك مرحلياً بعمل مسرحيات ذات مستوى فنى رفيع على أن ننتخب لهذه المسرحيات فنانين من الفرق الثلاثة الموجودة فى قطر ، ونوفر لهذا العمل كافة الامكانيات الفنية والمادية التى تجعله يحقق هدفه الأسمى وهو تطوير المسرح القطرى ..

أما بالنسبة للسؤال الثانى المتعلق بتوفير المسارح الجديدة ، فهناك مسرح فى داخل منطقة الاذاعة والتليفزيون انتهى تصميمه ويطرح للمناقصة والتنفيذ هذا



المسرحية الغنائية « الربيع السابع » التى اشتركت فى تقديمها الفرقة الشعبية اللبنانية

مع النغم العربى والخليجى الأصيل ، قدمها معهد الموسيقى القطرى ، والذى بدأ حفله بمقطوعة موسيقية عنوانها «للأمير التهانى» مهداة من حامد نعمة مدير المعهد ، ثم توالت عروضه التى قدم اثناءها الواناً مختلفة من الغناء والموسيقة العربيــــة والخليجية التى جعلت الحـــــاضرين يستمتعون بأحلي وأرق الأنغام والألحان ..

وفى هذا الحفل كان للتراث الخليجى حظا حيث استمعنا الى بعض الأغنيات التراثية مثل « ياذا الحمام ... كما كـــان للتراث الغنائي العربى نصيب أيضاً فى السهرة ، حيث استمعنا الى أغنية «ياصلاة الزين» التى لحنها الموسيقار الراحل زكريا أحمد الذى أداه فى الحفل أحد البراعم القطرية الواعدة وهو الطالب جبر عيد المهنـدى وموشح «يامنيتى عز اصطبارى» للموسيقار خالد الذكر سيد درويش .. كل ذلك بالاضافة الى عزف منفرد على القانون وفواصل موسيقية من طلبة المعهد وبراعم المدارس واســـاتذة المعهـــد الذين قدمـــــوا - بأنفسهم - فاصلا من الموسيقى العالمية !

وكانت السهرة الثالثة على المسرح الجديد هى المسرحية الغنائية «الربيع السابع» التى قدمتها فرقة «الأخوين رحبانى» وأخرجها عاصى الرحبانى وأشتركت فيها الفرقة الشعبية اللبنانية ، وكان من بين أبطالها ملحم بركات ، ورنزا ، ويوسف شامل ، وخليل ثابت ، وفؤاد فاضل ، وميريام ، وموريس عقل ، وفائق حميصى .. والمسرحية تدور فكرتها حول الحلم ودوره في تغيير الواقع ، والفكرة عولجت بطريقة فنية واعتمدت على اللوحات المبهرة ذات المضمون .

## العروض القادمة

إلا أنه بعد تلك العروض الثلاثة ذات المستوى الفنى الرفيع ، هل هناك خطة للعروض القادمة .. وماهو نصيب المسرحيات القطرية من هذه العروض ؟ ...

فى حوار مع موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون قال أن مسرح قطر الوطنى كمبنى وكامكانيات يمثل قمة الاستعداد في المجال الفنى ، وفى كل دول العالم المتقدم والنامى هناك مسارح لايسمح فيها إلا بالأعمال الرائدة أو ذات المستوى الفنى الجيد ، وهذا ما سنتبعه على مسرح قطر الوطنى الذى لن نقدم على خشبته إلا الانتاج المحلى المتميز بالمستوى الفنى الرفيع .. ومن أجل ايجاد هذا المستوى الجيد من المسرحيات المحلية سيتم اختيار نصوص جيدة لانتاجها بامكانيات فنية تتناسب مع العرض على هذا المسرح الكبير .. كما أننا وضعنا في خطتنا لتشغيل

# كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟

الايقاع الشعبى حيث الحركة ودقة الأداء أثناء العرض

العام ويستغرق بناؤه عامين وستضم صالته ٣٥٠ مقعداً ، وسيضم هذا المسرح قاعة تدريبات للفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وقاعات أخرى للتدريب الموسيقى والمشاغل الفنية .. وسيقام فى المركز الثقافى بمدينة الخور خشبة مسرح لتنمية هواية التمثيل بين أبناء المنطقة .. وهذا بخلاف مسرح جاهز للتصنيع نامل استخـدامه خـلال عشرة شهور ... وإذا ما اضفنا لهذه المسارح الجديدة مسرح الدوحة بلايرز الذى تم بناؤه للجالية الانجليزية بمساعدة الدولة فى فريق بنى عمران ومسارح وزارة التربية لا تضح لنا أن الفرق الهاوية أيضاً تستطيع أن تقدم انتاجها وأن تجد مكاناً تخاطب من فوقه جمهور المتفرجين !

## امكانيات المكان

وفى داخل مسرح قطر الوطنى التقيت بمدير عام المسرح بالوكالة محمد أبو جسوم الذى قال لى أنه ليس معنى افتتاح المسرح هو استكمال تجهيزه ، فمازلنا نسعى لاستكمال كوادره فى أسرع وقت ، خاصة فى الاضاءة والصوت وهندسة الديكور وتنفيذه وأعمال النجارة والطلاء ومختلف النواحى الفنية الأخرى .. فالتجهيزات الفنية الكبيرة للمسرح تحتاج إلى خبرات عديدة للتشغيل ويكفى أن نعلم أن خشبة المسرح مزودة فى أعلاها بامكانية استخدام اكثر من ٣٦ منظراً فى العرض الواحد .. وهذا مع وجود شاشة سينما تنزل أتوماتيكياً من أعلى .. وحاجز للطوارىء يفصل الخشبة عن الجمهور .. وصالة مكيفة تكييفاً مركزياً .. ومقاعد مزودة بأجهزة للترجمة الفورية .. وحوائط جانبية يمكنها تصغير وتكبير صالة العرض .. ونظام اضاءة يعتمد على حوالى ٢٢٠ كشاف مختلف الأحجام .. وكل ذلك بالاضافة إلى أن هذا المسرح مجهز بعازل صوت ومزود بسمعات فى حجرات الممثلين تجعل كل مشارك فى العمل الفنى يتابع كل ما يجرى على خشبة المسرح !

إلا أن وجود دار للعرض بهذه الامكانيات يجعلنا نامل فى أن يثرى هذا الشكل ما نتمناه من مضمون ، بمعنى أن تعيد الفرق المسرحية تنظيمها وتطوير امكانياتها حتى تخدم الثقافة والفن فى البلاد بعروض تضيف لنا الجديد وتتناسب مع المساحة المكانية والامكانيات المتوفرة فى هذا المسرح وعلينا أن ندرك أن الفرق التى وصلت إلى مجالات الشهرة لم تصل للقمة بين يوم وليلة ولكن بالعرق والعمل ، ولهذا فان واجبنا الآن أن نعمل بكل طاقتنا لرفع مستوى سمعة هذا المسرح فى الداخل والخارج ، خاصة وأننا فى عصر اختلط فيه الحابل بالنابل وضاع مستوى الأداء الفنى الجيد من أغلب الأعمال الفنية فى مسارحنا العربية !

## يوم المسرح العالمى

ولكن وبعد كل ما عرفناه من جديد عن مسرح قطر الوطنى ، هل يشارك هذا المسرح فى يوم المسرح العالمى الذى يقام فى نهاية هذا الشهر ( مارس ) ؟

الواقع أن سالم ماجد رئيس قسـم المسرح بادارة الثقافة والفنون يؤكد هذه المساهمة ، بقوله : سنقدم فى هذه المناسبة ثلاثة عروض للفرق المسرحية القطرية ، وستكون هذه العروض أشبه بالمهرجان الذى يتضمن الجوائز لأفضل ممثل وأفضل ممثلة وأفضل عرض وأفضل مخرج .. ففى يوم ٢٧ مارس سنقدم فرقة المسرح القطرى فى مسرحية « ولكنه تركها تموت » للكاتب الأسبانى « فرناندو ارابل » اخراج علي ميرزا وفى يوم ٢٨ مارس تقدم فرقة مسرح السد مسرحية بعنوان « الفيل يا ملك الزمان » للكاتب السورى عبد الله ونوس اخراج عبد الرحمن المناعى ، وفى يوم ٢٩ مارس تقدم فرقة مسرح الأضواء مسرحية « الكافيتريا والزنجبيل » واسمها الأصلى « البوفيه » للكاتب المسرحى علي سالم ويخرجها سالم ماجد .. والعروض الثلاثة ستكون باللغة العربية الفصحى ..

• •

وهكذا نرى أن المسرح القطرى فى ظل ما يتوفر له اليوم من امكانيات مطالب بأن يشكل جمهوره عن طريق الصدق الفنى والانسانية .. فنحن أحوج ما نكون اليوم – باعتبار المسرح فى قطر جزءا من المسرح العربى – إلى الاهتمام موضوعاً وصياغة بوجدان وعواطف الشعب العربى ، وأن تصبح مسارحنا أداة فنية دائمة العطاء وقادرة على الاشعاع المباشر ، وأن يكون الانسان وطموحه هو محور مسرحنا المعاصر حتى تكون لنا هوية عربية فى المسرح يعترف بها كافة المتفرجين فى الداخل والخارج على حد سواء !

كمال سـعد

درويش مصطفى الفار

# معجم عربي .. للتعريف بالعلوم

تعاقبت قرون مذ طفق أهل الفكر يحاولون إيجاد تعريف مناسب يميز الانسان عن الخلائق الاخرى ، فقال قائل ، إنه حيوان ( ناطق ) ، وقال غيره انه حيوان ( مغن طروب ) . واضاف آخرون إنه مخلوق ( ذو حياء ) .. ونحن نقول تمييزاً للانسان عن غيره ، إنه وحده حيوان ( كاتب ) ... اذ لم يثبت للعلماء والباحثين ، بعد ، وسوف لا يثبت أبداً ، أن من بين مخلوقات الله ، المعاصرة ، أو البائدة التى اندثرت ، غير بنى آدم ، من عرف ( الكتابة ) بالمعنى الذى اتخذه الانسان خلال مسيرته الحضارية على سطح الأرض .. صحيح أن من المخلوقات المنقرضة ، منذ أن أوجد الله الحياة على هذا الكوكب الثالث من المجموعة الشمسية ، من ترك آثاراً مستحجرة فى طبات الصخور والحجارة ، كالمحارات ، والهياكل ، وآثار الأقدام ، والأسنان والقشور التى استعصت على الفناء ، وظلت ملايين الأعوام على حالها ، تحكى قصة مخلوقات الله الحية ، نباتاً وحيواناً ، على سطح الأرض أو فى بحارها ، بيد أن تلك الآثار المستحجرة ، ليست بحال من الأحوال ، كتابة تركها أصحابها على صفحات كتاب الصخور الرسوبية عن قصد كذلك الذى عناه الانسان واخترع له القلم والقرطاس والحبر ، لينقل عن قصد ، فكره ، وتاريخه ، ورأيه ، لغيره من بنى آدم وحواء .. فالكتابة ، هى الميزة الحقيقية للجنس البشرى عن بقية الأجناس .

والكتاب ..مع احترامنا للرأى الذى ساقه شاعرنا ابو تمام حبيب بن أوس الطائى ( ١٩٠ - ٢٣٢ هـ ) فى إعتزازه المطلق ، بالسيف ، الصانع للأنباء والتاريخ ، هو السمة الحضارية الصادقة لفترات تاريخ الانسان على الأرض ، مذ بدأ ، يكتب ، على الحجر والطين والبردى والرق والكاغد والورق والشاشة الالكترونية ... ولقد سجل الكتاب المعرفة الانسانية عبر القرون ، عن الأفلاك والأجواء والبحار والأرضين والصخور والحجارة والنبات والحيوان والطير والتقنية والطب والقصص والأساطير والشرائع والقوانين والأشعار ، كما سجل وحى الله تعالى إلى انبيائه ورسله ، صلوات الله عليهم أجمعين ..

ولقد بين لنا العلامة محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى فى القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) فى كتابه النادر ( مفاتيح العلوم ) أنواع العلوم والمعارف الانسانية باسلوب لم يتفوق عليه فيه سابق أو لاحق فى لغة الضاد ... وظلت سمة العالم العارف لقرون عدة أن يكون خبيراً بكل أطراف المعرفة ابتداء من الرياضيات وانتهاء بفنون الشعر ، حتى جاء ( روبرت لوفيل ) عام ١٦٦١ م ، وقسم جملة المعرفة العلمية والتقنية الى صنفين :

● ثيولوجيا ، أو علوم سماوية ، تتناول ما فى الجو والفضاء المحيط من أجرام سماوية وشهب ونيازك وشفق ورياح وسحب وبرق ورعد وصواعق ، وتعاقب الليل والنهار والفصول والكسوف والخسوف ..

● جيولوجيا ، أو علوم أرضية ، تدرس كل ما على على الأرض من نبات وحيوان وجماد ، فى البحر والنهر وعلى سطح اليابسة ، وتسجل خصائصها الفيزيائية والكيماوية والحيوية ، وتحاول تفسير الزلازل ، وعلاج الأمراض والأوبئة ..

وتعاقبت القرون ، وازدادت المعرفة البشرية عن خصائص المادة وصفاتها ، المرئية وغير المرئية ، من خلال انابيب الاختبار والمجاهر الضوئية والالكترونية ، والتلسكوبات البصرية واللاسلكية والمطياف . واندمج الزمان والمكان ، وتفرعت العلوم ، وتشعبت فروعها ، وأصبح لكل فرع اغصان ، وأفنان ، وبراعم ، وتعددت المسميات والأطر والتخصصات ، حتى انك لترى الرجل ، من المشتغلين فى تخصص علمى عميق ، يجهل العديد من المسميات ، ليس فى وطننا العربى وحده ، من محيطه الى خليجه ، ولكن فى العالم كله ..

وهنا أصبح الأمر يقتضى ، للصالح الثقافى العالمى ، ان يبزغ من بين ظهرانينا مرة أخرى واحد مثل ( الخوارزمى ) ليكتب الجزء ( الثانى ) من مفاتيح العلوم على هيئة معجم أو قاموس مبوب ، يسرد ، كل الألفاظ التى تعبر عن فروع مستحدثة للعلم فى علوم الأرض والحياة والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والتقنية وأبحاث الفضاء والخلايا ، سرداً أبجديا معرباً عن المسميات الأصلية من لاتينية وإغريقية وانجليزية وروسية وألمانية وفرنسية ويابانية ، ومقابل كل مسمى بضعة أسطر تشرح ما يتناوله ذلك الفرع من العلم شرحاً مبسطاً جيداً ، وتبين للقارىء تاريخ دخول هذه اللفظة أو تلك الى الأوساط العلمية ، ومن هو العالم الذى اشتقها ، وفى محاولة وضع مقابل عربى لتلك اللفظة لا ينبغى ان يفوتنا ، تحت ضغط الشعور بالنقص ، والجنوح إلى التقعر والتنطع ، إن أسلافنا إبان سلطانهم السياسى وتفوقهم العلمى لم يجدوا أدنى غضاضة فى استخدام ألفاظ معربة كالكيمياء ، والفيزيقا ، والبركسيس والاسطرلاب ، وأخضعوها ، وغيرها ، لقواعد النحو والصرف ..

نريد كتاباً عربياً جاداً ، لا يحار فى وجوده الانسان العربى الذى يحترم عقله ويسعى لثقافته ، عندما تصادفه كلمات ، مثل الباثولوجيا واليمنولوجيا والايرودناميكا ، والسيبرنيطيقا ، والكوارك ، والدايود ، ومئات المسميات الأخرى لفروع العلوم الطبيعية ... وان اضطلاع بعض العلماء العرب بعبء إخراج كتاب كهذا بعنوان « ( مفاتيح العلوم المعاصرة )لن يقتصر نفعه على الناطقين بالضاد وحدهم ، بل إنه سينفع شعوب الأرض بمختلف لغاتهم والسنتهم ، وسيجد من ينقله ، شاكراً للعرب صنيعهم ، إلى تلك اللغات .. وإن من يتصدى لاخراج مثل هذا القاموس سوف يحيى فى النفوس موات تاريخ مضيء منذ قرون ، كنا فيه نعلم الناس الأخلاق ، والعلوم والفنون ( والتكنولوجيا ) فهل يعيد التاريخ نفسه ، رغم كل الظلام المحيط ؟؟؟

درويش مصطفى الفار

شعر: محمود درويش

# سنة أخرى.. فقط

اصدقائي ، مَنْ تَبَقَّى منكمُ يكفي لكي احيا سنةً
سنةً أخرى فقط
سنةً تكفي لكي اعشق عشرين امرأة
وثلاثين مدينة.
سنةٌ واحدةٌ تكفي لكي ترتديَ الفكرةُ جسمَ
السوسنة
ولكي تسكن ارضٌ ما فتاةٌ ما ونمضي نحو بحر
ما وتعطيني على ركبتها
مفتاح كل الامكنة
سنةٌ واحدَةٌ تكفي لكي احيا حياتي كلها
دفعةً واحدةً
او قبلةً واحدةً
او طلقةً واحدةً
تقضي على اسئلتي وعلى لغز اختلاط الازمنة.

اصدقائي لا تموتوا مثلما كنتم تموتون
رجاء لا تموتوا انتظروني سنة أخرى
سنة
سنة أخرى فقط
ربما نُنْهي حديثاً قد بدأ
ورحيلاً قد بدأ
ربما نستبدل الافكارَ بالمشي على الشارعِ
احراراً من الساعة والروايات ...
هل خُنَّا احدٌ ؟
لنُسَمِّي كُلَّ عصفور بَلَدْ ؟
ونُسَمِّي كلَّ ارض ، خارجَ الجرح ، زَبَدْ
ونخاف الدندنة ؟
ربما نحمي اللغة
من سياقٍ لم نكن نقصدُهُ
ونشيدٍ لمْ نكن ننشده للكهنة ....

اصدقائي ، شهدائي الواقفين
اذهبوا عني قليلا .
فلنا حق بأن
نحتسيَ القهوةَ بالسُكّر لا بالدمِ .. ان نسمع
اصوات يدينا وهما تستدرجان
الخجَلَ الباكي الينا ...
لا سقوطَ الاحصنة
ولنا حَقٌّ بان نحصي الشرايين التي تغلي
بنار الشهوات المزمنة
ولنا حَقٌّ بان نشكر هذا الزغب النامي على البطن
الحليبيِّ
وان نكسر ايقاع الاغاني المؤمنة.

اصدقائي ، لا تموتوا قبل ان تعتذروا من وردة
لم تبصروها
وبلادٍ لم تزوروها ،
وان تعتذروا من شهوة لم تبلغوها
ونساء لم يُعَلِّقن على اعناقكم أيقونةَ البحر ووشم
المئذنة .
لا تموتوا قبل ان نسأل ما لا يَسأل الباقي على
الارض لماذا تشبه الارض السفرجلِ ؟
ولماذا تشبه المرأةُ ما لا تشبهُ الارض وحرمانَ
المحبين ونهرا من قرنفل ؟
ولماذا عرفوني
عندما مت تماما .. عرفوني ؟
ولماذا انكروني
عندما جئت من الرحلة حيا ؟
يا الهي ، جثتي دلت عليا
واعادتهم اليا
وبنوها بينهم كالمدخنة

اصدقائي ، شهدائي ،
فكروا فيَّ قليلا
واحبوني قليلا
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء ، لا تموتوا ،
انتظروني سنةً أخرى ، سنة .
سنةً أخرى فقط
لا تموتوا الان ، لا تنصرفوا عني ،
احبوني لكي نشرب هذي الكأس ، كي نعلم أنَّ
الموجة البيضاء ليست امرأة
أو جزيرة ....
ما الذي افعله من بعدكم
ما الذي افعله بعد الجنازات الاخيرة ؟
ولماذا اعشق الارض التي تسرقكم مني ،
وتخفيكم عن البحر ؟
لماذا اعشق البحر الذي غطى المصلين واعلى
المئذنة ؟
ولمن امضي مساء السبت ،
مَنْ يفتحُ قلبي للقطط
ولمن امدحُ هذا القمَرَ الحامضَ فوق المتوسط ؟
ولمن احمل اشياء النساء العابرات الفاتنات



يزور الدوحة خلال شهر ابريل الحالى الشاعر العربى الفلسطيني الكبير محمود درويش
وذلك للاشتراك فى الأسبوع الثقافى الفلسطينى الذى يقام فى الدوحة من ١٠ إلى ١٧ من ابريل
وهذه القصيدة هى أحدث ماكتبه محمود درويش !

القاتلات
ولمن احمل هذا الضجر اليوميَّ ؟
ما معنى حياتي
عندما يسندني ظلي على حائط ظلي حينما
تنصرفون
مَنْ سيأتي بي الى نفسي ويرضيها بان تبقى
معي ؟
لا تموتوا ، لا تموتوا مثلما كنتم تموتون رجاء
لا تجروني من التفاحة ـ الانثى الى سفر المراثي
وطقوس العبرات المدمنة ..

ليس قلبي لي ـ لارميه عليكم ، كتحيةْ
ليس جسمي لي ـ لكي اصنع تابوتا جديدا
ووصيةْ
ليس صوتي لي ـ لكي اقطع هذا الشارع
المرفوع فوق البندقيةْ
فارحموني ، اصدقائي وارحموا أمَّ الزغاريد
التي تبحث عن زغرودة اخرى لميلاد
المرايا من شظيه
ارحموا العُمّالَ في مطبعة الكرملَ
والجدرانَ اذ تشتاق للاعشابِ ،
والكُتّابَ في باب الوفياتِ ،
ارحموا شعبا وعدناهُ بان نُدْخِلَهُ الوردةَ ، من
باب الرماد المُرّ
لا تنصرفوا الان كما ينصرف الشاعر في قبعة
الساحر من يقطف ورد الشهداء
انتظروا يا اصدقائي ، وارحمونا
فلنا شغْلٌ سوى التفتيش عن قبرٍ وعن مَرْثِيَّةٍ لا
تشبه الاولى
وما اصغر هذا الوردَ
ما اكبر هذا الدمَ
ما اجملكم يا اصدقائي
عندما تغتصبون الارض في معجزة التكوين او
تكتشفون النبع فى صخر السفوح الممكنة ،

اصدقائي ، مَن تَبَقّى منكُمْ يكفي لكي احيا سنة
سنة فقط أخرى
سنة تكفي لكي نمشي معا
نسدل النهر على اكتافنا مثل الفَجَرْ
ونهدُّ الهيكل الباقي معا
حجرا تحت حَجَرْ
ونعيد الروحَ من غربتها
عندما نمضي معا
فاذا انتم ذهبتم اصدقائي الان عني .
واذا انتم ذهبتم

وأقمتم في سديم الجمجمةْ
لن اناديكم وارثيكم
ولن اكتب عنكم كلمةْ

فانا لا استطيع الان ان أرثي احد
بلداً في جسدٌ
او جسداً في طلقة
او عاملاً في مصنع الموت الموحد
لا احدْ
لا احدْ
وليكن هذا النشيدْ
خاتَمَ الدمعِ عليكم كلكم يا اصدقائي الخونة
ورثاءً جاهزاً من اجلكم ـ .....
ولذلك
لا تموتوا اصدقائي لا تموتوا الان
لا وردة اغلى من دَمٍ في هذه الصحراء
لا وقت لكم
لا ترقصوا الان هنا
لا ترقصوا . ليس هنالك
مستقلون عبيد
أو عبيد مستقلون

لذلك
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء لا تموتوا
انتظروني سنة أخرى
سنة
من تبقى منكم يكفي لكي احيا سنة
سنةٌ أخرى فقط
سَنَةٌ تكفي لكي اعشق عشرين امراة
وثلاثين مدينة
سَنَةٌ تكفي لكي امضي الى أُمّي الحزينة
وأناديها : لديني من جديد
لارى الوردةَ من أوّلها
واحبَّ الحُبَّ من اولهِ
حتي نهايات النشيد
سنةٌ اخرى فقط
سنة تكفي لكي احيا حياتي كُلّها
دُفْعَةً واحدةً
او قبلة واحدةً
او طلقةً واحدةً تقضي على اسئلتي
سنةٌ أخرى فقط
سنة أخرى
سنة .....




رؤوف توفيق



المخرج محمد خان

# حكاية مخرج .. تعذبه الحكايات

بعد مرور ثلاثة أسابيع على عرض الفيلم للجمهور .. شعر المخرج ان غالبية المتفرجين يخرجون من صالة السينما ، وهم فى منتهى الغيظ من نهاية الفيلم ، حيث يموت البطل فى حادث سيارة .. وتاتى كلمة النهاية على جثته وهو ملقى فى الطريق ، بعد ان عاشوا معه على مدى ساعتين رحلته فى الحياة بحثاً عن الحرية والحب ..

احمد زكى أثناء بحثه عن الحرية

# هل من حق المخرج تغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور..؟



المخرج محمد خان والمصور سعيد شيمى فوق رافعة عملاقة لتصوير لقطة لاتتجاوز مدتها على الشاشة ثوان معدودة .

○ مديحة كامل فى قصة اعتمدت على الشكل الجمالى

وسبب غيظ المتفرجين ، ان موت بطل الفيلم جاء مفاجئاً وقاسياً فى لحظة لم يتوقعوها أبداً .. ولهذا قرر مخرج الفيلم ان يخفف الصدمة على المتفرجين .. فسحب نسخة الفيلم من دار العرض ، وقام بتعديل النهاية .. بحيث يحذف مشهد موت البطل ، ويكتفى بحادث التصادم .. ثم تاتى كلمة النهاية على خروج بطل الفيلم من بين حطام سيارته ليواجه الحياة من جديد .. وتثبت الصورة عليه فى نهاية مفتوحة ، لا تعطى اجابة محددة !

حدث هذا فى القاهرة خلال الأسابيع الماضية .. مع فيلم « طائر على الطريق » لمخرجه « محمد خان » .

وقد كان هذا الحدث ، مثار كثير من التساؤلات الفنية .. فضلا عن غرابته أصلا .. فلم يحدث اى حادث مشابه فى تاريخ السينما المصرية ، سوى ما جرى منذ ثلاث سنوات لفيلم « المتوحشة » الذى لعبت بطولته سعاد حسنى وأخرجه سمير سيف . فقد أضطر المخرج لتغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور بأيام قليلة .. وبدلا من ان تكون النهاية بمقتل بطلة الفيلم .. قام باعادة تصوير مشهد النهاية بما يضمن عدم موت البطلة !!

وقد كان السبب ايضاً فى هذا التغيير .. هو رفض الجمهور لنهاية الفيلم بموت بطلته !

## ● رغبات المتفرجين .. أولا

وتغيير النهاية بناء على رغبة المتفرجين .. أو أرضاء لأذواقهم .. مسالة تحتاج لوقفة تامل .

فمن المعروف ان الفيلم يعتبر وحدة فنية متكاملة ـ مهما كانت نوعية الفيلم أو مدى جودته ـ وبالتالى يصبح اى تغيير فى




نور الشريف « المصور » ومعه « نورا » فى شوارع القاهرة فى فيلم ضربة شمس .

محمود عبد العزيز وسعيد صالح ومطاردة داخل المواسير في فيلم « نصف أرنب » .



# حكاية مخرج.. تعذبه الحكايات

احداث الفيلم بعد عرضه على الجمهور .. هو نوع من اعادة التاليف .. سواء بالتصحيح .. أو التراجع .. أو أذعان لرغبات ومزاج بعض المتفرجين !

وخطورة هذه المسألة .. ان الفيلم هنا ، يتحول الى فيلمين مختلفين .. البعض يراه فى صورة معينة .. والبعض يراه فى صورة أخرى .

وقد حدث مع فيلم « المتوحشة » .. انه عندما فكر التليفزيون المصرى فى شرائه وعرضه على شاشته .. طلبت سعاد حسنى ان يعرض التليفزيون نسخة الفيلم الأصلية والتى لم تعدل نهايتها !!

وقال لى المخرج محمد خان ان فيلمه « طائر على الطريق » سيعرض فى البلاد العربية بنسخته الأصلية .. أما نسخ الفيلم المعدلة فستعرض للجمهور المصرى !!



فردوس عبد الحميد .. أداء بارع أمام فريد شوقى .

## ● نكتة .. أم حقيقة

وهذه الظاهرة فى تغيير نهايات الأفلام .. لا تفسير لها سوى الخضوع لمزاج بعض المتفرجين الذين تعودوا على النهايات السعيدة فى الأفلام .. ورفضهم التلقائى لأن يصاب بطل الفيلم بأى مكروه .. فما بالك بموته .. !!

وهذه العلاقة العاطفية بين المتفرج العربى وبطل الفيلم .. كانت سبباً فى نكتة شهيرة يتداولها بعض صناع السينما المصرية .. تقول النكتة .. ان شخصاً ذهب ليقطع تذكرة دخول الى السينما .. وعلى باب السينما أراد ان يتأكد من حفلة العرض السابقة .. وساله .. « هل الفيلم يستحق » ؟ .. رد الآخر بعصبية واضحة ، مختصراً رأيه : « البطل يموت .. فى النهاية » .. وهنا انتفض ذلك الشخص قائلا فى دهشة : « كيف يا أخى .. ؟ .. البطل لا يموت !! » وأسرع غاضباً يحاول استرداد ثمن التذكرة التى قطعها .. فقد قرر ألا يدخل الفيلم !

وقد تكون هذه نكته .. وقد تكون واقعة حقيقية .. ولكنها بالتأكيد تعبر عن حالة المتفرج الذى لا يريد ان يفجع بنهاية مأساوية .. وهنا أكثر من تفسير لحالة هذا المتفرج ..

فالبعض يقول انه يذهب للسينما ، للتسلية والترفيه أساساً .. وعلى هذا فهو لا يقبل بأن يخرج من الفيلم حزيناً على موت البطل !

والبعض الآخر يقول .. ان هذا المتفرج يعانى فى حياته اليومية الكثير من المشاكل والهموم والمضايقات .. ولذا فهو لا يريد ان يزيد من همومه بهموم موت البطل فى الفيلم الذى يراه . !

والبعض يقول .. ان هذا المتفرج يعتبر بطل الفيلم نموذجاً له شخصياً .. ولهذا فهو يضع نفسه فى هذا التخيل ، ويعيش فيه باحساس من يريد ان ينتصر على كل اعدائه .. ولا يقبل أبداً هزيمته .. وبالتالى لا يقبل موته !

ومهما كان التفسير .. الا ان تتبع خط سير الأفلام المصرية ــ والعربية عموماً ــ يؤكد حرص صناع أغلب هذه الأفلام على تجنب صدمة مشاعر المتفرجين بعدم سقوط البطل فى نهاية الفيلم !

## ● أعتراف المخرج

ولكن الغريب تماماً .. ان يستسلم الى هذا الطريق .. مخرج شاب مثقف « محمد خان » ، الذى يعتبر من ألمع مخرجى السينما المصرية الجديدة .

ومن هنا كانت المفاجأة .. وسعيت الى لقائه .. أستوضح منه كيف قبل تغيير نهاية فيلمه « طائر على الطريق » بعد أن أستمر عرضه للجمهور ثلاثة أسابيع ؟!

قال بوضوح شديد : « لقد فعلت هذا من تلقاء نفسى .. ودون أى ضغط من منتج أو موزع أو ممثل » . !

وأنا أصدقه فى هذا .. فهو مخرج عنيد .. يرفض تدخل أى شخص فى عمله ..ويصر على طلباته لتنفيذ ما يراه حتى ولو كلفه هذا فقدان الفيلم .. أو أشتباك المنتج معه .. كما حدث أخيراً أثناء تصوير فيلمه الجديد « أرنب » . فقد اشتبك مع منتج الفيلم حول مدة التصوير الخارجى فى احد فنادق الاسكندرية .. كانت وجهة نظر المنتج انه بدلا من تكاليف السفر والتصوير الخارجى ، يمكن اقامة ديكورات فى الاستوديو مماثلة لديكورات الفندق .. ولكن المخرج محمد خان اصر على موقفه ، فهو يعتبر ان المبنى لا ينفصل عن المكان .. ولهذا فهو لا يقبل غير السفر إلى الاسكندرية وتصوير المكان بكل تفاصيله الحقيقية .. وتطور الخلاف بينه وبين المنتج وأسفر فى النهاية على انسحاب المنتج من استكمال الفيلم .. وأنتقل الفيلم إلى منتج آخر . !

وهو يفعل نفس الشىء ، بالنسبة لكبار الممثلين .. فهو يرفض أى تدخل منهم فى عمله ، أو فى رؤيته للفيلم .. واثناء تصوير فيلم « دعوة على العشاء » وضع نفسه داخل سياج قوى ضد أى تدخل أو تعديل من سعاد حسنى ، بطلة الفيلم ، وهى المعروفة بكثرة تدخلاتها أثناء العمل .. ونفذ كل ما أراده بالصورة التى تخيلها .. بل أتفق معها على عدم تواجدها فى غرفة المونتاج ، وحرم عليها رؤية مشاهد الفيلم ، الا بعد الانتهاء منه تماماً .. وبالفعل شاهدت سعاد حسنى الفيلم لأول مرة مع النقاد والصحفيين فى حفلة العرض الخاص للفيلم !

● قلت لمحمد خان .. لماذا اذن غيرت نهاية فيلم « طائر على الطريق » .. مع انك لم تقع تحت أى ضغط خارجى ؟!

قال : لقد تعودت أن أشاهد افلامى مع الجمهور .. اجلس بين الصفوف واراقب انفعالاتهم ومع فيلم « طائر على الطريق » أحسست ان الجمهور مع الدقيقة الأخيرة من الفيلم ينزعج تماماً لصدمة النهاية .. وقد تأكد لى هذا الاحساس مع مرور الأيام .. واختلاف العروض التى شاهدتها مع الجمهور .. ولهذا فكرت فى ان أخفف من حدة هذا الانزعاج .. وقد قمت بتغيير مشهد النهاية باقتناع كامل .. لم أغير شيئاً فى الموضوع .. الموضوع كما هو .. ولكنى توقفت عند لقطة قبل النهاية ، وحذفت اللقطة التالية .. وتركت النهاية مفتوحة .. ولو كنت أريد أن أريح الجمهور تماماً أو أستسلم لعادته فى رؤية الأفلام .. لكنت أنهيت الفيلم بزواج البطل من البطلة .. وما أسهل أن أفعل هذا .. ولكن ما قصدت هذا اثناء صنع الفيلم .. كل ما غيرته اننى بدلا من أن انهى الفيلم .. تركته معلقاً .. وعلى المتفرج ان يضع النهاية التى يقتنع بها !

● قلت له ــ « من المعتاد ان تنتهى علاقة المخرج بالفيلم ، بمجرد خروج الفيلم الى صالة العرض ومشاهدة الجمهور له » .

قال ــ « بالنسبة لى .. الفيلم لا تنتهى علاقتى به أبداً .. اننى أتابعه فى دور العرض الصغيرة وفى الأقاليم .. ومراقبة انفعالات الجمهور ، أعظم متعة بالنسبة لى وأعظم درس » .

# حكاية مخرج.. تعذبه الحكايات


أحمد زكى فى دور مصفف الشعر فى فيلم دعوة على العشاء .

## ● هذا المخرج

والمخرج محمد خان ـ عمره ٤٠ عاماً ـ دخل السينما المصرية بفيلم « ضربة شمس » لنور الشريف ونورا ـ عام ٧٨ ـ ثم فيلم « الرغبة » لنور الشريف ومديحة كامل ـ ثم فيلم « الثار » لمحمود ياسين ويسرا .. وعرض له اخيراً فيلمه « موعد على العشاء » لسعاد حسنى وحسين فهمى واحمد زكى ـ و « طائر على الطريق » لأحمد زكى وفردوس عبد الحميد وفريد شوقى ـ .

وهو فى كل هذه الافلام .. يقدم لغة سينمائية متميزة ، تعتمد على تحليل المكان .. والتوقف أمام التفاصيل الانسانية الصغيرة .. فهو مراقب حساس وذكى لانفعالات النفس البشرية .. يختزن كل هذه التاملات ثم يختار منها ما يطعم فيلمه .. وكانه احد فنانى القاهرة القديمة الذين يعشقون تطعيم الصدف .. أو كانه احد النساجين اليدويين الذين ينسجون الخيط بالخيط فى صبر ومهارة وابداع تلقائى .

وهو يعترف بانه « تلقائى .. اعشق لحظات المشاعر .. واكره المبررات .. واكثر ما يزعجنى أن أتعمد ايجاد مبرر لتصرف الشخصية .. وهذا ما يسبب خلافاً كبيراً بينى وبين كتاب السيناريو .. لأننى أعتقد ان محاولات ايجاد تبريرات لتصرفات الشخصية ، هو بمثابة التقليل من ذكاء المتفرج » !

## ● علامة استفهام

ولكن بالرغم من هذا الايمان بذخيرته من الملاحظات الحية ، وقدرته البارعة فى عرضها على الشاشة .. الا انه يمثل علامة استفهام كبيرة فى السينما المصرية .. فهو فى موضع شد وجذب دائم بين النقاد .. فهناك ترحيب شديد بلغته السينمائية ، المتجددة ، المتدفقة بالمشاعر والاحاسيس .. وفى نفس الوقت هناك تحفظات كثيرة حول موضوعات أفلامه ، والتى يكتب قصصها بنفسه !

مثلا فى أول افلامه « ضربة شمس » يقدم مطاردة بوليسية من خلال قصة مصور فوتوغرافى ( نور الشريف ) التقطت كاميرته صورة لأحد افراد عصابة تهريب .. ومع تتبع صاحب هذه الصورة .. يزداد الغموض .. وتقع أكثر من جريمة قتل .. وتصبح مهمة كشف اسرار هذه العصابة ، هى القضية الوحيدة التى تشغل المصور الفوتغرافى ، والتى تتورط فيها ايضاً صديقته « نورا » .

ورغم غرابة هذه القضية عن الواقع المصرى ( عصابة تهريب تتزعمها امرأة صامته ، حديدية « لعبت الدور ليلى فوزى » تسيطر على عدة شخصيات ويستخدمون مادة سامة يضعونها فى أكواب الشاى والقهوة ) .. رغم هذه الأحداث البوليسية الأجنبية الأسلوب .. إلا انه كمخرج استطاع ان يضع فيلما مشوقاً ، ينبض بالايقاع الساخن المتدفق .. وقدم مع رفيق رحلته الفنية المصور المبدع « سعيد شيمى » رؤية جديدة للقاهرة بأحيائها ومبانيها ، واشخاصها العاديين . !

وفى فيلم « الرغبة » أختار ان يعيد الفيلم الأمريكى « جاتسبى العظيم » للروائى « سكوت فيتز جيرالد » برؤية سينمائية مصرية .. أعتمدت على الشكل الجمالى ، والتناسق الشديد فى كل كادر .. ايضاً مع المصور سعيد شيمى والذى اشترك معه فى كل أعماله الفنية ( ما عدا فيلم دعوة على العشاء الذى صوره الفنان محسن نصر ) .

وفى هذا الفيلم « دعوة على العشاء » يقدم قصة الزوجة ( سعاد حسنى ) التى لم تتزوج عن حب .. فارتبطت برجل ( حسين فهمى ) يعاملها كما يتعامل مع مشروعاته التجارية .. بعواطف باردة ، وعقل حسابى .. وتشعر هى مع مرور الأيام انها تفقد أجمل سنوات عمرها فى هذا المنفى الأنيق .. انها ضحية أم جاهلة .. وزواج خاطىء .. وعندما تحاول تصحيح وضعها بالطلاق ، وخروجها الى العمل ، والاعتماد على نفسها ، واكتشاف الحب الحقيقى .. عندما تبدأ هذا الطريق ، تطاردها القوة المدمرة التى يمثلها


يحى الفخرانى .. فى دور بطولة سينمائية لأول مرة فى فيلم « نصف أرنب » .

طليقها، والذى يدبر لاغتيال حبيبها، زوجها الثانى ( أحمد زكى ) ذلك الشاب الممتلىء بالحيوية والصدق والمشاعر، والذى يعمل كمصفف للشعر .. ومع صدمة اغتيال حبيبها، تصمم على الانتقام .. فتدعو طليقها للعشاء معها، لتضع له السم فى الطعام .. وتضطر ان تشاركه الطعام والسم حتى لا يكتشف ما دبرته له، وحتى تتخلص منه، ولو كان الثمن ان تضحى بنفسها !

## ● افلام من قراءة الصحف

● قلت لمحمد خان - « كيف تعثر على مادة افلامك التى تكتب قصصها » ؟ .

قال - « من خلال مشاهداتى .. وقراءاتى للصحف .. ان مجرد سطر فى صفحة الحوادث قد يفجر فى ذهنى موضوعاً لفيلم .. كما حدث مثلا فى فيلم دعوة على العشاء .. فحادثة امرأة تقتل زوجها بالسم .. هى حادثة حقيقية وقعت فى لبنان ونشرتها الصحف اللبنانية .. وما أخذته من الحادث المنشور، هو مجرد طريقة الانتقام بالسم .. ثم بدأت بناء الموضوع من جديد حسب رؤيتى الخاصة .

● سألته : - « لماذا لم تفكر فى الاعتماد على نص أدبى لتحوله الى فيلم ؟ » .

قال - « ما أحاول ان اقدمه فى السينما .. هو شىء خاص بالسينما .. أما الاعتماد على النص الأدبى فهو يقلل من فرصة الابداع السينمائى .. وان كنت لا أعمم هذا الرأى .. فبعض الأعمال الادبية تصلح تماماً للسينما .. مثلا قرأت أخيراً رواية الافيال لفتحى غانم وعشقتها .. واتمنى ان قدمها فى فيلم »

## ● تجربة حياة حافلة

والمخرج محمد خان .. عاش سنوات طويلة فى لندن .. حيث سافر إلى هناك ليدرس السينما .. وأستهواه الجو الفنى هناك، وكمية الأفلام العالمية التى تعرض فى دور السينما .. فكان يعمل فى الصباح ثم يدرس فى المساء، وينفق ما يكسبه من العمل على ارتياد دور السينما .. ودخل فى تجارب حادة رغم صغر سنه وقتها .. فقد كان لم يتجاوز العشرين من عمره فعمل مثلا كسائق تاكسى فى شوارع لندن .. وافتتح متجراً صغيراً لبيع الملابس «الجينز» .. وعمل فى بيروت لفترة كمساعد مخرج .. ثم عاد الى لندن وكان على وشك ان يواصل حياته هناك، من خلال المشاركة فى فتح مطعم صغير للفول والطعمية .. لولا خطابات صديق عمره المصور سعيد شيمى، الذى حاول اقناعه بالعودة للعمل فى السينما المصرية .. وكان قد عمل فى فترة سابقة بهيئة السينما المصرية ضمن لجنة قراءة السيناريوهات واخرج فيلماً قصيراً بعنوان « البطيخة » .. ولم يستطع ان يقتحم ميدان الاخراج .. فعاد مرة أخرى الى لندن .. حتى التقى مصادفة بفنانة المونتاج المصرية « نادية شكرى » والتى أكدت له أن هناك أبواباً مفتوحة للعمل فى السينما المصرية .. وكان وقتها يفكر فى قصة واحداث فيلم « ضربة شمس » .. وراوده الحنين للعودة .. فحمل مشروع فيلمه وعاد إلى القاهرة .. وليشكل مع المصور سعيد شيمى وفنانة المونتاج نادية شكرى فريق عمل . وبدأ انطلاقه فى السينما المصرية .

وقد ترك فى لندن كتابين قام بتاليفهما عن السينما .. احدهما بعنوان « مقدمة فى السينما المصرية » والكتاب الآخر عن ملامح من السينما التشيكوسلوفاكية .

وهو يلخص تجربته الحافلة فى الغربة، بقوله « لقد كانت رحلتى يأساً من العمل فى السينما المصرية أدرس وأقرأ وأشاهد كل ما يتعلق بالسينما العالمية .. وتشكل وجدانى بالاقتراب أكثر من الشخصيات التى وقع عليها ظلم، ولم تاخذ حقها .. وأصبح الموضوع الأثير عندى .. هو موضوع الحرية .. والشخصية التى تناضل من أجل تحقيق حريتها » !

## ● الاسم .. والمضمون

وربما كان أفضل افلام المخرج محمد خان .. هو فيلمه الأخير « طائر على الطريق » - الذى تم تغيير مشهد النهاية فيه - .. ففى هذا الفيلم يقدم المخرج قصيدة شعر سينمائية عن شاب يبحث عن حريته .. واختار ان يكون هذا الشاب، سائق سيارة أجرة تنقل المسافرين من مدينة الى مدينة .. وفى كل لحظة يتعرض هذا الشاب لمفاجآت الطريق والركاب .. وكانه مسافر دائماً فى بحار المجهول، يحلم بالحقيقة، والصدق، والحب .

واختار ان يسمى هذه الشخصية باسم « فارس » لعب الدور باقتدار بالغ الممثل أحمد زكى .. حتى يتعرض هذا الشاب لقصة حب مع امرأة تعانى من الاعتقال، والجفاف، والقسوة مع رجل شرس عاجز يكبرها سناً ... انه الحب المستحيل .. كلاهما يبحث عن حريته .. ولكن هل هذا أمر بسيط ؟ !

وقد غامر المخرج محمد خان باسناد دور البطولة النسائية لوجه غير متـداول سينمائياً، الفنانه فردوس عبد الحميد .. الممثلة القديرة بالمسرح المصرى، والتى لعبت أكثر من دور ناجح بمسلسـلات التليفزيون .. وتمسك بها المخرج لبطولة فيلمه، رغم كل مخاوف المنتج والموزع .. فاسم فردوس عبد الحميد ليس من اسماء نجوم الشباك .. ولكنه صمم على اختياره .. وقدمت فردوس نموذجاً رائعاً فى الاداء .. ونجحت تماماً فى دورها .. واستقبلها النقاد والجمهور بحفاوة بالغة .. وكسب محمد خان معركته !

وهذه احدى ميزاته كمخرج .. انه لا يلعب على المضمون .. يعشق المغامرة، والبحث عن المجهول .. انه كشخصيـة « فارس » .. ومن شدة عشقه لاسم «فارس» .. فهو يفكر فى فيلم جديد بعنـــوان « الحريق » عن قصة شاب اسمه « فارس »، يحترف رياضة كرة الشراب - وهى لعبة معروفة فى شوارع مصر - ومن خلال هذا الشاب يريد ان يقتحم عالم الرياضة الشعبية وأسرارها .. أو بمعنى ادق .. الحياة الخاصة للاعبى الشارع ونزواتهم وأحلامهم ..

● قلت له - « شخصياتك غريبة على السينما المصرية .. سائق سيارة أجرة .. مصفف شعر .. موظف صغير فى بنك .. لاعب كرة شراب » ؟!

قال - « اننى أتعمد أختيار المهنة الغير متداولة فى السينما المصرية .. حتى أهرب من دائرة المهندس والطبيب والمحامي . لقد حفظنا هذه الشخصيات والكلام الذى يقولونه فى الأفلام .. ولابد من التغيير » !

● سألته - « ما الذى تسعى لتحقيقه فى السينما » ؟

قال - « اتمنى ان أتخلص من قيود الحدوتة .. وضرورة ان يكون لكل فيلم قصة .. لماذا لا يكون الفيلم رحلة تأمل داخل شخصية عادية .. ان ما أسعى إليه حقيقة، هو اللا حدوتة .. وهذا لا يمكن ان يتحقق الا بالعثور على ممثل بارع يستطيع ان يتفرغ لدوره تماماً .. وان يعيش الشخصية كما تخيلها .. فأكثر ما يزعجنى ان يؤدى الممثل دوره بلا صدق » .

● ●

انه فارس جديد فى السينما المصرية .. وبقدر ما يثير حوله من الدهشة والاعجاب للغته السينمائية الزاخرة .. بقدر ما يثير علامات الاستفهام حول موضوعات افلامه ..

ولكن الشىء الأكيد .. انه فى ظرف أربعة اعوام من العمل .. أستطاع ان يفرض اسمه .. وان يصبح احد المخرجين الذين تتعلق بهم أنظار وعشاق السينما .. وعلينا ان نؤجل حكمنا عليه .. حتى يخرج لنا كل اوراقه المخبأة .

« رءوف توفيق »

# شاعرة..



# ... على خلاف المعهود

## قصائد امرأة تشكو الوحدة وتبحث عن الحنان

ترجمة وتقديم
عبد اللطيف عبد الحليم
بريشة
حلمي التوني

شاعرة كبيرة ، على خلاف المعهود بين من ينظم الشعر من النساء ، إذ يشيع بينهن ـ عموماً ـ أن يخفين مشاعرهن ، فلا يبدين منها إلا ما يستشف وراء برقع العرف وحجاب التقاليد ، لذلك ندر بروز « الشخصية » فيما تنظمه الشاعرات فى اللغة العربية ، وفى غيرها مما استطعنا الاطلاع عليه .

وروساليا دى كاسترو شاعرة حقيقية فى أغلب ما نظمته ، فشعرها هو حياتها فى لحظات توهجها وانطفائها ، لاتكاد تخفى فيه خالجة ولا هاجسة مما مر بها فى حياتها المصطخبة اليائسة ، يشيع فى شعرها نغم أسيان دامع كأنه صدى لطبيعة منطقتها « جليقية » وهى صادقة فى هذا الحزن ، لأن حياتها كلها نغم متواصل من لذاعة الحسرة ، ومرارة المجهول وكوارث الأيام ، فاذا رأى القراء فى شعرها هذا القنوط ، وهذا الحزن الشجى فليعلموا أن صاحبته تنتشل من كهف نفسها المتجاوب بعزيف الوحدة ، وتوله الضياع ، وليعلموا أن البسمة ـ والحال هذه ـ ضرب من الزيف الذى يفسد الانسانية الحقة ، بقدر ما ينخر فى الشاعرية ، فلا ترى فيها إلا إهاباً معروقاً بتمويه النفاق ، وطلاء الصنعة والتكلف وليحمدوا الصدق وإن كان أليم الوقع ، شجى الجرس ، لأنه صدق نفس شاعرة ، يكربها أن تدور ببضاعة مزجاة من التزييف والتمويه المشفوعين ببسمة خادعة ، لأن الحياة ذاتها ـ حياتها هى ـ لم تمنحها غير الحزن اللاعج ، وحين وهبتها ما يشبه العزاء مزجته بالصاب فكان عزاء خير منه الالتياع والقنوط .

نحن ـ فى الحقيقة نأتى أمراً إدا حين ننشد من شاعرة مثل روساليا دى كاسترو أن تكون متفائلة باسمة ، والدنيا حولها كهف من الأسى والضياع ، وهى امرأة تطلب اللياذ والكنف فلا تصادفهما ، وحين أتيح لها شىء منهما كان برقاً خلباً !!

ولدت شاعرتنا وهى لا تدرى من أبواها ، وقيدت فى شهادة الميلاد « ابنة أبوين مجهولين » تولت رعايتها امرأة قيل إنها عمتها ، تتكشف أمور حياتها شيئاً فشيئاً ، هى ثمرة نزوة لامرأة فى الثالثة والثلاثين من عمرها عانس ، ولرجل راهب فى التاسعة والثلاثين يحول دون الاعتراف بابنته صرامة التقاليد وقسوة الأعراف الدينية ، وسطوة الكنيسة آنذاك . والا فان مثل هذه الأمور تحدث الآن فى بلد مثل اسبانيا ـ تحكمه الكاثوليكية فى صرامة شديدة ـ ويظهر أصحابها فى الصحف وعلى شاشة التليفزيون يتحدثون عنها بلا أدنى خجل أو حياء وهم أشخاص يحظون بقدر هائل من الشهرة فى عالم الفن !! .

لم تتح لصاحبتنا قسامة ولا صباحة مما سبب لها حساسية شديدة وحسبك أنها ابنة امرأة عانس صدف عنها الرجال ، ربما ورثت عنها الابنة معارف الوجه والأعضاء ، وربما كان أبوها أيضاً على غير وسامة ، يضاف إلى ذلك سوء رعايتها وهى فى دور الصبا واليفاعة ، فأضافت إليها أوصابا وعللا ظلت تعانى من نتائجها حتى هلكت بالسرطان ، فضلا عما لقيته من حساسية شاعرية شديدة تضاعف رؤيتها للأشياء ، وما وقر فى نفسها من خجل بسبب أصلها المجهول ، وكان من الممكن أن تقاوم كل هذه الكوارث لو ركنت فى الدنيا إلى زيجة صالحة ، وإلى حياة مستقرة ، لكن لم يتح لها شىء من هذا فلم تعرف الهناءة الزوجية فيما يحكونه عنها ، ولم يتيسر لها موارد مادية تكفكف الضوائق التى أحاقت بها ، وكأنما تأبى الدنيا أن تحلو لها فهزت ذلك البنيان الوهنان بموت بعض أبنائها ـ بعضهم نزل ميتاً ـ وبموت أمها بعد أن عاشت مع الابنة ردحاً من الزمن لم يكن طويلا ، كل هذه الأعاصير زلزلت ذلك الكيان ، فعصفت به فى المطلع والختام ، قبل أن يبلغ تمام النضج والأوان ، هلكت عن ثماني وأربعين سنة ( ١٨٣٧ ـ ١٨٨٥ ) ، بعد أن أتت عليها العلل والأوصاب ، وطوال هذه الرحلة كانت دائبة البحث عن شىء فقدته :

# شاعرة .. على خلاف المعهود

لا أدرى ما أبحث عنه دائماً
فى الأرض ، وفى الفضاء ، وفى السماء
لست أدرى ما أبحث عنه
لكن شيئاً قد فقدته ، لست أعلم متى ،
ولست أعثر عليه .

بيد أن الشىء الذى تبحث عنه فى كل شعرها هو أصلها الضائع ، إنها تنشد ظل رجل أى رجل كان أظلع أو مبتور الساقين كما تقول فى إحدى قصائدها ، إنها تبحث عن أبيها ، ولعل قصيدتها « ذكرى » تصلح لأن تكون نمطاً جيداً لمنهج التحليل النفسى فى الأدب والنقد ، وهو المنهج الذى نعتد به ونراه محطاً جيداً وفيصلا حاسماً حين تشتجر مناهج الدراسة الأدبية ، ولا بأس عندنا من الافادة من ثمرات المناهج الأخرى ، ولا بأس بالاشارة هنا على وجه العجلة إلى أن المنهج البنائى الذى يشيع بين المتأدبين هذه الأيام وبخاصة ما يكتبه فيه كثير من إخواننا الدارسين العرب إنما هو ـ فى معظمه ـ ضرب من التخليط والثرثرة وعدم الفهم ، وجل الذى يسطرونه ترجمة شائهة لما يقرأونه فى اللغات الأجنبية دون ذكر المصادر ، فيأتى بعضهم مثلا على دراسة كتبها أحد الأساتذة فى الغرب عن أحد الشعراء فيسلخها من سياقها ليطبقها على أحد الشعراء العرب فيتولد فى النهاية شىء مرتبك التركيب والمعنى إن كان ثمة معنى مفهوم ، جل ما قرأناه ـ فى الحقيقة ـ فى لغة العرب ضرب من التدجيل والشعوذة على القارىء ، وغير مفهوم حتى لمن يكتبه هو نفسه ، وتستر وراء عباءات المنهجية ، وعلمية النقد ، وصعوبة البنائية والحق أننا اهتممنا بهذا الموضوع جداً ، فقرأنا فيه طرفاً مما كتبه الاسبان ونقاد أمريكا اللاتينية ، وما نقلوه إلى اللغة الاسبانية من لغات أخرى وهرعنا مراراً كثيرة إلى المحاضرات التى يلقيها الأساتذة المتخصصون الكبار ، وبعضهم عضو فى المجمع الملكى للغة الاسبانية فوجدنا ـ والله عجباً ـ ما قرأناه فى ذلك مفهوم ، وما سمعناه من الأساتذة ـ وبخاصة تطبيقهم هذا المنهج على الشاعر الاسبانى جنجرة وهو من أصعب الشعراء ـ كان مفهوماً سائغاً ، فالعيب إذن فى إخواننا الذين يكتبون بلغتنا ولا نفهم ما يكتبون ولا نخالهم فاهمين !!

قصيدة « ذكرى » كما قلنا آنفا تصلح نموذجاً لتطبيق المنهج النفسى ، بل ان شعر صاحبتنا يصلح كله لهذا المنهج ، ويفسد لو طبقنا منهجاً آخر ، فالقصيدة تلك تتحدث عن رجل مر بها وكفكف بكاءها ، من الممكن أن يكون حباً فى زمن المراهقة تتذكره الشاعرة ، لكننا نميل إلى أن هذا الرجل كان أباها وهى لا تعرفه ـ أوانئذ ـ مر بها « نغماً بلا اسم » واقترب منها وداعبها ، وسكب لها حبه ، وربت فوق جبهتها ثم ترك لها أغنياته ، لكن هذا كله كان هباء ، فقد هجعت السعادة ، وأشاح ذلك السرور العابر ، بيد أن لهذا الحديث أواناً آخر نود أن نؤوب إليه ، وأن ندع الآن حضرات القراء مع هذه الطائفة من قصائد روساليا دى كاسترو ، فلعلهم أن يعجبوا بها كما طاب لنا الاعجاب بها ، والثناء عليها وعلى صاحبتها ، عسى أن يكون هذا لونا من المشاركة فى الشعور ، وضرباً كريماً من العزاء الصادق لهذه الشاعرة الحزينة الصادقة ..

## ١ - ذكرى

آه !! من البكاء الذى يحرق عينى
ويكوى خدى !!
كيف يسممنى العذاب الفظ ، ويتسلل الى فؤادى
كيف أشعر بأسف نفسى لدى الاندفاع الشديد
متذكرة يوماً حلواً وحزيناً مر مرور الريح !!
ما أكثر الأسماء والتنهدات الماثلة فى ذاكرتى
صفحة غريبة من حياتى الطويلة
من شىء طيب أهذى به
كنت أصغى إلى صوت مفعم بالبهجة

إلى نغم بلا اسم
كان يمضى ، يترنم ، ململماً بكائى
كان صوت رجل
اقترب ظل عابر فى خفة ، يسكب حبه
مر فوق صدغى الباكر ألف زهرة حبيبة
ربت فوق جبهتى التى تغوص فى كوارث فظة
كان مليئاً بالعذوبة ، والانسجام
ثم ترك لى أغنياته
آه ! كانت لذيذة هاتيك القيثارة الرنانة

التى تخفق ، ونحن نشعر بها من أيكة قصية
الى حيث يتلاشى أنينها الأليم
لقد أحسست بحنانها الالهى ، وهو يتوغل فى روحى
يبدد المرارة الآسية التى كانت تختلس هدوئى
ويحل شوقى الملتهب محل ذاكرتى الباردة
لقد شعرت ـ فى عنف ـ بقلبى ينبض بذلك المجد الجديد



سعادة بلا تخوم ، اقتربت مبكرة
مع ملذات غريبة ، مثل لمعة الصباح الجميلة
التى تحلم بها النساء
زهرة تولد حين يطل الصباح ، وتموت عند الأصيل
صورة من البهجة والاحتضار تعلق بالفؤاد
إنها صورة أمينة لهذا الأمل الباطل
الذى يتحول الى هباء
مثلما يقول المرء ـ وهو أمل ـ «غداً»
بينما «غداً» هو الموت



هكذا كان : جبهتى الوسنى
عادت متوردة فيما بعد
قايضتنى بفجر سرورى
زهرة تذبل ، ثم تلقى
صمت صوت النغم الكبير ، وهجعت السعادة
وحين استيقظ البريق الجديد ، مات ما هو ماض
بقى اليوم فحسب النشيج عى آلامى
فاهجعى ياأحلام الحب فى فؤادى
فان السعادة الكبيرة تنكر وجودى
فاهربى إذن ايتها السعادة ، وأشح بوجهك أيها المجد والسرور

## ٢ - أنشـودة حب

أيها القديس أنطونيو المبارك ، هب لى زوجاً
حتى ولو قتلني ، حتى ولو ســحقني
قديسى ، القديس أنطونيو ، هب لى زوجاً ودوداً
حتى ولو كان فى حجم حبة الذرة ، هبه لى يا قديس
حتى ولو كان به ظلع فى كلتا رجليه ، ومقطوع اليدين
فان امرأة بلا رجل ـ أيها القديس المبارك ـ



هى جسد بلا روح ، عيد بلا حنطة ،
عصا رديئة ، حيث تمضى ـ هى جذع مبتور
لكن حين يكون ثمة زوج ـ يا عذراء الكارمن ـ
لا تقبل الدنيا لكى يستريح الانسان .
فانه من الحسن دائماً أن يكون ثمة رجل كى يكون معيناً
حتى ولو كان أظلع ، أو معوج الساقين .
اننى أعرف رجلا أوده من أول نظرة
ناحل الجسد ، أشقر ، متورداً ، أبيض ،
عذب الكلمات ، مثل الأكاذيب
من أجله أعانى صباحاً ومساء أفكر فى عينيه
اللتين لهما زرقة السماء
بيد أنه ماهر يفهم فى الحب ،
ولا يفهم كثيراً فى الزواج .
فلتجعله ـ أيها القديس أنطونيو ـ قديسى ـ أن يأتى بجانبى
لكى يتزوج مني،فاننى فتاة آنسة أحمل مهرى
ملعقة من حديد ، وأربع شجرات ، وأخاً صغيراً ،
نبتت له أسنان ، وأحمل بقرة عجوزاً لاتدر لبنا .
آه يا قديسى ، حقق لى هذا الشىء الذى
أنشده منك .
أيها القديس أنطونيو المبارك هب لى زوجاً
حتى ولو قتلنى ، حتى ولو سحقنى
فانه من الحسن دائماً أن يكون ثمة رجل
كى يكون معيناً لي
حتى ولو كان أظلع ، أو معوج الساقين

## شاعرة.. على خلاف المعهود

## ٤ - يقولون إن الأجراس لا تتحدث ولا الينابيع ، ولا الطيور

يقولون إن الأزهار لا تتحدث ، ولا الينابيع ، ولا الطيور ،
ولا الموجة بدمدتها ، ولا النجوم ببريقها
يقولون ذلك ، بيدأنه غير صواب ، لأننى دائماً حين أمر
تغمغم كل هذه الأشياء ، وتتعجب منى :
هناك تمضى هذه المجنونة ، حالمة
بربيع الحياة الخالد ، وبربيع الحقول ،
وشيكاً ، وشيكاً ، سيهجم عليهما المشيب ،
سترتجف أوصالها ، ويصيبها الفالج ،
وسيغطى الجليد المروج .
ها قد اشتعل الرأس شيباً ،
هل قد جلل المروج الجليد
وأنا مازلت أحلم ، مسكينة ، لا أبرأ من سيرى الحالم
بربيع الحياة الخالد الذى ينطفىء ،
وببكارة الحقول الباقية ، والنفوس ،
وإن كان البعض يذوى ، والبعض الآخر يحترق
أيتها النجوم ، والينابيع ، والأزهار !!
لا تتعجبى من أحلامى :
لأننى بدونها ، كيف أغرم بكن ، بل كيف أحيا بدون أحلام ؟

## ٥ - وحدى

كان الأصيل رقيقاً ، والصباح باسماً
وكان حزنها أسحم مثل اليتم
كانت تذهب فى الصباح ، وتقفل آيبة فى المساء ،
حسناً ، ما كان أحد ينظر إليها فى جيئتها وذهوبها ،
ذات يوم وديع مضت ، مشت فى طريق الرملة ،
وبما أنه لا ينتظرها أحد ، فلم تعد .
بعد مرور ثلاثة أيام ، طرحها البحر
هنالك حيث يجثم جسدها .
هكذا دفنت وحدها .

عبد اللطيف عبد الحليم
مدريد ـ اسبانيا



## ٣ - أجراس المساء

تكر الرياح ، ويسرى النهر
ويمر السحاب ، يمر السحاب
على طريق بيتى
بيتى ، مثواى ، كل شىء يمضى
وأنا أجثم وحيدة ، بلا صديق
أقبع متأملة دخان أفران المنازل
إنها الأنفاس التى أعيش أزفرها
ها قد هبط المساء ، ومات النهار
ومن بعيد تقرع الأجراس ، تعلن موعد الصلاة
إنها تقرع لكى أصلى ، وأنا صلاتى الانتحاب
كأنى أغرق ، على الأجراس أن تصلى من أجلى
يا أجراس باستبالس حين أسمعك أموت من
العزلة

# الصخرة والهزيمة

شعر: م. كجراي



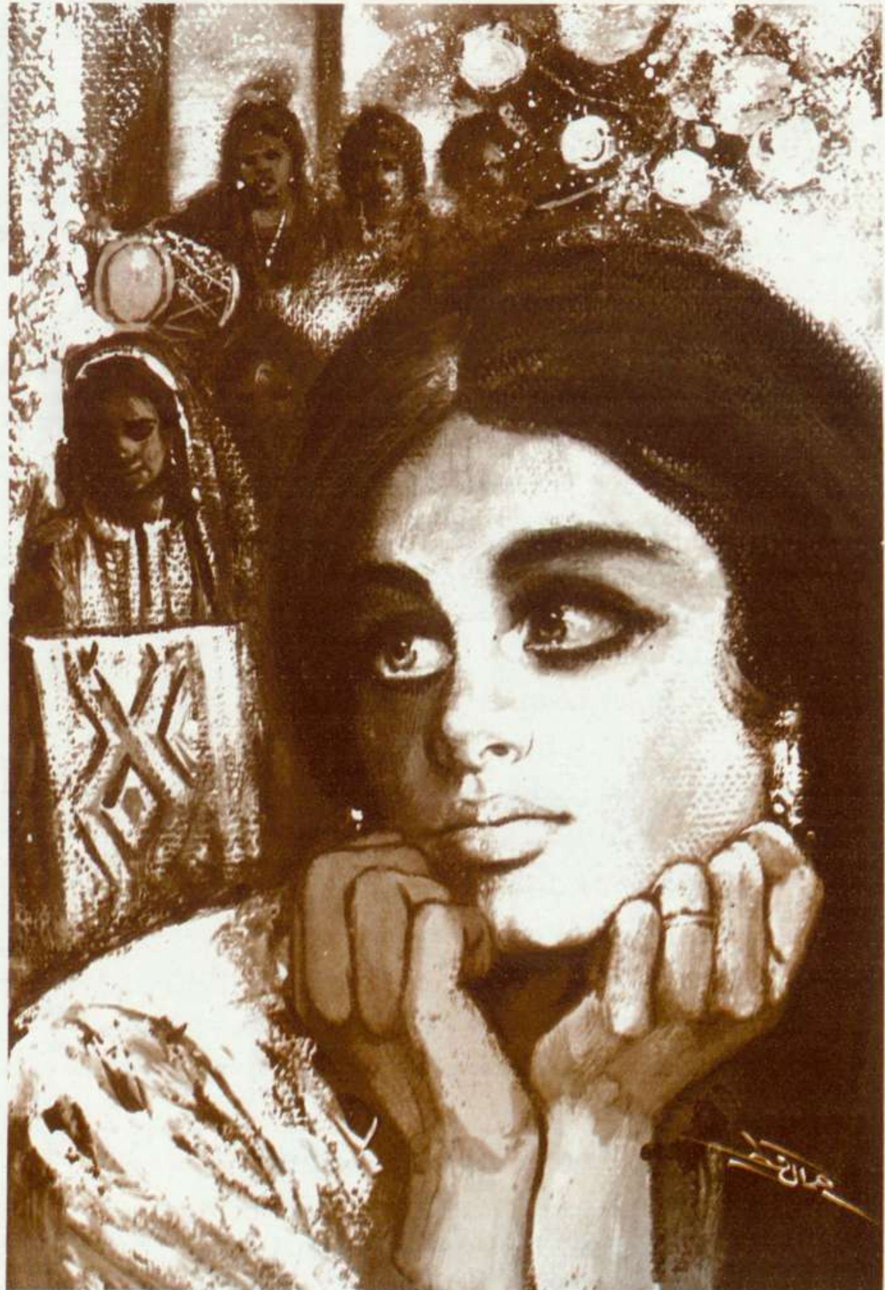
ينسابُ فى مجاهلِ الأعماقِ صـــوتُ ناىْ
يذيبُنى ينقشـــعُ السَّديمُ فى رُؤَاىْ
أكتبُ عن دائرةِ الصحوِ التى تضيءُ كالشّعلةِ فى دِمَاىْ
أعرفُ صحرائِى التى يعبثُ فى رِمَالِهَا الظلامْ
ويُفرخُ الصَّمتُ فلا يُورقُ فى شحوبِهَا الكلامْ
أشهدُ فى حديقَتِى تَفَرّقَ اليمَامْ
أوْغَلَ فى طريقِهِ وآثر الهجرةَ فالظلامُ عنكبوتْ
مَدَّ خيوط الغدرِ فى مخابىءِ الأغصانْ
فى مداخِلِ البيوتْ
يا شـــهداءَ الغدرِ عَبْرَ وَطَنٍ
فى لحظةِ المخَاضِ فى عشِيّةِ انتصارِه يموتْ
أنا هُنَا أمقت ظلَّ الصَّمْتِ يُلْقى بِى
كريشةٍ بيضاءَ فى بحيرةِ الســكوتْ
أنا هنا أنشدُ يا أحبَّتى مقاطِعَ القصيدةِ المحترقهْ
أسأل فى مسالِكِ الغربةِ فى المهجَر عن قمريَّةٍ نيليَّةٍ مُطَوَّقهْ
فاجأها الظلامُ فانحازتْ إلى مسالِكِ الضياعْ
عن البقاءِ فى جدارِ الصَّمتِ فى عرائِشِ الحدائِقِ المنمَّقهْ
أنا هنـــا أرفعُ فى سماءِ وطنى
الرايةَ الغريبةَ الألوانِ كالصحيفةِ القديمةِ الممزَّقهْ
وأختَفى فى غيمةِ الذهُولْ
فى بُقعةٍ ضيِّقةٍ تجرحُنى جَهَارَةُ الطُّبولْ
تمتد فى تداعياتِ حُلُمى الأيامُ والفصُولْ
أرى مَثَارَ النَّقْعِ مشدُوهاً
أشمُّ حينَ يسقُط الرجالُ كلَّ عَرَقِ الخيُولْ
حاصَرَنى الخيالْ
فاجأنى السُّؤَالْ
أين اختفتْ مواسمُ الخضرةِ فى ازدهارِها الوريقْ
يا شاهِدَ العصْرِ لماذا نحن فى مُفْتَرقِ الطريقْ
فلنعبر الدخانَ والحريقْ
حدثنى الصمتُ بأن الصَّخر لا يَقْبلُ بالنكسة والهزيمَهْ
وأننى إذا رفعتُ رأسى مَرَّةً
فلن تكونَ المرَّةَ الوحيدةَ اليتيمَهْ
أسألُ أيْنَ اختبأتْ حبيبَتِى النارِيةُ العظيمَهْ
ما بين تَوْقِ صدْرِها وبحَّةِ الصَّوتِ الذى يذيبُنى
عَلَاقةً حميمَهْ
حوريتى التى عشقتها على ضفافِ النيلْ
تحت ظلالِ البَرْكَلِ العظيمِ فى أطلال مَروى القدِيمَهْ(١)
أبحثُ فوقَ ألَقِ العيونِ عن بسْمَتِها
فلا أرى غيرَ جحيمِ الصمتِ فى المواكِبِ المسحوقَةِ الأليمَهْ
كلُّ الحروفِ هذه الليلة فى شُحُوبِها فارغةً عقيمَهْ
الحلوةُ السمْراءُ تحت وطْأةِ الضَّياعْ
فى مجاهِلِ الغربَةِ فى ثيابِها تخطُرُ كالفَرَاشَهْ
وأنت يا قلبىَ فى صَمْتِك عبْر لحظَةِ الذُّهولْ
لا تملكُ غيرَ خفقةِ ارتعَاشَهْ
هأنت لا تكتُبُ غيرَ مقطَعَيْن للفِرَاقِ والأسَى
على جدارِ الصَّمْتِ أو بوابة المسَا
فمن تُرى يجرحُ قلبَ الليلِ فى انحدارِهِ
ويحتفى بمَقْدِمِ الحوريةِ العظيمَهْ ؟ ؟
حدَّثَنى الصمتُ بأنَّ الصَّخْرَ لا يقبل بالنكْسةِ والهزيمَهْ
وأنَّ زهْرَ العارِ لا ينبتُ فى السهولِ والحقولْ
على ترابِ مَرَوى المنســـيةِ القديمَهْ
من أجلِ هذا فأنا
أفتح بابَ الغضَبِ الساطِعِ والمواجِدِ الخبيئةِ الأليمهْ

---

(١) مروى اسم لعاصمة مملكة مروى التاريخية القديمة تقع فى الجزء الشمالى من السودان

قصــــــة

# تلك الليـلة



لم أحدد خطوط الملامح الأولى لأحاديثى معهم .. فوضى متداخلة تحول لون وضوح الرؤيا ، ضبابية شديدة تعكر صفاء الذهن ، خليط عجيب من كلمات غير مركبة وقرارات مفككة الأجزاء ، وأراء تتراقص كأنها على سطح من جليد وليس فى منطقة الفكر المحصن ضد هوائية الأمزجة الآنية .

لم تساعدنى فترات الراحة التى اعتكفها ، والهدنة المستوحاة من عمر الزمن الفاصل بين لقائهم على نتيجة مقنعة تجعلنى أملك زمام القضية وتحولنى الى سيدة موقف ، تطمئن الى وقع قولها ... الضجة خارج غرفتى تزداد عنفاً ، أصوات كالمنشار تحفر أخاديد فى قلبى ، توسع مساحات الخوف ... وتبذرها بمشاعر الظلم والألم ضالة عنيفة تحول كتلتى الآدمية الى فار قزم محاصر من الجهات الأربع . فى ثوان قليلة يسلبوننى حقى الطبيعى فى الاعتراف بابسط وأغلى ممتلكاتى الانسانية ... الشعوب جميعها تناضل من أجل حرية المصير ... وأنا يشعلون فى لسانى الحريق اذا اهتزت حبالى الصوتية بلفظ « لا » ... أصداء ضربات الباب تلاكم أعصابى . تضخم الهمهمة المتآمرة ضد إرادتى .. يشتد التحدى بين صمتى الرافض لشتى اللغات المتحذلقة فى تذويب شموخ فكرى ... وبين طلباتهم المتراكمة الممزوجة بين الطلب الآمر والرجاء الواثق .. وانا استمرىء سيولة شخصياتهم الجبارة ، أصلب أحجامهم على عنادى النابع من ألمى المتذبذب خلف الحياة والهارب منها ... وأمى تنادينى بأن افتح الباب الموصد أمام أعصابهم الثائرة ، وان اخرج واستعيذ بالله من الشيطان .. وأسخر بألم من قولها . وأفعالهم هذه أليست شريحة سواها الشيطان وزينها لعقولهم العفنة

الجمهرة المحتشدة خلف جدار غرفتى ، تضم خالى المستبد ، وأبى الطيب المسلوب الارادة الذى ارتضى بأفعال الآخرين خجلا وليس طوعاً ، والمأخوذ بالحياء كالمأخوذ بالسيف ... هم أحكموا الحبل حول رقبتى ، حتى لو نسجها أبى بخيوط من حرائر وعطرها بدمعة ، فعتابى يتضاعف عليه لأنه يملك القلب الوحيد بين حجارة مشاعرهم .

يخرج صوتى متهدجاً : ناولينى ...

وتعيق العبرة مجرى الحديث .. والشهيق يطغى على .. تكمل أمى حديثى .. أتريدين عباءتك ...؟

بحدة أصرخ .. أريد كبريتاً لأحرق نفسى ..

وضجيج يعلو بالخارج وأكفاً تصفق لا تملك حولا ولا قوة ، فترات تمتد وتخفت أصواتهم ... أحس بالعالم كله يحتضر... واشعر بنفسى عملاقاً مشوهاً كالمسخ يجوب الأرض بخطوات وقعها الصوت الوحيد على البسيطة .. منفرداً .. أعزل .. أرى الفضاء طويلا وعرضه يتضاءل حتى تشتد الظلمة وأحس بوحشة من المجهول .

يأتى صوت امى – اخرجى ذهب الجميع – والاعياء يأكل اعصابى ويحولنى لطاقة مهدورة .. اسقط يلتف حولى الارهاق ، فافقد توازنى ... واغيب فى نوم مدلهم .

يبزغ يوم آخر ... يمضغ الزمن ايامى بهدوء غير مكترث بسقوط وريقات شبابى ... مستلذاً بمطارق الجميع على جسمى النحيل .

المبارزة لابد منها .. هم يشحذون سلاح خبراتهم الزمنية علها تفلح فى واد عنادى ... وانا أصمم بارادة من فولاذ ان أهشم كل سيوفهم .

يتنحنح خالى يسحب رداء العظمة كأنه فى مجلسه تلفه أطناب الخيمة ، بدائية الفكر لديه أصيلة المنبع ، يتحدث بلغة الكلأ وغثاء الأغنام . يجهل معنى القلوب العامرة بالدعة والأمانى ... كل مفاهيمه لا تمتد أبعد من طول عصا الخيزران التى تتمايل بين اصبعيه . يثور صوته ويلجم نبراته بالهدوء ... « اسمعى يا ابنتى هو زوجك ولديك منه ابنة ، يجب أن تعودى اليه » .

كلمة مريرة لفظها « زوجى » ثلاث سنوات كالجارية ... يجمعنا فراش أحس بالاشواك تحاط بى .. يوخزنى ابرها .. يوشم جسدى المنهك بقروح من الذل والمهانة .. لم أر قط فى عينيه بريق الفرحة .. وبشاشة العشرة الطيبة .. كل ما المحه منهما حدة الصقر التى تثقب الأمان بأعماقى وتكسونى بثوب التهمة فى كل آن .

ما زال رجع صوته كالمرض المزمن يأبى المفارقة ... يطن باذنى فجر ولادة طفولتى الاولى .. ماذا انجبت ؟ ابنة ،

بقلم : مايســه الخلـيـفي

سميتها فاطمة . وينصرف من الغرفة متجاهلا لوجودى تماماً .. غير مكترث بالوهن الذى عانيته .. غرس على وجهى الحزن .. وأرضعت صغيرتى حليب الألم والقهر .

بعد أربعين يوماً يعود متأففاً من صراخ الطفلة .. ينغمس فى مضغ غذائه وقضاء قيلولته .. ويمضى .. وأندب حظى لن أعود اليه وهو يرفس أنوثتى .. يجرجرنى بأغلال العبيد حتى فى أضعف حالاته يلوك العظمة .. ويزمجر كالاسد .. نصف قواه تخار إذا اوغل الليل عليه .

ما جدوى العودة .. ؟ والعمر معه لا يثمر غير الاشواك .. كل حبال الآمال تقطعت .. وسفينة الصبر أبحرت دون شراع .

ثلاث سنوات وعملية الاجترار أمارسها تارة بالصبر .. وأخرى بالتعقل ومرات عديدة باللامبالاة والتأنى .

ما زال الماضى يبسط خطوطه على حاضرى المرير .. حسرة تلهب اضلعى إذا تذكرت تلك الحقبة من عمرى الغض .. يشف الزمن أستاره . ويتجسد أمام ناظرى .. يوم عدت من المدرسة تعبة . ونظرات امى غير طبيعية .. ترمقنى بالخفاء .. تبحث فى ابنتها عن كينونة المرأة .. وأنا غير عابئة بها .. فمى يتحرك بسرعة شديدة النهم الطعام حتى اعجل بلحظات اللعب مع رفيقات الحى .. وتفطن أمى الى عجلة أمرى قائلة : تمهلى يا ابنتى .

اجبتها باستنكار مؤكدة صحة فعلى .. أريد أن العب « الكتور » مع الرفيقات . قاطعتنى بشدة أثلجت صدرها .. وهى تبوح السر العزيز لديها : من اليوم لن تلعبى .. بعد غد زفافك ... هوت الكلمة فى أذنى كسقوط نجم ألهب مشاعرى .. تماوج الخوف والمجهول بداخلى .. وتذكرت زفاف ابنة خالى منذ عامين وذلك الشعور المبهم الذى استوطن باطنى .. وصوت المغنية يصب أنغامه المتمايلة على محدودية مفاهيمى المتفائلة .. وأنا أحرث الفكر فى أفعالهم .. لماذا يغنون ؟

وابنة خالى كيف حملوها لذلك الرجل الغريب .. وأغلقوا عليها الباب دون الجميع ، ومواويل الغناء تنثنى تحكى قصص الهوى وحرقة البعاد .. وحين عدنا الى البيت .. لم استطع النوم .. وصياح الديكة تعلن قرب الفجر .. مازال نداء الديك رغم كبر سنى يوحش نفسى ويزيدها ألماً .. موحياً بأن اليقظة حتى صوته تحمل للسهر دلالة واضحة لاعتدال النفس أو الذهن معاً .

ما زلت حتى اللحظة أحلل نفسى من سواد تلك الليلة التى اشتدت حلكتها على عقلى الباطن .. ثلاثة أشياء تكومت بأعماقى تعرقل أفكارى ، وتسد درب السكينة ، زفاف ابنة خالى ... والغناء المنغم من ثغر تلك السيدة السمراء الممتلئة البدن ....وصياح الديكة الذى شرخ سمعى .. وغرس أصواتاً مبحوحة المعنى ما فتئت أحاول فك طلاسمها الى اليوم .

أمور كثيرة تتوارد بذهنى كشريط سينمائى لا يختل توازن احداثها عبر السنين .. فأنا لم أكن أحسن حالا من صورة ذلك الزفاف المحفور بأعماقى .. على بغتة اخبرونى بالزواج وان كنت أجهل معناه . اخفونى فى غرفتى يومين .. وأحضروا لى مستلزمات جديدة براقة وكل من حولى يجرى .. حتى أصبح أهل البيت كله والمقربون يتسابقون مع الزمن ... أوامر هنا .. وتلبية هناك .. ولا أعى سر ذلك العمق .. وليلتها دخلت على سيدة لها فى نفوسنا جميعاً منزلة رفيعة .. لما تمتاز به من الثقة والتقوى ، وحدثتنى بقول أصغيت له باهتمام ، فمثل هذه الاعترافات لاول مرة تصك أذنى .. مفاهيم الزواج وأصوله .. وما على الزوجة أن تفعله .

والحديث يقرع الهلع فى قلبى .. فسيستولى على سنواتى الأربع عشر ... ويحيلها الى معنى واحد تنهيدة تبوح بالخوف .

أفيق من امتداد يقظتى نحو عمرى المكدود .. ويبسط حاضرى ذراعيه أمامى بقوة .. أرفض العودة الى زوجى المتجبر العنيد .. الذى لم يقدر يوماً مشاعرى .. ولم يعترف بمشاركتى له .. وتفشل محاولات أمى لأن .. الصبر عندى أجهض معانى الانتظار ... واسقطه دماً غير مكتمل الحياة .

# غاندي

## ومواقفه السياسية

- عندما قال غاندي: لقد تعلمت الثورة على يد الزعيم العربي سعد زغلول
- قصة المذبحة التي دفعت غاندي إلى الاعتراف بأنه ارتكب خطيئة سياسية خطرة

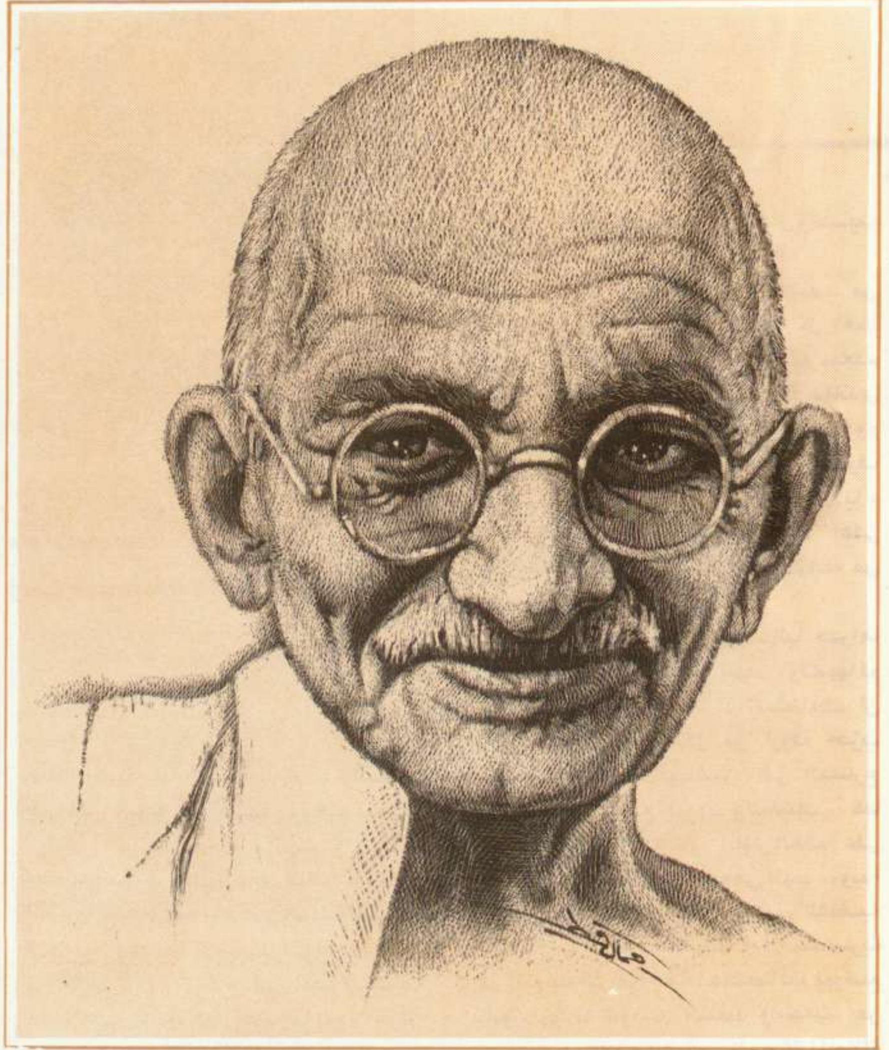
بقلم: محمد العزب موسى

**كان سلاح النضال الذى جربه غاندى بنجاح فى جنوب أفريقيا هو فن المقاومة السلمية « الساتيا جراها » الذى تقوم به جماهير متنورة بفكرة أن الحق أقوى من الباطل وأنه ينتصر فى النهاية ، وهى فكرة عميقة الجذور فى الفلسفة الهندية وفى الروحانيات الشرقية بوجه عام إذ نجد لها مكاناً راسخاً فى فكر المسيحية والاسلام .**

عاد غاندى إلى الهند من جنوب أفريقيا عام ١٩١٤ بعد أن قضى هناك ٢١ عاماً يدافع عن حقوق الأقلية الهندية المغلوبة على أمرها ضد ذلك النظام العنصرى البغيض ، وقد أحرز غاندى فى نضاله هذا نجاحاً طير شهرته الى بلاده حتى انه استقبل بالحفاوة والتكريم فور عودته ، ولكن الأهم من ذلك انه استطاع فى جنوب افريقيا أن يعد سلاح النضال الذى سوف يستخدمه بعد عودته للهند ، والواقع أن غاندى لم يغرب عن باله قط أثناء وجوده فى جنوب أفريقيا أن القضية الحقيقية هى قضية الوطن الام وليست قضية أقلية هندية فى مكان ناء من العالم ، ولكن تجربته فى جنوب افريقيا لم تذهب عبثاً ، بل كانت ، علاوة على قيمتها الانسانية ، اشبه بالبروفة التى يؤديها الممثل لشحذ قدراته وتلافى هفواته استعداداً للقيام بدوره المنتظر على المسرح .

وعندما عاد غاندى الى بلاده كان المسرح السياسى يقتسمه زعيمان متنافسان من زعماء حزب المؤتمر الهندى هما « جوكال » و « طيلاق » ، كان الأول زعيماً معتدلا يدعو الى اتباع الأساليب التدريجية المشروعة لانشاء هند جديدة على النمط الديمقراطى الغربى ، أما « بال جاندهار طيلاق » فكان على العكس من « جوكال » متطرفاً هندوسياً معادياً للانماط الغربية عامة ويتزعم جماعات الكفاح الجسدى بما فى ذلك اللجوء الى العنف أحياناً . وقد احترم غاندى « طيلاق » لذكائه واخلاصه ولكنه كان يختلف معه جذرياً فى نظرته الى الدين والسياسة ، ولذا كان غاندى أقرب الى « جوكال » وبدأ نصيراً له بالفعل ، ولكنه كان يتميز على « جوكال » بنظرته العالمية ، ويختلف عنه فى الهدف النهائى اذ لم يكن غاندى يدعو الى دولة على النمط الغربى الحديث وانما يدعو الى تغليب الأصالة الهندية مع التركيز على إنعاش الريف روحياً واجتماعياً ، أى ان هدفه لم يكن « تغريب » الهند وانما « بعثها » من جديد .

ويعبر غاندى عن آرائه فى تلك الفترة المبكرة أوضح تعبير فى كتيبه « هند سواراج » الذى كتبه فى لندن عام ١٩٠٩ وهو عبارة عن حوار بين « قارىء » يحبذ الارهاب لتحرير الهند و « المؤلف » الذى يتحدث بلسان غاندى ، اذ يقترح القارىء أن تخلص الهند نفسها بحملة من أعمال العنف والاغتيالات ضد المستعمرين الانجليز ثم تبنى دولة عسكرية حديثة كما فعلت اليابان فيرد « المؤلف » قائلا .. انك بذلك تريد الحكم



المهاتما غاندي



سعد زغلول

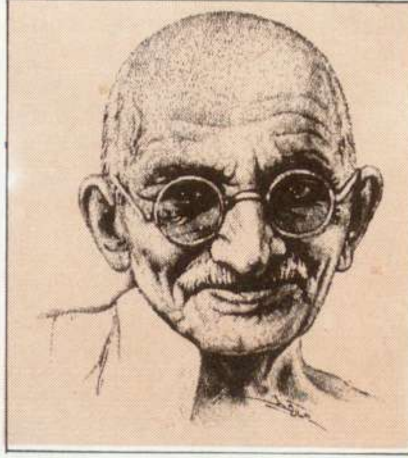
البريطانى بدون انجليز ، انك تريد طبيعة النمو دون النمو ذاته ..

كانت النقطة الاساسية لدى غاندى ان « الشر » لا يكمن فى الحكم البريطانى بذاته وانما فى « الحضارة الحديثة » التى أصبحت مادية بصفة مطلقة ، فمصانع الغزل والنسيج مثلا دمرت حياة ملايين الأسر الهندية التى كانت تعيش على الغزل اليدوى ، ولا يهم ما اذا جاءت منسوجاتها المدمرة من مصانع لانكشاير أم من مصانع هندية . ان طريق الانقاذ كما يراه غاندى هو انعاش الثقافة التقليدية وطرق الحياة الأصيلة فى ٧٠٠ ألف قرية تضمها الهند الكبرى .

استقر غاندى فى مدينة « أحمد آباد » الشهيرة بمصانع النسيج الآلى وأنشأ « أشرم ساتيا جراها » وهى مؤسسة شبه ديرية يعيش فيها الأنصار حياة جماعية وتحرم فيها الممتلكات الشخصية والملابس الأجنبية والأطعمة ذات التوابل ، ولأول مرة فى تاريخ الطبقات الهندية منذ ألوف السنين ينضم الى هذا « الأشرم » عدد من المنبوذين ، وبذلك دل غاندى على انه يعنى ما يقول بدعوته الى مخالطة المنبوذين ودمجهم فى المجتمع .

وخلال السنوات القليلة التالية خلا المسرح السياسى الهندى من زعمائه الأقوياء فقد توفى « جوكال » بعد عودة غاندى بقليل ثم تلاه « طيلاق » فى عام ١٩٢٠ ، وكانت « آنى بيزانت » التى رأست حزب المؤتمر منذ عام ١٩١٧ معتدلة بدرجة لا تمكنها من إحكام قبضتها على مشاعر السخط الملتهبة لدى الهنود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهكذا انعقد لواء الزعامة الشعبية لغاندى بنجمه البازغ ، فقد جذب اليه الأنظار كزعيم راديكالى من طراز فريد ، وأصبح معروفاً ومحبوباً لدى جماهير حزب المؤتمر من طلبة وفلاحين وعمال صناعيين ومثقفين ، فها هو يهاجم القيادات المتراخية والنزعـــات المنحـرفة والمهراجـــات الذين يحولون عرق الجماهير الكادحة الى مجوهرات يزينون بها عمائمهم ، ويصب نيرانه على التخلف الهندى الذى يعتبره العدو الأول للشعب الهندى قبل الاحتلال البريطانى ، ويقاوم السلطات الحاكمة التى تحاول تقييد حريته فى الحركة والكلام ، ويدافع عن حقوق الفلاحين ضد استغلال الملاك ، ويدعو الى تحسين القرية الهندية وتزويدها بالمدارس والمصحات والمجارى ، ويحبذ المتطوعين للخدمة العامة ..

ولم تلبث أن طبقت شهرة غاندى الآفاق



# غاندى ومواقفه السياسية

عندما قبل أن يتزعم اضراب أحد مصانع النسيج الكبرى فى « أحمد أباد » للمطالبة بزيادة الأجور ، وكان شرطه الوحيد لتزعمهم ان يلتزموا بالساتيا جراها أى عدم اللجوء الى العنف تحت أى الظروف . وخلال هذا الأضراب ، عندما تازمت المفاوضات بين الملاك والعمال لجا غاندى الى الاضراب عن الطعام لأول مرة فى كفاحه السياسى مما أرغم الملاك فى النهاية على الاستجابة لمطالب العمال خوفاً من أن يتحملوا مسئولية موت غاندى . ويقول غاندى ان فكرة الصوم هذه جاءته كهاجس الهى ، ولكنه انتقد نفسه بعد ذلك لاستخدامها على أساس انها وسيلة ارغام للخصم يجب أن تتنزه عنها الساتيا جراها . ولم يلجا غاندى الى هذا السلاح فيما بعد إلا فى أواخر حياته وفى حالات الضرورة القصوى .

## مذبحة أمرتسار ومحاكمة غاندى

ولم تلبث أن واتت غاندى الفرصة للدخول فى حلبة السياسة الهندية من أوسع أبوابها ..

كانت الحكومة قد أصدرت ما يعرف « بقانون رولات » نسبة الى لجنة القاضى « رولات » التى كونتها السلطات البريطانية لبحث أساليب احتواء التمرد الهندى ومنع لجوئه للعنف ، واقترحت اللجنة توقيع عقوبات قاسية بواسطة محاكمات استثنائية خاصة على المشتبه فى قيامهم بأعمال العنف والارهاب أو حيازة الأسلحة ومنشورات الاثارة والتهييج . ومما له دلالة أن حكومة الاحتلال عجلت باصدار هذا القانون فى شهر مارس ١٩١٩ أى فى ذروة احتدام ثورة الشعب المصرى بزعامة سعد زغلول ، وكان لهذه الثورة صداها فى الهند ولدى غاندى شخصياً الذى قال فيما بعد انه تعلم الثورة من سعد زغلول .

ثار الرأى العام الهندى بأسره ضد قانون « رولات » التعسفى ، وقام غاندى بجولة واسعة فى انحاء الهند يدعو إلى حملة « ساتيا جراها » ضد السلطات البريطانية ، ثم دعا الى إضراب عام « هارتال » على أن يكون اضراباً سلمياً تماماً كيلا يتحول الى اداة فى أيدى دعاة العنف أو الشيوعيين ، وفاقت الاستجابة للاضراب كل التوقعات ، فقد أغلق التجار حوانيتهم ، ووضع العمال أدواتهم ، واقفرت مصانع الهند وأسواقها كاحتجاج صامت على حاكم ظالم ، وبدت البلاد باجمعها مصممة على هدف واحد هو التحرير ، وقد بدأ الأضراب فى مدينة دلهى فى ٣٠ مارس ، واكتسح المدن الكبرى بسرعة خاطفة حتى شمل الهند بأسرها يوم ٦ أبريل وخرجت المظاهرات السلمية تطوف الشوارع بالملايين يشارك فيها المسلمون إلى جانب الهندوس ، والنساء وطلبة المدارس ، وواجهت السلطات الموقف بالعنف ، فضرب البوليس المتظاهرين بالعصى ذات الأطراف الحديدية وأطلق النار عليهم فى دلهى ، والتزمت حركة « الساتيا جراها » بمبادئها السلمية بوجه عام ، ولكن حدث فى البنجاب – حيث كانت تسودها الفوضى قبل حركة الاضراب – ان اندلعت أعمال العنف من جانب الغوغاء فهاجموا الحوانيت والمنشآت العامة وقوات الأمن ، وحاول غاندى السفر من بومباى الى البنجاب لتهدئة الجماهير ، ولكن السلطات البريطانية منعته وأعادته من منتصف الطريق ، اذ كانت تبحث عن ذريعة لسحق الحركة الوطنية ، وسرعان ما امتدت أعمال العنف والشغب الى اجزاء أخرى من البلاد وردت السلطات بالمزيد من القمع الوحشى وجاءت الذروة يوم ١٣ ابريل حين أمر « البريجادير داير » قواته من الجوركا والبلوش باطلاق النار على الجماهير فى « أمرتسار » وهى تتجمع للقيام بمظاهرة سلمية فقتل ٣٧٩ شخصاً فى الحال وأصيب أكثر من ألف آخرين بجراح .

وبهت غاندى لبشاعة العنف من الجانبين ، هل يمكن أن ينفجر كل هذا العنف نتيجة لحركة هدفها الانتصار بعدم العنف وبقوة الحق وحدها ؟ وصام غاندى ثلاثة أيام تكفيراً عن خطئه ، ثم أعلن فى يوم ١٨ ابريل الغاء « الساتيا جراها » واعترف بأنه ارتكب « خطيئة فى حجم الهيمالايا » بتشجيعه الجماهير غير المدربة على المشاركة فى حركة تتطلب أعلى درجة من ضبط النفس .

وهكذا فشلت أول حملة ساتيا جراها شاملة يقوم بها غاندى فى الهند ، ولكنها لم تفشل تماماً فى الواقع ، اذ استطاعت أن تخرج بقضية الاستقلال من أروقة حزب المؤتمر وزنزانات الوطنيين الى الشارع والقرية والى جميع البيوت والطبقات ، كما سلطت مذبحة « أمرتسار » انظار العالم على جرائم الاستعمار البريطانى فى الهند ، وبدأ الرأى العام العالمى يعطف على القضية الهندية . واضطرت السلطات الاستعمارية فى النهاية الى مراجعة أساليبها فلم يوضع قانون رولات موضع التنفيذ وامتنعت عن إصدار سلسلة من القوانين العميقة المماثلة كانت قيد الاعداد . أما غاندى فقد تعلم درسه الكبير ، وهو أن فشل الحركة يرجع الى انعدام التنظيم ، واضمر أن أية حركة ساتيا جراها قادمة يجب أن تكون محدودة النطاق وأن تقودها « كوادر » من المتطوعين المدربين .

وجاءت التجربة الثانية بعد ثلاث سنوات ، ففى أواخر عام ١٩٢٠ عقد حزب المؤتمر اجتماعاً شعبياً فى ناجبور تبنى فيه هدف تحقيق الاستقلال الوطنى « سواراج » بنهاية عام ١٩٢١ ، وتلى ذلك أن أعلن غاندى حركة « ساتيا جراها » جديدة محورها عدم التعاون مع السلطات الاستعمارية ، وقام باعادة الميدالية الذهبية التى منحت له لقيامه باعمال الانقاذ فى جنوب افريقيا واقتدى به مشاهير الهنود فاعادوا للسلطات ما حصلوا عليه من أوسمة ونياشين ، وأضرب الطلبة عن الدراسة ، وامتنع المحامون عن دخول المحاكم التى يعمل فيها قضاة انجليز ، وفر الجنود من الخدمة العسكرية . واستقبلت الأحزاب الهندية زيارة أمير ويلز للهند

الاضراب العام . وردت السلطات الاستعمارية بحملة اعتقالات واسعة النطاق .

وفجأة تكررت نفس الغلطة الأولى اذ تحولت احدى المظاهرات فى جوراكبور الى العنف ، وقتل المتظاهرون عدداً من رجال البوليس واحرقوا جثثهم فى قاعة مجلس المدينة ، وعلى الفور أمر غاندى بوقف حركة الساتيا جراها بعد أن كادت تبلغ أهدافها ، دل بذلك مرة أخرى على استعداده للتضحية بأى نجاح سياسى لتفادى ما يعتبره خسارة أخلاقية .

وفى ١٠ مارس ١٩٢٢ ألقى القبض على غاندى وقدم الى المحاكمة ..

ولا تزال هذه المحاكمة تذكر فى الهند الى الآن باعتبارها حدثاً هاماً فى تاريخ الاستقلال ، وتعرف بالمحاكمة الكبرى لما تميزت به روح الفروسية بين غاندى وقاضيه الانجليزى .

جرت المحاكمة فى مدينة « أحمد أباد » امام القاضى الانجليزى روبرت برومفيلد ، وأقر غاندى فى بدايتها انه « مذنب » فى الاتهامات الموجهه اليه ، واعترف بانه كان يريد قلب الحكومة ، وأمام اعتراف المتهم وصراحة نصوص القانون لم يجد القاضى مناصاً من أن يحكم على غاندى بالسجن ست سنوات ولكن القاضى اعترف بان غاندى « وطنى عظيم وزعيم عظيم » وقال يخاطبه ان هذه السنوات الست التى أحكم بها عليك هى ضريبة الوطنية التى سبق أن نال مثيلها سلفك العظيم طيلاق ، وانتهت المحاكمة بأن انحنى غاندى أمام قاضيه الانجليزى شاكراً ، وانحنى القاضى أمام سجينه الهندى احتراماً .

وهكذا خسر غاندى القضية ولكنه كسب الموقف ، فقد استطاع تحويل خصمه من الداخل ، وهذا أكبر نجاح لفلسفة الساتيا جراها .

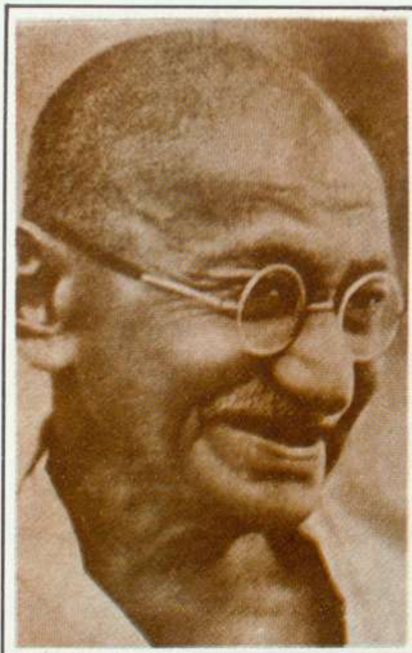
## مسيرة الملح

ادخل غاندى سجن « ايرفادا » بالقرب من « بونا » ، ولكنه لم يمكث فى السجن كل فترة العقوبة ، اذ افرج عنه فجاة فى فبراير ١٩٢٤ بسبب المرض ، وخرج ليفاجأ بأن حزب المؤتمر قد فقد قوته ووحدته نتيجة لفشل أمله القومى فى تحقيق الاستقلال ، كما تزعزعت الوحدة الظاهرية بين المسلمين والهندوس واندلعت المذابح بينهم ، فكان أول ما فعله غاندى بعد خروجه من السجن أن أضرب عن الطعام ٢١ يوماً حتى أجبر زعماء الطائفتين على التصالح .

وقبل غاندى رئاسة حزب المؤتمر لفترة محدودة بهدف منع الحزب من التمزق بين الأجنحة المتنافسة ، ثم استقال فى آخر عام ١٩٢٥ ، ولم يقبل طيلة حياته بعد ذلك أى منصب حزبى أو إدارى ، وأعلن اعتبار عام ١٩٢٦ عام صمت سياسى ، ولجأ الى « أشرم سابرماتى » حيث انقطع للتأمل والصلاة والعمل اليدوى واستقبال الزوار الذين بدأوا يتوافدون عليه من كل انحاء الهند ومن أوربا والولايات المتحدة والصين .

ولم يلبث غاندى ان اضطر الى قطع عزلته السياسية فى اكتوبر ١٩٢٧ حين استدعى مع غيره من الزعماء الهنود الى مقابلة الحاكم البريطانى لورد ايروين الذى أبلغهم أن بريطانيا ستوفد لجنة برئاسة سير جون سيمون الى الهند للنظر فى امكانية تعديل الوضع الدستورى للبلاد ، ولما كانت هذه اللجنة ، تعد مسئولة فحسب أمام البرلمان البريطانى ، وقد شكلت بدون أخذ رأى الشعب الهندى ولا تضم فى عضويتها أحداً من الهنود ، لذلك رفضها

المهاتما غاندي



غاندى وكل الزعماء الآخرين . وعندما وصلت اللجنة الى الهند فى فبراير ١٩٢٨ قاطعتها جميع الأحزاب الهندية بما فيها الرابطة الاسلامية وحزب « مها صابحا » الهندوسي . وفى نفس الوقت وجد غاندى الفرصة مناسبة لتنفيذ فكرة راودته طويلا وهى تحريض الأهالى على عدم أداء الضرائب للحكومة مقرراً البدء فى منطقة برادولى . وكلف صديقه باتل بتزعم الحركة

وحقق إضراب برادولى نجاحاً منقطع النظير ، بل كان أنجح عصيان مدنى فى تاريخ استقلال الهند . فبالرغم من لجوء السلطات الى عمليات الاعتقال والقمع الوحشى ، إلا أن فلاحى برادولى ، وعددهم ٨٤ ألف نسمة ، ظلوا ثابتين على رفضهم أداء الضرائب وممتنعين عن الرد على العنف بالعنف . وفى أقل من ستة أشهر كانت الهند بأسرها يشلها الأضراب العام « هارتال » تأييداً لفلاحى برادولى ، واضطرت الحكومة الى التسليم ، فاطلقت سراح المعتقلين ووافقت على تخفيض الضرائب الى الحد الذى ارتضاه الفلاحون وتعويضهم عن ممتلكاتهم التى صودرت أثناء الأضراب .

كان هذا النجاح بمثابة لفحة هواء هبت على لهيب الحركة الوطنية فزادته اشتعالا .. ورفع حزب المؤتمر شعار الاستقلال الفورى التام ، وفى ٢٦ يناير ١٩٢٩ ، – وتحتفل به الهند للآن كعيد قومى – ، أصدر غاندى وثيقة « إعلان استقلال الهند » وهى وثيقة تتضمن الطموحات السياسية لرفاقه فى حزب المؤتمر الى جانب فكرته الخاصة عن التحرر الاجتماعى والروحى . وجاء فى الاعلان ان الحكم البريطانى قد دمر الهند إقتصادياً وسياسياً وثقافياً وروحياً ، لذلك فان الهند تقطع علاقتها ببريطانيا ، وتعلن استقلالها التام .

وبقى أن يختار غاندى هدفاً لحملة العصيان المدنى التى يمكن أن تحول اعلان الاستقلال من الورق الى الواقع المعاش .

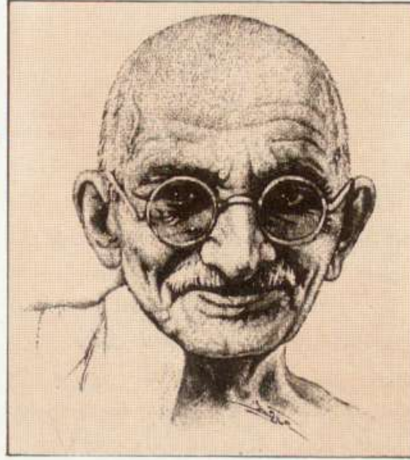
وقد تجلت عبقرية غاندى السياسية فى اختياره أن يكون الهدف هو خرق قانون الملح . وكانت حكومة الاحتلال البريطانى تحتكر صناعة الملح من استخراجه إلى بيعه لاستنزاف الهنود ، وتفرض عقوبات قاسية على من يأخذ ولو حفنة واحدة من ملح الشواطىء . ودعا غاندى الى تحدى

هذه العقوبات وان يقوم الهنود بتصنيع الملح بأنفسهم ، ولقيت دعوته نجاحاً كاسحاً لأنها مست وتراً حساساً لدى ملايين الفلاحين الفقراء كما انها اطلعت الشعب البريطاني على مساوىء احتلاله للهند وحركت لدى الشعوب الأوربية ذكريات الثورة الفرنسية الكبرى التي كان من أسباب قيامها احتجاج فقراء باريس على ضريبة الملح المماثلة .

وفي فجر يوم ١٢ مارس ١٩٢٩ بدأ غاندي مسيرته من « أشرم سابرماتي » على رأس ٧٩ متطوعاً في طريقهم الى « داندي » على شاطىء البحر وتبعد ٢٤١ ميلا ، ولم تتعرض السلطات للمسيرة ظناً بأنها سوف تفشل من تلقاء ذاتها ، ولكن المسيرة تحولت الى نجاح باهر ، فكانت تجتذب في تقدمها الآف المنضمين الذين يخرجون من المدن والقرى للسير وراء غاندي ، وأخيراً وصلت المسيرة وقد تحولت الى بحر زاخر من البشر الى « داندي » يوم ١٣ ابريل ، وهو ذكرى مرور عام كامل على مذبحة « أمرتسار » ، وهناك نزل غاندي الى البحر مع عشرات الالوف للاستحمام والتطهر ، وعندما خرج الى الشاطىء أخذ حفنة من الملح ورفعها عالياً بينما كانت الشاعرة الوطنية « ساروجيني نايدو » تهتف والجموع تردد وراءها « فليحيا المخلص » .

وكما لو كان غاندي قد أدار مفتاح آلة كبيرة معقدة فانطلقت كل أجزائها تعمل تلقائياً كذلك تحولت الهند بأسرها الى كتلة لا تهدأ من الحركة والنشاط اذ راح الناس يصنعون الملح على الشواطىء وفي الشوارع وفوق أسطح البيوت ، وقدم مئات الموظفين ورؤساء القرى استقالاتهم ، وتوقفت الصحف عن الصدور ، ورفض الجنود أوامر إطلاق النار على المتظاهرين ، وطرحت النساء الحجاب وانضمت الى الحركة الوطنية بمظاهراتها واجتماعاتها ومسيراتها ، وأصبحت كلمة الاستقلال على كل لسان .

وردت الحكومة باعتقال ١٠٠ ألف شخص على رأسهم غاندي وكل زعماء حزب المؤتمر . ولكن حتى هذه الاعتقالات لم توقف الحملة ، بل ردت الهند بأسرها باضراب عام ( هارتال ) شل كل مرافق الحياة في البلاد ، وفي يوم ٢١ مايو هاجم ٢٥٠٠ من المتطوعين المدربين على أساليب الساتيا



# غاندي ومواقفه السياسية

جراها مصانع الملح في دارسانا وهم يحملون النقالات ووسائل الاسعاف استعداداً لتلقي عنف السلطات ، وتصدت لهم قوات من الجوركا قوامها ٤٠٠ جندي بعنف بالغ ، فحطمت عشرات الجماجم ، وسقط المئات بين قتيل وجريح . ولم يتمكن المتظاهرون في النهاية من اقتحام المصنع ولكن شجاعتهم أذهلت العالم .

وكالعادة رأت سلطات الاحتلال أن تنحني أمام العاصفة وأن تتحول من المواجهة الى التحايل ، فاطلقت سراح الزعماء المعتقلين ، ودعى غاندي للتفاوض مع الحاكم البريطاني في دلهي . وبعد أيام من المفاوضات الشاقة وافقت السلطات على إباحة صنع الملح للاستهلاك الشخصي ، وأطلقت سراح ١٠٠ ألف معتقل ، ودعت غاندي إلى تمثيل حزب المؤتمر في مباحثات الدائرة المستديرة بلندن لتحديد مستقبل الهند .

وكانت مباحثات الدائرة المستديرة قمة الخدعة الاستعمارية لتقويض الحركة الوطنية الهندية وبث الفرقة في صفوفها ، فقد حضرها ممثلون عن مختلف العناصر الهندية غير المتناسقة ، مسلمون ، وسنج ، ومسيحيون ، ومنبوذون ، ومغتربون ، وأمراء ، ومهراجات ، ومزارعون ، وضاعت قضية الاستقلال وسط هذا الخليط المتباين بمصالحهم المتناقضة ، وتحول اهتمام المؤتمر من المطالبة بتحرير الهند الى بحث صيانة مصالح الأقليات ، ولم يستمع أحد لغاندي وهو يؤكد انه يمثل ٨٥٪ من الشعب الهندي وان هذه الخلافات مبالغ فيها وسوف تتلاشى بنفسها بعد الاستقلال . وهكذا انهار مؤتمر المائدة المستديرة على صخرة المبدأ الاستعماري المعروف « فرق تسد » وعاد غاندي الى الهند خالي الوفاض في نهاية عام ١٩٣١ ليجد حاكما بريطانيا جديداً أشد صرامة من كل سابقيه هو « لورد ويلنجتون » الذي اتبع سياسة القمع السافر وزج بغاندي وزعماء المؤتمر مرة أخرى في غياهب السجون .

وعندما خرج غاندي من السجن كانت آخر انفاس الحركة الوطنية قد خبت ، وتحول غاندي باهتمامه عن الاستقلال إلى حقوق المنبوذين ، ودخل في عزلة سياسية لم يخرج منها حتى عام ١٩٤٠ . ولكن ساتيا جراها الملح لم تذهب في الواقع عبثاً ، اذ كانت درساً غالياً من دروس النضال ، صهرت الهند وراء أمانيها القومية وكسبت لها التأييد العالمي ، وتقدمت بفضلها خطوة حقيقية نحو الاستقلال .

## هزيمة المنتصر

إذا كانت مباحثات الدائرة المستديرة قصد منها تمزيق الحركة الوطنية ، وحققت المقصود منها بالفعل ، إلا ان بريطانيا لم تكتف بذلك ، فقررت أن تقوم بخدعة أخرى أكبر وأخطر تلهي الهند عن الاستقلال الحقيقي وتمزق صفوفها الى الأبد ، وهي خدعة الحكم الذاتي الذي وافق البرلمان البريطاني على منحه الهند في أغسطس ١٩٣٥ ، وسمح بمقتضى ٥ للناخبين الهنود ويبلغ عددهم ٣٠ مليونا ، باختيار حكام الولايات ومجالسها المحلية . وقد تحمس زعماء حزب المؤتمر لهذه الخطوة تعطشاً منهم لسلطة الحكم حيث فاز حزبهم بالسلطة في ٩ ولايات من احدى عشرة ولاية أما غاندي فقد رفض هذه الخطوة من الاستقلال المزيف وعندما سألوه رأيه قال « إن الهند لا تزال سجناً كبيراً وكل ما حدث ان القائمين عليه سمحوا للسجناء باختيار جلاديهم » .

وحدث ما توقعه غاندي ، إذ لجأ حكام الولايات المنتخبون إلى استخدام قوات البوليس التي يقودها ضباط انجليز في ضرب معارضيهم ، وبذلك أصبح جلادو الشعب حكاماً من الهنود بدلا من الانجليز . ولكن الأخطر من ذلك أن مقدم الحكم الذاتي أدى إلى القطيعة النهائية في الحركة

الوطنيـــة بين المسـلمين والهنــدوس ، وتضارب مصالحهم تضارباً جذرياً ، وبدأ محمد علي جناح زعيم الرابطة الاسلامية وقد هالته الأغلبية العددية للهندوس يطالب بتقسيم الهند على أساس انها تضم قوميتين منفصلتين ، وفى نفس الوقت ظهرت الانقسامات الحادة داخل حزب المؤتمر بين اليمينيين واليساريين ، وابتعد الحزب برمته عن مبادىء غاندى فى الصـحوة الروحيـة فالرأسـماليون والاشتراكيون على السواء أصبحوا يتطلعون الى انشاء هند صناعية حديثة على النمط الغربى ولكنهم يختلفون فى توجيهها الايديولوجى ، وتناسوا تمامـاً تصورات غاندى فى البعث الهندى الذى اساسه النهوض بالقرية وكيانها الذاتى ، ومع ذلك فقد ظلوا يستخدمون برنامج غاندى الريفى لكسب تأييد جماهير الفلاحين وضمان التفاهم حول حزب المؤتمر وهكذا كلما زادت سلطة حزب المؤتمر السياسية كانت تتناقص قوة غاندى الروحية .

ولم تلبث أن برهنت الأحداث على صحة وجهة نظر غاندى فى ان السلطة السياسية التى يتمتع بها الزعماء الهنود ليست أكثر من قشرة واهية ، اذ لما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جرت بريطانيا الهند اليها دون استشارة حكام الولايات المنتخبين ، فقدم هؤلاء استقالاتهم وعادت الهند الى الحكم البريطانى المباشر .

ولجأ الزعماء السياسيون مرة أخرى إلى غاندى يرجونه تولى الزعامة . وكعادته فى تحمل مسئوليات القيادة فى الأزمات العصيبة أعلن حملة عصيان مدنى جديدة فى أكتوبر ١٩٤٠ ، ورد الانجليز باعتقال عشرات الالوف وعلى رأسهم غاندى الذى حددت اقامته فى قصر اغاخان فى « يونا » ثم اطلق سراحه قبيل انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٤ لأسباب صحية ، وانفجرت الهند مرة أخرى فى موجة من العنف الدامى ، وخيل لغاندى ان كل مبادئه التى عاش يعلمها لشعبه لم تلق آذاناً صاغية ، ثم كانت صدمته أكبر بالاستقلال الذى وافقت حكومة العمال فى بريطانيا على منحه للهند بعد انتهاء الحرب ، اذ لم يكن بالاستقلال ( سواراج ) الذى يفكر فيه وناضل من أجله ، كان يحلم بهند حرة مستقلة علمانية موحدة تتعايش فيها الجماعات الهندية المختلفة على قدم المساواة ، أما الاستقلال الذى حصلت عليه الهند بعد الحرب فقد دفعت فيه ثمناً مدمراً هو انقسام شبه الجزيرة الهندية الكبرى بين الهندوس والمسلمين ، وقيام دولتين للهند وباكستان ، وعندما وافق حزب المؤتمر على قرار التقسيم شعر غاندى ان قضيته قد جحدت ، وقال ملاحظاً « لقد وصل كفاح ٣٢ عاماً الى نهاية مخجلة » . ان الهند الأم التى يحلم بها قد دمرت .

وضاع صوت غاندى الواهى الذى تجاوز الخامسة والسبعين فى ضجيج الاستقلال وزحمة الأصوات القوية الشابة ، وشعر أن قوته الروحية تخبو باطراد مع مقدم القوة السياسية للهند ، وبدأت تسيطر عليه فكرة الاستشهاد والتضحية ، كان يقول « كما يتعلم الانسان فن القتل وهو يتدرب على العنف عليه أن يتعلم فن الموت وهو يتدرب على عدم العنف » . وفى هذه المرحلة بالذات أصبح الأضراب عن الطعام سلاحاً ماضياً فى يد غاندى ، فلم يكن يصوم كمناورة سياسية وانما بهدف أن يموت حقاً ، وكثيراً ما أشرف على الهلاك فى هذا الصوم ثم عاد الى الحياة بالكاد بعد أن كان صيامه يجبر أعتى الخصوم على الرضوخ .

وازدادت آلام المهاتما توهجا وهو يرى أشباح الشر القديمة التى قضى حياته يطاردها تبعث من جديد وتسير فى كل مكان .. العنف ، التمرد ، الحرب ، الفوضى . التعصب ، الطائفية ، الكراهية ، فقد انفجرت المذابح الطائفية على نحو لم يسبق له مثيل بعد تولى نهرو رئاسة أول حكومة هندية مستقلة ، ففى البنغال ذبح المسلمون الهندوس ، وفى بيهار ذبح الهندوس المسلمين ، وسار غاندى الشيخ الفانى وهو فى أواخر السبعينات من عمره حافى القدمين من قرية الى قرية يدعو الى وقف المذابح ، حملته قدماه الواهنتان الى البنغال وبيهار وكشمير وكلكتا ودلهى كما لو كان ملكاً عجوزاً فى رحلة توبة يرجو بها استعادة مملكة المحبة الانسانية والسلام الضائعة ، وكان يقول « لم يحدث فى حياتى ان كان طريقى كما هو عليه الآن من الظلام » وأحرز بالفعل نجاحاً ملحوظاً فى أكثر من حالة ، واستطاع وقف المذابح بين المسلمين والهندوس فى كلكتا ، بل ان زعماء عصابات القتل والأرهاب من الطائفتين ، كانوا يركعون أمام سرير صومه تائبين ، ولكن ما رآه وسمعه كان كفيلا بأن يجعله يائساً تماماً من امكان انتصار مبادئه ، بل ان دعوى عدم العنف ذاتها فقدت معناها لديه ، ولذا عندما قامت باكستان بغزو كشمير لم يبد غاندى اعتراضاً على إرسال الجيش الهندى للحرب ضد الباكستانيين ، أخوة الماضى وابناء الهند الأم ، فاذ تلاشى لديه الأمل فى انتصار اللاعنف بدا له أن الذهاب الى القتال أفضل من إظهار الجبن .

ولكن جهوده اليائسة فى التقريب بين المسلمين والهندوس جلبت عليه عداء المتطرفين من الطائفتين ، وأخذ المتعصبون يطلبون حياته نفسها ، هدد المسلمون حياته فى نوخالى ، وهدد الهندوس حياته فى كلكتا وخلال الأيام القليلة التى سبقت وفاته انفجرت قنبلة فى اجتماع كان يحضره للصلاة فى دلهى . ها هو شبح العنف عدوه اللدود القديم يتقدم نحوه لا يقنع باقل من رأسه بعد أن فك عقاله فى هند تحولت الى حلبة للدم وعدم التسامح .

وذات ليلة ، قال غاندى لأبنة أخيـــه مانو بان : اذا مت على سرير مرضى فعليك أن تبلغى العالم اننى كنت مهاتما مزيفاً ، أما إذا انفجرت قنبلة كما حدث فى الأسبوع الماضى ، أو انطلقت رصاصة فتلقيتها فى صدرى العارى ولفظت انفاسى دون نهدة واحدة واسم « راما » على شفتى فقولى عنى اننى كنت مهاتما حقيقياً .

وفى اليوم التالى ٣٠ يناير ١٩٤٨ ، وفى ساعة الغروب بينما كانت أشعة شمس الشتاء الذهبية الباردة تغشى جو دلهى المائل للزرقة الشفافة بدت فى الصورة بقعة حمراء من الدم القانى اذ أطلق متعصب هندوسى الرصاص على غاندى وهو فى طريقه الى اجتماع للصلاة ، وتلقى غاندى الرصاصة فى صدره العارى ولفظ أنفاسه الأخيرة فى مكانه وهو يتمتم بين شفتيه باسم الاله « راما » .

وانطوت صفحة واحد من أعظم قادة الانسانية فى القرن العشرين ..

محمد العزب موسى



براءة الأطفال

# الذكاء

تلك السمة الانسانية التى يعزى اليها ما احرزته البشرية من انتصارات ومنجزات علمية وفنية وفكرية وفلسفية . اذا ارتفع نصيب الانسان منها وصل الى حد العباقرة والعظماءوصناع التاريخ ، واذا انخفض نصيبه منه انحط مستوى سلوكه ليقترب من مستوى السلوك الحيوانى . انه السمة المسئولة عن صنع حضارة الانسان ، ولذلك فكلما ارتفع مستوى هذه الحضارة ، وزاد تعقيدها ، كلما احتاج الفرد لمزيد من الذكاء ليحسن التعامل مع ظروف العصر . ونظراً لأهمية هذه السمة الانسانية ، كانت محط اهتمام العلماء والباحثين والفلاسفة والمفكرين ، فتساءلوا ما هى طبيعة الذكاء ؟ وما هى جذوره التى يرجع اليها؟ وهل يعد سمة وراثية ام مكتسبة بعبارة اخرى ما هى العوامل التى تؤثر فى نموه ؟ وهل هو سمة أو قدرة بسيطة ام معقدة ؟ كما تساءلوا عن نوعية العلاقة التى تربطه بغيره من السمات الانسانية الاخرى، وبعبارة ثالثة هل الذكاء قدرة مستقلة تمام الاستقلال عن غيره من القدرات والسمات ؟ وعلى اى نحو يتوزع الذكاء بين افراد المجتمع ؟ هل الغالبية اذكياء أم اغبياء ؟ وهل يؤثر نكاء الفرد فى سلوكه ، وعلى أى نحو يتم هذا التأثير ؟ وهل يختلف الذكاء بلختلاف سن الفرد ؟

## أسـئلة حيّرت العلماء

## هل الرجل أذكى من المرأة ؟
## هل الأبيض أذكى من الأسود ؟

## الحقيقة ضائعة بين العلم والتعصّب

بقلم : الدكتور عبد الرحمن العيسوي

ومن الأمور التى اثارت الاهتمام حتى الآن مسالة الفروق الجنسية فى الذكاء ، بمعنى أيهما أكثر ذكاء الذكر أم الأنثى ؟ وكذلك أثير موضوع الفروق السلالية فى الذكاء وأدت إثارة هذا الموضوع إلى نشاة كثير من الجدل نظراً لارتباط هذه المسالة بالتعصب العنصرى ، واتجاه الرجل الأبيض نحو وصف غيره من السلالات كالزنوج مثلا بانخفاض الذكاء ، ليتخذ من ذلك ذريعة لأحكام سيطرته على الزنوج أو الأفارقة . وتساءل الباحثون عن مدى تأثير الذكاء فى التحصيل الاكاديمى ، كما تساءلوا عن السن التى يتوقف عندها نمو الذكاء . انه السمة التى يباهى بها من يمتلك حظاً وافراً منها ، وهى التى تعتمد عليها اعتماداً كبيراً عملية الاستيعاب والتحصيل ، والاستذكار الدراسى ، ولذلك كان الاهتمام بها لا يعرف الفتور واصبح من المستطاع تعريف الذكاء تعريفاً دقيقاً من ناحية وقياسه كمياً محدداً . ومن نتائج تلك المعرفة انه أصبح فى المستطاع التنبؤ بمدى نجاح الطالب فى التحصيل الدراسى المستقبلى على ضوء معرفتنا بحجم مايمتلك من ذكاء .

ومن التعاريف الشائعة عن الذكاء : ان الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء . ويعرف هذا التعريف بانه التعريف الاجرائى للذكاء ، وهو التعريف العلمى القائم على أساس السمات والقدرات التى تبدو واضحة فى سلوك الفرد الذكى . ويختلف مثل هذا التعريف عن التعاريف

الفلسفية أو العامة أو الغامضة أو المبهمة ، كأن تقول ان الذكاء هبة أو فطرة . ويقودنا هذا التحليل إلى التساؤل : وما الذى تقيسه اذن مقاييس الذكاء ؟ ويبتعد مثل هذا التعريف الاجرائى عن الصعوبات التى تواجه هذا المفهوم من حيث كونه فطرياً أو الى استخدام ذهن الفرد . وتقارن استجابات الفرد على هذه السلسلة باستجابات اشخاص اخرين سبق لهم اداء هذه الاعمال ، وبالتالى نتعرف على مستواه بالنسبة لهؤلاء الذين سبق لهم القيام بنفس الاداء وتحت نفس الظروف ، والذين يشترط فيهم ان يكونوا على درجة كبيرة من الشبه معه من حيث اتفاق السن والجنس والمستوى التعليمى والثقافى والطبقة الاجتماعية والسلالة .

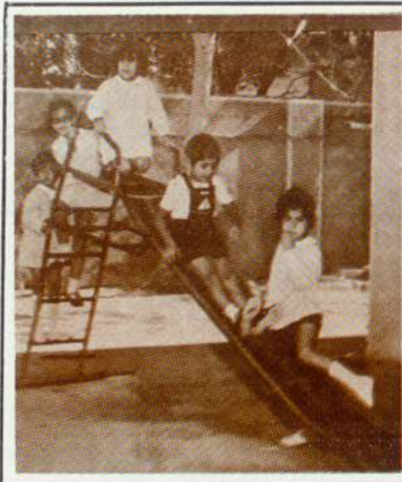
## هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟

وكثيراً ما تساءل العلماء ، هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟ بعبارة أخرى هل يتحدد كم ما يملك الفرد من ذكاء عن طريق العوامل الوراثية التى تنتقل اليه عن طريق المورثات أو ناقلات الوراثة من الآباء والأجداد ، أم أن التغذية والتربية والمعاملات التى يلقاها الطفل والخبرات التى يمر بها ، والأمراض التى تصيبه .. الخ تؤثر فى نمو ذكائه ؟ فاذا كان الوضع الوراثى هو المعبر عن الحقيقة فى هذا المبحث فاننا نقف مكتوفى الأيدى امام ما يملك الطفل من ذكاء ولا نستطيع تنميته ، واذا صح الاتجاه البيئوى فان الآفاق تفتح أمامنا لتحسين حال من حرمتهم الطبيعة من وفرة هذه القدرة الثمينة بل اننا نكون أكثر طموحاً ونعمل على زيادة ذكاء مرتفعى الذكاء أيضا تحقيقاً لمزيد من سعادة البشرية وانتصاراتها ومنجزاتها ومخترعاتها . واذا كان الأمر كذلك ، فاننا نستطيع أن نضمن تحسين ذكاء الأجيال المقبلة بصورة مضطردة جيلا بعد جيل . ويتبع ذلك بالضرورة القضاء على الظروف أو العوامل التى من شانها أن تقلل من ذكاء الأجيال القادمة .

إذا كان الذكاء ناتجاً عن العوامل الوراثية ، فاننا نتوقع ان نجد تشابها فى ذكاء الآباء والأبناء مثلما نجد من تشابه فى عوامل مثل طول القامة ، ولون العينين وشكل الشعر ولونه . فى هذا الصدد وجد كل من كونراد وجون معامل ارتباط قدره ٤٩ر٠ بين نسبة ذكاء الآباء وأبنائهم ، كما وجدا مثل هذا المعامل بين ذكاء الأخوة وراثياً ، أم أنه قدرة واحدة أم عدة قدرات متشابكة ، وما هى ما هيته أو كنهه ومادته الأولى ؟

تتضمن اختبارات الذكاء بعض الأسئلة أو المواقف أو الأعمال التى نواجه بها الفرد الأشقاء واذا ما قورن هذا المعامل بمثيله بين مجموعة من الكبار ومجموعة أخرى من الأطفال لا توجد صلة دم بينهم ، وجد أن معامل الارتباط فى هذه الحالة يساوى صفراً معبراً عن عدم وجود علاقة على الاطلاق . وفى دراسة أخرى على التوائم غير الصنوية أى تلك التوائم التى يتكون كل فرد من افرادها من بويضة مخصبة مستقلة ، وجد أن هناك معامل ارتباط قدره ٦٣ر٠ كما تدلنا على ذلك دراسة كل من نيومان ، فريمان وهولزنجر . ومثل هذا المعامل وجد بين أعضاء الأسرة الواحدة . ويقودنا هذا الى التساؤل لماذا يزيد التشابه بين التوائم عنه بين الأخوة ؟ ربما يرجع ذلك الى تشابه الظروف البيئية التى ينشأ فيها التوائم من حيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأسرة ونتيجة لتشابه المعاملة التى يتلقاها كل فرد من التوائم من قبل الآباء والأخوة والأخوات والأقارب والأصدقاء . ويؤكد هذه الملاحظة ان معامل الارتباط ، المعبر عن حجم التشابه يزداد كلما عاش التوأم مع زميله ، ولذلك اسفرت بعض الدراسات أن معامل الارتباط بين إخوة بلغوا سن العاشرة من العمر كان ٦٢ر٠ بينما كان معامل الارتباط بين ذكاء أخوة فى الرابعة فقط من عمرهم ٤٠ر٠ يرجع ذلك بالطبع الى تشابه الظروف التى يخضع لها الأخوة والى مدى استمرار هذه الظروف . وواضح ان مثل هذه الدراسات تدلنا على وجود تأثير من جانب الوراثة ومن جانب البيئة على نمو الذكاء .

وسيلة تسلية للاطفال



ونطلب منه حلها ، كحل بعض المشكلات الرياضية ، أو ادراك العلاقات ، واستخدام الرموز وفهم المواقف . يواجه الفرد بسلسلة من هذه المواقف المقننة التى يحتاج حلها

## الظروف والبيئة

ولكن هناك دراسات أكثر دلالة ووضوحاً فى البرهنة على تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على نمو ذكاء الأطفال . فلقد وجدت علاقة بين وظيفة الأب وبين ذكاء أبنائه . فلقد وجد أن ذكاء ابناء ارباب المهن الراقية كالمهندسين والمدرسين والمحامين أعلى من ذكاء أبناء العمال غير المهرة . وعلى سبيل المثال كان المتوسط الحسابى لنسبة ذكاء مجموعة من أطفال الطبقات المهنية الفنية ١١٧ر٥ بينما كان نظيره لدى أبناء عمال اليومية هو ٩٧ر٦ .

ولكننا هنا أيضاً أمام تداخل العوامل البيئية مع الوراثية ، ذلك لأننا نستطيع ان نقول ان الآباء الذين يشغلون الوظائف الفنية التخصصية الراقية يوفرون بيئة تعليمية مثيرة ، ومشجعة لابنائهم ، كأن يتوفر للطفل الغذاء الجيد ، والكتاب والمجلة والمذياع ، والتليفزيون ، والأحاديث الراقية ، ونستطيع ان نقول فى نفس الوقت أن — الآباء الذين يشغلون مثل هذه الوظائف الراقية ما كان لهم ان يشغلوها لولا تمتعهم أصلا بالذكاء المرتفع ، ومن ثم انتقل الى ابنائهم بحكم الوراثة .

وتمدنا الدراسات التى اجريت على التوائم العينية أو الصنوية وهى تلك التى تتكون من انشطار بويضه واحدة مخصبة فى ر ، والتى يمتاز توائمها باتحاد العامل الوراثى — تمدنا بكثير من المعطيات التى تفيد فى معرض الحديث عن تأثير العوامل البيئية والوراثية . ولما كانت الوراثة واحدة فى هذه الحالات ، فاننا اذا نقلنا أحد التوائم ليعيش فى بيئة مغايرة للبيئة التى يعيش فيها شقيقه ، واذا لاحظنا بعد مرور بعض الوقت ، اختلافاً فى نسبة ذكائهما لكان مرده الوحيد هو التأثير البيئى اما اذا لم نلحظ اختلافاً لكان مؤدى ذلك ان البيئة لا تؤثر فى نمو الذكاء ، وانه يحدد بفعل العوامل الوراثية الصرفة .

ولقد وجد معامل ارتباط قدره ٨٨ر٠ بين نسبة ذكاء التوائم . ولكن هذا المعامل انخفض الى ٧٧ر٠ عندما كانت الحالات منعزلة كانت الحالات منعزلة بعضها عن البعض . ومعنى ذلك أنه كلما زاد تشابه

# الذكاء

الوراثة والبيئة زاد معامل الارتباط أى زاد تشابه الذكاء . والفرق الملاحظ بين معاملى الارتباط ٨٨ر٠ ، ٧٧ر٠ انما يرجع الى الظروف البيئة .

وتعطى الدراسات التى اجريت على أطفال التبنى ومقارنة مقدار التشابه بين ذكائهم وذكاء آبائهم الطبيعيين ثم ذكاء آبائهم فى التبنى توضح أن العامل الوراثى قوى فى تحديد الذكاء ، ولكن أطفال التبنى الذين يتربون فى أسرة واحدة تكون النتيجة تشابه ذكائهم .

## للمزيد من تنمية الذكاء

ومؤدى هذه الدراسات أن هناك تأثيراً ما للعوامل البيئية على نمو الذكاء . وهنا نتساءل : ما هى تلك العوامل بغية العمل على توفير المزيد منها لأبناء أمتنا العربية ؟ لقد وجد أن الطفل الذى يذهب الى احدى دور الحضانة يمتلك ذكاء أعلى من زميله الذى لا يذهب اليها ، على اعتبار أن دار الحضانة تمثل بيئة أكثر غنى من الناحية التعليمية عن البيئة المنزلية الصرفة للطفل . ولكن هذه النتيجة ليست على اطلاقها فقد ينحدر هؤلاء الأطفال الذين يذهبون الى دور الحضانة من آباء أكثر ذكاء أصلا ، وأكثر تمتعاً بالمراكز الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة الذى يتحدد أصلا بفعل عوامل وراثية . إننا نحتاج الى معرفة كم ذكاء هؤلاء الأطفال أنفسهم قبل الالتحاق بالحضانة ثم نقيسه بعد الالتحاق ، فان زاد كانت الزيادة نتيجة لتأثير دار الحضانة .

قد لا يهتم الآباء الأقل ذكاء بايفاد أبنائهم الى دور الحضانة . لقد دلت احدى الدراسات التى تتبعت الأطفال قبل وبعد الالتحاق بدور الحضانة ووجدت ان هناك زيادة سنوية فى متوسط نسبة الذكاء قدرها ٦ر٦ . ولكن تفسير هذه الزيادة قد يرجع الى تأثير الحضانة فى نمو الذكاء فعلا وقد يرجع فقط الى تدريب الطفل على اتقان الاجابة على الأسئلة وفهمها وفهم التدريب على مواقف الاختبارات .



ابتسامة عذبة

وهناك دراسات أخرى أوضحت أن البيئة المثبطة عقلياً للطفل تؤدى الى انخفاض نسبة ذكائه . فحرمان الطفل من الاتصال الطبيعى بالأم الطبيعية أو الأم البديلة يخفض معدلات الذكاء . ومن الآثار الايجابية على نمو ذكاء الطفل مقدار الساعات التى يقضيها معه الأب وكذلك فرص اللعب البنائى أمام الطفل ، وكذلك وفرة عدد من زملاء اللعب فى المنزل ، وعدد الساعات التى يقضيها الأب فى القراءة مع ابنه .

وفى ضوء هذا الاستعراض نقول ان العوامل الوراثية تضع الاطار العام أو الحدود العامة التى ينمو خلالها الذكاء ، ولا يمكن تخطى هذه الحدود ، ولكن هذا لا يمنع من أن العوامل البيئية تؤثر ولو تأثيراً محدوداً على نمو الذكاء . وتؤثر بالقطع فى كيفية استخدام الذكاء وتحدد الوجهة التى يتخذها ذكاء الفرد ، فاما أن يتجه نحو الخلق والابداع والابتكار فى العلم والفن والتحصيل والأعمال الايجابية النافعة ، وإما أن يتجه نحو السرقة والجريمة والانحراف وخاصة تلك الجرائم التى تحتاج الى قدر كبير من الذكاء كالاختلاس والتزوير والتزييف والنصب والاحتيال . ومعنى ذلك ان الوراثة تعطى البذور الخام ، والتربة الصالحة هى التى تحدد إما أن ينمو الذكاء ويزدهر أو يطمس ويندثر ، اما ان يرتقى بصاحبه الى مراتب الخير ، واما ان يتجه الى الشر والجريمة .

ومعنى ذلك ان الانسان ، بحق ، هو ابن البيئة والوراثة معاً ، ونتيجة محصلة للتفاعل بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية . ذلك لأن البيئة تؤثر فى الوراثة وتتأثر بها . ولكننا مهما كان أثر العوامل البيئية صغيراً فاننا لابد وان نتمسك به ونحرص عليه ونسعى لتحسينه وتطويره ، لأنه العامل الوحيد الذى نستطيع أن نعدله ونطوره أما الوراثة فان تغييرها أمر صعب نسبياً وان كان هناك الآن علم تحسين الوراثة .

ترى كم نحن فى حاجة إلى رعاية أطفال امتنا العربية واحاطة ذكائهم بالعناية والرعاية وحسن التوجيه وتوفير الأغذية والتحصينات الطبية والكتب والمجلات والمدارس والرحلات وغير ذلك من الأمور التى تنمي ذكاؤهم وتوسع افاقهم ؟

د . عبد الرحمن العيسوى
أستاذ علم النفس بجامعة الاسكندرية

# البلبل ولغته القديمة

شعر : د . كمال نشأت

يجيء عبر هذه الآفاقْ
وعُشه جناحُهُ
وقوته الأشواقْ

صوت : يابلبلى الجوَّال هل سعدت بالتجوالْ .؟
فكم حنَنْتَ لهفةً لعشكَ المحَالْ

صوت : نسمع صوتَ الريحْ
تُعْوِلُ فى التلالْ
والبلبلُ الجريحْ
جناحُه تَرْحَالْ

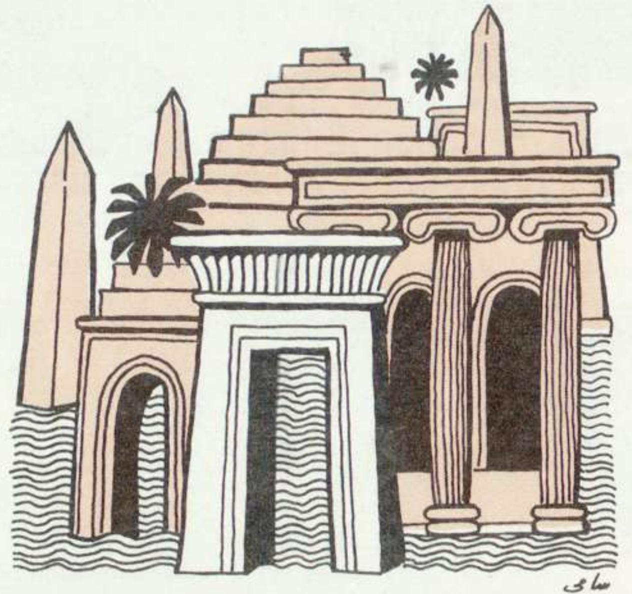
صوت : كلهفةِ اليمامِ فى تشرينْ
يابلبلى المسكينْ
كم ليلة قضيتْ
تلتقطُ النجومَ بالمنقارْ
فيطلع النهارْ
ويضحكُ النسرينْ
غنَّيتَ فوق نينوى .. وبابلٍ .. وطيبَهْ
وطِرْتَ فوق هذه المدائنِ العجيبَهْ
وعدتَ بالسؤالْ
محترقَ الأجابهْ
وكلّ ما يقالْ
تأكلُهُ الغَرَابَهْ

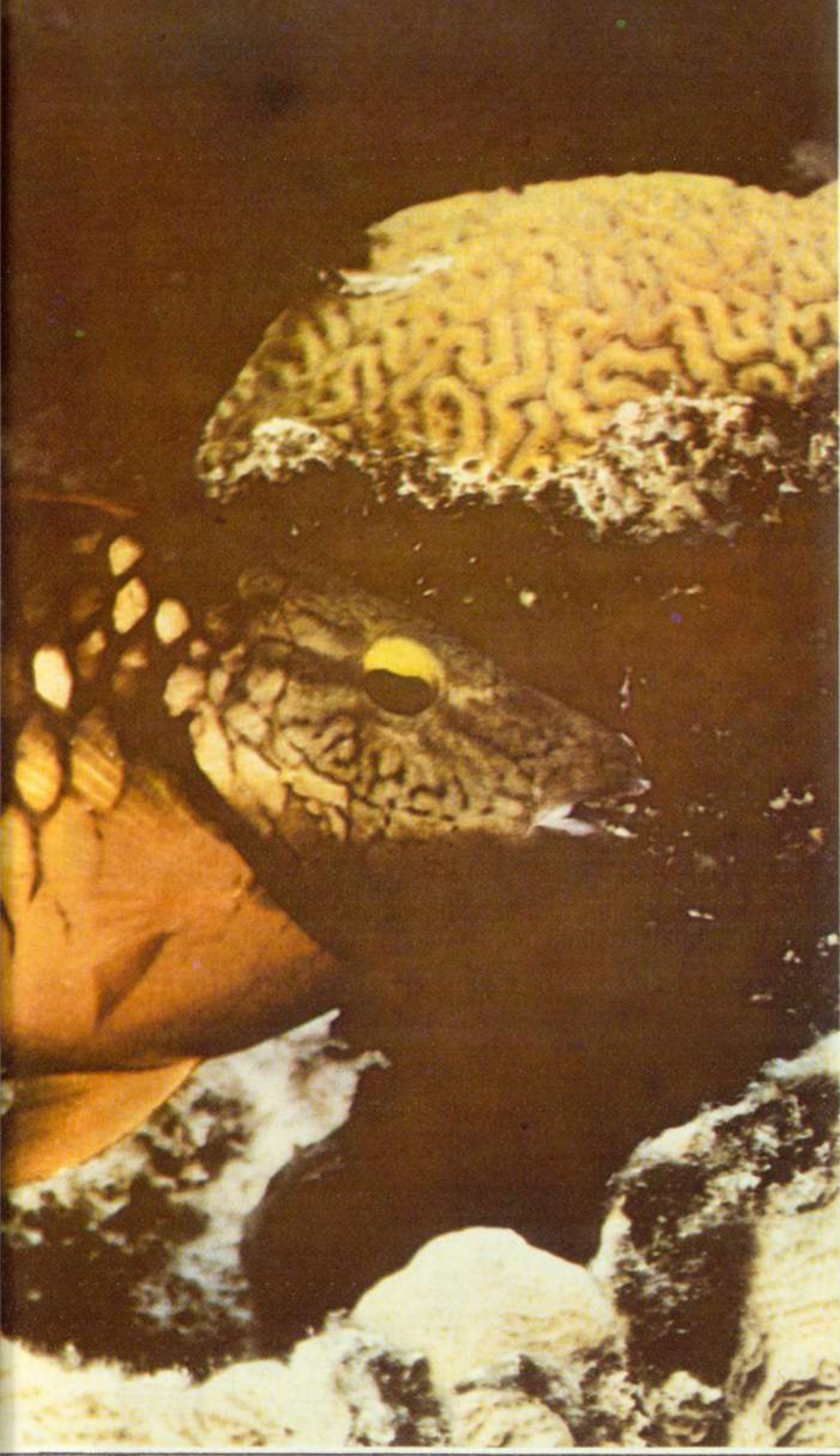
صوت : الريحُ فى مدارها تخفتُ .. بل تنامْ
وانت يا مجرّحَ الاحساسِ لا تنامْ
فكن لنا السلامْ
وكن .. لك السلامْ

البلبل : حاولتُ أن أكونْ
واحسرتا .. أكونْ
نسيت كلّ قدرتى
ولغتي القديمَهْ
وكلما حاولتْ
يقتلُنِى الغناءْ
فأرتمى مكبَّلَ اليدينْ
وتنزف الدماءْ
كأننى الحسيْنْ

صوت : جَبَانَةٌ أوهامُكَ المطروحهْ
فكن كما خُلِقْتْ
النارَ والهشيمَ والمقدرةَ الطموحَهْ
وعُدْ الى لغاتِكَ القديمَهْ
فصمتكَ الخَزْيَانْ
جريمةٌ الجريمهْ







سجينة المرجان التى تنطلق من جلود لوامسها صواريخ فتاكة تلتف حول احدى الكائنات الدقيقة

# الحياة والموت في بحر ملوّن

الحلقة السادسة والأخيرة

# سجينة المرجان في انتظار الزيارة القادمة

بقلم : صنع الله إبراهيم

كان ثمة شىء غريب فى أمر الكتلة المستديرة فى حجم ثمرة بطيخ صغيرة الحجم ، التى استقرت بين صخور الشعاب تحيط بها المياه من أغلب الجوانب .

فعلى سطحها انتشرت شبكة من الأخاديد المتعرجة كالمتاهات ، أو التلافيف التى يتشكل منها المخ الحيوانى ، استقرت داخلها سلسلة متصلة الحلقات من البوليبات المرجانية الصغيرة .

وبعكس أغلب البوليبات المرجانية التى تفرز جيراً صخرياً يتشكل على هيئة كؤوس مستقلة تعيش داخلها ، اتصلت البوليبات المخية ببعضها البعض فى كيان واحد مترابط ، يكسوه النسيج الرقيق الملون للحيوان المرجانى .

ومن كل بوليب برزت ، لوامس مغطاة بخلايا لاسعة لا ترى ، تموجت فى مياه البحر فى حركة لاهية تخفى شهوة لا ترتوى للافتراس .

فبين الحين والآخر ، تنطلق من جلود اللوامس تلك الصواريخ الفتاكة المعهودة ، لتلتف حول احدى الكائنات الدقيقة العائمة ، أو تخترق أجسادها فتخدرها ، ثم تجذبها الى الأفواه الدقيقة التى اصطفت على مسافات متباعدة فى قيعان الأخاديد ، وقد انفرجت لتبتلع ما يقدم اليها فى شراهة .

لكن هذه اللوامس لم تحرك ساكناً عندما حملت اليها المياه أنثى صغيرة للغاية من اناث الحيوان القشرى المشهور باسم السرطان .

لقطتان .. الأولى لقطة مكبرة لجانب من سطح كتلة المرجان المخى ، تبدو فيها البوليبات وقد اندمجت فى تكوين على نسق شبكى .. واللقطة الثانية لنوع آخر غريب من سراطين البحر الأحمر ، لا تكاد تفرق بينه وبين كتل الطحالب

# سجينة المرجان

وكأنما كانت السرطانة الصغيرة على ثقة من مسلك سكان الكتلة المرجانية ، فقد تقدمت فى جراة من سطحها ، ومضت تنتقل بين البوليبات ، وتعبر الأخاديد ، دون أن تعبأ بما تحمله اللوامس من صواريخ على أهبة الاطلاق .

والواقع أنها لم تخطىء التقدير ، فقد امتنعت الخلايا اللاسعة للمستعمرة كلها عن اطلاق قذائفها الفتاكة .

عثرت السرطانة على بقعة خالية من اللحم المرجانى الحى ، فدقت الجـــدار الصخرى بكلابيها القويين . وتساقطت على الفور بضع ذرات من الحجر الجيرى فى الماء ولم ينطلق صاروخ واحد .

واصلت السرطانة العمل فانتزعت الذرات المجاورة فى خط دائرى ، صانعة حفرة دقيقة للغاية اتسع محيطها باطراد حتى أصبح مساوياً لمحيط جسدها . عندئذ تحولت الى مركز الحفرة وجعلت تحفر الى الداخل .

شعرت بالتعب بعد قليل فكفت عن العمل وابتعدت عن الحفرة التى لم تتعد ـ حتى الآن ـ كشطاً بسيطاً فى سطح الجدار . دارت حول الحفرة عدة مرات تدرسها بدقة وهى تزيل ما يعترضها من ذرات ناتئة غفلت عنها أثناء الحفر ، ثم عادت اليها فجمعت جسدها كله داخل اطارها ، والتصقت بالقاع فى شدة ، منكمشة على نفسها .

وأصبحت بذلك ، لأول مرة ، فى مأمن ـ الى درجة ليست بعد بالكافية ـ من عشرات الأخطار التى تهدد جنسها ونوعها .

عضها الجوع بعد فترة من الوقت ، فتحركت كارهة وهامت على وجهها فوق سطح المستعمرة والتكوينات الصـخرية المجاورة ، تلتقط ما يعترضها من كائنات أصغر منها ، من ديدان وبرقات وبيض أسماك وقواقع وصغار جمبريات وبراغيث بحرية وطحالب . وعندما ملأت بطنها ، عادت الى حفرتها ، فاستأنفت العمل .

كل هذا دون أن تطلق اللوامس صاروخاً واحداً من صواريخها على المتطفلة الجريئة

## الحياة المشتركة

مرت الأيام والسرطانة تعمل فى حماس ، تدق الجدار وتنتزع صخوره الدقيقـــة ، فتلقى بها إلى الماء ، وتدق الجدار من جديد ، متقدمة بدأب من أعماق الكتلة .

وأمكنها أخيراً أن تختفى تماماً ، داخل الحفرة ، عن أعدائها الكثيرين الذين يجوبون الماء ليلا ونهاراً ، فتنفست الصعداء لأول مرة فى حياتها .

لكنها لم تكف عن العمل ، وواصلت الحفر بحماس متزايد ، كأنها فى عجلة من أمرها .

وخلال ذلك بقت البوليبات على تجاهلها للسرطانة المتطفلة ، وحرصت فى الوقت نفسه على أن تجنبها نيران أسلحتها الفتاكة التى كانت تنطلق أغلب الوقت فى كل اتجاه .

وبدا كان المستعمرة الصـغيرة على استعداد لقبول الحياة المشتركة مع السرطانة المتطفلة ، التى أوحت كل تصرفاتها بانها تستعد لاقامة طويلة الأمد .

والواقع ان البحر يعرف نماذج عديدة من الحياة المشتركة بين كائنات مختلفة من أنواع متباينة ، لا يربط بينها شىء فى الظاهر ، بينما هى تتبادل أكثر المصالح حيوية . فالبعض يهيىء المأوى ويقدم الثانى الغذاء أو الحماية ، كما هو الأمـر بين الشقائق البحرية وسمكة المهرج ، وبين المرجان اللين والطحالب السمراء ، أو يتولى الأول التنظيف ويقدم الثاني الطعام كما يحدث بين أسماك القرش ومرافقيها ؛ ويتجنب كل من الطرفين الحاق الأذى بالطرف الآخر .

بل إن مجموعة كاملة من الحيوانات المختلفة كانت تشترك فى جحر صغير على مقربة ، الى جوار دغل من مرجان داكن الحمرة ، ذى فروع كبيرة لاسعة ، يعرف بين سكان الشواطىء العربية بالمرجان الأسود ، بسبب اللون الذى يتبدى عليه عندما ينتزع من الماء .

فعلى باب الجحر ، اعتمدت سمكة مستطيلة من نوع الجوبى ، لا يتجاوز سمكها أصبع انسان ، على الصخر ، وقد أرهفت حواسها لكل ما يجرى حولها . ومن فتحته برزت لوامس نوع من الجمبرى يسمى بالمطقطق بسبب الأصوات التى يحدثها ، عكف على توسيع الجحر وتطهيره أولا بأول من الرمال التى تحملها إليه المياه .

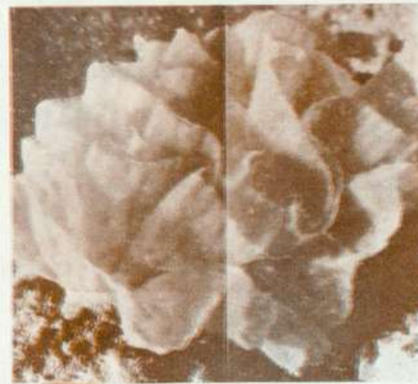
وسرعان ما يظهر الجمبرى نفسه ، الذى يربو طوله على خمسة سنتيمترات ، دافعاً أمامه كوماً من الرمال ، فيتطلع حوله بعينيه الضعيفتين ، فاذا ما رأى الجوبى اطمأن والقى بالكوم فى الماء ثم ضم فكى احدى كلابيه محدثاً فرقعة مدوية ، كأنما ينذر من تسول له نفسه الاقتراب ، ويعود ادراجه داخل الجحر .

أما اذا لم تكن الجوبى فى موقعها الثابت أمام الجحر ، أوحى ذلك بالخطر ، فيتراجع الجمبرى على الفور ، بينما تكون الجوبى قابعة فى مخبأ قريب حتى ينجلى الأمر .

وبالاضافة الى أنثى الجمبرى يضم الجحر زوجاً من نوع آخر من الجوبى ، أكثر طولا ونحافة وشفافية من السمكة الأولى ، لا يظهر خارجه الا لماماً .

كما يعيش به سرطان ، وعدة ديدان من عائلتين مختلفتين .

ويمكن تصور مجموعة المنافع المتبادلة التى تربط بين أفراد هذه المجموعة من السكان المشتركين فى المأوى . فالسرطان يحفر والجمبرى ينقل نتائج الحفر الى الخارج ، والجوبى تتولى الحراسة ، والدود ينظف ، وهناك من يجلب الطعام ، الخ .



ما يبدو لك مثل الوردة ليس إلا شريطاً ملفوفاً يضم عدة آلاف من بيض إحدى القواقع المعروفة بالحلازين البحرية .

## الرابطة القوية

لكن الأمر ليس دائماً بهذه البساطة .

فكثيراً ما تكون العلاقات المشتركة على درجة من التعقيد ، لا تكشف عن طبيعة المصالح المتبادلة التى تبررها .

مثلما هو الشأن بين بوليبات المرجان المخى والسرطانة الصغيرة المتطفلة .

فمن الجلى أن الأولى تقدم للثانية مأوى آمناً تحرسه ترسانة من السهام المسممة . فماذا تقدم السرطانة مقابل ذلك ؟ وما الذى تستفيده البوليبات ويجعلها تغض الطرف عن تحركات السرطانة وعدوانها على جدران المستعمرة ؟



لقطة مكبرة لرأس السرطان الناسك ، التى يمتد منها قضيبان بارزان يحملان العينين فى نهايتهما،وكأنهما كرتان زجاجيتان.

إنها بالطبع لا تقدم الغذاء اليومى التى تجمعه البوليبات بسهولة من المياه المحيطة بها ، دون أن تغادر أماكنها .

وهى لا تقدم لها خدمات أخرى ظاهرة مثل التنظيف أو الحراسة . ويوحى مسلكها كله بأنها لا تكاد تشعر بوجود البوليبات ، ولا تعبأ بها .

فهى تقضى وقتها فى الحفر داخل الكتلة المرجانية ، ثم تغادر الجحر لتتغذى أو تريض ، فاذا ما شعرت بالخطر عادت اليه سرعة .

وفيما عدا حرص البوليبات على ألا تتعرض السرطانة لسهام لوامسها ، تبدو غارقة فى تيار حياتها الخاصة ، كأنما تشارك الحيوان القشرى الصغير مشاعر التجاهل واللامبالاة .

فبالنهار تطوى لوامسها ، وتنكمش وتنقبض . وبالليل تتمدد وتنبسط ، وتنشر لوامسها فى الماء ، لتكبل وتلسع وتصيد . وعندئذ تنفرج الأفواه لتبتلع الفرائس ، ثم تتقلص الأجساد أو البطون لتهضم ، وتتقلص مرة ثانية لتضغط الطعام المهضوم إلى أسفل ، كى ينساب الى بقية البوليبات عبر القناة الهضمية المشتركة . وتتقلص مرة ثالثة لتضغط المخلفات الى أعلى ، لتخرج من نفس الأماكن التى جاءت منها ، أى من أفواه البوليبات .

وهى نشاطات لا تمس السرطانة من قريب أو بعيد .

على أن رابطة قوية للغاية وصلت بين الاثنين فى علاقة متينة سداها وحدة المأوى ولحمتها وحدة الهدف .

فالكتلة الصخرية التى تحتمى السرطانة بأعماقها ، تقوم أيضاً بمثابة الدرع للبوليبات الصغيرة الرقيقة . وكلما ازدادت جدران الأخاديد . ارتفاعاً ، وتضاعف حجم الكتلة نفسها وثقلها ، أمكن للبوليبات أن تتقى فعل الأمواج والعواصف والحيوانات الحافرة كالاصداف ، أو تلك التى تسعى خلف النسيج الرقيق الملون ، المغلف للمستعمرة ، مثل بعض الأسماك والنجوم البحرية .

من أجل هذا تحول خلايا البوليبات أملاح الكالسيوم التى تمتصها من الماء إلى مادة جيرية ، تفرزها الجلود الخارجية لأجسامها فتتراكم فى قيعان الأخاديد ، مضيفة طبقات جديدة الى الكتلة الصخرية للمستعمرة .

ويظهر أثر هذه الاضافة على جدران الغرفة السرطانية والممر المؤدى اليها ، فتدافع الساكنة الصغيرة عن المساحة التى تسمح لها بالحركة ، وتنتزع من الجدار طبقة رقيقة بدلا من التى أضيفت إليه .

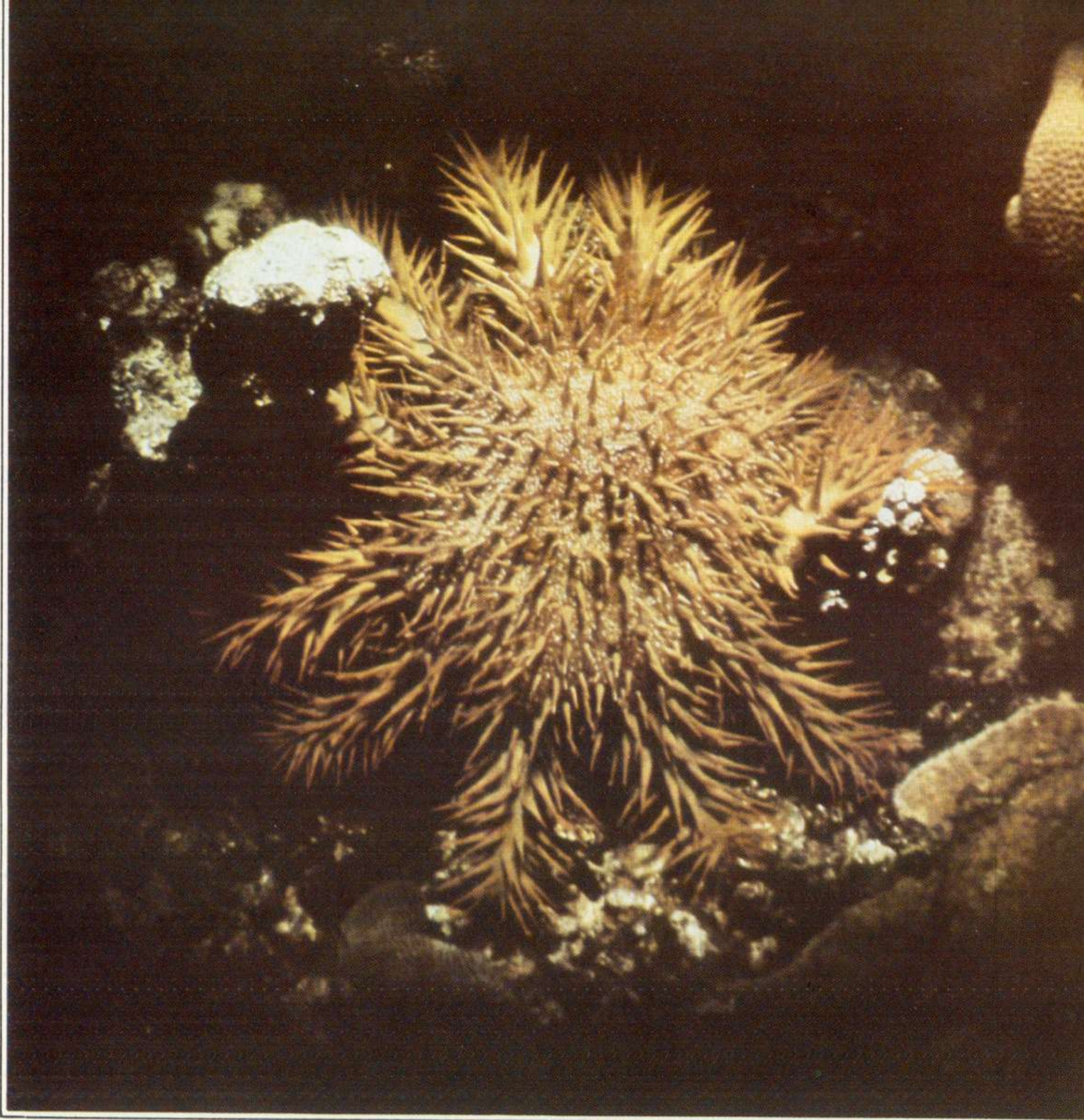
وفى أثناء ذلك لا يتوقف جسد السرطانة عن النمو . فاذا ما شعرت بضيق الجدران انتزعت طبقة أخرى منها .

وهذا ما يفسر استمرارها فى دق الجدران ونبشها بعد أن اكتمل حفر الجحر .

وتشعر البوليبات بهذا الدق والنبش ، كما يشعر الانسان بأى طرق على جدران مسكنه من الجيران .

والانسان ينفعل بصورة خاصة اذا ما وقع الطرق أثناء الليل أو وقت القيلولة ، بسبب ما يتعرض له من ازعاج . ويؤدى هذا الانفعال إلى افراز اضافى من مادة الادرينالين فى جسمه .

ويحدث شىء مشابه للبوليبات عندما تدق السرطانة الجدران وتنبشها . فهى تنفعل بشدة ، اما نتيجة الشعور بالخطر ، أو لأن نشاط السرطانة يحدث تأثيراً مهيجاً على الأغشية الخارجية لاجساد البوليبات وأيا كان السبب ، فان نشاط السرطانة



احد أنواع نجوم البحر التى تعرف باسم « تاج الشوك » بسبب أشواكها الحادة التى يمكن أن تحدث جراحاً مؤلمة للإنسان .. وتعيش هذه النجوم على البوليبات المرجانية

# سجينة المرجان

يؤدى الى مضاعفة الافرازات الجيرية لجلود البوليبات المرجانية ، فترتفع جدران الأخاديد بسرعة ، ويزداد حجم الكتلة الصخرية للمستعمرة .

وليس من الصعب ان نتتبع تاريخ العلاقة بين النوعين الذى يمتد عبر ملايين السنين .

ولابد لذلك من أن نفترض يوماً فى قديم الزمان ، هبت فيه عاصفة على البحر ، وحملت الأمواج الثائرة سرطانة من النوع الذى يمتهن الحفر فى الصخور إلى سطح مستعمرة من المرجان المخى .

وعلينا أيضاً ان نفترض ان ذلك تم بالنهار ، عندما تنكمش البوليبات وتطوى لوامسها . كما أن العاصفة ضاعفت من انكماش البوليبات وجعلتها تعزف عن مهاجمة الزائرة الغريبة وافتراسها .

هكذا وجدت السرطانة الفرصة لأن تمارس نشاطها الغريزى فى الحفر . وعندما انجابت العاصفة وحل الظلام كانت قد

إلى أعلى : نوع من خيار البحر يصل طوله إلى ربع المتر ، وتستخدم لوامسه الطويلة فى إمساك الكائنات التى يعيش عليها الحيوان .. وإلى أسفل : سرطان حمل على ظهره شقيقين بحريين ليحتمي بخلاياهما اللاسعة ، أما هما فيتغذيان على ما يجمعه السرطان من كائنات دقيقة

# سجينة المرجان

تمكنت من اعداد حفرة سطحية ، فاصبحت بمنجاة من سهام البوليبات .

وسرعان ما اكتشفت البوليبات انها تستريح للأثر الذى يحدثه وجود السرطانة ونبشها فى الجدران ، كما تبينت الأخيرة ما يتحقق لها من أمان فى ظل الصواريخ البوليبية .

ولاشك ان هذه التجربة تكررت بعد ذلك بين الأفراد المختلفة للحيوانين ، وفى ظروف متباينة .

الا أن الأمر تطلب عدة آلاف من السنين ، وأعداداً هائلة من ضحايا السراطين الحافرة قبل ان تتحول هذه الاكتشافات الى شىء كالغريزة ، تتوارثه الأجيال المتعاقبة للحيوانين ، يدفع السرطانة الحافرة الى الالتجاء فى اطمئنان الى مستعمرات المرجان المخى ، ويجعل البوليبات تتقبلها فى ترحاب .

وخلال ذلك تبينت البوليبات العـــلاقة الوثيقة بين الدغدغة اللطيفة التى تقدمها اليها السرطانة ، وزيادة افرازاتها من الجير كمـــا اكتشفت السرطانة الدور الحاسم الذى يمكن أن تلعبه المستعمرة فى تحقيق أسمى أهداف حياتها ، ألا وهو المحافظة على النوع .

## استمرار النوع

ومن الواضح أن هدف المحافظة على النوع لم يغب عن سرطانتنا منذ اللحظة التى استقرت فيها على سطح المستعمرة المرجانية .

وآية ذلك أنها كانت تعمل أغلب الوقت فى توسيع الجحر وتسوية جدرانه ، وتحرص على أن تبقى فتحته على شكلها الدائرى ، فتزيل بكلابيها ما يتراكم حولها من شوائب أو ذرات جيرية ، دون أن تحفل بتوسيع الفتحة ذاتها لتتناسب مع نمو جسدها .

وبمرور الأيام أصبحت تمر من الفتحة – فى دخولها وخروجها – بصعوبة متزايدة . لكنها لم تفكر أبداً فى ازالة بعض من جدارها .

وذات يوم عادت من احدى جولات التغذية ببطن ممتلئة ، فعجزت عن دخول الجحر ، ولم تتمكن من اقتحام فتحته الا بعد جهد جهيد .

وعندما أرادت الخروج فى الصباح التالى لم تتمكن .

لم يبد عليها أنها انزعجت لهذا التطور الذى جعل منها سجينة الى الأبد ، فقد كرت عائدة إلى أعماق الجحر حيث استقرت فى هدوء .

والواقع أن الانزعاج لم يكن له مبرر ، طالما أنها كانت تسعى – منذ البداية – لهذه الغـــاية .

ففى هذه اللحظة أصبحت لأول مرة – أنثى كاملة النمو ، قادرة على القيام بالدور الغريزى الذى يتوقف عليه استمرار النوع .

## الأشياء تتغير

تغيرت أشياء كثيرة فى حياة السرطانة السجينة .

وأول هذه الأشياء يتصل بطعامها . فلم يعد بوسعها ان تخرج للبحث عنه . وأصبح عليها ان تكتفى بما تحمله تيارات الماء إلى داخل الجحر من كائنات دقيقة فضلا عن الأكسجين المذاب ، وهى نفس التيارات التى تأخذ معها ما يتخلف عن السجينة من نتائج لعملية الهضم .

وتغير أيضاً شكل جسدها ، فقد تركز نموه على منطقة البطن ( كى تتسع لعدة آلاف من البيض ) ، وأخذت سيقانها تذوى ، بعد ان فقدت وظيفتها .

وسرعان ما ضاقت عليها القشرة الخارجية التى تكسو جسدها ، والمكونة من مادة تشبه مادة أظافر الانسان . وأثار ذلك ضيقها ، كما أدى الى توترها . وبدأت حرارة جسدها ترتفع ، فسرى الجفاف إلى القشرة حتى أوشكت أن تنفصل عن جسدها . وبدت ذات صباح وكأن الجنون قد أصابها .

فقد جعلت تهز أرجلها بعنف ، وتحك كل واحدة منها بالأخرى ، ثم تحرك بطنها فى حركات فجائية ، وتثنى جسدها عند منطقة اتصال البطن بالصدر والرأس .

وأدت هذه الحركات إلى حدوث شق عرضى بالقشرة فى المكان الذى يفصل البطن عن الجزء الأمامى من الجسم المكون من صدر ورأس مندمجين . ومن الشق الناشىء خرجت السرطانة من القشرة ، كما تخرج يد بشرية من قفاز متيبس .

تكومت القشرة المخلوعة إلى جوار أرجلها التى لم تتحرر بعد من لباسها وحركت السرطانة بطنها من جديد فظهر شق متسع على قشرة كل ساق .

أقبلت تحرر سيقانها ، واحدة بعد الأخرى . وبينما هى تجذب الساق الثالثة ، فوجئت بها تنكسر ، وتتدلى من جسدها .

كفت عن الحركة ، وجعلت تتأمل الساق المكسورة وتتحسسها ببقية سيقانها . وحزمت أمرها أخيراً ، فضغطت عضلة خاصة قرب اتصال البطن بالساق ، وأدى الضغط الى ثنى الساق بقوة وقصفها . وبحركة خفيفة من جسدها أمكنها أن تفصل الساق نهائياً ، فألقت بها فى الماء .

ظهرت نقطة من الدماء فى موضع البتر ، لكن السرطانة لم تعبأ بالأمر . فلا تلبث الدماء ان تتخثر وتجف ، ثم ينغلق مكان الجرح بغشاء محكم ، وتنمو ساق جديدة .

وجهت السرطانة اهتمامها إلى استكمال نزع القشرة من بقية السيقان . وانتهت من ذلك بعد قليل ، فوقفت عارية تماماً ، بينما جرفت المياه القشرة المخلوعة إلى الخارج .

وكأنما تمثل هذه القشرة اشارة متفقاً عليها فى عالم السراطين ، فسرعـــان ما تجمعت فى المياه ، وفوق الصخور ، المحيطة بالكتلة المرجانية ، اعداد متزايدة من ذكور السراطين التى تنتمى لنفس النوع الحافر ، وان كانت أصغر فى الحجم بكثير من الأنثى السجينة .

اقتربت الذكور فى حذر من الكتلة المرجانية ، وعندما لم تتعرض لأذى من البوليبات النشطة ، تشجعت واتجهت صوب الجحر .

كانت أحجامها الصغيرة تسمح لها بالمرور فى سهولة من فتحة الجحر . لكنها ظلت تحوم حولها دون أن يفكر أحد فى اقتحامها ، كأنما تنتظر اشارة أخرى .

وفى الداخل ، كانت الأنثى ذات البطن المنتفخة بالبيض تقبع عارية فى انتظار نمو القشرة الجديدة .

ولاشك أنها شعرت بوجود الذكور فى الخارج ، وان ذلك أثار انفعالها ، وأدى إلى زيادة افراز الهرمونات المسئولة عن النمو ، وبالتالى ترسيب كميات أكبر من الاملاح الجيرية تساعد على تصلب القشرة المغلفة لجسدها .

وظهرت القشرة الجديدة بعد يومين وقد ازدانت بزركشة خاصة براقة ، اشارة الى أن صاحبتها قد نضجت وتأهبت للتزاوج .

وهى الاشارة التى تلقتها الذكور المنتظرة فى الخارج بطريقة ما ، فتدافعت جميعاً على

باب الجحر ، وكل منها يحاول ان يسبق الآخر .

ولم يكن ثمة مفر من أن تقوم بينها معركة عنيفة بالكلابات ، استمرت عدة ساعات وانتهت بانتصار واحد منها .

واقتحم المنتصر فتحة الجحر فى زهو ، وتقدم بسرعة الى حيث وقفت السرطانة تنتظر .. وتم اللقاء ..

ولم يلبث البيض الملقح فى جسد الأنثى أن انزلق خارجه ، وانحدر على أرجلها المتصلة بالبيض .

## الحاجة للطعــام

فى هذه الأثناء ، كانت حمى المحافظة على النوع قد أصابت البوليبات المرجانية بالمثل ، فانقسمت الخلايا التناسلية الأولى للبوليبات الذكرية انقسامات عديدة متتابعة تمخضت عن حويصلات تحوى الغــــدد المنوية .

وتوالت الانقسامات داخل كل حويصلة ، فكبر حجمها وبرزت من الجدار الداخلى للبوليب وتدلت فى التجويف الهضمى أو المعدة ، ثم سقطت داخله . وظلت الحويصلات طافية داخل البوليبات إلى أن تم نضوجها فانفجرت مطلقة الحيوانات المنوية ، التى تدافعت نحو فم البوليب ومنه إلى الخارج .

وحدث نفس الشىء فى البوليبات . الا أن البويضات امتصت ، أثناء تكونها فى الجدار كميات كبيرة من الغذاء من الخلايا المحيطة بهـــا ، فكبر حجمهـــا كثيراً . وعنــدما سقطت فى بطن البوليب ، تجلت داخل كل منها نواة كبيرة يربو قطرها على نصف ملليمتر .

وطفت البويضات المحملة بالملح فى التجويف البطنى ، صاعدة إلى أعلى ، حيث يوجد فم البوليب . لكن فتحة الفم كانت أضيق من أن تتسع لأجسامها الكبيرة ، فسقطت فى القاع .

وتكرر صعود البويضات وهبوطها ، مما أدى إلى استطالة أجسادها ، فاتسعت لها فتحة الفم الدقيقة .

خرجت البويضات من فم البوليب فرادى تفصل بين الواحدة والأخرى عدة دقائق ، وتلقفتها اللوامس على الفور ، فاحتوت كل واحدة لمدة دقيقة أو أكثر ، ضغطت عليها خلالها ضغطاً خفيفاً ، ثم أخلت سبيلها فى الماء ، وقد استعادت شكلها الكروى الذى سيمكنها من استقبال الحيوانات المنوية الذكرية .

لكن مصير البويضات يتحدد فى الواقع طبقاً للقوانين السائدة فى عالم البحر . فالى جانب دورها الرئيسى فى الابقاء على النوع فانها تقوم بدور اخر لا يقل أهمية ، اذ تتصدر قائمة الطعام التى تعيش عليها كائنات عديدة مثل السراطين .

وفى هذه اللحظة بالذات ، كانت سجينة المرجان فى أشد الحاجة إلى هذا اللون من الطعام .

فككل الحوامل من جميع الكائنات ، تفتحت شهيتها للطعام بعد اتمام التلقيح والاخصاب ، ولم تعد الموارد العادية التى تحملها إليها المياه تكفى لتغذيتها وتغذية البيض النامى على ارجلها .

وحملت اليها المياه ــ فى الوقت المناسب ــ أعداداً غفيرة من بيض المرجان .

## اليوم الموعود

استمر الحمل شهراً كاملا .

وخلاله كانت السرطانة تقوم يومياً بحركات رياضية معينة ، تتارجح فيها إلى الامام ، والخلف ، حتى تساعد على تهوية البيض المدلى من ارجلها فى عناقيد كعناقيد من عنب دقيق الحجم .

وأخذ لون كتلة البيض يتحول إلى اللون الرمادى ، ليعلن عن استعداد الصغار للحياة .

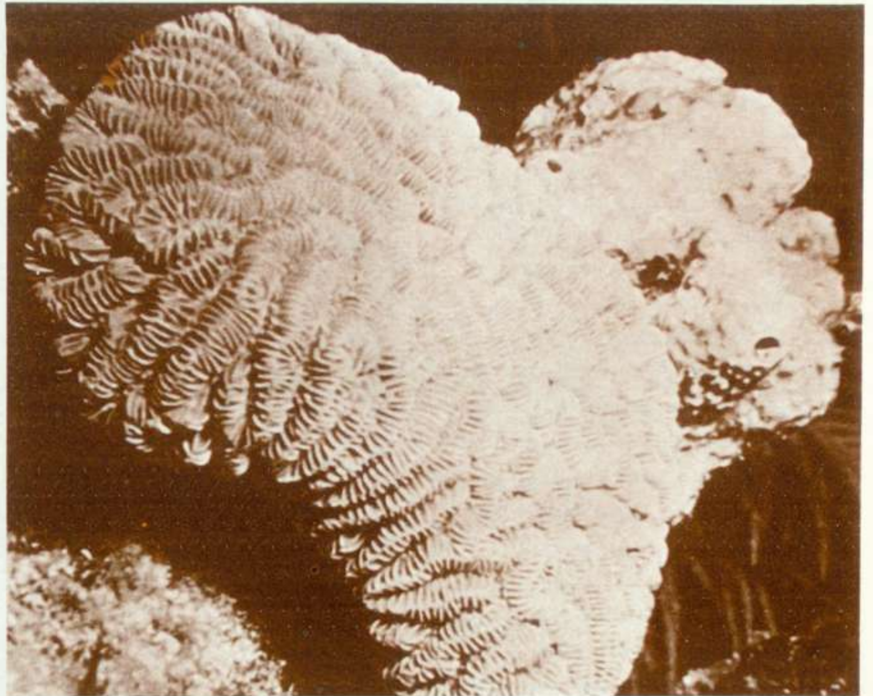
وحل اليوم الموعود أخيراً ، اذ انفجرت قواقع البيض ، وخرجت منها مئات اليرقات فى أحجام ضئيلة للغاية تسمح لها بالمرور من ثقب الأبرة ، وأشكال أقرب إلى العفاريت ، لاتمت بوجه شبه لأى من أبويها غير أنها لا تلبث ان تاخذ شكلها بعد أن تستبدل قشرتها الخارجية عدة مرات ، فيما يعرف بعملية الانسلاخ .

هذا اذا ما بقيت على قيد الحياة .

فقد حملتها المياه الى الخارج ، حيث كانت فى انتظارها مختلف الأحياء الجائعة وعلى رأسها البوليبات المرجانية ذاتها ، التى احتضنت ورعت خروجها الى الحياة .

اما الأم فقد تابعت صغارها حتى اختفى آخرهم ، وأصبحت بمفردها من جديد ، وعندئذ تحولت الى جدارن محبسها الأبدى تسويها وتزيل ما تراكم عليها من جير ، ومدغدغة بذلك قواعد البوليبات وجلودها ، محركة حلقات السلسلة الخالدة من الأفعال وردودها ، منتظرة فى صبر وسكينة موعد الانسلاخ التالى ، والزيارة القادمة للذكور !

صنع الله ابراهيم



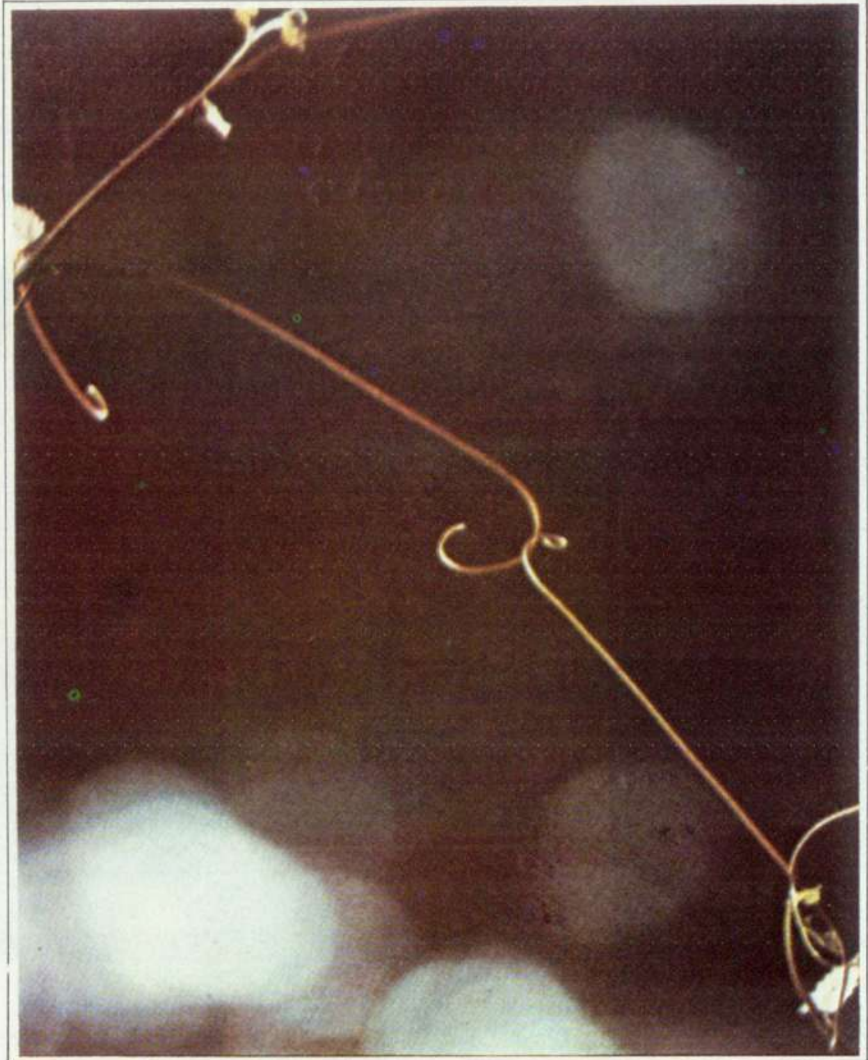
لقطة نادرة لمستعمرة من نوع آخر من المراجين المخية

# لقطات من الكون المثير



## يتيم فى عالم غريب !

ماتت أمه الحقيقية بعد ولادته بقليل فعوضته الحياة بهذه « الأم » التى وضعته بين يديها ، لكن المأساة بادية عليها ، فهى لا تستطيع ان تقوم بدور المرضعة ، لأن اللبن لا ينساب من الأثداء الا قبيل الوضع ، أو أثناء الرضاع ، وفى هذا لا يختلف القرود عن البشر وطبيعى ان هذه القردة لا تعرف كيف تتصرف مع هذا الرضيع كما يتصرف البشر ، وأخيرا جاء الموت ليضع حدا لهذه المأساة . ولكنها تركت بصمات على هيئة تعبيرات حزينة ، لا تختلف كثيرا عن تعبيرات البشر ، لكن بدون عويل أو بكاء أو رثاء . لأن الحيوان لا يعرف معنى الموت والحياة ـ كما يعرف ذلك الانسان !



## عناق فى الهـــواء !

وهنا أيضا تلتف الساق بالساق ، لكن ذلك يحدث فى عالم النبات ، لا ليبنى خيمة ، كما فعلت الحشرات ( فى الصورة المنشورة هنا ) ، ولكن ليحقق بها النبات هدفا هاما يتوقف عليه حياته اذ ان بعض النباتات قد جاءت بسيقان ضعيفة لا تساعدها على الارتفاع ، لتحصل على نصيبها من أشعة الشمس بين النباتات الأخرى التى تشاركها بيئتها ، ومن أجل هذا تحورت فى تلك النباتات الضعيفة بعض سيقانها ، وتحولت الى محاليق متينة قد تتخذ أشكالا لولبية لتلتف بأى شىء قائم ، وما تراه هنا محلاقين تقابلا بالصدفة ، فالتف احدهما على الآخر ، وكأنما يشدان أزر بعضهما ، ليصبحا بمثابة عكازين حيين يستخدمهما النبات فى رحلته للصعود من عالم الظلال ، الى عالم النور .. هذه النباتات تعرف باسم النباتات المتسلقة ، ومن أمثلتها نبات العنب !

## أكروبات حشرى !

يعرف هذا النمل الغريب باسم نمل الجيوش ، لانه دائم الرحيل والاغارة طلبا للرزق ، فاذا توقف عن العمل ، تعلقت جيوش الشغالة بهذا الوضع المثير لتصبح شيئا اشبه بالخيمة او المعسكر المؤقت فى العراء ، وفى داخله تحتمى الملكة مع ذريتها الصغار ، وكانما هى تسكن قلعة منيعة بنتها الشغالة باجسامها ، وما نراه هنا ليس الاجزء ضئيلا من بداية التشييد والبناء ، اذ يشترك فيه الالاف ، حتى ليبدو الامر فى النهاية ، وكانما نحن امام قبة صغيرة حية . ولاشك ان ذلك يشكل عبئا ومجهودا ثقيلا على أرجل النمل ، لكنه قد جاء بسيقان ومفاصل تتحمل اثقالا اكبر من النملة بمئات المرات . ويقال ان هذا النمل يستطيع ان يبنى باجسامه كبارى معلقة يعبر بها الموانع التى تعترض طريقه !




## أعمـــار !

يقولون فى الأمثال « أعطنى عمراً ، وأرمنى فى البحر » .. لكن هذه الفتاة اليوغسلافية فيولوفيك ( ٢٣ عاماً ) قد سقطت واندفعت خلال محيط آخر أخطر من محيطات الماء ، اذ عندما انفجـرت الطائرة اليوغسلافية ـ التى كانت تعمل عليها مضيفة ـ فى الجو ، فى يوم ٢٦ يناير ١٩٧٢ ، كانت هى الوحيدة التى نجت ، رغم ان الانفجار قد حدث على ارتفاع ٣٣ر٠٠٠ قدم ( أى حوالى ١٠ر٢ كيلومتراً ) ، وعندئذ اندفعت نحـو الأرض بسرعة وصلت الى ٢٢٠ كيلو متراً فى الساعة ، وكانت هذه السرعة كفيلة بدق عظمها فى لحمها ، وموتها فى التو واللحظة ، لكنها رغم ذلك لم تمت ، اذ انها سقطت أثناء الانفجار فى جزء من ذيل الطائرة ، وهوت وهى بداخله الى الأرض ، مما ساعد على تخفيف الصدمة ومع ذلك فقد ظلت فى المستشفى لمدة ١٦ شهراً ، بعد ان افاقت من غيبوبتها التى استمرت ٢٧ يوماً ، واستردت صحتها بعد ان التامت العظام الكثيرة التى تهشمت ، ثم تزوجت وانجبت !

# عبد القادر درويش
# ٥٠ عاماً مع الشعر ولا يزال مجهولا !



عبد القادر درويش

بقلم : يوسف محمد سليمان

إذا خطر ببالك يوما أن تزور «سورية» .. ربما راق لك أن تعرج على منطقة الساحل السورى فى زيارة لبلدة « الدريكيش » التى تبعد ٣٦ كليومترا عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، والتى تشتهر بمياهها المعدنية . إذا أتيح لك زيارة « الدريكيش » ، لا تنس أن تمر فى طريقك بمبنى « محكمة الصلح » . أمام باب المبنى ، سوف يلفت نظرك شيخ محدودب ظهره قليلا .. يجلس إلى طاولة صغيرة قديمة فوقها أوراق وأقلام .. وعن يمينه ويساره أناس ينتظرون نافذى الصبر :

– بسرعة شوية يا عم عبد القادر ..

والعم عبد القادر مستغرق فى كتابه «العرضحالات» .. فاذا انتهى من واحد ، أطرق على « العرضحال » الآخر . وهكذا .. إلى أن يحصل كل صاحب حاجة على « ورقته » .. ثم يمضون دون أن يعرفوا أن الذى كتب لهم شكاواهم ، وصاغها ، ووضع فيها من إحساسه ، وعبر عن مضمونها بما يقنع « القاضى » أو « المسئول » هو : الشاعر الكبير المجهول عبد القادر درويش .

هذا الشاعر الذى يكتب شكاوى الناس .. دون أن يفصح هو عن شكواه لأحد .. عرفته منذ طفولتى . تتلمذت على يديه فى دراسة قواعد النحو والصرف . وجاس بى في مجاهل التراث . ولا زلت أنهل من ينابيعه المتدفقة فى اللغة العربية وقواعدها وتراثها وبقية الروافد الأخرى . فهو يتقن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة ، بل هو ينظم بها بعض قصائده .

ذات يوم سألته : لماذا لا يعرفك القراء شاعراً ؟

قال : اننى لم أطرق أبواب الصحف بقصائدى . اننى أكتفى بالكتابة . واستطرد : أنا عاشق للوطن على طريقتى الخاصة . لا أريد جزاء ولا شكوراً . وأحب أن أعطى حتى أموت .

قلت : معنى ذلك أنك غير عاتب على وسائل النشر .

قال : إطلاقاً . فلم يسبق لى أن أرسلت قصيدة من قصائدى ، أو مسرحية من مسرحياتى الشعرية إلى أية وسيلة من وسائل النشر داخل سورية أو خارجها .

قلت : أنت تكتب الشعر منذ نصف قرن . وقد عاصرت مراحل النضال ضد الاستعمار الفرنسى ، وحملت السلاح دفاعاً عن الوطن ، وعاصرت مشكلة فلسطين ونكبتها عام ١٩٤٨ ، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ونكسة حزيران ٦٧ ، وحرب أكتوبر ٧٣ . إننى أعرف – بحكم قربى منك – أنك بكيت آلام الأمة العربية وغنيت أفراحها .. فكيف تحجب كل تجاربك الشعرية عن الناس ؟!

قال دون أن يبدو عليه أنه منزعج من الكلمات الأخيرة فى السؤال : ما يستفزنى حقاً هو الكتابة .. أما النشر فما اهتممت به قط !

• •

دار هذا الحديث بينى وبينه فى بيته المسقوف بخشب البلوط والسنديان . المبنى بالحجارة والطين . الموشك فى كل لحظة أن يقع على رءوس ساكنيه ، أو هكذا يبدو .

إن الرجل فقير .. فقير . يأكل لقمته بعرق جبينه ، لكنه ثرى بتعففه وحبه لوطنه وزهده فى المال والشهرة . ولد الشاعر المجهول فى عام ١٩١٧ . وبدأ كتابة الشعر وعمره ١٦ سنة . حين قلت له : سأكتب عنك فى مجلة « الدوحة » فبماذا تقدم لقرائها نفسك ؟

أجابنى ببيت من الشعر قاله عام ١٩٦٠ :

نسبى دمى ، والضاد تزخر فى دمى
ومن الخليج إلى المحيط حدودى

• •

لا أريد أن يستغرقنى الحديث عن الشاعر ، بعيداً عن شعره . فقصائده هى ذاته الشاعرة . ولابد أن القارىء مشوق إلى أن يتعرف على نوع هذا الشعر الذى كتبه صاحبه فقط ، دون أن يعنى بنشره . ولست هنا أتحرى كل ما كتب الشاعر . فان دواوينه المخطوطه كثيرة . وكذلك المسرحيات التى كتبها شعراً . سوف أختار نماذج تدلنا عليه ، وفى الحدود التى تتحملها إشارة لا دراسة .

## فرحة العيد

فى احتفالات الجلاء عام ١٩٥٧ كتب

الشاعر قصيدة مؤلفة من مائة وخمسين بيتا هاجم فيها الاستعمار ، وندد بالعدوان الثلاثي .. من هذه القصيدة نختار هذه الأبيات :

فرحة العيد لا تحل المشاكل
والهتافات لا تؤدى لطائل
موطنى لا يرى إذا ما هتفنا
بالصدى بعث أمة أو فضائل
مغرم يعشق الفداء خلوداً
والضحايا مهشومة بالزوائل
كلما جندلت بنيه العوادى
راح يفتر عن تباشير عاقل
بالشابيب من دماء أطلت
يغسل العار عن تراث الأوائل

ولا ينسى الشاعر « الشهداء » مشاعل النور :

ينهل المجد من جراح شهيد
خر يروى مقدس الترب وابل
يا بقايا دماء حر أبي
نورى الدرب للشباب المناضل
يقبس الشعب بالسناء سبيلا
للبقاء الحرون عبر النوازل
قدرة تهزم الغزاة وعزم
لو أصاب الحديد لانجاب سائل

والشاعر يصف الاستعمار ، وحالة الشعوب فى ظروف الاستعمار . فالمستعمرون لا يفهمون غير لغة الرصاص . لكن الشعوب لا تستسلم ، بل هي تطلب الموت لتحصل على الحياة :

إن يشأ بالسياط أفرى جلوداً
أو يشأ بالرصاص أفنى القبائل
فانبرى الشعب والأناة توارت
ثائراً حن للردى كي يغازل
يقذف الظلم بالشباب أسوداً
يا فدت مهجتي الشباب المناضل
نحن من صفوة الجدود اقتبسنا
عزة النفس من قصى ووائل
مصر تأبى القيود والغرب ألى
أن تظل القناة سلك الحبائل
هدد النيل لن أسيل اذا ما
طأطأت مصر رأسها للمساحل
وأبو الهول واجم يرقب الأمر
ويصغى جيداً لمغزى الرسائل
والقناة الحرون معلاق حرب
رابط الجأش للمغيرين هائل
ثغرها الضاحك الجميل المفدى
فاغر فاه لابتلاع الجحافل

ونكتفى بهذا القدر من تلك القصيدة الطويلة التى يتحدث فيها الشاعر عن حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكيف أنها حرب عربية ، إذ أن شئون مصر لا تهم مصر وحدها .. إنها قلب الأمة العربية . واستشهاد «جول جمال» السورى ، ليس إلا تعبيراً عن وحدة الدم العربى .

إن الشاعر عبد القادر درويش شديد الحماس والتعلق بعروبته . وإن أحلامه التى تراوده دائماً ، هى أن يرى الأمة العربية قد انتصرت على أعدائها . إنه ـ بالرغم من هول النكسات والانشقاقات العربية ـ مؤمن بأن الشعب العربى سوف ينتصر :

عرب نحن فيا ذكرى اشهدى
ثأرنا نار وطوفان ودم
فيها السارى نداء سر به
يصدع الدنيا .. الى كل الأمم
إن شعب الضاد باق سيداً
رغم أنف الدهر حراً محترم

## روح الدعابة

كتب الشاعر عبد القادر درويش فى كل الموضوعات ، فلم يقتصر شعره على الوطنيات فحسب . كتب فى المشكلات الاجتماعية . وكتب فى المديح والرثاء والهجاء والغزل .

ومن يجلس مع الشاعر .. يحس دفء حديثه ورقته وعذوبته وحضور النكتة ، وروح الشباب التى يتمتع بها بالرغم من تجاوزه الرابعة والستين من عمره .

حدث أن الشاعر اختلف مع زوجته ، فكتب قصيدة يهجوها بها . ومن الطريف أنه لم يشأ أن يسمعنى إياها فى غير حضور زوجته ، التى كانت تنصت معى وهى تبتسم سعيدة به وبما يقول :

أموت كما قد عشت أمسح حسرتى
بصبر .. وأزجى آهة بعد آهة
جميلا أرى هذا الوجود .. وشيقاً
وما فيه من شر سوى لؤم زوجتى
فيا رب أدخلنى جهنم مبعداً
شقياً اذا أدخلتها حوض جنة

فى عام ١٩٤١ التقى الشاعر عبد القادر درويش ، بالشاعر الراحل الكبير بدوى الجبل فى حفل تأبينى . وقد ألقى عبد القادر قصيدة فى تلك المناسبة أثارت إعجاب «الجبل» حتى أنه نهض من مكانه ، واتجه اليه ليطبع قبلة على جبينه ، وهو يقول له : هذا البيت فى قصيدتك لم أقرأه لشاعر من قبل . وكان هذا البيت يقول :

سجى الصمت لا صمت القبور متى سجى
ولكنه صمت النفوس المؤثر

والذى أعجب «بدوى الجبل» فى هذا البيت هو «صمت النفوس المؤثر» إذ اعتاد الشعراء أن يقولوا «صمت القبور الرهيب» ! لقد صور الشاعر الأحزان الخرساء فى صمت النفوس .

لا أظننى فى هذه السطور أكون قد وفيت الشاعر حقه . إنها فقط بصيص من الضوء على شعره ، وما أكثر القصائد التى لن تتسع لها هذه المساحة . لكن أردت أن أنوه بشاعرية شاعر يعيش بيننا .. أثر الظلال ، ونحن نريد لشعره أن يرى النور ، وللشاعر أن يجنى بعض ثمرات العناء فى صمت ، وعلى مدى خمسين عاماً .. بعض الجنى فى حياته . حقاً إنه ليس مشغولا بهذا الأمر . كل ما هو مشغول به أنه انسان محب وعاشق للوطن وللناس ، ذلك العشق الصوفى الذى يغنى فى المحبوب :

يا بطولات تسامى مجدها
يوم حطين وذى قار العجم
وعلى اليرموك سل أو لا تسل
ما صدمنا جحفلا إلا انهزم
يا بلادى لا تلومى .. إننا
قسماً بالضاد لن ننسى الذمم

## وأخيراً

قلت للشاعر المجهول عبد القادر درويش وأنا أودعه الى صياغة هذا الموضوع :

● بعد هذه الرحلة مع الحياة والشعر والظلال .. بماذا يحس الشاعر ؟

قال :

يحس الحب من نعم الليالى
ولو يجزى على حب ببؤس

يوسف محمد سليمان ـ سورية

# قوة الجذور

قصة

بقلم

عبدالله الطوخي

معايا الفل والياسمين ..

طرق النداء سمعها وهى تسير .. بدا لها غريباً ، ومدهشاً ومبهجاً .. لكنه بدا فى نفس الوقت كخدعة ، أو كأغنية جميلة قد تضلل القلب الوحيد .. الحزين ..

ياعاشقين الفل والياسمين ..

كان المنادى بائع زهور يدفع أمامه عربة خشبية صغيرة بعجلتين ، مليئة بأصص فخارية مزروعة بمختلف أنواع الأزهار ، ما أن رأتها حتى تذكرت على الفور حوض زرع فى شرفة شقتها خال منذ شهور كان منظر هذا الحوض الخالى يعمق الحزن فى قلبها لهذه الغيمة السوداء الثقيلة التى هبطت على حياتها مع زوجها . أصبح كل منهما يحس أن حياتهما معاً باتت كهذا الحوض الخالى . كان ذلك كئيباً ومروعاً ، بعد أن كان مزروعاً بالأشجار ويفوح بالخضرة ويطرح الأزهار أصبح خاوياً الا من الطين الذى جف وتشقق لم يعد أحد يهتم أن يسقيه بعد أن خلع هو بيديه شجرة الفل التى كانت مزروعة فيه !

لقد فوجئت بذلك ذات يوم ، فأحست كأنه قطع شرياناً من جسمها .. كأنه يرمى بها هى نفسها بعيداً عنه وعن البيت وعن حياته كلها . قالت لحظتها بمزيج من الغضب : لماذا خلعتها ؟

ببساطة شديدة وكئيبة قال : لم يعد فيها فائدة . لم تعد تزهر .. سأبحث عن شجرة جديدة أزرعها ..

لم ترد بكلمة . لم تدافع عن شجرتها التى كانت . قالت فى نفسها ليست الشجرة فقط هى التى كانت . كل شىء كان . ( وشدت نفساً من صدرها بتحد وكبرياء) وليكن بعد ذلك ما يكون .. لقد جفت شجرة حياتنا هى الأخرى .. فلنكن واقعيين

كان الوقت صيفاً .. وفاتت شهور الصيف دون أن يأتى بشجرة جديدة وبقى الحوض خاوياً .. جافاً .. تزداد الشقوق فيه وتتعمق .. فيتعمق فى روحها الحزن والتشاؤم والاكتئاب . غير أنها كانت سرعان ما تطرح رأسها بشعرها الطويل الناعم الى الخلف فى ثقة وتحد : لم لا ؟ كل شىء يتغير . لا يصح أن يخيفنى ما يحدث . لا يصح أن نخدع أنفسنا أكثر من هذا . هو نفسه قالها مرة : « نحن لم نعد نحيا الا بقوة دفع الماضى . أما الحاضر .. فقد جفت شجرته » . كان شجاعاً فقالها .. سأكون أشجع وأقولها : الطلاق . نضع الحقيقة فى عين الشمس . وفى عيون كل الناس . ولن أعبأ بأى شىء .. غير الصدق . أن نذهب بالموقف الى أبعد حد .. نتفق على الفراق .. ذلك هو الامتحان : اما أن يكون الفراق الى الأبد .. واما أن نتزوج من جديد .. وأزف اليه مرة أخرى بكل العشق القديم والجديد .

— ياعاشقين الفل والياسمين .

معايا الفل والياسمين .

— بكم شجرة الفل دى يا عم ؟

— ما تغلاش عليك ياست .

لم تشأ أن تساومه على الثمن . شجرة فل مثل هذه مترعة بالزهور فى وقت مثل هذا لاتقاس قيمتها بالمال . أنها تساوى الكثير . أكثر مما يتصور هو .. لو طلب منها أكثر مما معها ، فستطلب منه تأجيل الباقى . لا .. لا . النقود لن تكون المشكلة . المشكلة من يحملها ، ويذهب بها الى البيت .. الى الشرفة .. ويزرعها ..

غير أن القدر حين يعدنا يحقق وعده بيسر وسهولة . فلم يأت عصر ذلك اليوم ، حتى كان ذلك البستانى المتجول قد جاء الى البيت بالشجرة فى الميعاد الذى اتفقا عليه ، وزرعها فى الحوض واختلج قلبها بالفرح ، وهى ترى لأول مرة بعد شهور طويلة الطين الجاف وقد ارتوى بالماء واختفت كل الشقوق ، وانتعش قلبها بالأمل .

فى ذلك اليوم كان زوجها مسافراً — سفرة عمل قصيرة .. وحين عاد فى اليوم التالى ، رأته يدخل صامتاً ، جامد الوجه كالعادة . وتبادلا كلمات السلام التقليدية .. ثم اتجه مباشرة الى حجرته الخاصة ليقفلها خلفه .. ويواصل كل منهما حياة التفرد والاعتزال التى اتفقا عليها .. غير انها وجدت نفسها تقول له :

— فيه حاجة جديدة .. جبتها للبيت .. من غير إذنك !

— حاجة إيه ؟

— أدخل البلكونة شوفها .

من الوهلة الأولى خمن ما فعلته . وصح تخمينه .. فرح فى سره فرح لأنه ما زال — رغم البعد — يفهم ما يدور بأفكارها .. وفرح ايضاً أنها لاتزال تحمل فى قلبها ، حس الأمل .. وحب البيت والمحافظة على جماله .

«هذا البيت لايهون على واحد منا أن يهدمه» . استيقظت عواطفه . قاوم بشدة . أكتفى بالابتسام .

— شجرة جميلة فعلا . كويس أنك جبتيها فله . بدل الفلة اللي ماتت ..

قالت : هى الحقيقة ما ماتتش .. أنت اللى قطعتها !

هل تدينه ؟ لكن لهجتها كانت



هادئة ، فيها الود أكثر مما فيها من عتاب .. ومع هذا فقد أحس بالاتهام .

قال : يعنى أنا اللى بأقطع .. وانت اللى بتزرعى .

بدا على وجهها الألم : لأ .. مش قصدى .. دى صدفة .. وأنا ماشية فى الشارع ، لقيت راجل يبيع فل وياسمين اشتريتها منه .

منظر الحوض فاضى ومشقق ما كنتش طايقاه !

ـ وأنا كمان طبعاً .

التقت عيونهما فى نظرة سريعة هرباً منها الى الشجرة ..

كان بدء الربيع .. موسم تفجر الحياة .. ورأيا الشجرة الجديدة تموج بعشرات الزهور .. رقيقة ناعمة بيضاء .. وعطرها يفوح !

انتعش الحنين فى قلبيهما . ربما شىء بسيط مثل هذا يحرك الركود ويروى الشقوق .. غير أن خفقة الأمل هذه كانت مثل طائر غريب مر مسرعاً

# قوة الجذور

فوق صحراء وسرعان ما خلفها وراءه لوحشة الصمت وجفاف الحياة!

يوماً بعد يوم كانت الفلة تتراجع ومعناها يذوب .. وعاد الصمت والخواء يثقلان على البيت بأشد مما كان. وسرعان ما أيقنت من خدعة الرموز .. «كثيراً ما تضللنا الرموز. لقد زرعت هذه الشجرة رمزاً لانعاش الأمل. ولكن هاهى نفسها، مع فصل الخريف تسير بالتدريج فى طريق الجفاف، وبعض اعوادها تعرى من الأوراق ومات».

غار فى نفسها الاحساس بالتشاؤم

ويوماً .. وقفا فى الشرفة، بلا اتفاق، وحانت منهما نظرة الى الشجرة .. حينذاك أدرك كل منهما نفس المعنى الذى أدركه الآخر دون أن يتحدث به. كانت الطبيعة تؤكد الموقف بينهما وتعريه .. مع سحب الخريف .. وقتامة الألوان. وقال كل منهما لنفسه فى لحظة واحدة: أجل .. حتى الحب يمر بالفصول الأربع .. الحب ايضاً يشيخ .. الحب كائن حى .. يسرى عليه ما يسرى على الكائنات .. من ميلاد ونمو .. وفتوة .. ثم شيخوخة يعقبها الفناء .. لم لانعترف بالواقع .. ونعلن الانفصال قد يكون فى الانفصال الشفاء .. الانفصال ولو لفترة .. هذا الالتصاق الطويل الطويل .. التصاق الجلد بالجلد، والانفاس بالانفاس .. يسد المسام ويورث الاختناق .. فلنتحرر. نفصل الجلد عن الجلد .. والأنفاس عن الأنفاس .. ولكن: هل لديهما الجرأة على اتخاذ القرار؟

شهور عصيبة مرت .. تتراوح بين لون كآبة الخريف، ولون وهج النار الذى يشعلها التمرد على أن يكون الحنين الى الحب الذى كان، هو قاتل الانسان ..

مرت شهور الخريف .. وكان كل منهما يرقب وحده الشجرة فى السر .. ويرى فيها طالع العلاقة بينهما .. كأنما يستشيران النجوم .. ماذا يفعلان؟ هل يصرخان ويفعلانها، ويحققان الانفصال .. بل صراحة: الطلاق؟

وتجمعت كل كآبة الخريف ذات يوم وأطلت من الشجرة. كانت معظم الفروع قد جفت وتحولت الى أعواد جافة ينطق لونها بالموات.

ورأيا .. فى هدوء شديد أن الشجرة والطبيعة تشير عليهما بالحل السليم:

الطـــلاق.

وفعلاها. فى هدوء.

• • •

أزمة المساكن؟ .. ليكن ..

البيت الواحد أصبح بيتين .. الجلد انفصل عن الجلد .. والأنفاس ابتعدت عن الأنفاس .. وبدا لكل منهما أنه يتنفس بشكل أقوى وأعمق .. حقاً .. لقد كان فيما فعلاه إنقاذاً لهما .. كان الحب بينهما على وشك أن ينقلب الى كراهية .. ليس ابشع فى العالم من أن ينقلب الصديقان الى خصمين .. والحبيبان الى عدوين .. وحينما كانت جرثومة الكراهية تتحرك، كان جمال الماضى وروعته يقفان بقوة ضد الجرثومة ويقتلانها ..

ينفصل الجلد عن الجلد، والأنفاس عن الأنفاس .. لكن الأرواح لا تنفصل .. أتاحت الحرية لكل منهما أن يطير بعيداً .. بعيداً .. يعود أو لايعود .. يغير الحب بآخر أو لايغير .. أصبح مالكاً لقلبه من جديد .. فلمن يعطى القلب الجديد .. مع العام الجديد؟

كان شهر ديسمبر يتجه مسرعاً الى نهايته. قادتها قدماها الى الشرفة ذات صباح، تريد أن تملأ صدرها بهواء طازج. انها منذ حوالى اسبوعين لم تخرج الى هذه الشرفة. وتذكرت فجأة .. صاحت تعاتب نفسها.

— آه لم أسق الشجرة ..

وتوجهت بنظراتها اليها. ندت عنها صيحة فرح عظيم .. فوجئت بمنظر غريب أبهج قلبها: كان فرعاً جديداً قد انبثق منها .. نبت من قلب أسفل الجذع وانطلق يشق طريقه الى الحياة .. كان قوياً وممتداً ومترعاً بالخضرة والحياة .. كأنما يتهيأ لأن يصبح جذعاً جديداً مع الجذع القديم ..

وجرت عليه .. تحتضنه بعينيها .. بقلبها .. آه .. وما هذا أيضاً؟ عدة فروع أخرى تبزغ وتطل .. وتتهيأ بدورها للنمو والانطلاق ..

هبت أنسام منعشة .. تحركت مياه البحيرة الراكدة .. وأحست بالميلاد فى كل شىء .. فى الزمان .. وفى الأشجار .. وبدا لها أنها تقع على اكتشاف رائع لأول مرة: ان الميلاد يحدث فى الشتاء حيث يظن الناس أنه الجفاف والموت!

ترى .. هل رأى هو هذا الفرع الجديد؟

وأحست بثمة حركة خفيفة. كان واقفاً ينظر .. أشارت بلا وعى على الفرع الوليد وقالت .. بابتهاج هادىء.

— هل رأيت؟

أسرع مقترباً من الشجرة .. أحس أن فروعاً تنبثق فى قلبه .. وتصبح شرايين خضراء .. وقال بفرح كبير: ليس فرعاً واحداً ..

وراح يعدد الانبثاقات الكثيرة الجديدة فى الشجرة.

كأنها زحف الحياة ..

والتقت نظراتهما ...

قالت: لأن الجذور سليمة .. وقوية ..

قال مؤكداً بثقة: كنت أوالي ريها .. رغم البرد الشديد.

امتزج بريق عينيها ببريق عينيه.

— تحب هذه الشجرة؟

— ألست أنت التى اشتريتها؟

— وأنت الذى رويتها.

تحرك فجأة كل الحنين .. منذ متى لم يلتق الجلد بالجلد. والمسام بالمسام ..

امتدت أيديهما الى بعضهما ..

قال: أعظم الأشجار هى التى تولد فى الشتاء ..

قالت: شجرة الحب أبداً لا تشيخ ..

غمغم: انها تغير جلدها .. لحاءها .. ولكن لـ ..

غمغمت: لتولد فيها الخضرة من جديد .. وقريباً .. ستمتلىء بالزهور ..

قال: أوحشنى العطر الجميل ..

واندفعا الى عناق عظيم ..

«عبد الله الطوخى»

دعــــوة جــــريئــــة لنــــاقــــد عــــربي كبــــير

# الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي



الجزء الثالث والأخير

بقلم : الدكتور عبد الله الطيب

### اتكاءة على صور لبيد

هذا وبعد أن انتهى إليوت من نعت قساوة ابريل منبتاً زهرة ليلى ، مازجاً الذكرى بالشهوة ، انتقل إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ...........

ومعناها : فاجأنا الصيف .

تأمل شدة الشبه بين قول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم (البيت)

فعلا فروع الأيهقان (البيت)

وبين قول إليوت جاء الربيع منبتاً زهرة ليلى الخ .. تأمل الشبه في السياق والصياغة بين قول لبيد ( فعلا فروع الأيهقان بعد ذكره مطر الربيع وبين قول إليوت منبتاً زهرة ليلى ( الليلاك ) بعد نعته مطر الربيع الذى ابريل رمز له .. منبتاً زهرة ليلى .. أى فعلت أغصان « الليلك » كما علت فروع أيهقان لبيد . الأيهقان عربي و « الليلك » فارسي . محاكاة نهج لبيد الذى اطلع عليه في ترجمة وليم جونز لا تخفى .

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها

جاءت الظباء والنعام في مكان الحبيبة والظبية تشبه بها الحبيبة . ههنا مجال للذكريات واتصال معنى ولادة الظباء أطفالها وإفراخ النعام بالشهوة غير خاف ، ومن هنا أخذ إليوت مزجه الذكرى بالشهوة . ثم انتقل من بعد إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ...........

أي فاجأنا الصيف

ثم انتقل بعد مفاجاة الصيف له إلى ذكر ( محبوبة ) التجأ معها من مفاجاة مطر الصيف إلى بناء ذي صف من أعمدة ثم خرجا إلى ضوء الشمس ثم إلى الحديقة .

ولبيد بن ربيعة العامرى صاحب المعلقة يخرج من نعت القفر إلى مرابيع النجوم أو كما قال السير وليم جونز في ترجمته

.. profuse, as well as gentle showers

ثم يخرج من ذلك إلى إنبات الأيهقان ، وهو من نبات البادية قيل هو الجرجير البري ، الذى علت فروعه ، ثم إلى الوحش الذى خلف الأحباب على الديار وجعل بحيوية الربيع يطفل ويفرخ . ثم يتذكر لبيد الحبيبة ويقسو عليها وعلى نفسه حين يعتلج في صدره أمر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت أسبابها ورمامها

يقول السير وليم جونز في مقدمته لقصيدة لبيد إن ابياتها الخمسة عشر الأولى من روائع التصوير ، يعذل الشاعر في آخرها نفسه على هواه الضائع سدى عند امرأة لا تستجيب ، فيدعوه ذلك إلى أن يفر من الهوى إلى الراحلة ، ثم يعود إلى ذكر محبوبته نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من قلة الاهتمام بدلا لها . هذا

**هذا هو الجزء الثالث والأخير من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب أستاذ الأدب بجامعة فاس بالمغرب حالياً ، ومدير جامعة الخرطوم وعميد آدابها سابقاً ، عن الأثر السلبى الذى تركه الشاعر العالمى المعروف « ت . س . اليوت » على الحركة الشعرية العربية الجديدة ، نتيجة لتقدير مبالغ فيه ناله « اليوت » من شعرائنا المعاصرين ، وقد تلقت « الدوحة » ردوداً مختلفة حول هذه القضية ، وسوف ننشر هذه الردود فى الأعداد القادمة .**

ملخص كلام السير وليم جونز فى مقدمته . ا . هـ .
ليت شعرى هل مجرد توافق خواطر شبه :

## أكثر من توافق خواطر

(١) قول إليوت فى عنوانه The Waste Land بقول لبيد « عفت الديار إلخ » .

(٢) وقول إليوت فى عنوانه The Burial of the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد بأن الديار تندفن وتكشف آثارها الرياح والسيول ( عرى رسمها ) ( وجلا السيول عن الطلول ) .

٣ ـ وذكر إليوت أمطار ابريل وقساوته وشبه ذلك بقول لبيد «رزقت مرابيع النجوم الخ» .

٤ ـ وقول إليوت بانبات زهور ليلى Lilacs وخلط الذكريات بالشهوات وشبه ذلك كما قدمنا بقول لبيد : «فعلا فروع الأيهقان الخ» .

٥ : وانصراف إليوت عن مطر الربيع الى مطر الصيف حيث قال : فاجأنا الصيف» ـ هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

٦ : وتذكر إليوت للحبيبة بعد ان ساقاها القهوة وتقطعت أسبابها ورمامها ... (راجع الأسطر ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) ... هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيب ناقته بعد تصرم أسباب نوار وشبهها بحمار وحشى وذكر الصيف وحره ...

... وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها

أى أعاصيرها وسمائمها .

٧ : أم هل مجرد توافق خواطر قول إليوت فى س ٢٣ ص ٢٧ .

And the dead tree gives no shelter.

أى : والشجرة الميتة لا تعطى مأوى مع شدة شبهه بقول لبيد فى وصفه للبقرة الوحشية التى أصابت السباع ولدها . وأحاطت بها المخاوف بعد ترددها تبحث عنه وتناديه بنوح وبغام ، ولفتها بين الرمال ليلة ذات برق ومطر وأهوال : ـ

تجتاف أصلاً قالصاً متنبذا
بعجوب أنقاء يميل هيامها

أى تلتمس بقرنيها جوف أصل شجرة قديم فى قعر كثبان من الرمل منهالة ، وترجمة وليم جونز :

She shelters herself under the root of a tree

٨ : أم ليت شعرى ـ بعد الذى لم نشك فيه من كتمان إليوت مصادر أخذه من العربية ـ هل مجرد توافق خواطر ذكر إليوت لمفاجأة الصيف :

Summer surprised us ...........
وأن الشتاء أدفانا
Winter kept us warm ...........
يمدح بذلك الشتاء ؟

إليك بعثت أبكار القوافي
يليها سائق عجل وحادي
منزهة عن السرق المورى
مكرمة عن المعنى المعاد

## ربيع أبى تمام

هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض شعر أبى تمام ، فقد عاش فى زمان كان فيه الاستشراق العربى بين اكسفورد وكمبردج ولندن وباريس وألمانيا ضاربا بجران وكان لأبى تمام صاحب الحماسة فى ذلك مكان مرموق ـ قال عنه ليال فى مقدمة اختياراته :

...... and was himself a distinguished poet

أى وكان هو نفسه شاعراً ممتازاً .

هل اطلع إليوت على ترجمة لقصيدة أبى تمام فى وصف الربيع التى أولها :

رقت وجوه الدهر فهى تمرمر
وغدا الثرى فى حليه يتكسر ؟

وفيها قوله :

جاءت مقدمة المصيف حميدة

أو فاجانا الصيف summer surprised us

ويد الشتاء جديدة لا تنكر

Winter kept us warm

شكراً للشتاء ...

لولا الذى صاغ الشتاء بكفه
قاسى المصيف هشائما لا تثمر

شكراً للشتاء ـ ولأبى تمام الذى مدح الشتاء خلافا للشعراء الذين كانوا يذمونه كقول الآخر :

إذا اغبر آفاق السماء .... الخ

## تأثر إليوت بالمعلقات

لقد أفاد إليوت من الشعر العربى إما من قراءة تراجم له وإما من مشافهة معاصرين له عارفين به .

وقد أفاد من اطلاعه على ترجمة السير وليم جونز لا لمعلقة لبيد وحدها ولكن لسائر المعلقات ، خذ مثلا الأسطر ١٩ ـ ٢٤ من ص ٢٧ وهى أولى صفحات المنظومة فى الطبعة التى رجعنا اليها :

What are the roots that clutch,
what branches grow
Out of this stony rubbish ?
Son of man,
You cannot say, or guess,
for you know only
A heap of broken images,
where the sun beats,
And the dead tree gives no
shelter, the cricket no relief,
And the dry stone no sound of
water ...............

الترجمة على وجه التقريب : ـ

ما الجذور التى تمسك ؟ ما الأغصان التى تنمو

من هذه القمامة الحجرية ؟ يابن آدم

إنك لا تستطيع أن تقول بيقين أو ظن لأنك إنما تعلم

كومة من ظلال متكسرة ، حيث الشمس تصك

وحيث الشجرة الميتة لا تعطى مأوى ، ولا الصرصور راحة

ولا الحجر اليابس صوت ماء ....

## اشارة قرآنية

أحالنا إليوت على سفر حزقيل أول الاصحاح الثانى بالنسبة إلى سطره ( الثانى أعلاه ) ٢٠ ليؤكد أن مواده من قوله : Son of man (أى يا ابن آدم أو يا أيها الانسان) هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى «ابن الانسان» الذى عند النصارى . ولا شىء يمنع ملابسة هذا المعنى المسيحى لكلامه هو لأنه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال من القصد اليه وليس تأكيده الذى زعم بملزم استبعاده أحدا .

وهذه الاحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة اليها لا تخلو من تعمية ماوتضليل . وكاد السارق يقول خذونى مرات . ذلك بأنه فى سفر حزقيل فى الاصحاح نفسه بعد رقم «١» الذى فيه Son of man ورد فى رقم ٢ و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى اسرائيل وقسوة قلوبهم ، وهذا وارد فى قول إليوت متضمنا لمعناه فى : And the dry stone no sound of water

أى : «ولا الحجر اليابس صوت ماء» ، أى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى سفر حزقيل الذى أحالنا عليه تعمية وتضليلا فيما نرجح ، إذ لاريب أنه أخذها من القرآن ـ وتراجمه كثيرات ـ لأنها بعينها واردة فى خبر تمرد بنى اسرائيل : «ثم قست قلوبكم فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء» ـ سورة البقرة ، ٧٥ . ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة العرب The Shades of Arabia وما أشبه أن يخطىء فيحيلنا على القرآن ؟ أليس ذكره سفر حزقيل فى إحالاته مهنا شبيها فى طريقة الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة ماغنس مارتر فى مكان ظلال جزيرة العرب ؟

وبالنسبة الى الأسطر ١٩ ـ ٢٤ (انظر ما تقدم) أحالنا إليوت فى تعليقاته على السطر ٢٣ وهو الخامس فى ماذكرنا لننظر فى سفر (الجامعة) من العهد القديم وهو الذى يقال له (الواعظ) أو The Preacher بالانجليزية وأيضا يقال له Ecclesiastes رقم ٥ من الاصحاح ١٢ من أجل توضيح مراده من الكلمة cricket أى الصرصور الواردة فى النص المتقدم . وكلمة cricket أى الصرصور غير واردة فى نص سفر الجامعة ابن داود الذى أحالنا عليه ولكن وردت كلمة grass-hopper أى الجندب وإنما أحالنا إليوت على سفر الجامعة تعمية وتضليلا .

## غموض اشارات إليوت

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور روبسون يقول بمثل ما نقول به من عمده الى التعمية فى تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه عن الأرض المقفرة فى كتابه عن الأدب الانجليزى الحديث ، وسبقت الاشارة اليه فى ص ١١٢ ، أن إليوت أضاف تعليقات أحيانا هى غامضة غموض الأسطار التى يراد بها شرحها ـ

......... Later Eliot added notes sometimes as cryptic as the lines they purport to elucidate .........

ومن تعليقات إليوت المضللة ، والشىء بالشىء يذكر ، نورد ذلك على سبيل المثال ، احالته



دانتى



وردزروث

بالنسبة الى سطره رقم ٦٣ على جحيم دانتى وإنما خطف خطفاً من مسرحية ماكبيث لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امرأة ماكبيث فى الفصل الخامس فى حديث هذيانها : «من كان يظن أن هذا الرجل العجوز دمه كثير هكذا ؟» ويجوز أن يكون شكسبير رمق دانتى وأخذ من هناك وأن إليوت نظر الى دانتى كما نظر الى شكسبير إلا أنه حذا على صياغة هـذا ونحو ما يجرى هذا المجرى هو ما سماه أبو تمام السرق (بفتح السين والراء) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء مشددة مفتوحة بعدها الف لينة ـ قال يمدح شعره :

اليـك بعثـت أبكـار القوافـى
يليهـا سـائق عجـل وحـادى
شـداد الأسر سـللة النواحـى
مـن الاقـواء فيهـا والسـناد
منزهـة عـن السرق المـورى
مكرمـة عـن المعنـى المعـاد

الاقواء والسناد من عيوب القافية كما لا يخفى وقد احكم نقاد العرب باب السرقات إحكاماً وأبواباً غيره من النقد كثيرات .

هذا والصرصور cricket شىء غير الجندب grass-hopper وظاهر مراد إليوت فى إحالته على سفر «الجامعة» أن يشعر القارىء مثلا بانه استبدل كلمة grass-hopper أى الجندب بكلمته cricket أى صرصور لداع دقيق من دواعى البيان والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل والغموض . وليس بين النص الوارد فى سفر الجامعة وورد فيه كلمة الجندب grass-hopper أدنى صلة معنوية بكلام إليوت فى الأسطر ٢٢ ـ ٢٣ : ـ

......... where the sun beats
And the dead tree gives
no shelter, the cricket no relief.

أى ...... حيث تصك الشمس

وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة ،

ونص كلام الجامعة الذى ورد فيه ذكر الجندب كما يلى (دار الكتاب المقدس ، العهد القديم) : ـ

وأيضاً يخافون من العالى ، وفى الطريق أهوال ، واللوز يزهر ، والجندب يستثقل ، والشهوة تبطل ، لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدى والنادبون يطوفون فى السوق . ا . هـ

Also when they shall be afraid of that which is high, and fears shall be in the way, and the almond tree shall flourish, and the grass-hopper shall be burden, and desire shall fail : because man goeth to his long home, and the mourners about the streets. (Ecclesiastes Chapter 12-15).

مجمل المعنى انه فى زمن اكتساء شجرة اللوز بأزهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين تزداد الحيوية والنشاط وتدب الشهوة فى النفوس ، فى هذا الزمن حين يقترب الموت من الانسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل روح نشاط حتى أن الجندب الصغير الجسم الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل المرء الى القبر ويطوف نادبوه ينوحون .

إليوت لا يشير الى الحيز الذى يستثقل فيه الانسان وزن حشرة صغيرة لأن الموت الذى اقترب منه يجعل كل شىء ثقيلا ، فلماذا يحيلنا على سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ، الصناعة الشعرية ـ صناعة «السرق المورى» ورحم الله أبا تمام ـ هى التى دفعت إليوت الى استعمال cricket أى الصرصور مكان grass-hopper أى الجندب . لا لأن الجندب فى نص الكتاب المقدس فى العهد القديم فذلك أدعى له لأن يذكرها لا أن يتفاداها ، ولكن لأن الجندب فى شعر العرب ومن هناك أخذها . الجندب حشرة نهارية والصرصور حشرة ليلية تأوى الى مواقد البيوت ذوات المواقد (فى أوروبا مثلا) نهاراً لظلامها ودفئها ولا تنفك تصرصر ولا تكف ...
......... gives no relief ............

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة وثابة Jumping, Chirping كما يقول المعجم الانجليزى ، ومراد إليوت واضح وهو استمرار الصرصور يصيح بلا انقطاع . والضرورة الشعرية التى دعته الى ذكر الصرصور مكان الجندب cricket (grass-hopper هو انه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :

Where the sun beats

أى حيث الشمس تصك .

وليس الصرصور cricket بأخى الشمس ولا موقده الذى يأوى اليه نهاراً وهو مظلم دافىء ، بوهج الشمس الملتهب الذى تتكسر منه أكوام الظلال .

أخذ إليوت فكرة صرصوره لا من سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب أشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود خفيفة الوزن وثابة بين أزهار اللوز ، لا مزعجة صخابة فى حر الهجير حيث تصك الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير فى بانت سعاد وهى مما ترجم :

وقال للقـوم حاديهم وقـد جعلـت
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الحصى بحثاً عن الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الآن وجب المقيل.

## دين إليوت لذى الرمة

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبردج سنة ١٩١٩ م وترجمت بائيته من قبل ، ولعل إليوت أن يكون قد لقى مكارتنى الذى حقق الديوان ، وقد نبه شارلس ليال على منزلة ذى الرمة فى ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r-rummah was the last really great representative of desert song .........

أى كان ذو الرمة حقاً آخر شعراء الصحراء العظام ـ أو آخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت وفى هذا نظر وأبو عمرو بن العلاء عندنا أصح بصراً بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورأيه فى ذى الرمة معروف إذ جعله شاعراً من المحدثين وهوفى الحقيقة لهم رائد : وما نشك أن إليوت اطلع على ترجمة ليال فى اختياراته ومقدمتها وأفاد من ذلك فى معرفة طريقة نظم الشعر العربى ، فى زمان كان فيه

شعراء أوروبا والانجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب . وقد ذكرنا من قبل أن شارلس ليال نشر اختياراته سنة ١٨٨٥ م وكان موظفاً بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها فى مجلة بنغال ثم إنه فى سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الانبارى للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض ان شاء الله من بعد لما نرى أن إليوت أخذ من ليال فى المقدمة التى ذكرناها .

قال ذو الرمة يصف الجندب :

معروريا رمض الرضراض يركضــه
والشــمس حيرى لها بالجو تدويم

البيت مشهور وقيل فيه انه أكثر رمضاً من رمال يبرين لتكراره الراء والضاد وهذا يسمى الآن الجناس الداخلى وهو فن فى العربية قديم . وبيت ذى الرمة هذا يحتوى على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه التى تصك :

Where the sun beats

والشمس حيرى لها بالجـو تدويـم

وتامل (رمض الرضراض) مع قوله (يركضه) لأن الجندب يطلب المأوى فى بقية الظل المتكسر فى رمض الرضراض .

واخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله : «يركضه» لأنها من قول كعب :

.................. وقــد جعلــت
ورق الجنــادب يركضن الحصــى

ومن كليهما افاد من افاد .

هذا وفى قول إليوت :

......... for you know only
A heap of broken images

أى إنما تعلم / كومة من ظلال متكسرة ..

فيه نوع من السخرية بأساليب الشعراء إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل أيضاً على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وما أشبه وفيه صدى من وردزورث ودى لامير كليهما وتأثر بمقدمة وليم جونز لمعلقة لبيد حيث ذكر أوصافه وتشبيهاته وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التى ترد فى الشعر الكلاسيكى . (أى اليونانى واللاتينى) .

## الدليل القاطع

هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتماداً على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابسات التى تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته فى الاخفاء والكتمان نرجح أن إليوت اطلع على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالانجليزية ، على اقل تقدير وعلى ما كتبه السير

## من المرجّح أن إليوت اطّلع على كثير مما تُرجِم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبارُ المستشرقين بالإنجليزية

شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلا تعليقه على بائية سلامة بن جندل ولامية بشامة بن الغدير وعينية سويد بن أبى كاهل وطويلتى علقمة بن عبدة ، ومما يحسن ذكره ههنا أن بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا أخذوا عنه ولم يشيروا اليه ومنهم من تابعه أخذاً غير معترف فى الخطأ وفى الصواب وهذا باب ربما أتيح لنا بعض تفصيله فى موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا اليه أن الشىء بالشىء يذكر ، وكما يقول ميبريــه ، رب شىء كهذا .

ولا أشك أن إليوت قد اطلع على شىء من مقدمة ليال لمختاراته (طبعة ١٨٨٥ م) إذ كان ذا استشراق ومن عصبة نجباء الحكومة البريطانية بالهند احدى مراكز البحر الشرقى الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بأن شكلها لا يمكن أن يوصف بما عليه أوصاف الأشكال فى شعر أوروبا وأنه عسى أن يكون أقرب الأمور به شبهاً ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية أو الاخبارية iayll وأنها تعرض علينا صوراً متتابعة مأخوذة أخذاً مباشرة من التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التى لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شىء . (راجع ص XVIII من المقدمة) .

## محاكاة طريقة نظم المعلقات

مما أخذه إليوت من المعلقات سوى الذى المعنا اليه من محاكاة لبيد أنه حاكى طريقة النظم فيها ونظر فى ذلك نظراً شديداً الى المعلقة الأولى ، التى ينبغى أن يكون حين بدأ بالقراءة قد بدأ بها .

عول إليوت فى نظم أرضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرىء القيس حيث بنى تأليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفى الايقاعى وتداعى المعانى المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات (أو كشف ما اشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شىء أو كما قال شارلس ليال

The Poet's unfolding of himself

من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستيقاف الى ذكر أم الرباب وأم الحويرث ــ دارة جلجل ــ نحر الناقة ــ خدر عنيزة ــ حديث الحب ــ حديث الجمال ــ الليل ــ الصعلكة ــ الفروسية والصيد وزمان الشباب ــ ذكريات الطفولة ــ المطر والسيل وانمحى كل شىء إلا منظر ثبير وصوت الطير ــ والسباع الغرقى ــ كل ذلك فى تجاوب مذهل من الايقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة والباطنة .

## أخذه من امرىء القيس

من حيث لا يحتسب يدلنا إليوت على أخذه من معلقة امرىء القيس فى السطرين ٧ و ٨ من أرضه اليلاقع أى المقفرة وقد مرا فى أول كلامنا ، واخترنا لفظ الأنابيش فى ترجمتنا لقولــه tubers. لأنه الأصل الذى نرجح أنه أخذ منه قوله :

.............................. feeding
A little life with dried tubers

أى .......... مطعما
حياة قليلة بأنابيش جافة .

ونشير ههنا الى قول امرىء القيس فى المعلقة :

كأن السباع فيه غرقــى عشــية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصــل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم الصاد هو البصل البرى والأنابيش ما ينبشه الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزى : «الأنابيش جماعات من العنصل يجمعها الصبيان ويقال الأنابيش العنصل والعنصل بصل برى» . ا . هـ . (راجع شرح التبريزى للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة) . وترجمة السير وليم جونز : ــ

The beasts of the wood, drowned in the floods of the night, float like the roots of wild onions

(وراجع ترجمة ليال لهذا البيت فى ص ١٠٤ حيث قال : ــ

like earth - stained roots of squills.

الاصطلاح الانجليزى لما ينمو من النبات كالبصل ينتفخ أصله الملامس بجذوره للتراب ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع الثانى فيبدو لولا أن هذا بعيد من أن يكون مأخوذاً من عبارة السير وليم جونــز

The roots of wild onions (أى عروق

البصل البرى) التى ترجم بها (أنابيش عنصل) . وترجمة ليال غير بعيد من هذا. وأخذ إليوت قوله المتقدم من (أنابيش عنصل) هذه . وقد أبت فكرة صورة الجثث التى غرقت وبدت أطرافها من متوارب وآذان وأذناب كأطراف أنابيش العنصل أن تفارق إليوت فنمت بنفسها فى أسطاره ٧٠ ـ ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله : ـ

You who were with me in the
ships at Mylae
That corps you planted last
year in your garden,
Has it begun to sprout ?

أى :

يا أنت الذى كنت معى فى سفينات ما يليس
تلك الجنازة التى غرستها العام الماضى فى حديقتك
هل بدأت تخرج شطئها ؟

عنى إليوت بمايليس هنا المكتشف الدنمركى مايليس لدوج Mylius Ludwig الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلدة فى أوائل هذا القرن الميلادى ، ومات سنة ١٩٠٧ بعد مغامرة أخيرة سنة ١٩٠٦ وكانت هى من أسباب هلاكه . استعمل إليوت صيغة المضاف اليه اللاتينية (مايلاى) من (مايليس) . وهل خفى عنك أيها القارىء الكريم عنصر تداعى المعانى الشديدة بالنظر الى بيت امرىء القيس ههنا ؟

امرؤ القيس : غرقى .جنائز سباع غرقى فى العشية تشبه مناظرها فى الأرجاء القصوى أطراف البصل البرى التى ينبشها الصبيان أو خرجوا لينبشوها .

إليوت : سفائن مايليس (At Mylae) معها البحر ومخاطره .جنازة مغروسة فى حديقة فى العام الماضى . هل نبتت وأخرجت شطئها مثل النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد توافق خواطر مع بيت امرىء القيس ، كما مطر ابريل وعلو أغصان (الليلك) مجرد توافق خواطر مع مرابيع النجوم وعلت فروع الايهقان ؟

وهل فكرة dried tubers (أى الأصول النباتية الجافة أو العروق الجافة) مجرد توافق خواطر مع أنابيش العنصل ؟ العنصل هـو (Bulb) بحسب الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد دائما الاصطلاح الآخر المقابل (Tuber) ـ أليس تحويل (Bulb) الى فيه لون من أسلوب تحويل grass-hopper الى (cricket) وما مر بك من قبل من أمثلة «السرق المورى» ؟

قولنا عن امرىء القيس آنفا أنه تذكر الصبا وتذكر الطفولة نشير به الى قوله :

## الجناس الحرفي أو الداخلي ليس بأصيل في اللغة الإنجليزية لكن أصوله أخذت من البديع العربي في القرنين ١١، ١٢ الميلاديين

يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوى بأثواب العنيف المثقل

والى قوله :

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

وليس ههنا موضع التفصيل وقد كان امرؤ القيس صاحب ذكريات وتذكر له أبيات لطيفة يصف بها زحلوقة الأطفال أولها :

لمن زحلوقة زل
بها العينان تنهل

لاحظ أن تذكر الزحلوقة هنا أبكاه كما بكى من ذكرى الأحباب والمنازل .

والى قوله :

درير كخذروف الوليد أمره
تتابع كفيه بخيط موصل

ابريل أقسى الشهور

هذا :

ومثل أبى تمام إذ فاجأته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجأته مقدمة المصيف ـ ولكن غير حميدة ( ابريل أقسى الشهور ) . ومثل امرىء القيس خلص إليوت الذى هو امرؤ الأرض القفر من البدء بذكر الأطلال ( عفت الديار كما تقدم ) إلى حل العقد من خيط الذكريات ـ المقهى فى أول المنظومة ( السطر ١١ ) إلى النعت المنظور فيه الى سفينة كليوبتره بعين ، (س ٧٧ ص ٢٩ ) :

The chair she sat in, like a
burnished throne,
Glowed on marble ..................

أي : الكرسى الذى جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كأنه عرش مجلو .... ( راجع نعت انوباربس لسفينة كليوبترة عند شكسبير ) ومنظور أيضا فيه بنفس ( العين ) أو بعين أخرى تحت الحاجب الكالح إلى قول امرىء القيس :

إذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

( راجع من قوله س ٨٤

The glitter of her jewels rose ...

أى قام بريق جواهرها ...

her strange synthetic perfumes

أى عطورها المصنوعة الغريبة ( س ٨٧ ص ٣٠ ) .

وقال وليم جونز فى ترجمة هذا البيت :

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gab sheds the scent of clove-gilly flowers...

لاحظ استعمال إليوت profusion فى س ٧٥ وكذلك poured فى مقابلة diffused التى عند وليم جونز و sheds .......

تأمل ذلك أيها القارىء الكريم .

الفصل الذى فيه هذا النعت جعل إليوت عنوانا له « لعبة الشطرنج

A Game of Chess

وهو الفصل الثاني من الأرض المقفرة والعنوان مأخوذ من اختيارات وليم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التى اختارها هناك هو هذا ، فتأمل !! .... رجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه الخ والآن .... إلى لقاء الكويتبة في الفصل الثالث الذى عنوانه ترتيلة النار .

أو كما قال A Fire Sermon

وتلفت نظرك ههنا إلى ما ذكر عن إليوت أنه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذى نشأ فى الهند بأنه كان من عظام أصحاب التراتيل .. لقى إليوت فى منظومته الكويتبة فى الفصل المذكور على مائدة فاترة ووصال من نوع ما يقع فى سأم المدن المعاصرة .. شىء ممسوخ من وليمة عذارى دارة جلجل ودخول الخدر خدر عنيزة : ( وقد ترجم ذلك السير وليم جونز ترجمة حسنة حية ) :

Woe to thee than wilt compel
me to travel on foot

... تقول لك الويلات إنك مرجلي

من هنا أخذ إليوت عبارته ( ص ٣٢ ) :

......... caresses
Which still unreproved, if undesired

وتأمل بعد أسطاره من ٢٣٥ ـ إلى ـ ٢٤٨ فى حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as
he guesses
The meal ended, She is bored
and tired,
Endeavours to engage her in
caresses

Which still unreproved, if
undesired

الترجمة التقريبية :

الوقت الآن موات كما يظن
انتهت الوجبة وهى متعبة وسئمت
يحاول أن يشركها معه فى ملامسات
استمرت بلا مؤاخذة ان لا بلا اشتهاء

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت مواتياً بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتماء العذارى ـ يطبخن ـ بلحم مطيته ( يخطىء من يحسب لنهن كن يترامين بقطع اللحم كالغولات وكان للحم كرات لعب ) وبشحم كهداب الدمقس المفتل الذى هو حريرهن وبياض ابشارهن فدخل الخدر خدر عنيزة ليشركها معه فى ملامسات ومداعبات فزجرته بقولها « لك الويلات إنك مرجلي ، ومع زجرها له مال بهما الغبيط معا :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سيري وأرخى زمامه
ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمائم محول

كلام امرىء القيس فيه شيطنة وأريحية وحرارة عاطفة وصدق فني مباشر مع الايقاع الرنان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لا عاطفة فيه ولا حرارة ولكن مرارة برود تعال فكري وشيء من سخرية . غطاء كثيف يخفى حقيقة السريرة ولو كانت فيها أريحية من عواطف البيان والصدق الشعرى لهتكته . فى كلام إليوت روح سآمة كسآمة الليل والبعير الذى شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلكل ، وكسآمة الحبلى التى ذكرها امرؤ القيس فزعم أنه الهاها عن طفلها ذى التمائم المحول .

إذا ما بكى من تحتها انصرفت له
بشق .... ( الى آخر البيت )

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امرىء القيس وعذلوه عليه وعابوه وأبى الشعراء من بعد إلا أن يحاكوه فيه ويسرفوا كالذى صنعه سحيم عبدبني الحسحاس فى يائيته « عميرة ودع ان تجهزت غاديا » :

وفيها وجدان وغرام وفتك وكالذى صنعه بشار فى الرائيتين ، المقيدة التى يقول فيها :

أنتى بـــدد هـــذا لعبى
ووشـــاحي حله حتى انتثر

والمطلقة التى يقول فيها :

قولى لها بقة لها ظفـــر
إن كان فى البق ما له ظفر

وفى كلتيهما تهتك وزندقة ومجون .


عزرا باوند


جرارهويكنز

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى عنيزة امرىء القيس وإلى دعوى التحضر والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام أرض إليوت المقفرة اليباب الخراب ؟ هذا باب يكتفى فيه بمجرد الاشارة واللمح .

## أثر البديع فى اوزانه

ويبقى وزن إليوت . ومداره كما يذكر نقاده على محاكاة نبرات الكلام المألوف وعلى الجناس الداخلي وعلى سجعات القوافي وهذا امر خالف فيه أصحاب الشعر الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم وقد تأثر فيما ذكروا بازرا باوند وقد سبقه فى مذاهب من النظم جرارد مانلى هوبكنز Gerard Manley Hopkins

ورجع إليوت فى ما يذكر إلى نماذج من الشعر الانجليزى القديم الذى يقال له المتوسط مثل منظومة وليم لانجلاند ( ولا يكادون يستشهدون إلا بها ) التى أسماها بطرس الحراث .

William Lang Land ولد ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م ) ـ بطرس الحراث

Piers Ploughman

وعندى ان الجناس الحرفي أو الداخلي ليس باصيل فى اللغة الانجليزية على اتصاله باوائلها ولكنه أخذت أصوله من البديع العربى إذ هو قد كان النموذج الأدبى البراق المحتذى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر الميلادى فما بعدهما وقد كانت أمة العربية انئذ هى أمة المدنية الكبرى المرموقة فى ذلك الزمان ـ تحاكى أساليب حياتها وآدابها كما نفعل الآن بتقليد الافرنج . ذكر صاحب الذخيرة نقلا عن المؤرخ أبى مروان ابن حيان فى صفة ريموند صاحب برشلونة ( ص ١٥٥ القسم ١ ح ١ ) : « فاذا هو جالس على مرتبته عليه من ثياب المسلمين » ا . هـ .

أمر آخر ينبه إليه مما عسى أن يكون إليوت قد أخذه أيضاً من أساليب العربية ، هو مذهبه فى غرابة التشبيه . ويوقف كثيراً عند قوله فى احدى منظوماته :

Let us go then, you and I
When the evening is spread out
against the sky
Like a patient etherised upon
a table

أي :

دعنا إذن نذهب انت وانا
عندما يكون الليل قد مدد بازاء السماء
مثل مريض بنج على منضدة « العمليات »

ووصفه برغونزى بالجمال والغرابة (ص ١٥)

## التشبيه المقلوب

والحق أن تشبيه إليوت ههنا جار على ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقلوب ، المريض ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجاة غشيان الظلام الأفق تكون مفاجاة غيبوبة المريض بالبنج .

من أمثلة التشبيه المقلوب المعروفة :

وبدا الصـــباح كان غرته
وجـه الخليفة حين يمتـدح

وما الأمر إلا أن وجه الخليفة المشرق بغرة الانشراح للمدح قد صار جسم مريض ممدوداً على منضدة عملية . وغرة الصباح الباهرة صارت غروباً ... هل أخذ إليوت من ههنا أم هو توارد خواطر ؟ لعله توارد خواطر ولكنه بلا ريب تشبيه مقلوب . صناعة وبديع مصقول متكلف لا أكثر ولا اقل .

أشهد أن أول ما دعا إلى الشك فى أصالة إليوت فى منظومته The Waste Land ( الأرض المقفرة ) ما قدمته من ارتياب النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب واسماء من أشاروا إليهم ومن غلبة البرود والتنطس على أسلوبه ومذهبه ومن الفتنة المفرطة به ولا سيما من ليست لغتهم بلغته وفى لغته على أهل لغته هو الانجليزية عسر شديد ، حتى المعجبون به نكروا ذلك . مثلا قال انتونى بيبرغس Anthony Burgess فى كتابه من الأدب الانجليزى طبعة ١٩٨٠ م وهو من المعجبين باليوت ان منظومته The Waste Land ( الأرض المقفرة ) فيها عسر ومشقة على القارىء وذكر من بين أسباب ذلك كثرة الاشارات والاقتباسات والأخذ من أدب أوروبا والهند وتداخل الصور إلى آخر ما قال .

## الأخذ بلا اعتراف

ومع أن تاريخ كمبردج للأدب الانجليزى يعد إليوت من ثلاثة العصر فى الشعر الانجليزى الكبار ، مع هذا عاب عليه كثرة أخذه من دون اشارة إلى موضع الأخذ أو علامات تدل عليه وقال إنه كان يلزمه بيان ما أخذ وما استعار . والمع تاريخ كمبردج إلى انه إن يك المراد من هذا الحنين إلى الماضى هو التعبير عن الضجر عن العصر باسلوب أدبى ، فان ذلك غير خارج عن

نطاق الأساليب التقليدية ، ونص عبارة تاريخ كمبردج هو كما يلي وما قدمناه فحواها وملخصها (ص ٨٥٣) :

But we may doubt whether the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional literary device.

كلمة صدق تقال للمفتونين بإليوت: إن كتمانه وسرقته ودينه للمعلقات وشعر العرب من طريق مستشرقي الهند وفرنسا والمانيا وهارفارد وجامعتي اكسفورد وكمبردج ومن يكون لاقاه فيهما وفي غيرهما وشافهه ، ينبغي ان يكون ذلك موضع زراية به ونفور عنه لا فرط إعجاب به واقبال عليه .

أسأل الله ان تكون الموضوعية النقدية لنا رائدا ودليلا في ما نقدمه من حدس مرتب على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد اكتفيت في أكثر ما قدمت بالصدر الأول الأكبر من منظومة The Waste Land خشية الاطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادي التنبيه . ولقد اقبلت على كتابة هذه الكلمة الموجزة في بابها ، وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى وجملة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة اذكياء وأساتذة علماء وغيرهم من المعارف والأصدقاء . فمنهم من نبه على ما لم اكن له متنبها ومنهم من أعان على تيسير المراجع او دل عليها ومنهم من ساهم بالرأي وبالكلمة المفيدة — من ذلك مثلا أن عنوان إليوت ( لعبة الشطرنج A Game of Chess لا يخلو من نفس امرىء القيس إذ كان يلعب النرد لما جاءه خبر مقتل أبيه ومن ذلك مثلا قول إليوت

Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الأمر في نحو :

قفا نبك من ذكرى ..

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ..

خليلي عوجا من صدور الرواحل ..

قفي قبل التفرق يا ظعينا

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل . إلا أنني أرجح أن يكون إليوت اقتدى بطريقة شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير في مسرحية ريتشارد الثاني الملك على لسانه :

Of comfort let no man speak

أي لا يتحدثن امرؤ عن الراحة . وفيها

let us sit upon the ground

أي لنجلس على الأرض . ويعجبني منها قوله



وليم بليك



اندرو مارفيل

( راجع التماسة عزاء ص ٤٤ ) :

Let's talk of graves and worms and epitaphs
Make dust our paper and with rainy eyes
Write sorrow on the bosom of the earth

وترجمته التقريبية ( التماسة عزاء ٤٤ ) .

هلموا عن الأجداث والدود والرثا
حديثكمو ثم اجعلوا الترب قرطاسا
ومن أعين تهمي بكالغيث سطروا
على ثدي هذي الأرض للحزن انفاسا

وشبه كلام شكسبير بقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، في نمط الصياغة غير بعيد .

وقال درايتون Drayton من معاصري شكسبير :

Since there is no help, let us kiss and part

واقرب مايترجم به هذا شطر بيت المثقب العبدى

( أفاطم قبل بينك متعيني )

وليس بجد بعيد من : فسلي ثيابي من ثيابك تنسل .

توارد الخواطر كثير في المعاني الانسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربي المعدن وكان الاخذ في زمان النهضة الأوربية عن معارف العرب وآدابهم أمرا شائعا .

وأخذ إليوت عن شعراء الانجليزية خاصة قد كفانا مئونته نقاده ، حتى بيرغس الموالي له لم يغمض فيه وتاريخ كمبردج للأدب الانجليزي الذي سبق أن أحلنا عليه من قبل قد بكت إليوت كما مر على الأخذ بلا اعـتراف أو تعليق ونعى عليه استعمال التضمين والاقتباس بطريقة آلية صارت من بعد مجرد حيلة أسلوبية عند مقلديه الكثيرين أو كما قال ( ص ٨٥٣ ) :

......... A mere trick of fashion in his numerous imitators

هذا ، ومنهم — أي ممن ناقشت — من حث حثا على تدوين ما بدا خشية أن يؤخذ من المشافهة فأسبق إلى نشره ولا يشار إلى المصدر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو التنبيه على كتمان إليوت تقليده لطريقة العرب في صياغة القصيد — وقد عرف العرب التضمين والاشارة وغرائب من البديع مع الذي سبق توضيحه من مذهبهم في الوصف وتداعي المعاني على النحو الذي بين جانبا منه ليال في مقدمته القيمة .

ليعي بعضنا صياغة القصيد الذي لو اقبلنا على درسه لأغنتنا روائعه أسلوبا تقليديا .. ويسمون إبداعا تقليد إليوت الذي يقلده ، فتأمل .

## باب للقول فيه متسع

الآراء التي بثثت بطرف منها ههنا قديمة عند كاتب هذه الأسطر ألمع إلى بعضها في حديثه عن أبي الطيب الذي ألقاه في المهرجان الذي أقيم له ببغداد في تشرين الثاني سنة ١٩٧٧ م وطبعت في سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبي . وقد جاء فيها ذكر أخذ الشاعر اندرو مارفيل في منظومته البستان The Garden من :

( مغاني الشعب طيبا في المغاني )

وأخذ وليم بليك في منظومته عن النمر من أسد أبي الطيب الذي ما قوبلت عيناه ..

ما قوبلت عينـــــاه إلا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا

وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .

ولله الحمد في المبدأ أو الختام .

وعلى رسول الله الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،

**د . عبد الله الطيب**

### اعتذار وتصويب

تعتذر « الدوحة » عن خطأين وقعـا في الجزء الأول من هذه الدراسة الجامعة ، والمنشور في العدد ٧٤ — ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ — فبراير ١٩٨٢ م . ففي السطر الأول من العمود الثالث في ص ٢٨ سقطت جملة هي : (وكان اليوت معروفا بالانحراف عن جون ملتون الشاعر الانجليزي الكبير ثم تجيء بعدها الجملة (ومن جون ملتون الخ) .

وفي السطر ١٠ من اخر ص ٣١ من اخر العمود الثالث وقع خطأ مطبعي وهو (بمملكة محدودة المدة) وتصويبه (بمملكة محدودة المدى) .

# لقطات ثقافية

## أحمد بهاء الدين شاعرًا

● يعرف القراء « أحمد بهاء الدين » كاتبا عربيا كبيرا ، تتميز كتابته بالعمق والجرأة والوعي والثقافة والصدق والنزاهة ، ولعل الكثيرين من القراء قد لاحظوا ما فى كتاباته من سلاسة وعذوبة وجمال أدبى حتى وهو يكتب فى أعقد المشاكل السياسية ، وقد كشف الكاتب الباحث الأستاذ صلاح عيسى فى رسالة إلى الدوحة عن جذور هذا الجمال الذى نلاحظه ونستمتع به جميعا فى كتابات بهاء وذلك عندما أرسل إلينا هذه « القصيدة » التى كتبها أحمد بهاء الدين فى مطلع شبابه والقصيدة تكشف أن بهاء الذى أعطى معظم جهده الفكرى للسياسة والبحث الاجتماعى والتاريخى ، قد بدأ شاعرا ويبدو أن الشاعر أحمد بهاء الدين قد تسلل واختفى بين سطور مقالات الكاتب الكبير فأعطاها قيمتها الجمالية بالاضافة إلى قيمتها الفكرية ... وهذه هى قصيدة أحمد بهاء الدين التى نشرها فى مجلة « الفصول » القاهرية سنة ١٩٤٧ ... والقصيدة على جمالها وطرافتها فيها خطأ نحوى واحد ، حيث استخدم الشاعر الشاب أحمد بهاء الدين فعل « تريدي » بدلا من الفعل الصحيح تريدين ، وهو خطأ « هين » من أخطاء البداية ـ والقصيدة نفسها بعد ذلك تكشف عن لحظة تاريخية من لحظات الأزمة الوطنية فى مصر ، ففى سنة ١٩٤٧ كانت مصر تعانى ضغوطا عديدة من الاستعمار وحكومات الأقلية التى لا تهتم بمصالح الشعب .

يا مصر لو شئت الفدا وجدتنى
فى مطلع الأبرار واسمك فى فمى
وكما رويت بماء نيلك غلتى
اروى ثراك بما « تريدى » من دمى
زمنى يضيع وكل يوم فيه يطوى لى أمل
وأنا هنا أستعرض الأيام .. لما ترتحل
لا أستطيع السير فى تيارها أو انتقل
وإذا جرؤت وقلت أمشى كم تضيق بى السبل

* * *

## لقطة :
## أحمد شوقي وأحمد عدوية

● لا يزال الأديب العربى بالرغم من الادعاءات والجعجعات هو شحات هذه الأمة ، فلا أحمد شوقى بلغ مرتبة أحمد عدوية ، ولا محمود سامى البارودى مثل محمود شكوكو ، ولا بنت الشاطىء مثل بنت بديعة ! ومنذ سنوات قليلة مات شاعر عظيم من الجوع هو عبد الحميد الديب ، ورثاه كامل الشناوى بكلمات بليغة : « اليوم مات شاعر تعرى واكتست الأضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب » !!

وبالأمس القريب مات فنان وأديب كان تحفة زمانه ونادرة عصره وأوانه هو زكريا الحجاوى ، وكانت أمنيته الوحيدة ان يجمع عشرة الاف جنيه يعود بعدها إلى قريته ليعيش ما تبقى من عمره فى هدوء ! وفى الستينات مات العالم والأديب والناقد أنور المعداوى لأنه لم يستطع الحصول على تكاليف علاجه فى الخارج . وهى وصمة عار فى جبين أمة يحسدها الغرب على غناها ، وتتحالف ضدها كلاب الأرض طمعا فى ثروتها .

**محمود السعدنى**

عن جريدة « السياسة » الكويتية

* * *

## الاغتراب

● كتاب هام صدر أخيرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر « وصاحبها ومؤسسها هو الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى تم اغتياله فى مكتبه بالمؤسسة منذ شهرين » ـ مؤلف الكتاب هو ريتشارد شاخت ومترجمه هو الأديب العربى يوسف كامل حسين . ويعالج هكذا الكتاب مفهوم الاغتراب فى الفكر والأدب منذ سنة ١٨٠٠ إلى اليوم ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه الهام : « أصبح من المألوف فى الوقت الراهن بصورة متزايدة أن نسمع عن تفسير الحياة فى عصرنا الحالى من خلال مفهوم الاغتراب ، وحينما يقرر كتاب المقالات النقدية عن الكتب والأفلام والمسرح ، أن عملا ما يعالج الاغتراب وما أكثر ما يقومون بتقرير دلك ، فانهم يقصدون أن ينقلوا لقرائهم فكرة أن هذا العمل يعالج أحد جوانب « مازق الانسان المعاصر » أو الورطة التى يعانيها قطاع يعتد به من أبناء المجتمع المعاصر ، ويذهب المعلقون الاجتماعيون على نحو متزايد إلى القول بأن الاغتراب هو واحدة من أضخم المشاكل التى تواجهنا اليوم ، وهم يرونها متمثلة فى الهوة بين الأجيال ، فى ظاهرة شباب الهيبيز ، فى الحركة المناهضة للحرب ، فى أزمة الثقة السائدة ، فى حركتي الثقافة السوداء ، والقوة السوداء !!

* * *

## استقالة

● كتب الناقد المعروف الدكتور لويس عوض إلى أصدقائه فى الوطن العربى وفى الغرب رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة تم توزيعها على نطاق واسع ، هذا نصها :

« د . لويس عوض يتشرف بابلاغ أصدقائه بانه قد استقال من عمله فى مؤسسة الأهرام اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٨٢ وسوف يمكن الاتصال به فقط فى العنوانين الموضحين فى


احمد بهاء الدين


لويس عوض


محمود السعدنى

هذه البطاقة :

المنزل : شارع القصر العينى رقم ٤٤ شقة ١٦ ـ القـاهرة تليفون ٣٣٢٠١ مكتب خاص : شارع الهرم رقم ١٧٥ شقة ١٦ الجيزة تليفون : ٨٥٦٢٣٤ .

* * *

## أزمة الكتاب العربي في أرقام

أصدرت اليونسكو احصائية تقول فيها : إن عشر دول عربية أصدرت سنة ١٩٦٥ ما مجموعه ٥١٩٩ موزعة كالآتى :

| | | | |
|---|---|---|---|
| مصر | : | ٣٢٥٥ | كتابا |
| سوريا | : | ٤٥٨ | كتاباً |
| لبنان | : | ٣٧٣ | كتابا |
| العراق | : | ٢٦٨ | كتابا |
| تونس | : | ٢٠٠ | كتابا |
| الأردن | : | ١٦٢ | كتابا |
| المغرب | : | ١٦١ | كتابا |
| الجزائر | : | ١٣١ | كتابا |
| الكويت | : | ١١٣ | كتابا |
| السودان | : | ٨٣ | كتابا |

وفى سنة ١٩٨١ نقص انتاج العالم العربى من ٥١٩٩ كتابا إلى ٢٨٥٠ كتابا .

وهذه الكتب التى صدرت سنة ١٩٨١ موزعه كالآتى :

١٦٥٠ كتاباً صدرت فى بيروت وحدها .

١٢٠٠ كتاباً صدرت فى « كل » الدول العربية !

الكتاب العربى فى أزمة .

هذا ما تقوله إحصائية اليونسكو بالأرقام .

* * *

### من الأرشيف الأدبي :

## جماعة الفن المنحط

● هذا مقال كتبه الأستاذ عزيز أحمد فهمى سنة ١٩٣٩ ، وفى ذلك العام تكونت فى مصر جماعة باسم « جماعة الفن المنحط » ، وقد فشلت هذه الجماعة ، وفشلت كل جماعة على شاكلتها ظهرت منذ ذلك التاريخ فكل « التقاليع » لا تعيش ولا تنجح ، إنمـا ينجح الصـدق والعمق والاحساس بالمسئولية فى الفن والحياة معا .. وهذا هو مقال عزيز أحمد فهمى عن جماعة الفن المنحط التى أنشئت سنة ١٩٣٩ وماتت فى نفس العـام :

تألفت فى مصر جماعة من الفنانين سمت نفسها « جماعة الفن المنحط » ، وهى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع إذ لم يزرها فى دارها بشارع المدابغ كاتب ولا صحافي ولا زائر عادى يستمع إلى دعوة أفرادها .

« والفن المنحط » الذى تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال إنه منحط فعلا مادام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فنا ومنحطا فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذبا .

فالفن هو نتاج الحس لا الفكر .

ومتى توفر فيه الصدق فانه سـام رفيع ، ولا يفسده شىء ولا يخفض من شانه شىء إلا أن يكون تكلفا ، فهو عندئذ ليس فنا وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شـاعر إلى « التحـرر » فى شعره وحسـنه للناس وزينه لأنه يحبه ويجد فيـه لذته النفسية ، ولأنه يعبر عن هذا الذى يجده تعبيراً صادقا فلا ريب أن فنه يبهر القارئين لأنه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فاما أن يرضيها وإما أن يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسـام المعجب بالأجسام الذى يصـور محاسـنها فهو عنـد الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا كله ويعبر عنه صادقا فى تذوقه وتعبيره . فاذا شاعرنا للمعانى الروحية المجردة التى لا يحبها هو ولا يتذوقها وأراد بتعرضه لها أن يجارى أصحابها وأن يقال عنه إنه مثلهم روحانى متصوف فانه سينحط ويضعف لأنه سيحتاج فى إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير .

وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه إلى مالا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحى لغرض من الأغراض فانه يكون عندئذ كاذباً ومنافقا ويكون رسمه منحطا حقاً .

فاذا كانت جماعة الفن المنحط قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقا لا لشىء إلا هذا التكلف ..

من روائع الأدب العالمي

# النورس الرمادي

للكاتب الأيرلندي : أوفلاهارتي

ترجمة : عادل شريف

رسم : حلمي التوني

يعتبر ليام أوفلاهرتى من ألمع نجوم الأدب الايرلندى المعاصرين الذين ادخلوا الكثير من الحيوية والتجديد والقوة والبهجة والعصرية على النثر الانجليزى فى الثلاثين عاما الماضية وتعتبر كتابات أوفلاهرتى أصدق مثال على ذلك . وقصته القصيرة النورس الرمادى ( والنورس طائر بحرى شهير ) من احسن ما كتب افلاهرتى لأنها تضم تركيبة ذكية لماحة عن الخيال والحقيقة .. وهما أبرز صفات الشخصية الايرلندية .. على مر العصور ! ..

ونصيحة خالصة للقارىء العزيز . فمن يريد ان يعيش هذه القصة ويستمتع بها فعليه أن يجهز عليها فى جلسة واحدة .. غير مجزأة ! والذى لن يأخذ بالنصيحة لن يستطيع ان يحلق فى سماء الخيال مع « النورس الرمادى » .وستنقطع أنفاسه وهو يجرى على الأرض محاولا اللحاق .. به .



اجتمع كل افراد عائلة ديسى حول مائدة غرفة الطعام بعد تناول العشـــــاء فى « كيلفيتان هاوس » بعقد مجلس عائلى وقد خيمت الكآبة على نفوسهم جميعاً . وكان ذلك الاجتماع قبل ثلاثة ايام من سباق « كولاغ هنمت » السنوى للخيول وكان سبب حزنهم هو عدم عثورهم على فارس يقود حصانهم ذا الاعوام الخمسة « النـــــورس الرمادى » والذى كانوا يأملون أن يفوزوا به بجائزة السباق الشهيرة « طبق ليوسبون » . وكان المفروض أن يركب الحصان روجر الابن الأكبر ذو العشرين عاماً ، ولكنه كان يجلس إلى أقصى المائدة وقد لف ذراعه اليمنى فى جبيرة وضمادة بعد أن كسرت منذ أسبوعين وهو يدرب « النورس الرمادى » على القفز من فوق الحواجز .

وقد حاولت العائلة عبثاً أن تجد بديلا لروجر . ونجمت المتاعب عن عدم ســـماح « النورس الرمادى » لأى شخص اخر بامتطاء صهوته لمدة تزيد عن .. ثانيتين أو ثلاث ثوان ! ولذلك كان آل ديسى يواجهون موقفاً لا يحسدون عليه . وقطع روجر الصمت الطويل الذى ران على العائلة قائلا « يجب الا ننياس » .. ان « النورس الرمادى » ليس متوحشاً حقيقة .. إنه متوتر الأعصاب فحسب ، ولا يحب غير عدد قليل من الناس ولو امكننا العثور على شخص يسمح له « النورس الرمادى » بركوبه .. لامكنه ..

قاطعه السيد ديسى فى لهجة حزينـــة « لا فائدة من أن تخدع نفسك يا روجر اكثر من ذلك فاننا لا نستطيع أن نجد فارساً له . هذا هو حظنا . انه حظ آل ديسى . ولا يمكن أن نقاوم ما قسم لنا . ان هذا النحس يطاردنى طيلة حياتى » .

ردت السيدة ديسى « هذا كلام فـــارغ يا جون » . ولكن جون رد عليها « بل هى الحقيقة يا دوروثى .. ويجب أن تدركى هذه الحقيقة بعد أن استمر زواجنـــا اثنين وعشرين عاماً » . فعادت الســـيدة ديسى « لا يوجد شىء اسمه حظ آل ديسى الســـىء . لقد تعبت وسئمت من اتخاذه عذراً للكسل والعجز والجنون المطبق » .

وكان السيد ديسى يبدو عليه بعض الجنون فعلا وهو يحملق فى زوجته . وكان جون ديسى رجلا طويل القامة نحيلا وفى الواحدة والستين من عمره ، وله نظرة وحشية فى عينيه الســوداوين . وكانت هناك ندبة كبيرة على صدغه الأيمن نتيجة سقطة من على حصانه فى شبابه عندما كان يشترك فى سباق الحواجز .

وصاح الرجل متهكماً « حقاً .. ان هذا لشىء جميل تقولينه أمام الأولاد فى لحظة كهذه ، عندما أكون فى احلك أوقات شقائى بينما يمكن لكلمة حلوة ان تجد لى مخرجاً من مأزقى . انك لرفيقة ممتازة لرجل فى ورطة ! » .

فقال روجر « لا تحزن يا ابى ولا تلق بالا لما تقوله أمى . انها تحب أن تسمع نفسها وهى تتكلم .. هذا كل ما فى الأمر» فانفجرت السيدة ديسى صائحة ، لا أريد أن اسمع مزيداً من وقاحتك يا روجر ، انك منذ بدأت تقلد أباك وتقامر وتشترك فى سباق الخيل ، فقدت كل اخلاقك الطيبة واحترامك للكبار . لقد اصبحت ، ديسى « حقيقياً » ! وهنـــا تدخلت العمة بنيلوبى فى الحديث قائلة « ما هذا كله ؟ يجب أن يكون حديثكم مهذباً انكم لن تحصلوا على فارس يتبادل الشتائم واذا كان من الممكن الحصول على أى شىء باستخدام الشتائم ، فان هـــــذه العائلة ستصبح حتما اغنى عائلة فى كل البلد » .

وضرب السيد ديسى المائدة بقبضته وهو يرغى ويزبد وصاح « انكم تبحثون عن الحظ .. لقد حاولت طيلة حياتى ان أربى حصاناً ممتازاً يتخصص فى سباق الحواجز .. ونجحت فى اخر الأمر وانا قاب قوسين من قبرى .. وليس من شك فى انه جواد ممتاز حقيقة .. بل أقسم انه أكثر من ممتاز .. رغم انه لم يختبر فى سباق تشترك فيه جياد من الدرجة الأولى .. وتستخدم فيه الحواجز العالية، لو تمكنت من إشراكه فى السباق كما ينبغى لحصلت من ورائه على عشرة آلاف جنيه فى عام واحد . فصاحت السيدة ديسى فى احتقار : « تقصد عشرة آلاف .. زيادة ! » .. فصاح السيد ديسى فى عصـــــبية : « لا توجد كلمة كاذبة واحدة فى كلامى .. فهناك مئات من الانجليز فى طريقهم الآن إلى ايرلندا من اجل تناول اللحم الايرلنـــــدى الطيب .. وقد امتلأت جيوبهم بمال وفير .. وعندما تمتلىء بطونهم بشرائح اللحم اللذيذ تغمرهم السعادة إلى حد الشعور برغبة شديدة فى شراء جواد متخصص فى سباق الحواجز وفى الفوز بالسباق الوطنى الكبير . وهم يدفعون أسعاراً مذهلة للخيول العجوزة التى لا تستحق الشعير الذى تأكله » .

وكررت السيدة ديسى نفس الجمـــــلة « عشرة آلاف أكذوبة ! يا جون لو كنت تهتم بزراعة أرضك أو بتربية الماشية .. » فقاطعها روجر : انه على حق يا أمى وما يقوله حقيقى ، وانا أعلم ان اللورد ديليسك قد حصل على أربعة آلاف جنيه ثمناً لجواد اسمه سيمبلتون ، رغم انه كان قد اشتراه من بارنى غولدريك ثلاثة مائة وخمسين جنيها منذ شهرين . الا تذكر يا أبى ؟ وكان كل الناس يقولون إنه كان مجنوناً عندما دفع هذا المبلغ لبارنى !

فقال السيد ديسى : هذا صحيح لقد قبض أربعة آلاف من الجنيهات ثمناً لسيمبلتون وهو جواد عمره عشر سنوات ولم يفز أبداً بأكثر من الجائزة الثالثة . يا لمهارة ديلسك ! اننى أستطيع أن أكون فى مثل مهارته ، إذا تمكنت من الحصول على فارس النورس الرمادى . ولو تمكنا من الفوز بجائزة طبق

## النـــــورس الرمـــــادي

ليوســبون بفضل هذا الفارس وجوادى ثم فزت بسباقين آخرين ، لحصلت على ما يكفينى من المال لاشترك به فى السباقات الكبرى . وبعد ذلك يمكننى أن اذهب إلى بانشتون فى العام التالى ، واذا ربح جوادى هناك فسيعترف به كبطل ، ويمكننى أن احصل على برميل من المال ثمناً له .. وهنا قالت السيدة ديسى : ان كل فرد من آل ديسى ولد مجنوناً ويموت مجنوناً . بلا أى فترة من فترات العقل طيلة حياته . لو قمت بعمل أمين بدلا من أن تحلم بهذه المشروعات لتحصل على الثروة بسرعة ، لما كنا بلا رصيد فى البنك ولما خجلنا من الظهور فى البلدة بسبب كل الديون التى علينا . فقالت بنيلوبى : ان هناك قدراً كبيراً من الحقيقة فيما تقولينه يا دوروثى ، ولكن أود أن أوضح أن عائلتك آل فيتزمورس ليست مثلا صادقاً على النجاح والاقتصاد . هل هى كذلك الآن ؟ .. فقال السيد ديسى « كفى يا بنيلوبى ، لا تتدخلى فى الأمور الشخصية » فقـــال بريان وهو فتى أحمر الشعر فى السابعة عشرة من عمره « يا الهى الا يمكنكم ايها الكبار أن تحاولوا التفكير فى شخص آخر ليركب النورس الرمادى بدلا من أن تتشاحنوا بمثل هذا الضجيج الشديد ! » . فقال السيد ديسى « اننى أسوأ الرجال حظاً على ظهر الأرض ، فبعد أن فقدت الأمل فى تربية جواد ممتاز ، وهبتنى العناية الالهية بطلا ، ثم اتضح أن البطل متوحش ! » فصاح روجر مستنكراً : « ان النورس الرمادى ليس متوحشاً يا أبى لماذا تكرر انه متوحش ؟ » فقال السيد ديسى « اذا لم يكن متوحشاً .. فاننى لا أفهم شيئاً فى الدنيا .. انى لم أر فى حياتى مخلوقاً أكثر وحشية من هذا الجواد» فقال روجر : «ولكنه سلس القياد مع أى شخص يحبه . ان له فم ملاك ! فكيف يكون متوحشاً وله مثل هذا الفم الجميل ؟ » فرد السيد ديسى « عندما يرانى ذلك الحيوان قادماً فانه يكشر عن أنيابه ويطلق صيحة تخيف أشجع محاربى الزولو » فقال روجر : « ان السبب هو أعصابه ، فهو شديد الحساسية ، وهو لا يثق الا فى عدد قليل جداً من الناس ، فصاح السيد ديسى » : هل تقول عدداً قليلا جداً من الناس ؟ . انــــه لا يسمح الا لك أنت بالاقتراب منه ، وهذا يثبت أنه مجنون . وكل حصان مجنون له نزعة مثل هذه ، ولا يسمح الا لشخص واحد بالاقتراب منه . أوه .. ما جدوى الكلام ؟ ان حظ آل ديسى السيىء هو الذى يطاردنى باستمرار » . فاردف روجر : « انه يسمح للعمة بنيلوبى أيضاً بالاقتراب منه ، وهذا يثبت انه ليس مجنوناً . بل انه يحبها أكثر مما يحبنى . أو ليس ذلك صحيحاً يا عمتى بنيلوبى ؟ » فقالت السيدة ديسى فى حقد : « هذا صحيح ، ولكن ذلك لا يثبت الا انه شديد الجنون حقاً » فقالت بنيلوبى : « انك لا تفوتك أية فرصة يا دوروثى .. أليس كذلك ؟ » وهنـــا تقدمت الابنة الصغرى شالوت وهى فى السادسة عشرة من عمرها باقتراح مفاجىء فقالت فى صوت عميق : « اذا كان يكن مثل هذا الحب العميق للعمة بنيلوبى فلماذا لا تركبـــــه عمتى فى السباق ؟ » .

فنظر السيد ديسى والابناء الثلاثة إلى العمة بنيلوبى باهتمام بينما زمجرت السيدة ديسى باحتقار وواصلت حياكة صديريها فقالت العمة بنيلوبى فى سخط وهى تعود بمقعدها إلى الوراء « هـــذا صحيح .. هيا اسخروا بامراة عجوز .. ماذا وراءكم غير هذا ؟ » وكانت فى الثالثة والستين من عمرها وشديدة الشبه باخيها ، اذ كانت طويلة القامة نحيلة ، ذات عيون سود وحشية أضفت على وجهها ذى الوجنتين الحمراوين بعض مظاهر الجنون وكان لها رأس جميل رمادى الشعر . وفى شبابها كانت من أشهر الفارسات ، كما اشتركت بنجاح فى بعض السباقات المحلية ولكنها لم تركب أى جواد طيلة العشرين عاماً الماضية بسبب ضعف نظرها . ومع كل ذلك فقد كانت ما تزال شديدة القوة والنشاط وتشتهر بكونها أحسن منا فى كل المنطقة .

وتجمع الابناء الثلاثة حولها يحتجون بأصوات عالية على اتهامها لهم بأنهم يسخرون منها . وصاح روجر « انها فكرة مدهشة » وقال بريان « كان يجب أن نفكر فيها منذ زمن بعيد ، انك أحسن فارسة فى كل المنطقة . لقد سمعت جاك هاينز البيطار وهو يقول ذلك ، ولا شك أنه يعرف ما يقوله لأنه كان فارساً ممتازاً هو الآخر » .

وقالت شارلوت فى صوتها الرزين : «اننى افكر فى هذا الموضوع منذ يومين يا عمتى بنيلوبى ولكن لم تسنح لى الفرصة لأعرض فكرتى هذه » . فضرب السيد ديسى المائدة وقال فى كآبة : « اجلسوا يا أولادى ولا تقولوا هراء ، انكم تعرفون ان امراة فى سن بنيلوبى لا يمكنها أن تقود حيواناً متوحشاً مثل النورس الرمادى فى سباق طويل مثل هذا السباق ، يالمصيبة ! ماذا سيحدث لو ثار الجواد ! » .

وصاح روجر فى صوت جاد : إنك مخطىء يا أبى ، ان النورس الرمادى رقيق جداً إلى حد انه .. » فقاطعته السيدة ديسى « : يجب أن تتذكر يا روجر أيضاً أن العمة بنيلوبى عمياء كالخفـــــاش . فصرخت بنيلوبى مستنكرة « اننى لست كذلك ، اننى استطيع أن أرى أحسن منك يا دوروثى . واستطيع أن أرى جيداً بنظارتى ولأثبت لـــكم ذلك فستامتطى النورس الرمادى غداً وسأثب به من فوق بعض الأسوار » ، وأطلق الابناء الثلاثة صيحة فرح . وصرخ روجر : يا عمتى بنيلوبى العجوز المدهشة ! لقد كنت واثقاً من شجاعتك . فقال السيد ديسى وهو ينهض مهلا يا أولادى .. يجب ألا نقول كلاماً بلا طائل .. لا يمكننى السماح لبنيلوبى بركوبه .. اننى لن أستطيع أن اغفر لنفسى لو حدث لها أى شىء . فقالت بنيلوبى فى استعلاء : « لا تكن أحمق يا جون ، اننى أستطيع الركوب مثلما ركبت فى شبابى ، كما أريد أن أثبت لدوروثى اننى لست عمياء » .

ومر السيد ديسى بيده على خده ، وظهر تعبير وحشى فى عينيه وهو ينظر إلى أخته . وبدأ قلبه يدق بسرعة متزايدة وقال وهو يتنفس بصعوبة : «حسناً يا بنيلوبى ، اذا كنت حقاً تريدين تجربته فليكن غداً .. » .

وفى الصباح التالى بدت بنيلوبى كطفلة عندما امتطت صهوة الحيوان الضخم وهى تضع نظارتها وترتدى سترتها الرمادية وسراويل الركوب .. وكان ارتفاعه يزيد على سبع عشرة قبضة ( ١٧٠ سم ) ويتمتع ببنيان قوى . وصاح السيد ديسى فى أخته من بعيد « خذى حذرك الآن يا بنيلوبى » ولم يجرؤ على الاقتراب حتى لا يثور الجواد .

فقالت بنيلوبى « هراء .. دع العنان يا روجر .. لماذا تثور أعصابكم جميعاً هكذا ؟ ، ان من يراكم هكذا يظننى طفلة فى الرابعة من عمرها تتلقى درسها الأول » .

وهمست للحصان وسارت به ببطء إلى المضمار نحو الميدان الكبير حيث بنى السيد ديسى بعض الحواجز لتدريب الخيل

الصغيرة . ولم يسلك النورس الرمادى سلوك الحيوان المتوحش على الاطلاق ، بل اطاعها واستكان لتوجيهاتها بطريقة مهذبة واعية .

وبعد أن خبت به حول الميدان فترة قليلة لركضه بسرعة ووجهته ناحية أحد الحواجز فوثب من فوقه برشاقة . واظهرت بنيلوبى انها لم تفقد مثقال ذرة من مهارتها القديمة رغم انقطاعها عن الركوب ، وتحكمت فيه كمحترفة بعد وثبتها .

وأطلق الأولاد صيحة هائلة وهم يرقبون الحصان والمرأة العجوز صغيرة القد وهما ينهيان معاً الوثبة بسلام . وابتسم السيد ديسى بسمة عريضة ليصيح روجر « ألم أقل لك يا أبى ؟ ان النورس الرمادى يصبح فى رقة الحمل مع من يحبه . ارقبه وهو يثب من فوق الحاجز الثانى الآن . لقد ولد ليثب ! انه يتخطى الحواجز فى رشاقة غزال » .

وقفزت بنيلوبى والجواد من فوق الحاجز الثانى والثالث بنفس الأسلوب السليم ، ثم عادا إلى المضمار . وقالت بنيلوبى وهم يساعدونها على النزول : « ما رأيكم ؟ . ان ذلك يثبت اننى لست عمياء » .

فقال « انك ممتازة ! ولكن هل تظنين انك تتحملين سباق ليوسيون وأمياله الأربعة ؟ انه سباق عنيف » .

فصاح روجر « انها تستطيع .. واننى لواثق من ذلك » .

فقالت بنيلوبى عابسة : « أستطيع أن أحاول بما أننا لا نستطيع العثور على فارس آخر . اننى أعلم يا جون كم انت تواق للفوز بهذا السباق وقيمته بالنسبة لك . ومن ناحيتى فان اهتمامى لا يقل عن اهتمامك لترى النورس البحرى وقد أثبت وجوده . اننى أحب هذا الجواد وأعتقد أنه جواد ممتاز ، وأريد أن تعرف الدنيا كلها طيب معدنه » .

ومرة ثانية أطلق الأولاد الثلاثة صرخة فرح واحتضنوا عمتهم .

وقال السيد ديسى « ان هذا يقرر الأمر .. سنشترك فى السباق وستقود بنيلوبى الجواد . والآن علينا أن ندبر مبلغاً نراهن عليه . ان اللورد ديليسك سيركب حصاناً مرشحاً للفوز ، ولذلك علينا أن نراهن على النورس الرمادى بنسبة خمسة إلى واحد على الأقل » .

وأمضى الأيام المتبقية على السباق محاولا جمع بعض المال ، ولكن حالت صعوبات جمة دون ذلك ، فقد رفض الجميع إقراضه أى مبلغ .. لأنه لم يكن موضع ثقة أحد فى المنطقة ! فقرر فى نهاية الأمر تدبير سبعة وأربعين جنيها عن طريق بيع مجموعة جديدة من أدوات الركوب وبعض الأشياء الأخرى . وبالدقة فقد حصل على خمسة وأربعين جنيهاً ( وزجاجة براندى ! )

وفى صباح يوم السباق قال لعائلته على مائدة الأفطار « ان المبلغ ليس كبيراً .. ولكنه بداية على أى حال . ولو أمكننى الحصول على نسبة أربعة أو خمسة لواحد .. فاننا سنحصل على مائتى جنيه لنراهن بها فى السباق التالى » .

وفى هذه اللحظة ألقت العمة بنيلوبى خمسة جنيهات على المائدة أمام أخيها وطلبت منه أن يراهن لها على النورس الرمادى ، وأردفت « انها كل ما تبقى لى من ميراث عمى انتونى الذى تركه لى منذ ثمانية عشر عاماً » .

فصاح السيد ديسى « يا لك من سيدة عظيمة » . فقالت السيدة ديسى بمرارة « ان التبذير الشديد يؤدى إلى الفقر الشديد . ففى هذه اللحظة لا أعلم من أين أستطيع الحصول على أوقية من الشاى أو رطل من اللحم على الحساب » كان يوماً عصيباً حقاً اشتدت فيه الريح وتخللته زخات من البرد متقطعة صحبها برد قارس .. ومع ذلك حضر جمهور غفير إلى بالماوزبورج حيث يقام السباق على قمم الجبال . وجاءت جماعات من الغجر من ست مقاطعات ، وأوحي العدد الضخم من الخيام بأن هناك جيشاً يعسكر فى البرارى الموحشة . وبدأ هؤلاء المتشردون يمرحون فى صخب منذ الاشراقة الأولى للصباح .. كانوا يشربون ويعزفون على الات الاكورديون . فأثاروا ضجة كبرى عندما بدأ السباق .

واخر آل ديسى وصولهم على قدر الامكان حتى يجنبوا النورس الرمادى الثورة الناجمة عن هذه الضجة والتى قد تتسبب فى عدم قدرتهم على كبح جماحه .

ورغم كل تلك الاحتياطات فقد ساء سلوكه وهم يقودونه وسط الزحام فى الطريق إلى حظيرة إعداد الجياد للسباق . ورغم جهود روجر لتهدئته فقد أستمر الحيوان الضخم يرفس ويركل بوحشية حملت الناس على الفرار من طريقه فى فزع .

وصاح رجل فى نبرة ساخرة : هل هذا هو الحصان الوحشى الذى احضرته من بورنيو يا سيد ديسى ! وصاح آخر : هل ستأخذه إلى حديقة الحيوان ! ؟ . لا أظن ان هناك أى حديقة حيوان فى العالم تقبل مثل هذا الوحش .

وكاد هياج السيد ديسى أن يبلغ درجة هياج حصانه عند سماعه هذه التعليقات فهز عصاه فى وجه الجمهور ودفعت إجابته السريعة الغضبى الناس إلى مزيد من التهكم فصاح ديسى : أيها الجهلة المجانين اننى سأريكم حالا ما يستطيع هذا الجواد تحقيقه أيها الشحاذين القرود .

وقالت له زوجته وهى تمسكه من ذراعه : « اهدأ يا جون ولا تكن أحمق » : ومع ذلك فقد واصل صياحه لمعذبيه بينما زوجته تدفعه بعيداً عنهم بالقوة . وفى نفس الوقت عمدت بنيلوبى وروجر إلى قيادة النورس الرمادى إلى حظيرة اعداد الخيل بدون خسائر .

وتقدم اللورد ديليسك وأبدى ملاحظة دفعت بالسيد ديسى إلى غضبه مرة أخرى عندما سأله اللورد ديليسك « هل حصلت على فارس لجوادك يا جون ؟ » فأجاب ديسى بتعال : نعم وانه لفارس يفوق الفارس الذى سيمتطى جوادك . فرد اللورد ديليسك بوقاحة : « أحقاً ! هل لى أن أعرف من هو هذا الفارس » ؟ وكان ديليسك رجلا فارع القامة جامد الوجه ذا شارب أسود وعيون زرقاء باردة تبدو وكأنها تنظر بكراهية إلى كل إنسان . وكانت له شهرة مدوية كفارس ناجح ومرب لخيول سباق الحواجز . ولم يكن أقل نجاحاً كبائع للخيول . إذ كان يبيعها للزوار الانجليز بأسعار مرتفعة . وقبض السيد ديسى على يد أخته وصافحها بحماسة وفخر قائلا : « ان شقيقتى هى التى ستركب حصانى » ونظر ديليسك الى بنيلوبى التى بدت وكأنها مرتجفة فى معطفها الباهت الواقى من المطر وعلى رأسها قلنسوة الفرسان ، وقال لديسى وهو يرفع حاجبيه فى دهشة : « هل أنت جاد فيما تقول ؟ » فرد السيد ديسى غاضباً : « ماذا تعني ؟ » . فقال ديليسك « اذا سمحت لها بركوب هذا الحيوان غير المدرب فانك تكون كمن حكم عليها بالموت ففى مثل سنها تصبح أية كبوة قاتلة بالتأكيد » . فصاح السيد ديسى « هل قلت ان جوادى غير مدرب ؟ » . فرد ديليسك : « طبعاً انه غير مدرب بالمرة . انه متوحش ولا يمكن السيطرة عليه فصرح » ديسى : « هل تتعمد إثارتى ؟ » . ورد ديليسك : « على الاطلاق . اننى احذرك من أجل صالحك بألا تشرك الحصان فى هذا السباق » فصرخ السيد ديسى مستنكراً وقد تكفهر وجهه : « غير مدرب ؟ » فأجاب ديليسك : « ان ما يعلمه الجميع انك لا تستطيع الحصول على رجل فى كل المنطقة ليركبه . وسيشكل جوادك خطراً علينا جميعاً أثناء السباق واشراكه فى السباق ينم عن روح غيررياضية » ، ثم استدار بحدة وابتعد وصاح السيد ديسى

# النورس الرمادي

وهو يهز عصاه « غير مدرب ؟ أيهـــا المتعجرف الوقح ! يا سارق الخيل اللعين ! .

إنك متحامل على لانى رفضت عرضك لشراء جوادى . وهذا هو سر ضيقك أيها الشحيح التعس ! .

ثم استدار ليخاطب الناس التى تجمعت حوله وصاح « لقد جاء البخيل إلى منذ شهر مضى وعرض على شراء حصانى بمائتى جنيه ، فقلت له إنى أفضل النورس الرمادى على بيعه بذلك السعر ، فعرض على مائتين وخمسين جنيها ، فطردته من بيتى ، وقلت له انى افضل الموت جوعاً على .. » .

واضطرت كل العائلة الى الالتفاف حول الرجل الأحمق واستعطافه بحرارة حتى يوقف صياحه . وقد استدر منظرهم الشفقة وهم يقفون فى مجموعة صغيرة بملابسهم الرثة ووجوههم الوحشية وجوادهم المتوحش كقطيع من الذئاب الجائعة تحيطه جمهرة من الناس تعبث بها .

وقال السيد ديسى بعد أن استعاد بعض هدوئه « حسن .. سنرى من منا سيضحك أخيرا .. بعد السباق » .

وعندما ذهب إلى سمسار رهانات السباق ليراهن قبل السمسار أن يراهنه بنسبة عشرة إلى واحد وقال وهو يضحك « إننى أكره أن استولى على نقودك ياسيد ديسى ، ولكن الشغل شغل ! » فقال السيد ديسى وهو يغادر مكتب الرهانات « انك لن تحتفظ بنقودى .. فترة طويلة ! » .

وكان السيد ديسى يبدو واثقا إلى درجة حدت بالسمسار إلى أن يهمس فى اذن أحد معاونيه « اذهب وراهن على النورس الرمادى بنصف المبلغ الذى راهن به السيد ديسى .. فمن يدرى ما سوف يحدث ! ربما يكون هذا المجنون قد أعد لنا مفاجأة .. ان المعجزات تحدث فى السباق دائما . وقد تفوز المرأة العجوز ! .

فقال المساعد وهو يسرع ليراهن : « لو فازت .. فستكون هذه أعجوبة الأعاجيب ! » .

وعندما حان وقت امتطاء بنيلوبى لصهوة النورس الرمادى ، طلبت من أخيها بعض الشراب ، ففتح السيد ديسى الزجاجة وأعطاها لها وقال : « لا تشربى كثيرا والا دارت رأسك . انك فى حاجة إلى الاحتفاظ بأعصابك .. صدقينى ، وتذكرى دائما ان تتبعى جواد ديليسك حتى تجتازى الحاجز الأخير .. ثم اسبقيه » .

ورغم تحذير أخيها شربت بنيلوبى جرعة كبيرة ، ثم ثبتت نظارتها بشريط لاصق قبل أن يضعوها على ظهر الجواد وقالت لها السيدة ديسى « وداعاً يا بنيلوبى .. وتذكرى اننى لا أحمل لك أية ضغينة » . فقالت بنيلوبى : « انك كالدواء المر يا دوروثى .. فحتى هذه اللحظة لا يمكنك ان تتوقفى عن طعنى من الخلف ..انك تتحلين بصفات آل فيتنزموريس من قمة الرأس الى أخمص القدمين » فقال السيد ديسى وهو يمسك بركبة أخته : « كفى ذلك الآن يا بنيلوبى » .

وتذكرى ما قلته لك ، انك لا تعرفين مجرى السباق ، ولذلك عليك الا تندفعى إلى المقدمة الا بعد ان تنتهى من الحاجز الأخير ، فالطريق يستقيم من بعد ، حتى نهاية السباق . اتبعى دن إيمر حتى الحاجز الأخير ثم اطلقى لجوادك العنان ويمكن لو سقط دن إيمر قبل ذلك ، فدعى جواداً آخر يقودك إلى الحاجز الأخير . اتمنى لك حظا سعيدا ولا تمنحى ديليسك فرصة ليخدعك بخدعه القذرة ، فذلك الوغد لن يتورع عن أى شىء .

وأصبح النورس الرمادى فى وداعة الحمل عندما اعتلت بنيلوبى ظهره ! بل انه لم يهتم باقتراب السيد ديسى منه ! وسار بهدوء وسط الزحام فى طريقه إلى نقطة بدء السباق وكأنه جواد محنك ! .

ورغم ذلك فقد واصل الناس الصفير فى وجه بنيلوبى والنيل منها بنكاتهم . وصاح سمسار « لقد جاءوا بامرأة البحر العجوز لتركب حصان بورنيو المتوحش .. واليكم تركيبة مريحة .. أى مبلغ تراهنون به على دن إيمر سيحقق ربحا .. أما ( امبريللا ) فنسبة فوزه أربعون إلى واحد .. و(فايتبخ كوك) ستة الى واحد وكذلك ( سون مورمى) .. وعشرة إلى واحد .. للنورس الرمـادي » .

لم تجد بنيلوبى أية صعوبة فى قيـادة النورس الرمادى ليتخذ مكانه عند نقطة البداية . وقد أدركت على الفور انه ولد ليكون جواد سباق ، وانه من ذلك النوع الذى يبذل كل قوته عندما يدخل فى منافسة مع آخرين ، واحست بمتعة لقدرتها على التحكم فى قوته الضخمة بمجرد لمسة خفيفة لعنانه . وقالت لنفسها وهم يقتربون من الحاجز الأول « انه ممتاز ، ولو تمكنت من الصمود على ظهره فسيفوز بسهولة » .

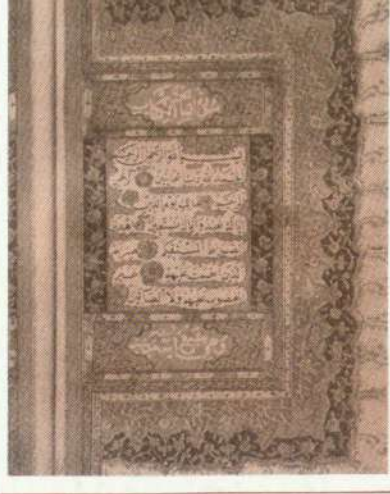
وقد تعدت الجياد التسعة الحاجز الاول فى وقت واحد تقريبا وبسلام .. واستمر الحال كذلك حتى قطعت الحبل الأول أو أكثر قليلا . ثم سقط « شون مورفى » وهو يتخطى الحاجز المؤدى إلى الحقل المحروث ، وبعد ذلك بمسافة قصيرة أوقع جواد يدعى « رودى يستم » فارسته الشابة «وجرى بسرعة فى اتجاه مخالف وهنا زاد « أمبريللا » من سرعته وسبق بقية الجياد بعشرة أطوال بينما احتل « فايتبخ كوك » و « دن إيمر » المركز الثانى معا وامتثالا لتعليمات أخيها حرفيا اقتفت بنيلوبى أثر « دن إيمر » وجعلت بينها وبينه مسافة طولين . وفى خلال النصف الأول من السباق جرت الخيل والريح فى دبرها ، ولم يكن على بنيلوبى سوى توازنها على ظهر النورس الرمادى الذى كان يجرى باقتدار ولم تكن تفكر الا فى ذلك الاحساس الطاعن الذى ينتاب الفرسان العائدين بعد طول غياب . ثم بدأ طريق العودة فى مواجهة الرياح الشديدة وقد بقي ميلان على نهاية السباق .. ونسيت المرأة المسكينة مخاوفها وضغطت على أسنانها وهى تحس البرد القارس وهو يخترق بدنها النحيل . ولم يكن قد بقي من قواها الا ما يمنعها من السقوط من ظهر جوادها بفعل العاصفة ، وغمغمت فى يأس « يا إلهى ! .. اننى لن استطيع الصمود على ظهره .. لقد انتهيت » .

وارتكبت « أمبريللا » خطأ فاحشا وهو يقفز من فوق الحائط الحجرى فجرح رجليه الخلفيتين وسقط على ركبتيه ، ورغم تدارك فارسه الماهر للموقف طغى الخوف على « أمبريللا » ولم يستطع مواصلة السباق . وتمكن « فاتيبج كوك » من أن يتقدم على « دن إيمر » قليلا بينما واصل النورس الرمادى احتلال المركز الثالث متأخرا عن « دن إيمر » ببضع أطوال . وعند صعود المنحدر حيث يوجد الحاجز المزدوج بدأ « فايتبخ كوك » يظهر دلائل التعب .

ورغم انه تعدى العائقين بلا أخطاء وبسبب استنفار فارسه له ، فقد بدأ من الواضح عقب ذلك انه قد استنفذ جهده . وبعد ذلك قلت سرعته وانضم إلى «أمبريللا» فى المؤخرة .

وفى هذه اللحظة قرر اللورد ديليسك ان يبذل كل جهده ،فوخز حصانه فجأة وانطلق بأقصى سرعته فخاطبت بنيلوبى نفسها قائلة وهى تطلق العنان للنورس الرمادى « هيا بنا .. لقد حان وقت الســـباق » .. وتجـــاوب معها الجـــواد الضـــخم على الفـــور واسـترد مركزه الســـابق

ترجمة : عادل شريف





بقلم : الدكتور محمد البهي

# "الكفَّارة"

● يقول الله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا : لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ( أى وانتم فى احرام بالحج أو العمرة ) ومن قتله منكم متعمداً فجزاء : مثل ما قتل ( أى جزاؤه مماثل فى القيمة لما قتل ) من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة ( أى ان المماثلة فى قيمة ما قتل من الصيد : اما من الانعام يحكم بها اثنان معروفان بينكم بالعدل ، على ان يرسل هدياً الى الكعبة : يذبح ويوزع هناك على اصحاب الحاجة ) أو كفارة : طعام مساكين ( واما كفارة من طعام يوزع على الفقراء هناك ) أو عدل ذلك صياماً ( واما ما يوازى الطعام من صيام ، على ان يكون صيام يوم فى مقابل طعام مسكين واحد ) » . ( المائدة : ٩٥ ) ..

فالآية هنا جعلت جزاء ما قتل من صيد الحرم ، من المحرم بالحج أو العمرة واحداً من ثلاثة أمور / التصدق بقيمته من الأنعام .. أو من طعام .. أو صيام ايام تساوى فى عددها : عدد من ينتفعون بالطعام . واطلقت : الكفارة على الطعام الذى يقدم للمساكين ، كما اطلقت : الهدى على الحيوان الذى يذبح ويوزع عليهم، والكفارة والهدى هنا ، كلاهما جزاء عما وقع من خطأ فى حق الله اثناء الأحرام . وهذا الخطأ هو قتل صيد الحرم الذى نهى الله عن قتله فى بداية هذه الآية فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم » .

ويقول الله تعالى فى سورة المائدة كذلك : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم » . ( المائدة : ٨٩ ) .. فرتبت الآية على الحنث والخلف فى اليمين باسم الله :

جزاء ، اطلقت عليه اسم الكفارة ، يتردد هذا الجزاء أولا بين اطعام عشرة مساكين وكسوتهم ، وتحرير انسان من رقه . ثم عند عدم الاستطاعة على أى واحد منها ينتهى الى صيام ثلاثة أيام . والحنث فى اليمين ينطوى على عدم الرعاية التامة لجلال المولى وعظمته . فهو ذنب فى جانبه .

ويلاحظ الآن : أن مفهوم الكفارة فى هاتين الآيتين يرتبط بصدقة على المساكين عند طلب العفو من الله والسماح منه ، فى أمر وقع خطأ فى جانبه سبحانه .

● ولكن لو قرأنا قول الله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص (أى مماثلة) فمن تصدق به (أى بالقصاص وتنازل عن حقه فيه وعفا عمن اعتدى) فهو كفارة له » . ( المائدة : ٤٥ ) .. لو قرأنا هذه الآية لوجدناها اطلقت على التصدق بالقصاص والتنازل عنه : كفارة ، دون ان يكون هناك خطأ فى جانب المولى ، وقع ممن اعتبر له التنازل عن القصاص :

كفارة منه . وهو صاحب الحق فى القصاص . ولكن عنصر الصدقة هنا باق فى مفهوم الكفارة : لأن المتنازل عن القصاص أحسن الى من يجب القصاص منه بالعفو عنه . والذى يعفو عن اخطاء الناس محسن اليهم . وليست الصدقة بالطعام وخلافه مما يقيم النفس :

الا احساناً لمن يتصدق به عليهم ، وكذلك طلب العفو من الله كعنصر فى مفهوم الكفارة لم يزل هنا فى التنازل عن القصاص : باقياً كذلك . لأن عفو الانسان عن خطأ انسان آخر لا يتم فى حقيقة أمره الا بعفو الله وبرضاه .

واذن مفهوم الكفارة ـ كما يرد فى آيات القرآن الكريم ـ يعتمد على وجود صدقة تقدم بين يدى الله ـ أى تستهدف رضاء الله ـ قبل طلب العفو والسماح منه ، على خطأ تعلق به حق الله جل شأنه . فاذا اتجه الانسان الى الله ليطلب المغفرة منه على ذنب يتصل به سبحانه فليقدم صدقة يحسن بها الى اصحاب الحاجة امارة على أنه يولى الرعاية الاجتماعية حقها ، وعلى أن عامل الأنانية فيه قد ضعف، والكفارة بذلك : صدقة بقدر ما هى جزاء .. وقربى الى الله بقدر ما هى عنوان على التماس الصفح والرضا منه ، جل سبحانه ..

# أحمد البشر الرومي

# العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

بقلم: محمد عبد الحميد

أحمد البشر الرومى احد رجالات الكويت الذى أسهم فى بناء نهضة بلده التى أحبها حباً وهب عمره كله من أجلها .. باحثاً فى تاريخها وتـــاريخ ما يجاورها من بلدان الخليج العربى والجزيرة العربية .. جمع فى مكتبته ما يقرب من ( ٧٠٠٠ ) آلاف كتاب .. عاش احداثها واخبارها ونوادرها وحكاياتها وأشعارها .. وعايش الأرض ( الصحراء ) ما فوقها وما تحتها .. تدوين الكلمات كانت هوايته وتدقيق المعلومة أو المعلومات كانت حرفته .



المؤرخ الكويتي احمد البشر الرومي بجانب احد اركان مكتبته التى تضم اكثر من سبعة الاف كتاب .

طريق حياته حافل بجلائل الأعمال ، على قمتها « الأمثال الكويتية المقارنة » فى أربعة اجزاء .. صدر منها حتى الآن الجزء الأول والثانى . أما الثالث والرابع ففى طريقهما إلى ماكينة الطباعة .. هذه الأجزاء تحوى ما يقرب من ثلاثة آلاف من الأمثال الشعبية مع ما يقابلها من الأمثال فى البلاد العربية .. بخلاف مقالاته وأشعاره التى كتبها فى مناسبات عديدة ومتعددة .. بالاضافة إلى دوره الايجابى فى جمع المصطلحات البحرية وشرحها وإعدادها فى كتاب كان فى طريقه إلى النشر قبل وفاته .

جمعتنى به الأيام فى جلسات طويلة منذ عدة أشهر ، كان فيها رحب الصدر ، وغزير المعلومات .. بل يمكن القول انه كان سخياً وهو يحكى شريط حياته الذى حفره خلال ( ٧٥ ) عاماً .. بداية من مولده فى (١٣٢٤) هجرية حتى وفاته فى ( ١٤٠٢ ) هجرية .. ليصبح الآن جزءاً من تاريخ الكويت عن أصالة واقتدار وجدارة .

الباحث فى التاريخ انسان صابر وصبور .. صابر على المشقة التى يعرف قدرهـــا ومقدارها .. وصبور وهو يبحث عنها حتى يصعد بها إلى السطح ، ليحولها إلى حقيقة تكون سنداً له فى بحثه أو الدراسة التى يقوم باعدادها ..

هذه الكلمات كان يرددها على أسماعى المؤرخ الراحل الأستاذ أحمد البشر الرومى . كان يقول ايضا :

● تاريخ العرب ، والبحث فى هذا التاريخ يحتاج إلى دقة ورقة فى آن واحد .. دقة فى ربط الفروع بالأصول ، ورقة فى

التعبير حتى لا يتحول الباحث إلى مجرد ناقل للوقائع والشروح بدون الولوج إلى معرفة أسبابها ومسبباتها ، وما اذا كان صاحب الحديث أو الواقعة أو الرواية من أهل البادية أو الحضر .. كثيراً ما نرى مؤلفاً أو راوياً من أهل الحضر يتطرق إلى أمور وموضوعات لا يملك ناحية المعرفة الحقة فيها غير واحد من أهل البادية .

## الأمثلة الشعبية الكويتية

كانت نظرة أحمد البشر الرومى إلى التاريخ غير عادية .. لم يكن مجرد قارىء يردد ما جاء فى قديم الكتب .. ولكنه فى ذات الوقت كان يملك المنهج التحليلى الذى يقيس بواسطته مدى تطابق الأقوال على الواقع والحقيقة .. هذه النظرة وتلك الملكة جعلته يصل إلى حقائق لا تقبل الجدل أو النقاش .

لقد عرف عن مؤرخ الكويت الراحل أحمد البشر الرومى انه يدون كل شىء يسمعه مادام مرتبطاً بتاريخ بلده الكويت .. قال لى مرة فى احدى جلساتى معه :

● لقد جمعت أكثر من (٣) آلاف من الأمثال الشعبية الكويتية على مدى (٤٠) سنة .. جمعت فى أربعة اجزاء تحت عنوان « الأمثال الكويتية المقارنة » .. صدر حتى الآن الجزء الأول والثانى والجزءان الثالث والرابع فى طريقهما إلى الصدور خلال عام ١٩٨٢ .. ساعد فى اخراجها وتبويبها خبير الفنون الشعبية صفوت كمال وساعد فى الاعداد محمد عمران .. كان يبتسم رحمه الله وهو يواصل حديثه ليقول :

● ان جمع هذه الأمثال الشعبية الكويتية لها حكاية .. والاعداد لنشرها على صورتها الحالية لها حكاية أخرى .. حول جمعها يقول مواصلا حديثه :

● كان المواطن الكويتى أيام زمان يقرن حديثه ببعض الأمثال الشعبية التى ترتبط بالحديث المطروح للنقاش .. أو بالحديث العابر بين الصديق وصديقه .. الأب وابنه .. البائع والمشترى .. الرجل وجاره أو بين صاحب العمل واحد عماله .. فى بعض الأحيان كانت الأمثال يمس بعضها عقلى وتهز كيانى .. لم اكن املك إلا ان احضر ورقة وقلماً واقوم بتدوين ما كان يتردد على اسماعى .. احسست ان ما يقال شىء غير عادى .. بل أكثر من ذلك اعتبرته مخزوناً ثقافياً واجتماعياً يعبر عن حياة الناس وطبيعة المجتمع الذى نعيش فيه .. لم اعد اجمع ما يعجبنى فقط .. بل اكتب أيضاً كل ما اسمعه .. وصل الأمر اننى كنت اتحرك وسط الديوانيات .. اذهب إلى الأسواق .. بمرور الوقت والسنين خفت على هذه الأوراق من الضياع .. جمعتها فى أكياس ومغلفات .. وعندما زاد خوفى وقلقى عليها بدأت فى تدوينها فى كراسات على حروف المعجم .. كانت بداية التدوين فى عام ( ١٣٦١ هـ ) .. كان الوقت صيفاً وكان الحر شديداً .. ولكن حماس وحرارة هذا الحماس كانت اقوى من أى شىء .. مرة أخرى اتخذ تدوينى لهذه الأمثال أسلوباً آخر .. دونت كل واحد من هذه الأمثال فى صفحة مستقلة ترتيباً معجمياً ، ثم جمعت الصفحات فى مجموعات كل مجموعة تضم بعض الأمثال مرتبة على حروف المعجم مع اضافة شرح بعض الألفاظ فى نهاية المثل .. وصار ما عندى أكثر من ( ٣ ) آلاف من الأمثال الشعبية الكويتية .

● وحول الظروف التى ساعدت على نشرها بشكلها الحالى يقول :

● فى أحد الأيام كنت فى زيارة للاستاذ أحمد العدوانى ( يشغل حالياً منصب أمين عام المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب .. شاعر وأحد رواد النهضة الأدبية فى الكويت) كان الأستاذ صفوت كمال خبير الفنون الشعبية حاضراً هذه الجلسة .. قال الأستاذ أحمد العدوانى :

● لماذا لا تقوم بتدوين هذه الأمثال الشعبية الكويتية التى تعتبر تراثاً للكويت واخراجها فى عدة اجزاء .. كانت البداية جمعها وحدها .. ولكننا رأينا بعد ذلك زيادة فى الفائدة ان نحقق موضع الأمثال الكويتية فى الأصل العربى القديم وايضاً فى البلاد العربية .. كنا نعلم ان العمل غير عادى والجهد شاق .. ولكن الامر كانت فيه لذة البحث المفيد .. واخترنا عنواناً لها كان .. « الأمثال الكويتية المقارنة » . يواصل حديثه معى ليقول :

● ان الباحث فى الأمثال العربية القديمة كان يجد صعوبة فى بحثه بسبب انها مرتبة حسب حروف المعجم .. بمعنى أن الأمثال التى تبدأ بالألف تجدها تحت حرف الألف .. ولكننا قمنا بعمل فريد من نوعه يسهل عمل الباحث والقارىء فى آن واحد .. لقد قمنا بترتيبها حسب موضوع المثل ذاته .. مثلا الأمثال التى قيلت فى الأمانة جمعناها تحت باب الأمانة .. الأمثال التى قيلت فى التسامح جمعناها تحت باب التسامح وهكذا .. لقد أكد حقيقة هامة بعد هذا الجهد المضنى الشاق .. ان الأمثال الكويتية القديمة ومثيلاتها فى البلاد العربية تؤكد بالفعل اننا أمة عربية واحدة .. الدين عندها الاسلام .. وتتمازج فى اللغة والثقافة والفكر والعادات والتقاليد .. لقد تميزت الأمثال الشعبية فى كل بلد عربى حسب طبيعة الأرض والمناخ والسكان .. ومن مميزات الأمثال الشعبية الكويتية بصفة عامة والخليجية بصفة خاصة انها كثرت عن الصحراء والبحر .. الصيد ، التجارة ( البيع والشراء ) .. وكانت تحث جميعها على الأخلاق الحميدة والوفاء والتضحية والحب والعطاء وتقديس الحياة الزوجية .. واحترام الصغير للكبير .. وعطف الكبير على الصغير .

## البشر .. وصقر الشبيب

وهناك وجه آخر لمؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى .. قال الشعر .. احس بما حوله .. انفعل به .. ونظم الشعر ولكنه كان فى هذا المجال قليل الانتاج .. والآن تقرأ ما قاله مؤرخ الكويت الفحل الأستاذ عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت عن احمد البشر الرومى الذى كان يعشق قراءة الصحف والكتب وينزلها من نفسه وقلبه منزلة عالية وكبيرة . وجاء فى الكتاب فى الصفحة ( ٣٥٦ ) يقول :

● تعلق الكويتيون بأذيال الصحف واشتغالهم بمطالعتها والاهتداء بنبراسها .. وللصحف من التأثير فى الآراء والافكار مالا يجهله إلا معاند أو جاهل مكابر . ولله در الشاب الفاضل احمد بن بشر الرومى حيث يقول فى منافعها :

انما الصحف كطير ... يشتهى الحر هديله
كل من شاء رقياً ... صير الصحف سبيله

● وقال ينعى الجمود واهله والحث على العلوم والمعارف :

سال دمع العين منى وانسكب ... من توانى قومنا عما وجب
وجب اليوم عليكم سادتى ... ان تمدوا للعلا خير سبب
والعلى ليس له منى سبب ... موصل غير علوم تنتخب
فانفضوا عنكم جموداً مهلكاً ... واطلبوا العلم وجدوا فى الطلب
خاب شعب قد تردى كسلا

# أحمد البشر الرومي

# العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

وجموداً يا بنى قـــومى وتب
لا تميلوا نحـــو ( دجال ) غدا
باسم دين الله يحـــوى للذهب
أمعنـــوا الأفـــكار فى تدجيله
تبصروا تقـــواه زوراً وكـــذب
ليس بين العـــلم والدين كما
قـــاله ( الدجـــال ) بون منشعب

واذا كان نظم الشعر موهبة .. فان سبب تقوية هذه الملكة وابرازهـــا إلى حيز الوجود عند الراحل مؤرخ الكويت احمد البشر الرومى كان شاعر الكويت الكبير الراحل صقر الشبيب .. أو صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن هيدب بن رومى الشمرى الذى ولد فى الكويت حوالى عام (١٣١٢) هجرية الموافق (١٨٩٦) ميلادية .. والذى اصيب بالصمم وفقدان البصر على أثر اصابة عينيه بمرض لم يفلح معه العلاج وكان عمره أنذاك تسع سنوات .

## آلاف أبيات الشعر

ها هى حكاية شاعر الكويت صقر الشبيب مع مؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى ؟ ..

الحكاية نجدها فى كتاب أديب الكويت وشاعرها خالد سعود الزيد فى كتابه «ادباء الكويت فى قرنين» « بالجزء الأول » .. قال :

● كان منزل شاعر الكويت صقر الشبيب يجاور منزل احمد البشر .. فكان يلزمه إلزاماً بأن يقرأ له ، وكان صقر كفيف البصر . فقرأ له نظرات المنفلوطى وعبراته ، وبعض كتب الرافعى فوجد لذة فى القراءة فحرص عليها بعد ان كان كارها لها .. ثم قرأ لصقر ديوان المتنبى والمعرى وغيرهما ، فوجد نفسه مع مرور الأيام يحفظ أكثر من عشرة آلاف بيت من الشعر ، وبعدها انكب على قراءة الكتب فى التاريخ والفقه والأدب قديمه وحديثه ، وانصرف الى قراءة تاريخ الجزيرة العربية والمنطقة التى تشملها حدود الكويت .. على الأخص ، متتبعاً عادات سكان المنطقة وافراحهم وملبسهم ، فدرس تاريخ البيئة كاملة دراسة وافية تدلك على ذلك بحوثه ومقالاته القيمة التى ينشرها بين حين وآخر ..

ونترك الآن الحديث لمؤرخ الكويت الراحل أحمد البشر الرومي ليتحدث عن أهمية صلته بشاعر الكويت الراحل صقر الشبيب .. وعن أثر هذا الشاعر الكبير فى حياته .. يقول :

● تلقيت دروسى الأولى فى كتاب المطوع السيد عبد الوهاب هاشم الحنينان .. كان المطوع ( الملا ) هو المعلم الأول فى زماننا .. كان الكتاب هو المكان الذى نتعلم فيه ، وهو فى غالبية الأحوال منزل المطوع أو الملا .. نجلس مجموعة من الأطفال الصغار .. نتعلم القراءة والكتابة وحفظ آيات القران الكريم .. ومن يجيد القراءة والكتابة وختمة القرآن تقام له حفلة يشترك فيها الأهل والأطفال .. الموسرون كانوا يقيمون حفلة يوزعون فيها أطايب الطعام على المطوع والأطفال والجيران.منذ طفولتنا كانت صلتنا بالدين قوية .. نخشى الله فى الأقوال والأفعال ، ونحرص على السلوك الحسن خوفاً من عقاب الاباء والامهات والأهل الذين كانوا يحرصون على دينهم الى اقصى الحدود .

● هذه كانت المرحلة الأولى من حياتى .. بعد ذلك التحقت بالمدرسة المباركية بعد افتتاحها .. أمضيت بها ثلاث سنوات .. لم اكن أبدا خلال الدراسة طالباً مشاكساً .. ولكننى لم اكن اهتم بالمواد التى كانت تدرس فى المدرسة .. كانت تستهوينى كتب التاريخ والجغرافيا .. احياناً كنت انقطع عن الدراسة ، ولكننى كنت أعود إليها من جديد إما بواسطة والدى رحمه الله ، أو بدون أحد لأن أيام الانقطاع لم يكن لها حساب من المسئولين عن المدرسة .جمعتنى الظروف مع الشاعر الراحل صقر الشبيب .. كان احساسى وشعورى اننى امام انسان غير عادى .. انسان عنده قدرة كبيرة على العطاء .. ولكنه كان فى أشد الحاجة إلى المخلصين الذين يبادلونه الحب والمودة ولا مانع من التضحية .. وجدت نفسى انجذب اليه لعدة أسباب منها .. اننى مع انسان فى عمر والدى ، وثانيا غير قادر على الرؤية ، وثالثا وجدت فى الجلوس معه والاستماع إليه وإلى زواره من الأصدقاء ، فائدة لم أكن اتصور أبداً أننى ساحصل عليها بدونه .. ومن الذين كان يزورهم ويتزاورون معه صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض الذى كان يقرأ على شاعرنا حصاد قراءاته فى الجرائد والمجلات والكتب .. وكانا يعنيان أكثر بتلك الكتب الفلسفية والآراء التى جاءت بها .. فى هذه الفترة لم أكن ادخل أو اتدخل معهما فى نقاش .. ولكننى افضل الاستماع إلى احاديثهما التى كانت تستمر ساعات طويلة .

الأمر لم يقف عند هذا الحد بالنسبة لمؤرخنا الراحل أحمد البشر الرومى .. قال لى ضمن حوار طويل :

● كان الشاعر الراحل الفحل صـــقر الشبيب له دوره فى ان اتعرف عن قرب على فحول الشعراء القدماء بما كان يردده أمامى من أشعارهم وبما كان يطلبه منى من قراءة تاريخ حياتهم واشعارهم من الكتب الكثيرة التى كانت تتواجد فى بيته أو تاتيه من الأصدقاء مثل .. ديوان أبى تمام الذى كان يحفظ معظمه .. وابياتا كثيرة من ديوان البحترى وأكثر لزوميات المعرى .. ونصف ديوان المتنبى ، وجميع ما طبع لابن الرومى بخلاف حفظه لاشعار العديد من الشعراء فى العصر الجاهلى والعصرين الاموى والعباسى .. وكنت اراه دائما يحرص على ترديد اشعار أمير الشعراء أحمد شوقى الذى كانت له منزلة أثيرة عنده .. ايضاً عرفت اشعار الزهاوى ، والرصافى واسماعيل صبرى .. أما الشاعر حافظ ابراهيم الذى عرف فى مصر برصانته وميله الفطرى للوقوف بجانب الطبقة الكادحة .. فكان يحبه ويردد شعره . لقد وجدتنى بالتدريج احب الشعر وأميل إليه .. وفى احيان قليلة كان لى انتاج ولكنه لم يكن يأخذ صفة الاستمرارية والكثافة والغزارة فى التاليف .. فقط فى بعض المناسبات أو الموضوعات التى تطرق باب عقلى من حين لآخر .

## رحلة مع أحمد البشر

ورجل بلغ هذا العمر (٧٧ عاماً) قارئاً وباحثاً ومؤرخاً وكاتباً وشاعراً .. كانت له اقوال ستظل خالدة لأنها تعبير صادق عما كان يجيش فى صدره .. وهى فى مضمونها

اضواء تنير الطريق للاجيال الحالية والتى سيكون لها الريادة فى المستقبل .

● كان دائماً يردد ويقول : الديوانية منتدى انسانى واجتماعى واعلامى يجب ان نحافظ عليها ونعمل دائماً على بقائها ونعيد إليها رونقها وبريقها ودورها ومكانتها كما كانت فى الماضى . فى الماضى هناك ديوانيات متخصصة .. منها ما كان يهتم بالأدب والشعر .. ومنها ما كان متخصصاً فى علوم الدين .. ومنها ما كان الحديث بداخلها لا يفرغ من بث حكايات الرحلات والاسفار ونوادر ومتاعب الغوص .. ومنها ما كان يغلب على طابعها عقد المجالس للتوفيق والصلح بين الأزواج والأصدقاء وخلافات العمل .. وواحدة أو أكثر كان كل جالس بداخلها لا يفعل أى شىء سوى الامساك بكتاب يقرأ فيه فى هدوء وصمت .. الكويت كانت فيها مثل هذه الديوانيات وعلى الأخص مع بدايات القرن العشرين .. اذكر ديوانية السيد خلف النقيب .. واذكر ديوانية عبد الرحمن بك النقيب وقبلها خلف باشا النقيب .. والشيخ يوسف بن عيسى القناعى احد اقطاب الحركة العلمية والفكرية فى الكويت .. وديوانية استاذ العديد من الأجيال عبد الله بن خلف الدحيانى .. وديوانية مشارى حسن البدر التى كان الحديث عن مصر بداخلها لا ينتهى .. كان صاحبها يتحدث عن احداثها (مصر) ورجالها واحوالها السياسية والاجتماعية اكثر من أبناء مصر .. وهناك عشرات من الديوانيات فى الحى القبلى وحى الوسط والحى الشرقى .

● يقول : ان التاريخ فى منطقة الخليج بوجه عام والكويت بوجه خاص مازال يحمل لواء الكتابة عنه أناس (كتاب) اهتموا أكثر بالنواحى السياسية .. وكانت النواحى الاجتماعية عارضة فى كتاباتهم .. بل ان معظم هذه الكتابات منقولة عن كتاب من الغرب .. هؤلاء الكتاب كانت كتاباتهم غير صادقة وغير واقعية .. بل ان معظمها لا يخلو من الاخطاء والمغالطات خصوصاً عندما ذكروا خطأ أسماء بعض المواقع والتعبيرات التى لم يفهموا معناها .. ومن هنا ضاعت الحقيقة والحقائق .

● يطالب الجهات التى تهتم بالتراث فى منطقة الخليج بالبحث الفورى عن الرجال القدماء الأحياء ويسجلوا لهم العادات والتقاليد التى ستموت وتندثر بموتهم إلى الأبد .. وليكن هذا التسجيل أو تلك



المؤرخ الكويتي الراحل احمد البشر الرومي امام جهاز تكبير المخطوطات والوثائق فى مكتبته .

التسجيلات من الجهات الاكاديمية ( الجامعات ) التى تملك الوسائل العلمية النظرية والتطبيقية فى هذا المجال .. وعلى الفور يجب انشاء مكتبة تسجيلات بالصوت والصورة ، اكد ان فكرة وجود وتواجد المقاهى الشعبية فى الكويت عمل رائد وعظيم .. وإن يكن فى شكله العام عملا ترفيهياً لصالح الأعضاء .. العملية الترفيهية فى حد ذاتها لا غبار عليها .. ولكن يجب ان نستفيد من هذا الجمع البشرى ( الاجداد والآباء ) فى الحصول على مزيد من المعلومات عن تراثنا الذى بدأت تطغى عليه وسائل الحضارة الحديثة .

● يرى ان البحث والتنقيب الجاد فى منطقة الجهراء ( كاظمة ) التى كان لها تاريخ قديم وعريض من ابناء الكويت سيعطى نتائج مدهشة لا تخطر على بال .. ان الحضارات القديمة مازالت مدفونة تحت الرمال واعادة اكتشافها ليس مشكلة .. ولكن الأمر فى حد ذاته يحتاج إلى الايمان والجهد والعرق والبذل والعطاء الذى يجب أن يصاحب عمليات البحث .

● يقول : ان الجيل الحالى تواق إلى المجد والشهرة بدون تعب .. وذلك الاعتقاد فى حد ذاته يؤثر على المفهوم العام لكلمتى المجد والشهرة بمعناهما الحقيقى الخالد ..

ويطالب الشباب بالقراءة والاطلاع فهما زاد الانسان التواق إلى المعرفة .. يؤكد ان مطالبة مدارس الكويت لطلابها من الجنسين فى مراحل الدراسة المختلفة لعمل الابحاث جعل الطلاب يؤمون المكتبات ويجلسون ساعات بداخلها وهم قبل ذلك لم يكونوا يعرفون اين تقع وسط الاحياء السكنية التى يعيشون فيها .

## مكتبة و ( ٧ ) آلاف كتاب

من الأشياء التى كانت تلفت النظر داخل بيت مؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى مكتبته .. عدد الكتب بها وصل إلى اكثر من ( ٧ ) آلاف كتاب .. فى جميع التخصصات .. معظمها يتحدث عن التاريخ القديم والحديث .. وبعضها فى الأدب والفلسفة والشعر والمال والاقتصاد .. وهناك موسوعات كاملة .. اكثر من ذلك هناك مجموعة نادرة من كاميرات التصوير وآلات التكبير وخرائط فى احجام مختلفة .

كان رحمه الله يمتاز بالرقة والحساسية .. يانس بشدة للانسان الصادق .. هذه الصفة تجعل ( حسب قوله ) الباحث دقيقاً فى عمله الأمر الذى يفيد الناس والعمل ذاته

# أحمد البشر الرومي
# العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

.. كان قليل الكلام .. يعمل فى صمت-نادراً جداً ما يحب الحديث من خلال الوسائل الاعلامية .. يكره الظلم لأنه يؤدى إلى الاستعباد وإلى الاحساس بالعبودية التى يجب ألا تكون إلا للحق تبارك وتعالى ..
كان يقول لى : نحن نجزل العطاء لمن يقدمون الينا خدمات خارج بلادنا ونقتر فى العطاء لمن يقدمون الينا الخدمات داخل بلادنا .. من عاداته الطيبة الاستماع الى الناس .. ما يريد أن يعبر عنه يمسك من اجله القلم ليقوم بتسطيره وتسجيله على الورق .. يحب الوحدة .. يفضل الجلوس وسط كتبه يقرأ أكثر من أى شىء اخر .. من اقرب الناس إليه والذين كان يذكرهم بالحديث معى أديب الكويت الأستاذ عبد الرزاق البصير ، محمد الملا حسين ، ، فهد الدويسري ، الشاعر والأديب خالد مسعود الزيد .

كان يردد على أسماعى دائماً انه احب الصحراء وعشقها وكانت له بداخلها رحلة كل عام .. وأحب البحر وذهب أكثر من مرة فى رحلات الغوص على سفن العائلة لمعايشة هذا اللون من العمل الذى كان باب الرزق لسكان الكويت بجوار الرحلات التجارية على سواحل الهندوشرق أفريقيا قبل ظهور النفط . ومن الأشياء التى لم تكتب عنه انه كان يحب الطرب .. الأصوات الجميلة .. عشق أصوات أم كلثـــوم ، عبد الوهاب وقبلهما صالح عبد الحى ، وأحب ألحان سيد درويش وعبده الحامولى .. وفى مكتبته يوجد جرامافون عمره حوالى ( ٥٠ ) سنة كان يعمل على اسطوانة طولية هذا عدا بعض اجهزة الراديو والمسجلات الحديثة ومكتبة كاملة من الأشرطة . لقد كانت رحلة المؤرخ احمد البشر شاقة منذ بدايتها لأنه اختار مجال القراءة والبحث فى التاريخ والأدب والشعر .. كانوا قبلته التى يحج إليها طوال ساعات النهار وبعض هذه الساعات فى الليل .

لقد أحب أحمد البشر الرومى التاريخ .. وهبه عمره كله .. كان ناسكاً فى محرابه .. وكانت جائزته من التاريخ ان دخل فيه .. اصبح جزءاً حياً من تاريخ بلده دولة الكويت عن جدارة .

محمد عبد الحميد
الكويت

## المـــؤرخ أحمـــد البشـــر الرومـــي فى ســـطور

- ولد عام ( ١٩٠٥ ) ميلادية .
- درس فى الكتاب وهو المكان الذى كان يملكه ويديره « الملا » أو المطوع الذى كان يقوم بتحفيظ الطلاب القرآن الكريم .
- درس فى المدرسة المباركية .
- قام بالتدريس فى المدرسة المبـــاركية لعـدة ســـنوات ثم بالمدرسة الاشرفية .
- أمين صندوق فى الجمرك البحرى .
- عضو منتخب فى مجلس المعارف عام ١٩٥٢ ميلادية .
- مدير لاملاك الحكومة فى البلدية .
- وكيل وزارة مساعد لادارة املاك الحكومة .
- تقاعد عام ١٩٦٨ بسبب اصابته بالسرطان فى عظام الفك الايسر وأجريت له عدة عمليات جراحية ناجحة .
- عضو بلجنة تاريخ الكويت
- أحد مؤسسى مركز الفنون الشعبية الذى يعنى بالتراث الكويتى .
- استعانت محاكم الكويت بخبراته فى قانـــون الغـــوص والبحر .
- أعد ( ٤ ) أجزاء عن الأمثال الشعبية الكويتية المقارنة صدر منها جزءان حتى الآن .
- نشر مقالات فى مجلة البعثة عام ( ١٩٥٢ ) جمعت فى كتاب بعنوان « مقالات عن الكويت » .
- قام بجمع المصطلحات البحرية لاصدارها فى كتاب سيطرح قريباً فى الأسواق .
- اعد العديد من الأبحاث عن صـــحراء الخليج والجـــزيرة العربية والكويت بصفة خاصة .
- توفى يوم الاربعاء الموافق (٦) من يناير ١٩٨٢ .

ترى كيف يكون الحـــال لو أن تاريخ العدد الذى بين يديك من الدوحة تغير من سنة ١٩٨٢ إلى ١٨٨٢ .. هـــذه مقتطفات من المجلة التى كان يقرأها جـــد أبيـــك ..

# دوحة الماضي


مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المقريزي


## عزيزي القارئ

على صفحات هذا العدد من « دوحـــة الماضى » معركة طريفة . بطل المعركة شيخ شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، قضى منها عشرين عاماً كاملة لا ياكل ولا يشرب ، ومع ذلك فهو يعيش حياته طبيعية تماماً ، ينام ويتزوج وينجب ، ويحادث الناس فى منتهى الأدب ومنتهى العقل !

وعندما نشر « عبد الله النديم »هذا الخبر فى مجلته منذ مائة عام ، أثار الاهتمام ، لا لغرابة الحادثة ذاتها ، ولكن لأنها خرجت عن أهداف مجلته التى كانت تهاجم الخرافة ، وترى أنها سبب تخلف الشرقيين ، وسبب استعمار الغرب لأقطارهم ، وتطالب العرب بأن يتعلموا ، وأن يفهموا العالم الذى يحيط بهم ، وأن يجددوا حياتهم قبل أن تضيع بالقهر وبالاستعمار .

هذه المعانى هى التى دفعت الدكتور شبلى شميل وهو طبيب لبنانى درس فى المدرسة الكلية السورية واشتغل بالطب والصحافة ، إلى الرد على عبد الله النديم موضحاً بالبراهين العلمية الفسيولوجية عدم منطقية الواقعة ، وطالباً وضع الشيخ عشماوى ـ بطل القصة ـ تحت اشراف طبى دقيق للتأكد من أنه حقا لا ياكل ولا يشرب !

ما يلفت النظر فى هذا الحوار ، ليس فقط الحرص على أن يكون « العلم » هو محل التأكد من صحة أى واقعة تخرج عن نطاق المعقول ، ولكن ذلك الاصرار على المقارنة بين صيام الشيخ عشماوى الطويل الذى وصل إلى عشرين عاماً فلم يثر ضجيجاً ، وبين ضجة ثارت آنذاك حول رجل انجليزى اسمه « تنر » صام أربعين يوماً ، فقامت الدنيا وقعدت !

كان العصر ، عصر المواجهة مع الغرب ، حتى فى خرافاته !

« المحـــرر »



مشكاة من العصر المملوكى

العـــدد الثـامن • أبريـــل/نيســـان ١٨٨٢م

# دوحة الماضي

● معركة حول العلم والخرافة عمرها قرن كامل :

● عبد الله النديم : لو كان الشيخ عشماوي في بلاد اللوردات لدقت له الطبول في الصحف .

● شبلي شميل : الصيام ٧٣ يوما متصلة مستحيل ولا يحتمله الكائن الحيّ .

## صيام الشيخ عشماوي



عبد الله النديم

نقدم لاخواننا الأطباء وغيرهم من أهل الرياضة عجيبة يدرسونها ويفتون بما يظهر لهم فيها من المشاهدات والتحقيقات وهى انه موجود بجروان ( بلدة تابعة للمنوفية ) من أرض مصر رجل اسمه عشماوى سنه الآن ثمان وعشرون سنة تقريباً وكان قد مرض فى الثامنة أو التاسعة من عمره فبقى لا يعقل ولا يتكلم ولا يبصر شيئاً بل ذهل ذهولا الزمه الفراش وعدم الحركة عامين وبعدها قام من هذه النومة وبرىء من مرضه واصبح لا يشتهى الطعام ولا الشراب فهو الآن يقضى بقية عمره بلا اكل ولا شرب ولا بول ولا براز وقد سالته عن حالته فى النوم فقال لى انه ينام كل يوم من ست ساعات لسبع او ثمان وقد اعقب ولدين مات احدهما والآخر موجود وهو متزوج ببنت « سعيد كشك » عمدة جروان وتقدم له ان الشيخ العروسى حجر عليه وحبسه شهرين لينظر حاله فلم يتأثر بطول المدة ولا تغير عن حاله وكثير من الناس اختبره بيومين وثلاثة واربعة وهو على هذا الصوم الغريب من نحو عشرين سنة قوي البنية صحيح العقل والفكر ليس له دعوات يدعيها ولا مفتريات يفتريها ، يجالس الناس بالأدب ويغلب على حاله الصمت أحياناً وقد صام ( تنر ) الانكليزى أربعين يوماً فضربت له الطبول باسمه في سائر الاقطار وهذا الذى صام ثلثمائة يوم وسبعة آلاف يوم لم يعلم به غير أهله ولا عرفه الا جيرانه فانه عربى شرقي مصرى فقير فلاح ولو كان فى بلاد اللوردات أو الكونتات لكان ذلك له فى كل صحيفة تاريخاً وفى كل يوم سيرة جديدة .



وردت لنا هذه الرسالة من حضرة الحكيم النطاسي شبلى افندى شميل فاثبتناها بالحرف .

أيها السيد الفاضل محرر جريدة التنكيت البهية .

ذكرتم فى عدد ١٤ من جريدة التنكيت الغراء ان رجلا يدعى الشيخ العشماوى من جروان ( فى المنوفية ) وله الآن نحو من عشرين سنة لا ياكل ولا يشرب ولا يغوط ولا يبول وهو قوى البنية صحيح العقل وقد 'اعقب ولدين ورغبتم الى الأطباء وغيرهم من أهل العلم ان يفتوكم بما يظهر لهم من حقيقة هذه العجيبة التى لا يصح أن يذكر معها صيام تنر وامثاله بشىء فاقول ان هذا الصيام مستحيل فيزيولوجياً لأن الحياة مهما اختلفت اراء العلماء فى اصلها فجميعهم على اتفاق بانها لا تقوم الا بالتغذية القائمة بالتحليل والتركيب فكل عمل حيوى يرافقه تحليل فى الانسجة الحسية اى ان العناصر القائمة فيها ظواهر الحياة تتغير كيماوياً وطبيعياً بحيث لا تعود تصلح للحياة فتفصل بالافراز ولكى تبقى الحياة بعد ذلك لابد من التركيب اى ادخال مواد جديدة تقوم مقام المفقودة بالتحليل وهذه المواد لا يمكن الحصول عليها الا بالغذاء القائم بالطعام والشراب وبعبارة أخرى الحياة من أهم شروطها وجود مقدار معلوم من الماء والحرارة والهواء ويستحيل بقاؤها بغير ذلك فاذا فقد الماء بتحليله فى المركبات الحيوية وبالافراز والتبخير الذى لابد منه بالحرارة ولم يعوض عنه امتنعت الحياة وهكذا اذا نفذت مواد الغذاء بالاحتراق ولم يعوض عنها بالطعام بطل الاحتراق فبطلت الحرارة وبطلت الحياة وهذه حقائق لا تقبل الاعتراض ولا الاخلال وإما صيام تنر فغير ممتنع أولا لأن الجسم فى حالة الصحة لا يستخدم فى الاحتراق كل مواد الطعام التى تكون غالباً زائداً عن الاحتياج بل يحفظ على الزائد منها ويحرزون فيه على صورة الدهن ذخيرة يتصرف فيها عند الحاجة كما فى وقت المرض هذه الذخيرة لا تكفيه الا اياماً قليلة لا تزيد عن العشرة غالباً اذا كان الانقطاع عن الطعام والشراب تاماً وثانياً لأن تنر المذكور فضلا عن الذخيرة المذكورة لم ينقطع عن شرب الماء ومن المعلوم ان احتياج الحياة فى الماء أشد من غيره فان الماء يؤلف نحو أربعة اخماس ثقل الحيوان ولذلك كان العطش يعذب الحيوان المنقطع عن الغذاء أكثر

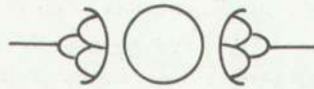
العدد الثامن • أبريل/نيسان ١٨٨٢م

من الجوع وكان يستعمل أيضا بعض المشروبات الروحية التى فيها مقدار غير قليل من الاوكسيجين والكربون اللذين هما عنصرا الاحتراق ومع ذلك فصيامه لم يكن الا محدوداً ولو تجاوز به حداً معلوماً لهلك لا محالة والدليل انه خرج من صيامه فى حالة الهزال الشديد بخلاف الشيخ العشماوى على ما بين صيامهما من التباين العظيم والشيء بالشيء يذكر اني اقص عليكم حادثة ليست باقل اعتباراً من حادثة تنر وإن كان الصيام فيها اقصر مدة لأن الانقطاع فيها كان عن الطعام والشراب معـــاً مع قلة الهواء فى ظروف تـكاد تقضى وحدها على الحيـــاة ففى زلزلة سنة ١٨٧١ فى مدينة انطاكية أخرج صبي وبنت من تحت الردم حيث مكثا ثمانية أيام غير كاملة لا ياكلان ولا يشربان فى بناء مربع مسقوف صغير على قدرهما حصل اتفاقاً باجتماع بعض الحجارة وحفظهما سالمين ولم يكونا يستطيعان فيه حراكاً الا ما قل وهما جالسان القرفصاء وكان عمر الصبى ١٣ سنة والبنت ١٨ سنة أما البنت فماتت حالا بعد خروجها واما الصبى فبقى حياً وقد رأيته رأى العين بعد عشرين يوماً من خروجه مهزولا مهوكاً وسألته عما كانا يشعران به وقتئذ فاجابنى ان ألم الجوع فقد منهما بعد يومين لكن العطش كان يعذبهما جداً حتى كانا يحاولان شرب بول بعضهما .

ومما يزيد حادثة الشيخ العشماوى غرابة ويقربها إلى الخرافات هو انقطاعه عن التبرز والتبويل مع بقاء باقى المفرزات على حالها كالعرق والدمع واللعاب والمرشحات المخاطية والسائل الـذى اعقبه ولدين على مـا اشرتم وغير ذلك من المفرزات التى تذهب بمواد الأنسجة وبمائهـا والتى لا تستطيع البقاء على حالها الا اذا كان التعويض عن المفقود الذى لابد منه فى كل عمل حيوي موجوداً والتعويض لا يكون الا بالطعام والشراب ولعل حكاية الشيخ المذكور من باب حكاية الشيخ زعبل وامثاله وبودي لو انتبهت الصحة فوضعت هذا الرجل تحت المراقبة الصارمة لا لأن عندنا فى مسالته بعض الريب ولكن لتزيل من بين الناس مثل هذه الاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع فى العقل نطاق الاوهام وما هى بقليلة . اه .

كاتبه الدكتور شبلي شميل

( التبكيت ) نشرنا الجملة المتعلقة بالشيخ عشماوى وطلبنا من الأطباء ان يفتونا بما يعلمونه فيها وقد أجابنا الى ذلك حضرة شبلى افندى بهذه الرسالة الغراء ولكن كيف يصبح جعلها من باب التخريف والاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع نطاق الأوهام وقد شهدت قرائن الأحوال بان هذه أمور الزمنا انفسنا مقاومتها ومعارضة من ينتسب اليها على ان هذا الرجل الى الآن موجود وجميع أهل بلده يقولون ذلك عنه فاحب ما علينا ان تضعه الصحة تحت الحفظ لتعلم ان كان المدعى حقيقياً أو من باب التخريف وعلى كل فلا ناقة لنا فيها ولا جمل وإنما هو امر نقلناه وما على الناقل من حرج .



## مطبوعات جديدة

النزهة الخيرية فى التواريخ الحالية وهى تقويم الكواكب السيارة اليومى فى البروج وتعديل الأوقات ودرجة الشمس لسنة ١٢٩٨ هجرية . حررها اللوذعى الفاضل الحاج حسن لازاغلي مدير الرائد التونسي والحقها بتاريخ أيام العرب والحوادث المشهورة والنيران التى شبت فى الاستانة ولندن وباقى أوربا والسنين الشديدة البرد وعدد سكان أوربا وتاريخ سلاطين آل عثمان والدولة الحسينية الى غير ذلك من الفوائد التى يعز وجودها فى غير هذا الكتاب .

## باب تحصيل الحاصل

وردت الينا هذه الرسالة فاثبتناها كما هى :

سيدى الفاضل محرر التنكيت والتبكيت .

اطلعت على قصيدة بديعة هزلية لاحد شبان ثغرنا الادباء وهى غاية فى باب ( تحصيل الحاصل ) أبعث اليكم ببعض ابيات منها قصد نشرها فى احد اعداد تنكيتكم الزاهر ترويحا لأفكار قرائه الكرام مطلعها .

الأرض أرض والسماء سماء
والماء ماء والهواء هواء
والبحر بحر والجبال رواسخ
والنور نور والظـلام عماء
والحر ضد البرد قول صادق
والصيف صيف والشتاء شتاء
والروض روض زينته غصـونه
والدوح دال ثم واو حاء
والمسك عطر والجمال محبب
وجميع اشياء الورى اشياء
والمر مر والحلاوة حلـوة
والنار قيل بانها حمراء
والمشي صعب والركوب نزاهة
والنوم فيـه راحة وهناء
ومنها
كل الرجال على العموم مذكر
اما النساء فكلهن نسـاء.

# شعر عمر بن أبي ربيعة في الغناء الأموي

بقلم: كمال النجمي

**أكثر ما قرأنا عن الشاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة ، غزلياته وغرامياته ومغامراته ، ونوادره فى التجميش والدعابة والمطايبة للجنس اللطيف ! .. ومذهبه الفنى الذى يشبه أن يكون مبتكراً فى قول الغزل – على عهده – ومراسلته الجميلات فى مكة والمدينة والطائف ، وإيغاله فى مراسلتهن الى اليمن والعراق والشام ، صادقاً فيما يقول أو يكتب أحياناً ، لاهياً أكثر الأحيان ! ..**

**ويسافر الناس من عصرنا بخيالهم ، ثلاثة عشر قرناً الى عصر عمر بن أبى ربيعة فى القرن الأول الهجرى ، ليشاهدوه بين حبائبه الكثيرات كما يتخيلونه الآن ، وليملأوا عيونهم من فارس الصبوات .. كازانوفا العربى الذى ينكمش الى جانبه كازانوفا الأوربى المسكين ! ..**

هذه الصورة لأول شاعر قرشى يعترف كبار شعراء القبائل العربية بتفوق شاعريته ، فى بابها الذى انفردت بالتوسع فيه والاقتصار عليه .. ليست بعيدة من صورة ابن أبي ربيعة فى كتب الأدب العربى ، فهو الشاعر الفاتك المغامر الطياش ، وهو «صديق المرأة» الذى قصر الشعر على التغنى بمحاسنها ، فقيل له : ألا تمدح الخلفاء ؟! .. قال : إنما المدح للنساء فقط ! .. فالمدح عنده فى جوهره غزل وغرام ! ..

لكنه مع ذلك لم يكن وحده شاعر الحب والجمال فى عصره ، ولا كان شعر الحب والجمال فى عصره لوناً واحداً ، بل كان أشد كثرة وروعة من ألوان قوس قزح ، كما نرى فى أشعار العذريين التى تجاوزت سدة الفضاء ، طيوفاً ساحرة ، بعيدة كنجوم الليل ، تملأ قلوبهم بالأمل أو الألم واليأس من قسوة التقاليد ! ..

ثم تنحدر طيوف الحب من عليائها كاسرة جناحيها ، عائدة الى الأرض ، حتى تصير معلقة كالسحابة بين السماء والأرض فوق رءوس بعض الشعراء ، ثم تدنو فتكون أعلى من الأرض قليلا ، ثم تتدلى فتلتصق بالأرض وتعانق شعراء اللهو والتصابى ، وأولهم عمر بن أبى ربيعة ، أشهر الشعراء ، وأعشق الشعراء ، وأغزلهم وأطربهم الى النساء ، وأقدرهم على التعبير عن طربه اليهن بلا ملل صبح مساء ! ..

كان فى عصر ابن ربيعة ، جماعة من أشهر شعراء الحب والجمال فى تاريخ الشعر العربى كله .. حسبك منهم الشعراء العذريون ، الذين لم يتكرر وجودهم فى الشعر العربى ولن يتكرر ، ومعهم مشاهير الشعراء العشاق الآخرون ، ومازالوا هم أيضاً أشهر شعراء الحب فى الشعر العربى الى اليوم ..

وهل يمكن أن ينسى شعر الحب فى عصر ابن أبى ربيعة ، أعلامه الخالدين : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وابن الطثرية ، والأحوص ، ووضاح اليمن ، وعبد الله العرجى «حفيد عثمان ابن عفان» ومن لا أحصيهم .. فضلا عن بدائع جرير فى النسيب ، وهو أشعر شعراء العصر الأموى ، وإن لم يكن معدوداً فى العشاق ؟! ..

فى ذلك العصر بدأ ما يعرف فى التاريخ العربى بالغناء «المتقن» – وسنتحدث عنه بعد – فتغنى أصحابه بأشعار لهؤلاء جميعاً ، ولكن أكثر غنائهم كان فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، حتى قال القائل فى ذلك الزمان : «إذا أعجزك أن تطرب القرشى ، فغنه ألحان ابن سريج فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، فانك ترقصه» ! ..

وقائل هذه الكلمة لا يعنى القرشى خاصة ، بل يعم العرب جميعاً ، والعجم أيضاً ، ممن استعربوا أيامئذ وصار لهم ذوق فى الشعر والغناء والحياة كلها ، كذوق العرب ، بل هو ذوق العرب ذاته ، لأن هؤلاء المستعربين نشاوا بين العرب ، ولقنوا فصاحتهم وحياتهم ! ..

وابن سريج كان أعظم مطربى ذلك العصر ، بدأ حياته الفنية بعد عهد الخلفاء الراشدين ، لكنه رأى الخليفة عثمان بن عفان ، وحضر – وهو طفل – الفتن التى اجتاحت المدينة ، عاصمة الخلافة ، فى أواخر عهد عثمان ، ولكن إقامته كانت بمكة ، وفيها كانت بداية شهرته بالنياحة وهى صناعة «النوح» على الموتى ، ينوح عليهم ، ويقبض أجره ، ثم استمع الى غناء رائد الغناء المتقن «ابن مسجح» فأخذ عنه شيئاً ، ولم يكتف به ، فلازم العمال العجم الذين استقدمهم الى مكة عبد الله بن الزبير – فى عهد خلافته – لاعادة بناء الكعبة بعد أن احترقت فى حادثة فاجعة .. وعن هؤلاء العمال الذين كانوا يتغنون فى أثناء عملهم ويضربون بالعيدان فى ساعات راحتهم ، اخذ ابن سريج صناعة الضرب بالعود ، ونقل نغماتها الى عروض الشعر العربى ، بذوق



عربى فاذا به قد أنشأ مقامات الغناء العربى نشأتها الأولى التى كانت طفرة فنية هائلة لا يصدقها العقل ! ..

ومن المصادفات التى لا تثير العجب فى الحقيقة أن العمال العجم كانوا يعملون فى «المدينة» أيضاً ويضربون بالعيدان ، وأخذ عنهم مطربو المدينة ، فنشأ للغناء العربى المتقن مذهبان أو مدرستان فى وقت واحد ، مدرسة مكة ومدرسة المدينة .. واهتدى أصحاب هذين المذهبين الجديدين بفطرتهم السليمة الى أخذ ما يصلح للذوق العربى من الموسيقى الأعجمية ، وما يمكن مزجه بما تبقى للعرب من غناء حضارتهم القديمة التى كانت لهم قبل ذلك بألف عام ، ويقول بعض المؤرخين إنها عاشت ألفى سنة ، فنكسة الحضارة العربية التى امتدت فى الجاهلية ألف سنة ، سبقتها حضارة مزدهرة قاومت الزمن ألفى عام ! .. ولو حسبنا السنين لأمكن أن نقول : إن الغناء العربى المتقن قد انبعث «فجاة» ـ بمعنى الكلمة ـ بعد احتكاك سريع جداً بالغناء الحضارى الفارسى والرومى والمصرى ، ولو لم يكن للغناء المتقن أصل عند العرب لما صح فى الذهن أن يعود فى مكة والمدينة معاً فى عشرين عاماً فقط فناً متقناً متكاملا ، لا ينقصه إلا القليل الذى استكمله بعد ذلك إسحاق الموصلى فى بغداد وزرياب فى قرطبة ثم نقله المتغلبون على السلطة فى المشرق والمغرب من الترك والديلم والخزر وغيرهم فحرفوا أسماء المقامات العربية القديمة ، ولكن كان لهم فضل الاحتفاظ فى غنائهم بجوهرها ، فلما انبعث الغناء العربى المتقن من جديد بمصر فى منتصف القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد شهاب (صاحب كتاب سفينة شهاب الذى حوى الموشحات الأندلسية) كان هذا هو البعث الثانى للغناء العربى بعد بعثه الأول فى القريتين العظيمتين ، ثم انبعث الغناء العربى بعثاً ثالثاً منذ عهد عبده الحمولى ، ومحمد عثمان الى عهد سيد درويش ، وأبى العلا محمد ، وأم كلثوم ، وعبد الوهاب ، والسنباطى ، وغيرهم .. ومن حسن الحظ أن هذا الانبعاث الأخير لا يمكن محوه لأنه مسجل ، بالرغم مما يعتور الغناء العربى الآن من تدهور خطير ! ..

أظننا لم نبعد عن عمر بن أبى ربيعة وشعره فى غناء عصره ، مع اننا قفزنا فى هذه الأسطر الأخيرة عائدين أكثر من ألف وثلاثمائة عام من عصرنا الى عصره ..

ذلك أن ذيوع شعر عمر بن أبى ربيعة فى غناء عصره يشبه شيوع قصائد هذا أو ذاك من شعراء مصر والشام ـ مثلا ـ فى غنائنا المعاصر ، لا بسبب تكرار التاريخ لنفسه كما اعتدنا أن نسمع بعضهم يقول ، ولكن لتوافر الشروط والأسباب الحاسمة فى اتجاه أمس واتجاه اليوم ، على اختلاف الأصول العميقة لاتجاهات الدنيا من زمان الى زمان ! .

## تغيرات موضوعية

ولد عمر بن أبى ربيعة فى بنى مخزوم من قريش ، ليلة استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأسماه قومه عمر ، واستهل حياته والناس يبحثون عن خليفة ، ويتنازعون بينهم : أيكون الخليفة هذا الصحابى الجليل أم ذاك ، حتى ارتقى منبر الخلافة عثمان بن عفان ! ..

فى عهد عثمان عاش «عمر» طفولته ، ثم رأى الفتنة بين علي ومعاوية فلما خمدت كان قد بلغ الشباب وأوغل فى قول الشعر ..

وعهد عثمان ، ثم عهد معاوية ، هما عهد الفتوح الاسلامية البالغة أطراف الأرض شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً .. وفيهما تدفقت أفواج من الأمم القاصية ، ذكوراً وإناثاً ، على المدينة ومكة

# شعر عمر بن أبي ربيعة
## في الغنــــاء الأمــــوي

ودمشق والبصرة والكوفة والقدس والفسطاط وصنعاء وغيرها من مدائن العرب ، وفاضت خزائنهم بما اجتنى لهم النصر المتواصل من الأموال الطائلة ..

وكان من البديـــه بعد ذلك أن تتربع قريش على قمة التطورات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، فإن قريشاً ذؤابة العرب .. منها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء ، وكبار القادة والسلسة والعلماء فى الدولة العربية العظمى التى أخذت مكان دولتى قيصر وكسرى فى ضربة فذة من ضربات التاريخ البالغة الندرة ، سرعة وحسماً واستقراراً ..

ووجدت قريش نفسها وهى تسكن الحرمين مكة والمدينة ، والمدائن الكبرى فى الأمصار تنعم بفيض من الرزق يكاد يكون بغير حدود — إذا قيس الى الرزق فى الجاهلية — وفرضت الدولة للقرشيين من بيت المال مرتبات ثابتة كبيرة ، وخصت بعضهم بما فوق المأمول ، فكان عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب ينال من معاوية بن أبى سفيان ألف ألف درهم (مليون درهم) سنوياً .. فلما مات معاوية قال يزيد معاوية لعبد الله بن جعفر : كم كان يعطيك أمير المؤمنين ؟! .. قال : كان رحمه الله يعطينى ألف ألف ! .. قال يزيد : قد جعلتها لك ألفى ألف «مليونين» لترحمك عليه ! .. فقد استكثر الخليفة الأموى أن يترحم هذا الهاشمى ابن جعفر ذى الجناحين الطيار فى الجنة ، على معاوية الذى كان ممن قال لهم الرسول الكريم : اذهبوا فانتم الطلقاء ! ..

ثم زاده يزيد مليوناً ثالثاً ، لأن جعفراً قال له : «بأبى أنت وأمى» .. وهى كلمة «جسيمة» من هاشمى لأموى ، استخرجت من يزيد مليون درهم ! ..

فانظر كيف كان عطاء رجل واحد من قريش ثلاثة ملايين درهم ، ولا يدهشنك بعد ذلك ألا تسمع عن فقير قرشى فى عهد عثمان الى آخر عهد معاوية .. ولسنا نعنى أنهم تساووا فى الثراء ، فإن هذا لم يقع فى أى مجتمع من قبل ولا من بعد .. ولا نعنى أن قريشاً احتجنت المال عن العرب وخصت نفسها به ، فالقبائل العربية كلها ازدحمت فى الفتوح الكبرى ، فتغيرت حياتها جملة وتفصيلا ، لوفرة المال وفرة هائلة ، حتى بلغ العطاء مستحقيه فى أعماق البوادى وهم يستظلون تحت النخيل ! ..

كانت هذه تغيرات موضوعية طبيعية فى تلك الظروف التاريخية ، ولكن السيطرة على نتائج التغيرات — على اختلافها فى جميع العصور — لا تدخل فى إرادة انسان بذاته ، بل تخرج حتى عن إرادة المجموعات ، أو الجموع ، وتمضى الى غايتها .. فالتاريخ يذكر أن أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير بن العوام قالت مرة : «تزوجت الزبير وما يملك إلا بعيراً وفرساً .. وليس له خادم ولا مال ، فكنت أطحن بيدى وأعجن وأعلف الفرس والبعير وأجتلب الماء من مسافة بعيدة» ! .. وقد توفي الزبير بعد عثمان بقليل فخلف تركة قدرت بمائة وخمسين ألف دينار ، وألف فرس ، وألف خادم .. وداراً فى الكوفة بقيت قائمة بعد وفاته أربعمائة عام تقريباً لأنها كانت قصراً بالغ المتانة .

وكان لطلحة بن عبيد الله دار كهذه بقيت مئات السنين أيضاً ، وبلغ محصول أراضيه أكثر من سبعمائة ألف دينار فى العام .

وبنى عثمان بن عفان — رضي الله عنه — داره بالمدينة بالآجر والجص والصاج .. وحين مات زيد بن ثابت ، خلف من كتل الذهب والفضة ما اضطر ورثته الى كسره بالفئوس ، عدا الضياع والقصور ! .. ويذكر التاريخ لزيد جهده العظيم فى جمع القرآن الكريم وكتابة المصاحف ..

ولما مات عبد الرحمن بن عوف جيء الى الخليفة عثمان بن عفان بما تركه من الذهب فى كيس كبير ، فلم يستطع عثمان أن يرى الرجل الذى وضع الكيس وقام وراءه ، فقال عثمان :

— رحم الله عبد الرحمن ! .. إنى لأرجو له خيراً ، لأنه كان يتصدق ويقرى الضيف .. وقد ترك ما ترون من المال ! ..

وكان كعب الأحبار حاضراً فقال :

— صدقت يا أمير المؤمنين .. كسب عبد الرحمن طيباً ، وأنفق طيباً ، لقد أعطاه الله خير الدنيا والآخرة ! ..

هذا معناه — فى قول كعب الأحبار — أن الأموال التى حازها كبار العرب القرشيين وصغارهم ، بل كبار أمة العرب كلها وصغارها ، لم تكن نهباً اقترفته فئة عربية .. ولو كانت كذلك لكان هذا الرجل — كعب الأحبار الذى كان يهودياً قبل اسلامه — قد غمز قناة العرب فى هذا الشأن من قريب أو بعيد ..

لقد جاءت هذه الأموال من وجهها «الشرعى» فى الفتوح ، ثم فى «استثمارها» بعد ذلك سنين فى التجارة والزراعة ، فطبع الثراء والازدهار الاقتصادى ذلك العصر كله الذى بدأ بخلافة عثمان وبلغ خلالها — وهى اثنا عشر عاماً — غاية لم يكن ممكناً بعدها أن يتحول عنها المجتمع الجديد الذى صارت لحياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قواعد وأصول صنعتها عوامل تاريخية سريعة لكنها عميقة فعالة ذات منعة شديدة ، ولها فى هذا المضمار تفرد تاريخى يستحق أعمق الدراسات ..

فى ظل هذا التحول الحضارى الأساسى ، فرغ القرشيون فى مكة والمدينة لحياتهم الخاصة ، وأغناهم مال الأعطيات والجوائز والتثمير ، فصارت لهم طريقة فى الحياة ، وعرفهم سائر الناس بسماتهم الخاصة وملابسهم وآدابهم وفصاحتهم ووجوههم السمحة الناطقة بأصلهم القرشى ، حتى كان العربى إذا رأى القرشى وهو لا يعرف أنه من قريش ولم يره قط من قبل قال له برهاناً على فراسته :

— أمتع الله بك يا فلان .. توسمت فيك القرشية ! ..

فيجيبه القرشى :

— أصبت ! ..

### الغناء العربى المتقن

وسط هذه الحياة الجديدة الزاهية الناعمة المطمئنة ، بزغ نجم الغناء العربى المتقن ، وصارت له طرائق فنية راسخة متعارف عليها ، فاقبل عليه القرشيون ، إقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا ، وارتفعت جوائز المغنين ، وطلبهم الأمراء ثم الخلفاء — بعد معاوية الذى كان يلتزم التحفظ — وغمروهم بالعطاء .

وعندما بلغ عمر بن أبى ربيعة الأربعين من عمره ، كان الغناء قد تخطى مرحلة الاضطهاد ، وعرف الناس فى الحجاز والشام والعراق أسماء ابن سريج ، وابن محرز ، ومعبد ، ومالك بن أبى السمح ، والغريض ، وابن عائشة ، وجميلة ، وعزة الميلاء ، وسلامة القس ، وحبابة ، وأسماء أخرى لا أحصيها ، كانت طليعة الغناء المتقن ، ولكل منها فضل ، وعلى أيديها رسخت قواعد هذا الغناء فى سرعة قياسية لم يعرفها فن من فنون الأمم قديماً وحديثاً .. وخرج الغناء العربى المتقن كلمح البرق الخاطف من طيلسان غناء الأمم المغلوبة المحتفظة ببقايا حضارات انتهى دورها ، ونظر العرب فيما استحدثوا لأنفسهم من غناء متقن فاذا هو لا يشبه غناء الروم ولا الفرس ولا الخزر ولا غيرهم ، فقد ارتقت فنية الغناء العربى المتقن حتى صار غناء تلك الأمم الى جانبه ثرثرة ساذجة تندثر أصولها يوماً بعد يوم ويسخر العربى منها اذا سمعها ، ويقول فى نفسه : أين هذه السذاجات مما نسمع من غنائنا المتقن المشدود الأصول والفروع شداً بالغ الوثاقة

والجمال ؟! ..

وكان على أصحاب الغناء العربى المتقن ـ تلك الفئة النابغة النادرة المثال فى تاريخ الأمم ـ أن يغنوا للأجيال الجديدة التى صار لها نوق فى النظر الى متاع الحياة ، وزينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ومن هذه الطيبات .. النساء : زوجات أو جوارى ـ وقديماً كانت الجاهلية فى فقرها وخشونة ذوقها ، لا يخفى عليها شيء من دقائق الجمال النسائى ، فكيف وقد ذهبت خشونة الجاهلية واندثر فقرها ، واتخذت المرأة مكانها الصحيح ونطق الشعراء بغزل لا يتجاوز فى أكثره مقتضيات المروءة التى هى رأس الأخلاق عند العربى .. واليها ينتهى عمله وقوله ، ولا يخرج عنها حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يمثل «فتى العصر» بحسناته وتجاوزاته ؟! ..

لهذا لم يكن شعره دعوة الى فجور كما يظن من لا يعرفه ، بل كان تحرراً ولعباً فى «الكلام» و «الحوار» .. يدخل فى باب الظرف الحضرى الجديد ! .. ولم يكن أهل عصره ـ إلا بعضهم ـ يرون بذلك بأساً ، بل كانوا يتناشدونه ويعجبون به ..

لم يكن الشعر العذرى يشوق نبلاء تلك الدنيا الجديدة الذين يملكون الجوارى بطريقة شرعية ، فان الشعر العذرى كان شعر الأعراب فى البادية تحرمهم ظروفهم ممن يحبون فيقولون هذا الشعر الذى يراه المتحضرون المترون ساذجاً ينضح بالبراءة ، وينم عن قلة التجربة وضعف الحيلة ، وإن كان شديد الحرارة ، عميقاً صادقاً ، يقلب الأكباد على «الطناجر الحامية» ! ..

كانت شروط الحياة فى «الحضر» شديدة الاختلاف عنها فى «المدر» .. بالرغم مما انتعشت به الصحراء من بركات الفتوح وكرم الأثرياء الذى كان كالغيوم الماطرة على الناس ! ..



## هذا النوع من الشعر

لهذا قل التغنى بأشعار العذريين ، سواء من اعترفت بهم كتب الأدب التى بين أيدينا الآن ، ومن لم تعترف بهم .. وقد روت هذه الكتب أشعار من أنكرت وجودهم ومن اعترفت بوجودهم ، وسجلت ما صنع فيها المغنون من ألحان عاشت حتى نهاية العصر العباسى الأول ..

كذلك قل إقبال المغنين على أشعار جميل بثينة وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وأمثالهم من المتوقرين فى نسيبهم ، أو ممن ادعوا الوقار وطاب لهم أن يجعلوه طابع غزلهم ونسيبهم ! ..

فهذا النوع من الشعر ، وإن لم يخل من فرائد ، لا يحرك عواطف «جمهور الغناء» الناعم .. ولا يحوز رضا عامة عشاق السماع ! ..

ولما غنى المطربون فى شعر العرجى الشاعر الغزلي الجريء ، طرب لهم الناس ، ولكن الذى أطرب الناس حقاً ، وفتنهم ، وأقامهم وأقعدهم ، ومس قلوبهم وأكبادهم ، هو الغناء فى شعر عمر ابن أبى ربيعة .. فانه الشعر الذى كانوا يلتمسونه فى الغناء ، شعر الرفاهة القرشية الجديدة الخبيرة بأصول الحياة فى المجتمع الجديد .. إنه الكلمة المطلوبة لغناء العصر ، لأنه لسان حال الحياة الخاصة للنخبة التى كان عمر ابن أبى ربيعة نفسه واحداً منها .. ولسان حال صفوف كثيرة وراء هذه النخبة العريقة ، من عامة أثرياء العرب ، وما أكثرهم حينذاك ! ..

تغزل عمر فى جميع شهيرات عصره الجميلات من بنات العظماء والكبراء فى الحجاز والشام والعراق واليمن .. ولم يغضب منه فى أكثر الأحيان أحد غضباً لا ينطفىء بأيسر نفخة من فم رجل أو امرأة .. لأنهم كانوا يعرفون أنه من كلام الرفاهة البرىء الذى يترقرق فى النعمة السابغة التى يبتردون بمائها ، ويقتعدون فوق زئبقها على الأرائك مبتسمين للحياة وهى تتأرجح بهم ناعمين ! ..

وتنافس المغنون على شعر ابن أبى ربيعة ، فكانوا يتقاسمون القصيدة الواحدة ، يأخذ كل منها أبياتاً يلحنها ويغنيها ، وكان أوفرهم حظاً من هذا الشعر عبيد بن سريج ، عظيم الملحنين والمغنين ، وصديق عمر بن أبى ربيعة ، وصاحبه فى جولاته بحثاً عن الالهام ! ..

ولا تجد من أعلام الغناء كمعبد والغريض وابن أبى السمح وابن عائشة وابن محرز وسلامة القس وغيرهم ، من لم ينل نصيباً وافياً من شعر ابن أبى ربيعة الذى كان نظمه كله للغناء ! ..

ثم عاش هذا الشعر بعد العصر الأموى حتى بلغ العصر العباسى فى قمة ازدهار سلطانه وامتلاء خزائنه ، على عهد هارون الرشيد .. فعندما طلب الرشيد من ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وغيرهما من كبار المطربين أن يختاروا له مائة لحن جميل ، كان مما اختاروه بعض الألحان فى شعر ابن أبى ربيعة ، فلما طلب تصفية هذه الألحان المائة الى العشرة ، ثم الى ثلاثة ، كان أحد الأصوات الثلاثة فى شعر لابن أبى ربيعة من تلحين ابن سريج ، وقد ظل هذا اللحن مروياً على أصله حتى بلغ عصر الرشيد وغناه له المغنون الرواة كالموصلى وابن جامع ..

هذا الشعر هو :

تشكى الكميت الجرى لما جهدته
وبين لو يستطيع أن يتكلما

ولبث الشعر الذى منه هذا البيت يلحن على أشكال مختلفة فى العصر العباسى الأول ـ عصر الازدهار الأقصى للغناء ـ حتى لحنه شيخ الملحنين إسحاق الموصلى ، فقال له الخليفة «الواثق» معجباً :

ـ لحنك يا اسحاق فى هذا الشعر لابن أبى ربيعة ، خير عندى من لحن ابن سريج ! ..

كمال النجمى

# شاعر العاصفة والأمطار ..!

شعر: الدكتور سعد عبيس

إلى الشاعر الذى تبنى قضية العدالة الاجتماعية فى مصر، فى جميع دواوين شعره، ألا وهى: «قصائد فى القنال» و «فى العاصفة» و «قبلما تسقط الأمطار» ... وفى «انتظار المطر» ..
إلى روح الصديق الراحل .. الشاعر الدكتور كيلانى سند ...

يا رافض العيش فى أغْلال قضبانِ ... ومُنْشِدَ الشعر فى تحريرِ أوطانِ
قضَّيتَ عمْرَك فى الاعصارِ أُغنيةً ... وصُغتَ شعرَكَ فى أفواهِ بركانِ .. !
يا شاعراً .. عاشَ فى الآفاقِ .. عاصفةٌ ... تدعو السحابَ .. ليهْمِى فوقَ وديانِ .. !
تبثُّ أشواقَها للرَّعْدِ .. صارخةٌ : ... الأرضُ ظمآى .. لسيلٍ منك .. هَتَّانِ .. !
قمْ .. فَجِّرِ الصمْتَ فى الصَّحْراءِ .. أُغنيَةً ... ألحانُها .. فيضُ أمطارٍ وغُدْرانِ .. !!
وفَجِّرِ العُقْمَ .. فى أعماقِ وَحْشتِها ... نَهْرَ اخضرارٍ .. لسُمَّارٍ ورُعْيانِ .. !

••

يا شاعراً .. عاش فى الآفاق عاصفةً ... وطائراً .. يتلظَّى فوقَ نيرانِ .. !!
قمْ .. حطِّم الصمْتَ ، وانفُضْ ليلَ مقبرةٍ ... وأنْشِدِ الشعرَ فى صدقٍ وإيمانِ
قد عشتَ عمْرَك .. لحناً طائراً قلقاً ... لا يستقرُّ على دَوْحٍ وأغصانِ .. !
تسمو وراءَ نشيدِ الشمسِ .. متخذاً ... من شِعْرِك الحُرِّ .. ما يزرى بعِقْبَانِ
ما كنتَ يوماً لتشدو الشعرَ مرتجفاً ... أو تهمِسَ الرأىَ فى صمتٍ وكتْمَانِ
فكيف تسرى بليلِ الصَّمْتِ .. معتزلاً ... وكيف تأوى إلى أنقاضِ بُنْيانِ .. !!

••

قم .. حطِّم الصمْتَ .. إن الشعر عاصفةٌ ... لا تسكُنُ القبرَ .. لا تأوى لجدرانِ .. !
وأنت .. نهرُ ضياءٍ .. ليس يحْجُبُهُ ... ما يحجُبُ الناسَ من قيدٍ وسجَّانِ
قم .. حطِّم الصمْتَ .. إن الصمتَ مقبرةٌ ... وأنْشِدِ الشعْرَ فى صحبٍ وخلان
وألق بالكفنِ البالى .. فأنت هنا ... فكرٌ تسامَى على مَوْتٍ وأكفانِ
حطم قيودَكَ .. «أودوسيوسُ» وارْمِ بها ... وعُدْ لساحةِ أبطالٍ وفرسانِ
لما تزل (بنيلوبُ) «الشِّعرُ .. حائرةً ... ترجو إيابَكَ فى شوقٍ وتحنانِ .. !
تسائلُ القومَ .. ماذا بعدَ رحلتِهِ ... متى يعودُ فيطوى صمْتَ أحزانى .. !

••

متى يعودُ لقوس الشِّعر يحكمُها ... يرمى بها كل مَشَّاءٍ ببُهْتَانِ .. !



يرمى بها من أحالوا الشعرَ أحذيةً     لكل ذي صولةٍ يُزْهَى بسُلْطانِ
من صيَّروا الشِّعرَ أبواقاً مسخَّرةً     وصيَّروا الفنَّ أسواقاً لعُبْدَانِ .. !

• •

يا شاعراً عاش فى الآفاق عاصفةً     وطائراً يتلظَّى فوقَ نيرانِ .. !
قمْ .. علِّم القومَ أن الشِّعْرَ معجزةٌ     تَهْدِى إلى الحقِّ .. لا تُشْرَى بأثمانِ .. !
وأَنَّ من يبدعُ الأشعَارَ مرتفِعٌ     بشِعْرِه .. فوق ألقابٍ وتيجانٍ .. !
وأننا نمنَحُ الآفاقَ .. أنجُمَهَا     ونبدع الكونَ .. من أبياتِ ديوانٍ .. !!
منابعُ الضوءِ .. تَسْرِى من مشاعِرِنَا     والشمسُ تشرقُ من أعْمَاقِ فَنَّانِ .. !!
مليونُ شمْسٍ وشمسٍ .. فى قَصَائِدِنا     تفجِّرُ الضَّوْءَ من آلافِ أكْوَانِ .. !!

• •

قُمْ .. يا رفيقَ السُّرَى .. فالريحُ عاصِفَةٌ     والليلُ من حوْلِنَا .. غاباتُ ذُؤْبَانِ .. !!
تركْتَنى .. فى زحامِ النَّاسِ .. منفرداً     أَفِرُّ منهم .. إلى دَمْعى وأَحْزانِى .. !
وحْدِى .. غدَوْتُ .. وما فى العمرِ متَّسَعٌ     لصاحبٍ أَرْتَجِيه .. بعد « كيلانى » .. !!
كنا رفيقىْ حَيَاةٍ .. ما يفرِّقنا     ما فرَّقَ النَّاسَ من أحداث أزْمَانِ
قد كنتُ أنطِقُ ما أوشكْتَ تنطِقُهُ     ويلتقى منك تبْيَانٌ بتَبْيَانِى .. !
فكيفَ خلَّفْتنى أنضاءَ مغتَرِبٍ     لم يَبْقَ منه سوى أشْلاءِ إنسانِ
ودونما موعدٍ .. أسْرَيْتَ .. مرتحلاً     يا طائرَ الحبِّ نحو العَالَمِ الثانى .. !

• •

بالأمس .. كنا معاً روحاً معذَّبةً     يمشى بها فى دروبِ الأرضِ جِسْمَانِ
واليومَ .. نحن هنا روحٌ مجنَّحَةٌ     تخلَّصَتْ من ترابِ العالَمِ الفانى .. !
تسرى بها فى سماءِ اللهِ أغنيةٌ     ألحانُها فيض تسبيحٍ وإيمانِ .. !

سعد دعبيس

كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

# سِرُّ الجَاذِبيّة في اللغة العَربيّة

بقلم: حامد بدر

عندما تكون حاجة المحب الى المحبوب شديدة، أو عندما يكون المحب طالباً والمحبوب مطلوباً ، فان قوة الجاذبية فى جانب المحبوب قادرة على اجتذاب المحب . والنتيجة إغداق العطاء من المطلوب على الطالب .

ولكى يؤدى الرسول رسالته لابد أن توجد لديه القدرة على تبليغ تلك الرسالة وأن يملك من فصاحة اللسان ، وبلاغة الاقناع ما يخضع المخاطب لا سيما مخاطب معاند مكابر متعصب ، عاكف على عبادة الأوثان ، تلك العبادة الموروثة التى يستمد منها سلطانه وجاهه وثراءه . وهو مع عناده ومكابرته وتعصبه ووثنيته .. متفوق فى بلاغته واقتدار لغته وسحر بيانه .

ولم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه ، كما جاء فى القرآن الكريم « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » . وقد أرسل الله محمداً فى العرب بلسانهم ، ولكن رسالته كانت الى الناس كافة كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .

نزل القرآن عربياً ، على نبى عربى ، فى قومه العرب ، فبهرهم وأعجزهم بنصه ومضمونه وهم أمراء البيان .. وانتشر الاسلام ، وشمل نوره كل قارات العالم ، فكيف انتشرت رسالة القرآن فى أمم لا يتكلمون العربية ولا يعرفونها ؟ وهل سعى الاسلام الى المكان الذى ظهر فيه وهو قلب الجزيرة العربية الى مكان قريب أو بعيد ؟ أم سعى الناس من كل مكان الى المكان الذى بزغ منه نور الاسلام ، بعد أن بعث فيه هذا النبى العظيم ؟ .

إن اللغة العربية كانت ولا تزال أغنى اللغات ،ولذلك أخذت مكانها فى العالم بين أهلها لتكون مصدر اشعاع تنبعث منه أضواؤها على جميع بقاع الأرض .

وإذا اصطفى الله تعالى من خلقه محمداً صلى الله عليه وسلم لتبليغ خير الرسالات الى الناس كافة ، وانزل عليه القرآن الكريم بلسان عربى مبين . فلا ريب فى أن لغة القرآن هى اللغة المصطفاة التى لا ترقى الى مكانها لغة أخرى .

وبعد أن وصلت الى القاصى والدانى علوم وتعاليم من القرآن ، مترجمة بكل لسان ، وأسلم من أسلم اشتد حنين الكثيرين من غير العرب الى قراءة وفهم أصدق وأحكم وأعلى كلام ، ألا وهوكلام رب العالمين . ولا سبيل الى قراءة ذلك الكتاب بغير تعلم العربية الفصحى . فتنافس المتنافسون فى هذا المضمار ، وظهر من تعلم العربية ونبغوا فيها ، وقرأوا القرآن وتفاسيره ، وترجموا من معانيه وأحكامه ما استطاعوا وكان هذا السباق بين محبى اللغة العربية حافزاً لغيرهم ممن بلغتهم الدعوة الى تعلم هذه اللغة الفصحى ليزدادوا علماً ، وليتمكنوا من قراءة كتاب الله والاهتداء بنوره ، فدخلوا فى الاسلام جماعات ووحدانا .

وإذا كانت الشمس ترسل أشعتها بغير حساب ، فليس كل مكان فى الارض سواء فى التمتع بنور الشمس ودفئها ، فهما فى انجلترا مثلا لا يتعادلان مع نور الشمس ودفئها فى مصر . لذلك كان سكان المناطق الباردة المظلمة هم الذين يشعرون بالحاجة الى الانتقال الى الأماكن التى تسطع عليها الشمس طلباً للنور والدفء ، فيذهبون الى تلك الأماكن ولم تذهب الشمس اليهم فى صقيعهم وثلوجهم وغيومهم . لم تذهب اليهم ، ولكنها لم تبخل عليهم إذا ماالتمسوا دفئها ونورها بكل وسيلة من الوسائل الممكنة . فان طاقة الشمس من الحرارة والضوء غنية وكافية . والشمس لا تختزن تلك الطاقة ولا تمنعها ولا تبخل بها .

وهذا مثل مادى قد يقرب الصورة الى الأذهان التى تطلب الادراك من طريق الواقع المحسوس وان كان الفرق شاسعاً جداً بين هدى الأبصار وهدى البصائر ، وبين المدد الجسمانى والمدد الروحى !

وكما أن معرفة آداب وتراث لغة غير العربية لا يتحقق إلا بمعرفتها ، فكذلك ليس من الممكن الاستفادة من علوم القرآن ، والأخذ من المؤلفات التى وضعها علماء الاسلام وفلاسفة العرب إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى . وهؤلاء الذين تعلموها لم يقبلوا عليها للاحاطة المجردة بها ، بل لأنها الوسيلة الى قراءة القرآن الكريم التماساً لذلك النور الهادى . وبتعلم الفصحى وفهمها استطاعوا تذوق بلاغتها فانبهروا بما وجدوا فى القرآن من علوم الكون ، وقصص الأولين وعبرالقرون الغابرة . وخشعوا إكباراً وإجلالا لما فى القرآن من توجيه أخلاقى رائع ، ورسم للطريق المستقيم ، وتحديد للعقائد والعبادات ، وبيان الحلال والحرام ، وتقنين للقصاص والعقوبات . فى دستور سماوى دقيق كامل وشامل ، به تستقيم الحياة ، وبدونه لا تستقيم .

وقد كانت الجاهلية قبل نزول القرآن هى السائدة ، وظلت بعد نزوله حيناً من الزمان تصارع الحق ، والحق يصرعها . وكان القرآن آخر كتاب سماوى واف للانسان بكل حاجات زمانه ومكانه وما بعدها من الأزمنة والأمكنة ، بعد أن اجتازت البشرية كل مراحل التقنين والتدرج فى الأخذ بالتطبيق المستطاع لكل تشريع حكيم ، والوصول الى الأصلح والأبقى .

وإذا كان العربى يتكلم العربية فهى لغته ولكن غير العربى إذا تعلم العربية فلأنها جذبته بقوتها ، ولأنه أحس حاجته اليها ، وكأنها الكعبة يحج اليها الناس من كل مكان قريب أو بعيد كلما استطاعوا . فان لم يستطيعوا اتجهوا اليها فى صلاتهم من كل الجهات .

ولا نعدو الصواب إذا قلنا ان بين الدين واللغة العربية صلة تعارف وتعاون وتماسك . ذلك لأن الوسائل ووسائل الوسائل فى العبادات لازمة ، وبدونها لا تتحقق المقاصد ، فلا صلاة بلا طهارة ولا طهارة بلا ماء طهور . كذلك لا صلاة بغير فاتحة الكتاب ، ولا صلاة بفاتحة مترجمة الى لغة أخرى ، لأن لغة القرآن هى اللغة التى لا توجد بلاغتها الا فيها ، ومن غير الممكن أن يترجم القرآن إلى لغة اخرى ترجمة مباشرة تعطي الدلالة التى انفردت بها لغة القرآن .

# الحرب

## بين الفلسطينين والصهاينة على جبهة طوابع البريد




صورة أول طابع بريد فى العالم .. بعده تنبه كثيرون إلى أهمية قيمة طوابع البريد كاثر باق



القدس على طابع بريد من ضمن الطوابع التى صدرت فيما بين عام ١٨٦٥ وعام ١٩٨١ .. ثم لقطة لموزع بريد عربى فى عام ١٩٠٨ عند عودته إلى يافا بعد جولته الأسبوعية فى القرى المحيطة بها .. ولقطة أخرى لمكتب بريد عثمانى بالقدس عام ١٩١٠ .






فى طوابع البريد (١٨٦٥ - ١٩٨١)

.. الرحلة مع الطوابع الفلسطينية ، هى جولة مع فصل من فصول الحرب المتعددة الجبهات بين الفلسطينيين والصهاينة ، وهو فصل يدور على مساحة ضيقة من الورق الملون ، المختوم والموشح ، لكنه مع هذا يتفجر بكل الدلالات الحضارية للصراع بين الحق والقوة ، وبين المقاومة والمؤامرة ، وبين أصحاب التاريخ صناع الأثر ، ولصوص الماضى سراق الوطن ، لذلك حملت الطوابع الفلسطينية بصمات المتآمرين وعرق أصحاب الأرض ، كما حملت عواطف المخلصين ، وتضامن المساندين فى كل انحاء العالم .




إلى أعلى ثلاثة طوابع استعملت فى فلسطين فى فترة الحكم العثمانى ( ١٨٦٥ ـ ١٩١٨ ) ويلاحظ أختام القدس والخليل ويافا على الطوابع .. ثم مجموعة من طوابع القنصليات الأجنبية وعليها أختام فلسطينية




طوابع تحمل اسم فلسطين صدرت فى فترة الاحتلال البريطاني ( ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ )

كتب : صلاح عيسى

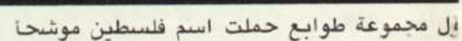
فى عام ١٨٤٠ طالب « بالمرستون » ـ وزير الخارجية البريطانية ـ بمنح فلسطين لليهود ، وقال فى تبرير ذلك ، ان « فلسطين اليهودية ستكون سداً فى وجه أى محاولات شريره لانشاء دولة عربية تضم مصر والشام وتهدد مصالحنا من جديد » .

والمحاولة الشريرة التى يشير إليها الاستعمارى القارح « بالمرستون » هى محاولة محمد علي الكبير التى أسفرت عن انشاء دولة عربية كبرى ضمت مصر والحجاز والشام ، وهددت مصالح الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغيب ـ آنذاك ـ عن ممتلكاتها ، واغلقت السوق العربية فى وجه المصنوعات البريطانية ، وشلت يد الأسطول الانجليزى فى البحر المتوسط ، ولم تستطع بريطانيا أن تهزمنا إلا بتحالف أوروبى كالتحالف الذى هزم نابليون بونابرت ..

وفى السنة نفسها ( ١٨٤٠ م ) صدر أول طابع بريد فى العالم يحمل صورة الملكة فيكتوريا ، ملكة انجلترا ، مفتتحاً عصراً جديداً فى وسائل الاتصال بين الناس . رمزه تلك القصاصة المربعة أو المستطيلة التى تدل على دفع ثمن معين لنقل رسالة من قرية لأخرى ، ومن مدينة لميناء ومن قارة لقارة ! .

وتدريجياً ، كف العالم عن الطريقة القديمة فى الاتصال عن طريق الحمام الزاجل أو الجمال أو القوافل أو المراكب أو العربات التى تجرها الخيول ، وعرف الناس وسيلة سهلة تمكنهم من التواصل بعضهم بالآخر ، ولا تتطلب منهم إلا شراء هذه القصاصة ، ولصقها على رسائلهم ، فتكون جواز وصول أرائهم وأخبارهم وأشواقهم وعواطفهم وقضاء مصالحهم لمن يريدون وفى أى وقت يشاءون ، سواء كانوا فى نفس المدينة أو كان بينهما ما بين خط الاستواء والقطب الشمالى ..

وفيما بعد تنبه كثيرون إلى أن طابع البريد ليس مجرد أداة نفعية تقوم بدور ما



ول مجموعة طوابع حملت اسم فلسطين موشحاً

فى تيسير سبل التواصل بينهم ، فتنتهى وظيفتها ، فحين يصبح للأشياء تاريخ ، تصبح هى ذاتها تاريخاً . وتصبح لها قيمة مطلقة غير قيمتها المؤقتة التى تنتهى بأداء دورها النفعى ، وهكذا أصبح طابع البريد موضوعاً لاهتمام الذين يشغفون بالجمال وبالندرة ويشمون رائحة الماضى فى آثاره الباقية أو الدارسة ، ذلك أنه ليس مجرد قصاصة ورق مرسومة أو مكتوبة ، جميلة أو عارية عن الجمال ، لكنه شاهد على ما كان ، وربما على ما سيكون ، تداولته الأيدى فتركت بصمة من ذهبوا ولن يعودوا ، وتركت أيضاً ملامح الماضى وتقاليده وأعرافه ولغته وخطوطه ، بخيره وشره ، بما هو ساذج فيه وما هو مركب ، وما هو بسيط وما هو معقد !

أنذاك نشأت هواية جمع طوابع البريد .. بدأت فردية ، ثم أصبحت لها روابط وجمعيات ومتاحف ومؤتمرات ، صدرت عنها كتب وابحاث ودوريات ، وأصبحت لها علوم وأصول وقواعد للفهرسة وللتصنيف ولقياس الندرة وللتثمين ، ومحطات لاستكمال الناقص من المعلومات ، ولاكتشاف الصحيح من الـــزائف والتبر من التبن . وهى هواية تشـــمل قطاعاً عريضاً من النـــاس ، فى كل انحاء المعمورة : الكبار والصغار والمهتمين بالسياسة وبالفن وبالتاريخ ، وأصبح من السائد بين الآباء أن أضمن وسيلة لكى يثيروا اهتمام أطفالهم بتاريخ أوطانهم وتاريخ كوكبهم هى جمع طوابع البريد !

## أعداؤنا وتزوير التاريخ

وهواية جمع الطوابع واحـــدة من الاهتمامات الراقية فى العالم كله اليوم ، وهى غير منتشرة عندنا ، كما هى منتشرة هناك ، فنحن مكدودون بهموم التخلف الزائد والفقر الزائد ، كما نحن مهمومون بالغنى الزائد ، وكثيرون يعتبرون الاهتمام بطوابع البريد ترفاً لا أهمية له ، وإغراقاً فى تفاصيل لم يئن بعد أوانها ، وهو كلام يبدو منطقياً ، لكن عيبه القاتل أنه يتجاهل اننا نغرق فى تفاصيل أقل أهمية من ذلك ، ويتجاهل أن الآثار التاريخية لن تنتظرنا حتى نتخفف من همومنا الكثيرة ، فقد تضيع ، بل بعضها قد ضاع فعلا ، فاذا ما كانت آثار فلسطينية ، فالأرجح أنها إن لم تضع فسوف تسرق ، فالاسراع بجمعها والنشر عنها ليس اغراقاً فى تفاصيل ، فنحن لسنا مطالبين فحسب ، بأن نجعل فلسطين أبجدية كل طفل عربى ــ كما قال ياسر عرفات مرة ــ ولكننا نواجه بأعداء يسرفون فى الانفاق على تزوير التاريخ وسرقة الآثار ، ونسبة كل ما هو « فلسطيني » إليهم ، سواء كانت الأرض أو العادات أو التقاليد بل وحتى الأزياء !

ذلك شيء لم يقله مؤلفو كتاب «فلسطين» فى طوابع البريد : ١٨٦٥ ــ ١٩٨١ » بالوضوح الكافى ، فقد اعتصموا بدرجة عالية من الاكاديمية تشهد لهم بالكفاءة والتمكن والدقة العلمية ، فآثروا أن يخاطبوا العقل لا الوجدان ، ومع أن الكتاب صدر للفتيان ، فقد أعد للباحثين المتخصصين فى طوابع البريد ، فهو مزود بفهارس دقيقة ، تتضمن توصيفاً لكل طابع ، بدءاً من تاريخ اليوم الأول للاصدار ، إلى وصف الطابع وذكر علامته المائية ، إلى عدد الشرشرات ثم رقمه الخاص بدليل ستانلى جيبونز الدولى ، وفئته المالية ، وأخيراً لونه ، فانتقل بذلك من إصدار محلى إلى إصدار عالمى ، ومن كتاب للفتيان ، إلى مرجع للمؤرخين ودليل للهواة المتمكنين ، وحين مزج بين العمل العلمى وبين الالتزام السياسى ، أصبح عملا حضارياً بكل المقاييس ..

والكتاب يضم ٥٢٣ طابعاً ، فى قسمين ، و ١٤٠ خاتماً للبريد ، استخدمت فى فلسطين لختم الطوابع فى قسمه الثالث . وهى جميعاً تروى جانباً من قصة فلسطين ، ففيها بعض ملامح الوطن ، وبعض تاريخه ، ومع أن أغلب الطوابع ــ كما يقول المؤلفون ــ لم تبد مفاتن فلسطين فى أرضها وزرعها وبحرها وإنسانها صاحب الأرض المزروع فيها بل اقتصرت تصميمات مجموعة الطوابع الفلسطينية التى تحمل صوراً على ابراز بعض الرموز الدينية الاسلامية واليهودية ، برغم هذا فان الطوابع فى مجموعها هى مهرجان ألوان ، فهى تضم كل ألوان الطيف ، وكل امتزاجاتها .

ولأن العالم عرف طابع البريد فى نفس السنة التى أعلن فيها « بالمرستون » خطة حكومته لتهويد فلسطين ، فقد جاءت الطوابع التى استخدمت فى فلسطين ، سجلا للمحاولات الاستعمارية لاقتناصها وطمس هويتها ، ودليلا على الصراع الدولى الذى كان يدور بين أعمدة الاستعمار حول وراثة الامبراطورية العثمانية ، وتوزيع تركة رجل أوروبا المريض ، وأهم ما فى التركة الوطن العربى ، وأثمن ما فيه : فلسطين ..

وفى العام ذاته ــ ١٨٤٠ ــ بدأ البريد المنظم فى فلسطين ، كما بدأ فى مصر ، وفى معظم الأقطار العربية الأخرى التابعة للدولة العثمانية ، لكنه كان بريداً بلا طوابع إذ كان الختم على الرسالة هو الدليل على دفع الرسم المقرر لارسالها ، وحين استخدم طابع البريد لأول مرة فى فلسطين ــ عام ١٨٦٥ ــ ظل خاتم البريد هو رمز فلسطين ، وليس الطابع ، ذلك أن الطوابع التى استخدمت آنذاك ، هى ذاتها طوابع الدولة العثمانية ، تحمل اسمها وعلمها ( الهلال والنجمة الخماسية ) ولغتها ، وقيمة عملتها لكنها تأخذ فلسطينيتها من الخاتم الذى يطبعه مكتب البريد على الطابع ، حاملا اسم المدينة التى صدر منها ، وقد بدأت مكاتب البريد الفلسطينية بتسع مدن ، هى القدس ونابلس والخليل وغزه ويافا وبيت لحم وطبريه وحيفا ، ثم أصبح عددها فى نهاية القرن الماضى ٢٢ مكتباً .

واختام ثلاث من هذه المدن ــ القدس ويافا وحيفا ــ هى الدليل على فلسطينية نوع آخر من الطوابع ، هى « طوابع القنصليات » . وهى طوابع أوروبية ، تحمل صوراً لملوك أوروبا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وأثماناً أوروبية ، لكنها كانت صالحة للاستخدام فى فلسطين ، وفى اقطار عربية أخرى بموجب « نظام الامتيازات الأجنبية » الذى أباحت بمقتضاه الدولة العثمانية لدول أوروبا أن تطبق قوانينها على رعاياها ، وأعفت هؤلاء الرعايا من المحاكمة أمام المحاكم العربية ليحاكموا

● حكومة الانتداب تسجل وعد بلفور على الطوابع الفلسطينية

● أندر طابع فلسطيني طبع منه ٢٤٠ وحدة ، استخدمت في الدعوة لعرس

● بريد القنصليات الأجنبية يشترك مع الصهاينة في مؤامرة تهويد فلسطين

أمام قناصلهم ، ثم انتزع هؤلاء القناصل لأنفسهم ولرعاياهم عشرات الحقوق بعد ذلك ، بالقوة واستثمار ضعف الدولة ، وكان من بين ما انتزعوه : حق فتح مراكز بريد مستقلة فى القدس ويافا وحيفا لا تخضع للسلطات العثمانية ولا تستخدم الطوابع أو الأختام العثمانية ، بل تستخدم طوابع بلدها واختام قنصلياتها ، وفيما بعد اضافت فرنسا كلمة ليفانت LEVant أى المشرق إلى طوابعها التى تستخدم فى فلسطين وسوريا ولبنان . واستخدمت روسيا وايطاليا طوابع وشحتها باسم يافا أو القدس ، بينما اكتفت النمسا وألمانيا وايطاليا بطبع ثمن الطابع بالعملة العثمانية ..

ولأن امتيازات القنصليات كانت جزءاً من مخطط وراثة التركة العثمانية ، وتوزيعنا نحن العرب على من يعتبرون أنفسهم الورثة ، فقد كانت تستخدم لحماية اليهود ، ولتسهيل استيلائهم على أراضى فلسطين ، فدخل بريد القنصليات طرفاً فى مؤامرة تهويد فلسطين إذ تعاقدت المستوطنات الصهيونية الأولى مع مكاتب البريد القنصلى ، بحيث يقوم المستوطنون بتوزيع بريد القنصليات داخل فلسطين بالمجان ، ويرد هؤلاء لهم الجميل بتوزيع بريدهم فى الخارج وربطهم بأهلهم فى الدول الأوروبية التى قدموا منها لينفذوا وصية بالمرستون !

واشتبكت الدولة العثمانية مع القنصليات فى معركة بريدية ضارية ، فخفضت رسوم بريدها إلى النصف ، ثم أصدرت قانوناً يحرم على رعاياها استخدام بريد القنصليات لكنها لم تستطع أن تكسب المعركة ضد البريد القنصلى الا عام ١٩١٤ حين نشبت الحرب الكونية الأولى ، وشاركت فيها تركيا فى صف ألمانيا ضد الحلفاء ، فالغت استخدام البريد القنصلى فى فلسطين ، وعادت الطوابع العثمانية بالأختام الفلسطينية لتنفرد بالساحة البريدية ..

على أن تركيا لم تنتصر فى الحرب كما انتصرت فى معركة البريد القنصلى ، فاحتل الجنرال اللنبى فلسطين فى عام ١٩١٧ وبدخوله إليها ، رحلت الطوابع العثمانية هى الأخرى ، وأصدرت قوات الاحتلال طوابع زرقاء لاستعمالها كتب عليها « خالص الأجرة » ، وميزت بثلاثة حروف انجليزية هى E-E-F وهى اختصار لعبارة « قوات الحملة المصرية » وهو الاسم الذى أطلقه الجيش البريطانى على قواته فى فلسطين ، وظلت هذه الطوابع صالحة للاستخدام ، حتى وضعت فلسطين




طوابع ثورة عام ١٩٣٦

تحت الانتداب البريطانى ، وانتقلت من الادارة العسكرية إلى الادارة المدنية ، وأصبح على سلطات الانتداب أن تطبق وعد « بلفور » وأن تعمل على انشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين » !

## اسم فلسطين لأول مرة

وحين ظهر اسم « فلسطين » لأول مرة على طابع بريد ، ظهر أولا كتوشيح ، أى بطبعه بالأسود على وجه طوابع « خالص الأجرة » زرقاء اللون ، وقد تم هذا تنفيذاً لأمر أصدره أول مندوب سامى بريطانى صهيونى فى فلسطين وهو هربرت صموئيل . وأثار القرار معركة سياسية وقضائية ، إذ نص الأمر على أن يكتب اسم فلسطين بالانجليزية والعربية والعبرية على التوالى على أن يتبع الاسم بالعبرية ، الحرفان ، ( ا - إ ) وهما اختصار لكلمتى « إرتز اسرائيل » أى « أرض اسرائيل » ، ليكون فى تلك الاضافة تطبيقاً رمزياً لوعد بلفور !

وثار العرب ، ورفع جمال الحسينى ، سكرتير اللجنة العربية العليا لفلسطين ، قضية ضد الحكومة مطالباً بحذف الحرفين من الطوابع ، لكن المحكمة حكمت بعدم اختصاصها ، وثار العرب مرة ثانية مطالبين بطباعة العربية بحجم أكبر من الكلمتين الانجليزية والعبرية ، لكن الادارة البريطانية لم تسمع لهم ، اذ كان بالمرستون يسكن أذانها ، وهكذا كتبت كلمة فلسطين العربية بعرض ٨ مليمترات ، والانجليزية بعرض ١٤ مليمتراً ونصف ، أما العبرية فكانت بعرض ١٥ مليمتراً .

* * *

وفى عام ١٩٢٧ صدرت أول مجموعة طوابع مصورة ، تحمل اسم فلسطين ، وهى تتألف من ١٤ طابعاً ، وتحمل رسوم أربعة أماكن دينية ، وتكشف عن مؤامرة التهويد التى لم تتوقف ، ويقول المؤلفون أن « التصميمات والفئات المالية قد اختيرت وفقاً لسياسة الانتداب فى ابراز الوجه اليهودى الصهيونى اعلامياً ، وتهويد ما يمكن تهويده» . فالرسوم التى حملتها الطوابع - ورسمها الرسام البريطانى ف . تيلور - تضمنت قبر راحيل - وهو رمز دينى يهودى - و « قلعة القدس - باب العمود » ، وهو



طوابع اصدرتها الحكومات العربية فى دعم قضية فلسطين

الذى يطلق عليه الصهاينة « برج داود » من باب التهويد . أما التصميمان الآخران فيمثلان « قبة الصخرة » فى القدس و « جامع مدينة طبريه » . وهكذا اختار الانتداب رمزين إسلاميين ورمزين يهوديين ، وحين تقرر تسعير الطوابع ، اختيرت الأسعار الرخيصة والأكثر شيوعاً فى الاستعمال للطوابع اليهودية ، بينما حددت فئات عليا للطابعين الآخرين ، حيث تقل فرص تداولهما .. وقد حملت الطوابع اسم فلسطين بالعربية والانجليزية والعبرية ، وأضيف للاسم العبرى الحرفين ( أ . إ ) .

وكان منطقياً أن تنشب الحرب بين الفلسطينيين والصهاينة على جبهة الطوابع ، كما نشبت على جبهات أخرى متعددة ، فالفلسطينيون الذين ثاروا ست ثورات عنيفة بين الانتداب واعلان الدولة الصهيونية ، كانوا حريصين على عروبة وطنهم ، ومدركين لخطر التهويد الذى لم يترك شيئاً فى فلسطين إلا وحاول سرقته ، لذلك اندفعوا يحاولون إصدار طوابع بريد لا تحمل رموزاً عبرية ولا انجليزية ، فأصدروا فى عام ١٩٣٤ طابعاً بمناسبة المعرض العربى الثانى ، وفى عام ١٩٣٦ ـ إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ـ صدر طابعان كانا يباعان لجمع التبرعات لرجال المقاومة ، صدر الأول باسم « بيت المال العربى » ـ




طوابع تمثل مأساة اللاجئين بعد اغتصاب الأرض

الجهاز المالى للهيئة العربية العليـــا ـ وصدر الثانى باسم « صندوق الأمة العربى » ـ وهو المؤسسة التى كانت تعمل لانقاذ الأراضى الفلسطينية من الوقوع فى يد الصهاينة ـ وفى عام ١٩٣٨ صدرت أول مجموعة طوابع فلسطينية تحمل شعارات سياسية نضالية ، وقد طبعت فى يافا ، واستخدمت فى المناطق التى كان يسيطر عليها الثوار ، وكانت شعار « فلسطين للعرب » .

وكان العرب أيضا ، حريصين على مساندة الحق الفلسطينى ، فأصدروا منذ العام ١٩٤٥ طوابع بريد تحمل اسم فلسطين ، وقد بدأت بطوابع أصدرتها مصر ثم أصدرت سوريا والأردن والعراق ولبنان طوابع مالية لدعم المقاومة الفلسدلينية عام ١٩٤٧ .

وبعد النكبة واعلان الدولة الصهيونية ، اختفى اسم فلسطين من الطوابع التى تستخدم داخل الأرض التى وقعت تحت الاحتلال الصهيونى ، وفى الضفة الغربية لنهر الأردن ـ التى ظلت تحت الادارة الأردنية ـ استخدمت الطوابع الأردنية ، بعد أن وشحت بكلمة « فلسطين » ، ولكن ذلك لم يستمر سوى عامين ، ضمت بعدها الضفة إلى الأردن ، واختفى التوشيح الذى




أندر طابع فلسطينى باق حتى هذا اليوم .. ثم أندر الأختام الفلسطينية

يحمل اسم فلسطين ، ولكنه ظل قائماً على الطوابع المصرية المستخدمة فى غزه ، ولم يختف سوى فترة قصيرة ، أعقبت مؤامرة ١٩٥٦ ، وعاد بعد عودة غزه إلى الادارة المصرية ، ليختفى مرة ثانية بعد عدوان ١٩٦٧ وتختفى معه الطوابع الأردنية المستخدمة فى الضفة الغربية ..

وما بقى من طوابع فلسطين يخضع لمحكات تقيس قيمته على أســــاس ندرة الأثر ، فالطوابع العثمانية التى استخدمت فى فلسطين بين ( ١٨٦٥ ـ ١٩١٨ ) تقاس قيمتها على أساس الأختام ، فالختم الذى يحمل اسم مدينة فلسطينية ، هو الذى يعطى الطابع سمته الفلسطينية ، وأكثر الأختام قيمة هى الأختام الفلسطينية المربعة التى تحمل اسماء المدن الفلسطينية خصوصاً عكا وغزه ونابلس وطبرية ، وتتمتع الأختام الدائرية ذات اللون الأسود بقيمة عالية جداً من حيث الندرة ، وكذلك أختام المدن الصغيرة كاللد والرملة والخليل والبيرة وبيت جالا ..

وأثمن طابع فلسطينى باق حتى الآن ، هو طابع برتقالى اللون ، مائل للاصفرار ، من طوابع « خالص الأجرة » وقد صدر فى ٦ ديسمبر ١٩٢٠ ، من فئة خمسة مليمات ، فهو طابع نادر ومختلف عن أمثاله ، إذ أن المسافة العمودية بين كلمة فلسطين باللغة الانجليزية ، ونفس الكلمة باللغة العبرية هى ٦ ملليمتر فقط بدلا من ٧ ملليمتر ، وهو خطأ لم يحدث سوى فى فرخ واحد من ٢٤٠ طابعاً استخدمت معظمها عائلة فلسطينية من حيفا لارسال بطاقات دعوة لحضور عرس ابنها البكر ..

## الطوابع فصل من فصول المعركة

والرحلة مع الطوابع الفلسطينية هى جولة مع فصل من فصول المعركة المتعددة الجبهات بين الفلسطينيين والصهاينة ، وهو فصل يدور على مساحة ضيقة من الورق الملون ، المختوم والموشح ، لكنه ـ مع هذا ـ يتفجر بكل الدلالات الحضارية للصراع بين الحق والقوة ، وبين المقاومة والمؤامرة ، وبين أصحاب التاريخ ، صناع الأثر ، ولصوص الماضى سراق الوطن ، لذلك حملت الطوابع بصمات المتآمرين وعرق أصحاب الحق ، كما حملت عواطف المخلصين وتضامن المساندين فى كل انحاء العالم .

وهى معركة عربية بقدر ما هى فلسطينية وبعض الدليل على ذلك تجده فى تعاون ثلاثة مؤلفين عرب لاصدار هذا الكتاب الجاد الجيد « فلسطين فى طوابع البريد : ١٨٦٥ ـ ١٩٨١ » ، ولد أولهم « د. نبيل علي شعث » فى بير سبع ، ودرس فى دمشق والاسكندرية وأمريكا ، وعمل فى القاهرة وبيروت ، وانضم لحركة فتح ، ووسط كل تلك الأعباء ، كان يبحث عن طوابع فلسطين ، يقتنيها ويصنفها ويحاول أن يحمى رائحة الماضى وعطر المستقبل من الضياع . وولدت الثانية « حسناء رضا مكداشى » فى جنوب لبنان ، حيث يبدو الوطن المسروق عبر الحدود ، ودرست فى لندن وعملت فى مركز التخطيط الفلسطينى ، وولد الثالث ( محيى الدين اللباد ) فى قرية مصرية ، ودرس فى القاهرة ليعطى حياته منذ عشرين عاما لاصدارات الأطفال ، فينشىء مدرسة متميزة فى هذا المجال ، ويرتبط اسمه بكل تجديد عربى فيها ..

.. وتجده أيضا فى تعاون اثنين من دور النشر المتخصصة فى إصدارات الأطفال والفتيان ، وإحداهما لبنانية ( دار الفتى العربى ) والأخرى مصرية ( الورشـــــة التجريبية العربية لكتب الأطفال ) ، فى تقديم هذا الفصل من فصول الحرب بين العرب والصهاينة ، للأطفال الفلسطينيين والعرب ، هؤلاء الذين أبدت جولدا مائير مره عن انزعاجها الشديد لانهم يولدون كل صباح !

« صلاح عيسى »

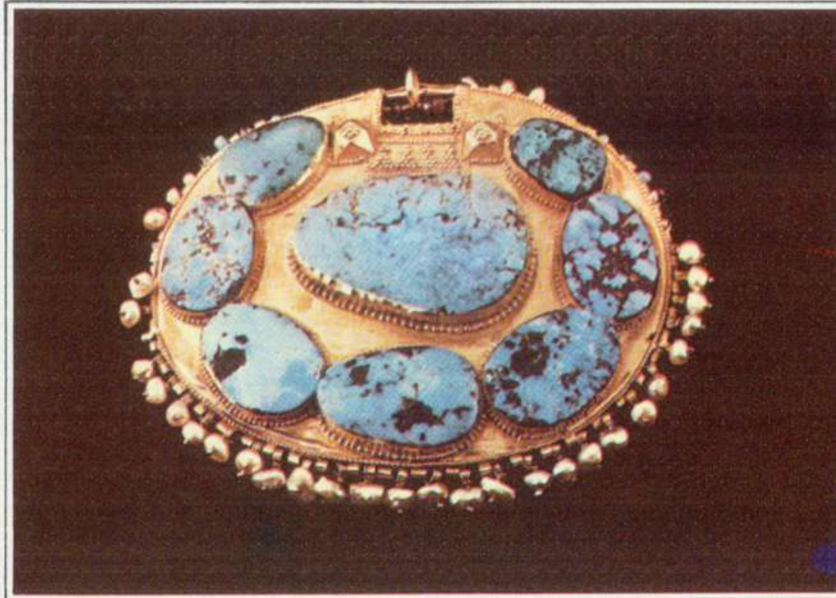
# فيروز

شعر: ناهض الريس



سمعتُ فيروزَ في الصحراءِ فانبجَسَتْ   عينٌ وأزهَرَ وردٌ رحتُ أقطفُهُ
يا مُخْمَلاً رَفَلَتْ حورُ الجنانِ بهِ   ويا جناحَ فراشاتٍ تُهَفْهِفُهُ
سبقتَنى لفؤادي وانسكبتَ بهِ   خمراً حلالاً ، وسراً لستُ أعرفُهُ
لعلَّهُ قمرُ الأقمار أو قدر الأقدار   أو جوهرٌ صَعْبٌ تكشُّفُهُ
وصوتُ فيروزَ أمادٌ وأجنحةٌ   وكبرياءٌ وجُرْحٌ عَزَّ مُسْعِفُهُ
وصوتُ فيروزَ نجوى الريحِ إن هَمَسَتْ   للياسمينِ بصيفٍ رق مِطْرَفُهُ
وصوتُ فيروزَ رَجْعُ الأرضِ إن غَضِبَتْ   وثارَ بركانُها وانهالَ قاذِفُهُ
وصوتُ فيروزَ أنواءٌ وأشرعةٌ   وشاطىءٌ نَبَتَتْ نخلاً مشارِفُهُ
وصوتُ فيروزَ أنهارٌ وأوديةٌ   وطائرٌ فى ذُرى صِنِّينَ موقفُهُ
وصوتُ فيروزَ جوَّادٌ تدفُّقُهُ   وصوتُ فيروزَ حنَّانٌ تلهُّفُهُ
دُرُّ البحارِ خبىءٌ فى مجاهِلِها   وصوتُ فيروزَ ذوْبُ الدُّرِّ أحرُفُهُ
عشِقْتُ فى الحِلِّ والتِّرحَال صحبَتَهُ   وهَلْ على القلبِ من ناىٍ يشنِّفُهُ
أغْرى له وهو عارٍ فى تأودِهِ   وما بنا حاجةٌ للتوتِ نَخْصِفُهُ
فعُدْتُ طفلاً وعاد الكونُ مؤتلِقاً   وعاد يألَفُني حيناً وآلَفُهُ
يا أخْتَ لبنانَ أبدعتِ الجمَالَ وكَمْ   أجزلْتِ فى عَالَمٍ جفَّت عواطِفُهُ
لا أبعدَ اللهُ صوتاً ما له عِوَضٌ   ولا بَلابلُ كلِّ الأرض تَخْلُفُهُ



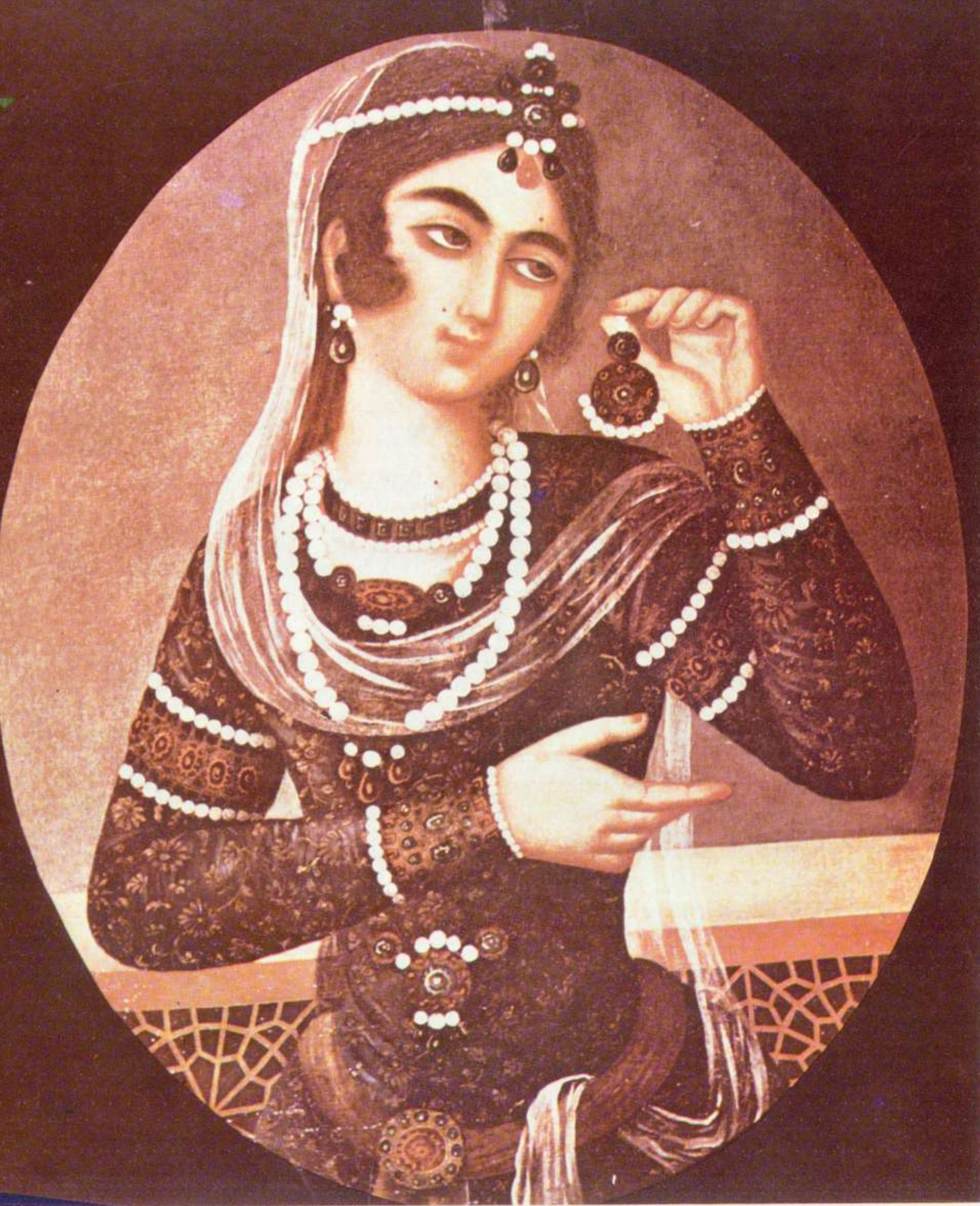


إلى أعلى حزام فضي يجمع بين التصميم الدقيق وروعة استخدام الالوان والأشكال. وقد استخدم فيه البدو في شبه الجزيرة العربية العملات كوسيلة لاضافة الجمال على هذه القطعة من الحلي .. واللقطة الاخرى للكفة التى توضع فوق الشعر على الجبهة والمزينة باللؤلؤ.

# العرب وفن صياغة الحلي

- عندما كانت الأحجار الكريمة والفصوص والخرز تستخدم كعملة للبيع والشراء
- كانت عادة استعارة الحلي من العادات المألوفة عند العرب
- لماذا انشطت حرفة الصياغة والتفنن بالحلي عند أهل اليمن؟
- كانت المرأة العربية في صدر الإسلام تتزين في بيتها بالذهب وكافة أنواع الحلي
- أكبر سوق قديم للذهب عرفناه عند العرب كان في بغداد، ومازال قائماً حتى يومنا هذا

بقلم: نجلاء العزي



فتاة هندية تتزين بالحلى النادرة فى القرن الثامن عشر .. وأغلب هذه الحلى انتقلت صناعتها وبعض زخارفها الى بعض البلاد العربية

الحلى سبقت الملابس الى الوجـــود ، فالانسان البدائى الأول ومنذ العصـــور الحجرية الموغلة بالقدم ، ومنذ الزمن الذى كان يتخذ فيه من الكهوف مساكن له ، تعلم من الطبيعة التحلى والتزيين ، فقد جذب نظره ما لبعض الحيوانات والنباتات من زينة طبيعية تختلف عن غيرها وعن جنسها بالوانها البراقة واشكالها المتميزة دفعتـه الى محاكاتها ، هذا سبب وهنالك سبب اخر للحلى ، الا وهو جعلها رمزا للقوة والغلبة على الطبيعة التى حوله ( بيئته ) ، كان يتحلى بأسنان الذئب للدلالة على قتله أو بأنياب الفيل للدلالة على سيطرته على الحيوانات القوية فى محيطه .

وبتطور المجتمع البدائى الأول وتحول الانسان من صياد جامع للقوت الى فلاح منتج للقوت وبتركه الكهوف ونزوله الى السهول والبوادى فى تجمعات قبلية زراعية أدت الى تكون القرى ومن ثم المدن ونشوء الدويلات ثم الدولة والأديان وبزوغ الحضارات الأولى ، تطورت تبعاً لذلك الحلى وذلك نتيجة لظهور حاجات جديدة أصبح للحلى فيها بواعث ووظائف أخرى غير تقليد الطبيعة ومحاكاتها ، منها معان سحرية ودلائل اسطورية ورمزية وعلامات حـ ـوبة ولجملة هذه الأسباب المتعددة أصبح لها أشكال وعلامات مميزة ، فمنها ما اختص بالكهنة ومنها ما اختص بالمحاربين والصيادين والقادة والفرسان والملوك والوزراء وغيرهم من حاجات ومظاهر المجتمعات الجديدة .

وهذا التطور فى المجتمـع أدى إلى نشوء أسباب أخرى للحلى غير ما ذكرنا آنفاً ، فقد



مجموعة كاملة من الحلى كانت ترتديها نساء قبائل البربر في شمال أفريقيا .

أصبح التحلى يدل على الثروة والامتلاك ، كأن تلبس الأطواق الفضية للدلالة على امتلاك عدد معين من قطعان الماشية مثلا ، أو قلادة من خرز للدلالة على عدد الثيران فى البيت الواحد وهكذا ..

كما أن تطور الدولة جعل من الحلى دلالة على المركز الذى يشغله الشخص ، كان يلبس الملك تاجاً ويلبس القائد اكليلا والكاهن نطاقاً ، وكل له زخرفة معينة ترمز اليه ، وحتى نساؤهم أيضاً لهن حلية خاصة تلبسها المرأة للدلالة على مركز زوجها .

ولكن أهم سبب فى تطور الحلى وتحولها من رمز لشىء معين الى حلية تجميلية هو التجارة والمال ، فان اكتشاف المعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة وتهافت الناس على اقتنائها والمحافظة عليها وذلك لقيمتها الكبيرة التى قدرها لها الانسان ، أدى الى استنباط وسائل جديدة لاظهارها واستخدامها وحملها ونقلها بسهولة

هذا اضافة الى أن التجارة جعلت من الحلى عملة ومقياساً للتبادل والتعامل التجارى فى البيع والشراء ، وذلك قبل ايجاد العملات والسكة والنقود بوقت طويل حيث استخدمت الخرز والفصوص من الأحجار الكريمة والأصداف والمحار مثلا كعملة للبيع والشراء ، واستمرت هذه الطريقة حتى بعد ايجاد العملات ، سارية فى القرن التاسع عشر فى بعض المجتمعات البدائية فى غابات أفريقيا وأمريكا الجنوبية .

## حلى الزينة

هذا ولم تقتصر حلى العالم القديم على النساء دون الرجال أو اختص بها فئات مجتمع دون آخر ، فقد لبس الانسان الأول الحلى رجالا ونساء ، فقد كان المحاربون الأشوريون على سبيل المثال ، وكذلك الرومان يلبسون الأسورة والأقراط والأحزمة والقلائد ، وكذلك الفلاحون والملوك والكهنة على حد سواء ، والاختلاف يكون فى مادتها أو شكلها ، اما الاقتصار على جنس أو فئة واحدة فلم يكن وارداً اطلاقاً .

وهكذا نرى ان الحلى كانت قد لعبت دوراً كبيراً وهاماً فى حياة شعوب العالم القديم وذلك لعدم اقتصارها على الزينة .

هذا وما زالت الحلى تلعب دوراً كبيراً فى التزيين فى عصرنا هذا ، وصدد بحثنا هو حلى الزينة فقط .

## العرب وصياغة المعادن

وبعد ان استعرضنا الحلى عبر العصور لابد وأن نمر على الحلى العربية الاسلامية بشىء من التفصيل .

يعرف العرب الحلى هى : « كل ما يتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة » . وهى صلب الموضوع وعنوانه ، فان المرأة العربية فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام كانت قد عرفت التزين بالحلى فى الجاهلية ، وهى نفس الحلى التى كانت سائدة فى حضارات شبه جزيرة العرب القديمة الجنوبية من سبأ ومعين وحمير ، والشمالية كالمناذرة والغساسنة ومدائن صالح وعمان والبحرين وهذه الحلى هى التى كانت سائدة بمختلف تأثيرات أساليب فنون العالم القديم المعروفة . ولما كانت مكة قبل الاسلام مركزاً للقاء العرب الشماليين والجنوبيين ، دينياً واقتصاديا ، فقد انتقلت وتبودلت الأساليب والصناعات والفنون ، لذلك فقد امتزجت فيها الحضارات ، فكانت حلى شبه الجزيرة العربية فيها بعض التأثيرات الساسانية والبيزنطية وكذلك الحلى البيزنطية والساسانية قد تأثرت بدورها أيضاً عن هذا الطريق ، لكن التأثير الكبير يكون فى الحضارة السائدة لكل منطقة من مناطق شبه جزيرة العرب . ولما كانت حضارات العالم القديم قد أقامت وزناً كبيراً للحلى فمن الطبيعى أيضاً أن تقيم حضارة العرب الجاهلية وزناً كبيراً للحلى فأولتها عناية كبيرة وتفنن الصاغة بها وعرفتها المرأة العربية ولها فيها تقاليد وعادات كأن يقال للمرأة التى لا حلى عليها ( امرأة عاطل ) أو ( عطل ) ، والمرأة التى عليها حلى يقال عنها ( امرأة حال ) . أما صوت الحلى فيسمى : ( الوسواس ) كما يطلق على رؤوس الحلى لفظة ( الخشل ) وقيل أيضاً أن الخشل يعنى مجموع الحلى وكانت عادة استعارة الحلى فى المناسبات عادة جارية وشائعة فمثلا أن والد هند ، عتبة بن ربيعة ، استعار حلياً من بنى ابى الحقيق ، مقابل رهن لمدة شهر وذلك عند زواجها من أبى سفيان بن حرب . واذا لم تجد المرأة حلياً تلبسها فانها تنظم عقوداً من الخرز وتلبسها حرصاً على الزينة والتحلي بغض النظر عن مادتها .

هذا وقد عرفت الصياغة كحرفة شائعة ، وكانت أهم أعمال الصائغ عند الجاهليين هو صياغة المعادن والحجارة للزينة ، اضافة الى ذلك فقد كان يعمل الصائغ الأوانى الذهبية والفضية وبعض قطع الأثاث المعدنية ، فقد ذكر أن السبأيين كانوا يستعملون فى بيوتهم أدوات وأوان من الذهب والفضة . وصلنا منها قطع قليلة متآكلة

# العرب.. وفن صياغة الحلي

هذا وقد اشتهر « بنو قينقاع » فى مدينة يثرب باجادتهم حرفة الصياغة واتقانهم لها والصائغ عند العرب هو من يحترف فن الصياغة . وصاغ الشىء من باب قال وهو ( صائغ ) فى اللهجة العربية الشمالية ، « وصياغ » فى لغة أهل الحجاز ، وعمله الصياغة ، أى صياغة كل ما يتزين به من الذهب أو الفضة وتطعيمها بالأحجار الكريمة . وقد ذكر الشاعر النابغة الذبيانى الصائغ فى بعض أبياته منها :

لعن الله ثم ثنى بلعن
ربذة الصـــائغ الجبان

كما كان مساعدو الصائغ والصناع الذين يشتغلون عنده يدعون ( بالتلاميذ ) .

### انتقال الأساليب الفنية

وما وصلنا من حلى شبه جزيرة العرب قليل جداً لكن يمكن دراسته وتكوين فكرة عنه ، حيث وصلتنا بعض الحلى القتبانية من اليمن ، وكذلك من المناذرة والغساسنة ، مما أمكن تكوين فكرة عنها . ولما كانت الحلى من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير فى اسلوبها وطرازها ، فلاشك أنه كان لحضارات العرب القديمة أسلوبها وطرازها خاصة البعيدة منها كاليمن التى لها طراز خاص بهـا ولو كان فيه بعض التأثيرات البيزنطية والساسانية ، ولكنه تأثير قليل لا يمكن تمييزه بسهولة ، اضافة ما كان فى اليمن من ثروات ومعادن كمناجم الذهب والفضة ، وما كان لها من تجارة نشيطة عبر البحر الى أفريقيا والهند وشرق آسيا حيث تجلب المعادن الثمينة وتنقل عن طريقها الى شبه جزيرة العرب ومنها الى سورية وأرض ما بين النهرين ( العراق ) وفارس وغيرها من دول العالم المعروفة قبل الاسلام ، كل ذلك أدى الى نشـــاط حرفة الصياغة والتفنن بالحلى .

هذا ولم تتأثر حضارات شبه جزيرة العرب القديمة بالطرز الساسانيــــة والبيزنطية الا فى فترة متأخرة سبقت الاسلام بقليل بعد أن تعرضت للغزو من الفرس ، ولما كانت حرفة الصياغة وفنها قائم على المعادن فقد تبدلت تبدلا طفيفاً كما أن الحلى الساسانية كانت قد تأثرت بدورها الى حد ما بالحلى اليمانية وذلك بسبب ما فى بلاد اليمن من كنوز وحضارة قديمة وموقع جغرافى هام للتبادل التجارى . فانتقلت الأساليب الفنية من اليمن بعد أن عمت شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربى وشرق الجزيرة وشمالها حيث المناذرة والغساسنة الذين نقلوا التأثيرات اليمنية الى الفنـــــون الساسانية ، لأننا نلاحظ تبدلا واختلافاً فى



امرأة ترتدى عقداً فى عنقها .. هذا ما وجدناه فى كتاب الكواكب الثابتة الذى ألفه « الصوفى » فى القرن الرابع الهجرى .

الفنون الزخرفية الفارسية عامة من العصر الفرثى الى العصر الساسانى بسبب قربه من شبه جزيرة العرب .

### الحلى فى الاسلام

ولما جاء الاسلام وتبدل مجتمع شبه الجزيرة العربية ديانة ونظاماً ، ومن ثم توسعت الدولة الاسلامية فعمت أرجاء كبيرة خارج شبه جزيرة العرب ، وضمت تحت لوائها مختلف الجنسيات من فرس وهنود وروم وغيرهم ، انصهرت تبعاً لذلك الفنون العربية الاسلامية فى هذه البوتقة وانتجت فناً اسلامياً له أسلوبه وطرازه الخاص ، وهذا الفن بمختلف فروعه أصله عربى من شبه جزيرة العرب خاصة اليمن وفرعه مزيج وصل الى أوروبا غرباً والصين شرقاً والاتحاد السوفيتى شمالا ( الذى كان يعرف ببلاد ما وراء النهر فى العصــــور الاسلامية ) . والى اليوم مازالت تلك السمة القديمة تطبع الفنون الزخرفية الاسلامية عامة بحيث يمكن تمييزها من النظرة الأولى لما لها من شخصية نقلت اليها من العصور الاسلامية .

وتبعاً لذلك فقد تأثرت الفنون الزخرفية عامة كلها بالدين والنظام الجديدين مادياً وفنياً ، ولما كانت الحلى من الفنون الزخرفية فلابد وان تكون قد تأثرت بذلك وفقاً لما نفصله تالياً : أن الدين الاسلامى لم يحرم الزينة . والزينة فى الاسلام هى :

« تحسين الشىء بغيره ، من لبسة أو حلية ، أو تحسين الهيئة بوسائل أخرى » .

ولما كانت المرأة العربية تتزين بأمور الزينة التي كانت سائدة في شبه جزيرة العرب والتي عرفت بغنى مادتها ووفرتها وتنوعها وحيث لم يرد فى القرآن الكريم اى ذكر لتحريم التحلي . فقد ذكرت لفظة (حلية) فى صورة فاطر الآية ١٢ . (وتستخرجون حلية تلبسونها) . وكذلك فى صورة الرعد الآية ١٧ بقوله تعالى : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع) . لذلك فان لبس الحلى ذهبية كانت أم فضية لم يحرم فى الاسلام ، وكل ما كان هو نهى ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة ، والنهى اقتصر على لبس الرجال للذهب واقتصاره على النساء فقط كقوله صلى الله عليه وسلم :

« الحرير والذهب حرامان على رجال أمتى ، حل لاناثها » .

وقد أحل النبى صلى الله عليه وسلم لرجال المسلمين التحلي بالفضة فقط ، كقوله :

« عليكم بالفضة فالعبوا بها » . كما تذكر السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، نادى امامة بنت ابى العاص ، وهى حفيدة النبى من ابنته زينب . وأعطاها خاتماً ذهبياً به فص حبشى كان قد أهداه له النجاشى ، قائلا لها : « تحلي بهذا يا بنية » .

هذا ولن أعرض للأحاديث التى يظهر فيها المغالاة والتناقض الواضحين ، وذلك لأن أغلب كتب تفسير الأحاديث الفقهية ، والكتب المؤلفة لدراستها تبين أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى رجال المسلمين عن لبس الذهب فقط وأباح لهم لبس الفضة ، ومازال هذا العرف جاريا الى يومنا هذا عند المسلمين . هذا بغض النظر عن الخروج عن هذه القاعدة وذلك فى الاسراف والمغالاة بابراز مظاهر الثروة عبر بعض الفترات فى العصور الاسلامية .

هذا وتفسر معظم كتب تفسير الأحاديث ، أن سبب إباحة التحلى بالذهب للنساء فقط ، هو أنه لا يخرج عن كونه : (الرغبة فى التجمل والظهور بالمظهر الحسن أمام الزوج) .

واضافة الى الرأى السالف الذكر فان لنا رأياً قائماً على دراسة حلي العصور السابقة للاسلام ، فقد لاحظنا أن الرجال فى العصور الفارسية والبيزنطية والرومانية . وهى الفترة التى سبقت وعاصرت الاسلام ، كانوا يسرفون فى التزين بالحلى الذهبية والأحجار الكريمة ، وقد امدتنا الحفريات الأثرية والنصب التذكارية بأمثلة عديدة من تماثيل وأشكال تمثل ملوك ووزراء وقادة وكتبة وغيرهم ، تبين الاسراف فى التزيين والتحلى ، كتماثيل مدينة



لوحة من معرض العالم الاسلامى الذى قدمه المتحف البريطانى فى عام ١٩٧٦ .. ويبدو فيها رجال يستخدمون الحلى .

يعتبر أمثلة جيدة لقطع الحلي بحيث يمكن أخذ صورة واضحة عن أشكالها وتكوين فكرة عنها .

وتذكر المصادر العربية أنه كان ببغداد سوق كبيرة يعرف بـ«سوق الصاغة» ومازال موضعه الى يومنا هذا فى بغداد ، كما يوجد مثله فى مختلف الحواضر الاسلامية كدمشق وحلب واسطنبول والقاهرة ومدن شمال افريقيا كالقيروان وفاس ومكناس ومدن الأندلس كغرناطة وقرطبة واشبيليا كلها على نمط واحد حيث لها أبواب تغلق ليلا ويخفرها حراس . هذا كما تذكر المصادر العربية أيضا وجود أسواق خاصة للجواهر فيها دكاكين داخلها أقفاص تحفظ الجواهر والأحجار الكريمة . كما كان للصاغة نقيب يسمى (عريف الصياغ) ، هذا وكان معظم أرباب السوق من أهل الذمة وهذه عادة ظلت متبعة منذ الجاهلية حيث تنبه اليهود الى ما للذهب والصيرفة من قيمة مادية كبيرة استغلوها لأغراض السيطرة على اقتصاد المدينة ، ولما انصرف رجال الدين الاسلامى فى صدر الاسلام الى الفتوحات والجهاد لتثبيت أركان الدولة الاسلامية الناشئة تركوا الحرف والاشتغال بها لأهل المدينة ، ولما كانت الحرف والصناعات تقليدية متوارثة أبا عن جد ، فقد ظلت كذلك حتى فى العصور الأموية والعباسية ثم انتشرت بين المسلمين أيضا وصار منهم محترفون يتهافت الناس على اقتناء منتجاتهم فى مختلف الصناعات وليس الحلي فقط .

## أشهر الأنواع

ونود أن نشير الى أن ما وصل الينا من الحلي الاسلامية ، قطع قليلة ونادرة موزعة على مختلف المتاحف العربية والعالمية ، نخص بالذكر منها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، والمتحف العراقى ببغداد والمتحف البريطانى ، ومتاحف أخرى موزعة فى أوربا الغربية والشرقية ، وكذلك فى البلاد العربية والاسلامية وفى تركيا كمتحف طوب قابى سراى فى اسطنبول ، والمتحف الوطنى للفن الايرانى فى طهران ، اضافة الى ذلك ما أوردته الكتب المزوقة كمقامات الحريرى ، والمنمنمات الهندية والفارسية الاسلامية والرسوم الجدارية فى قصر الحمراء بغرناطة وقصر عمره فى الأردن .

ونلاحظ أن ماوصل الينا من الحلي الاسلامية فى العصور المتأخرة كالعثمانية ، هى كثيرة ويطغى عليها طراز واحد وذلك لكونها من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير كما ذكرنا سابقا .

أما أشكال وأنواع الحلي التى كانت معروفة فى مختلف العصور الاسلامية فهى :

أولا : حلي العنق والجيد والصدر :

● النظم : ــ والنظام عند العرب هو كل شىء منظوم بخيط ، وقد عرفته المرأة العربية منذ العصر الجاهلى ، وهو أبسط أنواع الحلى لانها تعمل باليد ، وتتنوع مادة الخرز ، والنظم من الأحجار والقواقع الى اللؤلؤ والمرجان والعقيق وفى ذلك يقول

# العرب .. وفن صياغة الحلي

الحضر والحيرة واليمن وحضرموت وفى تدمر والمدائن (طيسفون) عاصمة الساسانيين فى العراق ، أمثلة لا حصر لها من الزينات الرجالية بالمجوهرات والأحجار الكريمة .

ولما جاء الدين الاسلامي بعقيدة جديدة تقوم على أساس تغيير المجتمع تغييراً جذرياً قائم على دين سماوى عظيم ، فلكى يكون رجال هذا الدين على قدر الدين المنزل ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن انشغال رجال الدين المسلمين فى بداية الدعوة ونشوء الدولة الاسلامية ، بالذهب والتهالك على اقتنائه واكتنازه قد يسبب الفرقة ويولد البغضاء والحسد فى صفوف رجال الأمة الواحدة لأنهم كانوا بالنسبة الى الدين الجديد سواسية كأسنان المشط لافضل لواحد على الآخر إلا بالتقوى ، ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفضل انشغال رجال الدين الاسلامي بأمور الدعوة الأولى ، لذلك فقد صرف أنظارهم عن الذهب وما يأتى من بعده من مشاكل هم فى غنى عنها ، لذلك أباح للنساء التحلى بالذهب والفضة وكل أمور الزينة السائدة ، وإباحته الفضة للرجال يرجع الى أن الفضة أرخص ثمناً من الذهب والحصول عليه متيسر . وقد استمر الالتزام بالتقشف طوال العصر الاسلامى الأول فى عهد الخلفاء الراشدين . أما فى العصر الأموى الذي تلاه فقد وردتنا أخبار عن ظهور بوادر الترف وقد تكون بعض هذه الأخبار مبالغ فيها ، منها ما قيل عن الوليد ابن يزيد الذى أغرم بلبس العقود حيث كان يغيرها فى اليوم الواحد كما يغير الثوب . ولكن من المؤكد أن الحلى اقتصرت على النساء كما أنها تطورت وظهرت فيها أنواع جديدة لم تكن معروفة بصدر الاسلام ، وذلك نتيجة للفتوحات واتساع الدولة الاسلامية وانتشار حضارة الجزيرة العربية واختلاطها بما حولها .

## أسواق الصاغة

أما فى العصر العباسى فقد زادت العناية بالحلى وأصبحت مظهراً من مظاهر الترف والثروة ، وقد أمدتنا الكتب التاريخية بأخبار الحلي التى تمتلكها زوجات الخلفاء وجواريهم وأوصافها وأثمانها وأعدادها بشكل يبدو أقرب الى الخيال منه الى الواقع ، وذلك لعدم وصول قطع مادية منها حيث لم تمدنا الحفائر الأثرية إلا بقطع قليلة لا تقارن بما جاء فى الكتب ، ولكن من ناحية أخرى فان ما ورد من الكتب المصورة والمزوقات والمنمنمات والرسوم الجدارية فى قصور سامراء والفسطاط والحيرة

النابغة الذبياني :

أخذ العـــذارى عقدها فنظمنه
من لـؤلـؤ متتـــابع متسردا

وكانت الفتيات تنظمه مع الجدائل أو تعقده حول الجبين ، ومن المؤكد ان هذه الطريقة البسيطة فى الحلى استمرت مدة طويلة على مدى العصور الاسلامية كافة ، فقد وردتنا أمثلة مرسومة لفتيات من قصور سامراء يضعـن على رأسهن النظام وفى امثلة أخرى تلبسها الفتيات فى الرقبة أو فى اليـــد .

● القلائد : والقلادة فى اللغة ، لفظة عامة ، تطلق على أمور كثيرة ، فقـــد كان الجاهليون يستعملونها للهدى والنذور وهى ليست موضوعنا ، كما كانت تلبس فى العنق فى الزينة وكانت تعمل صياغة عند الصائغ

ثانياً : حلى اليدين :

● الأسورة : السوار لفظه فارسية معربة اصلها ( ستوار ) . ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « جنات عدن يدخلون يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » .

وكان العرب فى الجاهلية يحبون لبسها خاصة المحاربين منهم للتباهى بها ايام الحرب

وكانت تلبسها النساء والرجال على حـــد سواء .

● الخواتم : الخاتم من عمل وصنع الصائغ . وهو من حلى الأصابع . ويزين بالحجارة الكريمة ، وفى الغالب يرصـــع بالياقوت والالماس والشذر ، وهناك الخاتم الذى يستعمل للختم اى التوقيع وهو ليس للزينة وكان يصنع من الشبه أو الصفر أو الحديد وله أشكال عليها كتابات ورموز وصور معينة بغرض التوقيع . وكان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة .

ثالثاً : حلى الرأس :

● التـــاج : وهو شبه عصابة مكللة بالجوهر . وهو الأكليل أيضاً ، لكنه يصاغ من الذهب ويرصع بالجواهر والأحجار الكريمة وقد عرفته العرب منذ العصـــور الجاهلية ولكنه كان رمزاً للملوكهم ، وقد تركه الخلفاء المسلمون ولبسوا العمائم بدله . ولكن المرأة العربية الاسلامية ومنذ العصر الأموى ، اتخذته حلية تلبسه فى رأسها حيث كان الصائغ يصوغه على أساس انه زينة وحلية من حلى الرأس . وكان يصاغ من الذهب وله أشكال مختلفة وردتنا رسومها منذ العصر الأموى .

● العصائب : وهى حلية تشد على الجبين واصلها أن علية بنت المهدى كان فى جبينها عيب فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر به بعض جبينها ، فتبعتها كثير من النساء .

● النظم : وقد ذكرناها فى حلى العنق لكنها فى الرأس تكون بشكل أو خيط أو خيطين من اللؤلؤ يربط على الجبهة أو يشد مع الشعر .

● الأمشاط الذهبية : وكانت الأمشاط الذهبية تثبت في الشعر كحلية اما على جانب الجبهة أو على الجانبين معاً وتمسك الشعر ، ولكنها كانت تزين بصف أو صفين من الأحجار الكريمة .

● الزنانير : والشائع عن الزنار انه يشد على الخصر ، ولكن وردنا نوع منها يشد على الطره « الغرة » ، ويحيط بالرأس مثل العصابة ، ويزين اما بالكتابة عليه بماء الذهب أو يرصع بالأحجار الكريمة . ونوع آخر منها يشبك فى الأزار ( الباس ) ، لكى يمسكه ويمنعه من السقوط وذلك بشـــكل « مشبك » أو « كلاب » معـــدنى لم يكن بالضرورة من الذهب . وقد وصلنا من رسوم مدينة سامراء الحضارية أمثلة عديدة لهذا النوع من الزينة .

رابعاً : حلي الاذن :

● الأقراط : القرط هو الحلية التى تعلق بشحمة الأذن . وهى عادة شائعة منذ العصر الساساني أخذها العرب ولبسها رجالهم ونساؤهم . وقد تفنن العرب بها ، وضربوا بها الأمثال كقولهم : « بعيدة مهوى القرط » اى ان جيدها طويل ودلايتها التى تنزل من القرط هى المهوى سواء كانت درة أو تومة أو فص أو معلاق من ذهب . والأقراط تلبسها النساء والرجال أيضاً فى الجاهلية

وهناك الأقراط التى تتدلى منها اللالىء



الخلخال .. كان وسيلة للزينة عند المرأة

الكثيرة والتى كانت منتشرة فى العصر الساسانى وظلت مستمرة حتى العصر الأموى عند العرب

● الشنوف : وما يتعلق بحلى الأذن هناك « الشنوف » . وهى الحلية التى تعلق أعلى الأذن وتعمل من الذهب أو الفضة . واستمرت هذه الحلية سارية حتى عصور متاخرة والى يومنا هذا بين الحلى الهندية حيث تفننوا بها كثيراً وزينوهـــا باللالىء والياقوت الأحمر .

خامساً : حلى القـــدم :

● الخلاخيل : تقتصر حلى القدم على الخلاخيل . وكانت لفظة الخلخال تطلق على كل ما يلبس من حلى عامة . لكنها فيما بعد اقتصرت على ما يلبس فى الساق . والخلخال هو « الحجل » ويصاغ من الذهب أو الفضة ويصنع منه أشكال غليظة بواسطة النفخ ويحشى بالقار كما تحشى الأسورة لكى يبدو ضخماً ، ومنه تتدلى أجراس أو سلاسل أو كرات تصدر صوتاً عند المشى وقد كان من أقدم أشكال الزينة عند شعوب الشرق الأدنى القديمة ، فقد ورد ذكره فى التوراة وقد نهى الاسلام عن التبختر بلبس الخلاخيل لما فيه من اثارة للرجال .

سادساً : حلى الخصر : وتقتصر حلى الخصر على :

● المناطق : وهى الأحزمة المصنوعة من الذهب والفضة . مكونة من نطاق معدنى مقسم الى جامات زخرفية هندسية الشكل مرصعة بالجواهر الكريمة تتوسطه طرة وله قفل يفتحه . وصلنا نماذج منه مرسومة فقط من قصور سامراء .

وهناك أحزمة مصـــنوعة بطريقـــة « الحياصة » تسمى كذلك لأنها تستعمل فيها اسلاك ذهبية تحاك أو تبرم بشكل نسيج الكتان

وهناك « البريم » وهو خيطان أحمر وأبيض مزينان بالجوهر يشد على الوسط ويعقد . كما هناك خيط واحد مكون من سلسلة من الفصوص المتتابعة أو الخرز المنظومة يعقد على الخصر وجد على رسوم قصير عمره .

وفى الختام نود ان نشير الى ما له علاقة بالحلى وهى لفظة ( الجمان ) وهى خرز من الفضة يصوغها الصائغ على هيئة اللؤلؤ . وكذلك لفظة ( الزخرف ) وتعنى النقوش المموهة بالذهب أو انه الذهب نفسه .

نجلاء العزّي

## كاتبة دانمركية تثير هذه القضية الإنسانية

# مواطن إفريقي يجد في الموت كل أحلامه في الحرّية!

كانت حكاية الفتى الكينى «كيتوش» حديث الصحف أيام الاستعمار البريطانى لكينيا مما جعل منها قضية نظرت أمام المحكمة العليا وانيط بهيئة المحلفين - وكلهم من البيض - تجميع خيوط القضية وتنوير المحكمة بكل ما تستطيع الحصول عليه من تفاصيل خدمة للعدالة .

ومن الأصوب أن نترك الكاتبة الدنمركية صاحبة احدى مزارع البن فى المستعمرة البريطانية والمقيمة هناك من ١٩١٣ الى ١٩٣١ تسرد لنا تفاصيل القضية كما دونت فى مذكراتها :

كان الفتى « كيتوش » من المواطنين يعمل فى خدمة مستوطن شاب من البيض فى « مولو » فى منطقة البن فى كينيا . وفى يوم أربعاء من شهر يونيو اعار المستوطن الشاب مهرته السوداء الجميلة ذات الغرة البيضاء الى صديق ( أبيض طبعاً ) ليصل بها الى محطة السكة الحديد حيث ياخذ القطار . وأرسل فى اثره غلامه « كيتوش » راجلا ليعيد المهرة الى مقرها وأمره بعدم ركوبها والاكتفاء بقيادتها .. ولكن الغلام امتطى صهوة المهرة واطلق لها العنان تسابق الريح .

وفى يوم السبت جاء من ينبىء الشاب الأبيض بجرم غلامه الأسود .. جلد الغلام جلداً مبرحاً بالسياط ووثق بالحبال والقى به فى مستودع العلف . وفى ساعة متاخرة من ليل ذلك اليوم لحق الغلام التعس بالرفيق الأعلى .

وفى الفاتح من شهر أغسطس شكلت محكمة عليا للنظر فى القضية . وفى رأى المواطنين الذين تجمعوا فى بهو مبنى المحكمة أن القضية واضحة ولا تحتاج الى كبير عناء اذ أن الأمر لا يتعدى دفع تعويض نقدى بسيط لأهل الغلام المتوفى .. وكان الله يحب المحسنين .

ولكن يبدو أن فكرة العدالة فى أوربا تختلف عنها فى افريقيا . وامام المحلفين - وهم البيض - طرحت مسالة الذنب - والبراءة أو بعبارة اخرى : هل المتهم مذنب أو غير مذنب ؟

ومن الناحية القانونية فان القضية لا تخرج من دائرة القتل العمد .. القتل غير المتعمد .. تسبيب الأذى الجسيم . ولكن القاضى فاجأ الحاضرين باشارته الى المحلفين بالا ينسوا .. أن درجة الجرم تعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج ، يعنى انما الأعمال بالنيات ، اليس كذلك ؟ ولمعرفة نية الشاب الأبيض ( المتهم ) جرى استجوابه ساعات طويلة ولعدة أيام .

ذكر المتهم - فيما بعد - أنه عندما استدعى الغلام « كيتوش » حضر ووقف بين يديه .. على بعد ثلاث ياردات منه فقط . ثلاث « ياردات » ؟ وهذه هى الطامة الكبرى - نظر حضرات المحلفين البيض - اذ كيف يجرؤ أسود على ان يمثل امام سيده الأبيض واقفاً .. اكرر واقفاً وعلى بعد ثلاث ياردات ؟ بدلا من أن يكون راكعاً والتراب يمرغ جبينه ! يا لوقاحة السود وسوء أدبهم ! !

ومنذ تلك اللحظة - وتفاصيل القضية تتواتر - اهتزت الصورة .. صورة المستوطن الأبيض كانها مقصوصة من صحيفة حملها الريح والقى بها فى مستقر القمامة .

وذكر المستوطن الأبيض ( المتهم ) انه سأل الغلام عمن أعطاه إذناً بركوب المهرة . وكرر عليه خمسين مرة أو يزيد ولم يرد « كيتوش » .. وفي النهاية صرخ قائلا : « لست لصاً » . وهذا الرد الوقح - « كما يراه » المتهم الأبيض - هو الذى دعا إلى جلده بالسياط ذلك الجلد الذى أدى الى موته . ولكن الأكثر وقاحة ان اثنين من البيض من أصدقاء المتهم كانا حاضرين « حفلة » الجلد بالسياط وكانا فى غاية الاستمتاع .. ولم يكتف السيد الأبيض بذلك بل أمر من اوثقوه بالحبال والقوا به فى غياهب مستودع العلف ! ولما سأله المحلفون عن الداعى لمثل هذا العمل أجاب بكل صفاقة - انه خشى ان ينطلق الغلام - بدافع الانتقام - فى ارجاء المزرعة يعبث فيها فساداً !

وذكر المتهم أنه ذهب الى مستودع الغلام - بعد العشاء - ليجد « كيتوش » مغمى عليه فى مكان يبعد قليلا عن المكان الذى قد تركه فيه .. والوثاق مفكوكاً . فاستدعى خادمين من خدمه فاعادا الوثاق أشد احكاماً هذه المرة وترك الخادمين فى حراسة الغلام الأفريقى المنكود ولكن ما كاد يستلقى على فراشه حتى جاء أحد الخادمين ليبلغه أن الغلام قد فارق الحياة .

والطريف المحزن أن هيئة المحلفين لم تنس ما اشار اليه القاضى من « أن درجة الجرم تتوقف وتعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج » وهرولت الهيئة الموقرة لاهثة وراء النيات !

قال الطبيب الشرعى : أن المتوفى مات نتيجة الضرب المبرح ولكن الطبيب

النفسى الذى استدعته المحكمة قال ان الوفاة قد حدثت لأن المتوفى هو الذى نوى الموت وأراده واصر عليه . وذكر ان تجاربه العديدة فى المستعمرات اقنعته قناعة تامة بان الافريقى ـ اى افريقى ـ اذا اراد الموت واصر عليه فلابد ان يستجيب القدر !

وأخذت المحكمة برأى الطبيب النفسى وبرأت ساحة المتهم وبررت جلد الغلام بالسياط بان القصد منه كان التأديب !

وهكذا اثبت القاضى الأبيض انـــه ـ استغفر الله ـ اعلم بالسرائر واعلم بنية « كيتوش » الذى لم يمهله القدر ليفصح عنها .. النيات تبرىء القاتل وتجرم المقتول .

تقول الكاتبة الدنمركية : ان من يطلع على هذه القضية بتفاصيلها الموجودة بين الوثائق البريطانية التى افرج عنها منذ زمن قريب ، سوف يصل الى قناعة لاشك فيها من ان « كيتوش » الفتى الكينى ، رائد فلسفة ـ ورغم انفه ـ تقول بأن المواطن الأفريقى .. الذى حرم من كل أنواع الحريات استطاع رغم الظروف أن يملك حرية واحدة فريدة .. هى حرية ان يغادر هذا العالم الظالم فى أى وقت وبمحض ارادته وبكل شموخ .. انه هو الذى ينوى الموت ويصر عليه فيتحقق ما نوى ودون أمر ممن يملكون اصدار الأوامر . انها المرة الوحيدة الفريدة التى يستطيع فيها ـ مع سبق الاصرار ـ ان يفعل بنفسه ما يشاء .. وبيده لا بيد السيد الأبيض !!

بقلم : قيلى أحمد عمر
الخرطــوم





# دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## مسابقة الدوحة

## حـــاول أن تعـــرف ●●●●

( صورة ١ )



دولة تتكون من أربع جزر رئيسية ، تجمع فى خليط مدهش بين القديم والحديث .. تشتهر بصناعة الآلات ، كما تعد ثانى دولة منتجة للسيارات فى العالم ، وتحقق أرباحاً خيالية فى مجال تكرير البترول وإنتاج البتروكيماويات ، وقد أقيمت بها دورة للألعاب الأوليمبية عام ١٩٦٤ ..
هل يمكنك التعرف على اسم هذه الدولة ؟

صورة ( ٢ )

ولد بالبصرة حوالى عام ٧٧٥م ، وتوفى بها عام ٨٦٨م ، كان عالماً فى اللغة العربية وآدابها، كما كان فيلسوفاً ، أكثر من السفر ، ومزج بين العلم والأدب فى كتاباته .. ومن أهم مؤلفاته كتاب «الحيوان» الذى أوضح فيه الفلسفة والأصول التى سار عليها ابتغاء تحرى الحقيقة والاستعانة بالعقل والحواس ..
ترى مـــن هـــو ؟



## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٤



يوجد متحف الشمع بلندن ومؤسسته هى «مدام توسو» .
أسماء الفائزين :
– جلال أحمد صالح – اليمن .
– طلال أحمد الشيزاوى – رأس الخيمة



الكاتب العالمى «تولستوي» .
أسماء الفائزين :
– يسرى شماع – جنيف .
– عبد الحميد محمد العراقى – السودان .

## كلمات لها معنى

– لا تسأل الانسان ماذا كسب بل اسأله ماذا وهب . ( غاندى )

– لكى تتقى حقد الناس كن قاسياً على نفسك كريماً معهم (كونفوشيوس)

– هذا الرجل يقول كل الحقيقة لذلك فهو لايجد من يصدقه أو ينصت إليه . (لنكولن)

– لست أسفاً الا لأنى لا أملك الا حياة واحدة أضحى بها فى سبيل الوطن ( شيشرون )

– عندما يجيبك الفيلسوف فأنك لا تفهم ماذا سألته . ( اندرية جيد )

– ان وقوفى لحظة فى قفص الاتهام وأنا برىء ينسينى ألف كتاب قرأته عن الحرية . ( فولتير )

– ما هو الشباب وما هو الجمال إذا كانا يخفيان وراءهما نفســـاً عليلة . ( بلزاك )

– ليس من الصعب أن تضحى من أجل صديق ولكن أن تجد الصديق الذى يستحق هذه التضحية . ( سقراط )

– من البكتيريا المفيد والضار كذلك الانسان . ( باستير )

محمد أمين عيسوى الاسماعلية

## لقطة الشهر



**فى انتظار الطعام**

فازت بجائزة وقدرها مائة ريال القارئة : سميرة فؤاد محمود – القاهرة .

## قبل أن يصل للجبن



دخل أشعب وكان مشهورا بالبخل الى دكان ليشترى مصيدة فئران فأراه البائع مصيدة ، وراح يشرح له طريقة استخدامها قائلا :

– تضع قطعة الجبن فيدخل الفأر المصيدة ، وما أن يقضم قطعة الجبن حتى يطبق عليه فخ المصيدة .

وهنا قاطعه أشعب قائلا :

– لا .. لا .. أريدها مصيدة يموت فيها الفأر قبل أن يصل الى الجبن .

مروان دروبى – سوريا

## الانفجار السكاني

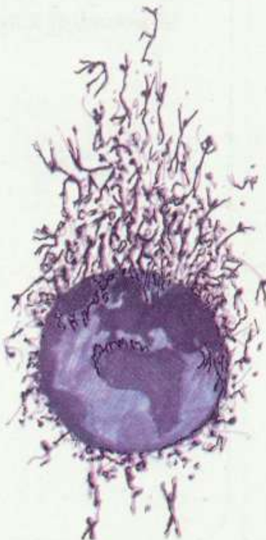
**ازداد عدد سكان العالم زيادة مضطردة منذ فجر عصر النهضة الصناعية عام ١٧٥٠م ، وقد ظهرت إحصائية تبين هذه الزيادة كالآتي :**

**فى الخمسين سنة الأولى زاد سكان العالم ١٧٨ مليون نسمة ، وفى الخمسين الثانية زادوا ٢٦٥ مليونا ، وفى الخمسين الثالثة زادوا ٤٣٧ مليونا ، وفى الخمسين الرابعة ارتفعت الزيادة الى ٩٠٣ مليونا وذلك حتى عام ١٩٥٠م .**

**أما بين سنتي ١٩٥٠ , ١٩٧٠ فقد زاد سكان العالم ١١٣٣ مليون نسمة ، ووصل عدد سكان الكرة الأرضية الى ٣٦٠٠ مليون نسمة .**

**ومن المتوقع أن يصل هذا العدد الى ٥٠٠٠ مليون عام ١٩٨٥ ثم ٨٠٠٠ مليون عام ٢٠٠٠م وهذا الانفجار السكانى لازال مستمراً .**

**نور الدين يعقوب**
**المطوية – قابس – تونس**



# دوحة القراء

## مسابقة الدوحة

## مَن؟

من : جاسوس صهيوني استطاع أن يصل الى بطانة القمة في احدى الدول العربية . اكتشف أمره صدفة محضة وشنق . اسمه من كلمتين في تسعة أحرف .

٨ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٩ يرضخ ولا يتصلب

٤ ـ ٧ ـ ٦ ـ ١ ـ ٥ ـ يحبك

## أين؟

أين : العاصمة العربية التى اكتشف فيها رجال الأمن المصريون أمر ذلك الجاسوس اسمها من أربعة أحرف .

٣ ـ ٢ ـ عرف رائحة الشيء

٤ ـ ١ قوام

## ما؟

ما : الجهاز الذى كان يتبعه ذلك الجاسوس والذى يعتبر من أخطر الأجهزة ضد العروبة والاسلام . اسمه من سبعة أحرف .

٦ ـ ٢ ـ ١ ـ ٥ ـ ٧ ـ سيد الغاب

٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٤ حركة مسيحية ثورية إفريقية .



## الإجابة الصحيحة

١ ـ عدد صور القران الكريم هو :
١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١١٤ سورة .

٢ ـ النباتات التالية منها ثلاثة تعطى صبغا أحمر :
العنم ـ الورس ـ الزعفران ـ الحناء ـ الورد ـ الشيح .

٣ ـ التقويم الذى تسمى فيه الشهور باسماء توت ، وبابة هاتور ، الخ الخ هو التقويم :
الفينيقى ـ الفرعوني ـ الهندى

٤ ـ « يصنع الفللين من مخلفات صناعة الديناميت » هل هذه العبارة صحيحة

٥ ـ الديناصورات الضخمة التى انقرضت منذ أكثر من مائة مليون سنة كانت فى جملتها من عائلات :
الزواحف ـ الثدييات ـ الأسماك .

٦ ـ كل حلم اتى بغير اقتدار ...
أكمل هذا البيت وانسبه الى قائله .

٧ ـ كان كمال اتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية يسمى :
البومة السوداء ـ الذئب الأغبر ـ اليهودى التائه .

٨ ـ ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ) هذا الحديث مأثور عن :
سيدنا محمد ـ سيدنا المسيح سيدنا موسى صلى الله عليهم جميعا وسلم .

٩ ـ رتب الأنهار العربية الثالية من الأطول إلى الأقصر :
الليطانى ـ الدجلة ـ النيل ـ شط العرب .

١٠ ـ نصير الصهيونية العتيد ورئيس وزراء بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية المستر ونستون تشرشل توفى سنة
١٩٤٥ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ م

## حل مسابقة العدد ٧٤

من : التتار .
أين : منغوليا .
ما : الفرات .

الاجابة الصحيحة .

١ ـ ٣ سبتمبر .

٢ ـ ليست صحيحة علمياً ، إذ أن قطر الأرض عند خط الاستواء أطول منه بين القطبين .

٣ ـ يهودياً .

٤ ـ ١١٨٧م .

٥ ـ ١٣٤م .

٦ ـ سر . من . رأى .

٧ ـ ودمع لايكفكف يادمشق امير الشعراء احمد شوقى بمناسبة كفاح السوريين ضد الفرنسيين

٨ ـ العناصر الفلزية .

٩ ـ الحواريون .

١٠ ـ عمان .

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ ارسم مع رؤوف
الحل : قبة الصخرة
الفائز : خضر أحمد محمد بدر ـ جبل الحسين ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

٢ ـ دورى الكاريكاتير :
الحل : اللاعب رقم (٨) .
الفائز : حوسا بو شعيب ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

٣ ـ يخلق من الشبه اربعين .
الحل : الصورة رقم (٤) .
الفائز : عادل أحمد الشقيرى ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .

## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : محمد أحمد محمد على ـ ج.م.ع ـ قنا ـ دار المعلمين .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عدنان حسن صالح ـ الكويت ـ خيطان ـ ثانوية أنس بن مالك .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : ملك الحاج حامد ـ المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة ـ ص.ب. ٢٨٩٢

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ـ عدنان محمد أسعد الشحرى قطر
٢ـ عبد الرزاق الجزار العراق
٣ـ ابراهيم أحمد المسافر عمان
٤ـ ضياء أحمد البيتم سوريا
٥ـ صلاح عبد الحميد نصار الأردن
٦ـ عبد العزيز شاهين المضحكى البحرين
٧ـ قرشى أحمد عجبنا الناير السودان
٨ـ محمد العربى صالح تونس
٩ـ على ضرغام عبد الرحمن لبنان
١٠ـ سناء عبد الجبار على العراق
١١ـ حاتم أمين أحمد الجمل ج.م.ع.
١٢ـ مراد عبد الهادى الأردن

٤ ـ أجمل تعليق .
الحل : نتركه فى المدرسة نجده هنا ؟
الفائز : محمد أحمد محمود عثمان ج . م . ع السويس .

٥ ـ لوحة لم تتم
الحل : الفنانة أم كلثوم .
الفائز : جمعة عبد الحق ـ فيينا ـ النمسا .

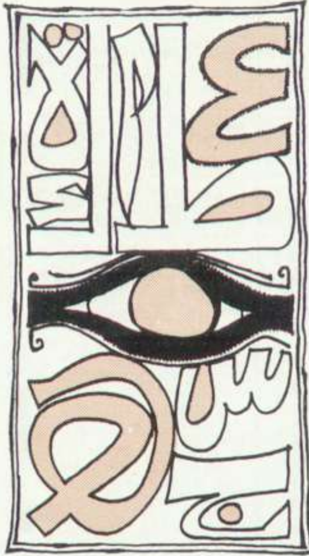
٦ ـ خيال من
الحل : الفنان الكوميدى اللبنانى شوشو
الفائز : محمد باسل حريرى ـ حلب ـ سوريا

## من براعة اللغة العربية

من براعة اللغة العربية أن لكل طريقة فى النظر اسماً خاصاً فاذا نظر الانسان الى الشىء بمجامع عينيه : قيل له : (رمقه) ، فاذا نظر اليه من جانب أذنه قيل له : ( لحظه ) ، أما إذا نظر بعجلة قيل له : ( لمح ) ، فاذا رمى ببصره مع حدة قيل : ( حدجه ) بطرفه ، وفى حديث ابن مسعود « حدث القوم ما حدجوك بابصارهم » أما إذا نظر الى غيره بشدة وحدة قيل له : ( رشقه ) ، وفى حديث الشعبى أنه كره أن يسف الرجل نظره الى أمه وأخته وابنته ، أى لا ينظر اليهن بشدة وحدة ، فاذا اشتملت النظرة على عداوة قيل : ( نظرة شزر ) ، وإذا نظر الشخص الى كتاب ليهذبه أو يستكشف صحته قيل له : ( تصفحه ) ، فاذا صاحب النظر شدة فتح العين يسمى ( حدق ) ، فاذا غاب سواد العين من الفزع يقال : ( برق البصر ) ، واذا نظر الانسان الى أخر بعين المحبة والعطف قيل نظر اليه ( نظرة ذى علق ) واذا رفع الانسان الثوب ونشره فى النور لينظر صفافته قيل له : ( استشفه ) فاذا نظر الانسان الى شىء بسرعة ثم خفى عنه قيل (لاح) ، قال الشاعر :

لاح منها حاجب للناظرين
فبدت للعين وضاح الجبين

**سعد الكنفانى ـ شبين الكوم**



## أشعة وصلت إلى سطح القمر!

ما معنى أشعة الليزر ؟ ..

معناها أن حزمة ضوئية ضيقة تسير فيها جميع الموجات الضوئية فى استقامة يوازى بعضها بعضاً ، وتستطيع هذه الحزمة الضوئية أن تقطع مسافات عظيمة دون أن تتبدد ، ولذلك يمكن تركيزها بقدرة عالية فى بؤرة معينة ..

وهكذا يمكن لاشعاع الليزر أن يسلط قدرة ألف مليون واط على سنتيمتر مربع واحد ، وبهذه الطريقة أمكن إرسال شعاع الليزر عام ١٩٦٣ إلى سطح القمر على سبيل التجربة ..

وشعاع الليزر اكتشف عام ١٩٦٠ بواسطة العالم الأمريكى « ثيومايهان » ومنذ ذلك الحين أصبح أداة مهمة لفائدة البشر فاستعمل فى العلاج ، كما استخدمه رجال الصناعة ، وكان ـ كذلك ـ أحدث الوسائل المستخدمة فى تطوير المعارك الحربية .

**محمد المصمودى ـ تونس**



# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

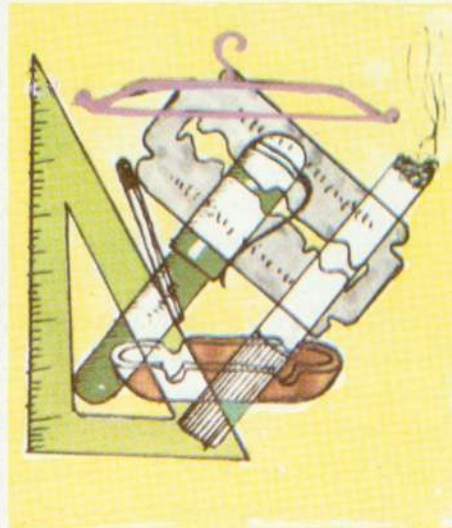
## أصل وصورة





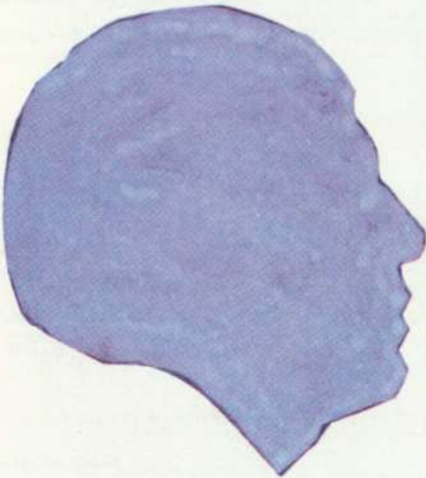
هناك سبعة اختلافات بين أصل وصورة الأديب الفرنسي العالمي جان بول سارتر .. هل تستطيع التعرف عليها .. ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## لأقوياء الملاحظة فقط !



امامك رسوم لسبعة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ إذا عرفت ارسل الحل الينا ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## خيال من ؟



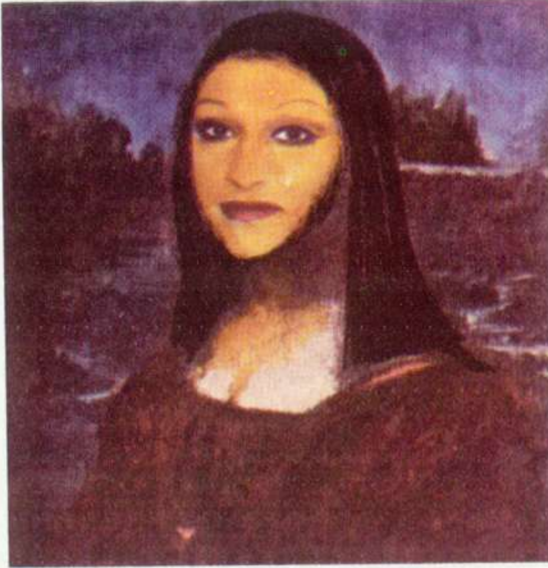
هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال مع العلم بانه لفنان كبير ؟ حاول وارسل الحل الينا ولك جائزة ( ٦٠ ريال ) ..

## هات أجمل تعليق



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ؟ .. حاول وارسله الينا ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) ..

## بالماكياج



دخلت هذه الفنانة غرفة الماكياج .. وخرجت منها على هذا الشكل لتؤدي دور « الجوكندا » ..أشهر لوحات الفنان ليوناردو دافنشي .. هل تستطيع ان تتعرف على هذه الفنانة العربية .. اذا عرفتها .. ارسل الحل الينا .. وقد يسعدك الحظ بجائز ( ٦٠ ريالا ) .

## لعبة الظلال





هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ .. الجائزة ( ٦٠ ريالا )

## لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لأديب عالمي كبير اشتهر بسخريته اللاذعة ..

حاول أن تكمل خطوطها حتى تتعرف على شخصيته .. ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

الورقة الأخيرة

# الشعر ومستقبله

بقلم: الدكتور علي حسن تقي

هل غادر الشعراء من متردم ؟

هكذا تساءل عنترة بن شداد قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ولم يكن قد مضى على الشعر العربى الا عشرات الأعوام. فماذا يمكننا أن نقول اليوم وقد مر عليه أكثر من ألف وخمسمائة سنة. ثم ماذا يمكننا أن نقول اذا نظرنا الى الشعر العالمى كله منذ أسطورة كلكامش والالياذة وحتى يومنا هذا ؟ هل ترك الشعراء موضوعاً لم يطرقوه ؟ ألم يستعمل الشعراء جميع الأساليب الممكنة ؟

إذن هل للشعر مستقبل ؟ أم أنه استوفى كل مواضيعه وأساليبه ولم تعد هناك حاجة الى شعراء جدد ؟

إن ردنا على هذا التساؤل هو أن للشعر مستقبلا مشرقاً وأن الحاجة الى الشعراء ستكون قائمة دائماً كما كانت. فمن ناحية مواضيع الشعر فانها تتجدد يومياً مع تجدد الحياة وفى كل يوم يبرز لنا موضوع جديد أو يضاف شىء ما الى موضوع قائم بحيث لا يصل الموضوع إلى نهاية أو إلى اكتمال. فمن ناحية واحدة نجد أن العلم وابتكاراته واختراعاته واكتشافاته ليس لها حدود. ومن ناحية أخرى تتطور الفنون والآداب فى كل يوم وهذا يعطى للشعر مادة دسمة لا حدود لها.

وحتى لو قلنا ان هذه الابتكارات وهذه الاكتشافات لا تزيد فى مواضيع الشعر شيئاً كبيراً فان الشعراء الآن وفى المستقبل يمكنهم أن يطرقوا نفس المواضيع بأشكال مختلفة فيأتى شعرهم جميلا وأصيلا. فلو افترضنا أن المواضيع محدودة وهذا أمر خاطىء فان الاسلوب الذى يعالج به الشاعر موضوعه غير محدود لأن الأسلوب على اللغة واللغة محيط واسع لا نهاية له ولا حدود. ومن جهة أخرى فان الشاعر يستطيع أن يعتمد على حياته وتجربته وذلك أمر ليس له حدود أيضاً. فليس فى العالم منذ ابتداء الخليقة وحتى الآن شاعران لهما نفس التجربة والحياة. كل فرد يختلف عن الآخر فى حياته وفى مشاعره وتجاربه. وكل تجربة تستحق التسجيل وكل شعور هو حرى بأن يعبر عنه.

فى « رسالة الى شاعر شاب » ينصح "رينر ماريا ركلة" الشاعر بالرجوع الى طفولته والغوص فى تجاربه آنذاك للحصول على مادة للشعر. فكم هى غنية تلك الحقبة من حياة الانسان. نبع عميق ومعين لا ينضب هى تلك التجارب والذكريات. فلو غاص كل شاعر وغرف من ذلك النبع فان الشعر لن يعرف أية حدود.

يعتقد بعض الأدباء وغيرهم بأن هناك علاقة بين الشعر والرياضيات، ونحن نوافق على هذا الرأى. على الأقل فى أمر واحد يهمنا. فالرياضيات تعتمد على الأرقام فهى تركب الأرقام فى معادلات وهذا التركيب وهذه المعادلات ليس لها نهاية. كذلك الشعر فانه يعتمد على الكلمات وتركيب الكلمات وتنسيقها ومعادلاتها ليس لها نهاية هى الأخرى.

إذن فان للشعر مستقبلا زاخراً. فالتطور العام للمجتمعات يفتح أمام الشعر آفاقاً لا تحد، والنفس البشرية بكل تعقيداتها وغناها تشكل معيناً مستمراً للشعراء. فما تم اكتشافه فى العلوم حتى الآن لا يشكل الا شيئاً بسيطاً بالنسبة لما يحمله المستقبل والتطور فى العلاقات الانسانية وعلاقات المجتمعات بعضها ببعض ليست الا فى بداية الطريق.

فى كل يوم يكتشف الانسان ناحية جديدة من عالمه وكونه وفى كل يوم يتضح للانسان جانب جديد من حياته ونفسه مما يزيد الحياة إخصاباً وغنى. والانسان هو الشعر والشعر هو الانسان فما دام الانسان فى حركة دائبة ومتجددة فكذلك الشعر. لذلك فاننا لا نبالغ حين نعلن أن ما وصلنا إليه حتى الآن ليس نهاية وانما بداية وأن أمام الانسان وشعره مستقبلا غنياً سيزيد فيه لازدهاره وزخمه.

علي حسن تقي – باريس



راعيــــة الغنــــم .. للفنان القطري: محمد الجيـــده

العدد ٧٧ - رجب ١٤٠٢ هـ - مايو ١٩٨٢ م

# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



## قصة جديدة

للدكتور يوسف إدريس



## رجل تستحي منه الملائكة

خالد محمد خالد



آخر حوار بين:

## سارتر وسيمون دي بوفوار

د. محمد جابر الأنصاري



أكبر مكتبة في العالم
٢٠ مليون كتاب منها ١٥٠ ألف كتاب عربي



مدرسة فنية جديدة شعارها:
تشويه الأعمال الفنية




ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

# الدوحة

## مجلة شهرية ثقافية جامعة
## تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٧ - رجب ١٤٠٢ هـ - مايو ١٩٨٢ م

### المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

### الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

### الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

### الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين


## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دينان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
- مكتب جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩٧٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب : ٣٢١ - بنغازي

● الاردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازي
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبأ العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر




Ali Bin Ali Printing Press - Doha مطابع علي بن علي

# في هذا العدد



عبد الله جفرى



مرزوق بشير



د . عبد السلام العجيلى



محمود السعدنى



الأسبوع الثقافي الفلسطيني فى الدوحة ص ٧٦


● الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون منه ! ... ... ...
رجـاء النقاش ٦
● الأرصاد والأرصـــدة ... ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد السلام العجيلي ١٢
● المحاورة الأخيرة بين سارتر ودي بوفوار ... ... ... ...
د . محمد جابر الأنصاري ١٤
● عثمان : الخليفة المفترى عليــه ... ... ... ... ... ...
خالد محمد خالد ١٨
● هذا السؤال يرهقك ... ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله الجفري ٢٢
● مناحم ميلسون : من استاذ للادب العربى الى اســتاذ للقمع الفكري والجسدي ... ... ... ... عصام شريح ٢٤
● مسافر على الرصيف ... ... ... ... ... ... ... ...
محمود الســـعدني ٢٨
● ايام لا تنسى مع ابي الحسن الندوي ... ... ... ...
سياسي عربي كبير ٣٠
● معركة الحياة والموت بين اسحاق الموصلي وزريـــاب الأندلسي ... ... ... ... ... ... ... ... كمال النجمى ٣٤
● مليون مخطوط عربي تنتظر الكفاح الثقافي ... ... ...
وجيه الشربجي ٣٨
● من قضايا المسرح ... ... ... ... ... ... ... ... ...
مرزوق بشير ٤٣
● السلطان الذى حارب الصهيونية وتحدى أوربا ... ...
فتحي رضوان ٤٤
● الرجولة فى الاسلام ... ... ... ... ... ... ... ... ...
احمد امين ٤٨
● الرجال والخرائط ... ... ... ... ... ... ... ... ...
درويش مصطفى الفار ٥١
● الختان « قصـــة » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . يوسف ادريس ٥٢
● هنا يعيشون مع الموشحات الأندلسية ... ... ... ...
كمال سعد ٥٦
● كبير المخترعين وسر عبقريته ... ... ... ... ... ...
د . عز الدين فراج ٦٢
● من اعماق فنان ، لا هو جن ولا إنسان ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ٦٤
● المجذوب الذى كان « قصيدة » ... ... ... ... ... ...
د . عبد الله الطيب ٧٠
● بيوت من طين في باريس ... ... ... ... ... ... ...
نهى سماره ٧٢
● على هامش الأسبوع الفلسطيني : عندمـــا تنعكس آلام الوطن فى الفن والثقافة ... ... نبيل خالد الآغـا ٧٦
● الفنان العالمى « فان ديك » كانت أمنيته ان يموت على أرض وطنه ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٨٢
● مكتبة الكونجرس ، أكبر مكتبة فى العالم ... ... ...
د . فوزي تادرس ٨٤
● لقطات من الكون المثير ... ... ... ... ... ... ٩٢




لوحة الغلاف الأخير : الحيـــاة والربيـــع
للفنان حلمى التونى


● مدرسة فنية جريئة شعارها : تشويه الأعمال الفنية
عبود عطية ٩٤
● فى مستوطنة العقاب « قصـــة » : فرانز كافكا ... ...
ترجمة : كامل يوسف حسين ٩٩
● هوامش ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
يكتبها : ابو نظارة زرقاء ١١٢
● أسئلة الأشجار « قصيدة » ... ... ... ... ... ... ... ...
محمد ابراهيم ابو سنه ١١٤
● دوحـــة الماضى ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الدين المقريزي ١١٥
● حماقات الصبا « قصـــة » ... ... ... ... ... ... ...
عبـــاس خضر ١١٨
● حوار مع المفكر الاسلامي الشيخ حمد الجاسر ... ...
خليل ابراهيم الفزيع ١٢٠
● ليلتان مع الرحبانية فى الدوحة ... ... ... ... ...
جميل عـــابد ١٢٦
● المخرجة المتوحشة متعتها صدمة المتفرجين ... ... ...
رءوف توفيق ١٣٢
● ضحكات الشـــــهر ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الليثى ١٣٨
● دوحة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٤٠
● استراحة الدوحة ... ... ... ... ... ... ... رءوف ١٤٤
● انا والليل « قصـــيدة » ... ... ... ... ... ... ...
جليلة رضـا ١٤٦



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

# إلى الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه!

مأساة "المِعَلّم يعقوب" الذي انتمى إلى الغرب أكثر مما انتمى إلى وطنه، ثم انتهى به المصير إلى الموت وحيداً "في برميل من الخمر" فوق باخرة إنجليزية

بقلم: رجاء النقاش

الذين لا يقراون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه يكررون الأخطاء الكبيرة والأخطاء الصغيرة، ولا يدركون أن القول الشهير بأن التاريخ يعيد نفسه، هو قول صادق فى كثير من الحالات، إذا تشابهت الظروف، وهذه القصة التى أقدمها على هذه الصفحات وقعت فى أول القرن الماضى، ولكنها تتكرر فى هذه الأيام تكراراً مثيراً للدهشة، وإذا كانت قصة الماضى قد انتهت وسجلت خاتمتها المؤسفة، فان القصص المشابهة التى تقع فى وطننا العربى مازالت تنتظر نهايتها الموعودة، وهى نهاية لن تختلف فى أحسن الأحوال عن نهاية «المِعَلّمْ يعقوب» بطل هذه الصفحة التاريخية، والتى يمكن أن نخرج منها بعبرة واضحة ونتيجة محددة، وهى أن التعاون مع الأجنبى على حساب المصلحة الوطنية لا يمكن أن يؤدى إلا إلى مأساة عنيفة لهؤلاء المتعاونين مع الأجنبى، بالاضافة إلى ما يتركه هذا التعاون من آثار بالغة السوء والخطر على مصير الوطن نفسه.



المعَلّم يعقوب
وطنى أم خائن ؟



سعد حداد
صورة عصرية من المعَلّم يعقوب



ديزيه
ارتكب بمساعدة المعلّم يعقوب
مذبحة تاريخية فى الصـــعيد

● تبدأ قصة « المعَلّم يعقوب » فى مصر فى أواخر القرن الثــامن عشر ، فقد ولد « المعَلّم يعقوب » سنة ١٧٤٥ فى ملوى بالصعيد ، وعندما أصبح شاباً انضم إلى الجهاز الادارى للمماليك الذين كانوا يحكمون مصر فى ذلك الحين ، وكان أول عمل تولاه هو إدارة الشئون المالية لأحد المـــاليك واســـمه « سليمان اغا » وكان « سليمان اغا » أحد كبــــار القــــادة العسكريين فى عصر « علي بك الكبير » الذى حكم مصر من سنة ١٧٦٣ إلى سنة ١٧٧٣ ، وحاول أن يستقل بمصر ، ويخلصها من الحكم العثمانى ، كما حاول أن يحقق نوعاً من الوحدة العربية بين مصر وجيرانها من الأقطار « فى جزيرة العرب والشام » ، وقد كاد مشروع علي بك الكبير أن ينجح ، فانتصر على العثمانيين وقام بتوحيد مصر والشام ، واتسع نفوذه حتى شمل معظم جزيرة العرب .

## الحلم الضـــائع

وكاد عصر جديد أن يشرق بشمسه المضيئة على مصر والوطن العربى كله ، ولكن هذا الحلم العظيم الذى بدأ يتحقق تعرض للفشل والانهيار ، بسبب من تلك الأسباب التى تظهر فجاة على مسرح التاريخ ، فتغير مجرى الأحداث ، وتقلب كل الحسابات رأساً على عقب ، وهذا السبب هو « الخيانة » فقد ذهب « علي بك الكبير » ضحية لاحدى أبشع الخيانات التاريخية ، حيث تحالف « محمد أبو الذهب » قائد الجيش مع العثمانيين ، وهدم كل ما حققه « علي بك الكبير » من انجازات ، بل وقام هذا الخائن الكبير ، بمحاربة علي بك الكبير وقتله ، رغم أنه كان بالنسبة لعلى بك بمثابة الابن والرجل الثانى وكان زوج ابنته . وهكذا انهار الحلم الحضارى ، الذى يعتبر أول حلم من نوعه فى العصر الحديث ، وهو حلم النهضة العربية القائمة على الاستقلال من ناحية والوحدة بين العرب من ناحية اخرى .. انهار هذا الحلم الحضارى بسبب خيانة « ابى الذهب » الذى لم يستفد كثيراً من خيانته ، فلم ينعم أكثر من سنتين بولاية مصر ، التى أعادها بغدره وضعف أحلامه وطموحه الشخصى المحدود إلى سلطة العثمانيين . فقد مات بالحمى ، وكان يوم موته كما سجله المؤرخون مناسباً لرجل خان الأمانة والرسالة وباع استقلال بلاده ووحدة وطنه بالأموال ، ويصف لنا الأستاذ محمود الشرقاوى فى كتابه «دراسات فى تاريخ الجبرتى » لحظة موته فيقول « إن أبا الذهب شعر بدبيب الحمى فدخل خيمته – بعد أن انتصر فى عكا على حلفاء علي بك الكبير – واستكان أبو الذهب فى الخيمة تحت تاثير الحمى ، وأخفى المماليك من أعوانه وخاصة ذلك الأمر عن الجيش ، ولكن الجنود – بعد ثلاثة أيام – استيقظوا فى الصباح ليجدوا خيمته قد تهدم ركنها ، ثم وجدوا رجاله وخاصته يرفع بعضهم السيوف فى وجه بعض ، يتقاتلون على ماله . فعرفوا أنه مات . وتقدم أحد زعماء المماليك وهو ابراهيم بك فكف بعضهم عن بعض واتفقوا على أن يعودوا من عكا إلى مصر ، وارادوا أن يدفنوه فى الشام ، ولكنهم عرفوا أنهم إذا دفنوه فيها ، فمهما يخفون مقبرته ، فسينبش أهلها قبره ليحرقوه جزاء ما فعل بهم وباهل يافا خاصة ، فحملوه إلى مصر حيث وصلوا القاهرة بعد ستة عشر يوماً ، ودفن فى مسجده المواجه للأزهر» .

وهكذا انتهى « الخائن » أبى الذهب الذى لم يحكم أكثر من سنتين بعد أن أضاع كل ما بناه سلفه من انجــازات سياسية وحضارية .

وبعد وفاة أبى الذهب حكم المملوكان « مراد بك » و « وابراهيم بك » لمدة تقرب من

# إلى الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه!

ربع قرن ، وكان حكمهما متسماً بالجمود والتهافت على المال والبعد عن التفكير فى النهوض بالشعب والبلاد . وكان عصر ابراهيم ومراد ، هو العصر الذى ظهر فيه « المِعَلّمْ يعقوب » بطل حديثنا اليوم ، وفى هذا المناخ شب ونما وتعلم وثبتت أقدامه ،

## الفرنسيون والفستق

ولم تمض سنوات طويلة حتى كان « ضعف » مصر بسبب خيانة أبى الذهب ، وتفاهة مراد بك وابراهيم بك وحكمهما الفاسد للبلاد ، وانهيار البناء الذى أقامه « علي بك الكبير » ... لم تمض هذه السنوات حتى كان ضعف مصر قد أثمر ثمرته الرئيسية فقد جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ بقيادة نابليون ، وكانت مصر « جاهزة » للسقوط ، بعد الذى لحق بها على أيدى ورثة أبى الذهب ، وعندما علم « مراد بك » أحد هؤلاء الورثة بنبأ الحملة الفرنسية على مصر ، وكان شديد الجهل والغرور ، وضعيف العلم بأحوال الدنيا وما يجرى حوله من أحداث وصراعات كبرى ... عندما علم مراد بنبأ الحملة قال للقنصل النمسوى فى مصر : « .. كيف نخاف هؤلاء الرعاع « أى الفرنسيين » وهم لا فرق بينهم وبين الواقفين على بابنا ... إن الفرنسيين هؤلاء ليسوا إلا « فستق » خلق للأكل لا للحرب ، وسنقضى عليهم بقوة حرسنا الخاص » .

وهذا ما تصوره « مراد بك » عندما سمع بحملة نابليون على مصر ، وقد وصف المؤرخ العظيم عبد الرحمن الجبرتى «مراد بك» هذا ، وكان معاصراً له ، وصفاً يفسر لنا هذا الموقف « الأخرق » الذى وقفه هذا المملوك ، حيث قال الجبرتى فى صدق وأمانة « ... إن مراد بك يغلب على طبيعته الخوف والجبن . مع التهور والطيش ، والتورط فى الاقدام مع عدم الشجاعة » ، ووصف الجبرتى لمراد بك ، ينطبق على الكثيرين ممن يعملون فى دنيا السياسة والوطنية بغير خطة دقيقة وبغير فهم سليم لواجبات العمل الوطنى والعسكرى ولحقيقة ما يجرى فى العالم من أحداث ووقائع ، وما يتطلبه حماية استقلال الأوطان من جهد وفهم وبعد نظر وأصالة فى التمسك بالمبادىء والقيم والمعرفة الصحيحة بالأمور دون أوهام أو خيالات .

لقد واجه مراد فى معركة امبابة « ٢١ يوليو ١٧٩٨ » جيش نابليون ، وانتهت هذه المعركة فى أقل من ساعتين وخسر فيها جيش مراد المكون من ثلاثين ألفاً « بينهم عشرون ألفاً من المصريين » سبعة آلاف قتيل ، بينما فقد الفرنسيون تسعة وعشرين قتيلا من قواتهم التى كانت تبلغ ٢٥ ألفاً . وكان لابد للجيش الذى يقوده المماليك أن ينهزم لا لجهله العسكرى ، وتخلفه فى التسليح المتقدم فقط ، بل لأن الروح التى كانت تسيطر على المماليك كانت روحاً انهزامية ونفعية « فمنذ أن عرف المماليك أن نابليون قد نزل الاسكندرية ، اخذوا فى نقل متاعهم من بيوتهم فى القاهرة واخفوها فى بيوت أتباعهم أو نقلوها خارج المدينة ، وكانوا لا يستحون من فعل ذلك أمام الناس » وبعد الهزيمة مباشرة ، ترك مراد بك « امبابة » ، موقع المعركة ، إلى بيته فى الجيزة « فبقى فيه خمس عشرة دقيقة ، اخذ فيها ما استطاع أن ياخذ من أمواله وجواهره وفر إلى الصعيد » .

وفى أثناء المعركة حدثت وقائع تثبت أن الروح الأساسية لدى المماليك فى هذه الحرب كانت هى الروح الانتهازية النفعية التى أشرنا إليها ، فأحد المماليك الذين قتلوا فى المعركة وجد الفرنسيون على رأسه « عمامة صفراء مصنوعة من الكشمير وأكثر من خمسمائة قطعة نقود ذهبية مخيطة فى طربوش عمامته ، وسيف رائع رصع غمده وطرف مقبضه بالذهب ، ومقبضه مصنوع من قرن الخرتيت ، وسلاحه من الصلب الدمشقى الأسود » هكذا كان المماليك المغامرون ، وهم قادة المعركة يتصرفون ، أما المواطنون العاديون من أبناء البلاد ، والذين دفعوا أكبر الثمن من دمائهم فى مواجهة الغزو الفرنسى ، فقد عاد من بقى منهم ليقتل من صادفه من المماليك وهو يصرخ فى وجه هؤلاء المماليك الهاربين من أرض المعركة « .. يا ظالمين أنتم سبب هذه الداهية » .

فى هذه المدرسة المملوكية « الانتهازية النفعية » تربى بطل حديثنا « المِعَلّمْ يعقوب » وفى خدمة هؤلاء المماليك قضى شبابه الأول ثم فاجأته الحملة الفرنسية فماذا يفعل وكيف يتصرف ؟!

## من المماليك إلى الفرنسيين

لقد سارع « المِعَلّمْ يعقوب » بتقديم نفسه إلى الفرنسيين ، وأعلن استعداده لخدمتهم ، وقد وجد فيه المحتلون الفرنسيون عنصراً أساسياً يساعدهم فى تثبيت احتلالهم للبلاد بسبب معرفته بمصر وأهلها ، باعتباره ابناً من أبنائها ، وواحداً من الذين عملوا بالحياة العامة فيها فعرفوا الكثير مما يتصل بها ، فهو يعرف خريطة البلاد ، ويعرف طبائع السكان ، ويعرف الواقع الاقتصادى معرفة كاملة ، بحكم اشتغاله بالأمور الادارية فى خدمة المماليك الذين كانوا يحكمون البلاد قبل الحملة الفرنسية .

## حجة واهية

ومنذ أن ظهر « المِعَلّمْ يعقوب » على مسرح الأحداث بقوة فى ظل الحملة الفرنسية وإلى اليوم ، وهناك حجة استخدمها المِعَلّمْ يعقوب ، واستخدمها بعده المدافعون عنه والعاطفون عليه من المؤرخين والباحثين وعلى رأسهم المؤرخ الكبير الدكتور محمد شفيق غربال والكاتب المعروف الدكتور لويس عوض . هذه الحجة هى أن « المِعَلّمْ يعقوب » كان يعمل مع الحملة الفرنسية بهمة ونشاط وإخلاص « من أجل تحرير مصر من العثمانيين والمماليك » ومن أجل تحقيق استقلال مصر وحرية شعبها ، وهى نفس الحجة التى تستخدمها الشخصيات المعاصرة ، التى تشبه « المِعَلّمْ يعقوب » فى الساحة العربية الراهنة ، وأوضح شخصية من هذا النوع هى شخصية « الرائد اللبنانى سعد حداد » والذى يكاد يكون تجسيداً حياً « للمِعَلّمْ يعقوب » فى مواقفه وتصرفاته وادعاءاته التى يبنى عليها عمله وسياسته ، ومثل هذه الحجة الواهية وهى الدفاع عن الاستقلال بالتعاون مع الأجنبى ، ليست إلا وهما من الأوهام ولويا لعنق التاريخ ، لأن نتائج التعاون مع الأجنبى تنتهى دائماً بتهديم استقلال البلاد ، والعدوان على مصالح الشعوب ، وليس لها نتيجة إلا تعطيل التطور والنهوض والاستقرار والرخاء فى تلك البلاد التى نكبت بتعاون بعض أبنائها مع

القوى الأجنبية كما سوف يتضح لنا من سيرة المعلم يعقوب فى القرن الماضى ومن نتائج عمله ، وهى نتائج كانت كلها كارثة عليه وعلى وطنه .

## مذبحة الصعيد

نعود إلى « المَعَلِّمْ يعقوب » نفسه لنسأل ماذا فعل ، وكيف انتهى به الأمر فى آخر المطاف .

العمل الأول الذى قام به « المعَلِّمْ يعقوب » هو مصاحبة القائد الفرنسى « ديزيه » فى حملته على الصعيد . ذلك أن المماليك بعد دخول نابليون إلى القاهرة ، قد هربوا بما بقى من جيوشهم إلى الصعيد فاوفد نابليون قائده النابغ « ديزيه » ليخضع الصعيد لسلطة الاحتلال الفرنسى وخاض « ديزيه » بحوراً من الدم فى الصعيد ، ويحدثنا المؤرخ الامريكى « كريستوفر هيرولد » فى كتابه « نابليون فى مصر – ترجمة فؤاد اندراوس » عن دور المعلم يعقوب فى حملة « ديزيه » على الصعيد فيقول :

« وكان يركب إلى جوار "ديزيه" رجل فذ ، لولا لباقته وكفايته وشجاعته لما استطاع ديزيه – فى أغلب الظن – أن ينال ما نال من أمجاد النصر رغم عبقريته كلها ، وذلك هو المَعَلِّمْ يعقوب القبطى ، الذى كان من الناحية الرسمية مسئولا عن جميع الضرائب فى مصر العليا « الصعيد » ولكنه كان فى الواقع شريكاً لديزيه فى قيادة حملته ، وكان المَعَلِّمْ يعقوب ، بن يوحنا ومارية غزال ، الذى كان إذ ذاك فى مستهل الأربعينات من عمره ، أصلح مستشار لحملة الصعيد هذه ، فقد كان يعقوب خبيراً بطبيعة البلاد وباهلها وله فى كل مكان صلات ، وفيه دهاء وحسن سياسة لاتجد لهما نظيراً . وكان يتسم بصفة نادرة بين قومه هى الشجاعة والكفاية الحربيتان . وكان أهل الصعيد يسمون فرقة ديزيه : « جيش المعَلِّمْ يعقوب » ، ولو وقع هذا لقائد غير ديزيه لبرم به ، ولكن ديزيه . المغرم بالتخفى ، رأى ما فى هذا الخطأ من فوائد ، ولم يفعل شيئاً ليثنى الناس عنه ، والواقع أنه ما من قرار اتخذه « ديزيه » خلال حملته كلها دون أن يستشير « المَعَلِّمْ يعقوب » .

وهنا لابد أن نسارع بتسجيل ملاحظة أساسية ، وهى ان « المَعَلِّمْ يعقوب » رغم أنه كان من أقباط مصر ، إلا أن كثيرين جداً من الأقباط كانوا ضده وكانوا على خلاف معه فى موقفه ، بل لقد هاجموه بسبب موقفه هذا هجوماً عنيفاً ، ومعظم المؤرخين الأقباط المعاصرين – باستثناء الدكتور لويس عوض – يدينون « المَعَلِّمْ يعقوب » إدانة كاملة ، كما سنرى بعد قليل ... فلا مجال هنا للقول أو للاستنتاج ، بان المَعَلِّمْ يعقوب كان يمثل الأقباط فى موقفه ، فالحقيقة أنه كان يمثل نفسه وفكره واجتهاده الخاص ، ولا علاقة له بالأقباط الذين وقفوا – فى معظمهم – ضد الحملة الفرنسية نفس موقف المسلمين .

ولنواصل الحديث عن انجازات « المَعَلِّمْ يعقوب » فى خدمة الفرنسيين فنقول ، إنه فى حملة ديزيه ضد الصعيد ، قام بعمليات إبادة واسعة وشارك بل وقاد مذبحة قاسية ضد أبناء مصر من أهل الصعيد . لقد كانت حملة « ديزيه » على الصعيد موجهة فى « شكلها » ضد المماليك ، ولكنها كانت موجهة فى حقيقتها ضد الفلاحين من أبناء الصعيد مسلمين وأقباطاً وعرباً جاءوا إلى الجهاد مع أشقائهم فى صعيد مصر عن طريق « القصير » الواقعة على البحر الأحمر وافدين من مكة لمساعدة إخوانهم فى مصر ضد العدوان الفرنسى وقد حارب هؤلاء العرب القادمون من الجزيرة العربية بقوة وبسالة إلى جانب الفلاحين من أبناء مصر .

ولكى نتصور ما فعله الفرنسيون بقيادة « ديزيه » ، ومساعدة « المَعَلِّمْ يعقوب » ضد أبناء مصر يكفى أن نذكر هذه العبارات من كتاب المؤرخ الامريكى « هيرولد » ، فمثل هذا المؤرخ الامريكى لا يمكن اتهامه بالتحيز للفلاحين المصريين والعرب الذين وقفوا إلى جانبهم ضد الفرنسيين .

يقول هيرولد :

١ – « فى أول مايو ١٨٩٩ قتل الفرنسيون ألفين من الفلاحين المسلحين فى بنى سويف ، وكانت خسائر الفرنسيين ثمانية رجال وهو عمل مجيد بلا ريب » !!

٢ – الفلاحون الذين تركوا قراهم عند اقتراب الفرنسيين منها « ثم عادوا إليها لم يجدوا فيها سوى الطين الذى بنيت به حيطانهم ، فادواتهم ومحاريثهم ، وأبوابهم وسقوف بيوتهم كانت تستعمل وقوداً لطهو حساء الفرنسيين ، وقدورهم تكسر ، وقمحهم يؤكل ، ودجاجهم وحمامهم يشوى .. » .

٣ – « ... أما احتلال الفرنسيين لأسوان فقد بدا فى الأسبوعين الأولين نزهة يتخللها الطريف القليل من القتال واغتصاب النساء » .

٤ – بالنسبة لبدو الصعيد « كان الفرنسيون يستولون كل يوم على غنيمة منهم ، فتارة ياخذون نساءهم على غرة ويحملوهن رهائن ، وتارة يستولون على ماشيتهم وخيولهم وإبلهم » .

٥ – « وبينما كان القائد الفرنسى – فى أسوان – يسمح لجنوده باغتصاب النساء ليرفع معنوياتهم ، ويامر باتلاف المحاصيل ليهبط بمعنويات « المصريين » وصلت الأنباء إلى الجنرال « ديزيه » و « المَعَلِّمْ يعقوب » بوجود مراكز لتجمع الجنود الوافدين من مكة فى قنا ، وبنزول ألفين آخرين من المتطوعين المكيين فى «القصير» ولوصف القوة التى حارب المتطوعون المكيون بها يقول « هيرولد » على لسان أحد القادة الفرنسيين « لقد توقفنا أمام منزل فى قرية أبنود ، وأصدرت أمرى باقتحام البيت وأفلحنا فى شق طريقنا الى الحوش وإشعال النار فى البناء ، ونزل المكيون عدوا إلى الحوش يمسك كل منهم سيفاً بيد وبندقية بالأخرى ، وهم يطلقون النار على الجنود الفرنسيين ويقفزون كالمجانين إلى


لويس عوض
هل يمكن أن نلوى عنق التاريخ ؟


الفريد فرج
مؤلف «سليمان الحلبى» وهى إحدى روائع المسرح العربى فى تصوير الكفاح ضـــد الفرنسيين

# إلى الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه !

اللهب محاولين اطفاء الحرائق باقدامهم ، وراحوا يخوضون النيران باجسامهم ، واحسست وأنا أشهدهم بكثير من الرعب والاعجاب ، وتخللت المشهد فترات من السكون كنا نسمع فيها صوتاً واحداً يصلى ونسمع رد الجماعة بالأناشيد الدينية وصيحات الحرب ، ثم يلقون بانفسهم علينا رغم يقينهم من انهم ملاقون فى ذلك حتفهم » .

هذه صور متفرقة من الكفاح العنيف بين شعب مصر واشقائه العرب من جانب وبين الفرنسيين يساعدهم «المعَلِّمْ يعقوب» من جانب آخر . وقد حضر « المعَلِّمْ يعقوب » هذه المشاهد ــ فى معظمها ــ وشارك فيها بنفسه وباعوانه إلى جانب الفرنسيين ، وهو بذلك يعتبر مسئولا عن مذبحة الصعيد التى انتهت بمقتل الآلاف وإبادة قرى باكملها واحراق الأراضى والمواشى والمحاصيل بحيث كانت هذه « المذبحة » جريمة فى حق الانسان والحضارة ارتكبها الفرنسيون عن عمد وشاركهم فى التخطيط لها وتنفيذها ذلك « المعَلِّمْ يعقوب » الذى يتحدث عنه البعض على انه كان يحاول انقاذ مصر من العثمانيين بمساعدة الفرنسيين والحق انه كان يشترك فى عملية إبادة واسعة للشعب الذى ينتمى إليه .

## الجريمة الثانية

بعد « مذبحة الصعيد » شارك « المعَلِّمْ يعقوب » فى إخماد ثورة القاهرة الثانية فى ابريل ١٨٠٠ ، وقد احرق الفرنسيون بمساعدة « المعَلِّمْ يعقوب » احياء باكملها ، ومنها حي بولاق الذى انهدمت فيه البيوت على ساكنيها ، ومات الآلاف من سكان القاهرة فى مجزرة اخرى بالغة العنف ، وقال مؤرخ فرنسى هو المسيو « جالان » يصف نتائج ثورة القاهرة الثانية ، وما فعله الفرنسيون بالمدينة « لقد لاحظت أن الحصار الفرنسى اضر بالمدينة اكثر مما كنت اتصور ، فقد عم الخراب احياء باكملها ، وتمثل لنا شبحه المخيف فى الأزبكية ، واثرت فى نفسى صورته المفزعة ، فلم يكن بالامكان إلا ان نخطو كل خطوة لنا على كثبان من الخرائب والاتربة ، وكانت رائحة العفونة تنبعث من الرمم المدفونة تحت الردم ، وزاد هذا المنظر فظاعة ان الجنود الفرنسيين مدفوعين بفكرة النهب كانوا ينبشون الجثث من تحت الأنقاض والخرائب ، فكلما أظهروا جثة زاد المنظر هولا وفظاعة » .

وفى ثورة القاهرة الثانية هذه انشا المعَلِّمْ يعقوب « فيلقاً عسكرياً خاصاً » جمعه من بين بعض المرتزقة المصريين وجعله فى خدمة الفرنسيين حيث ساهم هذا الفيلق العسكرى مع جنود فرنسا فى كل الضربات التى تم توجيهها إلى سكان القاهرة .

هذه هى « الانجازات » الفرنسية فى مصر خلال ثلاث سنوات « ١٧٩٨ ــ ١٨٠١» وقد كان للمعَلِّمْ يعقوب فى هذه الانجازات « التدميرية » دور أساسى حيث وقف الى جانب الفرنسيين يمدهم بكل ما يطلبونه ، بل ويحارب نيابة عنهم كلما امكن ذلك .

## مناضل أم خائن ؟

هذه الصفحات التاريخية كانت تكفى لادانة المعَلِّمْ يعقوب إدانة نهائية ، بعد ان وقف إلى جانب الفرنسيين ضد شعبه وأنشا فيلقه العسكرى الخاص للحرب إلى جانب المحتلين ... ولكن عدداً من المؤرخين أراد أن ينفى أى اتهام للمعَلِّمْ يعقوب بل واعتبره البعض ــ كما اشرنا ــ « مناضلا قومياً » ، وكانت حجتهم فى ذلك ان «المعَلِّمْ يعقوب» كان يحارب العثمانيين والمماليك ، ويريد تحرير مصر منهم بمساعدة الفرنسيين . وهى الحجة التى تتكرر كما هى اليوم دفاعاً عن بعض الذين يقفون صراحة إلى جانب القوى الأجنبية الغربية ويعتمدون عليها بحجة تحرير بلادهم وحماية استقلالها ... وقد اشرت إلى نموذج « سعد حداد » كواحد من أصحاب هذه الفلسفة ودعاتها والعاملين على « تطبيقها » بصورة واقعية فى لبنان ... ولكن سعد حداد ليس هو الوحيد فى هذا المجال ، فهناك كثيرون ممن تعاونوا ويتعاونون مع القوى الأجنبية ، وهم يحملون « علم » سعد حداد سراً أو علناً ، وهو نفسه « العلم » الذى رفعه « المعَلِّمْ يعقوب » من قبل فى القرن الماضى ، واستند عليه فى الدفاع عن نفسه وتبرير مواقفه الخاطئة وغير المقبولة .

والذى يتابع حياة « المعَلِّمْ يعقوب » ونهايته ، يدرك تماما أن هذه الفلسفة السياسية التى تدعو إلى تحقيق الحرية عن طريق التعاون مع القوى الأجنبية هى فلسفة لا يمكن لها ان تنجح ، ولا يمكن إلا أن تكون باباً مفتوحاً ينتهى بماساة وطنية بل وماساة شخصية لمن يحملون مثل هذه النظرة ويعملون على أساسها ، حتى ولو افترضنا احسن الفروض وهو أن أصحاب هذه المدرسة ــ وهو أمر يصعب تصديقه ــ هم من أصحاب النية الحسنة والقصد الطيب ، والغاية السليمة .

لقد فشلت الحملة الفرنسية على مصر ، وتم توقيع معاهدة الجلاء عن مصر فى يونيو ١٨٠١ ، وتضمنت المعاهد نصاً يبيح « لأى مصرى أن يرافق الجيش الفرنسى فى الجلاء دون أن تصادر أملاكه أو تضطهد عائلته وذوو قرباه ، ولا يجوز إيذاء اى مصرى بما أظهره من الولاء للجيش الفرنسى مدة احتلاله للبلاد » وذلك هو ما جاء فى نص المادة ١٢ من اتفاقية الجلاء عن مصر .

وسافر « المعَلِّمْ يعقوب » على السفينة الانجليزية « بالاس » متجهاً إلى فرنسا ويلخص لنا الأستاذ محمود الشرقاوى نهاية « المعَلِّمْ يعقوب » كما رواها الجبرتى فقال :

« وقد كافأ الفرنسيون المعَلِّمْ يعقوب على إخلاصه لهم ، فانعموا عليه بسيف ، وجعلوه مستشاراً لهم ومديراً للشئون المالية والضرائب . ثم انعموا عليه بلقب جنرال . وأظهر هو محبة صادقة لهم فى مدى السنوات التى أقاموها فى مصر ، وبعد خروجهم منها ، فقد عرض تبرعه بثلث النفقات مهما بلغ مقدارها ، لاقامة تمثال لصديقه الجنرال « ديزيه » قائد حملة الصعيد ، عندما علم بموته ، وعندما حضره الموت كان إلى جواره الجنرال الفرنسى بليار ، فقال له يعقوب وهو يحتضر أرجو أن أدفن إلى جوار ديزيه .وقد مات المعَلِّمْ يعقوب على البارجة الانجليزية « بالاس » فى ١٦ اغسطس ١٨٠١ ، ولم تلق جثته فى البحر . كما هى العادة فى مثل هذه الأحوال ، بل وضعت فى برميل من النبيذ حتى وصلت البارجة إلى مرسليا ، فدفن المعَلِّمْ يعقوب هناك بعد ان شيعت جنازته فى احتفال عسكرى فرنسى مهيب » .

## استقلال وهمى

على ان الأيام الأربعة التى قضاها المعَلِّمْ يعقوب على البارجة الانجليزية فى

طريقه إلى فرنسا قد حملت فصلا آخر من الفصول الغريبة فى قصة هذا الرجل ، فقد تحدث « المعَلّمْ يعقوب » مع قائد السفينة الانجليزية « ادموندز » ، وكان « المعَلّمْ يعقوب » يتحدث معقائد السفينة الانجليزى عن طريق شخص اســـــمه « لاسكاريس » حيث أن يعقوب لم يكن يعرف الانجليزية ، وكتب « ادموندز » قائد السفينة إلى المسئولين الانجليز مذكرة يكشف فيها آراء « المعَلّمْ يعقوب » التى أفضى بها إليه ولم يتم الكشف عن هذه المذكرة إلا فى سنة ١٩٢٤ ، وفى هذه المذكرة يطالب « المعَلّمْ يعقوب » بمساعدة الانجليز لتحقيق انفصال مصر عن تركيا ، ويعرض تشكيل « قوة اجنبية » من ١٢ الف جندى إلى ١٥ الف جندى لحماية الاستقلال المصرى الذى يدعو إليه « المعَلّمْ يعقوب » ، وتقول المذكرة على لســــان « المعَلّمْ يعقوب » « إنه يجب الا يفوتنا ان نذكر ان مصر مقسمة إلى طوائف متعددة وتتوفر بها الوسائل اليسيرة لاقامة التعارض فيما بين هذه الطوائف بقصد حفظ التوازن بينها » !

وهذه الفقرة تدعو بصراحة إلى إقامة تقسيم طائفى لم تعرفه مصر ابداً ولم تفكر فيه أى حركة وطنية على الاطلاق ، وكانت هذه الفكرة الطائفية من الأفكار والخطط الاستعمارية على الدوام .

تلك هى الخطوط العريضــــة لمشروع « المعَلّمْ يعقوب » الذى أملاه على قائد السفينة « بالاس » وهو المشروع الذى أسماه الدكتور لويس عوض باسم « مشروع الاستقلال الأول فى مصر » .

والحقيقة أن هذا المشروع من الناحية النظرية ، لا يختلف عن المواقف العملية للمعَلّمْ يعقوب الذى كان فى صف الأجانب دائماً ، حيث ساعد المماليك قبل الحملة الفرنسية ، ثم ساعد الفرنسيين اقتصادياً وعسكرياً خلال السنوات الثلاث للحملة الفرنسية على مصر ، بحجة أن الحملة الفرنسية كانت موجهة أصلا إلى المماليك ، وكان فى ذلك مخالفة للحقيقة ، لأن المماليك أنفسهم سرعان ما تحالفوا مع الفرنسيين وتعاونوا معهم ، وبقيت أطراف الصراع هى : الفرنسيون وأعوانهم فى جانب ، والمصريون واشقاؤهم العرب في جانب آخـــر .

## التاريخ لا يرحم

ولا يمكن لمؤرخ منصف - فى نهـــاية الأمر - إلا أن يخالف الدكتور لويس عوض والذين يرون رأيه ، فى أن « المعَلّمْ يعقوب » كان يمثل « الوطنية المصرية فى وجه الاتراك » وكان يستعين فى تحقيق وجهة نظره بالفرنسيين ثم بالانجليز .

فلا المعَلّمْ يعقوب ، ولا سعد حداد ، ولا اى شخص آخر من هذا النمط يمكن أن يحقق استقلالا او يخدم حركة وطنية ، فالاستقلال والوطنية لا يتحققان بالتعاون مع الأجنبى والثقة به والاعتماد عليه وتقديم الخدمات له وحمل السلاح فى وجه المواطنين - أبناء البلاد - من اجل تحقيق افكار هذا الأجنبى .

ولاشك أن نهاية « المعَلّمْ يعقوب » وهى الموت وحيداً فى برميل من النبيذ على ظهر السفينة « بالاس » هى النهاية الطبيعية لمثل هذا الموقف الذى وقفه المعلم يعقوب ، ويقفه أمثاله فى تاريخ العرب المعاصر ، فالمعَلّمْ يعقوب هو درس وعبرة لهؤلاء الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه ، وهو درس جدير بأن يتعلمه الكثيرون فى المرحلة الراهنة التى يمر بها الوطن العربى ، لأن « يعقوب » فى حد ذاته قد يكون قليل الأهمية والشأن ، ولكن أهميته الحقيقية تعود إلى انه يجسد « رمزاً كاملا » لهؤلاء الذين يتوهمون - عامدين أو غير عامدين - أن بالامكان الاعتماد على القوة الأجنبية فى تحرير الأوطان ، فلا يتحرر الوطن إلا باهله ، ولا يتحقق الاستقلال إلا بالشعب نفسه وبمن ينتسبون إليه ويرتبطون به من قيادات سياسية وفكرية وعسكرية تلتزم بالوطنية أولا وقبل كل شىء .

## نقطة حساسة

ولا ينبغى أن ننهى هذه الصفحة من تاريخنا دون أن نشير إلى تلك النقطة الحساسة فى القضية كلها ، وهى ان يعقوب كان قبطياً ولم يكن مسلماً ، ويكفى هنا أن نقول إن كثيرين من مفكرى الأقباط قد أدانوه إدانة كاملة ، بل لقد ادانه أقباط عصره وتبرأوا منه ، واشير هنا إلى أن المسرحية العربية الوحيدة المعاصرة ، والتى أدانت الحملة الفرنسية على مصر وأعوانها وعلى راسهم « المعَلّمْ يعقوب » كـــانت مسرحيــــــة لقبطى مصرى ، والمسرحية هى « سليمان الحلبى » لألفريد فرج ، وتعتبر إحدى روائع المسرح العربى المعاصر ، فنياً ووطنياً ، كما انقل فى ختام هذه الدراسة فقرات لمفكر عربى قبطى آخر هو « الدكتور وليم سليمان » قال فيها عن المعَلّمْ يعقوب ما نصه :

« إن كتب التاريخ القبطى تسجل تبرؤ الكنيسة المصرية من الشخص الذى ينحرف عن تقليد عريق للأقباط هو ولاؤهم لوطنهم مصر . فمثلا بالنسبة للجنرال يعقوب الذى عاش أيام الحملة الفرنسية نقرأ فى كتاب « تاريخ الأمة القبطية » الذى طبعه عام ١٨٩٨ « نخله روفيله » أن يعقوب هذا سار فى خطةتخالف ما كان عليه ابناء جنسه فانه فضلا عن مخالفتهم فى الزى والحركات اتخذ له امراة من غير جنسه بطريقة غير شرعية . كما أن رجال الدين ولا سيما البطريرك لم يكونوا راضـين عن تصرفاته واحواله . وسمعت من بعض الأقباط المسنين أن البطريرك نصحه مرات عديدة بالعدول عن هذه الخطة فلم يقبل ... وعاوده النصح مرة أخرى ، فجاوبه جواباً عنيفاً فسخط عليه وسمعت من آخر أن ما كان بينه وبين البطريرك من المنازعة والمشاحنة دفعه إلى التجرؤ على دخول الكنيسة راكباً جواده رافعاً سلاحه » .

هذا ماكتبه الدكتور وليم سليمان ، معتمداً على رأيه ورأى الأقباط حتى فى عصر المعلم يعقوب نفسه .

وهكذا فقد المعَلّمْ يعقوب كل شىء ... فقد احترام مواطنيه ، مسلمين ومسيحيين ، وفقد حياته فضاعت فى آخر الأمر داخل برميل من الخمر .

إنها ماساة يجب أن يستوعبها الذين يظنون ان بيع الوطن للأجنبى فيه الخير والسلامة .

فالحقيقة أن هذا الموقف لا خير فيه ولا سلامة للوطن .. ولا حتى لهؤلاء الذين ينحرفون عن الواجب الوطنى طلباً لمكاسب شخصية ، أو تحقيقاً لأفكار « وهمية » عن الاستقلال والحرية ، ذلك أن هذا الطريق لابد أن ينتهى بضياع كل شىء .. حتى المكاسب الشخصية نفسها .. ولا يبقى إلا الأصل وهو الوطن والوطنية والمبادىء الصحيحة المخلصة .

رجـــاء النقاش

● الناس مجبولون على هذا : إنهم يكذبون أحياناً أعينهم ، ويصدقون مايقوله الآخرون ، ولاسيما إذا كان لهؤلاء الآخرين شهرة بالعلم والمعرفة

# الأرصاد.. والأرصدة


بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي


فى حلقة الأصحاب ، فى النادى ، كان أحمد مستغرقاً فى قراءة مجلة أجنبية . سأله سليم عما يشغله فى تلك المجلة عن مشاركة الرفاق فى حديثهم فاجاب :

ـ إنه مقال عن الأرصاد الجوية . وعلى التعيين عن مركز التنبؤ عن حالة الطقس ، مقره فى انكلترا وتشترك فيه سبع عشرة دولة أوروبية . تحت تصرف هذا المركز عقل اليكترونى فى وسعه أن يقوم بخمسين مليون عملية حسابية فى ثانية واحدة ... كل ذلك لناخذ علماً بحالة الجو فى غد ، وهل نرتدى له ملابس الربيع أم نتلفح بالصوف ونحمل له مظلتنا . وهذا المركز نفسه ...

قال سليم مقاطعاً صاحبه : وهل تؤمن أنت بما تبثه لنا فى كل صباح نشرة الاخبار عن درجات الحرارة المرتقبة ، وعن اتجاه الريح وارتفاع موج البحر . ؟

أجابه أحمد : ولماذا لا . ؟ الملايين من الناس يؤمنون بذلك مثلى ، ويخططون لاعمالهم وأسفارهم ونزهاتهم على ما تتنبأ به لهم تلك النشرة من حالة الجو .

قال سليم : لو كانت بين يدى جريدة أمس الأول لقرأت للرفاق خبراً طريفاً ورد فيها : أرملة صياد بحرى تطالب مديرية الأرصاد الجوية فى بلدها بمبلغ كبير تعويضاً عن غرق زوجها ، مدعية بأن نشرة تلك المديرية هى التى أغرقته ...

قال أحد أفراد الحلقة : النشرة أغرقته . ؟ ... كيف . ؟

قال سليم : هكذا ادعت الزوجة . سمع زوجها النشرة فى الصباح تعلمه بأن البحر هادىء والرؤية فيه حسنة ، فخرج بزورقه يبحث عن رزق العيال . وحين أصبح فى عرض البحر هبت العاصفة فارتفع الموج وانعدمت الرؤية وهطلت الأمطار بغزارة ، فكانت النتيجة أن ابتلع البحر الصياد وزورقه ، وأن ترملت تلك البائسة ...

قال أحمد : قد يحدث هذا بين الحين والحين . انه الشذوذ الذى يؤكد القاعدة .

وهنا تدخل الدكتور عبد الله ، وكان ضيفاً على الجلسة ، فى الحديث قائلا :

ـ اسمحوا لى أن أروى عن الأرصدة الجوية واقعة ضاحكة . تعرفون أنى ، فى إحدى المرات ، تركت بلدتى الصغيرة لاتولى فى العاصمة منصباً كان لى فيه الأمر والنهى فى قضايا كثيرة ، منها الموافقة على سفر من توفده الدولة الى الخارج فى مهمة أو ترسله الى مؤتمر . فى ذلك الزمن جاءنى مدير الأرصاد الجوية يرجونى الموافقة على حضوره موتمراً دولياً يعقد فى أوتاوا ، فى كندا . قلت لذلك المدير بلهجة حاسمة لا . لا أوافق على سفرك ! سالنى مندهشاً : ولماذا ياسيدى . ؟ قلت : لانكم فى مناصبكم العالية لا تحسبون حساباً لبلدائنا الصغيرة ، وكانها ليست من أرض الوطن . قال مستغرباً : أرجوك ... كيف ؟ قلت : نشرتكم اليومية عن حالة الطقس المرتقبة ... لم أسمع فيها مرة ذكراً لبلدتى ، مع أن فيها مركزاً لتسجيل المعطيات الجوية مثل المدن الكبيرة التى تذكرونها صباح مساء . تنفس المدير عند هذا ارتياحاً لمعرفته سبب نقمتى وقال : أهذا كل ما فى الأمر ياسيدى . ؟ .... من الآن وصاعداً سنذكر فى نشرتنا كل المعلومات عن طقس بلدتكم الكريمة ... استمعوا اليها هذا المساء ، وكل صباح ومساء بعده ...

## واحدة بواحدة

قال أحد الجلساء متسائلا وهو يبتسم وهل بر المدير بوعده . ؟

أجاب الدكتور عبد الله : بلا شك ، ما دمت قد وافقت أنا على حضوره ذلك المؤتمر ... حضوره على نفقة الدولة بالطبع ! واحدة بواحدة . وفوق ذلك ... لاحظت طيلة الفترة التى كنت فيها فى منصبى ذاك آمر وانهى أن درجة الحرارة التى تذيعها نشرته عن بلدتى ، وهى تقع كما تعلمون فى وسط البادية ، كانت تماثل درجة حرارة العاصمة أو تقل عنها بدرجة أو درجتين . كان المدير يخفض هذه الدرجة مبالغة منه فى ارضائي ...

قال أحمد وهو يضحك : ذلك مقبول منه . الرحلة الى أوتاوا ، على حساب الدولة ، تستحق تخفيضاً مثل هذا فى درجة الحرارة ...

أما الدكتور عبد الله فاستمر فى حديثه ، قال : ولا استطيع أن أصف لكم الغبطة التى داخلت نفوس أهل بلدتى المتواضعة لسماعهم اسم بلدتهم يتكرر فى كل يوم اكثر من مرة فى نهاية نشرة الأخبار فى الاذاعة . وبينما تتفصد جباههم عرقاً من حرارة صيفهم التى تشوى الجلود ، كان السرور يملأ صدورهم إذ يسمعون من المذياع أن الجو عندهم ، وهم فى وسط الصحراء ، ألطف من جو العاصمة التى تتدفق فى جنباتها المياه وتملأها الحدائق والبساتين ...

قال أحد الحضور معلقاً : الناس مجبولون على هذا ... يكذبون أحياناً أعينهم ويصدقون ما يقوله الآخرون لاسيما إذا كان لهؤلاء الآخرون شهرة بالعلم والمعرفة ...

## الهبة الملكية

وهنا عاد أحمد الى الحديث عن محتوى مجلته الأجنبية ، قال :

ـ إذا سمحتم فانى أعرفكم بكل ما ورد فى المقال عن مركز الأرصاد الجوية الذى يسمونه



ريدنغ . الميزانية السنوية لهذا المركز تتعدى مبلغ اثنى عشر مليون دولار ، ومقره بجانب لندن يقع فى أرض بعيدة ، مشجرة مساحتها بضعة هكتارات . هذه الأرض تخص الملكة إليزابيث ، ملكة انكلترا ، وقد تنازلت عنها لمركز ريدنغ ورضيت أن يشغلها مجاناً لمدة تسعمائة وتسعة وتسعين سنة فقط ...

فاعترض سليم ، كعادته ، مقاطعاً الحديث بقوله : ولماذا هذا العدد من السنين بالضبط ؟

قال أحمد : الواقع ، كما تقول المجلة ، ان الملكة أرادت أن تكون أكرم من هذا ... ولكن القانون البريطانى يمنع التنازل عن أرض ملكية لمدة تزيد عن ألف عام . وعلى كل فانى أرى أن عمل الملكة يستوجب الشكر ولو كانت هبتها محدودة بهذا العدد القليل من السنين : تسعمائة وتسعة وتسعين عاماً !

قال سليم فى جد مصطنع لا شكر على واجب . لعل الملكة لم تفعل هذا إلا لتزيد من شعبيتها . ربما كان عليها أن تشكر مركز الأرصاد لقبوله هبتها .

فتدخل الدكتور عبد الله مرة أخرى فى الحديث بقوله : أخونا الاستاذ سليم يقول ما يقوله مازحاً كما يبدو من لهجته . ومع ذلك فان هذا هو منطق عامة الناس فى هذه الأمور فى أيامنا الحاضرة . ذكرتنى هبة ملكة انكلترا التى وردت فى مجلة أحمد بهبة شاهانية أخرى ... هى هبة امبراطورة اليابان .

### فائدة مفيدة

وحين استفهم الحضور عن هبة الامبراطورة بعد هبة الملكة فصلها الدكتور عبد الله بقوله :

ـ التقيت فى جنيف ، فى العام الفائت بصديقى السيد « لوك » الذى يشغل مركزاً مرموقاً فى الصليب الاحمر السويسرى ، وذلك فى فندق دو رون المشهور . اخبرنى صديقى ذاك أنه فرغ لتوه من معاملة تحويل سيارة مرسلة الى احد فروع الهلال الاحمر فى بلادنا . سألته عن تلك السيارة فقال انها سيارة اسعاف كاملة التجهيزات ، وانها واحدة من جملة سيارات تبرعت بها امبراطورة اليابان لمنظمة الصليب الاحمر الدولية ..

ـ أراد ، كشانه ، ان يعترض فقال له الدكتور عبد الله : اعرف ما تريد ان تعلق به .. تريد أن تقول : كرم ملوكي غير مستغرب مال الرعية يرد إلى الرعية ! الأمر ليس هنا . أخبرني السيد « لوك » ان الهبة كل عام ، بشكل سيارات إسعاف أو باشكال اخرى ، وان نفقات تلك الهبة المكررة تدفع من حصيلة فوائد أموال الامبراطورية ففى نهاية كل عام تحسب الامبراطورة فائدة ودائعها فى البنوك ، فلا تسجل تلك الفائدة فى حسابها الشخصي بل تحولها إلى اعمال الخير فى العالم .. تدفعها الى المنظمات الانسانية على المستوى الدولى .

قال سليم مصراً على الاعتراض : اسمح لى هنا بكلمة .

قال الدكتور عبد الله : بل دعنى اكمل . بينما كان صاحبى يحدثنى بهذا فى بهو الفندق الكبير مر أمامنا واحد من اثرياء العرب . قال لي صديقى انه رأى ذلك السيد البارحة فى متجر من متاجر الفندق الفاخرة يتأمل فى حقيبة مصنوعة من جلد التمسلح سعرها ستة آلاف فرنك سويسرى ، وانه سمع البائعة ترغب السيد العربى بشراء الحقيبة بقولها إن بامكانها ان تحسم له نسبة مئوية من الثمن ، فرد السيد عليها قائلا : لست اسأل عن الثمن ، وانما احب ان اعرف إذا كان فى متجرك غير هذه الحقيبة .. فانا أريد أن اشترى لأبنائى وبعض أصدقائى عدداً منها .. عشرين مثلا !

وهنا صفر احد الجلوس بفمه ، متعجباً ، قبل ان يقول : عشرون فى ستة ... مائة وعشرون الفاً !

قال الدكتور عبد الله : حسابك صحيح .. مائة وعشرون ألف فرنك سويسرى . وقال صاحبى السويسرى معقباً : لاتظنني انتقد هذا السيد .. انه يملك مالا يريد ان يتمتع به وان يمتع به أبناءه واصدقاءه، وهذا فيما أرى حق له .. ولكنى سمعت انه وامثاله لا يستحلون اخذ فائدة على أرصدتهم المودعة فى مؤسساتنا المصرفية .. لماذا لا يفعلون مثل إمبراطورة اليابان ، فيهبون منظمتنا الانسانية تلك الفائدة لنشترى بها سيارات الاسعاف والأدوية والاغذية ؟ !

قال سليم ، الذى نسي اعتراضات المماحكة ، فالقى على المتحدث سؤالا جاداً :

ـ وبماذا اجبته انت ؟

قال الدكتور عبد الله : لم يكن السؤال موجهاً الى . الصحيح انه خطر لي ان الحق بذلك الثرى ، ابن جلدتي ، لاطرح عليه سؤال السيد « لوك » ، ولكنه كان قد خرج من الفندق . على أني ما كنت واثقاً ، حتى لو ادركته قبل خروجه ، من قدرتى على توجيه تلك السؤال إليه . قد يراه تدخلا مني فى ما لا يعنيني .. ومن تدخل فى ما لا يعنيه لقي مالا يرضيه .

وعند هذه الكلمة المأثورة قام الدكتور عبد الله من مقعده متهيئاً للانصراف ، فانفضت بذلك حلقة الأصدقاء فى ذاك المساء .

د . عبد السلام العجيلى

نشرت فى باريس مؤخراً نصوص المحاورة الفكرية الأدبية الأخيرة بين الفيلسوف الفرنسى الوجودى جون بول سارتر ، وصديقته الأديبة سيمون دوبوفوار . وقد جرت هذه المحاورة ، التى تم تسجيلها حية ، قبل وفاة سارتر بوقت قصير ولكن لم يتم نشرها إلا الآن . وقد اخترنا المقاطع الأساسية التالية منها ، والتى تتضمن رأى سارتر فى فلسفته وموقفه الحقيقى من الفلسفة ومن صفته هو باعتباره فيلسوفاً ذاع صيته وانتشرت فلسفته بين الكثيرين ، (من بينهم أعداد كبيرة من المثقفين العرب فى الخمسينات والستينات) .

أما لماذا اخترنا هذه المقاطع التى تكشف موقف سارتر فى نهاية حياته من فلسفته ، فنتركه للتعقيب الذى يجده القارىء فى ختام هذه المحاورة ، وذلك كى لا نستبق النصوص الأصلية للمحاورة وندعها تتحدث أولا عن نفسها .

المترجم

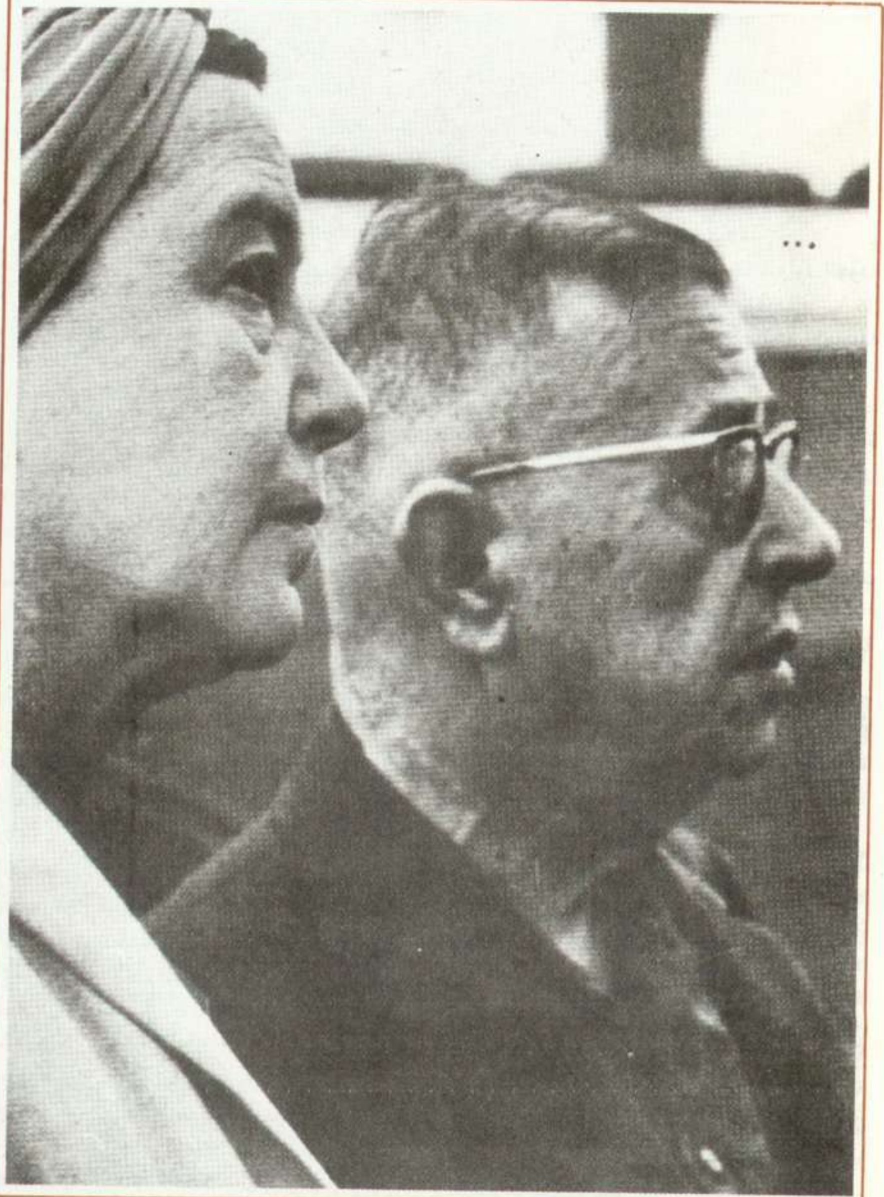
# المحاورة الأخيرة بين سارتر ودي بوفوار

ترجمها عن الفرنسية وعقب عليها :
الدكتور محمد جابر الأنصاري



سارتر وسيمون : فى سن الشباب

جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار
رحلة عمر وساعة حقيقة



## الفلسفة كانت وسيلة .. لا غاية

ـ دوبوفوار : علام اعتمدت فى تحقيق خلودك الأدبى : على الأدب أم الفلسفة ؟ وكيف كان شعورك تجاه كل منهما ؟ وهل تفضل أن يحب الناس فلسفتك أم يحبوا أدبك ، أم تتمنى أن يفضلوا الاثنين معاً ؟

ـ سارتر : بطبيعة الحال ساجيب أن يحبوا الاثنين معاً . ولكن ثمة أولوية لدى تضع الفلسفة فى المرتبة الثانية وتضع الأدب فى المرتبة الأولى . فانا اتمنى أن احقق الخلود الأدبى عن طريق الأدب . أما الفلسفة فليست سوى وسيلة توصلنى الى ذلك . ولكنها فى نظرى ليست بذات قيمة مطلقة فى حد ذاتها لأن الظروف (التاريخية) تتغير وتؤدى الى تغييرات فى الفلسفة .

إن أية فلسفة كانت لا تلبى مطالب اللحظة الحاضرة ، وليست بالشىء الذى يكتبه المرء لمعاصريه ، لأنها تعالج الحقائق الأزلية ؛ ولذا فان فلسفة أخرى ستاتى وتتخطاها بالتاكيد لأن هذه تنظر الى الأزل أيضاً وتتحدث عن أمور بعيدة جداً عن وجهة نظرنا الشخصية فى اللحظة الماثلة . أما الأدب فعلى النقيض من ذلك ، يمثل سجلا للعالم الماثل أمامنا ، للعالم الذى نكتشفه من خلال القراءات ، والمناقشات ، والانفعالات والرحلات . أما الفلسفةفتذهب بعيداً ، وهى تعتبر ، على سبيل المثال ، المشاعر الراهنة ليست بذات بال لأنها لم تكن موجودة منذ القدم ؛ والحب ...

ـ دوبوفوار : تريد القول ان الأدب بالنسبة لك له طبيعة اكثر إطلاقاً ، بينما الفلسفة تعتمد أكثر على متغيرات التاريخ ولذا فانها خاضعة بصورة اكبر لعملية المراجعة والتنقيح ؟

ـ سارتر : انها تستدعى بالضرورة المراجعة والتنقيح لأنها تتخطى دائماً اللحظة الماثلة .

ـ دوبوفوار : حسناً ، ولكن الا ترى معنى مطلقاً فى وجود الفيلسوف «ديكارت» أو الفيلسوف «كانت» ، حتى ولو تم تجاوز فلسفتيهما بشكل او باخر ؟ ولنقل انه تم تجاوزهما ، ولكن اليس الرجوع الى ما أبدعاه يحمل معنى مطلقاً ؟

ـ سارتر : لا انكر ذلك . ولكن هذا لا يحدث فى الأدب . فالناس الذين يحبون «رابليه» من كل قلوبهم يقرؤونه كما لو انه فرغ من كتاباته لتوه !

ـ دوبوفوار : وبصورة مباشرة تماماً وبلا واسطة ..

ـ سارتر : وسرفانتس ، وشكسبير نقرؤهما كما لو كانا حاضرين معنا ... و «روميو وجولييت» و «هاملت» من الأعمال التى تحمل دوماً صبغة الجدة كما لو كتبت للتو ..

ـ دوبوفوار : إذن فانت تعطى الأولوية فى نتاجك للأدب ، ومع هذا فان الفلسفة تلعب دوراً هائلا فى مجمل قراءاتك وفى تكوينك (الثقافى) كله .

ـ سارتر : نعم لأنى اعتبرها افضل معين على الكتابة ، فهى التى أعطتنى الأبعاد الضرورية لخلق عالمى القصصى .

ـ دوبوفوار : لكنا لا نستطيع القول مع هذا ان الفلسفة لم تكن سوى وسيلة بالنسبة لك .

ـ سارتر : فى نقطة البداية ، كانت كذلك ..

ـ دوبوفوار : فى البداية نعم ، ولكن فيما بعد عندما جاء الوقت الذى كتبت منه كتاب «الوجود والعدم» وكتابك الآخر : «نقد العقل الجدلى» ، لا يمكننا القول ببساطة إن ذلك كان وسيلة للتوصل الى كتابة أعمال أدبية،فالكتابان فلسفة قائمة بذاتها وهى التى دفعتك للكتابة تعبيراً عنها .

ـ سارتر : نعم لقد أثارت اهتمامى ، هذا أكيد .

# المحاورة الأخيرة
## بين سارتر ودي بوفوار

فقد أردت التعبير عن نظرتى للعالم فلسفياً ، مثلما كنت أعبر عنها بالشخصيات الحية فى أعمالى الأدبية ، وفى مقالاتى . وكان هدفى وصف هذه الرؤية لمعاصرى . (أى أنه لم يقدم فلسفته كحقيقة وكايمان دائم للأجيال ـ المترجم)

ـ دوبوفوار : باختصار ، إذا قال لك أحد : «أنت أديب عظيم ، ولكنك كفيلسوف لا تقنعنى» ، فانت تفضله على من يقول لك : «فلسفتك رائعة ، ولكنك كأديب لا تثير اهتمامى ...»

ـ سارتر : نعم أنا أفضل القول الأول . (الذى يلغى قيمته كفيلسوف) .

ـ دوبوفوار : ربما لأنك تشعر بأن فلسفتك لا تخصك وحدك بشكل حصرى ، وإن غيرك يمكن أن يتوصل الى أفكارها ، وهذا يحدث أيضاً للعلماء الذى يبتكرون الجديد لكن غيرهم يتوصل للشىء ذاته فيما بعد ، فلا يبقى ملكاً خاصاً لمبتكريه . من ناحية أخرى ، ألا يمكننا القول أيضاً بأن العمل الأدبى مطلق فى تفرده وخصوصيته لكنه مغلق ومتوقف بينما الفلسفة ، وإن تجاوزناها ، فهى مفتوحة للأخذ والرد ، فمثلاً الفيلسوف «ديكارت» يعيش فى ذاتك ، وإن يكن بطريقة أخرى تختلف عن حضور شكسبير لديك الذى تقرؤه بمتعة عظيمة والذى يؤثر عليك بالايحاء الحى المباشر ؛ بينما «ديكارت» ينطوى فى تركيبة أفكارك . فلماذا تفضل ما هو مطلق قائم بذاته ، لكنه منغلق (تقصد العمل الأدبى) ؟

ـ سارتر : عندما كنت صغيراً ، ذلك ما كنت أحياه . فقد أردت أن أكتب رواية مثل «نوتردام باريس» أو «البؤساء» ، عملا سيحظى بالاعتراف فى العصور التالية ، مطلقاً لا شىء يمكن أن يبدل منه . أما الفلسفة ، فأنت تعلمين ، بأنها دخلت حياتى بطريقة غير مباشرة نوعاً ما .

### لماذا الفلسفة اذن ؟

ـ دوبوفوار : لماذا دخلت الفلسفة فى حياتك كمبدع (لها) ؟

ـ سارتر : كنت مبدعاً للروايات فى خيالى ، عندما بدأت التعاطى مع الفلسفة .. وكان لدى قريب يدرس فى قسم الرياضيات ، ويتعلم الفلسفة كبقية تلاميذ الرياضيات . ولكنه كان يرفض التحدث عن الفلسفة أمامى . لذلك داخلنى الشعور بأنه يعرف أشياء لا أعرفها ، وهذا ما أثار فضولى ، ودفعنى للفلسفة . ولكن كانت الأفكار الروائية والأدبية متمكنة من نفسى بحيث لم تستطع الفلسفة أن تزحزحها منى .

ـ دوبوفوار : لماذا أصبحت مؤلفاً فى الفلسفة إذن ؟

ـ سارتر : هذه حذاقة غريبة ، لأنى لم أرغب أن أكون مؤلفاً فى الفلسفة ولم أرد أن أكون فيلسوفاً فقد كنت أعتبر ذلك مضيعة للوقت . حقاً لقد رغبت فى دراسة الفلسفة ، ولكنى لم أرغب فى التفلسف . واعتبرت ذلك عبثاً . ومع مرور الوقت بدأت أبتكر فلسفياً وأنا أكتب ، وإن كان ذلك يصعب شرحه . ووجدت متعة فى قدرتى على التأليف الفلسفى . غير أن الفلسفة هى بمثابة تواصل مع الحقيقة (البعيدة) ومع العلوم (المنهجية) ، وهذا ما ضايقنى ، ثم إن الوقت كان مبكراً .

ـ دوبوفوار : ولكن الفلسفة مع هذا أثارت اهتمامك الى حد الشغف وذهبت الى ألمانيا لتقضى سنة للتعمق فى فلسفة «هوسرل» ولتتعرف الى «هايدغر» .

ـ سارتر : قضيت وقتى فى ألمانيا على النحو التالى : من الصبح وحتى الثانية بعد الظهر فلسفة . ثم أتوقف للغداء ، وأعود فى الخامسة مساء لأكتب رواية «الغثيان» ، أى لأقوم بعمل أدبى .

ـ دوبوفوار : ولكن يبقى للفلسفة دورها الكبير . وأذكر أنك عندما قرأت كتاب «لوفيناس» حول «هوسرل» مرت بك لحظة ارتباك كامل وقلت لنفسك : «آه .. لقد اكتشف كل أفكارى !» . إذن فأفكارك الفلسفية تبقى لها أهميتها الفائقة .

ـ سارتر : نعم ، ولكنى كنت مخطئاً عندما قلت بأنه قد اكتشف (قبلى) كل أفكارى .

ـ دوبوفوار : كان لديك حدس فلسفى معين ولم يرق لك أن يسبقك أحد للتعبير عنه . إذن ، باختصار ، فقد راهنت على الخلق الفلسفى أيضاً .. وأردت أن تصبح الفيلسوف سبينوزا والأديب ستاندال فى نفس الوقت ، أى علماً من أعلام عصرك والعصور التالية . أهذا ما حلمت به وأنت فى العشرين ؟

ـ سارتر : نعم ذلك ما طمحت اليه وأنا فى العشرين عندما تعرفت اليك .

ـ دوبوفوار : وبصورة عامة ، كنت مغروراً الى حد كبير . وكنت تكرر هذه الكلمات : «لم أقابل أبداً الرجل الذى يساوينى !» .

ـ سارتر : نعم لقد كتبت ذلك فى أحد دفاترى .

ـ دوبوفوار : ومع ذلك شعرت بخيبة مرة عندما اعتقدت أن كتابك «الغثيان» قد تعرض للرفض فى البداية .. لقد هزك ذلك تماماً .. وأود العودة الآن لهذا الاخفاق الأول لـ «الغثيان» .. هل اعتقدت عندها أنك عبقرية لم تجد الوسيلة لتحقيق الاعتراف بها ؟

ـ سارتر : اعتقدت أن «الغثيان» كتاب جيد ، وأنه تم رفضه (فى البداية) كما يحدث للكتب الجيدة غالباً فى تاريخ الأدب . قلت لنفسى : لقد كتبت كتاباً ، وقدمته ، وسيتم الاعتراف به متأخراً كرائعة أدبية !

ـ دوبوفوار : ما هى علاقتك الذاتية مع أعمالك الآن فى هذه السن ؟ .

ـ سارتر : لست راضياً عنها تماماً . فى الرواية لا أظننى بلغت الكمال ..

ـ دوبوفوار : إنها لم تبلغ منتهاها لكنها لم تخفق

ـ سارتر : لقد تم تقييمها بأقل مما هى وأعتقد أن الناس على حق . ثم تأتى أعمالى الفلسفية ..

ـ دوبوفوار : هذه رائعة بشكل مدهش .

ـ سارتر : نعم ، لكن إلام تؤدى (أى ما قيمتها المطلقة ؟)

ـ دوبوفوار : أجد أن كتاب «نقد العقل الجدلى» قد ساهم بشكل مدهش فى تقدم الفكر !

ـ سارتر : أليس ذلك مثالياً ؟

ـ دوبوفوار : لا أعتقد . وأرى أنه يمكن أن يبقى لأمد طويل . (وسؤال آخر) .. لقد قلت من ناحية انك شعرت بنبوغك منذ الصغر ، ومن ناحية أخرى كنت تؤكد بأن الناس متساوون ؛ فهل بسبب هذا الايمان بالمساواة ، رفضت دائماً كل ما يميزك عن الآخرين ؟

ـ سارتر : لهذا صلة بذاك حتماً . لكنه متصل أيضاً بايمانى بأن حقيقتى العميقة فوق كل تشريف أو تكريم (بالأوسمة والجوائز) . فهذه التشريفات معطاة من أناس لآخرين . والذين يقدمون هذه التشريفات ، سواء كانت وسام الشرف أو جائزة نوبل ، لا يمتلكون صلاحية اعطائها (أدبياً) . فمن له الحق يا ترى ليعطى «كانت» أو «ديكارت» أو «جوته» جائزة تكريمية ؟ ثم إن هذا يؤدى الى خلق طبقات هرمية فى عالم الأدب ..

ـ دوبوفوار : هذا يفسر لماذا رفضت جائزة نوبل .

ـ سارتر : جائزة نوبل ؟ .. اننى على تضاد مطلق معها ، لأنها تنطوى على تقسيم طبقى للأدباء ، ولو كانت موجودة فى القرون الماضية لما حصل عليها أعظم العباقرة ولنالها أواسط الكتاب .. وهذا سخف لا طائل منه .

● ● ●

تعقيب المترجم

# ماذا بقي من فلسفة سارتر بعد هذا الاعتراف ؟

يهمنا أن نلاحظ بأن سيمون دى بوفوار كانت حريصة طول الوقت على تذكير سارتر بالفلسفة وحبه لها ودوره هو كفيلسوف وصاحب مدرسة فلسفية وصاحب مؤلفات فى الفلسفة النظرية الخالصة تضعه فوق مصاف الأدباء والروائيين .

لكنه كان طول الوقت أيضاً يتهرب من تأكيد نفسه كفيلسوف وصاحب اهتمام أصيل فى الفلسفة وصاحب إسهام حقيقى فيها ويرد مؤكداً بالمقابل عبقريته الأدبية وتفضيله للأدب كفن متفوق على الفلسفة . وكأن «دوبوفوار» تريد من «سارتر» أن يقول للأجيال الجديدة : هذه فلسفتى الوجودية مازالت حية قابلة للاستمرار فخذوها واحملوا رايتها ؛ بينما الرجل فى نهاية العمر وساعة الحقيقة لا يجد من الايمان فى قلبه ما يدفعه الى حمل هذه الدعوة وتأكيدها ، علماً أن المؤمنين بأفكارهم وفلسفاتهم يصبحون أشد اقتناعاً بها وميلا الى نشرها فى سنواتهم الأخيرة . ولكن الرجل صادق مع نفسه وهو يرى أن فلسفته

ومؤلفاته الفلسفية ، التى أحدثت دوياً وقت صدورها ، واجتذبت اتباعاً كثيرين ، لم تعد تساوى فى نظره شيئاً يذكر ، بل ويرد على اعجاب صديقته بكتبه الفلسفية قائلا : ولكن الى أين تؤدى بنا ؟!

ولو كان سارتر مؤمناً بفلسفته حقاً لما تحدث عنها بمثل هذا التردد ولما قلل من شأن فكره الفلسفى بهذه الصورة ؛ ولما قال عن الفلسفة ككل بأنها عبث ومضيعة للوقت ، وأنه قد نظر اليها كوسيلة لا غاية ، وأنها قد دخلت حياته بدافع الفضول والمنافسة بينه وبين قريبه الذى ميز نفسه عنه بدرس الفلسفة والتظاهر بحفظ أسرارها ..

أما لماذا استمر سارتر فى التأليف الفلسفى



سارتر قبل وفاته بعامين

بعد ذلك فانه يجيب بأن الأمر كله «حذاقة غريبة» وشعور «بالمتعة للقدرة على التأليف» أى بعبارة أخرى لاظهار الحذق والاستمتاع بالقدرة على التفلسف الذى يعجز عنه الكثيرون . أما ايمانه العميق بالأفكار الفلسفية ذاتها فان سارتر يشككنا فيه كثيراً عندما يضيف الى هذا كله عبارته الصريحة : «... ولكنى لم أرغب فى التفلسف واعتبرت ذلك عبثاً» !!

( وليس مستغرباً أن يشك «سارتر» فى قيمة فلسفته التى لم تقم على غير الشك والعبث كمنطلق فلسفى ـ رغم تأكيدها الالتزام والمسئولية والحرية كقيم انسانية فردية) .

فالانسان فى النهاية . حتى لو كان «سارتراً» ، يبحث عما يعطيه الايمان واليقين ويشعره بالمعنى العميق للوجود ، لا المعنى التبعى له . وذلك ما يدفع سارتر فى نظرنا للتعتيم على الجانب الفلسفى من حياته .

وسيندهش العارفون بالحاد سارتر المعلن عندما يقرؤون اعترافه الأخير التالى الذى قاله بالحرف الواحد لسيمون دى بوفوار ، فى موضع آخر من محاورته الطويلة معها ، لم تشمله ترجمتنا ، ولكنا نرى من الضرورى أن يطلع على نصه القراء هنا ، خاصة الذين علقت بأذهانهم آثار من إلحاد الفيلسوف الوجودى الفرنسى :

● يقول سارتر : «أنا لا أشعر بأنى مجرد ذرة غبار ظهرت فى هذا الكون ، وإنما ككائن حساس تم التحضير لظهوره وأحسن تكوينه . أى بايجاز ككائن لم يستطع المجىء إلا من خالق» .

وهذه العبارة تنسف فلسفة «سارتر» الالحادية من الأساس !

وبعد .. فهذا هو موقف «سارتر» فى ساعة الحقيقة من الفلسفة ومن فلسفته الوجودية وكتبه الفلسفية التى كانت غذاء فكرياً هاماً لبعض مثقفينا قبل هزيمة حزيران ، والتى مايزال البعض يكتب حتى الآن تحت تأثير منطلقاتها العبثية .

مع تحياتنا لكل من ساهم فى نشر الوجودية .. ودعا اليها ..
وصدقها !!

دكتور محمد جابر الأنصارى
باريس

رجـــل تستحـــي منـــه المـــلائكة

# عثمان

# الخليفة المفترى عليه

بقلم : خـالد محمد خـالد

عثمان بن عفان رضى الله عنه واحد من الرجال الذين دعتهم الأقدار ، ليأخذوا مكانهم مبكرين مع الرسول الذى جاء بالهدى ودين الحق .. من الرجال الذين تركوا مباهج الحياة ومناعمها فى الأوليات من أيام الاسلام إلى حياة تموج بالخطر وتفرض التضحيات ! !

ومن عليائه وثرائه . ومن جاهه العريض ودنياه الحافلة خرج إلى دعوة الله ورسوله مخبتاً أواباً يشد أزر الدين ، ثم يتقبل بطيب خاطر أن يغادر أهله ووطنه مهاجراً إلى الحبشة مع المهاجرين الأوائل امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مؤثراً ذلك على الرجوع إلى جاهلية قريش الباطلة وأوثانها الزائفة .

ولقد كان من الطبيعى والقدر يختار الرعيل الأول للأسلام ، ويصطفى المؤمنين الذين سيواجهون مع رسولهم الأعزل كل ما فى الدنيا من زيف وكذب وجهالة وغرور .

أقول : كان من الطبيعى أن يختار هؤلاء الرجال من طراز متفوق قادر على أن يكون قدوة لكل ما ينقص الحياة من حق وخير وفضيلة وجمال .. طراز قادر على أن يهب حياته فى سماح نادر المثال لنصرة الرسالة التى جاءت على فترة من الرسل ومن الرسالات .. لتنفخ من روحها المقتدر الغلاب فى حياة ذلك الرشد الوهنان الذى كانت ذؤابته توشك على الانطفاء ، لا فى مكة وحدها . بل فى الأرض جميعاً .

وهنا نلتقى بأولى خصائص « عثمان » . فهو لم يكن رجلا من نافلة الرجال . بل كان صحابياً وحوارياً اختاره الله واصطفاه ـ فيمن اختار واصطفى ـ ليكون بين الكتيبة الأولى التى ستقوم بتبليغ كلمات الله ونشر نور الاسلام .

وهو بهذه المثابة لن يكون ذلك المفرط فى حق من حقوق الله . لا عن عصمة . بل عن تشبع عميق لصبغة الله التى صبغ بها وفطر عليها ذلك الرعيل الأمثـــل من الأصحاب .

أجل ـ فى أعلى مستويات الاصطفاء ، تقدمت مقادير الاسلام لتختار له الجديرين بحمل رايته فى فجره الغض وأيامـــه الباكرة .. !!

ومن هؤلاء المصطفين ، كان « عثمان » .. خرج أو قولوا بزغ بزوغ الأهلة حاملا أعباء نوره الجديد ، باذلا التضحيات المجيدة فى سبيل الله ورسوله والمؤمنين . !

ولقد جاء اسلامه « تنازلا » كاملا عن حياة مترعة بالنعيم والراحة إلى حياة كلها كد وبذل وتضحية وعناء .

وحين احتوى قريشا النزق ، وراحت تدمدم بجبروتها الجهول حتى على الذين هم

من صفوة رجالها ـ أمر الرسول « عثمان » بالهجرة ومعه زوجه « رقية » بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقال عنه : « عثمان أول المهاجرين إلى الله بعد نبى الله لوط » .

● ●

ساعة أسلم كانت سماحته وحياؤه يقودان خطاه الوديعة الواثقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحبة أبى بكر رضى الله عنه حيث وضع يمينه فى يمين الرسول وعطرها ببيعة مؤمنة وصادقة .. وكان اسلامه غضاً كانفاس الزهر فى فجر الربيع .. !!

كان مع الراشدين من قومه ينتظر ظهور « المنقذ » الذى سيخرج الناس من الظلمات إلى النور . فلما جاء المنقذ المنتظر منعه حياؤه من أن يهرب . ومنعته سماحته من أن يتردد أو يرجىء .

وعلق الرسول على صدره هذا الوسام :

« أصدق أمتى حياء عثمان . اللهم أرض عن عثمان فانى عنه راض ، وان الملائكة لتستحى من عثمان » !!

وساعة هاجر كانت سماحته وحياؤه يدفعانه إلى الهجرة امتثالا لأمر الرسول الذى عز عليه أن يرى « عثمان » يهان فى قوم هو سيدهم .. وعز عليه أن يراه موثقاً بالحبال والسلاسل ، والحكم بن أبى العاص عمه يصرخ فيه : « أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ والله لا أفك وثاقك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين » .. !! ويجيبه « عثمان » فى إصرار المؤمن الذى عرف طريق الله ، وثبت فوق مشارفه خطاه : « والله لا أدع دين الله أبداً ولا أفارقه » ..

كانت هجرته هجرة روح لا هجرة مكان . وكان يرى فى هجرته خطوات إلى الله على طريق الله .. ولقد تنازل لاسلامه ولهجرته عن جاهه وماله ، وأخيراً عن حياته فى سماح منقطع النظير !!

ولقد بقى حريصاً على ألا تزايله صفة المهاجر ـ فعندما هاجمه الثوار وهو خليفه ، يريدون عزله أو اغتياله تقدم إليه « المغيرة ابن شعبة » بمشورته قائلا له : « يا أمير المؤمنين . لقد نزل بك ما ترى . وإنى اشير عليك بثلاث : لتختار واحدة منها ـ إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك قوة وعدداً ، وأنت على الحق ، وهم على الباطل .. وإما أن تفتح لك من خلف الدار بابا تخرج منه فى غفلة منهم حيث تحملك رواحلك إلى مكة ، فانهم لن يستحلوا دمك وأنت بها .. وإما أن تلحق بالشام ، فان بها معاوية » ..

ويجيب المهاجر العظيم قائلا : « اما أن أخرج فاقاتلهم ، فوالله لن أكون أول من يخلف رسول الله فى أمته بسفك الدماء .. وأما خروجى إلى مكة ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد رجل من قريش فى مكة يكون عليه نصف العذاب ، ولن أكون هذا الرجل . وأما خروجى إلى الشام ، لأن فيها معاوية فلاوالله . ولن أفارق دار هجرتى وثوابها ومجاورة رسول الله ما حييت » ..

رجل يحيط به ثوار مسلحون . يريدون رأسه ، وبين يديه الفرصة للنجاة والخلاص ثم يرفضها لأنها ستنال من كرامة هجرته وثوابها .. !!

ولو أردنا أن نتعرف إلى مسلم هاجر من دنياه وأمواله وثرائه ، إلى البذل العريض ، والعطاء المفيض فى سبيل الله ودينه لانطلقت البنان مشيرة إلى عثمان ..

● اشترى بالمدينة « بئر رومة » ، وكانت ملك يهودى يتحكم عن طريقها فى المسلمين ويبيعهم الماء بثمن باهظ ، فاشتراها الجواد السمح « عثمان » باربعة وعشرين الف درهم وجعلها للمسلمين بغير ثمن وبلا حساب ..

● واشترى بخمسة وعشرين الفاً مكاناً بجوار مسجد الرسول الذى ضاق باعداد المسلمين وجعل منه توسعة للمسجد الشريف ..

● وعندما رأى الرسول أن يوسع فى المسجد الحرام بمكة اشترى عثمان الدور المجاورة بعشرة آلاف دينار ..

● وفى غزوة « تبوك » وقفت صفوف المهاجرين طويلة عريضة بغير سلاح كاف . واستعرض الرسول وجوه أصحابه قائلا : « من يجهز هؤلاء ويغفر الله له ؟ » وفوراً وجدت العسرة « عثمانها » المعطاء ، فقام بتجهيز الجيش كله حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال . وتبرع من خالص ماله بتسعمائة وأربعين بعيراً ، وستين فرساً ، وعشرة آلاف دينار ، وسبعمائة أوقية ذهباً ، أخذ الرسول عليه السلام يقلبها بكفيه وهو يقول : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن إلى يوم القيامة .. ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » ..

● ويحدثنا عبد الله بن عباس فيقول : « قحط الناس فى زمان أبى بكر ، وقدمت المدينة قافلة لعثمان ، فغدا عليه التجار ، فخرج إليهم وسالوه أن يبيعهم قافلته . فسالهم : كم تربحوننى ؟ قالوا : العشرة اثنا عشر ، قال : قد زادنى .. قالوا فالعشرة خمسة عشر .. قال : قد زادنى ..

قالوا : من الذى زادك ونحن تجار المدينة؟ قال : الله .. زادنى بكل درهم عشراً ، فهل لديكم من مزيد ؟ ؟ فانصرف التجار عنه وهو ينادى : « اللهم انى وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن وبلا حساب » !!

أفهذا رجل تهفو نفسه إلى المال الحرام وهو خليفة فى سن الثمانين ؟ !!

أو هذا رجل يشوه إيمانه بممالأة الظالمين ؟ !!

سنرى ، وفى صدق تاريخى سنواجه الحقيقة فى موقف « عثمان » ..

● ●

ولى « عثمان » الخلافة بعد أمير المؤمنين « عمر » رضى الله عنهما ، وحمل مسئولياته الجسيمة فى فترة من الزمان ، كانت ختاماً لعصر « نبوى » بكل ما فيه من ورع وصمود وإخبات ، وبداية لعصر « امبراطورى » بكل ما يحمل من فتن ومغريات ..

كان « عمر » شديداً على المسلمين ، حريصاً عليهم ، محاذراً أن تفتنهم الفتوحات التى أسقطت تحت سنابل الخيل تيجان كسرى وقيصر ، وأموال فارس والروم .. وكان كلما رأى أمائر الثراء على أحد قال له : « أبت الدراهم إلا أن تطل بأعناقها . فمن أين لك هذا » ؟ ! وكان حريصاً على أن يظل عصر النبوة والوحى قائماً بكل ورعه وزهده وتقشفه متوسلا بذلك القمع « الرهبانى » الذى فطم به الأنفس ومنعها هواها ..

وما كان من طبائع الأشياء أن يدوم هذا النسك .. فالفتوحات جاءت معها بالكثير من التناقضات .. والأموال كثرت ، والدنيا اتسعت ، ورياح التغيير المحتوم تسوق مجتمع المسلمين إلى مطالع جديدة ، وتزدحم حياة المسلمين بتقاليد طارئة ومشكلات وافدة ، وتطلع متواثب إلى المزيد من طيبات الدنيا ومباهج الحياة ..

وفى هذه الفترة الحرجة والسنوات الصعبة ، قدر لعثمان أن يحمل المسئولية الرهيبة ـ مسئولية الابقاء على روح « عصر النبوة » والتفاعل مع « عصر الامبراطورية » والبلاد المفتوحة تنطوى دائماً على مشكلات تؤرق الفاتحين .. وعلى الرغم من أن الاسلام حرر شعوب تلك البلاد من قاهريها المستعمرين .. وعلى الرغم من أنه نشر العدل والسلام إلا أن ذلك لم يمنع طبائع الأشياء من أن تبلغ مداها .

فحين مالت شمس « عمر » للمغيب وجدت المؤامرات الضارية المسمومة لنفسها منفذاً عريضاً ، فكانت الحروب التى واجهت الدولة المسلمة فى بقاع كثيرة .. بيد أن المنهزمين منهم وقد ألقوا سلاحهم ، لم يلقوا ما فى صدورهم من حقد مكظوم وضغن مسموم فلجاوا إلى أسلوب الائتمار بالدولة والتسلل بالفتنة ، لا سيما بين صفوف المسلمين الجدد فى أقاليم الدولة الشاسعة نافخين فى نار العصبية والقبلية والشعوبية .. لقد كثرت القوى المعادية للاسلام والمؤتمرة به فى خفاء تارة وفى علانية تارة أخرى .. وشحذت هذه القوى أنيابها فى عهد الخليفة « عثمان » . مركزة على تغــذية الشكوك وتوهين الولاء للدولة وتصعيد الأزمات . ولقد وضع أحد قادة الفتنة دستوراً لأتباعه فى هذه الكلمــــات : « تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس إليكم .. وابدأوا بالطعن فى امرائكم .. وقولوا للناس إن « عثمان » أخذ الخلافة بغير حق » .. !!! ولم يكن هؤلاء هم المسيئين وحدهم للدولة وللخليفــة ، فقد كان لبعض ولاة الأقاليم دور فى إذكاء المعارضة . ومن هؤلاء مثلا سعيد بن العاص الذى كان يتوسط الناس وقد أسكرته السلطة ويلوح بيمناه صوب أرض العراق جميعاً ويقول : « إنما هذا السواد بستان لقريش » .. !!

مضت الفتنة تلهث كالنار فى الحطب ، وأطمع الناس فى الخليفة حلمه ، حتى أن أحد المتمردين ليجابهه فى تهور وسفالة أمام جمع من أصحابه قائلا : « والله لأقتلنك يا نعثل ، ولأحملنك على قلوص جرباء !! » أو عثمان الذى قال عنه الرسول « رفيقى فى الجنة عثمان » يصبح نعثلا على لسان هذا الغبى الجهول .؟؟!

لقد صار سلطان الخلافة والدولة وكرامتهما فى خطر يتطلب الكثير من الحزم ومع ذلك لم يستخدم الخليفة من الحزم إلا أقله .. لقد كان هناك مؤامرة ضد الاسلام ودولته ، واستغل المتامرون تلك المعارضة الشريفة التى كان يقوم بها نفر من الصحابة على رأسهم الأمام « علي بن أبى طالب » وراحوا يفتنون المسلمين لا سيما فى الأقاليم عن ولائهم للدولة وولائهم للخليفة ..

وحتى لا يستدرجنا الحديث إلى الأطالة نقول : إن المآخذ التى أخذت على الخليفة « عثمان » والتى راح المتمردون ينفخون بها فى أبواق الفتنة تتلخص فى أربعة مآخذ ..

أولها ـ عن الولاة .. فقد أخذ على الخليفة أنه عزل نفراً من الصحابة ووضع مكانهم نفراً من أقربائه ..

ثانيها ـ عن الأموال العامة ، فقد قيل إن الخليفة استغل بعضها فى أغراض شخصية وأن الأمويين استغلوا قرابتهم من الخليفة واستحوذوا على ما ليس لهم بحق ..

ثالثها ـ عن موقفه من بعض فضلاء الصحابة وما اتسم به من عنف ..

رابعها ـ عن موقفه من بعض مسائل دينية كان له فيها اجتهاد خاص ..

● ●

فأما عن المأخذ الأول الخاص بالولاة ، فقد استخدم «عثمان» حقه كخليفة يختار الذين يرى أنهم سيعاونونه فى تصريف شئون الدولة ، ماداموا صالحين لتبوأ هذه المناصب .. على أن الخليفة رضى الله عنه لم يغير ولاة الأقاليم أو بعضهم إلا تحت ضغط وإلحاح سكان تلك الأقاليم . فعزل «المغيرة بن شعبة» عن الكوفة تحقيقاً لرغبة أهلها ، وولى مكانه «سعد بن أبى وقاص» ..

ثم عزل « سعداً » حين شجر الخلاف بينه وبين « عبد الله بن مسعود » الذى كان خازناً لبيت مال الكوفة ، وولى الوليد بن عقبة ..

ثم عزل الوليد رغم بلائه الكبير فى فتح أذربيجان وأرمينية حين علم أنه يشرب الخمر ، فاستدعاه إلى المدينة ، وأقام عليه الحد رغم قرابته منه ثم عزله ، وولى مكانه « سعيد بن العاص » ..

وعزل أبا موسى الأشعرى عن البصرة حين أرسل أهلها إليه وفداً كبيراً يطلب عزله وولى مكانه عبد الله بن عامر ..

ونحى « عمرو بن العاص » عن ولاية مصر حين طلب أهلها ذلك ، وأبقاه على الصلاة ، وولى مكانه « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » ..

واتهم الخليفة بأنه فى الولاية قد تخطى الصالحين من أصحاب الرسول إلى غيرهم من ذوى قرباه .. فعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، هو أخوه من الرضاعة .. وعبد الله ابن عامر الذى ولاه البصرة هو ابن خاله .. ومعاوية الذى استبقاه على الشام ابن عمه .. ومروان بن الحكم الذى أعطاه رياسة الديوان ابن عمه ..

فأما تخطيه الصالحين من الصحابة فقد أجاب عن ذلك بأن أمير المؤمنين « عمر » كان يصنع ذلك التماسا للكفاءه ، واستدل على هذا بأنه ـ أى عمر ـ ولى « معاوية » الشام رغم أنه كان هناك من الصحابة من هو أفضل منه وأورع وأما ايثاره أهله الأقربين . فمن رأينا أنه كان من الخير للخليفة ألا يفعل .. تجنباً للشبهة التى أمر الرسول بتجنبها قائلا : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .. »

ولكن من الأنصاف أن نعرف تماماً أن الخليفة لم يكن يصنع ذلك على حســاب الاسلام وتحدياً لتعاليمه .. وإن الفتنة التى راحت ترسل فحيحها كالأفاعى هى التى صعدت هذا الموضوع ، وصاغت منه اتهاماً عريضاً .

وهذه الفتنة التى نجحت يومذاك فى زلزلة الثقة المتبادلة بين المسلمين وخليفتهم وضعت الخليفة فى « مناخ نفسى » حمله على التماس دفء الثقة والود المفقودين عند أقرب الناس إليه وأحناهم عليه .. ثم إنه كان هناك كفاءة أولئك الأمراء من أقربائه ـ إذ تحت قيادتهم سارت جيوش المسلمين لتقهر التمرد الذى انتشر فجاة فى انحاء الدولة وعادت البلاد الهاربة إلى الاسلام ودولته ، وتحطمت جيوش بيزنطة وجيوش فارس ـ فمن حق الخليفة أن يعتز ببلائهم ، ومن حقه ألا يجعلهم مضغة فى أفواه المخربين .

وعلى أية حال ، فعندما كثر الحديث حول أولئك الولاة الجدد قام الخليفة من فوره بأجراء تناهى فى العدالة والرشد ، إذ شكل لجنة من الصحابة على رأسها « محمد بن مسلمة » و « عبد الله بن عمر » و « عمار بن ياسر » و « أسامة بن زيد » وعهد إليهم بالسفر إلى الأقاليم والتحقق من مسلك كل وال .

وعادوا جميعاً من مهمتهم ـ ماعدا عمار ابن ياسر » وقدموا للخليفة تقريرهم ، فما كان هناك خطأ واحد يستوجب عزل أمير !! .

يضاف إلى هذا أن المتامرين وقد استمرأوا المطالبة بعزل الأمراء رأى الخليفة أن عزل ولاته تحت ضغط أولئك الخبثاء أمر يمكن أن يذهب بكرامة الدولة ويعرضها للخذلان .

ولقد كتب إلى المسلمين فى جميع الأقاليم منشوراً قال فيه : « بلغنى أن أقواماً منكم يشتمون ، وآخرون يضربون ، فمن كانت له مظلمة ، فليأتنا فى الموسم وليأخذ بحقه منى أو من عمالى عليكم » ..

وأما عن المآخذ الثاني الخاص بالأموال العامة للأمة ، فقد كانت طهارة ذمة « عثمان » وعظمة نفسه ، وطهر أخلاقه موضع يقين لا يتطرق إليه شك ، ولا يناله مغمز .

لقد قيل يومئذ إن الخليفة اختص ذوى قرباه بأعطيات كثيرة من بيت المال . وسرح الخيال السقيم بنفر من زعماء المؤامرة إلى القول بأن الخليفة أقطع مروان بن الحكم وحده خمس أفريقية .. !!

وعندما زوج الخليفة ابنه وبنته ، وجهزهما من صالح ماله الذى كان وفيراً قبل الاسلام وبعده أذاع المرجفون أنه جهزهما من بيت مال المسلمين .. !! وحين اقترض عبد الله بن خالد بن أسد بضعة آلاف من بيت المال ، وكان هذا حقاً لأى مسلم ، قالوا : إن الخليفة منحه إياها بغير حق ..

وحين توسع الخليفة فى المراعى التى كانت الدولة من عهد عمر بن الخطاب تتعهدها وتحميها لأجل الصدقة وتنمية الثروة الحيوانية قالوا : إنما فعل ذلك لتسمين إبله وماشيته !!

كذلك شهروا بالخليفة الحَيِيّ الأواب حين راح واليه على سوق المدينة - الحارث ابن الحكم - يستغل وظيفته فيشترى النوى ويحتكره ولم يشفع لديهم صنيع الخليفة بهذا الوالى إذ استدعاه إليه وسفهه وعزله ..

وكان أمير بيت المال «عبد الله بن الأرقم» قد وافى ذروة عمره ، وحدث خلاف هادىء بينه وبين الخليفة عثمان ، فولى الخليفة مكانه « زيد بن ثابت » الصحابى الجليل . فأرجف المتآمرون بالاسلام وبدولته وخلافته أن « عثمان » عزله لأنه عارض إسرافه وتصرفاته !!

ولو كان ذلك كذلك ، لا اختار الخليفة رجلا آخر غير «زيد بن ثابت» الذى لا يقل ورعاً ولا نزاهة ولا أمانة عن سلفه ، والذى ائتمنه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق على جمع القرآن ، والذى كان له فى نفوس أصحاب الرسول كلهم كل الاحترام والثقة والتوقير .

لقد استغل المتآمرون تلك المعارضة الهادئة الصادقة التى كان ينقد بها بعض الصحابة وعلى رأسهم الامام علي بعض الأخطاء والتى كان الخليفة يصغى اليها فى تقدير .. استغلوا هذه المعارضة فى تجسيم ما كان يمكن أن يقع من خطأ كما استغلوها فى شن حملة من التشهير المجرم بالخليفة وبتصرفاته.. ونحن لا نستبعد وقوع أخطاء ، إنما نستبعد أن يكون هناك خطأ واحد نجم عن أدنى قصور فى ذمة الخليفة العظيم وأمانته ..

كل الذى حدث يومئذ ، وشكل مناخاً مناسباً لتفريخ الأراجيف أن الأموال قد درت لقاحها ، وكثرت فى أيدى الناس الذين راحوا يستمتعون بها معوضين ما فاتهم فى أيام «عمر» الذى كان يحملهم على التقشف فى غير هوادة ، وكان الخليفة عثمان لا يرى بأساً فى أن يستمتع المسلمون بطيبات الحياة الدنيا ما داموا يكسبون حلالا وينفقون فى حلال .

وما كان باستطاعته - فيما نحسب - أن يحمل المسلمين على منهج عمر فى الزهد والتقشف . فرياح التغيير هبت على المجتمع الاسلامى حاملة أمماً مختلفة وجنسيات شتى ، وحاملة عادات وتقاليد وأساليب حياة تصطخب فى موج كالجبال !!

● ●

وثالث المآخذ نجم عن موقف اتسم بشىء من العنف من الخليفة تجاه الثلاثة الأجلاء - أبى ذر الغفارى ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود

وهذا العنف الذى يولغ فيه يمكن أن يحدث مثله فى كل زمان ومكان .. لقد غطى المتآمرون ضوء النهار بفتنة مظلمة سوداء ، تذر الحليم حيران !! واستغلوا أى خلاف يحدث بين الخليفة وبعض الصحابة فى تأريث نارهم التى يوقدون !! ..

وكان من الطبيعى أن تضيق نفس الخليفة وتتوتر أعصابه حيث ينعكس هذا كله على علاقاته ببعض الصحابة الذين كان ينتظر منهم المناصرة ضد أولئك المخربين .

ولقد كاد الخلاف بينه وبين الأصحاب الثلاثة يكون خلافاً بين زملاء فى الدعوة وإخوان فى الله لولا النفخ فى النار الذى لم يكف عنه المتآمرون لحظة .. ولقد اختار «أبو ذر» أن يعيش فى الربذة بعيداً عن المجتمع الذى لم يعد عنه راضياً .. وحين لحق به نفر من زعماء الفتنة ليحملوه على تزعم تمردهم صرفهم بكلمات تغنى عن كل مقال .

لقد قال لهم : «والله لو أن عثمان صلبنى على أطول خشبة أو أطول جبل لسمعت وأطعت ، وصبرت واحتسبت ، ورأيت ذلك خيراً لي .. ولو سيرنى ما بين الأفق الى الأفق لسمعت وأطعت ، وصبرت واحتسبت ، ورأيت ذلك خيراً لي .. ولو ردنى الى منزلى لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت ورأيت ذلك خيرا لي» !!

هذا أبو ذر .. أما «عمار بن ياسر» ، فقد كان من المعارضين للخليفة ، وأقول : المعارضين لا المتمردين - فلابد من التفرقة بين الفريقين ..

ورغم معارضته الخليفة فى بعض قراراته فقد رأينا الخليفة يختاره فى لجنة تقصى الحقائق والتفتيش على الولاة ..

وعن واقعة الاعتداء على عمار يقول الخليفة فى صدق : «جاء عمار وسعد بن أبى وقاص الى المسجد ، وأرسلا الي أن ائتنا فانا نريد أن نذاكرك فى أشياء فعلتها ، فأرسلت اليهما : إنى عنكما اليوم مشغول فعودا إلي فى يوم آخر .. فانصرف سعد . وأبى عمار أن ينصرف ، فأعدت اليه رسولى فأبى ، ثم أعدته فأبى . فتناوله رسولى بالأذى . والله ما أمرته ولا رضيت بضربه . وهذه يدى لعمار ، فليقتص منى ما شاء» !!!

وفيما بعد ، عندما تستعر الفتنة ويحاصر الثوار دار الخليفة ويمنعون عنه الماء ، نبصر عماراً فى مقدمة الساخطين ونسمعه وهو يقول : «يا سبحان الله . أتمنعون الماء عمن اشترى بئر رومة ووهبها للمسلمين» ؟! ثم يسارع الى الامام علي وينبئه النبأ ويقترح عليه أن يحمل بنفسه - أى الامام - قربة الماء الى دار الخليفة . فلعل الثوار لا يجرأون على اعتراض سبيله !!

أما عبد الله بن مسعود ، فقد كان الخلاف بينه وبين الخليفة شديد اللهجة ، إذ قطع الخليفة عنه راتبه من بيت المال . ولكن سرعان ما آب «عثمان» الى خصاله الكريمة .. وعندما مرض «ابن مسعود» تغشاه ندم عظيم وخرج الى دار عبد الله متوكئاً على شيخوخته المجهدة الوهنانة ، وأمعن فى الاعتذار اليه .. وحين عاد ابن مسعود بعض زعماء الفتنة الذين كانوا قد جاءوا من كل بلد وتجمعوا فى المدينة .. نقول حين عادوه وتناولوا الخليفة أمامه بالسوء نهرهم وزجرهم وقال : «والله إنكم لو قتلتموه ، فلن تصيبوا مثله» .

كذلك قال عثمان عن ابن مسعود حين مات ووقف عثمان على قبره باكيا : «دفنتم والله خير من بقى من أصحاب رسول الله» !!! ...

● ●

وأما عن المآخذ الرابع ، فقد قال المرجفون إن الخليفة قد وحد المصاحف كلها فى مصحف واحد . وهذه مفخرة لعثمان - وعمل أقره المعاصرون من أصحاب رسول الله .

وقالوا إن الخليفة أتم الصلاة بمكة أثناء حجه ، وكان الرسول وصاحباه يقصرون الصلاة ، وقد فند الامام علي هذه الأرجوفة بقوله : «إن الخليفة كان قد تأهل بمكة ونوى الاقامة بها فأتم الصلاة» ..

وقالوا : إن الخليفة لم يقم حد القتل على «عبيد الله بن عمر» الذى قتل أبا لؤلؤة المجوسى المجرم الذى اغتال عمر بن الخطاب .

ولقد أجاب الخليفة على ذلك بأنه لم يرد أن يجمع على آل الخطاب حزنين - الأول - مقتل عمر - والثانية قتل ولده قصاصاً .

ثم إنه لم يهدر الدم الذى أراقه «عبيد الله» رغم نجاسة هذا الدم ، فاستبدل الدية بالقصاص ودفع لأولياء أبى لؤلؤة دية سخية وكبيرة .

وقالوا : إن الخليفة أعاد الى المدينة الحكم بن أبى العاص ، وكان رسول الله عليه السلام قد نفاه منها .

وأجاب الخليفة بأنه كان قد شفع له عند رسول الله ووعده الرسول بالعفو عنه بعد حين .. ثم إن الخليفة لم يرجعه الى المدينة إلا بعد أن زالت أسباب نفيه .

● ●

وبعد ، فهذه الكلمات ليست دفاعاً عن «عثمان» فما أتى فى حياته نكراً يستحق الدفاع .

ولكنها اهتبال لفرصة سعيدة كى ننال شرف الحديث عنه ، وكى نقضى بعض الوقت فى واحة مكارمه وأمجاده .

**خالد محمد خالد**

# هذا السؤال يرهقك

بقلم : عبد الله الجفري

ما الذي تريد .. وما الذي أريد ؟ !
إنه السؤال الذي يشكل بداية المعرفة عندك ، وليس له نهاية .. فالذي يريده الانسان لا ينتهي .. لان المعدة إذا شبعت جاعت ، والذهن إذا استوعب طالب بالمزيد ، والنفس إذا ارتوت عطشت . والرغائب كلما تحقق جزء منها فسد .. وتمخضت عنه رغائب جديدة أخرى .
بمعنى أن الذي تريده كثير .. وإذا وجدته أصبح قليلا !!

والذي أخذته استغنيت عنه . وبحثت عن بديل له تأخذه .. وتستمر تطالب ، وتريد .. ولا تنتهي الأشياء في النفس حتى يتوقف النبض نهائياً .
والذي لم تقدر أن تأخذه يبقى هو « كل » الذي تريده .. يتحول الى هدف ، وبغية ، وهاجس ، واحتدام .

ونحن نريد الحياة كلها .. وهذا المطلب نضع له تفسيراً خبيئاً اسمه : البحث عن التجربة . ومن الضروري أن تجرب كانسان كل ما تسمع عنه ، وتقرأ عنه ، وتعرف عنه ويفعله غيرك وانت عاجز عنه .. حتى ولو كان محتوى التجربة لا يتلائم مع طبيعتك ، أو مناخك ، أو مجتمعك ، أو أفكارك .. لكنك ـ بوازع الطموح ـ تتطلع الى الغير ، والى أشياء الغير !!

ولا ندعي أن تلك طبيعة الانسان .. فكثير من الأشياء التي تكتسبها من الغير في الانسان هي ما ينبع من نفسه قبل أن تكتسب ، وتتشوه ، وتتلوث ، وتتأثر ..

فما هي طبائعك أنت ؟ !
● طبيعتك : أنك مرهف حساس .. هذه أشياء أصيلة بالفعل !!

● طبيعتك : أنك مزاجي ، حاد الكلام والتصرف .. هذا شيء طبيعي !!

● طبيعتك : أنك متجهم ـ لا تضحك للقرص الحار ! ـ هذا شيء مكتسب .. فلو كانت وسائل الحياة معك ، وطموحك يتصاعد ، ورغائبك تتحقق .. فلابد أن تبتسم وتقهقه !

● طبيعتك : أنك تتحدث بصوت مرتفع ، وصاخب .. أو أنك تتكلم بهمس وهادىء جداً .. أشياء طبيعية فيك طالما أنك عاجز ان تبدلها !

● طبيعتك : أن تؤذي الآخرين ، وتترصد أخطاءهم وتحقد عليهم ، وتنوي الشر بهم .. أشياء غير طبيعية .. لأنها غير انسانية ، ولكنك في زحام مواقف الحياة ، والتجارب ، وحدة الرغائب ، وطغيان حب الذات ، والطمع ، ومحدودية الذهن .. تتحول الى التفكير في هذه الأشياء لتصبح طبيعة لك .. لابد من التخلص منها وعلاجها !!

ولكن .. كيف يمكننا أن نناقش الأشياء الأصيلة فينا ، ونفرزها عن الأشياء المكتسبة والدخيلة على طبائعنا ونفوسنا ؟!

تلك مهمة شاقة .. فكل انسان يتحدث عن الخير ، حتى الأشرار .. وكل انسان يتحدث عن الشر ، حتى الطيبين ، للوقاية والحذر ..

وكل انسان يشجب الكراهية والأحقاد .. حتى الكارهين والحاقدين بعد أن ينفثوا ذلك .

وكل انسان يغمض عينيه ويحلم ، ويغني للحب .. حتى الذين فشلوا في صناعة الحب ومعايشته !!

فالمهمة ـ إذن ـ شاقة ، والتحديد فيها نسبي وأنت تتحدث عن الخير والمعروف والطيبة والحب .. وترتكب الشرور ، والبغضاء ، والحقد ، والكراهية .. لماذا ؟ !

أنت تريد الخير ، وتطمع في محبة الناس لك .. فلماذا لاتبادل الآخرين الحب والخير ، ولماذا لا يكون الخير والحب تصرفاً لك حتى أمام الأشرار والكارهين ؟

تلك معادلة صعبة .. ينجح في تأكيدها أولئك الذين لم تتشوه نفوسهم ، ولم تضعف فيهم قوة الارادة ، ولم تؤثر عليهم الرغائب والغرور !
ولكن .. هل هذه المتناقضات هي مرض العصر





أم انها « بذرة » تنمو فى الانسان بمقدار ما يعرف ويتعلم ، ويرتفع بمداركه ؟!

لقد طرحت ما بين يدى من صفحات تتحدث عن العازف المجرى الغريب « فرانزليست » .. وظللت أتأمل ، وأطرح الأسئلة . ولقد تشعبت الأسئلة عن هذا الفنان المجرى ـ الفرنسي ـ الألمانى .. فهو مولود فى المجر ، وأمه نمساوية ، وأمضى أكثر عمره فى ألمانيا ، وأحب فرنسا حينما شعر أنه مثقف !!

ونتأمل هذا الانسان بعيداً عن اتجاهاته الفكرية ، وتخبطه الذهنى ، ومعتقداته .. انه يبقى لتاريخ الفن العالمى من أشهر عازفى البيانو ، ومات « راهباً » فى بايرويث عام ١٨٨٦ .

« فرانز ليست » أو شيطان البيانو كما أسموه فى القرن التاسع عشر .. تأثر كثيراً بقصة « فاوست » فألف سيمفونية بهذا الاسم ، ولقد أثر « العشق » فى نفسه حتى أذابها ، ولكنه كان يضن بالافصاح عن ما يجيش فى نفسه ، ويعتمل بين جوانحه ، إنه يصمت حتى تحسب أن خفقاته جفت . ولقد احتمل الكثير من الآلام والأحزان .. حتى اكتسى وجهه بالاكتئاب ، ولكنه عندما يعزف على البيانو كان يدخل الى مآقى الناس ويستدعيها ويدعها تمطر دمعاً !!

« فرانزليست » .. استدعته ذات ليلة تلك الانثى التى فتنت مشاعره كلها : « الكونتس مارى داجول » وجعلته يقف أمامها فى الحديقة ـ وقد اخفض رأسه ونظراته واشتعل خفقه أكثر ـ كان يعشقها ولكنه يحتار .. انه لا يستطيع أن يجعلها بجانبه وان يكون بجانبها . انه يموت بالعجز ببطء وهو يرضى بذلك . وسرى صوتها الى قلبه وهى تسأله :

ـ فرانز .. قل لى بالضبط ما الذى تريد ؟

ـ قال : أريد أن أعرف بالضبط من أنا بالنسبة لك ؟

ـ ابتسمت وتهدج صوتها : فرانز .. أنت الذى لا أقدر أن أرفضه !!

ـ ولماذا ترفضيننى ؟

ـ لست أنا التى أرفضك ، ولكن من حولى ، والذى أنا فيه .. فما الذى تريده .. وما الذى أريده أنا .. بعد أن عرف كل واحد منا من هو فى ذات الآخر ؟!

ـ قال فرانز : اعتقد الآن أننى لم أعد أريد شيئاً ، بعد أن استحوذت على شعورك كله . ان هذا يكفينى !

ـ قالت مارى : لا يافرانز .. إننا لن نكتفى ، فبعد أن عرفت أنت قيمتك فى نفسى وعرفت أنا عشقك لى ، فستطالبنى بما بعد ذلك وسأطالبك . إن نفس الانسان لا تتوقف عند حد ، أو عند اقتناع !

ـ قال : حقيقة .. إننى معك لا أبحث عن استمرار التاريخ وشهرته .. لكننى افتش عن اللحظة التى أموت بعدها قريراً .

ـ قالت : بعد اللحظة .. سنفكر فى اللحظة التى تليها .. لن يكون الانسان قريراً ، ورغائبه فيه !

ـ قال : لنفترق .. حتى يبقى الحب بيننا انسانياً نظيفاً .

ورحل « فرانزليست » .. وقال وهو يجفف دموعه :

ـ إذا عجز الانسان عن ما يريد .. فهو يبقى لا يعرف ذلك الذى يريده !!

وقصة « فرانزليست » مثل ، وليست أسطورة .. فمن الممكن أن يحياها أى انسان ، أو يشعر بها أو يعلم عنها ، ولكن الانسان لا يستفيد ، ولا يتوقف عن السؤال والبحث ..

دائما نحن نبحث عن شىء جديد نريده .. ودائماً نحن نسأل : ما الذى نريده ؟!

وتبقى التجارب حكايات ...

وتذهب كل الأشياء التى نريدها رواية تنتهى .. لتبدأ أخرى !!

عبد الله الجفرى
جده

# مناحم ميلسون

## من أســــتاذ للأدب العــــربى.. إلى أســــتاذ للقمع الفكري والجسدي !

بقلم : عصـــام شـــريـــح

وهذه ظاهرة أخرى عجيبة وغريبة فى جملة الظواهر الصهيونية ، ونعني بها ظاهرة البروفسور والأكاديمي ، الحائز على الدكتوراه فى التصوف الاسلامى ، والخبير فى الثقافات الشرقية ، والعربية منها على وجه الخصوص ، وأستاذ الأدب العربي فى الجامعة العبرية فى القدس . ورئيس معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية فى نفس الجامعة ، ومؤلف كتاب « الأحكام الصوفية للمبتدئين ( هارفارد ١٩٧٥ ) ، والأستاذ المشرف على تحرير كتاب « المجتمع والبنية السياسية فى العالم العربى » ( ١٩٧٤ ) .. والذى تخلى عن كل هذه الألقاب العلمية ، وما توحيه من وقار واتزان ، ليعمل استاذاً للقمع الفكرى والجسدى .

ـ من هو ؟ ؟

ـ انه الضابط فى جهاز الاستخبارات الاسرائيلي المعروف باسم « الموساد » ، وهو العميد الثانى احتياط فى الجيش الاسرائيلي ، وهو حالياً يشغل منصب « رئيس الادارة المدنية » فى الأراضى العربية المحتلة .

ـ ما اسمه ؟ ؟

ـ اسمه مناحم ميلسون .



مناحيم ميلسون

هذه المقدمة كانت ضرورية للتعــرف بـ « البروفسور » مناحم ميلسون ، الذى انتقل ـ بكل بساطة ـ من منصب « استاذ الأدب العربى » فى الجامعة العبرية ، إلى منصب « أستاذ القمع الجسدى والفكرى والمعنوى » لعرب الأرض المحتلة .

ـ كيف حدث هذا الانتقال ؟ ؟

ـ منذ تسلم وزير الحرب الاسرائيلي الجنرال أريئيل شارون صلاحيته فى هذا المنصب ، كان يفكر فى اجتثاث جذور منظمة التحرير الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وكان يبحث باستمرار عن الرجل الذى يتمتع بمزايا معينة للقيام بهذه المهمة الشاقة والمحفوفة بالمخاطر . وقد وجد الجنرال شارون ضالته أخيراً فى شخص البروفسور مناحم ميلسون ، بعد ان لفت هذا انتباهه ، بمقالة نشرها فى ايار ( مايو ) من العام المنصرم ، فى مجلة « كومنتري » ـ وهى مجلة يهودية اميركية واسعة الانتشار ـ تحت عنوان : « كيف نحقق السلام مع الفلسطينيين » ، وهكذا ، وبعد ان قرأ شارون مقالة ميلسون بادر إلى تعيينه فى منصب « رئيس الادارة المدنية » فى المناطق العربية المحتلة ، لكى يتسنى للبروفسور أن يترجم افكاره عن « السلام مع الفلسطينيين » إلى وقائع على الأرض .

وبالفعل ، وبعد الغاء الحكم العسكرى الاسرائيلى فى الضفة والقطاع بسبب استهلاكه « كعلاج » فى التعامل مع الروح الوطنية والقومية لدى عرب الأراضى المحتلة ، واستبداله بالشكل الجديد من هذا الحكم الذى أطلق عليه الجنرال شارون اسم « الادارة المدنيــــة » ، بادر البروفسور ميلسون إلى تطبيق أفكاره التى وردت فى المقال المنشـــــور فى مجــلة « كومنترى » على الفور وبخطوات متسارعة يحدوه فى ذلك هاجس طالما أقض مضجعه هو هاجس القضاء على منظمة التحرير.

## الأرضية والمنطلق

وقبل التعرض بشىء من الايجاز والتبسيط لأفكار البروفسور ميلسون حول « السلام مع الفلسطينيين » ، لابد من تحديد الأرضية التى انطلق منها فى وضع افكاره فى تلك المقالة . وتقوم هذه الأرضية على ثلاث ركائز أساسية هى :

أولا : أن الأراضى العربية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزه هى « أراض اسرائيلية محررة » ـ على حد تعبير رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحم بيغن ، ومن هذا المنطلق الايديولوجى الثوراتى خولت الحكومة الاسرائيلية حسب برنامج الليكود السلطات العسكرية السابقة فى الضفة والقطاع ، ولاحقا « السلطات المدنية » التى يرأسها البروفسور ميلسون ، صلاحيات واسعة لمصادرة الأراضى العربية على أوسع نطاق ممكن ، واقامة مزيد من المستوطنات اليهودية عليها ، تمهيداً لالحاق المنطقتين اداريا وامنيا وسياسيا باسرائيل فى خطوة تستهدف فى نهاية المطاف ضمهما رسمياً .

ثانياً : إن سياسة الليكود تفصل تماما بين وضع الأراضى المحتلة ، ووضع المواطنين العرب الساكنين عليها ، باعتبار ان ارض الضفة والقطاع هى « ارض اسرائيلية » كما تشير إلى ذلك التوراة ، وانطلاقاً من هذا المرتكز الأيديولوجى ، فان الحكم الذاتى الفلسطيني » الذى تتفاوض عليه مصر واسرائيل برعاية الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٩ ، تعطيه اسرائيل للسكان العرب ، وليس للأرض ، التى تدعى أن السيادة الاسرائيلية عليها أمر غير منازع ، ويترتب على هذا المنطق ان اسرائيل لا تعترف للشعب الفلسطيني فى الداخل بأى هوية وطنية أو سياسية ، وهى تفصل بين هؤلاء وبين الفلسطينيين فى الخارج ، والهدف المرحلى من هذا الفصل هو احتواء « فلسطينيي الداخل » ضمن كيان الحكم الذاتى الادارى كما تتصوره اسرائيل وتوطين « فلسطينيي الخارج » فى الاماكن التى يقيمون فيها حالياً ، أو تجميع اكبر عدد منهم فى الأردن .

ثالثا : اما المرتكز الثالث فيقوم على اعتبار مشروع الادارة المدنية التى أقيمت فى الضفة الغربية وقطاع غزه ، الأطار الوحيد الصالح لتحقيق الحكم الذاتى الادارى ، كما تراه اسرائيل ، وكما نصت عليه اتفاقية كامب ديفيد .

أما « الحلقة المفقودة » التى عثر عليها شارون ، ثم ميلسون ، لربط المرتكزات



بعض مظاهر الانتفاضة الأخيرة فى الأرض المحتلة

الثلاثة المتقدمة ببعضها ضمن خطة متكاملة ، فهى ما أطلق عليه اسم « روابط القرى » ، التى أريد بها ضرب « نفوذ » منظمة التحرير الفلسطينية لدى عرب الأرض المحتلة ، وانهاء « سيطرة » مجالس البلديات فى المدن والقرى الفلسطينية ، لبسط سلطة « روابط القرى » واعتبار هذه الروابط « الممثل الشرعى الوحيد » لفلسطينيي الداخل .

## أفكار ميلسون

والآن .. ما هى أفكار البروفسور مناحم ميلسون ، والذى أصبح لقبه بحكم منصبه الحالى ، رئيس الادارة المدنية فى المناطق المداره » ؟ فى الواقع تدور أفكار ميلسون جميعها حول محورين أساسيين هما : تصفية نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزه عن طريق تصفية مجالس البلديات ، ثم خلق أدوات هزيلة بدلا منها لا ترفض اى طلب اسرائيلى ، واعداد هذه الأدوات ( روابط القرى ) لتكون المفاوض عن فلسطينيي الضفة والقطاع فى مفاوضات الحكم الذاتى الادارى المنشود ، بحيث يمكن تطبيق هذا الحكم فى صيغته الاسرائيلية .

ويعزو البروفسور ميلسون سبب النفوذ الذى تتمتع به منظمة التحرير فى الأراضى العربية المحتلة الى « أسلوبين أساسيين : تعزيز الولاء للمنظمة عبر تدفق أموالها من جهة ، والارهاب والتصفية الجسدية من جهة أخرى » . ويقول ميلسون : ان المنظمة حققت بهذه الطريقة « ما تصفه وسائل الاعلام بانه « تأييد جماهيرى اجماعى » ، ولا يعنى هذا أن تغدق الأموال والتصفية الجسدية هما الدافعان الوحيدان لولاء الجماهير للمنظمة ، فثمة العديد من التوجيهات الايديولوجية فى الأراضى المحتلة ، إلا أن ما هو من الأهمية بمكان ـ وما يثير القلق فى نفس الوقت ـ هو أن نوي الاتجاهات المعتدلة والاعتبارات العملية ، قد تعلموا الدرس التالى : ان إطاعة المنظمة تاتى بالاموال ، فى حين ان معارضتها محفوفة بالأخطار » .

ومن الواضح هنا أن ميلسون يحاول إفراغ النضال الفلسطيني من أى محتوى أيديولوجى ، أو جعل هذا المحتوى تابعاً للاتجاه الذرائعي ، الذى يقدم المنفعة المباشرة على ما عداها . أما وصفه منظمة التحرير بالارهابية ، لأنها أقدمت على تصفية بعض العملاء الذين باعوا أنفسهم للشيطان ، ولعبوا دور شاهد الزور فى مصادرة السلطات الاسرائيلية للأراضى العربية ، فهو وصف متهافت ، ويكفى أن نشير الى رد السياسى والكاتب الصحفى الاسرائيلى « أورى أفنيري » عليه ، حيث قال ان عدد الأشخاص الذين قامت المنظمة بتصفيتهم « لخيانتهم » منذ عام ١٩٦٧ وحتى اليوم لا يتجاوز ١٢ شخصاً ، وأن الشخص الوحيد الذى تمت تصفيته فى الفترة الأخيرة هو عبد النور جنحو الذى عمل سمساراً لبيع أراض « عربية » للاسرائيليين بأساليب ملتوية وبوثائق مزوره ، فى حين ان عدد اليهود الذين قامت « الوكالة اليهودية » بتصفيتهم

# مناحم ميلسون

## من أستاذ للأدب العربي.. إلى أستاذ للقمع الفكري والجسدي!

« لخيانتهم » وعمالتهم للانكليز خلال فترة الانتداب على فلسطين قد بلغ عشرات الأشخاص ، والتشابه فى هذا واضح بين منظمة التحرير الفلسطينية والوكـالة اليهودية » ! !

وإزاء حقيقة كون منظمة التحرير هى صاحبة الكلمة الفعلية فى الضفة الغربية وقطاع غزه ، فان مناحم ميلسون يرى « ان هذا الموقف ليس امراً حتمياً ، بل إن من الممكن لاسرائيل قلبه الى ما هو ضده » ويقترح فى معالجة هذا الوضع ما يلى :

يجب أولا الفصل بين الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، إذ ان هناك فارقاً جوهرياً بين الاثنين - على حد ادعائه ، ويقول انه لسوء الحظ وقع الكثيرون فى اسرائيل وخارجهـــا فى « مصيدة » منظمة التحرير عن طريق اعتبار عبارة الفلسطينيين مرادفة للمنظمة وهو أمر طالما سعت إليه منظمة التحرير باصرار ، ولوضع حد « لهذه الفرضية » ، يطالب ميلسون بتشجيع من يسميهم « بالمعتدلين » من أجل الانضـــمام إلى « عملية السلام » ، مما قد يتيح لاسرائيل ان تنفذ اتفاقية كامب ديفيد وما نصت عليه هذه الاتفاقية من قيام حكم ذاتى للفلسطينيين فى « المناطق المداره » بشكل كامل .

ويقدم البروفسور ميلسون تصوره لخلق « هؤلاء المعتدلين » فيقول : « ... ومن الضرورى ان نؤكد ان الشخصـــيات والمجموعات الراديكالية المتطرفة بين الفلسطينيين ، لا تعتبر بالضرورة ممثلة حقيقية للسكان ، فاذا ما عمدنا ، عند اختيار شركاء فى المفاوضات ، إلى اعتبار التطرف مقياساً لمصداقية تمثل سكان الأراضى المحتلة ، فان هذه المحاولة ستؤدى إلى تدمير فرص التسوية السلمية ، فلا يسع المرء ان يامل بالاتفاق مع معتنقى الرؤية الراديكالية ذوي الايمان المطلق والذى يتنافى مع جميع إشكال المساومة ، إلا أنه بالامكان أن يصل المرء إلى اتفاق مع أولئك الذين يرغبون فى العمل ضمن ضرورات وحدود الواقع ، ويقبلون بالنتائج السياسية التى تنجم عن هذه الضرورات ، ومثل هذه الشخصيات والمنظمات العامة التى تكون على استعداد للتوصل الى حل تساومى هى التى تحتاج من اسرائيل الى المساندة المعنوية والسياسية ضد المتطرفين » ! !

يبدو جلياً أن ميلسون أراد من وراء وصف التيار الوطنى فى الضفة والقطاع بالراديكالية والتطرف ، الوصول إلى « المعتدلين » الذين يقبلون بالحل التساومي المستند إلى « ضرورات وحدود الواقع » ! ! اى ان ميلسون يرفض التفاوض مع رؤساء البلديات الذين يرفضون اى حل أو صيغة للحكم الذاتى لا تؤدى الى قيام دولة فلسطينية فى الضفة والقطاع ، ويطالب بخلق شخصيات خانعة ، يضمها تنظيم موحد يشرف عليه رئيس الادارة المدنية الاسرائيلى تحت اسم روابط القرى » ، ولضمان ولاء هذه الشخصيات - وبعضها من الأميين واكثرها من المنبوذين - يقترح ميلسون استخدام سياسة « العصـــا والجزره » ، اى الترغيب والترهيب ، ولذلك ربط البروفسور ، رئيس الادارة المدنية عند انشائه للروابط ، جميع المنافع التى تقدمها إسرائيل بها وحدها ، وهذه المنافع تتمثل فى صلاحيات موسعة على صعيد الخدمات بحيث لا يمكن تنفيذ اى مشروع اجتماعى أو اقتصادى فى أية قرية من قرى الضفة الغربية إلا بموافقة هذه الروابط ، مما سيدعم موقعها ويعزز نفوذها .

لكن هذه الروابط - كما يقول افنيري - تعطى فى الواقع تفويضاً عربياً لاستمرار الاحتلال ، بل ولاستمرار سياسة الضم ، وعندها سيرى العالم أن العرب يريدون ضم الضفة والقطاع إلى اسرائيل ، ولا يريدون منظمة التحرير الفلسطينية ... وعندها فان ضغوط العالم على اسرائيل من أجل الانسحاب من المناطق المحتلة ومنح الفلسطينيين حقهم فى أن تكون لهم دولة مستقلة ، ستتلاشى تدريجياً ، بل وتختفى ، ولن يبقى عندها من يمارس أى ضغط على إسرائيل ، وسيصبح أمر ضم الضفة والقطاع حقيقة واقعة ومشروعة ، وسوف تكون « روابط القرى » هى المطية التى توصل اسرائيل الى هدفها هذا .



جثة شهيد عربى سقط برصاص الاسرائيليين

وفى نقطة أخرى من افكاره طالب ميلسون ، وذلك قبل تعيينه فى منصب رئيس الادارة المدنية ، طالب بتصفية وجود منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان فى اية تسوية محتملة لاقامة حكم ذاتى فلسطيني على الطريقة الاسرائيلية ، اما تصوره لمثل هذه التصفية فيورد فى الفقرة التالية من مقاله فى مجلة « كومنتري » اليهودية الامريكية ، حيث يقول :

« ... وتشير الحقائق الديمغرافية ، إلى أن الفصل السياسى بين الضفتين الغربية والشرقية ، سيكون مفتعلا ، كما سيحمل معه إمكانات التفجر مستقبلا ، لذا يجب ان تشتمل التسوية ، اذا ما اريد لها ان تكون دائمة ومستقرة ، على حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان ، والذين يبلغ تعدادهم ثلاثمائة ألف لاجىء ، وسيكون من المستحيل توطين هذا العدد فى الضفة الغربية ، إلا انه من الممكن للضفة الشرقية التى تزيد مساحتها ثمانى عشرة مرة عن الضفة الغربية ، أن تستوعب قسماً كبيراً منهم ، ولذا فان اية اتفاقية لحل دائم للمشكلة الفلسطينية ، يجب ان تبرم بين اسرائيل والأردن ... » .

وبالطبع فان من الواضح ان ميلسون يطرح افكاره فى هذا النطاق ضمن رؤية حزب العمل الاسرائيلى حول ما يسمى « بالبديل الاردني » لكن ميلسون تخلى عن هذه الفكرة بعد ان جاء به شارون الى رئاسة الادارة المدنية ، وتبنى طرح الليكود الذى يرفض اعادة اى جزء من الضفة الغربية إلى الأردن فى أية تسوية محتملة ، ويطمع بضم الضفة والقطاع فى مرحلة أولى ، ثم ممارسة ضغوط اقتصادية وأدبية وسياسية فى مرحلة لاحقة لتجهير اكبر قسم من العرب ، وربما طرد من يتبقى بالقوة اذا لاحت مناسبة ملائمة لذلك ، كما حدث فى اعقاب حرب عام ١٩٦٧ .

وضمن هذه الرؤية للبروفسور مناحم ميلســـون « لتحقيق السلام مـــع الفلسطينيين » ، رأيناه يخلع ملابس البروفسور ، ويتحول إلى جنرال واستاذ فى القمع الجسدى والدموى لانتفاضة عرب الأراضى المحتلة .

لكن قمع الأستاذ الجامعى ، لم يتوقف



الجنود الاسرائيليون يقتادون شاباً عربياً

عند هذا المجال ، بل تعداه الى المجال الفكرى والاكاديمى ، فقد اغلق جامعـــة بير زيت بحجة واهية هى « تحريض إدارة الجامعة للطلبة على الاعتداء على مسؤول إسرائيلى » حاول استفزاز مشاعر الطلاب ، ثم أمر جنوده بالتصدى لطلاب جامعة بيت لحم بالقوة ، وواجه طلاب مدينة رام الله بالعسكر المتسلحين بالهراوات والبنادق ، واقدم أخيراً على منع أكثر من مائة كتاب من دخول الضفة الغربية وقطاع غزه أو بيعها فى أسواقها ، والحجة التى يتذرع بها لذلك هى ان فى هذه الكتب « روحاً لا سامية » أو انها معارضة لاسرائيل .. الخ ، لكن منع الكتب وحظر تداولها ، إضافة إلى إغلاق الجامعات والمدارس ، لا يتناسب فى اية حال مع اللقب الاكاديمى الذى يحمله ميلسون ، ولا مع العمل الجامعى الذى مارسه طوال سنوات طويلة ، وهذا التصرف هو فى الواقع عمل من أعمال القمع الفكرى والمعنوى الذى بات ـ كما هو واضح ـ جزءاً لا يتجزأ من مهمـــة البروفسور وافكاره ، لتحقيق « سلام مع الفلسطينيين » ! !

## من كنيغ .. إلى ميلسون

إن مراجعة سريعة « لوثيقة كنيغ » التى وضعها متصرف لواء الشمال فى وزارة الداخلية الاسرائيلية « بسرائيل كنيغ » فى عام ١٩٧٦ ، ومقارنة الأفكار العنصرية والشوفينية التى وردت فى تلك الوثيقة مع افكار البروفسور ميلسون ، توضح تماماً ان البروفسور استقى معظم افكاره ـ التى ألمحنا اليها فيما تقدم ـ من « بسرائيل كنيغ » .

فقد وضع « كنيغ » دراسة مفصلة فى تلك « الوثيقة » التى عرفت باسمه ، طرح فيها تصوره لاجتثاث عرب عام ١٩٤٨ (٦٠٠ الف) من الكيان الاسرائيلى ، وخاصة فى منطقة الجليل بشمال فلسطين والتى تضم أقضية عكا والناصره وطبريا وصفد ، حيث تعيش أكثرية من العرب فى هذه المنطقة .

وكان بين الأفكار التى طرحها كنيغ فى تلك الدراسة ما يلى :

١ ـ اتباع سياسة الثواب والعقاب ( ضمن القانون !! ) بالنسبة إلى القادة والقرى الذين يتحدثون بصورة معادية « للدولة » والصهيونية ، مهما كانت تلك الصورة التى يتحدثون بها . ( سياســـة العصا والجزره ) ! !

٢ ـ إنشاء حزب شقيق « لحـــزب العمل » يكون التركيز فيه على مبادىء المساواة والانسانيات والثقافة واللغة والنضال الاجتماعى ورفع علم السلام فى المنطقة ، وعلى المؤسسات الحكومية ان تهىء نفسها من اجل ان يكون لها وجود خفى فى هذا الحزب وان تتحكم فيه .

٣ ـ التخلص من الشخصيات القيادية الحالية لعرب ١٩٤٨ ، عن طريق خلق شخصيات مقبولة للجيل الثـــانى من الفلسطينيين « الذى تربى فى المجتمـــع الاسرائيلى ويحاول ان يكتسب ولو بصورة سطحية فقط ، أساليب الحياة الاسرائيلية) ـ ( ميلسون يطرح فكرة روابط القرى كبديل لرؤساء البلديات ) .

٤ ـ إتخاذ خطوات فردية ضد كل شخصية غربيه ســـلبيه فى جميـــع المؤسسات وعلى جميع المستويات .

٥ ـ إن الطمانينـــة الاجتماعيـــــة والاقتصادية ، تحرر الفرد والعائلة من القلق والهموم اليومية ، مما يمنح العرب من حيث يدرون أو لا يدرون متسعاً من الوقت للتفكير فى أمور « اجتماعيـــة ـ قومية » ، مما يوفر مناخاً للشعور بالقوة وبوجود امكانات للقيام « بالاحتجاج الشعبى » .

٦ ـ فى مجال التعليم يجب الاحتفاظ بأسس خاصة بالنسبة لقبول الطلاب العرب فى المعاهد العليا والجامعات ، بما يكفل خفض عدد الخريجين من هؤلاء الطلاب العرب الى ادنى مستوى ، مما يسهل عملية استيعابهم فى العمل بعد انتهاء دراستهم .

٧ ـ يجب تشجيع توجيه الطلبة العرب على دراسة المواضيع الفنية والمواضيع الاساسية وعلوم الطبيعة ، لأن مثل هذه المواضيع لا تعطى الطالب من الوقت للانشغال بالقومية سوى القليل ، اضافة إلى ان مستوى الرسوب فى هذه المواضيع مرتفع .

٨ ـ تسهيل السفر إلى الخارج بغرض الدراسة ، ووضع العراقيل أمام عودة هؤلاء الطلاب العرب إلى اسرائيل ، وانخراطهم فى العمل فيها .. فمثل هذه السياسة من شأنها ان تشجع هجرتهم .

إن مراجعة هذه البنود الواردة فى « وثيقة كنيغ » يوضح بأن البروفسور ميلسون ليس سوى تلميذ صـــغير ل بسرائيل كنيغ ، وأن ما يطرحه البروفسور من افكار وما يسعى إلى تطبيقه على أرض الواقع ، ليس سوى مخطط اسرائيلى قديم ، مع اختلاف الصيغة بالنسبة للمكان والزمان .

وأمام تنامى المشاعر الوطنية لدى عرب ١٩٤٨ . سقطت مراهنة كنيغ على من وصفه « بالجيل الثانى » من العرب القابل لنسيان فلسطين والاندماج فى « المجتمع الاسرائيلى » ، مما جعـــل الحكومـــة الاسرائيلية تطوى دراسة كنيغ وتضعها على الرف ، لكن البروفسور ميلسون نفض الغبار عن تلك الدراسة وصاغها بأسلوب جديد ، أضفى عليه صفة التحليل السياسى الموضوعى ! ! ، وها هو يواجه يتهاوى مشروعه « روابط القرى » الذى بنى عليه كل أفكاره وأرائه أمام انتفاضة عرب الضفة والقطاع .

ويكفى أخيراً أن نذكر البروفسور ميلسون برأى صغير وبسيط للمعلق اليهودى حاييم بيرمانت ، وصف فيه احداث الضفة الغربية الأخيرة بانهـــا « تذكر الواحد منا بالأيام الأخيرة للامبراطورية البريطانية ، ونهاية الوجود الفرنسى فى شمال أفريقيا والبلجيكى فى الكونغو والبرتغـــالى فى أنغـــولا وموزمبيق » .

عصام شريح

الكاتب اللامع محمود السعدنى المعروف « بالولد الشقى » يلتقى مع قراء الدوحة شهرياً ابتداء من هذا العدد .

أخوكم الحقير لله محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن السعدنى ، الذى ينحدر من أصول يمنية ومن قبيلة على حدود صنعاء ، والذى رحل جده الأول مع الفتح الاسلامى ، ثم راقت له مصر فأقام فى الشرقية ، ثم خلال سنوات القحط والجوع والاضطهاد ، هاجر السعادنة من الشرقية إلى كل مكان ، ولذلك ولهذا ولماذا أيضاً ستجد السعدنى فى المنوفية وفى الغربية وفى الاسكندرية وفى الجيزة . وستجد قبيلة السعدنى المصرية مذكورة فى كتاب وصف مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية منذ قرنين من الزمان !

ولكنى لا أظن أن أحداً من قبيلة السعدنى المصرية أو أصولها اليمنية قد داخ السبع دوخات كما داخ العبد لله ، ولا أعتقد أن سعدنيا آخر قد حصل له ما حصل للعبد لله . فأنا وحدى الذى داخ فى البلاد وجالس العباد ، وصادفه حوادث وكوارث يشيب لهولها الغراب ! وأنا وحدى من دون السعادنة الذى قطع رحلة حياته بلاد تحط وبلاد تشيل ! وأنا وحدى قطعت بلاد العرب قرية قرية من طنجة وإلى مأرب

بقلم : محمود السعدني

# مسافر على الرصيف



وعلى بلاد الهند أنا مريت ، وفى بلاد السند أنا أقمت وتمشيت ، وفى اليابان أنا عشت تحت الشمس المشرقة والى جوار أفران المصانع المحرقة . وفى بلاد الأمريكان أنا لفيت أنا لفيت من بافالو إلى سكرامنتو ، وأحببت الأمريكان وتمنيت أن أعيش معهم أمارس هذه الحياة ، فهم عرب أغنياء ، أو هم عرب تصببوا عرقاً ودماً حتى صاروا أغنياء . وتمنيت أن نلف لفهم وأن نمشى على دربهم وأن نحقق فى خمسة قرون ما حققوه فى قرن واحد من الزمان ! وفى القارة المحظوظة أوروبا أنا مسحتها من مجريط بالعربى التى هى مدريد باللاتينى ، إلى برلين بالألمانى . ومن دبلن فى إيرلندا إلى لاهاى فى هولندا . وحكمة الله أن أهل إيرلندا هم عرب أيضاً من بيروت ممكن من الجزائر يجوز ، من مصر لا مانع ، ولكنهم وجدوا أنفسهم فجاة فى أوروبا ، ولكن ماذا يفيد الجليد فى الدم الحار الذى يغلى فى العروق ؟! وفى أفريقيا أنا نمت فى الغابات وسرحت فى البرارى ، وعشت فى الجبال ، ودخلت بيوت الأفارقة ، وصليت فى جوامع مسلمين ، وخالطت جماعة من أكلة لحوم البشر ، ولكن ما أطيب الجميع ، وما أرق قلب الكل وما أقربهم إلينا ، وما أشدهم عداوة على أعدائنا ، وما أحرانا أن نلتفت إليهم ، وأن نمد أيدينا لهم ، وأن نمضى معهم فلهم نفس الغاية ويسلكون نفس الطريق ! ولكنى أموت وفى نفسى شىء من حتى ، لو ذهبت الى قبرى قبل أن تكتحل عيناى برؤية بلاد الحب والموسيقى والثورة فى أمريكا اللاتينية ! وأموت ناقص عمر لو انتهى الأجل قبل زيارة نيوزيلندا واستراليا فهذا الكوكب الذى نحيا عليه ما أصغره وما أجمله . وحرام أن نمر عليه دون أن نراه ، وحرام أيضاً أن نمضى عنه دون أن نستكمل فرجتنا عليه !

ولكن على طول ما لفيت ونطيت فى بلاد الله ، أصارحكم بأن أعظم رحلاتى فى الحياة كانت بلا سفر . رحلة ساكنة ومستقرة وهادئة أو خاملة فى نظر البعض رحلة قطعتها عبر سنوات طوال على مقعد فى مقهى بلدى فى الجيزة ، هى قهوة عبد الله . وعبد الله هذا رجل بلا شان ولا ذكر ولكنه مثاب رغم أنفه فقد دخل التاريخ من أوسع الأبواب . وفى هذا المقهى الذى كانت أنواره باهته ومقاعده مهشمة ورصيفه أعرض من حظه ، وشهرته أوسع من مساحة الميدان الذى كان يطل عليه . فى هذا المقهى التقيت بعشرات الأدباء والشعراء والفنانين ، بعضهم تتلمذت على يديه ، وبعضهم زاملته ، وبعضهم تأستذت عليه إن صح هذا التعبير ! نماذج من البشر قل أن يجود الزمان بمثلهم . ونادرا ما يجتمعون فى زمان واحد . ولكن – وهنا المعجزة – جاد الحظ بهم وفى وقت واحد ! واجتمعوا طويلا ، ثم انفضوا جميعاً ، بعضهم اختطفه الموت ، والبعض هرسه الزمن الغادر ، وبعضهم طرده الجحود والنكران ، ولكنهم جميعاً من زبدة مصر ، وجزء من سحرها ، وقبس من روحها ، وحفنة من ترابها ، وهم فى النهاية مصر نفسها ، وبدونهم ربما لا تكون مصر !! وأسماء لمعت وأسماء انطفأت وحظوظ طقطقت وحظوظ اندثرت ، وبهم نشبت معارك ولا معركة البسوس ، وبسببهم تحقق الخلود لأيام ولا يوم داحس والغبراء . وبفضلهم خرج من هذا المقهى الصغير الحقير شعاع من النور هو نفسه جزء من النور العام الذى يشع فى مصر كلها ! وحكمة الله أن رواد المقهى من الأدباء سلكوا طرقاً مختلفة ولكن إلى غاية واحدة . وأغرب شىء أنهم جميعاً هاموا حباً بمصر ، ولكن أحداً منهم لم يفز بها !! مجانين جميعاً ومصر ليلاهم . وعناترة كلهم ومصر عبلاهم ! أسماء لها فى مصر تاريخ ، ولها فى التاريخ مكان سيظل محجوزاً لهم . ونمـاذج لن تتكرر ، وشخصيات كان يكفى أن تأتى واحدة منها فى كل عصر لتزينه وتبهجه وتنشر النور والضياء والبهاء . أنور المعداوى ، وزكريا الحجاوى ، ومحمود حسن اسـماعيل ، وعبد القادر القط ، وعبد الرحمن الخميسى ومحمد على ماهر ، وزهدى الرسام ، ونزار قبانى ، والشيخ عبد الحميد قطامش ، ونعمان عاشور ، ومحمود يوسف ، ومحمود شعبان ، والدكتور عباس الشيخ ، والشيخ كامل أبو العينين ، وعبد العليم عيسى ، وأنور فتح الله ، وعبد الرحمن العيسوى ، والدكتور محمد كامل حسين ، وشفيق الكمالي ، والشيخ محمد الفيومي ، وعـدنان الراوى ، وأديب نحوى ، وهاشم السمان . وكان هذا جيل ، ومن بعده جاء جيل آخر . وجاءوا تلاميذ فى البداية ، ثم دخلوا فى القافلة وأصبحوا أساتذة بعد ذلك . يوسف إدريس ، وصلاح عبد الصبور ، والشاعر أحمد حجازى ، وصلاح جاهين ، والفنان حسن فؤاد ، وأبو المعاطى أبو النجا ، وأحمد عباس صالح ، وعلى الغندور ، ورجاء النقاش ، ويوسف الحطاب ، وفوزى درويش .

وكانت سياحتى فى قهوة عبد الله هى أهم سياحة فى العمر ، وكانت رحلتى خلالها هى أطول رحلاتى ، فقد امتدت عشر سنوات كاملة تنقلت فيها خلال هذه الجزر الخصبة والصحراوات المجدبة . ولكنها بخيرها وشرها كانت حياة حافلة وجامعات كبرى للفلسفة والتاريخ والمنطق والفن والأدب والشعر والموسيقى ، وفن النكتة وعلم الحديث والكلام !

وعلى هذه الصفحة سيقوم أخوكم الحقير لله محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن السعدنى بجرد الذاكرة لاستجلاب آخر نقطة فيها عن فرسان ذلك الزمان ، فقد كانوا ملح الأرض وزبد الحياة ، وكانوا جزءاً من روح مصر وقطعة من عقلها ، وأشاعوا المرح والحب ، وعلموا الأجيال فنون الصياعة الرفيعة والأدب العظيم ، وشقوا طريقهم فى الحياة وكل منهم يحمل فى يده شمعة ، بعضها له ضوء باهر ، وبعضها انكسر ضوؤه فأصبح يشع دخاناً أكثر مما يشع نوراً ! وبعضها انطفأت شعلته بفعل العواصف والرياح ! ولكن الذى لاشك فيه ولا ريب فيه أن كلا منهم اعتصر نفسه حتى النخاع ، وأدى دوره بالقدر الذى استطاعه ، وكانت النيات حسنة ، وان كانت بعض الأعمال ليست على ما يرام ! وإن البعض لقى جزاء سنمار والبعض الآخر تابط شراً ، والبعض الآخر ضاع فى زحام السوق الذى استولى عليه الأرزقية والأغوات . ولكن بعضهم استطاع رغم المحن والاحن أن ينتزع مكانه تحت الشمس وأن يضيء بالرغم من كل شىء ، وأن يدخل التاريخ بالرغم من الأسوار العالية والأقفال المحكمة . ولكن يبقى أنور المعداوى هو شهيد المقهى والمرحلة ، وهو ضحية الشموخ والكبرياء ، وهو النموذج الذى لم تتلوث يده ، والبطل الذى عفا عند المقدرة ، وعف عند المغنم ! وفى المقـابل يأتي نموذج الدكتور عباس الشيخ الذى احترق عند البداية ، واشتعل رأسه شيباً وهو لم يزل شاباً ، واشتعل عقله جنوناً وهو غاية فى الرزانة والكمال ! واكتفى من الحياة بالفرجة والصمت ، ثم مضى فجأة فى هدوء وكأنه لم يمرقط على هذه الحياة !

وأرجو من الله ولا يكتر على الله الا يميل بى الهوى أو يميل بى القلم ، وأن يوفقنى إلى ما يرضى الحقيقة ويرضاه . وإذا سقطت أسماء أو ضاعت فى زحام الذاكرة أحداث ، فأرجو أن يغفر لى الموتى وأن يسامحنى الأحياء ، فليس مثل السن له أحكام . والشيخوخة لها رغاوى تصبها على العقل العجوز ، وتدفع بالذكريات إلى الانزلاق عليها لتسقط فى هاوية النسيان !

ولكن ما يطمئننى أن تجاربى السابقة تؤكد أنه لا يبقى عالقاً بالذاكرة إلا ما يستحق الذكر . ولا يمكث فى العقل الباطن إلا ما ينفع الناس .

من أوراق
سياسي عربي كبير
الحلقة الثانية

# أيام لا تنسى مع أبي الحسن الندوي

● إن الحضارة الغربية قد تركت آثارها على هؤلاء المفكرين المسلمين ، حتى أصبحوا يتحدثون عن الاسلام وكأنهم غرباء عنه .

● كثيراً ما تبدأ الجمعيات الاسلامية برجل مخلص يدفعها الى الأمام ، ثم يخلفه رجال لا يجمعون بين دعوتها وروح العصر فتضمحل هذه الجماعة وتبقى جسداً بلا روح .

● إن لنصر الله أسباباً معلومة مذكورة في القرآن الكريم ، ومن أهمها الايمان والاخلاص في إعلاء كلمة الله ●

أود أن أخصص هذه الحلقة للحديث عن الداعية الاسلامى الكبير : أبو الحسن علي الحسنى الندوي ، وذلك بهدف اعطاء نموذج حي من العلماء الأفذاذ الذين وهبوا حياتهم للدعوة الاسلامية ، وباعوا كل أعراض الدنيا فى سبيلها.

كان أبو الحسن جريئاً فى الحق ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، كان شجاعاً صادق العزيمة ، أخلص لله مقصده ، فمنحه ربه إيماناً راسخاً ، ويقيناً ثابتاً ، وعملا صالحا .

سأتحدث عن أيام قضيتها معه حينما أتى الى مصر فى مطلع الخمسينات ، وأتحدث عن العلماء الذين قابلهم ، وتحدث اليهم ، والمحاضرات التى ألقاها ، وما كان منه مع العلماء وكبار القوم ، وكيف كان يواجه الجميع بشجاعة وصدق ونزاهة . ولعل الذين مازالوا أحياء ممن عايشوا «الأستاذ» فى تلك الفترة أو بعدها يعرفون الكثير الكثير عن صدق عزيمته . وإخلاصه لدين الله الحنيف .

كم ساكون سعيداً وأنا أسلط الضوء على شريحة نزيهة من شرائح العلماء الذين ينبغى أن يوجد الكثير منهم فى هذا العصر ، حتى يؤوب الضال عن ضلاله ، ويعود المضل الى طريق



ابو الحسن الندوي

كاتب هذه « الأوراق » واحد من الشخصيات العربية السياسية البارزة وهو يشغل حالياً منصباً مهماً فى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اختص مجلة الدوحة بهذه « الأوراق » التى يركز فيها الضوء على مجموعة من الوقائع والأحداث التى مرت فى حياته ، وبشكل خاص إبان فترة وجوده ـ كطالب جامعى ـ فى القاهرة بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م وهى فترة « العصر الذهبى » للنهضة الفكرية كما أحب هو أن يطلق عليها .

وقد برر تركيزه على ذكر تلك الوقائع بقوله : « لعل القارىء الكريم يجد بين سطورها ما يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم ، ويشحن المشاعر » .


حسن البنا


محمد الغزالى


فكرى أباظة

الصواب ، ويفهم العلماء طريق دعوتهم ، ويفقهوا طرق الدعوة الى الله .

ويكفى أن يكون هذا العالم قدوة أن نذكر ما كتبه عنه الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين بالأزهر فى مقدمة الكتاب الذى ألفه العلامة الندوى بعنوان «مذكرات سائح فى الشرق العربى» والذى صدر عام ١٩٥٤ حيث يقول : «وانني لأقرر غير مبالغ أننى لا أعرف داعية مثله ، فهو يعيش بالاسلام وللاسلام ، بعد أن أحاط به خبراً ، وعرف سر إعجازه ، وفوقه فى نواحى العقيدة والتشريع والأخلاق والاجتماع ، وهو قد راض نفسه قبل كل شىء على المثل العليا للدعوة والداعية ، قبل أن يدعو الغير لفهمها ، وترسمها ، وتحقيقها فى نفسه ومحيطه» .

وقد جاء فضيلته الى مصر بدعوة شخصية من الحاج جلال حسين عضو مجلس الشيوخ المصرى بتاريخ ٢١ من يناير عام ١٩٥٠ م ، قادماً من جدة عن طريق البحر ، واتخذ مقراً له فى سوق الصيارفة بشارع الموسكى .

وقد قدر لى أن أصحب الشيخ الجليل فى أغلب الأيام التى قضاها فى مصر ، والتى تزيد عن ثلاثة أشهر .

والحق اننى رأيت منه ما لم أر من غيره من العلماء ، ودرست عليه بالممارسة ما لم أتعلمه طوال سنوات دراستى بالأزهر الشريف ، وكان ذلك من فضل الله وتوفيقه .

ومن الطبيعى ألا أتعرض بالتفصيل لكل ما كان من شأن هذا العالم الجليل ، إنما سأذكر بعض النماذج فقط مما رأيت منه ، ولمست ، وسمعت ، فلعل فيها عبرة لمن أراد أن يبحث عن العبرة ، وعظة لمن فى نيته أن يتعظ !

## آراء شاذة

ذات مرة تقابل الشيخ الندوى مع الأستاذ أحمد أمين الذى أفاض فى شرح آرائه بالنسبة للتشريع الاسلامى والتاريخ . فلم يرتح الشيخ لتلك الآراء ووصفها بأنها «آراء شاذة» !

ومن ضمن آراء أحمد أمين التى ذكرها فى تلك المقابلة أن الاسلام لم ينفذ إلا فى عصر الرسالة ، وأنه لابد من فتح باب الاجتهاد ، كما ينبغى الجمع بين الصلاتين فى الحضر (غير السفر) ! ، وكذلك يجب السماح للعمال بالافطار فى شهر رمضان أيام الصيف الحار ، وإنه لابد من طرح البديل عن الأضحية فى الحج لأنها تضيع وتسبب الأمراض ، وتفسد الجو ، وتنشر الأوبئة .

فبماذا رد الندوى على هذه الآراء ؟ :

قال : ان الحضارة المادية قد أثرت على الفكر العربى ، والحضارة الغربية قد تركت آثارها على هؤلاء المفكرين حتى أصبحوا يتحدثون عن الاسلام ، وكأنهم غرباء عنه . فأمثال أحمد أمين ينبغى الرد عليهم بمثل منطقهم ، يجب أن تدحض الحجة بالحجة ، والفكرة بالفكرة حتى تتبين للناس فضائل وحسنات وميزات الاسلام ، ويقفوا على حقيقة بعض المفكرين الذين تركوا منابع الفكر الاسلامى الحقيقى واخذوا من الغرب ما أخذوا .

وعندما تركنا المجلس قال لي : سألقى محاضرة بهذا المعنى فى أقرب فرصة إن شاء الله وبالفعل ألقى المحاضرة الجامعة فى مقر الجمعية الشرعية التى كان يرأسها الشيخ محمود خطاب .

وبمناسبة الحديث عن هذه الجمعية فقد كانت هناك عدة جمعيات دينية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- جمعية أنصار السنة المحمدية وكان رئيسها الشيخ محمد حامد الفقى .
- جمعية مكارم الأخلاق ، وكان يرأسها الحاج جلال حسين .

# أيام لا تنسى
# مع أبي الحسن الندوي

● جمعية العشيرة المحمدية ، وكان يرأسها الأستاذ زكى ابراهيم .
● جمعية دار الأرقم – مركز شباب سيدنا محمد ، ورئيسها السيد حسين يوسف .
● جمعية الهداية الاسلامية ، وكان يرأسها الشيخ الخضر حسين .
● جمعية الشبان المسلمين ، وكان يرأسها السيد محمد صالح حرب .
● جماعة الاخوان المسلمين التى أسسها الامام الشيخ حسن البنا .

وقد كان للشيخ الندوى مع كل هؤلاء أحاديث ومناقشات وندوات ، كان يعلق على ما يراه حسناً فيثنى عليه ، ويكشف ما يراه عيباً فينتقده دون مجاملة أو محاباة لانه كان يعتقد بان هذه الجمعيات والجماعات لا مبرر لكثرتها ، ولابد من العمل على دمجها فى بعضها البعض ، فلا ضرورة لهذه الكثرة العددية لانها جميعاً تلتقى فى بؤرة واحدة هى الدعوة الى الاسلام والعودة الى أصوله ، واذا كانت الأساليب تختلف بين واحدة وأخرى إنما يمكن إيجاد حد أدنى من التفاهم حول الدعوة والدعاة ، وكيفية تطهير المجتمع الاسلامى مما علق به من شوائب .

وأذكر له بهذه المناسبة قوله : «كثيراً ما تبدأ الجمعيات أو الجماعة برجل مخلص يرأسها ، وصاحب تفكير يدفعها الى الأمام ، ثم يخلفه رجال لا يزيدون فى ثروتها الاصلاحية ، ولا يجمعون بين دعوتها وروح العصر فتضمحل هذه الجماعة وتبقى جسداً بلا روح» .

## مع الشيخ محمد الغزالى

كان حريصاً جداً على مقابلة الشيخ محمد الغزالى الذى قرأ له عدة كتب وكان يعتبره أحد كتاب النهضة الدينية فى مصر . وذكرت له عن آخر كتاب صدر لفضيلته وهو كتاب (من هنا نعلم) وذلك رداً على كتاب (من هنا نبدأ) لخالد محمد خالد .

وقد وصف الشيخ الندوى الشيخ الغزالى بقوله بعد اللقاء : اننى رأيت فيه رجلا صالحاً مثقفاً نشيطاً صاحب قلب حي ، وعقل نير ووجه يفيض بالبشر ورأيته كان كلا منا يعرف صاحبه عن طريق الكتب والرسائل ويرى من هذه الكتب صورة أفكاره ومبادئه .

وفى الواقع كان اللقاء حاراً والحديث متنوعاً شمل عدة موضوعات أذكر منها (التعليم الجامعى – رجال الدين وضعف البعض منهم – والدعاة وصفتهم) كما انتقد الشيخ الغزالى التعليم فى الأزهر . وقال إنه يعنى بالتفصيل والنقاش أكثر مما يعنى بمبادىء الاسلام ومقاصده .

وللشيخ الغزالى رأى معتدل فى حجاب المرأة حيث يكون حجاباً شرعياً تتمكن معه السيدات من المساهمة فى النهضة الدينية والخدمة العامة.

ولشدة إعجاب الشيخ الندوى بالشيخ الغزالى وآرائه فقد تعددت اللقاءات وأهم ما دار فيها فى رأيى هو موضوع مشكلة الجماعات الاسلامية . وهى أن الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية لا تدوم لقوة واحدة فيعترضها من المد والجزر والبرودة ما يؤثر فى مصير الجماعة وحياتها . فكيف يحافظ على هذه الحماسة والعاطفة والروح . هناك ثلاثة أسس لابد من الحفاظ عليها والعناية بها .

١ – غرس المبادىء والايمان .

٢ – انتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويديرون دفتها لأن أية حركة أو دعوة أو مؤسسة مهما كانت قوية أو غنية فى الرجال إذا لم تستمر فى انتاج الرجال فانها معرضة للخطر ولا تلبث أن ينقرض رجالها واحداً إثر الآخر .

٣ – تغذية الروح والقلب بغذاء يحفظ على رجال الدعوة نشاطهم وحماستهم فان الرجال كالمصباح اذا نفد زيته ينطفىء . وكم رأينا من حركات سياسية ودعوات دينية تقدم رجالها للسجون وصنوف العذاب ثم لم يلبثوا أن فترت نفوسهم وبردت عواطفهم فتراجعوا الى الوراء . وانحطوا الى مستوى العامة والسوقة .

إذن لا عبرة بالحماسة فقط ولا ثقة بالتضحية فحسب ، بل الشأن فى الاستقامة والدوام وليس ذلك إلا بالتربية الروحية وتغذية القلب بالايمان .

## مع محمد علي الطاهر

محمد علي الطاهر زعيم من زعماء فلسطين ومجاهد أعطى القضية الفلسطينية من جهده وكفاحه ما استطاع . وكان مكتبه ملتقى الزعماء السياسيين فى مصر . وقال الشيخ عندما طلب أن يلتقى به إننى أعرفه عندما زار الهند ، واتصل بالأمير شكيب أرسلان ونشر مؤلفات له فى جريدته «الشورى» التى كان يصدرها وقرأت له كتاباً بعنوان «معتقل هاكستب» .

وعند وصولنا اليه كان فى مجلسه القائد عبد الله التل وأحمد الشقيرى والقاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية اليمنية . وبدأ الحديث عن فلسطين وأسباب ضياعها .



الحاج أمين الحسيني ومحمد علي الطاهر

وقال محمد علي الطاهر «أريد أن أؤلف كتاباً خاصاً بفلسطين ، وصفها وتاريخها وما جرى فيها . لأننى أخاف أن تضيع فلسطين فى التاريخ كما ضاعت فى الواقع» . ثم تحدث عن تقصير الدول العربية فى حقها وكيف كانت تنزع السلاح من أهل فلسطين وتجعل الشعب أعزل لا سلاح عنده ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه وشرفه ويأتى اليهود فيكون أهل البلد لقمة سائغة لهم . فلو أن هذه الدول والجامعة تركت أهل فلسطين وشأنهم لـدافعوا عن بلادهم مدافعة الأبطال كما ظلوا يدافعون عن أنفسهم هذه المدة الطويلة .

ثم دار الحديث عن انحطاط أخلاق العظماء والزعماء . فقال الشيخ الندوى إن علماء الحديث كانوا يؤلفون كتباً فى الجرح والتعديل ولما كان هذا عصر السياسة والزعامة وقد طغت السياسة على كل شىء وحلت محل كل علم أرى لو ألفتم كتاباً فى جرح رجال السياسة والزعامة للعبرة والفائدة .

## مع الأمير الخطابى

تصادف وجود أبى الحسن فى مصر مع وجود الأمير المغربى الشجاع عبد الكريم الخطابى بطل الريف .

وكان الشيخ حريصاً على لقائه ، ويبدى رغبته تلك بقوله : اننى أتطلع الى زيارة هذا الزعيم ، لأسمع منه الأخبار ، ولأتعرف على كيفية مواجهته للاستعمار الأسبانى .

توجهنا الى «حدائق القبة» حيث كان يقيم كلاجىء سياسى فى مصر ، وكانت لحظة اللقاء حارة بين الرجلين ، ودار الحديث عن أخبار العالم الاسلامى ، وساله أبو الحسن عن حقيقة ما جرى فى الريف ، فقال له الأمير :

لقد كان تحت إمرتى فى بداية الجهاد أربعة آلاف مقاتل ، وبعد فترة قصيرة أصبحوا أربعين ألفاً ، وقد واجهنا الأسبان فى البداية بمائة ألف جندى ، ثم أصبحوا أربعمائة ألف . وكانت المساحة التى نسيطر عليها تزيد عن ستمائة كيلو متر .

لقد بدأت الحرب عام ١٩٢٠ م ، واستمرت بيننا وبين الأسبان أربع سنوات ، حين تدخلت فرنسا عام ١٩٢٤ ، ثم جرى التسليم عام ١٩٢٦ نظرا لنفاذ الذخيرة ، وانقطاع المؤن والعتاد ، واشتداد البرد ، وطول مدة الحصار .

وعندما سأله فى نهاية اللقاء عما اذا كان هناك أمل قريب فى استقلال الريف والمغرب الأقصى أجابه الزعيم المغربى الكبير : إن النصر مؤكد وقريب باذن الله ، ولكن عقلية فرنسا ضيقة ، ولا تستوعب دروس التاريخ جيداً .

## مع مفتي فلسطين

أما لقاؤه مع سماحة المفتى السيد محمد أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا فقد عبر عنه بقوله إنه من أمتع المقابلات التى جرت معى بمصر وان كانت قد جرحت الفؤاد وأثارت الأحزان ، وبعثت الأسى على حالة المسلمين .

وقد تحدث سماحته فى جلسة خاصة عن تاريخ جهاد فلسطين ومطامع اليهود السافرة حتى طمعهم فى احتلال المدينة المنورة وخيبر . ونفاق الانجليز وكيدهم للمسلمين وأخطاء الدول العربية وغفلتها عن مصيرها والأخطار الصهيونية التى تهدد كيانها وانشغال قادة العرب بنفوسهم وترفهم ، وجناية الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بهذه القضية ثم تقاعدها عنها وعزل الشعب الفلسطينى المجاهد عن السلاح وتسليم المناطق العربية لليهود فلا تركت الشعب الفلسطينى الغيور الباسل يواصل جهاده ولا أغنت عنهم شيئاً وحلت محلهم .

ثم ذكر سماحته للشيخ الندوى كيف حال الانجليز بينه وبين إخوانه الفلسطينيين وكيف سافر خلسة مرة الى غزة فاستعادوه الى مصر ، وكيف نسجوا حوله الشائعات ليشوهوا سمعته ويسقطوا مكانته ويفقد الفلسطينيون ثقتهم به .



الأمير عبد الكريم الخطابى .

وعبر الشيخ الندوى بعد خروجنا من عند سماحته بقوله : إننى حزين منكسر الخاطر مما سمعت .

## مع الطلبة الفلسطينيين

وقد اغتنم الامام الندوى فرصة وجوده بمصر وسكناه قرب الأزهر الشريف ، فكان يلتقى بالجاليات الاسلامية التى كانت تتعلم فى الأزهر، وتسكن أروقته كالاتراك ، والمغاربة ، والفلسطينيين ، والسودانيين وغيرهم .

وكان له مع كل جالية حديث ، ولقاء ، ويهمنى أن أذكر بهذه المناسبة حديثه مع الطلبة الفلسطينيين فى رواق الشوام ، حيث كانت فلسطيننا العزيزة حديثة عهد بالضياع والنكبة

وما برحت كلماته تطرق سمعى ، وقلبى : «أيها الفلسطينيون الشباب ، إن النصر الله أسباباً معلومة ، مذكورة فى القران الكريم ، ومن أهم أسباب هذا النصر الايمان والاخلاص فى إعلاء كلمة الله ، ومع الأسف تجرد أكثر زعمائنا من هذه الروح ، وتشبثوا بالمادية والمصالح الشخصية ، درسوا تاريخ الحركات السياسية فى أوربا وحاولوا أن يقلدوها » .

وكان مما قاله أيضاً : «تقوا أيها الاخوة بأن الآخرين لا ينصرونكم ولا ينقذون فلسطين ، فانما تنصرون أنفسكم اذا صدقت نفوسكم ، وصحت عزائمكم ، وملكت عليكم فلسطين مشاعركم ، وتفكيركم ، وإنما مثلكم ومثل الغير كمثل الكلب والغزال . قال له الكلب : لماذا لا أدركك وأنا شديد الجرى عداء ؟ قال الغزال : لأنك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسى . فهؤلاء الآخرون لا يستطيعون أن يكونوا جادين فى مسالة فلسطين مثلما يمكنكم ، فربوا أنفسكم ، وأحسنوا القيام عليها حتى تنقذوا وطنكم العزيز ، وتردوه الى الاسلام والمسلمين» .

وعقب على هذه الكلمة الطالب الفلسطينى فتحى البلعاوى – والذى يعمل حالياً موجهاً للغة العربية بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر – فالقى خطبة حماسية بليغة تأثر الشيخ الندوى بها وقال : أتوسم الخير فى هذا الطالب .

## تعليقات سريعة

لأننى كنت مرافقاً لأبى الحسن فى أغلب تحركاته ، فلقد لمست وسجلت الكثير من المواقف العابرة ، والتعليقات السريعة التى كان يبديها فى بعض المناسبات . وأذكر عند زيارتنا لمسجد الرفاعى بالقاهرة أنه علق على وجود قبر الملك فؤاد داخل المسجد فقال : «لو أن كل عظيم بيننا له مقبرة مثل هذه لأصبحت مدن الأموات أكبر من مدن الأحياء » !

وحدث أن ذهبنا ذات مرة لزيارة شيخ الأزهر فى بيته ، وعندما رأى أبو الحسن مظاهر الترف فى البيت علق قائلا : «اشعر بأننى جلست فى بيت أحد أكبر أغنياء مصر ، لا فى بيت شيخ الأزهر الذى ينبغى أن يكون مثالا فى البساطة والقناعة» .

وفى احدى الأمسيات حضرت مأدبة عشاء أقامها على شرفه أحد الأخوة المصريين ، وكانت المائدة حافلة بصنوف شتى من الطعام ، فما ارتاحت لذلك نفسه الرصينة فقال لمضيفه معلقاً : يا أخى .. إننى وباقى الاخوة الضيوف نشبع من لقيمات ، فماذا ستصنع بالمتبقى ؟ لقد كان يكفينا جزء منه ! ولم يرتح فضيلته للموالد المبالغ فيها والتى كانت تقام فى ذكرى اعلام الاسلام فقال محتجاً : ان كل هذه الموالد خارجة عن تعاليم الدين ، ومن العجيب أنها تتم بجانب الجامع الأزهر ، وعلى مرأى ومسمع من جميع العلماء !

وذات مرة ركبنا الترام ، فتعمدت ألا أدفع الأجرة للمحصل «الكمسارى» ، فظن اننى نسيت فنبهنى الى ذلك ، لكننى قلت له : إن هذه الشركة يهودية ، وينبغى ألا ندفع لها الأجرة ، فقال لي معاتباً : أيها الأزهرى : لابد من الدفع ، ولو كانت الشركة يهودية أيضاً ، لأنك قد انتفعت بهذه الوسيلة ، والاسلام يعلمنا بأن ندفع أجرة المنفعة بقطع النظر عن دين صاحبها ، هكذا علمنا الاسلام ، وهكذا ينبغى أن نكون !

وأذكر أننى دخلت عليه ذات صباح فوجدته غاضباً حانقاً ، وبيده مجلة «المصور» المصرية وعلى غلافها صورة كبيرة للملك فاروق وبجانبه الملكة ناريمان التى بدت فى وضع غير محتشم . فقال لي : خذ فانظر .. أهذه ملكة للمسلمين ؟ يا خسارة .

واختلى بنفسه بعض الوقت فكتب مقالة احتجاج على هذا الوضع ، وطلب منى أن أسلمها الى رئيس تحرير مجلة «المصور» وكان يومها الأستاذ فكرى أباظة ، فقلت له : إنه لن ينشرها أبداً ، فقال أبو الحسن : اذهب اليه وسلمها له ، فانا لابد أن أبرىء الذمة أمام الله تعالى .

نفذت له رغبته ، بعد أن استطعت الوصول الى رئيس تحرير «المصور» ، فقرأها وأعجبه أسلوبها وفكرها ، وأثنى على كاتبها وقال لي : أبلغه تحياتى ، واعتذارى الشديد بأننى لا أستطيع نشرها لأنها تتعلق بالذات الملكية ، فعدت الى الشيخ الجليل ، ونقلت له ما حدث فقال معلقاً : «إن فيه بقية من إيمان» .

# معركة الحياة والموت بين إسحاق الموصلي وزرياب الأندلسي

بقلم : كمال النجمي

فى تاريخ الغناء العربى حكاية شائنة عجيبة التصقت بأكبر أقطابه اسحاق الموصلى ، المغنى والملحن الأكبر الذى رسخت بعمله وعلمه قواعد التلحين والغناء ، وكان الملحنون والمغنون بازائه « اقل من التراب » .. على حد تعبير واحد من أكبرهم فى زمانه ! ..

هذا الفنان العظيم لحقته تلك الحكاية أو التهمة الباطلة ، فظل بعض مؤرخى الأدب والغناء يرددونها بعد رحيله عن الدنيا بزمان طويل .. وانتقلت من كتاب إلى كتاب حتى صارت كأنها من الحقائق ، ووجدناها حتى فى الكتب التى صدرت فى عصرنا .

قيل إن « زرياب » الملحن المغنى الذى اشتهر فى الأندلس خلال الثلث الأول من القرن الثالث الهجرى .. إنما هاجر من بغداد إلى المغرب ثم إلى الأندلس فى أواخر القرن الثانى ، خوفاً من بطش إسحاق الموصلى وتآمره عليه وتهديده له بالقتل إن لم يغادر بغداد والعراق ويسافر إلى اقصى مكان فى الأرض يرتزق فيه !

وتفصيل القصة .. ان اسحاق كان قد تعهد بالتعليم والتثقيف فى الغناء والتلحين ، غلاماً للخليفة المهدى اسمه « زرياب » حتى برع الغلام وصار من أمهر الملحنين ، واضرب الضاربين بالعود ، فضلا عن جمال صوته .

فلما وثق اسحاق ببراعة تلميذه ، قدمه إلى الخليفة الرشيد ، فغناه الفتى فاحسن الغناء ، وضرب على عود كان قد نحته بيديه فى ثلث عود اسحاق وزناً ، صنع له الوترين الرفيعى الصوت من حرير ثمين لم يغسله بالماء السخن – عكس ما كانوا يفعلون – فصار الوتران أرق وأصفى صوتاً ورنيناً .. ثم صنع البم والمثلث ، وهما الوتران الغليظان من مصران شبل أسد فصارت لهما جهارة وقوة ، أضعاف مالأوتار الغليظة المصنوعة من أوتار الحيوانات الأخرى .

فلما أتم زرياب غناءه ، بلغ الطرب بالرشيد غايته ، وبهرته عبقرية المغنى الملحن الضارب ، فقال لاسحاق معاتباً :

– كيف سمعت منه هذه الروائع كلها ولم تخبرنا عنه إلا منذ مدة يسيرة ؟! ..

قال اسحاق معتذراً :

– يا أمير المؤمنين .. والله ماعلمت بهذا ، ولا سمعته يغنى ويضرب هكذا من قبل ، ولا عرفت أن له عوداً غير ما فى أيدى المغنين من العيدان .. وقد أخفى ذلك كله عنى ! .

قال الرشيد :

– صدقت ! .. فخذه إليك ، وجئنى به متى طلبته منك .. وزده من العلم ليصير حاذقاً بكل شىء ! .

وظن زرياب بعد هذا الحوار بين الرشيد واسحاق – وقد تجلى فيه افتتان الخليفة




به – ان الجائزة التى سيتلقاها منه ستكون عظيمة ، ولكن الرشيد صرفه بلا جائزة ، فخرج غاضباً متحيراً .. واسحاق معه ! .

فلما صارا خارج قصر الخليفة ، أمسك اسحاق بخناقه ، وقال له مغيظاً مخنقاً :

–إنك قد أخفيت عنى عودك الذى اخترعته ، وأوتاره التى لا مثيل لها ، وألحانك التى ما كنت أظنك تقدر على عملها .. ثم أظهرت ذلك كله فى حضرة أمير المؤمنين كأنك ظننت أنك تغلبنى على مكانتى عنده ، وتحل محلى ! .. وقد مكرت بى فيما انطويت عليه من إجادتك وعلو طبقتك ، فكأننى أتيت نفسى من مكمنها بتقريبى لك ، واجتهادى فى تعليمك ، وقصدى منفعتك ، وأنت تقصد إيذائى ! .

حاول زرياب – كما تقول القصة – تهدئة أستاذه وتأكيد ولائه له ، ولكن اسحاق مضى يوبخه قائلا بمنتهى الصراحة :

– إن الحسد أقدم الأدواء ، والدنيا فتانة والشركة فى الصناعة عداوة ، ولا حيلة فى حسمها ! .. وعن قليل تسقط منزلتى وترتقى أنت فوقى .. وهذا مالا أصاحبك عليه ولو أنك ولدى ! .

فلما استعطفه زرياب ، لم يلتفت إليه ، ورفع عقيرته متوعداً مهدداً بالويل والثبور :

– لولا رعيى لذمة تربيتى لك ، لأذهبت نفسك ، وليكن فى ذلك ما كان ! .. فتخير إحدى اثنتين لابد من إحداهما : إما أن تذهب عنى فى الأرض العريضة لا أسمع لك خبراً بعد أن تعطينى الأيمان الموثقة .. وإما أن تقيم هنا على كرهى ورغمى مستهدفاً لسهامى ، فانى لا أبقى عليك ، ولا أدع اغتيالك ، باذلا فى ذلك بدنى ومالى ! .. فاقض قضاءك ! ..

تقول القصة بعد ذلك إن « زرياب » خشى أن يغتاله اسحاق ، فرحل عن بغداد ، متخذاً طريقه صوب المغرب ! .

هكذا صار اسحاق الموصلى الفنان الشاعر الأديب العالم المتفقه فى الدين ، المشهور بالعفة والاستقامة وكمال المروءة ، كأنه أحد عتاة « الشطار » وقطاع الطرق فى بغداد ! ..

وانقلب هذا الرجل المترفع الوقور ، وحشاً مرعباً ، وقاتلا فاتكاً يرغم المطرب النابغة الذى امتدحه الخليفة وطلب عودته إليه ، على الفرار بجلده من بغداد ، حفاظا على حياته من هذا السفاح الرهيب اسحاق الموصلى الذى وصفه الخليفة المأمون بأنه أكثر ديناً وعلماً وعفافاً ومروءة من بعض كبار القضاة والعلماء ، وقال إنه لولا اشتهاره بالغناء لأسند إليه « القضاء » فى دولته ، لشدة تمسكه بالعدل .. وكان يدخل مجلس الخلافة مع الفقهاء ، قبل ان يدخله مع المغنين والملحنين .

## ما هى الحقيقة ؟

فلننظر فى هذه القصة .. ما حقيقتها ؟! .

يقول رواتها ان اسحاق بعد ان أكمل تعليم زرياب ، أخذه إلى مجلس الرشيد ! .. ولا يكون ذلك صحيحاً إلا إذا كان قد وقع بعد موت ابراهيم الموصلى – والد اسحاق – بسنتين أو ثلاث سنوات ، أى حوالى سنة ١٩٠ هـ لأن ابراهيم الموصلى مات سنة ١٨٨ هـ .. ولم ترسخ مكانة اسحاق عند الرشيد إلا بعد تلك المدة « السنتين أو الثلاث » فقد أعلن المغنون الحرب عليه بعد وفاة والده واتهموه بأنه يدعى ألحاناً كان قد صنعها له قبل وفاته ، وأن طبقته فى التلحين دون طبقة أبيه بكثير .. ولبثوا يزعمون ذلك ويشوشون على اسحاق ، والرشيد يسمع كلامهم ، حتى أفحمهم اسحاق بألحانه الجديدة المتوالية العالية المستوى ، وحتى امتحنه الرشيد امتحانات شتى ، من بينها تكليفه بالتلحين فى شعر

جديد وهو جالس بين ندماء الخليفة ، ففعل ذلك مرات ، وانتصر على منافسيه الحاقدين على تفوقه الكبير .

كان اسحاق فى هذه المدة كلها مشغولا بهذه الحرب المعلنة عليه من جميع المغنين تقريباً ، وفيهم من أخذوا الصناعة عن والده ، امثال علويه ومخارق ، وهما أشهر المغنين حينذاك ، ولم يلتقيا ، ولا التقى غيرهمـا بزرياب ، ولا عرفا عنه شيئاً ، ولا تحدثا عنه بشىء طيلة حياتهما ، ولو عرفا عنه أدنى شىء لاكثرا من التشنيع به على اسحاق .

وبعد ثلاث سنوات فقط من انتصـار اسحاق مات الرشيد سـنة ١٩٣ هـ فى « طوس » ببلاد العجم ، بعيداً عن عاصمته التى غاب عنها طويلا ليخمد ثورة بعض الخوارج هناك ! .

فمتى إذن تلقى زرياب هذا العلم الغزير على يد اسحاق ، وهو مشغول بالدفاع عن نفسه فى معترك المغنين المحترفين ، ومتى وكيف استطاع زرياب أن يضيف من عنده هذه « الاختراعات » العجيبة فى وزن العود وأوتاره المصنوعة من الحرير ومصران شبل الأسد ؟! .

يقول المؤرخون إن « زرياب » كان من غلمان الخليفة المهدى والد الرشيد ، وقد توفى المهدى قبل ابنه الرشيد بخمسة وعشرين عاماً .. فكم كان يبلغ زرياب من العمر حين توفى سيده المهدى ؟! .

لنفترض انه لم يكن يجاوز العاشرة من عمره حينذاك ، فتكون سنه حين اتصل باسحاق سنة ١٩٠ هـ ليتلقن الصناعة ، أو ليستزيد منها ، ثلاثين عاماً ! .

فكيف نبغ هكذا فجاة بمجرد اتصـالـه باسحاق ، فى شهر او شهرين او بضعة أشهر ، وأين كان نبوغه طوال ثلاثين سنة عاشها من قبل فى الدنيا ؟! .

ثم كيف خرج من الرق وقد كان من أرقاء المهدى ؟! .. من الذى أعتقه وقد مات سيده عنه وهو فى رقه ؟ .. هل أعتقه الخليفة الهادى أو أعتقه الرشيد نفسه حين ورثه هذا أو ذاك عن أبيه ، فيمن كان الخلفاء يعتقونهم ويفكون رقابهم ، تقرباً إلى الله ؟! .

هل كان عبداً رقيقاً حين اتصـل باسحاق ؟! .. فمن الذى دفعه إلى اسحاق وطلب إليه تعليمه وتثقيفه من سـادة الهاشميين أو غيرهم ممن كانوا يملكون رقبة زرياب وأمثاله ؟! .

المعروف ان اسحاق كان يتولى احيانا تعليم جوارى السادة وغلمانهم وتثقيفهم فى الغناء ومطارحتهم الالحان الجيدة القديمة ، لقاء اجر ضخم .

فمن أين جاء زرياب باجر اسحاق إذا كان قد أعتقه سادته وصار حراً لا يملك من المال إلا ما يدره عليه عمله كواحد من السوقة فى بغداد ، وهو رزق ضئيل ؟! .

وإذا كان قد بقى فى الرق حتى سن الثلاثين حين اتصل باسحاق ، فمن كان سيده الذى دفعه إلى اسحاق ، ودفع إليه اجر تعليمه ؟! .

وفى كم من الزمن طارحه اسحاق الحان الاقدمين كابن سريج وابن محرز ومعبد ومالك بن أبى السمح وابن عائشة .. فضلا عن الحان ابراهيم الموصلى ، والحان اسـحاق نفسه .. دعك من الحـان معاصريه ؟! .

ان زرياب لم يكن ليعرف التلحين وعلومه بغير الدرس الدقيق لأعمال هؤلاء الفحول وغيرهم ، وهذا يستغرق الزمن الطويل .. فهل جمعها زرياب كلها فى أقصر مدة ، أم حفظها قوة واقتداراً قبل ان يتخرج على يد اسحاق ، ثم التقى به مكتمل الاداة لا يحتاج منه إلى شىء .. بل هو ــ فيما زعموا ــ متفوق عليه باختراعه ! .

ان كتاب الاغانى ــ وهو المصدر الوثيق فى هذا الشان ــ لا يذكر ان « زرياب » قد تعلم شيئاً من فحول رواة الغناء القديم منذ كان طفلا فى عهد المهدى أو صبياً صغيراً ، إلى أن هاجر إلى المغرب فى عهد الرشيد .

ولنراجع اخبار سياط وفليح وحكم الوادى ويحيى المكى وابن جامع وطبقتهم ، فلن نجد أثراً لزرياب فى اخبارهم .. فمن هم الرواة الذين سمع منهم ؟! .

إذا كان أستاذه هو ابراهيم الموصلى ، فلا يكون قد اتصل به إلا بعد وفاة المهدى الذى كان يحرم على الموصـلى الكبير « إفساد » غلمانه بتعليمهم الغناء ، كما يحرم عليه مجالسة ولي عهده : الهادى والرشيد ، وقد نمى إليه مرة انه جالسهما وغنى لهما فضربه وحبسه وعذبه حتى كاد يقتله ! .

فاذا كان زرياب إنما بدا الدراسة عند ابراهيم الموصلى الكبير منذ اول عهد الرشيد ، فهل لبث يتعلم على يديه إلى ان مات ، بغير أن يعلم بذلك الموصلى الصغير ــ اسحاق ــ الذى هو اكبر أولاد ابراهيم وتلميذه فى الفن ، والعارف بجميع تلاميذه وجواريه ولا يخفى عليه من اموره شىء ، وقد كان فى ذلك الوقت ــ وهو بعد لم يحترف الغناء ــ يقيم فى بيت أبيه ؟! .

لقد خرج زرياب من بغداد وهو فى الثلاثين من عمره ، ولم يكن اسحاق يكبره باكثر من ثلاث سنوات أو أربع ، فكيف كان أحد هذين النديدين فى السن غلاماً للآخر ، حتى يقول المؤرخون : كان زرياب غلاماً لاسحاق ؟! .

هل كان اسحاق اشتراه ؟! . فممن اشتراه وسيده هو الخليفة الرشيد الذى ورثه عن أبيه الخليفة المهدى ؟! .

وإذا كان المقصود بقولهم : « كان غلاماً » معنى التلمذة وطلب العلم ، فقد بينا أنفاً استحالة أن يكون اسحاق وهو فى سن زرياب أستاذاً له ! .

لقد وصل زرياب إلى المغرب بعد وفاة الرشيد باثنى عشر عاماً .. أى ان هجرته من بغداد كانت بعد ان تولى الرشيد الخلافة باحد عشر عاماً تقريباً .. وفى ذلك الوقت كان ابراهيم الموصلى هو مغنى الرشيد ونديمه ، ولم يكن ابنه اسحاق قد التحق بعد بخدمة الرشيد ولا غنى فى مجالسه ، بل كان ما يزال يطلب العلم ويروى الحديث ، ويلقى الشيوخ الكبـار أمثال مالك بن انس وسفيان بن عيينة وأبى معاوية الضرير وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

وكان يتعلم النحو على أيدى الكسائى والفراء وغيرهما ، ويتعلم ضرب العود على خاله « زلزل » كبير ضاربى العود فى أيامه ، ويتلقى الألحان القديمة من عاتكة بنت شهدة الراوية العجوز البارعة .. ويحادث الأصمعى وأبا عبيدة فى الشعر والأدب .. ثم يعود إلى أبيه فى البيت فيطارحه الألحان قديمها وجديدها ! .

هذه هى الفترة من حياة اسحاق التى زعموا انه هدد فيها « زرياب » حتى أرغمه على مفارقة بغداد ، حسداً له ، وخوفاً أن يحل فى مكانه عند الخليفة ! .

ومما له أكبر الدلالة هنا ان « اسحاق الموصلى » لم يكن فى هذه الفترة يقصد ان يكون مغنياً فقط ، وكان يود انه لا يحترف الغناء .. وكان كما يقول الأصفهانى : « أكره الناس للغناء ــ أى لاحترافه ــ وأشدهم بغضاً لأن يدعى إليه ، أو يسمى به .. وكان

يقول : لوددت أن أضرب كلما أراد مريد منى أن أغنى ، عشر مقارع ، وأعفى من الغناء ، ولا ينسبنى من يذكرنى إليه » ! ..

تلك هى الحقائق ! .

فزرياب قد هاجر من بغداد ، وابراهيم الموصلى يومئذ هو مطرب الرشيد ، ولم يكن اسحاق من المغنين ولا الملحنين فى القصر عند هجرة زرياب ! .. ولم يكن قد التقى بزرياب ، وما اكثر من كان اسمهم « زرياب » من الغلمان والجوارى فى بغداد حينذاك ! .

بهذا تسقط القصة كلها وتدخل فى جملة الأساطير التاريخية .. وقد أعجبت « المقرى فرواها فى كتابه العظيم « نفح الطيب » نقلا عن كتب أندلسية غير موثوقة لم تصل إلينا كلها ، ولعله وجد بعضها عند بقايا أهل الأندلس من « الموريسكيين » الذين طردهم الأسبان نهائياً وحملوهم فى سفن رمت بهم على شاطىء المغرب فى القرن السابع عشر ، فى عز « عصر النهضة » الأوربية ! .

## القصة ملفقة !

أما « العقد الفريد » وغيره من كتب الأندلسيين المعتبرة ، فضلا عن كتب المشرقيين ، فلا تعتد بهذه القصة ، ولا تذكر أن عود زرياب كان يختلف عن عيدان بغداد لا فى أوتار الحرير ولا فى أوتار المصران ، ولا فى الوزن الثقيل ولا الخفيف ! .. فالثابت عند الثقات أن أول من أدخل التعديل والتحسين على العيدان هو « زلزل » ضارب العود الأشهر ، فانقرض العود الفارسى الذى كان يستعمله المغنون ، ولم يبق فى أيديهم إلا عود « زلزل » بأوتاره الأربعة .. ويقال إن « زرياب » ادخل وتراً خامساً على العود بعد استقراره فى الأندلس ، أى بعد رحيله عن بغداد بثلاثين عاماً تقريباً ، ولا دليل على أنه فعل ذلك إلا قول الرواة ، وان كان معروفاً أن الوتر الخامس دخل على عيدان الأندلس قبل دخوله على عيدان المشرق ، مع ان اسحاق الموصلى تحدث عن هذا الوتر غير مرة حديثاً نظرياً ولم يكن يحتاج إليه الغناء العربى فى ذلك الزمان ..

وشهرة « زرياب » ـ فى أكثرها ـ ترجع إلى ما كتبه عنه صاحب « نفح الطيب » من تلك النقول التى لا دليل عليها ، حتى انه زعم انه كان يحفظ عشرة آلاف لحن ! .. ولم يكن صاحب نفح الطيب ـ على فضله وعلمه الموسوعى ـ من العرفاء بالألحان ! .

على أن مواهب زرياب ـ بشهادة التاريخ الوثيق ـ قد نضجت بعد استقراره فى قرطبه ، وإقبال ملوك الأندلس عليه ، حباً فيما كان يغنيهم من الحان فحول الغناء المكيين والمدنيين والبغداديين ، وما ينسجه على منوالهم ، أو يضيفه من ابتكاره إلى صنعتهم .

إلا انه لا فضل له فى غناء الموشحات الذى صار فيما بعد الوعاء الذى حفظ الكثير من أصول الغناء العربى ، فان الموشحات لم يخترعها الأندلسيون إلا بعد عهد زرياب ، ثم ملأوها غناء جديداً لم يخطر على بال زرياب ولا كان لعوده ذى الأوتار الحريرية أثر فى هذه التوشيحات .

وجملة القول أن زرياب كان مغنى الأندلس فى عصره ، لكنه لم يكن الوحيد الذى هاجر من بغداد إلى الأندلس وغيرها فى عصر الرشيد وبعد عصر الرشيد من المغنين والملحنين البغداديين ، طلباً للرزق .. فليس كل من غنى فى بغداد كان يدخل إلى مجلس الخليفة ! . لقد كان عدد محدود ومنتقى من المغنين الحذاق ، هو المخصوص بهذه الميزة الكبيرة .

وقد رأينا زرياب يضطر للهجرة إلى المغرب فى وقت لم يكن فيه اسحاق الموصلى قد دخل مجلس الرشيد ، ولا كان له فيه نفوذ ولا مجرد اسم ! .

ثم نذكر بالخير الأديب الضليع وعالم الموسيقى ومؤرخها المرحوم الدكتور محمود احمد الحفنى الذى راح فى كتاب أصدره منذ عشرين عاماً تقريباً عن « اسحاق الموصلى » .. يذكر نقلا عن « المقرى » هذه القصة الظاهرة التلفيق ، ويؤيدها بأقوال بعض جهلاء المستشرقين .. ثم يقول بمرارة وحزن: « .. كل هذا فات اسحاق يوم أنساه حقده وأنانيته حق الزمالة ( ؟! ) والبنوة ( ؟! ) فى وقت واحد ، فشرد تلميذه زرياب بعد أن ساومه على بيع مستقبله ، وخيره بين الرحيل والقتل ، مستغلا شهرته ونفوذه فى هذا التهديد » .

ولو كلف الدكتور الحفنى ـ رحمه الله ـ نفسه مجرد مراجعة أرقام التواريخ الصحيحة فى كتاب الأغانى ، لما خفى عليه التلفيق فى هذه القصة القائمة كلها على التلفيق .. ولا يعطيها حقاً فى الصحة والثبوت أنها لبثت أكثر من الف سنة بدون أن يفندها أحد ويكشف عوارها حتى الآن ! .

ان اسحاق الموصلى لم يفته شىء من حق الزمالة والبنوة حيال زرياب .. إذ لا زمالة بينهما ولا بنوة ! .

واسحاق لم يشرد تلميذه ، ولا ساومه ، ولا خيره بين القتل والرحيل مستغلا شهرته ونفوذه .. إذ لم يكن بينهما شىء يستحق المساومة أو يدفع إلى القتل ، ولم يكن لاسحاق شهرة ولا نفوذ فى الزمن الذى يحدده التدقيق التاريخى لهذه الأسطورة التى لا نستبعد أن يكون زرياب نفسه قد اخترعها بعد وصوله إلى الأندلس ، فقد كان يزعم دائماً ان الجن تتصل به وتوحى إليه ألحانه .. فماذا يمنع الجن ان تتصل به وتوحى إليه أساطيره ؟! .

وما أكثر الأساطير فى التاريخ ، ومن تلحق به من العظماء ، فلا يستطيع دفعها ، فتبقى لا حقة به ، كأنها بقعة فى ثوبه التاريخى العظيم ، لا يغسلها مرور الف سنة أو أكثر ، وربما تبقى عالقة به إلى الأبد .

وقد حاولنا هنا تحكيم أنصع أدلة العدالة فى مظلمة اسحاق الموصلى ، أو فى القضية المزعومة بينه وبين زرياب ! .

ولو بعث الرجلان من الموت الآن لاحتاجا إلى من يقوم بتعريف أحدهما إلى الآخر .

فأكبر الظن فى هذه القصة أنهما لم يلتقيا قط ، حتى دبرت لهما بعض كتب التاريخ ذلك اللقاء الأسطورى العنيف ! .



كمال النجمى

في دمشق نسخة وحيدة في العالم لمخطوط عمره ألف ومائة سنة

# مليون مخطوط عربي تنتظر الكفاح الثقافي

مع اتساع نطاق اليقظة العربية . وامتدادها الى أعماق التراث العربى تمحيصاً واحاطة ، يزداد الشعور بأهمية استيعاب التراث المخطوط والعمل المنظم لتصنيفه وتوثيقه ووضعه فى متناول المحققين ، تمهيداً لنشره تباعاً ، واخراجه من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع .

وعلى الرغم من أن قضية تحقيق ، ونشر التراث العربى المخطوط مطروحة منذ زمن طويل ، فان الجهود المبذولة حتى الآن ، لم تشمل غير جزء يسير من هذا التراث ، ومازال الجانب الأكبر من المخطوطات قيد الاستغراق الطويل فى عدد كبير من المكتبات العالمية ، لم تمتد اليه يد الحصر والتنقيب .



الورقة الاولى من مخطوط «الطبقات» يعود تاريخه الى سنة ٣٠٥ هجرية

واذا تجاوزنا تلك الكنوز الضخمة من المخطوطات العربية القابعة فى عدد من المراكز الثقافية التى تمتد من الشرق الى الغرب ؛ فاننا نجد أيضاً أن المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتباتنا . والتى نجت من أيدى التهاون والاختلاس والعبث والجهل ، لاتزال رهن السبات العميق فى عالم المجهول . تنتظر العين الفاحصة والعقل المتفتح على أهمية كنوز المعرفة التى كدسها الانسان العربى عبر مسيرته الحضارية .

ونجد فى المكتبة الظاهرية بدمشق مثـالا واضحاً على هذه الظاهرة . فهى مكتبة شهيرة . كان لقيامها منذ اكثر من مئة عام الفضل فى جمع ما تناثر فى مكتبات وجوامع ودور دمشق من مخطوطات ، وانتشالها من يد الضياع والتسرب . ولكن معظمها مازال مجهول المضمون . بعيداً عن الأنظار رغم كل التسهيلات الممنوحة للاطلاع عليها وتحقيقها . وهذا هو ما نود ايضاحه فى هذا الموضوع الهادف الى شحذ الهمم ، وإنارة الطريق وبخاصة لدى الأجيال الجديدة الطالعة الى النور والعمل . والتواقة الى المزيد من المعرفة لعلنا نشد الكثير من شبابنا للتمرس بهذه المهمة. والأمر هنا ... ليس استعراضاً لنصوص ميتة تجاوزها الزمن ففقدت كل أهميتها . لا،بل انها استعادة صحيحة وضرورية لكنوز من التاريخ والمذكرات والتجارب الانسانية والأدب والمنطق والعلوم التطبيقية والقصص التى تزخر بالمتعة والفائدة .

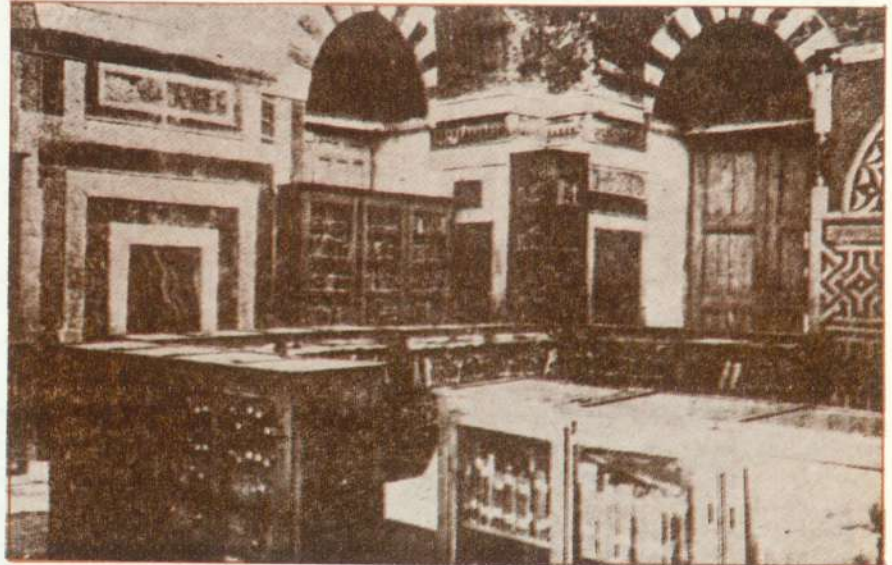
فهى تفيض بالحياة فمن حقها أن تبرز ثانية الى النور بعد أن طوتها لزمن طويل قرون من العجمة والأمية والانحطاط والنكبات .

## ما هو المخطوط ؟

لنعد الآن الى نقطة البداية ما هو المخطوط ..؟ ان هذا المفهوم بمعناه الواسع ، يشمل كل ما كتب بخط اليد ، سواء على الرق (الجلد) أو الهارق (القماش) أو الأديم (الجلد المدبوغ) أو اللخاف

● مطلوب تحرك فكرى واسع ... لوضع تراثنا فى دائرة الضوء للقضاء على مزاعم التشنج الغربى ● ● تبادل المخطوطات فى العالم ... يسير قدماً لصالح قضية تعميم الثقافة ● ● ● مخطوطات عربية . تعيش الغربة ... بعيـــدة عن المـــكان الأمومى ● ● ● ● الباحثون والمستشرقون ... يستطيعون الحصول على مخطوطات متلفزة أو مصورة دون مقابل ● ● ● ● ● ( ابن عساكر ) صنع مجداً خالداً ... فشيد هرماً تاريخياً من ثمانين مجلداً .

بقلم : وجيــه الشــربجي



خزائن المخطوطات بدار الظاهرية بدمشق

(الحجر الرقيق) أو أوراق البردى . وأخيراً يشمل الورق العادى الذى انتقلت صناعته الى العرب اثر الفتوحات الاسلامية . والمخطوط الذى نحن بصدده هو المكتوب على الورق .

المخطوط من حيث الشكل مجموعة من الأوراق مكتوبة باليد . تكون مضمومة أو منفصلة ، وربما كانت بشكل لفائف اسطوانية غير منتظمة بطولها وحجمها ويصل طول الورقة أحياناً الى أكثر من ثلاثين سانتمتراً وعرضها الى عشرين سانتمتراً ... وفى أغلب الأحيان لا تكون الصفحات مرقمة .

ويختلف نوع المداد أيضاً من مخطوط الى آخر ... فهناك مخطوطات مكتوبة بمداد مستخرج من الزاج ، أو من الدهن والدخان ، أو من بزر الفجل والكتان ، أو من ماء الاس الصمغ ، أو من الحبر الأسود والأحمر . وقد استعملت فى كتابة المخطوط اقلام من السعف والقص والقنب . أما الخطوط فهى أكثر تنوعاً ، فمنها الخط الكوفى والنسخى والمدور والمستقيم والمرسل . وذهب بعض الناسخين الى كتابة المخطوطات بحروف صغيرة ومتشابكة . تحتاج الى معاناة ومكبرات أو قارئة آلية لقراءتها . وكثير من المخطوطات كتب بحروف خالية من النقط واشارات الاستفهام والفواصل ... وقد جاء مخطوط هام للامام أحمد بن حنبل ، فواصل على شكل دوائر للفصل بين الجمل .

أما العناوين . فقد تجد مخطوطات ليس لها عناوين . واذا وجدت عنواناً أو شرحاً ، تراه كتب فى زاوية الورقة الأولى ، أو فى وسطها ، أو كتب على شكل دائرة أو مثلث . وتحتوى بعض المخطوطات على رسوم وصور استعملت كوسائل لايضاح الأفكار الواردة فى النص . وهناك مخطوطات تضمنت بعض الزخارف على الصفحات الأولى والأخيرة .

وتبعاً لاهتمام العرب بتدوين انتاجهم العلمى والفكرى ، فقد عمدوا الى تطوير صناعة الورق بوصفه الوسيلة الحاوية لهذا الانتاج . فقد قال جرجى زيدان : ان أهل أوربا لما فاقوا من سباتهم فى القرون الوسطى استخدموا الورق الشامى .

المخطوط ... من حيث المضمون : بماذا تبحث المخطوطات ...؟ تتناول المخطوطات مواضيع شتى من الآداب والعلوم والفنون . فنجد بينها ما يبحث فى فقه اللغة العربية وقواعدها وآدابها ... وما يشتمل على تراجم الأعيان والأدباء والشعراء . ومنها ما يستعرض أحداث التاريخ وحياة الملوك والسلاطين .. ومنها ما يبحث فى علوم الدين والطب والزراعة والرياضيات والكيمياء والمنطق والفلك والموسيقى والجغرافيا والتصوف . بينما نجد مخطوطات تغوص فى الحياة الاجتماعية واليومية والقصص الشعبية وركوب الخيل . ومنها ما يشابه أسلوب التحقيقات الصحفية . مثل كتاب مفاكهة الخلان لابن طولون . أو حوادث دمشق للبديرى الحلاق .

## مهمـــة الباحـــث ليست اجترار الماضى

والواقع ان تحقيق المخطوط مهمة بالغة

# مليون مخطوط عربي تنتظر الكفاح الثقافي



حوض مـــاء عندمـــا يشرب تمثـــال منـــه .. يحـــدث الجهـــاز صوتـا من يسمعـــه يظنـــه صادراً عن الحيوان(علم الصوت) .

المعاناة صعبة المسالك . تستهدف الوصول الى (نص سليم ودقيق) لا اثر فيه للتحريف والتصحيف . والتزام الامانة والصدق فى العمل. ولهذا فلابد لمن يتصدى لهذا العمل الوثائقى ان يكون مؤهلا لغوياً وعلمياً وثقافياً ، وان يتوافر لديه الاختصاص بقراءة الخطوط القديمة . ذلك لأن مهمة الباحث ليست اجترار الماضى . بل تفجير الأفكار الواردة فى النص القديم ، اضافة الى ضرورة إلمامه بالعصر الذى كتب به النص وعاش فيه المؤلف . وما كتبه معاصروه عنه . ليكون ارضية جيدة وموضوعية يستخدمها فى المقارنة والشرح .

## كيف تحقق المخطوط بنهج موضوعى ؟

لقد نادى المستشرقون الفرنسيون والألمان . وفى مقدمتهم المستشرق الألمانى هـ . رتير بأن أهم عمل فى تحقيق المخطوط (هو ابراز النص بشكله الصحيح كما وضعه المؤلف) .

وفيما يلى ، مبادىء موجزة لابد للمحقق أو الباحث أن يتبعها ليكون عمله اقرب الى الموضوعية والبحث العلمى :

● أفضل نسخة صالحة للتحقيق . هى النسخة الأصلية ـ يثبت النص القديم كما جاء تماماً ، ولا يجوز تصحيح الكلمات الواردة فى النص مطلقاً .

● لا توضع العبارات المكتوبة على هامش المخطوط ضمن النص الأصلى .

● اذا لاحظ المحقق ان كلمة سقطت من النص له ان يضيف النقص على أن يضعه بين قوسين .

● على الباحث أن يهتم باختلاف الروايات والمقارنة واذا وجد فوق الكلمة اشارة ضرب ، فهذا يعنى أن الكلمة الغيت .

● اذا كان النص مشكولا . يثبت التشكيل ـ ترقم سطور النص القديم سطراً سطراً .

● من واجب المحقق المحافظة على تقسيـــم الابواب والمواضيع كما جاءت .

● المطلوب من المحقق وضع فهارس للأماكن الأثرية والبلدان والاعلام والكتب المذكورة فى النص .

● المقدمة التى يضعها المحقق للكتاب الذى يريد نشره . يجب أن تتضمن وصفاً للمخطوط وعدد أوراقه ونوع خطه وتاريخه وبيان اهمية المخطوط وكاتبه ، والملاحظات التى تولدت لديه خلال قراءته للمخطوط .

وقد اشتهر عدد من الباحثين العرب بتحقيق المخطوطات العربية . وكانت لهم انجازات مهمة فى هذا المجال . نخص بالذكر منهم الدكتور صلاح الدين المنجد الذى اجاد فى تحقيق التراث العربى ونشره . وقد قدم الدكتور عبد الستار الحلوجى الأستاذ فى جامعة محمد بن سعود الاسلامية دراسة علمية مستفيضة للدارسين حول نشأة المخطوط .

## لمحـــــة عـــن مخطوطات الظاهرية

فى دار المخطوطات الظاهرية بدمشق ثروة طائلة من التراث العربى النادر والثمين ، وتضم هذه الدار نوعين من المخطوطات والوثائق التاريخية . الأول لا يمكن السماح بمشاهدة الأصل (الأم) وتداوله . نظراً لأنها نسخ وحيدة ليس لها مثيل فى العالم ، وقد تكون النسخة مهترئة وخوفاً من أن تتعرض لخطر التمزق والضياع ، يكتفى بهذه الحالة بالاطلاع على الميكروفيلم او الصورة الماخوذة للمخطوط . أما النوع الثانى ، فيمكن للباحث أن يطلع عليه . ويطلب تصويره . وفى هذه الحالة تقدم دار الكتب الظاهرية له صورة عن المخطوط دون مقابل . عدا تكاليف التصوير ، وباستطاعته بعد ذلك أن يقوم بتحقيقه فى أى بلد يريد ،ونشره فى دار النشر التى يختارها . وكثيراً ما تنشر دار الظاهرية المخطوطات على نفقتها . مقابل مكافأة مادية تمنح للمحقق .

## مسائل الامام ابن حنبل

من أقدم المخطوطات القيمة التى تحتوى عليها خزائن الظاهرية . مخطوط يعود تاريخه الى القرن الثالث الهجرى هو (مسائل الامام احمد ابن حنبل) وقد سمع وكتب عام ٢٦٦ هـ وحققه وقابله على النسخة الثانية المحفوظة فى المدينة المنورة عالم الشام المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار .

## (الطبقات) النسخة الوحيدة فى العالـــم

وفى الظاهرية مخطوط (الطبقات) لخليفة بن خياط يعود تاريخه الى العصر العباسى ، وهو النسخة الوحيدة فى العالم التى تنفرد باقتنائها الظاهرية . ولهذا يعتبر كنزاً نادر المثال . وقد كتب على الورق ويتألف من سبع وتسعين ورقة طول

● إحياء كتب التراث، تفجير لينابيع المعرفة عند العرب

● في الفاتيكان .. مخطوط عربي من العصر العباسي .. أوربا ترجمته منذ ستين عاماً

كل منها ٢٨,٥ سم وعرضها ١٥ سم وفى كل صفحة ثلاثون سطراً .. يزخر بتفاصيل مثيرة عن حياة كبار رجال الحديث فى الاسلام .

## ابن عساكر

يقع مخطوط (تاريخ مدينة دمشق) لأبى القاسم المعروف بابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ) فى ثمانين مجلداً وكل مجلد عشرة اجزاء . ويعتبر الكتاب الذروة فى تاريخ المدن وتراجم عظماء العرب ، وكانت دمشق محور هذا التاريخ عند ابن عساكر .

وقد تسابق لفيف من المهتمين بالثقافة العربية الى البحث والتنقيب فى هذا النبع التاريخى الوثائقى . فقاموا بتحقيق وطبع بعض من اجزائه . وتقدم مجمع اللغة العربية بدمشق بخطوة ثقافية جادة ومدروسة فى سبيل خدمة تراثنا القومى الغالى فجند عدداً من المختصين باللغة والتاريخ وفرغهم للعمل اليومى المستمر للقيام بتحقيق مجلدات هذا الهرم التاريخى فكان من منجزات هذا الجهد الدؤوب أن خرج الى حيز الوجود (الجزء الثالث) بألف صفحة . وقد طبع ونشر حديثاً على نفقة المجمع . والحقيقة ... تشعر عندما تطالع فى هذا التراث العميق انك تنتقل من زمن الى زمن وليس من مجلد الى مجلد .

## بنك رصيده تراثنا

تحاول دار المخطوطات بدمشق اماطة اللثام عن النادر والثمين من تراثنا لعظيم المتواجد فى خزائنها ، وتقدم باستمرار ، المكافآت المعنوية والمادية لتشجيع الباحثين على وضع فهارس لكل رصيدها المخطوطى . وجاء بنشره وزارة التعليم العالى لعام ١٩٨١ ان مجموع مخطوطات الظاهرية بلغ ١١٨٩٩ مخطوطة .

ونذكر هنا ، الفهارس التى تم تنسيقها وطبعها من قبل هذه الدار ، ليطلع عليها الراغبون فى الدراسة والتحقيق من المثقفين العرب والمستشرقين إذ بامكانهم الحصول عليها بثمن زهيد .

فهرس مخطوطات التاريخ : الدكتور يوسف العش .

فهرس مخطوطات علوم القرآن الكريم : الدكتورة عزة حسن .

فهرس مخطوطات الطب والصيدلة : الدكتور سامى خلف .

فهرس مخطوطات علم الهيئة : الأستاذ ابراهيم الخورى .

فهرس مخطوطات الفلسفة والمنطق : الأستاذ عبد الحميد حسن .

فهرس مخطوطات الرياضيات : الأستاذ صلاح العائدى .

فهرس مخطوطات علوم اللغة العربية : الأستاذ أسماء الحمصي .

فهرس مخطوطات التوصف : الأستاذ محمد رياض المالح .

المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة : عمر رضا كحالة .

فهرس مخطوطات الفقه الحنفي : الأستاذ محمد مطيع الحافظ .

فهرس العلوم والفنون المختلفة : الأستاذ مصطفى الصباغ .

## توصيات لجنة التراث

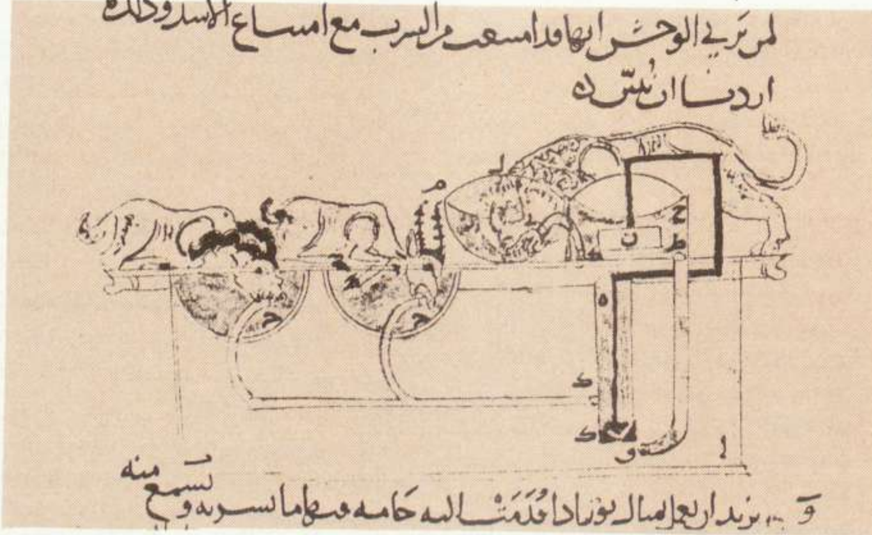
وكانت لجنة التراث فى مؤتمر مجامع اللغة العربية ، قد اصدرت توصيات لتبادل المخطوطات بين هذه المجامع ودور المخطوطات ومعاهدها . تقضى ان تتبادل هذه المؤسسات قوائم باسماء ما يحقق من مخطوطات وما يطبع من كتب التراث اضافة الى تزويدها بالفهارس والافلام والصور العائدة لها ، وإعلام الموسوعات العربية بخلاصة عن البحث العلمي فى هذا المضمار .

ولصالح قضية تعميم المعرفة والكشف عن الكنوز الثقافية وفق اسلوب معين فيتم تبادل المخطوطات بين البلدان العربية والاجنبية بعد تصويرها باحدث الطرق العلمية .

ونقدم على سبيل المثال لا الحصر . نماذج عن بعض كتب التراث المحفوظة فى مكتبات دول العالم التى تم تصويرها وتحقيقها .

## مخطوط تكنولوجي لعباقرة عرب

اجل .. المخطوط مجد للعروبة والاسلام فى الهندسة والميكانيك . نشر فى أوربا قبل نشره فى العالم العربى ، ترجمة كل من فيديمان وهاوسر الى اللغة الالمانية فى أوائل هذا القرن وقد نشره الدكتور هيل باللغة الانكليزية عام ١٩٧٩ ، اما العرب فقد تاخروا بنشره حتى عام ١٩٨١ م .



ابداع فيزيائى . تماثيل يصب لها الماء فى جامات اذا شرب احدهم تشرب البقية . واذا توقف عن الشرب انقطع الماء عن الآخرين (مخطوط الحيل) « استخدم الاوربيون هذا التصميم فى محطات الابقار والدواجن »

# مليون مخطوط عربي تنتظر الكفاح الثقافي

المخطوط كتاب (الحيل) العلمية لبنى موسى عباقرة الفيزياء في القرن الثالث الهجرى فهم من ابرز علماء الهندسة فى هذا القرن الذى سمي (بقرن الحضارة الاسلامية) قال عنه ابن خلدون (كتاب الحيل العلمية يتضمن من الصناعات الغريبة كل عجيبة) يحتوى على اكثر من ٨٧ شكلا هندسياً وتصاميم ميكانيكية ، صنعها بنو موسى ، وقد اعترف الغرب باثره الموضوعى على النهضة التكنولوجية (الهيدوستاتيكية) الغربية الحديثة .

لهذا المخطوط ثلاث نسخ اصلية فقط . النسخة الرئيسية الاولى محفوظة فى الفاتيكان . والثانية فى مكتبة طوبقانى سراى باستانبول . والثالثة فى مكتبة غوتا ببرلين ويعود الفضل فى تحقيق هذا المخطوط ونشره فى العالم العربى الى الباحث الدكتور احمد يوسف الحسن . حيث بذل جهداً كبيراً للحصول على ميكروفيلم لهذا المخطوط من مصادر أوربية عديدة وقد تحمل من المعاناة لطبعه ونشره ما يستحق عليه كل تقدير وثناء من أبناء أمته العربية .

## وفى لينغراد وهولندا وجورجيا

تضم مكتبة لينغراد مخطوطات عربية أصلية ومصورة تحمل داخل صفحاتها تراثنا وامجادنا وتراجم رجالات العرب ، وهى تنتظر الغوص فى اعماقها وضبط نصوصها وتعبيد مسارها نحو اللغة السلافية .

وكان مجمع اللغة العربية بدمشق قد حصل على صورة للمجلد السابع والثلاثين من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ونقل بالتصوير عن مخطوطة أصلية مودعة فى مكتبة لينغراد ، تعداد أوراقها (٢٧١) ورقة وقد نشرها المجمع بطريقة التصوير عام ١٩٧٨ ليكون هذا الاسلوب سبباً من أسباب اقبال المفكرين على التحقيق ووسيلة لسلامة النصوص من التحريف والتصحيف وقد عثر الملحق الثقافى

السابق الاستاذ مصباح غلاونجى فى دار المخطوطات بهولندا على المخطوط العربى (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) فصوره وقام بتحقيقه وهو يبحث فى الادب والامثال والحكم .

وفى جورجيا بالاتحاد السوفيتى عدد كبير من المخطوطات الجيورجية والعربية ونظراً للعلاقة العريقة بين اللغتين الجيورجية والعربية ففى اللغة الجيورجية كلمات كثيرة ذات أصل عربى .

وجد المربون هناك انه لا يمكن الاستفادة من المخطوطات الا بالتعمق بدراسة اللغة العربية . فبدأوا منذ خمس سنوات بتدريس اللغة العربية لتلاميذ الصفوف الابتدائية واصبح تلاميذ الصف الخامس الآن يتحدثون باللغة العربية ويحفظون قصائد من الشعر العربى .

## مخطوط لابن الهيثم

صاحب المخطوط الفيزيائي محمد بن الحسن ابن الهيثم من افذاذ العرب فى الفيزياء عاش فى أواخر القرن العاشر الميلادى . سبق كوبلر فى نظرياته حول انكسار الضوء فى الاجواء واذا علمنا أن فرنسيس باكون قد بحث أسس علم الضوء عام (١٦٠٠ م) يكون العالم العربى ابن الهيثم قد سبقه بكل فخر الى اكتشاف المنهج الاستقرائي العلمى بعدة قرون واجمع علماء الغرب والشرق على أن ابن الهيثم فى كتابه (مقالة فى ضوء القمر) اكتشف الاسس الرئيسية الثابتة التى ارتكز عليها الضوء الحديث .

## بعيدة عن المكان الاموي

من الطبيعى أن المكان الأمومى للمخطوط العربى . هو وطنه العربى ولكن - للاسف - هناك عدد كبير من المخطوطات العربية تعيش مغتربة ، فهى جالية مبعثرة بمدن أسيوية وأوربية وأمريكية ومن أبرزها : اكسفورد ومدريد وطهران واستانبول وجامعة برستن بامريكا والمعهد الحكومى للشرقيات ببرلين الغربية ومعهد غوتا بالمانيا الديمقراطية . جميعها تنتظر المبادرة المسؤولة لرصدها وتحجيمها .

ولا شك أن العمل الطليعى الخير الذى تقوم به مؤسسات التراث فى العالم العربى والجهود المبذولة من قبل المفكرين والدارسين لتحقيق كتب التراث هى محل تقدير وأمل ... ولكن يبقى هذا الانجاز محدوداً ومتواضعاً قياساً لهذا التجمع المخطوطى الضخم .

وخلاصة القول :

اننا نهيب بالقائمين على معاهد المخطوطات والمهتمين بكتب التراث العربى - كي لا يمثلوا امام قضاة التاريخ - في العصور القادمة ، بدء الكفاح الثقافي ، لازالة ما علق بتراثنا المخطوطات من رماد الحياة ، علنا نجد في ثناياه ما يهم الحضارة المعاصرة ، وما يقود الفكر العالمي إلى فتوحات جديدة ، وانتصارات مثيرة .

قاصدين من وراء ذلك ، العثور على مزيد من مفاتيح المعرفة ، نضعها بكل اعتزاز بين يدي أهل الغرب قبل أهل الشرق ، لترشدهم الى جذورنا التاريخية الأصيلة بشكل افضل .

وهنا ...

يطرح السؤال القومى نفسه ، أو فوق القومى (لصالح الانسانية جمعاء) الى متى يبقى صرحنا التراثى الهام مبعثراً ومدثراً تحت غلالة الزمن ، حتى اشعار آخر ؟ .

وجيه الشربجي - دمشق

### احصاءات ١

تقديرات بيرسون التقريبية لعدد المخطوطات العربية فى اقطار العالم كما يلي :

| | |
|---|---|
| ١٤٢٥٠ | فى المانيا |
| ١٤٠٠٠ | بريطانيا |
| ١٣٠٠٠ | امريكا |
| ١١٥٠٠ | روسيا |
| ٨٧٠٠ | يوغسلافيا |
| ٨٥٠٠ | فرنسا |
| ٧٠٠٠ | ايطاليا |
| ٤٧٠٠ | هولندا |
| ٣٨٠٠ | النمسا |
| ٣٠٠٠ | اسبانيا |
| ٣٠٠٠ | بلغاريا |
| ٣٠٠٠ | ايرلندا |
| ٣٠٠٠ | الفاتيكان |

بقية الاقطار الاوربية أقل من الف .

وقدر هلموت ريتر H. RITTER عدد المخطوطات العربية بتركيا بمائتى الف مخطوط .

.... وقد استنتج المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بعمان العدد التقريبى للمخطوطات العربية فى جميع انحاء العالم وفق الفهارس التى تضم ذكراً لمخطوطات عربية فبلغ مليون ونصف المليون .

وأن عدد المخطوطات التى لا تزال فى ضمير الغيب ولا يعرف عنها شىء ربما كان مثل هذا العدد أو يزيد .

١ - طبقاً لما جاء فى المشروع الاولى للعناية بالمخطوطات العربية وفهرستها الصادر عن مؤسسة آل البيت بعمان عام ١٩٨١ م .

الزميل العزيز الكاتب الفنان مرزوق بشير عاد من بعثته الدراسية الى أمريكا ويلتقى بقراء الدوحة ابتداء من هذا العدد .

# من قضايا المسرح

بقلم : مرزوق بشير

مازلت احفظ فى ذاكرتى من أيام السنوات الأولى فى الجامعة أن المسرح وسيلة اعلامية بجانب الوسائل الاعلامية الأخرى كالاذاعة والتلفزيون ...

وأذكر جيداً بأننى كنت واحداً من المعارضين لهذا التصنيف . فالمسرح كان وسوف يبقى أداة ثقافية وفكرية وإنسانية متعددة الأبعاد واسعة الاتجاه أكثر من كونه وسيلة اعلامية ضيقة جداً .. وخطورة التصنيف السابق تكمن فى تجاوزه من كونه تعريفاً اكاديمياً بحتاً لدور المسرح الى تطبيق عملى وحياتى حيث ارتبط المسرح فى كثير من دول العالم الثالث بالمؤسسات الاعلامية الرسمية مما اضعف دوره وحد من فعالياته الاجتماعية .

فتعريفى للمسرح هو انه اداة ثقافية وفكرية وإنسانية واعية ، لا حدود لها ، فهو اداة ملزمة بالصدق وملتزمة به تحت اية ظروف وضغوط . دور المسرح يختلف عن دور اجهزة الاعلام الأخرى .. فالاعلام تحت أى شكل من الأشكال لا يمكن أن يكون غير دعاية .. يتساوى فى ذلك الشرق والغرب فهو – أى الاعلام – بكامل اجهزته ، يقع تحت التوجيه المباشر فى دول الكتلة الاشتراكية ، وهو ايضاً يقع تحت توجيه وإدارة المنظمات السياسية والاقتصادية فى الدول الغربية بالرغم من إنها تتخفى تحت أسماء هيئات ومنظمات كبيرة باسم الديمقراطية والحرية .

إذا اجهزة بهذا الانتماء وهذا التوجه لا يمكن أن يكون دورها إلا التوجه وحمل وجهات النظر الرسمية . فالمعلومات فقط تسير فى خط واحد من أعلى الى أسفل .. المسرح غير ذلك تماماً ومتعارض مع هذا الدور . فدوره هو احتواء كل الأفكار من أعلى ومن أسفل وصهرها فى بوتقة واحدة هى ما نسميه فى النهاية بالعملية المسرحية فالتفاعلات الثقافية والاجتماعية بمختلف افكارها وتوجهها يمكن للمسرح ان يستوعبها ، أما أجهزة الاعلام فهى غير قادرة على ذلك . ولها رسالة اخرى مختلفة ايضاً .. تقوم اجهزة الاعلام بانتقاء الأحداث والمعلومات . أما المسرح فيتعامل مع كل الأحداث والظروف دون تحيز لأنه بالتالى يتعامل مع الانسان بكل ما فيه من خير وشر .

الصدق : ايضاً لا يمكن للمسرح أن يتطور وينمو ويعيش بين الناس إلا بتوجهه الصادق شكلا ومضموناً . اما اجهزة الاعلام فالأمر فيها مرتبط بالظروف والعوامل السياسية والاجتماعية المختلفة هذه النسبية فى الصدق هى التى حددت دور الاعلام وربطته بظروف وزمن محدد .. اما الصدق الانسانى فى المسرح فهو أحد صفاته الخالدة ، الى الان . ومنذ آلاف السنين .

والوسائل الاعلامية فى معظم دول العالم الثالث هى أجهزة ومؤسسات رسمية : اما المسرح فهو برلمان غير منتخب له جماهيره العريقة وله جذوره الأصيلة الضاربة فى أعماق التاريخ . كل ذلك وغيره يدعونا أن نعيد النظر ونحن نخطط للأجهزة الثقافية وعلى رأسها المسرح والأجهزة الاعلامية من إذاعة وتليفزيون .

فمن الخطا ان نطالب المسرح بان يلعب دور الاذاعة أو التليفزيون أو حتى الصحيفة الموجهة . فنشرة الأخبار تختلف عن النص المسرحى والممثل على خشبة المسرح يختلف عن المذيع الذى يجلس فى الاستوديو ..

يجب أن يكون للمسرح هيئاته الأهلية ، ولا يعيب المؤسسات الرسمية أن تنفق على هذه الهيئات كما يحدث عادة أن تنفق بعض الدول على البرلمانات والمؤسسات النيابية . والمسرح فى النهاية هو صوت الأمة المرفوع بقضاياها ومشاكلها . وبهذه الطريقة يستطيع المسرح أن يلعب دوره داخل المجتمعات ويدفعها نحو التطور والنماء . وفى رأيى أن هذا الخلط بين دور المسرح ودور الأجهزة الاعلامية . يعتبر واحداً من الأزمات التى يواجهها المسرح فى العالم الثالث . يختلط الأمر على الكاتب المسرحى حين يتساءل عن دوره الحقيقى : هل هو كاتب مسرحى ، أو معد لنشرة أخبار رسمية ؟ ويختلط الأمر على الممثل حين يتساءل عن دوره الحقيقى : هل هو ممثل أو مذيع تليفزيونى يلتزم بحرفية النص الرسمى الذى امامه أو ممثل يقول الصدق للناس ؟ .

ويختلط الأمر على مصمم المناظر حين يتساءل عن دوره الحقيقى : هل هو مصور فوتوغرافى يخضع لمتطلبات الصحيفة أو فنان له رؤياه الخاصة ودوره الخاص على خشبة المسرح ؟ .

وينسحب ذلك على كل العاملين فى المسرح ...

مرة أخرى أرجو أن نعيد النظر فى تعريفاتنا الأكاديمية السابقة حينما نصف المسرح على أساس أنه أحد الأجهزة الاعلامية . ويجب أن نعيد للمسرح صوته وصورته السابقة كمكان تتفاعل فيه كل الأفكار والثقافات والمشاعر الانسانية .

علينا ان نتيح للمسرح أن ينمو طبيعياً ، ويواصل مسيرته التاريخية . بغير توقف ولا عقبات .

شخصية حيرت التاريخ والمؤرخين :

# السلطان الذي حارب الصهيونية .. وتحدّى أوروبا

## لماذا تعرض لكل هذا الهجوم والتجريح؟

بقلم : فتحي رضوان

لعل تاريخ الشرق الاسلامى لم يعرف اسماً ، أكثر ذيوعاً على الألسن ، وفى الكتب والصحف ، ودوائر السياسة ، ومحافل طلاب الحرية ، والمجاهدين من أجل تحقيق أمانيهم القومية بين العرب ، وأهل أوروبا الشرقية ، أكثر من اسم السلطان عبد الحميد ، الذى أطلقوا عليه إسم « السلطان الأحمر » السلطان التركى قبل الأخير باثنين فى قائمة سلاطين الدولة العثمانية التى اتسعت أملاكها ، حتى بزت امبراطوريات القديم والحديث .

ولقد استمرت الأقلام والألسن تكتب ، وتنشر ، وتؤلف ، وتؤول ، وتمدح ، وتهجو ، فى عبد الحميد هذا ، حتى اختفى الرجل تماماً وراء سحب كثيفة ، من الدعاية المؤيدة ، والمنددة ، والتى ترفعه إلى مصاف الأبطال الخالدين ، ودهاقين السياسة النادرين ، حيناً ، ثم التى لا تدع موبقة إلا وتنسبها إليه ، ولا نقيصة إلا وتلصقها به . فلم يعد للرجل حقيقة يتفق عليها ، تتوسط المدح والقدح ، وتقف بين الهجاء والثناء ، فاستراح الكتاب والمفكرون إلى تصوير سلطان تركيا الفذ ، بما يشبه الأشباح التى لا تظهر حتى تختفى ، ولا تدنو حتى تبعد ، والتى تتكلم فلا يفهم منها الناس شيئاً ، وتتحرك فلا يعرف الرائى ، ما إذا كانت تدب على الأرض ام تعرج فى السماء .

ولقد أثر مؤرخو العرب ، واكثر كتابهم ، ان يدعوا الأمر كله – لا أمر السلطان عبد الحميد ، ولكن امر تاريخ الشرق العربى ، فى حقبته الأخيرة ، السابقة على احتلال مصر وشمال أفريقيا كله ، وقيام حكومة محمد علي ، واندلاع الحرب العالمية الأولى ، إلى المؤرخين الأجانب ، ممن يناصبون العرب والاسلام العداء ، جهرة وبلا تحرج ، وممن يتزيون بزى الأصدقاء ، فيدافعون على استحياء عن المصريين والسوريين والحجازيين ، وإخوانهم دفاعاً أقرب إلى التسليم بالاتهام والاقرار بالخطيئة ، ومن ثم فلم يكن حظ السلطان عبد الحميد باسعد من حظ بلاده سواء كانت تركيا او كانت المنطقة العربية ، او كان الشرق الاسلامى قاطبة .

ولذلك كان من الواجب ان نقف امام السلطان الأحمر ، ونتعقب وقائع حياته ، ومجريات الأيام فى حكمه ، وما أسداه لتركيا ، وللعرب وللمسلمين من اياد ، وأفضال ، إن كان له شىء من هذا ، ثم نتعرف على ما ينسبه إليه الخصوم من سقطات واخطاء حيناً ، وجرائم وفظائع حيناً أخر ، لنعرف الحقيقة أو بعضها . والتاهب لأداء هذه الرسالة ، ليس إنصافاً لرجل من أكبر رجالات المسلمين ، وحاكم من أعظم حكام الدنيا فى أيامه ، بقى صامداً فى وجه مؤامرات لا تنتهى فى داخل بلاده ، وفى ممتلكاتها فى أوروبا وآسيا وافريقيا ، ثم تحالف أوروبا الشرقية والغربية ضده وضد الدولة التى يرأسها ويوجه أمورها ، بل تعرفا على تاريخنا ، وتاملا فى وقائع حياتنا فى حقبة سابقة شديدة الاتصال بأيامنا الحالية ، صاغت اقدارنا التى نعيش الآن فى ظلها ، وقد نستمر سنين



(السلطان عبد الحميد)



أنور باشا



جمال باشا

طويلة نتاثر بها . « انتفعت كثيراً فى هذا بالمجلدين الضخمين اللذين وضعهما الدكتور عبد العزيز الشناوى » .

• •

حكم السلطان عبد الحميد تركيا ، أربعة وثلاثين عاماً متصلة ، وهى مدة لم يبلغها حكم سلطان سواه ، سواها ، لا السلاطين السابقون عليه ، ولا اللاحقون له . فالسلطان محمود الذى عاصر محمد على فى مصر بلغ حكمه إحدى وثلاثين سنة ، وبلغ حكم السلطان عبد المجيد الذى تلاه اثنين وعشرين سنة ، ثم استقر السلطان عبد العزيز على سدة السلطنة خمسة عشر عاماً .

وقد بدأ حكم عبد الحميد سنة ١٨٧٦ حتى عزلته جماعة من الضباط الشبان فى سنة ١٩٠٩ ، وبقى معزولا ، بعيداً عن العرش والسلطة ، والناس ، والدنيا ، حتى توفاه الله سنة ١٩١٨ ، فى وقت هلك فيه سلطـــان تركيـا ، وزالت هيبتهـا ، واقتصرت أملاكها على استانبول عاصمتها فى أوروبا ، وباقى ملكها فى آسيا بعد ان كان البحر الاحمر بحيرة عثمانية ، وشرق البحر الأبيض ، مجالا موقوفاً عليها ، تروح فيه وتغدو أساطيلها ، أما الأساطيل الأخرى للدول الكبرى تتحاشاه وتناى عنه

ويتصل الدور الأخير من حياة السلطان عبد الحميد ، بمنظمتين بقى اسمهما يتردد فى المشرق الاسلامى ، ويترامى صداه فى العالم كله ، هما جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقى .

واحسب انه يجب أن نقدم لهذا الحديث بكلمتين عنهما ، ثم نتناول الخطوط الكبرى فى المرحلة الختامية من حياة السلطان عبد الحميد .

## جمعية تركيا الفتاة

انشئت فى فترة سابقة على عهـــد عبد الحميد . فقد بدات حياتها فى سنة ١٨٦٥ ــ وهو عهد الخديوى اسماعيل فى مصر ــ وكان من إكبر زعمائها عند إنشائها نامق كمال ، وآية الله بك ، وهذان إسمان من ألمع أسماء الأتراك الاحرار ، الذين بقوا يدعون إلى الحرية السياسية ، والحكم الدستورى ، ويلقون فى سبيل هذه الدعوة العناء والعنت ، ولا يحققون نجاحا ولا تقدماً . ولم يكن مؤسسو تركيا الفتاة منذ البداية ، مثقفين فحسب ، بل كانوا فوق نلك تلاميذ للثقافة الغربية ، وللثقافة الفرنسية فى الأغلب . بل كان فيهم عدد غير قليل من الأمراء وأصحاب المراكز الرفيعـة ، وأبنـاء العائلات العريقـــة . وقد كـان من زعمـاء هـذه الجمعيـة الأمير مصطفى فاضل الذى كان مرشحاً لأن يكون خديوياً على مصر ، لولا محاربة الخديوى إسماعيل له ونجاحه فى هذه الحرب ضده .

ولما بدأ السلطان عبد الحميد يشعر بوجود أعضاء جمعية تركيا الفتاة ، واخذ يحصى عليهم خطواتهم نقلوا مقرها الرئيسي من تركيا وبالذات من سالونيك إلى عواصم أوربا ، باريس ولندن ، وباريس بصفة خاصة .

ولما انتقلت الجمعية إلى أوربا ، اطلقت عليها الصحافة الأوروبيـــــة اســـم « La Jeune Turque » وبقى هذا الاسم ، لصيقاً بها ، ولم يضعف النفى الجمعية ، بل زاد الاقبال عليها ، والتعصب لها ، وكان اختفاؤها سبباً آخر لمضاعفة جاذبيتها ، فالتخفى يضفى على بعض الهيئات ، جلالا وهيبة ، فى حين ان العلنية تجعلها فى المتناول ، فيبدو زعماؤها فى ضوء النهار ، أناساً عاديين ، وتبدو نقائصهم وزلاتهم أكثر وضوحاً .

ولقد وقفت هذه الجمعية آخر الأمر ، فى عزل السلطان عبد العزيز ، خصم الأمير مصطفى فاضل اللدود ، وكانت بداية الحملة ضد السلطان عبد العزيز خطاباً وجهه الأمير فاضل إلى السلطان باللغة الفرنسية حدثه فيه عن سوء حال الدولة ، وانتشار الفساد فى دواوينها ، وتدهور الأداة الحاكمة ، وعجزها وقصورها ، وانقطاع الرجاء فى الاصلاح . وقد ترجم نامق كمال هذا الخطاب الذى كان بمثابة إلقاء القفاز فى وجه السلطان ، إلى التركية


الخديوى اسماعيل


الملك فاروق

بلغة ادبية ، فتناقلته الأيدى اولا ، ثم حفظه الالوف ، وقد انتهى الامر بعزل السلطان عبد العزيز ، ثم ولت الجمعية مكانه ، السلطان مراد الخامس ، ثم لم يطل رضاؤها عنه ، فعزلته بدوره ، وعينت بدلا منه ، السلطان عبد الحميد .

بدأ عبد الحميد حكمه باصدار دستور سنة ١٨٧٦ ، وكان الاتراك يسمونه « المشروطية » ، وكان لمدحت باشا دور عظيم فى إصدار هذا الدستور حتى سمى « بطل الدستور » .

وبدأت تركيا الفتاة تتململ من حكم عبد الحميد ، واخذت تعمل سراً على قلبه ، وخلعه من الحكم ، وكانت قد تمرست بالعمل السياسى السرى ، وانتشرت شبكة لجانها ، ووصل نفوذها إلى جميع المراكز الحساسة للسلطة ، حتى نجحت فى خلع عبد الحميد سنة ١٩٠٨ .

ومن أوجه الشبه الغريبة بين الثورة التى عزلت عبد الحميد فى تركيا ، والثورة التى خلعت فاروق فى مصر ، أن الذين قاموا بالثورتين كانوا ضباطاً ، أولا ، وشبابا ثانيا ، وقد تمت الثورة فى البلدين فى يولية ثالثا . فى مصر فى ٢٣ يوليو ، وفى تركيا فى ٢٤ يولية ، وكان من زعماء الثورتين أنور وجمال !

وقد كانت جماعة الضباط التى قامت بعزل عبد الحميد ، متأثرة بتركيا الفتاة ، تأثر ضباط ثورة مصر بمصر الفتاة ، ولكن الضباط الاتراك اتخذوا لجماعتهم إسما جديداً هو بالتركية : « عثمانلى اتحاد وترقى جمعيتى » اى جمعية الاتحاد والترقى . وبدأوا حياتهم السياسية باعادة دستور سنة ١٨٧٦ أى بعد تعطيله بثلاثة وثلاثين سنة .

ولم تكن جمعية الاتحاد والترقى لسوء الحظ جمعية تركية خالصة ، فقد بدأ الغرب يعد العدة لالتهام تركيا وممتلكاتها فى الشرق العربى ، وفى شمال افريقيا . فضلا عن أوروبا الشرقية ، وكان قد قرر ان يصطنع أساليب عديدة للوصول إلى غرضه ، وكان من أهم هذه الأساليب ان يندس فى الجمعيات الوطنية والاصلاحية المنتشرة فى طول الدولة العثمانية وعرضها وإظهار الحماسة لبرنامج هذه الجمعيات ، وإدعاء ان مستقبل الدولة يهمهم ، وان تغيير الأحوال فيها للأحسن والأفضل يعنيهم ، وبهذا الادعاء ، اصبحوا أقرب ما يكونون من الزعامات الجديدة ، واعظم علماً ومعرفة بالاتجاهات السياسية التى تتكون ، ليعملوا على توجيهها لمصلحتهم . وكانت مدينة « سالونيك » فى اليونان مقر جمعية الاتحاد والترقى ، موطناً اصليا لطائفة من اليهود اعتنقوا الاسلام ، واستطاعوا بفضل هذا المظهر ، ان يتغلغلوا فى الجمعيات الوطنية التركية ، وكان إلى جانب هذه الطائفة من اليهود ، يهود بقوا على دينهم ، ادعوا انهم حريصون على نجاح الحركة الدستورية فى تركيا ، وكان عددهم فى جمعية الاتحاد والترقى كبيراً .

وكانت الطائفة الثالثة هم الضباط العرب من سوريين وعراقيين وفلسطينيين الذين كانوا يعملون فى الجيش التركى ضباطاً عاملين . وكانوا يتقنون التركية ، ويتمنون أن تسود فى تركيا الروح الدستورية ، وأن تتساوى العناصر العربية مع العناصر التركية فى الحقوق والنصيب فى الحكم والادارة ، وأن تبقى الوحدة بين العنصرين حتى تقف تركيا على قدميها ، وأن تتهيأ لمواجهة اطماع الغرب ودسائسه ومؤامراته وفتنه ، قوية وثابة .

ولكن ضباط الاتحاد والترقى بعد أن عزلوا السلطان فى ٢٤ يولية ١٩٠٨ ، ووجهوا بثورة مضادة حقيقية ، وقعت فى ليلة ١٢ ــ ١٣ من ابريل ١٩٠٩ ، وقد تزعمها أئمة المساجد ، وفرق الدراويش ، وفريق من كبار علماء المسلمين ، وطلبة المعاهد الدينية ، وضباط الجيش الذين بدأوا حياتهم العسكرية جنوداً ثم ارتقوا إلى رتب الضباط وهم الذين يسمون فى مصر بـ « ضباط من تحت السلاح » . ولم تكن هذه الحركة مقصورة على هذه الطوائف ، بل إن سندها الأول جماهير الشعب التى كانت تتوجس خيفة من حركة الاتحاد والترقى ، وميولها العلمانية ، فقامت المظاهرات وطافت الشوارع تهتف « باشاسون شريعه محمدية » أى فلتعش الشريعة المحمدية ، وكان من الممكن ان يكتب لهذه الحركة النجاح ، لأن تأييد الشعب لها كان قلبياً وحقيقياً وخالصاً ، وكان هذا التأييد يتزايد شيئاً فشيئاً . وقد انتقلت الحركة من العاصمة استانبول إلى الأناضول ، وبخاصة إقليم « اضنه » الذى قام فيه بعض الأتراك المتعصبين بمذبحة فى أهل الاقليم من الأرمن فى يوم ١٥ من ابريل ، وقد بقيت هذه المذبحة وصمة فى التاريخ التركى ، لكن لا يسأل عنها السلطان عبد الحميد ، ولا الحكومة ، إنما يسأل عنها جماعة ضيقة الأفق سيئة التصرف من أهالى إقليم واحد .

## جيش الانقاذ

وقد انتهز رجال الاتحاد والترقى هذه السقطات ، واعدوا قوة عسكرية ، أسماها مؤرخو أوروبا « جيش الانقاذ » وتسمى فى الكتب التركية « جيش اوروسو » اى « جيش الحركة » . وقد زحفت هذه القوة من سالونيك على استانبول ، واستطاعت بعد قتال مرير ، الاستيلاء على العاصمة ،



بن جوريون



موسى شاريت

وعزل عبد الحميد ، وأحلوا محله أخاه الأمير « رشاد » ، وكان إذ ذاك فى الرابعة والسبعين ، ولم تكن له سابقة عمل بالسياسة ، ولا أدنى خبرة بشئون الحكم ، فكان رجال « الاتحاد والترقى » يحكمونه ، ويحكمون باسمه ، وهو لا يدرى مما يجرى حوله قليلا أو كثيراً ، ولذلك فقد أسماه أحد المؤرخين بـ « السلطان الأبله » .

وما كاد « عبد الحميد » يضع قدمه على الأرض وهو ينزل عن العرش ، حتى أصبح فريسة مستباحة ، يهاجمه كل من سولت له نفسه نهش لحمه ، وإسالة دمه. وما أكثر الذين كرهوا « عبد الحميد » ، وكرهوا سياسته ، لا لأنها خطأ كامل ، بل لأنها سدت الطريق فى أوجه أطماعهم التى كانت تتلخص فى أمور هى :

١ ـ إزاحة تركيا من مسرح السياسة الدولية بعد أن عاشت بضعة قرون صاحبة سياسة دولية ضخمة ، أرهبت دول الغرب ، وأذلته وأخافته بجيوشها فى البر ، وأساطيلها فى البحر ، وأحكمت قبضتها على شرق أوروبا وعلى شرق البحر الأبيض حيث استولت على جزره الكبيرة كقبرص ، وكريت ، ورودس ، كما بسطت سلطتها على البحر الأحمر ، وحولته إلى بحيرة عثمانية ، لا تدخلها سفينة غربية واحدة ، وقد زاد من حنق بريطانيا وفرنسا على « عبد الحميد » لأنه اختط سياسة مودة وتحالف مع ألمانيا .

٢ ـ التخلص من السلطان عبد الحميد الذى كان يدعو إلى الجامعة الاسلامية . وكانت هذه الدعوة تخيفهم ، وتقض مضاجعهم ، وتؤرقهم ، لأنهم لم يكونوا يخافون شيئاً أكثر من يقظة الاسلام ، وتحرك المسلمين .

٣ ـ فتح أبواب الهجرة الصهيونية ، فى فلسطين ، والتعاون مع سياسة إنشاء وطن قومى لليهود فى هذا الجانب من العالم توطئة لانشاء قاعدة عسكرية بحرية وبرية للغرب لتفصل عرب المشرق عن عرب المغرب ، ولتكون المنطقة العربية كلها فى حوزة ونفوذ المغرب . وقد كان السلطان عبد الحميد عدواً للصهيونية ، وسداً منيعاً فى وجه تدفق الوفها إلى فلسطين .

وقد انضمت إلى « جوقة الانشاد » التى رتلت أناشيد الهجوم على عبد الحميد ووصمته بأقبح الصفات ، جماعات غير غريبة فى مقدمتها :

(١) جماعة الاتحاد والترقى .

(٢) جماعة من القوميين العرب فى سوريا ولبنان والعراق .

(٣) جماعة أتاتورك وأنصاره .

أما الاتحاد والترقى ، فبعد عزل عبد الحميد ، أصبح حزباً رسمياً وعلنياً ، وأصبحت له لجان وفروع فى كل أنحاء تركيا ، وبعض عواصم أوروبا ، وأخذت الصحافة التركية وبعض الأجنبية ، تشيد بالحكم ، وتتخذ من التشهير والتنديد بعبد الحميد وسياسته ، مادة للدعاية لها ، فقد كانت المقارنة بين سياسة الحزب الوافد ، وسياسة الحزب المعزول ، تستميل الأتراك إلى جانب الاتحاد والترقى . وقد آثر هذا الحزب أن يبتعد شيئاً فشيئاً عن سياسة الجامعة الاسلامية ويحل محلها سياسة « تركيا الطورانية » . ومؤدى هذه السياسة جمع العناصر المنحدرة من أصل تركى كالتركمان والتركستان فى ظل قيادة تركية قحة ، وتؤمن بتفوق هذا العنصر الذى حكم رقعة فسيحة فى آسيا وبعض أوروبا وأفريقيا ، والذى غزا الأمصار ، وأحكم قبضته على الممالك والأقطار . على أن يكون العرب والأكراد وبعض العناصر المتوسطة فى أرض تركيا وملحقاتها أتباعاً للأتراك .

وقد اشتد جمال باشا والى سوريا من قبل حزب الاتحاد فى مطاردة القوميين العرب الذين كانوا يتمنون أن يتكون منهم ومن الأتراك دولة كامبراطورية النمسا والمجر ، تضم الأتراك والعرب كعنصرين متاخيين ومتساويين . ولكن سياسة التتريك غلبت فطوردت اللغة العربية حتى أن الصوفى العظيم محيى الدين بن عربى ، قد حذف إسمه وأحلوا محله « قبر محي الدين أفندى » .

وقد أثارت هذه السياسة الخطيرة القطر العربى ، وبقية العناصر المقيمة فى أرض تركيا ، وتحولوا الى اعداء للحكم الجديد ، فاستغلت بريطانيا هذه الفرقة .

أما الصهاينة فقد أعانوا حزب الاتحاد والترقى على الوصول إلى الحكم ، لأنهم كانوا لا يطيقون عبد الحميد ولا سياسته المعادية تماماً لآمالهم ، ولأنه اتخذ من بعض كبار العرب مستشارين له .

وما كاد السلطان عبد الحميد يغادر عرشه حتى بدأت مساعى الصهيونية تبدو وكان من دلائل نجاحها أن ثالث ثلاثة فى زعامة الاتحاد والترقى ، وهو طلعت باشا وزير الداخلية فى النظام الجديد ، كان يهودياً اعتنق الاسلام . وقد امتلأت مجالس الاتحاد والترقى فى العاصمة والأقاليم بعدد غير قليل من اليهود الأتراك وفى السنة التى تم فيها الانقلاب ضد عبد الحميد تأسست الوكالة الصهيونية برئاسة الصهيونى العريق فيكتور جاكو بسون ، وهو يهودى روسى المولد . وقد أقامت هذه الوكالة من نفسها رقيباً على سياسة النظام الجديد وميوله وتحركاته واتصالاته ، الأمر الذى كان يتعذر عليها فى عهد عبد الحميد ، فقد ساهمت هذه الوكالة فى تمويل جريدة الحزب المسماة « تركيا الفتاة » وحاول جاكو بسون الاتصال بالزعامات العربية وإقناعها بأن الخير فى إقامة تعاون بين العرب واليهود ، ولعل عظام السلطان الأحمر كانت تتقلب حنقاً واحتجاجاً على هذه المحاولات المدمرة ، التى لم يكتب لها النجاح ، لحرص الزعماء العرب ، وفهمهم لميول ومساعى اليهود مهما تخفت . فقد كان من أعضاء هذه الوكالة الصهيونية شبان أصبحوا زعماء كباراً فى فلسطين قبل نشوء اسرائيل مثل « ديفيد جرى » الذى أصبح فيما بعد « ديفيد بن جوريون » وبن رفى ، وموسى شرتوك الذى أصبح موسى شاريت ..وللحديث بقية .

فتحى رضوان

من تراثنا المعاصر :

مقال ينبغى أن يقرأه كل مسلم فى هذه الأيام

# الرجولة في الإسلام

بقلم : أحمد أمين

لعل من أهم الفروق التى تميز المسلمين فى أول أمرهم وفجر حياتهم ، عن المسلمين اليوم . « خلق الرجولة » . فقد غنى العصر الأول بمن كانوا هامة الشرف ، وغرة المجد وعنوان الرجولة .

تتجلى هذه الرجولة فى « محمد » إذ يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

كما تتجلى فى أعماله فى أدوار حياته ، فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة ، إيمان لا تزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب فى نصرة الحق ، وهيام بمعالى الأمور ، وترفع عن سفسافها . حتى إذا قبضه الله إليه ، لم يترك ثروة كما يفعل ذوو السلطان ولم يخلف أعراضاً زائلة كما يخلف الملوك والرؤساء والأمراء ، إنما خلف مبادىء خالدة على الدهر ، كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها ويجاهدون بأموالهم وانفسهم من أجلها .

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة ، فاقوى ميزات « عمر » انه كان « رجلا » لا يراعى فى الحق كبيراً ، ولا يمالىء عظيماً أو أميراً . يقول فى إحدى خطبه : « أيها الناس ، إنه والله ما فيكم احد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

وينطق بالجمل فى وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال كان يقول : « يعجبنى الرجل إذا سيم خطة ضيم ان يقول : « لا » بملء « فيه » .

ويضع البرامج لتعليم الرجولة فيقول :

« علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، ورووهم ما يجمل من الشعر » . ويضع الخطط لتمرين الولاة على الرجولة فيكتب إليهم : « إجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، وإياكم والرشا والحكم بالهوى ، وأن تاخذوا الناس عند الغضب » . ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة فيقول « ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تحجروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » . من أجل هذا كله كان هذا العصر مظهراً للرجولة فى جميع نواحى الحياة ، تقرأ تاريخ المسلمين فى صدر حياتهم فيملؤك روعة ، وتعجب كيف كان هؤلاء البدو وهم لم يتخرجوا فى مدارس علمية ، ولم يتلقوا نظريات سياسية ، حكاماً وقادة لخريجى العلم ووليدى السياسة . إنما هى الرجولة التى بثها فيهم دينهم وعظماؤهم ، هى التى سمت بهم وجعلتهم يفتحون أرقى الأمم مدنية وأعظمها حضارة ، ثم هم لا يفتحون فتحاً حربياً يعتمد على القوة البدنية وكفى ، إنما يفتحون فتحاً مدنياً إدارياً منظماً ، يعلمون به دارسى العدل كيف يكون العدل ، ويعلمون علماء الادارة كيف تكون الادارة ويلقون بعملهم درساً على العالم أن قوة الخلق فوق مظاهر العلم ، وقوة الاعتقاد فى الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية ، وأن الأمم لا تقاس بفلاسفتها بمقدار ما تقاس برجولتها . هل سمعت عدلا خيراً من أن يضرب ابن لعمرو بن العاص – وهو والى مصر – رجلا مصرياً ، فيستحضره عمر بن الخطاب وابنه ، ثم يأمر المصرى أن يضرب من ضربه وأن يضع السوط على صلعة عمرو ، ثم يقول له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

أو هل سمعت عطفاً على الرعية ، واخذ الولاة بالحزم كالذى روى أن معاوية قدم من الشام على عمر ، فضرب عمر بيده على عضده فتكشف له عن عضد بض ناعم ، فقال له عمر : « هذا والله لتشاغلك بالحمامات ، وذوو الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك ! » .

أو هل سمعت قولا فى العدل يحققه العمل ، كالذى يقوله عمر : « إذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز الناس ، فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس » .

هذا المقال كتبه احمد أمين سنة ١٩٣٥ وهو مقال ينبغى أن يقرأه المسلمون اليوم وهم يواجهون المحنة بعد المحنة ويتعرضون للأزمات المختلفة التى تواجههم كأفراد ومجتمعات :





صورتان لاحمد امين الاولى له فى شبابه عندما كان طالباً فى كلية « القضاء الشرعى » ، وهى الكلية التى تخرج منها » وقد الغيت هذه الكلية فى وقت مبكر بعد ان قدمت عددا من نوابغ الفكر العربى والاسلامى » أماالصورة الثانية فهى صورة احمد امين بعد ان غير زيه ولبس « الطربوش والبدلة » كما فعل زملاؤه مثل طه حسين واحمد حسن الزيات .

أو هل رايت حزماً فى الادارة كالذى فعله فى مسح سواد العراق وترتيب الخراج ، وتدوين الدواوين ، وفرض العطاء .

حقاً لقد كان عمر فى كل ذلك رجلا ، ولئن كان هناك رجال قد امتصوا رجولة غيرهم ، ولم يشاءوا أن يجعلوا رجالا بجانبهم ، فلم يكن عمر من هذا الضرب ، إنما كان رجلا يخلق بجانبه رجالا ، فأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص والمثنى بن حارثة ، وكثير غيرهم كانوا رجالا نفخ فيهم عمر من روحه كما نفخ فيهم الاسلام من روحه ، وأفسح لهم فى رجولتهم ، كما أفسح لنفسه فى رجولته .

وكان أدبهم فى ذلك العصر صورة صحيحة لرجولتهم ، يتغنون فيه بأفعال البطولة ومظاهر الرجولة .

وخير الشعر أشرفه رجالا
وشر الشعر ما قال العبيد

يعتد الشاعر بنفسه ويسمو بها عن النعماء والباساء فيقول :

قد عشت فى الناس أطواراً على طرق
شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت ، فلا النعماء تبطرنى
ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

ويعتز بشرفه وقوته وإبائه الضيم فيقول :

وكنت إذا قوم رمونى رميتهم
فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

ويمدح رجل قوماً فيقول : « إنهم كالحجر الأخشن إن صادمته آذاك وإن تركته تركك » ويقول أميرهم : « والله ما يسرنى أنى كفيت أمر الدنيا كله . قيل ولم أيها الأمير ؟ قال : لأنى أكره عادة العجز » . إلى كثير من أمثال ذلك .

وعلى الجملة ، فأدبهم تام الرجولة ، قد شعت فيه الحياة ، وامتلأ بالقوة ، حتى اللاهى الماجن كأبى محجن الثقفى : كان يغازل ، وكان يشرب ، ولكن إذا جد الجد وعزم الأمر ، كان رجلا يبيع نفسه لدينه ، ويبيع كل شىء لشرفه وشرف قومه .

ونستعرض الغزل فى الجاهلية وصدر الاسلام ، فاذا هو غزل قوى لا ميوعة فيه ، ولا تخنث ، لا يذوب صبابة ، ولا يلتاع هياما ، ولا يفقد الرجل فيه رجولته لحبه :

وقلت لقلبى حين لج به الهوى
وكلفنى ما لا أطيق من الحب
ألا أيها القلب الذى قاده الهوى
أفق لا أقر الله عينك من قلب
وما أنا بالنكس الدنى ولا الذى
إذا صدعنى ذو المودة أحرب
ولكننى إن دام دمت وإن يكن
له مذهب عنى فلى عنه مذهب

ولم يضن التاريخ على المسلمين من حين لآخر ، برجال لفتوا وجه الدهر ، وغيروا مجرى الحوادث ، ودفعوا عن قومهم الخطوب ، وانزلوهم منزل العز والمنعة ، تضيق عن وصف أعمالهم الرسائل والكتب .

ثم توالت الأحداث وتتابعت النوب ، تفل من شوكتهم ، وتفت من رجولتهم ، حتى رأيناهم بذلوا الشرف للمال ، وقد كان آباؤهم يبذلون المال للشرف ، ولم ينظروا إلا إلى انفسهم وذويهم ، وكان آباؤهم ينظرون إلى دينهم وأمتهم ، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً يذيق بعضهم بأس بعض ، فكانوا حرباً على انفسهم بعد أن كانوا جميعاً حرباً على عدوهم ، ورضوا فى الفخر أن يقولوا : « كان آباؤنا » مع أن شاعرهم يقول :

إذا انت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

وناثرهم يقول : « لم يدرك الأول الشرف إلا بالفعل ، ولا يدركه الآخر إلا بما ادرك به الأول » . ورأينا خير ما في الامم حاضرها وخير ما فينا ماضينا .

أريد بالرجولة صفة جامعة لكل صفات الشرف ، من اعتداد بالنفس واحترام لها ، وشعور عميق باداء الواجب ، مهما كلفه من مصاعب ، وحماية لما في ذمته من اسرة وامة ودين ، وبذل الجهد في ترقيتها والدفاع عنها ، والاعتزاز بها ، وإباء الضيم لنفسه ولها ، وهي صفة يمكن تحققها مهما اختلفت وظيفة الانسان في الحياة .

فالوزير الرجل ، من عد كرسيه تكليفاً لا تشريفاً ، ورآه وسيلة للخدمة لا وسيلة للجاه ، اول ما يفكر فيه قومه ، وآخر ما يفكر فيه نفسه ، يظل في كرسيه ما ظل محافظاً على حقوق امته ، واسهل شيء طلاقه يوم يشعر بتقصيره في واجبه ، أو يرى أن غيره اقوى منه في حمل العبء ، واداء الواجب ، يجيد فهم مركزه من امته ، ومركز أمته من العالم ، فيضع الامور مواضعها ، ويرفض في إباء ان يكون يوماً ما عوناً للاجنبي عليها ، فاذا أريد على ذلك قال « لا » بملء فيه ، فكانت « لا » منه خيراً من الف « نعم » ، وكانت « لا » منه وساماً تدل على رجولته ، وكانت « لا » منه خير درس للناشئين يتعلمون منه الرجولة ، يقتل المسائل بحثاً ودرساً ، ويعرف فيها موضع الصواب والخطأ ، ومقدار النفع والضرر ، ثم يقدم في حزم على عمل ما راى واعتقد ، لا يعبأ بتصفيق المصفقين ، ولا بذم القادحين ، إنما يعبأ بشيء واحد هو صوت ضميره ، ونداء شعوره .

والعالم الرجل ، من أدى رسالته لقومه من طريق علمه ، يحتقر العناء يناله في سبيل حقيقة يكتشفها ، او نظرية يبتكرها ، ثم هو أمين على الحق ، لا يفرح بالجديد لجدته ، ولا يكره القديم لقدمه ، له صبر على الشك ، وغرام بالتفكير ، وبطء في الجزم ، وصبر على الشدائد ، وازدراء بالاعلان عن النفس ، وتقديس للحقيقة ، صادفت هوى الناس او اثارت سخطهم ، جلبت مالا او اوقعت في فقر ، يفضل قول الحق وإن اهين ، على قول الباطل وإن كرم .

والصانع الرجل من بذل جهده في صناعته ، فلم يشأ إلا أن يصل بصناعته إلى ارقى ما وصلت إليه في العالم ، عشقها وهام بها حتى بلغ ذروتها ، يشعر بانه وطني في صناعته ، كوطنية السياسي في سياسته ، وان امته تخدم من طريق الصناعة ، كما تخدم من طريق السياسة ، وأن الصناعة لا تقل في بناء المجد القومي عن غيرها من شئون الدولة ، فهو لهذا يحسن فنه ، وهو لهذا يحسن سلوكه ، وهو لهذا يرفض ربحاً كثيراً مع الخداع ، ويقنع بربح معتدل مع الصدق ، وهو لهذا كله كان رجلا .

بل الرجولة تكون في المعنويات ، كما تكون في الماديات ، فالرأي العام الرجل ، هو الرأي العام اليقظ ، شديد التنبه لما يحيط به من مخاطر ، يعرف كيف يدفع عنه الأذى إذا نيل منه ، ويصد الشر إذا نزل به ، صحيح التقدير لأعمال الرجولة ، شديد الاحتقار للنذالة ، يظهر إعجابه للمحسن أياً ما كان ، في أشكال تدعو إلى الاعجاب ، ويظهر ازدراءه للمسيء أيا ما كان ، في أشكال تدعو إلى الاعجاب أيضاً . ولا يكون الرأي العام رجلا ، حتى تشيع في افراد الامة الرجولة ، وتكثر فيهم البطولة ، وفي الرجولة متسع للجميع ، فالزارع في حقله قد يكون رجلا ، والتلميذ في مدرسته قد يكون رجلا ، وكل ذي صناعة في صناعته قد يكون رجلا، وليس يتطلب ذلك إلا الاعتزاز بالشرف وإباء المذلة .

● ●

من لنا ببرنامج دقيق للرجولة ، كالبرنامج الذي يوضع للتعليم ، يبدأ يرعى الطفل في بيته فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه ، كما يحافظ على الصك يوقع عليه ، ويعلمه كيف يكون رجلا في العابه ، فيعدل بين أقرانه في اللعب ، كما يحب ان يعدلوا معه ، ويلاعبهم بروح الرجولة من حب ومساواة ومرح في صدق وإخلاص .

ويسير مع التلميذ في مدرسته ، فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يفعل الخطأ ، وإن غفلت عنه أعين الرقباء ، ولا يغش في الامتحان ، ولو تركه المعلم وحده مع كتبه ، وكيف يعطف على الضعفاء ويبذل لهم ما استطاع من معونة .

ويتمشى مع الطالب في جامعته ، فيعوده الاعتزاز بنفسه ، والاعتزاز بجامعته ، والاعتزاز بامته ، ويبعثه على أن يفكر في غرض شريف له في الحياة ، يسعى لتحقيقه ، حتى إذا ما اتم دراسته ، كان قاضياً رجلا ، أو معلماً رجلا ، أو سياسياً وعلى الجملة إنساناً رجلا .

ويتابع الأمة ، فيضع لها الادب الذي يبعث على القوة ، والأناشيد والاغاني التي تملأ النفس أملا ، ويراقب في شدة وحزم ، دور السينما والتمثيل الملاهي،فلا يسمح بما يضعف النفس ، ويثلم الشرف ، ولا يسمح بما يحيي الشهوة ، ويميت العزيمة ، ويأخذ على أيدي الساسة والحكام ورجال الشرطة ، حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ، ولا يرهبوهم فيذلوهم .

من يبادلني فيأخذ كل برامج التعليم ، وكل ميزانية الدولة ، ويسلمني برنامجاً للرجولة وميزانية لتنفيذه ليس غير ..

ولي كبد مقروحة ، من يبيعني
بها كبداً ليست بذات قروح ؟

أحمد أمين

# الرجال والخرائط

بقلم: درويش مصطفى الفار

اذا نظر امرؤ الى خريطة فانه يكون واحداً من ثلاثة :

١ ـ إما أن تمثل الخريطة أمامه مكاناً أو موضوعاً لا تربطه به علاقة من أى نوع ، اللهم إلا إذا كان عالماً بالمصطلحات والألوان والرموز التى تعبر بها تلك الخريطة عن موضوعها ، فهو يستطيع دون الآخر أن يتفهمها ويدرك أبعادها ، ولكن فى إطار محدد لا يتجاوز علماً تعلمه فى كتاب أو على يد أستاذ ...

٢ ـ وإما أن يكون قد سبق له ارتياد المكان الذى تحمل الخريطة صورته بمقياسها المرقوم ، فهو يزيد على سابقه ، ولو كان عالم الخرائط ، فى استيعاب تلك الصورة واستلهام خطوطها ونقاطها ، فهى ليست بالنسبة له شيئاً جديداً على الذهن ، إذ لها فى مختزن عقله مكان سابق ، بالحجم الطبيعى ، وما الخريطة عندما يتفرسها إلا تجسيد للذكرى وإحياء لما تعيه الذاكرة ...

٣ ـ أما الثالث ، فقد يكون هو بذاته ، الذى صنع تلك الخريطة ، ورسم خطوطها ووضع رموزها وقاس أبعادها طولا وعرضاً وارتفاعاً ، وعانى ببدنه وفكره وحواسه مشاق وضع نقاط مثلثاتها ، بدرجاتها ، وجاس خلالها رائحاً غادياً راجلا أو راكباً ، وتعرف عملا ، على مسالكها ودروبها ومداخلها واتجاهاتها واختلط عرقه ودمعه بغبارها ، وربما يكون ، قد ذاق فى أرجائها طعم الجوع والعطش وتعطل الوسائل ، ووشائج الاتصال بما حول منطقة خريطته من العالم ، أو تعرض لهوامها ودوابها وأوابد وحشها ، فهو حين ينظر الى تلك الخريطة ، ينظر الى جزء من كيانه وفترة من حياته التى عاشها ببدنه وعقله ووجدانه ، فلا يستطيع أن ينازعه حقيقة فهم تلك الخريطة أحد يحترم الفكر والمنطق والعلم ، ولا يقدر على مباراته فى المشاعر والأحاسيس تجاه المنطقة التى تصورها تلك الخريطة ، من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد على احترام الوجود الانسانى ومعانيه ...

ومن مشاكل المجتمعات البشرية المعاصرة وخاصة الفقيرة والمتخلفة ، صناعة وزراعة وعلماً ، ان الخطوط الفاصلة بين تلك الأنواع الثلاثة من النظر الى الخريطة ، ليست واضحة لكل بصيرة أو بصر .. ومن هنا .. تجد كثيراً من الأفراد الذين يستبيحون لأنفسهم ، (دون تردد ، أو شعور بالمسئولية الادارية أو التاريخية ، وأحياناً دون خجل أو حياء) ، النظر الى أية خريطة لأى موضوع ، طبوغرافى أو جيولوجى أو عسكرى أو زراعى أو صناعى ، كما لو كانوا هم الذين رسموا تلك الخريطة ونقلوا صورة الطبيعة عليها ، ويأنفون ، وخاصة اذا كانوا من صناع القرار ، أن يتصوروا ، أن الزمان قد تطور ، والمعرفة قد اتسعت ، والتخصص قد تعمق وتشعب ، بحيث أصبح بالضرورة لكل طعام طباخ ، ولكل خبز طاه .. وانه :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

وأخطر الخطر ، الذى يتعرض له جزء من العالم الثالث ، هو العالم الاسلامى ان يتصدى اليوم للقول الفصل فى خريطته ، ورسم خطوط الحاضر والمستقبل عليها ، احد نوعين من البشر :

١ ـ غرباء عن الخريطة ، وعن منطقتها وعن حقيقة مشاعرها الكامنة فى نفوس الأفراد والجماعات فيها ، وقد يكون منهم صاحب علم أو فكر بصناعة الخرائط ودراسة محتوياتها ومعرفة دلالاتها ، علمياً وأكاديمياً ، بيد أن قلب الواحد منهم قد لا يخلو من ضغن أو سوء نية أو سوء فهم نتيجة لرواسب استقرت من أحاديث القصاصين وروايات الجدات ، ومساوىء النقل والغرض ، فلا يمكن لهذا مهما حسنت نيته ، أو توافرت عناصر موضوعيته ، ان ينظر الى تلك الخريطة نظرة صائبة صحيحة نافعة خالية من كل السلبيات الضارة الجانحة مع الهوى .. ومن هنا .. فلا مفر من الوقوف ضد تلك المحاولات ، أو التحفظ الشديد على ما تصدره من فتاوى وآراء ..

٢ ـ أو قوم من الأهل ، رفاق العيش وطريق الباساء والضراء على هذه الأرض ، ممن قفزوا إلى فوق ، بعد أن اثرت فيهم ظروف كثيرة غامرة احاطت بقلوبهم وعقولهم وثقافتهم نقلا أو ابتكاراً ، وحالت بينهم وبين أن يمارسوا إسلامهم ويستوعبوا خريطته ، فتجسد أمامهم وهم يريهم الاسلام من ثقوب يسترقون خلالها النظر لماما ، عبر رجل عليه وقار يضيع وقت عامة المسلمين المعاصرين فى بحث أكاديمى لا يمت اليوم لواقعهم عن (العبد) هل يباع بمتاعه أم بغير متاعه ؟؟ فيرون فى ذلك وأمثاله عائقاً فى طريق ( التحضر المعاصر الصناعى ) ويحكمون من ذلك حكماً فجا أن درب الاسلام وخريطته لا تقود إلى مخرج من المأزق الذى يتردى فيه المسلمون المعاصرون ، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وعلمياً ، ويقفزون دون أدنى دراسة موضوعية صادقة للخريطة ، للمناداة بتغيير معالمها وطمس خطوطها ورموزها ، لتصبح خريطة ( جديدة ) هزلية ممسوخة كتلك الخرائط التى ترسم لأعمال الدعاية والاعلان التجارى .. فهل آن الأوان قبل كارثة ما حقة لهذا الجيل ، أن نسمح بتجمع صناع الخريطة الحقيقيين ، ممن عرفوا الخريطة ومارسوها ، من الأطباء والمهندسين والكيماويين والعلماء والفقهاء عياناً بياناً فى وضح النهار ، ليضعوا على الخريطة لمسات خبراء معاصرين ملتزمين ترفع الغبار ، وتوضح ما انطمس من الخطوط ، وتقول صراحة للحاكم والمحكوم على حد سواء ، هذا حرام وهذا حلال ، وتحوط الشباب والرجال والكهول بسياج واضح من ما تتطلبه خريطة الاسلام ؟؟

# الختان

قصة جديدة : بقلم الدكتور يوسف إدريس

.. وتمتم أبي لنا مرّة : كنت أعرف أنه سيموت بموته . وحدقت في وجه أبي الطيب الحافل بالتأثر ، وأحسست أني أرى وجهًا لم أره من قبل . فكلماته تلك بدت لي وكأنها تنطق فجأة بقانون من قوانين العلوم التي كنا ندرسها ، وتبهرنا . كان يعرف أن الفرع سيموت بموته .. أحقًا كان أبي يعرف ؟!

بريشة : جمال قطب



بعـــد سلسلة من الميراث والتوريث ، والقطع والبيع والموت والميـلاد ، آبت الجميزة العجوز إلى ساق ضخمة سميكة قصيرة ، تنتهى إلى فرعين اثنين ورثهمـا الشقيقان محمد الهادى الكبير والهادى محمد الصغير . ونحن كنا ابناء محمد الهادى الكبير . وبمثل ما قسمت الجميزة بين الأخوين ، قسم البيت الكبير أيضاً . ولكن الجميزة العجوز كانت أروع ما فى طفولتنا كلها . أروع من ليالى القمر ، وصيد السمك ، ونزهات الحقل ، ومشاهد الصراع الحافل بين زوجة عمنا وأمنا . كانت شيئاً خرافياً ، نسأل عنه الآباء والجـــدات وعواجيز القرية فلا يـــدرون ، أهى نبتت « شيطانى » ام أن جد جد جدنا الأكبر الهادى الأول هو الذى زرعها ؟ . كانت مثار دهشتنا ، مختلفة تماماً عن أى كافورة أو نخلة ، خشنة وقد حفر الزمن بأظافره وأنيابه فى ساقها الغليظة السميكة فصنع معه بروزات وشقوقاً ، وحفائر ، وجروحاً غائرات ، وندوباً ، ومسامير حدادى مدفونة صدئة . مشهد رائع وكأنما الزمن الذى

عاشته ، والتطورات التى حدثت لعائلتنا قد تجسدت مكتوبة ومحفورة على ســـاق الجميزة .

المهم أننا ونحن فى تلك السن بدأنا نلاحظ أن فرعنا نحن الذى ورثه أبى دائماً شاحب الأوراق ، ذابل الأفرع ، قليل الثمار حين وقت الثمر ، فقير الأغصان لا يصلح



# الختان

أبدا لاخفاء صغير منا حين نلعب الاستغماية مع اقاربنا وبالذات أولاد عمنا الهادى ونتخذ من الجميزة بفرعيهـا الهائلين الضخمين مكاناً للاستخفاء . كنا نتبارى فى الوصول إلى فرع عمنا لتسترنا أوراقه العريضة شـديدة الاخضرار ، وأغصانه شديدة الكثافة ، وثماره التى كنا ننتهز فرصة الاختفاء وننهال عليها التهاما .

ثمار كبيرة ، منفوخة بالطزاجة كالكـرة الحمراء الحلوة .

الشجرة هى الشجرة ، والساق هى الساق الأزلى ، والفرعان لهما نفس الحجم الهائل ، ولكن شتان بين فرعنا الهزيل رغم ضخامته ، وفرع عمنا الهائج بالأوراق والأغصان والثمر . نساء العائلة يقلن إن

المسائل اقدار ، وان عمنا الهـادى هكذا « مبخت »، محاصيل أرض دائماً أوفر ، ولبن جاموسة أكثر ، وعنزة دائماً تلد اثنين ، بينما أبونا محمد الهادى يعزو الأمر إلى أن اباه « جدنا » كان يؤثر عليه عمنا ، ولهذا وصى له بالفرع الأحسن . ورغم حبنا لأبينا ، فبيننا وبين انفسنا كنا لا نصدقه . فالفرعان

متماثلان تماماً فى الطول والحجم والارتفاع بل إننا لنسمع أنه هو كان المفضل لدى جدنا وليس اخاه . ويقول لنا القائلون إنهم لم يسمعوا فى حياتهم عن فرع فى جميزة واحدة ، أو اى شجرة ، اخصب من فرع . فالشجرة الأم أبداً لا تظلم احداً من فروعها فشريعة الكون كله العدل ، والظلم شىء لا يعرفه إلا الانسان وحده وبفعل الانسان .

وكنت أنا اكثر الأولاد حيرة للأمر . حيرة كانت تدفعنى لتامل الجميزة طويلا وكثيراً ، بل كانت تدفعنى لمراقبة ابى وعمى كلما صعد احدهما إلى فرعه يشذبه ، أو « يختن » ثماره ، أو يقتلع غصناً كسرته الريح أو يد طفل شقى . ابى كان رجلا طيباً حقاً . كان كما يقولون لا يؤذى نملة . يصلى ويصـوم ، ويعاملنا بسماحة ، وعمرى ما رايته غاضباً أو يقدح الشرر من عينيه ، ولكنه كان يميل إلى الوحدة ، ولا يعرف جلسة الأصحاب ، وما رايته أبداً يهزل ، أو سمعته يقهقه ، أو

يسهر ، أو حتى يدخن . لا اقول على عكسه ، وإنما عمى الهادى كان غير هاد بالمرة . كان صاخب الوجود دائماً ، معظم الاحيان مكشراً ، ولكنه إذا ضحك زلزل الارض بضحكه ، غير انه نادراً ما كان يفعل ، فلم يكن يضحكه غير الشديد القوى الشدة .

كل ما فى الأمر أن الموقف كان يختلف حين يصعد اى منهما إلى الجميزة ، فابى لم يكن يحب الشجر . كان يزعم أنه بظله الذى يلقيه على أرضنا المزروعة «المزروعة قمحا أو قطنا ، يضعف الزرع ويمرضه . وكان لا يصعد إلى فرعنا إلا مضطراً ، بل نادراً ما كان يلحظ وجود الجميزة او يدرك أن موعد التختين قد حل إلا بعد ان يرى اخاه قد بدأ « يختن » . وتختين الجميز هو تحضيره لعملية اللقاح ونضج الثمرة . حين يقارب حجم الثمرة حجم الليمونة الخضراء الكبيرة ، لابد أن تشق بسكين حاد شقاً يفتح داخلها ويعرضها للهواء . وحين كبرت عرفت أن هذا الشق يسمح للهواء بالدخول ، والهواء يحمل حبوب اللقاح ، وبهذا تتم عملية التلقيح وتبدأ الثمرة ، كالأنثى التى حملت ، تنتفخ ، ويبدأ لونها الاخضر كلون وجنـات العـذارى ، يحمـر ويندمل الجـرح .. ويسـتحيل إلى شـق أسود تجمد الدم الأخضر على شفتيه ، والذى نتـج عن عمليـة التختيـن ، فى الوقت الذى تستحيل فيه الثمرة إلى فاكهة ناضجة ، يقطفها القاطف ، أو تسقط من تلقاء ذاتها ، وحين ياكلها وياكل معها البذور انسان أو حيوان أو جمل ، ينشر البذور فى الآفاق ويتكاثر النوع ، ومن جديد تعـاد قصة الجميز الشجر .

كان ابى يقوم بعملية الختان كلها فى يوم واحد ، وبصبر نافد ، فاذا ضايقته ورقة عريضة اقتلعها ، وكان لا يهمه أن يكون السكين حامياً ، او حتى الجرح نافذاً ، حتى كان يخيل إلى أن الثمرات العذراوات تتالم . ولأنه يقوم بالعملية فى يوم واحد ، فلم يكن يهمه عمر الثمرة ، أو إن كان قد آن أوان تختينها ، طفلة أو كبيرة هو يشق استدارتها وفى أى مكان يتراءى له ، وينتهى من

العملية ، ويهبط من فوق فرعنا وقد حفل وجهه بالعرق ، ويلهث وكأنما كان يؤدى فريضة واجبة حمداً لله أن انتهى منها . عمى بالعكس ، يجىء من البيت غاضباً لأمر أو لآخر ، يشرب سيجارته حتى ينفثىء غضبه ، ثم يخلع جلبابه ، ويقف تحت فرعه وشيئاً فشيئاً تبدأ ابتسامة ما ، باهتـة ، لا تلبث أن تتعامق وتتسع ، وعلى مهـل يصعد الجذع المشترك ، ثم يدلف إلى فرعه ، كالعريس يدلف إلى غرفه عروسه . يمتحن الفرع بأوراقه وأغصانه وكأنما يطمئن على كل جزء منه . يلوى شفتيه ضيقا إذا لمح اصفراراً أو ذبولا ، ويتهلل وجهه فرحا حين يلمح جنين عصنى قد « بزبز » ، ومن جيب صيدريه يخرج مطواة قرن غزال سنها فى اليوم السابق على حجر الطاحونة ، ومهما ضربت الشمس يافوخى وانا اتفرج فلا أتزحزح وأنا أرى عمى الكشر صاحب المزاج المتغير دوماً وقد حفل وجهه بسعادة نادراً ما أراها يحفل بها وجهه . باصبعين يمسك الثمرة الخضراء . برقة يمتحنها حتى اذا أدرك أنها للختان حانت ، فى سرعة الساحر يمر بسيف مطواته على مكان ختانها المضبوط ، ثم يرنو إلى الجرح الباهر العميق الذى أحدثه فى ومضة ، ويتامل اعماق الثمرة الشاحبة الاحمرار أو الاصفرار ، وربما يتفكر لهنيهة فى لونها حين يتانث ويحمر ويتغير ، وفى شكلها وحلاوتها حين تنضج ، ويتركها لغيرها وكانه يترك مائدة سعادة حافلة إلى مائدة حافلة ثانية قادمة .

ويظل أياماً وأياماً « يختن » ، وكلما اعتلى الشجرة ثم هبط عنها وارتكن بجذعه إلى جذعها ، كنت من بعد أرقب شفتيه ، وهى بشىء كالأغنية تترنم ، ومزهوا يمشى إلى المصلى ، حيث يغسل يديه ومطواته ، ويصعد مرة أخرى إلى المصلى المفروش بقش الارز ، لينام وملء وجهه تلك الابتسامة الغامضة التى لا أدرى لها سبباً . وأتساءل وأنا من بعيد أرقبه : أهذا هو عمنا الهادى الذى يرعبنا دائماً حضوره وبتكشيرته يجعلنا ، دون أن يامر أو يكش ، عن لعبنا أو صراخنا نتوقف .

ولكن الغريب أن فرع عمنا مات من تلقاء

نفسه ، بينما فرعنا إلى الآن لا يزال حياً . صحيح لم يعد يثمر ما يؤكل ، فلم يعد أبى يقوى على طلوع الجميزة ، وأولاده أصبحوا موظفين فى البندر ، ولكنى لازلت أذكر كيف مات فرع العم . شيئاً فشيئاً بدأنا وقد كبرنا ، نلحظ أن كثيراً من أغصانه تذبل والأوراق العريضة فى الأفرع الحية تضمر ، ثم يموت الغصن وقد ماتت أوراقه ، ثم إذا بالفرع كله يؤوب إلى جفاف رغم أن ابنه طالب الزراعة فعل المستحيل ورجع إلى المراجع ، وناقش الأساتذة ، ولكن الفرع يظل سادراً فى ضموره وجفافه رغم استماتة ابن عمى فى علاجه ، ذلك انه كان يعتبره شيئاً من رائحة أبيه عمنا الهادى ذلك الذى كان قد مات . مات فى ذلك العام الذى بلغ فيه فرعه منتهى ازدهاره ، وثمره ، حتى لقد شبعنا جميعاً من ثمره ، وباع عمنا منه عشرة أقفاص ، حلاوة الثمرة منها تسكر . فى نهاية ذلك العام بالضبط مات عمى . وحين جاء العام التالى وجاء الربيع لم يحدث ما كان دائماً يحدث . فلا الأغصان هاشت فجاة وتكاثرت أوراقها بشدة ، ولا ثقل الفرع بالثمر ، وإنما كاد يماثل فرعنا فى فقر أوراقه وثمره . وفى العام التالى بدأ الذبول والجفاف ، وفى الثالث مات الفرع . وحزنا عليه جميعاً ، حتى أبونا الذى لم يبك عمى كثيراً ، كادت تدمع عيناه ، وهم ينشرون الفرع الضخم ، ويسقطونه ليبيعوه خشباً .

وتمتم أبى لنا مرة : كنت اعرف انـــه سيموت بموته . وحدقت فى وجه أبى الطيب الحافل بالتاثر ، واحسست انى أرى له وجهاً لم أره من قبل ، فكلماته تلك بعد أن درست وتعلمت بدت لى وكأنها تنطق فجاة بقانون من قوانين العلوم التى كنا ندرسها ، وتبهرنا كان يعرف أن الفرع سيموت بموته .

احقاً كان أبى يعرف ؟!

فبالأمس فقط قرأت احـــدث بحث عن « الحياة الاجتماعية للنبات » وكيف أن النبات مثله مثل الانسان والحيوان ، يحس ويدرك بطريقة ما كنه ما حوله ، بل إن حياته أو موته تعتمد على طريقة معاملته ، أو وجوده وحيداً بعد أن تهلك مثيلاته من حوله .

انى لهؤلاء النـــاس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة حتى ، بالنطق باحكام ومقولات هكذا بالسليقة ، وبلا وعى ، لا تدرك قيمتها إلا حين ناتى بعلومنا التجريدية الحديثة ونغير نظرتنا للكون فنكتشف بوسائل علمنا تلك أن ما قالوه بالسليقة هو حقيقة علمية لم نكن نراها لأننا لا نرى ابعد من النظرة المحدودة التى تهيئها لنا وسائلنا للمعرفة تلك التى يبدو انها لا تزال بدائية جداً رغم فخرنا اننا بلغنا أقصى درجات الادراك .

ذلك الذى كان قد مات ، مات فى نفس العام الذى بلغ فيه فرعه منتهى ازدهاره وثمره ، حتى لقد شبعنا منه جميعاً ، وباع عمنا منه عشرة « اقفاص » حلاوة الثمرة منها تسكر . فى نهاية ذلك العام بالضبط مات عمى . وحين جاء العام التالى وجاء الربيع لم يحدث ما كان دائماً يحدث ، فلا الأغصان هاشت فجاة وتكاثرت أوراقها بشدة كما تعودت أن تفعل ، ولا ثقل فرع عمى المرحوم بالثمر ، وإنما الذبول والجفاف وتوقف الحياة ، وفى الثالث مات الفرع . والحق أن منظره وهو جاف همذا ميت قد تحنطت أوراقه التى كانت ذات يوم ملعلعة الخضرة ، كان يصيبنا باللوعة ، ويصيب أبانا بالتعصب وهو ـ الذى لم يبك عمى كثيراً حين مات ـ كان حين يرى الفرع يتمتم لا حول ولا قوة إلا بالله ، وتحمر عيناه ، وتهدد دموعه بالانبثاق .

وكانت مناحه من أولاده ومنا ، يوم قرروا بيع الفرع خشباً ، ووقفنا جميعاً نرى المنشار الضخم الغليظ وهو يقطع الفرع بكل حمله من أغصان ميتة .

وبقى فرعنا لم يمت ، ضامر الأوراق ، ضامر الثمر ، حتى بعناه لأولاد عمنا الذين احترفوا مهنة الزراعة .

وفوجئنا ذات صيف أن فرعنا الواهن شبه الميت ذاك قد دبت الحياة فى أوراقه وفروعه وثماره ، وزالت دهشتنا حتى وجدنا ابن عمنا محمد الذى سمى على اسم أبى ولكنه ورث خصال أبيه ، وقد كادت أوراق الجميزة تحجبه عنا ، ولكن عينى أبداً لم يفتهما أن تلاحظا انه كان تماماً مثل أبيه قد خلع جلبابه و « شمر » سرواله الطويل ، وحفل وجهه بسعادة ، وهو برقة يمسك الثمرة الخضراء ويعرف من أين بالضبط يختننها . وفى لمحة البرق وسرعة الساحر يمر بسيف مطواته قرن الغزال على مكان ختانها المضبوط ، ثم يرنو إلى الجرح الباهر العميق الذى أحدثه ، ويتامل أعضاء تانيثها الداخلية الحافلة بعذرية شحوب العذارى .

أبداً لم يفتنى منظره ،وفرعنا يستجيب له ويخضر ويمتد ويمتلىء بعد هذا بالثمر الأحمر الناضج .

ولكن التختين قد تحول دمه الأخضر فى فتحة قديمة اغمق لونها حتى اســـود احمراراً .

د . يوسف ادريس



كيف تظهر المواهب في المعهد الموسيقى القطري ؟

# هنا يعيشون مع الموشحات الأندلسية والتراث الفني للخليج



أصغر عازف قانون .. يوسف السليطى الذى شد انتباه الحاضرين فى الحفل الموسيقى

كانت مفاجأة معهد الموسيقى القطرى اثناء تقديم حفلته على مسرح قطر الوطنى هو عازف القانون يوسف السليطى الذى لم يتجاوز عمره العاشرة ورغم ذلك ظهرت امكانياته الفنية بصورة شدت انتباه كافة الحاضرين وجعلتهم يتوقعون لصاحب هذه الموهبة المبكرة مستقبلا عريضاً فى السنوات القادمة !

وقد أدى الأداء الجيد لهذا الفتى الصغير - بالاضافة إلى ما قدمه زملاؤه وأساتذته من ألوان شرقية جذابة فى الحفل - إلى أن تدفق على المعهد الكثير من أولياء الأمور يطالبون بضم أولادهم إلى الصفوف الدراسية ، ووعدهم مدير المعهد حامد نعمة بأن يحقق طلبهم مع بداية العام الدراسى الجديد القادم ، خاصة وأن المعهد

أصبح اليوم قادراً على استيعاب الأعداد الكبيرة بعد أن توفرت له كافة الامكانيات الفنية والبشرية !

## المواهب المبكرة

والواقع أن اتجاه معهد الموسيقى القطرى إلى تبنى هذه المواهب منذ نعومة أظافرها سيضعه على الطريق الصحيح ، وسيجعل عطاؤه مثمراً ، فالطفولة هى الأرض الخصبة التى نستطيع من خلالها أن نكتشف أصحاب المواهب المبكرة ، وننمى

**● عازف قانون عمره عشر سنوات يشد انتباه المتفرجين بموهبته المبكرة ● ● مطلوب من معهد الموسيقى القطرى أن يتجه بكل قوته نحو البراعم الجديدة ليملأ حياتنا بأعذب الألحان ! ● ● ● مدير المعهد يقول : الموسيقى العربية وحدت عواطف الشعب العربى وارتبطت بأحداث الأمة العربية ومشاعرها الفياضة ● ● ● ● مطلوب امتحانات فى الموسيقى العربية حتى لا يعود الدارسون فى الخارج وهم مجرد « خواجات » فى الموسيقى !**

كمال سعد



البراعم القطرية أثناء التدريب على الآلات الموسيقية داخل معهد الموسيقى

فيهم - بالدراسة - الفهم الفنى السليم الذى يحرك فينا - كما قال أفلاطون - اسمى العواطف الانسانية !

إن استعراض بسيط لأهم أعلام الموسيقى والغناء فى الشرق والغرب يجعلنا ندرك مدى ضرورة الاهتمام بالبراعم الجديدة واعطائها نصيب الأسد من مقاعد معهد الموسيقى فى قطر .. فالموسيقار العالمى بتهوفن كان فى طفولته معجزة ، وكان فى الحادية عشرة من عمره لا يتعلم شيئا غير الموسيقى ، ولهذا ما إن وصل إلى الرابعة عشرة من عمره حتى كان يدرب المغنين على خشبة المسرح بعد أن ملأت شهرته الأسماع .. والموسيقار الألمانى العملاق برامز استطاع أن يلفت نظر والده الموسيقار إلى عبقريته المبكرة وهو فى الرابعة من عمره واستطاع أن يسيطر على آلة البيانو وهو مازال دون العاشرة .. وكذلك تشايكوفسكى الذى بدأ دروسه المنتظمة فى العزف على البيانو وهو فى السابعة من عمره .. وفرانز ليست الذى قدم حفلات جماهيرية ناجحة فى فيينا فى سنوات طفولته المبكرة .. ثم هناك شوبان الطفل الهزيل الضعيف الشاحب الذى تفجرت عبقريته فى العزف على البيانو بصورة مذهلة .. والموسيقار الأسبانى الشهير مانويل ماريا دى فايا الذى علمته أمه العزف على البيانو وهو فى السادسة ، اشترك فى احتفال عالمى وهو فى الحادية عشرة من عمره !


محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام


شاهين الكوارى
مساعد وكيل وزارة الاعلام


عبد الرحمن نعمة جابر
مدير الشئون الثقافية


عبد الرحمن المعضادى
مدير الاذاعة


حامد نعمة
مدير المعهد الموسيقى


عبد العزيز ناصر
مراقب الموسيقى والغناء

اعضاء مجلس إدارة معهد الموسيقى بالدوحة

وغير هؤلاء هناك امثلة عديدة ، نجد منها الكثير فى عالمنا العربى . مثل الفنان سلامة حجازى الذى تتلمذ فى طفولته على يد كبار المنشدين الذين استطاعوا ان يوجهوه التوجيه الفنى السليم الذى قاده فيما بعد إلى الذيوع والشهرة .. ومثل الموسيقار خالد الذكر سيد درويش الذى كان له صوت موهوب جميل وهو فى التاسعة من عمره ، وكانت موهبته المبكرة سببا فى اجتذاب الفرق الكبيرة إلى صوته ، فسافر معها إلى العالم العربى وهو فى السابعة عشرة من عمره ، واثناء رحلاته هذه التقى باستاذ الموسيقى والغناء السورى عثمان الموصيلى الذى كان له اثر كبير فى توجيهه واهتمامه بالدراسات الفنية التى جعلت منه علماً من أعلام الموسيقى والغناء .. وهناك ايضا زكريا احمد الذى درس فى طفولته فن التواشيح على يد أستاذه درويش الحريرى وكان لذلك أثره الكبير فى شق طريقه نحو القمة باقدام ثابتة .. وكذلك الموسيقار محمد القصبجى الذى تاثر بفن والده الشيخ على القصبجى وتعلم منه الأوزان الموسيقية فى سنوات حياته الأولى ليصبح فيما بعد فى نظر المؤرخين احد الذين نهضوا بفن الموسيقى العربية .. واخيراً هل ننسى ان رياض السنباطى الذى تعلم العزف على العود وهو فى الثامنة من عمره ليصبح بعد ذلك استاذاً فى مادة العود فى معهد الموسيقى وليصبح الع ملحنى الأغنية العربية والشرقية ؟ !

إن كل تلك الأمثلة وغيرها العديد ، تقودنا إلى حقيقة واحدة ، تعبنا من كثرة ترديدها ، وهى أن التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر ، ولذا فان مهمة معهد الموسيقى القطرى – اولا وقبل أن القى الضوء على كافة نشاطاته – لابد أن تتجه بكل ما تملك من طاقة وامكانيات نحو البراعم الجديدة ، التى هى البذرة الصالحة القادرة على إنبات الزهور التى تملأ حياتنا بالألوان والمتع الذهنية السامية !

## الفنان والجمهور

داخل المعهد الموسيقى فى قطر يمكنك أن تحس بنبض الفن عندما يسيطر على اجواء اى مكان .. فالانغام الشجية .. وسحر الموسيقى .. ووسائل التدريب المختلفة على الآلات الموسيقية .. كل ذلك وغيره يعطى للحياة الدراسية فى هذا المكان مذاقا خاصا ومدلولا يختلف تمام الاختلاف عما تعودناه فى مدارسنا العادية المالوفة !

مدير المعهد حامد نعمة ، شعلة من نشاط طموحه لا يتوقف عند حد ، فهو يريد أن يرى المعهد منارة فنية لا تشع على الخليج وحده ولكن على كل أنحاء العالم العربى !

قال لى أن الفن الموسيقى والغنائى وسيلة من وسائل التعبير التى تتغلغل بصورة واقعية وحية فى جميع نواحى الحياة ، ومن هنا تاتى اهمية هذا المعهد ، لان رسالته تكمن فى اكتشاف المواهب الفنية وصقلها بالدراسة حتى نرى الفنان المعبر بصدق عن آمالنا وأفراحنا واحداث حياتنا الوطنية والقومية ، فالفن موهبة خاصة ومنحة ربانية يجود بها الزمن على اشخاص وهبهم الله هذه الميزة كنعمة من نعمائه ، وبالطبع كلما جمع الفنان بين الموهبة والدراسة كلما اعطى لنفسه فرصة اكبر فى تحقيق طموحاته نحو التالق والخلود !

وقلت له : وبالاضافة لذلك فان اى دارس لتاريخ الموسيقى والغناء فى السنوات الماضية يمكنه أن يدرك أن الموسيقى العربية استطاعت أن توحد عواطف الشعب العربى لأنها اجتازت كافة حدودنا العربية بدون اية حواجز او جوازات سفر ، بل واصبحت قوية الصلة بكل احداث الأمة العربية ومشاعرها الفياضة ..

وقال لى : نعم .. فهناك عشق متبادل بين الشعب العربى والفنان العربى فى أى مكان من وطنه الكبير ، فهو الذى يشيع فى القلوب السعادة والمودة والصفاء ، وهو الذى يعبر عن كافة الاحاسيس الدفينة والنبضات الحية الدافئة التى تثير فى العقل والقلب معاً متعة الشجن وعذوبة ورقة المعانى وجمال الأداء !

## داخل المعهد

وهنا قلت له : إذن فلنترك احساسك بالفن بصفة عامة وانعكاس ذلك على هذا الصرح الفنى الجديد ، لنسالك عن الأنظمة المتبعة فى هذا المعهد ؟

وقال لى : باختصار .. كان افتتاح المعهد

فى عيد الموسيقى والموسيقيين ، وذلك فى أول اكتوبر عام ١٩٨٠ .. وكان الغرض من انشائه - بالطبع - هو الارتقاء بالموسيقى والوعى الموسيقى وتخريج الدارسين الأكاديميين وتدريب الكوادر الفنية ورعاية المواهب والاهتمام بالتراث والبحث الفنى وتعزيز العلاقات فى مجال الفن الموسيقى ..

وكما نعرف فان هذا المعهد انشىء بقرار من صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى ، وبموجب هذا القرار اصبح المعهد تابعاً لوزارة الاعلام مع تمتعه - فى نفس الوقت - بدعم من وزارة التربية والتعليم ..

وقد رأى سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام ان يكون للمعهد مجلس ادارة لمتابعة كافة النواحى المتعلقة بتطويره ، واصبح له فعلا مجلس ادارة برئاسة الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام وعضوية كل من السادة : شاهين الكوارى مساعد وكيل وزارة الاعلام ، عبد الرحمن نعمة جابر مدير الشؤون الثقافية بوزارة التربية والتعليم ، وعبد الرحمن المعضادي مدير الاذاعة ، وعبد الحميد نعمة مدير معهد الموسيقى ، وعبد العزيز ناصر مراقب عام الموسيقى والغناء ..

وعدت أسال مدير المعهد عن الامكانيات المتاحة داخل المعهد من أساتذة وموسيقيين ومكتبة وآلات ، فقال لى : يضم المعهد أساتذة خبراء فى الموسيقى ، لديهم تخصصات فى التدريس والتوجيه الفنى ..

ويضم المعهد مكتبة بها أكبر المجموعات الموسوعية فى الموسيقى وأهم التسجيلات المسموعة المنوعة فى الموسيقى والغناء فى العالم .. وبالمعهد امكانية للتدريب على كافة الآلات الموسيقية لأن به تخصصات موسيقية فى العزف على الآلات الوترية وآلات النفخ والايقاع والغناء ..

وعندئذ كان لابد أن أسال حامد نعمة مدير المعهد : لماذا لا يقوم المعهد بدوره فى اكتشاف المواهب الفنية وتنميتها فى المدارس القطرية .. وفى جامعة قطر أيضاً ؟

وقال لى : هذا يحدث فعلا .. فالمعهد يتولى الاشراف والتدريس الموسيقى لطلبة من جامعة قطر ووزارة التربية والتعليم وذلك ضمن خطة الدراسات الحرة المسائية ، فالمعهد يوجد به قسمان للدراسة ، احدهما نظامى يؤهل للحصول على الثانوية الموسيقية كمرحلة أولى لاستكمال الدراسة فى الخارج ، والآخر للدراسات الحرة المسائية التى هى عبارة عن دورات دراسية مدتها ثمانية شهور .. ولمعلوماتك فان المعهد يمنح دارسيه امتيازات تشجيعية عديدة ، كما يمنح بعض مقاعده الدراسية لأبناء الأشقاء العرب المقيمين ، اضافة إلى المنح الممنوحة لأبناء الدول العربية والصديقة ..

● وهل كانت حفلة ٢٢ فبراير . هى الحفلة الأولى للمعهد ؟ ..

- بالطبع لا .. فقد قام المعهد باول حفل مشترك فى الدوحة مع الأوركسترا السيمفونى لمقاطعة أفون البريطانية فى ٢٢ ابريل عام ١٩٨١ .. كما قام باول رحلة فنية فى الخارج إلى بريطانيا فى أوائل هذا العام وقدم خلالها حفلين موسيقيين ناجحين ، احدهما فى لندن والثانى فى بريستول ، وذلك فى اطار البرامج والعلاقات الفنية الثقافية للمعهد .. وقد استطعنا بهذه الحفلات الخارجية ان نحقق كسباً اعلامياً لدولة قطر وللعالم العربى .. ويكفينا انه بعد هذه الحفلات تاتينا طلبات من مناطق مختلفة فى العالم لتقديم حفلات مماثلة ، وقد كان آخرها ما جاءنا من بريطانيا ومن سفارتنا فى بون التى طلبت تقديم برنامج لنا فى عاصمة المانيا الاتحادية .. وهذه الطلبات وغيرها ما هى إلا دليل على أهمية الدور الثقافى والاعلامى الذى يمكن للموسيقى ان تلعبه فى عالمنا المعاصر ..

## التذوق الفنى

وفى داخل فصول المعهد يجمع الطلبة على ان امنيتهم أن يحملوا لواء الفن النابع من بيئتهم وتراثهم الخالد وان يعبروا بصدق خلال رحلتهم الفنية القادمة عن الأساس السليم للفن العربى بصفة عامة والخليجى بصفة خاصة ..

وعندما يتحدثون عن برامجهم الموسيقية فانهم يتحدثون فى اعتزاز عن ما يدرسونه من أساسيات وقواعد موسيقية وآلات يتدربون عليها فى عشق وحب .. ودراستهم لا تنحصر فى المواد الموسيقية فقط ، فهم مطالبون بدراسة المواد الدراسية المقررة على المدارس العادية ..

وعرفت من هؤلاء الطلبة انهم تعودوا على التردد على المكتبة الموسيقية لما تضمه من اسطوانات وكتب مختلفة عن الموسيقى .. وهذا بخلاف مادة التذوق الموسيقى التى يتدربون عليها فى قسم الاستماع الموسيقى الذى يعود الطالب على كيفية الاستماع للموسيقى بفهم وتحليل وقدرة على الاستيعاب !

وأثناء وجودى بين الطلبة فى المعهد ، اكتشفت أن هناك أباً يدرس الموسيقى فى الدراسات الحرة ، بينما ابنه يدرس أيضاً - فى الدراسات المنتظمة .. الأب اسمه : جاسم الساعى .. والابن اسمه : ناصر جاسم الساعى .. والآلة التى تجمع بين هوايتهما هى : الكمان !

كبار الموسيقيين العرب أعضاء فى هيئة التدريس بمعهد الموسيقى


أحمد الحفناوى


عبد الفتاح منسى


محمد حجاج


محمود القصبجى


عبد العظيم محمد


د. عبد الرحمن ابراهيم


حسين سيف


محمد عبد النبى


عماد الدين عاشور





# هنا يعيشون مع الموشحات الأندلسية والتراث الفني للخليج

الفنان الكبير أحمد الحفناوى وخلفه طلبة المعهد اثناء حفلهم الموسيقى فى لندن .. ثم لقطة للجمهور الذى حضر هذا الحفل

## النغم والايقاع فى الموشحات

وأى استعراضٍ لأسماء اساتذة معهد الموسيقى القطرى ، يجعلنا ندرك أن هذا العدد من الأسماء المعروفة فى عالم الموسيقى قد لا يتوفر اليوم فى اعرق المعاهد الفنية فى العالم العربى .. فمن بين هذه الأسماء عبد العظيم محمد استاذ مادة الموشحات والغناء ، واحمد الحفناوى ومحمود القصبجى وحمدى عيد ومحمد حجاج أساتذة آلة الكمان ، ومحمد قطر وعماد عاشور وكلاهما أستاذاً لآلة الفيولونسيل ، ثم د . عبد الرحمن ابراهيم استاذ آلة الكونترباص ، وعبد الفتاح منسى استاذ آلة القانون ، ومحمد عبد النبي استاذ مادة الناى والفلوت ، ود . فاروق عمار ورياض حسن وكلاهما أستاذاً لآلة العود ، وحسين سيف أستاذ آلات الايقاع ، ود . سوسن عبد العال وأمل طايع وعائشة اساتذة آلة البيانو ..

وعندما سألت الملحن المعروف عبد العظيم محمد عن أهمية الموشحات كمادة يدرسها للطلبة فى المعهد ، قال لى ان الموشحات هى الأساس الطبيعى لتنمية القدرات عند المغنى أو العازف ، فالموشح عبارة عن نغم وايقاع ، ومن النغم يعرف الطالب طريقة أداء الالفاظ والخط الشرقى عموماً ويشبع أذنه بالنغمات الشرقية .. ومن الايقاع يتدرب على ايقاعاتنا الشرقية ويركز عليها ، خاصة وأن الموشحات من أقدم أنواع المؤلفات الغنائية ، فقد ابتكرها الأندلسيون فى القرن التاسع الميلادى ، وقال ابن خلدون أن أول من سبق إلى ابتداعها هو مقدم بن معافر من شعراء الامير عبد الله المروانى ، وكان الغرض من ابتداع الموشحة هو التحرر بالموسيقى من قيود الأوزان الشعرية المعروفة حتى يتوفر لها ما يمكنها من تصوير مختلف العواطف بألحانها تصويراً صادقاً ومتحرراً .. وقد انتقلت الموشحة من الأندلس الى شمال افريقيا فى القرن الخامس عشر لتنتشر وتصبح أساساً للموسيقى العربية ونبعاً لأغانيها واهازيجها ، وبذلك اعتبرت مدرسة قائمة بذاتها !

وقلت له : وهل يقال الموشح فردياً ؟ ..

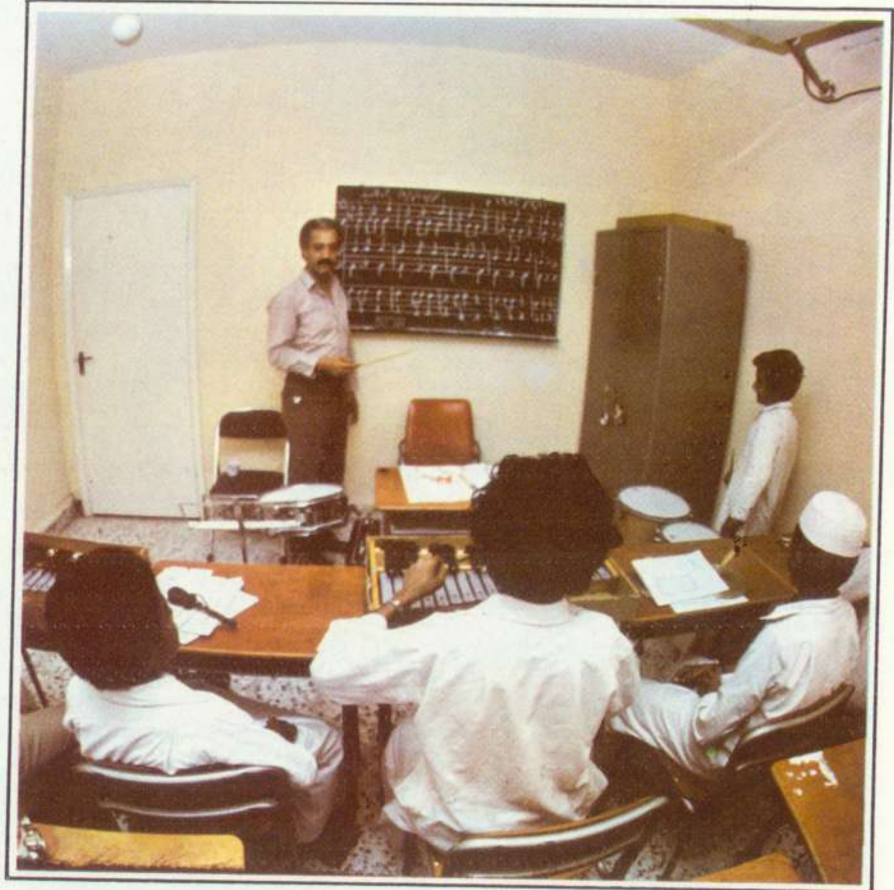
وقال لى : فى حالات نادرة جداً ، فالموشح أصلا يؤدى فى مجموعة لاحداث الفة بين المجموعة وبداية للتعايش مع بعضهم البعض ككل !

وقلت له : ولكن .. ما علاقة فن الموشح بفنون الخليج ؟

وقال : لاشك أن أى أذن شرقية تستسيغ هذا اللون من التراث ، والدليل على ذلك أن المعهد قدم فقرات ناجحة فى فواصل من الموشحات المختلفة فى حفلته الأخيرة كما أننا عندما ننظر إلى المنطقة فاننا سنجد تراثها الخليجى الملىء بالايقاعات المختلفة ، فالمتفق عليه أنه لا توجد اختلافات فى النغمات الشرقية ولكن الاختلاف فقط فى الايقاع ، ولذلك فان دراسة الموشح تفيد كثيراً فى الأداء الخليجى وتعمل على تطويره

قلت له : إذن إلى جوار الموشح ، لماذا لا يدون التراث الموسيقى والغنائى فى الخليج ؟ ..

وقال لى : يقوم المعهد بتدوين التراث القطرى ، ومن هذا التدوين استطعنا أن نقدم أشياء بشكل واحد ، وبعد عملية



بعض طلبة المعهد يستمعون إلى الشرح النظرى الذى يهدف إلى تنمية التذوق الفنى بالقراءة والاستماع

التجميع والأداء الجماعى الجميل الذى لا حظه الجمهور فى الحفلات السابقة ، سيتبع هذا خطوات سواء من الناحيــة الأوركسترالية أو الغنائية ، وهذا بالطبع يحتاج إلى بعض الوقت .. وكل ذلك مع ملاحظة أن هناك ألواناً تقدم فى الغناء القطرى .. وأحب أن أشيد بفنانين كبيرين هما حامد نعمة وعبد العزيز ناصر ومعهما الملحن حسن على .. فاعتقد أن النهضة على اكتاف هؤلاء لأنهم يتبنون مجموعة الأصوات الموجودة ويركزون عليها بهدف وضعها على مستوى العالم العربى !

وهنا قلت لعبد العظيم محمد : على ضوء حديثك عن الأصوات الجيدة هل يمكننـــا التعرف على الذين يأتون فى المقدمة .. وما هو المطلوب لتحقيق الانتشار لهذه الأصوات القطرية ؟

وقال لى : من بين هذه الأصوات علي عبد الستار وفرج عبد الكريم وجمال محمد وصقر صالح .. والواقع أن الملحنين هنا يركزون على الايقاع الخليجى مع التطوير فى الجملة الغنائية وهذا مطلوب على المستوى المحلى والعربى لأن الفن لغة عالمية ، وكلما كان قادراً على الانتشار فى الداخل والخارج كلما حقق هدفه الانسانى النبيل !

## « خواجات » الموسيقى

وعندما التقيت بعبد الفتاح منسى أستاذ آلة القانون ، وجدته يطالب جميع المعاهد الموسيقية فى العالم العربى - بما فيها معهد قطر بأن تزيد عدد الحصص بالنسبة للتخصص فى الآلة الموسيقية ، لأن أى دارس عندما يعزف مقطوعة موســـيقية عالمية يتمكن يمكننا أن نطلق عليه لقب موسيقى أو فنان ، لأن رسالة هذه المعاهد هى بأن تخرج لنا الفنان الذى يشترك بآلته ويبدع فيها ، وليس الفنان الحاصل فقط على شهادة !

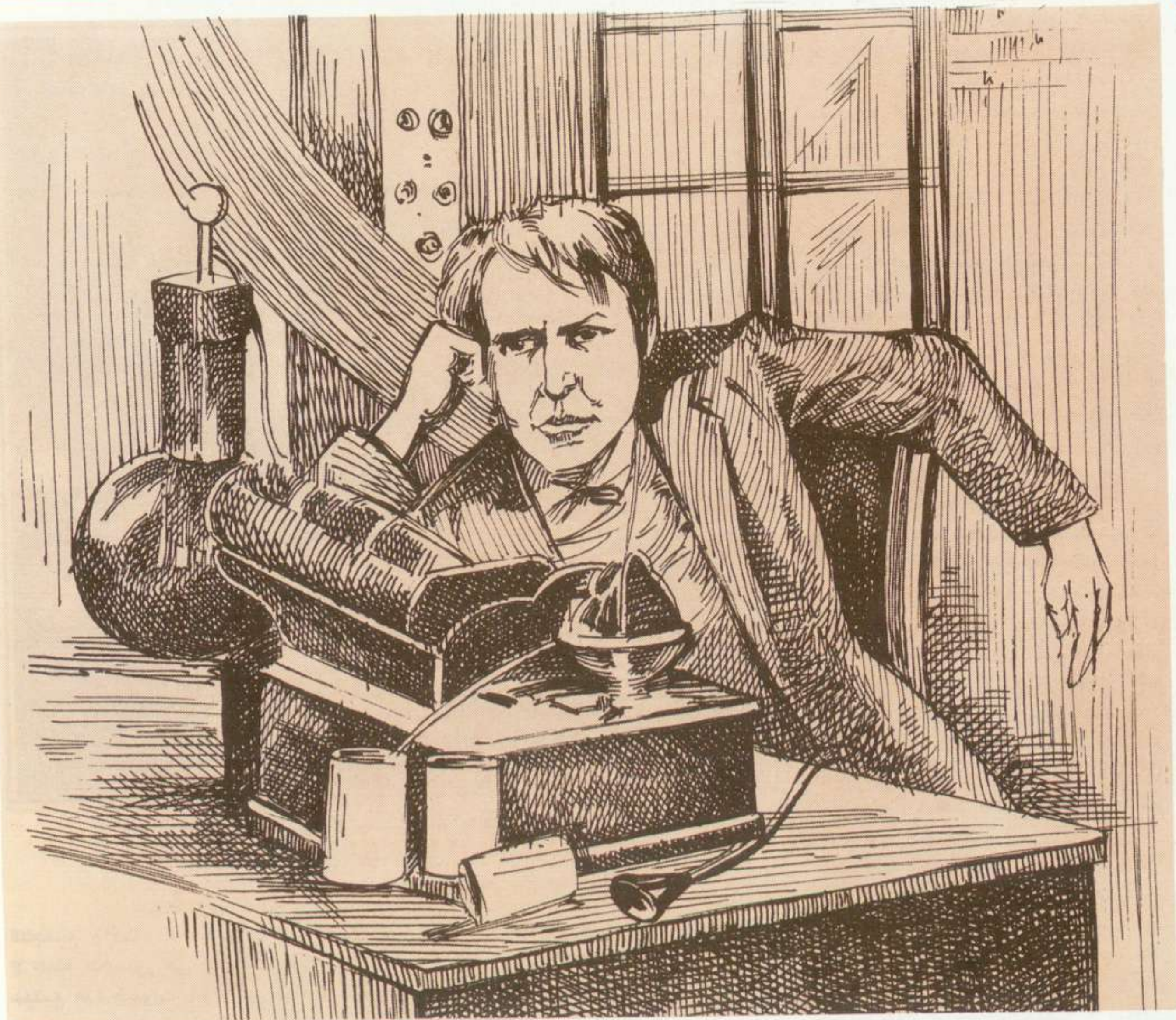
وهو يطالب - أيضاً - كل المعـــاهد الموسيقية فى العالم العربى ، حينما تبعث أبناءها للعالم الغربى للحصـــول على شهادات علمية فى قيادة الفرق الموسيقية والأوركسترالية ، بأن تمتحن هؤلاء الطلبة أمام لجنة من كبار المثقفين والدارسين للموسيقى العربية ، حتى يعودوا لاستخدام مادرسوه فى خدمة لغتهم العربية فى الموسيقى مثلما فعل المايسترو عبد الحليم نويره وكذلك عطيه شرارة اللذين لم يفعلا مثل غيرهم من الذين عادوا بعد الدراسة فى الخارج « خواجات » لأن بناءهم فى الموسيقى العربية كان ضعيفاً !

أما أحمد الحفناوى أستاذ آلة الكمان فقد قال لى أن المعهد يركز اليــوم على الاحتياجات الأساسية كالنوتة والقواعد والنظريات الغربية والشرقية وغيرها ، كما أنه يركز على البراعم الجديدة وتوفير كافة الآلات الغربية والشرقية .. وذلك من أجل بناء الإساس السليم الذى يجعل من هذا المعهد منارة هامة للفن فى المنطقة !

وبينما يرى محمد حجاج أستاذ آلة الكمان أنه كأستاذ زائر ينصح بأن يتحول معهد الموسيقى فى قطر إلى معهد عالى للموسيقى وتكون مدته سبع سنوات بدلا من ثلاثة حتى يستكمل كل عناصره ويعمل على تخريج الفنان الذى لا يحتاج لأى دراســة تكميلية فى الخارج إلا فى حدود ضيقة جداً .. بينما يرى ذلك .. نجد حسين سيف أستاذ آلات الايقاع يقول بأن الكثيرين يتصورون أن قسم الايقاع بالمعهد خاص بالطبل والمرواز والدف فقط وهى الايقـــاعات الخليجية ، بينما هناك آلات إيقاعية تصل إلى ١٨ آلة تمثل الآلات الايقاعيـــة للأوركسترا السيمفونى الكلاسيك .. وأهمية هذا القسم تعود إلى أن الايقاع هو أساس أى فرقة موسيقية .. ودائماً يطرح لأى فنان سؤال يقول ما هى الموسيقى ؟ فيقول : الموسيقى إيقاع ونغم .. إذن الايقاع أولا ثم النغم .. وبدون ايقاع لن يكون هناك النغم .. ولذا فالمطلوب ليس مجرد الاهتمام بالايقاعات الخليجية وتقديمها بصورتها الشعبية كما هى ، ولكن لابد من تطويرها وتقديمها بصورة تتناسب مع العصر ولا تشوه جذورها الأصيلة !

ويطول الحديث مع أساتذة المعهد .. فكل منهم يحتاج الى لقاء خاص .. فكلهم .. بلا استثناء - موسوعات فى مجال تخصصاتهم .. وهذا الاحساس الذى عشته يجعلنى متفائلا بأهمية الدور الفنى والثقافى الكبير الذى يستطيع أن يقوم به هذا المعهد الموسيقى فى خلق جيل جديد يعبر - بعمق - عن عواطفنا النبيلة ويلقى الضوء على روعة الجماليات الموسيقية فى حياتنا وتأثيرها فى دفع عجلة الحياة إلى الأمام ! •

كمال سعد



المخترع العظيم أديسون الذى اخترع الحاكى والمصباح الكهربائى

# كبير المخترعين وسرّ عبقريته

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

بدأت حياة « توماس أديسون » طفلا يريد أن يجرب كل شيء بنفسه .. يسأل عن كل ما يراه . كانت حياته تفكيراً دائماً .. وعملا بلا يأس .. وقراءة بلا انقطاع ، وكبر مع الأيام حتى أصبحت حياته كلها سلسلة اختراعات وابتكارات .

اخترع لنا الحاكى والمصباح الكهربى ، ولذلك وصفه الشاعر العربى قائلا :

باعث النـــور لا معاً كالدرارى
حافظ الصـوت أن يضيع ويمضى

وبجانب ذلك قدم لنا مئات الاختراعات والابتكارات .

وإذا كان « شول » اخترع الآلة الكاتبة الأولى فان « اديسون » هو الذى هذبهـــا وحسنها .

وإذا كان « جراهام بل » هو الـــذى اخترع المسرة فان « أديسون » هو الـــذى اخترع جهاز تقوية الصوت حتى يصبح واضحاً مسموعاً .

كان « أديسون » ينجح نجاحاً عظيماً فى اى فرع يختاره ، ولم يفشل فيما زاوله من أعمال حتى فى صباه ، وذلك لمقدرته التى لا حد لها على العمل ، ولعزيمته القوية .

كان لا يصبر على الوقت ، كان يلتهمه التهاماً . كان يعمل عملا متصلا ، كانما يريد أن يعمل فى الساعة الواحدة ما يعمله الناس فى عشر ساعات ، كان يكره أن يغيب عنه حل مشكلة علمية ، فتضيع عليه أسبوعاً واحداً بغير جدوى .

وهذه الروح التى تضيق بالوقت ضيقاً ، وتكره ضياعه لم تمنعه من أن يكون صبوراً طويل الأناة فى دراساته وبحوثه ، وقد سئل فى أواخر حياته عن سر نجاحه فقال : كثيراً ما كان يخيل إلى ، وانا احاول اجتياز المرحلة النهائية فى سبيل اختراع ما ، أن حائطاً من حجر الجرانيت ارتفاعه مائة قدم يعترض سبيلى ، على أننى فى هذه الحالة كنت أمضى فى محاولاتى ، ولا أكف عن معاودة الكرة مثنى وثلاث ورباع ، حتى ينهار حائط الجرانيت الذى اعترض سبيلى .

إننى لا أسمح لنفسى أن تيأس ، أو يدب إليها القنوط على أية حال ، وإن كثرت المرات التى ينالنى فيها الاخفاق .. وأذكر مرة ونحن نجرى تجربة ما ، أننا كنا على يقين أنها ستسفر عن النجاح التام ، ولكنها انتهت بالاخفاق ، وعاودنا التجربة مئات المرات ، والنتيجة هى هى لم تتغير ، مما أضعف عزائم من يعاوننى فى العمل ، فاشتد ضيقهم ، وتسرب اليأس إلى قلوبهم ولكننى أكدت لهم ، باسماً مستبشراً ، اننا لم نخسر شيئاً ، لأننا تعلمنا أن الطريق الذى سلكناه فى حل المسألة لم يؤد إلى قمة الجبل ، لقد كنا نتعلم من الاخفاق بقدر ما نتعلم من النصر الباهر .

وعاد أحد الصحفيين يسأل «أديسون» مرة أخرى عن سر عبقريته .. هل نبعت من ذكائه أم من عمله الدائم المتصل ؟ فأجاب :

« لا يسهم الذكاء فى تكوين العبقرية وتحقيق النجاح إلا بمقدار عشرة أجزاء من مائة جزء .. أما التسعون الباقية فهى تعب وعمل وكفاح مستمر » .

ولهذا سمى « أديسون » بالدينامـــو البشرى إشارة أنه كان لا يكل من العمل ولا يمل .

وسئلت زوجته مرة عن حبه للعمل الدائم فقالت :

ينهض زوجى من نومه الساعة السابعة ويتناول طعام الفطور الساعة الثامنة ، ويذهب إلى مختبره الساعة التاسـعة ، وعندها يبدأ أعمال اليوم مع أربعة من مساعديه ، ويندر أن يأتى الى البيت لتناول طعام الغذاء ، وقلما يأتى للعشاء ، وكثيراً ما تمر ساعات الليل الأولى وهو على هذا الحال ، وفى نصف الليـــل أدعـــوه بالمسرة فيرد قائلا :

– سآتى سريعاً .. لقد كدنا ننتهى من العمل .

لكنه لا يأتى .. وفى الساعة الثالثة صباحاً أعيد الكرة وأقول له :

– ترفق بصحتك يا أديسون .



كانت المطالعة والبحث هما العمل الدائم لتوماس أديسون

فيجيب قائلا :

– إننا على وشك الانتهاء .

فأسأله :

– هل أكلت شيئاً ؟

فيجيب :

– أنه سيفكر فى الأمر .

ثم يضحك قائلا :

– إننا لم نأكل .

فأعرض عليه إعداد بعض «الشطائر» ، وقبلما يجيب معتذراً أقفل « المسرة » حتى لا أسمع منه كلمة « لا » .

وكثيراً ما يقضى « أديسون » فى مختبره ثلاثة أيام متوالية ، يستريح فى خلالها فترات لا تزيد الواحدة منها على عشرين دقيقة .. ينهض بعدها لاستئناف العمل .



ولا يمكن عند استعراض دعائم نجاح « أديسون » كمخترع عظيم وعالم جليل أن نغفل حبه للقراءة .. لقد كان قارئاً من الطراز الممتاز ، وبذلك استطاع أن يلهم بكل صـــغيرة وكبيرة فى دنيـــا العلوم والرياضيات ، وقد وصف « أديسون » أهمية القراءة فى حياته فقال :

« لم أتلق فى حياتى علوماً رياضية على يد مدرس ، ولم أدخل مدرسة ثانوية إطلاقاً ولكننى تعلمت ما تعلمته عن طريق المطالعة وحدها ، وبرغم اختراعاتى لم أكن متخصصاً فى علم الرياضيات ، ولكننى كنت أستطيع حل معظم المسائل الرياضية العالية ، بفضل دراستى الخاصة » .

وقد سئلت زوجته عن حبه للقراءة ، فقالت :

« المطالعة عمله الدائم ، وكان يقضى عدة ساعات كل يوم باحثاً فى كتب العلم والتراجم ، فاذا تعب من موضوع علمى عاد إلى إجراء تجاربه .. إنه يؤمن بالقراءة كل الايمان ، ويرى فيها الطريق القويم لكل توفيق ونجاح .

وبجانب ذلك كانت له قدرة بدنية فائقة ، ساعدته على تحمل الجهود الشاقة ، ولا عجب فى ذلك ، فقد انحدر من أسرة سليمة البنية ، معمرة ، إذ عاش أبوه أكثر من مائة سنة .

وعندما بلغ أديسون نفسه الثمانين من عمره كان يصعد السلم من غير أن يلهث .. وكان يتمتع بعد هذه السنين الطويلة والجهود المضنية بجسم سليم وعقل سليم وأعصاب قوية هادئة .

د. عبدالمحسن صالح

# من أعمال فنان..
# لا هو جن ولا إنسان

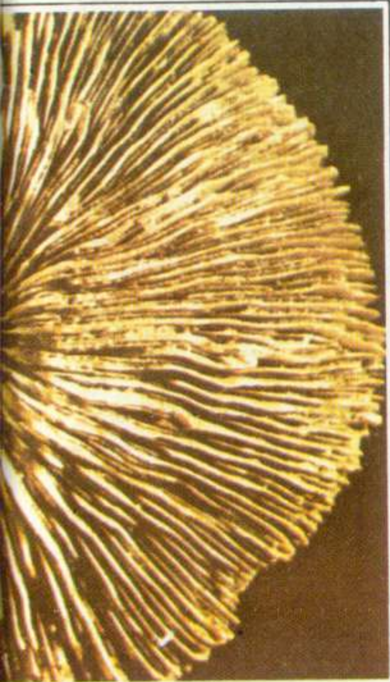
قد نتوجه أحيانا لمشاهدة معارض بعض الفنانين التى يقيمونها بين الحين والحين ، وطبيعى أن للفن مذاهب ومدارس كالشعر سواء بسواء ، فهناك الفنون الكلاسيكية والتجريدية والتشكيلية ، وما شابه ذلك .

ومن الفنانين من يستوحى لوحاته من الطبيعة ، ان رسماً أو تشكيلا وتجسيداً ، وينقلها بأمانة بالغة ، وكثيراً ما نرتاح إليها لأن كل شىء طبيعى محبوب وجذاب ، فهذه هى فطرة الله التى فطر عليها الناس ، ومنهم من تأتى لوحاته مجردة غامضة ، وبحيث لا تستطيع أن تكون لها صورة ذهنية واضحة ، وكأنما الفنان يريد أن يجهد فكرك ، ويطويك معه لتعيش أنت فى خياله وتصوراته ، وقد لا تصل الى ما يريد أن يعبر عنه الا بعد جهد وعناء ، أو قد لا تصل على الاطلاق .

يحكى أن لوحة قد عرضت موقعاً عليها من أحد المشاهير ، وقد يكون التوقيع حقيقياً أو مزوراً ، لكن ليس ذلك مهما بقدر ما يهمنا أن نعرف أن اللوحة جاءت بألوان مائعة وممتزجة بدون هدف واضح ، ومع ذلك فقد حازت انتباه بعض الذين يميلون الى هذا النوع من اللوحات ، وراح كل منهم يتفلسف ويبدى رأيه ، كأنما لم يكن فى الامكان أحسن مما كان ، هذا رغم أن اللوحة قد رسمها شمبانزى ، وطبيعى أن الشمبانزى لا يتذوق فناً ولا جمالا ، فليس له إدراك مثل ادراك الانسان سيد المخلوقات لكن هناك من وضع أمام الشمبانزى لوحة وفرشاة وألوانا ، فمزج الحيوان بينها ، دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما يفعل ، فجاء فن القرود ليجذب انتباه الانسان ، ويجعله يتخيل مع القرد خيالات مليئة بالأوهام الرديئة ، والتصورات البليدة !

شكل ( ١١ ، ب ) فطر وجماد .. وقد جاء هذا مقلداً لذاك فى تناسق الخياشيم .. انها تبدأ من المركز ، ثم تتفرع الى الخارج فى شكل منسق .. ان ا هى تكون بلورى غريب من كبريتات الباريوم .. ( ب ) فطر عيش الغراب .





شكل ( ١٢ ، ب ) نبات ونبات ، أو هكذا تبدو الأمور من أول وهلة لكن احدهما ( أ ) قد اتخذ شكل النبات ، ومع ذلك فهو ينتمى لعالم النمو البلورى ، والتكوين هنا من أكاسيد الحديد والمنجنيز ، وتعرف ايضاً باسم البلورات النباتية لأنها تشبه النبات





## فنون أخرى غريبة

لكن دعنا من عالم البشر والقرود ، لندخل الى عالم آخر موجود معنا على هذا الكوكب ، ولهذا العالم فنونه ومدارسه ايضاً ، ولقد ظهر منذ عشرات ومئات الملايين من السنين قبل ظهور الانسان ، ولا شأن لنا هنا بالجن أو الجان ، وان كانت بعض الأساطير ، تعيد هذه الفنون الغريبة والجميلة إلى الشياطين ، أو أية قوى خفية تعشش فى بعض العقول ، فهى لا تريد أن تجهد نفسها ولا عقلها فى البحث والتفكير ولهذا فما أيسر عليها من سرد حكايات خرافية تعلل بها ما شاهدت ، وتفسر ما غاب عن ادراكها ، وبها تريح وتستريح ، وما أكثر الظواهر الطبيعية التى اقترنت بالخرافات والخزعبلات والأساطير ، ثم جاء العلم ليكون له فيها رأى آخر يقوم على البحث والفحص والدراسة ، ليعيد الأسباب الى مسبباتها .

لهذا ندعوك أن تتأمل أولا فى الصور المنشورة ضمن هذه الدراسة ، فهى جميعاً فنون مجسدة ، أى ليست رسماً يستخدم فيه قلم وورقة ، أو فرشاة ولوحة ، بل هى خامات مشكلة بانماط مختلفة ، ولقد تداخلت فيها الألوان بطريقة منمقة .. تأمل فيها جيداً ، فقد تتوصل الى سر بعضها ، وقد يغيب عنك بعضها الآخر .. وهى - على أية حال - تجمع بين فنون كلاسيكية وتجريدية وتشكيلية ، وما قدمناه هنا ليس الا قليلا من كثير ، لكنه يوضح جانباً من كل الفنون التى عرفتها مدارس الانسان الفكرية الجمالية .

علينا الآن بما غاب عنك ، لنفضح سره ، ونوضح امره ، ونعيده إلى من شكله ونمقه واخرجه فيما ترى هنا من لوحات .. وهى - كما ذكرنا - ليست من صنع انس ولا جان ، بل جاءت على أساس نظام خاص يكمن فى المادة نفسها .. فهو نابع منها ، ومعبر عنها وبحيث قدمت لنا ثروة هائلة من الفنون التى تحفظها متاحف العالم كتشكيلات ولوحات مثيرة .. لكن ليس هناك من وقع عليه باسمه ، فليس لها - فى الحقيقة - من ذلك نصيب ، ومع ذلك فاللوحات ليست مجهولة النسب تماماً .

وقد يطرأ على الأذهان تساؤل حائر : هل يمكن للمادة أن تشكل نفسها بنفسها هكذا ، خاصة وأن بعض التشـــكيلات المعروضة توحى بوجود فن أصيل فى اظهارها واخراجها ؟ .. ثم هل يمكن أن يوجد فن بدون فنان ؟

لكى نجيب على ذلك ، فانه قد يحتاج الى صفحات وصفحات ، لكن يكفى أن نذكر لن المتعمقين فى أصول الخلق جميعاً ، يعرفون - قبل غيرهم - أن هذا الكون كله ، ومن أوله الى أخره ، وبكل صوره وانماطه - ولا يختلف فى هذا عالم الجماد عن عالم الحياة-انما قام على نظام .. فمنه من جاء بعقل ، فترك لعقله ، فان اســـتخدمه الاستخدام الامثل ساد ، ومن كان غير ذلك فالى الجحيم .. جحيم الأرض ، ولا شأن لنا هنا بجحيم السماء !

ومن الخلق ما جاء بغير عقل ، لكن لوحى فيه ايضاً نظامه ، وهو فى الكائنات الحية نطلق عليه اسم الغريزة أو الدافع ، والغريزة - فى الحقيقة - لفظ مبهم ، وهى كالوحى الى حد ما ، فكما لا ندرك ما هى طبيعة الوحى بالضبط ، كذلك لا ندرك طبيعة الغريزة تماماً ، انما جاء كل لفظ ليوافق انماط التفكير عند الناس ، ومع ذلك فالعلم لا يبحث فى أصول الوحى ، بل ترك ذلك لعقيدة الانسان فى المقام الأول ، ويبقى له مجال الغريزة مفتوحاً ، وهو نظلم مذهل عرفنا قليله وغاب عنا كثيره .. لكن ذلك

# من أعمال الفنان.. لا هو جن ولا إنسان

موضوع آخر ، وقد نعود إليه فى دراسة قادمة .

## النظام المذهل فى المادة

ومن الخلق كذلك ما جاء غازاً أو سائلا أو جماداً ، ومع أن الناس لا يرون فى هذا أو ذاك نظاماً ، الا أن العلماء يعرفون ذلك تماماً ـ يعرفون مثلا ان كل جسيم وذرة وجزىء انما جاء على اساس تالف وتناسق لينشأ كل نظام لاحق ، على اساس نظام سابق ، والدليل على ذلك ان العلماء قد استخلصوا من هـذه النظم المـذهلة معادلاتهم وقوانينهم ، وبها يتعاملون مع العالم المادى وغير المادى ، ومن هنـا نشأت أصالة العلم ، لأنه شيد صرحه على أساس متين ، يتجلى فى الكون وما حوى ، والوجود وما طوى ، اى كانما هم ناصروا الله فى قوانينه الراسخة ، وشرائعه الصامدة ، فنصرهم الله ، واعطاهم البصيرة النيرة ، والسبل الميسرة لغزو البحار والقفار والفضاء ، وعالمنا المتطور الذى نعيشه اليوم خير شاهد على ما نقول اما المتواكلون الحالمون فبشرهم بتخلف مرير !

إن ما تراه على هذه الصفحات من لوحات انما يعبر بالطبيعة عن نظام الجماد ، والجماد يتالف اساساً من جسيمات .. الجسيمات فى ذرات .. الذرات فى جزيئات .. نظم من داخل نظم من داخل نظم .. فكيف لا يعبر النظام المادى عن نفسه فى تشكيلات بديعة تنعكس عليه ، وتشير إليه ؟

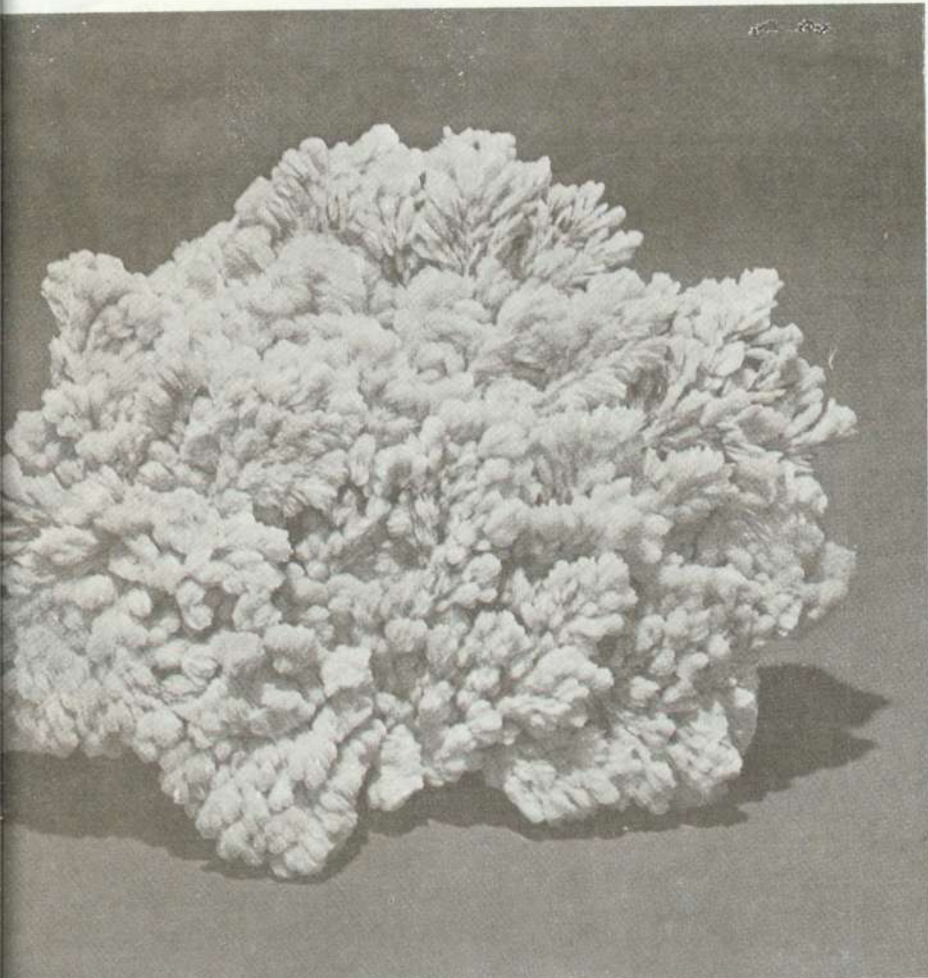
ولقد عبر .. « ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون » !

لكن التعبير هنا يتخذ انماطاً شتى هى اقرب الى تصوراتنا عن كل تعبير يريد الانسان الفنان أن يحكيه لنا من خـلال لوحة ، « ولا جديد تحت الشمس » ـ كما يقولون !

قارن مثلا بين التكوينين اللذين يشبهان الخياشيم ( شكل ١ أ ، ب ) .. نجد بينهما مطابقة غريبة ، لكن هذا حى ، وذاك جماد .. هذا فطر ، وذاك حجر .. الفطر يعرف باسم « عيش الغراب » .. والحجر بلورات من مركب اسمه باريت ( اوكبريتـــات الباريوم ) .. لكن جزئيات المركب الكيميائى قد انتظمت وتراصت وتالفت فى نظام تقلد به صورة الحياة ، كما يقلد الانسان مثلا على لوحاته منظراً طبيعياً .. فكانما الفكرة قد انتقلت من جماد الى عفن ( الفطر ) الى انسان .. الى لوحة .. الى تامل راق ينقلنا من عالم الى عالم الى عالم .. وهكذا .

أو تامل فى الصورتين التاليتين ( شكل ١٢ ، ب ) .. واحدة منهما لنبات ، والأخرى لجزيئات .. رغم أن الجزيئات هنـــا قد تناسقت فى الوان بنية وصفراء ، أو خليط من الاثنين ، وبحيث تبدو للعين اكثر جمالا وبهاء .. ولقد جاءت درجات الألوان شاهدة على مركباتها ، لأن التكوين نفسه يتركب من أكاسيد الحديد والمنجنيز مع شوائب اخرى طفيفة ، فكانت هذه اللوحة التى لم يرسمها انسان ، بل رسمها النظام الكامن فى الجزيئات ، وأيضاً بالالوان .

ثم قد يتخذ التشكيل صورة اخرى مختلفة ، رغم أن الخامة واحدة ، تمعن مثلا فى شكل (٣) ، وحاول أن تتعرف على هويته .. التفرع تفرع نبات ، والاوراق كانما هى أوراق نبات ، أو قد يراها احدنا غير ذلك ، فيعيد أصولها الى احدى تكوينات الشعب المرجانية ، وأيا كانت الأمور ، فالتكوين ليس من الحيوانات ، ولا كذلك من النباتات ، بل هو من عالم البلورات .. نفس البلورات التى تراها فى شكل ( ١١ ) .. اى



شكل ٣ تبدو كشجيرة كثيفة ... انها تشكيل بلورى آخر لكبريتات الباريوم

انها كبريتات الباريوم ، هذه بوجه ، وتلك بوجه آخر ، مثلها فى ذلك كمثل الانسان .. النوع واحد ، لكن الوجوه مختلفة ، ومن الاختلاف نقول إن هذا زيداً ، وذاك عبيداً .. وكذلك الحال فى هذه البلورات .. الخامة واحدة ، وهى كبريتات الباريوم ، لكنها تاتى ايضاً بتكوينات مختلفة ، ومن هنا اتخذها العلماء بمثابة بصمات دالة على مركباتها ، اذ انهم لا يتعاملون عادة مع الظاهر ، بل الأساس عندهم الباطن ، وان كان الظاهر هنا مرتبط بالباطن ، ولا يعرف ذلك الا كل من تمرس فى دراسة هذه العوالم .

## خداع غريب

وكما نعرف نحن مثلا فى حياتنا الشىء الأصيل من المزيف ، أو كما يعرف الفنان الأريب ان كانت هذه اللوحة لأحد مشاهير الفنانين ، أو انها تقليد ، كذلك يسير عالم الجماد على نفس المنوال ، لأنه يزيف امام العيون صوراً ، وبحيث يصبح من الصعب جداً التمييز بين الأصلى والتقليد .

لكن .. ماذا نريد بذلك مثلا ؟

لكى نجيب ، فلا اقل من أن ندعوك أولا لتتأمل فى شكل ( ٤ أ ، ب ) .. فان كنت ممن لديهم معرفة بعلم الحفريات ، فستقول انها نباتات من عصور جيولوجية قديمة تركت طبعاتها على الصخور ، وهذا صحيح .

ومع ذلك فان طبعة منها ليست نباتات حفرية على الاطلاق .. بل طبعة مزيفة طالما خدعت العلماء وضللتهم ، وفى هذا يقول واحد منهم « انه يبدو من الأمور العويصة ان تتمخض اية عملية أخرى - عدا الحفرية منها - عن انتاج مثل هذا التشابه المذهل الذى يظهر كزهرة من خلال تنظيم هذه البلورات .. ان هذا التشكيل الزهرى ليس وحيداً فى عالمه ، بل توجد تشكيلات زهرية أخرى تنتشر فى اماكن خاصة مهياة لذلك » .

والواقع أن شكل ٤ ج هو الصورة الحفرية المزيفة ، وهى تتكون من بلورات كبريتيد الحديد ، اما لماذا اخذت مثل هذا الشكل الزهرى الغريب ، فلا احد يعرف على وجه اليقين .

## تجسيدات تجريدية

ولا تحسبن بعد ذلك أن الانسان هو الوحيد على هذا الكوكب الذى قدم لنا ما نعرفه بالفن التجريدى ، وعبر عنه رسماً او تشكيلا مجسداً ، وبحيث يتركنا لانطباعاتنا الخاصة فيما تصور وقدم ، فلعل انطباعاته تنسجم مع انطباعاتنا ، ومع ذلك فان هذا الفن قد ظهر فى الطبيعة قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين !

ولكى ندلل على ما قدمنا فاوجزنا ، فلا اقل من أن نعرض جانباً من « متحف » الطبيعة الذى يحتفظ بين الصخور بمجموعة من التشكيلات المثيرة والغريبة .. ترى ، ما هو انطباعك عن النماذج التى تراها فى الصور التالية ( أشكال ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ) ؟.

إنها على اية حال أشكال تجريدية ، وربما كانت ابسط تعبيراً مما نراه للفنانين التجريديين .. فواحدة منها ( شكل ٥ ) تعطى انطباعاً بانها دودة ، أو هى كما عبر عنها من قدماها لنا فى كتابهما الممتع ، « الوان فى باطن الأرض » - ( ل . بولتين ، جون هوايت ) .. « إنها تشبه الدودة التى تبدو وكانما هى تتحرك للأمام .. إن هذا التشكيل البلورى قد ظهر من خلال عملية ليست مفهومة تماماً ، ولقد ظن البعض ان غرابة هذه الاتجاهات والالتواءات ربما تكون نشأت من عملية تعرف باسم ، « التزحلق المزدوج » ، وهى ظاهرة تنتج من وقوع التشكيل البلورى تحت اجهادات ، كان يكون التجويف الذى نشأت فيه قد شكلها على قالبه ، وربما حدث ذلك نتيجة لانهيار بطىء للتجويف بضغط جاءه من كتل تكمن عليه من أعلى » !

وأيا كانت التفسيرات ، فان الأمر يدعو حقا إلى الحيرة والدهشة ، لأن التشكيل قد جاء وكأنه مكون من رأس بها عينان ( واحدة ظهرت من اتجاه الصورة ) ، وله عُقل متموجه كالدودة ، بل وينتهى بمؤخرة مدببة كالذنب .. بقى أن تعرف أن مادة هذه البلورات من كبريتات الكالسيوم المائى ( الجبس ) .





شكل ( ٤ أ ، ب ) تأمل فى الصورتين جيداً فهما توضحان طبعات نباتية على الصخور من حفريات قديمة لكن احداهما مزيفة وليست طبعة نباتية رغم انها تبدو كذلك . إن أ - لنباتات حفرية إما ب - فهى بلورات كبريتيد الحديد التى اتخذت شكل زهرة حفرية ، وما هى كذلك .

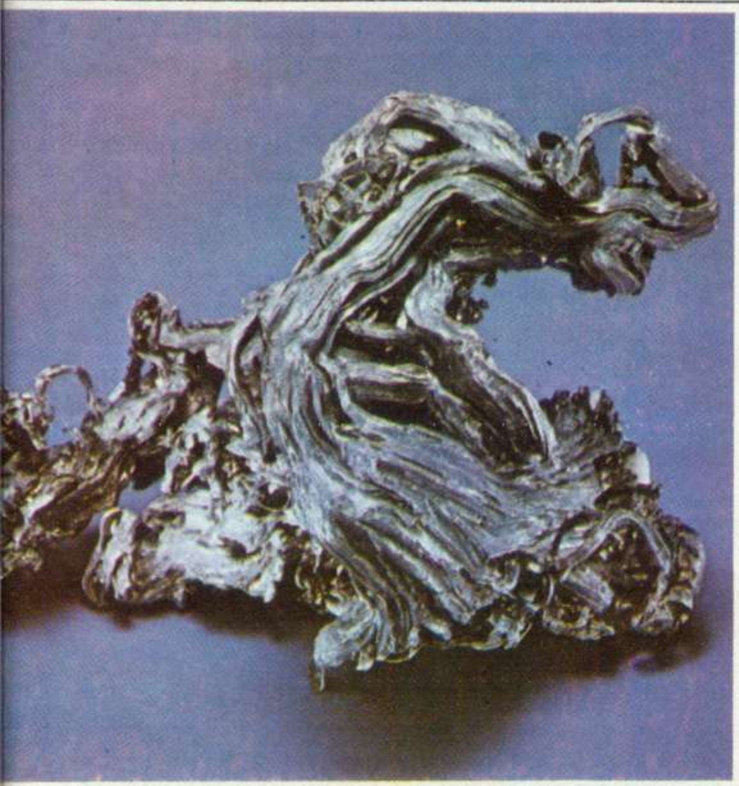
**ثم تجىء التشكيلات ٦ ، ٧ ، ٨ بهيئات توحى لهواة الفنون التجريدية بتصورات غير عادية ، فاولها ( شكل ٦ ) من مركب**

# من أعمال فنان.. لا هو جن ولا إنسان



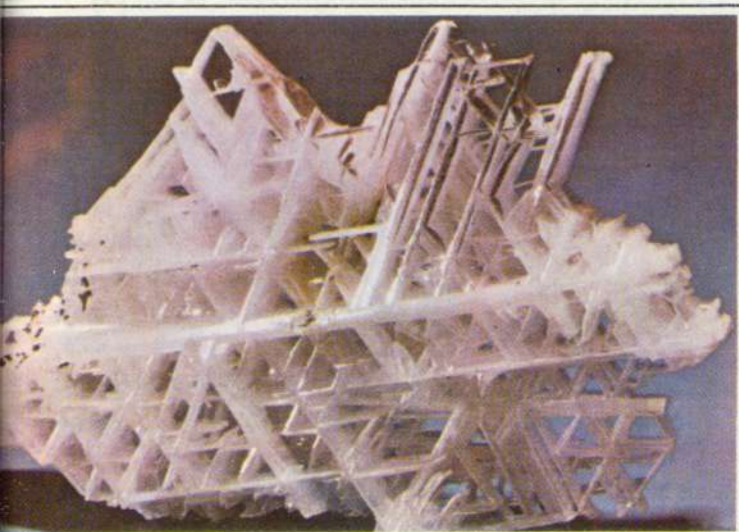
شكل ٥ .. نعم تشبه الدورة التى تتلوى .. ومع ذلك فليست هى الا بلورات ملح كبريتات الكالسيوم ( الجبس ) .

شكل ٦ تشكيل غريب يحمل أكثر من معنى وقد وجد هكذا بين الصخور فى البرتغال ، وهو يتكون من مركب تنجستات الحديد والمنجنيز .

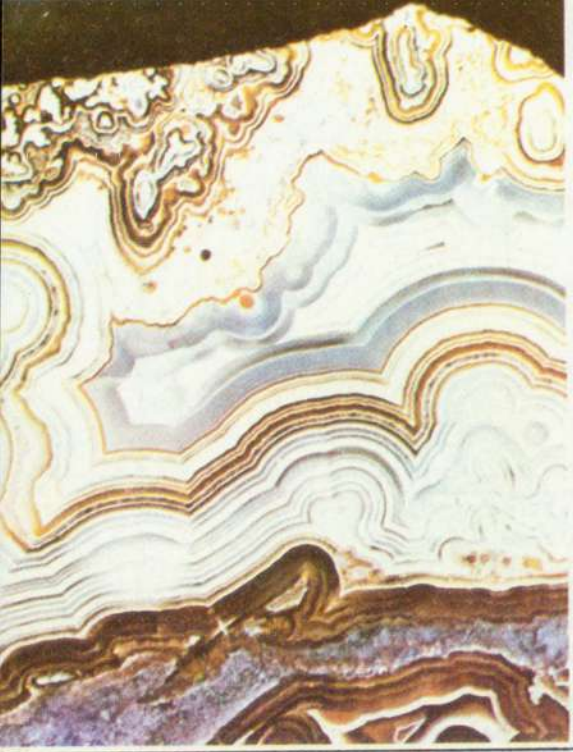


شكل ٧ فن تجريدى غريب من الفضة ولا تعليق .. فهو متروك لرايك وتقديرك

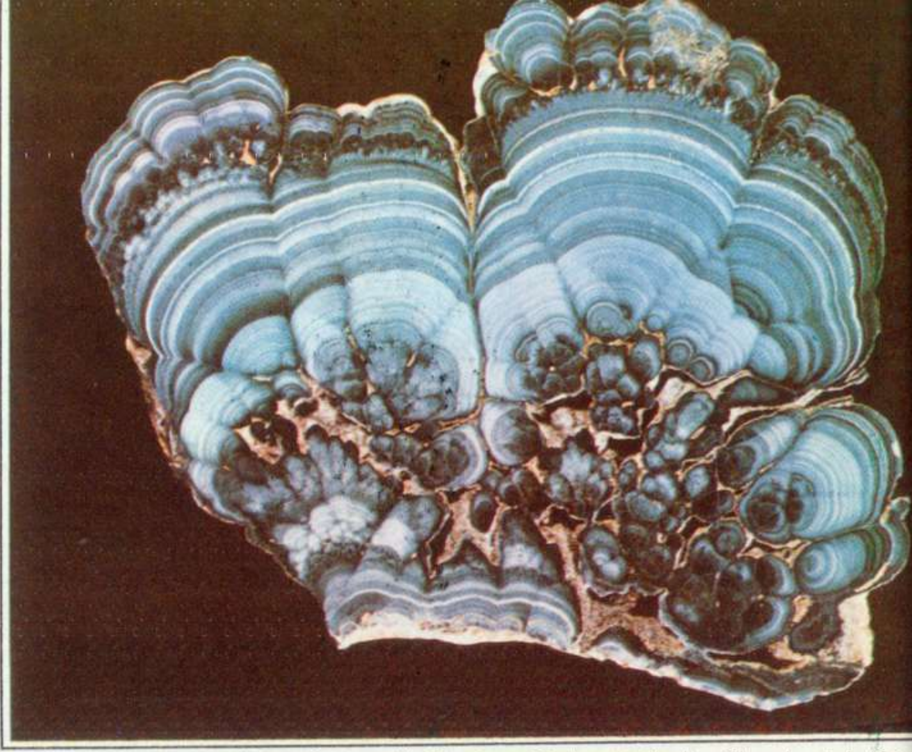




شكل ٨ تشكيل مثير من بلورات كبريتيت الرصاص وكأنما هو قطعة فنية من المعمار



شكل ١٠ كأنما هى خطوط المناسيب التى يرسمها مهندسو المساحة للتضاريس لكن ما نراه هنا مقطع سطحى فى العقيق .



شكل ٩ . نمو بلورى لكربونات النحاس على تكون صخرى لكن الغريب ان النمو يبدأ من نقط متجاورة ، ثم يتآلف فى خطوط متناسقة كأنما هو يشبه الحلقات فى جذع شجرة .

متألف من الحديد والمنجنيز والتنجستن .. أو هى ـ كما يطلق عليها الكيميائيون ـ تنجستات الحديد والمنجنيز ، والتشكيل متروك لتقديرك ، لأنه يحمل أكثر من معنى ، فكأنما هو تمثال لانسان يقف خلف جهاز رصد ، وقد انهمك فى عمله ، أو أى تصور آخر يطرأ على البال .

والتشكيل الآخر ( شكل ٧ ) يتكون من الفضة ، والذى بعده من كربونات الرصاص شكل ( ٨ ) ، وقد جاءت بلوراته بخطوط وزوايا وتكوينات غريبة حقاً ، وكأنما هو يترك لنا حرية التعبير عما ينطوى عليه من معان تجريدية .

## متحف هائل

والواقع ان الطبيعة بمثابة متحف كبير وكأنما هى تحتفظ فيه بلوحاتها الكثيرة جداً ، والمحيرة حقاً ، وهى لن تكشف عن أسرارها الخافية الا لمن استحق ذلك ، ولا يستحقه الا كل من نبش الصخور ، علها تفصح عن المكنون ، والنبش يحتاج إلى علم وجهد وصبر ومعرفة بالمتاهات التى تخبىء فيها الطبيعة فنونها من كل الأشكال وبجميع الألوان .

إن الصور المعروضة هنا بعد ذلك لا تحتاج منا إلى كثير من التعليق ، لأنها تبدو وكأنما هى تتحدث عن نفسها ( شكل ٩ ، ١٠ ، ١١ ) فتغنينا عن كل ما يمكن ان يوصف أو يقال فى مثل هذا المجال ، ومع ذلك فلقد اكتفينا بالتعريف بكل صورة ، وعن طبيعة المادة التى كونتها ، اما لماذا جاءت هكذا ، فهو أمر قد يتشعب فيه الحديث ويطول ، ثم ان هذه التكوينات لازالت غير معروفة اسبابها تماماً ، لكنها تأكيداً ليست من عمل انس ولا جان ، ولا أية قوى خرافية مما لا يزال يعشش فى عقول الناس ، بل إن لكل شىء نظامه ، ولقد أمكن تكرار بعض هذه التكوينات فى معامل العلماء ، لكن بعد أن عرفوا الأسباب والعوامل التى تؤثر عليها فتشكلها ، ومع ذلك فقد بقى الكثير مما لا نعرف ، والزمن كفيل بجعلنا نعرف مالا نعرف .. فما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد .

د . عبد المحسن صالح

شكل ١١ التشكيل يشبه قطعة حية من نسيج حيوانى ، ومع ذلك فهو احدى خامات الحديد والهيماتيت التى جاءت بهذا التكوين الفريد ، ويطلق عليها إسم الكلية الجديد ، لأنها أقرب إلى شكل الكلية الحيوانية .



# المجذوب الذي كان

شعر : الدكتور عبد الله الطيب

أما بعد ، فقد اطلعت على العدد الممتاز من « الدوحة » ، عدد أول مارس ١٩٨٢ . وقرأت فيه قصيدة الأستاذ محمد المهدى المجذوب . ثم جاءت الصحافة السودانية تحمل نبأ وفاته ، وجاءت البرقيات تنعاه . وقد كان « المجذوب » لي أخ العمر وزميل الصبا والشباب . وإنى باعث اليكم بصورة لي وله أخذت فى سنة ١٩٣٩ فى شهر سبتمبر أول يوم منه ، وله آنئذ إحدى وعشرون سنة ، ولي ثمانية عشر عاماً . وأبيات هذه القصيدة التى أبعث بها فى رثائه خمسة وستون ، جاءت هكذا اتفاقاً . وإذ ذلك مقدار سنه بالأعوام العربية فقد عجبت من هذا الاتفاق . ولقد كان رحمه الله سيداً ضخماً ، نفساً وأدباً وشعراً وسعة صلات فى مودات القلوب . أشكر لكم إن نشرتم هذه الكلمة . ومهما يكن رأى بعض أهل العصر فى الشعر الذى يلتزم قافية وبحراً ، فان الرثاء مما يلزمه ذلك ، إذ الوزن فى ما ذكره الناقد « كلردج » يخفف من حدة الانفعال وينقله من حال الذاتية إلى حال مواصلة الآخرين ومخاطبتهم .

عبد الله الطيب
جامعة فاس ـ المغرب

أخ كان يرعانى وكان يعين ... ويحفظ حقى عنده ويصون
وكان رفيق العمر من زمن الصبا ... إلى أن أتى عصر المشيب يحين
نعته الصحيفات اللواتى سوادها ... غراب هوى فوق السطور لعين
نظرت إلى العنوان لاح مفاجئاً ... بتأبينه ، ركن يهد ركين
لقد خفت رؤياى التى قد رأيتها ... وبعض الرؤى تأويلهن يقين
يقول مشت بالأمس من خلف نعشه الـ ... ـجموع وعادوا منه وهو دفين
عليه من المولى سلام ورحمة ... سقى قبره غيث عليه هتون
حروف اسمه لاشك ، هذا نعيه ... ألا إن أيام الحياة ديون
ديون سنقضيها ونصبح بعدها ... أحاديث لو صخر القلوب يلين
وهذا قضاء الله حم وكلنا ... إلى الموت أيام لنا وسنين
نشب ونستوفى الأشد وبعده ... نشيب وتبدو فى الأديم غضون
وتضعف أسباب البقاء وتذهب الـ ... ـغضارة منا والبهاء يبين
وما هو إلا أن نموت وخلفنا الـ ... ـمئاب وكل بالحساب رهين
فنسأل رب الناس لطفاً بضعفنا ... وعفواً وفينا بالحياة فتون
مضى الشاعر المجذوب من لم يكن له ... نظير ولادان إليه قرين
مضى الفحل والخنذيذ[1] والمفلق الذى ... سيبكى يسار فقده ويمين
مضى فى سبيل كلنا بسبيلها ... لنا حركات عندها فسكون
نعت شاعر العرب الصحافة والذى ... مجالس أهل الفضل كان يزين
مضى حينما شاق القلوب بسحره ... ومدت رقاب نحوه وعيون
وكانت بلادى تقبر الناس قبل أن ... يموتوا وكم فيها النفيس غبين
طوته المنايا حين غبت وليتنى ... شهدت وعندى للحبيب حنين
طوته المنايا حين بينى وبينه ... بعاد وبون فى البلاد بيون
طوته غيابات المنية إننى ... سأبكى عليه والفؤاد حزين



الصورة النادرة التى أرسلها الدكتور عبد الله الطيب إلى « الدوحة » وتاريخها سبتمبر ١٩٣٩ وتجمع بين الطيب « على اليمين » والمجذوب « على اليسار » .

وكانت كـــدارى دارُهُ فازورهُ     وأشدو بشِـعْرى والقريضُ لحُـونُ
وُيُنْشِـــدُنى من شِـــعْرِه ثُمَّ بيننَا     مذاكرةٌ فيهــا الحديثُ شُـجُونُ
له من أساليبِ القصـــيدةِ مَذْهَبٌ     بصيرٌ بإيقاعِ الرَّوِىِّ رصــينُ
وفيه مع المعنَى الشريفِ عبارَةٌ الـ     ــبليغ وفِى اللفْظِ الرشيق رنينُ
وجَارَى ذوى التجديدِ شأواً فبذهم     ولا غــروَ إذْ أنَّ الأسَــاسَ مَتِينُ
وكان إذا ألْقَى الكلامَ أفَــادهُ     بروزَ المعَــانِى واللســانُ مبينُ
وكان إذا مَا رَافَقَ الوَفْــدَ سيِّداً     كذاك النجيبُ الألمعىُّ يكــونُ
ســماحةُ اخْلَاقٍ ويُسْرٌ تفوقٍ     وشــيمةُ لُطْفٍ فى الخِطَابِ وَلِينُ
وكانت تجيد الخَطَّ والرسْــمَ كفّهُ     وكَمْ صَلَحَتْ دنْيــا بذاك ودينُ
وكنا رفيقىْ جاذبيَّــةِ ألفـةٍ     وفكْــرٍ وذكرٍ والــودادُ مكينُ
كَمَا كانت الأرْحَامُ تجمَعُ بينَنَــا     وإرثُ مروءاتٍ سلفن ثمينُ
وقُرْبَى عَلَاقَاتٍ من البرِّ والتقَى     وميثــاقُ صدق بينَهُنَّ أمينُ
ووالدُهُ قد كان من بَعْـدِ والدِى     أبى وهُوَلى صنوٌ به وخــدينُ
جنينا جنَاةَ العـلْمِ عند مشايخ     شفتنا شروحٌ منهمو ومتــونُ
وقـد كان عبدالله شيخى يحبُّنَــا     وكان وسرُّ اللهِ فيــهِ كنينُ
سقانا من المشْـمُولةِ الماءَ حينما     مدحنــاهُ ماءُ الفيضِ منه مَعِينُ
بكيتك يا مهدىٌّ فقـدُكَ فاجِـعٌ     ورزؤك لا يلفَى علىَّ يهُــونُ
بكيتك لي وحْدِى نشيجٌ وعَبْرَةٌ     بفاسٍ ولي دمــعٌ عليك سَخينُ
تركتُ يَرَاعى عنــدَه وقرَاءتى     وجادت بمجرى دمْعِهنَّ شُـئونُ
ذكرتُكَ إذْ كنــّا معًا وشبابنا     قشيبٌ وإذ منّا الذوائب جــونُ
وكان يواتينـا الصحابُ فمنهمو     منيرٌ وشــعرٌ عندهمْ وفنونُ
زمانا نرى الكرْدِىَّ فيــهِ وصالحــًا     وبينهما خيلُ القريضِ صُفُونُ
وشيخ بنى العباس من آل مَرَّح     تتيه به دالٌ لديْكَ ونــونُ
إذا ما انْبَرَى والبشرُ فى قَسَمَاتِهِ     بانشادِهِ والسَّـمْتُ منه رزينُ
ولم يكن السَّرَّاجُ عنـا بمَعْزِلٍ     ولا هو عنا باللقــاءِ ضَنِينُ
ولا كَرفٌ بَلْه الذين دَعَـاهم     إلى حَسَنٍ مَيْــلٌ له وركُــونُ
مضى ابن علىٍّ ذو الذكاءِ ذكاؤه     يشـعُّ به طَرْفٌ لــه وجَبينُ
ألَمَّ بهِ الداءُ العضالُ فَمَـا وَهَى     له لُبُّـه والحـدُّ منــه سنينُ
وكان فَتًى قد كنتَ انتَ تحبُّـــهُ     وتكرِمُه والحـقَّ منــه تَصُــونُ
وذلك جيلٌ قد مَضَى وكأنَّنَـــا     بدار اغترابٍ والظـلَامُ يرينُ
مضى صنوُكَ الهادِى وقد كنتَ بعدَهُ     عزاءً لنا والحصْنُ منكَ حصينُ
فقد جاءَ هــذا الموتُ فيك يروعُنا     بكارثةٍ منها الجبــالُ عُهُــونُ
يجاوز أفناءَ العشيرةِ فجْعُهــا     وفيها ســهولُ الصابرينَ حزونُ
على اننى فيهـــا وراءَ عمومهـا     خُصِصْتُ ولى قلبٌ عليك حَنُونُ
خصوصيةٌ تُلْقَى بها قد تركتَنى     وحيــداً فيا للدَّهر كيفَ يخُـونُ
خَلَفْتَ أخى لمــا أخى مات وانتحت     من الدهــرِ ابكارٌ إلىَّ وعُــونُ
صروفُ زمانٍ فادحـــاتٌ نِصَالُهـا     طوالٌ ذؤاباتٌ لهــا وقرُونُ
ولولاك لم أبصرْ ســمرقَنْدَ إننى     برؤيتِهَا حقاً إليكَ مَــدِينُ
صديقى صديقَ العمْرِ من أول الصِّبا     إلى أن أتى عصرُ المشيبِ يحينُ
ذكرتك إذ دارى بفــاسٍ بعيدةٌ     وها أنتَ ذَا تحتَ الترابِ دفينُ
وها أنذا أبكى عليــك بحــرقةٍ     وملء فؤادِى رنَّــة وأنينُ
فهل تسمَعَنْ صوْتى فيــاربُّ لوعَـــةٍ     وددت بهَا لو أستطيع أمينُ
عليك من المولى ســلامٌ ورحمةٌ     وأنتَ بفردوسِ الجِنَان قَمِينُ

تفسير الأسماء

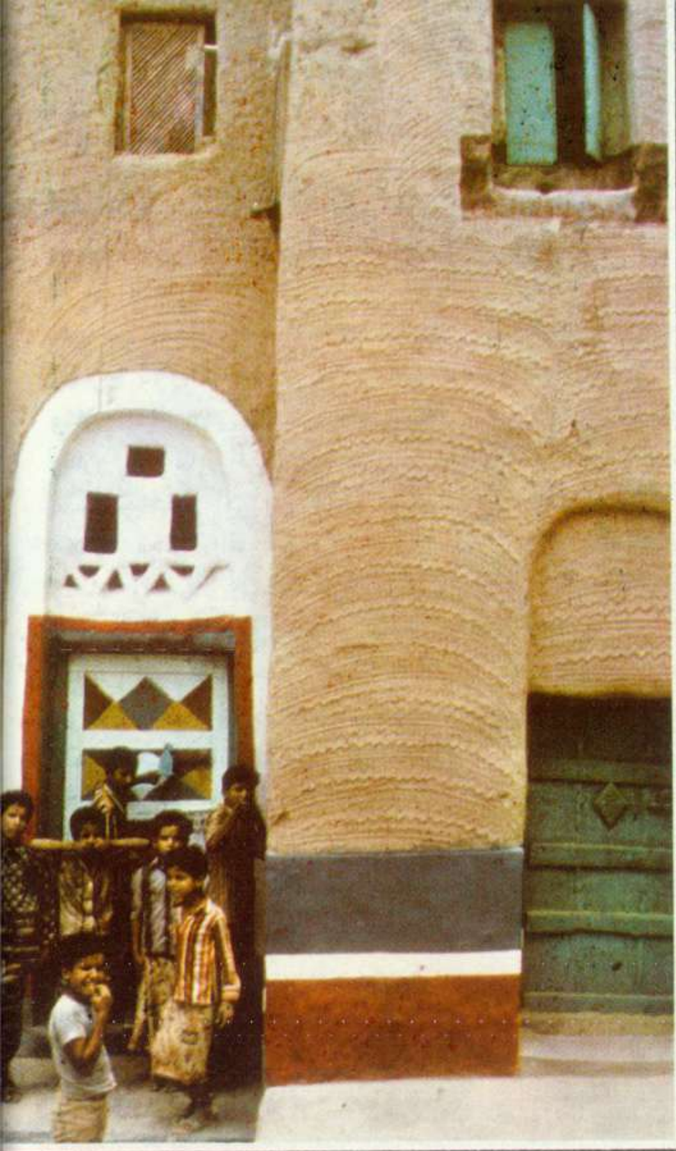
شيخنا الفقيه عبد الله النقر بن أحمد بن جلال الدين المجذوب عم والد الفقيد، رحمهم الله أجمعين، توفى سنة ١٩٣٥. منير هو الأستاذ منير صالح عبد القادر الأديب الشاعر حفظه الله وكان للفقيد رحمه الله صديقاً أثيراً. الكردى وصالح هما الشاعران عبد الله حسن كردى وصالح عبد القادر والد الأستاذ منير وكانا رحمهما الله يتساجلان بالشعر ونسمعه منهما قبل نشره، كان ذلك سنة ١٩٤٠ م. وشيخ بنى العباس الخ هو الشاعر المشهور محمد سعيد العباسي رحمه الله. ومرَّح بتشديد الراء اختصار اسم الجزيرة ام الرحي التى بها قبر جده الشيخ الطيب بن البشير الولى الصالح رحمه الله. السراج هو الطيب السراج اللغوى الأديب الشاعر توفى سنة ١٩٦٣ قتيلا فى داره رحمه الله، وكرف بفتح الكاف والراء هو الأستاذ الأديب الشاعر محمد عبد القادر كرف حفظه الله، وحسن هو الأستاذ حسن بدرى رحمه الله كانت له مكتبة معروفة المكان بام درمان يجتمع عندها الأدباء ويتساجلون استاثر باكثرهم الحمام رحمه الله عليهم، وابن علي ذو الذكاء هو الأستاذ الشاعر الأديب المحاضر محمد محمد على رحمه الله والهادى هو فضيلة الأستاذ القاضى محمد الهادى شقيق الفقيد رحمة الله عليهما رحمة واسعة.

(١) الخنذيذ : العظيم

أغـــرب حـدث معـــماري
في مـركـز بومبيـدو الفـرنسي

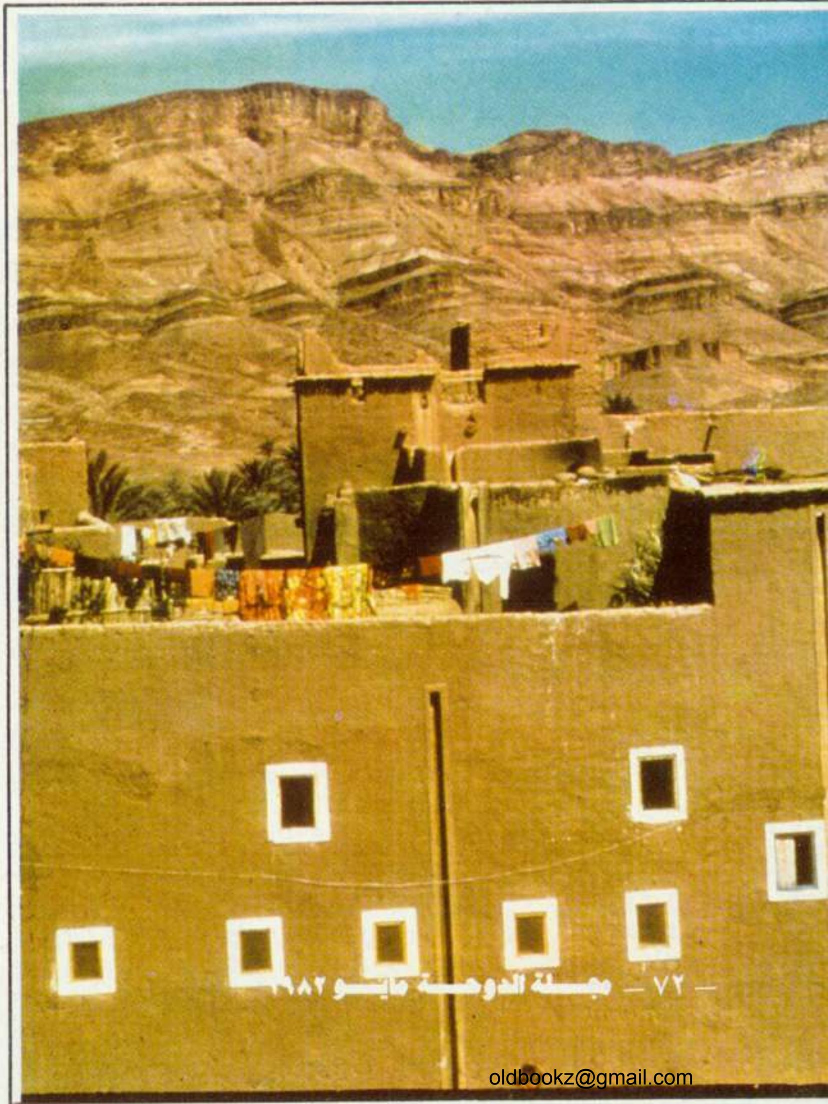
# بيوت من طين في باريس

بقلم : نـــهى ســـمارة



نموذج لبيت من الطين فى جوبا بالسودان .. وإلى اليمين لقطة أخرى لواجهة بيت من الطين فى المغرب .. من هذه النماذج تستوحى باريس افكارها فى إقامة بيوت من الطين .

إنهم يعودون للقديم لحل المشاكل المستعصية في المدن العصرية .. فمن منا يتصور أن تتجه اليوم مجموعة من مهندسى العالم إلى البيوت الطينية ليخرجوا من أزمة المساكن التى صنعتها البيوت الحديثة الشاهقة المشيدة بالحديد والأسمنت .. ومن منا يتصور أن يعكف خبراء المعمار فى باريس على دراسة نظريات مهندس عربى صمم قرية من الطين فى الأربعينات .. وإذا كنتم لا تصدقوا هذا الحدث الغريب فاننا نحملكم معناً إلى باريس لتعيشوا هذا الواقع الحى فى مركز بومبيدو ولتتعرفوا على الدعوة التى وجهها مهندس فرنسى لكافة رجال المعمار حتى يشتركوا فى بناء مدينة من الطين فى فرنسا !



فى مدينة مالى بافريقيا ، يمكنك مشاهدة هذا النموذج من البيوت الطينية .. واللقطة الأخرى للبيوت اليمنية ذات الاشكال الهندسية الجميلة والتى لا تصدق أنها مشيدة من الطين

# بيوت من طين في باريس



صالة فسيحة فى بيت من الطين ، يتمتع أصحابه بالراحة الكاملة والذوق الجميل

لأن باريس عاشقة للتاريخ ، تعرف كيف تستقى منه رؤى للحاضر والمستقبل ، اقامت معرضاً فى مركز بومبيدو للمعمار الطينى ، حيث شاهد المتفرج واجهات بيوت طينية موضحة بالصور والحقائق ، وبافلام وثائقية ومحاضرات متعددة ، كلها تظهر أهمية العودة إلى المعمار الطيني كوسيلة سكن عصرية قادرة ضمن مفاهيم المعمار الحديث على اعطاء الرفاهية ، والاقتراب من المفاهيم الجمالية لكل شعب من الشعوب ..

## بيوت الزمن القديم

وقد عرف المعمار الطينى منذ عشر آلاف سنة ، فالطين هو أقرب مادة الى الانسان وهو وسيلة النحت الأولى الذى عبر فيها الانسان عن أشكال فى مخيلته .

ومازال المعمار الطينى سكنا وسقفا لثلث الكرة الارضية ، وهو اليوم يطرح من جديد كحل لأزمة السكن القادمة بسبب ارتفاع مواد البناء من اسمنت وحديد وطاقة .

فالحقائق تقول أنه بعد عشرين سنة يحتاج العالم إلى ٥٠٠ مليون سكن ، والسكن المستقبلي ليس المتميز بالسقف التراثي الذى عرفه الأجداد منذ آلاف السنين ، وعرفته خاصة الحضارات الشرقية المنبثقة من أرضنا العربية .

وقد عرفت المنطقة العربية هذا الفن المعماري أول ما عرفته فى سور بابل ، الذى بني من الطين فى القرن السابع قبل الميلاد ، وكان يضاهى فى ارتفاعه ضعفى مركز بومبيدو الحالى فى باريس !

كما عرف فى الأردن فى مدينة جرش ، وتعتبر من أقدم مدن التاريخ التى بنيت من الطين ، ومازالت آثارها قائمة حتى اليوم مكافحة العوامل الطبيعية ومستمرة بامتداد الزمن .. كذلك عرفته صحراء اليمن فى تطور هندسى من المعمار الطينى مازال المهندسون العصريون مندهشين بجمالياته وصلابته الممتدة مع الزمن !

## الصلابة والاستمرار

وفى فرنسا لا يوجد قانون يمنع بناء مبنى من ستة طوابق من مادة الطين ، فبيوت الطين لم تعد تاريخاً وتراثاً ، وإنما مساكن مجهزة بأحدث التجهيزات فى المدن النموذجية بالغرب !

وقد صرح « جون ديتير » المهندس المعمارى الذى جهز - عامين - لمعرض مركز بومبيدو فى مؤتمر صحفى :

« ليس نزوة الحنين الى الماضى الذى دعانا لاحياء تراث الطين المعمارى ، إنما لزمة الطاقة وارتفاعها واثرها على جوانب حياتنا ، وارتفاع اسعار الأسمنت والحديد ،



عملية بناء بيت من الطين فى ريف الجزائر .. ومن فكرة هذا البيت يستوحى العالم اليوم الحل الأمثل لمشكلة أزمة المساكن

هذا كله جعلنا كمهندسين معماريين نشحذ أذهاننا لا يجاد ثورة فى التقنيات المعمارية ، ولم يكن السلف إلا أكثرنا حكمة ، فهو الذى يحمل المفتاح بيده ، لأنه أوجد السكن الطينى الذى عرفه بعد سكن الكهوف ، ووجد فيه مادة طيعة قادرة على التكيف مع حرارة جسد الانسان ، فهو يعزل الحرارة كما يخفف البرودة ، ويبعدنا عن كلفة الطاقة وأدوات التهوية والتدفئة .. وإن إعداده لا يحتاج الا لقوالب بسيطة تجف بواسطة الهواء والشمس ، وهو يحمل فى مادته صلابة البقاء والاستمرار كما تحمله منازل الاسمنت والحديد » !

## نظريات مهندس عربى

وقد عرفت الحضارات الاسلامية المعمار الطينى فى مساجدها وجوامعها الشاهقة ، وفى مساكنها ، واستعملته أيضاً كالأسوار الدفاعية .. وقد استعملها على سبيل المثال هانيبال . والتاريخ يقول أن هانيبال استعمله فى حروبه كسدود ومخازن لأسلحته !

ولعل حسن فتحى ، المهندس المعمارى المصرى هو أول من حمل صرخاته فى هذا العصر ، كان ذلك سنة ١٩٤٠ ، ثم صمم مدينة الجرنة الجديدة فى وادى الأقصر ، ودعا الفلاحين لبناء مساكنهم والاقتراب من واقع حياتهم فى التعايش مع مادة الطين كسكن وقد اتسعت هذه القرية النموذجية لألف عائلة !

وقد أفرد مركز بومبيدو مساحة واسعة لانتاج حسن فتحى ونظرياته التى أصبحت معاهد هندسية فى الغرب تتبعها وتدرسها كنهج هندسى متكامل البناء !

وحسن فتحى الذى مازال حياً ويعيش فى بلاده مصر كان من دعاة العودة إلى الجذور والتراث كسكن ، فليس من المعقول تشييد بيت شرقي فى أوربا ، أو بيت أوربى في الصحراء ، ففى بلاد عربية يفرض واقع المناخ الحار المحلي طراز البيت ، فالبيت العربى المتامرك ( حسب رأى حسن فتحى ) بدلا أن يتوجه بانفتاحه نحو فناء الدار ، مستودع الهواء العليل ، يواجه الشارع العام بغباره وفجيجه ولهيب حرارة الصيف فالجدران والواجهات الزجاجية فى الصحراء الملتهبة بامكانها أن تجذب الاشعة ما فوق البنفسجية ، مثل أشعة الشمس !

وقد شدد حسن فتحى كثيراً على سقف الدار كرمز للسماء فى البيت العربى ، وقال بأن السبب هو أن البدوى معتاد على امتداد السماء فى الصحراء . بالاضافة إلى أن تكلفة الطين كسكن محدود وبقدرة الفلاح نفسه أن يبني سكنه ويأخذ مكانه تحت هذه الشمس .. وخاصة أن مادة الأسمنت والحديد باهظة الثمن وبعيدة عن قدرات الفلاح المصرى المادية !

## دعوة للمهندسين

إن فرنسا لم تنس نفسها فى هذا المعرض فقد قدمت « كوانترو » الفرنسى الذى ولد سنة ١٧٤٠ فى ليون والذى بنى قصوراً وكنائس من الطين بالقرب من مدينة ليون !

وقد دعا منظم معرض المعمار الطينى «جون ديتير» كل مهندسى العالم العصريين إلى المشاركة لتنفيذ بلدة فى فرنسا تدعى « ليل دابو » ، وهى فى بالمساكن الطينية واقامة قرية نموذجية فيها كل إمكانيات الرفاهية والحداثة والمجالات المطلوبة لسكن هذا العصر .. وسيتم انتهاء هذه القرية سنة ١٩٨٣ !

ورغم أن السكن هو الحق الشرعى للانسان الذى يعيش تحت الشمس فان تكاليفه تكبر لدرجة أنه أصبح بعيداً عن متناول الكثيرين فى العالم ، واحصاءات اليونسكو تقول أن ثمانية آلاف مليون انسان فى العالم الثالث معرض للموت المبكر بسبب الأوضاع السيئة التى يعيشون فيها !

والمعمار الطينى ربما يكون هو الحل الأمثل لتلك الملايين التى تحلم بالحياة تحت سقف يظل حياتها بالسعادة والراحة والاطمئنان !

نهى سمارة





لقطتان من حفل افتتاح الأسبوع الفلسطيني فى الدوحة .. الاولى لسعادة عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام يفتتح الاسبوع .. والثانية لسعادته وهو يستمع لحديث يسن الشريف

## على هامش الأسبوع الفلسطيني

# عندما تنعكس آلام الوطن في الفن والثقافة

بقلم : نبيل خالد الأغا

على مدى أسبوع كامل تفاعلت الدوحة مع الأسبوع الثقافى الفلسطيني الذى أقيم لأول مرة فى دولة قطر فى الفترة الواقعة بين ١٠ ، ١٧ من ابريل « نيسان » الماضى .

وقد دعت لاقامة هذا الأسبوع واشرفت عليه إدارة الثقافة والفنون ـ بوزارة الاعلام ـ بالتعاون والتنسيق مع مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى الدوحة .

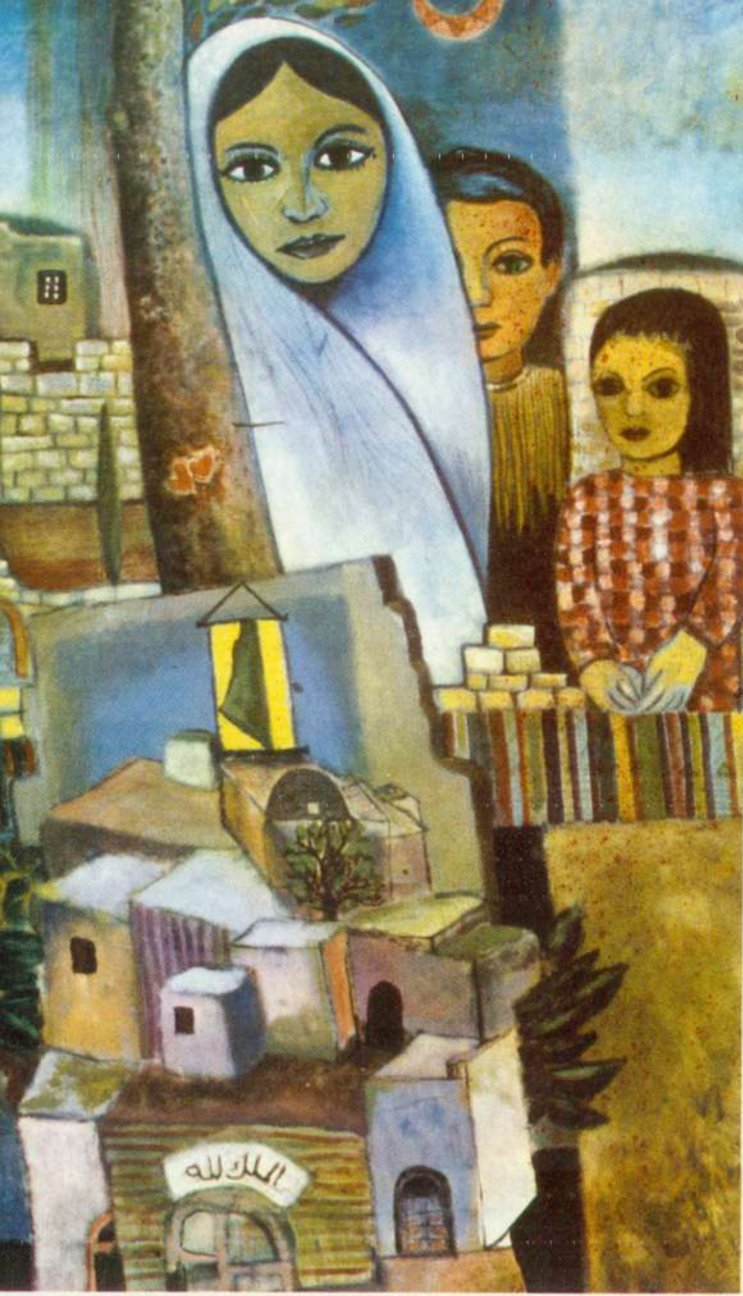
وعند ساعة الافتتاح بدت باحة فندق رمادا على هيئة لوحة بانورامية خلابة حيث ازدانت بالاعلام القطرية والفلسطينية ، وباللافتات الوطنية التى تعبر عن صدق الأخاء ، وصادق المودة بين الأشقاء العرب .

فى الساعة الرابعة قام سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بافتتاح فعاليات الأسبوع ، وكان برفقته السيد صلاح خلف ( ابو اياد ) عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » وقد حضر حفل الافتتاح السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام ، والسيد يحيى يخلف الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، والسيد ياسين الشريف مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالدوحة ، اضافة الى عدد من السفراء العرب والأجانب وكبار المسئولين وعدد كبير من المواطنين .

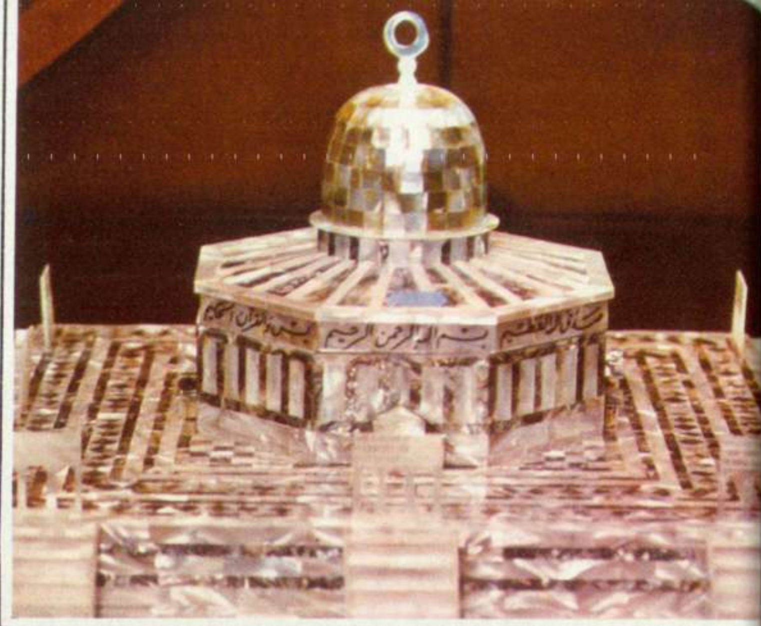
وبعد ان قص سعادة الوزير شريط الافتتاح قام بجولة فى معارض الفن التشكيلى ، ورسوم الاطفال ، والكاريكاتير ، والصور الفوتغرافية ، والكتاب والتراث الشعبى « صامد » ومعرض الزهور .

وقد رحب سعادته باقامة الاسبوع ، واشار إلى أهمية توقيت قيامه حيث تزامن مع الوقت الذى اخذت فيه أنظار العالم تتجه نحو النضال العادل للفلسطينيين فى الأرض المحتلة الذين ضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والصمود ، مؤكدين انهم اشد بأساً من البطش الصهيوني .

واضاف سعادته بان لهذا الأسبوع معنى كبيراً حيث يؤكد ان الشعب الفلسطيني قادر على التمسك بهويته الحضارية والثقافية رغماً عن محاولات




لوحة « الملك لله » للفنان الفلسطيني نبيل عناني



مجسم لقبة الصخرة



الفاضل فهد القواسمه يتحدث فى الندوة ، وقد ظهر زميلاه الشيخ رجب التميمي ومحمد ملحم

العدو المستمرة لطمس وتشويه هذه الهوية

واكد سعادته بأن الحرب بيننا وبين العدو الصهيوني ليست حرباً عسكرية فحسب وانما هى حضارية ثقافية يحتم علينا الواجب ان نعمل على حفظ تراثنا ، والوقوف امام حملات التشويه الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، والشعوب العربية. وقد اعرب سعادته عن سروره لما شهده فى المعرض من أعمال تعكس تصميم وارادة الشعب الفلسطيني على استعادة أرضه والدفاع عن حقوقه المشروعة .

وأكد من جديد على موقف قطر الثابت من القضية الفلسطينية ، والمتمثل فى مساندة الشعب الفلسطيني لاسترداد حقه وتقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة على ارضه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعى والوحيد .

## معارض مختلفة

وضم الأسبوع الفلسطيني عـــــدة معارض :

● اشتمل معرض الفن التشكيلى على ستين عملا لاكثر من عشرين فنانا من أعضاء الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين بالكويت وسوريا ولبنان والأرض المحتلة وقطر .

ومن بين هؤلاء الفنانين : توفيق عبد العال ، تيسير شريف ، نبيل عناني ، عماد عبد الوهاب ، سليمان منصور ، أمين شموط ، ابراهيم هزيمة ، جمانة الحسيني ، لطفية يوسف ، ياسر ابو سيدو وغيرهم .

كما شارك الفنان العربى المعروف حلمي التوني بعدة لوحات فنية رائعة . ويلاحظ ان معظم اللوحات يغلب عليهـــا طابع « القرية الفلسطينية » التى اتخذها فنانو الأرض المحتلة شعاراً لأعمالهم خلال العام الماضى بعد أن اتخذوا « أرض فلسطين » شعاراً لأعمالهم فى عام ١٩٨٠ ، وستكون « القدس » شعاراً لأعمالهم فى العام الحالى

● واحتوى معرض رسوم الأطفال على ٢٤ لوحة من اللوحات التى شاركت فى مسابقة « فلسطين » التى اقيمت فى دولة قطر مؤخراً وشارك فيها أكثر من ٣٠٠ طفل عربى .

● اما بالنسبة لفن الكاريكاتير ورسومه فقد اقتصر العرض على ٢٣ لوحة ابدعتها يد الفنـــان الموهوب ناجى العلى ، الـــذى استطاع ان يترجم بخطوطه ورسومه كل همومنا ومعاناتنا القومية .

● أما التصوير الفوتغرافى فقد اشرفت


الشاعر مريد البرغوثي


الشاعر سعيد تيم


الشاعرة مي صايغ


المناضل مهدي بسيسو


الاستاذ غالب هلسا

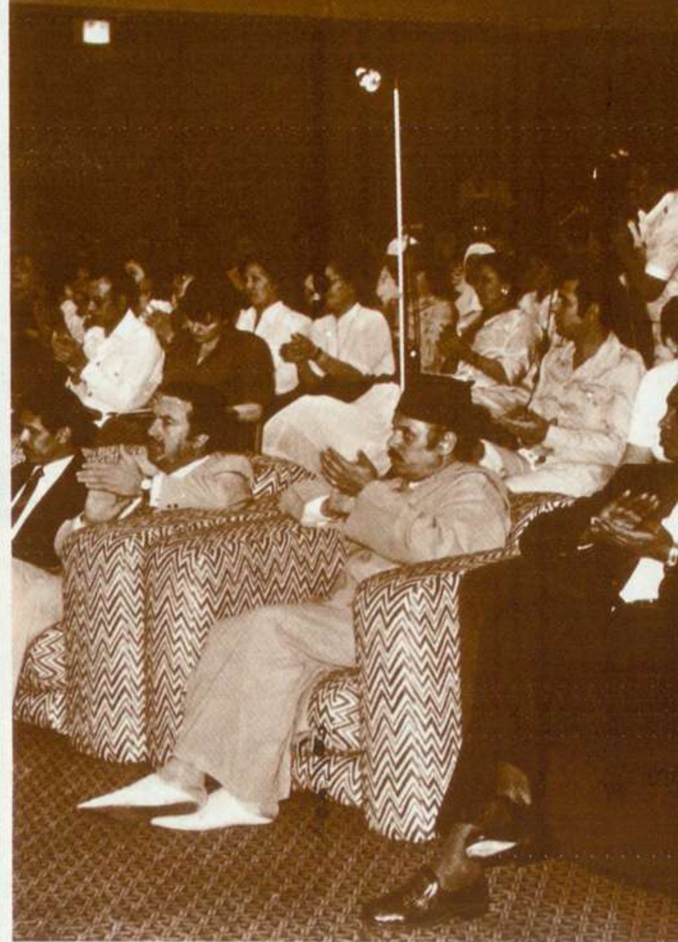

الشاعر امجد ناصر

## بعض المشاركين فى فعاليات الأسبوع الثقافي الفلسطيني


الاستاذ مصطفى ابو علي


الدكتورة رضوى عاشور




جانب من المدعوبين فى الأمسية الشعرية

عليه دائرة الاعلام الموحد بمنظمة التحرير الفلسطينية ، واشتمل على عشرات الصور الفوتغرافية الحية التى تمثل قسوة حياة المعتقلين الفلسطينيين فى سجون الاحتلال ، وانتفاضة الشعب الفلسطيني ، وآثار الغارات الصهيونية على بيروت والمخيمات الفلسطينية بلبنان .

● وبالنسبة للتراث الشعبى ، فقد اشتمل المعرض على انماط عديدة من الأزياء الشعبية الفلسطينية ، ولوحات نحاسية وخشبية ، ومعدنية ، ومجسمات لمدينة القدس مصنوعة من الخزف ، وبعض اعمال التريكو والسجاد اليدوي ولعب الأطفال ، وجميع هذه المصنوعات من انتاج مؤسسة « صامد » التى تملك حوالى اربعين مصنعاً ومشغلا فى لبنان . ويزيد عدد العاملين والعاملات بها عن خمسة الاف فرد . وقد حققت هذه المؤسسة الوطنية انجازات كبيرة على المستويين العربى والدولى .

● وفى معرض الزهور رأينا عدة اشكال فنية جذابة من الزهور الطبيعية والصناعية ، وبعض الأشغال اليدوية ، وقام بالاشراف عليه الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية بالدوحة .

وهذا بخلاف العروض الفنية الرائعة التى أقيمت على مسرح سينما الخليج ، حيث قدمت فرقة « العاشقين » ( ١٥ عضواً ) ملحمة غنائية مطولة عن الشهيد عز الدين القسام ، بينما قدمت فرقة « بيت ابناء الصمود » ( ٣١ عضواً ) مجموعة رقصات ودبكات شعبيةفلسطينية ، وبعض الاغانى والمواويل الوطنية ، وبالنسبة لفرقة موسيقى الأشبال فقد كانت تؤدى معزوفاتها فى اغلب أوقات الفعاليات المختلفة ، واقامت عدة حفلات فى منتزهي « الدوحة » و « الخور » .

### أمسية شعرية

وفى اليوم الثانى من أسبوع العطاء الفلسطيني كان اللقاء الممتع مع الشعراء الأربعة : مي صائغ ، ومريد البرغوتي ، امجد ناصر ، وسعيد تيم .

وقد احتشد جمهور كبير من المتلقين للاستمتاع بهذه الأمسية ، وبكلمة رقيقة موجزة قدم الاستاذ موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون شعراء الأمسية ، وكانت البداية بالشاعر مريد البرغوتي استهل قصائده قائلا : فى هذا الكون كواكب .. فى الكواكب ارض .. فى الأرض قارات .. فى القارات اسيا .. فى اسيا بلاد .. فى البلاد فلسطين .. فى فلسطين مدن .. فى المدن شوارع .. فى الشوارع مظاهرة .. فى المظاهرة شاب فى صدره قلب .. فى قلبه رصاصة .

ثم القى الشاعر امجد ناصر قصيدة بعنوان « انتصار الحق » حيا فيها نضال شعبنا الفلسطيني فى الوطن المحتل ، ووقفته الجبارة امام الغزاة المحتلين .

ثم القت الشاعرة الفلسطينية الموهوبة مي صايغ قصيدتين رائعتين ، لنسمعها تقول فى نهاية قصيدتها « ماء البحر لم ينضب » :

تعالوا فى شراييني
لأزرع الفه اغنية
واوقظ الف امنية
واكتب فوق جدران الهواء الزرق اشعاري
واطلقها باجنحة الحساسين
تعالوا فى شراييني
لأرحل عن رصيف دمي
وعن لسع القرنفل فوق أَسِرَّة الجرحى
وعن وجع اقتلاع الروح من جسدي
وعن موت الرياحين

تعالوا فى شراييني
ليأتى البحــر
تأتي غابة الكينا
لأولد مرة أخرى
لأنجب مرج اطفال
واحيا مرة فى العمر
اقطف نجمة زرقاء
احرق عند خطوتكم قرابيني .

وكان ختام مهرجان الشعر قصيدة لاهبة القاها الشاعر المبدع سعيد تيم جاء فيها :

زمن الرداءة ان جرحي غــائر
لكأنما محياي فيك عقـــاب
لكأنما الأمواج تهجر شـطها
وتند عن أماقها الأهـــداب
لكأنما الأشجار تترك جــذرها
من اهلهــا تتبرأ الانســـاب
فمن المحيط الى الخليج قبــائل
تغزى فلا عــرب ولا اعــراب
يارب انت العـــدل هــل تلج
الشموس بيوتنا ، وبيوتنا سرداب
يارب هــل حق يــرد لعــالم
ما للضــعاف بعريه أثــواب

## الرواية الفلسطينية

وفى اطار فعاليات الأسبوع الثقافى القت الدكتورة رضوى عاشور استاذة الأدب الانجليزى بجامعة عين شمس محاضرة بعنوان « اتجاهات فى الروايـة الفلسطينية » . واستهلت محاضرتهـا بالحديث عن رواية « رجال فى الشمس » للاديب الفلسطيني غسان كنفاني والتى صدرت عام ١٩٦٣ م ، وقد اعتبرت الدكتورة رضوى هذه الرواية « أول انجاز فلسطيني هام فى مجال الرواية » ، وقارنت بينها وبين رواية كنفاني الثانية « ما تبقى لكم » .

وقالت بأن الانتاج الروائى الفلسطيني كان مختلفاً عن الانتاج الشعري فى مواكبته الواقع التاريخى ومتطلباته السياسية ، ففى حين ازدهرت القصيدة الفلسطينية فى الثلاثينات والأربعينـات معبرة عن الواقع النضالى فى الرواية الفلسطينية بقيت حضوراً خافتاً الى حد الغياب تقريباً .

وفى معرض بحثها عن السبب فى عدم وصول الرواية الفلسطينية الى الجماهير قالت المحاضرة : ربما لأن الشاعر الفلسطيني كان يرتكز الى تراث شعري عربى تليد وهو ما كان يفتقده الروائي الفلسطيني .

وقالت الدكتورة رضوى : ان الستينات قد قدمت الى جانب الشعراء الفلسطينيين الذين ظهروا فى الخمسينات كمعين بسيسو ويوسف الخطيب شعراء الأرض المحتلة كمحمود درويش وسميح القاسم ، اما فى مجال الرواية فلم تكرس الستينات الا روائياً فلسطينياً واحداً هو غسان كنفاني ، وكان لجبرا ابراهيم جبرا روايتان باللغة الانجليزية هما « صراخ فى ليل طويل ١٩٤٦ » و « صيادون فى شارع ضيق ١٩٦٠ » ويدخل الكاتب الفلسطيني الى السبعينات ويتصالح جبرا مع اللغة العربية ويبدأ فى الكتابة بها ، ويطرح المناضل اميل حبيبي – الذى يعيش فى فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨ – نفسه كروائى فيصدر مجموعة قصصية أولا ثم رواية « الوقائع الغريبة فى اختفاء سعيد ابى النحس » .

ثم يظهر جيل جـديد من الروائيين الفلسطينيين المتقاربين فى العمر والتجربة ومنهم : يحيى يخلف ، وسحر خليفة ، وليانا بدر ، وتوفيق فياض .

واختتمت الدكتورة رضوى عاشور محاضرتها القيمة موضحة ان الرواية الفلسطينية فى مرحلة تاسيس وبناء كادب وطنى يتابع المشهد الفلسطيني فى تعقيداته ومتغيراته ، ويجسد التجربة المشتركة ، والروائيون الفلسطينيون تماماً كالشعراء والفنانين التشكيليين يدخلون معركة على جبهة واحدة من أجل تثبيت الذات الجماعية التى اصيبت بنكبات ونكسات متعددة .

## النضال فى الأرض المحتلة

تميز اليوم الرابع من الأسبوع الثقافى الفلسطيني بتحوله الى تظاهرة تاييد لمواطني الأرض المحتلة خاصة بعد جريمة اطلاق الرصاص على المصلين فى المسجد الأقصى المبارك .

فقد توافد مئات الأشخاص الى قاعة الاحتفالات بفندق رامادا للاستماع الى ندوة المناضلين الثلاثة الذين ابعدتهم السلطات الاسرائيلية عن « أوجه النضال فى الأرض المحتلة » .

فى البداية تحدث السيد فهد القواسمة رئيس بلدية الخليل فشرح محاولات عودته وزميليه فقال : لقد عملنا كل ما نستطيع عمله من أجل عودتنا الى مدننا واهلنا ليس لأن العيش هناك ارحب واهنا ، بل لأننا لا نقبل بديلا عن الوطن ، ولقد حصلنا على ثلاثة قرارات من الأمم المتحدة لأجل عودتنا ولكننا لم نتمكن، وتساءل السيد القواسمة بدهشة : كيف يعقل ان تتم عودة شعب بكامله ، والصهاينة يرفضون اعادة ثلاثة اشخاص فقط ؟

واشار الى ان القضية الفلسطينية قد حصلت على ٤٥٠ قراراً حتى الآن لصالحها ولكنها كانت تفتقر الى أهم قرار وهو قرار القتال من أجل التحرير والعودة ، ويجب على الأمة العربية ان تدرك بان تحرير فلسطين لا يمر عبر الأمم المتحدة ، انما يتحقق بشرعية البندقية والصاروخ .

ثم تحدث السيد محمد ملحم رئيس بلدية حلحول ، وضرب بعض الأمثلة عن معاناة الشعب الفلسطيني تحت نير الاحتلال ، وقدم تحليلا موضوعياً لابعاد الانتفاضة فى الأرض المحتلة ، وقال بانها تعتبر نقطة تحول وبداية عصيان مدنى ، واشار الى أن سكان الجليل والمثلث قد تضامنوا مع اخوانهم سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، واعتبر أن وجود بيجن وشارون وايتان وميلسون فى الحكم هو اكبر سند للفلسطينيين كي يفضحـوا الاحتلال الصهيوني ويعروه امام العالم . وتمنى السيد ملحم فى نهاية كلمته ان يكون اضراب يوم الأربعاء الذى تم فى العالم الاسلامى بداية ايجابية لمتغيرات حقيقية يمكن أن تساهم فى تحويل حجر الطفل الفلسطيني إلى صاروخ ، ونادى لذلك بايقاف الحرب العراقية الايرانية وتوجيه كل الجهود والبنادق لمواجهة العدو الصهيوني الشرس .

وكان آخر المتحدثين فى الندوة فضيلة الشيخ رجب التميمي القاضى الشرعى لمدينةالخليل فوجه أروع التحايا لشهداء المسجد الأقصى ولكل الشهداء الذين قضوا في سبيل فلسـطين والاسلام ، واتهـم سلطات الاحتلال بتدبير حادث المسجد الأقصى ، وقال ان بيجن وعصابته يعملون ضمن مخطط مدروس للقضاء على المقدسات الاسلامية وابتلاع أرض السلام

واشار الى حوادث الاعتداء على الحرم الابراهيمي فى مدينة الخليل ، وقال بأن اليهود قد احتلوا جميع اجزائه ليقيموا



فرقة موسيقى الأشبال تعزف الحانها فى منتزه الدو



فرقة العاشقين تؤدي رقصة الدبكة

# عندما تنعكس آلام الوطن في الفن والثقافة

صلواتهم فيه ، ولم يبق للمسلمين اليوم سوى خمسة امتار فقط من مساحة المسجد الكبيرة .

وأكد الشيخ التميمى ( ٧٢ عاماً ) ان المسجد الأقصى هو فلسطين ، لأن الله سبحانه وتعالى حينما اسرى بعبده الى هذا المسجد بارك فيما حوله ( اى فلسطين ) ولذلك فان التفريط بأى شبر فلسطيني هو تفريط بالأقصى ، وخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين .

## تجربة أسير

وضمن فعاليات الأسبوع الثقافي القى المناضل مهدي بسيسو عضو المجلس الثوري لحركة « فتح » محاضرة شيقة عن تجربته كأسير فى سجون الاحتلال الصهيونى لمدة تزيد عن التسع سنوات .

بدأ محاضرته بالقول بانه لا يريد أن يتحدث عن الالام الجسدية فى معاناته كأسير وهى نموذج لحالات الاف الأسرى الفلسطينيين فى السجون الصهيونية ، لكنه طالب باستمرار الدعم والمساندة لهؤلاء الابطال الذين يعيشون فى اقسى ظروف الاعتقال ، وانه لا يملك القدرة اللغوية للتعبير عن قسوة تلك الحياة .

وشرح المحاضر كيفية اعتقاله عام ١٩٧٠ حيث كان على رأس مجموعة فدائية من سبعة اشخاص مخرت عباب البحر المتوسط على ظهر زورق صيد صغير متجهة إلى فلسطين المحتلة .

ورغم ان المدة المقررة للوصول كانت يوماً واحداً الا انها امتدت ثلاثة ايام بسبب عطل اصاب العادم ، ولكن تم الوصول إلى الشاطىء الفلسطيني المحتل عند الشروق حيث تمكنت دوريات العدو من كشف المجموعة ، « فحوصرنا بقوات بحرية وجوية ، ولم نجد مفراً من الاستسلام ، بعد ان افرغنا كل سلاحنا وذخيرتنا فى قاع البحر ، ثم حملونا معصوبى الأعين مصفدى الايدى والأقدام » .

واوضح المناضل بسيسو ان التحقيق معه استمر ثلاثة اشهر تحت التعذيب الرهيب ، وقد شاهد فى الزنازين الضيقة الجدران الملطخة بالدماء اسماء المعتقلين السابقين ، واشار الى انه تنقل فى كل المعتقلات الاسرائيلية تقريباً ، وان العدو كان يباشر التحقيق مع المعتقلين ضمن خطة علمية مدروسة ومحكمة .

واشار الى ان العدو كان يهدف من وراء كل هذه المضايقات الى تحويل الفدائى الأسير الى عميل أو الى انسان مفرغ من محتواه الوطنى عبر مخطط نفسى رهيب يشيع فيه اليأس ، هذا عدا عن اسلوب التصفية الجسدية .

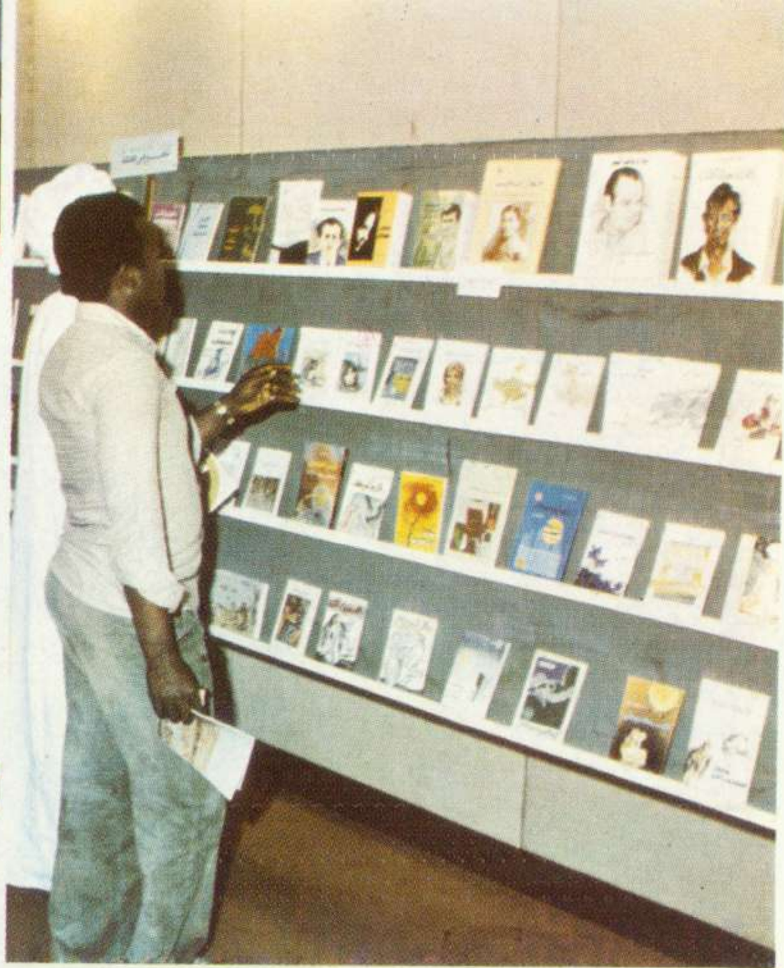
ونظراً لسوء المعاملة فى السجون الاسرائيلية فقد اضطر المعتقلون العرب مرات كثيرة الى الاضراب عن الطعام مما اجبر العدو على الاستجابة لبعض طلباتهم البسيطة .

## الجوانب المشرقة

ثم تطرق المناضل مهدي بسيسو للحديث عن الجوانب المشرقة فى تجربة الاعتقال فقال : أن أهم ما كان يميز تجربتنا هو اعتقادنا اننا نشكل فى السجون الاسرائيلية احتياطاً اضافياً لرفد الثورة الفلسطينية بعد خروجنا من السجن ، وارجو ان لا يتصور احد اننا كنا نعيش فى سجوننا فى حالة خوف ، بل ان تجربتنا افادتنا كثيراً فى التعرف على عدونا



△ متفرجون امام معرض الصور الفوتغرافية



▷ جانب من معرض الكتب الفلسطينية

الصهيوني عن قرب ، وقد اكتشفنا كم هو مذعور وجبان .

واشار الى ان المعتقلين كانوا يشتركون فى انتخابات سرية ديمقراطية لاختيار الخلايا والقيادات التى تجمع المعتقلين ، وكانت هناك قيادة موحدة تنظم حركة الاضرابات ، ونشر الأخبار والمعلومات الجديدة ، وتعبئة المعتقلين ثورياً .

وفى ختام محاضرته المثيرة أكد مهدي بسيسو على أن تجربة الاعتقال علمته ان العدو لا يفهم سوى لغة القوة ، وان الفلسطيني ما دام يمتلك الايمان بالله وبعدالة قضيته فلن ييأس أبداً وسينتصر على اعدائه بأذن الله .

## تقييم العرس الفلسطيني

هذا ما سمح به الحيز المكاني والزماني لعرض فعاليات الأسبوع الثقافي ، وهناك فعاليات أخرى لا يتسع المجال لعرضها ، مثل الندوة التى احياها المخرج الفلسطيني المعروف مصطفى ابو علي عن « القضية الفلسطينية فى السينما العربية » . ولعلنا نعود لها فى مقالة مستقلة .

كذلك وقائع المؤتمر الصحفى الذى عقده السيد يحيى يخلف الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين حول الأسبوع الثقافى الفلسطيني فى الدوحة ، والذى وجه فيه الشكر والتقدير لدولة قطر على استضافتها لهذا العرس الفلسطيني . ولقد كان مقرراً أن تكون خاتمة الأسبوع الثقافى أمسية شعرية يحييها الشاعر الكبير محمود درويش ، ولكنه اعتذر عن الحضور الى الدوحة فى اللحظات الأخيرة نظراً لتطورات الأوضاع الأمنية فى بيروت

وعن تقييمه لفعاليات الأسبوع الثقافى الفلسطيني قال لي الاستاذ موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون : ان الأسبوع الثقافى الفلسطيني يختلف – ويجب ان يختلف – عن اى أسابيع ثقافية أخرى ، لأن القضية الفلسطينية يجب أن تطرح نفسها من خلال كل فقرة أو نشاط أو أية فعالية أخرى .

وفى اعتقادى ان الأسبوع الفلسطيني قد حقق نجاحاً باهراً ، بل انه كان من انجح الاسابيع الثقافية التى شهدتها دولة قطر . والذى ساعد على هذا النجاح ان توقيت اقامته قد تزامن مع الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة .

... هذا وقد حضرت إلى قطر لمشاهدة فعاليات الأسبوع وجوه فلسطينية عديدة منها : ياسر عبد ربه ، الدكتور حنا ناصر ، اسماعيل شموط ، ناهض الريس ، غازي عبد القادر الحسيني ، عبد العزيز السيد احمد ، زياد عبد الفتاح ، صلاح التعمري ، محمد ابو ميزر ، وليد ابو بكر ، صبحى ابو كرش ، نبيل عمرو ، ناجي العلي ، محمد الظاهر ، أمين مصطفى ليانا بدر ، اسماء الجراح ، هند جوهرية .

كما حضرت جميع فعاليات الأسبوع الثقافي الشريفه دينا عبد الحميد استاذة الأدب الانجليزى فى جامعة القاهرة سابقاً

وأخيراً .. « فبهذا الاسبوع الثقافى الحافل اكتسبت العلاقات الفلسطينية القطرية بعداً انسانياً جديداً ، لأن الأسبوع فى جوهره يمثل حرصاً مشتركاً على رعاية « الأمل الفلسطينى » الذى استضافت دولة قطر قافلته الفنية والأدبية والفكرية خلال مسيرته الحضارية التى تغذ السير قدماً لتدق ابواب النصر .

وبرغم كل أهوال خصوصية الوضع الفلسطيني فسيظل العطاء الفلسطيني قومى التوجه ، مرصود الانارة الى طريق الوحدة العربية

نبيل خالد الأغـــا

## الفنان العالمي فان ديك

# كانت أمنيته أن يموت على أرض وطنه


الفنان العالمي فان ديك

● ولد الفنان العالمى انطوان فان ديك فى « أنفير » ببلجيكا فى ٢٢ مارس عام ١٥٩٩ من أب يعمل بالتجارة .

● بدأت موهبته الفنية فى سنوات عمره الأولى حيث التحق بمرسم « هنريك فان بالون » وعمره ستة أعوام ، ليستفيد من تجربته المبكرة فى هذا المرسم ، ويمضى فى طريقه الفنى بصورة أذهلت الجميع .

● استطاع فى عام ١٦١٨ أن يعرض لوحاته إلى جوار الفنان الشهير « روبنز » الذى كتب قبل هذا المعرض بعام واحد يمتدح أسلوبه الفنى ، حيث قال عنه ! إنه رسام ينطلق بدون توقف ليصبح اليوم من أهم فنانى هذا العصر !

● سافر « ديك » لأول مرة فى حياته إلى انجلترا فى عام ١٦٢٠ ، وبعد ثلاثة شهور من تواجده اقتنى الملك « جاك الأول » بعض أعماله التى قال عنها النقاد انها كانت - وقتئذ - متأثرة بأسلوب روبنز !

● سافر إلى ايطاليا ، وابتدأ منذ فبراير عام ١٦٢٢ فى دراسة كنوز الفن بروما ، والتقى فى ذلك الوقت بالكثير من الفنانين المشهورين ومنهم بادو ومانتو وفينيس ..

● فى ربيع عام ١٦٢٣ ذهب إلى فلورنسا قبل أن يعود منها للمرة الثانية إلى روما .. وخلال هذه الزيارات كان يقوم برسم وجوه الشخصيات المعروفة فى المجتمع الايطالى .

● عاد إلى بلده « أنفير » فى بلجيكا عام ١٦٢٧ ، وعند وصوله انهمرت عليه الطلبات ، وخاصة من البلاط وكبار شخصيات المجتمع .

● وعقب ذلك قامت علاقات وثيقة بينه وبين البلاط الانجليزى ، وقام بعمل مجموعة من اللوحات بطلب من « شارل الأول » كما رسم شارل الأول وعائلته ، ولهذا أطلق عليه النقاد فى ذلك الوقت لقب : رسام البلاط !

● انتشرت أعماله فى كل مكان ، وعندما ذهب إلى هولندا فى عام ١٦٣٢ وجد الطلبات تنهال عليه من كل مكان ، وقام برسم الصفوة فى هولندا فى لوحات أصبحت من الأعمال الفنية الخالدة .

● ثم ذهب من هولندا إلى مسقط رأسه ليشيد منزلا ريفيا يلجأ إليه كلما احتاج إلى وقت للراحة والهدوء .

● فى عام ١٦٣٥ عاد إلى انجلترا للمرة الثانية ليتزوج سيدة من البلاط هى «مارى روتبفان» .. وبعد عامين من زواجه عاد إلى مسقط رأسه ليعود مرة ثالثة عقب ذلك إلى انجلترا ، وليسقط مريضا فى شهر أغسطس عام ١٦٤١ ، وليقعده المرض عن استعمال أدواته الفنية ، ولا يستمر مرضه طويلا فيسلم الروح فى ديسمبر عام ١٦٤١ ، وعمره لا يتجاوز الثانية والأربعين فقط ، ويموت بعيداً عن منزله الريفى ، وهو الذى كان يتمنى أن يموت فى وطنه وألا تكون نهايته بعيداً عن الأرض التى عاش فوقها أحلى سنوات حياته .

● لوحاته تنتشر الآن فى العديد من المتاحف ، وبعضها موجود فى مدرسة الفنون الجميلة فى باريس .

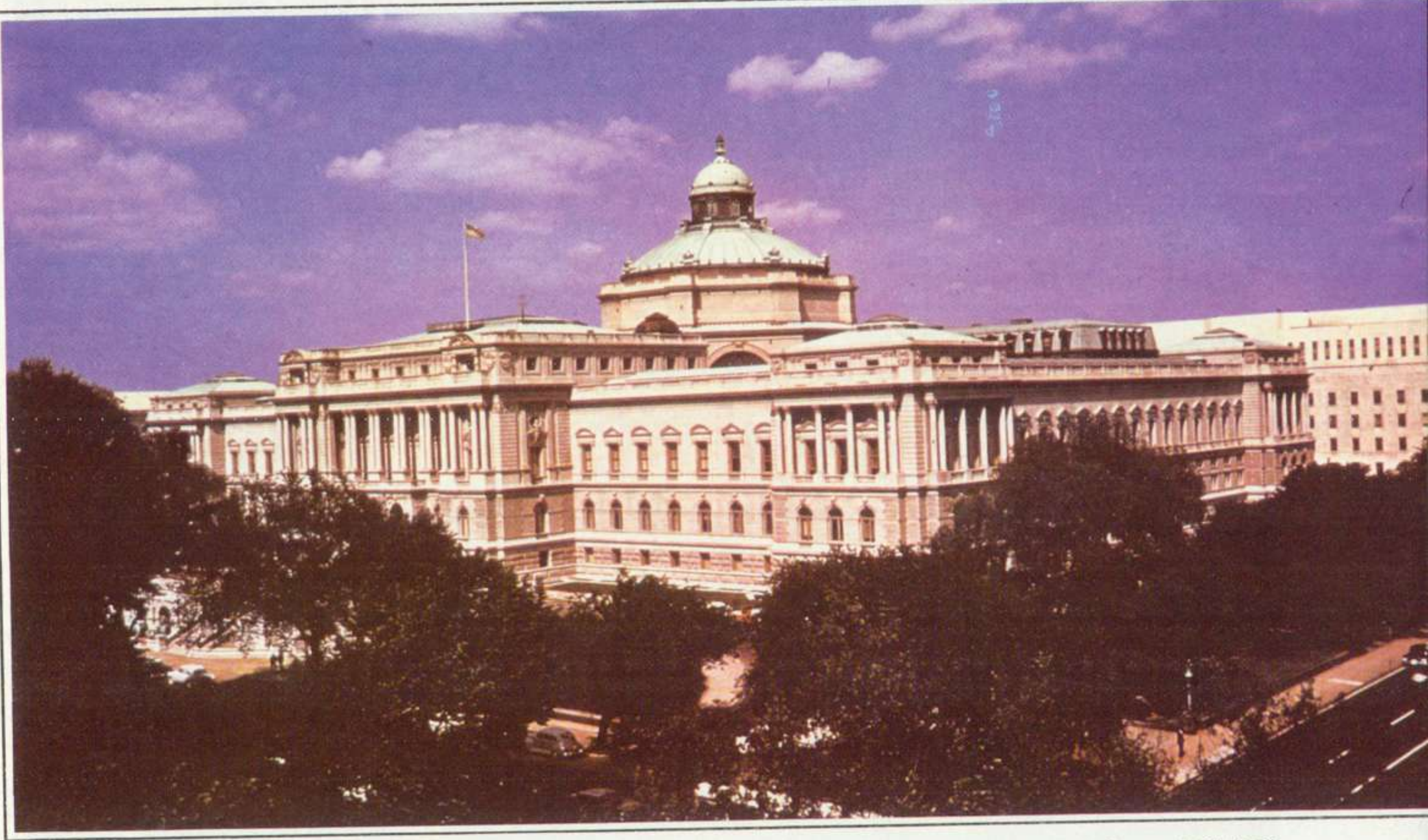
● ويتميز أسلوبه بالألوان المعبرة المبهجة ودقة الفن مع بساطته والتباين الواضح فى المساحات والخلفيات ، وكثيراً ما استخدم تعبيرات القسوة والنظرة المتعجرفة ليوضح غرور بعض الرجال الذين رسمهم .. وكثيراً ما اهتم بالبهجة والبراءة فى ألوانه وتفاصيل شخصياته وهو يرسم الطفولة وبعض الشخصيات المؤثرة فى حياتنا الاجتماعية .



سيدة مجتمع .. للفنان العالمى انطوان فان ديك

# مكتبة الكونجرس
# أكبر مكتبة في العالم

بقلم: الدكتور فوزي تادرس



مكتبة الكونجرس التى تضم أهم كنوز المعرفة الانسانية .. وعلى الصفحة المقابلة لقطة للقاعة الكبرى فى المكتبة الشهيرة

- تضم ٢٠ مليون كتاب منها ١٥٠ ألف كتاب عربي
- صورة الفيلسوف الإسلامي «الفارابي» تحتل الصدارة في قاعة المكتبة العالمية

تقع المكتبة فى مواجهة الكونجرس حيث تضم بين جدرانها كنوز المعرفة التى سجلتها خواطر وعبقرية الانسانية .

وتختلف مكتبة الكونجرس فى نشأتها عن المكتبتين العالميتين الآخريتين : المكتبة الوطنية فى فرنسا والمكتبة البريطانية فى انجلترا والتى كان اسمها مكتبة المتحف البريطانى .

يرجع فضل انشاء المكتبة الوطنية الفرنسية إلى الملوك الفرنسيين الأوائل منذ وقت شارلمان الذى حكم من سنة ٧٦٨ إلى سنة ٨٠٠ ، واتسعت المكتبة فى عهد لويس الرابع عشر ، والذى حكم من ١٦٤٣ إلى ١٧١٥ . ولقد كانت نواة المكتبة البريطانية هى مجموعة سير هانس سلون الطبيب ، ومجموعة الملك جورج الثانى والذى حكم من سنة ١٧٢٧ ـ ١٧٦٠ ، وأضيفت اليها فيما بعد مجموعات جورج الثالث والذى حكم من ١٧٦٠ ـ ١٨٢٠ .





جانب من مبنى المكتبة العالمية التى تضم أعظم المجموعات المكتبية فى الولايات المتحدة الأمريكية

وعلى العكس ، فان مكتبة الكونجرس تختلف فى تاريخ نشاتها . فهى تتمتع بتاريخ ديمقراطى .

إنها - كما يذكرنا الاسم - قد بنيت وجمعت مجموعاتها بمجهودات رجـــال الكونجرس والذين كانوا متخصصين فى الدراسات القانونية متمرسين فى النظر والرجوع فى أعمالهم اليومية إلى الكتب والمراجع لاستقاء القوانين والوقوف على تفسيراتها وتطبيقاتها . لمثل هذا الماضى ، كان منطقياً ان يهتموا ببناء مكتبة للوقوف على القوانين والأنظمة الوطنية والعالمية كى يرجعوا اليها . وفى الجانب الآخر ، فان مكتبة الكونجرس قد بناها ممثلو الشعب وواضعو قوانينه وحماة حقوقه من أجل خدمة الشعب ، فلا أقل من أن تكون المكتبة بالتالى ملكاً للشعب وليست قاصرة على ممثليه ، وهذا هو وجه الاختلاف فى ظروف نشأتها ووظيفتها حيث يؤمها الناس بغض النظر عن جنسياتهم ، وبدون قيد أو شرط أو تصريح دخول كما يحدث فى المكتبتين العالميتين الأخريتين .

وتاريخ نشاة مكتبة الكونجرس يعود إلى تكوين أول كونجرس أمريكى عام ١٧٨٩ . إذ تقرر تأسيس مكتبة للرجوع إليها فى حالة إصدار قوانينهم . وكانت تلك هى الانطلاقة الأولى فى تاريخ المكتبة . ولقد قرر الكونجرس أن تقوم بخدمة الحكومة الفيدرالية وفى نفس الوقت تكون مركزاً ثقافياً وتاريخياً للدولة الناشئة .

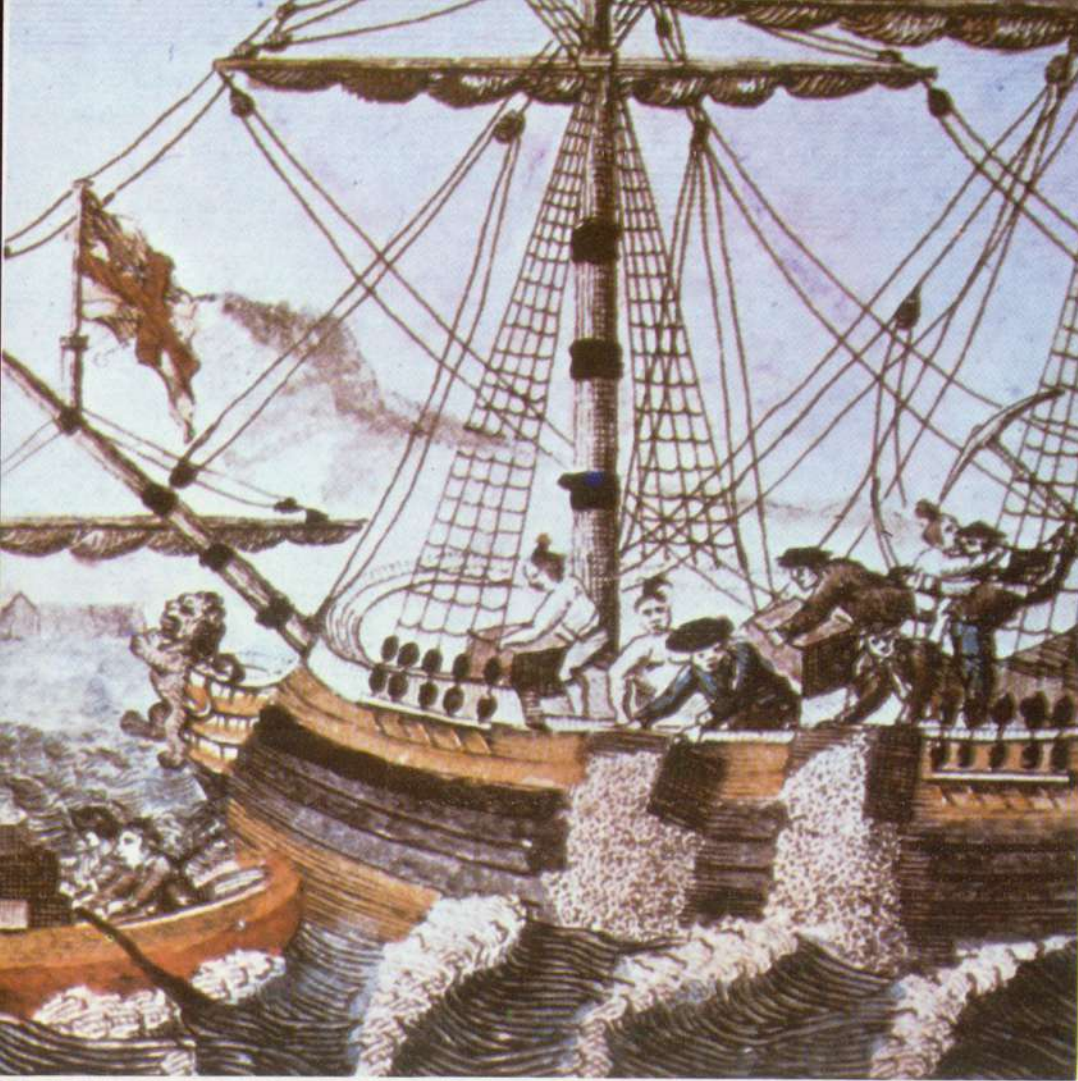
فى عام ١٨٠٠ بدأت المكتبة باستيراد ١٥٠ كتاباً فى ٧٤٠ مجلداً من انجلترا . كانت تلك المجموعة تضم الكتب القانونية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والتاريخية وبعض الخرائط . مثلما صـــدر قـــانون جيفرسون - الرئيس السابق للولايات المتحدة والذى يقضى بأن مكتبة الكونجرس هى مكتبة الولايات المتحدة ، وأن نشاطها فى خدمة أعضاء ولجان الكونجرس ، والى الادارات القانونية وللمكتبات الامريكية والعالمية ، والباحثين ، والعلماء ، والأدباء والفنانين وغيرهم .

وفى سنة ١٨١٤ وقعت أحداث خطيرة فى الولايات المتحدة ، اذ زحف الانجليز إلى واشنطن ، وقاموا بحرق مبنى الرئاسة ، وحطموا دار الوثائق ، وتركوا مكتبة الكونجرس كوماً من الرماد بعد أن ابتلعتها النيران .

ونتيجة لذلك ، قامت المكتبة بشراء المجموعة الخاصة بالرئيس جيفرسون والمكونة من ٦٫٤٨٧ مجلداً نظير مبلـــغ ٢٣٫٦٥٠ دولارا . وهذه المجموعة توصف بأنها أعظم المجموعات المكتبية فى الولايات المتحدة .

لقد قضى جيفرسون خمسين عاماً من حياته ليجمع مكتبته ، فهى بحق تعكس اهتماماته السياسية ، والفلســـفية ، والتاريخية . وكان جيفرسون يصنف مجموعته وفقاً لتصنيف « فرنسيس بيكون » الذى يحدد ثلاثة أنواع من العلوم : الذاكرة - السبب - الخيال . ولكن جيفرسون طور هذه العلوم الى ٤٤ علماً أقام عليها تصنيفاً لمجموعته .

كانت هذه هى النواه التى نمت بعد ذلك وأصبح رصيد مكتبة الكونجرس ٨٢ مليون قطعة تضم أشكال الأوعية التى تحتوى على الفكر الانسانى ابتداء من البرديات حتى أحدث الأوعية . وينقسم هذا الرصيد الى ثلاثين مليون مخطوطة تضم جميع الأفكار الأدبية والتاريخية والسياسية والعلمية والثقافية ، وبها ستة ملايين قطعة موسيقى من الكلاسيك إلى « الروك أند رول » ، ومليون



لوحة بالحفر لتصور فنان لحفل الشاى فى بوسطن وهى ضمن مجموعة بعنـــوان « حرية البلاد » .. ولقطة أخرى لقبة المبنى محاطة بمشعل العلم



سطوانة من الأغانى الشعبية ، وأكثر من ليون فيلم ، وخمسة ملايين ميكروفيلم ، ثلاث عشرة مليون صورة أصلية لأحداث اريخية وسياسية وشخصيات عالمية علمية ، وستة ملايين خريطة وأطلس ، عشرون مليونا من الشكل التقليدى لأوعية وهى الكتب . هذا بالاضافة إلى وراق ثلاثة وعشرين رئيس سابق للولايات لمتحدة .

أما رصيد مكتبة الكونجرس بأوعيته لمختلفة فهو موجود فى ٤٧٠ لغة مختلفة .

## فى قلب العاصمة

هذه المجموعة العظيمة موجودة فى عدة مبان فى قلب العاصمة الأمريكية وفى بعض الولايات الأخرى . ويوجد ثلاثة من هذه المبانى فى منطقة واحدة يربط بينهما أنفاق تحت الأرض .

أقدم هذه المبانى يعتبر علامة مميزة ومركزاً ثقافياً وسياحياً يؤمه زوار العاصمة هو مبنى « توماس جيفرسون » . وقد أسس سنة ١٨٩٧ على طراز عصر النهضة الايطالى ، واستغرق بناؤه ثمانى سنوات . غطيت جدران هذا المبنى من الداخل بالرخام الايطالى الأبيض وتحتوى قاعاته وممراته على تماثيل مقامه على أعمدة رخامية مرتفعة تمثل أشكال الحضارة المختلفة قام بتصميمها خمسون فناناً . وتقع فى هذا المبنى القاعة الرئيسية للمطالعة والتى يمكن مشاهدتها من شرفة أو منصة الزوار ، والتى تنهض على ارتفاع ١٦٠ قدماً من قاعة المطالعة المثمنة الشكل . وتشمل قاعة المطالعة على ٦٠٫٠٠٠ مرجع . ويقع فيها جزء من الفهرس العام ، والذى يشمل ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ بطاقة بالمؤلف والعنوان والموضوع وبطاقات إضافية حسب المداخل المختلفة ، وبها مكاتب تتسع لمائتين وعشرين باحثاً . وتعتبر هذه القاعة الرئيسية قلب المكتبة إذ أنها تتصل بالأقسام الموجودة فى المبنيين الآخرين بأجهزة كهربائية وبضغط الهواء حتى تصل الكتب فى دقائق الى الأساتذة والباحثين الذين يطلبونها .

ويقع خلف المبنى الأول ، مبنى « جـــون آدمز » وقد شيد عام ١٩٣٩ . وإلى جانبهما يقع مبنى « جيمس ماديسون » ومساحته تساوى مساحة المبنيين الآخرين وقد استغرق بناؤه عشرين عاماً وافتتح سنة ١٩٨٠ . والانفاق الثلاثة التى تربط بين هذه المبانى الثلاثة فى ( حركة مرور ) دائم مزدحمة بالآلات الميكانيكية والكهربائيـــة وبأجهزة الضغط الكهربائية لنقل الكتب منها وإليها . ويتحرك فيها الأمناء والقراء بدلا من عبور الشوارع .

## المجموعة العربية

والمجموعة العربية بقسم الشرق الأوسط بمكتبة الكونجرس يبلغ عددها ١٥٠ الف مجلة ، قام باختيارها متخصصون فى الدراسات العربية والاسلامية . يشاركهم فى اختيار الكتب العربية متخصصون آخرون فى نفس الميدان ومركز عملهم بالقاهرة حيث يوجد فرع للمكتبة مهمته الأولى شراء المطبوعات العربية التى تصدر فى مصر وفى العالم العربى . يشرف على هذا الفرع متخصص فى الدراسات العربية والاسلامية ويساعده احد أساتذة المكتبات بجامعة القاهرة والذى يعمل مستشارا لمكتبة الكونجرس لمكتبها فى مصر وفى العالم العربى . يقوم مكتب القاهرة باختيار الكتب العربية ويعدها اعدادا فنيا مبدئيا ويرسلها الى المكتبة الرئيسية فى واشنطن لتتم عملية الاجراءات الفنية الكاملة من فهرسة وتصنيف وطبع بطاقات .

الى جانب عمل مكتب القاهرة ، فان رئيس قسم الشرق الأوسط وهو عالم متخصص فى الدراسات الاسلامية والعربية ، يقوم برحلات سنوية فى أنحاء العالم لشراء الكتب النادرة المتعلقة بهذه الدراسات ومن هذه الكتب النادرة مثلا مجموعة الشيخ المنصورى ، أحد علماء الأزهر الشريف الذين كانوا يهتمون باقتناء الكتب والمخطوطات النادرة وتعتبر مجموعته التى تحتفظ بها المكتبة تحت اسمه ، من أندر المجموعات العربية فى العالم الأمريكى .

الى جانب بناء مجموعة عربية متخصصة ، فان قسم الشرق الأوسط يقوم باعداد البرامج الثقافية العربية والاسلامية ودعوة العلماء

المتخصصين من العالم العربى للاشتراك فى هذه الندوات . ومن الذين اشتركوا فى العام الماضى من العالم العربى الاساتذة الدكاترة ، سهير القلماوى ، لويس عوض ، زكى نجيب محمود ، والشاعر المعروف نزار قبانى .

## مكتبة خاصة للمعوقين

ولعل أعظم عمل انسانى تقوم به مكتبة الكونجرس هو ما تعده للمعوقين . فقد انشأت لهم مكتبة خاصة فى مبنى رابع خاص يبعد بعض الشىء عن المبانى الثلاثة السابق ذكرها . وتتم عملية اختيار الكتب لهذه المكتبة من كتب مشاهير الرجال والعظماء ، ومن الروايات ، ومن الكتب التى احرزت قصب السبق فى عدد النسخ المباعة منها . ويبلغ رصيد هذه المكتبة ٢٥٫٠٠٠ عنوان . وفى كل سنة يتم اخراج حوالى ١٫٩٠٠ عنوان لكى تكون جاهزة للاعارة . ويتم تسجيل ٧٠٠ عنوان على اشرطة التسجيلات أو على اسطوانات أو تنقل بطريقة بريل . ويتم نفس الشىء بالنسبة للمجلات المطلوبة ، وبالنسبة للنوتات الموسيقية . وتقوم المكتبة بارسال هذه الكتب بعد نقلها وفقا لما يحتاجه القارىء المعوق ، ومعه جهاز عرضه أو استعماله بدون تكاليف بريد .

وتعتبر ادارة خدمات ابحاث الكونجرس من أهم الادارات الموجودة فى المكتبة . ولعل السرعة فى العمل وفى الانجاز هى ما يميز هذه الادارة . فلابد من إعداد البحث الذى يطلبه عضو الكونجرس فى أقصى سرعة حيث يمكن الاستفادة به اثناء انعقاد الدورة يوجد بهذه الادارة ٥٩٠ باحثا متخصصا فى موضوع معين من موضوعات المعرفة الانسانية أو فى منطقة معينة . ولهذا نجد امام كل باحث جهاز كومبيوتر ليساعده على ضبط الاجابات ولتخزين المعلومات واسترجاعها وللاجابة السريعة بالمعلومات المطلوبة . وهناك فئة محللى البرامج التى يقرها الكونجرس لمتابعة أعمال هذه البرامج ونجاحها أو فشلها ، ولذلك يعمل بهذه الادارة المستشارون والقانونيون . ثم تهتم هذه الادارة بتعيين المتخصصين فى المخترعات العسكرية والبرامج الصحية والتامينات الاجتماعية ومشاكل الاسكان والتعليم .

## اكبر مجموعة قانونية

وتعتبر مكتبة الحقوق اقدم المجموعات بالمكتبة وإن كانت أصغرها قياسا بالمجموعات الأخرى . وتضم هذه المكتبة اكبر مجموعة قانونية فى الولايات المتحدة وفى العالم ، وهى لا تغطى القانون الامريكى ولكنها تضم المراجع والقوانين العالمية المختلفة والعاملون بها حقوقيون من انحاء العالم ، كل حسب المنطقة التى يغطيها ، ويشترط أن يكون حاصلا على درجة قانونية من هذه المنطقة إلى جانب شهادة الحقوق الأمريكية ليستطيع الالمام بالقانون المقارن ، ولكى يكون متمكنا من الاجابة على اسئلة رجال الكونجرس ، واعضاء المحاكم ، ورجال القانون الذين يستعينون بمعرفة الأوضاع والقوانين المختلفة لحل مشاكل المهاجرين الذين يعيشون هناك . هذا بالاضافة إلى ان هذه المكتبة تمد أعضاء الكونجرس بالمعلومات والقوانين الخاصة بالبلدان المختلفة والتى يقيمون معها معاهدات صداقة أو علاقات اقتصادية وتجارية وسياسية .

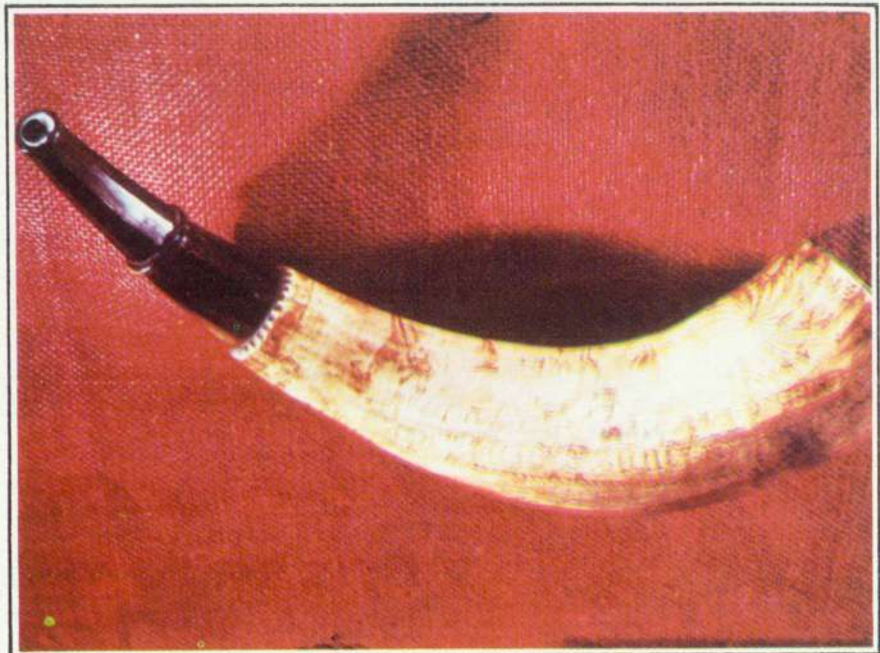
## مصدر هام لكتابة التاريخ

وإدارة الصور تاسست سنة ١٨٩٩ بعد أن أيقنت المكتبة منذ السنوات الأولى أهمية علاقة الصور التى يلتقطها الفنانون ورجال الصحافة ، ويبلغ عدد رصيد المكتبة من هذه الصور ثلاث عشرة مليون صورة مختلفة من كاريكاتير سياسى ، إلى صور نادرة من افريقيا وسيبريا وصور الحرب اليابانية الروسية ، وبها مجموعة نادرة من صور العمارة الأمريكية . لقد اصبحت هذه الادارة مصدرا لكتابة التاريخ والاقتصاد ، وبخاصة فى فترة انهيار الاقتصاد الامريكى فى الثلاثينات حيث أمدت هذه الادارة المؤلفين ، والناشرين ، ورجال التليفزيون ، والكتاب ، والأدباء بفيض هائل من المعلومات . مثلما أمدت رجال التاريخ ، ومصممى أغلفة الكتب ، بما يدعم نصوص أعمالهم التى يكتبونها . ومن جهة أخرى فان هذه الادارة ، تحفظ من خلال ما تملكه ، قصة نجاح الامريكيين وفشلهم واحتياجاتهم واحساساتهم بالحياة اليومية ولذلك فانه الى جانب الكلمة المكتوبة .. كانت هذه الصور ، مصدرا ثريا يصور الحياة الامريكية فى سنوات اكتشافها الأول .

## الفنون الشعبية والموسيقى

فى عام ١٩٢٨ أنشأت مكتبة الكونجرس مركز أرشيف للأغانى الشعبية ، وقد عمل فيه مشاهير المهتمين بالفنون الشعبية على رأسهم « آلان لوماكس » و « روبرت جوردان » لقد طاف هذان الفنانان وغيرهما بالمدن القديمة ، والأحياء الشعبية ، والسجون ، وكهوف الجبال ، والوديان ، وجمعوا منها الأغانى الشعبية ، وقام معمل التسجيل

قرن أجوف كان يتخذ لوضع البارود بداخله .. وهو ضمن محتويات المكتبة





لوحة نادرة تمثل إحدى المعارك الحربية .. وهى ضمن المجموعات الفنية فى المكتبة

الخاص بالمكتبة بتسجيل هذه الأغانى وإعدادها فنياً .

وفى سنة ١٩٧٨ أصدر الرئيس فورد قراراً بانشاء مركز التراث الشعبى الامريكى بالمكتبة . ومهمة هذا المركز نشر وجمع التراث الشعبى ، ومواد الثقافة الشعبية . ويعمل به متخصصون فى التراث الامريكى الشعبى . ويقدم هذا المركز حفلات وعروضاً شعبية فنية من موسيقى وعرض أزياء . ويتعاون هذا المركز مع مركز ارشيف الأغانى .

أما عن اهتمام المكتبة بنشر الوعى الموسيقى ، فقد شجعته إلى أبعد الحدود إذ قامت ادارة المكتبة بانشاء قاعتين كبيرتين لتقديم العروض الموسيقية والسيمفونيات والأوركسترات ، اسبوعياً بالمجان . مثلما تبث هذه العروض نفسها بواسطة محطات الاذاعة الموسيقية فى الولايات المتحدة وأوروبا . وتتسع القاعة الكبرى لخمسمائة كرسى تمتلىء عن آخرها بهواة الموسيقى مساء كل جمعة .

تخصص مكتبة الكونجرس قاعات جميلة مجهزة ومفروشة بأغلى الأثاث وتطل على أجمل المناظر . وفى هذه الغرف الوثيرة تستضيف الشعراء الأعلام لمدة سنة أو سنتين ، تتكفل باقامتهم ومرتباتهم ، وتخلق لهم الجو المناسب للكتابة والتأليف ، ثم تقوم المكتبة بتسجيل ما جادت به قرائحهم على اسطوانات بأصواتهم . ودعوة الشعراء والأدباء تمتد الى خارج الولايات ومن بلدان العالم المختلفة ، مثلما تقوم المكتبة بتوزيع تسجيلاتها على محطات الاذاعات العالمية .

وهناك أمسية شعرية يوم الأثنين من كل اسبوع يلتقى فيها مشاهير الأدباء والمعجبون بهم للاستمتاع باحاديثهم وقصائدهم . وتذاع هذه الأمسيات الشعرية على محطات الاذاعة والتليفزيونات أيضاً .

وتساهم مكتبة الكونجرس فى البرامج الثقافية والتعليمية فتدعو الأدباء والعلماء من مختلف جهات العالم لالقاء محاضرات وعقد ندوات ، من أجل تنمية الثقافات المختلفة للشعب الأمريكى . وعلى سبيل المثال فقد ساهمت المكتبة فى برنامج « مصر اليوم » الذى استمر ثلاثة أشهر .

## دراسات المناطق وخدمات الكومبيوتر

وهناك ما يسمى «إدارة دراسات المناطق» وهى مقسمة وفقاً للغة المنطقة التى تخدمها فهناك مثلا أقسام الشرق الأوسط ، وأمريكا اللاتينية ، وأوروبا الوسطى ، واللغات السلافية ، والقسم الأسبانى ، والقسم البرتغالى . ويعمل فى هذه الادارات متخصصون فى ميادينهم وكل من هذه الأقسام تمتلك قاعة خاصة بها للقراءة ، وقاعة خاصة للمراجع التى تفيد فى الدراسة والبحث .

ولقد أدخلت ادارة خدمات أبحاث الكونجرس على الكومبيوتر ملخصات لكل القوانين الجارية . إنها تضيف ٣٠٫٠٠٠ قانون فى كل سنتين من انعقاد دورة الكونجرس . وهذه القوانين يمكن استرجاعها بسهولة ويسر . وأيضاً وضعت هذه الادارة ٢٥٫٠٠٠ تقرير حكومى ،



لوحة أصلية تمثل تصوراً فنياً عن الاستسلام فى « ساراتوجا » .. وهى أيضاً ضمن مجموعة حرية البلاد

وعشرات الآلاف من المقالات المنشورة فى الصحف التى يمكن استرجاعها بالمؤلف وبالعنوان وبالموضوع .

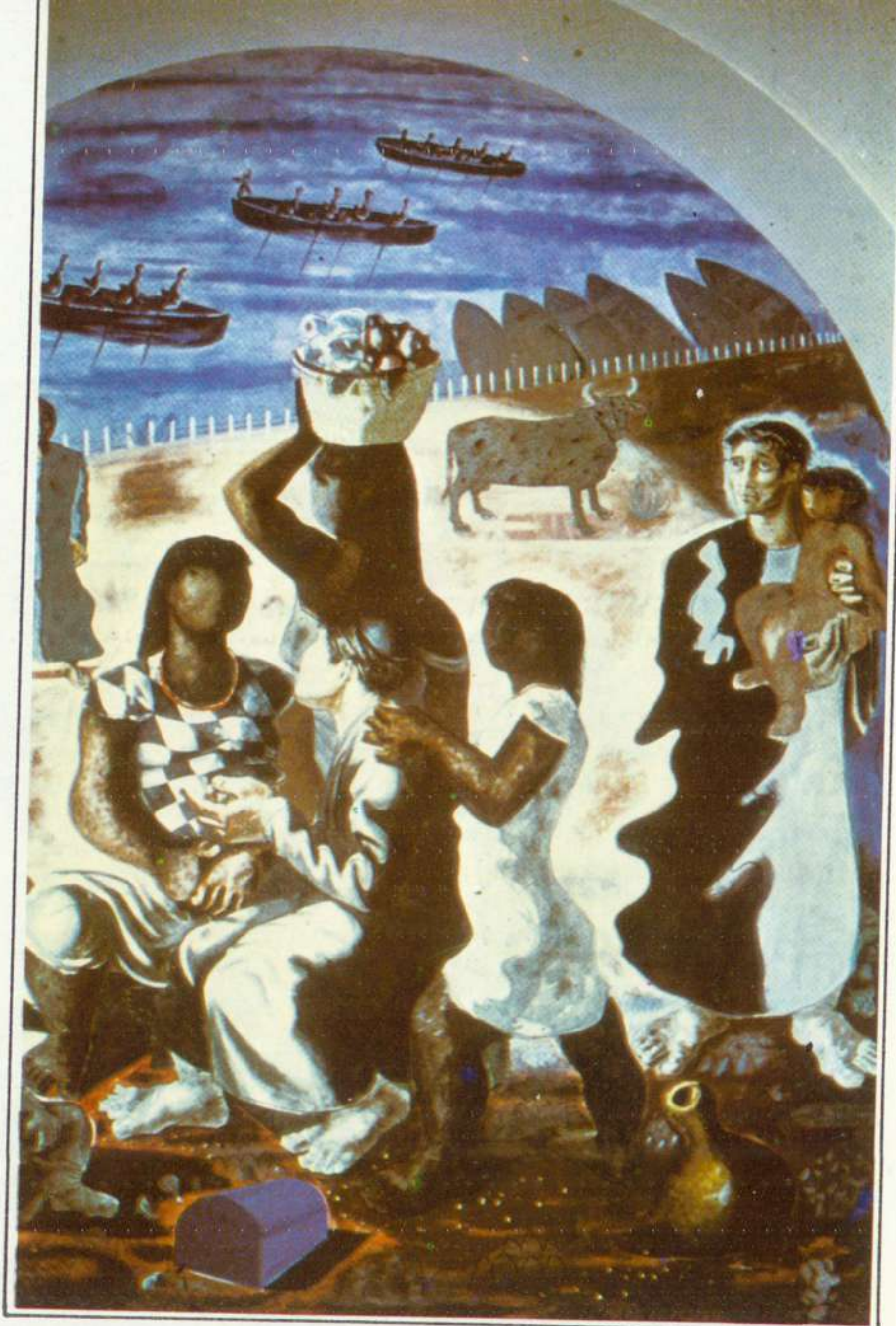
كذلك قامت مكتبة الكونجرس بادخال مجموعاتها على الكومبيوتر للكتب التى نشرت منذ عام ١٩٦٩ ، ويجرى العمل الآن باضافة سنوات أخرى حتى ياتى الوقت فتضع المجموعة كلها على الكومبيوتر ..

أما بالنسبة للقارىء العادى الذى يتردد على المكتبة راغبا فى الحصول على معلومات ببليوجرافية لبحثه ، فان هناك عشرات من اجهزة الكومبيوتر موجودة فى متناوله . وباستطاعته أن يقرأ التعليمات الموجودة بجوار الجهاز وعليه ان يتتبع خطواتها . كما انشات المكتبة حجرة خاصة بها عشرات من اجهزة الكومبيوتر لتدريب الذين لديهم رهبة من استعمال هذه الأجهزة ويقوم امناء خدمة المراجع بتدريبهم لمدة تستغرق اقل من الساعة يستطيعون بعدها ممارسة البحث واستعمال الأجهزة بطريقة صحيحه وسريعة .

وفى جميع أقسام المكتبة توجد مئات من اجهزة الكومبيوتر يقوم بالاستعانة بها امناء ادارة الاجراءات الفنية وأقسامها المختلفة من فهرسة وتصنيف ، وتزويد ، ويبلغ عدد العاملين بها أكثر من ٢٥٠٠ أمين . ويستعين أيضاً بالكومبيوتر أقسام المكتبة المختلفة من خدمة مراجع ، وبحوث ، والادارت المالية وغيرها .

## الفهرسة والتصنيف

هناك اكثر من ٣٥،٠٠٠ مكتبة أمريكية تعتمد اعتماداً كلياً على بطاقات مكتبة الكونجرس التى تقوم ببيعها لهم بثمن زهيد للغاية . والعمل المكتبى - فنياً - يشتمل على مئات من قواعد الفهرسة والتصنيف ، وقواعد لاختيار المداخل المختلفة ، وتأسيس رؤوس موضوعات للكتب بحيث يسهل الوصول اليها . لذلك رأت مكتبة الكونجرس أن تقتحم دور تادية هذه العمليات للمكتبات الأمريكية والعالمية ولقد وفرت المكتبات الأخرى ذلك الجهد



تعليم الهندوستانية .. وهى من الأعمال الجدارية

المضنى نظير شراء البطاقات .

● ●

والآن .. يبرز سؤال : كيف تحصـــــل المكتبة على أوعية الفكر ؟

تقوم المكتبة بعمليات الشراء أو التبادل أو عن طريق قانون الايداع الذى بموجبه تودع خمس نسخ من كل كتاب يصدر فى الولايات المتحدة .. وبالنسبة للكتب الأخرى التى تنشر خارج الولايات ، رأت المكتبة انشاء مكاتب لها فى أغلب البلدان تقوم بعملية الشراء . فهناك مكاتب فى الشرق الأوسط ، الشرق الأقصى ، يوغوسلافيا ، افريقيا الجنوبية ، نيروبى حيث يغطى حركة النشر فى اثيوبيا ، وكينيا ، وملاوي ، والصومال ، والسودان ، وتنزانيا ، واوغندا ، وزامبيا ، وغيرها من بلدان المنطقة ، ويغطى فرع جاكرتا بلاداً مثل اندونيسيا ، ماليزيا ، سنغافورة ، وغيرها . ويغطى فرع القاهرة العالم العربى وشمال افريقيا . وهناك مكاتب فى أوروبا لتغطية حركة النشر الأوروبى .

وهذه المكاتب تهتم بشراء الكتب من هذه البلاد فيما عدا الكتب المترجمة من أصول أجنبية ونقلت الى لغة هذه البلاد ، والكتب العلمية ، وكتب الأطفال ، وكتب المناهج المدرسية . ويشرف على هذه الفروع ابناء متخصصون فى المنطقة الجغرافية التى يعملون فيها . هذا ويبلغ عدد الفروع فى العالم ٤٢ فرعاً يرسل الكتب جواً الى مكتبة الكونجرس .

وأخيراً لعل فلسفة مكتبة الكونجرس التى تجعلها تهتم بالمعرفة الانسانية فى العالم أجمع انها تعتبر الولايات المتحدة ذات تاريخ وماض فريد يختلف عن تواريخ بلدان العالم أجمع . وهى تعتبر حتى لغتها الانجليزية - كما يقول امينها - لغـــة مستوردة فالولايات المتحدة مستمرة فى أن تقبل المهاجرين من مختلف العالم . وهؤلاء المهاجرون لهم خلفية تاريخية وثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة - ويعتقد أمين المكتبة وهو الحائز على جائزة « بولتزر » العالمية أن مسئولية المكتبة يجب أن تشبع رغبات سكانها (المهاجرين ) بأن تمتلك كتباً فى لغتهم الأم - لهذا فلا غرابة من وراء ذلك المنطق الانسانى ان تكون مكتبتهم الوطنية مكتبة عالمية .

فوزى تادرس
خبير اليونسكو
جامعة قطـــر

## المـــــراجــــــع

1. AVRAM, HENRIETTE D., LENORE S. MARUYAMA, AND JOHN S. RATHER, " AUTOMATION IN THE PROCESSING DEPARTMENT OF THE LIBRARY OF CONGRESS. "

LIBRARY RESOURCES AND TECHNICAL SERVICE, V 16, SPRING 1972

2. EVANS, LUTHER H.," THE STRENGTH BY WHICH WELIVE " ALA BULLETIN, V.44 , OCTOBER, 1950.

3. GOODRUM, CHARLES, " TREASURE OF THELIBRARY OF CONGRESS. N.Y.: HARRY N. ABRAMS, 1980.

4. KLINE FRED, THE LIBRARY OF CONGRESS: THE NATION'S BOOKCASE" IN NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE. V. 148, NOVEMBER 1975.

5. LETHBRIDGE, MARY AND JAMES W. MCCLUNG " THE LIBRARY OF CONGRESS " IN ENCYCLOPEDIA OF LIBRARY AND INFORMATION SCIENCE. V.15, 1975.

6. PUTNAM, HERBERT, " THE LIBRARY OF CONGRESS AS A NATIONAL LIBRARY " LIBRARY JOURNAL, V. 30 SEPTEMBER 1905.

7. SYNDER, SAMUEL S., "AUTOMATION AT LC: PHILOSOPHY, PLANS, PROGRESS, " LIBRARY JOURNAL, V.90, NOVEMBER 1, 1965.

# لقطات من الكون المثير

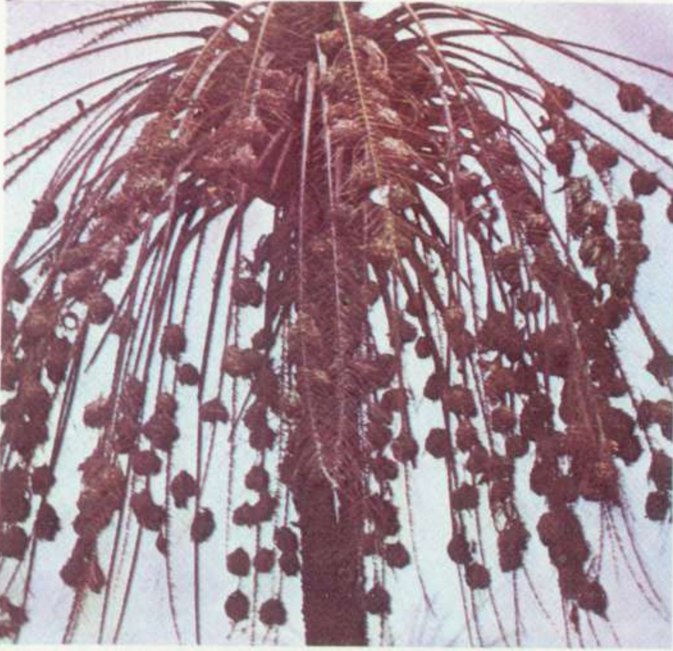


## زغب الحواصـــــل !

يقال أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أمر بسجن أحد الشعراء ـ وهو الحطيئـــة ـ لفسقه ومجونه ، وعندئذ أنشده شعراً يسترحمه به وبأطفاله الصغار :

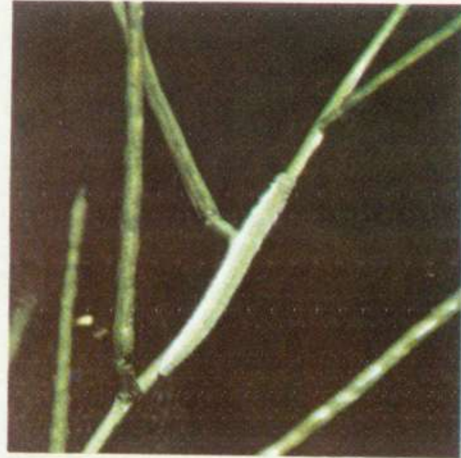
ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ويقال إن عمرا قد بكى ، فرق له ، وأخلى سبيله ، وكأنما قد رأى بإحساسه المرهف ما نراه نحن مثلا فى هذه الصورة ، فماذا يمكن أن يفعل هؤلاء الصغار إذا غاب عنهم من يرعاهم ؟ .. هذه اللقطة المثيرة لا تحتاج إلى شرح أو تعليق ، فكل صغير فى هذا العالم يحتاج إلى والديه .. يحتاج الأمان والطعام والحماية والرعاية والتدليل ، لا يختلف فى ذلك عالم الانسـان عن عالم الحيوان ، فما أسعد هؤلاء الصغار بمقدم أحد الوالدين ، إذ يظلون فى عشهم مستكينين صابرين لساعات قد تطول ، وما أن يهل عليهم الخير ـ والخير فى الوالدين ـ حتى يبرزوا من عشهم ويرفرفوا بأجنحتهم ، فاتحين مناقيرهم ، متعجلين لما يسد حواصلهم الفارغة ، إذ كلما نضبت ، جاءها رزقها رغداً ، وهكذا تتكرر هذه التمثيلية مئات أو آلاف الملايين من المرات كل يوم ، كما تكررت قبل ذلك بملايين السنين ، ولكن أكثر الناس عن هذا غافلون .



## الأمان فى « العلالى » !

الطرح كثير ، والعبء ثقيل ، لكن لا شيء يعود على هذه النخلة المسكينة ، فليس لها فى ذلك حيلة ، فكل هذه « المعلقات » على جريدها ليست ثمارها بل عشرات أو مئات من أعشاش طيور صغيرة تعرف باسم الطيور الحابكة أو الناسجة ، لأنها تنسج من الألياف والحشائش النباتية أعشاشها المعلقة والمثبتة بفن ودقة على جريد النخيل الذى ينمو فى افريقيا الاستوائية ، وكلما زادت هذه الأعشاش ارتفاعاً ، كان الاحتمال بالنسبة لبيضها وصغارها أكثر أماناً ، ولهذا تنتقى النخيل العالية ، لتجنب ذرياتها نهم البطون الجائعة ، لكن الغريب أن كل أبوين يعرفان عشهما فى هذه المستعمرة المعلقة والمزدحمة ، أو أية مستعمرات أخرى مشيدة على جريد نخيل مجاورة ، أما كيف يهتديان إلى ذلك فى هذه المتاهات المتداخلة ، فلسنا نعرف ذلك يقيناً ، ولهذا نرجع هذا الأمر إلى شيء غامض اسمه الغريزة ، والغريزة لفظ بديل لجهلنا ببعض ما هو كائن فى حياة الكائنات !





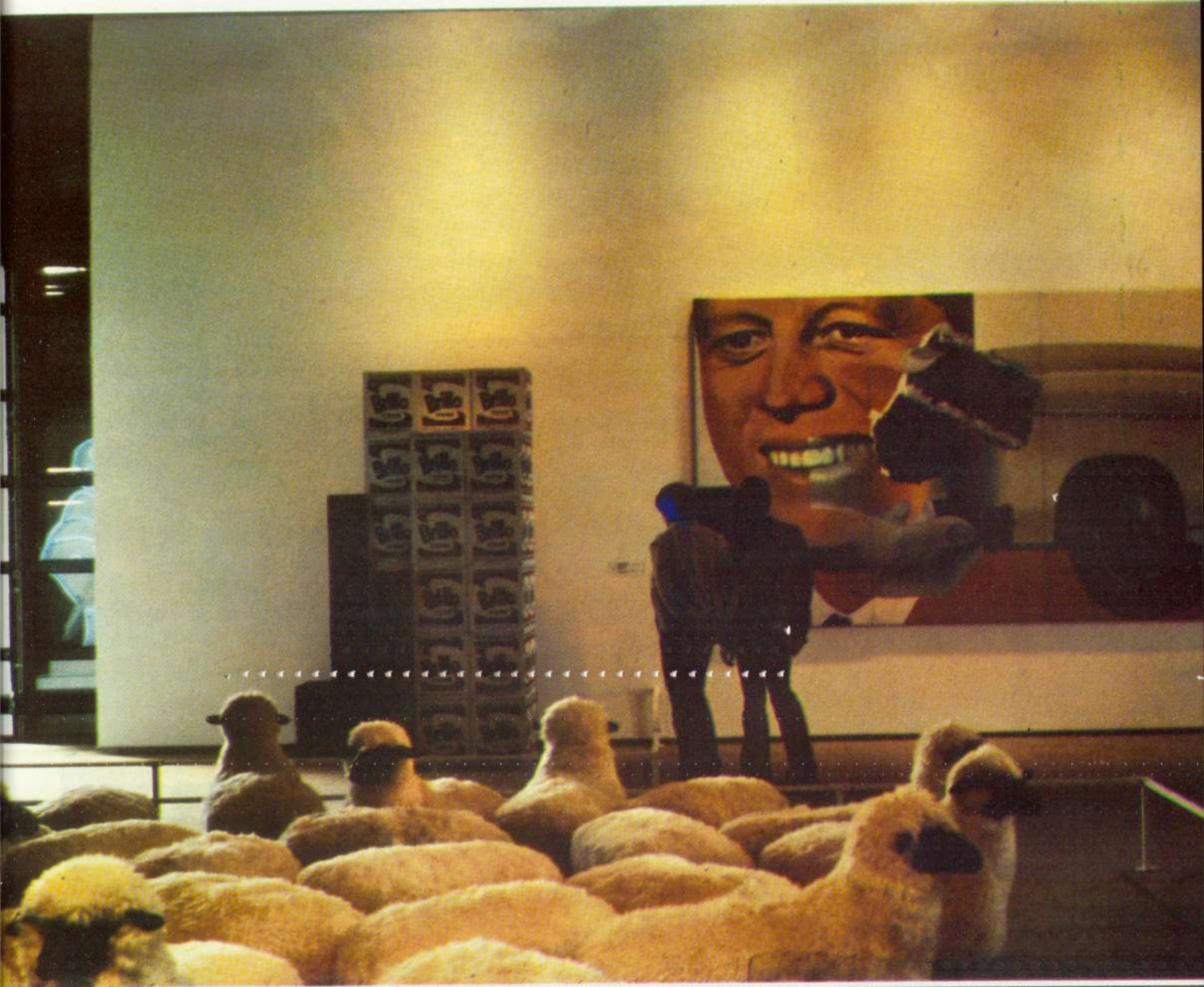
## لعبة غريبة .. اسمها التخفى أو التمويه

الحياة مليئة بالأخطار .. محفوفة بالموت ، حتى لكأنما هى تسير على مبدأ : آكل ومأكول .. أو صيد وصياد !

ولكثير من الكائنات حيل متفاوتة لكى تتجنب صياديها الذين يطمعون فى لحمها ، وغالباً ما يكون الصياد قوياً وكبيراً ، والصيد ضعيفاً وصغيراً ، ولابد للضعيف إذن من حيلة يستخدمها للدفاع عن نفسه وعن نوعه من الانقراض .

والصور المنشورة هنا توضح إحدى هذه الحيل التى اتخذتها بعض الديدان الضعيفة فى حياتها سبيلا ، فلو تمعنت فيها قليلا ، لوجدت الدودة قد اتخذت على غصن النبات وضعاً وشكلا ولوناً قريباً من شكل الأغصان ولونها ، حتى لكأنما هى جزء من النبات ، ويمثل هذا التمويه تلعب لعبة التخفى فى الطبيعة ، وبهذا تفوت الفرصة على صياديها من الطيور آكلة الديدان ، أو غيرها من حيوانات .

إنه إذن عالم مثير فيه من المكر والحيل والخداع والتمويه مالايخطر لنا على بال .. ومن لا يأخذ فيه حذره ، فلا يلومن إلا نفسه .. دودة كان ذلك أو حشرة أو ثعباناً أو انساناً !



ليست هذه الصورة فى أحد المراعى ولكنها فى متحف الفن الحديث فى باريس ، فالخراف اصطناعية وتبدو خلفها « علب » الفنان « اندى ورهول »

● فنان يحارب الجمال ويضيف إلى "الموناليزا" شاربين ولحية!

مدرسة فنية جريئة شعارها:

# تشويه الأعمال الفنية!

بقلم: عبود عطية



بعض محتويات متاحف الفن الحديث التى تقودنا إلى سؤال : هل هذا فن أم استفزاز ؟ !

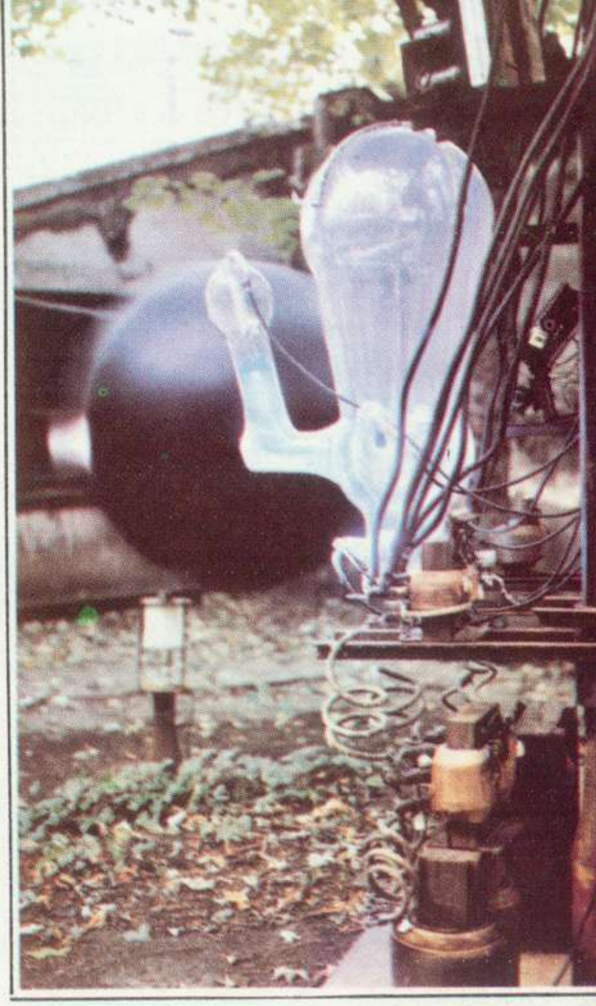
## .. وفنان يمزق لوحاته بالسكين ويقدمها للجمهور بدون ألوان أو رسوم !

**صحيح أن الأكاديميين الفرنسيين قد صعقوا سنة ١٨٦٢ عند رؤيتهم لوحة «غذاء على العشب» للرسام «ادوارد مانيه» هذه اللوحة التى التف حولها عدة فنانين عرفوا فيما بعد بالانطباعيين . وصحيح أن « فان جوخ » صدم معاصريه عندما عرض أمام عيونهم بعض لوحاته التى تمثل أحذيته القديمة أو بعض ثمار البطاطا . وصحيح أن الجرأة كانت دوماً ضرورية ، أو صفة ملازمة لكل فن جديد . ولكن هذه الجرأة أصبحت فى العصر الحالى عنصراً رئيسياً فى الانتاج الفنى ، وتحولت على أيدى بعض الفنانين الى هدف ، ولم تعد مجرد وسيلة . حتى باتت مسؤولة عن الانقباض الذى نشعر به فى بعض الأحيان عند سماعنا عبارة « الفن الحديث » !**

ما هى الأشكال الجريئة فى الفن الحديث ؟ والى أية درجة وصلت المبالغة فى الجرأة ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، لابد من العودة الى تاريخ وتطور الأحداث الجريئة التى أدت الى هذا التغيير الغريب والمفاجىء فى الفن الحديث

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، بدأت تظهر فى أوربا بعض الأصوات الداعية الى تحرير الفن من كل قيد أو شرط ، ومن أبرز هذه الأصوات يمكننا أن نذكر تيوفيل غوتييه، ولو كونت دى ليل ، وبودلير ، الذين أسسوا مجلة تحت اسم « لوبارناس كونتانبوران » وبلوروا عبرها نظرية « الفن الحديث » . هذه النظرية ساعدت الى حد بعيد على ظهور الانطباعيين فى الرسم ، وقطع علاقتهم بالزبون التقليدى الذى كان متمثلا فى السلطة والكنيسة والارستقراطية

مصابيح وآلات مغناطيسية تحرك كرات ضخمة من المعدن ... والموناليزا بشاربين وذقن .. فى محاولة لتشويه الأعمال الخالدة !

ومن ثم البرجوازية . ولكن هذه النظرية عرفت ، وبسرعة كبيرة أشد التفسيرات تطرفاً ، مما أدى الى انحطاط الانطباعية وظهور التكعيب ثم التجريد .

## التوقيع على زجاجة

وفى سنة ١٩١٣ ، رسم ماليفيتش لوحة تدعى « مربع أسود » (موجودة حالياً فى متحف لينينجراد) وبالفعل لا يوجد فى اللوحة سوى مربع أسود . وفى سنة ١٩١٤ عرض نفس الرسام فى نيويورك لوحة تدعى « مربع أبيض على خلفية بيضاء » ولم يكن فى اللوحة اى شىء يستحق الذكر . إلا أن جذور الجراة الحديثة التى سيعرفها جيلنا فيما بعد ، تعود الى نفس العام ، والى ما كان يحدث الى جانب التجريد .

وفى سنة ١٩١٤ ، دخل الفنان مارسيل دوشان الى أحد المخازن ، واشترى حمالة زجاجات فارغة . وبدون أن يقوم باجراء أى تعديل على هذه القطعة ، قام بتوقيع اسمه عليها ، وعرضها على أنها قطعة فنية .

وفى سنة ١٩١٨ ، قام تريستان تزارا بكتابة « ميثاق الداداتية » ، وهى المدرسة التى يعتبر مارسيل دوشان أحد كبار أساتذتها . وحددها كما يلى : «انها ليست بداية الفن ، بل بداية الاشمئزاز» وفى مكان آخر يقول : «إن هذه الحركة هى حركة هدم وتدمير ... تهزأ من كل القيم المقبولة مثل الوطن والدين والأخلاق والشرف ... إنها انفجار اليأس عند الفنان الذى يشعر بأن الهوة تكبر باستمرار بينه وبين المجتمع وزمانه » !

مارسيل دوشان شأنه شأن باقى فنانى الدادية يرفض الجمال ، أو بالأحرى المفهوم التقليدى للجمال الفنى ، ويدعو للعمل من أجل « اللا فن » !

وفى سنة ١٩١٩ ، أى فى السنة الثانية من عمر السريالية ، تابع « دوشان » محاربته للجمال الفنى المعروف ، وذلك عن طريق افتتاح تيار جديد يقضي بتشويه بعض قمم الأعمال الفنية المشهورة . إذ قام باعادة رسم لوحة « الموناليزا » ، بعد أن أضاف اليها شاربين ولحية معتمداً على التحليل الفرويدى الذى يقول بأن الموناليزا كانت رجلا أحبه ليوناردو دي فنشي ، لأن هذا الأخير كان منحرفاً .

ولكن ، وان لم تعش الداداتية طويلا ( خمس سنوات فقط) ، فقد كان لحركات مارسيل دوشان تأثير كبير على جيل آخر من الفنانين سيظهر بعده بأربعين عاماً تقريباً ، وبالتحديد فى بداية الستينات ، ولكن هذه المرة بأشكال أكثر حدة ، ولأسباب مختلفة تماماً !

## العداء ضد الجمال

وكان تأثير «مارسيل دوشان» على الفنانين ينحصر فى :

● فئة حاولت الجمع بين تقنية «دوشان» والدادائية من جهة والجمال من جهة أخرى ، وأفضل مثل يمكن أن نعطيه هو «ماتلين» الذى أعاد رسم «الموناليزا» مرتين بشكل ساخر ومتهكم تارة وهى تمسك بقسم من وجهها بيدها والى جانبها عبارة «هذه هى ابتسامتى» ، وتارة بشكل امرأة تقف فى وضع منفر قرب لوحتها الممزقة !

● فئة بلغ تطرفها فى رفض الجمال ومفاهيمه التقليدية حده الأقصى . هذه الفئة هى التى قدمت أكثر الأشكال جراة فى تاريخ الفن على الاطلاق ، هذا اذا سلمنا جدلا بأن انتاجها كان فناً ، وللدخول فى تفاصيل هذه الأشكال يجب أن نتذكر ما كانت عليه مرحلة الستينات !

فقد جاءت فترة الستينات حافلة بالاهتزازات من كل نوع ، وزلزلت الأوضاع التى كانت قائمة وقتئذ ، من استقلال الجزائر مع كل الآثار التى خلفها داخل فرنسا ، الى نزول الانسان على سطح القمر ، مروراً باغتيال كنيدى ، جيفارا ، مارتن لوثر كينج وحرب فيتنام ، وعدم حساسية الرسميين الأميركيين تجاه الاحتجاجات الصادرة بشأن

# تشـــويــــه الأعمال الفنيـة!



الموناليزا تقف بجوار لوحتها الممزقة .. تفكير غريب قدمه الفنان « ماتلين » !



« أشياء بيضاء على الطريق » عنوان لوحة للفنان الايطالى « انموستينو بونالومى »

هذه الحرب ، بالاضافة الى ظهور الهيبيين كرافضين سلبيين ، اضافة الى الأزمة الكبيرة فى الفكر الغربى والتى حاول الغرب حلها عبر الاستمرار قدما فى اللجوء الى العقلانية ، كل هذا جعل فنانى الستينات يشعرون بياس وخيبة عميقة . هذا الياس سيتفجر بشكل واضح فى الفن ، وفى هذه الفترة بالذات ، سيعرف الفن اكبر عداء تجاه الجمال ، وهو عداء وصل الى حد جعل بعض المنظرين يؤكدون امكانية ايجاد فنان تشكيلى لا يكون بالضرورة رساما او نحاتا . وهنا كان لابد أن تبرز ايطاليا لتحتل دورها الطليعى من جديد .

## العنف والفكرة والاستفزاز

إن ايطاليا التى تأثرت بكل اهتزازات الستينات العالمية ، عرفت أيضا اهتزازات خاصة بها . فبين عامى ١٩٥٣ و ١٩٦٣ ، استطاعت ايطاليا اعادة بناء اقتصادها بسرعة فريدة من نوعها . تطورت الصناعات الكيميائية والمعدنية والميكانيكية وسمح بتحديث البلاد على الطريقة الأميركية . ولأول مرة فى التاريخ الايطالى الحديث ازداد عدد الاناس ، ومن كل الطبقات ، الذين احتكوا بالمنتجات الصناعية الجديدة والفوها ، وفى سنة ١٩٥٧ ظهرت سيارة الفيات ٥٠٠ التى كانت علامة بارزة ، وقفزة كبيرة باتجاه الانجراف فى الاستهلاك الجديد .. خلال هذا الوقت ، بدأ منظرو الفن فى ايطاليا ، بالدعوة الى التزام الفن بالصناعة ، ودمج التصميم الصناعى بالجمال الفنى . وفى سنة ١٩٦٠ قدم «فرنشيسكو لوسافيو» عملا فنيا عبارة عن صفيحتين متقاطعتين من المعدن تحت اسم «معدن أسود غير شفاف ومنسجم» (حاليا فى مجموعة ف . سترينى) !

وهنا انقسمت مسيرة التيار السابق الى ثلاثة اقسام :

● العنف : العنف الاجتماعى والسياسى والعسكرى الذى تفجر فى الستينات ، وجد أرضا خصبة فى الفن . الفنان «أرمان» الذى لم يعد رساما أو نحاتا بدأ بشراء آلات موسيقية (قيثارة كمنجة ، بيانو ...) وحرقها ، أو حطم بعض أجزائها بالفاس ، ليقوم بعدها بعرض بقايا هذه الآلات على انها قطع فنية !

أما الفنان الايطالى «لوتشيو فونتانا» ، ففى البدء كان يطلى قماش اللوحة بلون واحد ، ومن ثم يقوم بتمزيقها بالسكين . إلا انه بعد وقت قصير ، بات يكتفى بعرض لوحات ممزقة لا تحوى اية الوان أو رسوم . وبات جمهور المتاحف مدعوا للوقوف امام مجرد قطع قماش ممزقة ، والاعجاب بها !

● فن الفكرة : فن الفكرة ، الذى يبالغ فى رفضه للجمال ، وفى رفضه كون الفنان رساما أو نحاتا ، وهو يعتمد على الرؤية الفكرية تجاه شىء معين على أنه قطعة فن ، ففى عام ١٩٦٢ ، قام النحات الفرنسى «سيزار» بانتاج منحوتة (معروضة حاليا فى مركز جورج بومبيدو) . وهى عبارة عن هيكل سيارة تحول تحت آلة ضغط المعادن الى مجرد مكعب معدنى . ولكن ، وان لجأ «سيزار» الى آلة لانتاج هذه القطعة ، فان الأميركى «اندى ورهول» لم يلجأ الى اية وسيلة انتاج لصناعة ما يفترض فيه أن يكون منحوتة تدعى «علب» (سنة ١٩٦٤) . والعلب هذه هى عبارة عن ٣٣ علبة كرتون من مسحوق الغسيل «بريو» و ١٤ علبة كرتون تستعمل لتوضيب علب صلصة البندورة ، صففت فوق بعضها البعض بشكل يفترض به أن يكون عملا فنيا !

ولكن وإن اعتمد الفنان الأمريكى ، وخاصة فى بدايته ، على بعض العناصر الاصطناعية ، مثل تصفيف خراف اصطناعية بشكل يشبه قطيع الأغنام ، أو بعض بقايا الآلات المستعملة ، فانه انتهى بسرعة الى أشد أشكاله تحررا : مثل رمى بعض النفايات أرضا ، ثم التطلع اليها على أنها عمل فنى ، وهذه النفايات فى بعض الأحيان تكون ملونة ، وأحيانا تبقى بالوانها الأصلية !

● الفن الفقير والاستفزاز : ابتدأ من مطلع الستينات ، بدأت الأعجوبة الاقتصادية فى ايطاليا تفقد بريقها ، والتذمر بدأ يحل محل



# تشويه الأعمال الفنية!

فن الفكرة .. نفايات مبعثرة أرضاً ولا ندرى ماذا يريد الفنان بذلك أو ما مدى مجهوده الفنى .. ومكان العرض : صالة نيويورك

الطمانينة بسبب التباطؤ فى النمو ، وبداية التراجع الاقتصادى ، الى هذا تضاف الأزمة العالمية فى سوق الفن وسوق النشر . كثيرون من الفنانين الطليعيين فى ايطاليا أرادوا التعبير عن نقمتهم على هذه الأوضاع ، وعن اشمئزازهم من المفاهيم السائدة . هؤلاء سيطلقون رصاصة الرحمة فى رأس الجمال الفنى . وذلك عن طريق ارساء فن جديد أراده أصحابه أن يتميز بنقطتين أساسيتين :

● أن لا يكون الفن قابلا للبيع وللشراء .
● أن يحمل طابعاً استفزازياً . وأن يكون تعبيراً عن الاشمئزاز بدلا من أن يحمل جمالا أو أن يكون تعبيراً عن أمان وتطلعات .

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى ، خدع الفنانون أنفسهم ، لأن أعمالهم اتجهت فوراً الى السوق واحتكرها التجار . سواء كانت هذه الأعمال مجرد «قسطل بسيط يجب وضعه بين الزهور» «للوشيانو فابرو» (١٩٦٣) ، أم «أشياء بيضاء توضع على رصيف الشارع» «لاغوستينو بونالومى» (١٩٦٩) !

أما فى النقطة الثانية ، فقد نجح الفنانون فى تحميل أعمالهم الطابع الاستفزازى المنشود ، وبشـــكل لم يســبق له نظير فى تاريخ الفن . هنا نصل الى أكره الأشكال وقاحة وانحطاطاً فى تاريخ الفن (لأن عبارة «جراة» لم تعد تفى بالغرض) ولاعطاء مثل ، نكتفى بذكر واحدة من منتجات الفنان الايطالى «بيارو مانزونى» الذى قدمته ست صالات عرض تجارية فى معرض بال العالمى فى العام الماضى . هذا الفنان ،قام سنة ١٩٦٧ بتعليب فضلاته ضمن علب معدنية ، تماماً كتلك المستعملة لتعليب المواد الغذائية ، وعليها التعليمات الضرورية (!) التالية : «فضلات فنان . المحتوى الصافى ٣٠ غرام . محفوظة بشكل طبيعى ....» وفى مكان آخر تحمل العلبة توقيع الفنان ، ورقم العلبة ، لأن كل واحدة من هذه العلب تحمل رقما خشية التزوير ... (!)

(احدى هذه العلب موجودة فى مجموعة ب . كونسولاندى) .. تصوروا الى أى حد وصل خداع النفس عند هؤلاء الفنانين !

## رواد هذه المعارض

بقى أن نعرف من هم المعجبون والمهتمون بهذه الأشكال الفنية ؟ والى أى حد وصلت هذه الجراة الفنية فى الفترة الحالية ؟

للاجابة على السؤال الأول يكفى العودة الى احصاء أجري خلال معرض اقامه متحف الفنون التزيينية فى باريس منذ عدة سنوات ، وكان المعرض مخصصاً للأشكال الأكثر جراة فى الفن الحديث ، إذ تبين آنذاك أن عدد الزائرين من الطبقات العليا وصل الى ٩٠٪ (١٨ ٪ من كبار الموظفين ، ٣٣,٤ ٪ من الطلاب ، ٢١,٦ ٪ من الأساتذة والاختصاصيين فى الفن ، ١٧ ٪ نساء لا يعملن ومتزوجات من موظفين كبار) ، مقابل ٨,٥ ٪ من الموظفين الصغار ، ١,٥ ٪ من الحرفيين ، ٠,٥ ٪ من العمال . أما المزارعين والفلاحين فلم يكن لهم أى وجود على الاطلاق . ومن خلال هذا الاحصاء ، يمكننا أن نؤكد أن غياب فئة يعنى عدم اهتمامها ، وبالتالى عدم اعجابها بهذه الأشكال ، فى حين أن الذين زاروا المعرض ، وان كانوا جميعا من المهتمين بالفن الحديث ، فالأمر لا يعنى أن كلهم من المعجبين !

## لوحة واقعية

أما مدى ما وصلت إليه الجراة الفنية فى الفترة الحالية ، فالواقع أنه منذ منتصف السبعينات ، تحاول صالات العرض التجارية إجبار الرسامين على العودة الى الرسم ، ومنذ سنتين أو ثلاث ، لم تتبن صالات العرض فى باريس أى رسام جديد دون أن تأخذ بعين الاعتبار مستواه فى الرسم الشبه الكلاسيكي فى الدرجة الأولى !

ويضاف الى ذلك المتاحف والمراكز الثقافية ، مثل المعرض الذى اقامه «المركز الثقافى جورج بومبيدو» فى باريس تكريما للسيريالى «سلفادور دالى» اذ تم عرض لوحاته التى يمكن تقبلها بشكل او بآخر فى أجنحة المتحف ، وفى جناح خاص ، وتم عرض بعض الاشياء مثل سيارته القديمة ، وثيابه الخاصة جداً ، وبعض الاشكال التى تمثل فاكهة ولحوم معلبة بأحجام عملاقة ، وكان الجمهور مدعواً للمرور أمامها على أنها تحف فنية وليس مجرد تذكاراته !

واليوم ، سواء اعتبرنا أن الفن الحديث قد نجح فى ابتعاده عن الضغوط الخارجية والمؤثرات الاجتماعية كما بشر منظرو القرن التاسع عشر ، أم أن هذه المحاولة قد خدعت نفسها ، كما يقول الناقد الفرنسى «رينه هويغ» الذى يرى أن هذه المدارس الفنية الحديثة «.... عبرت ببساطة متناهية ، وأكره من أى شيء آخر عن وضع الانسان الحديث» . ففى كلا الحالتين هناك وجه مرفوض :

فى الحالة الأولى ، المرفوض هو بعض الزوايا الكئيبة فى المتاحف الأوربية والأميركية للفن الحديث ، والتى لا تمت الى الأوضاع الاجتماعية والانسانية بصلة ، كما يؤكد أصحابها .

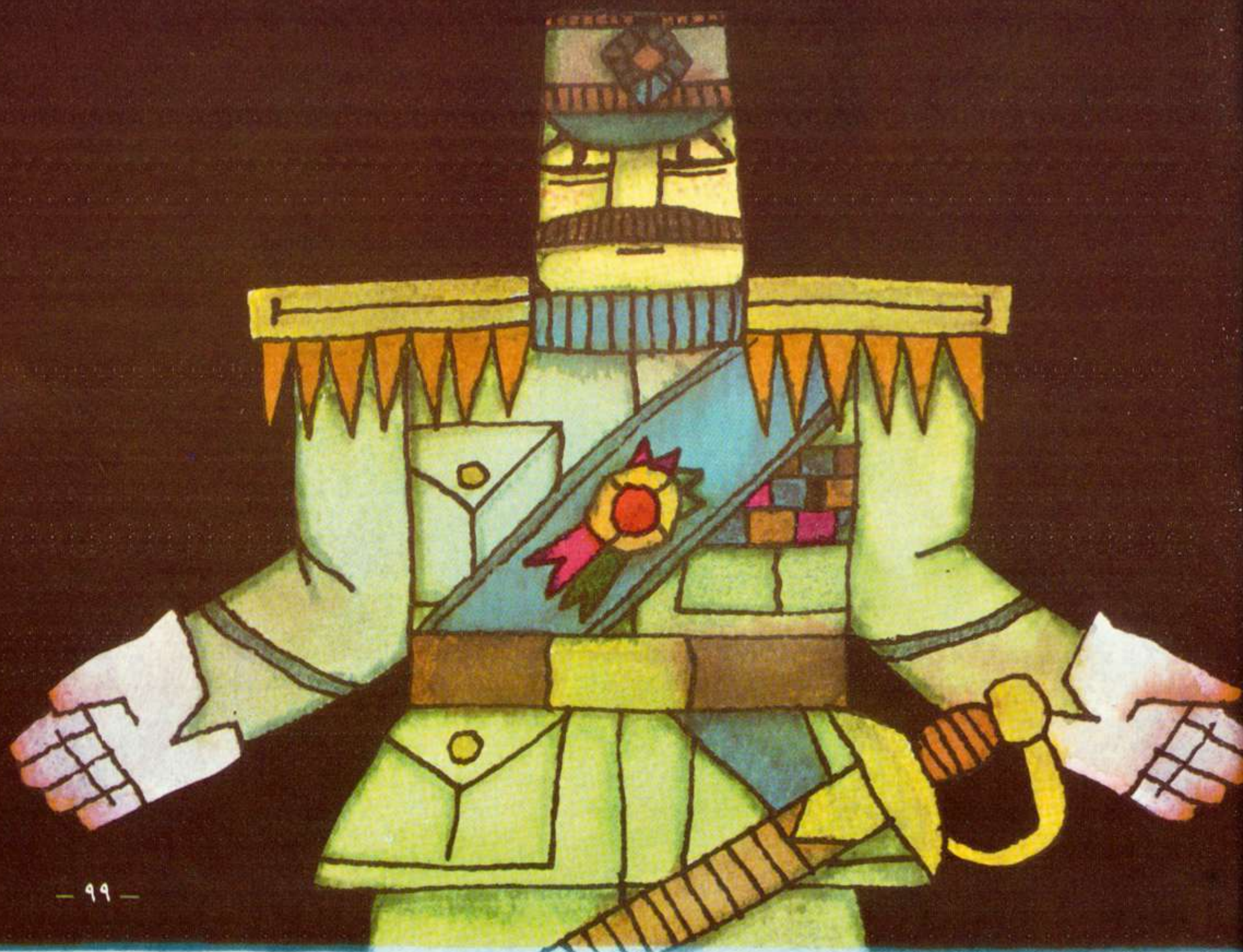
وفى الحالة الثانية ، المرفوض هو وضع الانسان الأوربى الحديث .

عبود عطية — باريس

# في مستوطنة العقاب

## قصة فرانز كافكا

ترجمة: كامل يوسف حسين • رسم: حلمي التوني



# في مستوطنة العقاب

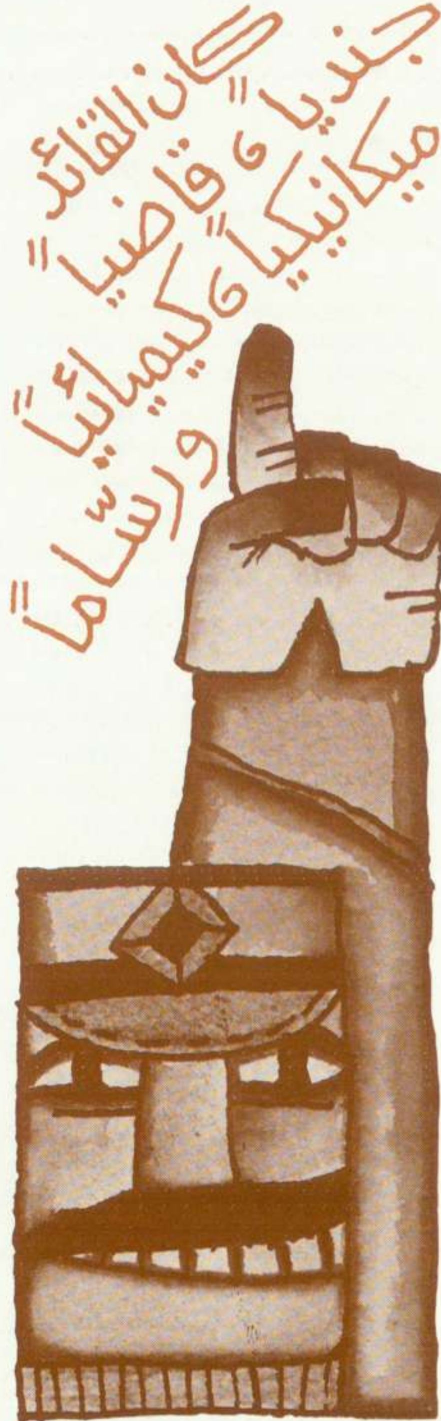
« إنها آلة رائعة » ، قالها الضابط للمستكشف ، رمق الآلة التى كانت فى النهاية مالوفة له باعجاب حميم ، بدا المستكشف كما لو قد قبل بدافع التادب فحسب دعوة القائد له لمشاهدة تنفيذ الحكم فى جندى حكم عليه بالاعدام جزاء للتمرد والسلوك المهين .. إزاء رئيسه ، كما لم تبد المستعمرة ذاتها ما يوحي بكبير اهتمام بهذا التنفيذ ، على الأقل لم يكن هناك أحدفى الوادي الرملي الصغير ، وهو خور عميق تحيطه من كافة الجهات صخور جرداء فضلا عن الضابط ، والمستكشف ، والمحكوم وهو مخلوق بادي البلاهة فاغر الفم تكلل الحيرة وجهه وشعره ، والجندى الذى كان يمسك بسلسلة ثقيلة تتحكم فى سلاسل صغيرة احكم وثاقها على كاحلي السجين ورسغيه ورقبته ، كانت السلاسل ذاتها مرتبطة إحداها بالأخرى عن طريق حلقات وصل . بدا المحكوم على أية حال شديد الشبه بكلب خاضع بحيث أن المرء قد يعتقد أن بالوسع تركه ينطلق حراً فى التلال المحيطة بالمكان .

لم يكترث المستكشف كثيراً للآلة ، راح يسير جيئة وذهاباً خلف السجين بلا مبالاة واضحة ، فيما كان الضابط يجري عمليات التنسيق الأخيرة ، زاحفاً تارة تحت هيكل الآلة الذى كان مغروساً بعمق فى الأرض ، متسلقاً تارة اخرى سلماً ليتفقد أجزاءها العليا ، تلك كانت مهاماً يتعين أن تترك لميكانيكي ، لكن الضابط راح يؤديها بحماس عظيم إما لأنه كان معجباً مخلصاً بالآلة وإما لأن العمل لا يمكن أن يعهد به لآخر لأسباب أخرى . « جاهزة الآن » قالها أخيراً وهو يهبط درجات السلم . بدا مضطرباً بصورة غير مالوفة ، راح يتنفس بفم مفتوح عن آخره ، وقد وضع منديلين من مناديل السيدات تحت ياقة ردائه الرسمي ، قال المستكشف بدلا من طرح استفسار عن الآلة كما كان الضابط يتوقع : « هذه الأردية الرسمية أثقل من أن ترتدى فى المناطق الاستوائية بالتأكيد » ، قال الضابط وهو يغسل يديه اللتين لطخهما الشحم والزيت فى دلو من الماء معد لذلك : « بالطبع ، لكنها تعني الوطن بالنسبة لنا ، ونحن لا نرغب فى أن ننسى الوطن ، الآن الق نظرة فحسب على هذه الآلة » ، قالها فجأة مجففاً يديه فى منشفة ومشيراً إلى الآلة ، استطرد : « حتى الآن تعين أن يضبط كل شيء بطريقة يدوية ، لكن منذ هذه اللحظة ستقوم بكل شيء بنفسها » . أوما المستكشف موافقاً . تبع الضابط ، قال هذا الأخير فى غمار حرصه على تامين نفسه ضد كافة الظروف الطارئة : « بالطبع فان الأمور تختل أحياناً ، أمل ألا يختل شيء اليوم ، لكن علينا أن نحتاط لكافة الاحتمالات ، فالآلة ينبغى أن تواصل العمل طوال اثنتي عشرة ساعة ، ولكن إذا ما اختل شيء فسيكون أمراً هيناً فحسب ، يمكن اصلاحه فى الحال » .

تساءل أخيراً : « ألا تتناول مقعداً ؟ » ، جذب مقعداً من الخيزران من كومة مقاعد مماثلة ، قدمه للمستكشف الذى لم يستطع أن يرفضه ، كان جالساً الآن عند حافة حفرة رمقها لبرهة بنظرة عابرة ، لم تكن عميقة للغاية . عند احد جوانبها كان ناتج الحفر مكوماً في شكل سور واق وعلى الجانب المقابل سمعت الآلة .

قال الضابط : « لا أدري ما إذا كان القائد قد شرح لك هذه الآلة بالفعل » . لوح المستكشف باحدى يديه على نحو غامض . ما كان الضابط لينشد ما هو افضل من نلك ، حيث غدا بوسعه أن يشرح الآلة الآن بنفسه . قال ممسكاً بذراع للتشغيل مستنداً عليه : « لقد اخترع قائدنا السابق هذه الآلة ، ساعدته فى التجارب الأولى ذاتها وشاركت في العمل كله حتى اكتماله ، لكنه هو وحده الذى ينبغي أن يعزى إليه الاختراع ، هل سبق لك أبداً أن سمعت عن قائدنا السابق ؟ كلا ؟ طيب ، ليس من المبالغة فى القول أن أخبرك بأن تنظيم مستوطنة العقاب بأسره هو من عمله ، ونحن الذين كنا أصدقاءه كنا نعرف حتى قبل أن يموت أن تنظيم المستعمرة بالغ الكمال . بحيث أن سلفه حتى وإن كان رأسه يحفل بألف مشروع جديد سيجد أن من المستحيل تغيير أي شيء على الأقل لسنوات عديدة مقبلة ، وقد صحت نبوءتنا حيث اضطر القائد الجديد إلى الاقرار بصحة هذه النبوءة ، مؤسف انك لم تقابل القائد القديم ولكن » قاطع الضابط حديثه ، قال : « إنني أتحدث بصورة مشتتة ، هاهي آلته تنتصب أمامنا ، وهى تتألف ، كما ترى ، من ثلاثة أجزاء ، بمرور الزمن حظى كل جزء من هذه الأجزاء بنوع من أسماء التدليل الشعبية ، فالجزء الأسفل يسمى « المرقد » والجزء العلوي يسمى « المصمم » وهذا الجزء هنا فى المنتصف الذى يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل يسمى « المسحاة » » ، تساءل المستكشف « المسحاة ؟ » لم يكن يصغى بانتباه بالغ ، كان توهج الشمس فى الوادي المجرد من الظلال تماماً أقوى من أن يحتمل . كان من العسير على المرء أن يستجمع أفكاره ، تزايد اعجابه بالضابط الذى كان على الرغم من سترة زيه الرسمي المحكمة الالتصاق بجسده والمزينة باسراف بجدائل الزينة والمثقلة بالنسيج المقصب على الكتفين يواصل التركيز فى موضوعه بحماس بالغ وإلى جوار الحديث كان لايزال يحكم تثبيت برغى هنا وآخر هناك بمفتاح للربط ، أما فيما يتعلق بالجندي فقد بدا فى الحالة ذاتها التى كان المستكشف عليها ، كان قد لف سلسلة السجين حول رسغيه كليهما واستند إلى بندقيته تاركاً رأسه تتدلى دونما اكتراث لشيء ، لم يدهش ذلك المستكشف ، فقد كان الضابط يتحدث الفرنسية ومن المؤكد أنه لا الجندى ولا السجين كانا يفهمان كلمة من الفرنسية ، من ثم كان من الملحوظ بصورة متزايدة ، رغم ذلك ، أن السجين يبذل جهداً فى متابعة إيضاحات الضابط ، راح يواصل بضرب من الاصرار الناعس التحديق حيثما أشار إصبع الضابط ، كان ينظر فيما حوله شأن الضابط لدى الانقطاع الذى يحدثه سؤال يوجهه المستكشف .

قال الضابط : « أجل المسحاة » ، اسم طيب لهذا الجزء ، إن الابر مثبتة فيه مثل أسنان «المسحاة» والشيء كله يعمل كالمسحاة وذلك على الرغم من أن عمله يقتصر على موضع واحد ويخطط بمزيد من المهارة الفنية الفائقة ، وعلى أية حال فسرعان ما ستفهمه ، فالمحكوم عليه يوضع هنا على « المرقد » ـ سأصف لك الآلة أولا قبل أن أدعها تتحرك ، عندئذ يمكنك أن تتبع الخطوات على نحو أفضل ، أضف إلى ذلك أن إحدى العجلات المسننة الموجودة فى « المصمم » قد بليت على نحو سيىء وهى تقرقع كثيراً حين تعمل بحيث لا يمكنك سماع صوتك وأنت تتحدث ، من سوء الحظ أنه من العسير الحصول على قطع غيار هنا ، طيب . هنا




«المرقد» كما أخبرتك ، إنه مغطى تماماً بطبقة من الصوف والقطن وستكشف السبب فى ذلك فيما بعد ، يرقد المحكوم فوق هذا المزيج من القطن والصوف ووجهه إلى أسفل عارياً تماماً بالطبع ، هنا أطواق لليدين ، هنا للقدمين ، هنا للعنق ، لتقييده بإحكام ، هنا عند رأس «المرقد» حيث يحنى الرجل أول الأمر كما قلت لك وجهه . يوجد هذه الكعام من اللباد الذى يمكن أن يضبط بسهولة بحيث ينزلق مباشرة إلى فمه ، وقد قصد به الحيلولة بينه وبين الصراخ وعصر لسانه ، إن الرجل بالطبع يرغم على تلقى الكعام فى فمه ، وإلا فان الطوق يمكن أن يكسر عنقه ، تساءل المستكشف منحنياً الى الأمام : «أهذا قطن وصوف ؟» . أجاب الضابط بابتسامة : « نعم ، بالتأكيد تحسسه بنفسك » أمسك بيد المستكشف ، أرشدها لتجس سطح المرقد ، قال « إنه مزيج معد خصيصاً من القطن والصوف ، وذلك هو السبب فى أنـه يبـدو مختلفاً ، سأخبرك حالا بالغرض منه » ، كان المستكشف يستشعر بالفعل اهتماماً بالآلة يهبط عليه ، راح يحمي عينيه من الشمس بإحدى يديه ويحدق فى الهيكل ، كان شيئاً ضخماً ، كان « للمرقد » و « المصمم » الحجم ذاته ، ولاحا مثل قفصين خشبيين معتمين ، كان « المصمم » يتدلى على ارتفاع مترين فوق « المرقد » ، كان كل منهما مثبتاً عند الاركان بأربعة قضبان من النحاس الأصفر ، كانت توشك أن تتوهج شعاعاً فى ضوء الشمس وتحت القفصين كـانـت « المسحاة » تتحرك حركة مكوكية على شريط من الصلب .

لم يكن الضابط قد لاحظ لامبالاة المستكشف السابقة ، لكنه كان الآن يدرك اهتمامه المفاجىء، من ثم فقد توقف عن الشرح ليترك مجالا زمنياً للمراقبة الهادئة ، قلد المحكوم المستكشف ، وبما أنه لم يكن بوسعه أن يستخدم يده ليحمي عينيه فقد راح يحدق عالياً دونما حماية .

قال المستكشف متراجعاً في مقعده ومصالباً قدميه : « طيب ، يرقد الرجل أرضاً » .

قال الضابط رافعاً غطاء رأسه العسكري إلى الخلف قليلا ممرراً إحدى يديه على وجهه المتقد « نعم ، الآن اصغ ! إن لكل من « المرقد » و «المصمم» بطارية كهربائية ، « فالمرقد » يحتاج لنفسه واحدة ، و « المصمم » يحتاج واحدة من اجل « المسحاة » وبمجرد أن يرقد الرجل عارياً يتحرك « المرقد » يرتعش فى دقة فى ذبذبات سريعة للغاية تسري من جانب إلى أخر ومن أعلى إلى أسفل فى الوقت ذاته ، ربما تكون قد شاهدت آلة مماثلة فى احد المستشفيات ولكن فى حالة « مرقدنا » فان الحركات جميعاً محسوبة تماماً بدقة ، وكما ترى فانها ينبغى أن تتفق بدقة بالغة مع حركات « المسحـــاة » ، و « المسحاة » هي الجهاز الذى يقوم بالتنفيذ الفعلى للحكم » .

تساءل المستكشف : «وكيف ينفذ الحكم ؟ ».

قال الضابط فى دهشة وهو يعض شفتيه : « ألا تعلم ذلك أيضاً ؟ سامحني إن بدت أيضاً حالتي غير متماسكة ، إننى استمحيك عذراً ، فكما ـ لعلك تدرك ـ اعتاد القائد دائماً أن يقوم بالايضاح ، لكن القائد الجديد يتهرب من هذا الواجب ، ولكن ألا يخبر زائراً مهماً مثلك .. » ، حاول المستكشف التنصل من هذا الشرف ملوحاً بيديه ، غير أن الضابط استطرد مصراً : « ولكن ألا يخبر زائراً مهماً مثلك بنوعية الحكم الذى نصدره » كان على وشك استخدام تعبير فظ لكنه كبح جماح نفسه واكتفى بالقول : « لم أبلغ بذلك ، لم يكن هذا خطئى على أية حال ، من المؤكد انني خير من يُشرح هذا الاجراء الذى نتبعه حيث أن لدي هنا » ـ وربت على الجيب الموجود بأعلى صدره ـ « الرسوم الهامة التى وضعها قائدنا السابق » .

تساءل المستكشف : « رسومات القائد الخاصة ، هل قام بكل شيء بنفسه إذن ؟ أكان جندياً ، قاضياً ، ميكانيكياً ، كيميائياً ورساماً ؟».

قال الضابط مشيراً برأسه علامة الموافقة وفى عينيه نظرة لامعة تحلق نحو البعيد : « كان كذلك حقاً » ثم تفقد يديه بنظرة منتقدة . لم تظهرا له نظيفتين بما فيه الكفاية بحيث يلمس بهما الرسوم ، لذا مضى إلى الدلو وغسلهما مرة أخرى ، ثم جذب حافظة جلدية صغيرة ، وقال : « إن حكمنا لا يبدو قاسياً ، أياً كانت الوصية التى خالفها المحكوم من الوصايا العشر فانها تكتب « بالمسحاة » على جسده ، هذا المحكوم

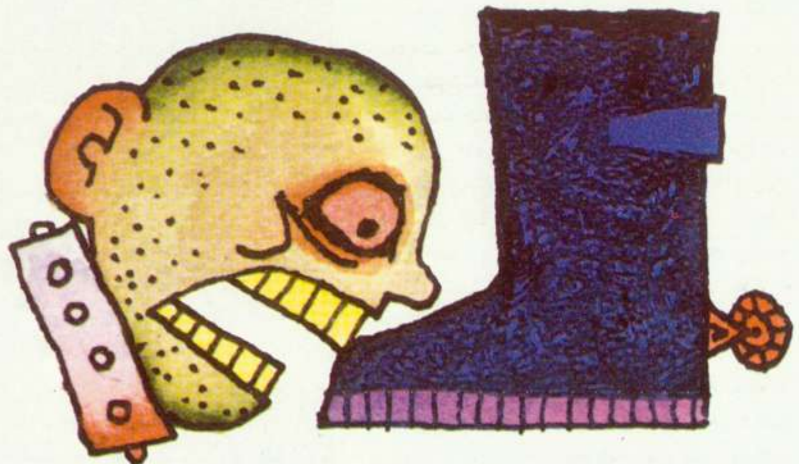
على سبيل المثال » ـ أشار الضابط إلى الرجل ـ « سيكتب على جسده .. وقر رؤساءك ! » .

ألقى المستكشف بنظرة على الرجل . كان قد وقف محني الرأس فيما الضابط يشير إليه كان فيما يبدو يصغي بملء أذنيه فى محاولة لفهم مايقال ، غير أن حركة شفتيه الغليظتين المطبقتين بإحكام أفصحت عن عجزه عن فهم كلمة واحدة ، أسئلة عديدة كانت تؤرق المستكشف ، لكنه لدى مرأى المحكوم تساءل فحسب : « هل يعرف الحكم الصادر ضده ؟ » ، «لا» قالها الضابط مرة أخرى ملتزماً الصمت للحظة كما لو كان يتيح الفرصة للمستكشف ليسهب القول في معرض التساؤل ، ثم قال : لـن يكون هناك معنى لابلاغه بالحكم ، فلسوف يعرفه بدنياً حين يطبق عليه » تعمد المستكشف ألا يرد ، لكنه شعر بتحديق السجين ينتقل إليه ، بدا كما لو كان يسائله عما إذا كان يوافق على مثل هذه الاجراءات ، لذا فقد انحنى إلى الأمام مرة أخرى بعد أن كان قد تراجع للخلف في مقعده . طرح سؤالا آخر : « لكن من المؤكد أنه يعلم أن حكماً قد صدر ضده ؟ » ، «ولا ذلك أيضاً» قالها الضابط مبتسماً للمستكشف كما لو كان يتوقع منه المزيد من الملاحظات المدهشة ، قال الضابط مجففاً العرق الذى سال على جبينه : « لا ، هو إذن لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان دفاعه مجدياً ؟ » قال الضابط مشيحـاً بعينيه بعيداً كما لو كان يحادث نفسه وموفراً بذلك على المستكشف عار الاستماع إلى أمور جلية بذاتها وهي توضح له ، قال المستكشف ، وقد نهض من مقعده : « لكن لابد أنه قد اتيحت لـه فرصـة الدفاع عن نفسـه »

أدرك الضابط أنه معرض لخطر تأجيل شرحه للآلة لوقت طويل ، لذا فقد انطلق صوب المستكشف وأمسك بذراعه ، ولوح بإحدى يديه تجاه المحكوم الذى كان واقفاً فى تصلب بالغ الآن بعد أن أصبح بصورة جلية محور الانتباه، كان الجندى قد حرك السلسلة كذلك . قال الضابط : « الأمر على هذا النحو : لقد عينت قاضياً فى مستوطنة العقاب هذه وذلك على الرغم من حداثة عمري حيث انني كنت مساعد القائد السابق فى كافة الأمور المتعلقة بالعقاب ، وأعرف عن الآلة ما يفوق ما يعرفه أي شخص آخر ، كان مبدئي الذى استرشد به هو هذا : الذنب ينبغى ألا يكون أبداً موضع شك ، إن المحاكم الأخرى لا يمكنها أن تتبع هذا المبدأ لأنها تتألف من آراء عديدة ولها محاكم عليا تعتصر أحكامها ، ليس ذلك هو الحال هنا أو على الأقل لم يكن الحال كذلك فى عهد القائد السابق ، لقد أظهر الرجل الجديد على نحو مؤكد ميلا إلى التدخل فى أحكامي ، لكني نجحت حتى الآن فى رده ولسوف أواصل نجاحي ، بودك أن تشرح لك القضية ، إنها بسيطة للغاية ، شأن كافة القضايا ، لقد تقدم لي ضابط برتبة نقيب بتقرير صباح اليوم مؤداه أن هذا الرجل الذى عين خادماً له وكان عليه أن يرقد أمام بابه قد نام أثناء أدائه لواجبه ، وكما ـ لعلك تدرك ـ فان من واجبه أن ينهض مع دقات كل ساعة ويؤدى التحية أمام باب النقيب، ليس ذلك بالواجب الثقيل وهو ضروري للغاية كذلك ، حيث أن على الجندى أن يكون حارساً كذلك إلى جانب كونه خادماً ، ويتعين أن يكون يقظاً فى أدائه لواجباته . فى الليلة الماضية أراد النقيب أن يرى ما إذا كان الرجل يؤدى واجبه . فتح الباب فيما كانت الساعة ترسل دقتها الثانية فالفى هذا الرجل متكوماً يغط فى النوم ، أمسك بسوط للركوب ولطمه على وجهه ، وبدلا من أن يهب واقفاً معتذراً أمسك الرجل بقدمي سيده ، هزه ، وصاح : « ألق بهذا السوط وإلا أكلتك حياً » ذلك هو دليل الادانة ، جاء النقيب الي قبل ساعة ، فدونت إفادته وأرفقت الحكم بها ، ثم أمرت بوضع الرجل فى الأغلال ، كان الأمر كله بسيطاً تماماً ، أما إذا كنت قد استدعيت الرجل أولا ليمثل أمامي وحققت معه فان الأمور كانت ستختلط على نحو مربك ، كان حرياً به أن يلقى بالأكاذيب ، لدعمها بالمزيد من الأكاذيب وهكذا بلا انتهاء ، وكما هو الحال فقد أمسكت به ولن أفلته ، أهذا واضح الآن ؟ لكننا نهدر الوقت سدى ، ينبغى أن يبدأ التنفيذ ولم أنته بعد من شرح الجهاز لك » ، ألحف على المستكشف فى العودة إلى مقعده ، مضى صعداً إلى الآلة من جديد ، شرع يقول : « إن شـكل « المسحاة » كما ترى يتطابق مع شكل الجسم البشري ، هنا مسحاة البدن ، هنا مساحي الأقدام ، أما للرأس فهناك هذا المسمار الصغير ، أهذا واضح تماماً ؟» انحنى بود تجاه المستكشف تواقـاً إلى تقديم أكثر الايضاحات شمولا .

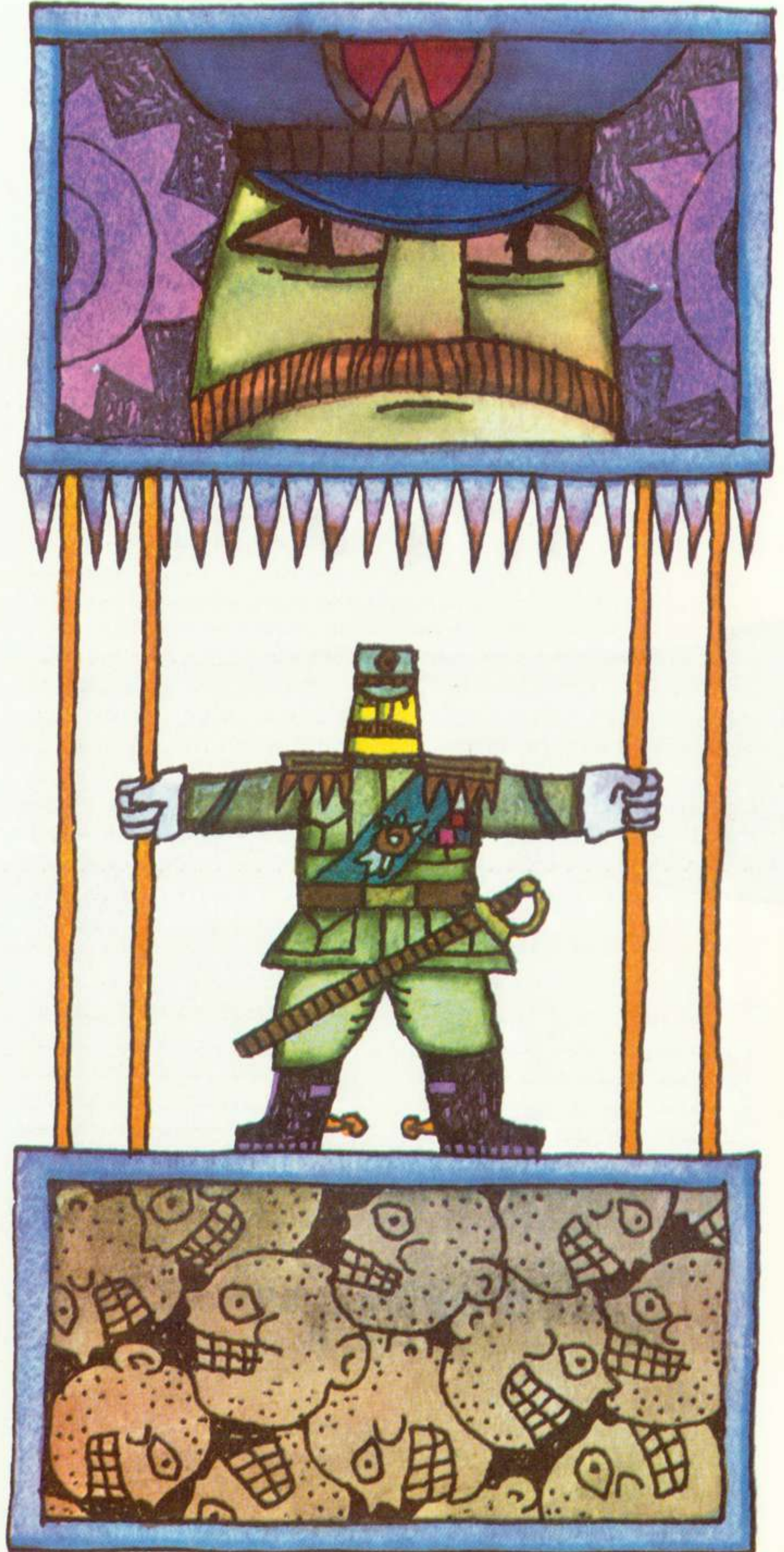
تأمل المستكشف المسحاة وقد قطب جبينه ، أثارت مثل هذه الصيغة للاجراء القضائي استياءه ، كان عليه أن يذكر نفسه بأن تلك فى النهاية مستوطنة للعقاب فى مسيس الحاجة إلى اجراءات استثنائية وأن النظام العسكرى ينبغى أن يطبق حتى أقصاه ، رغم ذلك شعر بأن بعض الأمل قد يمكن تعليقه على القائد الجديد الذى كان قد عقد العزم فيما يبدو على احلال نوع من الاجراءات وإن يكن بصورة تدريجية ، ماكان ذهن الضابط الضيق قادراً على فهمه ، دفعه تتابع الأفكار ذاك إلى طرح سؤاله التالي : « هل سيشهد القائد تنفيذ الحكم ؟ » «ليس هذا مؤكداً» قالها الضابط مجفلا فى مواجهة السؤال المباشر .تكدر التعبير البشوش المرتسم على ملامحه . استطرد : « ذلك هو على وجه الدقة السبب فى أننا لا ينبغى أن نخسر وقتنا » ، وعلى غير ما أود سيتعين علي أن أختصر ايضاحاتي ولكن غداً بالطبع حينما تنظف الآلة ، فعيبها الوحيد أنها تتسخ بصورة بالغة بوسعي أن أستعيد كافة التفاصيل ، من هنا فاننا سنوضح فى الوقت الراهن النقاط الأساسية فحسب ، حينما يضجع الرجل على «المرقد» ويشرع هذا فى التذبـذب تتـدلى « المسحاة » حتى جسده . تنظم حركتها تلقائياً بحيث تمسك الابر الجلد بالكاد ، وحينما يحدث الاتصال فان الشريط الصلب يتصلب على الفور متحولا إلى طوق محكم ثم يبدأ الأداء ، ولئن أطل جاهل بالحقيقة فلن يرى فارقاً بين عقاب وآخر ، « فالمسحاة » تقوم بعملها بانضباط صارم ، وفيما هي تتذبذب فان طرفها يخترق جلد الجسم الذى يتذبذب هو ذاته من جراء ذبذبة « المرقد » ولكي يمكن رصد التقدم الفعلى للحكم فان « المسحاة » مصنوعة من الزجاج . كان تثبيت الأبر فى الزجاج مشكلة فنية ، ولكن بعد العديد من التجارب تغلبنا على هذه الصعوبة . وكما ـ لعلك تدرك ـ فان المشكلات لم يكن هناك منها ما يعظم علينا مواجهته ، الآن بوسع أي شخص أن ينظر من خلال الزجاج ويراقب عملية الوشم على الجسم وهي تتم . أيضيرك الاقتراب قليلا وإلقاء نظرة على الابر ؟

نهض المستكشف ببطء . تقدم باتجاه الآلة انحنى فوق « المسحاة » . قال الضابط : « هناك ، كما ترى ، نوعان من الابر نظمته فى أطر مزدوجة ، كان لكل أبـرة طويلـة أخـرى



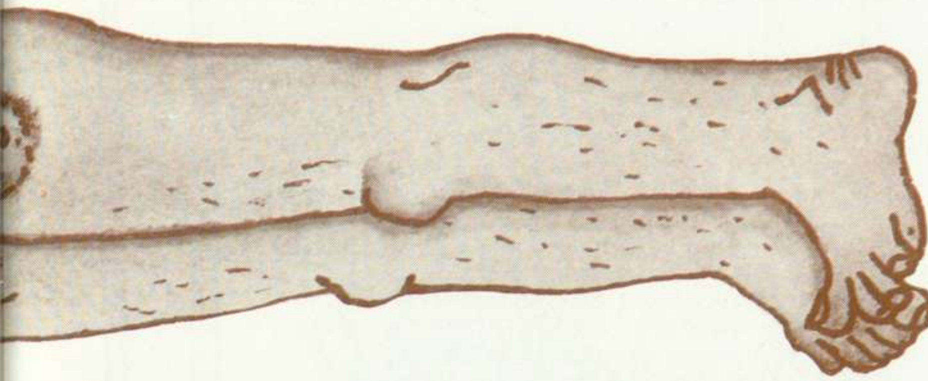
قصيرة إلى جوارها ، تقوم الابر الطويلة بالوشم أما الابرة الصغيرة فهي تنفث رذاذاً من الماء لغسل الدم ، وإبقاء الوشم نظيفاً ، ثم يساق الدم والماء معاً هنا عبر مجار صغيرة إلى هذا المجرى الرئيسي ثم عبر أنبوبة نفاية إلى الحفرة راح الضابط يتابع مشيراً بأصبعه المجرى المحدد الذى يتخذه مسار الماء والدم ، وبجعل الصورة تنبض بالحياة بقدر الامكان وضع يديه مشتبكتين أسفل مخرج أنبوبة النفاية كما لو كان سيمسك بما يتدفق منها ، حينما فعل ذلك تراجع المستكشف برأسه ، تحسس ماوراءه باحدى يديه ساعياً للعودة إلى مقعده . أفزعه أن يجد أن المحكوم كان بدوره قد لبى دعوة الضابط لفحص « المسحاة » عن كثب وتبعه ، كان قد جذب الجندي الذى أثقله النعاس بالسلسلة ووقف منحنياً على الزجاج ، كان بوسع المرء أن يري أن عينيه القلقتين كانتا تحاولان اختراق ما كان السيدان ينظران إليه ، ولكنه لم يستطع فهم الايضاح ، لم يستطع أن يتبين طبيعة الآلة ، كان يحدق بهذه الطريقة حيناً وبأخرى حيناً آخر ، راح يمرر ناظريه على امتداد الزجاج . أراد المستكشف أن يطرده بعيداً حيث أن ما يفعله ربما يكون فعلا جديراً باللوم . لكن الضابط حال بحزم دون المستكشف والتصرف باحدى يديه وباليد الأخرى احتضن قبضة من التراب من السور وألقاها على الجندى ، فتح الجندى عينيه منتفضاً ، شاهد ماجرؤ المحكوم على القيام به ، ترك بندقيته تسقط ، غرس كعبيه فى الأرض ، جذب سجينه عائداً به بحيث تعثر هذا الأخير وسقط على الفور ، ثم وقف ناظراً إليه مراقباً إياه وهو يجالد ويتعثر فى قيوده محدثا ضجيجاً ، هتف الضابط بصوت مجلجل « أوقفه على قدميه ! » ذلك أنه لاحظ أن المحكوم يجذب انتباه المستكشف كثيراً ، وفى الحقيقة كان المستكشف منحنياً على « المسحاة » دون أن يحفل بها ، مركزاً فحسب على ما يجرى للمحكوم ، صرخ الضابط مرة أخرى « كن حذراً معه ! » . جرى ملتفاً حول الآلة وامسك بالمحكوم من إبطيه وبمساعدة الجندى أوقفه على قدميه اللتين ظلتا تنزلقان تحته .

قال المستكشف فيما الضابط يعود إليه : «أصبحت الم الآن بكل شيء عن الآلة » . قال الضابط ممسكاً بذراع المستكشف ومشيراً إلى أعلى : « ألممت بها كلها عدا أهم الأشياء فيها ، فى « المصمم » توجد كافة العجلات المسننة التى تتحكم فى حركات « المسحاة » وتنتظم هذه الآلة فى عملها وفقاً للوشم الذى يقتضيه الحكم ، إننى لازلت أستخدم التخطيطات الارشادية التى رسمها القائد السابق ، هاهي ذى » نزع بعض الأوراق من الحافظة الجلدية . استطرد : « لكن معذرة ، فليس بوسعي أن أدعك تمسك بها ، إنها أثمن مقتنياتي ، اجلس



فحسب وسأمسك بها أمامك على هذا النحو ، وعندئذ سيكون بمقدورك أن ترى كل شيء بصورة طيبة تماماً » . نشر الصفحة الأولى ، كان دور المستكشف أن يقول شيئاً يوحي بالتقدير ، لكن كل ما استطاع أن يراه هو متاهة من الخطوط المتقاطعة والمتعارضة بعضها مع البعض الآخر كانت تغطي الورقة بكثافة بالغة بحيث تعذر تتبع المساحات البيضاء فيما بينها . قال الضابط : « اقرأها » ، قال المستكشف : « لا أستطيع » . قال الضابط : « ومع ذلك فانها واضحة بما فيه الكفاية قال المستكشف مراوغاً «إنها محددة للغاية ، لكنى لا أستطيع فهمها ، قال الضابط ضاحكاً وهو يبعد الأوراق : «نعم إنها ليست خطوطاً لأطفال المدارس ، بل ينبغى أن تدرس عن كثب ، وإنى لعلى يقين من انك ستفهمها فى النهاية بدورك ، بالطبع لا يمكن أن يكون المخطوط بسيطاً ، فليس من المفروض أن تقتل الآلة رجلا على نحو مباشرة ، وإنما بعد فترة يصل متوسطها الى اثنتى عشرة ساعة ، نقطة التحول غالباً ما تجيء بعد ست ساعات ، لذا يتعين أن يكون هناك الكثير من التوهمات حول الحدث الرئيسى ، وعملية الوشم ذاتها تجرى على الجسم فى طوق ضيق فحسب ، أما باقى الجسم فيبقى للزخرفات ، هل تستطيع الآن أن تقدر العمل الذى تحققه «المسحاة» والآلة بأسرها ؟ راقبها فحسب ! انطلق صاعداً السلم أدار عجلة ، هتف مطلا إلى أسفل : «انظر ، واصل النظر الى جانب واحد !» وبدأ كل شيء فى العمل ، لو أن العجلة لم تقرقع لبدت الآلة بديعة ، هز الضابط قبضته تجاه الآلة كما لو كان قد فوجيء بضجيج العجلة ، ثم نشر ذراعيه معتذراً للمستكشف وهبط مسرعاً ليحدق فى أداء الآلة من أسفل ، كان هناك شيء لا يدركه غيره لايزال فى غير موضعه ، تسلق السلم صاعداً من جديد ، قبض على شيء ما بكلتا يديه فى داخل «المصمم» ثم انزلق على أحد القضبان هابطاً بدلا من استخدام السلم لكى يهبط بسرعة أكبر ، صرخ بملء قوة رئتيه ليكون صوته مسموعاً فى غمار هذه الضجة كلها فى أذن المستكشف : «هل بوسعك تتبعها ، شرعت المسحاة فى الكتابة ، وحينما تنهى المسودة الأولى من الوشم على الظهر تبدأ طبقة القطن والصوف فى التدحرج . وببطء تقلب الجسم لتتيح «للمسحاة» فراغاً جديداً للكتابة ، فى الوقت نفسه فان الجزء المسلوخ عنه الجلد والذى سبق وشمه يرقد على القطن والصوف وهما معدان خصيصاً لامتصاص النزف ومن ثم يجعلان كل شيء معداً لتعميق جديد للوشم ، ثم تقوم هذه الأسنان عند حافة «المسحاة» فيما الجسم يتقلب بابعاد القطن والصوف عن الجراح وإلقاء البقايا الى الحفرة ، ثم يتاح المزيد من العمل «للمسحاة» من هنا فانها تواصل الكتابة أعمق فاعمق طوال الساعات الاثنتى عشرة بأسرها ، وطوال الساعات الست الأولى يظل المحكوم نابضاً بالحياة كذى قبل على وجه التقريب ويعانى من الألم فحسب ، بعد ساعتين ينزع العكام اللبادى ، ذلك أن المحكوم يكون قد فقد القدرة على الصراخ ، هنا ، الى هذا الحوض المسخن كهربائياً عن رأس «المرقد» ينصب بعض الأرز المطهو اللين الذى يمكن للرجل إذا شاء أن يأخذ بقدر ما يستطيع لسانه أن يلعق ، لم يحدث أن أهدر أحدهم هذه الفرصة ، ليس بوسعى أن أتذكر أحداً أضاعها ، وتجربتى عريضة ، فى حوالى الساعة السادسة فحسب يفقد الرجل كل رغبة له فى الأكل ، عادة ما أنحنى هنا فى هذه اللحظة وأراقب هذه الظاهرة ، نادراً ما يبتلع الرجل لقمته الأخيرة ، إنه يديرها فحسب فى فمه ثم يبصقها الى الحفرة . يتعين علي أن انحنى فى هذه اللحظة ذاتها وإلا فانه يبصقها فى وجهى لكن أى هدوء ذلك الذى يغمره فى حوالى الساعة السادسة ! إن الاستنارة تحل بأقل الناس ملاحية ، تبدأ حول العينين . من هناك تشع . تلك لحظة قد تغرى المرء بان يهبط معه تحت «المسحاة» ، ثم لا يحدث المزيد عقب ذلك ، يبدأ الرجل فحسب فى فهم الوشم ، يزم شفتيه كما لو كان يصغى ، لقد رأيت كم هو عسير أن يتبع المرء الوشم بعينيه لكن رجلنا يتتبعه بجراحه ، من المؤكد أن تلك مهمة صعبة ، فهو بحاجة الى ست ساعات لينجزها ، فى هذا الوقت تكون «المسحاة» قد اخترقته تماماً فتلقيه الى الحفرة حيث يسقط فى الدم والماء وفريج القطن والصوف ، عندئذ يكون الحكم قد نفذ فنقوم — أعنى الجندى — وأنا بدفنه» .

كان المستكشف قد مال بأذنيه ناحية الضابط وراح — وقد وضع يديه فى جيوب سترته — يراقب الآلة وهى تعمل ، راح المحكوم يراقبها بدوره ، ولكن دونما فهم ، انحنى للامام قليلا وتركز انتباهه على الابر المتحركة حينما قام الجندى بايماءة من الضابط بتمزيق قميصه وسرواله بالطول من الخلف باستخدام سكين ، بحيث سقطا الى الأرض . حاول أن يمسك بملابسه المتهاوية ليغطى عريه . لكن الجندى رفعه فى الهواء وجرده من بقاياها ، أوقف الضابط الآلة وفى غمار السكون المفاجيء تم إرقاد المحكوم تحت «المسحاة» ، أطلق من الأغلال واحكم تثبيت الأطواق بدلا منها ، وفى اللحظة الأولى بدا ذلك بمثابة راحة على وجه التقريب للمحكوم ، الآن تم تثبيت « المسحاة » على مسافة أقرب قليلا حيث أن الرجل كان نحيفاً ، وحينما مسته أطراف الأبر امتدت رعشة بطول جلده . فيما كان الجندى مشغولا باحكام تطويق يده اليمنى ، ألقى المحكوم بذراعه اليسرى عشوائياً ، لكن تصادف أن كانت في اتجاه المستكشف . واصل الضابط اختلاس النظر إلى هذا الأخير كما لو كان يسعى إلى أن يقرأ من ملامح وجهه الانطباع الذى تركه تنفيذ الحكم عنده وهو التنفيذ الذى تم على الأقل شرحه بصورة خاطفة .



تحطم طوق الرسغ ، ربما كان الجندى قد جذبه فأحكمه باكثر مما ينبغي ، اضطر الضابط للتدخل ، فقد رفع الجندى الجزء المكسور ليريه إياه ، لذا مضى الضابط نحوه وقال ووجهه لا يزال متحولا باتجاه المستكشف : « تلك آلة بالغة التعقيد ، وهناك أشياء تتحطم أو تتداعى هنا وهناك ولكن على المرء ألا يسمح لنفسه من خلال هذا بان ينحرف بحكمه العام ، وعلى أية حال فان هذا الطوق يمكن جعله جيداً بسهولة ، إذا استبدل بسلسلة ، وبالطبع فان رهافة الذبذبات المنسابة للذراع الأيمن سوف تتأثر قليلا » . وفيما كان يحكم تثبيت السلسلة أضاف قائلا : « لقد خفضت المصادر المتاحة لصيانة الآلة من الوقت الراهن بشكل كبير للغاية . فى عهد القائد السابق كان تحت تصرفي مبلغ من المال مخصص للاصلاحات من كافة الأنواع . أعترف بانني كنت مسرفاً فى إنفاقه ، أعنى فى الماضى ، لا الآن على نحو ما يدعي القائد الجديد الذى يبحث دائماً عن تعلة

طريقتنا القديمة فى إنجاز الأمور . وفي الوقت الراهن فانه يشرف على الأموال المخصصة للآلة بنفسه . وإذا طلبت طوقاً جديداً فانهم يطالبون بالطوق القديم كدليل على صحة ماأطالب به والطوق الجديد يحتاج إلى عشرة أيام لكي يظهر ثم يتضح أنه من مادة هشة وليس جيداً . ولكن كيف يفترض أن أقوم بتشغيل الآلة دون طوق .. ذلك أمر لا يكترث له أحد » .

راح المستكشف يحدث نفسه : إنه لأمر دقيق دائماً أن يتدخل المرء بشكل حاسم فى شئون الآخرين . لم يكن عضواً فى مستعمرة العقاب ولا مواطناً فى الدولة التى تنتمي إليها ، فلو أنه قام باستنكار تنفيذ هذا الحكم أو حاول بالفعل إيقافه لكان بمقدورهم أن يقولوا له : « أنت غريب ، عليك بالاهتمام بشئونك » ولن يكون بوسعه أن يرد على هذا مالم يضف بأنه مندهش من نفسه فى هذا الصدد ، فقد كان يرتحل بوصفه مراقباً لاغير دون أن يعتزم تغيير أساليب الآخرين فى تنفيذ العدالة ، ومع

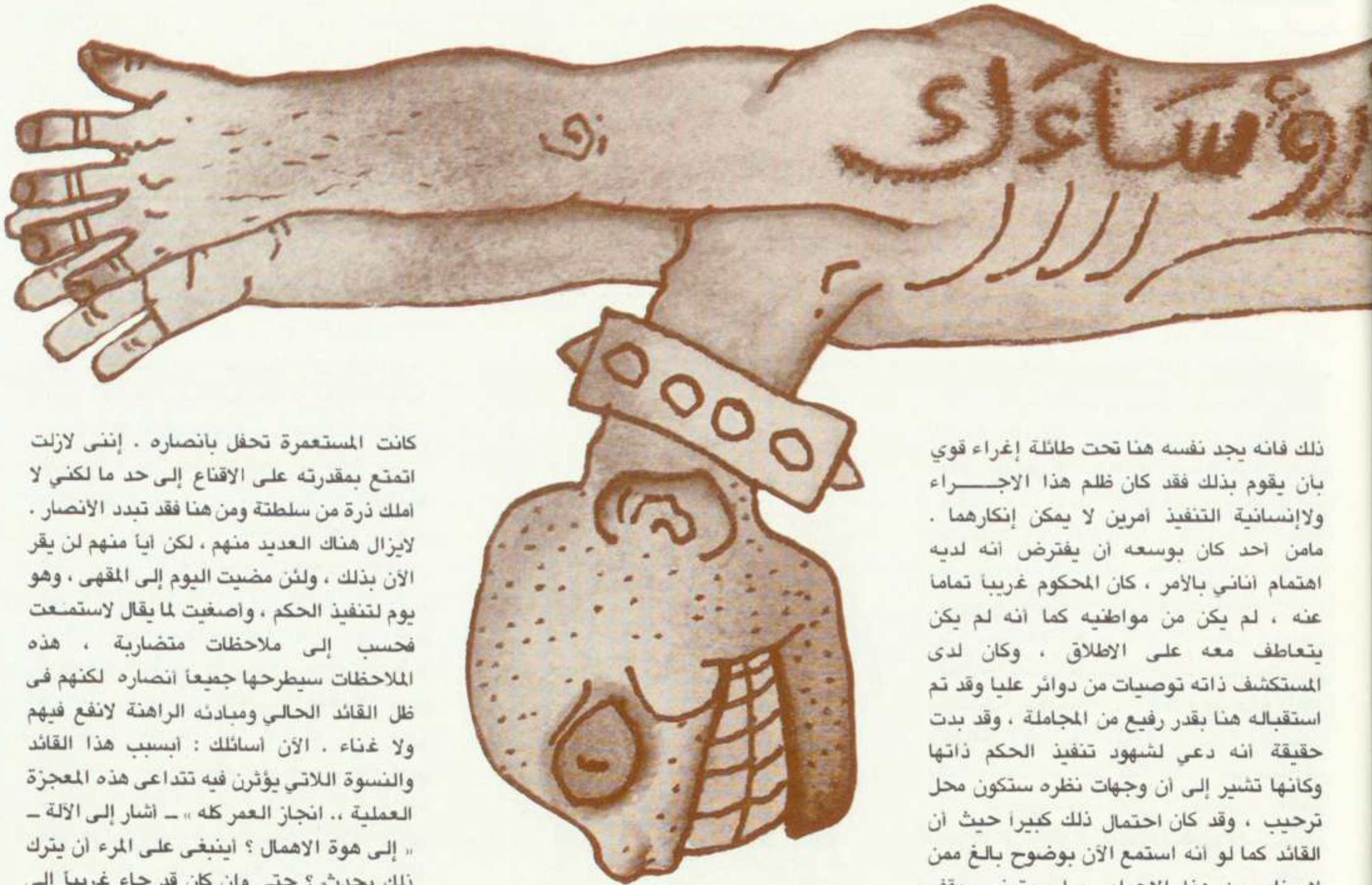
عينيه وتقيأ . أبعده الضابط مسرعاً عن الكعام وحاول الامساك برأسه فوق الحفرة ، لكن الوقت كان قد فات ، حيث تدفق القيء عبر أنحاء الآلــة ،

صاح الضابط وهو يهز القضبان النحاسية المواجهة له دون وعي : « هذا كله خطأ ذلك القائد ! لقد فسدت الآلة بأسرها فغدت مثل حظيرة خنزير » بيدين مرتعدتين أشار للمستكشف موضحاً ما حدث : « لو انني لم احاول لساعات فى كل مرة جعل القائد يفهم أن السجين ينبغي أن يصوم يوماً كاملا قبل تنفيذ الحكم ، لكن صاحب المذهب الجديد المعتدل يفكر بطريقة أخرى ، حيث تحشو نساؤه فم الرجل بالحلوى قبل أن يقاد إلى هنا . عاش طوال حياته يقتات السمك المتعفن والآن عليه أن يبتلع الحلوى ! ولكن لم لا يحصلون لي على كعام لبادي جديد وهو ما كنت استجديه طوال الشهور الثلاثة الماضية . كيف لا يشعر رجل بالغثيان حينما يلتقم في فمه كعاماً لبادياً

التقمه وقرضه مئات الرجال فى لحظات احتضارهم ؟ » .

كان المحكوم قد وضع رأسه أرضاً وبدا على محياه السلام ، كان الجندى منهمكاً فى محاولة تنظيف الآلة بقميص المحكوم . تقدم الضابط نحو المستكشف الذى تراجع للخلف بحس داخلى مسبق غامض . لكن الضابط أمسكه بيده ، جذبه منتحياً به ، وقال : « أود أن أتبادل بضع كلمات قلائل معك بصورة حميمية ، هل أستطيع ذلك ؟ » قال المستكشف مصغياً بعينين أرخيت أهدابهما إلى الأرض : « بالطبع »

قال الضابط : « إن هذا الاجراء وتلك الطريقة فى التنفيذ اللذين تبدى الاعجاب بهما الآن ، لم يعد لهما فى الوقت الراهن أنصار فى مستعمرتنا ، إننى نصيرهما الوحيد ، وفى الوقت نفسه النصير الوحيد لتقاليد القائد القديم ، لم يعد بوسعي أن أراهن على المزيد من العمل بهذا الأسلوب ، وصيانة هذه الآلة تستنفذ كل طاقتي . خلال حياة القائد القديم




ذلك فانه يجد نفسه هنا تحت طائلة إغراء قوي بأن يقوم بذلك فقد كان ظلم هذا الاجـــراء ولاإنسانية التنفيذ أمرين لا يمكن إنكارهما . مامن أحد كان بوسعه أن يفترض أنه لديه اهتمام أناني بالأمر ، كان المحكوم غريباً تماماً عنه ، لم يكن من مواطنيه كما أنه لم يكن يتعاطف معه على الاطلاق ، وكان لدى المستكشف ذاته توصيات من دوائر عليا وقد تم استقباله هنا بقدر رفيع من المجاملة ، وقد بدت حقيقة أنه دعي لشهود تنفيذ الحكم ذاتها وكأنها تشير إلى أن وجهات نظره ستكون محل ترحيب ، وقد كان احتمال ذلك كبيراً حيث أن القائد كما لو أنه استمع الآن بوضوح بالغ ممن لا يناصرون هذا الاجراء وراح يتبنى موقف العداء على وجه التقريب من الضابط .

فى هذه اللحظة سمع المستكشف الضابط يصرخ فى غضب . كان قد دفع لتوه الكعام اللبادى بمشقة كبيرة في فم المحكوم حينما أغمض الرجل فى غمار تواصل لا يقاوم للدوار

كانت المستعمرة تحفل بانصاره . إننى لازلت اتمتع بمقدرته على الاقناع إلى حد ما لكني لا أملك ذرة من سلطتة ومن هنا فقد تبدد الأنصار . لايزال هناك العديد منهم ، لكن أياً منهم لن يقر الآن بذلك ، ولئن مضيت اليوم إلى المقهى ، وهو يوم لتنفيذ الحكم ، واصغيت لما يقال لاستمعت فحسب إلى ملاحظات متضاربة ، هذه الملاحظات سيطرحها جميعاً أنصاره لكنهم فى ظل القائد الحالي ومبادئه الراهنة لانفع فيهم ولا غناء . الآن أسائلك : أبسبب هذا القائد والنسوة اللاتي يؤثرن فيه تتداعى هذه المعجزة العملية .، انجاز العمر كله » ـ أشار إلى الآلة ـ « إلى هوة الاهمال ؟ أينبغى على المرء أن يترك ذلك يحدث ؟ حتى وإن كان قد جاء غريباً إلى جزيرتنا لأيام قلائل ؟ ومع ذلك فليس هناك وقت

يهدر ، فثمة هجوم من نوع ما يوشك أن يقع على عملى كقاض . فالمؤتمرات تعقد بالفعل فى مكتب القائد ويحال بينى وبين شهودها ، بل إن حضورك هنا اليوم يبدو لي خطوة هامة ، إنهم

جبناء ، ولسوف يستخدمونك كستار ، أنت ، الغريب ، كم كان مختلفاً تنفيذ الحكم فى الأيام الخوالي ! قبل الاحتفال بيوم كامل كان الوادى يحتشد بالناس . يقبلون جميعاً للمشاهدة ، فى ساعة مبكرة من الصباح يقبل القائد ومعه سيداته ، توقظ الابواق المعسكر بكامله ، كنت اقدم تقريراً بان كل شيء على أهبة الاستعداد ، فتقوم الصحبة المجتمعة بتنظيم نفسها حـــول الآلة . ماكان موظفاً علي الرتبة ليجرؤ على الغياب . هذه الكومة من المقاعد الخيزرانية هي شاهد بائس باق من هذا العهد ، كانت الآلة تلتمع بعد تنظيفها حديثاً . كنت احصل على قطع غيار جديدة لكل عملية تنفيذ للحكم على وجه التقريب . وأمام مئات من المشاهدين يقفون جميعاً على أطراف أصابعهم بطول القامات هناك يرقد المحكوم تحت « المسحاة » على يد القائد ذاته ، وما يترك الآن لجندى عادى للقيام به كان فى ذلك الوقت هو مهمتي ، أي مهمة القاضي الرئيسى ، وكان ذلك تشريفاً لي ، وعندئذ يبدأ تنفيذ الحكم ! مامن ضجة عارضـــة كانت تفسد عمل الآلة . كثيرون لم يكونوا يكترثون بمراقبتها وإنما يرقدون باعين مغمضة على الرمل ، إنهم يعلمون جميعاً أن العدالة تاخذ الآن مجراها ، وما كان المرء فى غمار الصمت ليسمع إلا تنهدات المحكوم وقد خنقها الكعام اللبادي أو أوشك على خنقها . الآن لا تستطيع الآلة أن تنتزع من أحد تنهيدة أعلى مما يمكن للكعام خنقه ، ولكن فى تلك الأيام الخوالى كانت الابر الكاتبة تسقط دفقاً حمضيا لم يعد يسمح لنا باستعماله اليوم ، ثم تدق الساعة السادسة ! كان من المستحيل الموافقة على كافة الطلبات المقدمة للسماح بمراقبة ما يحدث فى الساعة السادسة عن كثب . أصر القائد بحكمته على أن تكون الأفضلية للأطفال . كنت دائماً على مقربة بالطبع بسبب منصبى ، وما يخلعه علي من امتياز . كنت أمكث هناك مصطحباً طفلين ، كيف كنا جميعاً نمتص نظرة التحول المرتسم على وجه من يعانى العذاب . كيف كنا نمسح خدودنا فى وهج تلك العدالة التى تحققت أخيراً والتى سرعان ما تذبل ! أى أوقات كانت تلك يا رفيقى ! «كان من الواضح أن الضابط قد نسي هوية من يخاطب ، كان قد عانق المستكشف ووضع رأسه على كتفه . أحس المستكشف بحرج بالغ فراح يحدق فى نفاذ صبر عبر رأس الضابط . أنهى الجندى مهمة التنظيف التى كان يقوم بها ، وهو الآن يصب الأرز اللين من وعاء الحوض المخصص له . وبمجرد أن لاحظ المحكوم الذى بدا أنه قد استرد تماسكه كلية هذه الحركة حتى شرع فى محاولة الوصول الى الأرز بلسانه . واصل الجندى دفعه جيداً حيث أن الأرز اللين قد أعد لاستخدامه فى مرحلة تالية بالتأكيد غير أنه لم يكن من المناسب وبنفس الدرجة ، أن يقوم الجندى نفسه بغمس يديه القذرتين فى الحوض وراح يلتهم الأرز أمام وجه المحكوم المتطلع .

استجمع الضابط قواه سريعاً .. قال : «لم أرغب فى مضايقتك . أعلم أنه من المستحيل جعل تلك الأيام الخوالى شيئاً قابلا للتصديق الآن ، وعلى أية حال فان الآلة لاتزال تعمل ولاتزال فعالة فى ذاتها ، إنها فعالة بذاتها حتى وإن كانت تنتصب وحيدة فى الوادى ، ولاتزال الجثة تسقط بحركة دافعة رقيقة على نحو لا يدرك ، حتى وإن لم يعد هناك المئات من الناس يتكدسون حول المكان مثل الذباب كما كان يحدث من قبل ، كنا نضطر فى تلك الأيام الى وضع سور قوى حول الحفرة ، وقد بنى هذا السور منذ وقت طويل .

أراد المستكشف أن يشيح بوجهه بعيداً عن الضابط وأن يتطلع حوله على نحو عشوائى ، ظن الضابط أنه يرمق بنظرته اقفرار الوادى ، لذا فقد أمسك بيديه . جعله يلتفت اليه ليقابل عينيه .. سأله : «هل تلاحظ العار فى هذا الأمر ؟» .

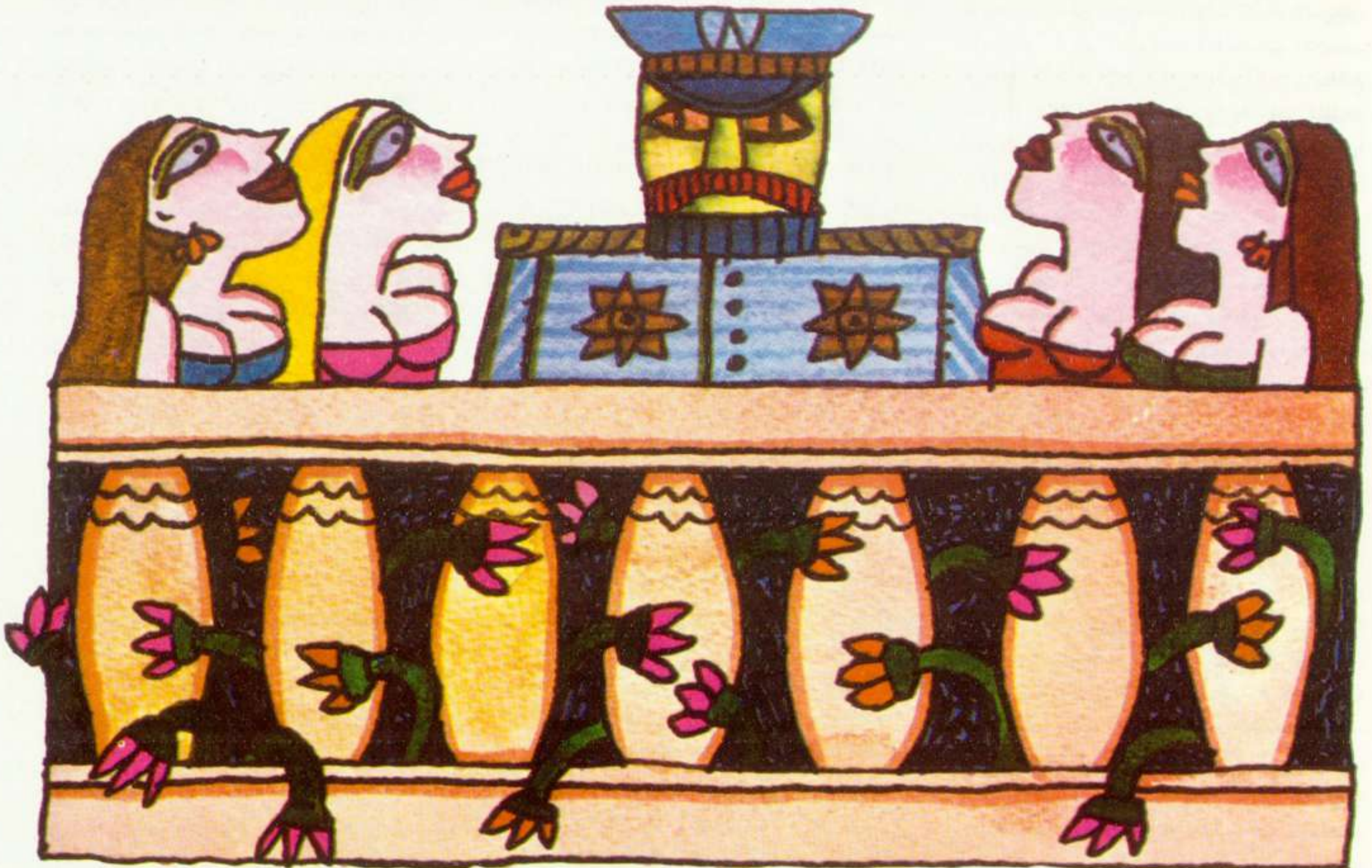
لكن المستكشف لم يتلق جواباً . تركه الضابط وحده قليلا . وقف جامداً تماماً وقد باعد ما بين ساقيه ، ووضع يديه على مؤخرته وحدق فى الأرض . ابتسم مشجعاً المستكشف ، وقال : «كنت قريباً منك للغاية أمس حينما وجه القائد الدعوة لك . سمعته يوجهها . إننى أعرف القائد ، وقد حدست فى الحال ما يسعى اليه ، فعلى الرغم من أن لديه من السلطة ما يكفى لاتخاذ



اجراءات ضدى ، فانه لا يجرؤ على القيام بذلك ، لكن من المؤكد أنه يعتزم استخدام حكمك ضدى .. حكم رجل أجنبى له قدره . لقد حسب الأمر بعناية . ذلك هو اليوم الثانى لك على أرض الجزيرة ، أنت لا تعرف القائد القديم وأساليبه . تحكمك الأساليب الأوربية فى التفكير . ربما كنت تعترض من حيث المبدأ على عقوبة الاعدام بصورة عامة ومثل أجهزة الموت الميكانيكية تلك بصفة خاصة ، والى جوار ذلك فسوف تدرك أن تنفيذ حكم الاعدام لا يلقى تاييداً من الجمهور . فعل بائس . ينفذ بآلة أصبحت بالفعل عتيقة بالية الآن ، أخذاً بكل ذلك فى الاعتبار (على هذا النحو يفكر القائد) . ألن يكون من المحتمل أنك لن توافق على أساليبى ؟ واذا كنت لا توافق عليها الن تخفى الحقيقة (لازلت أتحدث من منظور القائد) حيث أنك من نوعية الرجال الذين يعتمدون على استنتاجاتهم المجربة ؟ حقاً إنك شاهدت وتعلمت أن تقدر السمات الغريبة لشعوب كثيرة ، ومن هنا فانه لا يحتمل أن تتبنى موقفاً قوياً ضد اجراءاتنا على نحو ما كان يمكن أن تفعل فى بلادك ، لا يتعين حتى أن تمثل ما تعتقده حقاً طالما انها يمكن أن تستخدم بشكل خاص لخدمة غرضه ، لسوف يحاول استدراجك باسئلة ماكرة إنى لعلى يقين من هذا ، ستجلس سيداته حولك ويرهفن السمع . قد تقول شيئاً من هذا القبيل : «لدينا فى بلادنا طريقة أخرى لتنفيذ العدالة» أو «فى بلادنا تتاح للسجين فرصة الدفاع عن نفسه قبل الحكم عليه» أو «إننا لم نستخدم التعذيب منذ القرون الوسطى» كل هذه العبارات صحيحة بقدر ما تبدو طبيعية بالنسبة لك ، مجرد ملاحظات لا تصدر حكماً على أساليبى ، ولكن على أى نحو سيستجيب القائد لها ؟ بوسعى أن أراه ، قائدنا الطيب وهو يدفع بكرسيه على الفور ويندفع الى الشرفة ، بمقدوري أن أرى سيداته وهن يتدفقن فى أعقابه . أستطيع أن أسمع صوته ، ذلك الصوت الذى تصفه السيدات بانه صوت الرعد . واليك ما سيقوله : «إن محققاً غربياً شهيراً أرسل لدراسة الاجراءات العقابية فى كافة دول العالم ذكر لتوه أن تقليدنا العتيق فى تنفيذ العدالة هو تقليد لا انسانى ، وصدور مثل هذا الحكم عن مثل هذه الشخصية يجعل من المستحيل بالنسبة لي الابقاء على هذه الطرق أكثر من ذلك . ومن هنا واعتباراً من اليوم فانني آمر بأن» .. وما الى ذلك . وقد ترغب فى القول بانك لم تقل على الاطلاق شيئاً كهذا وأنه لم يحدث أبداً أن وصفت أساليبى بأنها غير انسانية . وأنه على العكس فتجربتك العميقة تحملك على الاعتقاد بأنها أكثر الأساليب انسانية واتفاق مع الكرامة الانسانية وأنك تعجب بالآلة الى حد كبير ، لكن الوقت سيكون قد تاخر . ولن تصل الى الشرفة حيث ستكون مزدحمة بالسيدات ، وقد تحاول جذب الانتباه اليك لكن لا بد احدى السيدات ستطبق شفتيك

وسينتهى أمرى وأمر القائد القديم» .
اضطر المستكشف الى إخفاء ابتسامة أوشكت ان تلوح . إذن فهى سهلة للغاية تلك المهمة التى كان يشعر بانها عسيرة للغاية . قال مراوغاً : «إنك تبالغ فى تقدير نفوذى ، لقد قرأ القائد خطابات التوصية التى جلبتها معى ، وهو يعرف اننى لست خبيراً فى الاجراءات العقابية ، واذا كان لي أن أبدى رأياً فسيكون ذلك بصفتى الخاصة ، وهو رأى لا يزيد تأثيره عن رأى أى شخص عادى ، واقل تأثيراً على أية حال من رأى القائد الذى يتمتع فيما يسعنى ان أدرك بسلطات واسعة فى مستوطنة العقاب هذه ، وإذا كان موقفه من اجراءاتك قاطعاً فى عدائه على نحو ما تعتقد فاننى أخشى أن نهاية التقليد الذى تتبعه وشيكة حتى بدون أية مساعدة متواضعة من جانبى .

هل وضح الأمر للضابط أخيراً ؟ لا .. فهو لم يفهم بعد . هز رأسه فى عناد . اختلس نظرة قصيرة الى المحكوم والجندى اللذين كفا عن إلتهام الأرز معاً ، واقترب من المستكشف ، ودون أن ينظر الى وجهه ثبت الضابط عينه على بقعة ما فى سترته وقال بصوت أكثر انخفاضاً عن ذى قبل : «إنك لا تعرف القائد ، وتشعر بنفسك – ولتغتفر لي هذا التعبير – وكأنك لا منتم فيما يتعلق بنا جميعاً ، ومع ذلك ، صدقنى ، فان نفوذك لا يمكن التهوين من شانه ، لقد سررت ببساطة حينما سمعت أنك ستشهد تنفيذ الحكم بمفردك ، رتب القائد الأمر ليوجه لطمة لي ، ولكنى سأحولها لصالحى ، لقد سمعت ايضاحاتى . شاهدت الآلة وأنت فى طريقك الآن لتشهد التنفيذ دون أن يضلك همس كذوب ونظرات مفعمة بالاحتقار وهو ما كان يتعذر تجنبه لو ان جمعا من الناس شاهد التنفيذ . لقد كونت دون شك حكمك الخاص . وإذا كانت لاتزال لديك بعض الشكوك الصغيرة تراودك فان مشاهدة الحكم ستحسمها ، الآن أوجه إليك هذا الطلب ، ساعدنى ضد القائد !» لم يدعه المستكشف يواصل الحديث صاح : «كيف يمكننى القيام بهذا ؟ إنه مستحيل تماماً ، لا أستطيع مساعدتك أو عرقلتك» قال الضابط : «نعم ، تستطيع» ، بخوف يقينى من شر مرتقب رأى المستكشف الضابط وقد ضم قبضتيه ، كرر هذا بمزيد من الاصرار : نعم ، تستطيع ، لدى خطة من المحتم انها ستنجح ، أنت تعتقد أن نفوذك غير كاف ، وأنا أعلم أنه كاف ، ولكن حتى إذا سلمنا بانك محق أليس من الضرورى حفاظاً على هذا التقليد أن تجرب حتى ما قد يبدو غير كاف ؟ أضع الى خطتى إذن ، إن أول شىء ينبغى عليك القيام به أن تكون كتوماً بقدر الامكان فيما يتعلق بحكمك على هذه الاجراءات ، وما لم يوجه اليك سؤال مباشر فعليك ألا تقول شيئاً على الاطلاق ، وما ينبغى أن تقوله يتعين أن يكون مقتضباً وعاماً ، دعهم يلاحظون أنك تؤثر ألا تناقش الأمر وانك قد ضقت ذرعاً به ، وانك لو تركت لنفسك العنان لاستخدمت أسلوباً عنيفاً ، إننى لا أطالبك بطرح أية أكاذيب ، على الاطلاق ، ينبغى أن تطرح إجابات مقتضبة مثل : «نعم لقد شاهدت تنفيذ الحكم» أو «نعم ، لقد تم ايضاح الأمر لي» كذلك فحسب ولا مزيد ، هناك من الأسباب ما يكفى لتبرير أى نفاذ صبر تبديه وإن لم يكن بالقدر ذاته الذى سيحسه القائد ، بالطبع سيخطىء فى تفسير ما تقصده وسيفسره على نحو ما يرضيه ، وذلك هو ما تعتمد عليه خطتى ، سيعقد غداً فى مكتب القائد مؤتمر كبير يشهده كافة المسئولين الاداريين الكبار ويتولى رئاسته القائد ، وبالطبع فان القائد ينتمى إلى تلك النوعية من الناس التى يمكن ان تحول هذه المؤتمرات الى محافل عامة ، لقد شيد معرضاً يحفل دائماً بالنظارة ، وأنا مضطر لشهود هذه المؤتمرات ، لكنها تجعلنى أحس بالغثيان ، الآن وأياً كان ما يحدث فمن المؤكد أنك ستدعى لشهود هذا المؤتمر وإذا ما تصرفت اليوم على نحو ما اقترح فان توجيه الدعوة اليك سيصبح أمراً عاجلا ، ولكن اذا لم توجه اليك الدعوة لسبب غامض فعليك أن تطلب توجيه الدعوة لك ، وعندئذ فليس هناك شك فى أنها ستوجه اليك ، وهكذا فانك ستجلس غداً فى مقصورة القائد مع



السيدات ، سيواصل التحديق نحوك ليتأكد من أنك هناك ، وبعد العديد من الأمور التافهة والمثيرة للسخرية المطروحة لمجرد التأثير في جمهور الحاضرين وهي غالباً من عمال الميناء ، لا شيء غير عمال الميناء ! سيطرح نظامنا القضائي للمناقشة كذلك ، فإذا لم يطرحه القائد أو إذا لم يطرحه بالسرعة الكافية فسآخذ على عاتقي أن يرد ذكره ، سأنهض واقفاً وأقدم تقريري عن وقوع تنفيذ الحكم اليوم ، باقتضاب بالغ ، مجرد اشعار ، ومثل هذا الاشعار ليس أمراً معتاداً لكنى سأقوم بتقديمه ، سيشكرني القائد كالمعتاد بابتسامة ودودة ثم لن يستطيع أن يكبح جماح نفسه ، لسوف ينتهز الفرصة الممتازة المتاحة ، سيقول لك على هذا النحو أو بكلمات مماثلة : «ذكرتم أن عملية تنفيذ لحكم اعدام قد تمت وأود أن أضيف فحسب أن هذه العملية قد شاهدها المحقق الشهير الذي شرف كما تعلمون جميعاً جزيرتنا على نحو استثنائي بزيارته لنا ، ويساهم وجوده اليوم في جلسة اليوم من مؤتمرنا كذلك في اضفاء الأهمية على هذه المناسبة ، ألا ينبغي علينا الآن أن نطلب من المحقق الشهير أن يقدم لنا حكمه على طريقتنا التقليدية في تنفيذ حكم الاعدام والاجراءات المؤدية إلى اصداره؟» بالطبع سيدوى تصفيق عال وموافقة عامة ، وسأكون أكثر اصراراً من الجميع . ينحنى القائد ويقول لك : «إذن فإنني باسم الجماعة الحاضرة هنا اطرح هذا السؤال عليك» الآن تدنو من مقدمة المقصورة ، ضع يديك حيث يستطيع الجميع مشاهدتهما وإلا فان السيدات سيمسكن بها ويعتصرن أصابعك ، وأخيراً بوسعك أن تتحدث عالياً ، لست أدرى كيف سأتحمل توتر انتظار هذه اللحظة . لا تكبح جماح نفسك حين تتحدث . أعلن الحقيقة بصوت عال . انحن على مقدمة المقصورة ، اجل ، حقاً ، أصرخ بحكمك . لاتهتز في وجه القائد . ولكن لعلك لا تكترث للقيام بهذا ، إنه لا يتفق مع شخصيتك ربما كان الناس في بلادك يقومون بهذه الأمور على نحو مختلف ، طيب ، هذا مناسب كذلك ، سيكون هذا فعالاً بالدرجة ذاتها ، بل حتى لاتقف ، قل كلمات قلائل فحسب ، انطقها حتى همساً بحيث أن المسئولين الماثلين باسفل المقصورة وحدهم يسمعونك ، سيكون ذلك كافياً تماماً ، ما من حاجة تدعوك إلى ذكر الافتقار للتأييد الجماهيري لحكم الاعدام ، العجلة المقرقعة ، الطوق المكسورة ، الكعام اللبادي القذر ، لا ، سأحمل كل هذا على كاهلي ، وصدقني ، فلئن لم يجبره اتهامي على الخروج من قاعة المؤتمر فانه سيرغمه على الركوع على ركبتيه ليدلي باقراره : « أيها القائد القديم ، إنني انحني تواضعاً بين يديك » تلك هي خطتي اتساعدني في تنفيذها ؟ ولكنك بالطبع على استعداد لذلك ، وما هو أكثر من ذلك أنه يتحتم أن تكون على استعداد لذلك » وأمسك الضابط بكلتا يدي المستكشف وراح يحدق فيه وقد ثقل



تنفسه ، كان قد صرخ عالياً بجملته الأخيرة بحيث أن الجندي والمحكوم فزعا فوقفا منتبهين ، لم يفقها كلمة واحدة ، لكنهما كفا عن تناول الطعام وتطلعا الى المستكشف وهما يمضغان لقيماتهما السابقة التي ابتلعاها من قبل .

منذ البداية ذاتها لم يراود المستكشف شك حول طبيعة الرد الذي ينبغي أن يطرحه ، فقد عرك طوال عمره الكثير من الأحداث بحيث لم يخالجه الشك هنا ، كان إنساناً شريفاً في أعماقه لا يعرف الخوف ، ومع ذلك فقد تردد الآن أمام الجندي والمحكوم لوقت يكفي ليلتقط المرء نفساً واحداً ، غير أنه أخيراً قال ما تعين عليه أن يقول : «لا» ، رمش الضابط بجفنيه مرات عديدة لكنه لم يحول عينيه بعيداً ، تساءل المستكشف : « أتود أن أوضح لك الأمر ؟ » أشار الضابط موافقاً في صمت أخرس ، عندئذ قال الضابط : « إنني لا أوافق على الاجراء الذي تتبعه حتى قبل أن تمنحني ثقتك ، وبالطبع فانني لن أخون تلك الثقة بحال ، كنت أتساءل بالفعل عما إذا لم يكن من واجبي أن أتدخل وعما إذا كان تدخلي سيتاح له فرصة النجاح ، أدركت إلى من ينبغي أن أتوجه ، الى القائد بالطبع ، وقد جعلت أنت هذه الحقيقة أكثر وضوحاً ، ولكن دون أن تدعم قراري ، بل الأمر على العكس ، فقد أثر في اقتناعك المفعم إخلاصاً وإن كان لم يستطع التأثير في حكمي »

ظل الضابط صامتاً ، التفت إلى الآلة ، أمسك بأحد القضبان النحاسية ، حدق في «المصمم» كما لو كان يؤكد لنفسه أن كل شيء على مايرام ، بدا الجندي والمحكوم كما لو كانا قد وصلا إلى

فهم من نوع ما للأمر ، كان المحكوم يومىء باشارات للجندي رغم صعوبة تحركاته بسبب الأطواق المحكمة ، كان الجندي منحنياً فوقه . همس المحكوم بشيء ما ، أوما الجندي موافقاً .

تبع المستكشف الضابط ، قال : « إنك لا تعلم بعد ما أعتزم القيام به ، لسوف أحدث القائد بما أعتقده بشأن إجراءات العدالة ، هذا مؤكد ، ولكن ليس في مؤتمر عام ، وإنما فيما بيننا فحسب ، كما أنني لن أمكث هنا وقتاً يتيح لي شهود المؤتمر ، لسوف أرحل في وقت مبكر غداً ، أو على الأقل انتقل إلى سفينتي » .

لم يبد أن الضابط يصغي لحديثه ، « هكذا فانك لاتجد هذا الاجراء مقنعاً » قالها محدثاً نفسه وابتسم ، كما يبتسم كهل أمام عبث طفولي ومع ذلك يواصل تأمله وراء حجاب ابتسامته .

« إذن فقد حان الوقت » قالها الضابط أخيراً ، نظر فجاة إلى المستكشف بعينين براقتين تحملان تحدياً ما ، نداء من نوع ما للتعاون ، تساءل المستكشف : « وقت ماذا » لكنه لم يظفر برد .

« أنت حر » قالها الضابط للمحكوم باللغة الوطنية للجزيرة ، لم يصدق الرجل في أول الأمر ، قال الضابط : « نعم » لقد أطلق سراحك ، للمرة الأولى تيقظت ملامح الرجل ، انطلقت إلى رحاب الحركة الحقيقية ، أصحيح هذا ؟ أم أنها لا تعدو أن تكون نزوة من نزوات الضابط سرعان ما تنقلب ؟ هل استرحمه المستكشف الأجنبي ليعفو عنه ؟ ما الأمر ؟ كان بوسع المرء أن يطالع هذه الأسئلة المرسومة على وجهه ، لكن ذلك لم يدم طويلاً ، أيا ما كان الأمر ، أراد أن يكون حراً حقاً إذا كان ذلك بمقدوره ، شرع في الحركة بقدر ما سمحت « المسحاة » له .

صاح الضابط : « ستحطم أطواقي ، أرقد ساكناً ! سرعان ما نفك قيودك » ، انطلق للقيام بذلك مشيراً إلى الجندي ليعاونه . ضحك المحكوم ضحكة خرساء لنفسه ، راح يحول وجهه تارة يسرة ناحية الضابط وتارة يمنه تجاه الجندي ، كما لم ينس المستكشف في توزيع نظراته .

« اسحبه بعيداً » أصدر الضابط الأمر ، كان ينبغي القيام بهذا ببعض الحذر بسبب « المسحاة » .

غير أنه منذ ذلك الوقت فصاعداً لم يبد الضابط اهتماماً به ، مضى صوب المستكشف ، أخرج الحافظة الجلدية مرة أخرى ، قلب الأوراق بها ، عثر على الورقة التي كان ينشدها ، عرضها على المستكشف ، قال « اقرأها » قال الضابط : « لا أستطيع ، سبق أن أخبرتك قبلاً بأني لا أستطيع فهم هذه المخطوطات » . قال الضابط وقد اقترب الى حد كبير من المستكشف ليطالعا الورقة سوياً ، ولكن حينما لم يجد ذلك فتيلاً قام

الضابط بتحديد الخطوط بخنصره رافعاً الاصبع فوق الورقة كما لو كان لا يجرؤ على تلطيخ الورقة باصبعه وذلك لكي يساعد المستكشف على تتبع ماهو مرسوم بالمخطوط بتلك الطريقة . بذل المستكشف جهداً قاصداً أن يبعث السرور فى نفس الضابط فى هذا الصدد على الاقل لكنه عجز تماماً عن المتابعة . شرع الضابط الآن فى استهجاء الحروف التى يرمز إليها المخطوط بالرسم حرفاً حرفاً . ثم قرأ الكلمات عالياً . قال « كن عادلا » ، هذا هو المكتوب هناك . من المؤكد انك تستطيع قراءتها الآن » انحنى المستكشف قريباً للغاية من الورقة بحيث خشي الضابط من أنه قد يمسها فجذبها مبتعداً بها ، لم يعقب المستكشف غير أنه كان من الواضح أنه لا يستطيع تتبع الكلمات . مجدداً قال الضابط : « كن عادلا » هذا ما هو مدون هناك ، قال المستكشف : « ربما ، إننى على استعداد لتصديقك » ، « طيب ، إذن » قالها الضابط وقد احس بالرضا إلى حد ما على الأقل وتسلق السلم حاملا الورقة ، بعناية بالغة ووضعها داخل « المصمم » وبدا وكانه يغير وضع كافة العجلات المسننة ، كان ذلك عملا مثيرا للضيق ولابد أنه اقتضى معالجة أمر عجلات بالغة الضالة ففى بعض الأحيان كانت راس الضابط تختفى كلية عن الناظر داخل «المصمم » .. فعلى هذا النحو الدقيق تعين عليه أن يضبط الآلة .

دون انقطاع راح المستكشف يراقب العمل من أسفل ، تصلب عنقه ، آلمته عيناه من التحديق فى الشمس عبر السماء ، كان الجندى والمحكوم مشغولين الآن سوياً ، تم التقاط قميص المحكوم وسرواله اللذين كانا ملقيين فى الحفرة بطرف حربة الجندى ، كان القميص قذراً على نحو كريه فقام صاحبه بغسله فى دلو الماء ، وحينما ارتدى القميص والسروال لم يتمالك والجندى من كبح قهقهتهما فقد كانت الملابس بالطبع ممزقة من الخلف ، ولربما شعر المحكوم بأن عليه أن يرفه عن الجندى ، فراح يدور ويدور أمامه فى ملابسه المهلهلة فيما اقتعد الجندى الأرض وراح يضرب بركبتيه بيديه فى مرح ، أيا ماكان الأمر فقد سيطرا فى التو على مرحهما توقيراً للسيدين .

حينما أنهى الضابط اخيراً مهمته باعلى الآلة رمقها فى كافة تفاصيلها مجدداً بابتسامة ، لكنه فى هذه المرة اغلق غطاء «المصمم» الذى ظل مفتوحاً حتى الآن . هبط السلم ، نظر الى الحفرة ثم إلى المحكوم ، ملاحظاً باغتباط أن الملابس قد تم التقاطها ، مضى ليغسل يديه فى مياه الدلو ، أدرك بعد فوات الأوان أنه قذر على نحو مقزز ، شعر بالتعاسة لعجزه عن غسل يديه . فى النهاية دسهما فى الرمل ، لم يبعث هذا البديل السرور فى نفسه ، لكنه اضطر لاحتماله ، وقف في موضعه وشرع فى فك أزرار



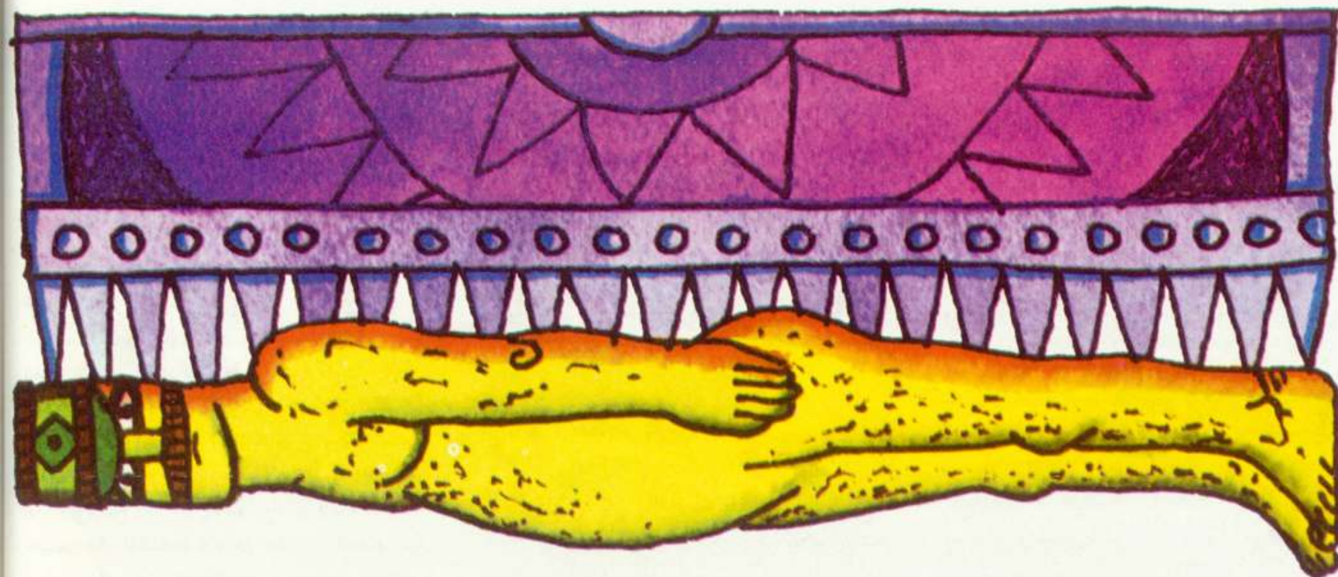
ردائه الرسمي ، فيما هو يقوم بذلك سقط المنديلان النسائيان اللذان كـان قد وضعهما تحت ياقته فتلقفهما . قال : « إليك منديليك » والقى بهما الى المحكوم ، وقال للمستكشف موضحاً « إنهما هدية من السيدات »

على الرغم من العجلة الواضحة التى كان ينزع بها سترة زيه الرسمي أولا ثم ملابسه بكاملها بعد ذلك فانه كان يمس كل قطعة منها بعناية تفيض بالحب ، بل مرر اصابعه مداعباً على النسيج الفضى الذى يوشي السترة ، وهز إحدى الشرابات معيداً إياها الى وضعها ، كانت هذه العناية العاشقة غير متسقة بالتأكيد مع حقيقة انه بمجرد خلعه لقطعة من ملابسه كان يطيح بها فى الحال بضرب من الانتفاضة الرافضة إلى الحفرة ، كان آخر شيء ترك له هو سيفه الصغير بحزامه ، استله من غمده ، حطمه ، جميع الأجزاء المكسورة معاً والغمد والحزام وأطاح بها إلى أسفل بعنف بالغ بحيث انها قعقعت وهي فى طريقها إلى الحفرة .

وقف الآن عارياً هناك ، عض المستكشف شفتيه ، التزم الصمت ، كان يعرف تماماً ماالذى سيقع ، لكنه لم يكن له الحق فى الاعتراض على أي مما يقوم به الضابط ، إذا كان الاجراء القضائى الذى كان الضابط يؤثره فى طريقه حقاً إلى الانتهاء ربما كنتيجة لتدخل الضابط وهو ما يشعر بانه ملتزم به إذن فان الضابط كان يقوم بالشيء الصحيح ، ولو أن المستكشف كان فى موضعه لما تصرف على نحو آخر .

لم يفقه الجندى والمحكوم فى البداية ماكان يجرى ، بل كاناابتداء لا ينظران إلى مايحدث ، كان المحكوم مبتهجاً لحصوله على المنديلين ، لكنه ماكان يسمح له بان يتمتع بهما لوقت طويل حيث انتزعهما الجندى بحركة مفاجئة وغير منتظرة ، وكان المحكوم الآن يحاول بدوره انتزاعهما من أسفل الحزام حيث دسهما الجندى لكن هذا الأخير التزم الحذر ، هكذا كانا يتصارعان على نحو يجمع بين الجد والهزل ، حينما وقف الضابط عارياً تماماً فحسب جذب الأمر انتباههما . بدا المحكوم بصورة خاصة مذهولا بفكرة أن تغيراً عظيماً فى المقادير قد غدا وشيك الوقوع للضابط . إن ما حدث له فى طريقه الآن للوقوع مع الضابط ، وربما حتى النهاية أيضاً ، أصدر المستكشف الأجنبي فيما يبدو الأمر بذلك . هكذا فان هذا هو الثأر ، وعلى الرغم من انه هو نفسه لم يعان حتى النهاية إلا أنه سيتم الانتقام له حتى النهاية . علت ابتسامة عريضة صامتة وجهه ، تجمدت هناك طوال ما بقى من وقت .

غير أن الضابط كان قد التفت إلى الآلة ، بدا واضحاً من قبل بما فيه الكفاية أنه مستوعب لها جيداً ، أما الآن فقد كان أمراً محيراً على وجه التقريب أن يرى المرء كيف يديرها فتذعن لــه وتنقاد ، ماكان على يده إلا أن تمتد فحسب إلى



« المسحاة » فتعلو وتهبط مرات عديدة إلى أن تصل للوضع المناسب لتلقى جسمه ، لمس حافة « المرقد » فحسب فشرع بالفعل فى التذبذب ، حل دور الكعام اللبادى فى الاندفاع إلى فمه ، كان بوسع المرء أن يرى انه متردد فى التقامه ، لكنه انكمش بعيداً عنه للحظة واحدة ، سرعان ما أذعن والتقمه ، كان كل شيء جاهزاً ، الأطواق وحدها ظلت مرتخية على الأرض ، لكنه كان من الواضح أنها غير ضرورية فلم تكن هناك حاجة لاحكام تقييد الضابط ، ثم لاحظ المحكوم أن الأطواق لم تثبت ، ووفقاً لما يراه فان الاعدام يكون ناقصاً مالم يحكم تثبيت الأطواق ، أشار لاهفاً للجندى ، هرعا معاً ليحكما تقييد الضابط كان الأخير قد مد احدى قدميه بالفعل ليدفع العتله التى تحرك «المصمم» ، رأى الرجلين مقبلين نحوه ، رد قدمه إلى موضعها ، استسلم للقيد ، الآن لم يعد بمقدوره أن يبلغ العتله ، ما كان الجندى ولا المحكوم ليصلا اليها وقد عقد المستكشف عزمه ألا يحرك إصبعاً ، كان ذلك ضرورياً ، فبمجرد أن تم إحكام تثبيت الأطواق شرعت الآلة فى العمل ، تذبذب « المرقد » . لمعت الابر فوق الجلد ، راحت « المسحاة » تعلو وتهبط كان المستكشف يحدق ذاهلا لبرهة قبل أن يتذكر أن هناك عجلة فى « المصمم . كان ينبغى أن تقرقع ، لكن كل شيء كان هادئاً ، لم يكن بالوسع سماع أدنى صفير .

ولأن الآلة كانت تعمل بصمت بالغ فانها لم تكن لتستقطب الانتباه ، راح المستكشف يراقب الجندى والمحكوم . كان الأخير أكثرهما حركة ، أثار كل شىء فى الآلة اهتمامه . كان ينحنى حيناً ويشب على أطراف أصابعه حيناً اخر ، امتد أصبعه طول الوقت مشيراً للجندى الى تفاصيل عمل الآلة ، أثار نلك ضيق المستكشف . كان قد قرر أن يمكث حتى النهاية ساكناً لكنه لم يحتمل مرأى الرجلين ، كان قد قرر أن يمكث حتى النهاية ساكناً ، لكنه لم يحتمل مرأى الرجلين ، قال : «عودا للدار» ، كان الجندى على استعداد كاف لتنفيذ الامر لكن المحكوم تلقى الأمر كعقاب له . بيدين مضمومتين توسل ليسمح له بالبقاء ، حينما هز المستكشف رأسه رافضاً ولم تلن قناته ، انحنى المحكوم مبتهلا على ركبتيه ، أدرك المستكشف ألا جدوى من الاكتفاء باصدار الأوامر ، وكان على وشك المضى لدفع الرجلين بعيداً . فى هذه اللحظة سمع ضجة فى «المصمم» فوق رأسه . تطلع نحوه ، هل تسبب تلك العجلة المسننة متاعب فى نهاية الأمر ؟ لكن الأمر كان مختلفاً تماماً ، إرتفع غطاء «المصمم» ببطء ثم انفتح على سعته ، تجلت أسنان إحدى العجلات المسننة ، اوغلت فى الارتفاع ، سرعان ما ظهرت العجلة بكاملها للعيان ، بدا الأمر كما لو أن قوة هائلة من نوع ما راحت تعتصر «المصمم» بحيث لم يعد هناك فراغ يسع العجلة . تحركت العجلة المسننة الى أعلى حتى وصلت الى حافة « المصمم » ذاتها ، سقطت تدحرجت على الرمل على حدها ثم سقطت على وجهها ، لكن عجلة أخرى كانت قد برزت علياً فى أعقابها تتبعها عجلات أخرى كثيرة ، كبيرة ، صغيرة دقيقة على نحو لا يمكن تمييزه ، تكرر الشيء نفسه بالنسبة لكافة العجلات . فى كل لحظة كان المرء يتصور أن « المصمم » ينبغى أن يكون الآن خاوياً لكن مجموعة أخرى من عجلات عديدة تكون قد بدت بالفعل للعيان ، سقطت ، تدحرجت على الرمل ، استقرت متسطحة فوقها ، جعلت هذه الظاهرة المحكوم ينسي كلية أمر المستكشف ، فقد فتنة العجلات المسننة . كان طوال الوقت يحاول الامساك باحداها ويهيب فى الوقت نفسه بالجندى أن يساعده ، لكنه يسحب يده فزعاً إذ تقبل دائماً عجلة أخرى مندفعة تخيفه على الأقل فى اندفاعتها الأولى .

شعر المستكشف من ناحية أخرى باضطراب عظيم ، كان من الجلى ان الآلة تتداعى مزقاً ، عملها الصامت لم يكن إلا وهماً ، راوده شعور بان عليه الآن أن يقف إلى جوار الضابط حيث أن هذا الاخير لم يعد بمقدوره أن يعنى بنفسه ، ولكنه فيما كانت العجلات المسننة المتداعية تستقطب انتباهه كاملا نسي أن يراقب باقى الآلة ، غير انه الآن وبعد أن تركت العجلة المسننة الأخيرة « المصمم » إنحنى على « المسحاة » فتلقى مفاجأة جديدة لا تبعث على السرور ، لم تكن « المسحاة » تكتب وإنما كانت تطعن فحسب ، لم يكن المرقد يقلب الجسم ويدور به وإنما كان يحمله مرتجفاً فى مواجهة الابر ، أراد المستكشف أن يفعل شيئاً إذا كان ذلك ممكناً لايقاف الآلة بأسرها ، فلم يكن ذلك تعذيباً بديعاً على نحو ما أرغب الضابط وإنما كان قتلا صريحاً . مد ذراعيه ولكن فى تلك اللحظة ارتفعت « المسحاة » والجثمان ملتصق بها على نحو ما فى الساعة الثانية عشرة فحسب ، كان الدم يتدفق فى مئات من النهيرات غير مختلط بالماء . فنفثات الماء لم تؤد عملها بدورها . الآن لم يتحقق العمل الأخير ولم ينزلق الجثمان بعيداً عن الابر ، وإنما ظل والدماء تتدفق منه معلقاً فوق الحفرة دون أن يسقط فيها. حاولت « المسحاة » الارتداد إلى وضعها القديم ولكنها كما لو كانت قد لاحظت بنفسها انها لم تتخلص من ثقلها . جمدت فى النهاية حيث هي فوق الحفرة . « اقبلا ، وساعدا» صرخ المستكشف بالآخرين ، أمسك بالضابط بنفسه من قدمه ، أراد أن يضغط دافعاً القدمين فيما الآخران يمسكان بالرأس من الطرف المقابل وبذا يمكن تخليص الضابط ببطء من الابر . لكن الآخرين لم يستطيعا أن يحزما رأيهما على الاقبال . بل مضى المحكوم بالفعل مبتعداً ، اضطر المستكشف للمضى نحوهما واجبارهما على الوقوف عند رأس الضابط . هنا ورغماً عنه اضطر الى النظر الى وجه الجثة . كان على النحو ذاته الذى كان عليه فى الحياة . لم تبد عليه إشارة ظاهرة للخلاص الموعود . وما

عثر عليه الآخرون فى الآلة لم يجده الضابط ، كانت الشفتان مطبقتين على نحو صارم والعينان مفتوحتين تحملان التعبير ذاته الذى كان لهما فى الحياة ، نظرتهما كانت هادئة ، مفعمة بالاقتناع ، خلال الجبين نفذ طرف مسمار حديدى كبير .

حينما وصل المستكشف وفى أعقابه الجندى والمحكوم الى الدور الأولى للمستوطنة . اشار الضابط الى إحداها وقال : « هى ذى المقهى » .

فى الطابق الأرضى للدار كان هناك فراغ عميق ، منخفض ، كهفى ، جدرانه وسقفه سودها الدخان ، كان مفتوحاً على سعته باتجاه الطريق ، ورغم أن هذا المقهى لم يكن يختلف كثيراً عن دور المستوطنة الأخرى التى كانت جميعها متداعية حتى بجوار قصر القائد المنيف أعطى المستكشف انطباعاً بتقليد تاريخى من نوع ما ، فاحس بقوة الأيام الخوالى ، دنا منه وفى اعقابه رفيقاه حتى المناضد الخاوية التى وضعت فى الطريق امامه . استنشق الهواء البارد الثقيل المنبعث من داخله . قال الجندى : « العجوز مدفون هنا ، رفض الكاهن دفنه فى فناء الكنيسة . لبعض الوقت لم يدر أحد أين يمكن أن يدفن ، لكهنم فى النهاية دفنوه هنا ، مؤكد أن الضابط لم يحدثك بهذا أبداً لأن ذلك هو قصى ما كان يجعله يشعر بالطبع بالعار ، بل حاول مراراً عديدة نبش قبر العجوز ليلا لكنه كان دائماً يطرد الى البعيد » تساءل المستكشف الذى وجد أن من المستحيل تصديق الجندى : « أين القبر ؟ » ، فى الحال انطلق كلاهما ، الجندى والمحكوم عدوا أمامه وهما يشيران بأيديهما المرسلة على امتدادها فى الاتجاه الذى يتعين أن يكون القبر فيه ، قادا المستكشف حتى الجدار الخلفى حيث كان الرواد يقتعدون مناضد قليلة كانوا فيما يبدو من عمال الميناء ، رجال أقوياء ، بلحى قصيرة مكتملة تلتمع ، لم يكن أحدهم يرتدى سترة ، كانت قمصانهم بالية ، وكانوا مخلوقات فقيرة بائسة ، حينما اقترب المستكشف نهض بعضهم واقفين التصقوا بالحائط ، راحوا يحدقون فيه ، تناثر الهمس حوله: « إنه غريب يريد أن يشاهد القبر » نحوا إحدى المناضد جانباً وتحتها كان هناك حقاً قبر حجرى ، كان بسيطاً ، منخفضاً بما يجعل مائدة تغطيه ، كان هناك نقش عليه بحروف بالغة الضآلة ، واضطر المستكشف للانحناء كى يقرأه ، كانت الكلمات على هذا النحو : « هنا يرقد القائد القديم ، لقد حفر انصاره الذين ينبغى أن يظلوا حالياً مجهولى الأسماء قبره ووضعوا هذا الحجر ، هناك نبوءة تقول بانه بعد عدد معين من السنوات سينهض القائد من بين الأموات ويقود انصاره من هذه الدار لاسترداد المستعمرة ، ثقوا بهذا وانتظروا ! » حينما قرأ المستكشف ذلك ونهض واقفاً ، رأى كافة الواقفين جانباً يبتسمون كما لو كانوا بدورهم قد قرأوا النقش والفوه مثيراً للسخرية وتوقعوا أن يوافقهم فيما ذهبوا إليه ، تجاهل المستكشف هذا ، وزع بضع قطع من النقود عليهم ، انتظر إلى أن وضعت المائدة فوق القبر مجدداً غادر المقهى ، اتجه الى المرفأ .

ألفى الجندى والمحكوم بعض معارفهما فى المقهى فعطلوهما ، ولكن من المحتم انهما تخلصا منهم سريعاً ، فقد كان المستكشف فى منتصف الدرج المؤدى إلى القوارب حينما اقبلا مندفعين فى أعقابه ، ربما أرادا أن يرغماه فى اللحظة الأخيرة على أن يصطحبهما معه ، وفيما كان يساوم النوتى ليجدف به على متن زورقه الى سفينته اندفعا هابطين الدرج فى صمت فلم يكونا ليجرؤا على الهتاف ، ولكن فى الوقت الذى وصلا فيه إلى أسفل الدرج كان المستكشف بالفعل داخل القارب والنوتى يجدف مبتعداً عن الشاطىء ، كان يمكن أن يقفزا الى القارب لكن للمستكشف رفع حبلا ثقيلا مليئاً بالعقد من أرض القارب وهددهما به وهكذا حال بينهما وبين محاولة القفز الى القارب .

قصـــة فرانز كافكـــا
ترجمة كامل يوسف حسين



## مطاعم و مطابع

فى كافة المطابع العربية كتب معطلة ، وناشرون ومؤلفون يقفون فى طوابير طويلة ، ينتظرون دورهم ليطبعوا مخطوطاتهم ، ويحولونها من نص لقارىء واحد ، إلى نص يقراه الآلاف وليس الملايين !

ولا يوجد مطبوع عربى واحد ، يخلو من الأخطاء المطبعية مهما بذل مؤلفه أو ناشره من مجهود فى مراجعته وتصحيحه وتدقيقه ، فهذا طبيعى فى مطابع متخمة بالعمل ، يزداد الطلب عليها بشكل يفوق طاقة آلاتها ، فما بالك بمصححيها وعمالها !

والسبب فى ذلك الزحام وهذا الخطأ ، هو النقص الفاحش فى المطابع العربية ، فبعد أكثر من قرن ونصف القرن على تعاملنا مع المطابع ، مازالت مطابعنا أقل من احتياجاتنا فى العدد والمستوى ، حتى اننا أصبحنا نطبع ـ بالعربية ـ «صحفا وكتبا فى لندن وباريس وأثينا !

ما يدعو للعجب أن العواصم العربية لا تخلو من مطاعم ومطابخ على أحدث طراز ، ولا تكف عن إنشاء العديد منها كل عام ، فمتى يقتنع المستثمرون العرب ، بأن المطابع تدر ربحاً نقدياً ـ لا يقل عن « ربحية » المطابخ ؟ !!

## أغبى من الحمار

أصبحت مسلسلات التليفزيون العربية جنسا دراميا قائما بذاته ، أهم خصائصه هو الاستطراد والاطناب والثرثرة والتكرار وكل المترادفات التى تؤدى إلى الملل والسأم !

ومع أن النقاد قد ملأوا الدنيا صراخا وشكوى وتنديدا وتقريعا وسخرية من هذا الجنس الدرامى السمج والرذيل والمتطفل ، فان واحداً من كتاب الملل أو مخرجى السأم أو الأذنين بعرض هذا وذاك لم يتكرم بسماع هذا الصراخ ، فواصل المؤلفون والمنتجون ، انتاج الثرثرة ، وواصلت محطات التليفزيون العربية تشجيع هذا الانتاج ودعمه ، وشراء أكبر كمية ممكنة من ساعاته ، وواصل النقاد اللت والعجن وتكرار الاحتجاج والاستطراد والاطناب فى التنديد والاطناب فى التقريع ، فاصبح الملل مللين ، والسأم سامين ، والمصيبة مصيبتين !

ولم يعد هناك حل لهذه المشكلة المعقدة ، إلا بان نضرب نحن « المشاهدين / القراء » عن متابعة هذا الملل التليفزيونى السقيم الفكر ونمتنع عن قراءة هذا اللت النقدى ، لسبب بسيط جداً ، فالاثنان يحتقران ذكاءنا ، إذ يفترضان أننا أغبى من الحمار الذى يعلمه التكرار ، فى حين لا يعلمنا !

## شر البلية

أصبحت قضية « سرقة العقول العربية » مأساة بالثلث والرقعة والكوفى ، وكافة أشكال الخط العربى !

ذلك ما انتهت اليه مناقشة ساخنة ، اشترك فيها عدد من الأدباء والمفكرين العرب ، وطافت بكل أركان المشكلة ، وناقشت أبعادها ، وراجعت الاحصاءات والبيانات ، ونقدت الحكومات والمؤسسات ، ولم تلتمس عذرا للمهاجرين بعقولهم وأجسادهم ، ليقدموا للآخرين خدمات ليسوا فى حاجة اليها بقدر حاجة وطنهم الذى نشأهم ونماهم وانفق عليهم ..

ولم تخل المناقشة من حديث عن الاستعمار والصهيونية ، وطافت بنظرات حول الدول الغنية والدول الفقيرة ، ومقولات عن تراكم التخلف وتراكم التقدم واستعراض لمشاكلنا التى هى أعلى من جبالنا وأكبر من صحارينا..

وحين تعبنا من التحليل والتفسير ، قال كاتب عربى كبير :

ـ الحل الوحيد أمامنا أن نصدر مشاكلنا العربية الى أوروبا ليقوم العلماء العرب الذين سرقهم الأوروبيون بحلها ، واعادة تصديرها الينا محلولة جاهزة !




يكتبها : أبو نظارة زرقاء

# إنقاذ الأذن العربية

ماتت ام كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ ، واختلفت فيروز مع الرحبانية ، فتشتت الأذن العربية وسكنتها الركاكة وتبددت بين القبائل التى تزعم انها احق بالخلافة !

غابت « الأصوات القومية » التى لم يكن يتنازع فى قيمتها اثنان ، أو يتناطح فى جمالها عنزان ، وآية ذلك انها كانت تجمع كل العرب فى الخميس الأول من كل شهر ، أو ليلة شم النسيم ، سواءاً كانوا أم مغاربة ، مقيمين أو مهاجرين . يركبون طائرة أو يقطعون المسافات على ظهر جمل أو حمار !

غابت الأصوات القومية ، وانتشرت المسجلات ، لتنتشر معها الاغنية المحلية ، التى ظلت تتدهور من اغنية قطر واحد إلى أن ظهر مطربون يقتصرون على مدينة أو قرية أو نجع .. واحياناً لا يعرف احد بهم خارج شارع معين أو بيت محدد !

غابت الأصوات القومية ، فتعملقت اغنية الملاهى ، وانتشر الفرانكو ـ آراب ، وتشتتت آذان الجيـــل الجـــديد بين « عدويه » و « ترافولتا » ، وخلى عرش الغناء لمن يزعمون أحقيتهم بالخلافة ، فما نجح واحد منهم فى الحصول على أكثر مما يستحق !

والشيء المؤكد أن الأصوات القومية موجودة ، ليس فى الاذاعات ولا فى المسجلات ، ولكن فى القرى والنجوع والضياع .. فانقذوا الأذن العربية التى تبددت بين القبائل ، ابحثوا عن صوت قومى ، وستجدون !

# سرقة البقول وسرقة العقول

فى عصر الكاسيت والفيديو كاست والطبع التصويرى ، أصبحنا نحن الكتاب والأدباء والفنانين ، كالأيتام على مائدة اللئام !

ذلك عصر يفرض علينا ألا نكتفى بالتاليف والتصنيف والتفنين وتنمية مواهبنا ، بل يوجب علينا أن نكتشف مهارات بوليسية ومواهب أمنية لنتشمم ونتحسس علنا نكتشف هؤلاء الذين يسرقون مصنفاتنا ويعيدون طبعها ونشرها بتلك الآلات التكنولوجية الرائعة ، دون تعاقد مكتوب ، ودون « مصارى » أو نقود ..

والذين فعلوا ذلك من المؤلفين ـ وهم قلة ـ عادوا بخفى حنين ، فحين فتح الله عليهم وتوصلوا إلى هؤلاء اللصوص التكنولوجيون وآلاتهم العجيبة ، عجزوا عن فعل شيء ضدهم ، فالقانون العربى الذى يعاقب بصرامة على سرقة حبة من البقول ، يفقد صرامته أمام لصوص العقول ، وحتى لو كان القانون صارماً ، فان العدل العربى ، مازال يسير بخطى الجمل ، فى عصر النفاثات والسرقة التكنولوجية ، وهو ما ينتهى غالباً بصدور الحكم برفض الدعوى ، بعد أن يكون الورثة قد انتقلوا إلى رحمة الله !

فشكر الله سعيكم .. ولا أراكم مكروها فى عزيز لديكم !

# أرسين لوبين ودائرة المعارف الإسلامية

منذ نصف قرن بالتمام والكمال ، ونحن نحاول ترجمة « دائرة المعارف الاسلامية » ومع ذلك لم ننجح حتى الآن ، ففى عام ١٩٣٣ بدأت المحاولة الأولى لترجمة هذه الموسوعة النادرة التى توافرت عليها أجيال متتالية من المستشرقين ، أعادوا عرض التراث الاسلامى فى العقيدة والشريعة والأدب والتاريخ والاقتصاد والاجتماع وفى الفن ، وترتيبه على حروف القاموس ، والتبعية لمصادره ونشروه بالانجليزية والفرنسية والألمانية ..

وما كادت الترجمة تصل إلى حرف العين ، حتى توقفت عند المجلد الخامس عشر ، فى الوقت الذى كان جيل جديد من المستشرقين ، يعيد طبع الأصل الأجنبى منقحاً ومزوداً . وبعد عشرين عاماً من صدور الطبعة الأجنبية المنقحة ، بدأنا محاولة أخرى لاعادة نشر الترجمة العربية ، لكن المحاولة توقفت بعد أقل من عشر سنوات ، ولم تصل حتى إلى حرف العين ، ولم تكتمل إلى المجلد الخامس عشر !

وهكذا قرأ العالم كله « دائرة المعارف الاسلامية » فى لغاته الحية ، أما نحن العرب المسلمون ، فلم يقرأها جيل منا كاملة أبداً ، وقضينا نصف قرن بالتمام والكمال لنترجم ١٦ حرفاً من الابجدية ..

العجيب أننا خلال تلك المدة ترجمنا الأعمال الكاملة لأجاثا كريستى وأرسين لوبين وشارلوك هولمز وطرزان وروكامبول وجيمس بوند عشرات الترجمات وطبعناها مئات الطبعات .

يا جامعة الدول العربية : صباح الخير !



# أسئلة الأشجار

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

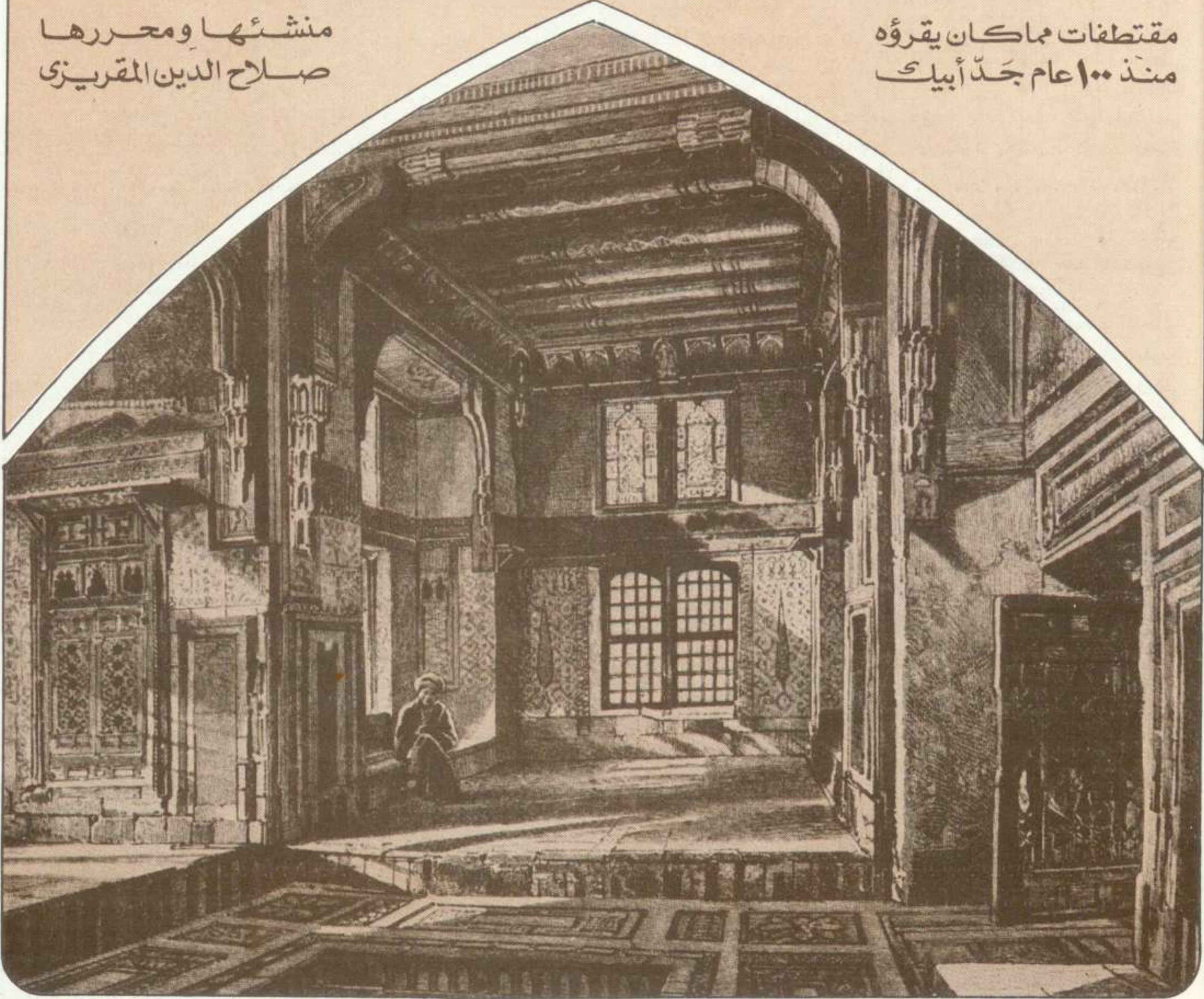
سألتنى فى الليل الأشجار
أن نلقى أنفسنا فى التيار
ان نتجه الى النهر القادم ..
.. من اعماق الياس إلى أقصى المجهول
نحمله فى ذاكرة محكمة الاغلاق
ثم نفر من الغول
تحت ستار السحب الدامعة العينين
قلت إلى أين ٠؟
قالت أرض الله الواسعة الأطراف
تمتد يميناً عند تخوم الدينار
تمتد شمالا عند تخوم الدولار
سألتنى أن أختار
ما بين الجنـــة والنـــار
قلت أحاور قلبى
ـ ما معنى الجنة ياقلبى
ـ قال تجول فى نفسك حتى تصل إلى الانسان
وتجول فى الانسان الى ان تصل إلى وطنك
وتجول فى وطنك حتى تصل إلى الله
قلت وما معنى النار ٠؟
قال خواء الاشياء من المعنى
وأن تصبح شيئاً كالأشياء
يشرى ويبـــاع
أن تنصاع الى مالا يدخلك إلى ذاتك
ان تسكنك الأشياء الباردة الايقاع
قلت أريد الراحة من تعبى
قال اتعنى الموت ٠؟
قلت بل الدنيا فى ميعة بهجتها وصباها
أتمنى أن القاها
تخلع عنها أقنعة الكذب الملساء
وتعانقنى فوق فراش النعمة
وأنادمها مع أصحابى الخلصاء
قال وما أهون ما تطلب
اذهب .
تلقاها نائمة فى حضن الغادى والرائح
من يطلبها تطلبه
ومن يعشقها تسكنه هواها
إن كنت تريد الراحة حقاً
ما أسهل أن تلقاها
كنت حسبتك تطلب فردوساً مختلفاً
وطريقاً لم تدهسها الأقدام
كنت حسبتك تطلب يوماً
لم يحدث فى الأيام
كنت حسبتك تبغى زمناً
لا نصف دقيقة
كوناً ممتلئاً بالأنجم والأسرار وبالأقمار
لا ركنـــا مخنوقاً فى داخل حانه
اذهب
ما اسهل ما تطلب
لكن لا تأخذنى بين ضلوعك
فأنا يملكنى صوت يأتى من أعماق النار
يخلق خارطة أخرى
لبلاد يسكنها الصدق
يدفئها فى الليل العشق
وترفرف فوق منازلها
أعلام الحرية والحق

# دوحة الماضي

## مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جدّ أبيك

منشئها ومحررها صلاح الدين المقريزى



### عزيزي القارئ

الوصايا العشر لكي تتثقف وتتعلم ،كتبها منذ قرن كامل ،مفكر عربى اسمه «علي مبارك» كان مهندساً وقصاصاً ومؤرخاً ومربياً وفضلا عن هذا وذاك كان مشتغلا بالسياسة ! وعلي مبارك صبى ريفي ،كان مقدراً أن يظل أمياً طول عمره ،لكن حبه للتعلم ،دفعه للهرب من قريته ذات يوم من أواسط القرن الماضي ،ليلتحق بأقرب مكتب يتعلم فيه القراءة والكتابة ، ومن هذا «المكتب الريفي» ،بدأت رحلته الشاقة الطويلة التي انتهت بأن أصبح وزيراً للمعارف ..

والوصايا العشر لكي تكون مثقفاً كتبها علي مبارك فى كتابه «علم الدين» الذي يعتبره بعض المؤرخين أول رواية عربية ، ويعتبره آخرون نموذجاً للريادة فى أدب الرحلات ، لا تقل أهميته عن كتاب أستاذه رفاعة رافع الطهطاوي «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» .

وبرغم مرور قرن كامل على إذاعة هذه الوصايا ،فمازالت صالحة للتطبيق ،ذلك أنها تتضمن دعوة صريحة لكى يكون العلم هدفاً لمنفعة الانسان ، وليس وسيلة للمنافسة والمباهاة والارتزاق .

تلك صيحة قديمة .. ولكنها للأسف ما تزال جديدة جداً .

« المحرر

العدد التاسع ـ مايو / آيار ١٨٨٢ م

# دوحة الماضي

## آداب القلم

بقلم : علي مبارك

.. اعلم يا بنى ان آداب المتعلم كثيرة ، يطول تعداد تفاصيلها ، ولكن اختصرها لك فى عشر جمل تلقيتها عن المشائخ ، تكون لها كالأصول يتفرغ عنها ما عداها :

١ – تقويم النفس من رذائل الاخلاق ومذموم الأوصاف ، كالغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر وامثالها ، فكلها من موانع التحصيل وقواطع السبيل .

٢ – ان يقلل المتعلم علائقه من الاشتغال بالدنيا ، ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق صارفة وشاغله ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

٣ – ان يداوم فى تحصيل العلم على الاجتهاد والجد ، ويصبر على المشقة والكد ، ويبذل غاية الوسع والجهد ، ويطرح الكسل والملل ولا يقطع الأمل ولا يترك العمل ، ولو طال الأمد وبعد المدد .

٤ – ان لا يتكبر على العلم ، ولا يتامر على المعلم ، بل يلقى إليه زمام امره فى التعليم . وينبغى أن يتواضع لمعلمه ، ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، ومن تكبره على المعلم انه يستنكف من الاستفادة ممن يراه خامل الذكر عديم الشهرة ، ولا يرغب فى التعلم إلا من المشهورين وأصحاب المظاهر ، وهو عين الحماقة ، فلا ينال العلم إلا بالتواضع والقاء السمع .

٥ – ان يحترز الخائض فى العلم ، فى مبدأ الأمر من الاصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة ، بل ينبغى ان يتقن أولا الطريقة الواحدة الحميدة المرضية عند استاذه ، ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه ، واختلاف الآراء ، فان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راى واحد ، وانما عادته نقل المذاهب على اختلافها ، فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وارشادهم .

٦ – ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعاً من انواعه ، إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه ، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه .

٧ – ان لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ، ويبتدىء بالأهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شى ء احسنه .

٨ – ان لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ، وذلك كترتيب علم الهندسة على الحساب ، فمن خاض فى فن وحاول تحصيله قبل أن يعرف الذى قبله فقد احبط عمله .

٩ – ان يعرف السبب الذى يدرك به اشرف العلوم . وذلك يراد به شيئان : احدهما شرف الثمرة ، والثانى وثاقة الدليل ، فعلم الحساب وعلم الطب مثلا : اذا نسبتهما لبعضهما وجدت علم الطب اشرف باعتبار ثمرته ، فان ثمرته حفظ البدن ، وثمرة الحساب حفظ المال . ووجدت علم الحساب اشرف باعتبار قوة أدلته ، فانها يقينيه وملاحظة الثمرة أولى ، ولهذا كان الطب اشرف ، وان كان كثير منه بالتخمين والحساب مبنى على اليقين ..

١٠ – أن يكون قصد المتعلم التحلي بالفضيلة ، والتخلي عن الرذيلة ، والتقرب إلى الله عز وجل ، والنفع لاخوانه واهل وطنه وسائر عباد الله تعالى ، فان احب الناس إلى الله أنفعهم لعباده . ولا يقصد بتحصيله المفاخرة والمباهاة والمحاسدة للناس ومزاحمة أرباب الوظائف فى وظائفهم ومضايقتهم فى مناصبهم ، وطلب العلم وان كان ممدوحاً فى نفسه ، إلا أن من قصده بنية نميمة كان مذموماً بالنسبة له .

من رواية علم الدين

## البشرى

ماغيمت سماء البعد حتى راينا بدر القرب فى صفاء ولا تكاثفت سحب الاستبداد حتى راينا شمس الحرية فى سماء جونا الصافى يعلم هذا من علم ان البلاد المصرية كانت فى حفظ استبداد من لم يرض للجرائد بحرية العبارة وصدق الخبر فلم يرض بحبس أفكاره فيها اكتب الكتاب وأمام المنشئين وقدوة المحررين الفاضل الشاعر الناثر ترجمان البلاغة ولسان الفصاحة

الفيلسوف الغيور على دولته واهلها صديقى الابر وخليلى الاغر اديب افندى اسحق وخرج الى فرنسا وفيها انشا جريدته القاهرة ثم الشرق ثم عاد الى الشام واشتغل بتحرير جريدة التقدم ثم قدم علينا من طريق بورسعيد فاحتفل له شبان العاصمة وأبناء امرائها وقابل صاحب الدولة رئيس نظارنا وبقية النظار ثم تشرف بالمثول بين يدى الجناب الخديوى المؤيد بعناية الله ولقى من جلالته وبقية النظار اقبالا واكراما فنهنئ حلفاء الادب واخوان البديع بعودة هذا الصديق الفاضل ونبشرهم بانه سيتلو عليهم من بديع بيانه آيات ويتحفهم بما يتسامر به اديب ويطرب به نديم .



أديب اسحاق

## مطبوعات جديدة

« اهدينا الجزء الأول من كتاب « علم الدين » فتصفحنا أكثر ابوابه فوجدناه رحلة نسبت روايتها إلى الشيخ علم الدين ، وقد ارتحل من مصر إلى أوروبا فبلغ مدينة مارسيليه ولكن يستطرد فى الكلام إلى وصف الزواج والعائلة والسكة الجديدة والخانات والبوسطة والبحر وعجائبه والبراكين والعرب والجغرافيا والتاريخ والعبادات والانسان ، وهيئة الاجتماع وغير ذلك مما يشهد لمؤلفه العالم العلامة صاحب السعادة علي مبارك باشا بسمو المبادىء وسعة الاطلاع ، وقد حقق لنا الخبر الخبر فضل هذا الشهم وغزارة معارفه ، لأن كتابه وان كان على سبيل الرواية فلا يقل عن خزانة للعلوم والآداب » .

يعقوب صروف
المقتطف

## أخبار علمية
## نهاية العالم

● جاء فى بعض الجرائـــد الفرنسوية ان قد تنبا البعض بنهاية العالم بعد ثلاثة اشهر ليس اكثر وان على الخاطىء النـدم فى خلالها وان يكفر عن زلاته . فمن الناس من اخذته الرعدة من هذا الهباء فناح وشكا ومنهم من هزته الخفة فخف وطرب .

وعلى ما جاء فى جريدة التان ان هذا التنبؤ سبب رواجاً عظيماً فى اسواق النبيذ .

اما الشهر المعين لمنتهى الدنيا وخراب الكرة فهو تشرين الثانى ، وبناء على هذه الاخبار الكواذب التى يسندها المشعوذون الى بعض توجيهات فى حركات الكواكب انقطـــع كثيرون من الفلاحين فى بعض البلدان عن الاشغال ولزموا منازلهم مفضلين ان يشربوا بنقودهم نبيذاً على ان يحفظوها بحيث لا تنفع احـداً . اما نســاؤهم فامست نوادب منعزلات مرتديات باردية الحداد متوقعات اليوم العظيم .

فقاتل الله الكذب واهله ما اكثر شجونه واوفر فنونه واشد ملاعبه قوى فى الاذهان واسطاها على قلوب الجهلة من بني الانسان .

● انعم امبراطور روســيا على شليمن مكتشف آثار مسيني بنيشان التاج من الرتبة الثانية .

● منح مسيو باستور الشهير نيشان الشرف السامي جزاء لما خدم به العلم .

● انتخب مســـيو ورتز رئيس اكادمية العلوم بفرنسا عضواً لمجلس السنات مدى حياته . ومما يستحق الاعتبار ان كثيرين من رجال العلم الفرنساويين قـد ادخلوا فى دوائر الحكومة لتنتفع البلاد منهم فى العلم والسياسة معاً ولا عجب لأن العقول التى تسوس ادبيات البشر جديرة بان تسوس مادياتهم ايضاً .

---

**الدوحة**

### فى العـــدد القادم

● أثر العرب والمسلمين فى الهند
بقلم أحمد العنانى

● الرواية البوليسية ومغزاها السياسى
بقلم غالب هلسا

● مع النص الكامل لرواية قصيرة
بقلم الدكتور شكرى محمد عياد

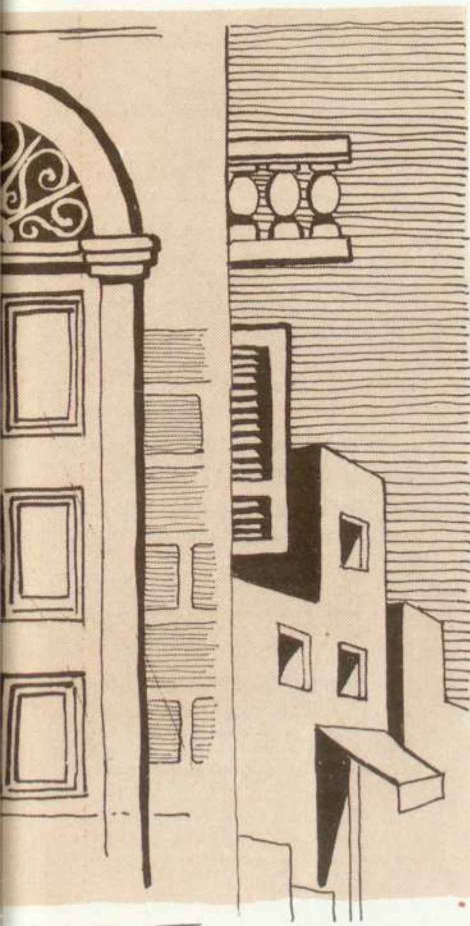
● قصة جديدة بقلم سعد مكاوى

● حوار مع الفنان الجزائرى الطاهر وطـــار
أجرى الحوار د. حسن فتح الباب

● مناقشات جديدة حول اليوت والأدب العربى

قصـــــــة

# حماقات الصّبا



بقلم : عبـــاس خضــر

ـ عبد الهادى أفندى .. يا عبد الهادى أفندى ..

من المنادى ؟ أدفع عمرى الذى أشرف على أرذله .. لقاء هذه الكلمة « عبد الهادى أفندى » التى تذكرنى بماض سحيق ، لست الآن أفنديا ، فقد لقبت بعد ذلك بألقاب أخرى يخاطبنى الناس بها : سيد ، أستاذ ، حاج وان كنت لم أحج ..

أعادنى ذلك الصـــوت إلى الشباب أو إلى ذكرى الشباب ، حين كنت « عبد الهادى أفندى » انه صـــوت نسوى رقيق ليست نبرته غريبة عن أذنى وإن بعد العهد .. ولهذا قلت أدفع عمرى .. الخ .

وما عمرى ؟ وكيف أدفعه ؟ هل له قيمة ؟ دع هذا ، فهو كلام نقوله ولا ندقق فى معانيه .. كلام والسلام !

المهم هى .. التى تنادينى فى الشارع ، التفت ورائى ، فرأيت امراة تبتسم لى .. ومعها بنت : فتاة عرفت فيها « سعاد » .

قصدت إليهما ، وتأملت المرأة ، فاذا هى « سعاد » لا البنت ، فعل بها الزمن أفاعيله ، تضخمت بعض الشىء ، ولم تعد تلك الفتاة الرشيقة التى عهدتها ، وصارت ملابسها تميل الى الاحتشام ، وإن كان أحمر الشفاه لا يزال مطبوعاً على شفتيها .

قالت لى :

ـ كيف حالك يا عبد الهادى افندى ؟ عرفتك وأنت ألا تعرفنى ؟ أنا سعاد .

ـ نعم ، سعاد ، أهلا بك يا سعاد ، ومن هذه ؟

ـ هذه سعدية ابنتى .

قلت وقد انتبهت تماماً :

ـ أ ... هى ابنتك اذن ، انها تشبهك حتى لقد ظننتك إياها !

ـ عجباً ! هل أكون مثلها لم أكبر .. ؟

ـ انها ظريفة جميلة كما كنت أنت .

فاطرقت كأنها تخجل ، وقالت :

ـ ايه .. دنيا .. لا تبقى أحداً على حاله .

قلت كاذباً مجاملا :

ـ ما هذا ؟ انك لا تزالين فى الشباب !

● ●

تعلمت سعاد نصف تعليم ، لم تمكث فى البيت تنتظر العريس ، بل راحت تجوب الشوارع بحثاً عنه ، وتصادق البنات اللاتى لهن إخوة فتيان ، وكنت أنا أحد هؤلاء ، تعرفت بأختى وجعلت تتصدى لى .. لم أقع فى شراكها كعاشق مدله . كنت وزملائى الشبان نتحاكى عنها وعن مثيلاتها ، ونذكر أشياء تمسهن ، وإن كانت الأخت لا تذكر بسوء أمام أخيها الذى هو آخر من يعلم .. ولم تكن الأحاديث كلها صحيحة ، فكثير منها مخترع ووليد خيال ، يقصد صاحبه التظاهر بأنه « دون جوان » العصر فى غزو النساء ..

وكان الشاطر الواعى منا من يتسلي فقط دون أن يقع وتجر رجله إلى الزواج .. وعلى هذا الأساس كانت علاقتى بسعاد .

قال لى صديقى فتحى :

ـ سعاد صاحبة أختك ..

ـ مالها ؟

ـ دايرة على حل شعرها .

وكان فتحى يجيد الغزل فى الطريق ، اذ يتعرض للواحدة وهى ماشية ويمطرها بعبارات الحب والغرام وهو يمشى بحذائها أو وراءها ، وكانت كلمة « يا باشا » تتصدر قاموس الغزل إذ ذاك ، على أن المسألة ليست كلمات تقال فقط ، وانما هناك أيضاً الحركات التى قد يكون منها تلعيب الحواجب ، وان كانت هذه الحركة « بلدى » والمهم صفاقة الوجه مع الابتسام وألا يعبأ المغازل بكلمات الصد مثل « يا سم ! » بل يعد هذه دلالا لا تلبث صاحبته أن تهفو إليه .

وأنا لا أحسن شيئاً من ذلك ، وأنا لهذا ناقم على نفسى وأريد الخلاص من هذا العجز المشين فى عالم الفتيان !

ولذلك عزمت على أن أتخذ فتحى أستاذاً لى فى هذا الفن .. قلت له :

ـ ان سعاد وصاحباتهـــا يخرجن فى « العصارى » يتمشين ويشممن الهواء ، وأرى أن نتعرض لهن .

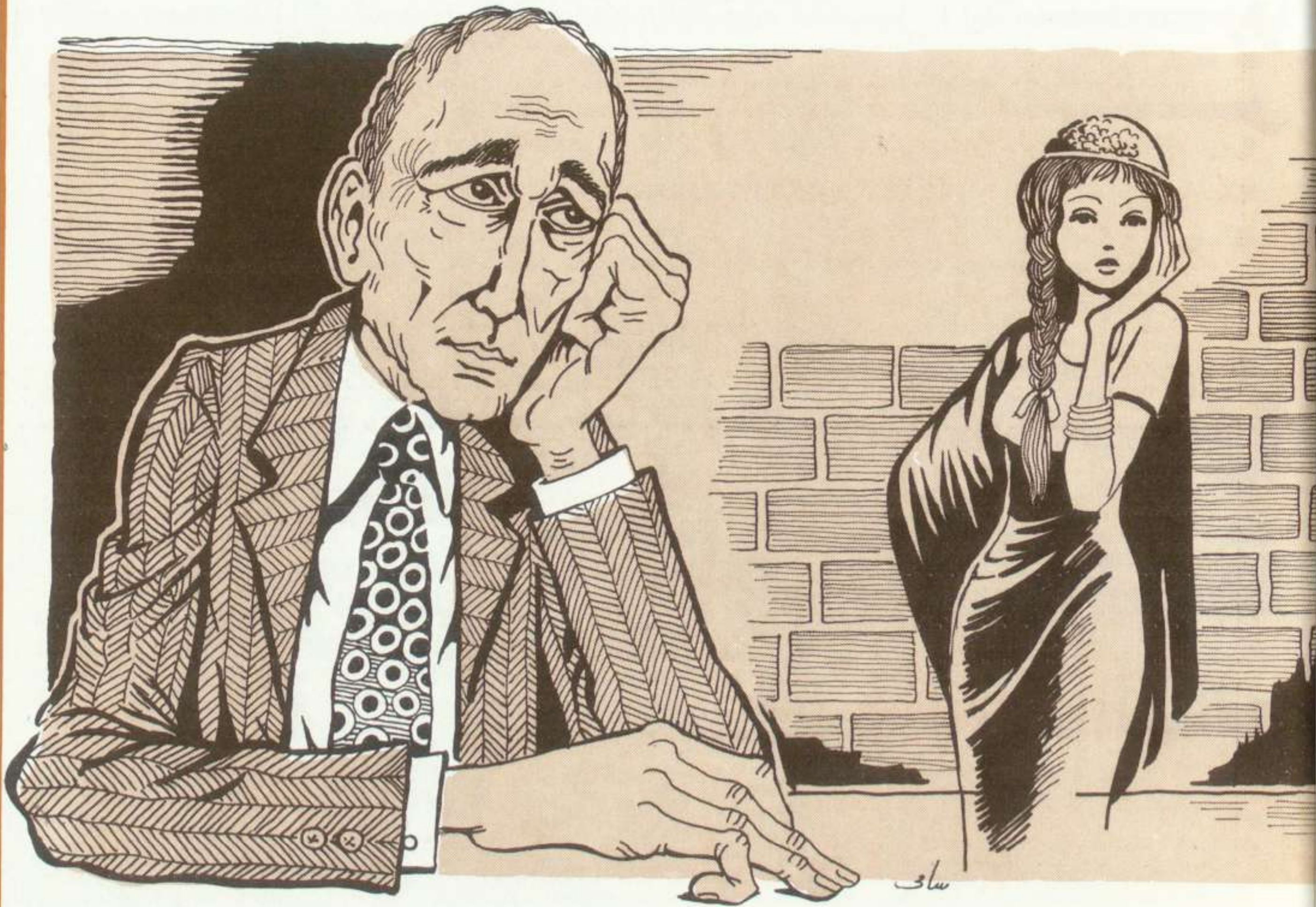
ـ وجب !

مشينا وراءهن ، وهن يسرن لا يعبأن بنا ، يتهادين كأنهن يرقصن على إيقاع الغزل !

كنت أمشى وكأنى ذيل لفتحى ، وكلما حاولت أن أنطق بكلمة مثله انحبست فى فمى ، ولكنى تشجعت وأردت أن أثبت أنى لست « لخمة » وتقدمت إزاء سعاد .

جاهدت نفسى حتى قلت لها :

ـ يا باشا !



لم أسمع لى صوتاً كهذا الصوت ، انه صوت غريب عنى ، تمنيت ألا تسمعه سعاد هى تعرف صوتى ولا شك ، فليتها تظن أن شخصاً آخر هو الذى يقول لهـــــا : « يا باشا ! » .

وعدنا أنا وفتحى نجر أرجلنا ، وكان كلا منا يلبس خفى حنين !

●●

كان معظم تلك « الغزوات » يبوء بالفشل ، وعندما يرى الفتى نفسه لم يجن منها شيئاً يلجأ الى الخيال .. يريد أن يثبت أنه بطل فى هذا المجال : بطل فى صيد الغزلان وإيقاع الحسان فى شراكه ، فيلفق وقائع يزعم أنها وقعت ، ويصدقه الآخرون برغم أنهم يكذبون مثله !

عندما تزوجت ـ وكنت ما أزال على تلك الحال ـ أردت أن أتظاهر أمام زوجتى بمثل تلك البطولة زاعماً أن ما وقع .. وقع وانتهى قبل الزواج .. قلت لها كاذباً :

فى مغامرة من مغامراتى الماضية أوقعت فتاة فى شباكى وتفننت فى حكايتى مستمراً ما أتخيله من كلام أحد الشبان المغامرين ، ولا أدرى هل وقع له ذلك فعلا أم كان من الكاذبين فانا كاذب عن كاذب !

استفظعت زوجتى ما فعلت أو ما زعمت أنى فعلت .. ودهشت أنا إذ قابلت حكايتى بعبارات الاستنكار الشديد ! وكنت أتوقع منها عكس ذلك .. ورجعت إلى نفسى ، فشعرت بالخزى أمام زوجتى ! ووقعت فى حيرة .. ان نفيت ما قلت تكشف لها كذبى ، وان سكت كنت عندها ممن يعتدون على بنات الناس .. فاثرت الثانية وأمرى الى الله .. وكم فعلنا من الآثام وجعلنا أمرنا إلى الله !

●●

ونعود إلى السيدة الكبيرة وابنتها الصغيرة الواقفتين معى فى الشارع ، عينى على البنت لا تكاد تفارقها .. ألا ليت الشباب يعود !

لابد أن سعاد نسيت أو تغاضت عن حماقاتى الصبيانية ، فهى الآن تنظر إلى باحترام ، وقد قدمتنى لابنتها بعبارات تتضمن أنى على خلق كريم ، وقد يكون هذا الآن حقاً ، ولكنى لم أكن كذلك أيام الشباب .

وتساءلت فيما بينى وبين نفسى : أيكون خلقى الآن كريماً لعجزى ؟ لقد عرفت ما لم أكن أعرف ، ولكن لا قدرة لى على العمل بالخبرة التى اكتسبتها .

يقولون : آه لو عرف الشباب !

وأقول : آه لو قدر الشيوخ !

قالت لى السيدة سعاد دون أن تتلفظ :

ـ كانت أياماً حلوة بحماقاتها ، وربما كانت الحماقات هى التى تحليها !

قلت لها دون أن أتلفظ :

ـ والله زمان يا سعاد !

عباس خضر

# حوار مع المفكر العربي
# الشيخ حمد الجاسر

# لنكن أمّة قويّة
## حتى يهتم بنا العالم



أجرى الحوار :
خليل إبراهيم الفزيع

المفكر العربى حمد الجاسر .. يرى أن اللغة العربية هى أثرى اللغات .. وأن من بين المستشرقين من درسوا العلم لوجه العلم !

**● كثير من المستشرقين أرشدونا إلى كيفية الاستفادة من تراثنا المليء بالكنوز العلميــــــة ! ● ● كتابة التاريخ فى وقته ، تخضعه للمؤثرات التى تبعد الكاتب عن جوهر الحقيقــــة ! ● ● ● ينبغى ألا نتوهم بأن الغربيين لم يفهموا تاريخنا ، فهم الذين أخرجوا كتب العلماء والفلاسفة العرب ! ● ● ● ● أرى أن نكتفى بمجمع واحد للغة العربية فى كل الوطن العربى ، حتى تجمع فيه النخبة الطيبة من الباحثين ! ● ● ● ● ● كتب الرحالة « فيلبى » تعرضت للتشويه أثناء الترجمة ، وأصبح من واجبنا أن نعود إلى الأصل ! ● ● ● ● ● ● أمانة البحث العلمى تتطلب منا أن نترجم كل ما فى الكتب الأجنبية من أخطاء ونرد عليها بالحقائق !**

الشيخ حمد الجاسر من أعلام الفكر فى الجزيرة العربية .. ساهم فى وضع أسس الصحافة السعودية منذ خطواتها الأولى ، عندما أصدر عام ١٣٧٢ صحيفة اليمامة التى تحولت فيما بعد إلى مجلة ، ورأس تحرير صحيفة الرياض عند تاسيسها عام ١٣٨٥ ، بعد ذلك أصدر مجلة العرب عام ١٣٨٦ جاعلا منها مجلة علمية متخصصة فى تاريخ وآداب الجزيرة العربية ، كما يعتبر رائداً فى مجال الطباعة والنشر عندما أسس أول مطبعة فى الرياض عام ١٣٧٤ وكانت كتاباته الصحفية قد بدأت فى الظهور منذ عام ١٣٤٩ فى جريدة صوت الحجاز ، وله العديد من المؤلفات التاريخيــــة والجغرافية ، كما قام بتحقيق وطبع العديد من الكتب التاريخية والجغرافية ضــمن سلسلة « نصوص وأبحاث جغرافيـــــة وتاريخية عن جزيرة العرب » والتى تصدر عن ( دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ) التى أسسها عام ١٣٨٦ .

وقبل اشتغاله بالصحافة شغل مناصب تربوية عديدة منها رئيس مراقبة التعليم بالظهران ، ثم مديراً للتعليم بنجد عام ١٣٦٩ ، كما عمل مديراً لكليتى الشريعة واللغة العربية ، بالرياض ، وانشا أثناء ادارته للتعليم بنجد ( مكتبة العرب ) وهى أول مكتبة فى الرياض عنيت بعرض الكتب الحديثة . وهو عضو فى المجامع اللغوية والعلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد . واستاذ غير متفرغ بكلية الآداب فى جامعة الملك سعود بالرياض .

## الحفاظ على التراث

والحديث مع الشيخ الجاسر لا يمل فالى جانب سعة اطلاعه فى مجال البحث التاريخى والجغرافى ، فان لديه من الآراء حول الفكر والحياة ما يبعث على الأعجاب والنقد ، وقد سالته فى البداية :

● .. هل تلقون الضوء على المنهج الذى تعتبرونه مثاليا فى البحث التــاريخي والجغرافي ؟ .

العناية بتراث العرب الفكرى بصفة عامة ، ثم التركيز على تاريخ العــرب وجغرافية بلادهم

يقولون من سار على الدرب وصل ، وكثيراً ما يسير الانسان على طريق طويل لكنه لا يصل . لقد ادركت أن الأمة العربية لا يمكن ان يقوم لها كيان الا بالحفاظ على تراثها ، وليس معنى الحفاظ على التراث اننا نعتبر التراث اساساً لحياتنا من حيث الجملة بطريقة التعميم . لا . نعتبر التراث من اسس حياتنا من الناحية الروحية فحسب ، لنا تراث ضخم هائل متفرع لجميع نواحى الحياة فى الطب والكيمياء والزراعـــة والاتجاهات الروحية ، وغير ذلك ، لكن هذا التراث ليس صالحاً من جميع نواحيه . نحن امة ــ اذا اردنا ان نحافظ على كياننا ــ يجب ان ناخذ من تراثنا ما صلح منه ، ولاءم حياتنا ، بشرط الا يؤثر على الأسس الروحية التى تحفظ كياننا كامة مسلمة .

الرسول عليه الصلاة والسلام لما جــاء بتعاليمه قال : كذا وكذا .. وانتم اعلم بأمور دنياكم . أى تمسكوا من تعاليمى بالأمور الدينية أى الروحية ، أما أمور دنياكم فاقتبسوا واعملوا منها ما يتلاءم مع حياتكم ، بشرط أن يبقى الكيان محفوظاً ، وبشرط الا يؤثر ما يستعمل على ابداننا أو على اخلاقنا هذا من حيث الاجمال . الصفة المتميزة فى هذا السؤال هى : الصحافة . والصحافة بوجه عام فى رأيى وسيلة تثقيف وتعليم وارشاد خاصة فى ما يسمى بالدول النامية ، لأننا لا نزال فى دور النمو ، وما دمنا فى دور النمو يجب ان نتخذ من كل عمل من اعمالنا وسيلة لتنميتنا .. نحن لم نصل بعد إلى حد الترف بحيث أن تكون الصحافة عندنا مسلاة .. ملهاة .. اداة ديكور .. آلة تمزيق وقت بالأمور التى لا تغذى أفكارنا .. حقا ( ان لبدنك عليك حقاً وان لعقلك عليك حق ) لكن ليس معنى هذا أن نجعل هذه الناحية تطغى على الناحية الأخرى ، لهذا فالنهج الذى اتخذته لمجلة « العرب » أن تكون وسيلة ارشاد الى مالتراثنا العربى وفكرنا الروحى من أثر نافع .

## المستشرقون والتراث

قلت للمفكر العربى الشيخ حمد الجاسر :

● بمناسبة حديثكم عن التراث .. كيف يمكن نقله إلى العصر ، وهل يقتضى ذلك لغة عصرية ؟ .

ــ لا يا سيدى . اللغة العربية أثرى اللغات ، والدارسون للغات الأخــرى ، والمثقفون فى اللغات الأخرى ، وخاصة من بلغوا فى الثقافة الدرجة الرفيعـــة .. تجدهم يحرصون على دراسة اللغة العربية وآدابهــــا ، ولهؤلاء ــ ممن نســـميهم المستشرقين ــ دور بالغ فى ارشادنا نحن العرب الى كيفية الاستفادة من تراثنا . اننى ادرك أن كثيراً من المستشرقين لهم غايات سيئة ، وأدرك ان كثيراً من المستشرقين لم يعملوا هذا حباً فى سواد عيوننا ، وأدرك أن ان كثيراً منهم عملوا ذلك خدعة للمصالح الاستعمارية ، ولكن ليس الشر كلــه شراً ، قد ياتيك الخير من طرق الشر و كثيراً مــا يتخذ من الأشياء السامة عقاقير وأدوية للعلاج ، لذلك هؤلاء المستشرقين فيهم اناس يجب الا نهضم حقوقهم لأنهم درسوا العلم لوجه العلم ، هؤلاء هم الذين علمونا طرق الاستفادة من هذا التراث .. فما رأيك فى رجل مثل « فرديناندو ستنفيل » الذى يعمد إلى أضخم كتاب عندنا ويدرسه ويكتبه بخط يده ، ثم يضع عليه الفهارس الدقيقة بحيث إذا اردت أن تبحث فى هذه المجلدات الكثيرة عن كلمة لا يستغرق بحثك الا وقتا قصيراً ولو وكل الينا نحن العرب .. نحن

المسلمين لما استطاع الانسان ان يستفيد منه الا بعد ان يقرأ المجلدات الكثيرة ، والمعروف أن من اضخم كتب الحديث عندنا ( فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ) – ١٤ – مجلداً ، لم نجد من علمائنا من يتصدى لهذا الأثر ، لكى ييسر لنا طريقة الاستفادة منه ، مع أنه طبع عدة طبعات ، لكننا لا نجد أية وسيلة للاستفادة ، ولم نجد من علمائنا من يفهرس لنا هذا الأثر . ماذا لو أردت ان ابحث عن مسألة فى هذا الكتاب

المكون من اربعة عشر مجلداً ؟ لابد أن اتعب جسمى وأضيع وقتى لكى أصل اليها .

المستشرقون وضعوا لنا طريقة إذ يكتبون فهارس دقيقة تحتوى المباحث .. تحتوى اسماء الأعلام .. تحتوى اسماء الأماكن .. تحتوى أسماء الكتب وبسهولة ويسر يسهل العثور على ما نريد . الخلاصـــة أن للمستشرقين آثاراً فى خدمـة تراثنا لاتنسى واننا بواسطتهم استطعنا أن نسلك الطريق الصحيح للانتفاع بهذا التراث .

التراث نفسه ليس كله نافع ، فيه أشياء ضارة جداً ، فاذا لم نستعمل الفكر والعقل للتمحيص بحيث نستخلص النافع ، فاننا لن نصل الى غاية أو الى فائدة .

## هل التاريخ خرافة ؟

قلت له :

● يقولون أن التاريخ مجموعة اكاذيب متفق عليها ، هل هذا صحيح ؟ .

– الكلمة التى كنت اســـمعها تردد ( التاريخ خرافة ) ولعل هذا التعبير أخف ( التاريخ خرافة ) والخرافة فى مفهوم أهل عصرنا هى قريبة من الكذب وهى فى التعريف القديم كذب يمازجه صدق لأن اصل الاسم كما يقال ان رجلا اسمه خرافة ضل أهله زمناً طويلا ثم عاد إليهم ، وصار يحكى لهم حكايات يستغربون منها ، ثم صار الناس إذا سمعوا حديثاً صعب التصديق قالوا هذا من حديث خرافة .

والخرافة فى حد ذاتها ليست كذباً فهى تحتوى على الصدق ، لذلك لو درسنا جميع تاريخ الأمم لوجدنا انه ينبنى على خرافات ، ليس تاريخ العرب فحسب بل كل التاريخ ، لكن هذه الخرافات عندما ينظر اليها بتعمق يوجد لها أصل ، وان لم يكن الأصل تاماً من كل النواحى الا أنها قائمة على أصل حقيقـــة فالتاريخ فى حد ذاته هو مزيج من الصدق

ومن الكذب .. مزيج من الواقع ومن التخريف والغاية من المؤرخ أن يستخلص لنا من التاريخ ما هو حق ثم إذا نظرنا لناحية أخرى ما هى الغاية من التاريخ . نحن لن نستفيد منه شيئاً الا إذا اتخذناه مثالا نقتبس منه بعض الأخلاق الطيبة ، واهتدينا بهديه فيها اما إذا صار التاريخ مجرد حوادث وأخبار تكرر وتدرس فلا فائدة منه .

القول ان التاريخ خرافة أو كذب كله فهذا فيه شىء من التجنى على التاريخ لأن للتاريخ فى حياة الأمة الاسلامية أكبر الأثر ، فاذا لم تعن بدراسة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته لم تستطع ان تهتدى بهديه . انت مسلم اذن لا تستطيع الحفاظ على كيانك حتى تعرف من الناحية التاريخية الثابتة ما هى سير الناس .. سير العلماء .. سير الصالحين .. سير الأنبياء لكى تقتدي بهم .

● ولكن هناك من يرى أن كتابة التاريخ لا تكون موضوعية إذا كتب فى حينه ، وانه لابد من مرور فترة لتظهر حقائقه ، فما صحة ذلك ؟ .

– بالعكس .. حقاً أن كتابة التاريخ فى وقته تخضع لمؤثرات قد تصرف الكاتب عن أن يجاهر بالحقيقة ، وهذا شىء مدرك ، وفى تاريخنا العربى اشياء كثيرة من ذلك ، ولكن أيضاً إذا لم نسجل الحوادث فى وقتها تفوت علينا ونرجع الى التخريف فيها ونقلها عن مصادر غير صحيحة ، ولهذا خير ما نجد فى كتابات المورخين سجله المورخ فى عصره ، فالمؤرخ فى عصره قد يسجل اشياء وهو لا يلتفت الى معناها أو الى ما وراء ما يسجله ، ولكن مهمة المؤرخ المدقق ان يدرس ما سجل ليستخلص منه العظة والعبرة ، وأنا أرى ان أنفس ما كتبه شيخ المؤرخين ابن جرير هى الحوادث التى وقعت فى عصره وما قرب منها ، وارى ان كل ما كتبه فى أوله عن التاريخ القديم وقصص الأنبياء وأخبارهم هو مستقى من مصادر أقل ما يقال عنها انها اسرائيليات ، لكننا نجده عندما صار يدون نقلا عن شيوخه بسنده المتصل عن أخبار عاصرها أو قرب زمانها من زمنه .. نجد ما كتب هو الذى يصح ان يعتبر خلاصة أو ثمرة او فائدة ما فى هذا التاريخ الجليل الذى هو تاريخ الرسل والملوك .

فالقول بان المعاصر للحوادث يكون تدوينه لها فيه مجانبة للحقيقة .. حق مشوب بشىء من عدم الحق . والاجدى ان يسجل التاريخ فى حينه .

هناك كثير ممن تطرأ عليهم العواطف فيأولون الحوادث التاريخية أو يدونونها وفق اتجاهاتهم وميولهم ، ولكن ما هى اذن وظيفة المؤرخ ؟ ! إذا لم يكن لديه من ثاقب

# حوار مع المفكر العربي الشيخ حمد الجاسر



لو درسنا جميع تاريخ الأمم لوجدنا أنه ينبنى على الخرافات !

الفكر ما يستطيع به ان يستخلص الحقيقة من الباطل فى ما كتبه هذا المؤرخ أو ذاك .

## الغرب وتاريخنا

● الغرب يجهل تاريخنا وما ترجم منه قد تشوبه الأغراض والاهواءفما هى الوسائل الأفضل لتعريف الغرب بتاريخنا ؟ .

– أولا يا سيدى الكريم .. الغربيون – واعنى العلماء منهم ممن عنوا بالاتصال بالشرق – هؤلاء عرفوا من تاريخنا اشياء كثيرة ولا أبالغ إذا قلت بأن فهمهم لهذه الجوانب من تاريخنا حداهم الى ان يبرزوا لنا شيئاً من نفائسه وان يغوصوا على اشياء كنا نجهلها ، فاخرجوها واحيوها لنا .. انهم احيوا لنا كتباً قيمة تتصل بتاريخنا ، لماذا ؟ لأنهم استفادوا منها عندما كانت اممهم تعيش فى ظلام من الجهل .. اخرجوا لنا كتب ابن سيناء .. اخرجوا لنا كتباً كثيرة من كتب الفلاسفة .. اخرجوا لنا كتاب الرازى فى الطب .. اخرجوا لنا الكتب التى تتعلق بجغرافية بلادنا كصفة جزيرة العرب للهمدانى .. اخرجوا لنا كتاب الأكليل لأنهم وجدوا فيه من النقوش ما استعانوا به على قراءة نقوش اليمن ، لذا ينبغى الا نتوهم بأن الغربيين لم يفهموا تاريخنـــا . ان الجامعات فى الغرب تدرك من تاريخنا أكثر مما يدركه بعض شبابنا المثقفين ، أو كثير ممن يعنون بالدراسات الأخرى التى لا صلة لها بعلوم العرب أو تاريخهم أو فكرهم ، ولكن الشىء المدرك بالبديهة ان المرء حيث يضع نفسه ، إذا كنت فى حالة من القوة استلفت من حولك وإذا كنت ضعيفاً لم يهتم الناس بأمرك . لنكن أمة قوية وحينئذ نجد الغربيين وغير الغربيين يتهافتون على معرفتنا من كل النواحى .

والأمر يرجع الينا أو كما قال الشـــاعر ( فنفسك لم ولا تلم المطايا ) .

## مطلوب مجمع علمى

وانتقلت بعد ذلك إلى سؤال يقول :

● عارضتم فى مناسبة لا اذكرها انشـاء مجمع لغوى فى السعودية ، بينما دعوتم الى انشاء مجمع علمى ، فما توضيحكم لهذا الأمر ؟ .

– أولا يا سيدى .. اللغة العربية تحتاج لكى تدركها وتفهمها فهماً صحيحاً .. إلى طول معاناة ودراسة وتخصص .. لا اذكر فى بلادنا واحداً تخصص فى الدراسات اللغوية . لماذا ننشىء مجمعاً للغة ؟ .. الغاية من انشاء مجمع اللغة العربية سد حاجة الأمة من حيث ايجاد اسماء المسميات حديثة . فكيف اكل الى انسان جاهل ان يختار لى اسم المرناة أو التلفاز وهو يجهل طرق الاشتقاق ، وهو يجهل ما هى صياغة هذه الكلمة ، وما هو اصلها . لذا أرى ان يكتفى بمجمع واحد للغة العربية ولتكن له فروع .



الرحالة فيلبى

● فى العالم العربى ؟ .

– نعم فى العالم العربى مجمع واحد وله فروع . اما الآن فلدينا مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومجمع اللغة العربية فى الأردن ومجمع اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمى العراقى ينحو نفس المنحى ، ومن حسن الحظ انه منذ سنوات والسعي متواصل لايجاد روابط وجهود لايجـــاد ( اتحاد المجامع ) .

ان ايجاد مجمع لغوى فى بلادنا من الأمور التى يدعو اليها الداعون بدون تعمق أو ادراك لما يترتب على ذلك ،أى انه سابق لاوانه لأنه لا يوجد بيننا من هو متخصص فى اللغة العربية تخصصاً يمكنه من ان يسهم اسهاماً جاداً فى الغاية التى توجد المجامع لها وهو اثراء اللغة العربية .. بايجاد اسماء لمسميات حديثة ، وابراز ما لهذه اللغة من الميزات التى تجعلها متطورة مع تطور العصر ولو أوكلناها الـى أناس جهال لافسدوها ، فخير لنا الا ندعو الى فكرة لا نستطيع القيام بها .

أما المجمع العلمى الذى ارى ويرى آخرون من الباحثين ضرورة وجوده فى بلادنا فهو على نمط المجامع العلمية التى انشئت أولا فى دمشق ثم فى بغداد ثم فى بلاد أخرى والبلاد الأوربية أيضاً ، هذه المجامع هى اعم من ان تعنى باللغة .. هى تعنى بتراث البلاد ، بتاريخ البلاد ، فعندما انشىء المجمع العلمى فى دمشق كانت الغاية منه ارشاد موظفى الدوائر الحكومية إلى عدم استعمال الكلمات التركية ، ثم اتجه هذا المجمع الى ان يصون التراث ، فجمع الكتب المبعثرة فى الأربطة وفى المساجد وفى المكتبات المتفرقة وان ينشىء دار الكتب التى جمعت كل ذلك ، ثم بعد ذلك اتجه الى ان يحيى كل ما يتعلق بتاريخ الشام من الكتب القديمة سواء فى التاريخ أو الأدب أو فى الأمور الأخرى ، ومثل هذا المجمع هو الذى ينبغى ان يدعى اليه ، وهو يجمع النخبة الطيبة من الباحثين فى البلاد ويكون اتجاههم لحفظ تراث البلاد .. لجمع كل ما يتصل بتاريخها .. لاحياء ما يستحق ان يحيا .. لايجاد الوسائل التى تجعل شبابنا يفهم ان فى التراث ما يفيده .

## اعادة كتابة تاريخنا

● هناك دعوة لاعادة كتابة التاريخ العربي ، فما رأيكم فى ذلك ؟ .

– لا أدرى ماذا يراد باعادة كتابة التاريخ .. والمعروف ان العواطف لها أثر كبير فى حياتنا وفى نتاجنا الفكرى بصفة عامة ، سواء فى التاريخ أو فى الأدب أو فى غير ذلك ، من فروع المعرفة . التاريخ شىء مضى وتدوين حوادثه بعد ان تمضى عليه قرون .. هذا ليس شيئاً مفهوماً ، وهذه دعوة لا محل لها ، انما هناك شىء هو ان نتبصر فى تاريخنا ونعالج قضاياه معالجة نستطيع ان نستفيد منها لمعرفة ما شابه من اهواء واغراض وعواطف ، مثلا عندما نقرأ ترجمة الحجاج .. نجد أنه الصق بهذا الرجل من صفات الذم مالا يكاد ان يتصوره انسان عاقل .. يقال اخرج من سجنه عندما مات ثمانمائة ألف . والكوفة نفسها أو واسط لم يبلغ سكانها هذا العدد .. هو رجل جبار وهذا مفروغ منه ، ولكن ليس معنى ذلك ان تلصق به كل تهمة ، لماذا الصقت به التهم لأن الذين دونوا التاريخ عاشوا فى العهد العباسى والحجاج كان ممن ارسى الدولة الأموية ، فليس بغريب ان يوجه هؤلاء الذين دونوا التاريخ فى عهد الدولة المناوئة للدولة الأولى ان يلصقوا به كل تهمة . هذا مثال . ومثال آخر قرأت منذ عهد قريب لعالم جليل يعيش فى السـعودية كتاباً عن ( ابطال الاسلام ) فيترجم لقتيبة بن مسلم فاتح السند ، ويقول ما معناه هذا الرجل الذى ينتمى الى هذه القبيلة الخسيسة الوضيعة التى كيت وكيت .

من قال لك ياسيدى انها خسيسة ووضيعة ؟ . شاعر هجاها ولصق بها الهجاء واصبح الناس يتندرون به ، قبيلة يخرج منها ابو أممه الباهلى ويخرج منها راوية العرب الكبير الاصمعى ويخرج منها قتيبة ابن مسلم فاتح السند .. ثم تشتم بهذا الأسلوب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع شاعراً يمدح جرير بن عبد الله البجلى يقول :

لولا جرير هلكت بجيلة
نعم الفتى وبئست القبيلة

قال : ما مدح من هُجِى قومه .

هذا اثر من آثار عدم التعمق فى التاريخ ، لو ان هذا الرجل الجليل قبل ان يقدم على سب هذه القبيلة الكريمة بحث عن السبب .. عبد الكريم النهشلى فى كتاب له عن الشعر طبع فى تونس يقول ان هذه القبيلة ظلمت لأن شاعراً هجاها ولصق بها الهجاء ، كما ظلم بنو نمير :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فصار الواحد منهم يستحى ولا ينتسب إلى بنى نمير .. إلى غير ذلك من عبث الشعراء الذى الصق بالتاريخ واصبح تاريخاً يسطر ويؤخذ بنتائج حكمه .

## المعجم الجغرافى

● يحظى المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية باهتمامكم الخاص ، وهناك جهود مماثلة من بعض المهتمين .. هل تتكرمون بالقاء بعض الأضواء على جهودكم فى هذا المجال ، وجهد زملائكم أيضاً ؟

ـ هذا المعجم قصد منه ان يهيىء لكل باحث فى تاريخ البلاد الجغرافى .. تاريخ المدن .. تاريخ الآثار .. تاريخ القرى ، ان يهيىء له ما يفيده . ولهذا أخذت فترة من الزمن ادعو الى تاليف مثل هذا المعجم ، ولحسن الحظ استجاب لهذه الفكرة عدد ممن توسمت فيهم الخير . من هؤلاء الاساتذة محمد بن أحمد العقيلى فى جازان وسعد بن عبد الله بن جنيدل فى الرياض ومحمد بن ناصر العبودى أيضاً فى الرياض وعلي بن صالح الزهراني فى الباحة وأنا ، بدأنا بأن يكتب كل انسان ما يعرف عن بلاده وقدمت نماذج .. هى ان ندرس ما فى هذه البلاد من مدن أو قرى أو جبال أو مواضع تاريخية ، وردت فى الشعر أو الأخبار القديمة ، الحاضر نصفه كما نشاهده ، ونورد ما ذكر المتقدمون عنه ، والماضى نحاول تحديده إذا كان دارساً ونورد ما ذكره المتقدمون عنه من أخبار أو اشعار أو غيرها

● لماذا ؟

ـ انت حين تقرأ فى القرآن الكريم ( ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ) تتشوق إلى معرفة موقع حنين .. الا تتطلع الى معرفة طبيعة المكان لكى تدرك لم حصلت الهزيمة ، وخصوصاً انه ورد فى الأخبار عنه انه واد أنكد جرور منحدر لمنحدرات تهامة . كذلك عندما تقرأ الآية الكريمة ( ولقد نصركم الله ببدر ) الا تتطلع الى معرفة هذا الموضع الذى نصر الله فيه الاسلام ، وعندما تقرأ شعر امرىء القيس :

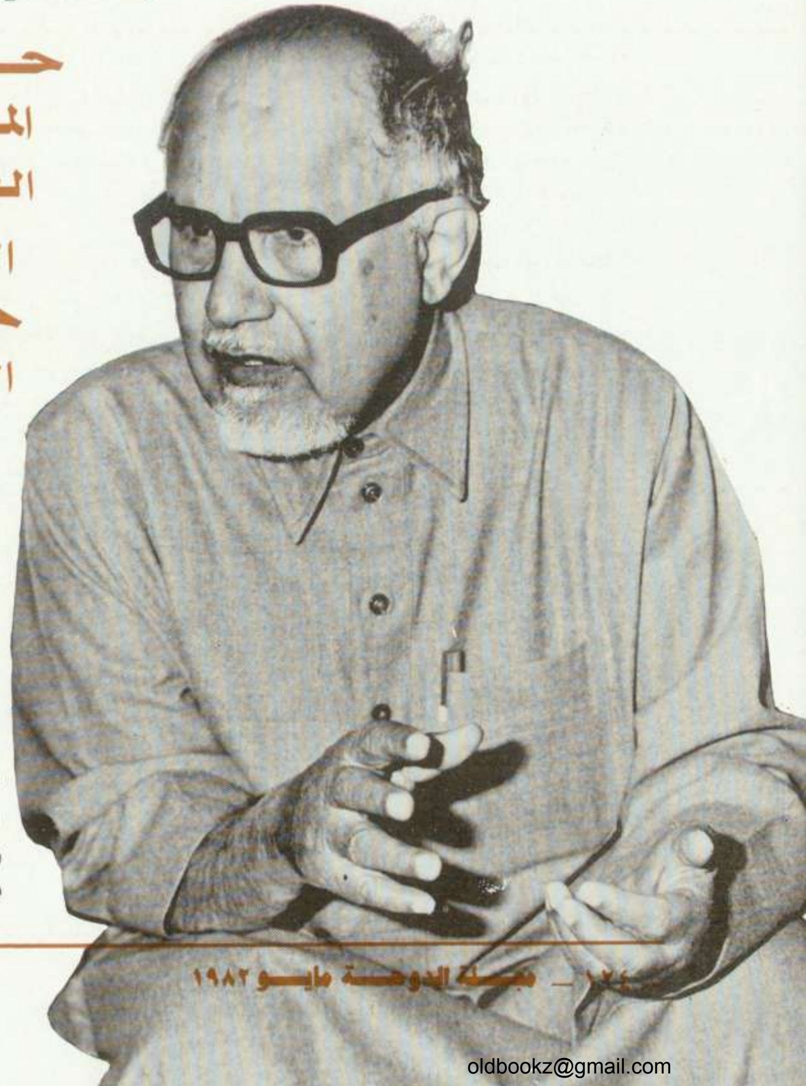
غشيت ديار الحى بالبكرات
فعارمة فبرقة الحيرات
ففول فحليت فنفع فمنعج
الى عاقل فالجب ذى الامرات

الا ترى ان من اكمال فهمك وادراكك لشعره دراسة بيئته التى ذكرها .. من هنا اتجهت رغبتى ودعوت الى هذه الفكرة ، وكما قلت استجاب لها هؤلاء الأخوة ، ولأن اجتماع هؤلاء الأخوة فى مكان واحد ليس متيسراً خاصة وان كل انسان فى جهة نائية من جهات المملكة ، فقلنا لنعمل أولا على تدوين ما نستطيع تدوينه ثم بعد ان ننشره ويتداوله القراء بالنقد نعود ونستكمل النشر فى كتاب واحد باسم المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، ونرتبه على الحروف الهجائية وننسب لكل كاتب المادة التى كتبها ، كما فى دوائر المعارف المعروفة ، وقد تم الآن من هذا المعجم سبعة عشر مجلداً ، وهو مرجع لمن يدرس التاريخ ومرجع لمن يدرس الأدب ومرجع لمن يدرس الجغرافيا ، وان كانت هذه النواحى ليست مستكملة ولا وافية لكن من اعطاك ما يملك لم يبخل عليك .

● إذن كيف يمكن تقريب الموسوعات الجغرافية الى اذهان الناشئة بحيث لا تصبح قصراً على المتخصصين بل تصبح فى متناول الجميع ؟ .

ـ الجغرافيا أو علم تقويم البلدان هو من العلوم التى لها اناس مختصون فيها ، ولهذا فالناشئة قد لا يحتاجون الى ان يتجهوا بكل افكارهم إليها ، الناشىء عندنا يريد ان ياخذ من العلوم بقدر حاجته ، وهذا من السهولة بمكان لأن الكتب التى من هذا القبيل مرتبة

# حوار مع المفكر العربي الشيخ حمد الجاسر



التصرف فى النصوص اسوأ آفة تصيب العلم والعلماء وتغيير النص يعتبر خيانة علمية !

على حروف المعجم ، لدرجة انها لا تحتاج لمن يسهلها أو يذللها .

● الرحلات العديدة التى قمتم بها لمختلف انحاء العالم .. هل استفدتم منها فى بحوثكم التاريخية والجغرافية ؟ .

– انا عنيت بالرحلات قبل كل شىء بحثاً عن نوادر من المخطوطات قد يكون فيهـــا ما يفيدنى ، فى دراساتى الجغرافية أو فى غيرها ، وقد تمكنت من ادراك شىء من ذلك ، فوجدت فى مكتبات اسطنبول كتباً صورتها واستفدت منها ، ووجدت فى بعض المكتبات الأوربية كالمتحف البريطانى الذى وجدت فيه كتاب ناصر بن عبد الرحمن الاسكندرى وهو من أهم المصادر الجغرافية ، ووجدت فى بلاد فارس كتاباً يتعلق برسم طرق الحج القديمة وتحديدها ووصف معالم الجزيرة ومؤلفه من أهل القرن الثالث الهجرى ووفقت الى اننى احقق هذا الكتاب وان انشره ، وعثرت على مؤلفات أخرى . منها ما نشرته مثل كتاب بلاد العرب وغيره ، والغاية المقصودة من رحلاتى فى أول الأمر هو البحث عن المخطوطات ، لكن عندما اصبحت فى حاجة الى ان اجرى فحوصات طبية ، او فى حاجة الى الراحة ، فاننى ايضاً جمعت شيئاً وسجلته ودونته ولم اطبعه بعد .

## دراسات الرحالة

● تعرض بعض المستشرقين والرحالة الأجانب لكتابة جوانب من تـــاريخ وجغرافية الجزيرة العربية ، من كان منهم اكثر انصافاً ودقة فى نظركم ؟ .

– لا اعرف للمستشرقين سوى رحلات تتعلق بدراسة الآثار أو المشاهدات الفردية ، اما الدراسة التاريخية فلا اعرف سوى واحد هو «فيلبى» اما الآخرون فلهم دراسات واسعة منها دراسات عن الربع الخالى ، ودراسات عن الآثار فى شمال الجزيرة أو جنوبها ، ودراسات للمستشرق لويس موزيل وهو تشيكوسلوفاكي من براغ ، وكان استاذ كرسى فى الجامعة ، وقد قام برحلات الى بلادنا قبل سبعين عاماً تقريباً ، والف مؤلفات قد تبلغ الثمانية عن العرب ، وعن بلاد العرب ، منها كتاب « شمال الحجاز » ، ومنها كتاب « شمال نجد » ومنها « الصحراء العربية » الى غير ذلك من الكتب ، وقد قرأت من مؤلفاته ترجمة كتابين احدهما كتابه عن « شمال الحجاز » وقد ترجمه عالم مصرى هو الدكتور عبد المحسن الحسينى وكان مدرساً فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية وقد اجتمع بي قبل سنة ١٩٥٠ واستشارنى فى ترجمة هذا الكتاب فنصحته بأن يترجمه بعد ان ذكر لي مباحثه ، فترجم من هذا الكتاب – الذى يحوى قسمين – قســـم التحقيقات الجغرافية ، اما القسم الآخر المتعلق بوصف رحلته فرآه غير مهم ، وقد قام لويس موزيل برحلته الى شمال الحجاز بدافع من جامعته لأن بعض المعنيين بدراسة التوراة كلفوه بأن يبحث عن المواضع المذكورة فى التوراة وان يحققها ، فاتى الى شمال الحجاز وألف هذا الكتاب ، فترجم الدكتور الحسينى رحمه الله قسم التحقيقات الجغرافية فقط بحجة ان القسم الآخر غير مهم ، مع اننى ارى لو نشر القسم الثاني لكان حسناً . لماذا ؟ لأنه يصور لنا جلد الغربيين . رجل ياتى من قلب أوربا – تشيكوسلوفاكيا – الى بلادنا ويدخلهـا بطريقة لا تتلاءم مع طبيعته من حيث الرفاهية والتنعيم ، ويحاول ان يتقشــف ، وعندما يدخل البلاد أول مرة .. يؤذى ، وتمزق كتبه ، ويربط وتاتى البدويات ويضربنه بعمد البيت ، حتى يغمى عليه ، ثم يعود الى بلاده ، وعندما يشفى يعاود الكرة ويسعى لتحقيق مهمته . هذا فى رحلته فى شمال الحجاز .

ثم ياتى فى رحلته فى شمال نجد ويسال عن الطريقة التى يدخل بها نجد ، فيرشد الى ان يتصل بالنورى بن شعلان شيخ بادية « الرولة » ويتصل به ويعقد معه اخوة ويعيش مع بدو « الرولة » سبع سنوات ، متقشفاً ، يعيش كما يعيشون . جسمه – وهو الأوربى الناعم – يتراكم فوقه الوسخ وثيابه تمتلىء من الحشرات ، ولا يستنكف ان يجلس فى الشمس ويخرج هذه الحشرات ، ويسمى نفسه موسى الرويلى ، ويظهر بمظهر « الرولة » فى تقشفهم وفى خشونتهم ثم يؤلف ما يؤلف من الكتب .

هذه الأمور ينبغى ان ننشرها بين شبابنا ونقول : انظروا الى جلد المستشرقين ، وان العلم يجب ان يبذل له الانســـان اقصى ما يستطيع بذله .

وعندما قرأت هذين الكتابين اعجبت لا من جلد هذا الرحالة الغربى لويس موزيل ، ولكن أيضاً لسعة اطلاعه على المؤلفات العربية القديمة ، فاجده أطلع على أهم المصادر الجغرافية ولخصها واستطاع ان يحقق ما استطاع بطريقة منطقية وبطريقة نفقدها فى كثير من كتابات علمائنا .

وأعود الى « فيلبى » الذى الف كتاباً عن المملكة العربية السعودية اســــمه ( Saudi Arabia ) وعرب خطا باسم ( تاريخ نجد ) أو ( دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ) ولكن هذه الترجمة مسخ للكتاب ، فهذه الترجمة تنقصها مقومات ، فالمقدمة المحذوفة التى كتبها « فيلبى » تعطى خلاصة فكر « فيلبى » عن ما تصوره من تاريخ المملكة وما تصـــوره عن الملك عبد العزيز ، وما تصوره عن الملك سعود رحمهما الله ، « وفيلبى » كغيره من الغربيين لا يتردد عن النقد ، وهذه مسائل لم ترد فى الترجمة ، وقد شوه هذا المترجم واسمه عمر الديراوى كتاباً آخر لفيلبى اسمه « أرض مدين » فسماه « أرض الأنبياء » أو « مدائن صالح » مع انه ليس فيـــه حرف واحد عن مدائن صالح ، وقد لمته واخبرته ان أرض مدين هى الأرض الممتدة من الوجه الى العقبة ، اما مدائن صالح فليس فى الكتاب حرف واحد عنها . فشوه هذا الكتاب كما شوه الكتاب الآخر ، هنا ملاحظة هى اننا يجب الا نعتمد على ما يترجم لنا من آثار هؤلاء الغربيين ، ولابد من الرجوع الى اصول الكتب المترجمة للحكم عليها .

● هل يعنى هذا أن أمانة البحث العلمى تقتضى ترجمة ما كتبه الأجانب عنا بما فيه من أخطاء والرد عليه ، ام ترجمته مصححاً وكيف يمكن الحكم على صحة أو خطأ ما كتبه الأجانب عنا ، مادمنا لم نعش تلك الفترات التى كتبوا عنها الى جانب قلة المراجع عن تلك الفترات ؟.

– التصرف فى النصوص أسوأ آفة تصيب العلم والعلماء ، وأسوأ ما يفعله العالم .. التصرف فى النص . دع النص كما هو وأت برأيك منفرداً أما ان تغير نص المؤلف فهذا يعتبر خيانة ولا يصح ، لذا فان هذه الكتب اذا اردنا ان نستفيد منها ، يجب ان ننشرها على علاتها ، ونبين فى آخرها أو حواشيها ما نضيف اليها ، وما نراه صحيحاً ، فقد تكون آراء المؤلف اصوب من آرائنا ، وما الذى يجعلنا نحكم اننا أصوب مالم نجد الأدلة الواضحة التى نستطيع ان نَدلل بها ، هناك وسائل نستطيع ان ننقدبها المؤلفات الغربية ، فنحن اعلم ببلادنا ، وأعلامها ومعالمها .

● ●

وشعرت اننى اثقلت على الشيخ الجاسر فشكرته باسم قراء الدوحة وودعته متمنياً له طول العمر .. فقد خشيت أن اثقل عليه ، لكنه أبدى استعداداً للاجابة على أى سؤال وبدا فى نشاطه وحيويته وكأنه لم يبلغ الرابعة والسبعين .

خليل ابراهيم الفزيع

ليلتان مع الرحبانية في الدوحة

# مأساة الوطن والعائلة في

# الربيع السابع

بقلم : جميل العابد

هل نجحت رونزا مع الرحبانية بدلاً من فيروز؟

من لبنان الجريح ، جاء الأخوان رحباني يحملون الينا هنا فى قطر مسرحيتهم الغنائية الأخيرة « الربيع السابع » .

وتساءلنا لدى سماعنا الخبر :

أي ربيع ذلك القادم من بيروت ؟ هل تراه ذكرى ربيع ؟ أم هو ربيع المستقبل كما يراه فنان مرهف ؟

فاذ بـ « الربيع السابع » ـ كما رأيناها ـ رؤية متعمقة لما صنعته المأساة فى سفوح الأرز الأخضر .. غنائية للفرح الذى يفرزه الحزن .. قبلة على جبين الأرض الثكلى .. وعناق البنات والأبناء الباقين .. الزارعين الحب من جديد ، بقلب جديد وهمة أكبر .

كيف ، وإذن ، آلت الهموم عرساً تنادي أهازيجه جموع الراحلين ؟

أحد مشاهد المسرحية التى تصور الانسان الذى وسع صدره جبلا من الاحزان ومع ذلك يمضى نحو الافق الجميل



كيف استبدل الأصيص المتكسر ، فى النهاية ، بحوض متين يضم الجذور التى صمدت لتطلع ازهـاراً يفـوح اريجها فوق غابات الحور الباسق والسحاب الداكن ، وينفذ الى كل الصدور التى هدها الخوف ؟

حدث كل ذلك ، كما شاهدنا ، بفعـل التغيير الداخلى . فقد أصبحت بيروت بكل بيوتها ، أخيراً،تميز مصدر القذيفة من دويها ، وتعرف هوية الطلقة من أزيزها . أصبحت بيروت تعرف القاتل والمقتول ، وتتنبأ بالحدث قبل وقوعه . اتسعت ذاكرة بيروت ، وداهمها الوعي بالحقيقة الصافية المذهلة.

« عمرو الانسان ما يخبي شي
لانو هو الكنز الوحيـد ...
عملت مصالحه مع الشجر والانسان ...
أنا وقاعده هـون وصلت للحـرية »

لم تعد الألوان مبهمة كما كانت ، ولا نقاط التماس خافية . صارت الكلمة المكتوبة والمحكية أكثر دلالة ، وأصبحت طرق الوصول مرسومة ومحددة .

« كلنا كبرنـا ...
في شي تغير من جوا وغيرنا »

لقد وصل الانسان فى بيروت الى قلب ذاته وعقد مصالحه مع الوجود .. وصل الى نقطة من الصفاء حيث تبين له ان عليه دفع ايجار وجوده على الأرض ، وان عليه بالتالى أن يتصالح مع الأشياء والناس والطبيعة ، ويجتاز حدود الكراهية والبغضاء ليكتشف ذروة العواطف النبيلة .

« الحلم بيتأثر بالحقيقة ...
بيغير الواقع »

« الربيع السابع » مسرحية تعالج انعكاسات الحرب فى لبنان على الناس والمواقف والتصرفات الجماعية والفردية

جمانه ( رونزا ) مطربة بخيلة جمعت ثروتها وخبأتها خوفاً عليها من الحرب ، فأخذتها الحرب .

أسامه مثقف نظرى يحاول « تظبيط خارطة الوطن » فيطير بيته .

أبو الهمم شخصية شعبية تفهم الحرب على هواها وعلى طريقتهـا .. ( وقبضاي ) يستغل المواقف .

منعم ( ملحم بركات ) رب عائلة بسيط وهادىء يحلم بحياة عادية ، لكن الظروف تمانعه .

أسما امرأة مهووسة بالفن والشهرة ..تحاول احتراف الغناء رغم معارضة زوجها .

تبدأ حكاية أسما مع زوجها منعم عندما هي تصر على الغناء وهو يعارض .. فتدب المشاكل فى المنزل الزوجي وتستعين بعمتها القوية عليه ، لكن ذلك لا يدفع منعم الى الاقتناع .

ونفاجأ بوصول بعثة تليفزيونيـة أجنبية فيكتشف المخرج ـ مستر اكزلبي ـ ان منعم يملك طاقة صوتية تجعله مطرباً كبيراً ، ويقنعه الأول بالذهاب الى لندن للغناء فى مسارحها ، فيوافق منعم بعد أن يبلغ الخلاف ذروته بين الزوجين وما تلبث زوجته أن تعود إلى بيت عمتها لتتعلم أصول الغناء على يد عـواد لا يؤمن بتطور الموسيقى !

ينطلق منعم مطرباً مشهوراً فى لندن . وتتسارع الأحداث متخذة جوانب خلافات بين الشخصيات .

وفى الختام يكتشف الجميـع أن النظريات التى تمسكوا بها والمواقف المشنجة التى اتخذوها كانت رمادية ... وحده الحق شجرة خضراء !

وعلى عتبة الربيع السابع يقف الجميع ليكتشفوا ان الرضا أهم من كل الخلافات ، وان البقاء فى النهاية هو الوطن . ويقررون التمسك بالأرض والمصير الواحد .

« شغلك ما بيكون الو قيمه فعليه
الا ترجع تغني هون .. للناس اللي هون ...
للفن اللي هون »

تماماً كالأشجار التى لم يخطر على بالها يوماً أن تغادر التراب ، وكعصافير الدورى التى ترفض مغادرة بيوت القرميد الشتوية .

« لا الشـجرة راحت



رونزا .. فى دور المطربة البخيلة التى جمعت ثروتها وخبأتها خوفاً من الحرب .

# مأساة الوطن والعائلة في
# الربيع السابع

لا الدوري راح
لا الكلمة انزاحت
لا الصخر انزاح

البداية والنهاية ..
البداية والنهاية ..
نحنا رح نبقا هون
مش رح نهرب من هون
نحنا رح نبقا هون .. مش رح نهرب
من هون » .

حوار ساخن يعبر عن مشاكل بيروت وما راته من دمار خلال سبع سنوات

وفى النصف الأخير من المشهد الثانى والختامي للمسرحية ، يستحوذ عليك احساس باستيقاظ الوعي . ولا تشعر كمتفرج بان ذلك يصدق على لبنان واللبنانيين فقط ، بل على شعوب الوطن العربى عامة .

ولأن أدوات التعبير فى المسرح الرحباني هى دائماً بسيطة ، رومانسية وجذابة ، فاننا نجد حرارة تصفيق الحضور كثيراً ما يلهبها بريق الفكرة المنقولة بسهولة وعفوية ، بالاضافة إلى صدق الصورة المستوحاة من واقع الناس إلى الناس . وهذا يفسر نجاح الأخوين رحباني الجماهيري الساحق لاستخدامهم وامتلاكهم فن التعبير الأسهل والأجمل ..

ان هذا المسرح يقول للناس ، كل الناس ، كلاماً يختلف عن نشرات الأخبار وأقوال الصحف ، وعما تباهى به أساطين البلاغة والشعر .. كلاماً ياخذ المشاهد على حين غرة بين الفينة والفينة ، فيقفز قلبه الى حلقه إما طرباً وترويحاً ، أو نشوة عقلية ليست فى حقيقتها الا تعميقاً لمعرفتنا بالانسان .

لقد رأى الأخوان رحباني نفسيهما بكل ما يملكان من طاقات وقدرات أمام قضية هامة شغلت كامل اهتمامهما : انها قضية الانسان على هذه الأرض ، فوجدوا فيها كل الأبعاد التى تشحذ فيهما الهمة للعطاء .

« الربيع السابع » ، يبدو وكانه عمر الانسان اللبنانى الجديد ، ويوحي بأن هذا العمر القصير قد اختصر مئات الأعمار ، وان سنوات المحنة ، كما يقول العنوان ، لم تكن بمجملها بلا ورد وبلا أزهار ! وان سنوات المأساة ، رغم شدتها أطلعت من قلب الحزن والدمار أملا ونوراً يؤكد العهد مع الأرض ويبشر بالخير القادم !

طوال سبع سنين ، عاشت بيروت ربيعاً دائماً .. بدأت أوراقه تتفتح عندما صحا الناس ذات صباح على رائحة البارود والدم فى الساحات ! عندئذ ، طلعت أول زهرة ارجوانية مضرجة بالدم بمحاذاة صخرة مرمية فى الروشة ، ما لبثت ان امتدت حتى غطت أعدادها قمم الأرز ، والنوافذ التى كانت تشيع الأمان .

اكتشفت بيروت كساءها الجديد ، فخرجت تموج وتغنى انشودة حزينة للمجد والمحبة وعلى ثغرها ابتسامة كبرياء .

ومنذ ان طلعت الزهرة الأولى من جرح بيروت .. وبيروت تنزف مسكاً خالصاً يروي التراب والأرض التى افتقدت الندى زمناً طويلا .. منذ ذلك الحين كثر عدد المنتسبين إلى ( الكونسرفتوار ) اللبناني ، وارتفعت تراتيل الحنان تشق عنان السماء تنادي الرحمة والغفران ، وتدعو للحب كما لم تفعل من قبل . لقد بانت الخطوط وظهرت لعين بيروت كل الدروب المعوجة

« عساحة البرج طلع الشجر البري
عساحة البرج أكل العشب الحيطان»

لقد أفاقت بيروت على صباح داخلي يضيء سماء القلب ، وهى التى مذ خلقت تعيش على سنابل الخير .

بيروت لم تعد تخاف الضياع فى المتاهات .. بيروت لم تعد تهمها الريح .. لقد اكتشفت سر الريح .

●

ومن ناحية أخرى ، نلاحظ المنحنى الجديد فى الموسيقا الرحبانية الظاهرة فى هذه المسرحية . انه التنوع فى الأشكال الموسيقية من الأغنية الخفيفة إلى العمل الكورالي الكبير والأغنية العاطفية الهادئة . ومن أغنية الصراع الى الأغنية الغربية الراقصة . فأغنية ملحم بركات التى يقول فيها :

« قولك صحيح
ما تارى البيصير على غفله بيصير
وأنا كنت مفكر بعد بكير

يا الله يا ريح أنا صرت الرحيل
صرت السفينة والسفر الطويل
يا حلوة جديدة
بمدينة جديدة
بشارع بحرى سعيد

أنا جايه أبكي
عاكتفك أبكي
بحار الحزن الوحيد »

تصور فجيعة الانسان المصدوم .. الانسان الذى ينشد السلام وفى جوانحه خيبة ورجاء .. الانسان العظيم الذى وسع صدره جبالا من الأحزان ، يحملها ويمضي نحو الأفق الجميل الذى ياتي ولا ياتي .. ومع ذلك يظل يمضي ! بالاضافة لهذه السبحات الفكرية



مشهد من مسرحية الربيع السابع التى تعالج مأساة لبنان

الأخاذة فى المسرحية ، فاننا لا نملك بدورنا الا أن نعجب ونفكر بمجالات الابداع والمسافات الموسيقية التى يصعب على الكثيرين من المطربين والمطربات التكيف معها وأداؤها . وقد ساعد على ذلك مشاركة آلات صعبة مثل: الأوبوا والباسون والترومبون والكور الانكليزى .

وهنا يقفز سؤال أساسي : غياب فيروز ووجود رونزا ( عايدة طنب ) مكانها فى المسرح الرحباني ؟

ان مجرد التفكير بهذه الحقيقة يدعونا ، بل يدفعنا ، لكي نقول شيئاً بنبرة لا تخلو من الغصة واللوم ، بصفتنا جيلا كاملا ترعرع وعاش يسمع ويتفاعل مع ذلك المزيج الفريد من عطاء الأخوين رحباني الخاص بغناه الفكري والشعوري الفنى ، وذلك الصوت الذى طلع علينا من رحيق الزهر وقمم الجبال العربية ، فكان متميزاً بقدرته العجيبة على غزو عاطفتنا الراكدة ، واضافة وتر جديد لقيثارة طربنا الشرقى ، صوت فيروز الذى كان صوت قلوبنا وأحاسيسنا ورحل عنا ! لماذا ؟

لا يهمنا الجواب بقدر ما يهمنا القول ان الذى يذهب بارادته ، ويدير ظهره لكل هذا الحب وهذه الجماهير ، لابد أن يصل فى طريقه الجديدة الى نقطة يشعر عندها بهول قطيعته .

أما رونزا ، فقد أثبتت انها طاقة فنية مهمة جداً ، استطاعت لمس أحاسيسنا برقة وعمق ، وانتزاع الأعجاب الشديد حتى من أولئك الذين رأوها وسمعوها لأول مرة . صوتها هو صوت مطربة جديدة اسمها رونزا . وخطأ أن نقارنه بصوت فيروز . قامت بدور البطولة حتى الآن فى ثلاث مسرحيات للأخوين رحباني هم « الشخص » ، عند تقديمها بمدينة عمان ، و « المؤامرة مستمرة » ، وأخيراً « الربيع السابع » .

كان الجميع مشتاقون لحضور فيروز على المسرح .. لشموخها .. لمجرد مرآها . ومع ذلك ، كانت رونزا جميلة ومتألقة ، وأدت دورها وسط استحسان المجتمع الذى تزوره لأول مرة .

وكان لي معها لقاء قصير ، على هامش مقابلتي مع منصور وعاصي الرحباني ، قبيل بدء العرض الثاني والأخير لمسرحية « الربيع السابع » مساء ٢٥ فبراير الماضى على مسرح قطر الوطني الجديد الرائع والذى اعتبر بنظر الجميع ، وعلى وجه الخصوص بكلمات سعادة وزير الاعلام السيد عيسى غانم الكواري ، أهم هدية يقدمها سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني لشعبه بمناسبة الذكرى العاشرة لتولي سموه مقاليد الحكم فى البلاد ، ولبنة جديدة أضيفت فى صرح التطور الاجتماعى .. تزيد الوعى بالثقافات المحلية والعربية والعالمية . فى ذلك المسرح ، وجدت رونزا سعيدة بدورها وعملها مع الأخوين رحباني ، وتمنت « الاستمرار معهم لوقت طويل » .

لقد كانت رونزا لسنوات وجهاً لامعاً وصوتاً بارزاً فى الكورس الذى صاحب فيروز ( الرحباني ) فى أعمالها المعروفة .

● هل ترحبين ، وانت البطلة الآن ، بأداء دور ثانوي مع فيروز فى المستقبل ، وهل كنت ستصلين للشهرة بعيداً عن المظلة الرحبانية !

أجابت بعفوية ذكية وصراحة واثقة : « يسعدني القيام بأداء أدوار مع أى فنان معجبة به . ولا اعرف ان كان بالامكان شق طريقي الفني بدون الرحابنة » .

وقد يجوز القول ان دراستها للغناء الأوبرالي حالياً ، وعزفها على البيانو ، بالاضافة لقيامها بالتحضير لنيل شهادة ما جستير بعلم النفس ، ربما كانت بعض اشارات مضيئة على ان محاولتها للوصول إلى القمة ستكلل بالنجاح .

ولنسمع الآن ما قاله عاصي الرحباني الذى تكلم بلهجة رب العائلة الكبير وهو يسترجع بداياته ويتأمل مستقبل فنه المتميز بين فنوننا الموسيقية المعاصرة ، على تنوعها وانماطها التى تعددت كثيراً وتشابهت كثيراً !

قال : « اننا كفرقة وكمجموعة ، نعيش الآن حالة من تحقيق الذات ونشوة اكتشاف البقاع التى طالما حلمنا بثمارها وركبنا البحر للمضي على شواطئها اللازوردية » . وكأني به يذكر قناعة استقرت فى قلبه بحتمية انتصار الحلم الذى لم يفارق صدر الانسان فى كل الأحوال والأزمان ، وجاء الأخوان رحباني ، في زماننا ، ليصورانه لنا باللحن والكلمة العادية العذبة ، فنستعيد معهما ومضة من تلك الثقة الكامنة فى أعماق كل منا .. كأني به يريد تأكيد حقيقة الحلم الأزلية المختبئة فى رسوم الطبيعة وفى النفحات الانسانية

# مأساة الوطن والعائلة في
# الربيع السابع

الدافئة ، وتحتاج لارادتنا فى اظهارها والتعبير عنها !

وعن فيروز ، قال عاصي :

– « ما زال هناك أمل » .

ثم توجهت الى منصور ، فكانت لي معه جلسة هادئة فى ركن أبيض من أركان مسرح قطر الوطنى . انه رجل يبادرك بالحديث والطرفة أو اللفتة الحلوة : بيتاً للأخطل الصغير أو تعليقاً سريعاً على شىء أمامه .

وأول ما تبادر الى ذهني ، سؤال تقليدى لابد منه ، تلته أسئلة كان جواب الأخ الأصغر لعاصي عليها ، كأحاديث المسير ، بدون تكلف أو غموض .

● ربما هذه ليست أول زيارة تقومون بها للخليج ؟

– الى الخليج عامة .. كلا . قمنا بزيارة للكويت عام ٦٧ أو ٦٨ . وقمنا عام ٧٨ بزيارة الشارقة بالأمارات العربية المتحدة . ونحن الآن هنا بالدوحة لأول مرة .

● هل أنت راض عنها بشكل عـــام ؟

– نعم . لكن لو أتيح للفنان ، شاعراً كان أو موسيقياً أو رساماً ( هذا إذا كان يسكنه هاجس التغيير والنقد الذاتي) ،لو أتيح له إعادة عمله لغير فيه ، وهذا لا يعني اننا غير راضين عن المسرحية ، ولكن الأفكار دائماً تتدفق على الانسان .

● كيف تقيم المستمع الخليجي ؟

– من الجولات الثلاث التى تحدثنا عنها – الكويت والشارقة واليـــوم الدوحة – تتبلور لنا فكرة وهى ان المستمع الخليجى مستمع صادق وعفوي . من هنا فهو طبيعي وليس معقداً . كما انه فهمنا ( فهم مضامين المسرحية التى نرمي اليها ) بعمق . ومن هنا ينشأ التجاوب ويصل الفن الى غايته . المستمع الخليجى مستمع أصيل

● كم مضى على انطلاقة الفن الرحباني ، وما هى انتصاراتكم وانجازاتكم على المســـتوى العربي ؟

– مسيرتنا الفنية بدأت منذ زمن طويل . شعرنا اننا بحاجة لكى نقول شيئاً . لم نكن نقصد جديداً فى ذلك الوقت .. لكنه جاء هكذا ..

نحن كتبنا كثيراً ولحنّا كثيراً ، وتجاوب معنا المستمعون والمشاهدون فى كل مكان . هذه نعمة نشكر الله عليها ونتمنى دوامها . وحسبنا أن نعبر عن مشاعر الآخرين .. أن نعبر عن عواطفهم ونغني أفراحهم وأحزانهم لتكون رسالتنا صادقة . ورسالتنا هى قضية الانسان فى كل زمان ومكان .. الانسان المعذب المقهور فى هذا العالم . واننا نتوجه دائماً الى شعوبنا أن تبقى شرقية محافظة على شرقيتها .. ونحن من هذه الناحية نخاف التطور الذى يتجه به الانسان الغربى ، لأنه سيعقد حياته ويتعسه ، سيجعله عبداً للآلة ، سيجعله مسحوقاً ويسلبه كرامة الانسان . هذا رأينا .

● هل يتطور فنكم ، وكيف ؟

– الفن يتطور من ضمن أسلوب الشخص . وكما ان الانسان لا يستطيع تغيير لون عينيه ، فانه يستطيع أن يغير أسلوبه . لذلك يتجدد الفنان من ضمن أسلوبه . والتجديد لا يظهر فجأة . يلزمه عدة أعمال .. عدة سنوات ليتبلور ويتضح ، لأن الفن نبالة .. لا ينمو كأعشاب برية بين يوم وآخر ..

من ضمن هذه الخطة نتجدد ونتطور ، بحيث انك لو رجعت الى أسلوبنا قبل سنوات تجده الآن وقد تغير كثيراً .

● هل عندك تصور لما سيكون عليه الجيل الثاني من سلالتكم ؟



الفنانة رونزا .. أثبتت أنها طاقة فنية موهوبة

– سلالتنا ، ان كنت تقصدها الوراثية فهى أولادنا . أما إذا كنت تقصدها فكريا فهى أولادنا الفنيين . كل انسان يحمل مشعل الحضارة ويتقدم به خطوة للأمام يكون منا . كل انسان يرفع راية الفكر وسعادة الانسان ، يكون قد نفذ جزءاً مما نطمح إليه . من هنا الحلقات الحضارية فى العالم ، وليس فيها انفصال .. الحضارة تتواصل .

أنا لا أستطيع أن أتصور الا انه سيكون هناك تقدم ، وسينطلقون الى آفاق جديدة . لكنى أريد أن أطمئنك قليلا .. أولادنا شخصياً .. اهتماماتهم كلهـا تتجه إلى الفن ، وهذا شىء يسعدنا . أنا شخصياً كنت أطمح أن يحيا أولادى فى مستقبلهم حياة مسطحة .. أن يعانوا هموماً عادية .. يشتغلون ثم يسهرون . ويفرحون بأيامهم كأي انسان آخر . لكني لا أعرف من أين جاءهم القلق الداخلي فتوجهوا للفن ! .. هل سعيد أنا ؟؟ اني سعيد ، لكنى أعرف انهم سيتعذبون .

● وهل الفن برأيك هو نتيجة معاناة وقلق ؟

– طبعاً . أنا لا أعرف كيف يأتي الفن الى الانسان ، ومن أين .. كيف يجعله صاحب القلق ! صديق القلق ! هل هو السؤال الميتافيزيقي الدائر فى اللاوعي ؟ هل الفن ، أو كل شهرة ، أو كل بروز فى المجتمع .. فى العالم هى نتيجة عقد شخصية ؟ هل هو خوف من الزوال يدفع الانسان كى يكتب اسمه على حيطان العالم ؟ لست أدرى ..

● ما رأيك بمقولة انه لكى يبقى العطاء الرحباني كبيراً .. وحتى يستمر صوت فيروز خالداً كما عرفناه .. من أجل ذلك ، لابد أن يعمل الاثنان معاً ؟

– أتمنى دائماً أن نعمل مع فيروز . أتمنى مع كل المخلصين أن تعود الأمور الى طبيعتها بين عاصي وفيروز ، لأن صوت فيروز متفرد ونادر .

● هل هناك أمل بعودة فيروز ؟

– كنت أرجو أن يوجه هذا السؤال الى فيروز .

●

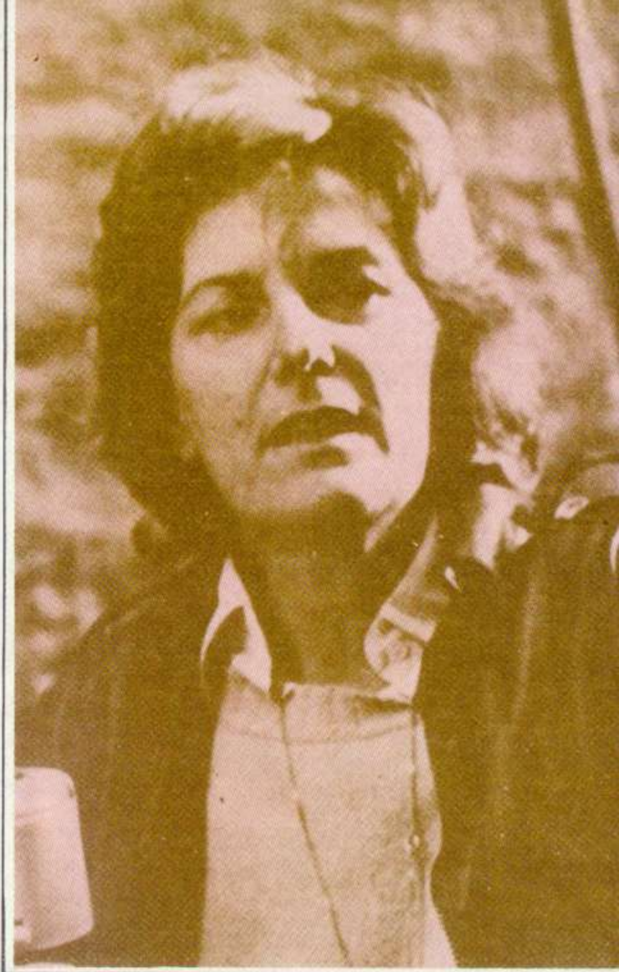
هنا انتهى الحديث مع منصور الرحباني . وبقي سؤال ...

أليست الأعمال العظيمة نتائج كبيرة لمحاولات صغيرة ؟

جميل العابد



« كلوديا كاردينالى » استفادوا من شهرة اسمها فقط



المخرجة الايطالية « ليليانا كافانى »




رؤوف توفيق

# المخرجة المتوحشة

## متعتها صدمة المتفرجين .. ومنطقها أنها تروي قصة .. وترفض أن يناقشها أحد

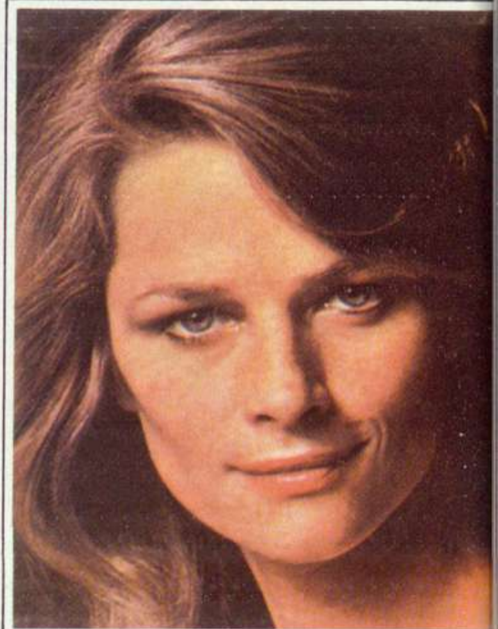
كيف تجرؤ امرأة أن تتغلب على مشاعرها ، وتكوينها كأنثى .. لتفكر وتنفذ هذه المشاهد السينمائية المليئة بالدم والوحشية ..؟!

كان هذا هو السؤال الذى تردد ـ بشكل أو بآخر ـ مع بداية العرض العالمى فى امريكا وأوربا لفيلم « الجلد » الذى اخرجته المخرجة الايطالية الشابة « ليليانا كافانى » .

وهذه المخرجة تعتبر واحدة من أبرز مخرجى السينما الايطالية الشابة .. وقد استطاعت « ليليانا كافانى » أن تثبت وجودها داخل ايطاليا من خلال أفلامها التليفزيونية الجريئة .. ثم شقت طريقها الى السينما وأخرجت أول أفلامها السينمائية وهى لم تتجاوز التاسعة والعشرين من عمرها .. وفى خلال سنوات قليلة .. بالضبط سبعة أعوام .. حلق اسمها مدوياً فى السينما العالمية من خلال فيلمها « بوابة الليل » فقد أثار هذا الفيلم ضجة داخل إيطاليا ، وفى كل العواصم العالمية التى عرض بها ، لجرأة بعض مشاهده ، والقسوة والألم التى يتركها فى نفوس المشاهدين !



الأطفال فى نابولى .. يتجمعون حول جندى يلفظ أنفاسه الأخيرة



« شارلوت رامبلنج » بطلة فيلم بواب الليل

فى معسكرات التعذيب تحت الأرهاب النازى .. لقطة من فيلم « بواب الليل »

وتكرر نفس الصدمة فى فيلمها الأخير « الجلد » الذى تضمن العديد من المشاهد القاسية العنيفة ، للدرجة التى تجعل المشاهد يطلق صرخة ألم وفزع مما يراه على الشاشة . !

وربما .. لهذا الأسلوب الوحشى ، صنعت المخرجة « ليليانا كافانى » اسمها وشهرتها .. فهى تعشق التاريخ ، وتعرف كيف تلتقط منه حادثاً أو فصلا .. لتعيد روايته بطريقتها الخاصة .. تعرى كل الأشياء ، وتسقط عنه كل المحظورات والمحرمات .. وتعمل سكينها الحاد فى تمزيق الأشكال الخارجية .. لتتلذذ بتقديم أبشع ما فى داخل الانسان .. وأبشع ما يتعرض له الانسان أيضاً !

● السينما فى رأيها

وهى تصنع هذا بمقدرة فنية عالية .. ولاشك أنها مخرجة موهوبة ، تعرف كيف تروى فيلمها بأسلوب متماسك جذاب .. وتعرف أيضاً كيف تبقى المشاهد على مقعده حتى نهاية الفيلم .. رغم ما قد يشعر به هذا المشاهد من فزع وألم !

وهى تعترف بهذا .. ولا تنكره .. فهى عندما تتحدث عن أسلوبها السينمائى تقول !

« أنا أحكى قصصاً فقط .. وليس شيئاً آخر .. وهذا ما أفضله فى السينما التى أراها .. ان آخذ منها الانطباع الأول ، ولا أحاول ان أسأل نفسى بعد ذلك ما الذى أراد المخرج أن يقوله .. فهذا لا يهمنى .. فالفيلم اذا كان فيلما حقيقياً .. فأنت تراه ولا تناقشه » !

ثم تقول : « أنا معجبة جداً بهؤلاء المخرجين الذين يعرفون كيف يحكون القصص ، ولا يحاولون ان يفعلوا شيئاً أكثر من متعة روايتها .. مثل هيتشكوك .. فورد .. فيسكونتى .. فهم مرجعى فى هذا .. واذا أردت ان أتحدث عن الطريقة الجديدة فى رواية القصة على الشاشة ، بطريقة جميلة ومثيرة .. فان المخرج الأمريكى الشاب « سكور سيس » يفوز بالمركز الأول » !

في أحد المطاعم الايطالية الفاخرة .. حيث تاتى المفاجاة المؤلمة .. لقطة من فيلم « الجلد »




# المخرجة المتوحشة

## متعتها صدمة المتفرجين .. ومنطقها أنها تروي قصة .. وترفض أن يناقشها أحد

وعندما سالوها عما تريد ان تقوله لجمهورها من خلال افلامها ؟

قالت : « ان افلامى تحكى قصصاً .. ولا تحاول أن ترسل رسائل .. ولا أعتقد ان الناس تظن بى أفكاراً ايدلوجية .. فانا اكره السينما التى تقوم على الرموز ، أو الربط بين الماضى والحاضر .. بأختصار انا لا أحب السينما العقائدية .. » !!

## الهروب من الموقف

ورغم غرابة هذا الرأى .. الا أنه يحمل تناقضاً واضحاً .. لأن تناول فترة من التاريخ لتروى من خلالها قصة .. يعنى بالضرورة أن يكون لك موقف مما حدث فى تلك الفترة .. وهذا الموقف يتضح فى أسلوب رواية القصة .. سواء أكان يحمل الأعجاب أو الادانة .. والموقف فى النهاية موقف فكرى !

والذين يؤرخون للتاريخ حتى لمجرد تسجيل الأحداث .. لا يبرأون من شبهة الرأى .

والذين يحكون القصص .. حتى فى طريقة روايتهم يسجلون رأيهم .. ويحاولون أبلاغ رسالة ما إلى قرائهم أو مستمعيهم ، أو مشاهديهم !

ولهذا من الغريب ان تقول المخرجة الايطالية « ليليان كافانى » انها مجرد راوية لقصص ولا تريد أن تقول رسائل لمشاهديها .. ولا تحب أن يناقش احد أفلامها بعد مشاهدتها .. أو هكذا تتمنى . !

ربما كان هذا الرأى الذى أعلنته .. أسلوباً من الدعاية لأفلامها .. وربما كان أيضاً دليلا على شخصيتها .. ورغبتها فى احداث « الصدمة » عند جمهورها . !!

اهالى مدينة نابولى .. يحاولون بيع أى شىء لجنود الحلفاء .. مقابل بضعة نقود .. أو حتى علبة سجائر !





« ماستروياني » وجنود الحلفاء .. وهم يسجلون بكاميراتهم فرحة تحرير نابولى ..

ولكن مما لاشك فيه .. أن هذا الرأى يعكس حدتها .. وصرامتها .. وايضاً غرابتها !!

● فيلم « بواب الليل »

فى هذا الفيلم .. تختار المخرجة موضوعها عن نازية ما بعد الحرب .. من خلال علاقة غريبة بين امرأة ورجل .. كانت هى احدى ضحايا النازى ( تلعب الدور شارلوت رامبلنج ) .. وكان هو احد ضباط النازى ( يلعب الدور ديرك بورجارد ) .. وانتهت الحرب بكل بشاعتها .. ومرت سنوات كثيرة .. ويتكرر اللقاء بين هذه المرأة وهذا الرجل ..

يحدث اللقاء فى أحد فنادق « فيينا » عام ٥٧ .. حيث تذهب هى بصحبة زوجها للدخول فى غرفتهما فى الفندق .. لتفاجأ بأن الحارس الليلى فى الفندق هو نفسه ذلك الضابط النازى .. وتتجدد الذكريات .. ذكريات التعذيب .. وذكريات الحب المغموس بالدم .. والرغبة المجنونة !

ونكتشف أن هذا الحارس الليلى ، ما زال يشترك مع مجموعة من الضباط السابقين فى الجيش النازى والذين يعيشون حلم عودة النازية ليسيطروا من جديد !! إنهم يتعاملون فيما بينهم بالتحية النازية ويهتفون لهتلر .. ويعملون فى الخفاء .. كل له وظيفته العادية .. ولكنهم فى اجتماعاتهم السرية يظهرون على حقيقتهم ..

وفى احدى تلك الاجتماعات السرية .. يراجعون حساباتهم القديمة .. ليتضح أن كل ضحاياهم من الايطاليين قد ماتوا . الا هذه المرأة ، التى تعتبر الآن الشاهدة الوحيدة الباقية على قيد الحياة .. والتى تستطيع أن تكشف - اذا نطقت - بكل الفظائع التى ارتكبوها فى معتقلات النازى .. ولهذا يصدرون أمرهم بقتلها .. ويكلفون الحارس الليلى بالفندق ، بالقيام بهذه المهمة !!

ولكن الحارس يحبها .. ويتولى الدفاع عنها ، وحمايتها من زملائه .. فهى الوحيدة التى فهمته .. وهو أيضاً بالنسبة لها مروضها ، مهما حاولت الاختفاء عنه ، الا أنها تعود إليه !

هرب هو من عمله .. وهربت هى من زوجها .. وقررا الاختباء فى منزله !

وفى هذا المنزل نشهد فصلا من الحب المريض .. الشديد الغرابة .. فقد أغلق هو أبواب المنزل بالاقفال ، واغلق النوافذ وأسدل الستائر السميكة .. وتحول المنزل الى قلعة محصنة لا يتسرب منها أى ضوء ولا يدخله أيضاً أى ضوء .. واكتفيا بخزين علب الطعام المحفوظ .. ويقضيان حياة متوترة وعنيفة .. يربطها بالسلاسل .. وهى تزحف على ركبتها .. يضربها .. ثم يحنو عليها .. يحاول أن يمزق رقبتها بقطع الزجاج المهشم .. فتدفعه لأن يسير بقدميه فوق الزجاج حتى تدمى قدماه .. ويتألم .. ومع صرخة الألم يبدأ الحب !!

وتستمر بينهما هذه العلاقة الغريبة .. حتى ينفد الطعام من المنزل .. ويتهاوى جسداهما من شدة الأعياء .. ويتقاتلان كالحيوانات من اجل فتات قطعة خبز جافة .. ولا يبقى غير حل واحد .. هو مغامرة الخروج من المنزل !

وما أن يخرجا .. حتى تتعقبهما سيارة زملائه النازيين .. ويصوبون مسدساتهم الكاتمة للصوت .. وتنطلق رصاصتان .. واحدة له .. وواحدة لها .. ويسقطان على الأرض جثتين .. وسط الضباب .. وينتهى الفيلم !

والحصيلة النهائية .. مجموعة من المشاهد الشديدة القسوة والايلام .. حيث يتحول الانسان الى كتلة من الغرائز المتوحشة .. وربما كان هذا ما قصدته المخرجة للتعبير عن النازية ، !

ولكن عندما تطلب منا ألا نناقش أفلامها .. ونكتفى فقط بالمشاهدة .. نعترف بأنها حققت مستوى عاليا من الاتقان الفنى فى كل عناصر الفيلم .. وحققت ايضاً « صدمة » المشاهد !!

واذا ادركنا ان فيلم « بواب الليل » قد تم اخراجه عام ٧٤ .. أى قبل انتشار موجة العنف والدم فى السينما العالمية .. فعلينا ان نتصور ماذا قدمت هذه المخرجة فى فيلمها الأخير « الجلد » .

● « الجلد » .. ومعنى الكلمة

الفيلم رحلة داخل نابولى عام ٤٣ .. والحرب العالمية انتهت .. ولكن السلام لم يستقر بعد .. إنها فترة ما بعد الحرب بكل ما فيها من انقاض مبان .. وانقاض بشر !!

ومدينة نابولى .. تزخر بقوات الحلفاء من جميع أنحاء العالم وقد تم تحريرها كأول مدينة أوربية تتحرر .. وخرج أهالى نابولى يحاولون ان يعيشوا الحياة من جديد ، وان يضحكوا مرة أخرى .. ولا يملكون غير أجسادهم !

ومن هنا جاء عنوان الفيلم : « الجلد » .. وهو نفس عنوان الكتاب الذى الفه « سيرزيو مالابارت » حيث سجل فيه تجربته كضابط فى الجيش الايطالى ، قام بالاتصال بقوات الحلفاء اثناء تحرير نابولى .

وعنوان « الجلد » تشرحه المخرجة « ليليان » بقولها : « ان أمتنا هى جلدنا .. فالشىء الوحيد الذى ينتهك ويهان ويلوث ،




# المخرجة المتوحشة

## متعتها صدمة المتفرجين .. ومنطقها أنها تروي قصة .. وترفض أن يناقشها أحد

هو جلد الابرياء البشرى هو صرخة يجب ان نسمعها .. والذى يتجاهل هذه الصرخة ، شخص غير واقعى » !

● التفاصيل الصارخة

وفيلم « الجلد » يقدم بانوراما هائلة ، مشغولة بعشرات من التفاصيل الانسانية الصارخة .. التى تصدمك وتهزك فى كل دقيقة من مدة عرض الفيلم .. حيث تتلذذ المخرجة باستعراض هذا الفقر المريع الذى خرج به أهالى نابولى من الحرب .. وحيث لم يعد لديهم شىء يأكلون منه .. غير ان يبيعوا أجساد بناتهم واطفالهم لجنود الحلفاء .. فى مشاهد لا يمكن تصور ان السينما تجرؤ على تقديمها !

ولكن ها هى المخرجة الايطالية تتعمد صدمة المشاهد من لقطة إلى أخرى .. فهذا جندى امريكى ينفجر به لغم وتتدلى أحشاؤه ، فيمسك بها ، فى محاولة للحياة .. والكاميرا تتلذذ بهذا المشهد حتى يلفظ الجندى أنفاسه الأخيرة وسط جموع الأطفال الذين التفوا حوله !

ثم هذا المطعم الايطالى الذى يخدع زبائنه فيقدم لهم اطباقاً من لحوم جثث الموتى . !! فنجد هذا القائد الأمريكى يفاجأ بأن ما يأكله هو كف أدمى .. فالعظام المتبقية من السهل اعادة تشكيلها لتوضح انها عظام الأصابع !!

وهذه الوليمة لبعض قادة الحلفاء فى أحد المطاعم الفاخرة .. حيث يقف مجموعة من الجرسونات فى ثيابهم المزركشة يرفعون أغطية الطبق الغض .. لنكتشف المفاجأة المرعبة .. أن داخل الطبق طفلا صغيراً محشواً ومحمراً !!





كلوديا كاردينالى .. وماسترويانى .. والارستقراطية الايطالية فى فيلم الجلد

جو بالغ العنف والقسوة والسخرية .. وتمتزج المأساة بالكوميديا السوداء ، وتلهث بين الرعب والفزع وابتسامة قد تشق طريقها وسط الأحداث .. والايقاع سريع .. حيث يسيطر عليك هذا الاحساس ، بان المخرجة تريد أن تقدم كل تفاصيل مأساة مدينة خربتها الحرب .. ولكن أهلها لرغبتهم الشديدة فى الحياة والمرح .. فهم مستعدون ان يبيعوا للحلفاء أى شىء .. وان يحصلوا منهم على كل شىء !!

وفى أحد مشاهد الفيلم يدخل بعض الجنود بدبابتهم الى أحد الشوارع الجانبية .. ويخرج الجنود لقضاء مهمة .. ويتركون الدبابة فى الشارع .. وفجأة يظهر الأطفال من بين شقوق المنازل ، ويتسلقون الدبابة ، ويبدأون فى فك اجزائها بخبرة من تمرس على هذا العمل طويلا .. كلهم يعملون فى نفس الوقت ، وبسرعة شديدة .. وفى دقائق تختفى الدبابة .. ويعود الجنود فلا يجدونها !! .. لقد تحولت الدبابة إلى أجزاء صغيرة حملها الأطفال وهربوا بها !!

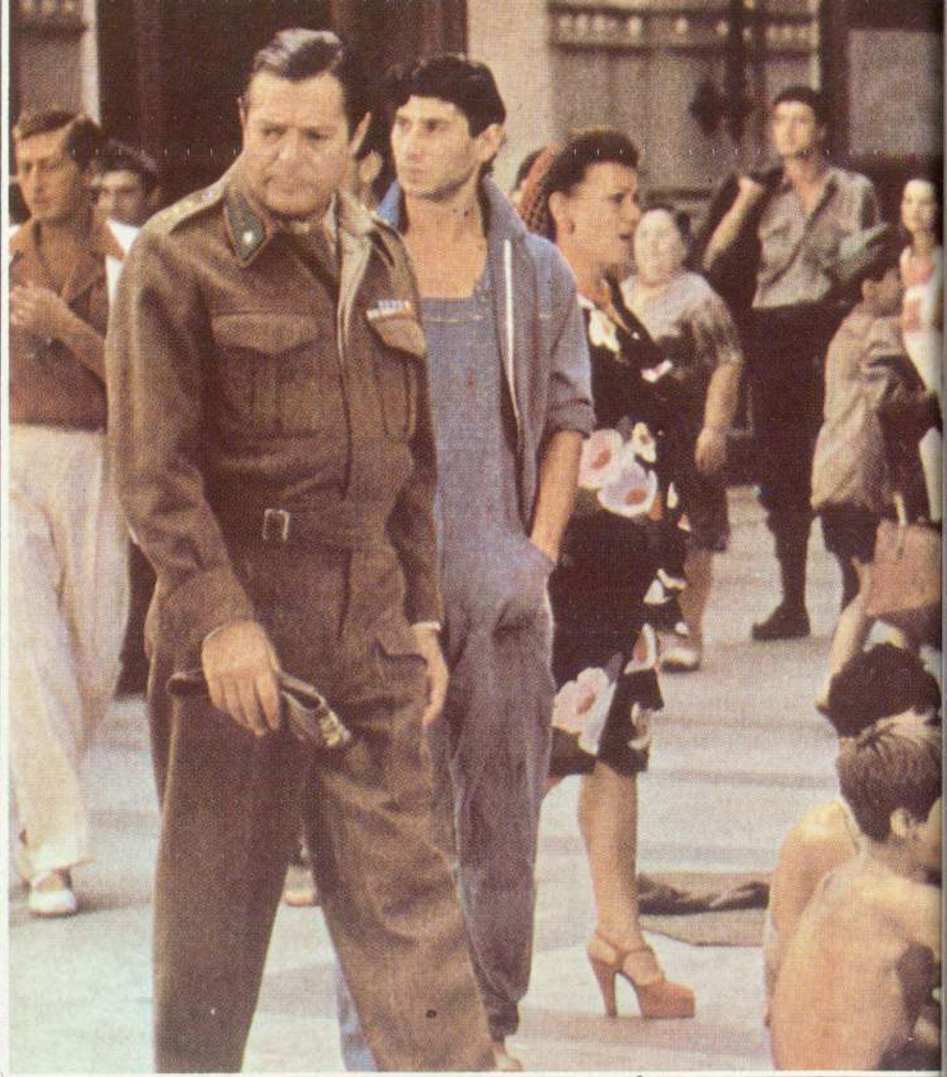
وتأتى نهاية الفيلم اكثر رعباً .. لتجسد معنى الثمن الذى دفعه أهالى نابولى فى هذه المحنة .

فعلى الشاشة .. طابور الدبابات الأمريكية وهى تخرج من مدينة نابولى بعد انتهاء مهمتها .. ورجل إيطالى يحمل طفله ويهلل فرحاً بالدور الأمريكى فى الحرب .. والطفل يمسك بالعلم الأمريكى ويهتف .. وفجأة نرى الدبابة وهى تسحق تحت عجلاتها الضخمة هذا الأب .. بينما الطفل يتسلل من بين جنزير العجلات ليخرج سليماً .. وتتحرك الدبابة لنرى بقايا الأب عظاماً مهروسة .. وبركة دماء تتناثر بداخلها الأشلاء !!

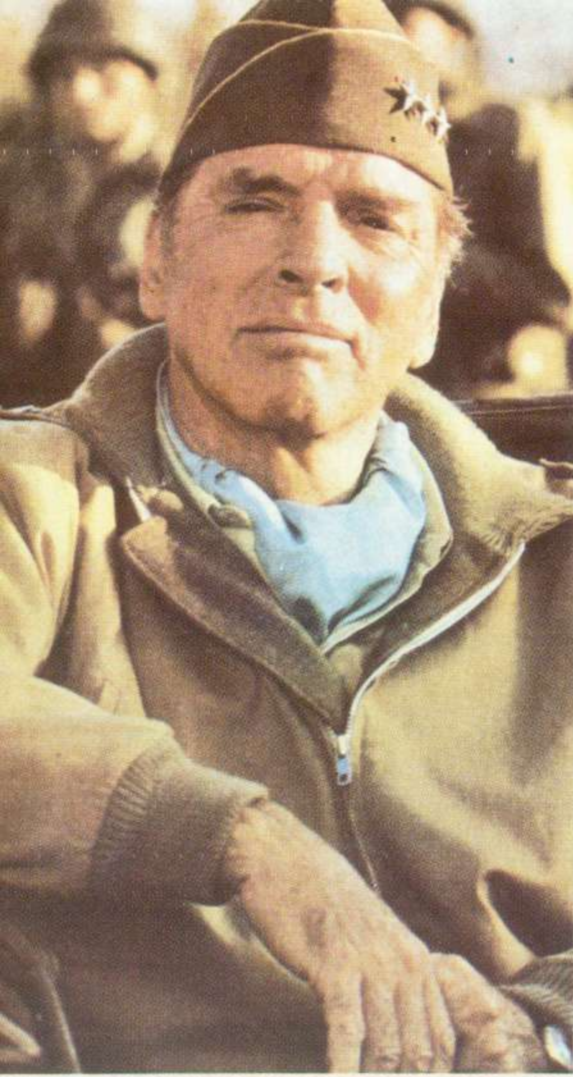
وتتمهل الكاميرا لتستعرض تفاصيل هذا الحادث المرعب .. وتتجمد كمتفرج على مقعدك من شدة الفزع والألم .. ولابد أن تسأل عن سر هذه السادية ؟ .. ولكنها « ليليان كافانى » ومتعتها الغريبة فى إحداث الصدمة عند المتفرج !!

● ابطال الفيلم

والشخصيات الرئيسية التى يتحرك من خلالها موضوع فيلم « الجلد » هى شخصية



جنود الحلفاء يملأون شوارع نابولى .. وأطفال المدينة يمسحون الاحذية !



« بيرت لانكستر » فى دور القائد الأمريكى

الضابط الايطالى « مالابارت » مؤلف الكتاب والذى يقدمه الفيلم من خلال الممثل الايطالى (مارشيللو ما ستروياني) وهو يقوم بدور الاتصال بين جيش التحرير الايطالى وقوات الحلفاء .. وقد ربطت الصداقة بينه وبين الجنرال الأمريكي ( يقوم بالدور بيرت لانكستر ) الذى يسعى ليكون النجم الأعظم بين الجنرالات على مسرح الحرب فى أوروبا . وكل هدفه أن يصل الى روما وأن يحررها قبل أن يصلها أى جنرال أخر .

وهناك أيضاً هذا الضابط الأمريكى الشاب ( يلعب الدور كينى مارشال ) الذى أسندت إليه مهمة التعاون مع الضابط الايطالى لأنقاذ الأسرى الألمان الذين احتجزهم أحد الايطاليين ويريد تسليمهم بالميزان ( !! ) .. ووجهة نظره أنه أطعم الأسرى وخدمهم .. ولهذا يريد أن يحصل على ثمن كل كيلوجرام من وزنهم .. « وإلا صنع من أجسادهم .. شوربة عظيمة » !!

ولعبت الممثلة الايطالية « كلوديا كاردينالى » دوراً قصيراً لاأهمية له ..

● ضجة حول مؤلف

وقصة الفيلم الأصلية التى كتبها الضابط الايطالى « مالابارت » فى كتابه « الجلد » أثارت ضجة عند صدورها منذ ثلاثين عاماً .. حتى قيل إن أهالى نابولى ، خرجوا ضده ، واطلقوا عليه لقب « الارهابى صانع فقاعات الصابون » ! وطالبوا بأعدامه ..

وقد اختلفت الآراء بعد ذلك فى تقييم هذا الضابط وما رواه عن نابولى .. ولكن المخرجة « ليليانا كافانى » بررت اختيارها لهذا الكتاب وتحويله إلى فيلم .. فقالت :

« أنا لا أعرف شيئاً عن مالابارت .. وأثناء صنع الفيلم لم أكن أريد أن أعرف عنه شيئاً .. يكفينى الكتاب .. وعندما قرأت الكتاب لأول مرة عام ٥٧ .. وكان ذلك فى رحلة قطار الى بلدتى كابرى .. التهمت الصفحات دفعة واحدة .. ولحظتها رأيت الفيلم .. فيلم من مجموعة لوحات .. وهذا ما أرجو أن أكون قد حققته .. لقد أردت أن أسجل لحظة خاصة فى تاريخ أمتنا .. لم أسأل نفسى ماذا كان قبل هذه اللحظة .. أو ماذا بعدها .. ؟! وقد تحدثت عن ( الجلد ) مع بعض المثقفين من أهالى نابولى ، والذين قرأوا الكتاب في وقتها .. الكتاب صدمة فعلا .. لأن نابولى تحت الاحتلال باعت الشىء الوحيد الذى تملكه للبيع ، من أجل أن تأكل .. وخصوصاً لو تذكرنا فى السنوات القليلة السابقة ، وفى أفضل الحالات ، كان أساتذة الجامعة والمثقفون والعلماء يبيعون أنفسهم للفاشية من أجل لقب أو وظيفة » !!

وتقول ايضاً المخرجة : « فيلم الجلد .. قريب جداً من فيلم « بواب الليل » .. انها الحقيقة كما أراها فى لحظات الخوف والوحشية » .

• • •

وهكذا تبرر هذه المخرجة الايطالية أفلامها .. ولكن هل وحشية الحياة تعنى بالضرورة أن يكون الفن متوحشاً ؟!

رءوف توفيـــق



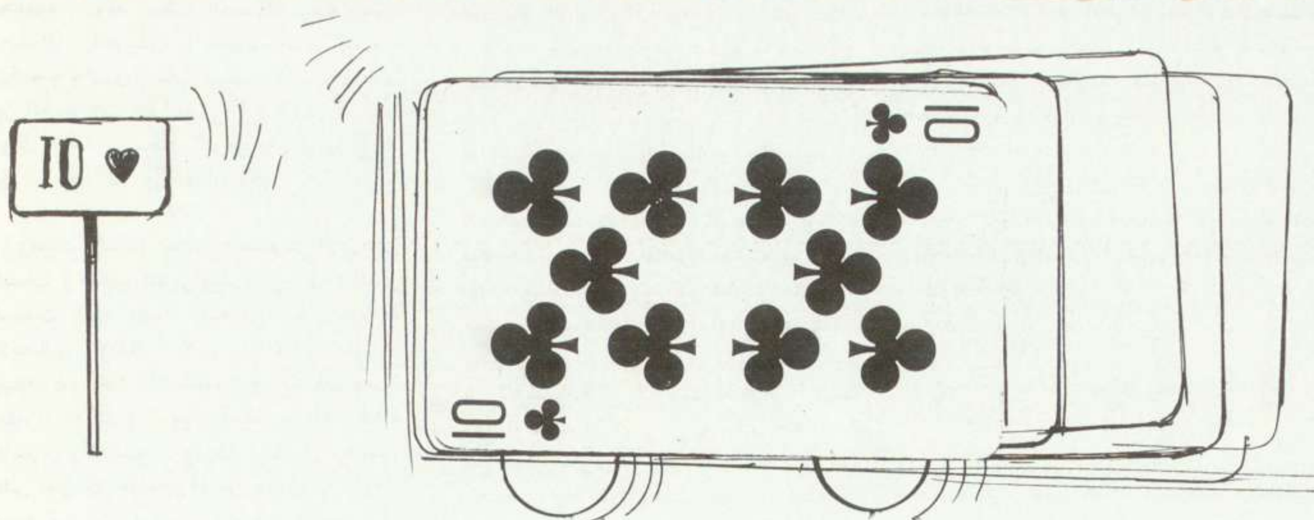
# ضحكات الشهر











بدون تعليق !


ـ تتعالى على ايه
... ما كلنا .. واحد !!


ـ نضرب الودع ..
ونشوف البخت .. زين نبين !! ..


ـ .. الحق بيلعبوا بينا .. من الصبح !! ..



# دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## مسابقة الدوحة

## حاول أن تعرف •••

( صورة ١ ) :



جمهورية إسلامية انشئت من الولاية الشرقية لباكستان .. تعد من أكثر مناطق العالم كثافة فى السكان .. تنتج ٨٠ فى المائة من صناعة الجوت فى العالم ، كما تنتج الأرز ..

ما اسم الجمهورية ، وما هى عاصمتها ؟ .

( صورة ٢ ) :

استعان « فاسكودى جاما » بهذا البحار العربى فى رحلته الشهيرة حول رأس الرجاء الصالح إلى الهند ، كما اسماه البرتغاليون « أمير البحر » وله مؤلفات فى علوم فنون البحار نثراً ونظماً توضح الارشادات الملاحية التى تنشرها الأمم الحديثة من أجل الاهتداء الى الموانىء ، ومعرفة صفات السواحل ، والمسافات ، والرياح .

من هو هذا البحار العربى ؟ .



## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٥



الصورة الأولى :

المدينة العربية هى البصرة ، وتوجد بالعراق .

اسماء الفائزين :

– تميم الأحمد – سوريا

– أحمد محمد قراقيش – الأردن

الصورة الثانية :

العالم العربى ابن خلدون ، ومؤلفه الشهير « مقدمة ابن خلدون »

اسماء الفائزين :

– ربحى ابراهيم الصبان
السعودية

– احمد شحاته احمد عيد
ج . م . ع

## ذكـي جـداً

سأل احدهم رجلا واقفاً بمحطة سكة حديد فقال له : ( أي قطار اركب ليوصلني إلى دمشق ؟ فقال الرجل : (اركب قطار ٣٥) .

وعند المساء عاد الرجل ليجد السائل مايزال فى مكانه ، فسأله مستغربا : ( هل عدلت عن السفر ؟ ) فأجاب قائلا : ( لا والله ، إننى مصمم على السفر ، ولكن إلى الآن لم يمر بهذه المحطة إلا ٣٤ قطاراً ، وإننى بانتظار الخامس والثلاثين الذى ذكرته ) .

**محمد حسن محمد حسن أبو نحلة**
**الأردن**

## دمـوع الكـلمات

أراد الحطيئة الشاعر المشهور ، السفر وهو غاضب على زوجته ، فركب جواده وقال يخاطبها :

عدى السنين لغيبتى وتصبرى
ودعى الشهور فانهن قصـار

فأجابته زوجته ودمعها ينحدر حزناً :

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا
وارحم بناتك انهن صغار !

فنزل عن جواده وعدل عن السفر .

**صالح ناطور**
**سوريا**

## من أمثال الشعوب

● **الاحمق من يرفع حجراً فقط ليرميه على قدميـه .**

**« مثل صيني »**

● **إن اللـه يمنح لكل طائر طعامـه ولكنه لا يلقيـه فى عشـه .**

**« مثل دانماركي »**

● **إن الذى يشتـري ما ليس فى حاجـة إليه يسرق نفسـه**

**« مثل سويدى »**

● **إذا خدعتني أول مرة فانت الملـوم ، وإذا خدعتني مرة ثانية فانا الملـوم .**

**« مثل أمريكي »**

**اسامة حسن علي السودان**

## لقطة الشهر



صراع الحيـاة

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارىء
خليفة عوض الهتمى ــ الدوحة ــ قطر .

## قـرأت ... حـول جـائـزة نـوبـل

الفريد نوبل .. عالم سويدى شهير اخترع الديناميت ، ولد عام ١٨٢٣ م وتوفى عام ١٨٩٦ م ، وقد ترك وصية تعطى فوائد أمواله التى تركها إلى كل من يقدم جديدا إلى البشرية ، وذلك كنوع من التكفير عن اختراعه الديناميت الذى استغل للدمار بدلا من خدمة اغراض العلم والخير .

ولذلك طلب نوبل فى وصيته أن تعطى خمس جوائز سنوياً للأبحاث الجديدة فى فروع الفيزياء ، والكيمياء والطب ، والفسيولوجيا ، والخامسة لأى انسان قام بعمل عالمى يدعو به إلى سلام البشرية .

وفى عام ١٩٠٠ اجتمعت من أجل ذلك لجنة سميت « لجنة نوبل » مكونة من حوالى عشرين شخصا من المختصين فى كل مجالات العلم والأدب ، وتقوم اللجنة باختيار المرشحين لتلك الجوائز .

واختيار الفائزين بهذه الجوائز إنما يعتمد على الترشيحات التى تقدمها هيئات متخصصة محايدة لا علاقة لها بمؤسسة نوبل .. وقد منحت أول جائزة عام ١٩٠١ ميلادية .

حماده حسن السيد
الاسكندرية

# دوحة القراء



## مَن؟

من : ـ عالم عربى عبقرى ، درس الشعر العربى واوزانه وبحوره ومن دراساته اعطانا علم العروض . اسمه من اثنى عشر حرفاً فى ثلاث كلمات :
٩ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ نصف اليوم
٣ ـ ١ ـ ٨ نقض الامانة
٧ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٠ بدون ذم

## أين؟

اين : ـ البلدة التى فتح الله فيها على العالم المذكور بنظريات علم العروض واصوله . اسمها من عشرة احرف فى كلمتين :
٤ ـ ٥ ـ ٢ ـ ٨ ـ ١ ـ ١٠ شجرة العنب
٦ ـ ٣ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٩ حفيظ على السر

## ما؟

ما : ـ أول السبائك الفلزية التى اكتشفها الانسان خلال مسيرته الحضارية عبر القرون منذ العصر الحجرى ، اسمها من ستة احرف :
٥ ـ ٦ ـ ٤ قليل
٣ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ صحابى جليل

## الإجابة الصحيحة

(١) الجزيرة القطرية الواقعة على الساحل الغربى لشبه جزيرة قطر ويمكن الوصول اليها مشياً على اليابسة عند جزر البحر وانخفاض الماء تسمى : حالول ـ الاسحاط ـ حوار ـ شراعوه .

(٢) توفى العالمان الكبيران ابو الحسن الكسائى ومحمد الشيبانى سنة ١٨٩ هـ فى مدينة الرى فقال خليفة المسلمين آنذاك : لقد دفنا العلم فى الرى : هذا الخليفة هو : معاوية بن ابى سفيان ـ عمر بن عبد العزيز ـ هرون الرشيد .

(٣) استقل الأئمة الزيديون باليمن عن الخلافة العثمانية فى سنة : ١٦٣٥ ـ ١٧٣٥ ـ ١٨٣٥ م .

(٤) « كان المجاهد موسى بن ابى الوزان الغرنطى آخر من قاتل بالاندلس سنة ١٤٩٢ م هل هذه العبارة صحيحة تاريخياً ؟ ؟

(٥) كانت وفاة الامام ابى حنيفة النعمان سنة ١٥٠ والامام مالك ابن انس سنة ١٧٩ والامام الشافعى سنة ٢٠٤ والامام احمد ابن حنبل سنة : ٢٤١ ـ ٢٦٢ ـ ٣٧٣ هجرية .

(٦) قاع المحيط تغطيه صخور : الجرانيت ـ البازلت ـ السربنتين

(٧) الجاسوس الخائن الذى كان دليلا لجيش أبرهة عام الفيل قبل ان يهلكهم الله فى وادى محسر بين عرفة ومكة المكرمة كان اسمه ابو رغال ـ ابن العلقمى ـ خنفس ـ خنفس باشا .

(٨) استبدل الخط العربى الكوفى بالخط النسخى فى القرن الخامس الهجرى على يد العالم الرياضى العبقرى : ابن مقلة ـ ابن خلدون ـ ابن سينا

(٩) يوجد معهد ومتحف الاسمشونيان الشهير فى مدينة : بكين ـ الدوحة ـ واشنطون ـ ستالينجراد ـ صنعاء

(١٠) تقع مدينة نابلس بالنسبة الى مدينة القدس الشريف فى جهة : الشرق ـ الجنوب ـ الشمال ـ الجنوب الغربى .

# ؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

## حل مسابقة العدد ٧٥

الاجابة الصحيحة

١ ـ ابو المسك .
٢ ـ خطا لأن اليربوع حيوان ثديى يلد لا يبيض .
٣ ـ إذا لم تخش عاقبه الليالى .
ولم تستح ، فاصنع ما تشاء .
بعض الرواة ينسبونه إلى بشار بن برد .
٤ ـ مكناس ـ السلوم ـ قنا ـ العريش ـ مكة المكرمة ـ مسقط .
٥ ـ سلوى .
٦ ـ فلوريد السليكون .
٧ ـ الجاحظ .
٨ ـ مارس ١٩٦٨ .
٩ ـ ٢٤٥١ كيلومتراً .
١٠ ـ الصوان .

من : الجبرتى
اين : مصر .
مـا : حجر رشيد .

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة .
الحل : ١ ـ زر البيريه ٢ ـ النظارة ٣ ـ الشنب ٤ ـ الأنف ٥ ـ الذقن ٦ ـ الأذن ٧ ـ مؤخر الراس (الشعر) الفائز : افنوع عبد الرحمن فاس ـ المغرب .

٢ ـ لوحة لم تتم .
الحل : الشاعر صلاح عبد الصبور .
الفائز : عزت طه أمين ـ الاسكندرية ـ ج . م . ع .

٣ ـ دورى الكاريكاتير .
الحل : اللاعب رقم « ١٠ »
الفائز : محمد رشدى عبد الغنى ـ الدوحة ـ قطر .

## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : أبو حس حامد أبو حس ام درمان ـ السودان .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : عادل بن محمد الطيب السمعلى ـ تونس الجمهورية التونسية .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : عقيل عبد الصبور- القصر الكبير ـ المملكة المغربية

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

| | |
|---|---|
| ١ ـ صباح سلمان | قطر |
| ٢ ـ انشراح يوسف عثمان | الأردن |
| ٣ ـ هشام محمد شاهين | العريش |
| ٤ ـ يوسف عبد الله حردان | البحرين |
| ٥ ـ عليه عبد الحميد عثمان | الكويت |
| ٦ ـ ربحى ابراهيم الصبان | السعودية |
| ٧ ـ راشد بو سنود | البحرين |
| ٨ ـ اسما عبد الحموى | لبنان |
| ٩ ـ حسن عبد الرحمن الجوبالى | تونس |
| ١٠ ـ احمد ابراهيم زكي | بورسعيد |
| ١١ ـ مروه عباس | الامارات العربية |
| ١٢ ـ ابراهيم محمد الوادية | قطر |

## استراحة الدوحة العدد ٧٥

٤ ـ يخلق من الشبه اربعين
الحل : الصورة رقم ( ٤ )
الفائز : نبيل صالح على ـ الاحمدى ـ الكويت .

٥ ـ لاقوياء الملاحظة .
الحل : ساعة يد ـ شاكوش (مطرقة) ـ طبق ـ زجاجه ـ تابلوه (لوحة) ـ سكين .

٦ ـ الفائز : عبد اللطيف عمر جان بك ـ دمشق ـ سوريا .

٧ ـ ارسم مع رؤوف .
الحل : تمثال ابو الهول
الفائز : عمر سليمان ـ بعلبك ـ لبنان

## أذكى طفل في العالم

بلغت درجات ذكاء طفل كوري ٢١٠ درجات وعمره خمس سنوات .

يتقن هذا الطفل « المعجزة » أربع لغات هي الكورية والانجليزية والايطالية واليابانية ، ويستطيع حل مسائل حسابية معقدة على شاشة التليفزيون .

يعمل والده ووالدته أستاذين بالجامعة .. ومن المصادفات العجيبة انهما ولدا فى يوم واحد وساعة واحدة .. حيث كانت الساعة الحادية عشرة قبل ظهر يوم ٢٣ مايو عام ١٩٣٤ أما الولد فاسمه « كيم إنك يونج » .

على جعفر على
البحرين

## لاخوف على الخزانة

شريكان فى دكان ، فرغا من البيع ذات يوم ، وذهبا الى السينما ، وفجأة تذكر أحدهما شيئاً فقال « يا خبر ! .. لقد نسيت أن أغلق خزانة النقود ، وأراد القيام ، فأمسك به الآخر وهو يقول :
« وما الذى تخشاه ، ونحن الأثنين هنا »

مصطفى الشويردى
المغرب

## إعلان زواج



ظهر فى إحدى الصحف الاعلان التالي :
مزارع فى الثلاثين من عمره يرغب فى الزواج من فتاة تملك جراراً زراعياً .
الرجاء إرفاق صورة الجرار عند الرد .

عبد الخالق عوض الكريم
السودان ـ الخرطوم

## رقم ٨ في التاريخ

« لعب رقم (٨) دوراً كبيراً فى حياة الخليفة العباسي المعتصم بالله » .. فهو الابن الثامن للخليفة هارون الرشيد . وهو أب لثمانية أولاد وثماني بنات ، حكم مدة « ٨ » سنوات و «٨» أشهر و «٨» ايام .

● ● انها من مصادفات الحياة النادرة ***

عماد سعدو بنات
الزرقاء ـ الأردن

## طاغور والخطايا الأربع



قال طاغور يصف الخطايا الأربع :

ـ لماذا انطفأ المصباح ؟ .. لقد احطته بردائى لأجعله فى مأمن من الريح ، لهذا انطفأ المصباح .. هذا هو التهور .

ـ لماذا ذبلت الوردة ؟ .. لقد ضممتها إلى صدرى فى لهفة وقلق لهذا ذبلت الوردة .. هذا هو خداع الحب .

ـ لماذا جف النهر ؟ لقد أقمت حياله سداً ليخدمنى انا وحدى لهذا جف النهر .. هذه هى الانانية .

ـ لماذا انكسر وتر العود ؟ لاني اردت ارغامه على تأدية نبرة عالية ..
لهذا انكسر وتر العود .. هذه هى الكبرياء .

يسرى عبد المجيد طمان
الاسكندرية

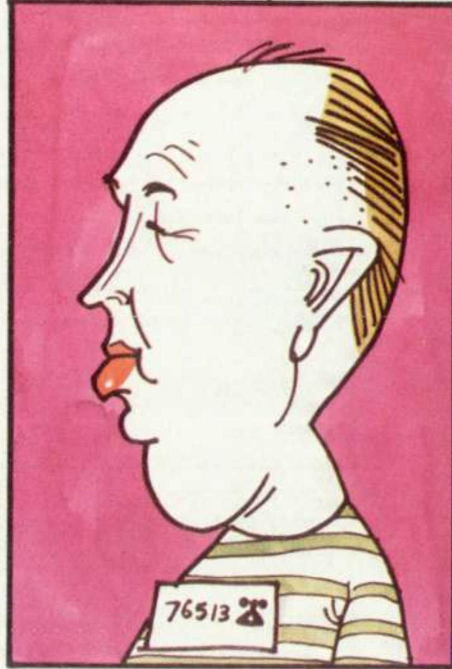
# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

روؤف

## أصل وصورة




هناك سبع اختلافات بين أصل وصورة المخرج العالمى الراحل الفريد هتشكوك .. الذى اشتهر بأفلام الرعب .. هل تستطيع التعرف عليها .. ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## لعبة الظلال




هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال ؟ .. حاول وارسل الينا والجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## هات أجمل تعليق :



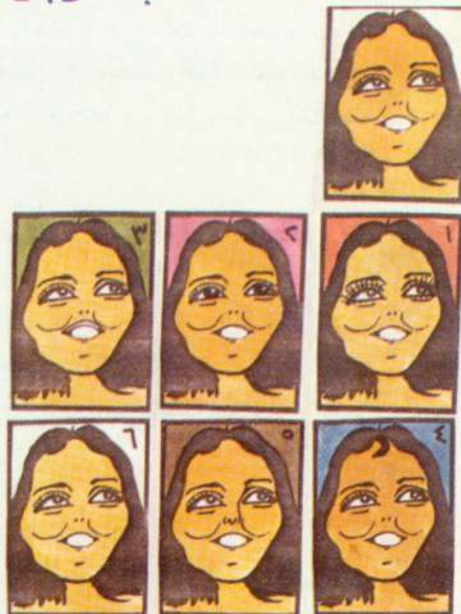
● هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ؟ .. حاول وارسله الينا لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## لأقوياء الملاحظة فقط



● امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ اذا عرفت ارسل الحل الينا ولك جائزة .. ( ٦٠ ريالا ) .

## يخلق من الشبه أربعين




● الصور الست المنشورة تحت صورة الفنانة عفاف راضي لست فتيات يشبهنها .. لكن واحدة فقط منهن تشبهها تماماً .. وفي البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على شبيهتها ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## لوحة لم تتم



هذه اللوحة لموسيقار عالمي كبير ، حاول اكمالها لتحصل على جائزة اذا عرفت صاحبها والجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

# أنا والليل

شعر: جليلة رضا

أيها الليل الذى رافق فى الكون حياتى
أنت قد علمْتنى الإيغالَ فى أعْمَاق ذاتى
كمْ وكمْ وسَّدتُ رأسى صدرَكَ الثرَّ الحنانْ
واحتكمْنا فى تجافينا إلى طيْفِ الزمانْ
ثم سِرْنا فى وفاقٍ .. فوق درْبِ الذكرياتِ

● ●

لم تكن ياليلُ روحاً .. كنتَ أرواحاً عديده
كنت تحوى الدفءَ فى صدرك حينا .. والبروده
ربما بالأمس أقبلْتَ حزيناً وغَضُوباً
ربما غادرتَ طيفى مسرعَ الخطو طروباً
أو تناءيتَ بطيئاً .. كالسلحفاةِ العتيده ..

● ●

غير أنى كنتُ فى حِضْنك أقسو وأثورْ
أمرُ الساعاتِ أن ترتدَّ حيناً .. أو تسيرْ
كان بى بعض الخلايا اللاهثاتِ المستفيقه
ترفضُ الواقعَ .. تأبى أن ترى فيكَ الحقيقه
كان بى غابةُ أرز .. كان بى شلالُ .. نور !

● ●

لم تعدْ ياليل تحتجُّ كما كنَّا زمانا
قد ألفناك ظلاماً وارتضيناك هَوَانا
نحن قد مُتْنا مِراراً حينما عشنا طويلا
وعرفنا كيف لا نطلبُ أمراً مستحيلا
كلما ازددنا سنيناً .. قل مقدار مُنانا

● ●

إننى أغفرُ ياليلُ دُجَاكَ المنتظرْ
أغفرُ الوحْشَةَ والخوفَ وصمْتى والسَّهرْ
طالما تَمْنَحُ قلبى عالَماً حراً شفيفاً
طالما ترسل بالأفكارِ للعقلِ ضيوفاً
طالما لى فيك خِلٌ .. مخلصٌ يُدْعى .. القمرْ

● ●

هاتها كفك تمحو هذه الحُمَّى السقيمه
لم تزل محرابَ آمالى وأسرارى القديمة
أنت منى ، أيها الأرمَلُ فى ثوبِ الحدادِ
فاطرُد الأشباحَ عنىّ .. وتوغل فى فؤادِى
وتذكر أننا ياليلُ .. أبناءُ عُمُومَه ..




حلمي
التوني..
٨٢
الربيع
والحياة
للفنان: حلمي التوني

العدد ٧٨ ـ شعبان ١٤٠٢ هـ ـ يونيه ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## قابيل.. أين أخوك؟
خالد محمد خالد

## تفسير التاريخ الثقافي للخليج وشرق الجزيرة العربية
الدكتور محمد جابر الأنصاري

## كهف الأخيار
قصة جديدة بقلم الدكتور شكري محمد عياد



تراث الهند.. يغزو لندن!



## جوائز السينما من يستحقها وكيف؟



العشق المشترك للفنان الفلسطيني

# الدوحة

## مجلة شهرية ثقافية جامعة
## تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٨ - شعبان ١٤٠٢هـ - يونية ١٩٨٢م


### المراسلات:

التحرير والادارة:
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي:
المجلة - الدوحة
تليكس:
4521 MAGDO DH

تليفونات:
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير: ٢١١٢١
التحرير: ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري: ٣٢٧٥٣٨

جميع المراسلات:
ترسل باسم رئيس التحرير

### الاشتراكات:

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

### الإعلانات:

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

### الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم:
ما يعادل دولارين امريكيين

## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان:
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر:
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب:
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دينان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق:
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس:
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية:
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة:
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت:
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان:
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر:
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا:
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس: ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى: ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن:
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين:
دار الغد:
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان:
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر:
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية:
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص ب ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية:
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الأمارات العربية المتحدة:
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر


طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# في هذا العدد

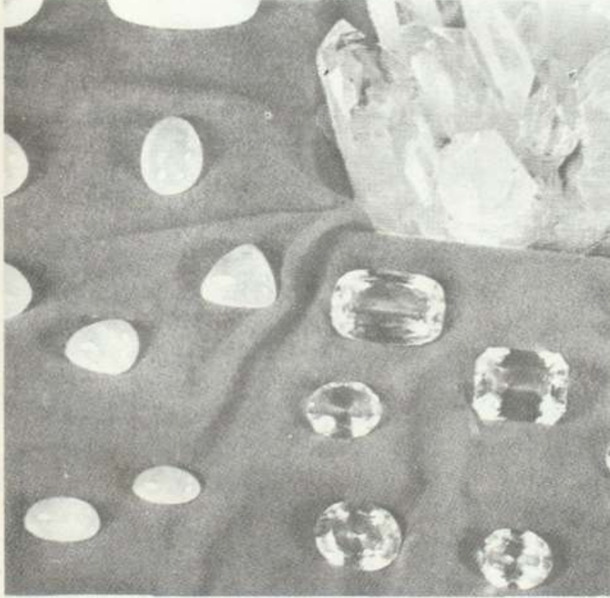

ابراهيم العريض


د . محمد جابر الأنصاري


عبد الله جفري


سعد مكاوى

الزمرد والياقوت واللؤلؤ والزبرجد وخامات الحديد وبقايا الأسماك المتحجرة منذ ملايين السنين . كل ذلك وغيره كان فى اول معرض من نوعه فى الوطن العربى ، يقام فى متحف قطر الوطنى ( ص ٨٤ )




● رسائل الى المحرر ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٦

● لماذا نقتل الشعراء . ؟ ! ... ... ... ... ... ... ... ...
رجاء النقاش ٨

● نحو « نظرية » فى تفسير التاريخ الثقافى للخليج وشرق الجزيرة العربية ... د . محمد جابر الأنصارى ١٤

● ورشة القصـــة فى نيودلهى ... ... ... ... ... ... ...
د . يوسف ادريس ١٨

● الحمى « قصـــيدة » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . غازي عبد الرحمن القصيبي ٢١

● قابيل .. اين اخـــوك ؟ ... ... ... ... ... ... ... ...
خالد محمـد خالد ٢٣

● المسافة بين الخيـــال والحقيقة ... ... ... ... ... ...
عبد الله الجفري ٢٥

● انور المعداوي ومحنـــة العصر ... ... ... ... ... ...
محمود السعدنى ٢٨

● جيئولا كوهين .. النائبة الارهابية التى تنادى بابادة الجنس العربي ! ... ... ... ... عصـام شريح ٣٠

● فصول ابى البهاء فى التحدي والرهان ... ... ...
د . عبد السلام العجيلي ٣٤

● الساعة التى تسبق الفجر « قصة » ... ... ... ...
سعد مكاوى ٣٦

● من تراثنا المعاصر : قصائد مجهولة ... ... ... ... ٣٩

● أليكس هيلي : الفنان الذى كسب الملايين واحدث هزة فى العالم بعد رواية واحدة ! ... ... ... ...
فوزى تادرس ٤٠

● الدراما التليفزيونية والالتزام الفني ... ... ... ...
مرزوق بشير ٤٤

● لبنـــان « شعر » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
ابراهيم العريض ٤٥

● قراءة القران ولهجة أولاد البلد ... ... ... ... ...
كمال النجمي ٤٦

● دائرة المعارف القرانية : الغارمون ... ... ... ...
د . محمد البهى ٥٠

● كتاب الشهر : ازمة الحضارة المعاصرة فى حوار العبـــاقرة ... ... ... عرض وتحليل : فؤاد كامل ٥١

● الاديب السعودي عبد الله بن ادريس : انا مـــع الحداثة فى الشعر ولكن ضد الهلوسة المحمومة !
خليل ابراهيم الفزيع ٥٦

● الطاهر وطار : صوت جديد فى الادب العربى الجزائرى
د . حسن فتح الباب ٦٠

● ثلاث قصص قصيرة ... ... ... ... ... ... ... ...
محمد البساطي ٦٤

● الفنـــان الفرنسي مانيـــه ... ... ... ... ... ...
جمـــال قطب ٦٦

● تراث الهنـــد يغزو لنـــدن ... ... ... ... ... ...
مجدى نصيف ٦٨

● العشق المشترك للفنان الفلسطيني ... ... ... ...
حسن الملا ٧٤

● وما الحياة الا أكل ومأكول ... ... ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ٧٨

● اسماك وقواقع ومحارات عاشت منذ ملايين السنين
درويش مصطفى الفار ٨٤

● كهف الأخيار « قصـــة » ... ... ... ... ... ...
د . شكرى محمد عيـــاد ٩٠

من واقع حياة الخليج قبل النفط وصراع الانسان مع البحر ومواجهته للاخطار اثناء الغوص ، أقيم معرض الفنانة الكويتية موضى الحجى فى الدوحة ليعرف النشء ماضي الأجداد قبل ان يضيع.( ص ١٠٠ )




● سعد زغلول فى قفص الاتهام ... ... ... ... ...
فتحي رضوان —
● دعوة العاشق « شعر » ... ... ... ... ... ...
حسن طلب ٩٩
● اول فنانة تسجل تراث الخليج فى لوحات ... ... ...
نادية رزق ١٠٠
● النـــوم الصحي ... ... ... ... ... ... ... ...
د. عز الدين فراج ١٠٢
● هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربى الاسلامى ؟
نادر اصفهاني ١٠٤
● سيناء .. أرض الانبياء التى عبرتهـــا جيــوش صلاح الدين والظاهر بيبرس ... ... .. كمال سعد ١٠٨
● لقطات من الـــكون المثير ... ... ... ... ... ... ١١٢
● العلم هو المستقبل ... ... ... ... ... ... ... ...
تقديم : لبنى الريدي ١١٤
● جوائز السينما من يستحقها .. وكيف ؟ ... ... ...
رءوف توفيق ١١٦
● ضـــحكات الشـــهر ... ... ... صلاح الليثى ١٢٢
● دوحة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٢٤
● استراحة الدوحة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٢٨
● قصة الكرة مع الناس .. على مر الزمان ... ...
عادل شريف ١٣٠
● قنديل قافلة الليل « شعر » .
د . انس داود ١٣٤
● دوحـــة الماضى ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٣٥
● الورقة الأخيرة : كتبى اولادي ... ... حسنى شحاته ١٣٨



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

## دعوة لإنشاء جامعة عالمية

وصلتنا رسالة من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالأردن هـــذا نصها :

« يسر مجلس المنظمـــــات والجمعيات الاسلامية بالأردن أن يهدى اليكم تحياته وصادق مودته وجزيل احترامه ، ويلتمس ان يحظى موضوع هذه الرسالة بالاهتمام وان يكون لكم النصيب الأوفى فى تحقيق المشـــروع ، سائلين العلي القدير أن يمتعكم بالصحة والسلامة ، وان يجعل لكم من أمركم يسراً .

تعلمون أن الأمة الاسلامية امة متميزة ذات حضارة فريدة ، لا شرقية ولا غربية وتمتـــاز بخصائص وسمات غير موجودة فى الحضارات القديمة ، ومن مستلزمات هذه الامة التى جعلها الله خير امة اخرجت للناس ان تحافظ على عقائدها وقيمها سليمة صافية ومشعة بالنور فى جنبات الأرض وأن لا تســمح بان تغشاها ظلمات الجاهلية الحديثة . ومن هنا يجىء الحرص على استقامة أجيال الأمة الاسلامية وسلامتها من التلوث لانهم قادة المستقبل والموجهون لسياســـــتها ، والمتصرفون بشؤونها لنضــمن مستقبلا آمنا وضيئا للأمة ، وسليما مما نشاهده من تصارع وانقسامات على أرض الوطن نتيجة للاختلاف والتباين فى الثقافات التى جاء بها الشـباب من البلدان الأجنبية التى تلقوا تعليمهم العالى فيها .

من هذا المنطلق جاءت دعوة مجلس المنظمات والجمعيـــات الاسلامية بالاردن الى تاسيس جامعة كبرى باسم ( جامعــــة القرن الخامس عشر ) ونقصد بها جامعة علمية شاملة ومتكاملة تضم جميع الكليات لجميـــع العلوم والمعارف التى تدرس فى الجامعات العلمية العريقة فى العالم وتتسع لمئتي الف دارس ، ومن الطبيعى ان تنطلق هـــذه الجامعة وتبنى على أسس العقيدة الاسلامية التى تعنى بصلاح الفرد والجماعة ، وتهدف إلى المعادلة بين الأشـــــواق الروحية والحاجات المادية .

إن مئات الآلآف من الطلبـــة العرب والمسلمين يتلقون علومهم العالية فى الجامعات الأجنبية وينفقون الاف المــــلايين من العملات القوية التى تحتاجهــا بلدانهم للاصلاح والتنميـــة الداخلية ، ويعود معظمهم وقد تأثر الى أبعد مدى بالعـــادات والتقاليد والمفاسد الاجتماعيـة فى المجتمعات التى درسوا فيها كما انهم يتعرضون باستمرار الى عمليات غسل دماغ تنسيهم انفسهم وأهليهم ويعود كثير منهم وفى نفسه عزم على قلب المفـــاهيم والقيم فى بلدانهم وتحـــويل المجتمع الوطنى الى مثل تلك المجتمعات التى درسوا فيها .

أين تنشأ الجامعة ؟ .

فى حالة الموافقة المبدئية على إنشاء جامعة القرن الخامس عشر لا يصعب اختيار المكان المناسب ونقترح أن تقـــام على أراضي الدولة التى تقـــدم تسهيلات أكثر وتساهم بنسبة اكبر فى نفقات تمويل المشروع .

واذا قيل من أين يتهيـــأ للجامعة الكبرى جهاز تعليمى كفؤ ومقتدر فالجواب هو ان هذه المشكلة تكاد أن تكون أيسر المشكلات التى تواجه المشروع ، ذلك أنه يوجد فى الولايـــات المتحدة ودول أوروبا وغيرها عشرات الآلآف من الكفاءات العلمية المتفوقة فى جميع فروع المعرفة والعلوم ، وهم يتحرقون شوقاً إلى الخدمة فى الـــوطن الاسلامى ووضع أنفسهم فى خدمة أمتهم .

وقد تثار مشكلة تمـــويل الجامعة بحيث يظن انها ستبقى عبئاً دائماً على موازنات الدول التى انفقت على إنشائها ، ولكن عند البحث والدراسة يتبين أن الدول ستبقى ملتزمة بعد الانشاء بنفقاتها لمدة لا تزيد على ثلاث سنوات ، ثم تصبح الجامعة بعدها قادرة على الاكتفاء الذاتى بما يحصل عليه من رسوم تعليم من الطلاب المنتسبين ، بل إنها ستفيض عن حاجتها فالجامعة المنشودة لو نظرنا إليها من وجهة نظـــر اقتصادية محض ، مشروع رابح بلا ريب بالاضافة الى الفوائد الأخرى ومنها الاحتفاظ بالعملات القوية داخل الوطن وتحاشى أخطار الثقافات والمفاســـد الأجنبية التى مزقت الأمة تمزيقاً وجعلتها شيعاً متناحرة .

هذا وإن مشروع الجامعـــة لا يحل مشكلة الدراســـة فى الخارج بل هو حل جزئى وفى حالة نجاحه يمكن ان تقـــام جامعات مماثلة بعون الله . وما دام أن الله قد انعم وتفضل وزادنا بسطة فى المال فاننا نتمنى ان يكون لكم فضل السعى لتاسيس هذه الجامعة والعمل على انشائها بالتعاون مع أصحاب الجلالة والسيادة ملوك ورؤساء الدول العربيـــــة والاسلامية .

وفقكم الله وسدد خطاكم وزادكم نعمة وفضلا .

والسلام عليكم ورحمـــة الله وبركاتــه ..

مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالاردن

● « ومجلة «الدوحة» إذ تنشر الرسالة بنصها إنما لتضع هذا المشروع الاسلامى القومى الكبير بين أيدى أهل العلم والفكر ، لعل هذا النداء يلقى استجابة وتلك الدعوة تلقى قبولا . ولعلنا نسمع ونرى عن قريب بداية لابراز هذا الأمل الى عالم الحقيقة والتنفيذ » .

## ثلاثة اقتراحات

● بعث إلينا محمد عبد الله محمد طه من الدويم بالسودان بالاقتراحين التاليين :

أولا : إصدار المجلة نصف شهرية .

ثانيا : إضافة بابين احدهما للكلمـــات المتقاطعة والآخـــر للتعارف .

والمجلة إذ تشكر القـــارىء الفاضل على كلماته الرقيقـــة واعجابه بالمجلة .. نود أن نوضح التالى :

● فيما يختص باصدار المجلة نصف شهرية فان من المعروف ان الصحف والمجلات تصدر إما يومياً أو اسبوعياً أو شهرياً أما نصف شهرية فهذا نادر الحدوث ثم إن من المناسب لمجلة ثقافية أدبية مثل « الدوحة » أن تصدر شهرية لتعطى الفرصة لقرائهـــــا أن يســـتوعبوا ما بين دفتيهـــا وليناقشوا ما فيها من قضـــايا وآراء .

أما بخصـــوص الكلمـــات المتقاطعة والتعارف فان الدوحة – مع تقديرها لرأى القارىء الكريم – ترى أن مجالهما فى الصحف اليومية أو المجلات الاسبوعية .

## زكريا أحمد
## عملاق الموسيقى



● صادف يوم الرابع عشر من شباط - فبراير - الماضى الذكرى الحادية والعشرين لرحيل عملاق من عمالقة الموسيقى العربية وشيخ الملحنين « زكريا احمد » .

● ولد زكريا أحمد عام ١٨٩٦ م فى بيئة دينية ، وقد احب الغناء والطرب منذ نعومة اظفاره ولكن والده رفض أن يحترف ابنه « مهنة الطرب » ، إلا أن زكريا احمد اخذ يغنى الحان محمد عثمان وعبده الحامولى .

● بدأ زكريا احمد أول ألحانه عام ١٩١٧ بتلحين مقطوعات خفيفة كانت تسمى « الطقاطيق » .

● وقد لحن زكريا لعدد كبير من المطربين والمطربات فى عصره أمثال صالح عبد الحى ، ومنيرة المهدية ، وفتحية احمد ، وأسمهان ، وليلى مراد ، وأم كلثوم .

● اهتم زكريا احمد بتلحين الموشحات والأدوار وله حوالى ٣٠ موشحاً وعدد كبير من الادوار .

● كذلك لحن زكريا حوالى ٥٦ رواية تضمنت ٥٨٠ لحنا ومنها روايات : دولة الحظ - الغول - الكرنفال - بدر البدور .. وغيرها .

وقد لحن عدداً كبيراً من اغانى الافلام بداها بفيلم « انشودة الفؤاد » عام ١٩٣٢ وآخرها « حكم قراقوش » عام ١٩٥٢ م .

● مع السيدة ام كلثوم :

تعرف الشيخ زكريا احمد على ام كلثوم عام ١٩١٩ إذ كان فى زيارة لقريتها « طماى الزهايرة » وكان برفقته المطرب الشيخ أبو العلا محمد وقد سمعها حينئذ وأعجب بصوتها ، ويقال إن أول لحن وضعه لها كان « هو ده يخلص من الله » عام ١٩٢٤ ، ويقال أيضاً إنه لحن اغنية « اللى حبك يا هناه » عام ١٩٣١ . وقد تتابعت ألحانه الرائعة للسيدة أم كلثوم . وفى عام ١٩٣٨ عاد بيرم التونسى من منفاه الى مصر وبدأ يكتب الأغانى ليلحنها زكريا احمد وتغنيها أم كلثوم ومنها « الأمل - الورد جميل - الآهات - أنا بانتظارك - الفوازير - حبيبى يسعد أوقاته ... الخ »

ثم توقف زكريا عن التلحين لأم كلثوم حتى عام ١٩٦٠ حيث لحن لها من كلمات الشاعر الشعبى محمود بيرم التونسى اغنية « هو صحيح الهوى غلاب » وكان هذا اللحن الرائع آخر ألحان فقيد الفن والموسيقى بيرم التونسى والتى بلغت ١٠٧٥ لحناً .

● وقد توفى زكريا أحمد فى ١٤ فبراير ( شباط ) ١٩٦١ م .

ملحوظة : المراجع : كتب ألفت عن زكريا احمد ومنها كتاب زكريا احمد « للأستاذ صبرى أبو المجد » .

ابراهيم خليل صرصور
حلب - سوريا

## رسالة حب
## مع التحية

أنا من المعجبين بمجلة « الدوحة » ذات المواد الثقافية والاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية الرفيعة المستوى ، وأحمد الله أن يكون فى وطننا العربى الكبير أدباء ومفكرون وعلماء على هذا القدر من التقدم لنرتوى من منهلهم ، ونقتبس من علمهم وفكرهم .

ومن خلال تتبعى لما تنشره المجلة ، عرفت الكثير عن دولة قطر التى أخذت طريقها فى التطور العلمى والنهضة القومية وأعجبت أيما إعجاب بما حققته فى سنوات قليلة ، من طفرة إنمائية فى كل المجالات .

فتحية حب إلى كل من ساهم ويساهم فى بناء هذه النهضة ، وإقامة هذا الصرح الحضارى الكبير .

صلاح خيرى
الخرطوم

## نزار قباني
## قمّة شعرية
## لماذا؟



فى عدد مارس ١٩٨٢كتب الأستاذ الدكتور علي حسن تقى مقالا تحت عنوان « نزار قبانى قمة شعرية » ، ولست هنا بصدد التحدث عن مكانة الشاعر ، ولكنى أود القول إن إعجاب كاتب المقال بالشاعر جاء على حساب المستوى الفنى للمقال . فلم يكن دراسة لشاعر أو تقييما لانتاجه أو اتجاهه بقدر ما كان سلسلة من عبارات المديح والتقريظ .

فالكاتب قد ذكر أن نزار ظاهرة غير عادية فى شعرنا المعاصر وأنه شاعر عالمى بمعنى الكلمة ، ثم عقد الكاتب مقارنة بينه وبين الشاعر الفرنسى «لوى أراجون» .

ولكن ما هى الركائز التى استند إليها الكاتب فى إصداره لتلك الأحكام ولم يخبرنا عن أسباب عالمية الشاعر أو كونه ظاهرة غير عادية . كما أنه عند مقارنته بالشاعر الفرنسى لم يقارن بين مقدرتيهما الشعرية .

أما قول الكاتب انه يجب ألا ننسى الشعراء الأقل شأناً الذين سبقوا « نزار » أو عاصروه فهذا يعنى أن « نزار » هو أعظم شاعر ظهر فى عصره . وما أظن أن ساحة الشعر قد أغلقت ، فالأمة العربية قد أنجبت الكثير من الشعراء .

محمد ابراهيم عقره
كلية الآداب - جامعة طنطا

## ردود سريعة

● خروبى عبد العزيز
ورفلة - الجزائر
حولنا رسالتك الى المختصين لتزويدك ببعض النشرات والكتيبات وستجد بعضاً منها فى سفارتنا بالجزائر .

● عز الدين أحمد
الصقالة - السودان
كثيراً ما تقدم المجلة عرضاً وتلخيصاً لكتب عربية وأجنبية مختارة . أرجو أن ترجع إلى الأعداد السابقة وكذلك توالى قراءة المجلة لتجد بين صفحاتها ما تريد .

# لماذا نقتل الشعراء ؟!

## حديث صريح حول محنة "الموهبة" في الوطن العربي

بقلم : رجاء النقاش

هذا حديث أرجو أن أكون فيه صريحاً إلى أبعد حد ، فمثل هذا الحديث لا ينفع فيه أن نجامل أنفسنا ، ولا أن نخفى جراحنا تحت ثوب ناعم من الكلمات ، وقد تبدو المشكلة التى أثيرها فى هذا المقال محدودة وبعيدة عن همومنا السياسية والاقتصادية ، ولكننا لو نظرنا إليها بشىء من الدقة والعمق لوجدناها متصلة بأعمق مانعانيه ونواجهه من المشاكل الكبيرة الصعبة .

والمشكلة هى « الطريقة العربية » فى معاملة « أصحاب المواهب » ، وسأقتصر فى حديثى اليوم على أصحاب المواهب الشعرية ، ولكن ما ينطبق على الشعراء العرب ، ينطبق على أصحاب المواهب فى مختلف المجالات ، والحقيقة الواضحة فى تراثنا القديم وتراث غيرنا من الشعوب ، أن الحضارة لا تزدهر ، ولا تنمو فى اتجاه صحيح يرتفع بالفرد والمجتمع معاً ، إلا إذا كان هناك عناية واهتمام بأصحاب المواهب ، فالموهبة فى أى مجتمع هى ثروة كاملة مثل « البترول » و « الذهب » وسائر الثروات المادية المعروفة فى تاريخ الانسان ، بل ان الموهبة هى أثمن من كل هذه الثروات المادية ، إنها « ثروة الثروات » جميعاً ، وبدونها تصبح الأمم فقيرة ، حتى لو كانت غنية بكل الخيرات التى عرفها الانسان .



فى دنقل شاعر وفنان كبير يتعرض الآن لمحنة لا يقف فيها إلى جانبه سوى بعض الأقلام التى لا تملك له نفعاً ولا ضراً



حافظ ابراهيم ـ لم تمنعه وطنيته المعروفة عنه من اتهام المجتمع العربى بسوء التقدير للمواهب وسوء المعاملة لها



بو القاسم الشابى كتب شعراً مليئاً بالغضب بسبب إحساسه بأن الموهبة العربية ضائعة ومسحوقة



عبد الحميد الديب كان شاعراً نابغاً ولكنه عاش غارقاً فى البؤس حتى مات فاقيمت له أعظم الاحتفالات

وليأذن لى القارىء الكريم أن أستطرد حول هذا المعنى قليلا ، رغم أنه معنى بديهى ومعروف ، ومع ذلك فأنا أحس أن العرب قد أصبحوا ، من شدة ما اختلطت عليهم الأمور ، بحاجة ماسة إلى تأكيد بعض البديهيات الأساسية التى تتصل بالحضارة والانسان ، ومن هذه البديهيات : رعاية الموهبة والحرص عليها وعدم التفريط فيها أو تعريضها للضياع والدمار .

## شيكسبير والمستعمرات

وفى هذا المجال نذكر ما كان يقوله الزعيم الانجليزى تشرشل من « ان بريطانيا مستعدة للتنازل عن جميع مستعمراتها وليست مستعدة للتنازل عن أدب شيكسبير » ، وكان تشرشل بهذه العبارة يتكلم بروح « المنفعة » ، قبل أن ينطق بروح « المبادىء والمثل العليا » ، ذلك لأن بريطانيا من الناحية الواقعية قد عجزت عن الاحتفاظ بمستعمراتها ، أمام حركات الاستقلال والتحرر التى انتشرت فى أنحاء العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن بريطانيا لم تخسر نفوذها المادى فى العالم ، بسبب انتشار لغتها وثقافتها ، فاللغة الانجليزية الآن هى اللغة العالمية الأولى ، والذين يقفون وراء انتشار هذه اللغة ليسوا قادة الأسطول الانجليزى ولا قادة الطيران ولا التجار وأصحاب الأموال ، وإنما يقف وراء انتشار اللغة الانجليزية والثقافة الانجليزية أدباء فى مقدمتهم « شيكسبير » ومسرحياته التى يدرسها كل مثقف فى العالم ، وكل معهد وكل جامعة ، وحتى « الاتحاد السوفيتى » الذى « يعارض » بريطانيا ، ويعاديها سياسيا واقتصاديا ، يحرص على تقديم طبعات « شيكسبير » ـ الانجليزية ـ بأرخص الأسعار ، حتى ينشرها فى بلاده وخارج بلاده طلباً للسمعة الثقافية الحسنة ، كما يحرص على ترجمة هذه المسرحيات ، إلى اللغة الروسية ، وقد نال « باسترناك » الأديب الروسى المعروف ، شهرته ومكانته الكبيرة ، على أساس أنه مترجم « شيكسبير » إلى الروسية ، وذلك قبل أن يتقدم إلى العالم بروايته المعروفة « دكتور زيفاجو » ... وهى الرواية التى أغضبت الروس وأطربت الغربيين ، فمنحوه جائزة نوبل .

## أهل الفن فى المقدمة

وعندما جاء « نابليون » إلى مصر غازيا سنة ١٧٩٨ ، لم يجعل حملته مكونة من الأسلحة ، وجنود البحر والبر فقط ، بل صحب معه ـ فى المقدمة ـ مائة وستة وأربعين أديباً وعالماً وفناناً من أنبغ أبناء فرنسا وأكثرهم موهبة ، وكون من هؤلاء ما أسماه بعد ذلك باسم « المجمع العلمى المصرى »أو « مجمع العلوم والفنون » كما كان يسمى فى بعض المصادر ، وكان بين هؤلاء النوابغ الموسيقار « فيلوتو » ، وقد قام بدراسة الموسيقى الشرقية الحديثة والقديمة ، وقدم حولها أبحاثاً بالغة الأهمية والقيمة كما كان بين أعضاء مجمع العلوم والفنون رسامون من أمثال «ريجو» وهو الذى عهد إليه نابليون ـ كما يقول الرافعى ـ « باقامة أقواس النصر والأعمدة فى ميدان الأزبكية ، ورسم الرسوم الفنية

# لمـــاذا نقتـل الشـعـراء ؟!

على قواعدها ، وعهد إليه نابليون أيضاً برسم رجالات مصر فى ذلك العصر على اختلاف مراكزهم وأزيائهم » وكان بينهم رسام نابغ آخر هو « دوترتر » الذى قدم رسوماً بديعة للشخصيات وللآثار المصرية القديمة . وكان هناك عدد آخر من الأدباء البارزين الذين درسوا اللغة العربية والأدب العربى وثقافة الشرق .

وهكذا فان نابليون لم يهتم بالجانب العسكرى لحملته فقط ، بل وضع عينه وعقله وقلبه على جماعـــة من أكبر الموهوبين فى فرنسا ، واعتبرهم قوة له ولبلاده وللهدف الذى من أجله جاء إلى مصر .

وما أكثر النماذج التى يمكن أن نعود إليها فى صفحات التاريخ ، المعاصر والقديم ... العربى والأوروبى ، والتى تدلنا على مدى ما تحتله « الموهبة » من مكان فى التاريخ ، وفى تحقيق أهداف الشعوب ، سواء وافقنا على هذه الأهداف ، أو رفضناها مثلما نرفض أهداف الحملة الفرنسية على مصر ، دون أن ينفى ذلك اعترافنا بما فيها من تخطيط ذكى ، وتقدير أساسى لدور الموهبة ومكانتها والاهتمام بها ورعايتها الى أبعد الحدود ... وهذا ما جعل « نابليون » يحتل مكانته العظمى فى تاريخ العالم وما جعل « فرنسا » تنهض وتصبح فى مقدمة بلاد الحضارة والثقافة والفن والعمران .

## تجاهل عربى للمواهب

نعود بعد ذلك إلى جوهر موضوعنا الذى يدور حول الواقع العربى المعاصر . ففى هذا الواقع نوع واضح من « التجاهل » لدور « الموهبة » ، والتفريط فيها ، وعدم الاهتمام برسالتها فى بناء حياتنـــــا ، ومساهمتها فى إقامة أساس حضارى راسخ للمجتمع العربى ، ولا شك أن هذه الظاهرة تعتبر علة أساسية من العلل التى يعانى منها المجتمع العربى ، وهى إحدى الظواهر المؤلمـة التى تصنع ما نسميه باســم « التخلف » فى مجتمعنا الراهن .

إن المجتمع الذى يبدد ثروته من الموهبة مثل المجتمع الذى يبدد ثروته المادية فى الزراعة أو الصناعة أو ما يقدمه باطن الأرض من خيرات ، بل إن الذى يفرط فى ثروة المواهب أخطر بكثير من الذى يفرط فى الثروة المادية .

فأين يقف المجتمع العربى من هـــذه القضية ؟. إذا أردنا أن نكون صرحاء وصادقين ، وأن نبتعد عن ذلك المرض الذى يجعلنا نفقد الرؤية الصحيحة ، فان الحقيقة التى تواجهنا بعنف هى أننا نسىء استخدام المواهب التى تظهر فى وطننا ، بل ونسىء إليها فى نفس الوقت أشد الاساءة ، مما يؤدى فى نهاية الأمر إلى أن تكون هذه المواهب قوة عديمة النفع والتأثير ، فهى مواهب تذوى وتذبل مع الأيام ، مثل الزهور فى أرض قاحلة جرداء لا خصب فيها ولا ماء . ولن أعود إلى التاريخ القريب أو البعيد بل سأتحدث عن الواقع الراهن .

فها هى الصحف العربية تأتى إلينا بالأنباء المختلفة عن مرض الشاعر « أمل دنقل » ، والأنباء التى تأتينا لا تخفى أبداً خطورة المرض فهو نوع من أنواع « الأورام » الخطيرة التى تسرى فى خلايا الجسم فتهدد حياة الانسان . ومع هذه الأنباء ، يكتب يوسف ادريس صرخة فى جريدة الأهرام يقول فيها « لقد أقام أمل دنقل فى حجرة بمعهد الأورام تكاليفها ثلاثون جنيها فى اليوم الواحد ، وقد تجمع عليه الآن مالا يقل عن الثلاثة آلاف جنيه » ويوجه يوسف إدريس نداء إلى رئيس وزراء مصر للمساهمة فى علاج الشاعر وإنقاذه من محنته الصحية ومحنتـــه المادية .

والحقيقة الواضحة والمؤلمة من خـــلال هذا كله هي أن « أمل دنقل » فى خطر . وأن حياته كلها مهددة بالضياع ، وأن قدرته المادية الخاصة ، لا يمكن أن تفى أبداً بمطالب العلاج الذى يحتاج إليه .. ان أمل دنقل فى بساطة ، هو موهبة حقيقية تتعرض لموقف تصطدم فيـــه بأمراض مجتمعنا العربى أشد الاصطدام .

## دنقل والسياب

و « أمل دنقل » يتعرض لمحنــة لا تقل عن محنة الشاعر الكبير بدر شاكر السياب هذا الشاعر الذى ظل سنوات طويلة – فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات – فريسة لمرض لا يساعده أحد على علاجه ، ولم يلتفت أحد إلى مأساته إلا فى اللحظات الأخيرة ، حيث لم يكن هناك جدوى من أى علاج أو رعاية ، صحيح ، أن السياب وجد بعد رحيله ، اهتماماً واسعاً بتراثه الأدبى وبأسرته ، فهل ننتظر أن يحدث لأمل دنقل ما حدث للسياب حتى نهتم به ، ونرعى تراثه الأدبى ، ونعطيه الجوائز ، ونتجـه بعنايتنا إلى ما بقى من أسرته وأهله ؟!

إننا ندعو لأمل دنقل بالشفاء ، ونقول صادقين مع يوسف إدريس « بالله يا أمل لا تمت فكلنا فداؤك » ، ونعود لنفتح أبواب الذاكرة فى المجتمع العربى فنقول :

« أمل دنقل » هو واحد من أعظم الشعراء العرب المعاصرين ، وانتاجه الشعرى يمثل ضوءاً باهراً يمتد إلى عيوننا وقلوبنا من خلال الظلام المعتم الذى تعيش فيه حركة الشعر العربى فى هذه المرحلة فقد سقط الشعر العربى المعاصر تحت سيطرة الغموض والتعقيد والسخف ، ولم يبق من فرسانه الحقيقيين إلا عدد قليل ، يقف فى مقدمتهم أمل دنقل ، ولن نجد – على سبيل المثال – فى صفحة الشعر العربى المعاصر حول « نكسة ١٩٦٧ » المؤلمة ، أصدق مما كتبه أمل دنقل ، فى التعبير عن هـــذه الهزيمة القاسية ، وفى كشف خفاياها ، والتنبيه إلى منابع الداء العربى ، بفهم وأمانة وإحساس عميق،كل ذلك فى هندسة فنية سليمة مبدعة ، خالية من الصراخ والعويل ، وبعيدة عن الصياغة الصحفية المباشرة والتى وقع فيها كثير من الشعراء العرب حين عبروا عن هذه المأساة تعبيراً يمس الهامش ولا ينطلق من أعماقها الحقيقية الصحيحة .

و « أمل دنقل » شاعر جارح بكل معنى الكلمة ، فكلماته « تمزق » الجسد العربى

كأنها السكين أو الخنجر ، ذلك أنه لا يخفى – فى قصائده – حقائق المأساة ، ولا يدور حولها ، ولا يوشيها بألوان حريرية زاهية ، تستر ما فيها من آلام وأحزان ، و « أمل » هو واحد من الشعراء القلائل الذين رأوا المأساة العربية رؤية صحيحة ، واجتمع فى دواوينه الخمسة التى تحت يدى « ولا أدرى فى فوضى حركة النشر العربية إن كانت له دواوين أخرى أو أن هذه الدواوين الخمسة هى كل ما طبع له ».

أقول إن دواوين أمل دنقل الخمسة قد اجتمع فيها بصدق وعمق وفن رفيع ما يرسم أمام العربى صورة واضحة لكل ما يعانيه من آلام ولكل ما يعوق حركة حياته من مصاعب ، ولكل ما يواجه مستقبله من تعاسات ، إن شعر أمل دنقل وثيقة كاملة ، لا تخفى شيئاً ، ولا تكذب علينا ولا تجاملنا ، ولا تحسب حساباً لما قد نخجل منه أو نحاول إخفاءه ، ولذلك فهناك ظاهرة غريبة حول شعر أمل دنقل ، هذه الظاهرة هى أن الشاعر نفسه مشهور ومعروف عند كل قراء الشعر فى الوطن العربى ، أما شعره فهو أشبه بالكتابات السرية ، يقرأها الناس فى لحظات خاصة ، ولا ترددها الاذاعات أو الصحف أو أى جهاز من أجهزة الاعلام ، لأن الشاعر فى قصائده يصفع ، ويصدم ويواجه ويغرس كلماته فى أعمق الجراح ، دون أن يتحرج أو يحاول المداراة والاخفاء ، وبقدر ما نجد فى شعر « أمل دنقل » من الصور الفنية العميقة ، والهندسة الشعرية الناضجة فى بناء قصائده ، والسيطرة الدقيقة على كلماته وموسيقاه الشعرية ... بقدر ما نجد هذه الخصائص الفنية الرفيعة فى شعره ، فان شعره من ناحية أخرى لا يتسم أبداً بالغموض ، ولا يخفى رؤية الشاعر الموضوعية ، للمأساة العربية كما يتصورها وللمحنة التى يعيشها الانسان فى مجتمعنا كما يدركها هذا الشاعر الفذ ببصيرته النفاذة وعينه الفنية الجريئة ، ومن هنا جاء شعر أمل دنقل فى مجموعه تصويراً كاملا للداء الذى نعانيه نحن العرب ، وتصويراً أكمل وأجرا لما ينبغى علينا أن نفعل للنجاة بالمجتمع والانسان والحضارة فى الوطن العربى ، ولا يمكن لأحد أن يخرج من قراءته لقصائد أمل دنقل إلا بالاحساس الواضح بأن الشاعر «غاضب» غضباً روحياً عاصفاً ، ولكن غضبه ، ليس أعمى ، بل هو غضب مبصر شديد الوعى عميق الرؤية والادراك .

## وحيد فى محنته

فكيف نترك هذا الشاعر يتعرض لمحنته وحيداً ؟! .. كيف نترك هذه الموهبة النادرة تغرق فى الألم دون أن نعمل على انقاذها لا من أجل أمل دنقل ، ولكن من أجل مجتمعنا الذى يحتاج إلى مثل هذه الموهبة النادرة فى تبصيره بمصيره والعمل على تنويره وتغييره إلى ما هو أفضل وأكرم وأقوى ، حتى يواجه الحاضر والمستقبل بقدرة حقيقية على رد المخاطر ومواجهة المحن .

هل هو قرار غير معلن منا جميعاً بأن « نعاقب » الشاعر على فنه وصدقه وموهبته ؟. هل هو قرار بقتل الشعراء الذين يقلقوننا بأغانيهم الصريحة الجارحة ؟. كيف ينام المجتمع العربى راضى الضمير مستريح النفس ، ومثل هذه الموهبة تضيع أمامنا وتتبدد ، ونحن قادرون على انقاذها ، ولكننا نختار – على العكس – موقف المتفرجين تمهيداً لأن نبكى غداً ، ونحتفل ونقيم المهرجانات فى كل موقع ثقافى وأدبى على امتداد الأرض العربية من الخليج إلى المحيط ، من أجل أمل دنقل ، بعد أن نكون قد أضعناه وفرطنا فيه ، وألقينا به إلى التهلكة بأيدينا نحن لا بأيدى الغرباء والأعداء .

أين وزارات الثقافة العربية ؟. وأين اتحادات الكتاب والأدباء والفنانين ؟. وأين كل هذه القوى الموجودة على الساحة الثقافية والوطنية .. أين هذه المؤسسات كلها وماذا تفعل عندما يسقط هذا الشاعر الموهوب ضائعاً فى إحدى المستشفيات ، ولا تمتد إليه يد ، ولا يحنو عليه قلب ، ولا يصرخ ضمير ؟!

إننى أكتب هذه الكلمات وليست بينى وبين الشاعر صداقة أو شبه صداقة ، بل على العكس ، فاننى لم أنجح فى يوم من الأيام فى إقامة جسور للصداقة الحقيقية بينى وبين هذا الشاعر ، فهو من «أصعب» الشخصيات التى عرفتها فى الجيل الأدبى المعاصر ، ولكن صداقتى مع أدبه قائمة وممتدة ، منذ اليوم الأول الذى استمعت فيه إلى قصائده ، مع الشاعرين الكبيرين صلاح عبد الصبور وأحمد حجازى ، عندما كنا نعمل معاً ، وفى حجرة واحدة ، فى مجلة روز اليوسف سنة ١٩٦٠ ، وجاءنا أمل دنقل من الصعيد زائراً يقرأ علينا



نابليون صحب معه إلى مصر ١٤٦ أديباً ورساماً وموسيقياً وعالماً.



تشرشل .. بريطانيا مستعدة للتنازل عن مستعمراتها وليست مستعدة للتنازل عن شيكسبير.

# لمــاذا نقتل الشعراء ؟!

شعره العنيف المتمرد .. منذ هذا اليوم وانا تابع أمل دنقل واحرص على قراءة كل قصيدة جديدة له ، وقد ضقت احيانا ببعض شعره الجميل ، لشدة قسوته وصراحته وعنف ما كان يوجهه إلى المجتمع العربى والانسان العربى من نقد ، ولكننى لم أفقد احترامى للشاعر وموهبته الرفيعة فى يوم من الأيام ، حتى بالنسبة لتلك القصائد الجارحة التى اقلقتنى ودفعتنى إلى نقد الشاعر لاحساسى بانه كان أقسى مما ينبغى علينا ... والحقيقة اننى اخطأت فى نقد الشاعر حينذاك وكان الشاعر من الصادقين .

واليوم وهو يعانى – وحيداً – آلاماً قاسية عنيفة ، لا أجد ما أفسر به محنته غير ضعف فهم المجتمع العربى لقيمة الموهبة ، وضعف تقديره لها ، وقلة حرصه على هذا النوع من الثروة الانسانية ، وهذه الثروة هى عندى أغلى ما يملك مجتمعنا من الثروات ، وهى وحدها التى يمكن أن تدفعه وتقوده فى مسيرته الحضارية ، حيث يستطيع أن يشق طريقه وسط المصاعب والمشكلات الدقيقة التى يواجهها مجتمعنا فى هذه المرحلة .

## من يقتل الأطفال ؟

هل نترك الشاعر يواجهنا بهذه الكلمات القاسية فى إحدى قصائده :

لا تسألى النيلَ أن يعطى وأن يلِدَا
لا تسألى ... أبداً
إنى لأفتحُ ( عينى حينَ أفتحُها ! )
على كثيرٍ .. ولكنْ لا أرى أحداً

أو نتركه يؤلمنا ويجرحنا ، ومعه كل الحق والصدق ، بهذه الأبيات من قصيدة أخرى :

آه .. من يوقفُ فى رأسى الطواحينَ ؟
ومن ينزعُ من قلبى السكاكينَ ؟
ومن يقتلُ أطفالى المساكينَ
لئلا يكبروا فى الشقَقِ المفروشَةِ خدّامينَ
من يقتل أطفالى المساكينَ ؟
لكيلا يصبحوا – فى الغد – شحاذينَ
يستجدونَ أصحابَ الدكاكينِ
وأبوابَ المرابينَ

أو نتركه ينادى أمته فى مثل هذه الأبيات بهذا النداء الأليم :

ناديتُ .. ماردّتْ
صرختُ .. ما ارتدّتْ
وظل صوتى يتلاشَى .. فى تلاشيها
وراء الموجة المنكسره

هل ننتظر ، والمستشفى تطالب أمل دنقل بثلاثة آلاف جنيه ، لا يملكها ، أن نقرأ قوله فى إحدى قصائده :

هذا قدر المهزوم :
لا أرضَ .. ولا مالَ ..
ولا بيتَ يرد البابَ فيه ..
دون أن يطرقَه جابٍ ..

... أو يقول هذه الكلمات القاسية الجارحة :

انظرى أمتَكِ الأولى العظيمَــهْ
أصبحَتْ : شِرْذِمَةً من جثَثِ القتلى
وشحاذين يستجدون عطفَ السيفِ
والمالَ الذى ينثره الغَــازى
فيهوِى ما تبقَّ من رجـــالٍ
وأرومَهْ

... أو يقول من قلب محنته :

كل يوم
أفتح الصنبورَ فى إرهاقْ
مغتسلا فى مائِهِ الرقراقْ
فيسقط الماءُ على يدى .. دمَــا
......
وعندمَا ..
أجلسُ للطعام ... مرغمًا :
أبصرُ فى دوائرِ الأطباقْ
جماجماً
جماجماً
مفغورةَ الأفواهِ والأحداقْ

أو قوله :

فاجأنى الخريفُ فى نيسانْ
وطائرُ السمانْ ..
حط على شواطىء البحر الشمالية
طلبت مَنْ تُحبّه نفسى ... قُبَيْلَ النومْ
فلم أجدْ ... إلا عذابَ الصّومْ
طلبت من تحبه نفسى
( فى الظلِّ والشمسِ )
فلم أجدْ ... نفسِى
...........
وها أنا خلف النوافذ الزجاجيهْ
أرقبُ عند المغرب الشاحبْ :
طائرِىَ الغائبَ !

والطائر الغائب هنا هو « مصير » هذا الشاعر الموهوب ومصير أى شاعر مثله يعانى ويتألم ، ويتعرض للمحنة دون أن يجد يداً تدفع عنه الأذى وترد المرض ، وتحفظ عليه ما يستحقه من الكرامة كفنان وإنسان .

## نماذج عديدة

إن ما يحدث لهذا الشاعر ليس النموذج الوحيد فى الوطن العربى ، فما أكثر الذين تعرضوا للموت والغربة وسائر ألوان المحنة فى تاريخنا المعاصر ، وليس هناك باب فى الشعر العربى أكبر ولا أكثر ثراء من باب « الشكوى » من « الزمان والناس » أو هو – كما نقول – فى المصطلحات الأدبية الحديثة باب « الاحساس بالاغتراب » فى العالم والوطن والمجتمع . فمكانة «الشاعر» فى الوطن العربى لا تتجاوز احد أمرين : إما أن يكون أداة إعلامية مباشرة ورخيصة وهنا قد يجد الشاعر مكانه ويحصل على فرصة مناسبة للحياة ، وإما أن يكون الشاعر « أداة حضارية » فى مجتمعه إذا صح التعبير ، فيقود ويحرك ويكتب فى صدق وغضب وتمرد حقيقى تصويراً لمعاناة الانسان فى وطنه وهمومه وجراحه ، وفى هذه الحالة يتعرض الشاعر لظروف صعبة قاسية أليمة ، و يتحول شعره إلى صرخات من الشكوى والسخط .

لقد كتب الشاعر الكبير «حافظ ابراهيم» قصيدته الشهيرة : « كسرت اليراع فلا تعجبى » سنة ١٩٠٤ وهى القصيدة التى يقول فيها « والقصيدة منشورة فى ديوانه ، و « مصر » فى هذه القصيدة هى رمز للوطن العربى كله :

وكَمْ فيكِ يا مصرُ من كـاتبٍ
أقال اليَـرَاعَ ولَمْ يكتُبِ
فلا تَعْـذِلينى لهذا السكوتِ
فقد ضَاقَ بى منكِ ما ضَاقَ بى
وقد غَضِبَ النـاسُ من قبلنا
لِسلْبِ الحقوقِ ولَمْ تَغْضَبى

وقد كتب « حافظ ابراهيم » قصيدته هذه وكان شاعراً وطنياً لا شبهة فى وطنيته .. ومنذ ظهور هذه القصيدة ، وهناك سلسلة

متصلة من شعر الشكوى والغضب فى الوطن العربى كله ، تدل على أن وضع الشاعر فى مجتمعنا الحديث ، هو وضع بالغ السوء والمرارة ، وأن ما يتعرض له الشعراء الصادقون ، هو نوع من القتل المعنوى ، إن لم يكن قتلا مادياً مباشراً ، فابو القاسم الشابى يكتب فى الثلاثينات مخاطباً شعبه بهذا الصراخ المتألم العميق فيقول :

أنت فى الكون قوةٌ لم تَسُسْها
فكرةٌ عبقريةٌ ، ذاتُ بأسِ
أنت فى الكون قوة ، كبلتها
ظلماتُ العصورِ ، من أمسِ أمسِ
والشقىُّ الشقىُّ من كان مثلى
فى حساسيَّتى ورقَّةِ نفسى

## ضحية أخرى

ولعلنا نذكر « عبد الحميد الديب » ذلك الشاعر العبقرى الذى عاش فى مصر فى الثلاثينات وأوائل الأربعينات ، والذى أطلق عليه الباحثون والنقاد المعاصرون وصف « الشاعر البائس » ... لقد عاش هذا الشاعر ، رغم موهبته ، حياة مؤلمة ، وكان أشبه بالمتسول الذى يمد يده للناس ليجد ما يأكله أو يرتديه ، أو ليجد مأوى يقضى فيه ليله بعيداً عن الشوارع والمقاهى والأرصفة ، ومع ذلك ظلت الحياة الأدبية العربية تردد شعره وصرخاته الفنية ، دون أن يجد الشاعر من يمد إليه يده أو يرعاه ويعينه ويعطيه بعض حقه فى الحياة . ولقد كان بكاء عبد الحميد الديب لوناً من الغناء الذى يطرب الآخرين ، فيستمتعون به ثم يتركونه بعد ذلك لبؤسه وشقائه ، وكأن هدفهم قد تحقق بالاستماع إلى الشاعر أو بقراءة شعره ، وكأن البؤس والضياع هما الوضع الطبيعى للشاعر المسكين ، الذى وصل به الأمر إلى حد الحديث المباشر الجارح فى إحدى قصائده وهو حديث يدين عصر الشاعر بكل من فيه من الأدباء والمثقفين والمسئولين عن المجتمع :

لقد كنتُ أرجو غرفةً فأصبتُها
بناءٌ قديمُ العهدِ أضيقُ من جَدّى
فأهدأُ أنفاسى تكادُ تهدُّها
وأيسرُ لمسى فى بنايتها يُرْدى
أرى النمْل يخشَى النَاسَ إلا بأرضِها
فأرجلُه أمضَى من الصارِمِ الهندى
تُساكنُنى فيها الأفاعِى جريئةً
وفى جوِّها الأمراضُ تقتلُ أو تُعْدى
ترانى بها كلَّ الأثاثِ فمِعْطفى
فراشٌ لنومى أو وِقاءٌ من البرْدِ
وأما وساداتى بها فجرائدٌ
تُجَدَّدُ إذْ تبلى على حجَرٍ صَلْدِ
تعلمْتُ فيها صبرَ « أيوبَ » فى الضنى
وذقتُ هزالَ الجوعِ أكثرَ من « غندى »
جِوارُكَ يا ربى لمثلىَ رحمةٌ
فخذنى إلى النيرانِ أو جنةِ الخلدِ

والغريب انه عندما مات « عبد الحميد الديب » سنة ١٩٤٣ ، اقيمت له حفلة كبرى اشترك فيها خطباء وشعراء من كل مدرسة ومذهب ، وحضرها جمهور كبير ، وتلى فيها خطاب ارسله وزير الشئون الاجتماعية وخطاب ارسله وزير الأوقاف ، وكانت الحفلة كما قيل عنها مظاهرة أدبية كبيرة . وقد علق الدكتور زكي مبارك بقلمه العنيف اللامع على هذه المظاهرة الضخمة والكاذبة في ان واحد بقوله :

« إن عبد الحميد الديب » لم يقتل نفسه عامدا متعمدا ، انتم خدعتموه وضللتموه وفرضتم عليه ان يستغيث بمعروفكم يا اشحاء .

تقول العبارة المصرية « يقتل القتيل ويمشي في جنازته » وانتم القتلة لذلك المخلوق الذي وثق بكم ، وانتم حملة المصاحف او القماقم بجنازته العجفاء ، فما قيمة براعتكم في الرثاء ؟

إن دموعكم ياقاتليه لن تنجيكم من غضبتي عليكم .

فاسمعوا هذه الكلمة ، واعلموا ان بكاءكم في هذا الاحتفال سيمر بلا ثواب ، وقد يكون مجلبة للعقاب ، لأنكم تزينون لسامعيكم حياة لا ترضونها لأنفسكم إلا مكرهين »

ولقد كان زكي مبارك في منتهى الصدق والشجاعة ، عندما علق بهذه الطريقة على الاحتفال بعبد الحميد الديب بعد موته ... أو بالأصح بعد قتله .

وكل هذه الصور الأليمة تدفع إلى ذهني بصورة أخرى لا يمكن ان انساها هي صورة الشاعر الفنان نجيب سرور في عامه الأخير ، حين كان يتمزق ألما وضياعا واستسلاما للمرض والموت القادم إليه حيث كانت يد الموت تمتد الى جزء من جسده كل يوم ، حتى انتهى كالشمعة التى ذابت قطرة بعد قطرة

وكان الشاعر الفنان نجيب سرور يعيش وكأنه محكوم عليه بالاعدام وليس امامه إلا أن ينتظر التنفيذ ، وهو يعرف التوقيت بدقة ووضوح ... وقد تعرض لذلك كله – ولفترة طويلة – دون حماية أو رعاية من أحد .

## أقوى من المحنة

واعود إلى شاعرنا العبقري « أمل دنقل » ، فأؤكد انني لا أقارنه بغيره من الشعراء السابقين الذين مروا بظروف صعبة قاسية ، وذلك لأن « أمل » في أيام صحته وعافيته كان من القوة بحيث استطاع أن يعيش حياة طبيعية كريمة عن طريق قلمه وموهبته دون الحاجة إلى العون من احد ، حيث كان شعره مطلوبا ومقروءا ومحبوبا في كل مكان ، ولكن محنة أمل دنقل تأتيه اليوم بسبب مرضه ، واضطراره للبقاء المستمر في المستشفى ، حتى يعود إلى وضعه الطبيعي بعد الشفاء ، وفي هذه المحنة ، ينبغي ان يستيقظ الضمير في مجتمعنا العربي ، ويتنبه إلى قسوة ما يفعله بالنسبة للشعراء الموهوبين الذين يزيدون ثراء هذا المجتمع ويجعلون منه مجتمعا حيا متحضرا ، وينيرون امامه الطريق برؤيتهم الصافية النقية الصادقة ، وكل ما نرجوه ألا يكون « أمل دنقل » « ضحية جديدة » تؤكد أن المجتمع العربي لا يطيق صوت الشعر ، وأنه مجتمع يقتل الشعراء ...إن أمل دنقل يتحمل محنته بشجاعة ورجولة وكرامة لا تهتز ، فهو ابعد الناس عن أن يكون موضعا للشفقة ، أو طالبا للعطف والاحسان ... ولكن كلماتي هذه – إلى جانب ما كتبه غيرى – لا تهدف فقط إلى انقاذ « أمل » بقدر ما تهدف إلى إنقاذ مجتمعنا العربي من هذا الاسلوب غير الحضاري في معاملة المواهب والموهوبين وهو أسلوب سوف يعود علينا باسوأ النتائج وأبلغ الأضرار ، ومثل هذا الأسلوب سوف يقضي على اغلى وأثمن ما نملكه وهو موهبة الانسان ولن يجدي البكاء ، بعد فوات الأوان .

هل ننتظر حتى يقول عنا التاريخ : لقد كان العرب فى القرن العشرين يقتلون الشعراء ويبيعون الفن فى سوق الكساد ويتركون أبناءهم الموهوبين فى مستشفيات الدرجة الثانية يهددهم الموت وهم فى عمر الزهور وفى سن الابداع الصادق الجميل ؟ ..

رجاء النقاش

# نحو نظريـــــــة في
# تفسير التاريخ الثقافي للخليـــــج وشرق الجزيرة العربية

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

لا يكفى أن ندرس الجوانب التفصيلية والمسائل الجزئية لأي موضوع من الموضوعات ، ثم ندع نتاج دراساتنا يتراكم فوق بعضه دون أن نستخرج من التفاصيل والجزئيات ، المدروسة المحققة ، استنتاجات عامة ، ونظريات ، وأحكاماً تقييمية تمكننا من فهم القوانين العامة للظواهر ، ومن إدراك المعاني الجوهرية لحقيقة الأشياء .

إن هذه الرؤية الاستنباطية ، للنظريات والقوانين ، هى من شروط اية نهضة فكرية حقيقية .

أما تراكم الدراسات الجزئية والفرعية دون خلاصات ونتائج فانه تقدم كمي فى حقل المعرفة ، لابد منه فى البداية ، ولكنه اذا استمر فى تراكمه الكمي دون أن نستخرج منه مفهومات كيفية ونوعية ، فانه يصبح نوعاً من التضخم غير الصحي كما هو الحال اليوم بالنسبة للمطابع ودور النشر العربية ـ على سبيل المثال ـ التى تغرقنا بكتب الوقائع التاريخية ، دون أن ترفق ذلك باخراج كتب تقول لنا : ما هو التاريخ العربى والانسانى وما معناه وما جوهره ، أو تغرقنا بالاف المطبـوعات التراثية دون أن تهتم بتزويدنا بما يفيد فى غربلة التراث وتقييمه واستخلاص جوهره وما فيه من قيم عملية معاصرة .

بل ان من شرائط البحث العلمى المبدع ان نغامر احياناً ـ على ضوء مالدينا من جزئيات وتفاصيل عن موضوع ما ـ باعطاء

رؤية شاملة عن الموضوع تضع الجزئيات المتوفرة لدينا في مواضعها ومراتبها ، وتحدد لنا المواضع التي مازالت تحتاج إلى بحث وتدقيق والى مزيد من الدراسات الفرعية على طريق إغناء رؤيتنا الشمولية المنشودة .

وهذه العلاقة العضوية الوثيقة بين الخاص والعام ، بين الجزئي والشمولي تنبع مما قرره أرسطو وعلماء المنطق الآخرون من الصلة التى لا تنفصم بين عملية الاستقراء – أي دراسة الجزئيات وتبويبها واستخراج معانيها – وعملية الاستنباط أي الحدس بالرؤية الشاملة أثناء عملية الاستقراء وخلال مراحلها مرحلة بعد أخرى حتى نهايتها حيث يكون الاستنباط عندئذ مستنداً إلى أساس وثيق من الأدلة والشواهد الاستقرائية ..

هذه الأدلة والشواهد التى تبقى كما مهملا وتراكما غير مثمر إذا لم تتوج بعملية الاستنباط والاستنتاج العام واستخراج القوانين الشاملة للظواهر .

وليس هناك حدود ثابتة جامدة بين عمليتى الاستقراء والاستنباط فى العقل الانساني . فانت تبدأ دراستك لجزئيات موضوعك على ضوء فرضية عامة افترضتها فى بداية البحث حيث يستحيل التعامل مع الجزئيات المتفرقة المتباعدة دون قاعدة مبدئية وأولية يعتمدها الباحث فى بداية بحثه . هذه الفرضية المبدئية تتعدل بالتدريج على ضوء الجزئيات والشواهد التى تتكشف من سياق البحث ، وهذا التعديل فى الفرضية يتطلب تكييفاً جديداً للبحث من أجل الكشف عن المزيد من المعلومات المطلوبة فى جوانب أخرى من الموضوع أو القضية .. وهكذا إلى ان تكتمل التفاصيل وعلى ضوئها تتاكد الفرضية ، أو تتغير أو تنقض للبحث عن فرضية أخرى .. أما فى حالة تاكيدها فان الفرضية تصبح نظرية مقبولة متداولة أو قانوناً من القوانين المعترف بها علمياً .

• •

أردت من هذه التقدمة فى منطق البحث العلمى أن أصل الى بعض الاستنتاجات الاستنباطية حول الظاهرات والقوانين العامة التى أثرت فى حياة الفكر والأدب على المدى التاريخى بمنطقة شرق الجزيرة العربية والخليج العربى وهى ملاحظات وخلاصات اخذت تتجمع لدى وأنا أقوم بابحاثى التفصيلية حول التاريخ الثقافي لهذه المنطقة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، أو أتابع واطلع على أبحاث ودراسات زملائي الآخرين فى هذا الموضوع وهى قد أصبحت كثيرة وواعدة فى السنوات الأخيرة بعد أن كنا قلة قليلة فى بداية الأمر .

المسالة التى أود طرحهـــا تتعلق باستمرارية أو عدم استمرارية تقليد أدبي وفكرى متواصل فى تاريخ الخليج وشرق الجزيرة .

والسؤال بالتحديد : هل سمحت عوامل الصراع والتجزئة فى تاريخ المنطقة بنشوء حياة أدبية وفكرية مستمرة ومتصلة الحلقات فى تاريخها أم أن حياة الأدب والفكر كانت عبارة عن جذوات تشتعل وتخبو حسب الظروف التاريخية دون تطور مستمر ؟

وفى الحالتين ، حالة الاستمرار أو حالة الحركات الأدبية المتقطعة ، هل هناك قوانين ومعان حضارية وخصائص فكرية متميزة ومتكررة فى ثقافة المنطقة ونتاجها الفكرى والأدبى ؟ وما هى هذه القوانين والمعانى والخصائص والميزات إن وجدت ؟

هذه الأسئلة التى تطمح الى الخروج بنظريات عامة عن التاريخ الثقافى لهذه المنطقة ، أى تطمح للقيام بعملية استنباط شمولية لهذا الموضوع ، تعيدنا الى وجهها الآخر وهو الجانب الاستقرائى .. أى توفر المصادر والوثائق والدراسات التفصيلية حول مختلف أجزاء الموضوع .. هل أصبحت على درجة من الوفرة تسمح لنا بالانتقال من التدرج الاستقرائى الى الكشف الاستنباطى والاستخلاص والتعميم ؟

لا نزعم أن هذه الشواهد الاستقرائية قد بلغت مرحلة الكمال ، أو مرحلة الاطمئنان التام الى ما ترفدنا به من احكام ونظرات .. ولكن هنا يأتى دور الاستنباط فى البحث العلمى ليرشد عملية البحوث الاستقرائية ويعطيها وجهتها المتطورة ويلقى الضوء على الآفاق الجديدة التى لابد لها أن تتطلع نحوها إن هى أرادت تحقيق غاية النهضة الفكرية من جهود البحث العلمي .

إذن .. على ضوء ما توفر لدينا حتى الآن من شواهد سنحاول أو بالأحرى سنغامر باعطاء مخطط أولى للاجابة ، وما سنقوله هو استنباط وفرضيات تتعدل وتتبدل حسب ما نكتشفه مستقبلا من وثائق وادلة . وبعض ما سنقوله وسنطرحه فى صيغة سؤال حتى لا يتخذ صفة الجزم والقطع .

أولا : هذه التنقيبات والاكتشافات الجديدة المتواترة عن حضارة دلمون فى المنطقة ، ألم يظهر ما يدل منها على حياة أدبية وفكرية فى العصر الدلمونى بالاضافة الى ما تم الكشف عنه من حياة دينية وتجارية ، وهل ينفصل الشعر عن الدين فى تلك الحقبة الميثولوجية من التاريخ القديم؟

وإذا كانت أرض دلمون قد أوحت للشاعر أو الكاهن السومرى المعاصر لها أن يقول شعراً دينياً رائعاً فيها .. قصدت القصيدة المشهورة : « أرض دلمون أرض مقدسة طهور، فى أرض دلمون لاينعب الغراب ولا يزأر الأسد .. الخ » .

أقول نتيجة ذلك التفاعل الخصب بين سومر ودلمون ألم يظهر بالمقابل شعر وأدب دلمونى ؟

هذه مسالة يمكن أن يعـينـنا على جلائها المختصون فى حضارتى سومر ودلمون . ولكن لنا أن نفترض مؤقتاً أن الحضارة الدلمونية التى كانت صلة التفاعل بين سومر وأرض السند لايمكن أن تكون بدون تراث أدبى متصل بالدين أو منفصل عنه .. بل إن الدين الدلمونى نفسه لايمكن قطعاً أن يكون دون مباديء مقررة ونصوص وصلوات وادعية تمثل الأدب الدينى لتلك الحضارة .

ولنا أن نتصور أيضاً أن هذا التراث الأدبى والدينى كان تراث انفتاح وتسامح وتفاعل لأن دلمون نفسها كمنطقة بحرية منفتحة كانت محطة انفتاح وتفاعل بين حضارتين كبيرتين هما حضارة سومر ، وحضارة وادى السند .

اذا أمسكنا هذا الخيط على رقته وسحبناه معنا فى رحلتنا التاريخية الثقافية هذه من العصر الدلمونى الى العصر الجاهلى .. فماذا نجد ؟

نلاحظ أن منطقة الخليج وشرق الجزيرة كانت منطقة تجاور وتعايش وتفاعل بين

نحو نظرية في

# تفسير التاريخ الثقافي للخليج وشرق الجزيرة العربية

مختلف الديانات القائمة حينئذ ، أى انها واصلت تقليدها المنفتح منذ دلمون ، وان ذلك التعايش لابد أن يكون قد ولد تيارات فكرية وحياة ثقافية خصبة . ومن الوثائق النادرة ولكن الدالة على تلك المعاناة الفكرية وأكاد أقول الفلسفية ، معلقة طرفة ابن العبد الذى عاش فى هذه المنطقة هو وقبيلته ورهط من الشعراء قبل ظهور الاسلام ، بما لايقبل الشك .

ولقد لاحظ دارسون عديدون من مستشرقين وعرب من بينهم الدكتور طه حسين إن هذه المعلقة تشمل نظرات وجودية سابقة لأوانها ، وتاملات فى الكون والحياة والموت لايمكن أن تنبت من فراغ فكرى وجميع المعلقات السبع أو العشر الأخرى لا تبلغ مرتبتها من الناحية الفلسفية ، ففى الوقت الذى ركز فيه أمرؤ القيس على الصيد والقنص والمغامرات النسائية ، وانفعل عمرو بن كلثوم بعنعنات الجاهلية والمزايدات القبلية من نوع « ألا لا يجهلن أحد علينا » و « ملأنا البر حتى ضاق عنا » .. كان « طرفة » يتساءل بهدوء وألم عن معنى الحياة ، وعن الموت الذى يوجد فى التراب بين الغنى والفقير والصغير والكبير ، وكأنه بهذه الأسئلة يعبر عن شوق النفس العربية الى إيمان جديد كانت تهفو اليه قبل الدعوة ، ويعبر عن تساؤلات العقل العربى قبل أن يروى ظماه الاسلام .

ويمكن فهم هذا التميز على ضوء الموقع الجغرافى .. الحضارى ، فكلما تم الاقتراب من البحر المنفتح على حضارات العالم كان الموقف الذهنى أقرب الى التجديد والتحرر وكلما تم الايغال فى الداخل البعيد والمنعزل عن المؤثرات الحضارية ، كان الموقف أكثر تمسكاً بالمحافظة وبتقاليد العشيرة . وهى مفارقة نلمسها فى أطراف الخليج ذاته قديماً وحديثاً . فما كان من تلك الأطراف أكثر تأثراً بحياة الصحراء كان أقرب الى المحافظة وما كان منها أكثر تأثراً بحياة البحر كان أميل الى التغيير . وذلك طبيعى . فأمواج البحر حركة ، وصخور الصحراء ثبات ، وتاريخ الأدب فى الخليج هو نتيجة لجدلية البحر المنفتح والصحراء الثابته ، أى لجدلية التغيير والمحافظة .

وهذه الظاهرة ذاتها نجد مصداقاً لها فى مصر . فأهل الوجه البحرى أكثر انفتاحاً وتحرراً من أهل الوجه القبلى المشهورين بالمحافظة والتمسك الشديد بتقاليدهم المتوارثة ، وما ذلك إلا لأن الوجه البحرى أكثر تعرضاً للمؤثرات الحضارية القادمة إليه من البحر ، بينما الوجه القبلى محاط بسياج عزلته الساكنه ، خاصة فى الحقب الماضية قبل انتشار وسائل الاتصالات الحديثة ، ورغم انتشار هذه الوسائل الان فان الروح المحافظة التى تكونت عبر العصور ما زالت متمسكة بثوابتها ، شديدة الحذر من مؤثرات التغيير .

وهذا القانون ينطبق أيضاً الى حد كبير على مناطق الجزيرة والخليج ، مرجحاً ميل التغيير لدى أهل البحر والمطلين عليه ، مغذياً ميل المحافظة لدى أهل البوادى الداخلية والجبال المنيعة .

ولكن يجب الا نستبق الأمور فى صياغة تفسيرنا النظرى المنشود ولنعد من الاستنباط الى الاستقراء من جديد !

قلنا أن معلقة « طرفة بن العبد » أبرز وثيقة جاهلية دالة على نوع الحياة الفكرية والادبية فى هذه المنطقة ، ولم يكن طرفة الشاعر الوحيد المنسوب اليها .

ففى المعجم الوجيز لرجال الثقافة فى تاريخ الخليج الذى الحقته بكتابى «لمحات من الخليج العربى » أحصيت سبعة وثلاثين شاعراً من العصر الجاهلى وحده ، نسبتهم المصادر الأدبية القديمة الى قبائل شرق الجزيرة كبكر بن وائل ، وبنى عبد القيس ، ومن أبرز أولئك الشعراء : سعد بن مالك جد طرفة ، والمتلمس ، والمرقشان الأكبر والأصغر ، وعدة شعراء عبديين آخرين .. مما يؤكد ان طرفة لم يبرز من فراغ .

بعد أن اعتنقت هذه المنطقة الاسلام ، واجتازت أزمة الردة التى مرت بها بعض أطرافها ، نجدها تستقر .. من عهد الراشدين والأمويين الى العصر العباسى الأول .. على صيغة سياسية وفكرية أبرز ما يميزها صفة : « التعددية » أى تعدد وتنوع الاتجاهات والاجتهادات . فبسبب بعد هذه المنطقة حينئذ عن مراكز الخلافة وعن سلطة القوة المركزية ، لجأت اليها واستوطنتها الفرق المعارضة للأمويين والعباسيين ، ولعلها قد وجدت فى تقاليد الانفتاح المتوارث فى هذه الاطراف ما وفر لها جو التسامح الذى افتقدته فى أماكن أخرى ، ومن هذا الواقع نسمع عن قطرى ابن الفجاءة الفارس والشاعر المنسوب للخوارج ، وعن عيسى الخطى ورشيد الهجرى من رجال الأدب المعارضين للخلافة الأموية .

عاشت هذه الاجتهادات المتعددة بسلام وابداع فى عصر القوة والازدهار . فلما بدأ الاضطراب فى العصر العباسى الثانى وتلاشت السلطة المركزية تحولت هذه الاجتهادات الى مظاهر للصراع ، فظهرت حركة الزنج فى شمال الخليج ، وحركة القرامطة فى وسطه ، ولم تستطع هذه الاجتهادات العنيفة تحقيق وعدها فى العدالة والرخاء ، وصارت مظهراً للاضطراب أكثر مما هى وسيلة للاصلاح ، فكان لابد من قوة تمثل إرادة الجماعة ووحدة الأمة لحماية المنطقة من الانقسام .

ولكن قبل الانتقال للبحث فى هذه القوة الموحدة ، لابد من أن يتوقف الدارسون عند المظاهر الشعرية والخطابية والفكرية التى خلفها دعاة الزنج والقرامطة ، فهذه الحركات التاريخية على خطورتها لا يمكن أن تكون دون شعر وأدب ، ودعاة وفكر . فمن يبحث عن المصادر والمظان ، ثم من يحلل ويقيم ؟ .. سيكون هذا دون شك فصلا ممتعاً من تاريخ الخليج الثقافى ، يكشف عن الصوت الآخر من التراث ، وهذا الصوت يمثل استمراراً للخيط الذى نمسك به فى عصر دلمون الذى انعكس انفتاحه الحضارى فى حيوية الأفكار فى عصر « طرفة » ، ثم فى تعددية الاجتهادات فى صدر الاسلام ، ثم فى تعددية الظاهرات السياسية ـ الاجتماعية فى العصر العباسي الثانى .

ولكن عند هذا المنعطف يجب أن نعود إلى القانون الآخر فى تاريخ الخليج ، القانون الذى يوازى قانون « التعددية »

ويضبط اختلاله ويحتوى آثاره . ونعني به قانون « الجدلية المستمرة بين البحر المتغير والصحراء الثابتة » . فعندما يعلو الموج على رمال الساحل ويتعدى حده تواجهه صخور الصحراء فترده الى مستقره . وعليه ، فان الاضطراب الذى جاءت به الموجة القرمطية على الجزر والسواحل ، قد واجهته القوة العيونية المحافظة المنطلقة من الداخل ، وحدثت المواجهة القرمطية - العيونية الحاسمة التى لابد أن يلتفت اليها والى آثارها الفكرية - فضلا عن التاريخية - جميع المهتمين بخلفية المنطقة . فهذه المجابهة كانت نقطة فاصلة فى تاريخ الخليج . وانتصار العيونيين على القرامطة نقل الخليج من وضع التعددية والتباين المتطرف إلى وضع المحافظة والالتزام بالأصول وبخط الجماعة الواحد ورفض التعارض المؤدى الى تعددية الاتجاهات . يصح هذا فى الاجتماع والسياسة ، كما يصح فى الفكر والفقه والأدب ومجالات الثقافة والحياة بعامة . وهذا التحول هو ما يعنيه الانتصار العيونى وقيام الدولة العيونية وسيادتها فى المنطقة لثلاثة قرون. ومعظم الدول التى قامت فيما بعد هى استمرار بشكل أو بآخر للدولة العيونية فى نظمها واتجاهاتها وموقفها فى تلك المجالات

ولقد كان الشعر حاضراً حومة تلك المواجهة الفاصلة وشاهداً عليها !

سل القرامط من شظى جماجمهم ؟

أطلقها مفتخراً ابن المقرب العيوني شاعر الخليج الأكبر فى العصور الاسلامية والذى تم تحقيق ديوانه ، وظهرت عنه دراسات جيدة مؤخراً ، لحسن الحظ .

وكما أن « طرفة » لم يبرز من فراغ ، فان ابن المقرب لم يبرز من فراغ أيضاً . ولابد أن ذلك الجهد السياسي والحربي الذى صفى القرامطة قد صاحبه صراع عقيدي فكرى بين اتجاه القرامطة واتجاه السنة والجماعة الذى تمثل فى الدولة العيونية .

وهنا اترك ثلاثة موضوعات تاريخية وادبية وفكرية للباحثين :

● أولا : الصراع العيوني - القرمطي وأبعاده فى الفكر والأدب .

● ثانياً : تاريخ الدولة العيونية التى حكمت هذه المنطقة لثلاثة قرون تقريباً ، أين هو ؟ وماذا فعل العيونيون خلال ذلك ؟ وكيف نجهل دولة كان لها الدور الحاسم فى مصير منطقتنا فضلا عن استمرارها لمدة طويلة فى حكمها وكونها الامارة النموذج لما تلاها من تشكلات تاريخية واجتماعية ممتدة حتى وقتنا الحاضر .

● ثالثاً : الحركة الأدبية التي كان محورها ابن المقرب العيونى كيف نعيد اكتشافها ورسمها ؟

● ●

بعد العيونيين يستمر جانب المحافظة فى تاريخ الخليج إلى أن تاتي تحديات الغزو الأوربى ، السياسي والحضارى .. أى الى أن ياتى البحر بمتغيرات جديدة غير معهودة تبدأ بتحريك الثوابت الصحراوية . وطلائع هذا الغزو فى الخليج كان البرتغاليون . والغزو البرتغالى يثير لدى كباحث فى تاريخ الأدب والفكر سؤالا محيراً !

- كيف أثار الغزو الفرنسي على يد نابليون لمصر حركة فكرية وحضارية جديدة ولم يثر الغزو البرتغالى للخليج مثل هذه الحركة ؟

أو انه أثار حركة أجهضت فيما بعد ؟ أو أنه لم يكن بالمستوى القادر على الاخصاب : فالبرتغاليون فى القرن السادس عشر أقل تمدناً من فرنسيي القرن الثامن عشر ، أم ان المنطقة ذاتها لم تكن مهياة ذاتياً لمثل هذه النهضة الباكرة ؟

أسئلة أتمنى لو شاركني باحثون أخرون عبء حملها ، ثم متابعة ما تلا هذه الفترة من تطورات .

● ●

ختاماً لعل هذه الرحلة - بنظرة الطائر - بين العصر الدلموني والعهد العيوني ، تعيننا على استخلاص بعض النتائج الخاصة بجوهر التاريخ الثقافي للمنطقة :

أولا : يتصف هذا التاريخ بانفتاح وتسامح فكرى بحكم التفاعل مع الحضارات الانسانية المختلفة عن طريق البحر ..

ثانياً : تنتج عن هذا التفاعل المنفتح تعددية فى الاجتهادات وحيوية فى الأفكار تتعايش وتتفاعل فى عصور التوازن والاستقرار وتبقى ضمن الاطار الواحد المتنوع والخصب للحضارة الاسلامية العربية .

ثالثاً : عندما يختل قانون التعددية ويفقد توازنه ويضطرب ، يبرز قانون الجدلية المتوازنة بين البحر والصحراء (الجدلية البرمائية) ، وتقدم الصحراء بروحها المحافظة على الأصول والقيم ، مقومات الصمود والثبات والتوحيد لموازنة المتغيرات البحرية وضبطها لحماية وحدة المنطقة واستقرارها ، والحفاظ على متانة النسيج الاجتماعي .

رابعاً : هذه الجدلية المتوازنة بين العنصرين ( الثابت والمتحول ) هى التى مكنت المنطقة وتمكنها الآن من استيعاب الجديد وقبول المؤثرات الحضارية دون أن يؤدى ذلك إلى فقدانها أصالتها واستقرارها ووحدتها .

هذا التوازن المستمر ، والخلاق ، والضروري بين الثابت والمتحول ، بين الباقى والمتغير ، وبين الصحراء والبحر هو ما يجب أن نحافظ عليه ، ونفهم طبيعته وجوهره لأنه جوهر الاستمرارية الحضارية فى الماضى والمستقبل ، وهو « المعنى » العميق لتاريخنا الثقافي .

وبعد .. فهذه الخطرات لا تطمح لأن تكون نظرية نهائية فى تفسير التاريخ الثقافى لهذه المنطقة العربية ، ولكنها محاولات أولية نحو التفسير والفهم ، كي لا تبقى الأبحاث والدراسات الخليجية في مستوى الكم ،وكي ترتفع الى مستوى التركيب الفكرى الضرورى لأية نهضة .

د . محمد جابر الأنصارى



شهريات

يوسف إدريس

# ورشة القصة في نيودلهي

استغربت للدعوة ، فهى ليست قادمة من موسكو ولا جامعة هارفارد أو المدرسة العليا للدراسات الشرقية بجامعة لندن ، انها قادمة من الهند وبالتحديد من المجلس القومى للثقافة هناك . استغربت لأن الدعوة كانت لما اسماه الخطاب بعقد « ورشة » للقصة القصيرة على المستوى الآسيوى الافريقى بشكل خاص وعلى مستوى العالم الثالث والعالم بشكل عام . وتعبير « ورشة » لم يكن جديداً على فقد سبق وتلقيت دعوة لحضور « ورشة » عن الفن المسرحى تقام فى جامعة آبادان في نيجيريا ، ويبدو انها تسمية غربية يفضلون اطلاقها على الندوات أو المؤتمرات التى يكون معظم المدعوين لها من مؤلفى هذا الفن أو ذاك ، باعتبار أن كلمة مؤتمر أو ندوة يعقدها « المراقبون » و « النقاد » وتناقش المسائل من الخارج ، بينما تعبير ورشة يعنى أن المجتمعين سيكونون من المنتجين والمؤلفين وصناع هذا الفن أو ذاك وسيناقشونه من الداخل ، ومعه سوف يناقشون مشاكل التاليف أو الانتاج والعوائق التى تحول دون المبدع وعملية الابداع .

أقول استغربت لأن عقد ورشة لفن « القصة القصيرة » بالذات مسالة لا يمكن أن تتم الا فى بلد وصل بثقافته حد الترف الثقافى فالبلاد الأوربية رغم ثقافتها المتقدمة جداً ، لم تقم بعقد ورشة لهذا الفن بالذات باعتباره أحدث أنواع الفنون المكتوبة ، اذ أن عمر القصة القصيرة المكتوبة بشكلها الموجودة به الآن فى العالم لا يتعدى ــ عند الغرب على وجه التحديد ــ أكثر من أربعمائة عام أو ربما أقل، اذ هو مرتبط الى حد كبير بظهور الصحافة وبداية نشرها للقصص القصيرة .

ولهذا فان تقوم بلد مثل الهند ــ نعرف ونسمع جميعاً عن ظروف الحياة الصعبة فيها-بعقد مؤتمر للقصة القصيرة ، ترسل فيه دعوات وتتحمل مصاريف السفر والاقامة لمدة خمسة عشر يوماً لما لا يقل عن أربعين كاتباً من مختلف أنحاء العالم مسالة لابد أن يرتفع لها الحاجب دهشة مقرونة باعجاب شديد ، فها هى ذى واحدة من أفقر دول العالم الثالث تقوم بعقد مؤتمر مكلف لنوع من أرقى انواع الفنون المكتوبة لابد اذن أنها دولة وان كانت مادياً فقيرة إلا أنها لابد أن تكون غنية جداً بالفكر والفن والثقافة .

ولهذا لم أتردد ، أرسلت بموافقتى فى نفس اليوم .

كان محدداً لعقد الندوة أو « الورشة » الفترة من ٨ ــ ٢١ مارس الماضى . وكنت قد أعددت العدة تماماً للسفر ، ولكن وقع لى على المستوى الشخصى وبالتحديد يوم ٦ مارس حادث جلل ، فقد كان ابنى ( ١٧ سنة ) ضحية حادث سيارة انفجرت له عينه اليمنى . ولن اتحدث هنا عن هول الصدمة والألم ، لن اتحدث عن أبشع ما يمكن أن يحدث للرجل ، أبشع شىء فى

الدنيا ، أن يحدث لابنه أو لابنته حادث يهدده ويهددها بعاهة . انها لتجربة فى حد ذاتها جديرة بأن تكتب وحتما ستكتب ، فقط حين يندمل الجرح الذى لا يزال "مغوراً" فى نفسى رغم أن الله سبحانه قدر ولطف فقد أتيح لنا أن نسعف ( بهاء ) بالعلاج ، وقدر المولى له طبيب عيون مصرى عبقرى أمكنه أن ينقذ العين ويخيط الجرح الشارخ لكرة العين بطول أربعة عشر ملليمتراً مع ضياع لعدسة العين وتهتك بالحدقة . بأنامله الدقيقة لملم جراح العيون مكونات العين المبعثرة ، أو هكذا قالوا لى ، إذ أنى لم احتمل أبداً مشهد الطبيب أن يخرج من غرفة العمليات ليقول لى : أنا آسف ولكن كان لابد من استئصالها ، ولهذا ، ولكى لا أصاب بنوبة قلبية أدخلونى غرفة العناية المركزة بمستشفى مجـــــاور واستعملوا كل ما لديهم من مهدئات وعقاقير تخدير ليجبرونى أن افقد الوعى خلال الفترة الحرجة ، وفعلا لم افتح عينى إلا على هزة من طبيب العيون يوقظنى ويقول : مبروك لقد بدأت العين تمتلىء بسائلها أو بالأصح ( تعبى ) وهو ما يعنى أنها انقذت ولم تصفى . وكان الخوف الأكبر التالى أن يصاب الجرح بتلوث ويحدث فيها التهاب أو ( ايريتس ) وهو كارثة اخرى لابد لاشفائها من استئصال العين .

وما كاد بهاء يقف على شاطىء الامان ويخلف وراءه كل المراحل الحرجة حتى أمرنى طبيبى بأن أركب الطائرة فوراً وأذهب إلى مؤتمرى فى الهند اذ أن خوفه الأكبر كان أن ابقى بجوار بهاء ويهدد قلبى تماماً ذلك التوتر الذى يعيشه الآباء والأمهات والقلق المرعب الذى يجتاحهم ، وقال لى : أنا لست خائفاً عليك فقط ولكن متأكد انك لو حدث لك شىء فستنهار مقاومة ابنك لادراكه أنه السبب فى تعبك ولأنه متعلق بك تماماً فحتما سيصاب بمضاعفات تهدد عينه ان لم يكن حياته .

ومرغماً ركبت الطائرة وقلبى وعقلى وكل ما أملك من قدرة على الأمل والرجاء تركتها بجوار فراش ( بهاء ) .

مرغماً لهذا السبب الخاص ، ولسبب آخر نقلوه لى وهو أن المؤتمر قرر – بعد ما سمع أعضاؤه بالخبر – أن يؤجلوا افتتاحه ثلاثة أيام لكى يتاح لى فرصة حضوره . كيف لا أكون كريماً مع هؤلاء الأوفياء . متقدماً خمس ساعات فى اتجاه الشمس والشرق . وصلت نيودلهى وأنا مضعضع تماماً فقد طلع على صبح لم يسبقه ليل إذ أكل نصفه اتجاه الطائرة الى شرق أكثر .

ومضعضعاً حضرت الجلسة الأولى . وكانت عين بهاء موضوع أول استفسار عام من أعضاء الورشة ، وحين وزعوا البرنامج والدوسيهات اكتشفت كارثة مضحكة تماماً فقد اكتشفت انى فى ارتباكى المهول ، نسيت نظارة القراءة فى الطائرة اليابانية ، وهكذا قدر على أن أمضى كل أيام المؤتمر الأولى « سماعى » .

● ●

ولكن ..

أحداث الحياة دائماً قادرة على انتزاع المرء من أسوأ حالاته .

وبعد ساعة كنت قد اندمجت تماماً فى أعمال « الورشة » وقد اجبرت مشاكلى الخاصة أن تغوص بعيداً فى أعماقى ، إلى حين على الأقل .

كانت المواضيع التى ستتناولها الندوة هى : القصة القصيرة كشكل أدبى خالص ، والتاريخ والقصة القصيرة ، والقصة القصيرة والتليفزيون والسينما ، والقصة القصيرة والحرب والجنس والعنف ، والقصة القصيرة والصحافة الجديدة ، والقصة القصيرة والتغيرات الاجتماعية .

كانت المواضيع قد أرسلت لى فى القاهرة لأختار منها ما أشاء من موضوعات كى أحضر ورقة عن أيها ليناقشها المؤتمر ، ولكن كعادتنا نحن العرب ، حين ألقيت عليها نظرة فاحصة وجدت انها كلها ليست غريبة على وأنه ستكفينى رحلة الطائرة لكى أدون وجهة نظرى عنها جميعاً وبالتحديد عن موضوع : القصة القصيرة كفن أدبى خالص ، ذلك انه موضوع لم تتضح أبعاده تماماً ولى فيه رأى كنت شديد الشغف لأطرحه على أناس جمعتهم هنا فى نيودلهى وحدانية ذلك الفن ، أناقش معهم وقد أصل إلى يقين وقد أتعلم الجديد وقد أخرج وإياهم بمفهوم مختلف لم يطرأ لأينا على بال .

كانت الورشة منعقدة فى مبنى رائع فى تصميمه يسمى « بيت الهند العالمى » ، وهو هدية من اليونسكو للهند ، فيه فندق لاقامة المنتدين والأدباء والفنانين ، وفيه مكتبة ضخمة وقاعة للاجتماعات ، وحديقة باهرة الروعة تتخلل مبانيه وتحيطه من كل جانب .

وكانت منضدة الاجتماع تتحلقها وجوه جاءت لتمثل جنوب شرقى آسيا والصين وافريقيا والمشرق العربى كله الذى كنت أتشرف بتمثيله ، وكان هناك مراقبون من أوربا ومدعوون جاءوا على نفقتهم من تايلاند والفلبين ، وتونس ، ونيجيريا ، وكينيا ، وماليزيا ، وباكستان ، وبنجلادش ، وسرى لانكا ، وغينيا ، وغانا ، وبـــلاد لا أذكرها على وجه التحديد الآن . اذ كان المجلس الثقافى الهندى قد أرسل دعوات إلى شخصيات بعينها لتحضر وتكون ضيفة عليه ولكنه أيضاً أرسل دعوات إلى ٦٢ دولة كثير منها لبى الدعوة وحضر على نفقته أو نفقة دولته إدراكاً لأهمية الاجتماع وحتمية حضوره مثلما فعل الدكتور محمد بلعيد من تونس وهو كاتب من أروع كتاب القصة القصيرة التونسية وزميلة كاتبة تونسية شابة تعمل بوزارة الثقافة والسياحة هناك .

الحق انى فى أول جلسة ، تلك التى اتخذت فيها الاجراءات التقليدية لبداية أى مؤتمر أو ( SEMINAR ) لم أر فى القاعة كلها رغم ازدحام الوجوه وتنوعها وكثرتها إلا من أسميتها بينى وبين نفسى « قارة أفريقيا » . سيدة أفريقية فارعة الطول ، ولطولها يصنع نصفها الأعلى مع ساقيها السامقين زاوية حتى لتكاد تشبه خريطة أفريقيا ، وجهها يلمع بالسمرة وكأنما بالعنبر مدهون ومضمخ ، شعرها هالة تاجية سوداء مجعدة ذلك النوع المنمنم من التجعيدات ، عيناها فعلا عيون مها ، واسعتان ، عميقتان تقدحان جمالا وحشياً . زرافة افريقية تتوه العيون فى تضاريسها ويكاد العقل يطير لها شعاعاً . امرأة لا تملك إلا أن تظل تحدق فيها وتضيع وكأنما تبتلعك أحراش أفريقيا وغاباتها . وتخاف . أجل تخاف . ذلك الخوف الذى طالما حاول الغربيون بأفلامهم وقصصهم عن أفريقيا أن يشعروا ويشعرونا به تجاه هذه القارة السوداء كما يسمونها ، وانسانها الذى يدق بطبول الحرب ويرقص حول الضحايا البيض رقصات الموت .

وكم خدعتنا تلك القصص والأساطير عن أفريقيا ، خدعت حتى نحن الأفريقيين فى الشمال ، فحين بدأت السيدة جريس

أوكيني أوجوت تتكلم وأثناء الاستراحات بدأنا نتعارف ونتحادث أحسست أنى أمام واحدة من أرق وأطيب وأنصع نساء العالم قاطبة . جريس وهي الرشاقة والاناقة والقلب الكبير العظيم الأبيض ، بالضبط أفريقيا السوداء فقط من الخارج، الناصعة القلب الأبيض من الداخل . انها أكبر كاتبات كينيا والجيل ، إنها جاءت بصحبة ابنها وهو أيضاً كاتب ، هى فى الأربعين وهو فى العشرين وقد صدرت له ثلاث روايات . ما كان أروعها وهى تحدثنا وتعرفنا بكينيا ولغات كينيا ومشاكل القصة فى كينيا . لقد حسدتها على ذلك الكم من الحب الذى تكنه ليس فقط لبلدهـا كينيا وانمـا للمنطقة التى ولدت وتعيش فيها . حسدتها لاننا في بلادنا العربية يبدو اننا ليس فقط لا نحبها ولكن أزعم أننا في قرارة أنفسنا نكرهها ، طبيعة وبشراً . هذا اللقاء في نيودلهى علمني كيف يعشق الناس بلادهم إلى حد الوله ، هؤلاء الطيبو القلب الموهوبون من آسيا وأفريقيا كم يبدون بسيطين غير معقدين طيبين ، انهم فطريو الموهبة وايضاً عميقو الاخلاص . لا ينظرون إلى هيمنجواي لكي يصبحوه ولا يزعم كل منهم أو منهن أنه شكسبير زمانه أو برونتي عصرها ، إذ هم يتمتعون بما هو أروع حقاً ، حبهم المدله لبلادهم وطقوسهم وشعوبهم ورغبتهم العارمة في التعبير عن آمال شعوبهم وآلامهم . كم كان عظيماً ذلك الكاتب الصيني الطويل جداً ، الطيب جداً ، الرفيق ليجيا من الصين وهو يبدأ محاضرته عن الأدب في الصين بقوله عن علاقة القصة القصيرة بالصحافة : في الصين ينقسم الأدب إلى شعر ونثر ، وتقع القصة القصيرة في فنون النثر ، ونحن نعتبر أن الريبورتاج الصحفي من فنون النثر . وقد يضحك بعضنا نحن الكتاب العرب أو الهنود على حكاية أن الأدب ينقسم إلى شعر ونثر ، إذ كيف في مؤتمر عالمي كهذا نقول زرع ... حصد ... ضرب .. ولكني أعتقد اننا لو ادركنا حقيقة عمق أن الأدب ينقسم إلى شعر ونثر ، أدركناها بعمق وزاولناها فعلا ، لوفرنا على أدبنا العربي كثيراً من (العك) الذي لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ولا هو أي شيء بالمرة وانما هو محاولات صبيانية لاثبات الذات الادبية دون أدنى احساس أو محاولة للتعبير عن الذات الجماعية الكبرى وهو ما ابتكر الانسان الأدب بشعره ونثره من اجله .

●●

لن احدثكم بالتفصيل عن كل المواضيع التي طرحت في ورشة القصة إذ ربما يكون هذا في حلقات قادمة ، ولكن ساحدثكم بالتفصيل هنا عن آفة الآفات في اية اجتماعات أو لقاءات أو مؤتمرات يكون على الكاتب فيها أن يمثل بلده أو مجموعة بلدان وعلى وجه التدقيق تلك المؤتمرات التي تقام بناء على التقسيم السياسي للبلاد . ففى مؤتمرات الطب مثلا حين تقام ندوات لجراحة القلب أو التقدم الجديد في علاج السرطان ، هنا ينسى الكل هويتهم ويتفرغون تماماً لبحث (الموضوع) والخروج بنتائج علمية واقرار طرق علاج ، مؤتمرات ولقاءات تخدم البشرية فعلا ، وتحقق التقدم . تعال إلى مؤتمراتنا التي نعقدها ككتاب أو كادباء ، حينئذ ستجد أن آخر ما سيناقشه المؤتمر هو الموضوع الذي عقد من أجله . فكل عضو فيه يخلع عنه هويته الشخصية ويرتدي عباءة المذهب الذي يمثله أو يؤمن به أو على وجه التحديد ما يؤمن به الحزب الحاكم في بلده أو النظام الذي تتبعه دولته .

وكنت أعتقد اننا في هذه الندوة عن القصة القصيرة سنتفرغ تماماً وقد قطعنا تلك المسافات الطويلة لنلتقي ، سنتفرغ لبحث (فن) القصة القصيرة كأحدث فنون الكتابة ، وستتحول الندوة حقيقة إلى (ورشة) يدلي كل منا فيها بدلوه وبرأيه وبوجهات نظره الخاصة حيال فن عظيم كفن القصة القصيرة ، ولكن ما حدث هو اننا أمضينا ثلاثة أرباع الوقت وكل قادم يقرأ تقريراً مكتوباً عن الأدب في بلده ويثبت فيه أن الأدب عندهم قد ظهر قبل الميلاد بآلاف السنين ، حتى أن احدهم ذكر أن فن القصة القصيرة المكتوبة قد ظهر في بلاده منذ أكثر من ثلاثمائة عام في حين أنى أراهن أن أحداً في بلاده لم يكن قد قرأ بل أن يكون قد كتب قصة قصيرة منذ خمسين عاماً فقط . وحتماً في أمثال تلك المؤتمرات لابد أن ينشأ الصراع الذي لا معنى له بالمرة ، وهل الفن للفن أم الفن للجماهير ، وهل الكاتب يعبر عن نفسه أم هو لابد أن يعبر عن قصة بلاده ، وهنا أبداً لا يدور نقاش ، انما يكتفي كل منهم بقراءة المانيفستو الذي يتابطه ويخرج من المؤتمر أو القاعة كما دخل سعيداً تماماً وكأنما أرضى ضميره حتى ولو لم يكن قد استفاد من اللقاء حرفاً أو أخطأت كلمة أو فكرة وتسربت إلى سامعه .

وظللت استمع ثلاثة أيام وأنا أستعين بصبر أيوب على قضاء هذا الوقت التعس في الاستماع الى جداول محفوظة كم صادفتها عشرات المرات من مؤتمرات الأدباء العرب والمؤتمرات الأفريقية الآسيوية ثم كان علي أن أرأس المؤتمر وهو يناقش قضية القصة القصيرة والحرب والعنف والجنس . وكان أن تنازلت عن الرئاسة ، وقلت لهم لقد امتلأت أذانى بآراء كثيرة عما ( يجب ) أن تكون عليه القصة وعما ( يجب ) أن يكون عليه مضمون القصة ، وما ( يجب ) أن يفعله الكاتب ليختار أبطاله . وإنى لأتساءل : لمن نوجه هذه ( اليجبات ) كلها ، الأنفسنا ، أم لأنفسنا ولغيرنا من مواطنينا الكتـاب المعروفين والجدد . اذا كان هذا هو ما نريد أن نفعله فأؤكد لكم أن احداً لن يأخـذ (بـ ... يجب ) واحدة مما ذكرنا ، فالكتاب لا يكتبون باليجبات ، وهم أبداً ليسوا كتبة وحتى هذا العنوان التفصيلى لعلاقة القصة القصيرة بالعنف والحرب والجنس تخصيص مصطنع ، فما هذه كلها إلا ظروف من بعض ما يحدث للانسان فى عالم اليوم ولا يمكن مناقشتها بشكل منفصل ، انما القصة ( كل ) ، وموضوع القصة دائما ( كل ) وأبدا لا يتجزأ ، والا ترون معى أن نغير الطريقة ونحيل الورشة إلى ورشة تطبيقية فعلا ، استأذنكم اذن أن أقول رأيى على هيئة قصة .

ورحبوا بالفكرة وقرأت لهم قصة من مجموعة صدرت بالانجليزية. ولانني كنت أعرف أن معظمهم على الأقل فنانون يقولون ما ( يجب ) عليهم أن يقولوه ، فقد تحولت الجلسة إلى ورشة قصة فعلا ورحنا نناقش فن القصة فى العالم الثالث ، من أين بدأ وما علاقته بالقصة المحلية ، وما ملامح قصص العالم الثالث ودرجة الأصالة فيها ، وهل القصة فن قومى أم أن لها شكلا عالمياً لا علاقة له بكنه المجتمع الصادرة عنه والموجهة إليه .

وهكذا بدأت المتعة . والى العدد القادم إن شاء الله .

د . يوسف ادريس

# الحُمّى

شعر الدكتور
غازي عبدالرحمن القصيبي



الأديب والشاعر العربى السعودى الكبير الدكتور غازى عبد الرحمن القصيبى أصدر هذا الأسبوع ديوانه الشعرى الجديد « الحمى » هذه هى القصيدة الأولى فى الديوان :

أحسُّ بالرّعشَةِ تَعْترِينى
والموْتُ يسترْسِلُ فى وَتينِي
وموجَةُ الإغْمَاءِ تَحْتَوِينِي
فَقرِّبي مِنيّ وَلاَ مِسِينِي
مُرِّي بِكفَّيْكِ عَلَى جَبِينِي
وَقبْلَ أنْ أرْقُدَ حَدِّثِينِي

● ●

قُصِّي عَلَيَّ قِصَّةَ السِّنِينِ
حِكَايَةَ المُشَرَّدِ المِسْكِينِ
طَوَّفَ عبْرَ قَفرِهِ الضَّنِينِ
يَشْرَبُ مِنْ سَرابِهِ الخَؤُونِ
وَيشْتكي النُّجُودَ لِلْحُزُونِ
وَجَرَّبَ الغُرْبَةَ في السَّفِينِ
وَهَامَ في مَرافِىءِ الجُنُونِ
كَسِنْدِبَادٍ أحْمَقٍ مَأفُونِ
وَعَادَ بالحُمَّى وبالشُّجُونِ
مُحَمَّلاً بِصَفقَةِ المَغْبُونِ

● ●

هَاتي كِتَابَ الشِّعْرِ أنْشِدِينِي
قصيدةً رائِعَةَ الرَّنِينِ
كَتَبْتُهَا في زَمَنِ الفُتُونِ
أيَّامَ كُنْتُ سَاذَجَ العُيُونِ
قَبْلَ انْتِحَارِ الوَهْمِ في اليَقِينِ
وَغَضْبَةِ الْكَهْلِ عَلَى الْجَنِينِ
وَصَحْوَتِي في الوَاقِعِ الحَزِينِ
هَلْ تَذْكُرِينَ الآنَ ؟ .. ذَكِّرِينِي
بَرَاءَتِي في سَالِفِ القُرُونِ
قَبْلَ قُدُوم الزَّمَنِ المَلْعُونِ
يَبِيعُنِي حِينًا .. وَيشْتَرِينِي
يَمْنَحُنِي الْمَالَ .. وَلاَ يُغْنِينِي
يَسْكُبُ لِي المَاءَ . وَلاَ يُرْوِينِى
وَيَجْعَلُ الأَغْلاَلَ فِي يَمِينِي
وَيَزْدَرِي شِعْرِي . وَيَزْدَرِينِي
يَاالشَّقَاءِ البُلْبُلِ السَّجِينِ
في القَفَصِ المُذَهَّبِ الثَّمِينِ
يُنْشِدُ مَا يُنْشِدُ مِنْ لُحُونِ
خَافِتَةٍ .. دَافِئَةِ الشُّؤُونِ
مِثْلِ دَمٍ يَسِيلُ مِنْ طَعِينِ

● ●

تَعِبْتُ مِنْ جَدِّى ومِن مُجُونِي
مِنْ كُلِّ مافي عَالَمِي المَشْحُونِ
مِنْ مَسْرَحٍ مُحَنَّطِ الفُنُونِ
مَشَاهِدٌ بَاهِتَةُ التَّلْوِينِ
أُغْنِيَةٌ رَدِيئَةُ التَّلْحِينِ
إِمرأَةٌ شَابَتْ فَمَا تُغْرِينى
بَرِمْتُ بِالْمَسْرَحِ .. أَخْرِجِينِي
مُرِّي بِكَفَّيْكِ عَلَى جَبِينِي
وَقَبْلَ أنْ أرقُدَ .. وَدِّعِينِي

# قابيل..

# أين أخوك ؟!

بقلم : خالد محمد خالد

لقد قص القرآن الكريم علينا نبأ ابنى آدم « إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك .. قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بأثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار . وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » ..

وتُتَابع بعض المأثورات الدينية بقية النبأ فتقول : عندما قضى قابيل أيامه على الأرض ومات . ثم وقف بين يدى ربه كان أول سؤال وجهه الله إليه .. بل كان السؤال الوحيد الذى وجه إليه هو : قابيل .. أين أخوك » .؟!

كان قابيل هو القاتل . أما الأخ القتيل فكان هابيل ..

والسؤال هنا ، وبالصيغة التى وجه بها ناصع الدلالة قوى الأدانة حاسم التقريع : قابيل .. أين أخوك .؟!

أين أخوك الذى شددت به أزرك واردت أن يكون كل منكما عونا لأخيه .

أين أخوك الذى جئت وإياه من نفس واحدة ، وتفيأتما معاً ظلال الحياة ، ليكون أحدكما للآخر عينه التى يبصر بها وسمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها .؟!

أين أخوك الذى لم تفرط فى حق الحفاظ عليه وحسب . بل انبعثت وراء رغبتك الشريرة المحمومة المجرمة فسفكت دمه بغير حق وبغير سلطان .. !! ترى بماذا أجاب قابيل .. ؟ ألا إنه لم يحر جواباً وكفت شفتاه المرتجفتان عن الحركة وخرس لسانه عن الكلام ، واستحق أن يمحقه الله فيمن محق من الخاسرين .

بيد أن الله سبحانه أعطانا الــــدرس المستفاد من الجريمة حين قال تعقيباً على النبأ الفاجع الأليم : « من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » ..

أجل .. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .. فالحياة إذن كما أرادها الله هى عقد وثيق بين الأحياء جميعاً يحمل كل إنسان مسئوليته الجادة تجاهه ، ثم لا تزر وازرة وزر أخرى ..

● ●

ترى هل أسدلت الستارة بعد قابيل على جحود حق الحياة وإهدار قيمتها الثمينة الغالية ؟ .

كلا ، فقد امتلأت الأرض على سعتها بالقوابيل فى كل عصر وجيل أولئك الذين جعل الله على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقراً ، ووضع على أفئدتهم حجاباً مستوراً . فلم يروا جمال الحياة ولا رعوا حرمتها ولا اعترفوا بحق أبنائها فيها !!

ودع عنك قوابيل العالم ، فمعنا من الهموم ما يكفينا ولدينا من القوابيل مالا نجد زماناً يكفى لحسابهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فى إهاب كل منــــا « قابيل » ..نجتر المرارة ، ونلعق الهوان ، ويسلم بعضنا بعضاً للجزارين ، ونتهاوى صرعى الأحقاد والطغيان دون أن ينتفض فينا بأس الرجال ليحمى وجودنا ، وينقذ حاضرنا ويؤمن لنا المصير .

خذ مثلا ذلك الشعب الحزين ـ شعب فلسطين ـ الذى يرزح داخل بلاده وخارجها تحت نير طائفة من البغاة الذين فاقوا التتار فى نذالتهم وإجرامهم وحقدهم على الحياة ..

● ●

إن الحديث عن شعب فلسطين ليكتسى بغلاف كثيف من الخزى ومن العار لطول ما نُحْنا كالنائحة المستاجرة ، ولكثرة ما نثرنا من الورود الذابلة على جثمان هذا الشعب الشهيد .

إن هذا الشعب شيوخاً وشباباً وأطفالا ونساء وبنات يعانى أمام العالم المتفرج من جرائم خصمه وعدوه ما تتمزق له الجبال ، وتدك من هوله دكا .

ماذا فعل « قابيل » العربى والمسلم لهذا الشعب المطحون المهان ؟! أصحيح أننا بلغنا من العجز ومن الهوان ومن الضعف ما لم نعد معه بقادرين على دفع النكبة ووقف العدوان ؟!

أصحيح أننا أصبحنا أرضنا وأعراضنا كلأً مباحاً لأكثر خلق الله إيغالا فى الجريمة وانتهاكاً للحرمات حتى أصبح أى شاب اسرائيلى قادراً على أن يقتحم حمى المسجد الأقصى فى خطوات جريئة ومستهترة فيطلق النار على المصلين حيث يقتل من يشاء ثم يدمر قبة الصخرة فى مجون وقح دون أن يخشى ولو من صفعة هزيلة تصيبه ، أو تصيب دولته ؟! .

لماذا أسلمنا ـ نحن القوابيل ـ هذا الشعب وخاصة الذين يخضعون لسلطان إسرائيل ـ لماذا أسلمناهم ، وإلى متى ندير ظهورنا لهم . ونظن بأنفسنا ظن السوء حين نراها عاجزة عجزاً مطلقاً عن أن تصنع للمظلوم شيئاً ، وترد الظالم إلى الوراء .. ؟!

لقد وجه « بسام الشكعة » نداء عبر مجلة « المجلة » فى عددها رقم ١١٢ فقال : « نحن تحت النار والحديد . وعلى العالم أن يعرف هذا .. نحن رافضون ولكننا نعيش تحت سلطة السلاح .. نحن مذلولون مذبوحون، ونستنجد بأخواننا العرب » . مذلولون مذبحون !! ياحسرة علينا نحن العرب !

إن « بسام الشكعة » هذا واحد من الأبطال الذين تصب الحكومة الاسرائيلية عليهم كل الهول وكل الهوان .

وهو إذا كان يصرخ بأن قومه فى الأرض المحتلة مذلولون مهانون ، فهى ليست صرخة يائس مهان .. فأحدث مواقفه الباهرة تعطى صورة رجل وثيق . فخلال المؤتمر الشعبى الذى دعت إليه بلدية « نابلس » أخيراً ، والذى تصـــدى له الاسرائيليون البغاة بالرصاص وقنابل الغاز ، اقترب بعض الجنود من بسام الشكعة وطرحوه أرضاً ، فما كان منه إلا أن نهض واقفاً وحل أزرار قميصه وفتح صدره للنار ، وصاح فى الجنود الاسرائيليين : « اضربوا يا جبناء .. يافاشيست ، إذا كان يرضيكم أن تسفكوا دماءنا .. أنتم غرباء . وستبقون غرباء .. وهـــــذه أرضنـــا ومنازلنا » .. !!

ألا من مغيث يا سادة العرب ؟ ألا من معين .. !!

● ●

وخذ مثلا ما يحدث فى أفغانستان حيث يسحق شعب برىء وعريق ، وحيث تداس أقداره بالأحذية الثقيلة لجيش غاز دخيل .

أفتعجز ست وثلاثون دولة مسلمة عن أن يكون لها موقف منقذ ؟! لقد استصرخ السيد هارون المجددى ممثل الثوار الأفغان فى مصر وفى جامعة الشعوب العربية والاسلامية على صفحات مجلة « النور » التى تصدر بالقاهرة .. استصرخ بالمسلمين جميعاً .. ذاكراً أن معظم المساعدات التى يقدمها المسلمون وحكوماتهم لا تعدو أن تكون كلاماً تلوكه الألسن وتتلمظ به الشفاه .. !!

فأين هو « قابيل » المسلمين الذى وإن لم يكن قد بسط يده لأخيه ليقتله ، فقد أسلمه لجلاديه ووقف يتفرج فى خذلان .. !!

● ●

# قابيل.. أين أخوك؟!

● ●

وخذ مثلا آخر قد يختلف عن الأمثلة السالفة فى أن ضحاياه لا يسقطون صرعى القتل والقتال ـ بل صرعى الجوع حيناً ، والواقع المعيشى السيىء والمتخلف أحياناً .. وأين يحدث هذا .. ؟ يحدث فى عالم عربى وإسلامى متخم إلى غير حد بكل امكانيات الحياة الوارقة الرافهة الهنيئة

وهنا نلتقى بالسؤال الخالد « قابيل .. أين أخوك » مكتوباً بحروف كبار ومحفوراً على ملايين الجباه العليلة الذليلة فى شعوب الاسلام وبلاد الاسلام ..

نحن المسلمين نمثل قوة بشرية هائلة قد لا تقل عن ثمانمائة مليون .. وهذه القوة تشكل ستاً وثلاثين دولة .. وتحتل من الكرة الأرضية مساحة قدرها ثلاثون مليونا من الكيلومترات . أى انها ستة أضعاف الولايات المتحدة الأمريكية ، مدخلين فى هذه المساحة ست جمهوريات سوفياتية وإقليم صينى كبير هو إقليم « سيكيانج » .

وَيَنبَثّ هذا العالم الاسلامى خلال عدة مناطق رئيسية ، تشكل كل منها كتلة إقليمية متقاربة .

وأولى هذه المناطق ـ منطقة العالم العربى الغنى جداً ، والثرى جداً ، والذى لا يزخر جوف ارضه بالذهب الأسود فحسب . بل وتتوفر لديه جميع المعادن والخامات التى خلقها الله ما عـــدا « البوكسيت » الذى يستخرج منه الالمونيوم والمطاط .

والمنطقة الثانية جنوب شرقى آسيا ، والثالثة مجموعة آسيا المركزية ، والرابعة مجموعة افريقيا الغربية، وتستطيع هذه القوى والمجموعات إذا نجت من تفكير « قابيل » واستهتاره أن تقيم فيما بينها تكاملا اقتصادياً وتمتثل لتوجيه الرسول الكريم حين يقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » اليس امراً مفجعاً ومفزعاً أن يسقط مئات المســـلمين فى « بنجلادش » صرعى الجوع .. أقول : الجوع حقيقة لا مجازاً . ويبلغ دخل الفرد فيها تسعين دولاراً فى العام .. ؟!

هذا ، بينما اقطار أخرى تَخُبّ فى النعيم وترتع والرفاهية . بينما تلهث شعوب أخرى مسلمة وراء الكفاف أمر ليس من الاسلام ولا من مروءة الرجال فى شىء .

لماذا لا تتجه حكومات العالم الاسلامى إلى إقامة سوق مشتركة ، تجمع الشمل وتنقذ المعوز والمعدم من الأمم التى تعيش على الكفاف ..

إن المبررات التى أنشأت الســـوق الأوربية المشتركة ، والظروف التى مكنت من إقامة هذه الســـوق لأقـــل بكثير من المبررات والظروف التى تدعو وتتيح إقامة سوق اسلامية مشتركة إن لم يكن على مستوى الدول الاسلامية كلها ، فلتكن باديء ذى بدء على مستوى مجموعاته الاقليمية .

إننا نملك القوة البشرية ، والاتســـاع الجغرافى ، والتنوع الكبير فى الموارد الاقتصـــادية مما يمكننا من إحراز خير أنماط التنمية التى لا ينتابها الأفراط فى التخصص ولا الاختلال فى التوازن على حد تعبير بعض الاقتصاديين .

وإذا كنا عاجزين عن تحقيق الوحدة السياسية اليوم ، فالوحدة الاقتصادية أو التكامل الاقتصادى قريب المنال إذا كرسنا له جهوداً مخلصة ونوايا صادقة .

إن تطورنا فى جميع مجالات التقدم سيظل حابياً وبطيئاً مادام نمونـــا الاقتصادى بطيئاً .

وستظل معظم الدول الاسلامية ترزح تحت أعباء التركة المرهقة . التى خلفها لها الاستعمار .

والأيدى العـــاملة فى معظم هـــذه الدول تعمـــل فى الزراعة المتخلفة لانها لا تـجد رأس المـــال الذى يصنع بلادها ، ويتيح لها الصناعات التى تعمل فيها وتكد

ويكفينا مثل واحد لضرورة التكامـــل الاقتصادى بين دول العالم الاسلامي وشعوبه .

فبلد كالسودان تنبسط فى أرجائه مائتان وخمسون مليوناً من الأفدنة ـ أرضاً خصبة معطية بينما يقع على حدودها شعب يتكون من اثنين واربعين مليوناً يعيشون على أقل من سبعة ملايين من الأفدنة .. ؟! أولئك هم المصريون .

اليس فقدان التكامل الاقتصادى خطيئة لا يجوز أن يقترفها أحد فى العالم العربى والاسلامى .

هنا يجلجل فى أسماع الذين فى آذانهم وقر سؤال الحق : « قابيل .. أين أخوك » فان تعيش دول إسلامية فى قمة الرخاء

لقد قرأت مرة لأستاذ فاضـــل مهتم بالاقتصاد الاسلامى يقترح أن تخرج الدول القـــادرة زكاة ثروتهـــا بوصفهـــا « ركازا » يجب فيه إخراج خمس دخله ، ويسوق رأى الامام أحمد بن حنبل بان زكاة الركاز واجبة جامداً كان أم سائلا . فلماذا لا تكون هذه القضية موضع تفكيرنا .. ؟؟

أو لماذا لا يبدأ أولو العزم من الرجال ببحث قضية السوق الاسلامية المشتركة التى يمكن أن تفيض وتفيء على المسلمين من المتعة والقوة والرخاء وما لا يخطر ببال .

ألسنا أتباع الرسول الذى قال : « المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ولا يسلمه . ومن كان فى حاجة أخيه ، كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ، مادام العبد فى عون أخيه » .

إن هذا التوجيه المضيء ليس قاصراً على مسلك الفرد المسلم تجاه الفرد المسلم بل هو ينادى أيضا وقبلا الدولة المسلمة والمجتمع المسلم لتتعاضد وتتناصر .. وتصبح كل دولة مسلمة فى حاجة أختها . وأخواتها من بقية الدول المسلمة .

● ●

إن سوقنا المشتركة وتكاملنا الاقتصادى لن يكونا تقديراً لضرورات اقتصادية ومعيشية فحسب . بل سيكونان أيضا استجابة لروح الاسلام وتحقيقاً لهـــذا الروح ..

ســـيكونان تحقيقاً لعظمـــة الاســـلام المتجسدة فى قول الرسول عليه السلام : « كونوا عباد الله إخواناً ، كما أمركم الله تعالى » .

وسيكونان حجر الاساس فى مستقبل وضيء للاسلام كله .. مستقبل لا يعرف الضعف ، ولا الفاقة ، ولا الخذلان .

مستقبل لا يكون فيه قاتل وقتيل .

ولا تتكرر فيه مأساة قابيل وهابيل !!

خالد محمد خالد

# المسافة بين.. الخيال والحقيقة

بقلم : عبد الله الجفري

ما مقدار المسافة بين الخيال ، والحقيقة ؟؟ .

ما هو مدى – القدرة التطبيقية – عند الانسان ، وهو مريض بالاصطراع ذاتياً .. يود أن يرسو ولو عند شاطىء مهجور ، ويطمح أن ينشر قلوعه ويطارد نجمة موصوصة باغراء ؟ !

ما أبعاد الأحلام في رؤى الانسان ، وأبعاد اليقظة الفجائية فى عقله .. تلك التى تشبه رنين جرس البيت يقرع فى ساعات الليل الأخيرة ؟

هو وحده كان المسكين الذى يتراءى لنفسه !!

هو وحده – فى يقظة فجائية – ارتطمت باديم واقعه !

كان يعدو – وهو ملتصق فى مقعده – كان يقول بحشرجة :

– ما دوافع المرء حينما يسمح لتفكيره أن يوغل فى التحديق لحظة البعثرة الجوانية بحثاً عن الخيال الندى .. هروباً من حقائقه ؟!

هو وحده كان يخاطب الافصاح ، والصمم :

– ملعونة هذه الصورة التى اختلطت ألوانها ..

واهم .. ذلك الشاعر الذى بنى بالخيال صرحاً روحياً فى وجدانه ، فكان يترنم قائلا : « وعدونا فسبقنا ظلنا » ! .. ثم قوض فى النهاية ذلك الصرح وهو يئن مردداً .. يصف الصبح بالحريق !؟ .

إنسلاخ « عفوى » من الحقيقة ، وفى ذات الوقت نتيجة حتمية مؤهلة للاستقبال .. لترتطم جمجمة الانسان بكل ما فيها !!

وما هى هذه الجمجمة التى يتمتع المرء بأحايين هيولية مرتفعة بمحتواها .. ذلك الذى تبلوره . وتصنفه قياسات من الذكاء أو الغباء .. من المعرفة أو من الجهل ؟!

ما هى ؟! .. سؤال يكون ، أو صيغة مخاطبة ! .. لكن السؤال ، أو الصيغة لا يؤكدان استنتاجاً بدهياً دائماً .. فالانسان صياغة كاملة لا تتجزأ من الخيال ، والحقيقة .. من العقل ، والحلم .. أو العاطفة !!

مثلما جرى « أديسون » يوم بدأ يفكر فى اختراعه – فى مراحله الأولية – كان جريه الى فتاته التى تسكن شارعاً مجاوراً للشارع الذى يقع فيه منزله ، فاشاحت بوجهها عنه غضبى نفوراً .. لأنه وعدها بالمجيء فى موعد قبل ساعة من حضوره ، فوقف مبهوتاً

.. كانت فى دماغه حقيقة العلم ، وكانت فى جوانحه أحلام من خيال المحب الذى يشيد – وهو وحده – قصوراً وأمانى يهديها لها على البعد .. فانثنى على عقبيه الى البيت واجماً وحاول أن يواصل عمله ، ويصغى إلى تفكيره .. فلم يعثر على شىء فى جمجمته تلك اللحظة .. كان انتصار الحلم ، أو الخيال ، أو الامانى قوياً طاغياً على كل محتوى رأسه !!

من يتوقع – حينذاك – ان يلتقط « أديسون » قلماً ، وقرطاساً ، ويحاول ان يكتب لفتاته رسالة يضمنها سؤالا يكون ، أو صيغة مخاطبة ، أو يحاول تذكر قصيدة شعر تذكره باحلامه ، أو يضع اسطوانة .. يتذكر خلف نغمتها لحظات من الحلم السعيد ؟ !

صراع العقل مع بدهيات الانسان ، ومع افتراضاته !!

الافتراض هو خيال .. والعقل يتصبب إرهاقاً !!

هل يمكن لأديسون – الآن – أن يكف عن التفكير ، أم أنه يقدر على التامل .. بحلم عريض ينضج توقعاً متفائلا يؤكد له أن فتاته ستاتى ، وتطرق بابه ، وتقول له :

# المسافة بين.. الخيال والحقيقة

– الانتظار مرهق يا « إد » فسامحنى ، وسأسامحك !!

إنه يصطرع – إذن – ويغالب فجيعة الخيال ، وصحوة الحقيقة ذات الدوار !!

الخيال ، والحقيقة .. هما فى وصل الانسان وجفائه .. كالذى اتى قبل مقدمه ، وكالذى ذهب قبل أن ياتى !!

بعض الافتراضات داخل الانسان كسراب الصحراء ، وبعضها كمغامرة « على بابا » ، وبعضها كما الغابة التى اتجه اليها «جلجامش» ليصرع الوحش ، ويبقى حياً بالمهادنة مع الفارس الباهر الآخر الذى برز له .. حيا بالدمعة التى سفحتها من أجله « عشتروت » !!

وبلذ لأفكارنا ، ولاغراقنا أن يفصلا احيانا بين الحقيقة ، والخيال .. وفى الواقع يبدو أن الحقيقة كانت خيالا ، ثم تمخضت بما أردنا ، أو بما تصرفنا ، أو بكيفية ما سلكنا . ويبدو أن الخيال سينعكس فى صورة من الصور الحقيقية تاتى استطراداً ، أو فجاة .. سعدنا بها . أو شقينا بها !!

إن الحقيقة والخيال قد يتضمنان احساساً ، أو رؤية – ليس بواقع ، أو تفكير فلسفي – وإنما الحاحاً يحكيه الامتنان ، أو

يدعو له « الرضا » والقبول بما كان ، أو تلجمه ، وتدفعه الرغبة الماسة .. من أجل غنم واحد فيه انتعاش النبض !

ذلك يطلق عليه فى عناوين الكتب الراوية « خطة للحياة » ..

وفى رواية – زوربا اليونانى – هناك عبارة لبطلها « كازنتراكى » .. تصرخ بالالحاح الذى يمثل مطلب الحقيقة ، ومتعة الخيال .. فيقول :

– « لقد كففت عن التفكير فيما جرى بالأمس ، وكففت عن التساؤل عما سيجرى غداً .. ان ما يهمنى فقط : ما يجرى اليوم .. ماذا تفعل فى هذه اللحظة يا زوربا .. ؟ .. إننى انام .. إذن نم جيداً . ماذا تفعل فى هذه اللحظة يا زوربا .. ؟ .. إننى أشتغل ، إذن اعمل جيداً .. ماذا تفعل فى هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. اعانق فتاتى ، اذن عانقها جيداً ، وأنس كل الباقى يا زوربا ، فليس في العالم شىء الا هى وأنت » !

ماذا بقى – هنا – من اصطراع الحقيقة والخيال فى ذات الانسان ؟!

لم يتبق شىء مطلقاً .. لم تبق حقيقة ، ولم يبق خيال .. وانما نوع من الشعور الذى يطغى فيمحو ما عداه .. يمحوه رغم شدة غموضه .. رغم وضوح ملامح الصورة لاثنين شعرا أن هذه هى الحياة ، او « خطة الحياة » !

إن انتعاش الحقيقة ، وتضخم الخيال يكتنفان الانسان لحظة أن يكون وحده .. لا يقدر أن يفرق من أي مصدر ياتى القرع الداخلى .. من رأسه .. من بين أضلعه ؟!

ماذا .. ما هى .. من يكون .. متى ؟!!

لكن «الامتلاء» كما أسماه – فيكتور هيجو – فى رواية البؤساء ، هو أروع اجابة تغنى الانسان دائماً ، وتمنحه الصمود أكثر ، وتمحق فيه طفيليات قذرة ، فلم يكن « جان فالجان » إنسان الخيال أبداً ، وهو أيضاً لم يهتد الى حقيقة مجتمعه الذى حاربه ، ودفعه لسلوك شائن فى عرفه ساعات بحثه عن الأود !!

المجتمعات تنادى بالحقائق ، والانسان ترهقه كثير من تلك الحقائق التى تبدو مشوهة بالاعتساف ومن الصعوبة أن يتم الفصل بين المجتمع وفرده ، ومن المؤلم أن يحمل الفرد أحلامه ، وخيالاته ، ويضطر – غالباً – أن يخلعها مع حذائه الذى يخلعه حينما وضع خطواته الأولى على باب مجتمعه :

● الحياء : فى طبيعة الانسان هو أكسدة أحلام !

● الطيبة : فى أعماق الانسان هى رئة يتنفس بها ، ويستعين على الاختناق ببعض الحقائق !

● المعرفة : فى خلق الانسان هى تهذيب لحقائق مجتمعه !

ومع هذا ، فان المرء الحيي الخجل .. يطالبه الناس أن يكون وقحاً ، أو سفيهاً ، أو متمرداً بلا قاعدة .. لأن هذا هو الصوت المرتفع !

والمرء الطيب النزعة .. الدافىء الشعور تقتاده كراهية البعض ، وأحقادهم الى التخلى عن كثير من أحلامه ، وتاملاته ، وخيالاته !

والمعرفة – بعد هذا – لا تجادل اصطراع الحقيقة والخيال .. ان دورها – هنا – أن توائم بينهما .. أن تزاوج .. أن تجعل الحقيقة والخيال مثل زوجين احتفلا بعيد زواجهما الخامس والعشرين (!!) .

●●

إن « أحمد فتحى » قضى نحبه بداء اسمه : اصطراع الحقيقة والخيال ، ورغم ما كان يمتاز به من معرفة وثقافة فقد طغى فى وجدانه خيال الشاعر واحلامه ، وبقي الناس بعده يرددون تفاؤله الذى لم ينعم به .. فى هذين البيتين :

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى فى خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر
يصل الماضى بيمن الحاضر

وقبل « أحمد فتحى » كان هناك شاعر تحدث عن الحقيقة والخيال فى دنيا الانسان فقال :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت .. ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا
كاسفاً باله .. قليل الرجاء !

و« الرجاء » هنا – بمعنى الخيال أو الحلم – وتغليبه يحتاج الى شجاعة صمود « درامى » .. يبكى الآخرين ، وهو يفكر – بالاستغراق – متى يقدر أن يوقف دموع الآخرين من اجله !!

●●

وحياء التخاطب عند المرء ... يتولد من الخوف أن يقول الانسان ما يريده ، أو ما يحسه ، أو ما يرغب فى إتيانه .. يتعثر بحواجز منيعة من التقاليد العريقة التى « تفرض » عليه اقتناعاً معيناً ، ولا تعطى بديلا له .. مما يتطلب كتاثير تربوى ، أو مسلكى بين جماعات المجتمع !

وذلك « الفرض » هو ما يخضع للحقيقة المجترة ، أو بعوامل ضعف الخيال والاحلام التى ترقرق وتهذب كثيراً من عشوائية وبدائية الآدمى !

إن بعض النقاش فى حقائق «فسيلوجية» مثلا يرتطم باشياء مفروضة .. تدعوك أن تحاور نفسك عن تلك الحقائق ، ولا تعرضها لمعرفة

ورؤية الآخرين ! .. وبذلك فانت تتحول كما يقول « كولن ولسون » : الى انسان بلا ظل .. تماماً كتحول بطل هذه الرواية « انسان بلا ظل » واسمه « سوم جيرود » الى شىء يرضى بالتجربة الخافتة والمعتمــة والمتلحفة ، ويخاف أن يعلن رغبته فى مزيد من الاستمتاع بما جرب !

لقد تحطم « كينجام » أحد أبطال الرواية ، باتجاهه الى الشعوذة والسحر ، والنذالة ، والجريمة ، فأصبح هلاماً أكل نفسه ، وطمس صفاءه ، وارتطمت جمجمته !

و « ديانا » : الأنثى التى التقطها «سوم» من اصطراع الحقيقة والخيال فى نفس رجلها « كيرستن » .. كادت أن تضيع ، وتدق عنقها بما يشبه : (إنما الميت .. ميت الاحياء) .. فالتقطها اخيراً ، بعد أن زاوج بين الحقيقة والخيال فى داخله ، وعبر محيط نفسه !

و « كولن ولسون » يخضع ذلك لمدى تقبل الانسان للقدرة التطبيقية .. فى لحظة الاصطراع ذاتياً !!

وتنتهى من الرواية – كقارىء – فتكون حصيلتك بكل صدق .. أن تبحث عن بعض الحقائق ، وعن لحظات من الخيال ، وتجرب مقدرتك فى المزج بينهما .

والمجتمعات التى استطردت مع حضارتها وتقدمها .. أثقلها كثير من الحقائق .. إن بحثها الآن هو عودة خلفية لالتقاط ذوائب أحلام ، وخيالات !!

والمجتمعات التى تعدو لتنال أكبر حظ من وجه الحضارة ولا زالت تسحب معها بقايا تخلفها .. هى التى تعيش الاصطراع وفى هذه الرحلة لا ينعدم الأمل فى الحصول على المواءمة !

إن الاختلاف هذا .. قد لا يكون قضية العصر ، بل سمة له !!

تماماً كما يتضح فى هذا القيـــاس التقريبي المنفتح – كمثل – والمضطرب كحالة !

فقد أصدرت كاتبـــة فرنسية اسمها « مودساكوار دى بيلروش » كتاباً قديماً جعلت عنوانه : « ذكريات امرأة فى الأربعين » .. قصت فيه تجاربها الخاصة فى الحياة بصراحة ، وبوضع النقاط على الحروف .. مما يعتبر برأى النقاد فى الوسط الادبى .. أدباً يدعو للقشعريرة !!

« كانت » الكاتبة حلوة الملامح ، وتمتاز برائحة أنثوية ملحوظة حتى للدرجة الفكرية أيضاً (!) ، قالت : انها استطاعت أن تفصل الحقيقة عن الاحلام ، وان تعطى القارىء تلك الاحلام التى سعدت بها وعاشتها وتحولت – فيما بعد – الى حقائق .. لكنها حقائق جاءت من رحم الحلم والخيالات !

ويعقب كاتب ناقد .. فيذكر اســـم « جنفييف تابوى » المرأة التى قدر أنها كانت أقبح وجه أنثى ، أو أوحش امرأة فى التاريخ .. تلك المرأة – بكل هذه الحقائق المرعبة فيها – استطاعت أن تغزل أحلاماً وخيالات عجيبة ورائعة ، وأن توهم نفسها بمقدار ما أعطت نفسها – بيلروش – من عملية مزج الحقيقة بالخيال !!

فالقدرة التطبيقية عند الانسان .. هى حوافز « الجيوكندة » ، وتخمة « أنثوية » شهر زاد ، ورقة تقاطيع وجه « فلورندا » الاسبانية ، لكن ... هل هذه الميزات فيهن كانت السبب المباشر فى مقدرتهن على مواءمة الحقيقة والخيال فى ذواتهن ؟ !!

لم تكن هذه الميزات سبباً رئيسياً وفعالا .. وانما كانت القدرة التطبيقية عند كل واحدة منهن .. هى عامل الاستمرارية المنتعشة بكل أشياء ورغد الحياة !

● فالجيوكندة : كان زوجها هو حقيقتها ، وكان فنانها ، وراسم ملامحها « دافنشى » هو أحلامها وخيالها !

● وشهر زاد : كانت دماء بنات جنسها التى أهدرها « شهريار » هى حقيقتها ، وكانت رغبة تطويعها ، ومعالجة ذلك الرجل الذى رضيت بتحديه والحياة معه ، وانقاذ بقية الفتيات هى أحلامها وخيالاتها !

● وفلورندا الأسبانية : كانت بلادها التى عبث فيها حاكمها آنذاك ، وحاول أن يعتدى حتى عليها هى .. كانت حقيقتها ، وكان «طارق بن زياد» الذى قدم فاتحاً ، وناشراً ديناً جديداً ينصف البشر من الظلم ، والموت بالحياة .. كان طارق هو حلمها ، وخيالها !!

واجتمعن كلهن عند القدرة التطبيقية .. وتعنى واقع الالحاح الذى يحكيه الامتنان أو يدعو له « الرضا » والقبول بما كان ، أو تلجمه الرغبة الماسة من أجل غنم واحد فيه انتعاش النبض ، وواقع الالحاح هذا انصاع له « سوم جيرود » فى رواية « انسان بلا ظل » ،وأخذته كله وبشراهة « جنفييف تابوى » أقبح امرأة ، وعاشته « بيلروش » الكاتبة الفرنسية !!

●●

وبعد ...

لقد رفع رأسه ذلك الذى كان وحده .. يتراءى لنفسه !!

تحسس جمجمته من جديد ... سفح نظراته على الأرض ، وعلقها فى الهواء .. ولملم كل التساؤلات المطروحة تلك ، وقام يخطو ..

مشى إلى شاطىء البحر ، وأحس بغبطة .. فالشاطىء خال من الناس ، والبحر صامت ... صامت ، والغروب يلوح بيد مودعة ، والصورة التى اختلطت ألوانها مدعاة تأمل ..

لقد كان لحظتها وحده .. يخاطب الافصاح والصمم !!

عبد الله الجفرى





بقلم : محمود السعدني

# أنور المعداوي ومحنة العصر

يبدو أن المعارك العنيفة التى خاضها جمال عبد الناصر فى بداية حكمه ضد الأعداء فى الداخل وفى الخارج ، لم تدع مجالا للقائد لرعاية الكتاب والأدباء !

بالطبع كان هناك أدباء وكتاب يحتلون موقع الصدارة ، ولكن هؤلاء كانوا فى موقع الصدارة دائماً . فهم الأدباء والكتاب الرسميون فى كل عهد ، وهم كانوا يتمتعون بنفس الحظوة أيام الملك فاروق ، وظلوا يتمتعون بها أيام جمال عبد الناصر . ولكن غيرهؤلاء الأدباء الرسميين لم يستطع احد آخر أن ينفذ من الحصار المضروب إلا فى النصف الثانى من الستينات . ولكن قبل هذا التغيير النوعى كان معظم الأدباء غير الرسميين قد خلوا ضيوفاً على السجون الحربية والمدنية ، وبعضهم ذاق التشرد والفصل من الوظيفة ، وكان أنور المعداوى واحداً من هذا الصنف الأخير ! ولكن مأساة أنور المعداوى ستظل فريدة فى تاريخ المآسى لأن أنور المعداوى لم يكن ضد الثورة ، ولم يكن ضد جمال عبد الناصر ، ولكنه كان ضد نوع من الأدباء احتلوا القمة فى الساحة

أنور المعداوى



يوسف السباعى



الأدبية ، وهم فى الأصل كانوا ضباطاً فى القوات المسلحة ، ثم اعتزلوا السلك العسكرى واحترفوا العمل الأدبى ، وأصبحوا هم مندوبى القيادة .. فى الشعر والأدب والفن ! وكان يوسف السباعى هو عميد هؤلاء الأدباء ، فهو لواء بالجيش ، وقائد بسلاح الفرسان ، وهو كان يمارس كتابة القصة قبل الثورة ، وهو كان يمارسها من باب الهواية ولشغل أوقات الفراغ !

ولكن بعد الثورة اندفع فجاة إلى الصدارة ، وصار واحداً من الكتاب الرسميين ، وأصبح رئيساً لنادى القصة ، وسكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للآداب والفنون ، وسكرتيراً لنادى الأدباء !

ولقد تحمل أنور المعداوى واتسع صدره لكل هذا الذى حدث . وكان من الممكن أن يتحمل إلى النهاية ، لولا أن يوسف السباعى أصبح فجاة وبقدرة قادر رئيساً لتحرير مجلة « الرسالة » ! ولأنور المعداوى علاقات وثيقة وتاريخية وعاطفية بمجلة « الرسالة » القديمة . فقد كان واحداً من أبرز كتابها ، وكان هو أول من سلط الضوء

فيها على أشعار نزار قبانى ، وكان أول من نشر على صفحاتها بأدب نجيب محفوظ !

وكانت مجلة « الرسالة » القديمة التى كان يرأس تحريرها الأستاذ احمد حسن الزيات هى أعظم وأرقى المجلات الأدبية فى الوطن العربى . وكان لا ينشر فيها غير إنتاج كبار الكتاب والأدباء والشعراء ، وأصبحت بمرور الزمن مدرسة تربى فيها جيل كامل من الأدباء من طنجة إلى حلب . ثم اضطرت المجلة إلى الاحتجاب فترة من الزمن .

وعندما عادت « الرسالة » إلى الصدور فى بداية الخمسينات ، كان شكلها وانتاجها يعبر عن التغيير الذى طرأ على الحركة الأدبية فى مصر . كانت من حيث الشكل تنافس مجلة « الكواكب » ، ومن حيث المضمون كانت نسخة مكررة من مجلة « آخر ساعة » ، مع فارق بسيط هو أن مجلة « آخر ساعة » يحررها صحفيون محترفون ، بينما مجلة « الرسالة » يتولاها هـــواة لا خبرة لهم ولا حيلة . كان يوسف السباعى الضابط السابق يرأس تحريرهـــا . وعبد العزيز صادق الضابط المتقاعد يشرف على إدارة التحرير ، بينما يتولى تحريرها نفر من أشباه الكتاب الذين حاولت الأجهزة فرضهم على الحركة الأدبية ! وكانت هذه أكبر ضربة وجهت إلى أنور المعداوى . هب كالاعصار يهاجم مجلة « الرسالة » . وبالطبع هاجم يوسف السباعى وبطانته . هاجمه كأديب ، ولكن يوسف السباعى اعتبر الحملة موجهة ضده كمندوب للقيادة ولما كانت المعركة غير متكافئة بين أنور المعداوى وسلاح المدرعات ، فقد آثرت أن تدخل فى الموضوع لاصلاح ما يمكن إصلاحه . وبالفعل رتبت موعداً بين يوسف السباعى وأنور المعداوى ، وكان «جروبى» عدلى باشا مكان اللقاء ، وأبدى يوسف السباعى رغبته فى أن يتولى أنور المعداوى إدارة تحرير « الرسالة » بدلا من عبد العزيز صادق . وقبل أنور المعداوى ولكن بشروط . ولم يفصح عن هذه الشروط ولكنه وعد بالكشف عنها عند لقائه بيوسف السباعى .

كان اللقاء فى الخامسة بعد الظهر فى « جروبى » عدلى باشا كما قلت وذهبت أنا فى الخامسة إلا ربعاً وجلست أنتظر . وفى الخامسة تماماً وصلت سيارة حربية ترفع



احمد حسن الزيات .. صاحب مجلة الرســالة ( القديمة ) التى كانت بمثابة جامعة ثقافية

علم القيادة ، ونزل منها الأديب يوسف السباعى فى ملابس جنرال . ورحنا نتجاذب الحديث لمدة ساعة ولم يظهر أى أثر لأنور المعداوى . وفى السادسة والربع أهل علينا بقامته السامقة وكبريائه المعهود واعتذر عن التأخير لارتباطه بموعد سابق مع « فلاح من بلدنا » . ورمقنى يوسف السباعى بنظرة حادة وكأنه يقول « عذر اقبح من ذنب » . وبلع يوسف السباعى الاهانة وواصل الحديث بهدوء مع أنور المعداوى . وعرض عليه إدارة تحرير مجلة « الرسالة » . ووافق أنور بشروط . ولكن الشروط كانت أكثر مما يحتمل يوسف السباعى . كان أول شرط هو فصل جميع المحررين الذين يعملون بها . وكان آخر شرط هو عدم نشر الكلام الفارغ الذى ينشره يوسف السباعى . وانتهت الجلسة إلى لا شىء .

وافترقنا . يوسف إلى مجلة « الرسالة » وأنور المعداوى وأنا إلى قهوة عبد الله . وفى الطريق سألنى أنور المعداوى عن رأيى فى الحديث الذى دار ، وقلت له بصوت خفيض : لا بأس بالحديث ، ولكنى أعتقد انه سيكون بداية المتاعب . وقال أنور وهو يهز رأسه الكبير : مرحباً بالمتاعب ! ولكن الذى حدث بعد ذلك لم يكن من نوع المتاعب . بل كان من نوع المصائب . أطيح بانور المعداوى ففصل من وظيفته بطريقة خبيثة ، وانقطع صرف مرتبه ، وضيقوا الخناق عليه فلم يعد يستطيع أن ينشر حرفاً من إنتاجه ومع ذلك لم يهدأ أنور المعداوى ، ولم يستسلم ، ولم يهادن . استعان على مواجهة مطالب الحياة بمعونة مالية من صديقه الأديب الطيب محمود شعبان ـ وهى قصة سنتعرض لها بالتفصيل فيما بعد ـ وقد لجأ إلى القضاء عارضاً القضية بكل أبعادها أمام المحاكم .

ولكنه بالرغم من المحنة والصدمة ، لم يتخلف يوماً واحداً عن مكانه فى قهوة عبد الله . ولم يقطع صلته بالندوة بالرغم من وجود عدد من مندوبى السلطة والمخبرين كل ليلة . ولم يتوقف عن إبداء رأيه فى الحال السيىء الذى انتهى إليه الأدب فى مصر . وطال الزمن بالقضية أمام المحاكم ، ثم صدر الحكم بانصاف أنور المعداوى وإعادته إلى وظيفته . ولكن الجهاز البيروقراطى المدرب نفذ حكم القاضى ، وضاعف من غيظ أنور المعداوى . فقد كان أنور يعمل مستشاراً بالمكتب الثقافى بوزارة التربية والتعليم ، ولكنهم اعادوه بوظيفة مدرس بمدرسة ابتدائية مغمورة فى حى من أحياء القاهرة المعزية . وكانت الضربة شديدة هذه المرة . ولم يحتمل أنور القوى .. فقد أدركه ضعف الانسان الفرد امام جبروت الحكومة . وأنه لا مناص أمام الانسان الفرد من الركوب فى عربة النظام ، أو مرور العربة على جثته . فاستقال أنور من الوظيفة ، وبدأ صراعه مع المرض الرهيب الذى قضى عليه !

ولم تكن هذه قصة حياة أنور المعداوى ، ولكنها قصة نهايته أردت أن أبدأ بها ليعلم القراء كيف مات ناقد لم تنجب مصر من طرازه إلا عدداً أقل من أصابع اليد الواحدة .؟! وكيف انتهت حياة مفكر عظيم لو أتيحت له الظروف المناسبة لترك فى مصر أثراً ربما فاق الأثر الذى تركه العقاد .؟! ولكنها الظروف السياسية التعيسة حين تعرض حتى السلطة أن تؤثر تولاء الأعمى على النصيحة الخالصة . وأن تقبل بالذيول وترفض الأنداد . وأن تطرد أهل الخبرة لتحل محلهم أهل الثقة ! وأن تحجب عن القراء قلم أنور المعداوى ، بينما تطلق العنان لأقلام استخدمت أغلب الوقت فى كتابة تقارير كاذبة !

إنها ليست محنة أنور المعداوى ، ولكنها محنة العصر . وهى مأساة تتكرر كثيراً ولكن أحداً لا يستفيد منها ، ولا أحد يتعظ بها . لأنه هكذا الحياة ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له !!

... وللحديث بقية ...



النائبة جينولا كوهين .. صاحبة قانون القدس ، الذى قضى بضم القدس إلى الكيان الصهيونى واعتبارها عاصمته الأبدية !

# جيئولا كوهين .. النائبة الإرهابية التى تنادي بإبادة الجنس العربي !

بقلم : عصام شريح

إن احد أهم النتائج التى أسفرت عنها التجربة الصهيونية على أرض فلسطين العربية المحتلة . هى دون شك تشويه القيم وبالتالى خلق جيل من اليهود ( الصابرا ) مشحون بقيم العدوانية والهوس بالسلاح والغرور الشديد .

وفى ظل الايديولوجية الصهيونية خيم على الاسرائيليين مناخ هستيري للتعصب الديني والتوتر الدائم ، والهلوسة بالشعارات النابعة من أساطير بائدة : كشعب الله المختار – وارض الميعاد – ووفاء « يهوه » بوعده لشعبه .. الخ ، ثم الشعور الدائم بأن الحرب والعنف هما الوسيلة الوحيدة والمثلى لتحقيق الحلم الصهيوني فى اقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ، وأخيراً .. وليس آخراً .. التحول الى نظام فاشي يستخدم « سياسة اليد القوية » والاستغلال الاقتصادى ، ليس ضد العرب فحسب ، وانما ضد اليهود الشرقيين – السفارديين – أنفسهم .

## نموذج واضح

فى نطاق الحديث عن تشويه القيم لدى أجيال الاسرائيليين الذى تربوا فى ظل الايديولوجية الصهيونية ، يمكن تقديم نموذج مثالى على ذلك ، بالحديث عن « جيئولا كوهين » – النائبة فى الكنيست الصهيوني ، والتى تعبر بشخصيتها العادية ، وببساطة تفكيرها ، أصدق تعبير عن جوهر الصهيونية وحقيقتها دون طلاء أو مساحيق ، ولذلك فان الحديث عن جيئولا كوهين ، هو فى الواقع ، حديث عن الصهيونية عارية ، وخارج إطار السياسة وتعقيداتها الاستراتيجية أو التكتيكية ، وخارج إطار الدبلوماسية وكياستها المظهرية ، بل ان الحديث عن هذه المرأة ، هو فى بعض جوانبه حديث عن الاستراتيجية الصهيونية ، التى لم يطرأ عليها أى تغيير ، منذ تحديد خطوطها الاساسية ، ومبادئها الرئيسية فى مؤتمر بال فى عام ١٨٩٧ .

ولا ننسى هنا ان جيئولا كوهين هى صاحبة ما يسمي « بقانون القدس » الذى قضى بضم القدس الى الكيان الصهيونى

واعتبارها عاصمته الأبدية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٠ ، كما هى صاحبة ما يسمى « بقانون الجولان » الذى قضى بضم الجولان السورية المحتلة الى الكيان الصهيونى فى ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩٨١ .

## سيرة ارهابية

تقول جيئولا كوهين عن نفسها ، أنها بدأت حياتها السياسية (الارهابية) عملياً فى عام ١٩٤٥ ، عندما قامت بوضع ملصقات صهيونية على الجدران ، ثم اخفت بعض المتهمين من الارهابيين الصهاينة الذين كانت سلطات الاحتلال الانكليزى فى فلسطين تتعقبهم .

وكانت كوهين آنذاك تعمل ضمن عصابة « الأرغون تسفاي لئومي » التى كانت تعرف اختصاراً باسم « منظمة الأتسل » ، والتى كان يتزعمها مناحيم بيجن رئيس وزراء العدو الحالى ، لكنها فى أعقاب الانشقاق الذى وقع فى صفوف « الأتسل » فى عام ١٩٤٠ ، والذى أسفر عن تأسيس منظمة عسكرية ارهابية منافسة بزعامة ابراهام شتيرن ، انضمت جيئولا كوهين إلى المنظمة الجديدة ، كما أصبحت تعرف باسم «ليمى» ـ ( أى المحاربون من أجل حرية اسرائيل ) ، كما كانت تعرف أحياناً باسم مؤسسها « شتيرن » .

والتحقت كوهين التى ولدت فى عام ١٩٢٥ لأب يهودى من أصل يمني ، بالجامعة العبرية ، وانضمت الى حزب حيروت ـ أو حركة حيروت ( أى الحرية ) ، عند تأسيسه فى تموز ( يوليو ) ١٩٤٨ ، ثم عملت صحفية بصحيفة « معاريف » فى عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٧٣ ، حيث رشحت نفسها لعضوية الكنيست على قائمة « حزب حيروت » وفازت بدخول الكنيست ، ومنذ عام ١٩٧٣ أصبحت جيئولا كوهين داعية متحمسة جداً للاستيطان فى الضفة الغربية ، وقد انضمت مع أرييل شارون فى عام ١٩٧٤ الى حركة « حوش إيمونيم » ، وشاركت فى احتلال بلدة « سبسطيه » العربية ومصادرة أراضيها والاستيطان فيها . وقد حاولت فى عام ١٩٧٧ ، الحصول على منصب وكيلة وزير المعارف ، لكنها أخفقت فى ذلك فعملت رئيسة للجنة استيعاب المستوطنين اليهود الجدد ، وهى لجنة تابعة للكنيست . ومنذ عام ١٩٧٩ ، وهى تحرض دون هواده ضد اتفاقية كامب ديفيد ، لأنها على حد زعمها « فرطت «بسيناء للمصريين ، وقد أعلنت فى الكنيست عن معارضتها لتلك الاتفاقية بكل صراحة ، ولذلك انتقلت فى عام ١٩٧٩ إلى العمل خارج حزب حيروت ، وحزب ليكود الحاكم .

## حزب جديد

فى ٣١ أغسطس ١٩٧٩ ، أعلن البروفسور « يوفال نئمان » عن تأسيس حزب يميني صغير يتميز بتطرفه وشوفينيته على صعيد السياسة الخارجية والأمنية ، هو حزب « هتحياه » ( اى البعث أو النهضة ) ، وذلك بعد انسحاب عدد من الشخصيات اليمينية المتطرفة من « الليكود » الحاكم .

وقد عقد الأعضاء المؤسسون لحزب « هتحياه » مؤتمراً صحفياً فى تل ابيب فى اوائل شهر تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٧٩ ، حضرته جيئولا كوهين الى جانب موشيه شامير والأستاذ يوفال نئمان وتسفى شلوماح وافرايم بن حاييم ، وحنان بوراث ، وغرشون شفاط ، وأعلن هؤلاء عن قيام حركتهم التى تعارض اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع مصر ، وتدعو بالمقابل الى تطبيق السيادة الاسرائيلية على المناطق العربية المحتلة .

وفى ذلك المؤتمر ، تحدثت جيئولا كوهين فقالت : ان زعامة الليكود قد أعياها التعب ، ويجب أن تذهب ، ووصفت الداعين الى استمرار « مفاوضات السلام » مع مصر بأنهم « مصابون بجنون التطبيع ، ومتصوفو سلام الآن » .

كما تحدثت كوهين عن مؤسسي الحزب ، وعن أهدافهم ، فقالت : إنهم تركوا إطارات حزبية سابقة ، لكى يناضلوا من أجل « مبادىء الوفاء لأرض اسرائيل » والاستيطان فى كل أرجائها ، واضافت أن هناك استجابة واسعة للحركة الجديدة بين الجمهور الاسرائيلى ، وأعربت عن ثقتها فى أن يحصل حزب « هتحياه » على عشرين مقعداً فى الانتخابات القادمة . ( نال الحزب ثلاثة مقاعد فقط فى انتخابات عام ١٩٨١ ، وتفسير جيئولا كوهين ذلك ، بأنه يعود الى القرار الجماعى للحزب والذى اتخذ فى آخر لحظة ، ويقضى بتوجيه النقد الى حزبى ليكود والمعراخ ، وبذلك فان الانتخابات فى نظر كوهين لم تجر حول القضايا الحقيقة (اى المناطق المحتلة ـ السلم ـ الانسحاب ) وتقول إن الاسرائيليين تعرضوا للخداع والغش ) .

وهكذا فان جيئولا كوهين ، انسحبت من حزب « حيروت » المتطرف بحجة أنه حزب معتدل ، وأن رئيسه مناحم بيجن «يتساهل اكثر من اللازم » .

وكان المتطرفون فى حزب حيروت ، الذين يقفون على يمين مناحم بيجن قد بدأوا بالتحرك ضد اتفاقية كامب ديفيد ، التى وقعتها كل من مصر واسرائيل فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ، وتصاعد هذا التحرك بصورة خاصة بعد إقرار اللجنة المركزية لحزب حيروت فى جلستها التى عقدتها بتاريخ ١٨ مارس ١٩٧٩ ، « معاهدة السلام» بين اسرائيل ومصر ، باغلبية كبيرة ، وقد لعبت جيئولا كوهين دوراً بارزاً فى هذا التحرك .

## النائبة الإرهابية
# التى تنادي بإبادة الجنس العربي !



النائبة الاسرائيلية اثناء حديثها عن مشروعها لضم القدس فى الكنيست

وفى اطار معارضتها لاتفاقية كامب ديفيد ثم لاتفاقية الصلح مع مصر، حاولت أولا ان تقلب المائدة على رأس مناحم بيجن وانصاره عن طريق تجميع شمل المعارضين للاتفاقيتين داخل « حيروت » ، فدعت جيئولا كوهين هؤلاء المعارضين الذين كانوا يطلقون على أنفسهم تسمية « المخلصون فى حزب حيروت » ، الى عقد اجتماع بمقر الحزب بتل ابيب فى ايلول ( سبتمبر ) من عام ١٩٧٩ ولكن الاجتماع لم يقتصر على أعضاء مجموعة « المخلصين » هؤلاء ، بل حضره أيضاً عدد من السياسيين من أعضاء « الليكود » الذين يعارضون سياسة حكومة بيجن ، من أمثال النائب يئغال كوهين ، و أورغاد ويد يديا بعيري من حزب الأحرار . وقد حمل المجتمعون على قرار بيجن واللجنة المركزية لحزب حيروت بالموافقة على اتفاقية كامب ديفيد ، وكان بين المتكلمين أورغاد كوهين ، و يوسف شيلوح ، وشموئيل كاتز ، وقد وصف هؤلاء « بيجن » « بخيانة » « مبادىء حيروت » .

أما جيئولا كوهين ، فقد قالت فى كلمتها ، انها كانت تزمع الاستقالة من « حيروت » بعد الاقتراع على اتفاقية كامب ديفيد ، لكنها غيرت رأيها بعد تلقيها عشرات المكالمات الهاتفية من اعضاء اللجنة المركزية للحزب ، حاولوا فيها اقناعها بان هناك أغلبية فى « حيروت » تقف ضد بيجن وضد اتفاقية كامب ديفيد . وأضافت جيئولا كوهين قائلة : إن المجتمعين لا يعتبرون انفسهم منشقين عن « حيروت » ، بل إنهم يمثلون فى الواقع حزب « حيروت الحقيقى » أمـــا البقية فقد أصبحوا حلقة من المخلصين لمناحم بيجن وليسوا أكثر من ذلك .

ووصفت بيجن بأنه ضعيف وخائف .

ولكن موقف جيئولا كوهين ورفاقها فى حيروت والليكود تبدل جذرياً بعد ثلاثة اشهر عندما صادق الكنيست الاسرائيلى على اتفاقية كامب ديفيد . وكان لا مفر أمامها من الخروج من حزب « حيروت » والعمل على تأسيس حزب يميني جديد ، عرف فيما بعد باسم حزب « هتحياه » .

### أفكار مشوهه

بالرغم من أن جيئولا كوهين لا تمتلك مواهب غير عادية ، وبالرغم من محدودية قدرتها على الاقناع ، وبالتالى افتقارها للشخصية القيادية ، فان هـــــذه المرأة « المسترجلة » ، تلجأ إلى الانفعال الدائم ، والى استخدام عبارات متطرفه ، بقصد التأثير فى انصارها وجمهورها . لكن كوهين تمتلك فى الواقع افكاراً سياسية روتينية ، مقتبسة من « قاموس الصهيونية » ، وهى لم تبرهن خلال الفترة التى أمضتها فى العمل فى « الحقل السياسي عن قدرة على تخطي الأفكار الحزبية الضيقة ، الى عالم السياسة الواسع ، أو عالم الدبلوماسية المرنة .

اما قبضة الأفكار المشوهة التى تحملها جيئولا كوهين فى راسها فيمكن اختصارها بالنقاط التالية :

● « الصهيونية تعنى النضال الأبدى ، وإلا فهى لا شىء » ، وقد فقد الاسرائيليون ثقتهم بالذات ، كما فقدوا ثباتهم على الهدف وتتهم جيئولا كوهين قادة الأحزاب الاسرائيلية جميعاً ، بفقدان الشهية على النضال ، وتفضيل السلام على ذلك .

● السياسة فى نظرها ليست أكثر من قانون غاب يرتدى قناعاً زائفاً اسمه العلاقات الدولية ، والأمم تنقسم إما إلى ذئاب أو الى نعاج ، اما الحروب بين الدول ، فهى عملية مستمرة ، والأمم تخرج منها عادة إما قوية منتصرة ، أو ميتة مهزومة .

● عزلة اسرائيل سببها « التنازلات » ، « وكلما استطعنا التغلب على الجبناء فى صفوفنا ، فاننا نستطيع التغلب على الضغوط الخارجية ، وعندما رضخنا لتلك الضغوط ، اضطررنا لدفع ثمن باهظ » .

وتقول كوهين : ان العالم يسخر من الاسرائيليين ، لأنهم يعيشون حالة من الرضوخ الدائم ، وهم يعانون فى هذا الصدد من صفة اكتسبها اليهـــــود فى « المهجر » ، الا وهى صفة الخوف والاستسلام ، وتتهم جيئولا بعض أعضاء الكنيست بالجبن والاستعداد التلقائى للرضوخ امام الضغوط الخارجية .

● السلام مع مصر مجرد خدعة ، وهو بالتالى عار يصيب اسرائيل !! وتتساءل كوهين : هل يتوجب على اسرائيل الانتظار إلى أن توقف مصر مسيرة السلام بعد حصولها على مبتغاها ؟ ( الانسحاب من سيناء ) . لذلك طالبت جيئولا بوقف عملية الانسحاب من سيناء ، بل هى نادت بالعودة إلى احتلال الأرض التى انسحبت منها اسرائيل فى سيناء ، بما فيها ابار البترول فى أبو رديس .

وتعود الى الأساطير البالية ، لتستشهد بها على ان « منطقة ياميت » فى سيناء « كانت على جميع الخرائط التاريخية « جزءاً من « مملكة داوود وسليمان » ، وحذرت كوهين من أن « التنازل » عن سيناء ، سوف يعتبر سابقة ، وأن التخلى عن « ياميت » ، سوف يقود فى النهاية الى التخلى عن الضفة الغربية !! .

ولذلك فهى تطرح الشعار التالى : « إن المعاناة من أجل أرض السلام ، أفضل من السلام الآن » ، لأن السلام سوف يلد حروباً فى المستقبل . ولذلك أيضاً تقول جيئولا إنها رفضت دعوتين من الرئيس المصرى الراحل انور السادات لزيارة القاهرة وتعلل رفضها هذا بالقول إن الرئيس المصرى السابق اعترف فقط بحقيقة قيام اسرائيل ووجودها فى منطقة الشرق الأوسط ، ولكنه لم يعترف بما تسميه « حق اسرائيل التاريخى فى الوجود » !! وتضيف كوهين ان الفرق بين هذين الأمرين هام جداً !! ثم تمضى قائلة أن زيارتها للقاهرة رسمياً لن تكون ذات هدف ، والأفضل ان تقضى الوقت فى القدس ، تكافح لابقاء المدينة عاصمة موحدة لاسرائيل !!

وعن ضم مدينة القدس المحتلة للكيان الصهيوني ، تقول جيئولا كوهين إن « قانون

القدس » الذى تقدمت به الى الكنيست وصادق عليه فيما بعد ، قد « برهن عن أن الانسان يجب ان ينجح اذا أمن بعدالة موقفه » !

وتضيف أنها اقترحت على مناحيم بيجن إصدار هذا القانون قبل انسحابها من حزب « حيروت » ، لكنه لم يوافق . ( بعد موافقة الكنيسة على قانون القدس صافحها بيجن بحرارة ، وقام بنغال هوروفتش بتقبيلها ، وقال لها أريبيل شارون : عودي الينا ( الى الليكود ) فنحن بانتظارك .

## تجاهل الوجود العربى

أما العرب وحقوقهم واراضيهم المصادرة والاضطهاد المنظم الذى يلاقونه يومياً على يد السلطات الصهيونية ، فهو لا يثير جيئولا كوهين لا من قريب ولا من بعيد ، بل إن هذا الأمر لا يعنيها ، وفى المصادر التى قرأت فيها عن هذه المرأة ، على ندرتها ، لم أعثر على كلمة واحدة عن العرب ، وكأن هؤلاء غير موجودين أصلا بالنسبة اليها ، أو أن وجودهم «الطارىء» فيما يسميه الصهاينة « بأرض اسرائيل » لا يستدعى منها التفكير فيهم ، لأن كل اهتمامها منصب على العمل لتهويد الأرض العربية المحتلة ، وتحقيق الحلم الصهيونى فى اقامة امبراطورية كبرى من الفرات إلى النيل .

## أين كوستلر ؟!

فى أواخر الخمسينيات نشر الكاتب والأديب اليهودى « أرثر كوستلر » روايته الشهيرة « ظلام فى النهار » أو « ظلام فى وقت الظهيرة » ، عبر فيها كوستلر عن كفره بالشيوعية كايديولوجية كان يعتنقها فى وقت من الأوقات ، وبالتالى عن شعور بالمرارة لما وصل اليه الانسان ، ووصلت اليه القيم الانسانية فى العصر الحديث ، وقد ثارت تلك الرواية فى حينه ضجة كبيرة ، لما تضمنته من تصوير مدهش للاحباط النفسي الذى يعاني منه أشخاص الرواية ، وكان أهم الجوانب التى رمت اليها رواية كوستلر



مناحيم بيجن .. وصفته النائبة جيئولا كوهين بانه ضعيف وخائف

ـ فى نظري ـ هو ذلك التشويه للقيم الذى تسببه العقائد التوتاليتارية ومنها الشيوعية ، بما فى ذلك مسخ العواطف الانسانية النبيلة لدى اتباع هذه العقائد ، بحيث تعبر هذه عن نفسها فى قوالب لفظية جامدة ، بل خالية من أى شعور أو إحساس بالحق والخير والجمال .

لقد تذكرت « رواية ظلام فى النهار » وأنا اكتب عن جيئولا كوهين التى تمثل نموذجاً مثالياً للمسخ البشرى الفاقد لأي إحساس بالحق والخير والجمال فى ظل التربية والتثقيف اللذين تفرضهما العقيدة الصهيونية ، وبدلا من القيم الجمالية يتقمص المسخ الصهيونى من أمثال جيئولا كوهين ، « قيم » الشر المتمثلة فى العدوانية والهوس بالسلاح والانتقام ، ومصادرة حياة الآخرين .

وقد تساءلت ـ وأنا اكتب عن جيئولا هذه ـ لماذا لم يكتب كوستلر الذى اختار « الاندماج » فى الغرب على « الاندماج » فى المجتمع الصهيونى ، عن التشويه فى القيم الذى اسفرت عنه العقيدة الصهيونية فى التطبيق والممارسة العملية ؟؟ علماً بأن كوستلر رأى هذا التشويه وعاينه عن قرب عندما عاش لسنوات طويلة فى فلسطين المحتلة ، قبل أن يغادرها « للاندماج » فى المجتمع الأميركى !!

إن تقصير كوستلر فى كتابة رواية عن الصهيونية كعقيدة تمسخ شخصية الانسان ، كما فعل فى روايته « ظلام فى



شارون ... قال لها عودي الينا ، فنحن فى انتظارك !

النهار » ينتقص من تلك الرواية بل من كل الآثار الأدبية التى حفلت به حياته ، وأكثر من ذلك فان هذا التقصير يثير شبهات حول المرامي الحقيقية لرواية « ظلام فى النهار » ؟! وفى الواقع فان هذا التساؤل ورد فى خاطرى وانا اكتب عن جيئولا كوهين ـ المسخ الصهيونى لسببين :

الأول : أن قلة قليلة تصل إلى حد الندرة ، تنبهت لهذا التشويه فى القيم الذى ولدته الصهيونية فى الانسان اليهودى .

والثانى : أن هذا التشويه يمثل فى حد ذاته ظاهرة هى الأخطر من نوعها فى عصرنا لأن أثرها التدميرى لا يقتصر على الانسان اليهودى فحسب ، بل هو يصيب العرب أولا والعالم ثانيا حيث للايديولوجيا الصهيونية أبعاد عالمية أيضاً ، تتمثل فى الانتقام من العالم الذى « اضطهد » اليهود ، « وحبسهم » فى « الغيتو » فى المجتمعات الغربية المسيحية ، بل وفى الانتقام من المسيحية عينها بالدرجة الأولى ، لأنها المسؤولة عن « مأساة اليهودية » ! ويبقى ان نقول أخيراً ، أن جيئولا كوهين ، على سذاجة الأفكار الصهيونية التى تحملها ، بل وعفوية هذه الأفكار ، إنما تقدم للأجيال العربية ، نموذجاً للشخصية الصهيونية العدوانية والمتغطرسة ، التى تقاتلهم على أرضهم وتستبيح دماءهم وأراضيهم وتتحدى فيهم غريزة بقاء النوع .

عصام شريح



# فصول أبي البهاء في التحدي والرهان

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

فرغنا ، انا وابو البهاء ، من الغداء على مائدة صديقنا الاستاذ مصطفى واخذنا نشرب القهوة .

قلت لصاحبي بحضور مضيفنا وزوجته :

ـ لك أيام ثلاثة وانت تدعوني بالحاح إلى غداء بضيافتك ... واذا بالغداء في بيت الأستاذ مصطفى ، وعلى حسابه !

قال أبو البهاء : بل انك تغديت على حسابي . لا تحسب اخانا هذا أطعمنا كرماً منه ، وانما هو حق لي عليه ... دين سدده لي .

قلت : أي دين ؟ أصحيح يامصطفى ما يقوله هذا الرجـل ـ ؟

فاجاب مضيفنا في تسليم : نعم ، صحيح . لابد من الاقرار بأن من يتحدى ابا البهاء خاسر دوماً .

قلت مستفهماً : ما هي الحكاية ـ ؟ وهل تعرفينها ياسيدتي ـ ؟

فابتسمت زوجة صديقنا وقالت : الأصلح ان ابتعد عنكم لئلا يجد زوجي حرجاً في رواية خسارته ... أو لئلا يلقي اللوم علي في تلك الخسارة . خذ حريتك بالكلام .

قالت هذا لزوجها بلهجة ساخرة وتركتنا لوحدنا . عندها قال مصطفى :

ـ كاد هذا الرجل أن يخرب بيتي ...

فقاطعه أبو البهاء قائلا : الذنب ذنبك !

فسالت أنا : يخرب بيتك ؟ كيف ـ ؟

قال مصطفى : الحكاية بدات في المقهى . كنا شلة من الأصدقاء نتحدث في فصول أبى البهاء وكيف وقع ضحيتها عدد من منكودي الحظ ، فقلت أنا إن مقالبه تجوز على السذج من معارفه ، أو على من يلقونه لأول مرة فيخدعهم بمظهره الوقور وبذلاقة لسانه . أما نحن الذين نعرفه حق المعرفة فاني اتحداه بان يجر واحداً منا الى موقف لا يحبه ...

ردد هنا أبو البهاء جملته السابقة قائلا : إذن فالذنب ذنبك !

قال مصطفى : هذا ما جرى . إذا أردت الصحيح ، لم أخسر أنا في التحدي ... فالدور الذي لعبه أبو البهاء لم يجز علي أنا وانما خدعت به زوجتي ، وهي لم تكن تعرف هذا الرجل قبل لقائنا به عند مدخل حي الأسواق منذ خمسة أيام . الواقع أنه لم يفز ...

فقاطعه أبو البهاء قائلا بلهجة الواثق من أن الحق بجانبه : لم أفز ـ ؟ ... وهذا الغداء الدسم الذي لم نغسل أيدينا من أطايبه ، أهو كرم منك ؟

قال صاحب الدار : اعترف أني دعوتكم مرغماً ماحيلتى إذا كان فصلك الذي دبرته احال بيتي جحيماً في الأيام الخمسة الفائته !

قلت أنا وقد عيل صبري : أنتما تتكلمان بالألغاز . ألا استطيع أن أعرف ما جرى بينكما على الضبط ـ ؟

قال الأستاذ مصطفى : ساختصر لك الحكاية . ما انقضى يومان على جلسة التحدي التي ذكرتها لك حتى التقيت بأبى البهاء وجهاً لوجه في السوق ، وكنت فيه مع زوجتي نتنقل من مخزن إلى مخزن . عرفت زوجتى به مضفياً عليه من الألقاب الحسنة ما كان يتناسب وسمته الوقور ومظهر الوجاهة الذي يتخذه أمام من لا يعرفه . وكما توجب اللياقة علي التفت اليه قائلا : وهذه سميرة ، قرينتي . فما كان من هذا الظالم إلا ان أدار وجهه الي وقال في شبه عتب ، وبلهجته التي يعرف كيف يبعد عنها كل أثر للسخرية والمزاح : الي أنا تقول هذا ـ ؟ كأنك لم تعرفني بزوجتك الحقيقية ، السيدة الشقراء ، حين كنتما تتعشيان في مطعم المطار منذ ثلاثة أيام !

وسكت محدثي عند هذا . لم أدرك حتى الآن خفايا هذا التصرف من أبى البهاء فسالت مضيفنا مستفسراً :

ـ وبعد ذلك ؟ فتنهد الرجل وقال : بعد ذلك ... بعد أن ألقى هذا الظالم قنبلته ، حيانا مسرعاً ، وابتعد عنا . وتعال اقنع أم البنين بأني ما تعشيت ، منذ ثلاثة أيام ، في مطعم المطار مع سيدة شقراء قدمتها لمن رآنا معاً على انها زوجتي الصحيح انى كنت منذ أيام ثلاثة اتناول عشائي في ذلك المطعم ، وإنما في رفقة مجموعة من الرجال كان بينهم أبو البهاء هذا . ولكنها حقيقة ما كانت زوجتي لتصدق اقوالي عنها بعد ان سمعت باذنيها من هذا الصديق ، الذي وصفته لها بكل وصف جميل ، أني أصاحب امراة اخرى وادعي أنها زوجتي . ولا أصف لك أياماً بلياليها قضيتها تحت سقف هذا المنزل أعاني من عقابيل فعلة أبي البهاء . لم أجد في النهاية سبيلا إلا

الاقرار له بانكساري وخسران التحدي ، بشرط ان يتولى ترقيع ما فتقه في حياتي العائلية . وكان ثمن قبوله غداء اليوم الذي شرفتنى انت بحضوره مع هذا المجرم ...

لم املك انا إلا الضحك من هذا الفصل الجديد من فصول أبي البهاء ، وسألت الاستاذ مصطفى :

– وعسى أن تكون السيدة رضيت عليك في النهاية ...

فهز راسه وهو ينظر إلى أبي البهاء وقال : من حسنات صاحبنا هذا انه مثلما يجرح يعرف كيف يداوي . لو رأيته حين زارنا ، بعد إقراري له بالهزيمة ، وكيف كان لسانه يقطر عسلا وهو يكيل لي الثناء أمام زوجتي ويقسم لها الأيمان بزور ما تقوله علي وبهتانه . على كل فصوله التي نعرفها لابد لنا من القول بان باع أبي البهاء في الشر قصير ، وان اذيته ، مهما آلمت ، تظل طريفة ومضحكة ...

●●

ولولا أن أبا البهاء يعرف كيف يداوي بعد أن يجرح ، كما وصفه الأستاذ مصطفى ، لقلت إن إيلام بعض فصوله يفوق طرافتها وإضحاكها . أضرب لذلك مثلا حكاية الصفعات الثلاث التي نزلت في ذات يوم على قفا احد الأبرياء الغافلين ، والتي رواها لي صديق طفولته يحيى أغا و أبو محمد .

قال يحيى أغا : كان ذلك في مطلع شبابنا ، حين كانت صدورنا مملوءة بالرغبات ، وجيوبنا خالية خاوية ، وأكثرها خلواً وخواء جيب أبي البهاء . دعوته آنذاك مرة لحضور فيلم في سينما « ديانا » التي أصبح لها اليوم أسم آخر ، واتخذنا مجلسنا في الطابق العلوي ، طابق البلكون . كان الحضور حولنا قليلين ، وأمامنا على مقعد في صف أدنى من مجلسنا بصفين مشاهد واحد ما كنا نرى منه غير ظهره . كان رجلا عريض القفا يلمع بياض نقرته بين شعره الأسود وسترته الداكنة تحت أنوار الصالة المضاءة ، إذ لم يكن العرض قد بدأ بعد . ملت على أبي البهاء بجانبي وهمست في أذنه : ما قولك في ليرتين تأخذهما حلالا زلالا ؟ أجابني متلهفاً : أين هما- ؟ أشرت إلى صاحب القفا العريض أمامنا وقلت : هما لك مني إذا صفعت هذا القفا من دون أن تدخلنا في معركة ! كان الرهان خطراً ، إلا أن الطعم كان مغرياً . فما تردد أبو البهاء ، بل قام لتوه وانحدر الدرجات الثلاث على رؤوس أصابعه حتى أصبح وراء الرجل وهوى على عنقه بصفعة داوية وهو

يهتف احمد ... يا ملعون .... ننتظرك امام الباب وانت هنا- ؟ ورأيت الرجل يهب قافزاً من مقعده وملتفتا إلى صاحبي الذي بادره بقوله : اخ ! العفو ياسيد ... ما اشبهك برفيقنا احمد ! ... لنا نصف ساعة ننتظره امام الباب ، انا وصاحبي . ظننتك هو فاردت أن أداعبه ... لا تؤاخذني ... ارجوك !

وتابع أبو محمد حكايته قائلا : مرت تلك الصفعة بسلام وعاد أبو البهاء إلى جانبي فدسست في جيبه الليرتين بصمت . اما المصفوع الذي احس بتركيز انظار الحاضرين عليه فقد ترك مقعده وخرج إلى الممشى المجاور فلم يعد إلى البلكون إلا بعد أن بدأ العرض واطفئت الانوار . لم يجلس في كرسيه الأول بل انحدر صفين آخرين مبتعداً بأكثر مما كان عليه عنا . مرة أخرى ملت على أبي البهاء وقلت له : لك خمس ليرات إذا فعلتها مرة ثانية ! فتطلع الي فيما يشبه التخوف من العودة إلى هذه المغامرة ، ولكني أحسبه كان يريد أن يستوثق من كوني جاداً في عرضي ، فخمس ليرات مبلغ غير هين بالنسبة إلينا معاً . وحين تيقن من اني أعني ما اقول قفز بخفة إلى أن أصبح وراء الرجل وفاجاه باللطمة الثانية مرفقاً إياها بقوله : واخيراً جئت يا احمد ... كدنا نقع في مشكلة حين غلطنا برجل يشبهك ! وسمعت الرجل ، في الظلمة ، يصرخ : يا اخي أنا لست رفيقك الملعون .... انا لست احمد ... ما هذا البلاء يارب -؟! وارتفعت حينذاك موسيقى الفيلم المعروض فغطت على صراخه وعلى اعتذارات أبي البهاء ، مثلما غطت على ضحكتي التي انفجرت بها حنجرتي بعد أن طال حبسي لها ...

قال أبو محمد : في هذه المرة ترك ذلك المسكين البلكون وانحدر إلى الطابق الأرضي . ظنناه تنازل عن سهرته وفارق الدار كلها . إلا اننا في فترة الاستراحة بين جزئي العرض أطللنا من ردهة الطابق العلوي فلمحناه مستنداً إلى أحد الأعمدة في استراحة الصالة الأرضية ، وسيكارته بين شفتيه . بدا لنا انه شاهد الجزء الأول من العرض في مقاعد الطابق الأرضي . قلت لأبي البهاء : أراهن على انك لا تستطيع أن تعيد الكرة ... أن تصفعه الثالثة ! قال : بكم تراهن ؟ قلت بعشرليرات . قال : تدفع سلفاً . فهززت له رأسي بالايجاب . قال : هاتها . كانت تلك الليرات

العشر كل ما بقي في جيبي من نقد ، فأعطيته إياها وانا أتوقع أن لا يمضي الأمر بسلام في هذه المخاطرة الثالثة . ولهذا ظللت في مكاني من الردهة العليا أطل من فوق سياجها على ممشى الطابق الأرضي ، بينما انحدر أبو البهاء إلى ذلك الممشى ، وتقدم بهدوء نحو صاحبنا ، حتى إذا أصبح خلفه رفع كفه وهوى بها على القفا العريض . التفت الرجل بعصبية إلى الوراء ، وارتفعت يده بحركة المقاتل المستميت . غير أن أبا البهاء كان أسرع مناورة ، فقبض على اليد المرفوعة وقربها من وجهه . حسبته ينوي أن يخوض المعركة مع ضحيته المسكينة ، ولكني تبينت انه قرب تلك اليد اليه ليضع على ظاهر كفها شفتيه ... ليطبع عليها قبلة خاطفة ، كانت مقدمة لسيل من الكلمات المعسولة ، لم يبلغ سمعي مؤداها في موقفي من الردهة العليا ، إلا اني عرفت أثرها في ملامح وجه الضحية . فقد بدا لي أن الرجل هدأ بعد فرط احتداد ، وفارقه غيظه ، وانتهى الأمر بان ارتسمت على شفتيه ابتسامة راضية . لاشك في انه اقتنع أوفى اقتناع بما أوهمه به أبو البهاء من أن اللطمات الثلاث نالته خطا ، فما كانت موجهة اليه البتة ، وانما إلى ذلك الرفيق المزعوم الذي اسمه أحمد ... احمد الذي لم يكن له في الواقع اي وجود .

وأنهى أبو محمد ، يحيى أغا ، حكايته كما انهاها الاستاذ مصطفى ، بقوله إنه خاض رهاناً مع أبي البهاء فخسره ، وانه تألم بعض الشيء لخسارته ، ولكن التعامل مع هذا الرجل وان أدى إلى الخسارة أو إلى التألم تظل مرغوباً بها لما في مقاله من طرافة واضحاك .

●●

نعم ، قد يشتط صديقي أبو البهاء احيانا في إيلام ضحاياه كما في الحكاية السابقة . وهو إذا فعل ، فانما يضطر إلى ذلك استجابة لدوافع معينة ، منها الافلاس ، ومنها الاستثارة ، ومنها في بعض الحالات الحب . ولعل الفرصة تتاح لي لاتحدث في مقال قادم عن فصول له الفها ، أو دبرها ، بتأثير الدافع الأخير ، وأعني به دافع العشق والغرام .

د . عبد السلام العجيلي

# الساعة التي تسبق الفجر

قصة بقلم : سعد مكاوي

« إن الشخصيات المتوهجة التى تتطلبها منعطفات الزمان الحرجة تولد عند الحاجة إليها ، تفرزهـا الضرورة » .

س.م .

فى ليلة من ليالى البرارى السحيقة ، حيث يتسيد الضباب ويتمـدد العفن ، وتنطمس الحقيقة وحيث تتناسل الجموع الكثيفة المنضغطة وهى تحشو بطونها بالفتات المتساقط من موائد القرصـان ، منسحقة الارادة تحت نعـال المواكب الصخابة لعتاة المرتزقة وجحافل المزيفين ، كان المستنقع الكبير ينمـو ويترامى ويستفحل أمام بصيرة الكهل الذى دفعته الضرورة إلى شراع خفقاته تعوذات ، فى زورق يطقطق خشبه إحساساً بالاغتراب .

خلال العفن جال الكهل ببصره فلم ير غير حركة الدود النهمة ، كبيرها يأكل صغيرها ، والكل آكل ما فى بطن المستنقع وظهره من طحالب .. وعندما رأى دودة صغيرة تلتهم مضغة من عشب القاع الغض فى نفس الوقت الذى تلتهمها هى فيه دودة كبيرة ، ابتعد زورقه بمجدافين فى تقزز وتشاؤم .

فى الظل والعزلة يشعر الكهل انه الأقوى ... يعزف على قيثارته القديمـة الطيبة ألواناً ، وعطوراً ، وطعومـاً ، وتجليات .. يغنى ويبشر وينادى الكلمات الصادقة من أركان الأرض : وقوفاً أيتها الكلمات !

لكن القيثارة كثيراً ما تسكت ، إذ تدخل عليه الضرورة لتخرجه إلى الآسن العطن مما حول كهفه .. عندها تأخذ الظلمة زخرفها على النواصي ، وتتنادى من حوله إشارات المسوخ كشفرة اللصوص .. تسكت القيثارة ، وتتحكم الضرورة ، فيغوص الكهل حتى عنقه فى ليل المسـتنقع البهيم ، وتشحب الألوان ، وتذوى العطور ، وتسخف الطعوم ، وتنطفىء الاشراقات .. حتى كلماته تستشعر هى الأخرى ذلك البرد الجليدى الذى يرصـها أمـامه فى توابيتها ، محنطة .

هو الذى يكمن كل شىء عنده فى الكلمة ماذا هو فاعل بكلماته فى قلب المستنقع الذى لم تعد بينه وبينه لغة مشتركة ، وأين يبشر بايمانه بان الكلمات الشريفة هى بشير الغد الجميل الذى يراه ببصيرته ويصر على انه هو الحقيقة ؟ .

وفى قلب الضباب العطن سمع ضربة مجداف غير مجدافه ، دون أن يعرف أى أنواع السلاح يحمل هذا الزورق الآخر الذى بدات مقدمته تتضح ، وإن كان يعرف انه هو فى هذا المكان وهذا الزمان بغير سلاح غير الكلمة .. وعندما صارت مقدمة الزورق المجهول عند طرف مجدافه سمع صوتاً :

ــ من هناك ؟ ماذا يقول له ؟!

ينقبض القلب وينبض الحذر ، فان الوهلة الأولى عند سماع ضربة مجداف آخر هى للتوجس ، إذ الميدان مفتوح للخطاف والمرشد قبل أن يكون هناك رجاء فى ظهور قلب نظيف أو إرادة طيبة أو بارقة أمل .

ــ ومن تكون أنت ؟

الآن يلتحم الزورقان وتستبين ملامح الوجه الآخر مبهمة بعض الشىء فى ضبابية الأشياء :

ــ أنا قلب يغامر وعقل يئن .

فى الصوت نبرة صدق عرفت طريقها إلى الأعماق الملهوفة من وجود الكهل المتمرس بمعادن النفوس .. ومع مسافة المجازفة المحسوبة فانه ينبغى ان نطرد من أنفسنا الخوف أحدنا من الآخر إذا كنا نريد حقاً أن نقهر كل هذا العفن ونطلع فى ليل المستنقع الطويل فجراً أى فجر .

بعد لحظة اليأس المرة احس ان نبرة الصدق فى صوت إنسانى واحد تكفيه لكى يتعالى على التشاؤم واليأس ، فسأل فى فرحة بلقاء الرجل الآخر أشيب الفودين مقرون الحاجبين الذى كان يرنو إليه بنظرة واضحة صديقة :

ــ تئن ؟

ــ أنين من طاردته زوارق المرتزقة .

ــ تغامر ؟

ــ بالباقى من العمر ، وما أقله .

ــ زوارق المرتزقة ؟

ــ لماذا أجازف بالكلام معك وقد تكون واحداً منهم ؟!

ــ هل فقدنا الثقة أحدنا فى الآخر إلى الأبد ؟

ــ المرتزقة يا أخى كما تعرف يملأون المستنقع،مشوهى الوجدان،زوارقهم ملء الضباب

ــ أجل يا أخى ... إنهم يصـنعون الضباب ... يستثمرون الضباب ... على جسد الحياة وروحها يثقل دهنهم ، منذ استعبدهم نفاقهم لقوة الضباب ،

ــ ها أنت ترى أن كلامنا لم يكن مجازفة بل مكاشفة !

ــ ما أسرع ما تفاهمنا .

ــ ما أسرع ما يجب أن نتفاهم .

ابتسم الكهل ابتسامة طفل سعيد .

ــ كلمات .. كلمات .. أليست لك أنت الآخر صناعة غير الكلمات ؟!

ــ من تكون أنت ؟

ــ رجل صناعته كلمات تبشر بالبعـد البعيد وراء الأفق .. بنور الفجر المتنائى



يشق الضباب .. انت من تكون ؟
– محارب قديم من جيش الحقيقة .
– متمرس ؟
– بالفعل الصادق ، الاخ الشرعى للكلمة المضيئة .
– أهلا بك .. تعال نوثق هذا اللقاء .
– كيف ؟
– كما نريد ... مجال الحركة مفتوح امامنا ... وما أسهل الميثاق بين المتوهجين بصدقهم ... نوثق لقاءنا بان نقول مثلا بيتاً من الشعر ، نشترك فى صياغة شطريه ونحن نشم معاً رائحة النتن الفائحة .. الا نقوى حتى على هذا ؟ .. إننى الآن اشعر ان المستنقع لن يبتلعنا نحن الآخرين ، بل اننا سنثب فوقه لنعانق الآتى ونغنى لنبض المستقبل .

قال الرجل الآخر بصوت يقطر استبشاراً :

– يا زورق يا مغترب .. منافذ الآفاق يسدها علينا تكالب الديدان التى تفوح نتنا وصراع الحيتان التى تنز زيتا ، ولكن لا عليك يا زورق ، فهناك وراء الأفق لابد أن تكون لهذا النتن نهاية ولشىء آخر بداية ، فلنتقدم ولنقتحم .

فى كل لحظة يضرب الماء حولهما مجداف مجهول .

وبكاء طفلة حزينة فى زورق بعيد يغشيه الضباب يتناهى إليهما واهناً متقطعاً حتى تقتله الأصوات الغليظة ، إذ يتنادى سعداء اللصوص بشفرة المرتزقة ، وفوق العطن يتساندون .

هل المجاديف اللصة والمتلصصة كثيرة حقاً إلى هذا الحد الميئس ، أم أن ضربة قوية على دف الحياة الصادق تستطيع أن تطرد شياطينها وتخرس صوتها وتمحق سرطانها ؟

عرف كل منهما كل شىء عن صاحبه ... لا تحزن إن الحقيقة معنا ... وما اجمل ان تجدنى وان اجدك ... ان يكون لنا وجود نحن الذين لسنا من المسوخ ولا من المرتزقة ... أن تكون لنا لغة مشتركة ... أن يكون لنا ولو بيت واحد من الشعر ، به نغنى وبه نبشر ... تعال نغنه للطفلة الحزينة الموءودة الصوت حتى نضيء لها الدرب ونجعله بشرى بين يديها ... ما اسم ابنتك ؟ ... هل تلف ذراعها الغض حول عنقك ؟ ... وما اسم ابنتيك انت ؟ ... وترى ما اسم هذه التى بكت منذ قليل تنادى من يؤنس وحشتها ؟ تعال نغن معاً وما أرى إلا أن صوتنا لا يلبث ان تؤنسه اصوات مجهولة لنا كما نحن مجهولون لها ... لا تحزن ان خصوبة الحقيقة معنا ... الا ترى أن لزوجة الضباب قد خفت بعض الشىء يا صديق ؟ ... تعال نغن بصوت يبغت المرتزقة فعل القارعة ويشق الضباب فعل السكين .

من قلب الضباب ظهر زورق ثالث صاحب المجداف فيه ملهوف ، دنا وتكلم غير هياب :

يا ناس ! ... ملعون هذا الزمن .. وملعون أنا إن عشت فيه بعد اليوم شيطاناً أخرس ... أما بعد هذا فالسلام عليكم ورحمة الله

– عليكم السلام ، أرنا وجهك .

عليك مسحة رضى ، من تكون ؟

– رجل حدثه قلبه انه يستطيع أن يأمن لكما .

– أنت صادق القلب فتكلم .

– إن كنتما تتطلعان نحو الآفاق فانا مثلكما ، ولكن نظرتى إلى الأعالى ... الدنيا عندى جسر نحو الكمال ، ولهذا فان الكمال هو هدفى ... اما بعد هذا فملعونون انتم ايضاً ان كنتم فى حقيقتكم من الشياطين الخرس أو من هيئة المرتزقة .

– بل كنا نتاهب لكى نغنى للفجر اغنية فتعال إذن وغن معنا .

– وماذا تقول أغنيتكم ؟

– نحن ننشد الفجر .

– مؤمنين ؟

– مؤمنين بان هذا ممكن .

– ما أبعدكم عن الفجر إن كنتم تنشدون شيئاً خارج انفسكم .

– تعال نبحث عما وراء اللعنات .. ليقترب مجدافك من مجاديفنا .

التحم بهما ملاح الزورق الثالث متوقد النظرة ، خفيف الروح على بدانته الظاهرة ... لكان يده تلوح للمصير براية علوية ، وكانه يقبس كلماته من نار داخلية لا تخبو ... وما لبثوا ان تبينوا أن تعدد منابعهم لا يعدد الهدف .

عطاشاً إلى الفجر الجديد تكلم كل واحد منهم من منبعه ، واتفقوا فى أشياء كثيرة ، واختلفوا فى أشياء قليلة ، ولكن ظهر لهم ان الهدف فى النهاية واحد .

إن هو إلا فجر واحد .

إذا كان الاول قد دفع ثمن الكلمة والثانى ثمن الفعل فان الثالث قد ضحى دائماً بالدنيا وما فيها من اجل القيم العلوية التى مشى عمره تحت لوائها .

عطاشاً إلى الفجر تكلموا ... الا إن اشد ساعات الليل ظلمة لهى الساعة التى تسبق الفجر !

## الساعة التي تسبق الفجر

كل منهم يستطيع أن يقول إنه لم تمسه يد القرصان التى صاغت المرتزقة ونشرتهم فى طول المستنقع وعرضه .. لقد عاشوا إلى آخر الشباب أو آخر الكهولة وصاروا أزواجاً وآباء دون أن تتمكن آية قوة أن تنال من إصرارهم على أن لا تتلوث طهارة زوارقهم الصغيرة ، فتعانقت أرواحهم وتلامست أفكارهم وتبوتقت إرادتهم .. ألا يا فجر فاسطع بنورك .. ألا يارياح الطهارة هبى !

تطلعوا حولهم فى لهفة .. لابد ان هناك سفناً اخرى من نوع زوارقهم تسعى خلال هذا العفن باحثة عن الفجر .. ولابد أن كثيراً من هذه السفن يقودها ملاحون من أصحاب الهمة والفتوة .. وفى البداية ارتدت إليهم نظراتهم حسيرة .. لم يروا فى أرجاء المستنقع المترامية إلا زيفاً يأتلف بزيف ، وتكتلات نكراء أدهى من دعوات الفساد على النواصى ، تتواصى وتتساند .. بل دهمت لقاءهم المتوارى سفينة ترفع راية سوداء غير مستخفية ، مسطورة الشعار على مقدمتها بوضوح سافر : « اخطف قبل غيرك واجر » .. وانقض عليهم منها جمع من اقوياء الحنجرة والعضل .. لقد جاء القرصان .. فى مثل لمح الطرف فتشوا الزوارق الثلاثة ونهبوا القليل الذى وجدوه فيها ثم اختفوا آمنين .. لقد ذهب القرصان .

– هذا النوع الذى هاجمنا هو اقل سفن المستنقع خطراً .. إن هؤلاء من صغار اللصوص .. هناك سفن أكبر وأذكى ، لا ترفع مثل هذه الراية الصريحة .. قراصنتها المتواصون بصمت، المتآمرون فى مسوح أخرى، يتقدمون ، وينتشرون ، ويسمنون ..

فى مقدمة زورق تعس ظهرت لهم امرأة يصك صوتها الأسماع وهى تلعن مستثمرى الضباب :

– يا ناس ! .. قرصان يقود سفينة فخمة تحمل اسم « المنجد » سلبنى وجردنى وأنتم فى الأركان تتسامرون .. هل كسرتم رقاب كبيركم وصغيركم وضعيفكم وقويكم ؟ .. بأى جلود صفيقة وقلوب ميتة تعيشون هذه الحياة ؟ .

رشقت نظراتها فى عيون الرجال تسائلهم .. ألم يعد يجوس خلال العفن غير هذا النوع من السفن المسموح لها بالحركة وغيرها هذا النوع من البشر الذى يستطعم النتن ولا يجد ما يشهره فى وجه الحياة غير خناجره ومخالبه ؟

هدأت ثائرتها لما سمعت كلماتهم ، وتكلم الأربعة وقد تعانقت مجاديفهم حتى بدا لهم أن الضباب يخف من حولهم وهم يتحاورون ، وقالت المرأة الشابة إنها تعلم أن زوارق اخرى كثيرة تجوب المستنقع باحثة عن دروب الفجر المضيئة ..

وجاءت من قريب صيحة يبثها صوت ثاقب :

– وقوفاً أيها الأموات ! .. وقوفاً ! .. وعلى دف الحياة الصادق اعزفوا معاً أشعار المخاض الكبير ، فتأتيكم سفائن أخرى تحمل أولى العزم من المتطهرين والشهداء .. هذا الصنف لا يزال موجوداً .. لستم وحدكم ..

قالت المرأة وقد تهلل وجهها حتى أضاء كالشمس :

– هذا حق .. معنى اننا نستطيع أن نتصور وجود غيرنا من المتطهرين هو أن الواقع على مرارته يستطيع أن يخلفهم من بين كل هذا الركام الرهيب من الفساد .

وقال الكهل فى هزة سرور وهو يتحسس قيثارته :

– نعم .. لسنا وحدنا .. ألا سحقاً لضجيج العالم ! .. لكم يسدل الحجب الصفيقة على أولئك الذين يرون ما للنور من جمال وعزة ، ولكم يغشى الضباب أولئك الكثيرين الذين يفتقدون هذا النور بحياتهم ويحمونه من الظلمة الهادرة الكذابة .. إن الشخصيات المتوهجة التى تتطلبها منعطفات الزمان الحرجة تولد عند الحاجة إليها ، تفرزها الضرورة .

تأملته المرأة وهى تسأله :

– من أنت فى الحقيقة ومن هؤلاء ؟

– أنا رجل صناعته الكلمة ورايته الصدق .. وهذا محارب قديم من أهل الحقيقة دفع الثمن مطمئن القلب راضي النفس .. وهذا مفكر يبلور المعنى الحقيقى لكلمة الجهاد ويؤمن بضرورة ربط المعتقد بالحياة لمواجهة الخطر الماثل فى سيادة الزيف .. أما بعد اسئلتك كلها فقولى لنا من تكونين أنت ؟

– أنا ضرورة موقف ، وشرارة حماسة .

اقتربت سفائن أخرى تتساءل مجاديفها فى لهفة :

– من أنتم ؟ من أنتم ؟

قبل أن تجد أسئلتهم رداً يشفى الغلة طغى على كل صوت فى أرجاء المستنقع نشيد منكر لعلع وتسلطن .

– يا قوة الضباب ، يا قمرنا ، يا بدرنا ، ياشمسنا ، يا كل النور ، من أعماق النتن الجميل نرفع إليك أغانينا ، فتقبل قرابين السالبين ودعاء النهابين وصلاة القلوب الضالة ، وآتنا ما وعدتنا جزاء وفاقاً على نشاط حيتانك وحصاد قرصانك ..

لكن من قلب هيمنة النشيد الطاغى برزت مع ذلك مجاديف متناثرة تحاول أن تبلغ مكان الزوارق القليلة المتساندة كأنها جزيرة صغيرة فى بحر الظلمات .

وفى مقدمة بعض هذه الزوارق التى تجاهد باستبسال واضح أطفال يتصايحون وقد ملئوا يأساً ورعباً :

– متى يطلع الفجر ؟ متى يطلع الفجر ؟

وأمهات يعانقن الصغار وتتناهى نحو السماء صرخاتهن الملتاعة :

– هل هذا هو كل المستقبل الذى نورثه لأولادنا ؟ .. أمن الحق أن الشمس ستشرق يوماً بعد يوم على هذا العفن فتجده كما كان بالأمس وأسوأ ، وأنه لن ينتج من هنا خير أبداً ؟ هل لابد للشىء الحقيقى هنا أن يتمزق ويتبدد ، وللشىء الجميل أن يموت ؟

لكن الزوارق التى كانت قليلة تضاعفت أعدادها ، وتداعت صواريها ، وتناغمت مجاديفها .. وكالمشاعل ومضت العيون فى الزوارق المتلاحمة ، وسرى على الماء روح كريم تعرفه تلك البرارى السحيقة من قديم الأزل ، واندلعت الأغنية من الكل دفعة واحدة ، نافورة صدق ، كما ينبثق الماء الحى من بطن الصخور الصلدة .. وتوحدت الأغنية فى نشيد تصاعد فى شموخ حتى لطم نشيد المرتزقة والقرصان فارتطمت الموجتان على المستنقع فى لطمة زلزلته حتى أعماقه .

وفى مقدمة الزورق الذى لم يعد مغترباً تناول الكهل السعيد قيثارته الطيبة وداعب أوتارها حتى استقامت على النغمة الكبرى .

سعد مكاوى

# قصائد مجهولة

هذه مجموعة من القصائد القصيرة المجهولة لشاعر موهوب «سيء الحظ» عاش فى ريف مصر فى الثلاثينات والأربعينات، ونال بعض الشهرة عندما كتب عنه «انطون الجميل» رئيس تحرير الأهرام آنذاك، ولكن شهرة الشاعر سرعان ما انطفأت، وضاع الرجل وشعره فى ظلام النسيان، والشاعر اسمه «محمد السيد علي شحاته» وكان يسمى نفسه باسم مستعار هو «شاعر البرارى» .. وأرجو أن أعود إلى شعره وحياته ومأساته بشيء من التفصيل فى عدد قادم.

رئيس التحرير

## فى التحية وردها

ولقد أمر ولم أحيّهمو
ما لم أجدْ لتحيتى أهلاَ
تَرْك التحيةِ بعدُ أليقُ بى
من أن أحيّيَ الكبرَ والجهلاَ
حيِّ الجمَادَ، ولا تحيِّ فتىً
ردَّ السلامِ يعدُّهُ فضلاَ
إن رَدَّ كان الردُّ مقتضَباً
أو قدْ يردُّ ممدداً رِجْلاَ
إن التحيةَ كالعَروسِ. إذا
أعدَدْتَها، فاخترْ لها بعْلاَ

## يصلى كثيراً ...

عجيب يصلى الخمسَ فى أوقاتِها
ولا ذمةً فى القوم يرعَى ولا إلاَّ
يؤذى سواهُ تحتَ ظلِّ صَلاَتِهِ
ويَحسبُها ترْضِى إلهَ الوَرَى. ؟ كَلاَّ
إذا لم تُنْهِنْهَا صَلاةٌ عن الأذَى
فلا سَلَّمَ المولَى علَيْنا ولا صلىَّ

## حلو جداً

أحلَى من الماءِ الفراتِ على الظَّمَا
والذُّ من رَشْفِ الرَّحِيقِ من اللَّمَى
رفعُ الظلامَةِ عن فتىً مُتَظَلِّمٍ
أو منعُك الظَّلاَّمَ عَنْ أن يُظْلَما

## مرجداً

وأمَرُّ من طَلِمْ القريبِ
ومن مُفَارَقَةِ الحبيبْ
أن يهتف ابنُ الفضْلِ يوْماً
بالخَسِيسِ فَلاَ يُجِيبْ

## الحارس

أيا حارِسَ الروضَةِ ارقُدْ فإنَّ
أقل اللصوصِ لصُوصُ الزهورْ
ويا حارس الجيفة اسْهَرْ عليها
طويلاً، فان الكلابَ كثيرْ

## الحظ

ياربَّ ذى مالٍ كثير فى الوَرَى
لولا تبسُّمُ حظِّهِ لتَسَوَّلاَ
ما الإجتهادُ هو الموصِّلُ وحْدَهُ
كلا ولا العقْلُ الكبيرُ، وَلاَ وَلاَ
لم يبلغ الانسانُ أيَّةَ غايَةٍ
إلاَّ وَكانَ الحظُّ فيهَا أوَّلاَ

## طغيان الخداع

زرعتُ فى بعضِهمْ وُدِّى وقلْتُ لَهُ
أثمِرْ، فقال وأينَ الخِصْبُ والماءُ
طغى الخداعُ فكَمْ عينٍ علانيةً
تبْدِى لك الود، والاحشاءُ صحراءُ

## أشد أنواع العذاب

كلُ العذابِ يهونُ حتى لَوْ
يحكِّمُ فيكَ دونكْ
إلا عذابُكَ بالاقامَةِ
بين مَنْ لا يفهمُونكْ

## لا تنخدع

رُدَّ الفتى لأصْلِهِ
لا تنخدعْ بطيبَتِهْ
واحكم عليه ولِه
من جدِّه وجدَّتِهْ
فكل شيءٍ فى البرايَا
فيهِ طعْمُ منبتِهْ

## ماذا تبغى ؟

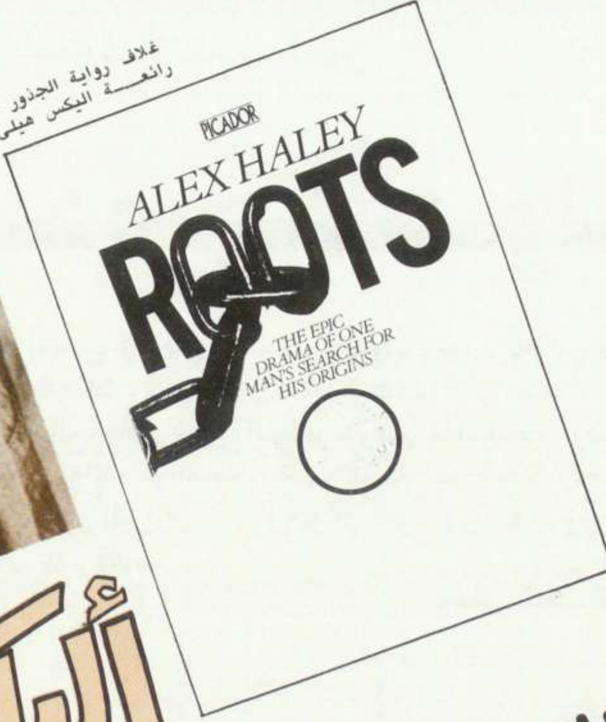
تبغى خُلُوَّ البالِ
طلبْتَ نيْلَ المحَالِ
لم يجتمع أىَّ يوم
عقلٌ وبالٌ خالِ

## تقبل كلبها

ما قبلت كلبَهَا وجدًا ولا ولهًا
بل قبلت كلبَهَا عطفاً وشكرانَا
هو الوفىُّ لها - لا المغرمون بها
والكلبُ أوفَى من الانسانِ مُذكانَا



اليكس هيلى .. اعطت روايته للرجل الأبيض درسا فى الانسانية




غلاف رواية الجذور .. رائعة اليكس هيلى

# أليكس هيلي

## الفنان الذي كسب الملايين وأحدث هزّة في العالم بعد رواية واحدة

بقلم : فوزي تادرس

كطفل صغير فى عمر الزغب .. وفى مساء صيف طويل تكسرت فيه كل ثانية على أوتار قلبه المرهف الرقيق .. راح اليكس هيلى ينصت بامعان الى احاديث جدته عندما كانت تتسامر فى امسيات الليالى السوداء من عمر الزمن القاسى الذى كابده زنوج امريكا .. لقد كانت مسامراتها مع اترابها عندما كن يلتقين فى الفناء الخلفى لمنزلهم البسيط فى حى « هننج » بمقاطعة « تينسى » . لقد كانت نبرات احاديثهن تعتريها نغمات الحزن الدفين وتسودها الكآبة القاتمة .. ويروح كل منهن يهمس بشفتيه بكلمات واسماء لأشخاص عاشوا ماضيهم الأسود فى لون بشرتهم ، وأماكن لم يفهمها الطفل الصغير اليكس هيلى .. وكل ما كان يعيه باحساسه البرىء أن الرجال البيض قد اساءوا وعذبوا اجداده السود واضطهدوهم .. ولم يستطع الطفل الصغير فى ذلك الوقت ان يفسر لماذا كل هذا الاضطهاد .. لماذا يقع كل هذا التعذيب على اجداده .. ولماذا كان هذا الهوان . ؟!!

كل ما كان يعيه الطفل اليكس هيلى فى ذلك الوقت انه عندما يذكر اسم « الأفريقى » يجد أن الجميع يذكرونه باحترام بالغ .. بحب .. بشفقه .. بدموع تعبر عن مشاعر مكبوته .. وعرف الطفل فى ذلك الوقت أن الماسا « تاجر الرقيق » وكان اسمه « جون والتر » قد أحضر « الأفريقى » على ظهر سفينة نقل العبيد إلى ميناء « سبوتسلفانيا » بولاية « فرجينيا » ليقابل مصيره المجهول وعبوديته المقدرة التى فرضها عليه أخوه « الانسان الأبيض » .

ويروح الطفل اليكس هيلى يرهف السمع بأذنيه .. ويقشعر بدن الطفل ، ويرتجف قلبه ويغوص بين قدميه عندما سمع أن « الأفريقى » قد حاول الهروب أربع مرات .. لكن قدره « الأسود » يشاء له أن يفشل فى محاولته .. ولما بلغ به الضيق مداه .. وانفجر الغيظ المكبوت بين ضلوعه ، إذ « بالأفريقى » يثور ويحاول أن ينتقم من الرجال البيض الذين يقيدونه عقب كل محاولة للهرب .. واخيراً قرر « البيض » أن يقضوا على محاولات الهرب نهائياً ، باحدى طريقتين : إما بأن يخصوه .. أو أن يبتروا قدمه بفأس كبيرة . وكرجل .. يرضى « الأفريقى » بـ « الطريقة » الثانية ! .

## طلاسم مقدسة

ويعرف اليكس هيلى من خلال ما حدث أن « الأفريقى » بعد أن قطعت ساقه .. وشلت محاولاته .. اخذ يعمل فى منزل « تاجر الرقيق » حيث قابل الطباخة « بل » وحدث بينهما لقاء روحى وعاطفى . ويبدو أنه كلل ذلك الحب بالزواج .. فقد انجب منها ابنته « كيزى » . ويخبر « الأفريقى » ابنته « كيزى » باسمه الحقيقى وهو « كونتا كنتى » وليس « توبى » . وراح يحكى لها مأساته الدرامية عندما اختطفه تجار الرقيق حين كان يقطع الأشجار فى الغابة ليصنع منها طبلة يرفه بها عن نفسه فى موطنه الأصلى مهد طفولته ومرتع صباه ..

ويعرف الطفل اليكس هيلى من خلال ما سمعه من أحاديث جدته العجوز أن « كونتا كنتى » كان يردد بعض الكلمات أمام ابنته « كيزى » ، وأنه كان يشير دائماً إلى آلة موسيقية ويذكر كلمة « كو » ويشير باصبعه فى أحاديثه إلى نهر هناك فى أفريقيا ويقول « كامبى بولونج » ، وعرفت « كيزى » كثيراً عن والدها .. وأنها قد بيعت الى تاجر الرقيق « توم ليا » والذى اعتدى عليها ، وانجبت منه أول مولود لها اسمته « جورج » والذى أصبح معروفاً فيما بعد بـ « تشيكن جورج » .

وتمضى السنون .. وتمر الأجيال .. ويتوارث أجداد هيلى هذه الكلمات الغامضة وكأنها طلاسم مقدسة لأسطورة تنتظر التفسير .. وأن يكون تفسيرها على عاتق هيلى نفسه .

يستمع هيلى الى هذه الطلاسم وغيرها .. ويحفظها عن ظهر قلب فى طفولته .. وينمو الطفل ويشتد ساعده .. وتنمو معه رغبته فى الوقوف على سر هذه الطلاسم .. فذكريات أمسيات « الطلاسم » تقلقه .. إنها باقية فى وجدان ضميره .. ويقع هيلى فريسة التفكير والتساؤلات ما هى هذه الطلاسم .. وما جدواها .. ماذا كان وراءها .. علاقتها بماضيه ، وبأيام أجداده السالفة ؟! لقد عاشت معه هذه الطلاسم تلح عليه كى يجد لها حلا .. عاشت معه ولازمته حتى بلغ سن الخامسة والأربعين ..

## عشر سنوات فى البحث عن الجذور

وأخيراً .. وبعد معاناة طويلة .. وفى أمسية يوم سبت من عام ١٩٦٥ كان « هيلى » يسير أمام دار المحفوظات الوطنية فى واشنطن .. وإذ به يتخيل صوت جدته العجوز يحثه على الدخول الى الدار ليفتش بين مستنداتها عن أصوله العائلية وعن « جذوره » .. وهناك فى قاعة المطالعة الرئيسية يقابل أمين المحفوظات ويحدثه « هيلى » بما يعتلج فى صدره .. وعما سمعه من أحاديث جدته .. وطلب من أمين القاعة مساعدته .. وبعد بحث طويل بين محتويات الدار وأرشيفها وجد أن عليه أن يسافر إلى « الامانس كونتى » فى ولاية « كارولينا الشمالية » ليطلع على تعداد سنة ١٨٧٠ . ويطير « هيلى » إلى « نورث كارولينا » ويجلس أمام جهاز الميكروفيلم فى صمت رهيب .. ويروح يقرأ وثيقة تلو الأخرى ، ويداه ترتعشان وهو يدير جهاز الميكروفيلم .. إنه يسترجع سنوات وسنوات مضت من تاريخ أسرته وإذا بعينه تقرأ أسماء « توم مورى » و « أيرين مورى » وعشرات غيرهما وفى « نورث كارولينا » استطاع أن يعرف بعض المعلومات التى أضاءت له بحثه ..

ويعود هيلى إلى جدته لتطلب منه أن يبحث عن أصوله ويقف عليها ، ولو كلفه ذلك النفس والنفيس ..

ومنذ تلك اللحظة قضى « هيلى » عشر سنوات من البحث الجاد المضنى تحت وطأة الرغبة الأكيدة للوقوف على ماضيه وأسراره ، وللتعرف على عذابات أهله ، ومعاناتهم منذ لحظة « اغترابهم » فى الولايات المتحدة ، وافتراقهم عن الأهل والعشيرة فى موطنهم الأصلى أفريقيا .

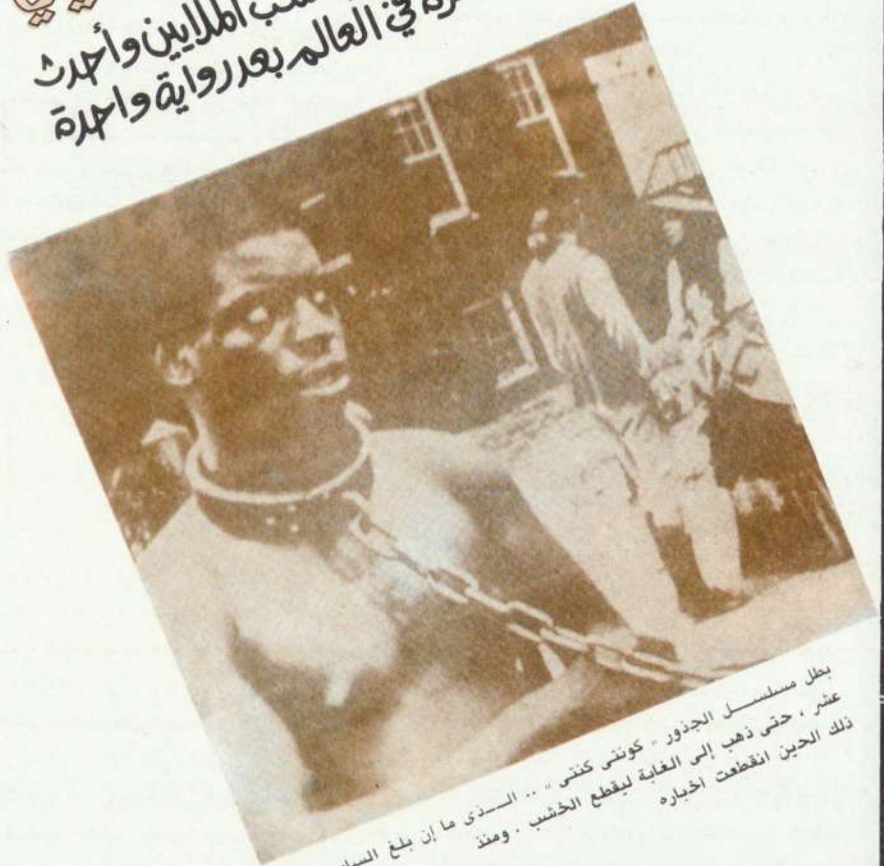
ويروح « هيلى » يتفق مع دور النشر الكبرى لكى تتولى مساعدته فى مشروع بحثه عن « جذوره » فأمدوه بالاف الدولارات التى ساعدته ليواجه نفقات عمله .. فقد اطلع « هيلى » على مستندات نقل العبيد فى تلك الفترة ، وعلى حركة نقل السفن التى أقلتهم من أرضهم الغالية وعرف مواعيد وموانى قيامها من أفريقيا .. ومواعيد وموانى وصولها بالولايات المتحدة .. وعرف أسماء ركابها وعدد « رؤوسهم » .. وأخيراً قرر « هيلى » أن يسافر إلى موطن « الأفريقى » الأصلى . وقبل سفره قابل « هيلى » أحد الأساتذة المتخصصين فى الدراسات واللهجات الأفريقية .. وعندما ذكر له « الطلاسم » التى كان يسمعها من جدته العجوز .. عرف منه أن أجداده كانوا يتكلمون بلهجة « الماندينكا » وهى اللهجة التى تستعمل الآن فى الجزء الغربى من « جامبيا » فكلمة « كامبى بولونج » تعنى « نهر جامبيا » . ويعرفه الأستاذ المتخصص أيضاً أن كلمة « كو » هى لفظه أخرى لكلمة « كور » وهى تعنى آلة موسيقية ..

ولقد كان « هيلى » حتى ذلك الوقت قد استلم ٨٠٫٠٠٠ دولار من الناشرين أنفقها كلها فى البحث والسفر والمقابلات الكثيرة التى اضطر اليها ليقابل أقاربه العبيد المنتشرين فى كل الولايات المتحدة ..

أخذ « هيلى » يعد نفسه ، ويتأهب للسفر الى أفريقيا « السوداء » .. فقد حجز للسفر على ظهر سفينة نقل اسمها « أفريكان ستار » وعلى ظهر السفينة أخذ « هيلى » يسرح بمخيلته . وتتجاوز أفكاره حدود الأفق المترامى البعيد .. تماماً مثل الحقيقة التى يبحث عنها الفلاسفة فى رحلة شكهم . ويقف « هيلى » لينظر الى نجوم السماء التى ترشد ربان السفينة فى رحلته .. ويقارن « هيلى » بين السفينة التى تقله الآن والسفينة التى أقلت أجداد أجداده .. ويطوف بخاطره احساس بالشفقه والرثاء عندما يتيقن الفارق الكبير بين السفينتين . فهذه سفينة تحمل ما يقدر بالملايين من البضائع ، أما سفينة العبيد التى أقلت أجداده فقد كانت

# أليكس هيلي

## الفنان الذي كسب الملايين وأحدث هزة في العالم بعد رواية واحدة



بطل مسلسل الجذور « كونتى كنتى » .. الذى ما إن بلغ السادسة عشر ، حتى ذهب إلى الغابة ليقطع الخشب . ومنذ ذلك الحين انقطعت اخباره

نقل « رؤوسا » مشتراه من اسواق النخاسة بابخس الاثمان !!

### عندما فكر فى الانتحار

وتمضى السفينة به تشق عباب البحر .. ويقف صاحبنا على سطحها يصلى للسماء لن تكشف له الطلاسم .. وإذ بعينيه تمتلآن بالكآبة الواسعة فى اتساع الافق المترامى الأطراف أمامه .. ونفسه تهدر مثل الموج .. واذ بفكرة الانتحار تلمع فى خاطره وتلح عليه بان يلقى بنفسه فى البحر ليرتاح من العذاب النفسى ، والمعاناة اللامتناهية .. وحتى يتخلص من الديون التى اقترضها وانفقها عليه الناشرون حتى يستطيع أن ينشر ملحمته .. خواطر عجيبة بالانتحار لقد طالت مدة البحث وكثرت عليه الديون ، ومضت عشر سنوات من عمره فى بحث دائب ، عاشها بين آمال كبار وبين خيبة رجاء . وبين هذه وتلك عانى إحساس الامتهان أمام الحاح الناشرين ومطالبتهم لان يرد إليهم اموالهم .

ولقد كان مجرد تفكيره فى الانتحار يعطيه شعور الارتياح ويبعث فى نفسه روح الطمانينة . كانت أصداء فكرة الانتحار والخلاص من العبودية هى نفسها تلك الأفكار التى كانت تراود أجداده فى الانتحار عندما انتزعهم تجار الرقيق من بين ابنائهم واكبادهم وساقوهم نحو البحر لتنقلهم السفن فى رحلة عذاب طويل انعدمت فيها الانسانية ، واهدرت معها الشعور بالآدمية .. لقد كان يهيأ له ان أصوات « كونتا كنتى » وزوجته ، وبل ، وتشيكن جورج ، كلهم يصرخون يمدون اليه أياديهم التى انهكتها سلاسل القيد الثقيلة . خيل إليه أن عيونهم تذرف الدموع تحت قدميه كى يبقى .. ان لا ينتحر .. أن يعيش حتى يصل إلى « جذوره » . وبين هدير الموج .. وصراع النفس يحس « هيلى » بمسئوليته العظمى نحو اتمام عمله لكى يخرج إلى النور . والغريب فى الأمر ان الصراع الذى وقع فى اتونه ، لم يكن صراعاً نفسياً فحسب ، لكنه كان ايضاً صراعاً جسدياً . فكم من مرة أراد « هيلى » أن يبتعد عن سور السفينة الذى يستند ويقبض عليه بيديه . كم من مرة يشد نفسه فى مقاومة بالغة يريد ان يبتعد عن السور دون أن يتخطاه .. دون أن « يعبره » ويلقى بنفسه فى اليم الواسع .. لقد كان كل هذا الصراع النفسى والجسدى يجرى وأذنه تسمع كورس صوت أجداده يجلجل فى أذنه مع هدير الموج ، كى يكمل سيمفونيته الحزينة فى معركة ضارية . لقد كان إيمانه العظيم بالعمل الملقى على عاتقه .. بتفسير الاسطورة التى يعيشها وعاشها من قبل اجداده حتى يكشف عن أصل الآدمية المهدره .. وأن يصل الى أصل « اليد السوداء » متمثلة فى العمل العبودى الذى ينتهجه الرجل الأبيض مع أخيه الأسود .

وفى صراعه بين أن يلقى بنفسه ، وبين أن يعيش .. إذا بجسده يهوى على أرض السفينة ولم يستطع بعدها الحراك .. واذا بنور الفجر ينسج طريقه فى عتمة الظلام الأسود ليبدده ..

ومما لاشك فيه أن فكرة الانتحار كما راودت « هيلى » قد راودت من قبله « كونتا كنتى » . ولكن السلاسل كانت تمنعه من أن يرتكبها وتجبره على أن يعيش فى عبودية مقدره ، نعم فلم يكن « الأفريقى » حراً حتى فى اختيار الموت كحل لعذاب مرير .. كان قدره أن يعيش وأن يعيش فى عبودية .. وشتان بين « كونتا كنتى » الذى أرغم على العيش فى عبودية ، وبين « هيلى » الذى يعيش ليكتب فى حرية عن العبودية .. وشتان بين حرية الارادة ، وقسوة العبودية .

### هيلى يصل إلى القرية

وأخيراً يصل « هيلى » إلى « جوفور » ويجد نفسه محاطا بكل سكانها والذى يبلغ

عددهم حوالى سبعين نسمه .. يجمع بينهم مظهر خارجى واحد هو اللون الأسود الداكن ، والقلب الأبيض من الداخل .. لقد كان هؤلاء أبناء عمومته وخؤولته لأجيال سبعة مضت .. وينظر « هيلى » إلى لون بشرته ويقارن بينه وبين لون بشرتهم . ويتملكه شعور غريب بالجرم .. لقد شعر « هيلى » انه غريب عنهم .. وكأنه هجين او مولد . فقد كان لونه خمرياً .

خفف من غلواء شعوره الغامض الغريب ترحيب أبناء عمومته وحـــلاوة ابتسامتهم وبراءة عيونهم . وفرحتهم بمجيئه إليهم من العالم الآخر .. ولقد ادى ذلك الفرح والحفاوة به إلى زوال تلك الكآبة النفسية التى ظللته على سطح السفينة .. وردت إليه روحه ..

كان لزاماً على « هيلى » من اجل أن يحصل على اية معلومات خاصة بنسبه وسلالته وجذوره ، كان عليه أن يقابل « الراوى » وهو أكبر شخص فى القرية يحتفظ بذاكرة قوية ، درب منذ صغره على أن يحفظ تاريخ العائلات .. فهو بالنسبة لهم ـ بلغة العصر ـ بنك معلومات .. ومن اجل أن يقابله كان لزاماً عليه أن يركب مركباً كبيراً يأخذه الى نهر جامبيا .. ومعه سيارتان وأربعة عشر رجلا من بينهم مترجمان واربعة موسيقيين لأن « الراوى » لا يمكنه أن يقص حكاياته التاريخية ويستعرض السلالات العائلية بدون أن تصاحبه الموسيقى ..

يحكى الراوى مواويله وأشعاره الشعبية التى تتضمن سيرة أجداد «هيلى» وعائلة « كونتا » ، ومنها يعرف « هيلى » أن أصلها الأول جاء من « مالى » وكيف انهم هاجروا إلى « موريتانيا » واستقروا أخيراً فى « جامبيا » .. وكان الرجال منهم يعملون فى مهنة الحدادة ، وهى .. المهن المحترمة ـ حسب الاعتقاد الشعبى القائل إن الحداد يهزم النار ويطوع الحديد .

وكان النساء يعملن فى صناعة الفخار .. وكان « كونتا كنتى » مسلماً تقياً رحل إلى « جامبيا » . عاش أولا فى قرية « بكالن نج » ومنها إنتقل إلى « جفور » . وفى « جوفور » تزوج امرأته الأولى الماندكية وكان اسمها « سيرنج » ، وانجب منها طفلين احدهما « جانه » والآخر « سالوم » . ثم تزوج مرة ثانية من امراة اسمها « يبسا » وانجب منها « أمورو » .. ثم تزوج « أمورو » من « بنتا » وانجب منها اربعة ابناء هم « كونتا » ، « لامين » ، « سوادو » ، و«مارى»

وعندما بلغ « كونتا » السادسة عشر ذهب إلى الغابة ليقطع الخشب . ومنذ ذلك الوقت انقطعت أخباره .

ويتعجب « هيلى » من قدرة «الراوى» على إعادة أحداث التاريخ الطويل لأجيال مضت باحداث وحياة أفرادها .. ودقائق أعمالهم ..

## أعظم الروايات العالمية

إن رواية « جذور » تعتبر من أعظم الروايات العالمية التى كتبت .. ليس بسبب الدراما التى تضمها والآلام التى تشرحها والمعاناة التى عاشها أفرادها .. ولكن بسبب انها فتحت جزءاً من التاريخ ظل مغلقاً لمئات السنين .. وكشفت النقاب عن الاسطورة الكاذبة التى سيطرت على معظم الأمريكيين البيض الذين اشتروا أكذوبة ان الأفريقيين الذين وصلوا إلى أمريكا سرعان ما اغتسلوا من كل الذكريات القبلية التى جاءوا منها أصلا .. وانهم قد فقدوا أسماءهم وشخصيتهم .. وانهم لم يكونوا يملكون ثقافة ولا تاريخاً ، ولم يعرفوا القراءة والكتابة .. ونسوا أن « كنتا كنتى » كان يعرف العربية ، وأنه ذهب إلى المدرسة ليتعلمها ..

لقد فتحت «جذور» الآفاق أمام الباحثين والانثربولوجيين والفولكلوريين واللغويين والأدباء وغيرهم لدراسة الأدب والثقافة الأفرو ـ امريكية .. ولقد وضعت «جذور» حداً ونهاية لما كان يكتب عن افريقيا من صور مشوهة .. لقد كان معظم الذين يكتبون عن أفريقيا ليسوا أفريقيين .. حقيقة كان هناك البعض -منهم موضوعياً ومتعاطفاً مع التجربة الافريقية .. لكن البعض الآخر استغل افريقيا كستارة خلفية عندما كان يصورها تعيش فى همجية وذات أنمـاط بدائية ليبرر بطريقة رمزية اغتصاب الاستعمار الأوروبى والأمريكى الذى سارت فيه القارة السوداء .

لقد بينت «جذور» انه ليس من السهل على الأديب الأوروبى أو الأمريكى أن يكتب عن افريقيا من أجل افريقيا نفسها . وبقى ذلك حتى ظهر الكاتب الافريقى نفسه على مسرح الآداب .. فنحن الآن نرى الروايات المكتوبة بواسطة كتاب من كينيا مثل «جيمس نجاجى» فى روايته «لا تبك أيها الطفل» والتى تصف وطنه أثناء ثورة ماو ماو من خلال رؤية طالب صغير فى المدرسة . وكما ظهر من نيجيريا على يد كاتبها «إ.سى.سى أوزودينما» فى عمله الرائع «نباحنا الميت» وكما ظهر فى غانا على يد كاتبها المعروف «أى كوى أرماه» فى عمله «الجميلون لم يولدوا بعد» ، والتى تضع روايته الى جانب «جيمس جويس» وروايته «صورة الفنان فى شبابه» .

وبظهور هؤلاء الكتاب الافريقيين يكون عصر تشويه صورة افريقية قد انتهى مما كان يكتب عنها بواسطة كتاب غير افريقيين .

ومن ناحية أخرى ، إن رواية «جذور» حطمت الأكذوبة التى تقوم على التفرقة العنصرية بأن السود يستمدون ثقافتهم وقوتهم المعنوية من الرجل الأبيض ..

ولقد أعطت «جذور» الرجل الأبيض درساً فى العلاقات الانسانية التى ذبحتها جريمة التفرقة العنصرية التى يرتكبها الانسان الأبيض «المتحضر» .

إن الجاحظ ـ الكاتب العربى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى تنبه الى ثقافة الرجل الافريقى الأسود .. فراح يحلل الشخصية الافريقية وأنماط سلوكها ومزايا لونها .. ومزاجها .. وحبها للموسيقى وللغناء وللرقص .. لقد فهم الجاحظ الشـــخصية الأفريقية ووظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية وقيمها الخلقية ، وترابطها القبلى والعائلى فكتب لنا رسالته «فضايل السودان على البيضان» التى سبقت الانثربولوجيين المحدثين بعشرة قرون من الزمن ، دحض فيها نظرية تفوق الرجل الأبيض عن الرجل الأسود واتهامه له بالعجز الذهنى وحب الجريمة والشر .

وهكذا التقى «هيلى» بأقاربه الذين تجمعوا حوله .. وكانوا جميعهم نصف عراة .. وراحوا يصلون الى الله فى ضراعة وباللغة العربية «حمداً لك يا الله الذى أعدت الينا الرجل المفقود منا» .

وهكذا أيضاً قضى «هيلى» الأيام فى سعادة بالغة مع «جذوره» وعندما حان يوم العودة .. وقف «هيلى» مع أبناء عمومته وخؤولته ليودعهم الى أرض اغترابه .. وعندما هم «هيلى» بدخول السفينة .. أخذت الدموع تترقرق من عيونهم البريئة وسمعهم يقولون له بصوت حزين متهدج «وداعاً يا مستر كونتا كنتى» «وداعاً يا مستر كونتا كنتى» .

وبعد .. فان « اليكس هيلى » الذى علم نفسه الكتابة أثناء عمله كموظف مغمور بـ « خفر السواحل الأمريكى » لمدة عشرين عاماً ، استطاع فى عام ١٩٥٩ أن يصبح كاتباً ومحققاً صحفياً . وكتب مؤلفه الأول بعنوان « قصة حياة مالكولم إكس » . لكن العالم القارىء والمشاهد عرف « اليكس هيلى » بعد أن قدم روايته « الجذور » ، وانتشرت عبر ملايين النسخ من الكتب وحلقات التليفزيون .. مثلما منحته الشهرة والملايين .

فوزى تادرس
جامعة قطر

# الدراما التليفزيونية والالتزام الفني

بقلم: مرزوق بشير

تمثل المسلسلات الدرامية الجزء الأكبر على مساحة الخارطة اليومية لبرامج تليفزيونات المنطقة، ونسبة هذه المسلسلات تفوق نسبة البرامج الأخرى وخاصة البرامج الثقافية.

وتمثل هذه المسلسلات بايجابياتها وسلبياتها زاداً ثقافياً يومياً تواجهه العائلة الخليجية باختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية، بل أصبحت هذه المسلسلات بديلا رئيسياً للكتاب، والصحيفة، والمجلة، خاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا نسبة الأمية العلمية والثقافية فى هذه المجتمعات.

وخطورة تاثير هذه المسلسلات إيجاباً وسلباً واضحة وجليه فى التغير الاجتماعى والسلوك العام والخاص فى حياة الفرد أو حتى العائلة ... على سبيل المثال لعبت هذه المسلسلات باطروحاتها المختلفة على تغيير المظهر الداخلى للمنزل الخليجى الذى أصبح تقليداً لما يشاهد على شاشة التليفزيون ... بل ان الأمر يصل إلى اكثر من ذلك. أصبحت القصص واسلوب عرضها وطريقة السيناريو المكتوب فيه واضحة فى كتابات بعض ابناء الخليج الذين يكتبون القصة أو المسلسلات التليفزيونية .. حيث يتضح ذلك التاثير فى الميلودرامات الرخيصة، والبناء الدرامى المرتجل. وتاثير المسلسلات التليفزيونية يذهب بعيداً أكثر من ذلك عندما أثر ويؤثر على نمط تصرفنا وسلوكنا ولغة احاديثنا اليومية .. بل على طريقة افكارنا وطريقة إتخاذ القرار، وهذا التأثير يتضح فى أى حوار يحدث بين أفراد العائلة الواحدة، أو بين الزوج وزوجته، مباشرة أو من خلال التليفون .. يتصرفون تقليدياً بما شاهدوه فى مسلسلات سابقة بل يكاد الأمر يذهب إلى استحضار بعض العبارات من حوار مشهد درامى تليفزيونى. وبالطبع هذا التأثير الدرامى للمسلسلات التليفزيونية يرجع لعدة أسباب سنكتفى بالحديث عن إحداها وهى الطريقة التى تكتب بها هذه المسلسلات.

والمشكلة تبدا من البداية حيث أن تليفزيونات المنطقة وتحت ضغط الساعات الطويلة للارسال التليفزيونى اليومي، ولعدم وجود متخصصين بشكل جيد على قائمة المراقبات الدرامية. ولو كان هناك متخصصون فان الخطة الدرامية غائبة .. تحت هذه المسببات وغيرها أصبحت تليفزيونات المنطقة كالوحش الجائع أو الشره، الذى يبتلع كل ما تقع عليه يداه فاختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين. هذه الفرصة الذهبية اغتنمتها شركات إنتاج قامت أساساً بالصدفة ومن أجل الاثراء السريع على حساب أمة نامية بغض النظر عن قيمة الانتاج الذى يقدمونه وبعيداً عن المبادىء والمثل والقيم الانسانية بل وبعيداً عن الشعور بالوطنية وبالمسئولية نحو المساهمة فى بناء هذا المجتمع وتوجيهه التوجه السليم.

إذن ساهمت ضغوط ساعات الارسال اليومية الطويلة، وقيام أصحاب المنافع الخاصة بالسيطرة على قطاع الانتاج الدرامى فى انتشار مسلسلات رخيصة ورديئة جداً من ناحية الموضوع الذى تطرحه، أو من ناحية البناء الدرامى، أو طريقة طرح ذلك الموضوع. وأصبح تقييم هذه الأعمال فى تليفزيونات المنطقة على حساب الساعة الواحدة بغض النظر عن محتوى هذه الساعة ونوعية العمل المقدم من خلالها .. بمعنى آخر أصبح الحساب هو الكم على حساب النوع .. ولقد اثر هذا التقييم الزمنى على طريقة وبناء وطرح الموضوعات الدرامية وعملية اختيار هذه الموضوعات .. فما دام التقييم مرهوناً بزمن ومدة العرض فهذا لا يمنع من وجهة نظر المنتجين من حشو هذه الساعة بمحاورات ساذجة وايقاع بطيء للعمل، وتعبئة الموقف الواحد بمواقف فرعية لا تخدم الموقف الأصلى .. وتحريك بطيء للكاميرا، وتحريك ابطا لتطور الأحداث أو الفعل الدرامى، واختيار مقدمات طويلة لأسماء الممثلين والفنيين، مع خلفية لمقدمة غنائية طويلة جداً، وفى هذا المناخ من الفبركة والافتعال الدرامى يضيع الموضوع الأصلى إذا كان هناك موضوع أصلا، وتحت ضغط حشو هذه الساعة الدرامية يضطر المؤلف – إذا كان هناك مؤلف اصلا – إلى اختيار الفاظ ومحاورات ساذجة، ومواقف ساذجة ورخيصة، تؤثر بالتالى على سلوك وتصرف وتفكير المشاهد الخليجى الذى يتصور وبشكل مقدس ونهائى بان كل ما يعرض وما يقال على شاشة التليفزيون هو الحق بعينه .. وتؤثر هذه الطريقة الابداعية الجديدة على أسلوب الكتابة للجيل الجديد من شباب الخليج الطامح فى الكتابة للتليفزيون، وبهذا تتكرر المأساة التى سوف تمتد إلى المستقبل إذا لم نوقفها ونواجهها.

إذن المطلوب أولا التزام فنى من قبل هؤلاء المنتجين ... ولا اقول التزام أخلاقى أو التزام سياسى .. الالتزام الفنى هو المقدمة الأولى لبقية الالتزامات. فاذا عجزنا عن تحقيق أبسط الالتزامات وهو الالتزام الفنى فانه من المستحيل تحقيق بقية الالتزامات الأخرى.

وحتى نصل إلى تحقيق ما يسمى بالالتزام الفنى فاننى أرى من القائمين على مسئولية الاقسام الدرامية فى تليفزيونات الخليج اتباع التالى:

● إلغاء نظام التقييم بالساعات

ومحاولة ايجاد نظام آخر للتقييم يقوم على فرز ما هو جيد ، وما هو مضر ، وذلك باستقطاب أبناء المنطقة والمختصين فى مجالات الدراما القادرين على التمييز بين السيىء والحسن من المسلسلات الدرامية .

● أن تقوم أجهزة اعلامية خليجيــــة كالانتاج البرامجي المشترك وتليفزيون الخليج بتحمل عبء الانتاج الدرامي وتحت اشرافها المباشر .

● أن نقوم من الآن وبواسطة المؤسسات العلمية كالجامعات مثلا أو مراكز التدريب بطرح مواد علمية لتدريب وتاهيل كتاب دراما خليجيين على أساس علمى وموضوعى وإرسالهم فى دورات خارجية إلى الدول التى سبقتنا فى هذا المجال .

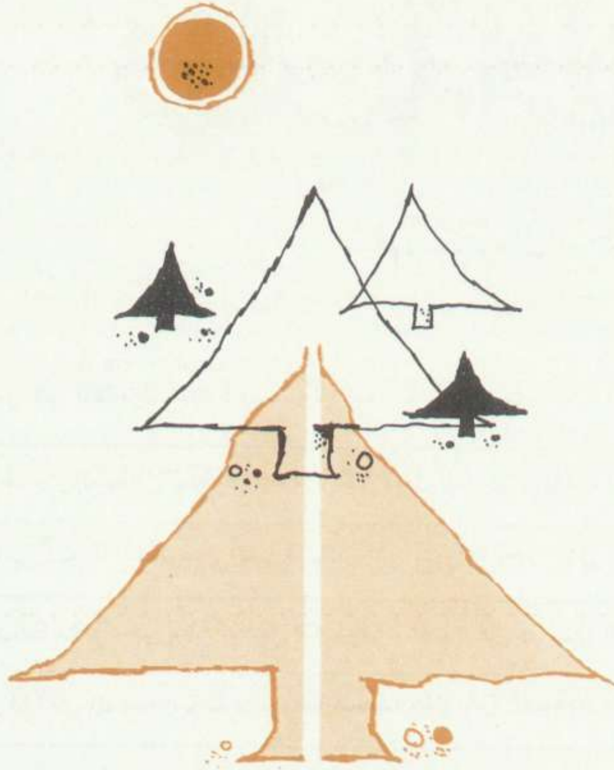
● أن يقوم نوع من التنســــيق بين تليفزيونات المنطقة مشتركة فى مواجهة الشركات الانتاجية الغير ملتزمة ووضع قوائم مقاطعة لها يلتزم بها الجميع مع تشجيع الشركات الانتاجية الملتزمة فنياً واجتماعياً ووضع قوائم شرف لها وتشجيعها معنوياً ومادياً .

● أن تقوم أجهزة التليفزيون نفسها بانتاج مسلسلات خاصة بها .. هذا الإنتاج يجب أن يكون محلياً من خلال ورشة عمل درامية داخل التليفزيون تبدأ من تاليف النص حتى يصل إلى المشاهد ، وتحت الاشراف والمتابعة المباشرة من إدارات التليفزيون .

بهذه التصورات وبغيرها تســـتطيع التليفزيونات فى منطقة الخليج أن تلعب دوراً ثقافياً هاماً وحقيقيا داخل المجتمع الخليجى .. دوراً مازالت المؤسسات العلمية الأخرى عاجزة بعض الشىء عن تحقيقه . وهذا أيضاً سوف يؤكد دور التليفزيون كجامعة شعبية مفتوحة للجميع ، ومن أولى صفات الجامعة الالتزام .. فهل سيتحقق ۰؟! .

# لبنان

شعر: إبراهيم العريّض



لَبْنَانُ يَا بُقْعَـــةً أَقَامَتْ — للثلجِ عَهْداً مِنَ الجِنَـــانِ
تُطِلُّ مِنْهَـــا عَلَى البَوادِى — جِبَالُهَا ، والفَضَــاءُ حَانِ
لم يحتَفِزْ كائِنَهَا انْفِتَـــاحُ — حتَّى تَرَامَتْ بِهِ المَـــوَانِى
يَجْمَعُ شَـــمْلَ ذَاتِهِ ، فِى — إِطَارِ مَنْ ضَـــاقَ بِالْمَكَانِ
وَعَاشَـــــهَا غُرْبَةً بِقَلْبٍ — يَخْفِقُ لِلأَهْـــلِ وَالْمَغَانِى
كَانَ كَإِطْلاَلَةٍ مِنَ الْغَـــرْ — بِ تَكْشِـــفُ الشَّرْقَ للعَيَانِ
وَجَالَ يَسْعَى للرِّزْقِ دَهْـراً — فَعَادَ يَسْـــعَى للإِحْتِضَانِ
يَنْتَظِمُ الحىَّ كلُّهُم لِلــــــ — ـنَّاقُوسِ فى الحَىِّ والأَذَانِ
مَزَّقَ أَهْلُوكِ يا صَحَـــارَى — مَا عَاشَ يَبْنِيهِ مِنْ كَيَـــانِ

# قراءة القرآن ولهجة أولاد البلد

بقلم: كمال النجمي

أعيش فى القاهرة منذ خمسة وأربعين عاماً تقريباً ..

حينما قدمت إليها من صعيد مصر الأعلى قبيل الحرب العالمية الثانية

أثارت انتباهى لهجة القاهريين التى تختلف عن لهجتنا نحن أهل الصعيد

الأعلى « محافظة قنا » فى نطق بعض الحروف ، فضلا عن جرسها الصوتى

الذى يجعل لها فى السمع رنيناً موسيقياً خاصاً كان أهل الصعيد يفتتنون

بعذوبته ، ومازال لهذا الترنيم الصوتى وقع خاص فى أسماع كل من ينطق

العربية ولهجاتها العامية ، من المحيط إلى الخليج ! ..

... وخلال الحرب العالمية الثانيـــة ( ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ) وفد على القاهرة مليون عامل من الصعيد والوجه البحرى ، تختلف لهجاتهم عن لهجة القاهرة ، كثيراً أو قليلا .. وحاولوا أن يتاقلموا فى القاهرة ، فتكلموا اللهجة القاهرية بلكنة صـــعيدية ، أو « فلاحية » ـ أى من الوجه البحرى ـ وبقيت ألسنتهم ترتضخ لكناتهم الأصلية ، فى لهجتهم القاهرية المستعارة ... دالة عليهم بغير خفاء ! ..

وفيما يخصنى .. فانى بعد سنوات من الانغماس فى أحياء القاهرة الشعبية وغير الشعبية ، فى صحبة شداة الشعر والأدب الناشئين حينذاك ، استطعت أن أتبين الفروق بين لهجات الأحياء والطبقات القاهرية المتنوعة ، وربطت بين هذه الفروق وبين تاريخ التكوين السكانى والاجتماعى للقاهريين الذين لم يتح لهم أن يكونوا جماعة ثابتة طوال ألف سنة ، منـــذ أنشا « جوهر الصقلى » القاهرة معسكراً للخليفة الفاطمى وجنوده .. فلبث تكوينها السكانى يختلف من دولة إلى دولة ، ومن عصر إلى عصر .. يفد إليها العسكر الغالبون ، ويخرج منها المغلوبون ، ويأوى إليهـــا المهاجرون ، ويفارقها الباحثون عن حظوظهم فى أرض الله الواسعة ، ويستريح فيها الحجاج فتعجب بعضهم فلا يفارقها ، ويلم بها العلماء والتجار والمغامرون ، ويجيء اليها الناس من أقصى أرض الاسلام شرقاً وغرباً ..

فاذا قرات تاريخ القاهرة . ألفيته تاريخ مصر العربية الاسلامية ، و « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام » ! .. هكذا قالوا قديما .. وكان المؤرخ ابن تغرى بردى موفقا حين أطلق على تاريخه هذا الاسم المسجوع : « النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة » .. كانما كانت القاهرة عنده هى نصف مصر ! .. وكان الناس قبله وبعده يسمونها « مصر القاهرة » .. وهم موفقون فى هذه التسمية أيضاً .. وتاريخ ملوك مصر وملوك القاهرة هو عنوان التاريخ المصرى ولكنه كل التاريخ ..

وعندما استقرت الكيانات القومية فى النظام الدولى العالمى خلال القرن التاسع عشر ، وتم تجديد المعنى القانونى الدقيق لكلمة « الوطن » و « الدولة » .. انصهرت فى القاهرة ـ منذ عهد محمد على باشا الكبير ـ جميع سلالات الهجرات المستقرة فى القاهرة من جميع أنحاء بلاد الاسلام والعرب وغيرها .. فسكان القاهرة هم أحفاد كل هذه السلالات ..

وخلال مائة سنة تقريباً بعد عهد محمد علي الكبير ، تلاشى من القاهرة الكلام التركى والجركسى ، وسادت اللهجات



جامع الأزهر .. يرجع إليه وإلى رجاله الفضل فى توحيد لهجات القاهرة الشعبية والقاهرة غير الشعبيـــة على مر الزمـــان

المحلية المتفرعة من اللغة العربية ، ولكن التباين بين الطبقات ، والاختلاف بين مناطق المدينة وصناعات أهلها ومعايشهم وأصولهم البعيدة ، جعل لكل حى تقريباً جرساً خاصاً من النطق والكلام . وكانت اللهجة المسماة حتى الآن باللهجـــة « البلدية » هى أبرز لهجات القاهرة ، وإن لم يكن أرقها وألطفها رنينا ، فهذه اللهجة هى لهجة غالبية سكان القاهرة الذين يسمون « أولاد البلد » .. وهم المقابل الطبقى لمن كانوا يسمون « أولاد الناس » .. فان أولاد البلد استوطنوا القاهرة منحدرين من سلالات شعبية : فلاحين ، وعمال ، وضائعين فى أزقة المدينة ، يجرى فى عروقهم دم عربى ومصرى قديم ودماء أخرى كثيرة .. أما « أولاد الناس » فهم سلالات السلاطين والأمراء والمماليك التركمان والجركس الذين اضطرتهم الدنيا اضطراراً - بعد زوال سلطانهم - إلى الاختلاط ببقية سكان القاهرة ، ثم الاندماج فيهم ، حتى ضاعت آثارهم ..

ثم نسي الجميع معنى اصطلاح « أولاد الناس » وصاروا يطلقونه جزافاً على كل أبناء الأسر الميسورة أو المستورة الحال ، ومازال هذا المعنى قائماً إلى يومنا هذا ..

وقرأت أنه قبل أن يتم شق الشوارع الفسيحة فى القاهرة وانتظام المواصلات بين أحيائها فى عهد الخديو اسماعيل - منتصف القرن التاسع عشر تقريباً - كانت اللهجات متنوعة بين الأحياء الشعبية ، ففى حى « بولاق » تعبيرات لا تقال فى حى « الجمالية » مثلا .. وفى «الحسينية » اصطلاحات لا يعرفها حى « مصر القديمة » .. وفى حى « السيدة زينب » وحى « الحســـين » تعبيرات واصطلاحات أخرى ... وهكذا ..

واعتذر إليك - عزيزى القارىء - فليس هذا بحثاً فى التاريخ ولا فى التكوينات السكانية .. ولا فى اللغة واللهجات ! .. ثم نواصل ما كنا فيه ..

## بين لهجتى ولهجاتهم

● فى أواخر الثلاثينات أخذت أنـا الفتى القادم من صعيد مصر ، المولع باللغة العربية ولهجاتها ، اقارن بين لهجتى ولهجات سكان القاهرة وقد صاروا كتلة شعبية واحدة متماسكة فى مدينتهم الجميلة الخاصة بهم وان كانت عاصمة لمصر كلها ، مفتوحة للزوار ليلا ونهاراً وهم يومئذ أقل عدداً من نزلاء فندق كبير واحد الآن ، فى المدينة الهائلة التى يسمونهـــا « القاهرة الكبرى » ..

وبدا لى أن لهجة « الســـــيدة » و « الحسين » و « الأزهر » و « الغورية » و « الجمالية » و « القلعة » و « الحسينية » و « زين العابدين » و « مصر العتيقة » ، تحمل آثاراً واضحة جداً ذات دلالة دينية وتاريخية وقومية عميقة .. فما هى تلك الآثار ؟! ..

- إنها آثار القراءات القرآنية السبع ، بل العشر التى كان قراء القرآن الكريم فى الأزهر يملأون بها جو هذه الأحياء منذ انشىء الجامع الأزهر قبل ألف سنة .. أو - على الأقل - منذ أعاده السلطان المجاهد الظاهر بيبرس إلى دوره الدينى الكبير ، بعد أن هزم التتار وأعاد الخلافة العباسية قائمة فى مصر ، بعد سقوطها فى بغداد ..

فهذه الأحياء نشأت وتراكمت تدريجياً حول الجامع الأزهر ، ومنه تعلم سكانها على اختلاف البلدان التى قدموا منها ، كيف ينطقون العربية ، لا باللهجات المحلية المتضاربة التى جاءوا بها من المشرق والمغرب ، ولكن بالقراءات الصحيحة للقرآن الكريم كما سمعوها وتشبعت بها أسماعهم لادمانهم سماعها من علماء الأزهر وقرائه وطلابه ومجاوريه ليلا ونهاراً ..

وإلى الأزهر ورجاله هؤلاء ، يرجـــع الفضل فى توحيد لهجات القاهرة الشعبية والقاهرة غير الشعبية على مر الزمان .. مع قيام الطابع الخاص للهجات الأحياء المحيطة بالأزهر ، اللائذة به وبما ينطلق من ألسنة شيوخه المبجلين ! ..

إن مفردات اللهجات العامية لا تختلف إلا قليلا من مكان إلى مكان فى مصر كلها .. ولكن طريقة الكلام ولهجته اختلفت بين أبناء الوطن الواحد من الاسكندرية إلى أسوان ، لأسباب متفرقة ولكنها تجتمع لتعمل عملا واحداً ، ومن أقوى هذه

الأسباب اختلاف لهجات بطون القبائل العربية التى نزلت بانحاء مصر شمالا وجنوباً ..

بعض هذه القبائل احتفظ بقاموس اللغة الفصيحة كاملا تقريباً ، ولم يفقد إلا « النحو » وبعض الصرف ، وان بقي من النحو أثر واضح فى طرائق تعبيرهم ، وذلك لصحة تصريف كلماتهم واشتقاقها .. فتراهم يلحنون وكأنهم لا يلحنون ، لسلامة أصول كلماتهم وتعبيراتهم ..

ولم يلبث المواطنون الذين نزلت هذه القبائل بينهم أن تكلموا بلغتها فصاروا مثلها ، بل صاروا منها وصارت منهم لا فرق بينهم وبينها ، وبخاصة بعد أن ربط الاسلام بين غالبية الناس ..

ولا أذكر أنى سمعت فى قريتى بالصعيد كلمة غير عربية ، إلا بضعة عشر لفظا فى مصطلحات الحياة اليومية ، من مخلفات العهد العثمانى ..

ومن ذكريات صباى ، أنى رأيت والدى ـ رحمه الله ـ ينظم قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، فتوقف عند كلمة « العاقول » وقال لأخيه وكان شاعراً أيضاً :

ـ أتظن أن نبات « العاقول » الشائك الذى تأكله الابل على مقربة من بيوتنا ، مذكور فى المعاجم ؟!

قال عمى :

ـ لابد أنه مذكور فيها لأن جميع كلامنا عربى ، ولكن .. هل كانت العرب تسميه « العاقول » أو « العقول » كما ينطقه أهلنا الآن بدون مد العين ؟! ..

قال والدى :

ـ أرجو أن يكون اسمه « العاقول » لأن وزن قصيدتى لا يستقيم إلا بذلك ! ..

وكان ـ رحمه الله ـ ينظم قصيدته هذه من بحر « الكامل » ومطلعها :

ذكر المقام وحجر اسماعيلا
فبكى وهل يشفى البكاء غليلا ؟!

والبيت الذى فيه تلك الكلمة :

لا يعرف السلطان ممن دونه
إلا سوائم تخضم العاقولا

وقد وجد فى القاموس أن « العاقول » هو نبت شوك ترعاه الابل ، تماماً كما هو فى لغة عامة أهلنا الفصحاء ، إلا انهم ينطقون العين فى هذه الكلمة خطفا بغير مد ! ..



الشيخ سيد درويش .. التزام باصول المقام مع نطق سليم

## تراث لغوى واحد

لاشك أن اللجهات بين القاهرة والاسكندرية .. إلى أسوان ، يجمعها تراث لغوى واحد يتمتع بثبات هائل ، لا يمكن اقتلاعه من جذوره ، ولا حتى تقليمه من فروعه على النحو الذى يحلم به بعضهم ممن ينسجون على منوال غلاة المبشرين الأجانب الكارهين لأمتنا ولغتنا ..

ولكن لكل منطقة عندنا وضعاً خاصاً بلهجتها ، صنعته عوامل كثيرة من التاريخ الطويل ..

وفى منطقة « القاهرة » ارتبط تكوين لهجات القاهرة بالأثر الدينى العميق للأزهر وعلمائه وطلبته فى سكان الأحياء المحيطة بالأزهر ، ثم فيمن يليهم ..

وقد تأملت طويلا الاسطوانات القديمة للمغنين والمنشدين القاهريين ، وأكثرهم تعلموا فى الأزهر وحفظوا القرآن ، فوجدتهم ينطقون الحروف كما ينطقها قراء القرآن الكريم .. ومخارجهم اللفظية تختلف قليلا عند الغناء عن مخارج الألفاظ عند القراء ، وحتى الحروف التى تغيرت فى اللهجة العامية كحرف الجيم وحرف القاف احتفظت فى اللهجة القاهرية بجرسها الأصلى تقريباً ..

وكنت مرة أتحدث مع الموسيقار محمد عبد الوهاب عن قصيدة شوقى « يا جارة الوادى » التى غناها عبد الوهاب قبل خمسين عاماً ، فسألنى عما لفت نظرى فيها فاجبته إن أهم ما لفتنى بعد جمال الصوت والتلحين والشعر ، طريقة نطقه ، وبخاصة نطقه لحرف « الراء » فانه ينطقه كالقراء الحريصين على القراءة بطريقة « ورش » .. وكان ورش ـ رحمه الله ـ من أصل مصرى معروف ، وهو من أشهر أصحاب القراءات السبع أو العشر ..

فحين غنى عبد الوهاب قصيدة « يا جارة الوادى » فى آخر العشرينات كان نطقه هو « ابن البلد » المصرى .. وكانت لهجته هى لهجة « باب الشعرية » التى ولد فيها ونشأ وتعلم الغناء .. لهذا كان نطقه لحرف « الراء » فى هذه القصيدة نطقا سليماً كانه نطق « المقرئين » مع أنه فى غنائه ملتزم باصول المقام الذى يغنى فيه كل الالتزام ، وقد لعب بالراء فى قول شوقى : « ولقد مررت على الرياض بربوة » ولكن هذا اللعب الغنائى لم يفسد نطقه لحرف الراء على أصله الذى انتقل إليه من شيوخه الأزهريين ! ..

كذلك كان يفعل فى الغناء جميع معاصرى عبد الوهاب ومن كان قبله أمثال سيد درويش ، وسلامة حجازى ، ومحمد العجوز ، ويوسف المنيلاوى ، وعبده الحمولى وغيرهم .. دعك ممن كانوا مشايخ كأبى العلا محمد ، واسماعيل سكر ، وعلى محمود مثلا ..

بل كانت منيرة المهدية وطبقتها من المغنيات ينطقن كذلك ، وهن من أشباه الأميات ، وإنما أتيح لهن ذلك لأنه من لهجتهن التى طبعن عليها ..

هؤلاء المغنون والمغنيات نماذج قليلة جداً ذكرناها لشهرتها ، ولكنا نقصد عموم القاهريين فى تلك الأيام ، وهم كل سكان

الأحياء الشعبية ومن تحدروا من أصلاب أهلها ..

فهؤلاء كان الأزهر ملهمهم فى النطق – نقصد نطقهم لهجتهم العامية لا الفصيحة فقط – ولكن هذا النطق لم يكن وحده النطق الصحيح ، وإنما أفضنا فى الحديث عنه ، للمعنى التاريخى المتعدد الجوانب فيه ، ولبيان أثر الأزهر فى شعب القاهرة .. حتى فى نطق الحروف ..

إن أم كلثوم المشهود لها من الجميـــع بالفصاحة التامة فى العربية والعامية لم تكن من مدرسة الأزهر فى النطق ، لأنها لم تكن قاهرية ، وانما هى من « الدقهلية » البعيدة عن الأزهر ..

وكانت أم كلثوم – لهذا السبب ولأسباب أخرى تتعلق بعبقريتها التى لا تتكرر – أول من خرج فى الغناء المصرى المعاصر بالقاهرة عن لهجة الأحياء الشـــعبية القاهرية الأزهرية الأصل .. إلى لهجة الأحياء القاهرية التى كان يسكنها السراة والأعيان ويقل فيها تأثير النطق الأزهرى ، مع أن أم كلثوم نشأت فى بيئة تتلو القرآن وتحترف إنشاد القصائد الدينية ، ولكن بيئة الأزهر ذات الأثر الهائل ، كانت شيئاً آخر لم تعرفه أم كلثوم ، وقد أحدث هذا انقلاباً فى نطق المغنين والمغنيات تأثراً بام كلثوم ، وساعد على ذلك « انقلاب » المجتمع نفسه من عصرإلى عصر ..

والواقع أن اختلاط نطق القراء بنطق أولاد البلد القاهريين ، قد تداخل فى أحاديث حياتهم اليومية ، وامتزجت طرائق النطق بغير نظام ثابت ، مما احدث بعض التشويه فى لهجات هؤلاء المواطنين ، ولهذا استعمل مخرجو المسرح والسينما منذ بدايتهما فى مصر هذه اللهجات لتجسيم شخصية « ابن البلد » تجسيما كاريكاتيرياً .. ومازال المخرجون يفعلون ذلك فى السينما والتليفزيون والاذاعة والمسرح ..

فى الماضى كان أولاد البلد يذهبون إلى الجامع الأزهر للشـــــكوى من الـــولاة العثمانيين وعسكرهم ، ويدور الحوار بين المشايخ بلهجتهم التى تركت فيها تلاوة القرآن الكريم أثراً واضحاً ، وبين أولاد البلد الذين تاثرت لهجتهم العامية – وهم أميون – بلهجة المشايخ العلماء .

وكان الولاة يلجاون احياناً للمشايخ لتهدئة أولاد البلد حين ينتفضون ويغلقون حوانيتهم ويقيمون المتاريس فى الحارات والأزقة ..

وذلك كله أعطى لهجة أولاد البـــلد ما أعطاها من تميزها على مر الأيام ، بما يشوب هذا التميز من خشونة فى ناحية وظرف ورقة فى ناحية أخرى .. وصحة نطق فى نواح كثيرة ، وخطأ فى بعض النواحى

ثم استدارت الدنيا ، واظلتنا مرحلة جديدة من التاريخ ، وهبط إلى القاهرة ملايين المواطنين من اقاليم مصر ، حتى صار سكان القاهرة الأصليين اقلية فيها ، والأغلبية من القادمين إليها من الأقاليم .. وهذه هى القاهرة الكبرى الآن ..

فلما تسمع الآن لهجة أولاد البلد على « اصولها » ، فان لهجة القاهرة تصنعها يوماً بعد يوم نتائج الاختلاط بين عشرة ملايين اجتمعوا فيها من انحاء مصر .. والنطق فى قاهرة الملايين العشرة يتاثر سريعاً باللهجات التى يسمعونها من الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح .. فهذه الأجهزة تطبخ الآن لهجة جديدة مشتركة لسكان القاهرة ، بل لسكان مصر جميعاً ..

والناس يسمعون القراء من الاذاعة والتليفزيون فلا يتاثرون بمخارج حروفهم كما كان الأجداد يتاثرون ، لأن الصلة كانت قديماً صلة حياة هؤلاء بحياة هؤلاء ، وليست مجرد صلة قارىء بمستمع ينتظر الفقرة التالية من برامج الاذاعــــــة او التليفزيون ! ..

وهذا ما استحدث للناس عادات لغوية جديدة متحركة غير ثابتة ، تكاد تتغير كل بضع سنوات ، وكانت فى الماضى ذات ثبات عظيم ! ..

● ●

ساورتنى هذه الخواطر وأنا أجول على قدمى فى الزحام ، من « الغورية » إلى « الأزهر » إلى « الحسين » إلى «الجمالية» إلى « الحسينية » ، عائداً بعد الجهد إلى « السيدة زينب » ، ماضياً إلى « القلعة » ، حيث استرحت قليلا فى ظل مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، تلك المدرسة ذات الروعة الفائقة .. والمسجد الجامع النادر المثال ..

تذكرت صلة أولاد البلد بمشايخ الأزهر القدماء الذين كانوا يتلقنون منهم مبادىء النطق ، ولو بغير علم ولا هدى ! ..

كانت صلة بالغة القوة والعمق فى كل حال ، وعلى تقلبات الدول والأيام ! ..

« فى حوادث سنة ١٧٩٠ كثر اعتداء احمد اغا الوالى على أهل « الحسينية » من حبس وضرب ونهب ، فثاروا واغلقوا الدكاكين والأسواق ، وذهبت منهم طائفة كبيرة إلى الجامع الأزهر ، وصعدوا المنارات وهم يصرخون ، وأبطلوا الدروس ، فطمانهم الشيخ العروسى شيخ الجامع . وبعد مباحثات ومراسلات ، ركب المشايخ إلى بيت البكرى وحضر هناك اسماعيل بك والتزم بعزل الوالى ، وانتهى الأمر بعزله ونزل الوالى الجديد من الديوان إلى الأزهر وقابل المشايخ واسترضاهم » ! ..

وتوالت الذكريات على خاطرى كما سجلها الجبرتى فى تاريخه :

« فى سنة ١٨٠٥ حضر أهالى مصر القديمة إلى الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من افعال الجند الدالاتية واعتداءاتهم ، حيث احتلوا دورهم ونهبوها وسبوا نساءهم ، فركب المشايخ إلى الباشا وخاطبوه فى الأمر ، فكتب فرماناً بخطه للدالاتية بالخروج من بيوت الناس والكف عن الاعتداء ، فلم يمتثلوا ، فغضب المشايخ وتركوا الجامع واوقفوا الدراسة ولزموا بيوتهم واقفل غالب الأسواق ، ولما تفاقم عدوان الدالاتية فى القاهرة والأقاليم القريبة واشتدت الأزمة ، طلب الباشا القضاة والعلماء فابوا الذهاب إليه ، ثم ساروا بصحبة السيد عمر مكرم إلى محمد علي وطلبوا منه أن يقبل الولاية » ! ..

وقبل محمد على الولاية ! ..

ومنذ ذلك الحين انطلقت عوامل التاريخ تعمل عملها فى لهجة القاهرة ولهجات مصر كلها .. ولم تكن اللهجات هى التى تتغير ، بل كان الزمان ، ولكن أين يمضى التغير بالانسان ؟ ! ..

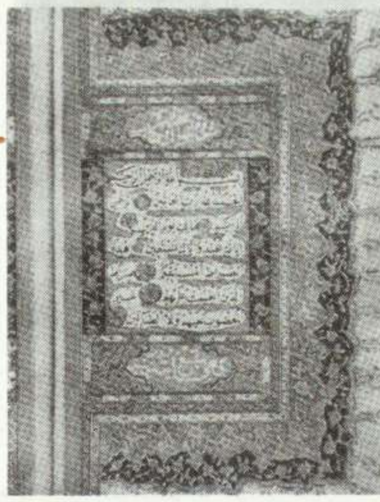
كمال النجمى



أم كلثوم .. لم تكن من مدرسة الأزهر فى النطق !



محمد عبد الوهاب .. كانت لهجته هى لهجة « باب الشعرية » !



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

# الغارمون

● جاء مفهوم الغارمين - فى القرآن الكريم - فى مصارف الزكاة : فى قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » ( التوبة : ٦٠ ) .

وفى عد الغارمين - وهو جمع غارم - ضمن من تصرف اليهم الزكاة : ما يفيد ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أنهم افتقروا فاصبحوا فى حاجة إلى المال ، فجعلوا ممن يعوضون من الزكاة .

الأمر الثانى : انهم غرموا من أموالهم فى خير عام ، والا لما كانوا من بين المستحقين للزكاة .

الأمر الثالث : ان غرمهم من أموالهم فى سبيل الخير العام كان بارادتهم ، والزامهم هم : انفسهم ، والا لتحمل غرمهم : من كان سبباً فيه .

فالغارمون هم فريق من المؤمنين يسعى بينهم بالصلح ، ويسد الثغرات التى تفتحها الخلافات والخصومات . وفى سعيهم بين المؤمنين قد يتحملون غرماً ، اى ديناً من مالهم الخاص ، لعلاج هذه الخلافات والخصومات : كان يتحملوا دية قتيل .. أو حقاً لأحد الطرفين على الآخر . وبسبب تحملهم هذا الدين قد يصبحون من ذوى الحاجة . ولأنهم تدخلوا بما يرفع الشقاق بين المؤمنين ، ويعيد الترابط والمودة على أساس من الايمان بالله : كانت الجهة التى تغطى حاجتهم فى نظر القرآن : هى بيت المال . والزكاة هى الرافد فى تكوينه .

ونصت آية الزكاة على الغارمين - كما نصت على بقية المستحقين لها - حتى لا يقع تغيير فى مصارف الزكاة . وبذلك يبقى الحافز لأصحاب الهمم العالية من جانب ، والأثرياء من جانب آخر ، على التدخل بين المؤمنين لازالة ما يقع من سوء بينهم ، ولو كان هذا التدخل على حساب أموالهم .

وفى هذا المعنى ما يروى عن رجل جاء يسال النبى عليه الصلاة والسلام من الصدقة . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يرض بحكم نبى ، ولا غيره فى الصدقات ، حتى حكم فيها هو ، فجزاها ثمانية أجزاء . فان كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك » .

● وينقل حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد ثلاثة أنواع من أصحاب الحاجة يأخذون من الزكاة . ولكن من بينهم نوع واحد ، وهو نوع الغارمين : يأخذ كل ما تحمل من دين . أما النوعان الآخران فيأخذ كل منهما ما يسد حاجته . يروى عنه عليه السلام قوله : « ان المسالة ( اى السؤال ) لا تحل الا لأحد ثلاثة :

« رجل تحمل حمالة ( اى تحمل ديناً فى سبيل الآخرين من الأمة ) فحلت له المسالة حتى يصيبها ( اى حتى يحصل على ما تحمله ) ثم يمسك » .

« ورجل اصابته جائحة ( اى كارثة : كسيل .. أو نار .. أو جفاف .. أو زلزال .. أو عواصف ) فاجتاحت ماله ( اى هلكته ) فحلت له المسالة حتى يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش ( اى ما يقيم به نفسه ويسد به حاجته ) .

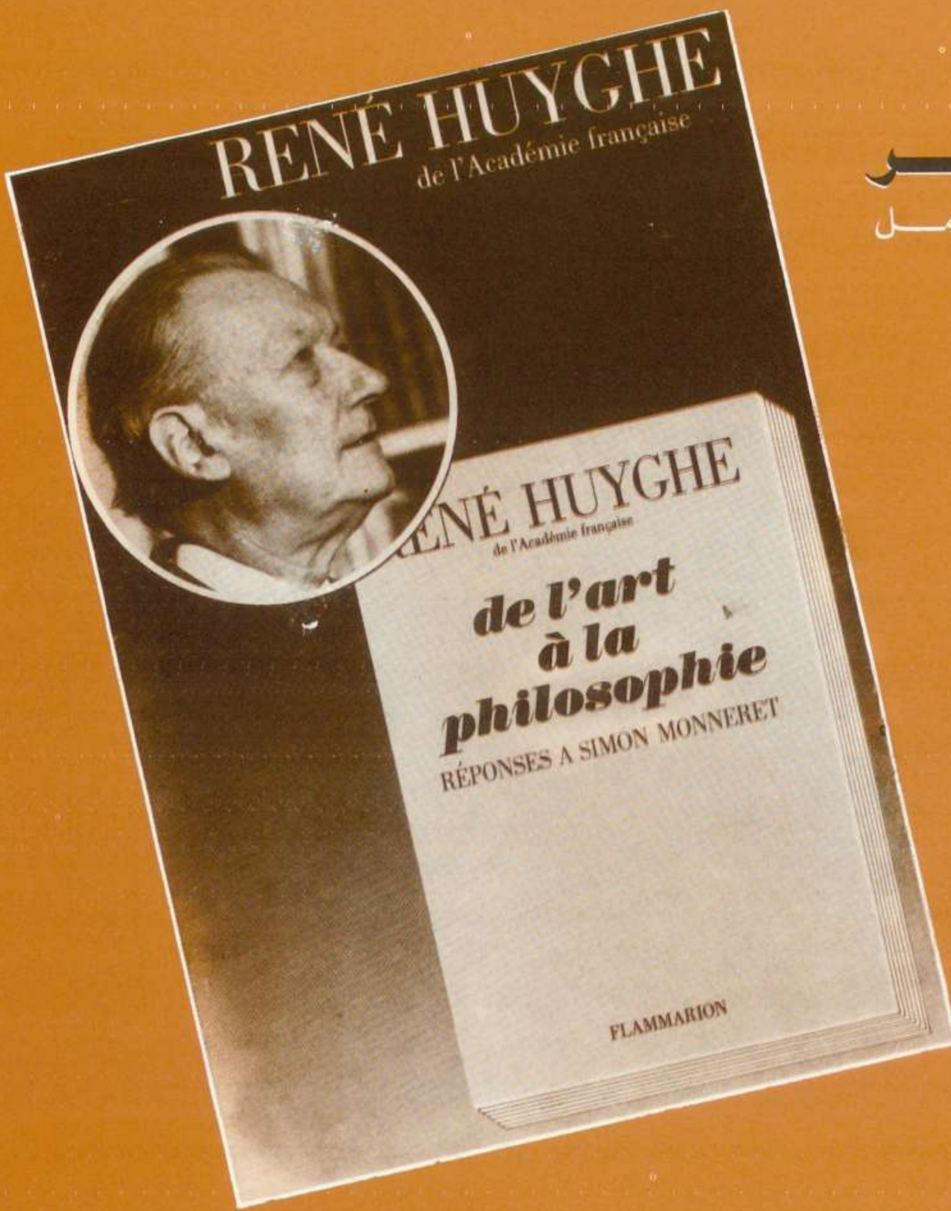
« ورجل اصابته فاقة ( اى فقر شديد بعد غنى ويسار ، ولكن فى غير العبث والفساد ) حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا ( اى من العقلاء ) من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسالة ، حتى يصيب قواماً ، أو سداداً من عيش » .. وهنا الزكاة اذا قامت بدور « التعويض » للأول .. فانها تقوم بدور التامين للثانى .. وبدور الضمان الجماعى للثالث .

والغارمون اذن عندما ينص عليهم فى مصارف الزكاة : ينص عليهم تقديراً لعملهم وهممهم العالية .. وتذكيراً لبقية المؤمنين فى المجتمع بأن واجب التكافل يقضى برعاية هؤلاء : اذ هم قدوة طيبة : فى ايمانهم ، وفى تطبيقهم هذا الايمان فى حياتهم مع غيرهم .

واذا كان الغارمون يغطى غرمهم أو دينهم من الزكاة : فاجرهم بعد ذلك على ما قاموا به من عمل خير فى سبيل أمتهم ، هو عند الله وحـده . اذ هـؤلاء لا يرون ما ينفقونه : مغرماً . ولكن يرونه قربى الى الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم . ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، وصلوات الرسول ، الا : انها قربة لهم ، سيدخلهم الله فى رحمته ، ان الله غفور رحيم » (التوبة : ٩٨/٩٩ ) .

# كتاب الشهر

عرض وتحليل : فؤاد كامل




# الليل ينادي الفجر

غلاف كتاب فن الفلسفه وهو حوار تم عبر لقاءات متصلة ومراسلات طويلة بين المفكر اليابانى والمفكر الفرنسى

# أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة



رينيه ويج مفكر فرنسى ينتمى إلى أقصى الغرب



ديساكو أكيدا مفكر يابانى ينتمى إلى الشرق

نبتت فكرة هذا الكتاب الفريد فى ذهن المفكر اليابانى ديساكو اكيدا رئيس جمعية « سوكاى جاكاى » الدولية . وهى جمعية معنية بنشر العقائد البوذية وتعاليمها فى أنحاء العالم ، وتضم ثلاثة عشر مليوناً من الأعضاء ، منهم مليون فى العالم الغربى . وقد أسس الرئيس إيكيدا جامعة فى اليابان ، وعديداً من المدارس العليا ، كما أنشأ متحفاً شهيراً للفن هو متحف فوجى ، ونشر مجموعة كبيرة من المؤلفات ، وأتاحت له لقاءاته المتعددة مع كثير من الشخصيات العالمية الشهيرة أن يحتل مكانة خاصة فى العالم الغربى .

هؤلاء هم العظام الذين تحدث معهم المفكـــر الياباني

# أزمـــة الحضارة المعاصرة في حـــوار العباقـــرة






هنرى كيسنجر

أما المتحاور الغربى فهو المفكر الفرنسى رينيه ويج عضـــو الأكاديمية الفرنسية ، والأستاذ بالكوليج دى فرانس ، ورئيس المجلس الفنى للمتاحف القومية فى فرنسا . وقد ألقى محاضرات عديدة فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وفى اليابان . وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من اثنتى عشرة لغة ، وأهمها : « حوار مع المرئى » و « الفن والنفس » و « الأشكال والقوى » . وهى مؤلفات يعاد طبعها عاماً إثر عام . وجاء فى براءة « جائزة إراسموس » التى منحتها له هولندا بمدينة لاهاى سنة ١٩٦٦ أنه « خدم الحضارة الأوروبية على نحو استثنائى » .

وفى لقاءات متصلة فى فرنسا واليابان ، وخلال مراسلات طويلة الأمد ، امتد الحوار بين المفكر اليابانى الذى ينتمى إلى أقصى الشرق ، والمفكر الفرنسى الذى ينتمى إلى أقصى الغرب حول طبيعـة الأزمة المعاصرة وجذورها العميقة . ولكنهما لم يتجاهلا فى هذا الحوار آمال الشعوب العريضة ، كما ينبىء بذلك العنوان الذى اتخذاه لتلك المحاورات : وهى محاورات مكثفة ، واسعة الأفق ، منهجية التناول ، شاملة المضمون ، بحيث لا يستطيع أن يتجاهلها إنسان يهتم بحاضرنا المعاصر ومستقبلنا القريب .

وفى هذه اللحظة التى تتجه فيهـــا « مدنيتنا » إلى أن تصبح « عالميـــة » ، لا يستطيع إلا حوار على هذا الشكل أن يحدد الأسس التى سيتمكن بها الحاضر الذى نعيشه من استخلاص المستقبل الذى نتطلع إليه .

ذلك اننا مضطرون ـ نظراً لاتســاع المشكلات التى تواجهها الانسانية فى العصر الحاضر ، واشتباك العلاقات الدولية وانتشار وسائل الاعلام الحديثة وغيرها من المخترعات إلى أن « نفكر فى العالم ككل » ، وهذا شىء جديد لم يحدث للانسانية فى تاريخها الطويل ، أعنى هذا الوعى الشامل بالأخطار والمشكلات التى تهدد البشرية بوجه عام . فثمة فكرة مشتركة تفرض الآن نفسها على الجميع ، وعبر المعـــارك السياسية ، والصراعات القومية العسكرية والاقتصادية ، تلوح « الأزمة العالمية » فى الأفق تدعو الشعوب جميعاً إلى التفكير فى تشخيصها وحلها ، وإلى العمل المتضامن للخروج منها ، والفكاك من أسرها .

ولهذا كان التفكير فى إجراء هذا الحوار لتكوين تلك النظرة الشاملة إلى الأزمة ، لتقصى أسبابها وآثارها ، والبحث عن وسائل الاصلاح الكفيلة بتجنب أخطارها . ففى هذا الكتاب التقاء بين فكرين ينتميان إلى تقاليد وحضارات وأديان متميزة ومختلفة أشد الاختلاف ، ولكنهما يبذلان عبر هذا الحوار العميق مجهوداً مشتركاً صوب الموضوعية .

وقبل أن يقوم « إيكيدا » باجراء هذا الحوار مع « ويج » ، كان قد تحدث مـــع شخصيات أخرى عظيمة مثل كيسنجر وكوسيجين ، وهوا ـ هيو ـ تونج رئيس الدولة الصينية ، وكورت فالدهايم الأمين العام السابق للأمم المتحدة . فهو مؤهل لاجراء مثل هذا الحوار الذى نقدمه اليوم للقارىء العربى تأهيلا طويلا . وقد خطرت له فكرة إصدار حواره مع ممثلى الفكر الغربى فى كتب متتابعة ، استهلها بكتاب « فلتختر الحرية » ضمنه محادثاته مـــع المؤرخ الانجليزى الكبير « ارنولد توينبى » ( ١٩٧٦ وكان هذا آخر انجاز للمؤرخ العظيم ) . وكان « إيكيدا » ينوى أن يكون كتابه الثانى حواراً مع « أندريه مالرو» المفكر الفرنسى الشهير ، غير أن المنية جعلته يختار « رينيه ويج » بدلا من مالرو ، فكان هذا الكتاب الذى نعرضه اليوم . وسيأتى كتاب ثالث فى هذه المجموعة من المحاورات مع « الكونت بيتشى » المفكر الايطالى المعاصر ورئيس « نادى روما » . وهو ناد معنى بالبحث عن علاج لاختلال التوازن المتزايد الذى تعانيه المدنية الحاضرة .

وهذا الاختلال الذى استفحل خطره هو الذى يجعلنا نتحدث الآن عن « أزمة المدنية المعاصرة » . فبعد أن ظل الغرب طوال قرن بأكمله ينشد أغنية التفاؤل الظافر ، ودون أن يراوده ظل من الارتياب فى أسطورة التقدم المجيد ،وملحمة العلم فى تطوره المستمر ، أخذت أصداء النشيد تخفت رويداً رويداً لتتصاعد من بعده أصوات تعبر عن قلق شديد ، ترفعه خيبة أمل عظيمة فى الحاضر ، ومخاوف رهيبة من المستقبل . وتنادت أصوات متفرقة تنذر بمقدم الأزمة : أزمة اقتصادية أولا ، تلتها أزمة اخلاقية ، أعقبتها أزمة فكرية ، فانتظمت أخيراً فى أزمة المدنية الغربية ، ثم أصبحت الآن أزمة « المدنية الانسانية » بوجه عام . وبعد مد التقدم حدث جزر مضاد ، نشر الشك ، وأشاع القلق ، وصدم الأجيال الشابة بوجه خاص ، لأنها الفئة الصاعدة ، ومن ثم فهى أكثر تعرضاً للصدمة من غيرها من الفئات .

ولما كانت القارات فى العهود الماضية منطوية على نفسها ، متقوقعة داخـــل مشكلاتها الخاصة ، وكان الاحتكاك بينها لا يتم إلا على فترات ، بحيث لم تكن ثمة مواجهة إلا مواجهة الأقوى بالأضعف ، فمن النزعة الاستطلاعية التى استولت على الغرب تجاه الشرق ، جاءت النزعـــة الاستعمارية ، ومع ذلك فان الشعوب التى نجحت فى الاحتفاظ بطابعها وشخصيتها وطريقتها فى التفكير والاعتقاد والحياة ، وباستقلالها الروحى ، وقد وقعت بدورها فى الأتون الضخم الذى يغلى فيه المجتمع الاقتصادى والتقنية الحديثة . وأغرتها



اندريه مارلو



هواكو فينج



ارنولد توينبى

مظاهر المدنية الغربية ان تلحق بالتقدم الذى حققته أوروبا ، وربيبتها أمريكا الشمالية فتنكرت لتقاليدها وأسلوبها فى الحياة وتبنت أساليب الحياة الأوروبية والأمريكية ، واعتنقت طرائقهما العقلانية الآلية فى التفكير والسلوك على السواء .

وما إن أشبعت نهمها إلى التقدم عن طريق هذه المحاكاة ، حتى لمست المثالب العميقة ، والآفات المهلكة التى نقلتها فيما نقلته عن المدنية الغربية . وهنا أصبحت تلك البلدان الشرقية شريكة فى « الأزمة » . وأدركت بالتالى القيمة النسبية لما فقدته . فنحن لا ندرك قيمة ما نملك إلا بعد أن نفقده . وهكذا اكتشفت تلك البلدان أنها كلما أشبعت حاجاتها المادية الوضعية ، حفرت فى داخلها فراغاً أو خواء باطنياً . وأنشأت هوة — إن صح هذا التعبير — ينهار فيها ويتداعى كل ما كان يسندها ويدعمها فى حياتها الروحية السابقة . وهذان الكيانان : « المادة » و « الروح » وضعا تلك الشعوب أمام اختيار صعب أليم لا مناص منه .

وقد أتاحت محاولة « إيكيدا » فى إجراء حواره مع شخصيات متنوعـــــة ، وذات اهتمامات مختلفة — أن يندفع بحثه فى اتجاهات متشعبة ، وأن تلقى عليه أضواء متباينة . بيد أن الحوار الحالى الذى اجراه مع « رينيه ويج » يفسح مكانا خاصاً للفن الذى هو مجال التخصص لهذا الأخير مما أفاد الحوار فائدة عظمى ، وذلك لأن الفن بطبيعته ووظيفته يقوم على الملكات التى تعد أكثر ما تكون تعرضاً للمخاطر من قبل الحضارة العقلانية الوضعية المادية الجماعية ، وهى الملكات التى يعد اصلاحها واستردادها أمران ضروريان لاقامة التوازن الانسانى المختل ، وأعنى بها ملكات الوجدان أو الحدس ، والخيال المبدع ، والحساسية والشخصية ، وإدراك الذاتى والكيفى .. وربما كان الفن هو الذى يجعل المدخل إلى قلب المشكلة يسيرا .

## المتحاوران يتفقان

ولما كان من طبيعة الحوار أن يشرد ويتشعب ويتشتت ، فقد تم الاتفاق بين المتحاورين على اتخاذ خيط هاد يسيران بمقتضاه ومن ثم أمكن تقسيم الحوار بعد عمل المونتاج اللازم إلى ستة أقسام :

القسم الأول : ويتضمن تقرير وجود الأزمة التى يغوص فيها العالم يوماً بعد يوم ، كما يبحث فى الظاهرة أو فى المجال الاقتصادى الذى يتسلط أعظم التسلط على عصرنا الحاضر ، وينتهى هذا القسم ببحث الأزمة الأخلاقية ، وهى أشد الأزمات خطورة ، لأنها مصدر الصراع الداخلى فى نفس الانسان . وهذا القسم يتألف من أربعة فصول .

والقسم الثانى : ويبحث فى أصول العلة ، ويضعها فى المنظور التاريخى لنتبين أن هذه العلة نشأت ، مع التحولات الكبيرة التى عانتها المدنية فى مراحلها المختلفة ، وفى هذا أربعة فصول أيضاً .

والقسم الثالث تحديد مقومات التغير الذى يتم فينا ومن خلالنا ، والتعديلات التى يراد إجراؤها فى الطبيعة الانسانيـــة التى بتر العصر الحديث بعض أعضائها الأساسية واستأصلها كما يحاول أن يتحسس الموضع الذى يمكن أن يقام فيه الثقل الكفيل باعادة التوازن من جديد إلى الانسان . ويتألف هذا القسم من ثلاثة فصول .

والأقسام الثلاثة الأخيرة مخصصة لوصف العلاج على نحو إجمالى .

ويتلخص هذا العلاج فى إعادة تربية الفرد تربية منهجية ، ولهذه التربية منبعان عظيمان كامنان فى الانسان أحدهما يستمد ثراءه من الدين ، والآخر من الفن ، والصلة بين هذين المنبعين قائمة فى الاحساس بـ « المقدس » .

وفى مواجهة المشكلات التى تفرضها الأزمة ، علينا أن نتحاشى النزعة القطعية ( الدجماطيقية ) التى ينحو إليها أى مذهب من المذاهب . وربما كان هذا الدرس هو أعظم ما نتلقاه من هذا الحوار : فهنا مواجهة بين فكرين متمايزين أشد التمايز ، مختلفين أحد الاختلاف ، لأنهما يعكسان ذروة تراثين متباعدين أحدهما عن الآخر مسافة البعد الذى يفصل الشرق عن الغرب ولكنهما يلتقيان فى نهاية الأمر ، إذ يتجهان صوب خاتمة متشابهة ، وهذه الخاتمة تستمد قوة البينة التى تفرض نفسها علينا فرضاً — من تلك الثنائية التى عنها صدرت .

## مدنية الاستهلاك

يقول إيكيدا إن الأزمة الراهنة التى تجتاح البشرية ليست صادرة من الخارج ، من إعصار يهب من السماء ، بل يأتى الخطر من سكان هذه الأرض الذين يتنازعون فى سباق المنافع والمصالح ، ويتصارعون على متاع الدنيا ، ويخرجون مسكنهم بأيديهم ، فيهدمون سقفه ، وينزعون أرضه ، ويحطمون أعمدته ، فينتهى به الأمر إلى الانهيار .

إن تعارض المصالح هو أساس الحقد والبغضاء ، وهو الذى يؤدى إلى صناعة أسلحة الدمار ، فكل خصم يريد إبادة خصمه ، ومن هنا كان الجنون الذى يدفع

## أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة




إلى تدمير العالم . والانسان المعاصر يعانى من تدمير البيئة ، واستنزاف المواد ، والتهديد بالحرب وأهوالها . ولكننا لا نستطيع أن نابق من هذه المسكونة أو نجد عنها مهرباً . فلا مناص من تغيير عقلية الانسان وسلوكه تغييراً جذرياً ، لنجعل هذه الدار صالحة للسكنى ، ترفرف عليها الراحة واطمئنان البال .

وقد شهدت الانسانية فى تاريخها الطويل أدياناً عظمى ، بيد أن وجود هذه الأديان لم يحل دون نشوب صراعات هائلة أريقت فيها دماء الملايين من البشر . ومن ثم فان اختيار هذا الدين أو ذاك بالنسبة لاحلال السلام — لا يعدفى حد ذاته ترياقا . ذلك أن الاختلاف فى مضمون تعاليم هذه الأديان ينعكس فى الهياكل الاجتماعية ، وفى تركيب الأفراد ، ولهذا ينبغى أن نعلق أهمية مماثلة على الطريقة التى تتحول بها هذه التعاليم إلى تطبيق فى الحياة ، ومن هنا ينشا التفاوت بين أنصار العنف وانصار السلام .

ومن الطبيعى ألا يكون « إيكيدا » ضد الحل الدينى للأزمة المعاصرة ، إذ يرى فى الأديان جميعاً أساساً صالحاً لبناء الانسان بناء روحياً يعينه على مواجهة مشكلات الحياة ، ولكن أهم ما يعنيه فى هذه الأديان أن يأتى التطبيق العملى متفقاً مع العقيدة ، وفى رأيه أن البوذية حين فصلت بين المؤسسات التى تعنى بالعقيدة البوذية وبين المؤسسات التى تهتم بنشر تعاليمها ومتابعة تطبيقها فى المجتمع البشرى قد تجنبت ما وقعت فيه المسيحية مثلا عندما جعلت الكنيسة تهتم بالجانبين معاً ، فكانت المخاطر التى تعرضت لها المسيحية والمجتمع الغربي على حد سواء ومن الطبيعى أيضاً — وهو رئيس جمعية عالمية تدعو إلى البوذية — أن يعرض لتفاصيل مذهبه فى ثنايا الحوار بينه وبين ويج ، ولكنه يفعل ذلك بروح متفتحة تتقبل الرأى الآخر فى سعة من الأفق ، وبموضوعية فى التفكير . ولن نعرض بالطبع لهذه التفاصيل فى موجزنا المقتضب عن هذا المجلد الضخم .

أما الحل الذى يرتضيه « ويج » وإن لم يكن دينيا مذهبياً ، فانه أقرب ما يكون إلى الدين ، بل إنه من الممكن أن يكون نزعة صوفية فى وحدة الوجود ، شديدة الشبه بنزعات أصحاب وحدة الوجود فى الفكر الغربى من أمثال جيته ، وبرجسون ، وإكهارت .. الخ ، وفى رأيى أن فلسفة « ويج » التى عرضها عرضاً واضحاً فى هذا الكتاب — امتداد مخلص لفلسفة « برجسون » فى صدها للتيار العقلانى النفعى المادى فى الفلسفة الغربية .

والمحور الأساسى الذى تدور عليه فلسفة « ويج » فى تشخيصه للأزمة وعلاجها هو أن الحضارة الغربية فى غمرة النشوة التى انتابتها نتيجة لتقدم المعرفة العلمية وتطور التقنية ، نسيت ، اننا نمتلك حياة باطنة وروحاً ونفساً ، فاهملناها جميعاً ، وتركناها جائعة ، وقد آن لها الآن أن تشبع احتياجاتها ، وحان الوقت لتوجيه أنظارنا إلى الداخل إلى ذلك العالم الباطنى أو الجوانى للحياة الانسانية . وعلى الروح الانسانية أن تتحرك وفقاً لنبض الكون الذى يخفق من خلال الانسان والطبيعة ، وكل شىء . ذلك أن « ويج » يعتقد أن للكون حركة واتجاهاً صاعداً أو ما يسميه برجسون « السورة الحيوية » . ثمة سورة أو دفعة كونية صاعدة يتحرك بمقتضاها كل ما فى الكون من كائنات حية وجامدة ، وعلى الانسان أن يكتشف هذا الاتجاه الصاعد للكون ، وأن تأتى أفعاله وتطلعاته منسجمة مع هذه الحركة ، وما العثور على اتجاه هذه الحركة والتصرف بانسجام معها إلا الحكمة بعينها .

وافة المعرفة العلمية التى سيطرت على العالم الغربى ومازالت تسيطر عليه — هى فى ظهور نتائج لم تكن متوقعة نتيجة للتقدم العلمى الذى يغفل وجود ذلك التشابك المعقد اللامتناهى للعوامل والأحداث وردود أفعالها وانعكاساتها على الانسان ، بحيث يبدو الانسان عاجزاً عن السيطرة على العالم المحيط به . بل إنه حتى فى مشكلة اقتصادية مثل التضخم لم يجد العالم حلا شافيا رغم انتشاره فى العالم أجمع ، ولم تزد الاجراءات التى اتخذت حتى الآن إلا فى تفاقمه . وكذلك مشكلة التلوث ، ومشكلة الطاقة .. الخ .. وحالنا أشبه بحال مسافر ضل طريقه أثناء الليل ، فأحاطت به جماعة من الذئاب تهاجمه من كل جانب ، فلا يستطيع لها دفعاً .

ولعل أهم ما يمكن أن توصف به مدنيتنا المعاصرة أنها مدنية الاستهلاك ، فكل ما فيها يتجه إلى تضخيم قدرة الفرد وارادته على الاستهلاك وإشباع حاجات الجسد ، بتوفير الغذاء والراحة وتخفيض الجهد ، والاشباع الحسى . وهذا الاتجاه إلى الاشباع الحسى يستنزف الموارد استنزافاً شديداً يغيب عنه الترشيد ، وأصبح العالم الآن يتحدث عن النمو من أجل النمو ، والانتاج من أجل الانتاج ، والاستهلاك من أجل الاستهلاك دون نظر إلى ما يمكن أن يجره هذا الاتجاه ، مع الانفجار السكانى — إلى كارثة محققة تهدد العالم كله بالدمار .

وقد خلقت مدنيتنا احتياجات جديدة تقوم كلها على استهلاك الطاقة ، بحيث تتضاعف احتياجات الدول الصناعية من الطاقة كل عشر سنوات ، علماً بأن الموارد الرئيسية للطاقة محدودة . ويتجه التقدم العلمى إلى استخدام الطاقة الذرية ، بيد أن هذا الاستخدام يعرض الانسانية لأخطار التلوث التى لا يعرف أحد مداها .

ومعالجة هذه المشكلات كلها لا تتاتى إلا باصلاح الانسان إصلاحاً عقلياً عميقاً ، وتنمية الوعى الذاتى بالمشكلة حتى يحد من شهواته للاستهلاك والمنافسة ، والتوصل مع الطبيعة ، بالتوسع فى استخدام الطاقة الشمسية والمائية ، والرياح ، والضغط .. الخ . وللطبيعة قوانين تعمل على إعادة التوازن ، وتنزع إلى تعويض كل تطرف بدفعة مضادة . وهذا ما يسمى فى السيبرنطيقا برجع الصدى . وما تطلق عليه الأديان اسم « العناية الالهية » . وهذه الفكرة الجديدة تتأكد صحتها فى البيولوجيا وعلم النفس ، وتقوم بتصحيح الآراء ذات النظرة الواحدة التى تتسم بها المادية العقلانية التى تدفع عصرنا إلى هاوية الضياع .

وحاجتنا إلى التواصل مع العالم ومع الطبيعة هو تعبير عن نزعة متاصلة فى الانسان إلى المشاركة فى « الكل » ، وهذا ما نادى به الرومانسيون لأنهم كانوا مبدعين فرديين يحلمون بالاندماج مع الطبيعة والفناء فيها ، وهذا التواصل هو الذى يتيح لحياتنا أن تجد معناها نتيجة للمشاركة فى الحياة « الكونية » أو « الكلية » : الاتصال بالغير ، الاتصال

بالطبيعة أو الأشياء ، الاتصال بالكلى بفضل منابع الفن والروح الدينية ، هذه هى اللحظات الضرورية التى تخلق فى كل منا الدورة الضرورية بين « الأنا » الحريصة على استقلالها ، وبين « الكل » ، الذى هو « التفتح الأسمى » .

والحياة الحديثة تحرمنا من هذا التفتح الأسمى الكامل لطبيعتنا الانسانية ، وبهذا جعلتنا نشعر أننا أشخاص ناقصون ، بأن « عقلنتنا » شيئاً فشيئاً . وهذا أساس ما نشعر به من إحباط وغربة فى العالم المعاصر . فالاحباط مرده إلى الشعور بأن الفرد لا يمارس كل إمكانياته وطاقاته ، ولا يشبع كل احتياجاته الجوهرية ، أما الاغتراب فمرده الابتعاد عن طبيعته الحقة .

وقد استطاع « ويج » نظراً لتخصصه فى تاريخ الفن وفلسفته أن يرصد فى فصل من أجمل فصول الكتاب الارهاصات الفنية بالأزمة المعاصرة ، وبلمحات الأمل التى يمكن أن نتلمسها فى لوحات كبار الفنانين المعاصرين ، وكان أن أجمل المحاولة التى قام بها الفن الحديث فى هذه العبارة وهى أنها محاولة للتحرر من ثقل المادة نحو شفافية الروح .

ويؤكد « إيكيدا » هذه النزعة فى الاتجاه نحو الروح فى الفكر الشرقى فيقول إن هذا يسعى إلى اندماج الانسان فى الطبيعة ، ومن ثم لم يستطع الشرق أن ينشىء العلوم التحليلية الحديثة القائمة على تفرقة واضحة بين الذات والموضوع . وهذه الفلسفة الشرقية ضرورية لعصرنا أكثر من أى عصر مضى . بيد أن احتكار العالم الغربى للتقنية العلمية ووسائلها الحديثة وانبهار العالم الثالث بتقدم الغرب ، جعله يحرص على اللحاق بهذه الدرجة من التقدم ، وأصبح من الصعب أن نشرح لهذه البلدان النامية أن الحضارة الغربية تنطوى على مخاطر ومثالب . ولهذا يشترك العالم كله الآن فى مغامرة واحدة ، على غير ما كان يحدث فى الماضى ، عندما تنحل حضارة عجوز ، فتحل محلها حضارة أخرى فتية وهلم جرا . فلا مجال لانتظار أية بكارة أو نجدة من الخارج ، بل ينبغى تركيز جهودنا على تطور الحياة الباطنة وتنميتها .

## المشاركة في الحركة

وفى غمرة الاستغراق فى شهواتنا المادية البرجماتية الخسيسة نسى الانسان رسالته الحقيقية وعلة وجوده ، ولابد له من أن يستعيد سيطرته على نُفسه ، وأن يعثر من جديد على معنى تفتحه وتحققه ، وأن يقتحم حقبة جديدة ، ويخلق مدنية جديدة جديرة بالانسان .

وإصلاح الروح الانسانية يبدأ بلاشك من التربية بمعناها الواسع أى مجموعة وسائل الضغط العقلى التى يستطيع المجتمع استخدامها لتشكيل الفرد . ومن نافلة القول إنه لا ينبغى استخدام هذه الوسائل لاستعباد الفرد ، وغرس المذاهب والمعتقدات التى ترى السلطة أو المجتمع أنها الأفضل . وهذا هو المحظور الذى تقع فيه ديكتاتوريات اليمين واليسار على حد سواء . وهو ما يسميه « ويج » بالضغط الايديولوجى المسبق فالتربية السليمة هى

ولن يكون ثمة تطوير أو تنمية لهذه الحياة الجوانية إلا عندما تتوازن ملكات الملاحظة ، مع مواهب المشاركة والتعاطف ، ويضاف الشعور والمعاناة والحساسية إلى التصور والفكر والعقلانية . وبهذا التوازن ندخل فى نسيج « الوجود » ، ونصبح فى اتصال عميق معه ، وهذا ما يتحقق بنوع من الحدس ، وبالادراكات الصادرة من الأعماق التى تند عن التفسير العقلانى .

والمدنية الحديثة تهدد هذا التوازن الدقيق . فهى تعمل على توكيد وتشجيع كل ما يبعد الانسان عن الطبيعة ويقطع صلته بها . فهى لم تعد بالنسبة إليه أكثر من موضوع ، أو مشهد خارجى ، أو فريسة وعدو ، وهى تخنق فيه الأصوات التى تذكره بانتمائه المشترك ابتداء من همهمات اللاشعور حيث تتصاعد الحدوس اللامعقولة وإن تكن كاشفة – حتى التطلعات صوب الروحية التى تسعى بجهد فى التجاوز والعلو للانضمام إلى الوجود ، والشوق إلى وجه الله . إنها تقضى على كل الأشواق التى ليست ضروباً من النهم الاستهلاكى ، وتغلق على الفرد فى ذلك التضخم المنطقى للمبادىء المجردة والصيغ التى تغرسها فى دماغه بدقات أجهزة الاعلام الملحة حتى تنطبع تماماً فى ذهنه . هذه هى المدنية الحديثة التى تتاسس فى أيامنا .

كورت فالدهايم كان من ضمن العظام الذين تحدث معهم المؤلف



التى تغرس فى الفرد – على العكس من ذلك تماماً – الاحساس بالحرية ، المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسئولية ، وتتيح للانسان أن يمارس كل امكانياته ، وتعمل على تشجيع التفكير الكيفى على التفكير الكمى أى بعبارة موجزة إعادة الانسان إلى الباطن ، لا توجيهه إلى الخارج . هذا هو هدف التربية فى الوعى بسلم القيم لنفتح الباب للدخول فى رحاب الحياة الباطنة . والدين جناحان يمكن ن يحلق بهما الانسان إلى تلك الآفاق ، ولهذا كانا ضرورين للتربية ضرورة مطلقة . وقد تنبأ « مالرو » بشىء من ذلك عندما قال : « سيكون القرن الحادى والعشرون دينياً أو لن يكون ! » .

وهكذا نجد أنه مهما تعددت زوايا النظر إلى مشكلات العالم المعاصر ، فانها تسلمنا إلى المشكلة الرئيسية ، وهى إعادة تأهيل الحياة الباطنة ، وإحلال الانسجام والتناغم فيها . كما نستطيع ان نتفق على أن الآفة الأساسية فى المدنية المعاصرة هى تضييق مجال الذاتية ، وتوسيع مجال الموضوعية ، واحتقار الكيف لحساب الكم .

والدور الرئيسى الذى يجب أن يعهد إلى كل إنسان ، وإلى الانسانية جمعاء إذا أرادت أن تحقق مصيرها دون السقوط فى الأزمة الراهنة أو فى غيرها من الأزمات ، هو أن تنمى المنطقة الروحية فى الانسان التى نسميها « الحكمة » . فالتقدم الانسانى الحق لا يعتمد على العقل بقدر ما يعتمد على تعميق الحدس وتحسينه الكيفى .

فالكيف حركة صاعدة تلقى بالانسان على سلم للقيم ينزع بتدرجه نحو لامتناه هو الله سبحانه وتعالى . والفن والدين يقومان على السمو بالكيف الانسانى ، هذه هى المنطقة المشتركة بينهما .

ومسئوليتنا هى أن نشعر باننا مشاركون فى هذه الحركة التى لا نفهم أسبابها وإن كنا نقرر وجودها ، بل وأن نسهم فيها ، مادامت هى الاتجاه والمصير اللذان يتاكدان من خلال الزمان . وأليس الالتقاء فى اتجاه واحد رغم اختلاف السبل علامة فى حد ذاته على وجود « حقيقة » واحدة ، هى « الحقيقة العليا » أو الله ؟ .

**فؤاد كامل**

# الأديب السعودي عبد الله بن إدريس:

# أنا مع الحداثة في الشعر ولكني ضدّ الهلوسة المحمومة!

بقلم: خليل إبراهيم الفزيع



الشاعر عبد الله بن ادريس .. لا يقف فى وجه الحداثة فى الشعر بشرط ان يكون الشعر حقيقيا ومعبرا عن المشاعر الانسانية وقضايا المجتمع والامة .

الحركة الادبيـــة فى المملكـة العربية السعودية تضع القارىء العربى امام العديد من التساؤلات الجادة لمعرفة المزيد من ملامحها والاقتراب أكثر من همومها .

وقد التقت « الدوحـــة » بالأستاذ عبد الله بن ادريس ليلقى بعض الضوء على زوايا كثيرة يهم القارىء ان يعرف عنها الكثير ،ولأن الأستاذ ابن ادريس هو رئيس النادى الأدبى فى الرياض فقد رأينا أن يكون سؤالنا الأول حول الأندية الأدبية : هل ساهمت فى إنعاش الحركة الفكرية فى المملكة العربية السعودية ؟.

قال الأستاذ عبد الله بن إدريس :

● نعم .. ساهمت الأندية الأدبية او بعضها – على الاقل – فى انعاش الحركة الفكرية فى المملكة ، وذلك من خلال انشطتها المختلفة كنشر الكتب والدراسات الأدبية ، والدواوين الشعرية التى تقدمها بين حين وآخر . لقد طبعت ونشرت عشرات الكتب فى السنتين الاخيرتين ، وهذا فى حد ذاته تطور جيد وإنعاش للحركة الفكرية فى المملكة .

قلت : تعتمد بعض الأندية الأدبية فى المملكة على الكم فى إصداراتها دون مراعاة جودة المضمون فما رايكم فى ذلك ؟

● قال:استطيع ان اجيبك على هـــــذا السؤال فيما يختص باصدارات « النادى الأدبى بالرياض » الذى اتشرف برئاسته ، اما الأندية الأخرى فرؤساؤها هم الذين

● إصدارات النادى الأدبى فى الرياض بلغت خمسة وأربعين كتاباً .. منها ٥٠٪ على مستوى جيد ، و ٣٠٪ على مستوى ممتاز ● ●

النقد موجود على الساحة الأدبية فى المملكة منذ ما يزيد على ربع قرن ، لكن مستواه لم يهبط إلى الحضيض إلا هذه الأيام .

يستطيعون أن يقولوا رايهم فى هـــذا السبيل .. !

إن اصدارات النادى الأدبى بالرياض والتى بلغت حتى يوم ( ١٥ ديسمبر ١٩٨١ ) خمسة واربعين كتاباً ما بين ( كتاب الشهر ) أو الكتب السنوية او النصوص المحققة ٥٠٪ منها على مستوى جيد و ٣٠٪ على مستوى ممتاز ، اما العشرون فى المائة الباقية فلاشك انها دون المستوى المطلوب ، ولكن عامل الحرص على التشجيع احياناً يجنى على جودة ما ينشر ، إلا أن هذا هو القليل من إصدارات نادى الرياض ، وهى نسبة ٢٠٪ اما الأندية الأخرى فلسنا مسئولين عن إصداراتها ، ولذلك فاللوم لا يقع علينا ، ويكفى ان نتحمل نتائج مسئولياتنا .

## الشباب والأدب

- كيف يمكن تحويل اهتمامات الشباب إلى الأدب بعد انصرافه إلى الاهتمامات الأخرى ؟

● الاهتمامات التى تعنى الميول والتهيؤ لاتجاه ما .. لا تستطيع قوة فى الأرض ان تمليها وتقسر الفرد عليها . ما لم يكن فكره وذهنه مستعداً لهذا الاتجاه او ذاك .. ولعلك تعنى بالشباب هنا .. الشباب الموهوب أدبياً وليس كل الشباب طبعاً .

- نعم هذا ما أعنيه بالضبط .

● اذن يحق لى ان اقـــول لك إن الاهتمامات باى امر من الامور تمليها عوامل مختلفة تتمثل فى نقاط كثيرة منها - على سبيل المثال - :

ا ) ظروف امكانات العطاء الفكرى خصوبة أو محلا .

ب ) ظروف الأمن والاستقرار النفسى والعائلى والمعيشى إيجابياً او سلبياً .

ج ) القدرة على التفاعل مع حياة المجتمع للأخذ منها والعطاء عليها .

د ) وجود الحوافز المنشطة والباعثة على الأمل والدافعة إلى الاستمرار .

فاذا توفرت هذه العوامل وغيرها لدى شباب الأدب فانه يستطيع ان يوفق بين ما ينصرف إليه من أمور حياته الاساسية وما يميل إلى تحقيقه على صعيد الفكر والأدب ( تلقائياً ) وضع كلمة تلقائيا بين قوسين لأنها العبارة الموجزة جداً كجواب لو نتيجة لهذه العوامل الآنفة الذكر .

## النقد الأدبى

- ظهرت بوادر نقدية فى المملكة ، فما رايكم فيها ، وهل تعتبرونها مقدمـــة لظهور النقد الأدبى الذى تحتاجه الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية ؟

● سؤالك هذا يوحى بان نقداً ادبياً ظهر هذه الأيام فى بلادنا ، والواقع ان النقد موجود على الساحة الادبية فى المملكة منذ ما يزيد على ربع قرن .. ولم يهبط مستواه الى الحضيض إلا هذه الأيام حيث اصبح من يتصدى للنقد - فى الغالب - هم الناشئة الذين لم تنضج افكارهم بعد ولم تتحدد لهم مسيرة ادبية واضحة او موهبة شعرية بارزة .. ثم إن الأسوا من هذا ان بعض هؤلاء الناشئين لم يشبوا عن الطوق .. اى طوق من يقلدونهم من أولئك الادباء والشعراء العرب الذين قلدوا هم - بدورهم - الأدباء والشعراء الغربيين .. فعندنا - مع الأسف - عدد من ناشئة الادب وان كان عددهم لا يكمل أصابع اليد الواحدة ، إلا انهم يحاولون ان يستغلوا الساحة شبه الخالية ، وينشروا أفكـــار ونظـــريات ( ادونيس ) و ( يوسف الخال ) و ( انسى الحاج ) وامثال هؤلاء الذين اصبحوا فعلا كالغراب الذى ضيع مشيتة ولم يستطع تقليد مشية الحمامة .. !

وتكاد هذه « النتوءات » فى مجتمعنا الأدبى ان تعتبر « ادونيس » مثلها الاعلى فى الشعر تترسم خطواته فى نظرياته التى بثها فى بعض كتبه ، ولكنه ايضا لم يطبقها فى شعره ، وتحاول هذه النتوءات ان تضرب تراث الأمة الجميل الخالد وتمسحه بجرة قلم .. ولكن :

كناطح صـــخرة يوما ليوهنهـــا
فلم يضرها واوهى قرنه الوعـــل

والخلاصة انه يوجد نقد ادبى يرتفع ويهبط حسب مستوى الناقد والانتاج المنقود ، ولكنه ليس هذا الذى ينشره بعض المتادبين من الهدم والتحطيم لكل ما هو اصيل او يمت إلى التراث والأصالة بصلة .

- ما رايكم فى العلاقة الجدلية بين الأدب والنقد وايهما يؤثر فى الآخر ، بمعنى هل النقد الراقى يوجد ادباً راقياً أم العكس ؟ .

● رايى أن النقد الأدبي مهما كان مستواه رفيعاً لا يوجد الأدب اصلا ، والعكس صحيح فى أن الأدب يوجد النقد .. وهل يعقل أن يوجد نقد ادبى بدون أدب منقود ؟

إن الأدب يوجد .. وقد يوجد النقـــد لو لا يوجد ، فالأمر سيان بالنسبة للشاعر والقاص والكاتب ، فهو سينتج ما تجود به قريحته وموهبته سواء ورد فى حسبانه النقد لانتاجه ام لم يرد .. وكل مهمة النقد الحفز على الاجادة وتجنب ما يمكن تجنبه من الاخطاء والضعف ومواطن المؤاخذة الموضوعية أو الفنية او الشكلية ، واذن فالنقد حافز على التجويد فقط ولكنه ليس الحافز على العطاء اصلا .

## الحداثة بشرط

- الحداثة فى الشعر .. ما موقفكم منها ؟

● الحداثة فى الشعر شىء طبيعى

# أنا مع الحداثة في الشعر ولكني ضد الهلوسة المحمومة!

ومطلوب ومرغوب ، ولكن بشرط أساسى وهو : أن يبقى الشعر شعراً حقيقياً معبراً عن الأحاسيس الذاتية والمشاعر الانسانية وهموم المجتمع والأمة .. بأكثر العبارات اختصاراً ، وأجمل الالفاظ ، وأرق الكلمات ، وأحلى الأساليب وأجود الأداء .

والتجديد وارد فى الشعر العربى منذ عهد « مهلهل بن وائل » إلى عهد « نازك الملائكة » و « بدر شاكر السياب » وعلى امتداد زمنى طوله ألف وستمائة سنة ..

وليس فى الحداثة ما هو مرفوض إلا ما هو مغاير للشعر ومختلف عنه اختلافاً جذرياً كهذا الهذيان والطلاسم التى يكتبها أدعياء التجديد ويزعمون أنها شعر .. وهى تختلف عن الشعر اختلاف التبر عن الترب. فالشعر العربى تجدد وسيتجدد على مر الأزمنة واختلاف الأمكنة ، ولكنه تجديد لا يخرجه عن طابعه المتميز عن النثر ، ولا عن أساليبه الجميلة وأدائه المؤثر وأغراضه وأهدافه التى توحى بها ألفاظه وعباراته الشعرية الخاصة المتميزة عن العبارات النثرية أو الصيغ الفنية الأخرى فى نسق غير شعرى .

من أهم ظواهر التجديد الحديث فى الشعر ما يسمى « بالشعر الحر » أى الذى يعتمد على وحدة التفعيلة ، وتناوح القافية .. فلا يتقيد الشاعر بعدد تفعيلات البيت الكامل على بحر من البحور الخليلية الستة عشر ، بل هو حر فى استخدام العدد المناسب منها للبيت قلة وكثرة بين الحد الأدنى وهو تفعيلة واحدة ، والحد الأقصى فوهو ثمان تفعيلات فى البيت الواحد .. وكذلك الشاعر حر فى استخدام القافية على نحو ما هو معروف عند المجددين من أمثال نازك والسياب ، وعبد المعطى حجازى ، وصلاح عبد الصبور ، ومحمـــود حسن إسماعيل فى اخريات انتاجه .

وهذا هو التجديد الحديث المقبول والمعترف به من أكثرية الشعراء والنقاد العرب ، أما هذه الهلوسات المحمومة التى أصبحت تكتب فى السنوات الأخيرة باسم الشعر وهى مغايرة للشعر أسلوباً وهدفاً وأداء وعاجزة كل العجز عن الوصول إلى عقل وفكر وذهن المتلقى .. فهى ليست من الشعر فى شىء .. وهذا هو موقفى منها .

## شيوخ الأدب

— انصراف شيوخ الأدب فى المملكة العربية السعودية عن المشاركة فى الحياة الثقافية .. ما هى أسبابه ؟ .

● الانصراف عن الحياة الأدبيـــة ليس مقصوراً على « شيوخ » الأدب بل « كهوله » وهم العابرون قنطرة ما بين الشباب والشيخوخة .. بل لقد شمل الانصراف عدداً من الشباب الأدباء الذين كانت لهم مشاركات إيجابية فعالة ، وكانت لهم قيمتهم فى دنيانا الأدبية منذ عشر سنوات تقريباً .

ولعل لهذا الانصراف — وهو على كل حال ليس انصرافاً كلياً — أسباباً ليس من العسير إدراكها للمتمعن فى ظروف الحياة الجديدة وهى حياة انتقالية كانت فى السابق تتسم بالبساطة والرتابة ، وأصبحت الآن معقدة تتطلب عملا لحل عقدها التى يفرضها التكوين الذاتى وتحسين الوضع المادى والاجتماعى وغير ذلك .

— كيف يمكن ايجاد نوع من الترابط والتواصل بين الأدباء الشيوخ والشباب ؟ .

● ايجاد الترابط والتواصل بين الأدباء الشيوخ والشباب يتطلب وجود الثقة بين الجيلين ، واعتراف الشباب بفضل الرواد وعدم جحود دورهم وتأثيرهم ، كما يتطلب قبل ذلك وبعده اعتراف الشباب بفضل التراث العربى والاسلامى وجماله وخلوده وواجب التواصل بين الأصالة والمعاصرة ، أما إذا قطعوا صلتهم بتراثهم المجيد واعتبروه تراثاً .. « مهترئاً ومتخلفاً » كما هى العبارة السخيفة التى يكررها بعض المتادبين من الشباب ، فانهم بذلك يقطعون حبل الصلة والتواصل حتما بينهم وبين الأدباء الشيوخ .

## الأدب والعزلة والصحافة

— الأدب فى بعض البلاد العربية يعيش فى عزلة إذ لا يتسنى للقارىء فى البـلاد العربية الأخرى الاطلاع عليه ، فما هو الحل لهذه المعضلة ؟ .

● لا أرى علاجاً لهذه المعضلة — كما تسميها — إلا بتكوين « شركة توزيع عربية دولية » تشترك فيها جميع البلاد العربية وتمثلها وزارات الاعلام والثقافة ودور النشر والتوزيع .. وبغير هذه الشركة لن يتواصل الانتاج العلمى والثقافى بين البلاد العربية بقدر واسع وناجح .

— لغة الصحافة أحياناً تتساهل فى الانضباط تحت لواء اللغة العربية السليمة ، ما رأيكم فى ذلك ؟ .

● اعتبر التساهل فى اللغة العربية من قبل الصحافة خطأ فادحاً .. لأنها بذلك تساعد على إفساد الذوق الأدبى الرفيع ، كما أن هذا من الأدلة القاطعة على ضحالة علم وثقافة القائمين على الصحف من رؤساء التحرير إلى محررى الأخبار الرياضية .

## غياب المرأة

— هناك من يرى ان غياب المرأة عن المساهمة فى بناء المجتمع يعرقل نمو بعض الفنون الأدبية كالقصة والمسرح والشعر فما رأيكم فى ذلك ؟ .

● قد يكون هذا صحيحاً ولكن نحن بين خيارين وخاصة فى المملكة العربيــــة السعودية التى هى قبلة العالم الاسلامى ومحل الاقتداء والاهتداء بها .. خيار بالمحافظة على المثل وسلامة الأخلاق ، ولوجاء ذلك على حساب الجوانب الدنيــــوية الأخرى ..

أو خيار بالتساهل فى الجانب الدينى والخلقى والبناء الأسرى الاسلامى السليم لحساب الجوانب الأخرى ، فأيهما أهم وأيهما نختار ؟ .

إننى اضع السؤال لمن يريد أن يجيب عليه ..

لكننى أؤكد ان المرأة هنا فى المملكة العربية السعودية تساهم مساهمة ايجابية فى بناء المجتمع فى الجوانب التى يجيزها الاسلام ، ولا تفرض الاختلاط بين الرجال والنساء ، ومن ذلك — مثلا — التعليم والتمريض والكتابة الصحفية ، والانتاج الأدبى ، والأعمال الأخرى التى لا تتطلب مخالطة بين الجنسين .

## شعراء نجد

— مضت اكثر من عشرين ســـنة على صدور كتابكم ( شعراء نجد المعاصرون ) استجد خلالها الكثير من مظاهر الثقافة فى بلادنا .. الا تنوون إعادة طبعه على ضوء ما استجد فى هذا المجال ؟ .

● بلى اننى ازمع ان شاء الله اعادة

طبعه ، وكان المفروض أن أعيد طباعته بعد ثمانية شهور من صدوره حيث نفد قبل إكماله السنة من جميع المكتبات والأسواق .. وكان ما كتب حوله يشجعنى أكثر على إعادة طبعه عدة مرات ، ولكنى أجلت إعادة طبعه لأسباب شخصية ، وقد طلبت منى عدة جهات للنشر أن تتولى نشره ولكنى رفضت ذلك لأنى أريد أن أطبعه واقوم بتوزيعه على حسابى الخاص . وسادخل عليه زيادات كبيرة وكثيرة إن شاء الله .

## الأديب موظفاً

– الوظيفة احياناً تصرف الأديب عن ممارسة الكتابة الأدبية .. هل هذا صحيح ، وهل قلصت الوظيفة من اهتماماتكم الأدبية ؟ .

– هذا صحيح إلى حد ما ، ولكن اهتماماتى الأدبية مازالت تحتل المكانة الأولى من اهتماماتى الحيوية .. ولازلت متواجداً على الساحة الأدبية فى نشر



### عبد الله بن إدريس فى سطور :

● من مواليد بلدة حرمة من مقاطعة سدير سنة ١٣٤٩ هـ .

● واصل دراسته حتى نال الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٦ هـ .

● عين مفتشاً فنياً ثم مديراً للتفتيش والاختبارات فى ادارة الكليات والمعاهد العلمية .

● انتقل فى منتصف عام ١٣٧٩ هـ إلى وظيفة مدير التعليم الفنى بوزارة المعارف .

● عين أميناً عاماً للمجلس الأعلى لرعاية الثقافة والآداب والفنون .

● رأس تحرير جريدة « الدعوة » .

● يعمل الآن مديراً لادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض . وفى نفس الوقت رئيساً للنادى الأدبى بالرياض .

● أصدر كتابه شعراء نجد المعاصرون عام ١٣٨٠ هـ .

● يكتب الشعر الى جانب النقد الأدبى والدراسات المختلفة .

القصائد والمقالات النقدية والاجتماعية والسياسية وغيرها ولكن بقدر أقل مما كان سابقاً لأسباب ربما ورد مثلها فى إجابات سابقة .

والأدباء الذين يحاولون أن يكونوا موجودين دائماً على الساحة الأدبية هم احد صنفين .. إما يبحثون عن المادة والمكافأة لقاء ما يكتبون ، وإما انهم مهووسون بحب الظهور ، وحب أن يكونوا دائماً فى « الصورة » وانا والحمد الله لست عاشقاً لأى من هاتين الصفتين ، وان كنت بطبيعة الحال آخذ مثلهم المكافأة على كتاباتى ومشاركاتى الاذاعية والتلفازية ، ولكننى لست متهالكاً على ذلك ، ولهذا تجدنى لا أكتب الا حسب « المزاج » وبتأثير التفاعل لا الانفعال أو الافتعال .. !

## إيجابيات وسلبيات

– الانتاج الأدبى المعاصر .. ما هى أهم ملامح ايجابياته وسلبياته ؟ .

● ملامح الايجابيات فى الانتاج الأدبى المعاصر كثيرة وكذلك سلبياته ، ولكن من أهم إيجابياته – فى تصورى – ما يلى :

أولا : خدمة الفكر العربى الاسلامى وإحياء امجاده والتذكير بشوامخه المماثلة لو المقاربة .

ثانياً : مساهمته – أى الأدب – فى يقظة الأمة العربية ومجابهة اعدائها باللسان والقلم والسنان جنباً إلى جنب ، وكل منا يعرف « أن الحرب أولها الكلام » . !

ثالثاً : ان الأدب عمل على توحيد المشاعر العربية وجعل هموم الشعوب العربية هموماً عامة مشتركة بين ابناء هذه الأمة .. حتى وان اختلفت الزعامات فيما بينها ، وتصارعت على كراسى الحكم .

اما سلبيات الأدب المعاصر فكثيرة هى ايضاً اذكر منها :

١ – تأثره – من الجانب السلبى – بالغزو الفكرى الأوربى الذى اجتاح الوطن العربى الاسلامى الكبير منذ قرنين تقريباً ممثلا فى نتائج الفكر الصليبى واليهودى . التى تهدد كيان وتراث الأمة وأصالتها .

٢ – توجه كثير من انتاج بعض الشعراء والقصاصين وغيرهم إلى دغدغة الغرائز الجنسية وإفساد الاخلاق .. و .. الخ .

٣ – تعويل بعض الأدباء على التقليد والاقتباس من إنتاج امم اخرى لا تتفق افكارها ومبادئها ولا حتى اساليب ادبها مع طابع أدبنا العربى وبخاصة فى الشعر .

– الأدباء الشباب .. هل تقرأ انتاجهم وما رأيك فيه ؟ .

● نعم أقرأ إنتاج أدبائنا الشباب وأدبائنا الشيوخ وبخاصة أننى من جيل ما بين الشباب والشيوخ وهم جيل « الكهولة » .. ثم إننى لست متعصباً لجيل دون آخر أو فئة دون فئة ، وانما انا متعصب – أو على الأصح – محافظ على الأصالة والجودة والابداع الفنى ، فهذه الصفات هى لي بمثابة المعالم التى اركز عليها فى تقويمى لما أقرأ .

– الصحافة الأدبية المتخصصة هل يمكن ان تؤدى دورها فى خدمة الأدب ؟ .

● كل جهد مخلص فى أى مجال من مجالات الحياة يؤدى دوراً ايجابياً فى وضعه ومكانه .. والصحافة الأدبية – وان شئت الدقة قلت المجلات الأدبية – تؤدى دوراً بارزاً فى دفع المركب الأدبى للجريان على بحر الحياة .

واقول بكل أمانة إن مجلة « الرسالة » التى كان يصدرها احمد حسن الزيات فى الاربعينات والخمسينات من القرن الميلادى الحالى ، كانت فى تأثيرها وخلق الطاقات الأدبية لا تقل عن الجامعات .. وفى وقتنا الحاضر نجد مجلات كالعربى ، والفيصل ، والدوحة ، والاقلام العراقية وغيرها تقوم بخدمة كبرى للأدب والأدباء .

– هل انت من المتفائلين بمستقبل الأدب ؟ .

● نعم انني متفائل بمستقبل طيب للأدب العربى ولكن بعد ان ترسو سفن هذه الأمة وتتجاوز موجات البحار العاتية .

● – هناك من النقاد من يرى ان الوضوح فى الشعر يجني عليه حتى قال احدهم (الشعر الذى استسيغه هو الشعر الذى لا افهمه ) فهل هذا صحيح ؟ .

● هذا تبرير يقوله احد الذين اغرموا بالعتمة القاتمة فى الانتاج الشعرى الحديث إن صحت تسميته شعراً .. وهذا الشعر الذى إعنيه هو غير الشعر الحر أو الشعر الأصيل ، وانما هو الرموز المطلسمة والهذيان غير المعقول .

والغموض فى الشعر نوعان :

نوع مقبول هو ما يلبس غلالة شفافة تمنع المباشرة فيه ، اما النوع الثاني فهو ما اتسم بالغموض الذى يستعصى على القارىء فهم الغرض منه وما يهدف إليه الشاعر ، بل ويصعب تجميع الصور فيه وتتناثر فيه الموحيات .

ابراهيم خليل الفزيع

كاتب القصة الذي لفت أنظار النقاد والقراء



# الطاهر وطار

## صوت جديد في الأدب العربي الجزائري

لم يعد الروائى العربى الجزائرى الطاهر وطار بحاجة لتعريفه الى القارىء العربى فى الشرق الأوسط بعد أن أصبحت أعماله الابداعية فى القصة والرواية تشكل ظاهرة أدبية متميزة برزت – أشبه بالطفرة المفاجئة – على ساحة الأدب المعاصر لتسهم فى بلورة ملامح المرحلة الجديدة للفن الروائى الذى يجتاز نقطة تحول حاسمة بين عصرين تؤذن بميلاد انسان عربى جديد من أحشاء مخاض عسير فى محيط الصراع بين النقائض

ساعات طويلة امضيناها فى بيته فى الجزائر العاصمة «نتشاكى حر القلوب الظماء» كما يقول شاعرنا القديم عبر شحنات من التوتر والتامل والاستشراف . كانت العملية الفنية عند «وطار» شاغلى الأكبر فيما دار بيننا من حديث : موقعها من المدارس الأدبية الحديثة ، قدرتها على تجاوز الاشكال الكلاسيكية ، توظيف التراث العربى والعالمى فى إطار قضية التراث المعاصر ، اختيار البطل : «بولرواح» فى رواية «الزلزال» «واللاز» فى الرواية التى تحمل أسمه و «الحاج كيوان» فى روايته «عرس بغل» .

وكانت البداية حول المعركة التى تخوضها فرنسا ضد التعريب فى شمال افريقيا . وتتابع الحوار ليغطى قضايا أساسية يكثر حولها الجدل . وسوف يمضى وقت طويل قبل أن تستقر المفاهيم الجديدة وتتبلور الرؤية فى تجربة الابداع المعاصرة .

وفجاة التمعت فى خاطرى فكرة : لماذا لاأسجل إجابات الطاهر وطار حول تجربته ولاسيما انه اطلعني على المسودات الأولية لبعض رواياته ومن بينها رسوم تخطيطية تتعلق بمعمار العمل الفنى الذى يبدأ به خطوطه الأولى فى الكتابة ؟ ولم أتردد رغم انها أول مرة تملكنى مثل هذه الرغبة فى التسجيل ، وهى ليست رغبة بقدر ما هو شعور بالمسئولية نحو المهتمين بالرواية العربية الحديثة وبالجيل النامى من المثقفين

، وارتباط هذه المسئولية عندى بمحاولة الاسهام فى دفع الحركة الفكرية والأدبية بعيدأعن الشباك التى تنصب لها ليتخلى الأدباء عن دورهم الاجتماعى ، تحت تاثير افتراضات زائفة للقيم الثقافية والفكرية مهمتها توليد فكر وسلوك مناقضين لعناصر واقعنا الحى وانتمائنا الحقيقى ، وبعيدين عن الرؤية الواعية للتاريخ .

### الشهداء يعودون

● نعلم أن الكاتب والناشر الفرنسى مارسيل بوا ترجم لك المجموعة القصصية «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» . وافاجأ الآن بقولك إنه أبدى أسفه لعدم ترجمة ونشر رواية «عرس بغل» التى تشكل منعرجاً هاماً فى مسيرتك الفنية . هل هى عودة الى «الفرنكوفونية» ؟ أم أن ثمة دوافع وأسباباً أخرى وراء هذا الموقف ؟

– كانت إجابة مارسيل بوا واضحة بحيث اغنانا عن التفسير ، إذ كتب انه يأسف لعدم نشر هذا العمل لسببين هما :

١ – أن الرواية تستلهم التراث الاسلامي .

٢ – أنها تتناول مرحلة الخمسينات (لا يخفى انها فترة المد التحررى الصاعد فى العالم العربى خاصة وفى افريقيا عامة بل فى العالم الثالث) .

ويفهم من هذا أن هنالك عناصر صهيونية تسيطر من مراكز قوة فى فرنسا على الحركة الأدبية والسياسية ، فضلا عن تغلغل الروح الصهيونية فى المناخ الفكرى والثقافى . وللقضية جانبها الآخر الذى يكمل حلقات المسلسل فى

## بقلم: الدكتور حسن فتح الباب

وحدة لا تتجزأ وهو مناهضة اليمين الفرنسى بصفة خاصة لحركة التعريب فى الجزائر وفى الشمال الافريقى بصفة عامة .

فى هذا السياق يندرج موقف مارسيل بوا .. نوع من محاصرة التعريب لمنع انتشار الادب المكتوب باللغة العربية ، فى حين يبرزون اى اديب من الجزائر أو شمال افريقيا عامة يكتب بالفرنسية بغض النظر عن قيمة كتاباته .

### التراث والمعاصرة

وتطرق الحديث الى قضية التراث والمعاصرة سألته :

● لم يقل أحد — ولا يجوز له — أن يقول الكلمة الأخيرة فى موضوع التراث طالما لم تنته الحفريات بعد ، أعنى الكشف عن التراث وتحليل عناصره . هنالك محاولات للدكتور حسين مروه ، ومحمود أمين العالم ، والطيب تيزينى من جانب ومن د. عبد المجيد مزيان (الجزائر) ود. محمد عمارة (مصر) من جانب آخر ، وتختلف الرؤيا التاريخية بالضرورة تبعاً لاختلاف المنابع والانتماءات والمناهج بحيث تبلغ احيانا حد التناقض . تدور بحوثهم فى الفلسفة والفكر والتاريخ والاجتماع — دون تجزئة — ولكن الأدب هو تعبير عن الواقع الاجتماعى والصراع الدائر بين القيم والتشكيلات الاجتماعية .

فاين موقع أعمالك الروائية من المفاهيم المتداولة حول التراث والمعاصرة ، ولاسيما انك كاتب تقدمى وكثيراً ما تستقى من مادة التراث العربى والاسلامى ؟

— الاحظ فى هذا الموضوع أن معظم الباحثين العرب يتناولون التراث بنفس الكيفية التى نراها عند المستشرقين وكاننا غرباء مثلهم عن هذا التراث ، فهم يعالجونه كقضية منفصلة دون وعي أو تقدير كاف لشموله الأدب العربى كله عبر التاريخ .

● أتفق معك على أن أدبنا العربى — فى مختلف فنونه — هو المصفاة التى تتبلور فيها حركة المجتمعات العربية ، وهو اذن الجدير بالبحث للوصول الى الحقيقة والخروج بنظرية عن التراث والمعاصرة ، وأن الرواية بصفة خاصة والحديثة على الأخص هى الموضوع الأولى بالتحليل . واذا كان ما تقصده . فدعنى أسمع منك شواهد للأعمال الروائية الحديثة التى توظف عناصر من التراث ، وتقدم فى نفس الوقت عملا ابداعياً معاصراً متقدماً .

— احسن مثال — من وجهة نظرى — للمعاصرة فى العمل الروائى هى المعاصرة المصرية لأنها تنبع من تطور طبيعى للكاتب أى من رقى أداته الفنية . فنجيب محفوظ مثلا يتجدد دائماً ويضيف . والغيطانى — على سبيل المثال أيضاً — يبدأ من آخر انتاج لنجيب محفوظ ثم يضيف . فهو نابع من خلاصة التطور الروائى بمصر .

فهناك اضافة عربية عصرية لفن الرواية ، ولو أن عدد ما ينتج من الرواية العربية مازال قليلا بالقياس الى ما ينتجه الغرب . ففى فرنسا تصدر سنوياً حوالى ١٧٠ رواية ، ويصدر أكثر من هذا العدد فى بريطانيا . أما عندنا فلا يتجاوز عدد الروايات فى السنة عشراً . وهو كم قليل ، ولكن الكيف متقدم .

● هل يشير قولك الى أن من معايير التقدم الكيفى للرواية العربية المعاصرة استيعاب التراث والانتقاء منه ، وأن ذلك عنصر من عناصر ترقية الكاتب أداته الفنية أو تطوره الطبيعى كما قلت ؟

— التراث عنصر لا يمكن انكاره أو التخلى عنه . ولكن المشكلة هى الانتخاب أو الانتقاء منه بمعنى أى جوانبه أو عناصره نختار . والاختيار هنا عملية وجدانية قبل أن تكون ارادية عمدية . فاذا كان حس الكاتب متقدماً فانه ينتقى الجوانب النيرة ويضيف اليها ولاسيما أن تراثنا غنى بتلك الجوانب ، وقد ياخذ أيضاً نقطة سوداء من التراث ليكشفها ويقارن بينها وبين «تركتها» الموجودة حالياً باعتبار هذه التركة امتداداً لتلك النقطة أو النقاط .

إن توظيف التراث إذن عملية طبيعية وعفوية فهو كالالتزام ياتى نتيجة حتمية لثقافة وحضارة ما وأيضاً لموقف أيديولوجى . والتراث هو أحد مقومات شخصيتنا لا بالمعنى السلبى الذى ينطوى على المحافظة أو الجمود والرجوع الى الوراء ، ولكن بالمعنى الايجابى الذى يبصر موقع أقدامنا .

● يقودنا موضوع التراث والمعاصرة الى الحديث عن المحلية والعالمية . فمازال بعض كتابنا مبهورين بالنمط الروائى الغربى — وهذا لا غبار عليه من حيث الافادة من التقنيات — ولكنهم يديرون ظهورهم الى التراث العربى القديم منه والحديث استخفافاً به من منطلق أن «العالمية» إنما هى فى الأدب الغربى ، وأن المعاصرة تكمن فى نماذجه وحدها .

هذه المدرسة قائمة بيننا ولها نقادها بل وسطها الثقافى . فما تفسيرك لهذه المعادلة «المحلية والعالمية» ، ورأيك فى المفاهيم المطروحة حولها بين الحقيقة والوهم ؟

— هذا الموضوع مرتبط أيضاً بقضية المعاصرة . فالكاتب الذى يستوعب الابداع الانسانى كله . والطريق الصحيح للدخول فى محرابه اى فى العالمية هو الاضافة الى هذا الابداع . وأنا إذ أكتب ، فانى أستحضر التراجيديا الاغريقية والمعلقات واشعار أبى فراس ، والمتنبى بنفس القدر الذى استحضر فيه اراغون ، وايتمانوف الكاتب السوفيتى .

والفن الحقيقى هو فى جوهره عالمى . فبقدر ما تكون ثقافة الفنان عميقة يكون ابداعه عالمياً . والأدب فى مفهوم المدرسة الواقعية التى انتمى اليها يرتبط بالعنصر الشعبى والوجدان المحلى وبالوطن الذى يتميز بطابعه الخاص . وهذه كلها تمثل قيماً انسانية مشتركة .

والمؤسف عندنا وفى لبنان بصفة خاصة ولدى بعض الأدباء والنقاد غير الحقيقيين انهم يعتبرون أن العالمية أو المعاصرة هى مطابقة الانتاج الأدبى فى بلد ما لآخر مما ينتج فى أوربا أو أمريكا . ولذلك نراهم يرصدون آخر ما كتب ماركيوز مثلا فى أمريكا اللاتينية ، وينسون ما كتب يوسف القعيد أو الغيطانى .

● هذه النظرة الزائفة التى يروجون لها . ألست معى فى أن وراءها موقفاً أيديولوجياً مثل نظرية الفن للفن ؟

— أقول بصراحة التنظير للجمال — إذا صح هذا التعبير — تسيطر عليه فى وطننا العربى عناصر بورجوازية ترفض من الأدب كل ما له صلة بالنضال وبالواقعية وبالمرحلة التى تجتازها الأمة العربية . لا استثنى منهم إلا القليل ، وهم يمثلون أصواتاً محدودة ضيقة المجال .

فرواية جمال الغيطانى «الزينى بركات» وهى تترجم الآن فى فرنسا ستقرأها هذه العناصر من النقاد والأدباء الذين كانوا يتجاهلونها برؤيا جديدة ، لا لشىء إلا لأن الآخرين « الفرنسيين » أعطوها اهتماماً لم يوله إياها أهلها .

● مادمنا بمعرض تقييم أعمال جمال الغيطانى كما ذكرنا ويوسف القعيد وهما من الروائيين المصريين المعاصرين الذين يمثلون الاتجاه الصحيح فى نظرنا ، فما رأيك فى أعمال الكاتب الروائى الطيب صالح وهى فى رأيى تنتمى الى نفس المدرسة ؟

— فى رأيى أن روايته «عرس الزين» أقل فنياً . وعلى أية حال فكل أعماله واقعية وذات عنصر شعبى . وتبقى هنالك ميزة كبيرة للطيب صالح يحمد عليها ، وهى أنه رغم قدرته على الكتابة بالانجليزية ، وانه لو كتب بها لوجد له آلافا من



# مع الروائي العربي الجزائري الطـاهر وطـار

القراء فى السودان ، ورغم انه يعيش فى انجلترا فانه لا يكتب إلا بالعربية . ولقد كتب بشرف وأمانة عن مشاكل وطنه ، وكتب للقارىء العربى .

## اننى أكتب بعفوية

● أثارت روايتك «العشق والموت فى الزمن الحراشي» جدلا كثيراً بين القراء والنقاد ، ذلك أنها صبغت فى بعض فصولها بالطابع الذهنى أو - على وجه الدقة - بالقضايا المجردة ، على حين تتسم رواياتك فى مجملها بمعالجة قضايا الواقع . وربما انعكس ذلك على تقييم بعضهم لها بالنسبة لأعمالك الأخرى وذلك من ناحية الابداع الفنى .

فكيف ترى التوفيق فنياً بين التعبير عن القضايا الذهنية ومشاكل الواقع ؟

- الأساس هو انتمائى - كما قلت - الى الواقعية ولكن بالمفهوم الرحب لها أى كمدرسة لا كاسلوب وذلك بالنظر الى وضعيتنا فى العالم الثالث . فنحن محتاجون الى رمز والى السيريالية وحتى الى التجريد الذى تعاديه الواقعية الاشتراكية باعتباره عدوها الأول . وقد يكون استخدام الرمز أو التجريد إضافة وإثراء لتلك المدرسة .

وهذا الاستخدام عندى لا ينفى أن توجهى العام هو الحفاظ على «طبقية الأدب» رغم أننى لا اتبع أسلوب البطل النموذجى وذلك لأن العنصر المؤثر والشائع فى حياتنا هو العنصر المعادى مع الأسف مثل «الشيخ بو الأرواح» فى «الزلزال» ، و «علي الحوات» فى «الحوات والقصر» .

كما أننى احافظ أيضاً على «حزبية الأدب» بمعنى تكريس العمل الفنى لشرح وجهة نظر .

وأحافظ كذلك على شعبية الأدب ، وذلك بمعنى ربطه بالوجدان الأدبى والحس الشعبى وتقاليده وشخوصه بحيث لا يكون الأدب غريباً عليه من حيث الصورة .

والخلاصة هو ضرورة أن يكون وجدان الكاتب أصيلا . ولكن ليس هنالك قوالب أو «نسب» معينة ، وإنما تكون «النسب» بحسب الظروف أو الموضوع فالعملية فى حقيقتها هى دمج وصهر . وعلى ذلك فانى آخذ أحياناً «نسبة» عالية من الواقعية وأمزجها بنسبة محدودة من الرمزية أو التجديد . وأحياناً يكون العكس مثلما هو الشان فى «عرس بغل» . كما قد تكون النسبتان متعادلتين مثل «العشق والموت فى الزمن الحراشي» .

● بطبيعة الحال لا تقف طبيعة المرحلة التى تخوضها الطبقة الشعبية وظروفها وراء نوع هذه النسبة أو المزيج . ويذكرنا هذا ببعض أعمال برتولد بريخت المسرحية ، لا من حيث استخدام أسلوب الرمز أو التجريد وإنما أسلوب التقرير نفسه حيث كان الموضوع يقتضى ذلك .

- نعم فهذا العامل هو الذى يحدد أسلوب المعالجة الفنية أى «تركيبة المزيج» .

● لنعد الى تطبيق ذلك فى ضوء طبيعة المرحلة التى يتناولها العمل الفنى - على روايتيك «عرس بغل» و «الحوات والقصر» من حيث معدلات الواقعية والتجريد فيهما أى تغليب هذا العنصر أو ذاك على الآخر .

- مسالة الصراع مثلا ظاهرة بارزة وحيوية فى العالم الثالث . فكيف نستطيع أن نعالجها إلا بالأسلوب الذى اتبعته فى الرواية الأولى وليس هذا الأسلوب فى الحقيقة تجريداً وإنما هو واقع معادل لما لا نستطيع المصارحة به . وهو مفتاح سياسى لكى تفهم الرواية .

أما فى الرواية الثانية فقد كان هدفى كشف حقائق معينة معروفة فى التاريخ الجزائرى ، وابراز عناصر سلبية أى كشف سلبيتها . فاضطررت الى الرجوع الى أسطورتها والى الميثولوجيا . فاسميت البطل «علياً» نسبة الى الامام علي باعتباره أعظم المثاليين . ومن ثم فان هذا الاسم يدخل فى تركيبة القارىء العربى النفسية ولو لم يع أنه سيدنا علي بن أبي طالب .

● هل يمكن القول إن هذا التناول من أسباب انقسام القراء والنقاد فى الرأى حول انتاجك ما بين رافض وراض ، وذلك مع استبعاد الجانب الأيديولوجى على سبيل الافتراض . فالرافض انطلاقا من موقف مسبق لا يعنينا فى هذه القضية الفنية .

وبعبارة أخرى فان هذا الاختلاف فى الرأى مرده الى اختلاف الأسلوب فى رواياتك ما بين الواحدة والأخرى . فما يكاد يقتنع بالأسلوب الواقعى - وخاصة المتشبع بجماليات الواقعية - حتى يفاجأ بتسلل تطبيقات فنية أخرى الى رواية تالية ، دون أن يكتشف العوامل التى أدت الى ذلك ، تلك العوامل التى أشرت اليها أو أنه يراها من قبيل التبرير الذى لا يقنعه ؟

- إنى أكتب بعفوية ، فليس عندى تصور مسبق أو تصميمات هندسية جاهزة التقطها من مطالعاتى ثم أقول اننى احتذى أسلوباً ما . ولكنى أجعل المضمون يتفاعل مع الشكل ويخرج بطريقته . وهذا ما يجعل العمل عندى لا يشبه العمل الآخر من حيث التكنيك . وأعتقد أن هذا شان كل المبدعين . همنجواى هذا المبدع العظيم ليست أضخم رواياته هى أعظمها ، بل إن أصغرها هى الأروع . انظر مثلا «الشيخ والبحر» كم هى صغيرة جداً ، ومع ذلك فهى خير ما كتب .

● اذا جاز للفنان أن يفاضل بين أبنائه فايهما تؤثر : اللاز أم العشق والموت فى الزمن الحراشي ؟

- الفترة الزمنية التى عالجتها فى «اللاز» كانت عبقرية وهي ثورة التحرير الجزائرية . أما الرواية الأخرى فقد تناولت فيها فترة غير متبلورة ، ونضالا شبه حي ، وصراعا على السلطة حقيقيا ولذلك رصدت هذه الفترة كما هى . وهكذا ترى أنه يصعب علي الخيار بين الروايتين ، فقد وظفت فى الثانية نفس الجهود والامكانات التى وظفتها فى الأولى التى يبدو أنها استاثرت بالأفضلية عندك وعند الكثيرين أيضاً . ولكن ظل المرحلة انعكس على العمل الفنى . وهذا هو التفاعل بين الكاتب وبين المجتمع . إننى - وفقاً للخلاصة التى خرجت بها من تجربتى فى العمل الفنى - أحاول أن أخلص الشكل الروائى عندى من القوالب والمفاهيم الجاهزة سواء من حيث اللغة أو من حيث التكنيك والصورة .

● ربما يدخلنا هذا فى العمل التجريبى رغم أنه الطريق الوحيد للتطور وحتى لا تصبح أسرى للقوالب التى انضجناها - إنها تضحية أن تختار الطريق الصعب لأنه غير المطروق المعبد . ولكن الفنان الرائد الحقيقى يتحملها لأنها بعض الضريبة التى ينبغى عليه أداؤها .

بالمناسبة كيف تقيم أنت «عرس بغل» تلك الرواية الأخيرة التى جرت أحداثها فى مبغى والمليئة بالتضمينات والرموز والأساطير والتجريد والتى نالت إعجاباً على نطاق واسع وإن كنت - إذا قلت رأيى الشخصى - قرأت « اللاز » و « الزلزال » مرات أكثر مما قرأتها ؟ وعلى أية حال فهي متميزة في توظيف العناصر التي ذكرتها .

– لست راضياً كل الرضى عن «عرس بغل» على عكس أكثر النقاد . فهى عمل روائى يستوى عندى مع غيره . ولعل لعبة الرؤى والتهويمات التى وظفتها هى التى أدت الى هذا الاغراء . وهذا نوع من السذاجة . وأنا ضد أن يعجب الناس بعمل دون أن يفهموه .

لقد تناولت – لأول مرة فى الرواية العربية – وحدة الوجود المادية ووحدة التاريخ ووحدة الصراع ولم ينتبه ناقد واحد لذلك رغم أن الرواية حظيت بما يشبه التقديس فى الوطن العربى . كما لم ينتبه أحد الى المضمون وهو أن البورجوازية الصغيرة لا يمكن أن تكون مخلصة فى نواياها وفى ثوريتها . وقد اكتشفت ذلك فى التحية التى تعبر عن ثقافة تلك البورجوازية .

## عراقة الرواية العربية

● دعنا نختم هذا الحوار بعود على بدء ، فنتكلم عن عراقة الرواية العربية طالما أنه مازال هناك حتى بين النقاد من يرى أن الرواية – كأننا لم تكفهم المسرحية – ابتداع أوربى لم نعرفه إلا حديثاً ، بل يشككون فى القيمة العالمية لأفضل ابداعنا الروائى المعاصر كما بدأنا الحديث .

– قرأت – عن طريق المصادفة – رواية عنوانها «ذات الخدر» وقد صدرت منذ قرن تقريباً ، ولعلها أول رواية عربية وربما سبقتها غيرها ، مما يدل على أن هذا العمل (الرواية) قد تأصل عندنا كفن فنحن ورثناه كما ورثنا الموسيقى واللباس – وأود أن أقول فى هذا الصدد إن المرء الذى يقرأ رواية بلغته يتأثر مائة مرة أكثر مما يتأثر اذا كانت مكتوبة بلغة أجنبية .

● مادمنا قد تطرقنا الى هذا الجزء الذى يضرب فى الماضى لفن الرواية العربية ، وحيث لم تقع هذه الرواية ضمن ما يتاح لي الاطلاع عليه ، ولاشك أن هنك كثيرين مثلى ، فمن هو كاتبها وما قيمتها من الناحية الفنية ؟

– هى للبستانى هذا الكاتب الشامى الذى عاش مع كثيرين من رفقائه بمصر . وقد نشر تلك الرواية ابنه بعد موته بزمن طويل . وهى قصة مطولة إذ تنهج أسلوب القص ، ولكن فيها صراعاً درامياً وإن كانت ساذجة ، إذ يقتبس المؤلف أبياتاً من الشعر يضمنها قصته . ويقول إنه مهما حاول لن يطاول أصحاب هذا الفن من الكتاب الغربيين ، وإنه عانى فى تأليف روايته لأن اللغة العربية لم تتعود هذا النمط من الأدب ، فهو لذلك ينحت نحتاً ، مقدراً بذلك قيمة العمل الذى هو مقدم عليه .

أصل من هذا المثال الى اننا استوعبنا فن الرواية كما استوعبه غيرنا فلماذا عقدة النقص؟ لماذا ننكر التاريخ ونتجاهل الواقع ؟ والمسرح أيضاً متأصل فى ثقافتنا العربية . إن هذه العقدة هى التى تجعلنا نعيش تحت الحصار . إن انتاجى أنا أو غيرى من الأدباء العرب يقارن عندنا بالغرب، وهو قياس مع الفارق كما يقولون . فالذين يقومون بهذه المقارنة لا يفهمون ظروفنا كعرب فى العالم الثالث فى ظل مرحلةتاريخية محكومة بأوضاع مختلفة عن العالم الأوربى . إن هؤلاء النقاد مستلبون فى الحقيقة .

● هذه المقارنة غير الموضوعية تصل عند بعض النقاد الى صميم البنية الفنية عند الكاتب الروائى !!

– انهم لا ينظرون الى نجيب محفوظ مثلا ليقيموا اخر رواياته إلا فى ضوء ما قرأه اخيراً من أعمال روائية ، فاذا لم يعرفوا افترضوا ثم قارنوا بينها وبين رواية أو روايات ربما لم يقرأها أو يسمع بها.

إنهم مبهورون بأسلوب الجمل القصيرة الضاربة كالرصاصة فى الرواية ويعتبرونها الأسلوب الأحدث ويرونها وحدها المعاصرة ، وهم لا يعلمون أن همنجواى عالجها قديماً . كما عالجها نجيب فى «كفاح طيبة» أولى رواياته ... وهذه الجملة القصيرة أشبه بجملة شكسبير إذ هى أيضاً طلقة . ونحن تجاوزنا هذا . والأسلوب الآن هو الجملة الطويلة والحوار يدخل ضمن هذه الجملة .

ونحن لا ناخذ جملة من حقيبة لنضعها فى حقيبة أخرى ، بل إن اختيار نوع الجملة يكون نتيجة الجو النفسى الذى يعيشه الروائى أثناء الكتابة ، أى أنه ثمرة التفاعل فالجملة هى انعكاس للانفعال داخل الكاتب .

● إحساس الشاعر بل وصياغته أحياناً يبرزان فى رواياتك ، فهناك مقاطع تكاد تكون شعراً وهى نسيج عضوى داخل التركيب الفنى – هذا ما لاحظته . فهل ترى ذلك – إن وافقتنى عليه – ثمرة تأملات تنسكب شعراً وذلك بعد طول الصراع وتجربة المعاناة ، أو ماذا تسميه ؟

– وأنا أكتب «العشق والموت فى الزمن الحراشى» وقفت أمام صورة وهى العمل المباشر للطلبة فى الأرض وهو ما يسمى التطوع للثورة الزراعية – عندما بلغت هذه الصورة التى كتبتها وقبل أن أتابع الكتابة ضحكت فى نفسى وقلت : ها هو ذا – أقصد نفسى – كاتب دجال يريد أن يربح عدة صفحات بتصوير هذا المشهد حين يقول : «العرق المتصبب .. الأرض المتعرجة ... والصخور والأحجار التى تنبع هنا وهناك ....» ثم قلت : «لا .. إن الأرض يعرفها الانسان منذ ملايين السنين والانحناء يعرفه البشر – لا أحد يجهل ذلك – وإذا كنت مخلصاً فانى أقول :

(ونشبت معركة بين الأجساد المحنية والأرض) جملة كالشعر – وقلت : فليؤلف القارىء معى تجربته حتى لا أخدعه وأتطاول عليه . ولأترك التفاصيل والتضاريس فهو يعرفها مثلى .

ربما ترى معى أن هروبى من العبارات التعميمية والتجريدية هو سر الشاعرية التى تراها فى كتاباتى . وأضيف الى ذلك اننى مازلت أعانى من اللغة العربية . لقد تخلص نجيب محفوظ من هذه «الرجرجة» . ولكن عندما تكون كاتباً ملتزماً فان كل كلمة تكتبها ينبغى أن تكون لها دلالتها . وهذه هى البلاغة العربية (خذ مثلا تصوير الشاعر القديم لطول العنق فى دلالته على الجمال : بعيدة مهوى القرط) . إن الكاتب حينما يعيش تجربته ويتمثلها لا يحتاج الى حذلقة .

● معاناتك التعبير العربى المضىء والمحكم فى دلالته لا تكاد تظهر للقارىء – فأداتك اللغوية طيعة بين يديك ، ووفرة انتاجك دليل على هذا

وهنا يخطر لي أن أسألك : هل تعيد صياغة العمل الفنى أحياناً وصولا الى الكمال الذى ينشده الفنان ولاسيما أنك أثرت مسألة معاناة التعبير اللغوى ؟

– لا أجرى إلا تغييرات طفيفة فقط فى العمل الروائى ، ويكون ذلك وقت كتابته على (الآلة الكاتبة) . وأجدنى فى كل مرة أنتهى من عمل جديد أكثر تمكناً وأن اللغة صارت أيسر وأطوع لي . لقد كتبت «عرس بغل» فى ١٤ يوماً ، ولكن – بطبيعة الحال – فكرت فيها واختمرت فى داخلى سنوات .

وأخيراً ، فان عالم الطاهر وطار يقصر عنه هذا الحوار ، فمخططات الرواية الجديدة التى يكتبها الآن «تجربة فى العشق .. !!» بين يدى : مقدمة منطقية ومقدمة سياسية ، ولكنها تحتاج الى ساعات أخرى فى يوم ما قد يكون قريباً .

د. حسن فتح الباب

# ثلاث قصص قصيرة

بقلم: محمد البساطي

## ① التوت البري

اعتدنا أن نراها ـ تلك العجوز ـ ونحن فى طريقنا إلى القبور . تجلس امام عشتها على شاطىء النهر بجلبابها الأسود المهلهل وبجوارها المقطف والعصا . ما كانت تبدى اهتمامنا عندما يمر احد على الطريق .. حتى هؤلاء الذين يتقدمون ليضعوا فى المقطف شيئاً .

كانوا يحكون فى طفولتنا عن الشياطين التى تحوم دائماً حولها . والحرائق التى تشتعل من حين لآخر فى البلدة . والاطفال الذين يموتون خنقاً وتطفو جثثهم على سطح النهر .

وكنا رغم تحذيراتهم والعقاب الصارم نجد طريقنا إليها . نتسلل فى الظهيرة ـ تلك الوقت الذى تخلو فيه الشوارع من الكبار ـ وكانت تهش فى وجوهنا . وتضرب بعصاها على جانبى ساقيها الممدودتين وتجمعنا حولها ، وتسمح لنا بتسلق أشجار التوت التى تظللها . تلك الأشجار التى لم تلمسها يد قبلنا .

كان الأوغاد يطاردوننا حين نقترب من إحدى الأشجار فى البلدة ويلوحون بسقوطنا من فوقها . فلياتوا الآن ويروا كيف نقفز كالقردة بين الفروع . وفاجاتنا العجوز يوماً بحبل جاءت به من داخل العشة . ووقفت تكتم ضحكاتها . وقذفنا بطرفه الى فرع الشجرة وأخذنا نتارجح . كانت تدفعنا معنا . وتصهل وقد تناثر شعرها الأشيب القصير . وسرعان ما تتعثر منكفئة وسط تهليلنا . وترقد لاهثة امام العشة . وننزلق الى النهر . كنا نغوص ونمد أقدامنا الى سطح الماء ، ونتسابق الى الشاطىء الآخر . لا نخشى قطع الحجارة التى كان الأهالى يقذفوننا بها ليخرجونا من الماء وكانما يفزعهم غرقنا . ونراها . العجوز ـ ما كانت تخلو أبداً من الحيل ـ وقد جاءت بألواح من الخشب واخذت تقذفها الينا ـ تلك الألواح التى تنام فوقها بعد أن تغطيها بالقش ـ ونقفز اليها ونجذف باذرعتنا . ونراها تجرى على الشاطىء بجوارنا ، وتهلل حين يسقط أحدنا من فوق اللوح .

عندما كنا نلمح أحداً قادماً على الطريق كنا نهرع اليها . وتخفينا داخل العشة . ونظل بالداخل نلهث رعباً ، نختلس النظر من بين عيدان الغاب حتى يبتعدوا .

ويحدث دائماً ما يجعلنا نبتعد عن العشة . وتطول فترات ابتعادنا . ويستغرقنا البحث عن الرزق . ونمضى .

ونفتح بيوتا . ونرحل عن البلدة ونعود . ويكون لنا أولاد . وحين يتاخرون في العودة الى البيوت .. كنا نفتش فى وجوههم عن آثار التوت ولمعة الاستحمام . ويقسمون لنا من خلال بكائهم انهم لم يذهبوا إلى هناك .

ونراها ـ تلك العجوز ـ حين نمر بها وكان السنوات لم تغير منها شيئاً . ونشعر بحركة الاولاد المضطربة داخل العشة . غير أن أحداً منا لم يجرؤ يوماً أن يتقدم ويسحب الأولاد من الداخل .

## ② الطفل

كل شىء كان معداً لمجيئه . الحجرة القبلية أفرغت من أثاثها ، حيث تتدفق الشمس من الشرفة الواسعة ، وتمتد النباتات المتسلقة حول بابها ، وغطيت الجدران بالورق الملون . كان أحد الجدران يبدو كبحيرة واسعة زرقاء يسبح فيها بط وبجع وزورق شارد . والجدار المواجه يبدو كمرعى فى ريف أجنبى به قطيع من الأغنام ناصعة البياض وفلاح مورد الوجه يلبس البنطلون والقبعة . وفرش السجاد السميك على الأرض الخشبية ، ووضع سرير صغير بسياج فى أحد الأركان ، وتناثرت اللعب فى الحجرة .. حصان ، مكعبات ، أرجوحه .

ومرت الشهور الأولى لم يحس به أحد . كان يصحو من النوم ويرضع ثم يعود للنوم .

وتساءل الأب وهو ينحنى فوقه .. ان كان يشبهه ؟

وقالت الأم .. أن شكله يتغير كل يوم .

فى الشهر الخامس كان ينام وحده فى الحجرة ويترك الباب موارباً . كانا يتسللان على أطراف قدميهما لينظرا إليه وهو نائم ، ويبدو الطفل وكأنما أحس بنظراتهما .. كان يتمطى قليلا ثم يفتح عينيه . ويقول الأب :

ـ انه يعرفنـــا

ـ طبعـــاً

كان الولد يشب ممسكاً بسياج السرير ، وينحنى الأب مقترباً بوجهه ، ويحس بالأصابع اللينة تجرى على شفتيه وخديه ويغمض عينيه مستسلماً .

وخرج يوماً من الحجرة يجفف وجهه ضاحكاً وقال :

ـ اللعين خمش وجهى .. انظرى !

كان وجهه ملتهباً ، واشار باصبعه إلى عينيه :

ـ هنا .. وهنا .

ـ سيكون ولداً شقياً .

وضحكا ، واندفعا إلى الحجرة . كان الولد يدلى قدميه من فتحات السياج ويصيح .

عندما بدأ يحبو كانا يخرجانه من السرير ويغلقان النافذة ، ويقفان يصفقان ويتقافزان ، ويزحف الولد ذهاباً وعودة وقد رفع رأسه ملتفتاً اليهما .

ـ يكفى اليـــوم .

ـ آه . لن نرهقه .

وخرج الأب يوماً من الحجرة . كان يضحك منحنياً :

ـ أنظرى .. هذه المرة مزق وجهى .

كانت آثار الأظافر محفورة على خديه . ووقف أمام المرآة :

ـ نزع الجلد تماماً . في المرة السابقة لم يصدقوا فى المكتب انه ابنى واقسمت لهم انه الولد . ولم يصدقوا . قالوا .. اتريد أن تقنعنا انه الطفل ؟

وضحك . وضحكت امراته . وسارا إلى الحجرة ، ونظرا من فتحة الباب الموارب . كان الولد راقداً فى الفراش يحدق فى السقف ، والتفت ونظر إليهما ، ثم عاد يحدق فى السقف .

قال الأب :

ـ ما رايك ؟ لن يكون مثلى . على الأقل سيعرف كيف ياخذ حقه .

وضحك ، ووضع ذراعه على كتف امراته وظلا واقفين بفتحة الباب يرقبان الولد .

وكان يخطو خطواته الأولى مستنداً على الجدار . وهما بجواره يهتفان وأيديهما حوله ..

ـ خطوة اخرى .

ـ آه .. خطوة اخرى .

وصل الولد إلى نهاية الجدار ، ثم انزلق جالساً . وحوله الأب واخذ يقفز فى الحجرة

ـ يومان آخران ويجرى فى الشارع .

وضعه فى الفراش . كان الولد هادئاً ، ومد يديه ، وانحنى الأب فوقه . تاوه قليلا ثم ابتعد ، وخرج من الحجرة .

ـ ألم تقصى أظافره ؟

ـ آه . أمس . ماذا حدث ؟

كان وجهه دامياً . وقد تلوثت ياقة القميص البيضاء . أسلم وجهه ليدى زوجته ، كانت تجفف الجروح بالقطن والسبرتو الأبيض . قالت :

ـ من الأفضل أن تاخذ حقنة .

قال ضاحكاً : من الآن ويفعل ذلك معى .

وخرج يوماً من الحجرة ممسكاً بفمه . كان وجهه متقلصاً من الألم ـ وهوى امام امراته التى صرخت . كان فمه ملطخاً بالدم . جففته سريعاً . غير أن الدم ظل يتدفق . كان هناك ثقبان بشفته العليا . وضعت الشاش والشريط اللاصق على شفته .

وقال هامساً : أسنانه .

وقفا بباب الحجرة . كان الولد راقداً يحدق في سقف الحجرة وقد برزت أسنانه من بين شفتيه المضمومتين ، ولعابه يسيل على ذقنه ..

ـ كيف ؟

ـ لا أعرف . كان بالأمس على ما يرام .

ـ وكيف أرضعه ؟

ـ آه .. وكيف ترضعينه .

ـ لاتقل اللبن المجفف .. لا اريد أن يستخدمه .

ووقفا بباب الحجرة صامتين . واستند الولد على كوعيه ونظرا اليهما ، ثم استلقى مرة أخرى محدقاً في السقف .

# ٣ الجفاف

كان النخيل كثيفاً حول البلده وبعده يمتد العراء . خرج الرجلان من عتمة النخيل وسارا فى العراء . خرج الرجل الطويل أولا ، كان يلبس قميصاً أسود وحذاء خفيفاً . التفت وراءه ورأى الرجل الآخر قادماً ، وبعدها لم يلتفت . كان يلبس جلباباً قاتم اللون ويلف رأسه بشال أبيض متسخ ، وظلت المسافة بينهما ثابتة .

كانت الأرض بوراً واسعة تغطيها شقوق كثيرة وقنوات رفيعة جافة تناثرت على جوانبها أشواك وأشجار نحيله جرداء بدت فروعها كعيدان الحطب . وكان وهج الشمس حاداً ، وهواء ساخن يهب خفيفاً محملا بغبار ناعم .

اخترقا الأرض البور فى خط مائل نحو بقعة خضراء بدت عن بعد . كانا يسيران دون عجلة وكان الريح تعوق تقدمهما وقد انحنى الرجل فى المقدمة على نفسه ووضع الآخر الشال حول فمه وانفه . وتلون الجو بالأصفر الشاحب ، وغطت الشمس غشاوة عكره .

كانت البقعة الخضراء ترتفع قليلا عن الأرض ، واختفى الرجل داخلها . وكان الآخر لا يزال يسعى وراءه وسط زوابع الغبار وقد التف الجلباب حول جسده .

سار الرجل بامتداد مجرى مائى ضيق ، كانت النباتات الشوكية على جانبيه قاتمة الخضرة وباطرافها زهور صفراء ، وأشجار كثيفة الأغصان أخذت تهتز مع الريح . وكانت القناة تنتهى بسد من الاسمنت وبعدها تنحدر الأرض نحو العراء .

التفت على صوت خطوات خفيفة ، وبدا وكانما فوجىء بالرجل الآخر على جانب المجرى وتبادلا النظر فى صمت .

كانت زوابع الغبار تجرى متلاحقة خارج الأشجار وتجرف فى طريقها الاشواك الجافة وانحنى الرجل ذو الجلباب وغسل وجهه وجففه بطرف شاله ، ثم عبر المجرى . كان قصيراً بوجه عجوز وشارب أسود كث ، وعينين صغيرتين . وكان الآخر ذو القميص الأسود حليقا له وجه طفل . ازاح شعر رأسه عن عينيه . كان يلهث وظهره لجذع شجرة .

اشتد هبوب الريح . كان صوتها يدوى اجوف وسط الأشجار . واختفى وهج الشمس ، وضوؤها الضعيف ما زال يتسلل من حين لآخر ، وعبق الجو بغبار قاتم .

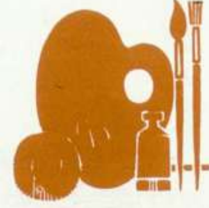
وضع القصير يديه داخل فتحتي الجلباب الجانبيتين ، وبدا وكانما يسوى الصديرى وتقدم خطوة ، وانتفضت يدا الفتى خفيفاً ثم سكنتا بجواره . كان وجهه مبلا بالعرق والغبار .

انقض الرجل سريعاً ودس قبضته فى بطن الفتى ، وأدارها شمالا ويميناً . بدا الفتى للحظة وكانما اخذته المفاجاة ، وامسكت يداه بقبضة الرجل ، وانحنى دون صوت . كان ينزلق فى بطء ، وسقطت رأسه على كتف الرجل ، وبذل جهداً آخر ، وظلت رأسهمكانها .

نزع الرجل قبضته ، واختلج جسد الفتى . وأمسكه الرجل من تحت إبطيه وانزله فى هدوء . وتكوم مديراً ظهره . وزحف قليلا حتى التصق بجذع الشجرة ، وزفر مرة أخرى ثم استرخى ساكناً .

كانت أوراق الشجر الجافة تغطى المكان وقد علقت باطراف النباتات الشوكية ، وطفت على سطح المياه في المجرى ، وازاحها الرجل بيده ، وغسل سكينه وأعاده لجيبه ، ثم انطلق عائداً .

لقد خفت حدة الريح ، غير أن الجو ظل عابقاً بالغبار . ●●●●



من روائع الفن العالمي

تقديم : جمال قطب



الفنان ادوار مانيه

## الفنان الفرنسي مانيه

# سخر النقاد من لوحاته فاحتلت أعماله متحف اللوفر !

● يعتبر ( مانيه ) بحق رائداً لانطلاقة الفن الحديث .. والرواد دائماً هم أصحاب رسالة ، يجابهون من أجلها العناء بقدر ما يستحقون من فضل .

● نشأ فى باريس من أسرة تنتمى إلى البورجوازية المستنيرة بكل ثقافاتها المرهفة وارتباطها الوثيق بجماليات الفنون ، وفى الفترة ما بين عامي ١٨٣٢ ، ١٨٨٣ تلك الحقبة التى عاشها إدوار مانيه من القرن التاسع عشر ، جرت أحداث خطيرة ، ربما كانت أخطر أحداث التاريخ الفرنسى كله : الاكتشافات الهائلة فى العلوم وتطور الصناعة والأفكار الديمقراطية ، كما اندلعت الحرب السبعينية الرهيبة وما أحدثته من هزة عنيفة فى فرنسا والعالم أجمع . وكان مانيه يتفاعل مع مسيرة الحياة بوجهيها المتناقضين ، النور الحضارى والأفكار المستقبلية ، وكذلك الحرب والكوارث التى داهمت الحياة الفرنسية المترفة ، هذا ، بالاضافة إلى التنكر لفنه كحدث جديد لم يألفه الناس من قبل !

● كان مانيه مثالا لشباب القرن التاسع عشر الهائمين بالتأنق والرفاهية والحرية .. ولكنه هجر كل تلك المظاهر وانضم إلى مجموعة ( مقهى جيربوا ) ملتقى الفنانين والأدباء الذين سعدوا بالفقر من أجل الحرية ، وكان شعارهم : لنبق نبلاء ولنسعد بفقرنا ! لقد امتلكوا العالم بشاعريتهم وأطلقوا ملكاتهم العبقرية متحررة من قيود المادة ، فصاروا قادة النهضة الفنية والأدبية التى أرست دعائمها فى النصف الثانى من القرن الماضى !

● وكما يلقى المجددون دائماً ، فقد اضطهد مانيه من عامة معاصريه ورفض الأكاديميون أعماله ومنعوه من عرضها فى المعارض الرسمية .. ويقف الأديب والمفكر الشهير إميل زولا بجانب صديقه مانيه ، ويطلق عبارته الشهيرة : تسخرون اليوم من مانيه ولكن أبناءنا سيجتمعون بزهو وإعجاب حول لوحاته ! ويصبح الفنان زعيماً لجماعته المجددة ، تلك التى أطلق على أعضائها بعد ذلك : التأثيريون .

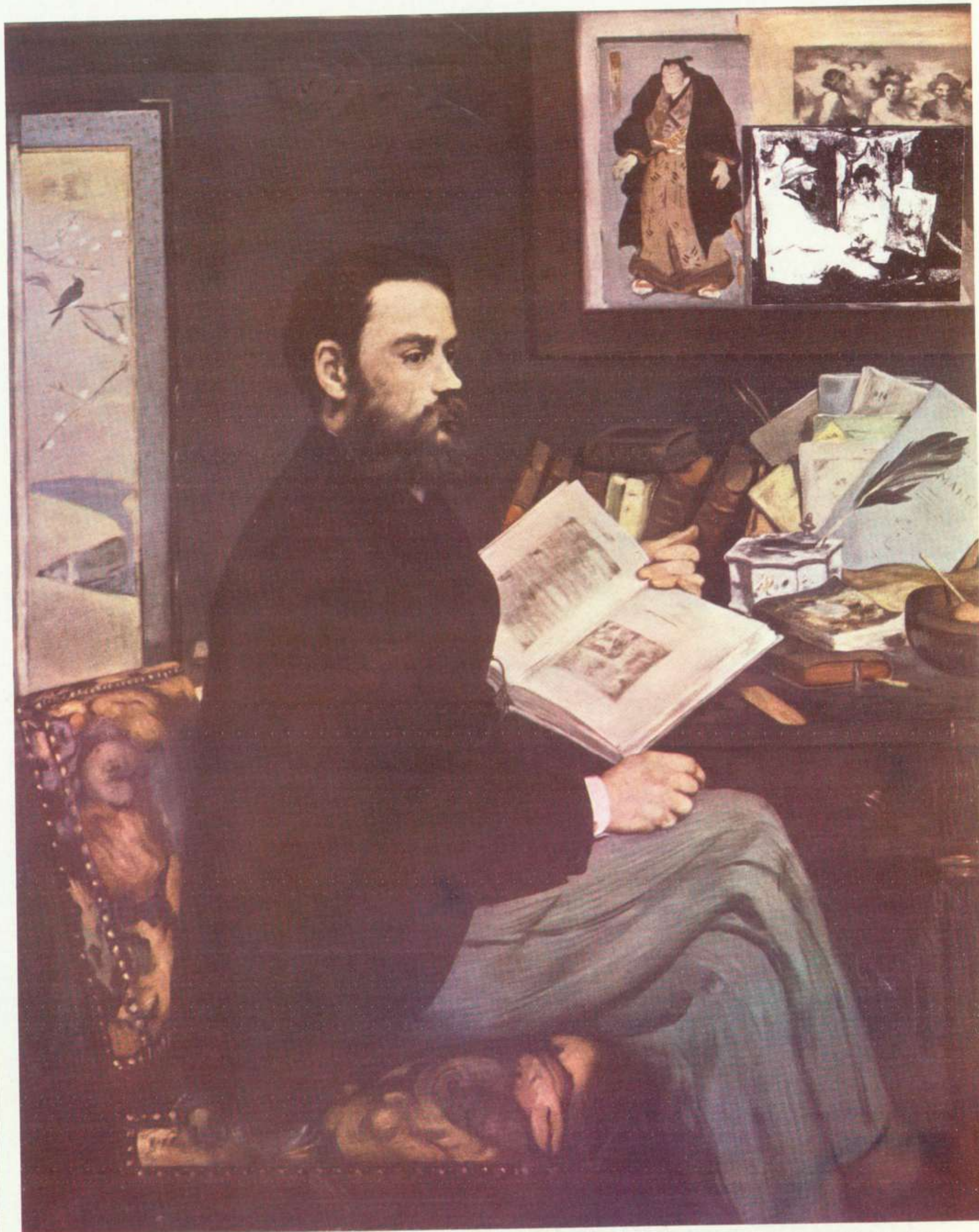
وفى المعرض الدولى عام ١٨٦٧ ، ترفض أعماله كذلك ، ويقف إميل زولا بجانبه ويقيم له جناحاً خاصاً لعرض أعماله فى مواجهة المعرض الدولى .. ويطلق شعاراً جديداً فى المنتديات وتردده الصحافة الفرنسية آنذاك : إن مانيه قد تحدد مكانه فى متحف اللوفر ! وتتوطد العلاقة بين زولا ومانيه ويستلهم الأديب رواياته من لوحات صديقه الفنان ، كما فعل فى لوحة ( نانا ) تلك الفاتنة التى رسمها مانيه عام ١٨٧٧ ، وقد أوحت لاميل زولا اسم روايته الشهيرة .

● من تلك العلاقة الرائعة بين زعيم المجددين مانيه والأديب الأشهر إميل زولا ، واعترافاً من الفنان بفضل صديقه ومواقفه بجانبه دائماً ، كانت هذه اللوحة الرائعة ، وقد وضع مانيه فى خلفيتها كثيراً من الأجواء التى طالما استهوت الصديقين وتلاقيا على الاعجاب بها : ملامح من الفن اليابانى ، لوحات لفلاسكويز ، احدى لوحات مانيه التى دافع عنها زولا بحرارة ، مجموعة الكتب التى طالما اشتركا فى مطالعتها ومناقشة مضامينها ..

● ودهم المرض الفنان المرهف ، وتحت وطأة الصراع ومرارة النكران يختتم حياته سنة ١٨٨٣ . وقبل موته كتب لأحد نقاده الذين أسرفوا فى مهاجمته والتنكر لفنه يقول :

« كنت أود أن تتاح لى فرصة قراءة مقالك الرائع الذى ستختصنى به عندما أموت » !

وصدقت نبوءة زولا عن مكان مانيه فى متحف اللوفر .. فبعد عام من وفاته ، أشاد الجميع بفنه وعبقريته الفذة .. وافتتح اللوفر أبوابه بأمر من قادة فرنسا ، لتحتل أعمال ادوار مانيه أقدس المواضع فيه .



الأديب الشهير أميل زولا .. بريشة الفنان الفرنسي ادوار مانيه

في مهرجان عالمي للفنون الشرقية

# تراث الهند.. يغزو لندن

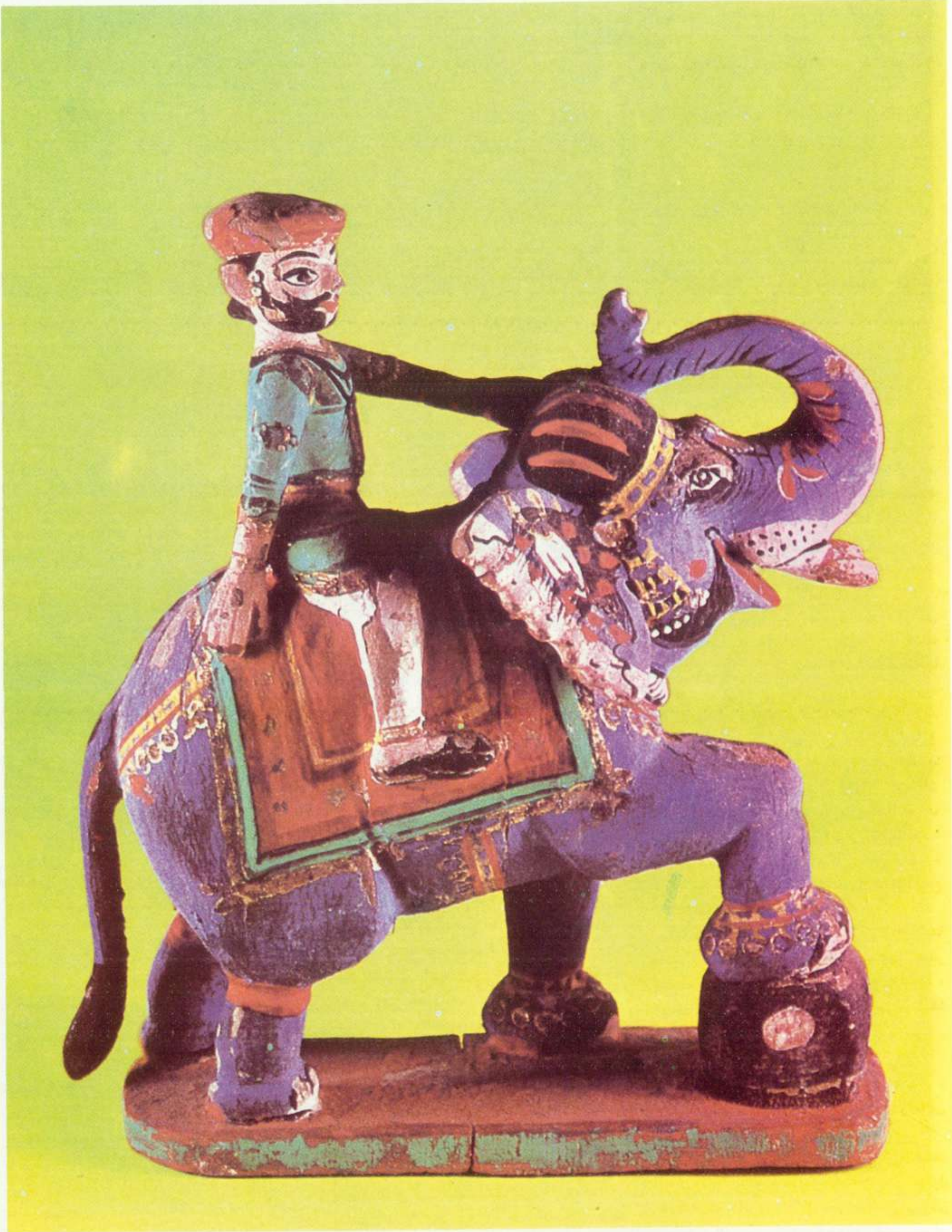
نجمة السينما الهندية « زينات » فى لقطة من آخر أفلامها

رسالة لندن من :
مجدي نصيف

مهرجان الهند فى بريطانيا لعام ١٩٨٢ ، خطط ليكون أكبر عرض للثقافة الهندية وتراث الهند منذ استقلالها عام ١٩٤٧ عن بريطانيا . يتخلل المهرجان عروض للفن الهندى وفرق رقص وغناء وموسيقى إلى جانب الأفلام الهندية . بدأ المهرجان فى الثاني والعشرين من مارس ١٩٨٢ ، وقامت بافتتاحه السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند والسيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا . تستمر العروض حتى شهر نوفمبر من نفس العام .

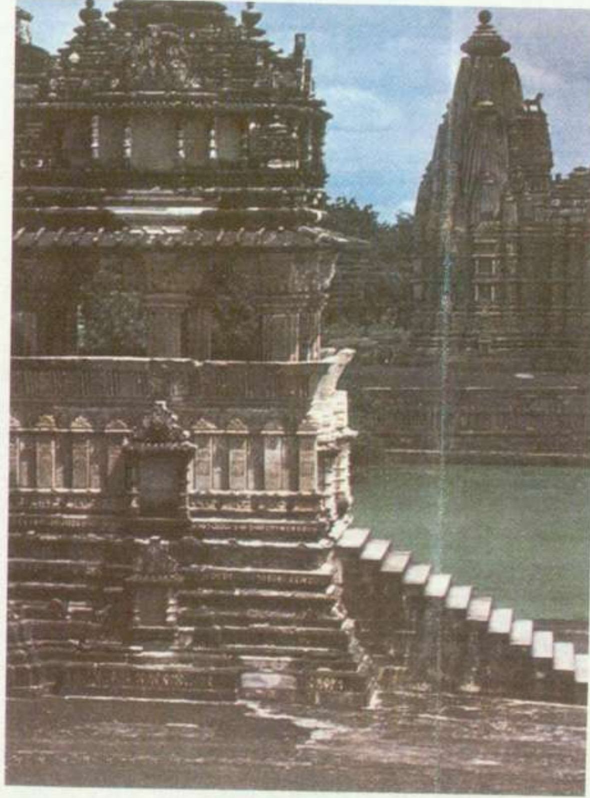
وفى جاليرى هوارد افتتح معرض الفن الهندى ليعرض الرسم والنحت الهندى على مدى ألفى عام . وابتداء من ٢١ ابريل عرض متحف البرت وفيكتوريا الحياة تحت حكم المغول فى الهند فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . كذلك عرض المتحف البريطانى ، الفن الهندى حتى القرن العاشر . كذلك قام متحف العلوم البريطانى ، بافتتاح معرض العلوم والطب فى الهند .

لقد كانت هذه فرصة طيبة لاستعراض الحضارة الهندية والتعرف إليها عن قرب . ففى جاليرى هيوارد أكبر عرض للفن الهندى تحت سقف واحد ، حيث يضم ٥٠٠ قطعة فنية من المجموعات الخاصة وتلك التى تملكها المتاحف الحكومية ، سواء فى الهند أم فى بريطانيا .



تحفة نادرة من الفن الهندى يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر .. التحفة من الخشب المزين بالالوان والنقوش

# تراث الهند يغزو لندن



الرسوم الجدارية تجمع بين الانسان والطبيعة فى توافق وانسجام والوان زاهية

هناك أمور ثلاثة رئيسية تلفت النظر بشدة فى الفن الهندى :

أولا : أنه ينقسم بالتساوى بين النحت والرسم ، وهو بذلك أكثر اتساقاً وتساوياً من الفن الغربى .

ثانيا : شمولية فن النحت ، ومزجه المستعصى بين الدين والعلمانية ، بين الالهام والدنيوية .

ثالثا : تركيز الرسامين الهنود على التفصيلات الصغيرة جداً ، يكاد يكون تصميماً على أن المنمنمات لها جمالياتها .

## فنون المعابد الهندية

وقد ظهر النحت الهندى أولا ، فى التماثيل الصغيرة وفى الأختام العاجيـة لحضارة وادى الهند قبل مجىء المسيح بالفى عام ، تلك الحضارة التى تركت بعض بصماتها وعادت لتطبع تطـور البـوذية والهندوسية . فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد زينت المنحوتات المعابد الهندية ، وكانت هذه هى بداية التراث الفنى الذى استمر قوياً حتى القرن الثامن عشر بعد الميلاد .

ولم يتوقف فن النحت فجاة .. وانما تخطى مرحلة الانجازات العظيمـة الضخمة ، وكل ما خلفه بعد ذلك كان عبارة عن أشكال صغيرة سهلة النقل معظمها مصبوب من المعادن . لقد انتهى زمن بناء المعابد العظيم ، وذهب معه سـوق التذكارات ، لكن التراث غنى وحافل ، ويذهل العالم ، وخاصة الغرب الذى لم يبدأ فى استيعابه وادراك عظمته الا حين أخذ ينتهى ويعبر إلى زوايا النسيان .

يقول الناقد « جيوفرى مورهاوس » يصف اللقاء مع فن النحت الهندى : « كان أول لقاء لى بمعبد خاجراهو بوسط الهند . بدا لى كانه وسط اللامكان ، رغم المدرج الضيق المخصص لهبوط طائرة تصل إلى هناك مرة كل اسبوعين . فاقرب قرية إلى المعبد تقع على بعد عدة أميال . ثلاثون معبداً وسط الأشجار والطبيعة الساكنة . لقد شيدت هذه المعابد بواسـطة حكام « شانديلا » فى القرنين العاشر والحادى عشر ، قبل أن يضع أسقف وليم القاهر حجر أساس كاتدرائية درهام بمائة عام . ( وهى بمدينة درهام البريطانية ، وتعتبر من أقدم الكاتدرائيات ليس فى بريطانيا وحدها ، بل فى العالم الغربى ـ الكاتب ) . وليست ضخامة المعابد هى التى تجذب الأنظار ، لكن أشكالها البادية لك وانت تتجه نحوها تبدو وكانها رواسب كلسية مخروطية ، أو كافيال تحجرت الهوادج فوق ظهورها . فمن بعيد يمكنك أن تلحظ كثافة الزخارف التى زينت بها الحجارة . ورغم أن عمرها الآن أكثر من تسعمائة عام ، إلا ان الحجارة تبدو وكانها قطعت وشكلت منذ ستة أشهر لا أكثر .

« ولا أعتقد أن هذه الأحجار قد تركت شيئاً لمخيلة السائح تسبح فيه . فكل شىء مسجل هنا ، من مشاهد متتالية لمعارك ، تتابعها وانت تدور حول المعبد .. الأعمال اليومية العادية ، ثم مواقف احتواها بعد ذلك كتاب كاما سوترا ، وحيوانات لا تعد ولا تحصى » .

كيف يمكن فهم الفن الهندى الذى قد يبدو للبعض معقداً ؟

لمحاولة حل تعقيدات النحت الهندى ، يمكن للمرء أن يتخيل أن حكماء الهندوس يعتقدون أن الكون ياخذ شكل البيضة ، بيضة ذات ٢١ منطقة ، وتشكل « الأرض » المنطقة السابعة من أعلى ، ثم هناك سبعة عوالم سفلى تحتنا ، وتحتها سبعة أخرى ، كل منها « مطهر » . لكن هذا التفسير قد يجعل الفن الهندى منفرداً ، لكن هذا ليس بصحيح إذا ما نظرت إلى النحت !

وليست كل المعابد الهندية القديمة على هيئة معابد خاجراهو الثلاثين . فتلك المعابد فى الشمال تتجمع غالباً مع بعضها البعض على شكل قوس ، أما تلك المعابد فى الجنوب ، فبينها مساحات أكبر ، وقد يكون له شكل آخر غير المخروط ، كل طابق فوق الآخر تماماً ، لكن الزخرفة هى نفسها دائماً . وحين تكون هذه الشخصيات لشخوص المعابد فغالباً ما يكون لها أطراف عديدة تدل على الصفات فوق الانسانية . وتدل حركات اليدين على معان عديدة تشـير إلى التأمل أو الحماية أو الخنوع أو العدوان .

وهناك أشكال عديدة ثابتة ، إحداها زهرة اللوتس التى تدل بتلاتها غير المتفتحة على الاستمرار والنمو المثمر ، ويمكن أن تكون وحيدة ، ينبع من مركزها براهما العظيم .

كذلك هناك الماء المتدفق ، ماء الحياة ، الذى يظهر الشخصية الدينية تتحرك فى اتجاهات ثلاثة فى وقت واحد .

ويسهل تفسير الرسم الهندى عن النحت رغم وفرة الرموز الدينية فيه أيضاً . وأول هذه الرموز التى لا تزال متواجدة حتى الآن الصور الزيتية البوذية على جـدران « اجانتا » ، والتى تعبر عن الانسجام والتوافق والتناغم بين الانسان والطبيعة .



ساعة على شكل فيل مزخرف .. يعود تاريخها إلى بداية القرن
العشرين وهى من القطع التى تشد الانتباه بروعة تصميمها



مدخن .. لوحة مرسومة على الزجاج فى بداية القرن العشرين .

فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد ، والخامس بعد الميلاد ، على صخور المغاور .

لقد استخدم الرسم على الجدران بكثافة فى حضارات أخرى من العالم ، لكن بحلول القرن العاشر الميلادى ، ظهر بشكل جديد من الفن فى الهند ، طغى بعد ذلك على النحت . لقد اخترع الكتاب ، وصنعت صفحاته من ورق أشجار البلح ، وأغلفته من الخشب . وزخرفت صفحاته وأغلفته بالصور الملونة والخطوط الرائعة .

بعد ذلك بأربعة قرون كاملة ، تطورت صناعة الورق ، وتطورت رسوم المنمنمات على صفحات الكتب ، حتى وان كانت الكتب أنذاك توزع كحزمة من الأوراق ، وليس بشكلها الحالى .

استخدم الرسامون فيها أسلوب الرسم بالألوان المائية ، لكنهم غالباً ما كانوا يثبتون الألوان على الورق باستخدام التكنيك المعروف الآن باسم « الجواش » ، مستخدمين الصمغ أو عسل النحل لتثبيت اللون .

وبوصول المغول إلى الهند من آسيا الوسطى عام ١٥١٧ ، أثروا بشكل كبير على الهند والفن الهندى ما يقرب من ٣٠٠ عام . ونلاحظ فى هذه الفترة زيادة هائلة فى رسم المنمنمات ، ذلك أن الأباطرة المغول كانوا على معرفة سابقة بهذا الفن ، الذى أخذوه من بلاد فارس . كانوا يستولون على الأراضى بالسيف ، لكنهم كانوا يعشقون الفن فى نفس الوقت ، وكان الكثير منهم عاشقاً للكتب . ولقد تبنى الأباطرة الفنانين وسهلوا لهم كل وسائل الالهام .

وفى القرن السابع عشر بدأ الغرب يتعرف على الفن الهندى ، وعاد عدد من الشخصيات بنماذج إلى بريطانيا على وجه الخصوص . وتأثر بعض الفنانين بذلك الفن . ومن المعروف أن رامبرانت الفنان العظيم اقتنى بعض نسـخ من الفن الهندى .

## مصانع الأحـلام

ومنذ عام ١٩٥٠ والهند هى أكبر مركز لانتاج وصناعة السينما فى العالم وليست هوليود ، كما يعتقد الجميع . فالسينما الهندية تنتج ٧٥٠ فيلماً روائياً فى العام ، ويذهب إلى السينما فى الهند ٧٥ مليون مشاهد اسبوعياً . لكن السينما الهندية تتميز بنكهة خاصة . فمن المعترف به على سبيل المثال ، ان معظم نجوم السينما الهندية لا يتمتعون بالرشاقة وفقاً للمقاييس الغربية ، وقد يكون الجيل الجديد هو الذى تأثر بالغرب ، فيحاول كل منهم مراقبة خصره ، إلا أن حساباتهم فى البنوك لا يظهر عليها أى علامة من علامات نقصان الوزن .

فأشهر نجوم الهند الآن هو أميتاب باخمان ، يكسب أكثر من مليونى روبيـة ( ١١٨ ألف جنيه استرلينى ) فى الفيلم الواحد ، فى بلد لا يزيد فيه دخل الفرد عن ٤٠٠ ـ ٦٠٠ روبية ( أى ٢٥ ـ ٣٥ استرلينى ) فى الشهر الواحد . وزيادة على ذلك ، يزيد عدد الأفلام التى يقوم بها سنوياً ثلاثة مرات عن الأفلام التى يؤديها كلينت ايستوود على سبيل المثال . واذا كانت هيما مالبينى وكذلك ريكها ، وهما أشهر نجمتين سينمائيتين فى الهند الآن تكسب كل منهما نصف هذا المبلغ عن الفيلم الواحد ، فان ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى عالم السينما الهندية الذى يهيمن عليه الرجل .



البيجوم زينات مهال .. من دلهى .. وهى نسخة محفورة من تحفة عاجية يعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر .



سيدات يمرحن فى حديقة المنزل .. لوحة زاهية الالوان من القرن التاسع عشر

والحقائق المجردة عن السينما الهندية مدهشة . فلنتأمل فى النقاط التالية .

● يتم انهاء فيلمين وجزء من فيلم ثالث فى كل يوم من أيام السنة فى الهند ، حتى تعرض فى ٦٦٥٠ داراً دائمة و ٤١٥٠ سينما متنقلة .

● يرتاد أكثر من ٧٥ مليون هندى دور السينما كل أسبوع .

● حصلت حكومات الولايات حوالى ٥٨٥ مليون روبية ، كضريبة على الأفلام التى انتجت فى العام الماضى .

● تبلغ الاستثمارات فى صناعة السينما الهندية ٨ بلايين روبية ( ٤٧١ مليون استرلينى ) .

يعمل فى صناعة السينما أكثر من مليون شخص فى مختلف المجالات . ويديرها عدد من السماسرة والوسطاء ، مما جعل ملوكها أكثر الشخصيات قوة ونفوذاً .

وفى داخل هذه الأمبراطورية ليس هناك حدود للسلطة وللشهرة . وعلى سبيل المثال م . ج . راماخاندران نجم السينما من مدراس ، هو الآن الوزير الأول بولاية تاميل نادو . ورغم أنه يعارض السيدة انديرا غاندى ، إلا أنه لم يتأثر بفوز « حزب المؤتمر » الساحق فى الانتخابات الأخيرة . وحين سئل قروى فى الثمانين من عمره ، لماذا يعطى صوته لراما خاندران ، كان رده صاعقاً : ولم لا ؟ هل خسر فى أى فيلم من أفلامه ؟

و م . ج . راماخاندران معروف بأحرف اسمه الأولى م . ج . ر . وهو لا يدخن ولا يشرب الخمر ولا يغازل النساء فى أفلامه . لكن الخيال الجامح الذى يبعث خيالات النساء فى أفلامه هو ما يثير غرائز جمهوره. وأفلامه لا تعرض على شاشة التليفزيون خلال ساعات العمل الصباحية ، وإلا توقفت الحياة فى المدينة حتى يشاهد الجميع نجمهم المفضل .

إن مثل هذا التغلغل « الفنى » فى عالم « السياسة » نادر جداً ، لكنه لا يتوقف . فالنجم « سونيل دوت » خلف « ديليب كومار » ، كحاكم لبومبادى فى العام الماضى !

ورغم الاعجاب الساحق الذى يتمتع به نجوم السينما ، إلا انهم يعانون أيضاً بعض المواقف الصعبة ، وخاصة بعد قراءة ما يكتبه النقاد فى عشرات المجلات الفنية التى تصدر فى الهند . فمجلة « سينى بليتز » تقابل نجمة شهيرة وتبادرها بسؤال : « لماذا تعاملين أهلك هذه المعاملة » !

## أين الحقيقة ؟

لكن إذا ذهبنا إلى لب المسألة ، لوصلنا إلى حقيقة صناعة السينما الهندية .. التجارية . ولذلك ليس غريباً وصفها بأنها أسوأ أكبر صناعة سينما فى العالم . ولعل أفضل تقييم لها ما قالته نجمة من نجوم السينما الهندية :

- « نحن نغرق المتفرج فى عالم الأحلام . فالواقع الهندى لا يمكن تحمله ، والواقعية لا يمكن قبولها . فلماذا لا يستمتع الناس بالخيال ، إذا كان عليهم أن يعيشوا فى كابوس الواقع » !

ودخول إحدى دور السينما فى الهند هو خبرة مثيرة فى حد ذاتها . الناس تتدافع بالمناكب ، ثم تسمع أثناء العرض التصفيق والهتاف ، وعبارات الأعجاب والاستياء ، والغضب والكراهية . ردود أفعال ونقد فورى للفيلم . ومن المستحيل أن يدخل النجم لحضور حفل الافتتاح لفيلمه دون حشد كامل يحيط به من الحرس لحمايته من المعجبين .

ونجوم السينما الهندية كثيرون ، وجميعهم له ملايين المعجبين ، لكن أشهرهم اميتاب باشخان وريكا ، وهما يعيشان قصة حب حقيقية . وريكا ابنة شيفاجى جنيسان وهو بدوره نجم شهير بمدراس : جميلة مزاجية عصبية كثيراً ما تركت العمل فى أفلام دون أن تكملها ، ولذا استغرقت وقتاً طويلا حتى تصل إلى النجومية ، وتقصى النجمة الشهيرة هيما مالينى ، عن عرشها . لكن الذى لاشك فيه أن ريكا هى جريتا جاربو السينما الهندية الآن . أما اميتاب ، فهو شاب جذاب وان كان أكثر دقة ونظاماً من صديقته ، لذا يستريح المنتجون والمخرجون للعمل معه أكثر منها . وهو سعيد بشهرته وان لم يكن منبهراً بها ، إذ انه يؤمن « ان الناس تحب الصورة التى رسمت له على الشاشة ، لا شخصه الحقيقى ، لذا ليس هناك ما يبهرنى فى شخصى » !

وليس لنا إلا أن نختم حديثنا عن السينما الهندية ، فنقول أن الافلام الهندية تقليدية للغاية : الحب تحاربه أسرة الحبيبين لهذا السبب أو ذاك ، ويمكن أن تضفى عليه بعض اللمسات الغربية كالموسيقى السريعة . لكن الأغانى تشكل ركناً أساسياً فى الفيلم وكذلك الرقص التعبيرى ،ويضاف الى هذا الاثارة النابعة من الحدث . انه عالم لا تتغير فيه الاساسيات ابداً ، حتى ولو ترجم إلى جميع لغات العالم . كل هذا يجعل الفيلم الهندى يصل وقت عرضه إلى ثلاث ساعات فى المتوسط .

مجدى نصيف



الفنان الفلسطينى امين شموط .. يروى عذاب الفنانين التشكيليين فى الارض المحتلة

الموت خارج الخيمة .. لوحة معبرة عن ماساة الوطن وتضحيات الانسان الفلسطيني من أجل استرداد أرضه

بقلم: حسن الملا

# العشق المشترك للفنان الفلسطيني

هو واحد من الفنانين التشكيليين المرموقين فى العالم العربى .. وقد جاء الينا ومعه لوحاته التى تحمل الى جوار روعة الألوان والمساحات ، نبضات قلب فنان يعيش قضية وطنه ويحاول أن يقدم من خلال أعماله الفنية صرخة للضمير الانسانى لعله يستيقظ ليرى هول ما يحدث فى فلسطين المحتلة ..

وكان لقائى مع الفنان أمين شموط أثناء تواجده فى الدوحة التى أتى اليها محملا بنبضات قلبه المرسومة فى لوحات ، فهو احد الفنانين الفلسطينيين الذين اشتركوا فى المعرض التشكيلى الذى أقيم أثناء الاسبوع الثقافى الفلسطينى ..

وكانت بداية حديثى مع الفنان الموهوب ،حول الفن التشكيلى فى الأرض المحتلة .. هل يمكننى التعرف على ملامح هذا الفن .. وأهمية الدور الذى يقوم به فى الداخل والخارج ؟

## ملامح القرى المهدومة

قال الفنان الفلسطينى أمين شموط ، ان الفن التشكيلى عبر نشاطه الفردى والجماعى فى الأرض المحتلة ، استطاع أن يسهم اسهاماً ملموساً فى حركة التشكيل الفلسطينى .. وفى عام ١٩٦٧ حاول العدو الصهيونى اغتصاب تراثنا الفنى وحضارتنا الثقافية الفنية حتى يقضى على هويتنا الفلسطينية ،وفى سبيل ذلك كانت محاولات القمع اليومى لفنانى الأرض المحتلة من اعتقال وتحديد الاقامة لأى فنان يرسم من وحى الأرض الفلسطينية ، إلا أن إيمان الفنان الفلسطينى التشكيلى بأرضه وأهله جعله يقاوم القمع ، ويرصد حركة الواقع ويسجلها دون خوف أو اهتمام بأى تهديد ، وقد رأينا هذا الفنان يتخذ لنفسه فى كل عام شعاراً يحاول تطبيقه فى لوحاته ففى عام ١٩٨٠ كان شعاره هو الأرض الفلسطينية فكنت ترى فى كافة لوحاته هذا العام بالذات الاهتمام الخاص باظهار التعاطف الوجدانى مع الأرض وحقنا التاريخى فى كل ذرة من ترابها .. وفى عام ١٩٨١ كان شعارنا هو القرية الفلسطينية لتسجيل معالم القرية العربية فى فلسطين خوفاً من ضياعها نتيجة لهدمها وازالتها من قبل العدو الذى يدعى باستمرار أن القرية تمثل المأوى الأمن للعمل الفدائى والتهديد المباشر لأمن الدولة !

أما فى عام ١٩٨٢ فقد رفعنا شعار القدس فى لوحاتنا ،حتى تبقى حية فى أفئدة العالم العربى والاسلامى ، وحتى يتأكد أمام العالم كله مدى الارتباط الوثيق بين الفنان الفلسطينى وأرضه ، ومدى حبه الكبير لقضيته التى سيظل يدافع عنها طالما تجرى الدماء فى شرايينه ..



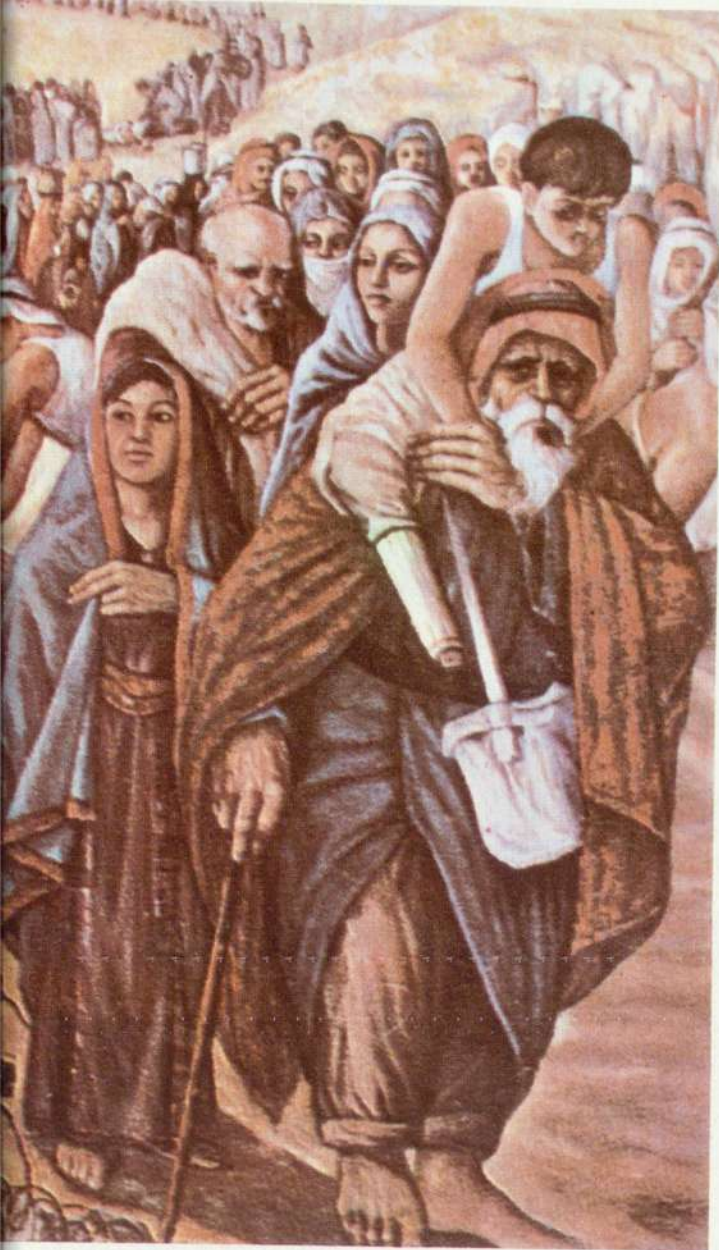
فتاة من فلسطين .. بزيها الوطنى وملامح الوجه المعبرة عن معاناة الانسان الفلسطيني داخل الأرض المحتلة

● اعتقل العدو معظم الفنانين الذين اشتركوا فى معرض « نابلس » عام ١٩٧٣ !

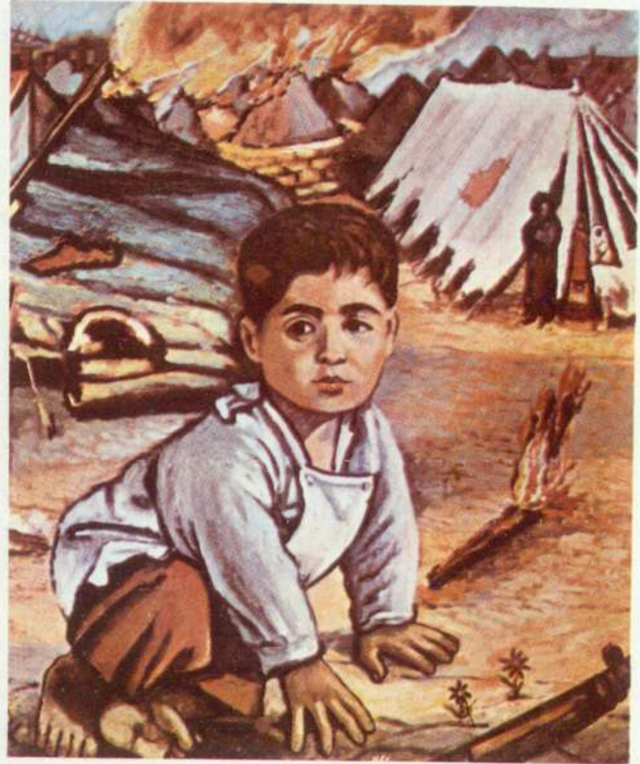
● أبسط الأشياء داخل فلسطين المحتلة : حرق اللوحات الفنية بأمر الحاكم العسكرى !

● من هو الفنان السجين الذى أرسل لزوجته وأولاده من خلف القضبان لوحة « العصفور » الباحث عن الحرية ؟

# العشق المشترك للفنان الفلسطيني



الرحيل



البندقية في الانتظار

## المصادرة الفنية

قلت للفنان أمين شموط : ولكن ، متى بالتحديد بدأت الحركة التشكيلية فى فلسطين المحتلة تنمو وتتجمع لاقامة «المعارض الفنية» ؟

قال لى : بعد عام ١٩٦٧ أخذت الحركة التشكيلية فى الأرض المحتلة من فلسطين تنمو وتتجمع لاقامة المعارض الفنية فى كل مدينة مثل نابلس ورام الله والقدس وغزة وبيت لحم وغيرها من المدن الفلسطينية .. وفى عام ١٩٧٢ شهدت جمعية الشبان المسيحية بالقدس معرضاً مشتركاً لأكثر من عشرة فنانين من الضفة الغربية ومن قطاع غزة .. ثم توالت المعارض

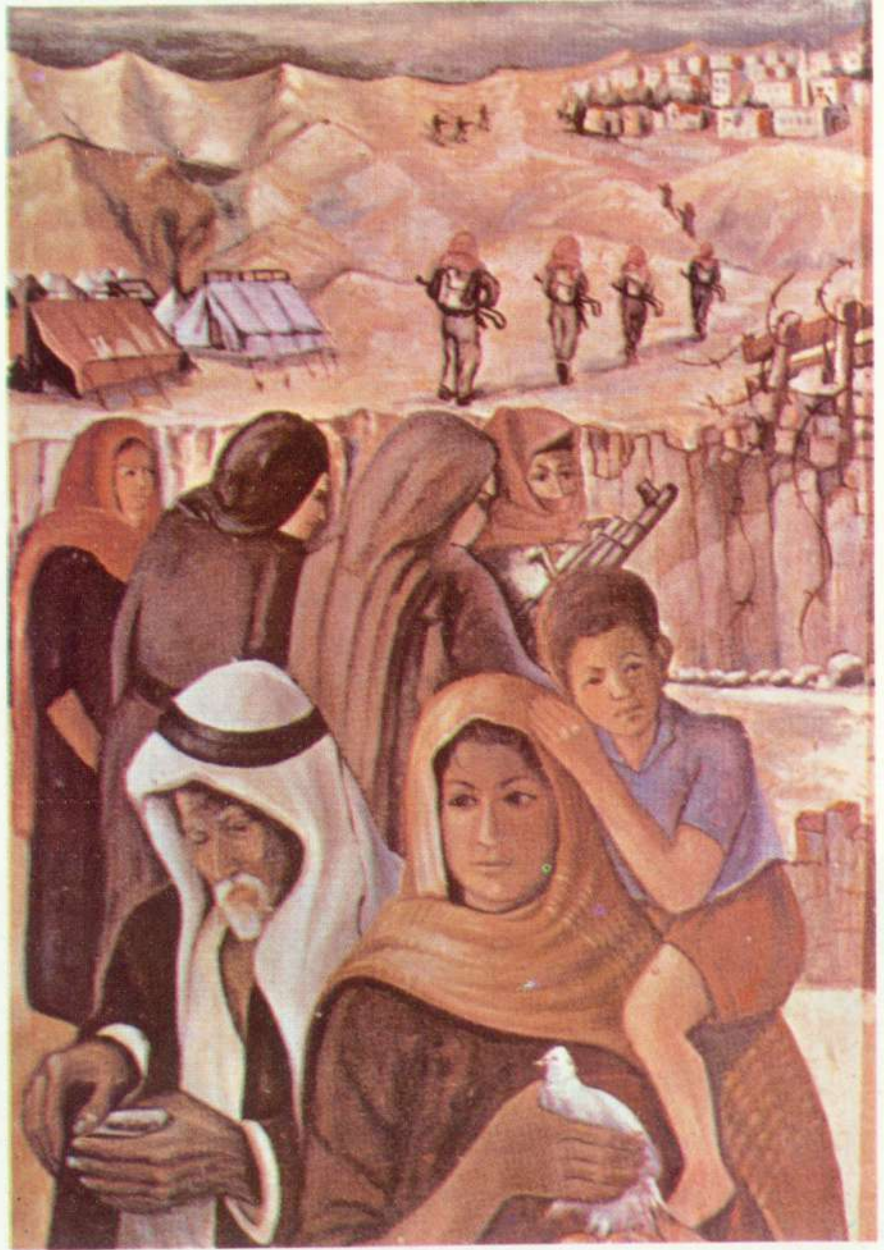
وأخذت البلديات والجمعيات الأهلية تساعد الفنان فى اقامة المعارض ، حتى دعت بلدية نابلس عام ١٩٧٣ لاقامة معرض تشكيلى فى صالة البلدية ، واشترك فيه أكثر من عشرين فناناً ، ولأن هذا المعرض كان يضم أكبر تجمع للفنانين داخل الأرض المحتلة فقد رأينا العدو الاسرائيلى يبادر باعتقال العديد من الفنانين الذين ساهموا فى هذا المعرض ، لادراكه مدى أهمية الدور الذى يمكن أن يساهم به الفن التشكيلى فى مخاطبة الضمير العالمى ..

● وهل توقف الفنان التشكيلي عقب حملة الاعتقالات للفنانين فى عام ١٩٧٣ ؟ ..

ـ بالطبع لا .. وإن كان قد بدأ يحقق معاناته الفنية على لوحات يكدسها فى منزله منتظراً اللحظة المناسبة .. وكان كثيراً ما يلجأ الفنان الى اخفاء لوحاته حتى لا تتعرض للتلف والحرق من قبل سلطات الاحتلال فى حالة العثور عليها ، خاصة بعدما أحرقت سلطات العدو ما يزيد عن ستين لوحة فى غزه عام ١٩٧٨ واغلقت دار عرض (جاليرى ٧٩) فى مدينة رام الله ، وكما تعرف فان الحاكم الاسرائيلى له سلطة الاعتقال والتوقيف ومصادرة اللوحات ، ومن ضمن اختصاصاته ـ أيضاً ـ عدم اقامة المعارض الفنية إلا باذنه ، وتعطيه هذه السلطة حق تفتيش محتويات المعرض ، وهو حريص على مصادرة أية لوحة فنية تحمل الوان العلم الفلسطينى أو تعبر عن وجدان الشعب وتعاطفه مع أرضه !

## مصاعب الطريق

وهنا كان لابد أن أسأل الفنان أمين شموط : هل يعنى استعراضك لتاريخ الفن التشكيلى فى



الانطلاق

فلسطين أنه لم يتبلور إلا بعد الستينات ٠ ؟ ..

ــ نعم .. فالحركة التشكيلية ظهرت وتبلورت بشكل جماعى فى فلسطين فى الستينات بالرغم من المحاولات السابقة والتى تعود الى قبل ذلك التاريخ بسنوات .. فقبل الستينات كانت هناك أيضاً محاولات فردية وجماعية غطت جميع مدن الضفة الغربية وقطاع غزة وحيفا وعكا والناصرة وغيرها من المدن المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد أسهمت هذه المحاولات فى خلق وعى فنى فى داخل الأرض المحتلة ، وكان لاقبال الجمهور وتشجيعه لها أثر كبير فى نفسية الفنان ومحاولته مواصلة الطريق الذى شقه بصدق وموضوعية .. وفى ذلك الوقت كانت ــ أيضاً ــ جميع أعمال الفنانين الفلسطينيين تعبر عن معاناة الانسان الفلسطينى وتطلعاته وطموحه الى استرداد أرضه ، رغم أنه كان يعانى من صعوبة الحصول على الخامة والأدوات اللازمة والمطاردة البوليسية !

## العصفور والحرية

● إذن هل يمكننى أن أتعرف على الفنانين التشكيليين الموجودين داخل السجون الاسرائيلية ٠ ؟

ــ هناك العديد من الفنانين التشكيليين داخل سجون اسرائيل ، وفى مقدمتهم الفنان التشكيلى خالد العمورى الذى يقضى حكماً بالسجن فى عسقلان مدته ١١ عاماً ، وقد شارك فى معرض جماعى فى نابلس فى شهر أيار عام ١٩٨٠ من داخل سجنه ، وكانت مشاركته عبارة عن عشر بطاقات رسمها وأرسلها لزوجته وأطفاله من وراء القضبان ، وتمثل إحدى هذه البطاقات خمسة من العصافير الصغار فى عشهم ينظر اليهم العصفور (الأب) من خلف قضبان القفص الذى وضعوه ــ وحيداً ــ بداخله ، وكانت هذه البطاقة رمزاً من رموز الهموم المشتركة للانسان الفلسطينى الباحث عن هويته الوطنية حتى لو كبلوه بالقيود وحتى لو أذاقوه مر العذاب وهدموا بيته وشردوا أهله !

## المعرض القادم

وانتقلت بعدذلك مع الفنان أمين شموط الى حديث عن الاتحاد العام للفنانين التشكيليين باعتباره المسئول عن نشاطه ، قلت له : باعتبارك مسئول عن الاتحاد العام للفنانين التشكيليين بفرع الكويت ، هل يمكننى التعرف على ملامح الاتحاد العام ونشاطاته ٠ ؟

وقال لى : يتكون الاتحاد العام من أربعة فروع فى الكويت ودمشق وبيروت والأرض المحتلة ، ويتصل بالفنانين التشكيليين فى بلدان أوربا كفرنسا والمانيا وفى بلاد أسيا فى اليابان وباكستان وغيرها .. ويقوم الاتحاد بنشاطات عريضة فى مجال المعارض المختلفة الجماعية ، فقد أقيم معرض ضم أكثر من ثلاثين لوحة فى برلين فى ٦ يونيو عام ١٩٨٠ ، ومازال هذا المعرض حتى يومنا هذا ينتقل بين عدة دول منها بولندا والمجر ويوغسلافيا .. وهو الآن موجود فى مدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا .. وهذا المعرض يضم أعمال أكثر من أربعين فناناً فلسطينياً ، وقد اعتبرته الصحافة فى هذه البلاد « قنبلة حضارية فلسطينية » ..

وهذا بالاضافة إلى أن فروع الاتحاد تقيم معرضاً بصفة مستمرة حسب المناسبات ، ففى الكويت على سبيل المثال أقيم معرض بمناسبة يوم الأرض ، اشترك فيه أكثر من ٣٥ فناناً من الأرض المحتلة من بينهم سليمان منصور وابراهيم سلبا وتيسير شرف ونبيل عنانى وعصام بدر .. وهناك معرض اخر اقامته الكويت واشترك فيه فنانون من الكويت وضم ١٢٠ لوحة كان من بينها خمسون لوحة من الأرض المحتلة تحت شعار : القرية الفلسطينية ..

● إذن فمعرض الفن التشكيلى فى الدوحة ضمن اختصاص نشاط الاتحاد العام ٠ ؟

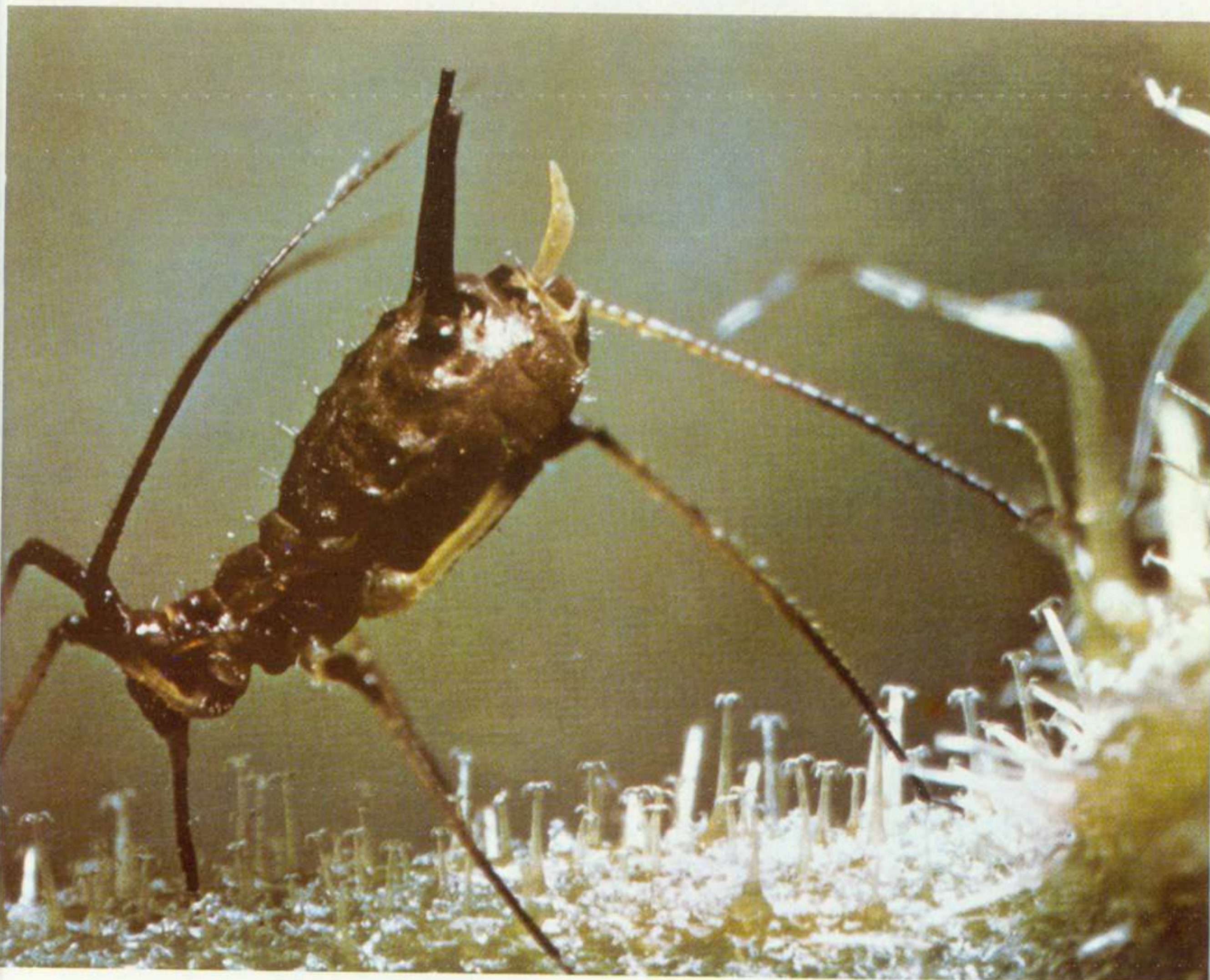
ــ طبعاً .. فقد ساهم الاتحاد العام بستين لوحة شاركت فيها فروع الاتحاد الأربعة وخاصة فرع الأرض المحتلة الذى اشترك باحدى عشر لوحة تمثل القرية الفلسطينية ، وقد عرضت اللوحات ضمن الاسبوع الثقافى الفلسطينى الذى استضافته دولة قطر ، وكان إطلالة واعية فى قلب الدوحة التى غدت منتدى عربياً أدبياً وفنياً ، فالمعرض يسهم فى ابراز الوجه الحضارى للانسان الفلسطينى ، وكل أملى أن يكون المعرض القادم فى دولة قطر بالمشاركة مع الفنانين القطريين وتحت شعار « القدس عربية » ..

والى هنا ينتهى حوارى مع الفنان الفلسطينى أمين شموط ، الذى أتى الينا بلوحات تحمل خفقات قلب الفنان وهى تنبض بحب الوطن وعشق ترابه ..

حسن الملا

# وما الحياة إلا آكل ومأكول!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح



بداية حلقات سلسلة الطعام نبات ، وعليه تتغذى حشرة المن الصغيرة ( مكبرة حوالى ٣٠ مرة ) فتغرس خرطومها لتسحب عصارته ، لكن من يأكل المن بعد ان اكل ؟ .. انظر الصورة التالية !



يوضح هذا الرسم ان الحياة تقوم على سلاسل متشابكة من الطعام .. وانها تتخذ شكلا هرميا فى قاعدته توجد الكائنات الطحلبية لتصبح طعاما لما فوقها من حيوانات قشرية تتغذى عليها الأسماك ثم تاتى الكائنات الأكبر ومنها الانسان ، لتاكل ما تحتها بما اكلت ، لكن لابد ان تهدم القمم وتتحول إلى قواعد لتدور الدورة باكلين ومأكولين .

قد يأكل الدعسوقة طير قد يستهلك منها المئات ، أو تأكلها حشرة اكبر منها ، ثم تأتى التى لتؤكل ، تروح فى بطن حشرة فرس النبى أو جمل اليهود ، فيقطع لحمها بفمه الذى يشبه المنشار ، لكن كل من اكل لابد ان يؤكل ! .. انظر الصورة التالية .

لو اننا تأملنا بعين العقل فى هذا الطوفان الدافق من ملايين الأنواع من المخلوقات فلابد ان نتوصل الى حقيقة أزلية وبسيطة .. وهذه الحقيقة تتمثل فى ظاهرة ملموسة قوامها التجدد ، اى التى يحل فيها الجديد محل القديم .. لا يختلف فى ذلك الانسان عن الحيوان والنبات والميكروب وسائر أنواع المخلوقات ، ما ظهر منها وما بطن فحيث تروح كائنات ، كان لابد ان تعوض بكائنات جديدة ليكون للحياة صفة الاستمرار فى الزمان والمكان ، وعلى مستوى الأنواع لا الأفراد ، وهكذا تستمر الحياة فى ديناميكية هادرة متجددة ، لتدور عجلتها بمخلوقاتها دورات لا تتوقف أبداً ، اللهم الا إذا حلت بهذا الكوكب كارثة لا تبقى فيه ولا تذر !

ولكى تدور العجلة ، فلابد من طاقة تغذيها ، وللطاقة مصادر ، ومن مصادرها الكائنات ذاتها ، ولهذا تسلط بعضها على بعض فى صراع أبدى ، ليحصل كل كائن على طاقته التى توقد فيه جذوة الحياة ، وكان لابد – والحال كذلك – من تقسيم الكائنات الى أكل ومأكول ، أو قاتل ومقتول ، أو مستهلك ومنتج ، أو قوى وضعيف ، الى آخر هذه المتناقضات التى يبدو فى ظاهرها الظلم والقسوة ، لكن فى باطنها يكمن العدل والرحمة ، ربما مصداقاً لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .. وما يسرى على الناس ، يسرى على سائر المخلوقات !

# وما الحياة إلا آكل ومأكول!



فكانما الحياة تضع مخلوقاتها دائماً فى مأزق صعبة ، اذ ما أصعب ان يتربص كل كائن ، بكل كائن آخر ليقتله فياكله ، والا فكيف تعيش الكائنات اذن دون ان تاكل ، لتحصل على طاقتها التى تقيم بها أودها ؟

لابد اذن أن ياكل الجميع على مائدة ضخمة واحدة ، ولا يهم ان تكون تلك المائدة منصوبة فى الغابات او البحار ، أو ما تحت الثرى ، أو ما فوق الثرى ، لكن كل من أكل ، فلابد ان يؤكل ، طال الزمان أو قصر !

ومن هذا الصراع الأزلى بين الآكل والماكول ، كان لابد من مناورات وحيل وتربص وخداع وهروب واختفاء وتصرف وحذر ، ومن خلال هذا التفاعل القائم بينها من قديم الزمن ، تصهر الكائنات وتصقل ، وليكون البقاء فيها للأنواع القوية الصامدة اما المتخاذلة والمتواكلة ، فالى الانقراض او الجحيم ، ذلك ان الحياة تحب الأقوياء وتناصرهم ، وتخذل الضعفاء ، وتتخلى عنهم ، فكانما الحياة فى مشوارها الطويل تنشد القوة والصمود والتجدد ، والتجدد تطور ، والتطور يسرى إلى الأحسن دائماً ، وتاريخ الحياة على الأرض خير شاهد على ما نقول !

## سلاسل متشابكة

الموضوع لاشك طويل ومتشعب ومثير ، ويحتاج الى دراسات ودراسات ، من أجل هذا سوف نقدم هنا جانباً واحداً يتناول فئات الآكلين والماكولين ، وكيف توجه الحياة دفتها بدقة بالغة ، لتوازن بين الانتاج والاستهلاك ، حتى تيسر لكل نوع من المليونين ونصف مليون نوع طعامه الذى يناسبه .



تأتى الضفدعة لتلتهم الحشرات الأكبر كفرس النبى أو اليعسوب، وتسير حلقات السلسلة صعوداً نحو كائنات اكبر

ان الانسان نوع وحيد وفريد ، وهو بعقله المدرك يستطيع أن يروض كل ما فى الأرض لنفسه ، فينوع فى طعامه وشرابه وملذاته بما لا يستطيعه اى كائن آخر ، فلننظر الى موائده وهى زاخرة بكائنات كانت تاكل قبل ان تؤكل ، ولنلتقط منها صنفاً ، وليكن ذلك شريحة سمك يبلغ وزنها نصف الكيلوجرام ، ومن الممكن ان يلتهمها انسان ، فلا يزيد وزنه منها الا بمقدار ٥٠ جراماً ، اذ اننا لا نستفيد بكل ما ناكل ، بل تذهب نسبة كبيرة بين نفايات واحتراق وترميم المهدوم من الأنسجة وما شابه ذلك ، ولو استفدنا بكل ما ناكل ، وصار فى اجسامنا مخزوناً ، لبلغنا النخيل طولا ، والحيتان كتلا ، وهذا ما لا نراه حقاً وصدقاً !

ان شريحة السمك التى تزيد فى وزن الانسان خمسين جراماً ، كانت فى الأصل خمسة آلاف كيلوجرام من الطعام ، أو بالتحديد كانت كائنات بحرية دقيقة تعرف باسم الطحالب ، وهى بمثابة المراعى البحرية غير المنظورة التى تعيش عليها كل الحيوانات البحرية ، ما صغر منها وما كبر ، وكل كائن منها ياكل ما قبله أو ما تحته ، وبحيث يبدو أن الكائنات جميعاً تنتظم فى شكل اشبه بهرم متدرج ، قاعدته المراعى المائية الدقيقة ، وقمته الحوت أو هذا الانسان الجالس الى المائدة . وما بين القاعدة والقمة يتدرج الانتاج والاستهلاك على هيئة حلقات تضيق كلما ارتفعنا الى أعلى ، وطبيعى ان قاعدة الهرم هى الأساس وفيها يتراص أكبر عدد من وحدات البناء ، ثم قد ينتهى الهرم عند قمته بوحدة بنائية واحدة ، وهذا بالضبط ما نراه فى سلاسل الطعام ، ولكى نوضح ذلك اكثر ، فلابد من تقديم مثال .

ان خمسة آلاف كيلوجرام من الطحالب

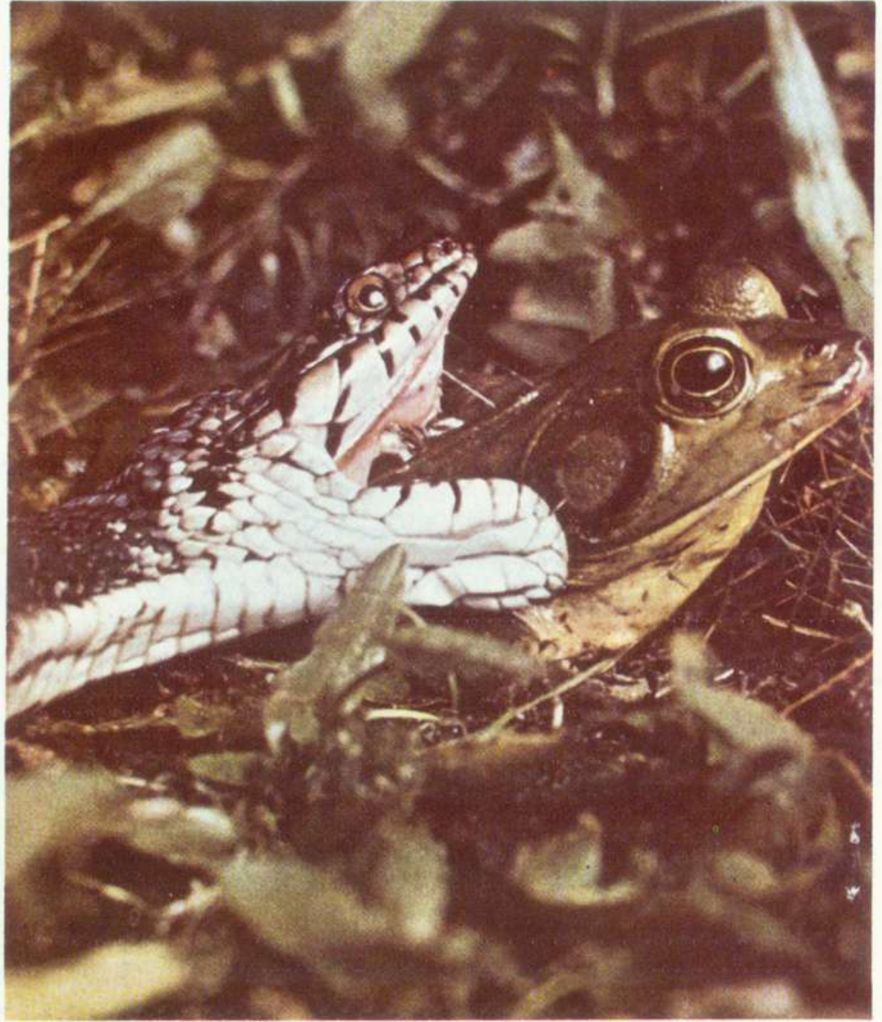
على ان سلاسل الطعام قد تكون ابسط من ذلك ، فقد تتكون من حلقتين فقط .. النبات حلقة ، والانسان أخرى .. اى من المنتج الى المستهلك رأساً ، فنحن ناكل النبات على هيئة فاكهة وخضروات وحبوب وثمرات ، او قد تدخل بين الحلقتين حلقة اخرى وسيطة ، فالخروف مثلا ياكل النبات ، ونحن ناكل الخروف ، أو قد تكون أربع حلقات .. الأرنب يعيش على النبات ، ويأتى الثعلب لياكل الأرنب ، ثم يفترس النمر الثعلب ، وياكله بما أكل !

وطبيعى ان دخول حلقات وسيطة بين المنتج والمستهلك ، تؤدى الى فاقد كبير فى الطاقة المخزونة ، لأن الكائنات لا تستفيد بكل ما تأكل ، وهذا ما أوضحناه فى مثلى الانسان والحوت ، لأن « السلعة » الغذائية عند القاعدة تمر بعدد من الآكلين ، وكل يأكل ما تحته ، أو ما هو اصغر ، فلا يزيد وزن الآكل إلا بجزء ضئيل مما أكل ( حوالى العشر فقط ) .

ولاشك ان النباتات البرية أو البحرية ، تمثل دائماً بداية الانتاج ، وهى أول حلقة من حلقات الطعام ، لأنها تستفيد بالطاقة الشمسية ، وتحولها الى طاقة كيميائية مخزونة فى كل ما تنتج من اخشاب وحبوب وثمرات وزيوت .. الخ ، وعلى هذا المخزون من الطاقة ، تعيش كل الحيوانات ، بما فى ذلك الانسان ، وتهدم ما تأكل ، لتحرر الطاقة التى تهبها الحياة .. اذ لا حياة بدون طاقة .

ولابد أن يتيسر لكل كائن طعامه على حساب كائن آخر ، فالنوع ( ا ) قد يستطيب طعم النوع ( ب ) ، الذى يقع بدوره ضحية للنوع ( ج ) الذى يتربص به النوع ( د ) الذى يقع فريسة للنوع ( هـ ) .. الخ ، ومع ذلك فعلينا ان نوضح ذلك بعدد من الصور لنبين بها كيف تراكبت الحلقات ، ليكون هناك دائماً آكل ومأكول !

على معظم النباتات تعيش جيوش هائلة من حشرات غضة صغيرة تعرف باسم المن النباتى ( حوالى ٣٠٠٠ نوع ) ، وهى تمتص عصارة النبات ، وقد تسبب خسارة فادحة فى المحصول ( شكل ١ ) ، لكن ذلك قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان هناك انواعاً كثيرة من الحشرات تأكل المن النباتى بما أكل ، منها على سبيل المثال الحشرة المعروفة باسم « ابى العيد » أو الدعسوقة ( حوالى ٣٤٠٠ نوع ) ، فهى تستطيب امتصاص ما فى جسم المن من رحيق أو عصارة ، ولهذا تستهلك يرقة ابى العيد ( اى طور الدودة ) وحدها حوالى ٥٠ ضحية يومياً ، والحشرة البالغة تستهلك عدداً أكبر



بينما الضفدعة تهضم وليمتها ، تأتيها مصيبة على هيئة حية تسعى فتأكلها ـ كما ترى هنا ـ بما أكلت

الخضراء يمكن ان تعيش عليها حيوانات قشرية أو مجدافية صغيرة ، أو حتى ذرية السمك التى خرجت من بويضاتها ، وبهذه الكمية الضخمة من الطحالب يتكون حوالى ٥٠٠ كيلوجرام من الحيوانات التى ذكرناها ثم تأتى سمكة مثل « الهف » ( وهى الاحجام الصغيرة ) لتعيش على ما قبلها من كائنات صغيرة ، فيزيد وزنها إلى ٥٠ كيلوجراماً ، ثم تصبح سمكة الهف طعاماً لسمكة اكبر هى « البيكيريل » ، فتتحول الخمسون كيلوجراماً من الهف ، الى خمسة كيلوجرامات من « البيكيريل » ، وتأتى اسماك التونة الكبيرة لتاكل البيكيريل بما اكلت ، فتصبح الخمسة كيلوجرامات نصف كيلوجرام لا غير ، وهى التى رأيناها قبل ذلك على احدى موائد الانسان ، فيأكلها بدوره ، لتزيد من وزنه ٥٠ جراماً .. اى ان الانتاج عند القاعدة بدأ بخمسة اطنان ، وانتهى فى الانسان بخمسين جراماً ، اى بنسبة مائة ألف إلى واحد !

وفى كتابه القيم « انت والكون » يقدم لنا البروفيسور ن .ج . بيريل سلاسل الطعام أو حلقاته بصورة أخرى فيقول : ان الحوت الأحدب ـ وهو ليس من الحيتان الضخمة على أية حال ـ يحتاج فى الوجبة الواحدة الى ما يعادل طناً من أسماك الرنكة ( من جنس السردين ) لكى يحس بالشبع ، وهى كمية تحتوى على ما يقرب من خمسة آلاف سمكة ، وكل سمكة تحتوى فى جوفها على حوالى ستة أو سبعة آلاف حيوان قشرى صغير ، وكل حيوان قشرى بدوره يحتوى فى امعائه على عدد من الطحالب الدقيقة قد يصل إلى ١٣٠ الف طحلب ، أو بمعنى آخر ، فان اربعمائة ألف مليون طحلب ، تكفى بالكاد لاعالة حوت متوسط الحجم بوجبة واحدة تكفيه عدة ساعات !



# وما الحياة إلا آكل ومأكول!



فى القمة يدور صراع رهيب بين الآكل والمأكول .. بين الحية والنسر وغالبا يتغلب النسر على الحية بما أكلت وأكلت وأكلت .. الخ

( شكل ٢ ) ، وقبل ان تهنأ هذه أو تلك بوليمتها ، يأتيها من يلتهمها .. إما طير ، واما حشرة أكبر هى اليعسوب أو الرعاش ، وقد يقع هذا فى براثن من لا يرحم ، إذ تأتيه حشرة فرس النبى ( أو جمل اليهود أو السرعوف ) ، فتأكله قضمة من وراء قضمة ، الى ان يروح فى خبر كان ( شكل ٣ ) ، وقد يقابل اليعسوب أو السرعوف ضفدع جائع فيأكل هذا أو ذاك بما أكل ( شكل ٤ ) ، وما دام الضفدع قد اكل ، فلابد ان يدخل فى الحلقة ليؤكل ، اذ يأتيه « جزاره » على هيئة حية تسعى ، فتأكل الضفدع ( شكل ٥ ) ، وفى النهاية تقع الحية وليمة لصقر أو نسر ، وتدور بينهما معركة ( شكل ٦ ) ، وغالبا ما يتغلب النسر ، فيحمل وليمته بما اكلت واكلت واكلت .. الخ ( شكل ٧ ) ، اى نباتا فى دعسوقة فى يعسوب فى سرعوف فى ضفدع فى حية فى نسر ، وبهذا يحتل النسر قمة الهرم !

## القمم تتحول الى قواعد !

ولاشك ان الجالسين فى قمم النظم الهرمية لسلاسل الطعام هم اقوى الكائنات غالباً ... فالانسان قمة ، بل هو قمة القمم ، لأنه ـ بعقله المدرك ـ يستطيع ان يروض كل خلق آخر لحسابه ، بما فى ذلك النسور أو الصقور أو النمور أو الأسود ، وهى التى يطلق البعض عليها اسم « الملوك » .. فالنسر ملك الطيور ، والأسد ملك الغابة ، والحوت ملك البحار ، أو ما شابه ذلك ، والانسان هو سيدها جميعاً !

لكن .. هل يدخل هؤلاء الجالسون على القمم فى سلاسل الطعام ؟

بالتأكيد نعم .. فكل من يأكل ، لابد ان يؤكل ، طال الزمان أو قصر !

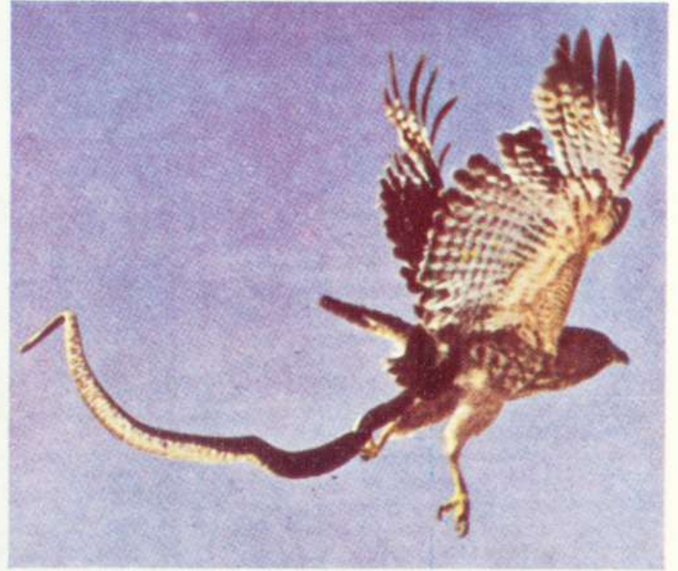
ان الانسان بين المخلوقات ـ هو قمة القمم ، وله عوامل او اعداء تنال منه ، وتدخله رغماً عنه فى الحلقة ، فقد يصبح الانسان عدو نفسه بحروب لم تخل الأرض منها فى اية حقبة من الحقب ، أو بامراض واوبئة ومجاعات وحوادث وشيخوخة تؤدى الى موت لا مفر منه ولا مهرب ، ولابد ان يعود الى الأرض ، فيأكله الميكروب ـ أضأل مخلوق يعيش على هذا الكوكب .. لقد ظل الانسان يأكل ويأكل سنوات طويلة ، لكن الميكروب يأكله ويحلله فى أيام قليلة ، فيتحول جسده الى غازات وعناصر وتراب .. فمن التراب قد نشأ ، والى التراب يعود ، وكذلك كل مخلوق آخر صغر شأنه أو كبر ، فكل هؤلاء غنيمة ميسرة على مائدة الميكروبات التى تصيبهم احياء ، ثم تحللهم أمواتا ، وعلى عناصر الأموات يتغذى النبات ، وهكذا تدور الدورة مرة ومرة ، كما دارت قبل ذلك ملايين وبلايين المرات ( شكل ٨ ) .

ان كل دورة تجعل من قمة الهرم قاعدة ، أو من النهاية بداية ، أو تقلب الأمور لتجعل اعلاها اسفلها ، ولقد كان النبات بداية يأكل منها الميكروب والحيوان والانسان ، ثم تظل حلقات سلاسل الطعام تدور بينها ، فيكون لكل كائن حى طعامه الذى يناسبه ، وسواء وصل الى القمة ( كما فى الانسان أو الأسود أو النسور أو الحيتان .. الخ ) ، أو احتل درجات بين القمة والقاعدة ( كالضفادع والأرانب والحشرات والحيات .. الخ ) ، فلابد ان يعود الكل الى التراب ، فيأكل النبات عناصر كل من اكل عناصره ، لتبدأ الحلقات من القاعدة الى ما فوقها .. « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » .. « قل هو يبدىء ويعيد » .. انها دورات فى أثر دورات ، « لكن أكثر الناس لا يعلمون » !

## دورات موزونة

ثم ان كل شىء مقدر تقديراً حسناً ومتقن من البداية ، وبحيث يسترد كل كيان وديعته التى منه قد راحت ، فالنبات يسترد وديعته من الحيوان ، والأرض تسترد عناصرها التى امتصها النبات ، فأخذها الحيوان ، وعاش ومات وعاد ، وكأنما شعار الحياة هنا « مات الحيوان .. عاش النبات أو العكس ، لأن الموت حياة ، والحياة موت ـ بمعنى ان موت اى كائن ، هو حياة لكائن آخر ، فكل الطعام اموات .. انها كائنات تعيش على اشلاء كائنات ، أو عناصر ومركبات تنتقل من اجيال زائلة ، لتحل فى اجيال قادمة ، فيكون التجدد والتجدد قوة وحياة يا أولى الألباب !

قلنا أن الأرض لابد ان تسترد وديعتها التى سلبت منها ، فاذا حدث ما اعاق هذا المبدأ ، فلابد ان تفلس الأرض وتبور ، اذ ان اية بيئة أو أى نظام من النظم ، لابد ان يقوم كيانه على مبدأ الأخذ والعطاء ، ولا يمكن ان تستقيم الأمور مع اخذ مستمر ، أو عطاء مستمر ، بل لابد من حلقة اتصال توصل بينهما ، لتعيد كل شىء الى توازنه ،



يحمل النسر ضحيته الى عشه وافراخه ، فيصبح النسر قمة الهرم أو آخر حلقة كبيرة فى السلسلة ، لكن .. لابد ان يموت فيؤكل .



الصورة لميت دفن تحت شجرة ، وامتدت جذورها نحوه لتأكل من عناصره فكأنما من التراب خلقنا جميعاً والى التراب نعود فى دورات لا تتوقف ابداً

لأن الخلل فى بيئة من البيئات ، يؤدى الى فوضى لا تستقيم معها أمور الحياة ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ، وقد نعود إليه فى دراسة أخرى قادمة ، لنوضح ان ما خفى كان اعظم .

خذ على سبيل المثال عالمى البر والبحر ، لنوضح بهما بعض ما قدمنا فاوجزنا ، فنحن نستنزف من المسطحات المائية عشرات بل مئات الملايين من أطنان الكائنات الحية فى كل عام ، ما بين اعشاب بحرية ، واسماك ورخويات ومحاريات .. الخ ، ولو استمر الحال على هذا المنوال ، فربما يفلس الماء فى العناصر التى تدخل فى تكوين احيائه ، لكنه لن يفلس ، رغم ضخامة الاستنزاف ، فلقد دبرت الأمور تدبيراً حسناً ليسترد البحر وديعته دون ان يتدخل احد فى ذلك ، فمن البحار والمحيطات يتصاعد الماء بخاراً ، فيتكون سحاباً ، ثم يسقط امطاراً ، لتكون جداول وبحيرات وانهاراً ، ولاشك ان الأمطار تغسل البر ، وتذيب بعض عناصره التى تحتوى على شىء من عناصر الأموات ، أو رفات الكائنات التى اكلت والتى لم تاكل من خيراته ، ثم يعود الماء بما حمل ، ليصب الوديعة فى البحار من خلال الأنهار ، فكأنما هو ايضاً أكل وماكول .. ناكل منه ، وياكل منا ولكل شىء هنا حساب ومقدار !

## ما بين انتاج واستهلاك !

ولقد تأسست الحيـــــاة على مبدأين اساسيين ، أولهما : عليك أن تاكل قبل أن تؤكل ، وتناسل وتكاثر ، ليبقى للأنواع صمودها واستمرارها عبر الزمان والمكان .

ولكى تتوازن معادلة الحياة بين اكل وماكول ، أو مستهلك ومنتج ، كان لابد ان تسير معدلات التناسل بموازين مضبوطة ، حتى يكفى الانتاج ما يتطلبه الاستهلاك .

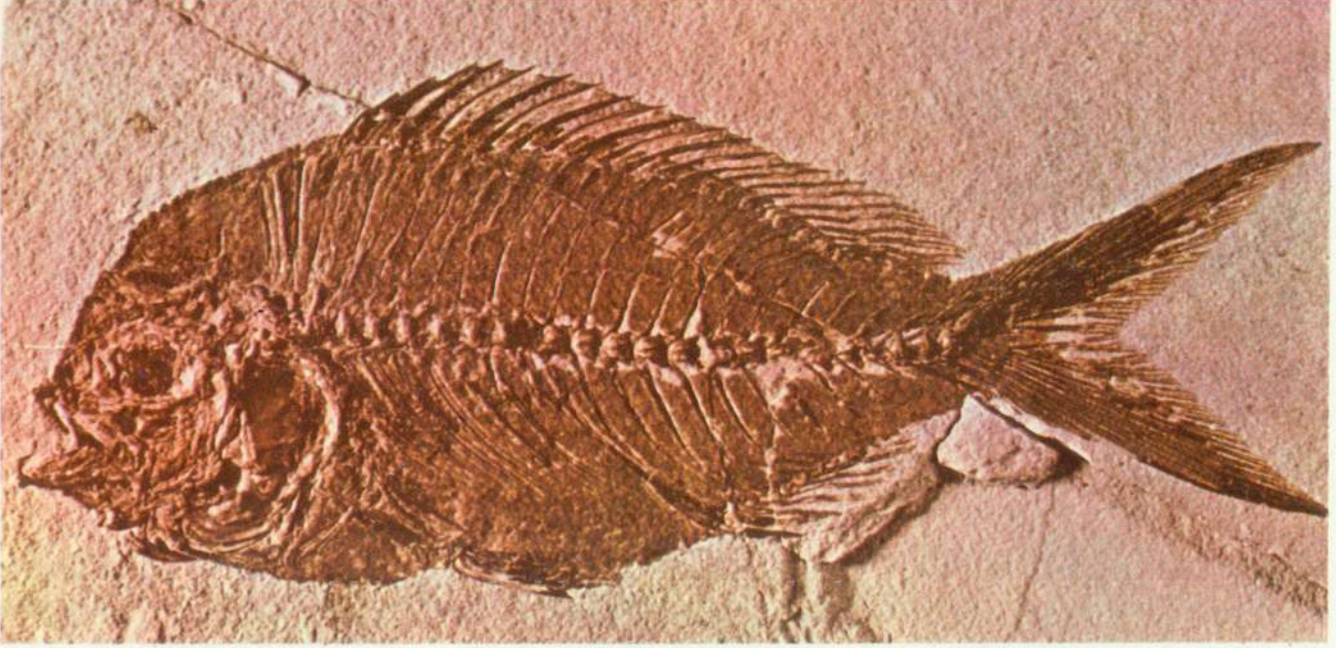
خذ لذلك مثالا بالحوت الذى قدمناه من قبل ، انه هنا بمثابة المستهلك ، ولابد أن يأتيه الاستهلاك على هيئة حلقات من الطعام ، وكل حلقة تأكل ما قبلها ، حتى تصل الى الكائنات النباتية الدقيقة المعروفة باسم الطحالب ، فهى المصدر الأساسى لاطعام كل الحيوانات البحرية .. بداية من الكائنات الصغيرة ، ونهاية بالكائنات الكبيرة ، ولاشك ان الطحالب تكون القاعدة الكبيرة والعريضة فى سلاسل الطعام ، ورغم كونها صغيرة جداً ، الا انها تتكاثر بسرعة رهيبة جداً ، فتنتج بلايين البلايين من الأفراد ، والبلايين تكفى للملايين التى فوقها من حيوانات قشرية صغيرة ، ولابد ان يكون معدل التناسل فيها اقل من الطحالب بدرجات ، ثم تاتى التى فوقها لتاكل منها الملايين ، فتكفى لانتاج الآلاف ، وتاتى الأسماك لتأكل الآلاف ، لكنها تتكاثر بالمئات ، وأخيراً نصل إلى الحوت الذى يتكاثر بمعدل ضئيل للغاية ، ربما حوت صغير واحد فى كل عام !

ومن الأسماك ما يضع بيضه بالملايين ، فتأكل الكائنات نسبة من هذا البيض ، لأنه غذاؤها المفضل ، وعندما يتمخض البيض عن اسماك صغيرة ، فان نسبة كبيرة تروح فى بطون الأسماك الكبيرة ، وعندئذ لن يتبقى من الملايين الا الآلاف أو المئات ، ولولا هذا التحديد من البداية ، لما وجدت الملايين ما تأكله ، اذ لابد ان يتعادل الانتـــاج مع الاستهلاك .

والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، وهى تشير الينا ان المخلوق كلما زاد حجمه ، وكثر استهلاكه تضاءلت معدلات نسله ، وكلما صغر شانه تضخمت ذريته .. فالميكروب مثلا يستطيع ان يعطى ثلاثة اجيال متعاقبة كل ساعة ، وبعد يوم واحد تصل ذريته الى بلايين فوق بلايين ، وهو لا يستمر فى حياته على هذا المعدل ، اذ لو حدث ذلك ، لتغطت الارض كلها بطبقة من الميكروبات فى غضون يومين اثنين ، لكن هناك عوامل كثيرة تتدخل فى التناسل ، وتحد من معدلاته ، فيجد كل نوع من المليونين ونصف المليون نوع من الكائنات التى تزخر بها الأرض فى برها وبحرها طعامه المقدر والمناسب ، وليكون هناك دائما أكل وماكول ، ومستهلك ومنتج ، وقديم وجديد ، وصراع وصمود ، وتوازن محمود ، ليسير كل شىء حسب خطط مقدرة وقوانين محددة ، وشرائع مقننة .. وفى ذلك الكفاية لقوم يدركون فيفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح

المعرض الجيولوجي في متحف قطر الوطني
أول معرض من نوعه في الوطن العربي



هذه البقايا المستحجرة لهذه السمكة، عاشت فى بحار «الايوسين» منذ خمسين مليون سنة فقط.. ويطلق عليها علماء «الباليانتولوجيا» اسم «باقيلاس ما يكرودون»!

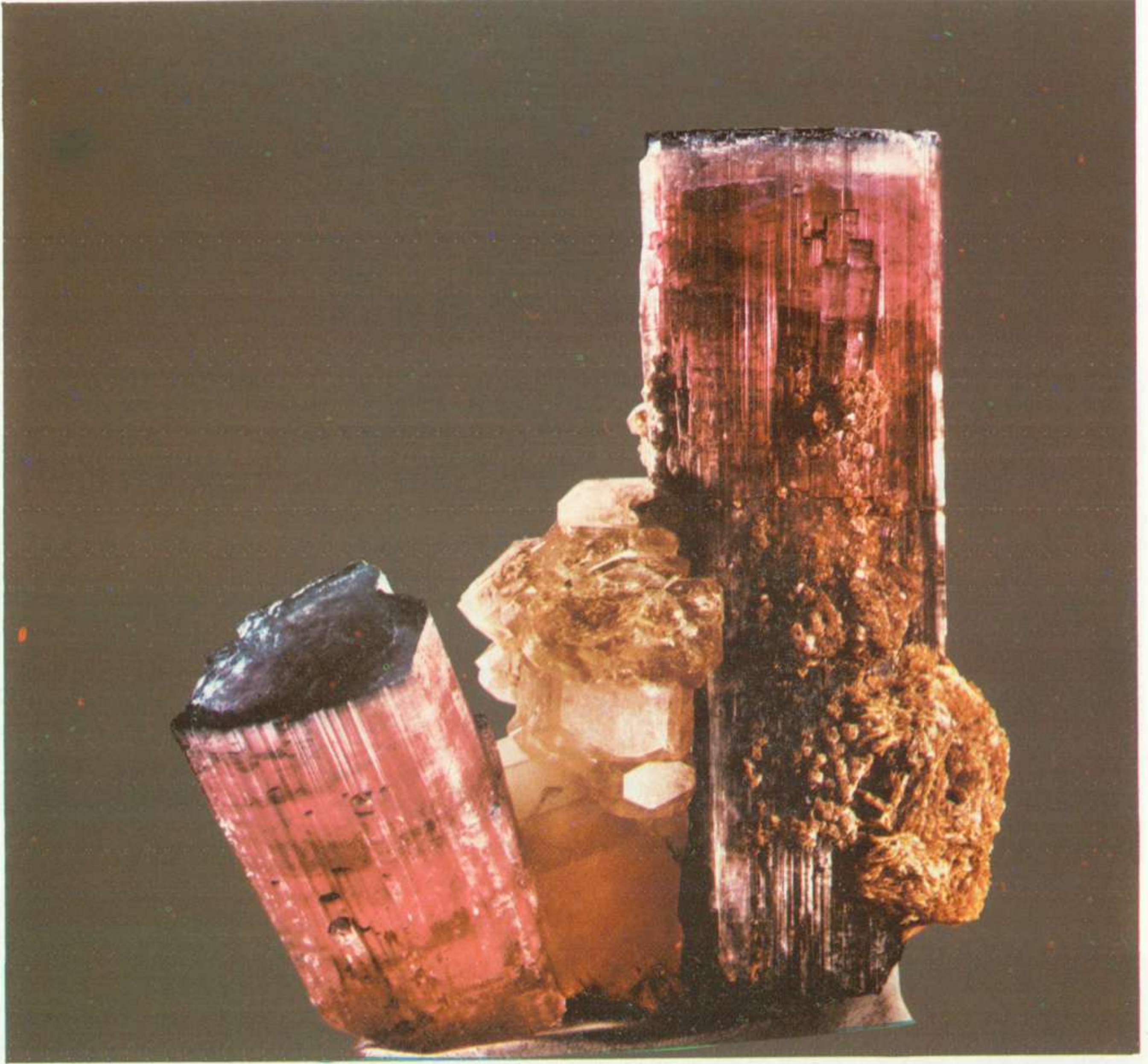
# أسماك وقواقع ومحارات عاشت منذ ملايين السنين!

بقلم: درويش مصطفى الفار

هذا أول معرض من نوعه فى العالم العربى.
فلقد جرت العادة أن تكون المعارض فنوناً، أو مطبوعات، أو أزياء.. إلى آخر ما تنتجه وتبدعه يد الانسان، ترويجاً لسلعة، أو تكريماً لمبدع.

لكن وزارة الاعلام فى دولة قطر، باعتبارها احدى الدول العربية الجيولوجية، هى التى شغلت باقامة هذا المعرض الفريد من نوعه، إذ قامت بتوجيه الدعوة إلى الجيولوجى الدكتور عبد الهادى أحمد المقيم فى كولونيا بألمانيا الغربية، لاقامة معرض جيولوجى عن الصخور والحجارة والمعادن والحفريات المستحجرة من الأسماك والقواقع والمحارات التى عاشت فى بحار الأرض منذ ملايين السنين، وعن أنواع اللؤلؤ الطبيعى والمستزرع، مع ما يقارب ١٥٠٠ عينة من مختلف أشكال البللورات الطبيعية للمعادن والخامات.

ان هذا المعرض الفريد يقام تحقيقاً لنشر الوعى الجيولوجى فى البلاد العربية البترولية. وذلك بعرض مصنوعات فطرها الله فى قشرة الأرض مما لا تتيسر رؤيته للانسان العادى فهو عمل جديد بالنسبة للمعارض العربية.
فعندما يرى الانسان بلورة من معدن البيريك أو المرو أو أي خامة معدنية فانه دون شك يتأثر تأثراً بالغاً لا يكاد من وطاته ان يصدق أن هذا الشيء الذى أمامه نتيجة طبيعية لتفاعلات مكونات القشرة الارضية، كما أن القليل من الناس يدرك أن الله سبحانه وتعالى قد أوجد المخلوقات في البحار منذ ملايين من السنين تعد بالمئات والالاف مما يعطي للانسان عمقاً فى التصور بالنسبة لعمر هذا الكون، فضلا عن أن تعدد الألوان وتنوعها واختلاف درجات البريق واللمعان ودقة الخطوط والزوايا فى تلك الجوامد التى تتركب منها الأحجار والصخور قد لا يكون واردا فى تصور الانسان العادى، فاذا ما اتيحت له الفرصة أن يراه فلابد، وأنه



ليس هذا هو الياقوت ، ولكنه نوع من « التورمالين » يسمى « الروبيلايت » .. إنه إلى جانب جماله له خواص الكترونية عجيبة

يفيد وجدانه وينمى قدراته على التصور ..

وفى هذا المعرض يزول الغموض الذى يكتنف أحياناً فكر الانسان العادى الذى لم يتعرض للتعرف على الجيولوجيا ، العلم الذى نكتشف به البترول والثروات المعدنية ... من حيث الخلط بين المعدن والفلز والحجر والصخر ...

فالفلز عنصر كالحديد والنحاس والذهب والمعدن مركب طبيعى ، من غير مصدر حي ، يتألف من اتحاد عناصر مع بعضها اتحاداً كيماوياً ... ومن معدنين فأكثر يتكون الصخر أو الحجر .. وأحياناً يكون المعدن عنصراً واحداً كالكبريت ، وأحياناً يكون الصخر من معدن واحد كأحجار الجبس والصخور نارية متبلورة أو رسوبية ناجمة عن صخور سبقتها فى الوجود تحللت وانتقلت وترسبت تحت الماء أو الهواء ومتحولة اعادت الحرارة والضغط أو احدهما ترتيب معادنها فصارت شيئاً اخر غير أصلها.

أما مقيم المعرض فهو الدكتور عبد الهادى مصيلحى أحمد من مواليد الاسكندرية ، وممن اغتربوا فى طلب العلم فى المانيا الغربية ، وأبلوا هناك بلاء حسناً أثبت قدرات الانسان العربى العلمية حيثما حط به الرحال ، وعقب حصوله على الدكتوراه فى علم المعادن (المينارولوجيا) فى تعديل طريقة صناعة بلورات الياقوت لاستخدامها فى أشعة الليزر ، وهى الطريقة المسماة طريقة (فيرنوي) ، عقب ذلك استقر به المقام فى كولونيا وأخذ فى جمع العينات المعدنية والصخرية والحفريات المستحجرة من جميع أنحاء العالم ، وأسس هيئة لمد الجامعات والمتاحف والهواة بمجموعات الصخور والمعادن والبللورات والأحجار الكريمة وما اليها من مكونات قشرة الأرض ، لنرى عقب ذلك كل هذا النتاج النادر فى صورة علمية متسقة .

درويش مصطفى الفار

إذا لم تجد الياقوت، فيمكنك استخدام هذه الأنواع من الجارنت أو المقيق، التى تتعدد ألوانها، ويمكن استخدام الأحمر منها نيابة عن الياقوت ويستخدم – أيضاً – فى الالكترونيات وفى أعمال الصقل والتلميع، ويصنع الآن شبيه له فى المعامل

## أسماك ومواقع ومحارات
### عاشت منذ ملايين السنين!



اللؤلؤ (الصناعى) المستزرع .. لاتدرك الفرق بينه وبين اللؤلؤ الطبيعى الا عين الخبير المدقق واللؤلؤ الطبيعى اشتهرت به قطر منذ قرون عديدة، ومنه صُنع لزبيدة زوجة هارون الرشيد ثوب كامل كان آية فى الإبداع والجمال كما تقول كتب التراث

عرف الأقدمون الزمرد ، واعتقدوا أنه ذو صفات غيبية دفعتهم إلى التنافس فى اقتنائه ، حتى قيل أن إحدى الشخصيات الهامة فى العصر الفاطمى كانت تملك بضعة كيلات من قصبات « بللورات » الزمرد .. والزمرد أصلا يتكون من سليكات البريلليوم والألومنيوم ، ولكن خضرته تعود إلى شائب من الكروم !



الياقوت الأحمر .. إنه اثمن من الماس فى بعض الحالات اذا كان طبيعياً صافياً أحمر كدم الحمامة كما يصفه العالم أبو يوسف التيفاشي . اليوم يصنعونه بصهر أكسيد الالومنيوم بطريقة (فيرنوى) فلا يساوى القيراط منه بضع دولارات .. الى جانب أهميته فى الحلى فهو أهم من أشعة الليزر ذلك المستحدث العلمى العجيب !

انواع من المرو ، البللور الصخرى ، ما أكثر أنواع المرو . الأسود والوردى والذى لا لون له ...

## أسماك وقواقع ومحارات
### عاشت منذ ملايين السنين!



هذه البللورات كان المصريون القدماء يصنعون منها «الجعلان» فى المعابد .. وهى حجر شبه كريم ، يدخل أحياناً مع الحلى على انه حجر كريم يساوى وزنه ذهباً .. وهى تسمى بالعامية لدى بدو الصحراء الشرقية فى مصر ( الكشران ) بينما اسمها العلمي ( الفلسبارات ) !

الزبرجد، عرفه القدماء أول ما عرفوه فى جزيرة مصرية بالبحر الأحمر قبالة مدينة أسوان .



أحد خامات الحديد ، أطلق عليه اسم الجوثايت ، تخليداً للشاعر الألمانى العظيم ( جوته ) إذ كانت تستهويه الجيولوجيا بمعادنها وصخورها وأحجارها ، واشتغل بها زمناً وله فيها آراء !!

# كهف الأخيار

قصــــة

بقلم : الدكتور شكري محمد عياد



الدكتور شكرى محمد عياد أستاذ الأدب العربى فى جامعة القاهرة ، وقد شغل مركز أستاذ الأدب العربى فى جامعات السعودية لمدة خمس سنوات ، ويعتبر الدكتور شكرى من الأدباء والباحثين البارزين فى الحياة الأدبية العربية ، وهو إلى جانب ذلك كاتب قصة من الدرجة الأولى رغم قلة انتاجه فى هذا المجال ... والدوحة تقدم هنا النص الكامل لقصته الجديدة البديعة « كهف الأخيار » وهى أحدث الأعمال الفنية للأديب الفنان الدكتور شكرى عياد .

« ١ »

... ... قلت له : الناس هناك يسيرون على سطح القمر ، وأنت تأبى إلا أن تغوص فى بطن الأرض . فنظر إلى طويلا . لم تكن عيناه زائغتين : على العكس : كان فيهما إصرار وتحد باخت أمامهما سخريتي . قال لى : إذا أردت أن ترجع فانت وشانك . لن أعدم حيلة أخرى . خجلت أنا . لو كان طارق زعيماً شعبياً لقاد الألوف فى الشوارع يفتحون صدورهم لوابل الرصاص. لو كان قائداً حربياً لساق الكتائب إلى موت محقق ( ولن ينجو هو بالطبع ) . لو وقف على خشبة المشنقة لزلزل قلوب جلاديه .

ولكن زعامته كانت شيئاً معكوساً : كم رأيت وسمعت من زعماء همهم أن يمسحوا على غرور شعوبهم ، أن يتملقوهم ليدفعوا بهم إلى الهلاك . أما هو فكانت قدرته على أن يسير وحده هى كل قوته . كان يرى بوضوح شيئاً لا يراه الآخرون . كانت فيه بقية من روح النبوة .. لا ، لم يكن محبوباً من احد .

« لن أعدم حيلة أخرى » ... هل كان بوسعه أن يقول أقسى من هذه الكلمات لأشعر بتفاهة دورى فى العملية كلها ؟ وهل كان بوسعى — مع ذلك — أن انكص على عقبى ؟ هو القائد وأنا المقود ، ومع ذلك أشعر أحياناً أننى يجب أن أرعاه



كطفل !



أقرأ هذه الأسطر فاجدنى أتكلم عنه أحياناً بصيغة الماضى كما لو كان شخصاً ميتاً وأنا أجلس الآن لأدون سيرة حياته ، وأحياناً أشير إليه كما لو كان حاضراً معى . قبل أن أمضى فى قصتى يجب أن أصل إلى حل لهذا التناقض . أنا أومن بأن اللغة هى التى تحل المتناقضات ، وليس المنطق . فى جميع اللغات التى أعرفها « الموت » فعل يسند إلى فاعله البشرى كما يسند إليه فعل الضحك والبكاء والوقوف والجرى .. ويجهد المناطقة أنفسهم ليفسروا هذه الظاهرة التى تبدو لهم شاذة : أن يكون الانسان هو فاعل الموت الذى ينزل به هو نفسه . وأخيراً - أخيراً جداً يحدثنا فرويد عن غريزة الموت ، ويقول توينبى إن موت أى حضارة يقيمها البشر إنما هو فعل انتحارى . مسألة الحضور والغياب ، مثل مسألة الحياة والموت ، يجب أن تحل لغوياً لا منطقياً . الموت فى اللغة يعنى إرادة ، إذن فهو يعنى حياة . الحضور والغياب فى اللغة كذلك . لا يوجد بينهما حد فاصل . الحضور لا يعنى إلا « أنا » أو « أنت » . عندما يتحول « أنا » أو « أنت » إلى « هو » يصبح الحضور غياباً ، كما تصبح الحياة موتاً . وعندما تنهار الحدود هكذا يصبح الزمن لا قيمة له أيضاً . فاما ديمومة وإما لحظة واحدة تتكرر إلى الأبد . نحن فى أعماق نفوسنا لا نعترف بالزمن ولا نعترف بالواقع . أتذكر قصة حدثت لى منذ سنين كثيرة ، ولا تزال تخطر على بالى ، بمناسبة أو بدون مناسبة ، فتبعث قشعريرة فى جسدى . كنت مرة واقفاً على رصيف محطة . وقع نظرى على إنسان . أصابنى الذهول . انه أخى ابن أمى وأبى . اقتربت منه أهم بأن أعانقه . تذكرت فجاة أنه مات منذ سنوات . سمعت صفير القطار وغاب وجهه فى زحمة المسافرين . لم أعرف إن كان ما رأيته خيالا أو حقيقة . صورة نفضها الذهن من مخزوناته أو إحساساً واقعياً مباشراً . ماضياً أو حاضراً أو شيئاً انخلع ببساطة من مجرى الزمن فليس بماض ولا حاضر . وكل إنسان اتفقت له حوادث من هذا النوع ، ولكننا ننساها لأننا لا نرتب عليها شيئاً عملياً . وإذا كان قصدى من تسويد هذه الصفحات هو أن أكتب قصة طارق ، دون أى غرض عملى آخر ، ليقرأها قارىء لا يرمى - بدوره - من قراءتها إلى أى غرض عملى ، فلست مضطراً لأن ألتزم بالمنطق . إنما المشكلة هى أننا - طارق وأنا - كنا فى مناقشاتنا الطويلة ننتقل بلا حذر ولا احتشام بين حقائق العلم وومضات الشعور : كان مطمحى الأكبر هو أن أجعل من دراسة اللغة والأدب علماً ، وكذلك كان يحاول فى تاريخ الحضارات . وكلانا كان يعتقد أن للانسان ، وكل ما ينتجه الانسان ، قوانين خاصة لا تشبه قوانين سائر العلوم ، وأكثر من ذلك : أن قوانين الحياة الانسانية لا يمكن أن تصاغ فى أى لغة معروفة ، لأنها إذا صيغت فى مثل هذه اللغة ، فقدت صدقها فى نفس اللحظة . ومع ذلك يجب ألا يكف الانسان عن المحاولة . هل يستطيع غير ذلك ؟



لا أدرى هل كان لمناقشاتنا بعض التأثير فيما اعتزمه طارق من اقتحام الماضى أو الغوص فى بطن الأرض كما عبرت له ، أم أننى أنا الذى تأثرت بأفكاره عن الحضارة البشرية ، حتى ترجمتها إلى نوع من الفلسفة اللغوية ؟ المهم أنه لم يجد صعوبة كبيرة فى إقناعى بمشروعه ، وشيئاً فشيئاً جعلت الفكرة تلح علينا بحيث لم نجد وسيلة للتخلص منها إلا تنفيذها . والذى أخشاه الآن ، وقد جلست لاكتب قصة هذه المغامرة ، أن تكون شخصية طـارق نفسها ، مثل صورة أخى الميت ، قد خرجت من مجرى الزمن ، فهو غائب كالحاضر ، أو لا غائب ولا حاضر ، فاكتب قصة لا هى بالحقيقة ولا الخيال ، مع أننى أردتها حقيقة خالصة ، فقد كنـا نفكر أننا بصدد كشف علمى يمكن أن يهز العالم . ولو تم الأمر كما تصورناه آنذاك لكان الشىء الذى بين يديك الآن وصفاً تفصيلياً واقعياً لا يخلو من بعض اللمسات المستمدة من الحياة اليومية ، كالوصف الذى كتبه أحمد حسنين باشا عن رحلة فى صحراء مصر الغربية ( حتى يكون لمصر والعرب رحالة مثل لفنجستون) واكتشافه لواحة مجهولة . أما وقد حدث ما حدث ، فلابد من الاعتراف بأننا لم نكن نفكر دائماً مثل أحمـــد حسـنين ( أو لفنجستون ) ، فقد كانت أفكار الغياب والحضور والماضى والمستقبل والموت والحياة وآلاف الأفكار الأخرى التى تصعب تسميتها تراودنا أيضاً ، كجنيات الأساطير ونحن نخطط بطريقة علمية للعمل الجنونى الذى أقدمنا عليه فعلا ، وهأنذا بعيد عن لفنجستون وأحمد حسنين بعد السماء عن الأرض ، لم أحمل من رحلتنا العجيبة أى أثر ، ولم أدون أية يوميات ، لا أملك إلا ذاكرتى المشوشة أستمليها ، وأخشى ما أخشاه أن تثمر أفكارى الغريبة عن اللغة عملا أدبياً ( معذرة إذا سميت محاولتى بهذا الاسم الفخم ، فالحقيقة أنه لم يعد له أى احترام فى هذه الأيام ) شبيهاً بأدب اللامعقول الذى أكرهه ، وقد تعرضت له فى رسالتى التى حصلت بها على درجة الماجستير مع مرتبة الشرف وتوصية بطبعها على نفقة الجامعة لأنها اتصفت بميزة نادرة وهى أسلوبها العلمى الدقيق .

حقاً إن لدى بعض الأوراق التى كتبها طارق على إثر عودتنا من الرحلة المشئومة ، ولكننى لست سعيداً بهذه الأوراق ، بل إنها هى بالذات سر المشكلة التى أجدنى فيها منذ قررت أن « أخلد » رحلتنـا من أجل « الحقيقة والتاريخ » . فلا أنا أستطيع أن أهملها ( وطارق ، كما سبق أن أعلمتك ، هو البطل وصاحب الدور الأول ) ولكنه كتب هذه الأوراق وهو فى حالة غير طبيعية ، ولا أستبعد أن عقله كان قد خولط فعلا ) ولا أنا أستطيع أن أترجمها بلغتى ، وهى لغة عادية بالرغم من شطحاتى الفكرية فى موضوع اللغة . وإذن فلابد لى من أن أقتبس منها اقتباسات طويلة . والأفضل - بكل تأكيد - ألا أترك منها شيئاً ، لأنها الوثيقة الوحيدة عن رحلة لم يقم بمثلها ولا تخيلها أحد من البشر . ومع يقينى بأن النتيجة ستكون نشازاً هائلا ، فإن هذه هى الطريقة الوحيدة التى استطعت أن أطمئن إليها ، إن كان لهذه الرحلة أن تكتب على الاطلاق .

« ٢ »

هأنذا أشرع فى تدوين وقائع « رحلتى » الغريبة ، مع أننى يائس تماماً من قدرتى على إتمامها ، أعنى المذكرات لا الرحلة . وهذه هى الأولى فى سلسلة المتناقضات التى أصبحت واقعاً فيها : إما أن أتمم المذكرات وإما أن أتمم الرحلة فلن تكون ثمة ضرورة لكتابة المذكرات ، وإذا كان من الضرورى أن أكتب مذكرات فالأفضل أن أتوقف ، أى أكتفى بما كان ، أن أكف عن الغوص وأسترد نفسى التى أعرفها . فأنا لم أعد ذلك المراقب المحايد،ذلك المكتشف ،ذلك الباحث عن الحقيقة . لم أعد قادراً على احتواء مشاهداتى بل هى التى تحتوينى ، كأنى أرى بعيون الوهم ، أو أخبط فى أرض مسحورة .

لعل هذا هو السبب الحقيقى فى تصميمى على أن اكتب هذه المذكرات ، فانا لم أعد واثقاً من قدرتى ، فى المستقبل ، على أن اكتب شيئاً مفهوماً . هل أصبحت على عتبات « الحقيقة » نفسها ( حقيقة اكبر واعمق مما حاولت اكتشافه ) أم ان كل ما يربطنى بالحقيقة يوشك أن ينقطع ؟ لا أدرى ، وقد لا يكون ثمة فرق بين الأمرين ! نعم ، لقد لعبنا كثيراً بالجمع بين المتناقضات ، وهانذا اشعر أن أصابعى احترقت وانتهى الأمر ، وبالكاد أستطيع أن ادون هذه الكلمات ، لا لأعلن كشفاً تاريخياً هائلا كما كنت احلم ، بل لأسجل تجربة لم أعد – بكل أمانة – قادراً على تمييز الحقيقة والخيال فيها .

الحقيقة والخيال ؟ ... هــــذه هى النقيضة الكبرى التى اكاد اسقط منهــا بلا أمل فى العودة . لماذا لا اكون صريحاً من أول الأمر فاقول إنى لم أعد أبالى بالتفرقة بين هذين « المتناقضين » ؟ إذا بدأت مع ديكارت « انا افكر فانا موجود » فوجودى ينبغى أن يكون أجدر الأشياء بان يسمى « حقيقة » . ومع ذلك فكم فى هذه الحقيقة من الخيال ؟ لابد أن أبى وأمى ، ربما قبل أن يلتقيا ، تخيلانى كل بمفرده ، على نحو من الأنحاء . ثم حين وقعت الواقعة واشتعل الخيال ، تجسد الحلمان فى التقاء بويضة صغيرة وحيوان منوى أصغر . وما زال الرجل والمراة يلحان على بخيالهما ، دون رحمة ، مذ كنت جنيناً تخبط فى ظلمات سجن ضيق . ثم ماذا أنا الآن ؟ كما أظننى أنا نفسى ؟ كما يظننى صديقى سليم ؟ كما يظننى مدير المدرسة ، تلاميذى ، إنسان جلست بجانبه فى طيارة أو قطار ، الفتاة التى يمكن أن ألتقى بها يوماً ، وتسميننى « فتى احلامها » ؟ كل ظن من هذه الظنون خليط مهوش من الحقيقة والخيال . لقد اغرمت فى وقت ما بدراسة الأساطير ، ووجدت نفسى أسأل : إذا كان البشر لا يطيرون فى السماء ولا يسكنون فى أعماق البحر ، ولم يعرف قط انهم استخدموا الجن فى بناء قصورهم ، أو محاربة أعدائهم ، فمن أين جاءتهم هذه الأفكار الغريبة ؟ ليس هناك إلا واحد من أمرين : إما أنها تحققت فعلا ، بكيفية ما ، فى زمن ما ، وإما أنها مجرد رغبات سيعملون على تحقيقها يوماً . الغرض الأول لا يمكن إثباته أو نفيه . لا يمكن إلا أن « يحفظ لعدم كفاية الأدلة » أو يبقى لغزاً محيراً للمساكين الذين يعانون من مرض البحث عن الحقيقة ، ولو كانت على جبل قاف ، أما الغرض الثانى فلابد أن يلد سؤالا : من أين جاءت الرغبة ؟ ما هذا الشىء الغريب الذى نسميه رغبة إنسانية لماذا يكون شىء ما مرغوباً وشىء أخر مكروها ؟ لم اقتنع بما يقوله علماء النفس من أن رغبات الانسان مرتبطة دائمـــاً بضرورات بيولوجية ، يسمونها احياناً غرائز ، واحياناً حاجات . فقد كانت الأساطير تحدثنى باشياء أعمق من الوجود البيولوجى للانسان ، ومن يدرى : لعلها كانت فى أعماق الوجود البيولوجى نفسه . لقد وجدت نفسى أجزم بان ثمة رغبة واحدة أساسية للانسان ، تنبع منها كل الرغبات : تلك هى رغبته فى الحرية . وما الحقيقة والخيال إلا وسيلتان للوصول إلى الشعور بالحرية ، تتداخلان وتمتزجان بحيث لا يمكن التمييز بينهما ، وتنتجان دائما اختراعاً ما : أسطورة او بدعة من بدع التكنولوجيا . أيهما أهم للانسان : الأسطورة أم التكنولوجيا ؟ أنا شخصياً لا استطيع أن أجزم . المقياس الوحيد الذى أراه صالحاً لتقييم اختراعات الانسان هو مقدار ما تنتجه من الشعور بالحرية . فلابد من الاعتراف بأن الانسان – وا أسفاه ! – لم يولد حراً ، ولكنه ولد وفى رأسه ، أو قلبه أو شىء أخر من كيانه الذى لا نعرفه على وجه التحديد ، شوق محرق إلى الحرية ، يتفق له بين الحين والحين شبع مؤقت ، فكلما زاد الشبع أو طال الوقت كان ذلك أفضل ، ولو أن الانسان يعود فيندفع – لاهثاً ومفتوناً – وراء سراب الحرية .

لماذا أقول ذلك الآن ؟ ألآن رحلتى التى لم تعد رحلة ، بل أصبحت مجرد تجربة ، كانت فى حقيقة أمرها اختباراً لمعنى الحرية

« ٣ »

أما أنا فاظن أن الهوس بفكرة الحرية هو الذى ولد النظرية العلمية ، ولعل من المبالغة وعدم الدقة أن أسميها نظرية ، فطارق نفسه لم يسمها بهذا الاسم ، ولعل الأصح أنها كانت مجرد احتمال ، وكان من الممكن أن نختبر صحة هذا الاحتمال بالف طريقة أخرى ، ولكن طارق اختار هذه الطريقة المباشرة ، ولو أنها كانت تتطلب شجاعة هائلة ، وإذا كان ما رآه فى تلك الليلة حقيقة ولم يكن مساً من جنون ، فلاشك أنه أصاب فى اختياره .

بدأت القصة عندما كان طارق يقرأ فى « صفة جزيرة العرب » للهمداني. دخل على ذات مساء ، أشعث الشعر كعادته ، وفى عينيه لمعان أكثر من المعهود ، وصاح بانفعال :

– اسمع هذا :

« ثم تمضى فى بطن الفقى ، وهو واد كثير النخل والآبار فتلتقى قارة بلعنبر ، وهى مجهلة ، والقارة أكمة جبل منقطع فى راسه بئر على مائة بوع ، وحولها الضياع والنخيل . قال راجزهم :

إنـــا بنينــا قارة وسط الفقى
من الدبابيب ومن ســح المطى

... هذا ياسيدى هو ما يسمونه جبل قارة

لقد ذكر الهمدانى عدة جبال من هذا النوع ولكنى بدأت أشك فى صحة تسميته إياها جبالا . أولا : لاحظ انه لم يذكر هذه القارات إلا فى الأطراف الخصبة من شبه الجزيرة . ثم ما رأيك فى هذا الشعر : إنا بنينا قارة ؟ طبعاً يمكنك أن تقول إنه كالشعر الذى ينسبه إلى هود ثم لا يتورع أن يقول إن يعرب – حفيد هود – هو أول من تكلم بالعربية . أنا لا تهمنى صحة الشعر وإنما تهمنى الأسطورة التى يرويها . فالأسطورة لاتنشأ من العدم . ودلالة الأسطورة واضحة : ان هذه القارة – ولعل هناك قارات أخرى مماثلة – ليست جبلا إلا بقدر ما يمكنك أن تسمى الأهرام جبالا . إنها مدن بالغة التحصين ، بناها الأحياء ليحافظوا على حياتهم ، كما بنى قدماء المصريين الأهرام ليحافظوا على موتاهم .

وشرد ببصره إلى الأفق المصطبغ بما يشبه الشفق الدائم ، تلونه شعل الغاز التى تنفثها مداخن جبارة فى حقول النفط ، وتمتم :

– تخيل أن هذه المداخن التى ترمز لعصر النفط ، يمكن أن تكون مجاورة لأثر من أقدم ما خلفه الانسان ؟

شعرت بالقلق . فليست هناك حدود لما يمكن أن يشطح إليه خيال هذا الفتى . وقد علمنى أساتذتى العظام ألا أتسرع فى استخلاص النتائج ، وخصوصاً حين يتعلق الأمر بالتاريخ . نعم إننى أجد متعة خاصة فى فلسفة اللغة ، ولكن هذه الفلسفة تتعلق بوقائع ذهنية ، الدليل الوحيد على صدقها هو أن يجدها الآخرون مقبولة ، أما الوقائع الخارجية ، والوقائع المادية ، فشىء أخر !

قلت له :

ـ لا تتعجل الحكم . إن كلمة واحدة وردت فى الهمدانى لا تصلح دليلا على واقعة تاريخية .

احنقته ملاحظتى ، فقال بشىء من الضجر تعودت أن أغتفره له :

ـ ومن قال لك إننى الآن بصدد البحث عن دليل ؟ نحن نتخيل أولا ، وعندما ناتى إلى مرحلة البحث عن دليل ، فلن نقنع إلا بالدليل القاطع الذى نستطيع أن نلمسه بايدينا .

لاشك أن الصورتين المتناقضتين مستا أوتاراً خفية فى نفسه : صورة القارة ـ الحصن ، وصورة الشعلة التى لا تخبو ليلا أو نهاراً فى رأس المدخنة السامقة . أى معنيين للحرية ! الحركة المكتفية بنفسها ، التى تختار أن تقطع كل صلة لها بالعالم ، انفة أن يمسها ظلم لا تقدر على رفعه ، ولا تطيق السكوت عليه ، والحرية التى تنفض اغلالها وتطلق طاقاتها الحبيسة وإن هى ذهبت بدداً . الحرية التى تطبخ الصلصال صخراً يصمد لهوج العواصف وعدوان البشر ، والحرية التى تنطلق من سجنها الأرضي وتخرج لسانها الأحمر للسماء . أهذا هو الذى أشعل خيال طارق أم معان أخرى لا أدريها ، ولعله هو نفسه لا يحسها بوضوح ؟ كان طارق من أولئك الأشخاص الانطوائيين الذين يعانون كثيراً من مشاعرهم الباطنية ، أو بالأحرى من عجزهم عن إعطاء هذه المشاعر الشكل المناسب فى عبارة أو سلوك ، ولهذا تراهم دائماً مستوفزى الأعصاب ، ساخطين على أنفسهم أو على أقرب الناس اليهم .

ـ هنا بعض المشكلات اللغوية التى يمكنك أن تساعدنى فى العثور على حل لها : سح المطى ـ يقصد بها ولاشك الجمال أو النوق المغيرة التى تهبط عليهم أرسالا كما يسح المطر . وهنا مسالة مهمة : يبدو أن العرب استعملوا الجمال والنوق فى الحرب قبل أن يستعملوا الفرس ...

ـكلمة المطي يمكن أن تطلق على الجياد أيضاً . ومع ذلك فانت على حق . فالاستعمال يربطها غالباً بالنوق . وزهير ابن ابى سلمى رمز للحرب بناقة هائجة . وجدت بعض النقوش أيضاً ...

ـ حسن جداً . ستحدثنى عن هذه النقوش فيما بعد . ولكن هناك مسالة ثانية : كلمة «الدبابيب» : بحثت عن معناها فوجدت انها لا يمكن إلا أن تكون جمع «دبابة» ، وكانت قديماً آلة من آلات الحرب تستخدم فى هدم الحصون ، والظاهر أنها كانت أشبه بترس عظيم يختبىء تحته المهاجمون . ولكن متى عرفت «الدبابة» فى هذه المناطق ؟

بعد مناقشات طويلة ، وبحث فى معاجم اللغة وكتب التاريخ ، كان الفرض الذى بدا لنا معقولا جداً هو أن القارة ـ أو هذه القارة بالذات ـ هى فعلا نوع من المدن المحصنة انشئت فى عصر تميز بنشاط حربى غير معهود . فهذا هو المعنى المركزى فى الأسطورة ، الذى لا يمكننا التخلى عنه اذا اعتبرنا أن لهذه الأسطورة أصلا فى الواقع التاريخى على الاطلاق . أما أدوات الحرب ـ كهذه الدبابيب أو المطى ـ فتفصيلات قد يكون من المشوق بحثها على اعتبار أنها جزء من ذلك الأصل القديم ، ولكن من الجائز أيضاً أن تكون إضافات أدخلها الراجز المجهول ، وكنا نسلم ضمناً بانه لابد أن يكون متاخراً عن عصر الأسطورة بزمان بعيد .

بقى تخمين العصر الذى بنى فيه هذا الأثر العجيب . رجح طارق أول الأمر انه بنى حوالى القرن السادس قبل الميلاد ، عندما كانت جيوش الأشوريين تثير الذعر وتنشر الخراب فى المنطقة كلها . ولكنه ما لبث أن جاء بفرض أكثر جراة : ان ما نعرفه عن تاريخ البشرية جد قليل . لقد أصبح من شبه المؤكد الآن أن الانســـان ( الهوموسا بينس ) عاش على ظهر هذا الكوكب منذ قرابة خمسين الف سنة . هذا ما تدل عليه الحفريات ، اما النقوش المكتوبة فلا تصعد إلى أكثر من سبعة آلاف سنة ، ولذلك نسمى عشرات الألوف من السنين التى سبقت هذه الفترة عصور ما قبل التاريخ ، لأنها مجهولة لدينا جهلا تاماً . ولكننا إذا نســـقنا الحقـــائق الجيولوجية والمعلومات الاثنوغرافيـــة المتوافرة لدينا الآن أمكننا ان نصل إلى نتيجة أو فرض ممكن على اقل تقدير : وهو أن هذه المنطقة من العالم شهدت حضارة مزدهرة أثناء العصر الجليدى الأخير ، ولكن تغيرات كونية هائلة محت هذا التاريخ محواً يوشك أن يكون تاماً .

ـ تصور ما يحدث لو أن حرباً ذرية قامت الآن فى أوربا وأمريكا الشمالية . ولنفرض أيضاً أن تاثيرها كان محدوداً بالنســـبة للأقاليم البعيدة عن هاتين القارتين ـ هذا ممكن ، أليس كذلك ؟ .. لاشك أن الحضارة سترتد إلى عصر الزراعة البدائية والصناعة اليدوية . ولكن الأجيال التالية ستعرف ـ على الأقل ـ متى وقعت الكارثة وكيف . لأن سكان القارات المتخلفة المحظوظة ، فيهم من يمكنه أن يســـجل ما حدث . أما إذا كانت الكارثة الكونية قد حدثت فى أثناء العصر الجليدى الأخير أو أعقابه فستبقى الحقيقة مطمورة تحت ركام الأساطير . لأن الأقاليم الأخرى كانت خالية تقريباً من الجنس البشرى ، وإذا كانت قد وجدت فى بعضها كائنات قريبة الشبه بالانسان ، فقد كانت كائنات بلا حضارة . وهكذا يمكن أن تمر الكارثة الكونية الأولى بدون تسجيل ، فلا يكون لدينا إلا مصدر واحد لدراستها ، وهو قراءة الأساطير .

وأردف بعد تفكير :

ـ وربما أيضاً بعض الحفريات .

اشفقت عليه من الاسترسال فى مثل هذه الفروض ، فهمست مبتسماً :

ـ لاشك أن قراءة الأساطير لعبـــة مسلية ..

ولم يفته معنى السخرية فى ابتسامتى وكلماتى ، فاضاف كالمعتذر :

ـ أعلم أن لغة الأساطير ليست شفرة



# كهف الأخيار

يمكن تحديد رموزها بشكل قاطع ، ولكن هل ادعيت انى اقدم نظرية علمية ؟ هذا مجرد فرض ... احتمال ... هل تستكثر ان أسميه كذلك ؟

وشعرت انى يجب ان اتصلب اكثر ، فقلت :

ـ إن الفروض او الاحتمالات التى من هذا النوع لا يمكن أن تحصى . وكلما زاد عددها قلت قيمتها . بالطبع انت تعـــلم هذا .

قال :

ـ انت تبالغ . لدينا بعض الأدلة .

فسالته لأعجزه :

ـ كم تقدر عمر هذه القارة ـ الحصن كما تقول :

اجـــاب :

ـ عشرين الف سنة تقريبا . لقد عاش الهرم الأكبر اكثر من خمسة آلاف سنة . والمرجح أنه سيبقى إلى نهاية عمر الأرض . منطقتنا محظوظة من هذه الناحية ، لأن جفاف الطبيعة يسمح للآثار الانسانية بالبقاء ، حتى توشك أن تصبح جزءاً من الطبيعة نفسها .

قلت له وأنا احاوره :

ـ وراء كل كشف علمى دافع ما . يقال إن فرويد كان يعانى هو نفسه من عقدة اوديب وانا أسال نفسى الآن : ترى ما الدافع الذى يجعلك تشغل نفسك بهذه القضية ؟ لا يغيب عن فطنتك ان تحقيق هذا الغرض او الاحتمال ـ سمه ماشئت ـ صعب جداً . وكان فى استطاعتك أن تختار مشكلة أخرى اكثر تشجيعاً للباحث . كان بامكانك أن تدرس فترة تاريخية سبقت دراستها فعلا ، وتقارن بين بعض الأقوال وترجع إلى بعض المصادر ، وتحصل على الدكتوراه . فلماذا تنام وتصحو على التفكير فى حضارة أجدادنا هؤلاء ـ إن صح انهم وجدوا ، وانهم اجدادنا ؟

لم يجب عن تساؤلى . ولم أهتد انا إلى تفسير معقول . وأخيراً أيقنت أنها فكرة متسلطة لا سبيل إلى زحزحتها إلا «بفعل» ما . ثم ... كان هناك اعتقاد يشع من كيانه كله بان ثمة حقيقة غائبة ستتجلى له يوما !

« ٤ »

اخيرا جاء اليوم :

ـ لابد أن أدخل .

وكان من العبث أن اقنعه بتاجيل الفكرة فقد بدا أن هذه هى اقرب وسيلة لتحقيق صحة فرضه . أليس من الجائز أن يجد على الجدران كتابة ما ، نقوشاً ، ربما أيضاً أن يعثر على آنية أو أدوات أو ... عظام بشرية ؟

نعم ... هذه هى اقرب طريقة لاختبار « الفرض » . لم أستطع أن أقنع طارق بانه يعرض نفسه لمخاطر لا يمكن التنبؤ بها ، وحاولت أن أخفى جزعى من قضاء ليلة بمفردى ... الحق أن الأمر ، بالنسبة لى أيضاً ، لم يكن يخلو من نشوة ... تذكرت ذلك الصبى الذى كان يتسلل مع جماعة قليلة من رفاقه إلى المقابر القديمة ، التى لا يعرف احد تاريخها بالدقة ، حتى ولا عجائز القرية ، وهناك ينبش القبور ، ويقلق عظام الموتى ، طمعاً فى الحصول على كنز مخبوء ..

عندما سكنت الأصوات تماماً ، وشعرت انى منقطع عن العالم ، أطفات الكشاف ، فساد ظلام حالك ، وجدت نفسى اتحسس يدى « وساقى » ووجهى وراسى ، كانى أتاكد أنى لا أزال موجوداً . شعور غريب فاجانى وجعلنى اضحكمن قول ذلك الفيلسوف : انا افكر فانا موجود . فقد بدا لى أنى كنت طول عمرى أعتقد انى موجود لأن الآخرين يروننى . كنت دائماً انظر إلى نفسى بعيون الآخرين ، حتى عندما أعتزل ، عندما اختبىء من الناس . هم حولى دائماً . الآن وقد أصبحت قطعة من الظلام ذابت كينونتى فيه ، مازلت افكر ، ولكننى لم أعد واثقاً من وجودى . وهانذا ألمس أطرافى مرة أخرى . يبدو أننى ساحتاج إلى فترة كى أتاقلم مع هذا الوضع . ومضت فى ذهنى فكرة غريبة . لعل المشكلة الكبرى التى يعانيها العميان ليست عدم رؤيتهم لما حولهم ، بل الاقتناع بان الآخرين يرونهم فعلا ، مـــع أنهم ، لا يرون الآخرين . من هنا ياتى شعورهم بالاختلاف قد يكون هذا الشعور عزلة ، قد يكون استعلاء ـ ما نسميه عقدة النقص ـ قد يكون خبثاً أو دهاء أو قسوة . لا لابد لى أن أضيء هذا الكشاف .

بالكاد أفلحت فى منع يدى من تحريك الزر الصغير . أن أذوب فى الظلام اللامتناهى ـ هذه أيضاً تجربة يجب أن امتصها ـ أو تمتصنى ـ حتى النهاية . اغمضت عينى وكففت عن تحسس أطرافى شعرت انى اصغر واصغر حتى أصبحت اصغر فى الحجم من ذرة . وإذا بهذه الذرة تكبر كانها تحولت إلى الحالة الغازية . سبحت فى الفضاء بسرعة هائلة كانى نيزك وعن يمينى ويسارى تنطوى مساحات شاسعة متوهجة من نيران متراقصة وبقع معتمة لابد أنها الكواكب . كان حلماً رائعاً ورهيباً تملكنى وأنا فى تمام اليقظة ، صحوت منه وانا واقف فى مكانى ، ممسك بكشافى ، اتصبب عرقاً . وما زلت ارتعد كلما تذكرته ، مع أنى استطعت أن استرجع حالات كانت أشبه بارهاصات لهذا الحلم الكبير ، عندما كنت اغمض عينى وانقطع عن العالم ، ودائماً كان ثمة وعى مادى ساخر يقول لى إن آثار الاحساسات البصرية عند إغماض العينين تكون اشبه بومضات فى الظلام ، يمكن أن يتخيلها الحس المريض نجوماً وشهباً .

بعد أن هدأت أضأت الكشاف وأدرته حولى . كنت فى شبه ممر ضيق يتسع لشخصين أو ثلاثة على الأكثر . ووقع ضوء المصباح على جانب من الجدار لمحت عليه نقشاً ، خفق قلبى بشدة ، اقتربت ، وقرأت :

النهضة بطل الدورى
حمـــد الفرحان
١٣٧٨

إذن فما زلت عند الأبواب . لعل هذا الفرحان توغل إلى هنا معتمداً على كشافه وأصوات رفاقه . ولكن المؤكد أنه لم يجاوز هذه النقطة ، وأقدر أنها لا تبعد عن فوهة الكهف بأكثر من مائة متر .

أهل البلدة يتحدثون عن هذا الكهف دائماً بنوع من الفخر . كلما جاءهم سائح طافوا به حول القارة ، ثم أخذوه إلى هناك . وبعد مدخل مكون من صخور غير منتظمة ، يبلغ طوله خمسة عشر متراً تقريباً يقودونه إلى فجوة صغيرة معتمة ، لا تكاد تزيد مساحتها عن حجرة متوسطة ، ويقولون له بنوع من الزهو : ما رأيك ؟ وإذا كان جاهلا ، فسروا له السؤال : كيف تشعر بحال الجو ؟ وإذا كان الفصل شتاء فيجب أن يقول لهم إنه أدفأ كثيراً من الخارج ، وإذا كان صيفاً فيجب أن يقول لهم إنه ألطف كثيراً . وقد كان ذلك صحيحاً إلى حد ما ، ولكنهم ـ كعادة الناس جميعاً ـ يبالغون ، ولعلهم أصبحوا أكثر ميلا إلى المبالغة بعد أن عرفوا أجهزة التكييف . وإذا كان الزائر طلعة ، وأراد أن يتوغل أكثر ، حذروه وأشاروا إلى الظلمة المتكاثفة فى الداخل ، وربما حكوا له حكاية الفرنسيين الستة الذين قرروا أن يستكشفوا أعماق الكهف ، ولكنهم لم يستطيعوا الخروج منه . وقد اهتم طارق بهذه الحكاية ، وحاول أن يستقصى خبر الفرنسيين الستة المزعومين

لعلهم جمعوا ـ قبل الاقدام على مغامرتهم ـ بعض المعلومات التى يمكن أن تفيده ، ولكنه لم يهتد إلى شىء ، وبقى حائراً : هل القصة كلها من اختراع العامة لتحذير امثاله ، أو ان لها أصلا من الواقع ؟ ولعله تذكر قصة الفرنسيين الستة حين راى تلك الكتابة السخيفة فى أول رحلة ، ولعله خاف أن يكون اكتشافه التالى مجموعة من القمصان والشورتات والايشاربات مع كومة من العظام يرجع تاريخها إلى عشرين سنة او ثلاثين ، بدلا من عشرين او ثلاثين الفا . ولكنه لم يشر إلى هذه القصة إطلاقا فى الأوراق التى خلفها .

كان طارق فى رجوعه إلى المصادر الحية ملتزماً جانب الحذر ، لأسباب مفهومة : فالسؤال عن مثل هذه الأمور يمكن ان يليق بالافرنج المهووسين ، ولكن ابناء العرب لايهتمون بالكهوف والجبال إلا إذا كان لديهم معلومات عن كنز مخبوء ، أو فى نيتهم ارتكاب جريمة ما . ولذلك وضع خطة عملية بسيطة للرحلة التى قرر ان يقوم بها وحده ، وبكيفية لا يمكن أن يلحظها احد .

ذهبنا إلى الكهف قبل الغروب بساعة ، وهى فترة يقل فيها المتفرجون ، ولم يكن منظرنا يوحى بأية ريبة : شابان فى ملابس إفرنجية خفيفة ، يحمل كل منهما حقيبة يد متوسطة الحجم . غريبان جاءا للنزهة أو للفرجة على المكان . انتحينا ركنا فى فجوة الكهف وتربعنا كمن يستريحان بعد جولة طويلة ، ناويين أن يستمتعا بعض الوقت بجوه اللطيف المشهور . واخرج طارق شطيرتين وعلبتى عصير من حقيبته ، واخذنا ناكل ونشرب على مهل ، ونتبادل بين الحين والحين كلمات قليلة لا صلة لها بما قدمنا من اجله ، بينما كان كلانا مشغولا بخواطره . كنت أفكر فى سخافة الامر كله ، وبدأت أشعر بالخوف ، أما طارق فكان وجهه جامداً ، وعيناه تنظران إلى الفراغ . انقطعت الرجل ، واشتدت العتمة ، وسمعنا أصوات الزرازير فى الحقول المجاورة ، وتمنيت لو أسرع بالخروج لأرسل عينى فى النجوم والسماء والأفق ، واغسل وجهى بعطر الليل الناعم ، ولكن طارق وقف واخرج طرف الحبل من الحقيبة التى كنت أعلقها بكتفى ، وربطه حول وسطه ربطاً محكماً ، ثم اخرج الكشاف من حقيبته هو ، وضغط على الزر وراح يحرك دائرة الضوء حتى ابتلعها الظلام ، فسار مبتعداً فى تلك الاتجاه .

● ●

قال لنا البائع وهو يشير الى اللفة الضخمة : هذه أكبر واحدة الف متر .



فرفعها طارق وكانت ثقيلة . وساله إن كانت لديه واحدة بيضاء ؟ فقال له إن هذه اللفة الوحيدة عنده من هذا الحجم . وكانت بنفسجية . استطعنا بعد لأى أن نعثر على الطرف الآخر للحبل كى أربطه حول وسطى وهكذا كان فى استطاعة طارق أن يتحرك داخل الكهف فى دائرة نصف قطرها كيلومتر ، وهو مطمئن الى انه يستطيع العودة كما عاد ثيسيوس من قصر التيه .

● ●

كنت شديد الخوف والانقباض . نظرت الى طارق وهو يغيب عن عينى فى الظلام ، وكانى انظر الى زورق صغير يغوص فى الموج .

« ٥ »

كانت الساعة تضيء فى معصمى فقربتها من عينى وقرأت الثامنة وعشر دقائق . لم يعد الظلام يزعجنى ، بل على العكس كنت أشعر بما يشبه الفزع كلما اضأت الكشاف لأنظر حولى وفوقى وأسفل منى . لا ازال فى الممر الضيق . كانت هذه الملاحظة تزيدنى اطمئنانا الى صحة افتراضى انى هنا فى حصن ولست فى كهف طبيعى . فقد رأيت بعض هذه الكهوف فى لبنان والجزائر ، والشىء الذى استرعى نظرى فيها هو تلك الخشونة الطبيعية التى تتكشف هنا وهناك عن أعجوبة من أعاجيب الجمال الهندسى : تلك التكوينات البلورية التى تتدلى من السقوف كالثريات . أما هذا المكان فلا يمكننى أن أسميه إلا نفقاً . وهو بهذه الصورة عمل تكنولوجى محكم فى باب الانشاءات الدفاعية . فسح المطى يقف أمامه عاجزاً حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، والجيش العرمرم لا يمكنه ان يتقدم إلا اثنين اثنين ، وببطء شديد ، بحيث يمكن أن يتصيد عند فتحة الممر ولو لم يكن لدى المدافعين من السلاح إلا الفئوس أو العصى . وكان الخطر الأكبر الذى لم يبرح ذهنى هو احتمال ان يحتوى على هوة أو أكثر ، كوسيلة إضافية من وسائل الدفاع ، ولذلك كنت أسير ببطء متحسساً مواقع قدمى ، محنياً رأسى ، متلمساً جانبى النفق بيدى . وكنت أشعر أحياناً أن النفق لا يسير فى خط مستقيم وخصوصاً حين كنت اضيء الكشاف وأوجهه الى العمق فاجده يصطدم بالسقف أو الأرض أو احد الجانبين . ولم اعرف الحكمة من ذلك ، ولكن تاثيره فى كان واضحاً ، وهو انى سرعان ما فقدت الشعور بالاتجاه . غير انى لم أهتم بذلك كثيراً ، فقد كان الحبل فى وسطى يؤمن عودتى متى شئت .

شعرت بتصلب فى أعضائى . فجلست ممددا ساقى ، مسنداً ظهرى الى جدار النفق ، مندهشاً مما فعلت وما يجرى .

عندما كنت أتحرك ، كان تفكيرى منحصراً فى الاحساسات التى أتلقاها من الخارج . كانت خلايا المخ تعمل بطريقة تلقائية فى ترجمة هذه الاحساسات واصدار ردود الأفعال المناسبة . عندما جلست تركز إحساسى فى باطنى . سمعت دقات قلبى . تلذذت بنبض الدم فى عروقى . شعرت بترطب فمى وتفتح بلعومى وتحلب العصارة فى معدتى . أخرجت شطيرة وجعلت آلوكها ببطء وتلذذ . استنشقت بقوة وشعرت بهواء عجيب الطعم والرائحة يتخلل خياشيمى . خيل الى ان الهواء سائل وانى سمكة وانى انزلق فيه بنعومة . لم يساورنى اى خوف : على العكس ، كان يملؤنى شعور بالرضى والاكتفاء ، انغماس تام فى اللحظة وفى ذاتى ، حتى خفت ان انام وانا جالس فى مكانى .

● ●

بعد هذه الصفحة يصف طارق خروجه من النفق ، وهنا يبدأ الشطر العجيب حقا من رحلته أو من تجربته كما قال .

إن طارق نفسه لايستطيع ان يحدد لنا نصيب الحقيقة ونصيب الخيال فيما رآه . وحتى فى أحاديثه معى لم يستطع أن يجزم بشىء ، مع أن الذى جمعته من أوراقه واقواله ليس مستحيلا ولا حتى خارقاً للعادة ، انه لايشبه قصص ألف ليلة وليلة ولايمكن تحويله الى قصص علمى ، ولكنه كان يتكلم عنه بانفعال شديد ، كما كانت كتاباته مضطربة

# كهف الأخيار

ومهوشة ، ولذلك اجدنى مضطراً لأن اتولى عنه مهمة السرد فى هذه النقطة بالذات . ومع أن الكتابة ترهقنى إرهاقاً شديداً — أنا الذى كنت أعد نفسى لأكون كاتباً — فلا أظننى قادراً على التوقف الآن ، لا من أجل « الحقيقة و التاريخ » — أعترف انهما فقدا أهميتهما بالنسبة الى — بل لأن هذه القصة الحت على بما فيه الكفاية ، ولااجد وسيلة للتخلص من القلق سوى أن احوله إليك .

• •

أدرك طارق انه وصل الى اخر النفق عندما لاحت له فتحة كبيرة يسيل منها نور بنفسجى باهت . كان القمر فى أوائل التربيع الثالث ، وكانت ساعته تشير الى العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة ، وقدر انه قطع حتى الآن ما يقرب من ثلثمائة متر . ما زال لديه سبعمائة متر ليرى ويكتشف ، وهى تعنى الكثير ما دام قد خرج من ظلمة النفق الى ما يبدو انه ساحة واسعة يمكن أن يعثر فيها على بعض آثار الحياة.

طرفت عيناه بشدة . فمع أن الضوء كان ليناً وخافتاً فقد سقط كالشلال على مقلتيه اللتين الفتا ظلمه النفق ، وعندما استطاع أن يجعلهما حوله ، ندت منه صرخة دهشة .

كانت أمامه ساحة ممتدة غير منتظمة الشكل ، ولكنه قدر أن مساحتها تقرب من كيلومتر مربع . وكانت مؤلفة من تجاويف مختلفة السعة ، تظلها طنوف ناتئة كشعاف الجبل ، وكأنها أعدت لمراقبة اى غاز يمكن أن يتسور الحصن

أما الذى راعه فهو الأرض،كانت مكسوة بالوان متفاوتة بين الخضرة والصفرة ، وعندما دقق النظر استطاع أن يتبين عيدان الشعير وأوراق الكروم ، وكأنما أراد أن يثبت لنفسه أن ما يراه حقيقة وليس وهماً ، فاندفع يقتطف عنقوداً مكتنزاً راح يلتهمه حبة حبة وهو مبهور منتش ، وكأنه يأكل من ثمر الجنة .

لايزال يسأل نفسه : أحلم هذا أم حقيقة ؟ ولكنه يتفق مع نظريته كل الاتفاق . فلم يعد ثمة شك أن هذا حصن بناه البشر ! عالم قائم برأسه إنما الأمر العجيب — بل كان يجب أن يتوقعه على الأقل ليكون منطقياً مع نفسه — أن ههنا بشراً ! أحياء ! سلالة أولئك القوم الذين تحدث عنهم الهمدانى !

لم يعد يفكر فى نقوش أو عظام نخرة ! هنا أحياء ! ناس مثلنا ، يزرعون ويحصدون ويأكلون ! .

ولكن كيف يصل اليهم ؟

« ٦ »

قررت ان ابقى حتى الصباح . فلينتظر سليم. فلتنتظر الدنيا كلها . فليجتمع أهل القرية بقضهم وقضيضهم عند باب الكهف ، فما عاد يعنينى شىء ولا احد ، ولا حتى الكشف العلمى العظيم . كلى شوق الى أن أرى هؤلاء الشجعان الذين استطاعوا أن يقولوا لا قبل آلاف السنين ، بل ربما قبل بضع عشرات من آلاف السنين ، وبقوا هنا خلفاً بعد خلف — رافضين ، ولكنهم يعيشون ! بينهم وبين مواكب الحياة التى تغدو وتروح مسافة أقل من نصف كيلومتر — ولا يعنيهم شىء ! لم يفلتوا فحسب من «جائر لا يرعوى» ولكنهم افلتوا أيضاً من فضول المؤرخين ، واقتحام الجغرافيين ، وجشع الجشعين لا يراهم احد من أرض ولا سماء ، ولا تطأ ديارهم قدم غريبة ! هنا انقبض قلبى فجاة : ما أدرانى كيف يستقبلوننى ؟ لعلى أنا اقبلهم بلا قيد ولا شرط ، ولكن هم ... ؟ اصبر واهدأ يا فتى ، أليس الصبح بقريب ؟

كنت شديد الانفعال ، ومع ذلك كان يفعمنى شعور غريب بالتحقق والامتلاء . وتحت دثار لين من نور القمر البنفسجى الذى كان يسيل من الشعاف — كما ينحدر الماء من نبع صاف — نمت ، ولكنى انتبهت على شىء يلمس جبينى ، حسبته ورقة من ورق الشجر ، ولكنه كان انعم وأكثر ليناً . وعندما فتحت عينى كانت بجانبى مفاجاة أخرى لم أستعد لها :

لعلها فوجئت فابعدت يدها عن جبينى وتراجعت قليلا ، ولاحظت أنها كانت تتمتم بنغمة تشبه الغناء ، ولكن عينيها الواسعتين بقيتا شاخصتين الي .

لم يكن فزعى اقل من فزعها ، ولكن قوة لا قبل لنا بمقاومتها كانت تدفع كلا منا نحو الآخر . من الحماقة أن اسميها حباً ، إنما هى رغبة عارمة فى الاكتشاف .

كانت عيناها شديدتى السعة شديدتى الاحورار ، فى وجه مسنون الملامح شمعى البياض ، رقيق البشرة حتى أنى أبصرت الدم يجرى تحته فى الشعيرات . كذلك كانت ذراعاها — اللتان انحسر عنهما الكمان — ظرفين من نور ناصع يشفان عن مثل تعاريج الرخام . من الصعب أن أصف المشاعر المبهمة المختلطة التى هاجت فى نفسى ، ولكن إحساساتى الجسمية كانت واضحة كل الوضوح : كان قلبى يدق دقاً شديداً حتى أكاد أختنق من عنف ضرباته ، وكنت احس ألماً شديداً فى أطرافى وكأنما أصبيت بالشلل فجاة . وكنت احدق كالماخوذ فى ذلك الكائن العجيب ، ولاحظت أن كل شىء فيها باهت : بشرتها الشمعية البياض ، شعرها الكتانى الصفرة ، عيناها اللتان لم يكن لهما لون واضح ، فهما أشبه بحقل من القمح كاد يدرك ، يميل مع الريح فتختلط خضرته الشاحبة بصفرته الباهتة . لعلي لو رأيت صورتها على لوحة رسام لقلت إنها جميلة ، وتمنيت فقط لو انه عمق الصفرة الباهتة ليكون لها بريق الذهب وسحره . ولكنى وأنا أتامل شخصها سيطر علي إحساس عجيب بانها حية . بعد قليل تمنيت أن أعانقها ، فى شوق مستبد الى الهلاك بين ذراعيها .

أدركت أن تمتمتها المنغمة كانت رقية سحرية وانها تشجعت حين رات أن لمساتها الأولى لم تحفزنى الى إيذائها . لعلها شعرت أيضاً أنها الطرف الأقوى . كفت شفتاها عن التمتمة ولاحظت انهما رقيقتان جداً وباهتتان جداً . غلبنى النفور من جديد .

أشارت بيمناها الى بعيد ورفعت حاجبيها الكتانيين وجعدت جبينها ، فادركت انها تسألنى : هل جئت من هناك ؟ وحين أومات برأسى عادت تسأل باشارة من سبابتها : وحدك؟ أومات برأسى مرة أخرى ، فزالت التجاعيد من جبينها ، ولاح على وجهها طيف ابتسامة ، واحسست فى عينيها نوع حرارة . ولاحظت أنها تنظر الى وسطى ، وكنت قد نسيت أمر الحبل ، فضحكت وضحكت ، وأومات برأسى عدة مرات (نعم ، يمكننى العودة) فالتصقت بى وعانقتنى بلا كلفة .

فهمت أنها تقول : سأذهب معك .

لاباس يا فتاتى ، كل شىء ممكن ، ولكن ليس قبل أن أتمم ما جئت من أجله . حاولت أن أفهمها بالاشارة أنى يجب أن أعرف عالمها قبل أن آخذها الى عالمى ، فأجفلت منى فزعة وهى تشير بيديها أن اذهب ، اذهب .

أدركت أنها تحذرنى من خطر محقق . ولكن لماذا تحرص على سلامتى ، الى حد أنها نزلت عن رغبتها الأولى فى الانضمام إلي ؟ هل معنى هذا أنها أحبتنى ؟ أنا نفسى لم أعد اخافها أو أشعر بأنها حية . ولذلك قررت أن أعبر الجسر الأخير الذى يفصل بيننا حتى يكون تفاهمنا كاملا . وضعت يدى على صدرى وقلت :

— طارق .

فأومات برأسها .

فتشجعت ، وأشرت الى كرمة قريبة ، وقلت :

— كرمة .

فأومات برأسها ثانية وهى تبتسم .

فجعلت أشير وأنطق : أرض ، سماء ، قمر ، نجمة ، وبسمتها تزداد اتساعاً ، حتى أغربت فى الضحك . وغاظنى أنها لم تفلح فى ترديد كلمة واحدة ، بل عمدت الى هذا الضحك السخيف كأى تلميذة غبية . وهممت بان أوبخها ، ولكنى لم أدر كيف أفعل ، ولعلها لاحظت همي ، فكفت عن الضحك ، واكتسى وجهها سيماء الجد ، وأشارت الى المكان الذى نجلس عليه ، وقالت ببطء وتمعن :



ـ صخرة .

فعانقتها وانا اكاد أطير فرحاً ، وضحكنا معاً كطفلين . ولكنها قطعت ضحكتها فجاة ووضعت يدها على فمى ، وتخشب جسمها كله .

وفى الصمت العميق ، سمعت سعلة تاتى من مكان غير بعيد ، ومالبث أن لاح شبح يستند الى إحدى فتحات الساحة ، ونادى بصوت اجش :

ـ نجمة !

هممت أن اتوارى ، ولكنها همست فى اذنى : إبق حيث انت . إنه لا يبصر . وتاملت الشبح فاذا هو شيخ مسترسل الشعر ، ولاحظت أن ملامحه جامدة كملامح العميان ، وإن كانت اجفانه مفتوحة وحدقتاه كبيرتين . ورايت فى ضوء القمر ، الذى أخذ يسطع ويكتسب لوناً فضياً ، أن شعره الأشمط المرسل على ظهره وصدره مرجل بعناية . نادى ثانية بصوت زحفت اليه رنة قلق :

ـ نجمة !

فاجابت بشىء من الضجر :

ـ قادمة يا رجل !

ومشت اليه متثاقلة . فقال وهو يضغط على كلماته ـ وشعرت فى نبراته بمزيج عجيب من الشفقة والوعيد :

ـ والله تفتنين تخرجين فى الليل هكذا حتى يصيبك مكروه !

قالت متصنعة الحنق كطفلة خبيثة :

ـ أى مكروه يا رجل ؟ تعلم انى لا اطيق البقاء فى ذلك الجحر !

قال :

ـ أليس هذا خيراً من أن تخطفك الجن ؟ والله إنهم لخاطفوك فى ليلة من هذه الليالى !

قالت بخبث وتحد :

ـ أواثق أنت ؟

فتغيرت لهجته الى قسوة محضة :

ـ مع من كنت تتحدثين الساعة ؟

ارتجفت ، ورأيت من الحكمة أن اتوارى رغم ما اكدته لى . ولكنها ضحكت ضحكة صافية وقالت :

ـ أجننت يا رجل ؟ مع من عساى اتحدث ؟ (وبعد لحظة صمت !) من اجد فى هذه الدنيا كلها اجمل منك ؟ (ومسحت على خديه وشعره) أو اقوى (وضغطت باصابعها على كتفيه وذراعيه وزنديه) أو أرق عاطفة . لولا انك تغار !

فراح يتحسسها بامعان وكانه فنان يعيد تشكيل اعضائها باصابعه وراحتيه ، واختفيا متخاصرين داخل الفتحة التى كان يقف عندها .

وبقيت فى مخبئى خشية قادم جديد يبرز الى الساحة فيلمحنى فى ضوء القمر ، الذى بدا لي ـ بعدما ألفت عيناى الظلام والغبش ـ باهراً فضاحاً . خبت حماستى لهؤلاء القوم الذين تمنيت ـ قبل ساعة واحدة ـ لو اترك العالم كله ورائى لأبقى بينهم . بدا لي رجلها منفراً الى اقصى حد ، وكان واضحاً انه يسيطر على الفتاة سيطرة مالك مستبد ، ويتحكم فى حياتها وعواطفها تحكم السيد بالأمة ، على الرغم من أنها تخادعه كلما استطاعت وتعبث به جهد ما تطيق . وحمدت الله لأنى لم اخلع الحبل من وسطى فى لحظة طيش . ربما اشتد الخطر مع انسلاخ الليل ، فيجب أن افكر فى العودة . ولكنى لم أعرف بعد كل ما أردت معرفته ـ أو بالأحرى : لقد عرفت اكثر مما توقعت أن أعرف ، ولكن هذا الذى عرفته فتح الباب لأسئلة لا نهاية لها ، ولا يمكن أن احيط باجوبتها فى ليلة . ووجدتنى انتظر نجمة ، فى شبه يقين من عودتها . لاشك انها ستحل لي كثيراً من هذه المشكلات التى اثارتها بظهورها . ولماذا لا اقول صراحة إنى شعرت بشوق اليها ؟ ألم اجد فيها كل ما تخيلته فى ذلك الجيل القديم الرافض ، الذى ضحى بكل شىء حتى لا يقع فى العبودية؟

ألم اجد فيها «المرأة» بكل معانيها ، ولتكن ايضاً خادعة ومراوغة ؟

ولكننى كنت واثقاً انها لن تراوغنى انا . لابد أن تعود . إنها احرص منى على الخروج من هذا الكهف . ووجدتنى افكر : كيف أعود بها الى العالم الفسيح . ؟ كيف نتجنب الصحفيين والاذاعيين والفضوليين بالوراثة ؟ كيف تتقبل حياتها الجديدة ـ حياة مليئة ، رغم كل شىء ـ بقيود من نوع مختلف ؟ كيف أمسكها حتى لا تنطلق مع كل رجل آخر يظهر فى حياتها ؟ هل يمكن أن أضمن الا يقع ذلك ، و «الحب من اول نظرة» لا يخرج ـ فى اعتقادى ـ عن كونه شغفاً بالمغامرة وشوقاً الى المجهول ؟ وسالت نفسى : هب أن ذلك حدث فما الذى اخشاه ؟ هل اخاف مثلا أن تصبح فتاة يتداولها الرجال ويستمعون الى قصتها التى لا تشبه شيئاً مما تعلموه فى كتب التاريخ والجغرافيا ، ويضحكون كما يضحكون من هذيان امرأة مخبولة ذهبت الخمر بعقلها ؟ أم ترانى أريد أن أمتلكها كما امتلكها ذلك العجوز القبيح ـ أنا محررها أريد أن أغدو سجانها ؟ ...

لم يخب ظنى . فقد عادت ، متهللة خفيفة الخطو فى ثوبها الأبيض الهفهاف ، كانما صاغها القمر من أشعتها ذات نزوة . همست : لقد نام .

قلت : ألا تخافين أن يستيقظ مرة اخرى ؟

قالت : لا .

عادت تهمس : لا تفكر فيه الآن . لا تفكر فى شىء . هى التى قررت ذلك . غمرتنى كموجة . ضاع الزمان والمكان ، وغرقنا فى ابدية متوهجة هى ذى تنفض رأسها كمهرة ، وتقبض على عضدى ـ لم أكن أحسب أن فى يدها كل هذه القوة : «هيا بنا» .

خلت أنى ملكتها . سالتها بحقد :

ـ هذا الرجل زوجك ؟

هزت كتفيها غير مبالية :

ـ زوجى ... أبى ...

فعدت أسالها :

ـ أبوك أم زوجك ؟

صمتت قليلا ، واربد وجهها . ثم قالت بذل :

ـ هو أبى وزوجى .

لعل اعترافها الخجل محا شناعة الجرم الذى لم تكن لها يد فيه . وكنت انصت فى هلع ، ولكنى الآن امتلأت إشفاقاً عليها . سرنا متخاصرين ، ومع ذلك فان الشك يعذبنى ...

« ٧ »

وأنا أيضاً لا أستطيع أن أجزم : هل كان هذا كله حقاً وواقعاً أم وهماً سيطر على خيال طارق وهو داخل الكهف ؟ ولو أنى لا اتردد فى تبرئته من تهمة الكذب ، ولا أقول إن الفزع أصابه بما يعده الناس مساً من الجن عندما وجد نفسه وحيداً فى ذلك الكهف الرهيب ، ليلة بطولها . ولكننى لا أملك دليلا واحداً على صدقه ، أعنى

# كهف الأخيار

دليلا يقينياً واحداً ، وإن اعتقد هو انه يملك هذا الدليل . هناك شىء واحد أستطيع أن أشهد بصحته أمام الملأ : وهو أن طارق وحيد دخل ذلك الكهف مساء الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ ، الموافق للثانى من يونية ١٩٧٧ ، الساعة السابعة والنصف مساء زوالى ، ولم يخرج منه إلا فجر اليوم التالى ، وإن كنت لا أستطيع تحديد الوقت بالساعة والدقيقة ، لسبب سوف أبسطه بعد قليل .

ولكننى لا أستطيع أن أشهد على صحة ما ادعى انه رآه داخل الكهف . فقد قرأت فى نظريات التحليل النفسى عند فرويد ويونج ما أفسد قدرتى على تصديق مثل هذه الرؤى ، وإن كنت أجدنى غير قادر على تكذيبها أيضاً . فمن الجائز جداً أن طارق كان يعانى من عقدة أوديب . ويخيل إلي أن معظم المكتشفين والزعماء والقادة كانوا كذلك . هذه على الأقل هى نظريتى الخاصة . وسواء صحت أم لم تصح فان عقدة أوديب لا تلغى المكتشفات والمخترعات ولا تكذب أحداث التاريخ ، وكذلك لا يلزم من كون طارق مصاباً بعقدة أوديب أنه لم ير داخل الكهف سوى أوهام عقله الباطن . وليتنى رأيته لحظة خروجه من الكهف لأستطيع أن أصف حاله بدقة ، فان ذلك كان حرياً أن يلقى بعض الضوء على ما رواه فى هذه الأوراق .

لقد قضيت عند باب الكهف ما يسمونه ليلة ليلاء . لم يكد يمر الهزيع الأول من الليل حتى سمعت أصوات بنات آوى تتجاوب فى الحقول المجاورة ، وعواء ذئب يأتى من بعيد . كان الناس فى قريتى يقولون إن الذئب يشم رائحة الآدمى ، وإنه ـ أكثر من ذلك ـ يعرف إن كان وحيداً أو فى جماعة . وهكذا ثبتت استحالة ما منيت به نفسى من أنى سوف أنام عندما يحين موعد نومى المعتاد ، فبقيت يقظان وإبهامى على زر كشافى الذى لم أكن أملك سلاحاً غيره . نظرت الى ساعتى مرات لا أحصيها ، وكنت أجدها كل مرة لم تتقدم إلا دقيقة أو دقيقتين ، فأخالها واقفة وإن كان عقرب الثوانى مثابراً على حركته الدءوب . وأخيراً عولت على أن أنسى أمر الساعة نهائياً حتى أتمكن من ضبط أعصابى . وعندما سمعت صياح الديكة الثانى عرفت أن الليل قد انتصف فتنفست الصعداء ، فقد علمتنى سنوات التدريس أن النصف الثانى من كل شىء يمر دائماً بسرعة . أو هكذا كنت أزعم لنفسى . ومع أنى هدأت قليلا فقد بقى النوم احتمالا غير وارد ، لأنى حتى لو شعرت بالنعاس ـ ولم أشعر به ـ فقد كنت مصمماً على أن أوقظ نفسى خوفاً من عدوان الذئب . فأخذت أقطع الوقت بمحاولة ترتيب الأحداث فى ذهنى ، مقدراً أنى سأجلس يوماً لأكتبها . وهنا فقط فكرت فيما عساه يجرى لطارق الآن داخل الكهف . وتحسست اللفة فوجدت أنها لم تنقص إلا قريباً من نصفها . وأرحت عليها يدى فوجدتها ثبتت عند هذا الحد . معنى هذا أن طارق توقف بعد أن قطع ما يقرب من نصف كيلومتر (هذه الحقيقة تتفق مع القصة التى رواها ، ولكنى أكرر أنها ليست بالدليل الكافى) . بدأت أشعر بالقلق . إذا كان قد أصابه مكروه فماذا أقول حين أعود وحدى الى المدرسة ؟ أليس من الجائز أن أتهم بقتله وإخفاء جثته ؟ بل هذا هو المرجح . بل إنه مؤكد ولا عقوبة له إلا أن يطيح رأسى بالسيف . سمعت صياح الديكة الثالث ، وبدت غبشة خفيفة عند الفتحة الخارجية . ذهب رعب الليل وجاء رعب النهار . أنهكنى الانفعال فغفوت ، وحين انتبهت كان طارق ممدداً بجوارى . لم يكن يبدو نائماً ولا مغشياً عليه ، ولكنه كان أشبه بميت .

لم أصدق أن مغامرتنا الصبيانية انتهت بسلام إلا حين وضعت يدى على صدره وشعرت بحركته . حركة مضطربة نعم ، ولكن حمداً لله ! بعد ذلك كان فى وسعى أن أحتمل أى شىء .

تنهدت مستريحاً واستلقيت متوسداً حقيبتى ونمت أعمق نومة نمتها فى حياتى ، على الرغم من خشونة مرقدى . ولما استيقظت دهشت إذ رأيت نور الشمس لم يكد يتسلل الى الركن القصى من الفجوة ، وطارق يجلس بجانبى ، ممدد الساقين ، وكأنه استيقظ من فوره ، وهو يجيل فيما حوله عينين زائغتين .

أمسكنى من ذراعى وهزنى بشدة وهو يسألنى :

ـ أين هى ؟

لم أفهم شيئاً . فضرب كفا بكف وصاح بصوت كالعويل :

ـ كنت نائماً عندما خرجنا من الكهف . وأنا سقطت من الاعياء فلم أشعر بشىء . ولكنها كانت معى ! كانت معى حتى باب الكهف ! أين تراها ذهبت ؟ هذا ما كنت أخشاه ! ان لا تطيق الانتظار لحظة أخرى ! أن تجن حين ترى الأفق واسعاً الى هذا الحد ! أن تذهب بلبها روعة السماء حين تتجلى بدون حجاب ! أن تأخذها النشوة بمنظر الحقول فتنطلق مع لرياح الأربع! ضاعت وأأسفاه !

نكس بصره كمن يقرأ شيئاً فى الأرض ، ثم نفضه فجأة وقد تغيرت ملامح وجهه فارتسمت عليها دهشة مفعمة بخيبة الأمل :

ـ أم تراها ذعرت حين وقفت على عتبة الكهف ؟ حين أوشكت أن تطرح وراءها ماضيها كله ؟ لعلها شعرت بأرواح أسلافها تناديها من تلك الفجاج المظلمة ، لعلها حنت الى لمسات الأعمى ، تبعث الرعشة فى أعضائها كأنها تخلق من جديد؟ أيكون عناؤنا كله ، وهذه الليلة التى تشيب الوليد ، قد ذهبا باطلا وقبض الريح ؟

وازدادت تعاسته وهو يردد :

ـ ليتنى أستطيع أن أوفق على الأقل أنى رأيتها وحدثتها ! أنها لم تكن مخلوقة من وهم !

فجأة التمعت عيناه كعينى مجنون ، وراح يفتش فى حقيبته ويتحسس حوله :

ـ الكشاف ! الكشاف !

ناولته كشافى وأنا أشعر بالفزع ، فدفع يدى بحركة عنيفة وهو يردد :

ـ كشافى أنا ! أنا أبحث عن كشافى أنا !

قلت له مهدئاً :

ـ وما يعنيك منه الآن ؟ لعلك فقدته داخل الكهف !

فأجاب بعنف لم أدر له سبباً :

ـ لا ! بكل تأكيد لم أفقده ! لقد أصرت على أن تمسكه . وتعلمت كيف تشعله ونحن نقطع النفق ! كان بيدها طول الوقت ! وهانذا لا أجده! إذن فهى حقيقة ! حقيقة !

صمت طويلا ، ثم قال وهو يهز رأسه بحكمة :

ـ إن كانت قد خرجت فلن يمسكها أحد . وإن كانت قد بقيت فى الكهف فلابد أن تخرج منه يوماً . معها الكشاف ، وقد تعلمت كيف تستعمله

وأردف بعد هنيهة :

ـ لا أظنها تتخذه لعبة .

ثم أضاف مؤكداً :

ـ ستخرج من الكهف قبل أن تنفد كهرباؤه .

● ●

كان هذا الحديث كله يبدو لي مرعباً وغير مفهوم . ولكننى أحسبنى كنت أسعد أهل الأرض حين عدنا الى شقتنا ، صباح يوم الجمعة ١٦ جمادى الآخرى سنة ١٣٩٧ ، وحين ذهبنا الى المدرسة معاً فى اليوم التالى . كنت سعيداً الى درجة أنى لم ألاحظ التغير الخطير الذى طرأ على رفيقى . بعد أيام كنا نستعد للسفر وقد ودعنا عاماً دراسياً آخر وبدأنا نتطلع لعطلة نقضيها بين أهلنا . ولكن طارق قرر أن يتخلف بعض الوقت . ومع أنه روى لي كل ما حدث له فى تلك الليلة ، وسمح لي بأن أنسخ صورة من مذكراته التى أوردت هنا أجزاء منها ـ أو بالأحرى شجعنى على ذلك ـ فانه لم يصرح لي بما انتوى عمله فى تلك العطلة ، إلا قوله إنه قد لا يعود الى هذه المنطقة مرة أخرى ولذلك يود أن يتجول فى أنحائها جولة أخيرة . وحين سألته ـ سؤالا قصدت به التحذير ـ هل يفكر فى العودة الى الكهف ، أنكر ذلك بشدة . ولكننى مازلت أشك فى أنه فعل ، وحين أكتب هذه القصة ، بعد أن مضت عليها ثلاث سنوات أتمنى أن يطلع عليها ، وعساه يكتب إلي ، حتى أطمئن إلى أنه لايزال ـ كما يقولون ـ حياً يرزق أو حتى لا يرزق .

د.شكرى محمد عياد

مطلوب من المؤرخين العـــرب أن يناقشـــوا هــــــذا المقــــــال

# سعد زغلول في قفص الاتهام



سعد زغلول ... اتهمه مؤرخ معاصر بالنزعة الشخصية والطمع فى السلطة والمال وضيق الصدر ، مخالفا بذلك صورته المعروفة كزعيم وطنى شجاع

بقلم : فتـــحي رضـــوان

مؤرخ يخالف الاجماع الشعبى عن سعد زغلول وهو الاجماع الذى وضعه فى مقام الزعامة والقيادة الوطنية المخلصة

ـ المؤرخ يتهم سعد زغلول بالنزعة الشخصية والطمع فى السلطة والبخل ، حيث لم يدفع للحركة الوطنية إلا مائة جنيه عاد فاستردها ، بينما دفع زملاؤه الآلاف ولم يستردوها ـ المؤرخ يتهم سعد زغلول بانه صرف مئات الآلاف من أموال الوفد بايصالات موقعة بخطه وقلمه ولم يردها ، وبانه ضيق الصدر ، لا يطيق المناقشة ، وبانه عاشق لذاته ولا يسمح بان يتردد اسم آخر إلى جانب اسمه ـ ويرى المؤرخ أن سعد زغلول متقلب لا يثبت على رأى ، فحيثما لاحت المصلحة جرى وراءها ناسياً ما قاله من قبل وما أعلنه وأكده واعتبره حقا لا ينزل عنه ولا يساوم فيه .. له رأى فى العلن ، ورأى آخر مناقض يخفيه فى السر ، وقد رفض سعد زغلول أن يسمح للوفد بدفع تكاليف إعادة جثمان الزعيم الوطنى محمد فريد من المانيا إلى مصر ، بينما أصر على أن يدفع الوفد تكاليف اعادة جثمان صهر سعد « مصطفى فهمى باشا » ـ رجل الانجليز المعروف ـ من باريس إلى مصر ـ ويشتد المؤرخ على سعد فيقول : إنه جحود حقود .

هذه الصورة التى يرسمها المؤرخ مخالفة تماماً لصورة سعد فى أذهان العرب جميعاً ، والتى هى صورة الزعيم الشجاع المخلص الأمين المستعد للتضحية من اجل مبادئه ، المؤمن بشعبه وعروبته وعقيدته والذى لا يلين ولا يهادن .

فأين الحقيقة فى هذا التناقض ؟

وما هو موقف المؤرخين ... ؟ إننا نطرح مقال الأستاذ فتحى رضوان للمناقشة الحرة الصريحة :

نشر المركز العربى للبحث والنشر بالقاهرة ، كتاباً بعنوان : « ذكريات اجتماعية وسياسية » . وذلك فى خلال شهر مارس الماضى ، وكان ترقبى وانتظارى لهذا الكتاب ، سواء كان عنوانه ذكريات أو مذكرات ، حاراً . ذلك لأنى ممن يحتفلون أعظم الاحتفال بما كتبه الذين ساهموا فى العمل العام ، وكانوا من أقطاب الحركات التى غيرت تاريخنا الحديث .

## من هو علوبة باشا . ؟

ومحمد علي علوبة باشا ، واحد من كبار هؤلاء العظماء بأكثر من مقياس . فقد اتصل بالحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ ، والذى خلفه فى زعامته محمد فريد . وكان عضواً فى اللجنة الادارية لهذا الحزب العظيم ، أى عضواً فى مجلس إدارته . وقد سافر مع الزعيم الثانى لهذا الحزب « محمد فريد » إلى تركيا ، عقب عزل السلطان عبد الحميد عن عرشه سنة ١٩٠٩ ، ليقدم لحزب الاتحاد والترقى ــ الحزب التركى الحاكم آنذاك ــ تهانى الحزب الوطنى فى مصر لاعلان الدستور العثمانى . فلما دعا اللورد كتشنر القائد العسكرى البريطانى ومندوب حكومة الاحتلال فى مصر ، إلى هيئة نيابية قاصرة وعاجزة ، أسماها « الجمعية التشريعية » ، رشح نفسه عن مدينة أسيوط التى كان يعمل فيها محامياً ذاع صيته ، وارتفع مقامه ، واتسع رزقه ، فانتخب فى سنة ١٩١٣ عضواً فى هذه الجمعية ، وعدته دوائر الاحتلال البريطانى ، من نواب الحزب الوطنى الذى آلت زعامته آنذاك للزعيم محمد فريد ، ولما كان صديقاً لسعد زغلول ، يحمل فى نفسه الاعجاب والتقدير له ، فقد أيده وانضم إليه وروج لانتخابه وكيلا عن الشعب فى هذه الجمعية ضد منافسه ومرشح الحكومة « عدلى يكن » ولما ثارت معركة التفضيل بين الوكيل المنتخب من الشعب ، والوكيل المعين من الحكومة ، حشدت الحكومة كل قواها لتنصر مرشحها وشغل الناس فى مصر بهذه المعركة ، وانتصر سعد ، وفرح بهذا الانتصار المحامى محمد علي علوبة .

فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، كان الخاطر الذى شغل أذهان الصفوة من أهل الرأى فى مصر ، انه لابد أن توفد وفداً إلى مؤتمر فرساى الذى انعقد فى تلك الضاحية الباريسية ، والذى سمى مؤتمر السلام ، لتصفية المشكلات التى خلفتها الحرب لا بين المنتصرين والمنهزمين ، بل بين المنتصرين بعضهم البعض ، وبين دول جديدة نشأت ولم يكن لها وجود ولا اسم معلوم ، كتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ، والبانيا ، بل كبولندا ودول البلطيق : لتوانيا واستونيـا ، ولتفيا ، وفنلندا .

وكان الدكتور « ودرو ولسون » رئيس الولايات المتحدة ، قد بشر بعالم جديد يسود فيه سلام على ما يشبه مبادىء السيد المسيح ، مبادىء تسوى بين القوى والضعيف والغنى والفقير ، ومن كان عريقاً فى السلطة والسيادة ، ومن كان محدثاً لم يظفر بالقليل منهما الا قريباً . وكان ضمن ما بشر به ولسون فى أربعة عشر شرطاً ذاعت شهرتها ، وشاعت على الألسن والأقلام نصوصها ، أن لكل دولة مهما ضعفت الحق فى تقرير مصيرها ، بغير ضغط ولا عنت ولا إرهاق ، وان الاستيلاء على الأرض بالحرب ، حرام . وأن حل المشكلات بالقوة باطل ، ورقصت الشعوب ، ورتلت أهازيج الفرح بالسلام الذى طال انتظاره ، ولما وصل « ولسون » إلى أرض أوروبا ، بعد أن قطع المحيط الأطلسى ، استقبلته شعوب أوربا ، استقبال الفاتحين والأبطال وأصحاب الدعوات الانسانية الكبرى .

وتواصى زعماء مصر السياسيين ، بانه لا مفر من أن يطرقوا أبواب مؤتمر السلام فى فرساى ، وأن يحشدوا حجج بلادهم الضعيفة ، فى حقها الواضح فى أن تكون حرة ، وأن تنفض عن نفسها عار الحماية البريطانية ، التى فرضت عليها فى الأيام الأولى للمجزرة البشرية التى وقعت ١٩١٤ بين المانيا والنمسا وتركيا فى جانب ، وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ثم الولايات المتحدة أخيراً فى جانب آخر .

وكان ظن زعماء مصر ، أنهم ما ان يطلبوا من ممثل بريطانيا ، ومندوب احتلالها العسكرى الاذن بالسفر إلى فرنسا حتى تعطى لهم التصريحات المطلوبة ، فما أن يصلوا إلى فرنسا ثم يقصدوا فرساى ، حتى تفتح لهم أبواب المؤتمر العظيم ، فيهزوا أعطاف مندوبى الدول ، ببلاغة فياضة عن ماضى مصر الذى امتد سبعة آلاف سنة ، كانت أوربا خلالها تتخبط فى دياجير الظلام ، بلا علم ، ولا فن ، ولا حرية ثم يردفون هذا كله بما قدمته حكومة مصر لجيوش الحلفاء ، جيوش بريطانيا وفرنسا ومن دار فى فلكهما ، من عون بشرى ، تمثل فى عشرات الألوف من ضحايا الحرب ، فضلا عن الأقوات والأرزاق ، ومتاعب الاحكام العرفية العسكرية التى جعلت حياة المصريين عذاباً وحرماناً وألما .

## آمــال خائبة

ولكن هذه الآمال خابت جميعا ، فالانجليز فى صلف وكبرياء وجحود وتعال تنكروا فضل المصريين عليهم ، وابتلعوا وعود الحرية وتقرير المصير ، التى زعموا أنها المبادىء التى حاربوا من أجلها ، ولم يكتفوا بهذا الخسران المبين ، بل زادوا ذلك كله ، باعتقال زعماء المصريين وفى مقدمتهم أربعة ، هم سعد زغلول ، ومحمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وحمد الباسل ، اختارتهم السلطة البريطانية من باشوات المصريين ، متخطية عدداً من زعماء مصر من البكوات ذوى المكانة والصدارة ، وأهل العلم أمثال عبد العزيز فهمى ، لطفى السيد ، محمد على علوبة . ولما أرسلت هذه السلطة الجائرة الغشيمة ، هؤلاء الزعماء الى مالطة فى التاسع من مارس ١٩١٩ ، خيل لها ، لقصر نظرها ، وجهلها باخلاق مصر ، وأهل مصر ، أن كل اضطراب ينتهى فاذا الثورة تندلع ، كأقوى ما تكون : مظاهرات تنتظم الشباب ، والشيوخ ، طلاب الجامعة وطلاب الأزهر ، وأصحاب المهن الحرة ، والموظفين والمثقفين والمتعلمين ، والحوذية ، وعمال السكك الحديدية ، والمواصلات العامة فى القاهرة


ودرو ويلسون
كان موقفه صدمة للحركة الوطنية فى مصر


محمد فريد
مات غريبا مشردا فى المانيا ورفض سعد المساعدة فى نقل جثمانه إلى مصر


الخديوى عباس حلمى الثانى
هرب إلى تركيا خوفا من الانجليز فخلعوه !


عدلى يكن
سياسى أرستقراطى يتكلم الفرنسية ولا علاقة له بالشعب

وانتقلت جذوةمن شعلة الثورة الى جميع مدن مصر ، فى الريف والصعيد ، وبذل الشعب من الرجال وأحياناً كثيرة من النساء دماءهم رخيصة ، وعرفت هذه الحركة بثورة سنة ١٩١٩ .

وقد عرف عن هذه الثورة تاريخ رسمى ، حددت فيه الخطوط العامة لها ، متى بدات ومن هم الذين كونوا قيادتها ، ثم ماذا فعلوا حتى وصل وفد هذه القيادة الى باريس ، ثم ماذا حدث عندما انتقل الوفد نفسه الى لندن ، وكيف أصبح زعيم الثورة سعد زغلول زعيماً للبلاد ، انبسط سلطانه على القلوب والنفوس ، بصورة لم تشهد مصر شيئا مثلها ولا فى عهد مصطفى كامل ، الذى احبه المصريون اقصى الحب ، ثم جاء فى الصف التالى لسعد ، عدلى يكن ، فتزامل الرجلان حيناً ، ثم اختلفا ، ثم اختصما ، ثم اندلعت بين أنصار كل منهما ما يشبه الحرب الداخلية ، وتوقفت الثورة الشعبية ، وتحولت سيوف وخناجر الشعب من صدور الأعداء إلى صدور المتنافسين من أبناء مصر .

وقد بقى هذا التاريخ وخطوطه الرئيسية لا يتغير كثيراً ، ولا يعرف الناس سواه ، حتى لو اختلفت مذاهب وميول المؤرخين ، فيما عدا التفاصيل الصغيرة .

ولذلك كانت ثورة سنة ١٩١٩ ، فى أشد الحاجة إلى مدد من المعلومات والحقائق والتعليقات ، تقتحم الحجرات المغلقة التى ضمت زعامة هذه الثورة ، والتى ترددت فيها أصداء المناقشات التى أججتها الخلافات ، كما كانت فى أشد الحاجة إلى من يصور لنا ، شخصيات هذه القيادة ، التى كتب عن زعيمها الاكبر ، شىء يعتبر كثيراً ، لا لانه كثير فى ذاته ، بل لانه كثير بالنسبة لانه لم يكتب شىء مطلقا عن الآخرين .

فماذا يكون عدلى ، ورشدى ، وصدقى ، وعلوبة ، وعبد العزيز ، ولطفى السيد ، والمكباتى ، وحمد الباسل ، وما هو دور كل منهم ، وأسلوبه فى تناول الاحداث ؟ وكيف كانت الأمور توجد ، والمناقشات تدور ، والقرارات تصدر ؟

وقد بقينا نحن قراء التاريخ المصرى الحديث ، نعرف هذا التاريخ من الظاهر ، دون أن نتجول فى قاعات هذا التاريخ ، وطرقاته وسراديبه المظلمة ، وشرفاته المضيئة حتى اصدر الاستاذ « محمد كامل سليم » ثلاثة كتب منذ بضع سنين ، اولها عنوانه « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها » والثانى بعنوان « ازمة الوفد الكبرى .. سعد وعدلى » ، والاخير أسماه « صراع سعد فى أوروبا » .

ومحمد كامل سليم كان قد تخصص فى اللغة الانجليزية فى لندن ، بعد أن اتم دراسته فى مدرسة المعلمين العليا ، ثم اختير مدرساً لاحدى المدارس ، فلما قامت الثورة ، طلب سعد من قائد الثورة فى مصر الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، أن يختار له اميناً للسر خاصاً به ، ممن يتقنون العربية والانجليزية معاً ، فوقع اختياره علي محمد كامل سليم ، الذى بقى ملازماً لسعد خلال إقامته فى باريس ولندن ، عقب سفر الوفد المصرى فى العاشر من ابريل سنة ١٩١٩ ، وعرف بسبب قربه هذا من سعد فى جميع الأطوار التى وقعت فى العاصمتين الاوربيتين « لندن وباريس » ، حتى عاد سعد إلى مصر ـ بعد سنتين طويلتين ـ بقى فيهما بعيداً عن مصر ـ فى الرابع من ابريل سنة ١٩٢١ (ص٤) ، لذلك كان فى مقدوره ان ينقل لنا صورة عن الجانب الحميم أو الشخصى لزعماء ثورة سنة ١٩١٩ ، بين الرضا والغضب ، والخصام والسلام ، والاتفاق والاختلاف ، وتنقلهم جميعاً أو تنقل أكثرهم بين التشدد والتساهل ، وبين الياس والأمل .

## مقارنة بين زعيمين

ولكن « محمد كامل سليم » كان شديد الاعجاب بسعد ، عظيم الايمان بقدرته ومواهبه وإخلاصه ، وحسن قيادته للثورة ، وشدة مراسه مع الأعداء ، وتحمله للشدائد وصبره على أذى زملائه ، بل إنه انتقل من هذا الاعجاب ، إلى الحط من قدرة واخلاص وقصر نظر زملاء سعد الذين خاصموه ، واختلفوا معه ، ثم خرجوا عليه .

فكان لابد من أن يكون بين أيدينا كتاب اخر يكتبه كاتب آخر ، له نفس الصلات بزعماء الثورة ، ولا سيما فى فترة وجودهم فى باريس ولندن ، وعند إجراء المفاوضات مع مندوب الحكومة البريطانية ، وهو « اللورد ملنر » وزير المستعمرات انذاك ، ولذلك كان صدور كتاب « محمد على علوبة» هو المقابل المطلوب ، لانه كان صديقاً حميماً لعدلى يكن ، ند سعد ومنافسه ، كما قضت

تطورات الحوادث المؤلمة .

وهو يقول عن نفسه ، إنه كان قبل ثورة ١٩١٩ صديقا حميما ومواظبا على زيارة سعد ، ولم يكن يعرف عدلى ، بل لم يجتمع به ولا مرة واحدة ، بل إنه كان سيىء الراى فيه لان عدلى قليل الاتصال بالناس ، حتى رماه علوبة بالكبر والتعالى ، وقد اكد هذا الظن عنده ، أن عدلى كان صهراً للعائلة المالكة فى مصر ، وكان اسمه يدل على هذه الصلة ، لان ( يكن ) لفظ تركى معنـــاه ( ابن الاخت ) فرأس عائلة « يكن » كان ابن اخت محمد علي باشا الكبير ، مؤسس الأسرة المالكة المصرية ، إلا أن علوبة يقول إن رايه هذا قد تغير ، حينما اجتمع بالرجلين فى العمل ، فراى فى صمت عدلى وقلة اتصاله بالناس ، تواضعا وخجلا وزهداً فى عرض نفسه ، او تزكية مواهبه . وانه يحسن الصبر على إساءة الظن به ، وتعجل الانصار ، وعجزهم عن تبين عواقب الامور .

وبين ايدينا مقارنة اجراها محمد كامل سليم فى الكتاب الاول من كتبه الثلاثة وهو الكتاب المعنون «سعد وعدلى كما عرفتهما» وسننقل بعضها هنا كنموذج لما احتوته هذه الكتب من آراء شخصية .

قال محمد كامل سليم فى المقارنة :

« سعد : رجل الشعب .ديمقراطى ، فلاح ابن فلاح ، نبت فى بيئة المحكومين ، واشتعل قلبه وعقله بمشاعرهم ، وكان يتحرق الى الحرية للشعب والاستقلال لمصر .

وعدلى : ارستقراطى ، فيه دم تركى اجنبى ، عظيم الثراء ، نبت فى بيئة الحكام . وليس فى قلبه ما يضرم الشوق الى الحرية والاستقلال .

سعد : ثقافة عربية ادبية دينية اسلامية تعلم الفرنسية على كبر واتقنها كلاما وكتابة ، وعرف الحضارة الغربية بكثرة اطلاعه وقراءاته وكثرة اسفاره إلى الخارج .

وعدلى : ثقافة فرنسية ، ونشاته وتربيته وعاداته فرنسية ، وتعلم الانجليزية على كبر ، وكان اقدر على الكلام بالفرنسية اضعاف قدرته على الكلام بالعربية العامية ولم يعرف العربية الفصحى ولم يقرا كتابا من كتب الادب العربى .

سعد : رجل اخلاق ومبادىء ، مطبوع على الصراحة والشجاعة ، والثقة بالنفس والصدق والامانة .

وعدلى : رجل له مصالح اولا واخيراً ، ولا يعنى بسواهما . وكل وسيلة تحقق مصالحه هى مقبولة فوراً مادامت لا تعرضه للمتاعب والاخطار ، ويرى أن المساومة وحدها هى سر النجاح فى الحياة ، والنعومة والمكر وانتهاز الفرص خير الوسائل فى الحياة .

سعد : رجل عاطفى مشبوب العواطف ، يحب بكل قلبه مع العطف والحنان ، ويكره مع السخط والاحتقار . ويغضب فى عنف على كل منحرف عن الصدق والامانة ، ويحزن فى عمق على ما يصيب احبابه ومن يثق فيهم ، لهذا كان حزنه اشد ما يكون سواداً وعمقا عندما علم بالقبض على ( عبد الرحمن فهمى ) ومساعديه من شباب المصريين والأبرياء .

وعدلى : متكبر لا يترك اية عاطفة تسيطر عليه . فهو يقلد الانجليز فى البرود ولا يسمح لاية عاطفة ان تفوت عليه مصلحة يريدها ، وهو يحكم مزاجه البارد وطبيعته الجامدة وبيئته ونشاته ، ولا يعترف بالمثل العليا ، ولا يعرف الفداء ولا يتاثر كثيراً بما يصيب الآخرين . سلوكه يتوقف على ما يراه، فان كان ما يراه مفيداً وممكنا بمجهود يسير ، اقبل عليه ، ودافع بالعمل لتحقيقه، ومصلحته الشخصية هى الهدف الاول والاخير على الدوام » .

ثم انتقل كامل سليم الى جانب آخر من الرئيسين سعد وعدلى ، وهو اسلوب الكلام وطريقة المناقشة .

« فسعد ـ عنده ـ يمارس اسلوب المحامى القدير ، يصغى لما يقوله محدثه فى صبر واناة ، ويسجل كل ما سمعه فى ذاكرة قوية ثم ينقض على النقط الضعيفة ولكن فى هدوء واناة ، وقد يسخر من كلام محدثه قبل ان يسحق حججه سحقا ، فى سلسلة من الحجج القوية المتماسكة، فى وضوح عجيب ، يدعمه المنطق ، ويزينه جمال الاسلوب وروعة الفصاحة فى الأداء والادلاء .

اما عدلى فكان من طراز مخالف تماماً لسعد ، فاسلوبه اسلوب السياسى الناعم الملمس الذى لا يؤذى ولا يجرح ، وكان يفضل الكلام بالفرنسية ، حتى إذا اضطر إلى الكلام بالعربية العامية فان الايجاز كان ميزته الظاهرة ، وهو على العكس من سعد لا يتناول اية حجة ضعيفة من خصمه ليرد عليها . وإنما كان يبدا بتلخيص ما سمعه من خصمه مما يهمه ويعلق عليه فى رفق وابتسام بغير كلمة نقد او تجريح ، فيرضى بذلك صاحبه ، وكان يتكلم دائما فى هدوء وصوت خفيض » .

لعل القارىء قد تبين بغير عناء ان راى محمد كامل سليم ـ وهو راى الاكثرية العظمى من انصار سعد وخصوم عدلى ـ أن سعداً هو الانسان المثالى الذى ، لا تكاد تعيبه نقيصه ، ولا يعلق بذيله شائبه ، وهو مخلص غاية الاخلاص ، صريح إلى اقصى حدود الصراحة ، متعلق بالمثل العليا ، لا يصرف نظره عنها ، ولا يخفف من جهده فى الوصول إليها ، وانه لا يعفى مخطئا ولا منحرفا ولا فاسداً ولا متلكئا ، من نقده القارص ،وهجوه اللاذع . وهو الوطنية والفداء .

فاذا انتقل الى عدلى ، فقد انتقل الى النقيض فى كل شىء ، فعدلى لا صلة له بالمروءة ولا بالفضيلة ولا بالصراحة ، وهو لا يتذوق المصلحة العامة ، ولا تخطر له على بال ، وهو خبيث مداور ، يخفى عاطفته إن وجدت ، لانه لا يعرف هذا الضعف الانسانى الذى نسميه عاطفة ، لا هم له ولا غاية إلا المصلحة ، ومن ثم فهو يتحدث فى رفق وهدوء لكيلا يغضب خصمه او يفقده .. وبالجملة فعدلى هو الشيطان .

## الاخوة الأعداء

وتعجب ان يكون سعد وعدلى قبل الثورة ، وخلال حكم الخديو عباس ، وبعده فى ظل الاحتلال البريطانى ، صـــديقين لا يفترقان ، ويحف بهما جميع اعضاء الوفد الذين سافروا مع سعد إلى عاصمة فرنسا ثم عاصمة الانجليز . وتعجب اكثر من ذلك ان عدلى كان رئيس وزراء الإئتلاف الذى تزعمه سعد سنة ١٩٢٦ ، وأن سعداً غضب على انصاره واشتد عليهم حينما ضايقوا عدلى وحملوه على الاستقالة فى ديسمبر ١٩٢٧ .

ولكن قد يبدو من المفيد ان نعرف راى

سعد فى جميع اعضاء الوفد ، بعد أن عرفنا راى السكرتير الخاص لسعد ، فى عدلى ، وادركنا الى اى حد بلغ هذا الراى من الضيم والسوء .

روى لنا « محمد كامل سليم » وقائع جلسة عاصفة من جلسات الوفد فى باريس كان سببها ارسال برقية من صحفى يدعى محمد نجيب كان متصلا بسكرتارية الوفد ، اى بسعد ، الى جريدة « الاخبار » التى كان يصدرها ويراس تحريرها المرحوم « امين الرافعى » . وقد وصف الصحفى فى هذه البرقية وجود عدلى مع الوفد بانه كارثة ، وقد هاج الاعضاء وماجوا ، واحتد سعد واشتد ، فلما انصرف الجميع وخلا سعد إلى سكرتيره وامين سره « كامل سليم » قال له « سعد » فى حق هؤلاء الزملاء : « والله ان فراقهم خير واولى » . وفى مناسبة اخرى قال سعد لسكرتيره : « إنى اصبحت لا أثق باحد من اعضاء الوفد » . وفى مناسبة اخرى قال سعد : « كيف اتحمل الهوان ممن لا احترم لهم رايا ، ولا انتظر منهم فى العمل عونا ولا نفعا ، ولا اجد فى صحبتهم إلا ضراً وشراً ؟ » .

وقال فى مناسبة اخرى عن هؤلاء الزملاء انفسهم : « رجال من أسوأ الناس صفات ، ليس فيهم رجل واحد وطنى رشيد ، إنهم ما بين منشىء للحماية او مجند لها ، او مؤيد للانجليز او هو صنيعة لهم ، إنهم جميعاً خونة ومجرمون ، وانا اربا بنفسى ان اجلس معهم فى وليمة ، فما بالك بالاشتراك معهم فى اى عمل يمس البلاد » .

ما هذا الهراء ؟! وهذا التخريف ؟!

وفى مناسبة اخرى قال عن رايه فى عدد من أعضاء الوفد ، فقال عن عبد العزيز فهمى الذى كان انذاك محامياً ذائع الصيت ونقيباً للمحامين، وعضواً فى الجمعية التشريعية ، ثم اصبح بعد ست سنوات من وجوده فى باريس ولندن مع سعد ، وزيراً للعدل ، ثم رئيساً لحزب الاحرار الدستوريين ، ثم عضواً فى المجمع اللغوى بالقاهرة ، وقد ذاع له اقتراح باستعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية قال عنه سعد: «ما رايت رجلا مغروراً بنفسه فى تواضع ، ولا خبيثاً فى صالح ، ولا عسوفاً فى عادل ، ولا كذوباً فى صادق ، ولا جباناً فى شجاع ، ولا متقلباً فى ثابت ، ولا مرائياً فى صريح أكثر من هذا الرجل » .



صفية زغلول

زوجة سعد وبنت مصطفى فهمى « رجل الانجليز فى مصر »

وقال عن لطفى السيد ، الذى تواضع الناس فى اخريات حياته على نعته « باستاذ الجيل » والذى رقى الى منصب الوزير أكثر من مرة ، ثم تولى رياسة الجامعة ، فرياسة مجمع اللغة العربية : « متواضع فى كبرياء ، صالح فى خبيث ، قوى فى عجز ، ماكر فى بساطة ، قليل الكلام كثير التفكير ، واسع الخيال بليغ القلم والبيان ، متسامح فى متصلب ، وله فى نفسه احسن راى » .

## سعد ... متهماً

فاذا انتقلنا إلى ذكريات محمد علي علوبة ( باشا ) المولود عام ١٨٧٥ فى مدينة اسيوط والمتوفى سنة ١٩٥٦ ، فكانما انتقلنا من عالم إلى عالم ، فسعد الذى عرفناه فى كتب « محمد كامل سليم » : زعيماً ساحراً ، يؤمن بوطنه ، ويجاهد فى سبيله ، ويتحمل الأذى من اجله ، الثابت الراى ، المجرد من الهوى ، الذى يبلغ الغاية فى الاخلاص والتضحية ، رايناه فى كتاب « محمد علي علوبة » ، على النقيض فى كل شىء .

فسعد زغلول فى كتاب علوبة ، ليس له إلا غاية واحدة ، هى شخصه ، وبروزه على الانداد ، وتداول الالسنة لاسمه ، وهتاف اصحاب الحناجر له ، واتصاله بالسلطة ، وهو بخيل لم يدفع للحركة الوطنية إلا مائة جنيه ، لم يلبث أن استردها ، ومع ذلك فقد مد يده الى مال الوفد ، واخذ من علوبة الذى كان اميناً لصندوقه ، مئات الالوف من الفرنكات الفرنسية ، إبان وجود الوفد فى باريس بايصالات موقع عليها منه بخطه وقلمه ، ولم يردها . وهو جبان يخاف الأخطار الموهومة ، وهو ضيق الصدر ، نافد الصبر ، لا يطيق مناقشة زملائه الذين اختارهم الشعب اعضاء فى الوفد وقادة للحركة الوطنية ، وهو عاشق لذاته ، يريد لها التقديس والخضوع والاذعان . وهو لا يطيق أن يذكر اسم غير اسمه ، ولا ان ينسب فضل إلى غير شخصه ، ثم هو متقلب لا يثبت على راى . فحيثما لاحت المصلحة الشخصية جرى وراءها ، ناسياً ما قاله من قبل ، وما اعلنه واكده ، واعتبره حقاً لا ينزل عنه ، ولا يساوم فيه . وهو حقود جحود ، استعان بعدلى ، واستدعاه الى باريس ، فى إلحاح وتوسل ، ثم نسب إليه كل موبقة ، وعدلى : لم يسابقه إلى منصب ، ولم ينافسه فى شهرة ، ولم يقاومه لغرض .

وسنورد اشياء مما جاء فى كتاب علوبة. قال فى صفحة ٨٠ ما ننقله بشىء قليل من التصرف :

« نقلت سكنى إلى القاهرة اثر انتخابى فى سنة ١٩١٣ عضواً بالجمعية التشريعية وكثر اتصالى بسعد زغلول باشا بسبب اشتراكنا فى العمل واتفاقنا فى مبدأ المعارضة بالجمعية ، فلما اوقفت الجمعية اعمالها صرت انا وبعض اعضائها نتردد على منزله من آن لآخر ، نتداول الآراء ، وكان منها أن « الدكتور ولسن » رئيس الولايات المتحدة قد اعلن مبادئه الاربعة عشر التى تنص على مساواة الامم كبيرها وصغيرها ، وحقها فى الحرية وتقرير المصير ، لذلك خطر ببالى أن اقابل سعد باشا فذهبت إليه فى منزله يوم ٨ نوفمبر ١٩١٨ ولما لم اجده كررت الزيارة فى اليوم التالى فالتقيت به وقلت له إن الحرب انتهت بظفر انجلترا وحلفائها ، وان علينا واجباً كاعضاء فى الجمعية التشريعية ونواب عن الامة نحو هذه الامة ، وانت كوكيل منتخب عن الجمعية التشريعية اصبح واجبك اكبر من واجبنا ، فسالنى سعد ، وما الذى تبغى أن نعمله ؟ فاجبته ان الفكرة فيما يجب أن نعمل - اى فى الوسيلة - لم تتبلور فى ذهنى ، ولكن

المحقق هو أن من الواجب علينا أن نعمل شيئاً لمصلحة بلادنا بتكوين جمعية مثلا تسعى فى تحقيق ما تصبو إليه البلاد ، اعتماداً على المبادىء التى أعلنها ولسن ، فاجابنى إن بعض أصدقائنا قد فكروا فى هذا الأمر وانه لم يتداول معهم فيما ينبغى أن يعمل وعند اتفاقهم على الفكرة يخبرنى بالنتيجة . وأعلنت الهدنة يوم ١١ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وفى اليوم التالى اتصل به سعد تليفونياً ودعاه للحضور إلى بيته ، وفى صباح يوم ١٣ نوفمبر ، وصل علوبة إلى منزل سعد فوجد فى حجرة مكتب سعد ، علي شعراوى ، ومحمد محمود ، وعبد العزيز فهمى ، واحمد لطفى السيد ، فاخبره سعد بانهم الستة أصبحوا هيئة تسعى فى تحقيق ما فاتحه فيه علوبة وانهم اتفقوا على مطالبة العميد البريطانى بمقابلته ، وان العميد وافق على المقابلة وحدد لها يوم ١٣ نوفمبر أى نفس اليوم وحدد الساعة الحادية عشرة لها ، وانهم ينتوون المطالبة بالاذن بالسفر ، وان الذين سيذهبون للمقابلة هم سعد ، وشعراوى وعبد العزيز فهمى ، وان الثلاثة الباقين سينتظرون عودتهم فى مكتب سعد .

## مهادنة سعد للانجليز

وكان أول ما لاحظه علوبة أن الذين ذهبوا للمقابلة ارتدوا « الردنجوت » وقد كان فى ذلك الوقت الزى الرسمى الذى يلبسه الوزراء والعظماء عند مقابلة السلطان ، فلم تكن هناك حاجة لارتدائه وهم ذاهبون لمقابلة ممثل الدولة المحتلة والحامية ، ولكنه مركب النقص ، فان باشوات وبكوات ذلك العهد كانوا يشعرون بهيبة الموظف البريطانى أيا كانت مرتبته ، دع عنك عميد البريطانيين وأعلى مندوب لهم .

ولما ذهبوا إلى السير « ونجت » ، رحب بهم ، وافضى إليهم بان الصلح اقترب وأن مصر سينالها خير ، ولكن لابد من الصبر ، وأن الله مع الصابرين .

ودار الحديث بين المصريين الثلاثة والسير ونجت على الوجه المعروف ، ولكن علوبة اثبت فى كتابه ماخذ على ( سعد ) بعد ان أعلن إعجابه بموقف كل من شعراوى الذى لم يكن متعلماً ومع ذلك كان ما وجهه للمندوب البريطانى ( رائعاً وجديراً برجل وطنى شجاع دفعته شهامته ووطنيته الصادقة إلى أن يواجه السير ونجت بما لم يقله سواه ، فقد قال له : إننا نطلب من انجلترا صداقة الحر للحر ، وليست صداقة الحر للعبد ، وان مصر ترفض العبودية لبريطانيا أعظم الدول ، كما ترفضها لرجل لا قيمة له ولا شان . كما كان عبد العزيز فهمى وطنياً قانونياً ، أراد بعلمه أن يقنع سير ونجت بحق مصر فى الاستقلال وبنضجها سياسياً واهليتها للحرية .

ثم قال :

أما سعد زغلول باشا فانه مع طلبه الاستقلال كزميليه ، تطوع وعرض على المندوب السامى أموراً خطيرة دون أن يتفق مع زملائه ودون أن يكون له تفويض منهم ، ودون أن يحصل الوفد على توكيل من الأمة فقد ذكر فى كلامه ما ياتى : متى ساعدتنا بريطانيا على الاستقلال التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من استغلالنا والمساس بمصلحة انجلترا ، فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهى قناة السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود .

وقد أورد علوبة ، بعد هذا ، حديثاً عن دور لحسين رشدي باشا الذي كان طوال فترة الحرب العالمية الأولي ، أي من منتصف سنة ١٩١٤ حتى وضعت الحرب أوزارها في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، قائماً مقام الخديوي عباس حلمي الذي أعلنت الحرب وهو خارج مصر ، يصطاف كالعادة سنوياً ، فمنعه الانجليز من العودة لمصر ، أو هو لم يفكر في هذه العودة لخصومته الشديدة المعلنة مع الانجليز ، وخوفه على حياته لو وقع في أيديهم . وقد قبل رشدي اعلان الحماية البريطانية على مصر ، ولم يستقل ، ودافع عن هذا الاجراء واعتبره لصالح بلاده لكيلا تتعرض لغزو الألمان ، عدوة بريطانيا ، وقد أخذه الوطنيون على هذا المسلك ، واعتبروه خائناً للأمانة التي عهد بها إليه سيده عباس حلمي ، ولعله احس بأن خطاه يحتاج إلى التكفير عنه ، فبادر عقب اعلان الهدنة بطلب سفره ومعه عدلي يكن إلى فرنسا بوصفهما معاً وفداً رسمياً عن حكومة مصر ، يدافع عن حقها في الاستقلال وتقرير المصير ، وأراد أن يعزز مسعاه ، بالايعاز بتكوين وفد شعبي ، وأفضى رشدي برغبته هذه لسعد ، بوصفه وكيلا للجمعية التشريعية ، وألح رشدي في عرض هذه الفكرة على سعد ، وسعد يتلكا ، ولا يجد عنده حماسة لتنفيذها لضعف إيمانه بجدوى هذا المسعى ، ويروي « علوبة » أن محمد محمود ، وقف في وجه زملائه ذات يوم وهم خارجون من اجتماع مجلس إدارة الجامعة المصرية الأهلية ، ومد عصاه في طريقهم وقال لهم : لا تخرجوا من هنا حتى نقرر تاليف وفد يطالب باستقلالنا ، وكان مجلس الادارة يضم سعداً ولطفى السيد ، وعبد العزيز فهمي ، وقد اجتمع هؤلاء في منزل سعد ، حتى تم اجتماع المندوب السامي بسعد وزميليه في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، على الوجه المعروف .

وقد أوعز بعد ذلك « رشدي » بكتابة توكيل موقع عليه من أفراد الشعب ، يفوض أعضاء الوفد المذكورين ، ومن يضمونه اليهم ، وذلك سداً لذريعة المندوب السامي الذي أنكر على الثلاثة الذين قابلوه وطالبوه بالاستقلال ، أن لهم صفات تخولهم هذا الطلب . وقد نجحت حركة التوكيلات ، وأصبحت مظاهرة شملت الشعب كله بجميع طبقاته ، في ريفه وحضره ، حتى أدركت السلطات البريطانية خطرها ، وما تحدثه من تعبئة للرأي العام وراء الوفد ، فامرت بايقافها ، فتدخلت السلطات الادارية المصرية لتنفيذ الأمر ، وكان العمد والمشايخ وموظفو الادارة قد تحمسوا لحركة التوكيلات لما احسوا أن رئيس الوزراء حسين رشدي باشا وهو وزير الداخلية في الوقت نفسه يرضى عنها ويشجعها . ولكن توقفت هذه الحركة العظيمة بامر السلطات ، فارسل سعد في ٢٣ نوفمبر ١٩١٩ إلى حسين رشدي وزير الداخلية ، يحتج على منع توقيع التوكيلات ، فرد رشدي على خطاب سعد على الفور ، معلنا انه لم يصدر أمراً بهذا

المنع ، وأن المنع أت من جانب السلطات العسكرية البريطانية .

ويريد « علوبة » من ذكر هذه الوقائع بيان الحقائق التالية : ان فكرة تاليف الوفد لم تصدر عن سعد ، وانه تلقاها من رشدي ، وعلى أن السلطان احمد فؤاد راض عنها ، وانه تردد في تنفيذها ، حتى اطمان . ثم إن فكرة التوكيلات لم تصدر عنه كذلك ، ثم إن موقفه في مقابلة السير » ونجت « المندوب السامي البريطاني كان أضعف من زميليه . وقد تطورت الأمور حتى صدر أمر السلطة العسكرية باعتقال أربعة من باشوات مصر ، هم سعد زغلول ، ومحمد محمود باشا ، واسماعيل صدقي باشا ، وحمد الباسل باشا في ٨ مارس سنة ١٩١٩ ، ثم نفتهم الى جزيرة مالطة لمدة شهر ، ثم أفرجت عنهم في ٩ أبريل سنة ١٩١٩ ، فسافروا إلى فرنسا على الباخرة كليدونيا ، التي أبحرت من الأسكندرية ، وقد سافر عليها أعضاء الوفد وهم أحمد لطفي السيد ، ومحمد علي علوبة ، ثم علي شعراوي وعبد اللطيف المكباتي ، وكان الوفد قد ضم إلى أعضائه كلا من : مصطفى النحاس وحافظ عفيفي وواصف غالي ، وويصا واصف ، وسينوت حنا .

## النزاهة المالية

وما كاد الوفد يصل الى فرنسا ويطأ أعضاؤه باقدامهم أرضها حتى تم إعلان اعتراف « الدكتور ودرو ولسن » رئيس الولايات المتحدة بالحماية البريطانية على مصر ص (١٣) بعكس ما كان قد اعلنه من حق كل الأمم في الحرية وتقرير المصير . وقد صدم أعضاء الوفد بهذا الاعتراف أعظم صدمة ، حتى زلزلت ثقتهم لفترة بالرسالة التي جاءوا من أجلها .

ويقول علوبة انه دخل ذات يوم الى الحجرة التي كان مجلس ادارة الوفد يجتمع فيها ، فرأى سعداً وهو يوجه الخطاب بحدة إلى علي باشا شعراوي – وكان أمين صندوق الوفد – ويقول له : « يا باشا انت غنى ولكن الثروة ليست كل شيء، وأنت في الوفد لثروتك » . وكان علي باشا شعراوي هادئاً هدوءاً ممزوجاً بالآلام لا ينطق بأكثر من « ما ضرورة هذا الكلام يا باشا » . وقد فهم علوبة من بعض الأعضاء أن سعداً طالب علي شعراوي أمين الصندوق ببعض المال ، فلم يجبه إلى طلبه ، لعدم تبينه المصلحة في صرف هذا المبلغ ، فاشتد في مخاطبته على هذه الصورة الجارحة . على الرغم من أن علي شعراوي كان له موقف عظيم في يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وكان قد تبرع بثلاثة الاف جنيه للوفد في بداية الحركة في حين أن تبرع كل عضو آخر بما فيهم سعد لم يزد عن مائة جنيه . فلما كثرت تبرعات الشعب للوفد استرد كل عضو المائة جنيه التي دفعها ، ولما كان الفرنك الفرنسي ضعيفاً في تلك الأيام فكان يتارجح ، فهبطت فيه الفرنكات التي تبرع بها علي شعراوي من ثلاثة آلاف إلى الفين ، ولكن شعراوي كان وفياً بما يتعهد به فدفع بالفرنكات ما يساوي ثلاثة آلاف جنيه ، فلما رأى علي شعراوي أن ينسحب من الوفد ، ويعود إلى بلاده ، لما لحقه من إهانه ، حمل عليه سعد حملة شعواء ، واتهمه بانه كاذب لأنه وعد بدفع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه في حين أن ما تبرع به لم يزد عن الفي جنيه . وكان الرجل يسمع الهجوم عليه وهو صامت دون أن ينبس ببنت شفه .

وفي ذلك الحين توفى (محمد فريد) رئيس الحزب الوطني الثاني في برلين ، بعد مرض مضن ، وكان وحيداً شريداً ، لا يجد بعد هزيمة ألمانيا وتركيا – قوت يومه ، ولا ثمن دوائه ، فلما توفاه الله ، اقترح أعضاء الوفد أن ينقل جثمانه على حساب الوفد وكانت أمواله قد كثرت ، وكانت إعادة جثة فريد إلى مصر في تلك الأيام مما يؤجج لهيب الثورة ، ويزيد من اشتعالها ، إلا أن سعداً رفض باصرار ، بحجة أن ما جمع للوفد كان بقصد إنفاقه على العمل السياسي ، لا على نقل جثث الموتى .

ويقول علوبة – الذي اختير أميناً للصندوق بعد علي شعراوي – إن سعداً اقترض من مال الوفد ١١ ألفاً من الفرنكات الفرنسية ، لارسال جثمان صهره مصطفى فهمي باشا الذي راس الوزارة المصرية في ظل الاحتلال البريطاني ثلاثة عشر عاماً متصلة ، لا يعصي فيها أمراً للانجليز ، مما جعله في نظر الوطنيين العميل الأول للاحتلال البريطاني . وقد نقل جثمان صهر سعد على حساب الوفد ، ولم يسدد سعد هذا الدين .

ويروي علوبة انه تقرر سفر أعضاء الوفد من باريس إلى لندن لمفاوضة اللورد ملنر ، فسأل حمد الباسل باشا عضو الوفد بهذه المناسبة عما إذا كانت قرينته ستصحبه إلى لندن ، فانفجر غضب سعد وصاح في وجه زميله عضو الوفد : « هذه سفاهة » وكررها ، فرد عليه حمد الباسل بقوله : « هل أنا سفيه ... أنت السفيه » . فاخذ سعد ولم يحر جواباً . ولما تقرر سفر الوفد إلى لندن ، أعلن سعد أنه لن يسافر ، وأبدى الأعضاء دهشتهم من امتناع سعد عن السفر ، فاصر على عدم السفر دون أن يذكر سبباً ، فلما الحوا عليه ، قال : إنه يخشى أن يقبضوا عليه في انجلترا . فلما استنكر الأعضاء هذا التصور ، وان الانجليز لو فعلوا ذلك لسقطت سمعتهم عند جميع الناس وفى نظر كل الدول . فقال : « أنا مش مسافر إلا إذا حصلت على تعهد من اللورد ملنر بعدم المساس بشخصي » . ولم يعدل عن هذا الطلب إلا بعدما واصل الأعضاء رجاءه أن يصرف ذهنه عن هذا الطلب .

## مواقف متناقضة

ويقول علوبة ان الحكومة البريطانية ، لما تكون الوفد ، سافر الوفد إلى فرنسا واستمر هناك حتى بعد إعلان (ولسن) موافقته على الحماية البريطانية على مصر جرياً على عادة الولايات المتحدة مع قضايا العرب جميعاً . أرادت بريطانيا أن تحط من قدر الوفد وتشكك في سلامة تمثيله لمصر ، فارسلت لجنة برياسة أحد وزرائها وهو اللورد ملنر وزير المستعمرات آنذاك ، فارسل سعد إلى عبد الرحمن فهمي سكرتير اللجنة المركزية للوفد في مصر ، لتاليف لجنة من أعيان المصريين لاستقبال لجنة ملنر ، ولكن عبد الرحمن فهمي طرح الفكرة جانباً ، وأمر أعوانه من الشبان بمحاصرة اللجنة البريطانية ومنع الاتصال بها في مصر ، مع إعلان شعار ! « لا ممثل لنا إلا الوفد في فرنسا » وقد تم حصار اللجنة بفضل حسن قيادة واخلاص عبد الرحمن

# سعد زغلول في قفص الاتهام

فهمي من جانب ، وتضامن حسين رشدي رئيس الوزراء من جانب آخر . إذ قال ملنر : « إنكم لن تجدوا قطين اثنين في مصر ، يستمعان اليكم ويردان عليكم » .

ومع ذلك ، فان سعداً لم يعف حسين رشدي من اتهامه بالخيانة والتآمر مع الانجليز بالتعاون مع عدلي ضد الوفد

وقد رأى سعد في مرحلة من مراحل العمل السياسي وهو في الخارج ، أن تؤلف وزارة وطنية موثوقاً بها برياسة عدلي يكن لتفاوض الانجليز ، ثم يعرض ما تنتهي اليه المفاوضة على نواب ينتخبهم الشعب ولكن عدلي تباطأ في تنفيذ تأليف الوزارة فارسل اليه سعد برقية في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ يدعوه للحضور إلى باريس فرفض عدلي الحضور فاردفها بثانية في ١٨ مارس يطلب نفس الطلب ومع ذلك لم يحضر عدلي ، فارسل إليه برقية ثالثة في ٢٢ من مارس ثم رابعة يطلب منه التعجيل في الحضور وخامسة في ١٣ من ابريل يقول فيها إنه حجز له حجرة في الفندق .

وسافر عدلي إلى لندن ، وقام اتصال بين لجنة ملنر والوفد بعد ذلك . وظاهر من هذه الحقائق كما يقول علوبة – ان سعداً هو الذي طلب عدلي ، وان سعداً كان متهافتاً على الاستعانة بعدلي ، في حين أن الأخير كان الأهدأ في الاتصال بالوفد . فلما وقع الخلاف بين فريق سعد الذي كان فريق الأقلية ، وفريق عدلي ، اتهم سعد (عدلي) بانه لم يكن مندوب الوفد عند الانجليز ، بل وسيط الانجليز عند الوفد . وقد ردد هذه التهمة محمد كامل سليم في كتابه بصراحة.

## انا وحدى ممثل الشعب

والكلام فيما جاء بكتاب علوبة يطول جداً ، ولذلك فنحن نكتفي كختام لهذا العرض ، أن ننقل في إيجاز ما جاء في صفحة ١٥٨ ، ١٥٩ مما يعتبر أقوى وأعنف ما نسبه علوبة لسعد زعيم ثورة ١٩١٩

قال « إن الاتفاق كان قد تم على حضور عدلي ليعين الوفد بمواهبه الدبلوماسية وقدرته على ضبط النفس ، والصبر والأناة والبحث عن اللفظ اللين ، وتحاشي العبارة الجارحة ، وتمكنه من اللغة الانجليزية التي لا يعرفها سعد ولا يفهمها حينما يتكلم الانجليز . وهذه كلها صفات لا يتمتع بها سعد ولا يحرص على التمتع بها ، لانه زعيم جماهير ، وقائد ثورة ، يلزمه أن يكون صريحاً ، غير مداور ، واضحاً غير غامض وان يؤلب الشعب ويثيره ، لا أن ينيمه ويهدىء ثائرته . وأن سعداً ارتفع اسمه عند الشعب حتى أصبح لا يكف عن الهتاف به في كل وقت ، في حين اختفت أسماء أعوان سعد وزملائه الذين سافروا معه من مصر إلى فرنسا وهم أنداد ، فلما عظم الفارق بين مكانة سعد عند الأمة ، ومكانة زملائه ، تغير موقف سعد منهم ومن إدارة المفاوضات ، ومن اصدار القرارات فاصبح لا يطيق معارضة ، وزاد عنف سعد حينما علم من « ملنر » أن الذي يجريه الوفد ، ليس سوى محادثات ، وان المفاوضات التي ستجري بعد ذلك ، لابد أن تكون بين وزارة مصرية ووزارة بريطانية ، فهذا هو المألوف الدولي والعرف المستقر . ولما كان سعد يعلم أن السلطان لن يكلفه تأليف الوزارة لكرهه ، وأن المفاوضات التي قد تجرى بعد ذلك ، وقد تنيل الشعب مطالبه كلها ، أو بعضها ، ستنسب إلى غيره ، وسينال مجدها ، هاج وماج ، وأخرج يومها ببطاقته المكتوبة باللغة الفرنسية ، والمذكور فيها « وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، ورئيس وفد الأمة المصرية » وقال « يجب أن أوقع أنا المعاهدة بين مصر وانجلترا بهذه الصفات الواردة في بطاقتي ولست أقبل أن يوقعها أي شخص آخر ، وسأحارب كل شخص مهما يكن مركزه يفاوض ويوقع المعاهدة دوني » . وأضاف علوبة أنه في منتصف يوليو سنة ١٩٢٠ ذهب أعضاء الوفد ومعهم سعد في يوم أحد ، إلى ضاحية من ضواحي لندن ، التماساً للراحة والاستجمام ، وقد تبسط الأعضاء في الحديث ، فاذا بسعد يحدث زملاءه بدخيلة نفسه فقال إنه لا يرى مانعاً من التساهل مع « ملنر » في بعض طلبات المصريين بشرط أن يعد ملنر باسم حكومة بريطانيا بعزل السلطان، وانتظر سعد أن زملاءه سيبادرون إلى الموافقة ، ولما لم يؤيد أحد هذا الطلب العجيب ، نظر إلى لطفي السيد وكان من الصق الأعضاء بسعد وقال له : يا لطفي ! لم لا تتكلم وتتركني أتحمل المسئولية وحدي . فأجابه لطفي : ماذا أقول يا باشا . فغضب سعد وقال له : روح يا شيخ » .

ويقول علوبة إن ملنر قدم المشروع الانجليزي النهائي ، فتردد سعد في إبداء هذا الرأي قبولا أو رفضاً ، فأبدى علوبة دهشته من هذا الموقف ، لأنه زعيم الأمة ، وأن واجبه أن يدعو الأمة لما يراه الأنفع ، ولو كان في قبوله مرارة ، فقال سعد : لن اتفق مع الانجليز مطلقاً ، فما من اتفاقية سيرضاها الانجليز إلا وفيها ما يدعو إلى التحفظ لعيوب خفيفة بها أو ثقيلة ولو ارتضيناها جميعاً لتفاهة عيوبها فاني اخاف أن يقتلني أولاد الحزب الوطني » .

ورأى سعد في ٥ من سبتمبر بعد أن قدم ملنر مشروعه ، وأصبح لا مناص من إبداء الرأي ، رأى أن يوجه إلى الأمة بياناً يعلن فيه أن له تحفظات على مشروع ملنر وأن ملنر أعلن أن هذا المشروع هو أقصى ما تذهب اليه بريطانيا ، ولكنه رأى ، نظراً لاشتمال هذا المشروع على مزايا لا يستهان بها ، وتغير الظروف التي حصل التوكيل فيها ، وعدم العلم بما يكون من الأمة بعد معرفتها بمشتملاته ، وقياس المسافة التي بينه وبين أمانيها . رأى إخواننا معنا ، خروجاً من كل عهدة ، وحرصاً على كل فائدة ، ألا يبتوا فيه بما يقتضيه توكيلهم قبل عرضه عليكم أنتم نواب الأمة .

وفي نفس الوقت الذي يتحدث فيه سعد إلى الأمة ، بان مشروع ملنر المعروض على الوفد به مزايا لا يستهان بها ، كتب خطاباً إلى ثلاثة من أعضاء الوفد هم مصطفى النحاس وحافظ عفيفي وويصا واصف ، وصفه علوبه في ص ١٨٠ من كتابه بانه خطاب سري ، جاء فيه على حد عبارة علوبة – رحمه الله – بانه يتنافى كل المنافاة مع ندائه العلني ، وجاء في هذا الخطاب أنه يخالف سراً ما جاء بندائه علناً ، ويقرر لهم أن المشروع الانجليزي المعروض هو (حماية) . وغاية ما يريده علوبة من إيراد هذه الواقعة أن لسعد رأيين: رأياً يخفيه عن الناس ورأياً يعلنه ، لانه يخشى على مكانته السياسية إن صارح الناس بالرأي . وهو يتهمه بذلك ، بانه لا يؤدي أمانة الزعيم ، الذي أؤتمن على قضية الوطن ، ومصلحة البلاد ، فهو يقدم مصلحته الشخصية على المصلحة العامة ، ويكون له في المسألة الواحدة رأيان ، رأي يعلنه ورأي يضمره .

## ما رأي المؤرخين ؟

ولسنا هنا بصدد عقد مقارنة بين سعد وعدلي ، ولا ترجيح رأي أنصار سعد على رأي أنصار عدلي لأن غايتنا من كتابة هذا البحث ، هو عرض كتاب المرحوم محمد علي علوبة باشا الذي لعب دوراً عظيماً في خدمة بلاده ، محامياً وسياسياً ووطنياً مصرياً ، ومجاهداً عربياً ، وصاحب قلم . وللقارىء بعد مطالعة ما نقلناه عن الكتاب ، وما نقلناه عن غيره ، أن يكون له رأيه ، وللمؤرخين أن يناقشوا هذا الرأي ويردوا على ما جاء فيه ضد سعد زغلول أو يؤيدوه.

فتحي رضوان

# دعـــوة العـــاشـــق

شعر: حسن طلب

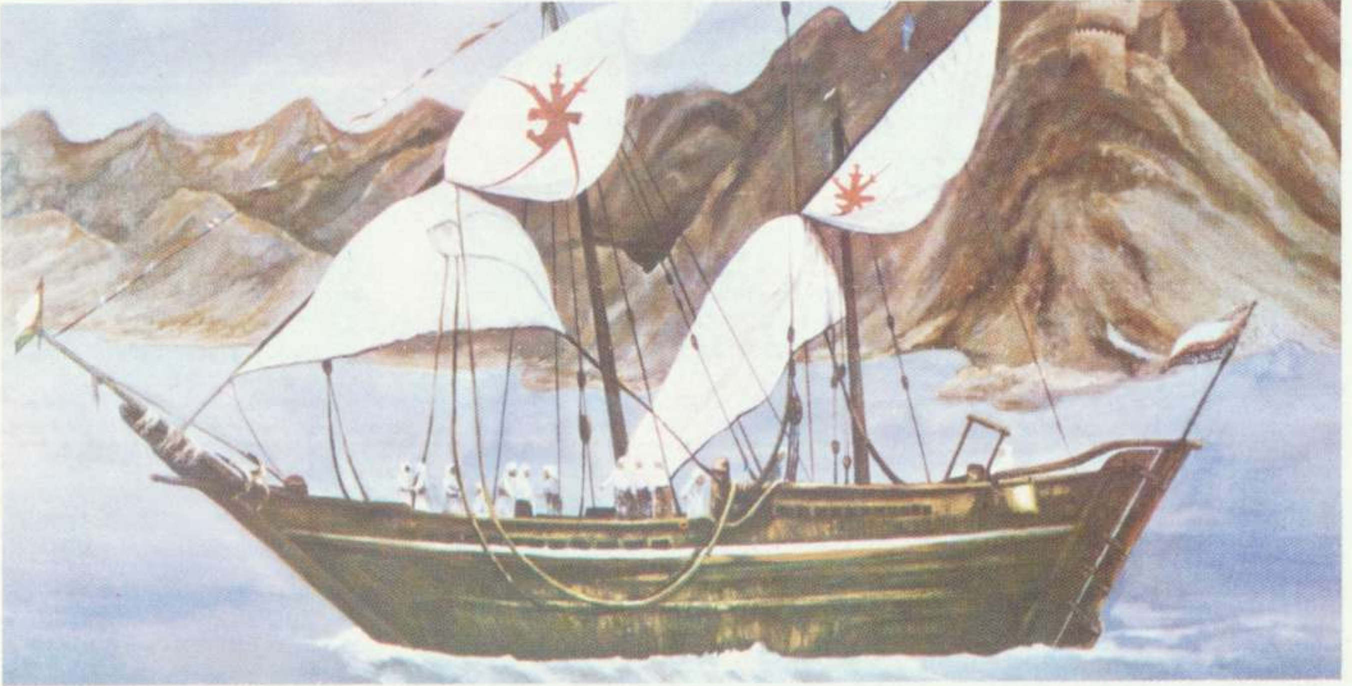
أ « صَبَابَاتُ » رُويداً
أَعُيُونَ « صَبَابَاتَ » حَنَانَيْكِ
أَسُلْطَانَ عُيونِ « صَبَابَاتَ » أَمَانَا
كُونُوا فى الصـــدِّ
كما كُنَّا فى الوَصْلِ
وخلّوا أَسِرَكُمْ يُطْلِقُ أَسْرَانَا
أَحَبَبْنَاكُمْ واسْتَصْفَيْنَاكمْ أَبَداً
فأحِبُّونَا واسْتَصْفُونَا أحْيَاناً
قولوا : نعشقكُمْ
أو قدْ نعشقكُمْ
قولوا صِدْقاً
أو كَذِباً قُولُوا
إنَّا لا نَطْلُبُ منكمْ برْهَانَا
أتلفتُمْ منـــَّا الكَبِدَ
وخَلَّفْتمْ فى عَيْنَيْنَا الرَّمَـــدَ
ألا فليتْلِفكُمْ معشـــوقٌ
ويخلِّفْ فى عينيكُمْ
فتصيرُونَ سواءً فى الوجْدِ وإيَّانَا
فاذا شَرَّقْتُمْ غَرَّبَ
أو أَتْهَمْتُمْ أَنْجَدَ
أو بالْبَوْح هَمَمْتُمْ
.. يتَوَانَى
فَتكُونُونَ ــ وِصالاً :
ما وُوصِلْتُمْ فَوَصَلْتُمْ
ونكُونُ ــ وِصَالاً : ما وُوصِلْنَا فَوَصَلْنَا
ويكون شهيداً فى العِشْقِ كِلانَا



بـ نـادية رزق

## أول فنانة تسجل

# تراث الخليج في لوحات



سفينة « صحار » التى ابحر بها العمانيون حتى الصين

فنانة خليجية النشأة .. عربية الانتماء .. اختارت الفرشاة والألوان لتجرى من خلالها تحقيقا اجتماعيا تسجل به واقع حياة الخليج قبل النفط .. والواقع المتمثل فى الصراع مع البحر ومواجهته اثناء الغوص

اختارت الفنانة الكويتية موضى الحجى هذا الطريق ايمانا منها بضرورة المحافظة على تراث هذه الفترة من التاريخ الخليجى ، وحرصا على أن يعرف النشء ماضى الأجداد قبل أن يضيع .. ولذلك استلهمت الفنانة فكرة اقامة معرض يضم صور الرواد الأوائل ، والجو الذى كانوا يعيشون فيه ، من خلال خطاب لسمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت الذى طالب فيه بالوفاء لأبناء الرعيل الأول الذين قامت على أكتافهم وسواعدهم الحضارة الحديثة .

### البحث عن الماضى

وقد دفعها حماسها لتسجيل التراث الى البحث والتنقيب لدراسة كل ما يتعلق بالماضى ، فجمعت المعلومات ، وقابلت الشخصيات ، كما سافرت عدة مرات الى بعض بلدان الخليج مثل قطر والبحرين وعمان لدراسة أنماط بناء السفن فى ذلك الوقت ، والاحاطة بالجو العام الذى كان الرواد الأوائل يعيشون فيه ، واستغرقت تلك الدراسة عامين ونصف ،لتعود عقب ذلك وتسجل ما اختزنته ذاكرتها فى لوحات فنية !

### لوحات الرعيل الأول

وقد قامت الفنانة موضى الحجى بجولة خليجية لمعرضها ، فعرضت فى البحرين ، الكويت ، الامارات ، عمان ، وانتهت جولتها فى دولة قطر التى جاءت اليها بدعوة من وزارة الاعلام ، لتقيم معرضها ، الذى قام بافتتاحه سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام والأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام ..

لقد ضم المعرض ٤٤ لوحة زيتية للعديد من شخصيات الرعيل الأول مثل عبد الوهاب القطامى الذى قاد سفينة الى الهند وهو مازال دون السادسة عشرة ، ومنحته البحرية الملكية البريطانية شهادة تقدير نتيجة لجهده فى تأليف العديد من الكتب عن الطرق البحرية فى ذلك الوقت بين الخليج والهند ،واحمد الغانم الذى لقب أيامها بالطبيب لاشتهاره بعلاج مرضاه بالأعشاب !

وغير هؤلاء هناك هلال بن فجحان المطيرى وهو من أكبر تجار اللؤلؤ .



للركب القديم « فتح الكريم » اثناء إعدادها لاحدى الرحلات



لوحة تمثل قوة الصقر



احمد الغانم .. واحد من الرواد الأوائل



موضى الحجى مع لوحة للشيخ احمد الصباح

وضم المعرض صوراً للعديد من مراكب الغوص التى كانت تبحر فى ذلك الوقت ، ومن اشهرها سفينة صحار التى بنى مثلها العمانيون سفينة مماثلة فى وقتنا الحاضر ، وابحروا بها الى الصين ليثبتوا أن المراكب الخليجية وصلت الى هناك .. وهذه السفينة لا تحتوى على مسمار واحد بل صنعت كلها بواسطة الألياف !

## ذكريات البحر

وقد لاقى المعرض نجاحاً كبيراً فى دولة قطر ، وكان الشىء الملفت للنظر هو اقبال العديد من كبار السن الذين رسمت التجاعيد على وجوههم قسوة الأيام ، لقد جاءوا وكأنهم يتذكرون بعضاً من ملامح الماضى عندما كانوا يعتلون تلك المراكب ليواجهوا الموت القابع خلف محارات اللؤلؤ ، ومن ثنايا الموج العاتى ، وبين الرياح القاسية التى تعاند الرجال ومراكبهم !

## المعرض القادم

ولا يبقى إلا أن القى الضوء على الفنانة الكويتية موضى الحجى ، فهى حاصلة على بكالوريوس فنون جميلة بعد تخصصها فى التصوير الزيتى عام ١٩٦٩ من القاهرة ، كما حصلت على دبلوم الفنون والتصميمات عام ١٩٧٥ من بريطانيا .. وقد شاركت فى معارض عربية وأجنبية مثل معرضى الكويت السادس والسابع للفنانين التشكيليين العرب عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .. كما شاركت فى معرض الخليج للفنون التشكيلية بالدوحة عام ١٩٨٠ وفى معرض بالعراق عام ١٩٨١ ، وعرضت لوحاتها فى الأسابيع الثقافية بالمغرب والعراق وباريس .

والفنانة الكويتية موضى الحجى بدأت اتجاهها الفنى بالأسلوب التجريدى ثم التعبيرى التأثيرى ، وهى الآن لا تتبع مدرسة فنية معينة ، بل موضوع اللوحة هو الذى يفرض الأسلوب الذى تتبعه ..

وتتميز لوحات معرض موضى الحجى بالأسلوب التعبيرى ، مع استعمال الألوان الباهتة الرقيقة التى توحى بدفء المنطقة ، وخلفيات واضحة لابراز دلالة كل صورة .

وتستعد الفنانة بعد انتهائها من تلك الجولة الخليجية لعمل معرض يضم كل شخصيات بلدان الخليج التى كان لها فضل المساهمة فى بناء ماضى وحاضر ومستقبل المنطقة !

نادية رزق

# النوم الصحي

بقلم: الدكتور عزالدين فراج



النوم ضرورة لا غنى عنها ، فيه راحة للجسم وتجديد للقوى وصيانة للأنسجة والأعضاء من الضعف والانحلال .

ويستطيع الانسان أن يعيش بغير طعام بضعة أسابيع ولكنه لا يعيش بغير نوم بضعة أيام ، فالنوم ضرورى لتعويض وبنيان ما تهدم .

وفى أثناء النوم تبطىء ضربات القلب ، وحركات التنفس ، وتقل كمية الدم فى المخ وتنقص حركة الأمعاء ، وتقل إفرازات الغدد ، إلا الغدد الجلدية فانها تزداد افرازاً .

ففى ذلك راحة وهدوء للأجهزة . فتتمكن من استرجاع قوتها وبناء أنسجتها والتخلص من السموم المتراكمة فيها .

ويؤدى عدم النوم إلى تغير الطباع وانحراف المزاج ، والاجهاد العصبى .

وتتأثر الحواس فتقل الرؤيا ويقل التميز والادراك وتفقد العضلات توازنها ( تناسقها ) . وتزداد حساسية الجلد ، وتقل القدرة على التركيز والانتباه وتضعف الذاكرة ، ويقل اتقان الانسان لعمله ويحتاج لوقت أطول لتاديته وتكثر اخطاؤه .

وعمليات الترميم والتجديد فى الانسجة أسرع فى وقت النوم عنها فى اليقظة ، فخلايا الجلد مثلا تتضاعف سرعة انقسامها أثناء النوم .

والنوم ساعة الظهر يزيد كفاية المرء وانتاجه سواء كان ذهنياً أو بدنياً .

إن الجسم تعتريه فترتا خمول خلال النوم : الأولى بين الساعة الواحدة والثالثة بعد الظهر ، والثانية قبل وجبة المساء بنحو ساعة . والنوم ظهراً ، يقلل من فعل موجة الخمول الأولى ، ويفيد فى مقاومة الموجة التالية التى تاتى فى المساء وقد وجد أن سرعة الانتاج لا تتحكم فيها العزيمة أو الارادة وحدها وانما العقل الباطن أيضاً ، فاذا أصر المرء على الاستمرار فى العمل وهو متعب ، فان عقله الباطن يضغط على « فرامل » نشاطه فيبلد الذهن ويعمل على نقص الانتاج .

والنوم ظهراً ، يمهد السبيل لنوم عميق



أثناء الليل – بعكس ما يظن كثيرون فقد دلت البحوث التى اجريت فى هذا الصدد على أن نوم الظهر لا يحول دون النوم الهادىء ليلا إذا كانت مدته لا تزيد عن الساعة بل أن بعض الاخصائيين الآن يعدون النوم علاجاً مفيداً للأرق ، لأن المرء حين يسترخى مرة أثناء النهار ، يصبح من السهل عليه أن يسترخى بسرعة ساعة النوم ليلا .

## نوم العافية

ولنستمتع بنوم صحى هادىء ينبغى مراعاة الأمور الآتية :

أولا : ينبغى تناول العشاء قبل النوم بوقت كاف .

ثانياً : تنظيم مواعيد النوم ليصبح النوم عادة بمجرد الذهاب للفراش . ولا يمكن تكوين هذه العادة اذا ذهب الانسان إلى فراشه فى أوقات مختلفة .

ثالثاً : الامتناع عن تناول الشاى والقهوة قبيل النوم ، مع تجنب الافراط فيها

رابعاً : الامتناع عن استعمال العقاقير المنومة حتى ولو كان المقدار ضئيلا ، إلا إذا نصح بها الطبيب ، مع استعمالها لمدة محدودة من الزمن إذ أن الاستعانة بالعقاقير المنومة يجعلها عادة لا يمكن العدول عنها ، وفى ذلك كل الضرر .

خامساً : إظلام غرفة النوم فالضوء يفسد النوم ويقلق النائم .

سادساً : يفضل النوم على الجانب الأيمن لأنه يسهل عمل القلب ويمنع ضغط الكبد على المعدة . وليس من المعتاد أن يبقى النائم السليم البنية فى وضع واحد .

سابعاً : يجب أن ينال كل فرد قسطاً كافياً من النوم يتناسب مع سنه .

يحتاج الفرد البالغ الى نوم ثمان ساعات يومياً وتطول هذه الفترة عند الصغار . ويمكن فى هذا الصدد الاستعانة بالجدول التالى :

| العمـــــر | مدة النوم الكافية |
|---|---|
| فى السنة الأولى | ١٨ – ٢٠ ساعة |
| ٢ – ٤ | ١٤ ساعة |
| ٤ – ٨ | ١٢ ساعة |
| ٨ – ١٢ | ١١ ساعة |
| ١٢ – ١٤ | ١٠ ساعات |
| ١٤ – ١٨ | ٩ ساعات |
| ١٨ – ٨٠ | ٨ ساعات |

## النوم على الجانب الأيمن

يدعونا نبى الاسلام إلى النوم على الجانب الأيمن .. وقال الصحابى الجليل البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« اذا اتيت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك إلى آخر الحديث الشريف .

هذا ما نادى به رسولنا الكريم من أربعة عشر قرناً من الزمان ينادى به العلم الآن .. وكأنه لم يات بجديد . وإليك ما يثبت ذلك علمياً . ينام الانسان على أربعة أوضاع :

فالوضع الأول : وهو النوم على البطن . وفيه يشعر الانسان بعد فترة بضيق التنفس ، لعدم استطاعته التمدد والانكماش .

الوضع الثانى : وهو النوم على الظهر يسبب زيادة التنفس فى الفم ، لأن الهواء يمر على الشعيرات الدموية فيه فتدفئه والمتنفسون من أنوفهم أقل تعرضاً فى الشتاء للاصابة بالزكام من المتنفسين من أفواههم .

والنصيحة لمن يتنفس من فمه أن يدهنوا لثة الاسنان الأمامية العلوية منها والسفلية بالفازلين حتى لا تتعرض اللثة للجفاف .. وعموماً النوم على الظهر يعوق مجرى التنفس ، فيكثر أصحابه من الشخير والغطيط المزعج .

والوضع الثالث : حيث يكون النوم على الجانب الأيسر وضع غير مقبول .. لماذا ؟ لأن القلب فى الجانب الايسر وهذا يجعل الكبد وهو أثقل الاعضاء يضغط عليه . ويجعل الرئة اليمنى الكبيرة تضغط على القلب وتقلل من نشاطه .

والوضع الرابع : هو النوم على الجانب الأيمن وهو الوضع العلمى الصحيح بعد أن ثبت عدم وجود عيوب الأوضاع السابقة .

وما لجا اليه العلم والطب الآن هو الذى نادى به نبينا الكريم من أربعة عشر قرناً من الزمان .

والنوم الهادىء يريح الأعصاب . ومتى ارتاحت الأعصاب وهدأت كان هذا من العوامل الرئيسية لصحة النفس وسلامة الأعصاب من الأمراض العصبية .

واذا كانت وسائل الضجة الحديثة كالسيارات والميكروفانات والراديو والتليفزيون لم تعرف فى عصر النبى الكريم ، فقد جاء الاسلام بالأسس العامة التى تصلح لكل زمان والتى تبين أن من يحدث الضجة أو يزعج غيره .. انسان قد ضاعت عنده مبادىء التعاطف مع الناس والمراعاة لمشاعر غيره .

ويشترط فى غرفة النوم أن تكون واسعة نسبياً ، وأن يتخللها الشمس والهواء النقى ، مع خلوها من الشقوق والحشرات وعدم ازدحامها باثاث وفير . هذا مع وجوب اختيارها فى موضع هادىء لا ضوضاء فيه ولا تتصاعد منه روائح أما فراش هذه الغرف فيجب أن ينظف على الدوام مع تعريضها للشمس والهواء مدة كافية لتطهيرها .

هذا مع جعل « ملة السرير » ثابتة ، فلا تهبط الحشية « المرتبة » تحت ثقل الجسم فينغرس مما يعوق الدورة الدموية ويضر بالعمود الفقرى .

والواقع أن اللين الزائد مضر للجسم ، فهو يعطيه أوضاعاً كثيراً ما تكون غير طبيعية الشكل . وكذلك الفراش الجامد ، إنه غير مريح . وخير الأمور الوسط دائماً .

وعلاج لين سريرك اللين ، يكون بان تضع تحت المرتبة ، ألواحاً من الخشب ثم جرب النوم أياماً ، لترى ما أثر ذلك فى حمل جسمك . بهذا كثيراً ينصح أغلب الأطباء .

والمخدة اللينة ، الزائدة اللين تضر . يجب أن تكون المخدة لا واطئة جداً فتضر ، ولا عالية جداً فتضر . إنها يجب أن تملأ الفراغ الذى بين رأسك والفراش ، وانت نائم على جنبك . أى تكون بارتفاع كتفك عندما تنام على جنبك .

ويجب أن تكون الاغطية كافية وتغطى النائم من القدم إلى الرقبة وأن تكون البطاطين خفيفة ومن الصوف .

ويجب أن ألا يقل عرض الفراش للشخص الواحد عن متر ، ويفضل نوم كل شخص فى فراش مستقل .

أجرى الحوار : نادر أصفهاني


الفنان وليد حجار

# هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربي الإسلامي ؟


برج « جيتو » الأسلوب الاسلامى فيه ظاهر وليس بحاجة للتاكيد

● ● وليد حجار ، فنان قدم لوحات رائعة فى مجال الوجوه الانسانية ، ومعالجة الحرف العربى ، والزخرف الاسلامى ، وهو كاتب رواية.صدرت له حتى الآن روايتان كبيرتان « السقوط إلى أعلى » و « مسافر بلا حقائب » ، وهو ناقد فنى ، استطاع عبر برنامجه التليفزيونى « روائع الفن » الذى يقدم منذ سنوات أربع ، ان يقدم وجهات نظر جديدة كل الجده فى مجال النقد الفنى ، اضافة إلى أنه استطاع أن يعرف بالاتجاهات العالمية للفن التشكيلى من خلال الأسماء الأكثر قيمة وشهرة . وألقى أيضاً الضوء بقوة على الفن الاسلامى ، وعرف بأعمال كانت شبه مجهولة من الغالبية العظمى لمتابعى الفن

الموضوع الذى يثيره وليد حجار أكثر من غيره هو السرقات التي قام بها الفنانون الغربيون من الفن الاسلامى ونسبوه إلى الحضارة الأوروبية ، واهتم بكشف العداء المبطن المسموم من قبل المستشرقين لكل ما هو عربي واسلامي ؟ !!

وليد حجار متميز بأفكاره العلمية البعيدة عن أى تعصب ، يتميز بثقافة موسوعية تتيح له أن يناقش الآراء التى تطرح عليه شموليه واضحة .

حول آرائه الهامة فى مجـــال الفن التشكيلي ... كان لنا معه هذا الحوار :

● استاذ وليد حجار ... إن موسوعة « اللاروس » الفرنسية تعرف النقد على أنه شرح ، واطلاق حكم على العمل الفنى أو الأدبى ... ما هو رائدك حين تناولت هذه الأعمال ؟ لا سيما وأن ما تقوله من نقد يقدم وجهة نظر لم نألفها فيما نقرأ من نقد

او ما سن من قواعد الذوق والجمال ! والمرء حين يقول : ما أجمل هذا أو ما اقبح ذاك . انما يردد ما تفاعل فى نفسه ، مما فرض عليه من ثقافة ، أو ثقافات ، لم يكن له شأن فى اختيار اوائلها ! وفي حال بيئة كبيئتنا ، ثقافة لا شأن لتاريخنا أو حضارتنا بها !

سعيدة هى المجتمعات النابضـــة بالتفاعل ، الذى من خصوصيته أن يساعد على التحرر من قيود الذوق المتعارف عليه لا سيما حين تكون هذه القيود تشريعات وقيماً لا تمت لبيئتها بصلة ! مفاهيم هى فى شرقنا العربى اليوم ، خلاصة ثلاثة قرون من الاهمال ، وقرنين اخرين من الاستعمار الغربى الثقافي ، مباشراً كان هذا الاستعمار أو غير مباشر .

## حرب الفن والجمال

وهنا قلت له : إن ما تقوله يتوافق مع ما كتبه ادوار ســـعيد حـــول تحيز المستشرقين الواعي الغربي ، وكرههم المبطن المسموم لكل ما هو عربى واسلامى ، فهل شمل هذا التحيز الجوانب الفنيـــة كذلك . ؟ ..

قال : إن أوروبا اللاتينيـــة ... فى محاولتها لضرب آخر معقل من معـــاقل بيزنطيه والأندلس ، فى القرن الخامس عشر ، وضعت لفنانيها قيوداً فنية جمالية صارمة ، قيوداً مدروسة هادفة ... فرضت عليهم التطلع ، بل والاقتباس المباشر من الفن الاغريقى الرومانى ، للتخلص مما كانت القسطنطينية ثم صقلية ، قـــد أدخلتهما على الفن الغـــربى من تأثير الحضارات الشرقية والاسلامية المجاورة ! كانت حرباً لدوداً مع الشرق ! ظاهرها ميدان الفن والجمال ، وباطنها خوف الغرب مما يختفى وراء قيم الجمال الشرقية من جذور روحية وفلسفية ! ألم يكن شاعر الغرب الكبير بترارك، قد نادى :

« أيها الايطاليون متى تتخلصون من عقدة أن لا فن أو ابداع الا فيما هو عربي ، أو من أصل عربي . ؟! » .

ان النهضة الأوروبية قامت على اشلاء حضارة العرب والاسلام فى الاندلس ! وشاء القدر ان يزامن عصر النهضة ، دك آخر حصون العرب الحضارية ، على يد المغول وسقوط غرناطة ، آخر كنوز الرقي والثقافة فى الاندلس ، على يد التعصب والهمجية !

ليس هنالك فى الغرب من يذكر بوضوح



لوحة لـ « روسو » الذى صفق الغرب لأسلوبه ، وليس هناك ما يشير إلى المصدر الاسلامى الذى استقى منه روسو فنه !



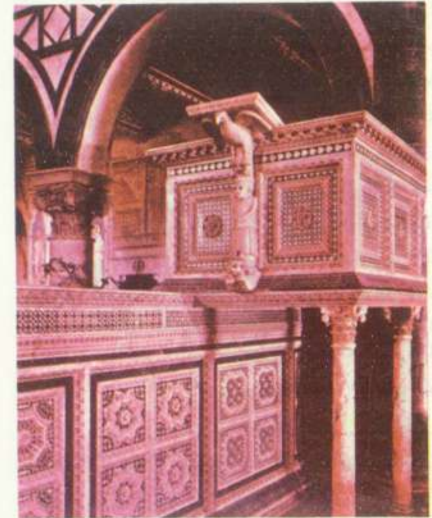
من روائع الفن الاسلامى الهندى الذى نقل عنه كثير من الفنانين الغربيين !



لوحة تشكيلية رائعة من الفن الاسلامى الذى سرقه الغربيون ونسبوه إلى الحضارة الاوربية

قال : إن فى التراث الاسلامى أعمالاً فائقة الروعة الفنية .. أعمال يكاد لم يبق فى الغرب من يشكك فى قيمة الابداع فيها ! لكن فى الشرق متقفين لا يملكون موهبة الاكتشاف ! تعلموا أن الغرب هو كعبة جميع الفنون ، فباتوا يكرهون هذا الأسلوب التشكيلى الغريب على ثقافتهم الهجينة ... يكرهونه دونما تحيز واع ، يرون فى الأسلوب المسطح فى الرسم الشرقى سطحية فى الاحساس الفنى ، وفى اهمال الحركة الطبيعية للاجسام ، نقصاً فى الدرامية التشريحية للحركة ، هؤلاء لا يزالون يحملون أفكار الغرب فى القرن التاسع عشر فهم مع الغرب فى ثقافتهم ، لكنهم متأخرون عن ثقافة الغرب المتطور اليوم بمائة عام !!

ما من ناقد ابتكر أصول النقد من بنات افكاره ، أو وضع بمفرده أسساً مطلقة من مفاهيم الجمال ... إن جميع ما يقال ، أو ما يقاس به اى عمل ابداعي ، من مفاهيم انما هو حلقة تضاف إلى سلسلة حلقات مترابطة مع ما حولها ، وما قبلها مما قيل ،



أسلوب الفن الاسلامى داخل أشهر كنيسة فى فلورنسا

غربى . وأخص بالذكر اهتمامك بتفنيد المزاعم المألوفة حول سمو درجة الابداع فى الفن الغربى وتخلفها النسبى لدى باقى الشعوب .

# هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربي الإسلامي ؟

ما سرقته أوربا من تراثنا ، لقد غنمت أوربا من الاندلس ارثا حضاريا فنيا ، وأدبيا ، وفلسفيا . هضمته فى بطء ، وتمثلته ، ثم راحت تفاخر الكون بغنيمتها ... مدعية أنه من ابداعها ... بعد ان أطلقت على سرقاتها تسميات غربية ( ... ) .

● إذن هل لك أن تذكر لنا امثلة على ذلك ؟ .

– نعم .. فمعظم النقاد الغربيين يجمعون على ان اجمل ما أبدعته أوربا بعد عصر النهضة هو الفن القوطى .

إن الفن القوطى الذى تفاخر به أوربا والذى كاد يسيطر على أسلوب بناء جميع كنائسها وكاتدرائياتها على مدى ثلاثة قرون ليس الا امتداداً مباشراً للفن العربى الاسلامى الذى اقتبست أوربا أسلوب بنائه وزخرفته من بعض جوانب الفن العربى الاسلامى فى الأندلس ، بعد أن أضافت العلو الشاهق . إن أوربا ، حين اخذت الفلسفة من المسلمين ، جاهدت فى اظهار المصادر الفلسفية الاغريقية الأولى التى استفادت منها الفلسفة الاسلامية ، ذلك بهدف نفي ما للاسلام من فضل على الفلسفة ، فلماذا لا يذكر الغرب اليوم نسب الفن القوطى الى جذوره الاسلامية الواضحة ؟ والجواب على ذلك قد يبدو بسيطاً فى ظاهره ، لكنه مذهل فى مدى عمق معناه . إنه بكل بساطة يعني ان أوربا لو جردت من فنها القوطي ، لما بقي لها من فن معمارى يذكر ، تفاخر به ! أى أن خمسمائة عام من الحضارة الصناعية لم تسفر فى النهاية الا عن قبح وبرودة ناطحات السحاب التى لا روح أو فن فيها ، والتى تمخضت عنها الحضارة الغربية فى امريكا .

## مازالت الجذور

● إن المرء يفهم أن أوربا الناهضة فى القرن الخامس عشر ، ارادت لنفسها حضارة متكاملة غربية لا علاقة لها بالشرق الاسلامى أو البيزنطي المسيحي ، الذى ناصبته العداء ، ( ولا يخفى على احد انها اضطرت خلال احدى الحملات الصليبية لاحتلال وهدم مدينة القسطنطينية المسيحية التى كان سكانها قد سئموا همجية الأوربيين ، كذلك إن ملك صقلية المسيحي انحاز إلى المسلمين فى بعض الحروب ضد الحملات الصليبية ) ، لكن ، لماذا تغيرت معالم الفن الرمزية فى أوربا ؟ وكيف ابتعدت عن الرمز ، واتخذت شكلها الحسى المعروف الذى نشاهده فى اللوحات الكلاسيكية ؟ .

قال : ان الفن الغربى قد استقى من « الميثولوجيا » الاغريقية ، اى الأساطير السالفة فلا غرابة ان سيطرت قيم هذا الفن فى أوروبا عصر النهضة ، على ابداعها ، فتسارع فيها نمو « فن الشكل » ، أو ما تلقبه اليوم « بالفن التشكيلي ، منذ مراحله الكلاسيكية ، وعبر مدارسه الواقعية ، والانطباعية والتجريدية .

إن جميع الحضارات تناولت جميع المخلوقات فى فنها ... نحتت ، أو رسمت اشكالها بصورة رمزية ، لكل من هذه الحضارات أسلوبه وطابعه الفني المبدع ... إن السم فى الفن الغربى يكمن فى جذوره ... وبنيانه ، إنه فن يود لنفسه أن يكون ساميا كاملا ، ولا يعرف من طريق للكمال سوى الصورة الطبيعية للانسان ، التى يظنها فوق صفات البشر ( .... ) هنا تكمن عقدة الفن الغربى ، لذلك ركز الفن الغربى جهوده على صورة الانسان ... فما تزعزعت هذه العقيدة ، حتى اهتز بنيان الفن الغربى ، وراح الفنان الغربى يهيم فى البحث عن قيم مجردة شخصية ، لا تعكس سوى بلبلته الفكرية والروحية .

لقد فاضت عبقرية الصنعة عند فنانى أوربا على مضمون فنهم الضحل ، فغطت وهنه بالجمال الخارجي ، وسترت فحواه بالصنعة المتقنة ، إلى أن تحررت أوربا من هذه القيود ، قيود الشكل المبالغ فيه للانسان ، لكنها كانت ، حتى القرن التاسع عشر قد فرضت هذه القيم على معظم سكان الأرض ، على انها القيم الاقوى ثباتاً ، والاكثر حضارة ، لانها قيم أوربا ، الاقوى عسكريا ، والأكثر تقدما صناعيا .

لقد كانت أوربا الشمالية قد اكتشفت الصلب .... وهل كان لها أن تفعل ذلك لولا ان الحديد والفحم يفيضان من مناجمها ، لقد سيطرت بصناعاتها على معظم بقاع الارض ، وفرضت على سكانها ، إلى جانب الأفيون والاحساس بالمهانة والضعف ، فرضت نظم مؤسساتها ، وجميع مفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية والابداعية .

لاشك أن ما نحن بصدده الآن هو الفن ، وليس محاضرة عن الاستعمار ... لكن هذا الاستعمار السياسي إن زال ، أو كاد ان ينحسر عن معظم بقاع عالمنا ، فان جذوره الثقافية مازالت فى أرضنا ، تهيمن على ما لا حصر له من تصرفاتنا الاجتماعية ، وتسيطر تماماً ، باسم الحداثة على مفاهيمنا الجمالية والابداعية ... والا فلماذا ينظر شذراً إلى اللباس الشرقي ؟ والفن الشرقى ؟ كانهما من مظاهر التخلف ولا يقبل العديد من مثقفينا الا قواعد الاناقة ، وأطر مفاهيم الفن الغربى ، المغرقة فى المرحلية ، والغارقة فى المادية الحسية والمباشرة .

ثم عادت جيوش أوربا الى بلادها ... ونسيت أن تاخذ أفكارها معها !

## اللوحات المنقولة

وسكت الفنان وليد الحجار قليلا ، ثم استمر فى الاجابة على سؤالى السابق قائلا :

لكن أوربا قد تخلت عن هذه الأطر المحددة فى الفن ، وليس من يعايش أزمتها الحضارية من لا يعرف مدى الضياع الذى تجرى لاهثة فيه ، تبحث لنفسها عن سبل ابداعية حديثة الاصالة ، فلا تجد ... انها

أزمة أوربا الروحية والحضارية . أزمة تقدم صناعي اعمى ، خرب فى الكون أضعاف ما أصلح ...

اما الغريب فى الأمر ، فهو أن يعيش بعضنا أزمة لا علاقة لنا بها ، ولا تفاعل روحى لنا مع مقوماتها المادية البحته ! وان تضيع القيم التراثية عند الكثيرين ، فيصبح الجرى واللهاث ، وحالة الضياع عندهم صنواً ومرادفاً للأبداع الفنى !! كان الفن ليس فناً ان لم يجار فن التائهين فى معارض « نيويورك » و « باريس » .

لسنا ننبه الفنان الفرد ، بقدر ما نحن نخاطب ذوق المثقف ، أو الناقد الذى يشجع أو يقيد فعالية الفنان ، والذوق العام بأفكاره ، لئن كان بعض الفنانين ، فى معاناتهم الفردية يجارون الحركة الفنية الغربية املا فى خطوة أو سعياً وراء غزو أسواق النقد الفنى الغربى ... أو طمعاً فى الربح المادى ، فهذا شأنهم ! اما ان ينظر المثقف العربى شـــذراً إلى الفن الشرقى ( .... ) لأن أوربا ، فى حماة جهلها وفرديتها لم تكن قد تنبهت بعد الى ما فى هذا الفن من الابداع الفنى ، لأن المثقف تتلمذ على يد المستشرقين والارساليات الغربية الذين ما زالوا إلى اليوم يكنون الحقد الأسود لكل ما هو اسلامى أو عربى . نقول .... اما ان يصبح المثقفون اداة طبيعية طيعة لهذه القيم والتصانيف الواهية ، رغم حسن نواياهم ورغم ان معظم هؤلاء لم تطا اقدامهم عتبة المعاهد الغربية ، فان هذا لأمر محير ، مخجل مشين !!

لقد تعلم الذوق العام عندنا ، عبر أجيال طويلة من السيطرة الثقافية الغربية ، أن لا مفهوم يصلح للشكل أو الحركة فى الفن ، الا المفهوم الطبيعي الغربى ، فقلدنا أوربا فى كره الأسلوب الرمزى الاسيوى الاسلامي الهندى منه والفارسي . وتعلم المثقف منا ، ان ينظر إلى هذا الفن من منظار غربى ، فيرى فى بعد هذا الأسلوب عن الواقع الملموس ضعفاً فى المقدرة الفنية ، أو قصورا فى دراسة الحركة الطبيعية .

وفجاة !! تعرف الفنانون الغربيون على روائع الفن الاسلامى ، الاسيوى منه والعربى . وراحوا يستقون من أسلوبه الرمزى ، ومن حركته التلقائية المدركة ، وينهلون من معنى الوانه الصافيـــــــة الحارة !!

لقد صفق مثقفو الغرب فى النهاية لأمثال هؤلاء المجددين ، أمثال « غوغان » و « روسو » و « ماتيي » وكثيرون غيرهم ، فصفق المثقفون عندنا لهم ، اسوة بحركة سوق اسهم الثقافة الغربية !!

لقد تعلم مثقفونا التصفيق للنفحة الآسيوية الاسلامية فى الفن الغربى الجديد ، ورغم ذلك ، فهم مازالوا يعرضون عن فننا الأصيل !! فننا الاسلامى الذى استقى منه كل من « روسو » و « مانيس » هذه الأعمال .

ان لوحات « روسو » تكاد تكون صفحات منقولة عن الفن الاسلامى الهندى !!



فن تجريدى لا يعكس سوى حالة الفوضى الفنية ، وتباع منه الملايين اليوم ، وليس هناك من يجرؤ على القول بانحدار مضمونه الفنى والروحى

## التراث يغذى الحداثة

وكان لابد أن اساله عندئذ :

أفهم من جوابك انك ترى أن الحركة الفنية المعاصرة عندنا ، تسير فى اتجاه خاطيء لمجاراتها لما يجرى فى أوربا من مذاهب ومدارس فنية !! وأن على الفنان العربى والمسلم أن يقتصر على التراث الشرقى كمحرض على الخلق الفنى ... تماماً كما نهج الفنانون الغربيون فى عصر النهضةحين استقوا من تراث الاغريق الذى صنف بانه غربي لوجود اليونان ضمن حدود القارة الأوروبية ـ ؟

وقال لى : نحن لا ندعو لعصبية أو اقليمية ثقافية أو ابداعية ، فالحـــدود السياسية والثقافية اليوم لا يمكن لها ان تقف دون تفاعل الاتجاهات الفنية المختلفة فى العالم ... ان أوربا ، حين بدأت نهضتها وأرادت لهذه النهضة ان تكون غربية خالصة ... وضعت الفن الاغريقى ، أى المقاييس الاغريقية للانسان الخارق ... نصب اعينها ... وظلت تستقي منه ، بشكل واع مباشر ، حتى أفلست هذه المقاييس وانهارت فى بداية القرن العشرين ، فلماذا نحمل نحن مفاهيم تخلى أصحابها عنها منذ قرن من الزمن ـ ؟ ! لماذا لا نرى ذلك فى الصين واليابان . ومثل اليابان جلي واضح فى مدى تعلق الشعوب الأصيلة بتراثها الفنى والثقافى ـ ؟ وبرهان ساطع على أن التراث الروحى الأصيل لا يتنافى مع الحداثة ، بل يغذيها ، ويدعمها فى اعطائها اسساً عريقة تميزها عن الحداثة الغربية الصناعية الصرف .

وهكذا تم الحوار مع الفنان وليد الحجار الذى فجر فيه عدة قضايا فنية هامة تستحق منا المناقشة !

نادر اصفهانى ـ دمشق



المراة فى سيناء تتقن كافة الفنون اليدوية الشعبية التى من أهمها صناعة الأكلمة والسجاد المتميز بالألوان الزاهية

# سيناء

## أرض الأنبيـــاء
## التى عبرتها جيوش صلاح الدين والظاهر بيبرس !

بقلم: كمال سعد

كان لسيناء أهمية خاصة لدى المصريين منذ فجر التاريخ ، وكانت جزءا لا يتجزأ من جسد مصر ، وفى أوقات كثيرة كانت مدينة غزة نفسها قلعة أمامية لحماية أمن مصر .

وقد اطلق على وادى العريش فى التوراة اسم وادى مصر ، وعندما وصل عمرو بن العاص بجيوشه ـ بعد فتح سوريا ـ إلى رفح اعتبر نفسه فى أرض مصر ..

وكانت سيناء دائما مصدراً لثروة مصر المعدنية الهامة منذ أيام الأسر المتعاقبة فى مصر القديمة .. وكانت بمثابة مفتاح مصر الشرقى ، فقد عبرتها قوافل التجار وموجات الهجرة العربية القديمة والحديثة ، وجيوش الاسكندر وهى فى طريقها إلى مصر ، وجيوش صلاح الدين اثناء حملتها لطرد الصليبيين من الشام واسترداد بيت المقدس ، وجيوش السلطان قطز والظاهر بيبرس لصد جيوش التتار ، وأيضا جيش نابليون ، وجيش الجنرال اللنبى الذى كان مكلفاً ـ من قبل انجلترا ـ بتصفية النفوذ التركى فى البلاد العربية أثناء الحرب العالمية الأولى !

### أهم الآثار

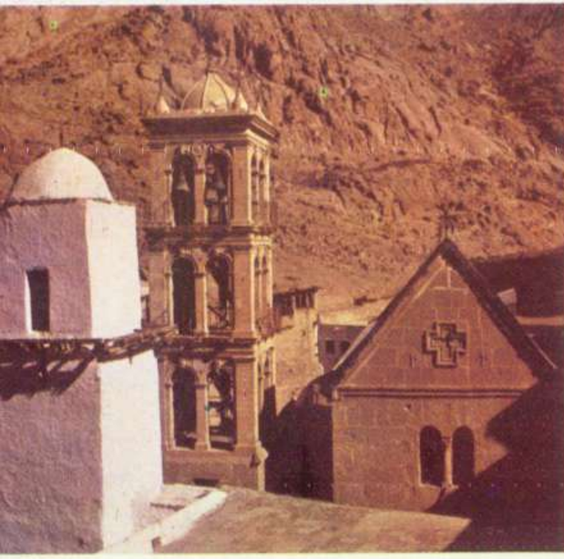
وقد عرف الاقدمون سيناء باسم «توشيت» أى الأرض الجدباء ، واختلفوا حول تسميتها ، فقال بعضهم ان اسم سيناء اشتق من اسم جبل ، وقال اخرون ان سيناء تعنى الحجارة ، غير ان اغلب المؤرخين اكدوا ان سيناء أو «سينين» كما جاء ذكرها فى القران الكريم ، ترجع الى «سين» الذى كان يعبده الساميون قبل نزول الاديان السماوية !

وكما نعرف ، كان لسيناء اتصال وثيق بمصر القديمة قبل التاريخ ، عبرتها ايزيس باحثة عن جثمان زوجها اوزوريس ونقب فيها الفراعنة العظام بحثا عن الذهب والنحاس والفيروز وسموها ارض الفيروز ، واقاموا بها الحصون لصد الغارات على حدودها ، ومن اثارهم الباقية حتى اليوم فى شبه الجزيرة ، العيون الكبريتية السبع التى تسمى حمام فرعون والتى يندر وجود مثلها فى هذه الطبيعة الخلابة ، وأيضا هيكل (سرابيت الخادم) الذى نجد به كهفا لسيدة سيناء (حتحور) وبه رسم للملك سنفرو الذى عاش فى عام ٢٧٢٠ قبل الميلاد ، وفى وادى المغارة حيث مناجم الفيروز نجد أن الفراعنة سجلوا بعض اعمالهم التى من بينها رسماً للملك (سمرخت) من الأسرة الأولى فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وهذا بخلاف وادى المكتب الذى يعتبر من الأودية العجيبة حقا ، حيث تعتبر جوانبه سجلا للهجات واللغات القديمة المختلفة كالنبطية والاغريقية وغيرها ..

### أرض الديانات

وقد جاء ذكر سيناء فى مواضع عدة من القران الكريم ، وفى سورة الطور جاء ذكر منطقة الطور بجنوب سيناء ، وفى سورة الأعراف ذكرت عيون موسى وتحدثت الآية عن جبل الطور فى سيناء ..

ولسيناء أهمية دينية لكافة الأديان ،



المسجد الفاطمى بجوار دير سانت كاترين



غابات النخيل فى سيناء من المشاهد التى تظل محفورة فى اعماق الذاكرة



شرم الشيخ .. يتميز ميناؤها بمياهه العميقة جدا

فهى التى اجتازها أبو الأنبياء ابراهيم مع زوجته سارة وهو فى طريقه من ارض كنعان الى مصر ، واجتازها سيدنا يوسف بعد أن التقطه من الجب بعض السيارة وباعوه الى عزيز مصر ، وفيها وقف سيدنا موسى على قمة عالية من جبل الطور ليكلم ربه

وهى ـ كذلك ـ الأرض التى عبرتها السيدة مريم مع ابنها عيسى عليه السلام قاصدة مصر ، هرباً من بطش الرومان

وكانت هذه الأرض الطيبة ملاذاً للمسيحيين الأوائل من وحشية اضطهاد الرومان ، ففر بعضهم اليها ووجدوا فى هدوئها مجالا للتامل وفسحة للتفكير وصفاء النفس ..

ومازال دير سانت كاترين الذى تم تشييده من اجل ذكرى الشهيدة كاترين التى عذبت وماتت بالاسكندرية فى القرن الثالث الميلادى يعتبر مقصداً لكل سياح العالم ، فبداخله تحف تقدر بمليونين من الجنيهات وبه مكتبة نفيسة تحوى آلاف المخطوطات والمجلدات باللغة اليونانية والسريانية والعربية والحبشية وغيرها ، والوصول الى هذا الدير يمر عبر طريق طويل يبعد ٢٠٤ كيلو متر عن السويس ، لنصل الى (فيران) حيث نجد اخصب واحات سيناء ، إذ ينبثق منها نبع يجرى بين الحدائق والأشجار والنخيل ويحف بها جبل المناجاة ، والى جوار الدير نجد مسجد يقف فى إخوة وتسامح فى نفس المكان ، وهذا المسجد يحوى اثرين هامين احدهما كرسى خشبى نقش على جوانبه بالخط الكوفى ، والآخر منبر فاطمى الطراز ، وكلا الاثرين ينسب الى الامير (انوشتيكين الآمرى) احد اتباع المنصور سابع خلفاء الدولة الفاطمية ، وإن كان الجامع نفسه بنى فى عهد الحاكم بامر الله (٣٦٨ ـ ٤١١ هـ) من واقع المخطوط المحفوظ فى دير سانت كاترين !

## نهاية مشروع

وقد كانت كل اراضى سيناء امتداداً جغرافياً وبشرياً لمديرية الشرقية ، الى ان خاضت مصر أول حرب هجومية عليها بعد ١٣ سنة من افتتاح قناة السويس ، وانتهت الحرب باحتلال بريطانيا لمصر فى عام ١٨٨٢ ، واصبح سكان سيناء منذ ذلك التاريخ يخضعون لارادة المخابرات البريطانية حتى عام ١٩٠٦ .

وفى ظل تبعية سيناء مباشرة للمخابرات البريطانية ، جاءت اليها فى عام ١٩٠٢ لجنة « تيودور هرتزل » فى مهمة لمعاينة الساحل الشمالى فى سيناء عقب إذن من اللورد كرومر الحاكم البريطانى فى مصر ، وذلك لاكتشاف امكانية إقامة عدة مستعمرات فى سيناء لتجميع الشعب اليهودى على ارضها ، بهدف اقامة وطن قومى لهم .. ولكن امكانية اقامة تلك المستعمرات لم تتم ، فقد تنبه لها المصريون ، وقاوموها مقاومة شديدة .. وقد ذكر هرتزل فى مذكراته تحت عنوان «نهاية مشروع» كيف ان اللورد كرومر ابلغ «جولد شميث» مندوبه الشخصى معارضة الحكومة المصرية للأهداف التى تقدم بها ، وبذلك انهارت خطة إقامة هذه المستعمرات فى سيناء ، وتراجع الانجليز فى ذلك الوقت واعلنوا انهم لن يسمحوا لليهود باية مشروعات اقامة او استيطان فى الأراضى المصرية !

## مؤامرة العزلة

وعقب ذلك بدات انجلترا تخطط لسياسة جديدة لها فى المنطقة ، فنقلت التبعية الى مصلحة اقسام الحدود التى كانت تخضع لاشرافها ، وبذلك عزلت مدن سيناء عن مصر ، ووجدت تبريراً لذلك العزل بقولها ان النظام الجديد ما هو إلا محاولة لتامين سلامة الحدود ومحاربة عمليات التهريب !

وكانت مدن سيناء طوال الفترة السابقة ـ وحتى عام ١٩٤٦ ـ تخضع لاشراف محافظ سيناء الانجليزى ، إلا انهم اضطروا وتحت ازدياد غضب الأهالى وثورتهم على ذلك النظام الى ان يسمحوا لوكيل المحافظة بأن يكون مصرياً واعطوا ذلك المنصب للمصريين بصفة دائمة مع وضع قيود تجعل من المنصب حبراً على ورق ، وتجعل للسياسة البريطانية النفوذ الأقوى فى سيناء كلها

ومنذ ذلك الحين فرضوا العزلة على شبه جزيرة سيناء التى تبلغ مساحتها ٢٦ الف ميل مربع ، وتقع بين ذراعى البحر الأحمر ، وتربط وادى النيل بغرب

# سيناء
## أرض الأنبياء

آسيا ، وتحدها قناة السويس من الغرب والحدود الفلسطينية من الشرق ..

ولم تكن عملية عزل سيناء عن بقية مناطق مصر من قبيل الصدفة ، فقد ادت مؤامرة فرض العزلة الى مرور اهالى وادى النيل بسلسلة من الاجراءات المعقدة إذا ما ارادوا زيارة اية مناطق فى سيناء ، وادى هذا بدوره الى شعور اهالى المنطقة بالغربة والحرمان من اية مشروعات اقتصادية !

### أهالى سيناء

ومضت سياسة عزل سيناء بخطة محكمة ، ادت الى تدهور أحوال مدن سيناء ومعاناتها من الاهمال وسوء الخدمات بصورة مستمرة ، إلا انه فى السنوات الأخيرة التى سبقت يونيو عام ١٩٦٧ بدا اتجاه جاد لضرورة القيام بطفرة عمرانية واصلاحية تتناسب مع اهمية سيناء التى تنتج ثمانين فى المائة من اجمالى بترول مصر كله ، بخلاف ثروات المنجنيز والحديد والفوسفات والأحجار الكريمة والرمال البيضاء ومصايد الأسماك والبساتين ، وأيضا بخلاف مكانتها السياحية ودورها الدفاعى فى حماية مصر كبوابة شرقية !

وكان اهالى سيناء من اكثر المنادين بانهاء عزلة سيناء ، كما كان لهم دور ايجابى عظيم اثناء فترات اشتداد مقاومة الاحتلال الانجليزى فى القناة .. ثم هل ننسى دورهم البطولى عندما قاوموا قوات الاحتلال اثناء عدوانى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ !

لقد قام اهالى سيناء باضرابات عديدة عقب نكسة عام ١٩٦٧ ، عبروا فيها عن تصميمهم على التحرير ، وانضم الكثيرون منهم الى الجمعيات السرية ومنظمات المقاومة التى قامت بعدة عمليات ناجحة فى سيناء اثناء حرب الاستنزاف وسقط منهم فى تلك العمليات شهداء كثيرون ..

وعندما تعود مخيلتى الى الوراء ، فاننى اتذكر ذلك اللقاء الذى تم بينى وبين اهالى سيناء الذين اجبرهم المحتل على الرحيل .. كان ذلك اللقاء فى عام ١٩٧٢ ، ووقتها عدت لاقول :

– إنهم فى القرى التى هاجروا اليها واستوطنوا فيها بصورة مؤقتة ، لاتبارح مخيلتهم لحظة واحدة رمال سيناء .. ونسمات سيناء .. وعادات سيناء ..

إن أرض الآباء والأجداد تعيش فى وجدانهم .. ولهذا فهم يعيشون على صبر ومضض انتظاراً ليوم خلاصها .. يوم ان تتحطم احلام العسكريين والمفكرين الاسرائيليين وعباراتهم التى تطالب باستغلال كل فرصة والبحث عن اى ذريعة لعدم التزحزح من شبه جزيرة سيناء اذا ما ارادوا أن تتحول اسرائيل الى دولة هامة (!!) .

وكان المهاجرون فى قرى مديرية التحرير لا يقيمون وزنا لتصريحات العدو .. ويرون أن اسرائيل تسعى الى المستحيل .. وقد رايت صدى افعال العدو على وجدانهم من خلال اندفاعهم للانخراط فى اى منظمة او اى معسكرات تدريب تفتح امامهم الابواب .. كما اننى كثيراً ما رايتهم يسجلون عبارات – تطالب بالجهاد فى سبيل الله لاسترداد الأرض – على الحيطان وعلى ابواب المنازل .. وايضا كثيراً ما رايت فى ساحات بيوتهم اشعاراً تحمل معانى الأمل والمقاومة والاستبسال وعدم الركون الى الياس

وكان من ابرز الأشعار التى ملأت قرى المهجرين وحفظها الأهالى عن ظهر قلب ، هى اشعار محمود سالم الذى يعيش فى معسكر عثمان بن عفان ، والذى ابعدته السلطات الاسرائيلية من سيناء بعد قضائه خمسة اشهر فى سجونها ..

وفى تلك الأشعار كان يتحدث عن الأرض .. وعن فلول العدو وقواته التى تزرع الموت فى كل مكان .. وعن اصرار العرب على المقاومة ووضع حد لنوبة الغرور التى سيطرت على عقول صقور الحرب فاعمتهم !

### طرد السكان

وكان من بين من التقيت بهم وقتئذ محمود اليمانى شيخ قبيلة اليمانى فى سيناء الذى حدثنى باعتزاز وفخر عن تاريخ الآباء ووطنيتهم التى قهرت الاستعمار وجعلته لا يجد مكانا للفتنة او الخيانة بين صفوفهم .. فعندما ذهب إلى سيناء فى عام ١٨٨٢ ، الجاسوس الانجليزى « هنرى بالمر » منتحلا اسم « الشيخ عبد الله » وبصحبته ثلاثة مرافقين احدهم يهودى اسمه « يخور حسون » ، ومعه ٢٠ الف جنيه من الذهب لتوزيعها على شيوخ القبائل حتى لا يساندوا الثائر عرابى ، فان الشيخ المزيف لم يعد من الجنوب ، وقتله سكان سيناء حتى يتاكد الانجليز ان البدوى لا يشترى وانهم لن يخونوا عرابى باى حال من الاحوال !

وانفعل الشيخ محمود وقتها وهو يقول : وقد حارب أهالي سيناء ضد الاستعمار في معارك كثيرة .. ولهذا فانهم لن يياسوا ولن يتركوا سيناء فريسة سهلة فى قبضة المحتل ، لن يتركوا الأرض التى كانت طريق الرسالات الدينية إلى مصر ، والتي كانت المصح الديني وملجأ المتبتلين في الاديرة والمعابد .. لن يتركوها أبد أفريسة لاسرائيل وخاصة انهم يدركون أن سيناء هي درع مصر وقلبها الفولاذي .. والدليل على ذلك أن القوات الاسرائيلية قامت بناء على أوامر من وزير الدفاع الاسرائيلي بطرد عدة آلاف من البدو من الاراضي التي كانوا يقيمون فيها بالقرب من رفح على الحدود بين سيناء وغزة ، واجتمع ديان برؤساء البدو واقترح عليهم دفع التعويضات وتوطينهم في مناطق أخرى إلا انهم رفضوا التعويض ورفضوا أيضا الاقتراح !

كانت تلك هي الصورة التي سجلتها في سبتمبر عام ١٩٧٢ ، عقب لقائي بمجموعة كبيرة من مهجري سيناء ... وهي صورة أكدت الايام مدى ما فيها من صدق واصرار على خوض المعركة واسترداد الأرض ..

فعندما بدات حرب اكتوبر ، أسرع أهلها يشاركون الابطال في القضاء على الجيوب الاسرائيلية الباقية التي عانوا من قسوة جنودها .. فقد كان جنود الاحتلال لاقلب لهم .. ولا تفرقة عندهم بين الطفل والمراة والشيخ . وفي البداية واثناء اعلان الاهالي للتمرد والعصيان المدني ، كان جنود العدو يبثون الارهاب في القلوب .. مرة عن طريق تجميع بعض الاهالي أمام الحوائط وحصدهم كما يفعل النازي .. ومرة أخرى عن طريق لهو جنود اسرائيل وتدريبهم على اطلاق الرصاص على رؤوس المواطنين العزل من السلاح !

### مدن سيناء

وقبل عام ١٩٦٧ كنت قد زرت مدن سيناء الهامة في مناسبات كثيرة ، وكنت دائماً أتوق إلى العودة اليها ما بين كل حين وآخر ..

فلطالما عشت أياماً في مدينة العريش التي تعتبر من أهم مدن سيناء وتقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تسمى هذه المدينة في الزمن القديم مدينة مقطوعي الأنوف ، واستعمرها نابليون لعام واحد ، ويقال أن الذي أنشأها هو الملك الحبشى « اكتيسانز » أثناء غزو الحبشة لسيناء !

ولطالما ذهبت إلى مدينة الطور في موسم الحج وقبل سفر الحجاج ، ورغم أن هذه المدينة فقدت

دورها الهام بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، فقد عادت أهميتها مع اكتشافات البترول في خليج السويس !

وزرت مدينة نخل العاصمة القديمة لسيناء قبل الحرب العالمية الأولى والتي بناها السلطان الغوري ، وعشت أياماً في المدينة الحدودية رفح التي تفصل بين مصر وفلسطين .. وخلال وصولي لهذه المدن وغيرها كثيراً ما كنت اتمتع بقطع طرق سيناء المتعددة شمالا ووسطاً وجنوباً !

غير أنني دائماً أفضل رؤية مدينة القنطرة شرق باستمرار ، فهي أحدث مدن سيناء ، وأكثر المدن التي استوعبت تفاصيل نشأتها ووجدت فيها ما يثير الذهن والعاطفة على حد سواء ..

إن مدينة القنطرة شرق ، التي تبعد عن مدينة الاسماعيلية بحوالي ٣٣ كيلومترا وعن مدينة بورسعيد بحوالي ٤٥ كيلومترا ، بدأ ظهورها - هي والقنطرة غرب - مع التقاء البحر الأبيض والبحر الأحمر في يوم ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ ، وهو اليوم الذي بدأت فيه احتفالات قناة السويس التي أنفق عليها مليون و ٤٠٠ الف جنيه ، فى حين بلغت تكاليف حفر القناة نفسها ما يقرب من ١٧ مليون جنيه .

ويذكر التاريخ أن هذه المدينة انطلقت حولها اشاعة فى ليلة افتتاح قناة السويس .. كانت الاشاعة تقول أن احتفالات القناة لن تتم ، فهناك صخرة هائلة سدت القناة بالقرب من مدينة القنطرة ، وجعلت منَ المستحيل على الموكب أن يواصل السير فى قناة السويس !

ولم تتوقف الاشاعة عند هذا الحد ، بل انطلقت لتؤكد أن الامبراطورة « أوجينى » عادت بمركبها « الايجل » أى النسر إلى بلدها فرنسا ، وأن الامبراطور جوزيف عاهل النمسا ذهب إلى تريستا ، وأن الأمير فردريك ويلهلم ولى عهد بروسيا والأمير هنرى شقيق ملك هولندا وعقيلته والأمير عبد القادر الجزائرى فى طريق العودة إلى بلادهم ، وأن كل ضيوف الخديوى اسماعيل وعددهم ٨ آلاف مدعو سيتركون القصر والذهبيات الواقفة فى البحيرات والـ ١٣٠٠ خيمة التى أعدت خصيصاً لتلك المناسبة ، بعد أن اتضح لهم أن الصخرة الكبيرة قد تسببت فى تأجيل الاحتفال لأجل غير مسمى !

ولأن المثل يقول « لا يوجد دخان بلا نار » فقد كان للاشاعة مصدر وسبب .. أما مصدرها فقد كان « فرديناند ديلسبس » صاحب فكرة المشروع .. أما السبب فيتلخص فى الأوامر التى أصدرها قبل ليلة الافتتاح والتى طالبت الخبراء باجراء مقاييس على مجرى القناة للتاكد من خلوه من أى عائق !

وعندما بدأت عملية الاختبار الأخيرة لمجرى القناة ، صادفتهم صخرة أزالوها فى الحال ، ثم قامت سفينتان حربيتان بالسير فى المجرى على سبيل التجربة والاطمئنان .. ولكن ما إن وصلت احداهما واسمها « لطيف » إلى مجرى القناة عند القنطرة حتى جنحت وسدته !



مازالت العادات الاجتماعية القديمة سائدة بين غالبية سكان سيناء

وعلى الفور تم احضار الفى جنـــدى من بور سعيد ، استطاعوا أن يجنبوا السفينة بحذاء الساحل الشرقى للقناة ، وليصل الموكب بعد ذلك إلى منطقة القنطرة واضعاً نهاية للاشاعة التى ملأت كل مكان !

وأثناء الحرب العالمية الأولى تحولت مدينـة القنطرة شرق إلى قاعدة حربية للانجليز ، وأصبحت منطقة عسكرية من الدرجة الأولى ، وامتدت مساحتها ثمانية أميال داخل الصحراء ، ونشطت تجارياً وحضارياً ، ولكن بانتهاء الحرب عادت إلى عزلتها الأولى بصورة كاملة ، وأصبح أهلها يعانون من الكساد والنشاط المتوقف تقريباً !

## أهمية شرم الشيخ

وإذا كانت مدينة القنطرة شرق قد مرت بظروف قاسية مثل بقية مدن سيناء ، فان منطقة شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق رأت ظروفاً أصعب ، فمنذ عام ١٩٦٧ وقادة اسرائيل كانوا يصرحون فى كل مناسبة بان وجودهم فى شرم الشيخ ومضايق تيران وصنافير مسالة حياة أوموت ، فقد حاولوا ايهام العالم بان الأرض التى يحتلونها على سواحل سيناء بما فيها شرم الشيخ تمثل حماية للأمن والاقتصاد العابر فوق مياه البحر الأحمر ، ولكن الحرب الرابعة اسقطت تلك الادعاءات

وللتعرف على جغرافية وطبيعة منطقة شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق فانه لابد من وقفة موجزة نتطلع فيها إلى الساحل الشرقى لشبه جزيرة سيناء ، ذلك الساحل الممتد من « رأس محمد » إلى طول خليج العقبة ، ونحاول أن نبتعد ثمانية أميال من رأس محمد ، لنجتاز فى مدخل الخليج ميناء شرم الشيخ ، وهو ميناء صغير ، المياه إلى جواره عميقة جداً ، وتحف بالمياه نفسها جبال صخرية ترتفع إلى ما بين ثلاثة وخمسة الاف قدم ، ولا توجد به مياه صالحة للشرب غير مياه الآبار ..

أما جزيرة تيران فتبعد أربعة أميال عن سيناء وتكاد تغلق مدخل خليج العقبة جغرافيا ويسمونها « حارس خليج العقبة » وهى عبارة عن صخور ممتدة فى قاع البحر ، يتراوح طولها بين سبعة وثمانية أميال ولا يزيد عرضها على خمسة أميال ، وأقصى ارتفاع لصخورها يصل إلى ١٦٧٠ قدماً ، ولهذا فقد ظل ارتفاع هذه الصخور يرشد السفن إلى الجزيرة وقت دخولها وخروجها من خليج العقبة ! .

وعلى بعد ميلين شرق جزيرة تيران تقع جزيرة صخرية اسمها « صنافير » وعلى بعد سبعة أميال من امتدادها تقع جزيرة شوشة ذات الصخور الصفراء والحمراء ، ثم جزيرة « برقان » التى يخيل لنا أنها أكثر من جزيرة صغيرة ، بينما هى فى حقيقة الأمر صخور منفصلة بعضها عن البعض !

وعندما احتلت اسرائيل منطقة شرم الشيخ فى عام ١٩٥٦ قالت انها وضعت يدها على أحد المكانين اللذين تبدأ منهما مشروعاتها فى المنطقة ، ولكن المجتمع الدولى لم يتقبل هذا الكلام وأصدرت الجمعية العامة فى الأمم المتحدة قراراً يقضى بانسحاب اسرائيل من كل الأراضى التى احتلتها بالتواطؤ مع فرنسا وانجلترا .

ولكن اسرائيل عادت إلى عدوانها فى عام ١٩٦٧ واحتلال سيناء بما فيها شرم الشيخ والمضايق ، وذهبت تصريحات حكامها بعدئذ إلى حد القول : « اننا لو تركنا سيناء فلن نتخلى مطلقاً عن المدخل الاستراتيجى لخليج العقبة » .. وفى سبيل تاكيد هذه السياسة أسرعت تقيم المستعمرات فى شرم الشيخ ، وكانت كلما أقامت مشروعاً ولو رمزياً فى المنطقة اقامت حوله ضجة دعائية وكأنها تريد أن تقنع العالم بان وجودها فى تلك المنطقة قد أصبح أمراً لا نقاش فيه ولا جدال ، فهى تقيم المستعمرات ، وتزرع فى قلبها المواطنين الاسرائيليين

**إلا أن الحرب الرابعة أسقطت كل ادعاءات اسرائيل حول شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق !**



وهكذا نرى أن الحديث عن سيناء بما فيها من مدن ومعادن وبترول وآثار ورجال عرفهم التاريخ ، يحتاج إلى أكثر من وقفة ، لأنها أرض الأنبياء ، ومعبر القادة العظام ، والصخرة التى تحطمت عليها كل أحلام الغزاة .

كمال سعد

# لقطات من الكون المثير



## صداقة قديمة !

الصورة فى حد ذاتها قولا تحتاج إلى تعليق ، فطائر « ابى قردان » يمتطى ظهر « السيسى » الذى يحرك ذيله نحو الطائر ، وكانما هو يحاول ابعاده .. هذا هو الظاهر ، لكن الباطن غير ذلك على الاطلاق ، فالسيسى والطائر تجمع نوعيهما صداقة ربما تكون قد عمرت ملايين السنين ، وهى من الصداقات التى نطلق عليها « تبادل المنفعة » .. فالسيسى يهش بذيله الحشرات التى تختبىء فى المراعى التى يعيش عليها فى الطبيعة حراً طليقاً ، وعلى راسها الذباب القارص ، فيظهر ما اختبا منها لعينى الطائر ، وعندئذ يسرع اليها ليلتهمها ، وبهذا يخلص صاحبه من مضايقات الحشرات ، وكانما « أبو قردان » بمثابة « مبيد حشرى » حى ، وهنا يكمن السر فى تبادل المنفعة .. فالطائر ياكل دون ان يجهد نفسه فى البحث عن « الطعام » المختفى ، والسيسى يرتاح من المضايقات التى تسببها الحشرات ، وكل سعيد بصاحبه ، ومعتز بصداقته !

## ابق معى يا صديقى !

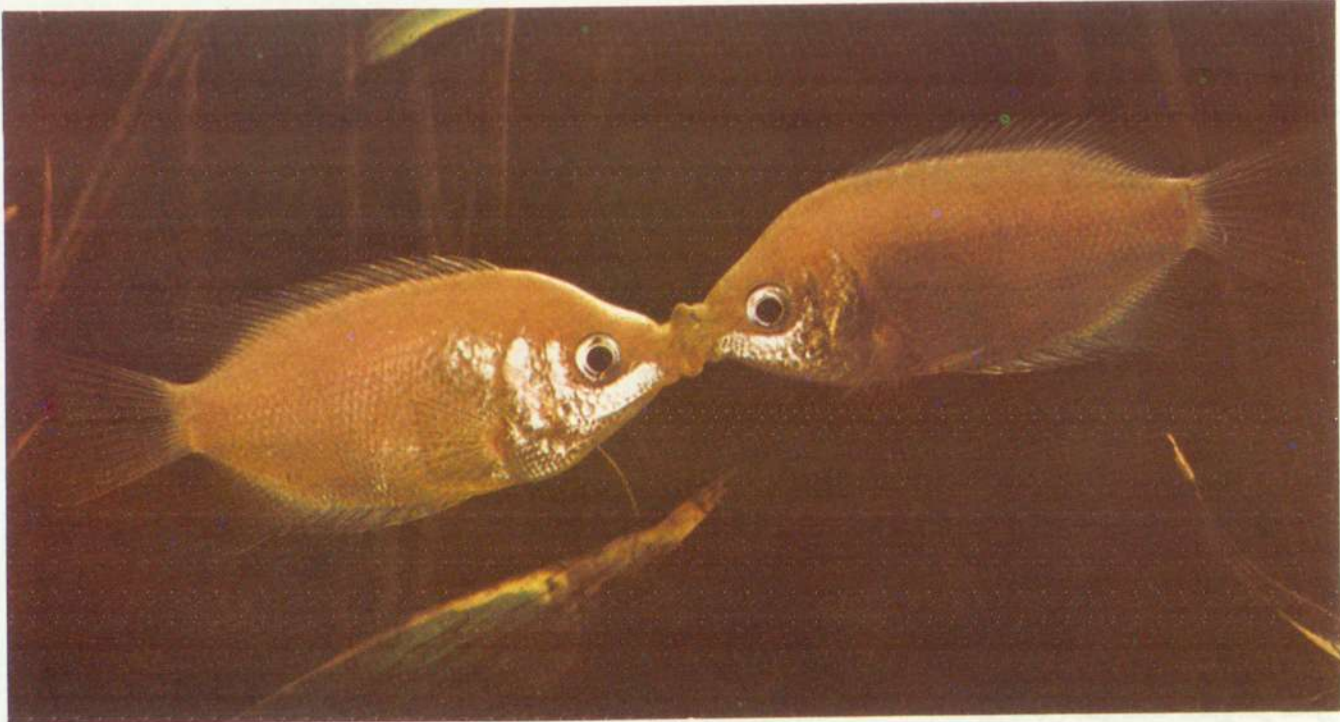


عندما اقتحم طفل الانسان حمام السباحة الخاص بطفل انسان الغــاب ( الأورانج اوتان ) ، وجدها الاخير فرصة سانحة ليرحب بضيفه ، ويقضيان وقتا طيباً لكن طفل الانسان لم يانس لصاحبه ، وطفرت من عينه دمعة ، وعندما هم بالخروج من الحمام ، تشبث به طفل الأورانج اوتان ، وكانما لسان حاله يقول « ابق معىّ لتؤنس وحدتى فى غربتى » .. ثم ألا تلاحظ معنا تعبيرات من الاستعطاف والتوسل على وجه طفل انسان الغاب ، وكانما يعز عليه فراق صاحبه طفل الانسان ؟! .. بقى ان تعرف ان هذا الطفل ابن لعالمة انثروبولوجى وتدعى د . بيروتى جالديكاس ، وتعمل استاذاً مساعداً بجامعة نيومكسيكو ، ولقد امضت سنين طويلة وهى تدرس سلوك القردة العليا فى الطبيعة ، وفى المعامل ، فكان ان احضرت طفل انسان الغاب رضيعاً ، وأنشاته مع صغيرها بمنزلها ، لتدرس دراسة مقارنة بين السلوك الانسانى والحيوانى على مستوى الطفولة ، فكانت هذه اللقطة المعبرة ضمن لقطات أخرى كثيرة .



## السيجار أم الرجل

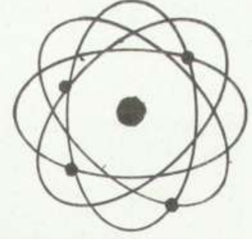
تم عرض هذا السيجار الضخم فى احد المعارض عام ١٩٧٩ ، ويعتبر اضخم سيجار تم صنعه حتى الآن ، اذ يبلغ طوله حوالى ثلاثة أمتار الا الربع ( بالتحديد ٢٧٨ سم ) ، ومحيطه ٣٢٫٤ سم ، ووزنه ٢٧٫٣ كيلوجراما ، والرجل المستلقى صانع السيجار ، وهو دانمركي ، ويدعى ج . ب . شميدت ، وجدير بالذكر أن هذا السيجار الضخم ليس نموذجا ، بل يمكن اشعاله وتدخينه ، لكن من ذا الذي يستطيع ان يحمله ويشعله ويسحب منه انفاساً ، دون أن تنقطع انفاسه ؟ .. على اية حال ، فللناس فيما يعشقون مذاهب !



## قبلة أم عضة ؟

يطلق الناس على هذا النوع من السمك اسم « الجورامى ذو القبلات »

جاءت هذه التسمية نتيجة لعادة متوارثة فى سمك الجورامى ، اذ يحدث ـ فى اغلب الأحيان ـ أن تتقابل سمكة مع سمكة ، لتتقابل الشفاه بعد ذلك فى حركة اقرب الى القبلات ، ولا يقتصر ذلك على الكبار ، بل يحدث ايضاً بين الكبار والصغار ، ولقد تحير العلماء فى تفسير هذه الظاهرة ، فمنهم من يعتبرها تودداً ، ومنهم من يعللها على انها وسيلة من وسائل الاتصال ، ومنهم من يفتى بانها عضة « على خفيف » أى بدون احداث عاهات تذكر ، وهذا قد يعنى تهديداً ، اذ لا يصح ان تدخل سمكة فى مجال سمكة اخرى .. والأمر بعد ذلك متروك لتقديرك ، لتعتبرها قبلة أو عضة أو تهديداً ، أو كما يتراءى لك !



# العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

## الضمادة الكهربية

لكى يلتئم الجرح فى عشرين دقيقة بدلا من يومين يمكنك استخدام الضمادة الكهربية وهى عبارة عن جهاز كهربى يستخدم الموجات اللاسلكية فى تضميد الجروح .

إذ لاحظ الباحثون أن بعض ترددات هذه الموجات تدفع خلايا الجسم الى تكوين مادة « الكولاجين » وهى مادة بروتينية تدخل فى تكوين الانسجة الضامة .

ولاستخدام هذه الضمادة المبتكرة تثبت اقطاب رقيقة على جانبى الجرح بحيث تتصل هذه الأقطاب بمصدر للموجات ذات الترددات العالية .



## المقعد المبرمج

● لقد غزا الميكروكمبيوتر العديد من مجالات الحياة اليومية ومن ثم فلا مجال للدهشة إذا ما زود مقعد المكتب بميكروكمبيوتر صغير . فهذا المقعد الامريكى الصنع صمم لتوفير اكبر قدر من الراحة والشروط الصحية لمن يضطرهم عملهم الى قضاء ساعات طويلة جالسين على المقاعد . ولتحقيق ذلك ثبت تحت ذراع المقعد دائرة الكترونية لرصد أفضل وضع يناسب الجالس مثل زاوية الجلوس وارتفاع وميل الظهر .

وتتصل هذه الدائرة الالكترونية بجهاز هيدروليكى غير مرئى يمثل قلب هذا المقعد الصحى حيث يعمل على تغيير زاوية المقعد تبعاً لجلسة المدير بحد أقصى أربع درجات .

وتعمل هذه الحركة المستمرة بالرغم من انها غير محسوسة على تفادى الضغوط المتراكمة نتيجة للاستمرار فى وضع الجلوس مدة طويلة وما ينجم عنه من احساس بالارهاق وضعف الدورة الدموية وفقدان العضلات لمرونتها بالاضافة الى آلام الظهر المزمنة .

ولقد أثبتت التجارب التى أجراها متخصصون فى مجال الفسيولوجى فى جامعة كوبنهاجن صلاحية هذا المقعد ، إذ يعتقد هؤلاء الباحثون أن أفضل وضع للجسم أثناء الجلوس هو أن يتحرك .

ويتراوح ثمن هذا المقعد العجيب ما بين ٨٠٠ دولار و ١٢٠٠ دولار .



## محطة اتوبيس الكترونية

● قد يمثل الميكروباص وسيلة انتقال المستقبل فى مدن الولايات المتحدة والعديد من الدول الاوروبية ولكنها ليست ميكروباصات عادية فهى تستخدم نظام اتصال الكترونى بين الراكب وسائق الحافلة إذ ليس لها خط سير محدد سلفاً وانما تحكمها نقطة بداية ومحطة وصول فى آخر الخط المحدد لها .

ومن ثم فلكى يتم ابلاغ السائق بان هناك راكباً ينتظره فى احدى المحطات القائمة فى منطقة تخصصه يوجد جهاز الكترونى يضع فيه الراكب بطاقة مغناطيسية بحيث يرسل الجهاز إشارة لاسلكية لسائقى الميكروباصات تخبرهم بمكان وجود الراكب والجهة التى يريد الوصول اليها . وبناء على هذه الاشارة تصل اليه اقرب سيارة للمحطة التى أرسل منها اشارته بشرط أن تكون متجهة الى نفس الوجهة التى يريدها .



## الطاقة من قلب الصخور



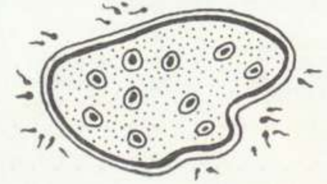
● يواصل العلماء البحث عن مصادر جديدة للطاقة وفى الوقت الذى يذهب البعض بعيداً فى الفضاء فى محاولة لتسخير الطاقة الشمسية يعود البعض الآخر الى الأرض للحصول على الطاقة الحرارية الكافية فى باطنها . فبعد استخدام المياه الجوفية للحصول على طاقة كافية لتدفئة المنازل فى المناطق الباردة توصل العلماء الى طريقة أبسط وأضمن للحصول على الطاقة .

فمن المعروف أنه كلما تعمقنا فى باطن الارض كلما ارتفعت درجة الحرارة . فعلى عمق عشرات الامتار تزيد الحرارة بمعدل درجة مئوية لكل ثلاثين متراً وذلك بسبب الحرارة الداخلية للب الأرض . لكن الجديد هو محاولة الاستفادة من هذه الحرارة الكامنة فى الاحجار النارية مثل الجرانيت .

ولتحقيق ذلك يتم مد شبكة من الانابيب تمر فيها سوائل بين انفاق ضيقة محفورة فى صخور الجرانيت بحيث تنقل السوائل حرارة الصخر الى سطح الأرض لاستخدامها فى الأغراض المختلفة .

ويجرى حالياً الباحثون الفرنسيون أولى تجاربهم فى هذا المجال وذلك ضمن مشروع متكامل يعتمد على الطاقة المستمدة من القشرة الأرضية .

## صيد الميكروبات



● يقدم اليابانيون جهازا جديداً يساعد على تشخيص الأمراض الباطنية المرتبطة بالجهاز الهضمى بدقة بالغة . فهو يتكون من كيس من السليكون حجمه لا يتعدى ربع السيجارة وهو مفتوح عند أحد طرفيه . ويحتوى هذا الكيس على مادة مشعة لتساعد الأطباء على توجيه الجهاز وتتبع مساره .

وعندما يصل الى الأمعاء يبدأ فى جمع الميكروبات والبكتيريا الموجودة فيها حيث يتم تحليلها بعد عودته من رحلته داخل الجهاز الهضمى .

●●●

## تليفون بدون أسلاك

● تليفون المستقبل سيكون بدون اسلاك فهو سيعتمد على موجات لاسلكية خاصة وعلى الموجات تحت الحمراء ومن ثم يمكنك حمل تليفونك اينما ذهبت والاتصال واستقبال اية مكالمات على رقم تليفونك العادى .

كما سوف يزود تليفون المستقبل بشاشة تلفزيونية تستطيع من خلالها رؤية محدثك ولكن هذا الاتصال المرئى يحتاج الى بعض المعدات : لوحة أزرار لتكوين الرقم المطلوب والتحكم فى العمليات المختلفة مثل فتح الخط والبدء فى الارسال والاستقبال المصور او قطع ارسال الصورة مع الاحتفاظ بالاتصال الهاتفى العادى .

كما تشمل هذه المعدات وحدة طرفية مزودة بشاشة تلفزيونية تستقبل الصور الملونة بالاضافة الى كاميرا فيديو وجهاز للتحكم وربط كل هذه العناصر معاً .

●●●

## وقود من قشر اليوسفندى



● صممت إحدى شركات السيارات اليابانية محركاً يعمل بزيت مستخرج من قشر ثمار اليوسفندى . وكانت نتائج التجارب التى اجريت على هذا المحرك مرضية للغاية .

ولقد استخدم فى هذه التجارب نوعان من الوقود ، النوع الاول مستخرج بالكامل من قشر اليوسفندى اليابانى ، أما النوع الثانى فهو خليط من الوقود البترولى وزيت اليوسفندى ، وقام هذا الوقود النباتى بتشغيل محرك سيارة صغيرة او موتوسيكل ودراجة بخارية .

إلا أن انتاج ما يساوى لتراً من البنزين يحتاج الى عشرة الاف ثمرة يوسفندى !

●●●

## جهاز للتعامل مع جميع الصور !

● إنه جهاز لتحويل الصور السلبية العادية الى صور حية يمكن استقبالها على شاشة تلفزيونية وارسالها فى الوقت نفسه إلى اجهزة استقبال خارجية .

إذ تمسح الأشعة شريط الصورة السلبية لترسلها على الفور على شاشة تلفزيونية فى دائرة مغلقة . كما يستطيع الجهاز ارسال نفس الصورة وفى نفس اللحظة الى اجهزة استقبال أخرى خارج المبنى .

وبامكان الجهاز التعامل مع جميع أنواع الصور : أبيض وأسود وصور ملونة وصور التقطت بواسطة الأشعة تحت الحمراء أو صور رادارية . كما يتعامل مع كل مقاسات الافلام ابتداء من ١٦ مليمتراً الى ٢٤٢ مليمتراً .

ولعل أهم ميزات هذا الجهاز انه بمجرد اسقاط الصورة على الشاشة يستطيع تكبير أى جزء منها ثلاثين مرة وتقريب أى قسم من هذا الجزء المكبر لاظهار تفاصيله . بالاضافة الى ان الجهاز بامكانه ارسال اشارات وتحقيقات مصورة ورسوم بيانية وخرائط .



## الأشعة المفترى عليها

● إن أشعة الليزر التى وصفت ظلماً بانها أشعة الموت نظراً لطاقتها الضخمة وامكانية استخدامها فى الاسلحة التدميرية والتى أوحت بعدد كبير من الأفكار لكتاب الخيال العلمى فى مجال الحروب الفضائية ، هذه الأشعة المفترى عليها قدمت وتقدم خدمات جليلة للطب والجراحة فبعد نجاح هذه الأشعة فى اجراء أدق العمليات الجراحية فى العين بدأ أطباء الأمراض الجلدية يستخدمونها فى علاج بعض الأمراض المستعصية التى تظهر فى القدمين مثل عين السمكة والصدفية .

ويمتاز العلاج بهذه الأشعة الضوئية القوية بانه علاج جذرى إذ لا تعود هذه الأمراض للظهور مرة أخرى بالاضافة الى أنها لا تسبب أى الم وليست لها أى آثار جانبية على عكس الأشعة السينية .

●●●●



رؤوف توفيق

# جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟




الممثلة الامريكية « ميريل ستريب » بطلة فيلم « زوجة الملازم الفرنسي»

من أهم الأحداث السينمائية العالمية .. جوائز مسابقة « الأوسكار » الامريكيـــة .. ومهرجان « كان » السينمائي الدولي .

ومع بداية كل عام .. تبدأ التكهنات الفنية ، والترشيحات ، للأفلام الجديدة بدخول سباق الاوسكار .. وما ان تعلن نتيجة هذا السباق مع آخر شهر مارس من كل عام .. حتى تتدفق التحليلات والضجة الاعلامية لمناقشة هذه الأفلام ، وهل تستحق بالفعل « شرف الاوسكار » ؟!!

ولا تنتهى هذه الضجة .. الا بحلول موعد مهرجان « كان » السينمائى فى منتصف مايو .. لتبدأ الانظار الفنية تتجه إلى حصيلة أعظم ما انتجته السينما العالمية ، خلال عام وهى تدخل سباقاً كبيراً ومثيراً مدته أسبوعان .. ثم تعلن النتيجة بعد ذلك ، لتفجر من جديد مزيداً من التســـاؤلات والتحليلات ! .

وهكذا .. تعيش السينما العالمية .. على مدى نصف عام تقريباً .. بين مفاجآت نتائج الاوسكار .. ومفاجآت عروض مهرجان كان ..

## أغرب المفاجآت

وربما كانت أغرب مفاجآت جـــوائز الاوسكار لهذا العام .. فى حصـــول فيلم « عربات النار » على جائزة احسن فيلم (!!) .. بالرغم من أن نصيبه من الترشيحات كان أقل بكثير من نصيب ثلاثة أفلام أخرى هى : فيلم « حمر » اخراج وارن بيتى ، وكان مرشحاً لاثننتى عشرة جائزة ( أكبر نصيب من الترشيحات ) .. وفيلم « على البحيرة الذهبية » وكان مرشحاً لعشر جوائز .. وفيلم « غزاة القوس المفقود » وكان مرشحاً لثمان جوائز .. بينما فيلم « عربات النار » رشح لسبع جوائز .. يليه فيلم « مدينة أتلانتيك » ورشح لخمس جوائز .. وايضاً فيلم « زوجة الملازم الفرنسى » فقد رشح لخمس جوائز .

والمعروف أن ترشيحات الجوائز تكون فى العناصر الفنية للفيلم .. من اخراج .. وتمثيل وسيناريو وتصوير وموسيقى .. الخ أى أن الحساب « المنطقى » يقول لنا .. إن الفيلم الذى رشحت عناصره الفنية لأكبر عدد من الجوائز .. هو بالقطع أحسن فيلم ..

ولكن حسابات المهرجانات والمسابقات شىء آخر !!



هنرى فوندا يتوسط ابنته جين فوندا وزوجته فى الفيلم كاترين هيبورن

فهناك عوامل أخرى تتدخل .. لتجعل « المنطق » يتراجع ، ليأتى فى المرتبة الثانية بينما تتصدر الاعتبارات السياســـية والضغوط الاقتصادية والتى تمثل مصالح مؤسسات ومنظمات كبرى .. !



هنرى فوندا .. وجائزة احسن ممثل



جين فوندا .. ابنته فى الواقع وفى الفيلم الفائز



▲ بيرت لانكستر فى فيلم مدينة « اتلانتيك » .

▼ الممثل أو الشيطان .. لقطة من فيلم « ميفيستو » .



وفيلم « عربات النار » ـ كما تناولته بالتحليل والمناقشة فى عدد سبتمبر ٨١ من الدوحة ـ فيلم يدافع عن العنصرية اليهودية .. ويقوم أساساً على تمجيد اليهود ، والاشادة بكفاحهم ، لتعويض عقدة الاضطهاد التى يعانون منها .. وهكذا يقدم الفيلم ـ بكل الصراحة والوضوح ـ ذلك الشاب الذى يلتحق بجامعة كمبريدج الانجليزية ، والذى يشعر بالنقص لانه يهودى .. فيجند نفسه لانتزاع البطولات فى مسابقات العدو .. وهو يفعل هذا كنوع من التحدى واثبات الوجود .. وهو لا يخفى هدفه .. بل يعلنه فى عبارات صريحة جاءت فى حوار الفيلم .. فهو يقول « اننى أدافع عن نفسى لكونى يهودى » .. « اننى أحمل المستقبل معى » .. وهناك هذا الأستاذ بالجامعة والذى يبدى تعاطفه مع هذا الشاب ، فيعلق بكل الاعجاب « ان اليهود هم شعب الله المختار » !

ويصل الفيلم الى نهايته .. وهذا الشاب ينتزع البطولة لانجلترا فى أولمبياد عام ٢٤ بباريس .. ويقدم الانجليزى « هيو هدسون » مشاهد هذا الفوز فى لقطات مثيرة وأخاذة ، مستخدماً كل البراعة




# جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟

التكنيكية فى التصوير البطىء والمونتاج الحساس ، والموسيقى المتدفقة بالمشاعر .. وكان هذا الفوز .. هو فى معناه الحقيقى فوز للقضية اليهودية !

ولاشك أن حصول هذا الفيلم على أهم جائزة فى مسابقة الأوسكار .. وهى جائزة احسن فيلم .. هو تدعيم لنفس المغزى ، وتأكيد للانتصار اليهودى !

وقد نستطيع أن نفسر فوز هذا الفيلم بهذه الجائزة الهامة .. على انه نوع من المغازلة وارضاء القوى اليهودية المسيطرة على صناعة الاعلام والفن فى أمريكا .. ولكن مهما اختلفت التفسيرات .. الا اننا لا نستطيع أن نقول .. إن الجائزة كانت لوجه الفن فقط !!

واعتقد أن الجائزة الوحيدة التى يستحقها ـ بالفعل ـ ذلك الفيلم .. هى جائزة الموسيقى والتى الفها ووزعها الموسيقار اليونانى «فانجليس باباثاناسيو»

وقد فاز فيلم عربات النار ايضا بجائزة السيناريو « كولين ويلاند » .. وجائزة الملابس « ميلينا كانونيرى » .

## فن السينما الحقيقى

أما إذا أردنا أن نتحدث عن فن السينما الحقيقى ـ بدون تدخلات أو ضغوط سياسية أو اقتصادية ـ فاننا نجد أمامنا فيلم « حمر » للمخرج « وارن بيتى » الذى يقدم على ثلاث ساعات ونصف جزءاً من حياة « جون ريد » الصحفى الامريكى صاحب الكتاب الشهير « عشرة أيام هزت العالم » الذى تناول فيه احداث الثورة الروسية .. وينتقل الفيلم بين مجتمع المثقفين والكتاب فى امريكا .. ووقائع الثورة فى روسيا .. وهذا الجو الزاخر بالاحداث والشخصيات والأفكار والعلاقات العاطفية .



الممثلة كاترين هيبورن .. وبحوارها المخرج « مارك رايدل » اثناء تصوير فيلم البحيرة الذهبية



جاك نيكولسون كما يبدو فى لقطة من فيلم « حمر »

وقد فاز الفيلم بجائزة احسن اخراج .. وتصوير .. وأحسن ممثلة فى دور ثان ..

ويحقق الممثل المخرج « وارن بيتى » الأمنية التى طالما سعى إليها .. فقد رشح من قبل لاوسكار عام ٧٩ .. عندما تقدم بفيلمه ( السماء يمكنها الانتظار ) الذى شارك فى اخراجه مع « باك هنرى » ولكنه لم يحصل على الجائزة .. فكرر المحاولة بهذا الانتاج الضخم ( بلغت تكاليف الفيلم ٢٥ مليون دولار ) وتحمل مسئولية الاخراج بمفرده لأول مرة .. ودخل فى مناقشة مع نجوم الاخراج السينمائى .. الفرنسى « لوى مال » مخرج فيلم « مدينة اتلانتيك » الذى تناول موضوع تورط عجوز طيب القلب ( لعب الدور بيرت لانكستر ) مع عصابة لتهريب وتجارة الهيروبين .. والمخرج الامريكى « ستيفن سبيلبرج » الذى حطم الارقام القياسية فى الايرادات فى تاريخ السينما الامريكية بفيلمه « غزاة القوس المفقود » .. والمخرج الأمريكى « مارك ريدل » الذى قدم معزوفة شاعرية عن عالم العجائز فى فيلمه « على البحيرة الذهبية » .

وهكذا يتفوق واحد من اشهر ممثلى امريكا على محترفى الاخراج .. ويحصل على جائزة الاخراج .. ولكنه يتعثر فى الحصول على جائزة احسن ممثل والتى تذهب إلى « هنرى فوندا » .

## أسماء لها تقدير خاص

وعند اسم « هنرى فوندا » نتوقف قليلا .. لنتامل هذه اللحظة الانسانية المؤثرة ، عندما يسعى الفنان طوال عمره ، للحصول على تقدير « الاوسكار » .. ومع الايام الأخيرة من حياته .. تاتى له هذه الجائزة .. فلا يقدر على النهوض من فراش المرض ، للوقوف تحت الأضواء الباهرة لتسلم الجائزة !! .

وربما لهذا السبب الانسانى .. كانت الأصداء المدوية لفوز « هنرى فوندا » بجائزة أحسن ممثل .. و « كاترين هيبورن » بجائزة احسن ممثلة عن دوريهما معاً فى فيلم « على البحيرة الذهبية » .

وسبب هذا الفرح ، الذى يبدو واضحاً فى التغطية الاعلامية لحياة كل من هذين الممثلين الكبيرين ، أن جائزة الأوسكار هنا تذهب لمن يستحقها بالفعل !



المخرج المجرى « استيفان زابو »



احدى حفلات الغازى .. فى فيلم « ميفيستو »

وهذه هى المرة الأولى فى حياة هنرى فوندا ـ ٧٧ عاماً ـ منها أكثر من نصف قرن من العمل فى السينما .. المرة الأولى التى يحصل فيها على جائزة الأوسكار !

بينما حصلت « كاترين هيبورن » ـ ٥٧ عاماً ـ على هذه الجائزة لثلاث مرات .. عام ٣٣ ( فيلم الصباح المشرق ) ـ عام ٦٧ ( فيلم خمن من سياتى للعشاء ) ـ عام ٦٨ ( فيلم الأسد في الشتاء ) .. بالاضافة الى انها رشحت ١١ مرة لنفس الجائزة !!

وهذه هى المرة الأولى التى تجمع فيها السينما الامريكية بين هذين النجمين الكبيرين فى فيلم واحد .. ويبدع « هنرى فوندا » فى دوره .. وكانه يعطى خلاصة خبرته فى الحياة وفى داخل هذا الدور .. حتى أن مجلة « تايم » الامريكية وصفت الفيلم بانه فيلم هنرى فوندا .. وكتبت المجلة تقول : « يبدو أن هنرى فوندا كان عليه ان ينتظر حتى نهاية عمره .. لكى يمثل جزءا من حياته » !

## قصة الفيلم

ويحكى فيلم « على البحيرة الذهبية » عن زوجين عجوزين تعودا ان يقضيا عطلة الصيف على ضفاف البحيرة ، يستعيدان فيها ذكرياتهما ، ويجددان مشوارهما للحياة ( تم التصوير فى انجلترا ) .. وفى هذا الكوخ المطل على البحيرة .. ينتقل الفيلم بين مشاعر العجوزين .. وقد عكست عليهما سنوات العمر ، هذا الاحساس بالوحدة واقتراب النهاية .. خصوصاً الزوج الذى يفكر دائماً فى الموت .. ثم تصل ابنتهما ( تلعب الدور جين فوندا ) ومعها ابنها الذى يبلغ من العمر ١٣ عاماً .. وصديقها الذى تفكر فى الارتباط به .. وترحل الابنة مع صديقها فى رحلة الى أوربا بينما يتركان الابن الصغير ، الذى يخلق جواً من الطفولة والحيوية بين جديه العجوزين .. ويتناول الفيلم فى هذا الجزء ، التناقضات فى التفكير والتصرفات بين عالم الأجداد وعالم الأحفاد .. بعد أن قدم فصلا من اختلاف وجهات النظر بين العجوزين وابنتهما التى انفصلت عن زوجها ، وتعيش اهتماماتها الخاصة .

وهكذا يضع الفيلم .. الأجيال الثلاثة فى مواجهة بعضها ..

وقصة الفيلم كتبها « ارنست تومبسون » .. وهو مؤلف شاب موهوب ، يصفونه فى امريكا بانه نوع من الكتاب الذين يجيدون التعبير عن مشاعر كبار السن .

وفيلم البحيرة الذهبية ماخوذ عن مسرحية كتبها نفس المؤلف .. وعرضت المسرحية فى برودواى ، وحققت نجاحاً ملحوظاً .. ولنفس المؤلف مسرحية اخرى ستعرض قريباً فى نيويورك تحت اسم «فالس الجانب الغربى » وستلعب بطولتها كاترين هيبورن ..

وتحكى كاترين هيبورن عن تجربة العمل السينمائى مع هنرى فوندا .. فتصفه بانه « مثل القطار .. مباشر .. ومحدد .. يعرف طريقه جيداً .. ولا يحب الالتواء » .. وتقول ايضاً : « نحن من مدرسة واحدة فى الفن .. تعلمنا فيها احترام المؤلف والمخرج .. وان نؤدى دورنا فى حدود السيناريو المكتوب .. والا نغرق انفسنا فى التعديلات .. لقد تعلمنا أن نعيش دورنا .. وأن نؤديه كما يجب .. أو نسكت تماماً .. وعندما مثلت أمام هنرى فوندا .. اكتشفت انه يملك نفس الكيمياء التى تفجر عطر الشخصية ، وروح العمل ككل » .

وهكذا يتكلم الكبار فى الفن .. وهكذا يعملون !

المراتان اللتان تتنافسان فى حب الممثل .. لقطة من فيلم « ميفيستو »





# جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟

## عودة العجائز للأضواء

والمثير تماما أن النجاح الجماهيرى لفيلم « على البحيرة الذهبية » اعاد حسابات شركات الانتاج السينمائى .. وبدأوا يقتنعون تماماً بأن جماهير المشاهدين تجد حنينا خاصاً فى مشاهدة افلام يلعب ادوارها كبار الفنانين سناً .. إنهم هنا يستعيدون بعض ذكرياتهم .. وايضاً يجدون انفسهم فى موضوعات تمس مستقبلهم عندما يتقدم بهم السن !!

وأكدت احصائيات صناعة السينما الامريكية .. أن ٤٣٪ من الامريكيين الذين تعودوا أن يذهبوا إلى السينما .. هم الآن فوق سن الـ ٢٩ عاماً .. وهكذا نتوقع أن نشاهد موجة من الأفلام التى تناقش موضوعاتها مشاكل ومشاعر كبار السن .

ومن الأخبار السينمائية المؤكدة ان الممثل الامريكى والراقص الشهير « فريد استير » ـ ٨٣ عاماً ـ سيعود للشاشة فى نهاية هذا العام !

## أحسن فيلم أجنبى

ومن المفاجآت الطيبة فى جوائز الأوسكار لهذا العام .. فوز الفيلم المجرى « ميفيستو » بجائزة احسن فيلم اجنبى .

ورغم أن هذا الفيلم ، كان ينافسه الفيلم البولندى الشهير « رجل من حديد » للمخرج « اندريه فايدا » .. والذى يطرح من خلاله الجذور الحقيقية لنشاة نقابة التضامن العمالية فى بولندا .. وظهور « فاليسيا » ( راجع مقال السينما فى عدد يناير ٨٢ من الدوحة ) .. وأيضاً كان ينافسه الفيلم الايطالى « الاخوة الثلاثة » للمخرج « فرانشيسكو روزى » والذى يناقش الوضع الحالى فى ايطاليا ، من اضرابات وعنف وأرهاب ، داخل أطار قصة انسانية مليئة بالمشاعر والحب (راجع نفس مقال السينما المشار إليه ) .. الا أن فوز الفيلم المجرى « ميفيستو » هو انتصار جديد للسينما الجادة .

فالفيلم يقدم دراسة عن الشيطان فى عصرنا الحالى .. من خلال صعود ممثل مغمور الى أن يصبح أهم ممثل فى المانيا الهتلرية .. وكل الأساليب الجهنمية التى قتبعها هذا الممثل لكى يكون قريباً من السلطة ! واسم الفيلم ماخوذ من شخصية الشيطان فى مسرحية « فاوست » لجوته .. وهى المسرحية التى برع ذلك الممثل فى تادية دوره فيها .. حتى أصبح هو نفسه ذلك الشيطان !

## ماذا فعل ذلك الممثل ؟

والفيلم يضعنا فى فترة ظهور وجبروت هتلر فى ألمانيا .. دون أن يتورط الفيلم فى تكرار مشاهد النازية والحرب .. بل اكتفى بأن يقدم انعكاس النازية على المثقفين وكواليس الفن .. وما كان يدور وراء الأبواب المغلقة .

وبرع المخرج المجرى « ستيفان زابو » فى تعميق هذا الاحساس بالفساد السياسى من خلال رحلة هذا الممثل للارتباط بالسلطة .

فهذا الممثل كما قدمه الفيلم .. بدأ كممثل مغمور فى فرقة مسرح هامبورج .. ولأن طموحه بلا حدود .. فقد وجد أن الطريق للنجاح من الممكن ان يكون بزواجه من ابنة هذا الاستاذ اللامع الذى له ارتباطات بالجناح اليسارى فى المانيا .. وفعلا تحقق له ما تمناه .. فقد قفز لأن يكون عضواً بالمسرح القومى فى برلين مع بداية الثلاثينات .. وانتقل من قوة إلى قوة .. وأصبح الضيف المرحب به فى اماكن متنوعة ابتداء من الجناح اليسارى إلى غرف الارستقراطية .. وعندما بدأت الحشود النازية .. اكتشف أنه فى مفترق الطرق



لقطات من فيلم « عربات النار » الفائز بجائزة احسن فيلم









وعليه أن يقرر اما ان يتبع عائلة والد زوجته وغالباً سيكون مصيرهم الطرد خارج المانيا .. أو أن يقبل بوضعه الراهن ، وان يتحول الى ممثل غير محبوب نظراً لارتباطاته اليسارية فى السنوات السابقة .. ومرة اخرى تاتى له المساعدة من امراة .. والمرأة هنا هى عشيقة الجنرال .. وواحدة من الشخصيات الرئيسية فى النظام النازى ولها اهتمامات خاصة بالمسرح .. ويتقرب منها .. ويبذل كل جهده ليلعب دوره فى مسرحية فاوست امام الجنرال ( تعمد المخرج أن يكتفى بهذا اللقب كناية عن هتلر .. وتعمد أيضاً الا يظهره بوجهه أبداً .. وإنما نشعر بوجوده من خلال استقبال الآخرين له ) .. ويتحقق للممثل ما سعى إليه .. ويلعب الدور أمام الجنرال .. ويصافحه الجنرال باعجاب شديد .. مطلقاً عليه وصف « رجل من دماء المانية حقيقيه » !

ويشعر الممثل انه بدأ الطريق الصحيح للاقتراب من السلطة .. فيقرر الانفصال عن زوجته .. والابتعاد عن الراقصة السوداء التى شاركته رحلته الفنية .. وان يضع كل هدفه فى أن يستفيد من السلطة ويستخدم علاقته بالجنرال فى تدعيم مركزه .. ويصبح اكثر قوة .. واكثر وحدة .. حتى تاتى نهايته البشعة !

وقصة الفيلم مأخوذة عن رواية كتبها « كلاوس مان » بنفس العنوان .. وشارك المخرج « استيفان زابو » فى كتابة السيناريو مع « بيتر دوباى » .

ومن الواضح تماماً فى المعالجة السينمائية .. أن النموذج الذى يركز عليه الفيلم .. رغم انه فى زمن ومكان محدد .. الا انه يوحى بأساليب الوصولية والتكالب على الارتماء فى احضان السلطة .. طمعاً فى الأمان والحماية والنجاح .. وهو أسلوب شائع على مر العصور ..

## الفنان والسلطة

حتى أن الممثل النمساوى الأصل « كلاوس ماريا براندايور » الذى لعب بطولة الفيلم .. علق فى حوار صحفى حول مفهومه للشخصية التى جسدها .. فقال « إن المحور الاساسى فى الفيلم .. هو العلاقة بين الفن والسلطة .. بين الفن والسياسة .. وهى مسألة معقدة وحساسة عبر كل الأزمنة .. لأن الفنان يحمل مسئولية نفسه وفنه .. ومن اجل أن يكون قادراً على العمل ، فهو يحتاج لمساعدة .. ويحتاج للنقود .. وفى الأزمنة القديمة تعود الفنان أن يحصل على هذا من رعاة الفن .. وفى هذه الأيام انتقلت الرعاية الى السلطة .. ويبقى السؤال : ما هو الثمن المطلوب أن يدفعه الفنان مقابل هذا .. ؟ وما هى التنازلات التى يجب أن يتحملها » ؟!

وعن نفس القضية .. علق المخرج « استيفان زابو » حول فلسفته من الفيلم .. فقال .. « هذا الفيلم .. قصة انسان لديه كفاءة ممتازة .. ولكنه يعيد ترتيبها واستغلالها من اجل أن يحصل على لحظة أمان . إن قضيته اليومية أن يجعل الآخرين يقبلونه ، لأنه لا يستطيع أن يعيش بدونهم .. انه يمثل طول الوقت ولكل الناس .. ويمضى فى تمثيله بكل المشاعر .. عقله يقظ دائما .. يعرف أن ما يفعله الآن هو خيانة وغدر ولكنه يحول هذه الخيانة الى اسلوب فى الحياة .. إنه لا يثق فى نفسه .. قلق دائماً بشأن الأمان .. إنه شخصية سيئة .. كاى نظام سيىء .. وكاى مجتمع سيىء .. واعتقد بلا تردد ان التفكير فى هذه الشخصية وفضحها سيضيء لنا الطريق .. وسيجعلنا نفكر فيما حولنا » .

• • •



الممثل الذى استحق جائزة احسن مخرج « وارن بيتى »



لقطة من فيلم « غزاة القوس المفقود »

إننى لا استطيع أن اجد نهاية لهذا المقال .. أبلغ من هذه الكلمات للمخرج المجرى .. وحتى لو طبقنا هذه الرؤية على بعض ما أسفرت عنه جوائز الأوسكار .. لأدركنا حقيقة هذا الخلل فى هذه المسابقة .. أو أى مسابقة أخرى !!

ولننتقل الى مهرجان « كان » السينمائى .. والى الاعداد القادمة .

رءوف توفيق

# ضحكات الشهر



صلاح الليثي

TEL وبالعربي
هاتف
ومهتوف
وبينهما صالخ



سيده ـ طالبة الصحة ... والستر ... هيه رقمهم كم ...؟!



( ما يطلبه المستمعون )

ـ .. وتحب تسمع ايه ..

ـ .. اسمع ... الكلام .. !!



« اعطال التليفونات »

جراهام بيل مخترع الهواتف ـ يمكن أنا فاكر .. لما اخترعته كان يتكلم .. !!



( خناقات الأسر )

ـ قل للجيران اللى بيزعقوا يزعقوا قوى .. لأن الصوت غير واضح .. !!



سعد باشا قال ما فيش فايده .. لأن الفايده .. ربـا وحرام .. !!



ـ .. آسف .. طلبت « النمرة » ... خطأ .. ! !



ـ .. تفضل .. هاتف لسعادتك .. !!



# دوحة القراء

## مسابقة الدوحة
؟ ؟
؟ ؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## حـــاول أن تــعـــرف

( صورة ١ )



ملكة شهيرة ورد ذكرها فى القرآن ، حكمت قرابة خمس عشرة سنة قضت معظمها فى حروب مع الحبشة فى الجنوب ، والفرس فى الشمال من أجل الحفاظ على استقلال بلادها ..
من هى هذه الملكة ، وأى البلاد حكمت ؟ ..

صورة ( ٢ )

يوجد هذا المبنى بمدينة امريكية وهو يعد أعلى مبنى فى العالم إذ يبلغ ارتفاعه ٤١٦ متراً ويوجد بقمته برج تليفزيونى ارتفاعه ٧٤ متراً يتم منه الارسال للمحطات التليفزيونية السبع الموجودة بالمدينة ، ويتكون ١٠٢ طابقاً ، وعشرات المصاعد . ما اسم المبنى ، وأين يوجد ؟

## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٦



– الدولة هى اليابان .
أسماء الفائزين .
– عبد المحسن عبد القدوس – ج. م. ع .
– نورة عبد الله العرين – السعودية .



– المؤلف هو الجاحظ .
أسماء الفائزين .
– علي عوض الله – الدوحة
– عبد الحميد أحمد – البحرين

## تعبيرات لها معنى

● الحظ ... أن تكون فى المكان المناسب فى الوقت المناسب لكى ترى فرصة سانحة .

● الشخص الثابت الأعصاب ... هو الذى يرتكب نفس الغلطة مرتين ، دون أن تنتابه العصبية .

● التحامل ... أن تزن الحقائق وانت تضع أبهامك على الميزان .

● الذكرى ... تركة غير فعلية .

● الضمير ... ذلك الصوت الداخلى الصغير الذى يمنحك الترجيح .

● المتعصب ... انسان لا يستطيع أن يغير رأيه .. ولا يحب أن يغير الموضوع .

● شجرة العائلة : الشجرة الوحيدة التى تحاول فروعها أن تحتمى بجذورها .

● الصمت : اصدق حديث بين الأصدقاء .

● الأمثال : عبارات قصيرة مؤسسة على خبرة طويلة .

● العصبى : الشخص الذى اكتشف سر الحركة الدائمة .

**أحمد محمد حماده**
**ج . م . ع - أسيوط**

## لا فـــرق !

جاء أعرابى إلى إياس بن معاوية ( وكان - قاضياً على البصرة ) ، وقال له :

- أترى على بأسا ان أكلت تمرا ؟

- لا .

- أترى على بأسا ان أكلت مخللا ؟

- لا .

- فان شربت عليهما ماء ؟ - جائز .

- فلم اذا تحرم السكر وانما هو ما ذكرت لك ؟

فقال له إياس بن معاوية :

- لو صببت عليك ماء هل كان يضرك ؟

- لا .

- ولو نثرت عليك ترابا هل كان يضرك ؟

- لا .

- فان أخذت فخلطته وعجنته حتى جعلت منه حجراً فضربت به رأسك ، هل كان يضرك ؟

- كنت تقتلنى .

- إذا هذا مثل ذاك ...

**خالد ابراهيم شهابى - دمشق**

## لقطة الشهر



**للنـــوم سـلـطـان**

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري محمد محسن محمد - القاهرة - دار السلام

## الهـــارب من شـــدّة الخـــوف



يحكى أن ضيفاً نزل على أبى حفصة الشاعر وكان مشهورا ببخله ، فلما رآه يقترب من البيت هرب حتى لا يضطر الى اطعامه وتحمل نفقاته ، فأخذ الضيف يبحث في ثنايا الدار عن شيء يأكله ، ولكنه لم يجد شيئاً، فذهب واشترى بعض الطعام ، ثم عاد الى منزل الشاعر ، وعلق ورقة على الباب كتب فيها !

يا أيها الخارج من بيته
وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له
فارجع ، وكن ضيفا على الضيف

**صالح علي حسين / اليمن**

# دوحة القراء

## مسابقة الدوحة

## مَنْ ؟

زعيم مسلم استطاع أن يشعل روح الجهاد فى وطن عربى دام الاستعمار الصليبى فى أرجائه زهاء قرن ونصف ولكنه هزم واندحر بالايمان الذى أحياه ذلك الزعيم : اسمه من ستة عشر حرفاً فى أربع كلمات :
١٣ ـ ٥ ـ ١ ـ ١٠ ـ ٨ ـ ١٤ خدم السادة . ٤ ـ ٩ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٣ ـ ١٢ ـ ٤
٢ ـ ١٣ عاصمة افريقية .
١١ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٦ نقرظ

## أيـن ؟

بلدة ذات تاريخ فى القطر المسلم الذى نشأت فيه حركة ذلك الزعيم المشار اليه أعلاه : اسمها من خممسة أحرف :
٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ نهر ونهر
٤ ـ ١ ـ ٣ البلدة التى نشأ بها سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قبل هجرته الى فلسطين .

## مـا ؟

ثروة طبيعية هائلة يشتهر بها ذلك القطر الذى حرك ثورته الزعيم المسلم المشار اليه أعلاه : الاسم من خمسة أحرف :
٣ ـ ٥ ـ ١ سار محارباً فى ـــــ سبيل الله .
٢ ـ ٤ نفى وامتناع



## الإجابة الصحيحة

(١) وقعت معركة الفيلة بين المصريين والبيوسيين فى رفح سنة :
٢١٧ ق.م ـ ٢١٧ م ـ ٢١٧ هـ

(٢) خرج الانجليز من فلسطين بعد أن مكنوا فيها للصهيونية العالمية لانشاء الدولة اليهودية على انقاض شعب عربى طبقا لوعد بلفور البريطانى : وكان خروجهم فى ١٥ مايو سنة :
١٩٤٨ ـ ١٩٠٨ ـ ١٩١٨م

(٣) نقول للأفعى فحيح ، وللأسد زئير وللحمار نهيق ، وللمقلى :
نشيش ـ ضجيج ـ هزيم

(٤) «وإن ولاة المجد من آل هاشم» أكمل هذا البيت وانسبه الى قائله وفيمن قاله ؟

(٥) ثلاث مواد من المذكورة أدناه تستعمل فى دباغة الجلود :
قشور الرمان ـ عصير المانجو ـ أملاح الكروم ـ أملاح الشب ـ الفوسفور

(٦) «تعيش أضخم انواع الثعابين فى نيوزيلندة».
هل هذه العبارة صحيحة علمية ؟؟

(٧) مؤلف بردة المديح النبوى هو العابد الزاهد الامام :
البوصيرى ـ الشافعى ـ ابن تيمية

(٨) اكتشف العالم الأثرى فلندز بيترى أبجدية سيناء بوادى المكتب سنة :
١٨٠٦ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٣٦م

(٩) مؤلف أوبرا (عايدة) لاطراب خديو مصر الذى أغرقها فى الديون التى أدت الى الاحتلال البريطانى ، هو الموسيقار :
فيردى ـ بتهوفن ـ موتسارت ـ مندلسون .

(١٠) يتخمر اللبن بفعل نوع من :
الطحالب ـ البكتريا ـ الا شن

## حل مسابقة العدد ٧٦

من : إيلي كوهين
أين : دمشق .
ما : الموساد .

الاجابة الصحيحة

١ ـ ١١٤ سورة .
٢ ـ العنم ـ الزعفران ـ الحناء .
٣ ـ الفرعونى .
٤ ـ خطا ، لأن الفلين قشر شجر ينمو فى شمال افريقيا وآسيا .
٥ ـ الزواحف .
٦ ـ كل حلم اتى بغير اقتدار
حجة لاجىء اليها اللئام ـ المتنبى
٧ ـ الذئب الأغبر .
٨ ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
٩ ـ النيل ـ الدجلة ـ الليطانى ـ شط العرب
١٠ ـ ١٩٦٥ م .

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة :
الحل : الأصبع ـ الذقن ـ الأنف ـ الشعر ـ النظارة ـ الرقبة ـ الحاجبين ـ الجبين .
الفائز : عوض محمد أحمد ـ الدوحة ـ قطر .
٢ ـ أقوياء الملاحظة :
الحل : شفرة حلاقة ـ عود ثقاب ـ قلم حبر ـ مثلث ـ طفاية سجاير ـ شماعة ملابس ـ سيجارة .
الفائز : محمود عليان غرايب .
الدمام ـ السعودية .
٣ ـ خيال من :
الحل : عبد الحليم حافظ
الفائز : سنية بسيس ـ تونس .
٤ ـ هات أجمل تعليق :
التعليق : «انت الآن ترى كل شيء صحيحا

# قرأت ...

## فـــــــروق لغويــــــة

تعتبر اللغة العربية من أدق اللغات المعروفة فى العالم كله ، وذلك فى تحديدها لمعانى الكلمات .

وإذا كان الأصل فى الألفاظ ان ينفرد كل لفظ بمعناه ، فان هناك كثيراً من الألفاظ التى تتقارب أو تتشابه أو تتداخل معانيها .. وهذه بعض الألفاظ التى توضح لنا هذه الفروق ، وتحدد لكل منها مقامه فى الاستعمال :

ـ المطايب والأطايب : فالمطايب توصف بها اللحوم فيقال : مطايب اللحم ، أما الأطايب فتوصف بها الفاكهة والخضروات الناضجة .

ـ العواصف وهى الرياح المهلكة فى البر ، كما فى قوله تعالى « ولسليمان الريح عاصفة » ـ والقواصف هى الريح المهلكة فى البحر ، بدليل قوله تعالى « فنرسل عليكم قاصفاً من الريح فنغرقكم بما كفرتم » .

ـ المستمع وهو المصغي للجالس للاستماع متفرغاً له تماماً ، والسامع هو العابر الذى يطرأ عليه الكلام فيسمعه دون قصد منه ولا تفرغ له .

ـ الهم يكون بسبب أمر ينتظر ان يحدث مستقبلا والغم يكون بسبب امر حدث فعلا فى الماضى أو مازال يحدث فى الحاضر .

ـ التمنى هو طلب مـايمكن وقوعه أو ما لا يمكن وقوعه ، اما الترجى فهو طلب مـايمكن وقوعه فقط .

**ملاك شنودة الاسكندرية**



## الاســـــتهانـــــة بالخصــــم

إستطاع د . الكسندر روفيتش الهروب من بلاده ، واستقر به المقام فى فرنسا التى بدأ يمثلها فى بطولة العالم للشطرنج عام ١٩٢٤ حيث فاز على أحد اللاعبين الكوبيين وحصل على بطولة العالم .

وحدث أن جاءه وفد من الفلاحين لتهنئته واختاروا من بينهم رجلا لينازل البطل ، ولكنه استهان به ولعب بتراخ وإهمال ليجد نفسه فى مأزق حاول بعده جاهداً أن يستعين بقدرته على المناورة والمراوغة ليحصل حتى على التعادل ، ولكن دون جدوى ، فقد هزم لأول مرة فى حياته !

وكان درساً أفاده طوال عمره ، إذ أصبح يركز كل تفكيره أثناء المباراة بصرف النظر عن نوعية الفرد الذى أمامه ..

والمعروف أن هذا البطل العالمى لم يفقد البطولة إلا فى عام ١٩٣٤ ، واستردها مرة أخرى عام ١٩٣٦ ، بعد أن درس أسباب تفوق خصمه ، وأخذ يزاول التمارين الذهنية والبدنية التى أدت إلى انتصاره .. ليظل محتفظاً بالبطولة حتى وفاته فى عام ١٩٤٧ !

**عبد الرحمن محمد كامل**
**الدوحة ـ قطر**

## أسـماء الفــائزيــن

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : علاء عبد الفتاح غنيم ـ الأسكندرية ـ ج . م . ع

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة
القارئة : عائشة فوزى ظاهر ـ بعلبك ـ لبنان

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : عبد الرزاق الجزار ـ بغداد ـ العراق

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ مصطفى نديم السيد — الامارات العربية
٢ ـ فاتن صلاح الدين عبد العزيز — ج.م.ع
٣ ـ محمد السيد محمد — الكويت
٤ ـ محمد قيداره — تونس
٥ ـ الوافى الحسن — المغرب
٦ ـ محمد رضوان حسين — الامارات العربية
٧ ـ محمد معن مروان مراد — الكويت
٨ ـ موزه علي جمعة — البحرين
٩ ـ أحمد خالد بركات — الامارات العربية
١٠ ـ جاسم راشد محمد — البحرين
١١ ـ حسين عبد الرحمن ابراهيم — ج.م.ع
١٢ ـ محمد محمد كامل عاشور — السعودية

## استراحة الدوحة العدد ٧٦

لأن الدنيا ماشية بالمقلوب» .
الفائز : هانى زهير اسماعيل ـ القاهرة .

٥ ـ بالماكياج :
الحل : وردة الجزائرية .
الفائز : عبد الكريم محمد العطر ـ العراق .

٦ ـ لعبة الظلال :
الحل : رقم (٢)
الفائز : خلف حسانين هاشم .
سوهاج ـ ج . م . ع

٧ ـ لوحة لم تتم :
الحل : جورج برنارد شو
الفائز : اسحق ادم اسحق .
الخرطوم ـ السودان .

# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف



## دوري الكاريكاتير



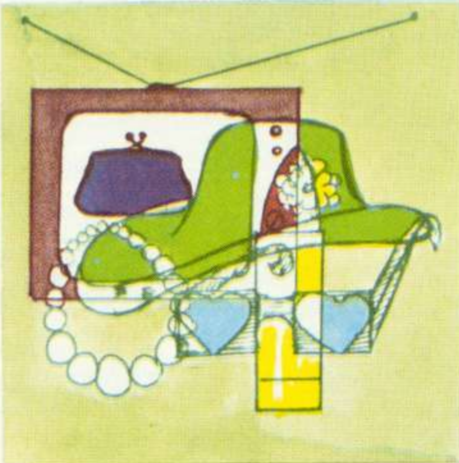
اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ . مسجلا هدف الفوز فى المباراة .. هل تستطيع تحديد رقم فانلة الهداف ولك جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## خيال من ؟




● هل تستطيع التعرف على صاحب هـذا الخيال . ؟ حاول والجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسـوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## يخلق من الشبه أربعين





















● الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الفنان الكوميدى عادل امام .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماماً .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ .. ( لك جائزة ٦٠ ريالا ) .

## لوحة لم تتم



هذه اللوحة لكاتب عربى كبير ترجمت معظم أعماله الى جميع اللغات الحية .. مشكلة اللوحة انها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها .. والتعرف على شخصية هذا الأديب .؟ إذا استطعت ذلك لك جائزة ( ٦٠ ريالا )

## هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا )

## لعبة الظلال




● هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة .. ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

● ليست كرة القدم مجرد رياضة ولكنها سياسة وثقافة وعادات حضارية متنوعة تربط بين الشعوب ● ● قالوا زمان اخترعت الصين : البارود وكرة القـــدم ● ● ● وافق الانجليز على نصف الحقيقة السابقة ورفضوا النصف الثانى لأنهم ـ وحدهم ـ الذين اخترعوا كرة القدم




## ١٩٨٢ عـــام كأس العالم لكـــرة القـــــدم

# قصّة الكرة مع الناس .. على مرّ الزمان

بقلم : عـــادل شـــريف

فى الفترة من ١٣ يونيو حتى ١١ يوليو القادمين .. ستستضيف أربع عشرة مدينة اسبانية «ثانى اعظم مهرجان رياضى فى كوكب الأرض» .. وهو بطولة كاس العالم لكرة القدم ..

وكرة القدم هى اللعبة التى جن بها بنو البشر .. فى معظم أنحاء العالم الواسع الأرجاء .. بل كل الدنيا بعد أن سقطت اخر معاقل «مناهضة كرة القدم» فى الولايات المتحدة واليابان !

وبمناسبة هذا العيد الرياضى الكبير البهيج .. هيا معاً نستكشف قصة «الكرة» مع سكان الكرة الأرضية .. وكيف تطور استخدامها .. وكيف أصبحت كرة القدم اللعبة الشعبية الأولى فى العالم .. وكيف أصبح نجومها اكثر شعبية وثراء من نجوم الفنون والآداب والعلوم ؟!

يقول رأى أن سر حب الانسان من قديم الزمان «للكرة» هو كونها مستديرة .. كالشمس !! بينما تقول قفشة تداعب هذا الرأى .. ان الكرة مستديرة .. كالكرة الأرضية التى يسكنها الانسان منذ مطلع الزمان .. ومن ثم جاء ذلك الحب وتلك العلاقة العميقة ! والشىء الثابت الأكيد هو أن الانسان .. سواء كان طفلا صغيرا .. او رجلا كبيرا .. يحب ان يلهو بالأشياء «المستديرة» لأنها تجرى وتستجيب .. وترتد ! ونقش الانسان القديم هذه العلاقة القديمة على الحجر .. وكأنما ليؤكدها للاجيال التالية .

وفى مصر الفرعونية - مهد الحضارة البشرية - نقش المصريون القدماء على جدران مقبرتى الأمير «خيتى» والأمير «باكت» .. رسوماً بالألوان لنسوة يلعبن بكرات مستديرة !

وأكد علماء الآثار أن هذه النقوش تعود الى عام ٢٠٤٠ .. قبل الميلاد !

وأكدوا أيضاً أن بلدة «تانيس» الفرعونية (فى شمال شرق الدلتا المصرية) كانت تشتهر بصنع الكرات الجيدة .. وبل أكد بعض المؤرخين المحدثين أن اسم تلك المدينة .. هو الاسم الذى أطلقته أوروبا فى العصور الوسطى على لعبة «التنس» ! ولكن الشىء الذى أجمعوا عليه .. أنه رغم انتشار استخدام الكرات فى اللهو واللعب والمرح والترويح .. فان استخدام الأقدام فى ركل الكرات .. كما هو معروف فى كرة القدم الحديثة .. لم يكن معروفاً فى سالف الزمان !

## الامبراطور .. والكرة !

وقد مرت لعبة كرة القدم الحديثة بسلسلة طويلة من التطورات .. مع مر الأيام وكر الأعوام .. منذ وضع «هوانج - تى» امبراطور الصين فى سنة ٢٥٠٠ ق.م . قوانين لعبة اسمها «تسو - تشو» . وتعنى كلمة تسو «ركل الكرة بالقدم» .. بينما تعنى كلمة تشو «الكرة المصنوعة من الجلد .. والمحشوة بشعر النساء» !

ومن هنا كانت البداية .. بداية حكاية أحب لعبة الى قلوب سكان كوكب الأرض .. لعبة كرة القدم .. صاحبة الشعبية الأولى فى مجال الألعاب الرياضية .. فى كل الكرة الأرضية !

وغارت اليابان جارة الصين .. فمارس اليابانيون لعبة كروية شبيهة بالتسو - تشو



جماهير الكرة .. أصبحت اليوم فى كل مكان .. تتابع أحداث كافة المباريات وتحفظ أسماء أشهر اللاعبين

اسمها «كيمارى» .

ويقول نص بقلم المؤرخ الصينى القديم «لى جو» يتيه به متحف الأجناس البشرية فى ميونيخ .. إن أول مباريات فى لعبة الكرة .. جرت بين الصين واليابان .. وقد أقيمت فى عام ١٠٠ قبل الميلاد !!!

أولم تكن تلك المباريات .. إرهاصاً لما جاء بعد ذلك من مباريات دولية تحتدم فيها المنافسة الى حد قيام الحروب .. كما حدث فعلا بين السلفادور وهندوراس فى عام ١٩٦٩ .. بينما كانت ممارسة الكيمارى اليابانية .. تقوم على الاحترام والود والتبجيل وتقديس التقاليد القديمة المهذبة المرعية !

وعن المصريين القدماء نقل الفينيقيون سكان بر الشام القدماء (سواحل سوريا ولبنان وفلسطين الى بلاد الاغريق (اليونان القديمة) ألعاب الكرة .. فانتشرت فى اليونان لعبة اسمها «ابيسكيروس» .. وعندما ابتلعت الامبراطورية الرومانية فى مرحلة توسعها بلاد الاغريق .. أخذ الرومان عن الاغريق تلك اللعبة وطوروها لتصبح «الهارياستوم» الرومانية .. التى عشقها يوليوس قيصر عشقاً مبرحاً .. وكان يراهن عليها .. وبل «انتزع» من صديقه سيسيليوس خمسين «تالينا» وهو عملة روما القديمة .. فى إحدى رهاناتهما القديمة !

وانقسم شعراء وفنانو روما حول «الهارياستوم» .. فسخر منها وعارضها فيرجيل وهوراس .. بينما أشاد بها أوفيم وإن نصح النساء بعدم ممارستها .. لخشونتها وعنفها .. وعدم مناسبتها .. لحواء الرقيقة !

ونقل الرومان لعبتهم الى كل أنحاء امبراطوريتهم .. بل عبروا بها المانش ونقلوها الى . بريطانيا !

## مهد كرة القدم !

تقول عبارة تاريخية شهيرة «لقد اخترعت الصين .. البارود ، وكرة القدم» .

ولكن للانجليز رأياً مخالفاً فى هذه العبارة الشهيرة فهم يوافقون على نصفها الأول .. وينكرون نصفها الثانى !! ببساطة لأنهم يؤكدون أنهم هم الذين اخترعوا كرة القدم ! وجددوا .. وطوروا .. ونشروا .. وقننوا .. كرة القدم !! وهذا صحيح !

صحيح برغم أن مدينة سينى اليوغوسلافية على ساحل دالماشيا .. تفخر بتمثال من القرن الثانى الميلادى لشاب يمسك بكرة مسدسة الأضلاع !

وصحيح .. رغم أن الايطاليين يقيمون مهرجاناً سنوياً كروياً فى أشهر شوارع مدينة فلورنسا وهو «بيازا ديللا سينيورا» تكريماً للعبتهم التى مارسوها فى العصور الوسطى وكان اسمها «الكالشيو» الشبيهة بكرة القدم .. العصرية !

فللتاريخ كانت ممارسة لعبة الكرة فى الصين واليابان والمكسيك وبورما ، بل فى بريطانيا ذاتها .. ممارسة بلا قيود ولا قوانين موحدة معممة .. وكانت ممارستها فيها الكثير من الفوضى والعنف .. الى حد أن الاسكتلنديين لعبوا بروؤس القتلى الانجليز بعد معركة بين الشعبين قبل قيام الوحدة بينهما !! كما لعب الانجليز بروؤس غزاتهم الفايكنج القادمين من اسكندنافيا !!

ومن فرط الخسائر فى شوارع بريطانيا بسبب ممارسة كرة القدم .. أصدر عدد كبير من ملوك وملكات انجلترا أوامر ملكية تحرم ممارسة هذه اللعبة .. وكان عقاب من يقبض عليه متلبساً بممارستها .. يتراوح بين الجلد .. والسجن .. والشنق !

وكان ملوك انجلترا يناشدون الناس الاهتمام بالرماية بالسهام بدلا من ممارسة كرة القدم . وكيف لا تسود الفوضى .. وعدد أفراد الفريق كان بلا حدود .. ويصل أحياناً الى خمسمائة «مشاغب» ! وكانت المباريات «معارك» وحشية

يجوز فيها كل شىء .. وأى شىء .. لأنها كانت لعبة «حرة» .. بلا لوائح أو قوانين أو حكام أو مرمى أو شباك للمرمى أو فترة لعب محددة بوقت .

وورد فى وثيقة تاريخية فى عام ١٨٢٩ هذه المعلومة «بعد مباراة كرة قدم فى داربى شاير .. أضحى من الصعب .. احصاء عدد الفكوك المحطمة والرؤوس المشجوجة .. والسترات الممزقة ..» !

## ترويض النمرة !

وقبيل منتصف القرن التاسع عشر .. بدأت فى انجلترا حملات تستهدف ترويض كرة القدم واستئناسها ، وتخليصها من الوحشية والعنف وقد ظهر ذلك الاتجاه فى جامعات وكليات انجلترا الشهيرة ومدارسها العريقة .. واستهدفت الحملة المستنيرة تخليص اللعبة من آثار أخطر منافساتها وهى لعبة «الرجبى» .. وقانون الرجبى يسمح بلمس الكرة باليد وحملها والجرى بها .. وممارسة العنف .. بينما كان عشاق كرة القدم يريدون ممارسة لعبتهم بالأقدام والرؤوس .. فحسب ! واستغرقت عملية الانفصال والاستقلال حوالى نصف قرن من الزمان .. وهى العملية التى حسمها طالب مرح فى جامعة اوكسفورد عام ١٨٦٣ اسمه تشارلز براون .. فقد سأله رفاقه يوماً :

– هل ستلعب يا تشارلز معنا اليوم لعبة «الرجر» ؟!

وفى تلقائية داعبهم تشالز قائلا :

– لا .. سأمارس اليوم لعبة «السوكر» .

و «الرجر» هى لعبة الرجبى بالعامية .. أما «السوكر» .. فهى كرة القدم المعروفة فى الفصحى الانجليزية بـ «الفوتبول» !

وبدأت حركة «ترويض النمرة المتوحشة» بفضل جهود المربى الانجليزى الشهير توماس أرنولد ناظر مدرسة رجبى فى عام ١٨٢٨ الذى طالب فى حملته بنبذ العنف وغرس الحب .. وتوحيد قوانين كرة القدم .. فقد أوصلت الفوضى الحال الى وضع مضحك . فقد كانت لكل مدرسة ومنطقة .. قوانينها الكروية .. الخاصة ! فعلى سبيل المثال كانت فرق بعض الجامعات والمدارس تقضى بتغيير الفريقين المتنافسين لنصف ملعبها بعد إحراز كل هدف ! وكانت رميات التماس ترمى .. بيد واحدة ! وكان طول وعرض الملعب .. حسب المساحة المتاحة .. وكان الحكم مجرد مستشار يجلس فى المدرجات!

وقامت جامعة كيمبريدج بخطوة ثورية .. عندما أصدرت لجنة فى عام ١٨٤٦ «أول» مجموعة قوانين «مكتوبة» لكرة القدم .. فى محاولة لتوحيد قوانين اللعبة التى جن بها الانجليز .. وخاصة العمال الذين تصاعد عددهم بسبب النهضة الصناعية ..



# ١٩٨٢ عام كأس العالم لكرة القدم

وفى عام ١٨٦٢ أصدر ادوارد ترينج ناظر مدرسة «أبينجهام» مجموعة قوانين من عشرة بنود أسموها «أكثر الألعاب بساطة» .

## أول اتحاد كروى !

وفى يوم الاثنين ٢٦ اكتوبر ١٨٦٣ شهدت احدى قاعات حانة «فريميسون أرمز» بشارع جريت كوين (ومايزال موجوداً فى قلب لندن حتى الآن) اجتماعاً تاريخياً .. وافق فيه ممثلو الجامعات والمدارس والأندية الرياضية على تكوين «أول» اتحاد رسمى لكرة القدم تجاوباً مع شعبية اللعبة المتصاعدة .. ليرعى اللعبة وينميها وينشرها .. ويوحد قانونها ويعممه فى داخل بريطانيا .. وخارجها !

وكان أطرف البنود الجديدة التى اعتمدها الاتحاد الوليد .. منع ركل سيقان المنافسين واسقاطهم على الأرض عن عمد .. كما يحدث فى لعبة الرجبى !

وقاد حملة توحيد قانون كرة القدم وتعميمه الشقيقان جيمس وتشارلز الكوك ، فى حماسة هائلة ، وبلا كلل أو ملل .

وعمل تشالز سكرتيراً لاتحاد الكرة الانجليزى لمدة ربع قرن من الزمان «من عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٩٥» .. ودخل التاريخ من أوسع أبوابه عندما اقترح اقامة «أول» بطولة كرة قدم .. فى تاريخ لعبة كرة القدم .. وهى بطولة كاس انجلترا .. التى بدأت فعلا فى عام ١٨٧١ .. واقيم «أول» نهائى لمسابقة الكاس فى ١٦ مارس ١٨٧٢ .. وحضر ذلك النهائى الفان من عشاق كرة القدم .. دفع كل واحد منهم .. شلناً واحداً .. ليدخل ملعب «أوفال لينينجتون» فى لندن .. أما نهائى كأس العالم ١٩٨٢ فى مدريد فستنقله الاقمار الصناعية الى نصف سكان كوكب الأرض !

## لعبة عالمية !

ومن الجزر البريطانية خرجت اللعبة الجديدة بعد تقليم أظافرها وترويضها .. و .. وغزت الدنيا كلها ! فغريزة حب التقليد من أبرز غرائز الانسان .. وكان الناس يقلدون أفراد الجاليات والحاميات الانجليزية .. ورجال الأعمال والبحارة الانجليز الذين كانوا يمارسون كرة القدم فى أى مكان يقصدونه .. فى كوكب الأرض !

وكانت الامبراطورية البريطانية واسعة الأطراف ولا تغرب عنها الشمس .. وموجودة فى قارات العالم الخمس .. وأخذت الناس تقلد ما يفعله الانجليز فى كل أرجاء الدنيا بقطعة من الجلد يملأها الهواء !

وهكذا عرفت الدنيا كرة القدم بعد تطويرها وتقنينها ! ومازال بعض أندية أمريكا اللاتينية تحمل أسماء انجليزية منذ ذلك التاريخ حتى الآن !

وساعد على انتشار اللعبة .. أنها لعبة بسيطة .. كل ما تحتاجه قطعة من الأرض الفضاء .. وقطعة من الجلد يملأها الهواء .. وأناس لديهم وقت فراغ ، ويبغون اللهو واللعب والترويح ! فهى لعبة «رخيصة التكاليف» .

واتسع مجال النشاط الكروى المحلى .. ونظم الانجليز أول مسابقة لدورى كرة القدم فى الثامن من سبتمبر عام ١٨٨٨ .. ومن ثم ظهرت هموم «النقط» و «التعصب» للأندية . وبعد ذلك جاءت مرحلة من أهم مراحل تطوير اللعبة .. وهى الاعتراف بالاحتراف فى عام ١٨٨٥ .. وأصبحت ممارسة كرة القدم وظيفة ومهنة وحرفة ! وتحول المحترف الى نجم محبوب يفوق نجوم الأدب والفن .. شهرة وثراء ! وواكب النشاط المحلى انطلاقة أوسع آفاقاً .. وهى البطولات الدولية التى بدأت بمباراة بين اسكتلندا وانجلترا فى عام ١٨٧٢ بمدينة جلاسجو ..

ومع تصاعد النشاط الدولى استمر تطوير وتعديل قانون اللعبة .. من أجل الأفضل والأحسن .. الى حد أن بيليه «ملك كرة القدم» أسماها فيما بعد «اللعبة الجميلة» !

ثم جاءت المرحلة الأهم .. وهى مرحلة تكوين هيئة دولية تشرف على اللعبة فى العالم كله ، بعد أن انتشرت حمى كرة القدم فى معظم أنحاء العالم الواسع الأرجاء .. وبعد أن كونت دول كثيرة اتحادات قومية لكرة القدم للاشراف على

اللعبة .. ورعايتها محلياً .

وفى يوم ٢١ مايو عام ١٩٠٤ شهد «الفيفا» النور فى «مدينة النور» !

و «الفيفا» هو الاتحاد الدولى لكرة القدم .. و «مدينة النور» هى العاصمة الفرنسية .. باريس طبعاً !

وقبل تكوين «الفيفا» بعامين قدم الكونت البلجيكى فان در ستراتين يوتوى «أول» اقتراح بتنظيم «بطولة عالمية» لكرة القدم .. وسانده فيما بعد المليونير الهولندى كورنيليوس هيرشمان الذى أصبح فيما بعد سكرتيراً عاماً للفيفا .. وكذلك الفرنسى هنرى جيران رئيس الاتحاد العام الرياضى الفرنسى .

ومع الفكرة الخلاقة المبتكرة الوليدة .. جاءت المعارضة الشديدة العنيدة .. وعلى رأسها انجلترا «مهد كرة القدم» ! لأن أبرز صفات الانجليز هو «الشك فى كل ما يجرى خارج الجزر البريطانية .. وتقبله فى حذر وتحفظ شديدين»!

فقد غار الانجليز من مبادرة «الأجانب» الى تكوين الفيفا «فرنسا وبلجيكا والدنمرك والسويد وهولندا واسبانيا وسويسرا» .. وغاروا من مجرد تفكير «الأجانب» فى تنظيم بطولة عالمية

والغريب أن الأنجليز لم يشتركوا فى بطولة كأس العالم إلا فى عام ١٩٥٠ .. أى بعد بدء البطولة .. بعشرين عاماً !

وللدلالة على شعبية اللعبة .. فقد تصاعد عدد الدول الأعضاء فى «الفيفا» من سبع دول فى عام ١٩٠٤ الى مائة وست وأربعين دولة فى عام ١٩٧٧ !

وانطلاقاً من هذه الشعبية المتصاعدة النمو .. ودعماً للألعاب الأوليمبية الحديثة التى أحياها البارون الفرنسى بيير دى كوبيرتان عام ١٨٩٦ .. أضافوا كرة القدم الى البرنامج الرياضى الأوليمبى منذ دورة لندن الأوليمبية عام ١٩٠٨ .

ولكن فلسفة الألعاب الأوليمبية تقوم على أنه ليس للرياضة سوى حبيب واحد فقط .. وهو اللاعب «الهاوى» وليس «المحترف» !

وكان معنى ذلك حرمان «المحترفين» من الاشتراك فى الألعاب الأوليمبية رغم أنهم أبرع من «الهواة» وأمهر .. ولهم شعبية أكثر ! وكان ذلك الحرمان من أمضى أسلحة المحامى الفرنسى النحيل النبيل جول ريميه فى كفاحه المرير والطويل .. من أجل تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم ، التى لا تفرق بين الهواة والمحترفين .. والمفتوحة للفئتين .. أى للجميع !

ورغم أن جول ريميه كان رئيساً للاتحاد الفرنسى لكرة القدم و «للفيفا» أيضاً «منذ عام ١٩٢٠» فقد سار على طريق من الأشواك من أجل تحقيق حلمه الكبير .. تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم !

## صدفة .. عجيبة !

وعلى بطولة كأس العالم لكرة القدم يطلقون «ثانى أعظم مهرجان رياضى بعد الألعاب الأوليمبية .. فى كوكب الأرض» ! من أجل الحصول على موافقة «الفيفا» لبدء تنظيم هذا العيد الرياضى الكبير .. داخ جول ريميه السبع دوخات على مدى عشرة أعوام برغم تأييد صديقه الوفى هنرى ديلونى (سكرتير عام الاتحاد الفرنسى لكرة القدم) .

ولكن .. «من سار على الدرب وصل» ! وواصل جول ريميه ورفيق عمره مداومة الطرق بقوة واصرار حتى انهارت ما وضعته المعارضة من صعاب وأسوار ! وهكذا جاء النصر بعد الصبر .. بعد عشر سنوات من الكفاح والجهاد من أجل الحصول على موافقة «الفيفا» لبدء بطولة كأس العالم !

ولكن بعد الموافقة ظهر مطبٌ طريف : أين هى الدولة التى توافق على استضافة أولى بطولات كأس العالم ؟! ورشحت عوامل كثيرة .. دولة صغيرة اسمها «أوروجواى» !

● فتكريماً لعيد استقلالها المئوى عن اسبانيا فى عام ١٩٣٠ ..

● وتكريماً لفوزها بمسابقة كرة القدم الأوليمبية «أى بطولة العالم للهواة» مرتين متتاليتين فى عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ .. وقع الاختيار على أوروجواى لتنظم أولى بطولات كأس العالم .

ولكن أوروبا كانت تغار من أمريكا اللاتينية .. تلك القوة الكروية الصاعدة الواعدة .. المتوعدة !

واعتذرت كثير من الدول (وخاصة الأوروبية) عن عدم تلبية دعوة أوروجواى ـ وبالتالى عدم الاشتراك فى أولى بطولات كأس العالم ـ بسبب بعد المسافة وما تستغرقه رحلة السفينة من وقت وتعب .. وارتفاع نفقات ارسال الفرق القومية الكروية الى أوروجواى .. البعيدة !

وواجه جول ريميه مهمة صعبة ..وهى مهمة اقناع أوروجواى الصغيرة المتواضعة الموارد .. بتحمل نفقات سفر واقامة «كل» الضيوف !

وكانت الأيام تمر .. وموعد أولى بطولات كأس العالم يقترب .. وعدد الضيوف يتقلص .. وتبريرات الانسحاب أو عدم الاستجابة يتزايد !

واشتدى أزمة تنفرجى !

ففى احدى مقاصف جنيف الشهيرة كان جول ريميه يضع يده على خده وقد راح فى تفكير عميق ، ونسي تناول قهوته حتى بردت .. عندما ربت على كتفه صديق قديم .. وهو الدبلوماسى الأوروجوالي الدكتور «أنريك بيرو» الذى كان فى زيارة خاطفة لجنيف ، والذى كان مثل جول ريميه .. يعشق كرة القدم عشقاً مبرحاً !

وقص جول على صديقه قصة عقبة التمويل التى تجعل تحقيق حلمهما المشترك أمراً شبه مستحيل ! ووعد أنريك صديقه ببذل كل مساعيه الجيدة لدى مسئولى اتحاد أوروجواى لكرة القدم لاقناعهم بتحمل نفقات سفر واقامة الفرق المستضافة . وأوفى أنريك بوعده ونجح فى مهمته الصعبة بدبلوماسيته البارعة ولباقته الماهرة . وفى «كرم عربى حاتمى» ، وجهت أوروجواى الصغيرة ذات الموارد القليلة ..

الدعوة الى جميع الفرق القومية الكروية فى قارات العالم الخمس للاشتراك فى أولى بطولات كأس العالم الذهبية .

ومع ذلك لم تستجب للدعوة سوى إحدى عشرة دولة .

## الجزائر والكويت

وبدأت القافلة مسيرتها .. واحتلت بطولة كأس العالم لكرة القدم مكانة سامية فى دنيا الرياضة ، الى حد أن عدد الدول التى اشتركت فى تصفيات بطولة كأس العالم عام ١٩٨٢ وصل الى مائة وستة دول ! ووصلت منهما دولتان عربيتان الى الأدوار النهائية التى يبلغ ٢٤ دولة وهما الجزائر والكويت .. وهذه هى أول مرة فى تاريخ كأس العالم تصل فيه دولتان عربيتان الى الأدوار النهائية للبطولة . وكانت مصر فى بطولة ١٩٣٤ هى أول بلد عربى يدخل النهائيات وحققت المغرب نفس الانجاز فى بطولة ١٩٧٠ .. وكذلك تونس فى بطولة ١٩٧٨ .

وهذه هى أول مرة أيضاً يصل فيها عدد الدول المشتركة فى النهائيات الى ٢٤ دولة بدلا من ١٦ دولة حسب التقاليد القديمة .. ولذلك فان اسبانيا مضيفة بطولة ١٩٨٢ .. ستواجه مهمة شاقة وصعبة .. ويكفى أن عدد مباريات النهائيات ارتفع من ٣٨ مباراة الى ٥٢ مباراة .. ستقام على ١٧ ملعباً فى ١٤ مدينة .. وأن عدد رجال مهنة البحث عن المتاعب ـ أى الاعلام ! ـ سيرتفع فى اسبانيا الى رقم قياسى بلا مثيل .. وهو سبعة آلاف وخمسمائة اعلامى واعلامية ! ليقوموا بتغطية أحداث «اللعبة الجميلة» و «أبسط الألعاب» .. وإن كانت كرة القدم مستديرة .. وذات نتائج مثيرة .. وأحياناً مريرة! فهكذا جُنت الدنيا .. بقطعة من الجلد يملأها الهواء !

«عادل شريف»



# قنديل قافلة الليل..

إلى صلاح عبد الصبور

شعر: د. أنس داود

أريد مكاناً على البحـــر
تهدأ فيـــة الرياح ، وتغفو العواصف
لأرســم طيفك فوق المســـــاء
وأوقظ جرحك :
كيف انفلت خفيفاً
ذهبت بعيداً
وخلفت دفء العواطف
وألف صديق يضمك فى حبة القلب ،
يفديك ..
لو يفتدى الشـــاعر العذب ،
من كان أحنى من الظل ،
أندى من الطل ،
أرهف من نسمات الخريف
ومازال ينبض بين الجوانح
كيف اكتملت مثـــالا فريداً
وكيف تصالح فيك التواضع والكبرياء
وكيف التقى وهج العبقرى بتلك العذوبة ،
كيف تمازج فى ضوء عينيك
حزن النفوس الكبار ، مراح الطفولة ،
عفوية البسطاء
أأنت ..؟
ـ أكاد أكذب ظنى فى لحظات اللقاء
وأنت كمروحة الياسمين
تخبىء همك بين الضلوع ،
وتأسو جراح رفاقك .. عبر السنين
أأنت ..؟
الصديق الــوفى ..؟
أم الشـــاعر الفذ ..؟
أم رقرقات الحنين ..؟
أم انت بهذا الزمان الغريب
تمثل معنى « البراءة »
يصغر حولك كل الرجال ، وتكبر فيك « البساطة »
يغدو « النقاء » طبيعة قلبك ، أسلوب يومك
منح العبير ، ومنح الضياء
إذن أنت « حقل » من الياسمين
إذن أنت « قنديل » قافلة الليل ،
« واحـــة » جيل من المتعبين
فكيف نخوض الهجير بدونك
نهزم زحف الرمال
ونهزم عقم الرجال
وكيف نراها بدونك
« قاهرة » الصيف
أو أمسيات الشتاء
« بدونك »
ما أتعس القلب حين يقول : « بدونك »
ليس هنالك معنى للفظ « صديق »
بدونك ، لفظ « إخاء » ولفظ « عطاء » ..
ولفظ « البراءة » و « الحب » و « النبل »
و « الكبرياء » ..

* * *

أريد مكاناً على البحـــر
تهدأ فيـــه الرياح ،
وتغفو العواصف
لأرسم طيفك فوق المساء

# دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جد أبيك

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزي



**عزيزى القارىء ..**

يكاد هذا العدد من « دوحة الماضى » يكون عدداً خاصاً بالأسرة ، وهو يطرح قضايا قديمة ، ولكنها جديدة ، تاريخية لكنها معاصره ..

فمنذ قرن كامل كانت قضية تثقيف المراة مطروحة ، وكانوا يعلمون أن القضية ليست مجرد التعليم ، فالثقافة شىء مختلف عن معرفة القراءة والكتابة وحفظ بعض النصوص ، وهى قضية تطرحها قارئة سورية مجهولة فى رسالة مفتوحة كتبتها لصديقة لها ونشرتها المقتطف !

منذ قرن كامل كانت الدوريات الثقافية تهتم بديكور المنزل ، وتعتبره دليلا على شخصية صاحبه ، وتطرح أفكارها حول تنسيقه وترتيبه ..

« المحرر »

العدد العاشر - يونيو/حزيران ١٩٨٢

# اعترافات فتاة مثقفة منذ قرن

تعلمت الفرنساوية والانكليزية ولكنى لم أقرأ بهما بل تزينت البنات المتعلمات لا تزدن عن أجهل « بنات العصر فى علمهن بأحواله وسياساته »

« جاءتنا الرسالة الآتية وهى رسالة بعثتها صبية من الصبايا المهذبات لرفيقة لها اثناء المباحث التى جرت فى مسألة المراة على ما يظهر فادرجناها لبيان فضل صاحبتها المجهولة عندنا ولتعلم فوائد البحث ويرى أهل سورية ان بناتهم لسن دون ابنائهم فى طيب الجبلة وسمو الهمة والأنفة من عار الجهل والكسل .

حضرة صديقتي المخلصة ..

« ... اعرض انك ولابد قد اطلعت على ما جاء فى هذه الأيام من البحث والمحاورة فى موضوع يتعلق بى وبك وبمن كان مثلنا اكثر مما يتعلق بغيرنا وهو النساء وارتقاؤهن فى الهيئة الاجتماعية والمراتب العقلية ومنزلتهن فى العيال وفائدتهن فى الجيل الحاضر . وقد بلغك ولا ريب ما قيل فينا من انا نغتذى بالبان المعارف ولا ننمو ونروى بماء الآداب ولا ننضر وانا ولو مهما تيسرت لنا الوسائط وتوفرت اسباب التهذيب نبقى دون الرجال إما لاهمال منا أو لنقص فى جبلتنا الى غير ذلك مما انفتحت عليه عيون ابناء البلاد فى هذا الزمان وحان للوطن أن يدعونا اليه على ما يزعمون أو كما ينبغى ان يكون . هذا واعترف لك ايتها الصديقة المخلصة اني كثيراً ما رددت مثل هذه الأقوال فى ذهنى وودت لو فتحت لي عوائد هذا الجيل باب المناقشة فاناقش عن بنات جنسى جهاراً واحثهن على العلم والأدب والتمدن والتهذيب ولو كنت دون ذلك قوة واقتداراً . على اني لما رأيت ما نحن عليه من القصور وما تهافتنا اليه من دنايا الأمور كالملبس والزينة بدلا من التحلى بجواهر التمدن العلم والأدب عدلت عن المجاهرة فى المحاورة ووجهت قلمى نحو رفيقاتى من بنات جنسى اكاتبهن ويكاتبننى لنرى ان كنا نلام عدلا فنصلح ما نلام عليه ونتبع من الفضائل ما نلهم اليه .

لا يخفاك ايتها الودودة ان وسائطنا فى العلم والتهذيب لا تقل عن وسائط اخوتنا الرجال ولكنك تقرين معى اننا لا نحصل منها ما يحصلون من الفوائد ولا نسعى كما يسعون لمد المعرفة من فرد إلى فرد حتى نزداد قوة على قوة فى ارتقاء سلم الكمالات ولطالما سمعنا من اخوتنا الذين يعاشرون ذوي الطبقات العليا فى العلم والأدب واللطف والتهذيب فى الهيئة الاجتماعية انهم لا يلذون بمعشرنا ولا يثقون فى انفسهم بالاعتماد علينا كما يعتمد أحدهم على الأخر . هذا وانت تعلمين ان اخوتى يحبونني محبة فائقة ويقدمون لى من الاعتبار ما لا يحق لي مطالبتهم ولكنى اشعر من نفسي انى لا أعيش ضمن الدائرة التى يعيشون هم فيها سواء كان فى الافكار أو فى الحاسات . وذلك يشق على جداً ولكنى لا افتكر فيه الا واجد اني انا الملامة اذ لم اجد كما يجب لابلغ درجتهم واعاشرهم كاننى واحدة منهم مع اني قد قضيت فى المدارس ما قضوا هم من الزمان وكلفت والدى من النفقة والمشقة على تهذيبي ما كلفهما كل منهم . ولعل حبك يحملك على تبرئتي من الكسل والقصور لانك كثيراً ما تمدحين اجتهادى فاقول نعم انى عنيت بدرس ما تعتني بنات جنسي بدرسه فاحسنت التكلم باللغة الفرنساوية واللغة الانكليزية ولكني اقتصرت على ذلك ولم امد يدى لالتقاط جوهرة من الجواهر العديدة المدفونة عني فى كنزى تينك اللغتين . وكلانا نقر انا نجهل اكثر العلوم ان لم نقل كلها وانا فى البحث عن مسائل هذا العصر والوقوف على حوادث هذه الأيام من عملية وسياسية وغيرها لا نزيد رغبة واجتهاداً عن أجهل بنات هذا العصر واقلهن تهذيباً واننا لا نعي الا اقل القليل من المعارف العامة التى هى فى احاديث الهيئة الاجتماعية كالملح والافاويه فى الطعام . ولذلك ترينا اذا حضرنا محفلا لا نتكلم الا بملابس هذه وزينة تلك واعمالها بالابرة والصنارة وما شاكل فان لم يفتح لنا باب للحديث فيها أو فيما شابهها نلزم الصمت ونقضى الوقت فى التثاوب وفرك العيون حتى يمل الحاضرون والحاضرات من مجالستنا ويودوا لو تمكنوا من مفارقتنا .

انت تعرفين ان ... الافرنجية لا تزيد عنا سنا ولا تيسرت لها اسباب العلم اكثر مما تيسرت لنا ولا هى ابرع منا ( ان لم اقل إنها دوننا ) فيما تعلمناه معاً فى المدرسة ومع ذلك فقد حضرنا كلانا معاً فى محفل منذ مدة فاذهلتني كما اعجبت من حضر بما جاءت به من الفكاهات العديدة التى يلتذ العقل بها وتطرب النفس من سماعها وكنت انا صامتة اكثر الوقت اتعجب من ان ... التى كانت فى الصف تستقي من معارفي اضحت فى الهيئة الاجتماعية تسقيني من معارفها . واحييت الليلة من خجلي افتكر فى اسباب تأخرى وتقدمها فكنت تارة اقول كما كنت اسمع البعض يقولون اننا نحن السوريين جيل قديم من الناس وقد بلغنا حدنا من النمو فاذا نما الفرد منا الى درجة معلومة توقف بالطبع عندها ولم يعد فيه قوة النماء . وتارة اقول ان رجالنا لا يحسنون الالتفات الينا فلا يجعلون لنا مندوحة للتقدم ، وتارة اقول اننا نحن نلتهي بصغائر الأمور عن عظائمها حتى تبينت أخيراً ان وقتي الذى كان ينبغى على ان اقضيه على استقاء المعارف من بحر اللغة الفرنساوية واللغة الانكليزية قضيته على العمل بالكروشة والاقتداء بزينة هند والتعود بعوائد وردة والاستماع لهذر نور حتى كاد الميل الذى تربى فى للدرس وتثقيف العقل يموت مني وجرثومته تضمر وتبيد . ولذلك بكرت فى الصباح وقصدت ... المار ذكرها وسالتها عما تفعل فى ساعات البطالة فأرتني كتباً عديدة فى فنون مختلفة وجرائد وتاليف للتسلية بكل ما يفيد العقل ويكمل الانسان ويلذ للسامع والقارىء معاً . فعزمت من ساعتى على أن انفض عني غبار الكسل واخصص جانباً من أوقاتى بالمطالعة والتمعن فى ما تعلمت مبادئه والتوسع فى مباحثه لتثقيف عقلي وتهذيب اخلاقى وان اخصص جانباً اخر منها بالكتابة لرفيقاتى والحث لهن على ان يشاركنني فى هذا الأمر وان اعين والدتى فى البيت فى أمور كثيرة قد اعتدنا أن ننظر اليها بعين الاحتقار ونعتدها مما يحط بنا ويختص بمن هن دوننا والحال انها من أعظم ما يطلب منا اعتباراً وفائدة ، وسأكتب لكم فى تحرير آخر عن أمور كثيرة عرضت لي خلافاً لما كنت انتظر بعدما عزمت على ما عزمت واما الآن فالواجبات تقتضى ان اختم تحريرى هذا ، وقبل ذلك أذكرك بالجمعية التى سبقنا اليها اعني بها جمعية باكورة سورية وبالخطب التى نشرتها منذ بضعة اشهر . ألم تجدي فيها كلاماً يعبر عما يهيج فى فؤادك من العواطف أو لا تظنين انه يجب علينا الانضمام اليها والسعى فى تكثير عدد اعضائها بترغيب رفيقاتنا فى الدخول فيها . ان مكتوبي هذا يختلف عما جرت لى

العادة ان ابعث به اليك فلا تستغربي واعلمي ان لك عندي منزلة رفيعة من الاعتبار لما اعهده فيك من الهمة وجودة الرأى وحسن السعى فارجوك ان تتاملي ما كتبته إليك وتؤازريني بمساعدتك لنخدم بنات جيلنا ولو بالقليل الذى عندنا واقبلي مني التحيات الخ ... وطال بقاؤك لأختك ..

## الضَّرَرُ في تعليم الصِّغار

كل عضو من أعضاء الجسد إذ اتعب كثيراً قبل أن يبلغ حده من النمو يتشوه . فالطفل الصغير إذا اجبر على الوقوف قبل ان يقوى فقار ظهره وتشتد عظام ساقيه يحدودب ظهره وتتقوس ساقاه وتختل بنيته كلها . والدماغ كغيره من اعضاء الجسد فاذا اجهد الصغار بالعلم حدث فيه شيء من الخلل واختلت بنيتهم كلها . لذلك يجب أن لا يجبر الصغار على الاشغال العقلية الشاقة ولا يحرضون بالمسابقة والجوائز على الدرس فوق طاقتهم كما يجب أن لا يجبر الاطفال على الوقوف والمشي .

# ديكور

### الاعتبار الأول ليس للمال

الناس يتفاوتون فى القيم بتفاوتهم فى الهمم، والبيوت تتفاوت فى البهجة بتفاوتها فى الترتيب فكم من غنى لا قيمة له ولا اعتبار لضعف همته وكم من فقير له المنزلة الأولى فى عيون الناس لعلو همته . وكم من بيت أنفقت عليه قناطير مقنطرة من الأموال ولا ترتيب فى بنائه ولا ذوق فى اثاثه . وكم من كوخ لا يسع غير سكانه والعين لا تشبع من النظر إليه وإلى ما فيه لحسن ترتيبه ونظافته .

### الوان الكراسى والموائد وما يوافقها من الوان الأثاث

كل ذي ذوق سليم يشعر من نفسه ان بعض الألوان يوافق بعضاً ويخالف بعضاً فالأحمر مثلا يوافق الأخضر ولا يوافق الأزرق ، والازرق الفاتح يستحسن على الشخص الأشقر ولا يستحسن على الأسمر وهلم جرا . ومهما كان اثاث البيت فاخراً ولباس الانسان ثميناً فلا يروقان للنظر ما لم تراع فيهما شروط موافقة الألــوان ومضادتها . فاذا كان خشب الكراسى والموائد من الأحمر يوافقها من الوسائد والاغطية الأخضر على انواعه ولا يوافقها الأحمر الفاتح ولا القرمزى لأن الأحمر متمم الأخضر فتظهر حدود كل منهما وذلك من شروط الجمال فى الأثاث . واذا كان خشبها اصفر كخشب الليمون والسنديان يوافقها الأزرق الفاتح والبنفسجى الفاتح . وما قيل فى الوسائد والاغطية يقال فى البسط والطنافس أيضاً .

### الوان الستارات ( البردايات )

احسن لون الأخضر الفاتح لانه يوافق لون الكراسى والموائد التى تكون غالباً من المهوكني ويوافق أيضاً براويز الصور التى تكون غالباً مذهبةوهيئة الناس سواء كانوا صفر الألوان أو كانت الوانهم مشربة بالحمرة . أما الأحمر والبنفسجى فلا يناسبان لون البشرة . والبرتقالى وكل الألوان البسيطة تتعب البصر .

### اختلاف الوان الأثاث باختلاف الغرف

فى البيت الرحب غرفة للقعود واخرى للاكل واخرى للمكتبة وما بقى من الغرف فللمنامة وقد يكون فيه قاعة كبيرة يستقبل فيها الكبار والذين زيارتهم عزيزة . ويجب ان يختار لكل واحد من هذه الغرف من الفرش والأثاث والتزويق ما يناسبها لوناً . فغرفة الأكل يكون لون اثاثها معتماً مثل لون خشب الجوز الذى تصنع كراسيها منه والقاعة يكون لون اثاثها زاهياً بهيجاً واكثر اشراقاً من لون الحيطان والسقف . وغرفة المقعد يكون لون اثاثها بين غرفة المائدة والقاعة . والمكتبة يكون لون اثاثها مما يدل على المهابة والوقار ويجتنب فيها كل الألوان الفاتحة البهيجة . وغرف المنامة تكون الوان اثاثها بهيجة زاهية . وما قيل فى هذه الغرف لا يقتصر على الاثاث بل يطلق ايضاً على الحيطان والسقف اذا كانت مدهونة .

## قلما تجد إنساناً في عينتاب لا يحسن القراءة والكتابة

من وكيلنا فى عينتاب :

جناب الخ ... من جملة مدارس عينتاب المدرسة الكلية المركزية انشاها المرسل الاميركانى القس تروبردج وتم بناؤها سنة ١٨٧٨ في أرض مربعة طولها نحو مئتي ذراع وقد بلغت نفقة بنائها ستة آلاف ليرا منها مئة ليرا هدية من جانب قرانظر أفندى الأرمني ومئة وستون الف غرش من الطائفة الانجيلية هنا . وهي ثلثه اقسام علمي وطبي واستعدادي وعدد تلامذتها خمسة وثمانون تلميذاً منها أربعون أجانب والباقون وطنيون . وعدد أساتيذها ومعلميها اثنا عشر . ويدرس في القسم العلمي الطبيعيات والرياضيات والعقليات والأدبيات والتاريخ والانكليزية والتركية والارمنية . والمنتظر ان يدرس فيها أيضاً العربية واليونانية والفرنسية .

ثم يعقب ذلك فصل طويل فى نظام المدرسة ودروسها اضربنا عن ذكره لمشابهته لنظام المدرسة الكلية السورية في أكثر الأمور .

ومنها مدرسة عالية للبنات تحت إدارة مسس برت عدد معلماتها ست منهن أربع أمريكيات واثنتان وطنيات وعدد تلميذاتها ٥٨ ويعلم فيها الارمنية والتركية بالحرف العربى والانكليزي والحساب والجغرافية والتاريخ العمومى والموسيقى والخياطة على أنواعها . ولا تقبل فيها تلميذة عمرها تحت عشر سنوات وقد ابتاعوا أرضاً لهذه المدرسة بقصد أن يجعلوها مدرسة كلية عن قريب . واذا تم لهم ذلك أنشأوا مطبعة لطبع الكتب أيضاً . ومنها مدرسة لليتامى عدد تلاميذها ٤٤ تلميذاً تحت ادارة البارون هاروتين ملاجيان . ومنها ست مدارس أخرى بسيطة . قال بعض أهالى عينتاب كنت اذا أتاني تحرير قبل ثلاثين سنة أطوف على ٦٠ أو ٧٠ بيتاً حتى أجد من يقراه لي وأما الان فقلما أمر بانسان لا يحسن القراءة والكتابة .

# كتبي .. أولادي ..

بقلم: حسني شحادة

عالم الكتب عالم متسع اتساع العالم ، بارضه ومائه وسمائه ، لأنه عالم المعرفة المتجدد ، مادامت هناك حياة .

فى كتاب «الكتب والناس والأمكنة» يقول مؤلفه «جلبرت هايت» عبارة لاازال اذكرها : «إن قراءة الكتب لذة ومتعة ، ولكن الأكثر إمتاعاً ، الحديث عنها» .

صحبتى مع الكتب كانت منذ نيف وعشرين عاماً ، فكانت صحبة انقلبت الى الفة ، فمحبة فعشق ، وعاشق الكتب أسمى وأرفع من كل العاشقين ، فلا يكاد يتسلى عن حبه ، حتى يدفعه الشوق الى حب جديد ، حد قول الشاعر :

وذو الشوق القديم ، وإن تسلى
مشوق حين يلقى العاشقينا

وقد يتوب صاحب العادة عن عادته ، ويقلع عنها لغير ما رجعة ، إلا عاشق الكتب ، فان طول العهد ، يزيده تعلقاً بها وإصراراً عليها ، ذلك ، لأن الكتاب مفتاح المعرفة ، والمعرفة كنز الحياة ، وينبوع السعادة فيها ، وكلما زاد الانسان شوقاً اليها ، أحبها ، وشغل فى البحث عنها ، وسعى لادراكها ، أصبحت حياته أعمق معنى ، وأوسع مدى ، وأعظم أثراً ، وأجل قدراً .

إن الكتب عندى مثل أولادى ... أكباد تمشى على الأرض

● ●

لم يكن الانسان ـ فى اى وقت مضى ـ مسلحاً بمعطيات ثقافية افضل مما هو عليه اليوم ، فوسائل الثقافة كثيرة وكبيرة . من سمعية وبصرية ، ومطبوعات ، ولكن بالرغم من كل هذا ، يبقى الكتاب ، مادة المطالعة الرئيسية ، لماذا ؟

لأن الكتاب هو عصارة العقل البشرى ، ونتيجة الجهد الانسانى ، وثمرة النضج الفكري وخاصة تجارب الانسانية فى تاريخها الطويل ، منذ غابر الأزمان ، وحتى مدى حياة الانسان .

الكتاب يضم بين دفتيه ، تاريخ الماضى ، ومعالم الحضارات السابقة ، ومشعل الطريق للحضارات الآتية . فهو يحتوى آمال البشرية وآلامها ، ومآثر انتصاراتها ، وأسباب هزائمها ، إنه الابداع الذى يبنى عليه صرح المستقبل ، ثقافة وحضارة .



لا يقوم سلطان الكتاب ، على كمية المعلومات التى يضمها بين دفتيه ، بل يقوم على الامكانية التى يقدمها لنا ، طريقاً للبحث الدائم عن المعرفة. وعلى هذا ، فان القيمة الأصيلة لأى وسيلة من وسائل الثقافة ، لا تقاس بكمية المعارف التى تقدمها للفكر ، بل تقوم ـ قبل كل شىء ـ على نوعية التعمق الشخصى ، وعلى مجال البحث الذى تمنحه هذه الأداة للفرد ، قراءة ، وبحثاً ، وتحصيلا ، فالتثقيف هو محصلة الجهد الشخصى ، والابداع هو استخلاص نتائج ذات قيمة للانسانية .

ويحضرنى فى هذا المجال ، مقولة البروفسور «هيرشبرج» صاحب تجربة التثقيف الذاتى ، عندما اتم كتابه الشهير «الثقافة العامة» : «هذا كتاب ألفته ، وإن ما عملته ، يستطيع كل شخص أن يعمله ، لذلك فانكم قادرون على عمل خير منه وأحدث» .

● ●

عصرنا هذا ، عصر إلغاء المسافات ، فى الزمان والمكان ، والجمود عند أسلوب حياة معين ، بعيداً عن الكتب التى تحمل أفكار التقدم ، وأساليب التطوير والتجديد ، تجعل المجتمع راكداً ، ولا يقف المتعلمون فيه حيث هم ـ عند حد معين من المعلومات ـ بل إن المعلومات والمعارف التى يحتفظون بها ، تتبخر تباعاً ، أو يفوتها الزمن ويتعداها ، ليسود المجتمع تخلف وتاخر ، ينعدم فيه الابداع ، وينقرض فيه التقدم . ولذلك قالوا :

«إن مجتمعاً قليل الكتب ونادر الكتاب والقراء مجتمع يستحق الرحمة ، حيث تضعف القوى العقلية عند أفراده ، وتنفك الروابط الفكرية بين بنيه ، فيسيرون بخطى سريعة نحو التاخر والزوال ، أما المجتمع الذى يقرأ ويكون للكتاب عنده اعتبار ، ويتبادل أفراده الأفكار والآراء ، هو مجتمع قادر على الحياة والتطور والتقدم والابداع» .

إرو عطشك مع



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العدد ٧٩ ـ رمضان ١٤٠٢ هـ ـ يوليه ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



## ثورة طه حسين على نفسه!

د. محمد جابر الأنصاري

## تعالوا نقدّس حرّية الكلمة!

خالد محمد خالد

## أغرب قضية يرفعها الحيوان ضد بني آدم!

د. أحمد الحوفي







## جيمس دين وألفيس بريسلي حياة قصيرة

## حوار مع فرانسوا ساجان




ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

# الدوحة

## مجلة شهرية ثقافية جامعة
## تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٩ - رمضان ١٤٠٢هـ - يوليه ١٩٨٢م

**المراسلات :**

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٣١٢٣١
مدير التحرير : ٢١١٣١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

**الاشتراكات :**

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

**الإعلانات :**

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

**الأسعار :**

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديمان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤١٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٥٠٢ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٤٠ - جدة
مكتبة وصحيفة ضياء .
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٦١٤ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب : ٣٢٠ - بنغازي

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الهلال :
١ شارع المعارف - بناية المرزاق
ص . ب : ٥٠٤ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ٩١١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٨٣١ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ٢٣٦٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المعلا المحافظة الأولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي All Bin Ali Printing Press - Doha

# فقيد الأمّة العربيّة والإسلاميّة

# واخالداه..

شعر: الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي

فقدت الأمة العربية والاسلامية يوم ١٣ يونيو الماضى قائداً بارزاً من القادة العرب والمسلمين هو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.وهذه هى القصيدة التى كتبها الشاعر العربى السعودى الكبير الدكتور غازي القصيبي عن الراحل الكبير.

"واخالداه" !.. وضجّ الجرح في كبدي
فسرت بالجرح.. لا ألوي على أحدِ
يبكون منك - وقد ناحوا - على مَلِكٍ
أمّا أنا فبكائي حرقة الولَدِ
يطوف وجهك في روحي فأسأله
بالله قل لي.. أهذي فرقة الأبدِ ؟!
فأين نظرته بالحب طافحةٌ
كأنما هي بشرى شرَّة الرَّغدِ ؟
وأين بسمته الحسناء هل سقطت
شمس النهار على ليل من الكمدِ ؟
"واخالداه" ! يغصّ الشعر من ألمٍ
كما تذوب عيون الشوق من سَهَدِ
ويخطر الموت فوق البيد عاصفة
من الدموع.. فناد الصبر يا بلدي !

• • •

هرعتُ بعدك للذكرى معطّرةً
بالبشر، صافيةً كالقطر، نَبع دَدِ
وغبت في الأمس علّ الأمس يسعفني
إذا أفقت ولم أبصرك صُبْحَ غَدِ
فَلُحْتَ لي - وجدار الموت منتصبٌ -
حتى لأوشك شوقاً أن أمدّ يدي
أراك رغم ضباب البَيْن.. يا رَجُلاً
به تزايد مُلكٌ.. وهو لم يزدِ
هل كالبساطة تاجٌ عزَّ لابسه؟
هل كالبراءة عرشٌ ثابت العَمَدِ ؟!

• • •

"واخالداه" ! وعاد الناس.. وانصرفوا
وأنت في القبر لم تبرح.. ولم تعُدِ !
تبارك الله.. نجري كلنا زُمَراً
نحو المنون.. ولا يبقى سوى الصّمدِ
فقل لمن يعشق الدنيا.. أتخطبها
وهي الولودُ.. وغير الموت لم تلِدِ ؟!

غازي القصيبي



# في هذا العدد

لوحة الغلاف الأخير : « مجلس أنس »
للفنان الجزائري محمد راسم
« التحقيق صفحة ١٠٠ »





د . محمد جابر الأنصاري



خالد محمد خالد



عبد الله جفري



عبد الله الشيتي


● لا تخافوا من غضب الشعراء ... ... ... ... ...
رجاء النقاش ٨
● رسالة « قصـــيدة » ... ... ... ... ... ... ...
محمد الفهد العيسى ١٣
● ثورة طه حسين على نفسه ... ... ... ... ... ...
د . محمد جابر الأنصاري ١٤
● زهــور « قصـيدة » ... ... ... ... ... ... ...
امـــل دنقل ١٧
● تعالوا نقدس حرية الكلمة ... ... ... ... ... ...
خالد محمد خالد ١٨
● مارجريت ثاتشر المرأة الحديدية ... ... ... ...
جمال الكناني
● هيئتان للفضاء الوسيع ... ... ... ... ... ... ...
« قصيدة » حلمى سالم
● وقف التنفيذ روحياً ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله الجفرى ١٠
● المعداوى بين رشدى صالح وسيد قطب ... ... ... ...
محمود السـعدنى ٢٠
● نحن جيل الدرْبكّة ... ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد السلام العجيلى ٢٢
● من فلسطين المصرية إلى فلسطين العربية ... ... ...
فتحى رضـــوان ٢٤
● قصة العلاقات العربية الهندية ... ... ... ... ...
أحمـد العنانى ٢٨
● سيناء ودرب الحـــاج ... ... ... ... ... ... ...
درويش الفـــار ٣٠
● فى رحاب السماء « قصيدة » ... ... ... ... ... ...
محمد بن همام العبد الله ٣١
● التفرقة بين الحب لأهل البيت والانصاف لحقائق التاريخ
اسماعيل الكيلانى ٣٢
● ارتهان الحصان « قصيدة » ... ... ... ... ... ...
حسن عبد الله القرشي ٣٥
● .. والشعراء الأسبان ايضاً يقفون على الأطلال ... ...
عبد اللطيف عبد الحليم ٣٦
● الميلاد « قصـــة » ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله الطوخي ٤٠
● ديجول .. والبحث عن العظمة ... ... ... ... ...
محمد العزب موسى ٤٢
● وجهان لعملة واحدة « قصـــيدة » ... ... ... ... ...
عبد المنعم عواد يوسف ٤٩
● جمال المرأة في عصر الفنان « رينوار » ... ... ... ...
جمال قطب ٥٠
● سر جاذبية الأحجار الكريمة ... ... ... ... ... ...
نجلاء العزي ٥٢
● لقطات من الكون المثير ... ... ... ... ... ... ... ٥٦
● عالم الزواحف الخفي ... ... ... ... ... ... ... ...
د . محمد الغباشي ربيع ٥٨
● بين عقول بشرية وعقول اليكترونية ... ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ٦٢
● رحلة الحياة والموت فى بحر ملون ... ... ... ... ...
صنع الله ابراهيم ٦٧
● الوان البيئة والتراث فى لوحات الفنانين القطريين ...
حسن المـلا ٧٦

● كتاب الشهر « حياة قصيرة » ... ... ... ... ... ... ...
عرض : صلاح حسن أحمد ٨٣
● ابن جبير : شاهد على عصر صلاح الدين ... ... ... ... ...
كمال النجمي ٩٤
● نحو مهرجان تليفزيوني افضل ... ... ... ... ... ... ...
حصة العوضي ٩٨
● محمد راسم : فنان عربي ادهش العالم ... ... ... ...
د . نديم خشفه ـ محمد عايش ١٠٠
● من هنا بدأت نهضة المسرح العربي ... ... ... ...
نعمان عاشور ١٠٤
● دليل القارىء الذكي الى الكتب الجديدة ... ... ... ...
حسني شحادة ١٠٨
● من قضايا التربية المعاصرة ... ... ... ... ... ... ...
نبيل خالد الاغا ١١٠
● زبرجدة إلى نزار قباني « قصيدة » ... ... ... ... ...
حسن طلب ١١١
● السينما .. مصنع الاحلام فى المجتمع ... ... ... ...
محمد فتحي ١١٢
● هو .. هم .. ! ! « قصة » ... ... ... ... ... ... ...
صلاح عبد السيد ١١٥
● الرغيف اليمني : حكاية لها تاريخ وقضية تبحث عن الحل!
زيد محمد حجر ١١٧
● عباس الأسواني .. الضاحك الاخير ... ... ... ... ...
عباس خضر ١٢٠
● دائرة المعارف القرآنية : أصحاب اليمين ... ... ... ...
د . محمد البهي ١٢٣
● حوار مع فرانسوا ساجان ... ... ... ... ... ... ...
جمال الكناني ١٢٤
● صفحة طريفة من التراث العربي ... ... ... ... ... ...
د . احمد الحوفي ١٢٨
● العلم هو المستقبل ... ... ... ... ... ... ... ... ...
تقديم : لبنى الريدي ١٣٠
● فى مهرجان « كان » : « مفقود » الفيلم المفاجأة ، والقصة الحقيقية كما حدثت ... ... ... ... ... ... ... ...
رءوف توفيق ١٣٢
● ضحكات الشـــهر ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحـــة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٤٠
● متفرقات ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله الشيتي ١٤٦
● دوحة الماضي ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٤٧
● الصهد والرحيل « قصة » ... ... ... ... ... ... ...
كلثم جبر ١٥٠
● رسائل الى المحـــرر ... ... ... ... ... ... ... ... ١٥٢



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

إلى الذين يطالبون نزار قباني بالانتحار :

# لا تخافوا من غضب الشعراء

بقلم : رجاء النقاش

**فى هذه الظروف الصعبة التى تمر بها الأمة العربية ، كنت أود أن يكون حديثى هذا الشهر الى القراء متصلا بالمحنة الراهنة وهى حرب الابادة التى تشنها اسرائيل ضد العرب فى لبنان ، ولكننى آثرت أن أواصل حديثى عن « الأمراض » التى يعانى منها المجتمع العربى فى المجال الأدبى والفكرى ، الذى هو ميدان مجلة « الدوحة » والحقل الذى تعمل فيه ، فهذه الأمراض فى تقديرى هى التربة التى تنمو فيها سائر المحن التى نتعرض لها ، وهى التى تساهم فى خلق التمزق الذى يعانى منه الانسان العربى والمجتمع العربى معاً ، ولو أننا أدركنا خطورة هذه الأمراض ، وواجهناها بالحل الصحيح، لاستطعنا أن نقف فى وجه التحدى الذى نتعرض له ، ويهدد جيلنا الحاضر ، بل وأجيالنا القادمة بالضياع .**

ومن الواضح الآن أن هناك طبقة من أصحاب الأقلام فى الوطن العربى ممن يحاولون دائما أن يخلقوا « معارك غير أساسية » تحددها لهم أفكارهم الخاطئة ومشاعرهم المريضة ، والهدف من مثل هذه المعارك المفتعلة واضح تماما ، فالمطلوب – عند هؤلاء – أن يبتعد المواطن العربى عن التركيز على مشاكله الحقيقية التى يعانى منها أكبر المعاناة .

## دعوة إلى الانتحار

ولنترك هذا الحديث العام ، وننتقل منه الى القضية التى نريد أن نطرحها هنا ، فقد قامت بعض الأقلام بشن حملة عنيفة تطالب بطرد الشاعر نزار قبانى من مصر بعد أن وصل الشاعر إلى القاهرة وأعلن هناك انه يفكر فى أن تكون مصر واحة يستقر فيها ، فهى بالنسبة له المكان الذى يناسبه كشاعر وانسان ، فقد عرف مصر من قبل وأحبها واطمان فيها على الدوام ، وهو يختار أن يعود إليها الآن بعد فراق اليم . ولكن الذين هاجموا « الشاعر » بعد وصوله إلى مصر ، جعلوا من أقلامهم سيوفاً وحراباً ، وطلبوا « دم » نزار قبانى .. بعضهم تواضع ونادى بطرده من البلاد ، وبعضهم الآخر سارع إلى تحديد هدف مختلف وطريف هو : دعوة نزار إلى الانتحار ، وبالقاء نفسه من شرفة الفندق الذى ينزل فيه ليتحول إلى جسد هامد على شاطىء النيل ، والبعض ، من أصحاب هذه الأقلام ، قرر رفع قضية أمام المحاكم المصرية يطالب فيها بطرد نزار قبانى من مصر .

وإذا استطعنا أن نكون موضوعيين وهادئين وأن نكظم ما فى نفوسنا من غيظ شديد ، فاننا نتساءل : ماذا يريد أصحاب هذه الأقلام ، ولماذا يطالبون بطرد شاعر عربى يقيم فوق أرض عربية؟ .. إن هؤلاء المفكرين « البواسل » إنما يريدون معاقبة « نزار قبانى » على شعره السياسى الذى كتبه ونشره منذ ١٩٦٧ إلى اليوم ، ففى هذا الشعر ما يدين نزار – من وجهة نظر


نزار قبانى
مطلوب منه ان يرحل أو ينتحر


جمال عبد الناصر
كان يقبل نقد الشعراء بشجاعة على عكس ما يشاع عنه


شعراوى جمعه
شاهد مسرحية « الفتى مهران » ولم يوافق على منعها


غازى القصيبى
قصيدة غاضبة عن محنة بيروت

هؤلاء الكتاب ـ ويجعل منه شخصاً غير مرغوب فيه على أرض مصر .

وتبدأ قصة نزار قبانى وشعره السياسى منذ أن استيقظنا ذات صباح ، فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، لنجد أن العرب قد تلقوا ضربة قاصمة من اسرائيل خلال ساعات قليلة ، ولم يبق من القوة العربية يومها سوى اللافتات التى تملأ الشوارع بالتهديد والوعيد ضد اسرائيل ، ثم الأغانى الوطنية والموسيقى العسكرية التى تملأ الاذاعات وقنوات التليفزيون ، حتى صوت احمد سعيد الذى كان يجلجل فى إذاعة صوت العرب بكل الثقة فى النصر واليقين فى ان العدو مهزوم ، مهزوم .. حتى هذا الصوت ، سكت عن الكلام المباح ، وانسحب من الميدان ، ولعله احس أنه كان يمثل «دوراً» لا علاقة له بالواقع الحقيقى المرير .

ولن نواصل سرد المآسى التى صاحبت هزيمة ٥ يونيو هذه والتى يعرفها الجميع ، من صور القتلى والمشردين فوق رمال سيناء ومن وقوع القدس والضفة الغربية والجولان فى أيدى الغزاة ، ومن الدمار الذى أصاب المدن الثلاث الكبيرة على قناة السويس ، وكانت هذه المدن أشبه بالعرائس الساحرة التى تستحم فى الماء ، فصارت مدناً من الخرائب والأطلال التى لا يسكنها البشر ، هذه هى الصورة التى صاحبت ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ثم عادت الصورة تتكرر فى أرض عربية أخرى فى ٥ يونيو سنة ١٩٨٢ ، حيث قامت اسرائيل بمذبحتها الجديدة فى لبنان ، ولم يكن فى هذه الفترة التى تمتد خمسة عشر عاماً من اللحظات المشرقة التى تحمل بعض الأمل للانسان العربى ، سوى تلك الأيام القليلة الرائعة من عام ١٩٧٣ ، وفيها اتحدت الارادة العربية ، وحققت نصرها الوحيد خلال هذه السنوات الطويلة الممتدة .

فى هذه المحنة العربية المتصلة ماذا يملك الفنان أن يقول ، سوى أن يعبر عن غضبه وألمه وضيقه بالواقع وطموحه إلى خلق واقع جديد مختلف ؟ .. ذلك هو الطريق الوحيد أمام الفنان الصادق ، ليس فى الوطن العربى وحده ، ولكن فى أى مكان من العالم يمر بظروف مشابهة ، وعند أى فنان له قيمة ، ولديه ضمير وطنى وإنسانى سليم .

ونترك قضية نزار قبانى قليلا ، لنقول إنه على مدى العصور المختلفة كان الشعراء العظام دائماً هم الشعراء الغاضبون ، فالأدب أساساً ـ كما يقول أندريه جيد ـ « يأخذ قيمته الحقيقية وتأثيره الباقى من الغضب والتمرد وقوة الأدب هى قوة المعارضة فيه ، والفنان العظيم هو بالضرورة ذو شخصية تختلف عما اعتاد عليه الناس ولابد له أن يسبح فى مواجهة تيار عصره » .

هذا ما يقوله أندريه جيد ، وهو حق ، وليس الهدف من ذلك كله أن يتخذ الفنان موقفاً شاذاً ملفتاً للنظر ، بغير غاية أو سبب ، ولكن الهدف هو أن يحرك مجتمعه لكى ينهض ، وينتبه إلى ما يحيط به من أخطار ، ولكى لا يقع هذا المجتمع فى حالة من الاسترخاء تصيبه بالطمانينه الوهمية وانعدام الخوف من المستقبل ، وهذه الصفات كلها معناها أن تتلاحق المصاعب والمصائب والنكبات على مثل هذا المجتمع ، فلا يستيقظ إلا على أحداث مثل احداث ٥ يونيو ١٩٦٧ و ٥ يونيو ١٩٨٢ ، وقد وقعت هذه الأحداث الكبيرة ونحن غافلون عن كل المظاهر والمقدمات التى سبقتها ، وكانت بمثابة الانذار الصريح لنا .

## أدب الترف والاسترخاء

إن الشاعر الحقيقى فى كل أمة إنما يمثل ما يمكن أن نسميه إذا صح التعبير باسم « القوة الغضبية » ، ولا يمكن لشاعر فى أمة ناهضة تتعرض للمتاعب والمصاعب وتريد أن تتخلص من المشكلات التى تواجهها ، أن يكون شاعراً متفرجاً ، يكتب عن الهوى والحنين ، والعشق والأنين ، ان مثل هذه الحالة معناها الوحيد أن هذه الأمة وشعراءها يمرون بعصر من عصور التدهور والانحطاط وهذا ما كان من حال العرب فى أيام « دويلات الطوائف » فى الأندلس ، فبعد أن استطاع العرب على مدى ثمانمائة سنة أن يتقدموا فى الأندلس ويحققوا مستوى حضارياً عالياً ويصمدوا فى مواجهة الغرب صموداً شديد الصلابة والقوة ، بعد هذا كله ، سقط عرب الأندلس فيما سمى بعصر « الطوائف » ، وكان من أبرز علامات هذا العصر ، أن عرب الأندلس لم يكونوا يدركون حقيقة المحنة التى يتعرضون لها ، ففى حين كان اعداؤهم فى الغرب يجمعون السلاح فوق السلاح ، وينظمون أنفسهم فى جيوش قوية مستعدة للكفاح الطويل ، كان عرب الأندلس فى عصر الطوائف ، غارقين فى الترف السهل المريح وفى الرخاء الشكلى الذى جعل من خمارات الأندلس أشهر مظاهر الحياة فيها ، ومن مجالس الأنس أبرز معالم النشاط بين أهلها جميعاً ، وكان ذلك كله من علامات الانهيار الذى حدث بعد ذلك بقليل ، حيث خرج العرب من الأندلس مهزومين مطرودين ، بعد أن كانوا قوة كفيلة ـ لو لم يسقطوا فى اللهو والاسترخاء ـ أن تبقى فى الأندلس ، كما بقى المهاجرون الأوربيون فى أمريكا ، واستقروا فوق أرضها إلى اليوم .

وفى عصر ملوك الطوائف كما يسمى فى صفحات التاريخ ، ظهرت على سبيل المثال شاعرة عربية أرستقراطية هى « ولادة بنت المستكفى » كانت تكتب على احد « فساتينها » الأنيقة الرائعة بالتطريز وخيوط الذهب شعراً يقول « على الجانب الأيمن » :

أنا والله أصلح للمعالى
وأمشى مشيتى وأتيه تيها

## لا تخافوا من غضب الشعراء

وتكتب على نفس « الفستان » من الجانب الأيسر :

وأُكِنُ عاشـقى من صحن خدى
وأعطى قبلتى من يشـتهيها

ويحدثنا العقاد عن هذه الفترة من تاريخ العرب والأدب العربى فى الأندلس فيقول : « يروج الأدب فى أيام السقوط كما يروج فى أيام الرفعة ، والمعول فى الحالين على نوع الأدب ومادته ، لا على كثرته وندرته ، ولقد راج الأدب رواجه المعروف فى أيام اضمحلال الأندلس وإدبار دولتها ، وما راج فيها الأدب الخاص بايام ملوك الطوائف إلا لاضمحلال وإدبار الدولة ، فانه قد شاعت على عهدهم مجالس المنادمة واللهو بين الرؤساء والكبراء ، بل نزلت إلى مصاف السوقة والعامة ، وقعد الناس لها ولاقتناء آلتها والتبارى فيها ، ثم دعت الحاجة إلى النظم والمطارحة فى هذه الملاهى ، فدار ادبهم كله على هذا المحور ، فكان الغلام أو الجارية لا يُساوَمُ فيهما إلا على قدر حظهما من الأدب ، وكان الفتى لا يظْرُف محضره ويعذُبُ سمره حتى يروى من مُلَح النظم والنثر ونوادر الشراب والمجون ما يناسب تلك المجالس ويصلح أن يدور مع الكاس على الندماء ، فانعـدم الشعر الأصيل وكسد الأدب الجذل وراجت سوق الادباء والمؤدبين فى الأندلس لهذا السبب ، لا لشوكة الدولة ، ومنعة الملك والأمة » .

### المراة والوطن

فهل يريد الذين جعلوا من اقلامهم خناجر تطعن الشعراء ، وتطالبهم بالموت والانتحار ، أن يصبح ادبنا ادب استرخاء ، ويصبح شعراؤنا « مطربين » فى مجالس اللهو .. كل ذلك فى عصرنا العربى الراهن الذى ترتفع فيه المحنة حتى تمس كل انسان وتهدد حاضره ومستقبله ؟ .. هل يريد أصحاب هذه الأقلام من نزار قبانى أن يتفرغ لوصف الفساتين وتسريحات الشعر وهو سيد من يفعل ذلك لو يقدر عليه ؟ .. لقد تغير نزار قبانى بسبب امانتـه وإحساسه بالقهر والجرح فترك كل شىء وراءه ، ليعبر فى شعره السياسى عما يراه بقلبه ووجدانه فى محنة الانسان العربى فى هذا العصر ، وفى هذه الأيام التى لا يجد فيها الطفل فى جنوب لبنان بيتاً ولا أماً ولا أباً ولا دولة .. هذا التحول عند نزار قبانى مهما كانت قيمته ومهما كان الرأى الفنى فيه ، هو الذى دفع نزار إلى كتابة قصائده الغاضبة ، وهى القصائد التى لم تعجب هؤلاء الذين يكتبون فى الدعوة الى طرده من مصر ، وفى « إقناعه » بضرورة الانتحار فوق شاطىء النيل حتى يغسـل « ذنوبه » التى تتجسد فى شعره السياسى كله ، وهذا التحول فى نفسية نزار قبانى هو الذى دفعه الى أن يكتب هذه القصيدة القصيرة فيقول :

كلما غنيت باسم امراة
أسقطوا قوميتى عنى وقالوا :
« كيف لا تكتب شعراً للوطن ؟ »
فهل المراة شىء آخر غير الوطن ؟
آه ، لو يدرك من يقرؤنى
أن ما أكتبه فى الحب
مكتوب لتحرير الوطن

وسواء كان نزار فى هذه القصيدة يعنى فعلا ما يقول أو كان يبحث عن التبرير الذى يدافع به عن ماضيه الشعرى الذى كانت المراة فيه موضوعاً وحيداً وأساسياً فى قصائده الاولى ، فان نزار يشعر الآن ، بل ومنذ ١٩٦٧ ، أنه يعيش فى « مأسـاة الوطن » وهو لا يعيش هذه المأساة بصورة نظرية ، بل يحسها يوماً بيوم ، فقد امتدت يد المأساة الى بيته ، فقتلت زوجتـه « بلقيس » وكان الشاعر يعيش فى بيروت منذ ١٩٦٦ حتى الأسابيع القليلة الماضية من عام ١٩٨٢ حيث سافر الى القاهرة لتواجهه تلك العاصفة العجيبة التى تطالب بطرده أو بانتحـاره « أيهما أسرع » وفى بيروت عاش نزار قبانى المحنة العربية الكاملة ، حيث كانت هذه المحنة «فضيحة» غير مستورة ، تتكرر فى كل دقيقة ، مع طلقـات الرصاص ، والاغتيـالات والاشتباكات المسلحة بين «الأخوة الأعداء» ، والسيارات الملغومة ثم الاجتياح الاسرائيلى الأخير الذى اصبح خبره واضحاً عند الجميع .

ان الغضب عند اى شاعر صاحب طبع سليم ، وضمير مستقيم ، واحساس صادق هو الانفعال الطبيعى فى مثل هذه الظروف التى تمر بها الأمة العربية ، وليس المهم أن يكون ما يقوله الشاعر نتيجة لانفعاله الغاضب خطأ أو صوابا ، فالحقيقة لا تظهر الا بالمناقشة ، ولا تظهر الحقيقة أبداً بطرد الشعراء أو ذبحهم أو دعوتهـم الى الانتحار .

وإذا التفتنا الى تاريـخ الأدب العالمى ، فسوف نجد أن « أعلامه الكبار » من الشعراء ، كانوا غاضبين بصورة من الصور ، وكان انتاجهم الادبى الاساسى هو « انتاج الغضب » ، وليس « انتاج الرضا » والاسترخاء » فأدب شيكسبير – على سبيل المثال – هو فى جوهره نوع من « أدب الغضب» ، فهو غاضب فى مسرحيتـه « يوليوس قيصر » على الطغيان والاستبداد والانفراد بالراى فى القضايا العامة وهو غاضب فى مسرحيته «ماكبث» على الطموح الشخصى المريض الذى يؤدى إلى الخيانة والجريمة ، ويدمر القضايا الخاصة والعامة ، ويأكل الأخضر واليابس فى طريقه ، ويقود أصحابه إلى التعاسة ، حتى لو كانت بدايتهم مغرية بالنجـاح والسعادة ، حيث ينتهى الأمر بالعكس إلى الفشل والدمار .

وشيكسبير فى مسرحية « الملك لير » يكشف خطورة النفاق فى العمل السياسى ، وقيمه التحفظ والنقد الصادق الصريح ، فما وقعت ماسى « الملك لير » كلها إلا بسبب تصديقه للنفاق واختلاط الأمور فى ذهنه بين النفاق والحب الحقيقى والولاء الصادق ، ولو أن الملك لير صدق ابنته الصغيرة المتحفظة ، والتى لم تشا وهو فى قمة سلطانه أن «تسحره » بالكلمات المعسولة والوعود الخادعة ، لما تعرض لماسيه التى وقعت له بعد أن تخلى عن السلطة ، فقد نفض المنافقون أيديهم منه فى أول لحظة ، ووقفت إلى جانبه الابنة الصادقة التى كانت متحفظة ذات يوم ، وكانت حريصة على الصدق معه أيام أن كان فى قوته وعنفوانه . وفى مسرحيـة «هاملت» يغضب شيكسبير أيضاً ، وكان غضبه فى هذه المسرحية موجهاً إلى ذلك « الشىء العفن فى الدانيمرك » ، وقد ملأ شيكسبير مسرحيته بما يؤكد أن المجتمع « فى الدانيمرك أو غيرها » لا يمكن أن يقوم على « شىء عفن » ، وخاصة إذا كان هذا العفن فى قمة المجتمع ، فلا نجاة لأى جماعة تتسرب إلى حياتها « قطرة من العفن » فقطرة العفن سرعان ما تتحول إلى بحر هائج وهادر يؤذى الجميع ، ظالمين ومظلومين ، ويحمل الدمار إلى كل شىء .

لم يكن شيكسبير شاعراً راضياً ، بل كان شاعراً متمرداً ، وكان من أكبر الغاضبين فى تاريخ الشعر العالمى ، ومع ذلك كانت مسرحياته هذه تظهر فى عصره ، وكانت الملكة « اليزابيث » ، مع كبار رجال الدولة والمجتمع فى عصر شيكسبير يحضرون عرض هذه المسرحيات ، ولم يقل أحد منهم: اطردوا شيكسبير من انجلترا ، فالتاريخ والأساطير التى يجعل منها إطار مسرحياته ما هى إلا أوهام ومحاولة لتضليل الرقباء عن حقيقة ما يعنيه الشاعر من نقد،

لم يقل أحد فى عصر شيكسبير هذا القول بل كان الشاعر هو الذى يقول ما يحس به ويعانيه .

## المتنبى والمعرى

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الأدبى العربى وجدنا أن أكبر شاعرين فيه وهما المتنبى والمعرى كانا فى حقيقة أمرهما شاعرين غاضبين ، فكل شعرهما الرئيسى إنما هو تعبير عن الاعتراض والرفض والطموح إلى ما هو أفضل وأرقى ، وقد دخل المتنبى معارك الحياة فى عصره ، فتعرض للسجن فى شبابه ، وتعرض لحروب أخرى مختلفة فى بقية حياته ، حتى انتهى به الأمر إلى أن يموت قتيلا على يد بعض أعدائه ، وعندما اختلف المتنبى مع سيف الدولة ، الذى عاش المتنبى فى ظله تسع سنوات ، أعلن الشاعر غضبه فى أعنف صورة ، وكتب قصيدته المشهورة التى قرأها فى مجلس سيف الدولة والتى قال فيها :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأننى خير من تسعى بـــه قـــدم

ولم يكن موقف المتنبى مبنيـــاً على « الغرور » كما يبدو فى الظاهر ، بل كان نوعاً من الدفاع الغاضب عن النفس ، ونقداً شديداً لأوضـــــاع لم يكن المتنبى يرتضيها لنفسه ولا لأفكاره فى بلاط سيف الدولة ، وذهب المتنبى بعد ذلك إلى مصر بدعوة من كافور واتفاق معه ، ولكن كافور نقض اتفاقه مع المتنبى وجعل من إقامته فى مصر عذاباً أليماً للشاعر الكبير ، فانتفض الغضب فى قلب المتنبى ، وكان الغضب فى هذه المرة عنيفاً قاسياً ، فكتب المتنبى قصائده الهجائية الحادة ضد كافور وضد عصره ونظامه السياسى ، وقد جاء فى هذه القصائد الهجائية ما يبدو أنه نقد لمصر وشعبها ، مثل قوله فى احـــدى قصائده :

وكم ذا بمصر من المضـحكات
ولكنـــه ضـحك كالبـــكا

أو قوله :

أغايـة الديـن أن تحفوا شواربـكم
يا أمة ضحـكت من جهلهـا الأمـم

غير أن الأدباء والباحثين فى مصر ، جيلابعد جيل ، لم ينظروا إلى شـــعر « المتنبى » فى « كافور » على أنه نقد لمصر وشعبها ، بقدر ما اعتبروه نقداً لكافور وعصره ، ولذلك فديوان المتنبى مطبوع ومقروء فى مصر ، وأفضل شرح عصرى لهذا الديوان أعده أديب مصرى هو الشـــيخ عبد الرحمن البرقوقى ، والأدباء المصريون يحفظون قصائد المتنبى فى هجاء كافور ، بل ان شاعراً مصرياً كبيراً هو حافظ ابراهيم قد كتب فى احدى قصائده الغاضبة هذا البيت :

وكم ذا بمصر من المضحكـــات
كما قال فيهـــا أبو الطـــيب

والجامعات المصرية تدرس شعر المتنبى وهناك بحث كبير ممتاز أعده أحد الأساتذة الجامعيين فى مصر عن « كافوريات المتنبى » أو بعبارة أخرى عن « قصائد المتنبى فى مصر » والباحث الجامعى هـــو الأســـتاذ الدكتور النعمـــان القاضى ، وأغلب الظن أنه يقوم بتدريس بحثه لتلاميذه فى الجامعة ، ولم يجد هذا الباحث عائقاً من « مصريته » يمنعه من دراسة أشعار المتنبى الغاضبة عن كافور وعن مصر ، بل درس شعر الشاعر بموضوعية ، وأدرك أن غضب الشاعر كان له ما يبرره ، من سوء معاملة كافور للمتنبى ومن فساد الحياة الثقافية والأدبية فى عصر كافور .

ونحن الآن إذا أردنا أن نبحث عن وثائق حية ، نرى فيها جانباً من جوانب الحقيقة فى عصر كافور ، فسوف نجد أمامنا قصائد المتنبي فى مصر ، إن هذه القصائد لا تثير فينا الشعور « بالاستفزاز » أو « النفور » ، بقدر ما تثير فينا الحماس والحيوية وكل المشاعر التى تجعلنا نرفض دائماً أن تتكرر الأخطاء التى كانت تقع فى عصر كافور ، من طغيان وعدم احترام للفكر والأدب والثقافة ، وغير ذلك من الظواهر التى يرفضها الضمير فى مصر على مر العصور . فأشعار المتنبي الغاضبة فى مصر ، مازالت حتى اليوم تعمل فى نفوسنا عملها الايجابي ، وتحرك فى مشاعرنا كراهية لأي طغيان يسيطر على مقادير الناس والبلاد .

وإذا تركنا المتنبى لنتحدث قليـــلا عن « المعري » وجدناه هو الآخر « شاعراً غاضباً » على المجتمع والناس فى عصره ، ولذلك فقد اعتزل الحياة ، ورفض أن يخوض أي معـركة فى عصره ، سوى تلك المعركة الكبرى ضد ما كان يراه شراً فى هذا العصر ، وقد بقى لنا شعره الخالد ، ليحرك فينا منذ أكثر من ألف سنة إلى الآن قوة « الغضب » ضد الخطأ والشر والطغيان والتفرقة بين الناس فى أي عصر أو مكان .

ونحن لم نسمع بأن أحداً يطالب بمنع قراءة المتنبى أو المعري ، أو بمنع دراستهما فى مدارسنا وجامعاتنا ، رغم ما يقـوم عليـه أدب الشاعرين الكبيرين من الغضب والنقد والرفض ... لقد جنينا من غضب الشاعرين أدباً عظيماً ، يعيش بيننا جيلا بعد جيل ، ولسنا وحدنا الذين ننظر إلى أدب المتنبي والمعرى هذه النظرة بل إن العالم المتحضر كله ينظر إلى أدب هذين الشاعرين على أنه جزء من الأدب الانساني الخالد على مر العصور ، وليست الدراسات التي كتبها الأوربيون عن المتنبي والمعري ، بأقل فى قيمتها من الدراسات التى كتبناها نحن العرب عن هذين الشاعرين على أن الأهم من ذلك كله ، هو أن المتنبي والمعري فى شعرهما الغاضب إنما يعيشان فى أعماق الضمير العربي ، فنحن نقرأ شعرهما الغاضب فنشعر بالواجب نحو عروبتنا وتاريخنا وكرامتنا العامة والشخصية « فى شعر المتنبي » ونحو أنفسنا ومجتمعنا وقيمنا الانسانية « فى شعر أبى العلاء » ، وهكذا فاننا لم نخسر شيئاً من غضب الشاعرين الكبيرين بل كسبنا الكثير ، أما أدب الرضا والاسترخاء والتزويق الشكلي الخارجي ، فلا أثر له ولا قيمة فى حياتنا اليوم ، ولم يكن له أثر ولا قيمة فى حياة الأجيال العربية السابقة ، فهو أدب « للزينة » ، نقرأه فى لحظات الترفيه ثم ننساه عندما ندخل معركة الحياة ونتعرض لمطالبهـا الصعبة ، وتحدياتها العنيفة ، فنحن نتذكر شعر المتنبى والمعري فى كل مواقف الحياة الصعبة ، ولكن من منا يتذكر شعراء الترف واللهو والرضا بالحياة والبحث عن جانبها اليسير السهل والحرص على التلاؤم معها وقبولها كما هي على علاتها مهما كان فيها من أخطاء تثير الغضب والتمرد والرفض ؟!

## محنة بيروت

ونصل أخيراً إلى الشعر العربي المعاصر لنجد الجانب الغاضب فيه جانباً أساسياً له تأثيره الكبير وله قدرته على أن يحركنا ويوقظ فينا حيوية الضمير ، وبدون هذا « الغضب الشعري » فاننا نكاد نبدو أمام أنفسنا وأمام العالم كله أمة ميتة ، وجثة حضارية هامدة لا أمل فيها ولا حياة ، فالشعر الغاضب يمثل فينا علامة أساسية من علامات الوجود والاستمرار ، بعد أن سقطت قلاعنا المادية والروحية ، وأصبحنا نتشبث بأمل واحد هـــو المستقبل .

ماذا يمكننا أن نطلب من الشعر ونحن نرى محنة بيروت ، ونتفرج عليها فى مشاهد تلفزيونية مفجعة تمر بنا كل يوم ... ماذ يمكن أن ننتظر من الشعراء إن كانوا صادقين وموهوبين وحساسين لمشاكل أمتهم سوى ذلك الشعر الغاضب الممتلىء بالمرارة ، وهذا ما نجده عند الشاعر غازى القصيبي ـ مثلا ـ عندما يكتب عن « بيروت » قصيدة غاضبة تملأنا

## لاتخافوا من غضب الشعراء

بالسخط على انفسنا وتضعنا أمام مسئوليتنا الروحية والمادية فى وجه المأساة ، فيقول فى هذه القصيدة :

بيروت نحن الألى ساقوك عارية
للموت يصرخ فى عينيك تعذيب
كم ناشدتنا شفاه فيك ضارعة
وكم دعانا عفاف فيك مسلوب
فما استفاق ضمير فى جوانحنا
مخدر فى ضباب الزيف محجوب
حتى إذا ضحك الجلاد .. ما دمعت
عين ولا غص بالآهات مكروب
سقطتِ وانتفض التاريخ يلعننا
واطرقت فى أسى المجد المحاريب

وفى هذه القصيدة الغاضبة الصادقة ، ما هو اقسى من هذه الأبيات وأعنف منها ، مما قد لاتستطيع نشره مجلة عامة مثل « الدوحة » ، فليقرأ بقية القصيدة من يبحث عن غضب حقيقي فى الشعر ، هدفه أن يوقظ هذه الأمة ويحرك وجدانها ، ويثير فيها عزم الحياة وقوة الارادة ، حتى تصبح قادرة على مواجهة المحنة والوقوف فى وجه عدو لا يعرف الاسترخاء ولا يعترف بالحق والعدل .

### نقد عنيف

والنموذج الأخير الذى أقدمه فى هذا المجال هومقاطع من شعر عبد الرحمن الشرقاوي ، فقد كتب الشرقاوي فى الستينات مسرحيتين ، إحداهما عن ثورة الجزائر باسم « جميلة » سنة ١٩٦٢ ، والثانية أيام حرب اليمن باسم « الفتى مهران » سنة ١٩٦٦ ، والمسرحيتان مليئتان بالشعر الغاضب ، ولقد كان عبد الناصر عند ظهور المسرحيتين فى قمة قوته وسلطته ، ومع ذلك فقد تم عرض المسرحيتين على مسرح الدولة ، رغم ما أحس به الجمهور والنقاد والسلطة جميعاً من أن المسرحيتين مليئتان بالنقد العنيف الغاضب ، ولم يقل أحد للشرقاوي ارحل عن مصر ، بل لم يصدر قرار من عبد الناصر بمنع عرض المسرحيتين أو إحداهما ، ولم يتكلم الذين يتكلمون الآن ضد نزار قباني ... لم يتكلموا بشيء ضد الشرقاوي ولم يثيروا ما يثيرونه اليوم من الأعاصير ضد نزار .

فى مسرحية « جميلة » يقول الشرقاوي :

دولة الصياد عادت لا تبالي
والمسوخ الشائهات اليوم تستل النخاع
من رؤوس الحكماء
إنه عصر الأفاعى .. عصر مصاصي الدماء .
إنما الديدان تقتات بأعصاب الفضائل
ها هي الغيلان فوق السور حراس علينا
كل شيء شاحب من حولنا
مضطرب لا بل وكاذب
وقميء وزري !
العقارب
وثبت تنهشنا من كل جانب
ومعاني الحب جفت
والخمائل
سحل الذئب عليها
والرذائل
تسكر الآن بأعصاب الوجود
زمن الرعب يعود
ها هي الفوضى تسود !
.............
عاد سلطان الذئاب
نحن فى عصر العذاب
.............
هو عصر الخِرَق المرقعة
هو عصر الخرق المرقعة

أما فى مسرحية «الفتى مهران» فاننا نجد الشرقاوى يشتد ويعنف أكثر من ذلك «ولنذكر مرة أخرى أن هذا الشعر قيل فى عصر عبد الناصر وفى أيام قوته وسلطانه النافذ قبل ١٩٦٧» ... يقول الشرقاوى فى «الفتى مهران» :

..........
وهذا كله من حصاد الخوف
هذا الخوف منك
يجعل الناس كاعواد تردد
كل ما ينفخ فيها من عبارات الولاء
إن هذا الخوف منك
هو لن يهدم غيرك
فاعتراض صارخ ممن يحبك
لهو خير الف مرة
من رضا كاظم غيظ يرهبك

ويقول «الشرقاوى» فى نفس المسرحية :

إننا ننذر إنذار الصديق
إنه لو ظلت الحال على هذا لشاع اليأس
واليأس مضلل

ثم يقول «وكان عرض المسرحية سنة ١٩٦٦ ، وكما أشرت ، كانت حرب اليمن مستمرة فى ذلك الحين» :

.. لا تسر بجيش البلاد الى ما وراء حدود الوطن
فإنّا سنؤخذ بالناصية
جميعاً وانت على راسنا
ويلقى بنا الى الهاوية

وما أكثر التلميحات الأخرى فى هذه المسرحية ، بل إن تسميتها بالتلميحات ليس دقيقاً ، فهى تصريحات واضحة ، ذات مغزى مباشر . وعندما أثير الهمس حول هذه المسرحية وما تقصد اليه وتعنيه ، ذهب وزير الداخلية فى ذلك الحين وهو السيد شعراوى جمعة ، لمشاهدتها واتخاذ قرار أمنى بشأنها وكان هذا القرار هو استمرار عرض المسرحية وعدم ايقافها ، واستمر عرض المسرحية بالفعل فوق خشبة المسرح القومى منذ ٩ يناير الى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٦ ... ولم تتعرض لها سلطة من سلطات المنع والايقاف .

إن الأدب العربى والعالمى ملىء بشعر الغضب ، بل إن شعر الغضب هذا هو أبرز ألوان الشعر العالمى وأكثره اتصالا بوجدان الأمم وضميرها ، فهو شعر يمثل دافعاً قوياً من دوافع الحركة والحياة والتطور ومواجهة الصعوبات الكبرى التى تعترض الشعوب . ولم يكن شعر نزار قبانى «الغاضب» إلا لوناً من الوان الشعر الذى يحرك الضمير ويوقظ الروح والنفس . ويحض الانسان العربى ويحرضه على عدم السقوط فى الرضا والاسترخاء والاستسلام للواقع ، خاصة وأن الواقع العربى مليء بالمشاكل والمصاعب الكبرى ، بل إن العرب جميعاً إنما يمرون اليوم بما يمكن تسميته بمفترق الطرق ، فاما أن ينهضوا ويقيموا مجتمعاتهم على اساس حقيقى راسخ من العدل والحرية والتحضر ، أو انهم سوف يصبحون فريسة لقوى تؤدى بهم الى الدمار والتدهور ، وتجعل الحياة السليمة بالنسبة للاجيال العربية نوعاً من المستحيل .

### الشعر والأمن

فلتسكت هذه الاقلام التى تهاجم نزار قبانى ، وغيره من الشعراء الغاضبين وليعلم أصحاب هذه الأقلام أن « الشعر الغاضب» لا يخيف الأمم الحية ، بل يدفعها الى النهوض والقوة ويوقظ ضميرها وقدرتها على المواجهة ، فى المواقف العصيبة . وليتوقف أصحاب هذه الأقلام عن أن يكونوا أكثر حرصاً « على الأمن » من «أجهزة الأمن» فالكاتب الحر ليست مهمته هى أن يشارك أجهزة الأمن فى وظيفتها التى تعرفها جيداً ، ولكن مهمته دائماً هى أن يدافع عن العقل والضمير وحرية الغضب عند الشاعر والفنان والكاتب ، فالغاضبون هم الذين يحسون حقاً بما يعانيه الانسان فى بلادهم من ألم ومعاناة .

الغاضبون حقاً ... هم الصادقون .

رجاء النقاش



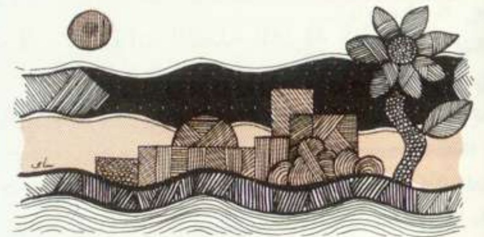
محمد
الفهد
العيسى

# رسالة

عَلَى ( جِذْعِ الدَّوْحَةِ ) .. لوَّنْتُ .. كتبتُ أنا بالأمس
حرفاً يَكْتَالُ الفَيْءَ
وحُبَيْبَاتِ الطَّل ..
الأتى بين يديْ مَركَبَةِ الشَّمْس
التَّوقُ .. الشَّوقُ .. على الشاطىءِ ..
موالٌ فوقَ جناح نُسَيْمَاتِ اللَّيْـــلْ ..
وعِقْدُ الفلِّ الثلْجِيّ ..
على الجيدِ الغجريّ ..
يَشْرَقُ فى لاعجِ أسطورةِ بَابل
فى عينيَّ وُلُوعٌ..
ما أقْسَى أنْ يَغرَقَ فى ومْضَةِ هَمْس

• • •

سارَرْتُ حمامةَ أيكٍ ..
أن تحمِلَ فى ظلِّ جنَاحَيْها .. رَشْقَةَ عِطْرٍ
مما أبقَيْتِ بكَفَّىَّ .. وبوْحَ قصيدَه
هَدَلَتْ .. رفَّتْ .. رفَّتْ ..
حطَّتْ فوْقَ الشُّرفَةِ فى ( الرَّيانِ ) ..
( شَلَحَتْ للطفلةِ غَمْراً .. ) ..
من أحرفِ حبٍّ ..
نَسَج الدوحُ نشيدَه



عنـــدماكــان الضـــمير الأدبـي حيّـــاً

# ثورة طه حسين على نفسه

بقــلم: الدكتور محـمد جابـر الأنصاري

تحدث الباحثون كثيراً عن الفارق النوعى بين كتابى « فى الشعر الجاهلى » و « على هامش السيرة » لطه حسين ولكن لا أدرى ان كان أحد الدارسين قد لاحظ الفارق الكبير ، بل التحول النوعى أيضاً ، فى المنطلق والاهتمام وطبيعة المعاناة بين كتاب طه حسين « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى أصدره عام ١٩٣٨ ، وبين كتابه الآخر « المعذبون فى الأرض » الذى كتب مقالاته بين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ ثم جمعها تحت العنوان المذكور عام ١٩٤٩ .

أما أنا فأرى ان طه حسين فى « المعذبون فى الأرض » لم يثر فحسب على مجمل الأوضاع الاجتماعية والعامة بمصر فى ذلك الوقت ، ولكنه ثار أيضاً على اتجاه طه حسين نفسه . الفكرى والحضارى ، وعلى مجمل أفكاره ومواقفه السابقة التى يمثلها خير تمثيل كتابه « مستقبل الثقافة » .

أى أن طه حسين ، اتباعاً للحق،قدثارعلى طه حسين قبل كل شىء ! والفارق الزمنى بين الكتابين ضئيل بعدد السنين ، لكنه غير يسير بمقياس الأحداث لأن السنوات القليلة الفارقة كانت سنوات الحرب العالمية الثانية بكل ثقلها وضغطها وتفاعلاتها على الساحة العالمية والعربية وعلى الساحة المصرية ، بوجه الخصوص ، حيث تأزمت المعضلات الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب إلى درجة تنذر بالخطر وتتطلب تفكيراً جديداً ومعالجات جديدة لأوضاع المعذبين فى الأرض .







ثلاث لقطات للدكتور طه حسين الأولى بالعمامة والثانية وهو يلبس الطربوش والثالثة بدون غطاء للرأس

نظرته تلك وتفاؤليا إلى درجة مثالية مفرطة .

ولأن طه حسين رجل شديد الحساسية ، وذو ضمير حى ونفس صريحة تتقبل الحق وتنشده وتعلنه بوضوح وإباء حتى لو كان على ذاتها ، فقد اخذ يتكشف له ان ما تعانيه الغالبية العظمى من مواطنيه من ضنك وفاقه وما يعتمل فى صدرها من تطلعات وما تؤمن به من قيم لا يتفق مع حلمه الليبرالي التغريبي الذى يريد أن يضع مصر فى خانة الدول الأوربية المختلفة عنها فى الظروف والنظم والجذور ، بينما هى فى حقيقتها جزء من عالم آخر وحضارة اخرى وانتماء قومي مغاير وطبيعة مختلفة . من هنا سر هذه الثورة العارمة التى اعتملت فى كيانه ودفعته لكتابة تلك المقالات الغاضبة التى تضمنها كتابه « المعذبون فى الأرض » ، وذلك منذ أن وضعت الحرب أوزارها عام ١٩٤٥ وانكشفت نوايا الغرب ومخططاته تجاه « حلفائه » و « أصدقائه » من المصريين والعرب الآخرين .

أما كتاب « مستقبل الثقافة » فقد كتبه طه حسين انطلاقاً من إنجاز معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا التى اعتبرها حدثاً إيجابياً ومشرفاً – رغم انتقاد المعارضة الوطنية لها – ووجد فيها خاتمة سعيدة لنزاع مصر مع أوربا سياسياً ، وبداية جديدة واعدة باحياء جذورها « المتوسطية » – أى صلتها الحضارية بالغرب – وعودتها إلى المشاركة فى الحضارة الأوربية « الأم » التى اعتبر مصر جزءاً منها منذ عهود الفراعنة والأغريق ، وذلك عبر الرابطة المتوسطية ، أي التفاعل الدائم من خلال البحر الأبيض المتوسط ، وهى الرابطة ذاتها التى ما يزال الاتجاه المستغرب أو التغريبى فى لبنان يستند إليها فى تبرير ارتباط لبنان بالغرب ، والتى حاول عدد من الأدباء المصريين ، مثل توفيق الحكيم ولويس عوض ، العودة إلى إحيائها فى مصر قبل سنوات قليلة ، عندما دعا الأول إلى حياد مصر على الطريقة السويسرية وانعزالها عن شئون منطقتها ، وعاد الثانى إلى الكشف عن افكاره القديمة ، فى رفض الرابطة العربية واللغة العربية – أيضاً – وإلى إحياء اللهجة العامية وإقامة قومية إقليمية على نمط القوميات الأوربية . ( راجع كتاب « الانعزاليون فى مصر » للأستاذ رجاء النقاش ) .

ولقد كان طه حسين من جانبه شديد الحماسة ، قوى الايمان بفكرة إنهاض مصر بأسلوب الحداثة الغربية والنهضة الأوربية شكلا ومحتوى ، طريقة وغاية . وهو من هذا المنطلق كان شديد التفاؤل عندما رأى جانباً من خلاف مصر السياسى مع القوة الأوربية المحتلة ينحل – أو هكذا بدا له – بمعاهدة ١٩٣٦ ( التى سماها النحاس باشا « معاهدة الشرف والكرامة » عندما وقعها ، والتى قرر إلغاءها بنفسه عام ١٩٥١ باعتبارها مخلة بالشرف والكرامة ) .

وقد استنتج طه حسين ساعتئذ ان الفرصة التاريخية قد حانت – بعد التوصل للمعاهدة – لتحديث النظام الدستورى الليبرالي الذى بدأ بمصر رسمياً بدستور عام ١٩٢٣ والذى رأى فيه طه حسين تعبيراً عن اعتناق مصر للحضارة الغربية اعتناقاً لا رجعة عنه منذ مطلع نهضتها وتفضيلا منها للقيم الأوربية الخالصة على القيم التى ورثتها عن شرقها العربى الاسلامى فى الدين والسياسة والاجتماع ، اى فى مجمل الانتماء الحضارى ، فعمد من هنا إلى تاليف « مستقبل الثقافة » ليطرح فكرته هذه ويدعو إلى العمل بها .

غير أن الأحداث والتطورات والشواهد المصرية الواقعية أثبتت له انه كان تبسيطياً فى

## زمان آخر مختلف

وكان طه حسين جديراً بهذه المراجعة وهذه المصارحة مع النفس قبل غيره لأن التحولات أصابته هو بالذات فى صميم فكرته التحديثية الموالية – حضارياً – للغرب والتى ذهبت إلى حد القول بان : « مصر كانت دائماً جزءاً من أوربا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية » !!

لهذا ينضح كتاب « المعذبون فى الأرض » بتلك الروح التى تجسد ضيق طه حسين وبرمه بما آل اليه النظام الليبرالى الذى علق اكبر الآمال على تطوره وإصلاحه . يقول : « صدقني ان الخير كل الخير للرجل الحازم الاديب أن يفر بقلبه وعقله وضميره من هذا الجيل . فان أعجزه الفرار الى بلاد أخرى ، فلا اقل من ان يفر الى زمان آخر من أزمنة التاريخ » .

والزمان الذى يفر إليه طه حسين فى هذا الكتاب ليس هو الزمان الذى حلم به فى كتاب « مستقبل الثقافة » . انه ليس زمان التاريخ المتوسطى القائم والواصل بين الفراعنة والاغريق وبين الخديوى اسماعيل والملك لويس الرابع عشر ، ولكنه زمان آخر مختلف تماماً . انه زمان العدل المثالى فى صدر الاسلام يقارن بينه وبين زمان المحنة فى مصر الليبرالية ، ويقدم من مناقبه أمثلة يامل أن يحتذيها الأثرياء

# ثورة طه حسين على نفسه



المصريون العصريون . وهنا يخفت بريق التاريخ المصري المتوسطي ، الفرعوني الاغريقي الروماني ، ويبرز وجه مصر الواقعي الذي خرج منه عبر المعاناة والألم صبي كتاب « الأيام » نفسه . ويغيب كلمح البصر ذلك الحلم التغريبي ، وتلتقي البداية بالنهاية في ساعة الحقيقة ، فاذا « المعذبون في الأرض » عام ١٩٤٩ صبيان مصريون ريفيون تؤرقهم عوامل الخوف والجوع والعلل في منتصف القرن العشرين كما أرقت صبي كتاب الأيام في نهاية القرن التاسع عشر ( ولد طه حسين عام ١٨٨٩ ) .

لنتأمل مثلا في قصة الصبي « صالح » أبرز شخصيات الكتاب ، لنبصر على ضوئها النموذج الاجتماعي الذي يرمز إليه حيث يقول عنه المؤلف : « وأكبر الظن أن صالحاً هذا لم يوجد قط لأنه يملأ المملكة المصرية من شرقها الى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، يوجد في القرى ويوجد في المدن .. يملأ مصر نعمة وخيراً وهو مع ذلك يشعر الناس بأن مصر هي بلد البؤس والشقاء » .

وأبرز تطور يمثله الكتاب في فكر طه حسين بوصفه معبراً عن الاتجاه الليبرالي التفاته الملح الى خطورة المشكلة الاجتماعية في بناء النهضة وتحسسه لمشكلة التفاوت بين القلة المترفة والكثرة البائسة بشكل لم يسبق له مثيل في تفكيره من قبل ، حيث كان تصوره حتى صدور كتابه « مستقبل الثقافة » بأن الهم الرئيسي للنهضة هو استيعاب النظام التربوي الثقافي الغربي ومن ورائه قيمه وهويته الحضارية الأوربية .

ويختم طه حسين كتاب « المعذبون في الأرض » بهذه النصيحة الحارة التي أثبت التاريخ جدية مخاوفها : « إن المصريين بين اثنتين لا ثالثة لهما : إما أن يمضوا في حياتهم لا يحفلون إلا بأنفسهم ولذاتهم ومنافعهم ، وإذن فليثقوا بأنها الكارثة التي لا تبقي ولا تذر ، وإما أن يستأنفوا حياة جديدة كتلك التي عرفوها في أعقاب الحرب العالمية الأولى ( يقصد فترة ثورة ١٩١٩ ) قوامها التضامن والتعاون وإلغاء المسافات والآماد بين الأقوياء والضعفاء وبين الأغنياء والفقراء .. وإذن فهو التآزر على الخطب حتى يزول » .

غير أن هذه الصيحة ، وإن سبقت حركة ٢٣ يوليو ببضع سنين فانها تأتي متأخرة قياساً بما كان يتوجب تأسيس النهضة عليه من رؤية اجتماعية محدودة ، وهي مازالت في بداياتها بمطلع القرن .

ومن تجربة طه حسين هذه ، وتحولاته ، يمكن القول إن الليبرالية المصرية عرضت منجزاتها للاجهاض باغفالها أمر المعضلة الاجتماعية – حتى وقت متأخر جداً – وقصورها عن رؤية التناقضات الاجتماعية ومضاعفاتها الكامنة ، في وقت كانت فيه قدوتها ، الليبرالية الأوربية – تتكيف مع التطورات الاجتماعية في أوربا وتستبق مضاعفاتها وتتقبل ما تحتمه من حلول اجتماعية .

## الفارق الجوهري

واذا كان طه حسين لم يقل صراحة ان كتابه الثاني يلغي كتابه الأول وينقضه فان المتتبع لتطور فكر الكاتب يستطيع أن يرى بوضوح الفارق الجوهري البالغ حد التضاد بين اهتمامات الكتاب الأول وميوله وبين اهتمامات الكتاب الثاني ورؤيته الجديدة . وبلا جدال فان طه حسين قد فقد إيمانه وتفاؤله بمستقبل الاتجاه التغريبي لاخفاقه في تحقيق الحد الأدنى من العدالة الاجتماعية للغالبية الفقيرة الأمية من المجتمع التي أصبح الاصرار على القول بأنها تنتمي حضارياً لأوربا ، وان «عقلها» عقل أوربي ، ضرباً من الترف الطوباوي الذي لا تستسيغه صراحة طه حسين ولا حقيقة الأشياء .

وأخيراً .. ما هو الدرس الذي نستخلصه من معاناة طه حسين وثورته على نفسه بين كتابيه ؟

## الحقيقة كما رآها

الدرس البسيط الواضح : هو ان أي كاتب ، مهما بلغ من شان ، لابد ان يتجاوز ذاته ، ويتجاوز قناعاته وافكاره ، عندما تثبت الاحداث خطاها ، ليعود إلى حقيقة امته ويتعمق في فهم جذورها التي هي جذوره . فالبحث عن الانتماء من خارج الذات هو بحث عن السراب وتعبير عن النقص والعجز تجاه الآخرين .

والنقلة التي قام بها طه حسين من التطلع في السراب عبر البحر المتوسط حيث أطياف الحلم الغربي أو التغريبي ، الى الرجوع الى أرض الواقع أرض المعذبين في الأرض حيث الانتماء الحقيقي رغم معضلاته هذه النقلة يحتاجها عدد من المثقفين والأدباء الذين خامرتهم الاوهام ذاتها في السنوات الأخيرة حول إمكانية احياء تلك الأوهام التغريبية هرباً من وطأة الواقع ومسئوليات الانتماء ، وجرياً وراء حوار حضاري مزعوم ليس فيه أي طعم للتحضر ..

والتاريخ في الجوهر يعيد نفسه ، فهل يعيد الأدباء الحالمون بالعودة الى الغرب و « بالحوار الحضاري » مع مخلفاته في شرقنا ، هل يعيد هؤلاء من واقع التجربة تلك الروح الناقدة الفذة التي أملت على عميد الأدب العربي أن يعيد النظر في قناعاته ، ويتركها غير مأسوف عليها ، ليعلن الحقيقة كما يراها على أرض الواقع الصلب ؟

ذلك هو السؤال الذي تطرحه هذه المقارنة بين كتابين وبين موقفين . ونعتقد ان كتاب « المعذبون في الأرض » من الكتب الجديرة بالعودة اليها في مثل هذه الظروف العربية ، لأن الكتب والآراء الشبيهة بكتاب « مستقبل الثقافة » قد تناثرت كأوراق الخريف ، وعلاها الاصفرار قبل أن تزهر ، لأنها ولدت ميتة أصلا ، من صلب جيل عقيم مشرف على خريف العمر وخريف الفكر .. ولم يجد ما يجتره غير هذه الأفكار الميتة .

وكل ما نرجوه أن يجد مؤرخو المستقبل في المقارنة بين صدق جيل طه حسين .. وجيلنا الحاضر .. ما يعيد لهذا الجيل بعض اعتباره أمام التاريخ !

د . محمد جابر الأنصاري

قصيدة جديدة من : أمل دنقل

# زهور



تناولت الدوحة فى افتتاحية العدد الماضي قضية الشاعر الكبير أمل دنقل الذى يرقد الآن مريضاً فى إحدى مستشفيات القاهرة ، يصارع المرض ، حيث تحيط به قلوب محبيه من قراء الشعر الرفيع فى الوطن العربي كله ، وقد أرسل لنا « أمل » هذه القصيدة الجديدة الرائعة ، مع رسالة قصيرة يقول فيها :

« قرأت اليوم كلمة الدوحة ، وأشكركم على العاطفة التى أملت عليكم الوقوف بجانبي فى هذه الأيام . وأرجو أن ألفت انتباهكم إلى أن علاجي الآن صار على نفقة الدولة بقرار من رئيس الوزراء ولم يعد هناك لاثارة ـ لا أستحقها ـ حول نفقات العلاج . وأرفق لكم قصيدة كتبتها بالأمس . تحياتي للجميع ، وأرجو أن تطمئنهم وتطمئن ـ أمل دنقل » .

عنوان أمل لمن يشاء أن يكتب إليه من عشاقه ومحبيه هو « شارع القصر العيني ـ معهد الأورام ـ القاهرة » .

..وسلال من الورد ؛
ألمحها بين إغفاءة وإفاقه
وعلى كل باقه
كلمة في بطاقه

... ...

تتحدث لي الزهرات الجميله
أن أعينها اتسعت ـ دهشةً ـ
لحظة القطف ،
لحظة إعدامها .. فى الخميله !
تتحدث لى..
أنها سقطت من على عرشها في البساتين ،
ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين ،
أو بين أيدي المُنادين ،
حتى اشترتها اليد المتفضلة العابره
ثم جاءت إلىَّ ..
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)
كي تتمنى لي العمر !
وهي تجود بأنفاسها الآخره !!

● ● ●

( آه .. أيتها الزهرة الباكيه
إنني أتشبث بالغصن ـ طيلة ساعاتي الباقيه
أتنفس ـ بالكاد ـ ثانية .. ثانيه )

... ...

كل صبح وليد
أتنقل ـ مثلكِ ـ بين الإناء الصناعي
والبسمة الكاذبه
غير أنكِ حين تموتين ..
ترتحلين بألوانك الصاخبه
وأنا ليس لي غير لون وحيد
لون شمسي النحاسية الغاربه !

# تعالوا نقدّس حرّية الكلمة!

بقلم: خالد محمد خالد

كان سقراط يقول قولته الصادقة: « ان الحياة لا تستحق الاعتبار اذا لم نقومها بالحوار والمناقشة ».

واذا سلمنا بهذا المبدأ وهذه الحقيقة فعلينا أن ندرك بداهة أن الحوار لا يكون بالأذرع والعضلات، وانما هو مرهون بالكلمة ملفوظة أو مسطورة.

ومهما نكتب عن جلال الكلمة وقداستها وحقها المطلق فى الحرية فسوف يظل الموضوع فى حاجة إلى المزيد. لاسيما فى بلادنا هذه. بلاد العالمين العربى والاسلامى، حيث تعيش شعوب أمست ذاكرتها مثقلة بالصمت النائح، وأمست لا تجد حقها المسلوب فى أن تتحدث عن مصيرها وسياستها بقوة ووضوح.

ان الأمم تجاوز الظلام، وتتخطى العماء، وتخترق أسوار العزلة.. بل انها لتعطى شهادة ميلادها ووثيقة آدميتها اذا قدست فيها حرية الكلمة، وقدت عنها كل الكوابح والأغلال. أما قبل ذلك فانها تكون الى السوائم أكثر قرباً.

ولقد كان بدء انطلاق البشرية يوم ازاحت عن الأفواه اقفالها. يومئذ أرهص المصير الانسانى بكل مغانمه المقبلة ويومئذ تغيرت صورة الأرض. فلم تعد كما كانت من قبل غابة.. بل صارت وطناً.. واتيح للجنس البشرى أن يكتشف وجوده وجوهره.

لقد أصبحنا بشراً يوم تفتح فينا الفكر وتفجرت الكلمة من بين شفاهنا، ومن بين أناملنا التى تحمل الأقلام.

وحين نقول الفكر والكلمة، فنحن لا نعنى شيئين متغايرين، فالفكر ووسائل التعبير عنه شىء واحد. والكلمة التى هى أوضح أدوات التعبير تمثل الضوء المنبعث من الكوكب العظيم.

وحرية الفكر، تعنى تماماً حرية الكلمة.. وحين تفكر فانت تتكلم حتى لو لم تنفرج شفتاك ويتحرك لسانك، إذ أن عملية التفكير نفسها إنما تشكل حديثاً نفسياً — فالتفكير حديث العقل مع نفسه، ولقد ثبتت تجارب العلم أن الحبال الصوتية تهتز حين يفكر الانسان فى صمت تفكيراً عميقاً.. فخنق الكلمة خنق للفكر، وخنق الفكر إلغاء لدور الانسان ووجوده، لأن الانسان لم يعد انساناً الا حين غرس الله العقل فى دماغه، والكلمة على لسانه وبنانه..!!

● ●

والكلمة المسطورة بصفة خاصة ذات مقام عظيم ومنزلة حافلة. فهى السفير الذى يقضى العمر جواباً بين العصور والأجيال، يصل بينها ما انقطع، ويحيى ما اندثر. وهى وحدها التى تهب الخلود لآثار البشر وتاريخهم.. هى التى تجمعنا وتجمع الأجيال الوافدة بأفذاذ الخلق ورواد الحياة.

فسقراط الذى اختفى عن دنيا الناس منذ حوالى ألفى عام وأربعمائة عام، تجمعنا به الكلمة المطبوعة، وكأنه حى بيننا يغدو ويروح، مطلا علينا بجبهته العريضة وحكمته الكاسحة.. وهى التى تسمعنا تغاريد بوذا عند سفوح الهملايا، وتنقل الينا حكمة حمورابى من أعماق بابل!!

كم هى رائعة هذه « الكلمة »..

فبينما ينقض الموت على الناس، ويأخذهم بعيداً بعيداً عن الحياة الدنيا وكانهم لم يوجدوا؛ نرى الكلمة المسطورة أو المطبوعة تستنقذ من ذلك الموت الداهم أخبارهم وتراثهم وحكمتهم، وتستبقى للأجيال أفضل وأغنى ما فى حياتهم من روح وفكر، ثم تهب ذلك جميعا خلوداً تتحطم على ذراه كل إرادة الفناء ومحاولات العدم..

وبهذا — أيضاً — تمكن الحياة الانسانية من أن تبلغ رشدها، وتتيح للتقدم الانسانى أن يواصل مسيرته ويحقق اكتماله.

فالكلمة المسطورة التى سجل بها ديمقريطس، وأبيقور حدسهما عن الذرة وما فى جوفها من طاقة، بقيت جنيناً حياً نامياً يتقلب فى الوعى الانسانى عصراً بعد عصر وجيلا فى اثر جيل بلغ فى عصرنا هذا أشده وأطلقت طاقة الذرة من مكمنها..

والكلمة المسطورة التى سجل بها العالم المسلم « علاء الدين بن النفيس » فكرته عن الدورة الدموية وتنقية الدم فى الرئتين بسبب امتزاجه بالهواء الخارجى.. هذه

الكلمات التى سطرها « ابن النفيس » فى القرن الحادى عشر كانت النور الذى ظل يحث عقول الباحثين فى هذا المجال حتى وضع العالم البريطانى « هارفى » يده آخر الأمر على قانون هذه الدورة كاملا .. والكلمات المسطورة التى أودع فيها إخوان الصفا ، وابن مسكويه أحاسيسهم ورؤاهم عن أصل الأنواع وتطور الانسان فى أواخر القرن العاشر الميلادى وأوائل القرن الحادى عشر ظلت هى الأخرى تنمو فى وجدان العقل حتى استحالت اخيراً على يد « لامارك » و « دارون » الى نظرية لم يجد العلم حتى اليوم بديلا عنها من العقل لتفسير النشوء والتطور .. والكلمة المسطورة التى سجل بها العالم الاغريقى « ارسطرخس » فى القرن الثالث قبل الميلاد حدسه الواعى بان الأرض ليست مركزاً للكون ، وأنها تدور حول نفسها مرة كل يوم كما تدور هى والكواكب الاخرى حول الشمس ..

هذه الكلمات ظلت مناراً يرسل أضواء هذه الحقيقية حتى صارت علما وثيقا وبديهة كبرى .

والكلمات المسطورة التى خطها فلاسفة أثينا ، والهند ، ثم توم بين،وفولتير ، وروسو عن الحرية وكرامة الكائن البشرى ، كم أشعلت من ثورات وحررت من أمم وجماعات .

ومهما نضرب الأمثال على قيمة الكلمة المسطورة وجلالها ، فستنفد الأمثال قبل أن تنفد هذه القيمة وهذا الجلال !!

والحق أن جنسنا البشرى مدين للكلمة ديناً كبيراً .. وما تاريخ البشرية فى جوهره وحقيقته الا تاريخ الفكر والكلمة .

وإن الارادة الانسانية التى دهمت المصاعب ، ودغدغت الصخور ، وصنعت المعجزات لم تكن ستبلغ من أمرها شيئاً لولا الفكر يزجيها والكلمة تشد أزرها وتهديها ..

ولم يمر بتاريخنا ثائر عظيم ، ولا رائد مقتحم ، ولا زعيم صادق إلا كانوا جميعا تلاميذ للفكر يجلسون بين يديه ، وللكلمة المسطورة تكتحل بها أعينهم عند منامهم ، وتتفتح أول ما تتفتح عليها حين يقظتهم . ولنقلب أبصارنا حيث نشاء ، ولنستعرض ثورات التحرير من مصر القديمة الى أثينا ، الى روما الى أوربا ، الى الشرق والغرب ، فسنجد بين أيديها جميعاً فكراً باسلا ، وكلمات أشد مضاء من السيوف المرهفة وأهدى فى الظلمات من كل نور .

وان انتصارات البشرية فى مجالات العلم والفن والأدب والاجتماع انما ربحتها الكلمة الدعوب المثابرة .

القوة التى حطمت عروش الجبارين وأزاحتهم من طريق الشعوب كانت الكلمة ..

والنور الذى هدى البشرية الى مدارج ارتقائها وأخرجها من ظلام التخلف والجهل ـ كان الكلمة .

ومع هذا فان فريقاً من الناس لم يحذقوا الدرس جيداً .. فكبلوا الكلمة وشقوا عليها عصا الطاعة وتربصوا بها السوء ، وزجوا بأبطالها فى السجون . لقد شهد التاريخ ولا يزال يشهد صراعاً مخبولا بين السلطة والكلمة . وأقول مخبولا ، لأن السلطات تتحدى الكلمة كما تتحدى الحقيقة فى خبال خال من كل عقل ومن كل روية ، ومن كل تمييز .

والكلمة الحرة الشجاعة تخرج من هذه الصراعات بكثير من الجروح والدم المنزوف بيد أن شعارها كان دائماً ولا يزال يتمثل فى هذه الكلمات الثرية الوضيئة : « كل مالا يقتلنى يحيينى » .. !!!

ومن ثم ، فالظفر دوما لها والمستقبل دائماً معها .

● ●

إن تنظيم القانون لحرية العمل أمر مرغوب فيه وضرورى لتنظيم العلاقات فى المجتمع .

لكن حرية الفكر لا ينظمها قانون . انما ينظمها ويرسم تخومها الفكر وحده .

فالفكرة الخاطئة ، لا يدحضها الا فكرة محقة .. ومقاومة الفكر مهما يكن ثورياً بقانون ، يشبه إطفاء النار بقاذفات اللهب .. والفكر العادل لا خوف منه ، والفكرة الباطلة لا بقاء لها .. !!

وإنه لمن أكثر التجارب صدقاً قول القرآن العظيم : « فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ومقاومة الفكر باسم الحق والعدل والخير ، عمل ينافى كل قواعد الحق والعدل والخير ، لأن هذه جميعاً ثمرة الفكر الحر الرشيد .

إن كل قيم حياتنا الانسانية إنما كشفها الفكر وجلّاها وعليه وحده تبعة حفظها والتبشير بها واعداد مكانها الأثير فى المستقبل . وليس من حق عرف أو سلطة أو قانون أن يزعموا لأنفسهم غيرة على هذه القيم أصدق من غيرة الفكر الأمين .

وإذا كان الفكر قانون نفسه ، فالكلمة كذلك . إذ الفكر فى التحليل النهائى له هو الكلمة . وحرية التفكير تعنى فى نفس الوقت حرية التعبير .. وأكثر الأفكار عظمة ونفعاً لا تساوى شيئاً إذا هى ظلت هواجس مخبوءة وخواطر مكبوتة . لكنها تؤتى نفعها وتصبح أفكاراً عظيمة وخطوات ناجحة حين تبزغ فى كلمات يقرؤها الناس ويتدارسونها .

وكل الحقوق التى تصون سيادة الفكر ، انما تصون فى نفس الوقت ولنفس السبب سيادة الكلمة ، فانت تستطيع أن تدير فى خاطرك أكثر الأفكار خطراً دون أن يحس بها أحد ، أو تؤاخذك عليها سلطة. لكن الصعوبات تبدأ حين تأخذ أفكارك فى الافصاح عن نفسها ـ حين تتكلم أو تكتب .

وهكذا فالصراع بين السلطة والكلمة صراع يخوضه الفكر داخل الكلمة .

وحين نتملى ظروف ذلك الصراع وطريقته ونتائجه يواتينا اقتناع راسخ بعدالة الحقوق والقضايا التى ناضلت الكلمة دفاعاً عنها ، وجهاداً فى سبيلها .

لقد كانت الكلمة عند الغاشمين من الحكام كابوساً ثقيلا يزعجهم ويزلزل سكينتهم .. أو كانت على أحسن الفروض كالعصفور المبشر بالعاصفة . فهم يخنقون العصفور . ولكن هل يمنعون العاصفة ؟!

على أن معظم القضايا التى تبنتها الكلمة ، وهتفت بها ، واضطهدت من أجلها لم تلبث الا قليلا حتى صارت عقائد للناس وقوانين تسنها وتحافظ عليها السلطات المتطورة والمتجددة .

● ●

وقد نعالج فى مقال قادم موضوع شهداء الرأى والكلمة ، ونرى كيف أنهم كانوا من أكثر الرواد صدقاً وأعلاهم قدراً . وكيف أنهم البناة الحقيقيون والعظام للتقدم الانسانى كله .. وكيف ظفروا بخلود لم يظفر به ولم يظفر بمعشاره أولو السلطان والصولجان الذين حاولوا بكل ما توفر لهم من قوة وبأس أن يكمموا أفواههم ويكسروا أقلامهم .

لا شىء يبدد الظلام وينشر الأضواء مثل حرية الفكر ، وحرية الرأى والكلمة .

ولن تقدس أمة تضع حرية الكلمة فيها على شفا الهاوية أو تضع لها الشكائم .

ولن يخلد سلطان يدخل مع الكلمة والفكر فى معركة هى بالنسبة له خاسرة ثم خاسرة .

ها هى ذى الكلمة ، كما كانت دائماً تقرع الأبواب بكبرياء . وستتفتح لها الأبواب طوعاً أو كرهاً .

فتعالوا نحن لها الجباه ، وتعالوا نقدس حرية الكلمة .

**خالد محمد خالد**



# مارجريت تاتشر المرأة الحديدية

رسـالة لنـدن من : جمـال الكنانـي

لم يخطىء السوفييت أو يبالغوا يوم لقبوا مسز تاتشر ، رئيسة وزراء بريطانيا ، بالسيدة الحديدية ، فهي بحق أصلب الحديد عوداً .. ويشهد على ذلك موقفها الأخير فى ميدان السياسة الدولية ، إذ واجهت الجنرال جالتييرى ، رئيس جمهورية الأرجنتين الذى أمر قواته بغزو جزر فوكلاند التابعة لبريطانيا دون أن يحسب حساب هذه النمرة فى ثوب الحمل ... لم يدر بخلده ، أنها ترسل قواتها عبر المحيطات إلى جزر صغيرة تبعد عن بلادها بثمانية ألف ميل ..

وعلى الذى يريد أن يعرف مدى صلابة هذه السيدة وقوة عزمها الا أن يسأل رؤساءنقابات العمال فى بريطانيا رأيهم فيها ، وكانت تلك النقابات قبل انتخاب مسز تاتشر رئيسة الوزراء تصول وتجول وتتحكم فى البلاد بكل صلف وتفرض إرادتها على الناس والحكومة جميعاً ، وتتحدى كل سلطة بما في ذلك سلطة القانون ، وتستعمل سلاح الاضراب لشل حركة البلاد وإذلال العباد والاساءة للمرضى وكبار السن وإسقاط الوزارات ...

وقصة عمال المناجم ونقابتهم التى اسقطت حكومة المحافظين التى كان يرأسها ادوارد هيث مازالت ماثلة فى الأذهان ... فهي قصة ادخلت الرعب حتى فى قلوب حكومة العمال التى تساندها النقابات ... فما إن خلفت حكومة العمال، حكومة إدوارد هيث، حتى أخذ رئيس الوزراء العمالي جيمس كالاهان يبالغ فى مهادنة النقابات وممالأتها فكان يبادر بدعوة رؤساء النقابات للتفاوض فى دار رئاسة الوزراء، ١٠ داوننج ستريت، كلما اظهروا عدم الرضا، أو بان من نواجذهم قدر نصف أنملة، ويقــدم لهـم ما لذ وطـاب مــن سندويتشات وبيرة .. أما اليوم فالذى يواتيه الحظ وتطأ قدمه دار رئيسة الوزراء من رؤساء النقابات ولو بعد طول انتظار، ويشرب فيها كوباً من الماء، يعتبر انه قد نال شرفاً عظيماً ... ولقد تغير الحال حتى كاد أسود النقابات أن ينضموا إلى اتحاد « النعام »، بعد ما سنت السيدة الحديدية من قوانين تحد من سلطة النقابات وبعدما أعلنت عن قوانين أخرى تنوي عرضها على مجلس العموم لتقلم أظفارها وتعيد التوازن إلى المجتمع البريطاني ... ترى من تكون هذه السيدة؟ .

فى صباح يوم ١٣ اكتوبر ١٩٢٥ ولدت بياتريس إثيل روبرتس ثاني بناتها وأسمتها مارجريت هلدا روبرتس ( مسز مارجريت تاتشر بعد الزواج ) فى شقة متواضعة فوق دكان البقالة الذى يملكه الأب فى مدينة جرانثام .. فمارجريت إذن لم تولد فى حجرة العز أو أحضان الثروة والنعيم شأن من سبقوها من رؤساء وزراء بريطانيا المحافظين باستثناء إدوارد هيث .. كان أحد اجدادها اسكافياً والثاني عاملا فى السكة الحديدية ( عطشجى ) .. ولم يكن للبيت الذى ولدت فيه مارجريت حديقة أو حمام، بل وكان مرحاضه من الخارج .

ويذكر الجيران أن أبوي مارجريت كانا ممن يقومون بالواجب تجاه الناس وتجاه الكنيسة وكانا على جانب من قوة الايمان يراعيان الله فى معاملة الناس وفى التجارة .. وكان الأب واسمه « ألفرد » حازماً دون أن يكون صارماً فى تربية بنتيه، إذا كلف إحداهما بعمل رفض منهما أي اعتذار من قبيل « لا استطيع » أو « هذا يصعب علي تنفيذه » .

كان الأب وبنتاه يتبادلون الطواف بالبيوت مرتين أو أكثر كل أسبوع لاستلام الطلبيات وتسليم البضائع للزبائن، وكانت مارجريت واختها تقضيان أيام العطلة الدراسية فى الدكان .. وكان أهل المدينة يعرفون الأب الفرد روبرتس معرفة أكيدة لأنه كان دائم الاشتراك فى أعمال المجلس



جالتييرى رئيس جمهورية الأرجنتين
لم يحسب حساب هذه « النمرة » فى ثوب « الحمل »

المحلي، كما كان يعمل فى نادى الرواد .. ولكنه كان يوجه النصيب الأكبر من جهده للكنيسة وخدماتها .. إذ كانت هي هوايته المفضلة . وانعكست هذه النزعة القوية على طريقة تنشئته لبنتيه، وكان يصر على أن تتقن البنت كل ما تكلف به من عمل وأن تراعى نظافة ملبسها وغرفتها وكل ما يتعلق بها، كما عود البنت على أن تتخذ قراراتها بوحي من ضميرها وأن لا يكون تقليد الغير هو أساس تلك القرارات .. ولم يكن يسمح لأي من بنتيه بالخروج فى عطلة آخر الأسبوع إلا نادراً، فاذا سمح، كان الخروج تحت رقابة دقيقة ... واهتم الأب بثقافة بنتيه، وبدأت مارجريت دروس البيانو وهي فى الخامسة من عمرها ... وكان الأب يشجعها على القراءة، فعبت من الأدب كثيراً كما انتظمت فى حضور المحاضرات العامة التى كان يتطوع بها اساتذة زائرون .

كانت مارجريت فى مدرستها تهتم بلعبة الهوكي كما كانت فى مقدمة بنات صفها فى معظم المواد إلا مادة الرسم .. وفى السنة قبل النهائية من المرحلة الثانوية كان عليها أن تختار بين فرع العلوم وفرع الآداب .. وبعد شيء من الروية والتفكير اختارت العلوم وأتمت دراسة الكيمياء فى الجامعة

أما كيف احترفت المحاماة ومارست القانون قبل انتخابها لمجلس العموم فهو أن أباها كان يعمل متطوعاً كواحد من قضاة الأمن فى المدينة، وهي وظيفة فخرية يعين فيها مواطنون غير متخصصين فى القانون تكون لهم مكانة وسمعة طيبة فى مجتمعهم ... وحدث أن صاحبت مارجريت أباها ذات يوم إلى دار المحكمة حيث قضت يومها تستمع للقضايا والمرافعات وأحبت ما رأت وما سمعت لأنها كانت تميل إلى القانون ميلا كاد أن يكون غريزياً ... وفى فترة

الغذاء قابلت رئيس المحكمة وتناولت معه الغذاء فى صحبة أبيها، وسألته رأيه فى موقفها وهي تدرس الكيمياء بالجامعة وتميل لمهنة المحاماة فى الوقت نفسه فطمأنها القاضي وأعلمها أنه هو نفسه درس الفيزياء بالجامعة ثم درس القانون بعد ذلك، وأكد لها أنها تستطيع دراسة القانون فى أوقات فراغها .. وقد تم لها ما أرادت ...

## القدرة على المناظرة

عرفت مارجريت أثناء دراستها بقدرتها على المناظرة ... كانت تتكلم بطلاقة وتدلى بالحجة القوية .. وعرفت كذلك بقوة ارادتها .. وتذكر ناظرة مدرستها أن الجامعة اشترطت على مارجريت امتحاناً فى اللغة اللاتينية قبل التحاقها فما كان من مارجريت إلا أن أتمت مقرر خمس سنوات فى سنة واحدة نجحت بعدها بتفوق ودخلت كلية سومرفيل بجامعة اكسفورد .

فى سنى الدراسة الجامعية تفتحت أمام مارجريت روبرتس أبواب كثيرة واندمجت فى الحياة الجامعية وعبت منها ما استطاعت .. وفازت بحب الزملاء واحترامهم فاختاروها وهى فى السنة الثالثة رئيساً لمجلس ادارة اتحاد الطلبة المحافظين ... ومن هنا بدأ اتصالها بالحزب واقطابه .

لم تهتم مارجريت - أو «ماجى» كما يسميها الأصدقاء - كثيراً بالعلاقات الشخصية مع زملائها من الشبان، فلم تتخذ من بينهم صديقاً على مألوف عادة الفتيات فى مثل سنها .. ولكن تذكر احدى صديقاتها قصة طريفة حدثت فى يوم عيد ميلادها الحادى والعشرين ... ذلك انها شوهدت وفى يدها قرنفلة جميلة، هدية من شاب تعرفه . وصممت مارجريت على أن تحتفظ بالزهرة حية أطول مدة ممكنة فاخذت تبحث فى كتبها عن مادة كيماوية تطيل عمر الزهرة ولكن البحث لم يثمر، وانتهى الأمر بأن وضعت القرنفلة فى كوب من الماء مع قرص من الاسبرين .. وعاشت الزهرة فترة لعلها كانت أطول من دوام العلاقة بين «ماجى» و «روميو» صاحب القرنفلة .

وتؤكد السيدة وكستيد، وهى صديقة مارجريت لأربعين سنة، أنها لم تقابل فى حياتها إنساناً واحداً فى مثل طاقة رئيسة الوزراء وقدرتها العجيبة على العمل .. العمل المتواصل المنتظم ... فهى تدير بيتها وتربى أولادها وتؤدى وظيفتها بكفاءة منقطعة النظير .. وهى عملية للغاية تقوم

بطلاء جدران بيتها بنفسها وتصلح ما قد يفسد من حنفيات أو يسقط من ستائر .. ولها قدرة غريبة على التعاطف مع الناس دون تكلف ... وبلغ من قوة اخلاقها ومتانتها أن خمر السلطة لم تلعب برأسها فلم يدخلها زهو أو غرور .. فهى اليوم أكثر نضجاً وتواضعاً وأقرب الى قلوب الناس .

وتروى ناظرة المدرسة الثانوية التى كانت فيها مارجريت ان الجامعة طلبت رأيها فى هذه الطالبة قبل قبولها نهائياً فاضطرت الناظرة . أو «الست الناظرة» للرجوع الى التقارير المدرسية التى كتبت عنها ولفت نظرها عبارتان كانتا تتكرران فى كل تقرير «انها منطقية التفكير» وأن لها عقلا صافياً .. والمقربون من رئيسة الوزراء يؤكدون صفاء تفكيرها ومنطقه .

التحقت مارجريت روبرتس بجامعة اكسفورد عام ١٩٤٣ وهى فى السابعة عشرة من عمرها .. فكانت تبدأ يومها فى السادسة والنصف صباحاً وتعمل دون توقف حتى المساء ، وكانت مع ذلك لا تحرم نفسها فرص الترفيه والمتعة البريئة ، ففى اكسفورد سنحت لها لأول مرة فرصة الاشتراك فى حفلات الطلاب الراقصة ... على أن هذه الحفلات لم تخفف من شعورها بالوحشة والحنين لبيتها وأسرتها .

كانت مارجريت كما علمها أبوها تتطوع للقيام بالخدمات الاجتماعية .. وفى صيف ١٩٤٤ عملت مدرسة لفترة قصيرة وفى نهاية العمل اشترت لنفسها بعرق جبينها دراجة تركبها شأن الكثيرين من طلاب جامعة اكسفورد .

لما انتهت الحرب العالمية الثانية تقرر اجراء انتخابات عامة فى بريطانيا .. وكانت المعركة الانتخابية فى اكسفورد حامية الوطيس بين «كوينتن هوج» مرشح المحافظين ونظرائه من مرشحى الأحزاب الأخرى . وبذلت مارجريت روبرتس جهوداً فى مساعدة مرشح حزبها دون أن يطوف بخاطرها أن تحاول دخول مجلس العموم .

## الصدفة تلعب دورها

أما تفكيرها فى خوض بحر السياسة فقد بدأ بمحض الصدفة إذ حضرت ذات ليلة حفل عيد ميلادها صديقتها مارجريت وكستيد وهناك دار بينها وبين أحد



المدعوين حديث قال فيه محدثها «يبدو لي أن رغبتك الكامنة هى أن تكونى عضوة فى البرلمان» وفكرت مارجريت روبرتس فى ذلك فلم تجد أن ذلك بعيد الاحتمال .. إلا أن هدفها الأول كان إذ ذاك هو اتمام دراستها الجامعية والحصول على عمل .

تخرجت مارجريت روبرتس فى الجامعة بدرجة الشرف من المرتبة الثانية فى علم الكيمياء وبعد ذلك بسنوات أى فى ١٩٧٠ منحتها الجامعة عضوية كلية سومر فيل وهى أعلى درجات الشرف التى تمنحها الجامعة .

شغلت مارجريت روبرتس حال تخرجها فى الجامعة احدى وظائف البحوث فى مصنع للبلاستيك ولكن كان ولعها بالسياسة شديداً رغم اهتمامها بعملها ، فانضمت لاتحاد حزب المحافظين فى مدينة كولشستر ، وبعد عامين من ذلك حضرت مؤتمر الحزب ، فكان هذا الحدث هو الخطوة الأولى على الدرب الموصل لرقم ١٠ داوننج ستريت ، وهو مسكن رئيس وزراء بريطانيا .

لعبت الصدف والأقدار دورها فى تشكيل حياة مارجريت روبرتس إذ رتبت لقاءاً فى عام ١٩٤٨ كانت نتيجته أن رشحها حزب المحافظين لخوض المعركة الانتخابية عن دائرة دارتفورد . والذى حدث هو أنها ركبت القطار الى «لاندادنو» فى شمال ويلز لحضور مؤتمر حزب المحافظين . وكان فى القطار أحد أصدقائها جون جرانت ، يجلس بجوار صديق له ، جون ميلر ، رئيس لجنة حزب المحافظين فى دائرة دارتفورد الانتخابية .. وذكر ميلر فى حديثه مع جرانت أنه يبحث عن مرشح صالح يمثل الدائرة فى المعركة الانتخابية فسأله جرانت «هل ترضى أن يكون ممثل الدائرة امرأة؟» فقال «قطعاً .. لا» .. ورد جرانت

بقوله « لا تقطع حتى تقابل من أعنى . قابلها أولا .. فهى شابة فى الثالثة والعشرين .. قد تكون المرشح المثالى فى دائرة صعبة كدائرة دارتفورد وهى معقل عمالى» ... وأدرج اسم مارجريت روبرتس فى قائمة المتقدمين لتمثيل الدائرة وما أن واجهت لجنة الاختيار حتى اجمع الأعضاء على ترشيحها .

ولمدينة دارتفورد دور اخر فى حياة مارجريت روبرتس ، فهناك قابلت لأول مرة الميجور دنيس تاتشر ، وكان يعمل إذ ذاك مديراً عاماً لشركة بويات تملكها أسرته .

وشاءت الأقدار ان يكون دنيس الرجل الذى رضيت به مارجريت زوجاً لها ... وكان ذلك الشاب قد اشترك فى الحرب فى فرنسا وصقلية وايطاليا وانعم عليه بميدالية الامبراطورية البريطانية وذكر اسمه فى الوقائع الرسمية .. وتقول مارجريت فى ذلك «قابلت دنيس لأول مرة فى الليلة التى تم فيها اختيارى مرشحة الحزب عن دائرة دارتفورد .. وكان علي بعد ان اختارتنى اللجنة أن القى خطاباً وارد على اسئلة أعضاء الحزب .. وطال الاجتماع وكان علي أن أعود الى كولشستر فى نفس الليلة لأزاول عملى فى صباح اليوم التالى .. وهب دنيس لنجدتى وأوصلنى بسيارته الى المحطة حيث لحقت باخر قطار » .

خاضت مارجريت روبرتس أولى معاركها الانتخابية ولم تفز فيها واحتفظ العمال بالمقعد ولكن أغلبية الأصوات التى نالوها هبطت بنسبة الثلث وزادت الأصوات التى حصل عليها المحافظين بنسبة ٥٠٪ وبنت مارجريت لنفسها فى هذه الحملة سمعة طيبة كما فازت باعجاب خصومها واحترامهم وظلت على علاقة ودية بالعضو العمالى الفائز – نورمان دودز – الذى دعاها لتناول الغذاء فى مجلس العموم فى اليوم التالى لفوزه .

يبدو أن مارجريت روبرتس لا تتشاءم من الرقم ١٣ ... فهى كما ذكرنا قد ولدت يوم ١٣ اكتوبر كما انها تزوجت من دنيس تاتشر يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ وكان يوماً عبوساً مظلماً كثيف الضباب ولكن الزواج الذى تم فيه يعتبر من أسعد ما عرف .

كانت مارجريت قد بدأت فى دراسة القانون قبل زواجها فواصلت دراستها بعد الزواج رغم انها رزقت بتوأمين بعد عامين من زواجها ، ولد اسمه مارك وبنت اسمها كارول وكان ذلك فى اغسطس ١٩٥٣ ، وبعد

نلك بأربعة أشهر نجحت فى الامتحان النهائى للقانون ودخلت سلك المحاماة .. وفى ذلك دليل آخر، إن لزم الدليل - على قوة ارادة هذه السيدة ... السيدة الحديدية .

وتخصصت مارجريت تاتشر فى قوانين الضرائب وقضاياها .. وحاولت رغم ما اصابت من نجاح فى المحاماة أن تفوز بترشيح الحزب لها لكى تخوض معارك الانتخابات فلم توفق حتى عام ١٩٥٨ اذ اختارها المحافظون مرشحاً عن دائرة فنشلى وهى احدى دوائر مدينة لندن .. فلما نجحت فى انتخابات ١٩٥٩ توقفت عن العمل محامية .. ودخلت مجلس العموم .. ودبت قدماها على أديم « هوايت هول » وداست دهاليز السلطة يوم عينت وزيرة فى عام ١٩٧٠ .

## التواضع وعدم المغالاة

يرى بول جونسون شيخ المعلقين السياسيين ان مارجريت تاتشر تتميز بتواضعها الجم وعدم المغالاة فى تقدير مواهبها وقدراتها . كما يرى أن طبيعتها قد تنطوى على شىء من التشاؤم لأنها صادفت فى حياتها كثيراً من العقبات .. فهى لا تأخذ أى شىء على أنه قضية مسلمة ولا تسلم بأنها لابد ستنجح فى كل ما تعمل وهى تؤمن بأنها لن تحقق أى شىء الا بالتركيز الى أقصى حد وبذل أكبر جهد ممكن وبالعمل المتواصل .. بل وأنها بعد ذلك كله ستحتاج الى بسمة من بسمات الحظ .. ولقد اختلف النقاد فى الحكم على مدى نجاحها أو فشلها ايام كانت وزيرة للتربية والتعليم ولكن لا خلاف على أنها تعلمت من اخطائها وهذه علامة من علامات السياسى الناجح .. اذ ليست القدرة على تحاشى الخطأ هى ما يقاس به النجاح ، لأن الانسان غير معصوم من الخطأ .. والمقياس هو القدرة على التعرف على الخطأ عند الوقوع فيه وعدم تكراره .. والأهم من ذلك هو ان نتعلم من اخطائنا . وكانت تلك احدى ميزات الرئيس جون كندى وتشاركه فيها مارجريت تاتشر فهى من بين وزراء حكومة ادوارد هيث ١٩٧٠ / ١٩٧٤ أكثرهم نقداً للذات . وفى ذلك يقول بول جونسون :

« كنت أقول لهارولد ويلسون أثناء رئاسته للوزارة - حاول ولو مرة واحدة أن تقول بإخلاص انك اخطأت وستجد أن الناس تحبك » وكان يجيب « اقبل ما تقول يا بول فهو صحيح وسأفعل ذلك - ولكن المشكلة هى أنى لا استطيع - اذ لا أظن انى ارتكبت اى خطأ » .. ومارجريت تاتشر على النقيض من ذلك فهى تنتقد نفسها بشدة .

ويرجع بول جونسون السبب فى نجاح تاتشر وانتخابها رئيسة لحزب المحافظين - رغم أن الحزب بطبيعة تكوينه يؤثر أن يكون رئيسه رجلا - هو شجاعتها المطلقة ، اذ كان فى الحزب بعد الفشل فى الانتخابات تذمر ولغط وهمس حول تصرفات ادوارد هيث ولكن لم يكن فى الحزب خليفة بارز يخلفه .. وخاف من كانوا يستطيعون ترشيح انفسهم لخلافته وأعرضوا عن ذلك .. اما مارجريت تاتشر فكانت العضو الوحيد الذى له من الشجاعة ما يمكنه من الوقوف فى وجه ادوارد هيث .. لهذا نجحت ففى الحزب عدد كاف من الأعضاء الذين يقدرون الشجاعة ويحترمونها ويعتبرونها أهم الفضائل السياسية .. ويعترف أعند خصوم مارجريت تاتشر بأنها تملك قسطاً كبيراً من نوع خاص من الشجاعة التى تنسب لونستون تشرشل عادة .

ويقدر بول جونسون فى رئيسة الوزراء عدداً من الصفات أولها انها سيدة تتمسك بأهداب دينها ، وتكاد من هذه الناحية تكون فريدة بين زعماء الأحزاب .. فهى تؤمن بالوصايا العشر وتفرق بوضوح بين الحق والباطل ، بين الفضيلة والرذيلة بين الصواب والخطأ .. وهى ثانياً ذكية متنورة مثقفة تجيد الاصغاء وتهتم بالأفكار .. وقد لا يوافق البعض على ما تقول ولكنهم يرون حتما ما فى كلامها من افكار .. والصفة الثالثة هى ما عندها من قدرة وطاقة على العمل فهى تجد المزيد من النشاط كلما اشتد بها التعب .. والصفة الرابعة التى حازتها على غيرها هى أمانتها المطلقة فهى ابداً تؤثر الخط المستقيم فى كل ما تعمل وتكره الالتواء . وهى تحسن الاختلاط بالناس وتحبهم وتتعاطف معهم . وقد لا تكون لها شعبية كبيرة بين الطبقات الارستقراطية والفوق متوسطة ولكنها محبوبة من الطبقات الفقيرة وما دون المتوسطة لأن الناس لا ينسون انها ولدت فوق دكان بقال وانها امرأة شقت طريقها فى دنيا يسيطر عليها الرجال ، وأنها بلغت القمة بتصميمها وعزمها وكدها وشجاعتها وذكائها . ولهذا أهميته فالنساء فى بريطانيا لا تصوتن هذه الأيام حسب ما يشير به الأزواج .

سئل برايان وولدن وكان من أبرز نواب العمال وهو اليوم معلق سياسى تليفزيونى له برنامجه السياسى الخاص ، عن رأيه فى المسز تاتشر فقال « ليس في عالم السياسة اليوم من يريحنى أن اثق به أكثر من هذه السيدة » وأكد انه يمكن للانسان أن يأتمنها تماماً على أسراره ، فهى لن تخون من يأتمنها حتى وان تعارض ذلك مع مصالحها الخاصة .. وهى فى رأيه سيدة دافئة الشعور دمثة الاخلاق ، متواضعة ، رغم ان اكثر الناس صلفاً هم بعض من يصلون الى القمة من أولاد السفلة لأنهم يشعرون بعدم الاطمئنان ويعانون من مركب النقص .. ولمارجريت تاتشر القدرة على مواساة الناس اذا كانوا فى هم .. ومن أبرز خصالها ، كدها ومثابرتها وقدرتها على أن تسيطر على تفاصيل أى موضوع . ولعل دربتها القانونية هى التى تعينها على ذلك . ومجلس العموم لا ينسى الدرس الذى لقنته مارجريت تاتشر وهى فى صفوف المعارضة على « دنيس هيلى » وزير المالية العمالى أثناء مناقشة اقتصادية دارت فى المجلس . ولقد استطاعت كما يقول الانجليز « أن تنزع عنه سرواله » ، لا لأنها خطيب مفوه ولكن لأنها كانت قد درست الموضوع دراسة عميقة وتحكمت تماماً فى التفاصيل والأرقام والاحصائيات .

ويرى برايان وولدن أن ثانى ميزات تاتشر هى عزمها الذى لا يلين وارادتها الحديدية ، وان كانت هذه الارادة لا تبدو واضحة فى العادة لأنها سيدة مفرطة فى الطيبة تميل الى المرح والبساطة الا اذا هوجمت . أما من يحسن معاملتها فانه يجد فيها طيبة قلب ووداعة .

والصفة الثالثة التى ينسبها برايان وولدن لمارجريت تاتشر هى أنها تمثل شعور الأغلبية فى البلاد فهى تجذب خيال الناس وتشد انتباههم وتحتفظ بهما فى قبضة يدها لأن معتقدات الناس هى معتقداتها .. فهى اذن تجسم رأى الأغلبية .. وتأتى بعد ذلك صفة المرونة وسهولة التكيف والقدرة

# المرأة الحديدية



على امتصاص الهزيمة واستيعابها ، والعودة الى الحلبة لمواصلة النزال .

ويأخذ عليها برايان وولدن ميلها الى ائتمان الناس وافراطها فى ذلك ويرى انها قد تحسن صنعاً اذا استعانت بشىء من الشك .. وسوء الظن عصمة ..

ويتوقع برايان وولدن الذى يصف مسز تاتشر بالوقار والاحتشام وبعض الجمود ان يكون حكم هذه السيدة مختلفاً تماماً عن حكم من سبقوها من عمال ومحافظين فهى بحق المدافع عن المجتمع الليبرالى لأنها تؤمن بكل ألوان الليبرالية الكلاسيكية الانجليزية وهى لا تريد ان يتزايد الدور الذى تلعبه الدولة فى ادارة شئون الناس لأنها تؤمن بان الرجل العادى أقدر من الدولة على اتخاذ القرارات التى تمس صميم حياته . وأهم القضايا السياسية حالياً فى بريطانيا هى الجواب على السؤال التالى : هل يتواجد الناس حقاً لخدمة الدولة أو هل تتواجد الدولة لخدمة الناس ؟. ولمارجريت تاتشر فى ذلك رأى واضح يعرفه الجميع وهو ان مهمة الدولة هى خدمة الشعب وأن الدولة أداة مفيدة يجب ان تكون لها وظائف معينة .. وبذلك تقدم مارجريت للشعب اختياراً جديداً وفرصة جديدة وبهذا تطبع مارجريت بصماتها على المجتمع البريطانى .

ومارجريت تاتشر ترحب بالنقد البناء النزيه الصادر عن نية حسنة ، ولا يقصد به مجرد السب .. وهى ترعب اليساريين وتخيفهم لأنها لا تتورع عن شجب الماركسية ومن يعتنقها أو يدافع عنها .

## حسن الاصغاء والانتباه

وتجمع الآراء على أن مارجريت تاتشر كزعيم سياسى تتحلى بصفة حسن الاصغاء والانتباه لما يقال فهى تعطى محدثها كل انتباهها . ولقد اشرنا من قبل الى هذه الناحية من اخلاقها وقلنا انها تساعدها على التمكن من ادق التفاصيل ونذكر فى هذا المجال قصة نائب مدينة برمنجهام الذى زارها على رأس وفد وهى وزيرة للتربية والتعليم . ولقد ذهل أعضاء الوفد لسرعة ادراكها للب القضية التى كانوا يعرضون ولدقة الأسئلة التى وجهتها اليهم .

كانت المدارس الثانوية موضوع الزيارة ولم يكن النائب يعرف عددها فى برمنجهام على وجه التحديد ولكن مارجريت تاتشر كانت تعرف العدد بالدقة وتعرف مشكلة كل مدرسة .. فلما اقترح الأعضاء ضم مدرستين معينتين بعضهما لبعض اعترضت هى فوراً لبعد المسافة بينهما وذكرت لهم المسافة بكل دقة !

لما فاز حزب العمال فى انتخابات ١٩٧٤ دار الهمس فى حزب المحافظين حول رئاسة ادوارد هيث للحزب كما ذكرنا . وبدأ بعض الأعضاء ينادون باختيار رئيس جديد للحزب وفاتح بعضهم مارجريت تاتشر فى ذلك فرفضت أول الأمر ان ترشح نفسها لأنها شعرت ان الحزب لم يكن مستعداً لتنصيب امرأة رئيساً له . فلما وافقت بعد ذلك لم يكن الدافع رغبة فى الاساءة لادوارد هيث ولكن لأن الموقف استدعى ان يرشح بعض الأعضاء انفسهم ليكون هناك انتخاب فعلى واقعى ، وكان جل الاعضاء الرجال قد تنحوا عن دخول المعركة فرشحت نفسها لأنها كانت « الرجل الوحيد » الذى قبل ان يتصدى لرئيس الحزب .. وكانت مارجريت تاتشر تعلم ان فى فشلها قضاءاً مبرماً على حياتها السياسية .

والى جانب هذه الشجاعة تتحلى « ماجى » بصفة الوفاء .. حدث ذات يوم فى عام ١٩٧٧ أن اتهم فيرجس مونتجومرى ، سكرتيرها البرلمانى ، بسرقة كتابين من متجر . وقبل الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى اتصلت مارجريت وسألته عما يزمع عمله خلال اليوم فقال ان عليه أن يتوجه الى المحكمة فى الصباح وانه قرر العودة الى بيته بعد ذلك مباشرة لأنه لا يستطيع ان يواجه الناس بعد ما حدث ولكنها اقنعته بالذهاب الى مجلس العموم بعد فراغه من المحكمة لأن واجبه يقضى بمواجهة المشكلة ، وفى تاجيل المواجهة ما يزيد الموقف سوءاً . واستقبلت مارجريت تاتشر سكرتيرها فى مبنى المجلس وصحبته فى جولة حول دهاليز المبنى ليراه الناس فى صحبتها ثم عادت معه الى غرفة الشاى .. وفى سبتمبر نظرت القضية وصدر الحكم ضد السكرتير فكانت أول من اتصل به واستقبله فى المجلس .. بعد ذلك حكمت محكمة النقض ببراءة السكرتير ، وراح الى المجلس وفى نيته ان يتصل بمارجريت تليفونيا لينقل اليها الخبر ولكن زوجتهقالت « وفر على نفسك عناء المكالمة .. ها هى مارجريت بنفسها » .. واتجهت مارجريت نحو سكرتيرها وطبعت على جبينه قبله وقالت « أتريد أن أفصح عما فى نفسى ؟ » .

## وأخيراً .. ملاح ماهر

اتهم الخصوم مارجريت تاتشر بأن حكمها وسياستها الاقتصادية سببت فى البلاد بطالة زادت عن ثلاثة ملايين متعطل .. فما كان منها الا ان شرحت للشعب حقيقة الموقف وبينت للناس ان البطالة كانت موجودة طوال الوقت وان ما فعلته لم يزد عن انها نقلت تلك البطالة من داخل المصانع الى خارجها حتى لا يزيد ثمن المنتجات بسبب الأجور التى يتقاضاها هؤلاء المتسكعون وبذا يمكن منافسة ما تنتج الدول الصناعية الأخرى .. ثم شرحت للناس ان نقابات العمال هى السبب فى البطالة لأنها فرضت على اصحاب العمل ان يشغلوا عاملين أو ثلاثة للقيام بمهمة يقوم بها عادة عامل واحد .

ومارجريت تاتشر شخصية لا يمكن ان توصف بالسلبية فهى نفاذه تثير الغضب والحقد فى قلوب أعدائها والاعجاب فى قلوب انصارها فهى بالحق ظاهرة مدهشة . ومارجريت تاتشر تعبر عن الأفكار التى ظلت مطمورة فى عقول الناس .. وسيحكم عليها التاريخ بما تحقق من انتعاش اقتصادى داخل البلاد ومن صيانة لكرامة الدولة فى الخارج .. وأكبر الظن انها ستتغلب على عواصف جنوب الاطلنطى وتقاوم أعاصير الفوكلاند وأنوائها وأن سفينتها لن تحيد عن طريقها المرسوم لأن مارجريت تاتشر ملاح ماهر يعرف كيف يشق طريقه فى بحر السياسة مهما اشتد هياجه وزاد صخبه .؟

# هيئتان للفضاء الوسيع

شعر: حلمي سالم
بيروت

## ( ١ ) الفاكهاني

هدوء .
هدوء .
هدوء .
قطة ملغومة تموء .
وموقف الندى .
يسوء .

● ●

فحيح .
فحيح .
ذلك البدن المدلى من الأراجيح
بهلوان ،
أم جريح ؟ .
وذلك المدى المقبب الطري
عنفوان ،
أم ضريح ؟ .

● ●

ضجيج .
صوت مجاور لطلقة الأهازيج .
والابتسام شرخ فى النشيج .
( هذه الدماء :
أريج )

● ●

وبيروت
صورة قديمة على خشبة التابوت .
نبضة ، لا تموت ، حينما تموت .

## ( ٢ ) بـــلاد

النبطية أرض ، تتشوق للأرض
النبطية شرف ، أو عرض :
نبض يتصاعد من وجع النبض
وهى الترتيلة ،
وهى الفرض .
صور .
صور
صور .
لحظة نار طارئة ، وعصور .
صور .
وردان : فورد ينكسر فينتصر ،
وورد مكسور منصور .
صور .
دم عربي . معصور .

● ●

الرجال فى الجنوب
يمنحون للرياح نكهة النسيم أو عصفة الهبوب .
الرجال فى الجنوب
طيوب تعيد بانفجارة الندى صياغة الدروب .
الرجال فى الجنوب
دروب .

● ●

( اللون يستطيل يستحيل ماسورة ،
والمدى يستعيد كل ليلة لونه القرمزى النحيل ،
والعربان يحفرون بعض القبور على شاطيء رملى
للبحر المليء بالزوارق التى تصب الثرى على القتيل )

● ●

وتصعد الجليل .
هذه البلاد ممكن يعانق المستحيل .

---

● الفاكهانى : حى مشهور فى بيروت . وهو الحى الذى ضربه اليهود بطائراتهم فقتلوا مئات وجرحوا مئات آخرين .

# وقف التنفيذ.. روحيًا

بقلم : عبد الله الجفري

وقفة أيام استطالت إلى أكثر من أسبوع .. كان الزمن فيها حلقة مفرغة وساخنة .. ليس فيها ثمين مانح ، وإنما افتقار وخواء ، واجترار لشعور يحتمل منطق الثقة ، ولفكرة استقرت ، واحتفظ بها الذهن بلا نقاش أني !

وليست كل « وقفة » أيام .. هي ــ بالضرورة ــ تافهة وفجة وهشة ، كذلك .. يبدو من المحزن أحياناً أن تأكل أيام خاوية أهمية زمنك ، وتحجز عن تأملاتك أفكار العالم !

أسبوع بكامله ــ هو مطلب إنساني ــ يفكر فيه الانسان ، ويقدم على تجربة جديدة ويتعلم ، ويتأمل ، ويفلسف ، ويسقط بعض أشيائه التى مسخت ، ويرتقى بالذى استشرفه ، وأحس به « تواجداً » فى حياته ، ليكون الحصاد « معنى » يساعده على امتلاك مقود أيام جديدة ، وأسبوع يخلو من الضن ، ويزخر بالعطاء !

ذلك ما قد يفتقده الانسان مرة ، فيتحول إلى مخلوق مرتطم (!)

والارتطام ... هو حكم باللاحياة على الروح مع وقف التنفيذ .

بمعنى أن الانسان يعيش أيامه مقعياً .. رأسه وأصابع قدميه بلا فوارق .. نظراته وأظافره علامات فقط .. محفورة ومثبتة فى جسده .. قد يركض بنظراته بدل قدميه .

إلا أن ذلك الركض لا يعنى وجود حوافز وقيم وأماني .. بل دوار يعتري الذهن فى رحلة موغلة فى أحضان اليم إلى غير اتجاه

هذه « حالة » ربما اعترتني فترة من الوقت .. لا أدري !

كل الذى اعرفه ــ الآن ــ أنه كانت بين يدي رواية جديدة للكاتب القاص العالمي « شارلز جارفس » .. نفرتني بدايتها .. كأننى كنت أشاهد فيلما امتدت إليه يد الرقيب لتحذف منه فقرات ، لكني تبينت أن هذا الكاتب ينحى هذا السبيل فى كتابة الرواية .. يعطيك فقرة محذوفة من بداية الرواية فى منتصفها .. ليس لأن هذا مكان المشهد ، وإنما لكي تبدو قارئاً متتبعاً ، يقظاً .. يريدك أن تشاركه فى بناء الرواية .

والرواية بطلها شاب رفيع المكانة بدون أن يعرف . تدله بالرسم .. أصبح يعشق الريشة وتغيب نظراته فى الألوان .. ليعرف كيف يكون الامتزاج بين لونين وأكثر ؟ والفنان دائماً يبحث عن « لوحة » تلهمه .. تجعله يستغرق فى التأمل . ويتخلى « جودفري » عن لقبه الكبير ليحظى « بوقفة الأيام » على لحظة حب لا تنتهي مع « كمبلين » التى أحبها ، فامتزجا !

هذا الذى أتذكره من الرواية ــ رغم انهائى لفصولها ــ جرياً وراء صورها ، وحوار أبطالها ، ومشاهد الحياة المنقولة على الورق !

لا أدري ــ حتى هذه الثواني ــ هل كانت مجرد « حالة » تعترى القارىء أحياناً ، فيبدو « ماحياً ! » ، غبياً ، فاقداً .. أم أنها كانت « وقفة أيام » .. الساعات فيها ، والليل والنهار .. أطراف يقضمها الزمن بكل جوع ونهم .. فقط لأنه زمن مصاب بمرض « أبو عرص » .؟!

تبينت اليوم ، وبعد انفراج فى النفس ، واطمئنان لخفق القلق ، أن الانسان يقرأ أحياناً ويتحدث ، وقد يقهقه أيضاً .. ليعاند « وقفة الأيام » فى رؤاه .. ليطرد قلقاً نفسياً تملكه من غموض .. لكنه يكون طيلة الوقفة تلك مشغولا « بإفطار » أفكاره ، وخفقه .. بعد أن عانى فى الوقفة « صيام » ذهن ، وصيام وجدان .. إلى درجة لا تبعد عن الاضراب عن الطعام ، أو توقف صوت المدفع

طيلة أسبوع أحسست أن أفكاري تصوم مع معدتي .. وأن « قلبي » يقسر على الارتضاء « بالصوم » .. لسبب واحد فقط .. هو الشعور بأن الأيام فى « وقفة » فارغة ، وسمجة .. خالية من المنح ، والغدق .. فقيرة بالفرقة . خسرت لحظة لقاء .. ربما تمت عبر سطور تتراءى من خلالها ملامح « كمبلين » عزيزة اللورد سابقاً « جودفري » ، أو ملامح « مسز سمبسون » !

وعندما كانت أصابع يدي « تنفش » الوريقات ــ محتوى هذه الرواية ــ قرأت عبارة كتبها المؤلف بلسان بطل الرواية .. تقول :



جان بول سارتر .. كان يرى أن الفرق بين الانسان والحيوان هو أن الأول يستطيع أن يقتل نفسه .. بينما الحيوان لا يستطيع !

ــ «تعالى .. لا أستطيع الانتظار .. ان كل شىء يتوقف» !

فى هذه الثانية .. كانت عبارة لسارتر تخبط راسى بعنف ، كانها جاءت استطراداً للمعنى .. لم أتذكر أين قراتها ، لكنها تقول :

● «ان تنقذى انساناً يا صغيرتى .. ليس هذا كل شىء .. المرغوب حقاً أن تعطيه وسيلة الحياة أولا» !

لكن .. كيف ؟!

تساءلت شجاعاً ، وقد تخلصت من «وقفة الأيام» ، وانتظرت الانفتاح المؤمل فى ذهنى ان يجيب بلا عقابيل ، بلا وقفة ، بلا أيام . يجيب بعطاء الزمن .. باحترام الزمن ونحن ننصهر فيه من أجل امتلاك وسيلة الحياة !

وتموجت اجابتى .. كانها نسمة ليل فى أعماقى .. كنت أبعد عن تصورى حاضر «سارتر» وأقرب حاضر «ديجول» ، واتذكر أيام «سارتر» قبل «وقفتها» الأخيرة ، واقول : إن معنى الانقاذ الفعلى أن تتحد الرغبة ــ أولا ــ ثم .. تلتئم الوسائل حتى المزج ! .. بعدها ــ وبعدها فقط ــ أمتلك زمام شجاعة جديدة تجعلنى أموسق عبارة مجنحة حفظتها ، هى للشاعر الاسبانى «جستافو أدلفو» وتعنى :

● «حينما أرنو الى الأفق الأزرق الذى يتلاشى من بعيد .. يخيل الي انى أستطيع انتزاع نفسى من تلك الأرض الموحشة ، وانى أستطيع أن أطفو على الغمام العائم» !

عبارة غنية بالشعر .. إلا ان تامــل الحياة فى ذاته ننسجه من هذا الاحساس .. نمنح الروح متنفسها ، حتى لا يحدث بينها وبين العقل ذلك «الارتطام» مرة اخرى .. وحتى لا يكون هناك حكم يشمل «وقف التنفيذ» .. لكنه يستهدف الروح ، وبذلك يتعرض العقل لـ «وقفة الأيام» كما عبر عن ذلك احمد الزيات يرحمه الله !

التساوى فى العواطف بين اثنين .. بداهة «ــ ان لم تتاكد ــ فان القيم الحسية ، والاعتبار الشعورى ، والاحترام لمعطيات الروح تتحول الى انفلاشات تقتل الانسان بشىء لا يدريه .. تجعله أشبه ما يكون بالحيوان الرطىء ، وليس كل الحيوانات تقتل نفسها باللادراية .. بينما هناك كثير من الآدميين يفنون أنفسهم بكل العلم ! ولا أدرى كيف تناسى «سارتر» عبارته التى عرق لحظة صياغتها ، والقائلة : «ان الفرق بين الانسان والحيوان هو أن فى استطاعة الانسان أن يقتل نفسه ، بينما الحيوان لا يستطيع» ! .. ذلك أن سارتر مفكر كان «يتعاطى» احترام المثقفين له فى العالم .. فى الوقت الذى وقف هو «يوماً» فامن جداً وحتى العدم باللاتساوى فى العواطف بين اثنين .. فاصيب بالانفلاش الوجدانى الذى أبعده أن يلائم بين قيم الحس ، واعتبار الشعور من جهة .. وبين ارتفاع الانسان بفكره ، ومبادئه من جهة أخرى .

التساوى فى العقول ، والذهن .. بعيدة بداهتها . لكن «الارتطام» يتمثل عندما يحدث الانفصام بين الشعور والفكر !!

إن «شالز جارفس» ليس أكثر من روائى اشتهر فى العالم بجودته للحبكة فى الرواية .. مع ذلك ، ومن خلال قراءتى التى أخذت فى تذكر معانيها ، هو لا يصنع العداء بين شعوره وفكره الى درجة الارتطام !

فى رواية «شارلز جارفس» انتصر الحب على اللقب وعلى الفوارق ، وسما الشعور بالفكر .. صهر الارهاصات التى أضنت التفكير ، وبلورت كل التاملات الوافدة من «توقع» يحسب حساب «وقفة الأيام» . والحصيلة التى بدت ــ أخيراً ــ أن العاطفة والفكر هما التزاوج الملح الذى يعكس معنى «وسيلة» الحياة .. أما الحياة نفسها فانها تاتى فى تنشيط أشياء تتوقف أحياناً .. تتوقف لنقول لها : تعالى .. لا أستطيع الانتظار !!

«كمبلن» لم تنفصل عن نفسها .. كانت مع نفسها ، فاحبت الانسان لا اللقب .. بينما «الليدى ماريون» بطلة الرواية الثانية أحبت اللقب والانسان واللذة .. لكنها ارتفعت بعمق الحب عن كل هذا ، لتحب الصداقة فى الانسان !

إن الروح دائماً هى جوهر الحياة ، وبذلك ياتى الانتصار .. بعد كل انتظار مرهق تذيبه دعوة متحدة .. فيها امتزج الشعور والتامل !!




# المعدّاوي
# بين رشدي صالح وسيد قطب

بقلم : محمود السعدني

أغرب شيء انني عندما رأيت أنور المعداوي لأول مرة في حياتي على قهوة محمد عبد الله ، حسبته ضابطاً بالقوات المسلحة . فقد كان طويل القامة متين البنيان رافع الراس على الدوام . ولم يكن وحده حين رأيته أول مرة ، ولكن كان بصحبته صديقان قدر لهما أن يشتهرا فيما بعد . أحدهما كان يسارياً اشتغل بالسياسية في البداية ثم طلق يساريته نهائياً بعد أن ذاق مرارة السجن ، واحترف الصحافة في النهاية ومات مقهوراً ، فقد كانت نهايته عكس بدايته ، وكان سلوكه عكس معتقداته ، وذهب دون أن يترك أثراً في حجم موهبته !

والآخر كان اشتراكياً اسلامياً ، واشتهر بعد ذلك كأحد زعماء جماعة الاخوان المسلمين ، ثم قدر له أن يدفع حياته ثمناً لكتاب أصدره في الستينات هو « معالم الطريق » وبالرغم من غيابه عن دنيانا كل هذه السنين ، إلا أنه لا يزال يعتبر الأب الروحي لكل الجماعات الدينية المختلفة التي ظهرت في مصر وربما في العالم الاسلامي ! كان الأول هو أحمد رشدي صالح ، وكان الرجل الآخر هو سيد قطب . وكان الثلاثة يجلسون في قهوة عبد الله ، وكان الحديث بينهم يدور حول مجلة جديدة في طريقها الى الصدور ، هي مجلة « الفجر الجديد » . الغريب أن الثلاثة تجرعوا الموت قهراً وان اختلفت الوسائل . لقد اكتشف رشدي صالح أن الكفاح طريق ليس له نهاية فاثر أن يبتعد ، وارتاد طريقاً آخر هو طريق أكل العيش . ولكنه اكتشف بعد فترة أنه كسب عيشه وخسر موهبته ! وكانت النتيجة الاحساس بالقهر والمرارة ثم الموت بعد ذلك . وكان موته الأدبي قد سبق موته الرسمي بفترة طويلة .

وكان سيد قطب نموذجاً يختلف كل الاختلاف عن رشدي صالح . اكتشف منذ البداية أن الطريق الذي يسلكه يؤدي الى السجن والى القتل ، فأسرع الخطى على الطريق الذي اختاره ، وعندما صعد على حبل المنشقة أدرك أن طريقه المادي قد انتهى ليبدأ طريقه اللانهائي ، وهو الذي أدى به الى الخلود والى الأبدية ! وكان أنور المعداوي نموذجاً ثالثاً . لم يكن سلبياً متعايشاً مع الظروف كرشدي صالح ولم يكن فدائياً كسيد قطب رفض الخضوع مع العيش الناعم ، ورفض الثورة حتى الموت . وعندما اكتشف أن قوى البطش أعتى وأعنف ، انفجر في داخل نفسه شيء ما ، ولم يلبث أن قاطع الحياة كلها ومات .

ولعل هؤلاء الثلاثة هم مصر كلها في تلك الفترة . ولن تجد بين طائفة المثقفين نماذج خارج هذا المثلث : رشدي صالح ، المعداوي ، سيد قطب !

وقد يقول قائل ، هناك نماذج أخرى انسجمت أهدافها مع أرزاقها ، فعملوا وانتجوا ولمعوا في كل عهد ، وتضخموا وتضخمت أرصدتهم في كل وقت !

وأجيب هؤلاء بأنني أتكلم عن طبقة المثقفين ولأن الثقافة ليست معلومات ولا هي حرفة ولا هي فهلوة أو عملية تفتيح عين . ولكن الثقافة هي وجهة نظر ، وهي موقف ، وهي طريق يختاره المثقف ويكون مستعداً لأن يدفع حياته ثمناً له ! ولقد كان هؤلاء الثلاثة من خيرة المثقفين في مصر . كان رشدي صالح من أهالي البر الشرقي في الصعيد ، وهي أفقر منطقة في مصر وربما في العالم . وعندما تخرج في كلية الاداب كان قد وضع كتابه عن « الأدب الشعبي » هو العمدة حتى الآن في هذا المجال . وهو المرجع الوحيد عند علماء الغرب عن الفن الشعبي المصري الحديث . ومن خلال هذا الكتاب كان رشدي صالح قد حدد موقفه تماماً من الأشياء والناس وصراع الحياة . ولقد ساقه هذا الموقف الى السجن فقضى خلف أسواره عدة سنوات كانت كفيلة بتغييره من الضد الى الضد . وعندما اجتاز بوابة السجن كان شخصاً آخر هو الذي خرج . واضطر من شدة الخوف أن يؤلف كتباً ضد رفاق الطريق السابقين . وأن يقاطع شلة شبابه المبكر . حتى قهوة عبد الله لم يعد يتردد عليها . وفي النهاية قطع صلته بأقرب الناس اليه ، ولم



أنور المعداوى
قهر وغيظ

سيد قطب
صلابة واستشهاد





رشدى صالح
هروب وسلبيه

يشاهده أحد خارج دائرة عمله مدة عشرين عاماً متصلة !

سيد قطب كان شيئاً آخر يختلف .

كان اشتراكياً اسلامياً ومع ذلك لم يتردد لحظة فى ان يشارك رشدى صالح فى اصدار مجلة ضد حكومة ذلك الزمان ! وكان يختلف عن كل الذين يجالسهم فى قهوة عبد الله ، ويختلف معهم ، ولكنه أبدا لم يقطع حبل الود بينه وبينهم . كان يحب الجميع ويحترم الجميع أيضاً ، وبالرغم من مشاغله الكثيرة كان حريصاً على التردد على قهوة عبد الله بين الحين والآخر . لم ينقطع عنها إلا بسبب سجنه .. وعندما غادر سجنه كانت القهوة قد زالت من مكانها ! بل لقد حرص خلال فترة سجنه الطويلة على أن يسرب خطاباً من خلف الأسوار الى صديقه أنور المعداوى . بعكس رشدى صالح الذى استوقفته ذات مرة فى الشارع وأبلغته بان المرض قد اشتد على أنور المعداوى ، وأنه فى طريقه الى الموت . عندئذ نظر الى رشدى بلا مبالاة وقال فى هدوء « ما احنا كلنا عيانين ياعم سعدنى» ولم يزد حرفاً بعد ذلك !

واذا كان سيد قطب قد مات شهيداً ، ورشدى صالح قد مات ضائعاً ، فان أنور المعداوى كان يقف فى المنتصف تماماً بين رشدى وسيد قطب . فهو لم يكن من طبقة الشهداء ، كما انه لم يكن من النوع الذى يأكل عيشه بالجبن ، ولذلك مات مقهوراً وانفجرت شرايين دماغه من شدة الغيظ ! ولكنه حتى برغم المحنة لعب دوراً رئيسياً فى حياة الجيل الذى سبقنا والجيل الذى ننتمى إليه . ذات مساء كانت القهوة عامرة بنخبة من الأدباء والشعراء والفنانين . وكان زكريا الحجاوى يتحدث عن مجلته الجديدة « الميزان » التى فى طريقها الى الصدور ! وراح زكريا الحجاوى يتحدث بحماس عن الواقعية الجديدة التى سترفع شعارها مجلة « الميزان » . وفى النهاية طلب من جميع الحاضرين أن يساهموا فى المجلة باقلامهم وانتاجهم . ثم خص أنور المعداوى برجاء أن يكتب افتتاحيـــة « الميزان » . ولكن أنور المعداوى أبدى فتوراً شديداً واعتذر بحسم ، ووعد زكريا بالتفكير فى الأمر بعد صدور المجلة . وبعد أيام تقدمت باصول قصة قصيرة لتنشر فى « الميزان » . وانتظرت على نار موعد صدور المجلة . فلما صدرت أصابنى احباط شديد فقد خلت صفحاتها من قصتى ، وكانت بعنوان « الواعظ » ، وهى عن واعظ كفيف مهمته إلقاء خطبة الجمعة فى مسجد ليمان طره الرهيب . ولم يكن يؤم مسجد الليمان الا المحكوم عليهم بالسجن مدى الحيـاة . وبالرغم من ذلك لم يخرج الواعظ الضرير عن خطبة واحدة كان يكررها كل أسبوع ، وكانت عن مناسك الحج الى بيت الله الحرام ، وشروط الزكاة !!! وزاد من همى اننى قرأت بحثاً فى « الميزان » منشوراً على ثمانية صفحات للأستاذ بكر الشرقاوى ، وبالرغم من كل الجهد الذى بذلته لم أفهم حرفاً واحداً من البحث المنشور ! وشعرت باننى لست اديباً ولن أكون !! لأن كلامى مفهوم يفهمه أى طفل وأى إنسان ولو كان حظه يسيراً من التعليم ! وقلت لنفسى هذا هو الأدب الصحيح . لا يفهمه إلا الأديب الذى كتبه وربما حلقة ضيقة من الكتاب والأدباء . كان البحث حافلا بتعبيرات من نوع « الاستبطان الاستغلاقى والشواشى العليا للبرجوازية الكومبرادورية التى تحقق مصالح طفيلية من أجل ضرب النمو الاستاتيكى والديناميكى على السواء » !! وفى المساء كنت أجلس حزيناً مهموماً على قهوة محمد عبد الله ، وحين جاء أنور المعداوى أدرك أننى مهموم وان كان لم يدرك السبب . وعندما سالنى عما إذا كنت قد قرأت الميزان ، أجبته بنعم ، ونطقتها بأسى شديد . وراح أنور المعداوى يبدى رأيه فى مجلة الميزان . وانزاح همى كله عندما اكتشفت أن أنور المعداوى – وهو أديب لاشك فى ذلك . لم يفهم هو الآخر حرفاً واحداً من بحث بكر الشرقاوى . كما أن المجلة بلا هوية وبلا اتجاه .. كما أن كتابها .. أقل من المستوى وبعضهم لم ينضج على الاطلاق » !! وشكوت لأنور المعداوى ما حدث لقصتى واستبعادها من النشر ! وطلبها أنور المعداوى وبعد أن قرأها وضعها فى مظروف وكتب بضعة سطور لصاحب مجلة أدبية شهيرة تصدر حتى الآن فى بيروت ! وقلت له بيروت .!؟ مستحيل . انهم لم يسمعوا باسمى قط فكيف سينشرونها ؟ وابتسم المعداوى وقال فى هدوء ، بل سينشرونها أولا لأنها قصة جيدة ، وثانياً لأننى قـــدمتك إليهـــم ! ولا أستطيع الآن أن أصف مدى سعادتى حين اشتريت نسخة من مجلة الآداب لأكتشف أن قصتى التى رفضت « الميزان » نشرها ، منشورة فى « الآداب » وكانت أكثر المجلات الأدبية احتراماً فى الوطن العربى . وهذا الموقف الذى اتخذه أنور المعداوى منى ، تكرر كثيراً فى حياته القصيرة . أدباء مغمورون لم يسمع بهم أحد ، وكتـــــاب يزحفون فى سراديب عالم الأدب ، أخذ أنور المعداوى بيدهم إلى عالم الأضواء ، ولم يكن له شروط الا أن يكون الكاتب واعداً ومبشراً وموهوباً بحق . وأما الآخرون فلم يكن يسخر منهم ، ولكنه كان يتجنبهم فقط وأحياناً كان يسدى لهم النصيحة فى لين شديد ، وفى حب أشد ! مرة واحدة فقط ، ضبطت أنور المعداوى فى موقف حاد نوعاً ما تجاه أحد الأدباء . كان الأديب إياه ثقيلا ويفرض إنتاجه على الآخرين دون مراعاة لظروف وأحوال الجالسين ! ذات مرة جاء وجلس معنا فى القهوة ، ثم راح يحدثنا عن قصيدته الجديدة العصماء . وكيف ستحدث هزة فى عالم الشعر والأدب . ثم استاذن الحاضرين فى أن يسمعهم القصيدة ، ورد أنور المعداوى بهـدوء « بلاش دلوقت ، خصوصاً إن عندى صداع ودماغى مش رايقة » ! ولكن اعتذار أنور الرقيق لم يقنع الأستاذ الشاعر ، وفجأة سحب قصيدته من جيبه ، وراح يخطب على طريقة خطباء الأسواق وعندئذ هب أنور المعداوى واقفاً كمن لدغته عقرب ، وقال وهو يسرع الخطى « عن إذنكم انا ورايا ميعاد » !

وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى رأيت فيها أنور حاداً على نحو ما !

# نحن جيل الدَّرُبَكَّة

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

أيام كان العرب يناضلون ليتخلصوا من ربقة الاستبداد العثماني ، فى مستهل هذا القرن ، ثار مرة جدل بين عربى وتركى حول مزايا شعبيهما واهلية كل منهما ليكون امة حديثة ، وعندما اخذ العربى يعدد الافذاذ من بني قومه ويشيد بخصال الفرد العربى من ذكاء وفطنة ، ومن كرم وشجاعة وحمية قال التركى :

– نعم . نعم ... لا يسعني أن انكر ما تقول . ولكنى الخص المقارنة بيننا فيما يلى : الفرد العربى حبة رمل ... حبة صلبة قاسية ، وهى فى نفس الوقت حبة جميلة لأنها مصقولة ولماعة . فى حين ان الفرد منا نحن الأتراك ذرة من تراب ، وكثيراً ما تكون ذرة هشة تافهة . ولكن جرب أن تجمع حبات الرمل وتجبلها لتصنع منها حجراً . انه سيكون حجراً قليل المقاومة ، سريع التفتت تحت اخف الضربات . اما ذرات التراب الهشة فانها حين تجبل بالماء تصبح حجراً سهل التقولب ، ثم صخرة صلبة مقاومة ...

أتراه كان صحيحاً تشبيه ذلك التركي ؟ فى الواقع أن الناس عامتهم وخاصتهم ينعون بهذا التشبيه وامثاله على العربى فرديته التى تجعله يؤثر الاستقلال بنفسه على الاندماج فى مسيرة الجماهير الموحدة الطريق والموحدة الهدف . وفى عصرنا هذا عصر الاممیات الكبيرة ذات الأهداف الشاملة ، الشاملة فى خيرها او الشاملة فى شرها ، تكون الفردية المفرطة حجر عثرة فى سبيل الجماهير الى أهدافها ، فلابد من تشذيب هذه الفردية وتهذيبها حتى تتلاءم ومقتضيات العصر . ولعل هذه هى احدى غايات الثورات المتلاحقة فى بلادنا العربية او احدى وسائلها لتحقيق تلك الغايات .

فالى اى مدى استطعنا أن نخرج بالفرد العربى من طور حبة الرمل العصية على الاندماج الى طور ذرة التراب الهشة ، القابلة للتلاحم والتماسك مع مثيلاتها الذرات الأخرى ؟

## ● بين الشعر والموسيقى

منذ اسابيع استمعت الى محاضرة صديق لي كان يعرض قضية فردية العربى بطريقة اخرى ، أو بتشبيه آخر مخالف لتشبيه التركى ذلك الذى ذكرته آنفاً . قال صاحبى المحاضر ان طبيعة الفرد فى الأمة العربية هى طبيعة شاعرية ، فى حين ان طبيعة الافراد فى الامم المتقدمة فى عصرنا هذا هى طبيعة موسيقية . بمعنى ان الفرد العربى شاعر ، يشعر بنفسه وينشد شعره وحده ، ويظل دوماً فى ما ينظم وما ينشد منفرداً . بينما يبدو افراد الأمم الأخرى كالموسيقيين الذين يتالفون ويتعاونون ، وكل منهم يعطى من عنده ، فينتج من عطاء الجميع عمل فني متكامل . ومن هذا التشبيه انتهى المحاضر الى الدعوة الى أن يتطور الفرد العربى ، أو يتغير ، ليتحول من الشاعرية الى الموسيقية ، ومن البيت المفرد أو القصيدة المستقلة ، الى الانتاج الاوركسترالى أو السمفوني الرفيع .

ولقد أعجبني هذا التشبيه الذى أورده صديقى فى محاضرته ، على ما يمكن ان يرد عليه من ماخذ . فالموسيقى ليست بعيدة دوماً عن الفردية . بل انها كثيراً ما ترتد الى الفردية عندما تبلغ ذروة رقيها ، مثلما كانت فردية فى بداية نشوئها . اعمال شوبان للبيانو وكمنجة باغانيني وفيولونسيل بابلو كازالس مثال على ذلك . بل ان الفردية فى الموسيقى قد تصل الى درجة تكون فيها الأوركسترا كلها تبعاً ، وسمها خادماً ، لآلة واحدة أو اثنتين ، كما فى الكونسرتو . ولكن هذا لا ينفى صدق التشبيه بصورة عامة ، ولا سيما اذا تذكرنا ان الشاعرية فى الروح العربية صفة مؤكدة تبرز فى كل ميدان ، كما برزت قبل فى كل العصور .

## ● ثورات وثورات

اعجبنى هذا التشبيه كما قلت . لقد استطعت به ان اتصور ، او ان اصور لغيرى بشكل أوضح ، المقارنة بين ثورات بلادنا الشاملة التى يراد بها تحقيق الانسجام ، او على الاقل تحقيق التماثل الذى يقود الى الاندماج بين افراد شعوبنا وبين الثورات الجزئية التى تنفجر بها الشعوب الغربية بين الحين والحين .

فليس من شك أن شعوب الغرب اخذت تتمخض كذلك بالثورات . ثورات كثورات



الاعتراض التي عصفت بفرنسا في مايو ١٩٦٨، واخرى كثورات الهيبيين والبتنيك وحشاشي الماريجوانا وال ل . س . د . انها ثورات على الانضباط والنمطية . وبالتشبيه الموسيقي هي صيحات نشاز او صفير استهجان ممن ملوا الرتابة في عزف الاوركسترا الكبيرة او ممن لم تعجبهم القطع الموسيقية التي تعزفها تلك الاوركسترا! بينما تهدف الثورات في البلاد المتخلفة الى القضاء على تفاوتات المجتمع في محاولة ادخال الهارموني إلى جو النشاز المستمر والتنافر الدائم بين العازفين أعني بين أفراد الشعب .

ورغم اعجابي الذي ذكرته بتشبيه صاحبي للفردية والتعاونية بالشاعرية والموسيقية ، فقد أردت ممازحته متظاهراً بمعارضته وقلت له :

– أنا لست من رأيك في أن التعاون على الطريقة الموسيقية هو الذي يصنع التقدم . إذا اتبعنا طريقتك في التعبير نحن الآن موسيقيون ، قد تركنا الشاعرية منذ زمن طويل ، ولكن عللنا لا تزال على حالها .

قال : كيف ؟ نحن لا نزال شاعريين ، أعني فرديين . ومن هذا نتجت اغلب عللنا واليه ترجع اكثر هزائمنا .

قلت : بل لقد دخلنا الطور الموسيقى في مختلف جوانب حياتنا ، في العلم والفن وفي السياسة والاجتماع . واذا اردت الدقة فى التعبير ، فنحن الآن من مراحل تطورنا الموسيقي في مرحلة الدربكة ...

قال متسائلا : مرحلة الدربكة ؟ إني لا افهم ما تعنيه بهذا ...

## ضابط الايقاع

قلت لصاحبي : – ساوضح لك هذا . لنترك جانبا تلك الميادين التي ذكرتها ، ميـــادين العـلم والاجتماع والحـــرب والسياسة ، وناخذ مثالا لما اقول تطورنا في ميدان الموسيقى بالذات ، ويمكنك ان تقيس عليه حالنا فى بقية جوانب حياتنا الاخرى فهل تنكر اننا تجاوزنا مرحلة الآلة المفردة ، مثل الربابة والناي والعود ، ودخلنا في طور التعاون الموسيقي ، اعني طور الاوركسترا ؟

قال مستنكراً : الاوركسترا ؟ اين هي الاوركسترا في موسيقانا ؟ قلت : طول بالك ... كانك نسيت التخت الموسيقي . التخت ليس الااوركسترا صغيرة ، وكل صغير يكبر ...

قال : ولكن الفرق كبير بين التخت الموسيقى والأوركسترا السمفونية .

قلت : انا معك في ان الفرق كبير . ولكنني ، فيما احسب . نختلف فى نوعية هذا الفرق ، ربما رايت ان الفرق يتركز فى عدد العازفين مثلا ...

قال : صحيح . خمسة أو ستة او عشرة عازفين فى التخت الموسيقى الشرقي . وستون أو سبعون او مائة وعشرون عازفا فى الاوركسترا الفيلهارمونية ..

قلت : إنه فرق لا يماري فيه . ولكن الفارق الأساسي ليس فى عدد العازفين بل انه فى القيادتين ، قيادة التخت وقيادة الاوركسترا . انت تعرف بان الذى يقود الأوركسترا هو مايسترو نابغ فى فنه ، اتقن العزف على اثنين أو ثلاث من آلات اوركستراه ، محيط بالعلوم الموسيقية وحافظ لكثير من السمفونيات عن ظهر قلب . وهو ذو شخصية قوية وحس مرهف يدرك به نقاط الضعف والقوة فى افراد فرقته ويعرف كيف يتجنب بعض هذه النقاط ويستفيد من بعضها الآخر . هذا عن قائد الأوركسترا ، اما قائد التخت فمن هو ؟

قال صاحبي : ليس هناك قائد تخت .

قلت : بلى ، انه الذى يسمونه ضابط الايقاع . وهو كما تعرف ناقر الدف ، أو انه فى بعض الأحيان الضارب على الدربكة ..

قال : هذا صحيح .

قلت : الضارب على الدربكة غالباً ما يكون أقل أفراد التخت نصيباً من المعرفة الموسيقية ، ومع ذلك فانه هو الذى ينظم حركات التخت فيحتل بهذا مكان القيادة فيه . لماذا ؟ لأن آلته أضخم الآلات صوتا ، ولأن ضربة كفه اقوى من نقرات انامل العازفين على العود أو من سحبات أيدى عازفى الكمنجة . وإذا تاملت فى آلته وجدتها طبلا فارغاً ... جلدة عقيمة مشدودة على فراغ ...

قال صاحبي : كلامك صحيح . ولكن ...

قلت : دعنى من ولكن . هذه هي الحقيقة ربما كان هناك امل فى أن يتطور تختنا الموسيقى فيصبح اوركسترا حقيقية ذات قيادة جديرة بهذه الصفة . اما الآن فلابد لك من الاعتراف اننا نعيش من تطورنا فى مرحلة الدربكة . وأن جيلنا الحاضر ، إذا قيس تقدم الأجيال بالمقياس الموسيقى ، هو جيل الدربكة ...

لمـــاذا نتجاهل هذه الحقائق الغريبة؟

# من فلسطين المصرية إلى فلسطين العربية

بقلم : فتحي رضوان

هذه حقائق مثيرة يجب أن تعرفها الأجيال الجديدة من العرب والمسلمين عن تاريخهم وكفاحهم ضد المؤامرات الدولية المختلفة. فما يجرى أمام أعيننا اليوم هو ثمرة لمحاولات جرى الاعداد لها منذ أكثر من أربعمائة سنة بلا توقف ... لقد عرف أعداؤنا معنى « الصبر التاريخي » من أجل تحقيق أهدافهم ، ولم يعرفوا معنى اليأس ولم يضيقوا أبداً بالفشل ... وما أحوجنا إلى أن ندرس هذه المحاولات لنتعلم أن التاريخ ليس جولة واحدة ... واقرأوا هذا المقال :

فى العدد الأسبق من الدوحة ، تحدثت عن السلطان عبد الحميد الثانى ، آخر سلاطين تركيا العثمانية العظام ، وقلت إن المطامع المتاججة التى احاطت بهذه الدولة العظيمة التى حملت لواء الخلافة الاسلامية ، بعد الخلافة العربية قروناً ، جعلت من عبد الحميد ، فريسة تناهب ملكها الأعداء فى اليمين والشمال ، واجتمع عليها الطامعون فى مركزها الجغرافى الفريد وفى سلطانها الروحى والمادى المديد ، وفى تحطيمها ، ثم تقسيمها بينهم اشلاء ، لينتهى اسم الاسلام فى هذه المنطقة من العالم ، وليتوارى علم الخلافة من دنيا السياسة ومجال الاقوياء .

ولقد كانت الصهيونية ، وهى رابضة على أبواب الشرق الاسلامى ، تتامل مداخله ومخارجه ، وتتسلل الى منافذه ، تتصل بكل حركة فى هذا الجانب من الدنيا ، أياً كان اسمها وأياً كان هدفها . فتصل نفسها بزعمائها ، وتنسب الى نفسها ، إيمانها بمبادىء هذه الحركة ، وسعيها الى تحقيق أهدافها ، فهى مع الصهيونية الصريحة التى تعمل على الاستيلاء على فلسطين باسرها ، وتحويلها الى وطن لليهود أول الأمر ، ثم دولة يهودية صريحة بعد ذلك ، وهى مع المجاهدين العرب الذين كانوا يئنون تحت الحكم العثمانى فى أخريات أيامه ، حينما تدهور وفسد ، وفقد حيويته الأولى ، وكفايته التى صاحبت مولد الدولة ، والذين كانوا يريدون أن يقوضوا دولة بنى عثمان ليعلنوا استقلال الولايات العربية : العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين .

وكانوا – أى الصهاينة – مع دول أوروبا



السلطان عبد الحميد الثانى : منع اليهود من وضع اقدامهم فى سيناء .

الشرقية : اليونان ، والبلغار ، والرومانيين وأهل الصرب والجبل الأسود وكرواتيا الذين يعملون على مقاومة الحكم التركى فى بلادهم بالحديد والنار من خلفهم النمسا ، والروسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا .

وإذا كنا نتحدث طويلا الآن عن شبه جزيرة سيناء ، وعن مستوطنات الصهاينة فيها ، وعن جلاء دولة اسرائيل عن الجزء الباقى منها ، فان الحديث عن (سيناء) امتد سنين وسنين ، وقد بدأ هذا الحديث لا من عقد من السنين ، ولا من قرن ، بل من قرون . وبالذات منذ سنة ١٥١٧ ، عندما دخلت جيوش سلطان تركيا سليم الأول القاهرة ، وأصبحت مصر ، ولاية تركية .

## منذ أربعة قرون

وقد حدثنا المؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى موسوعته العظيمة عن تاريخ «الدولة العثمانية» عن بداية هذه المطامع من هذه السنة ، أى منذ أكثر من أربعة قرون متصلة ، فقال : لما فتح السلطان سليم الأول مصر ، عام ١٥١٧ ، أصدر فرماناً يمنع اليهود من الهجرة الى سيناء . ولما تولى ابنه (سليمان القانونى) عرش الدولة عام ١٥٢٠ أصدر فرماناً لاحقاً أكد فيه ما جاء فى الفرمان الأول ، ولما قبض (سليمان القانونى) الى رحمة الله ، خلفه سلاطين ضعفاء ، فانتهز اليهود فرصة ضعفهم ، وبدأوا يهاجرون فى موجات متتالية ومتقاربة الى الطور ، وكانت انذاك مدينة عامرة بها مزايا عديدة ، منها أنه كان لها ميناء يصلح لرسو السفن التجارية ، وكانت تقصده بالفعل سفن قادمة من ينبع وجدة من موانى الحجاز ، وسواكن من موانى السودان والعقبة والقلزم والسويس من موانى مصر ، كما كانت ترتبط بخطوط برية للقوافل مع القاهرة والفرما . وبذلك يكون اليهود فى الطور قد جمعوا بين الحسنيين العزلة عن العالم المائج بالحركة الذى يمكن أن يحصى عليهم خطاهم ، وبين الاتصال الهادىء المستقر بالحركة التجارية براً وبحراً .

وقد تزعم حركة الهجرة الى (الطور) ، تطلق عليه الوثائق — كما يقول الأستاذ الدكتور الشناوى — ابراهام اليهودى . وقد بدأ الرجل بنفسه فاستوطن هو وأولاده الطور ثم لحق به سائر أفراد أسرته . وكان يمنى نفسه أن تمر السنوات العديدة دون أن يفطن احد الى وجوده ، والى الحركة التى يشرف عليها ويدبرها فى صمت ودأب ، وكان يهمه فوق كل شىء الا تلقى الحكومة العثمانية بالا لوجوده ، ولما يقدم عليه لصالح طائفته . وكان يمكن أن يتحقق امل (ابراهام اليهودى) لولا أن اليهود كالعهد بهم تعرضوا بالأذى لرهبان سانت كاترين ، فشكوا الى (الباب العالى) أى للسلطان ورياسة الحكومة ، وكانت حكومة تركيا شديدة الحرص على رعاية أهل الذمة : أى المسيحيين واليهود . وكانت فى الوقت نفسه لا تحب أن تغفل عن تسلل اليهود الى سيناء فما كاد النبأ يصل الى سمعها حتى أصدرت ثلاث فرمانات جديدة ، وكانت كلها فرمانات ديوانية أى صادرة من الباشا الوالى الذى يحكم الولاية التى يتبعها الموقع محل الشكوى ، وكان الوالى فى حالتنا هذه هو والى مصر ، وكان أول الفرمانات يحمل تاريخ جمادى الأولى سنة ٩٨٩ هجرية والثانى صفر عام ٩٩١ هجرية والثالث فى ذى الحجة سنة ٩٩٣ هجرية ومعنى ذلك أن هذه الفرمانات صدرت فى شهر يونية سنة ١٥٨١ م والثانى فى شهر فبراير سنة ١٥٨٣ والثالث فى شهر ديسمبر ١٥٨٥ ، وكان كل فرمان من الفرمانات الثلاثة يتضمن شكوى رهبان دير سانت كاترين ، كما ينطوى على أوامر مشددة باخراج (ابراهام اليهودى) وزوجته وأولاده وسائر اليهود من سيناء ومنعهم فى قابل الأيام منعاً باتاً من العودة اليها ، بما فيها مدينة الطور أو الاقامة فيها ، وقد طلبت هذه الفرمانات من الموظفين الذين وجهت اليهم تنفيذ هذه الأوامر بلا تردد ، فلا يجوز لأى منهم أن يتاخر عن هذا التنفيذ يوماً واحداً ، ثم ختمت هذه (الفرمانات) بوجوب رعاية رهبان سانت كاترين وبعبارة : «وامتثلوا بالأوامر العالية وقابلوها بالسمع والطاعة» .

وهذه الفرمانات والظروف التى صدرت



هرتزل : راى ان يبدا الصهاينة باستيطان العريش ، على عكس ما فعل اليهود عام ١٥٨١ .

« .. انصحوا هرتزل بألا يتخذ أى خطوات فى موضوع اقامة جامعة عبرية فى القدس .. إنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد فى الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى . لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم . وإذا مزقت امبراطوريتى يوماً ، فانهم يستطيعون انذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حي فان عمل المبضع فى بدنى بلا مخدر ، لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى وهو أمر لا يكون . إنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن أحياء » .

« السلطان عبد الحميد الثانى »

فيها ، والأهداف التى استهدفتها والألفاظ التى استعملتها تدل على أمور منها :

أولا : إن الصهاينة كانوا يضعون أعينهم على سيناء منذ أكثر من أربعة قرون ، باعتبارها مجرد مدخل الى فلسطين كلها وهذا أمر يجب ان نتعلم منه ونتعظ به ، فالآخرون لا يفعلون فعلنا ، يطلبون الشيء ، فاذا بعد عنهم ، وقامت صعوبات فى طريقهم صرفوا النظر عنه ، ويئسوا من الوصول اليه ، وربما لعنوه . ولكن هؤلاء ، الصابرين ، الصامدين يصلون فى آخر الأمر الى غايتهم ، فى حين يبقى الفشل وخيبة الأمل من نصيبنا .

ثانيا : ان الدولة العثمانية منذ دخولها الى مصر وتحملها مسئولية الدفاع عن أرضها ، وحقها فى وجه الصهاينة الطامعين اخذت للأمر عدته ، فمنعت اليهود من وضع قدم لهم فى سيناء ، وتشددت حتى طردت رجلا واحداً وأسرته من الطور ، ونبهت موظفيها بالا يعود اليها باى سبب ، وهذا مسلك يليق بدولة عظيمة ، فالدول العظيمة لا تستصغر شراً ، وإن بدا حقيراً ، فالشرور الصغيرة تلد المصائب الكبيرة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . ولعل شدة حرص السلاطين العثمانيين فى كل ما يتصل بفلسطين وسيناء راجعة الى ما عرفته تركيا من احابيل ، وكيد اليهود وزعمائهم .

ثالثاً : إن حرص الدولة التركية على تطهير سيناء من الوجود الصهيونى مهما ضعف ، كان مقروناً بمودة عظيمة لرهبان سانت كاترين لثلاثة بواعث : الأول ان هؤلاء الرهبان من رعايا الدولة ، ولهم عليها حق توفير الأمن والدفاع . والثانى ان هؤلاء الرهبان جماعة مستضعفة فلا يليق ان تترك نهباً للصهاينة الطامعين والمزودين بجماعات غنية تنفق عن سعة ، وتستعين بنفوذ الكثيرين فى الدولة البريطانية والفرنسية والروسية القيصرية . والثالث ان هذه الحماية التى تقدم لرهبان سانت كاترين تكسب للدولة العثمانية مودة العقلاء والمنصفين فى العالم الغربى ، وترد عن الدولة العثمانية الاتهامات العنيفة بان تركيا دولة الخلافة العثمانية ، هى دولة متعصبة ضد أهل الكتاب أيا كان اسمهم أو مذهبهم أو موقفهم من الدولة .

هذا كله حدث قبل أن يصل السلطان عبد الحميد الثانى ، الى سدة العرش فى سنة ١٨٧٦ ، وكان لابد أن تزداد الأطماع الصهيونية فى دولة بنى عثمان ، فقد مرت السنون وهى تحمل لتركيا كل يوم سبباً من أسباب الضعف ، وتحمل لدول الغرب مبرراً من مبررات الطمع فى أملاك هذه الدولة ، والانقضاض عليها ثم التهامها .

## الرجل المريض

فاذا كانت الدولة العثمانية قادرة على ان تقفل باب (شبه جزيرة سيناء) فى وجه الصهيونية الشرهة ، التى يطير صواب زعمائها ، كلما رأوا فلسطين فى يد الأتراك الذين مال عليهم الزمان ، وحرمهم السلطة والسطوة ، بعد عز ضخم وحكم باذخ ، وقد كان أعظم ما يشعل نار الأطماع الصهيونية هو ما تسامع به أهل السياسة من مفتريات تصور لهم السلطان عبد الحميد ، بانه رجل مافون ، تصل ذقنه الى ركبته ، من فرط الضعف والعجز عن أن يقيم رأسه ، وأن عينيه مغمضتان تغطيهما أجفان ثقيلة مسدلة ، لا يستطيع السلطان العجوز أن يرفعهما ، وصوت مختنق خافت لا يكاد يخرج من بين شفتى السلطان ، فلا يسمعه جليسه . هذا الى خطى ثقيلة ينتقل بها من مقعد الى مقعد ، وكأنه السلحفاة .

هذه الصورة الرهيبة ، التى صنعها الاستعمار الغربى لنفسه ، ثم روجها لغيره ، كان يقصد منها أن تركيا التى أسموها (الرجل المريض) فى أوروبا يحكمها رجل أكثر منها مرضاً وانها لذلك جديرة بأن تزال عن وجه الأرض إذ لا يمكن أن يصدر عن شخص اعتلت صحته ، واختل عقله الى هذا الحد قرار حكيم ولا تصرف سليم ، ولكن قد سئل جمال الدين الأفغانى عن السلطان عبد الحميد فقال فى وصفه : إن السلطان عبد الحميد لو وزن باربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم : ذكاء ودهاء وسياسة ، خصوصاً فى تسخير جليسه ... ولا عجب إذا رأيته يذلل ما قام فى ملكه من الصعاب من دول الغرب ويخرج المناوىء له من حظيرته راضياً عنه وعن سيرته مقتنعاً بحجته ، سواء فى ذلك الملك والأمير والوزير والسفير .

وقد كتب للسلطان عبد الحميد أن يواجه الزحف الصهيونى فى أخريات القرن التاسع عشر وأوليات القرن العشرين ، وتعرض لضغوط هذا الزحف ، بوسائلها العديدة المالية والسياسية والادارية ، الداخلية والخارجية . وكان الزعماء من دهاقين السياسة ، يظنون أن هذا الرجل العجوز الذى تتردد أنفاس صدره ، والذى يغمض عينيه كالحرباء فكأنه لن يصحو ، والذى يسمع أكثر مما يتكلم ، ويطرق طويلا بين الجملة والجملة ، والألفاظ تخرج من شفتيه وكأنها تأبى أن تنطلق ، ظنوا أنهم قادرون على أن يحملوه حملا على الاذعان لأمرهم والخضوع لمطلبهم .

فلننظر ماذا فعل هرتزل زعيم الصهاينة ، وصاحب فكرة (الدولة اليهودية) والسياسى المرن ، الدوار ، الكرار ، الفرار ، والصحفى اللامع البراق الجذاب .

## فى حلبة المصارعة

قال الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى موسوعته العظيمة «الدولة العثمانية» دولة مفترى عليها :

إن تيودور هرتزل قد أطلق على (سيناء) اسماً معبراً هو «فلسطين المصرية» ليتخذ منها فى قابل الأيام نقطة وثوب الى فلسطين الآسيوية أو فلسطين بمعناها المتعارف عليه . ورأى هرتزل أن يبدأ انصاره الصهيونيون استيطان منطقة العريش ، أى فى شمالى سيناء بدلا من جنوبها أى على عكس ما فعل اليهود عام ١٥٨١ عندما حاولوا

استيطان منطقة الطور ودير سانت كاترين . ولذلك دخل هرتزل فى مفاوضات سنة ١٨٩٨ مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية وبخاصة جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات واللورد لاتردون وزير الخارجية من أجل توطين اليهود فى سيناء على أساس اقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتى فى نطاق الامبراطورية البريطانية (١) «ص ٩٧١ من كتاب الدولة العثمانية للدكتور عبد العزيز الشناوى » .

إذن التقى هرتزل وعبد الحميد ، فى حلبة المصارعة ، أو التقى السبع بالنمر ، ولكن الأسد يبدو هزيلا ، اثقلت الأيام حركته ، وقيدت قوته ، فى حين كان النمر صغيراً شاباً كثير الحركة ، يقبل ويدبر ، ويلف ويدور ، فكيف انتهت المعركة ؟

ورحب الوزيران البريطانيان بالاقتراح الذى تقدم اليهما ، لتاذن الحكومة الانجليزية باستيطان اليهود فى سيناء ، وأغرى الصهاينة الوزيرين على قبول هذا الطلب بثلاثة فوائد : هى أن تتولى الدولة اليهودية حماية الضفة الشرقية لسيناء ، وعزل مصر عن الولايات العربية فى غربى أسيا ، وإضعاف الدولة العثمانية .

وإحيل الطلب الى حكومة مصر ، فى وقت كان فيه «اللورد كرومر» هو حاكمها الفعلى ، وملك وادى النيل غير المتوج ، فالفت لجنة مصرية من ستة موظفين بالحكومة المصرية ، لم يكن فيهم مصرى واحد ، ولا يبعد أن يكون فيهم يهودى أو أكثر . وغادرت اللجنة القاهرة فى يناير الى سيناء وعادت فى مارس وأوصت بان تكون البداية هى استيطان العريش ، على أن توضع خطة لتعمير سيناء على أسس علمية يستعان فى تنفيذها بمهندسى الرى والزراعة والسكك الحديدية والموانى وأن يسمح لها بجلب ماء النيل ، وأن تكون أخر الأمر دولة بريطانية أى احدى دول الكومنولث ، ولا تكون تابعة لمصر باية صورة من الصور .

وينتقد الدكتور محمد عوض فى كتابه «الاستعمار والمذاهب العسكرية» الصادر فى سنة ١٩٥٦ الحكومة المصرية أنها فرطت



كرومر : نظر الطلب الخاص بتولى اليهود حماية الضفة الشرقية لسيناء .

فى حق الوطن حتى سمحت للجنة أجنبية أن ترتاد سيناء بقصد النظر فى توطين اليهود فيها ، أو رفض ذلك . والغريب أن يصدر هذا الانتقاد من عالم مصرى ، يعرف جيداً درجة خضوع الوزارة المصرية للمعتمد البريطانى الذى يملك فى البلاد كل شىء .

وكان ذلك أول تصادم بين هرتزل والسلطان عبد الحميد ، فقد رفض السلطان هذه الفكرة رفضاً نهائياً لا هوادة فيه ، وأرسل للحكومة البريطانية يقول ان سيناء جزء من مصر ومصر ولاية تركية ، فلا شان لبريطانيا بها ، وقد اضطرت بريطانيا الى ارسال مذكرة لهرتزل فى يونيو سنة ١٩٠٣ مضمونها انه يتعذر المضى فى مشروع توطين اليهود فى سيناء ، ثم عززتها بمذكرة ثانية فى ١٦ يوليه عام ١٩٠٣ ( أى نفس العام ) تؤيد المذكرة الأولى وتقرر انها قررت نهائياً العدول عن هذا المشروع .

وفى سنة ١٨٨١ قتل القيصر اسكندر الثانى امبراطور روسيا ، وقالت دوائر الأمن العام فى موسكو ، ان التحقيقيات أثبتت انه كان لليهود يد فى هذه الجريمة ، فاشتد اضطهاد اليهود وكانوا أصلا يعانون من تعذيب مستمر على يد السلطات الروسية . واشتد طلب اليهود ليهاجروا إلى سيناء باذن من السلطة العثمانية ، ولكن حكومة السلطان عبد الحميد فى ٢٨ من ابريل ١٨٨٢ أصدرت قراراً بمنع جميع اليهود الراغبين فى الهجرة الى سيناء ( أو أى موقع فى فلسطين ) من السفر اليها ، إلا إذا كان السفر بغير رغبة الاستقرار فى سيناء وعلى أن الاقامة فى فلسطين لا تزيد عن ثلاثين يوماً ، وبقصد زيارة الأماكن المقدسة ، وبعد ضغوط هائلة ، على السلطان عبد الحميد طالت هذه المدة الى ثلاثة أشهر وذلك فى سنة ١٨٨٧ وللحجاج فقط .

وقد حاول هرتزل مقابلة السلطان عبد الحميد ، وبذل من الجهد لتتم هذه الزيارة الشىء الكثير ، وقد تمت أربع مقابلات فعلا بين الرجلين ، فاستعمل هرتزل كل بلاغته فقال للسلطان إن الحركة الصهيونية هى حركة ( إنسانية ! ) ، وانها لا تبغى الأذى بأحد ، والغريب انه حينما منى هرتزل بالفشل فى إقناع السلطان بفتح أبواب سيناء أو فلسطين لليهود ، قال لبطانة السلطان ، فليعوضنى السلطان عن هذا الرفض بمنحى وساماً ، فمنحه السلطان وساماً ، وراح هرتزل يزعم للناس انه مقرب من خليفة المسلمين ومن مريديه ، فقال السلطان كلاماً نختم به هذا البحث :

« انصحوا هرتزل بالا يتخذ أى خطوات فى موضوع إقامة جامعة عبرية فى القدس إنى لا أستطيع أن اتخلى عن شبر واحد فى الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى ، لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتى يوماً ، فانهم يستطيعون آنذاك أن ياخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وانا حى فان عمل المبضع فى بدنى بلا مخدر ، لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى وهو أمر لا يكون . انى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن أحياء » .

فتحي رضوان

# قصة العلاقات العربية الهندية

بقلم: أحمد العناني

تَمْثُل شبه الجزيرة الهندية مثولا بارزاً فى التاريخ العربى الاسلامي منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، ويدخل الفكر الهندى وأدب الهنود وإخصاب المشاهد والتجارب مع الهند ، فى ادبنا وعاداتنا وبعض مفردات لغاتنا ، وفى أشد الفصول طرافة من كتب رحالينا وعلمائنا ، وأخبار تجارنا وبين ثنايا القصص الشعبى لا سيما فى شرقي شبه الجزيرة العربية ، وفى كل من السودان ومصر ، حيث كان لابد من اتصال بين البحر الأحمر والخليج بالهند ، قد ينشط من كليهما أحياناً ، وقد يشتد بين أحدهما والهند على حساب الآخر لفترة تعود بعدها الأمور لسابق عهدها .

تشكل البلدان الواقعة فى حوض المحيط الهندى وحدة اقتصادية اجتماعية بكل ابعاد الكلمة ، ويدخل فى هذه المنطقة بلدان بحر العرب وخليج عمان . ففيها جميعا ، وعلى تفاوت فى الكمية تسقط الامطار الموسمية ، وتتشابه الاحـوال المناخية ، والاحوال والاعراف الملاحيـة .

وتنتقل بين الجانب والآخر العـادات والتقاليد الاجتماعية ، كما تتوافر الجاليات السكانية فى المرافىء والمواقع التجارية ..

ومن مجموع هذه الحقائق فان علاقات بلدان الخليج واليمن وسواحل البحر الأحمر بشبه القارة الهندية هى علاقات اقدم من التاريخ المكتوب ، واذا كانت الفتوح الاسلامية ابتداء من فتح السند على يد محمد بن القاسم فى القرن الاول للهجرة ، وتالياً فى عهد الدولة الغزنوية قد دخلت تلك العلاقات أشد مراحلها نشاطا وسعة اتصال ، إلا انها على مستوى اقل كانت قائمة على امتداد العصور فالكلام عن السيوف الهندية والهندوانية ، والطيب الهندى ، حديث سابق للاسلام . لكنه يجب الاعتراف بان مسافة البعد بين مناطق المحيط الهندى كبيرة ، وان الاحوال السلمية المواتية للتجارة سواء فى الهند او فى بلاد العرب كانت دائماً الشرط اللازم لازدهار تلك العلاقة التاريخية فيما بينهما ، ومع ذلك ، ففى أشد الظروف سوءاً ، فان المتاجرات بالمواد الاساسية لم تكن تتوقف بالسفن الصغيرة فى المثلث الشامل للخليج وافريقيا الشرقية والهند ، وليس كذلك الحال مع الصين مثلا حيث لم تبدأ التجارة الناشطة على اى مستوى معها إلا بعد استلام أسرة صنج ( ٩٦٠ ـ ١٢٠٦م ) مقاليد الحكم هناك ، وما يزال الصينيون يتكلمون عما يسمونه مدينة « ماذون » ويعنون بها صحار فى عمان ، ذلك بان « صحار » كانت عاصمة المنطقة التى عرفت باسم « ماذون » خلال فترة الاحتـلال الساساني لقسم من الساحل العربى فى القرن الثالث الميلادى (١) .

## السلام الاسلامي

لم تعرف آسيا العربية وآسيا الوسطى وشرقى افريقيا فترة احفل بالازدهار ونشاط الاتصال على عدة مستويات ومحاور كما عرفت ذلك فى العصرين العباسيين الأول والثانى بخاصة وما زال العالم كله يستمتع بالآثار العظيمة للسلام الاسلامى الذى هيمن على هذه المناطق طوال ستة قرون ونيف من الزمان . إذ لم تقتصر الأمور على التبادل التجارى الذى ادخل بضائع الهند وافريقيا الى كل بيت ميسور فى أوروبا ، ولكنه انتج آثاراً عظيمة فى إيجاد نوع من الثقافة العالمية ولغة للتجارة دولية ، كما اوجد نظام التحاويل المالية وجعل من الدينار الذهبى الاسلامى عملة عالمية تقاس عليها قيم العملات المحلية (٢) وكان مصدر الذهب الأساسى مناجم السودان بمعناه

الواسع أن كان السودان عند المسلمين (٣) أنذاك يشمل العديد فى الجمهوريات الافريقية امتداداً إلى ساحل العاج فى غربى افريقيا . ومن الحياة المزدهرة التى أوجدها ذلك العصر نشأ قصص الف ليلة وليلة وفيه الكثير عن حياة البحر وأوصاف شتى للهند وسيلان ، وفى خلاله جرت بعض الرحلات المشهورة كرحلة ابن بطوطة ، وفيها يشكل كلامه عن الهند واحداً من أطول فصول رحلته واكثرها امتاعاً وتدقيقاً ، ومع أن هيمنة السلام الاسلامى لم تعد بكل قوتها التى كانت حتى اواخر القرن الرابع الهجرى إلا أن الآثار المترتبة على ذلك السلام ظلت ماثلة فى منطقة المحيط الهندى إلى مجيء البرتغاليين فى مطلع القرن السادس عشر للميلاد ، منتصف القرن التاسع الهجرى .

## قصة الفتوح الاسلامية فى الهند

لقد كانت قمة الفتوح التى باشرها العرب المسلمون هى غزوة محمد بن القاسم الثقفي فى الجزء الجنوبى الغربى من حوض نهر الاندوس ، وذلك ابتداء من عام ٩٠ للهجرة ( ٧١٠ م ) لكن تلك الغزوة لم تكن أول تحرك للعرب ناحية الهند ، فقد كان عرب الخليج يعرفون تلك البلاد وخيراتها وإمكانات الدعوة الاسلامية فيها بخبراتهم السابقة فيها قبل الاسلام ، وكان من نتائج حماستهم فى هذا الصدد انهم اقنعوا عامل ( والي ) البحرين لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو عثمان بن ابي العاص الثقفي بان يغزو موقعاً قريباً من بومباى الحالية يدعى « تانه » فى السنة الخامسة عشرة للهجرة راكبين البحر دون استئذان مسبق من الخليفة الذى أمر بعدم تكرار مثل تلك الغزوة انطلاقاً من تخوفه المعروف على جند المسلمين من ركوب البحر لكن العهد التالى لعمر شهد غارات سريعة متعددة وصل بعضها الى جزيرة سيلان .

لقد كان امراً طبيعياً ان يقع الصدام بين القوة الصاعدة للمسلمين والممالك الهندية المفككة حيث لم يعد بد أن تصبح الدولة البرية الأولى هى المهيمنة ايضاً على الطرق التجارية .. وأمام مثل هذه الحتميات تكثر الأساطير الشعبية كانما هى تعبير عن الرغبات المكبوتة للأمة الناهضة فى تعجلها للحلول محل القوى المتراجعة أمامها .. وما دامت فارس كلها قد أصبحت بأيدى المسلمين منذ عصر الخلفاء الراشدين فقد كان حتماً اصطدام المسلمين بالهنود براً وبحراً ..

وفى مقابل اسطورة الالياذه فى أسباب وكيفيات صراع الاغريق مع الحيثيين فى بواغيز البحرين الأسود والمتوسط عند موقع استانبول الحديثة ، وصراع القراطجة مع الرومان لاحقاً عند البوغاز الفاصل بين صقلية وجنوب ايطاليا ، فقد كان للمسلمين ايضاً اسطورتهم مع الهنود حيث تقول المصادر التقليدية للتاريخ الاسلامى (٤) ان ملك جزيرة الياقوت اراد التقرب من الحجاج بن يوسف الثقفي – عامل الامويين على العراقين الغربى والعجمى – فاهدى له نسوة ولدن مسلمات من آباء لهن كانوا تجاراً مقيمين فى بلاده ، فعرض للسفينة التى كن بها قراصنة هنود فاستلبوا النسوة منها فصاحت إحداهن ، وكانت من بنى يربوع « يا حجاج » وبلغ ذلك الوالى الاموى فصاح « يا لبيك ! » وارسل من فوره رسولا إلى داهر – من ملوك السند – يطلب تسليم النسوة فاعتذر داهر بانه لا يستطيع ان يامر قراصنة البحر فاغزى الحجاج اثنين من عماله ( ولاته ) فى مكران لكن القوة التى كانت مع كليهما فى الحالتين كانت اقل شاناً من تحقيق الغاية فاستشهد الرجلان تباعاً ومعهما معظم جندهما .. واذ ذاك قرر الحجاج ان يتعامل مع الموضوع على مستوى اكبر فوجه الى ابن عمه محمد بن القاسم بان يوقف مهمة سابقة له فى بلدة الري بخراسان وعقد له على مكران وثغر السند وأمره أن يقيم بشيراز إلى ان توافيه الامداد وكان فيها عشرون الفاً من افضل مقاتلة البر من المسلمين ، واسطول بحرى يسير بمحاذاة طريق المشاة فى مكران ومعه تجهيزات كاملة من عدد الحرب وخمسة منجنيقات ضخمة ومؤن ومهمات معدة احسن إعداد .

والواقع انه كان لابد للمسلمين من السيطرة على الطريق البحرى ووقف نشاط القراصنة وذلك هو الدافع الاساسى لمثل تلك الحملة .. أما هذه القصة الشعبية عن استغاثة المراة المسلمة فانها لا تنهض طويلا أمام النقاش وحتى لو حصلت فعلا فلم تكن غير معجل لحوافز الحرب لا سبباً لها .. ونظير ما أعنيه مثلا ما يقال عن تقدم القبائل النجدية من عتوب وقطريين واحتلالهم البحرين وانتزاعها من عرب فارس من آل نصر الكعبيين الذين كانوا يؤدون الجزية لفارس وذلك عام ١٧٨٣ فلا تكاد تجد راوية من رواة الاخبار هنا إلا ويقول لك ان الحرب ما كانت لتقع لولا اعتداء بعض خدم آل نصر على بعض خدم لأهل الزبارة ، والصحيح المقبول عقلا ان تلك القبائل النجدية المتحفزة للحياة كانت بحاجة الى مكان كالبحرين لضمان تجاراتها فى اللؤلؤ ومغاصاتها ما بين البحرين وقطر وان الاصطدام بآل نصر كان حقيقة حتمية سواء اقتل خادم لأهل الزبارة فى سترة بالبحرين أم لم يقتل .

لكنه من أسف بالغ أن الفتوح الاموية لم تكن تحمل سمات الفتح فى أيام الراشدين ، وأن عامل الغنائم والربح المادى بات حافزاً أساسياً فى عهد الأمويين وان لم يعلن عنه ومن هنا كان انحسار الأثر العربى الاسلامى على السند والهند رغم كل البطولات الظافرة التى برهن عليها محمد بن القاسم وجنوده ولنا إلى هذا رجعة ان شاء الله تعالى .

**احمد العناني**

● كان أمراً طبيعيّاً أن يقع الصدام بين القوة الصاعدة للمسلمين والممالك الهندية المفككة

● عندما وجد المسلمون ضرورة أن يسيطروا على الطريق البحري ووقف نشاط القراصنة

(١) دائرة المعارف البريطانية مادة «تاريخ الهند»
(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى – ادم متينر – ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده – دار الكتاب العربى / بيروت .
(٣) د . حبيب جنحاني تاريخ التجارة الاسلامية فى القرنين الخامس والسادس / جامعة تونس .
(٤) البلاذري – فتوح البلدان وغيره .

# سيناء.. ودرب الحاج

بقلم: درويش مصطفى الفار

فى يوم الخميس ، غرة يونيو (حزيران) الأسود سنة ١٩٦٧ ، كنت فى رحلة عمل مع الشاعر البدوى ، سويلم بن دخيل الله ، شيخ قبيلة الحويطات فى سيناء ، لاستطلاع مظان لخام المنجنيز ، فى كتلة المرتفعات المعقدة بين بئر (جبيل حسن) ونقب ( إم إثلة ) الذى اشتهر فى معارك سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ باسم مضيق (متلا) لخطأ فى الترجمة طالما وقعنا فيه عند النقل من الخرائط البريطانية ، دون ان نرجع لأهل البلاد ، من العارفين ... وبعد انتهاء الاستطلاع ، وقفنا على قمـــة ، نستشرف طريقا يتدفق فوقه سيل مزمجر من الفولاذ ، متجه نحو الشرق ، بدعوى الاستعداد للثار واسترداد الارض والكرامة ... كما كانت تصور لنا القيادات آنذاك .. وطفقت مع الشيخ الشاعر البدوى . أحلم بعودة الحياة إلى « درب الحاج » ، بعد ان يبطل مفعول اللغم العائق الموضوع ، باتفاق تام بين الغرب والشرق عمداً مع سبق الاصرار والترصد ، لفصل المغرب العربى عن مشرقه ... وحدثت الكارثة ، التى لا تزال تجرجر أذيالها ، عقب تلك الرحلة باربعة أيام ، واختفت سيناء فى غيهب لم يسبق له مثيل فى تاريخها الطويل العريض ، واصبحت كلا مباحاً لكل شذاذ الآفاق على سعة العالم كله ، زهاء خمسة عشر عاماً ميلاديا الا اثنين واربعين يوماً ..

اما وقد عادت سيناء فان موضـــوع ( إحياء ) درب الحاج ، عبر وسط سيناء ، يستحق وقفة تامل جديدة ... فلهذا الدرب بالذات شان فى تاريخنا يفوق الدروب الأخرى للحجاج إذ ان الذى اختطه أصلا هو ، قاهر التتار ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ( ٦٥٨ هـ ٦٧٦ هـ ) بعد ان طهر رأس خليج العقبة من بقايا الغزوة الأوربية الصليبية . وظل هذا الدرب طريق الحاج إلى مكة المكرمة منذ سنة ٦٦٥ هـ ( ١٢٦٧ م ) لكل مسلمى غرب وشمال افريقيا حتى سنة ١٨٨٥ م ، حيث بدأ استخدام النقل البحرى الحديث بين السويس وكل من مينائى « ينبـــع » و « جدة » . وكانت القوافل تقطع ذلك الدرب فى عشرة أيام من السويس غرباً إلى العقبة شرقاً ..

ومن باب التصديق باننا حقيقة جادون فى البحث عن مسالك وأبواب لرأب الصدع ولم الشعث ، وجمع الشمل ، والالتقاء فى نقطة ما ، فاننى ادعو العرب جميعاً ، للبحث عن طريقة يتعاونون فيها جميعاً ، بعيداً عن السياسة ، وباسلوب يسقط كل الاعتراضات التى قد يثيرها الأصدقاء ، قبل الاعداء ، وذلك بالتخطيط العلمى الصحيح لاحياء « درب الحاج المصرى » .

وليس المقصود بهذه الدعوة مجرد انشاء طريق معبد مرصوف يســلكه الراغبون فى الحج براً من مصر وشـمال وغرب افريقيا ... ولكن المقصود هو إنشاء شريط من العمران الكثيـف ، فيما بين السويس غرباً وبئر طابا شرقاً ، باموال عربية محضة ، تحت لواء هيئة شعبية عربية من كل بلاد العرب ، تقوم بدراسة جميع الامكانيات التى يمكن بها جعل ذلك الطريق ، درب الحاج المصرى ، عامراً بالحياة والبشر العـاملين المنتجين ، تعدينياً ، وزراعياً وسياحياً ، واتخاذه شرياناً للوصل بين المغرب والمشرق فى الوطن العربى ، على الرغم من الوضع القائم فعلا ... ونضع أمام تلك الهيئة العربية التى تضطلع بتمويل وتخطيط وتنفيذ هذا المشروع ، الجديد فى نوعه ، بعض الحقائق على الصورة التالية :

١ ـ ليست هنالك ، فى ما أعتقد ، اية حساسية ان تنشأ مثل تلك الهيئة من العرب جميعاً ، فى قطر عربى ، هو فى هذه الحالة مصر ، نظراً لأننا ، مثلا ، قبلنا بمبدأ « القوة المتعددة الجنسيات » ومن غير العرب . وربما تكون هذه سابقة حسنة يقتدى بها لمشاريع مماثلة ، ولكنها ليست على نفس الدرجة من الأهمية الموضوعية والوحدوية مع هذا المشروع .

٢ ـ هنالك إمكانيات فى تواجدات الماء الباطن على جانبى ذلك الدرب وإلى أعماق مختلفة جنوباً وشمالا ، يمكن عليها قيام عمران زراعى مرموق .

٣ ـ هنالك أيضاً إمكانيات تعدينية ، لصناعة الأسمنت مثلا ، ولاستخراج الأملاح والخامات المعدنية المختلفة لا باس بها ولا يمكن إغفالها .

٤ ـ هنالك إمكانيات سياحية ، يكفى ان نذكر منها ، قلعة صلاح الدين الأيوبى فى وادى صدر ، فضلا عن ان مثل هذا المشروع سوف يقتضى شمول الامكانيات السياحية بطول سيناء وعرضها ، من معبد سرابيط الخادم ، ودير سانت كاترين وساحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل خليجى العقبة والسويس .

٥ ـ إن جميع الأساليب والأجهزة التى اضطلعت بجوانب من التعمير فيما قبل سنة ١٩٦٧ كانت قاصرة بل ثبت فشلها فى كثير من الحالات ، وثبت انها تنفق المال بلا تخطيط ولا روية ولا استخدام علم ، مما يقتضى بالضرورة ، أن تكون الهيئة العربية المقترحة لاحياء مشروع درب الحاج المصرى واعية لما يلى :

أ ـ أن لا يندس ، تحت أى ضغط ، بين صفوفها ، احد من غير الأكفاء المولعين باحياء موات الصحارى العربية .

ب ـ أن يكون لها نظام مالى صارم ، غير معوق ، ولكنه يعرف اين ينفق كل درهم ودينار ولماذا .

حـ ـ أن ترصد ممتلكات القائمين بالعمل فيها ، وتجعل لمبدأ « انى لك هذا » فعالية واحتراماً .

د ـ أن تجعل فى محاذاة الحوافز والمكافاة على العمل الجيد ، أيضاً العقوبات والروادع ضد العمل الردىء .

٦ ـ إن إحياء درب الحاج المصرى ، ليس وقفاً على موسم الحج الى بيت الله الحرام فقط ، فهو أيضاً طريق مستمر للمعتمرين والمتنقلين براً بين المغرب العربى والمشرق طوال العام .

٧ – إن من مقتضيات إحياء ذلك الدرب إنشاء عدة مدن ذات أغراض محددة ، فمدينة لمستشفى عربى عالمى المستوى ، ومدينة لجامعة علمية عربية تخرج من أبناء العرب كل تقني وعالم يغنى عن استيراد الخبرات ، ومدينة لصناعة الدواء من الأعشاب الطبية الصحراوية للاستهلاك العربى والتصدير إلى مختلف أنحاء العالم ومدينة لتدريب رجال الشرطة العرب على كل أساليب وتقنية الأمن والمرور ، بحيث تتخذ هذه المدن الطابع العربى الأصيل ، وتحمل كل منها اسم القطر العربى الذى مول إنشاءها ، فهذه دوحة سينا ، وتلك كويت سينا ، وهاتيك ينبع سينا ، وغيرها ، دبى سينا ، وبغداد سـينا ، وأبو ظبى سينا ، وهكذا دواليك .

ويلحق بهذا المشروع دون أدنى تردد ، مكملا لصورته القومية الواسعة مشروع تعمير جزيرتى تيران وصنافر بمدخل خليج العقبة ، بايجاد الوسيلة التى تمدها بماء البحر المحلى بالطاقة الذرية أو بالغاز ، لزرع أكبر مساحة منهما بالأشجار والمحاصيل المناسبة ، وانشاء مركز علمى لدراسة علوم البحار ، ومصنع لتعليب وتجفيف السمك ( والجمبرى ) والمحار ، ومرفق للترويح السياحى الخالى من شوائب العصر ومفاسده ، يلجا اليه محبو الهدوء والقراءة والبحث والاستجمام الأخلاقى النظيف .

ويستكمل الطريق البرى بين السويس وبير طابا بجسر بحرى عائم ينقل المسافرين من البر المصرى إلى الساحل السعودى ، لمواصلة الرحلة براً ، حتى يقضى الله بامره فيما هو قائم من عوائق ..

وليس الذى ذكرت هو كل تفاصـيل المشروع ، وكل ما أوردت من تفاصيل مجرد علامات على الطريق ، يمكن ان تتخذ حجمها الطبيعى اذا وجد هذا المشروع آذاناً عربية صاغية واعية ..

فهل آن الأوان ، وإعتباراً بما واجهناه باخطائنا منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ان نتخذ من سيناء قاعدة نضال ( حضارى ) هادىء النبرات تثبت بها الأمة العربية ( كلها ) انها تستطيع ان تتحدى التحدى الحضارى وأعصابها فى ( ثلاجة ) بعيداً عن الشعر والخيال والعنتريات ، بدأ بانشاءات حول درب الحاج المصرى تستكمل المسيرة إلى الهدف الاسمى الذى سعى إليه منشىء ذلك الطريق ..؟

# فى رحاب السماء

شعر : محمد بن همّام العبد الله

**إلى روح الدكتور علي علي لاظ الذى سقط شهيد الواجب فى ساحة الجامعة**

يَا رِفَاقِى وكلُّ شيْءٍ قَضَاءْ ... وَدِّعونى ولا تطيلُوا الرثاءْ
كلُّ هَـذا الوجُودِ كانَ شقاءً ... اى قلبٍ يطيقُ هـذا الشقاءْ
وَدِّعونى فَرَاحَتِى فى مَمَاتِى ... مثْلَمَا راحةُ الربيع الشِّتَاءْ
أىُّ دنيا رغبتُ فيها وعَيْشى ... لم يَزَلْ مذ وَعَيْتُ غير البَلاَءْ
أين صَحْبِى وأَيْنَ منهمْ حبيبٌ ... صادقُ الودِّ والصَّفَا والوَفَاءْ
لم يكنْ فى الحياةِ غير شعاعٍ ... باسِمِ الوجْهِ مشرقٍ كالضِّيَاءْ
نفحةٌ من تُقًى ومنْهَلُ علْمٍ ... يَتَسَاقَى بعَذْبِهِ العُلَمَاءْ

أيها الوَالِدُ الشهيدُ ودَمْعِى ... كيفَ يرثيكَ . ؟ هل يفيدُ البُكَاءْ
حينَ أرثيكَ لا أَرى غيرَ نَفْسى ... ميِّتًا فى مَمَالِكِ الأَحْيَاءْ
سوفَ تبكيكَ يا صديقى عقولٌ ... كنتَ نُوراً لها وكنْتَ سنَاءْ
وبكتْكَ القلوبُ لو كنتَ تَدْرِى ... كلُّ قلْبٍ بكَاكَ حتى العَيَاءْ
ايها الراحلُ العزيزُ وداعاً ... فى جِنَانِ الخلودِ ثَمَّ اللقاءْ
فى رحابِ الإلهِ ضيفٌ تَقِىٌّ ... عبقرىٌّ الخَلاَقِ جم العطاء
للخلودِ المديدِ أَنْتَ ونحنُ ... لأَسَانا . وللإلهِ البَقَاءْ

رَدّ على: خالد محمد خالد

# التفرقة بين الحب لأهل البيت والإنصاف لحقائق التاريخ

بقلم: إسماعيل الكيلاني

● لا يخفى على الأستاذ خالد محمد خالد، ولا على غيره من المهتمين، وهو الأزهري، ما بذله جامعو السنة النبوية ومدونوها في تنقيتها وتمحيصها وتنظيفها من شوائب الوضع المكذوب، والتزوير الضار الذى قامت به طوائف وشيع، لا سيما في أيام الفتن التى عصفت بالمسلمين منذ أواخر خلافة عثمان ذي النورين رضى الله عنه وما بعدها .. حيث انقسم المسلمون، وبدأت بعض الفئات أو الطوائف تضع من الأحاديث ما يخدم غرضها، ويوافق هواها، ويحقق بالتالى ما تتوهمه مصلحة لها ..

هذا على الرغم من التحذير الشديد، والوعيد المخوف الذى يقصم الظهور: « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .. » .

فاذا كان هذا الاجتراء على الوضع فى مجال السنة النبوية والحديث الشريف فما بالك بأخبار الخلفاء ووقائع التاريخ.؟! وقد قيل قديماً: ( وما آفة الأخبار إلا رواتها ) . وها هو شيخ المفسرين والمؤرخين المسلمين أبو جعفر الطبري رحمه الله يقول فى مقدمة تاريخه: ( ... فما كان فى كتابي هذا مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجه فى الصحة، ولا معنى فى الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنما أديناه على نحو ما أدى إلينا ) ويسترسل رحمه الله موضحاً ومعتذراً عن هذا الايراد فيقول ( ... إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج ... ) ولو أنه كان يروي الأخبار ليحتج بهاء أو ليرتب عليها حكماً وقضية، كالحديث الشريف مثلا، لما تركها هكذا ولالتزم فيها مناهج المحدثين فى الجرح والتعديل وقواعد النقد الصحيح ..

ولكنه أورد الروايات بأسانيدها تاركاً لمن أراد الاحتجاج أن يتثبت ويتحقق ..

ثم إننا نعيش الآن فى عصر تقدمت فيه وسائل الاعلام وتطورت، وأصبح الاتصال بين بني البشر ميسوراً سهلا مهما كانت المسافات بعيدة .. فى عصر ساد فيه التدوين والتاريخ، وتقدمت وسائل الكتابة والطباعة والنشر تقدماً كبيراً .. وعلى الرغم من هذا كله نجد أن كثيراً من الوقائع والأحداث التى قد يكون الانسان معاصراً لها أو معايشاً إياها، دونت وتناقلها النـــاس على غير حقيقتها، أو غير الوجه الذى يجب أن تدون عليه . فكم من هزيمة قدمت للناس على أنها نصر مؤزر، وكم من مترعم أو متسلط رويت سيرته وقدمت على أساس أنه من أعدل العادلين، وكم من مظلمة اجتماعية قدمت على أنها عدالة بين الناس ومساواة فى التوزيع .. الخ ..

هذا بالنسبة لأحداث عاشها أو يعيشها الانسان فى عصره، فما بالك بأحداث القرون التى تطاولت، ونقلت مشافهة فى بداية أمرها ثم دونت، وكثيراً ما كانت تدون أحداث بعض الدول والرجال فى عهود معادية لهم، قامت على أنقاضهم، وكل همها تتبع عوراتهم، وقد تدعي عليهم ما ليس فيهم ..

## فى ذكرى كربلاء

والذى دعا إلى هذه الكلمة ما كتبه الأستاذ خالد محمد خالد فى مجلة «الدوحة» العدد الحادي والسبعين، تحت عنوان: « فى ذكرى كربلاء العظيمة » حيث لم يكتف الأستاذ خالد ببيان أن الولاء يجب أن يكون للحق وحده دون غيره، وأن خروج الحسين رضى الله عنه لم يكن لتحقيق مغنم أو لبناء مجد شخصي .. وإنما كان لاحقاق الحق، وتضحية جليلة فى سبيل هذا الحق، حتى تبقى مثل هذه التضحيات منائر تضيء طريق الحق للسالكين .. ولو أنه اكتفى بذلك لكان حسبه، حيث إن الحسين رضى الله عنه قتل شهيداً مظلوماً فى سبيل ما اعتقد من حق وصواب ..

ولكنه دندن حول أمور أفضى أصحابها إلى الله عز وجل، وجاء بروايات يلمح القارىء من خلالها تكفيراً لواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليته عند اختياره ما اختار من روايات قام بتمحيصها ما دام يريد أن يرتب عليها قضية، كما كان يفعل أسلافنا من المحدثين رحمهم الله تعالى، وليته أيضاً ذكرها للقارىء بسندها

**فى العدد « ٧١ » من « الدوحة » .. كتب الكاتب الكبير خالد محمد خالد مقالا بعنوان « فى ذكرى كربلاء العظيمة » .**

**وفى هذا العدد يرد الأستاذ إسماعيل الكيلانى مسئول البحوث الاسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ، على بعض ما ورد فى مقال الأستاذ خالد محمد خالد .**

أو ذكر المصدر الذى استقاها منه ، حيث لا تخرج فى حقيقتها عن كونها رواية من مجموعة روايات تحتمل الصدق وغيره ، وقابلة للفحص والاختبار ..

فأبو سفيان بن حرب الذى أورد الأستاذ خالد الرواية التى تشكك فى إسلامه ناقلا على لسانه وهو يوصي أهل بيته بالتمسك بالملك قوله : ( لقد صار الأمر إليكم ، فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه تلقف الكرة ، فانما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار .. )

وما زعم من أن أبا سفيان وقف على جدث ( قبر ) سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهو يقول : ( يا أبا عمارة ، إن الأمر الذى اجتلدنـا عليه بالسيوف قد صار إلى غلمان بني أمية .. )

ما الذى صار إلى بني أمية ؟ الذى صار إليهم ـ بزعم الأستاذ خالد محمد خالد ـ هو الملك ، فهل كان حمزة رضى الله عنه يجتلد مع بنى أمية على الملك ، أم أنه كان يجاهد لاعلاء كلمة الله تعالى وقد استشهد فى سبيلها ؟!

أبو سفيان بن حرب هو الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على «نجران» ، ومات عليه الصلاة والسلام وهو أمير عليها .. فما قيمة ما يورده الكاتب من رواية بجانب اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى الامارة ، وهى أمانة ومسؤولية ..

وكذلك ألم يكن كثير من أمراء النبى صلى الله عليه وسلم على الأعمال من بنى أمية .. ألم يستعمل عتاب بن أسيد بن أبى العاص ويستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، وأبان ابن سعيد وغيرهم .. ؟ ( منهاج السنة : ٢ / ٢٢٢ ) .

ألم يشارك أبو سفيان في معارك الفتح الاسلامي ؟ فلو لم يكن صادقا في دينه ، وما يدري أجنة أم نار ؟! أكان يعرض نفسه للهلاك فى اليرموك ؟

عن أبى أمامة ، وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما ، قال : « إن النساء قاتلن يوم اليرموك ، فخرجت جويرية بنت أبي سفيان وكانت مع زوجها وأصيبت بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان ، فاخرج السهم من عينه أبو خيثمه .. » ( منهاج السنة : ٣/٤٠١ ) .


خالد محمد خالد .

ويروى ابن كثير فى تاريخه ( ٧/٩ ) أن أبا سفيان بعد أن وعظ المقاتلين وشجعهم ، وذكرهم الله عز وجل ، ذهب أيضا إلى النساء فوصاهن ، ثم عاد فنادى :

« يا معشر أهل الاسلام حضر ما ترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم » ثم سار إلى موقفه رحمه الله.

أهذه كلمات رجل ما يدري أجنة أم نار ، أم كلمات قلب عامر بالايمان ، مؤمن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

ويبدو أن الأستاذ خالد محمد خالد لم يطلع على رواية التابعي الجليل سعيد بن المسيب عن أبيه الذى كان حاضرا غزوة اليرموك ، أو اطلع عليها لكنه ذهب وراء تشكيكه .. قال سعيد عن أبيه :

هدأت الأصوات يوم اليرموك ، فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول : « يا نصر الله اقترب .. الثبات يا معشر المسلمين .. » فنظرنا ، فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد .. ( ابن كثير : ٧/١٤ ) .

لقد ثبت يومها ابنه يزيد ، كما ثبتت ابنته جويرية ، وقاتل قتالا شديدا ، وقد أوصاه والده قائلا :

« يا بني ، عليك بتقوى الله والصبر ، فانه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين إلا محفوفا بالقتال ، فكيف بك وباشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة .. فاتق الله يابنى ، ولا يكونن احد من أصحابك بأرغب فى الأجر والصبر ولا أجرأ على عدو الاسلام منك .. »

فقال يزيد رضى الله عنه : افعل إن شاء الله .. وقد فعل ، وكان من ناحية القلب وقاتل قتالا عظيما . ( ابن كثير : ٧/١٣ ) .

واستمع إلى قوله وهو يتجول بين الصفوف قبيل المعركة : « الله الله ، إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك .. » ( الطبري : ٣/٣٩٧ ـ ابن كثير : ٧/٩ ) .

صحيح أن أبا سفيان كان من أعدى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بذل الأموال والجهود وجيش الجيوش لقتاله والصد عن دين الله عز وجل ، لكنه عاد فأسلم ، والاسلام يجب ما قبله ، كما جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص وقد أراد الدخول فى الاسلام وقال : أريد أن أشترط .. أن يغفر لي . فقال عليه الصلاة والسلام :

« أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله .. » .

ودخل أبو سفيان فى دين الله عز وجل ، كما فعل كثير من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم كعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مثلا ، الذى بذل أقصى ما يستطيع فى سبيل رفعة هذا الدين حتى استشهد يوم اليرموك ومعه ولده علي رضى الله عنهما ، وهو الذى قال عندما اشتد وطيس المعركة يوم اليرموك : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن ، وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين .. ولما ترجل يقاتل الروم وراءه خالد بن الوليد رضى الله عنه وناداه أن يرفق بنفسه ، قال له : مهلا يا خالد ، فوالله لقد قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفلا أذود الآن عن الاسلام وأرجو أن تكون هذه بتلك .. ومشى حتى قتل رضى الله عنه ..

وفى صحيح البخاري : لما أسلمت هند بنت عتبة زوجة أبى سـفيان قالت : «والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض

أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك .. »

## التجنى على ( حقائق التاريخ )

فما هى مسوغات التشكيك من الناحية العلمية ، وما هى فوائده لمجتمع المسلمين اليوم من الناحية العملية إلا تعميق الهوة ، وإيجاد الشروخ ، وتكريس التنابذ ، وإثارة الأحقاد ..

أيقبل الأستاذ خالد محمد خالد أن ينسب إليه القول بفصل الدولة عن الدين ، وأن الاسلام كالنصرانية ؟! . أم أنه يرد على من ينسبه إلى هذا ، بانه اعلن توبته وتراجعه وانه سجل على نفسه .. ( ويبدو انني يوما - عندما قال إن الدين لا يعنيه أن يكون دولة ولا يعنيه أن يتدخل فى بناء الدولة - كنت متأثراً بتصور مسيحي عن الحكومات الدينية ، لا سيما تلك التى قامت تحت ظل الكنيسة فى أوروبا فى عصور الظلام ، ناسياً يومها أن الاسلام مختلف جداً ، وأن الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى .. وفى الاسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين .. ) جريدة الأخبار القاهرية العدد ٧٨٥٨ الثلاثاء ٢٣ اغسطس ١٩٧٧ ) .

واكد أن الاسلام دولة ودين ، وانه أصدر كتاباً سماه « الدولة فى الاسلام » .

فاذا الأستاذ خالد لا يقبل ، بعد أن تراجع ، أن ينسب إلى ذلك الموقف الذى تبرأ منه !! فكيف يجيز لنفسه أن ينسب أبا سفيان إلى موقف تبرأ إلى الله عز وجل منه بقوله وفعله وجهاده فى سبيل هذا الدين ..

ونحب أن نلفت نظر الأستاذ خالد محمد خالد إلى ما ورد فى صحيح البخارى ، وغالباً أنه قد اطلع عليه لكنه لم يذكره ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، والحسن رضى الله عنه إلى جنبه ينظر إليه مرة والى الناس مرة .. ثم قال : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فقد أخبر أن الحسن رضى الله عنه سيد ، وانه يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وقد تحقق ذلك .

إن الحقيقة التى لا يجادل فيها ، أننا نقرأ فى كتب التاريخ كثيراً من الأخبار التى نسبها بعض الشعوبيين إلى بني أمية وبني العباس .. هى احط ما ينسب إلى خلفاء ورجال ، ونقرأ كذلك فى كتب القصاصين أخباراً منسوبة إلى الخلفاء وأهل العلم والأدب هى أقبح كثيراً مما نقراه لدى المؤرخين ، والحقيقة التى يجب أن لا تغيب عن الأذهان :

ان النزاع السياسي بين هذه الشيع المختلفة هو الذى أدخل كثيراً من الشوائب فى التاريخ الاسلامى ، مما يجعل الحقائق التاريخية ، ولا سيما فترة صدر الاسلام والأمويين ، تشبه الدر الملقى بين أشواك ، يحتاج مريد استخراجه من تلك الأشواك إلى أناة وروية وصبر وتقليب نظر في وجوه السلامة من أذى الشوك ، وليس هناك أسلم من طريقة المحدثين .. وإلا كان الظلم والتجني ، ونسبة أناس إلى أمور هم منها براء ..

أما يزيد بن معاوية الذى يسميه الكاتب بـ « يزيد القرود » ويقول عنه : إنه كان يتلهى عن أمر الاسلام والمسلمين بفهوده وقروده .. هكذا ..

قبل أن نتطرق لهذه النقطة التى أثارها الاستاذ خالد واعتمدها وبنى عليها حكمه نقول : إن قتل الحسين رضى الله عنه معصية لله ورسوله ، ممن قتله أو أعان عليه او رضى به ، كائناً من كان .. وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله ، وهو فى حقه شهادة له ، ورفع درجة ، وعلو منزلة .. وقد قتل مظلوماً شهيداً .

أما يزيد بن معاوية فانه ولي أمر المسلمين بعد والده ، ونحن لا نريد هنا أن نبرئه من الخطا ، وقد أفضى إلى الله عز وجل الذى يحاسبه ، فان شاء عذب وإن شاء غفر .. ولكنا نقول : إن الأخطاء التى حدثت وارتكبت فى عهده لا تجيز لنا أن ننسب إليه ما ليس فيه ، والأمانة العلمية تقتضينا التثبت أولا ، وعدم تضخيم هذه الأخطاء ووضعها تحت المجهر ، ولو كان فيها أحقاد وسخائم قرون متطاولة .. علينا أن نذكر الحقيقة كاملة ، ولا نكتفي بالسوء من القول وباطله ..

ففى صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .

وكان هذا الجيش بقيادة يزيد بن معاوية فى عهد والده ، وفيه جلة من الصحابة رضى الله عنهم ، كأبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه الذى استشهد ، ودفن تحت أسوار القسطنطينية ، ومازال قبره إلى الآن هناك .

وفى الصحيح أيضاً عن أبى نعيم قال : سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وساله رجل عن المحرم تقتل الذباب ؟

فقال : يا أهل العراق ، تسالوني عن قتل الذباب ، وقد قتلتم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : « هما ريحانتاي من الدنيا » .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى ( منهاج السنة : ٢/٢٤٩ ) :

والذى نقله غير واحد أن يزيد لم يامر بقتل الحسين رضى الله عنه ، ولا كان له غرض فى ذلك ، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك والده .. ولكنه كان يختار أن يمتنع الحسين من الولاية والخروج عليه ... فلما قدم الحسين ، وعلم أن أهل العراق يخذلونه ويسلمونه ، طلب أن يرجع إلى يزيد ، أو يرجع إلى بلده ، أو يذهب إلى الثغر .. فمنعوه من ذلك حتى يستأسر .. فقاتلوه حتى قتل مظلوماً شهيداً رضى الله عنه .. وأن خبر مقتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله ... ولم يسب له حريماً أصلا ، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلدهم .. وقال : لعن الله ابن مرجانة - يعني عبيد الله بن زياد - أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله ، قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق دون قتل الحسين . ( انظر أيضاً ابن كثير والطبري فى حوادث سنة ٦١ هـ ) .

لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ، ولا أمر بقتل قاتله ، ولا أخذ بثاره .. وما عدا ذلك فتزيد وافتراء ..

إن الوضع فى الأخبار والتزيد فيها ، والتجني على حقائق التاريخ كان يتم قديماً لمصلحة الشعوبية عدوة الاسلام والمسلمين .. وفى عصرنا الحاضر يتم هذا على أيدى أصحاب النزعة الاستعمارية الذين كان همهم : إثارة أحقاد الماضى الدفينة ، وإيقاظ سخائم النفوس ، بغية إبعاد المسلمين عن أمجاد تاريخهم التليد بقطع صلتهم بالجيل القدوة ..

من هنا وجب على كل من يتصدى لحوادث ذلك التاريخ اليوم ألا يختار من الروايات إلا ما يصح حسب قواعد النقد العلمى التى وضعها أسلافنا رحمهم الله ليحقق للمسلمين خيراً فى حياتهم المعاصرة وينير الطريق الصحيحة للأجيال القادمة .. والله من وراء القصد .

اسماعيل الكيلاني

# ارتهان الحصان



شعر: حسن عبد الله القرشي

الشاعر العربي المعروف حسن عبد الله القرشي ، سفير السعودية فى الخرطوم ، شغلته الحياة الديبلوماسية فى الشهور السابقة ، وهاهو يعود إلى قرائه الكثيرين بهذه القصيدة الجميلة التى أرسلها إلى « الدوحة » من السودان :

تساءلت فيم ارتَهَنْتُم حصانى ٠ ؟
سلبتم عنَانَ الحصانْ
وسرْج الحصَانْ
وسمَّرتُمُوا برصاصِ الخيانةِ حافرَه فى الطَّريق ٠ ؟
وأجبرتُمونى على السَّير فى جمْرةِ القيظِ وحـــدى
اخوِّض فى المنحدَرْ
حنانيكمُـــو
أنا ما كنت يوماً ولا ســـاعةً
واحداً من رعاة البقرْ
ولم احترفْ مرة أن اخبِّىءَ ظِلّى
وراءَ الشجَرْ !
واندسُّ تحتَ ستار المطَرْ
حنانيكمُـــو
أنا ما كنتُ لصّـــاً لقافلةٍ
غادرًا بالرفيقْ
ولا سارقاً حفنةً من قطيع
ولا قاطعاً للطريقْ
ولا معجَباً بلصوصِ البشَرْ !

● ●

تساءلت وارتدَّ منى التساؤلُ
وانطفأ الزهْوُ ..
ألغيت كل عقـــودَ المحبـّــةِ
حطمتُ تمثالَ فينوسَ ..
سرتُ وحيداً على لجةِ الأملِ الموجعِ
انتحرتْ نغمتى عبر موجِ الضجيجِ
وضاعتْ مع السفن الغارقة !

● ●

وكنت بريئاً
فهأنتمو هؤلاءِ
تبيعوننى
رهْنَ مذبح غدر المرابين والمستبدِّين والادعياءْ
شققْتُمْ قميصى ..
جرحتُمُ الحلُمَ الغضَّ
حطمتمُو كلَّ سهمٍ حواه وِفاضى
فها هى ذى جعبتى
افرغُ اليوم من ظُلّةِ العنكبوتْ

● ●

برغم الحصارِ
برغم انحسارِ المدى وانتحارِ النهار
برغم ارتهانِ حصانى
سأبقى أنـــا
أحاول أن أستردَّ السَّـــنَا
ولكننى عدتُ ارجوكمو
أن تعيدوا الى حصانى
وسرجَ حصانى
وخلوا لديكم عِنـــانى
إذا شئتموا أن تغلوا زمانى
ولا تحـــذروا
فارسُ الأمس
لمَّا يعدْ مثلما كانَ
عادَ حطاماً كما شئتموهُ
لَقىً فى الدروبْ
وَهَى عزمةً وخبا بَصَراً ثاقباً
وذوى عـــودُه
فارسُ الأمس
ماذا تخافونَ من حُزمةِ الحُزْنِ ؟
من كتلةِ الشوكِ ٠ ؟
من ومضةٍ فى المغيب ٠ ؟!

# والشعراء الأسبان أيضاً يقفون على الأطلال

بقلم: عبد اللطيف عبد الحليم

ليس للشعر موضوع يقف عنده ، وينحصر فيه ، وإلا حصرنا الحياة ذاتها فى هذا النطاق فلا تخرج عنه ولا تتعداه ، لأن الشعر صورة الحياة يعبر عنها فى ضروبها المختلفة ، وأشكالها المتباينة .

والوقوف بالطلول أحد الموضوعات الأثيرة فى الشعر العربى ، لأن الطلول كانت تلابس البدوى فى تنقله واستقراره ، لذا لم يكن غريباً أن تجيش بها نفسه جيشاناً عارماً فيفرد لها الأبيات الطوال ، وتأتى طواعية فى مستهل قصيدته «مقدمة طللية» كما يسميها صديقى وأستاذى الدكتور الطاهر مكى ، يبكى فيها الرسوم الدواثر فى الطبيعة أمامه والشاخصة فى نفسه ذكرى آسية .

لم يكن الشاعر العربى انذاك يتقيل نموذجاً مرسوماً ، إنما كان شيئاً يجيش به صدره ، فيقذفه على لسانه ، لكن حين فسدت الملكات ، وغلبت الصنعة على الطبع ، صار الوقوف على الطلول «طللا مسجلا» احتذاء للأولين ، حتى أن الشاعر الحضرى راح يبكى الأطلال الدوارس وهو لم يرها ، وبات الأمر لدى صغار النقاد العرب واجباً مفروضاً أن تستهل القصيدة بالبكاء الطللى ، ثم بوصف المحبوبة متخلصاً منه الى غرض القصيدة الأصلى إن كان فى القصيدة غرض أصلى .

ثار أبو نواس - بشعوبيته - على الوقوف بالطلول مستبدلا إياه بوصف الخمر ، منددا بالعرب ، مزرياً عليهم ، ساخراً بهم .

قل لمن يبكى على رسم درس
واقفاً ما ضر لو كان جلس ؟

والحق أن أبا نواس لم يصنع شيئاً بتمرده ذاك ، جل أمره انه استبدل شيئاً بشىء آخر ، فهو تقليد فى كراهية التقليد .

ولعل «سينية» البحترى فى إيوان كسرى نمط نادر فى الشعر العربى ، صدق لهجة ومشاعر ، ونقاء فكر وتعبير ، يقل رصيفها فيما نظمه شعراؤنا إن إبداعاً وإن تقليداً ، لأن البحترى لابس الموضوع فيما هو انسانى فيه ، فهو عربى الوجه واليد واللسان ، والايوان كسروى ، لكن الشاعر استطاع ان يريق على الموضوع وهجاً انسانياً خالداً ، يقول :

ذاك عندى ، وليست الدار دارى
باقتراب منها ، ولا الجنس جنسى

وقد عرف الشعر الأندلسى موضوعاً أثيراً وحزيناً ، هو الوقوف على المدن والممالك المسلوبة . نعم سبق المشرقيون إخوانهم الاندلسيين فى هذا المضمار ، لكنه سبق البداية فحسب ، لأن هذا الموضوع اندلسى خالص ، أبدع فيه أهل الأندلس وبذوا المشارقة ، ربما لظاهرة المدن الضائعة التى تفرد بها الأندلس ، وكثرة الحزن تعلم المرء البكاء كما يقولون ، ولدراسة هذه الظاهرة يمكن الرجوع الى ما كتبه صديقى العلامة الدكتور الطاهر مكى فى كتابه «دراسات أندلسية» .

ويفيض المؤرخون العرب والأعاجم فى الحديث عن مدينة الزهراء ، وبنائها ، وعمارتها ، وكان مبلغ قول احد المؤرخين العجم عنها أنها «فرساى» المسلمين ، بناها عبد الرحمن الناصر تخليداً لجاريته الزهراء فى سفح جبل العروس بينها وبين قرطبة ثلاثة أميال تقريباً ، وجعلها المقر الملكى ومقر الحاشية وأرباب الدولة ، واستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين



كانت مدينة قرطبة وغيرها من مدن الأندلس الضائعة موضوعا للشعر الأندلسى الذى اتسم بالحزن والبكاء !

وثلاثمئة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحواً من أربعين سنة . غير أن هذه المدينة الجميلة لم تزدهر سوى ردح يسير من الزمن ، فقد زاحمتها مدينة «الزاهرة» التى ابتناها المنصور بن أبى عامر .

أتت على المدينة حوادث الزمن ، فانطمرت تحت الأرض الى أن بدأ الحفر للكشف عنها فى القرن الماضى أو على التحديد عام ١٨٥٤ . وفى عام ١٩١٠ بدأت الدولة الاسبانية الحفريات من جديد على نحو منتظم حتى يومنا .. كان «ريكاردو بلاثكيث بوسكو» أول من اضطلع بهذه الحفريات عام ١٩١٠ ، واكتشف فى هذه الحفريات الأولى قصر الخلافة والمجلس الغربى .

وبعد أن توقفت الأعمال بسبب الحرب الأهلية عادت من جديد عام ١٩٤٤ وحققت نتائج باهرة فى زمن محدود ، إذ اكتشفت قاعة عبد الرحمن الناصر الى جانب مبانى ملحقة .

وفى عام ١٩٦٤ تلقت حفائر مدينة الزهراء دفعة قوية من الدولة ، وفى هذا العام نفسه تم تنظيف مسجد الزهراء تماماً ونقوشه الأدبية معروفة جيداً وأوردها عدد من المؤرخين وكان يشرف على أعمال الحفر المهندس «هرناندث خمينيث» ، كما أن المهندس «باسيليو بابون ملدونادو» قام بالدراسات المعمارية (أفدت من مقال رفاييل كاستيخون عن حفائر مدينة الزهراء ، وترجمه الدكتور الطاهر مكى) .

القصائد التى تاتى مترجمة بعد هذه الكلمة هى لثلاثة من الشعراء ، يلقب أولهم بشاعر مدينة الزهراء ، لأنه قرطبى أولا ، وخصص ثانياً ديواناً كاملا عنوانه «مراثى مدينة الزهراء» . ويدعى باسم «ريكاردو مولينا» ، وترجمت له قصائد «شاعر عربى ـ طلول ـ الصيف ـ أغنية أندلسية ـ الساقى» وترجمت للشاعرة «خوانا كاسترو» قصيدة «الزهراء من عند الزهراء» . وثالثهم ترجمت له قصيدة «الزهراء وردة» وهى للشاعر سباستيان كويباس نابارو» . والقصائد كلها من كتاب خصصت صفحاته للحديث عن مدينة الزهراء أصدرته مديرية الثقافة فى مدينة قرطبة ، وعنوان الكتاب «حنين وحضور مدينة الزهراء» . وأرى فى القصائد هذه نفساً أندلسياً خلفه أسلافنا الأندلسيون فى أصحاب هذه القصائد وفى غيرهم ، وقد أتيح لهم أن يقرأوا الشعر العربى مترجماً الى الاسبانية فى مطالع هذا القرن قام بترجمته بعض المستشرقين الاسبان وان كان من الملاحظ أن فيه أيضاً نسيجاً سيريالياً غامضاً ، يتمثل فى تركيب الصور والعبارات ، وأدع حضرات القراء فى النهاية مع هذه القصائد .

● من قصائد الشـــاعر « ريكاردو مولينـــــا » :

## شـــــاعر عربى

الرجـال الذين يتغنون
بالياسمين والقمـــر
لورثونى أساهم
وهواهم ، وأوارهم ، ونارهم

● ●

الغرام المضنى
للشفاه المتاججـة
والعبودية
للجمال الذائب الرقـة

● ●

وحـــزن
الرغبـــة الخـالدة
التى لا يستمر جوهر لذتها
سوى لحظة واحدة

## طلـــــول

عظيم مصنع المرمر
القصر النبيل بجدرانه ذات الشرفات
الأبواب المعدنية ، من الأرز والبرونز
بيد أن الأعظم من العظمة ذاتها
هو رغبـة القدرة التى تلهب
باجيجها اللاعج الضلوع العزلاء .

● ●

جميلة القاعة المانوسة المطرزة
من أجل الحب ،
النبع الصافي الموسيقى الذى ينتحب ،
ويغنى
فى زاوية خفية
بيد أن الأجمل من الجمال ذاته
هو ذاك الشوق المر الذى يستيقظ

● ●

ماذا بقى من المئذنة ؟ .
ماذا بقى من القصر ؟ .
ماذا بقى من السلطان ؟
ماذا بقى من الارادة ؟
بقى رنين الحجـــارة ،
بقى اسم شرير ، زائف ،
ريح حزينـــة .

● ●

# والشعراء الأسبان أيضا يقفون على الأطلال

تهوى الأنجم من سمائها الرائعة
واحدة واحدة ، رمادا ،
استحال الحب ، والسلطان ، والارادة
رمادا ، رمادا تذروه الرياح ...

## الساقى

ظماى ، ونعشق الظما .
ضوء عميق يهدهد اعماقنـا
ويعانى فوق شفاهنـا

● ●

باطل أن نغنيها ، الأهم
ان نشعر بها ،
ان نهواها إذا عانت او
غنت حزينة ووحيدة

● ●

قل لى : لماذا تقدم لنـا
الأقمار مرة والكئوس مرة اخرى
تحوم حول رغباتنا دائرا
فى لوذعيـة ؟

آه !! أيها الساقى ،
شفاهك الوردية . فى ظلال الشوق
الذى يؤرقنا .. تخجل الورد ؟

● ●

من الذى فى وسعه أن يطفىء الظما الذى
يقتلنـا .
لو كان القمر وفيا لذاته ،
قمرا ، وشرابا ، وثغرا ؟

## أغنيـة أندلسية

سحب ، وطيور ، ونجـوم ،
تمضى .. وابقى انـا
قريبا ، وقريبا جـدا ،
فوق العمود المهشم ، وعلى
حاجز الشرفة المهشمة
مازال الحب يغنى
تسمع شدو العصفور
الذى بقى معى ،
هنا ، وقت الأصيل ،
تظل السماء متشحة باغصان المشاعر كلها

● ●

سـلام البقاء
حالمة الروح تكاد تضرب فى الأسل
قريبا من ابريل ، قريبا منى
قريبا ، وقريبا جدا ، هنـا .



## الصيف

كان يجثم الصيف السعيد البطىء
فى البهو بين الأزاهر
بينما تغفو الروح فى النسيان اللذيذ
مقعيا فى ركن قديم ، فى مملكة وادعة

● ●

الأصيل المتوهج فى اواخر اغسطس
كان يسترخى بين الأزاهر
بينما كانت يد لدنه تهدهد فى الأحلام
قيثارة المساء الخفية

● ●

اللجين الخفى لهذه اللحظة الساجية
كان ينثر سلاما رطبا ،
وحياة القمر الغضـة
والنسيم فوق البهو فى الظلال .

من قصائد الشاعرة « خوانـا كاسترو » :

## الزهراء من عند الزهراء

### أ ـ الصـباح :

يتقاطر الطل من النرجس
علامـة النصر
يتباعد جنـاح الضباب
مثـل الغراب
لا مكان للنحيب حيث الأزاهر
والزنابق والرتم يبزع منها معا
براعم حياتها الفانيـة
ونحن معها الفانون الباقون ،
مع الضوء المبعوث من الغناء ،
فانها لا تموت وإن دمروها .

### ب ـ الأصـيل :

جبل العروس مليء بالزهر تحت جذوة الشمس
ولدى قدميه تشهد الطلول بالعظمة .
وباسم الله الرحمن الرحيم
يسجع الحمام .
الذى مر فحسب هو الزمن ، جواده المخادع ،
وأسراب النحل ـ فى يونيو القائظ ـ في جيئـة
وذهاب من الأزاهر الى الخلية .
الأصيل مثل الجذوة ، وكذلك شقائق النعمان ،
والعبق مثل العقد يطوق لهب الرياح البـاذخ
لقد مر الزمن فحسب .
وبقيت الذكرى .
ويجثم المجد فى التراب الحريرى ،

وتنفث كف الريح الحمى فى أوراق اللوز الصغيرة الواهنة ، حيث تكون المياه مثل أفعى حلوة ، رطبة الأنياب .
لا يمر سوى الزمن
لقد مر الزمن فحسب .
إن الشاعر يعيد برؤيته صياغة العالم ، حجراً ، حجراً ،
كلمة تحت نار الأيام ، ونظراته السعيدة تصلح
خلل الأقواس ، ولغته هى الفجر .
لقد مر الزمن فحسب .

### جـ ـ الليـــل :

من الزهراء أتذكرك بشغف ،
وأنت لا تدرين ، ياربة هذا الليل ـ
انك تملئين الليل ، فتشرب عيونى :
هاته الكأس من النبيذ التى تطفح زهراً
مثل كتفيك ، فتسحر عينى .
تسحرنى كتفاك ، وضفيرتاك
وأنت لا تدرين ـ ياربتى ـ حتى هذا ـ
انك تتوهجين مثل النجم بل أشـــد وهجاً منه
وأنت لا تدرين ـ ياربتى ـ الآن ، حين يكون
الليل النطفة الباردة الكبرى للغمائم العذبة
التى أشربها بخلايا عيونى الظامئة .
من الزهراء أتذكرك بشغف ،
وظما الملح يمزق حنجرتى ، فاملؤها بك ،
وبذكراك ، وبضفيرتيك الذهبيتين ،
وبكتفيك من الثرى العبق .
ياربتى التى لا تقبل إلا لماما ، تعرفين مصاحبة المجد
ورؤيتك هنـــا :
هنا حيث الظلول تخلد النصر فوق الضباب
العسلى الأسود ، على ظلال الزمان .

من قصائد الشاعر « سباســتيان كويباس نابارو » :

## الزهراء وردة

**ـ ١ ـ**

لقد ماتت الأزاهير ، والياسمين ، والزنابق ، والسرو .
وذبلت الزهرة
وعبد الرحمن عبر الحبق يبحث فى الظلال
عن الياقوت البارد فى عمامته .
ورياح القرون الطويلة غيض الغدران فى القاعة المذهبة .
ونبات الجهنمية يناوش القبيلة فى رقصته الزئبقيـــة ،
وفحول الجياد العربية تحتضر اعرافاً وشقائق نعمان .
وفضل المغنية تنهض مثل الشحرور الغض فوق بساط اللهب ،
والمباخر تتوهج ، والحكم يحلم بالكتب وبقناديل البرونز
والمدينة الوردة تتبختر فوق سوريا وبيزنطة وبغداد ، وفارس
والمدينة الدلفى ، واللبلاب وزهرة العسل تزهر زهرة
من الجيد الى الثغر ،
والباز يلمحك منعطفة بالعوســج والكروم
مثل عنقود غنائى بين كهرمان الصهد المشمس .
وأبنوس جبل العروس حيث تنتظر العروس .

**ـ ٢ ـ**

الأظافر المفسدة نخلت المرمر
وخمشت الاقواس ، ووشى الدمقس
ولطخت شجر اللوز بالتراب .
حمامة لؤلؤية تدمى فى الثرى ،
من الأزرق السماوى الى الوردى
ثمة قطاف من تيجان الأعمدة
والعشب الأخضر والعاج ...
وربوة بيضاء من الكافور تنساب من اشبيلية الى المغرب
من فلورنسا إلى اللوفر ،
وزهرة إكليل الجبل تنتثر مثل مـــاء الايمـــان
حينما تهوى الزهراء متناثرة .

**ـ ٣ ـ**

لا أحد فى استطاعته أن يمحق الربيع
مادامت العصارة هاجعة فى الجذور
التى يتجدد شباب بذورها
وفى الجيل الكامل من نبات الغار
برغم النار ، والسيف ، يرضع نبـــات الشوبان
والعوسج جذوره بين الجير والجص ،
والأعمدة تتنفس بين الجرشف ،
والطلع النباتى يخضوضر دواما
من شجرة تين الى اخرى ،
ليس فى استطاعة العقرب أن يلـــدغ الأقواس
ولا أن يبدد خزامى الثمار ،
الخراج تحيط بالأسس ،
ولا يصل طعام الكسكسى بالعســـل والقطلب (١) ،
وعقد من السوسن والخرشوف يتدلى
من الزليج والمخدع ،

فى الجو الفخارى تنبت بذرة الخصب الخالدة ،
فان الزهراء الوردة دائما مخصبة .

(١) نوع من النبات من فصيلة الخلنجيات

عبد اللطيف عبد الحليم ـ مدريد

# الميلاد

• قصـــــــــة •

بقلم: عبدالله الطوخي

رايت نفسى حاملا نعشى وسائراً نحـــو القبور . كنا فى غبشة البكور ، ولا قدم إنسان أو حيوان تدب على الأرض . الكل فى هجعة النوم الأخيرة . لم اكن اقصد الا يرانى احد بنعشى . إننى لا اتصرف فى الخفاء . لكنى قصدت أن انفذ قرارى بسهولة . الا يناقشنى احد فيما اتخذت من قرار !

كان سور المقابر يلوح من بعيد .. هناك على الضفة الأخرى من الترعة وســـط الحقول .. مضيت اغذى الخطو بثبات وهدوء !

لفت نظرى فجاة ، قرص الشمس الذهبى وهو يبزغ ويطل وليداً على الوجود ابتسمت فى نفسى وشددت من قبضتى على نعشى : اننى اموت مع ميلاد يوم جديد . ذلك هو المغزى العميق !

كان ضوء الشمس حاداً ، لكنه غير مؤلم والأفق ممتداً ورحيباً وناعم الزرقة .. وحقول القمح المزروعة منـــذ وقت قريب ، ما رايتها أبداً بكل هذه الخضرة الصافية المترعـة ، وهذا التماوج الراقص لاعـــواد القمح مع النسيم ، وفكرت أن الطبيعة تودعنى بمنظر جميل ، قلت شكراً أيتها الحياة التى انطلقت فى رحابك كل هـــذه السنين . شكراً .. ووداعاً .. فلكل رحلة نهاية .. هذا هو القانون .

كنت أود أن أقول كما يقول المحبون لحظة الفراق : « .. والى اللقاء أيها الاحبـــاب » لكنه الفراق الأبدى هذه المرة ، والصمت العميق الهادىء المريح ..

وداعاً إذن يا حقول القمح ، ويا أشعة الشمس ، ويابروتينات الأرض ، ويا ذئاب البر ، ويا عرائس النهر . وداعاً يا كل شىء .. ووداعاً يا قانون الجاذبية الذى ينظم ويضم كل عناصر الكون ، فلقد حاولت أن ابقى جزءا من الدورة . حـــــاولت بكل ما منحتنى الحياة من قدرة . لكن القدرة نضبت مرة واحدة ولم اعد قادراً على الحصول حتى على شرف المحاولة . بل إن الماساة وصلت الى قمتها حين رايت الدورة نفسها فقدت حيويتها ومعناها .. اصبحت الحركة تاكيداً للثبات وللسكون . ليس الآن اعظم من شرف الموت . وداعاً فقد سئمت واصبحت فى حاجة الى الراحة العميقة .. الراحة الأبدية بجوارك أيتها الحقول ، ويا أيتها الأشجار الشاخصة الهاجعة . وتنبهت فجاة الى اننى واقف بنعشى وأتكلم مع عناصر لا تنطق . ولأننى كنت قد تعودت الحديث مع النفس طويلا فى الأيام الأخيرة فقد جذبت نفساً عميقاً وقلت بحزم : هذا هو أخر الأنفاس ، وأخر الكلام مع النفس ..

لقد انتهت الرحلة !

وعدلت من وضع النعش على كتفى ، ومضيت مواصلا السير فى اتجاه القبر .

غير أننى فجاة وجدتنى اتوقف على صوت :

ــ دقيقة .. لوسمحت .

رحت أنظر حولى باحثاً عن مصدر الصوت ، لكنى لم أر أثراً لانسان غيرى .

وهم إذن ما سمعت . واندفعت مواصلا السير ، غير أن نفس الصوت عاد .. بغضب وحسم : قلت لك انتظر . مثلما استمعنا إليك ، يجب ان تستمع الينا .. !

واذ ايقنت أن الصوت ليس وهما ، بل بالتاكيد حقيقة ، واذن فهى صادرة من عالم الخفاء .. تجمدت فى مكانى .. هاجمنى خوف كاسح غريزى أوقف حركة جسمى وعقلى . لكنى سرعان ما تنبهت لسخرية الموقف وخطورته وقلت لنفسى : انت سائر الى الموت . فلماذا .. ومن ماذا الخوف ؟!

ياله من تراث ثقيل وكريه ذلك الذى اسمه الخوف يظل يلاحقنا حتى ونحن سائرون إلى قبورنا . ( وازدادت قبضتاى قوة على نعشى ) هذه هى اللحظة التى يجب ان أرى فيها نفسى فوق الخوف . ان الذين اختاروا الموت ، لا يصح ان يخيفهم من الحياة اى شىء !

ــ نشكرك انك اســـتجبت ووقفت . ( واحسست بابتسامة ود فى الصوت ) ومادمت قد قررت الموت ، فهى ليست بكارثة او جريمة لو اضفت الى عمرك بضع دقائق .. نتكلم فيها .

كان القمح هو الذى يتكلم . لم اتعجب . فقد كنت منذ قليل أكلمه واناجى خضرته وأودعه :

ــ وفيم تريد ان نتكلم ؟!

ــ انزل نعشك اولا الى الأرض .. كى تتكلم براحتك ؟

ازددت تشبثا بنعشى وقلت :

ــ لقد اصبحت لا أتكلم براحتى ، الا اذا كنت حاملا نعشى . واحب أن انبهك الى حقيقة هامة عنى ، وهى أن عهد المناقشات قد انتهى من حياتى .. وشىء اخر اكثر أهمية : لو كنت تفكر فى اقناعى بالعدول عما انا ذاهب اليه فالأفضل أن توفر جهدك .. وشكراً على مشاعرك الرقيقة . لقد حسمت القضية .

قال ساخراً :

ــ حسمتها بالهروب .. أليس كذلك ؟ الحق كان يجب ان تكون خجلا من نفسك ! ( استفزتنى العبارة .. واللهجة ) .

ــ وممَ اخجل ؟

ــ الهارب من الحياة يجب أن يخجل من نفسه .

انطلقت منى ضحكة مقهقهة ساخرة تردد صداها فى فضاء الحقول ووصلت الى سور القبور وقلت : قديمة .. قديمة .

قال بدهشة : ما هى القديمة هذه ؟ !

ــ نغمة الاتهام بالهروب . فلم أكن لحظة اتخاذ القرار بطلا أو حتى جندياً فى معركة ثم هربت منها . انما الحياة بالنسبة لى اصبحت دورة عقيمة ، والخجل الحقيقى كان هو أن ابقى مستمراً على قيد الحياة ، لا تسلنى أرجوك عن تفاصيل . لقد ناقشت قضيتى طويلا وحسمت امرى : الموت الآن بالنسبة لى هو الشجاعة .. وهو الشرف ..

وهو أعظم المواجهات !

( ندت عنه ضحكة ساخرة مستهزئة ) .

– تتكلم عن المواجهة ثم تذهب الى الموت . إنك حقاً لتضحكنى !

قلت مستهزئاً باستهزائه :

– ذلك لأنكم معشر النباتات قمة فرحتكم فى مجرد التواجد بالحياة . يزرعكم شخص ويخلعكم آخر ، ولا لوم عليـــكم فانتم لا تعرفون شيئاً عظيماً اسمه « إرادة الحياة » .. وحين تنعدم هذه الارادة يبقى لكم شىء اسمه « ارادة الموت » . أن نحيا باختيارنا وارادتنا .. فان لم .. فبارادتنا واختيارنا نموت . وهذا هو صميم موقفى . اظنه اتضح الأن .. ولن أزيد .. معذرة .. سلام ..

كنت قاطعاً فى لهجتى فلم يعاود الحديث . داخلنى نوع من السرور . من المؤكد أنه اقتنع بكلامى ، ولسوف يبارك ميتتى العظيمة ، ويكون من الشاهدين .

وعاودت الانطلاق بنعشى بثبات ويقين . غير أنى ماكدت اقترب من السور حتى فوجئت برجلين يظهـــران بغتة ويعترضان طريقى ..

كانت هيئتهما غريبـــــة ، وأسنانهمـــــا بالذات كريهة .. وتوجست من التارجح السريع لنظراتهما . كانا يريدان الاطمئنان لعدم وجود أحد غيرنا فى المكان . وفكرت على الفور أنهما لصان . ولكن ماذا سيسرقان منى ؟ كل الأشياء تخليت عنها ، ولم يبق لى غير روحى .. وروحى هى الأخرى حالا ساتخلى عنها !

غير انى فوجئت بهما يمدان أذرعهما الأربعة نحو النعش ويقولان :

– عنك أيها الرجل الصالح . لابد انك تعبت من حمله . نريد أن نكسب ثواب مساعدتك !

ودون أن ينتظرا منى رداً ، امسكا بالنعش من حوافيه الاربع .. قفزت متراجعاً بالنعش الى الخلف وصرخت فيهما : لا . لا . ثوابكما أن تتركانى حاملا نعشى . لست متعباً . اشكركما .

بدا عليهما الضيق . تبادلا نظرة . قال احدهما :

– فلتسمح لنا اذن بثواب المشي فى جنازتك .

وأردف الآخر :

– إن جنازة بلا مشيعين شىء يثير الحزن والأسى .

لم تكن فى لهجتهما ذرة صدق .. بل وازدادت ريبتى . قلت ولهجتى يختلط فيها الغضب بالتوسل :

– لكنى ، ومعذرة ، لا اريد ان يمشي احد فى جنازتى . كل واحد منا يصنع جنازته كما يشاء . اتركانى وحدى لوسمحتما .

عاودا تبادل النظرات . قال احدهمـــا للآخر وقد كشر عن اسنانه الكريهة :

– هذا الأسلوب لا ينفع معه . فلننته من الأمر بسرعة .

وبحركة خاطفة انحنى وجذبنى من اسفل ساقى ، فوقعت أنا والنعش على الأرض . صرخت وانا احتضن نعشى بقوة :

– لماذا تفعلان هذا ؟ ما الذى تريدانه منى ؟

– نريد هذا النعش !

تاكـد احساسى . إنهما لصان . وعلى ابشع مستوى . يسرقان نعوش الموتى . وهاهما يريدان اغتصاب نعشى منى .. !

تعبا صدرى بالكراهية . ورايت زحف المهانة يدب الى صدرى لو أن هذا حدث فعلا .. تختتم حياتى بهزيمة .. حتى نعشى لا أستطيع المحافظة عليه . صرخت : لا .. والف لا .

تحولت أسنانهما الى انياب .

– أيها الأحمق ( وشهر واحد منهما مدية حادة فى وجهى وقال ) يجب ان تدرك حقيقة وضعك . نحن اثنان .. وانت واحد .. وأعزل .. يجب أن تسلم فوراً .

إزددت احتضانا لنعشى : لا . لست وحدى . نعشى معى .. ولست بالأعزل . نعشى هو سلاحى . اتفهمان . نعشى هو سلاحى وساحاربكما به !

كشراً عن انيابهما البشعة . وفى لحظة كانت المعركة قد نشبت ، وثارت من الأرض سحب التراب ، وانا ممسك بنعشى ، واذا بالنعش متين وراسخ بين قبضتى ويئز فى الجو محدثاً ذبذبات كهربائية مخيفة . كان فى لحظة درعاً يتلقى عنى الضربات ، وفى لحظة اخرى سلاحاً .. عموداً .. جذعاً .. يوجه الضربات .. اعنف الضربات ..

وإذ أصاب كل منهما من النعش ضربة دوختهما فتمايلا وراحا يترنحان ، زغرد قلبى بتباشير النصر ، وبدا لى النعش الذى كان منذ قليل دليلا للموت ، رمزاً للحياة ..

واحسست بشحنات تتفجر من داخلى وتتوالى .. كانت انفاسى تتدافع .

– آه .. لطالما استرخت عضلاتى ايها الكلاب حتى تشحمت ويبست .. الآن تندفع الدماء فى عروقى .

ولاحظت ان الزرع فى الحقول يرقب المعركة بلهفة ، فتضاعفت قوتى ، وعلت صيحات الحرب ، وانات الالم الوحشية .. ثم فى لحظة بدا لى أن قواى نفدت ، وانى على وشك السقوط الاخير بنعشى .. غير انى سمعت اعواد الزرع تصيح على .. تشجعنى .. ليست أعواد القمح فقط ، بل أعواد القطن والذرة وقصب السكر ... ليس فقط الزرع .. بل بشر أيضاً ، فتيان وعرائس جاءوا ليشاهدوا رجلا يحارب بنعشه . لست بطلا فى مسرحية ، بل بطلا على مسرح الحياة . رجل كان يحمل نعشه ليودع الحياة فاذا بالنعش بين يديه سلاح يصرع به اللصوص والطغاة ..

ورايت الكل يصفق لى ..

كان اللصان قد سقطا على الأرض بلا حراك ..

وقفت التقط أنفاسى .. واسترجــــع ما كان ..

كان سور المدافن قريباً منى .. والنعش ملقى على الأرض .

– لا .. ليس الآن ..

وأعطيت ظهرى للقبور ..

ورحت اخترق الحقول .. متجها الى البيوت .

عبد الله الطوخى



# ديجول
# والبحث عن العظمة

بقلم: محمد العزب موسى

قال عنه الكاتب الفرنسى أندريه مورياك « انه يشعر كما لو كان مبعوثاً من فرنسا التاريخية الى فرنسا المعاصرة كى تتذكر كم هى عظيمة تلك الدولة » !

وقال عنه الصحفى الامريكى جون جنتر « انه يتقمص شخصية فرنسا أو أن روح فرنسا تتقمصه .. فالقائد والرسالة والامة لديه واحد » !

وقال عنه أحد معارفه « ان مشكلة الجنرال الوحيدة هى أنه ليس كائنا بشرياً»!

هذا هو مفتاح شخصية ديجول .. الاحساس بالعظمة ، والبحث عنها والعمل من أجلها .. وهى حقيقة يعترف بها خصومه وأنصاره على السواء وكانت مصدراً لما ناله فى حياته من قدح وثناء ..

صورة نادرة للجنرال ديجول أثناء التجائه إلى بريطانيا بعد هزيمة فرنسا سنة ١٩٤٠

ولم تكن هذه الحقيقة خافية عن الجنرال ، فقد كان يصل احيانا فى تقديره لنفسه الى حد العجرفة ، فعندما ساله بعض انصاره يوماً عما يفعلونه من بعده قال « عليكم أن تبحثوا عن ديجول آخر » ! وعندما اقترح عليه البعض ان يوجه شكراً الى الامة الفرنسية لتاييدها لسياسته فى الاستفتاء على مصير الجزائر رفض قائلا « كيف تشكر فرنسا نفسها ؟ » ! وكان احيانا يشير الى ذكرياته عندما كان زعيما لحركة فرنسا الحرة قائلا « آه .. هذا حدث عندما كنت أنا فرنسا » !

ولكن ديجول كان يختلف عن لويس الرابع عشر الذى قال « أنا الدولة » فالدولة فى حد ذاتها لم تكن تعنى ديجول كثيراً ، بل كان ما يعنيه هو اقالة فرنسا من عثرتها ويا لها من عثرة تاريخية كبرى ، بدات بانهيارها فى الحرب السبعينية فى القرن التاسع عشر ، وامتدت الى هزيمتها فى الحرب العظمى ، ثم الى مهانتها فى الحرب العالمية الثانية ، ثم الى ورطتها فى حروبها الاستعمارية بالهند الصينية وشمال افريقيا والجزائر فى الخمسينيات .

فديجول كان يغذى فرنسا من روحه وارادته وصموده ، أما لويس الرابع عشر فكان يتغذى على فرنسا ومجدها وترفها ، وهذا هو الفرق بين الرجلين .

ومن الغريب أن هذا الرجل الذى وصل فى كبريائه واحساسه بذاته الى هذا الحد كان يتميز فى الوقت نفسه بالبساطة والتواضع ، وتروى عن رقة قلبه النوادر ، فعندما كان قائداً لقوات فرنسا الحرة بالجزائر منعه الاطباء من تناول الطعام لمرض أصابه وسمحوا له فقط بشرب اللبن ولكن ديجول رفض أن يشرب اللبن قائلا انه لا يستطيع ان يشارك أطفال الحرب غذاءهم الوحيد . وعندما جاء الى الحكم عام ١٩٥٨ أبى رغم مشاغله الا أن يرد بخط يده على جميع رسائل التهنئة التى تلقاها .. وكانت تبلغ زهاء الخمسة آلاف !

وفى قمة مجده كرئيس للجمهورية ، وزعيم للشعب ، وشخصية عالمية ، لم يغير

ديجول نمط حياته البسيطة مع زوجته « العمة ايفون » - كما كانوا يسمونها لطيبتها وبعدها عن الأضواء - وظلت دائماً سهرته المفضلة أن يجلس مع زوجته للسمر أمام التليفزيون بعد أن يتناولا عشاء منزلياً بسيطاً كاية أسرة متوسطة من ملايين الأسر فى فرنسا .

وعندما كانت سهام النقد تصوب على ديجول من كل مكان ، وعندما كان رسامو الكاريكاتير يصورونه كالديك الرومى المنتفخ الأوداج أو يلبسونه تاج شارلمان أو طيلسان لويس الرابع عشر او قبعة نابليون .. كان هو يمضى فى طريقه غير عابىء بهذه الحملات ، فهدفه الوحيد هو تحقيق « المعجزات » لفرنسا . ولم يكن يدرى - ربما - أن معجزته الكبرى هى انه استطاع أن يقود بكفاءة شعباً من اكثر الشعوب استعصاء على الحكم والقيادة شعباً وصفه بيير دانينوس « مذكرات الرائد طومسون » التى ترجمها الدكتور ثروت عكاشة باقتدار بانه « ينقسم الى ثلاثة واربعين مليونا من الفرنسيين » !

## فى مواجهة الألمان

ولد شارل جوزيف مارى ديجول فى نوفمبر ١٨٩٠ فى أسرة من الطبقة المتوسطة اشتهرت بعدد كبير من الاسماء اللامعة فى الأدب والسياسة . كان والده استاذاً للفلسفة والأدب الفرنسى فى احدى كليات الجيزويت الشهيرة بباريس ، وكانت مكتبته حافلة بامهات الكتب فى التاريخ والأدب والاساطير وتراجم العظماء وسير القديسين ، وتعود ديجول فى طفولته وصباه أن يقضى بها الساعات الطوال يعب من ذخائرها التى لا تنضب .

وكان مولد شارل بمدينة « ليـــــل » الصناعية باقليم الرور الذى رزح تحت الاحتلال البروسى زمناً وفيه قضى طفولته قبل أن ينتقل مع اسرته الى باريس ، وكثيراً ما كان الطفل يسمع والديه يحكيان ذكريات مريرة عن الغزو البروسى وكارثة «سيدان» فى الحرب السبعينية حين اجتاحت جحافل الالمان أرض الوطن كالطوفان ، وأذاقوا فرنسا أمر هزيمة فى تاريخها ، وظلت هذه الصورة الرهيبة عالقة فى ذهن الطفل تمده باحلام اليقظة فى أن ياتى يوم يكبر فيه ويثار لوطنه من ذل الهزيمة .

وما أن اتم ديجول دراسته الثانوية حتى التحق بكلية « سان سير » العســـــكرية العريقة تراوده احلام طفولته فى أن يصبح


ديجول فى قمة مجده .. عندما اصبح زعيما للشعب وشخصية عالمية


الجنرال ديجول أثناء اعلانه حكومة فرنسا الحرة

جندياً يدافع عن فرنسا . وهذه الاكاديمية أسسها نابليون بونابرت وظلت مركزاً متخصصاً فى الدراسات النابليونية ، وفيها درس شارل ديجول بالتفصيل سيرة نابليون وعصره وخططه وحروبه ، واصبح من أشد المعجبين به وجعل منه مثله الأعلى ، وتخرج ديجول فى كلية « سان سير » عام ١٩١٢ برتبة ملازم ثان ، والتحق بسلاح المشاة وتنقل فى الخدمة العسكرية بمختلف أنحاء فرنسا .

وفى سن الرابعة والعشرين اتيحت له الفرصة لتحقيق حلمه القديم - أو هكذا تصور - اذ هبت رياح الحرب العظمى على فرنسا ( ١٩١٤ ) واشترك ديجول فى الحرب برتبة الملازم فى الكتيبة ( ٣٣ مشاة ) تحت قيادة الكولونيل بيتان .. الرجل الذى شاءت المقادير أن يواجهه بعد ذلك فى أعنف صراع وطنى !

واثبت ديجول خلال السنتين الأوليتين للحرب شجاعة فائقة ومقدرة عسكرية كبيرة مما لفت اليه أنظار بيتان فقربه منه ، وجرح ديجول أثناء الحرب مرتين ليعود الى ساحة القتال بمجرد شفائه ، واشترك الى جانب بيتان فى معركة « فردان » اليائسة التى كانوا يطلقون عليها « المعركة المفقودة » ولكن بيتان بعبقريته العسكرية استطاع تحويل دفة النصر الى جانب الفرنسيين ، وكانت هذه المعركة اساس مجد بيتان وشهرته .

جرح ديجول فى معركة « فردان » وأفاق ليجد نفسه فى أسر الألمـــان حيث قضى السنتين الاخيرتين من الحرب ، وقام أثناء الأسر بخمس محاولات للفرار بهدف أن يعود لمواصلة القتال ، وفى كل مرة كان يقبض عليه بالقرب من المعتقل ويعاد من حيث أتى لتوقع عليه العقوبات . واخيراً عقدت الهدنة فى « نوفمبر ١٩١٨ »وعاد ديجول الى فرنسا محتفظاً بروحه المعنوية العالية ، فتقدمرغم ضعف صحته الى الخدمة العسكرية العاملة من جديد .

وكانت تنتظره حرب أخرى مريرة ، ولكنها لم تكن دفاعاً عن الوطن هذه المرة ، ففى عام ١٩٢١ ارسل ديجول الى البانيا ضمن حملة الدول الغربية ضد الثــورة البلشفية ، وكانت الحملة تحت قيادة الجنرال ويجان ، احد الاسماء اللامعة كذلك فى تاريخ العسكرية الفرنسية وقد لعب ايضاً دوراً حاسماً فى حياة ديجول فيما بعد ، وحققت القوات الفرنسية بقيادة ويجان انتصارات متفرقة على الجيش الأحمر ، ولكن ذلك لم يحل دون حملة الغرب العسكرية والفشل ، وعاد ديجول مع القوات المنسحبة يعانى ضعفاً وارهاقاً بالغين فحصل على اجازة طويلة من الجيش وخلد الى الراحة ليسترد صحته المفقودة .

عكف ديجول خلال فترة نقاهته الطويلة على قراءات متعمقة فى كتب التـــاريخ والفلسفة والأدب والفنون العسكرية ، كما اخذ يجرب موهبته القديمة فى الكتابة ، تلك الموهبة التى ورثها عن أبيه وأسرته ذات الميول الأدبية والتى سوف تحقق له نفعاً كبيراً فى المستقبل . ولم يعد ديجول الى حياة المعسكرات بعد شفائه ، وانما تقلب فى فترة ما بين الحربين بين عديد من المناصب الأكاديمية والادارية والقيادية ، فعمل محاضراً فى مادة التاريخ العسكرى

في أكاديمية « سان سير » ، وعين فترة ياوراً عسكرياً لبطل فردان ومعبود الجيش الجنرال بيتان وكان عندئذ قائداً عاماً للقوات الفرنسية المسلحة ، وارسل فى مهمة خاصة لدراسة الأوضاع فى الشرق حيث مكث ثلاث سنوات متنقلا بين حلب ودمشق وبغداد ، ووضع فى هذه الفترة أول كتبه «جيش الشرق» ولقى رواجاً كبيراً ، كما عين بعد عودته من الشرق فى عام ١٩٣٢ سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للدفاع الوطنى ، وظل يشغل هذا المنصب الهام لربع سنوات ، ثم عاود دراساته فى الاستراتيجية العليا بكلية أركان الحرب ، وعين فى عام ١٩٣٧ قائداً لحامية « ميتز » المطلة على الجانب الألمانى ، وظل يشغل هذا المنصب حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

وفى ميتز لمس ديجول بنفسه خطورة ما يجرى على الجانب الألمانى من استعدادات جادة ولهفة مجنونة على التسلح ، وحاول ديجول أن ينبه مواطنيه الى مدى الخطر الألمانى ، وأن يشحذ همتهم للاستعداد العسكرى ، فوضع كتابين هما ، « فرنسا وجيشها » و « جيش المستقبل » دعا فيهما الى انشاء قوات ميكانيكية حديثة تساير متطلبات العصر ، فلم تعد الحرب كما كانت فى الماضى تعتمد على شجاعة الجندى وقدرته على الخوض بالسلاح الأبيض أو بالاسلحة النارية الصغيرة فى صفوف الاعداء ، وانقضى الزمن الذى كان يمكن فيه لفرنسا أن تضمن سلامتها بان تقبع وراء خط ماجينو الشهير فالحرب الحديثة أصبحت تعتمد كلية على الآلات والمحركات ، على الدبابات الثقيلة وقاذفات القنابل والمدافع البعيدة المدى ، وينبغى على فرنسا فى وجه الخطر الألمانى الداهم أن لا تتوانى فى تسليح نفسها باحدث الأسلحة وأن تنتهج سياسة الهجوم كخير وسيلة للدفاع .

ولكن بنى وطنه أعاروه آذانا صماء ، فالقيادة العسكرية تحت سيطرة ضباط تقليديين صنعوا لأنفسهم أسماء لامعة فى الحرب العالمية الأولى منذ عشرين سنة واستكانوا اليها وتخلفوا عن التطور ، والقيادة السياسية غير مدركة لحتمية الحرب التى يستعد لها الألمان وتمنى نفسها بأن هتلر يجهز جيشه ليطلقه ضد الاتحاد السوفيتى فى الشرق بحثاً عن مجاله الحيوى ، وكانت هذه فى الواقع هى نظرة الغرب كله فى ذلك الوقت بعد أن خرج لتوه من اتفاقية ميونيخ مكللا بالتخاذل والعار .

ولكن نظريات ديجول حازت اهتماماً كبيراً من الجانب الآخر .. من الألمان ، فقد كان أهم ما يشغل ألمانيا الهتلرية فى ذلك الوقت تكوين جيش حديث قوى يستطيع أن يثأر من هزيمة ١٩١٨ ، وكان الألمان مجنونين بصفة خاصة بسلاح الدبابات الذى تسبب فى هزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى حين اخترع البريطانيون الدبابة فجاة قبيل انتهاء الحرب فقلبوا بها ميزان القتال ، كما كانوا مهتمين بانشاء سلاح جوى قوى تحت اشراف جورنج ، ومشحونين بأفكار الحرب الخاطفة واكتساح الخصوم ، وحين وقع كتابا ديجول « فرنسا وجيشها » و «جيش المستقبل» فى يد ضابط ألمانى يدعى الجنرال « جودريان » أدرك على الفور أهميتهما وخطورتهما البالغة ، وانصت جودريان الى خصمه ديجول وهو يكاد يهمس فى أذنه وحده بأسرار الاستراتيجية الحديثة ، ضرورة التخلص من وسائل الحرب التقليدية .. من المدفعية الثابتة ، والخنادق ، والحصون ، والمعارك الصغيرة . والاعتماد بدلا من ذلك على الدبابات والطائرات والمصفحات والمدافع الثقيلة ، وانتهاج أسلوب الهجوم الكاسح المباغت الذى لا يترك للخصم فرصة للاستعداد . ووضع جودريان كتاباً بعنوان « احرصوا على التسلح » أودعه نظرياته فى الحرب الحديثة والتى لم تكن أكثر من صياغة ألمانية لنظريات ديجول ، بل أن كتاب جودريان يضم صفحات مترجمة حرفياً عن كتاب ديجول « جيش المستقبل » ولم يلبث كتاب جودريان أن أصبح انجيلا للقوات المسلحة الألمانية ، واهتم هتلر وكبار مساعديه كل الاهتمام بنظريات الجنرال جودريان وكانوا يسمونه « جنرال المحركات » ، وفى أوائل الحرب بعد استيلاء هتلر على مصانع الأسلحة الشهيرة فى واينر - نوشتات بالنمسا والتى تقع فى قلب مركز صناعى غنى بالحديد والصلب ثم استيلائه على مصانع



# ديجـول والبحـث عن العظمة

« سكودا » التشيكية ، أمدت هذه المصانع الفوهرر بالخامات والتكنولوجيا اللازمة لتجهيز ٤٠ فرقة مدرعة حديثة ، وهكذا تحقق حلم الجنرال جودريان فى انشاء فرقة « البانزر » الالمانية الشهيرة التى وضع ديجول فكرتها الأصلية ، وهكذا - لسخرية القدر - كان ديجول أبا لفرقة البانزر النازية التى اكتسحت أراضى فرنسا ودكت مدنها ، ومرغت هامتها فى الرغام !

## عندما سقط السيف

اجتاحت جيوش النازى النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا بسرعة خاطفة ، وفى اوائل مايو ١٩٤٠ اخذت القوات الألمانية تتقدم عبر بلجيكا الى شمال فرنسا .. طوابير من الدبابات والمدافع والمصفحات وسيارات نقل الجنود والقطارات المحملة بالعتاد العسكرى تقتحم الأراضى الفرنسية من كل اتجاه ، الجو مشحون باناشيد القتال الألمانية والطرق مفتوحة أمام قوات هتلر الغازية ، فلا خطوط دفاع فرنسية منيعة ، ولا روح معنوية عالية ، والفلاحون الفرنسيون يهجرون قراهم أمام تقدم فرق العاصفة ويتدفقون فى سيول لا تنقطع على باريس ليملأوا قلوب أبنائها وجلا بحديثهم عن الرعب النازى والجيش الذى لا يقهر .

فى هذه الأيام العصيبة برز وجه الجنرال ديجول صلباً مصمماً على القتال حتى النصر ، كان عندئذ قائداً لاحدى فرق الدبابات فى شمال فرنسا ، واستطاع أن يصمد مؤقتا فى وجه الغزاة بل واوقع بالألمان المتقدمين على الأرض الفرنسية عدة هزائم تكتيكية ولكنها لم تؤثر كثيراً فى مجرى الأحداث ، اذ كان ديجول يأمل أن يهب الى نجدته الجيش الفرنسى من الجنوب ليسد الثغرة بين أمبين - بايوم فى وجه التقدم الألمانى ولكن جيش الجنوب لم يصل وركز الألمان من ضغطهم حتى اجتاحوا مقاومة ديجول وتمكنوا من احتلال شمال فرنسا ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمامهم الى باريس .

كان يرأس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت بول رينو وهو من أنصار فكرة المقاومة ، واستدعى بول رينو الجنرال ديجول - وقد استيقظ القوم فجاة على صدق نبوءاته ! - وعينه مساعداً لوزير الدفاع الماريشال بيتان ، ووافق ديجول على شرط واحد هو أن تستمر فرنسا فى القتال مهما حدث سواء على أراضيها أو من افريقيا والامبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار

اذا استدعى الأمر ، ووافق بول رينو على ذلك واعطاه المواثيق الكافية ، وطلب ديجول تكليفه بمهمة الدفاع عن باريس ، وكان من رأيه تكريس كل القوات الميكانيكية الفرنسية للدفاع عن العاصمة لان سقوط باريس وهى القلب العسكرى والسياسى والاقتصادى للبلاد معناه سقوط فرنسا باسرها . ولكن الجنرال ويجان قائد الجيش لم ياخذ بوجهة نظر ديجول ، وبدلا من التركيز على الدفاع عن باريس قام بتقسيم الجيش الفرنسى الى شراذم متفرقة بحجة عدم المقامرة بضياع الجيش باكمله ، ولم تستطع هذه الشراذم الصمود فى القتال ، وانهارت الخطة الدفاعية ، ودخل الالمان باريس .

وارغم قادة الجيش بول رينو على تقديم استقالته فى محاولة منهم لتحميل السياسيين مسئولية الهزيمة ، وخلفه الماريشال بيتان – جندى فرنسا الأول ! – الذى طلب توقيع الهدنة مع الألمان «انقاذاً لباريس من التدمير» وكانت شروط الهدنة قاسية للغاية ، ويقال ان هتلر شخصياً أصر على التشدد فى شروطه امعاناً فى اذلال فرنسا ، ولكن الماريشال بيتان وقع هذه الشروط صاغراً ، وهذه هى الجريمة التى حوكم من أجلها فيما بعد بتهمة الخيانة العظمى على أساس أن شروط الهدنة كانت اهانة وطنية لا تغتفر .

كانت فرنسا حينئذ فى قمة الياس والروح الانهزامية ، ولم تكن هزيمتها على هذا النحو المهين نتيجة لضعفها العسكرى بقدر ما تعود الى افتقارها للزعامة الوطنية القديرة ، فلم يكن هناك فوش ، ولا بوانكاريه ولا كليمنصو ، وها هو المارشال بيتان جندى فرنسا الأول ، بطل فردان قد القى السيف ..

كانت فرنسا تتطلع الى زعيم يستطيع ان يحمل من جديد ذلك السيف الذى القى فى الوحل ، ويغسل عنه العار . وتقدم شارل ديجول كى يلتقط السيف .

## فرنسا الحـــرة

كان من رأى ديجول ، مساعد وزير الدفاع ، أن تواصل فرنسا الحرب من الامبراطورية ، وبحث الزعماء الفرنسيون بالفعل تحت الحاحه الشديد مشروعاً بنقل القيادة العسكرية والحكومة الى الجزائر ومواصلة الحرب من هناك ، وسافر بعض القادة والزعماء العسكريين بالفعل الى الجزائر استطلاعاً لهذه المهمة . ولكن حكومة بيتان المستسلمة ، وكان مقرها فيشى ، حاربت الفكرة بلا هوادة اعتقاداً منها بان اية مقاومة فرنسية فيما وراء البحار من شانها أن تجعل النازيين يشتطون فى معاملة الشعب الفرنسى ، وقد يدمرون باريس منارة العالم !

وهكذا لم يكن أمام ديجول بدا من ان يخرج عن طاعة بيتان ويفر الى بريطانيا ليواصل القتال ، ويحكى تشرشل فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية كيف استطاع ديجول الفرار من فرنسا رغم الرقابة المشددة التى فرضتها عليه حكومة بيتان ، فقد تظاهر ديجول بتوديع شخصية بريطانية كبيرة فى مطار باريس ، وعندما اوشكت الطائرة على التحرك قفز اليها ديجول فجاة واقلعت الطائرة أمام أعين رجال المخابرات الفرنسية المذهولين .. وكان تشرشل هو واضع خطة تهريب ديجول !

ومن راديو لندن ارتفع صوت ديجول يدعو الى الثار الوطنى ومواصلة القتال :

« ايها الضباط الفرنسيون ، والجنود الفرنسيون ، والطيارون الفرنسيون ، والمهندسون الفرنسيون .. اينما تكونوا ابذلوا جهودكم للحاق بهؤلاء الذين يصرون على مواصلة القتال » .

« اننى اعدكم بانه سوف ياتى اليوم الذى نتمكن فيه بقواتنا ، قوات النخبة الفرنسية ، قواتنا الميكانيكية فى البر والبحر والجو وبالاشتراك مع حلفائنا .. من اعادة الحرية للعالم ، والعظمة لبلادنا » ..

«ينبغى أن يكون هناك مثل أعلى. ينبغى أن يكون هناك امل .. ان شعلة المقاومة الفرنسية سوف تسطع وتلتهب فى مكان ما » .

« ان الوطن لم يمت ، والحرب لم تضع ، ولتحيا فرنسا » ..

وواصل ديجول دعوته للمستعمرات الفرنسية للانضمام الى حركة فرنسا الحرة التى جعل مقرها لندن ، فاستجاب له البعض ورفض البعض ولاء أو خوفاً من حكومة فيشى ، وحدث أن هاجمت البحرية البريطانية بعض وحدات الاسطول الفرنسى فى أعالى البحار واغرقتها لتمنع الألمان من الاستيلاء عليها ، وبالرغم من أن تشرشل لم يستشر ديجول ولم يبلغه بأمر هذا الهجوم مقدماً إلا أن الحادث أساء الى صورة ديجول لدى الفرنسيين ، واستغلته حكومة بيتان لاظهار ديجول بمظهر الخائن الذى يتامر ضد بلاده مع الانجليز خاصة وقد كان عليه أن يبرر الهجوم البريطانى فى اذاعاته من صوت فرنسا الحرة براديو لندن ، واصدرت حكومة بيتان قراراً بتجريده من الجنسية الفرنسية ومصادرة املاكه ثم حاكمته غيابياً وحكمت عليه بالاعدام فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ .

ولكن هذه الرياح المعاكسة التى واجهت حركة فرنسا الحرة فى أيامها الأولى لم تلبث أن تحولت الى رياح مواتية فقد قرر قادة الاسطول الفرنسى فى ميناء طولون اغراق الاسطول حتى لا يقع فى أيدى الألمان ، وخلال ليلة واحدة نزلت الى أعماق البحر فى مياه طولون ٧٣ قطعة حربية فرنسية من أحدث القطع البحرية فى العالم منها بارجة كبيرة ، وبارجتان صغيرتان ، و٧ طرادات ، و٢٩ مدمرة و ١٦ غواصة وعدد من زوارق الطوربيد .. لقد انتحر الاسطول الفرنسى غرقاً ! واستشاط هتلر غضباً لهذا الحادث فامر قواته باجتياح فرنسا كلها . واخضع البلاد للاحتلال العسكرى الألمانى السافر ، وهنا سقطت حجة حكومة فيشى فى ان التعاون مع الألمان يحمى فرنسا من الاحتلال ، وعادت ألمانيا هى العدو الوطنى اللدود للفرنسيين ، وبدأ الرأى العام الفرنسى يتجه الى تأييد حركة المقاومة السرية فى الداخل ، وحركة فرنسا الحرة فى الخارج ، وفى مارس ١٩٤٣ اختارت المقاومة السرية داخل فرنسا ديجول قائداً لحركتها فانتصر بذلك على منافسه جيرو الذى كان ينافسه على زعامة فرنسا الحرة من مقره بالجزائر

ولم يكن النضال ضد الألمان ، وحكومة فيشى ، ومنافسة جيرو هى كل ما يشغل ديجول فى هذه المرحلة العصيبة ، بل كان عليه أن يخوض صراعاً آخر ضد حلفائه انفسهم ، وقد شعر ديجول أثناء الحرب بمرارة شديدة تجاه حليفيه القويين تشرشل وروزفلت فى حين بادله ستالين بعض الود . وبالرغم من أن تشرشل كان أكثر حدباً عليه من روزفلت ، فهو الوحيد على الأقل الذى يمده بالمال والسلاح ، إلا انه كان يضع نفسه فى مركز الأخ الأكبر أو بالادق فى مركز الوصى على ديجول وحركته وهو وضع لم يكن يرضى ديجول الذى يريد أن يزعم لفرنسا مركزاً مساوياً لحلفائها .

وازداد الخلاف بين الرجلين عندما أيد تشرشل فى واخر شهور الحرب استقلال سوريا ولبنان ، فاتهمه ديجول بانه يسعى لتصفية الامبراطورية الفرنسية فى المشرق العربى ووراثتها ، وسافر الى الشام ليحول دون وقوعه فى أيدى القوات البريطانية . اما روزفلت فلم يكن يخفى استهانته بديجول وحركته ، وظل الى قرب انتهاء

الحرب لا يعترف باللجنة الوطنية الفرنسية التى يراسها ديجول كحكومة شرعية فى المنفى ، وظل لفترة طويلة يفضل التعاون مع حكومة فيشى على أمل أن تفتح له ثغرة وراء خطوط الألمان .

وقد صدر حديثاً فى فرنسا كتاب بعنوان « تشرشل وديجول » لمؤلفه فرانسوا كير سودى يلقى مزيداً من الضوء على علاقة ديجول المتوترة بحلفائه فى الحرب ، فنقرأ عن روزفلت يحكى عن قصة لقائه لأول مرة بديجول قائلا لمن حوله : « تقدم نحوى ديجول وهو يشد قامته الطويلة وأعلن : أنا جان دارك .. أنا كليمنصو ! وأخذ روزفلت ديجول بطرافة ، وكان يراه فاشياً أو مغامراً أو مشروع دكتاتور فى المستقبل ، وكان يردد أن ديجول سوف يسقط بجدارة فى اية انتخابات حرة تجرى فى فرنسا بعد التحرير ، وعلى أحسن الأحوال كان يراه طفلا مدللا وينصح تشرشل قائلا : عليك أن تؤدبه بحرمانه من الطعام !

ولكن تشرشل لم ير فى ديجول شيئاً مسلياً على هذا النحو ، بل كان يقدر عزمه على مواصلة القتال تقديراً عالياً ويرى فيه « تجسيداً لرفض الهزيمة » ، ولكنه فى نفس الوقت يشك فى انه « مجنون بعض الشىء » ويعترف بأن هذا الجنرال بنزواته الغريبة يسبب له من المتاعب اكثر مما يسببه جميع حلفائه الآخرين مجتمعين ، أما ديجول فبالرغم من حنقه على تشرشل كان يشيد باتساع أفق الرؤية لدى مضيفه ، وقدرته على التخيل ، ونشاطه الذى لا يهدأ وكثيراً ما كان يصفه قائلا : « ياله من فنان عظيم » !

وبالرغم من أن ديجول لم يكن يملك موارد كبيرة سواء من المال أو الرجال أو المعدات الا انه كان راغباً عن اتباع خطى حليفيه الكبيرين مصراً على تنفيذ خططه الخاصة ، وكثيراً ماكان ينتقد الانجليز فى مجالسه ويتهمهم بانهم « يعقدون صفقة حرب مع هتلر » وانهم يخططون للاستيلاء على المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار بل كان يتحدث احياناً عن احتمال ان يصحب قواته ويذهب للحرب فى صفوف ستالين !

كان همه الأكبر أن يعقد لواء زعامته على كل المستعمرات الفرنسية فى الخارج والمقاومة الفرنسية فى الداخل ، ويرغم الحلفاء على الاعتراف بفرنسا الحرة التى يمثلها كشريك محارب لا قوة ملحقة ، وكان يتصرف باعتباره الممثل الوحيد للروح الفرنسية التى لم تهزم حتى لو تعارضت تصرفاته مع المصالح العليا للحلفاء . ولذا كان تشرشل يضيق به احياناً وصاح فى



# ديجـول والبحث عن العظمة

وجهه مرة : انت تزعم انك فرنسا ، انك لست فرنسا ، انا لا أعترف بك كفرنسا ! وقال فى وجهه مرة أخرى : عليك ان تعلم تماماً اننى لو خيرت بينك وبين روزفلت لما ترددت فى اختيار روزفلت !

ويؤكد كيرسودى فى كتابه « تشرشل وديجول » أن تشرشل كان فى أعماقه شديد الكراهية لديجول ، ولا يثق فى نواياه ، وكثيراً ما كان يضيق بضيفه المرهق . وقد رفض أن يطلع ديجول على خطة غزو « نورماندى » لفتح الجبهة الغربية ضد المحور ، أو ما يسمى فى تاريخ الحرب « دى ـ داى » ، وفى ليلة الغزو امر تشرشل بابعاد ديجول الى الجزائر ، واصدر تعليماته الى معاونيه : تحت أى ظرف من الظروف لا يجب السماح للجنرال بدخول فرنسا مع قوات الغزو . وكتب احد مساعدى تشرشل فى مذكراته يقول « ان رئيس الوزراء يبلغ أحياناً فى كراهيته للجنرال حد الجنون » !

وأثناء تقدم قوات الحلفاء فى الأراضى الفرنسية بعد النزول الكبير فى الأسبوع الأول من شهر يونيو ١٩٤٤ علم ديجول أن نية الجنرال ايزنهاور القائد الأعلى لقوات الحلفاء تتجه الى اقامة ادارة عسكرية امريكية فى المناطق الفرنسية التى يتم تحريرها ، ومعنى هذا أن فرنسا التى تتحرر من الاحتلال الألمانى ستخضع للاحتلال الامريكى ، وهنا تجلت عبقرية ديجول وسرعته فى التصرف ، إذ بعث فوراً ببعض أعوانه حاملين معهم تفويضات منه بتولى الشئون الادارية فى فرنسا باسم حكومة فرنسا الحرة فى المنفى ، وهبط هؤلاء الرجال بالمظلات سراً فى شتى انحاء فرنسا حيث استولوا على دور المحافظات والبلديات فى الاقاليم الفرنسية ، وكانت كلما دخلت قوات الحلفاء مدينة فرنسية محررة وجدتها تحت سيطرة رجال ديجول المزودين بتفويضاته القانونية ، وبذلك حفظ ديجول فرنسا من أن تتحول الى مستعمرة امريكية يطول بشأنها الخلاف بعد الحرب

وفى ٢٠ أغسطس ١٩٤٤ وصل الجنرال ديجول الى فرنسا ولم تكن المعركة قد حسمت بعد ، فلا تزال القوات الالمانية تحارب متقهقرة ، ولا تزال باريس تحت الاحتلال الالمانى ، وتولت قوات ديجول بقيادة القائد الفرنسى الشاب الجنرال « ليكير » دخول باريس وتحريرها من قبضة الألمان بعد معركة شرسة فى شوارع العاصمة شارك فيها الشعب بينما كان ديجول يدير المعركة من بلدة « رامبوييه » القريبة من باريس .

وفى يوم ٢٦ أغسطس دخل الجنرال ديجول باريس وقصد الى نصب الجندى المجهول بميدان « ليتوال » حيث كانت جموع الفرنسيين قد خرجت عن بكرة ابيها منذ الليلة السابقة لتحية الجنرال المحرر والالتفاف حوله ، وحملته الجماهير الى كنيسة « نوتردام دى بارى » عبر شارع الشانزليزيه حيث عقدت له البيعة كرئيس مؤقت للجمهورية الفرنسية الجديدة .

ولم يكن أمام حلفائه سوى الاعتراف له بما اعترف به شعبه ..

## أعاصير السياسة

خرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية دولة ضعيفة مفككة فقدت جيشها واسطولها كما فقدت كرامتها وكبرياءها ، وخسر ملايين الفرنسيين أرواحهم أو صحتهم أو أموالهم ، وأصاب الدمار والانهيار الصناعة الفرنسية والمركز الاقتصادى للبلاد ، وبدأت فرنسا تواجه سلسلة من المتاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، وكان عليها أن تعتمد كلية على المساعدات الامريكية التى يوفرها مشروع مارشال .

ولم يكن الانهيار الاقتصادى هو المأساة الوحيدة التى واجهتها فرنسا بعد الحرب بل كانت هناك مأساة اخرى لا تقل عنفاً وخطراً هى عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى ، اذ تمزقت البلاد شراذم متفرقة وضربت فيها المتناقضات والانقسامات والخلافات ، فالى جانب الأحزاب السياسية التى عدت بالعشرات كانت هناك انقسامات عميقة أخرى بين مختلف الفئات الاجتماعية .. الكاثوليك والعلمانيين .. البرجوازيين والشيوعيين .. الرأسماليين والعمال .. سكان المدن وأهل الريف ، وكل جماعة من هؤلاء تختلف مع الاخرى فى كل شىء ابتداء من سياسة

التعليم والخدمات الاجتماعية الى السياسة الخارجية .

أما المتاعب الخارجية الطاحنة فلم تكن مما يستهان به كذلك ، فقد ورثت فرنسا ما بعد الحرب العالمية الثانية امبراطورية حبلى بثورات التحرر الوطنى ، واخذت الثورات والحروب والقلاقل تندلع فى كل شبر من الامبراطورية الفرنسية المترنحة ابتداء من شمال أفريقيا الى الهند الصينية ومن مدغشقر الى افريقيا الاستوائية ، وظلت فرنسا أمام هذه المتغيرات جميعاً تتجاهل الواقع وتتصرف بوحى من أساطير عظمتها الآفلة ، فتزداد بالتالى الهوة اتساعاً بين الواقع الفرنسى والفكر الفرنسى ، وتزداد تبعاً لذلك حدة المشاكل التى تعانيها البلاد .

هذا هو المناخ العام الذى ساد فرنسا بعد الحرب ، والذى كان على ديجول أن يتلمس بين أعاصيره توجيه دفة السفينة الفرنسية ..

وعندما تولى ديجول الحكم كرئيس مؤقت لفرنسا فى مرحلة ما بعد التحرير ، بدءاً بصيف ١٩٤٤ ، كان المسرح السياسى يسيطر عليه تقريباً الشيوعيون بحكم أنهم تحملوا العبء الأكبر فى حركة المقاومة السرية ضد الألمان فى حين كان البرجوازيون الفرنسيون اكثر تعاطفاً مع نظام الماريشال بيتان المنهار ، ولم تكن أى من هاتين القوتين تثق فى الجنرال ديجول أو تعتبره ممثلا لها . وهكذا وجد ديجول نفسه - رغم التأييد الشعبى الكاسح الذى لقيه عند دخوله باريس مظفراً - فى عزلة سياسية بين الشيوعيين من جانب والبرجوازيين من جانب آخر .

ولما كان الوقت مبكراً لاجراء انتخابات عامة ، فقد اكتفى ديجول بتكوين حكومة مؤقتة يشارك فيها الشيوعيون الى جانب القوى السياسية البارزة الأخرى وتعيين مجلس استشارى من ٢٤٨ عضواً ليقوم مقام البرلمان . وركز جهوده فى متابعة المجهود الحربى لاستكمال تحرير فرنسا ومواجهة مشاكل ما بعد الحرب ، واعترفت الدول العظمى بحكومته المؤقتة ، ومنحت فرنسا مقعداً دائماً كدولة كبرى فى الأمم المتحدة التى يجرى انشاؤها ، وزار ديجول موسكو فى ديسمبر ١٩٤٤ ووقع معاهدة صداقة مع ستالين .

ولكن ديجول لم يلبث أن اصطدم بشدة مع اليمين واليسار .. فقد أصدر خلال الشهور الأولى من عام ١٩٤٥ قرارات بتأميم عدد من المرافق والبنوك والصناعات الرئيسية بهدف احكام سيطرة الدولة على عملية التنمية الاقتصادية لازالة آثار الحرب مما أغضب البرجوازيين واتهموه بالشيوعية . ثم جرت عليه اجراءات التطهير التى قام بها ضد المتعاونين مع النازى غضباً مضاعفاً من جانب قطاع آخر قوى من الرأى العام يتركز أساساً فى الجيش والبوليس والادارة ، وبالرغم من أن هذه الاجراءات شملت عدداً ضخماً من الأفراد قد يصل الى ١٣٠ الفاً فى بعض التقديرات - وعلى رأسهم المارشال بيتان الذى حكم عليه بالاعدام فى يوليو ١٩٤٥ - إلا أن اليسار الفرنسى بقيادة الشيوعيين اعتبروا ان هذه الاجراءات غير كافية واتهموا ديجول بالفاشية !

وفى اكتوبر ١٩٤٥ اجريت انتخابات المجلس التأسيسى الجديد وقدم ديجول استقالته كرئيس مؤقت ، وأعاد المجلس انتخاب ديجول كأول رئيس دائم للجمهورية الجديدة . كان لا يزال هو القاسم المشترك الأعظم الذى يمكن ان تتفق عليه الاحزاب المتناحرة .

وهنا بدأ الصدام العنيف بين ديجول والشيوعيين ، كان الحزب الشيوعى قد خرج من الانتخابات العامة كاقوى حزب على الساحة السياسية ، اذ حصل - أكثر من أى حزب آخر - على ١٥٠ مقعداً فى البرلمان ، وكان بذلك يمسك فى يده مفتاح الموقف السياسى ، وبالرغم من أن الشيوعيين لم يكونوا يعترضون على شخص ديجول بدليل انهم ساهموا فى انتخابه رئيساً للجمهورية إلا انهم كانوا يرون الحد من سلطاته ، أو تحويله الى رئيس فخرى يرأس ولا يحكم ، كما كانوا يطالبون بأهم ثلاث وزارات فى حكومته الائتلافية وهى الخارجية والداخلية والدفاع وعلى هذه المطالب اعترض ديجول بشدة فهو أولا يريد سلطات واسعة تمكنه من اجراء الاصلاحات اللازمة بعد التحرير ، كما اعترض ثانياً على رغبة الشيوعيين فى الانفراد بالقوة الحقيقية فى فرنسا ما بعد الحرب . وعلى هذا أقدم ديجول على تقديم استقالته بعد ثلاثة أيام فقط من انتخابه رئيساً ، وقصد بنفسه الى دار الاذاعة حيث القى بياناً على الأمة الفرنسية أعلن فيه أنه لا يعترض على أن يساهم الشيوعيون على أوسع نطاق ممكن فى جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولكنه يعترض ولا يمكن أن يسمح بأن يسيطر الشيوعيون على الاعصاب الأساسية لسياسة فرنسا وهى الدبلوماسية والجيش والبوليس . وبمجرد اذاعة البيان خرجت جماهير الشعب الفرنسى الى الشوارع تعلن تمسكها بالجنرال محرر البلاد ، ولم يقبل المجلس التأسيسى استقالته ، واضطر الشيوعيون الى التراجع عن موقفهم . وهكذا عاد ديجول رئيساً للجمهورية بما يشبه البيعة العامة أو التفويض الشعبى لتنفيذ سياساته . وقد علمته هذه الواقعة مادرج عليه فيما بعد من اللجوء الى الجماهير مباشرة فى استفتاءات شعبية للحصول على ما يشاء من تفويضات .

ولكن ، استمرت مناورات الشيوعيين والقوى السياسية ضده فى الجمعية الوطنية ، وفى يناير ١٩٤٦ لم توافق الجمعية الوطنية على الميزانية المقدمة من حكومته مما جعل ديجول يلوح باستقالته مرة أخرى اعتقاداً منه بأن الشعب الفرنسى سيهب الى تأييده كالمعتاد ، ولكن الشعب لم يفعل هذه المرة ، وكانت صدمة كبرى لديجول ، فاكتفى بتوجيه بيان الى الأمة أعلن فيه انه يرفض التناحر الحزبى المقيت ويرى من واجبه أن يتنحى .

وفى ٢٣ يناير ١٩٤٦ قرر المجلس التأسيسى تعيين رئيسه فليكس جوان رئيساً مؤقتاً للجمهورية ، واختفى الجنرال ديجول من المسرح السياسى .

لجأ ديجول الى العمل السياسى من خارج الحكومة ، فكان يصدر البيانات السياسية ويلقي الخطب يدعو فيها الى اقامة دولة قوية تحكم شعباً موحداً ، ويهاجم الانقسام الحزبى ، والتناحر الفئوى ، وبالرغم من انه كان يمقت الحزبية ويريد أن يظل بعيداً عن الأحزاب ، وفوق الأحزاب ، إلا أنه اضطر إزاء هذا المناخ السائد فى السياسة الفرنسية الى الاعلان عن تكوين حزب سياسى له باسم «تجمع الشعب الفرنسى» فى ابريل ١٩٤٧ ، وقفزت عضوية الحزب الى المليون خلال سنة واحدة ، وقدر عدد مؤيديه بثلث الشعب الفرنسى ، وكان الأديب الفرنسى الكبير أندريه مالرو يلازم ديجول فى نشاطه السياسى ، ويكتب له خطبه وينظم اجتماعاته . وشن ديجول حملة واسعة النطاق ضد الحكومة والبرلمان والأحزاب ، كما أسس صحيفة أسبوعية أسماها «الشرارة الفعالة» وتلاها باخرى اسماها «حرية الفكر» كان لها فضل كبير فى منع استقطاب الحركة الشيوعية للمثقفين الفرنسيين .

وفى انتخابات عامة أجريت فى شهر يونيو ١٩٥١ فاز حزب ديجول بأكبر عدد من المقاعد فى البرلمان ، إذ حصل على ١١٨ مقعداً يليه الشيوعيون الذين حصلوا على ١٠٣ مقاعد ، ثم الأحزاب الأخرى بأعداد متفاوتة . وكان من الممكن بسهولة أن يتولى حزب ديجول السلطة إذا آزرته أحزاب الوسط ، ولكنها ضنت عليه بذلك ،



# ديجول والبحث عن العظمة

واستمرت بالتالى سلسلة المناورات البرلمانية والأزمات التى اخذت بخناق البلاد فى الخمسينات ، ويكفى أن نذكر أنه تعاقبت على فرنسا خلال عهد الجمهورية الرابعة الذى استمر ١٣ عاماً (١٩٤٥ ـ ١٩٥٨) ١٨ وزارة ائتلافية أى بواقع وزارة واحدة كل تسعة أشهر تقريباً سقطت جميعاً لأنها لم تحرز التأييد الكافى فى البرلمان .

ومرة أخرى تبين لديجول أن الحزبية ليست طريقاً لاستعادة مجد فرنسا ، فنفض يده من حزبه ، وعاد الى موقفه المترفع عن المعترك الحزبى ، بينما أخذ الحزب يتفتت وتهجره عناصره وبقيت منه مجموعة من النواب لا يحملون من الديجولية سوى اسمها ويتورطون كغيرهم من الجماعات السياسية فى لعبة المناورات الحزبية والكراسى الموسيقية ، ويشتهرون بمعارضة كل شىء .. وهكذا فشل ديجول تماماً فى انقاذ فرنسا سياسياً بعد أن انقذها عسكرياً ، وكان لابد له أن ينسحب ، فانزوى فى قريته الصغيرة «كولومبى لي ديز ايجليز» بعيداً عن السياسة يقرأ ، ويتأمل ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٥ ، ونسيه الناس أو كادوا ، وكاد هو نفسه يشرف على الفقر لولا أن ظهرت فى الأسواق مذكراته عن الحرب العالمية الثانية التى عكف على كتابتها أثناء عزلته ، فدرت عليه ثروة كبيرة .

## على أكتاف الفاشية

وتاريخ الفاشية الفرنسية قديم يرجع الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، أو بالتحديد الى عام ١٩٣٤ عندما ظهرت حركة فاشية فرنسية تسمى «وكات» حاولت القفز الى الحكم بأساليب موسولينى فى ايطاليا ، وقد أثارت هذه الحركة الذعر فى صفوف اليساريين والديمقراطيين فتجمعوا تحت راية «الجبهة الشعبية» التى تولدت عنها حكومة ليون بلوم عام ١٩٣٦ ، ولكن هذه الحكومة أثارت بدورها مخاف اليمينيين والمحافظين فاتحدوا فى جبهة تسمى «اتحاد لجان العمل الدفاعى» وكانت حركة شرعية يعترف بها القانون ولكنها تخفى وراءها منظمة ارهابية سرية اشتهرت باسم «لاكانمول» ، وحصلت على تأييد رجال الصناعة والبنوك ومساعداتهم السخية ، وتمكنت هذه الحركة من شراء الأسلحة وتنظيم الخلايا السرية بل وحاولت القيام بانقلاب مسلح فى فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية بمساعدة فرانكو ، ولكن المحاولة أحبطت وزج بزعماء الحركة فى السجن ، وعندما احتل النازيون فرنسا أطلقوا سراح المعتقلين الفاشيين الذين أصبحوا من أشد أنصار حكومة بيتان ، وبعد الحرب ألقى القبض على الكثيرين من هذه العناصر الفاشية ومعظمهم ممن كانوا يعملون فى أجهزة الادارة والشرطة ، وتمكن البعض منهم من الفرار الى الخارج وبالذات الى الجزائر وشمال افريقيا . وفى عام ١٩٤٧ تمكنت هذه العناصر الفاشية من انشاء ما يسمى «برابطة قدامى رجال البوليس» التى سجلت كجمعية قانونية تحمى مصالح جماعة فئوية ولكنها كانت فى الواقع منظمة فاشية ارهابية هدفها عرقلة عمليات التطهير ضد بقايا المتعاونين مع النازية . وفى عام ١٩٥٣ توسعت الرابطة وأصبح اسمها «جمعية قدامى رجال البوليس الوطنى والادارة البلدية فى فرنسا واقطار ما وراء البحار» ، وضاعفت من نشاطها ونفوذها حتى أصبح أنصارها يسيطرون على المراكز الحساسة فى أجهزة الأمن الفرنسية بما فيها الجمارك والحدود ، ويركزون جهودهم فى أوساط المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر انتظاراً للحظة مواتية ينقضون فيها على أجهزة الحكم .

ولم تلبث أن أخذت قوى أخرى تصب فى النهر الفاشى ، وعلى رأس هذه القوى عدد كبير من ضباط الجيش الفرنسى ذوى الأصول الارستقراطية والخبرة الاستعمارية والذين آلمتهم وأذلتهم هزائمهم فى الحرب العالمية الثانية ، ثم فى الهند الصينية ، وأخيراً فى شمال افريقيا خاصة بعد اندلاع حرب الجزائر .

واتسع معسكر الفاشية بانضمام عنصر ثالث هو المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر ، هؤلاء الذين يسمون بأصحاب الأقدام السوداء ويتميزون بعقلية سطحية وغباء سياسى عنيد وربوا منذ نعومة أظافرهم على احتقار الجنس العربى ، وقد شعروا بالانزعاج البالغ من الثورة الجزائرية وأخذوا يطالبون حكام باريس بسحقها بدون هوادة . وهم الذين تجمعوا بعد ذلك مع عناصر عسكرية فى منظمة الجيش السرى .

هذه القوى تكتلت جميعاً فى معسكر واحد يلقى التأييد والتعاطف من جهات قوية كثيرة ، من الكنيسة الكاثوليكية ، وحلف الأطلنطى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وخيل اليها مع احتدام أزمة الجزائر الطاحنة أن الخلاص يتوقف على الاطاحة بنظام الحكم المهترىء فى باريس ، والاتيان برجل قوى يستطيع أن يثبت أقدام اليمين الفرنسى ويسحق ثورة مسلمى الجزائر . ومن يكون هذا الرجل سوى ديجول بماضيه الوطنى ، وايمانه بالامبراطورية الفرنسية ، ومعارضته لنظام الجمهورية الرابعة ؟

وأخيراً سنحت الفرصة يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ عقب أزمة وزارية مستحكمة ، إذ قام بعض جنرالات الجيش بانقلاب عسكرى فى فرنسا والجزائر ، وحمل الجنرالات المتمردون زميلهم القديم شارل ديجول من بيته الريفى فى «كولومبى لي ديز ايجليز» الى قصر الاليزيه بباريس .

وبينما كانت سيارته تقطع الطريق الى قصر الاليزيه بعد انقلاب ١٣ مايو كان الشعب الفرنسى يفترش الطريق أمام السيارة هاتفاً «لن تمر الفاشية» . وهكذا جاء الجنرال ديجول الى الحكم مرة أخرى . فى المرة الأولى على أكتاف خير ما فى فرنسا .. حركة المقاومة الشعبية والعسكرية ضد الاحتلال النازى ، وفى المرة الثانية على أكتاف أسوأ ما فى فرنسا .. الحركة الفاشية المعادية للتقدم ، والتحرر الوطنى ، واستقلال الجزائر .

ولكن ديجول ـ وهنا تكمن عظمته ـ لم يبق لحظة واحدة أسيراً للفاشيين ، بل رغم محافظته على خطه اليمينى الوطنى الواضح سرعان ما عاد معبوداً للشعب الفرنسى ومنقذه من الفوضى والحرب الأهلية ، وبدلا من أن يقضى على الديموقراطية أصبح صمام الأمن للحرية ، وبدلا من أن يسحق ثورة الجزائريين منحهم الاستقلال ، وبدلا من أن يبقى على الامبراطورية بالحديد والنار حولها الى كومنولث يتبادل المصالح ، وبدلا من أن يمكن لحلف شمال الأطلنطى انسحب من الحلف ، وبدلا من أن يصبح تابعاً للأمريكيين وقف نداً لهم ، وبدلا من أن يخضع للحركة الصهيونية أدان اسرائيل فى عدوان ١٩٦٧ وحرمها من الأسلحة ، وبدلا من أن يرضى باعتبارات التوازن الدولي القائم ثار عليه ورفض توازن القوتين وعمل على تحويل أوربا الى قوة فعالة ثالثة .

ولكن كيف فعل ديجول ذلك .. هذه هى عظمته الحقيقية ، ولم يكن كل ما سبق سوى مقدمة !

محمد العزب موسى

للمقال التالى والأخير : ديجول والجمهورية الخامسة

# وجهان لعملة واحدة !

شعر : عبد المنعم عواد يوسف

١ ـ « النكـــــران »

تسأل : هل تعرفُه حقاً ؟
ـ حقاً . ؟! إسْمَعْ هذا .
كان صبياً من أبنائى
كان نباتاً يطلعُ رِخْواً ذاتَ زمانْ ..
كم أسْبَغْتُ عليه ظِلالى ساعَةَ كان صَغِيراً يحبُو
فى بُسْتانِى
كم ذا أغدَقْتُ عليه الصافىَ من ينبوعِ حنانى
امنَعُ عنه الحَرَّ ، وأحْجُبُ عنه الريحَ ، وأحميهِ
أعاصيرَ الأيّامْ
يملأ قلبَكَ زَهْواً أن يحضِنَ بستانك نبْتاً غضاً ،
يشربُ ماءَ الحكمَةِ من ينبوعِكَ صفْواً ،
يكبُرُ ، يُزْهِرُ ، يتمَدّد ساقاً وفروعاً
ـ أما الآن ؟
ـ حقا حقا .. أما الآن ..
يالتصاريفِ الأزمان !
ماذا تصنع حين ترى الأشوَاكَ محلَّ الزَّهْر ،
تجرحُ أولَ من غرَسَ النبْتَةَ ذاتَ زمان ،
ماذا تملكُ إلّا أن ياكلَكَ القهر ؟
أن تَغْرِسَ فى يوم نبتاً .. أمَلاً حُلْوَا ،
تُودِعُ غرْسَكَ رَحِمَ الأرضِ ، وتَبْقَى ترقبُ ما يُطْلِعُه غرْسُك
يُطلِعُ زَهْراً ،
يثمرُ خيْراً ،
يَنْشُرُ عِطراً ،
يُبْهِجُ نَفْساً ،
يُسْعِدُ قَلْباً ..
لكن أن يفْجَأكَ الشــّـوك
يبْرز من بين الأوراق
يجرحُ كفا ذات زمان ،
منحت هذا الغرسَ حياتَه ،
شىءٌ مُرّ ،
مثل مرارة هذا الثمرِ الطالعِ من بين الأشوَاكْ
وتجيءُ لتسألَنى الآن : هل تعرفه ؟
أنا لا أعرف إلا أن مرارةَ كل الصَّبارات تُعَلْقِمُ حَلْقى .

٢ ـ التنـــاسى

تسأل : هل تعرفُه حقاً ؟
أعرف ؟! إسمَعْ هذا
كان صديقى يوماً من ذَاتِ الأيامْ
كانت تجمعنـــــا الصحبةُ ، تتوحَّدُ فينا إشراقاً
أحلى آفاقِ الأحْلامْ
كنا أكثَرَ من أخوَيْن
ولكم كنا نتقاسَمُ خبزَ الاخلاَصِ ومِلْحَ الوُدّ ..
نتساقى أكوابَ الفرحَةِ فى أيام أدبَرَ عنها الفرْح
نغرسُ بَذْرَ وِدَادٍ فى بستانِ القلب
نسقى الشجَرَ الطالِعَ ماءَ الصَّفو
يُزهِر وداً ، يثمِرُ حباً ..
ما أروَعَ عِطْرَ الأحبَاب !
حين يضمِّخُ نَفْسَ المرْءِ ، فتنتعشُ الأعمَاق ..
تسبَحُ فى نور الإشرَاقْ
تَثِبُ الفرْحَةُ من عُمْقِ الأحْدَاقْ
هذا كانْ ..
ـ كانْ . ؟! ماذا تقصِدْ ؟ ..
أوَ مَا عادَ الوُدُّ الآن ؟
ـ اسْمَعْ قولى : نحنُ نعيشُ بزمَنِ الجدْب ..
أبْخَلُ من أن ينْبِتَ يوماً نبتَةَ حب ..
أبخلُ من أن يثمرَ يوماً حبةَ صفْو ..
أبخلُ من أن يطلِعَ يوماً زهرةَ وُدّ
هذا الصاحبُ نسلٌ صالحْ
من أصلابِ زمان طَالِحْ
لا تنبتُ أشجار العلقم إلا العلقم
هل يخرج فرد من جلده ؟
تسأل : كيف إذَنْ تبكيه ؟
لا ، وإبائى
لا ، معذرةً ، أبداً أبداً ما أبكيهْ
لا أبكى فيه الانسانْ
لكن أبكى عهداً كانْ
حباً أينَعَ ذات زمانْ
ـ أما الآن ؟
ـ هذا زمنُ الجدْبِ ، أجَلْ ، زمنُ النسيانْ ..



من روائع الفن العالمي

تقديم : جمال قطب


الفنان الفرنسي رينوار

الفنان الفرنسي رينوار

# جمال المرأة في عصر هذا الفنان

كان رينوار يؤمن بأن الجمال والسعادة صنوان لا يفترقان .

وقد قيل لرينوار يوماً : عندما تنقب عيناك عن مكامن الجمال وتعثر عليه فهذا يعني أنه مقدمة لابداع جديد وأمل في سعادة قادمة ستتحقق .

ورد رينوار قائلا وكأنه يسطر دستور العمل الفني رسالته الخالدة : يكفي أن يكون الجمال موجوداً يعطر الأجواء من حولنا ، كالورود والرياحين ، يكفي أن تنظر اليها في أوج جمالها وازدهارها ، وليس من الضروري أن تقطفها وتستحوذ عليها وحدك ! المهم أن أرى الجمال فحسب !

كانت لمساته العبقرية تتدفق بالعطاء الآمل الملهم ، وهو واحد من فناني التاريخ العظام الذين جسدوا فتنة المرأة في شاعرية سامية توحي باحترام وتمجيد هذا الجمال في غير ابتذال أو إثارة تنحرف بالمشاعر أو تنحدر بالقيم الوجدانية النبيلة .

وهذه اللوحة هي نموذج مجسم للجمال الأنثوى فى عصر رينوار ( النصف الثاني من القرن التاسع عشر) : الاشراق والثقة والصحة والتأنق والبذاخة والتفتح والترف ... تلك المعنويات التي كانت تميز (العصر الجميل) هذا العصر الذي عاشته الحياة الأوروبية عامة والفرنسية بخاصة في تلك الحقبة الوردية ،حتى عصفت بها الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين!

● وقد ركز رينوار على المرأة في اللوحة وجعلها مركز الضوء ومحور اهتمام المشاهد ، فوجهها الساحر وجسدها المشوق وملابسها المترفة ، تبدو جميعها كباقة من الورود اليانعة الندية .. ولكي يعمق هذا الاحساس عند الناظر لهذه اللوحة الخالدة ، أتى بالورود لكى يزين بها المرأة فى شعرها وصدرها ، وجعل الوجه الواثق الحالم ، يبدو كأجمل وردة تتوسط الباقة الرائعة وهذه الفاتنة هي ( نيني لوبيز ) المرأة التى كانت صديقة رينــوار ونمـوذجه المفضل في ذلك الوقت . وقد هجرته بعد أن أحبت ممثلا ناشئاً وتزوجته .

أما الرجل في خلفية اللوحة ، فهو شقيق رينوار الأصغر (إدموند) الذي كان يعتبر رينوار مثله الأعلى ويكن له الحب العميق .

● اللون الأسود عند رينوار هو ملك الألوان جميعاً ، والدارس لفنه يجد أن الأسود يقوم بدور ( التعريف بالتضاد ) ، فهو يحصر النظر لتأكيد معنى حسي يريد الفنان أن يبرزه ، وفي هذه اللوحة ، يقوم اللون الأسود مع الأبيض بتناغم موسيقي مثير ، ولذلك وصف النقاد هذه اللوحة بأنها معزوفة لموزار تتكون ألحانها وأنغامها من ألوان راقصة على سطح اللوحة الخالدة !

● أما قيمة الفنان ودوره القيادي في الفن الحديث ، فلهذا مجال رحب آخر ، ويكفي أنه كان نقطة التحول التاريخية فاطلق الابداع من عقال التقاليد المتوارثة ونقطة البدء للحركات التحريرية فى الفن الحديث !

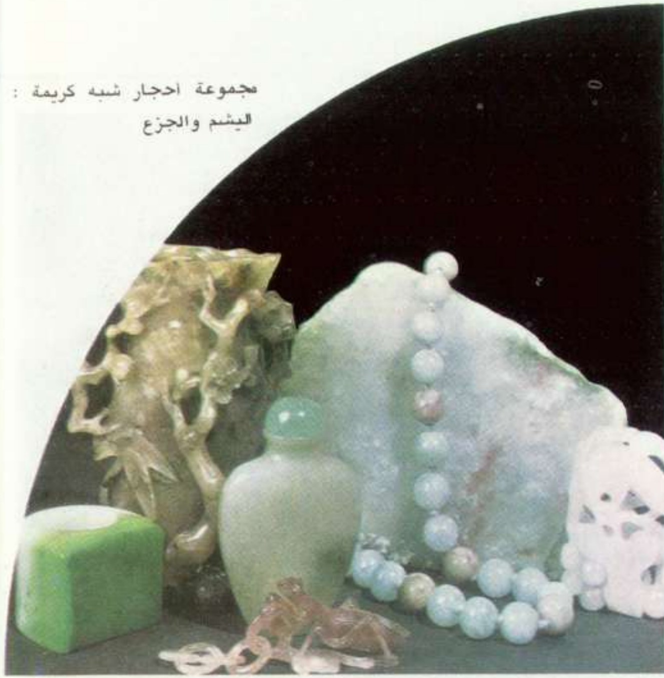
ومن أقواله الشهيرة التي تنم عن نظرته الآملة وشاعريته المرهفة :

مهما كان الموضوع الذى يصـوره الفنان، يجب أن تكون الصورة شيئاً جميلا ومبهجاً !

جمال قطب

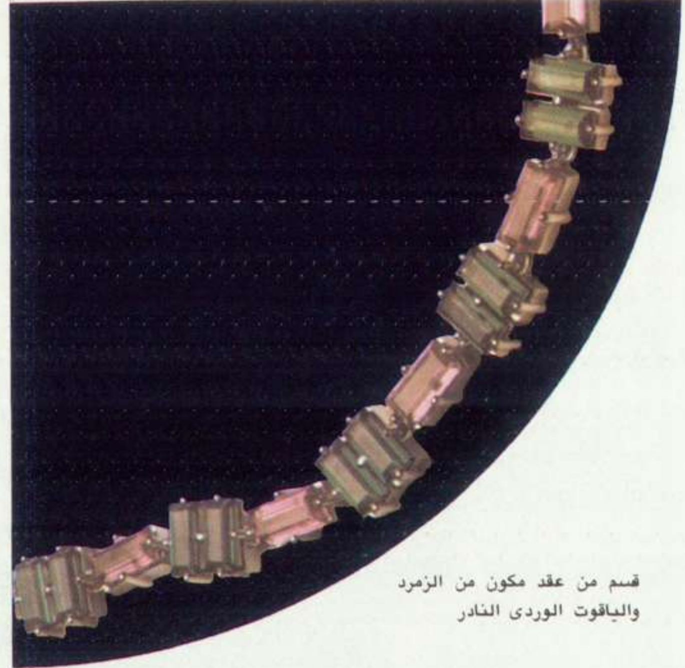


في المسرح .. للفنان الفرنسي رينوار (١٨٤١ ـ ١٩١٩) .


مجموعة احجار شبه كريمة : اليشم والجزع


فص خاتم من المرجان الوردى


حجر خام الكهرمان ( الكهرب )


قسم من عقد مكون من الزمرد والياقوت الوردى النادر

# سرّ جاذبيّة
# الأحجار الكريمة

بقلم : نجلاء العزي

هل تصدق أن فى الطبيعة أكثر من ألفى نوع من المعادن ، من بينها مائتا نوع فقط تابعة للأحجار الكريمة ٠؟
إن هذه الأنواع النادرة من الحجارة المعدنية لها خواص فيزيائية تميزها عن غيرها من الأحجار ، وهذه المميزات هى التى أعطتها قيمة كبيرة دفعت الانسان منذ القدم لاستخدامها كحلية أو لترصيع الحلى بها !
ولكن ترى ما هى أهم المميزات التى تجعل للأحجار الكريمة جاذبية خاصة عند الناس وسحرا يفوق الوصف ٠؟



زوج أقراط من اللؤلؤ الطبيعى الرمادى اللون ( النادر ) والألماس



عقد من الزمرد ( الأخضر ) والياقوت ( الأحمر ) والألماس ( ابيض )

إن أهم ما يميز الأحجار الكريمة عن غيرها : لونها الجذاب ، وبريقها اللامع ، ولمعانها واشعاعها ، وصلابتها العالية ، وخفة وسهولة حملها ، وأخيراً - بالطبع - ندرتها !

وليس ضرورياً أن تتوفر كافة هذه المميزات فى حجر واحد ، ولكن يكفى أن تكون هناك خاصية واحدة أو اثنتان من هذه المميزات حتى نطلق على المعدن اسم : الأحجار الكريمـة !

والمعروف أن الماس يتصدر قائمة الأحجار الكريمة ، ويليه الياقوت والزمرد ، فهذه المعادن - بالذات - تحتوى على معظم خواص الحجر الكريم !

## جواهر البحـــر

وقبل أن نتحدث عن حكاية الأحجار الكريمة وتاريخها عبر القرون والأزمان ، لابد أن نتوقف قليلا عند اصـــطلاح « الأحجار الكريمة » ، ففى اللغة العربية تسمى الأحجار الكريمة بالجواهر ، ومفردها جوهر ، وهى كما تذكر معاجم اللغة العربية ، لفظة فارسية معربة ، أطلقها العرب على ما يستخرج من البحر حلية كاللؤلؤ والمرجان وما يوازيه فى النفاسة من الحجارة كالياقوت والزمرد .. أما فى اللغة الانجليزية فان مصطلح جوهر GEMS مشتق من الكلمة اللاتينية GEMMA التى تعنى النقش على الحجارة الكريمة أو الحجارة المنقوشة بختم أو بنقش غائر أو بارز ، ثم صارت اصطلاحاً يطلق على الحجارة المعدنية المقطوعة والمشطوفة والمصقولة ، ثم توسع وصار يشمل بعض المواد ذات الأصل العضوى كاللؤلؤ والمرجان والعنبر !

## الحكايات القديمة

وقد استخدم الانسان الحجارة لصنع آلاته وأدواته وأسلحته منذ فجر التاريخ واليها ينسب عصره ، المسمى بالعصر الحجرى ، وكان حجر الصوان أكثرها شيوعاً إلى جانب مواد أخرى كالعظام

# سر جاذبية الأحجار الكريمة

والقواقع اضافة إلى المعادن .

وفى الألف الرابع قبل الميلاد عند بزوغ الحضارات القديمة ، حصل تطور كبير على استخدام الحجارة بسبب اكتشاف بعض الأحجار الغير عادية ، حيث استخدمت الحجارة للزينة اضافة للأغراض الأخرى ، وذلك واضح فى حضارة وادى الرافدين والهند والصين ومصر ، حيث طعمت بالحلى وصنعت منها الأختام أو الأدعية والقلائد الدينية ، كما تميزت كل حضارة بأسلوب معين فى استخدام الأحجار الكريمة ، فمثلا تميزت الحضارة السومرية ( العراق القديم ، وادى الرافدين ) بالحفر على الحجارة والمعادن واستخدام الحجارة الكريمة لتطعيم التماثيل والحلي خاصة اللازورد ، بينما امتازت الصين بالحفر على الحجارة الكريمة خاصة اليشم ، أما الهند فقد امتازت بقطع وشطف وصقل مختلف الحجارة الكريمة اضافة الى استخدامها بوفرة فى تطعيم الحلى التى كانت وافرة فى حضارة وادى السند القديمة ، كما بلغت صناعة الحلى والتطعيم بالأحجار الكريمة فى الحضارة المصرية القديمة ، القمـة ، فقد اسـتخدمت بوفرة ، حتى دخلت مختلف أوجه الحياة اليومية ، اضافة الى البلاط الملكى ومعابد الكهنة ، وكذلك كانت الحضـارة الاغريقيـة والرومانية التى تلتها قد امتـازت بالنقش بطريقة الحفر أو النقش البارز على الحجارة الكريمة ، واستمر هذا الأسلوب حتى العصور الوسطى ، خاصة فيما يتعلق بأسلوب وصناعة قطع الحجارة الكريمة حيث مرت بفترة ركود ثم عاد التهافت على استخدام واقتناء الأحجار الكريمة فى نهاية العصور الوسطى خاصة النادرة والنفيسة منها كالألماس والزمرد والسفير بسبب التنافس الشديد بين رجال بلاطات ملوك أوروبا لاظهار آيات البذخ والترف الذى عم مختلف نواحي الحياة .

وكانت الأحجار الكريمة منذ القدم تؤدى غرضين أولهما تجميلي وثانيهما اقتصادى حيث تعتبر رصيداً مادياً لمختلف الأغراض فى الحرب أو فى السلم ، كما كانت مظهراً من مظاهر القوة . أما فى العصر الحديث اضافة إلى الزينة فقد دخلت الأحجار الكريمة فى مجال الصناعات خاصة الذرة والالكترونيات والكومبيـوتر والأدوات الكهربائية والمغناطيسية وذلك بسبب الخواص الفيزيائية الفائقة التى تملكها .

أما الأحجار الكريمة القديمة التى كانت منتشرة فى العالم فقد أصبحت تحفاً تمثل ماضياً عريقاً وثروة لا تقدر بثمن فقد وضعت داخل خزانات فى متاحف يشاهدها الناس فيها رمزاً لمجد وثراء البلد كما أنها تعرض أسلوب صناعة وفن التطعيم والتزيين بها . والبعض منها مازال يستخدم فى مناسبات خاصة كمجوهرات التاج البريطاني .

وكلنا نعرف أن هناك مجموعات كبيرة استخدمت فيها أكبر قدر من الأحجار الكريمة النفيسة وهى :

- مجوهرات التاج البريطاني .
- المجوهرات الملكية الايرانية .
- مجموعة الالماس الوافرة فى مجوهرات روسيا القيصرية .
- مجوهرات سلاطين آل عثمان فى اسطنبول . تركيا .
- مجموعات متناثرة بين المتاحف العالميـة للآثار والتـاريخ الطبيعى والجيولوجيا فى بريطانيـا ( المتحف البريطانى ومتحف فكتوريـا والبرت ) ، والولايات المتحدة الامريكية ( فى متاحف نيويورك وشيكاغو وواشنطن ) .

## المعتقدات والأساطير

ومنذ اقدم العصور ارتبطت الأحجـار الكريمة بمعتقدات واساطير نسجت حولها بسبب خواصها الفيزيائية كاللمعان والندرة واللون ، فمنها ما استخدم كطلسم أو تعويذة لدفع الخطر أو لجلب الحظ أو الثروة أو النصر ، وقد ورثنا فى العصر الحديث بعض هذه المعتقدات والتى أشاعها تجار الحلى والمجوهرات ، ومن هذه المعتقدات التى ، ذكرتها التوراة من أن لكل شهر حجراً كريماً معيناً وأن كل مولود فى ذلك الشهر له حجره الذى يرتبط بحياته والذى اذا ما اقتناه فانه يجلب له الثروة والحظ السعيد .

والأشهر الميلادية هى :

يناير ـ الجارنيت .
فبراير ـ الجمشت .
مارس ـ حجر الدم .
ابريل ـ الماس
مايو ـ الزمرد .
يونيو ـ اللؤلؤ ـ حجر القمر .
يوليو ـ الياقوت .
اغسطس الساردونيكس .
سبتمبر ـ السفير .
اكتوبر ـ المرو . اوبال .
نوفمبر ـ توباز .
ديسمبر ـ الفيروز .

## جواهر صناعية

ونظراً للميزات الفيزيائية التى امتازت بها الأحجار الكريمة فقد ادى ذلك الى ارتفاع اثمانها وكثرة الطلب عليها وندرتها لذلك حاول الانسان ومنذ القدم على تقليدها ، ولكن لم ينجح الا فى العصر الحديث بسبب الثورة الصناعية الحديثة حيث نجح فى صنع جواهر نفيسة فى المعامل والمختبرات بطريقتين :

● جواهر اصطناعية :

وهى حجارة كريمة مصنعة ، أى أن الانسان قام بصنعها وهى غير موجودة فى الطبيعة تقليداً للحجارة الكريمة الطبيعية وهى تحمل كل صفات الحجر الكـريم الكيماوية وبعض الصفات الفيزيائية التى صنعتها الطبيعـة خاصة الالماس والسفير والياقوت والزمرد وهى الجواهر النفيسة العالية القيمة مما يسر للطبقات المتوسطة اقتناءها، هذا ولم تصنع احجار كريمة مقلدة للاحجار الكريمة الشائعة كالعقيق لانه تجارياً لا يعد مربحاً .

● الأحجار الكريمة المقلدة :

وهى حجارة لها الشكل العام للاحجار الكريمة لكنها لا تحمـل الخواص الفيزيائية ( الطبيعية ) للحجر الكريم الطبيعى والاصطناعى منه . فمثلا يصنع من الخزف أو الزجاج أو البلاستيك أنواع كثيرة من الأحجار الكريمة الشائعة مثل العقيق والمرجان والفيروز والكهرمان .. الخ

## تصنيف الأحجار الكريمة

هذا وتقسم دائرة المعارف البريطانية الأحجار الكريمة الى :

● احجار ثمينة أو جواهر نبيلة .

● احجار شبه كريمة .

ولكن يمكن تقسيم الأحجار الكريمة بالتخصيص الى :

● الجواهر النفيسة :

وهى الأحجار الكريمة التى تحمل كل صفات الحجر الكريم أو معظمها مما يجعلها أعلى بقية الأحجار الكريمة قيمة وندرة وتشمل :

الالماس والزمرد ،الياقوت واللؤلؤ ( تجاوزاً لأنه من أصل عضوى حيوانى ) .

● الاحجار الكريمة الثمينة :

وتأتى بالدرجة الثانية فى قيمتها وخواصها الفيزيائية وهى أوسع انتشاراً وأكثر استخداماً وتشمل العقيق ، ومنه الجزع .. والبلور ، ومنه البلور الصخرى واليشب .. والجمشت ، وفيه عين الهر .. والفيروز واللازورد والزبرجد .

● الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى :

وهى الأحجار الكريمة التى تتكون من أصل حيوانى عضوى وتكون قيمتها متراوحة بين الجواهر والأحجار الكريمة الثمينة وهى : اللؤلؤ والمرجان والعنبر ( الكهرمان ) والعلج واليشم .

● الأحجار شبه الكريمة :

وهى الحجارة التى تحتوى على أقل الخواص الفيزيائية التى يحملها الحجر الكريم وتستخدم لمختلف الأغراض اضافة الى الحلى ، كالادوية والصناعة أو الاوانى أو تحف الزينة

أما الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى ، فيقصد بها الأحجار والجواهر المتكونة من أصل حيوانى وليس ترابياً صخرياً . ويأتى اللؤلؤ على رأس قائمة الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى.

## استخراج المرجان

والمرجان ــ بالذات ــ كما عرفنا من الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى ، ولفظة المرجان عند العرب كانت تطلق على اللآلىء اى اللؤلؤ الدق ، ثم صار يطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر وتتخذ منها الحلى .

أما علماء الأحجار الكريمة من القدماء فيسمونه «البسذ» على وزن السكر أو البسر وهو باليونانية فادليون وبالهندية دوحم ويذكر أن اسمه اليونانى مرليون وان من اسمائه ( القورال ) . وقد عرفه الأوربيون باسم كورال .

وتقول المصادر الحديثة ان المرجان هياكل لحيوانات بحرية صغيرة وتركيبه الكيمياوى لا يختلف عن تركيب اللؤلؤ وهو حجر الكلس (كاربونات الكالسيوم) . وبعض المواد البروتينية ويسمى المرجان الأسود منه باليسر ويكون شفافاً أما الشائع منه فهو الأحمر والوردى والأبيض ويستخرج من البحر الأبيض المتوسط من تونس والجزائر ومراكش وساردينيا وكورسيكا وفرنسا ونابولى ومن الخليج العربى يستخرج الأسود الشفاف (اليسر) ويستخرج كذلك من استراليا .

وتبلغ صلادته ٣،٥ ووزنه النوعى يتراوح ما بين ٢،٦ ــ ٢،٧ .

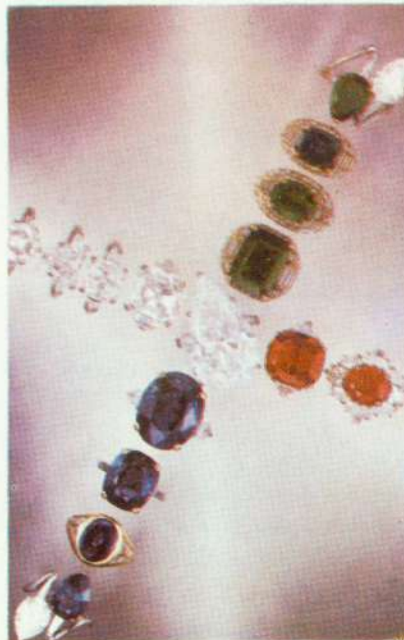
ويوجد فى المياه المتوسطة العمق ويوجد غاصة لاستخراجه حيث يتخذون لهم شباكاً من قنب مثقلة بالرصاص يدلونها على شجر المرجان ويديرون الشبكة حول الشجرة حتى تلتف بها فيجذبونها حتى تنقلع . ثم يخرج من الماء أبيض ليناً فاذا ما جف احمر وازيلت أصوله وهى (البسذ) وتفصل أغصانه قطعاً كباراً وصغاراً على قدر العقد ثم تحك على رخامة فيظهر لونه ويحسن ويثقب بالحديد الفولاذ .

ومن خواص المرجان :

ــ أجوده ، ما عظم جرمه واستوت قصبته واشتدت حمرته وسلم من السوء .

ــ رديئه ، ما مال الى البياض .

ــ اذا ألقي فى الخل لان وابيض .



مجموعة فصوص من الأحجار الكريمة الثمينة : الزمرد والياقوت والسفير ( الأزرق ) والالماس

ــ اذا ألقي فى الدهن أظهر حمرته وأشرق لونه .

ــ واذا أريد الكتابة عليه جعل على جميع الفص شمع وأخذ مواضع النقش فقط ويكتب عليه بابرة حتى ينكشف الشمع عن موضع الكتابة لا غير ، ثم يلقى فى خل حادق لمدة يوم وليلة ثم يرفع ويزال عنه الشمع فيصبح موضع الكتابة وقد استحال الى لون أبيض وبقية الفص على حاله لم يتغير .

## العنبر واليشم

ومن بين الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى هناك أيضاً الكهرب (العنبر) .

واسمه بالرومية (القطرون) أوالكترون وتعنى الكهربا أو الكهرمان . ويسمى بالسريانية (دقنا). أما كلمة أمير الانكليزية فمأخوذة من الكلمة العربية «عنبر» وإنما هو صمغ الكهربا (حجر صمغى) . وتذكر الموسوعة البريطانية أن الكهرب أو الكهرمان صمغ لأشجار صنوبرية وجدت منذ عصور ما قبل التاريخ ، وهو أصفر اللون يغمق بمرور الزمن فيتحول الى بني وقد يحتوى داخله حشرات ذات ملمس دهنى تتجمع داخله شحنة كهربائية اذا مادلك ، وأجوده الرومى صاف يجذب التبن والريش والتراب بعد حكه بالشعر وهو من شجر السندروس .

وينصهر العنبر عند درجة ٢٨٠ م ويلين عند تسخينه . وتبلغ صلادته ٢ ــ ٢،٥ أما وزنه النوعى فيبلغ ١،١ ومواطنه الساحل الجنوبى لبحر البلطيق مدينة كوينز بيرك بالمانيا الديمقراطية . ورومانيا وصقلية وبورما .

أما اليشم فان معظم قدماء محترفى مهنة تجارة الجواهر لم يعرفوه ، وقد سمي (حجر الغلبة) واعتبره الصينيون من أنفس الأحجار وينحت على هيئة تماثيل جميلة لكنه يستعمل للحلى وصنعت منه فؤوس ورؤوس سهام وحراب لأنه حليف النصر .

وتذكر المصادر الحديثة أنه يتكون من معدنين متقاربين فى المظهر هما النفرايت والجيديت ، ويؤلف النفرايت معظمه وتتراوح ألوانه ما بين الخضرة الفاقعة والصفاة والحمرة أو الزرقة وهو نصف شفاف أو معتم . ويتكون من سيلكات الصوديوم والألمنيوم أو المغنسيوم والحديد مع سيلكات الصوديوم .

أما مواطنه فهى الصين والتركستان والاسكا ونيوزيلينده وشمال بورما والتبت والمكسيك وأميركا الجنوبية .

وهنا لابد أن ننتقل الى الحديث عن الأحجار الثمينة التى تأتى بالدرجة الثانية بعد الجواهر الثمينة ، وهذا يحتاج الى بحث آخر ، موعدنا معه فى الأعداد القادمة .

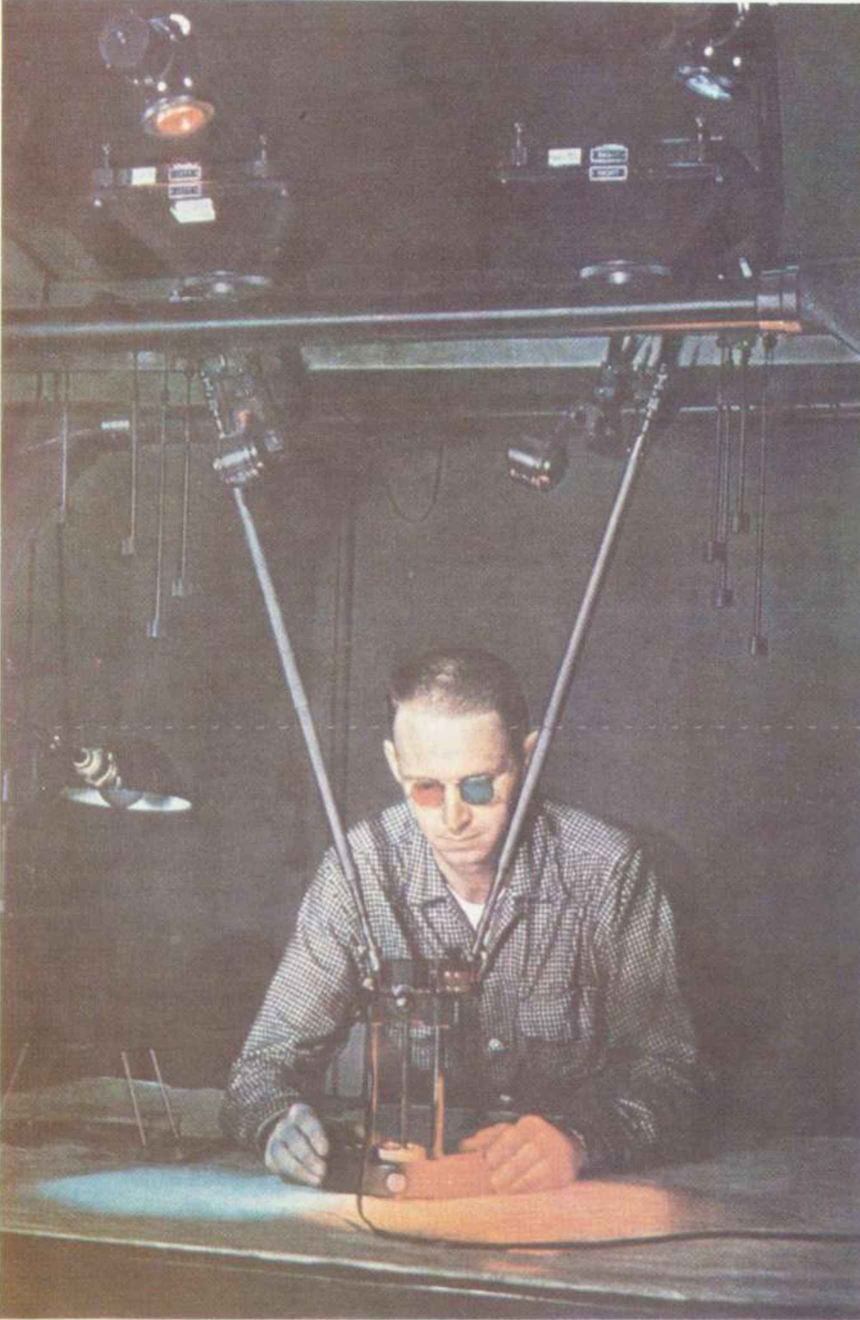
نجلاء العزى

# لقطات من الكون المثير




## عندما يقف شعر الرأس

الصورة حقيقية ، لكنها التقطت تحت ظروف غير عادية ، اذ ليس تعبير الوجه ، او جحوظ العينين ، او انتفاش شعر الرأس وتنافره ، ليس بسبب فزع فجائى ، لأن الفزع - مهما بلغت درجته - لن يؤدى الى بلوغ هذه الحالة ، بل يرجع ذلك الى ان الفتاة قد استقبلت كهرباء استاتيكية ( اى غير سارية ) بينما هى معزولة عن اى موصل ولقد ادى شحنها الى تنافر كل شعرة من شعرها كما تراه هنا ، لأن الشحنات الكهربائية المتشابهة تتنافر ، هذا وقد تصل الشحنة الى حوالى مليون فولت ، ومع ذلك لا يحس الانسان الا « بتنميلة » محتملة ، وما قد يصاحبها من سد فى العضلات ، تؤدى الى ما تراه هنا على الوجه من تعبيرات .



## أغرب نظارة

لو أننا رأينا انسانا يضع على عينيه نظارة كالتى يضعها هذا الرجل ، فماذا سيكون حكمنا عليه ؟ .. قد يعلل البعض ذلك بالبله ، او لجذب الانظار على اساس مبدأ خالف تعرف ، او بعمى الألوان ، رغم ان ذلك لا يفيد فى مثل هذه الحالات ، لكن الرجل يستعين بهذه النظارة الغريبة ليقوم بتحديد معالم خريطة جوية ، اذ يستعين بالجهازين المكبرين الكائنين اعلى رأسه على اليمين واليسار ، لتسقط منهما الصور الجوية على الشاشة الموجودة امامه ، فيهيأ له أنه يرى صورة مجسدة من خلال تداخل الألوان وانعكاسها على نظارته الزرقاء الحمراء ، وبهذا يستطيع ان يحدد التضاريس ، ويرسم الخرائط المناسيبية ( اى التى تظهر جميع الخطوط المتساوية الارتفاع فوق سطح البحر ) .



## الكبير هنا لا يأكل الصغير!

قالوا في الأمثال : السمك الكبير يأكل الصغير ، ومع أن البحار لا يحكمها قانون غير قانون الغاب ، ومع أن الصورة المنشورة هنا توضح ذلك أعظم توضيح ، إذ تظهر فيها سمكة صغيرة بين « أنياب » سمكة كبيرة ، إلا أن ذلك لا يعني أن الكبير يأكل الصغير ، بل يعني أن الكبير يرعي الصغير ، ويحافظ عليه من كل معتد أثيم ، فهذا النوع من السمك المعروف بسمك البلطي يسمي أيضا « سمك التربية أو الفقس الفم » ، لانه يحتفظ ببويضاته الملقحة في فمه إلى أن تفقس ، فيبخ ذريته في الماء لتتغذى على الكائنات الدقيقة ، فاذا ظهر لها مهاجم ، أعطى الأب أو الأم اشارة خطر ، فيسرع الصغار إلى تجويف الفم للاحتماء به ، ولا تزال هذه العملية تتكرر على مدى عشرة أو خمسة عشر يوما ، حتى يكبر الصغار ، وتعتمد على انفسها .. بقى أن تعرف أن البلطي يصوم صوما غريزيا عن الطعام ، إلى أن يشتد عود الصغار ، ولو لم يفعل ، لأكل أولاده دون أن يدري ، أو يدري ، لسنا ندري !

## صدق أو لا تصدق



فى كل عام تعقد مسابقات بين المزارعين ليقدم كل منهم اضخم واغرب ما تمخض عنه محصوله ، ليحقق به ارقاما قياسية جديدة ، وفى ابريل عام ١٩٨٠ تقدم كل من ايفان ولويد برايت من ولاية اركانساس بأمريكا بهذه البطيخة التى يلهو عليها طفلاهما ، ليظهرا مدى ضخامتها ، ولقد حققا بذلك رقما قياسيا لم يسبقه اى رقم آخر حتى الآن ، ذلك ان هذه البطيخة تزن ٩٠ر٧ كيلوجراما ، اى انها أثقل من وزن رجل بدين فمزيدا من هذه المسابقات التى تبشر بالآمال لعالم ملىء بالأفواه الجائعة ! (نشرت هذا الخبر مجلة جريس جاردنز الزراعية) .

# عالم الزواحف الخفي

## زواحف تعالج المرضى.. وأخرى تعطي الحيوية للعجائز

بقلم: د. محمد الغباشي ربيع

■ مع مسيرة كائنات حية بدأت المشوار منذ مئات الملايين من الأعوام زاحفة عبر التاريخ ، وقبل أن يجيء الانسان ويعرف للقرون عدداً ، وبهداية الخالق سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم ، استطاع علماء الطبيعة والجيولوجيا والحفريات والوراثة والتاريخ الطبيعي أن يرسموا للتاريخ خطوطاً عريضة للحياة ، كيف بدأت ، وكيف سارت قبل أن يطأ الانسان بقدمه سطح الأرض ، ذلك بفضل ما تركته أسلاف الكائنات الحية من حفريات هي صفحات للتاريخ نفسه قبل أن يبدأ .

وشد انتباه الجميع تلك الكائنات الحية من الزواحف التى استطاعت بالرغم من بساطة تكوينها وبفضل ما وهبها الله من مميزات لكل نوع على حده وبما يتلاءم مع وجودها فى كل زمان ومكان ، أن تزحف عبر مئات الملايين من السنين محافظة على أنواعها ، تنتشر هنا وهناك ، منها الضار ومنها النافع ، منها السام وغير السام ، وحتى السام منها ربما كانت من سمومه الناقعة نفعاً !

ومن الزواحف أيضاً من يعيش بضع سنين ، ومنها من يبلغ سناً عمره عمر البشر ، ومنها من يشهد ميلاد أجيال وأجيال ، ليبلغ من العمر قروناً عدة وهو ثابت لا يتغير والعالم من حوله يشهد حضارات وتطورات ، بل وحروب وسلام وليس له من هذه الدنيا وما فيها إلا النذر اليسير من الطعام والشراب ، الذى هو فى غالبه قليل من أعشاب برية كانت أو بحرية وأحياناً حشرات صغيرة ضارة تتناولها تلك الزواحف كغذاء لها فتجنب الزرع والضرع شرورها ، وهى أيضاً لا تخلو من النفع فبعضها طيب اللحم شهى المذاق ، وهى بذلك لا تسلم منا نحن البشر ، فقد تفننا فى البحث عما لذ وطاب بين ما خلق الله من كائنات ، حتى تلك السلاحف والسحالى التى هى موضوعنا فى هذا اللقاء !

نوع من السحالى الأفريقية الصحراوية التى تستخدم بروزاً خاصاً فوق ذيلها فى الدفاع عن نفسها !

## الأنواع الباقية

وقد استطاعت السلاحف ان تحتفظ بكثير من الصفات التى كانت عليها أسلافها منذ ظهورها على سطح الأرض وعلى مر العصور الجيولوجية بالرغم من أنها حبيسة داخل أغلفة عظمية !

واستطاع عدد كبير منها أن يشق طريقة دون أن يتعرض للانقراض ، حتى الآن إلا أن البعض منها قد شارف على الانتهاء !

ويوجد من جنس السلاحف ٢٢٥ نوعاً تعيش فى مناطق متباينة من العالم ، منها السلاحف الأرضية والسلاحف التى تعيش فى الماء العذب وأخرى تعيش فى البحار ..

وأهم ما تتميز به السلاحف هو أجسامها القصيرة العريضة ، فعدد فقرات العنق ثمانى فقرات والجذع عشر فقرات يليه عدد من الفقرات المختزلة هى فقرات الذيل ، لذا فانها تعتبر من الناحية المرفولوجية أقصر أجسام الفقاريات فيما عدا أجسام الضفادع !

ومن أهم ما يميز أجسام السلاحف أيضاً وجود صفائح عظمية تكون علبة تحيط بمنطقة الجذع بها ست فتحات ، تخرج منها الرأس والذنب والطرفان الأماميان والطرفان الخلفيان ويمكن للحيوان أن يسحب أطرافه أو رأسه أو ذنبه الى داخل العلبة عندما يكون فى حالة سكون أو عندما يشعر بعدم الأمان فالأعداء كثيرون كالغربان وحيوان أبو منتن والجرذان وحتى الانسان !

## أخطار الحياة

وتضع جميع أنواع السلاحف البرية منها والبحرية بيضها اليابس ،ويدل ذلك على أن السلاحف نشأت أصلا على اليابس ثم تحور البعض منها ليكون مائى المعيشة !

والسلاحف أكثر ما تكون عرضة للمخاطر أثناء وجودها داخل البيض أو بعد فقسها مباشرة ، إذ أن العلبة العظمية فى بدء حياتها تكون لينة وضعيفة وتزداد صلابة فى السنين الأولى من العمر لتصبح بعد ذلك قادرة على حماية الحيوان ، حتى أن السلحفاة اذا اجتازت السنين الأولى من حياتها استطاعت أن تعيش من العمر ما لا يستطيع غيرها من الطيور أو الثدييات أن يعيشه !

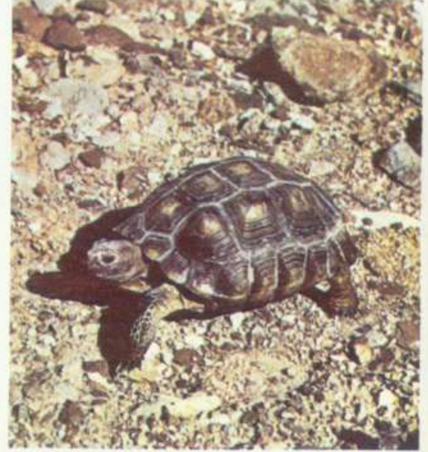
ومن مميزات بعض أنواع السلاحف أن لها القدرة على وضع بيض مخصب لمدة ثلاثة أو أربع سنوات بعد « سفاد » واحد كما هو الحال فى سلحفاة الصندوق !

والسلاحف الأرضية تعيش على اليابس ولها صدفة مقوسة ورجلان خلفيتان قويتان ، والنوع الافريقى منها له صدفة مرنة تمكنها من أن تدخل بجسمها تحت الصخور !

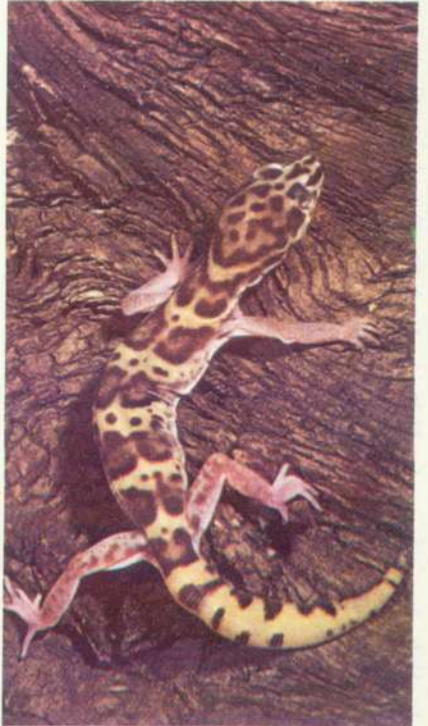
ويوجد من السلاحف الأرضية أربعون نوعاً تعيش فى المناطق الدافئة من العالم ، وبعض هذا النوع أصبح نادراً الآن ، وذلك لأن الانسان يأكل لحومها ولأن الماشية قضت على النباتات التى تعيش عليها ، ويوجد أنواع صغيرة منها يهواها البعض ويقومون بتربيتها داخل المنازل كحيوانات زينة !

## أشهر السلاحف

ومن السلاحف الشهيرة سلحفاة جوفر التى تعيش فى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية .. والسلحفاة الأرضية العملاقة التى تقطن جزر المحيط الهندى وهى فى طريقها للانقراض ، ذلك لأنها تعتبر طعاماً طازجاً دائماً ومفضلا لمن يرتادون البحار ، فيحتفظون بها فى سفنهم فترات طويلة بلا غذاء دون أن تموت لتكون طعاماً طازجاً لهم ، وهى تبلغ أحياناً المتر



السلحفاة الصحراوية التى تعيش فى شمال أمريكا وهى تختفى تحت صندوقها الذى تستظل به من الشمس ويقيها من الأعداء !



هذا النوع من الزواحف ، صحراوى المعيشة ، وجدوه فى منطقتين مختلفتين من العالم



السحالى ذات القرون فوق الراس والذيل



سحالى صحارى تكساس ، وهى تمتاز بأرجل خلفية قوية



إنها من ضمن الزواحف التى تعيش فى الرمال الأردنية .. وهى من نوع السحالى الصحراوية

# عالم الزواحف الخفي

ونصف المتر طولا ، وزنها يصل الى ٣٠٠ رطل ، وهى تعيش ١٥٠ عاماً على الأقل !

والسلاحف بصفة عامة تعتبر من أكثر الحيوانات المعمرة فبعضها يعيش ما بين قرنين الى ثلاثة قرون من الزمن ، وهى حيوانات مسالمة بطيئة الحركة يضرب بها المثل فى البطء الشديد !

## ساكنات البحار

وسلاحف الماء العذب أعرض جسماً من السلاحف البرية ، ولها أصابع عريضة تساعدها على العوم ، ويوجد منها سلحفاة الطين أو السلحفاة النهرية ، ومنها نوع طيب اللحم وتسمى السلحفاة النفيسة ويربيها المواطنون فى أمريكا لجودة لحومها ، ومن هذه الأنواع أيضاً السلحفاة النهرية ذات الصدفة الرخوة ..

والسلحفاة النيلية تعيش فى نهر النيل ، لكنها اختفت تماماً الآن بعد بناء خزان أسوان وهى موجودة عند منابع النيل وجسمها مغطى بصندوق رخو ، ولها زوجان من الأطراف المتحورة على شكل عوامات تسبح بهما فى الماء ولون صندوقها بنى زيتونى به بقع داكنة ويصل طولها الى المتر ، وتسمى أيضاً بالترسة النيلية وهى تتغذى على النباتات وتضع البيض فى حفرة تعدها بنفسها قرب الشاطىء ليفقس وتخرج الصغار لتتجه مباشرة الى النهر بالغريزة !

والسلاحف البحرية تعيش فى البحار الدافئة من العالم ، وتذهب بانتظام لوضع البيض فى أماكن معينة خاصة فوق تلك الجزر القريبة منها ، مثلما يحدث لتلك الأنواع التى تعيش بالقرب من الجزر الصغيرة القريبة من مدغشقر ، وهذه السلاحف ليس لها اقدام بل زعانف ، ومن أنواعها السلحفاة المتراكبة والسلحفاة الحرة والحنفاء والسلحفاة ذات الصدفة الرخوة والتى يصل وزنها الى ٥٠٠ كيلوجرام ويعتبر لحمها من أجود اللحوم التى يتغذى عليها الانسان فى تلك المناطق !

## بين الحذر والأفتراس

أما السحالى فهى زواحف تختلف عن السلاحف ، وهى تشمل ٢٨٠٠ نوع ذات طباع مختلفة وأشكال متباينة معظمها يمشى على أربعة أطراف ، وقليل منها يشبه الثعابين لعدم وجود الأطراف مثل حية الزجلج والأمفيسبينا !

وللسحالى فم متوسط الحجم بالنسبة لجسمها ولها أسنان وجفون متحركة وجلد مغطى بقشور قرنية ، والكثير منها له القدرة على بتر الذيل ذاتياً كلما دعته الظروف القهرية لذلك للفرار بجلده من الأعداء .

ومن السحالى ما يضع البيض لتفقس الصغار ومنها من يلد الصغار مباشرة ..

والسحالى تنقسم الى عشرين فصيلة ، على مجموعتين ، تشمل الأولى منها الأبراص والايجوانا والأجاما والحرابى وتلك هى المجموعة التى تسير دون تموج الجسم ولها عضو ذكرى بسيط ولسان غض ..

والمجموعة الثانية تضم اللاسرتيدات والسقنقور والورل والهيلودرما ، وجميعها تتميز بتموج الجسم عند السير ولها عضو ذكرى متعرج ولسان غير لحمى ..

والسحالى تكثر عدداً ونوعاً فى الأجزاء الدافئة من الكرة الأرضية وهى أكثر عدداً من الثعابين أو الزواحف الأخرى ، وهى على عكس الثعابين لها جفون متحركة !

وتتغذى معظم السحالى على الحشرات والقليل منها على النباتات ، والكثير من السحالى يضع البيض الجلدى الملمس وبعضها يلد صغاراً وان كانت الولادة هنا لا تعنى مفهومها لدينا فالبيض يفقس داخلياً ثم تولد الصغار ، وجميع أنواع السحالى غير سام إلا نوع واحد منها هو الجيلا العملاقة فهو سام .

ومعظم أنواعها حذر للغاية ، ويصعب حتى على الانسان أن يمسك بها رغم ضعف بنيتها والتى لا يتعدى طول معظمها عدة سنتيمترات الا تنين كومودو فى الهند الشرقية والذى يصل طوله ٣٣٠ سنتيمتراً !!

وفصيلة اللاسرتيديات والسحالى الليلية من فصيلة الزانتوسيديات هى من السحالى النموذجية ، ولهذه الأنواع أجسام نحيلة وذيول طويلة واقدام ذات خمسة أصابع متقدمة التكوين ، وهى سحالى سريعة العدو وبعضها له القدرة على العوم أو التسلق أو الحفر بينما يعد التنين الطائر سحلية منزلقة !

وتتميز السحالى المفترسة ذات الأصابع بأن أصابعها حرشفية تمكنها من العدو فوق الرمال وأكبر فصائل السحالى هى الايجوانات والأجاما ، وتشمل الفصائل الأخرى المعروفة على الحرباء والسقنقور والورل والبرص !

وبمرور الزمن فقدت السحالى الحفارة أرجلها ، فأنواع السقنقور لها أرجل صغيرة وتتحرك عادة على بطونها مثل الثعابين بينما الثعابين الدودية والزجاجية لا توجد لها أطراف وان وجدت فهى اثار أطراف صغيرة جداً !

## الدفاع السلبى

وذيل السحالى يستخدم فى حفظ التوازن واختزان الدهون التى تعتمد عليها أثناء بياتها – ويوجد عند قاعدة الذيل رباط ضعيف يرجع إليه السر فى التخلص من الذيل عند محاولة الامساك بها ، ولحسن حظها أن أكثر المحاولات امساكاً بها يكون من منطقة الذيل ، وعند انفصال الأخير فانها لا تتعرض لنزيف أو التهابات تكلفها حياتها ، فقد زودت بقدرة عظيمة على التئام تلك المنطقة بعد فصل الذيل آلياً ، وعندما ينفصل الذيل فانه يستمر فى حركة تموجية سريعة بعض الوقت ، وهى نوع من أنواع الدفاع السلبى لهذه الحيوانات ، وربما كان ذلك مناورة خبيثة منه لجذب انظار العدو ، حتى تفر السحلية من منطقة الخطر مخلفة ورائها هذا الذيل ، الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فسرعان ما ينمو غيره من جديد فى كثير من أنواعها !

## المخلوق الطبى

والسقنقور أو سمكة الرمل يعتبر من أكبر أجناس السحالى انتشاراً فى صحراء مصر العربية ، وجسمه مستطيل والرأس صغير مدبب عند الطرف الأمامى ، مما يساعده على الحركة السريعة فوق الرمال ، ومن هنا جاءت تسميته بسمكة الرمل ..

وينشط السقنقور فى جميع فصول السنة ، عدا فصل الشتاء ، فانه يختفى تماماً ويكثر نشاطه أثناء النهار ، لكنه يختفى فى فترات الظهيرة عندما تشتد حرارة الشمس فى طبقات الرمل البعيدة عن السطح وذلك فى جحور يعدها لنفسه ، ويلجا السقنقور الى الاختفاء فى الرمال عند شعوره بالخطر ، يساعده على ذلك لونه الذى يشبهها ، وهو يتغذى على

الحشرات الصغيرة ، وكان السقنقور يستعمل فى تحضير بعض العقاقير الطبية الهامة التى افادت البشرية فى زمن انتشر فيه الداء وقل الدواء لذلك أطلق عليه السقنقور الطبى ، وعلينا أن نتصور كم من أعداد هائلة من البشر كتب لها الشفاء على حساب حياة هذا المخلوق الضعيف ، وربما كان جدك أو جدى واحداً من هؤلاء !

## الضعيف الذاكرة

والضب واحد من فصيلة الأجاما ، وينتشر فى الصحارى المصرية وصحارى شبه الجزيرة العربية وصحارى شبه جزيرة قطر ، ورأسه قصير ومثلث الشكل ، وجسمه طويل وأطرافه قوية مزودة بمخالب حادة تساعده على حفر الجحور التى يعيش فيها فى الصحراء ، وذيله طويل ومدبب عند نهايته وتوجد عليه حلقات منتظمة من الحراشيف المسننة – ويصل طوله الى ٣٥ سنتيمترا وطول ذيله ٢٥ سنتيمترا ولونه أصفر أو زيتونى أخضر فوق الظهر ، أما السطح البطنى فابيض مائل الى الصفرة !

والضب من اكلات العشب والنباتات الصحراوية وعلى الأخص النبات المعروف باسم هالوكسيلون !

والضب بطىء الحركة وهو لا يبتعد كثيراً عن المنطقة التى يعيش فيها ، واذا ابتعد عنها تعذر عليه العودة الى جحره فهو ضعيف الذاكرة ، ومن السهل القبض عليه ، واذا هوجم فانه يدافع عن نفسه بأسنانه القوية الحادة ، وهو ينشط نهاراً ويختفى ليلا ، ومن الاعتقادات القديمة أن أكل لحم الضب أو أكل بيضه يساعد على النشاط والقوة عند المسنين من الرجال ، وعلى أية حال فان لحمه طيب المذاق غنى بالعناصر الغذائية !

## أنواع سامة

وسحلية الجيلا أو الهيلودرما تعتبر السحلية الوحيدة السامة فى العالم ، وهى تعيش فى جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الوسطى ، وهى نوعان : النوع الأول هو الجيلا البشعة أو سحلية أريزونا السامة والنوع الثانى هو الهيلو درما المحببة ، وفى كلاهما تتصل أسنان الفك السفلى بغدة سامة يختلط افرازها مع اللعاب وقد يصل طول هذا النوع السام الى ٨٠ سنتميتراً ، وذيلها قصير وغليظ يحتوى على مواد دهنية مختزنة ، ويتغذى هذا النوع من السحالى السامة على البيض وصغار الثدييات ولكنها تفضل تناول النمل الأبيض الضار الا انه بالرغم من أن هذا النوع السام فانه سهل الاستئناس بعد خلع أسنانه وغدته !

## أنواع متعددة

أما الورل فهو نوع من السحالى متباينة فى الحجم ، بعضها صغير والبعض الآخر كبير بدرجة ملفتة للنظر ، وأضخمها حجماً هو تنين كومودو ، والذى يصل طوله ثلاثة أمتار ووزنه ٧٥ كيلوجراما وهو شديد الشبه بالثعابين فى ابتلاع الفريسة الا أنه غير سام !

والورل يتواجد فى افريقيا واسيا وخاصة جزر الهند الشرقية كما يتواجد فى استراليا ، وبالرغم من أن أنواع الورل تشبه بعضها البعض فانها تقطن بيئات متباينة ، فبعضها يعيش فى المناطق الصحراوية بشمال افريقيا ويطلق عليه الورل الصحراوى بينما الورل النيلى يجوب الأنهار ، أما ورل البراسينوس فيعيش على الأشجار فى الغابات الاستوائية فى غينيا .

وجميع أنواع الورل مفترسة ، تتغذى الأنواع الصغيرة منها على الحشرات أما الكبيرة فانها تفترس أنواع أخرى من السحالى والثدييات والطيور الصغيرة ، والبعض منها يتغذى على البيض .. وورل النيل له القدرة على اكتشاف بيض التماسيح والتهامها !

وتضع أنثى الورل البيض فى حفرة تغطيها بالرمال والنباتات ثم تتركها لتفقس بتأثير درجة حرارة الجو المحيط بها ، وأنثى الورل إذا ما عثرت على عش النمل الأبيض سارعت دون تردد بوضع البيض فيه ثم يقوم النمل الأبيض بدفن البيض لها أثناء قيامه بالعمل فى ترميم جدار العش ، وتمر الأيام ويفقس بيض الورل لتخرج الصغار غالباً فى فصل الأمطار لتصادف قوافل النمل الموجودة فتحيا هى ويموت النمل الأبيض على موائدها !

– والايجوانا نوع آخر من السحالى ينتشر فى كندا وجنوب شيلى وفى جزر المحيط الهادى ويوجد منها ٧٠٠ نوع ، وتعتبر الايجوانا الخضراء أكبر الأنواع ، وتوجد فى وسط وشمال أمريكا الجنوبية ، ويصل طولها مع الذيل الى ١٨٠ سنتيمتراً ، ويوجد لها عرف على ظهرها وكيس منتفخ أسفل الحلق ، ومنها أنواع تعيش على الأشجار لا يتعدى طولها ١٢ سنتيمتراً ، والبعض منها بحرى يعيش فى جزر جلاباجوس ، ولها طباع خاصة اذ أنها تفضل الشواطىء الصخرية وتتجمع فوقها بأعداد كبيرة تصطلى الشمس وتغوص فى المياه بحثاً عن الأعشاب البحرية !

وأبو بريص من السحالى المعروفة وهو من زوار المنازل ، ويروق له التردد عليها والعيش فيها إذا سمحت له الظروف سعياً وراء الحشرات ، وهو يتسلق الجدران وحتى تلك الجدران والأعمدة الملساء لا تعوق مقدرته على التسلق حيث أن أصابعه العريضة المزودة بصفوف من زوائد صغيرة تمكنه من أن يتعلق حتى بأدق النتوءات على تلك الأسطح ، ولديه القدرة على تغيير لونه ليلائم تلك الأسطح التى يتسلقها ، وأحياناً يظل ساكناً ساعات طويلة فى انتظار فريسته من الحشرات ، ويعيش أبو بريص خارج المنازل على الأشجار وبين أفرع النباتات الصغيرة وهو قليل العدد فى المناطق الصحراوية ، ومن أنواعه أبو كف وينتشر فى مصر وشبه الجزيرة العربية والجزائر وسوريا والعراق والأردن ، وهو يتغذى على الحشرات ويخرج ليلا فى البحث عنها وقليلا ما يخرج نهاراً !

ويعتقد الكثير من أهالى تلك المناطق أن الانسان إذا ما أكل طعاماً لمسه هذا النوع من السحالى فانه يصاب بداء البرص ولذلك أطلقوا عليه اسم أبو بريص !

## أنواع غريبة

ومن السحالى غريبة الشكل سحلية الشيطان وهى تعيش فى المناطق الصحراوية الجافة فى استراليا وهى مزودة بأسلحة عبارة عن أشواك حارة تحميها عند محاولة الاعتداء عليها !

والحرباء تتبع فصيلة شاذة من السحالى ، ذات صفات غير عادية ، فعيناها محمولتان على مخروطين وكل عين مستقلة الحركة عن العين الأخرى ، وهى ذات أقدام كلابية تساعدها فى التعلق بالأغصان وحتى الصغير منها ، وهى فى استطاعتها أن تغير لون جلدها فى لحظات لتحاكى الوسط الذى تعيش فيه وأحياناً يكون تغيير اللون نتيجة انفعالها فرحاً أو خوفاً أو استجابة لتغير درجة الحرارة – ومن هنا جاء تشبيه الانسان المتغير بالحرباء فيقال إن فلاناً يشبه الحرباء لأن فى استطاعته تغيير لونه حسب ما تقتضى الظروف وهو تشبيه للسخرية وليس صفة من صفات البراعة ، ويتأثر تغيير اللون بالهرمونات أو الأعصاب التى تتحكم فى المواد الملونة الصفراء والحمراء والبنية القاتمة الموجودة فى الجلد !

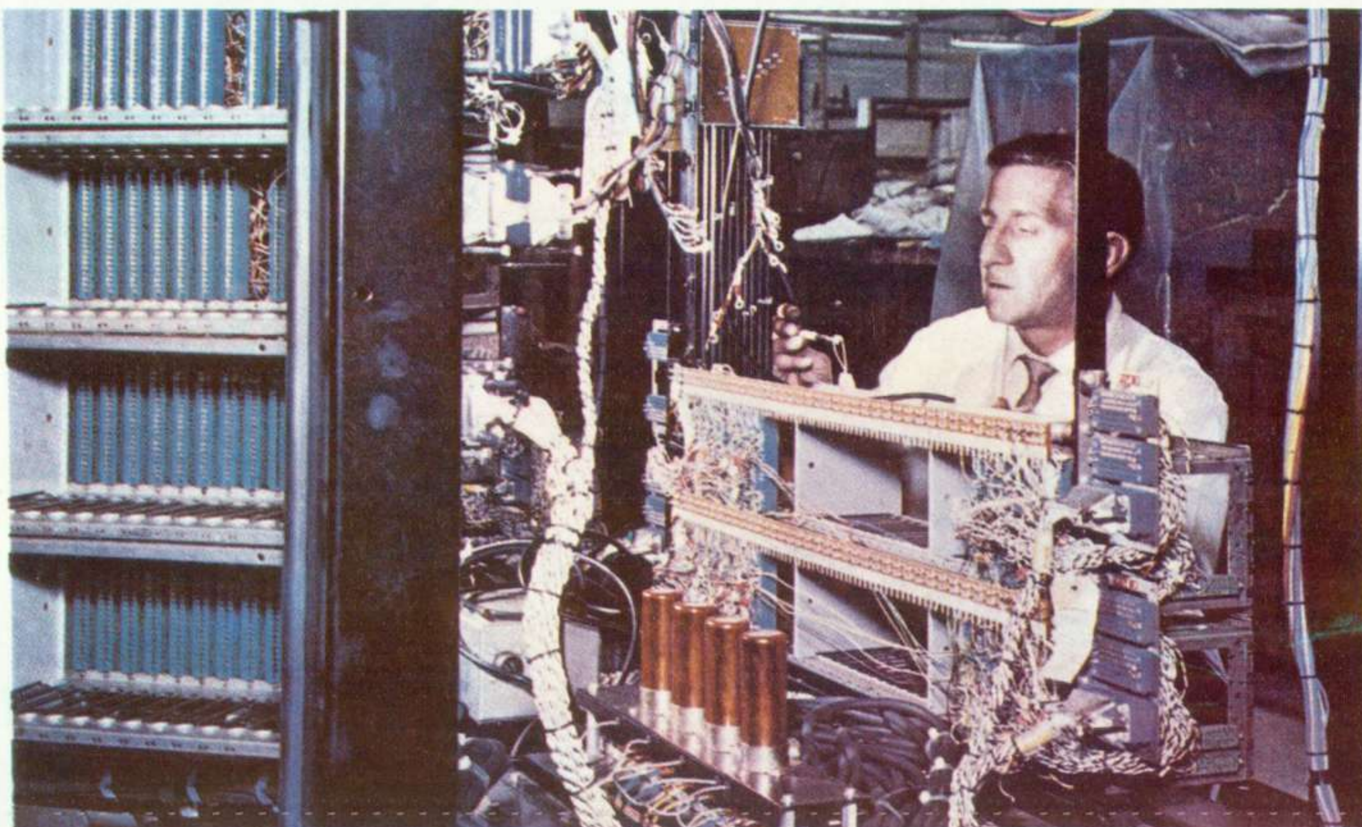
## وقفة تأمل

ويوجد من الحرابى ثمانون نوعاً تعيش معظمها فى افريقيا ، والقليل منها يعيش فى آسيا وأوربا ، ويتراوح طولها من خمسة سنتيمترات الى ستين سنتيمتراً ، وهى تعيش على الأشجار ، وحركتها بطيئة ، وهى دائبة البحث عن الغذاء الذى هو فى معظمه الحشرات الضارة ، وهى تصطادها بلسانها الطويل اللزج

فهل لنا من وقفة تأمل فى هذه المخلوقات التى لم تخلق عبثاً فربما وجدنا فى حياتها وسلوكها عظات وعبر ؟! .

بالقطع سوف نتذكر ...... قول الله تعالى فى كتابه العزيز : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ..

د . محمد الغباشى ربيع



احدى الحاسبات الاليكترونية القديمة نسبيا ، ومنها نرى ذاكرة التخزين التى تبدو على هيئة مكتبة قائمة بذاتها

# بين عقول بشرية وعقول إليكترونية

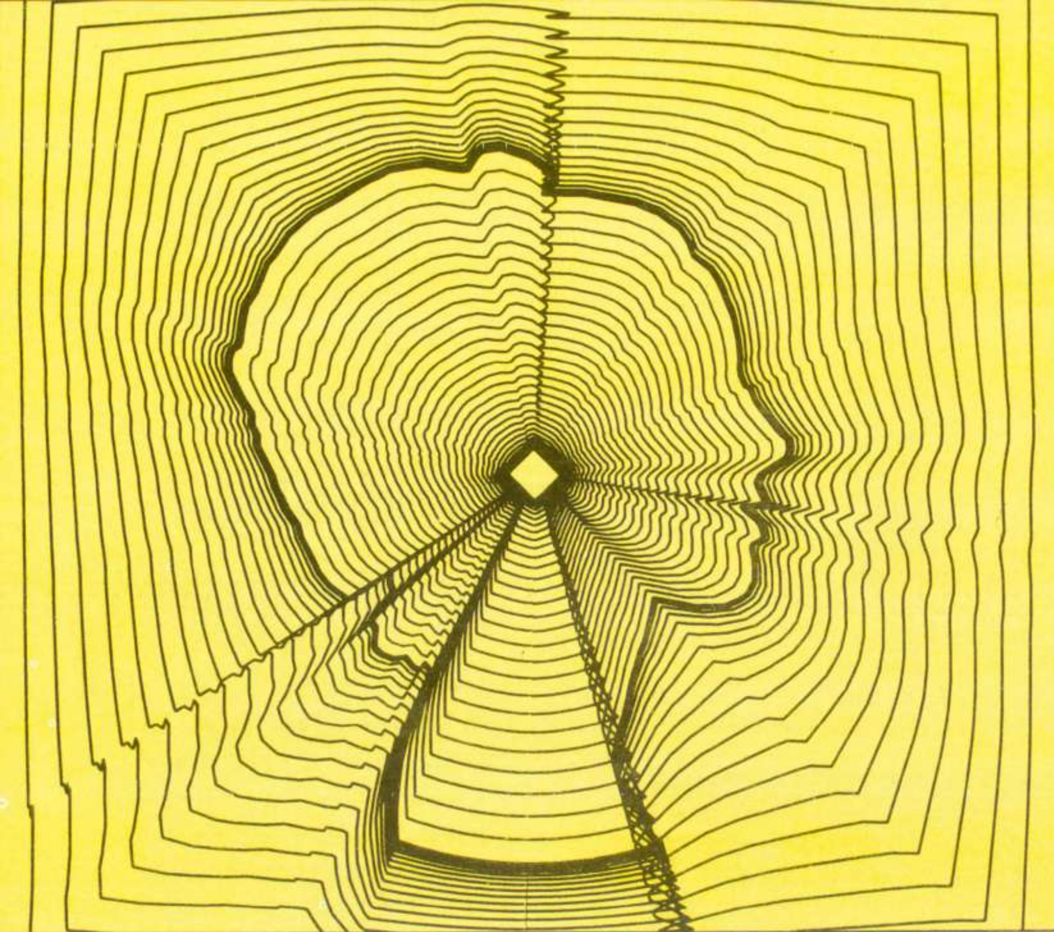
بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

بينما كان كاتب هذا المقال فى مهمة علمية بانجلترا منذ ١٤ عاماً ، جاءته دعوة لحضور الحصيلة العلمية السنوية التى تمخضت عنها البحوث العميقة والمتشعبة فى احد المعامل الفيزيائية المتقدمة ( المعمل الفيزيائى القومى بمقاطعة ميد لسكس ) ، وفى احد الاقسام المتخصصة فى تطوير وصناعة الحاسبات أو « العقول » الالكترونية ، وقفت أمام حاسب كبير ، وأشار الى مرافقى ان اجرب حظى بسؤال قد اتلقى عليه رداً قبل ان يرتد الى طرفى ، وبدأت اكتب سؤالى على آلة كاتبة متصلة بالحاسب ، وكان السؤال المحدد هو : ان تاريخ ميلادى ٣٠/٢/١٩٢٨ ، فما هو اسم اليوم من الأسبوع الذى يوافق مثل هذا التاريخ ؟.

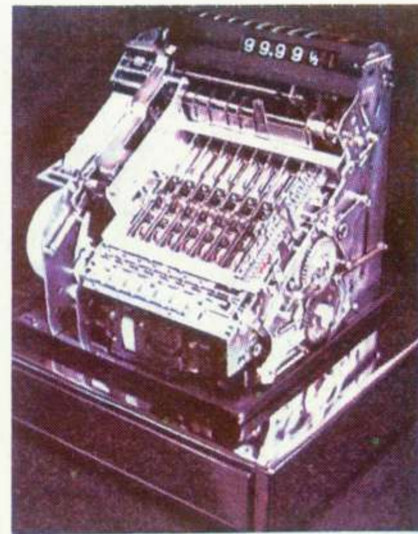
وبمجرد ان انتهيت من كتابة سؤالى ، ظهرت الاجابة هكذا : آسف .. هذا سؤال سخيف ، وجرب غيره من فضلك !

وجربت السؤال الصحيح ، فقدم لى الجواب الصحيح !

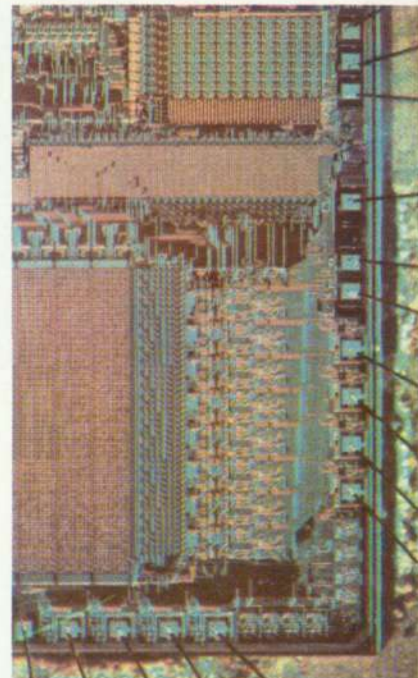
وربما تكون انت قد اكتشفت اصول الخدعة التى اردت ان امزح بها مع « العقل » الاليكترونى ، فلم يجز عليه ذلك المزاح ، بل اعتبر السؤال سخيفاً وخادعاً ، اذ ان فبراير لا يمكن ان يكون ٣٠ يوماً ، ولا هو أيضاً وارد في حساباتنا ومواقيتنا ، ومن اجل هذا كان الرد الذى أسعدنى وأعجبنى .



صورة فنية رسمها عقل اليكترونى حسب برنامج محدد فى ذاكرته .. وهى كما ترى خطوط متعرجة كونت راس انسان .



احدى الالات الحاسبة ذات التروس المتداخلة وكانت النواة التى انبثقت منها الحاسبة الاليكترونية الصغيرة .



نسيج غريب متداخل من دائرة اليكترونية معقدة على رقاقة أو شريحة تحتوى على ملايين الشفرات التى تتحول إلى حسابات ولغات

## الاساس عقل الانسان

وطبيعى أن الحـــاسب أو العقــــــل الاليكترونى لا عقل له ، رغم انه قد أحدث ثورة من الثورات العلمية والتكنولوجيـــة الكبرى التى نشهدها فى زماننا هذا ، ولا يعلم الكثيرون منا الا اقل القليل عنها ، رغم انه يحسب أسرع منا ، ويفند الاجابات الصحيحة من الخاطئة ، ويدير مصانع بأكملها ، ويكتشف حلولا للمسائل العويصة التى تجابه العلماء ، ويسعفهم بالحلول الفورية فى مجالات غزو الفضاء ، وتحديد بعض الأمراض التى قد يستعصى تشخيصها على كثير من الأطبـــــاء ، أو اكتشاف أدلة اجرامية تدين المذنبين فى ساحات القضاء ، أو الكشف عن الثروات الكامنة فى باطن الأرض وأعماق البحار ، أو التنبؤ بحالات الطقس ، أو استنباط وسائل جديدة فى البحوث العلمية ، وغير ذلك من مئات الأنشطة العقلية المعقدة التى قد لا يقدر على انجازها البشر ، حتى ولو اجتمعوا لها !

لكن ذلك كله لا يعنى أن « العقـــــل » الاليكترونى يفكر كما نفكر ، او يشعر كما نشعر ، أو يتعاطف ويحب ويكره ويغضب ويرضى ، إلى آخر هذه الأحاسيس التى يعرفها البشر فى حياتهم ، لكن من الممكن تقليد هذه الأحاسيس ، ووضعها فى برامج خاصة داخل « ذاكرة » هـــذة العقــول الصناعية ، وبحيث تتصرف معنا بطريقـة مهذبة ، أو قد تكون وقحة السلوك ، فتسب وتلعن .. كل هذا يتوقف على ما وضعه الانسان فيها من بروجرامات مضحكة أو مسلية أو مازحة مزاحا لطيفا أو سخيفا .. الى آخر هذه الأمور التى قـــد توحى للكثيرين أن « العقل » الاليكترونى ذكى جدا ، وانه يفكر فعلا ، أو ينفعل ، فتخرج منه الضحكات أو الشتائم أو « تطييبه » الخواطر .. الخ .

والواقع ان سلوك العقول الاليكترونية هو انعكاس لما يدور فى العقول البشرية من افكار وانفعالات ، اضف الى ذلك اذ لهذه الحاسبات درجات تتوقف قيمتهـــا على ما تحتويه برامجهـــا من « خـــبرات » ومعلومات فبقدر ما تعطيها من بروجرامات ، بقدر ما تقدم لك من حلول مختلفة وسريعة ومتقنة .

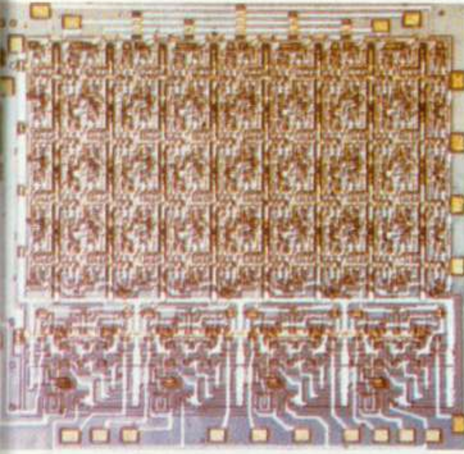
## تطور مذهل

ومما لاشك فيه ان كل شىء يتطور الى الأحسن والأكفأ والأدق ، بفضل تطور خبرة الانسان وعلومه وتكنولوجياته ، فلقد جاء

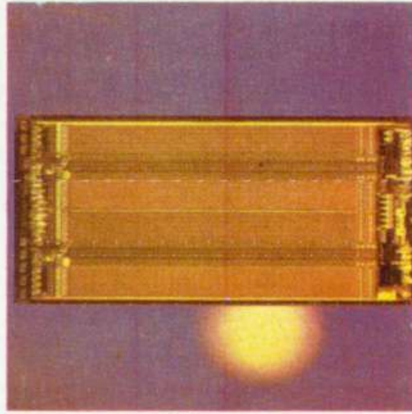
# بين عقول بشرية وعقول إليكترونية

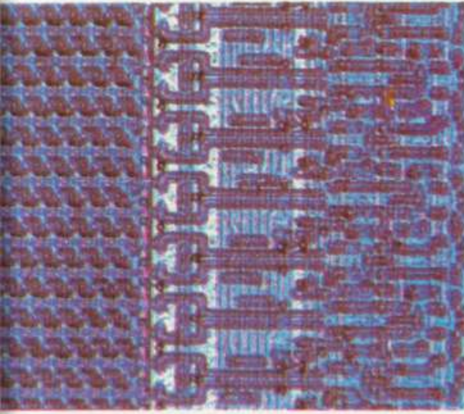


على ثلث مساحة ظفر اصبع سيدة ترى رقاقة حاسب اليكترونى ذى ذاكرة لا تجارى



آخر ما توصل إليه العلم يتمثل لنا فى هذه الرقاقة التى لا يزيد طول احد اضلاعها عن ملليمترين لاغير ومع ذلك فهى تحتوى على ملايين المعلومات التى توجد فى مجلد ضخم .





الصورة الأولى لرقاقة من السيليكون ذات ذاكرة اليكترونية ، ومكبرة عدة مرات والصورة الثانية جزء مكبر عشرات المرات .

على الحاسبات القديمة زمن كانت فيه ضخمة وثقيلة وبطيئة ومجهدة ، اذ ان بدايتها كانت يدوية ، اى عن طريق ذراع أو أزرار تدير تروساً ، وتحرك اجزاء ، وتعطيك الاجابات بعد جلبة وضوضاء ، ولهـــذا اصبحت هذه الالآت البدائية فى ذمـــة التاريخ ، وكان مثواها الأخير على الرفوف وفى المتاحف ، لتكون شاهدة على زمن ولى وأدبر !

ثم يجيء على هذه الحاسبات حين من الدهر لتدخل ضمن ثورة تكنولوجيـــــة ، فحلت الدوائر الكهربية محل التروس ، واعطتها بذلك دفعة هائلة ، ثم انطلقت فى خطوات تطورية سريعة ، وكان الهدف دائماً ضالة فى الحجم ، وخفة فى الوزن ، وغزارة فى المعلومات ، وسرعة فى الأداء ، وزهداً فى الأسعار ، وسعة فى الانتشار ، وليس أدل على ذلك من حاسبات الجيب الاليكترونية التى اصبحت أضال من علبة السجائر وزناً وحجماً ، ومع ذلك تقوم باجراء الكثير من العمليات الحسابيـــة المعقدة ، ولقد ساعدعلى بلوغ هـــذه الطفرة الفجائية دخول الانسان عصر الفضاء ، فجاءت الحاسبات الاليكترونيـة فى سفن الفضاء ، لتشغل فيها أضال فراغ مع خفة فى الوزن ، وسرعة الأداء .

على ان مثالا واحداً نقدمه هنا ، ســوف يوضح لنا ذلك ابسط توضيح .. ففى عام ١٩٤٦ ظهر أول حاسب اليكترونى ليشغل صالة واسعة ، ويستهلك تياراً كهربياً تصل قوته الى ١٤٠ الف واط ، ليدخل فى تشغيل ١٨ الف صمام اليكترونى ، تتصل بشبكة هائلة من الأسلاك التى تبلغ أطوالها أكثر من مائتى كيلومتر ، ولابد من عمليات تكييف أو تبريد ، نتيجة لانطلاق كميات كبيرة من الحرارة ، ولقد تكلف انتاجه وقتذاك عدة ملايين من الدولارات ، وكان يعتبر فى عصره احـــدى معجزات التكنولوجيا الحديثة ، لكنه الآن ـ وبمعايير هذا الزمان ـ يعتبر شيئاً بدائياً ، اذ حلت محله رقاقة او لوحة صغيرة من السيليكون قد لا يزيد حجمها عن حجم ظفر الأصبع .. أى كأنما التطور المذهل فى صناعة العقول لااليكترونية قد اختصر كل شيء الى حدود لا يمكن تصورها ، فصار الكبير جداً ، صغيراً جداً ، مع عـــدم المساس بكفاءته نوعاً وكماً ، وطبيعى ان هذا الاختصار الهائل فى المساحة والحجم والخامات والطاقة الدافعة .. الخ ، قد انعكس بدوره على اختصـــار هائل فى التكاليف ، مما جعل اسعار الحاسبات الصغيرة الحالية لا تقارن مثلا بأسعار الحاسبات التى ظهرت فى منتصف القرن العشرين .

ولكى يمكن استيعاب ذلك ، فقد قـــدم لنا كريستوفر ايفانز فى كتابه القيم عن العقول الاليكترونية مقارنة بعالم السيارات فلو ان صناعة السيارات قد سارت على نفس المنوال الذى سارت فيه الحاسبات الاليكترونية ، وفى نفس الفترة الزمنية ، لكان معنى ذلك ان سيارة « الرولزرويس » يمكن شراؤها بثلاثة دولارات الا ربعاً ، وتستطيع هذه السيارة ان تستهلك جالونا واحداً من الوقود لتقطع به مسافة تصل الى ٤٫٨ مليون كيلو متر ، وتنتج طاقة كافية لدفع بارجة ضخمة مثل كوين اليزابيث .. الخ .

وطبيعى ان هذه الأرقام تبدو خيالية الى أبعد الحدود ، ولا يمكن بحال من الأحوال تحقيقها ، لكنها مع ذلك قد تحققت فى صناعة العقول الاليكترونية .. لأن كل شيء فيها قد اختصر اختصاراً مذهلا .. الحجم والوزن والطاقة وبساطة التصنيع ، وانخفاض الأسعار .. الخ ، مع الحفاظ على الكفاءة ، او زيادتها باستمرار .

إن هذه المتاهات من التوصيلات المتداخلة فى احدى العقول الاليكترونية هى تطبيق بسيط وبدائى لفكرة الخلايا العصبية فى امخاخنا هذا ويبلغ مجموع اطوال هذه التوصيلات اكثر من مائة كيلومتر لتربط بين ٧٧٠٠ دائرة اليكترونية ، لتتداخل فى تشغيل حوالى مليونين من خلايا الذاكرة التى تكون هذا الحاسب الاليكترونى .

## مقارنة مجحفـــــة

لكن ذلك كله سوف يتضح لنا أكثر وأكثر كلما توغلنا قليلا فى الموضوع ، فالذى احدث هذه الطفرة الفجائية هو توصـــل العلماء الى فكرة الرقاقة التى تزخر بدوائر كهربية دقيقة غاية الدقة ، وهى التى تراها فى بعض الأشكال المقدمة على هـــذه الصفحات ، وكانما هى نسيج متداخل ، ولا يمكن رؤيته الا اذا كبرناه عشرات أو مئات المرات ، وكأنما ذلك يذكرنا ايضاً بنسيج امخاخنا ، فنحن لا نستطيع ان نرى وحدات النسيج ، الا اذا كبرناه مئات المرات ، وعندئذ تبدو لنا خلاياه وكانما هى أشبه بغابة غريبة متداخلة الاغصان ، فالمخ ذاته يحتوى على حوالى ١٢ الف مليون خلية عصبية ، ومن كل خلية تمتد عشرات ومئات الوصلات أو الاليـــــاف العصبية الدقيقة ، لتتصل بما حولهـــا من آلاف الالياف ( انظر الشكل الدال على ذلك ) ، وبحيث يؤدى ذلك الى ما يشبه الدوائر الاليكترونية التى تتوه فيها العقول ومن التالف المتقن ، والتفاهم المتقن ، والتناغم المذهل ، يحـــدث التفـــــاعل الكهروكيميائى المنظم ، فيسرى على هيئة نبضات عصبية ، ويمكن ترجمتها الى معلومات توضح لنا طبيعة عالمنا المحيط بنا ، فنراه بتجسيده والوانه ، أو نسمعه ونتذوقه ونشمه ونحسه من خلال اعضاء الحواس التى تنقل ما يحدث فى عالمها الخارجى ، لتصبه فى عالم داخلى ــ هو عالم امخاخنا الذى ينطوى على متاهات لم نعرف منها الا القليل ، ومع ذلك فان المخ البشرى ــ رغم صغر حجمه ، وبساطة مظهره ــ يستطيع ان يستوعب ما يقـــدر بمليون بليون معلومة ( تكتب هكـــذا ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ) ، وكانما هو كون صغير ينطوى على كون جد كبير ، ولله در الشاعر محيي الدين بن عربى يقول :

أتحسب انك جـــرم صــــــغير
وفيك انطوى العـــــالم الأكبر

ولقدبدأ الانسان فى تقليد هذا النظام المذهل فى رقاقات دقيقة ، تشتغل بشفرة بسيطة ( تباديل وتوافيق بين ١ ، ٠ ــ اى واحد وصفر ) ، فمن خلال دوائر اليكترونية تتداخل وتستقبل وتوصل وتترجم الشفرة الى لغات تناسب الانسان ، نراها تكتب له وتحسب له ، وتتحدث معه ، وتيسر حياته وتترجم لغاته ، وتؤدى مهاماً صعبة ، وبسرعة فائقة ، وكانما هى اكفا انتاجاً من البشر ، وأسرع فهما وادراكاً .

ومع ذلك ، فان المقارنة بين الدوائـــر الكهروكيميائية التى تسرى فى خـــلايا امخاخنا ، وبين الدوائر الكهربيـــة فى العقول الاليكترونية ــ لاشك ــ مقارنة مجحفة . اذ لا فرق بين ما خلق الله فابدع واتقن ، وما قلد الانسان ، فجاء تقليده خالياً من العاطفة والاحساس والوجدان والارادة والشعور بالذات ، أو غير ذلك من الصفات التى حازها الانسان دون سائر المخلوقات !

ورغم ذلك ، فلا يجب علينا ايضاً ان نغمط الانسان حقه وقدره من التقدم والابداع والابتكار ، اذ انه وصـــل بتلك الحاسبات أو العقول الاليكترونية فى زمن وجيز الى حدود تبدو خيالا أو أحلاماً ، وبحيث يستطيع العقل الاليكترونى منها ان ينجز فى ثوان ، مالا يستطيع الانسان انجازه فى عشرات أو ربما مئـــــات السنوات !

## احجـــام أصغر

ولقد بدات فكرة رقاقة أو شريحـــــة السيليكون ــ التى تختزن المعلومات فى دوائر اليكترونية دقيقة ــ فى الظهور والتطور فى نهاية الستينات وبـــداية السبعينات من هذا القرن ، ومرت بمراحل كانت فيها الرقاقة أكبر ، والذاكرة اضال ، ثم حدث العكس ، اى جاءت الرقاقة اصغر فاصغر ، ومع ذلك تحتوى على معلومات اضخم ، وذاكرة أكبر !

منذ سنوات لا تزيد عن عدد أصابع اليدين ، كانت الرقاقة فى مساحة ورقة « الفولسكاب » ثم فى حجم اليد ، ثم فى حجم عقلة الأصبع ، ثم فى حجم الظفر ، ثم اقل من الظفر ، ثم فى حجم رأس الدبوس ، الى ان تصل احياناً الى احجام لا ترى الا بعدسات مكبرة ، أو ان رأس

جزء ضئيل من الخلايا العصبية التى تكون أمخاخنا وفيها ترى الوصلات الحية الكثيرة والمتداخلة التى تتبادل المعلومات الواصلة اليها وكأنما الانسان قد قلد فكرتها المذهلة فى العقول أو الحاسبات الاليكترونية .

# بين عقول بشرية وعقول إليكترونية

الدبوس يستطيع ان يحمل فوقه ست أو عشر رقاقات متجاورة ، وبحيث إذا سقطت منها رقاقة على الأرض ، فمن الصعب ان تكتشفها بالعين المجردة !

إن هذا الاعجاز العلمى والتكنولوجى سيؤدى الى تطبيقات كثيرة جداً ، ومتنوعة جداً ، ورخيصة جداً ، وبحيث اصبحت الرقاقة أو الشريحة التى فى مساحة كف اليد كبيرة وبدائية بالمقارنة لما تحقق بعد ذلك .. فرقاقة لا تزيد مساحتها مثلا عن سنتيمتر مربع واحد يمكن ان تستوعب المعلومات المكتوبة فى صحيفة يومية متوسطة ، لكن ذلك ليس غاية المراد ، ولا منتهى المنى ، بل ستتطور الأمور الى إنتاج رقاقات لها نفس المساحة ( اى سنتيمتر مربع واحد ) ، لكنها تختزن محتويات مجلد كبير به حوالى مائة الف كلمة ، ومع ذلك ، فالتطوير الى الأصغر والأدق والأكفأ لا يزال قائما ، فالولايات المتحدة واليابان فى طريقهما بالفعل الى تخزين مليون كلمة على نفس المساحة ، اى ما يشغل دائرة معارف كاملة من الحجم المتوسط ، واذا استمرت الأمور على هذا المنوال ، فسوف يصبح بالامكان تخزين كل المعلومات الموجودة فى مجلدات مكتبة كبيرة فى رقائق لا تتعدى حجم كتاب صغير يمكن وضعه فى جيب سترة دون ادنى عناء .. والى مثل هذه الأهداف المذهلة يسعى العلماء .

ومما يساعد على تحقيق ذلك ، أو اكبر وأعظم من ذلك ، هو توصل العلماء الى فكرة اخرى جديدة وبديلة لفكرة الشرائح أو الرقاقات .. هذه الفكرة تتمثل فى ابتكار ما يسمى « بالذاكرة الفقاعة » .. اى تخزين المعلومات وتكديسها فى تصميمات تشبه الغبارات ( مفردها غبارة ) أو الفقاعات الدقيقة التى يمكن تشبيهها ببساطة بالفقاعات التى نراها تنطلق من المياه الغازية ، لكن هذه الفقاعات الاليكترونية ممغنطة وموجهة فى مجالات محددة داخل الشريحة التى تحتويها ، وكأنما هى تتآلف وتتناغم مع بعضها ، بحيث يؤدى ذلك الى ترتيب المعلومات وهضمها واخراجها على هيئة مكتوبة أو مقروءة لتناسب ادراك الانسان ، ولاشك ان هذه الذاكرة « الفقاعة » الممغنطة سوف تستوعب أكبر قدر من المعلومات فى اضأل مساحة ممكنة ، ويأمل العلماء أن ذلك سوف يمكنهم من وضع كل المعلومات الكائنة فى دائرة المعارف البريطانية فى تصميم لا تزيد مساحته عن بوصة واحدة مربعة ، مما يبشر بثورة تكنولوجية جديدة قبل نهاية الثمانينات !

## أسرع من لمح البصر

وأما عن السرعة التى تحل بها الحاسبات الاليكترونية العمليات الرياضية ، فحدث عن ذلك ولا حرج .. فاسرع حاسبة اليكترونية تعطى الاجابة فى ١٢٫٥ « نانو » ثانية ، هذا « والنانو » وحدة من الوحدات العلمية التى تقاس بها حدود العوالم التى تقع فيما وراء حدود العقل البشري ، و « النانو » ثانية جزء من بليون جزء من الثانية !

وتمتلك مؤسسة « ناسا » للعلوم الفضائية حاسباً اليكترونياً يستطيع ان يجرى ١٢٫٨٠٠ مليون عملية رياضية معقدة فى الثانية الواحدة ، ولهذا الحاسب ذاكرة اليكترونية تستوعب ٨٫٣٨٨٫٦٠٨ شفرة ( اوكود ) .. ويمكن ان تزيد هذه الذاكرة لتستوعب ٧٧٫٥٦٨٫٠٠٠ شفرة (أو وحدة معلومة ) اذا زودت بـ ٣٢ قرصاً أو لوحة من اللوحات أو الرقائق المكدسة بالمعلومات المخزونة ( بالتحديد تعرف باسم كراى ـ دد ـ ١٩ ) ، هذا ويحتوى كل قرص على اكثر من الف مليون معلومة !

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا فاوجزنا ما يشير الى اقبال العالم على ثورة كبرى سوف تلعب فيها العقول الاليكترونية الدور الأساسي ، فتؤدى إلى تغييرات جذرية فى انماط حياة الناس ، فحيث تزيد اجورهم ومطالبهم وتكاليفهم بالنسبة للأعمال أو الخدمات التى يؤدونها نحو مجتمعاتهم ، نرى الحاسبات أو العقول الاليكترونية ، قد بدأت تغزو هذه التخصصات ، وتحل محل الناس ، وبحيث قد تجابهنا مشكلة تكدس العقول الاليكترونية ، لتصبح اخطر من مشاكل التكدس فى البشر ، ومما ينذر بالخطر ،ان انتاج الحاسبات الاليكترونية ـ على حسب تقرير حديث ـ قد تضاعف عشرة آلاف مرة في الخمسة عشرة سنة الماضية ، وانه في الفترة ذاتها قد انخفضت تكلفتها إلى حوالي مائة ألف مرة !!

إن هذا « الغزو الفكرى » ـ ان صح ذاك التعبير ـ الذى ستسيطر به العقول الاليكترونية على انماط افكار وحياة المجتمعات البشرية ، قد يصبح سلاحاً ذا حدين ، فى حد منه تكمن رفاهية البشرية ، وفى الحد الآخر يكمن شقاؤها ، ولاشك ان ذلك يحتاج الى بيان وتوضيح ، وليس له هنا مجال ، ولنؤجله ـ اذن ـ الى دراسة اخرى قادمة ، لنتعرف على اى عصر غريب نحن مقبلون ، خاصة وان الأمور تتغير وتتطور ، وبأسرع مما نتوقع ونتصور !

د. عبد المحسن صالح

# رحلة الحياة والموت في بحر ملوّن

بقلم: صنع الله إبراهيم



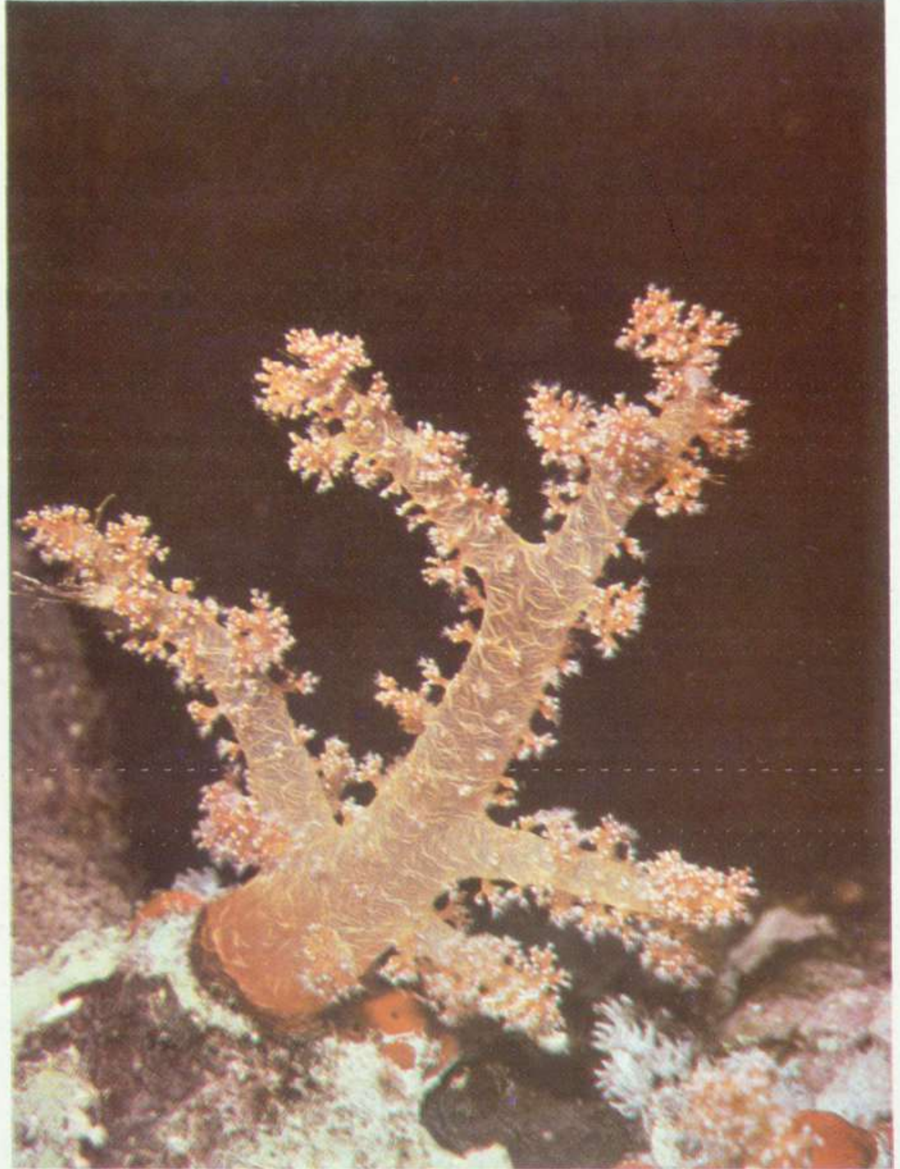
الراقص الاسبانى ..
نوع نادر فى البحر
الأحمر .

● ● ثروات نادرة مهددة بالضياع ان لم نتحرك لانقاذها .

● ● اليس من المؤسف ألا يكون هناك مرجع عربى شامل عن أحياء البحر الأحمر والخليج العربى . ؟ !

● ● هل تعجز الامكانيات والمواهب العربية عن حماية وتسجيل واستثمار عدد من أندر الشعاب المرجانية فى العالم . ؟

● ● فى انتظار جامعة عربية رائدة



صورة جديرة بالفوز بالميدالية الذهبية فى فن التصوير ..وهى لشعب مرجانية برتقالية اللون فى شاطىء سواكن

## رحلة الحياة والموت في بحر ملون

●● نشرت « الدوحة » موخراً سلسلة من الموضوعات المصورة التى تناولت بشكل قصصي ، لأول مرة أسرار الحياة فى أعماق البحر الأحمر ، وعالمه العجيب .

وفى هذا المقال يعرض الكاتب للمشاكل التى اعترضته أثناء الكتابة ، والتى يواجهها أغلب الباحثين فى هذا المجال ، ويعدد الأخطار التى تتهدد ثروات البحر العربى العتيق ، والخطوات الضرورية لحمايتها واستغلالها على أكمل وجه .

رغم كل التوقعات ، التى يستند بعضها الى حقائق ثابتة تتحدث عنها الكتب والمجلات والبرامج التليفزيونية ، وتمتد جذور بعضها الآخر الى مخاوف وأوهام سحيقة ، وخيالات مبهمة ، فان كل ما وقعت عليه عيناى ولمسته يداى ، كان يحمل طعم الاكتشاف البكر والمفاجأة الصاعقة .

وبادىء ذى بدء ، كان الشاطىء الواعد بمياه صافية ، يتألف من بساط طينى قبيح المنظر ، يمتد بعيداً فى عرض البحر .

وكان على ، كى أصل الى المياه ، أن أخوض فى هذه البركة لمسافة تتجاوز نصف كيلومتر .

ولم أكد أخطو عدة خطوات حتى شعرت بألم حاد فى باطن قدمى العاريتين ، فتوقفت عن الحركة ، وتطلعت الى أسفل .

هكذا تبينت ـ لأول مرة ـ تلك الكائنات الغريبة التى اندست فى ثنايا الطين ، وتسلح بعضها بأشواك أبرية على الجوانب ، أو ببروزات حادة فى الأطراف .

ومن الطبيعى أنه قد سبقت لى رؤية أنواع من الاصداف والقواقع ، لكنى لم أرها ـ قبل الآن ـ فى بيئتها الطبيعية ولا فى الاشكال والألوان الفريدة التى تناثرت تحت قدمى .

مضيت أنقل قدمى فى حذر دون أن أرفع عينى عن الطين . وتتابعت أمامى أصداف مضلعة حمراء اللون ، وأخرى رمادية على شكل الكمثرى وحجمها ، وثالثة فى حجم اليد ورابعة فى حجم البندق .

وهنا وهناك انتشرت أجسام سوداء غريبة ، فى شكل وحجم حبات الباذنجان الأسود ، ظننتها كتل من المخلفات البترولية التى تحملها المياه عادة الى الشواطىء .

وكان ثمة نباتات كثيرة متناثرة ، منها ما هو أقرب الى الزهور ، تتناقل المياه بعضها ، بينما بدا البعض الآخر ثابتاً فى مكانه . لكنى ما ان مددت اليه يدى حتى تحرك مبتعداً بسرعة خاطفة .

### مطفأة السجائر التى مشت !

والتقانى السابحون العائدون من عرض البحر ، يحمل أغلبهم فى يديه شجيرات حجرية برتقالية وبيضاء ، انتزعوها من الأعماق .

وفجأة بدأ المد وأخذت المياه ترتفع بسرعة . ولما كنت لا أجيد السباحة فقد عدت ادراجى بعد أن ملأت يدى بعدد من القواقع الصغيرة الكروية والمخروطية .

ولم أكد أتقدم قليلا حتى شعرت بغزوات صغيرة فى يدى مثل عضات

الناموس . وعندما فتحت قبضتيهما وجدتنى أواجه كائنات غريبة مشعرة أطلت من فتحات القواقع التى ظننتها خالية .

نفضت يدى فى تقزز ، فتساقطت القواقع فى الماء . ولمحت احدى حبات الباذنجان السوداء ، فانحنيت وتناولتها بيدى .

كان ملمسها ناعماً ، وجسدها رخواً . أدرتها بين أصابعى متاملا الثقب الدقيق فى كل من طرفيها ، واذا برشاش من المياه ينطلق من أحدهما ويصيبنى فى وجهى .

حملتها الى الشاطىء ، وضعتها فى اناء صغير من البلاستيك ريثما جففت جسدى واستبدلت ملابسى . وعندما القيت عليها نظرة أخرى وجدت حجمها قد انكمش الى النصف ، وتكومت الى جوارها شبكة من الامعاء الوردية اللون .

وأوشكت على الانصراف فاذا بى أرى مطفاة سجائر تمشى !

وكنت قد لمحت من قبل القوقعة الكبيرة ذات الأطراف الستة القصيرة ، التى ألفت أن أراها — فى طفولتى — تستخدم مطفاة للسجائر ، فلم أعبأ بها .

أسرعت اليها ورفعتها فى الهواء ، فلمحت زائدة مثل القدم تتراجع بسرعة داخل الشق الذى يمتد بطول السطح السفلى للقوقعة . وتمكنت من الامساك بهذه الزائدة قبل ان تختفى تماماً وحاولت أن أجذبها لكنها كانت أقوى منى ، فافلتت من يدى وتوارت . وعندما مددت أصبعى داخل الشق وجدته قد أحكم اغلاقه بباب من حديد .

## ولقاء تحت الماء

هكذا بدأ أول لقاء بينى وبين شاطىء البحر الأحمر وهو فى نفس الوقت أول لقاء مباشر باحياء البحر .

فانا أساساً من أبناء المدينة ، وعلاقتى بالبحر علاقة موسمية تتمثل فى التردد على الشواطىء المأهولة التى تطل على البحر الأبيض والتى اختفت منها أغلب أشكال الحياة البحرية ، هرباً من الزحام البشرى .

أما شاطىء البحر الأحمر فهو لأسباب كثيرة ليس مطروقاً من أحد سوى السائحين الأجانب الذين يجدون فى دفئه فرصة رائعة لقضاء الشتاء . ولهذا السبب يحتفظ ببكارة عالمه الحى .

وكان لقائى الثانى بالبحر الأحمر تحت الماء .



نخلة البحر الأحمر وهى تشبه نجمة من الريش وتوجد فى المياه المحاذية لمنارة « سنجانيب » بالقرب من بورسودان

فقد وضعت على عينى النظارة البلاستيكية المعروفة ، المزودة بأنبوب مرتفع لأتنفس ، وغصت فى مياه أكثر المناطق ضحالة .

وكأننى هبطت الى الأعماق السحيقة للمحيط .

فقد القيت نفسى وسط فوج من أسماك فضية صغيرة ابتعدت مسرعة وهى ترمقنى بعيونها الدقيقة فى حذر . وانسابت أمامى سمكة ما على شكل القرص المفلطح ، ازدانت بألوان الفراشات . وعندما تقدمت من عرض البحر انتشرت تحت قدمى الزهور البنفسجية والارجوانية المتموجة .

ولمحت سمكة بديعة الشكل ، أحاطت بها مجموعة من الزعانف الملونة على هيئة ريش الطاووس أو أجنحة الديكة ، وكانت تعوم فى بطء ، فاتجهت نحوها أملا فى امساكها من احدى هذه الزعانف . ولحسن حظى انها شعرت بى فاسرعت بالابتعاد . وبذلك نجوت من خطر التسمم .

فقد عرفت فيما بعد أنى كنت فى حضرة واحدة من أخطر أسماك البحر وهى سمكة « الجنخ » الشهيرة التى تحمل السم فى أشواك زعانفها .

ذلك أن اللقائين المذكورين ، كانا كافيين لارسالى فى رحلة بحث طويلة خلف أسرار البحر الأحمر وسكانه المتنوعين من أسفنج ومرجان ، وقنافذ ، ونجوم ، وسراطين ، وأخطبوطات ، وقواقع فضلا عن الأسماك .

وطوال العامين اللذين استغرقتهما رحلتى بين المراجع المختلفة ، كانت ذكرى هذا اللقاء تشحذ عزيمتى فى مواجهة



شمعدان البحر الأحمر .. وهو نوع من الاسفنج فى مياه « توارتيت » بالقرب من سواكن القديمة فى السودان

## رحلة الحياة والموت في بحر ملوّن

الصعاب التى قابلتنى .

وتتمثل أهم هذه الصعاب فى غياب المرجع الذى يحتوى على توصيف وحصر ـ باللغة العربية ـ لأنواع أحياء البحر الأحمر وأسمائها .

ويكفى كى نتصور الصعوبة الناشئة عن هذا الوضع أن نعرف ان العلماء قد تمكنوا من تمييز ٢٥٠٠ نوع من الاسفنج ، و ٤٥٠٠ نوعا من المرجانيات والشقائق البحرية والحيوانات الهلامية ( مثل قناديل البحر ) ، و ١٦٠٠٠ من القشريات مثل السراطين والجمبريات ، و ٦٠٫٠٠٠ من القواقع والبزاقات وغيرهما من الرخويات و ٤٠٠٠ من قنافذ البحر والنجوم وخيار البحر ( الذى تنتمى اليه الباذنجانة السوداء التى تتخلص من امعائها عند أول بادرة للخطر ) و ٣٠٫٠٠٠ نوعا من الأسماك وتتوزع هذه الأنواع على بحار العالم ومحيطاته .

وأعطى العلماء هذه الأنواع أسماء معروفة ومقبولة عالمياً منذ القرن الثامن عشر ، وفقاً لقواعد وضعتها لجنة دولية لتصنيف وتسمية الحيوانات والنباتات . وطبقاً لهذه القواعد تشتق الأسماء من اللغة اللاتينية وتشير الى احدى الصفات المميزة للنوع ، أو من الاسم الذى يعرف به محلياً . ويتبع الاسم العلمى عادة باسم المؤلف ، وهو الشخص الذى قام بوصف النوع .

هذا ما فعله العالم الفنلندى الشهير فورسكال عندما طاف بشواطىء البحر الأحمر عام ١٧٦٩ فى اول محاولة لتصنيف أسماكه . فعندما ميز فى أسواق جدة سمكة من جنس ، استخدم الاسم الذى تعرف به السمكة بين السكان المحليين ـ وهو البهار ـ علماً على النوع الجديد ، فاصبحت تعرف علمياً بهذا الاسم : Lutjanus Bohar Forskal

لكن فورسكال لم يصف غير أقل من مائة من أسماك البحر الأحمر . وتتابعت المحاولات المماثلة بعد ذلك . فوصف « روبل » ٣٥١ نوعاً من أسماك البحر الأحمر عام ١٨٣٥ ، منها ما سبق أن وصفه فورسكال .

وتكررت هذه الظاهرة أكثر من مرة . وأصبح من المألوف ان يقوم باحثان أو أكثر كل على حدة ، بوصف نفس النوع او الجنس ، الأمر الذى يتمخض عن وجود أكثر من اسم لنفس النوع أو المجموعة .

وساعد على ذلك ان بعض الاسماك تتمتع بالقدرة على تغيير الوانها والزخارف التى تغطيها ، حسب السن ، والجنس والموسم ، بل و « الحالة النفسية » ، بحيث يظنها الرائى نوعاً جديداً تماماً .

وضاعف من هذه المشكلة اتساع اهتمام غير المتخصصين ـ من صحفيين وكتاب وغواصين وسائحين ـ بشئون البحر . فقد مارس هؤلاء حريتهم فى تسمية الأسماك على أساس بعض الصفات الجسدية البارزة أو العادات التى أتيح لهم ملاحظتها . وواقع الأمر ان العلماء يتبعون نفس النهج فى التسمية ، لكنهم يراعون عندما يفعلون الفروق البيولوجية والفسيولوجية الدقيقة بين الأنواع والمجموعات وهو مالا يملك صنعه غير المتخصصين .

### تسميات متعددة ومزيد من الارتباك

ومن الطبيعى ان الاسماء التى توصل اليها هؤلاء كانت سهلة ، مجردة من التعقيد والغموض اللذين يميزان الاسماء العلمية . ولهذا انتشرت بسرعة ، وشقت طريقها الى الكتب العلمية المبسطة ، والمقالات الصحفية ، رغم عدم دقتها فى أغلب الأحيان ، والارتباك الناشىء عن اختلاف لغات مبتكريها .

هكذا تحولت سمكة « البهار » فى الكتابات الغربية من :

Lutjanus Bohar

الى Two-Spot Snapper اى « النهاش ذى النقطتين » . وما لبث الاسم الجديد ان شق طريقه الى الكتابات العربية المترجمة بسبب عدم وجود ذلك المرجع الشامل الذى يمكن الاعتماد عليه .

ونالت أسماك البحر الأحمر أكبر نصيب من هذه التسميات العشوائية ، لما تتميز به من ألوان صارخة وأنمطة زخرفية جذابة . فاطلق اسم « الببغاء » على عدة أنواع من الأسماك التى تاكل المرجان و تشبه الطائر المعروف فى ألوانها وأشكالها .

كما أطلق اسم « الملائكية » على عدة أنواع تنتمى الى أربع عائلات مختلفة ، لا يجمع بينها سوى الملامح الوادعة لرؤوسها وحدث نفس الشيء بالنسبة لأنواع عديدة أخرى من الأسماك التى تتميز بالوانها الصارخة وبالتكوين المفلطح المستدير لاجسادها ، اذ أصبحت تعرف جميعا باسم « سمكة الفراشة » . ونالت أنواع أخرى متباينة اسما مشتركا هو « الزناد » لأنها تشترك فى امتلاك شوكتين على الظهر تعملان بنفس الطريقة التى يعمل بها جهاز التأمين فى البندقية .

وتعددت التسميات الشائعة بالنسبة للسمكة الواحدة فى بعض الأحيان كما فى حالة سمكة « الجنخ » الجميلة السامة التى أكسبتها زعانفها المتعددة وشرائطها البديعة أسماء التنين والأسد والديك الرومى وزبرا .

وزاد من تعقيد الأمر بالنسبة لى ، ان النماذج المعروضة من أحياء البحر الأحمر فى متحفى الغردقة والاسكندرية ، تحمل الاسماء العربية المحلية فقط أو الاسماء العلمية اللاتينية وحدها ، أو لا تحمل أية أسماء على الاطلاق !

وبالاضافة الى هذا فان المراجع العربية المساعدة تكاد معدومة ، وما وقعت عليه اما كان متخصصا ذا طابع عام ، أو كتب لغير المتخصصين فاقتصر على استخدام التسميات الشائعة فى الكتب الأجنبية حينا لأنه أصلا لم يحفل بمعالجة البيئة المحليـة او اكتفى باستخدام الاسـماء المتداولة دون أن يفرق بين ما هو دارج منها وما هو فصيح مستقر فى الدراسات الاكاديمية ، حينا آخر .

وممـا زاد الطين بلة ، ان بعض المترجمين يقوم باجتهادات عشوائيـة تتمخض عن مزيد من الاسماء الجديدة .



رائعة البحر الأحمر .. صورة مقربة للشعب المرجانية الناعمة ذات اللونين الأحمر والبرتقالى

## محاولات رائدة ومتباينة

وقد أطلعت على ثلاث محاولات رائدة متباينة لحصر أحياء المياه العربية بصورة متكاملة . وأولى هذه المحاولات تقتصر على أسماك الانهار فى المغرب ، وقام بها معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالتعاون مع ادارة المياه والغابات والمعهد العلمى الشريف ومعهد الصيد البحرى . ونشرت سنة ١٩٧٥ بالرباط بعنوان : « وحيش المغرب : أسماك المياه العذبة المغربية » ، متضمنة وصفا لكل عينة ومميزاتهـا الرئيسية ثم اسمها بالفرنسية والانجليزية والعربية الفصحى بالاضافة الى الأسماء المحلية عربية وبربرية .

والمحاولة الثانية خاصة بالبحر الأحمر ، وجرت فى اطار مشروع سواكن الثانى الذى قامت به وحدة الابحاث السودانية التابعة لكلية الآداب بجامعة الخرطوم ونشرت عام ١٩٧٠ بعنوان

Fauna of the Red Sea By : C. Amirthalingam والدراسة عبارة عن حصر تصنيفى مقتضب على استخدام الأسماء اللاتينية .

أما المحاولة الثالثة فقامت بها شركة أرامكو للبترول فى الظهران ، لتوصيف البيئات البحرية المختلفة فى منطقة الخليج العربى . وقد نشرت نتائج هذه المحاولة عام ١٩٧٧ تحت عنوان

**Biotopes of the Western Arabian Gulf**



باقة من المرجان الأبيض تشبه أزهار الديزى

## رحلة الحياة والموت في بحر ملون

وتلجأ هذه الدراسة عند تسمية الاحياء المائية فى الخليج الى الأسماء العلمية اللاتينية ومقابلاتها الشائعة بالانجليزية فى بعض الأحيان .

ومما يبعث على الاسى الا ينشر هذا المرجع الهام باللغة العربية . وأن تعجز المواهب والامكانات العربية عن وضع مرجع مماثل عن البحر الأحمر ، رغم مرور أكثر من قرنين على المحاولة الرائدة للعالم الفنلندى فورسكال ، ورغم ظهور أجيال من العلماء العرب فى هذا الميدان .

وكان فى وسع الكتاب الذى أصدرته باللغة العربية المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية فى الستينات بعنوان « مصايد البحر الأحمر » للدكتورين عبد الرحمن الخولى ومحمد أحمد عيسوى ان يسد هذا الفراغ ، لولا انه يقتصر على الأسماك والرخويات الاقتصادية ، وان التصنيف الذى اتبعه يثير اعتراضات عديدة من جانب المتخصصين .

ولا ينفى ذلك وجود عدد من الدراسات المستفيضة لمجموعات معينة من أسماك البحر الأحمر وحيواناته المرجانية والرخوية ، كانت مصدر عون كبير لى وفى مقدمتها دراسة عن « الاسماك المعقوفة الفكين » أعدها الدكتور حامد جوهر بالتعاون مع العالمة الامريكية يوجينى كلارك ونشرت بالعدد الثامن من « نشرة محطة الاحياء البحرية بالغردقة » سنة ١٩٥٣ ، بالاضافة الى الدراسات المستفيضة الأخرى للدكتور جوهر وتلامذته حول الحيوانات المرجانية والتى نشرت بهذه النشرة .

واغلب هذه الدراسات باللغة الانجليزية ، لكنها أرفقت بملخصات وافية باللغة العربية . وفى الحالتين ذكرت المترادفات الشائعة ، الاجنبية والمحلية ، للاسماء اللاتينية .

والواقع ان نشرة محطة الغردقة التى صدر أول عدد منها عام ١٩٣٨ ، حاملا نتائج أول رحلة علمية مصرية لاستكشاف البحر الأحمر على الباخرة الشهيرة « مباحث » سنة ١٩٣٤ ، اشتركت بها المجموعة الرائدة من شباب العلماء وبينهم « الماجستر حامد جوهر افندي » و « الماجستر عبد الحليم نصر افندى » ، تحت اشراف العالم الانجليزى كروسلاند ، تعتبر سجلا قيما للمجهودات الوطنية الأولى فى علوم البحار ، ولأجيال العلماء التى تتابعت عليه ، والتغيرات التى طرأت على البلاد نفسها وعلى أهداف البحث العلمى .

ومن الطبيعى ان امتد أثر هذه التغيرات الى « اسم » الجهة المصدرة للنشرة . فبينما صدرت الاعداد الأولى عن « محطة الأحياء بالغردقة التابعة لجامعة فؤاد الأول » ، فان الاعداد الأخيرة الصادرة فى أواخر السبعينات تحمل اسم « معهد علوم البحار والمصايد التابع لاكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا » ، الذى تتبعه محطات الغردقة والسويس والاسكندرية .

وللأسف فان الابهة التى ينطق بها اللقب الأخير ، لا تنطبق على ما طالعنى من تخلف واهمال عندما سعيت الى محطة الغردقة فى صيف عام ١٩٨٠ ، لرؤية مجموعتها من الأسماك والأصداف ، التى بدأ تكوينها على يد الدكتور جوهر فى منتصف الثلاثينيات .

وكانت زيارتى للمحطة ، التى يطلق عليها الأهالى اسم « محطة أبو دقن » — نسبة الى لحية الدكتور جوهر الشهيرة — قبل سنة من احتفالها بمرور نصف قرن على انشائها . وقد خرجت بانطباع أسوأ من زياراتى المتعددة للمكتبة والمتحف الملحقين بمحطة الاسكندرية .

وتطلب الأمر شهوراً طويلة من المقارنة بين المراجع المختلفة ، من أجل تمييز بعض أنواع الاسماك والمرجانيات والاحياء الأخرى ، وتجميع التفاصيل اللازمة عن حياتها وعاداتها . وتلقيت عوناً كبيراً فى هذا الصدد من مجلدين بديعين ، يتألفان أساساً من صور فوتوغرافية ملونة وبياناتها . Colourful Saudia

والمجلد الأول بعنوان Red Sea يتألف من ١٢٩ صورة

ملونة جيدة للانواع المختلفة من الأحياء المائية المتوفرة فى الجزء السعودى من البحر الأحمر . واشترك فى اعداده مصور ألمانى يدير مركز الغوص فى جدة وعالم أحياء يعمل فى برنامج تنمية المصـــايد السعودية . ولا تحمل النسخة التى حصلت عليها اشارة الى تاريخ النشر أو اسم الناشر . وفى اعتقادى انه نشر فى السبعينات بواسطة الحكومة السعودية .

أما المجلد الثانى فبعنوان Coral Gardens ويتألف من ٩٦ صورة فنية بديعة ، التقطتها تحت الماء احدى المصورات العظيمات لعصرنا وهى الالمانية Leni Riefenstahl بعد ان تعلمت الغوص خصيصا فى سن الواحدة والسبعين !

وتغطى صور المجلد المذكور الوان الحياة فى الشعاب المرجانية لثلاث مناطق مختلفة هى المياه السودانية من البحر الأحمر ، الجزء الكينى والتنزانى من المحيط الهندى ، والبحر الكاريبى . وقام بتحرير الكتاب اثنان من علماء الأحياء الالمان وصدر لأول مرة بالالمانية عام ١٩٧٨ ثم ترجم الى الانجليزية .

## الأسماء مرة أخرى !

وخيل الى أخيرا انى قد تغلبت على مشكلة الأسماء ، لكنها لم تلبث ان برزت لى من جديد عندما بدأت مرحلة الكتابة .

فأى الاسماء أستخدم .؟ الاسم العلمى اللاتينى ، أم الاسم الشائع فى المراجع الأجنبية والمراجعات الصحفية والذى يمكن أن يكون ذا جاذبية للقارىء ، خاصة وأنى لا أكتب لمتخصصين . أو اقتصر على الاسم العربى المتداول فى الأسواق وفى حياة الناس اليومية حتى ولو كان محدود الانتشار ببيئته الضيقة ، ويفتقـــــد الجاذبية .؟ وفى هذه الحالة يتعين على أن أقول « المشيط » بدلا من « الفراشـــــة » ، و « الحدية » و « الحريد » بدلا من « الببغاء » ، وهكذا .

وكان الاستاذ الدكتور حامد جوهر هو الذى حسم ترددى عندما سعيت اليه فى ربيع ١٩٨١ فى شقته المطلة على النيل من فوق ٢٧ طابقا ، استرشد برأيه . فلمـــــاذا لا ندعوه بعلى أو أى اسم غير اسمه .؟ » .

والواقع انه مما لا يتفق مع المنطق ان نتحدث عن السمكة المعروفة فى البحر الأحمر باسم سمكة « العزازى » بالاســـم الذى يطلق عليها فى الكتب الأجنبيـــــة ـ مهما كانت طرافته ـ وهو « ســــمكة بيكاسو » . أو ندعو سمكة القرش المعروفة بالقرنة ، « رأس المطرقة » أو « الشاكوش » ، كما فعل الدكتور فيليب رفلة فى كتـــابه « جغرافية المحيطات والبحار » .

ولن يخلو الأمر من المشاكل . فبعض الأحياء أسماء متباينة من مكان لآخر مثل سمكة الكشر التى تعرف فى مياه جدة باللوطى ـ وهو نفس الاسم الذى عمدها به فورسكال ـ بسبب الوانها الساطعة وسلوكها عندما تعلق بالشص ، بينما يطلق عليها أهالى الشاطىء المصرى المقابل اسما عكسيا تماما هو « كشر شريف » !

لكن كافة المشاكل يمكن ان تحـــل اذا ما توفر الحصر الشامل باللغة العربية على النهج الذى حققته المغرب بالنسبة لاسماك الانهار .

وهى مهمة عاجلة يجب أن تتصدى لها على الفور الدول العربية الواقعة على البحر الأحمر ، والهيئات المعنية فى الجامعة العربية واليونسكو .

## كى لا تنقرض هذه الثروات النادرة !

ويتصل بهذه المهمة مهمة أخرى لا تقل أهمية وهى حماية أحياء البحر الأحمر من الاخطار التى تتهددها .

وهى ـ أيضاً ـ مهمة عاجلة .

ووجه العجلة فى الأمر ان هذه الاحياء تمثل ثروة علمية واقتصادية بالغة الأهمية وأنها مهددة الآن بالضياع والانقراض .



الربيع فى البحر الأحمر .. حيث نرى دودة تتفتح كوردة بيضاء

فالأحياء التى تسكن مياه البحر الأحمر تمثل كافة درجات سلم التطور الحيوانى ، منذ بدأ قبل مئات الملايين من السنين ، رغم ان البحر نفسه لم يبرز الى الوجود الا منذ ٥٠ مليون سنة فقط ، عندما انفصلت الكتلة الافريقية عن الجزيرة العربية .

وعلى مدى ملايين السنين تراكمت على جانبيه الهياكل الجيرية لعـــدد من الحيوانات - يتصدرها المرجان - التى تتمتع بالقدرة على امتصاص أملاح الكالسيوم من الماء ، واعادة افرازها من جديد فى هياكل متنوعة السمك والشكل تحيط بها نفسها .

ومن هذه التراكمات تكونت جدران هائلة سميكة هى المعروفة بالشعاب المرجانية ، أوت الى ثناياها أعداد غفيرة من الاف الانواع من الكائنات .

وأمثال هذه الشعاب توجد فى أماكن كثيرة من عالمنا : حول استراليا ، وفى البحر الكاريبى ، وعلى شواطىء المحيط الهندى ، بل والبحر الأبيض المتوسط .

لكن الطبيعة خصت البحر الأحمـــر وشاطئيه اللذين يمتدان أكثر من الفى كيلومتر ، بعدد من اقدم هذه الشعاب وأكثرها تنوعاً فى الألوان وأشكال الحياة وذلك بسبب ما تتمتع به مياهه من خصائص فريدة على رأسها الدفء وثبات درجة الحرارة ، وزيادة درجة الملوحة وانعدام الأمطار .

بل إن جامعة ميريلاند الأمريكية أعلنت أخيراً ان منطقة رأس محمد - على الشاطىء المصرى - تضم أندر مجموعة من الشعاب المرجانية فى العالم كله !

ومع ذلك فان شعاب رأس محمد وبقية شواطىء البحر الأحمر بل والخليج العربى أيضاً تتعرض للدمار اليومى بسبب عمليات الصيد غير المشروعة التى قضت - بالفعل - على شعاب منطقة الغردقة .

واليابان لا تملك شعاباً مرجانية يعتد بها لكنها حظرت الصيد فى ستين منطقة حول شواطئها تنتشر فيها هذه الشعاب ، وخصصت هذه المناطق لهواة الغوص وعلماء البحار .

أما البحر الأحمر والخليج العربى فلا توجد بهما منطقة واحدة من هذا النوع .

على أن الخطر الأكبر على الشعاب ياتى من مصدر اخر .

فمحور الحياة فى الشعاب هو حيوان ضئيل للغاية ، ولا يزيد قطره أحياناً عن ملليمترات قليلة ، ولا يتجاوز ارتفاعه عدة سنتيمترات ، ويتواجد غالباً فى مستعمرات من عدة مئات أو الاف ، هو البوليب المرجانى الذى يقوم بالدور الرئيسى فى بناء الشعاب بفضل أفرازاته الجيرية .

وهذا الحيوان الجميل الذى يتجلى فى ألوان زاهية ، شديد الضعف والحساسية بحيث تكفى لمسة من انسان أو حفنة من رمال للقضاء عليه .

ولنا أن نتصور ما يمكن أن تحدثه فى هذا الحيوان النفايات التى تتخلص منها السفن فى عرض البحر ، أو التى يلقى بها سكان الشواطىء ، من قاذورات وفوارغ وزجاج وأكياس بلاستيكية .

والأخطر من ذلك هو البترول الـــذى يتسرب من الناقلات أو مناطق الانتاج .

وقد اثبتت الابحاث التى أجرتها محطة السويس لعلوم البحار فى السنوات الأخيرة ارتفـــاع درجـــة تركيز البترول الذائب فى مياه البحر الاحمر ، وخاصـــة فى المناطق التى توجد بها ابار منتجة . كما أثبتت خطورة ذلك على الاسماك والاحياء المائية اذ تؤدى الى وفاة نسبة تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ فى المائة من الأحياء الدقيقة وخاصة البيض ، كما تؤدى فى النهاية الى دمار الشعاب المرجانية النادرة .

وتؤكد هذه الابحاث ان بعض انواع الرخويات والمحار تمتص جزيئات عضوية من المواد البترولية ، فتتركز فى أجسادها هذه المادة مع ميكروبات ضارة يمكن أن تكون مصدر خطر للانسان .

ورغم ان العلماء الذين أعدوا كتاب شركة « أرامكو » السابق الاشارة اليه قد وضعوا لأنفسهم مهمة دراسة تاثير البترول على البيئات البحرية ، الا انهم تجاهلوا الحديث عن هذه الاضرار ، واكتفوا بتسجيل الاشكال الجديدة من الكائنات المائية التى نمت حول هذه المادة .

والخلاصة ان الوقت قد حان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من تلوث البيئة على الشواطىء العربية وخاصة شاطىء البحر الأحمر .

---

## فى انتظار « اكسفورد » و « كوستو » عربيين !

والغريب ان الدول العربية جميعاً دول بحرية ، لكنها لا تكاد تتذكر هذه الحقيقة الا عندما تفكر فى منح بعض القواعد الحربية لدول أخرى !

حقاً أنه توجد بعض مشروعات للصيد أو السباحة هنا وهناك ، لكن هذه المشروعات نفسها لا تتناسب مع حجم الامكانيات الهائلة للمياه العربية .

وفيما يتعلق بالبحر الأحمر ، فان ثرواته الضخمة من الأسماك وزيوتها والاسفنج والقشريات والاصداف ومحار اللؤلؤ والنباتات المائية والطحالب والامـــلاح المعدنية لم تستغل بعد كما يجب .

والأدهى من ذلك ان المواطن العربى العادى لا يكاد يعرف شيئاً عن بيئته البحرية لأن أحداً لم يعن بتعريفه بها .

وبالمقابل فان المواطن فى الدول الغربية مثلا تقدم له كافة المعلومات عن بيئتـــه الطبيعية ، فى المراحل العمرية المختلفة ، بواسطة الدولة والمؤسسات الخاصة .

ومن النماذج الفريدة التى أطلعت عليها فى هذا الصدد ، كتاب ينتمي الى نوع الكتب العلمية المبسطة صدر سنة ١٩٧٦ عن دار Hamlyn الانجليزية ، اســـمه Underwater Life كتب مادته والتقط صوره عالم أحياء انجليزى هوى التصوير السينمائى لعوالم الطبيعة والحيوان ويدعى Peter Parks .

ويقوم الكتاب برحلة استكشاف من داخل قطرة الماء الى أعماق المحيط ، بواسطة قرابة ٣٠٠ صورة ملونة بديعة ، وسرد مشوق لأكثر الحقائق والظواهر العلمية تعقيداً . وهو احد المجلدات فى سلسلة بعنوان The World You Never See تركز على تلك الجوانب من الطبيعة التى لم يسبق رؤيتها الا نادراً ، وربما لم يسبق تصويرها على الاطلاق . وقد أعدته مؤسسة فريدة بدورها هى مؤسســـة Oxford Scientific Films التى تخصصت فى انتاج الافلام عن الطبيعة ، ووصفتها التايمس اللندنية بانها : « أكثر الوحدات السينمائية فى مجال علم الأحياء تقدما من الناحية التكنيكية فى العالم » .



حدائق البحر الاحمر الغناء مليئة بالشعب المرجانية البرتقالية

وتستغل المؤسسة المذكورة المـــادة العلمية الفلمية المجمعة بصورة ناجحة ، سواء على صعيد نشر المعرفـــة على مستويات مختلفة ، أو على صعيد الربحية ومضاعفة العائد المادى لنشاطها .

فالى جانب ٥٠ برنامج تليفزيونى ومائة فيلم تعليمى ، حتى الآن ، وسلسلة المجلدات الثمينة الصـــادرة عن دار Hamlyn ، والتى تخاطب البالغين من القراء والمشاهدين ، تقدم المؤسسة نفس المادة مجمعة بطريقة مختلفة فى سلسلة أخرى تخاطب الشبان والفتيات بعنوان Nautre in Action تصدر عن دار Purnell الانجليزية في مجلدات صغيرة يتناول كل منها احدى ظواهر الحياة النباتية والحيوانيـــــة ( التكاثر ، الحياة الاجتماعية ، النمو ، البحث عن الغذاء ) .

وتعود لتقدم نفس المادة بشكل مبسط للغاية للاطفال الصغار فى سلسلة أخرى بعنوان Nature's Way صادر عن دار André Deutsch ، يقتصر كل مجلد منها على احدى الظواهر الشائعة فى البيئة مثل دورة حياة الفراشة ، والنحل والعسل ، وحياة سمكة نهرية .

وفى نفس الوقت تبيع المؤسسة لمن يشاء شرائح ملونة للقطات الفيلمية الاصلية .

ويعجب المرء ـ أمام نموذج كهذا ـ كيف أن الأموال والمواهب العربية تعجز عن انشاء مؤسسة مماثلة ، ولو بدافع الربح الخالص .

ومثل هذه المؤسسة يمكن ان تقوم على أكتاف وحدة سينمائية صغيرة تتألف من مصور وعالم أحياء ، ولدينا منهما المئات . ويمكن مضاعفة عدد الوحدات بحيث تتخصص كل واحدة فى جانب من البيئة : البحار، والانهار ، الصحارى ، الوديان ، الغابات ، الغلاف الجوى .

وثمة نموذج اخر مثير يتمثل فى غواص فرنسى عجوز اسمه

Jacques-Yves Cousteau

وقد تعلم كوستو ( ولد سنة ١٩١٠ ) الغوص وهــو فى العاشرة من عمـــره وفيما بعد استطاع أن يستغل غرامه بالبحر فى مجموعة متشعبة من النشاطات المفيدة والمربحة فى الوقت نفسه .

فقد كون فريقا لابحاث الأعماق فى طولون ، وتوصل لنتائج هامة فى مجال التنقيب عن الآثار المدفونة فى أعماق البحار ، واخترع جهاز الغوص المائى المعروف باسم الرئة البحرية سنة ١٩٤٣ الذى أحدث ثورة فى مجال البحوث البحرية ، وقاد سفينة Calypso للاستكشافات البحرية منذ عام ١٩٥٠ ، وابتكر طريقة لاستخدام التليفزيون تحت الماء ، ثم كتب وانتج عدة افلام عن أعماق المحيطات ، وسجل مشاهداته وتجاربه فى عدة مجلدات .

ورغم أن كوستو لا يمل فى كتبه الحديث عن نفسه والدعاية للاجهزة التى ابتكرها ، فانها كانت مصدر عون كبير لى وخاصة الكتاب الذى خصصه للشعاب المرجانية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

وفى الثانية والسبعين من عمره ، يدير كوستو الآن متحف علوم الاحياء المائية بموناكو ( منذ سنة ١٩٥٧ ) ويرأس جمعية دولية تحمل اسمه ، وهو يقوم هذه الأيام ـ رغم مأساة فقدانه لابنه فيليب الذى كان ساعده الايمن فى كل أعماله ـ بحملة لجمع عدة ملايين من الدولارات من أجل انشاء مركز جديد لابحاث المحيطات فى الولايات المتحدة .

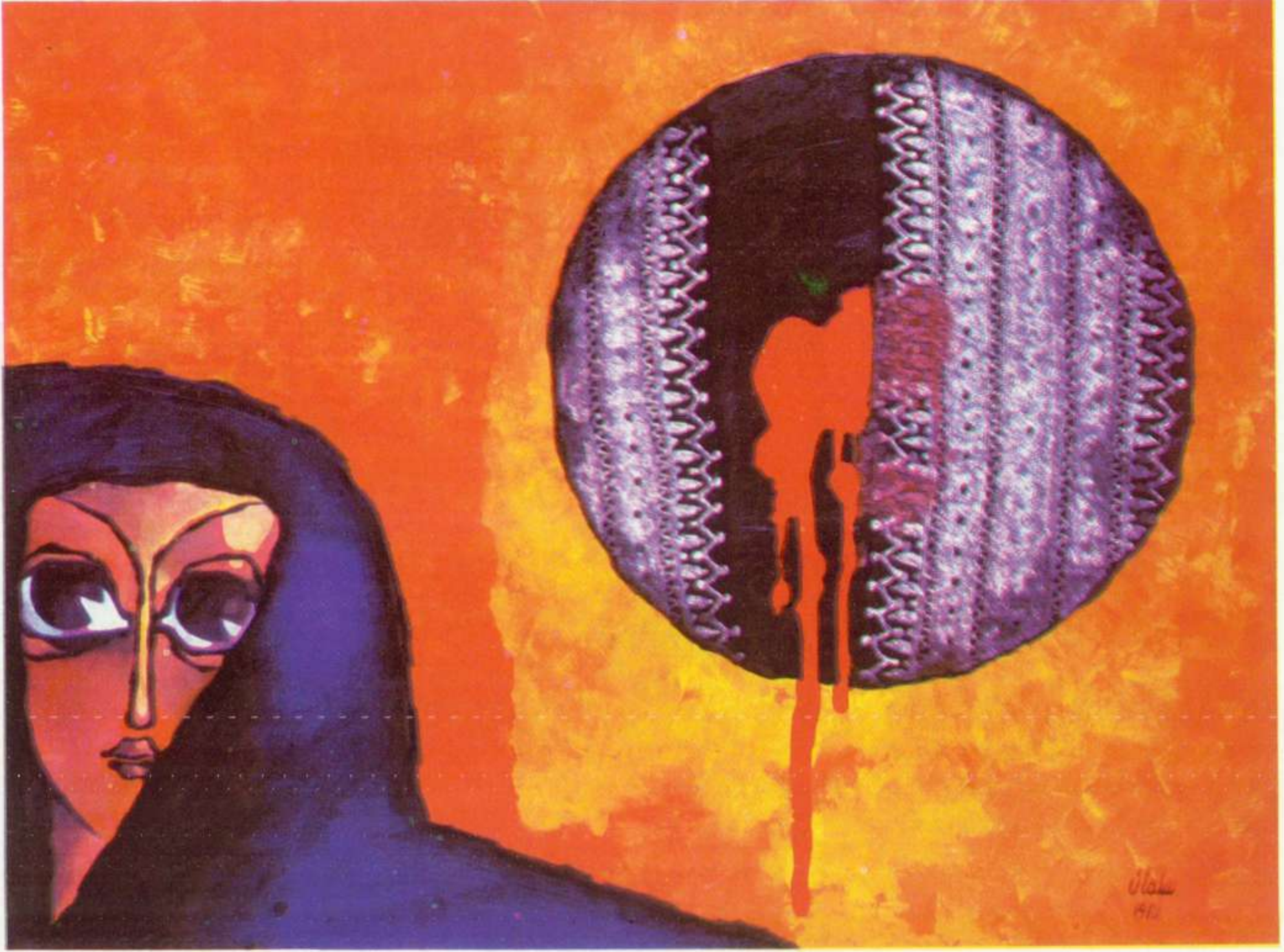
ولست أعرف كم يبلغ طول الشواطىء البحرية العربية .

لكن المؤكد انها يمكن ان تتيح مجالا كافيا لآلاف الغواصين العرب .

فما أجدرنا بعربى مثل كوستو !

وما أشد حاجتنا الى مؤسسة عربية كاكسفورد !

صنع الله ابراهيم

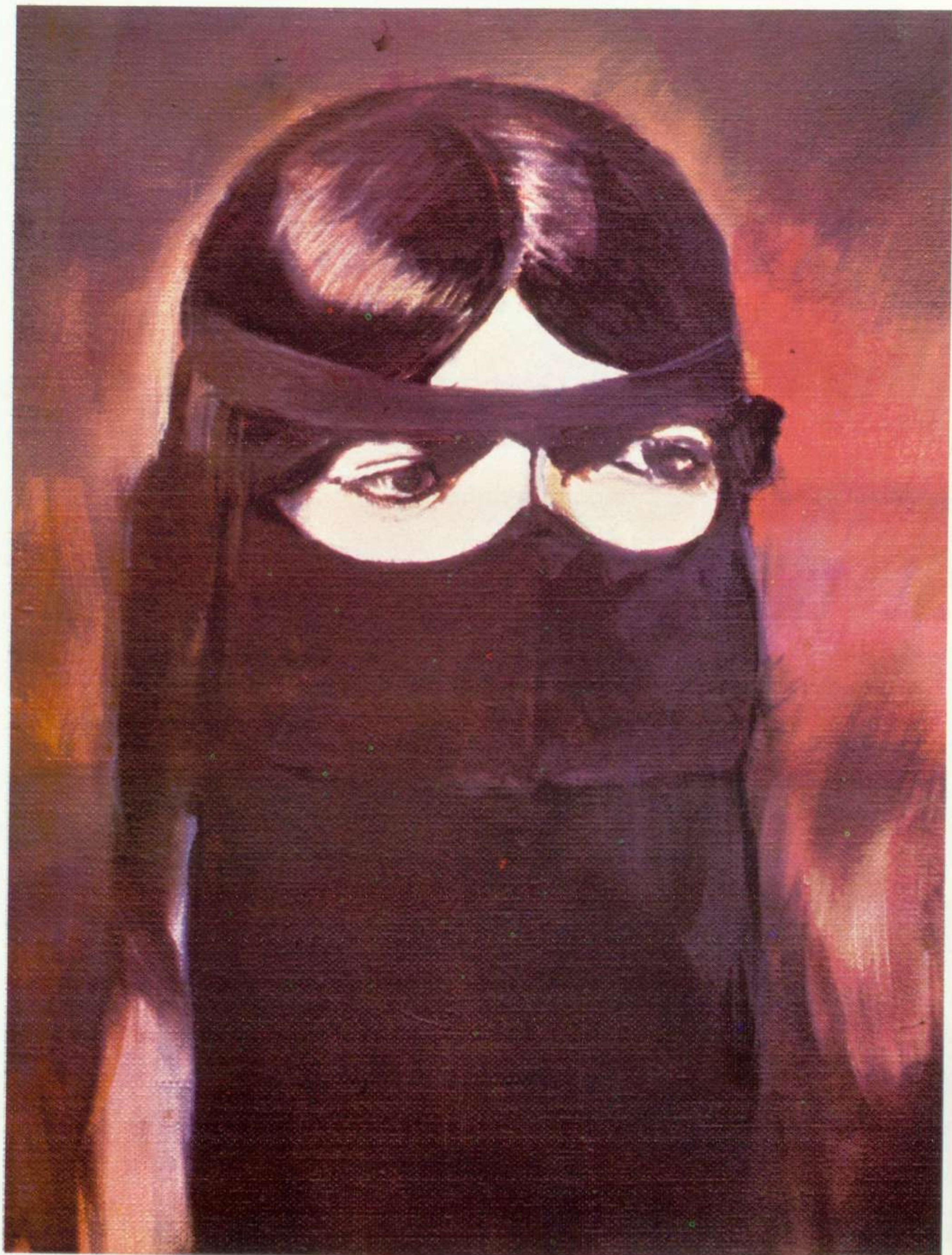



عندما تنزل الكتلة : للفنان سلمان المالكى

# ألوان البيئة والتراث
## في لوحات الفنانين القطريّين

بقلم : حسن الملا

يأتى المعرض الثانى للجمعية القطرية التشكيلية مكملا للمعارض السابقة التى أقامها الفنانون التشكيليون القطريون ، تأكيداً لاستمرار الحركة التشكيلية فى قطر التى نشطت منذ البداية نتيجة لاهتمام الدولة ودعمها المادى والمعنوى للحركة الفنية حتى تشق طريقها الذى يرضى طموح الفنانين ويحقق الأهداف الرامية إلى ابراز الوجه الفنى المتالق فى دولة قطر .



بدوية : عيسى الغانم

## المحاولات الابداعية

وقد افتتح هذا المعرض سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، وحضر حفل الافتتاح عدد كبير من المسئولين وأعضاء البعثات الدبلوماسية والمهتمون بالفنون التشكيلية ..

والواقع أن اهتمام الدولة بالفنان القطري يأخذ أكثر من اتجاه ، فهناك المراسم الحرة التي تفتح أبوابها للفنانين المحترفين والهواة على حد سواء ، وأيضاً لكل الراغبين في تنمية مواهبهم الفنية . وهناك أيام محددة للمرأة في المرسم الحر لتنمية هوايتها الفنية واكتساب الخبرات الفنية اللازمة ..

وبخلاف المراسم الحرة ، نجد أن كافة الأبواب مفتوحة أمام الشباب القطري لدراسة الفن في الخارج ، ولاقامة المعارض الفنية في الداخل والخارج من أجل تحقيق هدف التعرف على مصادر الابداع في المنطقة ..

والملاحظ أن المحاولات الابداعية عند الفنان القطري تجدها دائماً تلقائية وذاتية فهو يستلهم موضوعات لوحاته وألوانها وبناءها الفني من واقع المشاهدات البيئية التي يحياها ومن الحرف التقليدية التي وضع فيها الأجداد كافة فنونهم البسيطة الرائعة ، وهو لا يميل في معالجته للموضوع إلى أي افتعال ، وتشعر دائماً بتعمقه الوجداني وميله إلى تقديم كافة التفاصيل عن إنسان المنطقة والطبيعة والعادات والتقاليد الأصيلة بدون أية مبالغة أو تزويق أو ميل إلى الغربة والبعد عن المحلية .

ولعل هذا الأسلوب - الذي وضعه الفنان القطري نصب عينيه - هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ترسيخ المفاهيم التراثية في أعمال الفنانين التشكيليين القطريين .. وان هناك عدداً قليلا من الفنانين القطريين قد انتهجوا تيارات التجديد كمعالجة شكلية فقط ، في نفس الوقت الذي جاءت فيه موضوعات لوحاتهم معتمدة على التراث ، ورأينا في ألوانهم ذلك الزخم الذي تزخر به الوان البيئة والذي يميز الفنان القطري عن غيره في معظم الأعمال التي يقدمها !


خط عربي : يوسف أحمد


انطلاقة : فرج الدهام



الدار الحزينة : جاسم زيني

اعماق الخليج : ماجد هلال



منظر بحرى فى قطر : احمد زينى

## الفنانون المشاركون

وقد شارك في المعرض الثاني للجمعية القطرية عدد من اهم الفنانين القطريين ، في مقدمتهم جاسم زيني وهو من مواليد عام ١٩٤٢ ، ودرس الفن في بغداد ، وكان ومازال التراث والتقاليد والعادات القطرية هي محوره الذي يرتكز عليها انتاجه ، فهو يعالج باستمرار البيئة باسلوب أقرب إلى التأثيرية المتحررة كما رأينا في لوحته « للنساء فقط » التي شارك بها في المعرض ضمن أربع لوحات .. أما لوحاته الثلاث الأخرى فقد لجا فيها الى التكعيب والرمزية وقد بدا ذلك واضحا في لوحة « الدار الحزينة » التي أدخل على موضوعها بعض الحروف العربية بغرض خدمة الفكرة ، وأيضا في لوحة « من وحي السماء » التي استخدم فيها الأدوات الشعبية كالخيش ، وكان من قبل قد استخدم المسامير والقماش في بعض لوحاته حتى يعمق صدق البيئة التي يعبر عنها ..

## البراءة .. والخط العربي

وإلى جوار الفنان جاسم زيني شارك هؤلاء الفنانون في المعرض الثاني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية !

● علي الشريف .. وهو فنان متمكن ، يهتم بالطبيعة ، ويضيف إليها من احساسه والوانه المتميزة ، ويميل أحيانا إلى التأثيرية كما في لوحاته « بورتريه » التي قدم فيها طفلة صغيرة تشعر وأنت تراها بالعالم الخاص البريء للطفولة التي لم تواجه بعد مشاكل الحياة المستعصية .. وقد اشترك الفنان في المعرض بهذه اللوحة وثلاث لوحات أخرى هي : منظر من الصحراء ، في الخامسة عشرة ، منظر في الليل ..

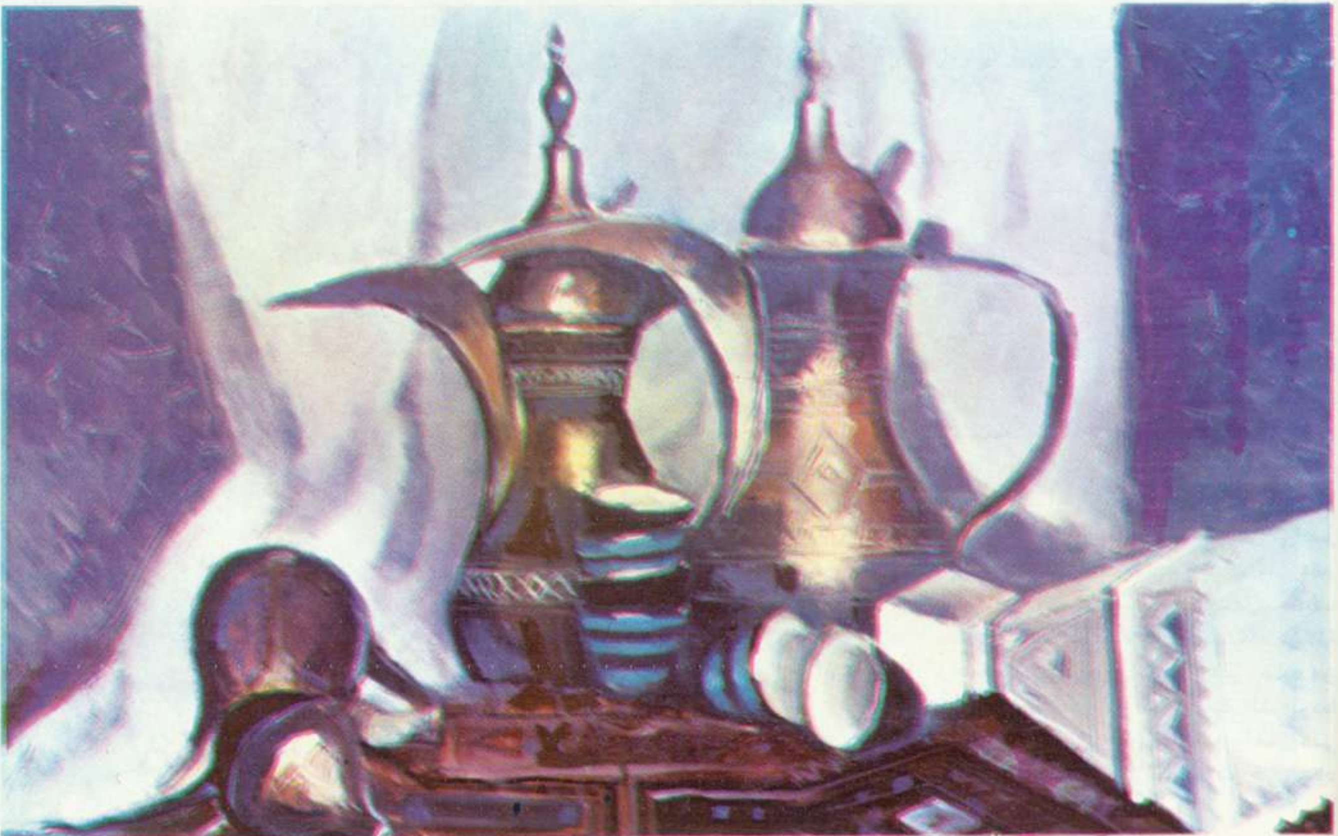
● يوسف الشريف .. الذي نلاحظ من تتبع أعماله مدى التطور الذي حققه في لوحاته الأخيرة ، وهذا نتيجةجهوده الذاتية التي لا تتوقف في معايشة الفنانين والبحث في الفنون العالمية ومحاولة الدراسة على الطبيعة وفي الواقع حتى يعطي لفنه الاحساس الصادق .. وقد شارك في المعرض بثلاث لوحات هي : نهضة قطر ، مجلس عربي ، من البراري ..

● يوسف أحمد .. وهو فنان أصيل .. له أبحاث في الخط العربي أعطت للوحاته شخصية عربية اسلامية ، وأصبح أسلوبه علامة بارزة في مسيرة الفن التشكيلى العربي .. وقد شارك في هذا المعرض بخمسة أعمال جرافيك ..

● فرج دهام .. فنان ملتزم بما يدور حوله من أحداث .. مرتبط ارتباطا وثيقا بقضايا المجتمع القطري بوجه خاص والمجتمع العربي بوجه عام والقضايا المصيرية الراهنة .. وقد اشترك الفنان بثلاث لوحات زيتية هي : « المخاض » التي استلهم موضوعها من الوضع الراهن لأمتنا العربية . ولوحة « طفولة » التي قدم لنا فيها طفلة مشردة شوهتها الحرب .. ولوحة « انتماء » لرجل ملتصق بأرض وطنه ولا



على شاطىء الدوحة : حسن الملا



طبيعة صامتة : محمد علي



من البراري : يوسف الشريف



جاسم زيني



يوسف احمد



محمد علي



يوسف الشريف



احمد زيني



حسن الملا



علي الشريف



عيسى الغانم

فرج الدهام

ماجد هلال

**ألوان البيئة والتراث**
**في لوحات الفنانين القطريين**

يرضى بأرض غير أرضه ، وفي هذه اللوحة تستطيع أن تتعرف على قضية الانسان الفلسطيني ..

● محمد علي .. وهو من الفنانين الذين برزوا في كافة المعارض التي شاركوا فيها .. وفي هذا المعرض اشترك بلوحة واحدة هي « طبيعة صامتة » والتزم بأسلوبه في معالجة موضوعات البيئة ذات الطابع التأثيري ..

● عيسى ماجد الغانم .. فنان له رؤيته الخاصة في تشكيل ما يراه أمامه كالطبيعة الصامتة .. وفي لوحته « .من وهج الصحراء» التي رسمها لامرأة من البادية ترتدى غطاء الوجه المشهور باسم «البرقع»، ترى امكانياته الفنية والجمالية وعدم تردده في استخدام الألوان التي عبرت عن الموضوع في شاعرية مرهفة ..

● ماجد هلال .. اشترك لأول مرة بأربع لوحات زيتية ، وهو ذو موهبة حقيقية في التسجيل الطبيعي ، ويسيطر على الألوان بمقدرة في التنويع والتكوين الشفاف الهادىء الذي تلحظه على وجه الخصوص في لوحة « أعماق الخليج » التي حاول فيها أن يمزج بين الأسلوب الرمزي والطبيعي ..

● سلمان المالكي .. اشترك في المعرض بلوحتين هما : عندما تنزف الكتلة السوداء ووجوه بلا ملامح .. وهو يميل في لوحاته إلى الأسلوب الساخر (الكاريكاتير) وهو نفس الأسلوب الذي تعودناه في لوحاته في الصحف القطرية ..

● أحمد زيني .. اشترك لأول مرة بلوحات تمثل محاولات على الطريق ..

● وضيفة سلطان .. اشتركت بلوحة واحدة فقط ، استخدمت فيها « الباستيل » و « الجواش » وكانت لوحتها تجمع بين المرأة القطرية وارتباطها بالبيئة وتاريخ الأجداد ..

● حسن الملا .. كاتب المقال .. الذي اشترك بست لوحات .. ويميل إلى أسلوب ما بعد التأثير .. ويعالج موضوعات البيئة بنفس الوانها في الواقع ..

## الفنانون الغائبون

وبخلاف هؤلاء الفنانين ، نلاحظ أن هناك أسماء غابت عن المعرض ، رغم دورها البارز في المعارض السابقة والحركة التشكيلية القطرية منذ نشأتها ، مثل محمد الكواري وسلطان السليطي وسلطان الغانم وسيف الكواري وبدرية جاسم .. ونأمل أن نراهم في معارضنا القادمة حتى نواصل جميعاً المسيرة الفنية التي بدأت منذ عشر سنوات بكل جهد ونشاط .. ونأمل - أيضاً - أن تعود فكرة معرض الأصدقاء الثلاثة ومعرض الهواء الطلق وغير ذلك من المعارض الجماعية والشخصية التي تربط الفنان بالجمهور بصورة أوسع وتعمل على ايصال رسالة الفن إلى كل مواطن في البلاد

حسن الملا

**كتاب الشهر**

# حياة قصيرة









تأليف :
كاتيكا ماتسون
عرض وتلخيص :
صلاح أحمد حسن


**كانوا نجوماً ساطعة فى سماء النجاح والشهرة والثروة ... ولكن هذه النجوم انطفأت بسرعة بعد حياة قصيرة ... وعلى هذه الصفحات قصة ستة من أصحاب هذا المجد اللامع والانطفاء السريع ... فى الأدب والمسرح والسينما والغناء.**

# كتاب الشهر

# حياة قصيرة





لقطتان لمارلين مونرو مع زوجها الكاتب المسرحى ارثر ميللر .. ثم مع الممثل المعروف « إيف مونتان » الذى مثلت معه فيلمها قبل الأخير .

## مارلين مونرو ١٩٢٦ - ١٩٦٢

« لو تذكر الناس أننى انسانة أيضاً ، لتغيرت نهاية القصة » .

أطلق عليها « رمز الحب فى عصر الذرة » و « رمز الاغراء » و « اسطورة القرن » أو ببساطة « م . م » . مثلت حوالى ثلاثين فيلماً هى حصيلة عمرها الفنى البالغ ثلاثة عشر عاماً . وبرغم أن معظم أفلامها كانت من الطراز العادى ، إلا أن قوة سحرها جعلت أعمالها أكبر افلام الشباك فى الخمسينات . أما موهبتها ومقدراتها التمثيلية فلم تجد من يتحدث عنها لأن الاغراء الذى كانت تتربع عليه أغنى الناس عن ذلك . كان ذلك هو الفصل الأول من عذابها . الفصل الثانى هو خوفها من أن يذبل جمالها الأسطورى ، وبين طرفى تلك المعادلة أدمنت الكحول وتعاطت المهدئات وعانت طول السهر ثم قتلت نفسها .

نورما جان بيكر ، التى عرفها العالم فيما بعد باسم مارلين مونرو ، ولدت فى الأول من يونيو ١٩٢٦ بمدينة لوس انجلوس ، الابنة غير الشرعية لغلاديس بيكر و س . ستانلى ترعرعت نورما فى ملاجىء الايتام بعدما ادخلت امها مصحة عقلية وعجز والدها عن حمل عبء تربيتها .

« أحلم بالجمال . أحلم بنفسى ابعثر السحر ألوانا شتى ، أدير الرؤوس وأسمع الناس يتهامسون : « ها هى ! انظروها » .

تزوجت مارلين فى سن السادسة عشر من جيم دورتى ، بحار ايرلندى فى الثانية والعشرين من عمره . وفى احدى اجازاتهما إلتقت بمصور فوتوغرافى اقنعها بالعمل لمجلته كموديل وعلمها فن المكياج فصبغت شعرها لوناً أشقر ذهبياً وسرعان ما ظهرت صورها على خمس مجلات فنية كبرى . ثم بدأ اسمها يلمع قليلا فقليلا ، وبعد عامين من زواجها حصلت نورما بيكر على الطلاق من الايرلندى الوسيم . وفى عام ١٩٤٦ استطاعت أن تدخل ستوديوهات « فوكس للقرن العشرين » باجر قدره ٧٥ دولاراً فى الشهر ثم غيرت اسمها إلى مارلين مونرو

« أنا امرأتان . إحداهما نورما جان بيكر التى ترعرعت فى ملجا اليتامى ولا تنتمى لاحد ، والثانية مارلين مونرو التى لا أعلم عنها شيئا غير انها تنتمى الى البحر والسماء والعالم أجمع » .

بعد القيام بتمثيل أدوار ثانوية فى فيلمين لشركة « فوكس » قررت الادارة فصلها لافتقارها إلى الموهبة ولأن وجهها - على حد تعبير الادارة - لم يكن سينمائياً بما يكفى ، وعادت مارلين إلى العمل كموديل . سوى أن جو شينك ، أحد عواجيز شركة « فوكس » هام بحبها واستخدم نفوذه ليجد لها عملا بشركة « كولومبيا » التى قررت بعد ستة أشهر فصلها لتعود مرة أخرى الى الفوتوغرافيا حتى التقت بجونى هايد ، احد أبرز عملاء ستوديوهات هوليود .

استطاع هايد أن يقنعها باجراء عمليتى تجميل لأنفها وفكها وكانت هى أول من دهش للنتائج . أعقب ذلك أن ظهرت فى فيلمى « غابة الأسفلت » و « كل شىء عن حواء » اللذين مهدا الطريق امامها لتوقيع عقد مع شركة « فوكس » بمبلغ ٧٥٠ دولاراً فى الأسبوع .

قبل عرض فيلمها الخامس عشر « صراع الليل » وزع المنتج صورة قديمة لمونرو لم تكن فيها « كاملة الاحتشام » مع اعتراف خطى بانها فعلت ذلك « من اجل المال » . حقق « صراع الليل » دخلا خرافياً وطارت مونرو الى سماء الشهرة على جناحى فضيحة .

« كما كافحت طويلا لسبر أغوار السينما ، أكافح الآن لأجد مكاناً لنفسى ولموهبتى لأننى لا أنوى أن أظل طيلة حياتى سلعة للبيع فى سوق السينما »

وهكذا استطاعت مونرو أن تمنح الحق فى اختيار ما يناسبها من الأدوار وأن ترفع أجرها الى ١٠٢٠٠ دولار عن الفيلم رغم أن ذلك كلفها أن تتوقف عن العمل فترة من الوقت . أثناء تلك الفترة تزوجت جو دى ماغيو ، المحافظ فى طباعه والذى حاول جهده أن يقنعها باعتزال السينما والتفرغ لمهامها الزوجية فطلقته وقالت - اعتذاراً - ان جو تزوج امرأة ثمانين بالمائة منها صنعته الدعاية والأضواء .

انتقلت مارلين إلى نيويورك لدراسة التمثيل ، وهناك التقت بالكاتب المسرحى المرموق آرثر ميللر الذى حصل على الطلاق من زوجته ليقترن بمارلين عقب نجاح فيلمها « موقف البص » ثم سافرت مع زوجها الجديد الى لندن لتصوير فيلم « الأمير والحسناء » من اخراج لورانس اوليفيه . ولكن دورها لم يعجبها فاصيبت



مارلين تغادر المستشفى مع زوجها بعد ان فقدت مولودها المنتظر



كلبها الصغير الذى وجدوه خارج المنزل عقب وفاتها .



ارتو فى دور « مارا » بمسرحية نابليون

بالاكتئاب الذى تملكها تماماً خاصة بعد فشلها فى الانجاب ، وبدات تظهر ميلا الى اعتناق البوذية ، غارقة فى تعاطى الكحول والمهدئات .

« وددت لو اخبرنى احد لماذا لا انام كما يفعل بقية البشر . وحتى عندما ترسلنى المهدئات الى السرير فاننى اغفو صناعياً وليس كما يفعل بقية البشر » .

من بين الافلام التى أصابت فيها مونرو نجاحاً ملموساً « البعض يفضلها ساخنة » أمام جاك ليمون وتونى كيرتس ، رغم انها ارهقت كل العاملين معها بعدم التزامها بالمواعيد وتسببها فى الغاء التصوير مراراً وتكراراً . بعدها مثلت « وقت للحب » أمام الفرنسى إيف مونتان . الفيلم فشل تماماً ولكن مونرو استمالت مونتان واصبحت علاقتها به حديث الصحافة ،الشىء الذى هدد زواجها من آرثر ميللر.

« الغرباء » الذى كتب له السيناريو زوجها ميللر كان آخر فيلم تكمل تصويره . مكانة ميللر المرموقة أدبياً بالاضافة إلى خبرة جون هيوستون المخرج المبدع جعلت الدوائر السينمائية تتوقع نجاحاً منقطع النظير للفيلم . ولكن مونرو بتقلبات مزاجها وحالتها العاطفية غير المعتدلة عطلت سير العمل بالفيلم حتى أنه عندما اكتمل ، ارتفعت ميزانيته عالياً فوق امكانية الربح .

« صرت عبئاً ثقيلا على نفسى وعلى الناس . وصار الناس انفسهم عبئاً ثقيلا على . ظلوا ينتظرون أن اقدم لهم المعجزات ثلاث مرات فى اليوم ، ومرة عند اللزوم . قالوا اننى جميلة وحبسونى فى قفص ذهبى لينظروا إلى كلما ازدادت حياتهم قبحاً . هل نسوا اننى انسانة مثلهم ؟ » .

عادت مونرو الى نيويورك وهناك اعلنت انفصالها عن آرثر ميللر ودخلت المستشفى لعدة اسابيع ثم قضت عاماً باكمله فى عزلة تامة .

وفى ربيع عام ١٩٦٢ انتقلت إلى لوس انجلوس لتتلقى علاجاً منتظماً من طبيبها النفسانى الخاص . لكن عدم مقدرتها على النوم اتخذ شكلا مرضياً وعادت من جديد الى ادمان المهدئات .

عبثاً حاولت مونرو اتمام آخر افلامها « احد ما يجب أن يعطى » . وفى مايو طارت الى نيويورك لتغنى فى عيد ميلاد الرئيس جون كيندى . ومن هناك عادت الى هوليود فى محاولة لمواصلة تصوير الفيلم ولكن حالتها النفسية لم تسمح لها بذلك فرفعت عليها الشركة قضية تعويض لاخلالها بشروط العقد .

مارلين مونرو وجدت ميتة انتحاراً بغرفة نومها فى الرابع من اغسطس ١٩٦٢ وجاء فى قرار الطبيب أن سبب وفاتها تسمم حاد نتيجة تناول كميات هائلة من المهدئات .

آرثر شليسينغر :
« لا أعتقد اننى رأيت أحداً بمثل ذلك الجمال الموهوب، ان لها سحراً يخترق القلب من حيث يدرى المرء ولا يدرى ولكنها كانت مثل شىء غير حقيقى .. شىء ، ببساطة ، لا يحدث ، كالكلام من تحت الماء » .

## أنتونان آرتو
## ١٨٩٦ - ١٩٤٨

« لا ادمر حياتى اذا مت انتحاراً ، بل اعيد صياغتها مرة أخرى داخل ناموس الطبيعة بحيث اننى اعطى الأشياء شكل ارادتى » .

انتونان ارتو ، ممثل ، مخرج ، كاتب درامى ، كاتب مقال ، شاعر ومؤسس « مسرح القسوة » الذى نظّر له فى كتابه « المسرح ونظيره » ( صدر عام ١٩٣٨ ) محدثاً به بعد مماته صدى واسعاً فى فترة الخمسينات والستينات . الكتاب وضع بصمات واضحة على أعمال ابرز المخرجين الذين تناولوا كتابات المسرحيين العبثيين امثال اوجين يونسكو ، وجان جينيه ، وصمويل بيكيت . ولأن أفكاره كانت تسبق عصرها كثيراً ولعذابه النفسى النابع من أن فلسفة حياته ( وموته ) شقا عصا الطاعة على مؤسسات مجتمعه التقليدية ، اعتبر اكثر الفنانين جنوناً وأودع سجيناً بين جدران المصحات العقلية لفترة التسع سنوات الأخيرة من عمره .

وولد انتونان ارتو فى ٤ ديسمبر ١٨٩٦ بمرسيليا ، فرنسا ، أكبر تسعة أبناء عاش منهم ثلاثة فقط . نشا ضعيف البنية وأصيب بالالتهاب السحائى فى الخامسة





الفيس بريسلى اثناء زواجه من الفتاة التى التقى بها اثناء رحلته فى المانيا .. ثم لقطة له اثناء انهماكه فى الغناء .

كتاب الشهر

# حياة قصيرة

من عمره الشىء الذى أثر على بنيانه النفسى والعقلى طيلة حياته .

فى سن الرابعة عشر بدأ أرتو كتابة الشعر والقصة القصيرة ونشر أعماله فى جريدة حائطية أسسها بالمدرسة تحت اسم « لوى ديز اتيد » . وفى الثامنة عشر احرق كل أعماله بعد تعرضه لنوبة اكتئاب نفسى عاودته فى سن العشرين مما جعل اسرته ترسله الى مصحة عقلية بسويسرا .

« اننى أعانى لأن العقل والحياة على طرفى نقيض أعانى من العقل العضو والمترجم ورافع العصا أمام الحياة كى تدخل فيه قسراً » .

فى بداية العشرينات بدأ أرتو يهتم بالتمثيل والمسرح ونشر فى نفس الوقت أعماله الشعرية فى كتاب . وخلال عمله فى المسرح التقى بجينكا أثانائيو ممثلة رومانية ناشئة . ونمت بينهما علاقة حب استمرت سبع سنوات بين شد وجذب لاحساسه الخاص بالاحباط رغم انه حقق فى عام ١٩٢٧ نجاحاً نسبياً فى عالم السينما عندما ظهر فى فيلمين شهيرين : الأول « نابليون » ومثل فيه دور « مارا » ، والثانى « جان دارك » وقام فيه بدور الراهب « ماثيو » .

ثم عاش ارتو منعزلا ومتنقلا من مكان فقير لاخر اكثر فقراً ، معرضاً حالته النفسية والجسمانية لمزيد من الخطر . لكنه أثار انتباه جماعة السيرياليين التى كانت تتشكل آنذاك بكتاباته إلى جاك ريفيير والتى نشرتها احدى المجلات الادبية الطليعية .

أندريه بريتون :
« السيريالية هى جوهر الحركة النفسية فى شغلها الآتى ، وبها يتم تحرير الأفكار من قيود المعقول والقوالب الجمالية والاخلاقية الجاهزة » .

سرعان ما صار أرتو احد أهم أعلام تلك الحركة التى تزعمها اندريه بريتون وضمت بين صفوفها أسماء معروفة مثل لوى أراغون وبول ايلوار . ولكن حبل الود انقطع سريعاً بينه وبينهم ، إذ كان اكثر سريالية من السيريالية نفسها . وفى البيان الذى صدر فيه قرار فصله فى نوفمبر ١٩٢٦ وصف أرتو بانه « غريب الاطوار إلى حد الجنون ، العجز احياناً والجبن احيانا أخرى » .

« ان الذى يقف بينى وبين السيرياليين انهم يحبون الحياة بقدر ما احتقرها » .

أعقب ذلك أن أصدر أرتو بيانه الذى أرسى فيه دعائم مسرحه المتميز الغريب « مسرح القسوة » ملهماً بمسرحية « الملك أوبو » التى ألفها الفريد جيرى وبطلها انسان رأسه يشبه نبات اللفت . اعتبر أرتو ان رسالة المسرحية التى تنتقد الطبقة الوسطى فى المجتمع هى صدمة المشاهد أولا وأخيراً .

« نحن بصدد أن يكون للمتفرج اتصال عضوى بما يراه على الخشبة . وعليه أن يعلم أن مسرحنا سيجرى عليه عملية جراحية لن تعرض فقط عقله للخطر ، ولكن أيضاً دمه ولحمه . وعليه أن يعرف اننا قادرون على أن نجعله يصرخ من الفزع »

كان المسرح لدى أرتو مكاناً للانسان يصرخ فيه ألماً وغضباً وكراهية بغرض التجرد من طبعه وشكله وبنائه النفسى والاجتماعى . المسرح عنده هو مكمن التجربة – الطاعون – الحقيقة التى تثير الفزع بغرض التحرر من الحلم الرومانسى بان الحياة والعقل حليفان وفيان .

العام ١٩٣٥ شهد عرض مسرحية « سنسى » ، أول وآخر تجربة لمسرح القسوة توقف عرض المسرحية بعد سبعة عشر عرضاً ، وعاش أرتو على الديون من اصدقائه القلائل، ثم سافر إلى المكسيك ليحاضر فى جامعتها وليدرس حياة قبائل الهنود . عاد بعدها إلى باريس ومنها الى بروسيل حيث تمت خطبته الى سيسيل شرام . ثم حدث انه كان يلقى محاضرة بجامعة بروسيل بحضور خطيبته ووالديها عندما بدأ فجاة يلقى بالكلام على عواهنه ثم راح يهذى وانتهى ذلك المساء بفسخ خطوبته من سيسيل .

« لقد عشقت جنونه . أنظر الى فمه ذى الأركان الغامقة مشدوهة ،واتمنى أن أقبله . لكننى أتراجع بفزع عند مجرد التفكير بذلك لانه يعنى اننى ساطبع قبلتى على شفتى الموت أو الجنون » .

فى أغسطس ١٩٣٧ سافر أرتو إلى ايرلندا بدعوى أنه ينفذ أوامر المسيح . وهناك طلب اللجوء الى دير اليسوعيين ولكنه منع من دخوله فاخذ يصرخ ويسب ويلعن محطما كل ما وقع بيده حتى القى عليه القبض واعيد الى فرنسا مقيداً بالحديد ووضع هناك بمصحة عقلية زارته فيها أمه فلم يستطع التعرف عليها .

« فى داخل كل مجنون عبقرية تعتصم بغرابتها عن الناس ثم تظل هناك ، فى غرابتها ، تتلألأ





المغنى مع زوجته وطفلته .. ثم لقطة تسجيلية لعشاق فنه الذين جاءوا لوداعه الاخير بعد أن عثروا عليه فى بلاط حمامه فاقد الوعى

بالضوء المفزع من نظر إليها . فاذا ما أعدت لـه الحياة مشنقتها ، سـلك طريق النجاة الوحيد أمامه : ذلك الذى يقوده الى مزيد من الجنـون والغرابة » .

قضى أرتو بقية حياته ( تسع سنوات ) متنقلا من مصحة عقلية إلى اخرى . وفى يناير ١٩٤٧ اقيمت امسـية على شرفه حضرها أعلام الفكر فى فرنسا مثل اندريه جيد ، البير كامو ، واندريه بريتون . فى تلك الامسية وقف أرتو أمام الحضور وارتجل ثم صرخ وشتم العصر والحياة فى عرض وحشى أذهل الحضور حتى الخوف وحقق أرتو جزئيا امنيته القديمة : إثارة الفزع عن طريق القسوة .

فى فبراير زار أرتو معرضا للفنان فان جوخ وعاد منه ليؤلف كتابه « انتحار فان جوخ ، جريمة المجتمع » الذى نال عنه جائزة « سانت بيف » الادبية وهى الجائزة الوحيدة التى حصل عليها أرتو طيلة حياته .

بعدها ، ظلت صحته تسوء وعانى من آلام قاسية بالمعدة ظل يهدئها بتعاطى الافيون بكميات كبيرة واظهر التشخيص انه كان يعانى من الاورام الخبيثة.مات انتونان أرتو على فراشه فى ٤ مارس ١٩٤٨ عن ٥٢ عاما .

إلى اندريه بريتون :
« أنا مصمم على المضى فى العيش لأننى أؤمن بأن العالم الذى يظـل يصفع وجودك ووجودى دونما هوادة ، سيموت قبل أن أموت » .

## الفيس بريسلى
## ١٩٣٥-١٩٧٧

« مات الفيس الأسطورة كـان رصيده فى البنـك عشرات المـلايين من الدولارات ومئات الملايين من المعجبين » .

لم يكن الفيس بريسلى مغنيا فوق العادة وحسب ، ولكنه كان ايضا مهندسا للظاهرة الاجتماعية الجديدة التى انتظمت العالم الغربى فى منتصف الخمسينات . وحتى عندما اعتلت فرقة « البيتلز » خشبة المسرح كاحدى أبرز العلامات الغنائية والاجتماعية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كان الفيس هو الذى وضـع ختمه على جواز مرورهم وظل اسـمه نموذجا حيا للعلاقة الجدلية بين الفن والمجتمع .

أدخل الفتى النحيف ، الذى ينحدر من عائلة مدقعة ، موسيقى « الروك – ان – رول » الى كل البيـوت من النوافـذ والأبواب والشقوق والراديو والتليفزيون والفونوغراف ، ووضع صورته وامضاءه على القمصان والفساتين وحقائب اليد والاحذية والبلوفرات والجـدران والكراسات ونوافذ السيارات واطلق عليه اسم « ملك الروك ومعبود الشباب » .

وولد الفيس ارون بريسلى احد توامين متطابقين ( أسقط الاخر ) فى الثامن من يناير ١٩٣٥ فى تيبولو على نهر المسيسيبى عن أب فلاح وأم حائكة ملابس . لم تشهد طفولته ما ينبىء عن مستقبل متميز فى عالم الموسيقى حتى اشترى له والده فى سن الحادية عشر قيثارة عوضا عن الدراجة التى كان يحلم بها الصبى ، قبلها على مضض وراح يعلم نفسه العزف وغناء الأناشيد الدينية .

بعد تخرجه من المدرسة الثانوية فى سن الثامنة عشر عمل الفيس سائقا للشاحنات فى شركتين للكهرباء وصار يغنى فى أوقات فراغه فى بعض الدوائر الضيقة فاسترعى انتباه احد عملاء شركات الاسطوانات بالنكهة الزنجية فى صوته . وبعد عدة شهور اتيح له تسجيل اغنية من نـوع « البلوز » فى راديو ممفيس المحلى ، وباعت الأغنية خمسة الاف اسطوانة مسجلة رقما قياسيا فى سوق الاسطوانات الاقليمية .

ماريون كيسكر :
« لم يكن يحب اجـراء بروفات لاغنياته . كـان يحمل قيثارته ويدخـل الاستوديو ويسجل .. هكذا ، ببساطة وبحضور مدهش ، وكان الناتج دائما عظيما » .

بسرعة خرافية أصبح سائق الشاحنات مغنيا نجما واسما مألوفا ومحبوبا فى برامج الاذاعات الاقليمية وهو لما يزل فى الثانية والعشرين من عمره . وكان له سحر خاص على الفتيات اللائى وجدن فى صوته واغنياته دعوة للتحرر والصراخ بهستيريا ليس فقط طربا ولكن ايضا احتجاجا على مجتمع أراد لهن الصمت والسكون .

برغم بقعة الضوء التى غرق فيها الفيس فان علاقته بامه ظلت علاقة وفاء ومحبة خاصة . كان يشترى من المال الذى بدا ينهمر عليه سترة أو اثنتين ثم يعطيها الباقى . وعندما وقع فى عام ١٩٥٥ عقدا بمبلغ خمسين الف دولار مع شركة « آر . سى . اى » ، احـدى أكبر شركـات الاسطوانات الامريكية ، اشترى سـيارة « كاديلاك » فاجا بها امه عندما قدمها هدية « متواضعة » لها .

كان محتملا أن يخبو نجم الفيس مثل

كتاب الشهر

# حياة قصيرة

البيت الذى رأى حياته القصيرة التى كانت كلها نشاط وحيوية

غيره ممن يصيب نجاحاً سريعاً ليفشل سريعاً ، لولا انه التقى بتوم باركر الذى صار مديراً ناجحاً لأعماله وفتح له آفاق جديدة بدءاً بتعليمه لرقصته المشهورة أثناء غنائه ومروراً بتقديمه فى معاقل الموسيقى مثل نيويورك وناشفيل . فى نيويورك قدمه باركر فى ستة عروض تليفزيونية سجل بعدها اولى اسطواناته الطويلة باسم « الفيس بريسلى » والتى جعلته يتلقى حوالى مائة ألف رسالة فى الاسبوع .

اشترى الفيس مزرعة فى ممفيس عاش مع والديه وجدته ، واضطر الى بناء حائط عال حول المزرعة لمنع معجبيه من اقتحام مسكنه . وفى سبتمبر ١٩٥٦ شاهد حوالى ٥٤ مليون امريكى الفيس وهو يغنى فى البرنامج التليفزيونى « نخبة المدينة » ثم ، سريعاً ، اختطفته السينما . فى تلك الفترة بدأ بعض النقاد ( وبعضهم كان ذا نفوذ كبير ) بالحديث عن الفيس باعتباره خطراً على المجتمع وخاصة الشباب . إلا ان ذلك لم يفعل شيئاً اكثر من اضافة بعض الرتوش لصورة المغنى الذى اصبح جلياً انه بدأ يشكل ظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها .

مجلة « تايم » :
« القيثارة مثل صاحبها تتارجح اماما وخلفا ومثل صاحبها تدور وتدور . العينان نصف مغمضتان والشفتان تفتران عن ابتسامة واغنية ..
ورسالة ينتظرها الملايين من المراهقين فى امريكا » .

فى الفترة ما بين ٥٦ — ١٩٧٠ مثل الفيس ٣٢ فيلماً وصف النقاد منها ثلاثين بانها من الدرجة الثانية وكانوا على حق . فشركات السينما كانت تعلم ان افلامه — بغض النظر عن مضمونها وقيمتها الجمالية — عبارة عن ضربات مالية كبرى لان جمهور الشباب لا يهمه من الفيلم غير الفيس نفسه .

ولكن شهرته اصبحت عبئاً ثقيلا على حريته الشخصية مجرد الخروج من مزرعته والعودة إليها كان يجب ان يخطط له وكانه عملية حربية . ولم يكن فى استطاعته الظهور نهاراً أمام الناس فجعل يتحرك ليلا ويسكن نهاراً . وعندما ضيق عليه المعجبون الخناق اتخذ له بطانة من الحراس اشتهرت باسم « مافيا ممفيس » .

فى اغسطس ١٩٥٨ ماتت امه غلاديس بريسلى غيرة — كما قيل — على ابنها الذى لم يعد طفلها المدلل ، بل طفل المجتمع المدلل .

« ماتت غلاديس ، صديقتى
وحبيبتى الوحيدة هل
رآنى احد احب غيرها ؟ »

بعدها ، دخل الفيس الخدمة العسكرية الاجبارية لمدة عامين وعندما عاد إلى الحياة المدنية استقبله المغنى فرانك سيناترا فى برنامج تليفزيونى خاص بعنوان « مرحباً الفيس » استلم عن ظهوره فيه شيكاً بمبلغ ١٢٥ الف دولار .

بدأ واضحاً أن فترة الخدمة العسكرية غيرت فيه كثيراً . اذ اخشوشن الفتى قليلا وصار اكثر محافظة فى ملبسه وتسريحة شعره واختفى فيه عموماً مظهر « البلاى بوى الامريكى » وصارت اغانيه اكثر ميلا إلى الموسيقى التقليدية والدينية . فكتب عنه احد النقاد : « استبدل الفيس العسل الذى يجرى فى عروقه بدم بشرى عادى » .

اختفى مغنى الروك عن الظهور فى الأماكن العامة كلياً فى الفترة ما بين ٦١ — ١٩٦٨ . وفى عام ١٩٦٧ تزوج من مراهقة المانية اسمها بريسيلا قيل انها كانت تملك كل شىء تمنته فى حياتها الا الفيس وعندما تزوجته اكتملت مجموعتها . انجبت له بريسيلا ابنته ليزا مارى وبدأت علاقتهما بعد ذلك تسوء فى نفس الوقت الذى بدأ فيه بفقدان بعض لمعانه . كل ذلك دفعه الى اغراق نفسه فى تعاطى المهدئات حتى أن احد أصدقائه المقربين قال ان الحبوب هى التى كانت تقوم بالعمل بدلا عنه . ولكن من جديد انقذه مدير أعماله توم باركر عندما تحصل له على عقد بالغناء فى لوس انجلوس ، فعاد ملك الروك والتاج على رأسه اكثر لمعانا . قيل عنه حينذاك انه غير وجه الاقتصاد فى عاصمة كاليفورنيا . كان الناس يتدفقون على المدينة من القريب والبعيد ، من سان فرانسيسكو الى سيدنى لحضور حفلات المغنى الذى أصبح ظاهرة زمانه .

جونى ريفز :
« كان عليه اما أن يغير شكل العالم الذى نعيش فيه أو أن يجعل له عالماً خاصاً به ، ولم يكن لديه خيار ثالث » .

فى ١٩٧٣ انتهت علاقة الفيس وزوجته بالطلاق الشىء الذى جعله يغرق اكثر فى تعاطى المهدئات ونتيجة لذلك اصيب بضغط الدم والفلوكوما والافراط فى السمنة وبدأ يتصرف بغرابة كان يطلق النار على جهاز التليفزيون او أن يستقل الطائرة فى منتصف الليل ليأكل ساندويتش فى مدينة اخرى . وكان احياناً يأكل بشراهة زائدة ثم يصوم عن الأكل حتى يسقط من الاعياء .

فى ١٦ اغسطس ١٩٧٧ عثر على الفيس ارون بريسلى فاقداً وعيه على







« بيلى هوليداى » تغنى فى الأوبرا عام ١٩٤٤ .. ثم المطربة المشهورة عندما أصبحت إنسانة تعيسة !

أشهر مغنية جاز فى العالم أثناء الغناء فى « فلادلفيا » .

أرض حمامه المرمرى ونقل إلى المستشفى ليبين الفحص أن دمه يحتوى على عشرة أنواع من العقاقير المهدئة جعلت قلبه يتوقف عن النبض فى تمام الساعة الثالثة والنصف من نفس اليوم .

## بيلي هوليداي
## ١٩١٥ - ١٩٥٩

« عندما أموت فسيبكى الناس لا لشىء سوى احساسهم بالذنب . سيدركون ساعتها أنهم يشيعوننى من مكان سىء الى آخر أسوأ منه .. من الدنيا إلى الجحيم » .

بيلى هوليداى هى صاحبة السيرة التى صنعت فيلم « الليدى تغنى البلوز » ولعبت دورها فيه المغنية المعروفة ديانا روس . أطلق عليها لقب « أعظم مغنية جاز لكل العصور » . وبرغم أنها – لحداثة اسلوبها فى الغناء – لم تحقق نجاحاً تجارياً فى زمنها الا انها أثرت بقوة على مغنيات الجاز اللائى اشتهرن من بعدها مثل إيالا فتزجيرالد وكليو لين ، على سبيل المثال لا الحصر .

« ليدى داى » كما سميت المغنية الامريكية ، كانت امرأة عظيمة الحسن بملامحها الزنجية ولون بشرتها الخمرى وزهرة الغاردينيا التى ما فارقت شعرها وصوتها الذى « تغار منه الموسيقى » . كانت أيضاً خجولة ولا تحس بالأمان . كان أكثر ما يخيفها هو الصعود على خشبة المسرح وكانت تتغلب على ذلك بتعاطى الكحول والهيروين الشىء الذى صنفها فيما بعد خارجة على القانون لدى ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالى .

الينورا فاغان ( اسمها الحقيقى ) ولدت فى السابع من ابريل ١٩١٥ فى بالتيمور ، ميريلاند وكانت امها ، عاملة نظافة ، فى الثالثة عشر من عمرها وأبوها ، موسيقى ، فى الخامسة عشر ، وبعد ولادتها انصرف الأب والأم المراهقان كل فى سبيله نتيجة لضغوط العيش وترعرعت الينورا فى كنف جدها وجدتها حتى شب عودها فسافرت للحاق بامها والاشتغال بالاعمال الرخيصة ثم غيرت اسمها الى بيلى هوليداى تيمناً بنجمتها السينمائية المفضلة بيلى دوف . وفى تلك الفترة رات وسمعت لوى ارمسترونغ يغنى مع بيسى سميث فاستهواها ذلك وجربت الغناء لنفسها اولا وبعد فترة لبعض النوادى الليلية .

« لم يكترث أحد لغنائى ولكيما يصفق لك الناس اعجاباً يجب حقاً أن يكون هناك من يقول امامهم : يا للروعة ! » .

الشخص الذى قال : « يا للروعة » كان جون هاموند ، كاتب ومنتج لأغانى الجاز ، سمعها فى احدى نوادى هارلم فتبناها ومهد لها طريق انتشارها ونجاحها عندما قدمها لعازف البيانو تيدى ويلسون الذى الف لها اغنيات صارت فيما بعد علامات فى تاريخ موسيقى الجاز . وفى عام ١٩٣٦ التقت بيلى بصديق عمرها ليستر يونغ عازف الساكسفون الذى أطلق عليها لقب « ليدى داى وضمها الى فرقة « بيزى » الموسيقية . تجولت بيلى مع الفرقة فى معظم أنحاء امريكا مما ارهقها كثيراً فانفصلت عنها . لكنها سرعان ما انضمت الى فرقة « رولز رويس » لمدة عام كانت تضطرد فيه حدة العنف العنصرى وكانت هى السوداء الوحيدة بين أعضاء الفرقة . ففى نيويورك مثلا اجبرت بيلى على الدخول من باب الخدم وعدم الاختلاط بالجمهور عندما جاءت مع الفرقة لتقديم حفل بأحد الفنادق . وكان نتيجة ذلك أن انفصلت فوراً . غنت بعدها « الثمرة الغريبة » التى صارت صوت احتجاجها الخاص ضد التفرقة العنصرية وسجلتها على اسطوانة حققت نجاحاً كبيراً .

جون شيلتون :

« كان طموحها اكبر من مجرد نجاح عابر . تعطشت للمجد وكان حزنها الأكبر انها كانت تدرك – بالكيلومترات – بعد المسافة بينها وبينه » .

اشتهر عن بيلى غرامها الشديد بالرجال الوسيمين ، وكان جيمى مونرو على حد تعبيرها « أوسم من رأت » فتزوجته لكنها اتخذت من الهيروين عشيقاً لها . وفى عام ١٩٤٧ دخلت المستشفى للعلاج من الادمان فالتفت إليها مكتب التحقيقات الفيدرالية وجهاز مكافحة المخدرات بنيويورك . وعندما قبض عليها حوكمت بالسجن لمدة عام ويوم فى مصحة النساء الفيدرالية ، قضت منها تسعة أشهر . بعد خروجها بعشرة أيام فقط هزت بيلى عالم الجاز عندما غنت فى « كيرنغى هول » احدى أشهر قاعات الموسيقى فى امريكا . ولكن سجل سيرتها جعل شرطة نيويورك تصدر قراراً بمنعها عن الغناء فى أى مكان يبيع الخمور .

« كان يمكننى الغناء اينما حلى لى . ذلك امر حسن ولكن ما كان ينقصه اننى إذا أردت الانعتاق من قاعات الموسيقى

جنازة « بيلى هوليداى » التى ماتت عقب ان اخذوا بصماتها على سرير المرض !

الكبرى فلم يكن باستطاعتى الا الغناء لجمهور لا يسمح عمره بالاستمتاع باغنياتى » .

حصلت بيلى على الطلاق من مونرو والتقت بعده بجون ليفى ، مدير احد نوادى برودواى الذى وعدها باقصى حد ممكن من الحماية من السلطات والغناء كما شاءت . وقامت بينهما علاقة قطع حبال وصالها ادمانها المخيف للهرويين .

الرجل التالى فى حياتها كان لوى ماكاى صديقها القديم فى حى هارلم والذى اصبح مديراً لأعمالها واميناً على اموالها . وعلى الرغم من علاقتهما كانت عاصفة إلا انه ظل وفياً لمهنتها كمغنية وكمدير لأعمالها فادخلها الفترة الذهبية فى حياتها عندما قدمها على مسارح أوروبا .

« ما كتبه عنى النقاد فى اوروبا أعاد الحياة الى اوصالى . فى أمريكا ظل دأبى هو العودة الى المسرح من جديد دون أن يخبرنى احد اين كنت قبلها » .

غنت بيلى كما لم تفعل من قبل فى تلك الفترة . وفى فبراير ١٩٥٦ اثناء انشغالها بالاعداد للغناء بفلادلفيا القى عليها القبض من جديد بتهمة حيازة المخدرات . ثم اطلق سراحها بضمانة مالية وسافرت إلى نيويورك لدخول المستشفى حيث استبدلت ادمانها للهيروين بالكحول وساءت صحتها كثيراً . وعند خروجها غنت فى مهرجان الجاز الأول بمونترى لكن الجمهور استقبلها بفتور شديد .

بعد عام سافرت بيلى الى اوروبا فى جولة غنائية هدفها الاساسى كان اعادة الثقة الى نفسها . ولكن نجم سعدها فقد لمعانه حتى هناك ، ولم تستطع مع الأسلوب الذى ابتدعته فى الغناء واعيائها الشديد أن تثير حماسة الجهور حتى انها اجبرت ذات ليلة على ترك المسرح قبل اتمام حفلها .

عادت بيلى الى نيويورك محطمة نفسياً وهناك تلقت نبأ وفاة ليستر يونغ صديقها الذى اطلق عليها « ليدى داى » ليزيد ذلك من محنتها المعنوية .

قضت بعدها فترة صمت طويلة قبل ان تغنى للمرة الأخيرة على مسرح «فوينكس» ليلتها سقطت بيلى مغشياً عليها بعد أداء اغنيتين فقط ونقلت الى المستشفى للعلاج من تورم الكبد وهبوط نبض القلب .

« انا لا اقبل أن أصاب بوجع الاسنان أو الانفلونزا أو اضطرابات المعدة او اوجاع الحلق او مجرد الصداع . لماذا ؟ . لاننى بيلى هوليداى » .

حتى نزولها بالمستشفى لم يمنع سلطات الشرطة من تفتيش غرفتها والاعلان انه تم ضبط مخدرات بجوزتها . وعلى اثر ذلك صادرت الشرطة ممتلكاتها الخاصة بما فى ذلك زهرة الغاردينيا التى انتزعت من شعرها . ثم اخذت بصماتها وصورتها وهى على سرير المرض .

فى ١٧ يوليو ١٩٥٩ ماتت بيلى هوليداى بالمستشفى وهى تحت الاحتجاز . كان عمرها ٤٢ عاماً وحسابها بالبنك ٧٠ سنتاً بالاضافة الى مبلغ ٧٥٠ دولاراً وجد ملفوفاً بحزام من الجلد حول ساقها . مشى فى جنازتها حوالى ثلاثة آلاف شخص ، ومنذ تلك اللحظة بدأت مبيعات اسطواناتها بالارتفاع .

« لقد ناضلت طوال حياتى للغناء بالطريقة التى ترضينى . وقبل أن اموت ، اتمنى أن اجد لى مكانا حيث لا يستطيع احد ان يطلب منى ان اغنى او ان اتوقف عن الغناء . قد اغنى ساعة او عشرة . قد اغنى الف اغنية أو واحدة . ابحث عن مكان يتسنى لى فيه ان اوقف الاوركسترا فى منتصف اغنية لأبدأ اخرى أحس باننى اريد غناءها فى تلك اللحظة . أريد أن افعل كل ذلك .. فقط قبل أن أموت » .

## إدجار ألن بو ١٨٠٩-١٨٤٩

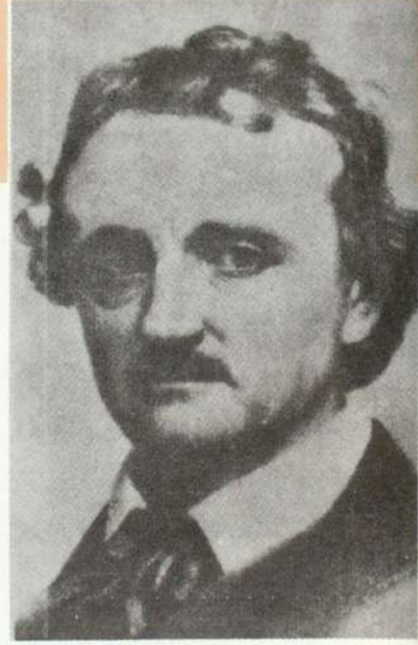
« لله الحمد ،
مات الخطر
والمرض الذى ينذر بالخطر
والحمى التى قيل اسمها
الحياة ذاقت — اخيراً —
طعم الهزيمة » .

اشتهر عن إدجار آلان بو انه مبتدع الروايات البوليسية هذا صحيح . وصحيح ايضاً انه كان ناقداً وكاتب قصة قصيرة وشاعراً توافر على مصادر الادب والفلسفة وتأثر بعظماء الشعراء امثال بايرون وشيللى وكيتس وكوليردج — الذى استعار منه فلسفته الخاصة فى الشعر . وفى المقابل أثر بو على كتاب وفنانين ذوى صيت بدءاً بالرمزيين الفرنسيين وحتى انتونان ارتو ودستيوفسكى ومن شاكلهم أو قل عنهم شأناً .

كان بو محرراً جهبذاً لعدة مجلات ادبية ووصف بانه كان اقسى نقاد عصره . كان ايضاً روائياً وفناناً معذباً مولعاً بالكتابة عن الرعب والجريمة والجنون والغموض والهستيريا وقيل عنه ان الموت كان يستأجر غرفة بداخله .

ولد إدجار آلان بو فى يناير ١٨٠٩ بمدينة بوسطون بامريكا عن أم انكليزية ممثلة مسرحية رائعة الحسن واب أمريكى ممثل بعض الاحيان وثمل فى اكثرها . وعاش بو طفولة تعسة بموت امه وهروب اخيه الأكبر وتوقف عقل اخته الأصغر عن النمو .

« خرجت إلى الدنيا طفلا موصوما بمحنة



الشاعر والقاص « ادجار الن بو » الذى ظل فى غيبوبة اربعة ايام قبل رحلته الاخيرة !

أسرته . ونشأت سجينا لنزوات وحشية وعواطف مضطرمــة غير قــابلة للانصهار بنار النسيان » .

ترعرع بو فى أسرة تبنته دون حماس . وارسل للدراسة بانجلترا واسكوتلندا بين سن السادسة حتى الحادية عشرة ، فابدى الصبى نبوغا جعله يهضم أعمال الشاعر بايرون ويقرض جيد الشعر وهو فى الرابعة عشر . وفى ذلك العمر وقع بغرام والدة احد رفاقه فى المدرسة ، نعاها من بعد مماتها بقصيدة اعتبرت فيما بعد من اجمل أشعار الرثاء .

فى ١٨٢٦ دخل بو جامعة فيرجينيــــا لدراسة القانون بعد أن خطب سرا الميرا رويستر . ولكن حياته العاصفة فى الجامعة وغرقه فى الديون التى بلغت الفى دولار وضعا حدا لخطوبته وهرب بو الى بوسطون .

توماس تيوكر :
« كان يحتسى سقياه دفعة واحدة ، وإذا بـــه يطلق شيطان خياله المدهش من قمقمه . فاذا تحدث صمت الناس وكانهم فى غيبوبة السحر غارقين » .

فى مايو ١٨٢٧ دفعه الجوع للالتحاق بالجيش تحت اسم مستعار . وفى ذات الوقت استطاع أن يقنع ناشرا بطباعة مجموعته الشعرية « تامرلين » التى لم تنل الا حظا يسيرا من النجاح . وعندما التحق « باكاديمية العلوم العســـكرية » نشر مجموعته الثانية بعنوان « العراف » . وبعكس سابقتها وجدت صدى عظيما حتى ان ناقدا بارزا شبهه بشيللى وكان ذلك كافيا لبزوغ فجر نجاحه ولكن دون عائد مادى . عانى بو ، اثر عزوف ابيه عن ارســـال مصروفاته ، من الفقر وعلى اثر انتشار اخبار مفادها أنه مدمن للكحول فصلته الاكاديمية وسافر الى نيويورك معدما .

« ليس عندى ما اقوله سوى أن مســتقبلى الذى لن يطول يجب أن يتطهر بمزيد من الفاقــة وكثير من المرض » .

فى نيويورك نشر بو مجموعته الثالثة « الى هيلين » ، أيضا دون أجر . ثم سكن مع بعض اقاربه فى بالتيمور وفى تلك الفترة كتب خمسة قصص قصيرة نشرت فى مجلة « كورير » مقيما باحداثهــــا الخيالية المرعبة دعائم نوع جديد من القصة . وفى عام ١٨٣٣ فاز بجائزة مقدارها خمسين دولارا فى مسابقة أدبيــة كانت هى أول عائد مالى يتحصل عليه من أعماله الأدبية . تبناه بعدها أديبا جون كينيدى الذى كان عضوا فى لجنة المسابقة بعد أن أدهشه الخيال الجامح والشكل الجديد الذى كتب به قصته . وبتوصية من كينيدى صار بو مساعدا لرئيس تحرير مجلة « مسينجر » الأدبية . وبرغم أن راتبه كان ضئيلا للغاية ، إلا أن الوظيفة نفسها فتحت أمامه مجالا عريضا ليكون محررا أدبيا وناقدا متميزا . ثم اعقب ذلك زواجه من ابنة خالته فيرجينيا وعاش معها فى علاقة زوجية غير كاملة .

عمل بو فى مجلة « مسينجر » لمدة عام ونصف ثم سافر بصحبة زوجته وامها إلى فلادلفيا حيث قضى اكثر سنى عمره نجاحا فبالاضافة إلى عمله كمحرر لعدد من المجلات الأدبية ، نشر كتابه الســـادس « اغرب الحكايات » فى جزئين ونشر فيما بعد روايات مثل « قناع الموت » و « القط الأسود » أولى الروايات البوليسية فى العالم .

جوزيف وود :
« ابتدع بو ذلك النـــوع من الرواية ــ اللغز كى لا يسمح لعقله بالهروب الى الجنون » .

فى ١٨٤٥ نشرت مجـــــلة « ميرور » قصيدته « الغراب » التى رفعته بدفعــة واحدة الى مقام النجومية فى المجتمــع الأدبى بنيويورك . ولكن على الرغم من نجاحه الساحق فانه لم يحصل مالا فى نشر قصيدته . وعندما أعيدت طباعة « أغرب الحكايات » كان نصيبه ثمانى سنتات للكتاب الواحد .

لم تكن السنوات الأربع الأخيرة فى حياته لينة أو ناعمة ، إذ رحل مع زوجتـه التى اعتلت صحتها وسكنا بكوخ صغير فى اطراف نيويورك حيث ماتت فى عام ١٨٤٧ تاركة فراغا عريضا فى حياته . أعقب ذلك أن الف كتابه « يوركا » الذى طرح فيه فلسفته الغريبة حول الكون بالاضافة الى ثلاث من اشهر قصائده .

اقام بو علاقتين عاطفيتين فى وقت واحد . فلقد عرض الزواج على هيلين ويتمان ، أرملة شاعرة فى منتصف العمر ، وبانتظار ردها ظل يلاحق انى رتشموند ، متزوجة حاول أن يقنعها بترك زوجها من اجله . وعندما فشل فى ذلك حاول الانتحار لكنه أنقذ . بالرغم من ان الاولى وافقت على الزواج منه إلا انها سرعان ما عدلت عن رأيها عندما بدأت تشك فى معقولية تصرفاته .

« لا أستطيع أن أعشق الا حيث يصير الموت انفاس الجمال . من أســـمائي مجنونا عليه ان ان ينظر جليا فى معانى الكلمات قبل ان يقرر ان كان الجنون هو مرض الفكرة او سموها عاليـــا بحيث لا تدركها الأبصار »

# حياة قصيرة



جيمس دين فى فيلم العملاق .. ثم لقطة له مع للممثلة العالمية « ناتالى وود » .

فى عام ١٨٤٩ كاد بو أن ينجز حلماً قديماً باصدار مجلة خاصة به عندما عرض عليه أحد الرأسماليين تمويله بالمال اللازم ، ودون شروط . وفى المرحلة الأولى من تنفيذ مشروعه عقد بو العزم على التجوال فى انحاء الولايات المتحدة للحصول مقدماً على اشتراكات بالمجلة المزمع تاسيسها وبدأ بمدينة رتشموند . وبدلا عن المضى فى ما عقد عليه العزم راح ينتقل بين الحانات ، ثم التقى بالفيرا شيلتون التى اضاع فى غياهب حبها حلمه الذى كاد يتحقق . وافقت الفيرا على الزواج منه وحدد الاثنان الثالث عشر من اكتوبر موعداً لذلك .

قبل ذلك الموعد باسبوعين شد الرجل رحاله الى فلادلفيا بغرض تحرير بعض المواد الأدبية لقاء مائة دولار ولكنه لم يصل هناك أبداً . طرأ له فجاءة أن ينزل بمدينة بالتيمور ففعل ، وهناك ضاع له كل أثر .

عندما عثر عليه ، كان مريضاً هزيلا خائر القوى فنقل على الفور إلى احد مستشفيات واشنطون .

« عندما تسمعين ندائى هذا ، استقلى الريح أو البرق وتعالى إلى . ستمنحنى رؤياك ما حجبته عنى الحياة باصرار يدعو للدهشة . تعالى لنموت سوياً . ستقولين : هون عليك يا طفلى البائس ، ولكن ، آماه ، لا مخرج لى سواك . من أجلك ستكون الحياة عذبة كما ينبغى لها أن تكون ، ولكن ، فلنمت سوياً .. ذلك أجمل وأبقى » .

مكث إدجار آلان بو بالمستشفى فترة أربعة أيام ظل يهذى فيها دونما انقطاع ثم سكن فى السابع من اكتوبر ١٨٤٩ عن أربعين عاماً .

## جيمس دين
## ١٩٣١ - ١٩٥٥

« الحل المنطقى الوحيد حيال غضبة الحياة هو أن يستطيع الانسان تغيير جلده كما لو كان يغير ملابسه ، والتمثيل هو البديل الصناعى لذلك » .

هذا هو طفل هوليود المدلل الذى اعتبره شباب الخمسينات ليس رمزاً للتمرد وحسب ولكن اسطورة قائمة بذاتها . الأسطورة غرست جذورها فى فيلم « شرق جنة عدن » وشب عودها فى فيلم « التمرد دون دافع » ثم نشرت فروعها وأوراقها بعد ممات صاحبها فى حادث سيارة سباق .

شركة « وارنر » التى انتجت اثنين من افلامه الثلاثة ( فيلمه الثالث هو « العملاق » ) ظلت تتلقى بعد مماته ثمانية الاف خطاب تعزية من معجبيه فى كل اسبوع . مجلة « فوتو بلاى » أطلقت عليه اسم « النجم الأكثر شعبية فى العالم » وسجلت مبيعات صوره أرقاماً خرافية واصبح المراهق الذى مثل ثلاثة افلام فقط فى حياته تجارة كبرى بعد مماته .

ولد جيمس بايرون دين بمدينة ماريون بولاية انديانا الامريكية فى الثامن من فبراير ١٩٣١ ، الطفل الوحيد لأم فلاحة وأب فنى معامل أسنان . ماتت امه وهو فى سن التاسعة فقام بتنشئته خالته وعمه بمزرعتهما بفيرمونت بعيداً عن ابيه الذى كان يعيش بولاية كاليفورنيا .

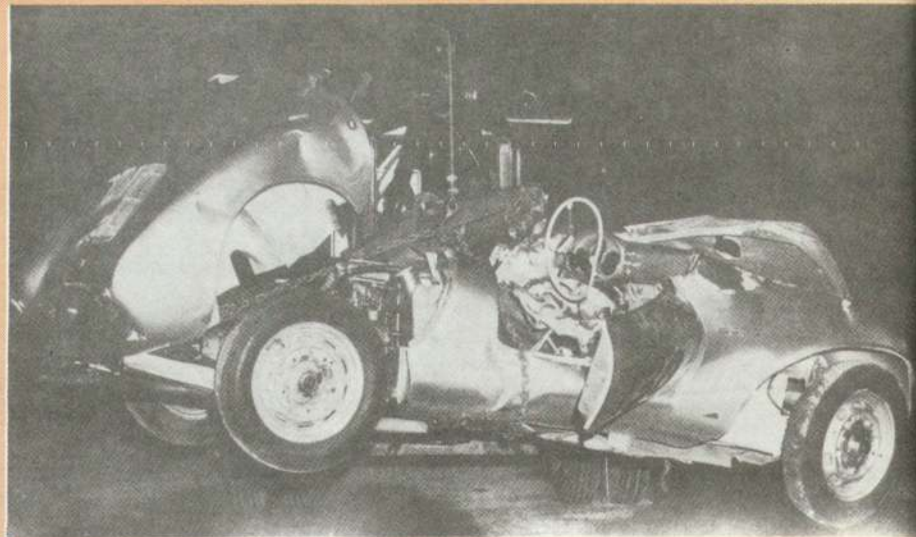
« ماتت أمى دونى وأنا فى التاسعة . هل كانت تتوقع منى أن افعل كل شىء لوحدى ؟ » .

نشا دين فى كنف أسرته الجديدة مدللا للغاية وعاش حياة رغدة الى حد كبير . وفى المدرسة أبدى نبوغاً ملحوظاً فى مجال الفنون الكلامية والاستعراضية بشكل خاص . وعلى الرغم من انه رغب فى دراسة المسرح الا أن أباه الذى كان يهندس حياته من بعد أراد له أن يكون محامياً . وفعلا شرع دين بدراسة القانون بكلية سانتا مونيكا لكنه تركها فى السنة الثانية والتحق بجامعة لوس انجلوس لتميز نشاطها المسرحى . وهناك مثل أول ادواره فى مسرحية « ماكبث » . وبرغم أنه لم يلفت الانظار ، الا أنه أثار انتباه عميل لشركة « بيبسى كولا » فأعطاه دوراً فى اعلان تجارى سينمائى ووقف دين أمام الكاميرا للمرة الأولى فى حياته .

« التحدى الأكبر امام هذا القط — أنا — الا يضيع وسط الزحام » .

سرعان ما انقطت علاقة دين بأبيه . ومن جهة اخرى لم يستطع ان يتواءم مع جو الكلية فانقطع عنها وظل يبحث عن عمل كممثل عائشاً على الكفاف ، حتى نجح فى الحصول على دور « جون المعمدانى » فى مسلسل تليفزيونى اسمه « تل رقم واحد » شكلت على اثر عرضه مجموعة من فتيات المدارس أول ناد لمعجبات جيمس دين .





سيارته عقب وقوع الحادثة التى أودت بحياته .. ثم لقطة للممثل الذى فقد حياته بسبب جنون السرعة أثناء الاندماج فى تمثيل احد افلامه

« أنا لا أريد أن أكون ممثلا جيداً وحسب ، ولا أريد أيضاً أن أكون الممثل الأحسن وحسب . اننى أنوى أن تطول قامتى بحيث يصبح من المستحيل الوصول الى » .

تبع ذلك أن ظل دين يغشى منتديات هوليود حتى احتضنه برعايته رود جرز براكيت الذى فتح له المجال لتمثيل بعض الأدوار الثانوية فى أفلام من الدرجة الثانية الشىء الذى لم يرض طموحه فارسله براكيت إلى نيويورك ليتعلم فن التمثيل . وهناك عاش دين متنقلا من مكان لاخر لاهثا وراء الظهور على المسرح حتى استطاع أن يحصل على دور البطولة فى مسرحية « جاغوار » . وبرغم أن عرض المسرحية لم يستمر أكثر من اسبوع واحد الا أن دين لفت اليه الانظار وكتب احد النقاد أن موهبته غير عادية . كان ذلك جواز مروره إلى العديد من الادوار التليفزيونية . وفى فبراير ١٩٥٤ مثل دين فى مسرحية « الفاسق » ولعب فيها دور رجل شاذ جنسياً ونال عن دوره جائزة المسرح لأحسن ممثل ناشىء ، ثم اختطفه على الفور المخرج السينمائى ايليا كازان ليلعب دور البطولة فى فيلم « شرق جنة عدن » . وبعد انتهاء التصوير قال كازان ان العمل مع دين جحيم لا يطاق إذ أن الممثل ذا الأربعة وعشرين ربيعاً كان لعبة بيد نزواته وتقلبات مزاجه وقلقه الذى لا ينقطع .

إيليا كازان :
« هذا الفتى يعطيك احيانا الانطباع بانه ممثل محدود المواهب وفى أحيان أخرى يدهشك بمقدراته وطاقاته غير المحدودة . لكنه فى كل الأحوال يجعلك تحس بانه ينطوى على روح مصابة بداء عضال » .

رفض دين حضور العرض الافتتاحى لفيلمه وانتظر رد فعل الصحف ليفاجأ بانه حلق عالياً فى سماء النجومية بعد ان شكل اسمه الخطوط العريضة للصفحات الفنية وصار الفتى بنمط حياته الغريب وثيابه المتسخة وسهره الليالى متسكعاً فى الطرقات ، نغمة محببة للشباب المتعطش للجديد .

إرتوى دين من نجاحه حتى الثمالة ثم صار مهووساً بشهرته . فاذا احس فى مكان عام ، كالمطعم مثلا ، بانه ليس محط الانظار بما يكفى بدأ بعزف ايقاعات مختلفة على المنضدة أو افراغ آنية السكر فى جيوبه أو اشعال النار فى مناديل الورق . ولكن نجاحه على أية حال جعله يتحصل على عقد مع شركة « وارنر » لتمثيل تسعة افلام فى خلال ست سنوات باجر أدنى قدره خمسة عشر الف دولاراً للفيلم الواحد . ومن تلك الثروة اشترى دين سيارة سباق احرز بها رغم قلة خبرته الجائزة الأولى لسباق الهواة والثالثة لسباق المحترفين .

« السباق هو الوقت الوحيد الذى أحس فيه باننى أصعد باتجاه الكمال » .

فى مارس ١٩٥٥ بدأ دين تصوير فيلمه الثانى « التمرد دون دافع » أمام ناتالى وود واخراج نيكولاس راى . فى هذا الفيلم لم يمثل دين . بل عاش تجربة تتناسق طبيعياً ونمط حياته ، وصار - عند الناس - صنواً لشخصية جيم ستارك المتمرد والتى جسدها دين وصار بها رمزاً لصرخة الشباب ضد مجتمعه .

بدأ دين فيلمه الثالث « العملاق » عن حياة شاب أمتلك مزرعة صغيرة فى سن الخامسة والعشرين واصبح مليونيراً فى غضون عشرين سنة بعد عمله بالتنقيب عن البترول . وخلال التصوير الذى انتهى فى ١٩٥٥ قال دين إنه لما يزل يمثل قصة حياته .

« ما أنا إلا شيطان صغير قلق ، يكره الذوق والكياسة إلى حد اننى ادهش كيف يحتمل الناس الجلوس معى فى نفس الغرفة . أليس مدهشاً اننى أيضاً لا احتمل البقاء وحيداً مع نفسى؟ » .

فى الثلاثين من سبتمبر ١٩٥٥ استوقفته شرطة المرور وهو فى طريقه الى الاشتراك فى سباق السيارات المقام ببلدة سالييناس بتهمة تجاوز السرعة القانونية . طوى ورقة المخالفة ثم أطلق لسيارته العنان . وبعد مرور ساعات قليلة وفيما الشمس تميل إلى المغيب أمام عينيه ، اصطدم بسيارة كانت تسير فى الاتجاه المعاكس . كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعاً عندما مات جيمس بايرون دين عن أربع وعشرين سنة .

ديريك مارلو :
« لو انه استطاع أن يجعل له جسراً بين الحياة والموت ، وأن يعيش بعد مماته لصار رجلا عظيماً ، سوى أنه لن يستطيع أن يضيف كثيراً الى أسطورته على أية حال » .

صلاح حسن أحمد

# ابن جبير

## شاهد على عصر صلاح الدين

بقلم : كمال النجمي

**ابن جبير ، هو أعظم « سائح » عربى أندلسى فى القرن السادس الهجرى ـ القرن الثانى عشر الميلادى ـ شهد عصره ، وشهد عليه ، قولا وكتابة ، شعراً ونثراً ، فى مؤلفه الرائع اللطيف الحجم الذى سماه : «تذكرة بالأخبار ، عن اتفاقات الأسفار» .. والتزم فيه بالوجازة البليغة ، والصدق التلقائى العميق النقى ، المأثور عن أولئك المثقفين العرب الصلحاء الشرفاء ، البالغى الدقة فى القول والعمل ، وقد كانت النماذج العظيمة من هؤلاء تظهر بقوة فى فترات متقاربة أو متباعدة من التاريخ العربى والاسلامى ، وبخاصة فترات الكفاح الدموى ، والجهاد الصارم ، وحروب الحياة أو الموت التى اضطرت أمتنا إلى خوضها على امتداد التاريخ ! ..**

بدأ ابن جبير رحلته إلى مصر والحجاز والشام فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وكانت دولته تشمل هذه الاقطار وغيرها ، وكان صلاح الدين منهمكاً فى معارك فاصلة ضد الغزاة الفرنج لاجلائهم عما احتلوه واستوطنوه مدة طويلة من ارض سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ..

واهل عصرنا لا يعرفون « ابن جبير » كرحالة او سائح كما يعرفون «ابن بطوطة» الذى جاء الى مصر والمشرق العربى بعد ابن جبير باكثر من مائة سنة وكانت الحروب الصليبية قد وضعت اوزارها ، وانقطع صليل سيوف الغزاة الى الأبد ، وارتفعت راياتنا فوق الأرض العربيـــة كلها ..

والذين لا يعرفون الآن ابن جبير معرفتهم « ابن بطوطة » لهم عذرهم ، فان ابن بطوطة كان أعظم رحالة فى التاريخ القديم كله : السياحة « مهنته » .. ان صح التعبير .. أما ابن جبير ، فكانت رحلته ، رحلة حج الى مكة وزيارة للمدينة ، ولم تتعد سياحته حدود البلاد النـــاطقة بالعربية بين العراق والاندلس ، ولم يكن مطلبه منها إلا الاستزادة من العـــلم ، ومداواة النفس من جراحها ! ..

ولكن كتاب ابن جبير عن رحلته هذه التى تتواضع بجانب الرحلات الشاسعة لابن بطوطة ، جعل من هـــذه الرحلة المتواضعة ، تحفة تاريخية وادبية واجتماعية وسياسية .. بل ان هذا الكتاب الوجيز قد اقام من ابن جبير ـ بلا قصد منه ـ شاهداً على عصر من اشد العصور حسماً فى تاريخ امتنا : عصر صلاح الدين الأيوبى والحروب الصليبية التى بلغت منه ذروة خطيرة فاصلة ! ..

وفى مصر خلد اسم ابن جبير الى آخر الزمان ، فقد توفى فى الاسكندرية سنة ٦١٤ هـ بعد ان جاوز عمره سبعين عاماً قضاها فى طلب العلم ونشره ، مقيماً ومرتحلا ، ودفن فى مسجد هناك ، صار معروفاً باسمه ، ثم لحق باسمه التحريف ، فاسمه عند العامة فى أيامنا : « سيدى جابر » .. وكان نصف رجال الاسكندرية منذ جيلين يحملون اسم « جابر » تيمنا بهذا الاسم ! ..

و « سيدى جابر » أول اسم يطرق الآن اسماع زوار الاسكندرية حين يغادرون القطار أو يستقلونه فى المحطة المعروفة بهذا الاسم هناك ، وتتلاقى فيها أمواج البشر صيفاً ، كانها امواج بحر الاسكندرية الرائع ! ..

## فى الثلاثين بدأت الرحلة

اسمه محمد بن احمد بن جبير .. واسم « جبير » يتكرر فى اجداده ست مرات .. أصله عربى قح .. دخل اجداده الاندلس ونزلوا مدينة « شاطبة » ثم « بلنسيه » .. وفيها كان مولد محمد بن جبير سنة ٥٤٠ هـ ونبغ وهو شاب صغير فقدمه العلماء والفضلاء ودخل فى خدمة امير «غرناطة» وأقام هناك ، وكانت الأندلس قد تقسمت فى تلك الوقت امارات تتنازع وتتقاتل ، ويتخذ كل أمير من امرائها لقباً فخماً كالقاب خلفاء بغداد ..

فى الثلاثين من عمره بدأ ابن جبير رحلته للحج ، مودعاً غرناطة ، فعبر البحر الى الاسكندرية خلال ثلاثين يوماً ، قضتها سفينته بين اليأس والرجاء ! ..

ترك ابن جبير الأندلس وهى أرض عربية الوجه واليد واللسان ، لم يسقط منها فى حروب الاسترداد الأسبانية الصليبية إلا مدينة كبرى واحـــدة هى « طليطلة » ولكن سقوطها كان نذيراً رهيباً بانتثارِ عقد المدائن الأندلســـية الذى لا يمسك به خيط ، بل تتفرق حباته وتنتثر فى شكل بالغ الغرابة والحماقة ! ..

أما فى المشرق فكانت الحـــروب الصليبية تأكل مصر والشام منذ بضـــعة وثمانين عاماً ! .. كان قومنا فى جهاد دائم بالغ المشقة لا تبدو له نهاية ، ولكن لابد له من الاستمرار ! ..

فكانت الأمة العربية فى مغربهـــا ومشرقها شاكية السلاح ، فى رباط دائم ، واصطدم التعصب الأوربى الغازى بالعرب والمسلمين يعضون على كل قطعة من أرضهم بالنواجذ ، ويمسكونها بأيد حديدية ، ويقاتلون بدون أن يسألوا : متى ينتهى هذا القتال ! ..

إلا أن « السلبيات » كانت موجودة فى تلك العصر بطبيعة الحال ، لا يعصم الناس منها انصراف الجهود الى حرب الحياة أو الموت التى تخوضها الأمة ! ..

انظر كيف يصف ابن جبير ما صنعت به « شرطة الجمارك » فى ميناء الاسكندرية عندما نزل على أرضها ، وهو القادم إليها « برسم الحج » — على حسب التعبير القديم — لا برسم التجارة ولا التوطن .. أى انه كان مجرد « عابر » أو « ترانزيت » بلغة أيامنا ..

هـــذا العابر الطيب الـــذى نـزل بالاسكندرية فى طريقه إلى الحج غير متلبث ولا متجر فى شىء ، فوجىء برجال الميناء يستحضرون جميع من كانـــوا من الرجال والنساء فى المركب ، واحداً واحداً ، وواحدة واحدة ، ويكتبون اسماءهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، ثم يلزمونهم بأداء « الزكاة » على ما يحملون من اموال ، ولم تكن الزكاة واجبة عليهم يومئذ . لأنها إنما تؤدى عن مال حال عليه الحول ، أما هؤلاء الحجاج فليس فى أيديهم إلا زاد الطريق الذى لا يفى إلا بحاجاتهم الماسة فى رحلة طويلة مضنية بين الأندلس والحجاز .. أو من مغرب الشمس إلى مشرقها كما يقال ! ..

ثم اقتنص الحرس واحداً من الحجاج وأخذوه الى والى المدينة ، فاستجوبه عن ابناء الأندلس ، وما تحمل السفينة من السلع ، فلما انتهى من استجوابه ، أحاله الى قاضى المدينة ، فاعاد اســـتجوابه بطريقته الخاصة .. ثم طيف به على «أهل الديوان » .. ثم على جماعة من حاشية الوالى ، وكلهم يستفهم منه عن أشياء ويقيد أقواله .. حتى اخلوا سبيله آخر الأمر وقد أنهكته وأذهلته هذه التجربة التى يخوضها لأول مرة فى حياته ، ولم يتصور أنه يلقاها فى طريقه الى الحج ، وقد رأى بعينيه سفن الفرنجة راسية فى ميناء الاسكندرية ، وتجارها فى أتم سرور وعافية ، لا يطالبهم الوالى بالزكـــاة ولا يستجوبهم ، لمجرد كونهم معاهدين غير محاربين ، كأنما الحجاج محـــاربون متنكرون بالعمائم العربية والكلام بلغة العرب ! ..

ولما أنزل الحجاج أمتعتهم من السفينة ، استدعوا جميعاً الى ديوان الحاكم ، رجالا ونساء ، حتى غص بهم زحاماً ! ..

## لو علم صلاح الدين

يقول ابن جبير فى كتاب رحلته بلهجة حزن وكمد : « .. فوقع التفتيش لجميع الأسباب « الأمتعة » ما دق منها وما جل ، واختلط بعضها ببعض ، وأدخلت الأيدى إلى أوساطهم بحثاً عما عسى أن يكون فيها ثم استحلفوهم بعد ذلك : هل عندهم غير ما وجدوا لهم — من مال ومتاع — أم لا ؟! .. وفى أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الأيدى وكثرة الزحام ، ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم ! .. » ..

أول ما خطر على بال ابن جبير حين رأى هذا العمل الشائن من موظفى وشرطة ميناء الاسكندرية مع الحجاج ، أن السلطان المجاهد العادل الزاهد صلاح الدين الأيوبى لا يعلم عن هذه الأعمال شيئاً ، فإن همه الأكبر مقاتلة الغزاة الأجانب ، وترك شئون الحكم المحلية فى دولته الواسعة أمانة فى أعناق ولاتها .. قال ابن جبير :

« وهذه لا محالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير صلاح الدين ، ولو علم بذلك — على ما يؤثر عنه من العدل وايثار الرفق — لأزال ذلك ، وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة » .

ثم يعترف ابن جبير بأن مالقيه على أيدى عسكر الميناء كان الشىء « القبيح » الوحيد الذى وجده فى بلاد صلاح الدين .. قال ابن جبير :

«مالقينا ببلاد هذا الرجل مما يلم به قبيح الذكر ، سوى هذه الأحدوثة التى هى من نتائج عمال الدواوين » ! ..

سجل ابن جبير هذه الشهادة العادلة ، بعد أن شاهد الاسكندرية كلها طولا وعرضاً ولقى علماءها وأدباءها والمهاجرين اليها من الأندلس ، ووجد الأمن والعدل والرخاء يعم كل مكان ، بل وجد حتى الغرباء القادمين من بلاد عربية أو اسلامية نائية ، يشملهم « التأمين الاجتماعى » الذى كان ملاذاً لكل فقير .. قال ابن جبير : « ان مفاخر هذا البلد عائدة فى الحقيقة إلى هذا السلطان



الذى يعتنى حتى بالغرباء » .. ثم قال : « .. ومن أشرف هذه المقاصد أيضاً أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة ـ يقصد الأندلسيين وغيرهم من المغرب العربى حينذاك ـ خبزتين لكل انسان فى كل يوم ، بالغاً ما بلغوا .. ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنساناً أميناً من قبله ، فقد ينتهى فى اليوم إلى ألفى خبزة أو أزيد » ..

ولما وصل الى القاهرة زار مشاهد أهل البيت ومشاهد بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرافة ، ومشهد الامام الشافعى ، ومشاهد بعض اصحابه وأصحاب الامام مالك ، وترحم عليهم ..

وزار جامع عمرو بن العاص وجامع أحمد ابن طولون وجوامع أخرى كثيرة .. وصفها بأنها «حفيلة البنيان ، أنيقة الصنعة» .. ولم يذكر الجامع الأزهر الذى كان مغلقاً فى تلك الأيام ، بعد زوال الخلافة العبيدية أو الفاطمية من مصر (١) .

وشاهد قلعة القاهرة الرائعة والعمال منهمكون فى بنائها ، و «قراقوش» يشرف على هذه المهمة التاريخية لتحصين القاهرة .. كذلك رآهم يحفرون الخندق المحيط بسور الحصن .. قال ابن جبير : «إن الأسرى ـ الافرنج ـ الذين وقعوا فى أيدى المسلمين فى المعارك الحربية ، كانوا هم الفعلة القائمين بالبناء ، وتكسير الصخور الضخمة ، ونشر الرخام ، وحفر الخندق المحدق بسور الحصن ، وهو خندق ينقر بالمعاول نقراً فى الصخر» ..

وحين يذكر ابن جبير هؤلاء الفعلة من الأسرى الافرنج يقول : « إن هؤلاء «العلوج» من الروم «الافرنج» ، عددهم لا يحصى كثرة .. ولا سبيل أن يمتهن فى ذلك البنيان أحد سواهم» ! ..

## من مفاخر السلطان

ويقول : «ومما شاهدناه من مفاخر هذا السلطان ـ صلاح الدين ـ المارستان ـ المستشفى الذى بمدينة القاهرة ، وهو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً ، أبرزه لهذه الفضيلة أجراً واحتساباً .. وفى مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع ، كاملة الكسى ، ويتكفل الخدام بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم» .. «وبازاء هذا الموضع ، موضع مقتطع للنساء المريضات ، ولهن أيضاً من يكفلهن» .. «وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه» .. «وما من جامع ولا روضة ولا مدرسة الا وفضل السلطان يعم جميع من يأوى اليها» .. «ومن مآثره الكريمة المعربة عن اهتمامه بأمور المسلمين أنه أمر بعمارة محاضر ـ كتاتيب ـ ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل ، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة ، وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم» ..

وفى تعمير الأرض الزراعية والنهوض باقتصادها يقول ابن جبير : «ومن مفاخر هذا السلطان ، وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين القناطر التى شرع فى بنائها بغربى مصر ، على مقدار سبعة أميال منها ، بعد رصيف ابتدىء به من حيز النيل بازاء مصر كأنه جبل ممدود على الأرض ، تسير فيه مقدار ستة أميال حتى يتصل بالقنطرة المذكورة ، وهى نحو الأربعين قوساً من أكبر ما يكون من قسى القناطر .. والقنطرة متصلة بالصحراء التى يفضى منها الى الاسكندرية (٢) .. له فى ذلك تدبير عجيب ، إعداداً لحادثة تطرأ من عدو يدهم ثغر الاسكندرية عند فيض النيل وانغمار الأرض وانقطاع الطرق بسببه ، فأعد السلطان ذلك مسلكاً فى كل وقت إن احتيج الى ذلك» ..

ثم يقول موضحاً التطور الاقتصادى والاجتماعى الضخم الذى شهدته مصر فى عهد صلاح الدين ، برغم ما كانت ترزح تحته من أعباء الحرب الصليبية التى استمرت طوال مدة حكمه بمنتهى الشدة :

«ومن مفاخر هذا السلطان ، إزالته رسم المكس المضروب على الحجاج مدة دولة العبيديين ـ الفاطميين ـ فكان الحجاج يلاقون ـ فى عهد العبيديين ـ من الضغط فى استيدائها عنتاً مجحفاً ، ويسامون منها خطة خسف باهظة .. وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته ، أو لا نفقة عنده ، فيلزم أداء الضريبة المعلومة ويعجز عن ذلك فيتناول باليم العذاب ، وغير ذلك من الأمور الشنيعة .. فمحا السلطان هذا الرسم اللعين ، وكفى الله المؤمنين على يدى هذا السلطان العادل حادثاً عظيماً وخطباً اليماً .. الى مكوس ـ أخرى ـ كانت تؤدى ـ فى الدولة العبيدية ـ ضرائب على كل ما يباع ويشترى ، حتى كان المكس يؤدى على شرب ماء النيل ! .. فضلا عما سواه ، فمحا هذا السلطان هذه البدع اللعينة كلها ، وبسط العدل ، ونشر الأمن» ! ..

## (سبب هام)

وابن جبير يشهد على سبب هام من أسباب الحروب الصليبية كان من ذرائع الدعوة اليها فى مؤتمر «كليرمونت» الشهير فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى .. ذلك أن ولاة الدولة العبيدية فى عصر انهيارها كانوا ـ فعلا ـ يضطهدون حجاج كنيسة القيامة القادمين من أوربا ، ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة .. فها هم أولاء ـ وهم ولاة أمور المسلمين ـ ينالون حجاج بيت الله فى مكة باقسى ضروب التعذيب ويسلبونهم دراهمهم القليلة ، فكانت هذه الأفعال الشنعاء منهم دليلا على أنهم لا يفرقون فى «سوء المعاملة» بين مسلم ومسيحى ! .. لقد اضطهد هؤلاء الطغاة جميع الناس من كل الملل والنحل ، ليجمعوا أموالا لخزائن دولتهم وهى تلفظ أنفاسها فى العقود الأخيرة من عمرها الذى زاد على مائتى سنة ! ..

وقد شن الأوربيون عليها الحرب ، بدافع دينى فى البداية ، ثم صارت حربهم توسعاً واستيطاناً استعمارياً ، ونهض المسلمون فأسقطوا هذا النظام العاجز الفاسد ، وأقاموا بديلا منه نظام العدل والمصلحة العامة ، فامتنع اضطهاد المسلمين والمسيحيين ، وازدهر مجتمع عربى اسلامى من المجتمعات النادرة فى التاريخ كله . إذا أخذنا فى الحسبان مصاعب ومخاطر الحروب الصليبية التى كان ذلك المجتمع يدفع نفقاتها الباهظة من دمائه وأمواله بلا انقطاع ..

لم يأبه الصليبيون للتحول الاجتماعى والسياسى الجذرى الذى وقع فى الدولة التى يحاربونها ، لأن أمراء الاقطاع الصليبى فى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، كانوا قد استقروا واستوطنوا فى الأرض العربية المغتصبة ، وصاروا ملوكاً وأمراء يجبون خيراتها ويضعون فوق

رءوسهم تيجانها ، فانقلبت الحرب «المقدسة» الى حرب اقطاعية مبدؤها الأوحد مصلحة الأمير الصليبى الاقتصادية والسياسية ، وميراثه الذى انحدر اليه من اسلافه الفاتحين الأوائل الذين تدفقوا كالسيل على الأرض العربية مع نهاية القرن الحادى عشر ..

وبدت بوادر الانهيار على هذا المجتمع الأوربى الغريب فى الوقت الذى استبحرت فيه الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مجتمع صلاح الدين ، فامن الناس بعد الخوف الشديد ، حتى إن أصحاب السلع الثمينة كانوا إذا تركوها فى الطريق العام ثم عادوا اليها بعد ساعات أو أيام ، وجدوها سليمة فى مكانها ! .. ومن بين هذه السلع الثمينة بهارات الهند ، وبخاصة «الفلفل» الذى كان «العملة الصعبة» فى ذلك الزمان ، وكان الأوربى إذا صار غنياً ، وصفه الناس بانه «كيس فلفل» ! .. كناية عن بلوغه أقصى الثراء ! ..

## العفو .. والعقوبة

وصل ابن جبير الأرض الحجازية ، وحج واعتمر ، وسمع خطيب المسجد يدعو فى خطبته للخليفة العباسى ، ثم لشريف مكة ، ثم للسلطان صلاح الدين ..

يقول ابن جبير : «وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء ، تخفق الألسنة بالتأمين عليه من كل مكان .. وحق ذلك عليهم لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر اليهم» ..

وبعد الحج سافر ابن جبير الى بغداد وغيرها من المدائن حتى دخل دمشق ، وقال عنها : «ليس أمام هذه البلدة ، بلدة أخرى للاسلام ، والشام أكثره بيد الافرنج ، فسبب الله هذا السلطان رحمة للمسلمين ، فهو لا يأوى لراحة ، ولا يخلد الى دعة ، ولايزال سرجه مجلسه ! .. إننا بهذه البلدة نازلون منذ شهرين وقد خرج ـ السلطان ـ لمنازلة حصن الكرك ـ فى الأردن ـ وهو محاصر له حتى الآن ، والله تعالى يعينه على فتحه» ! ..

ويروى ابن جبير بعض ما سمع من الشهود العدول عن صلاح الدين قائلا : «.. وسمعنا أحد فقهاء هذه المدينة ـ دمشق ـ يذكر عنه ثلاث مناقب ، إحداها «الحلم» .. فقد صفح عن جريرة أحد الجناة عليه ـ أى على السلطان نفسه ـ ثم قال السلطان لمن حوله : أما أنا فلأن أخطىء فى العفو ، أحب إلي من أن أصيب فى العقوبة» ! ..

. «وجرى ذكر من سلف من أكارم الملوك وأجوادهم فقال السلطان : والله لو وهبت الدنيا للقاصد الآمل لما كنت أستكثرها له ، ولو استفرغت له جميع ما فى خزانتى لما كان عوضاً مما أراقه من حر ماء وجهه فى استماحته إياي» ! ..

«وحضره أحد خاصته مستعدياً على رجل ذكر انه باعه جملا معيباً ، فقال السلطان : ما عسى أن أصنع لك-؟! .. للمسلمين قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعى مبسوط للخاصة والعامة ، وإنما أنا عبد الشرع وشحنته ـ أى صاحب الشرطة لديه ـ فالحق يقضى لك أو عليك» !

يعلق ابن جبير على هذه المناقب العظيمة قائلا باعجاب ومحبة : «.. هذه كلمات كفى بها لهذا السلطان فخراً ، والله يمتع ببقائه الاسلام والمسلمين» ! ..

ويشهد ابن جبير ـ مع ذلك ـ حالة عجيبة من أحوال المشرق العربى فى ذلك العصر .. ففى الوقت الذى كانت فيه غالبية مدن الساحل الشامى بأيدى الافرنج كانت القرى والأرض الزراعية وراء هذه المدن التى يحتلها الفرنجة تحت أيدى المسلمين ، يقيمون فيها ويزرعون أرضها ، وللفرنجة عليهم خراج سنوى يؤدونه اليهم بانتظام ، فيكتفى منهم الفرنجة بذلك ولا يؤذونهم إلا قليلا ، وربما أحسنوا معاملتهم ، فى حين تضج القرى التابعة للحكم الاسلامى من خشونة بعض الولاة والجباة وسوء عملهم ..

فوقعت ـ لهذا السبب ـ ملاحاة وفتنة بين مسلمى قرى الافرنج ، ومسلمى القرى الاسلامية ، واشتد الأسف والعجب من وفاق مسلمى القرى الخاضعة للفرنجة مع المحتلين الغرباء الأعداء ، بينما يئن مسلمو القرى التابعة لدولة المسلمين من جور بعض حكامهم المسلمين عليهم ، من وراء ظهر السلطان المشغول بالحرب المصيرية التى لا تنطفىء نارها ! ..

يقول ابن جبير متوجعاً لهذه الحال : «.. وهذه من الفجائع ! .. فالى الله» .. المشتكى من هذه الحال » ! ..

● ●

عاد ابن جبير إلى الأندلس بعد أن رأى صورة صادقة لعصر صلاح الدين الأيوبى ، فشهادته لهذا العصر هى شهادة رؤية عين وليست أقوالا للرواة أو المؤرخين .. وابن جبير لم يكن مؤرخاً وكتابه ليس تاريخاً ولكنه تسجيل عفوى شديد الصدق والأمانة يرتفع بأمانته وصدقه فوق كل تاريخ ..

ولم يكد ابن جبير يستقر فى غرناطة وقتاً ، حتى وصلت الى الأندلس أنباء انتصارات صلاح الدين وتحريره القدس بعد ان لبثت أسيرة فى أيدى مغتصبيها أكثر من ثمانين عاماً ! ..

طرب ابن جبير طرباً شديداً لتحرير القدس فشد رحاله إلى المشرق ثانية ليصلى فى المسجد الأقصى وقد عاد مسجداً .

كانت رحلته الثانية هذه هى آخر مطافه فاستقر فى الاسكندرية التى أحبها وأحبته هى أيضاً وسمته « سيدى جابر » .. وجعلت اسمه أول ما ينطقه القادم إليها صيفاً أو شتاء ! ..

أما كتابه الموجز البديع الذى تكاد تلمس فيه بيديك صدقه ونقاءه وتواضعه الجم ، فانه وثيقة متجددة الحياة ارتسم فيها عصر صلاح الدين الأيوبى الفاصل فى تاريخنا حتى اليوم ..

وليس فى جميع كتب التاريخ الضخمة ، صورة لذلك العصر الخطير ، أكثر حيوية ودقة ، من صورته فى هذا « الكتيب » العظيم ! ..

**كمال النجمي**

---

### هوامش

(١) لم يبدأ تاريخ الأزهر الحقيقى المتصل الحلقات إلا منذ أعاد فتحه السلطان الظاهر بيبرس بعد عهد صلاح الدين بأكثر من مائة سنة ..

(٢) من هنا يبدأ الطريق الصحراوى الممتد الآن بين القاهرة والاسكندرية ..

بقلم: حصّه العوضي

# نحو..
# مهرجان تليفزيوني أفضل

عدنا من المهرجان الثانى للانتاج التلفزيونى لدول الخليج العربى والذى أقيم فى دولة الكويت الشقيقة من ١٧ الى ٢٣ فبراير المنصرم .. عدنا ونحن نحمل فى جعبتنا مجموعة من الانطباعات ، والأفكار ، والذكريات الحلوة ، والأمنيات لمهرجان أفضل .


لقطة عامة من حفل افتتاح المهرجان


شعار المهرجان ..

تحت شعار «نحو انتاج تلفزيونى أفضل» تم افتتاح المهرجان .. وتوافدت الجموع .. ليس من الخليج فقط .. وإنما من سائر أقطار الوطن العربى .. جمعتهم رغبة موحدة .. من أجل غاية واحدة وهى «الانتاج الأفضل» .. وكان المهرجان .. لقاء أخوياً شاملا . فهناك اجتمع الفن ، والانتاج والاخوة .. من تلفزيونات الخليج ، بالاخوة من تلفزيونات المنطقة العربية .

هناك .. تجددت أواصر اللقاء .. وتدفق فيض ثرى من الانتاج العربى فى ساحة المهرجان ..

فهذا لديه أفلام وثائقية هامة .. وذاك لديه مسلسلات تاريخية قيمة .. واخر لديه نخبة من البرامج المنوعة والسهرات .

سيل لا ينقطع من العروض الفنية ، والحفلات الغنائية الساهرة ، واللقاءات المتجددة ، الزاخرة بالحركة ، والعطاء .

ولكن .. كيف كان تنظيم المهرجان .. ؟! كيف بدأ ؟! كيف سار ؟! وكيف اختتم . ؟! .

بعدسة خاصة جداً .. استطعت أن التقط بعض الملامح واللقطات من المهرجان الكبير .

### حفل الافتتاح

افتتح المهرجان بحفل كبير اختلط فيه ضيوف المهرجان بضيوف الحفل .. واختلط الحابل بالنابل .. حتى أن وفود التلفزيونات العربية لم تتمكن لحظتها من التعارف واللقاء .

كنت أتمنى .. كما تمنى غيرى .. أن يكون حفل الافتتاح مقصوراً على ضيوف وأسرة المهرجان .. ليكون حفلا ولقاء للتعارف .. قبل كل شيء .

### لجان التحكيم

عجبت من تكوين اللجان .. وقد كنت أظن أن أعضاء الدول المشاركة لن تدخل لجان التحكيم بحال من الأحوال .. وأن اللجان ستتكون من أعضاء محايدين جداً .. ومتخصصين فى مجالات البرامج المقدمة .

ولكن تكونت اللجان من أعضاء الدول المشاركة فى المهرجان بالاضافة الى رئيس محايد .. وكان ذلك ـ فى رأيى ـ سبباً وجيهاً لأن تاتى الآراء والأحكام غير موضوعية بدرجة كبيرة .. ذلك أن مجال التنافس موجود بين أعضاء اللجان أنفسهم . ولذا فلن يحاول أى عضو أن يضع علامة عالية لأى برنامج مهما بلغ مستوى ذلك البرنامج .. وذلك رغبة منه فى الاحتفاظ بأعلى رقم لبرامجه هو .

وقد كنت أظن أن الأسماء الكبيرة التى دعيت من فنانى وفنانات الوطن العربى هى التى ستكون هذه اللجان .. ومنها ستصدر الأحكام . ومنها سنعرف ما هو الأفضل !!

● بالنسبة لتقرير «الأفضل» .. أو لمصطلح «الأفضل» .. ترى ماذا كان المقصود به ؟! .. وما هى المعايير التى يمكن على أساسها تحديد « الأفضل » ؟! .

فمقاييس البرامج التلفزيونية تختلف من برنامج لآخر .. أى من نوعية الى أخرى .. فللدراما معايير مختلفة عن البرامج الثقافية





محمد ناصر السنعوسى .. رئيس المهرجان

.. ولهذه معايير تختلف عن برامج الأطفال .. ولكنها فى النهاية تصب فى معين واحد .. ولها أسس واحدة يعرفها من خبر التلفزيون وتعلمه ، وعلمه . ولذا فقد وجدت أكثر من علامة استفهام مطروحة بين أعضاء اللجان .. ترى ما هى مقاييس الأفضل ؟! . علماً بأن تليفزيونات المنطقة متفاوتة فى كل شىء .

فهل أخذ ذلك فى الاعتبار عند اختيار «الأفضل» .. !!

بالطبع .. لا .. ولو أن ذلك الموضوع دخل مجال النقاش فى الاجتماع الأول للجان ، وكان ان طلب مراعاة ذلك عند الحكم .

فهل تدل النتيجة النهائية على ذلك ؟!!..

● كانت لجان التحكيم محبوسة داخل صالات العرض الخاصة بالتحكيم .. وهى أساساً وفود دول المهرجان .. وهكذا كانت بعيدة كل البعد عما يجرى خارج لجانها ، وضمن احتفالات المهرجان .. لذا كنت أود أن أقترح حينها تأجيل احتفالات المهرجان حتى انتهاء لجان التحكيم من عملها !.

## الفنانون

حظى الفنانون العرب المدعوون الى المهرجان باهتمام كافة أفراد الصحافة والاعلام .. وادارة المهرجان .

فقد انصبت الاهتمامات .. منذ بدء المهرجان عليهم . وأفردت لهم الصحف مقالات وصفحات خاصة .. كما كسبت الاذاعة والتلفزيون من وجودهم لقاءات فنية كثيرة .. لقد كانوا ضيوف المهرجان حقاً .. ولكنهم لم يقدموا للمهرجان شيئاً .. ولم يقدم لهم المهرجان أى شىء سوى انهمار الشباب من أبناء ومواطنى الكويت لالتقاط الصور التذكارية لهؤلاء الفنانين بجنون منقطع النظير !!

الفنان الخليجى .. لم يكن له أى دور فى هذا المهرجان .. على الرغم من أن المهرجان خليجى بالدرجة الأولى .. وقد طرحت بعض الصحف هناك تساؤلات حول هذا الموضوع .. وكانت محقة فى ذلك .. وكنت أود أن يتلافى مسئولو المهرجان ذلك بسرعة .. حتى ولو بدعوة فنان واحد من كل بلد خليجى لحضور ختام المهرجان ! .

وأما الفنان الكويتى .. فقد كان موجوداً وسط المهرجان .. وذلك لأن المهرجان أقيم على أرض الكويت . وكان حاضراً فى كل الاحتفالات التى أقيمت هناك .. وكان حاضراً على صفحات الجرائد والمجلات المحلية ، وفى الزوايا المخصصة للمهرجان .. أى أنه هو الفنان الخليجى الوحيد الذى استمتع بالمهرجان ! ..

## حفل الختام

كان الحفل الختامى للمهرجان .. غاصاً بالحضور .. وتم تقرير (الأفضل) .. وسافرت الوفود بعد المهرجان مباشرة دون أن يعرف أى فرد منهم لماذا كان ذلك البرنامج هو الأفضل ، ولماذا لم يكن ذلك الآخر ؟!..

كثيرون .. تمنوا لو أن الجلسة النهائية كانت ندوة مفتوحة بين لجان التحكيم والفرز ، لطرح وجهات النظر المختلفة والمتباينة حول البرامج التى فازت وحازت على جوائز المهرجان .. والبرامج الأخرى التى لم تحظ بذلك الفوز .. كنا نود أن نعرف .. لماذا فاز هذا .. وخسر الآخر ؟!! ما هى الايجابيات وماهى السلبيات ؟

إذن كيف يمكننا أن نسير نحو انتاج تلفزيونى افضل .. ونحن لم نعرف حتى هذه اللحظة ماذا كانت مميزات ذلك الأفضل !! ..

مازلت أتساءل .. كيف سنشارك فى المهرجان القادم ونحن لم نع شيئاً من هذا المهرجان !! ..

## ما خرجت به من ذلك المهرجان

● على الرغم من كل ذلك .. فقد تمكنت - كما تمكن غيرى - عن طريق المقابلات الخاصة الالتقاء ببعض الوفود العربية التى لم تكن ضمن لجان التحكيم .. كما استطعت عن طريق تلك المقابلات أن أجيب على عدد من التساؤلات المثارة حول (المرأة فى قطر) .. لقد حاولت قدر الامكان إماطة اللثام عن فتاتنا والتعريف بها للجميع .

● تأكدت أخيراً .. أننا فى الوطن العربى عموماً .. نعانى الكثير والكثير نحو انتاج تلفزيونى للطفل .. وتمنيت لو أننا استطعنا - من خلال المهرجان - إقامة ندوات ولقاءات مكثفة حول برامج الطفل فى الوطن العربى .. من أجل توحيد الجهود نحو إنتاج عربى موحد للطفل .

## أمنيات للمهرجانات القادمة

● أن ينتقل المهرجان لأكثر من مكان .. ويقام كل مرة فى بلد خليجى .
● أن تتكون لجان التحكيم من أعضاء محايدين .
● أن تكون هناك استمارات خاصة بلجان التحكيم وبها إرشادات وافية .
● أن تكون لجنة الفرز النهائية محايدة بحيث لا تضم أى عضو ينتمى الى دول المهرجان .
● أن يشمل المهرجان القادم الراديو والتلفزيون .
● أن يخصص فى كل مرة نوع معين من البرامج ليكون مدار البحث والنقاش من أجل التطوير . (وذلك خارج نطاق المسابقة كأن يخصص النقاش والندوات لبرامج الأطفال مثلا .. أو الدراما .. الخ) .

## وأخيراً ...

كان الهدف من هذا المهرجان التلفزيونى هو لقاء الاخوة الاعلاميين من دول الخليج والوطن العربى بعضهم ببعض .

كان الهدف عميقاً .. فليس من السهل التنظيم لذلك الاجتماع الكبير ، فى مكان واحد وزمان واحد .

لقد كان المهرجان - رغم كل شىء - نبضاً واحداً .. وكياناً واحداً .. وكان هدفه الأساسى هو (التلاقى) .

فهل تلاقى الاخوان فعلا !! ..

آمل .. كما يأمل غيرى أن يكون المهرجان القادم أفضل .. وأفضل ! .



الفنـــان العـربى الجزائرى محمد راسم

# محمد راسم
# فنان عربي أدهش العالم
## ولد في الجزائر .. ومات قتيلا في السويد

تحقيق : د. نديم خشفة
محمد عايش



لوحة فنية صاغها بريشته الفنان محمد راسم ، لتكون غلافا لكتاب عن حياة البحار الجزائرى المعروف خير الدين بارباروس .

كانت بغداد أهم مدرسة للمنمنمات العربية الاسلامية . ومن خلالها بدت أولى مظاهر البيئة الاجتماعية . وصورت مشاهد من الحياة اليومية فى واقعية حقيقية . ونرى ذلك بوضوح فى المنمنمات الفارسية للقرن الرابع عشر الميلادى .

وكان مركزها أول الأمر مدينة ( تبريز ) وهى تمتاز بالأناقة والحيوية والخيال الزاهى . وسوف تتميز بعد ذلك مدارس ( شيراز ) ( و هراة ) .

وقد نتج عن امتزاج مدرستي ( هراة ) و ( سمرقند ) الفن الهندى والاسلامي .

فأين يقف ( محمد راسم ) من هذه المدارس :

لقد اطلع محمد راسم بلاشك ــ على هذه المدارس كلها .. وكانت حياته مسيرة فنية ، يعمق من خلالها دراسته ، ويصقل أسلوبه ، ويزيد التصاقاً بواقعه الجزائرى الذى هو محصلة للثقافات العربية الاسلامية فى المغرب العربى الكبير .



« فيلا جزائرية » لوحة للفنان العربى الجزائرى محمد راسم

# محمد راسم
## فنان عربي أدهش العالم



في الصورة الأولى :
الفنان يقوم بتمنماته الدقيقة في إحدى لوحاته مستعينا بمنظار مكبر يمكنه من تنفيذ أدق الخطوط وأرهفها .

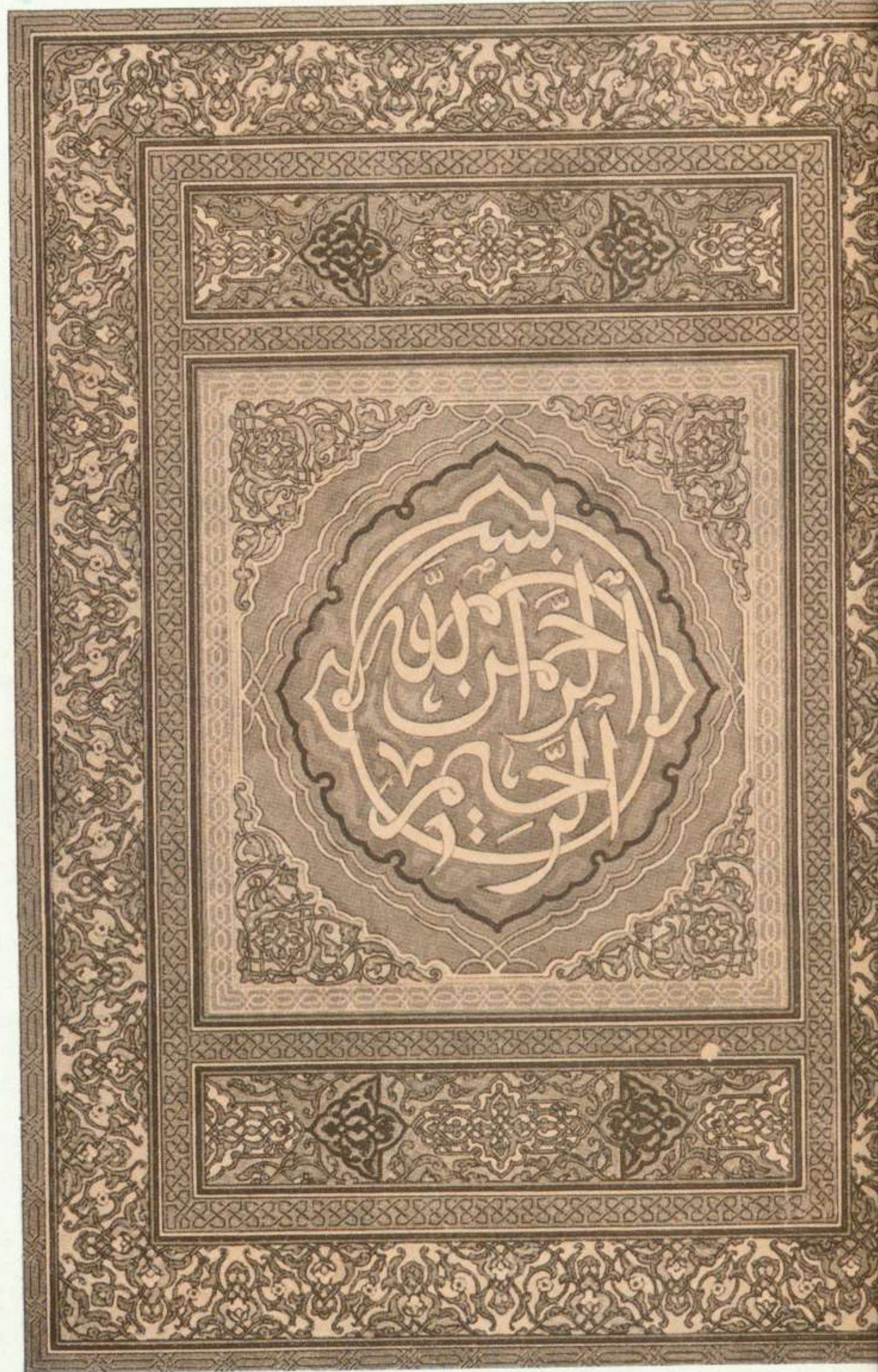
وفي الصورة الثانية :
لوحة « البسملة » .. ويلاحظ ان الفنان قد تجاوز فيها حدود قواعد الخط الثلث إلى آفاق التشكيل الزخرفي ، محتفظا في نفس الوقت بشخصية الحرف الثلث .

ولد محمد راسم سنة (١٨٩٦) من اسرة تسكن العاصمة الجزائر . وكان اخوه (عمر) فنانا ومناضلا سجن لمطالبته ببعض الحقوق الاجتماعية في بداية القرن العشرين ( وتسمى باسمه الآن ثانوية كبيرة بالعاصمة ) .

عندما كان طالباً في مدرسة الفنون ، أثناء الحكم الاستعماري ، لاحظ عليه أساتذته نبوغه في الرسم . واطلع سنة ( ١٩١٤ ) على كتاب ( ثلاثة شهور عبر خراسان ) لـ ( هنري دلمان ) فبهره هذا العالم الجديد من التصوير . وعزم أن يصقل موهبته ليصل إلى مرتبة أولئك الفنانين الخراسانيين العظام .

وعهد إليه سنة ( ١٩١٧ ) بتزيين بعض الكتب مثل ( الاسلام تحت الرماد ) لـ ( هنري هاين ) و ( باربروس ) وهو عن حياة البحار الجزائري المعروف الذي سيطرت أساطيله على البحر الابيض المتوسط زمنا طويلا .

كذلك قام برسم الزخارف والمنمنمات لـ ( بستان سعدي ) . لكن هذه اللوحات لم تطبع . وفضل الناشر أن يبيع اللوحات الأصلية لهواة الأغنياء من الاميركان .




متناسياً الأمانة العلمية والفنية ! !

وزين محمد راسم كتاباً بعنوان ( عمر الخيام ) للكاتب الانكليزى ( براون ) .

وفى سنة ( ١٩٢١ ) حصل على منحة للتفرغ . فاقام فى اسبانيا بعض الوقت .

وفى ( قرطبة ) و ( غرناطة ) أعاد اتصاله الروحى بالأجواء الفنية الاسلامية الزاهرة .

وفى سنة ( ١٩٢٤ ) منح وسام المستشرقين فى باريس . وكان هذا اعترافاً عالمياً بقيمته الفنية .

وربما كان أعظم عمل انجزه محمد راسم هو تزيينه لكتاب ( الف ليلة وليلة ) من ترجمة ( مادروس ) . فاقام فى باريس ثمانى سنوات . فكان الرسام ( ليون كاريه ) يرسم اللوحات ، ويتولى هو تزيين حروف التاج أو تزويق مطالع الصفحات . فانجز منمنمات تفوق المائة لكل مجلد . فاذا علمنا أن الكتاب يحتوي ( ١٢ ) مجلداً أدركنا صعوبة ذلك العمل وقيمته الفنية البالغة .

يضاف إلى ذلك عدد كبير من اللوحات المنمنمة :

– تاريخ الاسلام وانتشاره منذ نزول الوحى حتى زمن السلطان عبد المجيد .

– نساء عند النبع .

– عرس جزائرى .

– خير الدين باربروس .

– الخطوبة .

ومئات غيرها مما لا يتسع المجال لنشرها أو الحديث عنها .

عرض محمد راسم لوحاته عبر العالم الغربي كله : باريس – بوخارست – فيينا – ستوكهولم . وفى عاصمة السويد هذه تعرف على رفيقة حياته ورفيقة موته أيضاً . فقد اقتحم عليه اللصوص منزله ليلا وقتلوه مع زوجته طمعاً ، ولم يرحما شيخوختهما . ولم يعرف المجرمون الى الآن وكان ذلك سنة ( ١٩٧١ ) .

* * *

ان صنع المنمنمة عمل شاق مرهق ، يتطلب ثباتاً فى اليد ، ودقة فى تحديد الخط ، ومهارة فى اختيار الالوان ومزجها. والعمل الأهم هو التذهيب . لذلك يستعمل الرسام مكبرة تساعده على رؤية واضحة للخطوط ، وانعكاس النور على الطبقات اللونية .

وتتداخل فى المنمنمة عدة عناصر فنية :

أولا – الموضوع : حفلة عرس أو معركة بحرية أو شخصية تاريخية .

ثانياً – زخارف الارابسك . وهى تكون داخل الصورة من سجاجيد وجدران وأعمدة ، أو خارج الصورة وهو الاطار الذى يعتبر جزءاً منها .

ثالثاً – الخطوط العربية . وقد تكون آية قرانية . أو حديثاً نبوياً شريفاً ، أو حكمة شهيرة .

وتتحكم فى هذا كله قدرة الفنان وذوقه ، وحساسيته فى توزيع الألوان وتناسب الشخصيات فى مواقعها من اللوحة .

ويرجع إلى ( محمد راسم ) الفضل فى بعث هذا النوع من الرسم وإثرائه ومتابعته . فلولاه لاندثر من العالم العربي وهو على ما نعلم – الفنان العربى الوحيد الذى وهب فنه للوحات المنمنمة . وتابعه على ذلك جيل من الفنانين الجزائريين حتى قررت هذه المادة فى برنامج كلية الفنون الجميلة بالجزائر .

نديم خشفة – محمد عايش

# من هنا بدأت نهضة المسرح العربي


نعمان عاشور فوجىء برفض مسرحيته من المسئول فى مسرح الدولة

.. كان ذلك عام ١٩٤٩ والقاهرة يغمرها نشاط ثقافى عارم يتمثل فى الندوات والروابط والجماعات الثقافية المفقودة التى كانت تملأ ايامها ولياليها . وكنت قد شرعت نحو الكتابة للاذاعة .. وقدمت اكثر من تمثيلية اذاعية لاقت نجاحا وتقبلا ثم بدات فى اعداد بعض المسرحيات العالمية لتذاع على مدى ثلاثة ارباع الساعة كتمثيليات اذاعية .. نفس ما جاء يقدمه البرنامج الثقافى ( البرنامج الثانى ) حين بدا ارساله فى سنوات لاحقة. عن هذا الطريق اخذ اهتمامى بالمسرح وشغفى بالكتابة الدرامية يشق مجراه العملى التطبيقى ان جاز التعبير .. وبدات اتعرف فى الاستديوهات الاذاعية التى كانت تسجل فيها هذه الأعمال على العديد من الممثلين .. وكانوا فى معظمهم من خريجى معهد التمثيل ايامذاك ومن بينهم الجمع الذى تشكل منه المسرح الحر . فى نفس هذا العام ايضا دفعنى نشاطى مع شباب الادباء فى هذه الفترة .. الى محاولة نشر انتاجنا القصصي والشعرى والنقدى فاتجهنا نتيجة لاعراض المجلات التقليدية ( الرسالة والثقافة ) عن قبول نشر انتاجنا .. الى محاولة اصدار مجلة خاصة بنا .. وقادتنا الظروف وفى مقدمتنا الاستاذ مفيد الشوباشى وبيننا الاصدقاء زكريا الحجاوى واحمد عباس صالح وعلي الراعى والمرحوم انور المشرى والعديد من الذين قد لا تعيهم الذاكرة .. قادتنا الظروف لاشباع رغبتنا فى نشر انتاجنا الى الكتابة فى مجلة محلية كان يصدرها النادى النوبى بعابدين وهى مجلة تعبر عن ابناء النوبة فى القاهرة .. وكانت المجلة تصدر بغير انتظام وحسبما تسمح به ميزانية النادى فتكفلنا نحن باصدارها ودفع تكاليف الاعداد من جيوبنا وكانت ايامها زهيدة . وخصوصا واننا كنا نكتب فيها مقالاتنا وقصصنا ودراساتنا بدون مقابل . وكانت هذه المجلة فى بادىء الأمر اسمها « الميزان »

والمشرفون عليها من اعضاء النادى طلبة فى قسم النقد بمعهد التمثيل ويقومون بتوزيعها فى المعهد ويحاولون تخصيصها للكتابة عن المسرح . وهكذا جاء ارتباطى بهذا المعهد وطلبته وخريجيه من الممثلين خلال تمثيلياتى الاذاعية،وطلبته وخريجيه من الدارسين والنقاد عن طريق مجلة «الميزان» . أيامها كانت كل قراءاتى تتركز فى المسرح وخاصة مسرحيات تشيكوف وابسن وبرناردشو وجوركى . وطبيعى ان تنصب كتاباتى فى المجلة على ما انا شغوف ومهتم به وهو المسرح .. كتبت فيها عدة مقالات عن ابسن وتشيكوف . وبعد ان كنا نوزع المجلة باليد عهدنا بها الى متعهد شجعنا فى البداية بما كان يقدمه من تسهيلات لتغطية النفقات ولم تكد تمضى شهور حتى قبل اعضاء النادى النوبى اقتراحنا بتغييراسم المجلة من « الميزان » الى «الأديب المصرى» وظلت المجلة تصدر اكثر من عام ثم تشتت شملنا امام الصعوبات المالية والتكاليف الباهظة لكل عدد ..

هكذا جاءت معرفتى الباكرة بمعظم من قدر لهم ان يكونوا فرقة المسرح الحر فيما بعد ذلك بسنوات قليلة .. وكلهم كانوا من خريجى معهد التمثيل .. بينهم الفنان الذى يمثل او يخرج والدارس الذى يبحث او ينقد .

## كتابة مسرحية

بعد كتابة متصلة فى الاذاعة لاكثر من عامين بمعدل تمثيلية اذاعية كل اسبوع وفى الوقت نفسه .. نتيجة لتاثرى بما اقرا من مسرحيات وما أجريه لها من اعدادات وبسبب شغفي المتزايد بالدراما ودراساتي وتاملاتي لما يكتبه تشيكوف وجوركي وابسن وشو وغيرهم .. وجدتنى ذات يوم على نهاية عام ١٩٥٠ ولشدة تاثرى بالبيئة التى كنت أعيش فيها وهى بيئة غنية بالشخصيات المثيرة . وجدتني اجد ما اكتبه للاذاعة على انه جهد ضائع فى الهواء .. يسجل ويذاع ثم تنتهي قيمته وينقطع اثره،وما يعود على به من جزاء مادى لا أكاد احس به أمام متطلبات حياتي اليومية ومسئولياتي العائلية .. فجاة .. وجدتني اقلع عن الكتابةللاذاعة وانطوى على نفسي لأكتب مسرحية . كان هذا الاتجاه بمثابة اكتشاف بالنسبة لي إذ ماكدت أشرع فى تاليفها مزوداً بتجاربي فى الكتابة الاذاعية وطاقتي الدافعة وتمكني من الحوار الدرامي حتى اندفعت لاتمام « المغناطيس » مسرحيتى الأولى التى لم تستغرقنى كتابتها اكثر من شهرين .. ولست استطيع أن أصور مبلغ فرحي ومدى اعتزازى بها .. ولكن يكفي اننى من شدة حرصي على نصها .. أن أعدت كتابته من نسختين .. الأولى كنت اقراها لأهلى وأصدقائي وزملائي من الأدباء .. والثانية احتفظت بها فوق « الصندرة » داخل صندوق أوراق قديمة لوالدى .

لم اكن أدري ماذا يمكن أن افعله بها ..

● لماذا قامت فرقة المسرح الحر ولماذا انهارت ..؟
● تلاميذ زكى طليمات يطالبون بالاستقلال عنه فيستقيل من عمله .
● توفيق الدقن يدافع عنى أمام القضاء !
● ناقدان كان لهما أثر كبير فى حياتى : مندور وعباس صالح .
● أول مسرحية لى تم عرضها بعد خمس سنوات من كتابتها .
● « الناس اللى تحت » كانت بداية عصر مسرحى جديد .

ولهذا سرعان ما هدأ حماسي وعدت لاتابع الكتابة للاذاعة من جديد لدرجة اننى فكرت ذات مرة أن أختصرها وأحولها إلى مسرحية إذاعية من نصف ساعة .. لكني عدلت لشدة اعتزازى بها .

ملفات المسرح

فى عام ١٩٥٢ تركت وظيفتى فى بنك التسليف لأعين باحثا اجتماعيا فى وزارة الشئون الاجتماعية .. وكنت لا ازال اكتب تمثيلياتي للاذاعة وعلى صلة متصلة دائمة بكل الممثلين والنقاد الجدد من خريجي معهد التمثيل . فلما قامت الثورة في يوليو أنتدبت للعمل فى مكتب وزير الشئون الاجتماعية المرحوم زهير جرانه .. وعهد إلي بتشكيل مكتب الشئون العامة .. يشرف على الأعمال الصحفية والهيئات الفنية التابعة للوزارة ومن بينها المسرح ، فقد كان المسرح فى تلك الأيام تابعاً لوزارة الشئون ومن قبلها لوزارة الاشغال . ويبدو ان الاقدار كانت تدفعني دفعاً إلى الاتجاه نحو المسرح .. وذات صباح فوجئت بوفد من ممثلي المسرح الحديث وهي الشعبة الثانية من الفرقة القومية التى تضم الممثلين الجدد من خريجي معهد التمثيل ( الدفعات الأولى ) وكان من بينهم عبد الرحيم الزرقاني وحمدي غيث ونبيل الألفي ومحمد السبع على ما اذكر .. جاءوا بوصفهم تابعين للوزارة ومعهم مذكرة يطالبون فيها باستقلال شعبتهم عن الفرقة القومية التى كان يرأسها آنـذاك استاذهم زكي طليمات لأنهم يمثلون جيلا جديداً لا يجب ان يعمل فى ظل سيطرة القدامى .. وعهد إلي الوزير ببحث الموضوع وأن أقدم له فى نهاية الأمر مذكرة بما انتهي إليه .. هكذا فجاة وجدتني مسئولا عن المسرح .. والتقيت بجميع الممثلين للتعرف على موقفهم وكان بينهم أحمد علام نقيب الممثلين فى ذلك الحين . وانتهيت إلى قرار وافق عليه الجميع وهو ضرورة الفصل بين الشعبتين .. ولكني ماكدت أعد مذكرة بذلك لرفعها إلى الوزير حتى كانت الوزارة قد استقالت ..



زكى طليمات ثـار عليـه تلاميـذه وطلبـوا الاسـتقلال عنه

وعرض الأمر على الوزير الجديد فاذا بنا نفاجا باستقالة الأستاذ زكي طليمات من ادارة الفرقة القومية . وطلب إلى الوزير الجديد ( المرحوم الاستاذ فؤاد جلال ) استطلاع راي اعضاء الشعبتين من الممثلين . فاجمعوا على اختيار الاستاذ دريني خشبة لادارة الفرقة .. وكان أن صدر قرار بذلك .. ولأن الاستاذ دريني كان موظفاً معنا بالوزارة ويشغل وظيفة أعلى مني فقد سارعت بتسليمه كافة الملفات الخاصة بالمسرح تقديرا لاستاذيته ومكانته . واعجب الرجل بموقفي منه . كانت الأمور جميعها مضطربة وكنا نجتاز أيامها فترة تحول سريعة مليئة بالاهتزازات .. ولأني لم أكن أطيق الأعمال الادارية بدأت اتخفف من مسئولياتي الوظيفية لأتفرغ للكتابة فى الاذاعة ونشر قصصى القصيرة فى الصحف .. وهذا مبدأ التزمت به طوال حياتي فيما بعد . فكنت أرفض كافة الاعمال وما يعرض علي من وظائف على اعتبار اننى كاتب صاحب قلم ولا يمكن ان اكون موظفاً باى حال من الأحوال .

وراء الكواليس

افادني الالتزام بهذا الموقف ايامها فائدة كبرى .. فقد وجدتني بحكم صداقاتي وعلاقاتي بالمسرحيين فى كافة المجالات .. فى المجلة وفى الاذاعة ثم أخيراً فى المسرح ذاته أتردد على الفرقة القومية بشعبتيها

واقضي معظم ليـاليَّ فى حضور بروفات مسرحياتها أو السهر فى نقابة الممثلين وكان يراسها الاستاذ احمد علام الذى ربطتني به أيامها صداقة قوية .. وفي عام ١٩٥٣ م على ما اذكر كنت اشهد بروفة لأحدى المسرحيات فى الفرقة القومية .. مسرحية سياسية لشتاينبك الأميركي . تقدمها فرقة المسرح الحديث ( شعبة الشباب الجدد ) ودعاني الأستاذ دريني خشبة إلى زيارته فى مكتبه بعد البروفة وجاءت المناسبة إذ كان يشكو من عدم وجود مؤلفات مصرية للمسرح .. وتحمست وعرضت عليه أن أقدم مسرحية من تاليفي فتحمس الرجل . وكان أن وافيته فى اليوم التالي بنص « المغماطيس » مكتوبة فى كراس محاضرات .. وبعد شهور من مداومة الاتصال به والالحاح لمعرفة رايه فيها .. صدمني بانه يرفضها رغم جودة الحوار .. وإننى لازلت شاباً صغيراً مبتدئا .. وعلى أن أكتب غيرها وهو على استعداد لقبولها وتقديمها فى مسرح الدولة إن أعجبته ..

كنت شديد الاعتزاز بنص « المغماطيس » وجاء رفض الاستاذ دريني ليزيدني اعتزازاً بها واصراراً عليها .. أنا واثق أنها مسرحية جيدة .. هكذا كان اعتقادى من البداية .. فيامها كانت هناك دفعة جديدة من خريجي معهد التمثيل لم تتح لهم الفرصة للالتحاق بالمسرح الحكومي فكونوا فرقة أهلية فيما بينهم كهواة .. وسموها المسرح الحـر .. وقدموا أكثر من مسرحية .. كانوا يقومون بتمثيلها خلال الصيف فى بورسعيد ثم يعودون بها لعرضها فى القاهرة على اى مسرح تسنح لهم الظروف باستئجاره لبضع ليال .. وكان بينهم العديد من الأصدقاء الذين عرفتهم فى أداء تمثيلياتي الاذاعية .. سعد أردش وعبد الرحيم التطاوى وعبد المنعم مدبولي وزكريا سليمان وعلى الغندور ومحمد رضا وكمال يس .. وكان معهم توفيق الدقن ولم اكن قد عرفته بعد .. كان يجمعنا حب المسرح والشغف به ووجدت فيهم خير مايمكن أن يحقق أملي في أن أرتبط بالمسرح عن طريق الكتابة له .

# من هنا بدأت نهضة المسرح العربي

## فى بور سعيد

فى اغسطس عام ١٩٥٥م سافرت مع اعضاء فرقة المسرح الحر إلى بورسعيد . كانوا جميعهم قد اصبحوا أصدقائي . وتوطدت العلاقة وزادت بيني وبينهم أثناء البروفات الطويلة التى أجريناها فى القاهرة على المسرحية . وعرض النص من ثلاثة فصول وكان ابرز ما اعجبني وبالذات مخرجها ابراهيم سكر حماس الهواية إلى جانب الاحترام الكامل للكلمة المكتوبة . لم تكن افة الخروج على النص قد ظهرت بعد وكان أعضاء الفرقة متاثرين بدراساتهم فى المعهد وهوايتهم للتمثيل ونجحت المسرحية وظلت تعرض بينما عدت أنا بعدها بايام إلى القاهرة كان ابرز ما افادنى فى هذه الخطوة أننى التقيت بمجموعة من الهواة مثلى يحبون المسرح ولهم طموحهم فى اثبات وجودهم الفنى . وهكذا ابرزت المسرحية مواهب عدة من بينهم لأنها كانت تقوم على رسم شخصيات درامية يعتمد الممثل فى تجسيدها على النص أكثر من اعتماده على مواهبه الخاصة . وتلك هى الخاصية التى ظهرت فى بقية مسرحياتى بعد ذلك . فمن خلالها استطاع العديد من الممثلين أن يجد نفسه لأنه يقوم بتمثيل أدوار تستنهض مواهبه وتكشف عن طاقاته بدون ما حاجة الى أن يبذل جهداً فى محاولة تقمصها بافتعال أو صنعة . ذلك انها شخصيات لم تكن تفصل تفصيلا على الممثلين لتناسب مقدرتهم بقدر ما كانت تتطلب من الممثل أن يلبس الشخصية بصدق كما هى مرسومة فى النص لكى ينجح فى ادائها . وهكذا برز توفيق الدقن وعبد المنعم مدبولى ومحمد رضا ثم من بعدهم صلاح منصور وشفيق نور الدين وملك الجمل وماجدة الخطيب وعبد الغنى قمر وعايدة كامل وصلاح السعدنى والعديد من الممثلين الآخرين وكان بروزهم منبته الأدوار الباكرة التى لعبوها فى مسرحياتى ، ولا أقول هذا زهواً أو اعتداداً لأنه طبيعة لاصقة من سمات اللون الذى أكتبه وهو مسرحيات الشخصيات التى من لحم ودم .. وليس مسرح الأحداث أو الأفكار أو القضايا المطلقة التى تقدم فيها الشخصية لتعبر عن فكرة أو تطور أو تصور حدثاً .. من أجل ذلك وبعد أن عدنا الى القاهرة وعرضت المسرحية فيها على خشبات دار الأوبرا مباشرة .. راح المسرح الحر يلاحقنى لكتابة مسرحية أخرى لهم .. واستطاع الصديق سعد أردش وكان قد أصبح رئيساً لمجلس ادارة الفرقة بعد ثلاثة شهور فقط من تقديم المغماطيس أن يقنعنى بكتابة مسرحية اخرى .. فكانت «الناس اللي تحت» .

## الاطار العام

لم يرتبط اسمى مع المسرح الحر بالمغماطيس .. وتوطدت صلتى بهم بعد كتابة وعرض الناس اللي تحت . لكن لماذا ؟! لأنها كانت المسرحية الثانية التى تنجح لمؤلف جديد مع فرقة جديدة . ومن هنا ياتى دور المسرح الحر وحقيقة وجوده كفرقة تمثيلية فى تلك المرحلة من بدايات نهضتنا المسرحية المعروفة بمسرح الستينات . ويحسن هنا أن نلم بحقيقة الاطار المحيط بتلك الفترة . إن وقوع ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لم يات اعتباطاً ولم يكن نتيجة لتمرد بعض ضباط الجيش الذين عرفوا بتنظيم الضباط الاحرار . وإنما وقعت الثورة لأنها كانت نقطة تبلور لكل ما سبقها من أحداث سياسية وتطورات اقتصادية وتطلعات اجتماعية وانتفاضة ثقافية . تكشف لنا عن تلك الفترة الغنية العامرة بالتحرك داخل الحياة المصرية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . فقد نتج عنها مع انتصاف القرن وقيام اسرائيل .. اتجاه سياسى عارم نحو انهاء الاحتلال وأعوانه فى الميدان السياسى .. والمناداة بسرعة ادخال الصناعة وتعلية خزان اسوان وتحديد الملكية الزراعية فى المجال الاقتصادى . ثم اقرار العدالة الاجتماعية لصالح الطبقات الشعبية فى المجال الاجتماعى . كل ذلك كانت هناك فى الثقافة والأدب والفن اتجاهات ودعوات جديدة تركزت فى الأخذ بمذهب الواقعية فى الرواية والقصة والتحرر بالشعر والاهتمام بالفنون التشكيلية المعبرة عن البيئة المحلية الخ .. الخ .. وفى ظل هذا الاطار من التحولات .. كان المسرح وبالذات الفرقة القومية التى تمثل مسرح الدولة وهى الفرقة الوحيدة القادرة على مواصلة النشاط بدعم الدولة ، كانت تتعثر فى عروضها لأنها لا تقدم للجمهور غير ما كان يقدم من سنوات عديدة وكلها أعمال مسرحية جامدة وترجمات عقيمة لا تحمل اى مضمون اجتماعى أو فكرى يربطها بأحاسيس الناس ومشاعرهم وتطلعاتهم الاجتماعية والفكرية .. وكانت فرقة الريحانى تحاول بعد وفاته عام ١٩٤٩ ان تتعلق بتراثهدون جدوى لأنه تراث درامى كان قوامه الريحانى وحده كممثل بارع موهوب . ولم يكن هناك من الفرق المسرحية غير فرقة اسماعيل ياسين تعيد تقديم المقتبسات التى استهلكت منذ بداية القرن .. وتخرجت الدفعات الأولى من (معهد التمثيل) ولم يكن أمام خريجيها إلا المجال الضيق للعمل داخل الفرقة القومية وفى الشعبة التى تكونت باسم المسرح الحديث لتوظيفهم فيها .

## لقاء بالمسرح الحر

فى استديو الاذاعة ونحن نسجل احدى تمثيلياتى لقيت علي الغندور وكان مشتركاً فيها وهو عضو فى المسرح الحر .. فما أن علم بأن لدي مسرحية مؤلفة حتى سارع فى مطالبتى بتقديمها للمسرح الحر . ولم أتردد .. حملت نص «المغماطيس» الذى رفضه الأستاذ دريني خشبة .. ولم أكن غاضباً أو محنقاً من هذا الرفض .. وصحبنى الصديق أحمد عباس صالح لقراءتها معى على لجنة القراءة الخاصة بالمسرح الحر . وأذكر من أعضائها الصديق محمد علي ماهر وابراهيم سكر (الدكتور فيما بعد) وسعد أردش وكمال يس وتوفيق الدقن . قرأت لهم نص المغماطيس على ثلاث ليال متتابعة وبحضور ومعاونة عباس صالح الذى كان متحمساً لها .. لكنهم لم يوافقوا عليها .. وطلبوا اجراء العديد من التعديلات فيها ولاسيما اختصارها الى ثلاثة فصول بدلا من أربعة ولكنى رفضت . كان النص يختلف فى بنائه الدرامى عما تعودوا عليه ودرسوه فى معهد التمثيل وهو ضرورة أن تكون المسرحية متفقة مع قواعد أرسطو . لها بداية تمهيدية تتطور الى عقدة ثم تنتهى العقدة الى الانفراج الذى تعقبه الخاتمة ... ولم تكن مسرحيتى تجرى على هذه الوتيرة ـ وحاولوا عبثاً اقناعى باجراء التعديلات المطلوبة وانهم على استعداد لتقديمها لأنها تعالج موضوعاً اجتماعياً هاماً .. وكان توفيق الدقن هو الوحيد الذى وافق على نص المسرحية كما هو ورفض مثلى أن أقوم بتعديلها أو تغييرها وخرج ساخطاً معى على هذا الموقف من جانبهم .. ومن هذه اللحظة بدأت معرفتى به وصداقتى له ..

## ما هو المسرح الحر ؟!

رغم أننى سحبت نص مسرحيتى «المغماطيس» من المسرح الحر . فقد بدأت تنمو علاقة بينى وبين أعضائه ، فكانوا يدعوننى الى حضور مسرحياتهم سيما بعد أن اكتشفت فيهم الرغبة الخالصة فى تقديم

مسرحيات جادة لها مضمونها الواقعى الاجتماعى .. فلقد كان هذا هو التيار السائد أيامها والمسيطر على روايات نجيب محفوظ وأفلام صلاح أبو سيف وقصص يوسف ادريس .. التيار الواقعى الاجتماعى . وقد تأثر به أفراد هذه الفرقة سيما من كان منهم صاحب اهتمامات أدبية أو ثقافية . كانت الفرقة القومية بشعبيتها تقتصر على تقديم مسرحيات مترجمة ومعربة أو تعيد تقديم مسرحياتها القديمة.

انفتح المجال أمام المسرح الحر سيما وأنه كان يتكون من خريجى المعهد الذين أغلقت أمامهم أبواب الفرقة الحكومية وأجبروا على الهواية بدلا من الاحتراف .. وبسبب ما كان يسيطر على الحياة الاجتماعية من تيارات تجنح بها الى التمرد وعلى الحياة الثقافية من اتجاهات تفرض عليها الالتزام بالواقعية .. بدأت اشعاعات مثل هذه المنطلقات تنطبق على المسرح الحر وأعضائه ..

بعدها بعامين وبالذات فى عام ١٩٥٤ لم يكن أمام المسرح الحر وأعضائه إلا أن يعيدوا تقدير موقفهم على ضوء المناخ الاجتماعى والثقافى السائد .. كانت كل المسرحيات التى يقدمونها .. وهى قليلة لا تزيد عن مسرحية فى كل موسم تعتمد على روح الهواية الحماسية .. لكنها لا تستمر أو تنجح لتعود عليهم بأى دخل مادى أو كيان فنى .. وان كانت تمدهم بالمثابرة اللازمة لاثبات وجودهم وتحقيق طموحهم .. وكان الاحساس أيامها غامراً بنقل الأوضاع الاجتماعية وما يملؤها من تيارات فكرية اضطرتهم الى اعادة النظر فى موقفهم من المغماطيس .

## تقديم المغماطيس

وهكذا وبعد أكثر من عامين .. ومع بداية موسم ١٩٥٥ .. اتصل بى ابراهيم سكر ليطلب الى زيارتهم فى المسرح الحر لأنهم قرروا بناء على اقتراحه تقديم مسرحيتى أخيراً .. كان الاعتزاز بنص المغماطيس والايمان بقيمته قد بلغ بى حد مغاضبتهم ومقاطعة التردد عليهم . ولكنى لم أقطع صلتى بهم كأصدقاء كانت تجمعنا طبيعة العمل معاً فى الأذاعة .. وأعاد ابراهيم سكر الكرة فطالبته بزيارتى فى منزلى .. وانتهت جلستنا الى اقتناع غير كامل من جانبى وتعديل النص الى ثلاثة فصول بدون المساس بأى مشهد أو شخصية أو حوار . وترددت لفترة إلى أن اقنعتنى زوجتى رحمها الله – وكنت قد قرأت لها نص المسرحية – أن أوافقهم على هذا الاختصار ما دام لن يضر بالنص وبالفعل اختصرت احداث الفصل الثالث ودمجتها بالفصل الثانى وأخرجت منها شخصية المحامى مكتفياً بوكيل مكتبه .. وأصبحت المسرحية من ثلاثة فصول ، ولكن نفسي ظلت تأبى على أن أقدمها لهم بمثل هذا التنازل لولا أن الصديق عباس صالح أخذها،ومن تحمسه لها من البداية وقدمها بنفسه .. بعدها بأيام جاءنى ابراهيم سكر لنتفق على الاخراج .. وهكذا شاهدت مسرحيتى الأولى بعد خمس سنوات طويلة.

## دور المسرح الحر

المسرح اذن كان يحتضر والساحة المسرحية خالية .. ولذلك فما أن ظهرت فرقة المسرح الحر حتى سدت فراغاً ممهداً ومشجعاً لها بفضل عدة عوامل .. منها انهم شبان جدد انبتتهم الأوضاع المتغيرة الجديدة بكل ما يحيطها من اتجاهات وأفكار وتطلعات .. ومنها أنهم لا مكان لهم فى الحياة المسرحية القائمة بعد أن سدت أمامهم سبل الالتحاق بالفرقة الحكومية فكان لابد أن يشقوا طريقهم الى المسرح باعتمادهم على هوايتهم له . ومنها أيضاً خلو الساحة المسرحية من أى نشاط خلاق متجدد .. ومن أجل ذلك سارعوا حين تكشفت لهم حقيقة مسرحيتى المغماطيس وفحواها .. بمضمونها الاجتماعى الواقعى وأسلوبها الكوميدى ولغتها الدرامية الجديدة ، سارعوا الى تقديمها فنجحت وكان سبب نجاحها توافر عدة عناصر .. فالمسرحية بواقعيتها تعالج مشاكل يعيشها الناس ، وتستكمل المقومات المفتقدة فى عدم وجود كوميديا حقيقية . ثم انها تخاطب الناس بلغة مبسطة تحمل لهم من الأفكار والآراء والمعانى والقيم ما يمس صميم حياتهم . كل هذا الى جانب روح الهواية والطموح الفنى والحماس الذى لا وجود له فى الفرق التجارية وغير التجارية القائمة .

## تفتت الفرقة

وجاءت مسرحيتى الثانية الناس اللي تحت لتدعم كيان الفرقة فكانت بمثابة وضع اللبنة الأولى لقيام مسرح معاصر جديد .. هكذا اعتبرها النقاد جميعاً . وبعد نجاح الناس اللي تحت بدأ النزاع يدب بينى وبين المسرح الحر فقد قدمت لهم نص المسرحية فى أول الأمر بعنوان «مصر الجديدة» وعرضت بهذا العنوان فى بورسعيد . فلما عادت الفرقة الى القاهرة . طلبوا الي وضع عنوان آخر لها يتناسب مع معالجتها الكوميدية . ولكنى كعادتى رفضت ذلك الى أن أقنعنى المرحوم الدكتور محمد مندور،وحجته أن نفس العنوان سبق أن قدمت به مسرحية قديمة ألفها فرح أنطون فى أوائل العشرينات . ولم أتردد فى اختيار العنوان الآخر إذ وجدته مكرراً فى أكثر من عبارة فى حوار الفصل الثانى وعلى لسان صاحبة العمارة إذ كانت تطلق على سكان البدرون حيث تدور أحداث المسرحية .. «الناس اللي تحت» .. وقدمت لهم العنوان الجديد فى ورقة مكتوبة سلمتها لتوفيق الدقن وهو فى فرح بالاختيار . وعاش المسرح الحر لا يقدم إلا الناس اللي تحت .. بعدها بعامين نشرت نص المسرحية فى كتاب وتعاقدت معى شركة سينمائية لاخراجها فى فيلم فاذا المسرح الحر يقاضينى فى المحاكم بزعم أن المسرحية ملكهم ومن تأليفهم .. ودام النزاع لأكثر من عامين آخرين الى أن فصل القضاء بشهادة الدقن فقضى باننى المؤلف الفعلى للمسرحية بنصها وعنوانها .

أما سبب قيام هذا النزاع بينى وبينهم فمرجعه عدة عوامل أهمها أننى رفضت بعد هذه الادعاءات أن أقدم لهم مسرحيتى التالية «الناس اللي فوق» وقدمتها الى المسرح القومى .. فراحوا يزعمون فى كل مجال أنهم أصحاب الفضل عليّ ولولا هم ما أصبحت كاتباً مسرحياً ..

بعد الناس اللي تحت سدت المسالك أمام المسرح الحر فلم يستطع أن يقدم أية مسرحية أخرى .. فتوقفت الفرقة نهائياً عن أى نشاط مسرحى وتشتت أفرادها فى مختلف الفرق .. بينما استمرت كتاباتى للمسرح ولم تنقطع ولن تنقطع بمشيئة الله إلا بوفاتى ..

## تاريخ مبتور

اننى لا أرصد هذه الحقائق نكاية فى المسرح الحر . وليس فى ذهنى أن أقلل من قيمة الدور الذى لعبته هذه الفرقة وأفرادها فى بواكير نهضة مسرحنا المعاصر .. ولكنى أروى الوقائع كما حدثت لأدلل على أن المسرح الحر لم يكن على وعي كاف بأهمية الدور الذى قام أو كان يمكن أن يواصله فى خدمة الحركة المسرحية وتطورها .. خاصة بعد أن طغت على أعضائه أطماع الاحتراف التى أفقدتهم روح الهواية وبالتالى حب المسرح .. ولذلك ومنذ أكثر من عشرين سنة تحولت الفرقة بمن بقوا فيها الى مجرد لافتة أو عنوان لا يعبر إلا عن تاريخ مبتور .. رغم أنها أفرزت للحركة المسرحية العديد من الممثلين البارعين الذين أصبح لهم شأنهم فى مختلف المجالات الدرامية الأخرى .

نعمان عاشور

# دليل القارئ الذكي



● هل تعرفون حبيبتي
تأليف : ناصر الدين النشاشيبي
الناشر : المركز العربي للطباعة والنشر - لندن ١٩٨٢ .




كما يكتب العشاق رسائل الهوى بأعصابهم ، ودموعهم ودمائهم ، كتب الصحفي الكبير ، الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي قصة هواه للقدس ، بدموع الشوق ، وآهات البعد.

ان كتاب « هل تعرفون حبيبتي » مجرد قصة حب كبيرة بين الكاتب وبين مدينته ، ومسقط رأسه القدس ، جرت فصولها على مدى أربعين عاماً من عمر الكاتب ، ومن عمر القدس ايضاً .

درس الأستاذ ناصر الدين النشاشيبى العلوم السياسية لكى يخدم بعلمه قضية بلده الغالى فلسطين ، وعندما تحولت القضية إلى نكبة ، هجر السياسة الى الصحافة ، واحترف القلم ، فاصبح رئيساً لتحرير جريدة « الجمهورية » القاهرية ، وتنقل بين « الأهرام » و « أخبار اليوم » و « آخر ساعة » ، وكتب آلاف المقالات والتحقيقات ، ثم عكف على التاليف ، فقدم للمكتبة العربية أكثر من عشرين كتاباً .

تزخر جميعها بالمعرفة الجامعة ، والأسلوب الرشيق ، والمادة الخصبة ، وإن كل ما كتب المؤلف ، وكل ما خطب ، وفى كل رحلاته وأسفاره ، كانت كلها تعنى حبيبته «القدس» مهوى فؤاده ، ومصدر حبه ، وموال أفراحه واتراحه . إن «القدس» هى السحر العجيب الذى يستمد منه المؤلف قوته ، وجلده وصبره ، على الضياع والتشرد .

ولقد عرفنا الأستاذ النشاشيبى على حبيبته من خلال ستة وعشرين فصلا فى كتابه ، وعلى مدى أربعين عاماً من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٨٠ ، هذه الفترة التى عايش فيها المؤلف حبيبته القدس ، فصورها بواقعية وابداعية تدعو للتامل والاعجاب حيث تناول دسائس المؤامرات الاستعمارية ، ومشاريع التقسيم ، وبؤس الاحتلال ، وبشاعة الاستيطان ، وعنف أساليب طرد الأهل ، فى محاولة لاقتلاع عيون جدة التاريخ القدس .

ولكن القدس الصابرة ، لم تقل عانيت من ظلم الزمن ، لأن قلبها الممتلىء بالعزم ، سوف يتخطى كل صعب لينتصر .

● مرافعة بين يدي عمرو بن كلثوم .
شعر محمد منذر لطفى .
طبع بعون من اتحاد الكتاب العرب فى سوريا ١٩٨٠ .

كل الناس يفكرون فى الماضى تفكيراً انتقائياً ، يتدبرون أجمل ما فيه ، ويتمنونه وان أجمل ما فى الماضى نفسه ، هو جميل فى إطاره ، نافع فى سياقه ، ولكنه قد لا يستقيم ، اذا انتزع من ذلك السياق ، وأفرغ من ذلك الاطار ، ولكن هناك شيئاً مشتركاً بين العصور ، هو الذاكرة الحضارية ، فبقدر ما هو مستحيل استعادة الماضى ، هو ايضاً مستحيل الانبتات عنه ، فلابد من تراكم الخبرات وتواصلها ، واللغة أداة هذا التواصل ، والشعر هو جزء من هذه اللغة .

من هذه المضامين انطلق الشاعر « محمد منذر لطفى » فسمى ديوانه الذى بين يدينا « مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم » .

يحتوى الديوان عشر قصائد ، ولكن ابداعية هذا الديوان تنطلق من تاليف لصيغة جديدة ، من أشياء موجودة ، تتغير علاقاتها ومواضيعها ، فقصائد الديوان العشر ، تصف الواقع ، وترنو الى المستقبل ، متكئة على أمجاد الماضى ، من هنا كان هذا الديوان حضارياً .

وإذا ألقينا نظرة على القصائد نجدها كالتالى : الرحلة ، الغاب الحزين ، جميلة هى الحياة ، الزمان وصوت الشاعر ، مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم ، أوبريت الشباب العائد ، الاغتراب وموسم حب آخر ليالى رمضان ، واشتعل العيد أملا ، مع الهجرة على مشارف القرن الخامس عشر .

القصائد مزج بين الشعر العمودى والشعر الحديث ، ولكنها تتميز معظمها بالطول ، فقصيدة الزمان .. وصوت الشاعر ، قصيدة يرثى فيها الشاعر آخر العمالقة الراحلين الشاعر العربى الكبير بدوى الجبل ، وهى قصيدة تربو على المائة بيت من الشعر العمودى ، جمع فيها الاصالة ، والجزاله ، والصور والمضامين . بدأها بقوله :

لك الخلودان .. فن الشعر والقيم
فاهنأ .. فمجدك لا يرقى له علم
أفنيت عمرك صداحاً وأروعه
أن يخلد المرقصان .. الحب والنغم

أما قصيدته التمثيلية القصصية التى أخذ منها عنوان الديوان « مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم » ، هذه القصيدة التى انتقل بها من أعماق التاريخ الى الواقع العربى ، يدعو فيها الى نفض غبار المذلة التى عفرت دروب حياتنا ، وأهانت كبرياء وجودنا لنقف وقفة ابن كلثوم عندما أراد ابن هند ان يذل أمه ، ومما قاله فيها :

تلفت أبحث عن أمة تتحدى المنايا
بجيل فداء
تلفت ابحث عن مارد أسمر الوجه
تقطر جبهته كبرياء
وعن ثائر فى ضمير الغيوب
يرى المستحيل حكايا سراب

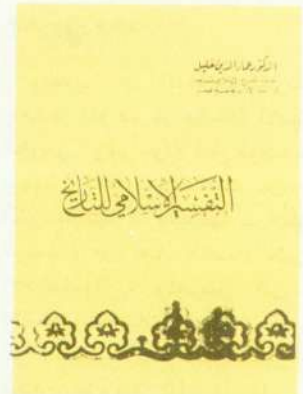
وأخيراً فان هذا الديوان ، جمع بين الماضى والحاضر ، فى التركيب والمضمون ، برؤى مستقبلية كلها أمل ، بخيال واسع

# إلى الكتب الجديدة ••

تقديم: حسني شحادة

بعيد المدى وشاعرية متدفقة جمعت بين الرصانة والجزالة والحداثة ، ولكن عصرنا هذا لا يحتمل القصائد الطوال ، لأنه عصر السرعة التى أصبحت سمة كل عمل أو فن ، والمبدع من يستطيع الجمع بين السرعة وجودة العمل . ولكن الجيد دوما يفرض وجوده .

● التفسير الاسلامي للتاريخ
تأليف الدكتور عماد الدين خليل
نشر دار العلم للملايين ـ بيروت



عبر زمان طويل ، اكتفى العقل البشرى بأن يعرف ما حدث ، فكان ذلك هو التاريخ فى أدنى مراحله ، ثم اتسع الخيال الانسانى ، فأصبح العقل أكثر تطلعاً الى الاحاطة بمظاهر الوجود المادية والروحية ، فادرك أن لكل شىء حدث أسباباً وعللا ، فاراد أن يعرف سبب ذلك ..

أدرك بعض الفلاسفة المعاصرين ، وعلى رأسهم «سبنجلر» و «توينبى» و «كيسرلنج» وغيرهم ، فاعلنوا أن الحدث التاريخى ، لا يمكن أن تصنعه قوة واحدة ، لأن أية حركة تاريخية . إنما هى لقاء خلاق بين الانسان والطبيعة والزمن باذن الله العلي القدير ، ولكنهم لم ينجوا من الوقوع فى المذهبية المحدودة ، والنظرة الذاتية ، واضطراب التجربة النفسية ، فى عملية الاستشراف ، والاستقراء التاريخى ، الأمر الذى أدى الى تارجح مواقع رؤياهم .

هذا ما تعرض له كتاب التفسير الاسلامى للتاريخ ، ذلك أن التفسير لتاريخ البشر ، يجب أن ينبثق من موقف موضوعى شامل ، يربط ويوازن ويدرك العلاقة المتبادلة بين سائر القيم التى تصنع التاريخ ، مادية وروحية ، طبيعية وغيبية ، ولن يتحقق هذا إلا فى نطاق الموقف الاسلامى ، لأن القيم الروحية فى الاسلام ، ليست منفصلة عن المادية والعقلية ، وهى تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى الطبيعية فى تحريك وتوجيه الأحداث التاريخية ، فهى ليست ممارسات فردية شعائرية ، بل قيم ذات جذور عريقة وارتباط متين بقلب العالم وحركة التاريخ ، وبواقع الحياة البشرية والوجود الجماعي على السواء لأنه يستمد رؤيته من القرآن الكريم ، المصدر اليقيني الثابت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قسم المؤلف كتابه الى فصول أربعة :

● التفاسير الوضعية الأساسية ، عرض ونقد .
● الواقعية التاريخية .
● المسألة الحضارية .
● سقوط الدول والحضارات .

لقد كانت منهجية المؤلف عبر فصول هذا الكتاب ، اجراء مقارنات بين كل نظرة أو موقف اسلامى إزاء التفسير التاريخى وبين ما يقابله من نظرات ومواقف فى التفاسير الوضعية وبخاصة «المثالية» و «المادية» و «الحضارية» .

فعرض المؤلف فى الفصل الأول هذه المدارس ، والخطوط العريضة ، لتلك المذاهب ، مع النقد الموجه اليها ، حتى يستطيع القارىء أن يكون على بينة من جهة ، وحتى يستطيع متابعة المقارنات المثبتة فى صفحات الكتاب .

عرض المؤلف فى الكتاب تلخيصاً لأبحاث عدد من الكتاب والمفكرين الذين كتبوا فى تفسير التاريخ ، مع تحديد الانتقادات الأساسية التى لن ينجو منها أى جهد وضعى ، يعتمد الطاقات البشرية النسبية وحدها ، ولا يستمد من الله سبحانه وتعالى . لقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج عديدة للمعطيات التاريخية ، وحدثنا عن الماضى ، ثم خرج بنا الى تبيان الحكمة من وراء هذا العرض ، والى بلورة المبادىء الأساسية فى حركة التاريخ البشرى ، مستمدة من صميم التكوين الحدثى لهذه العروض ، وتلك المبادىء التى سماها سنناً . وصدق الله العظيم بقوله :

«أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة ، واثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» .

● رثاء القمــــر
ديوان للشاعر ابراهيم شاهين
نشر مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١م .

يقع الديوان فى ١٣٠ صفحة ويحتوى على أربع وثلاثين قصيدة ، وهي عبارة تأملات اجتماعية وسياسية ووطنية ، ولكن تغلب على قصائده المرارة ، وقد اختار الشاعر هذا المقطع من قصيدة « اللحن المسموم » على غلاف الديوان :

تسلمني أفعى للأخــــرى ...
وأحــاول كي أنشــد شعــراً ...
سأغني لحنــاً مسمومــاً ...
وأواجــه قــدراً محتومــاً
والكل ضياع ... والكل ضياع ...



# من قضايا التربية المعاصرة





المؤلف الأستاذ عبد العزيز تركى وكيل وزارة التربية والتعليم

بقلم: نبيل خالد الأغا

كثيرة هى الكتب التى تفرزها المطابع وتدفع بها الى المكتبات والاكشاك ، وقليلة هى الكتب القيمة التى ننتقيها من بين هذا الكم الهائل . وحين نقراها ترطب خواطرنا وتنعش عقولنا ، وتثرى معلوماتنا .

ومن بين الكتب التى سعدت باقتنائها مؤخراً هذا الكتاب القيم الذى اهداه لي مؤلفه الأستاذ عبد العزيز تركي ، وكيل وزارة التربية والتعليم ، وعضو مجلس الشورى القطرى .

الكتاب بعنوان « من قضايا التربية المعاصرة » ويقع فى مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات الثقافية والدراسات التربوية كان المؤلف قد القاها أو نشرها فى العديد من المناسبات .

وقد اهدى أول نتاجه إلى والده العالم الاسلامى المرحوم عبد الله بن تركي السبيعي ( ١٣١٨ - ١٣٨٨ هـ ) « اعترافا بفضله ، ووفاء بحقه ، وتكريما لما له من مآثر جليلة راسخة فى حياتي » .

وقد اشتمل الكتاب على ثمانية ابواب هى : نحو افاق جديدة ، وتاملات لملامح تربية عربية اسلامية مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري - التعليم والتنمية بين الواقع والخيال - مشكلة الأمية والجهود المبذولة لحلها - محو الأمية بين التقليدية والوظيفية - مفهوم الثقافة ومستقبلها - أهمية التدريب فى التنمية المهنية للمعلم - دور المراة « المثقفة » فى تنمية المجتمع - مزيد من الرعاية للشباب .

والحقيقة ان المؤلف قد طرح هذه القضايا المهمة طرحاً موضوعياً متانيا ، وحاول جاهداً ان يضع حلولا لبعض المشاكل التربوية المستعصية فى المجتمع العربى ككل ، وفى المجتمع القطرى بوجه خاص ، وقد ساعده على ذلك عاملان : سعة الاطلاع ، وعمق الخبرة فى المجال التربوى .

يقول المؤلف مستشعراً آفاق الغد : إن الانسان العربى يشعر فى عميق احساسه بالتناقض العجيب بين ما كان للأمس من فعالية وقوة واشراق ، وبين ما هو فيه الآن من تخبط وحيرة ، وعجز وغياب لرؤية المستقبل . ثم يتساءل : الا تستطيع كل هذه الامكانات الهائلة المادية والاقتصادية التى توفرت له ان تكون وسيلة فعالة لتحجيم تلك المعضلات ؟

إن هذه الفرصة المتاحة للأمة العربية اليوم قد لا يكررها الزمن - هى وسيلتنا الوحيدة للتغلب على أزمة النضوب والعقم تلك الأزمة المسئولة عن تردى حياتنا الفردية والاجتماعية والقومية وسواها .

إن الثروة البشرية التى يملكها العالم العربى هى رأسماله الحقيقى الأبقى على مر الزمن ، والقادر على تجاوز واقعه ، ومواجهة التحديات التى تعوق تقدمه .

وهذه الثروة البشرية إذا احسن استثمارها واعدادها كانت القوة الفعالة لتحرير الانسان العربى من القيود والأغلال التى كانت ملازمة لمجتمعاتنا طوال القرن الماضى فهل تستطيع الاجهزة العربية كلها ان تبعث يقظة وعزيمة اكيدة نحو تحقيق تعاون صادق مبني على المصارحة ونقد الذات ، وتجاوز صيغ واشكال التعاون المعروفة حاليا ؟!

وبكثير من الدقة والمقارنة والتحليل يتحدث المؤلف عن مشكلة الأمية فى الوطن العربى ، وفى دولة قطر بوجه مخصوص ، ويورد ارقاماً واحصاءات عن الجهود التى بذلتها - وتبذلها - حكومة قطر الرشيدة من أجل القضاء على هذه الآفة الاجتماعية . وتعرض الى محو امية النساء القطريات ، وخلص الى القول بان المراة القطرية يقع عليها الدور الأساسى فى إنجاح مشروع القضاء على اميتها لأن العمل هو الذى يقوم ذاته فى هذا العصر ، كما أن التخلف التاريخى فى تعليم المراة العربية أدى إلى تخلف التعليم عامة ، وهنا تكمن احدى مسئوليات المراة القطرية تجاه نفسها ، وتجاه مستقبل الأجيال اللاحقة .

وأخيراً .. فهذا كتاب قيم حقا لمن يريد إثراء ثقافته ، ولمن يبتغى مواصلة البحث التربوى والتعمق فيه ، لأنه حصيلة خبرة ثرة من التجارب الواقعية والميدانية قضاها المؤلف فى العمل والانتاج بميدان التربية والتعليم .

ونامل أن يكون هذا الكتاب فاتحة خير لمزيد من العطاء الذى ننتظره من الأستاذ عبد العزيز عبد الله تركي بصفته واحداً من ابرز المثقفين فى دولة قطر .

# زَبَرْجَدَة
## إلى نزار قباني

شعر: حسن طلب



نزار قباني وبلقيس في آخر صورة لهما

الحِكاياتُ تمّتْ ..
وبلقيسُ نامتْ
لقد قدّمتْ للعروبةِ فرضَ الوَلاءِ
وأدّت زكاء الأنوثةِ
.. صَلّتْ وصامتْ

وها هى تتجهُ الآنَ سادرةً للأمامِ
ستبقىٰ مسافرةً فى الغمامِ
مع القُبّراتِ
.. وسربِ اليمامِ

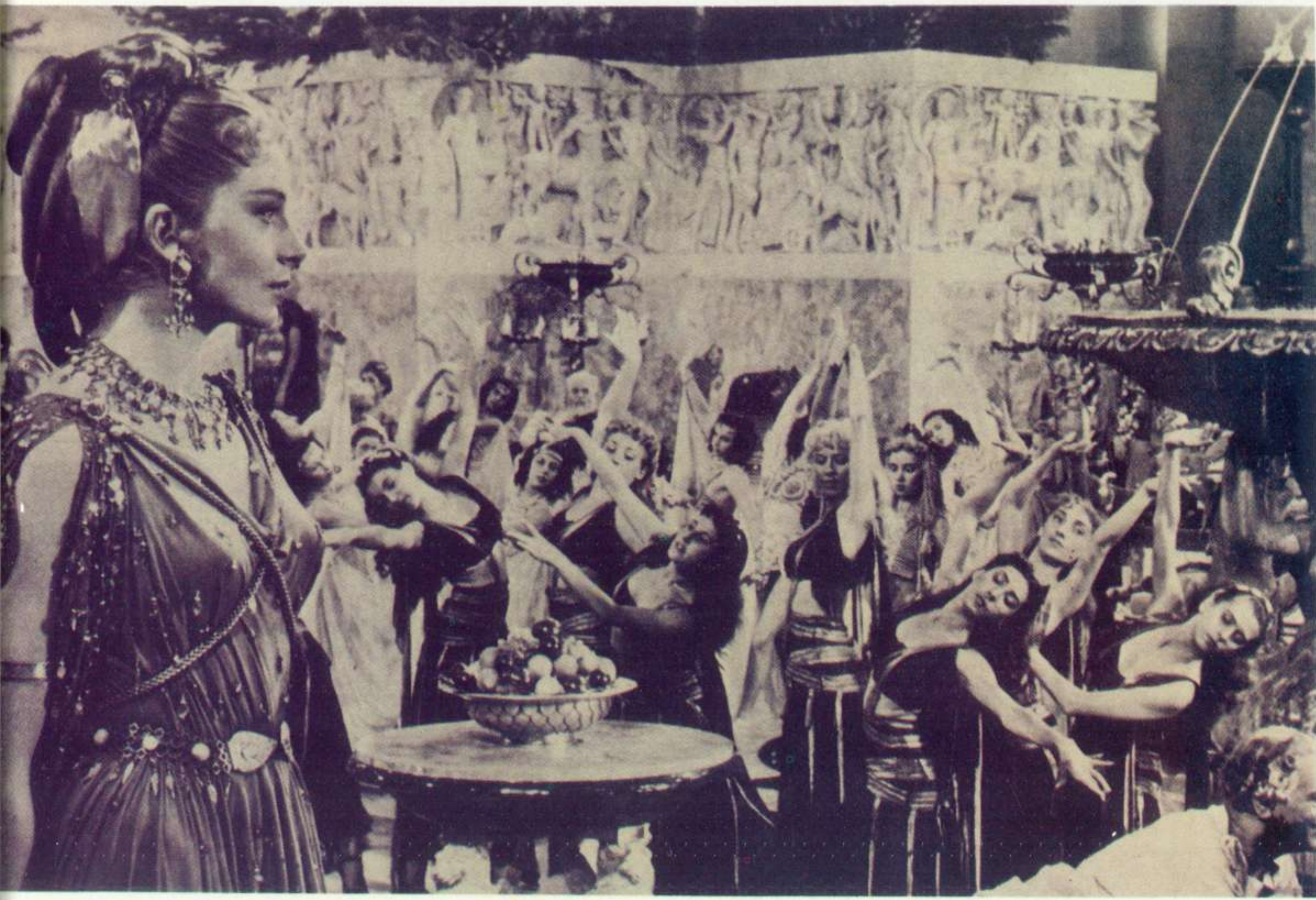
فيا أيها الصبُّ :
ركّبْ تفاعيلَكَ الآنَ فى صُورةِ الفرحِ
انشرِح

الشعرُ صحّ العمودُ لهُ
والقصيدةُ بين يديكَ استقامَتْ
ويا أيّها الصبُّ :
صوبْ وسائِلَكَ الآنَ للهدَفِ
اعترِفِ

الوقتُ حانَ لكىْ يعرفَ الناسُ
آخِرَ ما هَسْهَستْ بِهِ بِلقيسُ
هل أخبرتْكَ بعنوانِ بعضِ الجناةِ .؟
وهل أرشدتْكَ الطيورُ التى
فوقَ أرضِ الجريمةِ حامتْ .؟
تُرىٰ :
أىّ برقٍ منِ الشرقِ شامتْ .؟
وكلّ البروقِ غدتْ خُلّباً
وجميعُ الحكاياتِ قبلَ النّهاياتِ تمتْ
وبلقيسُ قامتْ
لتمنحَ بيروتَ شكلَ الزبرجَدِ
ثم تودّعَ بيروتَ
تقرُصَ بيروتَ من أُنثَيَيْها (*)
وتخلدُ للنومِ ثانيةً

أيها الصبُّ :
عادتْ لآلِئُكَ الآنَ للصَّدفِ
انصرفِ
الحزنُ قرّ القرارُ بِهِ
والمآتِمُ كانتْ مواقيتُها لا تدومُ ..
فدامتْ
وكلّ اليمامَاتِ هامَتْ
فعُدْ بتماثيلِكِ الآنَ للخزَفِ
الآنَ لا تخَفِ
الشعرُ يَحميكَ
يحرُسُ ظهرَكَ
.. لكنّ بِلقيسُ نامتْ
ولم تستَمِعْ لأرقّ القصائدِ منكَ
فحقّ عليها العتابُ
.. تهاوىٰ الترابُ
وبلقيسُ فى مُطلقِ الحُلمِ لِيمَتْ ..
ولامتْ
فيها أيّها الصَّبُّ :
رتّبْ تفاعيلَكَ الآن فى صِيغَةِ التّرحِ
استرح
الشعرُ سوفَ يصحُّ العمودُ لهُ
والقصيدةُ قد تستقيمُ إذا استوْعَبتْها الشّحاريرُ
قبلَ الجماهيرِ
كَم راودتْها الشعاريرُ
لكنها ما استنامَتْ
فدعْها ..
لتكتُبَ ضدّ العُروبةِ سَيّئةً
ثم ترقىٰ
وقلْ :
إنها فى النهايةِ تبقىٰ ..
وفى البدءِ كانَتْ

(*) الانثيان : لغة فى الاذنين .



استطاعت السينما عن طريق قدراتها ان تقدم لنا الأحداث التاريخية في مشاهد تقفز فوق قيود المكان فنعيش مع كل لحظة من لحظات العمل الفني

# السينما
## مصنع الأحلام في المجتمع

بقلم : محمد فتحي

لم يحدث قط فى مجرى التاريخ أن انبثقت صناعة ، عالية العمد كصناعة السينما ، انبثاقاً مباشراً سافراً ، من أحلام النـــاس .

ماكس ليرنر
من كتابه « مقومات الحضارة الأمريكية »

يستطيع المرء بالليل أو بالنهار أن يدخل الى قاعة أطفئت أنوارها ليطلق نفسه وروحه من أسار الواقع ويستغرق فى عالم لذيذ باهر النظم ، زاهى الالوان ، باهى الحسن والرواء .. ألست ترى أن الاظلام فى حد ذاته دلوف إلى عالم الأحلام ؟ ! وعندما تتحرك الشخوص فوق الشاشة العريضة أمام ناظريك ، فى موجات متلاحقة ، ثائرة أحياناً بعواصف العاطفة أو الجريمة أو

الطراد العنيف ، أو رقيقة كهبات النسيم الرطيب وكأنما تحس بها تداعب خديك .. تشعر بأنك سندباد حط به طائر الرخ فى واد من وديان ألف ليلة وليلة أو بأنك الشاطر حسن .. أو سلطان من السلاطين منعماً فى فردوس من فراديس الأساطير .. المنى كلها - مما لا تجود به دنيا الناس - بين يديك وكأنما تقول لك لبيك .. أشهى الحسان اللائى يقطرن دلا وانوثة .. الرجولة فى أبهى صورها من رومانسية وفتوة ووسامة .. أشيك الأزيـــاء .. أرشق السيقـــان .. كل ما يجعلك تشعر بأن الدنيـــا مقبلـــة بين يديك وانت جالس في مقعدك . وعندما تدلف الى مخدعك لتنام يرقد الوعى وينهض الخيال ناسجاً الرؤى الفتانة من وحى النماذج التى شاهدت فى الفيلم وهى نماذج صاغتها التخيلات والأحلام .

هذه الرؤى المعيشية الجديدة التى جذبت اليها كل الناس أصبحت تنشد وترتجى وتهفو لها النفوس . ومن هنا خلقت ذوقا عاما متوسطا ، مسوية فى ذلك بين العامة فى مستواهم الأدنى ، والخاصة فى الأعالى . دنيا الأفلام دنيا من الأحلام . ولكنها ليست بالضرورة أحلام تهرب ، تتلمس عن طريقها تعويضاً عن نشدان نفس أحبط ، أو عاطفة فقدت ، أو آمال خابت . بل يمكن أن تكون هذه الأحلام أحلام طموح وتطلع لمستويات ليست عسيرة على التحقيق . والتطلع الى قيم معيشية جديدة لابد أن يكون مصحوباً فى نفس الوقت بتجارب عاطفية جديدة .

مشكلة العواطف هى أنك لا تستطيع الحصول عليها بطريقة آلية كما تحصل على قنانى المرطبات أو على نور الكهرباء وخاصة فى حضارة تسودها المادة واعتبارات المال . فانى لانسان هذا العصر أن يجد حاجته من الزاد العاطفى وهو على التحقيق أشد من أسلافه تعطشاً وحنيناً الى الرؤى العاطفى لذلك عندما تصدت السينما بشاشاتهـــا السحرية الخلابة لارواء هذا الظمأ وجدت الجمهور فى حالة تشوق ولهفة .

تقنيات السينما يسرت تحقيق هذه السقيا العاطفية بشكل باهر ، لا يباريها فى ذلك أى ضرب آخر من ضروب الفن الشعبى بما فى ذلك المسرح . العاطفة تتبلور فى نظرة أو وقفة أو مشية ، أو عن طريق التخير فى اللقطات وتتابعها ، أو التحكم فى الايقاع « الرتم » تمشياً مع مسار الفيلم ومع مراحل الكشف عن جوانب القصة ، أو عن طريق قدراته فى نسج الماضي والحاضر فى نسيج واحد ملغياً الزمان قافزاً فوق قيود المكان . أو عن طريق الانتقال من اللقطات المكبرة المقربة الى اللقطات البعيدة المترامية مما


والت ديزني .. قدم دراسات في الطبيعة


شارلي شابلن .. أفلامه ضمن الكلاسيكيات


ألفريد هتشكوك .. أفلام الرعب

يزيد الحدة ويثير الاشتياق المتصل لينهل الرائى ويواصل النهل ..

تغوص السينما فى أغوار الغريزة ودهاليز النفس الانسانية ، وتضرب فى الأرض من مكان لمكان ، وفى غيابات الزمان من حقبة لحقبة ، ومن ثقافة لثقافة .. مستثيرة الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكويننا .

هذه هى حقيقة الدور الذى تقوم السينما على أدائه والذى جعل منها منذ نشأتها الأداة الأسرة الخلابة . قد تكون الصحافة أطول منها باعاً فى تغيير الاتجاهات وتشكيل المواقف . وقد يكون الراديو أوسع منها قاعدة وأسرع فى الوصول الى جماهير الناس . والتليفزيون بالغ التنوع ، مقرب للمتعة بل جالب بها الى الانسان فى مستراحه وداره . ولكن هذه الأدوات جميعاً تبرز دنيا الواقع واذا مست الخيال والأحلام فهو مس رفيق عابر ليس هو عنصر ذاتها وجوهرها . أما السينما فتلك إذاً صنعتها أو لعبتها اذا شئت .. نسج الأحلام التى تهفو اليها الأرواح وقرارات النفوس .

هل تعكس السينما التيارات النفسية فى المجتمع الانسانى ؟ بمعنى آخر هل هناك علاقة بين الموضوعات المعروضة وهـــذه التيارات ؟ الواضح أنها نهجت حيث نشأت - أى فى هوليود - نهجاً أضحى هو النهج العام المتبع فى مراكز الانتاج السينمائى ، ذلك أنها عمدت الى التسطح والاكتفاء بالأمانة الظاهرية وتنمية الأنماط التى ترضى أذواق العامة. معالم الثقافة فى المجتمع واضحة فى الزى والسلوك والأنماط المعيشية ولكنها لا تكشف أكثر من السطح الذى طلى بالدهان والبريق ، زين وزخرف لدرجة تكاد تقربه من لفظ زيف ، !

خذ المال مثلا . يقول الفيـــلم إن السعادة والسمعة خير من المال . ولكن كل لقطة وكل صورة تقول لا شىء يعدل قيمة المال ! أو خذ الجنس . الفيلم لا يعرض الجنس كعنصر من عناصر عاطفة نبيلة وهى الحب . وانما يعرض الجنس للجنس ذاته ولما يعنيه من انشغال الناس به انشغالا غير طبيعى . وهذا الانشغال بالجنس هو من صنع السينما أكثر من أى جهاز آخر .

بسبب هذا المذهب السطحى وعـــدم عرض العواطف الحقيقية عرضاً متعمقاً لجأت السينما إلى « الفعل » كبديل . ونقصد بالفعل هنا المبالغة فى عرض الأحداث العنيفة فى تتابع سريع برعت فيه عملية

# السينما

## مصنع الأحلام في المجتمع

المونتاج فيدخل المشهد فى أعقاب المشهد دون أن يمنح المشاهد لحظة تأمل أو تفكر واحدة . كل شىء يجرى بسرعة عظيمة .. أحداث شتى .. منازعات وتهديدات وخناقات وأخطار وكمائن وفرار ومطاردات فوق ظهور الخيل أو السيارات .. حب من النظرة الأولى وخصام وصلح ووئام ومنافسة أو سوء فهم يعقبه معارك بالمسدسات وبالمدافع والرشاشات . جماهير ثائرة ومواجهات فى الساحة ترقبها من وراء الجدران والنوافذ عيون هلعة .. أو فى الحان والمشرب تقلب وتكسر وتدمر .. مطاردات فى القطارات من عربة لعربة وفوق سطح العربات .. جثث فى الدواليب .. اعترافات على سرير الموت ..

احداث تلو أحداث يجرى الجمهور فى أثرها لاهثا مسرع الأنفاس لا يستجمعها ، لا تقر نفسه حتى بعد أن ينتهى الفيلم وترتخى الستارة وتضاء الأنوار ويخرج الى عالم الواقع .. ! سرعة تدافع الأحداث لا تدع مجالا للكشف عما بداخل السرائر أو الوصول الى الجذور أو التوصل الى النتائج النفسية .

« الفعل » هو كل شىء ومظاهره بينة . حتى فى أفلام الحب والغرام العنف فيها عنصر أصيل .

ورغم ذلك كله فطاقة الفيلم غير منكورة . لدينا الكلاسيكيات التى أنتجتها السينما وما تزال تنتقل معروضة من جيل لجيل كفيلم « ميلاد أمة » لجريفث وأفلام شارلى شابلن .. الغلام والبحث عن الذهب ومسيو فردو .. وأفلام فرانك كابرا وهى نقد بليغ للمجتمع .. مستر سميث يذهب الى واشنجطن .. ولن تاخذها معك ( ما حدش واخد منها حاجة ) وحدث ذات ليلة .. وتاريخيات سيسل دى ميل ، والتراث الشعبى العالمى الذى أنشاه والت ديزنى أو دراساته فى الطبيعة ، وكذلك دراسات هيتشكوك فى جزيرة الخوف والرعب ، ودراسات السير الشخصية على مدى التاريخ مثل المواطن كين والمبلغ .

من العجيب حقاً ومع هذه الطاقة الهائلة والقدرات الكامنة فى أداة السينما أن يواجه الفلم بتقلص شديد فى جمهوره وخاصة من جانب الكبار الذين يتجاوزون من العمر الخامسة والثلاثين . ومن ثم تغلق كثرة من الدور أبوابها . يذهب بعض النقاد فى تعليل ذلك الى ان المنتج السينمائى هو الملوم . فلو أنه رفع من مستوى الفلم الفكرى والعاطفى لقدر له أن يكسب للسينما رواداً من الراشدين من أهل الفكر الذين ينأون عن السينما لهذا السبب بالذات . وفى رأى آخر أن الكبار ينأون عن السينما لانهم فى أغلب الظن لا يجدون فى أنفسهم القدرة على تفهم اتجاهها الجديد مثلما يفعل الأصغر سناً . مضمون هذا الرأى أن التغيرات الحديثة فى المجتمع غيرت الظلال المعيشية ـ وكان الكبار يألفونها فى ظل الأسرة مثلا أو مجتمع النادى ـ وأن هذه التغيرات جلبت مظاهر جديدة من التجربة الاجتماعية التى تعبر عنها السينما تعبيراً يستوعبه الصغار ولا يقوى على مجاراته الكبار ومن ثم يعجزون عن فهمه والتجاوب معه ، ويستطرد أصحاب الرأى بأن أذهان الكبار متجهة نحو الماضى ..

وقد يكون صحيحاً أن الصغار ونعنى بهم الصبيان والشباب حتى الثلاثين من العمر يرتادون السينما لا لمجرد التسلية والترويح بل يرتادونها كذلك بحثاً عن الرشاد والهداية ، والمقصود بالرشاد والهداية هنا هو أن يلتمسوا الرشاد والهداية فى مجال العلاقات الشخصية أى فى العلاقات القائمة بين الاشخاص بعضهم بعضاً ، ونحسب أن هذا الاسترشاد الذى يلتمسونه يثير قضية فى غاية الأهمية فأى نوع من الرشاد ذلك الذى يتلقاه النشء والشباب من السينما ؟ لا نستطيع الادعاء بأن العوالم العاطفية والفكرية التى تعرضها الأفلام عوالم حقيقية واقعية . فهى عوالم وهمية من نسج الخيال ، لاحس ولا شعور فيها بنمو الشخصية أو المعاناة المريرة للتعرف على الذات ، وهو ما قد يجده الشاب فى الروايات الجيدة التى يقرؤها والتى قد تأخذ بيده الى بعض المسالك هدياً له فيما قد يدور فى قرارة نفسه من تورطات أو متاهات . إن السينما لا تنمط الحلول فحسب بل تنمط المشكلات أيضاً أى تجعل من هذى وتلك أنماطاً (ستريو تايب) ، الأمر الذى يجعل شباب السينما عرضة للتأثر بها حتى يستقى منها التورطات والمتاهات . مثل هذا التفاعل قد يؤدى الى قران عاطفى حقيقى بين الأفلام والجمهور . غير أن الجمهور فى تلك الحالة سيكون هو الذى فسد قبل قرينه ومن ثم أصبح «مشروطاً» أى رهينة واقعة فى مجال الشرط .

إن التصور الذى رسمته هوليود وثبتته لطبيعة الانسان ومصيره وسار على منواله سينمائيو العالم ، لا يهمنا فى قليل أو كثير .. لولا أنه يسود على نطاق امبريالى ! فما تراه هوليود ، وتفعله ، وكيفية نفاذ هذا الفعل ـ ويحذو حذوها السينمائيون فى كل مكان ـ يصبح نهجاً معيشياً لملايين الناس على نطاق المعمورة . إن هوليود لا تنتج وتوزع وتصدر صوراً فحسب . الصور والأفلام يتلقاها الناس ، ولكنهم يتشربون منها شيئاً آخر .. يتشربون فلسفتها ، وطرز الزى والأناقة .. من تسريحة الشعر حتى الحذاء فى أخمص القدم ، وأساليب السلوك .. كيف يدخن وكيف يجامل وكيف يقبل وكيف يسلم وكيف يضبط خطوة قدميه ، وكيف يلاغى وماذا يقول وكيف يتصرف فى شتى المواقف .. يأخذ منها الناس حكمة العيش ويثبتون ما يلتقطون من مشاهدها بما يقرأونه فى عشرات المجلات السينمائية وأعمدة النقد فى الصحف عن الكواكب وحياتهن وأزواجهن والانفصال الزوجى المتكرر وخلع زوج تلو زوج .. الى آخر ذلك الذى ما تفتأ الصحف والمجلات وشتى أجهزة الاعلام مسموعة ومرئية تنشره وتذيعه عن الكواكب من الاناث والذكور . القيمة الامتاعية للسينما عند روادها مزيج من السحر والسلوك والقيم والخلق . ما قصد به أن يبهر الناس يقوم أيضاً بارشادهم وهديهم . الفعل القوى المتسلط الذى أريد به أن يشرح الصدور يظل معهم ليلذ أحلامهم . والعنف الذى قصد به أن يدغدغ حسهم يبقى معهم مبلداً ذلك الحس .

فيض الانتاج السينمائى ليس غثاً كله ، ففيه قدر من الانتاج سمين ، يشهد للمنتج والمخرج بالقريحة القوية والقدرة الفائقة . هؤلاء الخلاقون المبدعون الذين يجرفهم تيار التقليد والاصطلاح أنشأوا لنا كلاسيات الماضى ومايزالون يتحفون البشرية من حين لحين بدرر فريدة تنبض بالتعاطف مع الانسان فى مسرى معاناته ، كما تسجل تطورات الفكر الاجتماعى . لقد بلغ الفن السينمائى شأواً بعيداً هز مشاعر الناس ، وبصورة لم تبلغها بعد الفنون الجماهيرية الأخرى مثل الاذاعة والتلفزيون . جوهر النقد الموجه الى السينما مبنى على أساس الهوة القائمة بين الواقع الذى تعرضه الأفلام والطاقة الكامنة فى الأداة . ومع ذلك فهذه الهوة ليست قاصرة على السينما بل لعلها فى التلفزيون والاذاعة أشد اتساعاً وفغور فاه .

محمد فتحى

# هـو .. هـم .. !!

قصة بقلم : صلاح عبد السيد

كنت محشوراً فى الاتوبيس .. وكان هو يقف ورائي .. كان ملتصقاً بي ، نبهته بصوت خفيض أن يبتعد ، فابتعد قليلا ثم عاد من جديد .. زعقت عليه ان يبتعد واستدرت اليه ..

عندما نظرت فى وجهه .. امسكت به .. انه هو .. هو بالتاكيد .. !!

هو الذى بالامس وانا فى طريقى الى البيت فى وقت متاخر من الليل .. اعترضنى وشهر فى وجهى سكيناً .. وابتز منى كل ما املك حتى اخر الشهر .. ولطمنى على وجهى ..

انه هو .. هو بالتاكيد .. لقد رايته لحظة ان اعترضنى .. صحيح أن الضوء كان شاحباً .. وكنا فى وقت متاخر من الليل .. لكننى استطعت أن أراه .. ،ان أشم رائحته

كان وجهه بليداً .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

قال المحقق فى سخرية ..

ـ وماذا أيضاً .. ؟

ـ وقفاه عندما استدار .. كان غبياً .. أسود .. وجلده كجلد البهائم ..

ـ وماذا ايضاً .. ؟

وقهقه ..

ـ ورائحة فمه ..

وشممت رائحة البصل تفوح من فم المحقق .

وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه ..

بص لى ..

كان وجهه بليداً .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

استدرت أرى قفاه ..

كان قفاه غبياً .. أسود .. وجلده كجلد البهائم ..

وانعقدت سحابة البصل ..

انه هو .. هو بالتاكيد .. !!

هو الذى بالامس اعترضنى واخذ نقودى صرخت عليه .

ـ اعطنى نقودى التى سرقتها منى .. !! ؟

فتح فمه .. فبانت أسنانه القاتلة .. وابتسم لى .. ثم اخرج من جيبه سكيناً وشهرها فى وجهى .. وامرنى أن اخرج النقود التى معى .. فلما اخبرته اننى بلا نقود .. ابتسم وامرنى ان اخلع جاكتتى وبنطلونى ..

ووضع السكين على رقبتى .

وتركنى بالسروال والفانلة ..

• •

زعق صاحب البيت ..

أين نقود الايجار .. ؟

همست فى اعياء



ـ لقد سرقوا نُقودى وملابسى .. !!

ـ من هم .. !!

ـ انهم .. إنه .. وجهه بليد .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

قال صاحب البيت فى سخرية ..

ـ وماذا ايضاً .. !!؟

ـ وقفاه عندما استدار كان غبياً .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

ـ وماذا أيضاً .. !! ؟

وقهقه ..

وشممت رائحة البصل تفوح من فمه ..

ـ وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه ..

بص لى ..

كان نفس القفا والوجه .. والوجه والقفا .

وانعقدت سحابة البصل تفوح فى المكان

إنه هو .. هو بالتاكيد .. الذى اعترضنى .. والتصق بى .. وحقق معى ..

صرخت عليه

ـ اعطنى نقودى وملابسى

ابتسم لى .. فبانت أسنانه القاتلة .. ثم اقترب منى واخرج من جيبه سكيناً شهرها فى وجهى ..

وأمرنى أن أخلع سروالى وفانلتى ..

وتركنى عارياً ..

• •

كنت عارياً .. حين مرت تلك الجنازة المهيبة .. ورأيت قفاه فيها ..

اقتربت منه .. كان فعلا قفاه ..

نظرت فى وجهه .. كان فعلا وجهه ..

نظرت للذى الى جواره .. كان مثله ..

والذى الى جواره .. كان مثله ..

انه هو .. هو .. هم .. هم .. !!

كانت وجوههم بليدة .. وجماجمهم صلدة .. وشفاههم السفلى ميتة ..

وانعقدت سحابة البصل تفوح فى المكان ..

إنهم هم .. هم بالتاكيد

صرخت فى الموكب أن يتوقف ..

انظروا لى ..

ـ ساخذ نقودى الآن وملابسى .. اعطونى نقودى وملابسى ..

ابتسموا لى .. فبانت أسنانهم البيضاء القاتلة .. واحاطوا بى فى دائرة محكمة .. ثم اخرجوا من جيوبهم مدى ذهبية لامعة .. وضعوها حول رقبتى .. وأمرونى بصوت ناعم رقيق .. أن أخلع جلدى ..

وكانت الموسيقى تدق .. والزهور تحيط بى ..

# الرَّغيفُ اليَمَنيّ

## حكاية لها تاريخ وقضية تبحث عن الحل!



داخل أحد أفران الخبز فى اليمن

بقلم: زيد محمد حجر

**ان عملية اعداد رغيف الخبز كما صورها احد أرباب الأسر اليمنية هى كالمعركة وقد حكم على هذه العملية بانها أشغال شاقة ، وفى تصورنا أن حكمه كان واقعياً لما يبذله رب الأسرة من الجهود الكبيرة حيث انها وراء جل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والصحية .**

ونبدأ بذكر المتطلبات الأولى التى تواجه كل أسرة والتى تبدأ بشراء الحبوب والحطب. وبعد شراء الحبوب تقوم ربة الأسرة بتنقيتها وطحنها بنفسها أو باشرافها ثم تقوم بنخلها وعجنها وخبزها .

والصعوبة الأولى فى عملية شراء الحطب هو انه لابد ان يكون ذا نوعية معينة من الجودة كما يشترط ان يكون من نوع « الضهياء » ـ نوع جيد من الحطب ـ وشراء « اللصوة » ـ أعشاب قابلة للاشتعال والتى يجب ان تكون من نوع « الجعدان » والكباء يجب أن يكون مادته من دقعة الغنم اذا تيسر ذلك ، والبحث عن المفلق الماهر لتكسير الحطب إلى قطع تتناسب مع حجم التنور مع ما يكتنف ذلك من وجوب التفرغ والترقب والمساومة مجرد الاعداد الأولى فى بدء عملية الخبز التى تقوم به ربة بيت فى بلادنا .

والمرحلة الثانية من اعداد الرغيف تكبد المرأة معاناة كبرى من الناحية الصحية نتيجة للجهود التى تبذلها. فهى تخسر وتضيع كثيراً من وقتها الذى كان من المفيد ان تصرفه فى العناية بترتيب مستلزمات بيتها وتنظيفه ورعاية نفسها وأطفالها ، وربما يكون تعرضها للنار والدخان اثناء العملية الأخيرة لاعداد الخبز هو اشد مرحلة تواجهها من الناحية الصحية فالكثير منهن يصبن بالسل الرئوى « ١ » وتلف النظر للقيام باعمال تنقية الحبوب والحروق التى تشوه وجهها ويديها خلال مباشرتها لهذه العملية .

والمرحلة الثالثة الذى تتطلبها العملية هى الخبز. ونظراً لبدائيتها لا يمكن لربة الأسرة من التحرى الكامل والتدقيق فى نظافة الخبز وجودته صحياً ، وللوقت عامل مهم لضرورة إنجاز عملية الخبز سريعاً كى لا تهدأ حرارة التنور « الوقده » والاضطرار الى استهلاك مزيد من الوقود الغالى الثمن ، وخوفاً من مطالبة رب الأسرة بشراء كمية أخرى من الوقود .

ولسوء حظ ربة الأسرة فى اغلب الأوقات تفشل فى اعداد مهمتها كما يريدها رب الأسرة نتيجة حدوث أهمال غير مقصود مما يؤدى الى التشاحن والمشاكل الأسرية التى لا تحمد عقباها .

واخيراً فهذه العملية تؤثر على جو الأسرة من حيث أن ربة البيت لا تتمكن من الاعتناء بنفسها ومظهرها وأطفالها ، وترتيب أثاث المنزل ونظافته كما ذكرنا سابقاً . كل هذا يؤدى إلى ضياع الوقت وهجر المنزل لجوءاً إلى مجالس القات والتفاريط « مجالس السيدات » وهما مشكلتان اجتماعيتان لا مجال للحديث عنهما هنا بالاضافة الى ان العملية تشكل عدم استقرار فى محيط الأسرة ونتيجة لذلك يحاول كل واحد منهما ـ الزوج والزوجة ـ الهروب من وجه الآخر تفادياً للمشاكل وتخفيفاً مما فى نفس كل منهما من الشكوى التى تنتج من هذه العملية .

## الأشجار .. ضحية !

وإلى جانب ذلك هناك أثر سلبى عام من اعداد الخبز فى المنزل وهو عدد الأشجار التى تفقدها البلاد سنوياً والبيان الآتى يوضح ذلك .

إن متوسط ما تحتاج التنور لخبز الخبز هو ستة قطع من الحطب مع كمية من اللصوة التى تساعد على الاحتراق عند بدء عملية خبز الخبز . وقد حاولنا فى هذه الدراسة ان نقتصر فقط على حجم كمية الحطب وهى كالآتى :

بلغ حجم قطع الحطب المستهلك يومياً لأسرة يمنية مكونة من خمسة اشخاص حسب تقدير المزارعين والحطابين ٥٪ من حجم شجرة متوسطة الطول . فاذا افترضنا ان سكان الجمهورية اليمنية يساوى ثمانية ملايين . اذن يصبح مجموع استهلاك السكان يومياً يعادل اربعمائة الف شجرة والاستهلاك السنوى ٢٠٦ مليون شجرة . وينتج من ذلك اضرار اقتصادية كثيرة تدفع بالبلاد إلى استيراد ما يقدر بعشرين مليون ريال من الخشب مثلما يكبدها مبلغاً لا يستهان به لشراء الحديد كبديل للخشب استجابة لمتطلبات العمران الحديث فى بلادنا .

وهذا الجانب السلبى لا يقتصر عند هذا الحد فحسب بل ان البلاد تفقد الناحية الجمالية التى تزين الأرض اليمنية وتحولها نتيجة استهلاك تلك الاعداد من الأشجار الى ارض جرداء بعد أن كانت الأرض الخضراء المعروفة بها اليمن قديماً . ولعل هذا أمر سهل لو وقف هذا الجانب السلبى عند الناحية الجمالية ، بل إنه انكى وأمر ، فالمعروف علمياً ان الأشجار تجذب سحب الأمطار ، والأمطار فى اليمن هى التى تعتمد عليها زراعة البلاد والتى تشكل المصدر الرئيسى لثروتها .

ونحن لا نشعر بحدة هذه المشكلة ذلك لتوفر المعونات الخارجية من القمح وكذلك ما يستورده القطاع الخاص والعام حالياً من تلك الحبوب لسد حاجات الناس . فالكميات الواردة من الحبوب الى بلادنا تبلغ حوالى مائتى ألف طن سنوياً «٢» .

وقد قمنا بسؤال مائة شخص يمثلون مختلف أرباب الأسرة اليمنية وطرحنا عليهم الاستفسارات بهذا الصدد فكانت النتيجة كما يلى :

اجابت الفئة الأولى وعددها ٥٨ اسرة انها تقوم باعداد الخبز فى المنزل ، والثانية وعددها ٢٥ اسرة تقوم بشراء الخبز من السوق ، والثالثة وعددها ٢١ لم تجب ، « بنعم » أو « لا » والرابعة وعددها أربع أسر لم تبد اهتماما بالموضوع .

# الرّغيفُ اليَمنيّ

وبعد أن اطلعنا على وجهة نظر المجتمع نود ان نؤكد وجهة نظرنا بان هناك صعوبات جمة تقوم باعبائها ربة الأسرة التى تقوم باعداد الخبز فى المنزل وسنورد وصفاً كاملا لما تقوم به ربة الأسرة. وسيدرك القارىء الكريم الصعوبات العديدة الناجمة من هذه العملية .

أولا : متوسط التكاليف التى تدفعها ٥٨ أسرة فى الخبز عند اعداده فى المنزل حسب الدراسة التى قمنا بها .. تقدر كالآتى .

● متوسط أفراد ٥٨ أسرة هو ٥ أفراد للاسرة الواحدة .

● تكاليف إعداد الخبز .

أ ـ قيمة الحطب واللصوة .. الخ ١٠٠ ريال .

ب ـ اجرة المفلق ـ ١٠ ريالات .

جـ ـ ما تستهلكه الأسرة المذكورة من القمح شهرياً هو قدح «٣» ونصف القدح وقيمته ٥٠ ريالا .

د ـ المجموع ـ ١٦٠ ريالا .

● متوسط الزمن الكلى الذى تستغرقه ربة الأسرة مكونة من خمسة اشخاص لاعداد الخبز فى المنزل هو على النحو التالى :

أ ـ الزمن الذى ترتبط به ربة الأسرة فى المنزل عند تكسير الحطب الى قطع تتناسب وحجم التنور شهرياً ٥ر١ ساعة .

ب ـ الزمن الذى تستغرقه ربة الأسرة لتنقية وتنظيف القدح والنصف من القمح الأجنبى ١٢ ساعة .

جـ ـ مجموع الزمن الكلى الذى تستغرقه ربة الأسرة لطحن القدح والنصف من القمح حسب الوحدة المبينة بين « الوحدة ـ ربع قدح » ٤ ساعات .

د ـ تستهلك هذه الأسرة ثلاثة انفار «٤» من القمح يومياً بعد طحنه والزمن الكلى المستغرق شهرياً لعجن القدح والنصف حسب الوحدة السابقة ٥ر٢٢ ساعة .

هـ ـ الزمن الكلى المستغرق شهرياً لتخمير العجين « حالة ارتباط وترقب » ٥٠ ساعة .

و ـ الزمن الكلي المستغرق شهرياً لخبز الخبز ٤٥ ساعة .

جـ ـ المجموع ٥ر١٣٥ ساعة .

نفترض ان اجرة ربة الأسرة يومياً يساوى ما يتقاضاه عامل غير ماهر وهو سبعون ريالا والمعلوم أن ساعات العمل اليومية هى

والجدول رقم ـ ١ ـ يبين وجهة نظر الفئة الأولى التى تقوم باعداد الخبزُ فى المنزل وعدد الأسر والنسبة المئوية والدوافع التى تجعلها تتمسك بتلك العادة .

| عدد الأسر | النسبة | الدوافع |
|---|---|---|
| ٢٤ | ٥٩٪ | لا تفضل شراء الخبز من السوق لغلائه وعدم وجود النظافة . |
| ٢ | ٢٪ | لا تفضل شراء الخبز من السوق لنفس السبب الأول بالاضافة إلى أن وزن الرغيف وسعره غير ثابتين فى السوق . |
| ٥ | ٧٪ | لا تفضل شراء الخبز من السوق لنفس السبب الأول بالاضافة الى اعتقادهم بعدم جودته . |
| ٤ | ٦٪ | لا تفضله من السوق لنفس السبب رقم ـ٣ـ ولكنها تقوم باغلب العملية فى المنزل وترسله الى الفرن لخبزه توفيراً للتكاليف الباهظة الناجمة من الحطب . |
| ٤ | ٦٪ | لا تفضل شراءه من السوق لأن عملية اعداد الخبز فى المنزل تتناسب مع الوجبة اليمنية من حَيث هيئته ومذاقه . |
| ٩ | ١٧٪ | لا تفضل شراءه من السوق ولم تعط سبباً . |

أما الجدول رقم « ٢ » فيبين الفئة الثانية التى تقوم بشراء الخبز من السوق والنسبة المئوية وكذلك الأسباب التى تدفعها لذلك .

| عدد الأسر | النسبة٪ | الدوافع |
|---|---|---|
| ٤ | ٢٠٪ | تقوم بشراء الخبز من السوق لظروف اضطرارية . |
| ١٧ | ٦٨٪ | تقوم بشراء الخبز من السوق لانه يوفر عليها التعب والمال . |
| ١ | ٤٪ | تقوم بشراء الخبز من السوق لنفس السبب رقم « ٢ » بالاضافة إلى انها تشعر ان الوقت الذى يمكن صرفه فى إعداد الخبز فى المنزل يمكن الاستفادة منه فى تربية الأطفال . |
| ٢ | ٨٪ | تقوم بشراء الخبز من السوق لنفس الأسباب المذكورة فى رقم «٣» بالاضافة إلى أنها تستفيد من الوقت الذى يمكن صرفه فى إعداد الخبز فى ترتيب المنزل والعناية بنظافته . |
| ١ | ٤٪ | لم تعط سبباً . |



منظر عام خارج احد المخابز فى اليمن ، حيث اجولة الدقيق والاخشاب التى تعد للاحتراق عند بداية عملية الخبز .

ثمانى ساعات . إذن أجرة ربة الأسرة المستحقة شهرياً – ٦٢ر١١٨٥ ريال . وحيث أن ربة الأسرة تحصل من النفر «٤» الواحد من القمح على ستة قطع من الخبز المتوسط الحجم فيصبح ناتج القدح والنصف من القدح يعادل ٥٧٦ خبزة .

ويصبح تكاليف ٥٧٦ خبزة – ٦٢ر١٢٥٢ ريال . وقيمة الخبزة ريالان و ٣١ سنتا بينما قيمة قطعة الخبز المتوسط الحجم فى السوق – ريال واحد فيكون فرق التكلفة بين السوق والمنزل ريال و ٣١ سنتا واذا قمنا باستبعاد أجرة إعداد الخبز التى تقوم به ربة الأسرة فى المنزل تصبح قيمة الخبز – ٢٧ ريالا .

## لا وقت للحلول

وبعد أن استعرضنا جانباً من تلك الصعوبات والسلبيات العامة التي تضر باقتصاد البلاد يجدر بنا أن نشير الى أن تحكم هذه العملية فى حياتنا اليومية لا تدع لنا فرصة التفكير في إيجاد حلول وهذا يشكل سبباً من عدة أسباب لتحكم العملية نوردها كما يلي : –

أولا – من المعروف أن وجبات الغذاء اليمنية فى بلادنا تعتمد أساساً على مادة الحبوب . فقد لا يخلو بيت من وجود صنف من الأصناف التي تعتمد على مادة الحبوب كالهريس والفتة اليمنية والعصيط .. الخ .. ويعود ذلك الى عدم الاهتمام بأنواع الأغذية الأخرى كالخضرة واللحوم . إما جهلا بقيمتها الغذائية أو عدم معرفة الكثير بكيفية طبخها على صور كثيرة .

ثانياً – عدم استقرار حياتنا الى عهد قريب نتيجة للحروب والمشاكل السياسية مما جعل كل أسرة تبنى حياتها على أساس من التحصن فى وكرها ، كما هو الحال بالنسبة لأشياء أخرى كحفر بئر فى كل بيت استعداداً لحالة الطوارىء عند قيام أية حرب أو فتنة . وتخصيص الطابق الأول من البيت كمخزن للوقود والحيوانات والعلف .

ثالثاً – ان النظرة الاجتماعية السلبية تجاه من يزاول عمل بيع الخبز من العمالات «العاملات» – وهن النساء اللاتى يقمن بذلك حتى يومنا هذا وكذلك العاملون فى المطاعم والفنادق الصغيرة . ويرجع هذا كله الى عدم توفر مثل هذه الفئة بصفة كافية لاعداد ما يحتاجه المجتمع من الخبز .

رابعاً – ان عدم جودة الخبز الذى يباع فى الأسواق لقصور فهم العاملين عن تطويره وتحسينه والاهتمام بالنظافة عند اعداده ينفر كثيراً من الناس الذين يرغبون فى الحصول على رغيف الخبز من السوق نظراً لصعوبات اعداده فى البيت .

خامساً – وسبب أخر هو ارتباط الأسرة اليمنية باعداد الخبز فى المنزل لاعتقاد الكثير من أرباب الأسر بانه على المراة أن تظل مشغولة بأعمال المنزل حتى لا تبقى مضيعة فى الفراغ الذى قد يؤدى الى مشاكل غير مناسبة لحياة الأسرة وقيمها .

سادساً – والسبب الأخير هو قلة انتشار وسائل الوقود الحديثة كالأفران الكهربائية والغازية مما أدى الى الاعتماد كلياً على الحطب فى المطبخ اليمنى وينتج من ذلك حرص ربة البيت على استغلال النار لتجهيز متطلبات أخرى مثل تعمير المداعة – النارجيلة – بدلا من إضاعتها .

والامكانيات المتوفرة لدينا للتخلص من هذه العلة المتحكمة والضارة على مستوى الأسرة والبلاد ككل هى فى نظرنا كالتالى :

أولا – تشجيع الدولة لفئة العاملين فى حقل الأفران والمخابز على تطوير وتحسين نوعية رغيف الخبز بحيث يناسب كل الأذواق وذلك بعدة وسائل كاعفائهم من الضرائب عن القمح لأصحاب الأفران والمخابز، واضافة ضرائب على الدقيق المستورد الذى يستخدمه هؤلاء بنسبة كبيرة فى عمل الخبز نظراً لرخصه بالنسبة للقمح .

ثانياً – على الدولة أن تسهل من استيراد الأفران الميكانيكية الحديثة وغيرها من الوسائل التى تحتاجها المخابز .

ثالثاً – فرض رقابة شديدة على أصحاب الأفران والمخابز لتحسين منتجاتهم مقابل تسهيلات الدولة لهم .

رابعاً – إعفاء الدولة للرسوم الجمركية عن أدوات المطبخ المنزلية كالأفران الكهربائية والغازية .

خامساً – تسهيل وايجاد مادة الغاز الطبيعى «اسطوانات الغاز» من البلدان المجاورة .

سادساً – قيام الدولة عن طريق وسائلها الاعلامية بتوعية المواطنين وارشادهم للفوائد المتوفرة فى المأكولات الأخرى كالخضار وغيرها .

سابعاً – انشاء مراكز ومؤسسات اجتماعية لتدريب المراة على الأعمال الانتاجية المناسبة كالحياكة والخياطة والتطريز والارشاد الدينى .

ثامناً – تشجيع المنتجات التى يمكن للمراة أن تساهم فيها كصنع الفانلات الصوفية وغيرها من الملابس ، وذلك يحد من استيراد مثل هذه المنتوجات من الخارج .

وبعد : فان النظرة السلبية تجاه الذين يقومون ببيع الخبز فى السوق ، ينبغى أن يحل محلها نظرة ايجابية من اجل أن يصبح الرغيف اليمنى كسائر الأرغفة فى بلاد الدنيا ، حاجة أساسية ميسور الحصول عليها دون عناء يصرف ربة البيت اليمنية عن أنبل وأقدس رسالة . وهى العناية بالأسرة . مثلما يحفظ للبلاد ثروتها من الخضرة والظـل . ويتيح للمراة كذلك أن تلعب دورها الاجتماعى والانتاجى فى الحياة اليمنية من أجل مستقبل أكثر رخاء .

زيد محمد حجر

المراجع :

١ – أدلى بذلك احد الخطباء،ان اصابة المرأة اليمنية بالسل الرئوى هو بسبب تعرضها للدخان أثناء عملية اعداد الخبز .

٢ – البنك المركزى .

٣ – القدح القمح = ٣٢,٢ كيلو جرام .

٤ – القدح = ٦٤ نفرا

٥ – النفر = ١/٦٤ من القدح = ٥٠٣ جرام تقريباً .



عباس الأسوانى .. لماذا لم يأخذ حقه من الشهرة والتقدير رغم أصالته الأدبية والفنية ؟ ! 

# عباس الأسواني الضاحك الأخير

«عباس الأسوانى» أحد الذين جاءوا ، ثم رحلوا ، دون أن يستوفوا حقهم . توفى من نحو ثلاث سنين فى نحو الخامسة والستين من عمره ، توفى والقلم فى يده يكافح به ويناضل . كان من الذين قسم لهم أن يكونوا أدباء برغم ما أعدوا له فى الدراسة المفضية الى نيل الشهادات ، يجذبهم الأدب كما يجذب الزهر النحل ، فيعكفون عليه وكأن لم يكن لهم هم غيره ..

كان منهم فى مصر «محمد تيمور» إذ بعث به والده الى فرنسا ليدرس الطب ، ثم تحول الى القانون ، ثم عاد الى مصر بلا طب ولا قانون ، لأنه كان مشغولا بما خلق له وهو الأدب ، وكان الرائد الأول للقصة القصيرة العربية الحديثة .

ومنهم توفيق الحكيم الذى أرسلة أبوه كذلك الى فرنسا ليكون من رجال القانون ، ولكنه شغل بالأدب والفن فى باريس ، وعاد الى مصر ليكتب .. ليبدأ برواية «عودة الروح» وليخرج من «معطفه» أدباء الجيل .

ومنهم ابراهيم ناجى الشاعر الذى دخل التاريخ من باب الأدب معرضاً عن باب الطب .

ثم كان يوسف إدريس الذى تخرج فى كلية الطب ، ثم لم يعرفه الطب إلا مريضاً ، وشغله الأدب ومايزال شاغله .

أما صاحبنا عباس الأسوانى فقد تخرج فى كلية الحقوق واشتغل محامياً ، ولكن أدركته حرفة الأدب ، وكان أبرز ما عمله فى المحاماة قضايا الأدباء المجانية .. وغرق فى الانتاج الأدبى الى أذنيه . سألت عنه مرة فى مؤسسة روز اليوسف إذ كان ينشر فى مجلتيها كتابة من قلمه ، فحسبته محرراً عاملا بها ، فكانت المفاجأة أنه موظف للشئون القانونية بها ، ثم مات وهو فى هذه الوظيفة .

وأخيراً وقعت فى يدى مجموعة قصصية له عنوانها «الضاحك الأخير» نشرت فى سلسلة «الكتاب الذهبى» التى كانت تصدر عن مؤسسة روز اليوسف ـ نشرت سنة ١٩٦٤ .

وقد كان لعباس الأسوانى جهد ملموس فى انتاج التمثيليات الاذاعية ، كما كتب فناً آخر كان ينشر فى المجلات وخاصة مجلة «صباح الخير» التى تصدرها مؤسسة روز اليوسف .

بقلم: عباس خضر

كان ذلك الفن هو «المقامة» العصرية الظريفة، كان يكتبها بلغة تغلب عليها الفصحى مع التطعيم ببعض الكلمات العامية، ولم يكن يظهر فيها تكلف، بل كان السجع يأتى فيها طبيعياً ظريفاً، ويذكرنا هذا بمقامات بيرم التونسى التى كتبها بالعامية وأبدع فيها أيما ابداع، حتى قال احمد شوقى أمير الشعراء إنه يخشى على العربية الفصيحة من مقامات بيرم .. وهو يعنى أنها ترتفع بالعامية الى درجة يخشى معها أن تنافس الفصحى ..

ونلحظ أن مقامات الحريرى المعروفة فى تاريخ الأدب العربى كانت فى وقت ممتد من أشهر وأعظم الانتاج الأدبى الذى حفظ للغة رونقها ومستواها العالى، وكذلك كانت مقامات بيرم بالنسبة للعامية. ولكن كلا من الحريرى وبيرم كان قمة وحده سقط عند سفحها كل من أراد أن يحاكيه ..

حتى جاء عباس الأسوانى فكتب المقامة على النحو السابق ذكره، فكان قمة أخرى فى هذا المضمار. ومما يؤسف له أن مقامات الأسوانى لم تجمع فى كتاب. ذهبت الاذاعيات فى أدراج الأثير والصحفيات فى القراءات الوقتية العابرة.

## عزيز أحمد فهمى

وبقيت هذه القصص التى وقعت فى يدى أخيراً، لا أذكر ان كان لها وقت ظهورها من تقدير تستحقه ولم تنله. صدرت وتناولتها بعض الأيدى ثم كان مصيرها كمصير الكثير .. الكثير .. من كتب تطوى كطى السجل ..

كان وقوعها فى يدى من حسن حظى، إذ تمتعت بقراءتها وسعدت باستعادة أجوائها الى ذاكرتى، فالأسوانى من جيلى تقريباً، وكان همه مثل همى، والناس والأشياء التى صورها وعبر عنها عرفتها فى واقع الحياة، ورحم الله «عزيز أحمد فهمى» الذى عرفناه فى الشباب كاتباً عبقرياً يكتب فى مجلة «الرسالة» وفى الصفحة الأدبية من جريدة «المصرى» التى نشأ بها عبد الرحمن الشرقاوى، ويوسف ادريس، وسعد مكاوى، وزكريا الحجاوى، وعبد الرحمن الخميسى، وأمثالهم من كتاب جيل خصب منح خير المنح وأعطى أعظم العطاء. ثم خطف الموت «عزيزاً» فى الشباب الضائع. أكله النسيان الذى يأكل الناس فى بلدنا ..

رأيت «عزيز أحمد فهمى» شخصية مصورة باسم خيالى غير اسمه الحقيقى فى قصة من مجموعة الأسوانى، وقد لجأت اليها ــ الى هذه المجموعة ــ هارباً من السخف الكثير الذى يملأ حياتنا الأدبية الآن ان كان لنا الآن حياة أدبية، ذلك السخف الذى يطالعنا فى الصحف والمجلات باسم الأدب وما هو من الأدب فى شىء، إذ يتسلق أعمدتها «زعيط ومعيط ونطاط الحيط» مدعين أنهم أدباء ينهالون علينا بذلك السخف ..

فى قصة «المجنون» من تلك المجموعة نرى الشخصية التى تعكس ملامح «عزيز أحمد فهمى» فى طور حياته الأخير، إذ عراه ما هز كيانه وجعل الناس يظنون أنه أدمن «الحشيش»، يقول الأسوانى فى القصة: «هو شاب فى الثلاثين درس الآداب ونظم الشعر حيناً .. قيل انه كان يحب فتاة وتزوجت سواه، فطار صوابه، واعتلت صحته، ومضى يتحاشى الجميع، يسير منفرداً، يكلم نفسه مرة ويبتسم مرة أخرى .. حتى أمن الكافة بأن بعقله لوثة .. وإن كان مرضه هذا لم يؤد الى خطر، فقد كان هادئاً، يغالى فى الأدب السلوكى الى درجة مملة .. لا يدخل عليه ساع حتى يهب واقفاً ويكلفه فى احترام زائد .. هذا الى ما بدا عليه من بؤس تجلى فى ثوبه الممزق وشعره المشعث ووجهه المتغضن، فلم يشك منه احد، واعتبره زملاؤه ورؤساؤه مريضاً يجب الرفق به .. وانساناً صادفه سوء الحظ فى مطلع حياته ..»

إنه موظف فى وزارة المعارف، امر وكيل الوزارة بنقله الى المكتبة ليعمل مع امينها «محمود» المجد فى عمله، الذى يرى فى محفوظ (ذلك الشاب) عكس ما يرى الجميع فى الوزارة، وكان يكرهه من أعماقه، كان يعجب للمشفقين عليه ويؤكد دائماً أن الوزارة مخطئة، فليس من صالح العمل أن يبقى مجنون بين الموظفين .. بل راح يتهم محفوظاً احياناً ــ اذا جاءت سيرته ــ بأنه أكبر «بلطجى» لا يريد أن يعمل .. وهو لا يمكن أن يكون فاقد العقل بدليل أنه لم ينس مرة أن يقبض مرتبه ..

جلس محفوظ فى المكتبة يحدق فى السقف، وراه محمود هكذا وقال فى نفسه: «مجنوناً كان أم عاقلا .. لابد أن يعمل، فلا مكان عندى لبلطجى .. وتأمل محفوظ قليلا، فوجده متغضن الوجه، تغطى ذقنه وجنته بالشعر، وقد ارتدى بدلة قديمة حال لونها .. أما قميصه فكان مفتوحاً وإن ربط فى ياقته «بابيون» أسود. وانحدر نظر محمود الى ركبتيه فوجده يضع راحتيه عليهما، وصدمته قذارته وأظافره الطويلة، فوجد نفسه يقول له فى لهجة ساخطة: «انت يا أستاذ محفوظ لازم تاخد بالك من نفسك شوية .. اعتنى بالنظافة لازم مظهرك يبقى محترم .. ولازم تلمع الجزمة ..»

فضحك محفوظ ضحكة ذات فحيح طويل .. وركز عينيه فى وجه محمود وقال: «والمعها ليه .. مادام حتتوسخ بعد شوية ؟».

ولمح محمود كتاباً محشوراً فى جيبه، فسأله عنه، فلم يرد، وإنما أخذ يخرج الكتاب فى بطء وابتسم قائلا: «ده كتاب التطور .. كتاب هام جداً .. لازم سعادتك تقراه ..»

فقال محمود مغيظاً صائحاً: «علشان إيه لازم اقراه ؟ تقصد إيه ؟»

فقال محفوظ وهو يحتفظ بابتسامة هادئة: «علشان تعرف أصلك .. تعرف انك قرد ..»

فرد محمود: «ده كلام فاضى .. دى نظريات مالهاش أساس ..»

فاستهوت محمود لذة المناقشة وقال وهو يضيق حدقتى عينيه: «الأساس موجود .. شوف سلسلة ضهرك .. حط يدك عليها وانزل بيها .. تلاقى انها كانت حتنتهى بديل ..»

وانتهى الموقف بجنون أمين المكتبة.

الحوار كما ترى مكتوب باللغة العامية، وهذا مذهب من مذاهب كتاب القصة المعاصرين فى عالمنا العربى، يجرون عليه وإن كان مخالفاً لما ننشده جميعاً من التوحد، وما نرمى اليه من التفاهم بلغتنا العربية الفصيحة الواحدة. وقد يكون ذلك فاعلا فى الدلالة على الشخصية وتصوير أعماقها على نحو مطابق لواقع حياتها، ولكن هذا لا يتحقق إلا فى حالة واحدة، وهى أن يكون القارىء من البلد الذى يجرى الحوار بعاميته. والكاتب البارع يستطيع أن يقرب لغة الحوار من الواقع وهو يحتفظ بسلامتها وفصاحتها، فان اضطر الى لفظ أتى به نادراً، ويحسن أن يضعه بين قوسين.

وفيما عدا الحوار نجد لغة الأسوانى فى تلك القصص عربية فصيحة جميلة وأسلوبه طلى جذاب، كما ينبغى أن يكون فى القص.

ومن ناحية المضمون نراه يصور الحياة الواقعة من حوله فى عصره أدق تصوير. ويقدم لنا نماذج من الناس بطريقة حية تعرفنا بهم كاننا

نعاشرهم ونراهم فيما ياتون وما يدعون .

### الضاحك الأخير

أولى القصص وهى «الضاحك الأخير» تعرض علينا مهزلة الانتخابات لعضوية مجلس النواب ونماذج من المرشحين لانزال نرى ملامحهم فى الحاضر ، وانماطاً مختلفة من الدعايات الانتخابية ، أعجب ما فيها «دعاية صامتة» لمرشح لا ينفق مالا ولا تنظم له مظاهرات ولا تعلق لافتات .. شيخ من شيوخ الطرق الصوفية لم يعرف عنه اهتمام بالسياسة ولم تسبق له سابقة فى خوض معامع الانتخابات ، وإنما هو يستجيب لهاتف يأتيه فى المنام ويقول له :

«لماذا الانتظار ؟ انشروا الأنوار .. وابدعوا الأذكار .. كلهم فى النار ..»

ويتكرر المنام ، كما يقول أكبر تابعى الشيخ .. يسأل راوى القصة هذا التابع المتكلم باسم شيخه :

ـ لكننى لا أرى فى هذا الهاتف ما يجبر الشيخ على دخول الانتخابات .. ألا يقوم الشيخ باحياء الذكر على الدوام ؟ ثم من هم الذين مصيرهم النار ؟

قال التابع فى استنكار وضيق :

ـ ليس مثلنا من يخطىء فى تفسير الأحلام .. أو فهم ما يأمر به الهاتف .. فاولا لا يعقد الشيخ حلقات الذكر إلا بمناسبة مولد أحد الأولياء الكبار .. وقد انتهى مولد الحسين من شهرين ، وباق على مولد السيدة زينب ثلاثة شهور ، هذا الى جوار أن مولانا كان يرى كل ليلة عقب سماع الهاتف صورة ثابتة لا تتغير .. لا يكاد الهاتف يفرغ حتى يرى الشيخ نفسه كل يوم وهو يطوف بساحات الوزارات واحدة بعد أخرى وحوله الناس يحملون فى أيديهم عرائض مكتوبة .. وهو يستمهل هذا ويطمئن ذاك ، ثم يتركهم الى قاعة فسيحة تعلوها قبة احتشد فيها مئات من الأشخاص نصفهم نائمون ..

ويسأل الراوى التابع :

ـ انتم ما بتعملوش دعاية للشيخ ليه ؟

ـ لزومها ايه ؟

ـ لزومها إيه إزاى .. انتم مش شايفين الدلنجانى (مرشح آخر) عامل إيه .. وبيصرف كام .. لا شفت لكم يافطة .. ولا طلعت من بيتكم مظاهرة .. مش معقول مرشح ينجح بالطريقة دى ..

ثم قال له التابع : فليكتب الناخبون فى الورق ما شاءوا ، الشيخ من عباد الله الصالحين وسليل رجال حركوا بارادتهم الجبال .. وكراماتهم لا حصر لها .. ومساعدتهم له ضرورة بعد زيارات الهاتف الثلاث .. وبقدرة الله كل الورق سيكون باسمه فى كل صناديق الانتخاب ..

### القصة القصيرة

وكاتبنا الأسوانى يسلك فى بناء قصصه طريقة ممتعة ، فهو يفرع الحوادث ويشقق الحديث ، يرسل الأشعة فى الجوانب المتعددة ، ثم يجمعها كحزمة الضوء فتضىء ـ كما قيل ـ فى لحظة الاستنارة .

والقصة القصيرة فن أدبى عجيب .. كثيراً ما يخرج عما يرسم له من قواعد وأصول . النقاد والدارسون يقولون فيه ما شاءوا ، ولكن فى كثير من الأحيان تأتى القصص مخالفة لما قالوا .. ومع هذا لا يستطيع أحد أن ينكر جودتها أو امتيازها .

«إدجار الن بو» الذى يعده الدارسون الرائد الأول للقصة القصيرة الحديثة ـ قال إنه يجب ان تكون كل كلمة فى القصة فى خدمة الموضوع بحيث لو حذفت أية كلمة أو عبارة منها أخل هذا الحذف بما ترمى اليه القصة ، وفى قصصه نفسه ما لو حذف ما ضر حذفه شيئا !

وقالوا إن القصة القصيرة لابد أن تنحصر فى موقف واحد وتتخذ وحدة زمنية واحدة .. واذكر أن الأستاذ نعمان عاشور نشر مرة قصة ترجمها ، وكانت تشتمل على معالم حياة بطلها من الميلاد الى الوفاة .. وهى قصة ممتازة ، واشار الأستاذ نعمان الى ذلك متعجبا !

وأخيراً كتب الدكتور يوسف ادريس مقالا فى الأهرام قال فيه عن القصة القصيرة «فن معقد الى الدرجة التى لا أستطيع انا شخصياً بعد هذا العمر فى ممارسته أن أعرفه .. بل إننى فى كل قصة قصيرة اكتبها أشعر أنها إنما هى محاولة جديدة لتعريف جديد للقصة القصيرة لم أقله .. ومع ذلك لم أصل بعد الى التعريف النهائى لها ، وربما لهذا السبب مازلت أكتب» .

وكذلك النقاد والدارسون .. ما تعرضوا لقصص قصيرة معينة إلا هربوا من الناحية الفنية الى المضامين والاتجاهات ، فان وقفوا عند تلك الناحية اخذوا يبدئون ويعيدون ولا تخرج من كلامهم بشىء ذى بال !

ولعل البناء الفنى للقصة القصيرة هو أكثر مسائلها تعقيداً ، فالشكل الذى ترتضيه موهبة الكاتب الأصيل ـ ولابد من الموهبة ـ هو الذى يفرض نفسه .. ولكل كاتب طريقة تمليها عليه «الموهبة» مثل «البصمة» التى لا يتفق شكلها فى اثنين .

المهم أن يشعر القارىء أن هذه قصة بحق .. تهزه وإن كان لا يدرى السبب .. وهذا قليل جداً فيما نقرأ من قصص تنشر هنا وهناك .

### أبهى من عروس

وقصص عباس الأسوانى من القليل الذى هزنى وبهرنى .. وأرانى عاجزاً عن أن أقول لماذا ؟

ولست أدرى لم لم يأخذ حقه من الشهرة والتقدير ، وأذكر «الشهرة» باعتبارها نوعاً من التقدير ، وإلا فانها لا قيمة لها عند الأصلاء ، وليس عباس الأسوانى وحده الذى لم يأخذ الحق الذى كان جديراً به ، فهى ظاهرة فى حياتنا الأدبية تسترعى الانتباه ، تتمثل فى عشرات من ادباء الجيل الذى تلا جيل الرواد . وعدد قليل يعد على الأصابع الذين أصبحوا موضع التقدير وهم يستحقون دون شك . ولكن الى جانبهم الأكثرون المهملون الذين يعملون فى صمت ، وإن كان صمتهم يعلو فى انتاجهم !

نعم لا أدرى لماذا .. هل هى مصادفة بلا عمل ولا تدبير ، أو هى وسائل عملية أهمها الدعاية الصحفية .. سمعت مرة عن مطرب جهير فارق دنيانا ان كان له مكتب دعاية خصص له مائتى جنيه فى الشهر .. لا تقل قيمتها الآن عن ألف مما تعدون .. وغيره من أمثاله لا ينالون ما ناله ، وقد يكون فيهم من هو أندى منه صوتا .. «عبده السروجى» مثلا ، الذى غنى «غريب الدار» أين هو الآن يا ترى ؟ لم يكن له مكتب دعاية .. لا أسمع تلك الأغنية ـ على قلة ما تذاع ـ حتى أجدنى مشدوداً اليها بما يشبه السحر ..

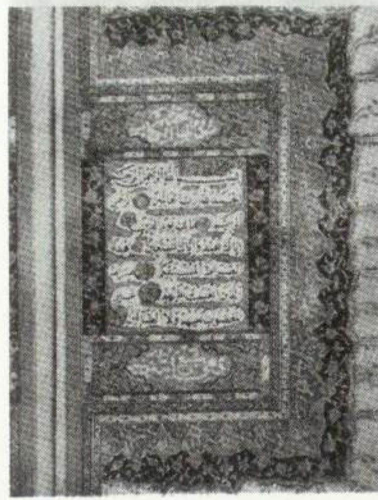
عبده السروجى فى الغناء يشبه أحمد فتحى فى الشعر .. لولا غناء عبد الوهاب لقصيدة أحمد فتحى (الكرنك) ما عرف أحد هذا الشاعر ..

من مهازل الدنيا أن الشاعر الراحل محمود أبو الوفا عندما كان يعرف فى وسائل الاعلام يقال : إنه مؤلف أغنية عبد الوهاب «عندما يأتى المساء» ، على حين يقال عن الزجالين مؤلفى الأغانى الهابطة : إنهم شعراء أعلام !

كم فى العرس ابهى من عروس !

عباس خضر

# دائرة المعارف القرآنية



بقلم: الدكتور محمد البهي

# "أصحاب اليمين"

يجيء ذكر أصحاب اليمين فى القران الكريم مرة تحت هذا الاسم .. واخرى تحت اسم أصحاب الميمنة . وعند ذكر اصحاب اليمين : يذكرهم القران ليوضح ما ينتظرهم من جزاء طيب فى الآخرة . فيقول مثلا : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود ( عديم الشوك ) . وطلع منضود ( اى محمل بالثمار ) . وظل ممدود ( لا يتقلص ابداً ) . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة ( متجددة دائماً ) » .

والمعنى أن اصحاب اليمين : جزاؤهم على عملهم فى الدنيا - انهم يقيمون بعد يوم الجزاء : فى جنة بين اشجار مختلفة ، مثمرة وغير مثمرة ، ليس فيها ما يؤذى بشوكه .. وظلها لا يذهب ابداً ، كما أن ثمار ما يثمر منها : كثيرة على طول العام لا يحرم منها شيء ما على أكله .. كما انهم ينامون على فرش متجددة يشعر النائم فوقها بمتعة مستمرة .. الخ . وذكر مثل هذه الأوصاف التى تدل على المتعة والترف ، فى مكان الاقامة لأصحاب اليمين ، يقصد منه بيان : أن العوض فى المتعة المادية فى الآخرة للمؤمنين اصحاب العمل الصالح ، يفوق ما يحرمون منه فى الدنيا : كما ، ونوعاً فى الاستمتاع ، فضلا عن ان حياة المرحلة الثانية - وهى حياة الآخرة اطول بكثير من حياة الدنيا لو قيست هذه بتلك : « كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » اى عندما يرى الكافرون بدين الله هول جزائهم فى الآخرة بعد قيام الساعة : يظنون انهم لم يمكثوا فى الدنيا ولم يستمتعوا بمتعها رغم وفرة المتع وطول الاستمتاع بها الا فترة قصيرة تساوى : عشية يوم او ضحاها . وهذا كناية عن منتهى ندمهم على ما اتجهوا اليه من كفر وصد عن سبيل الله فى دنياهم ، بعد ما رأوا واقع عذابهم فى الآخرة .

وعندما يذكرهم القران تحت اسم ، اصحاب الميمنة : يقصد الى اجمال صفاتهم فيقول فى سورة البلد فى الحديث عن الانسان .. وعما اعده الله به من ادراك الحس والمنطق .. ووضحه له من طريقى الحق والباطل ، والخير والشر ، ومع ذلك يسلك بعض الناس طريق الباطل والشر ، بينما يسلك البعض الآخر منهم طريق الحق والخير :

لقد خلقنا الانسان فى كبد ( اى خلقناه للصراع والمشقة ) .

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ؟ ( وهو يتصور أو يتخيل ، بما اعد به فى خلقه من اجل الصراع والمشقة : انه ليس هناك قدرة فى الوجود تفوق قدرته . ولذا يكفر بمن عداه فى هذا الكون ، ولو كان الله سبحانه ) .

يقول أهلكت مالا لبدا ،

أيحسب ان لم يره احد ،

الم نجعل له عينين ؟ ولساناً وشفتين ؟ وهديناه النجدين ؟ ( وهو فى كفره بالله لا يتذكر آنئذ : نعمة الله عليه فى خلقه وتركيبه ، واعداده للصراع فى هذه الحياة .. لا يتذكر اعداده العينين ، كمصدر لادراك الحس .. ولا اعداده باللسان والشفتين كمصدر للنطق والتفاهم او الجدل .. ولا معاونته بالرسالة الالهية التى تنير له طريق الحق من طريق الباطل .. اى الطريق الصعب وهو طريق الانسانية ، والطريق الآخر وهو طريق الانانية واللاانسانية ) .

فلا اقتحم العقبة ( ومن اجل انه لا يتذكر هذه النعم عليه فهو يسلك الطريق الانانى اللاانسانى .. ولا يسير فى الطريق الآخر الذى يعبر سلوكه عن اتباع هداية الله ) .

وما ادراك ما العقبة ؟ ( والطريق الآخر هو الطريق الصعب الا على النفوس التى امنت بالله حق الايمان به .. وهو الطريق الانسانى ) .

فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة ( مجاعة ) يتيماً ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة ( انه طريق تحرير الأرقاء اذا كانوا فى ملك احد .. أو طريق اطعام الاقرباء وهم صغار ممن لا آباء لهم يعولونهم ، وفى وقت تتفشى فيه المجاعة ... أو اطعام اصحاب الحاجة ، وقد اصابتهم فى وقت لا يملكون فيه شيئاً اطلاقاً ) .

ثم كان من الذين آمنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة ( ومع سلوك هذا الطريق الانسانى فان الذين سلكوه كانوا : مؤمنين بالله .. كما كانوا يتواصون بالصبر فيما بينهم بعد أن يمارسوه عند مشقة الحياة وازماتها .. ويتواصون بالعمل الطيب المهذب بعد أن يؤدوه على نحو ما أدوه من عتق الارقاء .. واطعام اليتامى الأقرباء .. واصحاب الحاجة ممن اشتد وطؤها عليهم ) .

اولئك أصحاب الميمنة ( فهؤلاء الذين يعترفون بنعمة الانسانية عليهم من الله تعالى - وهى نعمة الادراك والمنطق - وبنعمة الهداية الالهية الى طريق الحق فى الرسالة : فيؤمنون بالله .. ويدربون انفسهم على التحمل ، على مشاق الحياة .. ويعطون من انسانيتهم لغيرهم : يعطون من اموالهم لأصحاب الحاجة .. ويعطون من تهذيبهم فى معاملة من عداهم .. هؤلاء هم اصحاب الميمنة .. اى اصحاب المنزلة فى الجزاء من الله ، تضاهى منزلة من يكون له الجلوس على يمين صاحب الشان وهى منزلة أدبية يشرف بها صاحبها ، اكثر مما يشرف بكثرة ماله ... أو بقوة عصبيته ، او سلطانه ) .

واصحاب اليمين اذن:هم المؤمنون بالله .. الصابرون عند الشدائد والأزمات العاملون للصالحات ، والسالكون طريق الاحسان وهو طريق الانسانية .. والبعيدون عن الأنانية وطغيانها .

وجزاؤهم عند الله هى جنته .. ومنزلتهم لديه هى منزلة الجالسين على يمين العرش .

# حـوار مـع فرانسـوا سـاجـان

● حققت لنفسى الثراء والشهرة قبل العشرين ... ولم يغفر الناس لى ذلك أبداً

● ● أضعت ثروتي عبثاً حتى لم يبق في حسابي فرنك واحد فاضطررت إلى أن أرهن بيتي !

● ● ● لماذا قالوا عن ساجان : انها أسطورة وفضيحة .. وكاتبة . ؟!

بقلم : جمال الكناني

لم تكن فرانسوا ساجان يوم أضاءت سماء الأدب الفرنسى وتلألأت فى كبدها كنيزك وهاج ، وهى بعد فى السنة الثامنة عشرة من عمرها ، على جانب يذكر من الجمال . ولكنها كانت ، ومازالت قوية الجاذبية نفاذة الشخصية ، لها من صلابة العود ما مكنها من أن تصدم شعور قرائها بأول رواية نشرت لها منذ أكثر من ربع قرن ، بعنوان « مرحباً بالحزن » ، أودعتها كل ما كان يجيش فى صدرها من تحديات الشباب فأصبحت وهى فى هذه السن المبكرة أسطورة أدبية وصفتها صحيفة « فرانس سوار » بأنها أسطورة وفضيحة .. ولكنها فى المقام الأول .. كاتبة » .. وعرفها الفرنسيون تهوى كل ما هو غال مكلف وتميل الى تغيير أزواجها .. وأنها أضاعت الملايين التى كسبتها بسوء التصرف فى هذه الثروة .

فى أوائل عام ١٩٥٤ بعثت المدموازيل « كواريه » ، وهى فتاة فى الثامنة عشرة ، بمخطوط لرواية قصيرة الى الناشر الباريسى « جويار » وكان عنوان الرواية « مرحباً بالحزن » واسم المؤلفة المستعار : فرانسوا ساجان . ونشرت الرواية فى شهر مايو وبيع منها خلال العام الأول مليون نسخة ، وترجمت بعد ذلك الى خمس وعشرين لغة . وتعتبر « ساجان » اليوم من أشهر الشخصيات فى العالم وان تكن غير معروفة تماماً .. فليس كل من يعرف اسمها يعرف انها مؤلفة روائية . فمنهم من يعتقد انها من كواكب السينما لأن اسمها ارتبط بالنوادى الليلية والحياة الصاخبة وسيارات السباق وكل ما هو خفى غامض مدمر ..

ولقد وُجِّهَتْ الى ساجان عدة أسئلة ، يهدف السائل من ورائها الى الكشف عن شخصيتها وتعريف الناس بها .. كما هى ، على حقيقتها .. ونورد هنا نص الحوار .

س : هل أنت سريعة الغضب ؟.

ج : أنا أومن دائماً بأن الفرج على الأبواب .. هذه طبيعتى .. فمثلا كلما رأيت فيلماً عن « جان دارك » آمنت بأنها ستنجو .. ويساورنى نفس الشعور تجاه « روميو وجولييت » .. وهذا نوع من بساطة العقل لأنى أعرف أن الذى اتوقعه لن يحدث .. وما على الانسان الا ان يستعين بخياله لأن الخيال يؤدى إلى الفهم ويمكن بقسط من الخيال أن نعلل مثلا لماذا يضرب شرير بنته حتى تموت .. وقد لا نرضى عن مثل ذلك العمل ولكننا بخيالنا نتمكن من فهمه تدريجياً .

س : حدثينا عن حياتك الأولى .

ج : ولدت يوم ٢١ يونيه ١٩٣٥ فى كارجاك ، وهى مدينة صغيرة تقع بين كاهور ، وفيجاك . كانت جدتى تصر على أن يولد أطفال الأسرة جميعاً فى نفس السرير .. أمى واخى واختى وانا ولدنا فى نفس الفراش .. فى نفس الغرفة .

أسرة أمى كانت فى غنى عن العمل .. لا لأنها كانت غنية ولكن لانها كانت تملك الطواحين والمزارع وما الى ذلك .. كانوا سادة القرية يعيشون على دخل أرضهم أما أسرة أبى فكانت تعمل فى مجال الصناعة وتملك المصانع فى شمال فرنسا .

س : هل قضيت طفولتك فى كارجاك ؟.

ج : ولدت هناك ولكنى كنت كثيرة التنقل

فرانسوا ساجان فى شبابها عندما نالت شهرتها الأدبية وهى فى الثامنة عشرة من عمرها .. ثم لقطة للكاتبة الفرنسية بعد ان اصبحت فى الاربعين من عمرها .. إنها تؤكد أن الأيام والأزمات لم تغير اقتناعها بان شيئا من « الشقاوة » يعتبر سارا وجميلا !





بين عامى ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ .. كان أبى وأمى يعيشان فى باريس ، حيث هما حتى اليوم ، وكنا ونحن نعيش فى باريس نقضى عند جدتى فى الريف شهراً كل عام .. لا أحب التحدث عن نفسى فالحديث عن الذات صعب والذاكرة كثيراً ما تخدع الانسان وكثيراً ما ننسى .. فالطفولة مثلا صورة نرسمها نحن .. والطفولة التى أذكرها هى بيت فى الريف .. وحركة المقاومة ضد الألمان على اشدها .. كنا نقضى نصف وقتنا فى الريف لأن صحتى كانت معتله .. كنت خجولة اعانى من فافاه واخاف من كل شىء .. كان معلمو المدرسة يرعبوننى .. ولعل هو سر تخلفى فى الدراسة .

س : هل كانت طفولتك سعيدة ؟

جـ : اذكر انى كنت سعيدة غاية السعادة وانى كنت مدلله ولكنى كنت اشعر بوحشة لأن كل من كانوا حولي كبار .. ابواى واخى واختى .. اكبر منى سنا وانا احس دائماً انى اما بدات حياتى كبالغ او انى احتفظت بطفولتى بعد البلوغ .. ولهذا فانى حتى الآن لا أفهم ما يسميه الكبار « بالقيم » .. انا مازلت اذكر بعض الأيام الماطرة واذكر أيام الحرب المخيفة .

س : ماذا قرأت في طفولتك من كتب وما هى الكتب التى تركت أثراً فى نفسك ؟

جـ : قرات مختلف انواع الكتب ولكنى كنت احب قصص الميلودراما واذكر بالذات قصة الحصان الذى عاد ليموت عند قبر صاحبه .. وقرات بعد ذلك ما كنت احصل عليه من مؤلفات سارتر وكامو وكوكتو .

س : اذكر انك التحقت بمدرسة الدير .. أليس كذلك ؟

جـ : نعم وبقيت فيها ثلاثة اشهر . طردت بعدها لأنى لم أكن أهتم بالروحانيات وشعرت فى الدير بملل شديد .. زد على ذلك انى كنت ارتل صلاة من تاليفى . ولم ترق هذه الصلاة راهبات الدير فطردت من تلك المدرسة والتحقت بغيرها حتى بلغت مرحلة شهادة البكالوريا .

س : سمعت انك ابليت بلاءاً حسناً فى امتحان البكالوريا .

جـ : لم يكن نجاحى باهراً . ولكن كانت إجاباتى فى الامتحان التحريرى مرضية لأنى كنت قوية فى اللغة الفرنسية . غير أن الامتحان الشفوى كان صعباً فرسبت . وكنت لا أتكلم الانجليزية فلما سئلت عن « ماكبث » أخذت أمثل المسرحية فى صمت وأهدد الممتحنة بخنجر وهمى ! ثم مثلت مقتل دنكان .. وملأ الخوف قلب الممتحنة فاعطتنى ثلاث درجات فقط .. ولكنى نجحت فى امتحان الدور الثانى والتحقت بجامعة السوربون وكانت الفوضى تسودها إذ ذاك ، لأن عدد الطلاب كان كبيراً لا يسمح بدخولهم جميعاً فى قاعات المحاضرات . وحتى الذين كانوا يستطيعون الدخول كانوا يعجزون عن كتابة مذكراتهم بسبب شدة الزحام .. لهذا كنا نقضى معظم ايامنا نتسكع مع الشبان فى الشوارع القريبة من الجامعة ونناقش معاً بعض مسائل الدين والسياسة . وبدات وانا فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ازور نوادى « سان جرمان » واكتب مسرحيات لا تستاهل القراءة وقصائد اقل جودة من المسرحيات .. وكتبت عدداً من القصص القصيرة .

وكتبت رواية « مرحباً بالحزن » . وكانت بداية كل شىء .. كتبتها وانا فى الثامنة عشرة .. وكنت قد حصلت على شهادة البكالوريا ورسبت فى امتحان السنة الأولى بجامعة السوربون .

س : صغار الكتاب يشكون دائماً من عنت الناشرين .. فهل صادفتك هذه المشكلة ؟

جـ : جميع الفتيات يشتركن فى صفة واحدة .. الكذب .. وكنت قد كذبت على مئات من اصدقائى وقلت لهم انى قد الفت اولى رواياتى .. واضطررت حيال ذلك الى كتابة رواية أودعتها احد ادراج مكتبى لأنى كنت أرى انها لا تستاهل النشر .. كان الصيف قد حل وكنت فى الريف . وافراد اسرتى يعيروننى برسوبى فى امتحان الجامعة .. فرحلت الى باريس حيث كان ابى .. وطلبت من احدى صديقاتى أن تطبع روايتى على الآلة الكاتبة وبعثت بها الى دار نشر « جوبار » و « جاليمار » .. وبعث إلى « جوبار » ببرقية لأن تليفون البيت كان معطلا .. جاء فى البرقية « اتصلى بجوبار لأمر عاجل » واتصلت به تليفونياً وكدت اصعق لما قال انه يريد نشر روايتى .. وزرته

بعد ذلك فى مكتبه فقال انه يرجـــو ان لا تكون القصة سيرة حياتى لأن الكاتب الذى يبدأ بسيرة حياته لا يكتب بعدها قصة ثانية إلا فيما ندر .. وأكدت له أن القصة لا علاقة لها بسيرة حياتى .

س : من اين جئت بعقدة الرواية وفكرتها اذن ؟

جـ : من أحلام يقظتى ، من حنينى .. من خيالى .. ومازالت هذه هى مصدر ما اكتب .

س : ولم نجحت قصتك كل هذا النجاح حتى بيع منها مليون نسخة فى أول سنة ؟

جـ : لعل السبب كان فوزى بجائزة النقاد وحفلة الكوكتيل التى أقيمت تكريماً لى .. دهش الصحفيون لما رأونى .. فتاة صغيرة .. تصلح أن تكون موضوعاً لمقـــالاتهم وتعليقاتهم .. وصورها الفوتوغرافية لابد تفاجىء قراء الصحف لانهـــا على غير ما يتوقعون .. وعندى ان الجوائز الأدبية كاوراق اليانصيب .. إلا فى بعض الحالات ولكنها مفيدة إذ تغنى الكاتب عن العمل لمدة عام أو عامين .

س : يرجع البعض نجاح قصتك الى ما تحتوى من مادة تصدم شعور القارىء وتذهله .

جـ : من الواضح أن ما فى قصـــتى لا يعتبر فى أيامنا هذه مما يصدم شعور القارىء لأن الظروف الاجتماعية قـــد تغيرت بعد نشر قصتى عن شاب وفتاة وما بينهما من حب .. وأحداث القصة تجرى فوق خلفية من التعقيدات العاطفية .

س : هل شعرت بعد نجاح قصتك انك أصبحت فى عداد الادباء ؟

جـ : كنت أبداً أومن بقدرتى على أن اكون كاتبة مجيدة ، فلما تحقق ذلك اخذتنى حيرة شديدة .. كان النجاح عندى أشبه ما يكون بكرة من الثلج هائلة متعددة الألوان ، وكل ما كنت استطيع حيالها هو ان أتركها تتدحرج بعيداً عنى بسلام .. وأول الأمر ، كان ذلك من الصعوبة بمكان .. وجدت الناس والمصورين يلتفون حولى فادركت ان « هذه لابد هى الشهرة » .. ولم تعش فكرة الشهرة فى رأسى طويلا .. والمدهش هو أن فكرة الشهرة لم تسعدنى لأنى أدركت أن الشهرة تعنى توجيه أسئلة الى ، واجـابتى على تلك الأسئلـــة ومحاولة تجنب القضايا الحقيقية .. ولم أكن قد بلغت من العمر ما يؤهلنى لذلك .. شعرت بعد نشر قصتى وكانى ارتكبت ذنباً ولكنى أحسست انى لم أخطىء .. كان ما حدث هو انفجار الشهرة ..

كان أن اصبحت سلعة .. اصبحت شيئاً خرافة ساجان ، ظاهرة ساجان .. وشعرت بالخزى وكنت أطاطىء راسى كلما دخلت مطعماً أو مقهى ، ويتملكنى الخوف كلما تعرف الناس على ، تمنيت لو عاملنى الناس كانسان عادى ، لو توقف الناس عن توجيه اسئلتهم السخيفة الى لقد سجنت فى اطار دور لا مهرب منه .. كان الناس على قناعة بانى صورة كاريكاتورية لبطلة اسمها سيجان .. وكان حديث الناس معى يدور حول المال والويسكى والسيارات لا أكثر . وكنت استلم كل اسبوع ثلاثة خطابات سب وقذف أو أربعة .. من الناس من اعتبرنى انسانا بغيضاً مقززاً ومنهم من قال انى منحرفة الاخلاق .. وظن البعض انى فتاة عبيطة لا تدرك معنى ما يجرى حولهـــا ، استعانت بشخص آخر كتب لها القصة التى ادعت تاليفها .. ومن الناس من وصفنى بالجنون .. وشعرت بوازع قوى يدفعنى الى اثبات خطا هؤلاء الناس ..

س : كان بوريس فيان يقول « نحن نقضى حياتنا متنكرين ، فالخير اذن أن نحسن التنكر فلا نحتاج الى قناع » .. تلبسين قناعاً ؟

جـ : لم أدرك انى فى حاجة الى قناع الا بعد فترة طويلة .. فاتخذت من «أسطورة سيجان» قناعاً فلم تقلقنى الأسطورة بعد ذلك .. انا من هواة السرعة والمتعة حتى وان كانت كلها زائفة فهى وسيلة اخرى لتجنب الشعور بالوحشة .. كانت الأسطورة قناعاً ولكنها كانت فى نفس الوقت من ناحية ، شخصى انا ، ونحن نعرف ما وراء الاقنعة .. لا شىء بالذات .. مجرد انسان .

لم اتحدث قط عن حقيقة نفسى بل اكتفيت بمسايرة الأسطورة وقلت لنفسى ان كل انسان حوله أسطورة ، والأساطير كلها سخيفة .. وعلى كل حال كان الأفضل أن يرانى الناس فى المطبخ !! وادركت كذلك أن البطل يصل إلى نقطة الخطر عندما يبدأ فى تصديق الأسطورة التى تحوطه ويعمل على تحقيق ما تصوره . وحدث ذات يوم أن توقفت عن الاهتمام بذلك كله واحسست انى لا أدين للجمهور بشىء .. وهكذا تخلصت من « وحش ساجان » .. انا اليوم لا أهتم بالأساطير التى تحوطنى لأنى أعرف انها لا تمثل حقيقة نفسى .. أناأوثر الحياة على الأساطير .. وعلى كل حال فان الموقف قد تغير بعد نشر قصتى الثانيـــة وما بعدها .. فلم أعد اليوم الكوكب الادبى الجديد بل أصبحت « واحدة من الكتاب » .

كنت قبل حادث سيارتى اعتقد أنى فى حصن من كل سوء .. كنت اعتقـــد انى لا يمكن أن أصاب بمرض .. وفجاة دهمتنى الكارثة ..وقع الحادث فى عام ١٩٥٦ او ١٩٥٧ .. وسقطت سيارتى فى حفرة وانقلبت فوقى .. وشج رأسى وكسر معصمى ومعه احد عشر ضلعا من ضلوعى وكسرت عظمة كتفى واصيبت فقرتان فى ظهرى .. وصلى القس على الصلاة الأخيرة ولكن اخى رفض أن اموت على تلك الصورة فطلب سيارة إسعاف ونقلنى الى باريس .. وعدت الى رشدى بعد يومين ولم اذكر شيئاً مما حدث ولكن المشاكل المستعصية لم تبدأ الا بعد ثلاثة اسابيع إذ أجريت على عدة جراحات لكى استعيد القدرة على المشى .. رجلاى كانتا تتهالكان تحتى .. وفقدت السيطرة عليهما .. ولم استطع المشى الا بعد ثلاثة أشهر كنت اعتقد خلالها انى ساقضى حياتى كسيحة .. وتملكنى خوف شديد .. واستمرت الآلام شهوراً كنت اتعاطى فيها المسكنات حتى ادمنت عليها .. وكنت أبكى بغير سبب .. وقرر الأطباء أن أدخل بيتاً من بيوت التمريض لاتخلص من الادمـــان على المسكنات .. ولكنى لم استرد العافية .. وفكرت فى الانتحار .

س : هل لك أن تحدثينا عن ثروتك وثرائك ؟

جـ : لو كان الأمر بيدى ما تحدثت عن المال أبداً .. ولكنى الاحظ أن كل ما تم معى من مقابلات كان لا يخلو من سؤال وأكثر عن المال .. ولعل بعضها اقتصر الحديث فيها على المال وحده .. الرأى السائد هو انى امراة مبذره ، تبعثر الملايين وتصـــدم السيدات المسنات بسياراتها « الجاجوار » .. ويطيب لها ان تفجع الناس وتصرف جل وقتها فى النوادى الليلية .. والواقع أن هذه المراة لا وجود لها وفى كتابى فقرات تشير الى هذا كله وتكذبه ولكن الظاهر ان الناس لا تقرأ تلك الفقرات .

لقد حققت لنفسى الثراء والشهرة قبل أن أبلغ العشرين من عمرى .. ولم يغفر الناس لى ذلك ، فالناس تفكر فى من الناحية التجارية لا الأدبية .. فانا مهمة من ناحية النشر أما عن الناحية الأدبية .. فلست أدرى .

س : وماذا بعد نشر « ابتســامة معينة » فى عام ١٩٥٦ و « فى شهر فى سنة » عام ١٩٥٧؟ هل تحسن الموقف؟

ج : أبداً .. أقبل الناس على شراء كتبي . وكان نشر رواية جديدة أشبه ما يكون بملء استمارة الضرائب .. تمنيت لو ناقشنى الناس فى الأدب ، ولكن شغلهم الشاغل هو حسابى فى البنك ..

لست ادرى ما يأخذون على .. الذى كسبت من المال أم الذى انفقته؟

س : ما أهمية المال بالنسبة لك؟

ج : المال فى هذا المجتمع معناه انك تستطيع أن تحمى نفسك وان تعيش حراً .. يعنى انك لا تضطر للوقوف فى صف أو طابور لتركب الباص أو القطار .. المال يمكنك من ركوب طائرة تحملك الى حيث تريد .. كان حظى أن كسبت كثيراً من وراء كتبى ، وهذه ميزة كبيرة لا تسبب لى أى خجل لان المال يضمن ان لا اعيش فى فقر وان كان حمله ثقيلا .. والمال خادم مطيع وسيد ردىء ، يؤثر على الأغنياء بقــدر ما يؤثر على الفقراء ، وانا لا احتقر المال وان كنت لا احبه ، فهو بكل بساطة يعنى انك به تعيش حراً .. ومن سوء الطالع ان عدد الذين يريدون أن يعيشوا احرارا يقل يوماً بعد يوم .

س : ألا تحترمين المال ؟

ج : لا .. أبداً .. انا أكرهه .. لا لأنه يمكننى من عمل ما اريد ولكن للطريقة التى يؤثر بها على العلاقة بين الناس ولأنه يحطم حياة الكثيرين .

س : هل غيرك المال؟

ج : من الواضح أن ما عــادت به رواياتى على من ثروة قد غير طريقة حياتى ونظام معيشتى ولكنه لم يغير فكرتى عن نفسى أو عن اصدقائى أو عملى .

س : هل تطمعين من جمع ثروة طائلة؟

ج : لا .. لم أسع وراء الثروة .. ما حدث كان وليد الصدفة .

س : اتعرفين كم ربحت وكم انفقت من مال؟

ج : كسبت مبالغ خرافية من روايتى الأولى .. ويحتفظ الناشر بمالى عنده ويرسل الى من النقود ما أطلب .. ولم اعرف رصيدى حتى تركت دار أبى لما بلغت العشرين من عمرى فاشتريت لنفسى شقة اسكنها انا وشقيقى . ويمكننى أن اعول عدداً كبيراً من الناس ، يعيشون على دخلى ويمكننى أن استقل طائرة الى « ســان تروبيه » لأقضى فيها أمسية .. اشتريت سيارات وقوارب بخارية ، وسمحت لعدد من الأصدقاء بالتطفل على بأرق طريقة ممكنة .. كان لى دفتر شيكات .. وذهب المال مع الريح .. لم أعد او أحصى ما عندى من مال أبداً .. كنت أتلقى الرسائل من ناس يحتاجون الى اشياء معينة فأساعدهم دون تردد .. كان كل شىء سهلا ميسوراً .. كل ما على هو توقيع شيك .. ولو انى قضيت طفولتى بين براثن الفقر لكنت حرصت على المال .. صرفت الملايين من الفرنكات ولست ادرى كيف صرفتها ..

قامرت حتى لم يبق فى حسابى فرنك واحد فاضطررت إلى أن أرهن بيتى .. وتألمت لذلك لأنى كنت قد أصبحت أماً لولدى « دنيس » .

كان لى كل ما يحلم به أى انسان .. كل مالا يدوم .. اما اليوم فانا تحت الحراسة اخضع لهيئة من الاوصياء .. وهــــذا خير لى .

لست اندم على ما ضاع .. لكن هناك شىء واحد تمنيت لو انى ادخرت المال من اجله .. كنت اتمنى شراء عدد من خيول السباق ليكون لى اسطبلى الخاص .. ليت لى حصاناً واحداً .. !!

س : ماذا يحدث لو كسدت سوق كتبك؟

ج : سأواصل الكتابة ما حييت كما لو أن سوق كتبى قد كسدت .. لست اندم على شىء .. لقد نعمت بحياتى سنوات .. ومما يُرضى حقاً أن يعيش الانسان فى سعادة ورفاهية .. ولا يهمنى ما يخبىء لى المستقبل .. فهذا الجزء من حياتى لن اندم عليــه .

س : ما هى طريقتك فى الكتابة؟

ج : اكتب مسودة ابتدائية أول الأمر ولا اتبع فى ذلك خطة مرسومة لأنى أوثر الارتجال . أحب أن أشعر بتمام السيطرة على القصة وبأنى انا التى أسد خيوطها بالطريقة التى تروقنى وترضينى .. بعد ذلك أهذب المسودة بأن أضفى على الجمل اتزاناً ثم اتخلص من ظروف الزمان والمكان واختبر ايقاع الجمل .. وليس هناك بحر معين ازن عليه الجمل وانا اكتب رواية نثرية ، ولكن الانسان يشعر عند كتابة الجملة . اذا كانت ركيكة غير متزنة .. انا احب اللغة الفرنسية ، ولكن لا يزعجنى ان ارى غلطة فى قواعدها .. كل ما هناك انى احاول ان اكتب بلغة فرنسية جيدة . ولعنوان الكتاب عندى أهمية خاصة .. وانا اختار العنوان بعد الانتهاء من الكتابة .. الكلمات عندى وسائل للتعبير عن الافكار ولهذا لست أبذل كل جهدى فى اختيار أروعها وأجملها .. فالصياغة حرفة اتركها للجواهرجى .

ليس من عادتى أن أكتب كل يوم .. وقد أواصل الكتابة عشرة أيام أو أسبوعين كاملين ثم اتوقف لأفكر فى القصة واسأل الناس آراءهم فيما كتبت فهى عندى بالغة الأهمية .. ويسعدنى دائماً ان اكتب ما يضحك الناس لأنى أنا احب النكتة .

س : هل يهمك ما يقول النقاد عنك؟

ج : لست اهتم الا بالنقـــاد الذين يتحدثون عن كتبى وليس عن شخص فرانسواز سيجان ولهذا لست أهتم الا بعدد قليل من النقاد .. وافراد أسرتى من بين نقادى فهم يجمعون على انى لا ابذل جهداً وأفرط فى الشراب وانى أقود سيارتى بسرعة .. ولا عجب انى أشعر وكأنى مراهق فى سن الأربعين ..

س : هل تساورك أية شكوك؟

ج : ألا تساورنا جميعاً؟ عندى شكوك تجاه نفسى ولولاها لما استطعت الكتابة .. فالشكوك علامة من علامات الصحة العقلية .. والكتابة فى أغلب الأحيان نوع من خداع النفس فالعقل يتردد دائما بين احتمالين .. بين نهايتين . والوسيلة الوحيدة التى تمكن الكاتب من الوصول إلى قرار هى اختيار الاحتمال الأكثر جاذبية من الناحية اللفظية ووجهة النظر العاطفية

س : ماذا تنوين كتابته مستقبلا؟

ج : قصص وروايات أقل درامية وأقرب الى الحياة اليومية .. لأن ذلك ينطوى على الدراما الحقيقية فالأحداث الخارجيــــة مجرد حوادث أما الدراما الحقة فهى الاستيقاظ فى الصباح والنوم فى الليل .

س : يقول بعض نقادك انك متشائمة فهل هذا صحيح؟

ج : نعم فأنا ارسم صوراً ساخرة للحياة رغم ارادتى ..

س : ما رأيك فى ابطــال وبطــلات قصصك؟

ج : أحب بعضهم مثل « جولييه » فى رواية « فى شهر فى سنة » فهو اساســاً شخص طيب يتحرك بسرعة ولا يطيل الاقامة ولا يلجأ الى الغش أبداً .. وغالباً ما أجد لذة ومتعة فى رسم شخصيات يرميها النقاد بالتفاهة ولكنى اختار تلك الشخصيات لأنى أرى انها ليست تافهة فهى غالباً ما تعبر عن وجهة نظرى وهى وجهة نظر لا تمعن فى الجدية لأنى أومن بأن شيئاً من العبث والشقاوة يعتبر ساراً وجميلا . وجميع شخصياتى من النوع الصامت ولكن هذا لا يعنى انهم لا يفكرون

س : سؤال أخير : ما هو تعريفك للأدب؟

ج : الأدب عندى نوع من الجنون . فالأديب يخلق شخصيات يتخذها أصدقاء وينتهى به الأمر أن يعرف أصدقاءه خيراً مما يعرف أبويه !!

جمال الكنانى ـ لندن

# صفحة طريفة من التراث العربي

بقلم : الدكتور أحمد الحوفي
عضو مجمع اللغة العربية

وردت هذه المحاكمة الطريفة فى رسالة من رسائل إخوان الصفا ، وهم فريق من المفكرين نشأوا فى البصرة وبغداد فى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى ، وألفت بين قلوبهم وشائج من العلوم والمعارف والعربية واليونانية وغيرهما ، وارتبطوا بروابط وثيقة من الاخاء والوفاء والصفاء ، وكان لهم مذهب خاص دانوا به ، واعتقدوا أنه يبلغهم السعادة .

خلف هؤلاء الاخوان كثيراً من الرسائل في موضوعات شتى ، عددها نحو إثنين وخمسين رسالة ، طبعت في أربع مجلدات ، جمعت خلاصة المعارف التي حصلوا عليها من اللغة العربية والشرقية الاسلامية والفلسفة اليونانية .

أما القضية التي رفعتها الحيوانات على بني آدم فقد وردت في الجزء الثاني من الرسائل ، بعد مقدمات مطولة (١٥٢ ـ ٣١٧) منها أن الحيوانات التامة الخلقة كلها بدأ خلقها من الطين ، وتوالدت وتناسلت وانتشرت في الارض سهلا وجبلا وبراً وبحراً ، وهي كلها متقدمة في وجودها على الانسان ، لانها له ولأجله ، وكل شيء من أجل شيء آخر فهو متقدم الوجود عليه .

ومنها أن بعض الحيوانات في أشرف المراتب بعد رتبة الانسان ، وهي الحيوانات التي زودها الله تعالى بالحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم .

تبدأ المحاكمة عندما ضاقت الحيوانات بتعرض الناس لها ، وتسخيرها للركوب وحمل الأثقال ، فنفرت البهائم والأنعام ، وهربت ، ولكن بني آدم شمروا في طلبها ، واعتقدوا أنها عبيد لهم أبقت منهم .

فلما علمت البهائم والأنعام هذا الاعتقاد جمعت زعماءها وخطباءها ، وذهبت إلى بيراست الحكيم ملك الجن ، وشكت اليه ما لقيت من جور بني آدم ومن اعتقادهم فيها .

وكان بيراست قد إشتهر بانه حاكم عادل كريم منصف رحيم ، يمنع الظلم ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

حينئذ بعث ملك الجن رسولا إلى بني آدم الذين نزلوا بجزيرته ، واستدعاهم إلى مقابلته ، فمضى بعضهم إليه ، وكانوا نحو سبعين رجلا من بلدان شتى ، فلما التقوا به دار هذا الحوار :

الملك بيراست : ماالذي جاء بكم إلى بلادنا من غير مراسلة سابقة ؟

إنسي : دعانا إلى المجيء ما سمعنا من فضائل الملك ومناقبه وعدله وانصافه ، فجئنا ليسمع كلامنا ويتبين حجتنا ، ويحكم بيننا وبين عبيدنا الأبقين .

الملك : قولوا ما تريدون .

زعيم الانس : أيها الملك إن هذه البهائم والأنعام والسباع والوحوش كلها عبيد لنا ، ونحن مواليها ، فمنها آبق هارب عاص ، ومنها مطيع كاره منكر للعبودية .

الملك : ما دليلك على ما زعمت ؟

الانسي : لنا أدلة شرعية سمعية ، ولنا حجج عقلية .

الملك : هاتها .

فقام إنسي من أولاد بني العباس ، ورقى المنبر ، وخطب خطبة بدأها بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ، واستدل بآيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تاكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » .

ونلاحظ أن مؤلف الرسالة اختار المتكلم من نسل بني العباس لعله يرمز بهذا إلى جدارتهم بالحكم وزعامة المسلمين ، كما نلاحظ أنه اقتصر على الدليل القرآني ، ولم يعرض أية حجة عقلية ، ولكن الاحتجاج العقلي سيجيء بعد ذلك .

الملك : يامعشر البهائم سمعتم ما قال الانسي ، فأي شيء لكم وعندكم ؟

البغل : عندئذ قام زعيم البهائم وهو البغل ، ولا ندري لماذا إختار مؤلف الرسالة البغل ليكون زعيماً للبهائم ، فخطب خطبة حمد فيها الله تعالى ، ثم قال : ليس في شيء مما قرأ هذا الانسي من آيات القرآن الكريم دلالة على ما زعم أنهم سادة ونحن عبيد ، إنما هي آيات تذكرهم بانعام الله عليهم واحسانه، كما سخر الشمس والقمر والسحاب والرياح ، وقد جعل الله كل ما في السماوات والأرض مسخراً بعضه لبعض .

أيها الملك : كنا نحن وآباؤنا نسكن الأرض قبل خلق آدم أبي البشر ، نتقلب في أرجائها أحراراً ، نسبح الله ونقدسه ونوحده ، ولا نشرك به شيئاً . فلما خلق الله آدم ، وكثر أولاده ضيقوا علينا الأماكن والأوطان ، وأسروا بعضنا كالغنم والبقر والخيل والبغال والحمير ، وسخروها ، وأتعبوها بالكد في الأعمال والركوب والتسخير في المحاريث والدواليب والطواحين والضرب والهوان فهرب منها من هرب في البراري والقفار وقمم الجبال ، ولكن بني آدم شمروا في طلبنا بانواع من الحيل ، فمن وقع منا في أيديهم قيدوه وذبحوه وقطعوا مفاصله ونتفوا ريشه وجزوا شعره ووبره ، ثم طبخوه وأكلوه ..

ولم يكتفوا بهذا ، بل ادعوا أن ذلك حق لهم وواجب علينا ، وانهم أرباب ونحن عبيد .

فلما سمع الملك هذا الكلام أمر منادياً فنادى في مملكته بدعوة جنوده وأعوانه من قبائل الجن والقضاة العدول والفقهاء ، وقعد للفصل بين زعماء الحيوان والانس .

قال الملك لزعماء الانس : ما تقولون فيما تحكي هذه البهائم والأنعام من جوركم ؟

قال زعيم الانس : إن هؤلاء عبيد لنا ، من حقنا أن نتحكم فيهم تحكم الأرباب والملاك .

قال الملك : لا تصح الدعاوى إلا بالبيانات .

قال الانسي : لنا حجج عقلية ودلائل فلسفية .

قال الملك ما هي ؟

قال الانسي : حسن صورتنا ، وتقويم بنية هيكلنا ، وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا ، ودقة تمييزنا ، وذكاء نفوسنا ، ورجحان عقولنا .

وكان اعتمد من قبل على الآيات القرآنية الكريمة ، ثم عقب على الاستدلال بها بهذه الأدلة العقلية

قال الملك لزعيم البهائم : ما تقولون فيما قال الانسي ؟

قال زعيم البهائم : ليس شيء مما قال دليلا على ما إدعى .

ولكن يبدو أن بيراست جنح إلى قبول حجة الانسي ، فقال لزعيم البهائم :

أليس انتصاب القوام واستواء الجلوس من شيم الملوك ؟ وانحناء الأصلاب ، والانكباب على الوجوه من صفات العبيد ؟

قال زعيم البهائم : وفقك الله للصواب أيها الملك ، إعلم أن الله جل ثناؤه ما خلقهم على هذه الصورة إلا لعلمه بأن تلك البنية هي أصلح لهم ، وبنيتنا أصلح لنا .

لكن الملك إزداد جنوحاً إلى بني آدم ، فقال للبهائم : ما تقولون في قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

قال زعيم البهائم : للكتب النبوية تأويلات وتفسيرات يعرفها العلماء فليسأل الملك أهل الذكر .

قال الملك لحكيم الجن : ما معنى قوله في أحسن تقويم .. ؟

قال حكيم الجن : في اليوم الذي خلق فيه آدم كانت الكواكب في اشراقها ، وكان الزمان معتدلا ، فجاءت بنية الانسان في أحسن صورة .

واستمرت المحاورة بين زعيم الانس وزعيم البهائم ، حاول فيها زعيم البهائم أن يبطل عبودية البهائم لبني آدم ، وأن يرد على أن الناس أحسن صورة ، وأنهم أجود حاسة ، فقال إن في البهائم ما هو أدق حاسة كالجمل يبصر في الظلام ويبصر من بعيد وكالفرس يسمع ما لا يسمع الانسان ، وكالحمير والبقر تهتدي إلى الطريق الذي تسلكه غير مرة .

قال الملك للانسي : سمعت الجواب ، فهل عندك شيء آخر ؟

قال الانسي : نعم ، نحن نبيعها ونشتريها ، ونطعمها ونسقيها ، وندفع عنها السباع ، ونداويها إذا مرضت ، وهذا وأمثاله من أفعال الأرباب بعبيدها شفقة عليها ، ورعاية لها .

قال الملك لزعيم البهائم : أجب .

قال زعيم البهائم : أما قوله إنهم يبيعوننا ويشتروننا ، فهكذا يفعل أبناء فارس بأبناء الروم ، وأبناء الروم بأبناء فارس ، كما يفعل غيرهم من الأمم إذا ظفر بعضهم ببعض ، فأيهم المولى وأيهم العبد وأما أنهم يطعموننا ويسقوننا فان هذا ليس شفقة علينا ، بل مخافة أن نهلك فيخسروا أثماننا ، وتفوتهم منافعنا . ثم تكلم الحمار فشكا من حمل الأثقال والضرب بالعصى في حنق وعنف ، وتكلم الثور فشكا من العمل الشاق في المحراث والساقية ومن تغطية الوجه والضرب المبرح ، وتكلم الكبش فشكا من أخذ بني آدم صغار النعاج وحرمانها من ألبان أمهاتها ، ليستأثر بنو آدم باللبن ، وليذبحوا ما يشاءون من صغار الضأن ، وتكلم الجمل والفيل والفرس والبغل والخنزير والأرنب والثور ، وعقب كل منهم على شكواه بقوله : فأين الرحمة والشفقة ؟

فلما استمع الملك قال للحاضرين من حكماء الجن وعلمائهم : ألا تسمعون شكاية هذه البهائم والأنعام من جور بني آدم ؟

قالوا : سمعنا كل ما قالوه وهو حق .

ثم جمع الملك قضاته ومستشاريه ، وأشار كل منهم برأي لم ينل القبول .

وبعد حوار طويل جداً ، ودفاع من حيوانات شتى ، قضى الملك الحكيم بيراست بهذا الحكم :

الحيوانات كلها في طاعة بني آدم ، خاضعة لأوامرهم ولنواهيهم .

## أما بعد

فان هذه المحاكمة الطريفة صورة من خيال كاتب الرسالة الثامنة ، وفيها الطابع العام لاخوان الصفا ، الماثل في الحوار والجدل والاستدلال بالشرع وبالعقل .

ولست أستبعد أن تكون صدى لما ورد في كتاب « كليلة ودمنة » على لسان الحيوانات .

ويبدو في هذه الرسالة الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، فقد جاء في أول المحاكمة أن خطيب الانسان من أولاد بني العباس رقى المنبر وقال : « الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وصاحب الشفاعة يوم الدين ، وصلوات الله على ملائكته والمقربين ، وعلى عباده الصالحين من المؤمنين والمسلمين ..... » .

بقي شيء آخر هو أن نتساءل :

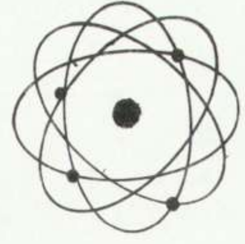
لماذا لم يذكر بنو آدم في الاستدلال على تفوقهم وامتيازهم وسيادتهم على الحيوانات أن الخالق عز وجل منح بني آدم العقول والتفكير والنطق ؟ وهي منح رفيعة لم يسبغها الخالق على الحيوانات ، وما من شك في أنها من وسائل السيادة ، وإذا كان الانسي عرض لها فان عرضه موجز عابر إذ أشار إلى الذكاء ورجحان العقول .

ثم إن الله عز وجل اختص بني آدم بالرسل وبالشرائع وبالتكاليف ، ولم يختص الحيوانات بشيء من هذا .

ويقابل هذا أن الحيوانات لم تذكر في مفاخرها أن بعضها أقوى جسداً من الانسان ، مثل الحمار والبغل والثور والحصان .

فهل لهذه وتلك أدلة نكرت من كاتب الرسالة ؟ إنها كانت جديرة بألا تنبذ وألا تغفل .

د . أحمد الحوفي



# العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

## اقمار صناعية في جوف الانسان

● هى اقمار فسيولوجية يبتلعها الانسان لسبر اعماق جهازه الهضمى . إذ تستطيع هذه الكبسولات التى لا يتعدى حجمها حبة الدواء رصد النشاط الكهربى والحركى للأمعاء . وهى تتكون من أسطوانة طولها ٢٥ ملليمترا وقطرها ٢٠ ملليمترا ولا يتعدى وزنها ٧ر٤ جرام . وبداخل هذه الكبسولة جهاز إرسال واستقبال مصغر يعمل بزوج من البطاريات مثل تلك المستخدمة فى الساعات بحيث يستطيع هذا الجهاز إرسال القياسات لمدة ٣٥ ساعة ولمسافة عدة امتار .

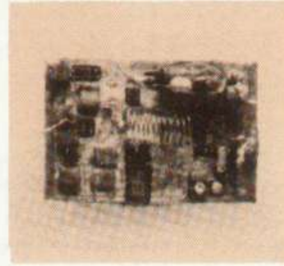
وتحمل هذه الكبسولة ثلاثة اذرع خارجية مثبتة فى راسها . وعند إدخال هذا القمر الصناعى إلى داخل الجهاز الهضمى للمريض تكون هذه الأذرع مثبته على امتداد الاسطوانة بواسطة خيط قابل للانصهار . وبمجرد وصول الكبسولة داخل امعاء المريض فان اشارة مغناطيسية خارجية تقوم بتشغيل فرن ميكروسكوبى داخل الكبسولة يعمل على صهر هذا الخيط . لتبتعد الأذرع عن جسم الكبسولة .

ويحمل كل ذراع قطبا كهربيا يعمل على قياس النشاط الكهربى للأمعاء بملامسته للغشاء المخاطى المبطن لها . اما النشاط الحركى فيقاس بقياس الزوايا التى تكونها الأذرع مع الكبسولة .

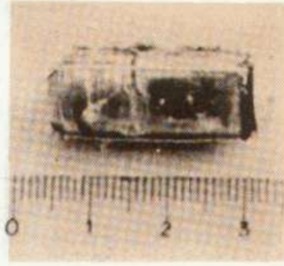
وبعد الانتهاء من كل هذه القياسات تعود الأذرع لتلتصق بجسم الكبسولة وذلك بواسطة مجموعة من اليايات بحيث يسهل مرورها إلى خارج الجسم من خلال فتحة الشرج .



الكبسولة واذرعها منفرجة



دوائر جهاز الارسال والاستقبال المبيت داخلها




الكبسولة لا يزيد طولها عن ٢٥ ملليمترا

وتستخدم هذه الكبسولة فى دراسة الوظائف المختلفة للجهاز الهضمى عن طريق رصدها للنشاط الكهربى للأمعاء . كما تستطيع اكتشاف اى خلل فى عملية امتصاص الغذاء . ومن المتوقع فى المستقبل القريب أن تتمكن هذه الأقمار الفسيولوجية من قياس حموضة ودرجة حرارة الجهاز الهضمى نظراً لتداخل هذه العوامل فى عدد غير قليل من الاضطرابات الوظيفية للأمعاء .

## البنكرياس الصناعى

● انتهت المعامل الكندية من وضع اللمسات الأخيرة للبنكرياس الصناعى الذى قامت بتصميمه ليقوم بوظائف البنكرياس الطبيعى خاصة فيما يتعلق بافراز الأنسولين . ويتم زرع هذا الجهاز الجديد تحت جلد مرضى السكر ليظل يعمل بكفاءة لمدة شهرين .

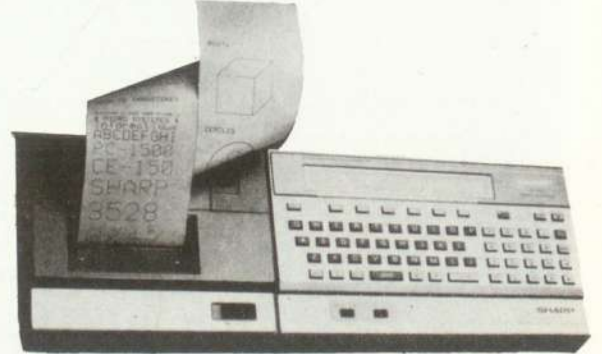
ويتكون هذا البنكرياس الصناعى من بعض خلايا الفئران البنكرياسية التى تتخللها انبوبة من مادة شبه منفذة تتصل بالأوعية الدموية للمريض . وتقوم هذه الانبوبة بدور « الفلتر » حيث تمنع مرور الأجسام المضادة إلى داخل الجهاز فى حين تسمح للجلوكوز الموجود فى الدم بالنفاذ إلى الخلايا البنكرياسية لتقوم هذه الخلايا بافراز الأنسولين اللازم والذى يتم امتصاصه مرة اخرى فى الدم .

ولقد اثبت هذا البنكرياس نجاحه عند تجربته على الحيوانات ويستعد العلماء لزرعه فى الانسان بعد ان نجحوا فى مد فترة استخدامه لمدة اطول من شهرين .

## آلة حاسبة بالطاقة الشمسية

● طرحت فى الأسواق فى الأونة الأخيرة آلات حاسبة تعمل بالطاقة الضوئية سواء الشمسية أو طاقة الضوء الصناعى ، وآخر صيحة فى هذا النوع من الآلات الحاسبة الضوئية آلة حاسبة علمية تستطيع القيام بعدد لا نهائى من العمليات الحسابية المعقدة . فهى تضم لوغارتيمات يصل الجزء العشرى فيه الى ثمانية ارقام . وتستطيع حساب الأرقام مرفوعة إلى اس ٩٩ . كما انه فى امكانها فتح ١٥ قوسا فى عملية حسابية واحدة .

وبالاضافة إلى ذلك فهى مبرمجه بحيث تستطيع حساب خمسين داله من الدوال الرياضية . إلا ان السمة الفريدة التى تميزها هى قدرتها على استعادة معادلات جبرية فى اى لحظة من العملية الحسابية للتاكد من صحتها او لتصحيحها أو حتى الغائها اذا لزم الأمر . كما يمكنها تحقيق قوانين معينة ابتداء من معطيات محددة او سلوك الطريق العكس اى الوصول إلى هذه المقدمات انطلاقا من النتائج . وهى بذلك تقدم امكانيات اكبر بكثير من امكانيات الآلة الحاسبة العادية واقرب للكمبيوتر . فهى تقوم بكل العمليات الرياضية التى يحتاجها الباحث فى المجالات المختلفة ابتداء من الاحصاء وحساب الاحتمالات إلى الفيزياء والفلك . ولا تحتاج إلى اى بطارية فان تغذيتها بالطاقة الشمسية تكفى لتشغيلها بالكفاءة المطلوبة .




كمبيوتر الجيب الذى يرسم باربعة الوان

## كمبيوتر الجيب

● تتوالى الابتكارات فى مجال الالكترونيات بسرعة فائقة بحيث لايكاد الشخص العادى يفيق من انبهاره بابتكار جديد غاية فى التطور حتى يطرح العلماء نظاماً أكثر تطوراً .

وفى اطار هذا السباق العلمى تقدم صناعة الأجهزة الالكترونية « ميكروكمبيوتر » جديداً يعد أصغر كمبيوتر طرح فى الأسواق حتى الآن ، وإن كان يقوم بكل وظائف أى كمبيوتر آخر كما يمكن تزويده بوحدات طرفيه متنوعة مثل دوائر توليف الصوت الآدمى او شاشة تليفزيونية . كما يمكن توصيله بجهازي تسجيل فى آن واحد لنقل وتخزين المعلومات المراد الاحتفاظ بها .

ولكن الجديد تماماً فى هذا الكمبيوتر هو امكانية تزويده بوحدة طرفيه لرسم الاشكال الهندسية والرسوم البيانية باربعة الوان مختلفة وهى الأسود والأحمر ، والاخضر ، والأزرق .

## حبوب جديدة لتنظيم الحمل

● أعلن البروفسور « بوليو » وهو من أكبر الاخصائيين العالميين فى مجال الغدد الصماء والهرمونات مولد حبوب جديدة لتنظيم الحمل وهى تختلف اختلافاً جذرياً عن الحبوب المستخدمة حالياً سواء فيما يتعلق بالأساس الذى بنى عليه تأثيرها أو بطريقة استخدامها .

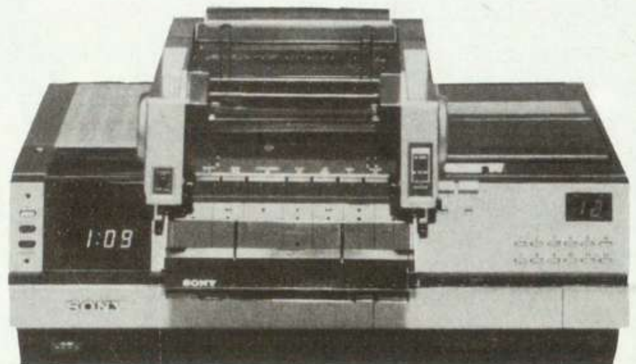
فهى لا تمنع حدوث التبويض كما تفعل الحبوب التقليدية التى تؤثر على مستوى الأوامر التى يرسلها المخ الى المبايض لتكوين البويضة ، وتسبب آثاراً جانبية كثيرة قد ينطوى بعضها على خطورة لا يستهان بها .

أما الحبوب الجديدة فهى تؤثر على مستوى هرمون محدد وهو « البرو جسترون » ، اى الهرمون المسئول عن الحمل وبشكل خاص عن تهيئة الرحم لاستقبال البويضة المخصبة . فالجيل الثانى من حبوب تنظيم الحمل عبارة عن مركب مضاد لهرمون « البرو جسترون » . ومن ثم فان هذه الحبوب لا تسمح للبويضة بالبقاء فى الرحم .

وتتميز الحبوب الجديدة بان ليس لها آثار جانبية تذكر نظراً لأنها لا تؤثر على عمل المبايض أو على الأوامر التى يرسلها المخ والغدة النخاعية اليها .

ومن ناحية اخرى فان المراة لن تضطر الى اخذ الحبوب طوال الشهر اذ يكفى تناولها لمدة يومين فقط ، وحتى إذا نسيت فانه يمكنها استدراك ذلك فى موعد لا حق .

## فيديو يبدل الأشرطة اتوماتيكيا




فيديو يبدل الأشرطة اتوماتيكيا

● تتنافس الشركات المنتجة لأجهزة الفيديو فيما بينها وصولا إلى أكبر عدد من البرامج التى يمكن تسجيلها فى آن واحد وعدد الأيام التى يمكن برمجتها مسبقاً . ولكنها جميعاً تواجه مشكلة واحدة وهى عدد ساعات تشغيل شريط الفيديو ذاته إذ لا يزيد فى المتوسط عن ثلاث ساعات . ومن ثم يتعين أن يكون الشخص موجوداً لتغيير الأشرطة واستبدالها باخرى فارغة .

إلا ان احدى شركات الأجهزة الالكترونية اليابانية تمكنت من التغلب على هذه العقبة بواسطة جهاز صغير مبيت داخل الفيديو بحيث يسمح بتغيير الاشرطة اتوماتيكيا . وهو يحتوى على أربعة اشرطة .

وبالتالى فان هذا الجهاز يستطيع تسجيل ١٤ ساعة من الارسال المختار مسبقاً على امتداد ١٤ يوماً دون تدخل من الانسان طالما تمت البرمجة الأولية .




حضرت "الدوحة" "مهرجان" كان"
وهذه أول رسالة من المهرجان

كان .. من : رؤوف توفيق

# "مفقود"
# الفيلم المفاجأة ..
# والقصة الحقيقية كما حدثت



الاب يبحث عن ابنه بين المعتقلين فى الاستاد الرياضى

المخرج « كوستا جافراس » وهو يونانى الأصل

مهرجان « كان » السينمائى هذا العام .. له طعم مختلف .. اكثر فناً .. واقوى تأثيراً .

وقد رتبت ادارة المهرجان ، ان تحتفل بمرور ٣٥ عاماً على انشاء المهرجان ، فى هذه المدينة الفرنسية الساحرة على شاطىء « الكوت دازير » .. ومن اجل هذه المناسبة استعدت مقدماً بحشد مجموعة من الأفلام الهامة التى تمثل مخرجيها بالدرجة الأولى .. ولا تمثل دولة ما فى حد ذاتها .

فالمهم ان تكون هناك افلام جيدة .. وليس مجرد اشتراك دول . !

وعلى هذا الأساس .. غابت أسماء دول من المسابقة الرسمية للمهرجان .. منها الاتحاد السوفيتى وبولندا والهند واستراليا .. وفى مقابل هذا ظهر اسم المخرج التركى « يلماظ جيونى » بفيلمه الرائع الجرىء « الطريق » الذى مولت انتاجه سويسرا .. وظهر اسم المخرج اليونانى الأصل « كوستا جافراس » بفيلمه « مفقود » الذى مولته امريكا ومثلها رسمياً فى المسابقة .. وظهر اسم المخرج البولندى الأصل « جيرزى سكوليموسكى » بفيلمه « ضوء القمر » الذى مولته انجلترا ومثلها رسمياً فى المهرجان .. وظهر اسم المخرج الفرنسى « جان لوك جودار » بفيلمه « عاطفة » الذى مولته سويسرا بالاشتراك مع راديو « مونت كارلو » ليمثل سويسرا فى المهرجان .. وظهر اسم المخرج الألمانى « فيم فاندر » بفيلمه « هاميت » الذى تم تمويله لحساب شركة سينمائية أمريكية وليمثل امريكا فى المسابقة الرسمية !

وهكذا نجد ان اسماء المخرجين هى التى حددت نوعية برنامج مسابقة المهرجان .. بغض النظر عن تمثيل الدول .

وقد كان من المفروض ان تتضمن مسابقة المهرجان عدداً أكبر من احدث أفلام كبار المخرجين وأكثرهم تميزاً وعبقرية .. ولكن كما يعلق مدير المهرجان فى تصريح صحفى له .. « ان كثيرا من المخرجين والمنتجين .. ترددوا فى الاشتراك داخل مسابقةالمهرجان بعد الموافقة على افلامهم .. والسبب فى ذلك انهم علموا بعدد الصحفيين والنقاد الذين سيحضرون المهرجان وقد زاد عددهم هذا العام الى خمسة آلاف صحفى وناقد من جميع انحاء العالم .. ولهذا خافوا من هذه المواجهة الساخنة » .. وقد تطلب الأمر – على حد تعبير مدير المهرجان – وقتا طويلا لاقناعهم بالمشاركة .. وقد وافق بعضهم .. وانسحب البعض الآخر . ! .. بينما لجأ عدد منهم الى الحضور للمهرجان بأفلامهم منقولة على شرائط الفيديو لتعرض فى صالات صغيرة محكومة العدد ، ووجهت الدعوات شخصياً الى بعض الموزعين لمشاهدة هذه الافلام والاتفاق على تسويقها عالمياً .. دون التعرض للمواجهة مع النقاد والصحفيين وطوفان الأسئلة والتحليلات والمقارنات !

## مفاجأة المخرج التركى

ورغم هذا الموقف الصعب الذى تعرضت له ادارة المهرجان .. فقد حفل برنامج المسابقة الرسمية بعدد من الأفلام الهامة .. والمفاجآت الفنية المثيرة .. لعل أهمها على الاطلاق هو عرض فيلم « الطريق » للمخرج التركى الأصل « يلماظ جيورى » الذى عاش العشر سنوات الأخيرة فى السجون التركية مدانالارا ئه ضد الحكم العسكرى .. ثم هرب من بلده الى أوربا يحمل سيناريو الفيلم الذى كتبه عن تجربة خمسة من المعتقلين السياسيين وكيف خرجوا من السجن ليكتشفوا بشاعة ما حدث لعائلاتهم وقراهم ..

والفيلم ادانة صريحة وجريئة للعنف السياسى .. وللاسلوب البوليسى فى حكم الشعوب ..

## .. ومفاجأة فيلم « مفقود »

وعلى نفس المستوى من الأهمية والجرأة .. وبقدر أكبر من الحرية وسهولة الحركة والتصرف .. كانت مفاجأة عرض فيلم « مفقود » للمخرج اليونانى الأصل

جاك ليمون وسيسى سباسيك فى لقطة من الفيلم

سينما

# "مفقود"
## الفيلم المفاجأة .. والقصة الحقيقية كما حدثت

« كوستا جافراس » والذى عاش اغلب سنوات حياته فى فرنسا .. واخرج للسينما الفرنسية سبعة افلام .. لعل أشهرها فيلم « زد » الذى جسد فيه العنف السياسى باليونان .. ثم جاء فيلمه الثامن « مفقود » والذى تم تمويله فى أمريكا .. ليدين التورط الامريكى فى احداث « شيللى » عام ٧٣ .. وليوجه الضربة العنيفة ضد الادارة الامريكية ومحاولتها اخفاء الحقائق عن مواطنيها .. بل والتضحية بمواطنيها فى مقابل مصالحها السياسية ! .

والفيلم تحفة فنية على كافة المستويات .. يحمل فى كل ثانية من مدة عرضه التى تتجاوز الساعتين .. متعة بصرية وذهنية ، تشكل فى النهاية ، شحنة متفجرة من المشاعر والفكر الانسانى الذى يرفض العنف والخديعة .

### القصة الحقيقية كما حدثت

واحداث الفيلم ماخوذة عن قصة واقعية حدثت لشاب امريكى اسمه « شارلز هورمان » ذهب ليعمل فى « سانتياجو » بشيلى ( امريكا اللاتينية ) كانت معه زوجته الامريكية الشابة التى تحبه وتفهمه وترعاه ، وتعمل هى الأخرى فى احدى الوظائف المدنية .. بينما هو يستغل وقت فراغه فى الكتابة للصحف المحلية والترجمة وتاليف قصص الأطفال .

ويعيشان حياتهما فى هذه الحدود .. لهم مجموعة من الأصدقاء الشبان الامريكيين الذين يعملون فى نفس المدينة .. من بينهم هذه الصديقة العائلية والتى دائماً ما يلتقيان بها ..

وفى يوم ١٠ سبتمبر عام ٧٣ ـ هكذا تحدد وقائع القصة الحقيقية ـ ذهب هذا الشاب الامريكى « شارلز هورمان » مع الصديقة العائلية فى رحلة قصيرة الى احدى مدن شيللى .. وفى تلك الليلة فوجئا بقوات الجيش تحتل مداخل المدينة وتقوم بالتفتيش والاستجواب .. بينما انتشرت القوات البوليسية داخل المدينة تطارد المارة وتفرض نوعاً من حظر التجول الغير معلن .. وانقضت الليلة بين طلقات الرصاص التى تنهمر فى انحاء المدينة .. والتى يتردد صداها عبر هذا الصمت الموحش الثقيل . وفى صباح اليوم التالى يعلن خبر الانقلاب العسكرى في شيللى ، واقصاء السلفادور الليندى وحكمومته ..

ويتطوع أحد رجال السفارة الأمريكية بنقل الشاب والصديقة الى العاصمة «سانتياجو» .. وفى الطريق وداخل العاصمة يتاكد لهما ضراوة ما يحدث .. وعندما يصل الشاب الى بيته يجد زوجة الشاب فى حالة من الرعب الشديد .. فاصوات الرصاص لاتنقطع .. ومصفحات الجيش تنهب الطرق وتطلق مدافعها الرشاشة بغير تمييز ! .

وهكذا يقرر الثلاثة .. الشاب وزوجته والصديقة العائلية .. مغادرة البلاد على الفور والعودة الى أمريكا .. ومن أجل هذا الغرض يتحرك كل منهم باقصى سرعة لتصفية أعماله وارتباطاته .. وتنتقل الزوجة لزيارة بعض اصدقائها الأمريكيين فى الطرف الآخر من المدينة .. ويسرقها الوقت .. وعندما تجرى لتلحق باى أتوبيس لتعود الى بيتها .. تفاجأ بأن كل الأتوبيسات مشحونة بركابها الذين تدلت اجسادهم من ابوابها .. وتحاول ايقاف اى تاكسى بلا فائدة .. فالكل يهرع الى بيته قبل موعد حظر التجول .. وتجرى مذعورة لاتدرى كيف تتصرف وأصوات طلقات الرصاص والمدافع الرشاشة تدوى بلا انقطاع .. الشوارع والمنازل مظلمة تماماً .. والجنود منتشرون بأسلحتهم مستعدون فى أى لحظة لاطلاق النار على أى شخص .. وليس هناك أى وسيلة للتفاهم أو قبول أعذار .. الجو كابوس فظيع .. وهى تجرى مذعورة تحتمى بالحوائط والظلام .. حتى تجد لها مخبأ فى مدخل احدى المنازل المظلمة .. تتكوم على نفسها من الرعب والفزع حتى تطلق صفارات نهاية حظر التجول مع بداية النهار ...

وما أن تشعر قليلا بالأمان .. حتى تجرى لتلتقط أى تاكسى لتصل الى بيتها .. لتجد المفاجاة المذهلة .. البيت مقلوب راساً على

طابور من القتلى .. والأب والزوجة ومندوب السفارة يبحثون عن الابن المفقود

لحظة النهاية .. الأب والزوجة وهما يتركان المدينة التى شهدت الأحداث

عقب .. الاوراق والكتب واغطية السرائر والملابس .. ويتضح لها على الفور أن البيت قد تعرض لعملية تفتيش قاسية .. وتنادى على زوجها .. ولاتسمع رداً .. لتكتشف ما هو أفظع .. أن زوجها قد تم اعتقاله فى ظلام الليل .. ويؤكد هذا شهود العيان من الجيران الذين اجمعوا أن احدى عربات الشرطة المدججة بالجنود والاسلحة قد اقتادوا زوجها .. وأن بعض الجيران يعللون ما حدث ومن خلال ما تناثر من أفواه حملة الاعتقال .. أن زوجها اعتقل لأسباب سياسية .

ويصل الخبر لوالد الشاب الذى يعمل فى نيويورك كأحد رجال الأعمال .. فياتى مسرعاً الى «سانتياجو» محملا بثقة لانهائية وباعزاز شديد ، انه أمريكى ومن حقه أن يعرف ما الذى جرى لأبنه .. ومن حقه أن يعيده الى بيته والى بلده ..

وبهذا الاحساس بالثقة .. وبمعنى آخر ، بهذه البراءة ، يتصور أن ابنه قد تصرف تصرفا خاطئاً أدى به الى هذه النتيجة .. وأن السفارة الأمريكية فى عاصمة شيللى ستساعده لاجلاء الأمر واستعادة ابنه المفقود ..

وترفض الزوجة الشابة ، هذا التفكير الذى يعتمد على المنطق والاخلاق .. وهى عندها ما يبرر شكوكها بان ماحدث لزوجها ليس من قبيل الخطا .. وأن زوجها لم يفعل شيئاً يسىء لحكومة الانقلاب .. ولابد أن الأمر قد تم تدبيره بطريقة شيطانية ..

ويحدث الصدام بين الأب وزوجة ابنه .. كل منهما بمنطقه وتفكيره .. ولكن مهما كان الاختلاف .. فالقضية الآن هى البحث عن هـذا المفقود .. ولهذا يتحركان معـاً فى اجتماعات متكررة مـع السفير الأمريكى فى «سانتياجو» وأعضاء السفارة الذين يؤكدون له فى كل لقاء .. أن هناك أملا متجددا فى العثور على الأبن المفقود .. وأن ارتباك الظروف السياسية فى شيللى هو السبب الوحيد الذى يؤجل تحقيق النتيجة فى اعادة الابن .. وأن تحرياتهم المستمرة تؤكد أن الأبن بخير .. ،المسالة هى فقط مسالة وقت ! .

ويمضى الوقت .. ولايتحقق شيئاً .. وتؤكد السفارة الأمريكية أن معلوماتها وتحرياتها الدقيقة تفيد أن الأبن بخير ..

ويقرر الأب فى قلق بالغ ان يقوم بالبحث عن ابنه المفقود .. وتلازمه الزوجة التى تحمل آلاماً وشكوكاً رهيبة .. ويتنقلان بين شهود العيان من الجيران ليعيدوا تصوير ماحدث .. وبين المستشفيات وقوائم المصابين .. وداخل المعتقل الضخم فى المدينة .. وقد استطاعا أن يحصـلا على تسهيلات لدخول هذه الأماكن من خلال السفارة الأمريكية فى شيللى ومرافقة كبار العاملين بها تاكيداً لمبدأ خدمة السفارة الأمريكية لمواطنيها .

ويمضى الوقت .. محملا بالألم والقلق والارهاق ...

فالابن مفقود .. وغير معلوم اذا كان حيا أو ميتاً .. وكل قوائم المستشفيات ومشرحة الموتى ، والمعتقلين .. لاتشير اطلاقاً الى اسم الأبن .. فأين يكون قد ذهب ؟!

السفير الأمريكى وكل معاونيه فى السفارة .. يؤكدون من جديد ان الأمل ما زال متجددا فى العثور عليه .. وتحرياتهم المستمرة ستصل الى نتيجة حتما .. !

ولكن الأب يتلقى الحقيقة المفزعة ، من أحد الأمريكيين العاملين فى مشروع أمريكى فى شيللى .. الحقيقة أن الابن قد تم اغتياله بعد القبض عليه بأيام قليلة .. بالضبط فى ١٦ سبتمبر ٧٣ .. أى قبل وصول الأب للبحث عنه ، بحوالى اسبوعين !! وإن جثته قد دفنت داخل حائط !!

ويتاكد الأب .. أن رجال السفارة الأمريكية يخدعون .. ويواجههم بهذه الحقيقة التى يقذفها فى وجوههم .. وهو يشير ان أحدا منهم لابد وان كان موجودا لحظة توقيع قرار اعدام الابن .. وأن هناك تواطئاً واضحاً بين السفارة الأمريكية وحكومة الانقلاب ..

## الكاتب .. والكتاب

وهذه القصة الواقعية استطاع أن يجمع تفاصيلها الكاتب الأمريكى الشاب «توماس هاوسر» وان يصدرها فى كتاب عام ٧٨ .. معتمداً على جهده الخاص فى لقاءاته مع جميع أطراف الحادث .. وحصوله على البرقيات المتبادلة بين السفير الأمريكى فى شيللى – فى ذلك الوقت – والادارة الأمريكية .. واحدى هذه البرقيات تؤكد علم السفير الأمريكى بخبر اعتقال هذا الشاب فى اليوم التالى لأعتقالة رغم التاكيدات المستمرة التى اعلنها السفير الأمريكى لوالد الشاب ، من أنه لا يعرف حقيقة ما حدث لأبنه !!

وقد أعيد طبع هذا الكتاب الذى صدر بعنوان «اغتيال شارلز هولمان» للمرة الثالثة مع بداية تصوير الفيلم .. ومن المتوقع طبع الكتاب عدة مرات وباكثر من لغة بعد بداية عرض الفيلم عالمياً ..

## ماذا فعل المخرج ؟

وقد حول المخرج «كوستا جافراس» هذه الأحداث الواقعية .. الى صورة سينمائية بليغة تفيض بالمشاعر فى علاقة الأب والزوجة وبحثهما الطويل والمرهق للبحث عن المفقود ..

والمفقود هنا هو هذا الابن الشاب المتوهج بالحب والنقاء .

والمفقود هنا أيضاً .. هو هذا الضمير الاخلاقى والذى تم اغتياله هو الآخر فى لعبة السياسة .

الابن المفقود فى احدى عمليات التعذيب

جاك ليمون فى دور من احسن ادواره على الاطلاق

سينما

# «مفقود»

## الفيلم المفاجأة .. والقصة الحقيقية كما حدثت

وقد استطاع المخرج «كوستا جافراس» أن يحول هذه الحادثة الفردية .. الى قضية عامة تدين العنف والارهاب العسكرى ، كما تدين الدور الأمريكى فى مساندة الانقلابات العسكرية لخدمة مصالحها ..

وفى مشاهد سينمائية لا تنسى .. قدم المخرج «كوستا جافراس» .. صور الحياة فى مدينة تقع تحت وطأة الانقلاب الدموى .. حيث تسود لغة الرصاص والدم .. وتتناثر الجثث فى عرض الشوارع .. وترتفع السنة الحرائق فى كل الزوايا والميادين .. وحيث تتحرك العربات المتوحشة تطارد الحياة .

وفى واحد من أجمل مشاهد الفيلم .. يقدم المخرج مطاردة بالرصاص لحصان أبيض انطلق مذعوراً فى ليل المدينة .. وكأنه شهاب من نور يشق الظلام .

وداخل المستشفيات حيث تتكدس الأجساد الممزقة والمشوهة على الأسرة وفى الممرات .. وعلى الأرض .. وفى المداخل .. وكأن الجدران هى الاخرى تنزف دماً .. ثم يصل بنا المخرج فى عبقرية بالغة .. ليصور لنا هذا المستودع الرهيب لجثث القتلى داخل أحد مستشفيات المدينة .. حيث تتكوم الجثث فى طوابير بالطول وبالعرض .. محشورة بجوار بعضها .. دون أى مساحة فراغ .. حتى درجات السلم .. على كل درجة القوا بجثة .. أما هذا السقف الزجاجى فقد تحول الى صورة سريالية مجنونة .. بظلال الجثث الملقاة عليه والتى بدت لمن ينظر لها من أسفل .. وكأنها شبكة صياد الموت وهو يفرش محصوله للعرض !!

وزيادة فى تأكيد هذا المعنى الوحشى للعنف والارهاب .. ينتقل المخرج الى الاستاد الرياضى بالمدينة حيث تحولت ممراته الداخلية وغرف خلع الملابس الى زنزانات للمعتقلين وقد تلطخت الجدران بالدماء .. تلمع من بين قطراتها شعارات الاحتجاج والمقاومة .. اما على مقاعد الاستاد .. فقد تكدس المعتقلون على المقاعد تحت وهج الشمس ينتظرون من يتعرف عليهم ..

وقد استغل المخرج هذا المكان بكل تفاصيله الانسانية .. ليقدم النقيض تماماً .. عندما كانت هذه المدرجات بالاستاد الرياضى تهدر بصيحات الاعجاب والفرح للاعبى الكرة وحيث كانت الأجساد تموج بالحياة . ها هى الآن .. ربما نفس الأجساد تنوء بالألم والجراح .. وهذا الأب المكلوم يغالب دموعه ويحاول ان يتماسك وهو يتكلم عبر الميكرفون ظناً أن ابنه المفقود من بين هؤلاء .. ولا يجد ما يقوله سوى أن يحكى احدى ذكرياته مع ابنه لعله يناديه .. وتلتهم عينيه آلاف الشبان الذين يتجمعون فى صفوف الاستاد لعله يجد من بينهم ابنه .. وعندما يلمح أحد الشبان ينهض مسرعاً فى اتجاه سور الاسلاك الشائكة التى تحيط بالمدرجات .. يتوهم الأب أن ابنه قد سمعه وجاء ملبياً ندائه .. فيجرى اليه الأب فارداً ذراعيه .. ومن خلفه تجرى الزوجة فى ذهول .. ثم يأتيه صراخ الشاب ملتاعاً «ليس لى أب .. فمن يسأل عنى» ! لحظتها يتوقف الأب .. ليكتشف أنه كان يجرى وراء السراب .. ولحظتها أيضاً نكتشف أن السكين الحاد الذى مزقت حلمه .. هذه السكين قد مست جلدنا نحن أيضاً كمشاهدين !

### الممثلون

ولعب الممثل الأمريكى «جاك ليمون» دور الأب .. وكأنه يتوج رحلة حياته الفنية كلها فقد استطاع أن يجسد الشخصية بفهم واحساس بالغ .. واستخدم تعبيرات وجهه

لقطة تجمع بين الأبطال الثلاثة أثناء تصوير الفيلم ، فالابن المفقود لم يظهر إلا فى الجزء الأول من الفيلم

لتنطق بما لم يقله الحوار .

ولعبت الممثلة الأمريكية «سيسى سباسيك» دوراً يؤكد موهبتها كواحدة من أفضل جيل الممثلين الجدد فى أمريكا .. وهى التى استحقت فى العام الماضى جائزة أوسكار أحسن ممثلة عن دورها فى فيلم «ابنة عامل المنجم» .

## بين أمريكا وفرنسا

وقد كتب سيناريو الفيلم المخرج كوستا جافراس مع «دونالد ستيورات» .. وتم تصوير الفيلم فى المكسيك بطاقم فنى فرنسى اشترط المخرج أن يختاره بنفسه من بين الذين عملوا معه فى أفلامه بفرنسا .. ولم تمانع الشركة الأمريكية منتجة الفيلم .. بل لم تمانع أيضاً فى أن يقوم المخرج بمونتاج الفيلم واعداده للعرض داخل المعامل السينمائية الفرنسية ..

وهذا هو أول فيلم يخرجه «كوستا جافراس» لأمريكا .. وقد أعلن أنه لن يترك فرنسا .. إلا إذا أعجبه موضوع فيلم يصوره فى الخارج ثم يعود لها .. وقد عين أخيراً كمدير لمعهد الفيلم الفرنسى «الاديك» .

## الأب الحقيقى يحضر

وفى المؤتمر الصحفى الضخم الذى عقد بعد عرض الفيلم فى مهرجان كان .. جلس على المنصة وبجواره بطلى الفيلم .. وكاتب السيناريو الذى اشترك معه .. وكانت المفاجأة أن يحضر هذا المؤتمر أطراف الحادثة الحقيقية .. الأب والزوجة والصديقة ..

جلس الجميع على منضدة واحدة يواجهون طوفان المصورين وفلاشاتهم السريعة المتلاحقة التى ترصد هذا اللقاء الذى جمع ما بين الواقع والفن وكان النجم الذى انهالت عليه كل الأسئلة .. هو المخرج «كوستا جافراس» الذى خلق هذا العمل الفنى الرائع وأحدث الصدمة التى أعادت مجد السينما التى تقول أشياء هامة وممتعة .

## مأساة عائلة وبلد

ومن بين أسئلة هذا المؤتمر الصحفى .. واللقاءات المتعددة التى تمت مع المخرج .. أخذت هذه السطور من اجاباته والتى توضح تفكيره وأسلوبه الفنى .

يقول : «اننى لم اشر على الاطلاق .. من خلال الفيلم أن هذا البلد الذى شهد هذه الأحداث هى «شيللى» .. ولم اشر ايضاً الى «الليندى» .. ولكن الأمر لا يستلزم أن تكون «شرلوك هولمز» لتكتشف عن أي بلد نتحدث .. وقد أردت من خلال الفيلم أن أقترب من شاعر شاب من الممكن ان يكون فى أى بلد .. وفى أى وقت .. ولا نهاية لهذه القصة التى تستمر فصولها حتى الآن» .

ويقول : «لم أحاول أن أعيد بحث الحقائق والمستندات التى أوردها الكتاب الذى أخذت عنه قصة الفيلم .. لماذا أكرر عملية البحث اذا كان الكتاب قد غطاها تماماً بكل وثائقها الرسمية .. كل ما فعلته اننى أعطيت كل وقتى فى لقاءات مع عائلة «هورمان» الأب والزوجة والصديقة وما تبقى من الأصدقاء .. فالهدف الرئيسى من الفيلم ليس مجرد ادانة السفارة .. بل صنع دراما عن مأساة عائلة من خلال مأساة بلد .. مأساة شعب» .

## كيف ترى الفيلم ؟

عندما بدأ عرض فيلم «مفقود» داخل الولايات الأمريكية .. انشغلت به الصحافة تماماً .. البعض القليل استنكر الفيلم وأدانه لأن مخرجه من أصل يونانى .. أما الغالبية العظمى من الآراء فقد اعتبرته من أفضل الأفلام الامريكية لهذا العام ..

وحول ردود الفعل المناهضة للفيلم .. يرد المخرج «كوستا جافراس» بقوله .. «لقد شاهد الرئيس ريجان نسخة الفيلم .. ولم يعترض على شىء .. ولم يعلق بشىء» وأضاف «الحقيقة التى يجب الا تغيب عن أحد .. أن الفيلم أمريكى .. تم انتاجه وتمويله وتوزيعه من خلال شركة أمريكية كبرى .. ولعب أدوار البطولة اثنان من أعظم الممثلين الامريكيين .. والشىء المدهش هو اكتشاف مدى قدرة أمريكا على النقد الذاتى .. وأرجو أن تصدقوننى عندما أقول ان هذه القدرة على النقد الذاتى هى من أهم مزايا الديموقراطية والحرية فى أمريكا» .

وسألوه : «هل تعتقد أن الفيلم سيغير من سياسة أمريكا» ؟

قال ببساطة متناهية «الفيلم فى النهاية هو فيلم .. انه لا يخلق حركة سياسية .. فالفيلم مدته ساعتين قد تصنعه فى عامين أو فى عشرين عاماً .. ولكن الجمهور قد يفكر فيه ليوم أو يومين .. ثم ينشغلون بحياتهم .. وبلا أى مبالغات .. عندما يحدث هذا فاننا نكون قد حصلنا على أفضل النتائج» !

...

من هذه الكلمات البسيطة المعبرة .. نكتشف حقيقة ـ ربما نعرفها جيداً ولكننا نفضل أن ننساها أحياناً كثيرة ـ هذه الحقيقة هى أن العبقرية ليست فقط فى طريقة التعامل مع الأشياء .. ولكنها أيضاً فى التواضع .. !!

«رءوف توفيق»

لعبت الممثلة الأمريكية « سيسى سباسيك » دوراً يؤكد موهبتها العظيمة

# ضحكات الشهر



صلاح الليثي

هاتف
ومهتوف
وبينهما صالح



ما قبل التاريخ والهاتف الناس كانوا بيتكلموا ا زاى ؟؟



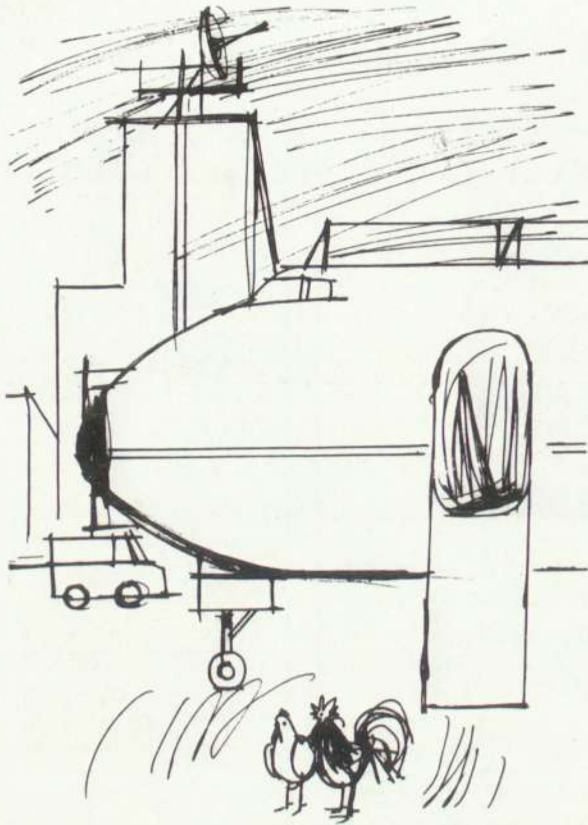
شحات افرنجى ـ يارب فلوس .. موش ميه .. !!



سيدتى ... سيدى اللص .. حضر .. !!



بدون كلام .. !!



ديك ـ .. رايح ... أأذن فى مالطه .. !!



الببغاء والهاتف .. !!

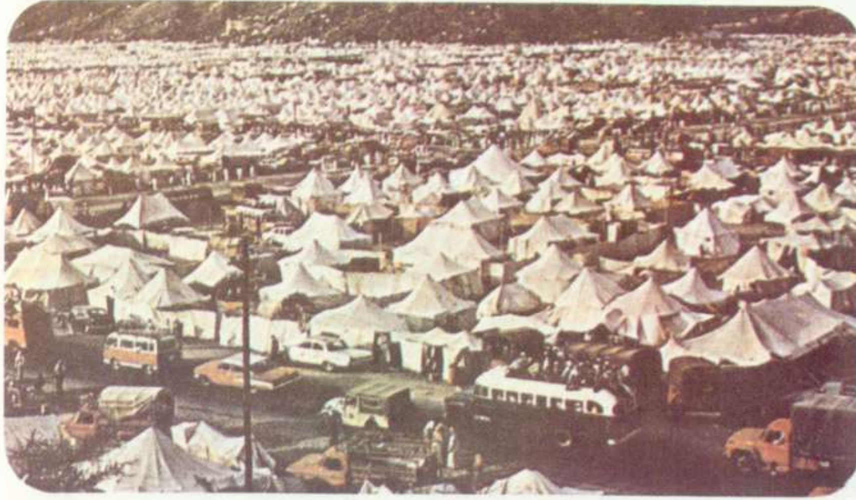


المستعمر ـ .. أنا طالب القطب منك .. !!



# دوحة القراء

## حاول أن تعرف



صورة ١ دولة عربية تبلغ مساحتها ربع الولايات المتحدة الأمريكية ، يتجه اليها فى كل عام أكثر من مليون زائر ، غنية بالبترول ، والحديد والفضة والذهب والنحاس .
ما اسم هذه الدولة ؟ وأين تقع ؟



صورة ٢ ولد هذا الكاتب عام ١٥٦٤ م ، وقد ارتبط المسرح الانجليزى باسمه .. تتجلى عبقريته فى شخصيات رواياته أمثال جولييت ، الملك لير ، عطيل .. ترجمت أعماله لكل لغات العالم .. توفى فى الثانية والخمسين .

## ؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

### حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٧



بنجلاديش وعاصمتها دكا
● فاز بالجائزة :
ـ عبد الله ابراهيم الهرسى ـ ليبيا
ـ حسن محمد عبد الله مصر



البحار العربى احمد بن ماجد .
● فاز بالجائزة :
ـ احمد محمد درويش ـ قطر
ـ السمؤل النور الجيلى ـ السودان

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## واعـــظ الرشـــيد

دخل أحد الصالحين على هـــارون الرشيد ، وبعد أن تحدثا فى بعض الأمور مدة من الوقت ، هم الشيخ الصـــالح بالانصراف .

فقال له هارون : عظني أيها الشيخ .

فقال الشيخ الصالح : يا هـــارون لو دامت لغيرك ما وصلتك يعنى الخلافة

فقال هارون : زدنى أيها الشيخ .

فقال الشيخ : يا هارون تلك قصورهم وهذه قبورهم .

قال هارون : زدنى أيها الشيخ .

فقال : كفى بالموت واعظاً يا هارون .

فبكى هارون حتى ابتلت لحيته ثم قال : أيها الشيخ أعليك دين فنقضيه عنك . ؟ .

قال الشيخ الصالح : يقضيه عنى من هو أقدر على قضائه منك .

فقال الرشيد : خذ من مالي ما يكفيك رزقاً لك ولعيالك .

فتبسم الشيخ الصالح وقال : ويحك يا هارون اتحسب أن الله يرزقك وينساني فسكت الرشيد ولم يحر له جواباً ثم انصرف الشيخ .

**عماد عبد الحميد نصار**
**الأردن**

## الصحـة والعـمل والقــوة

● ثلاثة تضر بأربابها :
الافراط فى الأكل اتكالا على الصحة – والتفريط فى العمل اتكالا على القدرة – وتكليف مالا يطاق اتكالا على القوة .

● وثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الايمان :
حلم يرد به جهل الجاهل – وورع يحجزه عن المحارم – وخلق يدارى به الناس .

● وثلاثة من كن فيه اســتكمل الايمان :
من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق – ومن إذا رضي ، لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن اذا قدر له لم يتناول ماليس له .

**مرفت أحمد علي – القاهرة**

## لقطة الشهر



**عطشـــان يـاصبـايـا**

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال القارئة
سلوى عبد الفتاح ابراهيم – المحلة الكبرى

## من أمثـــال الشـــعـــوب



● نقيم التماثيل من ثلج ... ثم نشـكو انها تذوب . ( المانيا )

● الأحداث أعلى صوتاً من الكلمات . ( امريكا )

● أضعف أنواع الحبر ... أفضل من أقوى ذاكرة . ( بريطانيا )

● ثرثرة الانسان مرآة أفكاره . ( الصين )

● النقد سهل .. لكن الفن صعب . ( فرنسا )

**جمال كمال الدين – مصر**

# دوحة القراء



## مَن ؟

من : عربى قرشى جاهلى قاوم الدعوة الاسلامية القرآن يدمغه بالكفر على الرغم من صلة رحم بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم : الاسم المكنى من كلمتين فى ستة أحرف : ٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٤ طائر صداح . ١ ـ ٦ ـ ٣ ـ ٥ أصل وجوده .

## أين ؟

أين : مهبط الوحى فى ام القرى . من كلمتين فى سبعة أحرف : ٧ ـ ١ ـ ٦ ـ ٥ هجم على غرة . ٤ ـ ٢ ـ ٣ ليس بارداً .

## ما ؟

ما : أداة أقسم بها الله تعالى فى القرآن الكريم لتعرف هذه الأمة قدرها ، وتعتنى بمدلولها وتتوجه بها نحو الرفعة والسيادة والعزة . اسمها من خمسة أحرف : ٣ ـ ٥ ـ ٢ حشرات . ١ ـ ٤ عشيرة وأهل .

## الإجابة الصحيحة

(١) ثلاثة من الأشياء التالية تتركب من ملح كربونات الكالسيوم : اللؤلؤ ـ المرجان ـ الفيروز ـ المرمر المصرى ـ العقيق ـ الزمرد .

(٢) يوجد البترول فى دولة قطر فى طبقات العصر الجيولوجي : الميوسينى ـ الجوروى ـ الكامبرى ـ الطباشيرى العلوى

(٣) «يقع المسجد الأقصى بالقدس الشريف على نفس خط الطول الذى يقع عليه المسجد الحرام بمكة المكرمة » . هل هذه العبارة صحيحة علمياً . ؟؟

(٤) الواح الطباعة الحديثة بطريقة « الأوفست » تصنع من فلز : الخارصين ـ الفضة ـ الالومنيوم ـ الأوزميوم .

(٥) «وسعت كتاب الله لفظاً وغاية : اكمل البيت وانسبه الى قائله واذكر فيم قاله .

(٦) الأخطبوط من الحيوانات البحرية التى تسمى : الرخويات ـ الفقاريات ـ الجوفمعويات ـ الاسفنجيات .

(٧) وقعت معركة نفارين التى تكالبت فيها كل دول أوروبا ضد الأسطول المصرى لكسر شوكة محمد على باشا سنة : ١٧٤٠ ـ ١٨٤٠ ـ ١٨٤٤ .

(٨) أقدم متحف علمى فى الوطن العربى وهو المتحف الجيولوجى بالقاهرة الذى يخططون لهدمه فى هذه الأيام افتتح للجمهور فى سنة : ١٨٠٤ ـ ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨ .

(٩) مؤلف كتاب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » فى القرن الخامس الهجرى هو : ابن مكى الصقلى ـ ابن خلدون ـ ابن خالويه .

(١٠) واضع نظرية الكم هو الفزيائى العظيم : ماكس بلانك ـ ج . ج . طومسون ـ ميكائيل فاراداى .

## مسابقة الدوحة ؟؟

## حل مسابقة العدد ٧٧

من : الخليل بن أحمد
اين : مكة المكرمة
ما : البرونز

الاجابة الصحيحة
١ ـ حوار
٢ ـ هارون الرشيد
٣ ـ ١٦٣٥م
٤ ـ نعم صحيحة
٥ ـ ٢٤١ هـ
٦ ـ البازلت
٧ ـ ابو رغال
٨ ـ ابن مقلة
٩ ـ واشنطن
١٠ ـ الشمال

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة
الحل : الرقبة ـ الذقن ـ العين ـ شعر الرأس ـ الحواجب ـ الأنف ـ الفم
الفائز : محمد سليمان سند ـ البحرين

٢ ـ لعبة الظلال
الحل : رقم (٢)
الفائز : نريمان خوري ـ لندن

٣ ـ هات اجمل تعليق
التعليق : هي الدنيا ضاقت في وجهك لهذه الدرجة . ؟!
الفائز : شعبان عبد المنعم أبو السعود ج.م.ع

## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مرح مروان مراد ـ دمشق ـ سوريا .

فازت بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : صفية صالح سليمان ـ الدوحة ـ قطر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : محمد عبد الله خوجلى ـ الكويت .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ علي ضرغام عبد الرحمن ـ لبنان
٢ ـ فاضل بن نصر ـ تونس
٣ ـ الدرديري علي محمود ـ السودان
٤ ـ يوسف فضل غانم ـ الأردن
٥ ـ مصطفى نديم السيد ـ الامارات
٦ ـ عبده عبده علي الهربيطى ـ ج.م.ع
٧ ـ حسين حسن التميمي ـ العراق
٨ ـ منير رحال الماجري ـ تونس
٩ ـ محمد الحسين حسين ـ ج.م.ع
١٠ ـ مولاي عبدالرحمن ايت موحي ـ المغرب
١١ ـ الحلج البلولة محمد ـ السودان
١٢ ـ فخري عبد السلام عثمان ـ الأردن

## استراحة الدوحة العدد ٧٧

٤ ـ لأقوياء الملاحظة
الحل : براد ـ طبق ـ استكانة شاي
غليون ـ سكين ـ مسطرة
الفائز : رائد محمود الياس أحمد ـ الأردن

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين
الحل : رقم (٦)
الفائز : أحمد الحسين ـ لبنان

٦ ـ لوحة لم تتم
الحل : الموسيقار بيتهوفن
الفائز : سارة محمد درويش ـ قطر

## هل تعلم..؟



ـ انك واحد من حوالى ٤٠٨٣ مليون رجل وامرأة وطفل يعيشون على الكرة الأرضية.؟ وان هؤلاء الناس وانت واحد منهم ، يكونون شعوباً مختلفة تعيش فى أكثر من ١٥٥ دولة .. ويتكلمون حوالى ٢٨٠٠ لغة ولهجة مختلفة.؟ .. وتختلف شعوب العالم عن بعضها فى لون البشرة والأعين والشعر ، وفى حجم الجسم وطوله وشكل الرأس والأنف ..

وبالرغم من هذا الاختلاف استطاع العلماء تقسيم الجنس البشرى الى ثلاثة أجناس رئيسية هى :

● الجنس المغولى : اصفرار لون البشرة ، إنحراف الأعين ، استدارة الرأس ، شعر طويل مستقيم ، انف صغير ، وهذا الجنس يوجد فى بعض شعوب آسيا مثل الصين واليابان والهنود الحمر والاسكيمو .

● الجنس الزنجي : بشرة سوداء ، شعر اسود مجعد ، انف مفلطح ، وشفاه غليظة ، ويشمل شعوب دول افريقيا .

● الجنس القوقازى : لون البشرة ابيض أو اسمر ، العينان زرقواتان، أو بنيتا اللون ، ويشمل أوروبا وشعوب شمال افريقيا ، واستراليا ، وامريكا الشمالية وبعض شعوب آسيا .

**شريف الشرباصى القاهرة**

## من أجل العيش

شاهد أحد رجال بوليس مدينة « نيويورك » رجلا فوق كوبري « منهاتن » وبكل حماس الشباب خاطر رجل البوليس بنفسه ، وظل يتسلق جانب الكوبرى فى تؤدة وحرص وحذر ، وفى صعوبة إقترب من الرجل وبدأ يحدثه فى هدوء وهو يلهث محاولا إقناعه بالعدول عن الانتحار . ثم سأله :

ـ ما الذى دفعك إلى الصعود إلى هذا المكان الخطر ؟

فأجابه الرجل فى غيظ :

ـ إنها وظيفتى اللعينة .. فأنا المهندس المكلف بصيانة هذا الكوبرى . !

**عائشة ابراهيم لطفى الكويت**

## مَنْ سبب الأزمة؟

زار احد الفنانين « برنارد شو » ولاحظ نحافته فقال يداعبه :

ـ نظرة واحدة اليك يا مستر شو ، تكفى للدلالة على ان انجلترا تعانى أزمة شديدة فى المواد الغذائية .. وكان ذلك الفنان بديناً الى حد كبير ، فنظر اليه برنارد شو متأملا ثم رد عليه من فوره قائلا :

ـ ونظرة واحدة اليك يا سيدى .. تكفى للدلالة على سبب تلك الأزمة .

**محمد عجوز ـ سوريا**

# استراحة الدوحة

مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

رؤوف



## دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، مسجلا هدف الفوز في المباراة ، المطلوب أن تتعرف على رقم فانلة هذا اللاعب حتى تحصل على الجائزة .

## خيال من ؟



( .. .... ..... .. )

إنه أستاذ الأدب العربي بدون منازع .. وهذا الخيال للأديب العربي الراحل الذي أثرى حياتنا الأدبية بكتاباته وكتبه التي ترجمت إلى عدة لغات .. هل يمكنك التعرف على صاحب هذا الخيال ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا)

## لوحة لم تتم!



اللوحة لأديب فرنسي مشهور ، له فلسفة خاصة اختلف حولها الكثير من المفكرين والفلاسفة .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم ، فاذا استطعت اكمالها ، أرسل لنا اسم الأديب لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا)

## لعبة الظلال




فشل هذا اللاعب في العثور على ظله الصحيح بين تلك الظلال الثلاثة .. ساعد اللاعب في العثور على ظله لتكسب (٦٠ ريالا)

## يخلق من الشبه أربعين















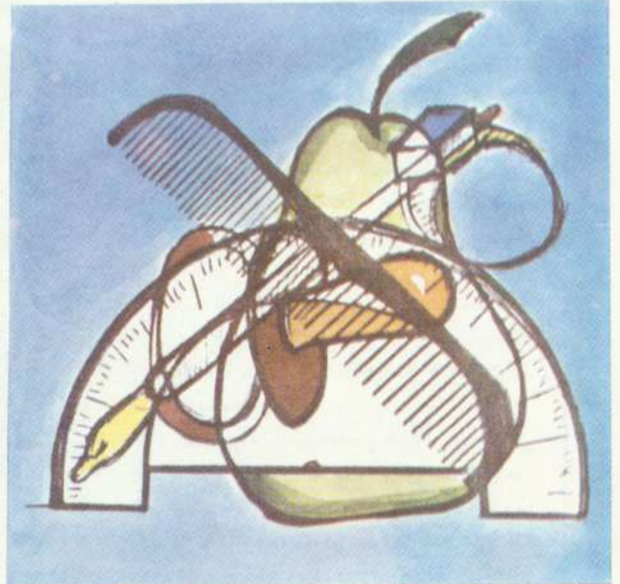






الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الفنان الكوميدي دريد لحام .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماماً ، وفي البقية اختلافات بسيطة ، إذا استطعت أن تتعرف على شبيه الفنان أرسل رقم الحل لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا)

## لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ..إذا استطعت التعرف عليها ، ففي انتظارك جائزة (٦٠ ريالا)

## هات أجمل تعليق :



حاول أن تكتب تعليقاً خفيف الظل على هذا الكاريكاتير ، وأرسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا)

# متفرقات

بقلم : عبد الله الشيتي

سئلت مؤخراً ، فى عاصمة خليجية :
– من هى المذيعة التليفزيونية التى ترتاح لها عادة .؟ .
فقلت من فورى : هى التى تشفع اخطاءها الصرفية والنحوية بابتسامة عريضة عذبة ترتاح لها عظام «سيبويه» !
وسئلت : ما هى امنيتك التى تود ان تتحقق ؟
قلت : ان لا تكون لى امنية ..
قيل : لماذا ..
قلت : كى لا افقد نعمة الشوق والتمني .. !

● ●

– قلت لزميل اديب : هل فهمت فلسفة ( زرادشت ) من غير تعقيد ؟
قال : لم افهمها لأنها معقدة .. !
قلت : لو تمعنت فى فلسفته قليلا ، لاكتشفت مدى بساطتها ويسرها ، إنها تتلخص فى حكمته هذه ( لتكن ذاتكم متجلية فى عملكم ، كما تتجلى الأم فى طفلها ) .. !

● ●

● قبل أيام ، شاهدت اعمى يقود بصيراً فما استغربت .
اتدرون لماذا ..؟
لأن المبصر كان فاقد ... البصيرة !

● ●

● كلما طالعت أمامى وجهاً بشوشاً مبتسماً ، دعوت له الله ان يديم عليه نعمة الابتسام ، لأنى اكره التطلع الى الوجوه التى تقطع الرزق .. !

● ●

## وتعلم كيف تنسى
## وتعلم كيف تصفح



● آخر مرة ، زار الشاعر الكبير عمر أبوريشه الكويت ، قبل أن يعود الى « مربط خيله » في بيروت لا يبرحها حتى وهي تحترق ، وفاء وعرفانا ، روى لي بيتين يتيمين من الشعر « العاطفي » بمثابة قصيدة كاملة تختصر حكاية « حب » ما من لقاء بعده :

حكايـة حبنا ختمت فما أشجى وما اقسى
جميل منك أن تعفي وأجمل منه أن أنسى !

فالمحب هنا لا يدخر جهداً ، في محاولة كتمان السبب الذي أدى إلى خواتيم حكاية طويلة مثيرة . إنه – أي المحب – كما يقول لي الشاعر أبو ريشه ، يحفظ للمحبوبة جميلها وفضلها في عنقه ، وقد وهبته حبها وحنانها ذات يوم ، فما يجوز له أن يرسل لسانه في أثرها ويكسر الزير وراءها ، احتراماً لما كان بينهما من علاقة سامية لا يجوز معها الردح وتبادل السباب والاتهامات ، كما في كثير من الحالات .. الشاذة طبعاً .

ولهذا نراه ونسمعه يرجوها أن تعفي عما سلف ، وأجمل منه أن ينسي ما كان من غير حاجة إلى الخوض في التفاصيل وما أكثرها و (أزعجها) في فراق المحبين إذا دب بينهم خلاف أو سعى بينهم عزول حاقد أو واش نمام !

وتلك هي لعمري – قلت للأستاذ أبوريشه – عفة الحب حتى وهو يموت ..

# دوحة الماضي

## مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جد أبيك

منشئها ومحررها صلاح الدين المقريزي



العدد الحادي عشر
يولية تموز
١٩٨٢

مواطن سوري في زي القرن الماضي

عزيزي القارىء :

المعركة فى هذا العدد ، هى معركة التفرنج ، ذلك الهم القديم الجديد الذى كان يقلق أجدادنا ، حتى أنهم افردوا له فصولا متتابعة ، يهاجمونه ، ويندّدون به ويسخرون منه !

فعلوا ذلك فى مرحلة كان العرب فيها يتعرضون لمظاهر فقدان الاتزان ، بعد أن استيقظوا من تخلفهم القديم ليجدوا أوروبا تدق - طوال القرن الثامن عشر - أبواب وطنهم ، وتلتهم أقطارهم قطراً بعد قطر ، فلم يكد القرن ينتهى حتى كان الوطن ، مستعمرات أو أشباه مستعمرات ..

أما الخطوة الأولى فى الغزو ، فكانت هجوماً على العقل العربى وتخريباً له ، واحتلالا للنفس العربية ، ودعوة للانسلاخ من جلد الأمة : حضارتها وماضيها وتاريخها !

فهل يتذكر ذلك هؤلاء الذين لا هم لهم اليوم إلا الحديث بالفرانكو - آراب ؟ !

المحرر

## باب الأسئلة والأجوبة

( ● ) من الناصرة . هل يوجد للموسيقى العربية انغام ( نوط ) مطبوعة كما يوجد للموسيقى الافرنجية وان وجد فاين تباع وكم ثمنها ؟

الجواب : نعلم بوجود انغام عربية مكتوبة بصورة النوط عند العساكر الشهانية والبعض من المولعين بهذا الفن ولكننا لا نظن انه يوجد لها فى بلادنا انغام مطبوعة الا ما يوجد منها فى كتب الترتيل ككتاب الالحان للدكتور ادون لويس واخبرنا بعض اصحابنا انه يوجد كتاب للالحان العربية والتركية والفارسية بالنوط اليوناني مطبوع بالاستانة .

( ● ) من اللاذقية ذكرتم صفحة ٧٧ من مقتطف السنة الخامسة ما مضمونه ان الدكتور برهم قطع الاسفنج قطعاً صغيرة وغرسها فى الصخور فنمت فرجوكم ان تبينوا باى واسطة الصقها بالصناديق والحجارة أو كانت ميتة ام حية ؟

( ج ) لابد ان يكون الاسفنج حياً والا فلا ينمو وقد جرب الاستاذ اسكار شمدت ذلك ايضاً فنجح نجاحاً عظيماً حتى فوضت اليه حكومة النمسا ان يروج هذه الصناعة الجديدة على شطوط دلماطيا . وقد ذكر التيمس ان طريقة الغرس سهلة وهى ان يقطع الاسفنج الحي الجيد قطعاً صغيرة عديدة فى الزمان المناسب لنمو الاسفنج فى فصل الربيع ثم تثبت القطع بعيدان تدق فى قعر البحر فتاخذ كل قطعة فى النمو حتى تصير اسفنجة معتدلة الحجم فى ثلاث سنوات على ما قال الاستاذ شمدت . والظاهر ان هذه الصناعة جزيلة الربح فقد استغلوا من بعض المغارس أربعة آلاف اسفنجة بمبلغ لم يزد رأس ماله ورباه فى ثلث سنوات عن تسع ليرات انكليزية . فيا حبذا لو شمرتم عن ساعد العزم وفتحتم هذا الباب لابناء البلاد .

( ● ) من عكا . هل من دليل جيولوجي على ان الانسان كان يعيش تسع مائة سنة ؟

ج . لا يوجد دليل جيولوجى على ذلك

## برهان تقدم الأمم الشرقية

جاء في الرائد التونسى ما يؤخذ منه انه يوجد فى قصر بكين كتاب يوجد فيه تصاوير على الخشب وعنوانه ( كسوكين توشوتسي تشينغ ) معناه قاموس دائرة المعارف العامة القديمة والحديثة وعدد اجزاء هذا القاموس عشرة الاف تحتوى على جميع العلوم الدينية والكيماوية والصناعية والحرف والعوائد والمصنوعات والتجارة وغير ذلك وهو مطبوع طبعاً نظيفاً .

( المقتطف )

## تمدن شرقي وتمدن غربي

جاور أحد الانكليز رجلا من ابناء العرب فكتب اليه الانكليزى يوماً اريد ان اسامرك فهل تحضر فى بيتى أو احضر عندك فكتب اليه العربى عادة الانكليز اذا سقوا انساناً كباية شراب امتنوا بها عليه وعدوها من أكبر النعم وعادة العرب اذا زارهم احد واكل طعامهم وشرب ماءهم شكروه ومدحوه وفرحوا به فانا احب ان اسر باكلك فى بيتى ولا أريد ان اكون اسير فنجال أو كباية فاضطر الانكليزى للتوجه وبعد ان وصل وجلسا للمسامرة قال له العربى ما هو التمدن الذى تريدون ادخاله فى بلادنا فقال الانكليزى هو خلاصكم من التوحش فقال العربى لا يخفاك ان المتوحش هو الذى ينفر من الانسان ولا يعرف الا مثله وهذا لا يطلق على سكان قطرنا فانهم يتبادلون التجارة مع سائر اهل الدنيا قديماً وحديثاً ويعرفون عوائد كل امة واخلاقها فهم يعاشرون كل انسان بما يناسبه ويالفه فلم يبق الا بعض البدو الذين يسكنون البادية فى الخيوش وهؤلاء اذا اجتمع منهم رجلان بخيشين واقاما فى جبل ورزق احدهما بنتاً والثاني غلاماً وارادا زواجهما عند كبرهما فانهما يصنعان لهما خيشاً ثالثاً قبل الزفاف لما تراه العرب من العيب القبيح اذا اجتمع رجلان وامراة فى بيت أو بالعكس فهل فى متوحشى الانكليز من يهتدى لهذا العمل العظيم ويرى اجتماع رجلين بامراتيهما فى محل واحد قبيحاً .

فقال الانكليزى لابد وان يوجد .

فقال العربى مهلا انا كنت فى لندن سنة ٦٠ ورايت رجلا صاحب معمل ( فابريقة ) وضع عدداً كثيراً من عمال المعمل فى بيت بحيث صار فى كل قاعة أربعة رجال بعائلاتهم ونسائهم بلا حواجز بينهم فهل هذا هو التمدن المضاد لتوحشنا .

فقال الانكليزى لا يعمل هذا العمل الا الفقراء الذين لا يقدرون على استئجار بيت على انفراده .

فقال العربى لكننا لا نرى هذا عند فقرائنا ولا اغنيائنا فاجدر بكم ان تتمدنوا بما عندنا من الآداب .

# هذا هو التمدن الذي جاء به العرب المتفرنجون

اجتمع مسلم وقبطى من المفطورين على حب وطنهم المحافظين على عادات اهليهم وتذاكرا فى التمدن الذى به تعمر البلاد فقال احدهما ربما كان سيرنا فى منفعة بلادنا وتعظيم ثروتها واصلاح ارضها وتحصين حدودهـــا والمحافظة على لغتها غير التمدن الذى تعمر به البلاد فالاولى ان نجتمع باحد شباننا الذين اخذوا التمدن عن اهله فى بلاده ونسالهم عنه وبينما هما يتذاكران واذا بشاب عليه سترة وبنطلون وفى يديه قفاز ( جوانتى ) أو ( الديوان ) وفى عنقه قلادة اطلس ( كرافيت ) او ( بيوك باغ ) وعلى عينيه نظارة وبيده عصا عليها صورة كلب فســألاه عن التمدن فقال يجب عليكمــا أولا ان لا تذهبا الى المعابد فلا تذهب انت الى المسجد ولا تدخل أنت الكنيسة فانهما يقيدانكما بالحلال والحرام والواجب والجائز وهذا ضد التمدن ثم لا تتقيدا بدين أو مذهب أو عادة وبولا من قيام على اى حائط وناما بالنعال فى ارجلكما واسكرا على قارعة الطريق ولا تجلسا مع احد من اهل بلادكما فانهم قباح المنظر غلاظ الطباع ضعفاء العقول وإذا دخل احدكما مجلساً فليضع فخذه الايمن على الايسر وليمد رجله بالنعال فى وجه من يشاء ويهز كتفيه ويعوج كلامه فيقول ( أني موش كلت – قلت – لك على شان أنتم مسكين احنا بادين – بعدين – جيتو هنا على شان شوف انتم أملتم – عملتم – ايه لكن انتم أولاد أرابو – عرب – زي بهايم تمام ) فان عارضك احد اشتمه بالفرنسوي والعنه بالانكليزى وسبه بالتلياني فان ضربته وجاء احد العساكر لضبطك قول انا حماية روح هات لي واحد يسقجي – حاجب فى السافرة الأجنبية – واضرب اباك وأطرد امك ولا تعرف جارك فانهم يقبحون سيرتك بافعالهم القبيحة وسيرتهم الفلاحى وخذ زوجتك معك فى المجامع والطرقات وادخل بها محـلات الرقص ومجالس الشبان وعرفها بهم كل انسان باسمه وهذا هو الدرس الاول فان عملتما به علمتكما درساً آخر وهكذا حتى تتمدنا .

فقال له احدهما يا جاهل يا غبي هذا هو التوحش بعينه بل الخروج من طور الانسانية الى البهيمية ظنناك عاقلا عالماً مهذباً فاذا انت عدو للانسانية جاهل بالوطنية فارغ من الادراك .التمدن ايها الضال هو الاشتغال بالعلوم والبحث فيها ووقوف كل انسان عنـــد حده ومحافظته على العادات الجميلة والتمسك بمعتقد طائفته وترك الخرافات والبعد عن الأفعــال الذميمـة ومسايـرة الكبيـر وملاطفــة الصغير ورحمـة الفقيــر ونصـح الغـنـي وتنبيـــه الغافل وترك التعصب على من خالفك فى المذهب أو غايرك فى الجنسية والسعى خلف الاصلاح وتاييد لغة البلاد وحفظها من الدخيل ومما يفسدها والنظر فيما يريده الغير منا وما يوجه اليه افكاره من اماكننا وبذل المال فى تعظيم ثروة هيئتنا الاجتماعيـــــة والحرص على سماع كل ما يختص بمصالحنا فما يشير الغير باشارة أو بطرف بعين الا كنا على علم مما يريد وحذر مما يراد وتعميم التعليم لابنائنا حتى لا نرى امياً ولا جاهلا بالمعارف وتشييد المعالم التى تشهد باعمالنا وحفظ الاثار التى تدل على تقدم آبائنا ورفع كل نقيصة تخدش الشرف أو تضعف الوطنية أو توهن قدر البلاد أو توجب احتقارنا عند العالم أو تنزل بنا الى درجة يرمينا فيها الغير بالجهالة والخشونة فان كنت تعتقد ان التمدن ما أنت فيه فانك أجنبي من البلاد بعيد من الدين عدو للجنســـــية بغيض للانسانية لا أهل ابقيت ولا غريب عرفت وما أوقعك فى هذه المحذورات الا جهلك بالعاقبة فان جهل العواقب جالب العواطب .

# خرافات الشرق وخرافات الغرب

طلب منا صديقنا الابر محـــرر المحروسة الغراء شرح الخرافات فى شان النجم ذى الذنب وقصد بذلك اظهار الحقيقة وابطال قول المخرفين لطهارة عقول الشرقيين مما يدنس شرف نكائهم ولكون الخرافات عامة فى كل امة والعادات القبيحة مختلفة باختلاف الجنسية والمواقع فقد اخترنا ان نعد فى جريدتنا محلا لذكر خرافة شرقية وخرافة غربية وعادة شرقية وعادة غربية نفكه بها قراء الجريدة ليعلموا الفرق بين الشرقيين والغربيين فكم فى الغرب خرافات لا يصدق بها مجنون الشرق وعادات لا يرضاها متوحش العرب ولكن نظافة الثياب وطول القبعة وعذوبة لفظ جرائدهم تبرئهم من كل عيب وترمينا بكل رذيلة ونحن ناخذ كل ما جاء منهم بوجه الاستحسان وما مقام صحيفتنا فى بلادنا الا مقام جرائد التهذيب فى أوروبا فانها التى ابطلت كثيراً من الخرافات والعادات بالتبكيت ولهذا طلب صديقنا شرح الحقيقة وابطال قول المخرفين فان هـــذا من خصائص جرائد التهذيب فلا يصدق عاقل ما اقترحه احد المنجمين من فساد العالم فى شهر نوفمبر المقبل وتناقلتها الجرائد متهكمة بافكاره وارى ان الجرائد الافرنجية ما تصدت لنشر هذه العبارة الا لتشغل افكار الشرقيين بالخوف والرعب وتلهيهم عن ملعب السياسة الشرقية الجارى فى أوروبا لما يعلمونه من ميل الشرق لاخبار المنجمين والرمالين والجفريين اكثر من ميلهم لتلغرافات السياسة واخبار المحافل والمؤتمرات .

# الصهد والرحيل

قصة بقلم : كلثم جبر

( ١ )

ردد الأطفال ما قلته بسذاجة . دون وعى رددوه ..

على أن أعيد الكلمات ثانيـــــة .. أن أغرسها فى تلك الأذهان .. اطبعها فى العيون الباهتة المتطلعة .. ترمقنى هى .. ترمقنى عيونهم بصمت غريب ..

ـ الحق .. الخير .. العدل .

جفت حلوق الصغار .. وحلقى .. وشريط أحمر دقيق .. دم متفجر ينبثق من حلقى وحتى مد بصرى يغطى الأرض والجدران .. والحب والخير .

ووجوه اطفالى . قد اكون أرعبت الأطفال بهذه الكلمات .

عيونهم جمرات متألقة خائفة .

ولكن رغم ذلك قـــد اضحكت استاذى الجامعى بها قال عنها مثالية لا توجد .. صمت وابتسم وقال هروب لطيف من واقع الحياة .

أود أن انتزعه من « بزته » واصلبه امامى واصرخ فيه .. « إنى شرحت نفسى حتى أصبحت جثة وشممت رائحة العفونة التى انتشرت من ارجائى بلعت واقعى وهربت الى مثالية احلم بها ولا تستطيع أن تصل إليها ببزتك هذه » ألقن الأطفال ثانية

ـ الحق .. الخير .. العدل .

وصدى ضحكات استاذى الجـــــامعى المصلوب ببزته فوق وجهى .. امسح وجعى من صدى ضحكاته اللزجة . وابصق فوق الأرض مبادئه المدروسة جيداً والتى يلقنها لي ..

ونظرات الصغار باتت أشد ذعراً وصوت هامس يتحرك .. يقترب مني .. تليه يد صغيرة جريئة .. تهزنى برفق ..

ـ معلمتى .. هل أنت مريضة ؟

( ٢ )

أطفأت مصباح غرفتى .. غصت فى طيات الفراش الوثير .. كل ما املك وثير .. ندى .. رطب .. ولكن قلبى أرض جافة .. عطشى .. تطلب الغيث .. الغيث .. لم تعد تمطر فوق أرجائى منذ زمن بعيد يوم كانت عيناه مغارة أحلامى . كنت أهرب الى عينيه وحدهما .. هناك أســـتريح واجد « اليوتوبيا » التى أحلم بها .

أفترش الأرض وأجلسه أمامي وأهمس .

ـ أهوى عينيك وصوتك ويوتوبيـــــــا أحلامى .

يصمت .. أراه ينحدر الى أعمق الأعماق ويصمت ـ يخاف ـ يرجف .. الخوف غزا عينيه كما غزا عيون صغارى يوم بصقت فوق الأرض مبادىء استاذى المدروســـــــة جيداً !

ـ أنا رفيقة الصمت ولكن معك أمقته .

عيناه اللتان أحبهما ترجفان .. رموشهما ترتجف .. إلى الوراء يتزحزح قليلا ..

ـ هل ستخاف من جديد ؟

ـ الخوف احساس كالحب .. أحبك أنا وأخافك . صدقينى أنا أخافك أخشى مثالية مدينتك التى تحلمين بها . أنت تبنين قصوراً هشة . تقيمين قصوراً ولكن هشة .

عيناه .. لعينيه سحر عجيب ..

كان مرتعشاً كاليوم حينما انتصب واقفاً امام والدى . لم يكن خوفه منه .. كنت أنا مصدر خوفه .. أعلم ذلك .. زادنى غروراً .. جذبتنى عيناه كنت احملق فيهما وكان يتعلثم بالحديث .. أخذه والدى بعيداً عن نظراتي الغازية .. إلى الصالون الآخر .

أرشده عما يجب أن يقوم به .. نبرات صوت أبى القوية تاتينى وانا مزروعة فى مكانى « نحن نملك الشمس والصهد والنفط .. وانت تملك الوعى والجهد ونحن قوم نستشف الاخلاص .

احنى راسه وتوارى من أمام والدى .. وكانت عيناى له بالمرصاد .

ـ انا اخشى .. !

وهب واقفاً كالاعصار .

( ٣ )

ـ أبى .. لطيف هذا الانسان يملك الحق والاخلاص .

ـ ألازلت ترددين هذه الكلمات .

ـ أبى .. هل اخطىء عندمـــــا انادى بمجتمع يسوده الحق .. والخير .. و ..

توارى أبى ، منذ بدأت اعي .. وهذا الوعي يؤلمنى .. لم يكمل معى أبى مناقشة ما .. كان يبتر الحديث ويهرب .. يخاف جنوني .. أنا أعلم ان أبى يخاف جنوني كان يدعو هذه المثالية جنوناً .. كان يخاف هذا الجنون وأنا أخاف نفسي .. أخاف .. ولكن الخوف كلمة لا استسيغها . لذا على أن أمتلك عينيه .

كان منكباً فوق الورق بعـروق جبهته النافرة .. يلتهم الكلمات .. وكنت أبحث عن عينيه .. أحرقته نظراتى .. رفع وجهه .. رآنى وفزع .. انا والفزع وهو متلازمون نتواجد فى اللحظة ذاتها .

وقف .. أحنى رأسه .. وجلس من جديد

ـ ما الذى ساقك إلى هنا ؟ النفط أم الصهد ؟

صمت .. ورفع عينيه ..

ـ لقمة العيش .

ـ الحلال ؟

بحلق فى وجهى .. دهش .. وفزع من جديد .. وصرخ بقوة وهو يضرب الطاولة الزجاجية والورق ..

ـ أجل .. الحلال .

( ٤ )

ـ أكره الصمت معك .

ـ موجوع . مللت الحديث . أكره المثالية واعشق الواقع .

ـ ماذا وراءك ؟

ـ يؤلمنى الحديث .

ـ رفقاؤك .. ماذا بهم ؟

ـ هم سبب علتي . الحديث يؤلمنى ولكن

موجوع أمقت الخيانة .. إنهم يتآمرون لسرقة أبيك . أمقت الخيانة أشعر بأني أخونهم . على والدك أن يكتشفهم بنفسه . ولكن أنت السبب فى تغيير مسار الأحداث وأنا أكره الخيانة ولكنهم يسرقون أباك .

ـ وماذا عن اللقمة الحلال ؟

ـ أنا أنشدها . الغير يتعجلها بكل الطرق وبأقصرها .

ـ هى إذن غير حلال . لن أخبر أبى . عليه أن يكتشف الخيانة . كان يقول إن باستطاعته شمها قبل أن تتفشى فعليه الآن ذلك .

ضرب بكلتا يديه الجدار . كطفل أحمق سحب «امرىء القيس» و «نزار» و «شيللى» من فوق الرف . ألقى بهم فوق الأرض داسهم بقدمه وشهق .

ـ أنت .. وهؤلاء سبب بؤسى .

ابتسمت بشماته وأنا أقترب منهم رفعت « امرىء القيس » بطرف قدمى ومن ثم ألقيته فوق الأرض من جديد .

وعدت أهمس باكية ..

ـ ما الذى دفعهم لذلك ؟ أين الحق .. والخير .. والعدل ؟

( ٥ )

فتحت الباب ..

أدهشنى الرجل الواقف به .. أعرفه جيداً .. منذ كنت طفلة كانت أمي تخيفني به .. لكى أنام .. وأدرس .. و ..

التفت إلى الوراء ورفعت صوتي مناديه ..

ـ أبى .. انه رجل الأمن !

خطوات أبى تسبق فضولى .. تقوده إلى الداخل . وأقف وراء الباب .. دبيب قلبى يرتفع .. من خلال فتحة الباب المواربة أرى نصف وجه رجل الأمن .. واسترق السمع .. ورغم ذلك أعلم السبب فى مجيئه .

ـ لتكن المسألة حاسمة وبدون ضجة . أخاف الله قبل ذلك .. والشيطان خلق للغواية .

ابتسمت بسخرية « إنه أبي . ويعظ !

لماذا لا يسألهم : ماالذى دفعهم للسرقة ؟ ولكنه أبي . ويعظ ! »

ـ كما تريد أين هم ؟

لم أرفع رأسي رغم ان أبى اصطدم بي حين خروجه .. ذهب ورجل الأمن ركب سيارته .. تركنى واقفة وذهب ورجل الأمن معه .

( ٦ )

الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً بعد منتصف الليل وأصابعي تدير القرص .. أطلبه منذ ساعات طويلة ورفعت السماعة على الطرف الآخر .

ـ أين انت ؟

ـ صباح الخير .

ـ أين انت ؟ كنت أطلبك منذ ساعات طويلة ؟

ـ كيف انت ؟

ـ أين كنت ؟

ـ مع رفقائي . قبل ذلك كنت مع أبيك ورفقائي ورجل الأمن .

ـ ماذا حدث ؟

ـ كان أبوك عطوفاً .. سأعود لوطني غداً .

ـ غداً ؟؟

ألقيت الهاتف . يداي سبقتا قدمي تركته يتحدث خلال الهاتف وهرعت تمتد يداي تفتحان الأبواب .. تطرقان الأبواب .. تهزان أبي فى فراشه وتفزع أمي .. وتضيء النور .. و ..

يصمت أبي .. ينظر إلي بقوة ...

ـ لماذا هو أيضاً ياأبي ؟

ـ كان معهم . كان يعلم انهم يسرقون ويصمت

ـ دافع عنهم .. قال انهم بؤساء . الحاجة دفعتهم لذلك .. دافع عنهم .. قال .. رواتبهم اقل من مجهودهم الذى يبذلونه .. دافع عنهم . قال .. إني استهلكتهم . دفعتهم للسرقة .. أنا دفعتهم للسرقة . ولكن رغم ذلك فهو رآهم يسرقون وصمت . هو منهم . كان يعلم ويصمت .

ـ أبي كان يريد اخبارك .. منعته من ذلك .

ـ أنت ؟

ـ عيناه وصوته .. رمز مثالية مدينتي الفاضلة .. كان صادقاً يا أبي . العدالة تقتضي أن تدين المجرم ولكنه غير ذلك .. أبي .

ـ إذن ؟

ـ يستثنى يا أبي .

ـ فليكن .

تنهدت .. قدماي الآن هما اللتان تسبقان يدى نحو غرفتي .. التقط السماعة الملقاة فوق الفراش وأهمس ..

ـ مستثنى انت .

صمت .. و .. أجاب ..

ـ تصبحين على خير .

وأغلق الهاتف .. تواريت بالفراش .. ونمت ..

( ٧ )

المقعد نفس المقعد .. والجدار نفس الجدار .. و « نزار » و « وأمرؤ القيس » فوق الأرض وآخرون غيرهم .. وخطوط بالقلم الأزرق العريض فوق الجدار تحمل نفحات مشاعر .. وباردة موحشة هي الغرفة .. وأنا أبحث بلهفة أبحث .. قلبت الورق والفراش والدولاب .. وأدوات المطبخ .. وعدت إلى الخطوط العريضة فوق الجدار أصرخ بها « أين هو ؟ أين عيناه وصوته ؟ »

صرخت . وقلبت كل شيء .. دست فوق أشلاء «أمرىء القيس» وعدت إلى المنزل .. كزوبعة ناديت ..

ـ أبي .

كان واقفاً ملتصقاً بالجدار .. الذى يحمل صورة كبيرة لي .. رسم خطوطها فنان متجول قابلته ذات يوم فى تجوالي فى تلك المدينة الباردة . أثاره فضولي .. وشعرى .. وعيناي وطلب أن يرسمني . أجلسني فوق الرصيف .. رسمني .. وأبي ينتظر .. وحمل بعد ذلك صورتي .. وعلقها هنا فوق الجدار .. وقال باعجاب وهو ينظر إلى خطوط عينيه فى عيني « انه بالفعل فنان » .

ـ أبي .. أين عيناه .. بحثت عنهما فى كل مكان فلم أرهما . رأيت « نزار » فوق الأرض ينزف و « بايرون » ولم أرهما . رأيت الخطوط الزرقاء التى خطها ذات يوم فوق الجدار ليبرهن لي أنه صادق . ولم أرهما . صدى همساته لم تكن هناك . أين هو يا أبي ؟

بهدوء جابه اعصارى ..

ـ لقد رحل . قلت له : أنت لا . ولكنه رحل . قال .. إنه يشعر بالخيانة قال .. إنه خان رفقاءه يوم أخبرك عنهم . وخانهم عندما تركهم دون توجيه . وخانني يوم عرفك دون علمي .. وخانك يوم وافق على الانضمام لمدينتك . قال إنه يكره الخيانة لذا عليه أن يرحل قال .. إنه يعشق الواقع ، وعليه أن يرحل . ورحل .

( ٨ )

عدت أصرخ بالأطفال من جديد ..

ـ الحق .. الخير .. العدل .

جفت حلوقهم وهم يرددون .. عيونهم جمرات ملتهبة . والخوف يغمرهم من أن أبصق فوق الأرض من جديد .. وصدى ضحكات استاذى الجامعي اللزجة .. تغطي الجدران ووجوههم .. والأرض .. دست فوقها هذه المرة بقوة .. ولم أبصق .. وعدت أهمس بأطفالي ..

ـ امسحوا وجوهكم ورددوا بهدوء .. الحق .. الخير .. العدل .

كلثم جبر



## التاريخ .. هذه الحقيقة المزعجة

كتب الدكتور عبد السلام العجيلي فى العدد ٧٥ مقالا تحت عنوان « التاريخ .. هذا الفضولي المزعج ! » ، أورد فيه حواراً بينه وبين صديقه حول أهمية التاريخ وامكانية الاستغناء عنه فى الدراسة .

ولقد حدد الكاتب علم التاريخ فيما نقله لنا مؤرخو الأباطرة من سير وبطولات ، أي أن التاريخ كما يفهم من مقاله هو ذلك العلم الذى يتناول بالسرد بطولات كبار الشخصيات وأعمالهم السياسية والحربية وغيرها .

وغير خاف على كل متتبع للدراسات التاريخية أن هذا الصنف من التاريخ هو الذى نطلق عليه اسم « التاريخ الرسمي » أو الذى يميل البعض إلى تسميته « بالتاريخ الحدثي » ، وهو فى غالبه كتب بايحاء من أولئك الأباطرة والقادة العسكريين أنفسهم فكان بذلك تاريخاً يعكس أيديولوجيتهم ويخدم أغراضهم السياسية والعسكرية .

ومن هنا كان الغائب الأكبر فى مثل هذا التاريخ هو الجماهير نفسها وهى الصانعة الحقيقية للأحداث والوقائع .

صحيح أن مثل هذا التاريخ الغريب على تربته الاجتماعية يمكن لطالب اليوم تجاوزه والاستغناء عن دراسته باعتبار أن كفة السلب فى حضوره بيننا أرجح من كفة الايجاب ، غير أننا لا نستطيع موافقة الدكتور العجيلي عندما يتعلق الأمر بالتاريخ الحقيقي للأمة ، أى التاريخ غير الرسمي ، لأن تجاوز مثل هذا التاريخ ليس معناه فقط التصريح بلاشرعية الميلاد فى خضم عالم تتصارع فيه الحضارات والقوميات والايديولوجيات . بل وأكثر من ذلك وأخطر .. رسم آفاق مستقبل مهزوز وفاقد لكل مقومات التوازن والتماسك بالنظر لغياب أساس حضاري ، هو الذى يعطى لمسيرتنا التاريخية توازنها وتجانسها واتصالها ، وهذا معناه بعبارة أخرى أننا إذ نلقن لناشئتنا دروس التاريخ ، نعطيهم الجذور التى انبنى عليها حاضر واقعهم الاجتماعي فى مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة والفن وغير ذلك من معطيات هذا الواقع .



عبد السلام العجيلى

وهكذا ، فليس الأمر يتعلق بالاختيار بين دراسة التاريخ أو الانصراف عنه كما يذهب الدكتور العجيلي ، وإنما يتعلق الأمر بالاختيار الصعب بين أن نكون أو لا نكون ، بين أن نعرف أسباب أزماتنا الراهنة فنجد لها حلولا ، وبين أن نظل جاهلين لها ، فنظل فى تخلفنا ، نتيه فى خضم التبعيات القاتلة .

ولذا ، فالسؤال الحاسم فى رأيي هو: كيف نتعامل مع التاريخ ، وكيف نلقنه لناشئتنا .

عرون المفضل
تطوان ـ المغرب

## حملة ضد الغزو الثقافي

وسائل الاعلام المرئية ـ التليفزيون والسينما ـ دخلت الآن إلى كل ركن فى وطننا العربى الكبير ، ومن خلالها ـ وفى غفلة أحياناً من المسئولين عنها ـ دخل ولا يزال يدخل إلى عقولنا نوع من الغزو الفكري الموجه ، من خلال كثير من الأفلام والمسلسلات .

واستغل هذا الغزو ، الفراغ الثقافي الذى نعيشه ، ليثبت فى عقولنا وعواطفنا نظريات وأحاسيس بعيدة كل البعد عن حاضرنا وماضينا ، وعن عقائدنا وتقاليدنا .

وبعد الشباب عن الكتاب ، وعن منابع الفكر والثقافة ، ولم يبق أمامنا من منهل للثقافة والفكر إلا بعض المجلات التى لازالت تتمسك بعروبتها ، وتؤدى رسالتها نحو القارىء العربي ومنها مجلتكم « الدوحة » .

وارجو ان تتبنى « الدوحه » حملة ضد هذا الغزو الفكرى الدخيل علينا ، وأن تلفت الأنظار إلى خطورته ، وان تشحذ الهمم العربية ليكون هناك الفيلم العربي الخالص والمسلسلة التليفزيونية العربية الخالصة ، والتى تحتوى سواء كانت فيلما أم مسلسلة ، مضموناً ثقافياً وحضارياً وفكرياً ينبع من تراثنا ، وواقعنا ، ليسير بنا فى اتجاه السمو والرفعة ، وليكن لنا نماذج من أبطال تاريخنا ، ومصابيح من علمائنا السابقين فى كل العلوم وألوان المعرفة .

خليفة حاج علي
الخرطوم ـ السودان

## رســالة .. وتعــليق

وصلتنا الرسالة التالية من السيد الملازم أول محمد محسن الجيار :

إننى أحد مواطني المملكة العربية السعودية ، وحاصل على بكالوريوس الآداب والتربية من جامعة الرياض ، وأعمل الآن ضابط شرطة بالأمن العام ، وكان لدي مكتبة كبيرة فى منزلي تضم كتباً ومجلات أدبية وعلمية عربية وأجنبية ومن المجلات التى كنت أعتز بها مجلة « الدوحة » ، فقد كنت مواظباً على شرائها منذ العدد الأول ، أي منذ دراستى الجامعية وكنت أحتفظ بجميع أعدادها من العدد الأول إلى العدد ٧٥ ، وكذلك مجلات عربية أخرى .

ولكن حدث مالم يكن في الحسبان ، حيث احترقت مكتبتي وأتت النار على كل مجموعات المجلات بها .

أمل أن تزودوني بالأعداد السابقة حتى لا أحرم من اقتنائها .

ولكم جزيل الشكر والتحية ،،،

ملازم أول/ محمد محسن الجيار
مدير التخطيط والتنظيم
بشرطة منطقة المدينة المنورة

« بقدر ما نشكر لك حرصك على إنشاء مكتبتك وضم «الدوحة» إليها ضمن المجموعات التى كنت تحتفظ بها ، بقدر ماأسفنا لما حدث .

سنحاول أن نرسل لك مانستطيع من اعداد الدوحة التى تتوفر لدينا ، فهناك أعداد قد نفدت تماماً .

« مجلة الدوحة »

## مجلة الدوحة بالهند والسنغال

وصلتنا رسالة بتوقيع الدكتور السيد احتشام أحمد الندوي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت بالهند وهو القسم المختص بمنح شهادات الماجستير والدكتوراه فى دراسات وأبحاث اللغة العربية وادابها ، يطلب فيها تزويد قسمهم بمجلة « الدوحة » لخدماتها الجليلة فى مجال الثقافة والأدب » .

كما وصلتنا رسالة من جمعية الشبيبة الاسلامية بالسنغال يطلبون فيها نسخاً من مجلة الدوحة « لأهمية الدور الذى تلعبه المجلات الاسلامية فى عالمنا الاسلامي بصفة عامة والجمعيات الاسلامية بصفة خاصة».

والمجلة إذ تستجيب لهذين المطلبين لتعتز بهذه الثقة التى تدفعنا إلى بذل المزيد من الجهد فى خدمة الثقافة والفكر العربي والاسلامي .

## المجلات العربية في السوق السوداء

هناك خطر حقيقى يتهدد المجـــــلات والصحف العربية حيث شاهدت بنفسى كيف تباع فى السوق السوداء باعلى من سعرها الحقيقى .

فهل لديكم من وسيلة تقضون بها على هذه الظاهرة الخطيرة ..؟

أحمد ادريس السيد
كسلا ــ السودان

● مشكلة البيع فى السوق السوداء بأعلى من السعر الحقيقي لأية سلعة ومنها الصحف والمجلات هي مشكلة تتصل بضمير البائع قبل كل شيء ، والمجلة سعرها موضح عليها ولك أن تطلب من البائع التقيد بالسعر الحقيقي لها .

ومن ناحيتنا سنقوم بالاتصال بوكلاء توزيع « الدوحة » لتحري الحقيقة ، ولتلافي ذلك .

نرجو أن تكون هذه حــــالة فردية ، فيصحو ضمير هذا البائع ويثوب إلى رشده .

وشكرا للقاريء الكريم عــلى هذه اليقظة وهذا الحرص .

« الدوحـــــة »

## الفنـان الذي عـــاد

لحظات قراءة ثرية جداً ، تلك التى أتيحت لنا مع قصة الدكتور يوسف إدريس ــ الختان ــ التى نشرتها « الدوحة » مؤخراً

ففى القصة ، كما أحسب أن كل قاريء قد استقرأ ، عودة مباركة لادريس إلى قصته الفنية الحقة .. وإلى عالمه الخاص الذى تعملقت فى أرجائه بواكير قصصه ، منذ مجموعته « أرخص الليالي » .. أقصد عالم القرية والريف ، الذى كان وسيظل ينبوعاً خصباً .. متجدداً .. لرجالات الابداع الفني والأدبي .

هنا ــ فى هذا العالم ــ تعارف القاريء المثقف ، والقاريء العادى ، مع يوسف إدريس .. القاص .. ذلك التعارف الحميم ، النابض بمشاعر الاقتراب المشترك ، من أهلنا وأحبتنا وارضنا ، لنرى ــ بعدسة الفنان الصادق ــ بعضاً من زوايا وأمكنة وأحاسيس ذلك العالم المديد .

ومن هنا ــ من هذا العالم ــ استقبل النقد الأدبي ، ذات يوم ، يوسف إدريس ، استقبالا ترحيبياً خاصاً ، أثبتت الأيام فيما بعد ، أحقية القاص به ، وصدق النقد فيه .

بيد أن قاصنا الكبير ، كان فى الأعوام الأخيرة ، على غير ما عرفناه ، وأحببناه عليه ، كان ( يفجعنا ) بين آن وآن ، بالجديد القصصي ( المرعوش ) .. المرعوش بالتغريب حيناً .. وبالتفلسف حيناً .. وبالشكل التقريري الصحفي حيناً ثالثاً .

إنه قاص مقاتل ، هذا ( اليوسف ادريس ) .. مقاتل دائم .. مقاتل وهو يكتب القصة التى تحب ، ومقاتل وهو يكتب القصة التى تتغرب ، أو تتفلسف ، أو تستسلم لسرعة العصر .. ومقاتل وهو يكتب قصة رائعة ــ كالختان ــ فيها من حرارة المضمون ، وصفاء اللغة ، وحب الناس البسطاء ــ المقاومين ــ الشيء الكثير .. فله تحياتي .

حسن يوسف على
المحرر الثقافي بجريدة
أخبار الأسبوع ــ الأردن

# المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

## تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

**رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي**

**مدير التحرير عبدالعزيز السيد**

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون ( الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ ) - الدراسات الاثارية ( الاركيولوجية ) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

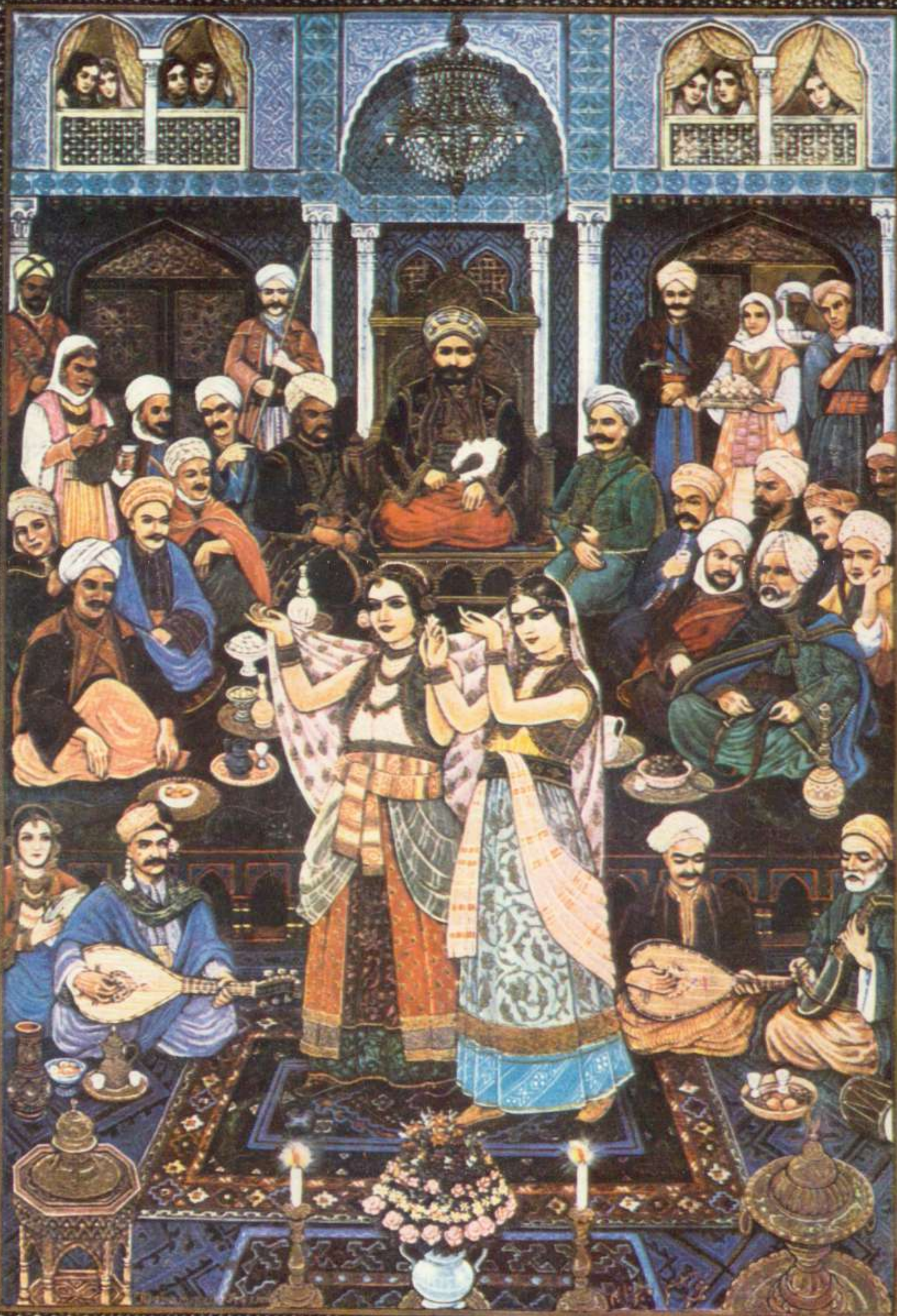
**الاشتراكات السنوية**

| | داخل الكويت | في الخارج |
|---|---|---|
| - للمؤسسات | ١٠ د.ك. | ٤٠ دولاراً أمريكيا |
| - للأفراد | ٢ د.ك. | ١٥ دولاراً أمريكيا |
| - للاساتذة والطلاب | ١ د.ك. | ١٠ دولارات أمريكية |

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :ـ

ص.ب : ٢٦٥٨٥ ( الصفاة )

الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣



"مجلس أُنس".. للفنان الجزائري محمد راسم

العدد ٨٠ ـ شوال ١٤٠٢ هـ ـ اغسطس ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## شاعر عربي يطلق الرصاص على نفسه احتجاجاً على مذبحة لبنان

خليل حاوي

احتجاجا على الصمت العربي تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان ، انتحر الشاعر العربي الكبير خليل حاوي مطلقا على نفسه الرصاص

وكان خليل حاوي قد حاول الانتحار في العام الماضي للسبب نفسه


MIRINDA

# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٠ - شوال ١٤٠٢هـ - أغسطس ١٩٨٢م

**المراسلات :**

التحرير والادارة : ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة – قطر .
العنوان البرقي :
المجلة – الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

**الاشتراكات :**

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

**الإعلانات :**

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

**الأسعار :**

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين


## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ – الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء – القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديفان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ – الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا : .
المؤسسة العربية السوريه لتوزيع المطبوعات
برامكه – تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ – دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد – ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ – تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ – الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ – جدة
مكتبة ومطبعة خباء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ – بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية – الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ – طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ – بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ – عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف – بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ – المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ – مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ – صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص.ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ – المحافظة الأولى
عدن .

● الأمارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام – عمارة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ – ابوظبى .

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر


طبعت بمطابع على بن على — Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# في هذا العدد


د . محمد جابر الأنصارى


خالد محمد خالد


عبد الله جفرى


يوسف الخطيب

لوحة الغلاف الاخير :
ظهور الاسلام للفنان الجزائري محمد راسم




● مأساة أمه .. فى مأساة شاعر ... ... ... ... ... ...
د . محمد جابر الانصـــارى ٦

● ومن لم يمت « بالذبح » مات بغيره ... ... ... ... ... ...
تعددت الأسباب والموت واحـد ... ... ... ... ... ...
رجـاء النقاش ٩

● كيال جريس ... ... ... ... ... ... ... ... ...
الفنانة القادمة من أفريقيا ... ... د . يوسف ادريس ١٦

● اقرأوا .. وفكروا .. وقولوا ... ... ... ... ... ...
خالد محمـــد خالد ١٨

● سريناد القمر الأسمر « شعر » ... ... ... ... ...
يوسف الخطيب ٢٠

● العالم على ساقين متناقضتين ... ... ... ... ...
عبد الله الجفري ٢٢

● الزعيم الوطني متهم ، وورثة عدلي طلقاء - ؟ ...
اسامة خالـــد ٢٤

● الرجل الشجرة ... زكريا ! ... ... ... ... ...
محمود السعدني ٢٨

● الوحدة أو الفناء ... ... ... ... ... ... ... ...
درويش مصطفى الفار ٣٠

● دور العمائم في تاريخ مصر ... ... ... ... ...
فتحى رضـوان ٣٢

● شارون : مهندس المذبحة في لبنان ... ... ... ...
عصام شريح ٣٥

● عاشق بنت السلطان ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد السلام العجيلي ٣٨

● مناظرات اسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدي ...
كمال النجمي ٤٠

● جناية اليوت الشعر المعاصر.. ... ... ... ... ...
د . كمال نشات ٤٤

● اضواء ثقافية ... ... ... ... ... ... ... ... ...
علي شلش ٤٦

● ديجا .. بين الشعر والفلسفة ورقصات الباليه ! ...
جمـــال قطب ٥٠

● رأيت في شراكسة الأردن : اخطف عروسك وتزوجها !
ضياء الدين بيبرس ٥٢

● الأفندية والنرجيلة وخيال الظل ... ... ... ... ...
عادل ابو شنب ٥٥

● زبرجدة الى أمل دنقل « شعر » ... ... ... ... ...
حسن طلب ٥٨

● مومياء فرعونية تحت الفحص العلمي ... ... ... ٦٠

● دليل القارىء الذكي الى الكتب الجديدة ... ... ٦٠
حسني شحاده ٦٢

● الكائنات السامة في البحار ... ... ... ... ... ...
أحمد محمد الغنـدور ٦٤

● لقاء مع الفنان العراقي خالد النائب ... ... ...
حسن الملا ٦٦

● وكالفحم والماس تكون اقدار الناس ... ... ... ...
د . عبد المحسن صـــالح ٧٠

● كل هذا الظلام « شعر » ... ... ... ... ... ...
محمد ابراهيم ابو سنه ٧٥

● لقطات من الكون المثير ... ... ... ... ... ٧٦

● كتاب الشهر « حياة قصيرة » ... ... ... ... ... ... ... ...
● باقي من الزمن ٤٥٠٠ مليون سنة ثم تموت الشمس ! ٧٨
● دائرة المعارف القرانية ... ... ... ... ... ... ... ...
د . محمد البهي ٨٣
● من محمد بن القاسم الثقفي الى السلطان محمود الغزنوي ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٨٤
كيف يضحك الرجل الأسود - ؟ ... ... ... ... ... ... ...
النور عثمان ابكر ٨٦
● المضروب « قصة » ... ... ... ... ... ... ... ...
عباس خضر ٩٦
● كلمات ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
● ديجول والجمهورية الخامسة ... ... ... ... ... ...
محمد العرب موسى —
● التشجيع ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
علي الطنطاوى —
● عبد الرجمن الوراق ... ... ... ... ... ... ... ...
خالد محسن اسماعيل —
● تفسيرات عربية لطيفة لاسماء البلدان ... ... ...
ابراهيم محمد الفحام —
● رحيل العصافير ( شعر) ... ... ... ... ... ... —
م . كجراي ٩٩
● الحلي الذهبية القطرية ... ... ... ... ... ... ...
نجلاء العزي ١٠٠
● صلاح طاهر بدأ بالملاكمة وانتهى بالتمرد على الفن الكلاسيكي ... ... ... ... ... صبحي الشاروني ١٠٨
● التحدي « شعر » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . انس داود ١١٥
● جارتان « قصة » ... ... ... ... ... ... ... ... ...
حافظ احمد امين ١١٦
● هذا الكاتب العبقري هل هو خائن أو عبيط - ؟ ...
جمال الكناني ١١٨
● العلم هو المستقبل ... ... ... ... ... ... ... ...
لبنى الريدي ١٢٢
● تمثيلية يابانية قديمة لمؤلف مجهول ... ... ...
نبيل الالفي ١٢٤
● اصوات نسائية في عالم القصة القصيرة القطرية
عبد الرحمن محسن ١٢٦
● دوحة الماضي ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٢٩
● مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا ... ... ...
رءوف توفيق ١٣٢
● ضحكات الشهر ... ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٤٠
● استراحة الدوحة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٤٤

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

# من الخنـــــــــــــادق ...
# إلى الفنـــــــــــــادق :

# مأســـــــاة أمّـــــــة
# في مأســـــاة شــــاعر

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

الأمم تصهرها المحن ، فتخرج منها بمعدن أصفى ، بعد ضراوة الحريق .. هذه قاعدة عامة أثبتتها شواهد تاريخية عديدة .

ولعل من أهم الشواهد التى تعنينا نحن العرب ، لأننا ندفع ثمنها من وجودنا وكرامتنا كل يوم ، التجربة التاريخية التى مر بها اليهود عبر تاريخهم ، وكيف عاشوا فى اختبارات متتالية أشبه ما تكون بالكوارث المتعاقبة جيلاً بعد جيل . فلم يتخلوا عما كانوا يعتقدونه ويأملونه ، رغم استحالته تاريخياً طوال عهود تاريخهم المنصرم ، حتى واتتهم الفرصة ووافاهم الظرف التاريخى فتحالفوا مع قوى الاستعمار العالمى وعرفوا كيف يعبئون قواهم . ويستغلون نقاط ضعفنا ، ليحققوا حلمهم التاريخى الذى تقادم عليه العهد ، بعد فترة قصيرة جداً من التجربة المهلكة التى مروا بها فى ألمانيا النازية حيث تصور الكثيرون انهم لن تقوم لهم قائمة على الاطلاق ..

واليوم ، وفى خلال دخان المحرقة النازية التى اقامتها اسرائيل للشعب الفلسطيني وللشعب اللبناني ( والتى تنتظر كل شـــعب عربى آخر مع اتســـاع المخطط الصهيوني ) ، نقول من خـــلال هذه المحرقة الرهيبة ربما تصـــور الكثيرون ان اسرائيل قد نجحت فى القضاء على روح المقاومة فى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، ولكن إذا كان لتجارب التاريخ من معنى ، فان هذه المحرقة يفترض ان تكون المصهر الـــذى اذاب الشوائب والترسبات المحيطة بالمعـــدن الفلسطيني والعربى ، ليخرج هذا المعدن أشد نقاء وأكثر صلابة ، إن لم يكن اليوم ففى الغد القريب . أقول : « يفترض ان .. » والباقى على الارادة العربية .

### كل شىء يحترق

وأنا أعلم تماماً ، انه من أصعب الأشياء على الانسان العربى ان يتفاءل هذه الأيام ، بل أن يتجنب التشاؤم القاتم المهلك .. ومع الأيام الأولى للغزو الاسرائيلى للبنان ، انتحر الشاعر العربى اللبناني الكبير خليل حاوي ، شاعر الانبعاث والخصب ، لانه رأى كل شىء يحترق دون أن يتحرك عصب حي ونبض حي فى هذه الأمة يوقف المأساة ويرد على المذبحة .

وقرر حاوي ، بالصفاء والعفـــوية المعهودين فيه أن يصرخ فى الضمائر الناعسة ، لعلها تستيقظ ، فلم يجد أقوى من الانتحار فى زمن أصبح فيه القتل لغة

تعاطى والتعبير بدل الكلمة والفكرة .
فهل تبلغت الأمة العربية نبا انتحار احد شعرائها الكبـــار ، وهى التى تميز تاريخها برفض الانتحار .. لانه كان تاريخ عمل وصمود ومقاومة وايمان .. ولم يكن خليل حاوي المتشبع بروح امته يفتقد كل ذلك ، ولكنه راى امته تفتقد ذلك كله فى محنتها الراهن ، وتتنكر لتاريخها ، فاراد انتحاره وموته ان يكون تذكار الحياة لامته . الحياة الحرة الكريمة المقبلة مع الغد الآتى .. لقد تبلغنا الرسالة يا خليل ..

فهل تتبلغ امتك رسالة انتحارك ، لتعود إلى رسالة شعرك اى لتعود الى روحها الحقيقية التى كنت احد القلائل الذين عبروا عنها بصدق منذ ايام جدك الكبير ابى الطيب المتنبي الذى كان فى مقدمة من احببت .

نحن يا خليل ، رغم الانتحار ، ننتظر وننتظر « الانبعاث » كلمتك المحببة ، هو ما زال فى قلوبنا حقيقة ، ازدادت تاكيداً بعد انتحارك لأن انتحارك هو الاستشهاد فى سبيل الانبعاث الحقيقى المقبل ، ولأنه الدليل الحي ، كحيوية الدم الذى تدفق من جسدك ، على انه يوجد فى هذه الامة ضمير واحد حي يشعر بالمهانة الى درجة الانتحار ، رغم كثرة الضمائر النائمة والغارقة فى اللامبالاة واللهو والهروب ومباذل الحياة الذليلة ومباهجها المخزية .

عندما ينتحر شاعر فى امة من اجل قضيتها ، لا يكون ذلك مدعاة ياس ، بل دليلا على بدء دبيب الحياة والحيوية والانبعاث فى الجسم العقيم المتجمد .. هكذا علمنا خليل حاوي .

وعندما يصمد مقاتلون ومقاومون فى خنادقهم حتى الرمق الاخير ، رغم تفوق العدو القتالي ، ورغم تخلى امتهم عنهم ، ويموتون وهم واقفون ، فذلك ايضاً دليل انبعاث جديد فى تاريخ الأمة . ولا عيب ان يموت الانسان الصامد الفقير بالسلاح الفتاك المتفوق على سلاحه ، ولكن العيب ان يهرب وان تستسلم روحه للغزو ، وسيكون وقوف المقاتلين العرب فى لبنان طيلة اسابيع الغزو ، وامام جيش لم تقف فى وجهه الجيوش التقليدية كل هذا الوقت ،ولم تقاومه كل هذه المقاومة ، نقول سيكون هذا الوقوف التاريخي البطولي ، رغم كل ضحاياه وخسائره ، ورغم التسويات التى فرضت وتفرض على ابطاله ، تحولا تاريخياً حقيقياً فى حياة هذه الأمة طال الزمان ام قصر .. هكذا علمتنا المقاومة الفلسطينية ـ اللبنانية .

الشعب الفلسطيني واللبناني اصغر شعبين من شعوب العرب عدداً . واجها اكبر عدو للعرب عدة وقوة وصلفاً .. وكتبا بداية هزيمته المعنوية والروحيـــــــــــة والتاريخية .. ومن لا يصدق فليقرا اليوم ما يكتبه مفكرو اليهود انفسهم فى امريكا واوربا ، بل وفى اسرائيل ذاتها ، عن الخراب والخواء الداخلى الذى اصاب الفكرة الصهيونية والروح الصهيونية والكيان الصهيونى ، وحول اسرائيل إلى مجرد قوة عسكرية غاشمة ، بلا قيم ولا اخلاق ، حتى فى ميزان القيم والاخلاق الغربية التى اعطت اسرائيل معنى وجودها فى البداية .

واذا كان خليل حاوى قد انتحر من شدة سوداوية المأساة العربية ، فان للصورة جانبها الآخر ، وللحقيقة وجهها الآخر ، ومن قلب اسرائيل تظهر شهادة فكرية بقلم






احد قادة اليسار الصهيوني الملتزم بفكرة أرض الميعاد وبفكرة الدولة الصهيونية ، يقول باعلى صوته ، وجيش اسرائيل ما يزال ينشر الدمار فى لبنان ، بأن حكومة مناحم بيغن قد كتبت بيدها الآن كارثة الشعب اليهودى ومأساته . وان اليهود قد نجوا من محرقة هتلر ليواجهوا محرقتهم الحقيقية بتصرفاتهم وفعل أيديهم ، وانه بعد كل ما فعله جيش اسرائيل بالفلسطينيين واللبنانيين ، فليس أمام اسرائيل ما تنتظره فى الغد القريب ، وقبل نهاية الثمانينات ، غير مصير الكارثة والمأساة .

ويمضى المفكر والزعيم الاسرائيلى المذكور قائلا : « لقد تحولنا من دولة اسرائيل على أرض الميعاد إلى مملكة أورشليم الصليبية التى احتلت القلاع والمدن على طول الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط واخذت تزرع فيه الخراب والدمار حتى جاءها صلاح الدين فى حطين » ..

## للصبر حدود

وينتهى الى القول بانه يرى حروباً جديدة فى المنطقة سيقودها العرب هذه المرة ، وبقيادة مصر ، نعم بقيادة مصر ، لأن الذين ابتسموا لاسرائيل فى كامب ديفيد لن يسعهم أن يواصلوا ذلك بعد ما فعلته اسرائيل من جديد ولكل شىء حدود ، وللصبر حدود ، وللانتظار حدود ، وللنوايا الطيبة حدود . هذا ما قاله زعيم اسرائيلى قبل أسابيع .

وهذا ما يتوقعه أعداؤنا منا . فاللهم اجعلنا عند حسن ظن هؤلاء الاعداء بنا ، ولا تبقنا عند سوء ظننا بانفسنا .

والمهم الا نبقى كما نحن الآن بين هارب يبغى السلامة لنفسه ولا يهمه مصير السفينة الغارقة ، مع انه سيغرق معها بقى فى المقدمة .. أم هرب الى المؤخرة ..

وبين متشائم يائس يرى فى الامر نهاية العالم ، ولا يرى ديناميكية الهبوط ثم الصعود فى مدارج التاريخ ..

المطلوب الآن ، بعد كل الذى حدث ، ورغم كل الذى حدث أن نطرح على انفسنا السؤال الذى تطرحه الأمم الحية على نفسها غداة كل كارثة : «والآن ما العمل ؟»

ثم ننصرف الى العمل ، دون كثرة ضجيج وبكائيات ، ومناحات ، وقيل وقال ، وتنظير طويل لاطائل وراءه .

هناك فقط حقائق أساسية بسيطة ولكن هامة جداً ، لابد أن نتبينها باقصى قدر من الوضوح من وراء دخان الحريق والخرائب :-

أولا : أن المشكلة عربية ـ عربية قبل أن تكون عربية ـ اسرائيلية . هناك أزمة عميقة تتناول الوجود العربى كله ، وما لم نعالج هذه الأزمة ونحسمها ، فان قتالنا ضد اسرائيل سيظل مثل قتال المصارع الذى يعانى من نزيف داخلى حاد وهو يحاول التحرك على حلبة المصارعة فى مجابهة خصمه الشرس .

ثانيا : ان ساحة المجابهة هى الساحة العربية كلها شئنا أم أبينا . هذه الساحة قادمة وعلينا أن نعرف كيف نحركها ونوظف طاقاتها . فكلما قصرنا المجابهة على بلد عربى واحد ، وتركناه وحده فى صراع الوجود ضد العدو ، كما فعلنا مع مصر من قبل ، ومع لبنان اليوم ، فان النتيجة لن تكون غير المزيد من الكوراث ، وهذا ما يريده العدو ، إنه يريد الاستفراد والتصفية جبهة بعد جبهة ، وما لم يكن الرد جماعياً من جانب العرب وعلى امتداد وطنهم الكبير كله ، فان الهزيمة ستظل دائماً من نصيبهم .

ثالثا : ان خصمنا الأساسى هو أمريكا والغرب بعامة ، واسرائيل ليست سوى جسر الغزو ، ومخلب القط ، وما لم نقرر مجابهة العدو الأساسى ، ونستعد لذلك ، ونقتدر عليه ، فان رؤيتنا للمعركة ستظل قاصرة ، ولم تبدأ الهزائم العربية إلا بعد رفع الشعار القائل : نحن لانستطيع مناطحة أمريكا !! ..

ولكن ما العمل اذا كانت أمريكا مصممة على مناطحتنا حتى آخر رجل وامرأة وطفل ؟!

رابعاً : ان العدو متفوق علينا ، وسيظل متفوقاً بالسلاح الحديث وبالقدرة على استخدام جيشه النظامى ، واذا بقينا على أسلوب مجابهته بالجيوش التقليدية والأسلحة المحدودة التى تصل هذه الجيوش من الشرق والغرب ، فان الوضع الحالى لن يتغير ، لابد أن نصل فى النهاية الى النتيجة التى لامهرب منها : وهى أن أى شعب فى العالم الثالث لايستطيع أن يواجه قوة تكنولوجية غازية متفوقة إلا باسلوب حرب الشعب بمعناها الواسع وطرقها المتعددة . كما فعل الفتناميون بالجيش الامريكى ، وكما فعل الجزائريون من قبلهم بالجيش الفرنسى ، والامثلة كثيرة والنماذج التاريخية متعددة ووافرة لمن يريد دراستها والعمل على ضوئها .

خامساً : غير أن اتخاذ هذا القرار وتنفيذه يتطلب التزامات كثيرة وشروطاً متعددة لايبدو أن الأطراف العربية قادرة على مواجهتها حتى الآن .

فهذه المواجهة الواسعة الطويلة الأمد تتطلب شد الأحزمة ، وترك الاستهلاك والبذخ ، والاستعداد للتضحية ، وخلق مجتمع الحرب والمشاركة بين الغنى والفقير من شعوب الأمة فى السراء والضراء ، وباختصار أن تكف أمتنا عن الانشطار المخجل الذى تعيشه الآن ، حيث بعضها فى الخنادق .. وبعضها الآخر فى الفنادق !

إن المعاناة طويلة طويلة .. ولكن بين انتحار خليل حاوى من سوداوية المأساة ، وتخوف مفكرى اليهود على مصيرهم من صحوة العرب ، ما يضع خيطاً أبيض على الخيط الأسود .

د . محمد جابر الأنصارى

# ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

بقلم : رجاء النقاش

فى سنة ١٩٤٨ انتحر فى مصر مستشرق يهودى كان يعمل أستاذاً للأدب العربى فى جامعة القاهرة ، وكان هذا المستشرق واسمه « بول كراوس » محبوباً من تلاميذه وأصدقائه الكثيرين فى مصر ، ذلك لأنه كان محباً للعرب مؤيداً لقضيتهم واسع المعرفة بالتراث العربى ، وكان إنساناً بالغ الرقة عميق العاطفة ، وقد حدثنى عنه أستاذى الأديب العالم المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهوانى . وكان الأهوانى معروفاً بعلمه ووطنيته وصدق عروبته ، ولذلك كان حديثه عن المستشرق اليهودى عندى موضع ثقة ، وقد قال لى الأهوانى : إن السبب الرئيسى فى انتحار «بول كراوس» هو قيام اسرائيل وحرب ١٩٤٨ بين اليهود والعرب ، وكان « بول كراوس » يعارض قيام اسرائيل ، ويرى فى ظهور هذه الدولة خطراً كبيراً على العرب واليهود معاً ، وقد توقع بعد حرب ١٩٤٨ أن يصبح بقاؤه فى مصر صعباً ، وكان قد أحب مصر وأحب تلاميذه وكتبه فيها ، فاعتبر أن حياته فقدت معناها ، وانتحر محتجاً متألماً .

تذكرت هذه الحادثة وانا أقرأ فى الصحف نبأ مشابهاً وهو نبأ انتحار الشاعر العربى اللبنانى الكبير خليل حاوى يوم ٢٠ يونيو الماضى ، احتجاجاً على الغزو الاسرائيلي للبنان ، واحتجاجاً على سلبية العرب إزاء هذا الغزو ، وكان قد مر على الغزو يوم انتحار الشاعر أسبوعان ، ولم يتحرك العرب فى خلال هذه الفترة لمساعدة اللبنانيين والفلسطينيين بغير الخطب والكلمات وأناشيد الاذاعة والتليفزيون وعلب الأغذية المحفوظة ، وقد ترك الشاعر خليل حاوى رسالة يعبر فيها عن ألمه واحتجاجه ، ولكن هذه الرسالة لم تصلنا ، ومازالت « الرسالة » محاصرة حتى كتابة هذه السطور فى ١٨ يوليو ١٩٨٢ ،

# ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
# تعددت الأسباب والموت واحد

مثلها مثل كل شىء فى بيروت الغربية . والحادثان .. حادث انتحار بول كراوس اليهودى سنة ١٩٤٨ ، وحادث انتحار خليل حاوى العربى سنة ١٩٨٢ ، يكشفان عن « مغزى عام » واحد ، ذلك هو الرفض الكامل عند كل إنسان شريف ـ مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً ـ للنزعة الصهيونية التدميرية التى زرعها الاستعمار الغربى فى الأرض العربية قبل أن يرحل عنها .

ولنترك قصة « بول كراوس » جانباً فليست هى موضوع حديثنا اليوم ، ولنقف امام ماساة الشاعر العربى خليل حاوى ، ذلك الفنان الموهوب والانسان الطيب الذى لم يحتمل قلبه ولا عقله ولا ضميره تعقيدات الحياة الصعبة المضطربة من حوله ، فانهار وآثر الانتحار .

## ماساة ومذبحة

والذى لاشك فيه أن ماساة لبنان كانت هى الدافع الرئيسى للانتحار عند الشاعر العربى ، وليست المشكلة هى « الغزو الاسرائيلي » وحده ، بل إن المشكلة اكبر من ذلك واشمل واعمم ، ذلك ان الغزو اللبنانى كانت له مقدمات لا تقل عنه قسوة وعنفاً ، فلبنان منذ سنة ١٩٧٥ لم يعرف السلام أو الهدوء والاستقرار ، كان لبنان منذ ذلك الحين بلداً ممزقاً تنفجر فيه الحروب الصغيرة فى كل مكان ، وفى اى لحظة من لحظات الليل او النهار ، وكان الانسان فى لبنان يعيش بالصدفة ، ويموت بالصدفة ، ولا ضمان له فى حياته ، ولا كرامة له فى موته ، فقد كان الانسان يموت فى الشارع أو فى سيارة أو على باب داره أو فى مكتب عمله او فى حجرة نومه ، وعندما اتذكر محنة بيروت ، اجد ان كثيراً من الوجوه العزيزة قد لقيت مصرعها فى المذبحة اللبنانية التى ابتدأت سنة ١٩٧٥ فالانسانة الطيبة بلقيس زوجة نزار قبانى لقيت مصرعها تحت انقاض السفارة العراقية التى انهارت بعد انفجار سيارة ملغومة على بابها ، وكانت بلقيس تعمل موظفة بالسفارة ، وكانت بعيدة كل البعد عن الانتماء إلى هذه الجماعة المسلحة أو تلك ، وباختصار ، فانها كانت « مواطنة عادية » ، ومع ذلك لم تنج من سيف الجزار وأنتهت حياتها تحت ركام من الطوب والتراب ، والصحفى الكبير ابراهيم عامر مات محترقاً وهو داخل المطبعة يؤدى واجبه عندما هوجمت الصحيفة التى كان يعمل بها فى إحدى ليالى بيروت ، والكاتب المثقف العربى الدكتور عبد الوهاب الكيالى مات فى مكتبه برصاص اطلقه عليه مجهولون فى وضح النهار ، وكان عندما تلقى الرصاص فى صدره يعمل فى دار النشر التى انشاها ، والتى كانت بغير مبالغة أعظم دار للنشر ظهرت فى الوطن العربى كله فى السنوات الأخيرة ، وكان الكيالى مليئاً بالحماس والاخلاص والطموح الكبير من أجل خدمة الأمة العربية والثقافة العربية .

ومئات ، بل آلاف غير هؤلاء ، ممن نعرفهم أو لا نعرفهم ماتوا بطريقة أو باخرى فى دوامة الماساة اللبنانية ، اما الذين عاشوا ونجوا من المذبحة ، فقد عاشوا ونجوا بالصدفة ، وما كان منهم أحد يعرف مصيره فى الدقيقة التالية من حياته وقد تعرض الجميع لهذه المحنة ، من « كمال جنبلاط » أشهر وألمع شخصية سياسية فى لبنان ، وقد قتل وهو فى طريقه إلى بيته ، إلى أصغر طفل مجهول فى أصغر حارة فى بيروت .

## قوة المبادىء

فى هذا الجو الماساوى عاش الشاعر خليل حاوى ، ولم يكن خليل قادراً على أن يستوعب هذه الفوضى غير الانسانية ، فقد كان شاعراً حساساً وكان فى حقيقته شخصية بسيطة لا تجيد إخفاء عواطفها وانفعالاتها ، ولا تحسن السيطرة على أعصابها ، ومن هنا جاء يأس الشاعر وغضبه ، ثم انتحاره ، عندما احس انه لا حيلة له أمام هذا العذاب .

كانت ماساة لبنان هى السبب المباشر فى انتحار الشاعر ، وكان عجز الشاعر عن مواجهة الماساة دافعاً قوياً لاقدامه على ما فعل من التضحية بحياته وإطلاق الرصاص على نفسه ، وقد قضى الشاعر على حياته وعنده أكثر من فرصة لانقاذ نفسه لو انه تخلى عن مبادئه وافكاره ، فهو مسيحى لبنانى ، وكان باستطاعته ان يرتمى فى احضان حزب الكتائب الذى يدعى أنه يمثل المسيحيين ويحميهم فى لبنان ... كان باستطاعة خليل حاوى ان يتصرف مثل الشاعر المسيحى اللبنانى سعيد عقل الذى يقف فى صف الكتائب واسرائيل وسعد حداد ، ويلقى نتيجة لهذا الموقف كل التكريم والحماية من القوى المعتدية الظالمة . ولكن خليل حاوى على عكس سعيد عقل ، كان مؤمناً بعروبة لبنان ، مؤمناً بعدالة القضية الفلسطينية ، وكان يحس إن إيمانه بالعروبة سوف يمنحه كل القوة والعزم على مواجهة الحياة ، ولكن الموقف العربى الراهن بما فيه من تمزق وانقسام قد خذل الشاعر ، وخذل وطنه الصغير : لبنان ، وهكذا اختار الشاعر أن يطلق الرصاص على نفسه ، لعله بهذا الموقف أن يرفع صوته بالألم والاحتجاج ، حيث لم تكن الكلمات ولا

إن الشاعر لم يجد ما يفعله فى مواجهة الماساة ، فلم تكن كتابة القصائد عملا مقنعاً فى ظل الدمار الذى يهدد الحياة والانسان فى لبنان ، ولم يكن موقف « المتفرج » بالموقف الذى يرضى عنه الشاعر بعد أن وجد وطنه يحترق ، والقضية العربية التى آمن بها طيلة حياته تتعرض لأعنف الضربات ، ولا أحد فى العالم كله يفعل شيئاً لايقاف المذبحة ورد العدوان .

ولاشك أن الانتحار لا يمكن أن يكون حلا للمشكلة ، والعالم الذى لم يتاثر بالآف القتلى الذين راحوا ضحايا المذبحة الاسرائيلية ، ولا بصور الدمار التى نتجت عن الغزو الصهيونى ، ولا بالأطفال الضائعين التائهين الذين لا يجدون طعاماً ولا مأوى .. هذا العالم الهادىء البارد الأعصاب ، لن يتاثر بانتحار شاعر وصل



خليل حاوى
مات منتحراً برصاص أطلقه على نفسه



كمال جنبلاط
مات قتيلا فى طريقه إلى بيته ببلدته « المختارة »



عبد الوهاب الكيالى
مات فى مكتبه برصاص أطلقه مجهولان



بلقيس العانى
ماتت تحت انقاض السفارة العراقية فى بيروت

إلى أقصى حدود اليأس ، فاطلق الرصاص على نفسه .

وليس هناك مزيد من الحديث يمكن تقديمه عن ظروف انتحار الشاعر ، فمازالت المعلومات عن ظروف هذا الانتحار محاصرة مع بيروت الغربية ، ولكن دراسة فن الشاعر وشخصيته من خلال قصائده ، سوف تكشف لنا أن الشاعر كان يعانى ألوانا متعددة من الصراع ساعدت على أن تضع مثل هذه النهاية المأساوية لحياته .

وقد اتيح لى أن أتعرف على الشاعر منذ سنة ١٩٦٣ ، وأن ألتقى به عدة لقاءات خلال زياراتى المختلفة للبنان ، كما ربطتنى صداقة أدبية خالصة مع خطيبته التى انفصل عنها بسبب ما كان يعانيه من اضطراب وقلق وتوتر عصبى ، وكانت هذه الانسانة الفاضلة ، والأديبة الفنانة ، كفيلة بشخصيتها المخلصة القوية ، أن تغير من نظرة الشاعر المتشائمة إلى الحياة ، وتساعده على تخليص روحه من قبضة اليأس التى انشبت أظافرها فى قلبه ، ولكن سوء حظ الشاعر دفعه إلى تدمير هذه العلاقة الوحيدة التى كانت قادرة على إنقاذه .

## نزعة انتحارية

كان خليل حاوى شاعراً له قيمته ، وقد ترك وراءه ثلاثة دواوين هى : « الناى والريح » و « نهر الرماد » و « بيادر الجوع » ولم يكن خليل حاوى من المكثرين فى كتابة الشعر ، ولم يكن شعره – رغم قيمته وعمقه – غنياً بموسيقاه وأنغامه ، بل كان شاعراً « خشناً » صعباً ، مليئاً بالرموز والأساطير ، ومن هنا فان الشاعر لم يحصل على شهرة واسعة بل كانت شهرته محدودة بدائرة ضيقة من الادباء والقراء المثقفين الذين يصبرون على فهم شعره الصعب ، حتى يتمكنوا من الوصول إلى منابع الجمال فيه .

وإذا كان العامل المباشر فى مأساة الشاعر هو الغزو الاسرائيلى ، وما سبقه من صراعات مزقت لبنان ، وجعلت حياة الانسان فيه رخيصة ، فان شعر خليل حاوى يكشف جوانب أخرى من الصراع ، عاشت كامنة فى نفس الشاعر ، ثم انفجرت كلها بعد أحداث لبنان ، فأدت بالشاعر إلى الانهيار والدمار .

ويندر أن يندفع فنان كبير إلى الانتحار دون أن تكون لديه بذور من الاستعداد والميل إلى هذه النهاية ، ودون أن يكون – فى الأصل – ضحية لصراعات لم يستطع أن يصل فيها إلى حل أو نتيجة ، وهكذا كان خليل حاوى ، فقد كانت لديه بذور لما يمكن أن نسميه بالنزعة الانتحارية ، وكان واقعاً تحت ضغط صراعات لم يجد لها حلا صحيحاً فى نفسه وحياته .

وتكشف لنا قصيدة « الناى والريح » عن أول جانب من جوانب الصراع فى نفس الشاعر ، وقصيدة الناى والريح قصيدة طويلة ، وهى القصيدة التى سمى بها الشاعر اسم مجموعة من مجموعاته الشعرية الثلاث ، وفى هذه القصيدة تكتشف جزءاً من الأرضية التى قامت عليها نزعة الشاعر الانتحارية ، فمن خلال هذه القصيدة ندرك أن الشاعر لم يستطع أن يتلاءم مع الحياة ، ولم يستطع أن يجد فى مجتمعه ما يحقق له وجوده بالصورة التى يحبها ويطمئن إليها ، فالفنان فى المجتمعات المتقدمة يستطيع أن يعيش من فنه ولفنه ، ولكن الفنان العربى كثيراً ما يعجز عن ذلك ، مالم يكن غنياً – من الأساس – وقادراً على الاستقلال الاقتصادى ، فلا يضطر إلى الخضوع للقيود المفروضة عليه ، ولم يكن خليل حاوى من الأغنياء أو القادرين على تحقيق الاستقلال الاقتصادى الذى يحرره ، ولم يكن – من ناحية أخرى – من أصحاب العقلية التجارية الماهرة التى يتميز بها معظم أهل لبنان منذ قديم الزمان ، ومن هنا سقط خليل حاوى بصورة عنيفة فى الصراع بين طبيعته الفنية المتحررة ، وبين وظيفته كأستاذ فى الجامعة الأمريكية ، وهى الجامعة التى لا يؤمن بها ولا يوافق على السياسة التى تقف وراءها .

وهنا لابد من الاشارة إلى حقيقة أخرى ساهمت فى إشعال هذا الصراع فى نفس الشاعر ، فما من مؤمن بالعروبة وداعية صادق لها استطاع أن يجد لنفسه مكاناً اجتماعيا أمنا فى مجتمع لبنان أو استطاع أن يحصل على فرصة حقيقية ، وخاصة إذا اشتغل بالوظائف العامة ، ومن بينها وظيفة أستاذ فى الجامعة ، ففى التكوين الطائفى للدولة اللبنانية ما يقف فى وجه هذا النمط من المؤمنين بالفكرة العربية

# ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
# تعددت الأسباب والموت واحد

ويحول دون تقدمهم فى الحياة ، وقد كان خليلكما سبقت الاشارة يستطيع أن يستغل « مسيحيته » فى اجتياز الحواجز والتقدم فى الحياة الاجتماعية ، ولكن الشاعر المفكر ، تمسك بعروبته ورفض التخلى عن إيمانه بها ، وقد سمعت أن دوائر حزب الكتائب كانت تعتبره أقرب إلى المسلمين وتشن عليه حملة عنيفة ، ولا تنظر إليه كواحد من المسيحيين بسبب موقفه المنحاز إلى انتماء لبنان العربى ، وهكذا كان إيمان خليل حاوى بعروبته مع مسيحيته ، سبباً فى خلق عوائق كثيرة حالت بينه وبين التطور الاجتماعى فى الوظائف والمناصب العامة فى لبنان .

كل هذا الصراع الذى دار فى نفس الشاعر وعقله انتهى به إلى « حالة » من الاحباط فى حياته الشخصية فلم يوفق إلى بناء أسرة رغم أنه مات فى الستين أو ما يقرب من هذا العمر ، وانتهى به أيضا الى الاحباط العام ، لاحساسه بأن مجتمعه ينفجر من الداخل وأنه يتخلف ولا يتقدم ، وأن الآمال الكبيرة التى بناها على عقيدته العربية ، لم تحقق نتيجة مثمرة له أو لبلاده ... ثم جاء الغزو الاسرائيلي فقضى على كل آماله ، ووصل إحساسه بالاحباط إلى أقصى مداه فانهار وانتحر .

## الناى والريح

نعود الى قصيدة «الناى والريح» لنقف على الجانب القديم والبذرة الأساسية للصراع فى نفس الشاعر ، وعندما نحاول الدخول الى عالم القصيدة نجد انفسنا امام سؤال يواجهنا فجاة هو : كيف نقرا هذا الشعر ؟ إن هذا السؤال رغم مظهره الساذج البسيط هو مفتاح اساسى لفهم شعر خليل حاوى وغيره من شعراء الجيل الحالى . لأن نوع القراءة يشير الى نوع الشعر نفسه ، فاذا اردنا ان نقرا قصيدة للمتنبى مثلا ، أو لأى شاعر قديم ، فان المطلوب منا هو أن نعرف الالفاظ الصعبة ، وأن نعرف الموضوع الذى قيلت فيه القصيدة ، وأن نعرف الحوادث التاريخية أو الأمكنة التى تشير اليها القصيدة .

هذا هو المنهج الذى يجب أن نلتزم به فى قراءتنا للقصيدة العربية القديمة وبعدهانستطيع أن نتذوق قصيدة الشاعر ، وأن نعرف ماذا يريد ، وماذا يدور فى نفسه وقلبه ، دون اى صعوبات اخرى على التقريب .

فهل يصلح هذا النوع من القراءة مع شاعر جديد مثل خليل حاوى ؟

إنه لا يصلح بالتاكيد . خاصة مع النماذج الشعرية التى تقوم على الرمز ، والتى تقوم على تصوير حالات نفسية قلقة مليئة بالصراع الداخلى العميق ، ففى هذا النوع من الشعر تختلف المسالة تماما ، قد نقرا القصيدة من اولها الى اخرها دون ان نجد لفظاً واحداً صعباً على الفهم ، ولكننا نحتاج الى ان نقف طويلا امام كثير من الالفاظ ، فلو وجدنا لفظ «الريح» مثلا عند شاعر عربى قديم فاننا نعرف انه يريد من اللفظ معناه المباشر فى معظم الاحوال ، ولكننا إذا وجدنا اللفظ نفسه عند شاعر جديد ، فاننا لا نستطيع ان ناخذ المعنى على وجهه المباشر ، بل يجب ان نتانى ونتريث فى محاولة الفهم . فكلمة الريح قد تعنى عند الشاعر معانى عديدة ... قد تعنى الثورة ، او تعنى الانفعال العاصف العنيف ، أو تعنى التجربة الانسانية القاسية . على ان فهم الالفاظ ليس هو الصعوبة الأولى فى قراءة الشعر الحديث ففى الشعر القديم نستطيع ان نحدد بسهولة موضوع القصيدة فهذه قصيدة مدح أو رثاء ... الخ ، ولكننا فى الشعر الحديث لا نستطيع ان نفعل هذا ، لان موضوع القصيدة عادة يكون اكثر تعقيداً بكثير ، إنه تجربة انسانية ، ومن الصعب تحديد التجربة فى كلمة واحدة بصورة نهائية .

## رموز وأساطير

وعندما نقرا قصيدة «الناى والريح» للشاعر خليل حاوى ، نحس أن بناء القصيدة يقوم على الاستعانة الكاملة بالرموز والأساطير ، سواء كانت هذه الرموز والأساطير مستمدة من تراثنا القديم أو كانت من ابتكار الشاعر نفسه . ولا يمكننا فهم القصيدة بمجرد الفهم المباشر لما فيها من الفاظ ، فالألفاظ كثيراً ما تاخذ معنى خاصاً بالشاعر وحده ، كذلك ينبغى أن نبحث بنفس التانى والجهد عن التجربة الانسانية التى تعبر عنها ، بل إن هذه التجربة هى أول شىء يجب ان نعثر عليه ، لأن التجربة سوف تضىء لنا القصيدة كلها بالفاظها ورموزها .

والتجربة الانسانية التى يعبر عنها خليل حاوى فى قصيدة «الناى والريح» هى تجربة ذاتية عاشها الشاعر عندما كان يدرس فى جامعة «كمبريدج» فى انجلترا ، فقد تعرض هناك الى صراع عنيف ، والصورة الأولى لهذا الصراع قائمة بين «الطبيعة الفنية» التى تدفع الشاعر الى التحرر والانطلاق وبين «الواقع الدراسى» الذى يفرض عليه نظاماً قاسياً ويفرض عليه أن يدفن نفسه بين الكتب ، فيدرس ويقرا ويتعلم حتى يتمكن من نيل شهادة والحصول على مكان تحت الشمس . وهذا الصراع نفسه له صورة اخرى ، فكما ان الطبيعة الفنية للشاعر تدعوه الى التحرر من حجرة الدراسة المغلقة ومن النظام الصارم فى الدراسة ، فهناك ايضا واجباته التى تنتظره فى بلده : لبنان ، هذه الواجبات العائلية تقف وراء ضرورة الدراسة المنظمة ، لانها هى الطريق الى أن ينال شهادة وعملا يعودان بالفائدة والحماية على هذه الأسرة ، فالأسرة تنتظره فى لهفة ، لكى يعود اليها ويحميها ويكون مسئولا عنها ، اما طبيعته الفنية فانها تدعوه الى التحرر من الدراسة وتدعوه الى التحرر من قيود الأسرة ، حتى ينطلق الى حياة خصبة ، ولا يسقط فى حياة مثقلة بالقيود والنظام والمسئوليات الصغيرة .

هذا هو الصراع القديم الذى كان يعيش فيه الشاعر خليل حاوى والذى تكشف لنا عنه قصيدته «الناى والريح» ،

فالقصيدة هى تعبير عن الصراع الذى عانى منه الشاعر ، فى تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وعنوان القصيدة «الناى والريح» ، يمثل لنا الطرفين المشتركين فى الصراع ، فالناى هو رمز للاستقرار والحياة العائلية البسيطة التى لا تعرف التقلب العنيف ولا المغامرة الحادة ورمز «الناى» مستمد من الحياة الشعبية فى الريف اللبنانى ، بل فى الريف العربى كله فالناى هو المتعة الهادئة الوديعة الحزينة فى ليالى الريف الساكنة ، إنه يرمز للجمال المستمد من الاستقرار وسعادة الهدوء والطموح المحدود والالتصاق بحياة القرية وحياة الأسرة .

اما «الريح» فهى رمز للمغامرة ، ورمز للحياة الهادرة الصاخبة العنيفة التى تتجدد فى كل لحظة ، والتى يعيشها الانسان فى قوة مثل قوة الريح . إنها رمز للحياة المنطلقة المندفعة التى تصطدم بالجبال وتنخفض الى الوديان والسهول وتعبر الصحارى وتتطلع الى السماء ، وتقتلع أمامها كل ما هو ضعيف وهزيل .

هذا هو الرمز الرئيسى الكامن فى عنوان القصيدة ... فماذا نجد فى القصيدة نفسها ؟

## الصومعة والعبور

الجزء الأول من القصيدة عنوانه «الصومعة» ، والصومعة هى حجرة الدراسة ، وهى رمز النظام الدقيق الذى يحمل الى صاحبه الأمل فى الوصول الى شهادة وعمل ، وفى العودة الى أسرته التى تنتظره ، بالصورة التى تريدها له هذه الأسرة .

يقول الشاعر :

بينى وبين الباب اقلام ومحبرة
صدى متافف
«كوم» من الورق العتيق
هم العبور
وخطوة او خطوتان
الى يقين الباب
ثم الى الطريق

والباب هنا هو باب الحياة المنطلقة التى يحلم بها الشاعر ، والطريق هو الحياة نفسها ، هو الدنيا الواسعة التى تناديه . ولكن الذى يعوق الشاعر كما هو واضح : الاقلام والمحبرة واكوام الأوراق والخوف من عبور هذه الأشياء الى باب الحياة الحقيقية . إنه محبوس فى الدراسة والبحث والتنقيب ، ولذلك فهو يجد نفسه وسط هذا السجن ثائراً منفعلا ساخطاً على نفسه :

إلى متى الهو ، وابصق
جبهتى ، رئتى
على لقب وكرسى
..........
انا لست منكم طغمة النساك
واللحم المقدد فى خلايا الصومعه
لن يستحيل دمى الى مصل
كذبت ، كذبت
جرونى الى الساحات ، عرونى
اسلخوا عنى شعار الجامعه

هنا ثورة واضحة فى نفس الشاعر على وضعه السجين فى الدراسة المغلقة فى سبيل لقب مثل «دكتور» و «كرسى» مثل كرسى أستاذ فى الجامعة ، إنه يعيش مع «مومياء» والمومياء هى الكتب والدراسات العقيمة والأبحاث البعيدة عن مشاكل الحياة وتجاربها المباشرة .

وهو يصرخ ... إنه لا يريد ان يكون «ناسكاً» يتفرغ للدراسات والبحث ، والغرف المظلمة المغلقة ، بل يريد الساحات الواسعة الرحبة ، ويريد أن يتعرى من المظهر الأكاديمى الوقور الذى يفرض عليه ان يمشى بحساب ، ويشعر ويفكر ويتكلم ويتصرف بحساب ، إنه يصرخ : اسلخوا عنى شعار الجامعة .

تلك حالته فى الصومعة أو فى حجرة الدراسة ، وهو يريد أن يتحرر وينطلق من ذلك كله الى الحياة الواسعة غير المقيدة إلا انه يسمع فى «الصومعة» صوتاً آخر يشده الى هذه الصومعة شداً عنيفا ، ذلك هو صوت «الناى» ... صوت الاستقرار وصوت الأسرة التى تنتظره أن يعود اليها من «كمبريدج» ومعه شهادة ولقب وكرسى ،

وفى هذه الأسرة نسمع صوت الأب الذى يقول :

ابنى وقاه الله كنز ابيه
جسر البيت ، يحمل همنا
هما ثقيل

وجسر البيت ، تعبير شعبى لبنانى معناه الأساس الذى يقوم عليه البيت ، فجسر البيت هو الخشبة الرئيسية التى تحمل سقف البيت ، وهكذا يتصوره أبوه على انه الدعامة الرئيسية التى ينتظرها لتحمل هم البيت والأسرة ، ثم يقول الأب لفتاة ربما كانت هى الفتاة التى اختارتها أسرة الشاعر له لتكون زوجته ، على عادة المجتمع فى الريف ، وهى التى تنتظر عودة الشاعر على أمل كبير :

غداً يعود اليك .. بعض الصبر
سوف يعود ، والله الكفيل

وهذه الفتاة نفسها رمز اساسى للأسرة التى تنتظره وتربط مصيرها به :

ولربما ماتت غداً
ومص دماءها شبحى
وما احتفلت بلذات الدماء
ماتت مع الناى الذى تهواه
يسحب حزنه عبر المساء

إن هذه الفتاة التى لم يخترها الشاعر تنتظره باصرار . إنها تعيش من اجله ، وتعيش على اسمه ، حتى لقد «يبست» على هذا الاسم لانها حرمت نفسها فى انتظاره . ذلك لانها لا تعرف إلا «الناى» ، ولا تؤمن إلا بالناى ، اى بالحياة الأسرية البسيطة التى تعنى الزواج والأولاد والبيت ، فعالم هذه الفتاة هو عالم «الناى» الهادىء الحزين الذى لا يعرف العاصفة المتجددة .

إن الثورة الكامنة فى نفس الشاعر تهدد هذه الخطيبة بالموت لانها تدفعه الى التخلى عنها ، عندما تدفعه الى التخلى عن التزامه بالدراسة وقيودها ، وهذه الثورة النفسية لو تحققت فسوف تقتل فتاته التى تنتظره فى قريته ، وسيكون موتها اليما لانها ستموت دون ان تحقق

# ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
# تعددت الأسباب والموت واحد

شيئاً من امانيها :

ماتت وما احتفلت وما عرفت
رفاه يد تظللها ودار

اجل ، إن ثورة الشاعر النفسية سوف تحرم هذه الفتاة من امانيها ... من اليد التى تحنو عليها ، من البيت الذى يأويها، من الفرحة بحياة الأسرة .

هذا هو «الناى» وما يمثله ويرمز اليه . فالناى هو القرية والأسرة والاب والام والخطيبة والكتب وصومعة الدراسة التى يحبس نفسه فيها .

إن الناى يشده الى نوع من الحياة ، هادىء ملتزم وقور .

غير ان هناك قوة مختلفة تجذبه الى ناحية اخرى ... إنها قوة «الريح» . وهذان هما الطرفان المتصارعان فى قصيدة خليل حاوى : الناى والريح .

وقد عرفنا الى اين يجذبه الناى . اما الريح فتجذبه الى شىء آخر . الى التمرد والخلاص من القيود ، الى عمل اعظم وانبل من نيل شهادة ولقب علمى ، واعظم من مجرد الزواج وتكوين أسرة وبيت .

إن الريح تدفعه الى ان يكون فناناً مبدعاً ، والى ان يشارك فى تغيير الحياة الراكدة فى مجتمعه ، فدور الشاعر المبتكر والمفكر المجدد ، والثائر الذى يشارك فى التغيير الى ما هو افضل ... تلك هى ادوار البطولة فى حياة الانسان المتميز ، وليست ادوار «الكومبارس» التى يمكن ان يقوم بها كل انسان :

ربى ، متى انشق عن امى وابى
كتبى ، وصومعتى ، وعن تلك التى
تحيا ، تموت على انتظار .

إن الشاعر يريد أن يتخلص من القيود العنيفة التى تشده الى أسرته وتربطه بها لماذا ؟ لكى يقوم فى الحياة بمهمة اخرى :

اطا القلوب ، وبينها قلبى
واشرب من مرارات الدروب بلا مرارة
ولعل تخصب مرة اخرى
وتعصف فى مدى شفتى العبارة
دربى الى البدوية السمراء
واحات العجين البكر
والفجوات ، اودية الهجير
وزوابع الرمل المرير

هذا هو مايريده ويتمناه ، وما هذه الصور الشعرية المركزة الخصبة إلا رمز للحياة العنيفة القوية المنطلقة ، والتى يريد الشاعر ان يعيشها ، فهو يتمنى ان يجرب الحياة بعنف وحرارة ، ويريد ان يشرب من «مرارات الدروب» ، لعله بعد ذلك ان يكتب شعراً رائعاً ، «ولعل تخصب مرة اخرى ، وتعصف فى مدى شفتى العبارة» ... لقد خانته العبارة مدة طويلة عندما التحق بجامعة «كيمبردج» ، وبقى تسعة شهور لا يكتب بيتاً واحداً من الشعر ، مما جعله يحس بانه يذبل كفنان قادر على الابتكار والتعبير الحى .

اما «البدوية السمراء» فهى رمز وتجسيد للحيوية العنيفة المتدفقة ، كذلك «العجين البكر» و «أودية الهجير» و «زوابع الرمل المرير» ، كل هذه الصور الشعرية رمز للابتكار ، وللتجربة الجديدة فى الحياة ، ومهما كانت هذه التجربة صعبة ومريرة ، فيكفى انها جديدة ، ذات طعم خاص ، تهزنا وتثير فينا مشاعر عميقة وافكاراً حية نابضة .

## نهاية متشائمة

وتنتهى قصيدة «الناى والريح» للشاعر المنتحر خليل حاوى بهذه الابيات :

الناسك المخذول فى راسى
شد قواه ، ينهرنى ، افيق :
بينى وبين الباب
صحراء من الورق العتيق وخلفها
واد من الورق العتيق وخلفها
عمر من الورق العتيق

ومعنى هذه النهاية هو ان الصراع النفسى الذى عانى منه الشاعر طويلا بين الناى والريح ، قد انتهى به الى الهزيمة ، فنهاية القصيدة متشائمة ، والشاعر يعلن انه مازال اسيراً للقيود ، وللورق العتيق ، وانه لم يتجاوز الباب المغلق الى الحياة المنطلقة الخالية من الضغوط الحادة العنيفة . إنه قد وقع أسيراً للناى الذى يشده الى الورق والدراسة والاب والام والخطيبة والأسرة .

وقد عاد خليل حاوى من «كمبريدج» ليصبح استاذاً للأدب العربى فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وظل الصراع القديم الذى كان مشتعلا فى نفسه وهو طالب غريب فى لندن ، قائماً كما هو بعد ان اصبح استاذاً جامعياً فى بلده لبنان . إن دور «الأستاذ والعالم» لم يكن يناسبه تماماً ، وهو دور يذكره بحياة الرهبان القاسية العنيفة ، او بحياة الجندى التى تسير فى طريقها بدقة وانضباط فى كل شىء ، حتى فى المشاعر والانفعالات . فهل يستطيع الفنان ان يحتمل هذا الموقف احتمالا كاملا ؟ هل يستطيع ان يقضى ايامه ولياليه فى البحث والتنقيب والاستنتاج وجمع الجزئيات فوق الجزئيات ، بدلا من ان يعيش ليتامل ويلاحظ ويجرب ؟ ... إن النتيجة فى حياة خليل حاوى هى انه لم يستطع ان يقيم التوازن فى نفسه بين الفنان والعالم ، فانتهى به الأمر الى الدمار .

وفى هذا الصراع النفسى العنيف الذى تعرض له الشاعر خليل حاوى ، كان هناك حل وحيد لتخفيف التوتر الذى عاناه نتيجة لهذا الصراع ، وهذا الحل هو ان ينجح فى حياته العاطفية ، ويجد الانسانة التى تفهمه وتشاركه تجربته وتعينه على اجتياز اللحظات الدقيقة المدمرة فى صراعه مع نفسه ، وفى حدود ما اعرفه من حياة خليل حاوى ، فانه قد وجد هذا الحب ، ووجد الانسانة الممتازة التى كانت قادرة على أن تشاركه حياته وتخفف من توتره وتشاؤمه ، وتعينه على الصبر الجميل فى مواجهة المصاعب والتعقيدات ، وقد كانت هذه الفتاة التى «خطبها» خليل حاوى اديبة عربية موهوبة لها انتاجها الفنى الخصب ... إنها السيدة «د . أ» ، ولولا انها محاصرة فى بيروت الغربية ، لاستاذنتها فى أن اذكر اسمها الصريح ، فقد كان مشروع ارتباطها بالشاعر خليل حاوى معروفاً للجميع ، على أن من الواضح أن خليل حاوى لم ينجح فى تجربتـه « العاطفية الكبيرة » لأسباب تعود الى شخصيته والى ما كان يعانيه من قلق واضطراب وتوتر ادى الى دمار تجربة عاطفية ، كان بالامكان ان تفتح فى نفسه المتالمة نافذة على الهواء الطلق ، وتقوده الى توجيه غضبه ورفضه

للحياة الى مزيد من الانتاج الفنى الخصب ، ومزيد من النضال من اجل مبادئه وافكاره ، بدلا من الهروب والانتحار .

وهكذا فشل الشاعر فى حل الصراع النفسى الذى كان يعانى منه ، فلا هو استطاع ان يقبل الأسلوب التقليدى فى بناء أسرة وعائلة ، ولا استطاع أن يتلاءم مع مجتمعه ، ومع مهنته كاستاذ جامعى ، ولم يجد فى آخر الأمر اى «قشة» يتعلق بها فى بحر الحياة المتلاطم ، ثم جاء الكابوس الأكبر وهو الغزو الاسرائيلى للبنان ، فانهار كل شىء فى نفسه ، ولم يبق له ما يرتبط به .

## الصراع الحضارى

على ان خليل حاوى كما يكشف شعره كان يعيش فى صراع اخر ، غير ذلك الصراع النفسى الذى فشل فى حله والانتصار عليه والخروج منه بنتائج ايجابية . هذا الصراع الآخر ، هو ما يمكن ان نسميه «بالصراع الحضارى» ، فمن خلال شعر خليل حاوى نحس انه كان يؤمن أن الحضارة العربية ينبغى ان تتخلص مما يسميه بعصر الجليد ، وعصر الجليد هو عصر الجمود والتحجر ، والوقوف أمام «المستنقعات الحضارية الراكدة» ، وهو العصر الذى فرض على العرب كثيراً من مظاهر التخلف والعجز ، وأدى بنا الى الهزيمة فى كثير من المعارك الحاسمة . وقد انفجر هذا الصراع الحضارى فى نفس الشاعر بعد أن سافر الى أوروبا ليتعلم ، وهناك اصابه ما يصيب الكثيرين من الشباب الشرقى الحساس من أزمات عنيفة ، فقد وجد أوروبا تعيش فى معظم جوانب الحياة متحررة من القيود ، توفر للانسان فيها خطوات متتالية من التقدم والحقوق الانسانية المختلفة ، بعيداً عن الأوهام والخرافات ، فطريق العمل والابداع والابتكار مفتوح أمام الانسان الغربى ، أما فى الشرق فمازال الطريق مليئاً بالسدود والقيود ، ومايزال عصر الجليد الحضارى هو العصر السائد المسيطر . وقد حاول خليل حاوى أن يعبر عن الصراع الحضارى فى شعره بطريقة خاصة . فقد خلق إطاراً من الأساطير الحية ليستخدمها فى تعبيره الفنى ، حتى يكتسب هذا التعبير عمقاً وقوة ويبتعد عن الأساليب المباشرة التى تسىء الى الفن وتجعل منه قوة عديمة التاثير .

وقد اختار الشاعر اساطيره من التراث القريب الينا ، من بين القصص الشعبية والدينية والتاريخية . ومن التراث الشعبى استطاع الشاعر أن يجد فى الف ليلة كثيراً من الأساطير التى يستخدمها ، فشخصية سندباد شخصية اساسية فى شعره ، وهو لا يستخدمها بمعناها القديم بل يستفيد فقط من ايحاءاتها القديمة ، ثم يستخدمها بعد ذلك استخداماً خاصاً مستقلا . إن سندباد فى الف ليلة هو الذى يقوم بالرحلة الدائمة بحثاً عن حكايات ومغامرات . وسندباد عند خليل حاوى هو الانسان الذى يريد ان يكتشف وان يعرف الحقيقة وان يصل الى يقين ... كل ذلك عن طريق رحلته فى بحار التجارب والأفكار . والى جانب ذلك يستخدم الشاعر عدداً من القصص الدينية على رأسها قصة «اليعازر» الذى احياه المسيح بعد موته ، وهذه القصة ترمز عند الشاعر الى عودة الحياة بعد الموت والجمود ، والى الاخضرار والخصوبة بعد الجدب والاقفار ، والى عصر ذوبان الجليد بعد عصر الجليد .

ومن القصص الدينية التى يستخدمها الشاعر ايضاً قصة «سدوم» ، وهى المدينة الفاسقة التى حلت بها الكارثة جزاء عدلا لانغماس أهلها فى الخطيئة ، والشاعر لا يترك القصة الدينية كما هى وإنما يستخدمها بشىء من التعديل والتحوير حتى تكون مناسبة لأفكاره وتجاربه ورؤاه الجديدة ، فهو فى ديوانه «نهر الرماد» يتحدث عن سدوم أخرى ... إنها المدينة البريئة التى حلت بها الكارثة دون ذنب والتى تريد أن تعود الى الحياة بعد عذاب طويل وبعد أن تنفض غبار الكارثة عن وجهها وروحها .

ومن هذه القصص الدينية اسطورة «عمود الملح» وتعود هذه الأسطورة الى القصة الدينية المعروفة عن زوجة «لوط» ، حيث أمر الله «لوط» أن يخرج هو واهله من المدينة دون أن يلتفتوا اليها ، ولكن «زوجة لوط» التفتت فتحولت الى عمود من الملح ، وهذه القصة يستخدمها الشاعر للدعوة الى عدم الرجوع الى الوراء ، وعدم الالتفات الى الماضى ، حتى لا تتجمد الحضارة ، ويتجمد الانسان ، ويتحولا الى عمود من الملح ، كما حدث مع زوجة لوط .

ونتوقف هنا بعد هذه الرحلة الفنية والفكرية السريعة مع الشاعر المنتحر خليل حاوى ، بحثاً عن جذور ماساته التى أدت به إلى اطلاق الرصاص على نفسه ، ومما لاشك فيه أن العامل الأكبر فى هذه المأساة هو ما أصاب المجتمع العربى المعاصر من تمزق واضطراب ، وما انتهت إليه حياة لبنان من دمار وفوضى غير انسانية بسبب الانقسامات أولا وبسبب العدوان الاسرائيلى بعد ذلك ، ولم يكن يلوح فى الأفق عند النفوس الحساسة من الياس الذى يقتل أى أمل قريب فى الخلاص من لزمة المجتمع العربى ومحنة لبنان ، بالاضافة إلى ما كان الشاعر يعانيه من اضطراب نفسى وقلق وتوتر وعدم قدرة على التلاؤم مع الواقع ... كل ذلك أدى بالشاعر إلى الانتحار ... رحمه الله وغفر له ، وجعل فى رحيله لنا درساً وعبرة ، فمثل هذه الأوضاع القاتمة القائمة على التمزق والانقسام فى الوطن العربى ، لا يمكن أن ينتج عنها أمل للنفوس الحساسة ، ولا حل أمام العرب إلا أن ينهض مجتمعنا ويتخلص من امراضه وانقساماته وتسود فيه المبادىء والقيم الصحيحة ، حتى يستطيع العرب أن يواجهوا مصيرهم بقوة وعزم وتفاؤل وصبر ، بدلا من أن تشيع بينهم أمراض اليأس والهروب من الحياة وبدلا من أن يصبح لسان حالهم - كما قال الشاعر العربى القديم - مع شىء من التعديل :

من لم يمت « بالذبح » مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

« رجاء النقاش »

شهريات • يوسف إدريس



# كيال جريس

## الفنانة القادمة من إفريقيا

**فى عدد يونيو الماضى من الدوحة ، كتب الدكتور يوسف إدريس من نيودلهى عن « ورشة القصة القصيرة » هناك ، حيث كان مدعواً للادلاء برأيه فى فن القصة القصيرة كواحد من أبرز كتاب الوطن العربى فى هذا المجال . وكلمة « ورشة » فى المصطلح الهندى ، مرادفة لكلمة « ندوة » أو « ملتقى » أو « مؤتمر » . عن هذه « الندوة » التى انعقدت فى نيودلهى من ٨ إلى ٢١ مارس الماضى ، أجمل د . يوسف إدريس ما دار من مناقشات حول موضوع « القصة القصيرة » كفن أدبى خالص ، يشغل اهتمام عدد من كتاب العالم ، جاءوا من جنوب شرقى آسيا ، والصين وافريقيا ، والمشرق العربى . وفى هذا العدد يتحدث د . يوسف إدريس عن النتائج الايجابية لهذه الندوة التى انعقدت حول القصة القصيرة فى الهند . مثلما يتناول أيضاً جوانبها السلبية .**

كانت (الورشة) مفيدة من نواح كثيرة ، ومخيبة للأمل من نواح كثيرة أيضاً . كانت الورشة فرصة لأن أرى مجموعة لاباس بها تماماً من كتاب القصة الشبان والكبار فى بضع من بلاد آسيا وأفريقيا . لم أكن أتصور أن بها كتاب قصة قصيرة على الاطلاق . سرى لانكا مثلا ، او جزيرة (سيلان) التى نفى فيها عرابى ورفاقه ، وممثلها ذلك الكاتب الطيب النبيل الهادىء تماماً المنكمش الحجم بطريقة من الممكن أن (تصره) كما يقول المثل الشعبى فى منديل ، وأيضاً ليس منديلا من الحجم الكبير . كنت أشاهده وهو يأكل ، فمه واسع جداً يخيل لي معه أنه كفيل بالتهام كل ما على المنضدة من طعام ، ولكنه كان يأكل طويلا ، وإن يكن لا يأكل كثيراً أبداً . كان يضع لقمة الطعام الهندى النباتى فى يده ، ويبقيها سواء أكان يتابع كلامه مع محدثه ، أم حتى وهو لا يتحدث ، ساهياً عنها وكأنما إهمالا لشأنها ولشأن الطعام ، ثم ببطء أيضاً يتاويها فى فمه ويزدردها على مضض .

طريقة رائعة تماماً لصد النفس الذاتى عن الطعام . كان واضحاً أنه من أصل هندى وأنه كان يعيش فى «سرى لانكا» وأنه موفد من قبل الوزارة هناك ، فلم أشهد له جنوح بعض الكتاب الآخرين ، ولا رأيته مرة يبتسم أو يقهقه أو يفعل شيئاً آخر غير ذلك الاستغراق المهمل للكون داخل ذاته أو لذاته داخل الكون وكأنه لا يفكر فى شىء بالمرة ، أو بالأصح لا يفكر فى شىء ذى بال ، بسرواله الهندى الطويل الأبيض وقميصه المصنوع من نفس القماش ، والصيديرى الصوف فى عز الحر ثم هذا (الخرج) المعلق من كتفه دوماً لم أره مرة يعسعس داخله ليبحث عن شىء أو يخرج شيئاً ، أو يضع فيه شيئاً أو يخرج شيئاً . دائماً هو هناك وكأنه ذنب معلق على كتفه ، الهدف منه ، مع الصيديرى الصوف تعذيب ذاته الجسدية طمعاً فى الخلاص الروحى حتماً وإلا لماذا يعذب الانسان ذاته ؟ ألقى بحثاً عن الأدب «السرى لانكى» وأثبت فيه أن القصة القصيرة المكتوبة قد بدأت فى «سرى لانكا» منذ نيف ومائتى سنة ، أى قبل نفى عرابى اليها بمائة وخمسين عاماً ربما . وقرأ لنا قصة حديثة ، ولكن بدا واضحاً أنها لاتزال تمت الى ما قبل نفى عرابى بكثير .

أحببت ذلك الرجل الصغير تماماً بفمه الأعرض من نظارته ذات الفتحات الواسعة جداً كعيون الضفادع ، وأسنانه الكبيرة البارزة كأسنان الجمل ، التى يبدو وكأنها فعلا قادرة على التهام جمل ، فى حين أنها ، للأسف ، ومن طريقة أكله لا وجود لها .

أحببت فيه « لا وجوده » الذى كان بالنسبة لى أهم أنواع الوجود فى ذلك المكان .

ولم يكن هذا موقفه من الطعام وحده ، كان يبدو أنه موقفه من كل شىء فى الحياة وفى الوجود . لا . ليس بالضبط موقف الزاهد ، ولا المستغنى ، ولكنه ما يمكن أن نسميه الموقف (الهندى) من الحياة ، سواء أكان هذا الهندى يعيش فى كراتشى أو فى جبل طارق أو فى نيودلهى أو فى سرى لانكا . موقف غير الراغب ، المصدود النفس ، الشبعان تماماً من الحياة وكأنما ازدردها كلها فى عالم سابق ، أو أنه روح ظمآن للحياة تناسخت فى مستغن تماماً عنها . ولذلك رحت أتصور هذا الزميل الكاتب فى أوضاع شتى من الأوضاع التى نتكالب نحن فيها على الحياة . ترى ماذا يحس تجاه المتعة ، ماذا لو صادفه شىء يمتعه حقاً ويريد مزاولته ، وأى قدرة متعية تستطيع أن تجعل هذا الجسد الضامر يرتعش كل عرق فيه بالحياة ويقبل عليها فى شغف ، بل تصورته فى حالات الحب والعشق ، بل وبدلا من أن أتصوره جمعته فى جلسة مع (جريس) أجمل وأروع وأطول افريقية عرفتها . لقد كنت دائماً أتصورها ترقص فيرتعش جسدها السامق العنبرى كله وكأنه شجرة جوزهند عالية ترقص وتجعل الأرض تدمدم على وقعها ودقها . وتوقظ شياطين الغابة ، وشياطين الارض وجنها ، ويتلبسونها جميعاً لتصبح وكأنها افريقيا الساحرة الغامضة من شواطئها الشمالية حتى أقدامها فى جنوب أفريقيا تتمايل وترقص . (جريس) ذات القلب الطيب الحنون ، والوجه الهادىء تماماً كشأن الأمواج الهادئة لبحيرة فيكتوريا . جريس الكينية الباردة أحياناً كقمم جبال «كليمنجارو» الثلجية .. المربدة أحياناً كالجو فى الحبشة وفوق هضبة الحبشة . تصورتهما معاً ، ثم دعوتهما لنجلس معاً ، وكنت أتصور ماذا سيفعل صديقى السيريلانكى حين تحدق (جريس) بوجهها الأملس العنبرى المستدير ، وعيونها الواسعة الجاذبة الحلنية ، وتأخذ يده فى طيبة مثلما كانت تأخذ يدى وتبدأ تهمس . كان كلامها كله همساً فى ملامحه ، همساً موحياً كهمس من ينومك مغناطيسياً .. همس هادىء حنون مطمئن ينقل لك انفعالات أعماق مستقرة تماماً ، لا عفاريت فيها ولا جن ، وإنما هى الجذور السامقة الى أسفل ، تضرب فى باطن الأرض كجذور الجبل ، و (توزن) الأرض و (توزنها أعماق الأرض) . جذور ، كالأوتاد ، تثبتك فى التربة والواقع والحياة ، وتفعل هذا باستبشار زائد ، وكأنما ، فى الغد تماماً ، كل شىء سيصبح على ما يرام ، وكل المشاكل ستؤول الى حل ، وكل الليالى القادمة ستصبح فجراً ، وكل فجر سيقود الى يوم حافل بالبشر الانسانى ، جديد .

• •

وجلسنا نحن الثلاثة . كانت «جريس» قريبة من السيريلانكى . وكان منذ قدومه الى ورشة القصة لم أره يتحدث الى أحد حديثاً خاصاً ، وسمعتهما يتبادلان بضع كلمات ، ومالبث السيريلانكى أن ابتسم ، والمضحك أن فمه كان يضيق حين يبتسم ، وتختفى تماماً أسنان الجمل ، وكأنما هو يبتسم على الدوام ، وفقط حين يبتسم يتحول فمه الى فم عادى جاد جداً .

ثم بدأت «جريس» تنتبه له كلية ، وبدأت عيناها تلمعان ، وبدأ شىء فى جسده النحيف يتململ ، ثم لم أعد أسمع ما يقولان ، وقطعاً لم يكونا يتحدثان عن الحب أو الطعام أو الجو . فيم كانا يتحدثان لم أعد أدرى ، ولكنه حديث طويل متشعب متعدد البسمات ، وفمها يتسع لتبدو لآلئها البيضاء ، وفمه يضيق سعادة والحديث دائب ومتصل .

ومن لحظتها لم يفترقا .

ولابد أن لكل «فولة» «كيال» .

ولم أكن أعرف أن كيال جريس الكينية السمراء ، كيال أفريقيا بأسرها ، هو ذلك الزميل السيريلانكى الضئيل الحجم ، وكان كيال أفريقيا الهائلة الضخامة هى جزيرة سيرى لانكا أو سيلان التى فى حجم الفولة ولكنها الفولة الكيال هذه المرة .

ولله فى خلقه شئون .

• •

ولو أطلقت العنان لما حدث أمام عينى ، ومشاهداتى فى ورشة القصة ومن اشتركوا فيها ، ولو تركت الخيال يتحرك ، مجرد أن يتحرك لأمكن أن أصنع فيلماً سينمائياً ، أو بالتعبير العربى حلقات تليفزيونية لا يقل طول الواحدة منها عن ساعة ويستغرق عرضها ثلاثين أو خمسين حلقة . وليتنى أفعل .

• •

ولو حاولت أن أدرك كم استفدت فنياً من ورشة القصة ، لوجدت أنى كمشتغل بالقصة لم أستفد كثيراً ، ولكنى كانسان ، وكعلاقات ، وكقادم من عالم عربى جياش ، ومن مصر منتفضة وغاضبة ، قد استفدت تماماً . ففن القصة فى آسيا وأفريقيا وحتى فى العالم أجمع لايزال ، كالحياة ، لا نعرف عنه علمياً ، إلا القليل ، ولايزال الحديث عنه ، كالتجديف فى المحيط بأمل الوصول الى شاطىء آخر ، مسألة ، كسر الحياة ، لم تكتشف بعد . إنما أن نناقش ، ونعيش ، ونتعرف ونتعارف ككتاب قصة ، فهذا كتاب مفتوح ، ما أروع القراءة فيه .

د. يوسف ادريس

# اقــرأوا .. وفـكـروا .. وقـولو

بقلم : خالد محمد خالد

**أريد للشباب العربى والمسلم أن يتخلص من إسار الظروف التى فرضت عليه هذا الصمت النائح .. !!**

**وأريد ذلك للشيوخ أيضاً ، ولكنى أريده للشباب أولا ..**

**وأريد للفتيات العربيات والمسلمات أن تدوى أصواتهن بالكلمة الشجاعة .**

**وأريد ذلك للسيدات أيضاً ، ولكنى أريده للفتيات أولا ..**

**ولقد كتبت من قبل فى أحد كتبى قائلا للفتى العربى : اقرأ فى غير خضوع .. وفكر فى غير غرور .. واقتنع فى غير تعصب .. وحين تكون لك كلمة ، واجه الدنيا بكلمتك .. !! وهذا ما أريد اليوم أن أقوله .**

فبعد أن تحدثت فى العدد السالف من مجلتنا هذه عن قداسة الكلمة ملفوظة ومسطورة ، أريد اليوم أن أحدثكم عن كيف نهيىء أنفسنا لتلقى ولإعطاء الكلمة الحرة الشريفة .. الصادقة والشجاعة .

كيف نقف فى محرابها قارئين ومفكرين ، ثم نبلغها للناس فى ذمة وصدق .

أجل . جئت اليوم أقول لكم : اقرءوا .. وفكروا .. وقولوا ..

فلن يحمل أمانة أوطاننا اليوم أحد مثل المثقفين الذين يصادقون الكلمة ، ويزاملون الفكر ، وتنبثق منهم الكلمات الهادية المضيئة .

وعلى الذين يعيشون فى شباب النهار من فتية وفتيات أن يتقدموا الصفوف فى هذا المضمار .

كان أحد فلاسفة اليونان يقول : إذا كففت عن القراءة ثلاثة أيام ، لم أحسن محادثة الناس . !!

وهذه العبارة وان كانت تحمل صيغة المبالغة ، إلا أنها تمثل حقيقة مبينة . فالقراءة تشحذ الذهن ، وتجعله دائماً فى يقظة فرحة وصحو متفتح ..

أجل . إن القراءة لا تثرى الفكر وتربى من المحصول الثقافى فحسب بل هى تفعل السحر فى تجديد الفكر ووصله بالعقل الكلى للأشياء .

والكتاب مرقاة إنسان حي إلى الكمال والتفوق . والذى لا يحيى عقله ويضيء شخصيته بالقراءة المستمرة يستحق الرثاء ... !! والكلمة المطبوعة من أثمن ممتلكات الانسان ، وخير ما أخرجت

الحضارة الانسانية للدنيا .

ولقد حدثتكم فى مقال سابق بكلمات الطبيب والأديب الفرنسى « ديهامل » الذ يتساءل ويقول :

« إلام يصير العالم لو علق فجاة بالور مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً ؟ يخيل إلى أن الانسانية بفقدا مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية ، أو م تراثها الروحى وحسب . بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها ..

كل مكتبة هى قبل كل شىء مجموع وسائل ومناهج .. هى ذلك المكان الجلي الذى يحتفظ فيه الرجال بتجاربهم وأحاسيسهم ، واكتشافاتهم ومشروعاتهم ..

ولو أننا فقدنا دفعة واحدة كل تل الكتب التى ازدهرت بها حضارتنا ، لم استطعنا أن نبنى طائرة ، أو نرب حيوانات ، أو نستحضر منتجاتن الكيماوية . ولوجدنا مشقة كبيرة ف استخدام ملكاتنا . ولن تكون تصرفات عندئذ إلا تصرفات وحوش تعسة .. !!! »

● ● ●

وهذا حق .. ولأمرما بالغ الأثر عظي الخطر ، جعل الله أول كلمة تتنزل من قرآن العظيم على قلب رسوله الكريم هى « اقرأ .. لم تكن الكلمة الأولى : « صل .. صم اعبد .. » بل كانت « اقرأ » وكان الأم بالقراءة أول أمر على الأطلاق يتلق الرسول من السماء .. !!

وحين نرجع إلى تاريخ أولئك الروا المتالقين الذين كانوا معالم للرش

الانسانى ، نجد وراء عظمتهم وتفوقهم أياماً وليالى ، وشهوراً وأعواماً قضوها فى محراب الكتاب والكلمة المطبوعة متبتلين وحواريين ، تجعل القراءة حياتهم كالربيع .. بل قولوا : كروح الربيع .. !!

ولقد قال الشاعر العربى : وخير جليس فى الزمان كتاب وإنه ليطيب لى دائماً أن ألقى على نفسى وعلى الآخرين هذا السؤال الافتراضى :

لو استطاع العلم أن يرد إلى الحياة بعض الناس لبعض الوقت . وأذيع مثلا : أن سقراط ، وأفلاطون ، والغـزالى ، وشكسبير ، والمعرى ، وشوقى ، والمتنبى وتوم بين ، وروسو ، وابن رشد ، والفارابى وهيجل ، وماركس ، وجيته ، وأرسطو ، وابن سينا ، سيكونون يوم كذا فى مكان ما من العالم يستقبلون زوارهم والراغبين فى لقائهم .

أفلا نركب إليهم ثبج البحر ، ومخاطر الجو ، وننفق من ثرواتنا بسخاء ، ونصنع المستحيل لكى نبلغ مكانهم ونلتقى بهم ؟؟

ثم أجيب على سؤالى المتخيل هـذا قائلا : ألا فلنعلم أن العلم قد ردهم للحياة فعلا .. وأنهم وجميع إخوانهم من أساطين المعرفة والفكر جالسون هناك ينتظرونك فى كل حين ، وفى أقرب مـكان ، وبـأيسر النفقات .. !!

أجل ـ فى أى مكتبة من المكتبات تلتقى بهم فى مؤلفاتهم التى سطروها وهم فى أصفى وأنقى حالاتهم الذهنيـة والوجدانية .. !!

ومؤلف الكتاب ـ أى كتاب ـ حاضر معك حين تقرأ له . يتحدث إليك من خلال السطور المطبوعة بخير ما أوتى من قدرة على التعبير والتفكير ..

لقد أودع أساتذة البشرية تراثهم فى الكتب . وانك لتنعم بزمالتهم وصداقتهم حين تجلس إليهم فى ساحة ماخلفوه من كتب ومؤلفات .

فاقرأ .. ثم اقرأ .. واقرأ دائماً وكثيراً ، فلن يضىء شخصيتك ولن يصقل عقلك ، ولن يجدد شباب روحك شىء مثل أن تقرأ ..

وليس فى الثقافة محظور ومباح . فحق الكلمة يكاد يكون حقاً مطلقاً فى عـالم لا يعرف المطلقات .

فتنقل كالعصفور المغرد المحبور بين أفنان الثقافة وأغصانها . أو كن كالنحل الذى يمتص رحيق الزهور .. !!

اقرأ فى الأدب ، وفى السياسة . وفى الأخلاق ، وفى الاقتصاد ، وفى العلم ، وفى الدين ، وفى الاجتماع .

ولكن اقرأ قراءة الأحرار لا قـراءة العبيد ..

اقرأ لتكتشف نفسك ، لا لتفقدها . واحذر ضراوة الكلمة المطبوعة وسيطرتها المجنونة على العقول وذلك يتأتى بأن تحتفظ بتوازنك الفكرى وأنت تقرأ ، وتناقش الذى تقرأ ، ولا تتلاش فى خضم الكتاب والمؤلفين مهما يكن فكرهم مسيطراً . ومهما يكن أسلوبهم ساحراً وآسراً .. وعندما تحس وأنت تقرأ بمثل حركة « الرادار » فقف .. إن عقلك قد وجد نفسه هنا .. وإنك الآن أمام كلمات تحمل لك فيضاً من الأسرار والأفكار ، إذا أنت تدبرتها ، ونحيت الكتاب جانباً لتتأمل العبارة التى اهتز عندها وجدانك ، واختلج عقلك .

إن القراءة تلهمنا ، وتصلنا من خلال الكلمات النابضة بأفكار عذراء قد تكون أنت مكتشفها .



والقراءة تبوء بالفشل الذريع إذا لم تعاونك على اكتشاف فكرك الخاص ..

والذى يقرأ قراءة جيدة يستطيع أن يفكر تفكيراً جيداً وصاحياً .. وليست كلمة « المفكر » وقفاً على أولئك المشاهير فى عالم الفكر . بل كم من مفكر غير منظور وغير معروف تتفجر الحكمة بين جنبيه ، ويقف عالى الجبهة طويل القامة بين المفكرين والملهمين .. والذين يحرمون نعمة التفكير مدموغون بقول الله سبحانه : « جعلنا لهم سمعاً وأبصاراً ، وأفئدة . فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ، ولا أفئدتهم من شىء » .. !!

ففكر فيما تقرأ ، وفيما لا تقرأ ، واعلم أن فى استطاعتك أن تكون واحداً من الذين يقدمون لنا عقل الحياة ..

فكر إذن دائماً وكثيراً ، وحول عقلك فى كل اتجاه .. واعلم أنك إنسان بقدر ما أنت مفكر .. فحاول أن تكون لك وجهة نظرك تجاه عالمك ، وتجاه قضايا الفكر والحياة .

ولكن تحل بخلق العلماء ، ولا تجعـل التفكير يبطرك ويفقدك توازنك .

لقد كان شعار العـالم الـكبير « لاجرانج » هذه الكلمة الشـجاعة : لا أعرف !! ونيوتن صاحب العقل الجبار كان يقول بعد اكتشافه نظرية الجاذبية : « إننى أتراءى لنفسى كما لو كنت غلاماً يلهو على شاطىء البحر . وأسلى نفسى بين الحين والحين بالعثور على حصاة أكثر ملاسة ، أو صدفة أكثر جمالا .. بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون أن أدرى عنه شيئاً » !!



وقيمة التفكير أنه يجعل لك موقفاً فى الحياة ، فلابد أن تحتضن هذا الموقف ، وتذود عنه ، وتبلغه للناس ما وسعك البلاغ .. لقد كانوا يقولون : قل كلمتك وامض .. أما أنا فأقول لك : قل كلمتك واثبت .. قلها بصدق وشجاعة ، ولا تخش أن تواجه بها الدنيا .. !!

ومهما يسىء الآخرون فهمك ، فقل كلمتك واثبت .. إن كثيرين من النـاس لديهم ما يقولون ، ولكنهم جبنوا وفزعوا فانتهوا كأمس الدابر أو كهشيم المحتضر .. !!

ولا تخش أن تغير رأيك وكلمتك إذا تغير اقتناعك وكما يقول : إمرسون : « انطق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . وانطق غداً بما تفكر فيه فى ألفاظ قوية كذلك . حتى إن ناقض كل ما قلته اليوم . وصحيح أنه سيساء فهمك .. وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟؟

لقد أسىء فهم « فيثاغورس » ، وكذلك « سقراط » ، و « المسيح » و « لوثـر » و « كوبرنيكس » و « جاليليو » و « نيوتن » وكل روح طاهرة عاقلة .. بل لكى تكون عظيماً ، لابد أن يساء فهمك !!

« يهب الله لكل عقل الخيار بين الحقيقة والراحة ـ اختر منهما ما شئت . ولكن لن تظفر بكلتيهمـا .. إن مـن يختـار الراحة ، لا يشاهد الحقيقة . ومن يختار الحقيقة يظل جواباً سابحاً بعيداً عن كل مرفأ » .. !!!

وأكرر لك قولى : واجه الدنيا بكلمتك واصرخ بها فى وجه الموج . ولا تقل : من أنا .. فمعظم ما فى عالمنا اليوم من حقائق ، ومبادىء ، وقيم إنما بدأت بكلمات قالها أفراد احترموا اقتناعهم ، وأدوا زكاة وجودهم .

إن أول انسان قال : الأرض تدور حول الشمس لم يكن فى حسابه يوم قال هذا شىء مما ترتب على صيحته من فتوح ومعجزات . ولو أننا حاولنا أن نعرف تماماً ماذا فعل الرسل وماذا صنع الرواد الذين صاغوا مصير الحياة لما وجدنا معجزة مثل معجزة وقوفهم إلى جانب اقتناعهم ، وثباتهم مع كلماتهم .

بعض الناس يظنون أنهم جاءوا الحياة متأخرين .. جاءوا بعد أن فرغت الحياة من تدبير كل أمورها ، ومن ثم لم تعد بحاجة إلى من يفكر ويقول .. !!

لا ..إن الحياة سـتظل بكراً فى كل قضاياها وشئونها .. وستظل تنتظر الذين يقفون وينظرون ويسمعون .

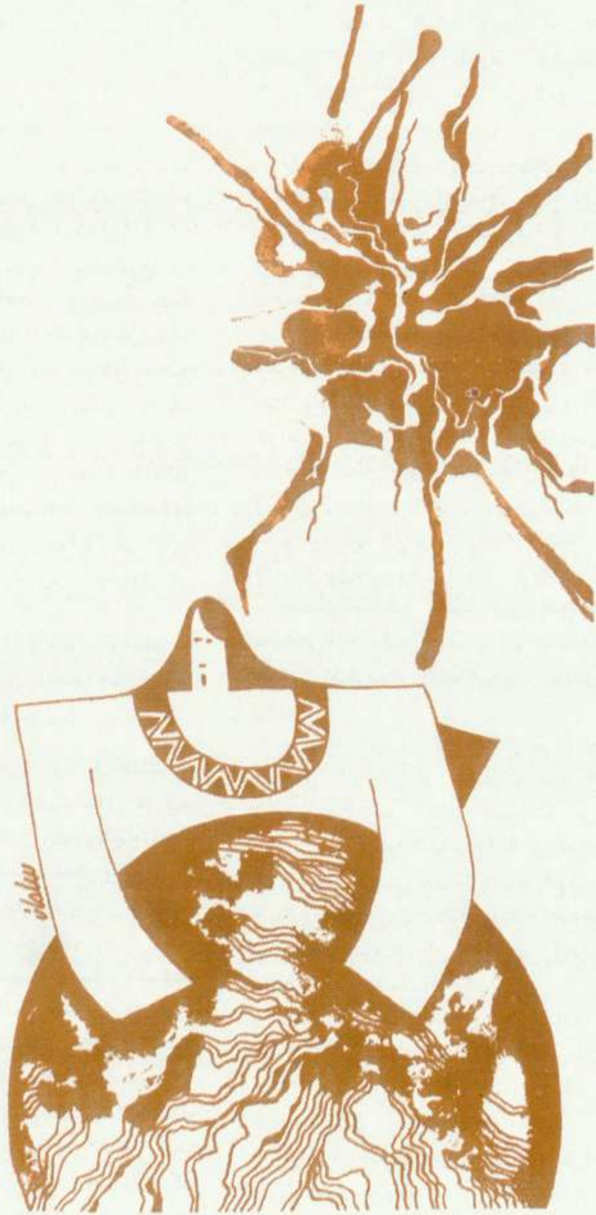
ستظل تنتظر عطاء الذين يقرأون ، ويفكرون ، ويقولون ..

**خالد محمد خالد**

إلى شهداء العشق الفلسطيني الكبير .. أغني مطلع الفجر العربي

# سرينادا القمر الأسمر

شعر : يوسف الخطيب



الليلةَ ينبع من دمهم نهرُ الأردنّ
ثلاثةَ أوديةٍ من عسلٍ قانٍ
لثلاثةِ أزمانٍ
فيصيرون وضوءَ الأرض ، وضوءَ الشمسِ
يصيرون الأبَ ، والابنَ ، وروحَ القدسِ
ثلاثةَ أثلاثٍ ، فى جَمْعٍ أحدْ ...

الليلةَ ينضجُ من دمهم تفاحُ الصفصافِ
وكرمةُ ترشيحَا
والليلةَ يتعمَّدُ فى دمهم أطفالُ أريحَا
والليلة يشتعل الجرمق .. فاكهةً .. ونبيذاً ..
ويضيىءُ على البريةِ زيتونُ صفدْ ..

الليلة هم أتون العرسَ ، ثلاثةَ عرسانٍ
وثلاثةَ أقمار تتغسَّلُ فى جدول بستانٍ
فتضرَّجنَ الحنَّاء .. نساءَ فلسطينَ ..
تطيَّبْنَ الأنداءَ .. نساءَ فلسطينَ ..
تفتحْنَ مروجاً خضراءَ .. نساءَ فلسطينَ
عليكن الليلةَ أن تحملن ثلاثةَ آلاف وَلَدْ ..

•••

ليجيءُ فى هذي الليلةِ جيلُ الوعدْ ..
الجيلُ المعقودُ النطفةِ من ألَقِ البرقِ
وتحت هزيمِ الرعدْ ..
الجيلُ الصاعقةُ .. البارقةُ ..
الأجنحةُ .. الأشرعةُ .. الأنواء ..

ليجيءُ فى هذي الليلةِ من بطنِ الأرض ...
الجيلُ الرافع بالضمِّ مدينة نَعَمٍ
من لاءِ الرفض ..
الجيل المغذوةُ عيناهُ رحيقَ الشمسِ
المتلوةُ أذناه أساطير الشهداءْ

ليجيءُ فى هذي الليلة من لَبَنِ الحُزْنِ
الجيلُ المُطْلَعُ .. موسيقى الكونِ ..
الجيل التشكيلُ .. التأصيلُ .. العربيُّ اللونِ ..
الجيل الحبُّ .. الأشواقُ .. الفرحُ .. الاشراقُ ..
الفاتحةُ الصادحةُ جراحَ الأرضِ
بلابلَ .. وجداولَ .. وحدائقَ شعراءْ ..

أن تلدَ أمرأة قمـراً أسمـرَ
أن يرضعَ .. أن يلعبَ .. أن يكبرَ ..
أشهـد أن اللـه جميلٌ
والليلـةَ .. وجْـدٌ .. وحنـانْ ..

•••

يا امرأةً من دجلةَ تسّاقطُ بلحاً
فى أرض فلسطينَ
أيا نخلةَ عَذَق تشتعلينَ
تَحُلّين جدائلك الذهبية فى شمس الجَرْمَقِ ..

يا امرأة من حلَب ..
يا ساقيةَ حليبٍ ترتحلينَ
فتسقين بواديَ الأردنّ بساتين الزنبقِ

يا امرأةً من أعلى النيلِ
ومن أقصى المغرب .. والمشرقِ ..

أقرأتن وصيَّتهم ؟! ..
أكتبتنّ وصيَّتهم !! ..
أنتنَّ الآن ـ نساءَ العربِ ـ الوحدةُ والحبُّ
وأنتن الأرحامُ الأتلامُ .. وأنتن الخصبُ
وأنتن كرومُ الصبحِ
الواعدةُ خلاصَ الانسانِ .. خُلوصَ الانسانْ ..

أنتن الآن ـ نساءَ العرب ـ حليبُ الثورةِ
لِدْنَ ذكوراً ...
أرضِعْنَ ذكوراً ..
ودّعن إلى النصر ذكوراً ..
فَلْتَكُ صرخةَ غضبٍ « عربيٍّ » في هذى الأرضِ
وشهقةُ سيفٍ «عربيٍّ» فى وجه الطغيان ..

•••

أن تلد أمرأة قمراً أسمرَ
أن يتوشّحَ من دمـهِ الوطنُ
قلادةَ ياقوتٍ أحمـرَ
أن يتدهّنَّ من شفتيهِ العنـبَر
أشهد أنَ اللـه جميلٌ
والليلةَ .. وجدٌ .. وحنانْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ حباً فى مجـد اللـهِ
وفى الأرض سلاماً ، والناسِ
ودالية تشتعـل طِلّيَ
ونجومـاً .. وحِليّ
وأساورَ من ذهبٍ .. وقلائدَ من ماسْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ .. وصلاً .. وجمالاً ..
وحلولاً فى العالمِ .. وخيالاً ..
ويتيمـاً من مكةَ ، بالقـدسِ ،
يلوِّن بستانـاً قمريّاً ..
ومخاضَ امـرأةٍ ، فى جـذع النخلةِ ، بالطائفِ
وجنونـاً عُذرياً
ومجيئاً عربياً .. عربياً ..
فى حشرجةِ الأرضِ .. وفى أوجاع الناسْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ عيد الأعيـادِ
وأغنيـة الميـلادِ
وعودةَ شعـب تقرع فى فَرَحِ الأجراسْ ..

•••

وأنا ، ياولدا ، اعتزل الندمانَ الليلةَ
كي أشربَ فى موتـكَ
علقمَ كل الأرض .. وحنظلَهـا ..
كي اتي جبهتَكَ السمـراءَ
باكليلٍ من حبق اللطرون
وأفرد خُصْلاتِكَ للريـح ، وأجدِلُها ..
وأهيم على كل جهات الأرضِ ، أناديكَ
وأصرخ فى إثركَ :
إذهـب .. لا تذهـب ..
إرجـع .. لا ترجـع ..
أنا لست بقاتلك الآخـر ياولدا ..
وسأُقتَل من بعدك .. من قبلك ..
ثُلثَ ثلاثةِ أصحابٍ فى ليل الفردانْ ..

•••

الليلةَ ينبع من دمهم نهرُ الأردنّ
ثلاثةَ أوديةٍ من عسلٍ قانٍ ..
والليلة هم أتون العرسَ .. ثلاثةَ عرسانٍ ..
فتضرَّجن الحنـّاءَ ... نساءَ فلسطينَ ..
تطَيَّبْنَ الأنداءَ .. نساءَ فلسطين ..
تفتّحن مروجـاً خضراءَ .. نساءَ فلسطين
عليكن الليلـةَ أن تحملـن .. ثلاثة آلاف ولَدْ ..

دمشق – يوسف الخطيب

بقلم: عبد الله الجفري

# العالم على ساقين متناقضتين

احتاج إلى شجاعة .. شجاعة تدعم تاملاتي . وتتعاطف مع أفكاري ، وتغذي نظراتي المنطلقة إلى أعلى .. إلى أبعد من مدار « أبوللو ٨ » .. إلى مدار الزهرة !

أفكاري .. تقف الآن بين ساقين طويلين هزيلين ، متناقضين !

تاملاتي .. لا تريد أن تعبر هذا الممر .. حتى تاخذ الانطباع الموضوعي .. انطباعنا كبشر من أبناء هذا الجيل .. نحتاج إلى شجاعة مؤكدة عندما نقرر أن نتخطى هذين الساقين ، أو الجانبين المتقابلين بلا تكافؤ!

نظراتي .. ترفض دعوة « الرؤية » لمحور الساقين ( ! )

لقد أضحى ذلك غير مجد .. مادام النقاش يستهدف فقط – الساقين – لأن الساقين فعلا هما الموضوع !

واعذروني ..

مثلما بدا احتياجي إلى شجاعة مطلب مرغوب .. أيضاً فقد احتجت إلى هذه المقدمة التى تعكس لكم صورة الساقين ، بالوصف – بتحديد نقطة الوقوف – بهذا الاصرار الكبير على التناقض !

● ●

احتاج إلى شجاعة فعلية .. ذلك ان هاتين الساقين تمثلان شطري هذا الجيل الشاب المعاصر .. الذى يملأ مدرجات الجامعات ، ويتدفق إلى مراكز الأعمال باندفاع ضئيل ، ويضيع فى الطرقات ، ذات الأضواء الخافتة وذات الظلال ، وهو يصرخ تارة ، ويئن اخرى ، ويعلن قائلا :

– أنا جيل هذا العصر .. أنا الزمن الحاضر !

– وأنا – هنا – أتحدث عن الشباب فى العالم كله .. وبالذات فى مناطق العالم التى أصابت حظاً كبيراً من الحضارة والتقدم العلمي ، وتخلصت من العقدة التى تعوقها عن أفكار الابداع الانساني !

إن الأمريكتين ، وأوربا عامة .. يمثلون جانبا عظيم الوزن والقيمة من تعبير الانسان عن رغباته ، وحياته عامة ، وأولئك الشباب – برغم هذه الهزات النفسية التى يتعرض لها ، ويخوضها على اعتبار انها تجربة من الضروري التعرف عليها – برغم ذلك فان اقبالهم على العلم ، وعلى الجامعات ، وعلى التخصص العالي لم تؤثر فيه الهزات النفسية أو ما أسميه « أثقال » الاقتناع بالحياة ككل .. باشيائها الرائعة والجميلة ، وأشيائها الرديئة والقبيحة !

إن شباب هذا العصر يتمثل فى هاتين الساقين الواقفتين .. بكل الطول ، وبكل الهزال ، وبكل الانفعال ، وبكل التناقض !

● الساق الأولى : دائمة الحركة والانفعال والاضطراب إلى درجة « الرفز ! » أحياناً ، وهي تمثل الشباب الغاضب جداً .. الرافض دائماً .. المنفعل لأبسط الأحداث والاقوال ، وهو الجيل الذى ظهر فى بريطانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، والمانيا ، والمكسيك وبعض دول أمريكا اللاتينية !

● والساق الثانية : تحتاج إلى قوة تسحبها .. تجرها .. تخبط عليها لتخلصها من الخدر ، و« التنميل » ، لتوقظها وتدفعها أن تخطو لتواكب على الأقل الاستماع الى صيحات الغضب ، وهي تمثل الشباب الضائع ، أو ما أسموه « الشباب المنهك » .. أنهكته الخيالات ، وطواحين الهواء فى القرن العشرين ! .. أضاعته الأشياء التى يتعاطاها لينسى افكاراً لم تصل بعد إلى ذهنه ، وقد عبرت عن هذه الفئة جماعة « الهيبيز » فى أمريكا .. تلك التى ينام أفرادها على قارعة الطريق ، ويلبسون عدة ألوان ومزق ، ويمشون حفاة ، ويتركون شعرهم تعبيراً عن الفوضى والاتساخ !

من أبعاد هذا الموقع فى عالم اليوم . كان لابد أن تشارك الكلمة فى التصوير ، والتعبير ، والحوار !

كان لابد أن تثبت مراة .. ليرى كل فريق نفسه ، وليستمع إلى نقاش طويل من تصرفاته ، وأرائه التى اعتنقها وأصبح يدعو إليها ! .

بعض المفكرين نظر إلى هذه «البركانية» على فوهة مجتمع الشباب المعاصر على أنها نتيجة حتمية ومتوقعة فى عصر القلق والحروب والقتل الذى أصبح مهمة بسيطة وسهلة .. فى عصر « تأمل » فيه الشباب قوانين مجتمعهم وأساليبه فى استمرارية الحياة ، وامتهان « التفاعل » الصادق الذى تعطيه النفوس الشابة ! .

وبعض المفكرين – بعد إصغاء وترقب – قال : إن أساليب التربية ومفاهيم التعليم ينبغى أن تتغير ، وأن تماشى عصراً جديداً ، وأن تعي جيداً هذا التناقض الفاضح فى سلوك الشباب داخل العالم اليوم .

وظهر لكل فريق : مفكرون .. يعبرون عن حالته ، ويصفون معناها ، ويسبرون الأعماق .. حتى أن بعض أولئك الكتاب .. قيل عن ما كتب :

– إنها فضيحة للجيل المعاصر .. تخزى لكن ذلك لم يجعلهم يحجمون ، بل ان بعض النقاد يصفون أدبهم .. بانه أدب



برنارد شو



البرتو مورافيا



ايزنهاور



يوجين يونسكو

العصر ، أو الأدب الجديد !

وقد جاء على قمة كتاب « الجيل الغاضب » فى بريطانيا أنذاك .. كاتب شاب اسمه « جون ازبرن » .. ذلك الذى أصدر قصصاً وروايات تعكس حالة الجيل الغاضب .. وتحمل أفكاره وألامه ، وقام النقاد — فى البداية — بحملة على هذا الكاتب .. لكن يبدو أن حموة غضبه لم تؤثر فى مواجهته لهم بالمنطق وبالجدل المسكت ! .

ثم جاء على قمة كتاب « الجيل المنهك » أو الجيل الضائع .. كاتب أميركي شاب اسمه « جان كرواك » ، وقد لاحظ أن نسبة الكتاب المعبرين عن هذا الجيل الضائع أكبر من نسبة كتاب الجيل الغاضب فى بريطانيا ، ورغم أنه جيل منهك ، ولم يعد يعرف نفسه ومناخه ، فان الكاتب « جان كرواك » أصدر : ( مجموعة من القصص والاقاصيص ، وديوان شعر ، وكتابات فى الفلسفة ، ومختارات من اثاره مسجلة على اسطوانات ) !

وبالاستقصاء ، والبحث عن أسباب هذا الضياع والانهاك اللذين أسلم جيل أمريكا المعاصر مقاليده لهما .. فقد قرأت استعراضاً كتبه الدكتور محمود السمرة .. أورد فيه رأي علماء الاجتماع هناك .. قال :

— « دفعت هذه الحالة علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة وانتهى العالم الاجتماعي فى كتابه — الصفوة الحاكمة — إلى أن السبب فى هذا كله يعود إلى أن أمريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة .. لتقع فى قبضة حفنة من رجال المال وكبار العسكريين ، وقد أكد هذه الحقيقة الرئيس ايزنهاور فى مذكراته التى نشرها بعد انتهاء مدة رياسته » ! .

● ●

وهناك فريق من الكتاب الجدد المعاصرين .. اعتبرهم فى رأيي فى الوسط — فى منطقة المحور — لا ينتمون إلى الساق الغاضبة .. ولا يؤيدون الساق المنهكة الضائعة .. ومنطقة المحور هذه قد لا يستطيع الكثير من المتاملين ، أو الواقفين ، أو المستطلعين أن يرفع نظره إليها ليحدق فيها طويلا ، فهي فى علو .. بمقدار ارتفاع الساقين والتقائهما ، وهي — على هذا البعد — تبدو منطلقة غير مرئية كثيراً ، وكان يمثل هذه المنطقة أو هذا الفريق الثالث : كولن ويلسون ويوجين أونيسكو !

وقد يكون هذا القصد — اللامعقول — هو جامع النقيضين ، أو منطقة التقاء رأسي الساقين .. برغم أن ممثليها قد لا ينتمون كما قلت إلى أحد فريقي الساقين !

انها منطقة « اللامعقول » التى تشرف حيناً على انفعالات الغضبى والصائحين ، وتشرف حيناً آخر على المنهكين والمغذين فى طريق الضياع ! .

من هــذا الاشراف الفكــري ، أو « الخواطري » ماعالجه ، وصوره كولن ويلسون فى روايته « طقوس فى الظلام » !

هذه الرواية هى استشراف لدور المرأة فى الحياة ، وبالتالي هي أيضاً « رباً » فى مطالب هذا الرجل التى يريدها من المرأة !

إن بطل رواية طقوس فى الظلام يدعى « جيرارد سورم » وقد وصفه أحد النقاد .. فقال عنه :

— «إنه نموذج انسان القرن العشرين الذى تعذبه نفسه قبل أن يعذبه غيره .. تعذبه وحدته كما تعذبه معرفة الناس .. عانى من بعد المرأة ، وقاسى من لقائها بعدما عرفها » ! .

والمرأة لم تعد هي مشكلة شباب هذا العصر ، لانها هي أيضاً استطاعت أن تجتاز بعض أدوار الحياة وأن تتخطى الحواجز فى المجتمعات الغربية !

إن من الامكان أن نقول الآن : إن الرجل أصبح اليوم هو مشكلة المرأة ! .. لقد فقدته كلمحة تختلف ، وفقدته « كتغيير » فى حياتها .. أصبحت المشكلة اليوم فــي « التمييز » سلوكاً وفكراً ، ودوراً فى الحياة !

إن « جيرارد سورم » بطل رواية ويلسون : طقوس فى الظلام .. أضاعه عذاب النفس ذاك .. فاضطر أن « يجرب » العديد من أدوار الحياة ، والعديد مــن « الممارسة » البشرية حتى تردى فى الشذوذ وهو يصيح .. باحثاً عن المرأة !

ولكولن ويلسون رأي استمهلته حتى أهضمه وأفكر فيه ، ثم لم أحتمله .. لانه قال « الرجل أكتشف الكثير من الحقائق الغامضة .. اكتشف أموراً كثيرة معقدة هداه إليها جهده وذكاؤه ، لكن المرأة أقرب من إليه لم يعرفها .. بل ضاعفت من حريتــه » !

هذا الرأي ليس فيه أي خطل ، ولا يحتاج لتصويب جذري .. غير أن مشكلة العصر اليوم لا تنحصر أبداً فى المرأة وغموضها .. إنها مثلما تبدو غامضة ، فهي أحيانا كقطعة البلور فى يد ساحرة .. ترى عبر سطحها كل ما تريد !

إن « برنارد شو » تحدث من زمن بعيد قبل كولن ويلسون عن المرأة .. وعن مشكلة الانسان مع الحياة ، أو مع التعايش فى عصره ..

برنارد شو قال : إن المرأة هي التى صنعت الرجل .. لكي تجعل منه شيئاً أفضل منه ومنها ، ولكنها أخطأت حينما جعلت لا هم للرجل سوى انجاب الأطفال ، غير أن الرجل تجاوز بعد ذلك .. فعندما كان وقت فراغه كبيراً ولا عمل له .. صنع الحضارة الانسانية بدون أن يستشيرها » !

وكاتب ايطاليا الكبير « البرتومورافيا » لم يهتم أحد مثله بالمرأة والكلام عنها وفلسفتها ، وفضحها ، والانصياع لها .. لكنه فى كل قصصه ، وفى كل ما كتبه وقرأناه أو قرأنا عنه .. لم يحاول « مورافيا » أن يربط مشكلة العصر بالمرأة .. ذلك أنها ليست هي كل « المشكلة » وإن كانت بعض جوانبها ! .

إن الوقوف « تحت » — بين ساقي هذا الجيل — تحتاج فعلا إلى شجاعة فكر يتأمل بحرص ، ومثابرة ، وتحتاج إلى دعوة فالحة .. تشد النظرات لترى ما فوقها .. ترى « المحور » حتى لو كان « لا معقولا » .. لكنه نقطة التقاء ، ومكان يجمع الاضداد والتناقض ! .

إن شباب هذا العصر .. لا أعتقد ان كلمة ضياع ، أو إنهاك تنطبق عليه بحذافيرها ، وبهذا الجور فى الحكم .. رغم أن « جان كرواك » نفسه — قال : « أنا من الجيل الضائع » . ولكن النظرة الفاحصة للأسباب الجوهرية التى تمخض عنها هذا الواقع للشباب .. هي أن يستخرج من دقتها الوصف الذى ينطبق على هؤلاء !

أما الشباب الغاضب .. فليس أكثر من « فترة » انتقال تمر بها أوربا كلها بعد أن سئمت طيلة هذا الردح من الزمن الأساليب القديمة فى « التفكير » !

ولا يمكن أن يكون هذا يعنى « العطف » على أسلوب هذا الجيل المتناقض .. بقدر مايعني محاولة لتبصر الأسباب .. فالحضارات تأكل كثيراً ، وتحصد أكثر .. لكنها تنبت جديداً على أرض جديدة !

● ● نشرت الدوحة فى عدد مايو ١٩٨٢ ـ العدد ٧٨ ـ مقالا للأستاذ « فتحي رضوان » بعنوان « سعد زغلول فى قفص الاتهام » ، وطالبت « الدوحة » المؤرخين العرب بمناقشة ماجاء فى هذا المقال من اتهامات لسعد ومواقفه السياسية والشخصية ، وقد جاءتنا مجموعة من الردود ننشرها ابتداء من هذا العدد ونواصل نشرها فى الأعداد القادمة . وهذا هو العدد الأول وقد كتبه الاستاذ اسامة خالد ● ●

رد على :
فتحي
رضوان
ودفاع عن :
سعد
زغلول



فتحي رضوان
وضع سعد زغلول فى قفص الاتهام

# الزعيم الوطني .. متهم وورثة عدلي طلقاء ؟!

بقلم : أسامة خالد

لكل موقف دلالة سياسية بخلاف دلالته الفكرية ، وكل كاتب مطلوب منه أن يراعى هذه الحقيقة عند التصدى لأى قضية . والدلالة السياسية التى تحدثت عنها تتحقق سواء كان الكاتب واعياً بها أو غير واع . ومن هذه الزاوية هل يمكن عزل الهجوم على سعد زغلول ووضعه فى قفص الاتهام عن الدلالات السياسية بل والآثار السياسية العميقة المترتبة على ذلك ؟!

وهى آثار تمس قضية الديمقراطية التى ارتبطت فى تاريخنا الحديث بسعد زغلول ، ومبدأ المفاوضات باعتبار أن سعداً قد هيمن على المفاوضات مع بريطانيا هيمنة مطلقة أثناء حياته بل وحتى بعد موته ، وأنه كَيَّفَ موقف المفاوض المصرى لسنوات طويلة فى حياته وبعد مماته .

إن الهجوم على سعد والتجريح الشخصى الظالم له وهو ما يؤدى الى تحطيم مكانته فى قلوب الناس ، تلك المكانة التى استقرت فى وجدان الأمة يحرسها شهداء من أبنائها ، يتخطى حدود «الموضوعية التاريخية العلمية» ، و «ملكية التاريخ» ويلقى بظلاله المقيتة على نضال المصريين اليوم من أجل الديمقراطية ومن اجل مفاوضات حرة متكافئة مع عدوهم .

هذا اذا كان بوسعنا أن نسمى السباب والشتم والتهم التى وجهت الى سعد ابتداء



سعد زغلول
لايمكن تحطيم مكانته فى قلوب الناس



عدلي يكن
خلافات لم تتوقف مع بداية مفاوضات ملنر

من كونه انانيا وانتهازيا وبخيلا ومنافقا وجبانا ومختلسا ، الى كونه لا يثبت على رأى ؟! حقود جحود ، استعان بعدلى الخ . إذا كان بوسعنا أن نسمى كل هذا بحثا علميا .

واذا كانت شعوبنا التى لم يتح لها التعلم فى الغرب لسوء حظها تقترب الى المبادىء العظيمة من خلال الرموز التى تمثلها وترمز لها ، وتعرف المبادىء النبيلة بالرجال الذين ارتبطوا فى ذهنها بتلك المبادىء ، فما مبلغ الضرر الذى يلحق بتلك الشعوب وبنضالاتها من جراء ولعنا بتجريح أعظم قياداتنا الوطنية بحجة «البحث العلمى الحر» مع أن هذا البحث ينبغى له أن يكون منزهــا عن الغرض متعاليا على السب والشتم والقذف خاصة اذا تعلق بمن لا يملكون الرد على انفسهم .

ومنذ فترة قريبة قام باحث هو الدكتور «عبد الخالق لاشين» باخراج بحث بعنوان «سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية» وقد كال لسعد من أمثال تلك التهم التى وجهها الأستاذ فتحى رضوان نقلا عن «علوبة باشا» ما يدهش الانسان له . إلا أن الدلالات السياسية لبحثه ذاك لم تكن غائبة عنه بطبيعة الحال . فقد كتب الكتاب فى وقت كانت الديمقراطية ينظر اليها فى مجتمعنا على أنها ترف بورجوازى ونظام للباشوات ، وكان أى حديث عن التفاوض مع اسرائيل يعد خيانة عظمى .

ولكن ما يوحد بين الكتابين ــ كتاب د . لاشين» وكتاب «علوبة» ــ هو الميل للتجريح الشخصى وتحطيم هيبة زعامة وإنزالها فى الرغام . وذلك على وزن أن فلان باشا قال لسعد زغلول «انت سفيه» ، واستغلال الخواطر التى سجلها سعد فى مذكراته للقفز لاستنتاجات تغرى جدتها الباحث وإن خالفت الحقيقة وعدمت السند والبرهان وهو ما نلحظه فى الكتاب الأول .

وسوف أتعرض هنا لاتهامين وردا فى مقال الأستاذ الكبير «فتحى رضوان» نقلا عن كتاب «علوبة» هما موقف سعد من مشروع «ملنر» ، ونزاهته المالية . معتبرا ما ورد بالمقال عن «مهادنة سعد للانجليز» وما جاء تحت عنوان «سعد متهما» .. أمورا لا ينبغى أن تؤخذ على محمل الجد ، فهى لم تخرج عن كونها سلسلة غريبة من التهم الظالمة تقتضى الرجوع الى الكتاب الأصلى .

ولكنى سوف أتعرض هنا لما قاله المؤلف الذى نقل عنه استاذنا فتحى رضوان عن موقف سعد من مشروع «ملنر» الذى احتكم فيه الى الأمة ، وقال بالنص كما ورد فى مقال استاذنا «وفى نفس الوقت الذى يتحدث فيه سعد الى الأمة بأن مشروع ملنر المعروض على الوفد به مزايا لا يستهان بها ، كتب خطابا الى ثلاثة من أعضاء الوفد .. وصفه علوبة فى كتابه خطاب سرى جاء فيه على حد عبارة علوبة ــ رحمه الله ــ بانه يتنافى كل المنافاة مع ندائه العلنى ، وجاء فى هذا الخطاب انه يخالف سرا ما جاء بندائه علنا» .

وهذه التهمة وجهت الى سعد من جميع الذين اقصوا أو استقالوا من الوفد ، بل يرددها أيضا الدكتور لاشين فى كتابه السابق ذكره فيقول فى ص ٢٩٨ من كتابه : «أكثر من هذا فقد لجا سعد الى استخدام أساليب لا يمكن أن ترقى الى مستوى الأمانة والنزاهة حيث إنه اخذ يبعث بالعديد من الرسائل السرية والشخصية الى أعضاء الوفد فى مصر .. يصارحهم فيها بان المشروع حماية لا استقلال » وانه « حماية بالثلث » .

## المشروع .. والحقيقة

ومن المفيد أن اعرض بايجاز شديد للمراحل المختلفة التى مر بها مشروع ملنر حتى يمكن للقارىء أن يتبين الحقيقة حول موقف سعد ذاك .

(١) تشكل الوفد قبل الثورة ، وجرى توسيعه بعدها بطريقة ارتجالية ــ وكان اعضاؤه يجمعهم هدف واحد عام هو «الاستقلال التام» إلا انه لم يكن بينهم اتفاق حول الأساليب الواجب اتباعها او التكتيكات الصحيحة وقد رأى معظمهم أن الاستقلال هو الهدف واعتبروا كلمة «التام» مرادفا لغويا .

(٢) عند تشكيل قانون الوفد نصت المادة الخامسة منه على انه «لا يسوغ للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها ، فليس للوفد ولا لأحد من اعضائه ان يخرج فى طلباته عن حدود الوكالة التى يستمد منها قوته وهى استقلال مصر استقلالا تاما وما يتبع ذلك من التفاصيل» (دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ــ د . محمد أنيس ج ١ ، ص ٣٩) وهذه المادة هى التى استند اليها سعد عندما انضمت الأغلبية لرأى عدلى يكن ، وعبر عن موقفه بقوله «لا تضامن فى مخالفة الأساس» .

(٣) كان أغلب أعضاء الوفد يعتمدون وسيلة واحدة للحصول على الاستقلال وهى إقناع بريطانيا بالتنازل بعد أن خذلهم المجتمع الدولى . ولذا كانت أعمال التنظيم (الوافدى) الذى أشرف عليه عبد الرحمن فهمى فى مصر مثار خلافات متصلة بينهم وبين سعد . بل تجدهم يرفضون عرض سعد بمنحه تفويضا باتخاذ بعض الاجراءات التى يقتضيها العمل الوطنى وتتطلب السرية ويرفضون اعتماد مصروفات لهذا الأمر وهذا يفسر موضوع الأموال التى اخذها سعد ولم يخطرهم بالأوجه التى انفقت فيها كما سنرى فيما بعد .

(٤) مع ابتداء مفاوضات ملنر وتدخل عدلى ثارت سلسلة متصلة من الخلافات لم تتوقف قط . ويذكر محمد كامل سليم فى كتابه «أزمة الوفد الكبرى سعد وعدلى» ص ١٧ أن سعدا قال له يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٠ «إن عدلى



# الزعيم الوطني.. متهم وورشة عدلي طلقاء؟!

أراد أول الأمر أن يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل ـ واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد ـ فقلت إنها خطة تفريق ، وإنه لم يكن ينبغى له أن يضع نفسه (أى عدلى) على رأس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه . وسردت له وضعه لمشروع مع بعض أعضاء الوفد وإرساله الى ملنر من غير إطلاعى عليه أولا ، ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تآمر ، وتصرفه فى الكلام مع ملنر بالانجليزية مرتين وعدم إخبارى بما دار بينهما» ويواصل سعد قائلا لعدلى يكن كما روى لسكرتيره فيما بعد : «علمت من محمد محمود انك قلت له إنك ستؤلف الوزارة القادمة ، وانك ولطفى السيد متفقان على الا يكون للوفد رأى فيمن تختارهم للعمل معك . ثم توالت الاجتماعات بينك وبين فريق من الأعضاء ووضعتم مشروعاً قدمتموه الى ملنر ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولطفى السيد .. ثم إنى قلت لك مراراً إن مشروع ملنر مشروع حماية ولا يمكننى تأييده . كما انك لم تفعل شيئاً لإزالة الخلاف والتوفيق بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقاً بفريق من أعضاء الوفد . وروج المندوبون المشروع بعد أن اتفقوا معى على عرضه على الأمة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتبت أنت الى بعض أصدقائك فى مصر بالسعى الى حمل الأمة على قبوله كما يطلب ملنر ، وبدأت التفكير والعمل فعلا لتأليف وزارة لأجل الدخول فى المفاوضات الرسمية ..... وكنت تأخذ صور بعض البرقيات من «علوية» وتبلغها «للأعرج» بقبول الأمة للمشروع مع بعض الرغبات والأمانى حتى اقتنع «ملنر» كل الاقتناع بأن التحفظات آتية منى وحدى لا من الأمة ولا من باقى أعضاء الوفد وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبثه برفضها» .

وفى نفس الكتاب ص ٢٧ يقول «المكباتى» «لمحمد كامل سليم» «إنهم يريدون فى الحقيقة تنحية الرئيس سعد عن المفاوضات ..... ويريدون فى الوقت عينه أن يتولى أمر المفاوضات عدلى ومن يختارهم . لأن عدلى فى نظرهم أكثر مرونة وسياسة من سعد ـ ثم قال ضاحكاً ـ لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا اننا على رأيه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية إلا بعد قبول التحفظات ولكن سعداً ثعلب لم ينخدع بما قلناه» !!

(٥) بعد أن وافقت الأغلبية على مشروع ملنر وعارضه سعد ، اضطر سعد إشفاقاً على الوفد من الانقسام الى القبول بتحكيم الأمة شرط عرض المشروع عليها بحيدة ونزاهة . وطلب الأعضاء منه ألا يعلن عن رأيه فى المشروع حتى لا تتأثر الأمة . ولنترك للدكتور لاشين تكملة ما حدث «فيما يتعلق بمندوبى الاستشارة الأربعة فتكاد تتفق المصادر على تباين نزعاتها على أنهم لم يقفوا عند حد عرض المشروع وحسب ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فراحوا يحبذونه للأمة من ناحية ، ويتوسعون فى تفسيراتهم لبعض نصوصه بما لا يتفق معها شكلا وموضوعاً من ناحية أخرى» (سعد ودوره فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٠٠) .

اى أن الأغلبية بعد أن انتزعت وعداً من سعد باخفاء رأيه فى المشروع ، راحت تتنكر لوعدها أن تعرضه على الأمة بنزاهة وحيدة فحسنته فى عيون الأمة مدعية أنه حاز موافقة سعد . فى محاولة لاستغلال ولاء الأمة المطلق له وثقتها به لتفويت مشروع (حماية مثلثة) على أنه استقلال ، فما كان منه إلا أن أرسل برأيه الشخصى فى هذا المشروع الى أصدقائه فى مصر .

(٦) وافقت الأمة على المشروع بتحفظات ، وصمم سعد على التحفظات بينما رأى عدلى يكن وأغلبية أعضاء الوفد إغفالها أو تأجيلها . ثم قرروا أن يشكل عدلى وزارة تقوم بالتفاوض قبل إلغاء الحماية ، ولقد سعوا الى الحصول على موافقة سعد واستدراجه فى هذا الاتجاه . ولعل محضر آخر اجتماع للوفد فى باريس ١٢ يناير ١٩٢١ يصور الطريقة التى مورست مع هذا الزعيم (المهادن للاحتلال) (المستبد برأيه) كما يزعمون !!

يقول عبد العزيز فهمى للحاضرين «كلنا نعرف ونعترف أن الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات فى الماضى» ويعدد هذه المرات . «إلا أن الوفد متحد وموافق بالاجماع على عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية المقبلة أو حتى الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطانى تعديل مشروعه على أساس هذه التحفظات وفى طليعتها النص الصريح على إلغاء الحماية» ثم يصل للقول «بأن الخلاف الوحيد الباقى إنما هو فى مصر» فيسأله سعد «وما سبب هذا الانقسام فى الأمة وما علاجه فى رأيك ؟ فيجيب «فريق من أبناء مصر يرون ضرورة الاسراع فى الدخول فى مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة ... ثم فريق آخر من أبناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل الانجليز أولا التحفظات .. ويسأله سعد «وأى الفريقين تؤيد» فيجيبه «أنا أؤيد الفريق الأول» .

أى أن هدف الأغلبية هو أن يترك الوفد موضوع المفاوضات لعدلى دون قبول للتحفظات أو إلغاء الحماية . ويقول سعد «انكم لتعلمون كما أعلم ، أن عدلى راض عن مشروع «ملنر» وغير راض عن التحفظات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بامكان الحصول على الاستقلال» وهنا يعلن عبد العزيز فهمى رأيه فى أن «عدلى خير مصرى يمكن أن يتولى الوزارة .... وقضية الاستقلال» !!

ويقول سعد «فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد (أى عدلى) يشير فيه الى أن من رأيه أن تجرى المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملنر بعد تعديله بالتحفظات ؟ . إنه إذا صرح بذلك فانى أعلن فوراً تأييدى لعدلى صراحة ، بل أعلن أكثر من ذلك وهو أنى لا أرى حاجة لاشتراكى أو لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية» .

ويقول محمد علي علوبة رداً على ذلك «إن الوفد لم يقرر قط أنه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فى المفاوضات من المصريين ..... وليس للوفد فيما أعتقد أن يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده ، وليس من المعقول أن يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقاً لآرائه ومعتقداته» ويوافق أحمد لطفى السيد «علوية» فى قوله مضيفاً «إن السياسى يعز عليه أن يرتبط بشىء ما مقدماً» وينفجر «عبد العزيز فهمى» قائلا عن القيود التى وضعها الوفد موجهاً خطابه لسعد «أنت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ..... ولم تكن موافقة الأغلبية عن اقتناع أكيد وعقيدة جارفة بضرورتها وصوابها ، ومادمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين» .

ويرد سعد «معنى هذا» أن الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط أو تحفظ ... الوفد يقصى نفسه عامداً متعمداً عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجاً ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيداً بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين ...» (راجع أزمة

الوفد الكبرى : محمد كامل سليم ص ٩٦ ـ ١٠٦) .

ويلخص سعد الموقف فى خطاب لطاهر اللوزى فى ٢٧ يناير ١٩٢١ قائلا «انهم (أى الأغلبية) لم يتظاهروا بموافقتنا إلا إتقاء لسخط الأمة وتلطيفاً لغضبها ، وإلا فانهم سيعملون فى السر على بث أفكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تأييد سيدهم الذى رأوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم» . نفس المرجع ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ . ويوجز برنامجه بعد الانشقاق على النحو التالى «إن مشروع ملنر فى ذمتى واعتقادى مشروع حماية . فلا يمكن لي مطلقاً أن أحسنه للأمة بأية طريق ، وليس أمامنا الآن من طريقة بعد رفضه ، إلا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة . ومحاربة كل من يتصدى لتأييد الحماية ومشروعها الجديد ،...... والتشنيع على الاستعمار البريطانى لبلادنا فى الداخل والخارج ، فى الداخل للاثارة المستمرة ، وفى الخارج لايقاظ الضمير الدولى .....ولابد أن يأتى يوم يعلو فيه الحق على الباطل ....وليس العجز يعد على الأمم ، وإنما العار كل العار أن تضع الأمة غل الاستعباد فى عنقها وأن تقبل المهانة فى استسلام وأن تذل نفسها برضائها لعزة الأجنبى» . نفس المرجع ص ١٧٩ .

## نتائج التشدد والرفض

وربما يسأل البعض عن نتائج تشدد سعد ورفضه لمشروع ملنر ، وهل ضيعت تلك النتائج على الأمة حقاً أو فوتت عليها مصلحة :

(١) يرى د. لاشين أن تشدد سعد «ضعضع قوة المفاوض المصرى (أى عدلى يكن) مما أفقده احترام الجانب البريطانى» والحقيقة أن هذا التشدد كان مما يقوى موقف عدلى ولا يضعفه . ولكن بريطانيا ادركت أن اتفاقاً لا يوقعه سعد سوف يكون حبراً على ورق . وسوف لن يلزم الأمة أو يحقق الاستقرار السياسى المنشود فى البلاد . لذا اثرت على توقيع معاهدة مع عدلى ، أن تقوم بتقديم تنازلات من طرف واحد فاعلن مندوبها للسلطان أن بلاده لم تعد ترى فى الحماية علاقة مرضية بين البلدين ، ثم أعلنت إلغاءها بتصريح ٢٨ فبراير الذى منح البلاد استقلالا كالذى كان يطالب به عدلى وجماعته دون مفاوضات او توقيعات . وفى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ صدر أول دستور ديمقراطى فى البلاد . تلك كانت بعض ثمار تشدد سعد ومن خلفه الأمة المصرية .

## النزاهة المالية

على فرض أن سعداً استلم «مئات الالوف من الفرنكات الفرنسية إبان وجود الوفد فى باريس موقع عليها منه بخطه وقلمه لم يردها» كما جـاء فى مقال الأستاذ الكبير فتحى رضوان نقلا عن «محمد على علوبة» ، فلاتزال المسافة بعيدة عما يمس النزاهة المالية . أولا لأنه أخذها بايصالات ، ولأن «علوبة» باشا لا يستطيع أن يقطع بأنها لم ترد حيث انشق على الوفد و تركه مع من تركوه . فضلا عن معرفة الجميع قيام سعد بتمويل النشاطات السرية للوفد فى مصر مما لم يرضه باقى الأعضاء ممن تصوروا النضال الوطنى لعبة ملاكمة لا يجوز فيها الضرب تحت الحزام» .

ومن الطريف أن محمد كامل سليم يروى وقائع اجتماع جوبه فيه سعد بسؤال عن أوجه إنفاق ما طلبه من مبالغ . ففى حديث بين «علوبة» و «سعد» يقول سعد لعلوبة : لقد طلبت منك ألف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت . ويرد «علوبة» «أنا لم أرفض بل طلبت معرفة شئون الوفد هذه حتى أعرضها على إخوانى» . ويقول سعد : «لقد أردت أن أقدم هدية ثمينة تذكارية لمستر بلنت ، وأردت أن أقوم بدفع مصاريف الانتقال والاقامة للدكتور حامد محمود حين أكلفه بالسفر الى انجلترا ، واعتبرت طلبك تشككاً فى بواعثى وفى ذمتى فعدلت ، وإنك لتعلم أن رئيس الوفد ، بل رئيس أى جماعة يجب أن يكون تحت تصرفه بعض المال» ص ٧٩ «أزمة الوفد الكبرى» ومن بين الخطابات التى كشف د. محمد انيس النقاب عنها فى كتابه «دراسات فى وثائق ثورة ١٩» وفى تقرير سرى مرسل من سعد الى عبد الرحمن فهمى فى ١١ ابريل ١٩٢٠ من باريس يقول سعد «ولكنى سأرسل إليكم من طرف آخر نقوداً بالطريقة التى كنتم أوضحتموها وبهذه الكيفية يمكنكم أن تشتغلوا من غير أن يعلم أحد بشغلكم .... وعند استلام النقود من الذى سيعطيها لكم نبهوا عليه بأن يكون أمرها بينه وبينكم وأن يرسل إلي فوراً الوصل الذى تكتبونه له باستلامها» ص ١٠٥ جـ ١ .

ولا أريد الاطالة فى هذا الموضوع الذى لا داعى لاثارته أصلا ففى يقينى أن من كان أميناً على مصالح أمة ، لا يختلس نقودها ، ومن نال المجد الذى ناله سعد لا يحسد «علوبة» ..والذى أسلم نفسه وهو شيخ طاعن فى السن للنفى والسجون لا يكون جباناً أو موهوماً واعتقد أن تلك عقيدة المصريين أيضاً ..

وفى ٢٩ ديسمبر عام ١٩١٩ أرسل سعد الى المصريين هذا البيان :

«الى أبناء وطنى الأعزاء . يحاول الأقوياء بجميع الوسائل أن يأخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قوة ويزيدوكم ضعفاً ، فلا تنخدعوا إذا خدعوكم ، ولا تخافوا إذا هددوكم ، وأثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام . فهو أمضى سلاح فى أيديكم وأقوى حجة لكم ، وإن لم تفعلوا خذلتم نصراءكم وأهنتم شهداءكم وحقرتم ماضيكم ، وأنكرتم حاضركم ومددتم للرق أعناقكم ... فلا تذلوا ولو قهرتم ، ولا تخسروا ولو ظلمتم ، ولابد من يوم يعلو فيه حقكم على باطل غيركم وينتصر فيه عدل الله على ظلم خصومكم وتتحقق باذن الله القدير آمالى وآمالكم فى الاستقلال التام» .

إن هذه الكلمات ماتزال ماثلة فى وجدان المصريين ولاتزال معانيها حاضرة وكأنها قيلت اليوم أو تقال غداً ولايزال أنصار «عدلى» يعيشون بيننا ، ولايزال أنصار سعد يحيون بيننا . وإن تبادلوا المراكز والقوة . ولايزال مطلب شعبنا هو الديمقراطية ، ولايزال دستور ٢٣ يسبق طموحات الداعين للحرية فى بلدنا .

فماذا نكسب من وضع سعد زغلول فى قفص الاتهام . وما الذى نحققه من تحطيم الرموز التى آمن بها الناس واستقرت فى وجدانهم قرين الاخلاص والثبات على الحق والعدل والحرية . وما الذى تكسبه «الموضوعية التاريخية» من إصابة الناس بالحيرة وإفقادها ثقتها بنفسها وبتاريخها .

إنها لطامة كبرى بل وأى طامة ... أن يكون سعد زغلول متهماً اليوم ، وأن يكون ورثة عدلى طلقاء .. !!!

أسامة خالد

مسافر على الرصيف



# الرجل الشجرة ... زكريا!

بقلم : محمود السعدني

لا يبعث الأسى فى نفسى مثل صفير باخرة تغادر الميناء فى الليل . ولا تمتلىء نفسى بالشجن كامتلائها لصوت قطار ينهب القرى والمدن والليل قبل لحظات من طلوع الفجر وفى الوقت الذى اتاهب فيه للنوم ! ومنظر البحر يذكرني ببلاد بعيدة وأيام سعيدة قضيتها هناك ! واشجار الجميز بالذات تذكرنى بايام طفولتى البريئة الهنيئة وسنوات من العمر قضيتها تحت اغصانها على شاطىء الريّاح ! والنوافذ المغلقة تذكرنى بالسجن وبالأيام الميتة خلف جدرانه ! والرصيف يذكرنى بايام الصياعة التى بددناها فى مناقشات بيزنطية وديالوجات سخيفة ، ولكنها بالرغم من ذلك كانت أياماً مجيدة ، لاننا تصورنا خلالها اننا ملكنا كنوز المعرفة ، واننا توصلنا إلى معرفة سر الكون : فلما اكتشفنا الحقيقية بعد ذلك أدركنا فى الوقت نفسه أن العمر قد ولى وأن الوقت قد فات ! والحقيقة التى اكتشفناها بعد فوات الأوان هى اننا لا نعرف شيئاً ، وان ما نعرفه هو اقل مما يجب واتفه مما ينبغى ، وان الكتب كثيرة والعمر قصير ! وأن المعرفة طريق ليس له نهاية . بينما الانسان يولد ليموت ، وانه يقرأ لينسى ويتعلم ليكتشف فى النهاية انه اصبح اجهل مما كان ! وبعض أصدقائى الذين ماتوا نسيتهم تماماً والبعض الآخر اذكره أحياناً ، وقلة قليلة منهم لم يغيبوا لحظة واحدة عن ذاكرتى ، ولا يمر يوم واحد من عمرى دون ان اذكرهم عدة مرات ! من هؤلاء كامل الشناوى الذى تعرفت عليه فى بداية الخمسينات والذى تعرفت عنده على عدد من مشاهير الجيل وكانوا يخطون أولى خطواتهم فى الحياة ! منهم ايضـــا عبد الحليم حافظ الذى تعرفت عليه فى قهوة بلدى فى عابدين ، وأحسست بشىء ما يشدنى إليه ، ربما لانه كان مثل حالى مرهقاً ومكسور الخاطر ووحيداً فى الحياة ! ومنهم سعيد ابو بكر المضحك العظيم الذى عاش حياة قصيرة وعاصفة وساءت أحواله فى نهاية العمر ، ومات ممروراً من الناس ومن الحياة ! ومنهم زكريا الحجاوى الذى كان جزءاً من الحياة ذاتها ، كانه نتوء خرج منها أو طريق متعرج فى شعابها ، أو ظاهرة من ظواهرها كالمطر والرعد والزلزال ! ولعل موت زكريا الحجاوى هو الحادث الوحيد الذى هز اعماقى مثل جذع شجرة طيب كشجرة جميز حلو المذاق، كثمار المانجو . وكان أمير الصياع بلا جدال ، كان يعشق مصر ولعل ذلك هو السبب الذى جعله يطوف فى أرجائها على قدميه . وكانت مصر عنده هى القرية ، والشعب عنده هم الفلاحون ، والحياة البسيطة الرتيبة هى الحياة المثلى . وكان يردد دائماً خصوصاً فى أوقات المحن والأزمات .. لا أريد من الحياة اكثر من قيراط واحد من الارض وشجرة وحصيرة أفرشها تحت اغصانها واتمدد عليها وبجانبى قلة فخار لتبريد الماء ! هذه كانت كل احلامه ، ومدى مطامعه فى الحياة . ولم تكن هذه الاحلام تكلف اكثر من خمسمائة دينار كويتي لتصبح من حقائق الحياة ! ومع ذلك مات الفنان الكاتب الاديب زكريا الحجاوى دون ان يحقق حلمه . وغادر الحياة دون ان تتهيا له فرصة ليرتاح لحظة ! وظل يسعى من اجل اكل العيش حتى بعد أن اعتل قلبه واختل نبضه ! الغريب أن هناك أدباء وكتاباً أقل فناً من زكريا الحجاوى وأقل موهبة وأقل عطاء يملكون قصوراً على شاطىء القناة وبعضهم يملك قصوراً على شاطىء النيل والبعض يملك ضياعاً فى ريف مصر ! ولعل هذا هو السبب الحقيقى الذى صدمنى بشدة فى موت زكريا الحجاوى . فهو قطع رحلة حياته بين الميلاد والموت بالخطوة السريعة ! كانه عسكرى جيش اتى أفعالا من شـــانها الاهمال وعدم الانضباط ومخالفة الأوامـر العسكرية ! وهو عاش كانه مشدود إلى جذع شجرة والسياط تلهب ظهره ، عقوبة مسجون خالف اللوائح ، وخرج عن تعليمات البيك المامور ! ومع ذلك ما أصفى ضحكته حين كان يضحك ، وما أعمق فرحته حين كان يفرح . وما اهدا نفسه حتى فى لحظات الخيبة والاحساس بالضياع ! ولازلت برغم السنين الطويلة اذكر أول لحظة رايت فيها زكريا الحجاوى . شدنى صديق من يدى الى بيته فى حارة مظلمة من حوارى الجيزة . كان عندى من العمر عشرون عاماً ومعى من الفن قصة


زكريا الحجاوي


كامل الشناوى


عبد الحليم حافظ

قصيرة . واكتشفت أن بيت زكريا كان عارياً تماماً من الأثاث ، كأنه زنزانة يقضى فيها فترة عقوبة . ولكنه استقبلني ببشاشة وقرأ قصتى باهتمام . وطلب منى أن أقرأ كثيراً وأن أقرأ خصوصاً فى التراث ، وذكر أمامى عدة كتب كنت لحظتها أسمع اسمها لأول مرة ودلنى على الجبرتى وابن إياس وقال وهو يدخن بشراهة سجاير رخيصة ، إقرأ ألف ليلة وليلة أنهــا أم الفن القصصى ليس بالنسبة للعرب فقط ولكن بالنسبة للعالم . وقضيت عدة ساعات مع زكريا الحجاوى فى منزله وشعرت بحجم المحنة التى يعيشها ! فقد كان البيت شديد الضيق والعائلة كثيرة الأفراد . وحكى لى فى بساطة قصة حياته وكأننا أصدقاء منذ ألف عام . لقد تزوج من فتاة أحلامه وعاش معها أحلى أيام العمر ، ثم اضطر إلى الانفصال عنها لأن أخاه الأكبر توفى فجاة تاركاً زوجة ونصف دستة من الأبناء . واضطر زكريا الحجاوى للزواج من زوجة أخيه لكى يعول أبناءها ، هكذا بشهامة وببساطة وبدون تعقيدات !

وعندما غادرت منزل زكريا الحجاوى كانت الشمس قد أذنت بالمغيب ، وكان الجو حاراً لم يزل ، ولم أكن وحدى حين غادرت منزل زكريا ، بل كان زكريا معى . وعرجنا فى طريقنا على دكان سجاير أخذ زكريا منه حاجته من الصنف الرخيص الذى كان يدخنه . وهمس فى أذن صاحب الدكان بكلمات ، وسرعان مافتح الرجل الطيب الدرج وتناول منه عشرة قروش فضة ودسها فى يده . ومضى زكريا الحجاوى يقطع الطريق من الدكان إلى ميدان الجيزة فى خطوات ثابتة وقوية ومتعالية . واندهشت لشعبيته الواسعة فى الجيزة فقد اضطر إلى التوقف عدة مرات ليصافح بعض المارة ، واعتذر لكثيرين من الجالسين على الأرصفة عن شرب الشاى معهم لأن عليه أن يذهب إلى موعد هام ! وبعد رحلة استغرقت وقتاً طويلا وصل زكريا الحجاوى إلى قهوة محمد عبد الله ، وكانت هذه أول مرة أجلس فيها على قهوة عبد الله .

وكانت أول مرة أيضاً أرى فيهــا أنــور المعداوى ورشدى صالح وسيد قطب ونزار قبانى . وخيل إلى أول الأمر أن نزار قبانى ممثل سينما جاء يسرى عن نفسه بالجلوس بعض الوقت مع الأدباء والشـــعراء . وجلست بجوار زكريا الحجاوى بعد أن قدمني إلى الجالسين قائلا .. الأســـــتاذ محمود السعدنى الكاتب الفنـــــان .. !! وشعرت بخجل شديد وغيظ أشد . فقــد ظننت أنه يسخر مني ! فلم أكن أستاذاً ولم أشعر يوماً ما بأننى كاتب أو فنان . وكنت أخجل من عرض انتاجى على أحد . والسبب أننى عرضت انتاجى ذات مرة على بعض أصدقائى ولكنهم سخروا منى . وحتى الذين احترموا انتاجى همسوا فيما بينهم بأننى سرقت القصص التى قرأتها عليهم من بعض الكتب ! ولـــكنى بلعت ما تصورت أنه اهانة من زكريا الحجاوى وجلست بين المجموعة صامتاً . فجأة سألنى أنور المعداوى ، وليك انتاج يا أستاذ ؟ ورد زكريا الحجاوى على الفور ، معاه قصة جاهزة ، أنا باعتبرها بداية جيدة . وتناول أنور المعداوى القصة التى كنت أحشو بها جيبى وطالعها فى صمت فى الوقت الذى كانت عينى تتابعه فى قلق ، فجأة توقف عن القراءة وشارك فى الحديث وأحسست أننى انتهيت وتمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعنى . فها هو أنور المعداوى قرأ القصة ولم تعجبه . بدليل أنه توقف عن القراءة واشترك فى الحديث ! وهممت أن أغادر القهوة وأن أذهب إلى أى مكان بحيث لا يقع بصر أحدهم على بعد ذلك . ولكن شجاعتى خانتنى وأحسست ببرودة تسرى فى أوصالى ، وبأن ساقيَّ ترتعشان ثم شعرت فجأة بأن ريقى جف ، وأننى فى حاجة إلى كوب شاى ساخن ، ولم يكن فى الجالسين أحد أعتبره صديقاً لأطلب كوباً من الشاى على حسابه ، كما أنه لم يكن معى نقود لأطلب كوباً من الشاى لنفسى . ولا أدرى إلى أين ذهبت بفكرى عن قهوة عبد الله . ولكني انتبهت فجأة على أنور المعداوى وهو يجرى ببصره على سطور القصة . وخفق قلبى من جديد ، فهؤلاء الناس نوع ، آخر من البشر ، ليس من عينة أصدقائى الذين يشاركونى لعب الكرة ! وظل أنور المعداوى يقرأ حتى انتهى منها تماماً . ثم نظر إلى طويلا وكأنه يتفحصنى

# الرجل الشجرة ... زكريّا!

وقال معلقاً على القصة .. أنا الاحظ انك بتكرر الفاظ معينة كثيرة . ورد زكريا الحجاوى قائلا وانا لاحظت نفس الملاحظة واعتقد ان السبب فى كده ، ان حصيلته اللغوية مش تمام ، عشان كده نصحته يقرا كثير ، وخصوصاً فى كتب التراث » ورد انور المعداوى ، « مش مشكلة ، المهم ان الكاتب يعبر بالألفاظ اللى عنده ، اللغة وسيلة مش غاية يا زكريا » ! ودخل الاثنان نقاشاً حول الموضوع ، واشترك الحاضرون فى المناقشة ، وبينما كان النقاش محتدماً كنت أنا فى واد آخر ، فهذا النقاش كله كان حول قصة من تأليفى . أنا أصبحت إذن مادة لمناقشات صالونات الأدب فى القاهرة وشعرت بأننى انتفخ ، وبأننى ازداد وزنا ، وخيل إلى اننى ساطير فى الهواء ، وجلست وسط الحاضرين كاننى الجاحظ فى مجلس من مجالس الأدب بالبصرة ! ولكني سرعان ما تضاءلت ، وانكمشت فى مكانى كاننى بالونة ثقبها احد العابثين بابرة خياطة . فقد وصل إلى مجلس الحكماء رجل معمم انيق بدرجة ملفتة يرتدى زى كبار المشايخ فى الأزهر . وعليه سمات الجد والعظمة . صافح الحاضرين ، وانحنى باحترام وهو يسلم على انور المعداوى . وأبدى نفس الاحترام لسيد قطب ، وصافح رشدى صالح فى أدب ، وسب زكريا الحجاوى وهو يمد له اطراف أصابعه . وضحك زكريا وهو يصافح « مولانا الشيخ » ونظر الرجل المعمم نحوى بازدراء شديد أهاج جميع مواجعي ، ومد لى طراطيف أصابعه ، وانتهز فرصة وقوفى لمصافحته فجلس على مقعدى ! ووقفت حائراً كفلاح نزل مطار لندن لأول مرة ؟ وانتبه انور المعداوى للمازق الذى أنا فيه فقال للشيخ المعمم « انت يا عبد الحميد خدت كرسى الأستاذ » ! ورد عبد الحميد ساخراً الله ، هوه دا أستاذ ؟ طيب لا مؤاخذة يا أستاذ » ! وهممت بأن أضرب المعمم قلماً على قفاه وأطلق ساقى للريح . ولكنى تجمدت ولم أدر كيف أتصرف ! المهم أنه بانتهاء السهرة فى منتصف الليل كنت قد خرجت بصديقين من قهوة عبد الله ، زكريا الحجاوى الطيب ، أما الصديق الآخر فهو نفس الرجل المعمم الذى عاملنى بجفاء وسخر منى بفظاظة ، والمهم اننا صرنا صديقين إلى آخر العمر . مولانا الشيخ عبد الحميد قطامش ، المحامى الشرعى ، وأحد ظرفاء مصر الكبار ، المغرور المظهر ، المسحوق فى الواقع ، أكثر المشاهير فى عصرنا طيبة وقلقاً وهماً وعقداً ، وأعظم دليل على أن المصرى يستطيع أن يصنع – برغم كل الظروف – أعظم المعجزات ويالها من ليلة التقيت فيها بعدد من مشاهير عصرنا ، وكنت لم أزل شاباً فى العشرين قليل العلم ولكن كثير التجربة شديد اليقظة عظيم الطموح . ولكن طموح الفقراء – كما يقول عبد الحميد قطامش كالفقاعات ، عندما يصطدم بالواقع الأليم سرعان ما ينفجر ولا يخلف وراءه الا قروح وجروح . وللحديث بقية !

محمود السعدنى

على ضوء الكارثة المشتعلة فى لبنان ، والتى لن يرحم التاريخ أحداً من العرب أو المسلمين المعاصرين من مسئولية تسجيرها ، نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ونقول :

من عجائب صنع الله فى هذا الكون الفسيح ، أنه جعل لكل شىء مواصفات ، سواء أكان هذا الشىء ذرة ، أو فيلا ، أو جبلا ، أو حماراً ، أو أمة من البشر أو الطير ، أو النمل أو الحيتان والبلم فى البحر ، وإذا فقد الشىء أياً من مواصفاته تلك ، فانه لا يصبح ذلك الشىء .. فإذا كان ذلك الشىء حجراً بعينه فلابد أن تكون له صفات تخصه وتميزه ، وتحفظ له اسمه بين بقية مخلوقات الله من الجماد ، من حيث الكثافة والصلابة والصلادة واللون والمسامية والنفاذية وقوة تحمل الضغط ، والتوصيل الكهربائى والمغناطيسية ، وما الى ذلك من عديد الصفات التى يبوبها الكيماويون والفيزيائيون والجيولوجيون ، لتوصيف ذلك الصخر أو الحجر ورصد مميزاته ، وبالتالى فوائده ومنافعه ..

وإذا كان ذلك الشىء أمة من البشر ، تصر على أن توصف بأنها أمة واحدة ، فلابد لها من سمات تلزم الناس ، عملياً ، باحترام ذلك الاصرار ، من وحدة فى اللغة والعقيدة والفكر وأنماط العيش ، والآمال والآلام والموقع الجغرافى ، والموقع التاريخى فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وإلا ، فان أى مجموعة من البشر تتخيل (أنها أمة) مع ضياع أى من تلك الصفات ، تكون بلهاء واهمة يحتقرها الآخرون ، ولا يألون جهداً فى خداعها وحصارها وتفريغ محتواها التراثى ، وإخراجها من حلبة صناعة التاريخ ، ثم إبادتها ، أو تحويلها الى طوائف من الخدم و(المرمطونات) التى تأكل لتعيش وتأتمر بأمر العدو والصديق دون تمييز بينهما .

والأمم ، على الرغم من مستحدثات العصر التى قصرت بها المسافات حتى أصبح ما يجرى فى العالم كله معروفاً لكل الناس فى لحظات ، لازالت مثل أطباق الطعام الأصيلة ، لا يسعفها الآكلون ، ولا تهضمها عصارات المعدة والأمعاء بما يعود على الجسم

# الوحـــدة أوالفنـــاء

## بقلم: درويش مصطفى الفار

بالفائدة والنفع ، إذا أخل (الطهاة) بأصولها ، وحاولوا إدخال الغرائب والشواذ فى تركيبتها الأصلية ، كان يحاول متفلسف أن يطور (طبق الملوخية) باضافة شيء من الجزر اليه ، بدعوى رفع نسبة الكاروثين أو فيتامين أ فيه ، أو أن يطبخ (البامية) بمرقة زعانف سمك القرش لمنافع فيها يعرفها أهل الصين ..

والأمة العربية ، رغم حاضرها الأليم ، لازالت أمة واحدة تعرف تاريخها حقيقة المعرفة ، وتعرف العامل الأوحد الذى استطاع أن يربط أواصرها ويوحد صفها قرونا عدة على قلب رجل واحد ، ويعرف العقلاء فيـها كل المعرفة ، أن جميع الأعمال المعادية لوحدة هذه الأمة من جديد ، إنما تهدف أساساً لصرف تفكيرها عن ذلك (العامل الأوحد) بمختلف الأساليب والطرق والمكائد والأحابيل والمغريات والمفسدين ...

ولقد غدت أقطار الأمة العربية خلال نصف القرن المنصرم (معمل تجارب) لكل أنواع (الأيديولوجيات) فكانت نتيجة ذلك كله ، ما يحدث اليوم فى لبنان ، ناهيك عما يحدث فيما بين أقصى المشرق والمغرب من أزمات وفتن وقلاقل وإراقة للدماء والأموال والجهود ، وتبادل للتهم والشتائم ، والبحث عن المشاجب والتعلات ، وحب التسلط ، وعبادة الحكم والسيطرة ، وتكميم الأفواه ، وسلب حرية (الأغلبية) والبطش والتنكيل بالرأى المعارض ، وفتح الثغرات للمارقين والمرتدين والزنادقة والمرتزقة والمنافقين من خلال تكريس الجمود والتحجر والانغلاقية ، مما أدى بنا الى حيث نحن اليوم ، مما لا يحسدنا أحد عليه ، ولا يحتاج الى شرح

فنحن اليوم على مفترق الطرق ، ولامناص من أن نختار :

أ - إما أن ينفض السامر ، وينصرف السمار ، كل الى شأنه وما يعنيه ، معلناً العدول عن (وهم) الأمة العربية الواحدة ، ولتعش كل دولة عربية داخل حدودها ، وتحت رايتها ، تختار من النظم ما تشاء ، وتبنى علاقاتها فى المجتمع الدولى كما تهوى وتريد ، لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا يسال حميم حميماً ، ويستريح الجميع من مؤتمرات ولجان لا تعقد إلا لتنفض ، دون أن تشفى علة أو تروى غليلا ...

ب - وإما أن نرفض الفناء ، ونحترم ماضينا ومستقبلنا ، باجراء تغييرات شجاعة حرة الارادة ، فى هذا الحاضر التعيس الذى نعيشه اليوم ، تغييرات لحمتها وسداها الفكر الاسلامى الصحيح العقلانى الذى لا تحتكره الفئة الواحدة ، ولا يسيطر عليه المذهب الواحد الضيق ، فى دستور شامل لكل اقطار الأمة العربية ، تمهيداً لوحدتها على مراحل ، ويكون هذا الدستور هو الاطار المستخرج من القرآن الكريم والسنة الصحيحة المشرفة ، والذى يظلل كل نظم الحكم فى كل الأقطار العربية بمختلف أنماطها ، ويكون مدار (حرية الرأى الاسلامية) حين النقد أو التوجيه أو تسليط الضوء على الخطأ والصواب بصحافة مسلمة صادقة لا تخشى فى الحق لومة لائم ولا تسبح إلا بحمد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن سلك طريقهما من الحكام .

ويبدأ الاصلاح ، فى اعتقادنا كما يلى :

١ - انتقاء جماعة من أهل الفقه والرأى والعلم من كافة الأقطار العربية ، من المشهود لهم بالخلق الحسن والعقل المستنير وعدم التبعية لأية جهات أجنبية شرقية أم غربية أم خفية ، وهؤلاء عليهم صياغة (الصفات) التى تجعل من هذه الأمة العربية (شيئا) له مواصفات يحترم بها بين الناس ...

٢ - اعلان الوحدة ، على اختلاف النظم ، فوراً بين أقطار الأمة العربية المتاخمة فى الأقاليم المتجاورة التالية :

أ - الجزيرة العربية ، المملكة العربية السعودية وامارات الخليج جميعاً ، وسلطنة عمان واليمن جنوبه وشماله ، والصومال وجيبوتى .

ب - العراق والشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن)

ج - مصر والسودان وليبيا .

د - دول المغرب ، تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا .

لتصبح هذه الوحدات الأربع ، وحدة واحدة متكاملة بعد فترة ، لا يحكمها رجل واحد ، بل تحكمها مؤسسات من الرجال المسلمين ، هذا ملك وهذا رئيس وهذا أمير ، متساوين أمام الحق والواجب يسعى بذمتهم أدناهم ، وتكون رئاسة الجلسة للأكبر سناً أو من ينيبه ، والحكم أمانة بينهم وليس مغنماً دنيوياً .. على أن يواكب هذه المرحلة انشاء مؤسسات عربية ، اسلامية الفكر والفلسفة لصناعة الأطر والقواعد ، النافعة لكل الأقطار العربية ومستقبلها فيما يلى :

١ - الزراعة والثروة الحيوانية ، بما يكفل ألا يجوع قطر عربى ولا يعرى ولا يستورد طعامه .

٢ - الثروة المعدنية ، بحيث لا نصدر خاماً إلا بعد أن نصنعه مرحلة على الأقل .

٣ - الثروات البحرية ، بحيث نأكل من البحر والنهر لحماً طرياً ونتخذهما سبل مواصلات بكل فعالية ، وبأساطيل نصنعها نحن ونمتلكها نحن .

٤ - الطاقة ، بحيث لا نظل موضع صدقات العلم والتكنولوجيا الأجنبية لاسيما فى الطاقة الشمسية .

٥ - الاقتصاد ، بحيث يكون خيرنا لامتنا أولا ، ولا يكون مالنا فى يد أعدائنا على الدوام

٦ - الصناعة ، بحيث يركب الانسان العربى سيارته التى أبدعتها أدمغة وأيد عربية ١٠٠٪ .

٧ - إعمار الصحارى ، بحيث لا يعيرنا أحد بأن (غيرنا) أقدر منا على تعمير الصحراء ...

٨ - البحث العلمى ، بحيث نعيد فعلا لا خيالا أيام ابن سينا والرازى وابن الهيثم والبيرونى .

٩ - التربية والتعليم والثقافة ، بحيث تصبح أمة أول ما فى كتابها (اقرأ) أمة غير أمية ولا محرومة من القلم والكتاب كما هى حالنا الآن .

١٠ - السياسة الخارجية ، بحيث تكون كلمتنا واحدة سراً وعلناً ...

١١ - الاعلام والرأى ، بحيث لا نقول إلا الصدق ، ولا نحجر على رأى ، بل نقارع الحجة بالحجة فى إطار ، كما أسلفنا ، من الاسلام وفلسفته ...

١٢ - الدفاع ، بحيث نذود عن حياضنا ، وننهش عن كرامتنا ، ونذب عن أرضنا ، ونربى جندنا على أن الموت خير من حياة الذل والتبعية وأن نعلم يقيناً ، أن هذا الجند لن يقبل على الموت والشهادة ، إلا بعد أن يطمئن الى أن قيادته تعمل فى ظل فلسفة لحمتها وسداها الاسلام ، وعند ذلك سوف يحترمنا التاريخ ، وتصبح لنا (الصفة) التى تضعنا فى مكاننا على سطح الأرض ...

درويش مصطفى الفار

## مائة سنة مجيدة ولكن ...

# دور العمائم في تاريخ مصر

بقلم : فتحي رضوان

في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ م دخلت الجيوش البريطانية ، القاهرة ، بقيادة الجنرال ولسلي ، وبذلك بدأ عهد يقطر عاراً ، ولكن مع ذلك تزاوجت فيه مع وقائع الهزائم ، مواقف البطولة ، ومشاهد التضحية ، ولمحات من العمل العظيم ، وبوارق العبقرية المشروعة ، وانبثاق الأفكار المجيدة ، والمحاولات الرائعة .

وبعد قليل ، أى بعد نحو شهرين فقط ، يدور الزمن دورة كاملة ، ويبدأ قرن جديد ، بكارثة أخرى ، أوقع فى نفوس أهل هذه المنطقة التى نعيش فيها ، وأقسى عليهم من كارثة الاحتلال البريطانى ، وهى كارثة اتساع نطاق العمل الصهيونى ، ونجاحه المتوالى ، ونكوصنا على أعقابنا أمامه ، وعجزنا عن رد عاديته .

وهذه المائة من السنوات ، ولو ضقنا بما جرى فيها ، وخجلنا من أكبر احداثها ، وتطور الزمن فيها ، إلا أنها حقبة من أكبر حقب التاريخ المصرى والعربى خصوبة وامتلاء بارهاصات مستقبل حاسم ، ستتغير فيه صورة الوطن العربى ، تغيراً يخرج منه شعب جديد ، غاية الجدة ، برىء من آفات التواكل والعجز والضعف والجهل ، والخوف من الآخرين ، والتسليم بالأمر الواقع ، ومواجهة المشكلات بالكلام ، وإساءة الظن بالناس .

ولاتحسبن أنى ساكتب موعظة ، أعزى بها نفسى عن سوء حالنا اليوم بوصف آمال براقة وأحلام أخاذة ، قد لا يتحقق منها شىء ، بل إننى ساتناول هنا ، موضوعاً آخر لا يمت الى هذه الأمانى التى تأسو الجراح ، وتهدىء الأوجاع ، فاننى أرى أن المائة سنة الماضية ، تستحق أن نتناولها بالتحليل .

### رجال .. ومواقف

وقبل أن نبدأ التحليل ، نحاول عملية مسح شاملة ، تحصى جميع الأعمال والمواقف ذات التاثير الحاسم فى حياتنا ، ثم عملية إحصاء للشخصيات الكبيرة التى لعبت أدواراً كبيرة على مسرح العمل العام ، سواء كانت من المرضي عنهم ، والمقر بفضلهم ، أو المغضوب عليهم والضالين ، على ألا يقتصر هذا الاحصاء على رجال السياسة وحدهم ، بل يجب أن تتسع دائرة الاحصاء فتشمل رجال الفكر : أدباء ، وفنانين ، ورجال تربية وتعليم ، ورجال ثقافة عامة ، وصحافة ، ورجال اقتصاد ومال ، ورجال حرب وأعمال ، ثم نقوم بعملية إحصاء للمواقف التى نراها قد غيرت وجه التاريخ فى بلادنا ، ومقدمات هذه المواقف ، ونتائجها ، ثم نقسم هؤلاء جميعاً الى فئات وطوائف من حيث وسيلة عملهم ، وزمان ظهورهم ، وتربيتهم بين أشباههم وأندادهم ، من حيث الظهور وبعد الصيت ، وخفاء الأثر ووضوحه ، ومن حيث قربهم من الشعب وبعدهم عنه .

ثم نحصى العقبات التى اعترضت سبل الشعب ، وأسبابها ، وما كان منها من أثر العصر ، وما كان منها من عمل الأعداء ، وما كان منها من اهمالنا وسوء تدبيرنا وقلة حيلتنا .

وقد كنت على وشك القول بانه من الأفضل أن تنهض بهذه المهمة لجنة كبرى ، تتفرع عنها لجان ، تختص كل منها بفرع من فروع حياتنا ، لولا إننى سيىء الظن باللجان ، وبقلة جدواها ، حتى ولو ضمت أكبر العقول ، وأعظم الشخصيات ، فاكثر الفحول ، لا يحسنون العمل مع غيرهم ، وإن اتقنوه وحدهم ، وإن انفردوا بالعمل قد تغلبهم ارتباطاتهم الشخصية ، وأعباؤهم الفردية .

فالأمثل أن نعلن للناس ، أبواب العمل الذى نتمنى القيام به ، وندع لكل ذى همة ومروءة وموهبة وأريحية ، أن يخصص جانباً من وقته ، وأن يقف عليها قدراً من اهتمامه وعنايته ، مستعيناً بغيره ، أو مكتفياً

بمواهبه ، وحسن استعداده ، ويقدمه لجهة ما لنشره ، مع مقدمة لشخصية أدبية أو علمية ، تبين الهدف العام من الأعمال المتشابهة ، واتصالها بعضها ببعض ، وقد يكون لهذا العمل ، إن كتب له النجاح فى مصر أن يكون له أثره فى سائر البلاد العربية ، فيجتمع بين أيدينا وثيقة شاملة ، تعكس لنا صورة العالم العربى ، فى المائة سنة الماضية ودواعى النجاح ، وأسباب الفشل ، والأسماء الكبيرة التى ظفرت بالاعجاب والتقدير ، والأعمال الكبيرة التى تمت ، والأعمال الكبيرة التى لم تتم ، والأعمال التى تعتبر صغيرة ، لأنها ماتت فى المهد ، أو لم يسمح لها إلا أن تخطو القليل ، ثم تركد وتخلد الى الكسل .

ويخيل إلي ، أننا لم نصطنع الأسلوب التقليدى ، فى تصنيف الرجال والأعمال والمشروعات .

فمثلا أنا اقترح بابا من أبواب هذا البحث الشامل ، عنوانه «أثرذوى العمائم فى مصر» . وعلى الرغم من أننى لم أستعد لهذا الفصل ، إلا أننى سامضى فى المحاولة ، كمجرد نموذج ، لما أعنيه من التجديد فى التصنيف .

واعتمد على الله فاقول :

يحسب اكثر الناس أن تاريخ مصر ، صاغته أيدى رجال ، طلبوا العلم فى المدارس المصرية المدنية ، فى درجاتها الثلاث :

الابتدائية ، والثانوية ، والعليا ، وأنهم كانوا علمانيين ، لا ينتسبون الى معاهد العلم الدينى ، ولا يحسنون التعبير عن أنفسهم ، منهم ممن يحفظون القرآن ، أو ممن حفظوا جانباً منه ثم نسوه ، وممن درسوا الحديث ، وتعلموا كيف يميزون بين ما كان منه حسناً وما كان ضعيفاً ، وما كان منكراً ، ثم طوحت بهم الأقدار الى دنيا إخوانهم ممن حصلوا العلم فى مدارس الحكومة ، التى لم تكن تلقن من الدين إلا أقل القليل ، ولم تكن تعنى باللغة العربية إلا الى الحد الذى يعين الطالب على معرفة القواعد الأصلية ، فيرفع الفاعل وينصب المفعول ، ويعرف الفرق بين اسم كان وخبرها واسم إن وخبرها ، ثم يجهل ما وراء ذلك جهلا تاماً .

ولكن عند التامل فى تاريخ مصر الحديث الذى يبدأ منذ ولى محمد علي سدة الحكم سنة ١٨٠٥ م ، أو منذ وفد الى مصر نابليون بونابرت ، القائد الفرنسى الشاب فى أعقاب الثورة الفرنسية ، التى وقعت فى سنة ١٧٨٩ م على رأس جيش لا هو بالضخم ، ولا هو بالضئيل ، والذى ضم فيمن ضم جيشاً أصغر منه بكثير من علماء فرنسا ، وفنانيها


عمر مكرم

ومؤرخيها ، كان أخطر من الجيش المحارب ذاته ، وقد وصل الجيشان الى ميناء الاسكندرية فى ٣ يوليو ١٧٩٨ م أى بعد اندلاع الثورة بتسعة أعوام .

اتصلت مصر بأوروبا ، إذ اتصلت بجيش فرنسا ، وكان اللقاء أول الأمر مصحوباً بالوحشة والتوجس والانقباض ، فقد كانت مصر فى ظل الحكم العثمانى معزولة عن العالم تماماً ، لا تدرى من أمره - ولاسيما الجانب الغربى منه - أقل القليل . فاذا بأوروبا ، تدفع ببضعة آلاف من شبابها ورجالها ، يجوسون خلال الديار ، ويقيمون بين ظهرانى المصريين ، ويؤرخ لنا ابن الأزهر عبد الرحمن الجبرتى ، فى كتابه النادر «عجائب الأخبار فى التراجم والأخبار» وقائع وانباء هذه الملحمة الكبرى ، ملحمة اتصال المصريين ورثة الحضارات والثقافات بأوروبا الحديثة ، التى بدأت تنشىء حضارة جديدة وتقتبس ثقافة لنفسها من ثقافات مصر والعرب ، التى علمت الناس وهذبتهم قروناً عديدة .

إذا تأمل الانسان فى تاريخ مصر الحديث ، منذ بدأ ، حتى اللحظة التى نكتب فيها هذه السطور ، ظهرت له حقيقة غريبة ، وهى أن مصر الحديثة ، صاغها وصورها وألهمها بالفكر ، ودعاها الى العمل ، ورسم لها طريق النهضة ، شيوخ لم يتخلوا عن العمامة ، ولا عن الجبة والقفطان ، وحرصوا على أصول الحياة القديمة فى الدار وفى خارج الدار ، فأكلوا وشربوا ، وتبادلوا أحاديث الأنس ، على النسق الذى حرص عليه وتابعه آباؤهم وأجدادهم ، وان هؤلاء الشيوخ ، على شدة حرصهم على سالف العادات ، وقديم المناهج ، كانوا قادة حركات تجديد ، ورواد نهضات تحرر ، وباذرى جذور ثورة ، وطليعة عهد جديد . وأنهم ثاروا وتمردوا ، واصطدموا


محمد عبده

بقوى أكبر منهم ، ولكنهم لم يتزلزلوا ولم يتخلوا عن رسالتهم ، ولم يداخلهم الخوف ، أو يتسرب اليهم الشعور بالنقص .

## المعممون فى كل مجال

وقد يحسن أن نكتب ثبتاً بهؤلاء الشيوخ المعممين ، والثوار والرواد والمحررين ، فوجود أسمائهم ، بعضهم الى بعض ، يبرز الصورة التى نريد أن تلفت السمع والبصر ، وهم على الترتيب :

- السيد عمر مكرم أفندى نقيب الأشراف .
- الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى إمام بعثة الشبان المصريين بفرنسا .
- الشيخ محمد عبده محرر جريدة الوقائع المصرية .
- الشيخ عبد الله النديم الصحفى وخطيب الثورة العرابية وكاتبها .
- الشيخ عبد العزيز جاويش محرر جريدة اللواء - جريدة الحزب الوطنى - حزب مصطفى كامل .
- الشيخ علي يوسف باشا منشىء ومحرر جريدة المؤيد .
- الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى المحرر بجريدة المؤيد والموظف بمجلس النواب .

وبوسعك أن تضيف اليهم شيخاً معمماً ، اتقن علوم الاسلام ، وكان فى الصدر من شيوخ هذا الدين ، ونعنى به السيد جمال الدين الافغانى ، لولا أن إقامته فى مصر لم تطل ، ولولا أنه لم يكن من شيوخ مصر ، وإن تأثر به وحاكاه ونهج منهجه ، عدد ضخم من رواد الثورة فى مصر .

فاذا أردت أن تضيف - غير متجن على الواقع - عدداً من شيوخ الأزهر ، الذين غيروا زيهم ، والتمسوا العلم ، فى مدارس الحكومة

الحديثة ، وحاكوا أهل الغرب ، ولم يعد أحد يناديهم بلقب الشيخ ، إلا تطرفاً ، وتذكيراً بالماضي المنسي ، فان الترتيب سيطول ، وإن كان يضم عدداً من أضخم الزعماء تأثيراً على عقول الأجيال التى عاصرتهم ، والتى جاءت بعدهم ، وفى مقدمة هؤلاء : علي مبارك وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوى ، وطه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، وحسن البنا ، وسيد قطب ، ومحمد الههياوى ، وصادق عنبر ، وعلي الجارم ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومحمد عبد الحليم عبد الله .

وإذا بعدت قليلا عن دنيا الأدب والفكر الى دنيا الفن ، لوجدت أن أكبر مطربى مصر ، وصانعى الحانها ، ومجددى موسيقاها ، يحملون لقب شيخ ، وقد بقي هذا اللقب لصيقاً بهم ، وهم فى مجالات الغناء والطرب ، وفى قاعات اللهو والمتعة ، وكان أولى بهذا اللقب الا يفارق أهل القلم أمثال طه حسين ، وأهل البيان أمثال سعد زغلول وابراهيم الهلباوى ، ولكنه هاب السلطة فائر البعد ، وبقي كبار مطربى مصر بلقب الشيخ ، ينادون به دائما أمثال : الشيخ سلامة حجازى والشيخ سيد درويش والشيخ زكريا أحمد والشيخ محمد أبو العلا ، والشيخ سيد مكاوى . ولا يفوتنك أن بيرم التونسى ، الذى بعث بقصائده وأزجاله وفكاهاته ودعاباته ، الروح فى الأغاني المصرية ، والروايات الغنائية (الأوبريتات) ، ومقالات الدعابة والنقد الأدبى والاجتماعى والهجو السياسى بدأ حياته أزهرياً فى معهد دينى بالاسكندرية لعله معهد الشيخ ابراهيم باشا .

## السيد عمر مكرم

ولنبدأ بأول أبطالنا المعممين السيد عمر مكرم ، وكان أزهريا قحاً ، ر ن المنصب الذى يشغله ـ هو نقابة الأشراف ، أى أبناء وأحفاد رسول الله ـ منصباً دينياً .

ولد السيد عمر مكرم فى أسيوط سنة ١٧٥٥ م على ما يستنتجه مؤرخه المرحوم فريد أبو حديد وقد تعلم فى الأزهر ، وتخرج فيه ، وقد كانت له عناية بقراءة كتب الدين والفقه ، واقتنى مكتبة كبيرة ، لايزال جزء منها فى دار الكتب المصرية يحمل اسمه .

ولست انوي أن أروي تاريخ عمر مكرم كله وإن كان تاريخاً يتضوع منه عطر الجهاد ، فى حلقات متصلة بعضها ببعض ، لم تدع له سبيلا الى الراحة ، فمنذ جاء الفرنسيون الى مصر ، بقيادة بونابرت ، وعمر مكرم هو زعيم مصر غير منازع ، وهو لا يقنع بتزعم الجماهير والتصدى لمخاطر مواجهة الأعداء الأجانب ، المدججين بالسلاح ، والمدربين على القتال ، بل إنه تحمل أعباء توجيه السياسة ، والخوض فى دروبها الضيقة ، ومعاناة السير فى مآزقها المحرجة ، فهو لا يهادن الفرنسيين ، كما فعل كل أعيان مصر ، أمثال السادات والشرقاوى ، وبقى عمر مكرم ـ بعد وصول الفرنسيين الى القاهرة ـ خارج مصر ، رافضاً أن تتم بينه وبين الفرنسيين هدنة على الرغم من شدة رغبة الفرنسيين فى عودته ، حتى يطمئن نفوس المصريين ، وبقى عمر مكرم يتنقل من موقع الى موقع ، وهو روح المقاومة ، فمن المنصورة الى يافا ، فلما أخطأ نابليون وقتل من أهل يافا ستة آلاف ، رأى نفسه عاجزاً عن مواصلة القتال ، ومد يد الصلح والمسالمة للسيد عمر مكرم ، ورجاه أن يعود الى القاهرة مكرماً معززاً ، ولم يأت الى مصر إلا بعد أن ثارت القاهرة ثورتها الباهرة فى أكتوبر ١٧٩٨ م بقيادة رجل الدين بدر الدين المقدى الذى كان يتلقى رسائل عمر مكرم وهو فى يافا ، يحرض الجماهير على الجهاد ، ويرسم الخطط ، فلما أجبر على العودة ، كان يتصور انه قادر على النفخ فى رماد الثورة ، وأن يؤلب جموع الشعب ضد الأعداء المغيرين ، فلما لم يجد الاستجابة التى كان يمنى نفسه بها ، عاش فى عزلة ، بعيداً عن الناس لأنه لم يكن يقبل ان يتصل ويعايش إلا قوما يدفعون عن وطنهم العدوان وقد بقى عمر مكرم ، بعيداً عن قائد الفرنسيين بونابرت ، وقواد الحملة الفرنسية ، لا يتودد اليهم ، كما فعل سائر العلماء، الفرنسيون لا يرضون عنه ، ولا يستطيعون أن يمسوه لعلمهم بعظم مقامه ، حتى اضطروا الى مغادرة مصر سنة ١٨٠٠ م ، بعد ثورة مارس التى تلت ثورة أكتوبر ، ولما خلت مصر من الأعداء الفرنسيين ، تهيأ للاستيلاء على السلطة فيها ملوك المماليك ، أسوأ حكام عرفهم تاريخ الأمم ، وولاة تركيا الذين كانت تبعثهم ليمثلوها ، ويحكموا مصر على الرغم من أهلها ، وطليعة الغزو الانجليزى التى كانت أساطيله بقيادة سدنى سميث ، ثم نلسون ، تجوب البحر الأبيض المتوسط ذهاباً وعودة .

وكان عمر مكرم فى هذه الغابة المليئة بالأسود والنمور والذئاب والكلاب ، وكان وحده لا يؤيده ، ولا يسد أزره إلا إيمانه بوطنه ودينه ، وما حباه الله به من مواهب الزعيم الصلب ، والسياسى الموهوب ، فراح يشق طريقه فى هذه الطرق الملتوية ، حتى هداه الأمر الى أن خير الرجال فى هذه اللحظة الحرجة ، هو قائد الفرقة الألبانية الموفدة من تركيا ، ليستتب الأمن ، فقد رأى فيه ضبط النفس ، ونفاذ البصيرة ، وقوة الارادة ، فقرر أن يختاره حاكما لمصر ، دون معرفة سابقة ، ولا صلة قائمة ، فايده ، وقام بعمل لا يكاد يتصوره قارىء لتاريخ هذه الفترة ، فقد أثار الشعب على والى تركيا ، ومندوب السلطان ، خليفة المسلمين ، ورفض أن يذعن لأمر هذا الوالى الذى عزل محمد على قائد الفرقة الألبانية ، فجمع عمر مكرم الشعب فى مظاهرة مستمرة فى دار المحكمة الشرعية ، وأمر بمحاصرة الوالى فى القلعة ، فقام أفراد الشعب بهذا الحصار ، الذى لم تشهد مصر شيئاً مثله ، وكانت المواجهة بين وال يمثل السلطة الشرعية المتمثلة فى شخص الخليفة والسلطان والمؤيد بالجيش والسلاح ، وبين الشعب المصرى ، شعب الفلاحين الأعزل ، يقوده عالم من علماء السياسة ، لم تتح له فرصة قيادة الجيوش ، ولا مفاوضة الحكام ، ولا تنظيم الجماهير الثائرة ، ولكنه استطاع أن يواجه فى وقت واحد : الأمراء المماليك ، وقادة الفرق العسكرية الأخرى الطامعة فى الحكم ، وبقية الجيش الفرنسى ، ومطامع بريطانيا . واستطاع فوق مواجهة القوى المتلاطمة ، أن يجعل من جبهة الشعب قوة ، لا تنفذ منها دسائس الأقوياء المسلحين ، ونادى بمبايعة محمد علي فى المحكمة الشرعية ، وهتفت جموع الشعب فى دار المحكمة بتأييد هذا الاختيار ، وتم اختيار محمد على بوثيقة وقع عليها قاضى المحكمة الشرعية ، وتعهد فيها محمد علي بأن يحكم مصر بشروط الشعب المتمثل فى علمائه الذين كان يتزعمهم السيد عمر مكرم .

ولما تولى محمد علي الحكم ، كان يمكن أن يكون عمر مكرم هو أقرب الناس للحاكم الجديد ، وأن يكسب من وراء ذلك السلطة ، ولكنه لما رأى أن (محمد علي) انحرف ، وأراد أن يستبد بالسلطة ، وأن يخرج على الميثاق المحرر بينه وبين الشعب ، تحاشاه وبعد عنه وأطلق لسانه فى نقده ، فصبر (محمد على) قليلا على (عمر مكرم) أولا لاحساسه بدينه له وبمركزه عند الناس ، ولكنه اضطر آخر الأمر أن ينفيه الى دمياط ، ولم يعد الزعيم الشيخ ، العالم المسلم المجاهد ، إلا بعد أن تقدم به السن ، وبعدت به الشيخوخة عن القتال ، إلا أنه كان طليعة الشيوخ المعممين الذين صاغوا مصر الحديثة .

وسأكمل الحديث باذن الله ، عن سائر هذه الكوكبة الرائعة من أهل الفكر والقلم ، فى المقال التالى .

فتحى رضوان

بقلم: عصام شريح


اريئيل شارون

# شارون

## مهندس المذبحة في لبنان

### وزير الدفاع الاسرائيلي يقول لليهود: ارفعوا صوتكم واضغطوا على العالم في كل مكان

**فى ٢٢ حزيران ( يونيو ) الماضى اكمل الجنرال أريئيل شارون سنة كاملة كوزير للحرب فى الكيان الصهيونى ، وفى السادس من الشهر الماضى نفسه أيضا ، شن شارون حربه الوحشية على لبنان ، التى استهدفت بلوغ غايات عديدة ، ليس أهمها تدمير منظمة التحرير الفلسطينية كقوة عسكرية وسياسية ، وإنما إظهار اسرائيل فى موقع الدولة العظمى ، التى بات عليها ان تتصرف فى منطقة الشرق الأوسط ، بل وفى العالم على هذا الأساس !!**

طرح شارون افكاره السياسية والعسكرية فى مناسبات عديدة ، كان أهمها ذلك الخطاب الذى كان مقررا ان يلقيه فى كانون الثانى ( يناير ) الماضى فى صيغة محاضرة عن مشكلات اسرائيل الاستراتيجية فى الثمانينات فى افتتاح ندوة معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب ، لكن بسبب النقاش الذى جرى فى الكنيست الاسرائيلى آنذاك بخصوص قانون ضم هضبة الجولان السورية المحتلة ، لم يلق شارون تلك المحاضرة ، إلا أن الصحف الاسرائيلية قامت بنشر أهم أفكارها وفقراتها .

وفى الواقع فان الافكار التى وردت فى تلك المحاضرة كانت وما تزال من الاهمية بمكان لأنها تكشف ببساطة ودون مواربة أو لف ودوران ، عن النوايا التى نفذت ضد لبنان وحركة المقاومة الفلسطينية وقوات الردع العربية فى لبنان ، اضافة الى افكار أخرى تكشف عن مدى المطامع الاسرائيلية ، والخطط المرسومة للتوسع فى الأراضى العربية وانشاء اسرائيل الكبرى التى يقطنها خمسة عشر مليون يهودي حتى مطلع القرن القادم .

وقد حاول شارون ان يقدم نفسه كرجل مرحلة تاريخية فاصلة ، وفى هذا الاطار قالت صحيفة « عل هامشمار » الصهيونية ، ان الخطاب مهم لأن « وزير الدفاع » يعرض فيه « مبدأ شارون » ، اى ان وزير الحرب الاسرائيلى حاول ان يدخل التاريخ من باب المبادىء كما هو الحال مع « مبدأ مونرو » الذى اعلن فيه رئيس الولايات المتحدة ان امريكا الجنوبية هى منطقة نفوذ امريكى ، وأنها ــ اى الولايات المتحدة ــ لن تسمح للدول الأوروبية العظمى بالتدخل فى هذه المنطقة ، كما حدد « مبدأ ترومان » بعد الحرب العالمية الثانية مناطق النفوذ الامريكى فى جنوب أوروبا ، والتى شملت دولا مثل اليابان وتركيا . وعالم الدبلوماسية حافل بمبادىء من هذا النوع ، منها « مبدأ بريجنيف » الذى يبيح للاتحاد السوفيتى التدخل فى الدول الاشتراكية ، عندما يلوح خطر يتهدد أنظمة تلك البلدان ، ثم أخيراً « مبدأ كارتر » الذى قضى بتشكيل « قوات التدخل السريع » الامريكية ، من أجل التدخل عسكريا فى أى منطقة من العالم لحماية ما تسميه الادارة الامريكية مصالح الولايات المتحدة .

فهذه المبادىء حددت مصالح الدول الكبرى ومناطق نفوذها ، وقد حاول شارون ان يقدم اسرائيل على انها دولة عظمى كما وصفها فى الخامس والعشرين من الشهر الماضى ، وذلك من ضمن ما يوصف بـ « مبدأ شارون » ، كما ذكرنا سابقاً . وبحسب مفهوم شارون ــ وهو مفهوم مبسط الى درجة شديدة ــ فان المقولة التى تتردد على لسانه هى أن على اسرائيل ان تعترف بما يسميه بـ « القوة الهائلة الكامنة فيها ، وأن تتخلص من ظاهرة إلغاء الذات » .

# شـــارون

## مهندس المذبحة في لبنان

ويشرح شارون فكرته هذه فيشير الى أن في استطاعة اسرائيل ان تفعل أكثر مما فعلته في السابق ، بشرط ان تختار التوقيت السليم لتنفيذ خططها ومشاريعها .

واذا كان شارون يتحدث بلغة الشريك لا التابع مع الدول الكبرى ( مع الولايات المتحدة بصورة خاصة ) ، فانه يتحدث الى يهود العالم بلغة القائد الذي يتحدث الى جنوده ، وقد شكلت أقواله في الاجتماع بممثلي الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة الذي عقد في مستوطنة « غوش عتسيون » نموذجاً لطابعه هذا ، فبعد ان تحدث عن ضرورة الهجرة أو ضرورة ارسال اليهود الامريكيين ابناءهم للدراســة في اسرائيل . طلب شـــارون منهم مؤازرة سياسية أقوى من تلك التي يقدمونها حالياً وقال : « انني أؤمن انه يتوجب على ابناء شعبنا ( اليهود ) في كل مكان في العالم ان يرفعوا صوتهم ، وان يعربوا عن آرائهم ، وحتى ان يمارسوا الضغوط على الدول التي يقطنون فيها ، ولا يختلف الأمر اذا كانت تلك الدول صغيرة أو كبيرة ، فنحن ننتمي الى أمة كبيرة رغم انها صغيرة في عدد ابنائها ، ولنا الحق في مطالبة العالم بكل شيء ، وكيهود ، فنحن لسنا مدينين بشيء لأي كان ، فالعالم هو المدين لنا كثيراً » !!

ان لهجة الغطرسة الصهيونية تبدو واضحة في كلام شارون المتقدم لكن الصورة تبدو أكثر إثارة وخطــورة اذا استعرضنا أفكار شارون الأخرى .

فالرجل يقول عن « السلام » ( مع مصر ) انه ليس أبدياً ، « واذا استمر السلام عشر سنوات فسيكون هذا إنجازاً » ، اما « اذا استمر عشرين سنة ـ فسيكون هذا إنجازاً هائلا ، وثلاثين سنة ، فسيكون حلماً » .

وهذا الكلام واضح ، فشارون لا يؤمن بالسلام إلا كمرحلة ، تمنح المحارب فترة للاستراحة وتجميع القوى من أجل الانقضاض ثانية حين تلوح الفرصـــة المناسبة .

## التحدي العربي

في محاضرته التي لم تلق ونشرتهـــا الصحف الاسرائيلية ، يسفر شارون عن وجهه العدواني بشكل أكبر مما تقدم ، ويظهر هذا الوجه ، عندما حاول تحديد ما اسماه « بالاخطار الخارجية التي تتهدد اسرائيل » ، وقد سمى مصدرين لهذه الأخطار ، أولهما المواجهة مع الدول العربية ، والثاني ما اسماه « بالتوســع السوفيتي » في الشرق الأوسط ، وبالنسبة للمصدر الثاني ، فان شارون يريد وضع اسرائيل ضمن المعادلة الغربية في التصدي للاتحاد السوفيتي نفسه ، ليس في الشرق الأوسط فحسب ، وانما على مدى العالم كله ، مما يظهر اسرائيل في اطـــار دولة عظمى .

اما بالنسبة للتحدي العــــربي ، أو المواجهة مع الدول العربية ، فان هذا التحدي يكمن أولا فيما يسميه شـــارون بـ « الايديولوجيا القومية » لبعض الدول العربية ، وطموح هذه الدول السياسي والاستراتيجي الذي يدفعها الى اعطـــاء اولوية في جهودها لخلق أرضية سياسية ـ عسكرية ، تستهدف بنـــاء استراتيجية ممرحلة سياسياً وعسكرياً بهدف القضاء على « دولة اسرائيل » .

وقد حدد الجنرال شارون الأسس الرئيسية للاستراتيجية العربية الممرحلة هذه ، وقال انها تشمل جهداً مشتركاً لتحقيق ضغط سياسي متواصل ضد اسرائيل ، وعند الضرورة ، شن عملية عسكرية محدودة ، هدفها « ازعاج » اسرائيل وإضعافها ، ثم انشاء قوة عسكرية تقليدية ، وغير تقليدية في نهاية المطاف ، تستغل في ظروف ملائمة في المســتقبل للانقضاض بشكل حاسم على اسرائيل . وبين هذه الأسس التي حددها شارون لبناء استراتيجية عربية ضد اسرائيل ، استخدام التأثير السياسي ـ الاستراتيجي لسلاح النفط الى الحد الأقصى ، ثم دعم منظمة التحرير الفلسطينية سياســـياً وعسكرياً ، كأداة لتنفيذ عمليات فدائية ، وخاصة في غياب إجماع وتضامن عربي على خوض حرب ضد اسرائيل .

اما العامل الثاني في استراتيجيـــة التحدي العربي ، فهو منظمة التحـــرير الفلسطينية وما تشكله المنظمة من تهديد كامن بالنسبة الى جوهر وجود اسرائيل من جهة ، وما تشكله من عقبة رئيسية امام حل « المشكلة الفلسطينية » على اساس اتفاقية كامب ديفيد ـ اي اقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين حسب المفهوم الاسرائيلي الذي يرفض الاعتراف لعرب الضفة والقطاع بحق تقرير المصير ، أو حق السيادة على ارضهم ، ويقرر ان السيادة عليهما هي السيادة الاسرائيلية .

## اسرائيل العظمى

وازاء هذه التحديات التي تواجه الكيان الصهيوني ، فان الجنرال أريئيل شارون يحدد الخطوط العامة لما يتوجب على اسرائيل ان تفعله ، وفي بعض الأحيان يدخل في التفاصيل .

يقول شارون في هذا الصـــدد ان الاستراتيجية الاسرائيلية يتوجب ان تنطلق من منظار تأثر مصـــالح « أمن اسرائيل » بتطورات « واحداث » تتجاوز منطقة المواجهة المباشرة مع الدول العربية والتي كانت مثار الاهتمام في الماضي . ويطالب بأن تتسع اهتمامات اسرائيـــل الاستراتيجية لتشمل مجالين جغرافيين اخرين يتسمان بأهمية امنية لاسرائيل ، وهما :

أولا : الدول العربية الواقعة خلف دول المواجهة ( اي ما اصطلح على تسميته باسم دول المساندة العربية ) ، التي يقول الجنرال شارون انها تضيف بطاقاتهـــا العسكرية المتزايدة بعداً أكثر خطورة ، الى الخطر المباشر ( اي دول المواجهة ) ، سواء بواسطة إرسال قوات مقاتلة إلى منطقة المجابهة ، أو بواسطة عمليات جـــوية وبحرية مباشرة ، تستطيع تنفيذها ضـــد خطوط المواصلات الجوية والبحـــرية لاسرائيل .

ثانياً : الدول التي تلي دول المســاندة العربية ، والتي قد تؤثر مكانتها وتوجهاتها السياسية ـ الاستراتيجية بمقدار خطر على « أمن اسرائيل » . ويحدد شارون هذه الدول بكلمات أخرى ، فيقول انها الدول الواقعة ما وراء الدول العربية في الشرق الأوسط وعلى سواحل البحرين الأبيض المتوسط والأحمر ، ويضيف أن على

اسرائيل أن توسع مجال اهتمامها الاستراتيجي والامنى بحيث يشمل فى الثمانينات دولا مثل تركيا وايران وباكستان ومناطق مثل الخليج « الفارسي » ـ كذا ـ وافريقيا ، وبشكل خاص دول افريقيا الشمالية والوسطى !!

وهذا يعنى ان شارون يريد ان ينقل خطوط المواجهة الى ما وراء العالم العربى الذى يعتبره منطقة نفوذ وتوسع اسرائيلية ولم يترك وزير الحرب الاسرائيلى مجالا للتكهنات فى هذا المجال ، بل انه قدم لنا تفاصيل ، يمكن صياغتها بكلمات أخرى : «ان خط المواجهة بالنسبة لاسرائيل يمتد ما وراء الدول العربية فى الشرق الأوسط ، وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وينبغى على اسرائيل ان توسع مجال اهتمامها الاستراتيجي بحيث يشمل دولا مثل تركيا وايران وباكستان والخليج العربى والدول الافريقية ، اى ان شارون يتصور الامبراطورية الاسرائيلية ـ كما تقول صحيفة « عل هامشمار » ضمن الحدود التالية : الصين فى الشرق ، والاتحاد السوفيتي فى الشمال ، والجزائر والمغرب ، وكينيا أو جنوب أفريقيا فى الجنوب . ولتنفيذ هذه الاستراتيجية المعبرة عن « جنون العظمة » ، فان شارون ينادى بان تحافظ اسرائيل على توازن عسكرى مبنى على تفوق نوعى وتكنولوجى واضح على الدول العربية ، وهذا الأمر يوجب على اسرائيل ان تعتمد على قدراتها الذاتية لتطوير وانتاج الأجهزة الحيوية لتأمين « تفوقها النوعي وأمنها » وان كان ذلك يلقى عبئاً هائلا على موازنتها الدفاعية واقتصادياتها ، لكن شارون يضيف انه يترتب على اسرائيل لتخفيف اعبائها الدفاعية زيادة صادراتها الى حلفائها ( أو بالاحرى حاضنيها ) ، ثم منع تقويض ما يسميه شارون « الوضع العسكرى الاقليمي الراهن فى الدول المجاورة » ـ أى الوضع فى شبه جزيرة سيناء وفى لبنان ، واضافة الى ذلك يقول شارون ان اسرائيل ستمنع اى تغيير فى الوضع الجغرافى ـ العسكرى مع دول المواجهة العربية ( مصر ـ سوريا ـ الأردن ـ لبنان ) قد يؤدى الى خطر لا يحتمل ، مثل إرسال كثيف لقوات عراقية الى الأردن ، أو الى جنوب سوريا ، أو ارسال قوات سورية الى الأردن .

أما المنطلق الثالث فى الاستراتيجية بمنظار شارون ، فيقضى بمنع دول المواجهة « أو دول مواجهة محتملة » من الوصول الى السلاح النووى ، ويقول فى هذا الصدد ان امتلاك الدول العربية أو دولة اسلامية كباكستان لسلاح نووى يمثل شأنا « مصيرياً » بالنسبة لاسرائيل . وفى هذه المنطلقات الثلاثة لا ينسى شارون ان يعترف صراحة بان اسرائيل تعتمد فى استراتيجيتها هذه ، بل فى بقائها ووجودها على الولايات المتحدة الامريكية ، ويعترف أيضاً بأن الخطر الكبير على اسرائيل يكمن فى ان تقرر واشنطن أن استثمارها فى المنطقة ( اى اسرائيل ) غير مجد ، ويشير شارون الى ان هناك سوابق امريكية فى هذا المجال ، فقد حدث ان تخلت الولايات المتحدة عن حلفائها فى فيتنام وكمبوديا ... الخ ، ويطالب بوجوب بذل كل شيء من أجل إقناع الامريكيين بالا يصلوا الى اتخاذ قرار كهذا .

## من هو شارون ؟

شارون من مواليد عام ١٩٢٨ فى مستوطنة « كفار ملال » ، وهو متزوج واب لولدين ، وقد بدأ حياته السياسية ـ العسكرية فى منظمة الهاغاناه ، وعمل ناطوراً فى شرطة المستوطنات ، ثم دخل سلاح المدرعات فى عام ١٩٤٧ ، وفى حرب ١٩٤٨ ، اشترك فى معركة الفالوجه ومعركة اللطرون واصيب بجروح فى المعركة الأخيرة . ثم أخذ يتقلب فى مناصب عسكرية مختلفة ، الى أن اجتاز دورة قائد كتيبة ، وضابط استخبارات فى الأركان فى الفترة من ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ . وفى الفترة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ التحق بقسم الدراسات العليا فى الجامعة العبرية فى العلوم الشرقية والتاريخ ، وأكمل تحصيله العلمي فى كلية الحقوق فى جامعة تل ابيب فى عام ١٩٦٢ . وفى عام ١٩٥٦ أصبح قائداً لوحدة المظلات وشارك فى حرب ١٩٥٦ ( العدوان الثلاثى على مصر ) وفى عام ١٩٥٧ أنهى دورة دراسات عليا فى القيادة والأركان فى بريطانيا ، ثم أخذ يتقلب فى مناصب عسكرية متعددة من قائد لمدرسة المشاة الى قائد للواء مدرع ، وفى عام ١٩٦٧ رفع الى رتبة لواء ( جنرال ) . وفى عام ١٩٦٩ عين قائداً للمنطقة الجنوبية حتى نهاية حرب الاستنزاف فى صيف ١٩٧٠ ، وكان لشارون دور رئيسى فى محاربة العمل الفدائى الفلسطيني فى قطاع غزة فى الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، وفى حرب تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٩٧٣ ، قاد شارون عملية ثغرة الدفرسوار ، التى اعتبرت منعطفاً حاسماً فى تلك الحرب لصالح اسرائيل ، ومنذ ذلك الوقت أخذ نجم الجنرال شارون فى السطوع الى جانب قادة اسرائيل العسكريين والسياسيين .

وقبل حرب أكتوبر ، كان شارون قد ترك الخدمة العسكرية النظامية ، وانصرف الى شؤون مزرعته ، ثم قرر دخول الحياة السياسية كعضو فى حزب الأحرار داخل كتلة « غاحل » ، وفى صيف عام ١٩٧٥ ، استجاب لدعوة رئيس الوزراء السابق اسحق رابين الذى عينه مستشاراً عاماً لشؤون الأمن ، لكن خلافاً نشب بين الاثنين مما دفع شارون الى الاستقالة من منصبه ، والمبادرة الى تأسيس حركة سياسية جديدة باسم « شلومتسيون » ، وفاز بمقعدين فى الكنيست ثم انضم إلى حزب حيروت ، واختاره مناحم بيغن وزيراً للزراعة ثم وزيراً للحرب . ورغم ان شارون يعتبر دخيلا على حزب حيروت ، إلا ان افكاره ومعتقداته السياسية وممارساته كوزير تتطابقان مع الخط السياسى لحزب حيروت بالنسبة لمصير الأراضى العربية المحتلة . ويعتبر شارون حالياً صقراً بين صقور حكومة بيغن ، وهذا ما دفع الحركات والتيارات اليمينية فى الكيان الصهيوني ، وفى مقدمتها حركة « غوش ايمونيم » المتطرفة الى التعاطف معه .

## أخيراً ..

فان شارون بافكاره الشوفينية المتغطرسة يكشف عن الواقع النظرى للصهيونية كأيديولوجية ، ويزيح عنها الأقنعة ويعريها تماماً ، كما كشف عنها وعراها على صعيد الممارسة الفعلية على الأراضى اللبنانية ، وكما توحى بذلك خططه العسكرية فى لبنان ، الذى اراده مجالا لتحقيق التفوق العسكرى الاسرائيلى الحاسم ، والانتقال من خلال هذا التفوق الى مرحلة جديدة على طريق اقامة « اسرائيل العظمى » .

عصام شريح

# عاشق بنت السلطان

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

لي بين الشعراء اصدقاء كثيرون . وقد تعلمت من معاشرة اصدقائي الشعراء المعاصرين ومن قراءة سير الشعراء الأقدمين أن الشاعرية قد تكون طبيعة في الشاعر ، وقد تكون موهبة له . وأنه قد تترافق الطبيعة والموهبة عند الشاعر ، وقد تفترقان .

فهذا شاعر له قصائد رائعة ، ولكن نفسه جافية أو أن سلوكه مادى لا يرتفع عن الحضيض ، فهو شاعر بالموهبة لا بالطبيعة . وذاك آخر ضعيف القدرة على ابداع القوافي ولكنه رقيق الحس واسع الخيال نافذ النظرة الى مواطن الجمال ، فهو شاعر بالطبيعة . وهذا الاخير في رأيي أقرب الناس الى الشاعرية الحقيقية وان لم تسر له الشهرة بالنبوغ . هو الشاعر الحق حتى لو أنه لم ينظم بيتاً واحداً .

وأنا أوضح ما أقول بالأمثلة . ولست اقتبس الأمثلة من الشعراء المعاصرين الذين يعيشون بين ظهرانينا ، فاني بذلك أكون كمن يثير على نفسه عش دبابير ، بل أخذ المثل من الماضي . البحترى مثلا كان يقول ارق الغزل وأرشق الوصف في أعذب الألفاظ ، ولكنه كان قذراً زرى الهيئة ، وكان يبصق عن يمينه وعن شماله كلما قال بيتاً معجباً . البحترى إذن شاعر موهبة ، وموهبة عظيمة . وأجمل منه شاعرية شاعر بالطبيعة مثل وضاح اليمن الذى رضى لنفسه أن يطمر حيا في صندوق مغلق في حفرة عميقة لئلا يفضح من يحب ، أو مثل ديك الجن الحمصى الذى صنع من رماد جثة حبيبته كأساً كان يشرب فيها الخمر وهو يبكى تلك الحبيبة .

وقد تجتمع الموهبة الشعرية بالطبيعة الشعرية كما اجتمعت في المتنبي وأبى العلاء المعرى ، فتكون أنذاك الفلتة أو المعجزة . ولكن الاغلب ان تبرق الموهبة حين تكمد الطبيعية ، أو العكس . وبين اصدقائي الشعراء اكتفى دوما من شعراء الموهبة بلقائهم في الحبر على الورق ، اعنى بقراءتهم فيما ينظمون . اما شعراء الطبيعة من اولئك الأصدقاء فهم مقربون الى نفسى ، احب صحبتهم وارتاح الى منادمتهم .

ومن هؤلاء الشعراء بالطبيعة عاشق بنت السلطان الذى أحدثكم عنه في هذه السطور .

• •

عرفت عاشق بنت السلطان في أخريات أيامه ، فقد توفاه الله منذ بضع سنين . وفي أعوامه الأخيرة كان يقضي الليالي في نسخ القصائد التى كان ينظمها بخطه العثماني الجميل ليقرأها علينا في الصباح بصوته الأبح ، ملحنة بما يشبه هزج رعاة الابل حين يريدونها على أن تهرول مسرعة في البيداء .

وليس من قصائد ذلك الشاعر ما يصلح للرواية هنا حتى أنقله للقراء . فقد كان في نظمه مفتقراً الى الموهبة الشعرية ، بينما كانت طبيعته مغرقة في الشاعرية . فهو في روحه الساذجة ، واقتراحاته العجيبة في اصلاح المجتمع ، واحكامه على الناس أفراداً وطبقات ، كان أكثر شاعرية منه في كل ديوانه المخطوط ، الذى نظمه في شيخوخته ، والذى نحتفظ به ضنينين دون أن نجرأ على قراءة شيء منه على من لم يعرف شخصه في حياته .

كان يقول مثلا ان علماء الفلك يرجمون بالغيب حين يتكلمون عن طبيعة النجوم في السماء ، وحين يصفونها بأوصاف بعيدة عن الصحة . فالنجوم في نظره أنوار منازل لقبائل ضربت خيامها في سهول السماء . كل جماعة من النجوم قبيلة ، ترحل وتنزل ، وتغير على من جاورها وتعود الى أخبيتها . ونحن على البعد لا نرى منها إلا أضواء النيران الموقدة في البيوت !

وكان يقول كلامه ذاك باقتناع وتصميم وبحجج ، في رأيه لا تدحض . فكان قوله في نظرى قصيدة جميلة لا حاجة بها الى الوزن والقافية لتعتبر شعراً . إلا أن أجمل



قصائده بلاشك كان عشقه لبنت السلطان ، وبيت القصيد فيها البرقية الحلوة التى سانقلها لكم هنا .

● ●

بدأت قصة ذلك العشق ، او انها ظهرت على الناس ، حين كان شاعرنا فى زهوة شبابه أيام السلطان محمد رشاد ، ما قبل الأخير من سلاطين الدولة العلية العثمانية ففى ذات صباح حمل فتانا بنفسه الى دائرة التلغراف فى بلدنا برقية موجهة الى الباب العالى فى استانبول ، هذا نصها التركى :

در سعادت فلك مرتبئه ملك حضور بادشاهمه .

فاطمة سلطانة معشوق أولد لغمندن سحرمك فكيله بشيوز ليره عثمانية اكرامية اعطاسى طلب ايدرم .

حسين شمس الدين

وترجمتها بالعربية هى ما يلى :

دار السعادة حضرة البادشاه الملك الذى يحتل مرتبة الفلك :

بما انى مسحور عشقاً بالسلطانة فاطمة إطلب فك سحرها عنى وتامين خمسمائة ليرة عثمانية اكرامية لي .

التوقيع : حسين شمس الدين

تصوروا برقية من هذا النوع ترسل ، فى تلك الايام ، من مواطن عثمانى بسيط فى بلدة ضائعة على شط الفرات الى جناب البادشاه السلطان ، وتتعلق بابنة سلطان البرين وخاقان البحرين السلطانة فاطمة ، مسماة باسمها !

فى أول الأمر ضجت اسلاك البرق هادرة فى استانبول وحلب واورفه والرقة ، تحمل سخط الباب العالى على مصالح الدولة وموظفيها التعساء التى سمحت والذين سمحوا لبرقية مثل هذه أن تجوز الفضاء عبر المسافات الشاسعة التى تفصل الرقة عن استانبول . ولكن السخط لم يلبث حتى ترك مكانه الى التساؤل عن هوية هذا المبرق المغرق فى الجراة . فجاءت البرقيات التالية تستفهم من المصادر الرسمية العليا فى المنطقة عن حسين شمس الدين هذا من يكون ، اى قبيلة عربية يرأس ، وكم عدد أفراد العشائر التابعة له ، وكم عدد الفرسان الذين يتبعونه على صهوات جيادهم العربية إذا ما دعا السلطان بدعوة الجهاد ضد أعداء السلطة والدين ؟

وهكذا شغلت برقية شاعرنا الدولة فى المركز والأطراف . ولابد انها تسللت الى خدور الحريم فى قصور يلدز وضولمه بقجه حتى بلغت مسامع فاطمة سلطانة ، هامسة اليها باسم هذا العاشق الذى بعث برسالة حبه فى برقية شعرية الالفاظ موجهة الى جناب حضرة والدها السلطان .

أما فى بلدتنا الصغيرة فقد تزلزلت الأرض تحت اقدام القائمقام وموظفى وأعضاء مجلس ادارته ومدير دائرة التلغراف المسكين ، واحس كل منهم بان رأسه أصبح فى كف عفريت . وإلا كيف يجرأون على أن يجيبوا الباب العالى بان حسين شمس الدين أفندى العليان ليس غير شاب فقير ، من عشيرة نصف حضرية فى وادى الفرات ، وانه لا يملك من الثروة أو رؤوس الخيل أو الأشياع والاتباع إلا ألفاظه الأنيقة وخياله الواسع ؟

لم تجد حكومة بلدتنا يومها منجى لرؤوس أفرادها ومخرجا من تلك الأزمة المستعصية إلا بان تضع على عاتق الجنون برقية شاعرنا الطموح . فابرقت الى الاستانة بانه فتى مجنون ، لا ضابط له ولا مسؤولية عليه ...

هل كان عاشق بنت السلطان مجنونا حين أرسل ذلك التلغراف الى والد حبيبته الخطير الشان ؟ لست أدرى . ولكن الذى لاشك فيه أنه أثبت بارساله تلك البرقية المجنونة انه شاعر حق . وليس يضره بعد ذلك أن يمتلىء ديوانه المخطوط بالغث من الكلام ، أو أن يبقى هذا الديوان مطوياً عندنا فى الظلام .

**د. عبد السلام العجيلي**

# مناظرات إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي

## حول أصول الغناء العربي المتقن

بقلم : كمال النجمي

في تاريخ الغناء العربي ، والأدب العربي ، مناظرات ممتعة قيمة بين المطرب الموسيقار الأديب الشاعر العالم اسحاق الموصلي ، وبين صديقه « اللدود » الأمير ابراهيم بن المهدي الذى كان شاعراً أديباً مغنياً جميل الصوت ، يتطرب بالغناء ولا يتكسب ـ على حد قوله ـ ولكنه فى الحقيقة كان يمعن فى التكسب بالغناء عند أخيه هارون الرشيد وأولاده الخلفاء من بعده : الأمين والمأمون والمعتصم ، وقد جمع من تكسبه مالم يجمع مثله كبار المطربين المحترفين الذين كانوا « يتكسبون » ولا « يتطربون » من هذه المناظرات الممتعة القيمة بين الموصلي وابن المهدى ، نص وحيد ، يعترف أبو الفرج الأصبهاني فى « كتاب الأغاني » أنه قرأه مكتوبا بخط إسحاق الموصلي ، وعلى ظهر الورقة رد ابن المهدى عليه ..

أما المناظرات والمناقشات والمشاجرات الاخرى بين أسحاق وابن المهدي ، فانها تنوقلت بالرواية ، من ناقل إلى آخر ، حتى وصلت إلى صاحب كتاب الأغاني فاثبتها فيه كما سمعها ، وإن كنا نجد فيها أثر أسلوبه الأدبي الممتاز ، فكأنه يرويها بلسانه هو ، لا بالسنة الرواة ..

أما تلك المناظرة ذات النص المكتوب بخط إسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدى فانها من كلام اسحاق وكلام ابراهيم ، لم يكتب فيها الأصفهاني حرفاً من عنده ، حتى إنه وجد فى صحيفتها أسطراً مسحتها كثرة التداول فترك مكانها خالياً ، مما يجعل لهذه المناظرة المكتوبة قيمة النص الثابت على أصله ، لم تحرفه عنعنة الرواة ..

### أصل الخلاف

وأصل الخلاف بين اسحاق الموصلى وابراهيم بن المهدى الذى امتد بينهما من أواخر القرن الثانى الهجرى الى منتصف القرن الثالث تقريباً ، أن اسحاق الذى أخذ صناعة التلحين والغناء عن أبيه ابراهيم الموصلى ، قد اجتمعت له علوم الغناء العربى كله تلحيناً وغناء وايقاعاً ، منذ نجم الغناء العربى «المتقن» فى المدينة ومكة قبيل منتصف القرن الأول الهجرى ، فاقام اسحاق من نفسه حارساً على أصول الغناء المتقن وكنوزه ، يكاد يقتل من يحاول أن يمسها بأدنى سوء ! ..

وشملت محفوظات اسحاق ومدوناته من الغناء والضرب بالعود والآلات ، أعمال الملحنين والمغنين العرب التى انجزوها خلال مائتى سنة تقريباً ، لم يفته منها شيء حتى ما كان يراه ـ من وجهة نظره ـ مرذولا ساقطاً كالغناء بالطنبور ، والارتجال بغير ضرب العود ، والوان اخرى من الغناء كان يراها خارجة عن الغناء المتقن وأصوله التى قررها فحوله القدماء فى العصر الأموى فانتقلت بغناء العرب من الدائرة الضيقة التى انحصر فيها مئات السنين فى الجاهلية ، كالحداء والنوح ، الى ما صارت اليه فى عصر العباسيين الأول من اتساع ، واستبحار .

أما ابراهيم بن المهدى فكان يرى «تحريك» الغناء المتقن .. على حد تعبيره .. يقصد الحذف من التركيبات اللحنية الكثيرة فيه ، ولا يقصد الاضافة اليه ، ويرى «الحذف» أخف على النفس ، ولونا من «اللعب» يرتاح اليه القلب .. وكان يقول : إنما أنا ابن ملك ألعب بهذه الألحان ! .. أى أن عمله هذا تسلية وتزجية لفراغه واستكمال لترفه ..

والغناء المتقن الذى قضى اسحاق حياته يدافع عنه حتى وصل أكثره الى عصرنا ، هو نفسه الغناء العربى الذى نسمعه الآن إلا أن ما طرأ عليه فى الزمان المديد من تغيير فى المصطلحات وزيادة فى أجناس المقامات ..

لم يأنف أسلافنا العرب فى القرن الأول الهجرى من الاستفادة بما سمعوا فى مكة والمدينة من الحان الفرس والروم على العيدان والآلات ، فاخذوا منها واستعملوا العود ، ولكنهم أسقطوا مما سمعوه ما لا يسيغه الذوق العربى ، وما لا تدخل فيه الكلمات العربية وأوزان الشعر



العربي ..

وكما اشتغل الأسرى العرب للآشوريين قديماً وغنوا وهم فى قيود الأسر شوقاً الى بلادهم ، فاعجب الآشوريون بغنائهم وأخذوا منه ما أعجبهم ، كذلك اشتغل عمال من الفرس والروم للعرب حين استاجرهم الخليفة معاوية بن ابى سفيان لبناء دار له بمكة .. ثم عبد الله بن الزبير لبناء جدران الكعبة عندما تهدمت فى أيام خلافته ..

ولبث الفرس - خاصة - يعملون ويغنون فى مشروعات عمرانية كثيرة فى مكة والمدينة منذ عهد عثمان بن عفان ، فاخذ العرب من غناء الأمم التى دخلت فى الاسلام ، أو جاورت الدولة الاسلامية أشياء نافعة استطاعوا بمعالجتها الفنية الصحيحة أن يعيدوا الى الحياة فن غنائهم القديم ، جديداً مزيداً موسعاً فيه ، ويقيموا منه صرحاً عالياً تعيش أصوله حتى اليوم ..

ومن عجب أن هذا الصرح الفنى الضخم الذى يستخف به فى عصرنا بعض ذويه وأهليه ، قد نهض بكل عظمته فى مدة لا تزيد على أربعين عاماً فى القرن الأول الهجرى .. ولم يحدث فى التاريخ أن نشا فن وتم تمامه فى مثل هذه المدة « القياسية » ثم عاش اكثر من الف ومائتي سنة ! .. وإنما انفرد الغناء العربي وحده بهذا الامتياز النادر فى تاريخ الفنون ، فيما نعلم

ولما انتقلت الحان العصر الأموى إلى العصر العباسي ، جمعها الكثيرون فى كتب ومدونات ، فكان المقدم عليهم جميعاً إسحاق الموصلي الذى وصفه أبو الفرج الأصبهاني بانه « إمام أهل صناعته جميعاً ورأسهم ، ومعلمهم .. يعرف ذلك الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق » .. وهو الذى « صحح اجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً لم يقدر عليه احد قبله ، ولا تعلق به احد بعده» ..

كان إسحاق الموصلى يرى من حق صناعته عليه أن يحفظ أصولها التى بناها فحول الملحنين والمغنين فى العصر الأموى وجعلوها جوهر الغناء المتقن المصحوب بضرب العود والآلات .

ولم يكن فى عصره طريقة لحفظ الالحان وتسجيلها إلا الرواية الأمينة التى لا يتلاعب بها الوضاعون فى الغناء كما تلاعب بالشعر الوضاعون فيه ..

وكانت صناعة الغناء التى مازالت غضة طرية ، محتاجة الى دعم أصولها .. وكانت أصولها محتاجة الى الرواية المتقنة وكانت الرواية المتقنة تحتاج الى الرواة الأمناء المتقنين .. فاين يجد اسحاق مثل هؤلاء ؟! ..

كانت هذه مشكلته الكبرى مع ابراهيم ابن المهدى ، وهو أخو الخليفة هارون الرشيد ، ولم يكن لابراهيم فى بداية هوايته للغناء علم جديد بأصوله ، فكان يخرج عن أصول النطق واللحن والايقاع ، فيقول مثلا حين يغنى : «أحماد» .. يعنى «أحمد» .. لكى يستكمل بهذا المد الزمن الايقاعى ! .. وكان يسمى ذلك «تحريك» الألحان ! . ولهذه التسمية معان اخرى عنده كان اسحاق ينكرها كل الانكار ..

لهذا كان اسحاق يتشدد فى ضبط رواية الألحان كما انتقلت من القدماء جيلا بعد جيل ، بلا أدنى تبديل .. لا كراهة للتطريب بالتصرف فى هذه الألحان وتحليتها بالشذور ، بل خوفاً من ضياع أصولها .. وكان هذا الخوف «مفتاح» موقفه من كل لحن قديم أو جديد يسمعه أو يصنعه !..

فكان «لعب» الأمير ابراهيم بن المهدى فى الألحان القديمة وبلبلة أذهان الناس فى شانها ، أمراً خطيراً عند اسحاق الموصلى ، لأن لابن المهدى صوتاً فائق الجمال يفتن به الناس حتى ليقال انه كان «أحسن الانس والجن والوحش والطير صوتاً» ! ..

وهو الى هذا ، أمير ذو هيبة ونفاذ الى القلوب ، لا يقوى أحد على تخطئته أو انتقاده .. فكان لزاماً على اسحاق اداء هذا الواجب ، ليدرأ عن أصول الغناء خطر الأمير المفتون بجمال صوته ، والذى يزعم أن من حقه اللعب فى الغناء كيفما احب ، لأنه إنما يغنى تطرباً لا تكسباً ! ..

## أيهما يفضل الآخر ؟

لم يكد ابراهيم الموصلى - والد اسحاق - يفارق الدنيا حتى صار اسحاق فى مكانه كبيراً للمغنين والملحنين فى قصر هارون الرشيد ، واندلعت مصادماته العنيفة مع ابراهيم بن المهدى حتى خشى اسحاق أن يقتله هذا الأمير الشاب الكارة لتشدده فى أصول الغناء .. واضطر اسحاق الى شكواه للرشيد فاستدعاه وحذره من

التعرض لاسحاق بسوء ، ووبخه ، قائلا : «.. وأنت مالك وللغناء ؟! .. وما يدريك ما هو ؟! .. ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم انك تبلغ مبلغ اسحاق الذى غذى به وهو صناعته .. ثم تظن انك تخطئه فيما لا تدريه» ! ..

عاش اسحاق فى حماية الرشيد خمس سنوات حتى توفى الرشيد سنة ١٩٣ هـ فعظم نفوذ ابراهيم بن المهدى عند الخليفة الجديد محمد الأمين وصار اسحاق شديد الحذر من مكايده ، فلما انتهت خلافة الأمين بعد سنوات قلائل ، وتولى الخلافة المامون ، سقط نفوذ ابراهيم وأوشك المامون أن يقتله لمناداته بنفسه خليفة فى بغداد قبل وصول المامون اليها قادماً من خراسان .. ثم عفا عنه ولكنه لم يعد ذا جاه ولا عظمة كما كان ، اما اسحاق فان هيبته بلغت مداها حتى صار كانه من اكابر قضاة الدولة أو قوادها أو وجوه الكتاب والحجاب والوزراء فيها ! ..

ومع ذلك لم ينته ابراهيم بن المهدي عن الشجار والنقار مع اسحاق فى كل فرصة تسنح له .. « حتى كان يمضي الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما فى قسمة وتجزئة صوت واحد » .. كما قال الأصبهاني ..

ثم مر الزمان فصار ابراهيم بن المهدي كهلا محنكاً عارفاً بالغناء ، غير قليل العلم بأصوله ، فمضى يجادل اسحاق الموصلي بما تيسر له من العلم ، بعد أن كان يكابره فى شبابه بغير علم ، أو بالقليل جداً من العلم .. ولما رآه اسحاق قد اجتهد وحصل شطراً من العلم ، اثنى عليه قائلا : « ليس فيمن يدعى العلم بالغناء من يساوي ابراهيم بن المهدى » .. وهو اعتراف متحفظ ، فيه غمز بالاشارة إلى « من يدعى العلم » ! ..

ذلك أن أدعياء العلم بالغناء من بين المغنين أنفسهم ، كانوا كثيرين ، حتى أن بعض مشاهيرهم كانوا يغنون ولا يعرفون أصول ما يغنون (١) وحسبك أن عمرو بن بانة وهو من أشهر المغنين فى ذلك العصر ، قال : « رأيت اسحاق الموصلي يناظر ابراهيم بن المهدي فى الغناء ، فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً ، فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ، فما نحن منه فى كثير ولا قليل » ..

وابن بانة ظريف يابى المكابرة فى تعليق على ما سمع ولم يفهمه من الكلام عن علوم الألحان والأصوات ، اما الآخرون من زملائه فكانت المكابرة حصنا لجهلهم ، وكانوا يتالبون على اسحاق ويحاولون النيل منه !

ومن عجائب ابراهيم بن المهدي أنه كان يستمريء هزائمه فى مناظراته مع اسحاق .. حتى قال له اسحاق يوماً فى حضرة الخليفة المعتصم : « أنا أسالك عن ثلاثين مسالة من باب واحد فى طريق الغناء ، لاتعرف منها مسالة واحدة » ! ..

وقبل ذلك ضاق الخليفة المامون ذرعاً بلجاجة عمه ابراهيم بن المهدي فى مناقشته اسحاق ، فقال له : « ياابراهيم لا تمار اسحاق » ! .. ولكن ابراهيم مضى فى مماراة اسحاق مسرفاً كل الاسراف ! ..

وبفضل اسحاق ، اتسعت وتاصلت طريقة تدوين الغناء ، بما اخترعه واستنبطه من اشارات ورموز وكلمات ، استعان بها المغنون حتى صار من يقرؤها ويفهمها من حذاقهم وعرفائهم ، يستطيع أن يغني الألحان بمقتضاها كأنه يسمع الألحان من صاحبها ويحفظها باذنيه ! ..

نمى مرة إلى ابراهيم بن المهدي أن اسحاق صنع لحنا جديدا فكتب إليه يطلبه منه ، فكتب إليه اسحاق بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه واصبعه وتجزئته واقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه .

فغناه ابراهيم بعد قراءته هذه الرقعة ، ثم التقى باسحاق فأعاد عليه غناء اللحن ليصححه له ، فوجده صحيحاً لا خطا فيه ، فقد فهم ابراهيم الرموز الموسيقية فهماً تاماً ، مما أطرب إسحاق وأعجبه فقال لابراهيم : فضلتني والله ياسيدي فى أداء لحني بحسن صوتك ! ..

وهذا معناه أن اسحاق كتب إلى ابراهيم « نوتة » موسيقية « بلغة عصرنا » استوفت اللحن كله جملة وتفصيلا ، بغاية الدقة ! .. وهو ما لا تقوم به الآن « النوتة الموسيقية » الأوربية التى تعجز عن بيان الشذور الدقيقة فى غنائنا وبخاصة فى ثلاثة أرباع الصوت ! ..

هكذا انتهى الأمر بينهما إلى اعتراف باستاذية اسحاق مع أن ابن المهدى ظل لايسلو « اللعب » الذى كان يمارسه قديماً فى الألحان الأصيلة الموروثة ، حتى قال اسحاق : « إذا أردت يا هذا أن تلعب ، فالعب فى ألحان نفسك لا فى ألحان الناس»

## رسالتان .. ومناظرة

فى أواخر حياة ابراهيم بن المهدي الذى توفى قبل اسحاق الموصلي بعشر سنوات تقريباً ، جرت بينهما مناظرة أعقبتها مشاجرة تناقل أخبارها المغنون فى بغداد ، وتزيدوا فيها ، فكتب اسحاق إليه رسالة ، يقول الأصبهاني إن قرطاسها بقى متداولا عند الوراقين إلى القرن الرابع الهجري حتى قرأها الأصبهاني وعرف فيها خط اسحاق ، وكان يعرف خطه لأن كتبه التى خطها بيده كانت ماتزال تنتقل من يد إلى يد حتى أيام الأصبهاني مختلطة بكتب زورها عليه الوراقون ..

كان اسحاق وابراهيم – كلاهما – من أعلى الكتاب طبقة وأجزلهم بياناً .. يبدو ذلك فى رسالتيهما هاتين اللتين نقلهما الأصبهاني بنصهما فى كتاب الأغاني (٢) وإن كانا إنما كتباهما عفو الخاطر ، بلا تعمل ولا تريث ولا تكلف .

وتتمثل فى هاتين الرسالتين المتناظرتين العلاقة الاجتماعية بين هذين الفنانين الشهيرين ، كما تتمثل فيها علاقتهما الفنية .. ويتبين انهما فى أواخر عمرهما تقاربا فى الرأي الفني .. ولم يكن اسحاق هو الذى اقترب من ابراهيم ، بل كان ابراهيم هو الذى اقترب ، لأنه نضج بتجارب السنين ، وعرف أن اسحاق الموصلي لم يكن ينافح عن قضية خاصة ، بل عن قضية عامة شبه مقدسة لديه ، قضية أصول الغناء الذى كان أول فن استحدثه العرب وشادوه بعد خروجهم من الجاهلية التى لم يكن لهم فيها إلا فن الشعر ، فكان الغناء فنهم « المتقن » الثاني ، بعد فنهم « المتقن » الأول الذى يضرب فى أعماق تاريخهم المديد ..

رسالة اسحاق إلى ابراهيم بن المهدي تناقش أموراً كثيرة أهمها :

- ابراهيم يعير إسحاق باحترافه صناعة الغناء ، ويساويه فيها بمخارق وعلوية وهما من تلاميذه .
- ابراهيم ينكر نبوغ ابراهيم الموصلي والد اسحاق ، ويساويه فى الفن بمن هم دونه من منافسيه فى عصره .
- امتلاء قلب ابراهيم بالسخط الدائم على اسحاق ! ..

وعن التعبير بالغناء يقول اسحاق :

«فاما ذكرك ـ جعلت فداءك ـ الصناعة ، فقد أجل الله قدرك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار منها (٢) ، وأما أنا المسكين فانت تعلم اني لم اتخذ ما نحن فيه صناعة قط ، واني لم اردها » اي صناعة الغناء « إلا لكم » يقصد بني العباس « .. شكراً لنعمتكم ، وحبا للقرب منكم ، فليس ينبغي أن يعيبني ذلك عندكم .. وقد علمت انك لم تضعني من علوية ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب احوجك إلى ذلك ، وإلا فانت تعلم انهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة منهما بعتقهما ، فكيف أظن أني عندك مثلهما او انك تقرنني إليهما وتذكرني معهما » ..

ثم يقول اسحاق : « قد احدثت لي ـ جعلت فداءك ـ ادبا وزدتني بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه ، فان ظننت ان هذا » اي ترك الكلام « فرار من الحجة وتعريد عن المناظرة كما قلت ، فقد ظفرت وصرت إلى ما احببت ، وإلا فانه لا ينبغى للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرته ، ولا لعاقل أن يبذل ما عنده لمن لا يحمده » ..

وعن غمط بن المهدي حقوق ابراهيم الموصلي يقول اسحاق :

« واما ما قاله ابي ـ رحمه الله ـ من انه لم يزل يتمنى ان يرى من سادته من يعرف قدره حق معرفته ، ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى راك .. فقد صدق ! .. فهل رايت حظه منه إلا بان ساويت به من لم يكن يساوي شسعه ، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه ، لا تنفعه عندك معرفة به ، ولا رعاية لطول الصحبة والخدمة ، ولا حفظ لآثار محموده باقية .. ثم ها انا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني فيه ، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه ، لأني توخيت الصواب واجتهدت في البذل والمناصحة .. فما أرى ـ جعلت فداءك ـ من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرع الحسرات ، وتطلبك لنا العثرات .. والله المستعان » ! .

وعن سخط بن المهدي يقول اسحاق :

« كيف اصنع ـ جعلت فداءك ـ إن سكت لم تقبل ذلك مني ، وان صدقت كذبتني ، وان مزحت لأطربك وأضحكك واقرب من انسك غضبت وسببت » ! ..

وتنتهي رسالة اسحاق بشيء من السخرية بابن المهدي :

« قد طال الكتاب ، وكثر العتاب .. وجملة ما عندي من الاعظام والاجلال اللذين لا اخاف ان اجعلها عندك ، والمحبة التي لا امتنع منها ، ولا اعرف سواها .. والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه ، والاقرار بما احببت ان اقر به ، وساشهد على ذلك محمد بن واضح واشهد لك من احببت ، واؤدي الخراج ، ولكن لابد من فائدة وإلا انكسر » يعني : تاخر اداؤه « فهات جعلت فداءك ، واوف واستوف ، فانك واجد صحة واستقامة إن شاء الله .. مد الله في عمرك ، وصبرني عليك ، وجعلني من كل سوء فداءك » ! ..

فكيف رد عليه ابراهيم بن المهدي ـ ؟! ..

رد عليه معتذرا بما يمكن تلخيصه فيما يلي بنصوص كلماته :

« ياراس المشنعين .. تقول إني عيرتك بالصناعة ـ صناعة الغناء ـ فكيف اعيبك بحاجتي اليك ، وما انا داخل فيه معك ؟! إنما انا كصاحب لك تناظره بما تحب ان تجد من يناظرك فيه ، فليكن ذلك بالانصاف ، وطلب الصواب ، اصبته او اخطاته ، لا بالحمية والأنفة والحيلة لترد بالباطل » ..

« وقلت : تذكرني معهما ـ اي مخارق وعلوية ـ فقد ذكر الله النار مع الجنة وموسى مع فرعون وابليس مع ادم ، فلم يهن بذلك موسى ولا ادم ، ولا اكرم فرعون وإبليس ! .. ووالله ما كنت ابالي الا اسمع من مخارق وعلوية شيئا حتى اسمع بنعيهما ولا اراهما إلا ميتين ، وما في هذا غيرك والاعظام لك والاكرام ، وذلك انهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك ، وانما هما صنيعتاك وخريجا تاديبك وان كانا غير طائل » ! ..

وبعد كلام طويل بليغ مدح به ابراهيم ابن المهدي اسحاق الموصلي واباه مدحا عظيما ، استعرض في رسالته رايا له في لحن من الحان اسحاق ، فنقد اللحن نقدا شديدا ، ثم قال له : إن الناس لا يفهمون دقائق مناظرتنا .. « الناس في هذا بيني وبينك بهائم ، فمن استعدى عليك ؟ »! ..

ولا يفوت ابن المهدي الالمام بسخرية « اداء الخراج » فيقول :

« واما اداء الخراج والاشهاد ، فهذا شيء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبته مني ، ظالما لي ، وذلك لأني لم انازعك إلا منازعة مناظر يحب أن يعرف حسن فحصه ، وثاقب نظره » ! ..

ثم يعترف ابن المهدي برياسة اسحاق في صناعة الغناء قائلا : واما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم ، ولا لك علي ، لأني في العلم مناظر ، وفي العمل متلذذ ، فلا تظلمني ولا نفسك لي » ! ..

رسالة ابن المهدي اطول من رسالة اسحاق واهدا جرسا ، يريد بحلاوة لفظها تهدئة اسحاق واستمالته ، وفيها من بلاغة التعبير مالا يقدر على مثله إلا عظماء الكتاب .. وهكذا كان الكثيرون من « اهل الصناعة » في تلك العصور ..

وقد حكم الزمن في هذه المناظرة التي استمرت بين الرجلين على امتداد عهود الرشيد والأمين والمامون والمعتصم ، فلم يكد ابراهيم بن المهدي يموت في عهد المعتصم حتى ماتت اراؤه وتلاشت الحانه إلا القليل منها يرويه بعض جواريه واصحابه .. واخذ المغنون جميعا بمذهب اسحاق وتعلموا منه ورووا الحانه .. قال الاصبهاني : « وانقضى الصنع لابراهيم بن المهدي بذلك ، مع انقضاء مدته ، كما يضمحل الباطل مع أهله » ! ..

وحسب اسحاق الموصلي من مجد باق على الزمان ، إن ما يغنيه المطربون فى ايامنا من مقامات الراست ، والجهاركاه ، والعجم والبياتي والسيكاه ، ومشتقات هذه المقامات وغيرها ، فضلا عن الايقاعات إنما هي باعيانها المقامات والأوزان التى ضبطها أسحاق ضبطا دقيقا منذ الف ومائتي سنة .. وكل ماطرا عليها فانما هو تغيير في الأسماء ، ولم يكن ممكنا ان تثبت أسماؤها العربية فى مجتمعات غلبت عليها العجمة ذلك الدهر الطويل ! ..

**كمال النجمي**

---

(١) رايت شيئا من هذا القبيل حين كنت رئيسا لتحرير مجلة فنية مصرية ، فناقشتني مطربة من اشهر المطربات فى « الصوت المستعار » و « الصوت الطبيعى » فوجدتها تجهل ما تتكلم فيه ، ثم كابرتني وقامت تتصل بالموسيقار عبد الوهاب تليفونيا وتنقل إليه رايي ورايها .. فوبخها عبد الوهاب لجهلها فى مسالة من ابسط مسائل فن الغناء .. ومع ذلك فهي من احسن المطربات !.

(٢) الجزء العاشر ـ طبعة دار الكتب المصريـــة

(٣) يعنى اسحق : انت ايضا تغني يا ابراهيم ، ولكن نسبك الشريف يجعلك غير محتاج إلى الاعتذار من الاشتغال بالغناء ! ..

# جناية إليوت

# على الشعر المعاصر

بقلم: الدكتور كمال نشأت

أثار الدكتور عبد الله الطيب على صفحات « الدوحة » مشكلة من أهم مشاكل الشعر الحديث ، وهى خطورة الشاعر إليوت – من نواحى كثيرة – على الشعر خاصة ، وعلى الأدب عامة ، فضلا عن مواقفه الدينية المتعصبة . وكنت نبهت فى بحث لى نشر بمجلة كلية الآداب بالجامعة المستنصرية وهى المجلة الخاصة بأبحاث الأساتذة عنوانه (ظاهرة الغموض فى الأدب الحديث – العدد الثانى – سنة ١٩٧٧) الى جنايات هذا الشاعر على الشعر الحديث ومنه شعرنا العربى المعاصر . وقد كررت أكثر من مرة حينما أتيح لى أن أتناول هذا الموضوع اننا لا ندعو الى الحجر على اطلاع الأدباء ، فذلك أمر لا عقل فيه ولا حكمة ، إذ أن واجب الأديب أن يطلع على تجارب الآخرين مهما كان مذهبها أو التيار الذى تنتمي اليه ، ولكن عليه أن يتمثلها ، ويهضمها ثم يصدر بعد ذلك عن نفسه حتى تتحقق له الشخصية المتفردة ، والصدق الواجب ، والتعبير عن الخصوصية القومية والبيئية التى يمتاز بهـا كل أدب عظيم أما المرفوض فهو التقليد المقيت لتيارات أدبية بنيت فى بيئات حضارية غير بيئتنا ، وهو تقليد يقتل الابتكار ويوقع فى التبعية المهينة (وما نقرؤه من شعر تافه فى هذه الأيام دليل على ذلك) ومن الممكن أن نوجز فى هذا المقال الصغير جنايات هذا الشاعر على الشعر الحديث عامة فى النقاط الآتية :

● ابتعاد القصيدة عن الجمهور القارىء لصعوبة التعامل معها ، فاصبحت قصيدة النخبة المثقفة ثقافة موسوعية ، وهى فى كل مجتمع قليلة العدد ، وهى عودة الى ارستقراطية الفن كما كانت معهودة فى عصور الظلم والظلام والاضطهاد . ففى الوقت الذى انتهت فيه الفنون جميعاً الى أن تتجه وجهة الشعوب ، أخذت مدرسة اليوت وجهة ارستقراطية هى التعالى على الناس ، من هنا كان ابتعادهم عن الشعر الحديث بل وقرفهم منه . يقول الناقد ماكجريجوز :

« هل يلام إليوت حقاً على الهبوط بالشعر الى أن يصبح تسلية للقلة الشديدة الوعى بذاتها ؟ هل هو مسؤول عن هذه الهوة ؟ هل هو حقاً الرجل الذى اخذ الشعر من حياة الناس ومنحه لقلة من معارفة ليعبثوا به ؟ »

ويقول آخر عن إليوت ومدرسته (راجع «الفنان فى عصر العلم» . ترجمة فؤاد دواره ..) « وانى لأتساءل حتى يكفون عن التظاهر بالمهارة والذكاء لقد أخذوا الشعر من جوار المدفأة ووضعوه فى الحجرة الداخلية للمكتبة وفوق أعلى رف .

وأصبح الناس يخافون الشعر ، بعد أن كانوا يجدون فيه متعة أساسية ، ولا يستطيع أحد أن يبرىء (إليوت) تماماً من مسؤولية هذه الجريمة الأدبية الحديثة .. »

● تمثل هذه المدرسة عصبية دينية مقيتة . « كما أشار الدكتور عبد الله الطيب » فى عصر تتطلب فيه البشرية الأخوة بين أصحاب الأديان المختلفة ، والانسانية فى التعامل البشرى بين كل الناس ، وهذه الأهداف النبيلة التى يستهدفها الخيرون من البشر عامة هى نفس الأهداف الانسانية التى يسعى اليها الأدب الصادق الأصيل فى كل زمان ومكان . يقول شابيرو «الفشل فى الوصول الى الوعى الصوفى ، دفع إليوت ناحية أخرى ، وفى رأيى أن هذا هو أكبر فشل فى حياة إليوت ، فقد انتهى الى أن أصبح شاعر دين بكل المعنى التقليدى للكلمة ، وبعد أن التزم من الناحية الدينية حاول أن ينظر الى المجتمع باعتبار الدين موجها له ، فاصبح بذلك صنيعة فى يد أكثر عناصر المجتمع رجعية ، وزعيما لكل ما هو رسمى وكهنوتي» وقد وصفت «كاثلين نوت» هذا الموقف الاليوتى الكهنوتي بقولها عن كتابها (ملابس الامبراطور) الذى هاجمت فيه إليوت إنه « هجوم الارثوذكسية المتعصبة .. »

## النقاد غير الأصلاء

● استغلاق المعنى والاقتباس الذى ساعد على التعمية أعطى فرصة ذهبية لجماعة من النقاد غير الأصلاء الذين جالوا خلال النص الأدبى وحملوه فوق ما يحتمل مؤكدين من خلال



ت . س . اليوت
الشاعر الذى أفسد أجيالا من الشعراء

ذلك مفاهيم وأفكاراً بعيدة كل البعد عن النص المدروس - وبذلك تحول النقد الأدبى الى بهلوانيات تقوم على الذكاء وبراعة التلفيق، من هنا كان اعتساف هؤلاء النقاد بعض المواقف أو الأفكار التى لا تمت الى النص بصلة وليس لها مايرشح لها أو يسندها بحيث أصبحوا يختلقون هذه المواقف أو الأفكار ويروحون يعلقون على هذا المشجب الذى صنعوه ثقافاتهم وشروحهم الخاصة التى يرفضها النص رفضاً باتاً، فأصبح النقد « فهلوة » كما نقول فى مصر، يقوم على المهارة والذكاء والتلفيق، وقد خلق هذا النقد وساعد على وجوده الغموض الذى يرين على النص بحيث تمكن هؤلاء النقاد من استغلاله ليمرحوا خلال النص كما يشاءون ويفسروه كما يشاءون وإن كان التفسير لا يمت اليه بصلة ما.

## بعيداً عن تلقائية التعبير

● دعت هذه المدرسة الى البعد عن الصدق الشعورى ببعدها عن تلقائية التعبير القائمة على الشعور الذاتى، فاذا بالمعادل الموضوعى الذى دعا اليه إليوت يميت حرارة الاحساس مادام على الشاعر أن يبحث عن معادل موضوعى يعبر عنه فيكون التعبير بعيداً عن الذاتية كما أراد إليوت وفى هذا إعمال للفكر فى مجال البحث عن هذا المعادل، ومن الطبيعى أن يبرد الاحساس والشاعر « يبحث » عن المعادل المناسب، لأن هذا المعادل المناسب ليس تحت يده وفى متناول أصابعه .. هنا تصبح كتابة القصيدة عملا ذهنياً، وكدا عقلياً .. قد تظهر فيه براعة الحرفة وذكاء الممارسة، ولكنه لن يكون الشعر القريب من القلوب .. من هنا أيضاً - وهذا شىء طبيعى - تتحول القصيدة الى معرض يتفنن الشاعر من خلاله فى عرض عضلاته الثقافية كما يقولون، وهكذا أفسد إليوت هذا الفن العظيم وبعد به عن الاحساس الحار الدافق الى كد الذهن البارد، وإعمال العقل وكان العمل الشعرى قد تحول الى عملية خلق لا حرارة فيه مثلما نرى فى رسومات مهندسي العمارة، نعجب بما فيها من اتساق ونسب بين الجدران والنوافذ والأبواب ولكنه يظل اعجاباً بعيداً عن تحرك المشاعر ولذع القلوب . فهذا الخليط العجيب من الاقتباسات من التاريخ العاطى والفلسفات وعلم النفس والكتب المقدسة وديانات الشرق وأساطير اليونان والفراعنة والفينيقيين وكتابة أبيات بلغات أجنبية أخرى الخ .. هل يستطيع شاعر ما أن يخلق عملا ناجحاً من كل هذه الأمشاج والأخلاط ؟ انها عملية بهلوانية مضحكة إذا نجح فيها شاعر مثل إليوت مرة، فانه قد يخفق عشرات المرات ولكن أن تكون هذه طريقة عامة لكتابة الشعر، يلجأ اليها شعراء كثيرون فى أمم مختلفة فهذه هى الطامة الكبرى كما يقولون .. وهى طامة أفسدت أجيالا من الشعراء، وحسبك هذا الغثاء الذى تابع درب إليوت واضرابه، فلن تجد تجربة صادقة، أو فكرة واضحة، أو صورة جيدة، أو إيقاعاً عذباً .. لن تجد شيئاً مما يجعل الشعر شعراً .. ولكنك ستجد همهمة وتمتمة وتنافراً فى الصور وتناقضاً فى الفكر والشعور والتعبير وما دام الغموض مقصوداً فلن تستطيع أن تفرق بين الدعى وبين الموهوب.

يقول « كارل شابيرو » عن الاقتباسات التى حشرت فى قصيدة « الأرض الخراب » .. اما أن هذه القصيدة تفتقد الوحدة، فذلك أمر واضح - وأنا افترض أن الوحدة ميزة من مزايا العمل الفنى - فأى جزء من « الأرض الخراب » يمكن نقله الى أى موضع آخر فيها دون أن يتغير معنى القصيدة . أما أسوأ أجزاء القصيدة كلها فهى الاقتباسات الخالصة، فحتى أشد المعجبين باليوت فساد ذوق لا يستطيع العثور على مبرر للسطور الأخيرة من القصيدة بلغاتها الست، واقتباسها من ستة مصادر فى حيز لا يزيد كثيراً عن عشرة سطور ... والدليل على فشل « الشكل » فى هذه القصيدة أن أحداً لم يستطع مواصلة النسج على منوالها بما فى ذلك إليوت نفسه .. »

ويقول « ماكجريجور هيستى » فى نفس الموضوع إن إليوت قد خرج « بتمتمات غير مفهومة، وكانت سخافته ذكية، تطلبت كل منها بلا ريب ساعة أو ساعتين من العمل الشاق فى المعاجم والقواميس قبل أن ينتهى من صقلها ولا شك أن إليوت كان يعانى فى جمع هذه الشوارد المختلفة والاقتباسات المتعددة من ثقافات أمم كثيرة ما تعانيه الدجاجة عند وضع بيضها .. وكان المسكين يتحمل كل هذا العناء فى سبيل المحروس : المعادل الموضوعى » !

## الغناء من القلب

إلا أن الناس الذين تعودوا أن يجدوا فى الشعر انفسهم وان يجدوا فيه واحة يستروحون نسيمها فى عصر كثرت مشاكله وناء البشر جميعاً بحملها ضاقوا بهذا الشعر الزائف والعقلانية المسرفة، والإلغاز الزائد، والاقتباسات المتعبة، وتجمع الضيق، واحتياجات الناس الى شعر أصيل فكانت حركة شباب الشعر الانجليزى فى الخمسينيات التى سميت « الحركة »، وهى مدرسة التى هدت أسوار قلعة إليوت، واذا بالشعر يعود الى ما كان عليه، غناء من القلب البشرى أصيلا عذباً، بعيداً عن حزلقة المعادل الموضوعى والجو الأسطورى .. انه شعر يهتم بحياة الناس اليومية، ويغنى لهم فى صدق وحرارة، ولعل قصيدة الشاعرة « آن بير سفورد » وهى بعنوان (حزيران ١٩٧١) مثل صالح لهذه المدرسة الجديدة ..

تقول الشاعرة معتمدة الواقعية والوضوح والبساطة فى تصوير منطقة عمالية مكتظة :

شمس على صناديق القمامة
الغبار فى كل مكان
ورائحة بترول ثقيلة
فى الصيف .. حين يكون الصباح
فى الشوارع الخلفية لمنطقة (بركستون)
يمكن سماع أصوات الطيور
وحركة المرور
الياسمين يزهر على جدران من الآجر
وإنسان بلا مسكن ثابت
يراقب دخان سيجارة
يندفع نحو الأشجار

وهذا شاعر آخر هو « س . د . توماس » يقول :

فقير أنا
لا شىء عندى أعطيه
فأنا لا أعطى إلا من نفسى
ولكننى جلبت لكم هذه الأغنية
وقد باركها شيئان : الألم .. والشرف

وهكذا رجع الشعر الانجليزى الى الرومانسية اللصيقة بنفس الانسان، لا رومانسية العواطف الذليلة والميوعة المراهقة، ولكن رومانسية الانسان القوى الذى تشغل الأحلام والأشواق والتطلعات جزءاً لا ينكر من وجوده كانسان.

د. كمال نشأت - بغداد

# بابا الفاتيكان مؤلفا مسرحيا

لا تزال لندن هى عاصمة العالم المسرحية إلى حد كبير وبرغم كل المعوقات الحالية ابتداء من التضخم الاقتصادى المتزايد وارتفاع اثمان التذاكر وقلة النصوص الجديدة الجيدة وانشغال الناس باخبار الحرب فى جنوب الاطلنطى وعرض بعض المسارح العتيدة للبيع مثل مسرح الاولدفيك ، برغم هذا كله لا تزال المسارح تقدم لجماهيرها العرض بعد العرض والمسرحية بعد المسرحية ، بل ان اطول المسرحيات المعروضة عمرا فى هذا القرن لا تزال تعرض كل يوم ، وهى مسرحية « مصيدة الفئران » - لكاتبة القصة البوليسية الراحلة اجاثا كريستى - التى دخلت هذا العام عامها الثلاثين ، واستطاعت ان تجذب اخيرا قصة « كريستية » اخرى لتعد فى مسرحية بدا عرضها منذ اسبوعين !

ومن المسرحيات الجديدة المعروضة حاليا مسرحية أثار مؤلفها ضجة كبيرة خلال الأسابيع الأخيرة حين ارجا زيارته لبريطانيا عدة مرات قبل اذ يزورها بالفعل لمدة أسبوع . فهذه هى المرة الاولى فى التاريخ التى يزور فيها احد بابوات الفاتيكان بريطانيا غير الكاثوليكية . ومنذ عامين قرر البابا النشيط المتعدد الاسفار جان بول الثانى ان يزور بريطانيا . ومنذ شهرين نشب النزاع المعروف حول جزر فولكلاند فارجا البابا زيارته حتى استطاع مؤخرا أن يوفق بين رعاياه الكاثوليك فى الأرجنتين والمعجبين به فى بريطانيا فجاء الى الجزر البريطانية . وقبل وصوله كانت قد سبقته مسرحية كتبها فى شبابه او كهولته بمعنى اصح ، فترجمت ونشرت فى كتاب وافتتح بها « مسرح وستمنستر » الصغير موسمه الصيفى .

المسرحية بعنوان « محل الجواهري » وهى دراما شعرية من ثلاثة فصول الفها البابا عام ١٩٦٠ حين كان اسمه « كارول فوتيبلا » ( اسمه الاصلى بالبولندية ) وكان اسقفا لمدينة كراكوف البولندية . وهى ايضا



البابا فى لقطة طريفة ساخرا من مصوره .. ثم مخرج « محل الجواهري » روبين فيليبس وبطلتا « محل الجواهري » هانا جوردون ، وجودين واتفورد







ليست المسرحية الوحيدة للبابا ، ولا هى العمل الأدبى الوحيد الذى الفه . فقد بدأت مؤلفاته الشعرية والمسرحية فى الظهور بالانجليزية فى لندن ، وبدأت التعليقات على نشاطه الأدبى والفنى المبكر ، يوم هوى التمثيل المسرحى والف فرقة مسرحية قبل أن يلتحق بالجامعة ، ويوم أخرج ديوانه « صلوات ليلة عيد الفصح » ، وحين انهى كتابة سادس مسرحياته وأخرها عام ١٩٦٤

وليس البابا بالطبع أول رجل دين بدأ حياته بالأدب والفن . ولكن : هل كانت هذه المسرحية بالذات لترى النور على مسرح انجليزى لو لم يكن كارول فوتيبلا قد تدرج فى السلك الدينى وانتخب « بابا الكاثوليك » ؟ ! لاشك أن شهرته وزيارته لبريطانيا قد فرضتا مسرحيته واهلتهـا للعرض على الجمهور . فالمسرح الانجليزى متعصب لأهله أولا ، ثم للروائع العالمية ثانيا . ومسرحية « محل الجواهرى » لا هى من الأهل ولا هى من الروائع العالمية . ولكنها قطعة شعرية جميلة فى حدودها الخاصة ، قطعة تاملية فى الحياة والحب والزواج .

لو لم يكن اسم البابا - الأصلى او المكتسب - على هذه المسرحية لقلت بعد مشاهدتها انها من تاليف قس ، وان القس لابد ان يكون كاثوليكيا ، لان المسرحية تقوم على المونولوجات الطويلة التى تشبه الاعترافات فى كنيسة كاثوليكية . وهذه المونولوجات تتقاطع احيانا ، وتخضع للتعليق الخارجي من ناحية اخرى ، ولكنها تظل إلى النهاية متعلقة بحاجة البشر الى الافضاء ، حتى لو كان هذا الافضاء للنفس . وداخل ديكور تجريدى ثابت واحد طوال الفصول الثلاثة تتطور هذه المونولوجات ايضا وتعود للماضى وتستشرف المستقبل . والديكور نفسه مكون من مجموعة حوائط زجاجية شاهقة تمثل نافذة محل الجواهرى من جهة كما تمثل المدينة الحديثة بناطحات سحابها من جهة اخرى . وفى الفصل الأول يطالعنا شابان ( فتى وفتاة ) فى طريقهما لشراء خاتمى زواج . وتبدأ الفتاة فى التوقف واسترجاع بعض ماضيها حين التقت بفتاها . فتروى كيف وأين التقيا . وكيف كانت ترسل إليه « اشارات » الحب وهو غافل عن التقاطها . ثم يدخل « ادم » وهو رجل فى منتصف العمر فيتقدم نحو الحبيبين ، ويتدخل فى مونولوج الفتاة ، وكأنه يؤدى دور « الكورس » القديم أو دور القس المتلقى للاعتراف بمعنى أصح . ويحاول أدم هذا ان يرشد الشابين ويبصرهما بالمستقبل وهو يقول لهما : « الحب ينبع من الحرب كما ينبع الماء من شق فى الأرض » ، « الحب فرحة غامرة وليس استغراقا فى التفكير الحالم الحزين » وعلى هذا النمط من الشعر « المرسل » تمضى شخصيات المسرحية فى الافضاء ، ففى الفصل الثانى بعنوان « العريس » ( الفصل الأول بعنوان « الاشارات » ) تطالعنا امراة تعثر زواجها وتحطم بسبب تجمد عواطف زوجها . وبالمثل تبدأ فى عرض قضيتها ، أو

بمعنى آخر «الزواج المحطم» . ويظهر «آدم» مرة أخرى فيأخذ بيدها ويحاول أن يفتح عينيها على وضعها الحقيقى ، ويمنعها من بيع خاتم زواجها بعد أن نقل اليها رأى الجواهرى فى أن الخاتم ـ خاتمها وحده ـ لايساوى شيئاً لأنه لا يزن شيئاً بدون قسيمة ، بل إنه ـ أى آدم ـ يمنعها من الذهاب مع رجل آخر ، فالحب عنده «عملية تحد» والعريس أو المحب قد يأتى فى أية لحظة . «فكلما كبر حجم الغضب ازداد انفجار الحب» . وفى الفصل الثالث والأخير بعنوان «الأولاد» يطالعنا شابان أيضاً يستعدان للزواج ومن خلال المونولوج نعرف أن الفتى ( ابن بطلى الفصل الأول ) نتاج زواج محطم . ويحاول الفتى أن يخلص فتاته من شعورها بالكراهية لأبويها . وحين يقترب موعد زفافها يتقدم «آدم» فيكون بمثابة والد الفتاة بعد أن قويت علاقته بأمها .. مجرد والد رمزى .. يحاول على طريقته أن يهدى الزوجين الشابين الى تقدير الحب التقدير الصحيح . وينتهى الفصل بالزواج ، وفى الوقت نفسه يلتئم شمل الزوجين المحطمين على شاطىء هذا الزواج وبفضل تشجيع آدم الذى يشعر الجميـــع بأن المستقبل يحمل أملا حقيقياً بالنســـبة للجميع أيضاً . وهكذا تنتهى المسرحيـــة نهاية سعيدة وثمة أمل يلوح بنجاح الجيل الحالى أو القادم فيما فشل فيه الجيـــل السابق !

وهكذا أيضاً تقدم المسرحيــــة حلولا شعرية اذا صح التعبير لمشـــاكل الحب والزواج فى المجتمع العصرى ، وهى حلول مبنية على القيم الانسانية فى النهـــاية ، تعبر عنها المسرحية بلغة شاعرية مخلقة أقرب الى اللغة التعليمية التى تحض وتوحى أكثر مما تأمر أو تنهى أو تعظ . وقد حاول مخرجها الشاب روبين فيليبس الذى عمل من قبل ممثلا مع لورانس أوليفيه أن يتيح لها فريقاً من الممثلين النجـــوم وموسيقى وحركة رشيقتين . ومع ذلك كله أخذ بعض النقاد الانجليز على المسرحية خلوها كم الأحداث الدرامية ، وهذا صحيح ولكن الأصح أن هذه مشكلة الدرامـــا الشعرية عموماً ولا سيما فى عصرنا . وأقرب مثل على ذلك مسرحية « جريمة قتل فى الكاتدرائية » لاليوت . فقد خلت بدورها من الأحداث الدرامية التى تتطور على نحو معين لتفضى الى نتيجة معينة . ولكن مما لاشك فيه أن مسرحية البابا هـــذه جزء لا يتجزأ من الثقافة البولندية ، وهى تقوم فى جانبها الدرامى على الأحداث الخفيفة الوقع الهينة التطور ، وهذا ما تكشف عنه السينما البولندية من ناحية اخرى . ومما لاشك فيه أيضاً أن هذه مسرحية لرجل دين لولا واخيراً وان كانت خالية من الوعظ والارشاد . وقد نجح رجل الدين فى لمس بعض الأوتار الحساسة فى الحياة دون خطابة أو زعيق أو شعارات ، وهذا أضعف الايمان . أليس كذلك ؟ .

## .. وإبســن أيضــــا



هنريك إبسن

وعلى العكس من « محل الجواهرى » تعد مسرحية « هيدا جابلر » من روائـــع المسرح العالمى الحديث . ولهذا وجـــدت طريقها بسرعة إلى خشـــبة المسرح الانجليزى . كما تعد على رأس مسرحيات إبسن التى تلقى الاحتفـــال الدائم من الجمهور الانجليزى . فلا يكاد يمر العام دون أن تعرض على المسرح باخراج جديد . وفى هذه المرة ـ منذ أسابيع ـ افتتح بهـــا « مسرح كيمبريدج » موسمه الجديد من إخراج دونالد ماكوين الذى يعد من أبرز المخرجين المعاصرين فى انجلترا .

وإذا كانت مسرحية « محل الجواهرى » تدور ـ فيما تدور حول الزواج فمسرحية « هيدا جابلر » تدور حول الزواج أيضاً ولكن مع اختلاف الرؤية بالطبع فضلا عن التناول . فنحن فى مسرحية إبسن نواجه عالماً واقعياً حتى فى « ديكوره » وفى اختلاطه أحياناً بالرمز . والمسرحيـــة ( كتبها إبسن عام ١٨٩٠ ) تعالج موضوع الزواج داخل إطار اجتماعى ونفسى فى آن واحد . فهيدا جابلر التى جاءت من الطبقة العليا فى المجتمع تتزوج عالماً شـــاباً لا يشغله شىء عن العلم ، وهى تتزوجه بعيداً عن أية عاطفة . فقد تقدم بها العمر من ناحية وتقدم لخطبتها هذا العالم الشاب الذى رأت فيه نوعاً من التعويض والنجاح المرتقب . ولكن الزواج سرعان ما يكشف عن عبثه فيزيد من احساسها القاتل بالسأم . بل ان الحب الذى يربطها سراً بأحد الكتاب الواعدين لا يسعفها أو يروى قلقها الدائب ، وانما يقودهـــا فى النهاية إلى تدميره وتدمير نفسها فى وقت واحد . فقد قادت حبيبها الى الانتحار وأعطته مسدسها وهى تقول له : « افعلها بطريقة جميلة » ، قاصدة أن يوجه المسدس الى صدغه ، فلما لم يفعل ووجه المسدس الى بطنه خاب أملها فيه ، وكان عليها أن تفعلهـــا هى بالطريقة الجميلة ! وحين يبلـــغ نبأ انتحارها القاضى الساخر صديق الأسرة الذى أرادها لنفسه يستلقى على مقعده وهو يقول باكياً : « أيتها السماء ساعدينا . ان الناس لا يفعلون هذا » ! ، وكأنه شكل بهذه الكلمات شعاراً للمسرحية على حـــد قول المؤرخ المسرحى الاردايس نيكول ، وكأنه أيضاً قد جعل منها فى النهـــاية كوميديا رفيعة لا تراجيديا رفيعة كما ظن بعض المتحمسين لابسن ! .

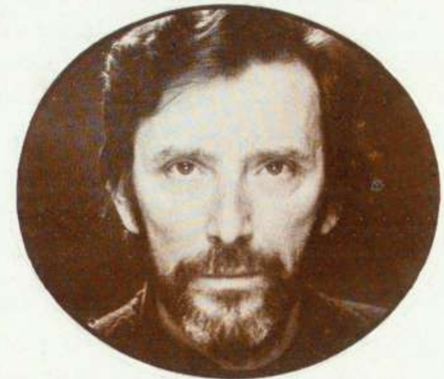
لاشك أن شخصية هيدا جابلر نفسهـــا شديدة التعقيد والجاذبية بالنســـبة للممثلات . فهى انسانة مدمرة لغيرهـــا ولنفسها سواء بسواء ، وهى أيضاً مأخوذة بعاطفة شيطانية نحو الحب والتدمير ، وهى أخيراً ليست مستعدة للتحرر ولا لأى نوع من العمل المفيد أو الخلاق . ولكنها لولا وأخيراً كتلة من القلق والملل القاتلين .

سوزانا يورك .. مرة اخرى



سوزانا يورك .. تعلم عشيقها إطلاق الرصاص





العشيق .. توم بل

وهذا كله ما يحتاج من الممثلة التى تقوم بدورها الى الكثير من النضج والخبرة وحكمتهما . وقد وفق المخرج فى اختيار نجمة تليفزيون قديرة ( سوزانايورك ) للقيام بالدور أمام مجموعة اخرى مختارة من نجوم المسرح والتليفزيون . ومع أن المخرج لجأ ( على سبيل التوفير فى الغالب كما حدث فى المسرحية السابقة ) الى الديكور الواحد الثابت طوال فصول المسرحية الأربعة ، ومع أنه – أيضاً – زحم خشبة المسرح بالأثاث ، وجعل الجميع يتحركون وسط ديكور أقرب الى تكوين ديكور المشاهد التليفزيونية الثابتة ، فقد عوض الممثلون الجمهور عن هذا كله بالكثير من الحيوية والنضج فى الأداء والحركة .

## شاعرة جديدة أعظم من شكسبير



سولينير : شبيهة فرجينيا وولف .. اعظم من شكسبير !

لأول مرة فى التاريخ القريب – كما تقول صحيفة الصنداى تايمز فى ملحقها الأسبوعى – يتفق أساتذة الأدب الانجليزى بجامعة كيمبريدج على شىء ! أما هذا الشىء فهو موهبة شعرية جديدة صاحبتها فتاة عمرها ٢٤ سنة تدعى « سولينير » .

وقد تخرجت سو من كيمبريدج وأجمع أساتذة الأدب بالجامعة العريقة على أنها « أعظم شاعر منذ شكسبير » . وألقى أستاذها محاضرة حول شعرها ، وقارن المقطوعات ( السوناتات إذا صح الجمع ) التى كتبتها بما يكتبه الشعراء الكبار ، وخرج بحكم جرىء فى النهاية مؤداه « انها حولت الشعر الانجليزى فى ليلة واحدة » .

وقبل أسبوعين ظهر أول ديوان للشاعرة الجديدة فى السوق ، وعنوانه « أغنية البجعة » ، أصدرته دار نشر صغيرة جداً لا مكان لها فى دليل التليفون ( تدعى : مطبعة أوليآندر ) . ولكن أستاذ « سو » لم يكتف بمحاضرته عنها ، بل دعا عدداً من الأساتذة الآخرين لقراءة ديوانها والحكم عليها ، فاذا بالأساتذة يجمعون على أن هذه الشاعرة الشابة سيكون لها شأن كبير فى المستقبل القريب جداً . وقام أحدهم بمقارنة « سوناتا » كتبتها باخرى لشكسبير فوجد كفة « سو » هى الراجحة ! وسبب المقارنة هو أن « سو » أعطيت السوناتا رقم ٢٦ لشكسبير وطلب منها أن تقرأها وتعيد كتابتها .

أما سوناتا شكسبير فتقول :

يا سيد حبى
يا من استعبدت حسناتك واجبى
ونسجته بقوة
إليك أرسل هذه الرقعة المكتوبة
لكى تشهد على الواجب لا لكى تكشف
عن حصافتى .

وأما سوناتا « سو » فتقول :

يا سيدة الحياة
يا من أتوسل إليها
بحكمة متعبة ،
وألتزم بواجبى نحوها ،
خذى منى هنا هذه الصفحة المنقوشة
المشغولة
وسودى هوامشها بتقطيبة وجهك الدقيقة

وليس من السهل بالطبع – عند الترجمة – ان نقيم المقارنة . فقد تكون هذه المقارنة مقبولة فى اللغة الأصلية التى كتبت بها القصيدتان . وإذا كانت الشاعرة

الشابة قد غيرت قليلا فى تعبير شكسبير ، ولا سيما فى مخاطبته المؤنث بصيغة المذكر ( يا سيد حبى ) على عادة عصره وربما تأثراً ببعض الغزل العربى القديم الذى أثر فى التروبادور قبله ، فان أبيات شكسبير يظل لها مذاقها الخاص البعيدين كل البعد عن مذاق أبيات « سو » وقاموسها . ومع ذلك يظل للشاعرة الشابة حظها من الموهبة بلاشك ، وهو حظ بارز أيضاً .

تقول الصحيفة الانجليزية فى تحقيقها ان « سو » كانت متقدمة فى دراستها فى جميع مراحل التعليم حتى تخرجت من كيمبريدج ، وانها اشتهرت بالمقدرة السريعة على تأليف السوناتا فى الجامعة لدرجة أنها ألفت عشر سوناتات وقصيدة طويلة فى يوم واحد ، وانها - أيضاً - كانت تجيب على الأسئلة بالشعر فى امتحاناتها النهائية ! ومن قصائدها فى تلك الفترة هذه الأبيات :

أشجار الصفصاف السوداء

المتلفعة بالأعلام

تتلألأ على صفحة البحر المائج الخطير ،

انها مغموسة فى أشعة الشمس ،

وسريعة سرعة السلاحف البرية ،

المجهدة الخطى الثقيلة العنق الفارغة الصدفة

التى تخرج من الماء فتنفض عن نفسها الخضرة ...

انها صورة مركبة فى الحقيقة تمثل السفن على صفحة الماء ، والسفن مرموز اليها بالصفصاف الأسود ، وحركتها مرموز اليها بحركة السلاحف . ولكنها صورة غير كافية للحكم على شاعرية شاعر .

وتقول « سو » عن نفسها :

« انى أجد كل هذه التعليقات مخيفة فى الحقيقة . فأنا فى الواقع لا أعرف ان كنت ممتازة أم لا . وكل ما أعرفه هو أننى حين اكتب لا أستطيع مجاراة سرعة أفكارى » .

ومع هذا كله ، ومن حسن حظ شكسبير ، أن « سو » قد سافرت الى كاليفورنيا فى أمريكا لدراسة الدراما لمدة عام ، وأنها كفت عن كتابة الشعر حتى تستقر فتبدأ من جديد . ولعلها - حين تبدأ - أن تبعد عن منافسة شكسبير أو غيره . فالشعر ليس مباراة فى الجرى أو المصارعة . ولعلها - أيضاً - تقتدى بشبيهتها فى الصورة - فرجينياوولف - فتاتى بشىء جديد ، وتخرج الشعر بالنثر ، أو تكتب الرواية ، أو - على الأقل - تعرف ماذا تفعل وماذا تريد . فليس بقصيدة واحدة ولا بديوان واحد صغير يعد الشاعر شاعراً . وليس يأتى الشعر العظيم الا من تجربة عظيمة فى الحياة والفن على السواء .

## خطابات وليم ومارى

قبل خمس سنوات لم تكن الأوراق الخاصة لمارى وردزورث ( زوجة الشاعر وليم وردزورث ) معروفة لأحد . ففى ذلك الحين بيعت هذه الأوراق بالمزاد فى لندن . وكان البائع تاجر طوابع بريد . وكان قد اشتراها ضمن أوراق أخرى كثيرة لا قيمة لها . ولكن المشترى الجديد فى المزاد سرعان ما وقع على ثروة كبيرة حين اكتشف انه أمام أوراق تخص علاقة انسانية لشاعر كبير .

وكان المشترى أستاذة جامعية أمريكية ، عكفت على الأوراق - ومعظمها رسائل متبادلة بين الزوجين - فدرستها وحققتها حتى نشرتها أخيراً دار « شاتو ووينداس » الانجليزية بعنوان « خطابات غرام وليم ومارى وردزورث » جمع وتحقيق بث دارلينجتون .

ومن المعروف أن الشاعر الرومانتيكى الكبير قد تزوج مارى هتشيسون عام ١٨٠٢ وكانا فى سن واحدة ( ٣٢ سنة ) عرف كل منهما الآخر منذ الطفولة . ومن المؤكد أن وردزورث كان الرجل الوحيد فى حياة مارى ، ولكن المؤكد أيضاً أنها لم تكن الوحيدة فى حياته !

قبل عشر سنوات من الزواج سافر وردزورث إلى فرنسا إبان ثورتها الأولى حيث تعلق هناك بفتاة فرنسية وأنجب منها طفلا . ثم عاد إلى بلده وتزوج وأنجب خمسة أطفال . وبعدها راح يتنقل بين انجلترا وفرنسا بمفرده بالطبع ، بعد أن قيدت مارى بأربعة أطفال يمرحون من حولها ورضيع يلتصق بصدرها . ومن فرنسا راح الشاعر يبعث الخطابات لزوجته ويتلقى منها الردود .

لقد كان وردزورث رجل خصوصيات لا يكشف عن خبيئة نفسه . ولاشك أن ردود فعله للتجربة الشخصية ساهمت - بالمقابل - فى صنع مادة شعره ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من كبار الكتاب ، على العكس مثلا من شاعر مثل بايرون كان يستعرض مشاعره تجاه الغير والأفعال دائما . ومع ذلك فالخطابات تعكس جانباً خصوصياً آخر فى حياة وردزورث ، وهو علاقته بمعاصره الشاعر الكبير كوليريدج . ففيها محاولة مستمرة لاصلاح ما أفسده الدهر فى تلك العلاقة التى توترت كثيراً فى تلك الفترة . فقد كان كوليريدج يعتقد ان وردزورث يهاجمه على الملأ ويشنع بأنه غريب الأطوار يدس أنفه فى كل شىء . ولكن وردزورث ينفى هذا كله لزوجته ولا يظهر لزميله غير المحبة والود . فهو يتحدث عن « الحب والحنان اللذين أحملهما لكوليريدج - واللذين أعتقد أنه يحملهما لى » .

ومع ذلك فلابد لكل فرح من لحظة حزن . وتأتى هذه اللحظة فى نهاية الخطابات تقريباً ، حين يتبادل الزوجان الأحزان على فقد ابنتهما كاترين وهى بعد فى عامها الرابع ، ويقال ان وردزورث صار بعد تلك الحادثة مرهقاً حزيناً بارداً فى معاملته لزوجته مما أضعف علاقتهما بعدها . غير أن الخطابات تخلو من أية اشارة الى هذه العواقب .

لقد كان كوليريدج - ذلك الصديق العصبى المنحرف المزاج فى هذه الخطابات - هو القائل « ان الحب لا يربطه بالزواج .. أى رباط طبيعى . فالزواج مسألة اجتماعية وعقد اجتماعى » ولكن الزوجين أثبتا خطأه مرتين : مرة حين اتهمهما بالتشنيع عليه ، ومرة أخرى حين ربطا بين حبهما وزواجهما .. فى فترة كتابة هذه الخطابات على الأقل ولهذا فقد حفلت الخطابات بالدفء على الرغم من المفاجآت ، وبالمعلومات الجديدة على الرغم من قلة الأضواء على الشعر نفسه !

**لندن - علي الشلش**



# من روائع الفن العالمي

جمال قطب


إدجار ديجا

# ديجا

## بين الشعر والفلسفة ورقصات الباليه!

**لم ينعم ( ديجا ) بالاستقرار فى يوم من الأيام .. بل إذا أردنا الدقة فى التعبير : لم** يكن يحب الاستقرار ، كان يستمتع بحياته المفعمة بالحيرة والقلق والمعاناة ! عندما تجاوز الأربعين من عمره كان يشكو دائماً من ضعف بصره ( ومن المصادفات أن ذلك قد حدث لعبقرى آخر هو مايكل أنجلو ، وكان يحيا مثله فى عزلة موحشة وقلق وتشاؤم .. وكلاهما توقع أن يموت فى سن مبكرة ، ولكنهما عاشا حياة طويلة مثمرة .. وكلاهما هرب – فى عزلته – إلى الشعر والأدب والفلسفة ) !

اسمه الكامل : هيلير جيرمان إدجار ديجا ، ولد فى باريس فى شارع سان جورج عام ١٨٣٤ ، وعمر حتى شهد الحرب العالمية الأولى الى أن مات سنة ١٩١٧ . أى أنه شهد الرومانسية فى أواخر أيامها ، وكان من أقطاب التأثيرية .. كما كان علماً بارزاً من أعلام « العصر الجميل » وهو عصر مترف مر على الحياة الأوروبية عامة – وفرنسا بخاصة – كتحليق حالم فى سماء الابداع والمتعة والبذاخة . واستمر منذ بداية الثلث الأخير من القرن الماضى وحتى وقوع الحرب العالمية الأولى كشبح رهيب حطم كل شىء والقى بظلاله الكئيبة على الحياة الأوروبية كلها ! .

وقد تميز ( العصر الجميل ) أو ( عصر الحب والجمال ) – كما يطلق عليه **المؤرخون – بتألق ربات الجمال ، وصاحبات الصالونات ، ونجمات المسارح** والراقصات .. وظهر فيه المسرحان الشهيران ( مولان روج ) و ( كازينو دى بارى ) ، كما استحدثت مدن الشواطىء والاستشفاء والمياه المعدنية ، ونوادى القمار فى ( مونت كارلو ) وغيرها .. واشتهرت أحياء اللهو فى ( مونمارتر ) و ( مونبارناس ) وملاهى حى ( سوهو ) الأسطورية !

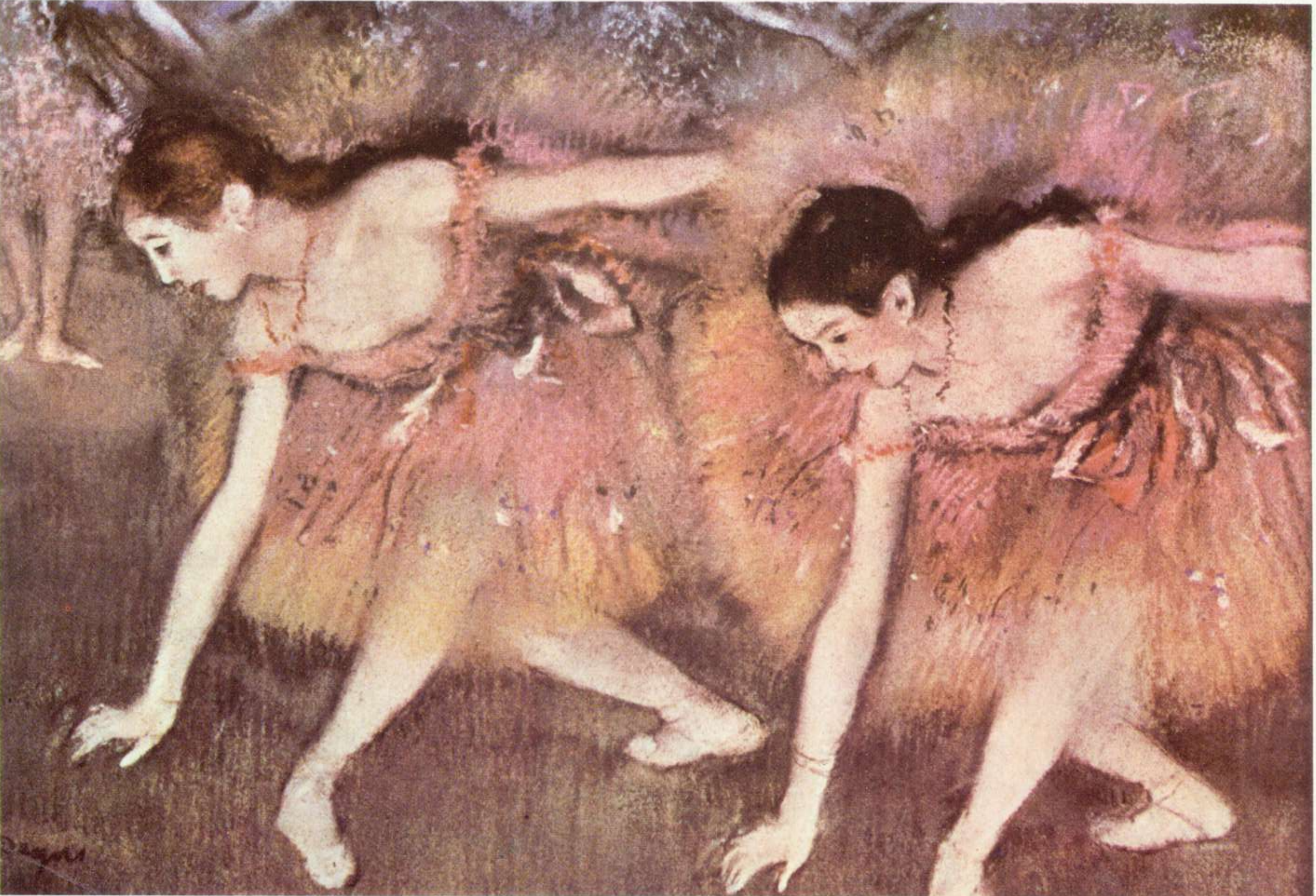
من كل هذه المظاهر الغارقة فى الترف والاسراف واللهو والفكر والفن .. ظهرت طبقة الموهوبين الأفذاذ من .. الموسيقيين والأدباء والشعراء والفنانين فى شتى الميادين .. لم ير التاريخ مثلهم من قبل مجتمعين فى عاصمة واحدة مثل باريس .

ووسط هذا الزحام الابداعى .. تألق عباقرة الرسامين المبدعين . وانشأوا مدارس فنية جديدة لم يعرف العالم أروع منها حتى اليوم ! ظهر «رينوار» و «سيزان» و «مونيه» وفناننا «ديجا» و «مانيه» و«تولوز لوتريك» و «فان جوخ» و «جوجان» وغيرهم من أقطاب المدارس التأثيرية وما بعدها مما تعمر به المتاحف العالمية شاهدة على تلك الطفرة الابداعية الرائعة !

وقد نزع « ديجا » إلى حياة الليل وأضواء المسارح وراقصات الباليه ، حتى **نستطيع القول انه قد تخصص فيها .. شغف بالراقصات الرشيقات وهن يتدربن ..** ثم وهن فى وقت راحتهن .. والنواحى الانسانية فى علاقاتهن الخاصة .. وفى استعراضاتهن الجماهيرية .. وغير ذلك !

وكانت طريقته فى رسمهن جديدة فى منظورها وتكوينها ، فقد اختار الزوايا الغريبة ، حيث كان يرصدهن من مقصورته المرتفعة فى دار الأوبرا ، ومن وراء الكواليس ومن حجرات الملابس ومن مواقف أخرى مبتكرة . وظل يرسم راقصات الباليه حتى آخر يوم فى حياته رغم المرض ورغم ضعف بصره الشديد . وفى أيامه الأخيرة وصل به القلق والضجر إلى منتهاه .. فآثر التجوال لساعات طويلة كل يوم فى شوارع باريس بلا هدف حتى ينال منه التعب ، فيأوى الى بيته وحيداً إلا من خادمه الوفى .. يتأمل حجراته الموحشة وقد غطتها عشرات اللوحات من إبداعه وابداع زملائه الفنانين الكبار .. ويحلو له أن يتصفح كتاباً بعينه لمؤلفه الشهير ( جى دى موباسان ) وقد كتب على صفحته الأولى اهداء للفنان الكبير مؤرخاً بعام ١٨٨٨ : « إلى إدجار ديجا ... الذى رسم الحياة كما كنت أود أن أرسمها أنا » !

جمال قطب



ديجا ( من اقطاب المدرسة التاثيرية ) ومن اعلام ( العصر الجميل ) لمضى حياته يتعبد فى جمال المرأة وراقصات الباليه وقصته معهن طويلة ومثيرة !

# رأيت في شراكسة الأردن :
# اخطف عروسك وتزوجها

بقلم : ضياء الدين بيبرس

**إخطف عروسك وتزوجها .. فان لم تستطع أن تخطفها .. فأنت لا تستحقها . هذه هى القاعدة الأساسية فى زواج الجراكسة ، أو الشراكسة ، وموطنهم الأصلى فى القوقاز .. ولكن بالمملكة الأردنية اليوم منهم مائة ألف شركسى .**

والشراكسة هم إحدى الجاليات النادرة جداً فى العالم ، التى تحتفظ بنقاء عنصرها الأصلى تماماً فى أى مجتمع ينتقلون اليه . ليس فقط بالحرص الدائم شبه المقدس فى أن يتزوج الرجال دائماً من نساء شركسيات .. وإنما ـ أيضاً ـ بالابقاء على العادات والتقاليد الموروثة إبقـاء قدينقلها أحياناً من خانة الميراث الى خانة الاخراج المسرحى الباهر ... والمثل الحى لذلك هو الاصرار أن «يخطف» العريس زوجته اصراراً يكاد يجعل عملية «الخطف» هذه جزءاً من طقوس الزوجية ... وبدونها لا يكون هناك زواج !

• •

شاءت الظروف أن أعيش ـ بلا سابق ترتيب أو دعوة ـ جزءاً من طقوس «الخطف» الذى يمهد للزواج الجركسى فى عمان حاضرة المملكة الأردنية . ثم تولى إكمال الصورة فيما يقع بين التاريخ والرواية ثلاثة من أبرز وجهاء الجالية الجركسية فى عمان ، هم فواز باشا ماهر رئيس الشراكسة فى الأردن ـ وهو فى نفس الوقت رئيس أركان الحرب السابق للجيش الأردنى ، وسفير الأردن السابق فى تركيا ـ وكذلك ابنته الشابة الساحرة لانا ، وأخيراً السيد محمد خير بطة ، أحد الزعماء البارزين فى شركس الأردن ، ومؤرخ عنصرهم ، وراوى فضائلهم .

والشركس بصفة عامة لا يشجعون الزواج من الاقارب . بل إنهم يستهزئون فى أغانيهم من الذين يتزوجون من أبناء عمومتهم .

وأكثر من هذا فان كثيراً من الأسباط الشركسية لا تستخدم فى لغتها كلمة «إبنة العم» أو «ابن العم» . بل يقولون : «اختى أو اخى من عمى فلان» ... وكأنهم ادركوا بفطرة المحاربين الحقيقة العلمية الوراثية المؤكدة التى برهنت على ضرر زواج الأقارب على صحة النسل ... وفى نفس الوقت فانهم يعدون الجيران ـ حتى الجيران ـ فى منزلة الأقارب بسبب انتشار شيوع إرضاع الأولاد بين أمهات الحى .

ومن هنا انبثقت عادة تنظيم الرحلات والزيارات بين أهل حى وحى ، أو بين أهل قرية وقرية ... والمطلوب أساساً من هذه الزيارات هو تهيئة الجو للتعارف بين الفتيات والفتيان عن طريق المباريات الرياضية والمسابقات والغناء . وبهذه المناسبة فان فضائل بنات الشركس تضارع جمالهن المشهود والمشهور . ذلك أن الفضيلة عندهن تنبع من الكبرياء وليس من التلقين . فالبنت فى المجتمع الشركسى تحترم وتدلل فى بيت أبيها الى حد يستنفر كرامتها الى أن تجعل احتشامها جزءاً من وجدانها ...

وينتج من الزيارات المتبادلة ، بين الأحياء والمناطق الشركسية فى الأردن ، أن يلعب «كيوبيد» دوره ، ويخفق قلب كل اليف الى اليفته فيبدأ الفتى بالتردد على منزل فتاته ـ بعلم أهلها وتشجيعهم ـ فى حرية تامة ، وبدون أى ارتباط مسبق ، وعلى أساس تبادل الاختيار ...

فاذا ما رست سفينتهما على بر .. وبرح الجوى بقلبيهما ، وقررا أن يرتبطا بالزواج ، بدأ أعجب فصل من دراما الزواج فى مجتمع الجراكسة ، وهى دراما «تراجيكوميك» يختلط فيها العنف بالملهاة .

ذلك أنه بمجرد أن يعلن الفتى والفتاة أنهما يريدان الزواج ، يعقب ذلك على الفور ، ودائماً ،

وكقاعدة أساسية من قواعد لعبة الزواج لا خلل فيها ولا إخلال بها ... نقول يعقب ذلك أن يكشر أهل العروس عن أنيابهم للعريس ، وينهرونه بجفاء ، ويحجبون عنه الفتاة ، ويمنعونه من التردد على دارهم ... ويبدأ أهل الفتاة ـ دائماً ، ودون أن تنكسر علاقة الأهل فى العائلتين ـ يبداون فى شن حملة قاسية وشرسة على سمعة الفتى على مسمع من الفتاة : يذمونه ، ويرمونه بشر التهم ، ويتهجمون عليه بقوارص الكلم ، مؤكدين أنه غير أهل لمصاهرتهم .. وأخيراً ، فقطعاً لدابر كل شك ، يعلن الأب بوضوح ، وبلغة شركسية فصيحة ليس فيها مساحة للتاويل او التفسير ، أنه لن يزوج ابنته لهذا الفتى بالذات .. وليدق برأسه الحائط إن شاء !

وهكذا يسدل الستار عن الفصل الأول من فصول التمثيلية . إنه فصل يتكرر فى مستهل كل مشروع زواج . شاهده محفوظة . بمهاراته وحـواره وتحركات ممثليه تكاد أن تكون فى مرتبة القانون غير المكتوب . ولم يحدث أن بدأ زواج شركسى الأردن ـ وفى غير الأردن ـ بدون هذا «السيناريو» ! ...

بعد ذلك يبدأ الفصل الثانى وهو أشد إثارة من الفصل الأول بمراحل .

فالعريس ، إذ تصله مذمة أهل فتاته ، وتحديهم له ـ ذلك التحدى المتفق عليه ! ـ مفروض فيه أن تتحرك نخوته لانقاذ الفتاة من هذا الحصار ، ولشفاء قلبه مما يكابده من غرام .. ومن هنا فانه يرسل اليها ـ مع اخته أو اقرب نساء عائلته اليه ـ موعداً يحدده لـ : «اختطافها». ودائماً تكون والدتها على علم بالموعد المذكور .. حتى تعدها لـ «فرار» وهى على اجمل حال ... وينشغل العريس بتهيئة خطة «الاختطاف» ..



وعادة تكون هذه الخطة محكاً لتقييم قدرته وشجاعته وفروسيته . ودائماً عليه أن يسر بالأمر وساعة الصفر لأصدقائه الخلص ... وهؤلاء عليهم أن يهبوا لنجدته ، ويتطوعوا لمعونته ، فيأخذون فى دراسة الطرق المؤدية الى قرية العروس : أيها يسلكون فى الذهاب والأياب ؟ وهل هى قريبة تقوى على قطعها الخيل دفعة واحدة أم هى بعيدة تحتاج الى تبديل الخيل ؟

وعادة تتناول هذه «الدراسات» أيضاً عمل «كمائن» لمنع تقدم المطاردين . وتحديد عدد المدافعين ، وتحديد الصديق الذى «سيضعون» عنده العروس بعد اختطافها – لأن العريس لا يأخذ العروس مباشرة الى بيته طبعاً – وهكذا تقضى قواعد اللعبة !

فاذا ما فرغوا من ذلك كله ، وحانت ساعة الصفر ، امتطوا ظهور جيادهم ، وخرجوا من قريتهم «خلسة» ، متوجهين الى منزل العروس فى جنح الليل . ويتقدم العريس الى باب عروسه حيث تنتظره فى كامل زينتها ، ويحملها العريس على ظهر حصانه .. وإذ يصل ورفاقه الى حدود القرية بعد اتمام عملية «الخطف» .. يتوقفون ويطلقون ثلاث أعيرة نارية متفقاً عليها بين المجتمع الشركسى ، إيذاناً لشباب القرية بخطف إحدى فتيات القرية .. فيهب الفرسان من نومهم – أو هكذا يصور الأمر لأن الموعد فى الحقيقة متفق عليه سلفاً بين القريتين – ويرتدون عدة القتال ، ويسرجون الخيل ، ويلجمونها فى دقائق معدودة ، ويلحقون بهم .. وإذ يقتربون من الكمين المنصوب لاعاقة الملاحقين ينذرهم فرسان الكمين باطلاق عيار نارى فى اتجاههم ...

هنا تقضى قواعد سيناريو «الخطف» أو تمثيليته ، تقضى على المطاردين بأن ينصاعوا لهذا الانذار ويرجعوا الى بيوتهم مرتاحى الضمير لأنهم بذلوا ما استطاعوا للحيلولة دون إتمام عملية الخطف (فالمسالة كلها ليست أكثر من تقليد متفق عليه سلفاً) ...

هذا هو المفروض . ولكن – كما يحدث أحياناً على خشبة المسرح من خروج الممثلين على النص .. يحدث أحياناً على مسرح عملية الخطف الوهمية أن يكون من بين هؤلاء الفرسان المطاردين من تأخذه العصبية أو الحمية أو المشاعر الشخصية أو فتوة الصبا فيصر على ألا يأبه للكمين .. وهنا يكون على المتربصين أن ينذروه مرة ثانية ، ولكن بأسلوب آخر ، هو قتل جواد الغير بعيار نارى ... وبعدها يعود الفارس مرتاح الضمير !

## نصف ساعة فقط

الآن تمت مراسم الفصل الثانى من تمثيلية «إخطف عروسك لكى تتزوجها» . وذلك حين يسدل ستار الفصل الثانى على العروس وقد حملها خطيبها ورفاقه الى منزل أحد وجهاء القوم ذوى البأس .. وهذا عليه أن يعتبرها فى عداد بناته ... ثم يبدأ الفصل الثالث !

إن هذا الفصل يبدأ بأن يشكل هذا الوجيه وفداً من أهل القرية أو الحى ويتوجه بهم الى والد الفتاة المخطوفة لكى يسترضوه ويلينوا قلبه !

هذا الوفد يسمونه فى الأردن : «الجاهة» ... ولابد أن يستقبلهم الوالد بعبوس مصطنع وتجهم متفق عليه .. وبرود «مبرمج» ! ... ولكن باحترام .. وبخاصة أن هذا الوفد ، أو «الجاهة» .. يصطحب عادة معه بعض عجائز القبيلة أو الحى أو القرية التى ينتمى اليها والد العروس المخطوفة .

ومايزال الجميع بالوالد يسترضونه ويقدمون اليه الأعذار ، ومايزال هو يتابى أول الأمر ويتمنع .. حتى يمر وقت كاف لارضاء كبريائه ، فيقرر الصفح ، والرضا بخطبة الفتاة الى عريسها ...

ويستحيل ... يستحيل أن يتم زواج فى مجتمع الجراكسة فى الأردن من دون تتابع المشاهد التى رأيناها فى تلك الفصول الثلاثة ... ويلاحظ أن الفصل الثالث لم يتم بعد ...

ذلك أنه بمجرد موافقة الوالد ، تنقل العروس من دار الوجيه الحامى الى دار فتاة فى مثل سنها يطلق عليها اسم «الأشبينة» . كذلك يذهب العريس الى دار أحد أصدقائه ويسمى «الأشبين» .

والمفروض أن «الأشبين» و «الأشبينة» – ومعناها شبيه الأخ وشبيهة الأخت – نقول أن المفروض أنهما هما المتكفلان بنفقات العرس الباهظة وهنا تخف تقاليد التراحم والكرم الشركسى لاسعاف الأشبين والأشبينة ! ذلك أن العادة قد جرت أن تشكل وفود من الشبان والفتيات مصحوبين بموسيقاهام الشعبية ، الى القرى المجاورة لدعوة شبابها ... فكل دار تصدح أمام بابها الموسيقى ، تعتبر مدعوة للعرس ... (وهذه الطريقة فى توجيه الدعوة لا يوجد لها مثيل فى أى مجتمع فى العالم ... إذ لا يستطيع المدعو أن يتعلل بأن الدعوة لم تصل اليه فى البريد (!) ... والمفروض أن يأتى المدعوون وفى أيديهم هدايا ثمينة .. بهدف مساعدة دار العرس ...

كذلك تجرى المبارزات والمسابقات على جوائز مقدمة من الأصدقاء ، كالخيل والبقر ، والغنم ، والسجاد ، والشيلان ، وما أشبه ... وعلى الفائزين بتلك الجوائز أن يقدموها هدية للعريس والعروس ...

## مغزى الحكاية المعقدة

ولا يسمح الأشبينة والأشبين للعريس والعروس بأن يتم زفافهما إلا بعد فترة احتفالات معقولة تعقب عقد القران الشرعى .. وبعد اللتى واللتيا يحدث أن يأخذ الصديق المضيف العريس خفية فى آخر الليل الى دار صديقة العروس (أشبينتها) التى تكون هى والعروس بانتظارهما ... ويسمح للعروس بخلوة لا تطول أكثر من نصف ساعة بحجة أن الافراط فى ملذات شهر العسل تضر بالصحة .. ويعود الصديق بالعريس الى داره (دار الصديق) .. حيث يمنع من الاتصال بعروسه منعاً باتاً لمدة أسبوع كامل ... وبعدها ينتقل العروسان الى دار الزوجية !

حكاية معقدة كما نرى .. ولكن ما هى حكمتها ؟

يقول الجراكسة ، بحماس ولكن بلا ابتسام ، ان الزواج بهذه الطريقة يوثق كيان العائلة الشركسية ، ويربط الفتى والفتاة برباط الزوجية الذى لا سبيل الى انفصامه . فقد سبق ورأينا أن عائلة العروس ، عمدت قبل عملية الخطف الى قطع الصلة مع الفتى . وأخذت تجاهر بذمه والحملة عليه ، وحرمت بعد إباحة كاملة ، على ابنتها أن تلقاه أو تجتمع به ...

ثم رأينا كيف انتهى هذا الموقف بخطف الفتاة ، وكأنه حادث وقع رغم أنوفهم ، وخارج حدود إرادتهم .. إذن فمعنى ذلك أن الفتاة وحدها هى المسئولة عن الزواج وليسوا هم ... فهى التى اختارت العريس وليسوا هم .. وليس من حقها أن تعود فتشكو من زوجها لأن أحداً لن يجيبها إلا بهز الأكتاف ...

كذلك يفهم الزوج أن فتاته اختارته من بين عشرات الفتيان ، وأنها قارنت بين رضاء أهلها ورضاه ، وطاعة أهلها وطاعته ، فاختارت رضاه هو ، وضربت رغبة أهلها عرض الحائط .. وهى تعلم أن أهلها سيذكرونها بكل هذا اذا ركبت رأسها وجاءتهم تختصم زوجها ...

فى نفس الوقت ، فان أهل الزوج يعطفون على وضع الفتاة ، إذا تزوجت بفتاهم رغم أنف أهلها ... ومن هنا فانهم ينزلونها من أنفسهم منزلة الابنة العزيزة ويبدلونها أهلا بأهل . وهى بهذا الشعور وهذا الاحساس تقبل على بيتها الجديد بجماع قلبها ووجدانها ، تحس بأنها حطمت كل الجسور خلفها ، فلم يعد لها إلا هذا البيت ...

ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا تندر فى المجتمع الجركسى حالات تعدد الزوجات ... فالرجل الشركسى ليس مستعداً لخطف زوجته مرتين .. والزوجة الشركسية ليست مستعدة لقبول شريكة لها فى زوجها ... بل إن حالات الطلاق فى المجتمع الشركسى تكاد تصل الى درجة الصفر تقريباً ، وعلى سبيل المثال فان حالات الطلاق بين الشراكسة فى الأردن لم تزد عن خمس حالات فى أربعة أعوام من ١٩٧٤ الى ١٩٧٨ ، مقابل ستة آلاف حالة زواج ، بدأت كلها – وبلا استثناء – بخطف الزوجة فيما عدا حالة واحدة يذكرها تاريخ هذه الفترة على سبيل التحديد ، وهى خطبة حفيد أحد السياسيين العرب المعروفين لكريمة فواز باشا ماهر رئيس الطائفة الشركسية فى الأردن ... وقد تم التخلى عن عادة الخطف هذه بناء على رغبة شخصية لشخصية كبيرة لها اعتبارها العام .

فهل تحب أن تتزوج شركسية ؟!

ضياء الدين بيبرس







### ليلة دمشقية

# الأفندية والنرجيلة وخيال الظل

بقلم: عادل أبو شنب

تلك الليلة فى الشهر الماضى كان رواد مقهى الدرويشية الشعبى فى دمشق مختلفين عن رواده العاديين . كانوا ، هذه المرة ، أفندية . احتلوا منذ الساعة الثامنة الكراسى الخشبية ، وفيهم من دخن النرجيلة . ولم يكن المقهى مختلفاً . تلك الليلة . عنه فى الليالى السابقة ، ولن يكون مختلفاً عنه فى الليالى القادمة إلا بوجود خيمة صغيرة ركبت فى أحد أركان المقهى ، وتميزت هذه الخيمة بشاشة من الكتان الأبيض . إنها دعوة لعرض من عروض فن خيال الظل المندثر ، فكر أحد محبى هذا الفن أن يحييه بعد موت دام ربع قرن أو أكثر قليلا فى دمشق .

# الأفندية والنرجيلة وخيال الظل



جمهور خيال الظل في مقهى الدرويشية بدمشق



امرأة من شخصيات خيال الظل

## العرب عرفوا المسرح

عزفت موسيقى متواضعة على نحو ما كان يجرى فى عروض خيال الظل (أو كراكوز وعيواظ كما كان يسمى فى دمشق باسم شخصيتيه الرئيسيتين) ثم قام الى الخيمة عبد الرزاق الذهبى ، صاحب فكرة بعث الفن الميت ، فحرك الشخوص وتكلم بألسنتها ، وشاهد الجمهور الخليط حكاية ملخصها أن الحمار يتجنب الحفرة التى يقع فيها مرة ، فى حين أن الانسان لا يتجنبها . كركوز وعيواظ الأول الغبى الذى يقع فى المقالب ، والثانى الذى يتفنن فى التخطيط للمقالب ، وبكرى مصطفى السكير القبضاى ، والمدلل،وغيرها من شخوص فن خيال الظل الدمشقى .. كانت ماثلة ، فكاننا كنا قبل نصف قرن من الزمان ، وكان الهيئة العامة والخاصة التى استحوذت على مشاعر الجمهور طوال سبعة قرون فى البلاد العربية ، بل فى العالم الاسلامى ،قد زارتنا بعد غياب . لا لتقول لفنون هذه الأيام : اذهبى لأكون مكانك ، بل لتذكر أن العرب قد عرفوا المسرح من قبل ، فما هذه الفصول التى يشخصها رجل واحد بواسطة دمى جلدية ملونة تجرى وتتحرك وتعيش من وراء ستارة بيضاء مضاءة ، إلا الظاهرة المسرحية الرائعة التى سادت فى بلادنا فسدت مسد المسرح المتعارف عليه (ذى الأبعاد الثلاثة) ، فكانت ارثنا المسرحى الذى علينا أن ننظر اليه باحترام ، لأنه على الأقل ، ينفى عنا تهمة أننا لم نعرف المسرح إلا فى العصر الحديث .

زعموا أن موطن خيال الظل الهند ، فقال بعضهم إنه جاءنا من جاوه ، والمستشرقون الألمان قالوا انه وصل الى العالم الاسلامى عن طريق الصينيين . ومن الثابت انه انتشر فى البلاد العربية مثل غزوات التتار ، والمؤرخون ابن أياس والمقريزى والأبشيهى يروون كيف تم انتشاره فى بلادنا ، وكيف أصبح حرفة لها عمالها وكتابها ومحركو شخوصها الذين هم أهم عنصر فيه لأن الحوار يجرى بألسنتهم ، وبراعة محرك الشخوص (الكراكوزاتى) أنه يتكلم بألسنة الشخوص جميعاً ، فيقلب صوته وفق الشخصية المتكلمة .

## كيف يتم العرض

يجرى العرض بأن يقف محرك الدمى داخل الخيمة دون أن يراه الجمهور ، وعلى أنغام الطبل والمزمار يبدأ الفصل بتحريك الدمى من وراء الستارة البيضاء التى تشبه شاشة التلفزيون أو شاشة السينما (فى الواقع هاتان الشاشتان هما اللتان تشبهان شاشة خيال الظل لأن هذا الفن أقدم) . وتجرى الحوادث كما فى الفصل المعروض ، وينفعل الجمهور بالقصة وبالحوار الذكى والجميل الذى هو حوار مسرحى حقيقى الى أن ينتهى الفصل مع ضحكات الرواد واستمتاعهم وحصولهم على العبرة المتوخاة

وقد يكون مؤسفاً أن الباحثين والمؤرخين العرب لم يلتفتوا فى العصر الحديث ، الى هذا الفن إلا قليلا . وفى دمشق أقدم مستشرق فرنسى أيام الاحتلال الفرنسى ، وبالتحديد عام ١٩٢٨ على نقل عدة فصول محلية ، وقد نشرت بعد موته فى مجلة «الدراسات الشرقية» التى كانت تصدر فى باريس (العدد





كراكوز وعيواظ فى مشـــهد تمثيلـــى

الصادر فى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) وأبرزها فصل الحمام المشحون بالمواقف المضحكة والكلمات البذيئة ، فقد أصبح فن خيال الظل فى دمشق سفيهاً فى أيامه الأخيرة .

## تراث مسرحى عربى مهمل

إن العودة الى خيال الظل فى أواخر القرن العشرين ، وفى مقهى شعبى من مقاهى دمشق .. لا تستهدف إحياء هذا الفن وتوظيفه ، وان كان مايزال قائماً وموظفاً فى بعض اقطار جنوب شرقى آسيا (اندونوسيا مثلا) لكنها تستهدف لفت الأنظار الى تراث مسرحى عربى مهمل ، هو بالتاكيد الدليل على وجود الظاهرة المسرحية عند العرب ، إن لم تعتبر فن خيال الظل مسرحاً كاملا ، ودعوة الى دراسة نصوصه المتناثرة هنا وهناك التى تعطينا صورة عن طبائع وأنماط السلوك والتفكير التى كانت سائدة ، فى مرحلة من مراحل الزمان فى بلادنا ، كما تضعنا أمام نماذج من الكتابة الشعبية التى لم تنقلها المخطوطات والكتب الينا للأسف . وقد يكون الاغراء كبيراً عندما نعلم أن محركى دمى خيال الظل كانوا بمثابة الصحف والجرائد التى تنقل أحداث اليوم ، وكانوا ـ وهذا هو المهم ـ من الدعاة والمحرضين السياسيين الذين لعبوا دوراً بارزاً فى إزكاء الروح الوطنية .. فى مرحلة هامة من مراحل تاريخنا القومى ، وعلى سبيل المثال .. لجأ فنانو خيال الظل الجزائرى الى الجبال فى منتصف القرن الماضى عندما أصدر المستعمرون الفرنسيون أوامرهم بمنع هذا الفن تحت طائلة العقوبة .

## الشخوص نماذج مصغرة

وكلمة فى شخوص فن خيال الظل : إن المضمون الذى حملته شخوصه على الرغم من أنها مصنوعة من الجلد الملون ، هو مضمون اجتماعى حقيقى ، فقد تجاوزت الشكل الجلدى ، وأصبحت نماذج مصغرة لأشخاص موجودين فى الحياة اليومية ،

يفكرون ويتصرفون فتعكس هذه النماذج أنماط تفكيرهم وتصرفاتهم ، ومن هذه الزاوية يبدو هذا الفن قريباً من المسرح الحالى ، بل يبدو كأنه قد تجاوزه فجعل التقليد يتم بواسطة دمى ، كى يكون الرمز معبراً .

لما فتح كركوز وعيواظ ، فى أحد الفصول دكانا لبيع اللحوم .. استخدما أخاهما دأميتو كأجير فكان يسأل الزبائن الوافدين : ماذا تريدون : لحم قطط ، أم لحم كلاب أم لحم حمير ؟ اشارة الى ما يجرى أحياناً فى الواقع السيىء وعلى هذا النحو كانت وظيفة فن خيال الظل الاجتماعية ، وكانت شخوصه دعاة تنبيه وإيقاظ وتوعية فى قالب من الاضحاك لا مثيل له .

سهرة مقهى الدرويشية أعادتنا الى جانب مضيء فى إرثنا الفنى .

عادل أبو شنب

# زبرجدة إلى أمل دنقل

شعر: حسن طلب

إن كنتَ لا تذكُرني ، فَأنا الذى نَاصبْتُك من قبلُ العداءَ وكنتُ بادلتُكَ بالجَفاءِ الجَفاءَ ، انا الذى قابلتُكَ فى الغَداةِ فقاتلتُكَ كنتُ بسرِّ الأداءِ وسحرِ الآداةِ ، وأنا الذى جالستُكَ فى المساءِ فذمَمْتُ بينَ يديكَ الهوىٰ وشكوتُ اليكَ مكرَ النساءِ ، وأنا الذي نادمتُكَ فى العَشيّ .. وقلتُ : إنّكَ أنتَ الوصيُّ وكُنْيَتُكَ النّطاسيُّ .. فقلْتَ لى : وإنكَ أنتَ الجَديرُ وكُنْيتكَ النّحريرُ ، فلئن كنتَ قد ذكرتَنى ، فدعْنى لأعودَكَ العيادةَ الصّريحهْ
سأصطفى بعضَ الشّذىٰ المُتاحِ
والزّنابقِ المتيحَهْ
وأكْتفى بهذهِ الأيقونةِ الفَصيحهْ :
يا صارِفَ الأذىٰ .. وربّ كل من ضلّ أو اهتدىٰ
يا واحِدَ النّدىٰ
رِقّ لواحدِ القريحه

•••

قالَ : فِضْ
قيلَ : فاضْ
وجرىٰ السّيلُ بالوَيلِ
حتى إذا غمرَ البرْلمانَ
وأغرقَ دارَ الحُكومَةِ
والافتات الطّوالَ العِراضْ
قال : غضْ
قيلَ : غاضْ !
ونَهىٰ النيلَ ــ قيلَ
ــ عن المنْكَرِ
احْتدَّ وهو يَصيهُ بهدمِ السّدودِ
وردْمِ الحدودِ
ورَيِّ الحياضْ
قلتُ :
من ذلكَ العارِفُ الفَذُّ ؟
هذا الذى يتألمُ والناسُ تلْتَذُّ !
قيل : امرُؤٌ
يتنبأُ باسمِ الأجِنّةِ قبلَ المخاضْ !
قلت : فلتذهبوا بى إليهِ ..
ذهبتُ :
فَألفَيْتُ لونَ المُلاءاتِ أبيضَ ( * )

تاجَ الحكيماتِ أبيضَ
مَصْلَ ارلأنانيب
شكلَ الطبيب
سألتُ : فما خَطبُهُ ؟
قيلَ :
سفّهَتِ السفهاءُ بليلِ الهَزائمِ أحْلامَهُ
ثم سوَّدتِ الهُدنةُ ــ الهدْنتانِ .. الثّلاثُ
.. جميعُ صُنوفِ التهادُنِ ــ أيّامَهُ
فتوحّدَ باللونِ .. خبّأَ فى اللونِ آلامَهُ
ومضىٰ يتقلبُ فى درجاتِ البَياضْ !
قلتُ فلْتدْخلُوا بى عليْهِ ..



دخلتُ :

- عليكَ السلامُ

- السلامُ مضىٰ .. والسَّلامةُ فى إثْرِه

- والعلامةُ ؟

- أن صباحَ النَّدامةِ حَلّ
وأن جَناحَ الحَمامةِ هاضْ !

- والخلاصُ ؟

- البقاءُ على أُهْبَةِ الموتِ مهما استدامَ

- إلامَ ؟

- إلى يومِ أن نسْتردَّ الأمانَ
وأن نستعيدَ الزمانَ

- متى نستعيدُ ؟

- إذا الديكُ باضْ !!
إنما أفسَدَ القومَ قبلكَ
حبُّ النهايةِ قبلَ البدايةِ

- والنصرُ ؟

- مَحضُ افتراضْ
يشهَدُ اللهُ أنّيَ ما قلتُ
إلاَّ الذى قد عَلِمْتُ
فَهيِّئْ سِلاحَكَ .. إن سِلاحَكَ فى الحرْبِ

- إن سِلاحى القصيدةَ

- ما الشِّعرُ عندكَ ؟

- عندى القريضُ فيوضُ الجَلالِ
وَمُطلقُ آياتِهِ
وغُموضُ الجمالِ إذا شفت عن ذاتِهِ



إنه كالزبرجَدِ فى الرَّونقِ المحضِ
أو كالبنفسَجِ فى الرَّوضِ
وهو الرياضَةُ والمسْتَراضْ

- هل نظمتَ القوافىَ ؟

- بلْ رُبَّ قافيةٍ قلتُها
.. قيلَ : من قالَها ؟!

- وعشقتَ ؟

- أجلْ ..
وَسلبتُ المَليحةَ جِريالَها

- أفسدَتْكَ العيونُ الصِّحاحُ المِراضْ
فوهِمْتَ وأوْهمتَ
ليسَ القريضُ كما قد عَلِمْتَ

- فكيفَ تراهُ ؟

- القريضُ اعتراضْ
وكلامٌ من القلبِ
يَجنحُ للشعبِ

- كلُّ اعتراضٍ جمالٌ تملَّصَ من ربقةِ الشَّكلِ
وهوَ جلالٌ تخلصَ من قبضةِ الكُلِّ

- لاشكَّ أنكَ تلعبُ بالمفرَداتِ
فهل لكَ فى الشّارداتِ الأوابِدِ ؟

- هَبْكَ جريراً وهبنى الفرزدقَ
وتعالَ لننظُرَ من سوفَ يسبِقْ !

- من سَيبدأُ ؟

- أنتَ .. فهاتِ

- أجِزْ : (*)
دمٌ يغلِى .. وصبرٌ ليسَ يُجدِى

- وأجفــانٌ مُكحَّلةٌ بســـُــــهدِ

- وصدرٌ ضاقَ بالأوطانِ ذَرْعاً

- وبالدنيا تُعيدُ بِهِ وتُبدِى

- تنَفَّسَ مثلَ بركانٍ وأرغىٰ

- كموجِ البحرِ فى جزرٍ ومــدِّ

- فهلْ تزكُو سواعدُنا ونبنِى

- كما بَنَتِ الأوائلُ كُلَّ مجدِ ؟

● ● ●

وعلى حينِ غِرَّةٍ توقفَ وقالَ : ذلك يكْفيكَ فلا فُضَّ فُوكَ .. ثم جَعلَ يضحكُ ويقولُ : ها أنتَ قد اسْتُدرِجْتَ للفخِّ ، فأينَ ما كنتَ تدَّعِى ؟ أينَ الجَّمالُ والقُبْحُ ؟ وأينَ الشعرُ القُحُّ؟ قلتُ فيالَكَ من مُخاتلٍ وصاحبِ مُشاغِبٍ ! تا للهِ إنكَ أنتَ القنَّاصُ والتُكَ الأشْصاصُ ! فقالَ وإنكَّ أنتَ الجَّوَّابُ والتُكَ الأسْطَرْلابُ ، قلتُ فناشَدْتُك اللّهَ إلاّ ما أعلَمْتَنِى : فيمَ امتزْتَ على أقرانِكَ ، وبِمَ برزْتَ اترابَكَ ؟

قالَ : بحاجةٍ مباحةٍ
وديباجَةٍ مُبيحَهْ

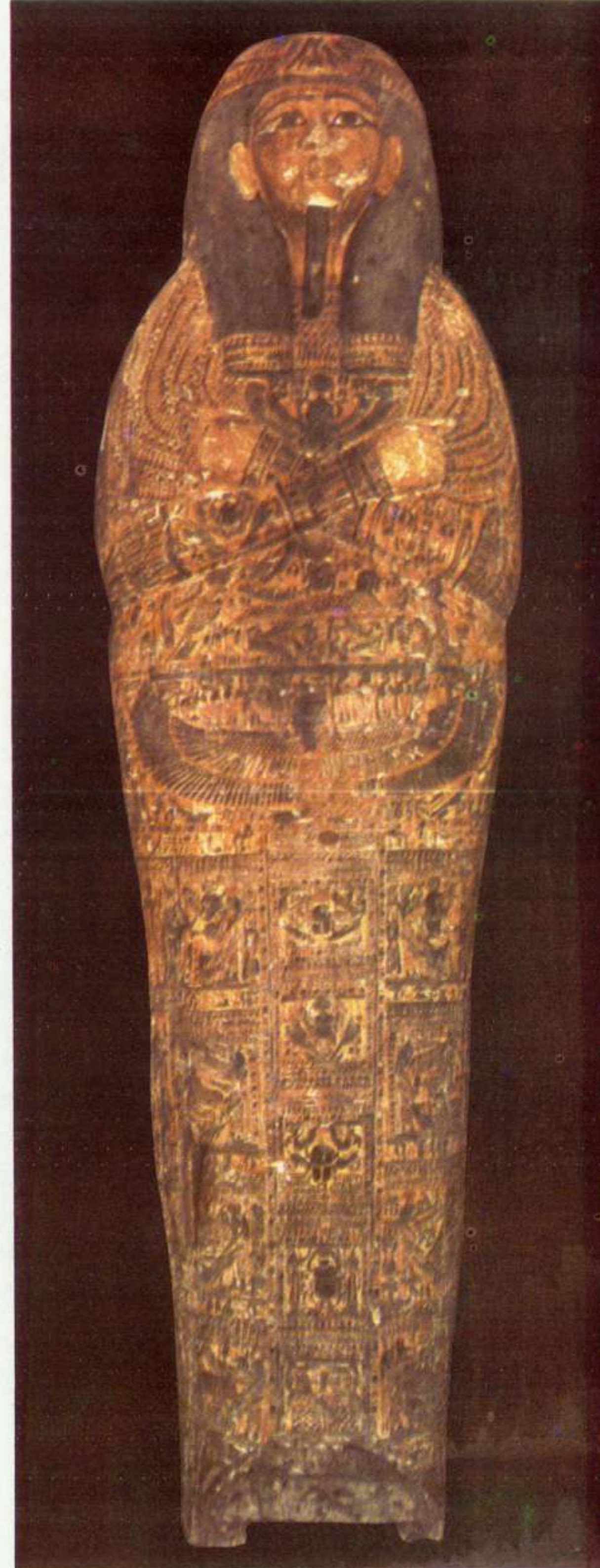
قلتُ : فيا واحدَ النَّدىٰ
رِقَّ لواحدِ القريحَهْ

(*) الأبيات الأربعة التالية من قصيدة : ( ضد من ..؟ ) للشاعر أمل دنقل بتصرف .

# مومياء فرعونية

# تحت الفحص العلمي

فريق من العلماء قام بتشريح جثة بعد موتها بثلاثة آلاف عام . كانت تلك هى المومياء الفرعونية رقم هـ ٧٣٨٦ ، التى بدأ يصيبها بعض التحلل بمتحف مدينة بريستول . قام الفريق «بفك» اللفافات حول المومياء الى حوالى ألف قطعة وعظمة وحقيبة تراب نفاذ الرائحة ، ثم أعادوها بعد ذلك الى ما كانت عليه فما هى قصة صاحب المومياء ؟



فى حوالى عام ألف وخمسين قبل الميلاد كانت المومياء رقم هـ ٧٣٨٦ كائنا بشريا حيا اسمه هاريم – كين – إيسى ، وظيفته الرسمية : رئيس العاملين بـ «قصر الصدور» ، بالاضافة الى لقبه الدينى : «كاهن معبد آمون» بمدينة طيبة ، موطن الاله آمون .

ومن الممكن أن يكون هو نفسه هاريم – كين – إيسى ، الذى سجل أعماله بالكتابة على الجدران عن رحلاته التفقدية لوادى الملوك – مدفن الملوك بالقرب من طيبة ، وذلك على صخور الوادى ، حوالى عام ١٠٦٥ قبل الميلاد . لقد كانت القبور الملكية فى يوم من الأيام منحوتات فنية يقوم العاملون الذين عاشوا بـ «قصر الحقيقة» بزخرفتها . و «قصر الحقيقة» لم يكن أكثر من مجمع سكانى قديم . لكن بحلول عام ١٠٦٥ قبل الميلاد بدأ دفن الملوك يتم شمالا . كانت طيبة مدينة منعزلة ، وكان «قصر الصدور» قرية أشباح . وكانت فرق العمال فى بعثة عمل للصيانة . وبذلك لم يكن لقب «رئيس العاملين» أكثر من مجرد رسميات بيروقراطية .

## قصير .. بدين

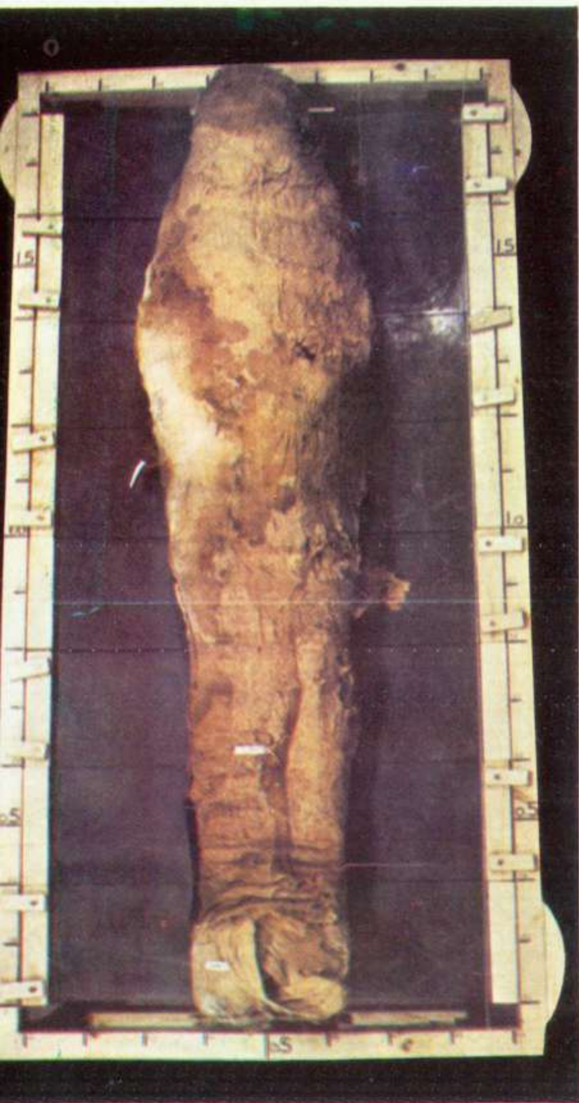
وبالتأكيد لم يتم اختيار السيد / هاريم – كين – إيسى ، من قبل العمال ، كما يتم ذلك عادة فى القرن العشرين . فقد كانت يداه محلاتين بالطلاء ويمكن للمرء أن يستنتج من مظهره أنه لم يقم بأى عمل شاق .

كان قصيراً ، بديناً ، وربما أحدودب ظهره قليلا وتصلبت عظام عموده الفقرى بفعل السمنة أو تقدم السن . فكاه قويان ، لكن أسنانه مفككه بفعل مرض وأورام سببها تناول طعام به رمال خشنة ، وربما كان أنفه معقوفاً ، وأذناه دقيقتين ، وربما كان يذهب الى المعبد حين يقوم بمهامه الكهنوتية حليق الرأس . وعاش ما يربو على الخمسين عاماً .

كل هذه التفاصيل عن رجل توفى قبل قرون طويلة ، قد كشفت بمحض الصدفة ، الصدفة البيئية !

كانت المومياء هـ ٧٣٨٦ قد شحنت بواسطة «صندوق الكشوفات المصرية» عند اخلاء معبد من كل ما فيه عام ١٩٠٦ . وقد وجدت المومياء فى تابوت مزخرف لاتزال عليه الزهور التى وضعت إجلالا له عند وفاته . وتم شحن المومياء بتابوتها من مصر الى بريستول كـ «هدية» ! من مؤسس الصندوق للمتحف . وظل هـ ٧٣٨٦ مجهولا ومستقر الحال بالمتحف ، حتى صيف عام ١٩٧٦ الحار ، حين تحللت الحزمة وارتشح الملح الكيماوى الطبيعى والتى يطلق عليها اسم «التطرون» لتصل الى لفائف الكتان الخارجية . وبدا كما لو أن مصير مومياء السيد / هاريم – كين – إيسى أو رقم هـ ٧٣٨٦ ، هو أسوأ مصير يمكن أن تتعرض له مومياء . إذ كان لابد من اتخاذ قرار بحرقها حفاظاً على الصحة العامة .

لكن مصير السيد / هاريم – كين – إيسى – أو موميائه بمعنى أصح – تغير فانقذ ، إذ تقرر معاملته كحفرية أثرية استثنائية .







اربع لقطات للمومياء الفرعونية تحت الفحص العلمي لفريق العلماء تحت رئاسة ديفيد داوسن .



لقد تحللت عدة مومياءات من قبل ، بأسلوب علمى ، تاركة من السجلات ما هو سرى ، كأنه ملفات الأطباء الخاصة عن مرضاهم . وقد أدرك ديفيد داوسوف أمين الآثار بمتحف بريستول ، أن ما كان ينقص هذه السجلات ، هو تفصيلات عن فك الأربطة واللفائف . فقد كان الأطباء المتحرقون شوقاً لدراسة لحم وعظام أى مومياء ، يزيلون اللفائف بسرعة وبغير دراسة . لذلك قرر داوسون دراسة اللفائف الكتانية عن طريق فكها ببطء . خاصة وأن تاريخ هـ ٧٣٨٦ يعود الى الأيام التى تجلت فيها مهارة «الحانوتيين» المصريين فى التحنيط ، أيام الأسرة الواحدة والعشرين . لذا كان من رأى داوسون أن يقوم الأطباء بتكرار العملية الأصلية ، ولكن بترتيب عكسى .

## فريق عمل

تكون فريق عمل من خبراء المتحف ، وعدد من أساتذة كلية الطب بجامعة بريستول ، ومتخصصين فى فروع مختلفة آخرين . واستخدم الفريق غرفة العمليات بقسم التشريح بكلية الطب بالجامعة .

وبدأ الفريق العمل :

أخذوا يفكون الأمتار تلو الأمتار من اللفائف . ووسط اللفائف فى احدى مراحل «الفك» كانت هناك «علامة الخلود» : بعض الكلمات بالهيروغليفية باسم هاريم ـ كين ـ إيسى . (وكان الاسم قد كتب بنفس اللغة على ورق فى التابوت نفسه ، والى جانب الاسم ، كانت هناك جميع ألقاب السيد / هاريم) . وهكذا تطابق ما جاء فى التابوت مع ما بداخل المومياء : الاسم ، والألقاب التشريف .

ما الذى كشف عنه فريق العمل ؟

التأكد من شخصية «المومياء» ، وهو شىء له أهميته فى «الاجراءات الجنائزية» فى مصر القديمة .

أما تشريح «الجثة» ـ المومياء ـ فلم يبح بالكثير مما كانوا يأملون فى معرفته . فلم تكن الأحشاء بالجثة ، ولم تكن معبأة معها ، أو موجودة معها فى «عبوات» منفصلة . وقد قلل هذا من فرصة حل الكثير من الأسئلة والاستفسارات الباثولوجية التى كان من الممكن دراستها فى الجثة ـ المومياء . وقل أكثر حين تم اكتشاف أن التحنيط تم بطريقة متسرعة الى حد كبير .

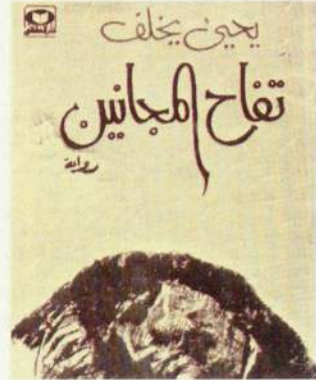
بحيث زحفت الخنافس على المومياء ، فلم تبعدها الأملاح والصمغيات عن الزحف على المخ والأرجل بينما ظل الجسم محتفظاً بشكله العام بمزيج من طمى النيل والأملاح وقشر الحنطة .

ولم تضع أى ذرة من ذلك كله ، لقد احتفظ بها كلها ، متحف بريستول : حتى تلقى الضوء أكثر على من يريد أن يتابع سيرة حياة هاريم ـ كين ـ إيسى !

# دليل القارئ الذكي



● تفاح المجانين .
تأليف يحيى يخلف .
نشر دار الحقائق للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٢ .




تفاح المجانين رواية للاستاذ يحيى يخلف ، الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، والرواية مهداة الى الشهيد ماجد ابو شرار ، ماجد الانسان ، والقائد ، والمثقف الثورى .

بالرغم من قصر الرواية الذى لا يتعدى المائة صفحة ، إلا انها تعكس بكثير من الواقعية الثقافية لنفسية الانسان الفلسطيني ، وهمومه اليومية فوق كل أرض تواجد عليها ، فى فلسطين ، فى الأردن ، فى سوريا ، فى لبنان أو فى أى أرض تواجد عليها ، أما أشخاص الرواية ، فانها تنبض بالحياة ، بالحيوية ، تتجاوب مع آلام اخوانهم ، ومتاعبهم ، وهمومهم ، وضياعهم ويربطهم جميعاً آمال عظام ، وحنين كبير الى الوطن ، الى الأرض ، الى البيت ، الى التمر ، الى الشجر .. الى فلسطين ، فحافظ المؤلف فى روايته على الجو الشعبى الفلسطيني العام ، من خلال تقاليده ، وموروثاته .

الحدث الرئيسى الذى تدور الرواية حوله معاناة الفلسطينيين سواء فى أرضهم المحتلة ، أو فى مهاجرهم ، المعاناة من بطش السلطة سواء الصهيونية فى الأراضى المحتلة ، أو السلطة فى المهاجر ، فيلقى باللائمة على الفلسطيني الذى كان يترك مصيره يتلاعب فيه غيره كما يشتهى ، فى الفترة التى مرت قبيل انطلاقه ، لاثبات ذاته عندما تشجع فقضم من تفاح المجانين ، أو « تفاح المجن » وهو الاسم الشعبى الدارج ، وهو شجرة برية ، تنبت فى سهول فلسطين وجبالها ووديانها ، ولا يقصده الناس إلا فى حالة الضرورة القصوى ، أو الخطر المهدد ، أو الظلم القاهر . حيث يتحول الآكلون الى مجانين واعين ، الى ابطال فى نظر أنفسهم ، لا يهابون حدوداً أو سدوداً ، يهدون الجبال ، ويتحد ون المخاطر . ولا يرون أحداً مهما كانت قوته أو جبروته .

فأكل الواعون من هذا التفاح ، للانطلاق بوعي ، وبتفهم بأن العودة لايمكن أن تكون بالكلمات والعرائض والخطابات وقرارات الأمم المتحدة. بل تكون بالجنون الواعي ، حيث يقف فيه الثائر على قدميه مقاوماً بكل الوسائل كل من يريد التلاعب بمقدارته ، والمساومة على مصيره ، مؤمناً إيماناً راسخاً من خلال تجاربه الواعية ، عبر ثوراته المختلفة ، بأن لايمكن أن يحرر أرضه ويعود إليها ، إلا إذا تحرر من سلطة تريد أن تفرض عليه أمراً يتعلق بمصيره من بعيد أو قريب .

وركز أشخاص الرواية تفاح المجن ، فى أوقات المحن هو الملاذ ، يأكل منه البعض أنذراً حتى لا يأكله الكل ، فيكون التمرد العظيم ، والتمرد الواعي ، الذي جعل «بدر العنكبوت» - أبرز وجوه الرواية - الذي كان دوماً تواقاً إلى القوة ، ليفعل ما عجز الآخرون عن صنعه ، فجاهر لأصحابه وللناس جميعاً مايؤمن به وما يراه صحيحاً ، وكان صيفاً جافاً ، وكانت رياح هوج ، هام الناس فى البراري ، فأكل بدر من تفاح المحبة ، وتبعه أصحاب له ، والناس بين مشفق ، ومشجع ، فدبت فيه وفي أصحابه قوة عاتية ، فدحرجوا الصخور ، واقتلعوا الأشجار ، وقالوا قولتهم « ثورة حتى النصر » .

إن هذه الرواية ، التى تتسم ببساطة الأسلوب ، ووضوح الأهداف ، وبعد المرامي جديرة بالقراءة ، والتمعن ، لأن المؤلف أضاف بروايته إضافة مضيئة إلى الرواية الفلسطينية خاصة والعربية عامة .

● فن الحياة .. فن الكتابة
تأليف الدكتور أسعد علي
نشر مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر - بيروت .




إن التجديد فى عرض الأفكار ، إبداع يضفي على الموضوع عناصر التشويق ، والرغبة ، إلى معرفة كنهه ، لورود منهلة الثر .

وما كتاب « فن الحياة .. فن الكتابة » سوى إبداع فكري ، ونتاج ثقافي من نوع جديد ، لأنه ثمرة دراسة ، واطلاع ، ووعي ، إذ تكفي نظرة واحدة إلى المراجع الهائلة التى تربو على خمسمائة كتاب ، التى استعان بها المؤلف ، ليتضح مدى سعة الآفاق الثقافية ، وأصالة البحث ، التى يتمتع بها الاستاذ الدكتور « أسعد علي » مؤلف هذا الكتاب .

الحياة فن يتذوقه خبراؤها ، ولكن اختيار الحياة ، يظهر دورتها المتراوحة بين فصول ربيع ، وصيف ، وخريف ، وشتاء ، وبين فصول ولاده ، ونضج ، وهرم ، وموت ، كما يظهر اختبار الحياة بعث الربيع من صميم الشتاء .

الحياة ذات معان ومناشط ، فمن معانيها ، تحقيق الذات ، وتأكيد القوة ، وتادية الرسالة ، ومن مناشطها الفكر ، والعقل ، والقول ، فكيف يستخدم الانسان مناشط الحياة للتوصل إلى معانيها ، التى تمنح مباهجها .

هذا ما عالجه المؤلف فى فن الحياة ، فمن عشاق الحياة من يكتشف الديمومة النفسية

# إلى الكتب الجديدة ●● عرض وتقديم : حسني شحادة

ويهيىء نفسه لأن يجد الديمومة الحقيقية في مجال الحياة والشعور ، ويشترط صاحب هذه الفكرة ثلاثة شروط أساسية للحياة ، يراها في الدفقة الحيوية ، والخلق المستمر ، والحرية المبدعة ، ومن الباحثين من يتوق إلى معرفة منشأ الفكر الحديث ، ولكن معيار العمل الصحيح ، هو ما يزيد الحياة قوة ويكسبها صحة . بالأخلاقية المتفتحة ، كالبطولة ، والابداع ، والحب ، والدينية الرفيعة بالايمان الصادق ، والتسامح الخير وهذا ما يجعل فن الكتابة صورة تعبير للمباديء السامية التي نعمل على تحقيقها ، لنبلغ بذلك اكتساب منابع فن الحياة ، التي تعلم لغات النظام والادارة والمحبة والشجاعة .

يحتوى الكتاب مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، الباب الأول ، مذاهب فن الكتابة ، ومقسم إلى ثلاثة فصول ، تؤكد أن اللغة والالهام جيشان يعمان أنواع الكتابة عربية وغير عربية .

أما الباب الثاني ، فهو أنواع الكتابة الحديثة ، يتناول المؤلف فيه الاعلام النافع والصحافة والصحافي النابغ والاذاعة ، وقد تناول هذا الباب أيضاً « منابع اللغة والالهام » ، وقد تركز البحث عن الحداثة فى معالجة الموضوعات ، وقد ضرب مثلا لذلك قضية الوحدة العربية ، كيف يتناولها الاعلام ، صحافة وإذاعة ، وكتابة .

أما الباب الثالث فهو مصاب الكتابة أو فنونها ، وقد حاور المؤلف نخبة ، عبر مؤلفاتهم ، ومراسلاتهم ، ومخاطباتهم ، للتوصل إلى أحسن الصيغ ، وقد اعتمد الحوار حوالي تسعين مصدراً ومرجعاً ، أفرز عصيرها فى أربعة فصول هي : من المقالة والبحث ، منهج البحث وغرضه ، مصب البحث ومسمياته ، وحلقات البحث ، وروح التأليف .

ويقول المؤلف فى خاتمة كتابه :

« إن فن الكتابة يعني التعبير ، فما هو التعبير - ؟ أليس تعبيراً عن النفس وانعكاسات الحياة فيها ، لذلك دعوت كتب الالهام ، ونظرية الفن ، والحركة فى نظرية الشعر ، والحركة فى نظرية النثر ، باسم « فن الحياة .. فن الكتابة » ، إشارة إلى منابع الكتابة فى نفس الحي ، ومظاهر الحياة ، وهذه لا تعني النهاية ، إنما البداية فى نفوس الأذكياء الطامحين » .

## ● نحو نقد أدبي معاصر
**تأليف الدكتور عيسى الناعوري**
**نشر الدار العربية للكتاب بطرابلس – ليبيا**

الأدب عمل فنى إبداعي ، ولذلك فهو بحاجة إلى الناقد الفنان ، المتجرد بإخلاص وصدق لعمله ، هذا ما دعا إليه وعالجه « الدكتور عيسى الناعوري » فى كتابه الجديد ، « نحو نقد أدبي معاصر » ، الذى يتضمن مجموعة من المقالات التى نشرت فى المجلات الأدبية على مدى العالم العربي .

أما وظيفة النقد عند المؤلف ، فهي النظر فى الأعماق ، ودراسة الأبعاد والمقومات ، وتحليل العناصر الفنية والفكرية ، بدقة ودراية ، وتدعم هذه المعايير ، ثقافة واسعة وإحاطة بمذاهب الفكر والفن ، والأساليب الجمالية ، ليكون فى مقدور الناقد أن يبحث ويقارن ويستنتج ، ويأتي بالأحكام السليمة فى تقييم العمل الفني ، وهذا ما يجعل النقد عملا فنياً ، يعيش مع الفنون الرقيقة ، ويرافقها ، ويبرز جوانبها .

---

## ● ديوان الشعر الشعبي
**للشاعر عبد الرحمن محمد رفيع**
**نشر دار ذات السلاسل – الكويت عام ١٩٨٢م**

هذا الكتاب هو المجموعة الكاملة للشاعر البحريني عبد الرحمن رفيع ، من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨١م ، ويحتوي على ثلاثة دواوين شعرية هي : قصائد شعبية ، أول المحبة ، زمان أول بالاضافة إلى ثلاث قصائد جديدة ، وهي جميعها باللهجة بالعامية ، فهي شعر مسموع أكثر منه مقروء .

إن الشاعر إذ يقدم هذه المجموعة الكاملة ، يرجو لعشاق هذا اللون من الشعر الشعبي أن يجدوا فيه ما ينشدون من المتعة ، خاصة وأن الشاعر معروف بجودة الالقاء ، وخفة الروح ، مما جعله محبوباً فى جميع بلاد الخليج العربي .

## ● مفكرة عاشق
**للشاعر هارون هاشم رشيد**
**طبع الكتاب فى المطابع الموحدة بتونس**

هذا ديوان جديد للشاعر هارون هاشم رشيد ، هذا الشاعر طالما تغنى لفلسطين ، وطالما تمنى عودة الغرباء ، فكانت دواوينه ، البارقة للنصر الآتي .

أما ديوانه هذا « مفكرة عاشق » ، فهو قصائد للقدس ، لجدة التاريخ ، معشوقة الشعراء الأبدية ، فيهدي هذا الشاعر الى معشوقته هذا الديوان بقوله :

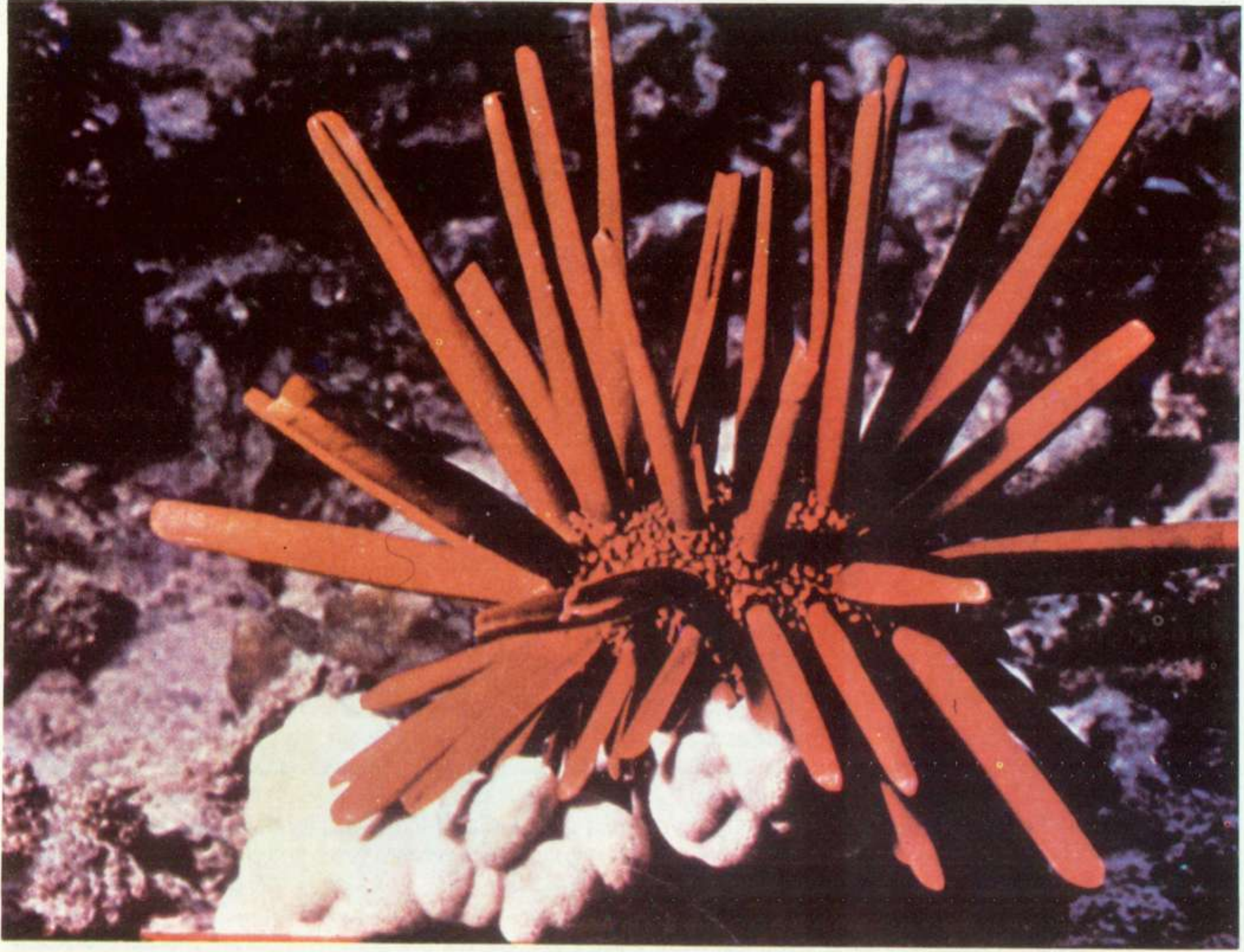
احمليني ياسرايا .. وخذيني يابيارق
فى لهيب الهول .. فى النيران ..
فى ليـل الصــواعق .
كيفمـا شئـت خذيني
فى الزوايا .. فى الخنادق ..
فى رصاصـات البنــادق
ازرعيني فى روابي القـدس
كالسيـف المعانــق
تمـرع الأرض زهـواً
وروداً وزنابــق

---

## ● الثقافة رهان حضاري
**تأليف الشاذلي القليبي**
**الدار التونسية للنشر – تونس**

يضم هذا الكتاب مجموعة من الخطب التى ألقاها الأستاذ الشاذلي القليبي ، الأمين العام لجامعة الدول العربية حالياً ، فى مناسبات متنوعة ، حول مختلف شئون الثقافة ، وأهداف العمل الثقافي ، وفلسفته ورسالته على مدى خمسة عشر عاماً ، قضاها المؤلف وزيراً للشئون الثقافية بالجمهورية التونسية .

هذه التجربة الثرية ، سوف يكتشفها القاريء بين طيات هذا الكتاب ، مصوغة فى قوالب بليغة ، واضحة المعاني ، ميسورة التناول .



قنفذ بحري سام

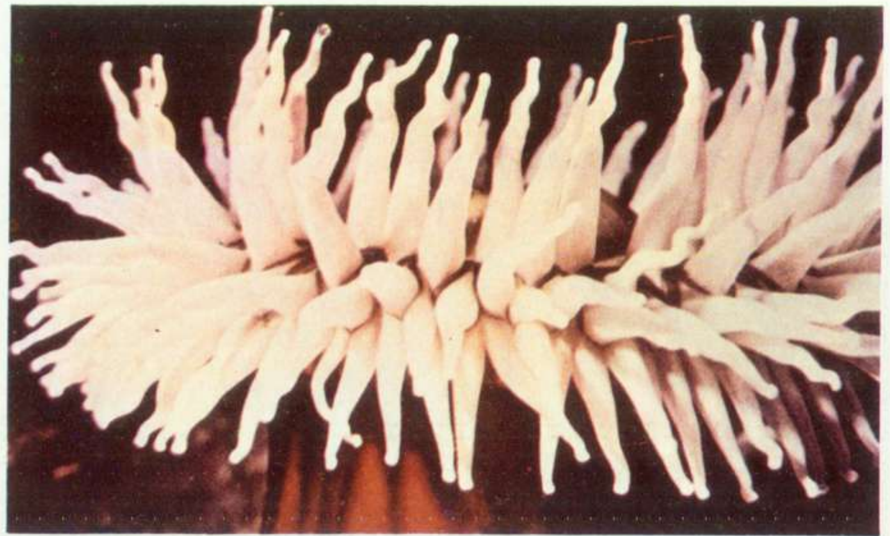
# الكائنات السّامّة في البحار

بقلم: أحمد محمد الغندور

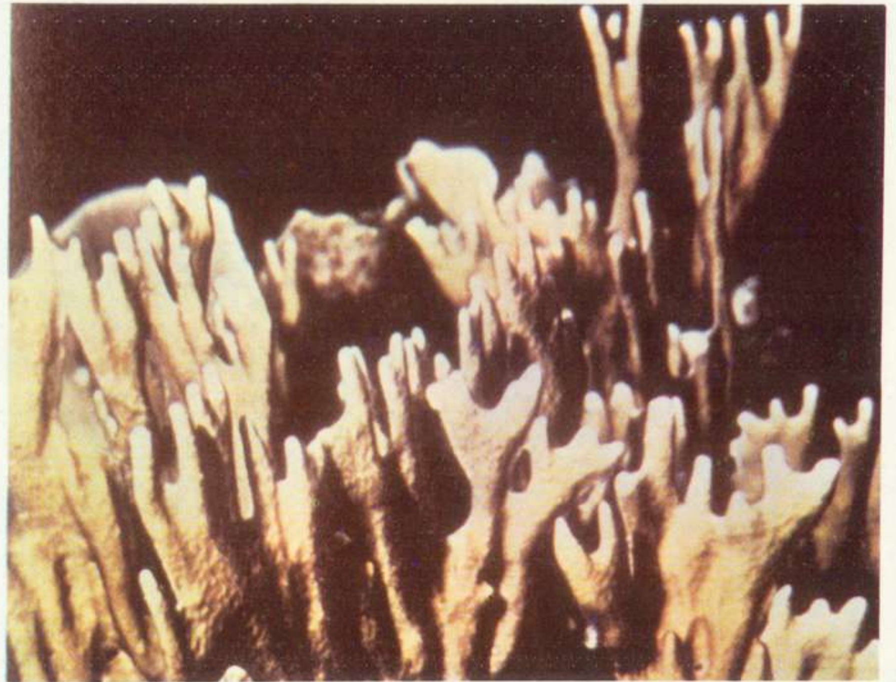
تزخر البحار بالعديد من الكائنات السامة من ثعابين وقناديل بحر ومحار وأسماك . وتشكل هذه الكائنات خطراً كبيراً لمرتادي البحار وبحارة السفن . ولكن بالرغم من خطورة بعض هذه الكائنات إلا أنها لا تهاجم الانسان أو الحيوانات الأخرى ، وإنما تستعمل السم للدفاع عن النفس وقت الضرورة وللحصول على الطعام .

يوجد حوالي خمسون نوعاً من ثعابين البحر وكلها سامة وتعيش فى المحيط الهادي وتوجد بكثرة فى المياه الضحلة الساحلية ، إلا أن بعضها يعيش فى المياه العميقة وفى عرض البحر ، وبعضها يتوغل داخل الأنهار القريبة من البحار .

وأغلبية هذه الثعابين زاهية جميلة اللون لكي لا تلفت الأعداء إلى خطورتها . وتتفاوت قوة سمها . فبعضها لا يسبب إلا ألماً بسيطاً ، ولكن قد تتساوى قوة السم عند بعض الأنواع مع سم الكوبرا . والسم هنا يسمى السم العصبي « نيروتوكسين »



نوع من شقائق النعمان التى تحتوى لوامسها على الاف الخلايا اللاسعة السامة



مرجان النار .. يحتوى على خلايا لاسعة القنفذ البحري السام أثناء حياته فى البحار .

الذى ينتشر بسرعة فى الجسم ويسبب الشلل وضعف التنفس وبالتالي الموت .

والمعروف عن هذه الثعابين أنها لا تلدغ الانسان إلا إذا وقعت فى شباك الصيادين أو إذا مشى عليها الانسان . ولكن يحذرها الانسان فى موسم التزاوج إذ تتجمع بأعداد كبيرة على سطح البحر وتشكل خطراً داهماً لكل من يقترب منها .

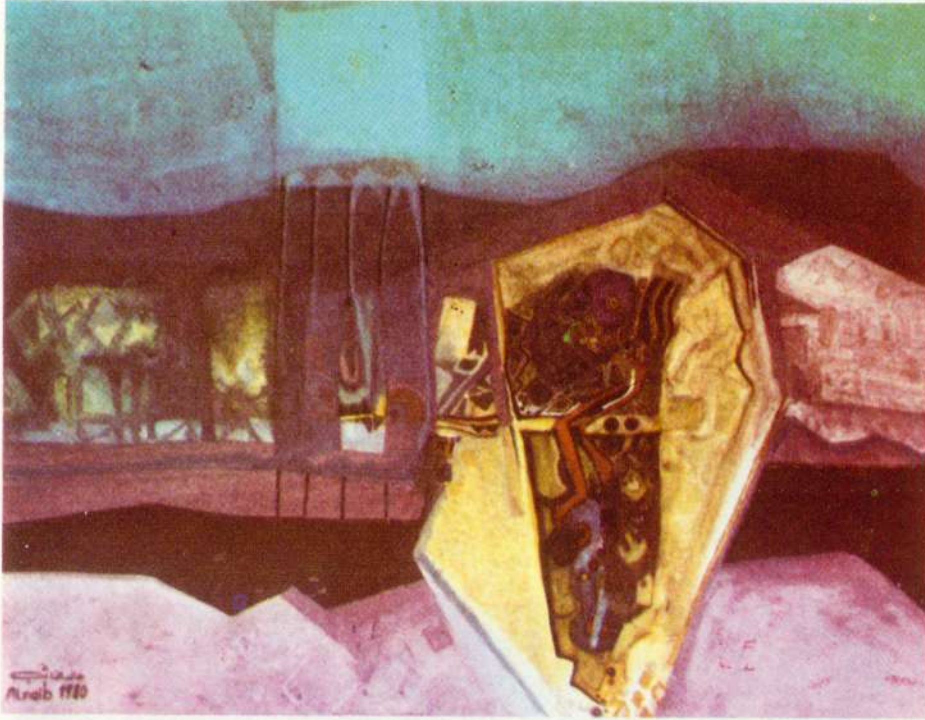
بالاضافة إلى الثعابين توجد مجموعة أخرى ضخمة من الكائنات التى تلسع الانسان أو الحيوان وتنقل السم ، ومن أكثرها خطورة بعض الجوفمعويات وهي حيوانات جيلاتينية الشكل مثل قناديل البحر ، وهذه تمتلك رأساً طويلة تحمل خلايا لاسعة تفرز سماً ، وتعد الفيساليا « رجل الحرب البرتغالي » من أخطر هذه المجموعة إذ أن لها شراعاً تسبح به فى سطح البحر وتمتد اللوامس إلى مسافة خمسين قدماً وتحمل كل واحدة من هذه اللوامس حوالي ١٠٠ر٠٠٠ خلية لاسعة ، وإن تعرض انسان لهذه اللوامس فانه يشعر بآلام حارقة ودوار مفاجىء وآلام حادة فى المعدة وشلل فى الأطراف . وقد يؤدى هذا الى الغرق . ولكن إن نجا الانسان من الغرق فان السم الذى يعد من نوع « السم العصبي » والسم الدموي ( هيموتوكسين ) يسبب ضيقاً فى التنفس والموت خلال ساعات .

وأثناء موسم التزاوج تكثر أعداد الفيساليا ، وتهب بها الرياح الى شواطىء البحر ، وعندها تغلق هذه الشواطىء وتمنع السباحة فيها . ولكن بالرغم من جهود المسئولين عن نظافة الشواطىء إلا أن بعض اللوامس تنفصل عن الفيساليا وتبقى ملتصقة بالأصداف والنباتات على الشواطىء . وإن لمسها الانسان من غير أن يدري فان الخلايا اللاسعة تلسعه فى الحال ولكن لا تسبب أذى بالغاً !! ولابد من التحذير أيضاً من المرجان وشقائق النعمان اللذين يمتلكان نفس المقدرة على اللسع وتسبب الأذى للانسان .

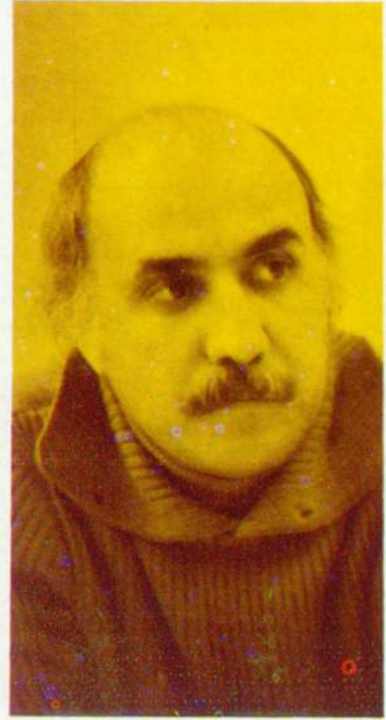
ولكن تعد القواقع البحرية التى تمتلك صدفة جميلة اللون من أكثر كائنات البحر سماً ، إذ عندما يلمسها الانسان فانها تلسع ولا يشعر بهذه اللسعة ، ولكن بعد دقائق ينتشر ألم بسيط كلسعة النحل ثم يصاب الانسان بالشلل ويتوقف القلب ويموت خلال ساعات قليلة ! ويوجد حوالي ٥٠٠ نوع من هذه القواقع ( كون شيلس ) وتعيش أغلبها فى المحيط الهندي والهادي .

توجد مجموعة كبيرة من الأسماك السامة فى البحار مثل القويع اللاسع « ستنج رايز » الذى يمتلك أشواكاً عديدة تتصل بغدد سمية . وعند الدفاع عن النفس قد تدخل هذه الأشواك فى جسم العدو وتسبب له أذى بسيطاً أو قد تؤدى بحياته نتيجة للسم الزعاف الذى تفرزه كما توجد مجموعة أخرى من الأسماك السامة مثل أسماك ( اسكوربيون فيشيس ) أو أسماك الأسد ( ليون فيشيس ) وأسماك الضفدعة ( تواد فيشيس ) وأسماك ( ويفر فيشيس ) وكل هذه الأسماك تمتلك الزعانف والأشواك وتتصل هذه بغدد سمية وقد تسبب الموت السريع فى بعض الأحيان .

بالرغم من أن هناك مجموعة أخرى ضخمة من الكائنات البحرية التى لا تمتلك أي غدد سمية ولا تلدغ أو تسمم العدو أو الفريسة ، إلا أنها تتغذى على كائنات أخرى سامة ، وبالتالي يتراكم السم تدريجياً فى الجسم حتى يصبح الحيوان السليم نفسه غير صالح لطعام الانسان . ومن الطريف أن الحيوان نفسه لا يتأثر بهذه الكائنات السامة التى يتغذى عليها . ومن بعض هذه الحيوانات أنواع من المحار وبعض أسماك القرش التى يتغذى عليها الانسان ، وبعض أنواع التونا وبعض السلاحف البحرية .



حلم ذات ليلة


الفنان خالد النائب

الفنان التشكيلي العراقي خالد النائب .. للدوحة :

# من الشوارع والمقاهي الشعبية يبدأ التجديد في الفن

أجرى الحوار : حسن الملا

بدعوة من الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .. قام الفنان التشكيلى العراقى خالد النائب بتقديم ثلاث وثلاثين لوحة من أعماله الفنية فى معرض خاص ، شاهده جمهور القطريين من عشاق الفن التشكيلى .

وفى هذا المعرض ، عالج الفنان « الحرف العربى » حيث تعامل معه رأسا كشكل قائم بذاته ومتكامل ، ولديه القدرة على التغنى بكل الألوان والحركات .

قام بافتتاح المعرض الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الأعلام .

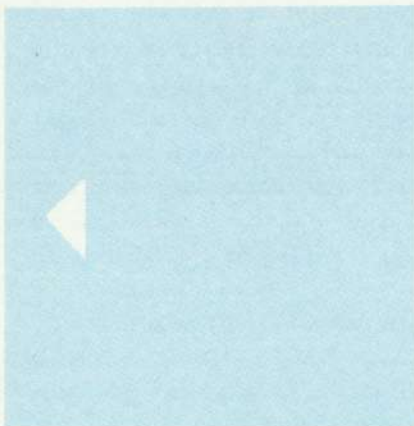
أما الفنان خالد النائب الذى التقينا به حول هذا الحوار .. فهو يعيش فى ألمانيا الغربية منذ ثلاث سنوات . وتجربة الاغتراب بعيدا عن أرض الوطن ، أرهفت احساس الفنان أكثر ، واقتربت به من ينابيع جديدة تثرى الروح ، وتعمق احساسه بالحياة .



فضاء الألم .



ولادة فى البحر

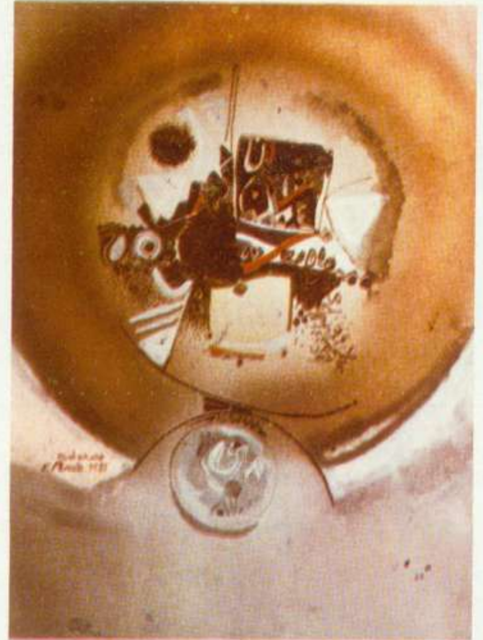


رحلة إلى مملكة التتويج

# من الشوارع والمقاهي الشعبية يبدأ التجديد في الفن



حروف راحلة



الرحلة الأبدية

قلت للفنان خالد النائب :

● حدثنا عن الحركة التشكيلية المعاصرة فى العراق .

قال :

بداية الحركة التشكيلية فى العراق قديمة . فهى تستمد أصولها من التراث القديم ، ومن الحضارات السومرية والبابلية وغيرها ، ثم الفترة الاسلامية التى ظهر فيها الواسطى ، ثم فترة الزمن العثمانى حيث ظهر فنانون عراقيون على مستوى عال من الآراء منهم عبد القادر الرسام الذى كان جندياً فى الجيش العثمانى ، والذى كان بارعاً فى رسم المناظر الطبيعية . إنه وحده يمثل احدى المدارس الفنية فى العراق .

بعد ذلك بدأت المدرسة العراقية تتكون بشكل شخصى على أيدى جواد سليم ، وفائق حسن ، وعطا صبرى . لقد التقى هؤلاء – أثناء الحرب العالمية الثانية – بعدد من الفنانين البولونيين كانوا ضمن الجيش الانجليزى فى العراق حيث قاموا بتشجيعهم على إقامة المعارض . بعد ذلك سافر فائق حسن ، وجواد سليم إلى فرنسا لدرسة الفن هناك ، وعادوا إلى العراق بعد اتمام دراستهما . وبجهود هذين الفنانين استطاعت الحركة التشكيلية فى العراق أن تنمو وأن تجذب إليها شباب الفنانين فى العراق ، حيث كان الجميع « الكبار والشباب » يلتقون فى إحدى المقاهى الشعبية فى شارع الرشيد . ذلك المقهى الذى يستقطب الكتاب والصحفيين والشعراء أيضاً . وهناك تدور المناقشات التى تتناول الفنون والثقافة عموماً . وهكذا بدأت الدولة تهتم بالفنانين ، فأنشأت معهد الفنون الجميلة .. واستطاع المعهد أن يغذى الحركة الفنية التشكيلية بالعديد من الفنانين الخريجين منهم اسماعيل فتاح ، ومحمد غنى ، ونزار الهنداوى ، وغيرهم من الفنانين البارزين .

أما الفنانون الرواد فهم فائق حسن ، وجواد سليم . والأخير ارتبط اسمه بنصب الحرية . كذلك عطا صبرى .. وأسماء أخرى كثيرة .

فى الستينات .. كانت الحركة التشكيلية فى العراق غير طبيعية . كان هناك اندفاع لدى الشباب الفنانين نحو اقامة المعارض فى الشوارع ، والقاعات ، والجداريات . ومن هذه الاندفاعة تكونت الجماعات الفنية وخلقت فنانين مجددين . الأمر الذى حدا بالمسئولين إلى بذل عناية واهتمام أكثر بالفنانين ، فأخذ الفنان يشارك فى العمارة العراقية ، والشوارع ، والميادين ، والنصب التذكارية ، وتصاميم الكتب . هكذا رأت الدولة أن يكون الفنان العراقى مشاركاً فى مختلف مجالات الحياة يضاف إلى ذلك أن الفنانين العراقيين

المعارض الفنية التى اشترك فيها الفنان خالد النائب :

● ١٩٦٧ المعرض الثالث لجماعة المجددين ــ بغداد .
عمل لوحات جدارية كبيرة للمتحف الحربي ــ بغداد .

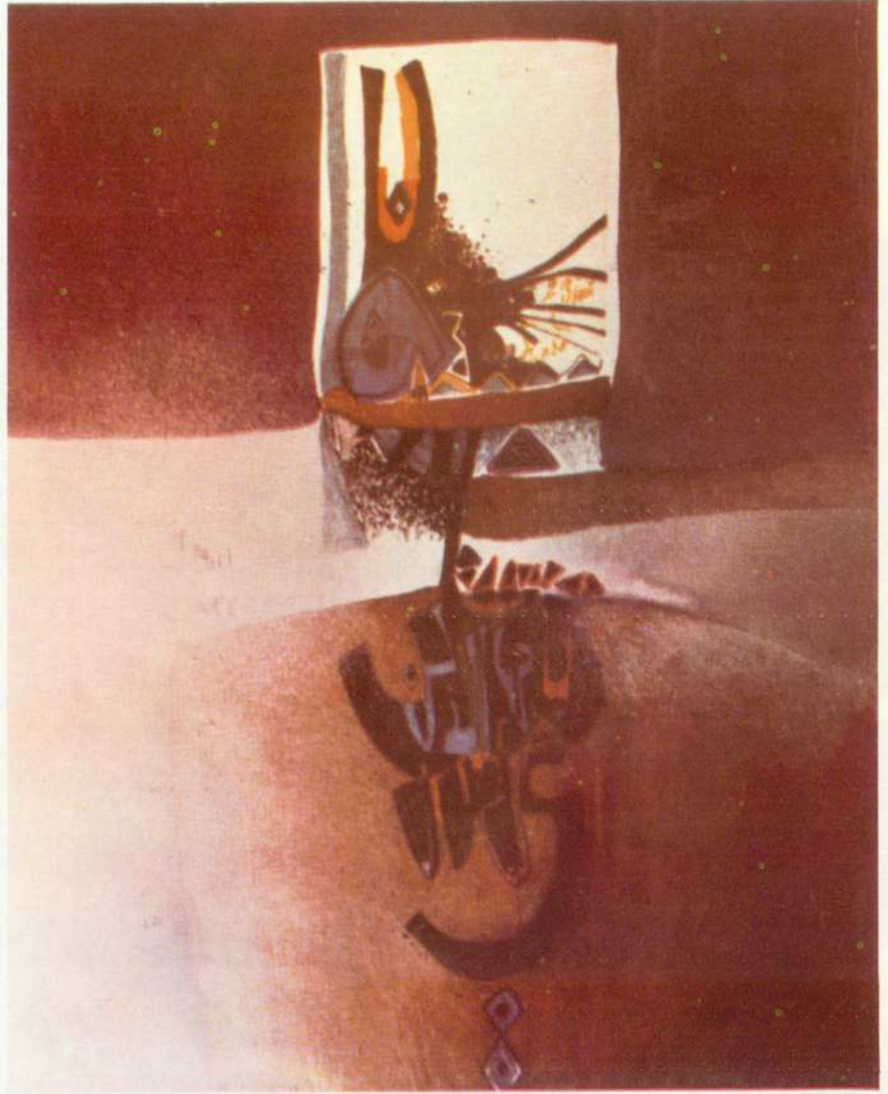
● ١٩٦٨ المعرض الرابع لجماعة المجددين ــ بغداد .
المعرض العام لجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ــ بغداد .
المعرض السنوى العام لأكاديمية الفنون الجميلة ــ بغداد

● ١٩٦٩ المعرض العام السنوي لجمعية الفنانين العراقيين ــ بغداد

● ١٩٧٠ المعرض الشخصي الأول ــ الظهران ــ السعودية .

● ١٩٧١ جميع معارض الجمعية العراقية للفنانين التشكيليين .

● ١٩٧٢ ــ ١٩٧٧ معرض شخصي فى العراق .
الأشتراك فى جميع المعارض العراقية فى الخارج : فرنسا . انجلترا . أسبانيا . ألمانيا الشرقية والغربية . الهند . السويد . الدينمارك . ايطاليا . روسيا . بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا . يوغسلافيا . تركيا وجميع الدول العربيــــة .


مهرجان المراكب

يعرضون أعمالهم سنوياً ودائماً فى مختلف أنحاء العالم .

قلت :

● الكثيرون من رواد المعارف يهربون من مشاهدة اللوحة الحديثة والأسلوب التجريدي .. كيف يا ترى نقترب بهذا الأسلوب من وجــدان الجمهور ؟ .

قال :

ــ بالنسبة للمشاهد الذى يدخل معرضاً لأول مرة .. فانه حتماً سيواجه بصعوبات تقف حائلا دون استيعابه لعالم الفنان العارض . ينبغى أن يكون هناك خيــط ولو رفيع يربط بين الفنان والمشاهد ، وبالعكس . إن ذلك يقيم نوعاً من التفهم ، ويعطى المشاهد استعداداً لأن يتتبع معارض أخرى . علماً بأن المشاهد حين يتولد لديه نـــوع من أحاسيس الرفض ، فأنا أعتبر ذلك فى صالح الفنان ، لأن المشاهد سوف يتتبع المعارض الفنية الأخرى للكشف عن هوية هذا النوع من الفن الجديد . وذلك يجعله يتطور فى فهم اللوحة ، والتعايش معها ، والبحث عن الجديد دائماً .

فاذا أردنا أن نجذب المشاهد العادي لفهم اللوحة ، أو أي عمل فني .. فلابد من أن تكون هناك علاقة ولو بسيطة بين الفنان والجمهور ، وأن يلتقيا حتى يفهم الجمهور ماذا يريد الفنان ؟

● ما أهمية التسمية على كل لوحة - ؟

ــ إن التسمية لكل لوحة لا تاتي اعتباطاً بالنسبة لأعمالي . فالفكرة موجودة . والفكرة تتضمن الموضوع . والموضوع له تسمية . والفكرة لها خلفية . والخلفية هذه موجودة فى الذهن . فأنا ذهنياً أتعامل مع الناس والمجتمع وما يحوط به من الأفراح والأحزان . إن اللوحة هي مجموعة من الأحاسيس المختزنة داخل الفنان .

● هل يمكن الفصل بين الفنان الانطباعي أو التاثيري ، والفنان الحديث ؟

ــ الفصل بينهما صعب . ذلك أن الفن ليس جامداً ، بل هو متطور . الفن ليس منظراً طبيعياً أو «بورتـريه» وكما أن العلم يتطور .. فكذلك الفن يتطور .

إن الأساليب والمدارس والمذاهب الفنية التى ظهرت تبين لنا أن الفن يتطور .. إن الفنان الذى يرسم الطبيعة هو نفسه الفنان الذى يرسم اللوحة . فلكل فنان أسلوبه .

● أخيراً بماذا تفسر ظاهرة قلة الجمهور الزائر للمعارض فى بعض البلدان .. خاصة البلدان العربية - ؟

ــ لكل مجتمع أجهزة اعلامية متعددة . التليفزيون . الاذاعة .. الصحف .. المسرح .. ولكل دوره . وجميعها أجهزة فنية . ومن مهام هذه الأجهزة جميعاً إفهام وتوعية الجمهور بماذا يعنى الفن . بل ان مهمة هذه الأجهزة ليس فقط توعية الجمهور بكل ألوان الفنون الأخرى .. وإنما تخريج فنانين عن طريق الدرس ، والتجربة والأخذ بأيدي المواهب الجديدة التى تثري حياتنا فى مختلف مجالات التعبير .

بقلم : د . عبد المحسن صالح

# وكالفحم والماس تكون أقدار الناس

تشكيل مثير من أعمدة قائمة ، وكانما هى بقايا اثار زائلة ، لكن الذى شكلها بعض عوامل التعرية الطبيعية فى ولاية اريزونا الامريكية ، وما يتفتت منها ويتساقط تذروه الرياح فى رحلات لا تتوقف ابدا .

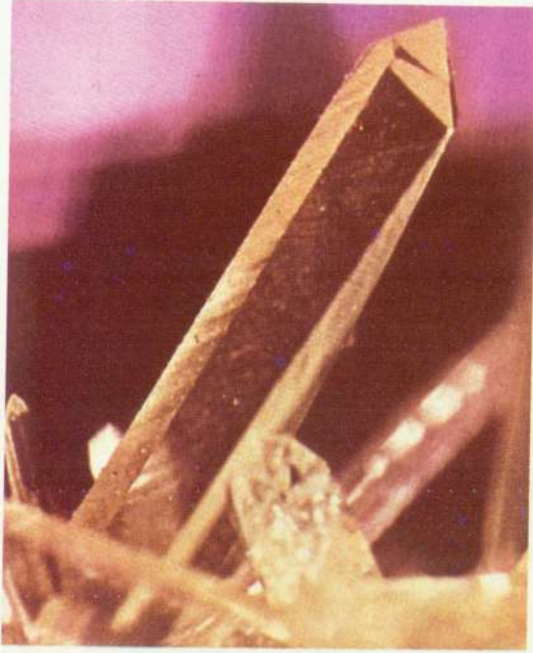
اذا نظرنا « بعين » العقل ، وتأملنا فى صور الخلق ، لوجدناها تساوى ، أو لا تساوى ، وفى هذا لا يختلف الميكروب عن الانسان ، ولا عالم الجماد ، عن عالم الحياة .

فرغم أن دراستنا هنا ستتناول الأحجار الكريمة ـ وهى من الجماد ، الا أن التسمية فى حد ذاتها تشير إلى صفة طيبة الصقت لصقاً بالأحجار ، ومع ذلك فهى تسمية تدل على مسمى ، وتؤكد فى عقولنا معنى .. والمعنى يوضح أن لكل شىء وجهين : طيب وخبيث .. صالح وطالح .. أصيل ورديء .. الى اخر هذه الصفات المتناقضة التى يدركها عقل الانسان ، ولا يدركها خروف أو بهيم أو حصان .

ولاشك أن الذين أطلقوا على بعض الأحجار صفة الكريم أو النفيس أو النادر أو الأصيل ، لهم فى ذلك وجهة نظر تؤكد ذلك المعنى ، وهو ما سوف نتعرض له خلال هذا المقال ، ومع ذلك فالشىء بالشىء يذكر ، لأن الكائنات ـ وعلى رأسها الانسان ـ لها ما للأحجار من أقدار ومنازل ، ولنا فيها مارب ، من ذلك مثلا أن بعض الميكروبات ضار ، وبعضها نافع،فالضار يسبب الأمراض فى النبات والحيوان والانسان ، والنافع يعطينا من الخيرات مالا نستطيع أن نحصيها هنا عدا ، فهى تمدنا مثلا بالمضادات الحيوية التى نحارب بها الميكروبات الضارة ، وتدر على أصحابها بلايين الدولارات .

وكالميكروبات يكون الفحم والصخر والحجر ،









قد نحسبهما من اول نظرة حجرين كريمين ، لكنهما فى الواقع بلورتان من ملح الطعام على هيئة مكعب « إلى أعلى » ومتعدد الأضلاع ( الى اسفل ) ، أما اللون فيرجع إلى وجود شوائب بلورية اخرى

تكوينان بلوريان ـ لكنهما مع ذلك ـ لا ينطويان تحت رتبة الأحجار الكريمة وهما من الكوارتز

أو النبات والحيوان والبشر ، لكن ذلك موضوع اخر ، ولقد ذكرناه هنا ذكراً عابراً لنمهد به لموضوعنا الأساسى .

## الأحجار والناس

بادىء ذى بدء نقول : ان ندرة الشىء تجعل له قيمة كبيرة بين الناس ، فلو كان البلاتين أو الذهب شائعين شيوع الحديد والرمل والرصاص لما كانت لهما قيمة تذكر ، لكن ليس بالندرة وحدها تقاس الأمور ، بل لابد من صفات اخرى مرغوبة ، كان يكون الشىء نافعاً واصيلا ، ولا يختلف فى ذلك الحجر عن المعدن عن البشر ،ولكى يصبح لهذا الحديث معنى ، كان لابد من توضيح نبين به ما عولنا عليه من البداية .

لقد قيل مثلا : « الناس معـــــادن كالذهب والفضة » ، أو أقل من ذلك ، أى كالحديد والرصاص والفحم . وقيل « الرجال صناديق مقفلة لا تعرف الا بالتجارب » .. وهى اقوال تحمل بذور الحقيقة ، وتشير الى أن الناس درجات ، وطبيعى أن تقييم كل منا لهذه الدرجات يختلف باختلاف ثقافته ونظرته السطحية أو العميقة ، فمن الناس من يراها فى جاه أو مال أو سلطان أو أبطال .. الخ ، ومنهم من يراها كما يراها القران الكريم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا



أحيانا توجد هذه التشكيلات البلورية المتداخلة والمعقدة فى ثنايا الصخور البركانية .. وترجع الوان هذا التركيب إلى المواد الكيمائية المتداخلة فيه .. ورغم أن الظاهر براق ، إلا ان الباطن خادع ، فليس فيها أى حجر كريم

يعلمون» .. أو كما يضعها لنا الحديث الشريف «العلماء ورثة الأنبياء» .. أو كما يضعها لنا التاريخ فى قلة نادرة من البشر ذوى العقول الراقية ، والفلسفات الخالدة ، والعلوم والفنون التي تركت آثارا لا تكاد تمحى ، بل ظلت خالدة ، لتتناقلها الأجيال كتراث عريق ، فـ «خير الناس أنفعهم للناس» على حد قول الرسول الكريم .

ولا تحسبن أن هذه القلة النادرة قد ظهرت هكذا اعتباطا ، بل كانما هى قد اختيرت لذلك اختيارا ، لكن مما لاشك فيه أنها شقيت وتعذبت وانصهرت وصمدت ، وكانت بمثابة الشعلة التى تحترق لتضيء للبشرية طريقها بما قدمته من عقائد وفلسفات وعلوم لا يقدر عليها غيرها ، وهى هنا أشبه بالجواهر المتلألئة على جبين البشرية أو بالأحجار الكريمة التى انضغطت وانصهرت وانتظمت ، فجاءت بطبيعة راقية غير طبيعة الصخور والأحجار التى نمر عليها مرور الكرام .

ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، فلقد جاء على هذا الكوكب بلايين فوق بلايين من الناس ، ثم راحوا جميعا فى طي النسيان ، وفى وسط هذا الطوفان ، ظهر الأنبياء والعلماء والفلاسفة والمفكرون ، وماتوا كما ماتت البلايين ، لكنهم مع ذلك ظلوا ملء السمع والعقل والفؤاد ، حتى لكانما هم أهم وأبقى بيننا من كثير من الأحياء إذ لازلنا نذكرهم بعقائدهم الخالدة ، او افكارهم الرائدة ، أو علومهم التى غيرت أنماط حياة الناس ، أو هم كما قال فيهم الشاعر :

والناس صنفان موتـــى فى حياتهـــم
واخـــرون ببطــن الأرض أحيـــاء

## الأصل واحد

ولمزيد من التوضيح نقول : ان منزلة العباقرة بين الناس ، كمنزلة الماس من الفحم ، ولأن العباقرة نمط نادر من الناس ، كذلك الماس نمط نادر من الفحم ، والأحجار الكريمة نمط نادر من أكاسيد معادن رخيصة .. فالزمرد والزبرجد والياقوت والطوباز والفيروز والأوبال والعقيق .. .. الخ كانت فى الأصل خامات رخيصة بين صخور وأحجار رخيصة كذلك ، لكن الذى أعطاها بهاءها ورونقها وجاذبيتها وجمالها ، هو مجيئها باشكال بلورية منظمة وفاتنة ونادرة وصامدة .

وكما شقيت عقول العباقرة ، وانصهرت وتعذبت بالمعرفة ، فتمخض عن ذلك افكار مصقولة ومتناسقة ومرتبة وموزونة ، كذلك يكون الحال مع الأحجار الكريمة ، فالذى أكسبها الشفافية والبريق والتناسق والصلابة ، هو انتظام ذراتها فى أشكال رائعة ، نتيجة لتعرضها لضغوط جبارة ، ودرجات حرارة عالية فتحولت من شيء مشاع ورخيص ، الى آخر نادر ونفيس .

وما أغرب المفارقات بين أنماط بشرية ، وأخرى صخرية !

وموضوع الأحجار الكريمة ، أو الجواهر النادرة موضوع طويل ومتشعب ومثير ، وله

علماؤه ومريدوه ، لكن يكفى أن نزيح الستار هنا عن بعض معالم هذه التكوينات التى جذبت لجمالها الانسان منذ فجر التاريخ ، فاقتناها واحتفظ بها ، لتتناقل عبر الأجيال .

والأحجار صنفان : كريم ورخيص .. الكريم نادر ، والرخيص كثير ، لكن الغريب أن الكريم والرخيص صورتان مختلفتان لشىء واحد ، أو لأصل واحد .. مثلها فى ذلك كمثل الناس الذين جاءوا من أصل واحد كذلك ، فمنهم الكريم ، ومنهم اللئيم .

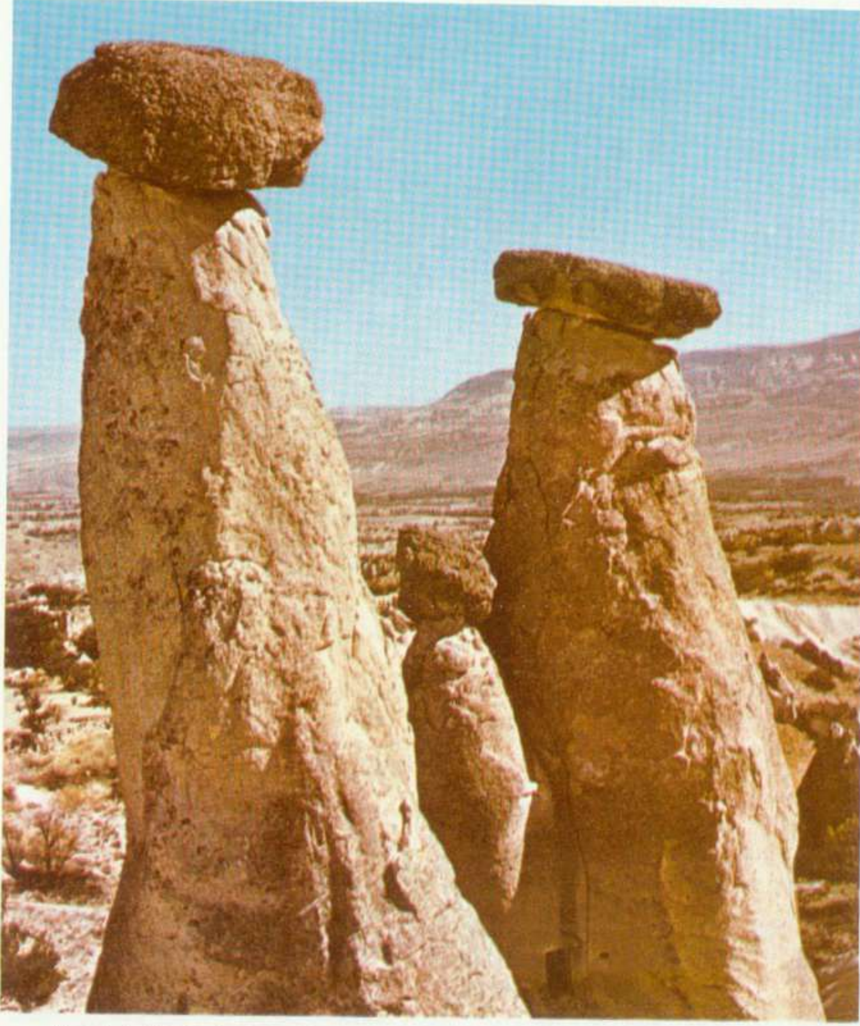
إن الياقوت ـ مثلا ـ ليس إلا تكوينا بلوريا من أوكسيد الألومونيوم ، فاذا تناسقت جزيئات هذا الأوكسيد ، وانتظمت ، ارتفع ثمنها ، وأقبل الناس عليها ، واذا تجمعت بدون هدف أو نظام ، فلا جاذبية لها ولا ثمن ، أو ربما أرخص ثمن ، لأنها قد تدخل فى صناعة الأوانى ، وهنا يصبح مكانها المطابخ ، بدلا من صقلها فى فصوص يسيل لها لعاب من ملكوا الجاه والمال .

والفيروز خليط من فوسفات النحاس والأولومنيوم ، واللؤلؤ حجر ، أو هو كربونات الكالسيوم أو الجير ، والعقيق أنواع ، لأنه خليط متجانس من أكاسيد معادن مختلفة .. فقد تكون حديدا مع ألومونيوم مع سيليكون (رمل) ، أو كالسيوم مع حديد مع ألومونيوم ، أو منجنيز مع ألومونيوم مع سيليكون .. الخ ، وكل من الزبرجد والزمرد خليط من أوكسيد البيريليوم وأوكسيد الألومونيوم بنسب متفاوتة ، والأوبال صورة من صور الرمل ، والتورمالين خليط من أكاسيد السيليكون والألومونيوم والبورون مع شوائب من معادن أخرى ، واللازورد خليط من أكاسيد الألومونيوم والسيليكون والكبريت والصوديوم ، وأحيانا الكلور .. الخ .. الخ .

لقد قدمنا هنا تلك العناصر التى تتكون منها الأحجار الكريمة أو النفيسة ، لنرى أنها لا تنطوى على شىء نفيس ، فما أكثر الرمل والألومونيوم والحديد والكبريت والجير والفحم .. الخ على كوكبنا ، لكن من هذه الكثرة قد ظهرت تكوينات نادرة كندرة العباقرة بين جموع الناس !

## فوضوية ونظام

ولاشك أن كوكبنا بمثابة معمل كيميائى ضخم وهائل ، وعليه وفيه تجرى تفاعلات كثيرة ومختلفة ، ومن خلال هذه التفاعلات القاسية أو اللينة يتشكل الجماد والحياة ، ليتمخض ذلك عن صور لا نكاد نحصيها عدا ، فصور الحياة قد جاءت على هيئة أنواع كثيرة جدا من الكائنات المتفاعلة والمتصارعة فيما بينها ، أو مع عوامل الطبيعة المتقلبة من حولها ، فمن صمد منها ، استحق البقاء ، وشق طريقه فى الحياة ، ومن تهاون ، فماله الموت والانقراض ، وكذلك الجماعات والشعوب .. وبجوار هذا جاءت أيضا صور كثيرة جدا من عناصر هذا الكوكب لتتفاعل



هذه الصخور المعلقة .. من رفعها ووضعها على تلك الأعمدة ؟ .. إن أحدا لم يفعل ، بل جاء ذلك بفعل عوامل التعرية ، لأن الكتل المعلقة أقل تآكلا ( أو أكثر صمودا ) مما تحتها . فكان هذا التشكيل المثير

تحت كل الظروف الهينة والقاسية ، وقد يؤدى هذا التفاعل الى تآلف وترابط ، وقد يكون ذلك بنظام واضح ، أو بطريقة فوضوية .. وللنظام نتيجة وثمن ، وللفوضى أتعس وأبخس ثمن .. طبق ذلك أيضا على البشر ، تخرج بنفس النتيجة ، فالفرق بين شعوب متقدمة ، وأخرى متخلفة ، يرجع ـ فى المقام الأول ـ الى حياة تنطوى على وعي ونظام ، أو تواكل وفوضى .

لنترك البشر ـ اذن ـ فى حالهم ، ولنعد الى مكونات الصخور ، ولنتخير منها الأنماط البلورية لكن ليس كل ما هو بلورى حجرا كريما ، فكثير من الأملاح تأتى على هيئة بلورات ، بما فى ذلك الملح والسكر ، ولا يمكن مقارنة هذه بصفات الأحجار الكريمة ، لأن الحجر الكريم (كالبشر سواء بسواء) له صفات مميزة تضعه فى مرتبة خاصة بين الصخور ، فهو أولا ليس بأملاح بلورية ، بل أكاسيد معادن تتآلف وتترابط وتنتظم فى أشكال هندسية كثيرة .. وبحيث يتخذ كل جزيء فى التكوين مكانه المناسب ، وبالزاوية المناسبة ، وبالنسب المناسبة كذلك .. والصور المعروضة هنا خير دليل على ذلك .

ومن مميزات الأحجار الكريمة تبرز الألوان المتباينة ، والسطوح اللامعة التى تشبه المرايا العاكسة ، إذ عندما تقع الأضواء على السطوح ، تعطى بريقا أخاذا ، وتتلألؤ جذابا ، وبقدر ما تعطى من أصالتها ، بقدر ما نعطيها حقها من الاجلال ، وبلغة معروفة ـ هى لغة المال !

ورغم أن الماس من ذرات كربون منتظمة ومترابطة ترابطا شديدا ، إلا أن الماس يختلف عن الجرافيت الذى تصنع منه الأقلام ، وعن الفحم الذى يستخدم كوقود فى الأفران ، (وكلاهما صور من الكربون) ـ فالماس صلب ، والفحم هش ، والماس شديد الشفافية ، والفحم (أو الجرافيت) شديد السواد ، والماس نادر ، والفحم شائع .. الى آخر هذه المتناقضات التى جعلت من هذا نفيسا ، ومن ذاك رخيصا .. ثم جعلت هذا يساوى الكثير ، وذاك لا يساوى إلا أقل القليل ـ يساوى الحرق !

## وكالفحم والماس تكون أقدار الناس



بلورة جميلة لكنها خادعة .. إذ ليست إلا ملحا من أملاح الحديد ( فوسفات الحديد ) مختلط بشوائب من المنجنيز والكالسيوم والماغنسيوم ، وقيمتها لا تساوى إلا الفوسفات والحديد

والواقع أن بريق الأحجار الكريمة ، بالألوان المختلفة ، يرجع أساساً الى مبادىء علمية معروفة ومدروسة ، منها انكسار الضوء ، ومنها تشتته ، ومنها امتصاصه ، ولكل منها معادلات رقمية لا تهمنا هنا كثيرا ، لكن يكفى أن نذكر أن ما تراه العين ليس إلا انعكاساً لمعظم الضوء الساقط على سطوح الأحجار الكريمة ، فيتشتت أو يتبعثر على هيئة موجات طيف ذات أطوال مختلفة ، فتميزها العين الى ألوانها المعروفة ، وأحياناً ما ينتج عن ذلك البريق ما يشبه تلألؤ النجوم اللامعة فى سماواتها ، فالياقوت مثلا من الأحجار الكريمة التى تعطى ذلك الانطباع ، ولهذا يطلق عليه اسم الحجر الكريم ذى التلألؤ النجمى ، وغيره الحجر الكريم الملتهب أو النارى ، لأنه يبدو وكأنما هو يكاد يشتعل ، ولو لم تمسسه نار !

### وللأحجار درجات

وسر احتفاظ الأحجار الكريمة بأصالتها لملايين فوق ملايين من السنين ، يرجع أساساً الى صلابتها وصمودها لعوامل التعرية الطبيعية ، فحيث تتفتت الصخور والأحجار الرخيصة ، وتتآكل بمرور الزمن ، تبقى الأحجار الكريمة فى مكانها دون أن يعتريها البلى والخدش والتآكل ولاشك أن الانسان القديم قد رآها وهى تتلألأ فى مسارات المياه الضحلة الشديدة الانحدار ، أو على السفوح التى تتساقط عليها الأمطار ، أو الشواطىء الصخرية التى تتفت بأمواج البحار .. الخ ، وعندما جذبت انتباهه ، جمعها واحتفظ بها كحلية من جيل الى جيل .

صحيح أن عوامل التفتيت والتآكل والتعرية عملية جد بطيئة ، لكن أعطها عمراً طويلا ، تعطيك تغيراً واضحاً ، فينكشف الرخيص ويبلى ويزول ، ويبقى النفيس دليلا على مقاومة وصمود .

ومع ذلك ، فللأحجار الكريمة فى الصلابة درجات ، كما كان لها قبل ذلك فى لمعانها وألوانها وتلألؤها درجات .. فالذى يخدش غيره ويترك فيه أثراً ، يسود عليه بصلابته ومقاومته ، فالماس يخدش كل الأحجار الكريمة ، ولهذا كان أصلبها ، وأغلاها وأندرها ، ومن ثم فقد حاز على الدرجة ١٠ (وإذا أحببت فلنقل ١٠ على ١٠ - أسوة بأعلى درجة نستخدمها فى حياتنا ونمنحها لأعلى مستوى) ، والياقوت درجته ٩ ، ولهذا فان الماس يخدشه ، ولا يخدش هو الماس ، بل يخدش الطوباز ، لأن درجته ٨ ، والطوباز يخدش الكوارتز ودرجته ٧ (والكوارتز صورة بلورية من الرمل النقى ، وأحياناً يأتى بأشكال ملونة ، ويعتبر من الأحجار شبه الكريمة) .. الخ .

ولكى نقرب معنى هذه الدرجات الى الأذهان ، كان لابد أن نقدم مقارنة ملموسة فنقول : ان نصل المدية يحوز على درجة صلابة ٦,٥ ، والزجاج ٥ ، وظفر الأصبع ٢,٥ ، وحجر الجبس ٢ ، وحجر التلك ١ .. وهكذا .

إذن .. فلقد حازت الأحجار الكريمة على درجات لكل صفة من صفاتها التى ذكرناها باختصار ، ورغم هذه الصفات الممتازة التى جاءت بها تكويناتها ، إلا أن تدخل الانسان بفنه وعقله قد أكسبها بهاء فوق بهاء . فقد يكون جمالها ولمعانها كامناً أو مطموساً ، ولابد - والحال كذلك - من قطعها وتشكيلها وصقلها ، لابراز ما خفى من جمالها .. وللقطع مداخل وزوايا وحدود ، وللتشكيل علم وأصول ، وللصقل فن وخبرات يتشعب فيها الحديث ويطول ، فليس كل من قطع وشكل وصقل ، يصل الى الجمال المنشود ، بل قد يحدث العكس ، أى قد يتضاءل البريق ، وتبهت الألوان ، وتقل القيمة الحقيقية درجات .. ونظرة عابرة الى بعض الصور المنشورة ، تغنى عن كل شرح أو كلام يمكن أن نسوقه فى هذا المجال .

### بين أصيل وتقليد

ذكرنا أن الأحجار الكريمة درجات .. فمنها الكريم جداً ، والكريم ، وشبه الكريم ، و «اللئيم» - ان صح هذا التعبير - فمن أول وهلة قد تحسبه لظاهره الفتان كريماً نفيساً ، لكن ما أن تعالجه وتطرقه ، تريد بذلك أن تشكله ، إلا وتراه يتفتت ويتهاوى ، وكأنما لم يغن عنه رونقه ولا جماله شيئاً ، إذ ليس له من الكريم إلا مظهره ، أما باطنه فردىء وقمىء .. وكذلك الناس «معادن» !

وكثيراً ما نسمع أن هذا حجر طبيعى أو حر وأصيل ، وذاك حجر صناعى أو تخليقى ، أى غير حر أو أصيل ، ولا يستطيع أن يميز بين هذا وذاك إلا كل متمرس خبير ، وله فى هذا أدواته التى تكشف عن فروق جد ضئيلة قد تخفى على العيون الفاحصة تفاصيلها الدقيقة .

نقول قولنا هذا ، لأن هناك صناعة قائمة على أسس علمية وتكنولوجية دقيقة ، وبها يقلدون الأحجار الكريمة ، والتقليد له أسس ، والأسس تبدأ أولا بمعرفة التكوين الكيميائى الدقيق للأحجار الكريمة ، ثم خلط هذه المكونات بنسبها الموجودة فى الحجر الكريم ، وتهيئة نفس الظروف الطبيعية التى تسلطت على المعادن الرخيصة ، لتصبح أحجاراً نفيسة ، أى تهيئة ضغوط ودرجات حرارة عالية جداً ، وبالفعل تتشكل جزيئاتها وتنتظم وتتماسك تحت تلك الظروف غير الطبيعية التى هيأها الانسان ، ليقلد بها عمليات طبيعية .. لكن هيهات ، فالطبيعى لا يعلو عليه شىء من صنع الانسان ، إذ يكفى أن يقال لنا هذا طبيعى ، وذاك تقليدى ، فنميل بالفطرة الى الطبيعى ، ونرتاح اليه .. لا يختلف هذا فى حجر كريم ، عن زهرة طبيعية ، عن جمال طبيعى ، عن سلوك طبيعى لا تكلف فيه ولا ابتذال .

ومع ذلك ، فلكل ما سعى ، حجرا كان ذلك أو مالا أو جاهاً ، وكل ذلك يزول ، إلا الكلمة .. إلا الفكرة .. إلا المعرفة ، لأنها جميعاً بمثابة الحجر الكريم المتلألىء على جبين البشرية .. وفى ذلك الكفاية لقوم يفقهون فيتدبرون ما فى هذا الحديث من حكم وعبر ، حتى لو جاءت من فحم وحجر !

د. عبد المحسن صالح

# كل هذا الظلام

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

ـ كل هذا الظلام المغولى
يأتى من البحر . يأتى من الزرقة المالحة
كل هذا الظلام المغولى
يأتى على أجنحة
كل هذى العصور تشارك فى المذبحة
والزمان استدار فجاء الظلام ..
.. مع الصبح . والليل يمشي على الأضرحه
ليس هذا الظلام
هو الليل فى أرض لبنان
يبغى فلسطين . هذى الخفافيش فوق السنابل ...
... ما أشبه الليلة بالبارحة
... ما أشبه الليلة بالبارحة
ليس هذا هو الليل ـ
ان جميع الليالى تطرزها أنجم فى السماء
غير هذى النجوم السداسية المظلمة
وجميع الليالى لها حظها فى الضياء
ليس هذا هو الليل يا اخوتى
إنه دولة ـ والسواد

« قلبها »

يتخطى الحدود
إنه دولة من دخان حقود
كل هذا الظلام ـ اليهود
كل هذا الظلام ـ اليهود
كل هذا الظلام ـ اليهود



# لقطات من الكون المثير

## اكتشفها بنفسك

أربع لقطات قد تنبىء بغير هويتها أو شخصيتها ، وقد يرجع ذلك الى أسباب نذكر منها اهمية الوضع الذى اتخذه المصور ليلتقطها ، او الى بعض فنون الطبيعة التي حبتها لكائناتها ، أو لعادة من عادات الانسان التي لم نعرفها نحن فى حياتنا .

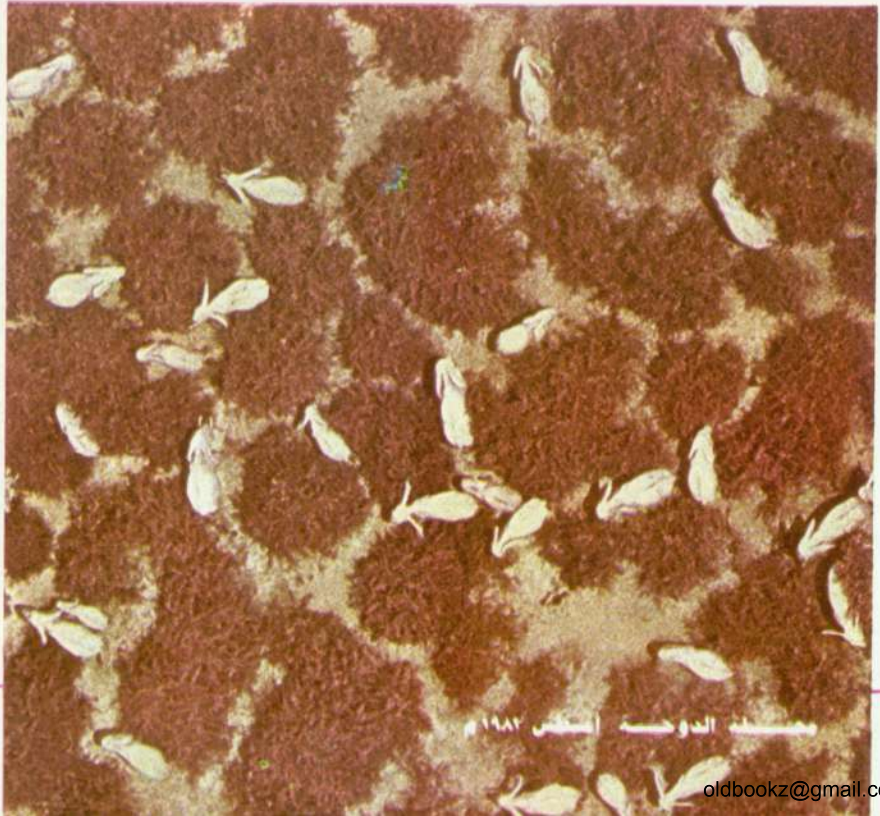
لهذا ندعوك للتامل جيداً فى الصور المنشورة هنا ، علك تكتشف حقيقتها ، فان حالفك الحظ ، كان بها ، والا فعليك ان تعود الى التعليق المنشور تحت كل صورة ، ففيه الجواب .

## هل هى شجرة موز ؟



١ ـ من اول نظرة ، قد تبدو الصـــورة لمحصول وفير من الموز معلق على شجرة .. لكن لا الشجرة شجرة موز ، ولا كذلك المحصول .. فما نراه هنا ليس الا « كيزان » ذرة ، اتى بها هذا الفلاح الأوروبي ليعلقها على تلك الشجرة ، وليضرب بذلك عصفورين بحجر واحد ، أولها ان يجفف محصوله بطريقة مبتكرة ، وثانيها أن يحفظها بعيداً عن هجوم الفئران الجبلية المنتشرة بكثرة فى المنطقة ، ولم ينس ان يستعين على ذلك بقطة او اكثر !

## أفيال فى مناطق جرداء

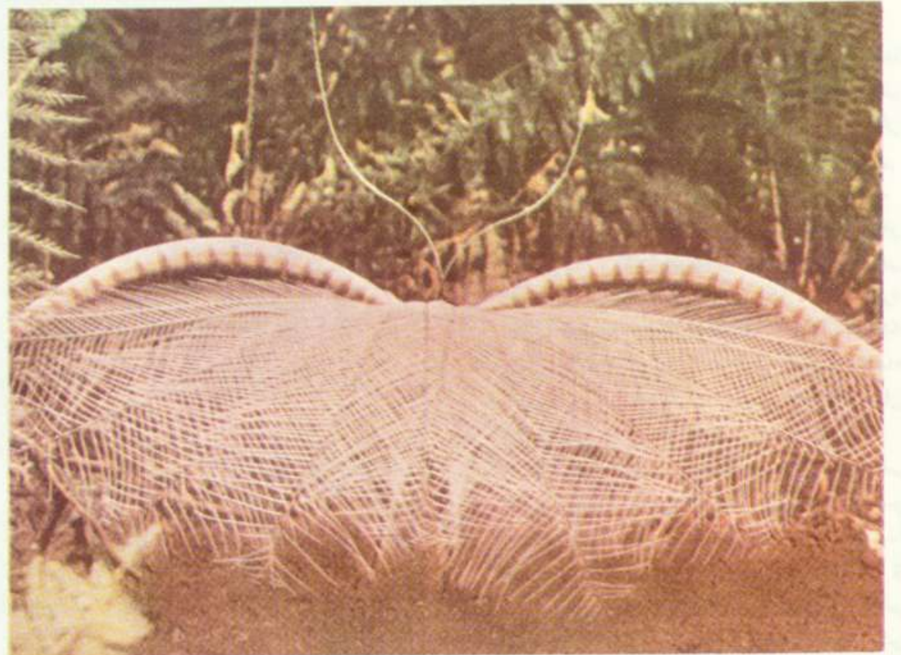


٢ ـ هل هى حشرات ؟ .. أم أرانب تتغذى على الحشائش ؟ .. الواقع انها لا هى هذا ولا ذاك .. فان ما نراه هنا أفيالا من مختلف الأحجام ، وقد توزعت بطريقة لا تكدس فيها ولا زحام ، علماً بان الأفيال من الحيوانات التى تعيش فى مجموعات ، لكنها الآن فى سعي على الطعام ، فاذا اقبل الليل ، تجمعت فى المناطق الجرداء التى تبدو هنا كميادين صغيرة توصل بينها طرق متشعبة ( الصورة من الجو ) .

## خداع الكائنات

٣ – زهور بيضاء على غصن ؟ .. ليست كذلك ، وإن كانت الصورة توحي بذلك ، ليس هذا فقط ، بل أن بعض العلماء الذين يدرسون الطبيعة الحيـة قد خدعتهم هذه الظـاهرة ، فعندما ظنوا أن ما ينظرون اليـه زهوراً ، واقتربوا منـه لكي يدرسوه ، وجـدوه يرقـات تتحرك وتتسـاقط ، فيعرفـون أن ذلك من عمليـات التمويه والتخفي الطبيعي الذي تقوم بها بعض الكائنـات حتى تخدع كل من يطمع في لحمهـا ، وبهذا تنجو بفكرة لك أن تحكـم لهـا أو عليهـا !

## طائر القيثارة



٤ – قد لا تجد عناء فى التعرف على هذه الصورة ، فهى لذيل طائر استرالى يعرف باسم طائر القيثارة ، وسمى كذلك ، لأن له ريشتين كبيرتين تشبهان القيثارة اليونانية ( المنفردار أعلى الذيل ) ، وقيل انهما اذا احتكا ، يصدران صوتاً موسيقياً ، ولكن ذلك ليس صحيح .. ولقد جاءت ذيول ذكور هذا الطائر بذلـ التنسيق والجمـال لكى يستعرض نفسه امام الاناث ، عله يروق لاحداهن !

"الدوحة" تنفرد بنشر ٧ صور نادرة للشمس

# باق ٤٥٠٠ مليون سنة من الزمن ثم تموت الشمس!

الشمس فى ضوء الايدروجين ـ الفا

منظر رائع للشمس يبين المكرومو سفير الشمس ، وهي تلك الطبقة التى تقع بين طبقة البقع الشمسية أي الفوتوسفير والاكليل الشمسي . وتبدو البروزات فى هذه الصورة كخيوط غامقة على القرص ، وتظهر بوضوح المناطق النشطة اللامعة .

## رسالة لندن من

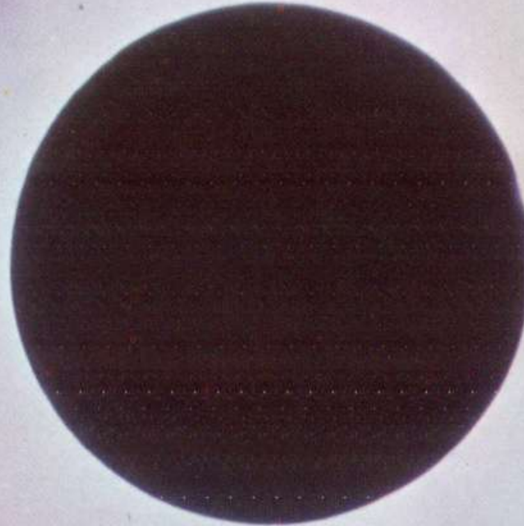
مجدي نصيف

أيتها الشمس ... ما أجمل تلألؤ نورك فى السماء
أنت العريقة فى قدمك والخالدة خلود الحياة
عندما يرتفع قرصك فى الشرق
يعم الجمال أرجاء الفضاء

أنت المتلألئة تطلين بعظمتك على الأرض
فتعانق أشعتك الأرض وما عليها
من مخلوقات كنت السر فى وجودها .

ترنيمة طويلة للشمس ، تبين أهميتها بالنسبة للأرض وكل الكائنات البشرية . ففى مصر القديمة كان الدين هو عبادة الشمس ، وكان الرب فى بعض الأحيان يأخذ صورة طائر وفى أحيان أخرى صورة إنسان له رأس طائر ، يصحبه قرص الشمس الذى يبحر عبر السماوات . كانت هذه هي صورة الشمس فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . لكن هذه الصورة تغيرت تغيراً ذا مغزى ، وكان هذا التغير بالدرجة الأولى نتيجة لمشاهدات وأفكار وأرصاد علماء الفلك فى مصر القديمة ، ذلك أن علم الفلك كان متقدماً فى مصر القديمة إلى درجة كبيرة .

لكن السجلات الرسمية نسبت الثورة فى الأفكار المصرية حول الشمس إلى فرعون مصر أمينوفيس الرابع ، الذى أدخل ديناً جديداً يتضمن عبادة الشمس عبادة حقيقية فعلية ، لا طائر ولا جعران ، وإنما قرص الشمس المرئى بأشعته الذهبية ، وغير فرعون اسمه إلى



كسوف شمسي كلي

اخذت هذه الصورة في الكسوف الشمسي الذي حدث في اليوم السابع من مارس عام ١٩٧٠ م وهذه الصورة النادرة اخذت في المكسيك ، وكان القمر قد غطى قرص الشمس تماما ، فظهر الاكليل الشمسي حول جوها الخارجي خلال الكسوف الكلي للشمس .

اخناتون الذى يعني المفضل عند اتون الذى هو قرص الشمس . لقد قام اخناتون بثورة حقيقية فى مصـــر القديمة .

لكن قضي على هذه الثورة واختفت عبادة الشمس الحقيقية من مصـــر بزوال اخناتون . ومرت آلاف السنين ليظهـر علم دراسة الشمس الذى أصبح بين حوالي ٢٠٪ من علماء الفلك فى جميع أنحاء العالم ، بما في ذلك ٢٠٠ عالماً فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، يعملون جميعاً من أجل الشمس وحدها فى الجامعات والمراصد والمعامل والصناعات الخاصة .

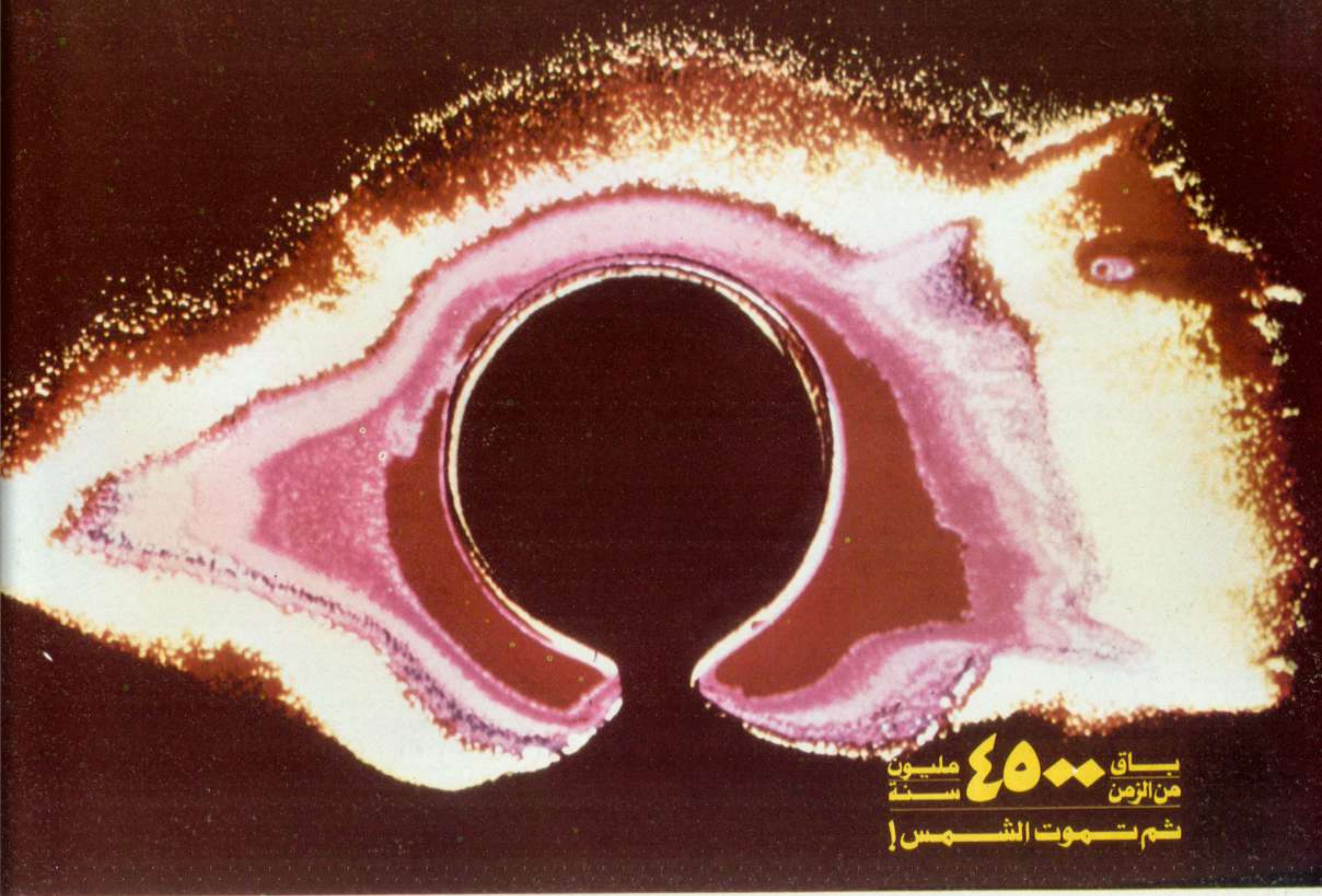
## الشمس هي الحيـــاة

وليس هذا كله مستغرباً ، ونعني عبادة الشمس فى مصـــر القديمـــة ، ودراستها بشكل مكثف بواسطة علماء العالم حديثاً . فالشمس هي الحياة .

يوجد ضوء النهار لأن الشمس تضيء ، وفى الليل يعطى القمر ضوءه ايضاً لأن أشعة الشمس تنعكس عليه إلى الأرض ، وتكون الشمس مضيئة فى مكان آخر من كرتنا الأرضية. وقد تختفى أشعة الشمس وراء السحب ، لكن أشعتها تضيء الأرض بعد تشتتها . ومع ذلك فاذا وقف جسم كبير فى طريق اشعة الشمس إلى الأرض ، فقد يمنعها من النفاذ إلى جو الأرض ، ويتلاشى الضوء ، وهذا هو ما يحدث فى الكسوف الشمسي ، عندما تقع الأرض والشمس والقمر فى خط مستقيم

والشمس هي التي تسبب المناخ على ارضنا . فحرارتها تبخر مياه المحيطات والبحار ، وتخلق الرياح التي تحمل بخار الماء الى اليابسة حيث تكون السحب وتنزل الأمطار او الثلوج . واذا ما توفرت لدينا المعلومات الكافية ـ من خلال الدراسة والرصد للشمس ـ عن سلوك الشمس واشعاعها على الأرض ، لعرفنا اكثر عن الطقس ، ولتوصلنا إلى معرفة مضبوطة بالجو ، إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة ، ولكن معلوماتنا تزدادوخاصة منذ بداية « عصر الفضاء » الذي زودنا بأدوات بحث متقدمة للغاية . فلقد اكتشفنا على سبيل المثال على الشمس عواصفاً واضطرابات ، معظمها غير مرئي من الأرض ، لكنها ظهرت ، بل صورت من « سكاي لاب » ومن « بعثة الشمس » . والذي لا شك فيه أن هذه العواصف والاضطرابات تؤثر في جونا ، وغالباً في مناخ الأرض .

والشمس نجم ، يشبه ـ إلى هذا الحد أو ذاك ـ معظم النجوم التي نراها متناثرة في السماء أثناء الليل ، الفارق الوحيد أنها أقرب هذه النجوم الينا . ويقول علماء الفلك يصفون هذا « النجم » : أنها متوسطة العمر ، أي أمامها ٤٥٠٠ مليون سنة ، وبعدها .... تنتهي . وعلينا



# باق ٤٥٠٠ مليون سنة من الزمن ثم تموت الشمس!

### إكليل الشمس الخارجي

الاكليل الشمسي يمتد ابعد بكثير من الاكليل الخارجي الكثيف الذى يرى بالاشعة السينية والضوء فوق البنفسجي، ويمتد ابعد من حدود مانراه عادة فى السماء الداكنة للكسوف الكلي للشمس . إنه يصل إلى الفضاء البينكوكبي ، مما يجعل شمسنا تمتد عمليا إلى مسافات ابعد بكثير من القرص المرئى لها . وهو ما لا نستطيع رؤيته من على الارض . لكن من مدار «سكاى لاب» حيث لا هواء تقريبا وحيث السماء سوداء كالقطيفة ، يمكننا رؤية الاكليل الخارجي بوضوح ، وهو ما يظهر فى هذه الصورة .

أن نلاحظ أن مجرتنا واسمها « الطريق اللبني » بها مائة الف مليون نجم مثل شمسنا . قليل منها ، له كواكب بعضها يشبه الأرض ، والذي يجمع عليه العلماء الآن ، ان الذي لا شك فيه ان عدداً من هذه الكواكب عليه شكل من اشكال الحياة ، ليس من الضروري أن تكون شبيهة بالحياة على الأرض ،وليس بالضرورة أن تكون في نفس مستوى تطورها كذلك .

وكل هذه النجوم ، بما في ذلك شمسنا ، تولد حرارة وضوء في قلبها من خلال تفاعل نووي . في هذا التفاعل تتحد ذرات الأيدروجين ، أخف العناصر ، لتشكل ذرات من عنصر الهليوم ، الأخف . وهذه الذرات تتحد بشكل نهائي لتكون عناصراً أخرى ، فتولد المزيد من الحرارة . والذي نراه من الشمس ليس هذا القلب . ورغم انه حار للغاية تصل درجة حرارته الى ١٥ مليون درجة مئوية ، إلا انه غاية في الكثافة أيضاً . والضوء الذي يتكون هناك تمتصه الذرات القريبة ، ثم يطلق من عقاله مرة أخرى ويعاد امتصاصه هكذا ملايين المرات ، ولهذا فانه يستغرق وقتا طويلا لينطلق الى الفضاء ، ويصل الينا . حتى نتصور الوقت الذي تستغرقه هذه العملية ، يقول العلماء أن ضوء الشمس الذي نراه الآن ، تولد عام ٨٠٠٠ قبل الميلاد على الأقل ، ونحن نراه بعد ان يصل الى سطح الشمس . وليس في هذا الكلام غرابة ، إذ أن المسافة بين سطح الشمس وقلبها ٤٨٠ الف ميل ، ويطلق العلماء على هذا السطح اللامع للشمس اسم الفوتوسفير ، وتصل درجة حرارته إلى ٦٠٠٠ درجة مئوية .

وبسبب هذه الدرجات المرتفعة فان الشمس ليس لها سمات دائمة ، لانها عبارة عن كرة غازية ملتهبة . وتصل الحرارة والضوء من قلب الشمس إلى طبقاتها الخارجية بتيارات حمل فى الغازات المكونة للشمس . ولأن الذرات المكونة لهـــذه الغازات فى الشمس كلها مشحونة بالكهرباء ، ولان تيارات الحمل سريعة للغاية ( حيث تسير بسرعة الف ميل فى الساعة ) ، فان المجـــال المغنطيسى للشمس يسبب اضطرابات فى تيارات الغاز . وأحد نتائج هذه الاضطرابات ما يعرف بالنقاط الشمسية .

### البقع الشمسية

كان أول من شاهد هذه البقع الســـوداء ، الفلكيون الصينيون عام ٢٨ قبل الميلاد . لكن جاليليو العالم العظيم كان أول من شاهدها بتلسكوبه ، وهو أول تلسكوب يصنع ويوجه إلى السماء أيضاً ، ثم رسم لها خارطة . كان ذلك عام ١٦٠٠ والعقد الذى يليه . كان الرأى السائد آنذاك ـ دينياً وعلمياً ـ أن الشمس جســـم «مكتمل» لا عيب فيه ، والبقع الشمسية ليست

### الاكليل الشمسي من الفضاء :

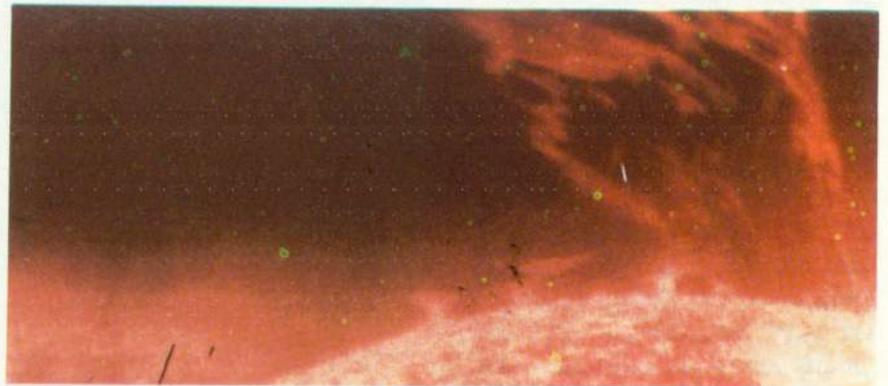
أما هذه الصورة النادرة فهي للاكليل الشمسي من قمر صناعي أمريكي اطلقته وكالة الفضاء الأمريكية ( الناسا ) فى يونيو ١٩٨٠ . وتشكل الألوان كثافات الاكليل المختلفة ، وتتراوح بين القرمزي الذى يمثل اكثر طبقات الاكليل كثافة ، إلى الأصغر ، أقلها كثافة .

وتغطى مناطق الاكليل الكثيفة القرمزية اللون ، مناطق بقع شمسية تقع تحت السطح الشمسي . أما الخط الذى يمتد من الشمس ناحية الغرب فهو « نتوء شمس » ويمكن كذلك رؤية نتوءات اخرى إلى الجنوب من النتوء الشمسي الكبير الواضح المعالم . ويمتد النتوء الكبير من منطقة الاكليل ذات الكثافة الكبيرة حتى ١٫٦ مليوناً من الكيلومترات من السطح حتى « الأرض » .

والغاز الذى نراه فى الاكليل ، تصل درجة حرارته إلى حوالي أربعة ملايين درجة مئوية . وبعد أن التقط القمر الصناعى هذه الصورة ، حدث فوران شمسى ( فى الجزء الجنوبي الغربي من هذه الصورة ) وفى دقائق تغير شكل الاكليل .

بالتالى سوى بعض السحب الداكنة أو حتى كواكب تعبر الشمس ، وليست بقعاً على الشمس ذاتها . لكن جاليليو شاهد هذه البقع السوداء «كلطخ» حقيقية فى الشمس ذاتها . وهى قضية من القضايا التى ووجه بها فى المحكمة .

وكانت الشمس هى التى ساعدت على إصابته بالعمى ، بسبب توجيهه للتلسكوب نحوها باستمرار ، وهى شىء خطر حتى بالعين المجردة ذاتها . وهو ما شارك فى مأساة جاليليو وحياته التعيسة ـ بسبب آرائه ومعتقداته ـ التى قضى معظمها فى الاعتقال المنزلى . تلك الحياة التى اتخذت نموذجاً لما يلاقيه الكتاب والعلمـــاء والفلاسفة الشرفاء منذ فجر البشرية وحتى الآن على يد الأنظمة الجاهلة . فقد دفع جاليليو غالياً ثمن تجاربه التى خلدته وقضت على بصره وحياته فى نفس الوقت . لكن ... من يعرف اسم جلاديه الآن ؟!



### الاضطرابات الشمسية

اضطراب شمسي هائل يمكن مشاهدته فى هذه الصورة التى التقطتها بعثة « سكاي لاب » الثالثة بواســطة سبكتروجرام بالأشعة فوق البنفسجية اثناء دورانها فى مدار حول الأرض . ويمكن مقارنة الحجم الهائل لهذا الاضطراب الشمسي إذا ما قارناه بالنقطة الصغيرة التى تمثل حجم الأرض .

إن هذه الصورة هي التى أظهرت للعلماء لأول مرة أن غاز الهليوم الذى ينفجر من الشمس يمكنه أن يبقى متماسكاً بعد أن يصل إلى ارتفاع ٨٠٠ الف كيلومترا .

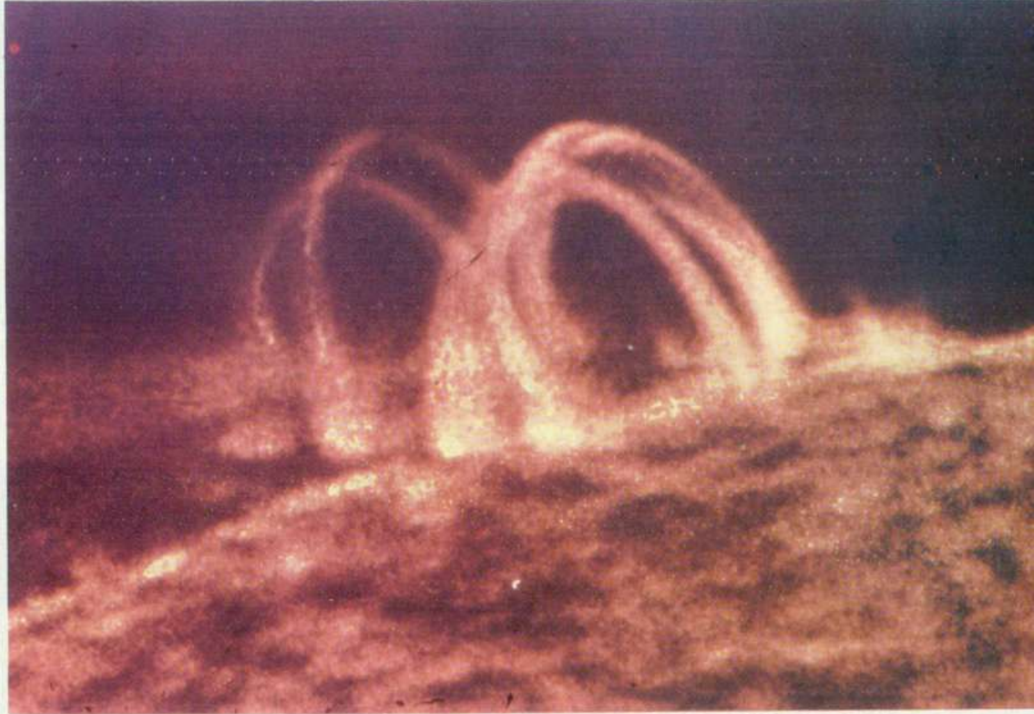
وبعد أن تبرز السحب الغازية من الشمس ، يبدو كما لو انها توقفت فى مكانها ووقفت فى طريقها حوائط غير مرئية . وبعض المواد الأخرى بدأت تعود إلى الشمس كالمطر ، وهي تبدو كالخيوط الدقيقة .

# باق ٤٥٠٠ مليون سنة من الزمن ثم تموت الشمس!

**انفجار شمسى هائل :**

الشمس تقذف بستة بلايين طن متري من مادتها بسرعة تزيد على المائة كيلومتر فى الثانية ، لتصل إلى أكثر من ٣٠٠ الف كيلومتر فوق الشمس .

التقطت « سكاي لاب » هذا المنظر الخلاب لانفجار الشمس بآلة تستخدم الأشعة فوق البنفسجية بعد عشر دقائق فقط من حدوثه ، وقد اخترق الانفجار مادة الاكليل الشمسي ودفعها أمامه مسببة بعض الاضطرابات فى الاكليل الخارجي ، ثم تبددت فى الفضاء بين الكواكب .



**حلقات المجال المغنطيسى :**

صورة بالأشعة فوق البنفسجية ، تبين شكل الحلقات المغناطيسية التى تحتوي غازات متاينة فوق كل المناطق الشمسية النشطة .

اكتشاف كيف يحدث هذا ، بواسطة صور العواصف الشمسية التى التقطتها « سكاى لاب » وبينت تفاصيل عديدة لم يكن من الممكن مشاهدتها من على الأرض .

إن المجال المغنطيسى الهائل للشمس ، يدفع بجزء من الغاز الشمسى المشحون كهربائياً ، فى نفثات هائلة يمكن مشاهدتها فى الطبقات الخارجية : الكروموسفير ، والاكليل الشمسى .

## الشمس والحياة

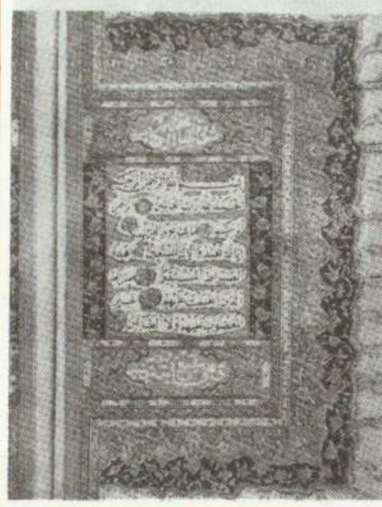
هكذا تشع الشمس الضوء والحرارة ، إلى الكون ، وهى بذلك تشع الحياة أيضاً ، رغم أن ما يصل الى الأرض من طاقتها لا يزيد على جزء واحد فقط من ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ر٢ جزءاً ، ولقد كان هذا الجزء من طاقة الشمس الذى يصل إلى الأرض ثابتاً على مدى العصور الجيولوجية لمئات الملايين من السنين .

ويطلق العلماء اسم الفوتوسفير على ذلك السطح المرئى من الشمس ، وفوقه طبقة سمكها ٥٠٠٠ كيلومتر تشكل جو الشمس الداخلى ويطلق عليه العلماء اسم الكروموسفير . وفوق هذه الطبقة هناك الاكليل الشمسى الذى يمتد الى الأرض وما بعدها .

إن سريان الطاقة من أعماق الشمس الداخلية وخلالها إلى السطح ، وما يبديه السطح من ظواهر ـ المجال المغنطيسى والدوران الشمسى ـ تتحد مكونة صورة معقدة وخلابة فى نفس الوقت للظواهر الشمسية يمكن ملاحظتها ومتابعتها بتفصيلات كبيرة ، وهو ما يشكل علم الفلك الشمسى المعاصر .

ومن المنطقى ، وان كان ليس صحيحاً علمياً بالضرورة ، أن يربط العلماء بين البقع الشمسية ومناخ الأرض ، بين زيادة عددها وتناقضه وما يحدث من تغيرات وتقلبات فى الطقس . ذلك أن بين الحد الأقصى والحد الأدنى لعددها ، دائرة خمس سنوات كاملة . وسجل العلماء عدة ملاحظات فى هذا المجال منها تحسن المحاصيل فى فترات انخفاض نشاط البقع الشمسية ، وكذلك تحسن صيد السمك .

وعلى أى الأحوال فالذى لاشك فيه أن مناخ الشمس بعواصفه المغنطيسية العنيفة ، لابد وانه يؤثر على حياتنا . وقد ازدادت فرص



## دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

# الرقاب

القرآن الكريم يعرض لمفهوم : الرقاب – وهو جمع رقبة – فى مناسبات عديدة : يعرض له فى كفارة القتل الخطا ، فى قول الله تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى اهله » ( النساء : ٩٢ ) .

ويعرض له فى كفارة اليمين والحلف بالله ، فيما يقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون أهليكم ، او كسوتهم ، أو تحرير رقبة » ( المائدة : ٨٩ ) .

ويعرض لهذا المفهوم كذلك : فى كفارة الظهار : « والذين يظاهرون من نسائهم ( أى يلحقون نساءهم فى الحرمة عليهم : بأمهاتهم . وكان ذلك شائعاً فى الجاهلية ، وبقى من رواسبها ، بعد التحول إلى الايمان بالله ) ثم يعودون لما قالوا : فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » ( المجادلة : ٣ ) .

ثم يعرض له أيضاً فى أعمال البر العام فيقول : « وآتى المال على حبه ( أى حب الاتيان للمال ) ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب » ( البقرة : ١٧٧ ) .

وأخيراً بذكره فى مصارف الزكاة فى قول الله تعالى : « والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب » ( التوبة : ٦٠ ) .

فالقرآن يعرض لتحرير الرقاب .. اى لتحرير العبيد والأرقاء من ملك اسيادهم ومن قبضتهم على رقابهم : فى مجالات الدعاء لله لغفران ذنب قد ارتكب .. او فى عمل خير عام .. وفى بيان مصرف الزكاة الواجبة الاداء . وهى مناسبات رأى فيها التشريع القرانى : أن يفيد منه فى اعادة الحرية والاعتبار البشرى لمن يتجر بهم من الارقاء فى اسواق النخاسة . وكان الاتجار بهم حرفة ومهنة . وكان تملكهم ترفا ، او لاداء حاجة من عمل لا ينقطع .

ويطلق على الأرقاء أو العبيد : رقاباً ، كان أيدى أسيادهم لا تنفك فى قبضتها على رقابهم . وبذلك يفقدون حريتهم .. وكرامتهم البشرية .

● والقرآن اذ يعدد المناسبات التى يطلب فيها تحرير الرقاب ، ويتخذ من كفارات القتل الخطا .. واليمين .. والظهار ، ومن مجال البر .. ومصرف الزكاة .. اسباباً لحمل المؤمنين على عتق الأرقاء من ملك يمينهم .. واعادة الحرية الانسانية لهم : فلأنه يحرص تمام الحرص على الحرية الفردية ، والكرامة الانسانية لكل عضو فى المجتمع .

وهو اذ يدعو الى تحرير الارقاء فى هذه المناسبات العديدة : قد لا يتصور فى جانبه اطلاقاً : أن يشجع تجارة الرقيق ، كما كان على العهد الماضى قبله .

وأشبه برقيق الأمس الذى يملكه سيد له ويحول بملكيته : بينه وبين حريته : صنوف الاستعمار المختلفة للشعوب اليوم . بل الاستعمار ادخل فى معنى الرق .. والشعوب المستعمرة أدخل فى معنى الرقاب ولذا لم يوجد اليوم سيد مالك ، ولا عبد رقيق على نحو الماضى : فصرف الزكاة باسم الرقاب .. وما جاء فى مجال البر العام .. أو فى الكفارات المتعددة ، يمكن ان يحول لتحرير الشعوب والجماعات الاسلامية ، التى أصيبت بلون من الوان الاستعمار : الفكرى .. أو الاقتصادى .. أو العسكرى .

والجهل كذلك : شبيه بالرق ، فى أنه يقيد حرية الجاهل وامكانياته البشرية . ومحاربة الجهل لذلك تقرب من معنى : عتق الرقيق ، فى أن يوجه اليها مصرف الزكاة الخاص بالرقاب ، وكل ما جاء هنا فى أسباب معاونة الرقيق على استرداد حريته البشرية .

والرقاب اذن بالمفهوم التقليدى : هى العبيد والأرقاء الذين هم فى ملك اسيادهم ، ملكاً شخصياً . ولكن بالمفهوم الأعم : هم الأفراد ، والشعوب الذين يتمكن من تقييد حريتهم : نظام تسلط معين .. أو جهل يغطى انظارهم وبصائرهم : عن أن يروا الواقع على حقيقته ، ولذا لا يستطيعون التحرك فيه ، ولا الافادة منه .

والزكاة للأرقاء اذن تقوم بدور « التحرير » لهم .. أو المساعدة لهم على استرداد حرياتهم .

# من محمد بن القاسم الثقفي إلى السلطان محمود الغزنوي

بقلم : أحـمد العنـاني

أحسب أن المؤرخين الذين دفعهم الاعجاب الكبير بمنجزات محمد بن القاسم فى السند قد تجاوزوا المعقول قليلا فى تقدير سن الرجل بان انقصوه عن حقيقته بنصف عقد من السنين على ادنى الظن وعقد كامل على اغلبه ، فهم راوحوا فى سنه بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، وما داموا هم يقدرون حيث لا سجلات للمواليد ، فان مسئوليات ذلك الرجل كانت فى نوعيتها بمستوى المخاطر التى تعرض لها رجال كالاسكندر وهنيبال وقيصر ونابليون وغيرهم وما عرف عن احد منهم مهما بلغت منجزاته ، وانبهار الناس بها انه كان يقل عمراً عن تمام العقدين او فوقهما بقليل فى حالة الاسكندر المقدونى .. لكن بطولة ابن القاسم تعرضت سريعاً للعذاب والاضطهاد والوفاة فى السجن بغير وجه حق الأمر الذى اكسبه إشفاقاً عظيماً واعجاباً بالغاً من الناس فجعلوا عمره أقل من الحقيقة لتكتمل فيه ملامح البطولة الخارقة ..

وأيا كان الحال فان محمداً انجز عملا بطولياً ما فى ذلك ريب ، فقد كان عليه أن يجتاز منطقة صحراوية مقفرة على امتداد ولايتى كرمان ومكران حتى مشارف نهر الاندلس ، بل إن الاندلس يمثل فى السند ما يمثله النيل فى مصر فمن دونه ومن ورائه لا يوجد غير الصحراء . كما أن المدن التى واجهها فى الرور والديبل والملقان وغيرها كانت مدناً كبيرة مسورة وذات كثافة سكانية مستمسكة بتقاليد وثنية تعود إلى ألوف السنين . والواقع أن حملته على ذلك الاقليم ذى الملايين العديدة من السكان بعد رحلة مجهدة جداً لجيشه البرى بخاصة ربما لم تكن لتؤتى ثمار النصر لولا الروح التى سادت أوضاع العالم الاسلامى مجدداً خلال خلافة الوليد ابن عبد الملك بن مروان الذى تمت الحملة خلال حكمه ... فبينما تحمل عبد الملك بن مروان والده وزر المذابح التى اضطر لها لجمع كلمة الناس بعد أن فشت فيهم الانقسامات من كل نوع فان الوليد وجد ملكاً منتظماً وكان هو انساناً متعقلا يفهم روح الحكم فى الاسلام ، ويحترم من الأعماق أهل التقوى والعلم مما أوجد مناخاً جديداً تنفس فيه الشوق مجدداً لنشر رسالة الاسلام وهو المهمة الأساسية لكل دولة اسلامية .. لقد حارب أبوه أبناء عمومته ومنهم عمرو بن سعيد الأشدق ، وحارب فى العراق مصعباً الزبيرى وكلا من الخوارج والشيعة ، كما اباح قائده الحجاج لنفسه حرية ضرب الكعبة بالمنجنيقات للقضاء على عبد الله بن الزبير .. أما الوليد فلم يحارب احداً ، بل هو استرضى قلوب الناس فى الحجاز بتولية عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وحسبك من الوليد أن يمر مع عمر بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة توسعته فيرى سعيد بن المسيب لا يتزحزح من مكانه ولا يحييه بكلمة ومع ذلك فهو يقول لعمر بن عبد العزيز المحرج من الموقف، فى حق سعيد وفى تلك اللحظة بالذات مشيراً الى سعيد « هذا بقية الناس » .

لقد استعاد الوليد مناخ الحياة المواتية لاستئناف الجهاد فتداعى الناس له ووجدوا فيه خلاصاً من التفكير المضنى فى أزمة الفتنة الكبرى التى تقشعت سحبها الداكنة ، فانطلق موسى بن نصير يصلح ما فسد من أمور المغرب ، ويوطن للاسلام وجذوره فى بلاد البربر ثم كان فتح الأندلس ذروة جهاده وقادته العظام المتأثرين به كطارق بن زياد ... كما انطلق قتيبة بن مسلم الباهلى يمكن للاسلام فى بلاد ما وراء النهر مما يعرف اليوم بافغانستان وتركستان الشرقية ، فيما شغل مسلمة بن عبد الملك بمناطق ارمينية والقفقاس الغربى وانطلق محمد بن القاسم فى السند ..

## تفاصيل الحملة

من أسف بالغ أن عادة التدوين لم تكن - فيما عدا ما حصل بالنسبة للقرآن الكريم - شيئاً مذكوراً بين العرب ، حيث ان تدوين الحديث الشريف نفسه لم يبدأ به الا بعد حملة محمد بن القاسم بحقبة كاملة ، ولذلك فنحن نجهل تماماً تفاصيل المغامرة الضخمة بنقل جيش كبير عبر صحارى كرمان ومكران ، وهو ما لم يجرؤ على مثله من قبل سوى الاسكندر المكدوني الذى خسر معظم جيشه بسبب العطش والجوع والمعاناة ، فعاد ادراجه مسرعاً بطريق البحر .. لكن محمداً باشر الفتوح بمجرد الوصول فحاصر اكبر حواضر السند عند مصب نهر الاندوس وهى مدينة الديبل وقد تمكن بمنجنيق هائل كان يسمى العروس من تحطيم صنم هائل كان منصوباً باعلى هيكل المدينة الاكبر فكان لتحطيمه أثر نفسي سيىء على أهل المدينة المحاصرين فخرجوا يريدون القتال والثار فدارت معركة عنيفة نصب خلالها المسلمون السلالم فصعدوا أعالى السور واقتحموا المدينة عنوة فى رابعة النهار ، وهرب منها والى الملك راهر فاختط المسلمون بها دوراً ومسجداً ونزلها أربعة آلاف منهم وأرادوها مركزاً لنشر الاسلام وتعليم القرآن (١) ، وهنا بدأ السكان المحليون وكثير من العناصر المظلومة والمضطهدة كالزط وغيرهم يلتحقون بالمسلمين ويشاركون فى تسهيل عمليات الفتح فسقطت سائر المدن والقرى من دون نهر مهران ، وعبر المسلمون فرع نهر الاندوس المسمى مهران ، وهناك التحموا بجيش راهر نفسه الذى عول على الفيلة تحمل المحاربين فى الهوادج لكن المسلمين اتقوا شرها بقذائف النفط تحرق الهوادج ومن فيها .. وكانت معركة ضخمة انتهت بقتل

راهر .. وتتابع بعد ذلك سقوط مـدن ساوندرى وبسمد والبيرون والرور التى جعلها المسلمون مركزاً آخر وبنوا فيها مسجداً ثم اجتاز المسلمون فروع الاندس الأخرى الى أن وصلوا عاصمة السند الشمالية ـ الملتان ـ وهناك وقع قتال شديد لكن المدينة سقطت وكثرت فيها الغنائم وبسقوطها أصبحت السند كلها بايدى المسلمين بحلول عام ٩٥ للهجرة ... وما لبث الخبر أن جاء بوفاة الحجاج ثم توفى الوليد بن عبد الملك مباشرة بعده فكان مجيء سليمان الذى طالما تهدد بالانتقام من الحجاج وقادته وهو ولي للعهد ، فانفرط عقد الفتوح ، وانتهى أعلامهـا إلى المحاكمات والتشهير ، والقتل والسجون والتشريد لم ينج من ذلك سوى مسلمة ابن عبد الملك ، وقيل ان محمداً لما ورد الأمر بعزله واعتقاله قال متمثلا :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

## عرب السند

يعتبر البلاذري المصدر الأساسى الذى نقل عنه المؤرخون اللاحقون كالخطيب البغدادي ، وأبى حنيفة ، الدينورى واليعقوبى ( احمد بن علي ) والطبري وابن خلدون وحتى مؤرخو باكستان المحدثين كالدكتور بنى بخش بالوش وشمس العلماء الدكتور داوريتس وميرزا كاليش وغيرهم ، ويبدو من مجمل الروايات أن محمد بن القاسم عني بتعيين قضاة فى المراكز الأساسية التى أشرنا لها فى السند ويبدو أن بعض عناصر من عبدقيس وبكر ابن وائل وتميم قد تشبثوا بالبقاء فى السند بعد انسحاب جيش محمد بن القاسم وفى موقع انشاه المسلمون يدعى محفوظ أباد لا تعرف أثاره اليوم ، ولكن الموقع المعروف اليوم بالمنصوره ظل بايدى المسلمين حيث اجتمعت به سائر العناصر العربية من أهل الفتح وانحاز اليهم من هدى الله تعالى للدين الجديد ، ويبدو أن اتصالا مؤثراً جرى بهم أيام الخليفة المنصور العباسي .. وأيما كان الحال فان ولاة المنصورة هذه ظلوا متمسكين بأن يجيء تعيينهم بامر الخليفة ، وهناك قائمة بتسلسل الولاة على المدينة من عهد محمد بن القاسم إلى عهد المعتمد العباسى وتشمل القائمة واحداً وأربعين والياً آخرهم عمر بن الليث ومنهم حبيب بن المهلب بن أبى الصفرة وهلال التميمى وجنيد بن عبد الرحمن المري ( علماً بأن الجنيد هذا يرد بين قائمة امراء جند وولاة هشام بن عبد الملك فيما وراء النهر ) وعمرو بن الفاتح محمد بن القاسم الثقفي ومنصور الكلبي وعدد من التميمين وواحد من بنى تغلب وزفر الحميري وداود المهلبي وغيرهم وربما كانت الاسر العربية الأصول فى السند من أشد الناس استمساكا بنسبها ويقال ان بنى شهيم الموجودين هناك الآن هم بنو تميم الذين دخل اجدادهم البلاد مع محمد بن القاسم ..

## الغزنويون والمغول

يبدو من سائر الظواهر والأخبار أن الوجود الاسلامى فى السند بعد محمد بن القاسم كان وجوداً دفاعياً وسلمياً ، ويروي ولهاوزن (٢) انه لما قام حكم عمر بن العزيز رضى الله عنه بعد وفاة سليمان بن عبد الملك فوضع كل جزية عن المسلمين المستحدثين عاد كثير من الهنود وغيرهم للاسلام ودخلوا فيه طوعا ، على ان الوجود المؤثر للاسلام انما استعيد على يد السلطان محمود الغزنوي . أوائل القرن الخامس الهجرى الحادى عشر للميلاد ، ولاشك أن الغزنويين والمغول هم الذين شادوا سائر ما نراه من المعالم الاسلامية العظمى فى الهند ، فقد وجه محمود الغزنوي اثنتي عشرة حملة ناجحة فى سائر الشمال الهندى ـ خلال مدة حكمه من ( ٣٨٨ ـ ٤٢١ هـ ) ووطد أركان الاسلام فى البنجاب جاعلا من لاهور عاصمة له ثم جاء نور محمد بن سام الغوري ( حكم الغوريون افغانستان فى ٥٤٣ ـ ٦١٢ هـ ) فجعل من دلهى عاصمة له ونشر هو وخلفاؤه نفوذ المسلمين فى معظم شبه الجزيرة الهندية (٣) وتعاقبت من بعده عدة أسر مغولية على حكم الهند إلى ان جاء عصر محمد بن طغلق الذى تولى عرش دلهي عام ٧٢٦ للهجرة وكان رجلا واسع الطموح ومخططا ممتازاً انشا علاقات نشطة مع سائر بلدان العالم الاسلامى ، وبخاصة مملكة المماليك البحرية فى مصر التى كانت تحت حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقد مد هذا الرجل نفوذ الاسلام فى سائر شبه القارة الهندية ، وقد قيل ان ذلك التوسع فى الجنوب هو الذى أدى الى إضعاف دولته تماماً كما فعل أورنجزيت سلطان المغول العظيم الآخر بعد ثلاثة قرون . وأيما كان الحال فالمهم ان هذا الرجل انشا علاقات نشطة جداً مع مصر ، خصوصاً وانه حصل من الخليفة العباسى المستكفى بالله الذى كان ملتجئاً لمصر بعد سقوط بغداد بايدى التتار تفويضاً بشرعية حكمه للهند ، وهو تفويض أفاد منه فائدة كبرى .

## علاقات خاصة بين الهند ومصر

لما كان مغول الهند فى خصام متصل مع المغول الذين استولوا على خراسان وفارس فقد كان مغول الهند يطمعون فى صداقة المماليك البحرية أقوى حكام المسلمين العرب فى غربي آسيا . ومع ان المصريين آثروا الابقاء على العلاقات الحسنة مع جناحى المغول كليهما الا أن الهنود كانوا يطمعون فى انحياز المماليك لهم فى نهاية المطاف ولذلك فلم يتركوا جهداً فى تنشيط التجارة وسائر أنواع المبادلات الممكنة مع القاهرة وحيث كان المغول المغربيون قد أوقفوا نشاط الخط البرى بين الموصل وحلب فقد اتجه النشاط التجارى ناحية موانىء البحر الأحمر عبر باب المندب ، حيث ازدهرت كل من القلزم والطور وعيذاب فضلا عن عدن .

كما اصبحت الاسكندرية تستقبل عدا عن مستوردات البضائع الهندية البضائع الواردة من ثغور البحر المتوسط لنقلها الى البحر الأحمر وباب المندب حتى سميت فى تلك العصر بمخزن العالم ، ويروى ابن بطوطه (٤) فى رحلته طرائف تكشف عن سعة التواصل العربى الهندى وانتشار الجاليات الهندية فى مصر ، والمصرية فى ثغور الهند فى تلك الفترة الزاهرة .

ولاشك فى أن ترسيخ الاسلام جذوره فى الهند على أيدى الغزنويين والمغوليين قد أحكم الوحدة الثقافية الهندية العربية وفتح أبواب العلاقات من كل نوع بين العرب والهنود وهى علاقات تنمو وتتطور حتى تحت أسوأ أيام الاستعمار بطشا وتفريقاً للناس .

أحمد العنانى

## المراجع


(١) البلاذري ـ فتوح البلدان .

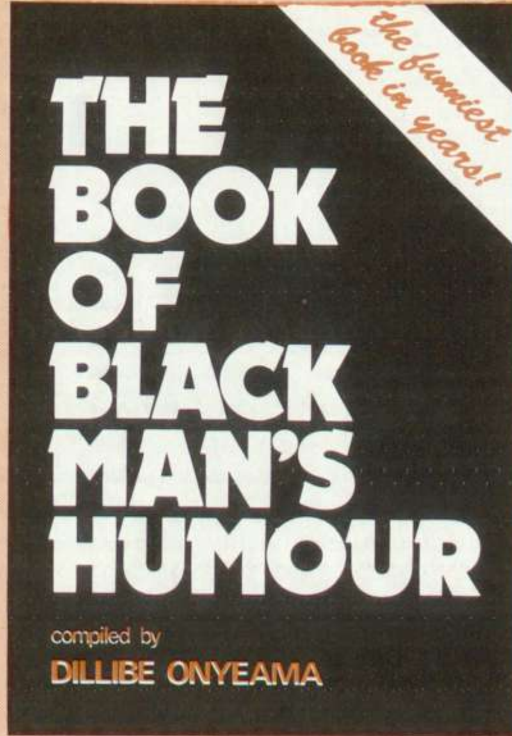
(٢) د . علي ابراهيم حسن ـ تاريخ المماليك البحرية ص ١٦٤ طباعة القاهرة .

(٣) انحلال وسقوط الدولة الأموية .

(٤) ابن بطوطة تحفة النظار ج ١ ص ١٥ طباعة القاهـرة .

# كيف يضحك الرجل الأسود؟




جمع : ديلبي أوينيما
ترجمة وإعداد : النور عثمان أبكر

أصبح الضحك صمام الأمان فى عالم يطغى فيه الصراع ويتصاعد كل يوم . وفى السنوات الأخيرة صارت الدعابة النابعة من واقع التفرقة والتحيز العنصريين مطلوبة لا لذاتها ، وإنما لتخفيف حدة التوتر الذى يفصل بين الأجناس ، وأخذ يستمتع بها المغلوبون على أمرهم .

وربما كان الانسان الأسود اللون أكثر حظاً من التعاسة والامتلاء بالغبن عن غيره . ولذا فان الضحك هو تعليقه ورد فعله على معاملة يفرضها عالم يقسو عليه ، ويحرمه من حقه فى العيش كما ينبغى للانسان أن يعيش . فالفسحة الوحيدة التى أفرج عنها العالم الغربى الحر ، كما فى أمريكا وانجلترا مثلا ، لينعم فيها الأسود ببعض حرية هى حياة الأحياء الفقيرة : «الجيتو» . ولكن حياة البؤس والمكابدات اليومية لم تمنع الأسود من الضحك أو استخدام السلاح الوحيد الذى يملكه : وهو حس الدعابة الواعية . وكلما اشتدت معاناته وجه ضربات أشد الى جلاديه .. بدعابته . وفى أحلك المواقف وأكثرها مأساوية ، ظل الأسود يضحك على العالم وعلى نفسه .

وهذا ما نحسه فى الكتاب الذى جمع فيه الصحافى والمؤلف النيجيرى ديلبى أونييما ما قاله عدد من مشاهير السود فى مجال السياسة والآداب والفنون والرياضة فى أمريكا ، وانجلترا ، وافريقيا ، وحاولنا اقتطاف ما يحتمل الترجمة والنقل الى العربية منه .

وقد اشتهر أونييما بمذكراته التى سجلها خلال فترة دراسته بمدرسة «إيتون» ، حيث أبرز التحيز العنصرى فى تلك المدرسة البريطانية العريقة . واتبع ذلك بكتاب عن الزنوج فى بريطانيا صور فيه أوضاع السود وحالهم الاجتماعى وسلوكهم وما يمكن أن يحمله لهم المستقبل . وكان قد جمع فى كتاب نشر عام ١٩٧٥ كل ما صدر عن الملاكم محمد علي كلاى من قول لاذع .

### كيف يضحك الرجل الأسود ؟

ربما كانت نقطة انطلاق معظم الأقوال اللاذعة التى يضمها هذا الكتاب من جملة ما قاله السود بأمريكا هى ما يعرف بالانفراق أو التناقض الظاهرى . ولذا فان المدخل الى الاستمتاع بالرنين الحقيقى لضحك الأسود الأمريكى هو الوقوف على الأرضية التى بنى فوقها البيض علاقتهم بالافريقى الأسود .

لقد بررت أوروبا استرقاق الافريقى الأسود فى القرن السادس عشر بقراءة مغرضة لنصوص العهد القديم فى الكتاب المقدس ، ثم بررت استعمار افريقيا وجهات أخرى فى العالم الثالث بمسئوليتها انسانياً وحضارياً بضرورة انتشال أهالى تلك الأصقاع من براثن الهمجية والبربرية. وحين وجدت أوروبا فى العلم الحديث ضالتها المنشودة لتفسير العالم وقوانين الطبيعة ، كشفت عن حقيقة ايمانها بتفوق البيض على بقية شعوب العالم . فاقامت نظريات تسمى علمية تفتي بضمور الذهن الملون وافتقاره الى الذكاء البعيد . وما كان هتلر سوى ثمرة طبيعية لمفكرين عمقوا النعرة العرقية فى الوعى الأوروبى ، ومنحوها تدابير اظهار التفوق الآرى .

وقد ابتدر جامع هذه الأقوال كتابه بالضحك من محاولة البيض استخدام العهد القديم لوصم الأسود بالدونية . نجد ذلك فى كلمات محمد علي ، وشعر كاونتى كالن ، وقولة ماكنيل ديكسون ، ونكتة سامى توماس ، وكلمة عراف الزولو كريدو .موتوا والأب ابيل موزوريوا ، وبوكر واشنطون .

ويستحق محمد علي كلاي اشارة خاصة لأننا ، إن أسقطنا مسافة من عدم التصديق بيننا وبين أجهزة الاعلام الأمريكى فيما يتعلق بأسطورة هذا البطل ، نكتشف أنه فجر ثورة لا فى مجال الرياضة فحسب ، وإنما فى تاريخ ومسار حركة المطالبة بالحقوق المدنية وفى مفهوم العلاقة بين الفرد والمؤسسة الحاكمة .

### تخطى حواجز اللون

لقد خرج محمد علي على الحياة الأمريكية من باب أوسع صناعة بها ، وهى صناعة الاعلام والترفيه وصنع الأبطال ، وذلك حين أصبح بطلا عالمياً فى الوزن الثقيل . ومن قمته تلك أشهر اسلامه ، فاسقط فى يد المؤسسة البيضاء لأن اسلام بطل عالمى واصراره على الطهارة والتسليم لخالقه لا لأرباب تسويق شهرته لم يكن ضمن تصور القدر المرسوم أمريكياً لأبطال الملاكمة السود . وهذا ما يشير اليه الدريدرج كليفر فى كلمته . فالبطولة للأسود فى وحى الحياة الأمريكية هى الفرصة النادرة لانتقاله الاجتماعى ، وتخطى حاجز اللون لدخول دنيا المال والامتيازات الحرة . وكان وقع الصدمة عنيفاً على القائمين بامر العلاقات العامة والدعاية للبطل . فقاموا بمحاولة لتطويق هذه الصرعة ـ كذا ظنوها ـ وذلك باستغلالها وتقديمها كانها الصورة التى بها يتباهى . لكنه حرص على التوكيد بان اختياره ليس مؤقتا ، وليس من قبيل ما يشاغب به بطل متحديه قبيل التبارى . وزاد الأمر حرجاً بالنسبة للمؤسسة الأمريكية أن محمد علي لم ينخرط فى أية مجموعة مسلمة معينة يمكن أن يتم التاثير عليها لتصفيته ، كما حدث للراحل مالكولم اكس الذى دبرت المخابرات اغتياله على يد جماعة المسلمين السود التى خرج عليها بعد أن اهتدى الى الاسلام الصحيح اثر الحج الى بيت الله الحرام والاتصال بمصادر اسلامية سليمة .



أبيض لأسود يحمل صحيفة يهودية :
« ألا يكفى أنك أسود ؟ »

### العودة الى الأصالة الزنجية

ولأن الشىء بالشىء يذكر ، فان مالكولم اكس كان مصدر بث لوعي جديد بين السود . فهو قد أكد على ضرورة العودة الى الأصالة الزنجية ، بمعنى أن صورة «العم طوم» الوادع الطيب هى من صنع المؤسسة البيضاء ، وان أبناءه هم نسل مغسول الدماغ الذى يرى نفسه بمنظار أبيض . كما دعا الى ضرورة العودة الى الجذور والاستقلال الاقتصادى واستخدام صوت الناخب الزنجى استخداماً يؤثر على مجرى القرار الأمريكى .

وكان مالكولم إكس خطيباً مؤثراً ومطلوباً ، وثانى أكثر متحدثين مطلوبين فى قاعات المحاضرات بأمريكا فى بداية الستينات . وكان موضوعه الأساسى هو نقده اللاذع للقادة فى أمريكا ولرؤسائها البيض ، وهو مما لا يمكن السكوت عليه من قبل المؤسسة البيضاء .

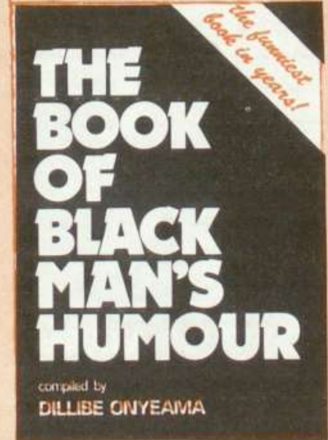
### السواد جمال

وفى ذلك الوقت نفسه كان كاتب «ضليع» فى اللغة والتاريخ والفن ، هو جيمس بولدوين ، يسجل مذكراته ويكتب رواية مغايرة للرواية البيضاء ، ويساجل فى المقابلات والندوات . من ذلك جميعه تمخض شعار : «السواد جمال» ، والذى نشطت به حركة الاحتجاج باللون الأسود احتجاجاً ايجابياً أعاد الى الشباب الأسود ثقته فى نفسه . كما نشط الاتصال بين الزنوج فى أمريكا وافريقيا زمان كان نكروما مُعَلّما ومَعْلَما ، وكانت غينيا سيكوتورى منافحة عن أمور تسكت الآن عنها : فكانت حركة القوة السوداء .

ولذا حين أشهر محمد علي كلاي اسلامه علي مشهد ومسمع من ملايين تنظره فى قمته كبطل ملاكم ، كانت الظروف الذهنية والنفسية وسط السود مهياة لتقبل ما تقوله الجذور : وهو أن الدين الطبيعى للسود المسترقين من سواحل غرب افريقيا هو دين أرض الجذور .. لا دين الرجل الأبيض الذى نهب وزيف ودمر تلك الأنفس والسواحل وبذا وجد الأمريكى الأسود دفعة واحدة انه




# كيف يضحك الرجل الأسود؟




يملك صورته كما حررتها له الطليعة السوداء المناضلة بشرف وبعيداً عن دهاليز وكواليس حركة الرجل الأبيض المسماة تقنين الحقوق الاجتماعية للسود ، والتى تزعمتها قيادات من نسل العم طوم ، حد قول مالكولم إكس .

ولمحمد علي فضل كبير بحكم شعبيته العالمية فى ايقاظ وتفجير هذا الخطر . أما (الشىء المحـــرم) الآخر الذى جرؤ الملاكم الأسود على تعريته فهو الانخراط فى جندية المؤسسة العسكرية البيضاء : لقد رفض التجنيد الاجبارى ابان الحرب الأمريكية الفيتنامية . وكانت تلك صفعة على الخدين : الأبيض والأسود على حد سواء . ما كانت الحرب من حظ الأرقاء السابقين . وحتى حرب التحرير الكبرى التى قادها ابراهام لنكولن ، محرر العبيد ، لم يسمح فيها للسود بالقتال . لقد حرموا شرف الجندية . وكان أحد المطالب الأساسية فى حركة الحقوق المدنية أن يسمح للسود بحق حمل السلاح دفاعاً عن بلادهم ـ بلاد الرجل الأبيض .

وقد شجع رفض محمـــد علي كثرة من الشباب الأمريكى على الهرب من الجندية واللجوء الى دول اسكندنافية ، وعلى رفض التجنيد فى الولايات المتحدة ، مما سارع ونشط حركة المطالبة بايقاف الحرب واعادة الأبناء الى الشواطىء الأمريكية الدافئة بدلا من الموت فى أدغال بلد أسيوى متخلف عرف بأنه مقبرة للغزاة .


محمد علي كلاى

## اعتبارات حضارية

ومن المواضيع التى حرص الأدب الزنجى الأمريكى على اظهارها بعد أن امتلك صورته الحقيقية مسالة الحضور الأسود فى تاريخ الولايات المتحدة . لقد كشف جيمس بولدوين فى أكثر من موقع فى كتاباته أن تعامله مع شكسبير ورامبرانت وبيتهوفن واينشتاين إنما يتم باعتبارات حضارية ، وليس لكونهم خلفيته التاريخية فى الانجاز : لأن التاريخ الأوروبى ليس تاريخه الشخصى كما تحاول الكتب المقررة أن توهمه . ويفسر هذا الموقف اندفاع الباحثين السود الى استجلاء تاريخ افريقيا باعتبارها أرض المنبت والأصالة السوداء . فاذا كانت «الجذور» التى استجلاها المستر هيللى فى مسلسله المشهور هى أبرز ما عرفه العالم من جهود السود فى التعرف على تاريخهم الشخصى الحقيقى فان المكتبة الأفريقية بأمريكا حافلة بالدراسات الجادة والمتعمقة لهذا الموضوع .


جيمس بولدوين

ولذا فان الأقوال المقتطفة من محمد علي وسامي ديفيز ولويس إكس واوبى ايقبونا والتى تدور حول تزييف الرجل الأبيض للتاريخ الذى يسجله عن السود إنما هى من صميم معاناة السود فى هذه الناحية ، إذ أن الاعلام الأمريكى معتمد على نعرة تبخيس السود أشياءهم يصر على ابراز كل انجاز وابداع باعتبارهما من فعل البيض وحدهم .

هذا ، ولم تكن فرص التعليم والتأهيل متاحة للسود دائماً ، كما أن فرص انتقاء الشريك فى العلاقات الشخصية كان دائماً وقفاً على البيض ، حتى فى حال انتقاء ذلك الشريك من السود . وهذا ما نجده فى الكاركاتير الخاص برجل الفضاء الأسود ، والذى اعتبره من أذكى الايماءات فى هذه المجموعة .

ولا تغفل هذه الأقوال الاشارة الى عدم ثقة الأسود بالبيض وتعلل الأقوال اللاذعة فقدان الثقة هذا بحب الأبيض لنفسه واندفاعه الأعمى لانتهاب أية فرصة لجمع المال ، واستعداده للايقاع بغيره فى أية لحظة . وتعمق الأقوال المنتقاة هذه الفجوة برفضها تقليد البيض فى تفكيرهم أو سلوكهم .

## مشكلة نازحين

أما فى بريطانيا ، فان الأمر جد مختلف . فالمشكلة الأساسية هى مشكلة نازحين وما يترتب عليها من معضلات الاستيعاب ، سكناً وعملاً وتبايناً فى العادات الشخصية واللغة الخ . فالملون البريطانى ، آسيوياً كان أم من جزر الكاريبى أو جزر فولكلاند يشعر بحقه الكامل فى الاقامة ببريطانيا ، مادام يحمل جواز سفر بريطانى صالحاً ، ومادام قد عومل فى فترة الاستعمار معاملة الشخص البريطانى . كما نجد ضمن مشكلة الاستيعاب هذه صراعات خفية بين الأقليات نفسها ، وخاصة بين الملونة منها

وبين الأقلية الايرلندية فى بريطانيا . أما اليهود ، فقد صعدوا اقتصادياً واجتماعياً الى مراكز تمنكهم من السيطرة على أقدار الآخرين ، تدعمهم بالطبع الصهيونية العالمية .

ولذا فان الأقوال اللاذعة المختارة على لسان ملونين بريطانيين أو أفارقة ارتبطوا بالحكم البريطانى هى نكات أكثر منها كلمات مأساوية نابعة عن غبن عميق كما عند الأمريكى الأسود الذى اشترك اشتراكاً فعلياً وتاريخياً فى بناء «العالم الجديد» ، ونفي منه بحرمانه من حقه الطبيعى فى الافصاح عن انسانيته الفعالة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

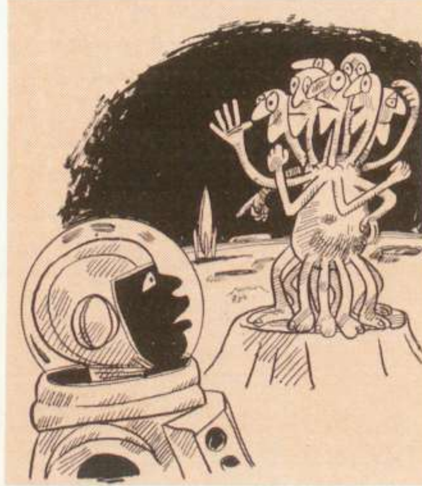
ويجد القارىء فى المناكفات والمناوشات التى تحفل بها الأقوال المختارة عن أوضاع الملونين فى بريطانيا أن المستر اينوك باول السياسى اليمينى المحافظ هو محور معظم الضحكات الملونة . وتقابله فى أمريكا جماعة الكلوكلوكس كلان فى الولايات الجنوبية التى تعمل على تصفية السود وكل من يتصل بهم أو يساعدهم تصفية جسدية .

فالمستر باول هو الداعية الجهير الصوت بوجوب ترحيل الآسيويين وأهالى جزر الهند الغربية الأفارقة الى بلادهم ، ومنحهم التعويض اللازم ، لأنهم أس كل بلاء أصاب الامبراطورية الشائخة ، ووجـــودهم فى قناعته ، سيؤدى الى فيضان مروج بريطانيا الخضراء بالدم ، وشوارع مدنها الكبرى ستتحول الى أدغال تصطرع فيها وحوش همجية .. وما فساد الشباب وازدياد الجريمة والبطالة وكل قبيح إلا بفضل تسللهم غير المشروع الى بلاد التقاليد العريقة والتسامح الانسانى . كذا !

إن ما تم إغفاله فى هذه المجموعة أخطر مما تم تقديمه : فالمجموعة لم تنتخب أية أقوال نابعة من وضع السود فى جنوب أفريقيا ، حيث تمارس حكومات بريتوريا المتعاقبة أفظع أنواع التفرقة العنصرية .

**محمد علي كلاى**

● أتدرون أن اللون الأسود هو الأصل ؟ وأن الكتاب المقدس هو القائل بان كل شيء كان يغطيه الظلام قبل أن تخلق السموات والأرض ؟ وما لون الظلام ؟ أتدرون أن الأرض الخصبة أرض سوداء ؟ وأن التوت كلما اسود لونه طاب مذاقه ؟ وأن القهوة القوية هى القهوة السوداء ، ولا تفقد قوتها إلا بعد مزجها بالحليب ؟



لقد طلبوا مني أن اتطوع للاشتراك فى برامج الفضاء ، ولكنني رفضت خشية أن أهبط فى كوكب المريخ ، فتخطو نحوى قطة لها سبعة وعشرون رأساً ، وتسعة وخمسون فكاً ، وسبع وأربعون ساقاً فتقول :
« وأنا أيضاً لا أريدك زوجاً لابنتي ! »

●● ما أتعس الأسود : وما أقسى دربه وأطوله . ربما بدأ كل هذا العذاب حينما جرته أمه الى كنيسة البابتيست أو الكاثوليك ، ورأى المسيح لأول مرة : وله شعر لم يرزقه أسود أبداً . وعندما رأى العشاء الأخير فيما بعد وجد أن كل الجالسين اليه رجال يشبهون المسيح . لم يكن بينهم صينى أو مكسيكى . بيض كلهم . ورأى تصاوير القديسين المسيحيين ، وكانوا بيضاً . ولم ير تصاوير لرجال سود يموتون فتصعد أرواحهم الى السماء لتلحق بالملائكة الشقر . وفى كتب القصص ، وجد الأخيار كلهم بيضاً ، وملكة جمال أمريكا بيضاء ، وملكة جمال العالم بيضاء ، وملكة جمال الكون بيضاء .. والرئيس الأمريكى يسكن فى البيت الأبيض .. وكعكة الملائكة بيضاء ، وكعكة الشيطان سوداء . والشيء الأوحد الذى يعرفه هو أن أفريقيا سوداء ، وأحراشها سوداء . فمن تظنونه وجده ملكاً عليها ؟ أووه .. آه .. انه طرزان .. ومعه تاجر جوخ وألبسة .

**جيمس بولدوين**
كاتب

● سئل ذات مرة إن كانت لديه أية فكرة عن مكان أسلافه ، فاجاب « لا ولكنى أحمـــل اسماً انجلزياً .. والله وحده يعلم أين حصلت عليه»

●● وفى تعليقه على انكماش الأمريكى العادى وكبته نفسه عن ملامسة الآخرين ، قال : «إنه متجمد .. وحتى حين يهز يد شخص آخر فانما يفعل ذلك فى توتر وعصبية» .

●● وقال معلقاً على البيض فى جنوب افريقيا : «انهم أقلية فى جنوب افريقيا ، وهم هناك فى أقصى طرف من الكرة الأرضية وليس وراء ظهرهم سوى البحر . فاذا ، أو بالأحرى ، عندما تدور عليهم الدائرة لن يجدوا أحداً ينقذهم .

**الدريدج كليفر**
كاتب

● يقض مضجع العنصريين البيض أن الناس فى كل أنحاء العالم يحبون الأمريكى الأسود ويجدون استحالة فى إسباغ أى دفء عاطفى مماثل على الأمريكى الأبيض . وعندما يهتفون : «الى دياركم أيها اليانكى» فانما يعنون بذلك الرجل الأبيض لا الأسود الذى نال مؤخراً حريته من بعد عبودية .

فالأبيض العنصرى يعى أنه هو «الأمريكى القبيح» ويريد للأمريكى الأسود أن يكون قبيحاً أيضاً فى نظر العالم : ان التعيس يأنس بالصحبة .

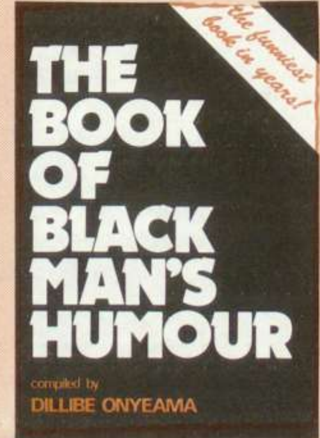
● لقد ظل كل بطل أسود فى الملاكمة ألعوبة يحركها البيض ، ويتحكمون فى حياته الخاصة وصورته العامة .. حتى جاء محمد علي . وبمجيئه أصبحت اليد المحركة للدمية ممسكة بقبضة من الخيوط . غير أن الدمية الراقصة لم تعد مشدودة اليها .

**لويس اكس**
واعظ مسلم أسود

● أغنية :
«كنا نلبس أردية حريرية وأحذية من ذهب ، وكنا أرقى الناس على الأرض قاطبة ، كما قيل لي

# كيف يضحك الرجل الأسود؟





مارتن لوثر كنج


اينوك باول

ولكننا الآن افقر الفقراء
وليس ثمة من يريدنا امام بابه
ولذا يا صحابى من السهل ان نعى-
ان جنة الرجل الابيض هى جحيم الأسود
وباستخدام نسائه البيض ومائه الحارق
واخاديعه واكاذيبه استطاع ان يسرق امريكا
والمالك الحقيقى لهذه الأمة
رهين المعسكرات الخاصة .
ولذا يا صحابى
من السهل ان نرى ان جنة الرجل الابيض
هى جحيمنا نحن السود .

---

**كاونتى كالن**
شاعر

---

● من قصيدة : «سيدة أعرفها» :
وحتى فى الجنة
تعتقد أن طبقتها تنام وتشخر الى وقت متاخر
بينما يصحو السود فى السابعة
لأداء الترانيم السماوية

---

**سامي ديفيز**
ممثل فكاهى

---

بعد أن صرت نجماً أتاح لي ذلك فرصة تلقى إهانات فى أملكن لا يمكن للأسود العادى أن يحلم أن يدخلها ليهان .

● إن العالم لا يكره المهزومين ، ولكنه ببساطة لا وقت له لهم .

● لقد اتفق ان كان مؤلفو كتب التاريخ من البيض وبصدفة اخرى عجيبة استطاعوا أن يتجاهلوا كل شىء انجزه اى أسود فى امريكا ولامريكا ، ما عدا سحب البوارج فى نهر المسيسيبى اللعين .

● الى مشاغب :
يسرنى سيدى أن استضيفك فى كاليفورنيا ان وجدت نفسك ذات يوم بها : أرجو أن تزورنى وتستخدم حوض السباحة الخاص بى ، ويسرنى أن أعطيك بعض الدروس فى الغرق .

● وقد سئل مرة عما يعيقه ، فقال :
(اننى رجل ملون اعور ، فما حاجتى لمزيد من المعوقات ؟) .

---

**وليم دوبوا**
( ١٨٦٨ ـ ١٩٦٣ )
كاتب

---

● هنا ترقد مأساة العصور . وهى ليست ان الناس فقراء ـ فقد عرف كل الناس ضرباً او آخر من ضروب الفقر ، ولا هى ان الناس اشرار ، فمن هو الفاضل ؟ ولا هى أن بالناس جهلا ـ فما هى الحقيقة ؟ لا : إن المأساة هى أن الناس لا تعرف سوى النذر القليل عن الانسان .

---

**راى دوريم**
كاتب

---

● اسمعنى ، اسمع استجدائى أيها الطبيب : أريد رجلا صناعية سوداء .

● ان بعضاً من أفضل أصدقائى همو من البيض. وعندما اقابلهم أعاملهم وكانهم بشر .

---

**نيكى جيوفانى**
كاتبة

---

● ما هو الشىء الأوحد الذى نعرفه بشكل مطلق وحاسم عن اى رجل ابيض فى العالم ؟ انه يعبد المال . ومن فرط افتتانه به يراه فى كل شىء اخضر . وهذا ما يفسر وجود تلك اللافتات اللعينة : ابتعد عن العشب ! لا تطأ العشب ! وهو لم يضعها لانه يهتم ويعنى بالعشب وإنما لأن العشب اخضر .

● ما هى أفضل السبل لابعاد الرجل الأبيض .. وبسرعة ؟ اطلب منه مالا .

● انه ظريف لأقصى حد يستطيعه عندما يعتقد انه سيحصل على مالك ، ولكن حين تطلب منه مالا ، فكانك تطلب من الهيبي أن يتخلى لك عن الشىء الذى يخدره ، أو من الزنجى أن يسلمك خنجره .

● ادخل اى مصرف تريد وتشاء واودع به خمسة دولارات ، ثم عد اليه بعد أسبوع لسحبها . وانت تودع الدولارات الخمسة يهش لك الجميع ، ويكلف المدير خاطره ليخرج لمصافحتك والترحيب بك عضواً فى العائلة . انا لا اتحدث عن اكثر من خمسة دولارات . وعندما تذهب لاستردادها ، يبادرك الصراف قائلا : (اتدرك انك بذا ستغلق حسابك ، وكانك تجهل انك إن اودعت خمسة دولارات وسحبت خمسة فان حسابك لا محالة سيقفل . تبسم له وتقول : طبعاً يتجهم وجهه ويقول : (سيكلفك هذا دولاراً) . فتقول: (حسناً . أعطنى الأربعة الباقية) . فيقول : (أمهلنا دقيقة) . هنا تنظره شذراً وتقول : (ارجو ذلك حقاً !) عندئذ يخبط مالك ويصيح : (بعده) أو ربما حول المعاملات الى الصراف الآخر ، ليدير لك ظهره .

## ديك جريجورى

كوميدى

● أندرى أننى تجاوزت الثانية والعشرين من عمرى قبل أن أعرف أن ابراهام لنكولن هو الذى حرر العبيد ؟ كنت دائماً أعتقد أن جفرسون ديفيس هو الذى أخرجنا من الأسر تحت المراقبة ؟

● يبدو اننا بدأنا نحرز نصيباً من النجاح لقضيتنا : لقد طرحت شركة الهاتف اجهزة ملونة.

● اريد أن أقدم لكم مفاجاة : انكم ترون صور الكلوكلوس كلان وهم يلبسون اغطية راس مدببة . ان الأغطية نفسها مسطحة ، لكن الرؤوس هى المدببة

● يوفر لى الصيف متعة نادرة : فحين يصفعنى احدهم مربتاً على ظهرى ، أصيح : (انتبه ، فان ظهرى يؤلمنى بسبب صفعة الشمس) وما اكثر الذين يعتذرون لى .

● لقد نجح قومي فى كرة القدم الأمريكية ، وتفوقوا وبرزوا . وهى توفر لنا الفرصة الوحيدة لرفع هراوة فى وجه الرجل الأبيض دون ان يكون ذلك فاتحة للشغب العنصرى .

● قال فى احد نوادى «بلاى بوى» وقد اكتظ باهل الجنوب :

(طاب مساؤكم . يسرنى ان أرى نخبة ممتازة من اهل الجنوب تؤم نادينا الليلة ، ومن محاسن الصدف اننى اعرف الكثير عن الجنوب ، فقد قضيت عشرين عاماً به ذات ليلة .

● تلك الأغنية المخربة : ان كل محلات بيع الاسطوانات تعزفها (اننى احلم بعيد ميلاد أبيض ) . ومن المحزن ان ابنتي الصغيرة لا تؤمن بسانتا كلاوس وحتى فى سن الثانية تعلم جيداً انه ما من رجل ابيض ياتى الى حيناً بعد منتصف الليل . فلنكن امناء : كم منكم راى سانتا كلاوس اسود ؟ انه ابيض حتى أن يخرج من المدخنة .

وكان ينبغى ان يسود من اثر الهباب .

● عن أمريكا :

أليست هى اروع بلاد الأرض ؟ اين كنت ساضطر الى الركوب فى مؤخرة الباص ؟ واخير فى دخول اسوا المدارس ، واتناول وجباتى فى اردا المطاعم ، واسكن فى اسوا الأحياء ، وذلك اتقاضى ٥٠٠ دولار فى الأسبوع لاحكى لكم كل هذا .

● وفقاً لعقد عملى فاننى احصل على خمسين دولاراً من الادارة فى كل مرة يعيرنى احد الناس بسوادى . ارجوكم أن تكرروا ذلك ليقف جميع الحاضرين ويقذفونى بكلمة «أسود» .. لأتقاعد غداً عن العمل !

● إن مارتن لوثر كينج هو الشخصية المشهورة الوحيدة التى اعطت بصمات اكثر مما اعطت اوتجرافات .

## لانجستون هيوز

( ١٩٠٢ ـ ١٩٦٧ )

شاعر

● ما اقوى الدم الأسود . إن مجرد نقطة واحدة منه تجعل المرء ملوناً . نقطة واحدة وتصبح زنجياً . يا لقوة اللون الأسود !

● اقسم بالله العظيم اننى لا افهم لماذا تشمل الديمقراطية كل شخص إلا انا .

● إن من أشق ما يتكبده المرء لكونه من اقلية عرقية هو ان كثيرين من طيبي القلوب وحسني النية يتجمعون حولك لمساعدتك . وعادة ما لا يستطيعون تقديم اى عون غير رفقتهم التى غالباً ما تكون مملة بشكل مميت .



«والآن وبعد ان كسروا حاجز الأربع دقائق فى سباق الميل ، وحاجز السبعة عشر قدماً فى القفز بالعمود .. سيكسرون حاجز اللون » !

## جورج جاكسون

( ١٩٤٢ ـ ١٩٧١ )

من خطاب الى صديق :

● (فى السبعينات من القرن الثامن عشر شاء الأوروبيون الموجودون فى أمريكا الاستقلال عن الأوروبيين فى انجلترا . فاسموا ذلك حرب التحرير . والآن نحاول نحن السود فى الولايات المتحدة ان نخلص من هؤلاء الأوروبيين ..وقد اسموا ذلك تخريباً وعدم مسئولية .

● من خطاب الى محرر :

(فى الصباح الذى كان مقرراً أن يطلق سراح هذا الأسود ذهبت اليه فى زنزانته ومعى بعض الملايات ، وطلبت منه أن يساعدنى على الهرب . فصرفنى بواحدة من تلك النظرات وبهزة من يده . فاخذت امزق الملاءات ، وعندما فرغت من ذلك سالنى عما سافعله بها فاجبته : (أمزقها لأصنع منها حبلا) وسالنى مرة اخرى : وماذا تنوى أن تفعل بالحبل ؟) فقلت : (اقيدك به) وفعلت .

وعندما نادوا عليه ليطلقوا سراحه ذهبت بدلا عنه . لقد تعلمت حقيقة مهمة للغاية بالنسبة لنضالنا هنا فى الولايات المتحدة :

إن السود كلهم فى نظر نوع معين من البيض سواء .

## مارتن لوثر كينج

( ١٩٢٩ ـ ١٩٦٨ )

● اريد ان اكون اخاً للرجل الأبيض .. لا اخاً لزوجته .

● إن الظلم فى أى مكان هو تهديد للعدالة فى كل مكان .

● إننى أرفض الفكرة الجهنمية التى تقول باننا امة بعد امة يجب ان نتهاوى اسفل السلم الحلزونى العسكرى الذى يفضى الى جحيم الدمار النووى .

## جوليوس ليستر

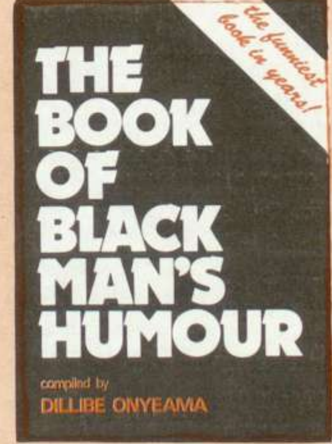
مؤلف

● قال منتقداً الرئيس الأمريكى جونسون على دوره وموقفه تجاه احداث الشعب الزنجى عام ١٩٦٧ :

(لقد كان رد فعل الرئيس جونسون مطابقاً




كيف يضحك الرجل الأسود؟






ابراهام لنكولن



عيدى أمين

لكونه رجلا أبيض ، فقد كون لجنة لتقصى الانتفاضات ، وأنفق فى ذلك مالا كثيراً للوقوف على حقيقة كان يمكنه أن يعرفها بسؤال أى أسود نائم فوق كنبة أمام البيت الأبيض » .

● عن حوادث الشغب فى صيف ١٩٦٧ :

(لئن نجح شىء فى إيقاظ الرجل الأبيض فهو صيف ١٩٦٧ . استيقظ الرجل الأبيض .. يقظة لم يستفد منها . فقد كرر صراخه عن النهب والعنف مما جعل السود يدركون أنه يهتم بممتلكاته أكثر من اهتمامه بهم » .

مالكوم اكس
( ١٩٢٥ ـ ١٩٦٥ )

● لقد ظل الأسود فى هذه البلاد يجلس فوق مقعد ساخن قرابة ٤٠٠ عام . ومهما حاول غاسلو الأدمغة ومغسولو الأدمغة أن يعينوه على النهوض والتقدم ، فان ذلك سيظل أبداً غاية فى البطء بالنسبة لرجل ظلت مؤخرته تحترق بذلك الموقد .

● ذات مرة وأنا أقوم بعملى ، انتصب أمامى جندى أبيض غليظ الوجه ، أحمره لا يكاد يقوى على الوقوف من فرط سكره . كان يترنح ويصرخ : «سألاكمك أيها العبد الأسود» وضحكت وأجبته : «بالطبع الاكمك . ولكنك مثقل بالملابس » . كان يرتدى معطفاً عسكرياً ثقيلا ، فخلعه . واصلت ضحكى وكررت ما قلت . وهكذا استمر المعتوه فى خلع ملابسه حتى لم يبق منها إلا ما يستر عورته فاتى جند آخرون اخذوه بعيداً عن الطريق وضحك المتفرجون .

آدم كليتون باول
عضو مجلس الشيوخ
وقس

● حذار من اغريقى (يونانى) يحمل هدايا ، وملون يبحث عن سلفة ، ومن البيض الذين يفهمون الزنوج .

جون تشيكاى
موسيقي جاز

● سمعت زنوجاً يتحدثون عن موسيقى سوداء . ليس للموسيقى أى لون ، ولا يمكن لأحد أن يراها . فكيف يمكننا أن نطلق عليها أى لون ؟

بوكر واشنطون
( ١٨٥٦ ـ ١٩١٥ )
مؤلف

● إن مجرد الصلة بمن عرفوا بانهم الجنس الأكثر تفوقاً لا يمكن أن يقدم الفرد الى الأبد الم يكن له قيمة فى حد ذاته .

● عن العبودية :

لا يمكن لأى جنس أن يتقدم ويرقى اذا لم يتعلم أن فلاحة الأرض لها نفس كرامة كتابة القصيد .

## ملاحظات من بعض البيض

ابراهام لنكولن
( ١٨٠٩ ـ ١٨٦٥ )

● (رئيس الولايات المتحدة إبان الحرب الأهلية)

● كلما سمعت شخصاً يجادل فى مسالة الرق طغى بى شعور عارم لأن أراه هو نفسه مسترقاً كيما يجرب الأمر بنفسه .

ماكنيل ديكسون
( ١٨٦٤ ـ ١٩٤٦ )
روائى ومسرحى امريكى

(روائى ومسرحى أمريكى)

● كان انجح تجار الرقيق المتمركزين فى ليفربول هو السير جون هوكنز . وقد اختطف ٧٥ الف أفريقى من أوطانهم بغرب افريقيا . وكان اسم سفينته التى نقل بها الرقيق هو «المسيح» !

هنرى لويس منكين
( ١٨٨٠ ـ ١٩٥٦ )

( كاتب امريكي ) .

● « انني ضد الرق لأننى ، ببساطة ، لا أحب الرقيق .

برنارد شو
( ١٨٥٦ ـ ١٩٥٠ )
( مسرحى ايرلندى )

● « لا تنسوا أن أسودين لا يكونان أبيضاً .

● زار امريكى أسود مدينة لندن ، فدهش كثيراً حينما ساله احد الانجليز إن كان محافظاً . فاجابه : « كيف للسود فى امريكا ان يكونوا محافظين ؟ وماذا لديهم ليحافظوا عليه على اية حال ؟ » .

## السود فى بريطانيا يضحكون

سامى توماس
هزلي انجليزى

● كنت أعمل في مناجم الفحم ، فطردوني من العمل لأنهم فشلوا فى البحث عني داخل المنجم .

● توفى زنجى ، ولقيه القديس بيتر قائلا : « اننا لا نسمح فى العادة بدخول الملونين الا إذا قاموا بعمل خارق فى حياتهم » فاجابه الأسود : « اننى أشجع من مشى على الأرض : فقد تزوجت امراة بيضاء فى كنيسة للبيض فى الاباما بجنوب الولايات المتحدة ، حيث كان بين المصلين خمسون من اعضاء جمعية الكلوكلوكس كلان ، فانفجر بيتر قائلا : « عظيم ! مذهل ! ومتى كان ذلك ؟ » فاجابه الأسود : « قبل دقيقتين » .

### جوس وايت
كوميدى من ليفربول

● المستر اينوك باول ( السياسى اليمينى المحافظ الذى يريد طرد السود من بريطانيا ) لا يرغب فى دخول الجنة عندما يموت .. خوفاً من أن يضطر إلى ترتيل اغانى الزنوج الروحية .

● انني احب ان اسعد الملونين : فانتم معشر البيض لكم شعر اشقر وعيون زرقاء وخدود وردية ، ومع ذلك تقولون عنا ملونين .

● شوهد اينوك باول وهو ينوح فى قمة صخرة . فساله بعضهم : « لم تبكى ؟ » فاجاب « رايت حافلة محملة بباكستانيين تهوى أسفل الهضبة » فقال الآخر : « ولذلك تبكى ؟ فقال السيد باول : « لأن مقعدين بها كانا شاغرين » .

### شارلى وليامز
ممثل هزلى

● سعى اينوك باول « البريطانى المحافظ الذى ينادى بطرد السود من بريطانيا » إلى مقابلة رئيس الحكومة البريطانية . وفى المقابلة قال : « لى طلب واحد .. وهو أن تحضر ٣٠٠ باكستانى لتسوية قبرى بارجلهم عندما أموت » فاستغرب رئيس الوزراء ذلك وساله : انت واثق مما تقول ؟ » فقال السيد باول : « جد واثق . وفى الواقع أريد ٤٠٠ باكستانى إن تمكنت من جمع ذلك العدد » وقال آخر : « لك ما تريد . ولكن اين تريد ان تدفن ؟ » فقال باول : « فى قاع البحر » .

● ذهب باكستانى قليل الحجم يبحث عن عمل فى شركة للبناء . ولكذ احد رفاقه اخبره انهم لايستخدمون سوى الايرلنديين . وعندما ساله رئيس العمال عن اسمه اجاب « باتريك فينيغان يا سيدى » . فطلب منه ان يباشر عمله يوم الأثنين . شكره الباكستانى ومضى مزهوا بما انجز؛ لحظتها صاح به

هو يكره إلا ان يرى السود من عل.

رئيس العمال : « ولكن قبل ان تبدا العمل معنا ، اغسل ذلك الوجه » .

● مثل باكستاني امام المستر اينوك باول (اليمينى المحافظ الذى يريد طرد الملونين من بريطانيا). وكان ذلك فى إحدى المحاكم . فقال اينوك : « انت متهم بركوب دراجة بلا أنوار . وقد وجدتك مذنباً ، وعليك دفع غرامة قدرها ٧٠ جنيهاً » . فقال الباكستانى : « سبعون جنيها لركوب دراجة بلا انوار ؟ » فزجره اينوك باول قائلا : « بلى . ولو كان الوقت ليلا لحكمت عليك بغرامة قدرها ٢٠٠ جنيه » .

● قام فريق للمسح التليفزيونى بزيارات منزلية لمعرفة احب القنوات والبرامج البريطانية لدى المشاهدين . وعندما وصلوا بيت احد الآسيويين ، شرحوا له مرادهم ، ورجوه أن يتفضل بمساعدتهم بالمعلومات المطلوبة . وبعد تامل قال : « حوالى عشرة اشخاص فى هذه الحجرة يشاهدون القناة الأولى ، وعشرون فى تلك يشاهدون التليفزيون التجارى ولكننى لا أدرى ما شاهده ساكنو الطابق الأعلى من البيت » .

● صعق دبلوماسى صينى وارتعب عندما بلغ منزل صديقه الانجليزى تلبية لدعوة للغداء وذلك عندما كشر كلب ضخم عن انيابه واخذ ينبحه . وتراجع مسرعاً عن البيت . فخرج إليه صديقه الانجليزى واعتذر عن تصرف كلبه ، وقال يمازحه : عندنا مثل انجليزي قديم يقول : كلب يكثر النباح لا يعض » فاغضب ذلك الصيني ، فانفجر قائلا : « انا اعرف ذلك المثل ، وانت تعرفه ، ولكن هل يعرف الكلب مثلكم ؟ » .

● شب حريق فى احد الفنادق . فلاذ شاب اسود بالشرفة ، تنوشه السنة اللهيب وظلت فرقة الانقاذ تستجديه ان يقفز ، وهو على رفضه ثابت ، قائلا : « لا اثق بكم ايها البيض . انكم ستسحبون الشبكة وقتما اقفز » . وبعد ان طمانوه ان ذلك لن يحدث اجاب : « لن تخدعوني . ضعوا الشبكة أرضاً اولا .. وبعدها ساقفز » .

● قال أبيض لأسود من القوة السوداء : « لم لا نصبح أصدقاء ؟ إننى متعاطف مع قضيتكم » فقاده الأسود الى النافذة وطلب منه ان يخبره بما يرى . فقال الابيض « ارى جمعاً من الناس » ثم قاده الأسود الى مرآة وطلب منه ان يخبره ماذا يرى . فقال الأبيض : « أرى نفسى » . فقال الأسود : « وذلك ما يجعل صداقتنا فى حكم المستحيل » .

## والأفارقة أيضاً يضحكون

### عيدى أمين

قال معلقاً على الحرب فى الشرق الأوسط :

● ان انتصار العرب فى الحرب ضد اسرائيل أمر حتمي . ولم يبق أمام رئيسة وزراء اسرائيل سوى ان تربط سراويلها وتفر باتجاه نيويورك وواشنطون .

● عندما أعلن أن الآسيويين اليوغنديين المطرودين من يوغندا قد خربوا اقتصاد بلاده :

لقد ظل الآسيويون على الدوام يريدون تحصيل أكبر قدر ممكن من الارباح بادنى استثمار ممكن . لقد حلبوا البقرة ، ولكنهم لم يطعموها لتدر المزيد من اللبن (الحليب) .

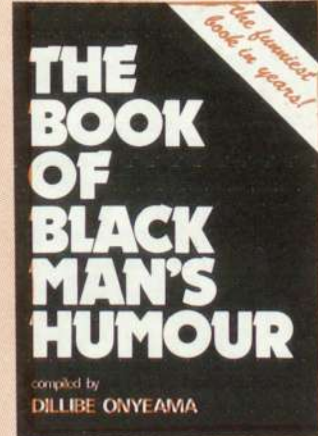
● عن عدوه الرئيس التنزانى نيريرى الذى رفض ان يعترف به ، وانتقد سياسته الخاصة بالآسيويين :

اود ان أؤكد لك انني احبك كثيراً ، ولو كنت امراة لفكرت فى الاقتران بك ، بالرغم من امتلاء رأسك بالشيب .

● وعن السياسيين قال :




## كيف يضحك الرجل الأسود؟






ابيل موزريوا



كوامي نكروما

يجدر بك الا تكون مثل بعض السياسيين الأغبياء الذين يحدثون اضراراً مادية جسيمة وخسائر فى أرواح الناس ، ولكن عندما يحين وقت معالجة المشكلة لمعرفة حقيقة الأمور يدعون المرض ويغطون انفسهم بعشرين بطانية .

● وعن تقديم تعويضات لبريطانيا :

لن ابحث الأمر مع اى ضابط بريطاني صغير الرتبة لانني الرجل الاول فى يوغندا فان ارادت بريطانيا ان تمنح اية تعويضات لشركاتها التى اممت على اثر الحرب الاقتصادية ، فان على رئيس وزراء بريطانيا او ملكة بريطانيا الحضور شخصياً الى يوغندا ، لأن الحرب الاقتصادية قد اعلنت فى يوغندا لا فى بريطانيا .

● وعن صندوق انقاذ بريطانيا :

« ان الهدف من هذا الصندوق هو انقاذ ومعونة سادتنا الاستعماريين السابقين من الكارثة الاقتصادية » .

---

**سالامى كوكر**

ممثل سيراليونى

---

ما اطيب السواد . انك تستطيع الاعتماد على البشرة السوداء . انظرني : يهطل الجليد واظل اسود البشرة ، .شرف الشمس فلا يتغير لوني ، وعندما احس بالذنب لشىء جنته يداى ، يثبت لونى ، واموت أسود . ولكن انظر البيض ـ لونهم يصبح وردياً بفعل الثلج ، وتحرقه الشمس فينقلب بنياً ، وعندما يشعر احدهم بالذنب يحمر وجهه ، ويتحول لونهم الى الأزرق عندما يموتون .

---

**أوبى ايقبونا**

كاتب من نيجيريا

---

● إسمى المسجل فى جواز السفر هو اوبى ايقبونا ، ولكن ذلك مجرد تزوير : لأن اسمى الحقيقى فى جنوب افريقيا هو « بانتو » ، وفى استراليا « ابورجينى » وفى أمريكـــا « زنجى » وفى نيكسونفيل « وسخ » وفى بريطانيا « بيكانيني الضاحك » .

● يقال لكل طفل يولد فى أفريقيا انه لا يقوى على التفكير حتى يدخل المدرسة الابتدائية ، فيتخرج منها بشهادة ليقال له مرة أخرى انه لا يحسن التفكير حتى يدخل الثانوية . وبعدها يخبر بانه لن يفكر حتى يكمل الجامعة ويحصل على شهادة أوروبية . ولكن ما ان يستلم شهادته الجامعية ويعود الى افريقيا حتى يجد نفسه مشغولا بجمع المال ، فلا يجد وقتاً للتفكير . والنتيجة هى انه يضيع حياته دون ان يفكر مرة واحدة فقد تعود ان يفكر له الآخرون حتى جهل كيف يستخدم فكره ، واصبح عقله بمرور الزمان منكمشاً بفضل عدم الاستخدام . فان قابله افريقى آخر يقوم باى عملية تفكير فانه يتهمه بالجنون !

● أهيب بقومى ان يكبروا ويقلعوا عن تقليد اوروبا كالقردة . ان ارتداء القبعة البريطانية الرسمية السوداء فى احراش افريقيا وحرارة طقسها لا يعكس خيراً فى عقليتنا أو اقتصادنا .

---

**سامي أوقن**

من خطباء هايدبارك

---

● انتم معشر الانجليز دهاة . نبيعكم كاكـاو بلادنا فتحضرونه الى انجلترا ، وتضعونه فى علبة وتكتبون عليه : صنع فى انجلترا .

● عندما تنافس السود والبيض فى اراضى المكسيك العالية الارتفاع فى اولمباد مكسيكو ، كان السود حين يبلغون خط النهاية يبتسمون ويرفعون أيديهم .. فتقدم لهم الميداليات الذهبية . اما البيض فكانوا يتهاوون ويغمى عليهم . وماذا قدم لهم ؟ الأوكسجين ! .

● لمشاغب ايرلندى ساله عن المكان الذى جاء منه ، قال : « من الأشجار . وقد هبطت هذا الصباح » .

* * *

● فاز أفريقى من الادغال بجائزة هى عبارة عن رحلة مجانية الى انجلترا ، بصحبة زوجته . وفى احد الفنادق الفاخرة بلندن استيقظ الرجل عند منتصف الليل عطشاً فطلب الى زوجته ان تسقيه . وبعد ساعة أخرى اشتد به الظمأ فايقظه . واحضرت له زوجه المطيعة ماء . وفى المرة الثالثة تاخرت الزوجة فى احضار الماء . وكانت مضطربة قلقة فارغة اليدين حين اتت . فسالها زوجها «ماذا جرى ؟ اين الماء ؟» فاجابته : «وجدت رجلا أبيض جالساً فوق البئر» .

* * *

● فتح أفريقى من اكلة لحوم البشر مطعماً فى قلب الأدغال ، ووضع قائمة الأسعار التالية :

اسكوتلندي مشوى ٥٠ بنساً .
انجليزى مشوى ٥٠ بنساً .
ايرلندى مشوى ٥٠ بنساً .
هيبي مشوى واحد جنيه ( ١٠٠ بنس ) .

فساله زبون قرا القائمة : « ولماذا رفعت

سعر الهيبي هكذا ؟ » فاجابه صاحب المطعم هل حاولت ان تنظف واحداً منهم من قبل ؟ » إن جهد التنظيف يرفع السعر .

● قال شاب افريقى لصـديقه الأبيض : « ساذهب لمشاهدة برنامجى المفضل – القرود » . فقال صديقه : « وما الداعى لمشاهدة التليفزيون ؟ لم لا تشاهده فى المرآة . ؟ » .

* * *

حاول انجليزى مغتر بنفسه ان يترك انطباعاً باهمية اسلافه فى خلد نظيره الأفريقى ، فقال : « كان ابن عم ابى دوقا » فقال الأفريقى فى هدوء : « كان ابى ملكاً فى قبيلته » . فاغتاظ الانجليزى وصمم على اقناع الأفريقى بتفوقه عليه فقال : « كان جدى تاجراً للرقيق ، وقد باع آلاف الأفارقة لجزر الهند الغربية » . فقال الأفريقى بطريقة عابرة : « يا للصدف . لقد باع جدى الأكبر آلاف الأرقاء الى الانجليز » .

* * *

● فى احدى القرى الأفريقية جلس افريقى يحادث قريباً له تلقى تعليماً انجليزياً . وكان هذا يحدثه عن التحيز العنصرى لدى البيض ضد الملونين . فقال الآخر غير مصدق : « ولكن كيف يزعمون انهم يكرهون اللون الأسود وقد رايتهم بام عينى يستلقون على طول شواطئنا يحاولون اكتساب اشد سمرة ممكنة لجلودهم ؟ » .

* * *

● سال ايرلندى احد الأفارقة من اكلة لحوم البشر : « لماذا تستبعد الايرلنديين من قائمتك » فرد الأفريقى : « لأنه حين حاولنا اخر مرة ان نطبخه فى القدر ، إلتهم كل البطاطا » .

* * *

● سال أمريكى أسود زميلا له : « ماذا تفعل ان استلمت خطاباً من الكوكلوسلان يطلب منك فيه مغادرة المدينة ؟ » فقال الآخر : « ساقراه فى القطار » .

● طلب احد السود من الجرسون ان يحضر له فنجاناً من القهوة . فساله الجرسون : « سوداء أم بيضاء يا سيدى ؟ » فقـال الأسود : « أادخلتم تحيزكم العرقي فى القهوة ايضاً ؟ » .

* * *

● سال المدرس طفلا أبيض عن مكان وموقع افريقيا . فقال الطفل : « لا أدرى ، ولكنها لا يمكن ان تكون بعيدة من هنا ، لأن سامبو يذهب لتناول وجباته فى بيتهم » .

## الزعيم القبلى لوبنقولا

كان « لوبنقولا » حاكماً قبلياً فى الكونغو إبان الاستعمار ، والاوربيون وقتها يتدافعون لاقتسام افريقيا ويحاصرون قبائلهـا .. ويجردونهم من سلطاتهم . وقد اسر الزعيم لوبنقولا بشعوره لأحد المبشرين اللندنيين قائلا :

● « هل ابدا رايت حرباء تصطاد ذبابة ؟ ان الحرباء تظل ساكنة وراء الذبابة ، ثم تتقدم فى بطء ونعومة ، واضعة قدماً .. ثم أخرى . وعندما تدنو بما يكفى لاصطياد الذبابة ، تقذف لسانها ، فتختفى الذبابة . والحرباء هى انجلترا . وانا تلك الذبابة .

## اونيا نجو كيرا

مواطن كيني

قال معلقاً على قدرات العراف الافريقى المعروف لدى البيض بالطبيب الدجال : ( حتى اكاذيب العراف الأفريقى نفسها تدخل الراحة والسكينة فى نفوس المرضى ) .




كان انجح تجار الرقيق فى ليفربول هو السير جون هاكنز ، وقد إختطف ٧٥ الف افريقي من أوطانهم بغرب افريقيا . وكان اسم سفينته التى نقلهم بها هو « المسيح » .

## فيكتور كويسى

طالب غاني

● الله هو واهب العافية ، لكننا نحمد الطبيب الدجال .

## كريدو موتوا

عراف من قبيلة الزولو

● يزعمون أن ديانة البانتو وثنية . ولكن من هو الأقرب الى الله ؟ انسان يعيش فى مدينة كبرى ولا شاغل له سوى جمع المزيد من المال ؟ ام ذلك الذى يحيـا قريباً من الأرض التى خلق الله ، وان كان فقيراً وجاهلا ؟

● منذ اكثر من أربعين عاماً وانا احتفظ بكتاب عن افريقيا بعنوان : « بلادنا » الفه كاتب إنجليزى يدعى هيو براين ، ومن الفقرات المميزة فيه هذا المقطع : « سميت افريقيا قارة لأننا لا نعرف سوى النذر اليسير عنها . وتوجد فى روديسيا ابنية ضخمة متهدمة لا يمكن ان تكون من صنع الناس السود ، ولكن ما من احد يعرف الناس البيض الذين بنوها » .

وهذا المؤلف لم ير افريقيا فى حياته .. ومع ذلك يسمى كتابه « بلادنا » .

## الأب أبيل موزوريوا

رئيس المجلس الوطنى الأفريقي

● قال رداً على هجوم وزير العدل والأمن الروديسي الأبيض الموجه إلى رجال الدين الذين يمارسون السياسة :

« ان المسيح نفسه لو جاء الى روديسيا ليعلم الناس كيف يكون الحب مخلصاً لله ولجيرتهم لوصمه السياسيون بانه يتدخل فى المسائل السياسية » .

## كوامى نكروما

( ١٩٠٤ – ١٩٧٢ )

( الرئيس الغاني الراحل )

● كان رده كلما تلقى دعوة لحضور حفل كوكتيل فى غانا إبان رئاسته :

« لا غرابة فى عدم استطاعتنا توحيد افريقيا . انكم جميعاً تعتبرون الاستقلال مجرد حفل كوكتيل واحد مستمر » .

قصة بقلم : عباس خضر

# المضروب

اسمى محمود . كنت موظفاً في مصلحة السكك الحديدية وأحلت على التقاعد لبلوغ السن القانونية ( ٦٠ سنة ) واسكن فى هذا الحى من القاهرة مع زوجتى وابنتى الطالبة بالجامعة .

لست سعيداً ، انا مسكين .. نحيف قصير القامة ، اتوكا على عصا اتمنى ان اضرب زوجتى .. ولكنى لا أستطيع .. اخشى باسها ، قوية البنيان ، سليطة اللسان ، بل هى التى تضربنى ! وقد تعلمت منها البنت ،هل سمعت ان ابنة تضرب أباها.الزوجة نعم تفعل ، وكثير من الزوجات يضربن أزواجهن ، ولكن البنت التى تكون عادة حنونة رقيقة ومؤدبة ، وخاصة اذا كانت مثل ابنتى طالبة فى الجامعة – لكن هذه البنت تضربنى مثل امها ، وإن كانت الأم شرسة تضربنى بالنعل – ولا مؤاخذة – والابنة تكرمنى فلا تضربنى به ، بل تمد يدها على .. واعفنى من التفصيل ، فهو شيء مخجل وفظيع ، وان كنت قد تعودته .. إنها تستعمل معى اخف حركات ( الكاراتيه ) تلك اللعبة التى تعلمتها ، وشجعتها عليها فى أول الأمر ، فجاءت على دماغى ..

ولابد أنك تسأل : لماذا تضربانني ؟. انهما تتهماننى بالبخل ، وما انا إلا حريص على النقود ، لا احب أن تضيع فيما لا فائدة فيه أو ما يمكن الاستغناء عنه ، أليس التدبير نصف المعيشة ؟.

– ولكن ليس معنى التدبير البخل ، إن معناه حسن التصرف .

هكذا يقول لي صديقى مصطفى الذى يجالسنى فى القهوة ، فاقول له :

– أليس حفظ المال والابقاء عليه من حسن التصرف ؟.

إن طلبات ابنتى شيء فوق العقل ، فهذا مطلوب لكتب المراجعة ، وهذا لرحلة وهذا للشاى والمشروبات الأخرى فى مقصف الكلية ، غير الفساتين وما إليها .. أليست الكتب موجودة فى مكتبة الجامعة ؟ والرحلة ما لزومها ؟. ومقصف الكلية ومشروباته لماذا ؟. أنت ابنتى ، لماذا لم تأخذى عنى ؟. فانا اقعد فى القهوة ، أفطر وأشرب الشاى بطلب واحد .. اشترى رغيفاً بخمسة مليمات وأطلب ( واحد شاى ) واكل هذا بهذا .. والصحف اقرؤها مجاناً .. فالأستاذ مصطفى يشترى كل يوم واحدة ، وبعد أن يقرأها يضعها على المنضدة ، فاقول له وانا اتناولها : عن إذنك .. لم تكن لي طاقة على شرائها وهى بقرش فما بالك وقد اصبحت بثلاثة قروش ؟. ولا أرى سبباً يبرر رفع سعرها فهى كبيرة الحجم تبلغ نحو ست عشرة صفحة وربما أكثر يشغلها كلام كثير لا يقرا ، فلو انهم خفضوا عدد الورق لكان ذلك أحسن ، ففيه اقتصاد جزء من ثمن الورق واستغناء عن بعض المحررين ، الذين يحررون ، تلك الصفحات ويبحثون لهم عن عمل آخر .. وبذلك تنخفض تكاليفها فينخفض سعرها .

أليس ذلك ، أى عدم شراء الصحيفة وقراءتها بالمجان ، من حسن التصرف ؟. اذا سمى هذا بخلا فياحبذا البخل !

البنت تعلمت لعبة « الكراتيه » فى الجامعة ، وهى تجرب فى ما تتعلمه لكى تحصل منى على ما تطلب من نقود .. مثل أمها التى تجيد لعبة قديمة هى لعبة « الشبشب ! » وكل ذلك يقع فوق راسى ، وينتزع النقود من جيبى !

عندما أحكى ذلك لجليسى فى القهوة الأستاذ مصطفى الذى صار صديقى ، يستغرب ويقول :

– إبنتك تضربك .. وطالبة فى الجامعة !

ثم يقول بعد التعجب :

– الم تكن تضربها وهى صغيرة ؟.

– انا يا أستاذ لم أضربها قط ، وكيف افعل فافقدها شخصيتها !

وقال وهو يخفض صوته كانه يحدث نفسه :

– أثرت إذن أن تفقدك هى شخصيتك !

نظرت اليه وسكت .. كان فى نظرى وسكوتى معنى العتاب ، كيف يقول هذا ؟.

• • •

اليوم خرجت من المنزل ، فشعرت بالارتياح ، وانتعشت نفسى وانا اشم هواء الشارع ، كسجين أفرج عنه .. كانى كنت سجيناً فى الشقة ، لا أسمع فيها إلا صوت زوجتى كفحيح الأفعى .. على عكس ما كان فى زمن مضى ، كم رققت صوتها وهى تخاطبنى ، ثم هى الآن تغلظه وهى تخاشننى ، لا تجد عندى ما كانت تحبه وهى ترقق لى صوتها ..

جعلت أدب فى الشارع مستعيناً بعصاى التى اتوكا عليها ، حتى بلغت القهوة ، ليس أمامى فى الحى ما اقضى فيه الوقت غير هذه القهوة برغم « قلة ذوق » العاملين فيها ، رحم الله أياماً كان النادل فيها « خواجة » ينتزع « البقشيش » من الواحد بحسن ذوقه وخدمته وجميل كلامه وإن كان مكسراً .. ولكن هؤلاء لهم ميزة ، هى أنهم لا يستحقون « بقشيشاً » فلا أدفع



لهم إلا أربعة قروش المقررة على كوب الشاى ، وكان من قبل بثلاثة قروش فرفعه صاحب القهوة الاستغلالى الى أربعة قروش ، وهو لا يتكلف أكثر من قرش ، فالحكومة تصرف لهم « حصة » من شاى التموين بثمن زهيد ، منهم لله !

ها هو ذا صاحبى محمود جالس على الرصيف أمام القهوة ، إنه مثلى دائماً هنا وإن كنا نشكو من القهوة والعاملين فيها ومن يجلسون بها ، وهم أخلاط من الناس ، فيهم عمال وباعة و « سماسرة » بيوت وغير بيوت .. وهؤلاء ينفقون عن سعة مما لا يتاتى للموظفين وأمثالهم من محدودى الدخل ..

• • •

سأله الصديق مصطفى عن الحال فقال انه « زفت ! » .

ـ لماذا يا سيد محمود ؟

ـ الواحد لا يعرف من أين تأتيه المصائب ومن أين ؟ زوجتى وابنتى أو من موظفى المعاشات ؟

وحكى له قضيته فى « المعاشات » التى حكاها له قبل ذلك عشرات المرات .. وهى تتلخص فى أنه يستحق فرقاً بين ما يصرف له وبين ما يستحق ، وقد رفع هذه القضية الى المحكمة يطالب بهذا الفرق ، فحكمت المحكمة فى صالحه ، ولكن الموظفين يتلكاون فى تنفيذ الحكم . ويعلل هذا التلكؤ بانهم يريدون « شيئاً » وهو لن يعطيهم شيئاً ، أليس ذلك حقه ؟ فلابد أن يؤدوه برغم أنوفهم .

ـ قلت لهم : يا عالم .. أنا كنت موظفاً مثلكم ، وانتم ستكبرون وتتقاعدون مثلى .. اتقوا الله .

قال ذلك ، ثم ازدرد آخر لقمة من الرغيف مع إخر جرعة من الشاى ومسح فمه بمنديله ، وطوى المنديل بعناية ووضعه فى جيبه .

وتناول الصحيفة اليومية من على المنضدة وهو يقول لصاحبه : عن اذنك . واخذ يقرأ . وما لبث أن قال :

ـ انظر .. إنهم سيزيدون المرتبات ولا ذكر للمعاشات .. كأن صاحب المعاش لا يشترى الأشياء غالية كما يشتريها الآخرون . ما ينوبنا إلا الغلاء الذى سيترتب على رفع المرتبات ..

قال ذلك وهو يحمد الله فى سره على انه لايشترى الأشياء الغالية إلا إذا اضطر لذلك اضطراراً ، فغلاء الفاكهة مثلا يوفر عليه ثمنها .. ويقول فى نفسه :

أنا والحمد لله لا اشتهى ما غلا ثمنه ، ويقولون اننى أحرم نفسى .. وكيف يكون حرماناً أن أمتنع عما لا أشتهيه . مادمت املك ثمن الشىء فانى لا أشتهيه ، وربما اشتهيه إن لم يكن معى ثمنه ..

اللحم مثلا .. هل مات النباتيون ؟ لماذا أذهب إلى الجزار واتحمل جشعه ، وادفع له الثمن الفاحش كما يفعل المغفلون .. فنعينه على بناء عمارة جديدة ؟ لا أكلت لحماً ، ولا بنى هو عمارة .. أليس فى البقول ما يغنى عن اللحم ؟ ليت الحكومة تدعم الفول المدمس كما تدعم رغيف الخبز إذن لما غلا هو أيضاً كبقية الأشياء .

لولا زوجتى وابنتى لكنت من الأغنياء إنهما تبذران تبذيراً . هذه البنت المسرفة تطالبنى بثمن مشروباتها فى مقصف الكلية وتقول ان زجاجة المياه الغازية صارت بخمسة عشر قرشاً .. ولماذا تشربها وشربة الماء العادية المجانيةتغنى عنها ؟ بالله ماذا تتكلف هذه الزجاجة حتى تباع بهذا الثمن ؟ إن كثيراً من المنتجين والتجار يثرون ثراء فاحشاً على حساب المشترين المغفلين ..

• • •

لم يعد فى طاقتى احتمال هذه الحياة .. يمكن أن احتمل الضرب ، فقد تعودت عليه .. أما الذى لا يمكن احتماله فهو المطالبة بالنقود وتبذيرها فيما يساوى وما لا يساوى .. هل أنا قاعد على بنك .. حتى ألبي كل هذه الطلبات التى لا تنتهى ؟ امس بات عندنا ضيوف من قريتها : قرية زوجتى ، وهم يستاجرون أرضاً زراعية لها هناك ، ويربون بعض الماشية لحسابها . فى الصباح المبكر غادرت المنزل قبل أن يستيقظوا ويستعدوا للافطار ، خرجت مبكراً قبل أن تقول لي زوجتى : أنزل هات لنا كذا وكذا : فلتتصرف هى ولتدفع من مالها الذى يحملونه اليها . كفانى « البراغيث » التى حملوها معهم فى ثيابهم وأمتعتهم والتى لم تدعنى انام الليل ..

ألا يمكن أن أعيش بنقودى موفورة بعيداً عنها ؟ إننى شخصياً لا أتكلف شيئاً يذكر ، وعما قليل آخذ المبلغ المتجمد لي كما وعدنى الموظف المختص بالمعاشات ، وقد تمتد يدها الى جيبى فتاخذه منى أو تاخذ بعضه وتقول لي : كفاك هذا ..

ولكن الى أين أذهب وأين تقيم يا واد

# المضروب

يا محمود ..؟ أظن أنى قلت لك إن اسمى محمود .. فندق المشهد الحسينى المجاور لمسجد سيدنا الحسين رخيص ولا باس به وهناك تكون يا واد يا محمود فى رحاب الحسين رضى الله عنه ، وكل شيء رخيص فى حى الحسين بالنسبة للأحياء الأخرى ، وكوب الشاى فى أية قهوة هناك بثلاثة قروش فقط ..

لن يصعب علي إلا فراق ابنتى ، مهما كان الأمر فهى ابنتى ، وضربها إياى قد يكون له مسوغ .. من حيث هو وسيلة للحصول على ما تطلب . وإنى لأعجب من سخرية الأستاذ مصطفى إذ يقول لي : ابنتك تضربك ..؟ وطالبة فى الجامعة ..؟ وأنت لم تضربها حتى لا تفقد شخصيتها وهى التى أفقدتك شخصيتك ! وماذا فى هذا يا سيد مصطفى ..؟!

أما الأستاذ مصطفى فانه يفضل أن يصلى الجمعة فى مسجد سيدنا الحسين ، وسنلتقى هناك ، ولابد أن أعزمه على الشاى فى إحدى القهوات ، وهذا أصعب ما فى الموضوع ! وقد تزيد الصعوبة حتى تبلغ الكارثة .. إن طلب قهوة كما أراه يفعل أحياناً .. ففنجان القهوة ثمنه مضاعف لغلاء البن الذى يقال إنه عالمى ، وما لنا نحن وهذا العالمى ..؟ وعلى أى حال لن يكون ذلك إلا أول مرة فقط ، وبعدها يدفع هو إن شاياً أو قهوة أو غير ذلك .. هو حر !

• • •

بينما كان الأستاذ مصطفى جالساً على رصيف القهوة كالمعتاد إذ أقبلت عليه فتاة تقول :

ـ صباح الخير يا عم مصطفى ..

ونظر اليها مدهوشاً .. من تكون ..؟! وتابعت هى قائلة :

ـ ألم تر والدى ..؟ والدى محمود صاحبك ، كان يكلمنا عنك .

ـ آه .. أنت ابنته . أليس كذلك ..؟

ـ بلى ، إنه لم يعد الى البيت منذ ثلاثة أيام ، ولم يترك أى خبر ..

كانت البنية ملهوفة على والدها ، حزينة لاختفائه . نظر اليها مصطفى فرأى ملامح صاحبه محمود تبدو عليها ، ولحظ اللهفة فى صوتها وعينيها ، فرق قلبه وقال لها :

ـ اطمئنى ، أعرف مكانه .

ـ حقاً يا عمى ..؟ أين ..؟

ـ هل يمكنك أن تمرى بى غداً فى مثل هذا الوقت ..؟

ـ نعم .

ـ سأكون فى انتظارك لنذهب اليه .

• • •

قضى محمود ثلاثة أيام فى فندق المشهد الحسينى مؤرقاً حزيناً ، لم يجد الراحة التى توهمها ، فكر فى أمره وأمر ابنته وأسرته التى غادرها ليعيش بعيداً عنها فى راحة كما زعم لنفسه ، وتبين الوهم الكبير الذى دفعه الى هذه الفعلة وندم على ما فعل . ابنته مخطوبة على نية أن يعقد قرانها عقب التخرج ، وهى الآن فى السنة النهائية بالكلية . وكان مما حمله على هجر الأسرة رغبته أن يكون بمنجى من الانفاق على تجهيزها وما يلزم لعرسها .. ولكنه الآن يتمنى أن يكون فى المعمعة أبا العروس . وماذا سيصنع بهذه النقود



إن عاش ! وإن مات فما مصيرها ..؟

لو مات الآن لم يدر به أحد من أهله ، أين يذهب ماله : نقوده فى البنك والمتجمد له فى المعاشات ..؟ كيف تهتدى ابنته الى هذا المال ..؟ أليست أولى به ..؟ أليست فى حاجة اليه ..؟ لو مات الآن لمات كأى كلب .. أى كلب !

إذا كان عجيباً أن تضرب بنت أباها فان الأعجب أن يهرب الأب من ابنته ومما يلزم لهـــا ..

كان يتوهم أنه سيعيش على الأفطار بالرغيف والشاى ، والغذاء برغيف آخر ، ولا عشاء كما اعتاد .. ولكنه الآن يشتهى طبقاً من الخضار واللحم ولا يستطيع أن يجازف بالدخول الى مطعم ويتناول فيه ما يشتهى .. كيف يهون عليه أن يخرج مبلغاً لا يعلم قدره إلا الله .. ويدفعه ثمنـــاً لذلك ..؟

غفا فهاجمه الكابوس الذى يعاوده ولا يدعه يهنا بنوم ، فيستيقظ فزعاً ويجلس حتى لا يعود الى النوم فيعود اليه الكابوس : ماتت ابنته وهو يمشى فى جنازتها حافياً لا يدرى أين ذهب الحذاء .. يصحو ويمسح دموعه .. إذا مات الآن فسيموت كأى كلب .. أى كلب !

ماذا يفعل ..؟ يعــــود الى البيت برجليه .. فيعلن بهذا فشل خطته ..؟ ولكن أية خطة هذه ..؟ ولم اختطها ..؟ لينجو من الضرب أو من الدفع ..؟!

لمح ابنته وصديقه مصطفى قادمين عليه فبكى .. وأسرع بتجفيف دموعه ومحاولة التجلد .. ولكن ابنته تلقى بنفسها عليه ، وبتلقائية يأخذها بين أحضانه وهى تنشج قائلة :

ـ يا حبيبى يا بابا !

ـ يا حبيبتى يا ابنتى !

ـ تعال يا أبى ، عد الينا لن نمد اليك يــداً ..

ـ لا ، بل مـــدى يا ابنتى ، ولك ما تطلبين ..

دهشت الابنة .. ورأت أباها يكفكف دمعة ففتحت حقيبة يدها وأخرجت منها منديلا صغيراً جففت به ما على خديها من دموع .

عباس خضر

# كلمات

## من أمثـــال الشعوب

- إن ما يقال أمام أسد ميت لا يمكن أن يقال أمام أسد حى .
- قد يكون من الحقيقة أنك قتلت فيلا ، اما أن تقول : إنك حملته ، فلا .
- من لا يملك شيئاً لا يعاديه احد .
- لسانك أسد ، فان أطلقته قتلك .
- لا تعاشر من لا تعرف طباعه .
- العالم يقوم على ثلاثة أشياء : زرع الذرة ، وحصدها ، وأكلها .
- إن ما يرضعه العجل هو ما أكلته البقرة .
- الذكاء افضل من القوة .
- لا يتحول الرغيف إلى تمساح وإن ابقيته فى الماء عشر سنوات .
- الرجل الصالح لا يهجر أصدقاءه فى محنتهم .

## الطبيب الكامل

قال علي بن رضوان الطبيب العربى الذى توفى سنة ٥٤٣ هـ في كتابــه « الأصــول » :

« الطبيب على رأى بقراط هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال :

الأولى : أن يكون تام الجسم صحيح الأعضاء حسن الذكاء عاقلا ذكوراً خير الطبع

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشىء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته فى إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء .

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شىء من أمور النساء والأحوال التى شاهدها فى منازل الأغنياء فضلا عن أن يتعرض لشىء منها .

السابعة : أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال لا يصف دواء قتالا ، لا يعلمه ، وأن يعالج عدوه بصدق نية كما يعالج حبيبه ... »

## أيـــد ثلاثة

قال يونس النحوى :

« الأيدي ثلاثة : يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء . فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هى المكافاة على المعروف . واليد السوداء هى المن بالمعروف » .

## الشاعر الجزار

قال الشاعر أبو الحسين الجزار :

لا تلمنى مولاى من سوء فعلى
عندما قد رأيتنى قصابـــــا
كيف لا أرتقى الجزارة ما عشت
قديـــماً وأتـــرك الآدابـــا
وبها صارت الكلاب ترجّينى
وبـــالشعر كنت أرجو الكلابا

## الراحـــــة ...

قال ثابت بن قرة :

راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة النفس فى قلة الآثام ، وراحة القلب فى قلة الاهتمام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

## الخطأ ...

كان الأمير « بجكم » التركى يعرف العربية ولا يتكلمها ، ولما قيل له لماذا لا تتكلم العربية وأنت تعرفها قال : أخاف أن أتكلم فاخطىء ، والخطأ من الرئيس قبيح .


ديجول

# ديجول والجمهورية الخامسة

بقلم: محمد العزب موسى

**جاء شارل ديجول إلى الحكم فى ١٣ مايو ١٩٥٨ على أكتاف الفاشية ، فقد قام فريق من جنرالات الجيش الفرنسى بانقلاب ضد نظام الحكم اثر ازمة وزارية حادة من ذلك النوع المألوف فى عهد الجمهورية الرابعة ، وحمل الجنرالات المتمردون زميلهم الجنرال المتقاعد من حيث يعتكف فى قريته « كولومبى لى ديز ايجليز » الى قصر الاليزيه بباريس ، وبينما كانت سيارة ديجول تنهب الطريق إلى القصر كانت جماهير الشعب الفرنسى تفترش الطريق أمامها وهى تهتف « لن تمر الفاشية » !**

كان ديجول يبدو فى ذلك الحين وكانه قد تنكر لكل ماضيه فى الكفاح من اجل حرية فرنسا ومجدها وعظمتها .. كان اشبه بدمية فى يد قوى الفاشية والرجعية والامبريالية التى نذرت نفسها للعمل على ابقاء الجزائر فرنسية ، والتشبث بالمستعمرات ، وكبت الشعب الفرنسى نفسه والقضاء على مؤسساته الدستورية وتراثه فى الحرية .

وكان من الممكن أن تكون هذه هى النهاية المؤسفة لبطل التحرير الفرنسى وأن يختتم بها حياته كاسوا ما تكون خاتمة الدكتاتور لولا أن ديجول رفض منذ البداية أن يظل أسيراً فى يد الفاشية ، فاعلن انه لن يقبل أن يتولى الحكم إلا بالطرق الدستورية ، وقرر اللجوء إلى الشعب يستفتيه على رئاسته ، فهو يريد أن يضفى على سلطته رداء الشرعية ، وأن يتخلص من أرباب نعمته الانقلابيين .

وجاءت نتيجة الاستفتاء فى نوفمبر ١٩٥٨ ـ أى بعد حوالى ستة اشهر من الانقلاب ـ مؤيدة لديجول باغلبية ساحقة

ويبدو أن الشعب الفرنسى أدرك بحاسة الشعوب الخفية أن الموقف يحتاج الى « ديكتاتور مستنير » لعلاج الأزمات المزمنة التى تواجه البلاد . وظاهرة اللجوء الى ارادة يمينية قوية حين تدلهم الخطوب تكاد تكون ظاهرة تقليدية فى تاريخ فرنسا ، فقد حدث ذلك بعد ثورة ١٨٣٠ حين ظهر لويس فيليب ليضع نهاية لفوضى عودة ملكية البوربون فى أعقاب هزيمة نابليون ، وتكرر نفس الشئ فى عام ١٨٤٨ حين جاء نابليون الثالث الى الحكم عقب ثورات

تلك العام التى عمت فرنسا وكل انحاء اوربا ، وجىء بالماريشال بيتان الى الحكم فى عام ١٩٤٠ عندما انهارت فرنسا خلال شهور قليلة من بدء الحرب ، واخيراً ها هو ديجول يقفز بالتأييد الشعبى الى الحكم عام ١٩٥٨ عند استحكام ازمة الديموقراطية وتهديد الوحدة الوطنية .

وبدأ ديجول حكمه . متسلحاً بهذا التفويض الشعبى - بعلاج اكثر المسائل الحاحاً واولاها بالعلاج الحاسم وهى عدم الاستقرار السياسى ، فالغى دستور الجمهورية الرابعة الذى وضع فى اعقاب الحرب وروعى فيه إلباسه ثوباً ديموقراطياً فضفاضاً ، واصدر دستوراً جديداً لجمهورية جديدة هى الجمهورية الخامسة (*) راعى فيه تقوية السلطة التنفيذية عن طريق أمرين :

الأول الأخذ بالنظام الرئاسى (الامريكى) الذى يكفل تقوية سلطة رئيس الجمهورية وجعل الوزارة مسئولة امامه وهو مالم يكن معمولا به فى دستور الجمهورية الرابعة اذ كانت الوزارة مسئولة امام البرلمان اما رئيس الجمهورية فيكاد يكون شرفياً لا يتمتع بسلطة تنفيذية .

والثانى حق رئيس الجمهورية فى استفتاء الشعب للحصول على تفويض خاص فى المسائل القومية الهامة حتى لا تخضع هذه المسائل لمناورات الاحزاب واحابيلها السياسية .

وبهذا الدستور استطاع ديجول ان يحقق للبلاد عهداً من الاستقرار السياسى لم تنعم به منذ الحرب ، وبدأ يتفرغ لعلاج مشاكل فرنسا الطاحنة .

## تصفية الامبراطورية الفرنسية

كانت أولى هذه المشاكل مسالة تصفية المستعمرات الفرنسية التى أصبحت مصدراً للمتاعب والاستنزاف المستمر لطاقات البلاد ومواردها ودماء شبابها .

ولم يكن هذا بالقرار اليسير على ديجول او بالهين على الشعب الفرنسى ، فالرأى العام الفرنسى كان فى مجمله متمسكاً بالمستعمرات ، وكانت السياسة الفرنسية التى رسخت واستقرت خلال عشرات السنين ترفض بشدة فكرة التسليم بحق المستعمرات فى الاستقلال ، ولا تتهاون فى اتخاذ اقسى تدابير القمع ضد اى شعب ملون يفكر فى الثورة او التمرد . كان هدف فرنسا المعلن والثابت هو فرنسة المستعمرات ودمجها فى الكيان الفرنسى بغض النظر عن المشاعر القومية لدى الشعوب المستعمرة . وهذا هو نفس ما كان يراه ديجول ويؤمن به اثناء الحرب العالمية الثانية وفى اعقابها ، ففى يناير ١٩٤٤ عقد فى برازافيل بالكونغو مؤتمر لقادة حركة فرنسا الحرة لبحث مستقبل المستعمرات حضره ديجول واعلن فيه : « ان هناك حقيقة أساسية ينبغى أن توضع دائما فى الاعتبار هى وجود ارتباط دائم بين فرنسا وممتلكاتها فيما وراء البحار » وجاء فى احد قرارات هذا المؤتمر الذى وضع أسس السياسة الاستعمارية الفرنسية بعد الحرب :

> « ان العمل التمدينى الذى تقوم به فرنسا فى مستعمراتها يستبعد تماماً فكرة انفصال هذه المستعمرات كما ينفى اية امكانية لتطورها خارج الامبراطورية الفرنسية وينبغى أن يستبعد تماماً أى تفكير فى السماح بالحكم الذاتى للمستعمرات ولو فى المستقبل البعيد » !

الى هذا الحد كان الاستعمار الفرنسى صريحاً وضارياً ، وقد حاولت فرنسا دائماً الحفاظ على هذا المبدأ الاستعمارى القح مهما كلفها من متاعب أو تضحيات ، فقد كانت المستعمرات علاوة على اهميتها فى تأكيد أوهام العظمة الفرنسية مصدراً ثميناً للمواد الأولية والأيدى العاملة . وبعد الحرب أنشأ دستور ١٩٤٦ ما اسمى بالاتحاد الفرنسى وهى تسمية أكثر تهذيباً للامبراطورية الفرنسية ، واعترف الاتحاد الفرنسى للمستعمرات بقدر ضئيل من الحكم الذاتى المحدود ، ولكن الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار ظلت توابع لفرنسا لا تتمتع بادنى درجة من السيادة ، فالتشريع فى يد برلمان باريس ، والادارة فى يد حكام تعينهم فرنسا ، وتحركت شعوب الاتحاد لكسر هذه الاغلال ، فاندلعت الحروب والثورات والاضطرابات فى كل انحاء الاتحاد الفرنسى ، فى الهند الصينية ومدغشقر وشمال افريقيا وافريقيا الاستوائية ، وفى عام ١٩٥٦ عدل قانون الاتحاد بحيث يسمح بقدر أكبر من الحكم الذاتى لبعض البلاد الأفريقية ، ولكن هذا التعديل ظل أبعد من أن يرضى المشاعر القومية فاستمرت حركات المقاومة داخل الاتحاد ان لم يكن بهدف الاستقلال التام فلتعديل شروط المشاركة على الأقل .

وعندما جاء ديجول إلى الحكم عام ١٩٥٨ نظر إلى مشكلة الامبراطورية نظرة واقعية ، فقد ايقن - رغم انه صاحب المبادىء الاستعمارية القديمة - ان من العبث محاولة الاحتفاظ بامبراطورية ممزقة بقوة السلاح ، وان تحويل الشعوب المستعمرة الى انصاف اصدقاء افضل من مناصبتها العداء بارغامها على التبعية الكاملة ، ولذا فقد اقدم فى سبتمبر ١٩٥٨ على اجراء استفتاء لشعوب الاتحاد الفرنسى خيرها فيه بين أربعة احتمالات :

١ - استمرار الحالة الراهنة كاقاليم داخل الاتحاد الفرنسى .

٢ - الاندماج التام فى فرنسا والتبعية المباشرة للادارة المركزية فى باريس ومنح مواطنيها حقوق المواطنة الفرنسية .

٣ - الحكم الذاتى داخل مجموعة فرنسية على غرار الكومنولث البريطانى .

٤ - الاستقلال التام .

واوضح ديجول ان البلد الذى يختار الاستقلال التام اى الانفصال عن فرنسا يصبح لفرنسا ايضاً الحق فى الانفصال عنه ، اى أن الاستقلال يكون مقرونا بقطع المعونة المالية الفرنسية ، وسحب الخبراء والفنيين ، وقطع الروابط الاقتصادية بين فرنسا وهذا البلد . واختارت جميع شعوب الاتحاد الحكم الذاتى فى نطاق المجموعة الفرنسية فيما عدا غينيا بزعامة سيكوتورى التى اختارت الاستقلال التام ، وتحملت العقوبات الاقتصادية التى فرضتها عليها فرنسا .

أما الجزائر فلم يسمح لها أصلا بالاشتراك فى الاستفتاء على أساس انها ليست بلداً اجنبياً وانما قطعة من فرنسا ( يصل البحر بينهما ! ) . ولم يكن هذا بالطبع رأى الجزائريين الذين كانوا قد أشعلوا بالفعل واحدة من أروع ثورات التحرر الوطنى فى العصر الحديث .

اتبع ديجول فى أول الأمر سياسة المراوغة ازاء المشكلة الجزائرية كسباً للوقت واستعداداً لساعة الحسم ، ولكن لم يلبث أن بدأت معالم سياسته الجزائرية تتضح وأحس اليمين الفاشى فى فرنسا والجزائر أن ديجول يميل للاعتراف بشخصية الجزائر العربية المستقلة وبدأ يحيد عن الهدف الذى جاءوا به من أجله الى الحكم وهو فرض قبضة قوية لسحق الثورة الجزائرية ومؤيديها داخل فرنسا ، فاقدمت العناصر الفاشية من سياسيين وعسكريين ومستوطنين ورجال ادارة وشرطة وماليين ووطنيين متطرفين على توحيد صفوفها فى منظمة ارهابية اطلقوا عليها « منظمة الجيش السرى » هدفها الابقاء على الجزائر فرنسية والانقلاب على ديجول والقضاء عليه بشتى الأساليب بما فيها التصفية الجسدية ، وقامت بالفعل

# ديجول

بعدة محاولات لاغتياله أصيب فى احداها.

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ اعلن ديجول عزمه على السماح لشعب الجزائر بتقرير المصير ، وقال فى بيان وجهه الى الامة « ان فرنسا العظيمة سوف تسلك طريق الحل الوحيد اللائق بها وهـو منح الجزائريين حق تقرير المصير » .

وبالرغم من العاصفة العاتية التى ثارت ضده ، اقدم ديجول على استفتاء الشعب الفرنسى على سياسته الجزائرية فوافق عليها باغلبية كبيرة ، ثم كانت الخطوة التالية اجراء مفاوضات مع حكومة الجزائر المؤقتة حول شروط الاستفتاء على حق تقرير المصير فى حين اشتدت حركة المقاومة الفاشية ضد ديجول ووصلت الى حد الاشتباك المسلح بين المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر وقوات الحكومة . واجرى الاستفتاء لتقرير مصير الجزائر فى اوائل شهر يوليو ١٩٦٢ فاختار الشعب الجزائرى الاستقلال التام باغلبية ساحقة تكاد تصل الى حد الاجماع ، واعلن استقلال الجزائر فى ٥ يوليو ، وعاد إلى فرنسا زهاء ثلاثة ارباع مليون مستوطن فرنسى كانوا يقيمون فى الجزائر بصفة دائمة معظمهم لم ير الوطن الأم من قبل .

وهكذا ازاح ديجول تلك المشكلة الكبرى التى انهكت فرنسا عسكرياً واقتصادياً ونفسياً وسممت علاقاتها مع الدول العربية ومجموعة الدول الافريقية الآسيوية بوجه عام .

## نحو الوحدة الأوربية

استطاع ديجول خلال سنوات قليلة من حكمه أن يقضى على الفوضى السياسية والادارية التى هبطت بفرنسا الى دولة من الدرجة الثالثة ، وأن يكفل لها نظاماً جعلها اكثر استقراراً فى الداخل وتاثيراً فى العالم الخارجى ، واستطاع أن يضـع حداً لاضطرابات الحكم وازمات الديموقراطية وفساد الأحزاب ، وأن ينقذ البـلاد من اليمين وانتهازية اليسار ، وأن يجنب فرنسا الهزيمة الذليلة فى الجزائر ويتيح لها انسحاباً كريماً يحفظ ماء الوجه ، كما استطاع أن يصفى تركة الامبراطورية المثقلة بالمتاعب والديون دون أن يفقد صداقة زهاء اثنتى عشرة دولة افريقيـة مستقلة اختارت بمحض ارادتها الارتباط بالمجموعة الفرنسية ، ونجح فى محاربة التضخم الاقتصادى الخطر بالغاء الفرنك القديم واصدار فرنك جديد يعادل مائة من الفرنكات القديمة صمد لمنافسة الجنيـه الاسترلينى والدولار الامريكى فى اسواق اوربا والعالم .. لقد استطاع ديجول باختصار خلال فترة رئاسته الاولى ( ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥ ) ان يتيح لفرنسا زعامة تاريخية نادرة لم تشهدها منذ ايام كليمنصو ، وان يمنحها حيوية جديدة ودوراً فعالا فى المجال الدولى .

وكرس ديجول الجزء الاكبر من نشاطه فى مجال السياسة الخارجية ، وكان المحور الرئيسى فى سياسته الخارجية ان فرنسا فرنسية ، وأوربا أوربية ، ولن تكونان فى مجال النفوذ السوفيتى أو الامريكى بحال من الأحوال . ويبدو ان اساس هـذا الموقف يعود الى عقدته القديمة من معاملة حلفائه له أيام الحرب العالمية الثانية مما جعله يرفض ما اسفرت عنه هذه الحرب من توازن كرسته معاهدة يالتا التى لم يدع اليها مع روزفلت وتشرشل وستالين ، ولذا نراه منذ وقت مبكر جداً يثور على التوازن الدولى القائم على نظام القوتين ويحلم باقامة أوربا موحدة محايدة تقف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فنراه يقول فى خطبة قديمة له ترجع الى عام ١٩٤٦ .

« من ذا الذى يمكنه ان يعيد توازن القوى اذا لم يستطع ذلك العالم القديم ليقف بين العالمين الجديدين ؟ وهذا العالم القديم هو أوربا التى امكنها خلال العديد من القرون ان تكون رائد العالم اجمع ، وهى قلب العالم وتقسمه الى شطرين مما يساعدها فى مباشرة التوازن واعادة روح التفاهم اليه ، وان الشعوب الغربية العريقة لديها المقومات اللازمة لذلك نظراً لحيوية شرايينها فى بحر الشمال والبحر المتوسط والراين ، وهى جغرافيا واقعة بين الكتلتين الجديدتين وعليها ان تحافظ بكل عزم على استقلالها الذى لاشك يتعرض لاشد الاخطار فى حالة نشوب نزاع مسلح بينهما ، وهى فى هذه الحالة تصبح مسوقة قسراً فى تيـار النزاع من الناحيتين المادية والمعنـوية بحكم الضغط الروسى الجبار والتقدم الامريكى الحر » .

هذه قطعة فنية من أدب الجغرافيـا السياسية تكشف عن اتجاهات ديجـول المبكرة فى السياسة الخارجية ، ولكن ديجول لم يتمكن من تنفيذ سياسته تلك عندما تولى الحكم لاول مرة فى أعقاب الحرب مباشرة ، ثم اتاحت له رئاسـة الجمهورية الخامسة الفرصة المناسبة لوضع هذه السياسة موضع التنفيذ . وقبل اى أوربى آخر راى ديجول حلم الوحدة الأوربية الممتدة من المحيط الأطلسى إلى جبال الأورال .. وحدة ترتفع فوق مستوى الفروق القومية والخلافات السياسية والمذهبية ولا تجمعها سـوى الروح الأوربية ذات الخصائص التاريخية والنفسية المعينة وذات الأصل الثقـافى والحضارى المشترك .. وحدة تضم كل الامم الأوربية سواء كانت شيوعية او راسمالية ، لاتينية او جرمانية او سلافية ، والطريق إلى هذه الوحدة ينبغى أن يكون عقلانيا وتدريجياً بعيداً عن الضغوط والشعارات والعواطف المشبوبة ، وراى ديجول بواقعيته وقوة بصيرته ان السوق الأوربية المشتركة يمكن أن تكون مدخلا طبيعيا لتحقيق هذه الوحدة الأوربية الشاملة .

وقد انشئت السوق الأوربية المشتركة بمقتضى معاهدة روما عام ١٩٥٦ ، اى قبل مجىء ديجول الى الحكم بعامين ، وكانت تضم ست دول هى فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج ، وترسم معاهدة روما أمام الدول المنضمة اليها طريقاً بلا عودة نحو الوحـدة الاقتصادية ، وبالتالى الوحدة السياسية ، فهى تنشىء كتلة اقتصادية تلغى بين أعضائها الحواجز الجمركية بينما تفرض سياجاً جمركياً واحداً حول هذه الكتلة باكملها فى مواجهة العالم الخارجى ، واحس ديجول ان معاهدة روما يمكن أن تكون اداة طيبة لتحقيق احلامه الأوربية على شريطة أن يتم تنفيذها بكل دقة نصاً وروحاً ، وسارت المراحل الأولى للسوق على خير ما يرام بل وانجزت قبل مواعيدها المحددة ، وسرعان ما اتضح ان السوق الأوربية المشتركة اصبحت تمثل تحدياً خطيراً فى مجال التنافس الاقتصادى أمام الدول الأوربية الاخرى التى تجمع معظمها تحت قيادة بريطانيا داخل ما اطلق عليـه منطقة التجارة الحرة ، بل واصبحت هذه الكتلة تعادل قوة الولايات المتحدة نفسها ، وتجاوز خطرها المجال الاقتصادى الى المجال السياسى ، فاصبحت بمثابة تحد حقيقى للنفوذ الامريكى فى أوربا وتكاد تصبح فى وجه الأمريكيين فى غرب أوربا « أيها الأمريكيون عودوا إلى بلادكم » !

وربما يكون ابرز انتصار سياسى للسوق نجاحها فى احلال الثقة محل العداء

التقليدى بين فرنسا والمانيا الغربية ، فقد كان الاهتمام الأكبر للسياسة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية هو توقى انبعاث الخطر الألمانى من جديد ، ومن اجل ذلك عارضت فرنسا بشدة الجهود المبذولة لاحياء المانيا الغربية وتسليحها وضمها الى حلف شمال الاطلنطى وكاد الامر يتطور الى انقسام مبكر فى صفوف المعسكر الغربى لو لم يتدارك انشاء السوق الأوروبية هذا التدهور ، وعندما جاء ديجول شرع فى اقامة تحالف خاص بين فرنسا والمانيا داخل السوق أو ما عرف بمحور بون – باريس ، وساعده فى هذا المشروع كونراد اديناور مستشار المانيا الغربية فى ذلك الحين وكان يشارك ديجول ايمانه بالأفكار القومية الأوروبية ، وفى عام ١٩٦٣ وقع الرجلان معاهدة صداقة وتحالف كان يراد لها ان تكون نواة للوحدة الأوروبية الجديدة ونموذجا يحتذى فى العلاقات الأوروبية ، ولكن محور بون – باريس كان فى حقيقة الأمر اداة للتنافس الخفى بين فرنسا والمانيا الغربية ، فبينما كانت فرنسا تعمل على استخدامه كوسيلة لفرض نفوذها السياسى كانت المانيا الغربية تستخدمه كوسيلة لفرض نفوذها الاقتصادى .

ولم يلبث ان دب الشقاق الصريح بين الحليفتين اللدودتين بعد مجىء ايرهارد الى الحكم فى المانيا الغربية ، وكان خلافاً لسلفه اديناور لا يتحمس لفكرة القومية الأوروبية ، بل يؤيد وحدة الاطلنطى بين أوربا مجتمعة والولايات المتحدة وكندا باعتبار انها تتيح مجالا أوســـع أمام الراسمالية الغربية ، كما تشكل وحدة سياسية قوية يمكنها ان تساوم على توحيد شطرى المانيا . اما ديجول فكان يرى تاجيل مشكلة الوحدة الالمانية الى ما بعد تحقيق وحدة أوربا الغربية لتكون محلا للتفاوض المباشر بين الاتحاد الأوربى والاتحـــاد السوفيتى ، وكان يعتبر المشكلة الالمانية مشكلة أوربية بحتة يجب أن تحل فى النطاق الأوربى بعيداً قدر الامكان عن الحرب الباردة والصراع السياسى بين المعسكرين .

وسرى فى العلاقات الفرنسية الالمانية برود مفاجىء أدى الى تجميد محور بون – باريس ، وازدادت الأزمة حين تلكات دول السوق الأوروبية الاخرى بزعامة المانيا الغربية فى الاتفاق على توحيد سعر الغلال واقامة السوق الزراعية المشتركة ، وهى خطوة تعد فرنسا أكبر المستفيدين منها ، وهدد ديجول بالانسحاب من السوق المشتركة اذا لم تقم السوق الزراعية فى موعد اقصاه نهاية عام ١٩٦٤ ، وحين حاول احد وزرائه ان يذكره بان اتفاقية روما لا تبيح لفرنسا الانسحاب استمع ديجول إلى وزيره مقطباً ثم قال : « انك تتعب نفسك بالتعقيدات القانونية ، سيدى الوزير ، عندما يريد الانسان ان يرحل فانه يرحل بغض النظر عما تقوله النصوص ! »

الى هذا الحد وصل ديجــــول فى استعداده لهدم السوق الأوروبية المشتركة – أمله فى تحقيق أحلامه – عندما شعر انها لا تسير فى الطريق السليم .. ولكن ايرهارد تدارك الموقف فى النهاية ونزل على مطالب ديجول .

وعارض ديجول بشدة ومنذ البداية انضمام بريطانيا الى السوق الأوروبية المشتركة ، واستخدم حق الفيتو لمنعها من الانضمام الى السوق فى يناير ١٩٦٣ ، ولم يكن ذلك لأن ديجول ضد بريطانيا من حيث المبدأ ، وانما كان يطالبها أولا بالتنازل عن امتيازاتها الامبراطورية داخل الكومنولث حتى تتهيا لوحدة أوربية لارجعة فيها ، كما كان يطالبها بالابتعاد عن فلك الولايـــات المتحدة ويشك فى ان عضوية بريطانيا ليست سوى حصان طروادة امريكى يراد تسريبه الى داخل السوق لتخريبها من الداخل وقد آثار هذا الموقف العنيد استياء بريطانيا وامريكا وساهم فى اسقاط حكومة المحافظين .

## ليس أمريكياً !

كانت النظرة الى الوحدة الأوروبية من نقاط الخلاف الرئيسية بين ديجـــول والولايات المتحدة ، ولم تكن الولايات المتحدة فى الواقع لتعترض على الوحدة الأوروبية اذا تمت فى نطاق التحالف الاطلنطى الذى تهيمن هى عليه وهذا يقتضى ان يكون الاتحاد الأوربى الذى يراد انشاؤه اتحاداً فيدرالياً او دولة فوق الدول تتلاشى فيه ارادات الدول الاعضاء وتبرز ارادة واحدة للاتحاد كله ، وهى تقصد من ذلك بالتحديد اذابة شخصية فرنسا داخل المجموعة الأوروبية كى تتمكن الأصوات المؤيدة لامريكا وحلف الاطلنطى من التغلب والسيطرة على الارادة الأوروبية ، اما ديجول فكان يريد ان تحتفظ كل دولة بشخصيتها المستقلة وارادتها الخاصة داخل الاتحاد الأوربى ، وهذا يتيح لفرنسا ان تفرض زعامتها داخل الاتحاد وتحتفظ بدورها القيادى فى أوربا .

وحدث فعلا فى عام ١٩٦٤ ان وافق البرلمان الهولندى بايحاء واضـــح من الولايات المتحدة على قرار باعتبار ان الوحدة الأوروبية يجب أن تكون اتحاداً فيدرالياً أو دولة فوق الدول . ودعا الى العمل فى هذا الاتجاه ، ولكن ديجول استشاط غضباً لهذا القرار الذى احس فيه برائحة التآمر الامريكى ، ودعا للوقوف فى وجه السيطرة الامريكية وقال قولته الشهيرة « الله ليس أمريكياً ! » .

كان ديجول يعتقد ان السيطرة الأمريكية على أوربا ليست سوى امبريالية مقنعة ، ويرى انه قد حان الأوان لأوربا كى تتخلص من تبعيتها للولايات المتحدة التى فرضت عليها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كثمن لمشروع مارشال ، فاذا كان لهذا الوضع ما يبرره حينئذ وأوربا ضعيفة ممزقة بائسة ، فليس هناك ما يبرره فى الستينات وقد أصبحت أوربا قـــوية اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً مما يجعلهـــا جديرة بالوقوف موقف الند للولايات المتحدة .

وتركز النزاع بين ديجول والولايات المتحدة حول السياسة الذرية للغرب ، فقد كانت الولايات المتحدة ترى انشاء قوة نووية متعددة الأطراف تكون تابعة لحلف شمال الاطلنطى وتخضع لسيطرة مشتركة من الدول الاعضاء على أن يكون للرئيس الامريكى حق الفيتو على استخدامها وفى مقابل ذلك تمتنع الدول الأعضاء فى الحلف عن انتاج وتطوير أسلحتها الذرية الخاصة وتركز جهودها فى صنع الأســـلحة التقليدية التى لا تزال تلعب دوراً لا غنى عنه فى أية حرب محدودة كتلك التى يمكن ان تقع فى أوربا . اما ديجول فكان يدعو إلى الدفاع الذرى المستقل عن أوربا دون الاعتماد على المظلة الذرية الامريكية التى تكرس سيطرة الولايات المتحدة على الغرب فالدفاع عن أوربا يجب ان ينبثق من داخل اوربا والا اصبحت القارة تحت رحمـــة الولايات المتحدة عند نشوب اى صراع دولى او فى حالة تعرضها لابتزاز نووى من احدى الكتلتين فى المستقبل .

ولهذا فقد سعى ديجول كى تحصــل فرنسا على قوتها الذرية الخاصة وتنضم الى النادى الذرى كعضو كامل على قدم المساواة مع الدول المنتجة للأسلحة الذرية وهى حتى ذلك الحين الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، ورفض ديجول التوقيع على معاهدتى موسكو لحظر التجارب النووية وحظر انتشار الأسلحة النووية ، وأجرت فرنسا تجاربها الذرية الأولى رغم سخط العالم واستنكاره فى الصحراء الجزائرية الكبرى ، وحصلت فى النهاية على قنبلتها الذرية .

وعندما جاء جونسون الى الحكم عقب اغتيال الرئيس الامريكى كنيدى ازدادت

## ديجول

العلاقات تدهورا بين فرنسا والولايات المتحدة ، فقد انتهج جونسون سياسة متشددة فى المجال الخارجى كان لابد لها أن تصطدم بديجول فى أوربا ، وعلى العكس من كنيدى الذى كان يتمتع بافق واسع ومرونة سياسية ولا يكاد يخفى اعجابه الشخصى بديجول كان جونسون لا يفهم ديجول ولا يستسيغه ويعتقد أن كل ما يهدف اليه هو الحصول على تنازلات امريكية أو تحقيق مصلحة فرنسية خاصة على حساب الغرب ، وقال عنه مرة : « ما هو الثمن الذى يريد أن يقايض عليه ديجول ؟ هل هذا الرجل شيطان أم ابله أم ماذا» ؟

واخذ ديجول وجونسون يتبادلان اللكمات .. فاعترف ديجول بالصين الشعبية ، وانشا علاقات مستقلة مع الاتحاد السوفييتي ، واستنكر التدخل الامريكي فى فيتنام والدومينكان ، وعارض السياسة الأمريكية فى امريكا اللاتينية وبرلين ، واخذ جونسون بدوره يطارد النفوذ السياسى والاقتصادي الفرنسى فى العالم ويؤلب على ديجول حلفاءه الأوربيين بعد مقدم ايرهارد الى الحكم فى المانيا الغربية .

وفى ٩ سبتمبر ١٩٦٥ اعلن ديجول فى مؤتمر صحفى مفاجىء عزمه على الانسحاب من حلف شمال الأطلنطي ، والواقع أن ديجول فقد حماسه للحلف منذ وقت مبكر يعود إلى عام ١٩٥٨ حين رفضت الولايات المتحدة اقتراحا تقدم به حينئذ لتعديل الحلف بحيث يخضع لسيطرة ثلاثية متكافئة من واشنطن ولندن وباريس فدلت بذلك على تمسكها بفرض زعامتها المطلقة على الحلف ، ومنذ ذلك الحين بدأ ديجول يتنصل تدريجياً من التزاماته قبل الحلف فسحب معظم قواته منه وامتنع عن الاشتراك فى مناوراته العسكرية . وفى ٧ مارس ١٩٦٦ اعلن انسحاب فرنسا الكامل من القيادة العسكرية لحلف شمال الأطلنطي مع البقاء داخل الرابطة الأطلنطية ، وانتقلت القيادة العسكرية للحلف من باريس إلى بروكسل .

### رئاسة ديجول الثانية

فى عام ١٩٦٥ انتهت مدة رئاسة ديجول الأولى واعلن عن ترشيح نفسه للرئاسة للمرة الثانية ، وكانت هذه هي أول مرة منذ عام ١٨٤٨ يجري فيها انتخاب رئيس فرنسى بالاستفتاء العام المباشر ، وتكتلت كل قوى اليسار وراء مرشح واحد هو فرانسوا ميتران ( رئيس فرنسا الحالي ) واضطرت ديجول إلى دخول انتخابات الاعادة عندما فشل فى الحصول على الأغلبية فى التصويت الاول ، واجريت انتخابات الاعادة فى ٢١ ديسمبر ففاز ديجول باغلبية ضئيلة ، وقد دل ذلك على أن زعامة ديجول لم تنجح فى توحيد صفوف الشعب الفرنسى إلا ان منجزاته كانت ابرز من ان تتجاهلها اغلبية الناخبين ، كيف لا وقد خلص فرنسا من حرب الجزائر ووقاها خطر حرب اهلية كانت على الابواب واستطاع ان يحقق الاستقرار السياسى ويدعم الاقتصاد المهتز الذى أوشك بالفعل على الانهيار ، فزاد فى عهده الدخل القومي وقوى مركز الفرنك الفرنسى فى أسواق العالم المالية ، وبدا نجم فرنسا يصعد عالياً فى سماء الاهمية الدولية ، واخذت تمارس دوراً جديداً فى أوربا والعالم .

وخلال فترة رئاسته الثانية التى استمرت ثلاث سنوات واربعة اشهر ( قبل أن يستقيل فى مايو ١٩٦٩ ) مضى ديجول فى تثبيت أسس سياسته العالمية ، فانتهج سياسة الوفاق والتعاون مع دول ماوراء الستار الحديدي بتشجيع العلاقات التجارية والثقافية مع الاتحاد السوفييتي ودول أوربا الشرقية ، وقام بعدة رحلات عالمية حملته إلى المكسيك ودول امريكا اللاتينية وكندا والشرق الاقصى بهدف تدعيم نفوذ فرنسا فى الدول المتحدثة بالفرنسية أوذات الثقافة اللاتينية ، كما حاول انشاء علاقات خاصة مع الدول الأفريقية التى كان يراها منطقة نفوذ تقليدى لفرنسا .

ولكن الرياح اتت بما لا يشتهى ديجول ، فتكالبت ضده الظروف وحرمته من ثمار نجاحه ، فسياسته فى معاداة امريكا ومقاومتها وإن كانت قد جلبت له إعجاب العالم الثالث الذى يتوق للتخلص من الهيمنة الأمريكية إلا انها قلبت عليه حلفاءه الأوربيين واثارت مخاوفهم ، وفى نفس الوقت ادى الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا وسحق ثورتها عام ١٩٦٨ إلى انهيار سياسته فى الوفاق التى كانت ترى امكان تفكيك الروابط بين دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي عن طريق تخفيف حدة التوتر فى وسط أوربا .

ومع ذلك فان معظم الفرنسيين كانوا يؤيدون بوجه عام سياسة ديجول الخارجية وكانوا يبدون قانعين بما حققه لهم « حكمه الأبوي » من نظام ورخاء ، ولذلك فعندما وقعت أحداث مايو ١٩٦٨ بدت مفاجئة ، وغير مفهومة ، وبلا مقدمات ! .

### ثورة الطلبة وانسحاب ديجول

فجـأة ..

اندلعت اضطرابات خطيرة فى شهر مايو ١٩٦٨ بداها طلبة الجامعات وانضم إليها العمال وقطاعات اخرى من الشعب والاحزاب اليسارية ، وقد اخذت هذه الثورة ديجول على حين غرة ، وواجهته باعنف ازمة سياسية واجتماعية فى حياته.

والمحللون السياسيون يختلفون حتى الآن فى تفسير اسباب مايو ودوافعها ، ولكن فى اعتقادي أن من يغفل اصابع الصهيونية فى هذه الأحداث تجانبه الموضوعية ويخطىء التحليل ..

كان ديجول قد أعلن فى اعقاب حرب ١٩٦٧ بالشرق الأوسط حياده فى النزاع العربي الاسرائيلي ، وفرض حظراً على بيع الأسلحة الفرنسية إلى الدول المتحاربة فى المنطقة ، وهو قرار اضر اساسا باسرائيل لأنها كانت تعتمد فى ذلك الحين على السلاح الفرنسى اعتماداً رئيسياً وقد لعبت طائرات الميراج الفرنسية دوراً اساسياً فى تلك الحرب ، وكان ديجول قد أعلن قبيل اندلاع حرب يونيو وخلال ازمة اغلاق خليج العقبة انه يناشد الطرفين العربي والاسرائيلي ضبط النفس وانه سيدين الطرف الذى يبدأ بالعدوان ، وكانت اسرائيل هى البادئة باطلاق الطلقة الأولى وهى طلقة فى حد ذاتها كانت كافية لكسر الجيوش العربيـة وتمهيد الطريق لنصر اسرائيلي كاسح فى حرب الستة ايام ، ونفذ ديجول وعيده فاعلن ادانته لاسرائيل ، ووصف اليهود بالغلظة والعنصرية ، ورد عليه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل بكلمات قاسية أجابه ديجول باقسى منها ، ثم توقفت المساجلات الكلامية بينهما ، ولكن الصهيونية العالمية اسرتها لديجول . أما الشعب الفرنسى الذى كان مواليا بصفة تقليدية لاسرائيل فقد رأى فى مجرد حياد ديجول إزاء النزاع العربي الاسرائيلي إنحيازاً منه لجانب العرب ، وكانت الصهيونية شديدة النفوذ فى فرنسا فى ذلك الحين .

كان ديجول هو اول زعيم غربي يقف موقفا عادلا متزنا إزاء النزاع العربى الاسرائيلي ، ويرفض الانصياع التقليدي الذى يبديه زعماء الغرب للصهيونية ، وهو

موقف يمثل منعطفاً خطيراً للنفوذ الصهيوني فى الغرب لانه قد يشجع غيره على الاقتداء به ، ومثل هذا الخطر مما لاتغفله الصهيونية العالمية بحال من الاحوال وهي التى تخطط للمستقبل بنفس الاهتمام الذى تبديه فى التشبث بالحاضر ، وهكذا لم تكد تمضى شهور قليلة على الازمة بين ديجول وإسرائيل حتى بدات احداث الطلبة تهز كيان فرنسا ، وتزعم هذه الأحداث طالب فرنسى يهودي فى الثالثة والعشرين من عمره يدعى دانييل كوهن - بنديت ( ومما له دلالة خاصة ان هذا الطالب الذى ابدى شراسة مذهلة فى التصدى لديجول وقاد واحدة من اعنف الاضطرابات التى شهدتها فرنسا فى عصرها الحديث لم يعد احد يسمع عنه شيئاً بعد هذه الأحداث ، ولم يلمع بعد ذلك ابداً كزعيم او مفكر او نقابي أو شخصية عامة فكانه كان يستخدم لغرض محدد ثم استهلك بانقضائه ) كان بنديت طالباً بكلية الآداب بجامعة نانتير وهي جامعة تقع فى إحدى ضواحي باريس الفقيرة التى يسيطر عليها الشيوعيون واليساريون ، ولم يكن كوهن - بنديت وزملاؤه الطلبة شيوعيين تقليديين ، وإنما كانوا ماركسيين معادين للشيوعية السوفييتية فهم يصفون الشيوعيين بانهم « انذال ستالينيون » ويعدون انفسهم كطلائع ثورة عالمية جديدة كان يتزعمها فى ذلك الوقت الفيلسوف ماركيوز بافكاره المحرضة للشباب والتى هي اقرب إلى الفوضوية ، وكانوا يطلقون على انفسهم « يساريي نانتير » وقد بداوا تمردهم بالمطالبة بتغيير نظم التعليم الجامعية والحصول على مطالب طلابية اخرى ، وبعد عدة مناوشات مالوفة فى الأوساط الطلابية والجامعية بدات الأحداث تاخذ منحنى خطراً ، فاحتل الطلبة المتمردون مجلس الكلية يوم ٢ مايو ، وهاجموا مباني الجامعة ، وطردوا الأساتذة ، والقوا بملفات الجامعة من النوافذ ، فاصدر عميد الجامعة امراً بتعطيل الدراسة ، واحتل رجال الأمن حرم الجامعة ، وفرقوا الطلبة بالقوة .

وامتدت حركة جامعة نانتير إلى الحي اللاتينى وجامعة السوربون وغيرها من الجامعات الفرنسية ، وتضامنا مع طلبة نانتير وطلباً للاصلاح الجامعي ، وقعت عدة اشتباكات بين الطلبة ورجال البوليس أمام أسوار السوربون ، واغلقت السلطات الجامعة ايضا ، فاشتعل الحي اللاتيني بالغضب واغلقه الطلبة على انفسهم فيما يشبه « الكوميون » ، وفى مساء ١٠ مايو اقام الطلبة المتاريس فى شوارع الحي وقامت مظاهرة تضم ٢٠ الف طالب بزعامة دانيل كوهين - بنديت تتحدى رجال الامن وتطالب برفع الحصار عن الجامعة ، واشتبكت قوات الامن مع الطلبة فى معركة دامية استمرت حتى الفجر واسفرت عن مصرع بعض الافراد واصابة المئات من الطلبة ورجال الامن وتحطيم وإحراق مئات السيارات وإلقاء القبض على ٤٦٠ طالباً .

وفى صبيحة اليوم التالي ١١ مايو أعلنت نقابات العمال تضامنها مع الطلبة ودعت إلى القيام بمظاهرة كبرى والاضراب عن العمل يوم ١٣ مايو . وفى ذلك اليوم خرجت مظاهرة من مليون شخص تجوب شوارع باريس ، وانتشرت الاضطرابات والفوضى والاشتباكات فى كل مكان ، فى الجامعات والمصانع والمرافق العامة .

فاجات هذه الأحداث السريعة المتوالية ديجول مفاجاة تامة ، وقد كان من رايه فى البداية التصدى للمتظاهرين وعدم الاستجابة لمطالبهم ، ولكن رئيس وزرائه جورج بومبيدو الذى قطع زيارته الرسمية لايران وافغانستان وعاد فورا إلى باريس كان من رايه الانحناء للعاصفة فامر باعادة فتح الجامعة والدخول فى مفاوضات مع نقابات العمال والموظفين المضربين حول مطالبهم الفئوية . وهنا ترك ديجول الدولة فى يد رئيس وزرائه وقام بزيارة رسمية لرومانيا استغرقت عدة ايام ثم عاد إلى باريس يوم ١٨ مايو حيث ظهر على شاشات التليفزيون عارضاً على الشعب الفرنسى نظاماً جديداً اسماه « المشاركة » ولكن احداً لم يستمع إليه ، واستمرت الثورة تتصاعد وتستعصى على المواجهة خاصة بعد ان رفضت النقابات عروض المصالحة التى عرضها بومبيدو .

وفى يوم ٢٩ مايو عمت باريس مظاهرات عنيفة شارك فيها نصف مليون شخص ، وارتفعت فيها لأول مرة منذ عام ١٩٣٦ الرايات الحمراء ، وتوقفت عجلة الادارة والانتاج توقفاً تاماً .

فى ذلك اليوم غادر الجنرال ديجول قصر الاليزيه بالهليكوبتر إلى مكان مجهول لم يبلغ به احداً ، وترددت شائعات بانه قد اختفى وانه بصدد تقديم استقالته . ولكن ديجول عاد فجاة فى المساء وتوجه فوراً إلى دار الاذاعة والتليفزيون حيث القى خطاباً قصيراً استغرق اربع دقائق فقط أعلن فيه بلهجة حازمة انه لن يتخلى عن الحكم وانه يعتزم التصدى للفوضى الناشبة واعلن حل الجمعية الوطنية وإجراء انتخابات جديدة يومي ٢٣ و ٣٠ يونيو وقدم نفسه باعتباره الحاجز الباقى الوحيد ضد الفوضى الشاملة أو الحكم الشيوعي الصريح .

وقد تبين فيما بعد أن ديجول قام فى ذلك اليوم بزيارة سرية خاطفة إلى قادة القوات الفرنسية فى المانيا الغربية حيث عرض عليهم الموقف طالباً تاييدهم إذا دعت الحاجة ، ولكن الحاجة لم تدع إلى ذلك لحسن الحظ ، فقد بدأ القطاع الاكبر من أفراد الطبقة المتوسطة يستشعرون الخطر وهم يرون المؤسسات الدستورية تنهار امام عيونهم وترتفع على حطامها الاعلام الحمراء ، وإعلان استقلال الكوميوناث ، وتكاد تتكرر أحداث الثورة الفرنسية الدامية الكبرى .

وفى نفس الوقت بدات الاحزاب الشيوعية ونقابات العمال تعارض الخطط الراديكالية المتطرفة لزعماء الثورة وعلى راسهم الطالب اليهودى الغامض دانييل كوهن - بنديت . وهكذا تغير الجو الداخلى لتغيير حاسم فى الموقف . وقد تجلت حنكة ديجول السياسية فى انه اقتنص هذه الفرصة بمجرد سنوحها ووجه ضربته الحازمة فى خطاب يوم ٢٩ مايو .

وفى اليوم التالي ٣٠ مايو خرجت مظاهرة كبرى من ابناء الشعب الفرنسى تعلن تاييدها للجنرال ديجول ورفضها للفوضى ، وانهارت المقاومة اليسارية نتيجة لرفض الشيوعيين المشاركة فى اللجوء إلى العنف واعلان الثورة المسلحة ، ولم يبق امام المتطرفين من زعماء الطلبة والعمال سوى التراجع ، وقبول الحوار ، وتقررت عودة العمل من المضربين الى اعمالهم وانتقلت المواجهة من الشارع الى القنوات الديموقراطية استعداداً للانتخابات .

وفى انتخابات ٢٣ و ٣٠ يونيو فاز الديجوليون باغلبية كاسحة ، فحصل حزب ديجول المسمى « اتحاد الديمقراطيين من اجل الجمهورية » والاحزاب المناصرة له على اكثر من ٣٠٠ مقعد فى الجمعية الوطنية ، اي مايوازي ثلاثة ارباع مجموع المقاعد ، وفقدت احزاب اليسار اكثر مقاعدها ، واجرى ديجول تعديلا فى وزارته اطاح فيه برئيس الوزراء بومبيدو وعين خلفاً له موريس كوف دى مورفيل الذى كان يتولى وزارة الخارجية فى حكومة بومبيدو.

وهكذا امكن تجنب الثورة ، وخرج ديجول منتصراً .

ولكن بالرغم من ان فرنسا بدات تعود إلى الأوضاع الطبيعية ، وبالرغم من الأغلبية الضخمة التى اصبح يتمتع بها ديجول فى الجمعية الوطنية الجديدة والتى كان من شانها ان تتيح له حكماً مريحاً حتى انتهاء فترة رئاسته الثانية عام

# ديجول

١٩٧٢ إلا انه فاجا الشعب الفرنسي بواحد آخر من استفتاءاته الشهيرة ، فقد اقترح فى ابريل ١٩٦٩ إجراء استفتاء عام على إدخال تعديلين على الدستور تنفيذاً لمشروعه الخاص « بالمشاركة » وإصلاح مجلس الشيوخ ، وكالعادة القى ديجول بثقله وراء الاستفتاء معلناً انه سوف يستقيل إذا رفض الشعب مشروعه ، ولم يكن موضوع الاستفتاء ضرورياً أو هاماً وكان من الممكن معالجته داخل الجمعية الوطنية علاوة على أن مشروع « المشاركة » كان غامضاً فى حد ذاته ويتعلق بتقسيم فرنسا إلى مناطق ادارية لم تفهم أغلبية الشعب معناها او جدواها ، كل ذلك اوقع المحللين السياسيين فى الحيرة إزاء ماكان يدور فى ذهن ديجول .

وكيفما كان الأمر ، فقد تكاتف جميع خصوم ديجول ضده فى الاستفتاء الذى اجرى يوم ٢٧ مايو ١٩٦٩ وجاءت النتيجة هزيمة مشروع ديجول باغلبية ٣٥٪ من الأصوات . وفى اليوم التالي ٢٨ مايو اعلن ديجول استقالته فى بيان قصير اصدره فى قصر الأليزيه ثم غادر القصر فى نفس اليوم إلى قريته « كولمبي لي ديز ايجليز » ليحيا بقية حياته كواحد من افراد الشعب الفرنسى الذى حلم من اجله ، وحارب ، وخدم طويلا ..

الخلاف قائم بين الفرنسيين حول تقييم الجنرال ديجول ، ذلك الرجل الذى أحبوه وكرهوه وخشوه أثناء حياته ثم لم يتفقوا على راى بشانه بعد وفاته ، وهناك طراز من العظماء يثير مثل هذا الجدل الكبير بين الانصار والأعداء ، فالبعض يرى فى ديجول زعيماً وطنياً تقليدياً من طراز زعماء القرن التاسع عشر يحلم باعادة مجد فرنسا ولكنه حلم مجرد انقضى زمنه ولم يعد صالحاً لظروف العصر ، وآخرون يرون فى ديجول سياسياً ذكيا بعيد النظر مناوراً من الطراز الأول ، وغيرهم يرونه انتهازياً مقامراً يحاول استغلال الفرص لفرض زعامته على حساب روح فرنسا الحرة ، وهناك من يشيدون به كحاكم استطاع ان يتيح لفرنسا اكبر قدر من الاستقرار السياسى الذى لم تتمتع بمثيله فى تاريخها الحديث .

ولكن التاريخ المجرد من الأهواء سوف يعترف لهذا الرجل بصفاته ومنجزاته التى لا تنكر ، فقد استطاع ان يحافظ على الشرعية الجمهورية ويؤسسها على الرضا الشعبي ، وعندما انتقص هذا الرضا غادر المسرح بكرامة فاثبت بذلك انه ابعد ما يكون عن اتهام خصومه له بالديكتاتورية .

وربما كان اكبر منجزاته انه استطاع ان يسوي مشكلة الجزائر التى لم يستطع ان يحلها غيره ، صحيح أن فرنسا دفعت فى هذا الحل ثمناً غالياً من الشقاق الداخلي ولكن ديجول بذل وسعه كي يجعل هذا الثمن اقل ما يمكن ، كما استطاع ان يصفى التركة المثقلة للامبراطورية الفرنسية المتداعية فى اقصر وقت ممكن وباقل قدر من النزاع واكبر قدر من التعاون والنفع المتبادل ، وكان فى كل مبادراته الجريئة معتمداً فقط على تصميمه وشجاعته واتساع افقه ومتحملا كل المخاطر السياسية والشخصية التى وصلت إلى حد تعرضه اكثر من مرة للاغتيال ، كما استطاع ان يعيد لفرنسا دورها التاريخي فى المحيط الدولي ويجعل منها إحدى الدول الكبرى فى عالم ما بعد الحرب .

ولكن ديجول كان دائماً فردياً فى تصرفاته وقراراته يكره ان يشاركه فى سلطته ومسئوليته الوزراء او البرلمان او الاحزاب ، بل ويرفض الاعتراف بان هذه المؤسسات ، مهما كان قصورها أو عيوبها ، ادوات لاغنى عنها للنظم الديموقراطية المستقرة . كان يؤمن بفرنسا الخالدة ولا يثق فى الفرنسيين الفانين ، وقد كان ديجول قائداً وسط العواصف اكثر منه رائداً فى الجو الصحو ، وكان عسكرياً اكثر منه سياسياً ، زعيماً أكثر منه رئيساً ، حالماً اكثر منه واقعياً ، وكان دائماً وحيداً متباعداً غامضاً وذلك ، على حد تعبيره ، لأن « السلطة تتطلب الهيبة ، والهيبة تتطلب الابتعاد » . ولهذا كان من الصعب على الكثيرين معرفة « وجهه الحقيقي » وهذا هو السبب فى انه ظل مجهولا تتضارب بشانه الآراء .

وقد ساعدت ايامه الأخيرة التى قضاها معتكفاً فى كولومبى لى ديز ايجليز على ابقاء اسطورته حية فى أذهان الفرنسيين ، فقد اتخذ موقفاً مترفعاً شديد الأنفة والكبرياء ، عزل نفسه عن المشاركة فى اى نشاط عام ، وابتعد عن الأضـــــــواء ، لا يشارك فى اية مناسبة أو احتفال بما فى ذلك العيد القومى الفرنسى ١٨ يونيو حيث حرص على مغادرة فرنسا الى ايرلندا ثم اسبانيا مع حلول هذا العيد فى عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٠ حتى لا يدعى فيضطر للاعتذار ، كما حرص على عدم مقابلة اى مسئول أو شخصية عامة مكتفياً بصحبة البسطاء من ابناء قريته ، راكنا الى الهدوء والتامل وكتابة المذكرات ، أو يقوم بجولته اليومية بين الحقول والازدهار متمتعاً بجمال الطبيعة وتغريد الأطيار . وكانت آخر أمنياته ان يلتقى بالزعيم الصينى ماوتسى تونج ، ويقول لابد ان يلتقى ديجول وماوتسى تونج فى اى مكان على الأرض قبل انتهاء القرن العشرين ، وقد عزم بالفعل على زيارة الصين اذا امتد به الأجل الى عام ١٩٧١ ، ولكن اجله لم يمهله لتحقيق هذه الأمنية الأخيرة ، فقد توفى فجاة بازمة قلبية يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٠ اى بعد عام ونصف من اعتكافه فى قريته الصغيرة .

وانتشر الخبر بسرعة البرق ، واصيب الشعب الفرنسى بالذهول وعدم التصديق فى أول الأمر ، هل يمكن حقاً ان يموت الجنرال ديجول -؟ هل يمكن ان يجف السين او ينهار برج ايفل -؟ لقد كان يبدو فى أتم صحة حتى يومه الأخير وقد شارف الثمانين ، ولكن الحقيقة اقوى من ، الأوهام لقد انطوت الصفحة واغلق الكتاب . وفتح الرئيس بومبيدو وصية الجنرال ديجول التى كانت داخل مظروف مغلق كتب عليه « من أجل الجنازة » . وكانت الجنازة التى يطلبها الراحل الكبير بسيطة عارية تماماً من الرسميات ، انه يطلب أن تتم فى قريته كولومبى بدون موسيقى ولا اعلام ولا اجراس ، وان لا يشارك فيها رسميون او عظماء بحكم مناصبهم ، وان لا يهدى الى اسمه نيشان او وسام او تقوم له حفلات تابين ، وان يكتفى على شاهد القبر بذكر اسمه وسنتى مولده ووفاته .

ولكن كان من العسير تنفيذ وصية ديجول بحذافيرها ، ففى القرن العشرين لا يموت ديجول مرتين ، فاعلنت فرنسا الحداد العام ، وتوافد عليها ثمانون من رؤساء الدول والحكومات للمشاركة فى تشييع ديجول الى مثواه الأخير . وخرج الملايين من الفرنسيين تحت وابل من المطر الذى انهار غزيراً فى ذلك اليوم لتوديع قائدهم الغائب بينما شاهد ٥٠٠ مليون متفرج فى مختلف انحاء العالم مراسم الجنازة على شاشات التليفزيون عبر الأقمار الصناعية ، كما لو كان هذا الوداع بمثابة استفتاء أخير على الحب والتقدير يتم تحت انظار العالم اجمع ، ولم يتخلف عنه احد من ابناء وطنه كما تعودوا ان يفعلوا أثناء حياته ...

**محمد العزب موسى**

(*) الجمهورية الأولى هى جمهورية نابليون بونابرت والثانية جمهورية لويس فيليب عام ١٨٣٠ ، والثالثة جمهورية نابليون الثالث عام ١٨٤٨ والرابعة انشاها دستور ١٩٤٦ فى اعقاب الحرب . ولا تزال الجمهورية الخامسة التى انشاها ديجول قائمة الى الآن رغم مجىء الاشتراكيين الى الحكم فى مايو ١٩٨١ .

مقال رائع عمره «٤٧» سنة

# التشجيع

بقلم: علي الطنطاوي

**هذا المقال الرائع كتبه الأستاذ علي الطنطاوى سنة ١٩٣٥ ، والدوحة تنشره اليوم لعله يوقظ فينا ايماناً جديداً بأسس من أسس الحضارة العربية ، لا يمكن أن ننهض بغير العودة إليه وهو عنصر « التشجيع .... » :**

قرأت ما كتب عنى وعن كتابى « أبو بكر الصديق » أستاذنا أديب العربية الأستاذ الزيات ، فقرأت فيه صفحة من كرم السجايا ، ونبل الأخلاق ، والتشجيع الذى يتفضل به الكبير على الصغير ، فيسدد به خطواته ، ويأخذ بيده ، ويصب من قوته فى أعصابه ، حتى يقوى ويشتد ويتقدم ، فأحببت أن أعلق على هذا التقريظ ، بكلمة فى التشجيع ، وماله من الأثر فى العلوم والآداب ، وأن أفى للحق والواجب ، بأن أسجل للأستاذ وللرسالة ، ماله علينا من منة ، وما للرسالة علينا من يد ، وأنا وأصحابى هنا مدينون للرسالة ، بما نجد من قوة ، وما نحس من نشاط ، ما كنا لولا « الرسالة » نحس منه شيئاً ، وما رأينا قبل الرسالة مجلة أدبية راقية ، فتحت أبوابها لأدباء العربية جميعاً ، لا تفرق بين أبناء قطر وقطر ، وبلد وبلد ، ولا تزن الأدباء بالشهرة الواسعة ، ولكن بالانتاج القيم ، فكانت بذلك الرسالة ديوان العرب المشترك ، وسجل الأدب الحديث ، وجعلت من قرائها – وقراؤها كل الناطقين بالضاد – أسرة واحدة تجمعها وحدة المبدا ، ووحدة الغاية .

وهنا أجمل فى إثبات هذه الوحدة ، من رجل يكتب مقاله عن الأوزاعى من فلسطين فيعقب عليه آخر من الشام ، ويجيبه ثالث من مصر ، ويعلق عليها رابع من سنغافورة ثم يكتب فى الموضوع خامس من دمشق - ؟ .. كأن الرسالة قد محت بسحرها ما بين سنغافورة والشام من صحارى وبحار ، وجبال وأنهار ، فغدت هذه من تلك ، كالمقعد من المقعد فى الصف الواحد ، يخرج رأى من هنا ، ورأى من هنا ، ويسمع الأستاذ وهو على منبره الرأيين ليقول القول الفصل ، وينطق بالكلمة الحاسمة .. وما الأستاذ إلا الزيات وما المنبر إلا الرسالة . !

أشكر للأستاذ هذه السنة التى يتبعها فى تشجيع صغار الأدباء ، والأخذ بأيديهم لأن التشجيع مذ كان أصل التقدم ، وسبب النجاح ، وقد قرأت مرة أن مجلة انجليزية كبيرة ، سألت الأدباء عن الأمر الذى يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب ، وجعلت لمن يحسن الجواب جائزة قيمة ، فكانت الجائزة لكاتبة مشهورة قالت : إنه التشجيع ! وقالت : إنها فى تلك السن ، بعد تلك الشهرة والمكانة ، تدفعها كلمة التشجيع حتى تمضى الى الأمام وتقعد بها كلمة التثبيط عن المسير .

وإن من أظهر الأسباب فى ركود الأدب فى الشام ، فى القرن الماضى ، وانقطاع سبل التأليف ، هو فقدان التشجيع ، وذلك «الاحتكار العلمى» الذى قتل كثيراً من النفوس المستعدة للعلم ، وخنق كثيرا من العبقريات المتهيئة للظهور ، فقد كان العلم فى الشام مقصوراً يومئذ على بيوت معروفة لا يتعداها ولا يجوز أن يتعداها ، هى :

# التشجيع

بيت البيطار ، والحمزاوى ، والغزى ، والطنطاوى ، والشطى ، والخانى ، والكزبرى ، والاسطوانى ، والحلبى .. وكانت كلها متجمعة حول المدرسة البادرائية ، فى القميرية والعمارة ، وزقاق النقيب ، حيث يسكن الأمير العالم المجاهد عبد القادر الجزائرى رحمة الله عليه وعليهم ، وكان لهذه البيوت كل معانى الامتياز و «الاحتكار العلمى» ، فاذا سمع ان شابا اشتغل بالعلم من غير هذه البيوت ، وقدروا فيه النبوغ ، وخافوا أن يزاحمهم على وظائفهم الموروثة ، بذلوا الجهد فى صرفه عن العلم ، والعدول به الى التجارة اوليست هذه الوظائف العلمية وقفا على هذه البيوت ؟ اوليس للولد ولاية العهد فى وظيفة ابيه ، تنحد اليه الامامة او الخطابة او التدريس عالماً كان او جاهلا ؟ فكيف إذن يزاحمهم عليها ابناء التجار ، وهم لا يزاحمون ابناء التجار على «حوانيتهم» ؟ اولا يكفى ابناء التجار هذا القسط الضئيل من النحو والصرف والفقه والمنطق الذى يمن به عليهم هؤلاء العلماء ؟ ...

حتى انه لما نشا احمد امين (ابن عابدين) وانسوا منه الميل الى العلم ، وعرفوا فيه الذكاء المتوقد ، والعقل الراجح ، خافوا منه ، فذهبوا يقنعون اباه – وكان ابوه إمرا تاجراً – ليسلك به سبيل التجارة ويتنكب به طريق العلم ، وجعلوا يكلمونه ويرسلون اليه الرسل ، ويكتبون اليه الكتب ويستعينون عليه باصحابه وخلصائه ، ولكن الله اراد بالمسلمين خيراً ، فثبت الوالد ، فكان من هذا الولد المبارك ، ابن عابدين صاحب «الحاشية» اوسع كتاب فى فروع الفقه الحنفى .

بل لقد ارادوا أن يصرفوا استاذنا العلامة محمد بك كرد علي عن العلم ، فبعثوا اليه بشقيقين قد ماتا فلست اسميهما ، على رغم انهماقطعا عن العلم اكثر من اربعين طالباً – فمازالا بابيه – ولم يكن ابوه من اهل العلم – ينصحانه ان يقطعه عن العلم ، ويعلمه مهنة يتكسب منها ، فما فى العلم من نفع ، ولا منه فائدة ... ويلحان عليه ويلازمانه ، حتى ضجر فصرفهما ، فكان من ولده هذا ، الأستاذ كرد علي ابو النهضة الفكرية فى الشام ، وقائدها ، ووزير معارف سورية (سابقا) ومفخرتها ، والذى من مصنفاته : خطط الشام ، وغرائب الغرب ، والقديم والحديث والمحاضرات ، وغابر الأندلس وحاضرها ، والادارة الاسلامية ، والاسلام والحضارة العربية ... والمقتبس ... ومن مصنفاته : «المجمع العلمى العربى بدمشق» ، .. و .. هؤلاء الشعراء والكتاب من الشباب» !

ولعل فى الناس كثيرين كانوا ، لولا الاحتكار والتثبيط كابن عابدين او ككرد علي ، وها هو ذا العلامة المرحوم الشيخ سليم البخارى مات وما له مصنف رسالة فما فوقها على جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وقوة قلمه ، وشدة بيانه ، وسبب ذلك انه صنف لأول عهده بالطب ، رسالة صغيرة فى المنطق ، كتبها بلغة سهلة عذبة ، تنفى عن هذا العلم تعقيد العبارة ، وصعوبة الفهم ، وعرضها على شيخه ، فسخر منه وابنه وقال له :

ايها المغرور ! ابلغ من قدرك ان تصنف ، وانت ... وانت ... ثم اخذ الرسالة فسجر بها المدفاة .. فكانت هى اول مصنفات العلامة البخارى وآخرها !

وقد وقع لي انى كنت بالمدرسة ، وكنت احاول أن انظم الشعر ، فاخذ ابياتا قديمة فاغير قوافيها ، وابدل كلماتها ، وأدعيها لنفسى ، كما يفعل اليوم بعض الأدباء «التراجمة» حين يترجمون الكلمة الانجليزية او الفرنسية ، حتى إذا بلغوا التوقيع ترجموه هو ايضا ، فكانت ترجمة اسم المؤلف او الكاتب ، اسم الترجمان او «السارق» ! وكان الكتاب او الفصل المترجم من وضع اديبنا البارع .

كنت انظم ابياتاً من الشعر او أسرقها ، كما ينظم كل مبتدىء ويسرق ، حتى إذا اجتمع عندى كثير من القطع ، عرضته على أستاذ العربية ، وكان لسوء الحظ تركيا ، يسمى اسماعيل حقي أفندى ، يعلمنا النحو العربى باللسان التركى ! فلما قراه سخر منه وسبنى ، وتهكم علي ، وجاء من بعد اخى انور العطار – فنظم كما كنت انظم ، حتى إذا اجتمع عنده كثير من القطع ، عرضه على الأستاذ كرد علي رئيس المجمع العلمى العربى ، فاقام له حفلة تكريمية !

فكانت النتيجة انى عجزت عن الشعر ، حتى لنقل البحر بغمى ، أهون علي من نظم خمسة ابيات ، وان اخى انور العطار ، غدا شاعر الشباب السورى ، وسيغدو شاعر شباب العرب :

وأول من سن سنة التشجيع فى بلدنا هو العلامة المرحوم ، مربى الجيل ، الشيخ طاهر الجزائرى ، الفيلسوف المؤرخ الجدلى الذى من آثاره ، المدارس الابتدائية النظامية فى الشام ، والمكتبة الظاهرية ، والأستاذ محمد كرد علي بك ، وخالى الأستاذ محب الدين الخطيب .. ومماكتب فى ذم التثبيط :

«... وقد عجبت من أولئك الذين يسعون فى تثبيط الهمم ، فى هذا الوقت الذى يتنبه فيه الغافل ...

وكان الأجدر بهم أن يشفقوا على انفسهم ، ويشتغلوا بما يعود عليهم ، وعلى غيرهم بالنفع ، ولم ير احد من المثبطين قديماً او حديثاً اتى بامر مهم ، فينبغى للجرائد الكبيرة ، أن تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة ، والتحذير منها ، ليخلص منها من لم تستحكم فيه ، وينتبه الناس لأربابها ليخلصوا من ضررهم» .

وكان الشيخ فى حياته يشجع كل عامل ، ولا يثنى احداً عن غاية صالحة ، حتى لقد اخبرنى احد المقربين منه انه قال له : إذا جاءك من يريد تعلم النحو فى ثلاثة ايام فلا تقل له إن هذا غير ممكن ، فتغل عزيمته وتكسر همته ، ولكن اقرئه وحبب اليه النحو ، فلعله إذا انس به واظب على قراءته .

ثم إن التشجيع يفتح الطريق للعبقريات المخبوءة حتى تظهر وتثمر ثمرها وتؤتى اكلها ، ورب ولد من أولاد الصناع او التجار ، يكون إذا شجع اخذ بيده ، عالماً من اكابر العلماء ، أو أديباً من اعاظم الأدباء ، وفى علماء القرن الماضى فى الشام من ارتقى بالجد والداب والتشجيع من منوال الحياكة ، الى منصب الافتاء ، وكرسى التدريس تحت القبة .

نشا الشيخ محمد اسماعيل الحائك عامياً ، ولكنه محب للعلم ، محب للعلماء ،

فكان يحضر مجالسهم ، ويجلس فى حلقهم للتبرك ، والسماع ، وكان يواظب على الدرس ، لا يفوته الجلوس فى الصف الأول فجعل الشيخ يؤنسه ويلطف به ، لما يرى من دوامه وتبكيره ، ويسال عنه إذا غاب ، فشد ذلك من عزمه ، فاشترى الكتب ، يحيى ليله فى مطالعة الدرس ، ويستعين على ذلك بالنابهين من الطلبة ، واستمر على ذلك دهراً حتى اتقن علوم الآلة ، وصار واحد زمانه فى الفقه والأصول ، وهو عاكف على مهنته لم يتركها ، وصار الناس ياتونه فى محله ، يسالونه عن مشكلات المسائل ، وعويصات الوقائع فيجيبهم بما يعجز عنه فحولة العلماء ، وانقطع الناس عن المفتي من آل العمادى ، فساء ذلك العماديين وأهمهم ، فتربصوا بالشيخ واضمروا له الشر ولكنهم لم يجدوا اليه سبيلا ، فقد كان يحيا من عمله ، ويحياالناس من علمه ، وكان يمر كل يوم بدار العماديين ، فى «القميرية» وهو على اتان له بيضاء ، فيسلم فيردون عليه السلام ، فمر يوماً كما كان يمر ، فوجد على الباب أخاً للمفتى ، فرد عليه السلام ، وقال له ساخراً :

– الى اين يا شيخ ! اذاهب انت الى (اسطمبول) لتاتى بولاية الافتاء ؟

وضحك ، وضحك من حوله ، أما الشيخ فلم يزد على أن قال :

– إن شاء الله .

وسار فى طريقه حتى اذا ابتعد عنهم ، دار فى الأزقة حتى عاد الى داره ، فودع أهله ، وأعطاهم نفقتهم وسافر !

ومازال يفارق بلداً ، ويستقبل بلداً ، حتى دخل القسطنطينية ، فنزل فى خان قريب من دار المشيخة ، وكان يجلس على الباب يطالع فى كتاب ، أو يكتب فى صحيفة ، فيعرف الناس من زيه انه عربى ، فيحترمونه ويجلونه ، ولم يكن الترك قد جنوا الجنة الكبرى بعد ... فكانوا يعظمون العربى ، لأنه من أمة الرسول الأعظم ، الذى اهتدوا به ، وصاروا به وبقومه ناساً .

واتصلت اسباب الشيخ ، باسباب طائفة منهم ، فكانوا يجلسون اليه يحدثونه ، فقال له يوماً رجل منهم :

– إن السلطان سال دار المشيخة عن قضية حيرت علماءها ، ولم يجدوا لها جواباً ، والسلطان يستحثهم وهم حائرون ، فهل لك فى أن تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب ؟

قال : نعم

قال : سر معى الى المشيخة .

قال : باسم الله .

ودخلوا على ناموس المشيخة (سكرتيرها) ، فساله الشيخ اسماعيل عن المسالة فرفع راسه ، فقلب بصره فيه بازدراء ، ولم تكن هيئة الشيخ بالتى ترضى ثم القاها اليه وانصرف الى عمله ، فاخرج الشيخ نظارته فوضعها على عينه ، فقرأ المسالة ثم اخرج من منطقته هذه الدواة النحاسية التى كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة وللدفاع عن النفس ، فاستخرج منها قصبة فبراها ، واخذ المقط فقطها ، وجلس يكتب الجواب بخط نسخى جميل ، حتى سود عشر صفحات ، ما رجع فى كلمة منها الى كتاب ، ودفعها الى الناموس ، ودفع اليه عنوان منزله وذهب ، فلما حملها الناموس الى شيخ الاسلام وقراها ، كاد يقضى دهشة وسروراً .

– وقال له : ويحك ! من كتب هذا الجواب ؟

– قال : شيخ سامى من صفته كيت وكيت ...

– قال : علي به .

فدعوه وجعلوا يعلمونه كيف يسلم على شيخ الاسلام ، وان عليه ان يشير بالتحية واضعاً يده على صدره ، منحنياً ، ثم يمشى متباطئا حتى يقوم بين يديه ... الى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة ، التى نسيها الشيخ ، ولم يحفظ منها شيئاً .

ودخل على شيخ الاسلام ، فقال له :

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وذهب فجلس فى أقرب المجالس اليه ، وعجب الحاضرون من عمله ، ولكن شيخ الاسلام سر بهذه التحية الاسلامية ، واقبل عليه يساله حتى قال له :

– سلنى حاجتك .

– قال : إفتاء الشام وتدريس القبة .

– قال : هما لك فاغد علي غداً !

فلما كان الغد ذهب اليه فاعطاه فرمان التولية ، وكيساً فيه الف دينار .

وعاد الشيخ الى دمشق ، فركب اتانه ، ودار حتى مر بدار العماديين ، فاذا بصاحبنا على الباب ، فسخر منه كما سخر وقال :

– من اين يا شيخ .

– فقال الشيخ : من هنا ، من اسطنبول . اتيت بتولية الافتاء كما امرتنى . ثم ذهب الى القصر ، فقابل الوالى بالفرمان ، فركع له وسجد ، وسلم الشيخ عمله فى حفلة حافلة .

... ... ... ...

ومن هذا الباب قصة الشيخ على كزبر ، وقد كان خياطاً فى سوق المسكية على باب الجامع الاموى ، فكان إذا فرغ من عمله ذهب فجلس فى الحلقة التى تحت القبة ، فاستمع الى الشيخ حتى يقوم فيلحق به فيخدمه ، وكان الشيخ يعطف عليه لما يرى من خدمته إياه ، فيشجعه ويحثه على القراءة ، فقرأ وداب على المطالعة ، حتى صار يقرأ بين يدى الشيخ فى الحلقة ، ولبث على ذلك أمداً وهو لا يفارق دكانه ، ولا يدع عمله ، حتى صار مقدماً فى كافة العلوم .«ومدرس القبة اليوم – ١٩٣٥ – شاب أوروبى الزى ، أوروبى اللسان . أوروبى الزوجة ، لا يدخل المسجد مرة فى العام . ولكنه مدرس القبة» .

فلما مات الشيخ حضر فى الحلقة الوالى والأعيان والكبراء ، ليحضروا أول درس للمدرس الجديد ، فافتقدوا المعيد فلم يجدوه ، ففتشوا عليه فاذا هو فى دكانه يخيط فجاءوا به ، فقرأ الدرس وشرحه شرحاً أعجب به الحاضرون وطربوا له ، فعين مدرساً ولبث خمسة عشر عاماً يدرس تحت قبة النسر ، وبقيت الخطبة فى احفاده الى اليوم .

على أن للتشجيع عيباً واحداً ، هو الغرور ، فانا أعوذ بالله أن اغتر فاصدق انى أهل لكل ما تفضل به علي الأستاذ الزيات ، وارجو أن أوفق الى الجد والتقدم بتشجيع الأستاذ وفضله ، واشكر للأستاذ الزيات باسمى واسم اخوانى هنا ، اياديه علينا وعلى الأدب العربى ، الذى سمت وتسمو به «الرسالة» !

علي الطنطاوى

المجهول
في تاريخ بغداد

# عبد الرحمن الورّاق

بقلم: خالد محسن إسماعيل

ظفرت بمخطوط قديم لا عنوان له ولا ذكر لمؤلفه ، فقد سلخت الأيام منه أوراقه الأولى ، وذهبت باوراقه الاخيرة ، وهو واضح الخط فى اكثر كلماته ، وإن اتت الرطوبة على بعض أوراقه فمحت سطورها . إنه مجموعة فريدة من اخبار بغداد لم أجدها فى مرجع آخر ، ولم أجد أحداً من المؤرخين نقل شيئاً منها أو أشار إليها أو ذكر كتاباً يدور في افقها على كثرة ما سالت واستقصيت ! فالكتاب عندى مجهول العنوان مجهول المؤلف مجهول الناسخ مجهول العصر الذى صنف فيه !

وقد اعددته للنشر بعد أن ضبطت ـ ما استطعت ـ شواهده ، ووضعت لكل خبر عنوانا يسهل الرجوع إليه ويحجز بين خبر وآخر .

فهل يتطوع أحد من المشتغلين بتاريخ بغداد ليبحث في حقيقة هذا الكتاب لعله يظفر بما عجزت عنه يكشف ـ بذلك ـ الحجاب عن أثر مجهول من تاريخ مدينة السلام .. مدينة السحر والجمال والحب الحلال .

( ... وقال ابو بكر محمد بن عبد الرحمن الاشبيلي :

وقع بيدى وانا ادرس ببغداد كتاب « غرائب الانباء فى كرامات الغرباء » قرات فيه ماهذا حرفه :

كان ببغداد رجل يدعى « عبد الرحمن الوراق » ولد ببغداد وعاش فى جانبها الغربي إلى جوار تربة الصالح الزاهد الشيخ معروف الكرخي . كان معلماً للصبيان وقيل كان وراقاً فى سوق الثلاثاء فى الجانب الشرقى . عاش حياته بين السوق والتربة ، وكان وديعاً صالحاً خيراً ، عرف بمصانعة الأيام طلبة للسلامة . فهو لذلك ، كان قليل الخلطة باهل السوق ، يالف الغربة ويانس بالوحدة ويفر من لقاء الناس

قالوا : ولعل سبب هذه العزلة التى ضربت بينه وبين الناس ما أثره الجدري فى وجهه فترك ندوباً ليتها اصابت الكبد ، كما كان يتمنى ، قبل أن تستبد بالوجه تشويهاً وتخريباً .

قالوا : وفى عصرية يوم من شهر رمضان وقع نظره على امراة فى السوق كانت ماضية لشانها ، فاصابته وعلق حبها بقلبه دون أن تفطن المراة إلى شيء من ذلك .

قالوا : بل احست بما اعتراه فتركت السوق خائفة مضطربة مما رات من امر هذا الرجل وبدا لأهل السوق انهم يلحظون عليه اطواراً غريبة لم يالفوها فيه من قبل ، وجدوه كثير الصمت فاذا تكلم تكلم مع نفسه ملوحاً بيديه وكانه ينشد شعراً ، وكانوا إذا شاءوا مداعبته او التحرش به سالوه عن حاله وحال الدنيا فلا يزيد على أن يتمتم : لولا الايمان .. لولا الايمان ، وينصرف عنهم.

ثم لم يلبث ان ترك مهنته ، واعرض عن الدنيا ونفر من الناس وكانه فرغ من امر الدنيا والناس معاً ، غير صاحب له كان إذا



حان وقت الظهر اتاه فى حانوته وشاركه الغداء ، وقد يقرا له من ورقات معه فاذا حضر احـد سكت ودس الورقات فى ثيابه .

قالوا : وساء امره ، فهانت حاله ، وهزل بدنه ، وشحب لونه ، وغارت عيناه ، وبرزت عظام وجهه وصار إذا خطر فى السوق فكانما شبح من الأشباح مر !.

وكثيراً ما كان يقف عند الموضع الذى راى فيه المراة دون أن يعرف احد من اهل السوق سر وقفته غير صاحبه ، وقد يطيل الوقوف او يتكلم كلاماً مبهماً وقد يبكي او يضحك ثم يمضي لحاله .

وذات يوم مر بالسوق عالم بغداد وخطيبها المحدث الحافظ ـ ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الشيباني المشهور بالدباغ فى طريقه إلى المدرسة النظامية ، فهجم عليه عبد الرحمن عند باب المدرسة واخذ بتلابيبه وراح يهزه ويصرخ باعلى صوت :

سـر الح وهـد منـى كيـانـي
واصــاب منـي مقتــلا وبراني
ايمانكم ياقـوم سـر نعيمكم
وشـقاوتى وضـلالتى إيماني

ولم يجبه الشيخ الشيبانى ولم ينهره بل مضى الى المدرسة وهو يردد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واهل السوق فى دهشة مما يرون . قالوا : مضى الشيخ وعلى وجهه تتلألأ دمعتان !

وذاع خبر عبد الرحمن الوراق بعد ذلك فاتهمه بعضهم بالجنون ، ورماه آخرون بالزندقة ، وقال غيرهم لم يتزندق ولم يجن إنما كان اسم المراة (شقوة) ، قيل بل كان اسمها (ضلال) ، وقالوا غير ذلك ولعله والله اعلم ، هو الصواب !

وقبل وفاته بليلة ، قالوا ، راى فى نومه الشيخ معروفاً الكرخى يقول له : هلم ايها الغريب الى الغرباء !

وبعد دفنه فى مقبرة الشيخ معروف لم يجدوا فيما ترك من متاع الدنيا غير صرة طويت على دراهم معدودات لتجهيزه ، وورقات عتيقة فيها مقطوعات من شعر ووصية يستحلف فيها صاحبه باغلظ الايمان ان لا ينسى العهد الذى بينهما على إخبار المراة بان رجلا احبها وانه قد مات !

قالوا : وكثيراً ما شاهد الناس ، إذا جن الليل ، شخصاً يتسلل الى مقبرة الشيخ معروف فيخترق القبور وينتهى الى قبر عبد الرحمن ويجلس عنده ثم يسمع له نشيج مكتوم . واهل الحارات المجاورة اكدوا على أن الشخص هذا ملك صالح ، وقال بعضهم بل هى المراة نفسها ، وقال آخرون غير ذلك .

ومما يرويه الرواة لعبد الرحمن الوراق اول إصابته :

ماذا دهــاك لقـد اضعت صوابـــا
وجنيـت من بعـد النعيـم عذابـــا
ورجعـت من خلـف السـنين مـردداً
عشـقت سـعاد وقد عشقت ربابـــا
انسيت عهـداً بالأمانـــة زنتــــه
عهــد الاخـــوة مسـجداً وصحابـاً
عـود الشـباب على النقاء عجمتـــه
ورضعـت من نبـع الآلــه رضابـــا
ونسجت من ليـل العفــاف مصابـراً
بـرداً يلملــم شـيبة وشـــبابـاً
حتى اذا ازف الرحيـــل وآذنــت
شـمس المغيـب الى الأفـول ايابـا
وهتــاف داعـــى الموت يضرب حاديـاً
فى ساحتيك وقد ضربـــن ببابــــا
القيـت رحلك واسـتبد بك الهـوى
يا شـــقوة الغانى : هوى وسرابـــا !

وقد اختلف اهل بغـــداد فى امـر عبد الرحمن هذا ، فقال بعضهم انه لم يدفن فى مقبرة الشيخ معروف بل دفن فى مقابر باب حرب ثم لم يلبث النهر أن ابتلعه كما ابتلع القبور كلها ، وقيل انه ترك مجموعاً شعرياً استودعه صاحبه إلا أن صاحبه هذا خرج الى دجلة ليلة دفنه والقى من على الجسر كيساً قيل هو كل ما ترك عبد الرحمن من دنياه لدنياه .

ومن اعجب ما قيل فى خبره انه لم ير فى السوق يومذاك امراة بل راى غزالا فاعجبه حسنه وهام به . بل قيل ان عبد الرحمن هذا شخصية مفتراة لا حقيقة لها وان ما اثر عنه من شعر إنما هو شعر منحول نحله إياه شعراء عدة من عصور تاليات . وقيل فى خبره ما قيل والله اعـلم باخبار الغرباء من الناس .

خالد محسن اسماعيل

# تفسيرات عربية لطيفة لأسماء البلدان

بقلم: اللواء إبراهيم محمد الفحام

يعد بحث الأصول اللغوية والتاريخية، لأسماء البلدان، من اخصب وامتع المجالات، التى تحظى بعناية المهتمين بدراسة المأثورات الشعبية.

وقد تضمنت كثير من المؤلفات العربية القديمة (الجغرافية، والتاريخية، واللغوية) تفسيرات طريفة لكثير من هذه الأسماء، كما نشرت بعض البحوث الحديثة، المتخصصة فى هذا المجال. مثل (القاموس الجغرافى للبلاد المصرية) لمحمد رمزى وكتاب (اصول اسماء المدن والقرى اللبنانية) للدكتور انيس فريحة، والبحث المنشور ضمن مجموعة بحوث ومحاضرات الدورة الثالثة والثلاثين، لمجمع اللغة العربية، عن (أصول اسماء المواضع العراقية) لكيوركيس عواد.

وقد حث العلامة عيسى اسكندر المعلوف فى كتابه (تاريخ مدينة زحلة) على الاهتمام بهذا اللون من الدراسة، الذى يكشف لنا كثيراً من المعلومات النافعة.

وقد اتبعت التفسيرات العربية القديمة أسلوب التاصيل اللغوى لهذه الاسماء، بمحاولة استجلاء معانيها الظاهرة، او إرجاعها - إذا تعذر ذلك - الى اصول لغوية يمكن تفسيرها، او ترجيح تخليدها لأسماء بعض الشخصيات التاريخية، او اشتقاقها منها.

## تفسيرات لغوية لأسماء عربية

ومن التفسيرات اللغوية العديدة لأسماء (مكة)، انها سميت كذلك لانها (تمك الجبارين) اى تذهب نخوتهم، وتعتصر عافيتهم. من قولهم (امتك الفصيل ضرع امه، إذا مصه مصا شديداً).

كما قيل فى (جدة) انها سميت كذلك، لكونها على ساحل البحر، من (جد الشىء) اى حده، او جانبه. وقيل: بل تنسب الى حواء (جدة البشر) التى ماتت ودفنت فى هذه المدينة.

وقيل فى (اليمن) و (الشام) ان العرب لما كثروا بمكة تفرقوا، فمن (تيامن) منهم - اى اتجه الى اليمين - سمي موطنهم (اليمن)، ومن (تشاءم) منهم - اى اتجه الى الشمال - سمي موطنهم (الشام).

وقيل: بل سمي الشام شاماً، تشبيها له بالشامات التى تكون على الوجه، لكثرة بساتينه وقراه، وتدانى بعضها من بعض.

وقال الزجاجى فى (العراق) إنه سمي كذلك (لأنه سفل من نجد، ودنا من البحر. وقد اخذ من عراق القربة وهو الخرز الذى اسفلها) يقال (خرز الجلد ونحوه خرزاً اى خاطه).

ويفسر الخليل ( العراق ) بانه (شاطىء البحر) . ويرى أن العراق سمي به ، لانه يقع على شاطىء دجلة والفرات ، بينما يرى أبو زكريا النووى إن (العراق) يعنى (الاستواء) وقد سمي كذلك لاستواء ارضه ، وخلوها من الاودية والجبال .

وذكرت فى (البصرة) اقوال عديدة ، منها قول قطرب إنها (الأرض الغليظة ، التى فيها حجارة تقلع ، وتقطع حوافر الدواب) وقال غيره إن (البصرة حجارة رخوة ، فيها بياض) .

ومما قيل فى (الكوفة) ــ وهو كثير ــ انها تطلق فى الأصل على كل رملة تخالطها حصباء . أو انها سميت كذلك لاستدارتها من (الكوفان) وهى الرملة المستديرة .

ويذكر ابن الأعرابى ان (عمان) مشتقة من (العمن) بضم العين والميم ، وهم القوم المقيمون فى مكان ما ، من قولهم رجل (عامن) و (عمون) اى (مقيم) .

كما قيل فى (عكا) انها من (العكة) اى (الرملة حميت عليها الشمس) ، وقيل (العكة من الحر ، الفورة الشديدة فى القيظ ، وهو الوقت الذى تركد فيه الريح) .

ومن اكثر التفسيرات اللغوية شهرة ، تلك التى عللوا بها اختيار اسم (القاهرة) للعاصمة التى اقامها جوهر الصقلى للفاطميين فى مصر . إذ رووا انه اقام فى موضع سور المدينة اعمدة خشبية ، تصل بينها احبال فيها اجراس ، وأمر العمال الا يبدؤوا البناء إلا عندما تبلغهم إشارة المنجمين ــ بواسطة دق الأجراس ــ بالوقت الذى يرونه ملائما لذلك ، من حيث الطالع . غير انه حدث أن دقت الأجراس فجاة ، عندما وقف غراب على احد الاحبال فبادر العمال الى اداء واجبهم على الفور . ولما لاحظ المنجمون ان موكب المريخ (قاهر الفلك) كان وقتذاك فى الطالع ، فقد اطلق على تلك المدينة (القاهرة) .

## تفسيرات مماثلة لأسماء غير عربية

وقال الزجاجى ان (حلب) سميت كذلك لأن ابراهيم عليه السلام ، كان يحلب فيها غنمه . وقد علق ياقوت الحموى على ذلك فى (معجم البلدان) بقوله : (هذا فيه نظر ، لأن ابراهيم عليه السلام ــ واهل الشام فى ايامه ــ لم يكونوا عربا . وإنما العربية فى ولد ابنه اسماعيل عليه السلام ، وقحطان) .

وتحفل المأثورات العربية بتفسيرات عديدة لأسماء اعجمية لبعض البلدان ، على انها عربية الأصل ، مثلما ذكر فى (تهذيب الأسماء واللغات) لأبى زكريا النووى ان (الأندلس) مشتق من (الدلس) اى (الظلم) كما قيل فى (قرطبة) انها من (القرطبة) ــ بفتح القاف ــ وهو العدو الشديد ــ او من قولهم (طعنه فقرطبه : اى صرعه) .

وقيل فى (شاطبة) بالاندلس ، انها مشتقة من (الشطبة) وهى (السعفة الرطبة الخضراء) او من (الشاطبة) وهى المراة التى (تشطب الجريد) اى تشقه لتعمل منه حصيرا .

وفسر البعض (دمشق) بان الذين اقاموها (دمشقوا فى بنائها) اى (اسرعوا) ويقول العرب (ناقة دمشق) ــ بفتح الدال وسكون الميم ــ اى (سريعة) وقد تكون من (دمشق الشى) اى : (زينه) .

## محاولات لترجمة الأسماء الاعجمية

غير انهم ــ فى بعض الأحيان ــ كانوا يفسرون اسماء البلدان الأعجمية بلغة سكانها الاصليين . كقولهم فى (اصبهان ) او (اصفهان) انها مركبة من (الأصب) وتعنى فى الفارسية (الفارس) و (هان) وهى اداة الجمع ، فكانهم يقصدون (الفرسان) او (بلدة الفرسان) .

وقالوا فى (بغداد) ــ ضمن تفسيرات عديدة ــ انها من الفارسية (باغ) اى (بستان) و (داد) اى : (رجل) . والمعنى (بستان رجل) . كما قيل إن (بغ) اسم لصنم كان يعبد . وسبب هذه التسمية ان كسرى اقطع عبدا له موقع تلك المدينة ــ وكان من عباد ذلك الصنم ــ فقال (بغ داد) اى (الصنم ــ او المعبود بغ اعطانى) او (عطية بغ) .

ونسبت اسماء بعض بلدان اليمن الى لغة الحبش ، منذ غزوهم إياها . فقيل فى (صنعاء) انهم لما وجدوها مبنية بالحجارة قالوا : (صنعة .. صنعة) اى (حصينة) . وقيل فى (عدن) إنهم لما رحلوا منها قالوا (عدننا) اى (خرجنا) . فسميت هاتان المدينتان بذلك .

وقيل فى تفسير (خوارزم) ان احد الملوك القدماء غضب على اربعمائة من افراد حاشيته . فنفاهم الى ارض مهجورة نائية ثم تساءل عن مصيرهم بعد سنوات طويلة ، وامر بعض رجاله بكشف اخبارهم ، فلما بلغوهم ، وجدوهم قد بنوا اكواخا ، واتخذوا من السمك طعامهم ، يشوونه على ما يجمعون من الحطب .

فلما سئلوا عن حالهم ، اشاروا الى السمك وقالوا (عندنا هذا (اللحم) واسمه عندهم (خوار) ثم اشاروا الى الحطب وقالوا (وعندنا هذا الحطب) ــ واسمه (رزم) ــ فاطلق على موضعهم (خوارزم) .

وفسروا (نابلس) باسطورة طريفة ، إذ زعموا انها سميت كذلك لانه كان هنالك واد فيه حية عظيمة ، قد امتنعت فيه ــ وإسمها فى لغتهم (لس) ــ فاحتالوا عليها حتى قتلوها ، وانتزعوا نابها السام ، فعلقوه على باب تلك المدينة فقيل (هذا ناب لس) اى (ناب الحية) ، ثم كثر استعمالها ، حتى كتبوها متصلة (نابلس) . كما قيل فى رواية اخرى بان كلمة (لس) تعنى فى الحقيقة (التنين) .

## تفسيرات ترتبط بشخصيات السير الدينية

وكما ارجع البعض تفسير ( حلب ) الى سيرة نبى الله ابراهيم الخليل ، فقد رجعوا الى تلك السيرة ايضا تفسير ( القادسية ) إذا روى انه دعا لتلك البلدة ــ عندما كرمته فيها امراة عجوز بقوله ( قدست من ارض ) فسميت ( القادسية ) . كما ذكروا انه اقام عريشا يستظل به شمال سيناء ، عند اتجاهه الى مصر فاطلق اسم ( العريش ) على ذلك الموقع ، وعلى البلدة التى اقيمت هنالك بعد ذلك .

# تفسيرات عربية لطيفة لأسماء البلدان

كما روى فى تفسير ( العريش ) ايضاً انه عندما سار إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر – لما اقحط الشام – اوقفهم حراس الحدود هنالك ، واقاموا لهم عريشاً يسترحون فيه ، حتى اذن يوسف بدخولهم .

ومن البلدان المصرية الاخرى ، التى ارتبط تفسير اسمائها ، بسيرة نبى الله يوسف ، بلدة (الفيوم) التى قيل انه حفر نهراً عظيماً الى موقعها ، خلال سبيعين يوماً ، تخفيفا لغائلة القحط ، فلما رآه الملك ابدى اعجابه بذلك العمل . الذى كان يقدر ان يستغرق اتمامـــه (ألف يوم) ، فسميت البلدة التى اقيمت هنالك فاصبحت حاضرة ذلك الاقليم ( الفيوم ) .

وروى فى تفسيــر ( البهنســا ) – التى تتبع محافظة المنيا الآن – انه كان بها قصر لزليخا امراة العزيز يسمى ( قصر ابهى النسا ) ثم حرف الاسم الى ما هو شائع الآن .

وقيل فى تفسير ( البدرشين ) – التى تتبع محافظة الجيزة الآن – انه لما استتب الأمر ليوسف ، خرج يتنزه فى موكب حافل فالتقت به زليخا فى ذلك الموقع – وقد زال شبابها وسلطانها ، فلما رآها هكذا ، قال : ( مالى أرى البدر شينا ) اى : قبيحـــا .

فقالت : ( سبحان من اذل الملوك واعـــز العبيد ) وسمى ذلك الموقع ( البدرشين ) .

## تفسيرات ترتبط بشخصيات السير الشعبية

وتاثرت بعض تلك التفسيرات بالسير الشعبية القديمة ، فرويت قصص ارجعت اسماء بعض البلدان الى حوادث وقعت لبعض أبطال تلك السير .

فمن المأثورات اليمنية القديمة ، ان (سمرقند) تنسب الى (شمر يرعش) اكبر تبابعة اليمن ، الذى روى انه سار غازياً فى خمسمائة الف رجل الى بلاد الصين فى القرن الرابع قبل الهجرة ، فدانت له الاقطار ، حتى بلغ بلاد الصغد . فتحصن اهلها ، وابوا الخضوع له ، فما كان منه إلا أن احاط بهم من كل جانب ، وامر بهدم مدينتهم ، فسموها (شمركند) اى (شمر هدمها) ثم عربت الى (سمرقند) .

وتعد (الحيرة) من البلدان التى ارتبط تفسير اسمها بسيرته ايضاً . إذ يروى انه لما اقبل بجيوشه على موقعها ، ضل دليله وتحير فسمى (الحيرة) وقال آخرون انه خلف فى ذلك الموقع بعض جنده وقال لهم (حيروا به) اى (اقيموا به) فاقاموا لانفسهم بلدة سموها (الحيرة) .

وعندما تولى تبع الأقرن الحميرى ملك اليمن ، فى القرن الثالث قبل الهجرة ، جهز جيشاً كثيفاً ، ومضى به حتى بلغ (سمرقند) فعمرها ، واتجه نحو الصين يريد غزوها ، فتخلف فى طريقه ثلاثون الفا من رجاله ، ابتنى لهم بلدة كبيرة ، نسبت اليهم ، فقيل لها (الثبت) بضم الثاء وفتح الباء المشددة ، نسبة الى تثبيتهم اى توطينهم – بذلك الموقع ، ثم حرفت الثاء المثلثة الى التاء المثناة . وهى البلاد الكائنة بين الصين والهند ، التى يغلب على اسمها الآن ان ينطق بكسر التاء والباء

وفى ذلك يقول الشاعر العباسي دعبل بن على الخزامي ، مفتخراً باسلافه من اهل اليمن ، فى قصيدته التى عارض بها الكميت :

وهم كتبوا الكتاب ببـــاب مـــرو
وبــاب الصيــن كانوا الكاتبينــا
وهــم ســموا قديمــا سمر قنــدا
وهــم غرســوا هنــاك التبتينــا

ومن القصص التى تتضمن تفسيرات ترتبط بالسير الشعبية الفارسية ، تلك التى تتناول اسماء بلدان ( نيسابور ) و ( سابور خواست ) و ( جنديسابور ) .

إذ يرون انه عندما اختفى ( سابور ) الذى تولى ملك فارس فى القرن الثالث قبل الهجرة – واسمه عند الفرس شابور بـــن اردشير ، أو شابور الاكبر – جردوا بعض الرجال للبحث عنه ، فاتجهوا إلى احد المواقع ، فلم يجدوه به ، فقال بعضـــهم ( نيت سابور ) اي ( ليس سابور ) فاطلقت على ذلك الموقع ، ثم حرفت إلى ( نيسابور )

ولما بلغوا موقعاً آخر ، سئلوا فيه عما يريدون فقالوا : ( سابور خواست ) اي ( نطلب سابور ) فاطلقت على ذلك الموقع .

وعندما عثروا عليه اخيراً فى احد المواقع ، قالوا (وند سابور ) اي ( وجد سابور ) فاطلق على ذلك الموقع ، وحرف إلى ( جند يسابور ) .

وروى فى تفسير ( حلب ) و ( حمص ) و (برذعة) انها تحمل اسماء ثلاثة اخــوة من بنى عمليق ، بنى كل منهم مدينة ، فسميت باسمه .

ومما قيل فى ( الطائف ) ان رجـلا من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك ، قتل ابن عم له بحضرموت اسمه عمرو ثم ولى هاربا خشية القصاص ، حتى اتى مسعود بن معتب الثقفي ، بديار بني ثقيف – وكان تاجراً غنيا – فقال له : ( احالفكم لتزوجوني وازوجكم ، وابني لكم طوفا عليكم مثل الحائط ، لا يصل إليكم احد من العرب ) .

فلما اجابوه إلى طلبه اقام عليهم ذلك الطوف ، فسميت بلدتهم ( الطائف ) وكانت تسمى – قبل ذلك – ( وجا ) نسبة إلى احد العماليق .

وقيل فى تفسير ( الطائف ) ايضاً . انها كانت لاحدى قرى الشام ، ثم ( طفت ) على وجه الماء ببساتينها وخيراتها ، حتى استقرت فى موضعها الحالي ، استجابة لدعوة ابراهيم الخليل عليه السلام .

وإني إذ اكتفي بعرض هذه المجموعة من التفسيرات العربية لأسماء بعض البلدان . أرجو أن يجد فيها المهتمون بجمع التراث الشعبي وتسجيله ، ودراسته ، حافزاً للتعمق فى هذا المجال بوجه خاص . وحبذا لو شمل اهتمامهم سائر المعالم الجغرافية الأخرى ، كالانهار والترع والجزر والجبال والوديان والدروب ، لمحـــاولة تاصيل اسمائها ، وجمع ما يروى حول تفسيرها من المأثورات الشعبية ، التى قد تقدم لنا دراستها كثيراً من الدلالات القومية والاجتماعية المفيدة ، والمعلومات التاريخية الشيقة .

اللواء ابراهيم محمد الفحام

# رحيل العصافير

إلى روح صديقي الشاعر السوداني الراحل محمد المهدي المجذوب

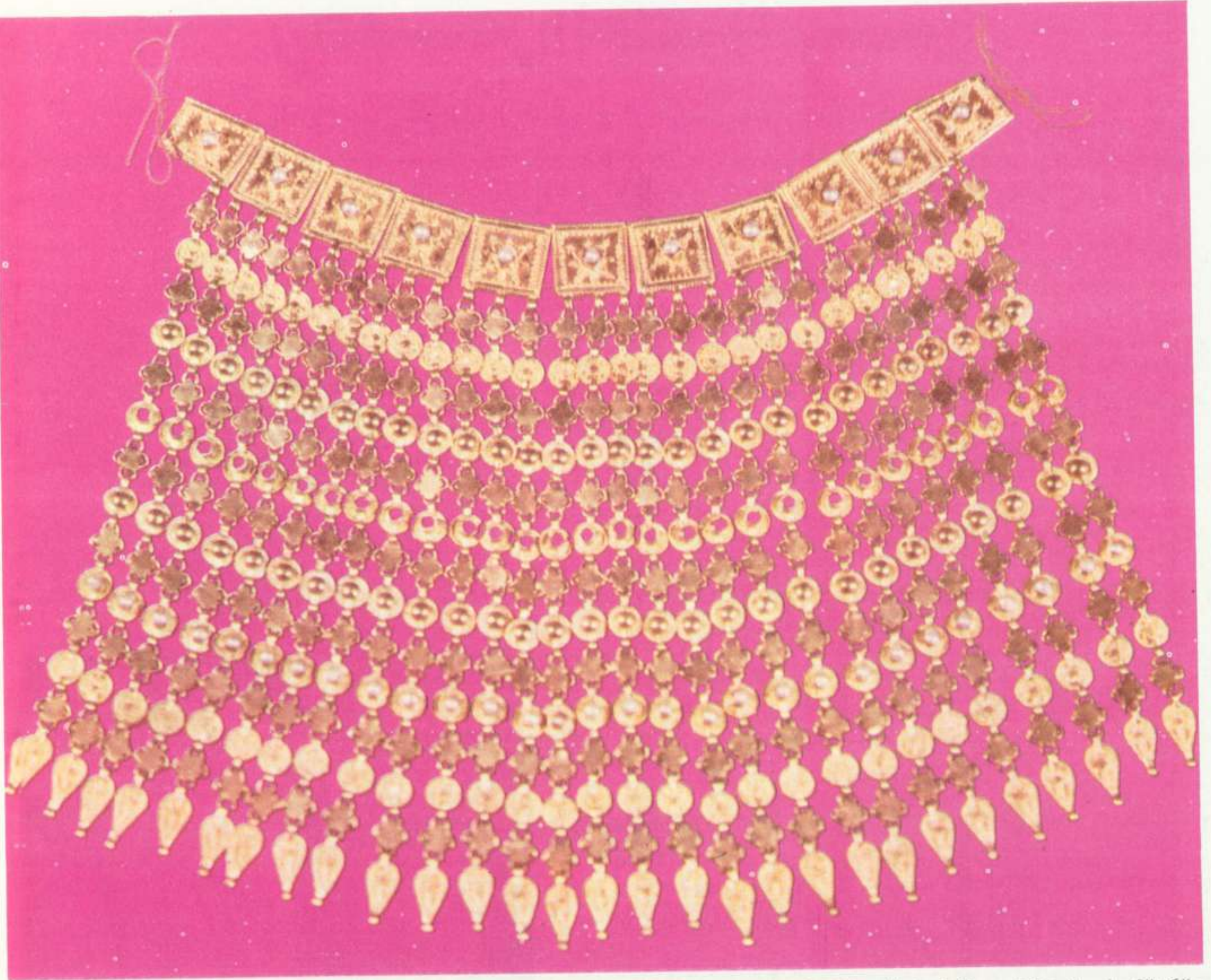
شعر: م . كجراي


الشاعر محمد المهدى المجذوب

نمد على ربوات المدينة أنغامنا
غير أن المدينة غانية تتعلم كيف تمد على شرفة القصر حبل الغسيل
ونسأل كيف ترف البشاشة فوق الصخور
ليورق وجه الزمان البخيل
يزلزلنا السأم الدائري
ويقتلنا الزمن الشاعرى
نحب الحياة ولكننا فى كتاب الحياة
زنابق حقل يفاجؤها الموت ،
لا يتذكرها الناس إلا مساء الفجيعة بعد الرحيل
فكل أحاسيسنا تتهاوى وتسقط
يخرسها الموت عند احتراق الأصيل
وأن الحياة مع الألم الدائري صدى
مثل لون الفجيعة ، مثل اختناق العويل
نموت كموت العصافير فى أول العمر
ميلادنا ومضة البرق ، ثم حضور الفجيعة فى لحظة الاحتراق
نجيء ونمضي كأنا خيول على الأرض تركض فى حلبات السباق
تغيب المحطات لا يتبقى سوى غسق
يتكثف بين ركام الفصول
نمزق أحشاءنا يا لبكر إذا ما تناسى
الفرات خيول المغول
فكيف يرق على أرضنا الحلم والزمن الدائري ظلام وغول
زمان البراءة ولى
وجاء زمان الفجاءة فى بعده العنكبوت يصول
فيا هدأة العمر إن الخلود نداء
يجيش بأعماقنا ، ظل رؤيا من الساحل القمرى الطويل

دعينا نعانق غانية الحلم
حين تمر على أفق المستحيل
دعينا نحلق فوق الفضاء
نجرب قبل مجيء القضاء
حروف انفعالاتنا فى كتاب الرثاء

بقايا نشيج
ترسل من صوت قمرية فوق غاب النخيل



« الكردالة » أو « المرتعشة » .. قلادة من الذهب تلتصق بالرقبة وتتدلى منها سلاسل واهداب ..

# الحُليّ الذهبية القطريّة

بقلم: نجلاء العزي


«لوح السعد» نموذج من الحلى التقليدية التى تزين الرأس وتتدلى منها اشكال هلالية على الجبين

عرف الخليج منذ قديم الزمان بأنه حلقة وصل بين الشرق والغرب ، فهو نافذة تطل على المحيط الهندى ، وموقعه هذا أدى الى ازدهار التجارة والتبادل الاقتصادى والثقافى بينه وبين البلدان المجاورة ، كما أدى الى نشوء حرف وصناعات مرتبطة بموقع وبيئة بلدان الخليج العربى مما جعل من هذه المنطقة حقلا خصباً لنشوء مختلف الفنون الممتزجة بحضارات مجاورة فكانت النتيجة أن صارت له حضارة ذات ثقافة فريدة مميزة خاصة به أوجدتها البيئة والموقع الذى تشغله .

ولما كانت شبه جزيرة قطر من ضمن بلدان الخليج العربى ، فقد كان المورد الاقتصادى الكبير فيها هو صيد اللؤلؤ وتجارته طوال القرنين الماضيين ونشأت فيه حرف وصناعات متعلقة به مثل صناعة السفن وصياغة الذهب والفضة وتجارة اللؤلؤ وصياغته وهى حرف وصناعات كانت موجودة فى هذا البلد منذ القدم لكنها مرت بفترة ركود طويلة نشطت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى بسبب وقوعها على الطريق المؤدى الى الهند أغنى مستعمرات بريطانيا فى ذلك الوقت ، فلكى تؤمن بريطانيا اتصالها بالهند أوجدت وسائط نقل منظمة وسريعة تجوب المياه وتقف على الموانىء فى تلك المنطقة مما أدى الى ازدهار المدن الساحلية فى الخليج العربى . وقد شهدت هذه المنطقة ايضاً نشاطاً تجارياً أدى الى ازدهار حرف وصناعات معينة مرتبطة بها . كما تطورت فيها بعض الحرف الفنية كصياغة الحلي الذهبية فى المدن الساحلية وانحسرت صياغة الحلي الفضية الى المدن الداخلية واقتصرت على البدو .

# الحُليّ الذهبية القَطريّة

## المجموعات النادرة

هذا وتعتبر الحلي التى يعرضها متحف قطر الوطنى اليوم نموذجاً لكل الحلي الذهبية والفضية ليس فى قطر وحدها وانما فى معظم بلدان الخليج العربى ، وهى منوعة ما بين حلي نسائية ذهبية وفضية وزينة رجالية مكونة من خناجر وسيوف واحزمة ومناطق مطعمة بالذهب والفضة وكذلك هدايا قيمة نفيسة واحجار كريمة ولآلىء طبيعية منوعة مستخرجة من مياه الخليج العربى من مغاصات قطر خاصة وهى قديمة وأصيلة اقتناها المتحف بواسطة الشراء أو بالاهداء .

هذا ومن الجدير بالذكر أن المجموعة المعروضة فى متحف قطر الوطنى ليست المجموعة الكاملة لكل أنواع الحلي الذهبية والفضية التى كانت سائدة فى المجتمع ، وذلك لتعذر الحصول على الحلي القطرية التقليدية القديمة كلها ، لذلك تعتبر الحلي المعروضة ما هى الا نماذج فقط لكل نوع منها . ومازال متحف قطر الوطنى جاداً فى الحصول على بقية أنواع الحلي لأنها قطع تراثية قطرية أصيلة ذات علاقة مباشرة بتاريخ وتراث قطر ، كما كان الحصول عليها من الصعوبة بمكان كبير حيث أن معظم هذه القطع القديمة إما بيعت وأعيد صهرها وتشكيلها وفق الأشكال الحديثة وبطرق صناعية ، أو لأن أرباب هذه الحرفة قد اندثروا أو فى طريقهم الى الزوال بسبب طغيان الميكنة على مختلف أوجه الصناعة والحرف فى شبه جزيرة قطر وذلك لانتاج اسرع يلبى مطالب الحياة ذات الدعائم الاقتصادية الجديدة وبذلك حلت الحلى المستوردة من الدول الأوروبية والحلي المصنعة محلياً على غرارها محل الحلي التقليدية القديمة المصنوعة يدوياً ، كما حل اللؤلؤ اليابانى الصناعى محل اللؤلؤ الخليجى الطبيعى المستخرج بالغوص .

إن مجموعة الحلي الذهبية المعروضة فى المتحف تعتبر مجموعة نادرة عالية القيمة لجودتها وأصالتها ، نقلها الينا أرباب حرفة صياغة الذهب خلال القرنين الماضيين عن الأصول القديمة المتوارثة من العرب والمسلمين من مختلف الحواضر الاسلامية عبر العصور الأموية والعباسية والفاطمية والأندلسية والعثمانية والصفوية من مشرق العالم الاسلامى الى مغربه فقد جمعت فيها كل مميزات الحلي الاسلامية مع التطور الذى طرأ عليها .

## أعلى أنواع الذهب

تمتاز الحلى القطرية الذهبية فى أنها مصنوعة بالات وادوات يدوية خاصة بصائغ الذهب القطرى ، وبالرغم من ان الميكنة قد دخلت مختلف أنواع الحرف ، الا أنها فى الصياغة لم تؤثر على الحلي الذهبية ولا الفضية من ناحية القيمة الفنية ولو أن القطع المنجزة بواسطة المكائن هى قطع تراثية تقليدية لكنها صارت جامدة تفتقد الى روحية العمل اليدوى كما أن الأشكال والقطع المستوردة غزت السوق مما قلل من انتاج وتداول الحلي الذهبية والفضية المصنوعة بالطرق اليدوية .

ولما كانت الحلي المستوردة المنتجة بواسطة المكائن ذات انتاج اسرع وتسويق افضل لذلك فقد انتشرت وانحسرت الحلي التقليدية ولكن مع ذلك ظلت لها مميزات خاصة وهى كالاتى :

- غنى مادتها .
- اصالتها .
- المهارة الفنية فى صياغتها يدوياً .
- تنوعها . ( كثرة اعدادها ) .

أما غنى مادتها فانه يعود الى استخدام الذهب فيها وهو ذهب عيار ٢٢ حبة المستخلص من الجنيهات الانجليزية والليرات العثمانية التى كانت العملة المتداولة فى هذه المنطقة كلها ، مما جعل الحصول على المادة الأولية لصياغة الذهب متيسرة وهو أعلى أنواع الذهب نسبة فى الحلي العالمية .

هذا وكما ذكرنا فان اصالتها تعود الى ان حرفة الصياغة فى قطر هى حرفة قطرية اصيلة توارثها الابناء عن الآباء فى هذه المنطقة ، وهى فى أصولها تعود الى جذور عربية اسلامية متطورة لأسباب تاريخية واقتصادية وجغرافية مجتمعة فى هذه المنطقة ، مرت بفترة ازدهار هنا بينما انحسرت واندثرت فى معظم ارجاء العالم العربى والاسلامى وبذلك تكون الحلي الذهبية القطرية قد حافظت عليها وطورتها واوصلتها الينا فى يومنا هذا مما جعلها نموذجاً حياً للحلي العربية الاسلامية القديمة عامة وللحلي الخليجية بصورة خاصة .

هذا وقد نفذت الحلى بالطرق والآلات اليدوية حيث مر الذهب أولا بمراحل اعداده بواسطة طرقه وتحويله الى صفائح واسلاك رفيعة تعد للعمل عليها ، ثم بعد ذلك تعد الاقسام الرئيسية من الحلية الواحدة كبطانة السوار مثلا التى بشكل قيد عريض تنفذ عملية الزخارف بالاضافة أو البرم او اللحم . أو ان تعد وحدات زخرفية مؤطرة كل وحدة قائمة بذاتها تشكل مع بعضها البعض مكونة حلية واحدة كالقلادة او الأسورة أو الحزام الخ

والزخارف تنفذ بعدة طرق ووسائل منها ما هو على شكل طبعات بواسطة القوالب ومنها بشكل برم الاسلاك المختلفة الأحجام مكونة اشكالا نجمية أو وريدات الخ . أو عمل السلاسل أو الحلقات التى توصل ببعضها وكذلك تزخرف بالتلوين بالمينا أو بالترصيع باللالىء وبالياقوت أو الفيروز وغيرها من الأحجار الكريمة .

هذا وتمتاز أيضا بتنوعها ووفرتها وكثرة اعدادها ولكل نوع منها اسم ، ففى القلائد مثلا توجد اكثر من خمسة أنواع مختلفة وكذلك الأقراط والأسورة وحلي الرأس والشعر أيضاً والخواتم كما تلبس كلها احياناً مرة واحدة ، هذا ولها تسمياتها الخاصة بها ، وهذه التسميات اطلقت عليها اما لطريقة لبسها أو لمعناها أو لزخرفة معينة تحملها ومنها ما هو مصطلح مستورد اما هندى أو فارس ، ولكن أغلب المصطلحات شيوعاً هى المصطلحات التى تدل على طريقة لبسها وزخرفتها .

## أنواع الحلى

ومن أنواع الحلى الذهبية فى قطر :

- حلى الأذن :

وهى الأقراط وتسمى « الشغاب » او « التراجي » ، ولها اشكال مختلفة واحجام منها ما هو صغير بقدر رأس الدبوس أو بشكل حلقة صغيرة أو اكبر او بشكل سلسلة تنتهى بدلاية من فص لؤلؤ او ياقوت أو أكبر بشكل معين أو كمثرى مخرم ومحزز وانواعها ، اشغاب كسر . اشغاب رملية . الكواشى والفتور .

- حلى الأنف :

ويزين الأنف بطريقة ان تثقب الفتحة اليسرى للانف ويدخل فيها نوع من

مع بعضها يتوسطها شكل زخرفى كبير يشد بواسطة مفتاح من الخلف وقد نفذت الزخارف عليه بالتخريم والترصيع .
ملاحظة : لا يوجد فى متحف قطر نموذج له .

● حلى الراس والشعر :

وتزين قمة الراس والغرة والهامة بحلى ذهبية تلتصق بالرأس اما بشكل غطاء يسمى الطاسة وتلبس على الراس تتدلى منها سلاسل واهداب تصل الى الكتفين او حتى الى الصدر احيانا وتسمى ( طاسة بسراريح ) ، أو يتدلى من مقدمتها وعلى الجبين اشكال هلالية تسمى (لوح السعد) أو « كصة السعد » ومنها ما يشبك بالشعر تسمى ( الريشة ) ، ومنها ما يجدل مع الشعر ( ضفيرة ) وتسمى ( الجتوب ) أو ( الكراميل ) والمشموم .

● حلى القدم :

وهى بشكل اسورة تطوق القدم وهى الحجول وتسمى ( حيول ) ومنها ما هو غليظ وضخم ومنها ما هو رفيع تنزل منه سلاسل واجراس وهى الخلاخيل التى يلبسها الأطفال ، وليس لدى متحف قطر نموذج منها .
هذا ومن حلى القدم أيضا ، ( الفتاخ ) وهى خاتم يلبس فى الأصبع الكبير من القدم .

● حلى الأصابع :

وهى تلبس فى أصابع اليد خواتم وحابس ولكل أصبع خاتم خاص به له تسمية معينة وهى الشواهد والمرامي والختم والخنصر يضاف لها المحابس والمراود وأحيانا يلبس الكف وهو بشكل خواتم اربعة تتصل مع سوار فى المعصم بواسطة سلاسل أو شبكة مخرمة مرصعة بحيث تغطى ظاهر الكف .

● حلى الثياب :

وهى الحلى التى تعلق بالعباءات ( الدفة ) وتسمى ( العمايل ) التى بشكل سلاسل طويلة مكونة من وحدات كمثرية الشكل تنتهى عند الكتف بسلسلة من اللالىء الناعمة ، أو تشبك على صدر الثوب بمشبك كبير له دبوس يمسكه أو يزخرف صدر الثوب بالتطريز بالخيوط الذهبية وتسمى ( الثريا ) . كما تشبك العباءة ( الملفح ) بمشبك يسمى ( مشبك



« العميلة » وهى من حلى تزيين الثياب وهى تعلق فى العباءات النسائية وتتكون من سلاسل طويلة مكونة من وحدات كمثرية الشكل

الدبابيس أو مشبك يسمى ( ازميم ) ومنه « زميم ابو جلاب » أو « براقي » أو بشكل نجمة ذهبية يتوسطها فص من ياقوت أبيض أو لؤلؤة صغيرة .

● حلى العنق والجيد :

وهى القلائد وتسمى ( الكردالة ) ، منها ما هو قصير ملتصق بالرقبة تتدلى منه سلاسل واهداب تسمى ( المرتشعة ) ، أو منها ما هو مكون من حبات أو خرزات ذهبية تشبه المسبحة كبيرة ومتوسطة الحجم خالية من الدلاية أى ( الطبلة ) تسمى ( مرية ) ، أو بشكل سلسلة تتدلى منها دلاية فى الوسط تسمى ( الهلالى ) أو ( المجلد ) أو ( المعرى ) ، كما هنالك القلائد الكبيرة الحجم التى تغطى الصدر كله وتصل الى الخصر وتسمى « النكلس » وتلبس احيانا ثلاثة انواع منها مع بعضها كالمرتعشة والمرية والنكلس .

● حلى المعصم والذراع :

وهى الأسورة وتسمى ( المضاعد ) ، وهى أنواع منها ما هو رفيع رقيق ومنها ما هو بشكل سلكين مبرومين يسمى الملتفت ومنها ما هو بشكل حبات من المرجان الاحمر أو الأسود تتناوب مع حبات من الذهب وتسمى « الخصور » ، ومنها ما هو بشكل قيد تحيط به وحدات زخرفية بارزة هرمية الشكل أو بشكل تجمعات من اشكال زهرية مرصعة تسمى « حب الهيل » و « البناجرى » و « السويرات » . وكلها لها مفاتيح تسهل لبسها وخلعها ما عدا المضاعد .

● حلى الوسط :

وهى الأحزمة والمناطق ويسمى (المحزم) ويتكون من قطع ووحدات زخرفية مستطيلة الشكل أو مربعة الشكل متصلة



« الجتوب » مجموعة من الحلى التى تزين الشعر وتشد فى نهاية الجدائل

## الحُليّ الذهبية القطريـة

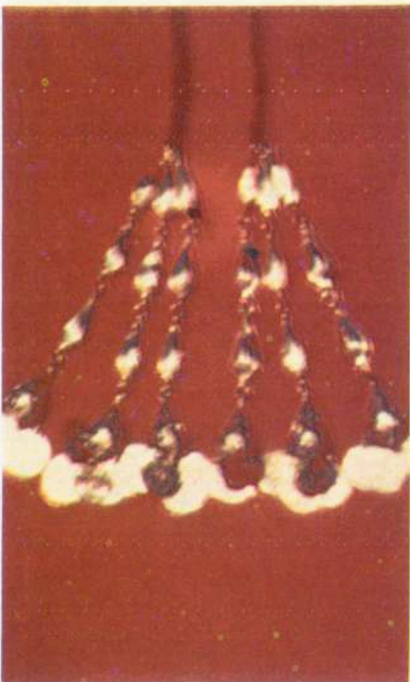
الملفع ) صغير ، أو يشبك الخمار عند الرأس فى مشبك يسمى ( حلاق البطولة ) . كما ان الخمار المعروف بالبطولة كان يزين القسم العلوى منه باقراص ذهبية منقوشة تحيط بالجبين وتنزل الى الجانبين ويسمى الخمار المذهب بـ ( البطولة ) ـ باسـم « برقع رياسى » .

### المرأة والحلي

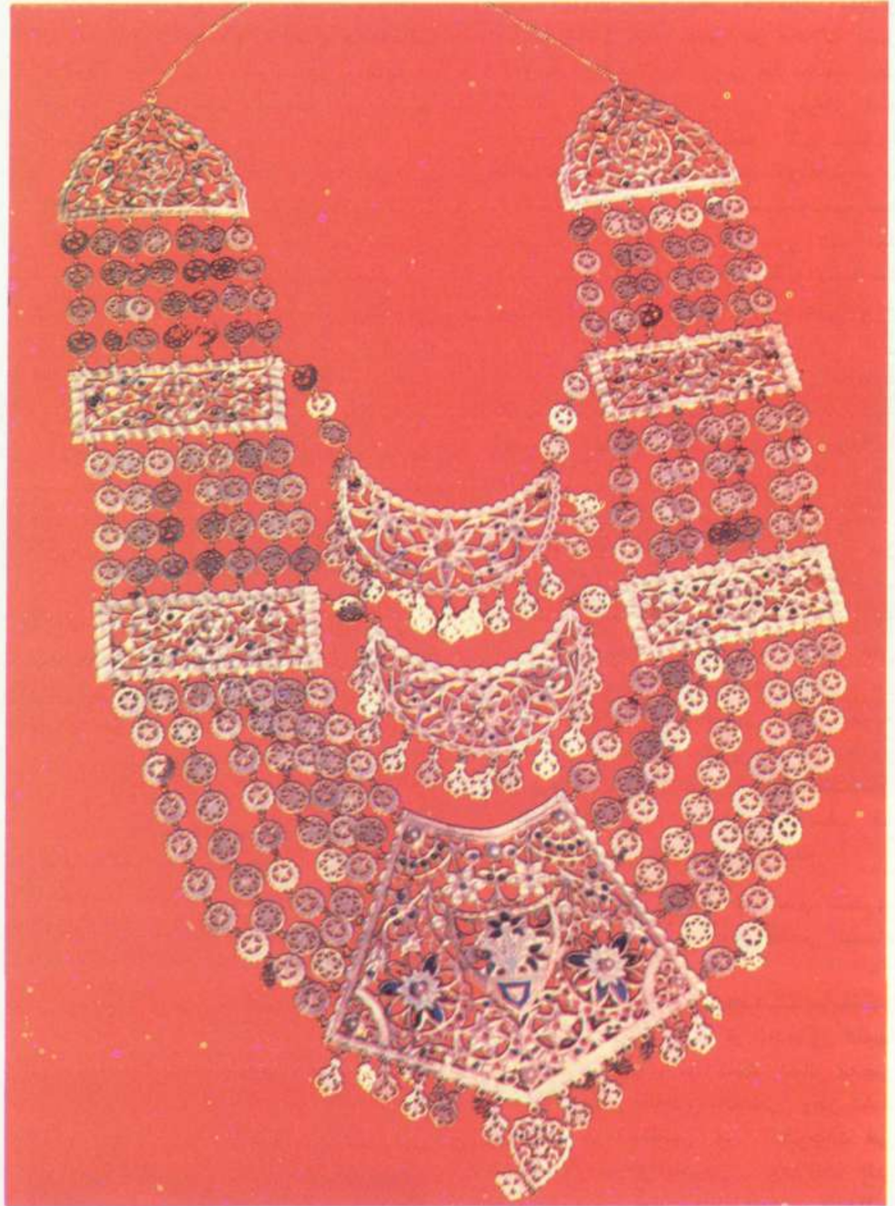
وتحرص المراة الشرقية عامة والمراة العربية خاصة على اقتناء الحلي الذهبية ، وهذه خاصية تميز المراة الشرقية في يومنا هذا ، وقد انحسرت هذه الميزة تدريجياً بمرور الزمن وصارت تميز فئة معينة من السيدات العربيات ، والمراة القطرية من السيدات العربيات اللاتي لازلن يحرصن على اقتناء الحلي الذهبية ولبسها .. ويلاحظ في السنين الأخيرة ظاهرة انحسار هذه العادة حيث طغى عليها الميل إلى اقتناء الحلى الأوروبية الحديثة المستوردة وانزواء الحلي الذهبية التقليدية القطرية ولكن وبالرغم من ذلك فلا تخلو فتاة ولا سيدة قطرية اليوم من العديد من الحلي الذهبية التقليدية فمنهن من لديها بضع منها ومنهن من لديها العديد الكبير منها وذلك حسب امكاناتها المادية .



« المريه » حبات أو خرزات ذهبية تشبه المسبحة منها الكبير الحجم والمتوسط وهى من حلى تزيين العنق



« المشومة » حلية صغيرة تشد فى نهاية الجديلة



« النكلس » قلادة ذهبية كبيرة الحجم تغطى الصدر كله وتصل الى الخصر

والمرأة القطرية متعودة على لبس الحلى منذ نعومة اظفارها ( شأنها فى ذلك شأن اخواتها العربيات في مختلف البلاد العربية وكذلك الشرقيات ) فبعد ولادتها مباشرة تثقب اذنها ويوضع فيها حلق ذهبي ثم وعندما تحبو أو تمشي في السنة الأولى من عمرها ، تلبس الخلاخيل (الحجول) ذات الأجراس التي تصدر رنينها عند المشي فتستانس الطفلة بها ، وبعد ذلك تلبس الاسورة والخواتم ، وترى حولها اخواتها وأمها واقاربها كلهن يلبسن الحلي الذهبية ولما كان عند الفتيات الصغيرات ميل طبيعي لتقليد الكبار خاصة في التزين والتحلي ،فقد حرصت على اقتناء انواع الحلي من قطع بسيطة إلى قطع كبيرة متعددة وكانت في السابق تحرص على التزين ولو بابسط انواع الحلي كالخرز المنظومة أو القواقع ثم تطورت إلى اقتناء الحلي ذات مادة أغلى كالحلي الفضية والتي انتشرت بين نساء البادية وقد تفنن الصاغة فيها ، ثم وبعد مرور الزمن تطورت وصارت تقتني الحلي الذهبية من البسيطة إلى الأنواع المتعددة منها .

اما طرق حصول المرأة القطرية على الحلي الذهبية فقد كان تجار قطر في السابق يذهبون إلى الهند لبيع ما في حوزتهم من اللؤلؤ وفي المقابل كانوا يجلبون معهم عند عودتهم بعض الكماليات والهدايا التي يفتقد وجودها هنا ومنها كانت المصوغات الذهبية التي كانت أغلى هدية وأخف حملات يمكن للتاجر أن يحملها إلى أهله .

واضافة إلى التجارة فهناك طريق الحج حيث كان الناس يذهبون إلى الحجاز (مكة والمدينة) لغرض الحج أو العمرة ويجلبون معهم عند عودتهم هدايا ثمينة اهمها هي الحلي الذهبية هذا ومازالت هدية المسافر تسمى « الصوغة » إلى يومنا هذا وهي محرفة من « الصيغة » بلغة أهل الحجاز وتعني مجموع الحلي الذهبية والفضية . و « الصوغة » عادة لا تقتصر على الحلي بل تتضمن الاقمشة والحلويات والمكسرات

# الحُليّ الذهبية القَطريّة

... الخ لكن طغت عليها لفظة « الصيغة » لأنها كانت أغلى الهدايا التي يحملها المسافر . وهذه العادة مازالت جارية إلى يومنا هذا ولا تقتصر على الأغنياء بل حتى البسطاء من الناس يجلبون معهم الهدايا أو أشياء أرخص ثمناً على قدر استطاعتهم.

وبالنسبة إلى المرأة القطرية فان مفهوم اقتناء الحلي الذهبية يعني «زينه وخزينه وذخر » لأنها تعتبره مادة ثمينة يمكن تصريفها عند الحاجة مما يكفل لها ضماناً مادياً يقيها شر العوز في المستقبل . حيث لم يكن لديها مورد مادي ثابت كما هي اليوم وانما تعيش عالة على والديها أو أخواتها إذا كانت فتاة وعلى زوجها أو أولادها إذا كانت متزوجة ونظراً لعدم اطمئنانها مادياً وخوفها من غدر الزمن فقد لجأت إلى اقتناء الحلي الذهبية لكي توفر لنفسها ادخاراً مادياً يقيها شر العوز مستقبلا .

## مصادر الحلى

هذا وان مصادر حصول المرأة القطرية على الحلى الذهبية عديدة ، أولها ما كان عن طريق الاهداء ، فالرجل القطري سواء كان تاجراً غنياً موسراً أو متوسط الحال يحرص على اهداء زوجته وبناته حلياً ذهبية في مختلف المناسبات ، أما لدواعي السفر للتجارة أو للحج أو شرائها من بعض الصاغة من البلد وإهدائها في بعض المناسبات كالأعياد والأفراح ، وتتراوح كميات الصيغة التي يهديها الوالد في كمياتها ونوعياتها حسب امكاناته من قلائد وعقود إلى خواتم واسورة رقيقة .

وثانياً فان المرأة بطبيعتها تميل إلى التقليد وخاصة في أمور الزينة والتحلي ان شاهدت قطعة حلي عند احدى قريباتها أو صاحباتها تحرص على اقتناء مثلها فتطلب من الصائغ أن يصوغ لها مثلها وإذا كانت موجودة تشتريها مباشرة أما لنفسها أو لبناتها وهذه ايضاً تختلف في كميتها حسب امكاناتها ..

وثالثاً هناك طريقة أخرى للحصول على الحلي ألا وهي الاعراس فان المرأة وبمناسبة الزواج تطلب أم العروس من العريس « أن يكون مهر ابنتها مقدار كذا وكذا من الريالات ، ومقدار كذا وكذا من الذهب » ، وذلك « مثلها مثل بنت عمها » ، فيرسلها العريس مع « الدزه » الحلي الذهبية الخاصة بالعروس كالقـــلائد والخواتم والاحزمة حسب امكانياته المادية أو حسب شروط أهل العروس . ولا يقتصر الأمر على العروس فقط وانما تحصل اخواتها بعضاً من هذه الحلي « كهدايا بسيطة » من العريس إلى أهل العروس كما تأتيها في هذه المناسبة هدايا صيغة بمناسبة عرسها من اقاربها واصدقائها ... وتتباهى المرأة القطرية عادة بالحلي التي تأتيها في مناسبة العرس وهي مناسبة هامة ومصدر كبير لاقتناء الحلى بالنسبة لها .

وشراء الحلي الذهبية من الصاغة عادة وعرفاً جارياً ليس في قطر وانما في كافة المجتمعات العربية والاسلامية ولو أنها في السنوات الاخيرة قد انحسرت واقتصرت على دول الخليج لكن ما تزال أسواق الذهب تكون قسماً كبيراً من محلات المدن العربية والاسلامية وهي ما يجلب نظر السائح ويميز هذه المدن ، وتزخر هذه الاسواق بدكاكين الصاغة التي تمتلىء بمختلف انواع الحلي الذهبية والمجوهرات القديمة والحديثة كل حسب اختصاصه وهي عادة معروفة منذ العصور الاسلامية ظلت سارية في المدن العربية والاسلامية إلى يومنا هذا ولكثرة ما تجلبه من سواح وزائرين اجانب عمدت بعض الدول التي تعتمد على السواح في مواردها الاقتصادية كمدن شمال افريقيا وتركيا إلى تشجيع هذه الاسواق بفتح محلات ودكاكين للصاغة بالاشكال التقليدية المتوارثة عن الطرز القديمة باعتبارها تراثاً قومياً أصيلا .

هذا وان استمرار المرأة القطرية في الحرص على اقتناء الحلي الذهبية قد حفظت لنا هذه الحلي العربية الاسلامية إلى اليوم بنفس الطرق والتقاليد في صناعتها ولبسها . فصارت صورة حية من الماضي تعيش بيننا يمكن من خلالها معرفة الحلي العربية الاسلامية من العصور الأولى وذلك لندرة النماذج التي وصلتنا من مختلف العصور الاسلامية لأسباب قد تعرضنا لشرحها في فصول سابقة .

وليس الصائغ وحده هو الذي تشتري منه المرأة حليها ولكن هناك بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي .

هذا وان تداول الحلي الذهبية لم يقتصر على شرائها من الصائغ أو الحصول عليها بواسطة الشراء ، بل كانت هناك بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي ، وهن عادة من الارامل معظمهن من الخوجات في الشارقة ودبي والبحرين ، ومازالت إلى يومنا هذا في قطر بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي الذهبية وسبب ذلك هو أن المرأة القطرية كانت ولا تزال لا تنزل إلى الاسواق ولا تسافر ، لذلك فقد تخصصت بعض النساء في شراء الحاجيات من أسواق الخليج وادخالها إلى بعض البيوت الكبيرة لبيعها ، وهي عادة اما أن يكن من العاملات في البيت نفسه أو بائعات معروفات يدخلن إلى البيت ويعرضن ما لديهن من حلي ومصوغات وحاجيات أخرى لبيعها ... وفيما عدا ذلك فان بعض المسنات يذهبن إلى السوق بحرية ويشترين ما يلزمهن من حلي ومصوغات وحاجيات ايضاً ، وعادة المتاجرة بين النساء عادة قديمة كانت معروفة وسارية منذ العصور الاسلامية (الاموية والعباسية ، والتركية ... الخ) وكانت تقوم بها الجواري والمخادمات في تلك المجتمعات المحافظة جداً وقد انحسرت هذه العادة بمرور الزمن

صائغ وبائع حلى قطرى





صائغ قطري تقليدي يقوم بتنفيذ عمليات الصياغة اليدوية

وانقرضت في معظم المدن العربية الاسلامية وظلت إلى عهد قريب في بعض مدن الخليج العربي ، وقطرخاصة .

## العادات والتقاليد

وللمرأة القطرية عادات وتقاليد فى لبس واقتناء الحلى ، توارثتها وتحافظ عليها من امها واخواتها واقاربها وصاحباتها فهى مثلا تحرص على اقتناء الحلى المختلفة الأنواع والشائعة المعروفة فى محيطها ولديها من الحلى أنواع منها : « الحلى اليومية البسيطة » ، التى تلبسها كل يوم ولا تخلعها وتنام فيها وتتكون من قلادة بسيطة ( سلسلة بها قرآن أو حجر أو دلاية ) ، مع خاتم واقراط صغيرة ملتصقة بالأذن وبعض الأساور البسيطة الرفيعة ( المضاعد ) .

ومنها ما هو مخصص للمناسبات البسيطة كزيارة الأقارب أو الأصدقاء فتضيف الى ما تلبسه يومياً قلادة أكبر ( مريه ) وسواراً ثقيلا كالبناجرى أو حب الهيل .

أما فى المناسبات الكبيرة كالاعراس والأعياد فانها تزين بالحلى الثقيلة كالقلادة الفخمة المعروفة ( بالنكلس ) ، أو المرتعشة والأقراط الطويلة ( اشغاب ) ، وتغطى رأسها بقبقب أو طاسة تتدلى منها سلاسل واهداب تسمى ( دينار لوح السعد ) ، وتلبس حزاماً ذهبياً وخلخالا فى قدميها ( بالرغم من أن الخلخال ما عاد يلبس كالسابق كثيراً ) ، اضافة الى الخواتم والمحابس .

اما لبس العروس نفسها فانها تلبس من الحلى مما لا تستطيع المشي من ثقلها : فهى تلبس على رأسها « الهامة » التى تشبه التاج ، أو تلبس دينار لوح السعد . وتلبس فى رقبتها « المرتعشة » وهى القلاد المخنقة وتلبس معها «النكلس» وهى القلادة الفخمة الطويلة ، كما تلبس فى يديها « الكف » وهى حلية مكونة من قفاز من الذهب بشكل خمسة خواتم فى كل اصبع خاتم يتصل بسوار عريض بواسطة خمسة سلاسل تغطى ظاهر الكف وكله مرصع بالأحجار الكريمة . وتلبس حزاماً من الذهب ، وتلبس قناعاً على وجهها ( البطولة ) غير عادية تسمى ( البرقع الرياسى ) محلى بأقراص من الذهب ، اضافة الى الأقراط الطويلة ( الشغاب ) والأسورة ( حب الهيل ، الشميلات ... الخ ) .

اما اخواتها ورفيقاتها فيلبسن مالديهن من حلى مثل لوح السعد والهلالى والمرتعشة وبعض الأسورة ، وبعضهن يلبسن الحزام الذهبى ، وكذلك السيدات يلبسن مالديهن من حلى ولو انها أقل من حلى العروس .. أما بنات بعض العوائل الغير موسرات فانهن يلجأن الى استعارة الحلى من اقاربهن أو صديقاتهن أو من بعض العوائل المعروفة التى تملك مجموعات من الحلى الذهبية لكى يظهرن بالمظهر اللائق فى العرس ، وعادة الاستعارة شائعة وجاريه ولا عيب فيها .

وللمرأة القطرية أيضا أنواع من الحلى منها ما هو خاص للأطفال منذ الطفولة ومنها ما هو خاص للبنات كالهلالى والقراميل التى يظفر بها الشعر ويشبك بها الرأس ومنها ما هو خاص بالفتيات كدينار لوح السعد ، ومنها ما هو خاص بالسيدات المتوسطات بالعمر والمسنات كالقبع والطاسه والحزام .. الخ ، وهى بصورة عامة وفى مختلف مراحل حياتها تهتم بالحلى وتقدرها وتتباهى بها وقد اصبحت جزءاً من التراث القطرى ، وهناك أغان وامثال تذكر فى الحلى مثلما يقلن بوصف جمال ودلال البنات :

شيخه تفوح الدله
والعطر بالفنيال
فى رقبتها مرتعشة
وينغاها الدلال
دلالها خمسة خمسة
وحيولها أربعين

ومنها ما يقال فى وصف دلال البنت :

قومى ياحصة والبسي الريشه
يا شيخه البنات يا الغريسه
طير السعد غنى على الليوان

وهنالك أغنية فى الأفراح :

حمد يا ذا الطويل يهتز من طوله
سبعه محابس ذهب بالكف منطوله

وفى العيد يقولون :

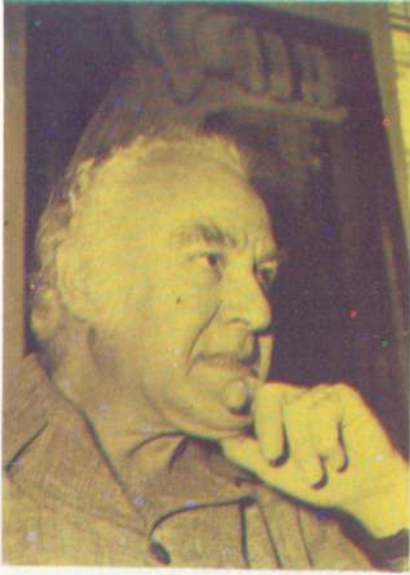
لا أتسير علينا يا العليمي على ويش
راعي الجوزتين والعبل والعكاريش

وفى غلاء المهور يقال :

بنت خالك جوانيها باتنعش
ومينا وكرداله وقلادة ومرتعش

هذا ما استطعت الحصول عليه من الأغانى التراثية التى تتغنى بالحلى ، وقد اعتمدت فى هذا القسم من الدراسة فى الغالب على المقابلة الشخصية لسيدات قطريات من مختلف الأعمار ومختلف العوائل ودونت معظم الملاحظات شفاهة .

نجلاء العزى



الفنان صلاح طاهر .. اعلن اكثر من مرة أن الفن الاسلامي هو الأساس القديم لكل الفنون التجريدية

# صلاح طاهر

## بدأ بالملاكمة وانتهى بالتمرّد على الفن الكلاسيكي

بقلم: صبحي الشاروني

واحد من بضعة فنانين يفتخر بهم الوطن العربى .. عالمه التشكيلى شديد الثراء والغنى ، سواء من زاوية غزارة الانتاج او تنوعه .. يقف اليوم على قمة الفنانين «التجريديين» و غير التشخيصيين العرب .. فقد حقق لاسمه شهرة تقارب شهرة نجوم السينما وأبطال كرة القدم .. عمره الفنى الذى يبلغ أكثر من ٥٠ عاماً ، قد قضاه فى تنمية مواهبه وتوسيع ثقافته ونشر فكره وفنه .

### من الملاكمة الى الفن

كان ملاكماً ، وخاض عدة مباريات فى شبابه وفاز فيها ببطولات متتالية ، فقد كان يتمتع بقوة جسدية واضحة .. ورغم هذا فقد اتجه الى الفن بكل كيانه ، والتحق «بمدرسة الفنون الجميلة العليا» ، واندفع نحو الموسيقى مفضلا اياها على كل الفنون وتفوق فى دراسته لفن التصوير الزيتى ، كما انغمس فى القراءة من اجل تثقيف نفسه ، مهتماً بالفلسفة وعلم النفس والادب .. وقد كان فيلسوفه المفضل هو «نيتشه» الذى يؤمن بالقوة ، فوجدت فلسفته قبولا عند الرياضى الملاكم الذى لم يهزم .

اهتم بدراسة الأديان ، واتجه الى القراءة والاطلاع متجولا بين مختلف فروع الثقافة ، وكان على علاقة وثيقة بالمفكر المصرى «عباس محمود العقاد» منذ بداية الثلاثينات ، وقد دفعته هذه العلاقة ـ التى بدأت فى سن مبكرة ـ الى تنمية ثقافته فى اتجاه الأفكار التى كان يدعو اليها «العقاد» لأن مناقشاتهما ذات أثر عميق فى نفسه .

وفى ممارسته لفن التصوير الزيتى تفوق على أقرانه فى نقل الطبيعة وتصوير الوجوه الانسانية .. وبعد أكثر من عشرين عاماً من النجاح المتصل فى هذا الاتجاه أعلن تمرده على الأسلوب الأكاديمى ، وانتقل بغير مقدمات الى التجريدية ...

هذا هو الفنان صلاح طاهر ..

ولعله أيضاً أول فنان يملك الجرأة على اعلان ممارسته لأسلوبين متباينين فى فن التصوير الزيتى خلال مرحلة واحدة . فلوحاته غير التشخيصية تحقق اضافة جديدة لأعمال الرسامين «الموسيقيين» ، وهو فى نفس الوقت يرسم وجوه أصدقائه ونجوم عصره بطريقة مدرسية كالتى كان يتبعها فى شبابه المبكر ، وهو عندما يفعل ذلك لا يعبأ باعتراضات نقاد الفن ولا يخفى



غرفة الانتظار .. لوحة زيتية رسمها الفنان صلاح طاهر عام ١٩٧٨

هذا الجانب من انتاجه .. لأنه يملك من الشجاعة ذلك القدر الكافى لكى ينتزع بنفسه حقه فى ممارسة الرسم بالطريقة التى يحبها .

ومما يستلفت النظر فى نشاط الفنان صلاح طاهر هو حرصه على تقديم انتاجه المتصل فى معارض سنوية منتظمة ، حتى يتيح للأجيال الجديدة من الفنانين والمتذوقين ان يتعرفوا على تطوره الفنى عاما بعد عام ، وهو بذلك جعل لأسلوبه تأثيره الواضح على شباب الفنانين من طلاب كلية الفنون الجميلة الذين يستقبلهم خلال فترة اقامة معارضه ويدير معهم حوارا يستمر ساعات .. وهكذا يصل تأثير أسلوبه فى الرسم وطريقته فى التفكير الى الأجيال الجديدة .

## حياة الفنان

ولد الفنان صلاح طاهر بالقاهرة فى ١٢ مايو سنة ١٩١٢ ، وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٢٩ ..

فى ذلك الوقت كان الفنانون الأوربيون هم الذين يوجهون الحركة الفنية فى مصر ، وكانت مدرسة الفنون الجميلة قبل عام واحد من التحاقه بها ، مدرسة أهلية ينفق عليها الأمير يوسف كمال - أحد امراء الأسرة المالكة ولكن هذه المدرسة أصبحت فى عام ١٩٢٨ تابعة للدولة ، وكان الفنانون الرواد الأوائل الذين تخرجوا فيها عقب تأسيسها قد سافروا فى بعثات لأول مرة على نفقة الدولة للدراسة فى أوربا عام ١٩٢٥ ، وكانت مدرسة الفنون الجميلة لاتزال تنتظر عودتهم .

ومن هنا كان صلاح طاهر من أبناء الجيل الثانى الذى حمل مشعل الابداع بعد جيل الرواد مباشرة .. انه من الجيل المخضرم الذى بدأ دراسته على أيدى الأساتذة الأوربيين ثم استكملها على أيدى الأساتذة المصريين عقب عودتهم من بعثاتهم الفنية بالخارج .

فى البداية درس على أيدى المصورين



«واو» لوحة تعبر عن المرحلة التى تحول فيها الفنان الى التجريدية

«اينوشنتى» و «بريفال» ، ثم على يدى الفنان الرائد «أحمد صبرى» ، الذى كان من ألمع أقطاب الجيل الأول ، فقد عرف باجادته للأسلوب الأكاديمى الرصين ، وتفوقه فى تصوير الوجوه الشخصية بالأسلوب «الكلاسيكى الجديد» .. وعلى أيدى هؤلاء الأساتذة استوعب صلاح طاهر القيم الجمالية الكلاسيكية الغربية ، وعرف كتلميذ متفوق ومخلص لتعاليم أستاذه «أحمد صبرى» ، وقد مارس التصوير الزيتى بمهارة واضحة فى هذا الاتجاه ، متفوقا على أقرانه بسبب تفانيه فى حب الفن وموهبته وثقافته .

تخرج فناننا فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤ ، واتجه الى تصوير الريف المصرى والمناظر الطبيعية بالاضافة الى أعماله فى فن «البورتريه» ، وأخذ يطبق فى أعماله اكتشافات المذهب التأثيري الذى يحتفل بالأضواء ويهتم بتكامل الألوان المتقابلة ، خاصة فى مشاهد الطبيعة الريفية .

وعقب تخرجه عمل مدرسا للرسم بمدرسة «المنيا الابتدائية» لمدة عامين ، حيث أقام معرضه الأول فى مدينة «المنيا» سنة ١٩٣٥ ، ثم انتقل الى الاسكندرية ليعمل بمدرسة «العباسية الثانوية» ، وهناك أقام معرضه الثانى عام ١٩٣٩ .. وفى عام ١٩٤١ انتقل الى القاهرة مدرسا للرسم بمدرسة «فاروق الأول الثانوية» .. ولكنه لم يستمر فى هذه المدرسة سوى عام واحد ، لأنه فى عام ١٩٤٢ عين مدرسا



أمومة .. من ضمن مجموعة اللوحات الخاصة للفنان

# صلاح طاهر

للتصوير الزيتى فى «كلية الفنون الجميلة بالقاهرة» - وهذا هو الاسم الأخير للأكاديمية التى تخرج فيها صلاح طاهر - وهكذا اتيح له أن يشارك فى الحركة الفنية مشاركة ايجابية فى بؤرة أهم تجمع للفن التشكيلى بمصر فى ذلك التاريخ .

وابتداء من سنة ١٩٤٣ تولى مهمة الأستاذ المشرف على «مرسم كلية الفنون الجميلة» ، وهو يعتبر أول شكل من اشكال «الدراسات العليا» أو «التفرغ للانتاج الفنى» فى مصر .. وكان يحظى بعضوية المرسم المتفوقون من خريجى أقسام الفنون بالكلية لمدة عامين أو ثلاثة يقضونها فى تفرغ تام للعمل الفنى ، شتاء بالأقصر بين تراث «طيبه» الفرعونية والحياة الريفية بالصعيد ، وصيفاً بحى الغورية فى القاهرة القديمة حيث التراث المعمارى الاسلامى والحياة الشعبية فى المدينة .

لقد قضى صلاح طاهر عشر سنوات متتالية فى هذا العمل الذى وفر له فرصة نادرة للانتاج والاطلاع .. فخلال تلك السنوات العشر عرف كمصور غزير الانتاج إذ كان العمل الفنى هو شغله الشاغل .. يستيقظ فى الخامسة صباحاً كل يوم ، ويخرج الى الهواء الطلق ليمارس رياضته الصباحية ويرسم لوحاته للمناظر الطبيعية والآثار قبل أن تشتد حرارة الجو .. وفى الأماسى كان يتجول مع أعضاء المرسم بين الآثار .. ومع هبوط الظلام كانت تبدأ أحاديث النقد والمحاضرات وغيرها ، ثم يقوم بالرسم عن النماذج الحية والوجوه الشخصية حتى يحين موعد النوم .

وكان معرضه الثالث بالنادى الثقافى بالقاهرة عام ١٩٥٣ بمثابة «كشف حساب» عن منجزات تلك الفترة المشحونة بالمشاهدة والانتاج ، وقد استطاع بهذا المعرض أن يثبت أقدامه فى الحركة الفنية ويبدأ مسيرته بين اقطاب فن التصوير الزيتى فى مصر بعد أن أكمل نضجه الفنى .

## الانطلاقة الفنية

وفى عام ١٩٥٤ ترك العمل بكلية الفنون الجميلة ليتولى منصب مدير متحف الفن الحديث بالقاهرة ، فحوله الى خلية من النشاط الفكرى والثقافى .. ثم ارتقى الى منصب مدير المتاحف الفنية عام ١٩٥٨ .. ولم يستمر فى هذا المنصب سوى عام واحد أصبح بعده مديراً لمكتب وزير الثقافة والارشاد القومى للشئون الفنية .. وفى عام ١٩٦١ أصبح مديراً لادارة الفنون الجميلة بوزارة الثقافة ، وبعد ذلك تولى ادارة دار الأوبرا من عام ١٩٦٢ حتى تركها عام ١٩٦٦ ليعمل كمستشار فنى لمؤسسة الأهرام حتى اليوم .. وهو منصب يتيح له الاستغراق فى الانتاج الفنى ، ولا يشغل من وقته إلا القليل .

وقد قام الفنان بالتدريس كأستاذ غير متفرغ بمعهد السينما من عام ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ ، فحول محاضرات «تاريخ الفن» الى مادة ثقافية شاملة تضم «فلسفة الفن» و «سيكولوجية الابداع» و «التذوق الفنى» بالاضافة الى التاريخ .. كما قام بتدريس نفس المادة المطلوبة لطلبة كلية الاعلام وأقسام الدراسات العليا بكلية الآثار بالقاهرة لمدة أربع سنوات متتالية من عام ١٩٧٢ ...

لقد عرف صلاح طاهر على المستوى الجماهيرى من خلال محاضراته العامة عن الفن والتذوق الجمالى ، وفى برامج التليفزيون التى شارك فيها .. كما عرف فى الوسط الفنى بنشاطه المتصل ومعارضه المتوالية ومشاركته الدائمة فى المعارض المحلية والدولية .. شارك فى بينالى فينيسيا الدولى ثلاث مرات متفرقة .. كما حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى التصوير الزيتى عام ١٩٥٩ ، وحصل على جائزة جوجنهايم كافضل المشتركين المصريين فى هذه المسابقة عام ١٩٦٠ ، ونال جائزة التصوير على الجناح المصرى فى بينالى الاسكندرية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٦١ .

وقد سافر الفنان الى معظم دول أوربا فى زيارات متتالية ، بعضها لمشاهدة المتاحف والاطلاع على النشاط الفنى ، وبعضها الآخر فى مهام رسمية . وعلى سبيل المثال فقد سافر الى ايطاليا عام ١٩٥٢ فى رحلة قصيرة ، ثم زارها بعد ذلك أربع مرات .

وفى عام ١٩٥٦ أقام معرضاً شاملاً لأعماله فى قاعة المعارض الكبرى لجمعية محبى الفنون الجميلة ، ثم سافر مع معروضاته الى الولايات المتحدة حيث قضى هناك ثلاثة أشهر عرض خلالها لوحاته فى واشنطن ونيويورك وسان فرانسيسكو ، وقد كان لهذه الزيارة أثرها الكبير فى تطوره الفنى .. وقد زار سويسرا وقضى فى الاتحاد السوفيتى شهراً عام ١٩٦٠ .

وفى عام ١٩٦٤ أقام معرضاً شاملاً آخر فى قاعة الفنون الجميلة بمبنى الغرفة التجارية بالقاهرة . ومن ذلك التاريخ يحرص الفنان على اقامة معرض سنوى لأعماله .

وفى عام ١٩٦٥ أقام معرضه السنوى فى قاعة اخناتون بالقاهرة ، وقد سافرت معروضاته لتقدم للجمهور فى مطار كيندى استمر هذا المعرض ثلاثة اشهر شاهده خلالها - طبقاً للاحصائيات - ٤٢٠ الف راكب ، وقد طبع كتالوج هذا المعرض ٥٠ الف نسخة وزعت كلها على المشاهدين .

وفى نفس العام استضافته هيئة اليونسكو فى منحة لتبادل الرؤية ووجهات النظر ، دعى اليها قادة الحركة الفنية والنقدية فى العالم ، وكانت مدة المنحة ستة أشهر زار خلالها انجلترا وفرنسا وايطاليا ، وأقام معرضاً لأعماله فى كل عاصمة من عواصم هذه البلاد .

وخلال هذه الرحلة التقى الفنان بقادة الفن ومفكريه فى الدول الغربية أمثال «سولاج» و «شنايدر» و «زاودكى» و «ميشيل راجون» و «هارتونج» و «لاسين» و «بلان راديرا» والأخير كان رئيس الاتحاد الدولى للفنانين التشكيليين فى ذلك الوقت .. وكذلك زار المثال «هنرى مور» فى محترفه ، والتقى مع «جون راسل» الناقد الفنى لمجلة التايمز .

وقد أقام الفنان فى السنوات الأخيرة معرضين فى بيروت وآخر فى مدينة الدوحة عاصمة دولة قطر .

لقد بلغ عدد المعارض التى أقامها صلاح طاهر فى الدول الغربية ثمانية معارض ، معظمها اقيمت بغير اعداد سابق

أما فى مصر فقد عرض أعماله عام ١٩٦٦ فى أسيوط ، وفى العام التالى أقام معرضاً متجولاً فى طنطا وبورسعيد والاسكندرية ودمنهور ، وفى سنة ١٩٦٨ أقام معرضه فى بيته بالجيزة ، وكان أول فنان يتبع هذا التقليد فى مصر .

وفى سنة ١٩٦٩ أقام معرضاً شاملاً بمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، بينما عرض أعماله عام ١٩٧١ فى قاعة المعارض بالجامعة الأمريكية بالقاهرة . ومنذ عام ١٩٧٢ يقيم الفنان معرضه السنوى فى المركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى بالزمالك ، وفى حى الزمالك تقع كلية الفنون الجميلة ، وكلية التربية الفنية التى تؤهل طلابها للعمل فى تدريس التربية الفنية بالمدارس .

أما المعارض العامة المحليةفهو يشارك فيها بانتظام منذ عام ١٩٣٢ ، كما اشترك فى عدد من المعارض العامة بالخارج : فى الصين والاتحاد السوفيتى وامريكا وايطاليا والمجر وتشيكوسلوفاكيا .

وقد أنجز لمبنى مؤسسة الأهرام مجموعة كبيرة من اللوحات يبلغ عددها

٦٥ قطعة تصل مساحة بعضها الى ٣ر٥ متراً فى ٦ر١ متراً ...

وقد قام بوضع الرسوم التوضيحية لكتابى «النبى» و «حديقة النبى» تأليف جبران خليل جبران وترجمة الدكتور ثروت عكاشة ، وكذلك رسوم كتاب الدكتور عكاشة «أعصار من الشرق» . وكتاب «جبهة الغيب» للدكتور «بشر فارس» ... وغيرها .

وتستخدم صور لوحاته فى كثير من المناسبات بطبعها على أغلفة الكتب وعلى التقاويم السنوية (النتائج) وعلى البطاقات البريدية وبطاقات التهانى بالمناسبات والمطبوعات الأخرى .

ومن نشاط صلاح طاهر يذكر له أنه قام بترجمة كتاب «فى ظلال الفن» بالاشتراك مع «أحمد يوسف» كما قام بمراجعة ترجمة كتاب «حول الفن الحديث» الذى قام بترجمته كمال الملاخ .

انه يهتم بنشر الثقافة الفنية بكل الوسائل الاعلامية المتاحة ، وينادى دائما بوحدة كل الفنون ، وحرية الفنان فى التعبير ، وضرورة التجديد المستمر فى الفن .

وقد كرمته مصر عن مجموع هذا النشاط الفنى والثقافى عندما أهدته جائزة الدولة التقديرية فى الفنون لعام ١٩٧٤ مع وسام العلوم والفنون .

## انتاجه الفنى

● المرحلة الأكاديمية : (١٩٣٤ ـ ١٩٥٦)



المرأة فى الريف .. من وحى أعمال الفنان صلاح طاهر أثناء جولاته فى الريف المصرى

فى المرحلة الأولى من فن صلاح طاهر رسم الفنان أكثر من ٥٠٠ لوحة للمناظر الطبيعية بالاضافة الى ما يقرب من ٤٠٠ لوحة للوجوه الشخصية (البورتريهات) ، من بينها صور لأقطاب هذا الجيل ورواد الفكر أمثال الدكتور زكى مبارك ، أحمد شوقى ، الدكتور طه حسين ، توفيق الحكيم خليل مطران ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، رفاعة رافع الطهطاوى ... وغيرهم . وكان الفنان فى رسمه لهذه الشخصيات يحاول أن يتجاوز الشكل الفوتوغرافى والمظهر الخارجى محاولا التعبير عن الأعماق النفسية والدلالات التى تعبر عنها السيرة الشخصية لصاحب الوجه ولايزال الفنان حتى اليوم يرسم الوجوه الشخصية بنفس هذا الأسلوب القديم ..

ان اهتمام الفنان برسم البورتريهات ينبع من شغفه بفرعين من فروع المعرفة ، الأول هو ولعه بالسير الشخصية ، والثانى هو تعمقه فى علم النفس .. وفى رسمه لوجوه الأشخاص يحقق الفنان درجة من الاشباع لهذين الاهتمامين اللذين يلازمانه

ونستطيع أن نطلق على أسلوبه فى السنوات العشرين الأولى من عمره الفنى (الذى بدأ من تاريخ تخرجه فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤) اسم «الأسلوب الوصفى» ، وهو الأسلوب الذى استخدمه فى رسم الوجوه الشخصية والمناظر الريفية ، وقد تطور خلال تلك السنوات بتطعيمه بمكتشفات «الأسلوب التأثرى» كما تميزت لوحات تلك المرحلة بمميزات تعبيرية خاصة .

وبالاضافة الى المهارة والاتقان فى تلك الأعمال ، فاننا نلاحظ ميله الدائم الى ابراز الجمال والحلاوة فى الأشكال والمناظر بل وتجميلها ، فجميع فلاحاته جميلات فاتنات موفورات الصحة وليس بينهن واحدة قبيحة .. والشمس دائماً مشرقة ساطعة تجعل للنخيل والمروج ظلالا وانعكاسات جميلة أخاذة ، فقد لازمه من البداية اتجاه الى تحقيق نوع من التوهج اللونى ولايزال يشيع فى لوحاته حتى الآن .. وكان يركز على الجوانب الجميلة فى الحياة ، مصوراً الريف والناس بصورة متفائلة مبهجة .

ولم يكن صلاح طاهر ينفرد بهذا الاتجاه بين أبناء جيله ، وإنما كان تصوير المناظر والأشخاص مع ابراز الحلاوة الشكلية هو هدف معظم المصورين فى مصر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ...

كانت تلك السنوات العشرين بمثابة فترة التكوين الضرورية للفنان .. فهو لم يبدأ «باللاتشخيصية» ولا «بالتجريدية» ، وانما ظل يمارس الرسم بالأسلوب الوصفى سنوات وسنوات ، وفى نفس الوقت لم تنقطع صلته الفكرية بالتيارات الفنية المعاصرة ، من خلال ثقافته النظرية .

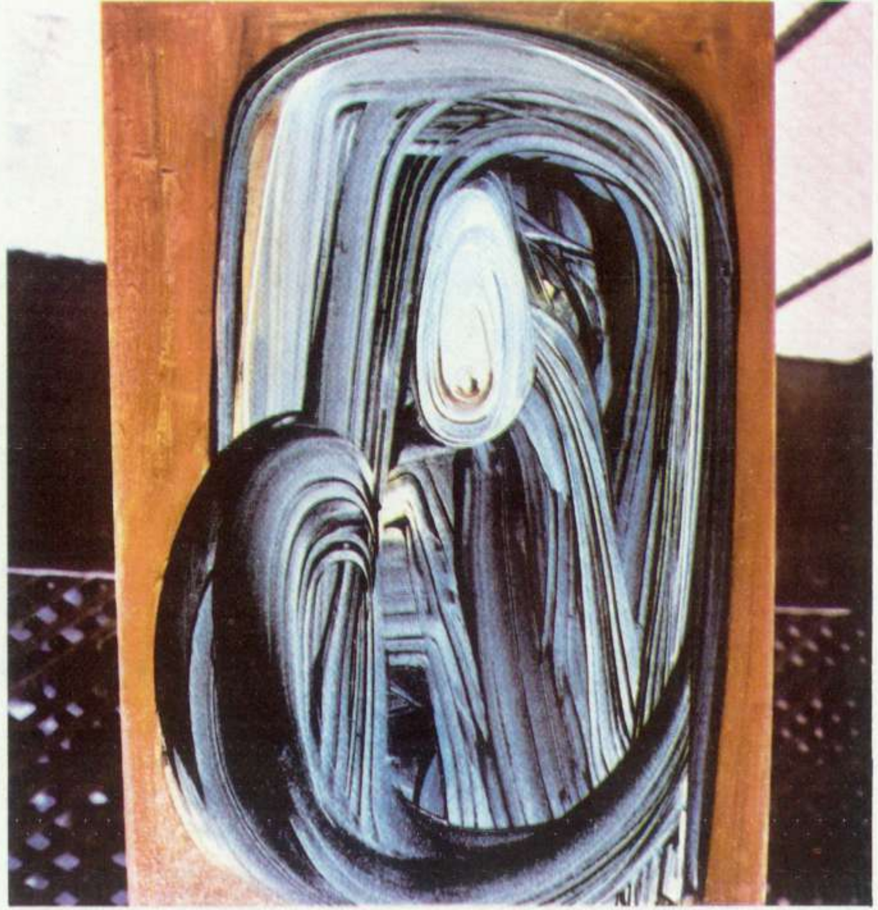
وقد أعلن صلاح طاهر فى أكثر من مناسبة أنه لم يكن يحس بالرضى عن نفسه خلال تلك المرحلة .. قال : «كنت كلما اقمت معرضاً فى تلك المرحلة السابقة «الكلاسيكية» ، وشاهدت الناس مسرورين مهنئين .. أحسست بالمرارة .. ذلك لأنه كان يتملكنى الاعتقاد باننى لم أحقق شيئاً يذكر .. لأننى لم أصل الى أسلوب خاص متميز .. وكنت أبحث عن أسلوبى وشخصيتى الفنية المحددة حريصاً على ألا افتعل هذا الأسلوب الخاص ...» .

وقد جرب الفنان عدة أساليب حديثة خلال تلك المرحلة ، ولكن فى لوحات متفرقة لا تمثل مرحلة من مراحل فنه .. مارس التأثرية فى رسومه للمناظر الطبيعية .. كما جرب التكعيبية من زاوية البحث والدراسة .. وهكذا . ولكنه لم يتوصل من خلالها الى التعبير الفنى المستقل المتميز الذى كان ينشده . ولكن هذه التجارب أفادته أعظم فائدة ، فهو يعترف أنه تعلم البناء .. وهندسة اللوحة .. وتماسك الشكل .. والتكوين المحكم فى العمل الفنى خلال تلك المرحلة . وهكذا استفاد الفنان من كل المدارس التى مارسها أو درسها سواء عملياً أو نظرياً .

## التغيير الحاسم

● الطفرة : (١٩٥٦ ـ ١٩٦٠)

ظهر التناقض فى حياة الفنان مع بداية الخمسينات وظهور تحولات اجتماعية عميقة فى المجتمع المصرى



ترابط .. من الأعمال الزيتية للفنان عام ١٩٧٨

# صلاح طاهر

وهكذا تكاثفت العوامل الذاتية مع العوامل الاجتماعية مع العوامل الاقتصادية ، لتدفع صلاح طاهر الى اجراء تغيير حاسم فى أسلوبه الفنى ، فتحول الى التجريدية وهو فى الرابعة والأربعين من عمره . وكان التحول مفاجئاً بالنسبة لمتابعيه ، خاصة وانه اتخذ شكلا مسرحياً عندما وقف بين عدد من الفنانين وقال بأسلوب التحدى .. : ((ما حكاية هؤلاء التجريديين ؟ أيحسبون أنهم يفعلون شيئاً خارقة ؟ اننى أستطيع أن أتفوق عليهم)) .

ويومها أقسم أن يرسم لوحاته بالأسلوب التجريدى ...

وقد كانت رحلة الفنان الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٦ ، والتى استغرقت ثلاثة أشهر ، هى نقطة التحول أو «الطفرة» فى فن صلاح طاهر . فقد شاهد طغيان الاتجاه اللاتشخيصى الى درجة الشطط والغرابة والتطرف . وكان أثر هذه الرحلة على الفنان هو رد فعل عنيف ضد التجريدية لمجرد التجريد ... وقد عاد الى مصر ليهاجم هذا الشطط بعنف فى جلساته ومناقشاته .. ثم يقسم أن يفعل مثلهم .. وانتقل الى التجريدية .

وهكذا لم يكن التحول فى فن صلاح طاهر تدريجياً وإنما فجائياً .. لكنه لم يكن مجرد موقف عنيد فرضته اللحظة التى تحدى فيها شطط التجريدية

ولكن هناك عدة عوامل يمكن اعتبارها السبب الفعال فى هذه الطفرة ، أو بمعنى أدق : كانت سبب استمراره فى هذا الطريق ثم اجادته له حتى أصبح أشهر التجريديين فى العالم العربى .

على رأس هذه العوامل تغير الجمهور الذى يقبل على مشاهدة أعمال الفنان .. هذا بالاضافة الى الصدمة التى تلقاها خلال زيارته للولايات المتحدة حيث لم يقتنع بما ينتجه الفنانون هناك ولم يستطع أى فنان تجريدى أمريكى أن يقترب بانتاجه من الصورة الذهنية التى كونها صلاح طاهر فى خياله عن الأعمال الفنية فى أغنى بلاد العالم . وهناك عامل ثالث هو رغبة الفنان الملحة فى تحقيق شخصيته المستقلة وكان من العسير أن يتحقق هذا التفرد والتميز دون اضافة شىء جديد الى اخر ما وصل اليه فن التصوير المعاصر .. ولما كانت التجريدية هى اخر مرحلة معروفة فى هذا الميدان ، كان لابد له أن يمارسها لتكون اضافته ذات دلالة حقيقية لم يسبقه اليها أحد ...

وهكذا سار تفكير الفنان ، وهو يؤكد هذا المعنى فى قوله : ((كان عام ١٩٦٠ هو عام الرسوخ والعثور على نفسى تماماً)) .. وهذا يعنى أنه ظل يبحث عن التفرد والتميز أربع سنوات كاملة بعد ممارسة التجريدية قدم خلالها مجموعة من التكوينات اللونية تحت اسم «تكوينات تجريدية تعبيرية» .. تميزت بمحاولة الابتعاد تماماً عن أى دلالة تشخيصية ..

وقد جذبته الى التجريدية تلك الحرية الكاملة التى يتيحها هذا المذهب للفنان عندما يخلق ويبتكر على هواه .. وتلك المتعة التى يحسها وهو يعبر عن ذاته ورؤاه دون الالتزام بالشكل الواقعى .. وهكذا وجد الفنان نفسه وقد اكتشف عالماً من المتعة الخالصة التى تولد الاحساس بالرضى وتحقيق الذات .. واغراؤها كان أقوى من أى اغراء اخر .. فأسلم نفسه لها .

وقد انشغل الفنان لزمن طويل قبل هذه الطفرة بقضية حيرة الفنان بين البيئة المحلية والانطلاق الواسع نحو افاق الفن العالمى .. وكان الأسلوب التجريدى هو طريقه لتخطى حدود المحلية .

## التفكير بلغة التشكيل

● بين « التجريد » و « اللاتشخيص » : ( ١٩٦٠ ـ حتى الآن ) .

أعمال صلاح طاهر منذ عام ١٩٦٠ بل ومنذ ترك الاتجاه الوصفى ، تندرج كلها تحت هذين النوعين من الفن التصويرى ..

ويقول الفنان : « ان الاتجاه الكلاسيكى قد استنفد أغراضه وانتهى قبل مطلع هذا القرن .. والتمسك به حتى الآن يعتبر ظاهرة لا تتمشى مع روح العصر الحديث الذى تنفجر فيه الحياة كل يوم بجديد » ويعرف التجريدية بانها : « رسم أشكال مكونة من خطوط ذات قيمة بلاستيكية ـ أى تشكيلية ـ بحته » .. ويضيف : « أنا اقصد بالتجريدية ذلك البحث عن القيم الموسيقية والألحان الموجودة فى الواقع .. لأن الفنان كثيراً ما يشعر بالسعادة والشاعرية اذا عاش فترة من الوقت فى جو معين ، أو بعد سماعه قطعة موسيقية أو موال شعبى ، أو بعد قراءته عمل أدبى



القبيلة .. لوحة زيتية للفنان صلاح طاهر عام ١٩٧٨

مؤثر . ولا يمكنه ترجمة هذا الاحساس بالكلمات أو التعبير عنه بموضوع .. ولكن الخطوط والألوان هى التى تقوم بهذا التعبير الذى قد لا يفهمه الانسان العادى ، ولكنه غالباً ما يكون للشخص المثقف ثقافة فنية عالية » ..

وهو يقول أيضاً : « أن مصور القرن العشرين حين يؤلف لوحته ويرسمها .. فانما يفكر بمفردات لغة التشكيل ، ومنها الخط وخصائصه ، واللون وما يتطلبه ، ثم الايقاع اللونى والخطى ، والتمسك بين العناصر ، والعلاقات التشكيلية وهندستها وبناؤها وتكوينها .. » .

هذه الكلمات كلها تنطبق على الأسلوب اللاتشخيصي الذى يمارسه فى عدد من أعماله ، لكنه من حين لآخر يعود الى تطعيم لوحاته بأشكال مستمدة من الواقع بعد تحويرها وتحريفها ، واخضاعهـا لأسلوبه المميز وضربات فرشاته التى أصبحت علماً على أعماله .. ومثال ذلك رسومه للتجمعات الانسانية والمبـانى الاسلامية الطراز ، وتلك التى يصور فيها أحد العناصر المشخصة مثل نبات البامبو أو القضبان الحديدية أو الآلات والأوراق .. ثم يكرر العنصر الواحد فى اللوحـة بتنويعات مختلفة ، مطبقاً قواعد التشكيل الفنى التى برع فيها .

فى مثل هذه الأعمال ينتمى الفنان الى التجريدية ، بينمـا فى أعمـاله اللاتشخيصية نجده يواصل الطريق الذى بداه المصورون الذين يطلق عليهم اسـم « الموسيقيون » .

ولا تقتصر حركة الفنان على الانتقال من « التجريد » الى « اللاتشخيص » وانما هو ينتقل أيضاً خلال ذلك بين الخامات والأصباغ ، فنجده يزهد فجأة فى الألوان ويستمر لعام كامل ( ١٩٦٠ ) فى رسم لوحات باللون الأسود ودرجاته مستخرجاً كل الامكانيات الشكلية للرماديات فيما بين الأبيض والأسود .. ثم يعود الى الألوان المائية فى العام التالى ، ليتركها مرة أخرى ليشكل لوحاته من الأبيض والأسود وحدهما ، ثم لا يلبث أن يرجع الى الألوان ولكنه يستخدم هـذه المـرة « الجواش » .. ثم ينتقل الى اسـتخدام الألوان الزيتية .. وبعدهـا الألـوان البلاستيك .. ثم الاكليريك ...وهكذا .

انه يقوم بتغيير أداة الرسم متنقلا بين الخامات والأصباغ المختلفة بحثاً عن الامكانيات الشكلية والمذاق الخاص لكل نوع ، وذلك ليحقق لمساره الفنى الحيوية والتطور الدائمين .

## الوجوه الشخصية

من أهم المميزات التى ينفرد بها صلاح طاهر ذلك الوفاق الذى يعيشه حتى الآن مع عالمه التشخيصى الوصفى القديم .. هذا الوفاق الذى يتمثل فى الأسلوب التقليدى الذى يرسم به الوجوه الشخصية ( البورتريهات ) .

ان هذا الميدان من ميادين الرسم هو الذى يحفظ للفنان خيط الاتصال العملى بالواقع وبالطبيعة .. هى من غير جدال المعلم الأول لجميع الفنانين ، سواء بما تتضمنه من ثراء فى الأشكال والألوان ، أو بما تقدمه من نماذج للعلاقات الشكلية والقوانين الجمالية التى يترجمها الفنان



تعاون .. احدى لوحات الفنان صلاح طاهر

# صلاح طاهر

الى سطح لوحته بلغة التصوير بعد تصفيتها وتنقيتها واختيار النموذجى منها .

## الاستمتاع

ان السر الكامن وراء هذه الظاهرة فى فن صلاح طاهر هو وجود ثلاثة انواع من الاستمتاع بالخلق الفنى ، أو بمعنى أدق « الاحساس بالرضى » فى كل حالة ، يختلف عن الاحساس الذى يكتنفه عندما يمارس الأسلوبين الآخرين .

ففى الحالة الأولى ، عندما يرسم الوجوه الشخصية ( البورتريهات ) يحس بامتلاكه للطبيعة وسيطرته عليها ، هذا بالاضافة الى اقترابه من الانسان الذى يرسمه متعمقاً فى أغواره ، مشبعاً شغفه بعلم النفس وبالسير الشخصية

وفى الحالة الثانية عندما يستخرج الأشكال الريفية والتجمعات الانسانية والتكوينات المعمارية وغيرها من أعماق ذاكرته .. ثم يخضعها لأسلوبه فى التشكيل ، فانه يخلق بها عالماً مثالياً ، ويحقق فى كل لوحة حلماً تشكيلياً ، فهو يعيد تنظيم الواقع وفق أسلوبه ، ويخرجه من الفوضى والتناثر الى النظام والتماسك .. انها متعة من نوع إخر .

ويجد الفنان فى رسم الأشكال اللاتشخيصية التى يبتكرها نوعاً ثالثاً من الاحساس بالرضى والاستمتاع يشبه ذلك الفرح الذى يشيع فى نفوسنا عندما نتوصل الى حل مسألة هندسية أو نكتشف قانوناً رياضياً .

## الجانب الانسانى

أما الفنان فهو يعبر عن حالات استمتاعه بالخلق الفنى مشبهاً اياها بممارسة ألعاب رياضية مختلفة .. انه لم ينس انه كان ملاكماً فى شبابه .. فهو يمارس الرسم كما لو كان يتسابق فى السباحة أو يتبارى فى التنس فيقول :

« ان الانسان يبدو أصدق ما يكون مع نفسه حين يلعب ، والألعاب فى تنوعها ثم ابتكارها ثم التفوق فيها ، هى ظاهرة تلازم كل حضارة ظهرت فى التاريخ . والفن أيضاً - انه أول الظواهر الحضارية - والفنان الحقيقي هو لاعب ممتاز من الدرجة الأولى .. أما الفنان غير الحقيقى فهو ليس بلاعب على الاطلاق ، بل صانع مقلد ممعن فى ارهاق نفسه .. واللعب غير العبث ، فالعبث فوضى وتبديد للعمر والطاقه .. أما اللعب فانت تؤديه والمتعة تصاحبك اذا كنت على دراية وخبرة بقوانين اللعبة ، اذ ان كل لعبة على حدة لها قيودها وأصولها » .

ولقد وصل صلاح طاهر الى درجة عالية من الخبرة فى التشكيل حتى أصبح الأسلوب طيعاً بين يديه ، ووسيلة لتحقيق افكار أعمق من مجرد استعراض المهارة فى التشكيل ، فالأسلوب لم يعد هدفه اليوم بعد أن كان محور اهتمامه فى سنوات الطفره ..

ولا تخلو أعمال الفنان من التعبير عن الجوانب الانسانية وتناول الموضوعات التى تمجد العمل والبناء .. وأوضح النماذج هى تلك التى بدأها عام ١٩٦٣ عندما قام برحلته الى أسوان أثناء بناء السد العالى ، فقد اختارته وزارة الثقافة ضمن مجموعة من الفنانين التشكيليين تجولوا فى النوبة قبل أن تغطيها مياه السد وأقاموا فى مواقع العمل بأسوان حيث شاهدوا وسجلوا الأعمال الانشائية الضخمة وأبطالها من العمال والفنيين ..

ومن ذلك التاريخ نجده يتناول من حين لآخر الانسان فى تآلفه عندما يعمل ، لوحة تصور الحمالين وعلى اكتافهم كتلة خشبية ضخمة يتعاونون على نقلها فى همة ونشاط وأخرى تصور فلاحتين منحنيتين فى حقل متسع تجمعان ثمار الأرض .

كما يستخدم الفنان الألوان الباردة كالأخضر والأزرق فى مواجهة الألوان الساخنة كالأحمر والأصفر ومشتقاتهما فتتحقق الديناميكية من خلال التفاعل بين هاتين المجموعتين اللونيتين المتقابلتين .. كما يضع الألوان الصريحة المنفردة بطريقة مبهرة مضيئة فى مواجهة الألوان الممتزجة المتداخلة الكابية .

ونحن نستشف فى أعماله تلك العلاقة الجدلية بين الأشكال التى تتهدم وتلك التى تتولد فى نفس اللحظة .. كما انه فى كثير من الأحيان يتعمد اعطاء الاحساس بأن الخطوط قد وضعت بسرعة وعشوائية ليضاعف احساس المشاهد بالحركة والآلية وهذا الأسلوب يجعل لوحات صلاح طاهر تحتفظ بقيمة حية دائمة كالتى تتميز بها الرسوم الخطيه السريعة ( الاسكتشات ) .

هذا بالاضافة الى استلهامه للتراث الاسلامى وتكوينات الأرابسك بالذات ، باعتبارها تكوينات بنائية محكمة التركيب .. وهو قد أعلن أكثر من مرة أن الفن الاسلامى هو الأساس القديم للفنون التجريدية الأوربية .

صبحى الشارونى

# التحدي

شعر: د. أنس داود

فى صمت
أجلس مؤتزراً بالحكمة
مشتعل الحس
تقتلني الوحدة .. تنعاني عيناك إلى نفسي
حين ترودين الآفاق بعيداً عن نبضة قلب
أبدى الهمس
عن جرح ينزف طول الليل ،
ويقطر فى وضح الشمس

• • •



الطفلة تعدو فى الغابات
وتتركني وحدي
جذعاً ملقي فوق هشيم التذكارات ،
أنا دم فى ملل صمتي .
تضحك للشمس وللأزهار ، وللنبع الرقراق الرغد
وتفيض على العشب حياة ، تمنحه أفراح الأبد
حين تفيء إلى ظل الدوحة .. تخطر ، أو تتمدد.
هل أبصرت ربيعاً يتفجر فى جسد
يمتزج العشب بأزهار الفل ،
ويلتف على مشتل ورد
أى تحد
للنور المصلوب على حافات الأفق الممتد
للبحر الراكض فى نزق خلف المد
لي ، وأنا أجلس وحدي
فى صمت .. أجلس وحدي ،

بقلم: حافظ أحمد أمين

# جارتان

كانت فرحتنا عظيمة عندما عثرنا آخر الأمر على شقة مناسبة، وكنت كلما ترددت عليها مع كمال، لنباشر التشطيبات النهائية، نشم رائحة البخور تنبعث قوية نفاذة من الشقة التى تواجه شقتنا، كما كنا نسمع فى بعض الأحيان أصواتاً غريبة لنساء ورجال يصدرون معاً شيئاً كالتراتيل مختلطة بأصوات اخرى كصياح الدجاج، فكنا نتساءل عما يجرى داخل تلك الشقة، دون أن نجد اجابة شافية. ذهب زوجى مرة وقرأ البطاقة على بابها، ثم جاءنى يقول انها شقة طبيب اسمه أنيس مختار، ولكن هذا لم يساعدنا على العثور على تفسير لما كنا نسمعه ونشمه.

ومضى نحو شهر، وانتقلنا إلى شقتنا الجديدة فى صباح باكر، وقبل أن يخرج كمال إلى عمله، طلب منى أن أخرج بعض الحاجيات من الحقائب، وتثبيت بعض الصور والأرفف، وترتيب ما اقدر على ترتيبه من أدوات خفيفة، قال لى:

– « لا تنهكى نفسك كثيراً يا حبيبتى، وانتظرينى بعد الظهر حتى نعمل معاً، وساحضر لك معى شيئاً تحبينه ».

سألته: « كتاب.؟ » قال: « لا » ... « اسطوانة.؟ » ... « لا »، « فماذا اذن.؟ » ... قال وهو يغادر الشقة: « ستكون مفاجأة سارة ». وخرج.

لم تمض عشر دقائق على مغادرة كمال للشقة حتى دق جرس الباب، فلما فتحته شاهدت امامى سيدة بدينة بيضاء، فى حوالى الثلاثين من عمرها، أنيقة الملبس، فخمة المظهر، تضع على وجهها الوانا لاحصر لها من الاصباغ والمساحيق، وعلى صدرها وفى ذراعيها حلياً وجواهر تبهر الأنظار.

ما أن فتحت الباب للسيدة حتى رسمت على شفتها ابتسامة عريضة، وقالت بصوت لين ناعم:

– « انا جارتك علية، حرم الدكتور أنيس مختار، جئت لأهنئك على شقتكم الجديدة جعلها الله مصدر الهناءة والسعادة لكم طول العمر ».

قالت هذا ثم خطت إلى داخل شقتنا بتثاقل وبطء دون أن أدعوها الى ذلك، وأخذت تتمتم بكلمات غريبة لم أسمعها جيداً، ولكنى فهمت من حركات ذراعيها أنها تبارك الشقة الجديدة، وتطرد منها « الأسياد » و « العفاريت ».

وما أن انتهت من هذه التمتمة حتى اخرجت من جيبها ملحاً وأرزاً نثرتهما فى أنحاء الصالة وهى تقول لى:

– « هذه أمور ضرورية لجلب السعادة، وافساد عمل الحاسدين، وكيد الحاقدين، ولتكون الشقة مبروكة عليكم ان شاء الله ».

قلت وأنا احاول مجاراتها بقدر ما يمكننى:

– « ستكون مبروكة باذن الله بفضل جيرتكم لنا، لقد اخترناها أنا وزوجى بعناية شديدة، وبعد جهد كبير، وسنعمل بكل طاقتنا على استكمال ما تحتاج إليه من أثاث، وترتيبه حتى تكون مريحة وجميلة ».

قالت: « هذا لا يكفى يا حبيبتى، ولابد انك سمعت عما يفعله الجان ببنى آدم، خاصة بالنسبة للأعتاب الجديدة ».

قلت: « نعم ... سمعت الكثير عن هذا ».

قالت: « طبعاً يا أختى طبعاً ... صحيح أن هناك أناساً لا يؤمنون بمثل هذه الأمور، ولكنهم سيندمون كثيراً على ذلك، ولعل جارتنا احسان مثل صادق لمثل هؤلاء ».

– « إحسان.؟ ».

– « نعم، تلك التى تسكن فى نفس الطابق، انها لا تثق فى أعمال السحر وفى التعاويذ، وتقول انها متعلمة ومثقفة، كان العلم والثقافة كافيان لجلب السعادة للانسان ».

قلت وأنا احاول أن اجد اجابة لا تجرحها:

– « لا أبداً يا عليه هانم أبداً، العلم والثقافة ليسا كل شىء ».

قالت وهى تجلس ... دون أن ادعوها إلى ذلك:

– « نعم نعم، يبدو اننا سنتفاهم جيداً وسنترك جارتنا « إحسان » تبحث عن زبائن لجمعيتها ».

سألتها: « أية جمعية.؟ ».

قالت: « جمعية تحرير المرأة، ان جارتنا النحيفة ... التى تشبه عود القصب أو عمود السرير ... تعمل سكرتيرة لجمعية تدعى انها تحرر المرأة، والمضحك فى الموضوع أن « احسان » هذه تعتقد انها امرأة، وهى لا تفترق عن الرجال فى شىء، انها تقضى معظم وقتها فى جمعيتها تخطب وتصيح، كأن المرأة تحتاج فى تحريرها إلى مثل هذه الجمعيات التى لا تقوم إلا على الكلام والخطابة ».

قلت مؤيدة: « ليس بالخطب تنال المرأة حريتها ».

قالت وكأنها قد وجدت الشخص الذى سيتفق معها فى كل شىء:

– « أليس كذلك يا حبيبتى.؟ وماذا نفعل بالخطب مع صنف الرجال، انه جنس خشن انانى، لا يفكر الا فى نفسه وملذاته، لا يهذب إلا إذا استعنا عليه بمن هم أقوى منه ... الرجال يا حبيبتى لا يروضهم الا الجان، اما الصياح والكلام الأجوف فالرجال عليهما أقدر ».

ثم حاولت الست عليه أن تدعونى يوم الأحد التالى الى احدى حفلات الزار التى

تقيمها فى شقتها ، واخذت تلح على الحاحا شديداً وتصف لى ماذا تذبح وماذا يفعل المدعوون ، ولكننى اعتذرت بادب ، قائلة اننى ساذهب فى ذلك اليوم مع زوجى لمشاهدة مسرحية جديدة .

سالتنى بدهشة : « اتذهبين مع زوجك الى المسرح ؟ ... آه ... لابد انك اكثر منى علماً بمسالة الاحجبة والتعاويذ ، لاشك انك تحملين حجاباً به اسرار لم اتوصل انا اليها . لقد حاولت مراراً ان ازين لزوجى فنيس قضاء امسياتنا معاً ، ولكنه يجد دائماً المبررات للافلات منى » .

ثم مالت على وسالتنى بصوت منخفض :

- « هل تضعين فى صدرك حجاباً من نوع خاص ؟ » .

قلت لها وانا اضحك :

- « ساخطرك فى المستقبل عما احمل فى صدرى » .

• •

وهكذا اضاعت منى ست علية النصف الأول من النهار ، أما النصف الثانى فقد اضاعته الست « احسان » . نعم ، فما ان تخلصت من الجارة الأولى - بعد صعوبة بالغة - حتى بدأت فى تنظيف الشقة مما نثرته مع ملح وارز ، وانا العن تلك الزائرة التى اضاعت نصف يومى فيما لا طائل منه ، رغم كثرة الأعمال التى كانت تنتظرنى .

نعم ، ما إن تخلصت من جارتى البدينة البيضاء حتى دق جرس الباب من جديد ، فلما فتحته وجدت امامى سيدة نحيفة سمراء ، فى حوالى الثلاثين هى ايضاً ، صارمة التعبير ، لا تلبس حلياً ولا تضع فى وجهها اصباغاً أو مساحيق ، تلبس ملابس بسيطة داكنة ، شكلها وملامحها وحركاتها هى النقيض التام لشكل الست علية وملامحها وحركاتها ، وكان الله قد خلقهما واسكنهما طابقاً واحداً من العمارة ، ليظهر للناس كيف يكون الأمر ، عندما يتجاور الشىء ونقيضه .

مدت الى يداً قوية وصافحتنى وهى تقول



بصوت عال به غلظة :

- « أنا جارتك احسان ، زوجة المهندس عدلى عطية » .

قلت : « اهلا وسهلا ... شرفت وانست » خطت الى داخل الشقة - دون ان ادعوها الى ذلك - وكانت خطواتها سريعة ونشطة ثم قالت :

- « كان فى نيتى ان ازورك قبل الآن ، ولكنى علمت ان ( سيد قشدة ) كانت معك طوال الصباح » .

سالتها : « سيد قشدة ؟ » .

قالت وهى تضحك : « نعم ، نحن نسمى الست علية ( السيد قشدة ) وبعض السكان يسمونها البرميل » .

وبعد أن جلست على احد الكراسى بالصالة قالت :

- « لقد فرحت كثيراً عندما علمت من بعض سكان العمارة انك حاصلة مثلى على شهادة جامعية ، فهذا يعنى انك سيدة ذكية بعيدة النظر ، واننا سنتفاهم جيداً ان شاء الله » .

قلت وأنا احاول مجاراتها : « سيكون هذا مدعاة لسرورى وسعادتى » .

مالت على وقالت بصوت منخفض :

- « هل تعرفين ان جارتنا البدينة لم تحصل حتى على الشهادة الابتدائية ؟ ، انها تعتقد ان باستطاعتها أن تحصل على حقوقها المسلوبة عن طريق السحر واقامة حفلات الزار وزيارة اضرحة الأولياء هل تتصورين ايتها الأخت الكريمة أن مثل هذه الأمور ما زالت تحدث فى الربع الأخير من القرن العشرين ؟ » .

قلت مؤيدة : « ليس بالسحر والشعوذة تنال المراة حريتها » .

قالت وكأنها قد وجدت الشخص الذى سيتفق معها على كل شىء :

- « اليس كذلك ايتها الأخت الكريمة ؟ وماذا تفعل الاحجبة والأرواح مع صنف الرجال ؟ هذا الجنس الخائن ... الرجل لا يروض ولا يهزم الا عن طريق الكفاح المستمر لزيادة وعى المراة بحقوقها ، وعدم التنازل عنها . ومهما بلغت الاعيب الرجال وتفانينهم فى الدهاء ، فزيادة الوعى عند المراة كفيلة بتحقيق انتصارها » .

ثم حاولت الست احسان ان تدعونى مساء الخميس التالى الى اجتماع من اجتماعات جمعية تحرير المراة ، والاشتراك فى الكتابة فى مجلة الجمعية - ان كنت المس فى نفسى قدرة على تحرير المقالات - من أجل اشعال حماس المراة ،والمطالبة بالتحرر من القيود التى تعانى منها ، ولكنى اعتذرت بادب ، مبررة رفضى بانه ما زالت امامى أعمال كثيرة فى سبيل اعداد الشقة كما أن يوم الخميس هو اليوم الذى نذهب فيه أنا وزوجى لزيارة عائلتى .

دهشت احسان دهشة شديدة وسالتنى:

- « هل يرافقك زوجك عند زيارتك لعائلتك ؟ » .

قلت : « نعم ... نتناول العشاء مساء كل خميس مع ابى وامى » .

قالت : « لابد انك تستعملين معه لغة عنيفة حاسمة ، اشد قسوة من تلك التى نستعملها فى جمعيتنا . انا شخصياً حاولت مع عدلى ان نحدد يوماً نزور فيه عائلتى ولكن محاولاتى كلها ذهبت هباء » .

ثم مالت على وسالتنى بصوت منخفض :

- « هل تستعملين معه اسلوباً خاصاً يجعله خاضعاً لارادتك ؟ » .

قلت لها وانا اضحك : « ساخطرك فى المستقبل بالأسلوب الذى استعمله معه » .

بقلم: جمال الكناني

# هذا الكاتب العبقري هل هو خائن أو عبيط؟

ليس من نقاد الأدب ولا حتى من شيعة صمويل لانجهورن كليمانس ( مارك توين ) واحد ينكر زعامة كتاب الفكاهة الانجليزية على بى جى وودهاوس ، فالكل قد بايعه دون تردد .

ولعلنا قبل أن نسرد القصة المؤلمة التى نغصت على هذا العبقرى حياته ، وأذاقته مرارة المهانة ، وحرمته تكريم حكومته حتى بلغ الثالثة والتسعين من عمره ، حين أنعمت عليه الملكة بلقب الفروسية قبل موته بشهرين اثنين ، نقدم موجزاً لسيرته :

ولد بلام جرينفيل وودهاوس فى يوم ١٥ اكتوبر عام ١٨٨١ فى مدينة جلفورد بولاية صرى بانجلترا . وكان ابوه اذ ذاك يشغل وظيفة حكومية فى هونج كونج .. وتعارفت الأسرة اولا على مناداة الصغير باسم « بلام » ثم اختصر الاسم الى « بلم » ، فكان الاسم الذى عرف به الأديب طول حياته .

وليس غريباً أن يكون حب الادب مغروزاً فى هذا الأديب الذى كان يتسلى منذ طفولته بكتابة القصة القصيرة .. وكانت أولاها قصة كتبها وهو فى السابعة من عمره :

« حدث منذ حوالى خمس سنوات .. فى غابة من الغابات ، ان كان هناك طير مغرد جميل الصوت ، بنى لنفسه عشاً على رأس شجرة من اشجار الزيزفون . وكان الطائر يختار لنفسه غصناً يقف عليه ليغنى بصوت رخيم للغابة . فكانت الديدان تخرج من جحورها لتستمع اليه ، وكانت النمل تضع احمالها والصراصير تلوذ بالصمت والفراشات تقف صفاً واحداً .. وغرد الطائر وكانه يغنى فى جنة الخلد فكان صوته يعلو ويرتفع تدريجيا ، لحظة بعد لحظة .

وانتهت الأغنية ونزل الطائر عن غصنه وهو يلهث .. وشكرته جميع المخلوقات .. وانتهت قصتى » .

كانت تلك بداية الحصيلة الضخمة – ٩٦ رواية طويلة و ٣٧٠ قصة قصيرة و ١٨ تمثيلية و ٣٣ مسرحية غنائية ومئات من الأغانى – التى أثرى بها الأدب الانجليزى واعترف له الجميع بانه افكه كاتب عرفته اللغة الانجليزية .

ولقد اقام هذا العبقرى صرح عظمته على مدى ٧٥ عاماً فى قارتين – أوروبا وأمريكا – على أساس قدرته على الاستعانة بالتكرار،تكرار كلمات أو عبارات أو جمل – لاضحاك قرائه وتسليتهم .. وكانت مواضيع قصصه ورواياته شرائح من واقع طفولته وخاصة أيام دراسته فى كلية ( مدرسة ) داليتش ، يخلطها بلمسات من الحياة خلال العصرين الادوردى والجورجى ، ثم يلف هذه كلها فى رقائق من نسج خياله الخلاق . ولقد حاول « وودهاوس » الاحتفاظ لكتاباته بواقعية من الانتماء الى حقبة زمنية معينة ، ومن هنا كانت شعبيته على نطاق كونى .

فكاهة وودهاوس تعتمد أبداً على المبالغة أو عكسها – العبارة المكبوحة – وعلى استعمال التعبير الاصطلاحى فى غير موضعه .. ولقد استطاع « وودهاوس » ان يجمع لنفسه حصيلة هائلة من الألفاظ بأن خلط العبارات العامية بالعبارات الكلاسيكية وابتكار الوان جديدة من الغلو والمبالغة .

ويقول العارفون ان وودهاوس كان رجلا موهوباً جمع بين القدرة والرغبة فى العمل المضنى والرغبات والمطالب المتواضعة البسيطة .. كان شغله الشاغل هو عمله وكانت هوايته المفضلة هى عمله ، واكبر اهتمامه كان ظاهرة الحياة نفسها ، ولقد كتب اطرف قصصه عن تلك الحياة .. كان يضحك على كل ما يضحك ويقرأ لكل كاتب فكه ويقف من الحياة موقف المتفرج ، يؤثر ملاحظتها والكتابة عما يدور حوله من الحياة بدلا من أن يشترك فيها .. ويتقن تجنب مشاكل الحياة وطرد منغصاتها بعيداً عن واعيته .. ثم ان كتاباته تشهد بطيبة قلبه وادميته التى لم يتجرد عنها حتى وافته منيته ، بعد نوبة قلبية ، فى يوم ١٤ فبراير ١٩٧٥ .

والذى كتب عن « وودهاوس » كثير ، يغنينا عن تكراره . زد على ذلك ان أدب « وودهاوس » ليس هو موضوع هذا المقال الذى نهدف الى أن نسرد سرداً محايداً ، قصة اتهام وودهاوس بالخيانة العظمى أثناء الحرب العالمية الثانية .

## من البيت الى السجن !

فى شهر يناير ١٩٤٠ كان وودهاوس وزوجته « إثيل » فى « لى توكيه » بفرنسا . وفكر فى الرحيل والعودة الى انجلترا لما أحس باقتراب الألمان من الاراضى الفرنسية وعرض عليه طيار انجليزى المقعد الوحيد

فى طائرته ولكنه رفض أن يترك زوجته وحدها فى فرنسا . وقرر السفر الى الساحل فى سيارته فركبها مع زوجته إلا انها تعطلت بعد مسيرة ميلين ومر بهما جار كان يقصد الساحل فى عربة نقل ، فركبا معه ولكن اللورى تعطل بدوره .. فلما يئسا من الوصول الى الساحل الفرنسى عادا الى دارهما فى « لى توكيه » .

ودخل الجيش الالمانى باريس وفى يوم ٢١ يوليه ١٩٤٠ استدعى « وودهاوس » لمكتب قائد الحامية وصدرت الأوامر بنقله الى المعتقل .. ودخل السجن فى مدينة « ليل » وقيد فى السجلات خطأ باسم « وودهورس » .. « الجريمة .. انجليزى » وعلى الرغم من انه كان فى سن الثامنة والخمسين الا ان السلطات الالمانية لم تفرج الاعمن بلغوا الستين .

نقل « وودهاوس » بعد ذلك الى سجن بالغ القذارة فى « ليبج » فى بلجيكا ثم نقل فى ٣ اغسطس ١٩٤٠ الى قلعة بعيدة ومنها نقل فى ٣ سبتمبر ١٩٤٠ الى قرية توست فى سايليسيا العليا وهى الآن جزء من بولنده . وهناك أودع السجناء مبنى احدى المستشفيات العقلية .

فى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٤٠ سمح لمراسل « أسوشييتد برس » ، « أنجس ثورمر » بزيارة « وودهاوس » والتحدث معه . وكتب المراسل مقالا شرح فيه رفض « وودهاوس » لأى مجاملة أو معاملة خاصة قدمها له الألمان . وعرف الناس عن طريق المقال مقر « وودهاوس » وبدأ كبار الكتاب ورجال المسرح وغيرهم يلحون على السفارة الألمانية فى واشنجطون ويطالبون بالافراج عن « وودهاوس » ولكن دون جدوى !

وقارب « وودهاوس » الستين من عمره فافرج الالمان عنه وفى يوم ٢١ يونيه ١٩٤١ صرحوا له بالاقامة المحددة فى برلين تحت رقابة الشرطة وهناك أدلى « وودهاوس » بتصريح لعدد من المراسلين الصحفيين الامريكيين جاء فيه :

« يالها من تجربة عجيبة أن يحرم الانسان من العالم الخارجى كما حدث لى فى السجن حيث يعيش الانسان على البطاطس والشائعات .. التى يسميها أسرى الحرب « الحمائم الزرقاء » اما نحن فكنا نسميها « قصص الفراش » . ولم يحدث قط ان صدقت شائعة واحدة ، ولكن شائعة واحدة فى اليوم تبعد عنك الهم والانقباض النفسى .. » .

وبعد هذا الافراج المشروط بخمسة ايام اى فى يوم ٢٦ يونيه ١٩٤١ قبل « وودهاوس » أن يقرأ على الراديو ـ راديو برلين ـ حديثا أعده مراسل اذاعة كولومبيا الأمريكى .. واستملح « وودهاوس » الفكرة لأنه وجد فيها وسيلة لتعريف أكبر عدد من أصدقائه فى امريكا بمكانه فى المانيا .. وكانت نتيجة هذه الاذاعة ان طلبت وزارة الخارجية الالمانية من « وودهاوس » إعداد عدد من الأحاديث ، يكتب فيها ما شاء ليذيعها لامريكا على الموجة القصيرة . وبدا العرض كريماً لانه لم يفرض اى قيد او شرط على « وودهاوس » فكتب خمسة احاديث فكهة عن تجربته كسجين بريطانى مدنى رقم ٧٩٦ ندد فيها بالسجون الالمانية وسمح له الالمان باذاعة احاديثه كما كتبها تماماً . ويصعب على الانسان تعليل هذا التصرف من جانب الالمان لان « وودهاوس » لم يترفق فى وصف ما أصابه فى سجون المانيا .. ولعل الالمان لم يفهموا فكاهة « وودهاوس » ودعاباته ولم يدركوا ما كان بين أسطر الأحاديث .

## الصحف البريطانية تهاجمه !

على أن هذه الاذاعات كانت من الناحية الشكلية على الأقل دليلا على حماقة « وودهاوس » وعبطه ، إذا انها أثارت عواصف هوجاء فى الصحف البريطانية التى هاجمته دون أن تعرف فحوى ما أذاع واتهمته بالخيانة العظمى ، بل ومن تلك الصحف ما وضعه فى صف الخائن الذى كان معروفاً باسم « اللورد هوهو » . وليس فى موقف الصحف البريطانية اية غرابة .. فانجلترا كانت فى حرب ضروس مع المانيا ، واذا بأحد عمد الأدب الانجليزى واكثرهم شعبية يقدم إذاعات من محطة برلين فى وقت تنهال فيه قنابل الألمان على رؤوس الانجليز وتمحو من انجلترا مدناً بأسرها .. والناس فى انجلترا وغيرها يعرفون أن « وودهاوس » له من الفطنة والذكاء ما يجعله يتنبه لسوء فعلته ويدرك أن الاذاعة من المحطات الالمانية تعتبر فى ذاتها عملا مخزياً مشيناً .. وكان أن صدق الانجليز ما كتبته الصحف البريطانية عن « وودهاوس » وكان أن هاجمته الاذاعة البريطانية هجوماً عنيفاً فى ١٥ يوليه ١٩٤١ . وكان صاحب هذا الهجوم الصحفى المعروف وليام كونر الذى كان يكتب تحت اسم كاساندرا .. قال كونر فى الحديث الذى اذاعه .

« جئت لأقص عليكم هذا المساء قصة رجل من الأثرياء يحاول إتمام آخر وأكبر صفقة بيع يعقدها فى حياته .. فهو يبيع بلاده .. ويا لها من قصة كئيبة كريهة .. قصة رجل يرهن شرفه عند الالمان لقاء فراش وثير » وعلى هذا النحو المقذع واصل كاساندرا هجومه .

ولم تشر الصحف أو الاذاعة الى نص ما قال « وودهاوس فى إذاعاته من برلين واكتفى الغاضبون بالاشارة الى انه أذاع من برلين ... ومجرد الاذاعة من برلين اذ ذاك فى رأى الناس جريمة وخيانة لا تغتفر .. ولكن هل يذنب من يقف على منبر عدوه ويهاجمه من فوق ذلك المنبر ؟ هل يجرم من يندد علنا بعدوه ويذيع على الناس وصف ما لقى من معاناه وهو فى سجنه ؟

كان رأى الناس فى امريكا فى اذاعات « وودهاوس » يناقض رأى الناس فى انجلترا فى تلك الاذاعات .. وكانت وزارة الدفاع الامريكى تستعين بتسجيلات هذه الاذاعات فى مدرسة الاستخبارات وتقدمها اثناء التدريب على انها نموذج ممتاز ضد النازية .

ولم يدر « وودهاوس » بما كان يجرى فى انجلترا الا بعد فترة طويلة فلما علم بالخبر كاد ينهار من هول الصدمة لانه كان حسن النية تماماً فيما فعل ، بل وانه كان يعتقد انه إنما يقدم للعالم الحر صورة ساخرة لما يجرى فى السجون النازية .

ولما اشتدت الغارات على برلين سمح الألمان لوودهاوس بالعودة الى باريس المحتلة على أن يعيش فيها تحت رقابة الشرطة وتحت عين الجستابو .. فلما تم طرد الألمان من باريس اشترك « وودهاوس » فى الاحتفال بخلاصها من الاحتلال الألمانى فى ٢٥ اغسطس ١٩٤٤ .. ولكن سحابة قاتمة كانت تخيم على حياته فقرر فى نفسه أن يضع حداً للمأساة وان يشرح للناس ما حدث فزار الضابط الامريكى المختص وطلب منه أن يعلم السلطات البريطانية بوجوده فى باريس حتى يمكن اجراء التحقيق توطئة لدحض التهمة الموجهه اليه .

# هذا الكاتب العبقري
# هل هو خائن أو عبيط ؟

كانت نتيجة اتصال « وودهاوس » ان طار الى باريس احد موظفى وزارة الداخلية البريطـــانية وبدا تجريات استمرت اسبوعين ادلى « وودهاوس » خلالهما باقواله وقدم شرحا مفصلا وافيا لظروف ما حدث وملابســاته وطلب السماح له بالعودة إلى انجلترا ليتولى الدفاع عن نفسه ولكنه نصح بالبقاء فى فرنسا حتى ينجلى الموقف .

وعاش الرجل حزينا مكروبا وزاد من همه أن علم بموت امه وهو فى المعتقـــل . وحدث فى الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤ ان ايقظه رجال الشرطة الفرنسية ونقلوه هو وزوجته الى « قصر العدالة » واحتجز هناك . فلمـــا تحرى « وودهاوس » عن السبب لم يجبه احد .

## والقانون الانجليزى يدينه !

وعلمت السلطات البريطانية بامر القبض على « وودهاوس » فاسرع احد رجال وزارة الداخلية البريطانية إلى باريس واخذ يتحرى عن سبب احتجـــاز « وودهاوس » فعلم ان السلطات الفرنسية انما قبضت عليه ظنا منهم بذلك يجاملون بريطانيا . وكان ان افرج عن « إثيل » زوجة « وودهاوس » فوراً وبعد اربعة ايام من ذلك نقل « وودهاوس » إلى احدى المستشفيات وبقى معتقلا بها .

وتساءل الناس فى بريطانيا ودار الهمس حول اعتقال « وودهاوس » وانتهى الامر بمناقشة الموضوع فى مجلس العموم . وتســـاءل الناس عن مـــدى تجريم « وودهاوس » وتصدى النائب كوينتن هوج – وهو اللورد هيلشام كبير الهيئـــة القضــائية حاليـــا – للهجوم على « وودهاوس » وقال للمجلس ان الاذاعة من محطة العدو ، سواء باجر او لقـــاء اى ثواب – تعتبر ضربا من الاتجار مع العدو وهو امر يعاقب عليه القانون .. ولما كان الموضوع يخص مواطنا بريطانيا موجوداً فى خارج بلاده فقد اقترح العضو كوينتن هوج على وزير الخارجية اذ ذاك – انطونى ايدن – أن يتشاور مع رجال القانون فى أمر تجريم « وودهاوس » ورد وزير الخارجية بقوله « ما دام المستر هوج واثقا بان المسالة تتعلق بناحية قانونية ، فواجبه هو ان يوجه اسئلته لوزير العـــدل لا لوزير الخارجية » .

فى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٤ وقف النائب كوينتن هوج مرة ثانية فى مجلس العموم وقال إنه « علم ان الاذاعة من محطـــة يملكها العدو لا تعتبر جريمة أو جنحة فى نظر القانون البريطانى ولكنـــه يرى أن الواجب هو ان تعتبر جريمة . ثم قال : « وانى أؤكد للمجلس انى اقف من هذا الموضوع موقف المحايد .. ولا انسى المتعة التى نعمت بها من وراء قراءة مؤلفات هذا الرجل ولست انسى ما اسهم به فى الأدب الانجليزى .. ولكم كنت اتمنى ان المتهم كان شخصا غيره .. ولكن القانون يجب ان يقف موقفا محايداً من جميع الناس .. وانا مازلت ارى ان قانون الخيانة العظمى ينطبق على هذه الحالة .. فالخيانة العظمى هى اى عمل يزيد فى قوة العدو ويضعف من قوة الوطن » .

وبعد أن أدلى عدد من الأعضاء بارائهم وقف المدعى العام وقال « لقد بحثنا هذه القضية بحثا دقيقا وتم الاتفاق على ان الأدلة على ان المتهم كان ينتوى مساعدة العدو ادلة غير كافية ولا تسمح او تكفى لاقامة الدعوى ضده » .

وكان من نتائج مناقشة القضية فى مجلس العموم أن عرف الناس ان الجهات الرسمية فى بريطانيا ترى أن « وودهاوس » لم يرتكب ما يعاقب عليه القانون .. وكان أن افرج البوليس الفرنسى عن «وودهاوس» وانتهت فترة « الحجز الاحتياطى » وخرج من المستشفى يوم ١٧ يناير ١٩٤٥ .

وعلى الرغم من أن عدداً من الأدباء من اصدقاء « وودهاوس » ، وعلى رأســـهم جورج أورويل تصدوا للدفاع عنه بكل الوسائل الممكنة ، الا أن « وودهاوس » أدرك أن وصمة العار التى لحقت به لن تزول بسهولة وأن الصمت الذى نصحه الناشرون بالتزامه لن يجدى كما انه لم ير حكمة فى ترك الدفاع عنه لغيره من الناس وهو القادر على التعبير بلغة يفهمها كل قارىء .. ولعله ذكر المثل العربى الذى يقول « ما حك جلدك مثل ظفرك » ..

وسنحت له الفرصة يوم نشرت مجلة « فراياتى » الامريكية على صفحتها الأولى يوم ٢٤ ابريل ١٩٤٦ خبراً قصيراً تحت عنوان :

## فرنسا تبدد السحابة النازية عن بى جى وودهاوس

« تسلم الأديب بى جى وودهاوس من الحكومة الفرنسية إخطاراً بانه قد برىء تماماً من تهمة التعاون التى جاءت نتيجة لاذاعاته من محطة برلين عام ١٩٤٠ . وكانت الحكومة البريطانية قد اعلنت من قبل براءته من التهمة نفسها وهو الآن حر فى أن يعود الى انجلترا فى اى وقت شاء »

قرا « وودهاوس » الخبر فكتب رسـالة الى المحرر نشرتها المجلة يوم ٨ مايو عام ١٩٤٦ ، جاء فيها .

محرر مجلة « فراياتى » .

انا عـــاجز عن التعبير عن سرورى باستلام رسالتك وامتنانى وعرفانى بجميلك إذ سمحت بنشر قصتى فى مجلتك . فانا كما تعلم احد المتحمسين لقراءة هذه المجلة التى اقرؤها بانتظام على مدى ثلاثين عاماً .. وليس فى العالم كله مجلة او صحيفة احب ان انشر قصتى فيها اكثر مما احب نشرها فى مجلتك لأن جمهور قرائها هو الجمهور الذى أعتز به اكثر من غيره .

عندما خرجت من السجن الفت كتابا عن تجربتى كسجين وتحدثت فى الفصل الثانى من الكتابات عن تلك الاذاعات . وكان أملى ان انشر الكتاب كاول ثمرة من ثمرات إنتاجى بعد الحرب ولكن ناشرى نصح بتاجيل نشره وقدم عليه روايتى « جيفز » التى تنشر فى اوائل الخريف القادم .

وعندى أن المشكلة الأساسية هى ان الناس فى امريكا لم يستمعوا لتلك الاذاعات وأن الضجة التى حدثت فى انجلترا تركت فى نفوس الأمريكيين انطباعاً بان الاذاعات دعاية المانية او انها تمتدح ألمانيا . الواقع انها كانت مجرد وصف فكاهى للحياة فى المعتقل وانهـــا كتبت أساساً لتسلية الأمريكيين والترفيه عنهم ، ولست أرى ضيراً فى نشرها كما هى فى أى مجلة أو صحيفة انجليزيـــة أو أمريكية .

ويعزز هذا الراى بعض ما ورد فى رسالة وصلتنى هذا الصباح من رجل يعيش فى انجلترا ، غريب عنى تماماً ، قال إنه كان اسير حرب لمدة عامين ونصف وانه كان يقرأ كتبى وانها رفعت روحه المعنوية أثناء أسره .. يقول الرجل :

« أود أن اقول لك بعد ان قرات نسخة من اذاعاتك انى لا اتصور كيف يمكن لأى انسان عاقل أن يجد فيها ما هو موال للألمان أو معاد لبريطانيا ولكنى لن اعطيك رأيى فى الموضوع بل انقل اليك راى المرحـــوم مارشال الجو « بويد » وكنت مساعده الخاص ، وكنا اسرى حرب معـــاً فى ايطاليا ..

قرأ « بويد » إذاعاتك ثم اعطانى إياها وقال « لست أدرى كيف سمح الألمان باذاعة كل ذلك .. لست أفهم السبب .. إما انهم ينعمون بقسط من روح الدعابة يزيد كثيراً عما كنت انسبه اليهم ، أو ان هذه المقالات فاتت على الرقيب الألمانى فلم يدرك مغزاها ومعناها .. والا لكانوا رموا وودهاوس بالرصاص بعد اذاعتها .. » .

ويقينى ان مارشال الجو بريطانى عرف ما احتوته اذاعاتى وقرأ نصها ، وهذا رأى يزيد قيمة ووزناً عن آراء جميع الصحفيين البريطانيين الذين لم يستمعوا لاذاعاتى ولم يقرءوا نصوصها .. والمؤلم هو ان الراى الذى وصل الى الجمهور فى بريطانيا كان راى الصحافة ..

وحدث بعد مشاورات فى باريس ان اخطرت السلطات البريطانية بعنوانى فى فرنسا فاوفدوا احد موظفى وزارة الداخلية البريطانية إلى باريس ، وقدمت له بيانا كاملا مسهبا بكل ما حــــدث . ودرست الحكومة البريطانية البيان والتحقيق الذى اجراه مندوب وزارة الداخلية ونوقش موضوع قضيتى فى مجلس العمـــــوم البريطانى وكان ان صرح وزير الخارجية انطونى إيدن وكذا المدعى العام بان الحكومة البريطانية لا توجه الىّ اى تهمة .

من سوء الحظ ان مندوب وزارة الداخلية اخذ معه – الى جانب البيان الذى قدمته – ما كان عندى من نسخ اذاعاتى فلم يبق معى الا صورة إضافية للاذاعة الثانية وهى عن سجن « لوس » – الذى قضيت فيه أول اسبوع من فترة سجنى – ويبدو أنه من المستحيل على ان استرد نســـخ الاذاعـــات .. ولكنى على استعداد لتسليم نسخة الحديث الثانى لمندوبكم فى باريس بامل ان تنشره مجلتكم ، ويقينى انكم سوف تتفقون فى الراى مع مارشال الجو « بويد » بعد قراءة الحديث .

وهكذا قص « وودهاوس » قصته على عدد – وان يكن محدوداً – من القراء ، فاحس بشىء من راحة البال .. فلما سافر الى نيويورك بعــــد ذلك اســـتقبلته الصحافة هناك كما تستقبلُ اعظم العظماء واقامت المدينة الحفلات تكريماً له .. وعادت الطمانينة الى نفسه فعاود الكتابة .. وعاد النقاد يكيلون له المدح ويتغنون بنبوغه وعبقريته فلما حل عيد ميلاده الثمانون لم يقصر اديب او عظيم فى تهنئته وامتلأت صفحات الجرائد والمجلات برسائل التهنئة .. واثبت « وودهاوس » وهو فى الثمانين من عمره ان عقله النفاذ احتفظ بشبابه ونضرته وان الشيخوخة لم تنل من قوة تفكيره وقدرته على الخلق والابداع .. كتب « وودهاوس » فى يوم عيد ميلاده هذا يقول :

« تمنيت منذ طفولتى ان اكون كاتبـــا لا لانى احمل رسالة معينة للانسانية ولكن لانى اعشق الكتابة . ومازلت اكد وابذل اقصى الجهد دون ان يطوف بخاطرى حتى ولا شبح مثل تلك الرسالة .. واكبر الظن انه اذا لم اعد فجاة الى شبابى وانا فى الثمانينات من عمرى فلن تتسلم الانسانية منى اية رسالة ..

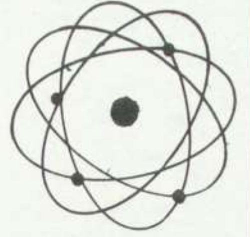
والغريب فى أيامى الأولى هو انى كنت اثق بنفسى ثقة تامة رغم العواصـــف الثلجية من خطابات الرفض التى كانت تصحب مقالاتى وقصصى المرفوضة .. كنت اعرف انى كاتب مجيد ولم يداخلنى فى ذلك اى شك الا عندما تقدم بى العمر وانا اليوم فريسة لعدم الثقة بالنفس والقلق على مصير ما اكتب . بل وانى احسد اولئك المؤلفين الذين يرسلون مخطوطاتهم للناشر وهم على يقين من نجاح ما كتبوا ، واولئك الذين يؤمنون عند بدء اى كتاب جديد انه سيكون رائعة من الروائع .. اما انا فانى احس كلما ظهر لى كتاب جديد انى قطفت ليمونه حامضة من بستان الأدب ، وهـــذا إتجاه محمود لأنه يسمح لى بالتواكل او التخاذل او الاهمال ، ويرغمنى ان اعيد كتابة كل جملة عشر مرات او حتى عشرين مرة . وقد لا تساوى كتبى ما يدفع فيها من ثمن ولكنى علم الله ابذل فيها كل جهد ممكن .. فاذا يوماً اجمع النـــــاس على مهاجمتى فارجو ان يرتفع من بين النقاد صوت واحد يقول :

« إنه كان يبذل غاية جهده » .

والذى لاشك فيه هو أن « وودهاوس » كان يتقن وضع عقد رواياته ويجيد حبكها وتصوير شخصياتها ... ومن هـــــذه الشخصيات ما سيكتب له الخلود فى الأدب الانجليزى ، من ذلك شــــخصية « جيفز » و « العمة اجاثا » ، و « اللورد إمزورث » و « يوكردج » ، و «اللورد إكنهام» ( العم فرد ) وهذه كلها شخصيات حية نابضة لا تقل فى قوتها عن « هــــاملت » و « عطيل » و « شايلوك » و « ليدى ماكبث » او عن « فاجان » وميكوبر » ..

ويجب أن لا ننسى أن « وودهاوس » اختار ان يكتب ما يضحك الناس والـــذى يستطيع من الأدباء ان يبرز فى عالم الفكاهة جد قليل .

جمال الكنانى



# العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

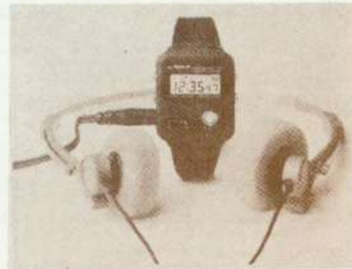
## ● مضخة موجهة لنقل الدواء

توصل العلماء الى طريقة جديدة لتوصيل الدواء مباشرة الى العضو أو الجهاز الذى يحتاجه . وذلك بواسطة مضخة تزرع بالكامل فى جسم الانسان بحيث تقوم بتنقيط الدواء قطرة قطرة وتوجهه للهدف مباشرة . وبدلا من أن يمر الدواء عشوائيا داخل الجسم وينتشر بدون داعى فى اجزاء مختلفة منه تقوم هذه المضخة التى لا يزيد حجمها عن علبة السجائر وهى تثبت فى صدر أو بطن المريض بتوجيه الدواء الى العضو المراد علاجه وتحتوى المضخة علىسائل مضغوط يسحب المادة الفعالة أو العقار خلال انبوبة بلاستيكية الى الهدف . ومن بين الأدوية المستخدمة فى هذه المضخة مادة الهيبارين وهى المادة التى تساعد على عدم تجلط الدم داخل الأوعية الدموية ولذلك فهى تستخدم فى علاج اضطرابات الدورة الدموية وتخثر الدم .

وكانت نتائج التجارب التى اجريت مرضية للغاية فلقد سمحت هذه المضخة لـ ٩٢٪ من المرضى باستكمال العلاج خارج المستشفى كما تفادوا عمليات الحقن المتكررة بالهيبارين .

ويجرى حاليا تجربة أدوية اخرى يمكن تزويد المرضى بها بواسطة هذه المضخة .

## ● استمع الى ساعتك

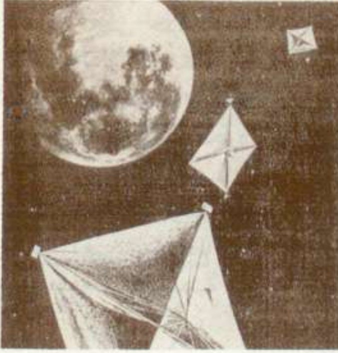


لم تعد الساعة المزودة بشاشة تليفزيونية والتى تظهر فى قصص الخيال العلمى بعيدة التحقيق فالساعة الراديو أصبحت حقيقة واقعة . فسوف

تستطيع من الآن فصاعدا الاستماع الى نشرة الاخبار من خلال ساعة معصمك فهى آخر صيحة فى عالم الأجهزة اللاسلكية .

ولكنك سوف تحتاج لسماع اذاعتك المفضلة الى سماعات ولم يكتف المبتكرون بذلك فثبتوا الراديو فى إطار نظارتك ايضا بحيث تضع السماعة فى اذنك مباشرة . اما للبحث عن المحطة المختارة فيكفى تحريك مفتاح صغير خلف زجاج العدسة اليمنى ، إلا ان هذه النماذج المبتكرة من الأجهزة اللاسلكية لا تستقبل الا الموجات القصيرة فقط .

## ● سفن فضاء شراعية



يقول الاعلان « رحلة من الأرض الى القمر بسفن شراعية» لا تندهش .. انه مشروع فضائى امريكى أوروبى ينتظر تحقيقه فى عام ١٩٨٥ .

فسوف يحمل الصاروخ « اريان » ثلاث سفن فضاء شراعية ليطلقها فى مدار ثابت فوق الارض يبعد عنها حوالى ٣٦ الف كيلومتر . لتبدأ عند ذلك كل سفينة فى العمل منفردة . فكل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تتنافس فى هذا المجال وكل لها سفينتها الخاصة .

ولقد سبق أن تنبأ الفلكى كيلر بذلك منذ حوالى أربعة قرون . اذ افترض أن فيضا من الجسيمات الموجودة فى الفضاء قادرة على دفع أشرعة مثل هذه السفن بحيث تمدها بالطاقة الحركية اللازمة .

فى حين يتولى رواد الفضاء توجيه السفن الشراعية من الأرض آخذين فى الاعتبار معطيات غير عادية مثل قوة جذب القمر والأرض وسرعة الرياح الشمسية المحملة بالشحنات الخ .

إلا ان شراع هذه السفن الفضائية لم يصنع من الكتان مثل أشرعة السفن الشراعية التى تبحر فى الماء . فلقد صنع من غشاء رقيق من مادة صناعية ويبلغ قطر هذا الشراع حوالى خمسين متراً .

## ● الكيس السحرى

يقدم مخترع التحميض الفورى طريقة جديدة لتحميض الشرائح الفوتوغرافية فى خمس دقائق وبدون حجرة مظلمة وفى درجة حرارة عادية . إلا ان هذه الطريقة المبتكرة لن تضطرك الى شراء كاميرا جديدة لأن هذا الفيلم ذا الحساسية الخاصة يمكن استعماله مع أى نوع من الكاميرات . فبعد الانتهاء من التقاط الصور يتم وضع الفيلم فى صندوق صغير ويضاف اليه كيس صغير من المواد الكيماوية يباع مع الفيلم .

وعليك بعد ذلك ان تنتظر بهدوء وتعد الثوانى قبل ان تخرج الشرائح من الصندوق جاهزة للعرض .

ومن المتوقع طرح هذه الأفلام والكيس السحرى فى غضون الشهور القادمة فى الولايات المتحدة .

## ● مقص الـرقيب فى منزلك

سوف يتمكن الكبار قريباً من مراقبة ما يشاهده الصغار من افلام تليفزيونية وافلام فيديو ومنع ما قد يرونه ضاراً بابنائهم . فلأول مرة يضم جهاز تليفزيون دوائر الكترونية تتيح للوالدين منع استقبال الجهاز لارسال قناة معينة أو اكثر . وبالتالى يستطيع المشاهد الحيلولة دون استقبال جهاز تليفزيونى للبرامج التى لا يريد لاطفاله مشاهدتها وذلك بالضغط على بعض أزرار جهاز للتحكم عن بعد يباع مع التليفزيون .

ويختار المشاهد كود رقمى معين يتكون من اربعة ارقام ويسجله على أزرار جهاز التحكم عن بعد ثم يختار رقم القناة المطلوب الغاء إرسالها . كما تستطيع هذه الدوائر وقف استقبال شاشة التليفزيون لارسال الفيديو . ويستمر هذا الالغاء لمدة ١٢ ساعة وان كان فى امكان من يعرف الكود تشغيل القناة قبل مضي هذه المدة .

وبالتالى يستطيع الأهل مراقبة ما يشاهده أولادهم حتى وان كان الأهل خارج المنزل .

ولكنه فى الوقت نفسه سلاح ذو حدين فاذا وقع فى أيدى الأبناء فبامكانهم فى المقابل الغاء القنوات التى يرغب الكبار فى مشاهدتها .

## ● آلة تحرس صحتك



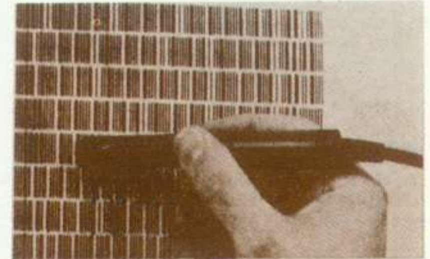

قد يرجع العديد من امراض العصر الخطيرة الى النظام الغذائى الذى نتبعه . فالاسراف فى تناول ملح الطعام يساعد على ارتفاع ضغط الدم وما يستتبع ذلك من امراض القلب والشرايين . كما ان الاسراف فى تناول السكريات والدهون يؤدى الى السمنة وهى بدورها وراء عدد غير قليل من الأمراض .

ولذلك صممت احدى شركات الاجهزة الالكترونية آلة حاسبة صغيرة لحراسة صحتك ومراقبة استهلاكك من الملح أو الكولسترول أو السعرات .

ولتحديد المراد حساب استهلاكه يضغط على زر معين من ازرار الآلة الحاسبة وباخبارها بكل ما يدخل جوفك خلال اليوم تحسب الآلة عنك كمية السكر أو الملح أو الكولسترول التى تناولتها بدقة متناهية تصل الى جزء من المليجرام .

واذا زاد الاستهلاكمن احدى هذه المواد عن الحد الصحى ترسل الآلة الحاسبة انذاراً فى شكل رنين متواصل للتحذير .

## ● الكتب تتكلم ..



قد تتكلم الكتب قبل نهاية العام الحالى فى الولايات المتحدة . لا تندهش فالامريكيون يؤكدون ان تحقيق ذلك امر يسير فهو يعتمد على تكتيك بسيط للغاية . وهو تحويل الكلمات الى كود خطى يتكون من خطوط سوداء وأخرى بيضاء بحيث تتضمن هذه الخطوط مجموعة من المعلومات يتم قراءتها بواسطة قلم الكترونى . فعند امرار القلم امام الكود الخطى يتم تسجيل ما يقرأ مباشرة فى ذاكرة احدى الوحدات الطرفية للكمبيوتر .

ولقد استخدم نفس التكنيك فى وضع كتب للاطفال ولكن بعد ربط القلم الالكترونى بدائرة لتوليف الصوت بحيث تردد بصوت عذب ما يقراه القلم . ومن ثم يستطيع الأطفال الذين لم يتعلموا القراءة بعد الاستماع الى قصص الأميرة والأقزام السبعة وذات الرداء الاحمر . الخ

كما يمكن استخدام هذه الكتب المتكلمة فى مكافحة الأمية فى البلاد النامية .

## ● هاتف للصم

لن يقتصر استخدام الهاتف على من يتمتعون بحاسة السمع فسوف يتمكن الصم من استخدامه ايضاً .

ويتركب الهاتف الجديد من لوحة أزرار يستخدمها الأصم فى كتابة نص المكالمة وشاشة صغيرة يظهر عليها عشرون حرفاً دفعة واحدة بالاضافة الى جهاز لتحويل اشارات هذا الهاتف الى اشارات صوتيه تستطيع الانتقال خلال الاسلاك .

فعندما يستقبل جهاز الأصم مكالمة هاتفية يضيء نوراً قوياً لينبهه الى المكالمة . وعند فتح الخط يدرك الهاتف الآخر ان الاتصال تم ويظهر على الشاشة اسم وعنوان المتحدث وعندئذ يبدأ الطرفان فى الحديث عبر شاشة كل جهاز . ولخفض زمن المكالمة واختصار المقدمات التقليدية سوف يوصل مسجل بالجهاز لتسجيل رسالة تتكون من ٨٥٠ حرفاً يكون الأصم قد كتبها على الشاشة وتنتقل الى المسجل من خلال وحدة ذاكرة موجودة فى الجهاز . وعند اى اتصال يتم تشغيل جهاز التسجيل .

الا أن نقطة الضعف الوحيدة ان هذا الهاتف لا يستطيع فى المرحلة الحالية الاتصال الا بهاتف مزود بمثل هذه الأجهزة .

# تمثيلية يابانية قديمة

## بدون عنوان .. لمؤلف مجهول

ترجمها عن الفرنسية
نبيل الألفي

هذه التمثيلية تنتمى الى تمثيليات الأسواق القصيرة فى نهاية القرن السادس عشر ، التى تتميز بالشعبية والحيوية والهزل المجنون ! على أن جذور جنون هذا « الاسكتش » ولا معقوليته قد ترجع الى حياة أول من عاشوا بالجزر اليابانية بغير مفهوم واضح للتفريق بين « روح » و « جسد » أو بين « حياة » و « موت » !

الشخصيات :

● هاناشيكا :
● تشايجن :
● جمهرة من الناس

مكان الأحداث :

● أولا : بمسكن متهدم فى حي فقير خارج أسوار المدينة .

● ثانياً : فى أحد الممرات المحيطة ببناء معبد قديم .

( هاناشيكا نائم ، يدخل تشايجن )

تشايجن : هيه ! أيها الصديق العزيز ! أتستسلم إلى النوم ؟ كيف هذا ؟ بان .. بان .. بان !

هانا شيكا : آه ! أهذا أنت ؟

تشايجن : الزم الصمت ، واستمع إلى ! انك احمق، شديد الاهمال ، فاقد البصيرة ، ولا سبيل إلى إنقاذك !

هانا شيكا : ماذا تقول ؟

تشايجن : ماذا تقول ؟ رائعة جداً هذه الـ « ماذا تقول ؟ » ... الم تعرف بعد ؟

هانا شيكا : تكلم ، أرجوك ، ما الخبر ؟

تشايجن : يالك من احمق شديد النزق حقا ! بينما كنت أتمشى بين أروقة معبد « ازاكوزا » الكبير وجدت بالمصادفة رجلا ميتا ممدداً على الأرض الصلبة القاسية ، وقد تجمع حوله حشد من أولئك المتسكعين الذين يقضون كل وقتهم فى التطلع بغباء الى ما يجرى حولهم ، فكان على أن أفرقهم ، حتى أستطيع أن أرى جيداً ..

هانا شيكا : وبعد ؟

تشايجن : وبعد ذلك .. آه .. ارجوك لا تصرخ ! تعدنى بان تظل هادئا ، اليس كذلك ؟

هانا شيكا : حسن ، تكلم ، ماذا هناك ؟

تشايجن : لقد تقدمت ، وبرفق رفعت الغطاء الذى كان يغطى الجثة ونحيته جانباً ، ونظرت ، ثم امعنت النظر ، ... فهل تستطيع ان تتصور من وجدت إنه انت .

هانا شيكا : انا ؟

تشايجن : أنت نفسك . لقد قلت عندئذ لكل أولئك المتسكعين البلهاء إننى ساحضر الشخص موضوع الواقعة ، لكى تسلم إلينا الجثة بعد التحقق من الشخصية على مشهد ومسمع

من الجميع ... بالاختصار ، ساقودك الآن إلى ذلك المكان .

هانا شيكا : إلى ذلك المكان ؟!

تشايجن : نعم . إلى ذلك المكان . هنا ، غمغم بصلاتك ثم اتبعنى .

هانا شيكا : يضايقنى بعض الشيء أن أظهر نفسى أمام الجمهور وأنا ميت !

تشايجن : إنه أنت المسئول عن ذلك ! هيا ما عليك إلا أن تتبعنى ، وأنا كفيل بالباقى ... ينبغى أن تعجل ، وتنفذ على وجه السرعة ما أقوله لك ، ألا يكفى أنك ارتكبت مثل هذا العمل المشين ، وتسببت فى مثل هذه الفضيحة ؟! انسان يسقط ميتا فى الطريق ، ويظل جاهلا بالأمر طوال الليل ، نائما حتى الضحى ؟! لم يسمع أحد بهذا من قبل !

هانا شيكا : آه .. ما أشد إهمالى وحمقى !

تشايجن : ها أنت ذا أخيراً تعترف ! هيا بنا ...

• •

(انتقالة إلى الممر بين أروقة المعبد )

تشايجن : معذرة أيها السادة ، نحن أصحاب الحق ، هذا هو الرجل موضوع الواقعة ... لقد استجوبته ، فأجابنى بأنه لا يذكر أنه سقط ميتا أثناء الليل ، مادام هو فى خير صحة وعافية هذا الصباح !

أحدهم : ( إلى هانا شيكا ) ليس هذا مجال المزاح يا سيدى !

تشايجن : استمعوا إلى أيها السادة ! لقد ذكر لى كل ما فعله البارحة وهو على وجه التحديد قد سقط ها هنا .. فى هذا المكان بالذات ، فما عليكم إذن ، إلا أن تنظروا كيف تضاهى الجثة صاحبها الماثل هنا أمامكم ، ثم تتفضلوا بتسليمنا الجثمان الذى هو من حقنا ، بما أنه لم يظهر حتى الآن أحد من ذوى قرباه ...

أحدهم : وإذن ؟ فأنت تزعم أنه أنت من مات هنا ؟

هانا شيكا : لست أزعم شيئاً !

آخر : أنظر الى الجثة .. راجع ودقق ..

هانا شيكا : ( إلى تشايجن ) لا ، لست أريد لا تحملنى على إظهار جزعى والمى أمام الجمهور ! اننى أدرك هول ما فعلت ، وهذا يكفى .

تشايجن : هيا ، انظر إذن !

هاناشيكا : واسفاه ! ياتعاستى وشقائى !

أحدهم : تشجع يا رجل ، لن نفعل بك شيئا ، نريد فقط أن نقنع أنفسنا ..

هاناشيكا : ( وهو يكشف لنفسه قليلا عن الوجه ) حسن ، إنى أرى ... أوه ! الوجه يبدو مع ذلك ، أكثر استطالة .. بعض الشيء !!

تشايجن : إنها الشمس . لقد بقيت معروضا تحت وهجها ساعات عديدة ..

هانا شيكا : لكم تبدو العيون غائرة فارغة ! يا لحظى المنكود ! هو حق إذن ، اننى مت ! أهذا صحيح ؟ هكذا سريعا ؟! كان ينبغى لى أن أقضى أمسية جميلة رائعة ، وأن ألهو واستمتع على تمام راحتى فى الليلة الماضية ! إن هذا محزن للغاية .. ماذا أفعل ؟ إننا لا نستطيع أن نوقظ الموتى ! لا نستطيع ..

أحدهم : (إلى تشايجن ) دعه الآن يا سيدى ، ها هو ذا يعانق جثته ... ( وبعد لحظة ، إلى هاناشيكا ) حسن ، أترى الآن كل شيء بوضوح ؟ هل استوثقت الآن من أنه أنت ؟

هانا شيكا : نعم .. ولكن ، قولوا لى أولا ، من كان ذلك « الانسان » الذى أصبح الآن جثتى ؟ من كان ذلك المخلوق الذى أبكى مصيره ؟!

( لا جواب ) .

( ينحنى هانا شيكا على الجثمان باكيا ... ) .

• •

## ختام آخر

( لا جواب ) !

(يحمل هانا شيكا الجثمان بين ذراعيه وهو يبكى ، ويستدير به ـ ومن خلفه الحشد ـ نحو نهاية الممر ، ثم يتجهون جميعا إلى داخل المعبد ) .

## ختام ثالث

( لا جواب ) .

( يحمل هانا شيكا الجثمان بين ذراعيه ، ويلتفت إلى جمهور المتسكعين من حوله ، ثم يطرح سؤالا جديداً ) .

هانا شيكا : أما من « عمل » يعيد إلينا الحياة ؟ أو حتى مجرد ظل للحياة ؟

( وينتهى العرض بأن يظل السؤال مطروحا حائراً ) .

---

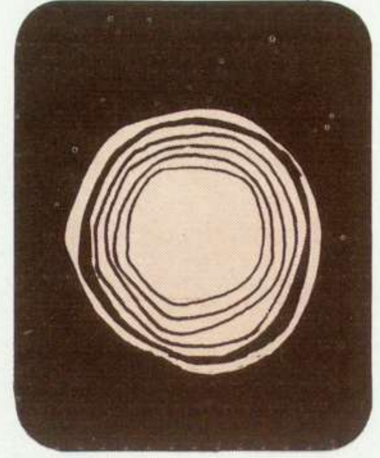
## ملاحظات

١ ـ مثل هذه التمثيليات القصيرة التى مثلت قديما بأسواق طوكيو ، كانت تستوعب الاضافات والارتجال وتلقائية الأداء ، دون التمسك بنص مكتوب له صفة الثبات .

٢ ـ المعنيون بمسرح « الكابوكى » اهتموا كثيراً بهذه التمثيليات فكانوا يرتادون الأسواق لمشاهدتها واستلهام طابعها الشعبى وتلقائية أدائها وحيويته .

٣ ـ الختامان الثانى والثالث يقترحهما المترجم ليقدم العرض مقرونا بثلاث نهايات مختلفة ، بغرض إفساح المجال أمام مناقشة مضمون العرض وأمام إشراك المتفرجين فى المناقشة .

( ن . أ . )



# أصوات نسائية
## في عالم القصة القصيرة القطريّة

بقلم : عبد الرحمٰن محسن

### أم أكثم ـ يوميات فى المنفى

«وصاحب المقهى .. نعم يا سيدى أنا بحاجة لفنجان قهوة دافىء . أرجوك لا تحملق في بعينيك الزرقاوين . انهما سماء وطنى ـ وأنا أرغب أن أنسى ..هذا المساء .. أرجوك سيدى ابعد لون عينيك عنى. إنه البحر الذى يحتضن مدينتى بصدره الواسع وأنا أرغب أن أنسى ـ أرجوك» .

النفى والاغتراب وأرصفة المدن البعيدة ومصحاتها النفسية وصقيع الطرقات والوجوه ـ تلك هى التيمة الأساسية فى أعمال هذه القصاصة الموهوبة المثابرة . ورغم احاديه هذه التجربة التى تتكرر فى معظم أعمالها إلا أن قدرتها على استخراج اللحظات الكثيفة المتجددة منها ، يجعل من هذه لتيمة إطاراً واسعا يجمع بين أطرافه هموم المرأة ـ وأشجانها ـ .

فالمرأة المغتربة هى تلك الفتاة التى سافرت لتتعلم ، فاصطدمت بذلك العالم المرعب من التقدم المادى والتحرر أو الانفلات ووقفت أمامهمبهورة الأنفاس خلفها البحر والسماء الصافية ، وابن العم الذى ينتظرها للزواج ـ وأمامها هذا البحر الذى عليها أن تعبره دون أن تغرق فى لجته .

وهى أيضاً تلك المريضة التى سافرت لتستشفى ـ من علل الروح ـ فأصابها المنفى بالمزيد من العلل ـ ولم تجد من تتعاطف معه فى هذا الكون إلا ذلك الغريب المعتل بلا هوية .. رفيق المصحة ، التى تحول حراسها الى جلادين بالهراوات ، والعصى والأوامر . ويستمر هذا الصوت شجناً دائماً تتصل نغماته ـ الحزينة فى «يوميات من المنفى» .

فالغربة دائماً شتاء قارس طويل ممتد .. يشبه «شتاء الأسكيمو» والوحدة فيه دائماً مع الجدران والأحزان والآمال المجهضة .

«ما أقساك أيتها السمراء الطيبة ـ فى ليلة ماطرة كجراحى جاءنى المخاض على غير موعد .. كنت وحيدة .. هجرنى قبل أن أخبره بحملى هجرنى مطارداً الخمر والقمار والنساء ، التى نبتت فى دمه ولحمه كالطحالب السامة .. ذبلت حياتى .. لكنها ستورق من جديد .. الطفل سينقذنى وينقذه .. هذا القادم المنتظر كالشمس الدافئة فى ليلة مثلجة سيعود المطر . همس فى قلبى سيعود بعد الولادة .. سيعود مع هذا القادم المنتظر وأنا أصدق المطر !!

وتعبر الكاتبة تجربة المخاض .. تتصبب لغتها عرقاً وهى تروى لنا عن هذه الوحدة وهذا الهجر ، وذلك الألم العظيم ، ولكن دون جدوى . فلا القادم الجديد المنتظر أتى ولا عاد من هجر . «مات ـ مات القادم المنتظر مات .. أسقط على الأرض الباردة ـ عشرات الأذرع تمتد نحوى ـ أسقط وتسقط الحياة» .

والنفى والغربة عند «أم أكثم» ليس نفياً مكانياً فحسب ـ بل هو فى الغالب الأعم نفى اجتماعى يعكس تمزق المرأة بين وعيها ووضعها حبيسة الجدران والتقاليد ـ أو ضحية للهجر ـ والنقد ـ أو نزيلة للمصحات النفسية ـ فدائرة النفى عندها تكاد أن تكون محكمة الاغلاق . الذهاب نفى والاغتراب والأياب مثله . ولا يبقى للمرأة المنسحقة بين شقي الرحى هنا وهناك إلا أن تستسلم ـ أو تغرس أظافرها فى أكتاف من تهوى «بعد أن جففتها السنوات فى «حلم ليلة صيف» .

«جفاف ثلاثين عاماً يأكل شفتى .. أحاول التحديق فى وجه أمى المتعب ـ أفشل ـ أجفانى ثقيلة ـ ثقيلة ـ كقطع من الحديد تسقط داخل عينى .. أغمضها .. الخريف ـ الخريف يا أمى يجتاح سهولى .. كأسراب الجراد وأنا أذوي كحقول الذرة . أنا يقتلنى الجفاف صلي .. صلي يا أمى صلاة المطر استسقى السماء» .

ولا يبقى أمام هذه المرأة الخريفية المهجورة إلا أن تستسلم لتفاصيل الكابوس الليلى الذى يطاردها حتى تستطيع أن تنام ـ تصعد السلم المهجور العتيق الى سطح الدار ـ حيث تطل على وجه الكابوس ـ الجار ، وتصرخ صرخة تشبه عطش الأرض التى جففها القيظ شوقاً للمطر «ندت منى صرخة . استيقظ النائم .. أضاء المصباح . تقدم بهدوء كسحابة ممطرة .. انغرست يدى فى كتفه كنبتة غرست هناك . انسكبت ضفائرى . ارتجف ثوب نومى الأزرق ـ إنى احترق . أحاول الصراخ . أحاول الصراخ عجزت لم أصرخ . أغمض المصباح جفنه . لفنا الصمت تنفست بعمق . تملكتنى السكينة غفوت .. كان القمر بدراً والصيف يمطر حرارة وحبات عرق» .

واذا كانت صورة المرأة المنسحقة بين الغربة الواسعة وصمت الجدران الصماء ، هى الصورة الغالبة على بطلات «أم أكثم» ، فان صورة الرجل من هذه القصص تبدو دائماً ضبابية غائمة تماماً كالطقس الخريفى والشتاء الذى تجرى أحداث معظم قصصها فيه .

الرجل غائب فى الغالب ـ بالهجر أو الموت ـ أو الاستحالة ، ويبدو خليطاً من الحلم والكابوس ، ليكمل بذلك إحكام الدائرة المغلقة .

ورغم أن العديد من قصص «أم أكثم» تجرى فى المنافى وبلاد الغربة ، يلفها البرد والمطر والصقيع .. لكن هذا الاغتراب لا يضع أدباً غريباً عن الواقع البعيد .. بل يحمل بين طيات نسيجه المرهف هموماً تزداد حدة وكثافة كأنها غيوم تلك البلاد التى توشك أن تمطر .

ولاشك أن سبع سنوات من المثابرة والنشر قد تطورت بأدوات هذه الأديبة بالرغم من غياب النقد . فالصور الشعرية التى تقطر الشجن تزداد انتشاراً فى جنبات قصصها الأخيرة .. واللحظة المنتقاة .. أصبحت أكثر تركيزاً .. وأثرى بالدلالات والقدرة على العطاء . ولكن هل يمكن لتجربة وحيدة مهما كان تميزها واتساعها ـ هل يمكن لنظرة ساكنة الأحزان أن تستمر فى العطاء دوماً وبنفس هذه العذوبة ؟ ليس هناك ما يجعلنا نقطع بما هو العكس حتى الآن على الأقل .

# هـؤلاء كاتبات القصة القصيرة في قطر

## أم أكثم
## كلثم جبر
## نورة آل سعد
## لولوة المسند
## مايسة الخليفي

فى البداية ..سيعتقد المتتبع والدارس لفن القصة القصيرة فى قطر، أن المصادفة وحدها، هى السبب فى أن معظم مايقع فى يده من قصص قصيرة موقع بأسماء نسائية .ولكن مع المزيد من البحث والتدقيق ،سوف يكتشف أن ما بدا له مصادفة ، إنما هو ظاهرة واضحة المعالم والعطاء .فمنذ سبع سنوات وتلك الأسماء أو غالبيتها ، لا تكف عن النبض والتدفق فى عالم القصة القصيرة .وعلى الجانب الآخر من الظاهرة للتلفت والانتباه .. تخفت أصوات الرجال ويشح عطاؤهم !

ومن بين تلك الأسماء ، سنختار ثلاثة أصوات متميزة ، تجمعها التجربة المشتركة ، ويفرق بينها الموقف ، وجميعها تشترك فى الابداع والاستمرارية : أم أكثم .. التى تدفق عطاؤها القصصى وتطورها الملحوظ على مدى سبع سنوات . كلثم جبر .. صاحبة المجموعة القصصية النسائية الوحيدة المنشورة «أنت وغابة الصمت والتردد» ـ ثم نوره آل سعد صاحبة الصوت الفنى المتميز ، وعدد كبير من القصص القصيرة الناضجة فنياً .

### كلثم جبر وغابة الصمت والتردد

منذ أربع سنوات صدرت عن دار العهد للطباعة والنشر فى قطر أول مجموعة قصصية تحمل اسم فتاة قطرية . المجموعة بعنوان «أنت وغابة الصمت والتردد» والكاتبة القطرية هى كلثم جبر .

ومنذ القصة الأولى ـ فى المجموعة .. قصة «حائرة» تتضح معالم الرؤى الخاصة لهذه الأديبة الـ (الحائرة) بين التقاليد وطموحات الذات .. بين الاقتحام والاحجام ـ فـ «هى أتت اليهم هاربة من الحبيب أتت اليهم تنشد السلوى والنسيان بقربهم ـ تحتمى بهم حتى يحين موعد سفرها . وهم : محمد .. علي فاطمة ـ وسالم» أبناء عمها .. وهى تنشد النسيان بعد أن «رحل الحبيب عنها ومن حياتها الى الأبد ، تاركاً لها الألم والفراغ من بعده» .

ـ وفى هذه القصة وفى بقية المجموعة تظل دائماً هذه الحيرة تمسك بتلابيب الكاتبة . فابن العم الذى يبدو فى القصص التقليدية رمزاً للقهر والتقاليد حين يتحتم الزواج منه يبدو فى هذه القصة الملاذ والمنقذ . وأما الأب ـ تجسيد هذه التقاليد وسلطتها المطلقة ـ يبدو فى قصة «الوهم» الضوء الكاشف الذى يعكس صورة أخرى للاب ـ العم الذى «يتحدث بقوة .. بكبرياء .. يأمرنى .. كلماته قوية امرة وأنا لم أتعود الأوامر ـ ولكنى أنصاع اليه ـ وأحس بالحرج ينتابنى وكأنه يحادثنى من قمة السماء وأنا نملة صغيرة جداً تحت قدميه» !!

«وعدت أطلب الفرار من جديد ، والتقت عيناى بنظرات والدى الباحثة عنى . تنفست الصعداء .. تواريت بأبى متعلقة بذراعه ، هاربة من الوهم الذى قيدنى» .

ورغم أن هموم العواطف والعلاقات الخاصة بين المرأة والرجل هى ما يشغل معظم مساحة هذه المجموعة ، ويعكس هذه النظرة التوفيقية بين التقاليد والرغبة فى التحرر .. إلا أن القصص النادرة التى تتعرض للمشاكل الأخرى ، تعكس نظرة أكثر نضجاً وتحرراً . فالعمل فى قصة «ليل وأسى» يبدو هو القيمة الأساسية التى يمكن أن تهب المرأة القوة والتماسك ، فى مواجهة الظروف والرجل الذى يتحكم فى مصيرها .

وصورة الرجل فى أعمال هذه المجموعة تعكس دائماً ـ تلك النظرة الرومانسية الباحثة عن الحماية والقيادة ـ والاستسلام لقدرته كقدر مطلق حتى لو استخدمت تلك القدرة فى سحق الروح والأمل والتطلع . استسلام يخلو غالباً حتى من نبرة المرارة أو التمرد .. وملامح الرجل الأب ـ هى السمة الأكثر غلبة على شخصيات وأبطال قصص هذه المجموعة ـ إلا فيما ندر .

ولعل أفضل قصص هذه المجموعة هى تلك القصة التى تركت فيها الكاتبة لصدقها العنان فى توضيح حقيقة هذا الموقف المتعاطف مع هذه الشخصية . دون فرض إطار ذهنى من التناقض .. ففى قصة «زهرة الزنبق» حين تهزم الشيخوخة الأب يظل رغم كل شىء بنظراته ولفتاته من فوق مقعده المتحرك ذلك القدر الذى تأخر قليلاً فى اكتشاف مأساة ابنته «زهرة الزنبق» وكأنه فقط هو القادر على انقاذها من مصيرها المؤلم .

وهذه القصة التى تروى على لسان : الأب ـ تبدو رغم قصرها أنضج قصص المجموعة حيث تلتقط فيها الكاتبة لحظة درامية مكثفة ـ تمتلىء بالدلالات وتطلق العنان للغة شاعرية رقيقة بعيداً عن التقريرية والوصفية التى تشيع فى معظم قصص المجموعة . واذا كان هذا هو الموقف الذى يسود أعمال الكاتبة القصصية كلثم جبر فى مجموعتها الأولى (أنت وغابة الصمت والتردد) فان الانتقال الى اخر أعمالها قد يفيد فى تتبع مسار هذه الرؤى ففى قصتى (الضياع) و (ميلاد جديد) بعض ما نشر لهذه الكاتبة فى السنوات الأخيرة ـ تظل صورة الأب «القدر» المسيطر هى الغالبة حتى حين يسقط فى (الضياع) والادمان ، وحتى حين تحمل الابنة همه وهم الأبناء والأشقاء ـ وحين تفقد الحب وفرص الزواج بسببه .. تستسلم لهذا الشقاء وتعطى للأشقاء المزيد من الحنان ـ علها تعوضهم عن الأب المفقود .

وأخيراً .. تشعر هذه الكاتبة بأسر هذا الاطار ـ فتحاول الانفلات والبحث عن «ميلاد جديد» ، وأن تسافر بلا حقيبة ـ أن تبحث عن اسم جديد ـ وهوية جديدة ، أو لا هوية .. لكن صوت الأب يأتى زاجراً «أين حقيبتك» ؟ فتطرق صامتة «خائفة ؟ العياذ بالله وهل مثلى تخاف ؟ ولكن أكن لهذا الصوت احتراماً شديداً ـ يفوق احترامى لنفسى ولذا علي أن أشرح»

لكنها تنفلت فى الصباح من جديد محاولة البحث عن الاسم المفقود وعن اللاهوية ، وتذرع بخطواتها التى تبدأ واثقة شوارع باريس بلا حقيبة فالحقيبة هوية ، ولا نقود ، فالنقود هوية ـ وتنكر اسمها ومنبتها ـ ولكن لنهار واحد ـ يمسك الفزع بعدها بالروح والجوع والانهاك فتعدو باحثة عن الطريق الى الملاذ .. الأب ، والهوية ، والحقيبة .

# أصوات نسائية

**«الى من يهمه الأمر» :
نوره آل سعد و «المراة القنفذ»**

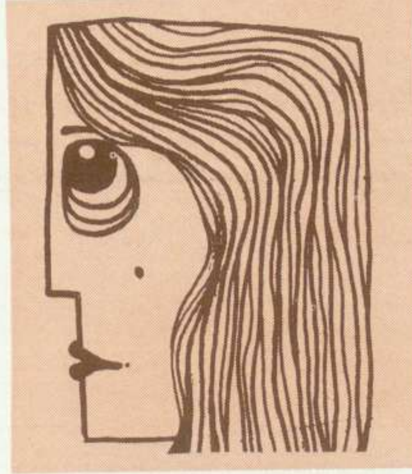
«واعلنت اننى استقيل من جوارى السلطان ، وأرفض أن أكون محظية القصر العثمانى ، ورحت أبث فى كل اذاعاتى بيانات القوة والتصريحات النافذة الى الصميم وأخبار معارك وهمية ، وضحايا بالملايين ، ونسيت الطرف الآخر ـ لكنه لم ينس كان يعمل فى صمت بسكينة واستراتيجية عريقة واثقة» .

وهكذا يبدو الصراع دائماً حاداً وساخناً عند الكاتبة القصصية نورة آل سعد ، الصوت الثالث المتميز بين الأصوات النسائية فى القصة القصيرة القطرية ـ ومن حدة هذا الصراع تتولد اللحظات الدالة الكثيفة الى الحد الذى تبدو معه بعض قصصها أشبه بصرخة الم حادة ، لكنها تخلو من الذلة والمسكنة ، مثلما تخلو من تلك المحاولات المضنية للتوفيق بين طرفى الصراع ، وأيضاً من تقديم الحلول الجاهزة الساذجة .. لتحتفظ بكثافة الألم الناتج من هذا الاحتكاك المضنى . انها تعرض الواقع كما هو متحيزة بشكل واضح تجاه الطرف المهزوم والأضعف دون ان تحدد زمناً أو أسلوباً للنصر .

ولا تقتصر هموم المرأة عند هذه الكاتبة على اشواق الحب والزواج ـ بل تتخطاها إلى التواصل الانسانى المفقود ـ الى العجز الانسانى امام الجدار الصلد ـ عجز الرجل وعجز المرأة ـ على السواء .

« انتم من جعلتم اسمى مرادفاً لمعانى الجهل والتفاهة والجرم والخنوع ، لأنكم مازلتم تحاسبوننى على تفاحة آدم فى حناجركم .. لأنكم تناسيتم كل أغلاط التاريخ ، وكل همجية الاستعمار ، وكل النكسات والهزائم ، وكل جراح الكرامة ، لأنكم تعاقبوننى على القيود التى ترسفون فيها ، وعلى العاهات التى تعانون منها » .

ورغم هذه الحدة والمباشرة التى تشيع فى بعض القصص إلا أن موهبة هذه الكاتبة تتجلى فى دمج هذه الصرخات فى سياق منطقى من الحدث المكثف ـ وتصل أحياناً الى درجة من الشفافية لا تحتاج معها حتى إلى هذه المباشرة بل تكتفى بأن تضع المعطيات وتناقضات الواقع فى روح شخصية متميزة الملامح ، تتخبط بين الجدران كاشفة لنا ما يجب ان نراه .. فالمرأة القنفذ تلك الدمية المدللة التى لا تخرج إلا فى صحبة الأهل ، والتى تجاب رغباتها المادية الصغيرة حتى قبل أن تبديها .. تكتشف فجاة



حين تفقد الأهل فى الزحام .. انها لا تعرف حتى عنوان مسكنها ولا اسم الشارع .

« هل آتخذ تاكسياً لكننى لا أحمل مالاً ـ كانوا يتكفلون دائماً بكل المصاريف للمواصلات ، والطعام والشراب والمسكن وكل شىء أى شىء . وعلى كل فانا لا أعرف حتى عنوان شقتنا ـ ليس بالضبط على الأقل .. أعرف اسم الحى وأجهل اسم المنطقة والشارع ورقم العمارة وما قربها وما أمامها ، وما خلفها .. أجهل جنوبها وشمالها ، شرقها وغربها ، أرضها ، وسماءها ، ولم احتج يوماً أن أعرف شيئاً من هذه الأمور الشديدة التعقيد ، لا احتاج لها لأننى اخرج معهم واعود معهم ، لأننى دائماً تحت أنظارهم » .

وفى تلك اللحظة الكاشفة ـ تواجه المرأة القنفذ لأول مرة حقيقتها ، وحقيقة التدليل .. تتخبط .. وتنهار ـ لا تعرف إلى أين تذهب ، ولا تجرؤ أن تسأل ـ ولا حتى ان تستغيث وحين يتقدم منها انسان يشعر بحالها ويعرض المساعدة .. يقفز من داخلها كل الرعب والخوف والشوق الغامض الذى غرسته السنوات وحياة الجدران الصماء .

« عيناه نقطتان سوداوان كالخنجرين ينفذان الى أعماقى بعنف . ويحطمان كل قلاعى الوهمية وجسورى المتعفنة يفتحان صندوق ذاكرتى العتيق لتخرج منه الاف الأساطير والأقزام والحبال المجدولة والوجوه المجدوره وغابات الصنوبر المسوس والشر الأزلى المتمكن من قلب عجوز تسرق الأطفال المتمردين وتطبخهم حساء لزوجها الضبع الذى يتجول فى ليلى ويمضغ شعرى وأسنانى وأمعائى ويسكن فى أحداق كل الرجال » .

ويستمر الضياع ـ يقود المرأة القنفذ بعيداً عن وجه من أراد المساعدة ـ وبعيداً حتى عن الزحام ـ يتجمد الخوف ـ ويسكن ـ فهى لا تملك إلا الانتظار ومن هذا الانتظار يتولد الوعى .

« دعنى انتظر ان يبحثوا هم عنى حيث اضاعونى منذ زمن بعيد » .

ولكن الذين أضاعوها منذ زمن بعيد لم يصلوا .. يمضى الوقت ولا أحد .. إلا المرأة القنفذ وصورتها التى تتردد على واجهه الفترينات الزجاجية ـ فتبدأ فى التحول الى كرة مشرعة الأشواك إلى قنفذ ساكن يبحث عن جدار يستند إليه ـ ولا جدار إلا من ينتظرهم .

وحين تقترب من هذا الضباب أكثر ـ يبدأ الضباب فى الانقشاع وتتكشف حقيقته رويداً رويداً ويشف الرمز ويرق ليصبح شعراً .

« كان قوياً أو هكذا ظننته . كان صارماً حاداً متيناً او هكذا اعتدت رؤيته . كان حائطاً كالحصن كسور الصين العظيم كأسطورة ليس فيها خرق إبرة ، لذا ، اسندت إليه رأسى وجسدى وكلى ـ لذا اسلمته قلبى وعقلى ومصيرى ، لذا اتخذته دليلى وقدرى وسبيلى .

ولأول مرة بدا مشروخاً كانه مرمم باهمال وسرعة لا مبالية لكنه مشروخ حتى النخاع ، حتى العظم ، حتى الدم . كان مريضاً مهدداً آيلا للسقوط وكان وقوفه الثابت كذبة يخفيها وراء نظارته السوداء ووقفته المهيبة . وهو يشد إلى الداخل عضلات كرشه ، ويتخذ وضع القوى المتمالك نفسه ومصيره وكيانه ، لكنه كان مشروخاً منهكاً يدارى كل ذلك بالأصباغ الزاهية ، والانفعالات الجامحة والدعايات الملصقة على جدرانه .

وعندما اسندت رأسى اقتربت منه ، واقتربت منه اكثر ، ورأيته بأم عينى خائراً موجوعاً متهالكاً مصطنعاً . كان الشرخ واضحاً مفزعاً ، يدعو للغثيان .. كانت الشقوق والحفر مملوءة بالحشرات والبعوض والأفاعى السامة ، والخنافس ، والصراصير ، والجرذان ، والحثالة التى اندست فى داخله وشدها الظلام والأصباغ والخارج البديع سترها . إنه لا أحد . اهتم بالاقتراب منها أكثر فأكثر لينظر ما وراء هذا ( الحائط ) المتين » !!

ويمضى صوت هذه الكاتبة الموهوبة ليقترب من هذا الحائط ، وهذه الصورة ، ليكشف الحقيقة بجراة وشجاعة وليكتب فى كل يوم نضجاً فنياً وتمكناً من أصول فن القصة القصيرة واعدا بعطاء خصب غزير ..

عبد الرحمن محسن

# دوحة الماضي

## مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جد أبيك

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزى



مدينة دمشق فى القرن الثامن عشر – لوحة محفوظة فى متحف التقاليد الشعبية بدمشق

### عزيزي القارئ

الحديث عن اعادة كتابة التاريخ القومى للعرب ، هو أكثر الأحاديث شيوعاً فى تصريحات المسئولين عن الثقافة ، وتعليقات المهتمين بها وتوصيات المؤتمرات والمهرجانات العربية ، المعنية بالتاريخ .. وحتى غير المعنية به !

وهو حديث يتزايد فى السنوات الأخيرة ، حين بدأ أعداؤنا ينازعوننا تاريخنا ، وينسبون لانفسهم ما ليس حقهم ، ويسلبون رصيدنا يضيفونه لرصيدهم !

وبرغم تكرار الحديث عن الموضوع ، فاننا لم نكتشف جوهر أزمة اعادة كتابة التاريخ ، وهو ما اكتشفته مجلة « المقتطف » منذ قرن كامل حين طالبت بالاهتمام بفلسفة التاريخ !

« المحرر »

العدد الثاني عشر - أغسطس "آب" ١٨٨٢م

# فلسفة التاريخ

لجناب الفاضل مستر هارفى بورتو استاذ التاريخ والعقليات بالمدرسة الكلية السورية

علم التاريخ الحقيقى ، وهو الذى يسمونه فلسفة التاريخ ، حديث الوضع بالنسبة إلى التاريخ بالاجمال ، ولم يبلغ من الكمال حتى الآن مبلغ اكثر العلوم وذلك لأسباب شتى عدا عن حداثة عهده .

وان قيل ما تعريف هذا العلم الواسع نقول بوجه الاجمال انه خلاصة التاريخ وجوهره ، ويسهل إدراك ما هيته من اعمال النظر فى غاياته ، ويزعم الاكثرون ان غاية التاريخ سرد الحوادث مع مراعاة الصدق والاستقامة . فيقتصر علم التاريخ فى زعمهم على وصف انتشار الممالك وسقوطها وذكر اسماء ملوكها ونسبهم وأهم أعمالهم ولا سيما حروبهم وشيء من أخبار من اشتهر من الخاص والعام . على أن هذا التاريخ ناقص الفائدة ، ولا تتم فائدته الا اذا قرنت الحوادث بما يكشف لنا جوهرها وعلاقاتها وأسبابها ونتائجها لنفهم معناها واضحاً ، والواجب أن تكون الغاية العظمى من درس تاريخ أمة كالرومانيين معرفة الأسباب التى أدت إلى خيرها وأفضت إلى ضيرها حتى نجنى المفيد مما أفادها ونجتنب المضر مما أضرها .

أما فلسفة التاريخ ، فغايتها أقصى من كل ذلك ، ودائرتها تشمل الحوادث والفوائد بأسرها ، وموضوعها يبحث عن جوهر الأمور ، فكما أن الفلسفة الطبيعية لا تقتصر على وصف الظواهر الطبيعية ، بل تكتشف جوهرها ، وكما أن كل فلسفة تبحث عن الوحدانية فى الحوادث العديدة وهكذا فلسفة التاريخ تبحث فى تاريخ كل أمة عن المعنى الجوهرى الذى يشمل كل حوادث تاريخها ، ويفسرها ويبين وحدانيتها وغايتها القصوى .

إلا أن فلسفة التاريخ لا تقتصر على الجزئى كمعرفة الجوهر فى تاريخ الانكليز أو تاريخ غيرهم من الأمم ، بل تتجاوزه إلى الكلى ، فتبحث عن غاية تاريخ العالم كله ، وعن المعنى الجوهرى فى ارتقاء الجنس البشرى أجمع ، ولا يخفى ما فى هذا البحث من العظمة والصعوبة لاتساع دائرته حتى اختلف العلماء فيه اختلافاً عظيماً ، فذهب قوم منهم الى أنه لا يمكن أن يكون فى تاريخ البشر وحدانية ولا أن يكون فى فروعه العديدة اتحاد .

ويبقى على فيلسوف التاريخ أن يبحث عن كشف هذه الغاية فى تواريخ العالم منذ البدء إلى الآن ، وهذا البحث يقتضى له تعميم دقيق ومقابلة واسعة بين الحوادث وعقل ثاقب ، وادراك قوى حتى يؤدى إلى المقصود فلا تعجب من خبط الكثيرين فيه على غير هدى وابتعاد الباحثين منه حتى الآن ، ولا سيما لأنه لم يزل حديثاً ، ولم يحصل الاتفاق على مبادئه :

ومهما يكن من قصور فلسفة التاريخ فى الكلى فقد حصلت الفوائد الجمة من تواريخ الممالك على حدتها لأن هذه التواريخ اقل من تاريخ العالم باسره اتساعاً واكثر منه كمالا اذ تاريخ بعض الممالك قد ختم وتاريخ بعضها قد صار فى الكهولة وظهرت الجهة المتجهة إليها . ومن اعظم الفوائد المشار اليها ظهور اسباب التقدم والتأخر فى حياة الشعوب فصار يمكن للناس مراعاة الأول واجتناب الثانى . ومنها انكشاف حقيقة التمدن ووسائط نموه وحفظه من الزوال فصار يمكن للناس ان يرجوا بقاء تمدن هذا العصر ودوام تقدمه ما دام البشر موجودين بخلاف تمدن الاولين فانه كثيراً ما كان يبلغ درجة سامية فى الارتفاع ثم ينحط وتندرس آثاره . ومنها ارشاد المؤرخين الى منهاج افضل من منهاج الاولين فى تصنيف تواريخهم فانه بعد ما كان كثيرون يروون الروايات ويوردون القصص ولا ينظرون فى صحتها ولا يتحققون مطابقتها للواقع ولا يبنون أسباب الحوادث ونتائجها اضحى مؤرخو عصرنا هذا يتوخون الصدق وتمام الفائدة فى تصانيفهم حتى جاءت كتبهم كالابريز والفضة المحصة بالنار مراراً . فعلى من رام التاليف فى التاريخ ان يراعى مبادىء فلسفته والسلام .

# باب الأسئلة والأجوبة

( ● ) من بيروت : هل لكم ان تعرفونا معدل سكان بيروت .

الجواب : اننا لم نطلع على احصاء مدقق لسكان بيروت ولا نظن انها أحصيت كذلك ولكن بعض المؤلفين قدر عدد سكانها خمسة عشر الفاً سنة ١٨٣٨ وثلاثين الفاً سنة ١٨٥٣ وما بين ستين وسبعين الفاً هذه السنة .

( ● ) من الشوير : كانوا فى زمان الامير بشير اذا ارادوا ان يعرفوا البالغ من الذى لم يبلغ من الشبان يطوون خيطاً من المصيص طاقاً على طاق ويقيسون به غلظ رقبته على الحنجرة ثم يضعون طرفى الطاقين بين اسنانه ويفتحون الخيط مما يليهما ويدخلون الرأس بينهما فاذا دخل حكموا ببلوغه وادخلوه الجند أو اخذوا منه مال الاعناق واذا لم يدخل حكموا بعدم بلوغه واطلقوه وقد امتحنت ذلك فصح فهل له قاعدة عامة صحيحة يرد تعليله اليها .

الجواب : اما صحته فمؤكدة عندنا واما سببه فلم نعثر عليه فى مؤلفات العلماء ومهما كان تعليله فواضح ان بروز الحنجرة وغلظ الرقبة فى البلوغ يزيد عن كبر الجمجمة حتى تصير نسبتهما الى سائر الجسد بعد البلوغ اعظم من نسبته اليه مع كونها قبل البلوغ اصغر منها .

( ● ) من بيروت : ماذا يعمل لشعر الخيل حتى يتجعد وتحشى به الفرش ونحوها .

الجواب : يفتل حبالا ويسخن بحرارة ضعيفة فتكثر مرونته ثم يحل فيبقى متجعداً .

# مطبوعات جديدة

مطبعة سيارة

يستفاد من الأخبار الواردة من ( نيواورلن ) باميركا ان العصبة القائمة بتحرير جريدة ( دمقراط ) فى تلك المدينة قد انشأت لها مطبعة سيارة على نهر مسيسي تجاه مدينة منفيس فصارت اذا ارادت الرجوع الى مدينة نيواورلن تعود بلا مشقة ولا انزعاج واذا مرت بمكان يجدر بالوقوف للتفرج او التنزه تقف ما شاءت ولا تجد فى الحالين من مانع لصف الحروف وطبع الجريدة باحكام وسرعة وانتظام اما مساحة هذه المطبعة فهى ستون قدماً طولا واثنتا عشرة عرضاً والقدم تعدل نحو نصف ذراع وفيها غرفة لكل من المحرر والمصحح والمرتب وحجرة لدولاب الطبع ومكان للمائدة وغرف للنوم ومطبخ واصطبل للخيل يركبها العمال عندما يخرجون الى البر ويتوغلون فى ارض الساحل ترويضاً للاجسام وترويجا للارواح .

( التقدم )

# أحمد عرابي انقضى زمن التنكيت ودخلنا عصراً جديداً


احمد عرابي

صورة ما كتب من صاحب العزة الهمام الفارس المقدم أحمد بك عرابي الى ادارة المطبوعات المصرية البهية بشأن هذه الجريدة .

---

لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن التنكيت اقتضى تبديل اسم جريدة التنكيت والتبكيت الادبية التهذيبية كما استقر عليه الرأى بالممارسة مع حضرة الفاضل عبد الله افندى نديم محررها ومدير ادارتها باسم ( لسان الأمة ) وان يكون موضوعها سياسياً تهذيبياً للذب عن حقوق الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها التوفيقية فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الأمل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرب المنيف اعتباراً من عددها التاسع عشر افندم فى ٢٤ ذا سنة ٩٨ مير بياده ٤ .

( نديم ) بحمد الله تعالى خلصنا من زمن التنكيت واصبحنا فى زمن الحرية ومعرفة الحقوق وهذا الذى قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشربها فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة بعد ان كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية وجعلناها تطالب بحقوق الامة وتدافع عن حقوق الحكومة بمعنى انها تقوم بخدمة الامة من حيث الذب عنها ونشر افعال الظلمة المخالفين لسير حكومتنا الحرة العادلة وتدافع عن الحكومة من يرميها بسوء من الجرائد الافرنجية أو العربية .

وحيث ان الامة صار لها مجلس نواب تعرف به حقوقها كذلك صار لها جريدة تنشر فضائلها وتدفع السنة الاعداء لا نتعرض للمدائح والاهاجي وانما نذكر لكل عامل عمله حسناً كان او قبيحاً وهو يشهد لصاحبه أو عليه . فنرجو من اخواننا الذين يكاتبوننا فى سائر الجهات ان لا يعتمدوا على اشاعة أو ارجاف او خبر ذى غاية بل لابد من الوثوق بالمخبر عنه قبل التحرير حتى تكون الجريدة قذى فى عين الجهلة وشجا فى حلق الظالمين .

# أخبار

## المجمع الفرنساوي لترقية العلم فى الجزائر

عقد احتفال هذا المجمع فى الرابع عشر من نيسان الماضى وحضره جمع غفير من العلماء لا يقل عن الف وخمس مئة فخطب الرئيس فى مذهب الجراثيم ومذهب باستور فى الاختمار ثم قرئت أوراق كثيرة فى جغرافية الجزائر وجيولوجيتها ومعادنها وسكانها واراضيها وهوائها وتاريخها الطبيعى ولم تقتصر تلك الابحاث على بلاد الجزائر بل على كل القسم الشمالى من افريقية . ولهذا المجمع عشر سنوات منذ انشىء وهو مقسوم الى أربعة اقسام رياضى وطبيعى وكيماوى واقتصادى وتحتها ستة عشر فرعاً وقد افاد الجزائر والعلم فوائد عميمة على حداثته .

## الطربوش

لم يصنع البشر لباساً للرأس يلبس ايام الحر اقل مناسبة من الطربوش على ما نعلم . فهو دون العمامة منفعة بل دون الكفية والعقال اللذين ينعم بهما عرب البادية بل دون القصعة التى يلبسها الصينيون . على اننا عبيد العوائد نفضل الزي على الصحة ونتباهى بالطربوش وذنبه ولو جاء بكل الضرر .

## شرب الماء البارد

مما يجب الحذر منه ايام الحر الشديد شرب كمية كبيرة من الماء البارد أو المبرد بالثلج دفعة واحدة . واذا غسل الانسان صدغيه بماء بارد قلت حرارة جسده كما لو شرب ماء بارداً وليس للغسل نتائج مضرة مثل نتائج الشرب .



مخلوق الفضاء .. وهو يحاول أن يلمس باصبعه وجه الصبي .. ليتعرف عليه أكثر .

في مهرجان كان في مهرجان كان في مهرجان




# مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا

بقلم : رؤوف توفيق

فيلم جديد للمخرج الشاب الذى حطم كل الأرقام القياسية فى الايرادات .. ومحاولة لفهم هذه الظاهرة الفريدة ؟

فى اليوم الأخير لمهرجان «كان» السينمائى لهذا العام ، احتفلوا بنهاية المهرجان ، بعرض فيلم (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) للمخرج الأمريكى الشاب (ستيفن سبيلبرج) .

كان هذا أول عرض عالمى للفيلم .. بعد أن انتهى المخرج من العمل فيه قبل موعد المهرجان بأيام قليلة !!

ومن هنا .. كان هذا العرض .. أول اختبار حقيقى للفيلم .. وهو اختبار قاس لا مجاملة فيه .. حيث أن من بين شهوده حوالى خمسة آلاف صحفى وناقد من جميع انحاء العالم !

وفى نهاية العرض .. ضجت القاعة الكبرى للمهرجان بتصفيق حار ومتواصل .. وقد كان هذا الترحيب الشديد ، شهادة ميلاد واعلان واضح بنجاح الفيلم .. وفى نفس الوقت ، تأكيد جديد بعبقرية هذا المخرج الأمريكى الذى لم يتجاوز عمره ٣٤ عاماً .. ولكنه فى كل فيلم يخرجه ، يحطم رقماً قياسياً فى الايرادات !



الأطفال الثلاثة فى الفيلم يتابعون بانبهار شديد لحظة هبوط سفينة الفضاء على الأرض .

الصبى فى لقطة من بداية الفيلم .. وهو يحاول اكتشاف مكان اختباء مخلوق الفضاء .

فمازال عشاق السينما فى العالم يتحدثون عن فيلمه الأخير «غزاة القوس المفقود» الذى استطاع خلال الستة شهور الأولى من عرضه أن يحقق أرباحاً وصلت الى ٣١٠ مليون دولار .. وفى نفس الوقت دخل الفيلم ترشيحات «الأوسكار» الأخيرة لثمان جوائز فى فروع الفيلم المختلفة !

وهو نفس المخرج الذى قدم من قبل فيلم «الفك المفترس» والذى حقق صدمة المفاجاة عند جمهور المشاهدين ، وابتلع الفيلم كل الأرقام القياسية السابقة فى الايرادات .. ليسجل رقماً مذهلا فى تاريخ صناعة السينما ..حيث حقق الفيلم ايرادات وصلت الى ٤١٠ مليون دولار !!

وهو نفس المخرج الذى دخل موجة افلام الخيال العلمى والفضاء .. فقدم رؤية خاصة لسكان الكواكب الخارجية فى زياراتهم للأرض عن طريق الأطباق الطائرة .. فى فيلم «لقاءات قريبة مع الجنس الثالث» .. حيث تعامل المخرج مع الخيال العلمى والمشاعر الانسانية فى مزج رائع وحب شديد .. ولم يستغل ظاهرة الاهتمام عند الشباب والمراهقين ، فى أمريكا وأوربا ، باسرار الفضاء .. ليقدم لهم ملهاة مثيرة بالتكنولوجيا الأمريكية .. ولكنه أعطى لموضوعه بعداً انسانياً .. وقدم سكان الفضاء فى زياراتهم للأرض داخل معزوفة موسيقية خلابة ومهيبة .. وكانه يريد أن يحطم الصورة التى حاول أن يرسمها بعض المخرجين ، الذين تناولوا نفس الموضوع واظهروا سكان الفضاء كمجموعة من المخلوقات الغريبة تحمل أسلحة مدمرة ومرعبة .. وانهم فى النهاية ليسوا إلا غزاة لا يعرفون لغة للتفاهم سوى العنف والشر .. وجاء ذلك المخرج العبقرى ليقول من خلال فيلمه (لقاءات قريبة مع الجنس الثالث) ان سكان الفضاء ليسوا من الأشرار .. وانهم لا يريدون سوى التعارف .. وانه من الممكن التفاهم معهم بلغة الموسيقى .. فهى اللغة التى لا تعرف الفروق فى مفردات الكلمات .. ولكنها لغة المشاعر العالمية .

واستطاع الفيلم أن يلوى التفكير السائد عند المتهمين بموضوع الفضاء .. وحقق الفيلم ايرادات وصلت الى ٢٥٠ مليون دولار !

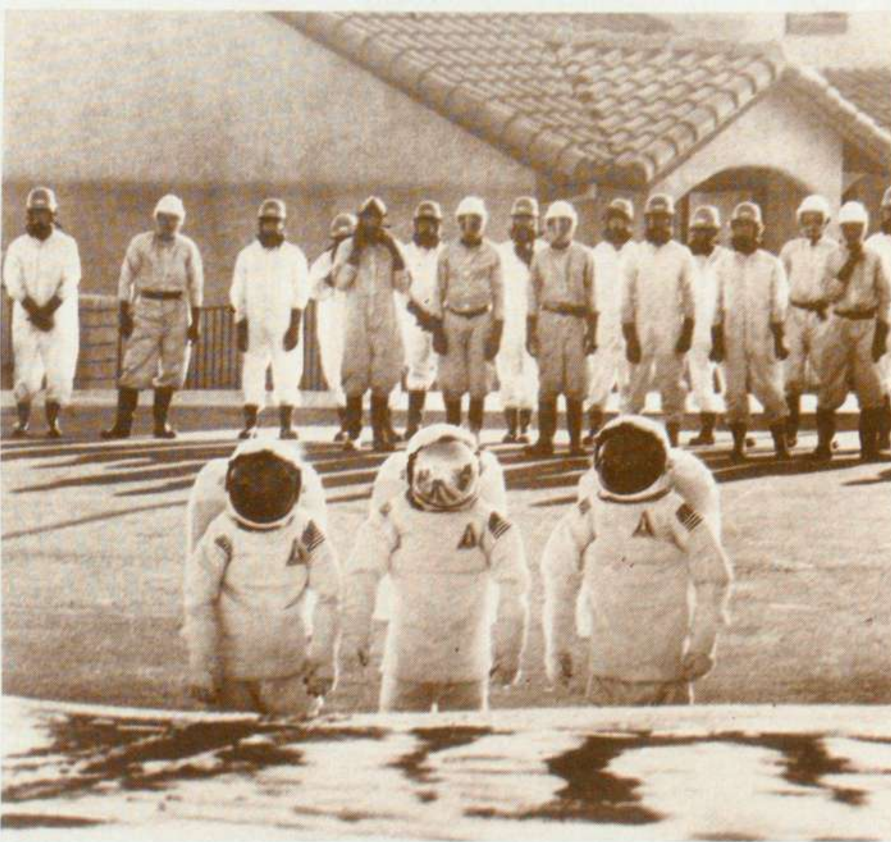
ويعود نفس المخرج .. الى نفس الموضوع فى فيلمه الجديد (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) ليقدم فصلا جديداً من الخيال العلمى ، يحكى فيه عن علاقة صداقة تنشأ بين مخلوق فضاء ، وطفل صغير .. وتتطور هذه الصداقة الى نوع من الارتباط الحميم ، وليصبح مخلوق الفضاء فرداً محبوباً بين كل الأطفال فى هذه القرية الأمريكية التى تدور فيها أحداث الفيلم .. حيث ينضم كل الأطفال للدفاع عنه ، ومحاولة إسعاده بشتى الطرق !

## ● اعتراف شخصى

واعترف اننى حضرت العرض الأول لهذا الفيلم فى مهرجان «كان» باحساس مسبق باننى ساشاهد حكاية أخرى من حكايات مخلوقات الفضاء .. وهذه الحكايات لا تشغلنى ، ولا تهمنى .. ولا تثير فى داخلى اى نوع من التعاطف .. لأنى أتعامل معها بعقل بارد يعرف تماماً أن ما أراه أمامى ما هو إلا خدعة سينمائية يتبارى لتنفيذها مجموعة من الخبراء عندهم البراعة والقدرة على




# مخلوق الفضاء
## الذي صفقوا له طويلا



فرق الاستكشاف وقد استعدت بزي خاص وتجهيزات غريبة من أجل اصطياد مخلوق الفضاء .

التحكم فى الآلات ، والأزرار .. بالاضافة الى أن حكايات الفضاء نوع من الرفاهية الذهنية لا يحتملها عقل متفرج مثلى جاء من أرض ملتهبة بالمشاكل والهموم ، ويعيش حياته اليومية فى صراع مستمر لكى يحصل على حقه ، ويدافع عن بقائه .. ولا يتبقى له فى النهاية ، أى جهد ، أو أى رغبة ، فى أن يرفع راسه الى السماء ليفكر فيما بين النجوم والكواكب .. أو ما هو شكل المخلوقات التى تعيش عليها .. أو متى يتم اللقاء بينى وبينها وكيف يكون شكل هذا اللقاء ؟!

لست رائق البال الى هذه الدرجة .. وحتى اذا كانت هذه الأفكار عن الفضاء ، مجرد «هلوسة» .. فاننى لا أستطيع أن أبوح بها لأحد ممن يعانون مثلى .. وإلا طاردتنى سخريتهم وشكوكهم بانى فقدت عقلى ..

قد يكون هذا ضريبة الواقع الصعب الذى نعيشه .. وربما اطلقنا عليه مسميات مثل التخلف .. و .. الجهل .. و ..

ولكنه فى النهاية .. هو الواقع الذى لا مفر منه !

### ● المفاجأة عند العرض

ولهذا جلست أتابع هذا الفيلم من باب التسليةفقط .. وقد اقنعت نفسى بانه لا مانع من الترفيه قليلا ، بعد ارهاق المتابعة اليومية المرهقة لعشرات الأفلام على مدى أسبوعين من المهرجان .. لا مانع من اجازة قصيرة لا أفكر فيها .. ولكن ماحدث لى اثناء الفيلم ، كان مفاجأة مذهلة .. مازلت حتى الآن لا أصدق كيف حدثت ؟!

وجدت نفسى مشدوداً تماماً للأحداث .. أفرح وأبكى كطفل صغير .. اتابع هذا المخلوق الغريب من الفضاء ، وكاننى أعرفه منذ زمن طويل .. اقلق عليه عندما يتعرض لمشكلة .. وانتعش بسعادة عندما يتخلص من المازق !

ولما انتهى الفيلم كان وجهى مبللا بالدموع .. وحاولت بسرعة أن أتخلص من هذا المنظر .. ولكنى فوجئت بأن من حولى ــ رجالا ونساء من جنسيات مختلفة ــ يواجهون نفس الحالة .. الدموع فى عيونهم .. وايديهم تهتز بتصفيق متواصل !

وأسرعت الى قاعة المؤتمرات الصحفية ، حيث حضر المخرج «ستيفن سبيلبرج» مع بعض أعضاء فيلمه .. ودارت أسئلة كثيرة حول الفيلم .. ولكنى لم استطع أن امنع نفسى من تامل هذا المخرج الذى وضعنى فى هذه الحالة .. كيف استطاع أن يستحوذ على مشاعرى .. ويقلب تفكيرى .. ويجعلنى أتعاطف مع خدعه ؟!!

هل هو نوع من البراعة والدقة الفنية ؟ أم أنه قوة التأثير فى مخاطبة المشاعر ؟!

وما حيرنى .. كيف يواصل هذا المخرج الشاب ــ الذى لم يتجاوز ٣٤ عاماً ــ نجاحه بهذه القفزات السريعة الواثقة .. ما أن يضع يده فى عمل ، حتى يتحول الى ذهب .. حتى كادت ايرادات أفلامه تفوق ميزانية دولة بأكملها !!

انها ليست بالتأكيد مسالة حظ .. ولكنها نوع من العبقرية الفنية التى لا تتكرر كثيراً .. عبقرية العثور على موضوع وتقديمه فى شكل متميز يؤثر على ملايين الأشخاص فى أى مكان فى العالم .. مهما اختلفت مشاكلهم وهمومهم وأفكارهم ! .

### ● قصة الفيلم

وفيلم (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) .. أو كما اختصروا هذا العنوان الطويل الى حرفين فقط E.T. تبدأ أحداثه فى أحدى الليالى الصيفية بقرية أمريكية تحيط بها الغابات الكثيفة .. السماء صافية مرصعة بالنجوم ..

فى هذه الليلة .. يهبط من بين نجوم السماء ، شىء ما صغير الحجم ، يشبه سفينة فضاء .. وتستقر السفينة فوق احد التلال القريبة من تلك القرية .. ومن بين الظلام ، تبدو أضواء السفينة وكأنها حلقة دائرية من الشعاع .

يفتح باب السفينة .. وينهمر منها مجموعة من الكائنات الحية الغير عادية .

فى هواء الليل الرطب ، وبين الضباب .. يظهر أفراد طاقم السفينة كل منهم يمسك فى يده بالة صغيرة يستكشف بها موضع قدمه على الأرض .. يتحركون فى حرص وحذر خوفاً من اللحظة الخطرة التى قد يكتشف فيها أحد من سكان الأرض ، وجودهم ..

وأثناء تجوالهم فى نطاق ضوء السفينة .. كان أحدهم قد سرح بعيداً عن المنطقة التى هبطوا فيها .. اختفى بين الأعشاب الطويلة على أطراف الغابة .. وأثناء تجواله يمر بشعاع أحد الأضواء الكاشفة ، فيظهر خياله على الأعشاب .. ويبهره هذا المنظر ويواصل السير مستغرقاً تماماً فى اكتشاف المكان .. حتى يبعد كثيراً عن زملائه والسفينة التى حملته الى هنا ..

ولكنه لا يدرك هذه المسالة .. ويواصل السير حتى يصل الى حافة أرض منحدرة .. حيث تظهر أمامه أضواء متلألئة منتشرة فى وسط الخضرة .. وكان هذا أول ما يراه من حضارة الانسان .. ومن بين مساكن



الطفلة الصغيرة التى تعاملت مع مخلوق الفضاء وكأنه لعبة مثيرة .. تحاول أن تسعده بكلبها وملابسها المزركشة .

الضواحى .. وحياة المراعى .. وفجأة ينطلق صوت مدو .. انه صوت موتور احد الموتوسيكلات التى يستخدمها شباب هذه القرية .. ولا يدرى هذا المخلوق الغير عادى .. كيف يتصرف .. يصاب بالذعر والارتباك .. ويبحث عن مخبأ .. وفى مخبئه بين الأشجار يرى عدداً من الآدميين يركبون الدراجات البخارية ذات الصوت العالى .. ويتفرقون فى نواح كثيرة ..

فى ذلك الوقت كان زملاؤه من سفينة الفضاء .. قد فقدوا الأمل فى عودته .. وأحسوا بالخطر .. فاستعدوا بسرعة للعودة من حيث أتوا .. وترتفع سفينة الفضاء فى ظلام الليل مرة أخرى .

ويكتشف المخلوق الغير عادى .. أن زملائه قد رحلوا .. والسفينة طارت .. ويصاب بالرعب والذهول .. يبحث عن مكان يأويه .. إنه E.T. .. وحيداً تماماً .. على بعد ثلاثة مليون سنة ضوئية من منزله .. مذعور .. خائف .. كسلحفاة فقدت درعها الواقى .. يقفز بين أعشاب الغابة ، كضفدع ضعيف .. يبحث عن مخبأ .. حتى يصل الى مخزن مهجور قريب من أحد المنازل ..

فى هذا الكوخ يعيش ثلاثة أطفال مع أمهم .. بعد أن هجرهم أبوهم إلى المكسيك حيث تعرف على امرأة أخرى ويعيش معها .. ويحاول الأطفال مع امهم أن يتماسكوا كعائلة صغيرة . وأن يتحملوا غياب الأب .. وتفرغ الأم كل حنانها على أطفالها حتى لا يشعروا بالحرمان من الأب .. وتحتمل هي المأساة فى صمت وشجاعة .. ولا تخونها دموعها إلا عندما يتحداها احد أطفالها بعناده واصراره بالسؤال متى يعود الأب .. ولو كان الأب موجوداً لتغيرت الأحوال وتحقق لهم كل مايريدون !

إنها نموذج لعائلة أمريكية عادية .. تعاني من مشكلة لها صدى فى كثير من البيوت الأمريكية .. أو غيرها فى أي مكان بالعالم .

### ● الأطفال .. وهذا المخلوق الغريب

وبذكاء شديد يربط المخرج بين هذه العائلة .. وهذا المخلوق الغير عادى .. ويأتى الربط من خلال الابن الصغير ذي العشرة أعوام .. الذى يشعر بحركة غير مألوفة فى المخزن المهجور بالقرب من منزلهم .. وبفضول شديد يحاول اكتشاف سر هذه الحركة والتى تبعها صوت ارتطام بأحد الصفائح الفارغة .. ويتسلل فى هدوء وحذر الى داخل المخزن .. وفى ظلام الليل لا يرى شيئاً .. ولكنه عندما ينظر تحت قدميه .. يرى آثار بصمات لأقدام غريبة .. ويتتبع هذه الآثار .. حتى يفاجأ أمامه بهذا المخلوق الغير عادى .. ويطلق الصبى صرخة فزع مكتومة .. ويذعر المخلوق الغير عادى بما حدث .. فيطلق هو الآخر صرخة متحشرجة .. وتطل من عينيه الدائرتين نظرات خوف وترقب .. ولكن اصرار الصبى الصغير على تحديد ماهية هذا الشيء المتحرك الذى يراه أمامه .. يجعله يتوقف طويلا محاولا اكتشافه .. وتمضى اللحظات بطيئة .. ويشعر المخلوق الغير عادى .. ببعض الأمان .. فيهز له عنقه الطويلة ، وكأنه يستعطفه ألا يؤذيه .. ويسمع الصبى صوت أمه تبحث عنه .. فيسرع باغلاق باب المخزن على المخلوق الغير عادى .. ويرجع مسرعاً الى منزله وقد أحس انه مقبل على مغامرة مثيرة ! .

فى صباح اليوم التالى .. يدعى الصبى المرض .. حتى تعفيه والدته من الذهاب الى المدرسة .. وما أن يخلو البيت له .. حتى يهرع الى المخزن ليدعو هذا المخلوق الغريب الى حجرته .. انه يعامله كطفل فى مثل عمره .. يحاول أن يشرح له محتويات الحجرة .. ومتعلقاته الشخصية من لعب وملابس .. وقد زال الخوف منه تماماً .. أما المخلوق الغريب فقد تحول هو الآخر الى مستمع يقظ منتبهاً تماماً الى تصرفات الصبى .. مندمجاً فى هذا العالم الجديد بلا قلق او خوف ..

ويركز الفيلم بعد ذلك على هذه العلاقة التى نشأت بين الصبى وهذا المخلوق الغريب .. ان كلا منهما يحتاج للآخر .. وكلا منهما يشعر بمشاعر الآخر .. بل يحدث نوع خاص وفريد من الاتصال والتوحد النفسى .

فعندما يتعود هذا المخلوق الغريب على المنزل ويعرف محتوياته .. يدخل الى المطبخ ويفتح الثلاجة ليشرب علبة من المياه الغازية .. وحينما يتجشأ .. نرى الصبى فى مدرسته فى تلك اللحظة يتجشأ هو الآخر .. وعندما يتمادى المخلوق الغريب فى العبث بمحتويات الثلاجة ويشرب علبة من البيرة .. نجده يتمايل حتى يفقد توازنه ويسقط على الأرض .. فى نفس اللحظة التى يمر بها الصبى فى مدرسته بنفس الاحاسيس .. يفقد توازنه هو الآخر .. وتزوغ عيناه .. ويسقط مغشياً عليه .

ولا يستطيع الصبى أن يكتم خبر هذا الضيف الغريب الذى يخبئه فى غرفته .. إذ يبوح بالسر لشقيقته الصغيرة .. التى تفاجأ فى البداية ثم تتعود عليه وتلاعبه كما تلاعب كلبها .. ويعرف الأخ الأكبر أيضاً بالموضوع .. ويتفق الثلاثة على كتمان الخبر عن أمهم حتى لا تلجأ الى البوليس لابلاغه بما حدث .

ومن خلال المواقف والتفاصيل الصغيرة .. يضعنا المخرج فى عالم هؤلاء الأطفال .. ويأخذنا فى براعة شديدة لنتقبل نحن أيضاً كمشاهدين هذا المخلوق الصغير الحجم ، الغريب الشكل .. إنه مخلوق عاجز .. منفصل تماماً عن عائلته .. ويعيش تجربة مثيرة .. ولا يمكن إلا وأن تتعاطف معه .. وهو يحاول النطق بكلمات انجليزية .. ومدى الفرحة




# مخلوق الفضاء

## الذي صفقوا له طويلا



اهالي القرية يتابعون رحلة صعود سفينة الفضاء .. ويودعون المخلوق الغريب الذى عاش بينهم .



المخرج الأمريكي « ستيفن سبيلبرج » يعطى ملاحظاتـه للصبي الموهوب « هنرى توماس » بطل الفيلم .

التى عمت الأطفال عندما اكتشفوا انه يستطيع أن يتكلم مثلهم .. انهم يدللونه .. ويخدمونه .. ويخافون عليه .. ويلعبون معه .. يلبسونه ثيابهم .. ويشاهد معهم التلفزيون .. ويتعلم كيف يمسك بالتليفون .. ويدق الأرقام .. لقد أصبح واحداً منهم ..

كل هذا يحدث .. والأم لا تشعر بوجوده .. فتكتل الأطفال وحرصهم على هذا المخلوق الغريب يدفعهم دائماً لحمايته .. وفى احدى المرات عندما تسمع الأم صوتاً غريباً .. تسرع بتفتيش البيت .. وفتح دواليب الملابس .. ولا تكتشف وجود هذا المخلوق الغريب .. الذى كان الأطفال قد خبأوه بين لعبهم فبدا كأنه احدى هذه اللعب !

● البيت .. البيت !

ولا تملك كمشاهد طوال تلك اللحظات .. سوى الضحك والدهشة من تصاريف الأطفال وخفة ظلهم .. وفى نفس الوقت الاحساس بالقلق على هذا المخلوق العجيب ـ بعد أن تعودت على شكله الغريب ـ وحنينه الجارف للعودة الى أهله وبيته .. انه يردد دائماً كلمة «البيت» .

ويحاول الصبى الصغير أن يصنع وسيلة اتصال بالعالم الخارجى ، لكى يستطيع ذلك المخلوق أن ينادى أهله .. ومن خلال بعض الأدوات المهملة هنا وهناك يجمع الصبى آلة كان قد شاهد نموذجاً لها فى كتاب وبرامج للتليفزيون .. وينصب تلك الآلة على احد التلال المحيطة بالمنزل ، وبجواره ذلك المخلوق العجيب ينتظر فى قلق وشوق ان تعمل الآلة لكى ينادى أهله ..

لقد استطاع هذا الصبى بادراكه أن يفهم أن هذا المخلوق يجب أن يعود لأهله .. فهذا شىء حيوى جداً بالنسبة له .. وإلا مات اذا استمر موجوداً على الأرض .

وفى نفس الوقت يشعر ذلك المخلوق العجيب بمشكلة ذلك الصبى المحروم من الأب ومعاناة الأم من خيانة الزوج وفراقه لها ..

● القرية تطارد هذا المخلوق

وعندما يفشل الاتصال بالعالم الخارجى .. يشعر المخلوق الغريب باليأس والحزن .. ويمرض .. فى نفس الوقت الذى تواصل فيه فرق الاستكشاف فى القرية تتبع آثار بصمات المخلوق الغريب أثناء تجواله فى المنطقة ..

ويصور المخرج فرق الاستكشاف وكأنها فرق الشر التى تحاصر هذا المخلوق .. وتحاصر أيضاً هذه العلاقة الحميمة بين الأطفال .

إن فرق الاستكشاف تتحرك فى عنف وفى ايقاع ينذر بالعنف .. وعندما تصل هذه الفرق الى المنزل المخبأ فيه هذا المخلوق وقد تملكه الضعف والمرض .. تفاجأ بعربة اسعاف مجهزة بأحدث الأجهزة .. وغرف عمليات .. وفريق من الأطباء .. وآلات معقدة تتبع نبض المخلوق الغريب .. وحركة دائبة وسريعة للسيطرة عليه وابقائه حياً للاستفادة منه فى أبحاثهم العلمية ..

فى تلك اللحظات .. يمرض الصبي .. ويمر بنفس المرحلة التى يمر بها المخلوق العجيب .. إنه التواصل النفسي !

وعندما يسترد المخلوق العجيب ، وعيه .. ويفتح عينيه .. يحدث نفس الشيء بالنسبة للصبي .. ويسرع إليه ليختطفه بمساعدة اخوته وأصدقائهما من الصبيان الذين ينطلقون به بدراجاتهم البخارية فى تشكيل رائع ..

وكان هؤلاء الأطفال الصبية والأطفال يدافعون عن انفسهم .. وعن حلمهم ..

ويبرع المخرج فى تأكيد هذا المعنى من خلال هذه المطاردة التى لا ينهيها سوى وصول سفينة الفضاء مرة أخرى .. لقد جاءت هذه المرة لتعيد هذا المخلوق إلى عالمه ..

وفى مشهد النهاية يودع الصبي هذا



المخرج « سبيلبرج » مع مخلوق الفضاء الذى صنعوا نموذجا له فى الاستوديـو .



فرق الاستكشاف وسيارات البوليس والاسعاف تحاصر المنزل الذى يستضيف مخلوق الفضـاء .

الصديق الذى أحبه وارتبط به .. تغالبه الدموع .. وهو يطلب منه أن يبقى معهم ..
بينما المخلوق الغريب يردد بعض الكلمات التى عرفها .. وأجاد نطقها .. وأهمها « المنزل » .

إنه سيعود إلى منزله ...

ويستسلم الطفل أمام هذا المنطق .

فكل منا يجب أن يعود إلى منزله .. وإلى حنان الأهل ..

وتصعد سفينة الفضاء .. لتنهي هذه الحكاية المثيرة ..

● حكاية الثمانينات

وقد أطلقوا على هذا الفيلم .. انه حكاية الثمانينات ..

ولا أرى انهم يبالغون فى هذا الوصف .. فانني أعتقد أن هذا المخلوق الغريـب (E.T) .. سيصبح خلال الشهور القليلة القادمة .. من أهم الشخصيات الخيالية التى ستطبع صورها على الملصقات والملابس والشارات .. ولعب الأطفال .. وستصنع منه نماذج مجسمة باحجام مختلفة .

لقد صنع الفيلم وهماً جميلا .. ولا يمكن للمؤسسات الأمريكية أن تترك هذه الفرصة دون أن تستغلها اقصى استغلال ..

وقد تحدد موعد عرض هذا الفيلـم عالمياً فى سبتمبر القادم ..

ويتوقع خبراء السينما .. أن تفوق إيرادات الفيلم .. كل الأرقام القياسية فى تاريخ السينما الأمريكية ..

● المخرج يتحدث عن الأطفال

ولكي يعطي المخرج لمسة واقعية لهذه الحدوتة الخرافية .. تعمد أن يختار الأطفال الذين يلعبون الشخصيات الرئيسية فى الفيلم .. من بين وجوه جديدة لم يسبق لها التمثيل فى السينما أو التليفزيون .

وكانت أصعب مهمة .. هي اختيار من يقوم بدور الصبي الذى تنشأ بينه وبين هذا المخلوق الفضائي ، علاقة الصداقة والارتباط .. فقد أجريت اختبارات لآلاف الأطفال من سكان الضواحي فى امريكا .. حتى يكون الصبي على دراية تامة باحاسيس ومشاعر الدور المرسوم فى الفيلم .. وهكذا وقع الاختيار على الصبي « هنرى توماس » .

ويقول المخرج « سبيلبرج » :

– « لقد تعلمت خلال تعاملي مع هؤلاء الأطفال فى ذلك الفيلم .. احترام ذكائهم وحكمتهم .. إنني لم أحتج لتبسيط أسلوبي أو شرح معنى ما أقول .. فعندما أبدا فى الشرح أو التبسيط أشعر بتفاهة ما أقول .. إن جيلي وجيل ابائي لا يقارنوا أبداً بهذا الجيل .. إن ذلك مثل الليل والنهار .. وهو شيء مدهش ومذهل .. فان أطفال العاشرة من هذا الجيل لديهم ادراك واسع يفوق مداركي عندما كنت فى السادسة عشرة من عمري .. وهي قفزة هائلة بين الأجيال » . !

● دعوة إلى الأحلام

ويطلق بعض النقـــاد على المخـــرج « سبيلبرج » أنه المخرج الشاب الذى يعرف كيف يعبر عن أحلام الشباب .. ويقدم لهم ما يفكرون فيه ..

أما المخرج فهو يقول عن نفسه « بيني وبين التليفزيون ثار قديم ، فقد تسلل التليفزيون إلى غرف الأطفال .. وأصبح التليفزيون لعبة .. وتحولت اللعبة إلى إدمان ..والادمان هو عنف وإرهاب .. ورعب .. من خلال أطنان الأفلام الرديئة التى يعرضها التليفزيون .. ولهذا فاني أريد أن أخرج الاطفال من غرفهم ليذهبوا إلى السينما .. ويروا شيئاً جديداً ومختلفاً .. يداعب أفكارهم ويدعوهم لاستعادة براءتهم وانسانيتهم وأحلامهم مهما كانت غريبة » !!

وهكذا كان هذا الفيلم نوعاً من الاحلام ..

أحلام الصغار والكبار معاً .. نحو عالم يقوم على الحب والمشاركة ...

« رءوف توفيق »



# ضحكات الشهر

## مزيكه




ـ .. شوبـان

ـ .. ما بـان .. شي !!



ـ بتنفــخ ليــه ..؟؟



ـ تسمح غطا الحلـه ... عاوزين نكمل الطبيخ ... !!

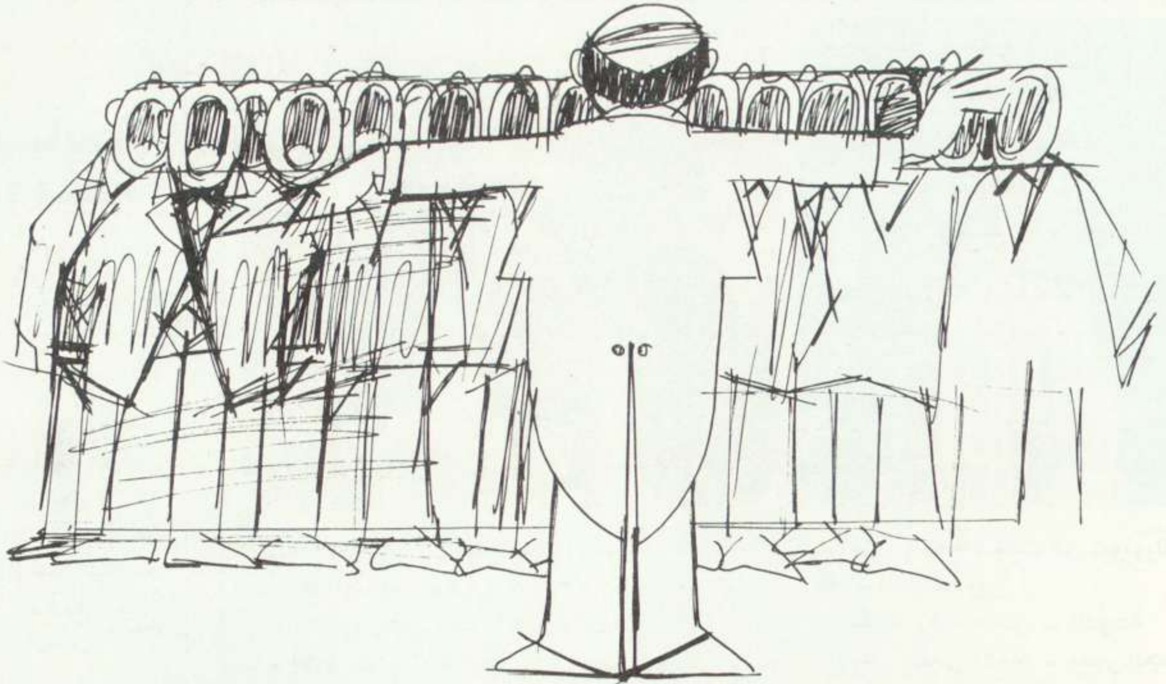


ـ عاوز أنام .. غني فى سرك ... !!



ـ .. وانت « عازف » ... ولا متجوز ... !!

مايسترو ـ .. الصف الثاني .. تالت واحد على اليمين .. عندك لوز .. !!



# حاول أن تعرف



صورة ١ دولة عربية حاربت سبع سنوات حتى حصلت على استقلالها ، تقوم بجهود ضخمة فى مجال التعريب ، يقوم اقتصادها على الزراعة التى تزود ثلثى السكان بحاجتهم ، كما تصدر الغاز الطبيعى ، وتنتج خام الحديد والفوسفات والرصاص . ما اسم الدولة ـ واين تقع ؟

صورة ٢



ولد هذا العالم بالقاهرة عام ١٣١٤ م ، وعاش بدمشق ، ومكة .. ألم بعلوم الفقه والحديث والتاريخ ، كما اتقن علم الفلك . ويعتبر زعيم مدرسة تاريخية بمصر ابان القرن التاسع الهجرى فألف « إمتاع الاسماع ، والدرر المضيئة فى تاريخ الدولة الاسلامية » ، وأكثر من ١٠٠ كتاب ورسالة .



# دوحة القراء

# مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٨



ـ الملكة هى بلقيس ملكة سبأ
● أسماء الفائزين :
ـ الشتيوى بن نصر النور ـ تونس
ـ أحمد سعيد الشريف ـ رأس الخيمة



ـ بناية امباير ستيت فى نيويورك :
● أسماء الفائزين :
ـ شفيقة رضا حسن ـ الدوحة
ـ أيمن حلمى الامام ـ مصر الجديدة

## سحر البيان

دخلت امرأة على هارون الرشيد وكان فى حضرته جمع من الكبراء فقالت : يا أمير المؤمنين : أقر الله عينك . وفرحك بما آتاك . وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت .

فقال لها : من تكونين أيتها المرأة ؟

فقالت : من آل برمك . ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم .

فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود إليك . ثم التفت إلى الحاضرين وقال . أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟

فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً . قال أظنكم ما فهمتم ذلك . أما قولها : أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت ، وأما قولها : وفرحك بما آتاك ، فأخذته من قوله تعالى : (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وأما قولها : وأتم سعدك ، فأخذته من قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه
ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها : حكمت فقسطت ، فأخذته من قوله تعالى : ( أما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ) .

فلما انتهى الرشيد من كلامه استولى على الجماعة العجب من تلك البلاغة وذلك البيان الساحر . !!

محمد عبد اللطيف ادريس ـ مصر

## لقطة الشهر



**حنان الأمومة**

**ـ فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارىء فولى عبد العظيم محمد ـ مصر ـ اسيوط**

## هل تعلم ؟

ـ انه يوجد اليوم نحو ٥٠ نوعاً من الأبجديات المستعملة فى اللغات الحية ، منها ٢٥ نوعاً تستعمل فى دولة واحدة هى الهند .

ـ انه يوجد حوالى ٨٠٠٠ نوع من النمل ، تتزاوج الملكة مرة واحدة فقط ، ويمكن للملكة ان تعيش ١٥ عاماً .

ـ ان اسرع سمكة هى سمكة الشراع اذ تبلغ سرعتها ٣٣ كلم فى الساعة !

**عبد الوهاب محمد عدن**

## الحل المناسب

كان أحد علماء الاجتماع يلقى محاضرة فى احد الأندية النسائية وكانت المحاضرة عن الأزمة الناجمة عن الزيادة الهائلة فى عدد سكان العالم .

قال المحاضر : أن فى مكان ما من العالم توجد باستمرار امرأة تلد طفلا فى كل دقيقة ليلا ونهارا ، فماذا نحن فاعلون لعلاج هذه المشكلة ؟

وهنا وقفت احدى السيدات وقالت له : اعتقد أن أول شىء يجب القيام به هو أن تعثر على تلك المرأة وأن تمنعها من عملها الشنيع .

**محمد المصمودى تونس**

# دوحة القراء

# مسابقة الدوحة



## مَن ؟

عدو عنيد أعطى العرب فى الشهر الماضى صفعة قد لا يفيقون من هولها زمناً طويلا . اسمه من كلمتين فى تسعة أحرف

١ ـ ٤ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٥ غطاء الطيور .
٦ ـ ٤ ـ ٩ ـ ٨ ـ ٢ ليس الظلام

## أين ؟

الأرض التى فقد فيها العرب البقية الباقية من أشلاء وحدة صفهم . اسمها من خمسة أحرف :
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٥ ثمرة منعشة
٣ اسم سورة فى القرآن الكريم

## ما ؟

مرض دب فى أمة العرب ، ذكر فى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، الكلمة من خمسة أحرف :
٤ ـ ١ ـ ٥ أصبح حقيراً لاكرامة له .
١ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ اسم للبحرين قديم .

## الإجابة الصحيحة

(١) النخيل من الأشجار : ذات الفلقتين ـ ذات الفلقة الواحدة ـ معراة البذور .

(٢) كان رئيس البوليس السري لنظام الديكتاتور ستالين يهودياً يسمى :
بريا ـ هملر ـ صلاح نصر

(٣) كلمة ( بريد ) ذات أصل :
فارسي ـ هندى ـ عربي ـ برازيلي

(٤) جاء ذكر الزيتون فى القرآن الكريم :
ست مرات ـ ستون مرة ـ ستمائة مرة

(٥) تقع مدينة بيروت بين بلدتين من البلدان التالية :
بعلبك ـ زغرتا ـ جونية ـ خلدة ـ بحمدون

(٦) توفى الملك عبد العزيز آل سعود فى سنة :
١٩٥٣ ـ ١٩٦٣ ـ ١٩٣٣م

(٧) انقرضت الزواحف الهائلة او الديناصورات فى العصر الجيولوجي المسمى الطباشيري منذ :
١٣٠ مليون سنة ـ ١٥ مليون سنة ـ ٣٧ مليون سنة .

(٨) «ينتمي اليهود إلى جنس عرقى واحد يرجع إلى سيدنا اسحق بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام » . هل هذه العبارة صحيحة علمياً ولماذا ـ ؟

(٩) «واحتمل الأذى ورؤية جانيه»
أكمل البيت وانسبه إلى قائله

(١٠) مؤلف كتاب الملل والنحل فيما بين القرنين الخامس والسادس للهجرة هو العلامة :
أبو الفتح الشهرستاني ـ أبو اليزيد البسطامي ـ أبو ذؤيب الهزلي .

## حل مسابقة العدد ٧٨

من : عبد الحميد باديس
أين : وهران .
ما : الغاز .

الاجابة الصحيحة :

١ ـ ٢١٧ ق . م
٢ ـ ١٩٤٨ م .
٣ ـ نشيش .
٤ ـ وان ولاة المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد للشاعر حسان ثابت .
٥ ـ قشور الرمان ـ أملاح الكروم ـ أملاح الشب .
٦ ـ لا ـ لأن نيوزيلنده ليس بها ثعابين
٧ ـ البوصيرى
٨ ـ ١٩٠٦ .
٩ ـ قدرى .
١٠ ـ البكتريا

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ دورى الكاريكاتير :
الحل : اللاعب رقم (٨) .
الفائز : علي محمد أحمد عيسى ـ الخور ـ قطر .
٢ ـ يخلق من الشبه اربعين :
الحل الصورة رقم (٥) .
الفائز : عبد القادر محمد ـ سوريا .
٣ ـ لوحة لم تتم :
الحل : الكاتب والأديب يوسف ادريس
الفائز : حازم عوني جرار ـ الأردن .
٤ ـ خيال من :
الحل : ياسر عرفات
الفائز : عبد الحميد محمد عثمان ـ السودان .

## أسماء الفائزين

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء :
– عبد المنعم حسن مصطفى – ويمبلى – انجلترا .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
– حذيفة عبد العزيز عبد القادر – الامارات العربية المتحدة .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
– عبد القادر سيلا – داكار – السنغال

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

| | | |
|---|---|---|
| ١ – نورة خليل ابراهيم | الدوحة – قطر | |
| ٢ – رمضان سعود محمود | ليبيا | |
| ٣ – جهاد جميل حسن الحداد | الأردن | |
| ٤ – فاطمة يوسف الشعبان | البحرين | |
| ٥ – وليد قطبى عبد الصمد | السودان | |
| ٦ – سعد محمد قاسم | العراق | |
| ٧ – آمال محمد حمادة | مصر | |
| ٨ – محمد سعيد سلمانى | دبى | |
| ٩ – احمد حمامى | سوريا | |
| ١٠ – رياض محمد بوسفه . | تونس | |

## استراحة الدوحة العدد ٧٨

٥ – لأقوياء الملاحظة فقط :
الحل : تليفزيون حقيبة يد نسائية – عقد – قبعة – قلم احمر شفاه .
الفائز : مبارك عبد الله مبارك
الدوحة – قطر

٦ – هات اجمل تعليق :
حتى تكونى على طيب خاطر .. اختارى منا واحد ..
الفائز : دحا محمد – المغرب .

٧ – لعبة الظلال :
الحل : رقم (٢) .
الفائز : حسين علي حسين حسان
الاسماعلية

## ينبوع الشباب الدائم



ليس الشباب زمناً من أزمنة الحياة ، بل هو شعور فى النفس ، وتوقد الخيال ، ونشاط فى العواطف ، وإرباء الشجاعة على التهيب ، وغلبة شهوة المغامرة على حب الراحة .

وما من أحد يهدم لأنه عاش عدداً من السنين ، وانما يهدم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانباً . وكر السنين يترك الجلد مغضناً ، لكن ترك الحماسة يغضن الروح .

وسواء أكان المرء فى السبعين أم فى السادسة عشرة من عمره ، فلن يخلو قلبه من حب للعجيب الرائع ، ومن دهشة حلوة تساور النفس حين يرى النجوم وما يشبهها من الأشياء والأفكار ، ومن جرأة قاضية تتحدى خطوب الدهر ، ومن شوق كالذى يملأ قلوب الصغار رغبة فى معرفة الغيوب ، ومن بشاشة للحياة الزاخرة بالمرح والنضال . وأنت شاب بقدر ما أوتيت من ايمان ، وهرم بقدر ما منيت به من شك ، وصغير بمقدار ثقتك بنفسك ، وكهل بمقدار وجلك ، وفتى بحسب أملك ، وشيخ بحسب يأسك .

وما دام قلبك يتلقى رسالات الجمال ، والبشر ، والشجاعة ، والجلال ، والقوة ، من الأرض ، ومن الانسان ، فأنت شاب .

ومتى وهنت الأسباب التى بينك وبين الحياة ، وطهرت قلبك ثلوج التشاؤم والشك وقلة المبالاة ، فقد شخت حقاً !

**عبد العظيم السعدنى ( مصر )**

## كلمات لها معنى !

– لو كان العالم مسرحاً كما يقولون ، فما أتفه الروايات التى تمثل على خشبته
محمد زكي عبد القادر

– الحب كشجرة الورد .. كلما ذبلت زهرة انبثق برعم .
أحمد رامي

– ليتني طفلا لا يكبر أبداً .. فلا أنافق ولا أهادن ولا أكره أحداً .
جبران خليل جبران

– تتفتح بصائرنا أحياناً من خلال الأخطاء كما تتفتح الأزهار النابتة فى الأوحال .
توفيق الحكيم

**أشرف محمود السيد – اسكندرية**

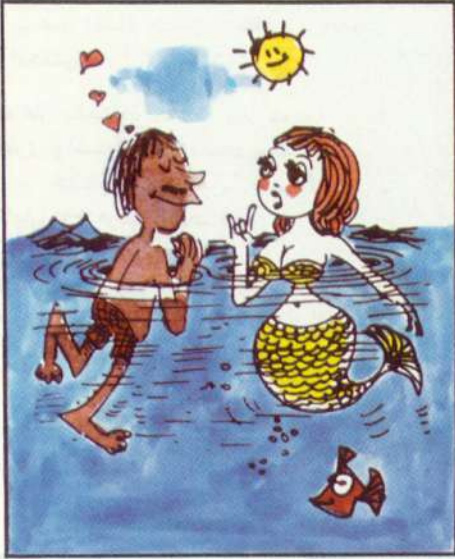
# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :
رؤوف



## أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## المثل يقول




هذا الرسم الكاريكاتيري الساخر يعبر عنه مثل شعبي عربي .
هل تستطيع أن تعرف ماذا يقول المثل ؟ إذا عرفت ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## لوحة لم تتم!



● هذه لوحة لم تتم .. رسمها الفنان لكاتب عربي كبير ، رحل عنا ولكن عبقريته لم تزل تعيش معنا ..
حاول معرفة اسم الاديب الكبير ولك جائزة ( ٦٠ ريالا )

## هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ..؟؟

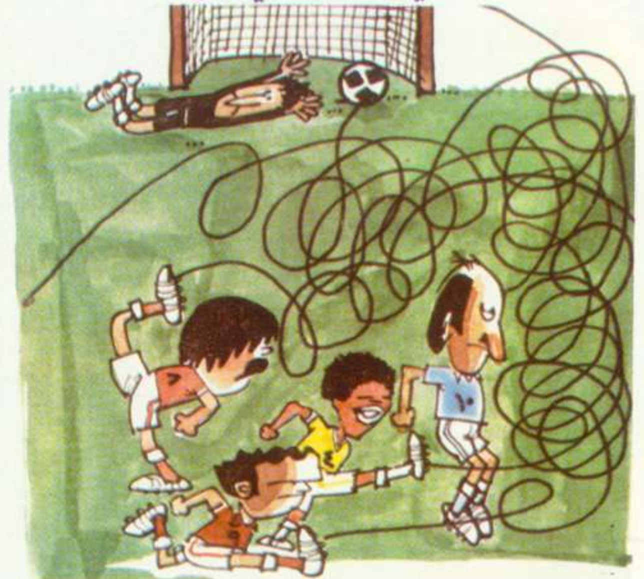
حاول .. وارسله إلينا .. لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست سيدات يشبهن فنانة الشعب ام كلثوم .. من بين هذه اللوحات الست واحدة فقط تشبهها تماما وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تعرف رقم فانلة صاحب الهدف .. بدون الاستعانة بالقلم أو اصبعك .. إذا استطعت فجائزتك هي .. شهادة منا بانك قوي التركيز والملاحظة .. !!

## لعبة الظلال



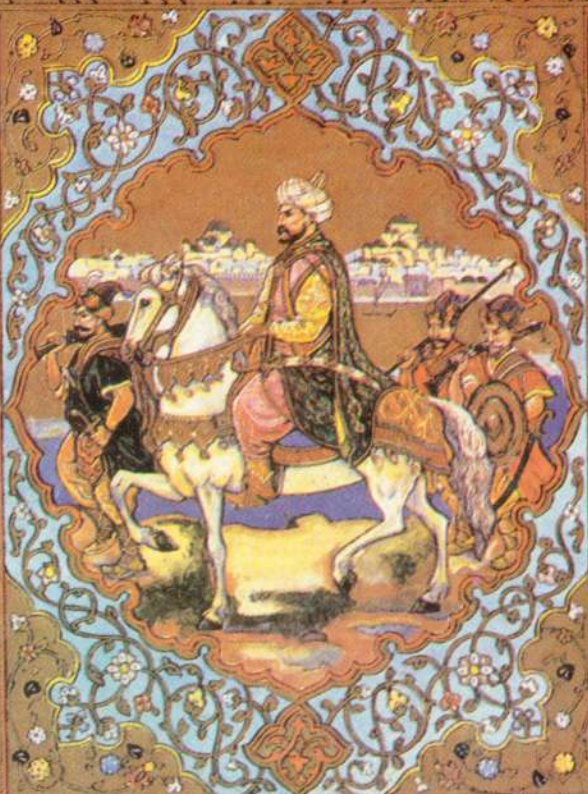

هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

PEPSI




مشروب الجيل الصاعد










ظهور الإسلام.. من روائع الفنان الجزائري محمد راسم

العدد ٨١ ـ ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## جزء خاص : ١١ عاماً على استقلال دولة قطر

- وثيقة تاريخية بالغة الأهمية
د. عاصم الدسوقي

- كوتشينة ..!
محمود السعدني

- مجرمون إلى الأبد
خالد محمد خالد

- كيف نخترق جدار العقم الثقافي ؟
د. محمد جابر الأنصاري

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث
فتحي رضوان


MIRINDA

## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ – الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء – القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دينان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ – الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه – تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ – دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد – ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ – تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ – الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ – جدة
مكتبة ومطبعة خياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ – بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية – الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ – طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ – بنغازى

● الاردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ – عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف – بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ – المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ – مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ – صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص.ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ – المحافظة الأول
عدن .

● الأمارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام – عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ – ابوظبى .


# الدوحة

**مجلة شهرية ثقافية جامعة**
**تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر**

العدد ٨١ – ذو القعدة ١٤٠٢هـ – سبتمبر ١٩٨٢م


## المراسلات :


التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة – قطر .
العنوان البرقى :
المجلة – الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير


## الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

## الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

## الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر


طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# في هذا العدد


د . محمد جابر الأنصارى


خالد محمد خالد


فتحي رضوان


د . عبد السلام العجيلى

افنيرى أثنـــاء لقائه بياسر عرفـــات
فى بيروت الغربيـــــة ( ص ٤٦ )




● كيف نخترق جدار العقم الثقافى ؟ ... ... ... ...
د . محمد جابر الأنصارى ٦

● مجرمون إلى الأبد ... ... ... ... ... ... ... ... ...
خالد محمد خالد ١٠

● من أخطاء العقل العربى ... ... ... ... ... ... ...
رجاء النقاش ١٣

● حكايتى والمؤتمر ... ... ... ... ... ... ... ... ...
د . عبد السلام العجيلي ١٩

● الكوتشينة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
محمود السعدني ٢٢

● المسألة الصهيونية الفلسطينية فى الكونجرس
الأمريكى ... ... ... ... ... د . عاصم الدسوقى ٢٤

● دور العمائم فى مصر الحديثة ... ... ... ... ...
فتحي رضـــوان ٣٢

● من تاريخ البطولة العربية : قلعة الشقيف ...
نبيل خالد الأغـــا ٣٦

● ملاحظات حول : شكوى الحيوان من ظلم الانسان
يوسف الشاروني ٣٩

● سعد زغلول فى قفص الاتهام ... ... ... ... ...
د . محمد عبد الرحمن عنبر ٤٠

● الجامعة الاسلامية العالمية ... ... ... ... ... ...
د . صالح الشماع ٤٢

● تل العقارب .. وليس تل العقاب ... ... ... ...
د . أحمد حسين الصاوى ٤٣

● الأسرة البهمانية ... ... ... ... ... ... ... ...
أحمد العناني ٤٤

● أورى أفنيرى الصهيونى الخائف من التاريخ
عصام شريح ٤٦

● موديلياني : العبقرى الصعلوك ... ... ... ...
جمال قطب ٥٠

● الكنوز الحية فى المياه القطرية ... ... ... ...
ابراهيم فؤاد أحمد ٥٢

● لقطات من الكون المثير ... ... ... ... ... ... ٦٠

● قبرص : عالم السحر والجمال والأساطير ... ...
مجدى نصيف ٦٢

● مراثى أسمهان ... ... ... ... ... ... ... ... ...
كمال النجمى ٦٨

● محاولة فى تأويل عينى حبيبتى « شعر » ...
حسن طلب ٧١

● الفنان التشكيلى الراحل نزار سليم ... ... ٧٢

● مات رجل وعاشت نظرية ... ... ... ... ... ...
د . عبد المحسن صالح ٧٦

● حكاية رجل لا تعرفونه « قصة » ... ... ... ... ...
أم أكثم ــ
● رسالة الى جندى اسرائيلى « شعر » ... ... ...
محمود درويش ومعين بسيسو ــ
● دائرة المعارف القرانية : « الفقراء » ... ... ...
د . محمد البهى ٩٩
● بندتيو كروتشه : ناقد عالمى يجهله العرب ... ...
د . الطاهر أحمد مكي ١٠٠
● الموجة الجديدة فى السينما ... ... ... ... ...
محمد فتحي ١٠٥
● من كتاب « حكمة الشرق » ... ... ... ... ... ...
ترجمة د . صالح الشماع ١٠٨
● محمود فوزى أخر جيل الديبلوماسيين العظام
محمود مراد ١١٠
● الى الزنبقة الغائبة « شعر » ... ... ... ... ... ...
م . كجراى ١١٥
● أغطية الرءوس فى العالم العربى ... ... ... ...
اللواء ابراهيم محمد الفحام ١١٦
● معالم وحكايات من لندن ... ... ... ... ... ... ...
محمد مروان جميل مراد ١٢١
● الشاعر عدنان مردم بك يتحدث عن أبيه الخليل
د . نسيب نشاوى ١٢٦
● رسالة إلى شـاعر ... ... ... ... ... ... ... ...
بشرى ناصر ١٢٩
● محطات ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الله الشيتى ١٣٠
● أريد زوجة « قصة » ... ... ... ... ... ... ... ...
عبد الوهاب داود ١٣١
● كافافيس : شاعر عالمى من الاسكندرية ... ... ...
د. نعيم عطية ١٣٤
● دوحة الماضى ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٣٩
● العلم هو المستقبل ... ... ... ... ... ... ... ...
لبنى الريدى ١٤٤
● رسائل إلى المحرر ... ... ... ... ... ... ... ١٤٦
● إمرأة تدعى جولدا .. وأشياء أخرى مزعجة ...
رءوف توفيق ١٤٨
● ضحكات الشـهر ... ... ... ... ... ... ... ...
صلاح الليثى ١٥٤
● دوحة القراء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١٥٦
● استراحة الدوحة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٦٠

● جزء خاص : ١١ عاماً على استقلال دولة قطر :
من ص ٨٣ إلى ص ٩٨

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

## حتى لا تتم التصفية الكاملة للحضارة العربية

# كيف نخترق جدار العقم الثقافي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

من بين أهم أسباب العقم في الثقافة العربية هذه السنين هو عجزنا نحن ، أبناء هذه السنين ، عن تجديد نظراتنا لتراثنا القريب والبعيد ، واعطائه عمقاً جديداً ، ومعنى جديداً ، وروحاً جديدة .

فنحن يتملكنا الشعور بأن حركاتنا الأدبية والفكرية السابقة قد قيلت فيها الكلمة الفصل ، وانه لم يتبق شيء لمستزيد ، وان كل الأحكام والتقييمات قد صدرت ، وان جلسة التاريخ قد انفضت ، واننا وصلنا بعد فوات الأوان ، فلم يبق أمامنا إلا أن نكرر ماقيل ، دون حماسة ، ودون حيوية ، ولسان حالنا يكرر مع عنترة : « هل غادر الشعراء من متردم ؟ »

بل ونجد فى البيت المأثور لزهير ما يعبر أصدق تعبير عن شعورنا العقيم .


محمود عباس العقاد
لماذا عتم على جوانبه الانسانية الأخرى ؟


جميل صدقي الزهاوي
مطلوب دراسة اعماله برؤيتنا المتجددة


عبد الرحمن الكواكبي
لماذا ننظر إليه مع بقية العلماء نظرة ثابتة ؟


لطفي السيد
هل هناك مبرر لاعادة الحديث عنه ؟

مـا أرانـا نقول إلا معـاراً أو معـاداً من لفظنا مكروراً .. !

فهل من مبرر لاعادة الحديث عن محمد عبده والكواكبي ؟ وهل من مبرر لفتح ملفات طه حسين ولطفي السيد وجبران وميخائيل نعيمة ؟ .

وهل من فائدة ترتجى وراء العودة لدراسة شوقي والزهاوي والشابي والرصافي وحافظ ابراهيم ؟ .

ناهيك بجدوى العودة إلى المتنبي والمعري والمعتزلة وابن رشد وابن خلدون ، فلا جديد تحت شمس العرب !!

إننا ننظر إلى كل هؤلاء الاعلام التراثيين كما لو كانوا وجوهاً ثابتة ، ساكنة ، جامدة الخطوط والألوان والأطر ، بحيث لا ينتظر منها أن توحى لنا بتعبيرات جديدة ، وايحاءات أخرى مغايرة ، تكشف لنا عن معان متجددة وعلاقات متجددة بيننا وبينها ..

هذا مع العلم أن علماء الآثار يرون فى طبقات الأرض الجامدة الساكنة ما يدفع إلى التنقيب عن الجديد بين طبقاتها دون توقف .. وإذا ما انتهوا من طبقات المكان التفتوا إلى تراكمات الزمان ، يسبرونها سبراً بواسطة الاشعة والأجهزة الحديثة ليكتشفوا كم من العصور تراكمت على القرطاس الواحد والجلد الواحد ..

فهل يكون تراثنا العربي الانساني ، وهل يكون أعلام هذا التراث أقل إيحاء لنا مما توحيه الآثار الجامدة لأهلها ودارسيها ؟ ؟ وهل هذا التراث وهؤلاء الأعلام وجه ظاهري واحد لا أعماق له ؟

## سر النهضات الأوربية :

ثم اننا لو تاملنا فى سر النهضات الأوربية المتتالية فى مجرى الحضارة الغربية ، التى مازالت تغزو العالم مادياً ومعنوياً ، لوجدنا أن كل نهضة جديدة من تلك النهضات كانت تبدأ باعطاء الماضى والتراث لوناً جديداً ، وبعداً جديداً ، وعمقاً جديداً ، لتنطلق من ذلك إلى إعطاء الحاضر أيضاً هذا اللون الجديد ، والبعد الجديد ، والعمق الجديد . فتتجدد بذلك الحضارة ، وتنفض عن نفسها غبار الجمود ، الذى يجلبه الكسل التاريخي فى حياة الأمم بين عصر وعصر ، وتنطلق من جديد شابة ، نشطة طافحة بدماء الشباب واحلام الخصب المنتظر .

لقد أعطى عصر النهضة للفيلسوف أرسطو صورة جديدة ، ومعنى جديداً لم يكن شائعاً فى العصور الوسطى .

وكان هذا المعنى الجديد الذى اكتشفه عقل النهضة فى التراث الأرسطى ، والتراث الأغريقي بعامة ، هو الجذوة التى اشعلت فيما بعد مشاعل التجديد الفلسفى الحديث على يد ديكارت وكانت وهيغل .

كما أعطت نهضة القرن التاسع عشر لمسرح شكسبير عمقاً جديداً لم يكن مكتشفاً فى نظرات القرون السابقة للتراث الشكسبيري .

وهذا العمق الجديد لم يكن مجرد اضافة أكاديمية لدراسات شكسبير ، ولكنه كان اضافة جوهرية لثقافة القرن التاسع عشر ذاته ، ولثقافة أهله ، ولطريقة رؤيتهم للحياة وللأعماق الانسانية وللنفس البشرية وللمجتمع والتاريخ ، ولم يكن تراث شكسبير سوى البؤرة المناسبة لانعكاس كل هذه الأضواء الحضارية الجديدة فى ثقافة القرن التاسع عشر وانصبابها مكثفة كما تنصب أشعة الشمس على كرة البلور .

# كيف نخترق جدار العقم الثقافي

بل أن شخصية المسيح ذاتها ، كانت تتخذ عبر النهضات الأوربية ، أبعاداً وأعماقاً جديدة لم تكن واردة فى وعي أهل العصور السابقة . فمسيح لوثر غير مسيح البابوات ، غير مسيح كارليل ، غير مسيح رينان ، غير مسيح نيتشه . وليس معنى هذا أن هؤلاء اخترعوا مسيحاً جديداً لم يكن موجوداً فى الأصل . ولكنهم استطاعوا – بالخصب الابداعي المنبثق من ذواتهم – أن يكتشفوا فى شخصية المسيح أبعاداً دينية وانسانية وحضارية لم يكتشفها أهل المسيحية من قبلهم ولم يستطيعوا أن يستشرفوها بما كان لديهم من وعي .

وقد صبت هذه الرؤى والنظرات الجديدة فى التراث المسيحي لتخصبه وتغنيه وتجعل الحضارة الغربية أقدر على التجدد والاستمرار ..

## عقلية تؤدى بنا الى التصفية

وغنى عن البيان أن سيطرة الروح التقليدية السكونية الحرفية فى أية حضارة لا يمكن أن تسمح بمثل هذا التجديد وحتى لو وجد الرواد المبدعون فان روح التقليد تقضي عليهم بشكل أو باخر إن لم يكن بتصفيتهم ،فبتقليص وتقليم أجنحة الابداع فى عقولهم وقلوبهم ، حتى يعودوا مثل غيرهم من أبناء الحضارة التقليدية ، إلى اجترار المعار والمعاد والمكرور من اللفظ والمعنى ، على رأى زهير ابن أبي سلمى

ومع روح الجمود التقليدي ، تتضافر ضد التجديد ، نزعة التعظيم –بل التقديس – لاعلام التراث بحيث يبدو كل بحث جديد مبتكر فى ناحية من نواحي حياتهم وكانه هدم لعظمتهم واجتراء على مكانتهم ، وليس محاولة مخلصة لتسليط ضوء جديد على ناحية خفية فى فكرهم أو حياتهم العامة أوالخاصة .

غير ان استمرار أية ثقافة وحضارة في هذا الموقف من شانه أن يؤدى بها ليس إلى العقم والجمود فقط ، بل إلى الموت المحقق وإلى التصفية التامة . ونحن لا نقول ذلك من باب المبالغة والتهويل ،ويكفي أن نلاحظ أنه بينما يتم تجنيد المرأة فى الجيش الاسرائيلي الزاحف إلى مختلف الاتجاهات على الأرض العربية ، مازالت محافلنا الفقهية والفكرية تبحث فى جواز خروج المرأة إلى العمل ، وفي جواز وضع صورة لها على بطاقة الهوية للتحقق من الشخصية وفي مدى ضرورة تطويل اللحية وتقصير الثوب بالنسبة للرجال ..

فهل تستطيع عقلية كهذه أن تتفهم العمق الانساني في شخصية عمر بن الخطاب ، والعمق الفكرى لدى المعتزلة ، والعمق الفلسفي لدى ابن رشد ، والعمق الاجتماعي التاريخى لدى ابن خلدون ؟ ؟

بل هل تستطيع أن تفهم أي معنىحضاري فى دعوة محمد ، وفى شخصية محمد وأن تنفذ إلى العمق الروحي الالهي والعمق البشري الانساني فى الرسالة الاسلامية ؟ .

## نهضة لم تحدث :

هذه مسالة لا مفر من مواجهتها إذا أردنا نهضة جديدة وإحياء لوجودنا المهدد من كل ناحية .

ولن يجدينا نفعاً مانؤسسه من جامعات وما ننشره من كتب وصحف ومانقيمه من مطابع واذاعة وتلفزة ، إذا كانت هذه النهضة المادية المظهرية لا تصاحبها – فى العمق – نهضة معنوية .. جوهرية .. داخلية فى صميم الانسان فىصميم الفكر ، فى صميم الارادة والأخلاق والقيم .

ومن الخير أن نتصارح ، ونصارح أنفسنا ، بان هذه النهضة المعنوية الجوهرية لم تظهر علاماتها حتى الآن فى كل ما أقمنا ونقيمه من مظاهر عمرانية وانمائية : لأن محك أية نهضة حقيقية هو قدرتها على رد التحدي ووقف العدوان ومجابهـــة الغزو العســكرى والاقتصــادي والفكري ، ومالم يتحقق ذلك، فلا التقدم بتقدم ولا النهضة بنهضة .

## بيت مرفوض !

وعوداً على بدء ، مطلوب منا أن نرفض بيت الشاعر زهير بن أبي سلمى جملة وتفصيلا ، نصاً وروحاً .. !

« ما أرانا نقول إلا معاراً ... ؟؟»..

تصوروا لو سيطرت روح هذا البيت على عرب الجزيرة فى زمن الشاعر وما بعده ؟ أكانوا سيواصلون ابداعهم الشعري فى العصر الجاهلي ؟

أكانوا سيرتفعون إلى مستوى استيعاب البلاغة القرآنية ؟ والمعاني القرآنية الكونية الجليلة ؟

أكانوا سيبدعون ، فيما بعد ، فن الخطابة الاسلامية وفن الرسائل والفنون النثرية الأخرى ؟

أكانوا سيبدعون فكر المعتزلة وفلسفة الحكماء ؟

أكانوا سيكتبون « طوق الحمامة » و « ألف ليلة » و « الموشحات الأندلسية » و « حي بن يقظان » و « مقدمة ابن خلدون » ؟
بل هل كانوا سيبدعون أصلا حضارتهم العربية الاسلامية ؟!
أية خسارة ستكون ، بل أية كارثة ستقع لو صدق العرب بيت الشاعر !
من حسن حظهم انهم لم يحملوه على محمل الجد ..
ومن سوء حظنا اننا واقعون تحت ما يشبه فحواه ، شئنا أم أبينا ..

## وتراثنا الحديث .. أيضاً :

وهذه النظرة التجديدية ، الابداعية ، الابتكارية التى تعوزنا لا تقتصر على كيفية النظر إلى تراث الأقدمين وحده .
إن تراث المحدثين ، على قرب عهدنا به ، يحتاج أيضاً إلى مثل هذه النظـرة التجديدية إذا أردناه أن يبقى حياً مستمراً بين أيدينا وفى وعينا وضمائرنا وفى وعي أجيالنا القادمة وضمائرها ..
وهذا لن يتحقق إذا واصلنا اجترار الأفكار المعهودة الشائعة ذاتها عن محمد عبده والكواكبي .. وإذا واصلنا وضع يافطة « أمير الشعراء على صورة أحمد شوقي .. وإذا حصرنا صورة العقاد الخصبة ، والحافلة بالمعاني المتباينة والألوان المتغايرة ، ضمن فهمنا الشائع عنه كعالم من علماء الكلام الحديث الذين نبحث عن الطمانينة فى كتاباتهم .. فالعقاد الحقيقي كما يتراءى لي انسان يوحي بقلق الكشف والابداع ، أكثر مما يوحي بطمانينة الاقتناع . واعتقد أنه ظلم نفسه، وظلم صورته الحقيقية ، صورته الانسانية الداخلية ، عندما طرح نفسه على القراء عالماً كلامياً وفقيهاً عصرياً ، وعتم على جوانبه الانسانية الأخرى ، فاخذته الغالبية كما طرح نفسه فى كتبه التراثية فى المرحلة الأخيرة من حياته ـ خصماً للتجديد فى الشعر وللانطلاق فى الفكر ـ واختفى ذلك العقاد الاصلي .. عقاد الثورة على الكلاسيكية المحدثة كما مثلها أحمد شوقي ، وعقاد البحث والتساؤل فى الفكر الديني والسياسى ، وعقاد النضال ضد الاستبداد ، بل العقاد الذى بذل جهداً دؤوباً متواصلا لادخال فكرة التطور وفلسفة دارون فى نطاق الاجتهاد الفكرى الاسلامي ، بينما صورته النقيضة تتضخم فى آخر حياته كخصم للتطور والتجديد !

## أين « منقذ » العقاد ؟ :

إن العقاد ، بالذات ، يصلح نموذجاً لما قصدت إليه فى بداية هذا المقال .
فالانطباع السائد عنه ، حتى فى أوساط المثقفين ، هو أن الحقيقة قد قيلت كاملة عنه ، وأن الأبحاث والدراسات قد استنفدت مختلف جوانبه ، وإنه لم تبق كلمة لمستزيد .. ولكني أرى العكس تماماً .
إن شخصية كالعقاد لم يكتشفها الجمهور العربي بعد ، لم تتضح جوانبه المختلفة لصورتها الحافلة بشتى الألوان والظلال . وأمامنا جهد هائل ، إذا عرفنا كيف نعيد النظر ونبصر من زاوية جديدة ، وبعدسة مبتكرة غير عدستنا التقليدية ، أقول أمامنا جهد هائل لاكتشاف وإعادة اكتشاف شخصية خصبة كالعقاد ، بما يعيد الخصب والـدم المتجدد الى عروق ثقافتنا المتأزمة .
وسأكتفى هنا بمثل واحد من حياته .
كان العقاد مفكراً متسائلا متشككاً ، حائراً .. ثم ألفيناه ، فيما يشبه التحول الفجائي ، رجلا مؤمناً مقتنعاً واثقاً وداعية لليقين فى كل ما يكتب منذ بداية «العبقريات» . وطبيعي أن يتحول الانسان المفكر من حائر إلى مؤمن ، إلى داعية للايمان . ولكن كيف قطع هذه المفازة الخطرة .. كيف اجتاز المسيرة الطويلة من الحيرة إلى الايمان التى حدثنا عنها الغزالي فى « المنقذ من الضلال » ، وأين هو « منقذ » العقاد ؟ ؟ لماذا لم يكتبه ؟ لماذا لم يحدثنا عنه ، لماذا لم يصفه لنا باسهاب ، وهو الكاتب المسهب ؟ .
هل بامكاننا نحن الآن ، على ضوء الوثائق الادبية والتاريخية ، وباسلوب البحث العلمي ، أن نعيد رسم تلك المسيرة الشائقة بين حيرة العقاد ويقينه ، وأن نتعرف بشكل حميم إلى دقائق مسارها ..
وأن نكتشف كيف استقرت وعلام استقرت .. ولماذا لم يولها العقاد فى فترة اليقين ماتستحقه من اهتمام ؟ وهل من اللائق بالمفكر الحر أن ينبذ معاناة شكه ويقينه عندما يصل إلى مرحلة اليقين ، ولماذا لم يتحرج حجة الاسلام الغزالي من الحديث عن تلك المعاناة فى كتابه: « المنقذ من الضلال » وتجنب العقاد هذا الحديث ، وهو الذى تحدث عن كل قضية وقضيته ، وهل كان يتصور أن ذلك سيؤثر على صورته كمفكر مدافع عن الدين ؟ والى أي مدى كان العقاد ـ بالفعل ـ شديد الاقتناع بما يتخذ من مواقف فى قضايا علم الكلام؟
... وهذه الأسئلة ليست عن عباس محمود العقاد !
إنها مجرد عينة للاسئلة التى نتمنى أن يطرحها المثقفون العرب بشان تراثهم الأدبي والفكرى كله قديمه وحديثه .. على أمل أن يبدأ لدينا ما يشبه النهضة .. الحقيقية .
وإلى مزيد من الأسئلة لاختراق جدار العقم .

د. محمد جابر الأنصاري

# مجرمون إلى الأبد!

بقلم: خالد محمد خالد

على الرغم من أن مجلة « الدوحـة » ليست مجلة سياسية ، فأنى أخط على صفحاتها هذا المقال الذى ان بدا سياسياً فى شكله ، فهو إنسانى فى مضمونه ..

أن قضية الشعبين الفلسطيني واللبناني المسحوقين فى بيروت ولبنان لم تعد قضية سياسية .. بل هى قضية انسانية فى المقام الأول والأخير .

وهى بما يتقحمها من ظلم وهوان لا تشكل اتهاماً للذكاء الانسانى الذى يعجز عن حلها بل انها اتهام للضمير الانسانى وطعنة له فى الصميم لا نخذاله أمام أقذر عصابات الاجرام فى تاريخ البشرية ، وأحقها بالزجر ، والتجريم .

ترى إلى أين يصير العالم وهو ينظر الى الشفق المرتحل والعدالة الغاربة ، نظرات زائغة مخبولة .. نظرات المغشى عليه من الموت ؟؟!!

هذه العدالة التى يدوسها أساتذة الاجرام باقدامهم الفاشية ، ويطاردونها فى وحشية وسفالة .

هذا العالم الذى ابتلى بدولتين كبيرتين أو كما جرى العرف بتسميتهما « الدولتين الأعظم » !!

فأما أولاهما - وهى الولايات المتحدة فتساند الجرائم الاسرائيلية ، وتخطط لها ، ثم تتباهى بها وتدافع عنها فى غير حياء وفى غير أدب ..

وأما الثانية - وهى روسيا التى معها من القوة الرادعة مثل ما مع الأولى فانها تخاف خوف التعساء أن تستخدم معشار معشار قوتها وبأسها ونفوذها فى دعم الحق وكبح جماح المجرمين .

وتلك مصيبة عالمنا وأزمته - أن تسوده وتتزعمه وتحتل مركز الثقل فيه دولتان تحترمان المنفعة ولا تحترمان الحق .. وتؤثران حقوقهما الخاصة على حقوق الانسان ، ولا تعبآن أبداً بانهيار المبادىء وتهدم العدالة .. بل نراهما فى بعض الأحيان ، وربما فى كل الأحيان تقومان ضد الانسانية وحقوقها بابتزاز سافل وقاتل .. !!

أليس من الصعب غاية الصعوبة أن يصدق السمع والبصر والفؤاد ما تقترفه اسرائيل اليوم مع الفلسطينيين وشعب لبنان ؟!

وبأى مقياس من مقاييس الجريمة تقاس هذه الحرب الرجيمة .. ؟!

وماذا بقى للعالم من أمل فى مستقبله وثقة فى مبادئه ؟!

وأنا أتحدث عن العالم كله ، ولا أخص بحديثى العرب والمسلمين .

أتحدث عن العالم الذى كتب عليه أن يشهد فى حسرات نائحة أبشع مجزرة تقوم بها دولة تتباهى بأنها فوق المنظمات الدولية ، وفوق القانون الدولى ، وفوق الحق والعدل والشرف !!

• •

جريمة تثقل ضمير العالم لاريب ، وتعريه من كل مثله الكاذبة ، ومبادئه المدعاة ، وتجعله فى نوبات صحوه أقرب الى الذهول والجنون . ترتجف عيناه بنظرات زائغة لا ترى ولا تبين ..

خمسة عشر ألفاً من اللبنانيين



ضحايا العدوان الاسرائيلى على لبنان فى ابشع مجزرة تقوم بها دولة تتباهى بانها فوق المنظمات والقانون الدولى



أب يحمل ابنته الجريحة وسط الحطام .. انها صورة تعرى ضمير العالم من كل مثله الكاذبة ومبادئه المدعاة

والفلسطينيين حصدتهم الأسلحة الاسرائيلية فى يومين . ثم مضت وحدات الجيش الاسرائيلى بعد ذلك تصطاد الناس من منازلهم المحاصرة كأنهم جرذان ، ثم تقتلهم بالتعذيب .. وكأن العرب هم الذين أبادوا آباءهم وجنسهم الرجيم فى عهد هتلر .. كأن العرب هم الذين سحقوهم فى تلك الأيام سحق الأحذية الثقيلة للصراصير الهائمة !!!

وبعد مصرع الآلاف الخمسة عشر توالت المصارع . وارتفع عدد الضحايا ما بين قتلى ومصابين الى أربعين ألفا من الفلسطينيين ، واللبنانيين كما أكد الدكتور فتحي عرفات رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني وكما أكد أيضاً أن ٩٥٪ من الضحايا كانوا من المدنيين ، وأن ٧٠٪ منهم نساء وأطفال !!

وذكر أن نصف الجرحى يموتون متأثرين بجراحهم بسبب عدم توفر الظروف المناسبة للعلاج فى المستشفيات ، فقد ألقى الجيش الفاشى القبض فى جنوب لبنان على جميع الأطباء الفلسطينيين وقام بتعذيبهم ومعاملتهم أسوأ معاملة ..

واسرائيل لا تعتبر الذين يقعون فى يديها أسرى حرب . بل مجرمين وإرهابيين !!

وصدق المثل العربى القائل : « رمتنى بدائها وانسلت » ..

● ●

إن بيجن وشارون والجيش الاسرائيلى الغاشم فى غفلة عن تاريخهم ، وعن صيحات الرجال الشرفاء من اليهود الذين مافتئوا عبر التاريخ يحذرون بنى اسرائيل من عقبى ما يفعلون .

ولعل من بين هذه الصيحات الشريفة كلمات الحاخام « ماجنس » عميد الجامعة العبرية فى القدس إذ قال والدولة الفاشية فى أيامها الباكرة ، وفى مؤتنف تكونها وقيامها :

قال : « سينزل عقاب من الرب .. اننا نعبد الذهب ، إذ نحن ننشر الدعايات المأجورة .. ونعبد الدم ، إذ نحن نبث الرعب بين الناس .. وهذا لدى الرب حرام .. وشعائرنا شاهدة على اننا كنا نلقى العقاب فى كل مرة نفعل ذلك » !!

ولكن عبدة الدم لا يبالون بغضب الله إلا حين تحل بهم قارعة أو تنزل عليهم اللعنات ، ويحل بهم عذاب مقيم ..

وانهم لأبعد ما يكون عن أى شعور بتبعات السلام ، ولا يجدون فرصة للوثوب إلا اهتبلوها وانتهزوها .

انهم مجرمون فى أمسهم الدابر ، ومجرمون فى يومهم الحاضر ، ومجرمون إلى الأبد ..

ومن السذاجة والحمق أن يظن بهم الخير أو يطمع منهم فى سلام .. انهم يحلمون بامتلاك أرضنا كلها لأن التوراة التى يخبرنا القرآن مؤكداً انها قد حرفت وزيفت تقول لهم : « تملكون الأرض وتسكنون فيها ، لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها » !!

وهم يتوسلون الى هذا الامتلاك بأبشع وسائل العنف والوحشية زاعمين أيضاً أن التوراة علمتهم ذلك وحرضتهم عليه .

ويعلق الأستاذ « فوشيه » على ذلك قائلا: « انها نصوص تفيض وحشية عنصرية وتحيزاً صارخاً لا مثيل لهما » .

والعسكريون والفاشيون من الصهاينة الذين ركبهم شيطان التوسع يستخدمون هذه النصوص المسمومة فى صوغ شبابهم وشعبهم فى قوالب أطماعهم المسعورة .

ومع ذلك – كما يقول كتاب التحدى الصهيونى – فإن واحداً من أنبل كتب اليهودية وأعمقها يهتف بهم «ملعونون أنتم .. ملعونون ، وأرواح شريرة .. أنتم الذين لا ترون فى حكايات الكتب المقدسة إلا معناها الحرفى » !!

● ●

ولسوف يدرك العالم فى يوم قريب . بل لعله بدأ يدرك أن الصهيونية لم تكن ولن تكون تحدياً للعرب وحدهم ، بل كانت وستظل تحدياً للعالم كله ، وللانسانية جمعاء .

إن التجربة التى تدور رحاها اليوم على شعب فلسطين قد تكون آخر الدروس التى يلقيها القدر ، ويلقيها العدل الالاهي على بني الانسان .

ولعل المستشرق الفرنسي « ماسينيون » قد كان على بصيرة من هذه الحقيقة وهو يكتب عام ١٩٤٨م فيقول : « إن فلسطين اليوم هي خاتمة التجارب ، وآخر المطاف فى هذا الاستغلال الاستعماري الدولي الذى مايزال منذ قرون يزرع فى قلوب المضطهدين مر الأحقاد .. وهذا الاستغلال الظلوم ليس ثمرة مادية عمياء ، بل هو إفساد محسوب لما في الانسانية من قوى روحية أصيلة .. وإن الخلاف الظاهر بين الانجليز والأمريكيين ليس إلا مهزلة كاذبة .. أما تضامنهم العميق . ذلك الذى يزعمون

به صد خطر العدوان السوفييتي عن الديمقراطيات والأديان فى الشرق الادنى ، ولا سيما فى فلسطين ، فهو سوء نية متزايد الخطر يعجل بدفع الحضارة الأوربية الى الانتحار الخلقي » .. !!

نقول : إن ما يعانيه الشعب الفلسطيني اليوم ربما تكون الفرصة الأخيرة لعالمنا الملتاث ليثبت إن كان قادراً على حماية مبادىء الحق والعدل أم لا .. وليثبت بالتالي إن كان يستحق الحياة أم لا .. ؟!

• •

إن العبريين الذين لم يحكموا فلسطين إلا مائة وثلاثة عشر عاماً على امتداد أكثر من أربعين قرناً يثبتون اليوم سرابهم وباطلهم بالأسلحة المدمرة الفتاكة ، بعد أن خدعوا العلم وحملوه على الصمت ، بل على المشاركة فى ارتكاب جريمة القرن العشرين ، بل جريمة كل القرون !!

والصهيونيون الفاشيون ينسون أو يتناسون فضل الإسلام على الجنس اليهودى كله . .

فبينما كان اليهود يذوقون الهول والهوان من أوربا المسيحية ، كان الاسلام يؤويهم ويهيىء لهم مكانا أمناً فى قلب الجماعة الاسلامية ..

كانت أوربا المسيحية ترى فيهم « قتلة الرب » و « جلادي المسيح » .. بينما كان الاسلام يرى فيهم أهل كتاب .. هم والمسيحيون شركاء فيما يمنحهم المجتمع الاسلامي لأهل الكتاب من أمن ورفاهية وسلام .

لم يحمل ذلك رواد الصهيونية فيما غبر من أيام ، ولم يحمل قادتها الفاشيين اليوم على الخجل من الجرائم البشعة التى يجترحونها فى فلسطين المحتلة وفي لبنان.

من قديم وهم يقولون : سيكون على العرب أن يرحلوا ويخلوا لنا المكان !!

وحين كان تصريح بلفور لايزال مجرد مشروع سال الرئيس الأمريكي « ولسن » القاضي « براندس » وكان من كبار مستشاريه عن مغزى هـــذا المشروع ، فاجابه قائلا : « إن اليهود الذين يطلبون تيسير سبل هجرتهم إلى فلسطين لا يبتغون فى الحقيقة إلا غاية واحدة . وهي أن يصبحوا أكثرية فى فلسطين ، وان يجبروا العرب على الارتحال عنها الى الصحراء » .. !!

كانت الغاية اللئيمة واضحة منذ البدء ، وكانت النية مبيتة من قديم على ما تنفذه اليوم حكومة بيجن – طرد العرب من فلسطين كخطوة أولى .. ثم الخطوة الثانية قيام امبراطوريتهم من النيل الى الفرات ..!

ولن يصرفهم عن ذلك سلام ولا مصانعة .. وفي هذا السبيل يجندون كل شيء ، بل يجندون الدول الكبرى لتحقيق جرمهم الشنيع !! وإنهم ليتخذون من السلام قناعاً جديداً يخفون وراءه أنيابهم وأظافرهم . كما اتخذوا من قبل خدعة الاضطهاد التى ضحكوا بها على العالم ، وتمسكنوا حتى تمكنوا ..

• •

ومن عجب أن الدولة التى تزعم لنفسها حق الدفاع عن حقوق الانسان . الدولة التى كان يجب ان تكون محترمة ، والتى لا تني عن التلمظ بالكلمات الضخمة عما تلاقيه حقوق الانسان من تجاهل واضطهاد .

هذه الدولة « أمريكا » تشترك اشتراكاً فعلياً وأكيداً في التخطيط لجرائم اسرائيل. ويدل على ذلك مواقفها الكثيرة من العدوان الاسرائيلي وموقفها الأخير من المذبحة الرهيبة فى لبنـــان !!

وإذا كان القصاص الإلاهي يحتم أن من أعان ظالماً سلط عليه ، فان على المؤمنين بوعد الله أن ينتظروا مصيراً مفجعاً ستلقاه أمريكا ذات يوم بسبب ربيبتها المدللة اسرائيل .

إن أمريكا تتجاهل صرخة جليلة أطلقها عام ١٧٨٩ زعيم من أشرف زعمائها هـــو « بنجمان فرانكلين » حين قال مخاطباً الشعب الأمريكي : « إن الولايات المتحدة تتعرض لخطر رهيب ، هو الخطر الذى يشكله وجود اليهود فيها .. فحيثما حل اليهود تدنى المستوى الخلقي والشرف التجاري .. وحيثما وجدوا يظلون على انعزالهم ، لا يلتحمون أبداً بالشعوب الأخرى .. وهم إذ يخشون على انفسهم الاضطهاد ينتهون الى خنق البلد الذى يعيشون فيه على الصعيد الاقتصادي .. انظروا إلى أسبانيا ، انظروا إلى البرتغال .. إنهم سيغيرون شكل الحكم الذى من أجله سالت دماؤنا . ومن أجله ضحى كثيرون منا بأرواحهم .. فاذا أنتم لم تطردوا اليهود فان أحفادنا سيقاسون الكثير منهم .. إنني أنذركم أيها السادة ، إذا لم تبعدوا اليهـــود فان أولادكم سيلعنون قبوركم .. إنهم خطر على بلادنـــا » .. !!! – كتاب التحدي الصهيوني – أضواء على اسرائيل من ترجمة نزيه الحكيم .

ولقد تحقق الكثير من نبوءة فرانكلين ، إذ استطاع اليهود أن يشوهوا الروح الأمريكي ويجعلون منه مسخاً شائهاً . وكل المبادىء والمثل التى حارب من أجلها الأمريكان وسالت فى سبيلها دماؤهم قد وضعها التسلط الصهيوني داخل أمريكا تحت أقدامه الدنسة .

لقد استطاعت الصهيونية أن تحمل أمريكا على التنكر لحقوق الانسان ، وأن تحملها على تدنيس يديها وضميرها بمشاركتها الفعالة فى القضاء على شعب بريء مسالم واخراجه من أرضه ودياره .

كذلك تحققت نبوءته فى الجانب الاقتصادي فاصبحت القوى الصهيونية داخل الولايات المتحدة قادرة على ضرب الاقتصاد الأمريكي ضربة قاتلة عندما تشاء

ولكن ، مادام هناك إلاه عادل ومقتدر – وإنه لهناك فعلا – فسوف تدفع أمريكا وربيبتها الثمن غـالياً ...

• •

وماذا عن الدول العربية والاسلامية ؟؟ إن مجرد تذكرها يملأ الأنفس بالأسي والضيق ، ويجعل الاحساس بالهزيمة فضيلة العصر !!

لقد تمزقت تلك الدول شر ممزق ، وران عليها صمت اليم ، وتهيأت لتخوض تجربة اندلس جديدة ..

انظروا .. لقد قامت المظاهرات اللجبة الغاضبة فى اسرائيل نفسها تلعن بيجن وسفاحه شارون . بينما لم نسمع أن مظاهرة واحدة قامت في أي بلد عربي أو اسلامي تشجب ولو بالهتاف والصراخ مايحدث فى لبنـــان .. !!

فحسبنا اللـــه ونعم الوكيـــل .

**خالد محمد خالد**

## من أخطاء العقل العربي

# محاكمة ظالمة لأديب عالمي

بقلم : رجاء النقاش

من أكبر أخطاء العقل العربى هذه الظاهرة التى يمكن أن نسميها « باسم التفكير الانفعالى » ، وهذا التفكير الانفعالى يغرق العقل العربى فى بحار من الضلال ويشل قدرته على الحركة والرؤية الواضحة السليمة ، وما أكثر ما ينتج عن هذا التفكير الانفعالى من أخطاء ، فى التصرف والحكم على الأشياء ، والنتيجة الطبيعية لهذا التفكير الانفعالى هو أن الأمور تفلت من أيدينا ، فلا نستطيع التحكم فيها .. وعندما نستيقظ ونتخلص من الانفعال ونسيطر على عقولنا يكون الوقت قد فات ، ويكون الواقع قد فرض نفسه علينا وسلب منا الارادة وحرية الحركة .

وسوف أعالج هنا بعض جناية التفكير الانفعالى على العقل العربى فى قضية محددة ، هى قضية الهجوم العنيف الذى شنه عدد من أدبائنا فى الفترة الأخيرة على الكاتب العالمى « لورنس داريل » صاحب رواية « رباعية الاسكندرية » الشهيرة . ومن خلال الحملة التى شنها هؤلاء الأدباء العرب على هذا الأديب العالمى البارز ، نجد أن هذا الأديب متهم عند بعض الذين هاجموه بأنه ينادى بآراء تختلف عن الآراء التى نؤمن بها نحن العرب فى قضايا أساسية . هذا هو الاتهام الرئيسى ، وهو اتهام ينطوى على تفاصيل أخرى سوف نتعرض لها بعد قليل .

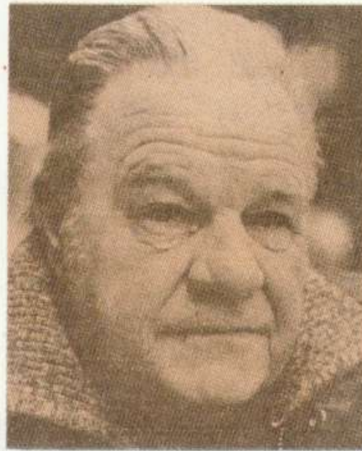
ولكن السؤال البديهى الذى يفرض نفسه علينا هو :

هل من المطلوب أن يكون كل كاتب عالمى غير عربى نسخة طبق الأصل من الشخصية العربية فى كل آرائها وأفكارها ومواقفها المختلفة ؟

وإذا كان هذا الأمر مطلوبا .. فهل هو ممكن ؟

### سارتر وموقفنا منه

إن الاجابة السليمة على هذا السؤال هو أن المفكر الغربى ، بحكم نشأته وظروفه وثقافته ، لا يمكن أن يرى الأمور مثلما نراها







محاكمة ظالمة لأديب عالمي

لورانس داريل
أديب عظيم ومحاكمة ظالمة

سلمى الخضراء
أديبة فلسطينية من أسرة مناضلة

غـاندى
.. لو كنت يهوديا !

تماماً . وليس من الممكن أن نطالب سارتر مثلا ، وهو مفكر فرنسي من أصل يهودي ، أن يكون نسخة من « ساطع الحصرى » ، وأن يكون من دعاة القومية العربية ، وأن يحصر انتاجه كله في الدفاع عن العروبة مثلما فعل « الحصرى » في حياته الطويلة الخصبة المباركة .. إننا حين نطلب مثل هذا الأمر ، أو نحاكم سارتر على أساسه ، نكون قد وقعنا في سذاجة عقلية ، وغرقنا في نوع من العاطفية الفكرية ، لا قيمة له ولا جدوى منه ، لقد نشأ « سارتر » فرنسياً واشترك في النضال ضد ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية ، بعد أن احتل الألمان فرنسا ، وتأثر سارتر بالثقافة الأوربية ، وتأثر على وجه الخصوص بما كان شائعاً في أوروبا ـ خلال الحرب الثانية ـ من الدعوة إلى انقاذ اليهود من اضطهاد النازية التي تعمل على إبادتهم .. واقتنع سارتر بهذه القضية ، وترسب في نفسه نوع من العطف على اليهود . فهل كان المطلوب أن نحاكم سارتر ، ونعاديه تماماً ، ونلغي وجوده الفكري والأدبي بسبب هذا الموقف ؟ .

لقد فكر بعض المثقفين العرب في الستينات في هذا الأمر ، واتخذوا موقفاً هو من أفضل المواقف الفكرية والعقلية القليلة التي اتخذها العرب في معالجة **قضية الاتصال بالمفكرين الأوروبيين ، فقد قام** الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل ، وكان رئيساً لتحرير الأهرام في ذلك الحين ، بدعوة سارتر لزيارة مصر ، وزيارة مخيمات اللاجئين في غزة ، وجاء سارتر بالفعل إلى مصر ، سنة ١٩٦٦ ، وكنت ضمن الذين استقبلوه في المطار عند وصوله الى القاهرة ، وتابعت محاضراته ومناقشاته ، في جامعة القاهرة ، وفي المسرح القومي ، وقد عاد « سارتر » الى باريس بعد ذلك ، ولم تغير الزيارة رأيه في اسرائيل كثيراً ، ولكن الذي تغير في ذهنه هو نظرته الى القضية العربية ، فقد أدرك من خلال المناقشات ، ومن خلال زيارته لمخيمات اللاجئين في غزة ، أن هناك خطأ تاريخياً في الفهم الأوروبي للقضية الفلسطينية ، وكان من نتيجة هذا الموقف الجديد ، أن أصدر سارتر عدداً ضخماً من مجلته المعروفة « العصور الحديثة » عن « الصراع العربي الاسرائيلي » ، وكتب فيه عدد من المفكرين العرب « وليد الخالدى وأحمد بهاء الدين وغيرهما » ، فصولا شرحوا فيها القضية الفلسطينية شرحاً عميقاً ، وفي نفس الوقت كتب عدد من الاسرائيليين يشرحون وجهة نظرهم في الصراع العربي الاسرائيلي .

لقد كان الكسب الذي عاد على العرب من دعوة سارتر لزيارة مصر وإجراء حوار معه كسباً محدوداً ، ولكن هذا الأسلوب في التعامل مع المفكرين الغربيين هو الأسلوب الوحيد الصحيح ، وهو للأسف ليس الأسلوب الذي نحبه ونميل إليه .. فالحوار مع المفكرين الغربيين الذين يختلفون معنا ليس أمراً مقبولا عندنا ، لأننا في ضجة التفكير الانفعالي نفضل الهجوم على هؤلاء المفكرين .. وهو هجوم نكتبه لأنفسنا ، فلا يقرأه أحد سوانا .

## اهمال وعدم اهتمام

ويكمل هذه الصورة العجيبة ، أن بعض المفكرين الغربيين ، قد هداهم تفكيرهم ، وبحثهم الخاص ، ويقظة ضميرهم الانساني إلى التعاطف الكامل مع القضية العربية ، ومثل هؤلاء المفكرين للاسف ، لم يجدوا منا سوى الاهمال وعدم الاهتمام . وفي هذا المجال يمكن أن نذكر المؤرخ الانجليزي الكبير « أرنولد توينبي » ، فقد وقف هذا المؤرخ بكل جهده العقلي ليدافع عن حق العرب في فلسطين ، ويثبت بالبراهين العلمية والتاريخية الأصيلة بطلان **الفكرة الصهيونية** . وقد استجاب « توينبي » لدعوة قدمت إليه للدخول في حوار علني مع السفير الاسرائيلي في كندا حول هذه القضية ، وواجه « توينبي » سفير اسرائيل بأقوى الحجج والبراهين ، وقد تم ترجمة هذا الحوار الهام إلى اللغة العربية منذ أكثر من عشرين سنة ، ولكن الكتاب الذي ضم الترجمة الكاملة لهذا الحوار اختفى من الأسواق العربية بسرعة غريبة ، كما تختفي عادة كل الكتب العربية التي تتعرض للصهيونية بالنقد العلمي الرصين والتحليل السياسي الدقيق ، وهذا الاختفاء يدل دلالة قاطعة على وجود أيد غير ظاهرة ، تعمل على إطفاء كل الأنوار المضيئة امام العقل العربي .

هذا الموقف الواضح الحاسم الذي وقفه توينبي هل تجاوبنا نحن العرب معه ؟ ..



يوسف إدريس
احكام ادبية غربية



ارنولد توينبى
اهملناه بعد ان تبنى قضيتنا



سارتر
زيارة لمخيمات اللاجئين



احمد بهاء الدين
اول من قدم داريل إلى القارىء العربى



محمد حسنين هيكل
دعوة واعية الى الحوار



كولن ولسن
تاييد للعرب وتجاهل من العرب !

الذى حدث هو اننا نظرنا الى « توينبى » نظرة سلبية ، ولم نحفل حتى بترجمة كتبه الأساسية إلى اللغة العربية ، صحيح أن هناك ترجمة لمختصر موسوعته عن تاريخ العالم . قام بها الأستاذ فؤاد شبل ، ونشرتها الجامعة العربية ، ولكن الموسوعة الأصلية لا تزال بعيدة عن المكتبة العربية ، ولم تهتم مؤسسة عربية رسمية أو غير رسمية بترجمة هذه الموسوعة الهامة ، وتقديمها إلى المثقفين العرب ، بصورة صحيحة سليمة ، كانت كفيلة بان تشعر توينبى ـ وقد توفى منذ سنوات بعد أن تجاوز الثمانين ـ بان العرب يقدرونه ويعترفون له بالفضل وأمانة الضمير .

لقد أهملنا « توينبى » ، ولم نعطه إلا أقل الاهتمام ، ومازال توينبى على رأس قائمة المجهولات العربية ، إلا فى نطاق ضيق من الباحثين والدارسين فى ميدان التاريخ .

وكاتب انجليزى اخر هو « كولن ولسن » وهو كاتب نال شهرة شعبية واسعة بعد كتابه الذى أصدره فى أواخر الخمسينات وهو كتاب « الغريب » وقد ترجم إلى العربية باسم « اللامنتمى » .. هذا الكاتب الناجح هو الآخر كان له موقف مؤيد للقضية الفلسطينية بغير تحفظ .. فماذا فعلنا نحن العرب ؟ .. لقد طلبت ، وطلب غيرى ، عشرات المرات أن تقوم مؤسسة عربية بدعوته لزيارة العالم العربى ، تعبيراً له عن التقدير لموقفه ، ومع ذلك لم يستمع أحد إلى هذا النداء ، وكل ما حدث أن بعض المثقفين العرب فى لبنان قد دعوه منذ سنوات إلى زيارة بيروت ، فلبى الدعوة وبقى هناك عدة أيام .

وما أطلبه هنا ليس « رشوة » هؤلاء الكتاب والأدباء الذين يعلنون التاييد الكامل لنا فى أوروبا ، وفى ظروف صعبة معادية لهم ، فالكاتب المبدئى المخلص لا يحتاج الى رشوة أو حتى الى مكافاة من أحد .. ولكننى أذكر هذه الأمثلة لتكون دليلا على ما أعنيه ، من أن العرب لم يحاولوا أبداً كسب أصدقاء حقيقيين فى ميدان الفكر والثقافة ، وانهم يسارعون إلى الهجوم العشوائى على من يختلف معهم ، بينما يهملون إهمالا بالغ الغرابة والعجب كل هؤلاء الذين يمدون إليهم يد التاييد والفهم والتقدير .

والموقفان خاطئان :

موقف الهجوم العشوائى على كل من يختلف معنا ، دون أى محاولة لفتح باب من أبواب الحوار مع هؤلاء الذين ينظرون ـ بحكم ظروفهم ـ إلى الامور نظرة أخرى غير نظرتنا، وموقف الاهمال الكامل لهؤلاء الذين يتفقون معنا بدافع من ضميرهم ومبادئهم .

## ثقافة البحر المتوسط

ونعود بعد ذلك الى القضية الراهنة ، وهى قضية الكاتب العالمى لورانس داريل .

لقد شن الدكتور يوسف إدريس هجوماً أدبياً عنيفاً على لورانس داريل فى مجلة فصول « المجلد الثانى ـ العدد الثانى ـ مارس ١٩٨٢ » وشنت الدكتورة ليلى عنان والسيدة منى أنيس هجوماً سياسياً أعنف من هجوم يوسف إدريس ضد لورانس داريل ، وذلك فى الأعداد الأخيرة من جريدة « الأهالى » المصرية .

ولنترك الهجوم الأدبى الذى شنه يوسف إدريس على « داريل » لنعود إليه بعد قليل .. ولنقف أمام الآراء التى رددتها الدكتورة ليلى عنان والسيدة منى أنيس .

إن الكاتبتين معاً تتهمان « داريل » بانه يدعو إلى ما يسمى بثقافة البحر الابيض المتوسط ، وتتهمان الكاتب العالمى بانه عمل « جاسوساً » فى المخابرات الانجليزية وبانه متعاطف مع اليهود، وكانت « مناسبة » هذا الهجوم من جانب الأديبتين الفاضلتين أن جامعة الاسكندرية اقامت ندوة أسمتها باسم « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » ودعت الجامعة « لورانس داريل » للاشتراك فى هذه الندوة .

أما موضوع « ثقافة البحر المتوسط » فمن المؤكد انه موضوع « غير مناسب » بكل المقاييس لما ينبغى أن يثار من قضايا الآن فى الوطن العربى ، واللوم هنا ينبغى أن يتجه إلى جامعة الاسكندرية قبل غيرها لسوء اختيارها لهذا الموضوع . فمن الثابت أن هناك محاولة ذات دوافع سياسية وراء طرح ما يسمى بفكرة « البحر المتوسط » فى الثقافة والحضارة ، وعبارة « البحر المتوسط » يمكن أن تكون قناعاً لعدم استخدام عبارة « الثقافة العربية » ، ويمكن أن تكون قناعاً لادخال اسرائيل

## محاكمة ظالمة لأديب عالمي

والثقافة العبرية ضمن نطاق « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » جنباً الى جنب مع الثقافة العربية ، بحيث يبدو أن هناك عاملا مشتركاً بين الثقافتين العبرية والعربية ... وطرح الموضوع بهذه الطريقة، والآن على وجه الخصوص ، يعتبر خطأ لا مبرر له . ولكن مثل هذا الخطأ لا سبيل الى رفضه بالعنف ، أو بهدم كل شيء على رؤوس الذين ينادون بمثل هذه الأفكار ، بل الأسلوب الصحيح هو مناقشة هذه الأفكار والكشف عن خطئها وتعريتها من أثوابها الشفافة ، وإبراز حقيقتها امام الرأى العام الثقافى . وعبارة « البحر الأبيض المتوسط » هنا ، أشبه بعبارة أخرى أكثر شيوعاً وأخطر تأثيراً ، هي عبارة « الشرق الأوسط » فالشرق الأوسط ، تعبير يتم إطلاقه منذ الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقصد إخفاء التسميات الصحيحة مثل « العالم العربى » أو « الوطن العربى » ، وقد انسقنا نحن العرب إلى استخدام تعبير « الشرق الأوسط » تماماً مثلما يستعمله الأوروبيون دون أن ننتبه إلى ما وراء هذا التعبير من محاولة لطمس التسمية العربية الأصلية للمنطقة ، وما « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » إلا محاولة أخرى لطمس التسمية الصحيحة لثقافة هذه المنطقة وحضارتها ، وهى ثقافة عربية وحضارة عربية .

هذا هو الموقف الصحيح الذى ينبغى أن نلتزم به علمياً ووطنياً .. ولكن عندما نجد فى داخل هذه الصورة التى يتم رسمها وتسميتها باسم « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » .. عندما نجد فى داخل الصورة أديباً ومفكراً غربياً كبيراً مثل « لورانس داريل » يتصرف ويتحرك ويتحدث ويكتب على أساس اقتناعه بأن هناك ملامح ثقافية مشتركة بين الشعوب المطلة على البحر المتوسط فى الشرق والغرب على السواء ، فماذا يكون موقفنا ؟ .. إن « الحوار » هو الأسلوب الفكرى الصحيح ، وليس الهجوم والاتهام والتجريح بالحق والباطل .

لقد كان المفروض أن تدعو مؤسساتنا الثقافية « داريل » وأن تواجهه بالرأى ووجهة النظر المخالفة لرأيه ، خاصة أن داريل يعرف مصر ، فقد عمل فيها ، وفى مدينة الاسكندرية على وجه الخصوص ، عدة سنوات ، وكتب عمله الفنى الأكبر والأهم والأعظم عن « الاسكندرية » فى أربعة اجزاء كبيرة وسماه باسم « رباعية الاسكندرية » أى أن هذا الكاتب لديه استعداد عقلى ونفسى للحوار معنا . ولكن الذى حدث هو اننا رفضنا دعوته الى أى حوار واكتفينا بأن نطلب منه ، دون أى جهد من جانبنا ، أن يفكر مثلنا تماماً وأن يعتقد بكل ما نعتقده ويؤمن بكل ما نؤمن به وهذا مطلب خاطىء وغريب ، وهو جزء من ذلك « التفكير الانفعالى » الذى لا يجدى ولا يفيد ، والذى يضر أكثر مما ينفع . لأن هجومنا العنيف على داريل لن يؤثر فيه ، بينما يؤثر فيه على العكس أن نتحاور معه ونناقشه ونبادله الرأى بالرأى والحجة بالحجة .

### هل كان جاسوساً ؟

على أن تهمة داريل عند الذين هاجموه ، لم تتوقف عند حدود انكار دعوته الى ما يسمى بثقافة البحر الأبيض المتوسط ، فلابد للمهاجمين كي تقوى حجتهم ، ان يبحثوا عن بقع أخرى فى ثوب هذا الكاتب الكبير .

والتهمة الأخرى الموجهة إلى « داريل » هى أنه كان يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها « فى المخابرات الانجليزية » أى أنه كان جاسوساً ، وقد ناقش « داريل » نفسه هذا الاتهام الذى وجهه إليه البعض فى حوار صحفى « وهذا الحوار مترجم بنصه فى جريدة الجزيرة السعودية الصادرة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨١ » ، ويقول « داريل » فى الرد على هذا الاتهام :

« لقد عينتنى الحكومة الانجليزية ملحقاً صحفياً فى المفوضيات البريطانية فى الشرق الأوسط ثم فى يوغوسلافيا ، وأعتقد أن العزلة التى أعيشها منذ سنوات يمكن أن تقنعك بصحة كلامى « أى باننى لست جاسوساً ولم أكن جاسوساً » .. اننى لا أصلح لدور الجاسوس ، فوجهى القاسى لا يسمح بالانتقال السريع من وضع الى وضع أخر ، هذا فضلا عن أن صوتى الخشن يعطينى صفة « رجل العصابات » اكثر من صفة الرجل السرى الذى ينتقل داخل نفسه . لم يكن ما قيل عنى صحيحاً . كنت موظفاً إعلامياً فقط ، دون أن يعنى ذلك أننى لم اكن مطلعاً على بعض الأسرار لكن بعض المؤرخين يتركون لخيالهم العنان ، وهذا على كل حال بات معروفاً ، فالتاريخ يكتبه المرضى عادة » .

ثم يعقب داريل بكلمات أخرى فى وصف نفسه وجذوره المتعددة فيقول :

« الحقيقة اننى استقررت فى أكثر من مكان ، وهذا ما جعلنى إلى حد بعيد أشبه بسوق مشتركة ، هذا فضلا عن أن جذورى متنوعة جداً ، لكن الأمر الذى لا أزال أعانى منه حتى الآن هو أن الانجليز يكرهون نصفى الأيرلندى ، والايرلنديون يكرهون نصفى الانجليزى ، والواقع هو أننى لا أصلح أن أكون انجليزياً ولا أيرلندياً ، فانتمائى الى الحياة مختلف » .

هذا ما يقوله « داريل » ومن الواضح أن تهمة الجاسوسية قد جاءته بسبب عمله كملحق صحفى فى السفارات والقنصليات الانجليزية « ومنها القنصلية الانجليزية فى الاسكندرية أثناء الحرب العالمية الثانية » .. ومن الممكن بالطبع أن يكون عمل « داريل » متصلا بالمخابرات الانجليزية ، فقد كان موظفاً من موظفى انجلترا ، فى مجال يفرض تقديم معلومات وتقارير .. ولكننا إذا اتبعنا هذا الأسلوب فى اتهام كل العاملين فى « الملحقيات الصحفية » بالجاسوسية ، فسوف نكون قد وضعنا أمامنا « مبدأ » يفرض علينا الا نتعامل مع المئات من المشتغلين بالصحافة والثقافة فى العالم كله ، ونكون بذلك قد دفنا رؤوسنا فى الرمال ، حتى لا نرى ولا نسمع ، والأقرب إلى التفكير السليم هو اننا لا ينبغى أن نلقى الاتهام بالجاسوسية على أحد إلا إذا ثبت ذلك بالدليل القاطع الواضح ، وليس هناك من دليل ضد « لورانس داريل » .. إلا عمله السابق كملحق صحفى فى السفارات والقنصليات الانجليزية .

ومع ذلك فلو أن لورانس داريل كان مجرد موظف ، لا قيمة له ولا تأثير فى الثقافة العالمية المعاصرة ، فقد كان من الممكن أن نقبل اتهامه بالجاسوسية على أساس الشبهة ، وليذهب « داريل » فى مثل هذه الحالة الى الجحيم .. ولكن داريل كاتب كبير له قيمته وتأثيره فى الفكر العالمى المعاصر ، ولذلك فقد كان من الضرورى أن تكون محاكمته فى هذا المجال على أساس دقيق وثابت من الأدلة والبراهين ، حتى لا يترتب على اتهامنا العشوائى لهذا الكاتب أن يرفضه القارىء العربى رفضاً نهائياً ، بغير دليل أو علم ، والخسارة هنا تقع قبل كل شىء على العقل العربي الذى يندفع إلى الاعتقاد بأن قراءة داريل أصبحت من «المحرمات» .. فى الوقت **الذى يقرأه الناس فى كل انحاء العالم ويستمتعون بادبه ويستفيدون من هذا الأدب فائدة روحية وعقلية عميقة ، ويناقشونه بالتاييد او الاعتراض المبني**

على المعرفة والفهم الصحيح .

ولكن بعض الذين هاجموا داريل رددوا هذا الاتهام المتسرع ضد الكاتب الكبير دون أن يقدموا عليه دليلا حاسماً ، وطالبوا بعد ذلك بمنع الكاتب وأدبه من الدخول إلى البلاد العربية . وبالنسبة لي فانني منذ ان قرأت « رباعية الاسكندرية » ، واستولى الكاتب العالمي الكبير لورانس داريل على اعجابي واهتمامي ، فانني اتابع كل شيء عنه ، ولم أعثر – فيما قرأت – على أي دليل جدي يثبت اتهامه بالجاسوسية . وأذكر أن أول من قدم رباعية الاسكندرية الى الثقافة العربية هو الكاتب الكبير احمد بهاء الدين ، وبهاء كاتب سياسي واع ووطني ويقظ ، وليس من المعقول أن يخفى على انتباه كاتب مثل بهاء أن « داريل » جاســـوس ، ولو وجد بهاء أساساً لهذه التهمة ، لما غاب عنه الامر ، ولما قام بتقديم «داريل» إلى القارىء العربى فىكتابه « أفكار معاصرة » .

## التعاطف مع اليهود

وناتي بعد ذلك إلى الاتهام الثالث الخطير ، وهو اتهام داريل ، بانه متعاطف مع اسرائيل ، والفرق كبير بين تعاطف داريل مع اليهود ضد اضطهاد النازية لهم ، وبين اتهامه بالتعاطف مع اسرائيل .

إن الثورة الفلسطينية نفسها لم تطلب في يوم من الأيام أن يضع العالم : الايمان بالقضية الفلسطينية فى قلبه وعقله بديلا عن التعاطف مع اليهود الذين اضطهدتهم النازية أو غيرها فى عصر من العصور ، فالدعوة العربية الفلسطينية « قومياً وسياسياً ودينياً » تطالب بحقوقها ولا تدعو أبداً إلى الاضطهاد أو تؤيد مثل هذا الاضـــطهاد حتى لو كان موجهاً إلى اليهود . ذلك لأن دعوتها إنسانية وليست عنصرية متعصبة ، وهذا هو سر قوتها وتاثيرها وبقائها فى ضمير العالم كله رغم عنف الصدمات والعقبات والآلام التى لا حد لها .

ويحضرني هنا نموذج له أهميته ، ذلك هو موقف الزعيم الهندى العالمي «غاندي» الذي كتب عند بداية الحرب العالمية الثانية مقالا بعنوان « لو كنت يهودياً » ، وهو مقال رحب به العرب وترجموه ونشروه فى صحفهم الكبيرة ، وفى هذا المقال يدافع « غاندي » عن اليهود ضد الاضطهاد النازي ، حيث يقول : « إن المباديء السامية تقتضي بان يعامل اليهود كغيرهم من خلق الله أينما ولدوا وحيثما نشاوا . فاليهود الذين يولدون في فرنسا فرنسيون ولاشك ، كما أن المسيحيين الذين يولدون فى فرنسا فرنسيون ولاشك » ثم يقول غاندى بعد ذلك : « لو كنت يهودياً مولوداً فى المانيا ، وكنت أحصـــل رزقى منها ، لصرخت فى وجه اقوى رجالها : إن المانيـــا وطني ، ولا اخرج منها ولو قطعت اوصالي أو ألقى بي من حالق ..» ولرفضت ان أطرد منها أو اخضع لاي نوع من انواع الاضطهاد بها » ثم يقول غاندي « .. إذا اتخذ اليهود فلسطين وطناً لهم ، هل معنى ذلك انهم يستمرئون فكرة إخراجهم من ديارهم ؟ أو أنهم يريدون أن يكون لهم وطنان يعيشون فيهما كيف يشاءون ؟ إن تلك الصرخة فى طلب الوطن القومي تعطى الألمان حجة براقة اللون لطرد اليهود » ... وهكذا جمع غاندي بين تعاطفه مع اليهود ضد الاضطهاد الموجه إليهم من الالمان ، وبين رفضه دعوة اليهود لاقامة وطن قومي لهم على أشلاء شعب آخر هو الشعب الفلسطيني . وأنا اقدم هذا النموذج الانساني البارز ، لاخرج منه بنتيجة أساسية ، هي أن التعاطف مع اليهود فى قضية اضطهادهم من جانب النازية ، أو غيرها من القوى السياسية ، لا يعني ابداً كراهية العرب أو انكار الحق العربي فى فلسطين .

فتهمة التعاطف مع اليهود ، وهي التهمة الموجهة لداريل لاتقوم على أساس سليم ، فليتعاطف داريل مع اليهود ، ولكنه لم يعلن أبداً – فيما أعلم – أي انكار للحق العربي فى فلسطين .

ومع ذلك كله فاين تعاطف داريل مع اليهود ؟ .. إن أهم رواية كتبها داريل هي رباعية الاسكندرية . وقامت بترجمة جزءين منها الشاعرة الفلسطينية الكبيرة « سلمى الخضراء الجيوسي » وسلمى الخضراء ، هي سيدة فلسطينية من أسرة مناضلة ومعروفة ، وهي نفسها قد صرفت جهدها وعمرها فى الدفاع عن قضيتها العربية الفلسطينية والتعبير عنها ، ولا يستطيع أحد ، ولا يملك أن يتهم سلمى الخضراء فى عروبتها أو فلسطينيتها ، ولو أن سلمى قد وجدت فى داريل عداء للعرب وميلا نحو اسرائيل ، فهل كانت تقوم بترجمة جزءين من « رباعية الاسكندرية » إلى العربية ؟ .. لايمكن أن نتصور هذا ، بل إن سلمى الخضراء ، قد وجدت معنى عكسياً تماماً فى أدب « داريل » وهي تعبر عن هذا المعنى فى مقدمة رواية «جوستين» وهي الجزء الأول من «رباعية الاسكندرية» « منشورات دار الطليعة – ابريل ١٩٦١ » ... وهنا تقول الأديبة العربية الفلسطينية سلمى الخضراء فى مقدمتها بالنص :

« ... إن القاريء العربي سيفيد من هذه الرواية فى ناحية مهمة قد لا يعبأ بها القاريء الأجنبي . هذه هي الناحية السياسية . فمع أن ناحية السياسة ليست من أهداف الرواية الأساسية إلا أن العوامل السياسيةتسيطر على أحداث الرباعية ، وتصرفات الأشخاص فيها . إن الاطار السياسي فى الرواية لا يكاد يتبدى فى الروايتين الأوليين ، ولكنه يظهر بوضوح وجلاء فى « ماونت أوليف » الرواية الثالثة . فجوستين « بطلة الرواية الأولى » مثلا تستعمل كل أساليب اليهود « السحر والحب والاغراء » ، فى سبيل أهداف سياسية . والكاتب « داريل » يعاملها فى الرواية الأولى كفتاة جميلة ساحرة . ولكنه يعود فيكشف عن مناحيها الأخرى فى الروايات التابعه . ولاشك أن القاريء العربي سيضيف إلى معرفته العامة باساليب اليهود خبرة دقيقة مباشرة ومهما ذكرنا انفسنا بان الاحداث والشخصيات من ابتكار الكاتب فاني اظل أرى فيها نسيجاً واقعياً يفضح الأساليب التى كان العدو يتبعها فى قلب الوطن العربي جميعاً قبل ثورته الواعية » .

هذا ما قالته الشاعرة والأديبة الفلسطينية « سلمى الخضراء » فى تقديمها لرواية « داريل » : رباعية الأسكندرية ، بل إن داريل يذكر عن إحدى شخصيات الرباعية أن « رسائله كانت مليئة بالمذمات العجيبة لليهود ، كان يلقبهم بمصاصي الدماء « ص ٢٦٩ من رواية جوستين – الترجمة العربية » .

فاين إذن هذا الأساس الذى تقوم عليه الاتهامات ضد داريل بانه متعاطف مع اليهود ضد العرب ؟ .

إن مثل هذا التفكير السريع المتعجل لن يؤدى إلا إلى منع دراسة أدب « داريل » وفهمه وقراءته ، وهو أدب عظيم يستحق الدراسة والفهم والقراءة من كل المشتغلين بالثقافة العربية ، كما أن مثل هذه الاتهامات تحول بيننا وبين إجراء أي حوار جدي مع هذا الكاتب العالمي ، في أي شيء قد يكون أساء فهمه أو أساء تقديره ، وهذه الاتهامات أيضاً ، تؤدى بنا إلى التشنج ، والتفكير الانفعالي ، ولا تجدي شيئاً ولا تعود علينا باي نفع من أي نوع على الاطلاق .

## اتهامات أدبية

بقيت النقطة الأخيرة فى هذه القضية ، وهي ما أطلقه الأديب العربي الكبير الدكتور يوسف إدريس حول رواية رباعية الاسكندرية » ، واحكام يوسف إدريس هي احكام بعيدة عن السياسة ، ولكنها تؤدى إلى نفس النتيجة التى تقودنا إليها المناقشات السياسية المتسرعة .. هذه النتيجة هي إساءة فهم الأديب العالمي « داريل » ، وإساءة تقديره ، وتجاهله أو الجهل به » .. يقول يوسف ادريس تعبيراً عن رفضه ونفوره من أدب داريل « مجلة الفصول – المجلد الثاني – العدد الثاني – ص ٢٣٤ » ما نصـــه :

« لو أخذنا مثلا رباعية الاسكندرية لداريل ، وقرانا الجزء الأول وفرغنا مه . وهذا غير ممكن لأني حاولته . فسوف نجد

## محاكمة ظالمة لأديب عالمي

الأجزاء الأربعة تعبر عن نفس الجو ونفس الشخصيات » .

ومعنى كلام يوسف إدريس ، أن أدب داريل « لا يطاق » بدليل ، أنه لم يستطع ، أن يكمل الجزء الأول من « رباعية الاسكندرية » ، ولم يتمكن من ذلك بسبب نفوره من هذه الرواية ، ورغم ذلك فيوسف إدريس الذي لم يستطع أن يكمل الجزء الأول من الرواية باعترافه ، يحكم على الأجزاء الثلاثة الأخرى « ولا أدري باي حق يحكم على هذه الأجزاء إذا لم يكن قد أكمل جزءها الأول » فيقول لنا بجراة منقطعة النظير : « إن الأجزاء الأربعة من رواية داريل تعبر عن نفس الجو ونفس الشخصيات » ... هذا الحكم الأدبي الذى يصدره يوسف يعبر عن نوع من التسرع الفكري والنقدي المرفوض ، فمن حق يوسف إدريس أن يقول مثل هذا الراي لو أنه قرأ الرواية باكملها وهو لم يفعل ذلك ، ومثل هذا الموقف لا يليق باديب كبير نعتز به مثل يوسف إدريس ، وهو موقف – في جوهره – يدعو إلى السطحية والخطف فى القراءة والدراسة والفهم . والحقيقة أن ما يدلي به يوسف إدريس من آراء أدبية حول هذه الرواية هو خطا كلـه ، فالرواية أعمق وأجمل وأروع ، فى أجزائها الأربعة ، مما يصوره يوسف إدريس لقارئه .

والرواية عمل فني شامخ يتناول نفس الأجواء والشخصيات ، ولكنها تبدو فى كل جزء منها بصورة مختلفة تماماً عما تبدو عليه فى الجزء الأخير ، فلماذا يتسرع يوسف إدريس ويلقى مثل هذه الأحكام الأدبية السطحية ؟ ولماذا يضلل قراءه ومحبيه الكثيرين بهذه الأحكام المتعجلة التى لا تقوم على أي أساس من الحقيقة الأدبية ؟ ..

إن سلمى الخضراء ، الأديبة الشاعرة الناقدة ، مترجمة الجزئين « الأول والثاني» من الرباعية تشرح النقطة التى اختلطت على يوسف إدريس من خلال قراءته المتسرعة أو بالأحرى من خلال عجزه عن إكمال قراءة الرواية فتقول :

« إن رواية « جوستين » هي الكتاب الأول من رباعية لورانس داريل الشهيرة باسم رباعية الأسكندرية ... هذه الروايات الأربع هي : جوستين ، بالتازار ، ماونت أوليف ، كليأ ... وهذه « الرباعية الروائية » قد بنيت على مخطط فني شديد الطرافة – يرتكز على حد تعبير داريل نفسه على « الفرضية النسبية » فالرباعية تستقطب ثلاثة أبعاد مكانية وبعداً زمنياً واحداً ، فتؤسس على هذا الاستقطاب بنيانها الطريف الدقيق . وحقيقة الفرضية التى تكمن وراء هذا المخطط هي أن الشخصية الانسانية مادة معقدة تدخل فى تركيبها عوامل كثيرة ، ولا يستطيع إنسان واحد ان يكتشف جميع أبعادها. إن الروايات الاربع تتحدث عن نفس الشخصيات الرئيسية لتظهر لنا ناحية واحدة من النواحي المتعددة لهذه الشخصيات فى الكتاب الواحد . ومع ذلك فان كل رواية منها مستقلة فى بنائها الفنى عن الاخرى . ففي « جوستين » وصف داريل جميع الحوادث والشخصيات من وجهة نظر شخص واحد هو راوي القصة الايرلندي . وبالطبع فان الانسان يحسب عندما يتم قــراءة « جوستين » انه قد قرأ القصة كلها ، ولكنه سوف يكتشف عندما يبدأ في قراءة بالتازار أن راوي القصة الايرلندى « فى جوستين » قد أخطأ فهم الكثير من الحوادث ، لانه كان ينظر إليها من وجهة نظره الخاصة ، وهي وجهة نظر « نسبية » لايمكن أن تتسع لتشمل الحقيقة جميعها . وفي نهاية الرباعية ، إذ يكتمل بناء الشخصية ، نجد أن هناك شيئاً من الصدق فى كل ما يقال عن كل فرد . وان القديس والشرير شريكان ! »

ذلك ما كتبته سلمى الخضراء وفى تفسير البناء الفني لرواية « داريل » ، ورأيها فى هذا المجال صحيح ، وهو رأي مبني على الدراسة والفهم والمعرفة ، أما رأى أديبنا الكبير يوسف ادريس فمبني على القراءة الخاطفة والناقصة ، ومبنى على التسرع وعدم الدقة، وهو لا يجوز أن تتصف به أحكام يصدرها أديب كبير مسئول .

واحب أن أضيف هنا أن رباعية الاسكندرية وهي تحفة أدبية نادرة ، قد اثرت – من حيث البناء الفنى – فى أدبنا العربي المعاصر وفى عملين معروفين هما رواية « ميرامار » لنجيب محفوظ ، ورواية « الرجل الذى فقد ظله » لفتحى غانم .

وهكذا يبدو بوضوح اننا قد حاكمنا لورانس داريل ، وهو أديب عالمي بالغ الأهمية والقيمة ، محاكمة سياسية سريعة وظالمة ، ومحاكمة أدبية أسرع وأسوأ وأكثر تعسفاً وظلماً .

### الانفعال والموضوعية

ونعود إلى المشكلة الأصلية ، التى تمثل خطأ جوهرياً من اخطاء الفكر العربي ، ... هذه المشكلة هي مشكلة « العقل الانفعالي» الذى نعاني منه أشد المعاناة فى نظرتنا إلى الأمور ، فنحن نبدأ بمعلومات سريعة وغير دقيقة ، ونبني عليها موقفاً عاطفياً هو أن نكره « الشخص » قبل أن نعرفه وندرسه ، ثم نسارع على أساس هذه الكراهية الى تجريده من كل قيمة ، ثم نحاكمه بعد ذلك غيابياً دون أن نتيح له ولأنفسنا فرصة الحوار السليم ، وبعد ذلك كله نصدر عليه احكاماً متسرعة بالاعدام الأدبي والفكري والسياسي ... ونكاد نجرده من ثيابه الشخصية .

ومن حقنا ، بل ومن واجبنا أن نرفض الأفكار التى نختلف معها ، ولكن الطريق الصحيح أيضاً هو أن نفهم صاحب هذه الأفكار فهماً سليماً جيداً ، ونعرف قدره وقيمته ، إن كان له قدر وقيمة ، حتى لو كان مختلفاً معنا ، ثم نسعى بعد ذلك إلى إجراء حوار مؤثر معه ، إن كان ذلك متاحاً لنا ، كما هو متاح فى حالة « لورانس داريل » حيث يتردد هذا الكاتب الكبير على بلادنا كثيراً ، ومن حقنا بعد ذلك أن نحاكمه محاكمة فكرية وأدبية عادلة ، نرد فيها على أفكاره الخاطئة ، ونبقي له حقه فى القيمة والمستوى والأهمية ، وذلك كله لن يفيـد داريل أو غيره ، بقدر ما سوف يفيـدنا نحن لأن هذه المحاكمات المتسرعة التى تجرد الاخرين من كل شيء تؤدى بنا إلى تجاهل أديب مثل « داريل » ورفضه وعدم قراءته ، بينما العالم كله يقرأه ويهتم به ، وينظر إلى أعماله ، وفى مقدمتها رباعية الاسكندرية ، على أنها إضافة كبرى إلى الأدب العالمي .

وهذا هو الفرق بين التفكير الانفعالي والتفكير الموضوعي ... ليس – فقط – فى قضية داريل ، بل فى كل قضية اخرى فى ميدان الأدب والسياسة والفكر والثقافة والحياة .

ولا تصدقوا الذين حاكموا « داريل » محاكمة ظالمة ومتسرعة .. فداريل أديب عظيم ، قد نختلف معه ونرفض بعض آرائه ... ولكن أدبه يظل عميقاً وممتعاً ومتألقاً ويستحق القراءة والتأمل والبحث والدراسة .

إننا لو تابعنا هذا المنهج الانفعالي فى التفكير ، وهو المنهج المسيطر علينا للأسف ، فسوف نظل عاجزين عن فهم الأشخاص والظواهر التى تواجهنا ، وسوف ينتهي بنا الأمر إلى إغلاق كل نوافذنا العقلية والحضارية ، وحصر وجودنا كله ضمن أسوار حديدية من العزلة والتفكير الضيق المغلق ، وسوء الحكم على الأمور ، وعدم القدرة على التصرف ، وكل مايصيبنا من الاضطراب فى أمور السياسة والثقافة والحياة ، إنما يعود فى جوهره الى هذه العقلية الانفعالية المتعجلة التى تستسهل الأحكام النهائية القاطعة ، وتستسلم للأوهام والأباطيل بسرعة عجيبة وترفض بذل أي جهد دؤوب صبور فى سبيل تغيير الواقع الذى لا ترضاه . فلنتخلص من ذلك العقل الانفعالى الذى قادنا إلى كثير من الهزائم الروحية والنكبات الواقعية ، ولنصبر على فضيلة التفكير الموضوعي الدقيق ، فمن خلال هذه الفضيلة وحدها يمكن أن يتغير واقعنا إلى ما هو أفضل ، وتنتقل حياتنا العقلية والعملية ألف خطوة إلى الأمام .

رجـاء النقـاش

# حكايتي والمؤتمر

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

**مؤتمر غريب انعقد في اليونان ودعي اليه الكاتب الكبير الدكتور عبد السلام العجيلي، وفي المؤتمر فوجىء الكاتب العربي بوجود ممثلين لاسرائيل، فانسحب من المؤتمر، وهذه هي قصة المؤتمر الغريب وقصة الزوبعة التى ثارت فى داخله.**

فى مطار اثينا، بينما كنت فى انتظار النداء للطائرة التى سأستقلها إلى بيروت، اقترب منى شاب كان واقفاً فى أحد صفوف المسافرين وخاطبنى بالفرنسية قائلا: صباح الخير يا سيدى... انا واحد من أعضاء بعثة جريدة الفيغارو الى ندوتكم ... يالها من مؤتمر!

قلت: ما الذى استغربته من هذا المؤتمر، اعني من ندوتنا؟

قال: بدأتم بالثقافة وانتهيتم الى السياسة. من كان يصدق ان بيير مورو، رئيس وزراء بلادنا، يصوت فى بيان الندوة الختامى موافقاً على التنديد باسرائيل وعلى اقامة دولة فلسطينية؟! تلك أمور ضد الخط السياسي للحكومة التى يرأسها. لما سألناه، نحن الصحفيين عن تفسير ذلك بدا عليه الحرج وقال انه وافق على ما وافق عليه بصورة شخصية..

قلت: انا لم احضر الجلسة الختامية.

قال: اعرف جيداً. فلعل هذا يرضيك بعد الضجة التى اثرتها أنت فى الندوة. الى اللقاء يا سيدى.

ودعني الشاب بهذه الكلمة وانطلق معجلا الى احدى البوابات المنفتحة على المدارج، مستجيباً الى نداء كانت المكبرات تذيعه فى قاعة الانتظار المزدحمة.

حدث هذا بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من شهر مايو - ايار الفائت. كنت، كما قلت، اتهيأ للعودة عن طريق بيروت التى لم تكن قد تعرضت لمحنتها الكبيرة الأخيرة، وذلك بعد ان حضرت فى اليونان الندوة الثقافية العالمية التى اتخذت شعاراً لها «البحر الأبيض المتوسط دائماً واليوم». هل حضرت انا تلك الندوة؟ الصحيح اني حضرت جزءاً منها فقط. جزء أكفى وحده لأن يجعلنى أثير الضجة التى اشار اليها مراسل جريدة الفيغارو قبل ان يودعني الى طيارته.

ولقد اثرت تلك الضجة على الرغم مني. فحين قبلت حضور هذه الندوة، وقد انبأتني برقية الدعوة اليها انها ستدور حول العلاقات الثقافية بين شعوب البحر الأبيض المتوسط، توقعت ان ادخل فى نقاش وجدل فى أمور هامة لن تقتصر على الثقافة بل ستمتد الى التاريخ القديم والى السياسة المعاصرة. الا اني ما توقعت ان يركز علي شخصياً بين كل الحضور فى محاولة لادراك غايات بعيدة عن مشاغل مؤتمرنا المعلنة.

ولابد من القول ان مؤتمرنا هذا، على كونه اقيم فى أرض اليونان فقد جاءت الدعوة اليه بآن واحد من وزير الثقافة الفرنسي، جاك لانغ، ومن وزيرة الثقافة اليونانية ميلينا ميركوري. دعوة صدرت من وزيرين مسؤولين، الا انها وجهت بصورة شخصية الى مفكرين وكتاب وفنانين لهم شهرتهم العالمية، ينتمون الى مختلف بلدان البحر الأبيض المتوسط دون ان يكون لهم ارتباط رسمى بحكومات بلدانهم. بل ان بعض المدعوين كانوا على خلاف واضح مع حكوماتهم، مثل المخرج السينمائي التركى ايلماز كوناى الفائز بالميدالية الذهبية فى مهرجان «كان» لهذا العام على فيلمه «الطريق» والذى تلقت اليونان اثناء انعقاد الندوة طلباً من الحكومة التركية لتسليمه اليها بصفته محكوماً بالسجن المؤبد فى بلاده لسلوكه السياسي المعارض..

قلت ان المدعوين كانوا ينتمون الى مختلف بلدان البحر الأبيض المتوسط، لذا فان المنتمين الى البلاد العربية المتوسطية لم يكونوا قلة فى العدد بين نحو من سبعين مدعواً الى الندوة سوى اليونانيين. بعضنا مثل كاتب هذه السطور، جاء من بلده، وبعضنا جاؤوا من منافيهم أو من مقر اقامتهم فى بلدان غير موطنهم. من هؤلاء مثلا محمود حسين الكاتب السياسي المصرى الذى يجهله العرب ويعرفه الفرنسيون معرفة جيدة. محمود حسين هذا ليس شخصاً بمفرده، بل هو كاتبان اسمهما عادل رفعت وبهجت النادى، يقيمان فى فرنسا منذ زمن طويل وفيها يؤلفان كتبهما السياسية التى تصدر عن نزعة اشتراكية متطرفة تروتسكية أو ماوية.

اذن فقد كان فى مؤتمرنا كتاب عرب وفنانون عرب كثيرون. فلسطين نفسها كانت ممثلة بريموندا الطويل المقيمة فى الأرض المحتلة، والتى عرفت السجن فى دفاعها عن مواطنيها وعرفها المتتبعون لنضال عرب فلسطين عن طريق كتابها عن هذا النضال. ولما كانت تهيئة الندوة ترجع فى نصفها، اذا

# حكايتي والمؤتمر

لم يكن فى اغلبها ، الى وزير الثقافة الفرنسى فما كان مستبعدا ان يدعو هذا الوزير مفكرين من اسرائيل الى الاشتراك بها . وحقاً كان هذا . فحين بلغت فى أثينا فندق خاندريس ، حيث حلت الوفود ،وتطلعت الى اسماء المشاركين وجدت بينهـا اسمين لاسرائيليين قادمين من تل أبيب ، احدهما نائب سابق مشهور بمعارضته للسياسة الصهيونية فى بلاده ، والثانى كاتب يسارى معروف كذلك بمواقفه العدائية لتلك السياسة . ذانك المشاركان هما أورى افنيرى واموس كينان . معارضان لاساليب الحكم فى اسرائيل ولطريقة الصهاينة فى معاملة العرب فى فلسطين بلدهم ، ولكنهما على كل حال اسرائيليان ، من اسرائيل .

ان يحضر اسرائيليان ، وان كانا معارضين لحكومة بلدهما ، كان بعض ما توقعت حدوثه فى هذا المؤتمر مادام الداعي الأول اليه هو ، كما قلت ، وزير الثقافة الفرنسي . انها البداية قلت لنفسي . فاحضار هذين الاسرائيليين الى ندوة البحر الأبيض المتوسط واشراكهما فى ابحاثها يعنيان اعتبار شعب اسرائيل شعباً متوسطياً له انتماؤه الى بلدان هذا البحر وله مساهمته فى حضارة هذه البلدان . تلك افكار ستطرح فى جلسات الندوة ، ولكننا نحن العرب لا نقبل بمبدئها ولا بمحاولة جعلها مقبولة عند الآخرين . وليس عسيراً علينا أن نورد الحجج القطع فى دحضها اذا ما جرى اقحامها فى المناقشات الدائرة . قلت هذا لنفسي ، كما حدثت به بعض من أنست منهم اهتماماً بما أهتم انا به من المشاركين العرب ، ونحن فى السفينة التى اقلتنا من أثينا العاصمة الى مقر اجتماعاتنا فى جزيرة هيدرا .

ذلك ان ميلينا ميركورى ، وزيرة الثقافة والعلوم فى الجمهورية اليونانية ، اختارت لاقامة المؤتمر هذه الجزيرة الجميلة التى تبعد مسافة ساعتين عن أثينا بحراً فى اسرع الزوارق . فنحن لم نتلبث فى عاصمة اليونان الا ليلة واحدة حضرنا فى اولها حفلة الاستقبال الكبيرة فى قصر الثقافة ، ثم ركبنا فى صباح اليوم التالى سفينة سياحية فاخرة توجهت بنا الى جزيرة هيدرا فى جو منطلق تحرر فيه المشاركون من قيود الرسميات ، وانصرفوا الى التمتع بهذه النزهة البحرية مجتمعين فى حلقات يتعرف اعضاؤها بعضهم ببعض ، يتبادلون المعلومات عن اهتماماتهم وانتاجهم الفكرى والفني ، كطليعة للمناقشات التى ستدور حول الموضوع الرئيسي للندوة ، وهو العلاقات الثقافية بين بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

فى هيدرا ، تلك الجزيرة الساحرة ، عقدنا أول اجتماعاتنا فى كنيستها الأثرية الكبيرة التى لم تكن تبعد غير خطوات عن شاطىء البحر ومرسى المراكب فيه . وجلست فى مقعدي من قاعة الاجتماع وحولي بعض زملائي الذين تهيأوا معي للتصدى لمحاولة اقحام اسرائيل بين الشعوب المتوسطية الأصيلة . الا ان ذلك التصدى لم يقع فى جلستنا الأولى . فما كدت احكم على اذني سماعة الترجمة الفورية حتى جاءتني مديرة مكتب الوزير الفرنسي لتقول لي بلهجة قلقة اني مطلوب لمكالمة عاجلة بالهاتف من أثينا . سمعت على خط الهاتف ، فى الغرفة المجاورة لقاعة الاجتماع ، صوت دبلوماسي عربى ، صديق قديم ما كنت اظنه يعمل فى أثينا ، يقول لي بعد التحية : ما هذا المؤتمر الذى تحضره يا فلان ؟ هل تدرى باننا ، نحن الدبلوماسيين العرب ، لم نسمع به الا امس حين دعينا الى حفلة الاستقبال الرسمية ؟ قلت : ولكنكم لم تحضروها ... لم ار عربياً فيها غير ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . قال : لاننا قاطعناها جميعاً ، وسنعقد اجتماعاً لبحث هذه القضية ... نرجوك ان تعود الى أثينا مساء اليوم لتحضر اجتماعنا فى صبيحة الغد ..

لم تكن عودتي الى أثينا متيسرة ذلك المساء ، فكان لابد من الانتظار الى صباح اليوم التالى . ولما ذاع اني سأترك اجتماعات الندوة لاحضر اجتماعاً للسفراء العرب يتعلق بموضوعها كثر التساؤل بين المؤتمرين عما وراء ذلك . وفي المساء ، عندما كنا نتناول جميعاً العشاء على موائد متفرقة فى الهواء الطلق ، جاءت ميلينا ميركورى ، وزيرة الثقافة ، الى المائدة التى كنت عليها يصحبها معاون وزير الثقافة الفرنسي ، وهي تقول شاكية : ماذا يريد سفراؤكم من مؤتمرنا هذا ؟ انتم مدعوون بصفتكم الشخصية كرجال فكر ، فليس للساسة أو الدبلوماسيين دخل فى امركم . قلت : يا سيدتي .. فقالت الوزيرة محتجة : لا تناديني بياسيدتي .. قل لي يا ميلينا ! ضحكت وناديتها باسمها الأول كما ارادت . فقد كانت فى مخالطتها للمؤتمرين وانا من بينهم ، تبتعد عن شكليات منصبها الرسمى مذكرة بماضيها كممثلة فنانة وكمناضلة يسارية . قلت لها : ياميلينا .. ربما كان للدبلوماسيين العرب عذرهم فى الاستيضاح عن هوية ندوتنا ، فهم لم يدروا بها الا مساء أمس . قالت : كان خطأ ان نضع فى كتاب الدعوة تحت توقيعينا لقبينا كوزير للثقافة فى فرنسا ووزيرة للثقافة فى اليونان

.. سأصدر مع وزير خارجيتنا ، فى هذا المساء بياناً يؤكد ابتعاد المؤتمر عن الرسميات ويعلن انكم لاتمثلون بلادكم سياسياً بل تمثلون قيم الفكر والثقافة والفن فى حوض بحرنا المتوسط هذا ...

● ● ●

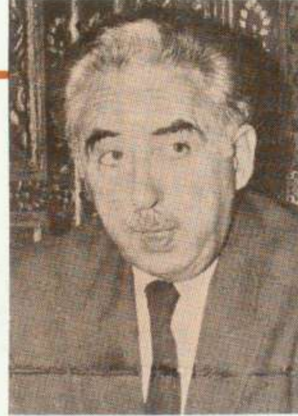
صدرت صحف أثينا فى الصباح التالى وفيها البيان الذى اشارت اليه ميلينا ميركورى . علمت بهذا فى اجتماع السفراء العرب الذى عرضت عليهم فيه الغاية من الندوة وبرنامج عملها ونوعية المشاركين فيها وكانت الوزيرة تنتظر مني هاتفاً على رقمها الشخصي الذى سجلته بيدها فى دفتري ، كى اعلمها ان من اجتمعت اليهم قد ارضاهم بيانها ، واني عائد الى المشاركة فى أعمال المؤتمر . ولكني فى الواقع لم اتصل بالوزيرة . فقد نشرت احدى صحف الصباح الموالية للحكومة مع بيانها شيئاً آخر يتعلق بي شخصياً ، ولم يدر بخلد المصطادين فى الماء العكر اني ساطلع عليه فى الوقت المناسب . كان فى تلك الصحيفة الواسعة الانتشار ريبورتاج مطول عن ندوتنا تضمن صوراً عن رحلتنا البحرية من أثينا الى جزيرة هيدرا ، ومن بين هذه الصور واحدة تمثلني انا والاديب التونسي عز الدين قلوز جالسين على مائدة واحدة ..

لم يكن نشر هذه الصورة امراً غير عادى . ولكن غير العادى كان ما كتب تحتها . فقد كان الشرح عليها بهذه الجملة : « رجال الفكر فى العالم ليست بينهم حواجز .. انهم متكاتفون من اجل بحر متوسط عماده الثقافة والفكر .. فى الصورة مندوبا سوريا واسرائيل يجلسان على مائدة واحدة » .

بيار مورو
من يصدق انه وافق على التنديد باسرائيل ؟



جاك بيرك
انسحب من المؤتمر تاييداً لموقفي



ميلينا ماركورى
ابتعاد المؤتمر عن الرسميات



كان هذا افتراء مقصوداً ومبيتاً . فالمشاركان الاسرائيليان ، افنيرى وكينان ، معروفان معرفة تامة عند الصحفيين الحاضرين ولا يمكن ان تلتبس صورة احدهما بصورة المشارك التونسي . هذا التزوير المتعمد قصد به دون شك تسخير حضورى وامثالي لندوة البحر الأبيض المتوسط للايهام بأن رجال الفكر العرب يخالفون ما تفعله دولهم وما تعلنه وسائلها الاعلامية من رفض العرب لوجود الكيان الصهيوني فى المنطقة . واذا كان المقصود من بيان الوزيرين الذى صدر عشية أمس تبرئة الندوة من بعض الشبهات ، فان هذه الصورة بشرحها الكاذب جاءت مؤكدة واقعية تلك الشبهات وداعية اياى شخصياً ان اتخذ موقفاً لابد من اتخاذه .

عدت فى الواقع الى هيدرا بمجرد اطلاعى على صورتي هذه فى صحيفة « توفيما » اليونانية . ودخلت اجتماع الندوة فى قاعة الكنيسة الكبرى بينما كان أحد المتحدثين الايطاليين يلقى كلمته . لم تكن ميلينا ميركورى ولا كان جاك لانغ ، وزير الثقافة الفرنسي ، بين الحاضرين ، فقد كانا فى أثينا يستقبلان بيير موروا ، رئيس وزراء فرنسا ، الذى قدم من بلاده وقيل لنا انه سيحضر كضيف حفل الندوة الختامي . وحين جاء دورى فى الكلام بعد عدة مشاركين بدأت بالحديث عن بعض ما كنت اريد التحدث فيه من أمور الثقافة المتوسطية ، ثم قلت اني لن اكمل حديثي فى الندوة لأن ثقتي بغايتها قد تزعزعت بسبب حادثة شخصية اخشى ان يكون لها انعكاسها على الندوة بصورة عامة . قلت هذا ووزعت على الحاضرين نسخاً من تلك الصورة مع ترجمة لشرحها بالفرنسية ، وعقبت على ذلك بكلمات بينت فيها ما وراء هذا الافتراء من مقاصد مشبوهة ..

وهكذا حدثت الضجة التى ذكرها مراسل الفيغارو فيما رويته عنه فى مطلع هذا المقال . ضجة حقيقية دفعت المسؤولين اليونانيين فى الجلسة الى الاعتذار ، وتحدث اثناءها عدد من المشاركين مستنكرين . وحين اعلنت انسحابي من الاجتماع انسحب مؤيداً لي المستشرق الكبير جاك بيرك ، وهو بين اعضاء الوفد الفرنسي الشخصية الثانية فى الأهمية بعد وزير الثقافة . واحتجاجاً على ذلك التزييف فى الصورة وقع الحاضرون بياناً يشجبون به ما اوردته الجريدة ويطالبون بتصحيحه . اما انا فقد قلت للذين ارادوا مني ان اجد فى هذا ترضية كافية ، اني مصر على عدم العودة الى الاجتماعات وان كنت لا اطلب من غيرى مقاطعتها . كل ما يهمنى هو ان يحول المشاركون فيها ، وكلهم من ذوى النوايا الحسنة ، دون ان تستخدم ندوتهم الثقافية كحصان طروادة للغايات السيئة المبيتة لها .

وكانت اجتماعات الندوة قد شارفت على الانتهاء على كل حال . ختام برنامجها كان حفلة موسيقية كبرى اقيمت فى مدرج ايبيدور حضرها ، كما كان مقرراً ، موروا رئيس وزراء فرنسا وباباندريو رئيس وزراء اليونان . اما آخر اعمالها فهو بيان مشترك نشرته الصحف ونقلت خلاصته وكالات الأنباء العالمية ، وفيه اجمع كل المشاركين فى المؤتمر على التنديد باسرائيل وشجب محاولاتها التوسعية وعلى المطالبة باقامة وطن مستقل للفلسطينيين فى بلادهم . وهذا مناقض كل المناقضة لما اراد الموالون للصهيونية تسخير الندوة له ، مبتدئين من الصورة التى كشف زيفها غايتهم ولفت الأنظار الى نياتهم .

وحين عدت الى بلدى تلقيت من الأستاذ جاك بيرك ، صديقي المستشرق الفرنسي الكبير ، قصاصة من جريدة الموند الباريسية فيها بيان الندوة الأخير ، مع رسالة منه يقول فيها : « وهكذا ترى ان المناورات التى حاكها ذوو النيات السيئة حول المؤتمر انقلبت عليهم ، وجاء البيان الختامي ضد ما ارادوا » .

• • •

حدث كل هذا فى فترة خمسة أيام ، بين ٢٠ و ٢٤ من ايار ـ مايو الفائت . رجعت بعد ما جرى من اليونان الى سوريا عن طريق بيروت ، وذلك فى الأيام القليلة التى سبقت محنة لبنان ، بل محنة العرب ، الكبرى الأخيرة . حين عدت الى قراءة قصاصة جريدة الموند وانا الاحق أخبار النكبات المتتالية فى هذه المحنة لم املك غير ان اهز رأسي ، والاسى يعتصر قلبى ، متسائلا عن قيمة كل الكلام الذى قلته فى الندوة ، والذى اثرت به تلك الضجة ، والذى انتهى الى النتيجة التى تضمنتها القصاصة . ما قيمة الكلام الذى نقوله ونعبر به عما نعتقده اذا افتقدنا القوة التى تعطى الكلام شكله كفعل . ما جرى امس فى فلسطين ، وفى لبنان ، وفى كل الساحات العربية يصدق ما آمنت به دوماً وما رددته دوماً ، وما قاله قبلي بألف سنة المتنبي حين قال :

حتى رجعت واقلامي قوائل لي
المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به
فانما نحن للاسياف كالخدم

عبد السلام العجيلي
الرقة ـ سوريا




# كوتشينة..!

بقلم :
محمود السعدني

وإذا كان أنور المعداوى هو أعظم أبناء قهوة محمد عبد الله ، فزكريا الحجاوى هو أخلص أبنائها وأعظمهم فناً وأشدهم تأثيراً فى الجيل الذى جاء من بعده . وعندما جذبت الصحافة زكريا ظل مواظباً على زيارة القهوة ولو لرشف فنجان القهوة على عجل ، وأحياناً كان يتلكأ قليلا لينهى نقاشاً حاداً بينه وبين الأصدقاء . ولكن لحسن الحظ لم يعمر زكريا طويلا فى بلاط صاحبة الجلالة . سرعان ما عاد الى القهوة من جديد ، وقد امتلأت نفسه مرارة من غدر الزمان وخيانة الأصدقاء ! ولكن زكريا الحجاوى الذى كان يتفجر حيوية ويفيض نشاطاً لم يستسلم . بدأ رحلة حياة جديدة وألقى بنفسه فى نهر الفن الشعبى وسبح فيه بمهارة ، وربما فاضت نفسه بشراً عندما اكتشف انه وجد نفسه وانه عثر على الطريق الصحيح ! وراح زكريا الحجاوى يجوب ريف مصر ، يقضى لياليه فى أفقر الكفور وأصغر النجوم ، خادعاً نفسه بالوقوع فى قصص غرامية مع مطربات شعبيات لم يكن لهن صلة بجنس النساء إلا عن طريق الملابس والأسماء . وكان هذا هو رأى الأصدقاء ولكن رأى زكريا كان يختلف . وعندما كانت الفرصة تسنح له بالحديث عن هؤلاء النسوة ، كان يتحدث عنهن باحترام ، وبنعومة وكأنه يتحدث عن غادة الكاميليا أو ماجدولين أو جولييت أو بثينة التى خلبت لب الشاعر جميل ! ومادامت المسائل كلها نسبية ، فان زكريا كان صادقاً فى احساسه تجاه هؤلاء الماجدولينات ، فهو فى النهاية أصدق كاتب ريفى أنجبته مصر . وهو كان يعشق الأرض المصرية ، وكان بينه وبين الطرق الزراعية علاقة غرام ، وكان يهيم بأشجار النخيل ويقف مبهوراً أمام الخضرة الممتدة بلا نهاية فى الحقول . وكان يحمل عشقاً خاصاً لأشجار الجميز ، وينشرح قلبه كلما نفذت الى خياشيمه رائحة روث البهائم ، وكثيراً ما كان يصرخ من شدة الوجد كلما رأى فلاحة سمهرية العود تتلوى كالأفعى وهى تخطر فى الملابس السود ! وحقق زكريا الحجاوى انجازات ما كان يمكن تحقيقها لو انه استمر فى عمله الصحفى . التقط الحاناً ريفية كانت مجهولة ، وصنع نجوماً فى المجتمع المصرى كانوا مجرد صعاليك يتسولون بالغناء . واستطاع زكريا الحجاوى أن يفرض على مصر عدداً من هؤلاء ، أدهشوا مصر بفنونهم الأصيلة ، وبعضهم أدهش العالم كله بعد ذلك كالريس متقال . ولمع داخل حدود الوطن العربى محمد طه وخضرة وفاطمة سرحان ومحمد أبو دراع وجمالات شيحا ، وأصبح زكريا الحجاوى هو شيخ الطريق والطريقة وكان سرادقه فى سيدنا الحسين خلال شهر رمضان هو التعبير الأكثر صدقاً عن التغيير الذى حدث فى مصر خلال فترة الستينات ! وانتعش زكريا الحجاوى ولكن ليس بالقدر الذى كان يجب أن يتوفر لفنان على هذا المستوى العظيم . أحياناً كان يشعر بالضياع فيعود عندئذ الى شلة الأصدقاء ، وكالصوفى التائه كان يتمنى لو جاء المخلص ليعتقه من الحياة ويخلصه من العذاب ! ولكن هذه الحالة كانت مجرد لحظات عابرة فى حياة زكريا . سرعان ما كان يتخلص منها ويعود إلى الدوامة من جديد ، ويختفى فى الريف . ولكنه حتى خلال غيبته الصغرى فى ريف مصر ، كان يحتفل بكل موهبة يصادفها فى طريقه ، ويدفع بكل ناشىء خطوات على الطريق ، ويحمى كل عود أخضر من النوايا الشريرة والظروف الحمقاء ! ولو أتيحت الفرصة لزكريا الحجاوى لترك لنا ميراثاً أدبياً عظيماً ، ولكن هذه الفرصة لسوء الحظ ، لم تتح له قط . كانت أعباء عائلته الكبيرة ، وموارده القليلة تقف حائلا بينه وبين التفرغ للابداع . وعندما أيقن أن الفرصة قد فاتت اكتفى بالحديث عن الكتب التى سيؤلفها فى المستقبل . ولكن حديثه اقتصر فى النهاية على كتاب واحد أطلق عليه اسم « كوتشينه » وأعتقد انه كان يتمنى لو تتاح له الفرصة والوقت والامكانيات لتأليف هذا الكتاب ! وكتاب « كوتشينه » الذى كان يحلم به زكريا الحجاوى هو فصول عن شخصيات صادفها فى حياته ، وقد حصر الشخصيات التى كان ينوى الكتابة عنها ، وحدد أسماء الفصول أيضاً . فالذئب عن شاعر معاصر شهير وعظيم ، ولكن بقدر عظمة شعره كان انحطاط الشاعر نفسه ، وبقدر لمعان أدبه كان سواد قلبه وخبث نواياه . وقد عانى زكريا الحجاوى من لؤم هذا الشاعر كما عانى آخرون من جيل زكريا لدرجة أن ألمع كاتب ساخر ربما فى قرننا هذا ضاع فى الحياة بسبب مكائد هذا الشاعر وغدره . والعقرب عن شاعر وكاتب شهير شغل الناس والحياة خلال عمره ، وبالرغم من طيبته كان مصدر ضرر للكثيرين . وكان لسانه كذنب العقرب يلطش الناس لطش عشواء . وكان يذبح أى صديق عزيز له إذا حبكت النكتة . وكثيراً ما كان يندم على ما فعله ولكن بعد فوات الأوان ، فهو كالعقرب لا يعض ولكن لسانه يلدغ لأنه هكذا وظيفته التى خلق لها فى الحياة ! والشرطى عن أديب كان يعمل فعلا بالشرطة ، ثم احترف الأدب واشتغل بالوظائف المدنية ، ورفعته الظروف إلى منصب كبير كان زكريا يعمل مرؤساً فى ادارته . ولكن زكريا الفنان الذى كان يخاف الشرطة وأقسام البوليس ، ظل يخاف من هذا المدير كأنه طفل عابث يشعر بالخوف تجاه أبيه . أو كأنه مواطن غير صالح



يشعر بعدم الطمانينة اذا صادف شرطياً فى الطريق ! وفى الكتاب فصول أخرى عن الطيب ، والمجنون ، والضائع ، والموهوم ، والهايف ، والمزعوم ! ولعلنا خسرنا عملا ابداعياً عظيماً لأن زكريا لم ينته من تاليف هذا الكتاب ، وكان كلما حثه احد على الشروع فى تاليف الكتاب ، زعم انه بدأ فى التاليف بالفعل ، وكان يتعلل باعذار كثيرة ولكن أهمها هو وقوف القلم فى يده عند شروعه فى كتابة الفصل الأخير عن الجوكر والجوكر هو كارت الكوتشينة الذى تضعه فى أى موضع فينسجم ، وتستخدمه على أى نحو فتحصد من ورائه المطلوب . وكان زكريا يقصد أديباً وشاعراً ، نصف فنان و ونصف نصاب ، نصف عبقرى ونصف مجنون ، وقد مارس كل شىء ، القصة والرواية والشعر وكتابة المقالات والتمثيل والاخراج ، وتستطيع أن تذكره إذا كان الحديث فى أى فرع من هذه الفروع ، ولكنك أيضاً تستطيع أن تسقطه فلا يحدث خلل على الاطلاق !

وكان كتاب زكريا الحجاوى الثانى المفضل ، والذى لم يكتب حرفاً واحداً فيه ، هو «البكور» . وهو عن حياته الأولى فى المطرية ، وتاثير بحيرة المنزلة على نفسه ، وحياته مع الصيادين ، وأيامه البعيدة المجيدة التى عاشها هناك . وكان يحكى عن شخصيات عظيمة صادفها فى صباه . كان يذكر منهم واحداً اسمه «عبد العزيز السودة» وشيخ من المعممين هو الشيخ «السنطورى» ، وهو رجل نال قسطاً من التعليم فى الأزهر ، ولكنه اشتغل بفن التواشيح ، وبالرغم من أنه لم يشتهر إلا أنه كان عالماً بالمقامات والألحان ! ولعل الوفاء كان أهم صفات زكريا الحجاوى بعد الفن . فهو لم يتخل عن أصدقائه القدامى ، ولم ينس مراتع صباه ، ولم يعشق مكاناً فى العالم قدر عشقه للمطرية مسقط رأسه ، وللجيزة حيث عاش بقية الحياة . ولو صادف زكريا الحجاوى ظروفاً حسنة ، ولو وجد من يستخرج من داخله أصدق خصاله وانبل مشاعره ، فلربما كسبنا زعيماً شعبياً مثل عبد الله النديم ، ولكن لأن الظروف كانت معاكسة ونبض الحياة فى مصر كان مختلا ، فقد جاء زكريا الحجاوى نسخة من النديم ولكن بالمقلوب . واذا كان الشعب عند النديم وسيلة والهدف هو الثورة ، فان زكريا كانت لديه نفس الوسيلة ولكن بلا هدف على الاطلاق ! بالرغم من أن مصر لم تنجب فى زمانه أديباً يستطيع أن يخاطب الفلاحين مثله ، ولا خطيباً يستطيع أن يؤثر فى العامة من طرازه ! إلا أن الأثر الوحيد الذى تركه زكريا فى جماهيره من البسطاء لم يكن أكثر من أثر العشرة الطيبة والذكر الحسن .. وكما بدأ زكريا غريباً فى المطرية عاد غريباً فى القاهرة فى نهاية المطاف ! وعندما جاء أنور السادات رئيساً لجمهورية مصر ، ظن زكريا الحجاوى أن الحياة قد طابت له أخيراً . فهو صديق قديم للرئيس الراحل السادات وله عليه أياد بيضاء ، فقد اشترك فى اخفائه عن أعين الشرطة فى الأربعينات ، وهو أحد المصادر التى استمد منها الرئيس الراحل ثقافته ، وتعبيرات السادات الشهيرة : العيب وأخلاق القرية ، والأصول والقيم ، وديوان المظالم ، والتصحيح ، كلها من وضع زكريا الحجاوى ! ولكن زكريا الحجاوى فوجىء ، بمنع إذاعة أعماله الفنية من الاذاعة بقسوة . ثم فوجىء بفصله من وظيفته بخشونة ! ولأن المصائب لا تجىء فرادى ، فقد انهار المنزل الذى يسكن فيه ولم يستطع رغم كل الجهود التى بذلها العثور على مسكن آخر وربما أدرك زكريا الحجاوى عندئذ أن زمانه قد ولى وأن نهايته قد حانت ، واضطر مرغماً الى مغادرة مصر ليجد فى الدوحة على شاطىء الخليج ملجأ أميناً . وربما ضاعف من سروره وجود الطيب صالح هناك وفى منصب يشرف فيه على العمل الذى يؤديه الحجاوى . ولكن قلب زكريا الحجاوى لم يحتمل الابتعاد عن مصر ، ورئتيه لم تتعود هواء غير هواء النيل ، فانفجر قلبه فجأة تحت ضغط نفسى هائل . وعاش مريضاً عدة أشهر على شاطىء الخليج ، ولكنه لم يتوقف عن كتابة الرسائل لأصدقائه . وفى آخر رسالة كتبها للعبد لله يقول «لم تتغير مصر يا محمود ولكن الذى تغير هم ناسها ، أو بمعنى أصح ، الذين تغيروا هم بعض الناس الذين يطفون على السطح ، والذين يتمتعون بألف وجه ، وهم يقدمون وجهاً لعبد الناصر ، ووجهاً آخر للسادات ، ولو ضربة حظ ، أصابتك يوماً وأصبحت مهماً فى مصر فان هؤلاء الناس ، أنفسهم سيرتدون وجهاً ثالثاً لك ، وسيكتشفون عندئذ كم ساهم «برعى السعدنى» جدك فى حضارة مصر الحديثة ، ولأننى صديقك سيكتشفون أيضاً كم ساهمت «بهانة الحجاوى» يرحمها الله مع برعى السعدنى جدك ، فى صد الغزو الصليبى عن مصر» !!

وبعدها بأيام أغمض عينيه وأسلم الروح ... بعيداً جداً عن أرض مصر !

وهكذا مات ، أخلص أبناء قهوة محمد عبد الله ، وأعظمهم فناً ، وأكثرهم تأثيراً فى الأجيال التى جاءت من بعده ، فنان الشعب .. زكريا الحجاوى .

**محمود السعدنى**

وثيقة تاريخية بالغة الأهمية

# المسألة الصهيونية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي

## ١٩٤٣ - ١٩٤٥

بقلم: الدكتور عاصم الدسوقي

مقدمـــة

يعلم القاريء الخاص أن ما كتب عن القضية الفلسطينية ، والحركة الصهيونية ، والصراع العربي الاسرائيلي يشغل حيزاً كبيراً فى المكتبة العربية والمكتبة العالمية بمختلف اللغات . وتعكس هذه الكتابات بطبيعة الحال مختلف وجهات النظر بين مؤيدة ومعارضة أو بين حيادية زائفة وموضوعية مزعومة ، ذلك أنه فى المسائل الخلافية يصعب على الكاتب أن يكون حياديا مطلقاً ، اي أن يكون فوق عواطف المختلفين ، أو أن يكون موضوعياً بمعنى أن يفصل بين وضعيته الثقافية والعقائدية وبين موضوع الخلاف الذى يتعلق بالضرورة بحركة المصالح البشرية المتناقضة . ولا يعني هذا أن الأمل قد أصبح مفقوداً فى الحيادية الفكرية ، أو الموضوعية البحثية ، ولكن المعول عليه أن يتغلب دائماً الجانب الموضوعي على الجانب الذاتي باكبر قدر ممكن . وكثيراً ما يلجأ الكاتب الموضوعي الى استخدام الوثائق فى محاولة لاثبات موضوعيته . غير أن قراءة الوثيقة تختلف من كاتب إلى آخر طبقاً لوضعيته الثقافية والعقائدية مما قد يؤثر بدرجة أو باخرى على الموضوعية المنشودة .

على كل حال .. فهذه الدراسة التى أضعها بين يدي القاريء العربي تمثل اسهاماً فى دراسة الصراع العربي الاسرائيلي . وهذا الصراع يظل مسالة خلافية فى التاريخ العربي المعاصر بصرف النظر عن الحلول السياسية التى قد ينتهي إليها ، إذ فى هذه الحالة يظل الخلاف منحصراً فى دوائر الاكاديميين شانه فى ذلك شأن المسائل التاريخية الخلافية الأخرى التى ما تزال قائمة منذ كانت

وتقوم هذه الدراسة جملة وتفصيلا على مضابط لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي خلال الفترة من ١٩٤٣ الى ١٩٤٥ ، وهي اللجنة التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم لجنة العلاقات الدولية . وهذه المضابط لم يسمح بالاطلاع عليها إلا فى أواخر عام ١٩٧٦ ، اي بعد أكثر من ثلاثين عاماً من حدوثها ، حيث درجت الحكومة الأمريكية على نشر « مختارات » من وقائع اللجان البرلمانية المختلفة بين حين وآخر ، ووفق ما تمليه طبيعة الظروف المتعلقة بالموضوع . وهذا يعني أن الدراسات المتعلقة بالموضوع التى نشرت قبل عام ١٩٧٦ لابد وأنها جاءت خلوا من الافادة من هذه الوقائع مما يجعل لدراستنا هذه أهمية خاصة فى دائرة تلك الدراسات .

وكما قلت قبل قليل فهذه الدراسة تقوم أساساً على مضابط لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكي . وبمعنى آخر فهي بمثابة اخراج لهذه المضابط فى شكل دراسة تنقسم إلى فصول ، وتستند الى

● ● المؤرخ العربى الدكتور عاصم الدسوقى ، قام بزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، وعكف ـ لأول مرة فى العالم العربى ـ على دراسة وثائق الكونجرس الأمريكى حول القضية الفلسطينية فى مرحلة حاسمة بالغة الدقة هى المرحلة الممتدة ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ ، أى قبل قيام دولة اسرائيل بثلاث سنوات ، وهذه الوثيقة النادرة والبالغة الأهمية تكشف الكثير من جذور المسألة الفلسطينية فى الفكر السياسى الأمريكى ، وسوف تواصل « الدوحة » نشر هذه الوثيقة التاريخية الهامة فى الأعداد القادمة ، ونرجو أن تلقى هذه الوثيقة ما تستحقه من الاهتمام والدراسة من المورخين والباحثين والمؤسسات السياسية العربية ● ● « الدوحة »


روزفلت


تشرشل


امين الحسيني


عزرا وايزمان


بن جوريون

هوامش ، ولها ملاحق أيضاً من واقع هذه المضابط ، ودون الرجوع إلى مصدر آخر . ومن المعروف لدى الباحث المتخصص أن المضابط البرلمانية أشبه بمطبخ كبير متسع يضم أشياء وأشياء ، منها ما يتعلق مباشرة بالقضية المثارة ، ومنها ما يدور حولها ، ومنها ما هو بعيد عنها . وأسلوب العمل البرلماني لمن خبر التعامل مع المضابط يجعل استخلاص المادة التاريخية من ثنايا المضابط أمراً صعباً ، حيث تضم المضابط اسئلة واستفسارات واستجوابات من الأعضاء ، وردوداً ورسائل وبيانات مقدمة من المسئولين أو من الشخصيات التى تحتم الظروف استقدامها لالقاء أضواء معينة على بعض النقاط . وكثيراً ما تفرض المناقشات الدائرة على المتناقشين أن يذهبوا الى مسائل وقضايا قد تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن الموضوع ، ولكنها تفيد ولاشك فى تقصى نقاط معينة من البحث للتعرف على الأصول ، وفى محاولة وصل حلقات سلسلة المادة التاريخية .

وهكذا .. ومن خلال هذه المضابط استطعت ترتيب مادة تاريخية متكاملة اخترت لها عنوان « المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية فى الكونجرس الأمريكي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ » ، ذلك أن المناقشة فى لجنة الشئون الخارجية كانت تدور أساساً حول كيفية انقاذ يهود أوربا من يد النازية الألمانية ، ثم فرضت عملية الانقاذ نفسها على الوضع فى فلسطين حيث كانت الحركة الصهيونية تريد فتح أبواب فلسطين لأولئك اليهود . كما قسمت هذه المادة حسب رؤيتي إلى أربعة فصول تمثل مراحل معالجة لجنة الشئون الخارجية للمسألة ، وانزلت جزءاً من هذه المادة منزل الهوامش ، وجزءاً آخر موضع الملاحق حسب موقع كل منها من الخطِ الأساسي للدراسة .

وفى النهاية آمل أن يجد القاريء المتخصص فى هذه الدراسة اضافة لما يعرفه من دراسات سابقة فى هذا الميدان ، أما القاريء العام فيتعين أن يتزود مسبقاً بالتفاصيل التاريخية الخاصة بالقضية الفلسطينية والحركة الصهيونية والمتاحة فى الكتب المتخصصة وغير المتخصصة حتى يستعين بها على متابعة مناقشات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكي .

ولقد أسعدني أن يقرأ الدكتور عادل غنيم استاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس وأحد المتخصصين فى تاريخ القضية الفلسطينية مسودة هذه الدراسة . وكان للمناقشات التى دارت بيننا أهمية فى ضبط بعض المعاني والعبارات توصلا للكمال ، ولو أن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى وهو ولي التوفيق وعليه قصد السبيل .

د. عاصم الدسوقي

## الاقتراب الامريكى من المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية

● حتى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كانت المشكلة الفلسطينية مسالة خاصة ببريطانيا التى كانت تستمد شرعية سياستها من نظام الانتداب الذى فرض على فلسطين فى ١٩٢٢. ولكن انتداب بريطانيا على فلسطين كان يتضمن من ناحية أخرى الاعتراف « بوعد » بلفور (١٩١٧)، وما يعنيه من انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. وكان هذا الوعد قمة ما وصلت اليه الحركة القومية اليهودية (الصهيونية) التى بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر. ومن هنا كانت السياسة البريطانية فى فلسطين تتأرجح بين الالتزام بسياسة الانتداب بمعناه القانونى والالتزام بانشاء الوطن القومى لليهود. ومن الطبيعى ان تؤدى لعبة التوازن الى اغضاب طرفى الموازنة، خصوصاً وان التناقض بينهما لا يحل الا على حساب احدهما ولمصلحة الطرف الآخر. ومن ثم فقد وجدت بريطانيا نفسها فى مواجهة الحركة الوطنية الفلسطينية التى تتشبث بالوطن وهى تراه يذهب منها الى ايدى المهاجرين اليهود، وبين الحركة الصهيونية التى تسعى الى ابعاد بريطانيا والانفراد بفلسطين وطناً قومياً لليهود. وعلى حين كانت الحركة الوطنية الفلسطينية تعتمد فى نضالها على مؤازرة الدول العربية والرابطة الاسلامية والحقوق التاريخية، كانت الحركة الصهيونية تعتمد على ظهير يهودى متغلغل فى المؤسسات التشريعية والتنفيذية فى بلدان غرب أوربا والولايات المتحدة الامريكية أسهم كثيراً فى اشتداد عود هذه الحركة، وفى قدرتها على مناوأة السلطات البريطانية فى فلسطين.

ثم جدت ظروف موضوعية ادت الى بروز المشكلة اليهودية ودفعها الى الامام على حساب المشكلة الفلسطينية. ونعنى بها المواجهة التى حدثت بين هتلر عقب اعتلائه الحكم (١٩٣٣) ويهود المانيا والتى حدت بهم الى الفرار من المانيا، حتى اذا ما اعلن هتلر الحرب العالمية الثانية بهجومه على بلجيكا فى صيف ١٩٣٩، وسيطرته على جانب من الدول الأوربية، تعاظمت مشكلة اليهود وخاصة عندما اعلن هتلر فى ١٩٤٢ ان « الحل النهائى » يتمثل فى القضاء على اليهود. وهنا بدأ المجتمع الدولى تحت ضغط العناصر الصهيونية النشطة يطلب ضم مشكلة يهود المانيا الى مشكلة اللاجئين الدوليين الذين تركوا بلادهم نتيجة تسويات الحرب العالمية الأولى وآثار الثورة الروسية العارمة (١٩١٧). وكانت ثمة جهود دولية قد بدأت منذ ١٩٢١ لرعاية شئون اولئك اللاجئين كما سوف نرى.

وبعد اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى فى ١٩٣٦، اضطرت بريطانيا الى اعادة تقييم سياستها فى فلسطين حيث انتهى الأمر بعقد مؤتمر سانت جيمس بلندن، واصدار الكتاب الأبيض فى ١٩٣٩ الذى قيد بيع الاراضى لليهود فى فلسطين، وقيد هجرتهم ايضاً فى حدود ٧٥ الف مهاجر خلال خمس سنوات تبدأ من أول ابريل ١٩٣٩، وبشرط ان يتحدد ثلثا هذا العدد وفق الامكانيات الاقتصادية لفلسطين. وبعد هذه الخمس سنوات تكون الهجرة بموافقة العرب، وكان ذلك يعنى أن تضيق فرص الهجرة امام يهود المانيا (١).

وازاء هذه السياسة الجديدة علت موجة من السخط ضد بريطانيا بين الجالية اليهودية فى فلسطين دفعت بهم الى تنظيم دروب للهجرة باساليب مختلفة رغماً عن القيود البريطانية. ثم تشددت الادارة البريطانية فى منح تاشيرات الدخول الى فلسطين بحيث صعب حتى على اليهود الذين يستطيعون الهروب من أوربا الحصول على مثل هذه التاشيرات.

وفى الوقت الذى تغيرت فيه السياسة البريطانية فى فلسطين على ذلك النحو، تصادف ظهور موجة معادية لهجرة الاجانب الى الولايات المتحدة بشكل عام من ناحية، وعدم رغبة الادارة الامريكية فى ممارسة اية ضغوط على بريطانيا فيما يتعلق بسياستها فى فلسطين من ناحية أخرى.

وكانت الولايات المتحدة قد بدأت فى تحديد الهجرة اليها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بعد ان كانت ابوابها مفتوحة دون قيود. ففى ١٩٢٤ تقرر ان لا يزيد عدد المهاجرين عن ١٥٣٧١٤ مهاجراً سنوياً مع اعطاء أولوية خاصة للمهاجرين من بريطانيا والمانيا وايرلندة ودول اسكندنافيا. وبعد الازمة العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) قررت الادارة الامريكية الا تقبل مهاجرين يحتمل ان يكونوا عبئاً على الاقتصاد القومى. ومنذ صدور قانون عقد العمل للاجانب فى ١٨٨٥ والذى نص على ضرورة حصول المهاجر على وظيفة أو عمل مقدماً قبل الايذان له بالهجرة، انحصرت فرصة الهجرة الى الولايات المتحدة بين الاغنياء القادرين فقط. وعلى هذا فقد انخفض معدل الهجرة الى الولايات المتحدة بشكل ملحوظ من ٢٤١٧٠٠ مهاجراً فى عام ١٩٣٠ الى ٩٧١٣٩ فى عام ١٩٣١ الى ٣٥٥٧٦ فى عام ١٩٣٢ ثم الى ٢٣٠٦٨ فى عام ١٩٣٣ وهو أقل عدد للهجرة منذ ١٨٣١.

ولقد استمرت هذه القواعد المنظمة للهجرة سارية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، اذ تشير الاحصاءات الرسمية الى ان الذين هاجروا الى الولايات المتحدة خلال المدة من أول يولية ١٩٣٣ وحتى ٣٠ يونيه ١٩٤٣ بلغ ٤٧٦٩٣٠ مهاجراً من جميع بلدان العالم منهم ١٦٥٠٠٠ يهوديا. بينما النسبة المخصصة لعدد المهاجرين خلال نفس المدة ووفقاً للقانون المعمول به كانت تسمح بمليون ونصف مهاجر. وخلال المدة الباقية من الحرب استمرت القيود الادارية فى وجه الهجرة قائمة وذلك بناء على توجيهات بريكنريدج لونج Breckinridge Long مساعد وزير الخارجية لشئون تاشيرات الدخول للولايات المتحدة.

لقد كانت هذه السياسة اذن انعكاساً للشعور المعادى لهجرة الاجانب الى امريكا، وهو الشعور الذى بدأ أكثر وضوحاً خلال الثلاثينات بسبب نتائج الأزمة الاقتصادية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠)، وما صحبها من ارتفاع فى معدل البطالة بين الامريكيين. وثمة منظمات وطنية نشأت فى المجتمع الامريكى عززت من هذا الشعور المعادى. وبعض هذه المنظمات كان متعاطفاً بشكل صريح مع النازية الالمانية. ولم يقتصر الأمر على هذه المنظمات، بل ان فيدرالية عمال امريكا American Federation of Labour (الاتحاد العام للعمال) التى تضم فى عضويتها خمسة ملايين عامل والتى لم تكن تتعاطف مع الشعور النازى، كانت مترددة تماماً فى تشجيع اية خطوات لتعديل قوانين الهجرة بسبب استمرار ارتفاع معدل البطالة بشكل ملحوظ حتى موقعة بيرل هاربور على

الأقل . وحتى فى اعقاب مذبحة كريستالنخت Kristallnacht التى أقامهـــا هتــلر لليهود ، كشف استطلاع للرأى اجراه ، معهد جالوب ( بامريكا ) فى نوفمبر ١٩٣٨ ان ٧٧٪ من الامريكيين يرفضون فكرة قبول اعداد متزايدة من اللاجئين اليهود .

ولقد اتضح هذا الموقف المعادى اكثر واكثر عندما رفض الكونجرس الامريكى مشروع واجنر - روجرز Wagner-Rogers فى ١٩٣٩ الخاص بقبول عشرين الف طفل المانى خارج الحصة السنوية المقـــررة للهجرة (٢) . كما اتضح ذلك ايضاً خلال دور الانعقاد السادس والسبعين ( ١٩٤١ / ١٩٤٢ ) للكونجرس الامريكى حيث قدم اكثر من سبعين مشروع قرار متشدد بشأن الهجرة وتسجيل الاجانب .

وفى أواسط ١٩٤٢ بدأت انباء التخلص من يهود أوربا تتسرب الى وزارة الخارجيــة الامريكية ، فبادرت الوزارة الى حصرها فى حدود ضيقة بحيث لا يعرف بها الا النفر القليل . ولكن سرعان ما طرقت الاسماع انباء « الحل النهائى » الذى توصل اليه هتلر بابادة اليهود . فتكاتفت المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة فيما بينها لتقف يداً واحدة فى مواجهة المناخ غير الودى الذى يسيطر على محاولات انقاذ اليهود . لكن الزعامة اليهودية فى الولايات المتحدة المتمثلة فى الحاخام ستيفن وايز Wise رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى American Jewish Conference كانت متمنعة فى الجهر بالخصومة مع الرئاسة الامريكية (روزفلت) التى كانت راغبة آنذاك عن الدخول فى صراع مع المعسكر المعادى لهجرة الاجانب . ومع ذلك فقد تأثر عدد كبير بالقضية وبدأت معالجتها تدخل فى اسلوب المساومات .

## وصول العناصر النشطة

ومنذ عام ١٩٤٠ بدأت عناصر نشطة من يهود فلسطين تصل الى الولايات المتحدة لتحريك الرأى العام الامريكى نحو تفهم قضية يهود أوربا ومساعدتهم .

كان على رأس هذه العناصر بيتر برجسون وصمويل مرلين Merlin اعضاء منظمة إرجون زفاى ليومى الصهيونية بفلسطين التى قادت نضالا مسلحاً ضــد القيود التى فرضتها السلطات البريطانيــة على هجرة اليهود الى فلسطين .

اما برجسون فكان الأكثر نشاطاً ( ولد فى روسيا ١٩١٠ وذهب الى فلسطين ١٩٢٠ واسمه الحقيقى كوك Kook ) حيث قام بتأسيس مجموعات صهيونية مختلفة فى الولايات المتحدة مثل : الاصدقاء الامريكيون لفلسطين اليهودية American Friends of a Jewish Palestine والعصـــبة الامريكيـــــة من اجـــل فلسطين الحرة The American League for a Free Palestine ولجنة اعـــداد جيش ليهود فلسطين الذين لا وطن لهم The Committee for an Army of Stateless and Palestinian Jews ، والمنظمة الصهيونية الجديدة فى امريـكا The New Zionist Organization of America

ولقد قامت هذه التشكيلات الصهيونية بحملة دعائية ضخمة لصالح قضية يهود أوربا حتى لقد استطاعت فى أواخر ١٩٤٣ ان تحصل على تأييد عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ واعضاء الكونجرس الامريكى وبعض اساتذة الجامعات ، وعـــــدد من الشخصيات العامة ، مما شجع برجسون فى النهاية على تأسيس انشط هذه التشكيلات قاطبة فى نيويورك وهى المعروفة باســـم : اللجنة العـــاجلة لانقاذ يهود أوربـــــا Emergency Committee To Save The Jewish People of Europe حيث كان ويل روجرز وهو نائب الكونجرس الديموقراطى عن ولاية كاليفورنيا ، احد رؤساء مجلسها التنفيذى (٣) . وويل روجرز هذا كان احد اثنين تقدماً بمشروع القرار رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ للكونجرس فى نهاية عام ١٩٤٣ بشأن انقاذ يهود أوربا على نحو ما سنرى .

ولقد قامت هذه اللجنة العاجلة باعمال ونشاطات كثيرة بحثاً عن مؤيدين لقضية انقاذ يهود أوربا من قبضة المانيا النازية بكل الوسائل الممكنة . من ذلك انها جمعت تبرعات مالية من مختلف الشخصيات الامريكية اليهودية والشخصيات المتعاطفة مـــع الصهيونية . وقد انفقت معظم الأموال فى نشر اعلانات مدفوعة بالصحف الامريكية الكبرى آنذاك مثل : التايمز ، والتريبيون ، والتلجرام ، والبوست Post ، والصن Sun حيث كانت هذه الاعلانات تناشد الرأى العام الامريكى والمهتمين بقضايا اليهود القيام بشىء تجاه انقاذهم .

كما قامت اللجنة العاجلة ايضاً بصياغة التماس عام موجــــه من « المواطنين الامريكيين » الى الرئيس روزفلت والى الكونجرس الامريكى خلال دور انعقاده . وقد جاء فى هذا الالتماس : « .. اننـــــا نحن الأمريكيين الموقعين ادناه ندعوا السلطة التنفيذية والتشريعية لحكومتنا لانشاء وكالة دولية مشتركة خاصة لانقاذ يهود أوربا تكون لها السلطات والوسائل التى تساعدها على العمل فوراً وعلى نطاق واسع .. كما نلتمس من حكومتنا بكل الاحترام ان تقوم بتبليغ الحكومة البريطانية التى عهد اليها بالانتداب على فلسطين ، برغبة الامريكيين فى فتح أبواب فلسطين لكل يهود أوربا الذين يفلتون من مصيدة الموت هناك ، وانه ليس من العدالة ان تغلق أبواب فلسطين أمام اليهود فقط من بين كل الشعوب . ونحن نهيب بالرئيس الامريكى والكونجرس وهما الامناء على تقاليد امريكا الانسانية ، القيام بهذا العمل فوراً » .

وكانت اللجنة العاجلة تهدف الى الحصول على خمسة ملايين توقيع ، واهابت بمن يصل اليه الالتماس ان يقوم بتوزيعه ونشره .

وعندما نوقش برجسون فى جلسات الاستماع فيما بعد (٤) ، عن تعارض هذا الالتماس مع مضمون مشروع قـــرار الكونجرس ( رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ ) قال بوضوح ان هذا الالتماس جزء من جهود اللجنة العاجلة ويختلف عن قرار الكونجرس . فقـــرار الكونجرس يهدف الى انشاء هيئة امريكية U.S. Commission ، ولكن الالتمـــاس يهدف الى انشاء وكالة دولية مشتركة لانقاذ يهود أوربا ، وانه يعنى بذلك مطالبة بريطانيا بتنفيذ جوهر سياسة الانتداب التى تقوم على فتح فلسطين لليهود اعتماداً على اعتراف الانتداب بوعد بلفور ، وان هذا كفيل بانقاذ مائة الف أو مائتى الف يهودى من أوربا .

ولقد نجحت هذه اللجنة العاجلة فى عرض المشكلة اليهودية على جماهير الشعب الامريكى من خلال البرامج الاذاعية ، والكتب

والدوريات ، والنشرات المختلفة ، فضلا عن الاعلانات المدفوعة بالصحف كما سبقت الاشارة . كما كانت وراء حركة الالتماس الشاملة والمظاهرات السلمية الشاملة ، والمواكب الدرامية لتنظيم الرأى العام الذى طالب بالعمل الفورى . وهى التى رتبت قدوم خمسمائة حاخام يهودى الى واشنطون ، وطلبت من الكنائس الامريكية تخصيص أسبوع للصلاة والتماس الرحمة من اجل اليهود . وقد استجابت لذلك النداء ستة آلاف كنيسة . كما بادرت اللجنة بتوجيه الشكر والامتنان الى السويد التى فتحت ابوابها ليهود الدنمرك الهاربين . ونظمت مظاهرة لذلك الغرض فى أول نوفمبر ١٩٤٣ حضرها مبعوث السويد فى الولايات المتحدة واعلنت اللجنة عن هذه المظاهرة فى صفحة كاملة من النيويورك تايمز بعنوان It can be done حضرها جمهور غفير من المؤيدين (٥) . كما كانت اللجنة ايضا وراء حركة الاحتجاجات العامة بشان تجاهل بيان موسكو ( الصادر فى أول نوفمبر ١٩٤٣ ) الاشارة الى ما يتعرض اليه اليهود من بشاعة على يد النازية .

وحتى بعد تقديم مشروع الكونجرس الخاص بانشاء « هيئة لانقاذ يهود أوربا » وتخصيص جلسات استماع بشانه على نحو ماسبرى ، وصلت اللجنة العاجلة الى اقتناع بعدم جدوى جهود الكونجرس فى هذا السبيل ، فنشرت اعلانا فى صفحة كاملة بالنيويورك تايمز ( ٢٤ نوفمبر ١٩٤٣ ) تقول فيه « ان اللجنة تطلب من الشعب الامريكى معونات مالية جوهرية تساعدها على مواصلة العمل لانقاذها الأربعة مليون يهودى فى أوربا » ، مما ادى الى حرج رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس ( صول بلوم ) الذى يدير جلسات الاستماع (٦) .

ولقد أعلن بيتر برجسون مؤسس اللجنة العاجلة أكثر من مرة خلال الاستماع الى شهادته امام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس انه يهدف الى اقامة حكومة معينة فى فلسطين ومستويات معينة من الحياة المدنية هناك ، وان لديه خطة سياسية كاملة لاعادة بناء البلد من جديد من خلال مشروع للدستور تم اعداده (٧) .

ولقد تسببت « اللجنة العاجلة » بنشاطها الواسع المكثف فى وقوع شقاق بينها وبين المنظمات اليهودية الامريكية خاصة وان مؤسس هذه اللجنة « مواطن » فلسطينى ، وليس امريكيا كما سبقت الاشارة . ومن المنظمات الصهيونية فى امريكا التى كانت تعارض اللجنة العاجلة ما يعرف باسم اللجنة اليهودية الامريكية American Jewish Committee التى يرأسها القاضى بروسكاور Proskauer ، والمؤتمر اليهودى الامريكى ويمثله الحاخام ستيفن وايز الذى لم يكن هو ومعه أبا هليل سيلفر

يرغبان فى المواجهة العلنية لسياسة الولايات المتحدة المترددة تجاه مسالة اللاجئين (٨) . اما ستيفن وايز فلم يكن يعترف باللجنة العاجلة قائلا انها ليست عضوا فى « المؤتمر اليهودى الامريكى » . وبالتالى فهى ليست مفوضة من قبل احد ، ولا تمثل الا حفنة قليلة من اليهود وعدداً من المسيحيين الذين اصبحوا يهتمون بقضية اليهود واستطاعت اللجنة العاجلة ان تكسبهم لصفوفها (٩) .

ولقد بلغ الصراع بين اللجنة العاجلة وسائر المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة حداً مؤثراً عندما قررت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس عقد جلسات الاستماع المشار اليها حيث اتصلت بعض الشخصيات الامريكية الصهيونية برئيس اللجنة طالبة منه عدم عقد الجلسات احباطا لخطط اللجنة العاجلة .

## مشكلة يهود أوربا

وقبل ان يدخل الكونجرس الامريكى فى موضوع انقاذ يهود أوربا بشكل تشريعى ، كانت الحكومة الامريكية قد ارتبطت بالمشكلة من خلال جهود عصبة الأمم لتوطين اللاجئين الدوليين ، وهم العناصر التى ارغمت على ترك ديارها لسبب أو لآخر من جراء الحرب العالمية الأولى . ثم ما حدث من محاولات لكى تمتد هذه الجهود لتشمل يهود أوربا الذين بدأت أوضاعهم تتأثر بسياسة هتلر فى المانيا وسائر الدول التى وقعت تحت سيطرته خلال الحرب العالمية الثانية .

ففى ١٩٢١ انشات عصبة الأمم منظمة نانسن لمعاونة اللاجئين Nansen Organization for help to refugees وكانت مهمتها تنحصر فى اعادة توطين الذين فقدوا اوطانهم بسبب الحرب العالمية الأولى . ولما كانت المصادر المالية لهذه المنظمة محدودة الى حد ما ، فلم يكن فى مقدورها اكثر من اصدار جواز سفر دولى صالح لمدة عام واحد لكل لاجىء ، فضلا عن تشجيعها لدول العصبة على المشاركة فى مشروعات اعادة التوطين . وبينما استطاعت منظمة نانسن تخفيف بعض مصاعب هؤلاء اللاجئين الا انها عجزت عن مواجهة مشكلات الهاربين من المانيا والنمسا وكانت اعدادهم فى ازدياد مستمر . ولهذا فقد انشات عصبة الأمم فى ١٩٣٣ مكتبا خاصا بلاجىء المانيا باسم Autonomous Office of High Commissioner for Refugees from Germany لكنه لم يقدم الا مساعدات محدوده .

ومما جعل اعادة توطين اللاجئين شيئا مستحيلا ، موقف دول عصبة الأمم التى اغلقت أبواب بلادها امام قبول مهاجرين اليها بسبب المصاعب الاقتصادية التى كانت تعانيها هذه الدول من جراء استمرار الكساد العالمى احيانا ، وبسبب الشعور المعادى لليهود خفية أو علانية وخاصة بين دول امريكا اللاتينية التى كانت قد اقترحت كأماكن لتوطين المهاجرين . وفى مارس ١٩٣٨ دعا وزير الخارجية الامريكى ( كورديل هال Hull ) بتوجيه من الرئيس روزفلت ، الى عقد مؤتمر دولى لبحث مشكلة اللاجئين . وقد انعقد هذا المؤتمر فى يوليه ١٩٣٨ تحت رعاية فرنسا فى افيان بجبال الالب حيث اشتركت فيه ثلاثون دولة . وفى تلك الاثناء كانت المانيا قد ابتلعت النمسا وضمتها الى الرايخ الكبير ، فبدأت اعداد المهاجرين تطرق بشدة أبواب سائر الدول الأوربية .

ولقد اثبت هذا المؤتمر ( مؤتمر افيان ) عبث المحاولات المطروحة لحل المشكلة . فالوفد الامريكى كان يصر على عدم تجاوز الحصة المخصصة سنويا للهجرة الى الولايات المتحدة ( لا تزيد عن سبعة وعشرين الفا من المانيا والنمسا ) ، والتزمت بريطانيا بما جاء فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ معترضة على الهجرة الشاملة لفلسطين . ثم فكر المؤتمرون فى استخدام امريكا اللاتينية

لهذا الغرض لكن باءت المحاولات بالفشل لوجود اقليات فى تلك البلاد تعمل لصالح المانيا النازية .

وعلى هذا انتهى مؤتمر افيان الى نتيجة محددة وهى انشاء اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين Intergovernmental Committee on Refugees (IGCR) وتضم الدول التى ترغب فى المشاركة (١٠) وقد كان لهذه اللجنة مجلس تنفيذى فى لندن وانحصرت مهمتها فى الاشخاص الذين يفرون من المانيا والنمسا ، ولم يناقش المؤتمر مصادر تمويل هذه اللجنة بشكل رسمى حيث تركت كمنظمة تطوعية بحتة . ولهذا فقد بقيت تلك اللجنة لا حول لها ولا قوة ، بل كان وجودها برهانا على عجز الدول المشاركة فيها عن عملية انقاذ يهود أوربا .

وفى نهاية ١٩٤٢ عندما تناقلت الأنباء عمليات « ابادة » اليهود فى المانيا وفى الدول الأوربية التى خضعت لها ، بادرت جماعات مختلفة لممارسة ضغوط اعلامية توصلا لاجراءات حاسمة . ومن ذلك ما قامت بــــه « اللجنة العاجلة » كما سبقت الاشارة . كما تعرضت بريطانيا لانتقادات شديدة بشان سياستها فى تحديد الهجرة الى فلسطين ، ادت فى النهاية الى ان دعت بريطانيا لعقد مؤتمر انجلو ــ امريكى بشان اللاجئين برعاية اللجنة الدولية المشتركة المحبطة . وقد انعقد المؤتمر بالفعل فى هامليتون فى برمودا حيث أحيط بسرية تامة حتى لا تتسرب الى الخارج اى خطط يتم التوصل اليها بشان المشكلة كما زعم بذلك المؤتمرون . على ان هذا المؤتمر انتهى بالفشل ايضا حيث تمسكت كل من انجلترا والولايات المتحدة بسياستهما تجاه الهجرة كما سبق اعلانها . وكان هذا الفشل بمثابة « احياء » لـــدور اللجنة الدولية المشتركة على الرغم من كونها اصبحت عديمة الجدوى من الناحية الواقعية .

## مطالب المنظمات الصهيونية

وبعيداً عن اللجنة الدولية المشتركة كانت للولايات المتحدة جهود خاصـــة « لانقاذ » اليهود لعبت الدور الأساسي فيها وزارة الخارجية من خلال القنوات الدبلوماسية المباشرة قبل دخولها الحرب ، واستمرت بعد دخولها الحرب بطرق اخرى غير مباشرة .

فقبل أن تدخل الولايات المتحدة الحرب ذهب وفد لمقابلة بريكنريدج لونج مساعد وزير الخارجية الأمريكي (١١) ، يمثل حاخامات اليهود فى مناطق ليتوانيا وشمال بولندة وشمال شرق المانيا وشرق بروسيا قائلين له : إن بهذه المناطق عدداً من الحاخامات والمدارس اليهودية والعناصر التى تمثل خلاصة العقيدة اليهودية ، وهم يقومون على تربية النشء اليهودي بما يحفظ على الشعب اليهودى عقيدته ، ويطلبون من الخارجية الأمريكية تقديم المساعدات اللازمة . وفى هذا الخصوص قدم هذا الوفد للمستر لونج قوائم بآلاف الاشخاص المراد انقاذهم فى تلك المناطق .

وقد أرسلت الخارجية الأمريكية لسفارتها بموسكو هذه القوائم لكي يقوم السفير بالاتصال بكل أولئك الأشخاص واخطارهم بالحضور للسفارة للحصول على تاشيرة دخول لامريكا .

ونظراً لتعقد اجراءات الاقامة فى موسكو لهؤلاء الناس انتظارا لتاشيرة الدخول وفقاً للتعليمات المتبعة فى الاتحاد السوفيتي ، إذ لم يكن من حقهم المبيت فى موسكو ، فكان عليهم ان يخرجوا بالقطار إلى الحدود عند المساء ثم يعودوا مع الصباح وهكذا .. مما ترتب عليه فى النهاية ان عدداً بسيطا تمكن من الحصول على التاشيرة اللازمة . اما الباقي فقد ذهب إلى سيبيريا ومنها إلى كوريا ثم منشوريا ثم إلى اليابان ، ووصل بعضهم إلى الولايات المتحدة . ثم ابرقت الخارجية الامريكية إلى سفارتها فى اليابان وفى الصين باسماء من تبقى من القوائم لاعطائهم التاشيرة إذا ما كانوا باليابان او الصين .

فلما دخلت الولايات المتحدة الحرب بعد قصف بيرل هاربور ، توقفت خطوط الملاحة فى المحيط الهادي ، ولم يعد هناك مفر من بقاء هؤلاء المهاجرين فى طوكيو حيث سمحت لهم الحكومة اليابانية بالبقاء بضعة شهور ثم أمرتهم بمغادرة البلاد ونقلتهم السلطات اليابانية بمعرفتها إلى شنغهاي .

ولقد وضعت الخارجية الأمريكية فى برنامجها الخاص باللاجئين القيام بالمحاولات الممكنة لاستقدام عشرين الف طفل يهودي من المانيا عن طريق السويد . وتحقيقاً لذلك طلبت من الحكومة السويدية أن تتصل بالحكومة الالمانية لكي تسمح لها ( السويد ) بالاتصال ببعض المؤسسات الخيرية فى المانيا لهذا الغرض وتنقلهم إلى الأراضي السويدية . وقد تعهدت أمريكا بالمشاركة فى نفقات الاقامة والايـواء اللازمة لهذا العدد . غير ان الحكومة الالمانية لم تستجب لهذا الطلب رغم استمرار أتصالات الحكومة السويدية .

كمـــا أن الخارجية الامريكية ساعدت اللجنـــة اليهودية المشـــتركة لشئون التوزيع Jewish Joint Distribution Committee فى مهمة ارسال الطعـــام اللازم لهؤلاء الصبية من خلال تركيـــا وبواسطة الصليب الأحمـــر الدولي فى ترانزنستريا Transnistria ( وهو اقليم اقتطعه الالمان من أوكرانيا بهذا الاسم ) ، ولو ان الحصار الذى فرضته المانيا على المناطق التى احتلتها كان يحول دون سهولة مثل هذه الاجراءات .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان الخارجية الأمريكية ساعدت المنظمات الصهيونية فى أمريكا على ان تتقدم بطلبات لوزارة الخزانة الأمريكية للسماح لهذه المنظمات بارسال الأموال اللازمة عن طريقها الى سويسرا لاستخدامها فى اخراج اليهود من فرنسا ورومانيا . وكانت الطريقة التى اتفق عليها تتلخص فى أن يودع يهود رومانيا القادرين أموالا كافية فى اي بنك روماني ، ثم يسحبون من ودائعهم بالفرنك السويسري المحول ، وبعد ذلك يسهل تحويل الفرنك السويسري إلى الدولار . وبهذا يكون مع يهود رومانيا من الأموال ما ما يكفى لنفقات خروجهم من رومانيا إلى سويسرا إذا ما سمحت لهم السلطات الالمانية بذلك ، أو يذهبون الى تركيا ، او يتم اخراجهم من رومانيا بأية طريقة أخرى إلى البحر الأسود ومنها إلى فلسطين . اما يهود فرنسا فيمكنهم الخروج من خلال اسبانيا بنفس الطريقة السابقة فى ايداع الأموال .

وبالاضافة الى هذا فقد دخلت الحكومتان الأمريكية والبريطانية فى مشروع يهدف إلى اخراج عدد من اللاجئين من البلقان إلى فلسطين عن طريق تركيا . ولقد تمت مناقشة هذا الأمر فى مؤتمر برمودا على أساس تاجير مركبين يبحران من احـد الموانىء على البحر الأسود الى تركيا ومنها الى فلسطين مباشرة . واتفق على أن ينقل هذان المركبان فيما بينهما خمسة آلاف طفل يهودي . وكانت المسألة مكلفة للغاية . إذ كانت الرحلة الواحدة

تتكلف نصف مليون دولار . وقرر البيت الأبيض تخصيص ثلاثمائة الف دولار لدفع ما يخص الحكومة الامريكية من اجمالي النفقات ( نصف التكاليف حسب الاتفاق ) . لكن الخطة فشلت لأن المانيا علمت بها ومنعت رومانيا من المشاركة فيها باي شكل من الأشكال .

وعندما وصلت الأنباء إلى المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة بان السلطات التركية تمنع دخول اليهود الهاربين من أوربا إلى أراضيها ، طلبت إحدى هذه المنظمات ( وهي لجنة اعداد جيش ليهود فلسطين الذين لا وطن لهم والتى أسسها برجسون كما سبقت الاشارة ) من وزارة الخارجية السماح لأحد اعضاء المنظمة وهو إيرا هيرشمان Ira Hirschmann (نائب مدير محلات بلومينجدال إحدى المحلات الكبرى فى نيويورك ) بالذهاب بنفسه إلى تركيا ليتاكد من مدى صدق هذا الأمر . وقد منحته الوزارة جواز سفر خاص لهذا الشان حيث ادى مهمته بنجاح فى ازالة العقبات التى تحول دون تدفق موجات اليهود المهاجرة .

وعند ذلك طلبت المنظمات اليهودية الأخرى التى لها ممثلون فى تركيا من وزارة الخارجية الأمريكية أن تسمح لها بارسال مندوبين لنفس الغرض . لكن الوزارة رفضت قائلة لهم ان من الافضل ان تتفق كل المنظمات على وكيل واحد لها يباشر هذه المهمة وذلك مراعاة لأوضاع العمليات الحربية . ولو أن السفير الأمريكى فى تركيــا وهو يهودي ( واسمه شتينهاردت Steinhardt) شهد بان السلطات التركية لم تمنع دخول المهاجرين إليها ، ولكن القوات الالمانية مع البلغارية كانت تحرس الشواطىء البلغارية وتمنع الدخول والخروج .

كما أن إحدى المنظمات الصهيونية اتصلت بالخارجية الأمريكية طالبة الحصول على ترخيص من وزارة الخزانة لارسال بعض الأموال إلى سويسرا لتكون تحت تصرف اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . وعندما تحين الفرصة يمكن استخدام هذه الأموال لتوفير الطعام اللازم لبقايا اليهود الذين كانوا ما يزالون فى أجزاء من تشيكوسلوفاكيا وبولندة من خلال الصليب الأحمر الدولي . فوافقت وزارة الخارجية بشرط الاطمئنان الى سرية العملية بين اللجنة الدولية المشتركة والصليب الاحمر دون علم الحكومة الالمانية حتى لا تقع فى ايديها الأموال والأغذية . ولقد اوضحت تلك المنظمة أن العملية كلها قد تتكلف عشرة ملايين دولار، وانها سوف تضع مبدئياً مليونين تحت حساب العملية ، وترسل فقط ٢٥٠ الف دولار كدفعة أولى إلى سويسرا . وتحقيقا لهذا قامت الخارجية الأمريكية بتحويل طلب المنظمة الى الخزانة ، وحدث ان اشتركت الحكومتان الأمريكية والبريطانية فى التكاليف الاجمالية حيث دفعت كل منهما أربعة ملايين دولار . وأما المليونان الباقيان فقد اسهمت بهما المنظمات اليهودية والعناصر المتعاطفة داخل الولايات المتحدة

ولم يقتصر الأمر على الاسهامات المادية بل ان الحكومة الأمريكية كثيراً ما كانت تعرب عن شعورها المتعاطف مع مشكلة اليهود . فعندما فتحت السويد ابوابها ليهود الدنمرك استدعى لونج ( مساعد وزير الخارجية ) السفير السويدي لمقر الوزارة وقال له : « اود أن أعبر لك عن شكر الحكومة الأمريكية وتقديرها العميق لاسهامكم فى قضية اللاجئين بفتح ابواب بلدكم لهؤلاء المساكين . وإذا كان هناك اي شيء يمكننا القيام به فى هذا الخصوص سوف يسعدنا المشاركة متى ابلغتمونا بذلــك » .

ومع أن الولايات المتحدة لم تكن طرفاً فى مؤتمر سان ريمو ( ١٩٢٠ ) الذى قرر انتداب بريطانيا على فلسطين ، إلا انها عقدت معاهدة مع بريطانيا فيما بعد (١٩٢٤) ليكون لها حق حماية حقوق الرعايا الامريكيين فى فلسطين . ومن هنا اعلن مستر لونج أن الحكومة الأمريكية لاتتجاهل ما يحدث فى فلسطين ولا يصح أن يقال انها لا تهتم بالقضية المثارة . بل هي على العكس من ذلك فى اهتمام متزايد على أساس مسئوليات الأمن والسلام العالمى والحقوق الانسانية وما تتضمنه هذه المبادىء من شعور ديني وانساني .

د. عاصم الدسوقي

الجزء الثاني في العــدد القــادم

## الهوامش :

(١) كانت فعالية الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ فيما يتعلق بهجرة اليهود الى فلسطين تنتهى فى ٢١ مارس ١٩٤٤ . ولكن وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى حالت دون اتمام هجرة العدد المستهدف صرح الكولونيل أوليفر ستانلى وزير المستعمرات البريطانى فى البرلمان يوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ مد العمل بالكتاب الأبيض دون أن يضع تاريخاً محدداً . غير ان مناقشات البرلمان البريطانى التى دارت فى اعقاب تصريح ستانلى اثبتت انه لم يكن فى نية السلطات البريطانية ادخال اى تعديل على الأحكام الخاصة بالقواعد الشرعية التى يخضع لها المهاجرون اليهود . وكل ما فعله التصريح انه مد أجل العمل بالكتاب الابيض حتى يمكن الانتهاء فقط من تهجير الخمسة وسبعين الف يهودى المتفق عليهم سلفاً . وبناء على مضمون تصريح ستانلى الذى نشرته النيويورك تايمز فى حينه ، أثار صول بلوم Sol Bloom نائب الكونجرس عن نيويورك ( ديمقراطى ) موقف بريطانيا هذا . ( انظر هامش رقم ١٧ من الفصل الثاني ، وايضا ص ٣٤ من نفس الفصل ) .

(٢) كان مشروع قانون واجنر – روجرز ( نسبة الى روبرت واجنر واديث نورز روجز من الحزب الجمهورى ) يسمى بمشروع قانون الطفل اللاجىء ، ويقضى بقبول عشرة الاف طفل كحد اقصى داخل الولايات المتحدة فى ١٩٣٩ ، وعدد مماثل فى ١٩٤٠ خارج الحصة المسموح بها فى نطاق نظام الهجرة المعمول به انذاك . وقد تمت مناقشة التشريع المقترح فى ابر يل – مايو ١٩٣٩ . ولكن الضجة التى اثارتها مختلف المنظمات الوطنية ضد المشروع ادت الى انه لم يتلق اية مساندة من السلطة التنفيذبة . ثم اعيد المشروع فى أول يولية ١٩٣٩ ببعض تعديلات تقول لن العشرين الف تاشيرة دخول التى تصدر لهؤلاء الأطفال تكون من النصيب المخصص للهجرات الالمانية الى الولايات المتحدة وليس زيادة عليها . وعندئذ سحب السناتور روبرت واجنر المشروع لأن هذا التعديل يؤدى الى حرمان الأفراد البالغين الهاربين من المانيا من فرص دخولهم إلى الولايات المتحدة .

(٣) سوف نشير الى هذه اللجنة فى ثنايا البحث بعد ذلك باسم « اللجنــــة العاجلة » على سبيل الاختصار . اما المجلس التنفيذى لهذه اللجنة فكان يتكون من كل من :

الرؤساء : بيتر برجسون ، ولويز برومفيلد ، ودكتور ماكس ليرنر ، وبن هيخت ، وويل روجرز ( النائب الديمقراطي ) ، ومدموازيل سيجريد لوندست Sigrid Undest .

نواب الرئيس : دين الفانج Alfange ، وويليام بينيت Bennet وكونراد بركوفيشى Bercovici وجو دافيدسون ، واوسكار اهيرهورن Ehrohorn ووليام هليز Helis ، والبروفيسور فرانسيز مكماهون ، ودين جورج ماثيسون Matheson ، وهربرت مور Moore وفليتشر برات Pratt ، وهدانى رافائيل ، وليزا سيرجيو ، واندرو سومرز ( عضو الحزب الجمهورى ) ، ودكتور موريس وليام .
امانة الصندوق : وتتولاها مدام جون جنثر Gunther

الاعضاء : ستيلا ادلر ، و ج . أميل Amiel وال بووير Al Bauer ، وبن عامى Ben-Ami وبن اليعازر ، وبيرشن Berchin ، والحاخام بوكستابر ، والاسقف جيمس كانون ، وليستر كوهين وبابيت دويتش Babette Deutsch ، وصمويل ديكشتين ( عضو الحزب الجمهورى ) ، وناثان جورج هورويت Horwitt ، وجابوتنسكى ، وروز كائين ، واميل لينجيل Lengyel ، وليبشوختز Lipschutz ولورنس ليبتون ، واميل لودفيج ، وادوارد مارتن ( محافظ ولاية بنسلفانيا ) ، وهوارد مكجرات ( محافظ ولاية رود ايلند Rohad Island ) ، وصمويل مرلين ، وميشيل بوتر ، وفيكتور راتنر ، وكورت رايس ، وشريدها رانى ، وجوهان سمرتنكو ، وارثر سيرايت ، وارفنج تايتل ، وتوماس واطسون ، وجابرييل ويخزلر Wechsler ، والكس ويلف .

(٤) الجلسة الثانية بتاريخ ١٩٤٣/١١/٢٣ من جلسات الاستماع .

(٥) نفسه .

(٦) جلسة ١٩٤٣/١١/٢٤ .

(٧) جلسة ١٩٤٣/١١/٢٣ .

(٨) نفسه .

(٩) جلسة ١٩٤٣/١٢/٢ .

(١٠) سوف نشير الى هذه اللجنة فى الصفحات التالية باسم « اللجنة الدولية المشتركة » وذلك على سبيل الاختصار . ولقد بلغ عدد الدول المنضمة اليها فى نهاية ١٩٤٣ اثنان وثلاثون دولة هى : الولايات المتحدة ، والارجنتين ، واستراليا ، وبلجيكا ، وبوليفيا ، وانجلترا ، والبرازيل ، وكندا ، وشيلى ، وكولومبيا ، وكوبا ، والدنمرك ، وجمهورية الدومينكان ، واكوادور ، وفرنسا ، وهايتى ، وهندوراس ، وايرلندة ، والمكسيك ، ونيكارجوا ، والنرويج ، ونيوزيلندة ، وبارجواى ، والاراضى المنخفضة ، وبيرو ، والسويد ، وسويسرا ، واورجواى ، وفنزويلا ، ثم وجهت الدعوة الى سبع عشرة دولة اخرى للانضمام .

(١١) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ القى لونج بيانا طويلا استغرق القاؤه ومناقشته اربع ساعات ونصف فى جلسة استماع بمعرفة لجنة الشئون الخارجية للكونجرس . وقد شمل هذا البيان سياسة الولايات المتحدة تجاه المهاجرين وقوانين الهجرة واللجنة الدولية المشتركة .

# قصيدة إلى الشاعر أمل دنقل

« ... اليه فى فراش مرضه »

شعر الدكتور نصّار عبد الله

الأرض لم تزل تدور والأيام
وأنت لا ينقذك الصمت ولا يقتلك الكلام !
عام يمر إثر عام
منذ أتيت من جنوب مصر .. شاهراً
نصل حسام الشعر .. ملقياً
على قلوبنا اللعنة والسلام ..
وهائماً بين دروب هذه المدينة التى
يكسو رموشها الضوء وقلبها الظلام

• • •

صاحبت من صاحبت فى قوافل الزحام
خاصمت من خاصمت
رميت ما رميت من سهام
حوصرت بين الصمت واجتراع كأس الموت
بين انحناء الهام واحتساء السم فى موائد اللئام
( وكنت دائماً
تخرج سالماً
مرتفع الهامة ممشوق الحسام )

• • •

الكون لم يزل يدور والأيام
هذا زمان تستطيل فيه قامة الأقزام
ويسقط الكرام
إلاك يا مستندا الى جدار قلبك النبيل
حين تراع النفس أو تميل
وحينما تزعزع الأقدام

• • •

هأنتذا تنام
مبتسم وساخر ، حتى وأنت فى فراش الداء والسقام
فذلك الذى يقر فى العظام
موقعة من الخصام
وأنت لم تزل تمتشق الحسام
والأرض لم تزل تدور والأيام

# الشيخ رفاعة الطهطاوي

بقلم: فتحي رضوان

العمامة الثانية فى تاريخ مصر الحديث ، هى عمامة رفاعة رافع الطهطاوى ، الذى كان ازهرياً ، نشا فى رحاب الأزهر ، وتتلمذ على شيخ من شيوخه ، هو شيخ الأزهر الأكبر حسن العطار ، الذى كان بدوره ، رائداً ، وداعياً الى عهد جديد ، وفكر حديث ، ومنهج فى الحياة والحكم ، يختلف كثيراً عما كان عليه الحال ، حتى شب هو عن الطوق ، وفرغ من طلب العلم فى طهطا ، موطنه ومسقط رأسه ، وفى القاهرة موئل الأزهر الشريف . فرفاعة الطهطاوى لم يكن مجرد رجل علم ، ولم يكن بشيراً بأسلوب لا عهد للناس به ، وإنما كان فوق ذلك ، قائد الجماعة التى آمنت بهذا العهد الجديد ، وعملت على اخراجه الى حيز الوجود ، وبنته بيديها لبنة لبنة ، وملأت عقول وقلوب الناس بمبادئه وافكاره .

ولد رفاعة الطهطاوى فى عام من اخطر اعوام تاريخ مصر الحديثة ، ونعنى به عام ١٨٠١ م ، الذى غادرت فيه جنود الحملة الفرنسية التى قادها القائد الفرنسى الفذ نابليون بونابرت ارض مصر وبذلك يكون رفاعة قد استقبل الحياة ، فى حين استقبلت مصر دوراً عظيم الشان بعد ان رات لأول مرة ، صوراً من أوروبا وحضارتها ، وقوتها العسكرية والعلمية ، واسلوب حياتها وطرائق نظمها ، راتها غازية فاتحة ، وراتها مجددة فى حياة المصريين ، ومغيرة لكثير من قواعد حياتهم ، وراتها بعد ذلك محاربة تنتصر وتنهزم ، وتشتد وتلين ، حتى جمعت متاعها ، ولملمت سلاحها وعتادها ، ورحلت عن أرض الكنانة مهزومة فى الظاهر ، منتصرة فى الواقع ، إذ انها بذرت من البذور ما بقى فى تربة مصر اجيالا .

وقد شاء القدر ان يوافى رفاعة رافع الطهطاوى ، بداية الحياة ، والفرنسيون يتركون مصر ، وصفحات من تاريخ مصر ، تبدأ وتتوالى ، فى تلاحق رهيب ، اشبه شىء بوقائع قصص المغامرات وقصص العجائب .

ولد رفاعة الطهطاوى ، كما يدل اسمه فى «طهطا» ، وهى قرية فى اقصى الصعيد لم يكن فيها من معاهد العلم ، ولا اساتذته من يمكن ان يفتح لرفاعة الغلام ، ابواب المعرفة ، التى احبها فيما بعد ونهل منها ، ما جعله قادراً على أن يؤدى دور الامام والرائد والمجدد والمؤلف والمترجم ، فاداها جميعاً فى كفاية واقتدار واخلاص ، بحيث أصبح الأستاذ والمربى الحقيقى لكل من ساهم فى نقل مصر ، من القرون الوسطى الى العصر الحديث ، وكل من نبه اذهان شباب مصر الى المعانى الجديدة التى اصطنعتها الامم فى اوروبا ، وعضت عليها بالنواجذ ، من مثل الحرية السياسية للشعوب ، والمساواة بين




مجموعة من العمائم التى أثر اصحابها فى التاريخ الحديث لمصر والوطن العربى كله

المواطنين ، والاقبال على العلم الوضعى الحديث ، الى جانب علوم الدين ، وإدراك أن للمراة دوراً غير دور الأم التى تعيش فى البيت ، تنشىء أطفالها ، وتعنى بصحتهم ، دون أن تدرى شيئاً ذا بال عما يجرى فى الدنيا ، من أمور الحكم والسياسة .

ولكن كل انسان ميسر لما خلق له ، فرفاعة اضطرته حياته ، وهو بعد صبى صغير ، أن يترك طهطا ، وأن يرحل مع أبيه الى قرى أخرى فى الصعيد مثل قنا وفرشوط ، راكباً حماراً حيناً ، سائراً على قدميه حيناً آخر ، فقد دفعت الضائقة المالية أباه ، الى ترك بلده ، بحثاً عن الرزق ، فتفتحت نفس رفاعة على مجتمعات غير قريته ، وعرف معنى الضيق ، ومعنى التماس الرزق بالسعى والداب ، فلما بلغ السادسة عشرة من عمره ، سافر الى القاهرة ، فى رحلة نيلية شاقة ، استنفذت من الزمن ، على سطح النيل ، فى مركب بدائية ، أسبوعين انهكت جسده ، ولكنها عوضته عن ذلك أن رأى مدن النيل الكبرى واحدة واحدة ، فعرف وطنه ، وأحبه واشتد عوده ، فلما وصل الى القاهرة تلقفه اخواله ، وهم جميعاً طلبة علم فى الأزهر ، وشيوخ دين وقد حفظ لنا التاريخ أسماءهم : فراج وأبو الحسن ومحمد الانصارى . ولكن الذى تولى عقل (رفاعة) بالتهذيب والصقل لم يكن أخواله ، بل كان عالماً من علماء ذلك العصر الأفذاذ ، هو الشيخ حسن العطار ، الذى كان حبه للعلم ، وتوقه للمعرفة ، ورغبته فى الوقوف على كل حديث وطريف ، قد أهله ليكون زعيماً من زعماء الفكر فى تلك الأيام ، وقد كان من ثمار حيويته ، وقوة شخصيته ، رفاعة رافع الطهطاوى ، فقد كان مديناً له بكل التقدم الذى حققه فيما بعد : رعاه وهو طالب فى الأزهر ، وحبب اليه الأدب ،

# دور العمائم في تاريخ مصر الحديث

والقراءة فى مختلف الفنون ، وتحدث اليه فى شئون الوطن ، وفيما آل اليه الاسلام ، فاخرجه من نطاق التقليد الى فريق المجددين . وقد نجح حسن العطار فى اقناع (محمد علي) والي مصر ، بتعيين (رفاعة) إماماً فى الجيش ، ولما قرر الوالى أيضاً أن يوفد عدداً من شباب مصر الى باريس عام ١٨٢٦ م ، عاد (حسن العطار) فزين لمحمد علي أن يجعل لهؤلاء المبعوثين إماماً ، يبصرهم فى باريس الهائجة المائجة ، وأن يكون رفاعة هو الامام فاقبل على دراسة العلوم المقررة على طلاب البعثة ، باكثر مما اقبل طلاب البعثة نفسها ، فبدأ باتقان اللغة الفرنسية ، وبها قرأ التاريخ والجغرافيا والأدب ، فلفت بهذا الاجتهاد نظر رئيس البعثة الفرنسى ، الذى احبه وشجعه وسعى فى تحويله مترجماً ، ينقل الى العربية ما تحتاج اليه القوة الجديدة الناشئة ، قوة الجيش ، من علوم عسكرية وهندسية وطبيعية وكيمياء ، فدرس كل تلك العلوم ، كما درس الى جانبها الفلسفة وعلوم الاجتماع ، ولكن الذى زاده علماً ، وزاد شخصيته اتساعاً ، انه لم يكن يقرأ فقط ، وإنما كان يقرأ وينظر الى ما حواليه ، فيفهم جميع الأنظمة التى تكونت منها فرنسا ، فعرف ما هو الدستور وما هى الانتخابات وما هما المجلسان اللذان يكونان السلطة التشريعية ، وكيف تجرى الانتخابات ، وكيف تصدر الصحف وراقب المظاهرات التى تجرى فى الشوارع واهتزت نفسه للهتافات التى كانت تصدر عن الحناجر ، ومعناها ، ورأى فى بعض الأحيان ، جنود الشرطة يحيطون بالمتظاهرين ، وينهالون عليهم ضرباً ، وعلى جموعهم تفريقاً ، ثم يرى فى اليوم التالى أثر ذلك ، فى مقالات المحررين الذين ينهالون بدورهم على الحكام الذين قمعوا المظاهرات ، وضاقوا بطلبات المتظاهرين ذرعاً ، لوماً وتقريعاً بعبارات حادة .

كل ذلك خلق من (رفاعة) انساناً آخر ، عرف الأدب الفرنسى ، وبصفة خاصة الأدب السياسى ، وعرف التاريخ وتطورات الدولة الفرنسية ، فى عهود الطغيان وعهود التحرر ، فعاد الى مصر سنة ١٨٣١ م ، وقد امتلأت نفسه بالأفكار ، واحتدمت فيها الرغائب والطلبات ، وجاشت بآمال التطوير والتجديد ، بلا اندفاع ولا طيش .

ومما يدل على نضجه ، أن أولى بواكير أعماله ، انه انشأ (مدرسة الألسن) فى سنة ١٨٣٦ ، وعينه الوالى ناظراً لها ، فكأنه عينه ناظراً على مصر الحديثة كلها ولم يكن هدف (رفاعة) من هذا المعهد ، الذى أصبح عتيداً وعريقاً ، أن يخرج مدرسين ، بل هدف منه الى تخريج طائفة أعمق أثراً ، ونعنى (المترجمين) ولم تنقض سوى عشر سنوات ، حتى تخرج فى هذه المدرسة ، مائة مترجم ، يساوون كتيبة كاملة ، من المعلمين ، والرواد ، والمجددين وراح هؤلاء يصلون الليل بالنهار ، وهم يترجمون فى كل فن وعلم ، كتباً ومراجع تعد أمة كاملة ، فقد ترجمت هذه الطليعة ألفى كتاب ، وكان (رفاعة) يراجع كل ما يترجمه أفراد هذه الكتيبة .

وكان (رفاعة) قبل تعيينه رئيسا لمدرسة الألسن ، قد اشتغل مترجماً فى مدرسة الطب ، والمدفعية ، وكان الذين يدرسون هذه العلوم فرنسيين ، ويترجم لهم سوريون ، بلغة عربية ركيكة ، فقام رفاعة وتلاميذه ، مقام هؤلاء المترجمين ، فاستقامت اللغة العربية ، وألف هو كتباً منها كتاب عن (الجغرافيا) .

ولما انشأ محمد علي سنة ١٨٣٤ (مدرسة الادارة) التى كانت نواة مدرسة الحقوق ، انضم رفاعة الى هيئة التدريس فيها ، والغيت مدرسة الادارة ، وحلت محلها فى سنة ١٨٣٦ مدرسة (الألسن) الأم الحقيقية لمدرسة الحقوق ، المعهد العظيم الذى اتسعت رحابه للدراسة القانونية ، والدراسة الأدبية ، وللخطابة كما ادمجت فيها مدرسة التاريخ والجغرافيا ، وكانت اللغات التى تدرس بها هى الفرنسية والتركية والفارسية والايطالية والانجليزية ، وقد كان تلاميذ هذه المدرسة يترجمون من اللغات الاجنبية كتب العلوم التى يدرسونها ويقوم الأساتذة بتنقيح هذه الترجمة ، ثم يطبع فى كتاب ، وبذلك كانت الترجمة أساس النهضة العلمية التى قام على تأسيسها رفاعة الطهطاوى ، ولذلك كان طبيعيا أن يصبح اسم هذه المدرسة نهائياً (مدرسة الألسن) ، وقام رفاعة بنفسه بتدريس اللغات والادارة والشريعة والقانون الفرنسى .

وقد شابت حياة رفاعة ، شوائب الألم والحزن ، ليكون مثالا كاملا للمجاهد من اجل رسالة ، فقد جاء الى حكم مصر ، الخديو عباس الأول ، وكان ضيقا بنهضة المدارس والمعاهد ، فاغلق المدارس جميعاً بما فيها مدرسة الألسن ، ونقل رفاعة الى السودان ليشاهد كيف تتحول المعاهد التي انشئت إلى خرائب بغير ذنب ارتكبه ولم ينى ( رفاعه ) ولم تصده هذه الكارثة التي صدت زميله الاستاذ (محمد البيومى) الذى مات أسى وحزناً ، أما رفاعة فقد تحمل المصاعب متجلداً ، حتى عاد الى مصر ، بعد أن انقضى عهد عباس الأول ، وفى فترة منفاه ، ترجم من الفرنسية قصة (وقائع تليماك) ونشرها فى بيروت ، واقبل فى همة يعلم أولاد أبناء السودان ، فكان هذا عملا مجيداً ، إذ بذر به رفاعة ، البذور الأولى للنهضة العلمية والثقافية فى النصف الجنوبى من وادى النيل .

ويعتبر بعض مؤرخى الفكر الحديث ، أن رفاعة الطهطاوى هو أبو الصحافة المصرية الحديثة ، إذ أن علي باشا مبارك عينه فى سنة ١٨٧٠ م رئيساً لتحرير مجلة «روضة المدارس» التى صدر العدد

الأول منها فى ١٧ ابريل سنة ١٨٧٠ م ، وقد جعلها رفاعة الطهطاوى ، مجالا لرواد العمل الثقافى فى مصر ، فكتب فيها علي باشا مبارك ناظر المعارف ، وعبد الله باشا فكرى ، ومحمد قدرى باشا ، واسماعيل باشا الفلكى ، وصالح بك مجدى ، وهو تلميذ رفاعة الطهطاوى النجيب ، والشيخ حمزة فتح الله ، واسماعيل أفندى صبرى (اسماعيل صبرى باشا) .

وقد كانت هذه المجلة ـ نصف الشهرية ـ هى المجلة الرابعة التى ظهرت فى مصر بعد المجلتين الفرنسيتين اللتين أصدرهما نابليون لجنود وضباط الحملة وبعض الأجانب ، باسم الكوريبه دى جيبت ، أى (بريد مصر) و (الديكاو) المصرية أى العشرية المصرية ، تلتهما فى سنة ١٨٢٨ الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وكانت تكتب باللغتين التركية والعربية ، بحيث كانت اللغة التركية تحتل القسم الأيمن ، وتحتل العربية القسم الأيسر ، باعتبار أن التركية هى اللغة الرسمية ، ولما عين رفاعة الطهطاوى رئيساً لتحرير الوقائع ، قلب الوضع ، فجعل القسم الأساسى هو القسم العربى ، وكان فوق ذلك يجعل الصدارة فى الجريدة لأخبار مصر ، تليها الأخبار الآتية من الخارج ، ولكن العناصر التركية تألبت عليه ، فأعادت كل شىء الى أصله ، إلا أن الأثر الطيب لرفاعة فى هذا المجال ، هو انه فتح باب الأدب والتحرير ، لأصحاب الاقلام ، يرسلون نفثات أقلامهم لجريدة الوقائع ، بعد أن كانت وقفاً على الأخبار ، أما مجلة النهضة ، فقد استمرت منبر المثقفين ، ومجال الكتاب المصريين سبع سنوات ، رققت خلالها الأساليب ، وفتحت باب المنافسة بين حملة الأقلام .

إلا أن الأثر الخالد لرفاعة الطهطاوى ، الذى ارتفع به الى سواء القيادة ، بل الى صفوة الثوار ، فهما كتاباه العظيمان «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» الصادر سنة ١٨٣٤ م رواية لرحلة الطهطاوى الى فرنسا ، أما الكتاب الثانى فهو «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية» الذى صدر سنة ١٨٦٩ م .

فى هذين الكتابين ، فعل الطهطاوى ما يساوى الدعوة المتأججة للثورة والانقلاب إلا انه لم يفعل أكثر من وصفه لما رآه فى فرنسا ، من صور الحياة ، حياة النساء والرجال ، وحياة الحكام والمحكومين ، وحياة العمل وأرباب الصنائع وهو وصف دقيق ، على بساطته ، وعلى عدم ترسله فى معانى هذه الحياة الفرنسية التى تقوم اساساً على حرية الشعب فى اختيار حكامه اولا ، وفى محاسبتهم ثانيا ، وفى انزال العقوبات ثالثا ، يعمل هذا كله فى حكمة مأثورة «سلطان الملوك على اجسام الرعايا لا على قلوبهم» .

وقد اخذ المصريين على انهم لم يساهموا قط فى شىء من التصميمات التى رآها فى باريس واعجبته ، فقد كانت آفات الشعب المصرى فى رأى رفاعة ، عدم المبالاة ، والتكاسل عن تأييد الأعمال الصالحة التى تشاد فى بلده ، كما حدث فى عهد محمد على ، الأمر الذى ذكره كلوت بك ، ونقله عنه الأستاذ لويس عوض فى كتابه تاريخ الفكر الحديث «ولا يأخذ احد بجريرة هذه النزعات ، فان الروسيين لم يشدوا أزر بطرس الأكبر فيما تصدى لاجرائه من جلائل الأعمال ، وأدخله على شئونهم ، من نافع الاصلاحات . وتلك شنشنة معروفة عن الأمم فى أدوار ارتكاسها ونكستها ، كلما ظهر من بينها مصلح يريد الاخذ بيدها والنهوض بأمرها ، والسمو بها الى الغايات الغالية فى الحضارة والرفاهية ، تعرضت على إحباط مساعيه ، والقت فى طريقه العقبات والمصاعب ، ولم يذكر التاريخ قبلا لأمة نهضت بدافع من نفسها لبناء صرح المدنية ، وإقامة معالمها ، وإنما الذين تعرضوا لذلك أفراد امتازوا بذاتية متينة وعبقرية عالية ، فدعوا الى مشاركتهم فى عملهم ، أبناء وطنهم ، وكثيراً ما لجأوا فى تنفيذ مقاصدهم إذا ما أرهقتهم من هؤلاء نزعة الجمود على القديم ، الى وسائل العنف والشدة» .

هذان الكتابان اللذان بشرا بأفكار جديدة ، تلك الافكار التى بقيت زماناً طويلا يتحاشاها ويتحاشى الكلام فيها ، الكتاب والمفكرون ، حتى الذين ذهبوا بعد رفاعة الطهطاوى الى اوروبا بأجيال . وكان الجو فى مصر ، وفى العالم العربى كله ، قد تهيأ لمناقشة أفكار لم تعد تخيف كثيراً، من مثل الدعوة الى إقامة نظم دستورية ، والى نشر التعليم بين العمال والفلاحين ، والى إتاحة فرص المشاركة فى الشئون العامة ، للمرأة العربية ، ولو على سبيل التدرج ، وذلك يدل على أمرين :

أولهما أن رفاعة الطهطاوى ، رجل بطبيعته متقدم عهده ، وانه بدأ فى كتابه الأول «تخليص الابريز» أكثر اعتدالا منه فى كتابه الثانى المباهج العصرية ، الذى يفصل بينهما أكثر من ربع قرن .

وثانى الأمرين ، أننا نبالغ فى القول ، إذا اعتبرنا أن كتابى رفاعة قد مهدا لشىء مما جاء فيهما ، فالكتابان بقيا مغمورين فى رفوف المكتبات ، لا يطالعهما إلا المؤرخون ، الذين يريدون تسجيل ما احتوته الكتب ، دون أن تتصل هذه الكتب بفكر الكتاب ، ولا القراء . وهذا يكشف عن مدى الجحود والاهمال الذى يصيب أهل الفكر فى بلادنا ، فان ما يكتبونه ، يبقى بعيداً عن تداول الأيدى ، وتناقل الألسن ، وتعليق العقول .

ولكن هذا ـ على مرارته وقسوته ـ لا ينقص من قدر أصحاب العمائم الذين أدوا واجبهم فأحسنوا الأداء ، وارتادوا الأصقاع المجهولة فى شجاعة وجراة . يستحقون معها التمجيد وإحياء الذكرى .

فتحي رضوان

## قطعة حية من تاريخ البطولة العربية

# قلعة الشقيف

## فتحها صلاح الدين واستبسل فيها الفلسطينيون

بقلم : نبيل خالد الأغا

فى اليوم السادس من شهر يونيه « حزيران » الماضى بدات قوات الغزو الصهيوني فى اجتياح جنوب لبنان تحت شعار « السلام فى الجليل » !

وبعد معارك طاحنة مع بضع عشرات من المقاتلين الفلسطينيين استطاع العدو الصهيونى احتلال قلعة « الشقيف» التاريخية الشهيرة ، بعد ان خسر عشرات القتلى والجرحى من وحدات كتيبة « غولاني » الخاصة ذات التاريخ الارهابى الطويل .

ونظراً لخسائرها البشرية الكبيرة فقد عمدت القيادة الصهيونية إلى إنهاء المعركة باستعمال القنابل العنقودية والجرثومية والغازية لانها لم تستطع انهاء صمود المقاتلين الفلسطينيين عبر الأسلحة التقليدية .

وسيسجل تاريخ النضال العربى الفلسطيني ان سبعة وثلاثين فدائيا من ابطال الثورة الفلسطينية قد صمدوا أكثر من أربع وعشرين ساعة يتحدون احدث اسلحة الترسانة الامريكية الاسرائيلية التى كان من ضمنها قنابل الاعماق التى تزن الواحدة منها ٩٠٠ كجم ، والتى تصل فى عمقها الى عشرة امتار فى باطن الأرض وهى نفس القنابل التى استعملها الاسرائيليون فى تدمير مفاعل تموز النووى العراقى فى حزيران عام ١٩٨١ م . ولكى نكون على ثقة مطلقة ببطولة مقاتلينا وبسالتهم فسنورد مقتطفات من تصريحات اثنين من كبار العسكريين الصهيونيين

### انها مذبحة رهيبة !

شرح المقدم « دوف » قائد الحملة الاولى لجريدة « دافار » الاسرائيلية كيفية احتلال القلعة والصعوبات التى واجهتها قواته فقال :

« كان معى ٩ دبابات ، و ١٣ ناقلة جنود تقدر طواقمها بتسعين فرداً بينهم أربعة ضباط ، وجميعها من وحدات « غولانى » الخاصة . وفى البداية كنت على قناعة بان هذه القلعة تضم مئات المقاتلين الفلسطينيين لأن كثافة النيران التى تعرضنا لها ، والمقاومة الشرسة التى ابداها الفلسطينيون دلت على صحة تكهناتى ، ولم يخطر ببالى ابداً بان اعدادهم فى هذه القلعة لا تزيد عن بضع عشرات . وحمى وطيس المعركة ، وقطعت جميع الاتصالات بيننا وبين القيادة ، وشعرت عندها كمن وقع فى مصيدة ، وحينما أردت الانسحاب الى الخلف لتنظيم قواتى كان الوقت قد فات ، فالدبابات والناقلات المصفحة تلقت اصابات مباشرة .. لقد كانت حقاً مذبحة رهيبة لم اشهد مثيلا لها فى جميع الحروب التى خضتها من قبل .

لقد كان عدد الناجين - اضافة لي - سبعة جنود تم اخلاؤهم الى الخطوط الخلفية بعد أن جاءتنا تعزيزات ضخمة فى الثالثة صباحاً .. وفى السادسة والنصف دار قتال عنيف بيننا وبين من تبقى من المقاتلين الفلسطينيين احياء داخل القلعة ، وفى النهاية قتلوا جميعاً لأن احداً منهم لم يرفع علماً أبيض ولم يستسلم لنا رغم كل نداءاتنا لهم برفع اعلام بيضاء والاستسلام .

اننى احترم جداً واقدر هذا النوع من المقاتلين الأشداء ، وانى احيبى هذه الشجاعة النادرة التى ابدوها ، وانى أعتقد بأن صورة المقاتل العربى الذى يهرب امامنا أو يلقى بنفسه مستسلما قد اختفت هذه المرة ، وكل ما استطيع قوله الآن هو اننى أصلي لسلامة الجنود الذين يخوضون حرباً حقيقية شرسة فى لبنان » .

### وقعنا في المصيدة

اما اللقاء الثانى فقد أجرته اذاعة الجيش الصهيونى ظهر يوم الثامن عشر من حزيران الماضى مع الجنرال شاؤول تكديمون الراقد فى مستشفى «تل هشومير» العسكرى لمعالجته من الاصابات التى لحقت به فى منطقة النبطية ، وقد اضطر الاطباء بالمستشفى الى بتر ساقه انقاذاً لحياته .

ونظراً لطول اللقاء مع الجنرال فاننا سنورد فقط ما ذكره عن معركة الشقيف فقال :

« قبل الهجوم بيومين قامت ١٣ طائرة اسرائيلية بقصف مكثف لهذه القلعة ، وكنا نعتقد بأن أطنان القنابل التى القيت عليها لم تدمرها فقط وانما مسحتها عن وجه الأرض واننا لن نجد أثراً لفلسطيني واحد ولكن حينما اقتربنا من هذه القلعة - وكانت أول موقع فلسطيني نواجهه فى الجنوب اللبناني - اتضح لنا انها ما تزال على حالها ، وان أحداً من المقاتلين الفلسطينيين لم يصب بأذى نتيجة لكل تلك القصف الجوي الطويل .. ربما كان طيارونا يلقون بحمولة طائراتهم بعيداً عن القلعة نظراً للمقاومة الأرضية العنيفة التى ابداها أولئك الفلسطينيون داخل القلعة . والحقيقة التى يجب أن أقول هنا بأن



العميل سعد حداد فى قلعة الشقيف التى لم تسقط إلا بعد معارك طاحنة بين قوات الغزو الصهيونى وبضع عشرات من المقاتلين الفلسطينيين .

المعارك الطاحنة التى دارت حول قلعة الشقيف وفى داخلها ، والخسائر الكبيرة التى تكبدتها قواتنا فى هذه المعارك كانت بمثابة علامات الشؤم بالنسبة لنا .. لقد فقدنا خلال هذه المعارك خيرة ضباطنا وجنودنا من قوات غولاني والمظليين .. إن لي بين الضباط الذين سقطوا فى معارك قلعة الشقيف العديد من الأصدقاء مثل الركن افنير شماعيا ، والمقدم جوني هدنيك والمقدم بتسلئيل مزراحي ، والرائد يفتاح ابن حاسو وآخرين . وحينما ابلغوني عن مدى الخسائر التى تكبدناها من أجل احتلال موقع فلسطيني واحد سبق لطائراتنا ان قصفته طوال أيام ، قلت في نفسى بأن هذه الحرب ليست مثل الحروب السابقة ، فهذه الحرب كانت تبدو كالمصيدة التى وقعنا فيها كالفئران الصغيرة .. وقد اجريت اتصالا عاجلا من موقعي بالجنرالين ايتان ودوري وابلغتهما بأننا نواجه مقاومة غير متوقعة ، وكنت اعني ما أقول ، وطالبت بارسال المزيد من التعزيزات .. لقد دخلنا الحرب بـ ٢٨ ألف جندي من القوات النظامية . لكن العدد ارتفع خلال اليومين الأولين لهذه الحرب الى ٨٣ الف جندي ، وان عنف وضراوة المقاومة وشراسة العدو الذى نواجهه هى التى كانت تدفع بنا الى الاستعانة بالمزيد من التعزيزات خاصة بعد استدعاء قوات الاحتياط ، والتى اشك فى انه قد بقى لدينا سلاح متطور واحد لم نستخدمه فى هذه الحرب الا اذا كان الحديث عن سلاح نووى .. لقد فقد الفلسطينيون فى قلعة الشقيف ثلاثين مقاتلا أو ما يزيد قليلا ، اضافة الى بعض المواقع وراجمات الكاتيوشا وبعض الأسلحة الخفيفة ، لكننا فقدنا خمسة اضعاف ما فقدوه .. حقا لقد ذهلت مما رأت عيناى ..

... هذا وبرغم كل تلك الخسائر التى منيت بها قوات «جيش الدفاع الاسرائيلي» الا أن احتلال قلعة الشقيف الاستراتيجية قد أدخل البهجة فى قلوب القادة الاسرائيليين ، حيث ذهب الارهابي ميناحيم بيجن لزيارة القلعة ظهر يوم الأثنين بصحبة وزير الدفاع ارييل شارون ، ورئيس أركان الجيش رفائيل ايتان ، والعميل سعد حداد ، وبعد أن تفقد الارهابيون أسوار القلعة نظر بيجن إلى حداد وقال له حرفيا : هذه قلعة اجدادك .. نقدمها هدية لك ! !

## شيء من التاريخ

ولكن ماذا نعرف من تاريخ هذه القلعة الشهيرة - ؟ .

للقلعة أربعة أسماء : بوفور ، ارنون ، تيرون ، اضافة الى الشقيف وهو اسمها الأكثر شيوعاً ، ويقال انه لفظ سرياني الأصل ومعناه « الصخر الشاهق » . وقد اطلق عليها ابن خلدون اسم شقيف بيروت لوقوعها على جبل مطل على بيروت وصيدا.

وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت الحموي ان « المجي » قد اطلق على القلعة اسم شقيف ارنون حيث قال « والشقيف يعرف بشقيف ارنون وهو اسم رجل اضيف الشقيف اليه ، والرجل اما رومى واما افرنجى ، ويعرف ايضاً بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة فى الصخر ، وبعضه له سور وهو فى غاية الحصانة » .

كما أن ارنون اسم لقرية تقع الى الجنوب من القلعة ، وتنسب القلعة اليها كذلك .

اما اسم بوفور فهو نسبة الى أول قائد فرنسى دخلها أثناء حكومة فيشى ، حيث اوقف زحف الحلفاء من الجانب الفلسطيني ثم اتخذها مقراً لقيادته .

ويقال أن تيرون كلمة لاتينية الأصل ومعناها « الجندى الشجاع » . وتفيد المعلومات التاريخية بأن ملك القدس الصليبي « فولك » هو أول من شيدها عام ١١٣٥ للميلاد ، على انقاض حصن روماني قديم .

وقد تم بناؤها على طريقة بناء قلاع القرون الوسطى من حيث نظامها الداخلي ووظائفها الدفاعية .

ويتفق المؤرخون على أن البطل الاسلامى صلاح الدين الايوبى حاصر القلعة عام ١١٨٩ م أى بعد عامين من انتصاره الساحق على الصليبيين فى معركة « حطين » ، واستسلمت له فى النهاية بعد مراوغات قائدها الصليبي « رينالد » .

لكن البهجة بتحرير الشقيف من الاحتلال الصليبي لم تدم طويلا ، فلقد اعيدت القلعة إلى الصليبيين ضمن معاهدة جائرة قام بتوقيعها معهم المدعو الصالح اسماعيل باشا سلطان دمشق آنذاك مقابل أن يكونوا ظهيراً له على ابن أخيه الصالح ايوب فى مصر وعلى الناصر داود فى الأردن !!

وفى مقابل ذلك تعهد الصالح اسماعيل باعطاء الصليبيين مدينة بيت المقدس

# قلعة الشقيف

ولكى يبرهن على حسن نيته نحوهم قام بتسليمهم القدس وطبريا وعسقلان . اضافة الى قلعتي صيدا ، والشقيف .

ولكن حاميتها الاسلامية ابت أن تسلمها مجاناً إلى الافرنج ، ثم جاء السلطان بنفسه وتسلمها من الحامية وقام بدوره بتسليمها إلى الاعداء عام ١٢٣٨ ميلادية .

وفى عام ١٢٦٠ قام فرسان الهيكل بشرائها من صاحبها جوليان مع مدينة صيدا . وبعد ثمانية اعوام شن الظاهر بيبرس هجوماً عنيفاً على القلعة واستولى عليها وقام بتوزيع حاميتها ارقاء على مرافقيه ، ثم عمرها وبنى فيها مسجداً وداراً للنيابة على نحو ما ذكر المؤرخ ابو الفداء .

وفى عام ١٦١٠ م وخلال العهد العثماني استولى عليها الأمير فخر الدين المعني الثانى وضمها الى جملة القلاع التى استولى عليها لتعزيز نفوذه ، فرممها ونظم شؤونها لكى تصبح مرتكزاً له فى حروبه مع الدولة العثمانية .

ولما حاول الأمير أن يستقل فعلا عن السلطة العثمانية أمر السلطان العثماني بالقبض عليه ومعاقبته فالتجا الى قلعة الشقيف ، فاضطر الجيش العثماني الى محاصرته وتضييق الخناق عليه مما اضطره إلى الاستسلام وتم الحكم عليه بالاعدام .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى مطلع العصور الحديثة فقدت القلعة الكثير من اهميتها الاستراتيجية نظراً لتطور الأسلحة الهجومية .

## التاريخ الحديث للقلعة

مع استقلال لبنان عام ١٩٤٣ م ، ومع نشوء الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ م استعادت القلعة أهميتها ، وبرزت الى ساحة الأحداث من جديد . وأقام عليها الجيش اللبناني التحصينات العسكرية ، والرادارات والأضواء الكاشفة .

ولكن الجيش اللبناني الشرعي اضطر الى الانسحاب منها فى بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ م ، بعد أن استولى عليها الملازم احمد الخطيب وضمها الى قيادة « جيش لبنان العربي » .

وبعد عامين أصبحت القلعة تحت سيطرة القوات الفلسطينية - اللبنانية وأصبحت مدافعها تواجه مباشرة مدافع الرائد الصليبي المتمرد سعد حداد الذى اتخذ من قرية القليعة مقراً لقيادته حينئذ ، ومنذ ذلك الوقت بدأت بين الطرفين اشتباكات عنيفة بالمدفعية ، ومن ثم اصبحت الشقيف هدفاً رئيسياً للقصف الصهيوني براً وجواً انتقاماً من الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يقذفون منها مدافعهم البعيدة المدى وصواريخهم « الكاتيوشا » لتصب فى المستعمرات الاسرائيلية فى الجليل الاعلى .

وأثناء الاجتياح الصهيوني للجنوب اللبناني في شهر آذار ( مارس ) عام ١٩٧٨ م تعرضت القلعة - على مدى ثلاثة أيام لقصف جوي عنيف اشتركت فيه عدة اسراب من الطائرات الامريكية - الاسرائيلية ، وقد فشلت فى احتلالها جميع عمليات الانزال المظلي ، والزحف البري الصهيوني .

وتقوم قلعة الشقيف فوق جبل عال جداً يكشف بالعين المجردة جزءاً كبيراً من فلسطين المحتلة وخاصة منطقة الجليل الأعلى ، التى تتواجد فيها كثير من المستعمرات الصهيونية مثل « المطلة » التى تبعد عن القلعة مسافة ٥ كم جواً . وترتفع القلعة مسافة ٨٠٠ م عن سطح البحر المتوسط ، وتطل من الناحية الشرقية على سهل مرجعيون وبحيرة طبريا . واعالى الجولان ، وتطل من الناحية الشمالية على منطقة الشوف ، ومن الناحية الغربية على مدينة النبطية ، وقراها .

ويبلغ طول واجهة القلعة ١٢٠ متراً ، وعرضها ٣١ متراً ، وترتفع جدرانها الى حوالى ٢٣ متراً .

والقلعة على هيئة مثلث ، وقد شيدت من الصخر الأصم الكبير القطع ، ويحيط بها خندق كبير يبلغ عرضه حوالى ٢٠ متراً داخل الصخر . وهى تتالف من أربعة طوابق ، ولها أربعة ممرات داخلية تؤدى الى الغرف داخلها ، ويقال ان بها ممراً سرياً يربطها بنهر الليطاني من الناحية الشرقية ، وعن طريقه استطاع الجنود العثمانيون أن يصلوا الى الأمير فخر الدين ، فضيقوا الخناق عليه واجبروه على الاستسلام .

## القلعة والشعراء

وبرغم رفع العلم الصهيوني على القلعة ، فان الجنود الصهاينة فى داخلها يتعرضون - ومنذ أكثر من شهرين على احتلالها - الى هجمات فدائية جرئية تكلف المحتلين خسائر ليست قليلة .

وقد تفاعل كثير من الشعراء العرب بأحداث القلعة ، فانشدوا القصائد الوطنية المعبرة .

يقول الشاعر المعروف معين بسيسو ضمن « رسالة مفتوحة الى قلعة الشقيف »

يا قلعة الشقيف
لم يرفع الراية البيضاء
لا كيس من الرمل
ولا حجر
قاومت الشمس
وقاوم القمر
وقاومت الجذور
والصخور
وقاوم الشجر ..

ويقول الشاعر خليل السواحري :

كومة من حجارة
وكومة من اجساد
سبع وثلاثون وردة حمراء
تملأ التاريخ زهواً
افق من الخلود
ضوء يملأ الأجيال
مجداً
وفخراً
وكبرياء
كومة من حجارة
وجبال من بطولة
يا قلعة الشقيف
يا منارة الرجولة .

نبيل خالد الآغا

## ملاحظات حول مقال:

# شكوى الحيوان من ظلم الإنسان

بقلم: يوسف الشاروني

فى عدد يوليو الماضى من مجلة الدوحة نشر الدكتور احمد الحوفي مقالا سريعاً بعنوان « صفحة طريفة من التراث العربي » عن شكوى الحيوان من ظلم الانسان التى وردت فى رسائل اخوان الصفا . ولاشك ان صغر حجم المقال ظلم بدوره هذا الموضوع العظيم الطريف . وقد تساءل الدكتور الحوفى فى نهاية المقال بضعة تساؤلات نجملها ـ ونعلق عليها ـ فيما يلي :

أولا : لماذا لم يذكر بنو آدم فى الاستدلال على تفوقهم وسيادتهم على الحيوانات أن الخالق عز وجل منح بني آدم العقول والتفكير والنطق ؟ ... وإذا كان الانس قد عرض لها فان عرضه موجز عابر .

والواقع أن زعيم الانس حين أعلن فى اليوم الأول من هذه المناظرة او المحاكمة الفريدة فى تاريخ الأدب أن قومه يتميزون عن الحيوان بالذكاء ورجحان العقول ، رد عليه زعيم البهائم قائلا « لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من أفعالكم ولا اكتساب منكم بل هي مواهب من الله جل ذكره لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه . وإنما العقلاء يفتخرون باشياء هي افعالهم من الصنائع المحكمة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرق المستقيمة ولسنا نراكم تفتخرون بشيء منها » ( رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء ، المكتبة التجـــارية ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ١٨٢ )

ثانياً : كذلك لم يذكر بنو آدم أن الله عز وجل اختصهم بالرسل والشرائع والتكاليف ولم يختص الحيوانات بشيء من هذا .

ولو رجعنا إلى ثالث يوم من أيام المناظرة لوجدنا أن الانس يعلنون أن الله اكرمهم بالوحي والنبوءات والكتب المنزلات والآيات المحكمات وما فيها من ألوان الحلال والحرام والحدود والأحكام ، والأوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد ... وما وعدنا من الجنان والنعيم وما أكرمنا به من الغسل والطهارة والصوم والصدقة والزكاة والاعياد والجمعات ، والذهاب إلى بيت العبادات والمساجد والبيع والصلوات ... وكل هذه الخصال كرامات لنا وانتم بمعزل عنها ، وكل ذلك دليل على اننا أرباب وانتم عبيد ( المرجع السابق ص ٢٧٠/٢٧١ ).

وقد رد الحيوان هذا السهم إلى صدر الانسان حين أجاب أن الله لم يبعث أنبياءه للانسان إلا لكفره وجهله وانكاره لربوبية الصانع وجحوده لوحدانيته ، أما الحيوان فهو بريء من ذلك كله . أما الصوم والصلوات والصدقات فهي عذاب وعقوبات وغفران للذنوب ومحو للسيئات ، والحيوان لا يحتاج لشيء من هذه الأوامر والنواهى لأنه بريء من الذنوب والفحشاء . هنا يفخر الحيوان على الانسان بانه لا يتصل بانثاه إلا مرة واحدة فى السنة لا لشهوة غالبة ولا للذةراغبة ولكن لبقاء النسل . وأما ما جاء فى الكتب المنزلة من بيان للحلال والحرام فهذا لقلة معرفة الانسان بما ينفعه وما يضره ، بينما الحيوان قد ألهم جميع ما يحتاج إليه من أول الأمر ، وأما كون الانسان له أعياد وجمعات وذهاب إلى بيوت العبادات وليس للحيوان شيء من ذلك ، فان صاحب النواميس اقتضى ذلك لأن الانسان ينقصه التعاون عند الشدائد ، فاقتضى اجتماع الخلائق فى الأعياد والصلوات حتى يحصل من اجتماعهم الصداقة، أما الحيوان فليس لديه شيء من ذلك لأنه لا يحتاج إليه فالاماكن « كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة ، اينما توجهنا فثم وجـه اللـه . والأيام كلها لنا جمعات وعيد ، والحركات كلها صلوات وتسبيح » . ( المرجع السابق ص ٢٧٤)

ثالثاً : أن الحيوانات لم تذكر فى مفاخرها أن بعضها أقوى جسداً من الانسان ، مثل الحمار والبغل والثور والحصان .

والواقع أنه بعد انتهاء اليوم الأول من المناظرة ( وقد استغرقت اربعة ايام ) وقبل عودة المحكمة للانعقاد تجمعت كل مجموعة تتشاور فيما بينها استعداداً لليوم التـالي ( الانس والجن والبهائم ) . وقد انتهت البهائم إلى رأي أكثر ديمقراطية بلغة أيامنا . إذ رأت أن تبعث رسلا إلى سائر اجناس الحيوان لارسال زعمائهم وخطبائهم ليعاونوا فى قضيتهم .

وعندما وصل الرسول إلى الأسد ملك السباع أعلن الأسد انه إذا كان الانسان يفتخر بالقوة والشجاعة فانه سيجمع جنوده ويذهب لمحاربته وإبادته . وهنا يعلن الرسول أن قوة الانسان فى عقله أكثر مما فى جسده ، وإن كان هناك من الناس ممن يفتخرون بقوتهم الجسدية . وبهذا العقل اخترع الانسان من السلاح ما يتفوق به على مخالب السباع وأنيابها ، ومن الحيل ماياسره بها كالفخاخ المنصوبة والخنادق المحفورة ، ولكن المناظرة بحضرة ملك الجن لن يكون فيها شيء من هذا وإنما الحجاج بفصاحة اللسان وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز . فلما اجتمعت السباع لاختيار من ينوب عنها ، بادر النمر مستعرضاً قوته الجسدية قائلا : إذا كان الأمر هناك يمشي بالقوة والجلد ، والغلبة والقهر ، والحقد والحنق والحمية ، فانا لها ، كما قال الفهد : إن كان الأمر يمشى بالوثبات والقفزات ، والقبض والبسط ، فانا لها ... ولكن الأسد ملك السباع افهمهم أن هذه الخصال لا تصلح إلا لجنود الملوك من بني آدم وسلاطينهم ، وقادة الجيوش لأن انفسهم سبعية وإن كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية . أما مجالس العلماء والفقهاء والحكماء فان أخلاقهم وسجاياهم أشبه بأخلاق الملائكة .. ( المرجع السابق ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥ ) .

وإنما الذى لم يثره استاذنا الدكتور الحوفي فهو إلى أى حد تقترب « شكاية الحيوان من جور الانسان » من الفن القصصى بمعناه المعاصر . ولكن هذا موضوع دراسة مستقلة .

●● تنشر الدوحة هذا المقال للأستاذ الفاضل عبد الرحيم عنبر عملا بحرية الرأي مع تأكيد احترامنا واعتزازنا بالأستاذ الكبير فتحى رضوان الذى نعتبره عضواً فى أسرة تحرير الدوحة ●●

## رد هادئ على فتحي رضوان عن:

# سعد زغلول في قفص الإتهام

بقلم: محمد عبد الرحمن عنبر
المحامي بالنقض

لقد أفزعنى حقاً ـ كما أفزع العديدين من المواطنين المخلصين لوطنهم ـ ما جاء بمقال الأستاذ فتحي رضوان بعدد يونيو ١٩٨٢ من مجلة الدوحة عن سعد زغلول .. ذلك العملاق الوطنى الذى لم يستطع أحد حتى الآن ـ ولن يستطيع ـ مهما كان مركزه أن ينال من عظمته أو أن ينزله عن « عرشه الخالد فى التاريخ » رغم كل المحاولات الشرسة المتعددة فى هذا الشأن ، والتى باءت كلها بالفشل ، والخزى المبين ! !

وإذا كان سعد زغلول ـ وهذا دليل عظمته ـ لا يحتاج إلى دفاع .. فسيرته الذاتية ، وما كتب عنه كافيان وحدهما فى الدفاع عنه .

ولكن الأجيال الجديدة .. لما لها من هموم ومشاكل حياتية آنية ومستقبلية قد تصرفهم عن الالمام بالحقائق الوطنية التاريخية فلا يفرقون بين الحق والباطل ، ويقعون أسرى لمن يزيفون التاريخ ، ويطمسون الحقائق سواء عن حسن قصد أو سوء قصد .

وإلى هؤلاء يجب أن نتوجه أن يقرأوا الرأى والرأى الآخر لعلهم يصلون إلى الحقائق .. وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

وقبل أن أرد على ما جاء بالمقال من وقائع ، وتخريجات ، واستنتاجات ضعيفة وتتعارض مع بعضها البعض .

قبل ذلك أقرر أن لصديقى الأستاذ الكبير ـ الذى احترم شموخه ، وعلمه الغزير ، ونضاله الكبير ـ هواية قديمة مثيرة . تلك هى « سلخ جلود الشوامخ من الأموات » .

وعيب هذه الهواية الغريبة ليس دينيا « اذكروا محاسن موتاكم » وليس اخلاقيا « الضرب فى الميت حرام » لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه . فالشخصيات العامة قد تشذ عن هذه القاعدة لأنها ملك للأمة وللتاريخ . فنقدها مباح ، بل ومطلوب حتى لتأخذ موقعها الصحيح من التاريخ ، ومن قلوب الجماهير .. بل حتى لا تتكرر الأخطاء

... إن الزعماء ليسوا معصومين من الخطأ كالأنبياء ، بل هم بشر مثل سائر البشر لهم نقاط ضعف ، ولحظات ضعف . ولكن بطولاتهم ، وتضحياتهم فى سبيل أوطانهم ومواطنيهم ، تغطى على هذه الثغرات فى حياتهم الخاصة أو العامة .

ونعود إلى هواية صديقنا الأستاذ الكبير . فبالأمس ليس بالبعيد أقام « سلخانة كاملة » لعشرين من كبار أدبائنا وشعرائنا الذين لم يختلف حتى الآن إثنان فى علو كعبهم ، وسمو أقدارهم فى فنهم وابداعهم .

وتصادف أن طلب منى أن أنسخ له هذا الكتاب على الآلة الكاتبة فى مكتبى المجاور لمكتبه وقتذاك فى البنك المركزى الرئيسى بشارع قصر النيل حتى يقدمه للناشر ( مكتبة الانجلو المصرية ) منسوخاً لا مخطوطاً .

وتصادف أيضاً ـ فليس من طبعى الفضول ـ أن اطلعت عرضاً على بعض صفحات الكتاب فافزعتنى كذلك كمية


سعد زغلول .. قصة كفاح بطولى يجب ألا نظلمها

الدماء الرهيبة التى تسيل من بين السطور وكانه « سلخانة » حقيقة لا نقد أدبى !!
اتصلت به وصارحته برأيى فقال إنهم يستحقون هذه المجزرة فعلا . ودهشت حين عدل قليلا عن رأيه ، وترك لي « حرية التصرف » رغم معارضتى الشديدة له بانى كاتب ولست اديبا .. فضلا عن انه اجدر بهذه المهمة باعتباره المؤلف . فهو وحده الذى يستطيع أن يقرر من « تقطع رقبته » ومن يكفيه « نتف ريشه » !! وذلك سر أذيعه لأول مرة .
ورغم ما حذفته فى الكتاب من العبارات الجارحة .. أو المهينة .. أو الخادشة للشرف لمن عالج سيرتهم فقد قابله بعض النقاد بالاستنكار وتجاهله معظمهم . بل ان صديقنا العتيد ، الأستاذ حافظ محمود ، الاديب المخضرم وشيخ الصحفيين خرج على هدوئه ، ومجاملاته ، وكتب يهاجمه فى مقال عنيف جداً !!
وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ شغل عدة مناصب وزارية هامة لمدة ست سنوات .
وحدث ذات يوم أن فوجئنا بتعديل وزارى لم يخرج فيه من الوزارة سواه ، وقد كنا نقول ـ لطول بقائه فى الحكومة ـ إنه من الثوابت الذين لا يتناولهم أى تعديل وزارى .
ومع ذلك ظل صامتاً .. بعيداً عن الأضواء .. لا يتناول النظام أو الرئيس عبد الناصر بكلمة سوء أو نقد واحدة . وما انتقل الرئيس عبد الناصر إلى جوار ربه فى سنة ١٩٧٠ حتى فاض قلمه السيال .. ومازال بالطعنات الحادة فى أمور اشترك ـ كما قلت ـ فى المسئولية عنها !!
وحدث ان قابلت الأستاذ أمين شاكر ...ر السياحة السابق ، غداة ذلك التعديل الوزارى وكان وقتها مديراً لمكتب الرئيس عبد الناصر ، فسألته عن سر هذا التعديل الغريب فقال لي بعد تردد ـ لأنه متحفظ بطبعه ـ إن الأستاذ فتحى كان يسبب صداعاً دائماً للرئيس لمعارضته فى كل شىء تقريباً دون سبب مقنع .

## سموم فكرية

وكنت قد انضممت إلى « حزب الوفد » برئاسة مصطفى النحاس سنة ١٩٥٠ ، ونجحت فى المعركة الانتخابية . اقول ذلك لأنى كنت فى « حزب مصر الفتاة » ثم فى « لجنة شباب الحزب الوطنى » مع الأستاذ فتحى رضوان فاكتشفت كمية « السموم الفكرية » التى كنا نتجرعها عن سعد زغلول . ومقال الأستاذ فتحى الذى نحن بصدده خير مثال !!
فقد قامت ثورة سنة ١٩١٩ بزعامة سعد وخطبه التى كانت تلهب شعور الجماهير وحماستهم .
وانتهى الأمر بصدور قرار باعتقال سعد ورفاقه ، ونفيهم الى مالطه فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ .. واشتعلت الثورة فى اليوم التالى لرحيلهم ! ولم يعلم سعد بالثورة إلا بعد وصولهم إلى مالطة عندما زارهم حاكم الجزيرة ، وقال لهم عرضاً :
ـ لقد جئتم إلى هنا بعد ان اشعلتم الثورة فى مصر !!
وكان أول عمل قام به سعد فى المنفى ان استانف جهاده .. فارسل برقية باسمه إلى رئيس الوزارة البريطانية يستنكر فيها ما حدث ، ويصر على رفض فرض الحماية على مصر . وقال فيها ايضاً قولته المشهورة « ان دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة » .
وأمام هذا الكفاح البطولى لسعد وشعب مصر .. اضطر المارشال البريطانى حاكم مصر ان يكتب لحكومته يحثها على الافراج عن سعد وصحبه عاجلا .. واحنت الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس راسها ! وأفرج عنهم فعلا فى ١٩ ابريل ١٩١٩ . أى بعد شهر !
ولكن سرعان ما تحولت مظاهرات الفرح والابتهاج بعودة سعد إلى مظاهرات دامية .. فاستقالت وزارة رشدى باشا ، وامتنع السياسيون المصريون الآخرون عن تاليف وزارة جديدة !!

## كان سعد كذلك

وقد كتب عباس العقاد عن سعد زغلول « كان لقومه مدد من عزمه .. وكان لعزمه مدد من قومه » .
وكتب عنه عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير وأحد زعماء الحزب الوطنى الذى ينتمى إليه الأستاذ فتحي حتى الآن :
« ان الزعامة هى قدرة الانسان على أن يقود الجماهير ، وأن يجمع حوله اكثر ما يمكن من الانصار . ولاشك أن سعداً كان كذلك من أواخر سنة ١٩١٨ إلى ان توفى سنة ١٩٢٧ .. فزعامة سعد أصبحت حقيقة من حقائق التاريخ القومى المصرى » .
ولقد كان غاندى ـ الذى يعجب به الأستاذ فتحى وكتب عنه اول كتبه ـ يصرح دائماً بانه مدين فى ثورة الهند واستقلالها لسعد زغلول ، ولثورة سنة ١٩١٩ التى اتخذ منها نموذجاً ونبراساً .
ولما زار خليفته ـ نهرو ـ مصر فى أوائل ثورة ١٩٥٢ الح فى مقابلة مصطفى النحاس خليفة سعد ليقدم له تحية الوفاء النادر فى هذا الزمان !!

## لمصلحة من ؟

إذا رأينا كل هذا ، ونظرنا على ضوئه ما أورده الأستاذ فتحى سقطت كل حججه واستنتاجاته التى بنيت على آراء شخصية بل ومتناقضة لزملاء سعد الذين اختلفت آراؤهم ومواقعهم معه ، وهو امر طبيعى فى كل الحركات الثورية التى لا تخضع للمقاييس العادية للأمور .
فهى :
أولا : ـ لم تنقض زعامة سعد لثورة سنة ١٩١٩ ، ولا من قدره كزعيم وبطل شعبى أسطورى بكل المقاييس .
ثانياً ـ لا تعارض بين تلك الحقيقة الثابتة تاريخياً ، وشعبياً وبين مالزملائه من قدر ، وجهاد كبير ، وعلم غزير .
ثم لا ندرى لمصلحة من يقوم فينا بين الحين والحين من يحاول ـ لا إضافة ولو قدر ضئيل من أمجادنا ـ بل هدم جزء كبير وثمين من هذه الأمجاد ؟ وذلك فى وقت وصلنا فيه إلى التمزق والضياع عربياً واسلامياً بسبب « الاضطرابات والصراعات » التى ترجع إلى الأطماع الشخصية والزعامات الوهمية .؟
ان الدول تخلق لنفسها أمجاداً وهمية اذا لم تكن لها أمجاد حقيقية . فما بالنا نحن ننكر امجادنا الحقيقية ؟ !
هذه هى المسألة .. كما يقول شكسبير !

# الجامعة الإسلامية العالمية

تحية كريمة :

فكرة جيدة تلك التى تدعو الى انشاء جامعة يتمناها كل جامعي وكل مسلم غيور وكل شاب طموح .

ذلك ان لا جامعة عندنا اليوم ـ تقليدية كانت كالأزهر أم حديثة ـ تفى بالاهداف الاكاديمية والاسلامية . الفكرة جيدة اذن والغاية شريفة وانا كأستاذ جامعى درست فى ست جامعات عربية لنيف وعشرين سنة اتمنى لو يتم تحقيق مثل هذه الجامعة الاسلامية العالمية وان لي زملاء فى جميع العالم الاسلامى يتمنون لو توجوا حياتهم الاكاديمية بالتدريس فى مثل هذه الجامعة المقترحة .

ان فى بديهيات الحياة الجامعية ان الاستاذ الحق هو روح الجامعة . هكذا كان افلاطون روح الاكاديمية وكان ارسطو طاليس روح اللوفيون ـ وهاتان جامعتان شهيرتان فى العالم اسستا قبل أربع وعشرين قرناً وتخرج فيهما علماء وفلاسفة وعندنا كان حجة الاسلام الغزالي قبل ما يقرب من الف عام روح النظامية . وطاغور فى القرن العشرين أسس جامعة ادبية فنية وهكذا ..

وفى الاسلام الحديث يمكن ان نختار اسماء كجمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده وساطع الحصرى ومحمد اقبال وابى الاعلى المودودى وعدد قليل غيرهم لينشئوا الجامعة الاسلامية العالمية . لكن اين أمثال هذه الاسماء عندنا اليوم ؟ على أية حال لا داعى للتشاؤم ولو عنينا بالتشريع الصحيح ووضعنا فى أول مجلس جامعة عدداً من الرؤوس المفكرة والقلوب المخلصة ، فان التشريع الصحيح سوف يوجه التوجيه الصحيح .

الاستاذ :

اذن فى الامكان ان نقترح أو نجمع عدداً من الاسماء اللامعة بمؤلفاتها وماضيها العلمى والاكاديمى وبرغبتها الصادقة فى المشاركة . ولئن هيأنا البناء المناسب فى المكان الجيد واوجدنا الظروف العلمية الحرة فى نشر العلم والاسلام ، عند ذلك سيتجمع عدد من الاساتذة الجيدين وسوف تقوى ثمارهم العلمية وثمارهم الحية فى تلاميذ نجباء .

وأى أستاذ مهما كان ماضيه العلمي يجب ان لا يجدد اختياره للتدريس اذا ظهرت عليه امارات الضعف والعجز ، وان كان فى الامكان ابقاؤه فى حرم الجامعة يستفاد من اشارته واشرافه على الرسائل العلمية والمناقشات لو امكن ان يكون فى ذلك فائدة والا يصار الى غيره .

والاستاذ الجيد ليس هو المطلوب فى التدريس فقط ، وانما العالم الحقيقى يظهر له وجه فى التدريس وله وجوه اخرى فى التاليف والمناقشة وسواهما . اذن سيكون هناك مجال فى حرم الجامعة لعدد من العلماء الذين وان عجزوا عن التدريس ـ مثلا ـ فان فى الامكان الافادة منهم فى وجوه علمية أخرى .

هذا ويجب ان تهيا التشريعات للحرية الاكاديمية وهذا معناه ان يتوفر الأمن العلمى والفكرى وان تتوفر النوايا الطيبة معاً ، ليس فى جامعتنا مجال ان تنقلب الى دار عجزة أو أن يكون فيها أوكار الحاد أو أى ارهاب شيطانى فى أى شكل كان .

المكان ! وأرض الله واسعة :

هناك الأماكن المقدسة وعلى رأسها مكة والمدينة وهناك المناطق الصحية والجميلة كسواحل المحيط الاطلنطي أو سواحل البحر الأبيض المتوسط أو سفوح الهملايا أو فى جزيرة قليلة السكان فى اندونيسية .

فاذا اصابنا التوفيق فى اختيار المكان قامت امامنا مشكلة أو مشكلات الانشاءات ـ قاعات الدرس والمختبرات والمكتبات وسواها .

التلميذ : واختياره ايسر بكثير من اختيار الاستاذ وحسبنا ان يتقدم لنا التلميذ الذكي ذو العقيدة ، ولسوف ينضج النضج الصحيح اذا تيسرت امامه بقية الامور الأخرى ـ الاستاذ والكتاب والأمانى والحرية ، اذا وجدنا مثل هذا التلميذ فلا يهم بعد ذلك ان كان سيدفع اجر تعليمه أم لا يدفع لأنه إن كان نقداً ففى امكان الهيئات والحكومات الغنية ان تدفع عنه . اللغات الرسمية والمدروسة فى الجامعة : العربية ضرورية دون شك وفيها يتم تدريس معظم المحاضرات وفيها تتم المناقشات فى معظم المناسبات . لكن التخريج ـ وحسب اختيار كل فرد ـ يجب عند حصوله على الشهادة ان يلم الماماً كافياً بلغة اسلامية واحدة على الأقل الى جانب العربية كما يجب ان نعطى دروساً فى جميع المراحل فى عدد من اللغات الحديثة العالمية بحيث ان التلميذ عند تخرجه يعرف عدا العربية ولغة اسلامية واحدة على الاقل لغة أو أكثر من اللغات العالمية الحديثة .

ان تعدد اللغات ضرورى فى تحصيل العلم وضرورى فى نشر الاسلام وتقويته فى نفوس ابنائه عامة وعلمائه بشكل خاص .

العلوم والمناهج :

أ ـ العلوم الاسلامية وهى معروفة للمختصين ، هناك علوم العربية وعلوم القرآن والحديث والتاريخ الاسلامي والشريعة والقوانين الاسلامية والمذاهب الفقهية ويمكن تنويع الاختصاصات وتوزيع كل هذا فى كليات واقسام .

ب ـ العلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية .

هذه العلوم كثيرة وعلى التلميذ المختص فى أى قسم من الأقسام ان يختار فى أى سنة من سنوات دراسته احد هذه العلوم حسب هواه ورغبته واذا كان التلميذ نشيطاً فى امكانه ان يحصل على دروس اختيارية فى أكثر من علم واحد من العلوم الأخيرة .

المناهج :

الجامعة الاسلامية العالمية هى ليست لتدريس الطب أو الهندسة كطب وكهندسة وتحويل الأزهر الى المناهج الحديثة جعله معهداً تجارياً الى حد كبير واخرجه عن اغراضه الأصلية .

بلقيس الراوى

ورد خطأ فى . العدد الماضى من الدوحة ان اسم السيدة زوجة الشاعر نزار قبانى هو بلقيس العانى وصحة الاسم هو بلقيس الراوى .

العلوم الاسلامية هى العلوم الاصلية الاساس فى الاقسام المختلفة . لكن الى جانب العلوم الرئيسية توضع ساعات للغات وللعلوم الفلسفية والطبيعية والاجتماعية يجب ان ياخذ التلميذ عدداً منها ، انما هو يختار منها حسب اهوائه واستعداداته .

هذا واقترح ان تكون هناك سنة اعدادية للتاكد من التوفيق بين المرحلة الثانوية والمرحلة القادمة . يتاكد فيها التلميذ من قابلياته وقد يكون فى امكانه فى نهايتها ان يبدل الجامعة اذا شاء ، اذ ما الداعى الى ابقاء تلامذة غير راغبين فى العلوم التى يدرسونها . ثم ان السنة الاعدادية تؤكد للمشرفين مدى صلاحيات المناهج والساعات والاختصاص . بعدها تكون هناك دراسة جادة لاربع سنوات يعطى فى نهايتها اختصاص ابتدائى فى مقدمات العلوم الاسلامية التى درسها الطالب . وفى امكان الطالب الذى لم يثبت كفاءة كبيرة فى دراسته ان يكتفى بالشهادة الأولى . ولا يسمح بمواصلة الدراسات العليا الا لعدد أقل . ان الاشراف على طلبة الدراسات العليا فى حاجة الى عدد كبير متدرب جاد اكاديمى من الأساتذة الذين يخلصون للبحث الحق ويخلصون تربوياً فى اشراف عميق ومفصل على الرسائل والابحاث التى يتسلمونها بعيداً عن التهويل والتجارة والسطحية التى نراها سائدة الآن فى اوساطنا العلمية مع الأسف .

وختاماً : ان الافكار الجيدة فى حاجة الى افئدة مخلصة وعزائم ثابتة تدعمها . ان الاسلام الحق الذى اخذ يبتعد تدريجياً عن الجو الاكاديمي فى بضعة القرون الأخيرة فى حاجة الى جامعات اصيلة كالأزهر فى صورته الأولى عند انشائه وكالمستنصرية والنظامية .

هذا مع العلم ان هناك بذرات طيبة اليوم توجد فى انحاء من العالم الاسلامى من فاس والقيروان ومروراً بالقاهرة والنجف وانتهاء بمدن اسلامية عريقة كان لها ماض عظيم وفى الامكان احياء هذا الماضى اليوم بهمة ابناء نشطين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د . صالح الشماع – جامعة بغداد

## أعدموا سليمان الحلبي في "تل العقارب" وليس في تل العقاب

صفحتان جاء فيهما ذكر « تل العقارب » وهما فى الجزء الخامس من تاريخ الجبرتى .. والجزء السادس من الطبعة الفرنسية لنفس الكتاب

، والعسكر بأيديهم
صب ذراعة بخرقة حرير سود
لها قصب مخيش ، وضربوا عند
وا من بيت الأزبكية على باب الخ
فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة
نوا أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكور
ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر ال
لى علوة من التراب بوسط تخشيبة ص
وفوقه كساء أبيض وزرعوا حول
ببنادقهما ملازمان ليلا ونها
ضه فى السر عسكرية

MERVEILLES BIOGRAPI
en marche, on tira de
cortège, parti de l'Ezbék
suivit la rue de Djamamiz
au monticule Akareb, deva
édemment construite par les
endroit, le convoi fut salué
l'Alépin et ses trois complic
xécutés conformément aux
poursuivit ensuite sa marc
el Aïni. Là, le cercueil fu
n le recouvrit de terre
ombragée par une
avait planté des
pour veiller

حول مقال « الموت على تل العقاب » الذى كتبه الاستاذ صلاح عيسى فى العدد ( ٧٦ ) ابريل ١٩٨٢ والذى تناول فيه وقائع مصرع القائد الفرنسى كليبر على يد ازهري من حلب هو سليمان الحلبي ، جاءنا من الدكتور احمد حسين الصاوي تصحيحاً حول اسم المكان الذى اعدم فيه الرجل الذى طعن قائد جيش الشرق كليبر ، واعتمد فى هذا التصحيح على ما ذكر فى كتاب الجبرتي ، الذى يتضح منه ان الحلبى وزملاءه أعدموا فوق « تل العقارب » وليس « تل العقاب » ، وهو اول تلال منطقة زينهم ( زين العابدين ) ، ومازال يحتفظ باسمه حتى الآن ، ويقع بعد نهاية شارع السد قبل الاتجاه شرقاً إلى قصر العيني ..

ففى الجزء الخامس من كتاب « عجائب الآثار فى التراجم والاخبار » لعبد الرحمن الجبرتي ، جاء فى وصف جنازة كليبر وإعدام سليمان الحلبى التالي :

« ... وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخلق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى « تل العقارب » حيث القلعة التى بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فامضوا فيهم ما قدر عليهم ، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء ابيض وزرعوا حوله أعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهاراً يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى أمره واستقر عوضه فى السر عسكرية قائمقام « عبد الله جك منو » وهو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم وقد كان ظهر انه أسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة .. الخ » .

ويرى الدكتور أحمد حسين الصاوي أنه اراد بهذا التصحيح أن يدعم الدراسة الجادة التى جاءت فى المقال الذى نشرته مجلة الدوحة ..

# الأسرة البهمانية

## تواصل التطلع للعرب والثقافة الإسلامية العربية

بقلم: أحمـــد العناني

اريد أن اقول ان ما افعله الآن هو مجرد نظرة طائر من عل على امتدادات واسعة، ومحاولة لاستخراج القصة المتصلة للعلاقات العربية الهندية - فلقد بدأ محمد ابن القاسم بداية حضارية رائعة بتأسيس مراكز للدعوة الاسلامية فى الديبل (كراتشى الآن) وفى الرور والملتان، واذا كان الوضع السياسى لدولة الخلافة فى الهند قد انحسر بعد مأساة محمد بن القاسم فان الأمثولة والأثر الحضارى ظلا متصلين، وليس من المبالغة فى شىء أن نقول ان بطولة محمد ونزعته الحضارية فى الاهتمام بترسيخ قيم العدالة والأخوة والمساواة الاسلامية فى الهند، وهى من أحوج بلاد الله لذلك، قد ظلت المثل الأعلى الماثل فى خيال كل من السلطان محمود الغزنوي وملوك دلهي اللاحقين من الغوريين ومحمد بن تغلق وخلفائه .. الذين انتهى أمرهم بظهور السلطنة البهمانية بين عامى ١٣٤٧ - ١٥٢٧ م.

لقد أدرك السلطان محمد الثانى - من احفاد علاء الدين بهمن شاه - والذى حكم من (١٣٧٨ - ١٣٩٧) م اهمية صبغ الحياة الهندية بالصبغة العربية الاسلامية فما زال يشجع من يستطيع من علماء العرب والمسلمين - وبخاصة العرب - للقدوم إليه ومباشرة العمل فى تعليم العربية ونشر الثقافة الاسلامية فى دولته وفى عهده تحول الكثيرون من الهنود فى هضبة الدكن والبنغال الى الاسلام.

### العناصر العربية تركز نفسها فى جوجارات

وحدثت أحداث كثيرة قبل أن تؤول قيادة المسلمين فى دلهى الى امبراطورية المغول التى حكمت من (١٥٢٦ - ١٧٦١) تم خلالها تركيز واضح للتجار والجاليات والوعاظ والمدرسين من العرب بخاصة فى موقع جوجارات على ساحل المحيط الهندى لكن ثورة قامت فيها ضد السلطان المغولى اكبر أدت الى اضعاف المركز المعنوى المتميز لسكان جوجارات بمن فيهم العرب ولاشك بان الأباطرة المغول العظام الذين اوصلوا الاسلام الى قمة مجده فى شبه القارة الهندية قد رفعوا شان العلاقات الثقافية مع العرب فضلا عن العلاقات التجارية، ويكفى المرء اعتزازاً واكباراً أن يرى معظم كتاب الله منقوشاً بطراز من الخط الثلث الرائع على أرضيات من القيشانى الأزرق فى اطارات مزخرفة تحف بكل الأقسام الرئيسية من تاج محل، وفى فترة هذه الدولة العظيمة نشط الأوروبيون فى الاتصال بالهند اتصالا بلغ قمته فى ترسيخ النفوذ والاحتلال البريطانيين حيث بدأت المؤامرة الكبرى ضد الاسلام طوال قرنين من الزمان امتدا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

### الوجود الأوروبى يضعف العلاقات العربية الهندية

هنالك علاقة عضوية بين تاريخ شبه القارة الهندية والخليج العربى وشرقى افريقيا اعتباراً من بداية القرن السادس عشر، والواقع ان اى بحث فى تاريخ الخليج خلال فترة الوجود الأوروبى فى المحيط الهندى وشرقى افريقيا لا يمكن أن يكون واضحاً وموضوعياً بغير دراسة تاريخ الهند بخاصة وشرقى افريقيا.

لقد افتتح القرن السادس عشر بالهجمة البرتغالية المتعصبة الشرسة على خطوط الملاحة العربية فى المحيط الهندى والخليج .. وكانت المقاصد الأساسية للبرتغاليين الاستمرار فى الحرب التى كانت دائرة بينهم وبين المغاربة فى البحر المتوسط والهيمنة على الخطوط التجارية للمسلمين والعرب بعامة. وفى نطاق الحملة الدينية الصليبية بحث البرتغاليون عن القوى المسيحية كالحبشة وبعض قدامى النصارى فى سواحل الهند الغربية فاحكموا تعاونهم معها ثم جعلوا همهم انشاء قواعد ومحطات محصنة فى جوا وسورات بالهند وفى هرمز ومسقط والبحرين فى الخليج وفى مواقع اخرى فى شرقى افريقيا ملتجئين لكل وسيلة مهما كانت بربرية فى هجماتهم المباغته ولا سيما على الساحل العمانى. وقد كانوا ينشئون قلعة ضخمة غاية فى التحصين فى كل موقع هام يستولون عليه، كما عنوا بالسفن الكبرى المزودة بمدافع ثقيلة لتجوب البحر بين تلك المواقع وتحطم اية سفينة تجارية للمسلمين تستخدم الخطوط البحرية بين مواقعهم وقلاعهم الساحلية، وقد استغلوا فرصة ضعف الدولة المغولية التى كانت تعانى الانقسام وتواجه حروباً متصلة من الثائرين عليها من غير المسلمين الهنود .. ومن المؤسف حقاً أن المغول الذين اعطوا تراخيص لطلائع البرتغاليين على سواحلهم برهنوا على انهم لم يكونوا على أدنى تصور للخطر الكامن فى ذلك التسامح الغافل .. وقد باشر البرتغاليون العنف فى

محاولة تنصير الأهالى فى المواقع التى احتلوها فى مواقع كجوا وسيلان وبعض سواحل ولاية مهارشترا حتى اصبح عدد هؤلاء الكاثوليك الآن خمسة ملايين نسمة فى مختلف المواقع المذكورة ..

ثم جاء الهولنديون فى مطلع القرن السابع عشر فوضعوا خطتهم على أساس تجارى محض وهو احتكار تجارة البهارات كالكمون والفلفل يشترونها بالمنسوجات التى يحصلون عليها من الهند وبعض بلدان الشرق الأقصى وقد ركزوا على السفن الكبرى المسلحة وعلى احتلال بواغيز ملقا والجزر الاندونيسية جاعلين مقرهم فى بتافيا ( جاكرتا الحديثة ) بجزيرة جاوا .. وقد حصلوا على ارباح هائلة جداً كانت من قبل من نصيب العالم العربى .. وقد أدى الهولنديون دوراً هاماً فى طرد النفوذ البرتغالى وتعاونوا بادىء الأمر مع الانجليز فى الخليج للاجهاز على البرتغاليين .. ومهما يكن من امر ذلك النزاع فان ضم البرتغال الأم الى اسبانيا اواخر القرن السادس عشر والكره الشديد لهم فى سائر الشرق أديا الى اضعاف هائل لنفوذ البرتغال فى الشرق باسره .. وقد ظل الانجليز ضعافاً الى جانب الهولنديين طوال القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر ، وان كانوا بمعاونة ملوك الصفويين فى الخليج قد تغلبوا مبكرين على خصومهم الهولنديين .. غير أن النفوذ السياسى الخطير للانجليز انما بدأ فى أعقاب انتصارهم على الفرنسيين فى حرب السنوات السبع الأوروبية ( ١٧٥٦ – ١٧٦٣ م ) ، وكان هؤلاء قد مدوا نفوذهم هم الأخرون فى مواقع متعددة من ساحل الهند الغربى فالت مستعمراتهم هناك للانجليز .. وكانت الطفرة الكبرى الثانية للانجليز بعد هزيمة بونابرت عام ١٨١٥ حيث لم يلبث نفوذهم ان امتد الى الخليج العربى اعتباراً من هجوم الجنرال سير كير – جرانت على القواسم واملاء معاهدة السلام البحرى على شيوخ الخليج عام ١٨٢٠ .

ومهما يكن من شأن التصرف الاستعمارى البريطانى فى الهند والخليج على السواء فان خضوع منطقة المحيط الهندى لسلطة واحدة ، وان قضى على آخر نشاط تجارى ضخم للعرب من الخليج الى الهند فى منتصف القرن الماضى ، إلا أن وحدة المنطقة ادارياً ( حيث كان حوض الخليج يحكم من الهند ) أدى الى تنشيط العلاقات العربية الهندية والى عودة بعض الجاليات العربية للظهور على الساحل الهندى الغربى ولا سيما فى بومباى كما أن التجار الهنود من رعايا الهند البريطانيين وجدوا من تشجيع بريطانيا وحمايتها ما أدى الى كثرة وجودهم كممولين لصناعة اللؤلؤ ينالهم نصيب الأسد من ارباحها ، كما اصبحت بومباى هى المركز العالمى الأول لتجار اللؤلؤ فى العالم باسره . كذلك كان الهنود يظهرون فى الخليج كجنود فى اسطول الهند البريطانى وكموظفين لبعض الأعمال التجارية والفنية فى معظم بلدان الخليج العربى ..

لكن الوجود الملحوظ للهنود انما بدأ فى اعقاب عصر البترول ولجوء شركاته الى استخدام الأيدى العاملة الرخيصة من الهنود في أعمال كالمحاسبة والطباعة والمهن الكهربائية والميكانيكية ، وبعض المهن الطبية وأعمال الخدمة فى المكاتب والبيوت ، وكذلك قيادة السيارات وخياطة الملابس وانواع من المتاجرات والحرف الأخرى ... وقد تزايدت هذه الحركة كثيراً بتنفيذ الخطط الكبرى للتنمية فى الخليج فكثر استخدام الناس من شبه القارة الهندية فى حرف البناء وأعمال الطرق وغيرها .

## الحاجة الى دراسات علمية

مما ورد حتى الان يتبين بوضوح أن بابا واسعاً للدراسات التاريخية الأكاديمية فى تاريخ العلاقات العربية الهندية ما يزال مفتوحاً دون أن يدخله منا غير القلائل فى دراسات سريعة معظمها قائم على أوراق وزارة الهند البريطانية ووثائق مكتبتها فى لندن وهى تمس فى أغلبيتها الساحقة مجرد القرن التاسع عشر والعشرين وقليل منها يتعلق بما قبل ذلك .

فى هذا الصدد هنالك مجال كبير لدراسة عملية مدققة عن القبائل العربية من أيام الفتح الأول عهد محمد بن القاسم ، وهى قبائل ظلت متشبثة بحدود ولاية السند فى باكستان مع خراسان ، كما أن المجال مفتوح لدراسات للفترات التى انتعش فيها وجود جاليات عربية فى الهند فى عهد المماليك وأيام الاسرة البهمانية التى حكمت فى الهند نهاية القرن الرابع عشر وعملت على تشجيع الاتصال الهندى – العربى ... كل ذلك بالاضافة الى العلاقات الدائمة الناشئة عن الثقافة الاسلامية الواحدة التى أدى لها الهنود خدمات جلى ...

أما فى القرن الماضى فان هناك علاقات اخرى أكيدة فى المجال السياسى حيث كان الهم واحداً في مقارعة الاستعمار البريطانى ، ومقاومة حملات التبشير فى الهند كما فى البحرين . كما كانت هناك علاقات ود وتجاوب فى الشعور بين حركات التحرير الهندية ، الاسلامية منها وغير الاسلامية وبين قادة الكفاح من أجل الاستقلال فى العالم العربى وهذا أمر معروف ...

وفى المجال الأدبى والفنون الشعبية هناك صلات قديمة ومتصلة بين شبه القارة الهندية والعالم العربى ، فاثار الهند واضحة فى القصص الشعبى كالف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة وفى كتب الرحالة العظام كابن بطوطة وفى مؤلفات وحياة كبار الفقهاء والعلماء الهنود،وفى مذكرات الحجاج الهنود فى رحلاتهم للديار المقدسة وفى أشعار وفلسفة الهنود المسلمين بخاصة كمحمد اقبال وغيره .

كما أن دراسة العائلات العربية التجارية التى ما يزال بعضها يعيش فى الهند ، ودراسة تاريخ الجاليات الهندية فى البلاد العربية والأثر اللغوى لكل جانب منها فى الجانب الآخر هو موضوع كبير قائم بذاته كما يقال .

وفى مجال المخطوطات حسبى أن أشير الى وجود الوف مؤلفة من المخطوطات العربية فى الهند ولاسيما فى جامعتى عليكرة وحيدر اباد ، كما أشير الى الوثائق وما تحويه فى دور الوثائق الهندية والباكستانية كدلهى وبومباى وجوا وكراتشى وعليكرة وغيرها ... إن وجود دراسات علمية وافية للعلاقات العربية الهندية هو أمر غنى عن التعريف باهميته بالنظر لتزايد تلك العلاقات المرتقب بعد نوبان ثلوج الاستعمار واخذ الجميع بأسباب التطور والتحديث وارتباط المصالح بيننا وبين شبه القارة الهندية بعامة ... وعسى أن يكون ذلك موضع اعتبار جامعاتنا ومراكز دراساتنا فى سائر شبه الجزيرتين العربية والهندية والله ولى التوفيق .



# أوري أڤنيري
## الصهيوني الخائف من التاريخ

دأب «أوري أفنيري» على طرح نفسه ، فى صورة الاسرائيلى غير الصهيونى ، وهى صورة تكتنفها ظلال كثيفة من الشك ، لكن هذا الطرح بحد ذاته ، يشكل ظاهرة من جملة الظواهر التى اخذت الحركة الصهيونية تتمخض عنها فى السنوات الاخيرة ، وهذه الظاهرة – ظاهرة أفنيرى – تستحق التامل والتقصي والدرس فيما أعتقد ، لأن ذلك يعين العقل العربى على رصد التفاعلات الجارية داخل الحركة الصهيونية والكيان الصهيونى من جهة ، وصياغة موقف تكتيكى ، أكثر تناسباً وتلاؤماً مع المرحلة الراهنة من جهة أخرى .

وفى إطار هذه الصورة ، كان آخر أهم ما كتبه أورى أفنيرى ، مقالة فى «هعولام هازية» بتاريخ ١٩٨٢/٣/١٧ ، حمل فيها بشدة على الحاكم «المدنى» للضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين «البروفسور» مناحيم ملسون ، وقال إن أسلوب ملسون القمعى ضد عرب الضفة والقطاع «يقود الى فاجعة وربما الى كارثة لا يمكن اصلاحها» .

وكان أفنيرى قد كتب مقالة مهمة اخرى فى «هعولام هازية» فى ١٩٨١/١/١٤ ، انتقد فيها الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية المحتلة ، ووصف المستوطنين الجدد بانهم إما رعاة بقر يهود ، أو معادين للديمقراطية .

وفى العاشر من شباط (فبراير) ١٩٨١ ، رفع أفنيرى فى الكنيست الصهيونى العلم الفلسطينى الذى كان ملصقاً على كرسى مطوى يحمل فى واجهته الأخرى صورة العلم الاسرائيلى ، وادعى أفنيرى ، وهو يرفع الكرسى «أن هذين العلمين الواحد الى جانب الآخر هما مفتاح السلام .. كذا ...» «وان على الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى أن يعيشا جنباً الى جنب ، ولكل منهما علمه الخاص وضميره الوطنى .. !!» . وادعى أيضاً أن هذا هو السبيل «لحل النزاع الذى يمزقنا» و «الخوف» من مواجهة «أهم مشكلاتنا» – اى القضية الفلسطينية – بطريقة واقعية ، تلك المشكلة التى «تجعلنا نعيش فى حالة هذيان» .

وبالطبع فان ردود الفعل داخل الكنيست على بادرة أفنيرى ، تراوحت ما بين الاستهجان والازدراء ، من شمعون بيريس الى مناحيم بيجن ، ثم الى النائبة الشوفينية جيئولا كوهين التى عقبت على بادرة أفنيرى بالقول : ان رفع هذين العلمين يعادل تماماً رفع علم واحد فقط ، هو العلم الفلسطينى ، وذلك يعنى تدمير اسرائيل .

وكان الجنرال (المتقاعد) ماتى بيليد (متتياهو) ، قد رفع العلم الفلسطينى فى ١٩٨١/١/١٢ ، خلال اجتماع عقده ما يسمى بـ «مجلس السلام بين اسرائيل وفلسطين» الذى يشترك فيه أورى أفنيرى نفسه ، وفى ذلك الاجتماع الذى عقد فى القدس المحتلة ، قال الجنرال بيليد : «ان العلمين الاسرائيلى والفلسطينى مجتمعين سيشكلان منذ الآن شعار المجلس» .

وفى الواقع فان ظهور ما يسمى «بمجلس السلام بين اسرائيل وفلسطين «الذى أسسه أفنيرى وبيليد ، يشكل ظاهرة تستلفت الانتباه – لكن دون إعطائها حجماً أكبر من واقعها – وهى إن دلت على شىء ، فانما تدل على المازق الايديولوجى والسياسى الذى بدأ يواجهه الكيان الصهيونى المصطنع .

واذا عدنا الى تقصى الأسباب الخفية لهذه الظاهرة ، فاننا نلمس عقدتها فى وقت مبكر من حياة أفنيرى ، فهذا الصهيونى الذى هاجر الى فلسطين المحتلة مع أبويه من مدينة هانوفر الالمانية فى عام ١٩٣٣ ، كان متشبعاً أولا بالأفكار الصهيونية ، وخاصة لجهة نفى حقوق الشعب الفلسطينى ، واعتبار فلسطين «أرض الميعاد والأجداد» بالنسبة لليهود .

وهكذا نرى أفنيرى يكتب فى عام ١٩٣٨ «... قتل العرب وإلقاء الانجليز خارج البلاد وتغيير زعماء اليهود ، هو الأسلوب الوحيد الذى كان يبدو مقبولا بالنسبة إلي» . لكن أفنيرى الذى انتسب الى المنظمة الارهابية «الأرغون» ، بدأ بالتفكير بشكل أعمق بعد الانشقاق الذى عرفته هذه المنظمة ، لذا نراه يكتب فى وقت لاحق عن أفكار جديدة بدأت تتسابق الى ذهنه ، وقادته الى تشكيل مجموعة صغيرة ، أخذت تزاول العمل السياسى ، وأثارت بعض الضجة قبيل عام ١٩٤٨ ، وعرفت هذه بـ «جماعة الكفاح» ، وكانت «عقيدة» هذه الجماعة فى غاية البساطة : «... لقد ولدت أمة جديدة فى فلسطين وأصبحت جزءاً من الشرق الأوسط عليها ، ومن خلال كفاحها للتحرر من النير البريطانى ، أن تساعد الأمم الأخرى فى هذه المنطقة على طرد أسيادها الامبرياليين ... وكان على «حركتنا القومية» أن تقيم «جبهة سامية» منسقة مع حركة القومية العربية : نضال مشترك هدفه توحيد المنطقة السامية» .

هكذا نرى من خلال طروحات أفنيرى المبكرة ، أن هذا الصهيونى بدأ يكتشف «خللا ما» فى صلب الايديولوجيا الصهيونية ، وهو يقول إن تحولا جذرياً طرأ على تفكيره بعد قيام اسرائيل ، بحيث أصبح «داعية تفاهم مع العرب» على حد ادعائه .

وقبل أن نوغل أكثر فى استعراض أفكار أورى أفنيرى ، نشير الى أن هذا الرجل ألف فى أواخر عام ١٩٤٧ ، كتيباً تحت عنوان : «الحرب والسلام فى المنطقة السامية» ، حذر فيه من أخطار مشروع تقسيم فلسطين آنذاك ، وخلال

## بقلم: عصام شريح

حرب عام ١٩٤٨، كان أفنيرى يقاتل فى صفوف جيش العدو على الجبهة الجنوبية، وقد جرح آنذاك، وعند خروجه من المستشفى كتب يومياته تحت عنوان: «فى حقول الفلسطينيين»، وجنى من حقوق التأليف ما يكفى لشراء صحيفة أسبوعية كانت على وشك الزوال، هى صحيفة «هعولام هزيه» (١٩٥٠)، ومنذ ذلك الوقت استخدم أفنيرى الصحيفة كمنبر لنشر أفكاره السياسية، وكأداة عمل سياسى، سعى من خلالها الى تكوين تجمعات وحركات ذات هدف سياسى: الحركة السامية (١٩٥٧) ـ البيان السامى (١٩٥٨) ـ اللجنة اليهودية ـ العربية لالغاء الحكم العسكرى (١٩٦١).

وفى عام ١٩٥٦، فاز أفنيرى بمقعد فى الكنيست، وبقى فيه حتى فبراير ١٩٨١ عندما تخلى عن مقعده لعربى من نفس الحزب «شيلى». وكان قد أصدر منذ عام ١٩٦٦، مجلة شهرية باللغة العربية أطلق عليها اسم «هذا العالم»، وهو يوزعها فى الأوساط العربية فى الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ وبعدها. وفى عام ١٩٦٨، نشر كتاباً بالانكليزية والألمانية، يعتبر خلاصة أفكاره ونشاطاته، وكان بعنوان «اسرائيل دون صهيونية»، وقد أعاد نشره باللغة الفرنسية، لكنه أصدر طبعة منه باللغة العربية تحت عنوان مختلف تماماً هو: «حرب اليوم السابع»، فيما يبدو انه تهرب من مواجهة انتقادات صهيونية.

### تسوية مستحيلة

من خلال قراءة أفكار وآراء أفنيرى، يتبين أن هذا الصهيونى القديم اخذت تتنازعه بعد قيام الكيان الصهيونى افكار وهواجس مختلفة تصب كلها فى محاولة البحث عن تسوية للصراع العربى ـ الصهيونى، يقبل بها العرب، ولا تمس «اسرائيل» فى خطوط عام ١٩٦٧. ولهذا نلحظ أن أفنيرى يحاول تقليص الصراع بل ومسخه، من صراع بين حركتين وقوتين لابد لاحداهما من الغلبة على الأخرى فى نهاية المطاف، الى ترتيبات هامشية توقف التمدد الاستيطانى فى الأراضى العربية المحتلة ـ ولو بصورة مرحلية ـ وتعيد للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين فى عام ١٩٦٧، واقامة كيان فلسطينى الى جانب الكيان الصهيونى، على أن يتعايش الكيانان بموجب صيغة سلام مكتوبة. وهو يقول فى هذا السياق: «.. إن فلسطين بكاملها وطن لأمتين: «الأمة العبرية» (اليهودية) و«الأمة الفلسطينية»، وإن وحدة البلاد ضرورية بجميع سكانها من الناحية الروحية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية، ولا يمكن تحقيق هذه الوحدة إلا بفضل اتفاق «الشعبين» اللذين يعيشان فوقها، ويحق لكل منهما الاستقلال الوطنى.

ويمضى أفنيرى فى عرض تصوراته لحظة السلام المقترحة، فيقول: إن المناعة القومية للشعبين فى البلاد تتحقق بوجود دولتين: «دولة اسرائيل» و«دولة فلسطين»، وتكونان مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية، وعلى اسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطين العربية على الضفة الغربية وقطاع غزة، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء فى حلف سياسى ودفاعى مع اسرائيل !!!

أما بالنسبة للحدود أو بالأحرى الخطوط الفاصلة بين «الدولتين» المقترحتين، فان أفنيرى يربطها بخطوط عام ١٩٦٧، ويقول انه لا يمكن تعديل هذه الخطوط إلا بموافقة «الدولتين»، لكن أفنيرى يتخبط بشكل فاضح عندما يصل الى تحديد وضع مدينة القدس، فهو يدعو الى جعل «القدس الموحدة» عاصمة لاسرائيل والدولة الفلسطينية فى آن، ومركز «مؤسساتها المشتركة» ثم نراه يتخبط مرة أخرى، عندما يحاول تحديد علاقة اسرائيل بيهود العالم، ولكى يبرر هذه العلاقة ويسبغ عليها صفة الشرعية، يقول فى خطته، انه لا يجوز أن تمنع الروابط القائمة بين اسرائيل والدولة الفلسطينية قيام علاقات وشراكة خاصة بين الدولة العبرية ويهود العالم من جهة، وبين فلسطين والعالم العربى من جهة أخرى، على الا يمنع ذلك احتفاظ كل من الكيانين بسيادته الكاملة فى جميع الأمور غير المدرجة صراحة فى بنود تحالفهما ويشير أفنيرى فى مشروعه الى ضرورة انضمام الأردن الى الحلف (الاسرائيلى ـ الفلسطينى) المنشود، إما باندماج الضفة الشرقية لنهر الأردن مع الدولة الفلسطينية، وإما بادخالها فى الحلف كدولة ثالثة.

ويشرح أفنيرى أفكاره حول هذا الحلف بشىء من الاسهاب، فيقول إنه لا توجد حواجز اقتصادية غير تلك التى يتفق عليها الطرفان الاسرائيلى والعربى، وانه لا يسمح لتواجد قوات عسكرية اجنبية، كما يتوجب توفير ضمانات فعلية لمنع «التهديدات المسلحة الموجهة ضد احدى الدولتين»، وهذه قد تشمل مناطق منزوعة السلاح، أو قواعد عسكرية لكل دولة داخل أراضى الدولة «الشقيقة» على حد تعبيره، أو انشاء جيش فدرالى .. الخ. وبالنسبة للتنقل والاقامة يدعو أفنيرى الى حرية واسعة فى هذا النطاق، كما ينادى بجعل اللغتين العربية والعبرية، لغتين رسميتين فى كلا «الدولتين»، لكنه عندما يتطرق الى موضوع الاستيطان اليهودى نراه يتهرب من اتخاذ موقف واضح من هذه القضية، ويطلق حرية الاستيطان «للدولتين» ليبرر بذلك مضى اسرائيل فى استقدام وجلب المهاجرين اليهود اليها.

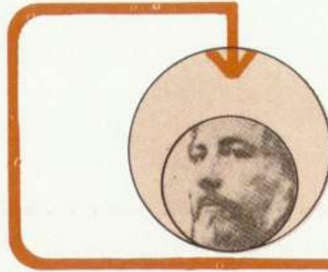
وبشكل عام، فان بيت القصيد من «الحلف الاسرائيلى ـ الفلسطينى» المفترض لدى أفنيرى هو تحقيق «اندماج البلاد بدولتيها» فى إطار إقليمى عريض، يرتكز الى «سلام عادل وتعاون اقتصادى وسوق اقتصادية مشتركة»، كما يعتمد مشروع أفنيرى على وسائل دفاعية جماعية بغية الوصول الى اقامة كونفدرالية اقليمية.

### تخبط وعموميات .. أيضاً

وفى وثيقة أخرى وضعها أورى أفنيرى تحت عنوان: هذه مبادئنا ( نشرها فى تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٦٩ )، نلاحظ نفس التخبط السابق لدى أفنيري، اضافة الى اطلاق العموميات دون حساب وفى خفة تبلغ حد التفاهة احيانا. كما نراه فى هذه الوثيقة، يجتر معظم افكاره السابقة، فهو يقول فى المبدأ الأول مثلا: ان « دولة إسرائيل » المستقلة ذات السيادة بحدودها القائمة، ملك لجميع مواطنيها دون فرق فى القومية أو الطائفة أو الدين أو الأصل أو اللغة. «يكرر هذا النص او ما يشبهه فى اكثر من مبدأ واكثر من موضوع.

# أوري أفنيري

## الصهيوني الخائف من التاريخ



كما ان افنيري يدعو فى نطاق العموميات التى يسردها فى «هذه مبادئنا» الى دمج العرب فى الحياة الاسرائيلية !! والغاء التميز العنصرى ضدهم ، والغاء « قانون الغائب » الصادر فى عام ١٩٥١ ، وقانون شراء الأراضى الصادر فى عام ١٩٥٣ ، وهذان القانونان يسبغان الصفة القانونية المظهرية على استيلاء السلطات الاسرائيلية على الأراضى العربية .

وفى خطوة تبدو اكثر تقدماً ، نلحظ افنيري يدعو الى تحديد علاقة اسرائيل بيهود العالم .. وبالعكس ، بحيث لا يكون لأي منهما تدخل فى الشؤون الداخلية للآخر ، لكنه لا يضمن الوثيقه دعوة صريحة إلى فسخ « الزواج الكاثوليكى » القائم بين الطرفين .

- وفى بادرة خجولة لتأييد الهجرة اليهودية واستمرارها ، نراه يقول :

« ... تستقبل الدولة باحترام اليهود القادمين ، او اى قادمين آخرين !! ، يستطيعون مد المساعدة والعون لتقوية الدولة وتقدمها » .

لكن المسالة الأكثر اهمية فى « هذه مبادئنا » ، تكمن فى دعوة افنيري « لدولة اسرائيل » ، لكى تكون « جزءاً لا يتجزأ من منطقة شرق آسيا وشمال افريقيا » ، ثم تحديده الهدف الأساسى للجيل الحالى من الاسرائيليين ب « ضمان الاندماج » فى المنطقة كشريك مستقل ومتساو فى الجسم السياسى والاقتصادى « لهذه المنطقة المتعددة القوميات » !! ، ويكمل افنيرى دعوة الاندماج هذه ، بدعوة اسرائيل « الى التجاوب بشكل مبدئى مع رغبة العالم العربى فى التحرر القومى والتقدم الاجتماعى والنمو الاقتصادى » ويقول : إن « على دولة اسرائيل الا تمد يد المساعدة الى اى جسم عالمى او من المنطقة يهدف إلى سلب شعوب المنطقة حقوقها الكاملة فى كنوزها ، الطبيعية ، او الى استعبادها للمصالح الاستعمارية او الراسمالية » ، كما « على اسرائيل ان تعمل على قيام تجمع حر لشعوب المنطقة ، اقتصادى وعسكرى ، وتحييد الشرق الأوسط ، واخلائه من السلاح الذرى » .

### الصهيونية والصليبية

فى ضوء ما تقدم ، وبخاصة تركيز افنيرى على اعتبار اسرائيل جزءاً لا يتجزأ من المنطقة العربية !! على حد قوله طبعاً ، ودعوته إياها الى الاندماج فى المنطقة ، نطرح سؤالا : لماذا هذا الالحاح على هذه النقطة بالذات لدى افنيرى ؟؟! .. وما هى رؤياه فى هذا النطاق ؟! فى وقت لا يتورع فيه عن الاعلان عن رفضه للنضال الفلسطينى ، ومباركته للكيان الصهيوني .

فى الحقيقة تشكل « العقدة الصليبية » مفترقاً حاسماً فى تفكير افنيرى ، فهو يخشى ان تلاقى اسرائيل فى نهاية المطاف ، نفس المصير الذى لقيته الدولة الصليبية فى الشرق ، وإن كان افنيرى يحاول استبعاد هذه الكاس المرة عن اسرائيل ، بالاشارة الى فرضية تقول ان التاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمي وميكانيكى . لكن نرى افنيرى يعقد مقارنة بين الحركتين الصهيونية والصليبية ، فيروى انه بعد عدة سنوات من حرب عام ١٩٤٨ ، وقع صدفة على كتاب « ستيفان رونسيمان » البارع ، وهو بعنوان « تاريخ الحروب الصليبية » . ويقول انه عندما وصل الى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين الهادفة الى حماية مملكتهم من العرب ، مقابل قطاع غزة ، أصيب ( اى افنيرى ) باضطراب ، بسبب تفكير اسرائيل فى احتلال نفس المواقع ، عندما كان هو نفسه جندياً فى الجيش الاسرائيلى . ويضيف انه خلال قراءته لكتاب « رونسيمان » هذا ، كانت تتبادر الى ذهنه مئات الصور المتشابهة ، حتى فى الشخصيات الصهيونية المعاصرة وتلك الصليبية البائدة ، ويقول افنيرى متسائلا : أى اسرائيلى يا ترى يطابق امير الجليل الصليبى ؟؟! ومن هو الاسرائيلى الذى يشبه دوق الاردن الصليبى ؟! ... « إن التشابه مثير للغاية .. » . ولقد كان الصليبيون بارعين فى لعبة الحرب ، شان الاسرائيليين اليوم ، إذ كانوا يعرفون ان امنهم انما كان يكمن فى سرعتهم فى رد « هجوم العدو » ، وقد استمرت مملكة الصليب ، تماماً كمملكة نجمة داوود ، فى التوسع بواسطة الحرب ، ولفترة طويلة بعد قيامها ، كان الصليبيون يسيطرون فى أوج توسعهم على مساحة تفوق مساحة الأرض التى احتلتها اسرائيل بعد حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ .

وفى هذه المقارنة ، يلاحظ افنيرى ان الاسرائيليين يعتبرون انفسهم اليوم « مكافحين » فى سبيل يهود العالم ، تماماً كما كان الصليبيون يعتبرون انفسهم « مكافحين » لاجل جميع مسيحيي العالم ! !

كما يلاحظ افنيرى التشابه فى الوضع الاقتصادى لكل من المملكة الصليبية والكيان الصهيونى ، فقد كانت مملكة القدس الصليبية ( كما يورد ذلك رونسيمان ) ، بحاجة من اجل بقائها واستمرارها ، الى سيل متواصل من الأموال والرساميل القادمة من اوروبا على شكل هبات دينية أو مدنية ، وصداقات وضرائب حج .. لقد كانت اوروبا كلها ملزمة بتمويل الدولة الصليبية ، وفى حال اختفاء هذا التمويل كان من المحتم أن يختفى الصليبيون من الشرق .. وهكذا اسرائيل ايضاً .. إذ كيف لاسرائيل أن تستمر دون المساعدات ، بل سيل المساعدات والهبات المالية والسلاحية والغذائية من الغرب ؟ ؟ !

## العبرة .. والمازق

تقود المقارنة التى عقدها افنيرى بين المملكة الصليبية والكيان الصهيونى ، الى طرح السؤال التالى : هل يعني التشابه الذى يصل احياناً كثيرة الى حد التطابق ، الى احتمال ان تواجه اسرائيل نفس مصير المملكة الصليبية-؟؟ .. ثم هل أدرك أفنيرى هذه النتيجة من خلال المقارنة المثيرة التى عقدها بين الكيانين -؟؟

إن مما لاشك فيه ، أن طروحات أورى افنيرى ، ورفيقه الجنرال بيليد ، تنبىء عن فهم متعمق لحركة التاريخ ، وتوميء إلى أن اسرائيل قد وصلت بعد أربعة حروب متواصلة مع العرب ، إلى طريق مسدود ، تماماً كتلك النتيجة التى وصل اليها الصليبيون الذين فشلوا فى اخضاع العرب واجبارهم على الاستسلام بعد حروب دامت ثمانية اجيال ، وعلى مدى قرابة مائتى سنة ، وكانت تلك النتيجة أن القى العرب بالصليبيين فى نهاية المطاف فى البحر ، وهذا المصير ، يعتبر فى الواقع انذاراً لاسرائيل بمصير مماثل ، وهو ما يضعه افنيرى فى رأس قائمة حساباته ، ويحاول تفاديه عن طريق طروحاته التى المحنا اليها .

وحتى اللمعة الفكرية فى طروحات افنيرى ليست فى الحقيقة من بنات افكاره ، بل هى مقتبسة من « رونسيمان » حيث يقول : « ... ما وراء البحار – هكذا كان الأوروبيون يدعون الدولة الصليبية – وكان « ما وراء البحار » هذا ، قد تاسس بفضل مزيج من الحمى الدينية ، والتعطش الى المغامرة وبناء الاقطاعات والامارات والممالك الخاصة ، انما اذا كان على هذا ال « ما وراء البحار » ان يدوم ويستمر بشكل سليم ، فانه ما كان بامكانه ان يظل تابعاً للغرب من حيث امداده بالمال والرجال ، بل كان يتوجب عليه ان يمكن وجوده الاقتصادى الخاص ، وما كان بوسعه التوصل الى هذه النتيجة ، إلا بشرط التفاهم مع جيرانه ، فاذا كانوا محبين وحياتهم مزدهرة ، كان هو ايضاً محبوباً ومزدهراً » ، ويمضى « رونسيمان » قائلا : « ... غير أن نشدان صداقة المسلمين كان يبدو خيانة كاملة للتصور المثالى لدى الصليبيين ، وأما بالنسبة للمسلمين فما كان بمقدورهم قبول فكرة وجود دولة دخيلة وأجنبية فيما كانوا يعتبرونه أرضهم ! ... ان الصليبيين راكموا الأخطاء فى الواقع ، وكانت سياساتهم متقلبة تخشى المبادرات الجريئة ، ولكننا لا نستطيع ادانتهم ( على حد تعبير رونسيمان ) ، لكونهم لم يجدوا حلا لمشكلة لم يكن لها حل فى الحقيقة » .

نستنتج مما تقدم ، أن افنيرى قام باقتباس فكرة رونسيمان عن ضرورة قطع الصليبيين علاقاتهم باوروبا ، وإيجاد قاعدة اقتصادية والتفاهم مع جيرانهم العرب المسلمين ، من أجل البقاء وديمومة الكيان . وأفنيرى يحاول منذ عدة سنوات تنبيه الاسرائيليين الى المازق التاريخى الذى وصلوا اليه فى المنطقة العربية بعد أربعة حروب مريرة اثبتت فشل الحلم الصهيونى فى استقطاب يهود العالم . ولذلك نراه « يستعير » الحل الذى طرحه « رونسيمان » على أساس التعايش و « الاندماج » من أجل الخروج من المازق ، وتفادى نفس المصير الذى لقيه الصليبيون وافنيرى نفسه يقول ان مؤرخاً مشهوراً « لم يسمه » ، قدم له نصيحة فحواها ما يلى : « على الاسرائيليين أن يعتبروا كتاب رونسيمان « تاريخ الحملات الصليبية » دليل عمل لهم لمحاولة تجنب الأخطاء وعدم تكرارها » .

ولعل فى راس العبر والدروس التى خرج بها افنيرى من قراءته لكتاب رونسيمان ، أنه لمس أن هناك عاملين أساسيين لعبا دوراً حاسماً فى انهاء الاحتلال الصليبى ، وهما : الرفض العربى للاحتلال ، ثم منطق الاحتلال نفسه الذى لا يستطيع الا الاخذ بمبدأ التحالف مع الخارج ( الغرب المستعمر ) ومعاداة العرب دون هوادة .

## تجاهل وتحريف

وخلاصة القول أن افنيرى مصاب بالرعب من صورة النهاية بالنسبة لاسرائيل ، وخاصة بعد الحربين الثالثة والرابعة ، فبالرغم من الانتصار الكاسح الذى أحرزته اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ الا أن العرب لم يستسلموا أبداً ، ولم يفقدوا إرادة الصمود والمقاومة والاستعداد للانتقال من الدفاع الى الهجوم ، وهو ما فعلوه وحققوه فى الحرب الرابعة ١٩٧٣ واذا كان أفنيرى يحاول التهرب من رؤية الصورة التاريخية ، بل الحتمية التاريخية بنفى هذه الحتمية ، والقول إن التاريخ لا يتكرر بنفس الرقابة والحركة الميكانيكية ثم بالقول إن السلاح النووى له تاثير حاسم فى صياغة المعادلات التاريخية ، فان افنيرى يقع فى خطا جسيم ، لانه يتصور ان التطور والتقدم مقتصران على إسرائيل فقط ، وان امتلاكها للسلاح النووى لن يقابله سعى عربى لامتلاك هذا السلاح عاجلا أو آجلا .

ثم هناك نقطة اخرى يتجاهلها افنيرى ويحاول تحريفها ، وهى دعوته إلى قيام اتحاد كونفدرالى بين الدولة الفلسطينية المقترحة و « الدولة الاسرائيلية » من أجل السيطرة على اقتصاد المنطقة ، واستغلال ثروات الوطن العربى ، فافنيرى يتجاهل هنا ان الفلسطينيين هم عرب أولا وآخراً ، وارتباطهم بامتهم أقوى . ولهذا .. فاننا نقول لافنيرى وزميله الجنرال بيليد : ان مواجهة الواقع كما هو ودون تزييف ، وليس تبرير الأمر الواقع الذى فرضته القوة الغاشمة الصهيونية ، هو الطريق الى الحل السلمى المرتجى للصراع العربى – الصهيوني .

عصام شريح




جمال قطب

# موديلياني
## العبقري الصعلوك



الفنان « موديلياني » ، الذي ترك وطنه (ايطاليا) ليبحث عن ذاته فى باريس

قبل أن يلفظ ( موديلياني ) أنفاسه الأخيرة ، أفاق لحظة وهو يعاني سكرات الموت ، ونظر إلى أصدقائه من الفنانين الذين تجمعوا حوله من سكان حي الفنانين فى مونمارتر ، ومونبارناس ، وقال :

« لقد قبلت زوجتي قبلة الوداع ، واتفقنا على أن نلتقى فى الجنة » !

وأوصى بان يشيع إلى ( بير لاشيز ) مقبرة الكتاب والشعراء والفنانين ! وهكذا ودعت باريس آخر الفنانين البوهيميين عام ١٩٢٠ ! ... شاباً وسيماً ذا ستة وثلاثين ربيعاً قضاها متعبداً فى الجمال ورسم المرأة بأسلوبه الفذ المميز !

أما صاحبة الصورة فى هذه اللوحة الشهيرة فهي زوجته الفنانة الرقيقة ( جان هيبوتيرن ) التى أوفت بالعهد .. وانتحرت فى اليوم التالي لوفاته لتلحق به فى العالم الآخر !

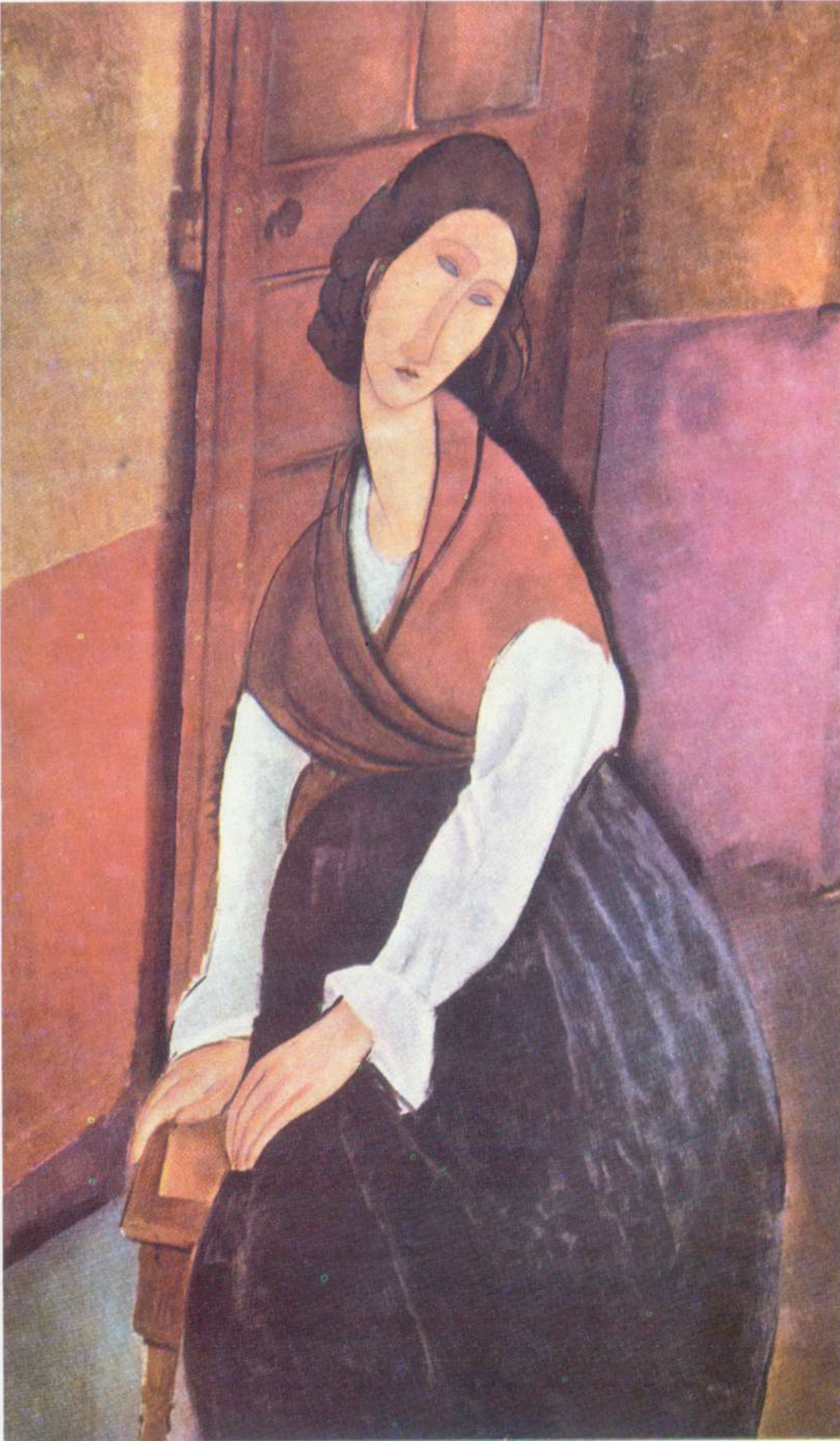
رآها لأول مرة بمقهى ( الروتوند ) الشهيرة فى مونبارناس حيث يلتقى الفنانون وأصحاب المواهب حول موائدها الكلاسيكية العتيقة .. كانت فتاة بسيطة وديعة رقيقة الوجه لاتعرف التبرج .. خفق قلبه بحب حقيقي لأول مرة ، فقد كان مضرب الأمثال فى مغامراته الطائشة وحياة الفوضى والبؤس والتسكع .. وكان مرضه القاتل القابع فى رئتيه منذ الطفولة يدفعه دفعاً إلى الاستهانة بحياته القصيرة ، وكأنه يتعجل يوم الخلاص ! وما إن وقع فى غرام فتاته الوادعة حتى أحب الحياة وعكف على إبداعه يتامل ويرسم ويستخلص من بين عشرات الأساليب الفنية التى درسها على يد أساتذته الكبار .. أسلوبه المميز الذى انفرد به وأصبح علماً فى الفن الحديث . وتزوج العاشقان .. وأحاطته ( جان ) بكل عطفها ورعايتها ، فانتج عدداً من أحسن لوحاته مستلهماً فيها بساطتها ورقتها وبراءة وجهها ودقة ملامحها . ولكن الداء لم يمهل الزوجين طويلا ليهنآ بالحب والشهرة اكثر من عامين بعد حياة الاستقرار التى نعما بها أخيراً ... واسدل الستار ، وكانت النهاية !

ويطلق على موديلياني : أمير الصعاليك .. ولكن ( مودى ) كان فى حقيقته شاباً تعيساً مرهف الحس لدرجة التوتر ، يغص قلبه بكل هموم الفنانين الباحثين عن طريق. ! لقد هاجر إلى باريس تاركاً وطنه ايطاليا ، لا ليعربد أو يبدد حياته فى اللهو والعبث .. وإنما ليبحث عن ذاته فى عاصمة النور ومعترك المدارس الفنية الحديثة والتيارات الفكرية وملتقى المبدعين من جميع انحاء العالم .. وكان يرسم فى سرعة وعصبية وكأنه يفترس الصفحات افتراساً ، فقد قضى سنوات عمره القصير يبحث عن أسلوب يعبر به عن مشاعره هو وإحساساته لا ليقلد الآخرين وعاش مهموماً يعتصره المرض والقلق والطموح والفقر والشعور بدنو الأجل بين يوم وآخر .. ولذلك .. كان يهيم على وجهه متجولا فى أزقة باريس لا يلوي على شيء .. ولا يعير الناس التفاتاً .. ولا يبالي بأسماله البالية التى لا تمت إلى الأناقة بصلة ؛ فقد كان مشغولا عن كل ذلك بأثقال ينوء بحملها جسده السقيم وعواطفه المكدودة !

ولذلك أسموه بالبوهيمي الصعلوك .. وتقديراً لعبقريته ومكانته الفنية ، خلعوا عليه الامارة فلقبوه بأمير الصعاليك !

لقد كان موديلياني ومضة فى ابداعات الفن الحديث ، ماكادت تتوهج حتى خبت وابتلعها عالم الصمت الرهيب ! ولكنه سيعمر طويلا .. طويلا ، إن تاريخ الفن يضعه الآن فى مصاف العمالقة الكبار !

●●●



لوحة زيتية رسمها الفنـــان العالمى « موديليانى » لزوجته التى ماتت بعده بيوم واحد !

# الكنوز الحية
## في المياه القطرية

بقلم: إبراهيم فؤاد أحمد



اجمل اسماك « النبسرة » المحلية ، وهى غير شائعة ، وتنمو ليصل طولها إلى ٣٥ سم

**يعتبر الخليج كنزاً غنى الألوان والأشكال من الأسماك والأحياء البحرية الأخرى قل أن تتوفر فى غيره من البحار فهو بشبه انعزاله يشكل بيئة بحرية فريدة غنية تتطلب قدراً كبيراً من العناية والاهتمام من قبل الأقطار المحيطة به حتى يستمر فى عطائه وحتى تنعم وتستفيد به الأجيال القادمة .**

. والخليج غنى نسبياً ومنتج من الناحية البيولوجية حيث تتوفر فى مياهه بكثرة الهائمات النباتية والحيوانية ( البلانكتون ) التى تتكون أساساً من النباتات والطحالب المجهرية ، وبيض ويرقات الحيوانات المختلفة وتعتبر البلانكتون الأساس الغذائى الهام لجميع الأسماك والحيوانات البحرية ، وتختلف طبيعة القاع فى الخليج من منطقة الى



سمكة صندوق البحر ، التى تغطى نفسها بدرع واق ، ولها زعانف رشيقة تستخدمها فى المناورة



هذه السمكة تستطيع سحق المرجان والمحار ، وتنام فى عش على قاع البحر ، ويسمونها « جين » !

أخرى .. من صخرى الى رملى الى الطمى الدقيق ثم الشعاب المرجانية والأصداف والقاع المحتوى على الأعشاب البحرية ، وكل شكل من أشكال القاع هذه تضم فيما بينها مجتمعاً متكاملا ومتشابهاً فى الخصائص من النباتات والحيوانات البحرية المختلفة . ولقد انعكست هذه الظروف الطبيعية الفريدة التى تميز الخليج على الحياة البحرية فى مياهه مما أضفى على هذه الحياة صفات متميزة وخصائص نادرة .

يعيش فى مياه الخليج أكثر من ثلاثمائة نوع من الأسماك التى تم وصفها والتعرف عليها حتى الآن ، سنستعرض هنا بعض المجموعات الهامة وكذا الأنواع الغريبة والنادرة . وسنستخدم الأسماء العربية الدالة على الصفة المميزة لهذه الأسماك وكذا الأسماء المحلية الخليجية بقدر الامكان .

## ● الأسماك المنشارية ( الهوامير )

من أسماك المياه الضحلة التى تعيش بالقرب من الشواطىء وهى من الوجبات الشهية فى الخليج ، بطيئة الحركة تعيش فرادى قابعة بين الصخور والمرجان . تتميز

بفمها الواسع وهى شرهة نهمة تفترس بلا تمييز ولا تخصيص كل ما يمكنها أكلة ، وقد ينمو الهامور ليصل طوله الى أكثر من مترين ومن الظواهر العلمية والغريبة أن فى هذه الأسماك تتحول الاناث فيها الى ذكور بعد وضعها للبيض وهذا التغيير يحدث فى أعمار تتراوح بين ٥ ـ ١١ سنة ، وتعيش الذكور حوالى ٢٥ سنة . أما سمكة « الشنينوه » القريبة الشبه بالهامور نهى مفترسة وخطيرة ولكن لا يزيد طولها فى الغالب عن ٤٠ سم وهى تتميز بالوانها الزاهية الجميلة وتعيش فى شكل انفرادى متوارية فى الصخور المرجانية .

## ● الأسماك الببغائية

شائعة جداً ومنتشرة بين الشعاب المرجانية الضحلة وحول المناطق العشبية تتميز بألوانها الزاهية وتمر بتغييرات فى أشكالها وألوانها حسب جنسها وعمرها فمعظم الأشكال البنية والحمراء منها هى اناث أو صغار الذكور . بينما تكون ذات الألوان الزرقاء والخضراء عامة ذكوراً متقدمة فى العمر ، وهى تبنى أعشاشها بين الحشائش البحرية لوضع بيضها وحماية صغارها . وتنام عادة فى شرنقة رقيقة من مادة مخاطية أو عشبية داخل حفرة مرجانية . وتتحور الأسنان هنا وتلتحم فى شكل منقار قوى يشبه منقار الببغاء ويستطيع سحق وتفتيت كميات هائلة من المحارات والقواقع والشعاب المرجانية التى تتغذى عليها أساساً هذه الأسماك .

## ● الأسماك الأنبوبية

مجموعة متباينة ليس لها أسنان تتغذى بامتصاص الماء المحمل بالكائنات الحية الدقيقة داخل الفم الصغير الذى يقع فى نهاية الخشم الأنبوبى الطويل ، معظمها ذات حجم صغير ، تعيش فى المياه الساحلية الضحلة ، تتعلق بالمرجان والطحالب والأعشاب البحرية . وجميع هذه الأسماك ضعيفة فى السباحة وتعتمد على قدرتها فى التمويه والتخفى للمحافظة على حياتها بتلوين نفسها وثنايا جلودها بالوان تتشابه مع البيئة المحيطة . و ( حصان البحر ) هو أحد هذه الأسماك التى يتشابه الرأس فيها ومقدم الجسم مع رأس وعنق الحصان ، ولها ذيل طويل تتعلق بواسطته فى الأعشاب أو المرجان ، ولذكر حصان البحر زعانف بطنية ملتحمة مكونة كيساً أو جيباً تضع الأنثى بيضها فيه ، ويلقحه الذكر ، ويحمله حتى يفقس صغاراً يحتضنهم إلى أن يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم .

## ● الأسماك الحجرية

أسماك مفترسة خطيرة ضعيفة السباحة تعتمد على التمويه والتخفى وعلى أشواكها السامة لتضمن حياتها . فالسمكة الحجرية القبيحة الشكل تساعدها ألوانها الباهتة وقدرتها على تغيير ألوانها حسب البيئة المحيطة على التخفى وسط الصخور والحجارة والقيعان الرملية والصدفية ، ولا يمكن تمييزها عنهم الا بصعوبة بالغة وتبقى ساكنة هناك فى انتظار مرور فريستها لالتقاطها ، ولهذه السمكة غدد سامة منتفخة عند قاعدة أشواك زعنفتها الظهرية ومن خلالها تستطيع أن تحقن سماً مؤلماً قوى التأثير قد يكون قاتلاً . أما ديك أو دجاجة البحر ، فهى تتميز بألوانها الزاهية ، وتسبح ببطء ، وهى تنفش ريشها ( زعانفها الصدرية ) كما ينشر الطاووس ذيله ، مثلما تخفى أشواكها التى تنفث السم الخطير فيمن يقترب منها كسم

هذه السمكة المألوفة تسبح عمودياً مستعملة زعانفها الصغيرة فقط ، ونطلق عليها اسم حصان البحر ، بينما اسمها العلمى « بوزيزى » !





عدة انواع من أسماك الشعب المرجانية تسبح وسط ما ينمو من المرجان الحى

العقرب تماماً . وهى تشاهد متعلقة داخل الشقوق الصخرية والشعاب المرجانية بدون حركة فى انتظار اختلاس سمكة صغيرة كفريسة سهلة غير متوقعة لها .

● الأسماك الصندوقية ، المنتفخة ، المسلحة ، الابرية

أنواع ملفتة للانتباه تمتلك مجموعة من وسائل الدفاع للحماية ومعظمها بطيئة فى السباحة وتعيش حول الشعاب المرجانية وفى المناطق العشبية وكثير منها من النوع السام ، فأسماك الصناديق الجميلة تمتلك درعاً صلباً من صفائح عظمية ملتحمة تتخللها فقط بعض الفتحات التى تبرز منها الزعانف الرخوة . صندوق البحر ( سمكة يونس ) مهيأة لافراز مواد سامة فى الماء يمكنها أن تنتحر بها وتقتل ما حولها من أسماك اذا ما استثيرت فى مياه مغلقة .

أما الأسماك المنتفخة ( الفحل والاعنزة ) فلها القدرة على نفخ أجسامها فجاة لتصبح ضعف أو ثلاثة اضعاف حجمها الأصلى وتبدو مثل البالون بابتلاعها كمية كبيرة من الماء ، وحينئذ تتصلب الأشواك القصيرة الموجودة فى جلود بعض أنواعها مما يؤدى الى تقهقر فورى للمهاجم . ومعظمها أسماك سامة لا تصلح للأكل إلا أنها تؤكل فى اليابان بعد ازالة الكبد والمبايض القاتلة بعناية فائقة . أما الأسماك المسلحة والابرية فكلها تمتلك أشواكاً وإبرا ظهرية قوية يمكنها أن تبقى منطوية وكأن هناك صمام أمان يتحكم فى طيها واطلاقها عند الحاجة إليها فى الهجوم والدفاع ومن أمثلتها أسماك الحمارة ، حمارة الكعبان ، كليب الدو ، الجرجومية الشائعة ، وبعضها يتميز بالوان زاهية جميلة مثل النوع الذى يطلق عليه ( الخنزير ) حيث تتشابه كثيراً مقدمة الرأس والفم مع رأس الخنزير ، وجميعها ذات فم وأسنان قوية تتولى تقطيع وتكسير والتقاط أجزاء المرجان والمحار والأعشاب وقنافذ البحر ذات الأشواك ( رماى – رشيته )

وعلى العموم فان الأنواع الكثيرة التى تضمها هذه المجموعة هى أسماك شعاب مرجانية هامة ترعى وتأكل المرجان وتستخدم ( الفجل والاعنزه ) منقارها العظمى القوى لتسحق به أهداف المحار والرخويات والمرجان . أما صناديق البحر فهى قادرة بمقدمة رأسها وفمها القوى المشطوف عديم الأسنان على قرض وامتصاص الغذاء ، وعلى الرعى فى المناطق العشبية . وهناك نوع من الأسماك الجميلة النادرة المسلحة بمشرطين كمشرط الجراح الماهر على جانبى ذيلها تستخدمها بمهارة كوسيلة للدفاع والحماية ولذلك أطلق على هذه السمكة ( الجراح ) ويتوفر منها فى الخليج نوعان أبدعتهما يد الخالق عز وجل وهما من أسماك الشعاب المرجانية النموذجية .

● أسماك الشعب المرجانية

تضم الشعاب المرجانية أكثر المجتمعات البحرية الحية انتاجية وتنوعاً فى الخليج وأجملها وأندرها على الاطلاق ، ( فراشات البحر – الأسماك الملائكية ) ( العنافيز – عماد كرب – مشط العروس ( الرقيعة ) – العماد .. وغيرها ) أمثلة نموذجية لهذه الأسماك المرجانية الرائعة الجمال ، وهى تتواجد فى المياه الضحلة فى ثنايا المرجان



اشكال والوان رائعة الجمال من مجتمع اللافقاريات البحرية فى الخليج

تعطيها أشكالها الرقيقة سهولة للاختباء داخل الشعاب ( التمويه ) ، وتتميز بالوان زاهية فالبعض منها مزخرف والاخر مخطط بخطوط بيضاء أو صفراء أو برتقالية اللون . وهناك اختلاف كبير فى الألوان بين صغار هذه الأسماك وكبارها كما فى ( العنفوز ) . وفى ( الرقيعة ) يستطيل مقدم الرأس لينتهى بفم صغير يحتوى على أسنان صغيرة جداً مثل أطراف الفرشاه تؤهلها لالتهام زوائد المرجان ( البوليب ) والطحالب المائية واللافقاريات الصغيرة. ونلاحظ أن ( أسماك العماد ) و ( عماد كرب ) لها أجسام مفلطحة تغوص بها الى القاع ببطء ( عندما يعتريها الفزع ) وتندمج أشكالها وزعانفها الطويلة مع أشكال الأعشاب البحرية والمرجان فتبدو وكانها ورقة نبات ميتة صفراء أو سوداء أو رمادية اللون .

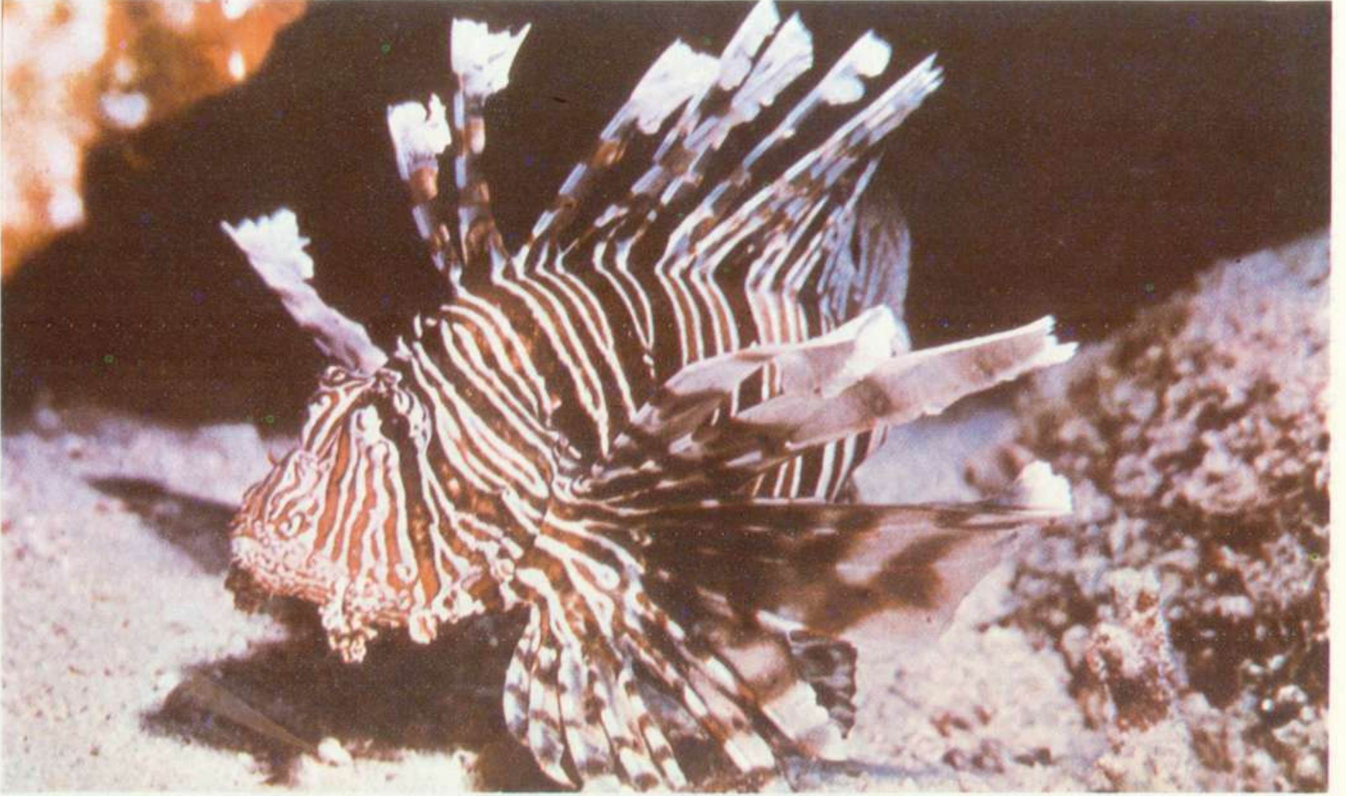
● الأسماك الثعبانية

أسماك خطيرة مفترسة تعيش داخل الشقوق الصخرية والكهوف المرجانية تستطيل اجسامها كما فى الثعابين البرية وتختفى الزعانف التقليدية فى الأسماك حيث تلتحم الزعانف الظهرية والذيلية والشرجية مكونة مع الذيل القوى مجدافا يساعد مع عضلات الجسم فى حركة الحيوان البطيئة فى الماء . والمثال النموذجى لهذه الأسماك هو الانكليس ( الناجوج ) الذى يصل طوله أحياناً إلى حوالى ثلاثة أمتار ، وهو مخلوق خطير مفترس يصعب طرده من شقوق الصخور وتسبب أسنانه الحادة القوية جروحاً بليغة .

● أسماك القرش ( القرقور ) والقوابع وما شابهها

أسماك بدائية تتميز بهيكلها الغضروفى وجلدها الخشن المغطى بصفائح عظمية صغيرة بدلا من القشور فى الأسماك الأخرى . وللذكور زوج خارجى من الأعضاء التناسلية ، ويتم تلقيح الذكر للأنثى داخلياً وليس خارجياً كما فى بقية الأسماك المعروفة ، وتضع الأنثى بيضها فى أغلفة مربعة أو مستطيلة الشكل ملتصقة بمجموعة خيوط مخاطية بالأعشاب البحرية والصخور ، وقد تحتفظ الأنثى فى بعض الأنواع ببيضها داخل تجويف الجسم حتى يفقس صغاراً حية تضعهم فى الماء بعد خروجهم من خلال فتحة بولية تناسلية مشتركة بين البطن والذيل . والقروش كلها ذات نشاط ليلى تعتمد على حاسة الشم القوية فى البحث عن غذائها ، ولكن ليست جميعها خطيرة ومفترسة ( كما يظن ) أما ( الحياسة ، الكنازة ، وكلاب البحر ) فهى قروش اليفة كسولة بطيئة الحركة تمسح القاع ليلا باحثة عن غذائها من اللافقاريات وحيوانات القاع ، وتعتمد فى سباحتها على ضربات ذيلها القوى وعضلات جسمها ذى الهيكل الغضروفى المرن ، وقد تنمو ( الكنازة ) فيصل طولها الى أكثر من مترين ووزنها الى ربع طن . أما القروش السريعة والخطيرة والمفترسة فنعرف منها فى الخليج سبعة أنواع أساسية منها الناعوض والقرقور . وأخطرها وأشرسها على الاطلاق هى القروش مطرقية الرأس ( الأقرن ) وهى تتميز برأسها الغريب الشكل الذى يشبه المطرقة وتتواجد الأعين على النهايتين البعيدتين من الرأس .

وأضخم القروش وأندرها فى الخليج هى ( القروش الحيتان ) تلك الأسماك العملاقة الغير مؤذية على الاطلاق ، والتى تتغذى على الكائنات المجهرية ( البلانكتون ) ، ويصل طول الواحد منها أحياناً الى حوالى ١٤ متراً . وتعتبر القوابع القرشية ( السيافى – السوس ،



هذه العلامات المثيرة والأشواك السامة تستخدمها سمكة « الديك » في ابعاد الأعداء عنها !

الهيريرى ) أسماكاً انتقالية بين القروش والقوابع ( اللخمة ) . وفى « السيافى » يستطيل الفم للأمام على شكل منشار مسنن عظمى مفلطح يستخدم فى قتل وتقطيع الفريسة ، وتستخدم أسماك السوس ، الهريرى هذا البروز الأمامى فى تقليب القاع بحثاً عن اللافقاريات الحية .

والقوابع ( اللخمة ) من الأسـماك شديدة التفلطح التى تلتحم فيها الزعانف الصدرية تماماً مع الجسم مكونة قرصاً بيضاوياً أو مستديراً . وهى تسبح قرب القاع مرفرفة بهذه الزعانف كما يرفرف الطائر بجناحيه ، وذيلها غالباً ما يأخذ الشكل الحبلى الطويل وهو مزود بشوكة أو اثنتين . والشوكة حادة خطيرة تغطى قاعدتها مادة مخاطية سامة يمكن أن تسبب شللا وخطورة كبيرة للانسان . ومع أن موضع الفم على السطح السفلى للرأس يعتبر مريحاً أثناء انتزاع اللخمة للقشريات والرخويات من قاع البحـر ، إلا أنه يسبب مصاعب فى التنفس ، لذلك فان اللخمة تتناول الماء المحمل بالأوكسجين واللازم للتنفس من خلال فتحتين فى السطح العلوى من الرأس خلف العينين . ويتواجد فى الخليج نوع من القـوابع الكهربائية( رعاد – فترة ) تستخدم قدرتها فى احداث صدمة كهربائية قوية لشل الفريسة واقصاء الأعداء عنها . وهناك فى الخليج حوالى عشرة أنواع مختلفة من ( اللخم ) تختلف اشكالها واحجامها من الصغيرة الى العملاقة التى قد يصل طولها الكلى ( بما فيه الذيل ) الى حوالى أربعة أمتار ، وقطر أجسامها الى أكثر من مترين والجدير بالذكر أن هناك نوعاً من الأسماك الذى يعيش دائماً مرتبطاً بهذه المجموعة من القروش والقوابع ملتصقاً بها مستخدماً ممصات قوية على السطح العلوى للراس ملتقطاً بقايا الغذاء منها ، ذلك هو (اللزاق) أو ( قملة القرش ) ، ويسبب لها أحياناً كثيراً من المضايقات وربما الجروح .

## ● الأسماك الاقتصادية الشهيرة

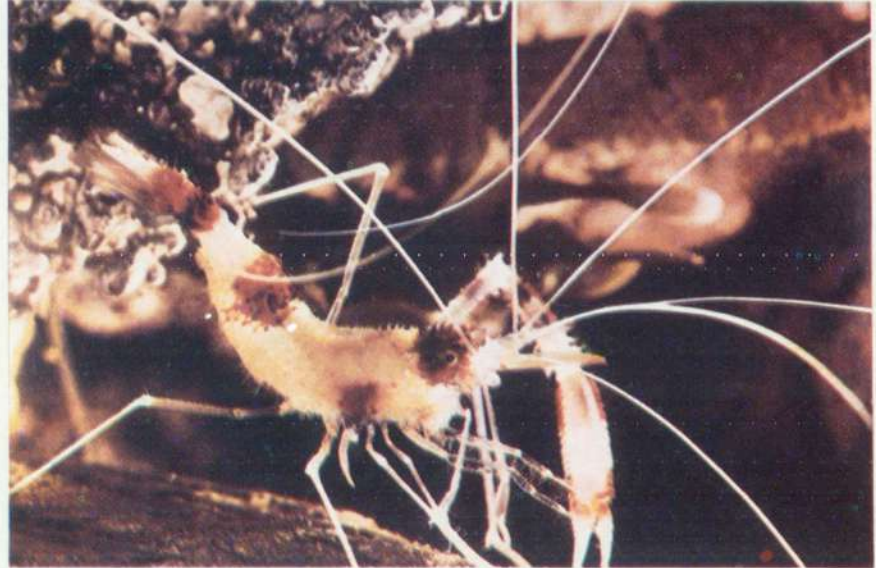
يعتبر الخليج غنياً بخيراته من الأسماك الاقتصادية العالية الجودة من الناحية الغذائية والتى تشكل غـذاء أساسياً لشعوبه . وهو فى هذا يكتفى ذاتياً ويقوم بتصدير الفائض أحياناً إلى الأقطار الأخرى المجاورة . وإذا استعرضنا بسرعة تلك الأنواع من الأسماك سنجد من أهمها عائلة الهوامير – عائلة الربيب ، الصافي ، الكنعد ، الحاكول ، السلس ، السكن ، الجد ( البراكورا ) ، النيسر ، الحمرة ، الشقرة ، الينم ، المطوع ، الهلالي ، البدح ، البياح ، الجرجفان ، الفسكر ( بنت النوخذة ) ، السردين ( العوم ) وغيرها من عشرات الأنواع الجيدة والشهية على المائدة الخليجية ، ومن هذه الأنواع أسماك مفترسة خطيرة مثل السكن ، الجد (البراكودا) ( الذى يصل طوله أحيانا إلى مترين ويهاجم الانسان عشوائيا بلا تمييز ويشاهد أحياناً فى أسراب وجماعات تضم المئات مختلفة الاحجام .

## ● الزواحف البحرية

تعيش فى مياه الخليج باعداد كبيرة مجموعتان من الزواحف البحرية هي السلاحف البحرية ( الخمس ) ، ثعابين البحر (بولجين) . وهي مثلها مثل بقية الزواحف التى تسكن اليابسة ( السحالى – التماسيح والثعابين وخلافه ) . تتنفس الهواء الجوى مباشرة بواسطة الرئتين ولها درع من قشور صلبة تحمى اجسامها ، ولكن حدثت بها بعض التحورات الخارجية والفسيولوجية الداخلية لتلائم حياتها فى البحر .

وتتواجد في مياه الخليج خمسة انواع





لقطتان نادرتان ، الاولى لنجم بحر ازرق يرقد فى قاع البحر .. والاخرى لربيان الشعاب المرجانية اثناء حركته المستمرة بحثاً عن الطعام !

من السلاحف أكثرها شيوعاً وانتشاراً هما النوعان الأساسيان المعروف أولهما بالسلاحف الخضراء التى تاخذ صدفتها اللون البنى المائل للاخضرار ويصبح زيتونياً غامقاً بتقدمها فى العمر وتنمو الى أكثر من متر فى طول صدفتها ، وترعى فى الأعشاب البحرية .

النوع الثانى أصغر حجماً ويعرف باسم (ذات منقار الصقر) وهو اقل شيوعاً ويتغذى على مختلف الأنواع المتوفرة من الحيوانات البحرية صدفته بلون الكهرمان تتراكب قشورها فوق بعضها . وهناك نوع ثالث (ذات الراس الضخم) صدفتها ذات لون أصفر وعريضة وعنقها قصير جداً . اما السلحفاة الجلدية فهى أندر السلاحف البحرية واضخمها على الاطلاق فى العالم كله وفى الخليج قد يصل طولها الى ثلاثة أمتار ووزنها الى نصف طن . وفى هذا النوع تستبدل الصدفة العظمية للسلاحف البحرية الأخرى بغطاء سميك من الجلد الأسود المدعم بخمسة حواجز طولية متعظمة ، والجلد هنا غنى جداً بالمواد الدهنية ، وتتغذى أساساً على الأسماك الهلامية والخثاق ، كما ترعى الأعشاب البحرية .

أما ثعابين البحر (البولجنى) فهى من اهم الزواحف المفترسة التى تلفت الانتباه ويوجد منها على الأقل خمسة انواع لعل أكثرها شيوعاً النوع ذو اللون الأصفر الذى يميل للاخضرار مع وجود خطوط رمادية تحيط بالجسم كله وينمو الى أكثر من متر ونصف متر طولا ، وهو يسبح ببطء مندفعاً بواسطة ذيله المفلطح مستخدماً إياه كمجداف ، ويظهر على السطح فى فترات للحصول على الهواء الجوى وهو يتغذى على الأسماك الصغيرة الحفارة والديدان الصغيرة التى يلتقطها بادخال رأسه الصغير فى جحورها ويبتلعها ، وهناك نوع آخر من ثعابين البحر وهو ذو لون رمادى مخطط بخطوط سوداء ، وهو أصغر حجماً ويطفو على سطح الماء دون حراك كقطعة خشب طافية ، وعندما تحاول بعض الأسماك الصغيرة الاحتماء أسفله يمسك بها بفكيه المتحورين لهذا الغرض اتساعاً وطولا . وتحقن ثعابين البحر فريستها بسم قوى يؤدى الى شللها وقتلها فى الحال . وهذا السم خطر جداً على الانسان ، وعلى الرغم من أن الأنواع المحلية لا تهاجم الانسان إلا أنه يجب التعامل معها بحرص شديد لخطورتها .

## ● الثدييات البحرية :

● عائلة الدلافين (الدخس) وعائلة بقرة البحر :

تعتبر الثدييات البحرية من أكثر المخلوقات ندرة وإثارة للاهتمام فى منطقة الخليج والعالم كله ، وربما يكون الخليج هو الملاذ الاخير لهذه الحيوانات البحرية التى قاربت على الانقراض إن لم تكن قد انقرضت فعلا فى بعض بحار العالم . وهى مثلها مثل بقية الثدييات الارضية ومنها الانسان . إنها تلد وترضع صغارها وتتنفس الهواء الجوى بواسطة رئتين متطورتين وتمتلك مخاً وجهازاً عصبياً راقياً وخاصة الدلافين مع بعض التطورات الخارجية والفسيولوجية للتلاؤم مع البحر . وهذا النوع النادر الموجود فى الخليج فى طريقه الآن للانقراض إذا لم يتم بسرعة المحافظة عليه وتحريم صيده . اما الدلافين (الدخس) فهى أذكى الحيوانات البحرية على الاطلاق . فهى تمتلك مخاً وجهازاً عصبياً متطوراً جداً ، ويتواجد فى الخليج حوالى أربعة أنواع من الدلافين منها ذلك النوع المعروف باسم (الدرفيل ذى أنف الزجاجة) وله جسم انسيابى رمادى فاتح من أعلى وابيض من أسفل وهو أذكى أنواع الدلافين حيث يستجيب للتدريب والتعليم بسهولة ويقوم الآن بتقديم عروض رائعة والعاب مختلفة فى بعض المعارض المائية فى العالم كما يستخدمونه الآن فى الولايات المتحدة فى أغراض حربية وفى التجسس .

## ● اللافقريات البحرية

الأسماك والزواحف والطيور والثدييات حيوانات فقارية تتميز بوجود عمود فقرى متكون من عدد من الفقرات المنفصلة ، لها جهاز عصبى متطور ومعقد ، وهنالك انواع أخرى هائلة العدد من الحيوانات شغلها الشاغل هو التغذية والهرب من الافتراس والحركة والتكاثر ولكنها غير مزودة بالخصائص المتقدمة الاخرى وهى تفتقر أساساً للعمود الفقرى تلك هى (اللافقاريت) التى تتواجد انواعها فى مياه الخليج ، فالاسفنجيات ، المرجان ، الديدان البحرية ، الرخويات ، القشريات ونجوم البحر والقنافذ البحرية كلها ضمن اللافقاريات الهامة التى تشكل اهمية اقتصادية كبيرة للانسان نفسه ، كما انها تعتبر من المكونات الغذائية الأساسية لأعداد ضخمة من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى .

## ● شقائق البحر ، المرجان الحجرى والمرجان الزهرى ، وقناديل البحر

ينتمى الى هذه المجموعة كثير من اجمل اللافقاريات التى تسكن البحار واكثرها إثارة على الاطلاق ، التركيب الأساسى لها هو ما يسمى (البوليب) ذلك البروز أو الانتفاخ البسيط التركيب المجهرى الحجم والمحتوى على فتحة واحدة مركزية محاطة بعدد من اللوامس الطويلة المزودة بخلايا لاذعة متخصصة تنطلق منها قذائف مسممة تصوب ناحية العدو أو الفريسة لالتقاطها وهضمها داخل البوليب ثم طرد بقاياها خارجه .

وشقائق البحر (شقائق النعمان) تتركب أساساً من عدد من البوليبات الأسطوانية ذات لحم هلامى متصلب . وهى بدون هيكل ولها اشكال براقة جميلة . وفى المرجان الحجرى تفرز قاعدة كل بوليب رخو مادة كربونات الكالسيوم (يستخرجه الحيوان من ماء البحر) لبناء هيكلها الصلب . والأشكال المختلفة من الشعاب المرجانية (الفشت) إن هى إلا مستعمرات من اعداد هائلة من البوليبات المرتكزة على قاعدة صخرية .

وتسكن الخليج فى أعماق مياهه المختلفة عشرة انواع أساسية على الأقل من المرجان الذى يبني أشكالا وألواناً غريبة من الشعاب تؤلف مع الأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى ـ التى تزدحم داخله وحوله ـ حديقة مائية زاهية لا ينعم بجمالها غير الغواصين الذين يصلون بأجهزتهم إليها .

## ● الرخويات البحرية

● القواقع ، المحارات ، عاريات الخياشيم ، الحبارات ( الختان ) والأخطبوط .

جميعها من الرخويات الخليجية ذات الأهمية الاقتصادية العالية .

فى « القواقع » يمتلك الحيوان قدماً عضلية واحدة يتحرك بها ببطء زاحفاً على الصخور والقاع الرملى ، ويعزز الحيوان صدفة جيرية واقية لحمايته تاخذ اشكالا مختلفة معظمها حلزونى الشكل وبعضها قمعى أو قلمى . والحيوان هنا عادة يفترس اللافقاريات الصغيرة وبعضها مثل الأصداف القمعية ) تستخدم احد أسنانها القمعية الحاقنة للسم لتقتنص به فريسة أو ربما سمكة صغيرة . وقد حدثت بعض حالات الوفاة للانسان من تاثير هذا السم القوى اما المحارات فتفرزصدفة ذات مصراعين منفصلين لحماية اجزاء جسمها الرخوة ولها فتحتان تسمحان للماء المحمل بالأكسجين وجزئيات الطعام الدقيقة بالدخول للمرور على الخياشيم ثم الأمعاء بعد ترشيحه ( تقوم بترشيح اكثر من ٤٠ لتر ماء فى اليوم ) . ومن أمثلتها العامة محار اللؤلؤ ( بنكتارا ) الذى يثبت نفسه فى الصخر أو القاع الرملى بخيوط خاصة وعندما يتسرب جسم غريب أو حيوان بحرى صغير داخل أنسجة المحار فانه يسبب إزعاجاً للمحارة التى تحاول التخلص من هذا الازعاج بافراز اللؤلؤ من مادة الماء كى تحاصر ذلك الجسم الطفيلى ، وتستمر المحارة فى افرازها لعرق اللؤلؤ الى أن تتكون اللؤلؤ .



الدولفين ذو انف الزجاجية إنه يستجيب للتدريب والتعليم بسهولة

أما « عارية الخياشيم » فهى رخويات لا تمتلك صدفة لحمايتها وكلها مفترسة رغم ضالة احجامها . واجسامها عبارة عن كتلة هلامية تتميز بالوان زاهية واشكال وحركات رشيقة ويشاهد دائماً فى طرفها الامامى من اعلى حلقة من ريش رقيق ( تلك هى الخياشيم العارية ) التى تتنفس بها .

ويعتبر الربيان ـ أم الربيان ( لوبستر ) ـ السرطانات (القباقب) ثم (النو) من أهم القشريات فى الخليج التى تتميز جميعها بهيكل خارجى صلب ( صدفة مرنة ) ومجموعة من الأرجل المفصلية ، واكثرها شهرة هو ربيان الخليج الذى يدفن نفسه فى الرمل والطمى ، ويتغذى على حيوانات القاع الصغيرة ليلا ويتواجد النوع الشائع من أم الربيان فى نفس مناطق الربيان ، أما النوع من أم الربيان المتميز بقرون استشعاره وملامسه وزوائده الراسية الطويلة وألوانه الجميلة وحجمه الأكبر فيتواجد بكميات محدودة مختبئاً نهاراً فى الجحور والثنايا المرجانية ، وينشط ليلا بحثاً عن غذائه من المحارات والسرطانات وغيرها .

اما السرطانات ( القباقب ) فتتواجد بكثرة فى الشواطىء الرملية ( وفى المساكر ) وكذا مختبئة بين الصخور والشعاب المرجانية وأشهرها هو السرطان السباح الأزرق ، وسرطان المرجان الأحمر وكلها مفترسة وتسبح جيداً فى عرض البحر ، وهناك السرطان الناسك أو المتعبد المتواجد فى بيئات متعددة حيث يقوم بحمل أى صدفة قوقع خالية ليحمى بطنه الملتف الرخو ، وعليه أن يقوم بانتظام بتغيير هذه الصدفة باخرى أكبر حجماً كلما زاد نموه وكبر حجمه .

ابراهيم فؤاد أحمد

# لقطات من الكون المثير

## حسنة للـه

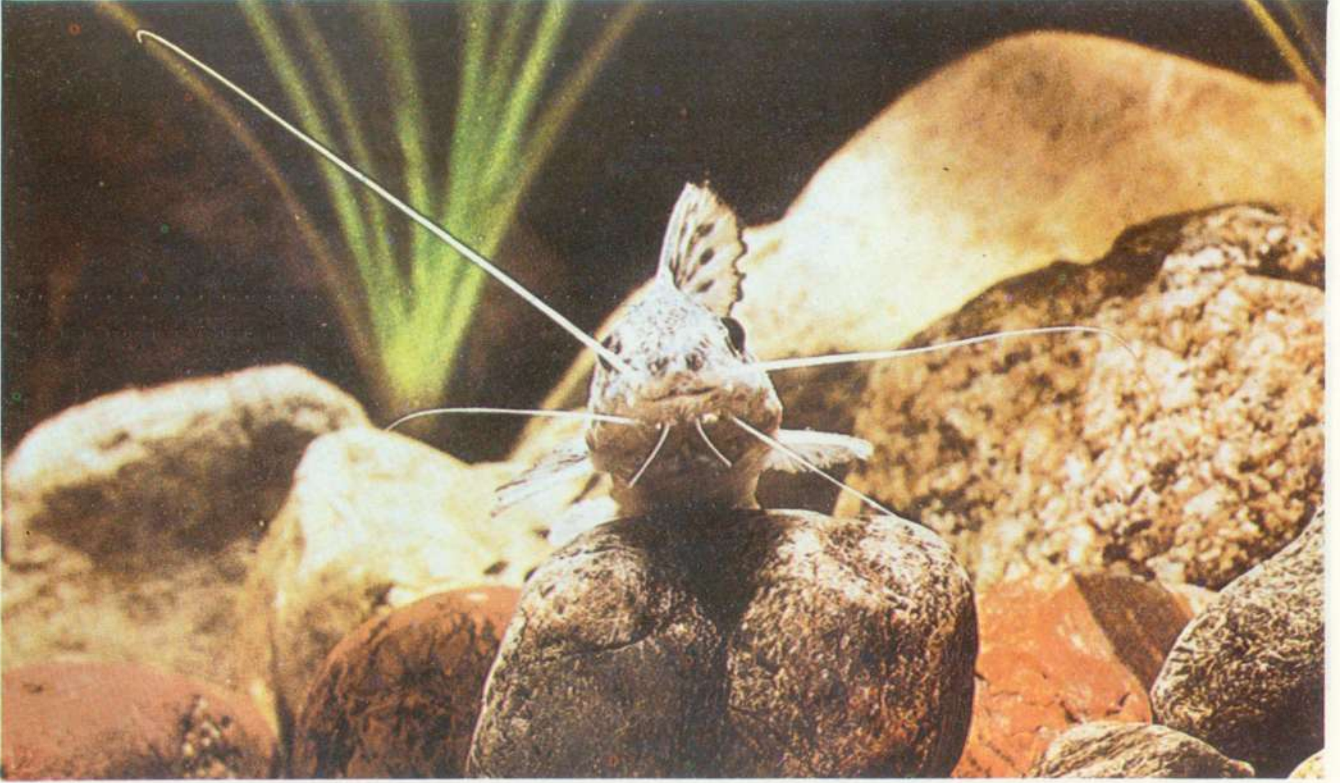
فى وادى كاتماندو بنيبال يوجد معبدان بوذيان كبيران ، وحول كل معبد ينتشر حوالي ٣٠٠ قرد وزعت نفسها على هيئة جماعات من « الشحاذين » ، وبحيث لا تختلط كل مجموعة بالأخرى ، ربما لعدم التدخل فى مجال عملها ، حتى لا تأخذ بعض رزقها ، أو ربما كان ذلك لعادات قديمة متاصلة فى هذه القرود ، لأنها تعيش أيضاً فى الطبيعة على هيئة جماعات .. المهم أننا نرى مجموعة من هؤلاء « الشحاذين » القردة ، وقد تقدم رئيسهم أو زعيمهم إلى احد القادمين للمعبد ، ليربت على جيبه ، ويستعطفه وكأنما يقول له : اعطنا مما أعطاك اللـه ! .. فى حين تتوجه إليه انظار القرود الأخرى منتظرة ماقد يجود به عليها من طعام مثل الفول السوداني أو الفيشار أو اليقطين .. الخ ، ويقول علماء السلوك الحيواني إن هذه العادة ربما تكون قد نشأت قديماً من عادة وضع النذور أو القربان على هيئة طعام أمام تماثيل المعابد ، ومن ثم جذبت القرود من الغابات ، فاستأنست بالطعام وبالبشر ! .





## أسعد اللحظات !

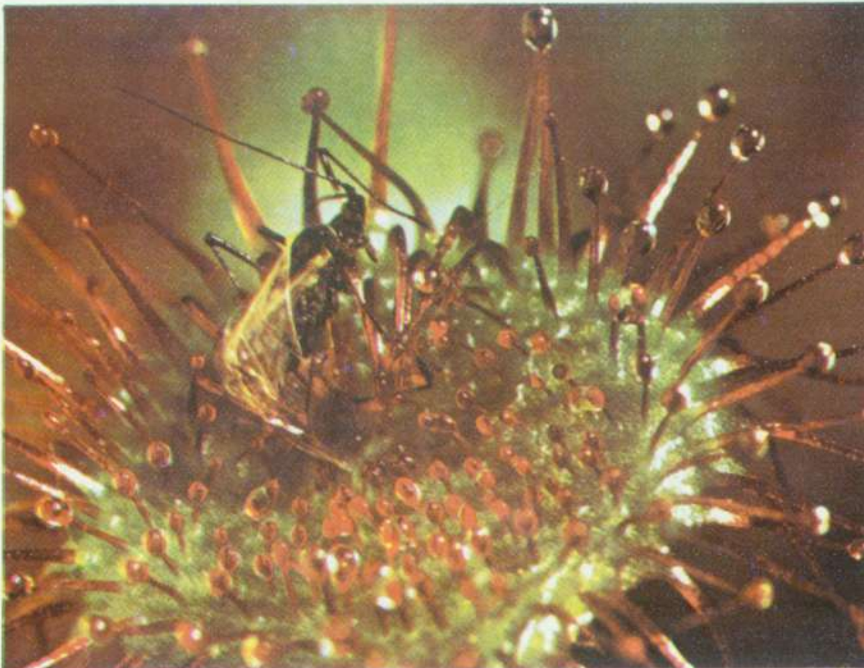
نعم .. خنزيرة ، لكنها باطفالها سعيدة ،فاسعد لحظات الأمومة هى التى تقدم فيها اثداءها ليرضع منها انجالها ، ولا يختلف فى ذلك اناث البشر عن الخنازير أو البقر ! .. وصورة الخنزيرة الأم توضح لنا كيف استلقت باسترخاء تام ، وسعادة معبرة عن رضائها ، رغم العبء الذى تلقاه من أوضاع عشرة من الصغار دفعة واحدة ، لكن العدد هنا مناسب تماماً ، لأن لها سبعة أزواج من الأثداء ، تكفى لأرضاع أربعة عشر طفلا ، لكن بعض الاناث قد تنجب ذرية تربو على العشرين ، وهنا قد يحدث الصراع بين الأنجال والقوى منهم يتغلب ويفوز بنصيب الأسد .. وفى هذا السلوك لا تختلف الخنازير عن الحيوان عن البشر !



## جهاز حى يتنبأ بالزلازل

هذه السمكة الرابضة ببطنها على صخرة ،والمتجهة بلوامسها الطوال والقصار فى اتجاهات شتى تعرف باسم سمكة القط ( من نفس فصيلة القراميط ) ، وهى من الأسماك ذات الحساسية الفائقة للكشف عن أية اهتزازات ارضية طفيفة قد تؤدى بعد لحظات أو دقائق الى حدوث زلزال مدمر ، ولهذا يقول الناس الذين لاحظوا سلوك هذا النوع من السمك : اذا رأيت أسماك القط تهجر القاع ، وتتجه الى الشواطىء ، فان ذلك ينبىء بزلزال قادم ، والعلماء لا ينكرون ذلك ، لأن بعض الكائنات قد امتلكت احاسيس تفوق احاسيس البشر بعشرات ومئات المرات ، « لكن أكثر الناس لا يعلمون » .

## نبات يأكل حيواناً !



متناقضة أحياناً أمور هذه الحياة ، فلقد جاءت القاعدة ليصبح النبات غذاء للحيوان ، لكن يبدو أن لكل قاعدة شواذاً ، إذ أن هناك مجموعة خاصة من النباتات قد حورت حياتها لتعيش على اصطياد الحيوانات الصغيرة (خاصة الحشرات ) ثم تهضمها وتمتصها ، تماماً كما يفعل الحيوان ، ولقد تحورت منها أجزاء خاصة لتساعدها على بلوغ ذلك الهدف ، والصورة توضح أوراق نبات « الدروسيرا » وقد تغطت بشعيرات تنتهي برؤوس ، تفرز مادة لزجة ومعطرة لتجذب بها الحشرات ، فاذا حطت عليها التصقت بها ، والتفت الشعيرات الأخرى حولها ، حتى تشل حركتها كما تراها هنا ، وبعدها تفرز عليها خمائرها أو نزيماتها الهاضمة ، لتهضم لحمها ، وتمتصه ، وبعد الوليمة ، تعود الشعيرات إلى سابق وضعها ، لتصطاد من جديد .. وهكذا تنعكس الآية .. فما أغرب المفارقات .. مفارقات الحياة !



في وسط العاصمة نيقوسيا حيث الطبيعة الخلابة التى تجعلك تشعر بمتعة النزهة

# قبرص

## عالم السحر والجمال والأساطير!

بقلم: مجـدي نصيف

عندما ولدت سيدة الجمال « أفروديت » على شواطىء هذه الجزيرة الجميلة ، حملتها حوريات البحر إلى الغابات حيث نمت وترعرعت ، لتصبح أسطورة يتداولها الجميع فى شغف ، وينصتون الى تفاصيل أحداثها فى متعة لا يشعر بها إلا من يضع قدميه على أرض جزيرة قبرص الزاخرة بالجمال والفتنة والحكايات التى تمثل نهراً لا ينضب أبداً !

وتاريخ قبرص على العموم ملىء بالمغامرات والأحداث . فقبرص تقع فى الطرف الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، فى مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، انها لا تبعد غير أميال قليلة عن آسيا الصغرى وسوريا ولبنان وتركيا واليونان ، ومائتى ميل عن مصر . وهذا الموقع الاستراتيجى لقبرص بين آسيا وافريقيا وأوربا جعلها مركزاً هاماً وهو الذى حدد ـ فى نفس الوقت مصيرها ، وبالتالى تاريخها وثقافتها . إن هذا الموقع هو




مدينة نيقوسيا هى المدينة الوحيدة التى تقع داخل البلاد ، لأن كل مدن قبرص الأخرى على الساحل !



السور القديم الذى كان يحيط بالعاصمة ، بعد أن تجاوزه العمران والتوسع الذى حدث فى العاصمة

الذى جعلها نهباً لجميع القوى الكبرى التى توالت على تاريخ العالم منذ قديم الزمن . وتعطى آثار الجزيرة التى تمتد خمسة آلاف سنة دليلا قاطعاً على أحداثها التاريخية .

وتستأثر قبرص بظاهرة انقاذ الآثار الهامة والموجودات منذ العصر النيوليثى حتى العصر الحديث ، وتتنافس على أرضها القصور الكلاسيكية والمعابد القديمة والآثار الرومانية بالذات بقلاعها وحصونها وأسوار العصر الوسيط والمعابد القوطية والكنائس البيزنطية . والجزيرة عموماً متحف لكل هذه المراحل التاريخية . وقد تجمعت الصور البيزنطية فى متحف صغير بنيقوسيا العاصمة ، كما توجد أيضاً فى معابد بيزنطية مبعثرة على امتداد الجزيرة ، وكذلك من خلال الفن الشعبى الذى لعب دوره فى انقاذ الأساليب والأنماط والتصميمات البيزنطية متمثلة فى صناعة الأوانى والنسيج والتطريز . وتكون عادات وتقاليد سكان الجزيرة (اليونانيون) عادات وتقاليد بعيدة . وكما كتب البروفيسور الهولندى هسلخ :

– «لا يوجد مكان اخر فى العالم احتفظ فيه بالتقاليد البيزنطية كما فى قبرص . فرئيس أساقفتها يمسك فى يده بصولجان الأباطرة البيزنطيين ، ويرتدى رداء الأباطرة الأحمر ، ويوقع مثلهم بالمداد الأحمر» .

لكن قبرص استقبلت بالتتابع روافد حضارية من اليونانيين والفينيقيين والآشوريين والمصريين والعرب والرومانيين والأتراك ، وتلاقت فيها تيارات شتى ، فكان لها من هذا كله طابع فريد يعكس بصمات الزمن وأصداء التاريخ . وهناك مؤرخون عرب ابتداء من القرن التاسع الميلادى حتى القرن الخامس عشر خصصوا لقبرص صفحات كثيرة من كتبهم وفى طليعتهم الواقدى والبلاذرى وأبو المحاسن والطبرى والادريسى وابن الاثير وأبو الفداء وابن بطوطة والسيوطى .

## رحلة بالسيارة

وقبرص جزيرة صغيرة فى البحر الأبيض المتوسط لا تزيد مساحتها عن ٩٢٥٠ كيلومترا مربعاً ، مما يجعلها

الجزيرة الثالثة فى البحر الأبيض بعد جزيرتى صقلية وسردينيا ، وهى أكبر قليلا من جزيرة كريت ، وتعداد سكانها لا يزيد عن ٦٥٠ ألفا ، يتجمع منهم مائة ألف فى نيقوسيا . ولأن الجزيرة صغيرة فأفضل شىء لاكتشافها هو رحلة بالسيارة ، ذلك انها جزيرة ، عالم صغير ، يمتزج فيه التاريخ بالأساطير وجمال الطبيعة .

بدأنا بالعاصمة : نيقوسيا ، والمدينة الوحيدة أيضاً التى تقع فى داخل البلاد ، إذ أن بقية المدن على سواحلها . أصبحت عاصمة الجزيرة منذ القرن الثانى عشر الميلادى حينما دمر الغزاة المدن الساحلية وهى مبنية على موقع احدى مدن المماليك الأثرية المسماة ليدرا . وقد توسعت العاصمة اليوم لتمتد خارج أسوارها القديمة ، وفى منطقة نيقوسيا هناك العديد من المناظر الخلابة ، خاصة ناحية الغرب ، حيث تمتد حدودها الى تلال ترودوس ، ووديانها الجميلة المليئة بأشجار الحور الفضية الباسقة وبساتين الكرز والتفاح ، هنا أماكن الاصطياف التى تجذب آلاف السياح كل عام .

والى جنوب غرب العاصمة تقع مدينة بافوس . انها مزيج غنى من المناظر الخلابة والأماكن التاريخية والأسطورية والميناء الجميل والقلعة حيث الحانات والمطاعم وزوارق صيد السمك . وقد كانت بافوس هى عاصمة قبرص فى العصر الرومانى ، وهى تقترن فى نفس الوقت بأفروديت التى ولدت هنا على بعد خمسة أميال ونصف قرب مجموعة بارزة من الصخور تعرف باسم «بتراتو روميو» حيث الزبد الأبيض . ومنطقة بافوس غنية بالآثار القديمة ، حيث ترك اليونانيون القدماء والرومان والبيزنطيون وحكام قبرص فى العصور الوسطى آثارهم هنا على هذا الجزء من الجزيرة .

ثم نصف ساعة من نيقوسيا تقع لارناكا على الشاطىء الجنوبى لقبرص ، وهى مبنية على موقع احدى المدن القديمة تعرف باسم كيتيون ، تقول احدى الأساطير ان الذى أسسها هو خيثم حفيد نوح . وقد أبرزت احد أكبر المفكرين فى العالم ، ألا وهو زينو مؤسس المدرسة الزينونية للفلسفة فى أثينا .

ومن أهم معالم لارناكا ، البحيرة المالحة العظيمة بالغابة والتى يستقر بها الطير المعروف باسم «أبو اللهب» أو «أبو سعد» الذى يحط فى هذه المنطقة بين ديسمبر الى مارس فى أثناء طريق هجرته الطويل . وعلى حافة البحيرة المالحة تقع احدى تذكارات العالم الاسلامى ـ كما يقول قسم السياحة القبرصى ـ وهى تكية هالا سلطان مربية النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى مسافة ستة كيلومترات أخرى وفى قرية كيتى الصغيرة توجد كنيسة بانايا انجالو كنيستوى القديمة الشهيرة التى يرجع تاريخها الى القرن السادس بعد الميلاد وهى تعتبر مثالا لأروع الفنون البيزنطية فى العالم .

فى الطريق الى ليماسول ، قطعنا الطريق لنصعد طريقاً جبلياً تستقر فوقه قرية لافكارا ، حيث لازال سكانها جميعاً يقومون بعملهم التقليدى منذ العصور القديمة ، ألا وهو التطريز اليدوى تحت اسم لافكارا . إنها القرية الوحيدة التى مازالت تحافظ على هذا التقليد ، ومازالت تنتج أفضل أنواع التطريز اليدوى . زار الفنان الشهير ليوناردو دافنشى هذه القرية وأعجب بفنها فاشترى تطريزاً ليستعمله ستائر لهيكل كاتدرائية ميلانو عام ١٤٨١ ، ومازال الرسم الذى فضله وأخذه يتداول جيلا بعد جيل ، ومعروف بأنه «التطريز الذى أخذه دافنشى وتأثر به واستخدم تشكيلاته فى فنه» .

## محطة قفز للصليبيين

وبسبب موقعها الاستراتيجى ، ظلت قبرص ـ ومازالت ـ محطة لكل الامبراطوريات وقوى الغزو على الدول العربية ودول الشرق الأوسط عموماً . فاذا كانت الدويلات والدول والامبراطوريات الكبرى قد ضمتها ضمن ما ضمته من بلاد وأراض فى المنطقة ، فهى بالمثل كانت معبراً لكل القوى التى استولت على بلاد المنطقة وأثرت فى سياساتها .

فبعد أن استوطن الجزيرة اليونانيون أساساً ، ومن بعدهم الفينيقيون بشكل جزئى ، وقعت قبرص تحت سيطرة الأشوريين فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . وتشير كتابة على لوحة تذكارية وجدت فى كيتيون ، ومحفوظة الآن بمتحف برلين الى احتلال قبرص من قبل سرجون الثانى ملك الفرس عام ٧٠٨ ق.م .

ثم وقعت قبرص على التوالى فى أيدى عدد من الفاتحين ، ففى عام ٥٨٨ ـ ٥٦٩ ق.م قام الملك المصرى هفرع بانزال الهزيمة بالأسطول القبرصى ، ثم حوالى عام ٥٦٠ ق.م احتل الملك أماسيس خليفة هفرع ، قبرص ، وأصبح ملوك قبرص خاضعين له يدفعون له الجزية ، وكان لهذه الفترة تأثير كبير على الحركة المعمارية فى الجزيرة . ثم عام ٥٤٠ ق.م انتقلت قبرص لحكم سيروس الأكبر مؤسس الدولة الفارسية .

وحدث تغير أساسى فى وضع ملوك قبرص عند بدء حملة الاسكندر المقدونى فى آسيا ، إذ أعربوا عن رغبتهم فى الانفصال عن الفرس ، وقدموا مساعدتهم للاسكندر فى شكل أسطول بحرى مكون من ١٢٠ سفينة ، إبان حصاره لمدينة صور اللبنانية ، وقد ساعد هذا الاسكندر على متابعة طريقه الى مصر .



صناعة النحاس وشغله من أهم الصناعات اليدوية فى الجزيرة



احدى قلاع قبرص القديمة حيث تعيش لحظات هنا مع تاريخ الأجداد

بعد موت الاسكندر أصبحت الجزيرة ، ولمدة طويلة فى حالة نزاع بين خلفائه انتيجونوس وبطليموس الذى أصبح ملكاً لمصر ، ووقعت مصر تحت حكم بطليموس . وبعد فترة طويلة ضمت قبرص الى حكم البطالسة لمدة قرنين ونصف ، فيما بين ٢٩٤ ـ ٨٥ ق.م وخلال هذه الفترة حققت قبرص درجة كبيرة من الثقافة والتقدم . بعد ذلك بدأ الاحتلال الرومانى لقبرص . وعندما نقلت عاصمة الامبراطورية الرومانية الى روما ، ووضعت أسس الامبراطورية البيزنطية عام ٣٣٠ بعد الميلاد ، أصبحت قبرص ضمنها ، وكانت قبرص تدار من القسطنطينية من قبل من يسمى بـ «القسطور» .

ثم بعد ظهور الاسلام بدأت عدة غزوات عربية للجزيرة فى القرنين السابع والعاشر غزوة بقيادة معاوية بن أبى سفيان عام ٧٤٧ . وغزوات أخرى أخرها على يد هارون الرشيد التى اخذ فيها عديداً من القبارصة بما فيهم رئيس الأساقفة بالجزيرة ، أسرى .

ومنذ القرن الحادى عشر الميلادى وبداية الحملات الصليبية استخدمت قبرص كمعبر للصليبيين ، للقفز على العالم العربى ، بدءاً بالملك ريتشارد قلب الأسد الذى استولى على الجزيرة بمعركة أنهت العصر البيزنطى الذى دام ما ينوف على القرنين من الزمان .

وهناك قصة تحكى حول الحرب التى خاضها ريتشارد قلب الأسد ، تقول انه كان فى طريقه مع فيليب أغسطس ملك فرنسا لتحرير الأراضى المقدسة كقائد للحملة الصليبية الثالثة ، بعد احتلال صلاح الدين الأيوبى للقدس . انقسم أسطول الصليبيين ، ولجأت احدى سفنه التى كانت تقل خطيبة الملك ريتشارد ، وأخته جوانا ملكة دواجار بصقلية الى الرسو فى ميناء ليماسول . كان ملك قبرص آنذاك هو الملك اسحق كومينوس ، استفاد من الضعف الداخلى الذى أصاب الامبراطورية البيزنطية بسبب الهجمات التركية من الشرق ، ونصب نفسه ملكاً لقبرص . ذهب ملك قبرص لاستقبال خطيبة الملك وأخته ، وتقول القصة إنه حاول اغواءهما فرفضتا ، هنا وصل ريتشارد قلب الأسد بجيوشه واحتل ليماسول بسرعة ، فهرب الملك اسحق الى نيقوسيا . وتزوج الملك ريتشارد من خطيبته فى ليماسول ، ثم زحف بعدها الى داخل الجزيرة حيث جرت معركة حاسمة فى سهل ميساورى هزم فيه ملك قبرص وقبض عليه . وبدأ استخدام قبرص فى الحملة الصليبية .

توجه الملك ريتشارد بعدها الى عكا ، وكان الصليبيون بحاجة الى المال والرجال أكثر مما كان لديه ، فباع قبرص «لفرسان تمبلار» على أقساط ، وأحد هؤلاء الفرسان واسمه جاى دى لوزيجنان حكم الجزيرة وورثتها عائلته من بعده حيث حكمت قبرص على مدى ثلاثة قرون من عام



عند هذه الصخور ولدت « افروديت » سيدة الجمال وسط الزبد والماء

١١٩٢ م وحتى عام ١٤٨٩ .

ومنذ جاى دى لوزيجنان ، انخرطت قبرص بحماس فى الحملة الصليبية المدمرة ، فزارها الامبراطور فريدريك امبراطور المانيا ، بينما كان فى قيادة الحملة الصليبية السادسة . وخلال الحملة الصليبية السابعة بقى ملك فرنسا فى نيقوسيا ضيفاً على الملك هنرى الأول ملك قبرص ، وخلال بقائه كدس المؤن للحملة الصليبية التى كان مصيرها الفشل مثل سابقاتها .

## ... والآن أيضاً

وكما حدث أيام الحملات الصليبية ، حدث فى العصر الحديث . فكانت القواعد البريطانية فى قبرص هى التى استخدمت فى شن «العدوان الثلاثى» على مصر عام ١٩٥٦ ، وهى أيضاً التى استخدمت كنقطة «وثوب» فى «عدوان ١٩٦٧» لنقل الأسلحة والعتاد العسكرى الأمريكى الى اسرائيل . ويستخدم حلف شمال الأطلنطى هذه القواعد فى نفس الأغراض منذ عام ١٩٥٨ .

والمنشآت البريطانية العسكرية فى قبرص مازالت مستمرة حتى بعد استقلالها ، وهى تضم القواعد العسكرية البريطانية فى «ابيسكوبى» و «اكروتيرى» و «ديكيليا» .

وتتركز «القوات الجوية الملكية» البريطانية (راف R.A.F. ) فى هذه القواعد بعد أن انسحبت القوات البريطانية من الشرقين الأوسط والأدنى ، واكروتيرى التى تقع فى الطرف الجنوبى للجزيرة ، هى أكبر قاعدة للقوات الجوية البريطانية فى العالم . وهى تضم عدة تسهيلات ، وتمتد واجباتها من الضرب الاستراتيجى بالقنابل ، حتى خدمات الرادار ، ويعمل بها خمسة آلاف موظف يضاف اليهم ثلاثة آلاف جندى وألف مدنى ، الى جانب ١٧ ألفاً آخرين ، مما يصل بعدد البريطانيين هناك الى حوالى ثلاثين ألفاً . وقاعدة اكروتيرى مكلفة بخدمة وحماية الجناح الجنوبى لحلف شمال الأطلنطى ، وهى مجال الاتصال بالوجود البريطانى – وبالتالى الأمريكى – فى الخليج العربى . أما شبكة الرادار الموجودة هناك ، فتجمع معلوماتها عن طريق أفضل «نظام رادار» فى العالم موضوع على قمة جبل الأوليمب ليغطى كل منطقة شرقى البحر الأبيض المتوسط .

وسط هذا كله قاد الأسقف مكاريوس هذه الجزيرة الصغيرة منذ أن استقلت عام ١٩٦٠ مؤمناً بالتعايش السلمى وعدم الانحياز وتاييد قضايا التحرر فى العالم وخاصة كفاح الشعوب العربية . لهذا فبعد الاستقلال بقليل وصل جريفاس الى الجزيرة سراً وسرعان ما بدأت الحرب الدموية الأهلية بين الأتراك واليونانيين القبارصة (١٩٦٣ – ١٩٦٤) . ودائماً يصل فى الوقت «المناسب» تماماً ، فقد ثبت أن الصدامات المسلحة التى وقعت بين الطائفتين حتى عام ١٩٦٧ ، كانت فى الأساس نتيجة لنشاط حلف الأطلنطى الذى أخذ يسعى لتقويض سياسة مكاريوس وعزله ومحاولة اغتياله . وبعد



بيت ريفى فى جزيرة قبرص ، حيث يعيش أهل الريف حياتهم بحب الفن والأساطير والحرف الشعبية

سنوات أخرى ظهر «جريفاس» مرة ثالثة فى أحد ليالى صيف عام ١٩٧١ رغم الاتفاق الذى تم فى نهاية عام ١٩٦٧ وضمن أحد بنوده انسحاب جريفاس من الجزيرة ، وقد ثبت أنه وصل الى احدى القواعد العسكرية البريطانية ، ثم تسلل فيها الى الجبال وجمع رجاله ليبدأ نشاط «ايوكا ـ ٢» ضد مكاريوس .

كل هذا لم يفلح . لذا أخذت الطغمة العسكرية اليونانية التى كانت فى السلطة آنذاك تضرب على نغمة خطر الأتراك القبارصة وساعدت على قيام انقلاب ضد الأسقف مكاريوس فى يوليه ١٩٧٤ .

هنا قامت تركيا بغزو الجزيرة لـ «حماية الأقلية التركية» الموجودة فى الجزيرة والتى تشكل ١٨٪ من سكان قبرص . وانقسمت الجزيرة من الناحية العملية الى قسمين : جزء فى الشمال تحتله القوات التركية حتى الآن ، وجزء فى الجنوب به القبارصة اليونانيون .

لم تستطع إذن قيادات الطائفتين ، بعد الاستقلال ، حل مشكلة العلاقات بين الجانبين . وإذا أردنا أن نفهم لماذا لم يتمكن الجانبان من تحقيق سلام دائم ، أى السبب الجذرى للمأساة التى مازالت مستمرة حتى يومنا هذه لتقضى على السلام والجمال فى جزيرة الأحلام ، فعلينا أن نعود الى الجذور التاريخية للصدام ، ونفهم العوامل السياسية والايديولوجية التى أدت الى عدم حل المشكلة .

عندما بدأ كفاح «ايوكا» ضد البريطانيين من أجل التحرر ، ارتفع شعار «الاينوسيس» أى الوحدة مع «الوطن الأم»: اليونان ، وهو ما عارضه القبارصة الأتراك وكانت إقامة جمهورية قبرص المستقلة فى أغسطس عام ١٩٦٠ ، يعنى من الناحية العملية ، أن اليونانيين الذين قادوا النضال من أجل الاستقلال و «الاينوسيس» والأتراك الذين قادوا النضال ضد الاينوسيس ، سيجلسون معاً ، ويتعاونون على ادارة الدولة الجديدة . ونعتقد أنه لو ألقى الجميع ـ وخاصة قيادة الجانبين التى تسنمت قمة السلطة ـ بالعداوة خلف ظهورهم ـ ونظروا الى الحاضر والمستقبل بعد الاستقلال ، وبنظرة واقعية دون تعصب ودون لجوء لقوى خارجية ، لاستمر تطور الجزيرة ، ولسارت الأمور فى قنوات غير تلك التى سارت فيها .

وفى عام ١٩٦٣ انسحب الأتراك من وظائفهم التى شغلوها بعد الاستقلال وبدأت حوادث عنف بين الجانبين ، وأنشأوا داخل «جيوبهم» فى الجزيرة نظاماً سياسياً وادارياً واجتماعياً وقضائياً ، أخذ شكل «الدولة» . رفض اليونانيون الاعتراف بها ، ولم يطالب الأتراك بأى اعتراف .

وبذلك تكرس وجود «دولتين» بالفعل فى قبرص . أما الدولة «الرسمية» فقد تركها الأتراك بين أيدى اليونانيين ، واستمر مجلس النواب من اليونانيين فقط .

ثم أدت أحداث عام ١٩٧٤ الى غزو القوات التركية للجزيرة لتكريس هذا الوضع رسمياً ، والذى ظل قائماً حتى الآن .

مجدى نصيف

# مراثي أسمهان في مجمع اللغة العربية

بقلم : كمال النجمي

رسالة من أديب كبير ، صديق لي ، تتالت سطورها تحت بصري ، تطوى الأيام القهقرى بضعة وثلاثين عاماً ، حتى ردتنى الى موضعى من تلك الأيام ، شاعراً صغير السن ، لا أبالي من الدنيا بعد الشعر والشعراء ، إلا المغنين والغناء ، وأخصهم بوجدانى يومئذ – والى اليوم وما بعد اليوم – أم كلثوم وأسمهان ! .

وإنما ذكرت أم كلثوم وأسمهان لان رسالة صديقنا الأديب تقف برهة تحت العش الذهبى الذى ملاته هاتان البلبلتان تغريداً ..

فى عام ١٩٥١ خطر لي أن اطلب يد الجائزة الحسناء ، جائزة الشعر ، من مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، قلعة العمالقة فى الأدب والشعر ، حسبك منهم العقاد والزيات ولطفى السيد وطه حسين واحمد امين والخضر حسين ومن إليهم من فحول ذلك العصر الأدبى ذى الأثر العميق فى الأدب العربى على امتداد الأرض العربية كلها ..

شاورت فى الأمر صديقنا الأديب الكبير الناقد العلامة الدكتور شكرى محمد عياد ، وكان محرراً – بعد الظهر – فى إحدى المجلات القاهرية ، نعمل معاً .. واما قبل الظهر ، فكان محرراً بمجمع اللغة العربية.

لم أكد أبدا جمع شعرى وكتابته على الآلة الكاتبة حتى ألمت بالمجلة عسرة جعلتنى والكثيرين من محرريها نعفيها مضطرين من وجودنا فيها ، ولجات انا الى قريتى فى اقصى صعيد مصر حتى ياذن الله بامره ..

ومن قريتى أرسلت ديوانى مخطوطا الى صديقنا الدكتور شكرى عياد ، فقدمه الى لجنة الأدب فى المجمع ، ولولاه لتاخر عن موعده واستبعدوه من المسابقة فقد وصل فى اليوم الأخير ، أو بعد اليوم الأخير بيوم ! ..

فاز الديوان بالجائزة .. اعطونى الجائزة كاملة غير منقوصة ولم يقسموها بينى وبين غيرى كما يفعلون دائماً .. ولم يفز بالجائزة كاملة غير منقوصة قبلى إلا خليل مطران وعزيز أباظة ، ولم أكن منهما ولاقلامة ظفر شهرة وتاريخاً .. ولكن هكذا كان ! ..

قال لي الدكتور شكرى إن لطفى السيد باشا رئيس المجمع أراد منح الجائزة لشاعر آخر كبير السن فمنعه العقاد من ذلك – وكان رئيس لجنة الشعر – ولم يلتفت الى رأى الباشا الذى لم يقرا شيئاً من الدواوين المقدمة فى مباراة المجمع ولكنه أراد الجائزة لصديقه ! ..

لبثت اعتقد أن العقاد – وحده – صاحب الفضل فى حصولى على جائزة الشعر ، حتى تلقيت رسالة صديقنا الأديب المفضال الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة الذى اتابع إنتاجه الأدبى ويتابع إنتاجى منذ اكثر من ثلاثين عاماً ، بدون أن أراه أو يرانى ! ..

لم يكن العقاد وحده فى لجنة الشعر وإن كان هو رئيسها بل كان معه غيره .. يكفى أن يكون معه الأديب الكبير صناجة النثر العربى فى عصرنا الأستاذ احمد حسن الزيات رحمه الله ..

## الزيات وأسمهان

قال الدكتور البيومى فى رسالته : «قدر


اســـمهان
قصيدتان فى رثائهـــا !


علي احمد باكثير
لو عاشت اسمهان لغنت من شعره !


ام كلثـوم
كان احمد امين يفضل صوت اسمهان على صوتها !

لي أن أقرأ ديوانك مخطوطاً مع الأستاذ الزيات ، حين قدمته لمسابقة المجمع ، وكان الزيات يشكو مرضاً فى عيْنه ، فقمت بقراءة دواوين المسابقة معه .. وكان الزيات معجباً كل الاعجاب بقصيدتك فى رثاء «اسمهان» ويقول إنها كقصيدة علي احمد باكثير فى رثائها » ..

ثم يقول الدكتور البيومى : لقد مدح ابن الرومى المطربة « وحيد » ورثى المطربة « بستان » فخلدتم صوادح الأيك بما أبدعتم من بيان .. ومازال يرن فى سمعى قول ابن الرومى فى رثاء بستان :

يا غضة السن يا صغيرتها
اصبحت إحدى المصائب الكبر
لو علم القبر من اتيح له
لانحفر القبر غير محتفر

ويقول باكثير فى رثاء اسمهان :

غرقت .. كيف يغرق النور والحسن (م)
وفن الخلود فى شبر ماء
ما تقولون ؟ هل تجدون أو تلهون
ام هل يجد صرف القضاء
لو حواها البحر العريض لضاق
البحر ذرعاً عن روحها الشماء
أو حوتها الصحراء لانتفضت ظلا
وماء فى جنة خضراء

لفتتنى رسالة الدكتور البيومى الى الدنيا لفتة حادة وإن كنت الآن قلما التفت الى شيء فى الدنيا ! ..

لقد مرت السنون بنا مر السحاب ، فمازلت اذكر كيف رأيت المرحوم علي أحمد باكثير أول مرة فى منتصف الأربعينات ، بعد أن عرفت اسمه وقرأت له منذ منتصف الثلاثينات فى مجلة «الفتح» العروبية الاسلامية التى كانت تصدر فى القاهرة ، والتى هى – فى الحقيقة – ديوان لشعر كوكبة ممتازة جداً من الشعراء العروبيين والاسلاميين المصريين فى تلك الأيام التى كان فيها صوت العروبة مجهولا فى الشعر المصرى ، لأن « الفتح » كانت محدودة الانتشار ! ..

ومن أراد أن يعرف عروبة الشعر المصرى كيف كانت فى ذلك الزمن فليطالع مجلدات « الفتح » .. وسيرى فى القسم الثانى من هذه المجلدات عروبيات باكثير الشعرية ، وعلى رأسها فلسطينياته التى لا أنسى من بينها قصيدته التى مطلعها :

بني يعرب ماذا دهاكم اجيبوني
الم تشهدوا أشلاءكم بفلسطين ؟

رحم الله باكثير ! ..ماذا كان يقول الآن لو بعث ليرى أشلاء بنى يعرب لا فى فلسطين وحدها بل فى لبنان وفى كل مكان ؟! ..

مضى على قصيدة باكثير هذه خمسة وأربعون عاماً حتى الآن .. ومازالت فى فلسطين بقية أشلاء تستصرخ بنى يعرب ليشهدوها ؟! ..

## باكثير الفنان

ثم نعود الى مجرى الذكريات .. وهو رثاء ودموع على كل حال ! .. والحديث ذو شجون ! ..

فحين رأيت المرحوم علي احمد باكثير وعرفنى ، كانت قصيدته فى اسمهان قد ذاع أمرها ، فاستنشدته إياها فتمنع ، فانشدته قصيدتى فى رثائها ، فاهتزت أريحيته وانشدنى قصيدته هذه البارعة التى ذكرنيها الدكتور البيومى ، وهى من احسن شعر باكثير واصدقه واندره ! ..

كان باكثير فناناً زاهداً عابداً متشدداً فى أمر الدين .. فكان نسيج وحده ، لم أر له فى هذا مثيلا ! ..

وهو الشاعر الاسلامى الوحيد فى عصرنا – وفيما قبله بطبيعة الحال – الذى اندمج فيما يسمونه « الوسط الفنى » ونظم مسرحيات شعرية وغير شعرية وكتب قصص افلام ، فضلا عما كتبه للمغنين والمغنيات من نظمه الفريد ..

ولو عاشت أسمهان لغنت من شعره كما غنت ام كلثوم ..

وكانت قصيدته فى رثاء أسمهان مثار تعليقات كثيرة : استحسنها المازنى ، ولاغرو ، فقد كان يحب باكثير ويشهد لشعره بالجودة ، بل استحسنها حتى العقاد الذى يتحفظ حيال كل شعر يسمعه أو يقرؤه .. أما الزيات فكان – كما حدثنا الدكتور البيومى – يستحسنها ويقرنها بروائع ابن الرومى فى مغنيات عصره مدحاً ورثاء ..

ويبدو أن حب هؤلاء الأدباء الكبار لصوت أسمهان كان له أثر فى حب ما يقال

# مراثي أسمهان في مجمع اللغة العربية

فيها من الشعر ، ولو كان رثاء وبكاء ! ..

واذكر انى طالعت منذ مدة فى مجلة «العربى» الغراء مقالة عن الاديب الكبير المرحوم احمد امين كتبها ابنه الاستاذ جلال ، يذكر فيها ان والده الكريم كان يعجبه صوت اسمهان اكثر مما يعجبه صوت ام كلثوم ، لأن فى صوت اسمهان حزناً ! ..

وبغض النظر عن راينا فى مسالة «الحزن» هذه ، نلاحظ ان صوت اسمهان لفت اسماع الجيل الماضى من كبار الادباء ، واعجبتهم شخصيتها المشعة بالجاذبية الفائقة .. فلا عجب ان يبكيها باكثير ، وان يتحزن عليها الزيات ولو بقراءة ما قيل فيها من رثاء ، ومن هذا الباب دخلت اسمهان الشعر المعاصر ..

اما قصيدتى - إن اذنت بالحديث عنها - فانى حاولت نشرها فى حينها « سنة ١٩٤٤ » بعد موت اسمهان بقليل فلم يتيسر لي ، مع انى بعثت بها الى مجلة « الرسالة » صحيفة الأستاذ الزيات ! ..

وظنى ان القصيدة لم تقع فى يده ، او ضاعت فى البريد ، وإلا فكيف يستقيم إعجابه بها حين قراها فى الديوان سنة ١٩٥١ ، وإهماله نشرها سنة ١٩٤٤ وقد نشر لي قصائد طويلة فى اكرم مكان من مجلته العظيمة ؟! .. ام هو حظى السيىء مع بحر « الرمل » .. فانى ما نظمت قصيدة منه إلا ساء حظها معى او حظى معها ! .. وقصيدتى فى اسمهان من هذا البحر ! ..

على اننى انشغلت عن قصيدتى بما قراته او سمعته من مراثى الشعراء لاسمهان ، ومازلت اذكر قول الشاعر الكبير بشارة الخورى :

اضاع جبريل من قيثاره وتراً
فى ليلة ضل فيها نجمه الهادى

ومنذ نظم ابن الرومى بدائعه فى مغنيات عصره ، ثم الشاعر ديك الجن فى رثاء جاريته المغنية ، وهى من ابدع الشعر لم يرث احد من كبار الشعراء مغنية ، حتى صدمت فاجعة اسمهان افئدة الشعراء فى عصرنا ! ..

لقد رثى امير الشعراء احمد شوقى بعض مطربى عصره امثال عبده الحامولى وعبد الحي حلمى وسيد درويش ، ولكنه لم يرث « المظ » مثلا ولا ذكر مطربة من مطربات عصره ، مع انه سمع اشهر هؤلاء المطربات ، ولكنه كان يلتزم فى امرهن بتقاليد بيئته الخديوية ..

## مراثى الأصوات الجميلة

وللشعراء على امتداد عمر الشعر العربى الطويل ، شذرات ومقطعات فى المغنين والمغنيات ، مدحاً او قدحاً او دعابة تجد ذلك فى الشعر الجاهلى والاموى والعباسى والأيوبى والمملوكى .. الى العثمانى ، حتى عصرنا ..

لكن رثاء المغنيات والمغنين نادر ، ونعتاض من ندرته بروعته وارتفاع طبقته ورهافة إحساسه وتفرده - على قلته - بمكان خاص فى شعرنا كله على كثرته ! ..

ولكم تمنينا ان يستحدث النقاد واهل العلم بالشعر العربى بحوثاً فى مراثى الشعراء للاصوات الجميلة ، فان هذا باب من البحث يقوم مستقلا باصله فى ادبنا ، إن اقامه احد من ذوى الكفاية والاختصاص ..

بقى ان اقول إننى لما جمعت ديوانى لاعرضه على المجمع اللغوى الموقر ، اوشكت ان احذف منه ثلاث قصائد ، اولها قصيدتى فى رثاء اسمهان ، والاخريان فى امتداح ام كلثوم ومطربة اخرى .. فقد ظننت ان لجنة الشعر بوقارها ، لن تتفهم بواعثى الشعرية فى هذه القصائد ، ثم نظرت فى قصائد ديوانى فوجدت ان ولعي بالغناء قد اشاع الكلام عنه وعن اهله فى قصائد كثيرة من الديوان ، لا يمكن حذفها منه .. فقلت فى نفسى : إن قبلوا الديوان .. وإلا فان قصائدنا اكرم علينا ! ..

غير انى كنت - ومازلت - لا اذهب بعيداً فى النظر الى قصيدتى فى اسمهان ، ولا ظننت انها تعجب الزيات ولا غيره ، وكل ما املته ان تغض لجنة الشعر عينيها الكريمتين فلا تحسبها لنا ولا علينا ، وقصرت املى على القصائد المطولة الرنانة فى الديوان ..

إلا ان الزيات - رحمه الله - التقط بذوقه المرهف معانى الأسى الصادق فى القصيدة ، وكانت هذه المعانى تساوره منذ وفاة احد اولاده صغيراً فى اواخر الثلاثينات ، وكانى به قرا من القصيدة هذه الأبيات :

كوكب عوجل فى فجر الصبا
وعدا الموت عليه فخبا
ضاء فى مصر فكانت مشرقاً
وثوى فيها فامست مغربا
واتاه الموت فاستنقذه
يا له مستنقذاً مغتصبا
اسمهان اى طير تعس
غال أهاتك لما نعبا ؟!

ويله من هاتف مستكره
كلما صاح بعمر ذهبا
طرق السمع ففشاه أسى
واتى النفس فشبت لهبا

ومنها فى غرقها ثم إخراجها من مياه «ترعة الساحل» التى سقطت فيها سيارتها وهى فى طريقها الى مصيف راس البر :

طلعت من دارها باكرة
ما درت اى قضاء كتبا
تنشد البحر لتنسى برهة
محناً جرن عليها حقبا
اوغلت حتى إذا مقصدها
نفحت انسامه إذ قربا
قفزت من حفرت ناضبة
لمسيل غامر ما نضبا
سلبت امواجه لؤلؤة
عظمت غنماً وجلت سلبا
اخرجوها روضة قد صوحت
وربيعاً بعد زهو اجدبا
لا اخاها ودعت إذ رحلت
ومضت لم تلق اماً او ابا
ورات كيف جرى السعد لها
لحظة ثم تردى وكبا

ومنها :

وقف الفن حزيناً والها
يذرف الادمع حتى تنضبا
ويوارى نجمة سيارة
اصبح الترب لها منقلبا
اين صوت كان إن غنى لنا
وثب القلب إليه وصبا
ذو انين وحنين إن سرى
مس دمعاً جامداً فانسكبا

وكنت اود ان اجيء بالكثير من قصيدة باكثير لولا انها ليست تحت يدى الآن .. والأمر فى يد صديقنا رئيس تحرير الدوحة فان شاء جعلناها موضع تحليل طويل يستمتع فيه القارىء بشعر باكثير على الاقل ..

ورحم الله الزيات والعقاد وباكثير وذلك الجيل ، لقد كانوا يعرفون قيمة فن الغناء ، وإن انقطاع هذا الفن من اى بلد لا يكون إلا عند انقطاع تقدمه وبداية اضمحلاله او سيره شوطاً بعيداً فى الاضمحلال ، كما يقول ابن خلدون وكما يقول كل مستقرىء للتاريخ ، وبخاصة تاريخ الامة العربية ، ومن شاء فليتامل الغناء العربى فى الآونة الراهنة ! ..

لقد كان غرق اسمهان سنة ١٩٤٤ ماساة ولوعة فى افئدة الكثيرين ، ولكن الافئدة الملتاعة سلت وخلت ، ولم تبق إلا نفثات قلوب الشعراء ! ..

كمال النجمي

# محاولة في تأويل عيني حبيبتي

شعر: حسن طلب

قاصدٌ سُدّةَ عينيْكِ .. وأنْصِتْ :
مِهرجانٌ من تَراتيلَ .. وسَجعٌ عربيٌّ
وجَماهيرُ تُصلّى ..
وحَوارِيّونَ فِيهمْ .. ونَبيّونَ يقولونَ وقومْ
قاصِــداً كنتُ .. وأنظرُ :
دَيْدبانٌ ومِحفّاتٌ وإيوانٌ وبابٌ ملَكِيٌّ
وحِصانانِ .. وخُوذِيّانِ تُركيّانِ بالبابِ ..
وقوْسانِ وسَهْمْ
قاصداً كنتُ ـ ومازلتُ ـ وألمِسْ
طَيلَسانٌ فيهِ وَشْيٌ .. وَدِمَقْسٌ فارسيٌّ
وتَصــــاويرُ ونقشٌ بابليٌّ
صِيغَ فى هيْئـةِ جُنـــدىٍّ كَمِيٍّ ..
وَحَريمٍ تَستحِمْ

أخِذٌ قِبلةَ عينَيْكِ .. وأقرأْ :
خَيْزُرانٌ ويَعافِيرُ وبَقْلٌ ونخيلٌ أُنثَوِيٌّ
ومَهاتانِ ويَنبوعٌ ورملٌ ..
وغزالٌ يسْتجِمْ
آخذاً كنتُ .. وأكتُبْ :
سَيْسَبانٌ فِرعَونيٌّ .. وغِيدٌ يتهادَيْنَ
وَوِلدانٌ ينادونَ : تَعالَيْنَ إلينـــا
ومَواعيدُ هــوًى تَمّتْ ..
وأُخرى سَتَتِمْ
آخذاً كنتُ ـ ومازلتُ ـ وأرسِمْ :
كَهرمانٌ وقَواريرُ ورَاووقٌ وأَضغاثٌ من الدِّفلى
وَماءٌ كهرَبائِيٌّ .. وسَيفانِ يَمانِيّانِ ظَلّا لم يُسَلّا
وَعناقيــدُ ضِياءٍ تتراءى ..
خلْفَ غيْمْ

●●●

هاتانِ العينانِ ـ فديتهما
قَابلتّانى فى أوّلِ حُلمٍ راودَنى
.. فتذكّرتُهما

حينَ عرفتُهما ..
أوّلتُهما .. فَجعلْتُهما :
حَقليْنِ وزيْتونَهما
وأشرتُ الى خُلصائى فى البأساءِ وحينَ العشْقِ ،
إليكمْ تأويلَهما :
لَيْلكتانِ وشطّانِ طويلانِ يميلانِ ولا يلتقيانْ
هاتانِ العيْنانِ الحقلانْ

●●●

هاتانِ العينانِ عشقتُهما
قابلَتانى فى أوّلِ حُلمٍ راودَنى
فتذكّرتُهما

حينَ عرفتُهما
أوّلتُهما .. فجعلْتُهما :
يَمَنَيْنِ وفيرُوزَهما
وأشرتُ إلى خُلَصائِى فى اللّأْواءِ وحينَ العشْقِ
إليكُمْ تأويلَهما :
أزَلانِ ودهرانِ مَديدانِ يَصيرانِ ولا يَبِيدانْ
هاتانِ العينانِ اليَمَنانْ

●●●



من واقع الحياة الشعبية

# نزار سليم

- فنان كبير من أسرة .. كلها فنانون
- رحل بعد أن ترك وراءه أكثر من ٢٠٠٠ لوحة .. وكثير من القصائد والقصص

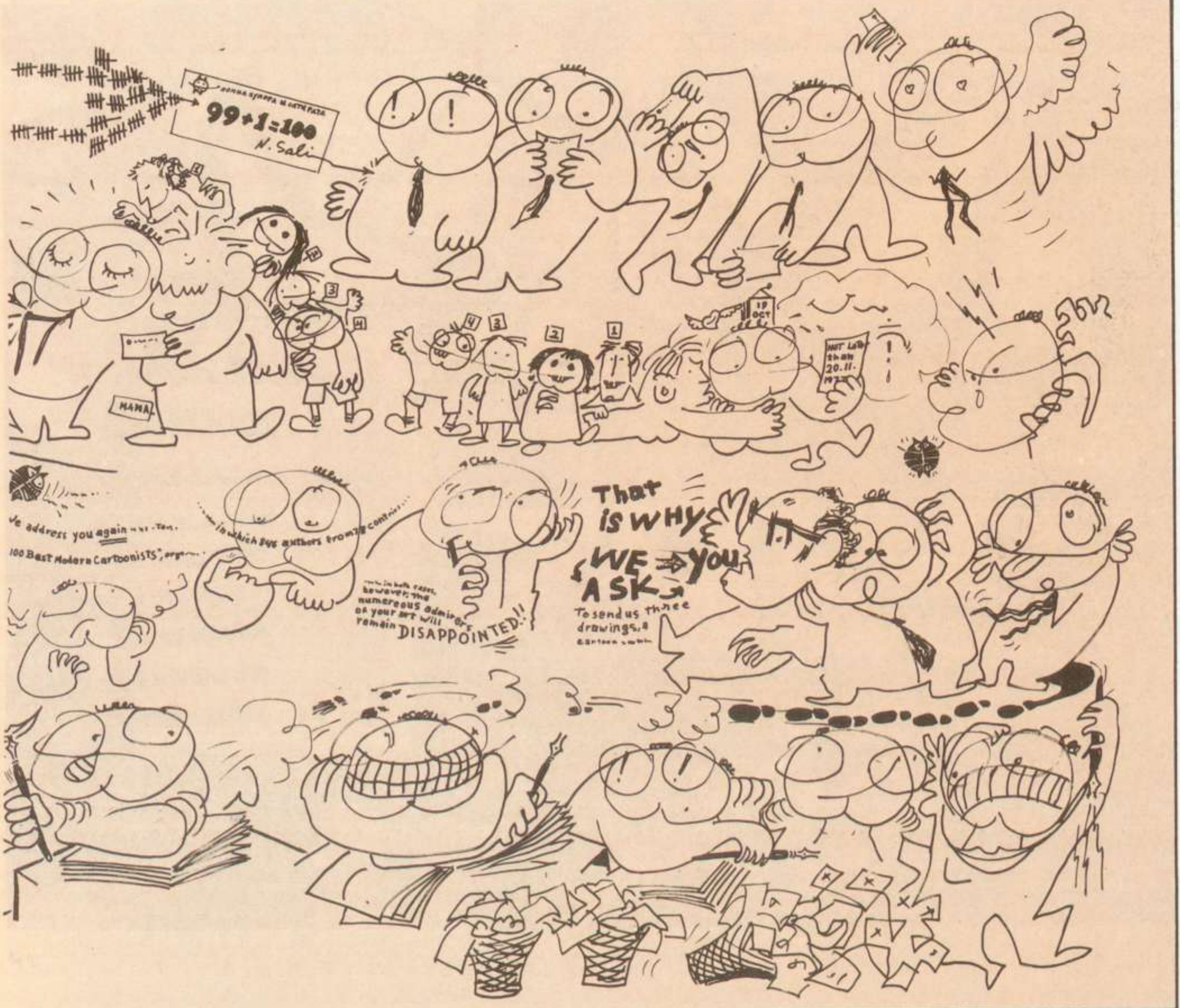
الوان

انه واحد من الفنانين الذين سيعيشون فى ذاكرة الثقافة والفن فى الوطن العربى ، فقد أعطى كل حياته من أجل الابداع الفنى والثقافى ممثلا فى لوحاته الفنية وانتاجه البارز فى فن النحت وفن الكاريكاتير ، وذلك بالاضـــــافة إلى ما قدمـه من كتب وقصص ومسرحيات وقصائد شعرية كانت كلها فى مجموعها تعبر عن مشاعر مرهفـة صادقة ، وتعدد ملحوظ لوسائل التعبير عن واقع الحياة المعاش كما أحس به فى أعماقه !

وقد ولد الفنان والقاص والناقد الفنى نزار سليم فى انقره بتركيا فى عام ١٩٢٥ من أبوين عراقيين ، وترعرع فى أجواء بيت كل أفراده من الفنانين ، فوالده الحاج سليم له أعمال فنية فى الرسم والتصوير ، واخوته رشاد وسعاد وجواد ونزيهة فنانون أثبتوا جدارتهم فى مجالات الابداع الفنى المعـــاصر فى العراق ..



الفنان نزار سليم صاحب المواهب المتعددة .




رسوم كاريكاتيرية تركها الفنان ضمن اعماله الخالدة .

## الميلاد والرحلة

ويروى نزار ذكرياته عن فترة التاثير والميلاد ، فنعرف أن والده الحاج سليم كان قارئاً للقرآن وحافظاً للمقام ومحباً للغناء ، وانه كان العضو الثالث فى لجنة اختيار المقرئين والمطربين والمغنين عند تاسيس محطة اذاعة بغداد .. اما اخوه الكبير رشاد فقد كان يقتنى كمنجة وعوداً الى جانب ادواته الزيتية ورسومه المائية وعشقه للمسرح والتمثيل .. وعندما يتحدث عن اخيه سعاد نكتشف انه كان من أوائل رسامى الكاريكاتير إلى جانب انه كان ممثلا ورياضياً ، وكذلك فان اخته نزيهة رسامة معروفة ، واخاه جواد سليم يعتبر من أعلام النحت والرسم فى عالمنا العربى ..

وهكذا ندرك أن نشاة نزار وسط بيت يتوفر فيه كل هوايات الفن والثقافة ، جعله يقرأ فى نهم كل ما يقع بين يديه من كتب قيمة ، وكانت النتيجة مبكرة عندما بدأ يكتب متاثراً بقراءاته العديدة ، فاصدر مجموعته القصصية الأولى بعنوان « أشياء تافهة » وتبعها بمجموعات قصصية اخرى وعدة مسرحيات مؤلفة ومترجمة ومجموعة من القصائد الشعرية .

وأثناء ذلك كانت هواية الرسم تسرى فى وجدانه إلى جوار التاليف ، وبعد أن تخرج من كلية الحقوق ودخل معهد الفنون الجميلة لثلاث سنوات ، اقام معرضه الشخصى الأول فى « بون » بالمانيا ، ليتبعه بعدة معارض اخرى فى بغداد والخرطوم واستوكهلم ، وليعين فى عام ١٩٧٣ كاول مدير عام للفنون الجميلة ، ولتكرمه وزارة الثقافة والاعلام وتقيم له معرضاً شاملا لأعماله فى عام ١٩٧٩ ، القى خلالها عدة قصائد من أشعاره ، بالاشتراك مع صديقه الشاعر المعروف بلند الحيدرى ..



الحنين

## الشعور بالتمرد

وقد حاول الكثير من النقاد أن يتساءلوا عن الطريقة التى يمكن بها تقييم أعمال الفنان نزار سليم : هل هو رسام أم نحات أم فنان كاريكاتير أم أديب موهوب ؟ ..

ورد على هؤلاء فى مذكراته بقوله : « ان عوالم نفسى متعددة الجوانب ، يراها البعض غير مستقرة على حال ، متضاربة ، وأراها متكاملة منسجمة تعمق فى ابعاد التجربة وتلونها فلا تبقيها على رتابة أو ضيق فانا أرسم واكتب واقرا واستمع للموسيقى ، وأجمع بين هذا وذاك ، ولا افرط فى اى جانب من الجوانب » ..

والواقع أن ذلك يجرنا ـ نحن ـ إلى سؤال : لماذا مارس الكتابة إلى جوار الرسم ؟ ..

وقد رد على ذلك السؤال فى أوراقه التى تركها شاهدة على موهبته الأصيلة عندما قال انه استطاع ان يقنع نفسه بالكتابة إلى جوار الرسم ، نتيجة لشعوره بالتمرد على بديهية ممارسة الرسم ، ونتيجة لأن فى أفراد عائلته من يتفوق عليه فى مجال الرسم ، ولذلك بحث عن وسائل تعبير أخرى يضيفها إلى موهبته حتى يتجاوز بها تفوقهم عليه ، وحتى يكون معهم على نفس القدر من القدرة على العطاء !

غير أن حبه لفن الكتابة ، لم يمنعه من أن يترك خلفه أكثر من الفى لوحة فى النحت والرسم الزيتى والمائى والتخطيطات والفخار ورسوم الكاريكاتير ، وهذا بخلاف لوحاته الأخرى التى كان يهديها إلى اصدقائه فى كل انحاء الدنيا !

## عقل وقلب الفنان

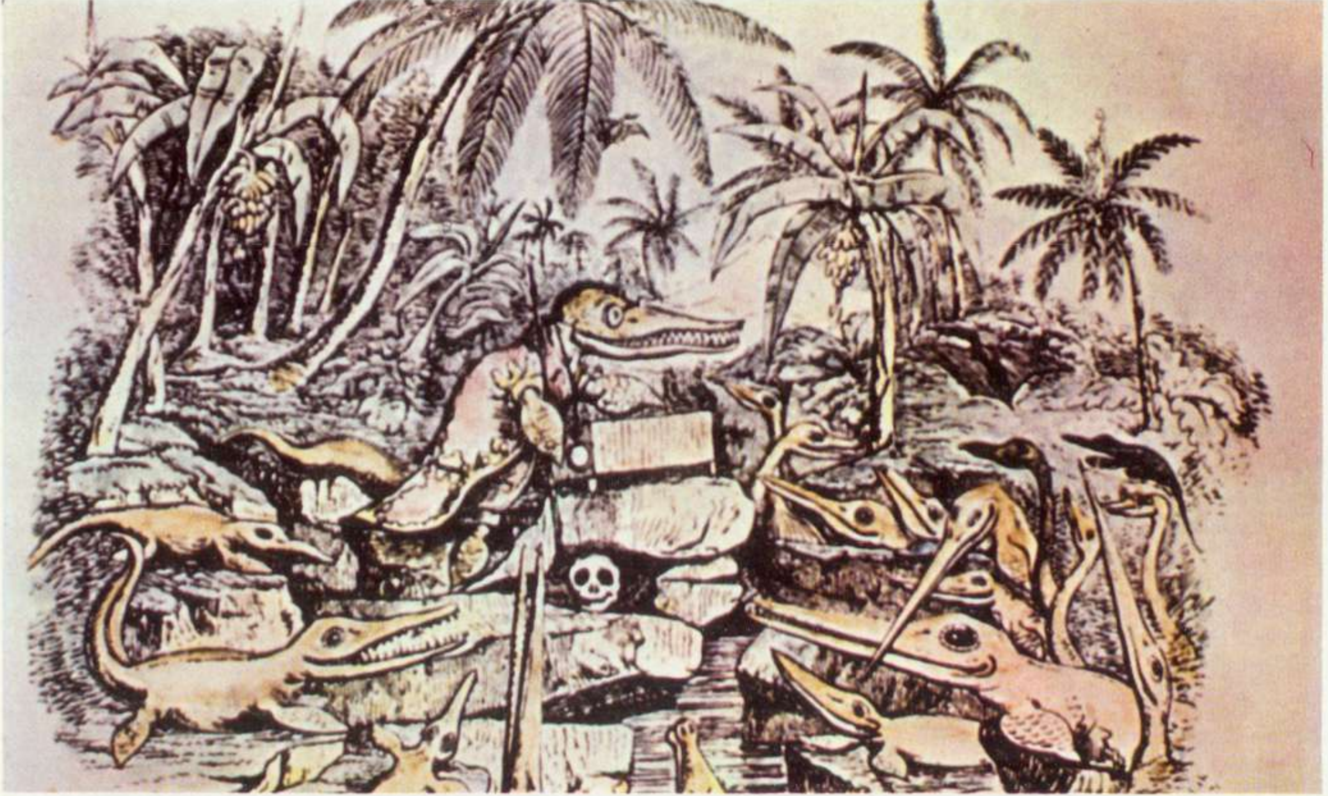
ان مجرد نظرة على الدور الذى قام به الفنان نزار سليم بالنسبة للفن التشكيلى ، تجعلنا ندرك مدى أهمية معرفتنا بجهوده الملموسة من اجـــل تطوير الحركة الفنية فى بلاده .. فمن ضمن الاعمال التى قام بها عندما كان مديراً عاماً للفنون ومستشاراً للفنـــون التشكيلية فى العراق ، أن كون نقابة الفنانين وكون هيئة ادارية لجمعيـــة الفنـــانين التشكيليين ، وعقد أول مؤتمر للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، واقام المعارض الفنية المتميزة ، وذلك الى جوار قيامه بدور رئيسى فى تكوين لجان ومؤسسات فنية مثل اللجنة الموسيقية والمعهد النغمى ، وتطويره لدار الأزياء التى تهتم ببعث تراث الأزياء ، وهذا بخلاف مساهماته فى تطوير الحـركة الثقافية والفنية وربطها بقضايا الانسان فى كل مكان ..

وفى أواخر أيامه ، أحس بالام مبرحة فى ظهره وقدميه ، جعلته يمكث فى فراش المرض ويطلب تفرغه للعمل كفنان ـ فقط ـ حيث أن حالته الصحية لا تساعده على الجمع بين العمل الادارى والعمل الفنى !

وتفرغ ـ فعلا ـ للعمل الفنى منذ عـــام ١٩٧٦ ، وطوال فترة مرضه لم يهدأ ، فقد كان شغله من الانتاج الفنى ، إلى أن فاجأته نوبة قلبية حادة فى يوم ١٣ مايو عام ١٩٨٢ ، ودع بعدها الحياة ليدفن إلى جوار اخيه الفنان الراحل جواد سليم .. وليعطيه النقاد فى مماته أكثر مما أعطوه فى حياته ، ولعل أجمل الكلمات التى قيلت فيه يوم وفاته ، ما قاله أحد أصدقائه :

ـ شلال من ضوء الحب الهادر يتساقط فى الذاكرة وهى تستنبت معها بذور الـــوداع اللانهائى .. وما تركه لنا من آثار فنية وأدبية وترجمة ، ستكشف لنا أى نوع من الحب كان « نزار » وأى انسان مبدع يحمل عقل مفكر ساخر وقلب طفل يلهو على مدارج الحياة ، ولهذا فان فن نزار سليم سيظل حياً فى ذاكرة الفن المعاصر ..

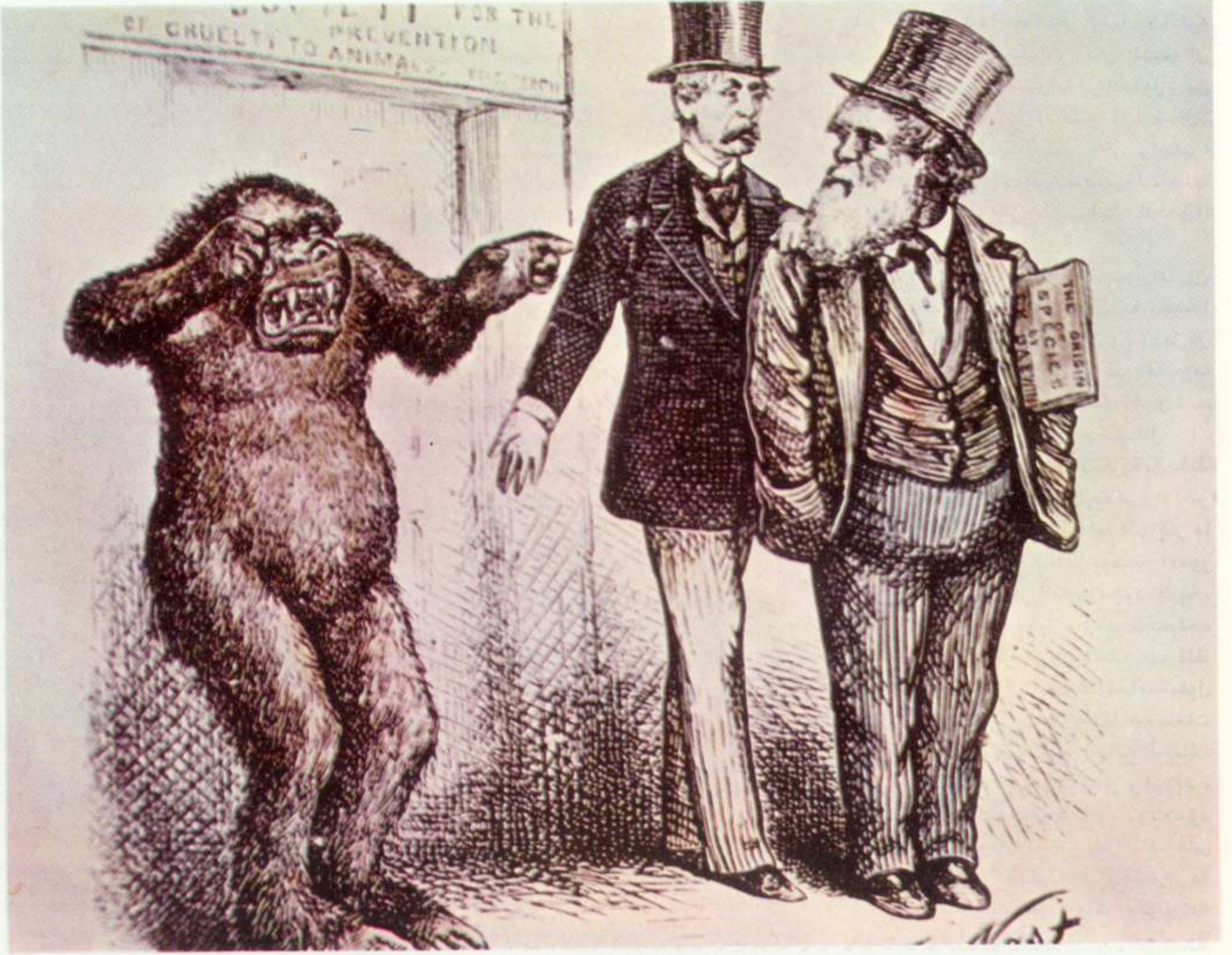
بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



فى هذا الرسم الكاريكاتيري الساخر ايضا ، يتصور الرسام ان بعض الحيوانات قد عقدت اجتماعا ، وظهر على المنصة احد الحيوانات المنقرضة ، ليلقي محاضرة ويقول : لعلكم تدركون ان الجمجمة التى ترونها امامكم هي لمخلوق من رتبة ادنى من الحيوانات ( يقصد طبعا الانسان ) . فالأسنان ضعيفة ، والفكان ضامران ، والمسالة برمتها تدعو الى العجب ، إذ كيف كان هذا المخلوق البدائي يلتهم طعامه ؟!

# مات رجل .. وعاشت نظرية !

فى الركن الشمالى الشرقى من كاتدرائية وستمنستر الشهيرة بلندن ، وبجوار قبر العالم الشهير اسحق نيوتن ، الذى طور مفاهيمنا عن قوى الجاذبية ، وصاغ معادلات حركة الأجرام السماوية ، يوجد قبر عالم شهير آخر يدعى تشارلز داروين الذى دفن فيه بتاريخ ٢٦ ابريل عام ١٨٨٢ .. وداروين غنى عن التعريف ، فهو صاحب أخطر نظرية طرحها فى القرن الماضى ، فأقام الدنيا ، لكنها لم تقعد حتى يومنا هذا .




صورة كاريكاتيرية ساخرة نشرتها إحدى الصحف عندما نشر داروين كتابه عن اصل الانواع ، وفيها يتهكم الرسام على داروين ( الذى يقف إلى اليمين ) ، والغوريلا هنا تحتج غاضبة ، لأن داروين قد سبها عندما اشار إلى ان الانسان ينتسب إليها ، وهي ترى ان ذلك يحط من شانها .. منتهى السخرية والتهكم .

والشىء الغريب ان الرجل قد دفن فى رحاب كنيسة عريقة ، وفى هذا تناقض ، لأنه فى عرف الكثيرين عدو للدين ، ولقد هوجم أول ما هوجم من رجال الدين ، وتلقى الاهانات واللعنات أثناء حياته ، وبعد مماته ، حيث اتهمه قومه بالكفر والالحاد ، لأنه قد جاء بأفكار غريبة تخالف ما وقر فى عقول الناس ، وبرغم هذا ، فقد كرم ودفن حيث يرقد الآن مع العظماء والنبلاء ، فهل يستحق ذلك حقاً ؟ .. دعنا نرى .

ورغم مرور مائة عام على موت داروين ، الا أن نظريته لازالت حية ، بل انها تزيد حيوية واشراقاً ـ لا فى عقول الناس ، بل فى عقول العلماء الذين يفكرون بطريقة منظمة ، مستمدين زادهم الفكرى من قوانين الكون ، وشرائع الحياة ، اذ كلما مرت السنوات ، وتطورت البحوث ، وزادت حصيلة العلماء من الأسرار الكثيرة التى تنطوى فى خلق الكائنات ، كلما اصبحوا من حقيقة التطور قاب قوسين أو أدنى .

والواقع أن أية نظرية علمية ، لم تحظ بجدل واسع ، ونقاش مستمر ، مثلما حظيت به نظرية التطور ، وأصل الأنواع ، وظهور الانسان على هذا الكوكب ، وعلاقته بما ظهر قبله من ملايين الأنواع ـ الباقية منها والمنقرضة .. وطبيعى أن الجدل المستمر فى أية مسألة علمية ، هو ظاهرة صحية ، خاصة اذا قام بهذا الجدل علماء متخصصون ، وليس ذلك مرده الى رداءة أو قصور فى النظرية ، لأن الردىء ـ على أية حـــال ـ لا يستحق جدلا أو مناقشة يضيع العلماء فيها وقتهم ، ويستهلكون طاقتهم ، فالردىء هو الذى يسقط نفسه بنفسه ، بل يرجع استمرار الجدل حتى اليوم ، أو فيما قد يتلوه من أجيال الى اختلاف فى وجهات النظر على النظرية التى وضع داروين بذرتها ، أو النظريات الأخرى التى جاءت بعدها .

## تصحيح واجب

والواقع أن مناقشة أية مسألة مناقشـــة هادفة ، يستوجب تفقها أو علما بالأصول التى تأسست عليها ، وقامت بها ، فاذا كانت المسألة طبية ، فالأولى الرجوع فيها الى فقهاء الطب ، واذا كانت قانونية ، فأولى بها رجال القانون ، وكذلك الحال مع المسائل الفلسفية ، أو العلمية أو الدينية أو الكونية

# مات رجل .. وعاشت نظرية !

.. الخ ، فهذا من شانه أن يضع الأمور فى نصابها ، ويحدد مساراتها ، ويوجهها الوجهة المفيدة ، لكن يبدو أن البعض قد الم بكل علوم دينه ودنياه ، وبحيث تجد عنده الجواب جاهزاً لأية قضية ، فيحسمها حسم الخبير المتمكن !

أذكر – عندما كنت فى مهمة علمية بانجلترا – أن احد العلماء الانجليز قد طرح على سؤالا فى بحث متخصص نشترك فيه سويا ، وقدحت ذهنى علنى أصل الى جواب مقنع ، وبعد فترة صمت ، كان جـوابى : لا أعرف ، ولما سالته بدورى ، قال : وأنا أيضاً لا أعرف ، فقد كنت أعتقد أنك تعرف !

ليس عيباً – اذن – أن يعترف الانسان بانه لا يعرف .. « فمن قال لا أعرف ، فقد أفتى » حتى ولو كان ما لا يعرفه ضمن فرع تخصصه نلك أن الانسان لا يمكن أن يصل الى نهاية المعرفة .

نقول قولنا هذا ، بعد أن كثر اللغط ، وانتشرت عندنا التصريحات فى المجلات والصحافة ، وتعددت الأحاديث فى الاذاعة تارة ، وفى التليفزيون تارة أخرى ، عن نظرية التطور ، والغريب ان جميع من ناقشوا النظرية وفندوها وهدموها لم يكونوا رجال علم ، عدا واحداً تحدث فى الاذاعة تحدث العالم الواثق ، والواقع انني لم اسمعه ، بل عرفت ذلك عن طريق تعليق طويل كتبه فى واحدة من أكبر الصحف المصرية اليوميـــة « أديب » يتسم تعليقه بالسطحية ، وفيه رد الأديب على العالم رد الذى يحشر نفسه فيما يجهل ، وطبيعى ان رده لم يتناول مسألة واحدة موضوعية ، وهو لا يستطيع ، ومن اجل هذا فقد ظل طوال التعليق يسخر ويسـب ويتهكم ويتهم بالكفر ويستخدم الفاظاً جارحة ويبدو أن هذا كان كل بضاعته ، وهى بضاعة العاجز ، والغريب أيضاً انه كان يتكلم باسم الدين ، ويدافع عنه ، وهو نفسه يسىء الى الدين دون ان يدرى ، أو يدرى .. لسنا ندرى ، لكن الذى ندريه أن الدين ليس غوغائيّة ، وليس كذلك وسيلة أرهاب فكرى ، بل يدعو الى الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، والجدل المفيد ، وليس عند صاحبنا – فى هذه المسألة – ما يفيد ، لكن هذه آفة التخلف ، وافة الكراهية للعلم .

ولقد أفرد التليفزيون المصرى حلقات لشيخ من أئمة الاسلام ، وهو لم يحدث الناس فيها عن الاسلام ، بل عن نظرية التطور ، ومدى مسايرتها للدين ، ولقد هدم بدوره النظرية دون الاستناد الى دليل علمى راسخ ، بل كان الهدم عن الهدم عن طريق كلام منمق يجد هوى فى نفوس الناس ، ويريحهم من عناء التدبر والتفكير .

وفى واحدة من المجلات المصرية الأسبوعية الواسعة الانتشار ، ناقش شيخ جليل له فى قلوب الناس مكانة كبيرة سؤالا طرحه عليه أحد الصحفيين لكى يدلى بدلوه فى نظرية التطور ، وطبيعى ان السائل والمسئول هنا كلاهما فى الهم سواء ، فلا السائل قد عرف الى من يتوجه بسؤاله ، ولا المسئول قد أشار عليه ان يطرح سؤاله العلمى على فقهاء العلم ، اذ « لا يفتى ومالك فى المدينة » !

وعلى مثل هذه الوتيرة تسير الأمور ، وهو كثير ، وكل يدلى بدلوه فيما يعرف ، وفيما لا يعرف !

## بين العلم والدين

ولقد كان من الممكن ان تمر هذه الآراء مرور الكرام ، وأن يكتفى الجميع بالقول بأن نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، أو هى تناقض ما جاء فى بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن خلق الكائنات عامة ، والانسان خاصة ، هذا رغم ان القرآن الكريم يحثنـا صراحة على البحث فى أصول الخلق ، وفى نلك تأتى اشارة واضحة . « قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق » .. اللهم الا اذا كانت الآية تعنى شيئاً غير ذلك ، « وفوق كل ذى علم عليم » .. أضف الى ذلك ان القرآن الكريم قد أشار الى اطوار خلق الانسان تلميحاً لا تصريحاً ، ومكتفياً بالايجاز دون الاسهاب ، حتى لا يحمل الناس أعباء فكرية قد تكون فوق طاقتهم ، وبالنسبة للزمن الذى نزل فيه القرآن ، وسوف نعود الى ذلك لتوضيحه ، ان لم يكن فى هذه الدراسة ، ففى دراسات أخرى قادمة نوضح لنا كيف يفكر العلماء ، وكيف يفكر الناس .

والواقع أن داروين قد بدأ حياته العلمية بالنظر فى الخلق ، فسار باحثاً فى الأرض ومنقباً عن أصوله ، وجمع فى هذا ثروة علمية هائلة ، وعلى اساسها وضع نظريته الشهيرة التى حاول بها أن يشرح أصول الخلق وتسلسله أو تطوره من بساطة الى تعقيد .

ولسنا هنا بصدد تفنيد آراء الذين تحدثوا عن التطور أو نظرياته بغير علم ، ثم هدموها فى بعض فقرات جاؤا بها على غير علم أيضاً رغم أن ما قيل فيها ، وما كتب عنها ، لا تكفيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن الهدف ان نوضح أموراً لازالت مشوشة فى العقول .. من نلك مثلا ان احدهم قال لسائله ، أو لا نسأل : هل هى حقيقة علمية ام نظرية ؟ .. وأجاب : انها نظرية ، ولكن غير الفاهمين استقبلها على انها حقيقة ، ومن هنـــا نشا الخطا !! (هكذا) .

ثم يردف قائلا : «وإذا كان التابعون لداروين أولا ، هم الذين فندوا نظريته ثانيا ، فلماذا نتعب نحن انفسنا فى هذا الموضوع تعبا أقل ما يوصف به اننا نجعل داروين فى كفة ، وما قاله الله الذى آمنا به فى كفة أخرى ؟ .. وحسبنا من هذا البحث ذلك الضلال » !

والخلط هنا واضح فى علاقة النظرية بالحقيقة فكانما الحقيقة فى واد والنظرية فى واد آخر ، والرجل معذور بلا جدال ، فهو على قدر ما عرف ، فقد أفتى ، ولابد هنا من توضيح الأمور فى نصابها ، فالقول بأن التطور مجرد نظرية ، وليس حقيقة علمية ، قول مجانب للحقيقة ، فالتطور ذاته حقيقة ، ولا يختلف على ذلك اثنان من العلماء ، ولا شأن لنا هنا بما يقول الناس ، لأن التطور سمة أصيلة من سمات الكون ، وشريعة واضحة من شرائع الحياة ، فهو يعنى أساساً التنوع والتغير والتجدد ، وعكس ذلك ركود ، والركود جمود ، والجمود سىء غاية السوء ، سواء كان ذلك على مستوى الأفكار او المخلوقات ، أو ما تزخر به الأرض والسماوات من ظواهر بيولوجية وطبيعية وفيزيائية وكونية ... الخ ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة الا العلماء ، لأنهم يعايشون هذه الظواهر ليل نهار ، ويستقون أصول علومهم من النظم المتقنة التى وضعها الله فى خلقه ، ثم تراهم يتتبعون مسارات هذه الأصول ، علهم يضعون ايديهم على فكرة الخلق ظاهراً وباطنا ، وليس فى ذلك حيود أو خروج عما أشارت اليه الآية « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

## بين الحقيقة والنظرية

ولكى تكون مناقشتنا لهذا الموضوع الحساس موضوعية ، وقائمة على أسس علمية ، فلا أقل أولا من توضيح نضع به النقط فوق الحروف ، ونبين الغث من السمين .

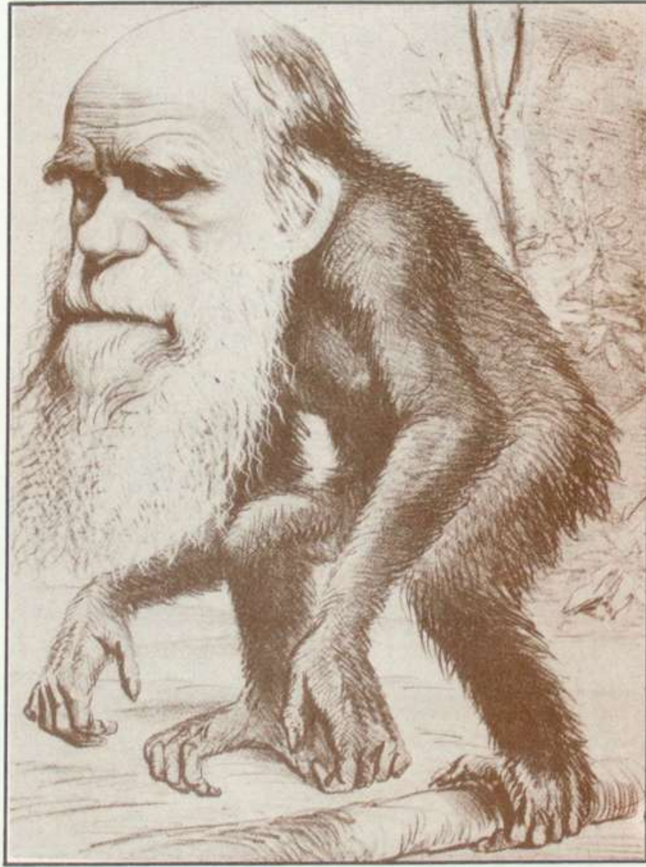
فما هى النظرية العلمية أولا ؟

هى التى – على حسب تعريف دائرة المعارف العلمية – تتضمن محاولات لشرح أو تفسير مجموعة من الظواهر الطبيعية ، وهى ليست مفصولة عن المنهج التجريبى ، لأن ادراكنا بأسرار الطبيعة يتطلب ربط النظرية

واطلاق الأقمار الصناعية ، ووضعها فى مدارات ثابتة ، لتنقل البرامج التليفزيونية ، وتيسر الاتصالات بين القارات ، ويتحدث عن طريقها المهاجمون للنظريات .

كل هذا وغيره يوضح لنا معنى النظرية العلمية ، وقيمتها فى ربط الحقائق الكونية ، وتفسير الظواهر والأسرار التى ينطوى عليها الخلق ، ثم تظهر اصالتها ايضاً فى تنبؤات قد تتحقق مستقبلا أو تطبيقات نافعة يثاب الناس بهـــا .

ثم ان نظرية التطور ليست الا واحدة من النظريات العلمية التى تناولت فكرة خلق الكائنات ، لكن لسوء الحظ انها الوحيدة التى تعرضت لهجوم قاس ، خاصة على مستوى الناس ، لاعتقادهم انها لا تتمشى مع ما نادت به الأديان ، وليس العيب فى النظرية بقدر ما هو عيب فى انماط التفكير السطحى ، فلقد اخذوا من النظرية ظاهرها دون ان يتعمقوا فى باطنها ، لأن الباطن قد تأسس على حقائق موجودة فى الخلق ذاته ، والخلق حق ، وفكرته حق ، وكل ما بنى على حق ، فهو حق ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .



لم يتعرض عالم من العلماء لمثل مـــا تعرض له داروين من تهكم وسخرية وتجريـح ، وها هو « داروين والقرد » كما تهكم عليه احد الرسـامين ، ولقد نشرت الصورة فى احـدى الصحف البريطانيـة عـام ١٨٧١ م .

بالتجربة العلمية ، ولهذا هدفان محددان ، أولهما : الكشف عن القوانين الأساسية الطبيعية ، وثانيهما : اســـتخلاص الاستنتاجات من هذه القوانين .

وهناك - بطبيعة الحال - نظريات علمية كثيرة ، وهى لا تنشأ من فراغ ، بل تعتمد أساساً على التأمل والدراسة والبحث الجاد ، لتجميع أكبر قدر من الحقائق البيولوجيـة أو الفيزيائية أو الطبيعية .. الخ ، والحقائق موجودة ، ولا خلاف عليها ، وهى تتجلى امامنا جميعاً بظواهر شتى ، لكن أحداً من الناس لا يكلف نفسه مشقة البحث فى اسرارها ، ومحاولة الربط بينها ، واستخلاص نسيج فكرى خاص يكشف به عن جوهرها ، والنسيج هو - فى نهاية الأمر - النظرية العلمية ، وهى التى نشأت أساساً من انماط التفكير العلمى الجاد فى حقائق الكون ، وهذا من اختصاص العلماء ، لأنهم ادرى بمضمونها . وهم الذين قاموا بصياغتها ، مستندين فى ذلك على حقائق مدروسة مقدماً ، ومن اراد أن يدلى بدلوه فى مناقشة اية نظرية ، فعلية أن يكون فقيهاً باساسياتها ، وملماً بكل عناصرها ، فيحدد لرجله قبل الخطو موضعها ، قبل ان ينزلق الى هاوية من الأخطاء التى لا تجوز الا على أصحاب العقول الساذجة .

خذ على سبيل المثال « نظرية الكم » لماكس بلانك ، وهى - ببساطة شديدة - نظرية تبحث فى طبيعة المـادة والموجـــات الكهرومغناطيسية ، والتفاعل بين هذه وتلك .. وكل هذا موجود فى الطبيعة ، ولا جدال فيه لكن كيف ندرك جوهرها ، ونتعرف على طبيعتها ، ونحاول ترويضها تجريبيـــاً وتطبيقياً ؟ ... ذلك ما فعله بلانك على أساس من تحليل رياضى ، تمخض عن نظرية ، أصبحت بمثابة « حجر رشيد » هذه الظاهرة الفيزيائية ، لأنها فسرتها ، وارشدتنا الى كثير من الحقائق الخافية ، ثم اثبتت اصالتها فى كل ما تعرضت له من اختبارات قاسية .

ونظرية النسبية أيضاً . كانت تحليلا رياضياً لالبرت اينشتاين للعلاقة بين المادة والطاقة والزمن والحركة ، وهى أيضاً محاولة جادة لتفسير الكون ، وتنبأت بامكان تحرير الطاقة من المادة ، وصحت النبوءة فى القنابل الذرية وغير ذلك من ظواهر قد يتشعب فيها الحديث ويطول .

ونظرية الحركة والمدارات فى الأجرام السماوية ، وعلاقتها بالجاذبية ، قد أتاح للعلماء ان يحسبوا كل شىء بدقة تامة ، وأن يتنبأوا مقدماً ، ولسنوات طويلة قادمة بالكسوف والخسوف فى الزمان والمكان بدقة تامة ، على هداها أيضا أمكن غزو الفضاء ،

## ما أشبه اليوم بالأمس البعيد

ويبدو ان الناس قد جبلوا على القفز الى الاستنتاجات قفزاً ، فهم يخطئون عندمـــا ينسبون الى داروين قوله بان أصل الانسان قرد وتطور ، رغم ان داروين لم يذكر ذلك حقاً ، لعلمه بالفجوة الواسعة التى تفصل بين القرد والانسان ، ثم قد يطرح الناس أسئلة ساذجة ، فيقولون : لماذا لم نلحظ قرداً يصيبه هذا الدور من الارتقاء ، حتى يصير الى انسان ؟ .. ثم يعقبون : ان داروين وأتباعه يقولون انها ارتقت فى حلقات ، فاذا كان كذلك ، فلمـــاذا لانرى حلقة من حلقات الحيوان ، ولا حلقة من حلقات النبات ، ترتقى امام اعيننا الى النوع الآخر ؟!

والذين يطرحون مثل هذه الأسئلة معذورون ، لأنهم لا يدركون ان عملية التطور محكومة بعوامل كثيرة ، ومنها عامل الزمن ، فلكى ينشق نوع اعلى من نوع ادنى ، فان ذلك لايحدث بين يوم وليلة ، ولا فى آلاف السنين ، بل يقاس ذلك بمئات الألوف أو ملايين أو حتى عشرات الملايين من السنين ، لكن ذلك موضوع طويل ، وسوف نعود اليه فى دراسة مستقلة ، لنوضح ما قدمنا فأوجزنا .

على ان مثل هذه الأسئلة أو الظنون الخاطئة عن النظرية ، ليست وليدة هذا العصر ، بل ترجع جذورها الى عام ١٨٥٩ عندما نشر داروين كتابه الأول عن « أصـل الأنواع » ، وطبع منه ١٢٥٠ نسخة نفدت

# مات رجل.. وعاشت نظرية!



صورة خطية لتشارلز داروين عندما بلغ من العمر ٣١ عاما ، وفي هذه السن المبكرة ، كان قد توصل إلى وضع الخطوط العريضة لنظرية التطور في عام ١٨٤٠ ولم ينشرها إلا في عام ١٨٥٩ .

جميعها فى نفس اليوم الذى صدرت فيه ، فأحدثت ثورة فكرية وعقائدية عارمة ، ثم زادت الصحف ورسامو « الكاريكاتير » . الطين بلة ، فانتشرت التعليقات الساخرة ، وراجت التهكمات اللاذعة ، لدرجة أن مجلة علمية نقدية ربع سنوية لها وزنها ، قد ادانت الكتاب ومؤلفه ، وقالت بالحرف الواحد « انه يحتوى على حقائق سخيفة ومنافية للعقل ، ومدعمة بتلفيقات عفنة من التخمين والظنون » .. وجاءت صحيفة أخرى لتقول : ان النظرية تناقض العلاقة الراسخة فى العقول بين الخلق والخالق ، وفهم كثير من الناس ان الانسان ليس خلقاً قائماً بذاته ، بل ـ على حسب النظرية ـ من سلالة قرود ، رغم ان داروين لم يتعرض لذلك حقاً فى كتابه ، ولم يذكره ، بل اشار فقط فى نهاية كتابه بجملة واحدة الى أنه سيعود فيما بعد ، ليتناول أصل الانسان بالنسبة للأنواع الأخرى ، لأنه لا يستطيع أن يكتم الحقيقة عن العقول الذكية الواعية .

وبعد حوالى عام من نشر الكتاب ، لم تجد الجمعية البريطانية لتقدم العلوم مخرجاً من هذا المأزق ، الا بعقد اجتماع باكسفورد فى يونيو عام ١٨٦٠ ، خاصة وان هناك ثلاثة بحوث مقدمة للجمعية لتفنيد آراء داروين ، ووأدها وهى لازالت فى مهدها ، وعندما سمع صمويل ويلبرفورس اسقف كنيسة اكسفورد بالنبأ ، حزم أمره لحضور هذا المؤتمر ليكيل لداروين الصاع صاعين ، ويجعله أضحوكة ، الا أن داروين استجاب لنصيحة بعض اصدقائه بعدم حضور الاجتماع ، وحضر عنه صديقه العالم البيولوجى توماس هكسلى الذى كان يتحيز للنظرية ، ويعرف فحواها معرفة الخبير الحاذق .

وامتلأت القاعة عن آخرها ، حتى انه لم يكن هناك موضع لقدم ، وتقدم الأسقف ، وانطلق هادرا ومهاجماً للنظرية وصاحبها ، وعندما لم يجد داروين اتجه ببصره الى هكسلى ، وحملق فيه ببرود شديد ، ووجه اليه سؤالا متهكماً ولاذعاً : هل يدعى هكسلى نسبه لقرد عن طريق جده لأبيه أو جدته لأمه ؟

وكظم الرجل غضبه ، وهمس الى صديق له بجواره « لقد اوقعه الله بين يدى » ..

وعندما انتهى الأسقف ، انطلق هكسلى كالنمر المتوحش نحو المنصة ، واخذ يدافع بحرارة عن أصول النظرية ، وفى قمة انفعاله جالت عيناه بين جمهور الحاضرين ، وقال : انه لا يشعر بالعار حقاً لانتسابه لسلالة القرود ، ولكن العار كل العار ان يقحم رجل مرموق نفسه فى مسائل علمية لا يفقه فى أصولها شيئاً ، ولقد شعر معظم الحاضرين بمرارة هذه الاهانة الذكية ، اذ فهمها البعض ان هكسلى كان يقصد انه لا يجد عاراً فى نسبه لقرد ، لكن العار ان ينتسب لمثل هذا الرجل .

وعند هذا الحد ، حدث هرج ومرج ، ووقف قائد السفينة التى حملت داروين فى رحلته الشهيرة وهو يلوح بعصبية شديدة بالانجيل ويصرخ « لم اكن ادرى اننى احمل فى سفينتى مثل هذه الأفعى الخبيثة ( يقصد داروين ) .. ان هذا هو الحق ( يقصد الانجيل ) » !

وانفض الجمع ونظرات الحقد والكراهية تكاد تلتهم العلماء القلائل الذين حضروا هذا الاجتماع الصاخب الذى صاحبته حالات من التشنج والاغماء والتهديد والوعيد ، وخرجت الصحف لتشير الى امكان حدوث مواجهة جديدة بين العلم والكنيسة ، اذ لم تكن هذه المواجهة هى الأولى من نوعها ، بل سبقتها مواجهات أخرى كثيرة ، كان أهمها سجن جاليليو ومحاكمته ، ثم اصرار الكنيسة على ان يتخلى جاليليو عن فكرة ان الأرض تدور حول الشمس ، حتى يمكن اطلاق سراحه فأعلن ذلك كراهية ، وعندما خرج ، أخذ يتمتم بينه وبين نفسه : ومع ذلك فلازالت الأرض حول الشمس تدور !

ومع ان كثيراً من المسائل العلمية التى اصطدمت بالعقائد المتوارثة قد انتصرت فى النهاية ، وسارت فى طريقها لا تلوى على شىء .. مع ذلك فلازالت نظرية التطور تجد حتى اليوم معارضين ، وخاصة من رجال الدين ، لأن فكرة خلق الانسان تتعارض ظاهرياً مع



لقد اتخذ داروين من بيته معملا ومكتبا ومكتبة ، وقضى فيه ٤٠ عاما ، وهو يدرس ويطلع ويقارن ويشرح ويجرب .. الخ ، عله يتوصل إلى صياغة نظرية معقولة للتطور ، وهي لازالت بدورها تتطور إلى الأحسن على يدي علماء القرن العشرين .

الأديان ، ونقول ظاهرياً ، لأن الناس يتعاملون مع الظاهر ، ولو اطلعوا على الباطن ، لعرفوا ان الخلق جميعاً قد توحد فى فكرة واحدة ، وهى بلاشك تشير الى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق ، وهذا ما سوف نقدمه فى دراسات قادمة ، لتتضح الأمور لكل ذى عقل رزين ، وهو ما كشفت عنه البحوث العلمية الجادة التى لم تتوقف بعد موت داروين ، والى الآن ، وبعد الآن ، لأن حلقات القصة لم تكتمل بعد ، رغم ان كل الدلائل تشير الى ان التطور حقيقة موروثة فى طبيعة الحياة ذاتها .

## الرجل والنظرية

والسؤال الذى قد يلح الآن على الأذهان هو : لماذا خرج داروين على الناس بنظريته الغريبة التى تخالف كل ما وقر فى عقولهم ؟ .. ومن اين جاء بها ؟ .. وكيف توصل اليها ؟

الواقع انه لم يأت بها من فراغ ، بل ان الحقائق التى ينطوى عليها الخلق هى التى رسمت له الطريق ، وهو طريق شاق وطويل بدأ فيه رحلته المضنية وعمره لم يتجاوز ٢٣ عاماً ، ثم لم يكل ولم يهدأ الا بعد موته عن ٧٣ عاماً .. اى انه قضى ٥٠ عاماً طوالا فى بحوث ودراسات جبارة عزل فيها نفسه عن العالم فى محراب العلم ، وظل يتأمل ويجرب ويقارن ويصنف ويجمع حصيلة علمية تنوء بها عقول الرجال ، وكان يعلم خطورة الاستنتاجات التى توصل اليها ، ويدرك مدى ما يمكن ان تجره من محن ومكاره هو فى غنى عنها ، لكنه كان كمن يحدث نفسه : هذه هى الحقيقة امامى واضحة ، فكيف اجبن وأخفيها ؟

ولا أحد يعرف قيمة الرجال ، الا اذا عرف كيف انجزوا ما انجزوا ، ولهذا يطلق العلماء على داروين انه « اسحق نيوتن » علم الحياة .. فهذا طور نظرتنا الى علم الفلك ، وذاك طورها فى البيولوجيا ، بدليل أن داروين لايزال حياً بأفكاره بين العلماء خاصة ، والناس عامة ، وان اختلفت نظرة هؤلاء وهؤلاء الى ما جاء به الرجل ، ولهذا لا يقيم العلماء الا العلماء .

وجدير بنا ان نلقى بصيصاً من الضوء على حياة داروين ، لنعرف كيف لعبت الصدف لعبتها فى تغيير مجرى حياته ، فلقد نشأ فى عائلة معظمها من الأطباء ، فوالده طبيب ، وكذلك جده لأبيه ، وعمه طبيب ، وهو بدوره قد ذهب ليدرس الطب فى جامعة ادنبره ، وعندما حضر اجراء عملية جراحية لصبى صغير بدون تخدير ( اذ لم يكن التخدير قد عرف بصورته التى نعرفها اليوم ) وسمع صراخه وشاهد آلامه ، اصابه الغثيان وهرب من حجرة العمليات ، فهجر الطب الى غير رجعة ، وذهب ليدرس اللاهوت فى جامعة كامبردج الشهيرة ، ليصبح قسيساً ،

# مات رجل.. وعاشت نظرية!

اذ انه كان « لايشك لحظة واحدة فى حقيقة كل كلمة من كلمات الانجيل » ــ على حد تعبيره ، لكن المنهج اللاهوتى لم يلق فى نفسه هوى ، واصابه بالضجر ، فهجره ، وهام على وجهه فى رحاب الجامعة دون هدف واضح ، وشغل وقته بالصيد ولعب الورق والتعرف على زملائه واساتذته ، واعجب بالعالم النباتى الموقر البروفيسور جون هنسلو ، وبالعالم الجيولوجى البروفيسور ادم سيدويك ، وبدأ يميل اليهما ، اذ وجد فيهما وفى العلوم الطبيعية ضالته المنشودة ، ومن ثم فقد تتلمذ عليهما ، ووجدا فيه بدورهما حماساً هائلا ، وطاقة جبارة للاطلاع والتحصيل والفكر المنظم ، خاصة وان داروين فى صباه كان يميل الى جمع الصخور والحشرات والأصداف والطيور ، ونمت هذه الهواية وترعرعت ، وصقلها بالمنهج العلمى الذى تلقاه ، واخيراً حصل على درجته الجامعية .

ولم يتوقف طموح الشاب عند هذا الحد ، بل سيطرت عليه رغبة شديدة لجمع أكبر عدد ممكن من الملاحظات والحقائق عن الكائنات الحية التى تعيش فى بيئات مختلفة ، وكان لقراءاته النهمة فى العلوم الطبيعية أكبر الأثر فى تشكيل انماط فكره نحو هدف محدد ، ولقد جاءته فرصة العمر عندما سمع عن قيام سفينة الأبحاث «بيجل» برحلة علمية الى امريكا الجنوبية وما حولها من جزر ، وأبدى رغبته لبعض اساتذته فى الجامعة ليستقل هذه السفينة ، فزكوه بجدارة ، ولكن بدون اجر يمكن ان يحصل عليه من الجامعة ، ووافق على ذلك ، وفى عام ١٨٣١ ابحرت السفينة فى رحلة قطعت فيها ٦٥ ألف كيلومتر ، واستغرقت خمس سنوات ، وكانت هذه الرحلة « أهم حدث فى حياتى ، لأنها قررت مصيرى » ــ على حد تعبيره .

وطوال السنوات الخمس استغل وقتــه اكفأ استغلال فى القراءة وجمع العينات ، وتدوين الملاحظات ، وتسجيل كل كبيرة وصغيرة عن البيئة والمناخ وطبيعة الأرض والصخور ، وعاد بحصيلة علمية هائلة لم يحظ بها أى عالم آخر ، ولقد كانت الحصيلة أكبر من أن يقوم بها انسان واحد ، وهو لم يدع انه يعرف كل شىء ، ومن أجل هذا فقط احتفظ بما يعرفه ليدرسه دراسة الباحث المتأمل الواثق ، ومالا يعرفه ، قام بتوزيعه على العلماء المتخصصين ، فأرسل الكائنات الحفرية مثلا الى د . ريتشارد اوين ، والطيور الى د . جون جولد ، والنبـــــاتات الى البروفيسور جون هنسلو ، والحشرات والعناكب والمحاوريات .. الخ الى آخرين ، وكل هذا بهدف المقارنة والتشريح والتصنيف واكتشاف العلاقات بين الكائنات الحية والمنقرضة ، سواء من هياكلها أو انسجتها واعضائها .. الخ ، وبالاختصار ، فان البحث فى أصل الأنواع استلزم فرقة كاملة من العلماء المتخصصين ، ليصبوا بنتائجهم وآرائهم فى منزل داروين الذى اتخذه بمثابة سكنه ومعمله ومكتبته وتجاربه ، وعاش فيه طوال عمره ، دون ان يلهيه منصب جامعى عن رسالته ، لأنه كرس كل عمره للبحوث والتجارب والتدوين المنظم فى اكداس من الورق ، نتيجة لخلق منظم ، وفكر منظم ، وليس فى هذا ما يضير ، أو يستلزم عداوة أو هجوماً على الرجل من احد .

وكان من نتيجة هذا الجهد الجبار ان ظهر كتاب أصل الأنواع ، الذى قضى داروين فى تأليفه ٢٣ عاماً طوالا ، بخلاف السنوات الخمس التى أمضاها بحثاً فى امريكا الجنوبية وما حولها من جزر معزولة .. وهذا ينبئنا بالقيمة الحقيقية للرجل ، ولقد كان يفخر دائماً بانه قد علم نفسه بنفسه ، ليس طمعاً فى الحصول على شهادات أعلى ، أو مناصب ارقى ، بل بحثاً عن الحقيقة فى أصول الخلق ، وهو هنا يشبه عملاق العرب عباس العقاد ، مع الفرق طبعاً بين رسالة هذا وذاك .

## عوامل شكلت حياته وافكاره

ولقد سئل داروين ــ بعد ان ذاع صيته ، وانتشرت نظريته ــ عن سر عزلته ونجاحه ، فأجاب : ان الذى حبب له العزلة ، هى السنوات الخمس التى قضاها فى السفينة أو على الجزر المعزولة ، رغم انه فى صباه وشبابه المبكر كان يحب الانطلاق والصيد ولعب الورق والشراب ، ثم ان النهم الى القراءة والاطلاع يستوجب العزلة ، ومن اجل هذا انتقل الى منزل ريفى بمقاطعة كنت مع شريكة حياته التى تزوجها بعد عودته من رحلته بثلاث سنوات ، ورزق منها بعشر من البنين والبنات ، مات منهم ثلاثة ، اكبرهم مارى التى توفيت عن عشر سنوات ، وكانت أحبهم وأقربهــم الى عقلــه ووجدانــــه .. وعندما سئل عن الزواج والأولاد قال « ان الأطفال أكبر سعادة فى حياة الانســان ، لكنهم مع ذلك قد يجلبون التعاسة عندما يموتون » .

ورغم وفاء زوجته ، ووقوفها بجواره ( وهى ابنة خاله ) ، رغم ذلك فقد أشــار « من المستحسن فى رجل العلم الا يكون لديه أولاد أو حتى زوجة ، فلا شىء فى العالم يمكن ان يكون بديلا عن العلم ، لأن العلم يتطلب مجهوداً وتفرغاً » .. ومع كل هذا ، فان داروين ــ بلاشك ــ قد حقق الكثير ، واضاف للعلم ثروة هائلة ، وهز الأفكار هزة كبيرة لا يزال اثرها قائماً حتى اليوم ، وهو يرجع ذلك لأسباب ، أولها حبه الشديد للعلم ، وثانيها صبره عليه ، وثالثها شىء من القدرة على الملاحظة والادراك والكشف ، ورابعها الفطرة السليمة للحكم على الأشياء حكماً صائباً ، وآخرها معرفة قيمة الوقت فى حياة الانسان !

وأيا كانت حياة الرجل ، فلقد أصبح الآن فى ذمة التاريخ ، لكن نظريته لازالت فى ذمة العلماء ، وهم أولى بها من الأدعياء ، اذ نراهم يقولون : ان العلماء انفسهم مختلفون فيما بينهم على النظرية ، وهذا صحيح من حيث المبدأ ، وليس ذلك فى الجوهر ، فالرجل قد ناقش التطور ، والتطور لاخلاف عليه ، لكن الخلاف قد تناول بعض بنود نظرية داروين ، وفرق كبير بين هذا وذاك ، وهو فسرها بما يتلاءم مع امكاناته هو ، وامكانات عصره المتواضع نسبياً ، لكن آلاف العلماء الذين جاءوا من بعده ، قد نظروا الى الخلق نظرة أعمق وأوسع ، مستعينين على ذلك بما وضعه التقدم العلمى المذهل بين ايديهم من وسائل علمية متقنة ، وبها صقلوا نظرية التطور بنظريات أكثر تطوراً ، فلا جمود فى العلم على رأى واحد ، بل يتناول اللاحقون ما قدمــه السابقون بالتعديل والصقل والاضافة ، لتصبح النظريات والحقائق أكثر تألقا فى العقول ، وأكفأ سبيلا فى فهم اسرار الكون والحياة ، ومن هنا يكتسب العلم اصالته ، والأصالة تنعكس على تقدم مذهل نراه واضحاً فى كل آن وحين .

وفى هذا الكفاية لقوم يدركون ويفقهون ، ولنا مع هذا الموضوع الكبير عودة ، علنا نوضح فكرة الخلق ظاهراً وباطناً ، ففيها زاد جميل للعقول الواعية ، ولا شأن لنا باللاهية .

د . عبد المحسن صالح الاسكندرية

# حكاية رجل لاتعرفونه .. !

بقلم : أم أكثم

● وجه عنيد كالريح

جاء شتاء .. ورحل شتاء
جاء صيف .. ورحل صيف
طرحت أشجار النخيل .. وعقمت أشجار النخيل .

زارتنا شموس .. وظللتنا أقمار .

و .. وجهك العنيد كالريح أبداً يطل علي في وحدتي .

أتذكرك .. من دون كل الوجوه .

الآن .. والبحر مرصع باليخوت الباذخة .

أتذكرك ..

وأهازيج البحر تنبعث من جهاز التسجيل جواري ولصداها شرخ أشبه ما يكون بانثلام جرة المـاء اليتيمة .

أتذكرك .. الآن
يا وجـــع البحـــر ...
يـــا وجـــعي ..

كنا نقفز ونتصايح كدجاجات مذعورة ونحن نعدو تجاه الشاطىء .. وأقدامنا الحافية تغوص في أوحال الأزقة الضيقة وروث البهائم .

رائحة الخبز تتسلل من كوى البيوت الطينية .. صياح الديكة .. طنين الذباب .. وثغاء الأغنام

الهواء حار جاف .. تندلع الشمس على ظهورنـــــا .

و .. أجسادنا الصغيرة تتفصد ملحـــاً .

وقفنا على صخور الشاطىء الحادقة مع الجموع التي ترقب أشرعة المراكب الآيبة بعد غيبة طويلة .. تتطاول أعناق الرجال والنساء .. تسري في الجو همهمات .. تعلو .. تستحيل إلى أغاني البحر الرحيبه .. وأنت .. بوجهك العنيد كالريح .. وعينيك المـورقتين بالرجاء تنتظر شامخاً كالنسر فوق صخرة .. ولون زبد البحر يظلل هامتك .. أتذكر حكاياتك .. الأسطورة .. مع البحر التى ترويها لي جدتي كل مساء ؟ .

رست المراكب .. وأهازيج البحر .. زغردة النساء .. وتهليل الصغار .. والأجساد السمراء تتعانق .. وأنت تدفع بمنكبيك الجموع تبحث عن ابنك .. عن ثمرة حقلك الوحيدة .

وتلقاك صدر «النواخذة» الأسمر .. احتضنك بشدة .. جفلت منه .. من حرارة لقائه .. غرست خوفك في عينيه .. وارتد إليك حزنك الشائك دموعاً حارقة لا تروي فجيعتك .

● ما أوجع موت النسور

اعتكفت كناســـك في بيتـــك الطيني الصغير .. وأمامك القوارب منثورة على الشاطىء كأصداف البحر الملونة .. ورائحة البحر تنبعث من حولك أيضاً اتجهت تذكرك بمن توغلت به مراكب الصيد بعيداً .. بعيداً .

زادك حبات تمر .. دورق ماء .. وجرح استعصى على الزمن .

افتقدتك .. بقدر ما أحببت حكاياتك عن الغوص والجن .. عرائس البحر .. والشياطين .. والجزر المسحورة .

قال لنا الكبار إنك أصبت بمس .. وحذرونا من الاقتراب منك .. لكني مع شروق كل يوم جديداً آتي إليك .. أزودك بالماء وحبات التمر .. وأنت صامت .

وبدأت تحوم ذاهلا في الأزقة .. وتهرول الى الشاطىء لتجلس على صخوره وجوارك عكاز .. عكاز أيها الشامخ كالنسر .. وتعود إلى دارك مع رحيل الشمس .

جاء صيف .. ورحل صيف .. طرحت أشجـــار النخيل .. وعقمت أشجار النخيل .. وأهمل الناس أمرك .. وبدأ بعض الصغار منا يجرون وراءك . وهم يصيحون ويصفقون « جاسم المجنون .. جاسم المجنون » أحياناً كثيرة كنت تقابلهم بالصمت الذاهل .. وأحياناً أخرى كنت ترفع عكازك في وجوههم وأنت تهذي بكلمات غير مفهومة .

حتى جاء يوم ذهبت فيه إلى « النوخذة » وأخبرته أنك ستجمع مالا كثيراً .. وستشتري أخشاباً قوية لتصنع منها مركباً وتذهب به الى الجزيرة المسحورة لتعود بوحيدك .

زاد يقين الناس بجنونك .. ورفضت أنا بطفولتي ذاك اليقين .. وبدأ الصغار لعبتهم معك .. قاموا بتمزيق أوراق بيضاء على شكل أوراق نقدية .. مسني الحزن والخوف عليك .. زجرتني يومها رفيقتي « لماذا تخافين ؟ إننا سنعطيه هذه الأوراق فان قبلها فهذا يثبت جنونه وعلينا أن نتحاشاه ، وإن لم يقبلها سيثبت لنا أنه ليس مجنوناً وعلينا أن نكف عن ازعاجه » .

وانطلق الصغار إليك وأنت جالس على الصخور وأخبروك بصوت واحد أنهم أحضروا إليك جزءاً من المال الذى تحتاجه .. نهضت فرحاً .. ورفعت ثوبك .. وقلت بصوت واهن متعب : « إذن ضعوه في ثوبي » وفعلوا كما أردت .. وقبلتنا جميعاً بحنان .. وعدت إلى صخرتك .. بعد أن ربطت ثوبك حول وسطك .. و .. تدحرجت الأيام .. والصغار من رفاقي يمارسون لعبتهم حتى بدا ثوبك أمامك كبرميل ضخم .

وفي إحدى الصباحات الشاحبة .. وقرص الشمس أكثر شحوباً خضت في البحر كعادتك .. وعاد الصغار الى صراخهم « جاسم المجنون .. جاسم المجنون » وأنت تواصل شق طريقك في البحر .. حتى ابتعدت كثيراً عن أنظارنا .. انتابنا الهلع .. وصرخنا نطلب المساعدة .

وعندما جاء الصيادون لنجدتك كنت قد توغلت في العمق .. ولم يبق منك إلا أوراق بيضاء طافية بدت كأجنحة الطيور المهاجرة .

محمود درويش ومعين بسيسو
في قصيدة مشتركة :

# من وسط الحصار : رسالة إلى جندي إسرائيلي

« بيروت فى بيروت
واقفـــة
وعصفور على المتراس
واقف
بيروت فى بيروت
واقفـــة
وشباك على الانقاض
واقف
بيروت انثى ....
ترضع من اصابعهـــا
العواصف »
نكتب لكْ
من قبل ان تشعلنا قذيفة أو تشعلك
رسالة المحاصر الأخير للمحـــاصر الأخير
نكتب من شظية ارسلتها ..
لتحملك
من عتمة الجيتو الى اجسادنا ..
نكتب لك
لنســألك
الى متى تحارب الجزيرةُ البحرا ؟
الى متى تستخرج التفاح من ضلوعنا
والياسمين من عيوننا ؟
الى متى توسّعُ القبرا
وتسكن القبرا ؟
نكتب لك
من قبل ان تشعلنا قذيفة أو تشعلك
نكتب من بيروت ، من قصيدة
الحصـــار
مطلعها ،
لنسألك :
من الذى يحاصر الاخرَ ؟
من يستوطن الحديدْ
ام الذى يعيش فى النشيد ؟؟
نكتب لكْ
من قبل ان تشعلنا قذيفة او تشعلكْ
يا أيها المسربل السكران بالدروع

يا أيها المصفَّح المدرع المجنزرُ السجينُ والسجانْ
هل أنت فى أمان ؟

● ●

الآن ...
وأنت فى الدبابة الزنزانهْ
وأنت خلف غابة القضبان
هل أنت فى أمانْ ؟

● ●

تسأل عن « إستير »
هل تواصل السباحهْ
فى بحر عسقلان ؟
هل تكسرُ الموجة مثلما تكسّرُ الرمانْ
وتنجب الاطفال فى أمانْ

● ●

هدَمْتَ كما هدمتْ
قتلتَ من قتلتْ
رأيتَ ما رأيتْ
فجّرت وانفجرتْ
كسرت وانكسرت :
هل أنت فى أمانْ ؟

● ●

كيف ترانا الآن فى لبنان :
كيساً من الرمل
أم كبشاً من الدخان ؟

● ●

يا أيها التائه فى خرافة المكان والزمانْ

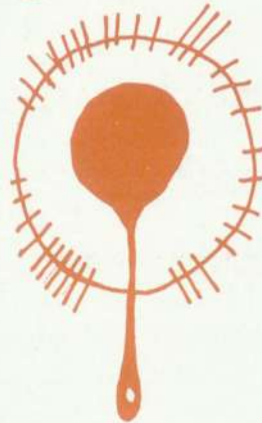


يا ايها التائه فى خرائط النسيانْ
يا ابن القرابين ويا ابن النار والسكينْ
ماذا تعلّمتَ من الذكرى
ومن رماد لحمك المطحونِ فى « أوشفيتس »
يا من يجر خلفَه الطاحونْ ؟
وهل أخذت من سقوطِ « اورشليمْ »
وسبْيك القديمْ
وعجلك القديمْ
وعهدك القديمْ
غير حصى المقلاع من داودْ
تصكه اسلحةً وأنبياءْ
وتطرق اللحمَ على السندانْ
تطرقه نيشـــــانْ
يا ايها الجلادُ والقربانْ
هل أنت فى أمانْ ؟



• •

عائشة فى العاشرةْ
سريرها إكياس رمل
و « سارة » فى العاشرةْ
شباكها مراة أمنا
ووجه أمنا يُطِل
وأنت من دبابة تُطِل
فلا ترى الا دماءنا
على يديك شمعدانْ
هل انت فى امانْ ؟؟



• •

حصارنا طويلْ
البحر من ورائنا
وأنت فى دمائنا
حصارنا طويلْ
أجسادنا خنادقْ
ودمنا حرائقْ
ومن فَمِ البنادقْ
ترجّل الخالقْ
وألّف الجليلْ
حصارنا طويلْ
سنخبزُ الحجَرْ
ونعجنُ القمَرْ
ونكمِلُ السفَرْ
فى نهرنا الجميلْ
حصارنا طويلْ




الاسم فى الخاتم
والله فى آدَمْ
سيولد العالمْ
من جرحنا ـ القنديلْ
حصارنا طويلْ

• •

كيف حصاد اليومْ ؟
هل ارتويت من دوىّ الدم ؟
هل قتلتَ واكتفيت
ام قتلت واكتشفت
فلم يزل عندك ما يكفى من البنزين والقنابلْ
كي تحرقَ السماءَ أو حقلا من الامواج والسنابلْ
وباقة من الجداول . ؟
يا أيها الوجهُ الذى
تخافه عرائسُ الاطفالْ
يا أيها الوجه الذى بلا ظِلالْ
يا أيها الوجه الذى أصبح وجه القاتل الجوّالْ
يا أيها القتيل فى قاتلْ
طويلة هى السلاسلْ
من بابل لبابلْ
من متى تكسّر المرايا
وتحمل الجنود والسبايا
من بابل لبابلْ
الى متى تقاتلْ
الى متى ترشّ فى عيون العالم الدخانْ
الى متى تشعر بالامانْ ؟

• •

يا أيها الوجه السداسىّ
يا أيها الصوت النحاسىّ
يا ايها الصارخ فى الشوارع
المبعثرة
تبحث عن تيه لنا

# محمود درويش ومعين بسيسو في قصيدة مشتركة :

ومقبرةْ
وشارع وحفرة فى الهواء
يا أيها المجنزر المصكوك فى المجنزرةْ
ترى وجدت المقبرةْ ؟
وهل تراك تعترفْ
قبل فوات الوقت تعترفْ
بأن بيتنا هناكْ ..
وبحرنا هناكْ
وبرتقال الساحل المزهر فى « دليلةْ »
هنـــاكْ
وموسم الطفولةْ
هنـــاكْ
تاريخنا مطرْ
تلويحنا حجرْ
ولم نزل هناكْ
هنـــاكْ
هنـــاكْ
جذورنا تراكْ
حذار أن تعلّم الاطفالْ
ان يتبعوا خطاكْ
حذار من طفولة البركانْ
حذار ان تشعر بالامانْ !

● ●

يا ساكن الدبابةْ
هل يستطيع المرء ان يبول ، طول العمر ، فى دبابةْ ؟
هل يستطيع المرء ان يقرأ أن يكتب فى الدبابةْ ؟
هل يستطيع المرء أن يطيّر الحمام فى دبابةْ ؟
ان يغرس الأشجارَ فى الدبابةْ ؟
يا قادما من رحم الدبابةْ
يا عائدا لرحم الدبابةْ
الى متى تظل فى مخالب الدبابةْ
الى متى تظل فى أمانْ ؟

● ●

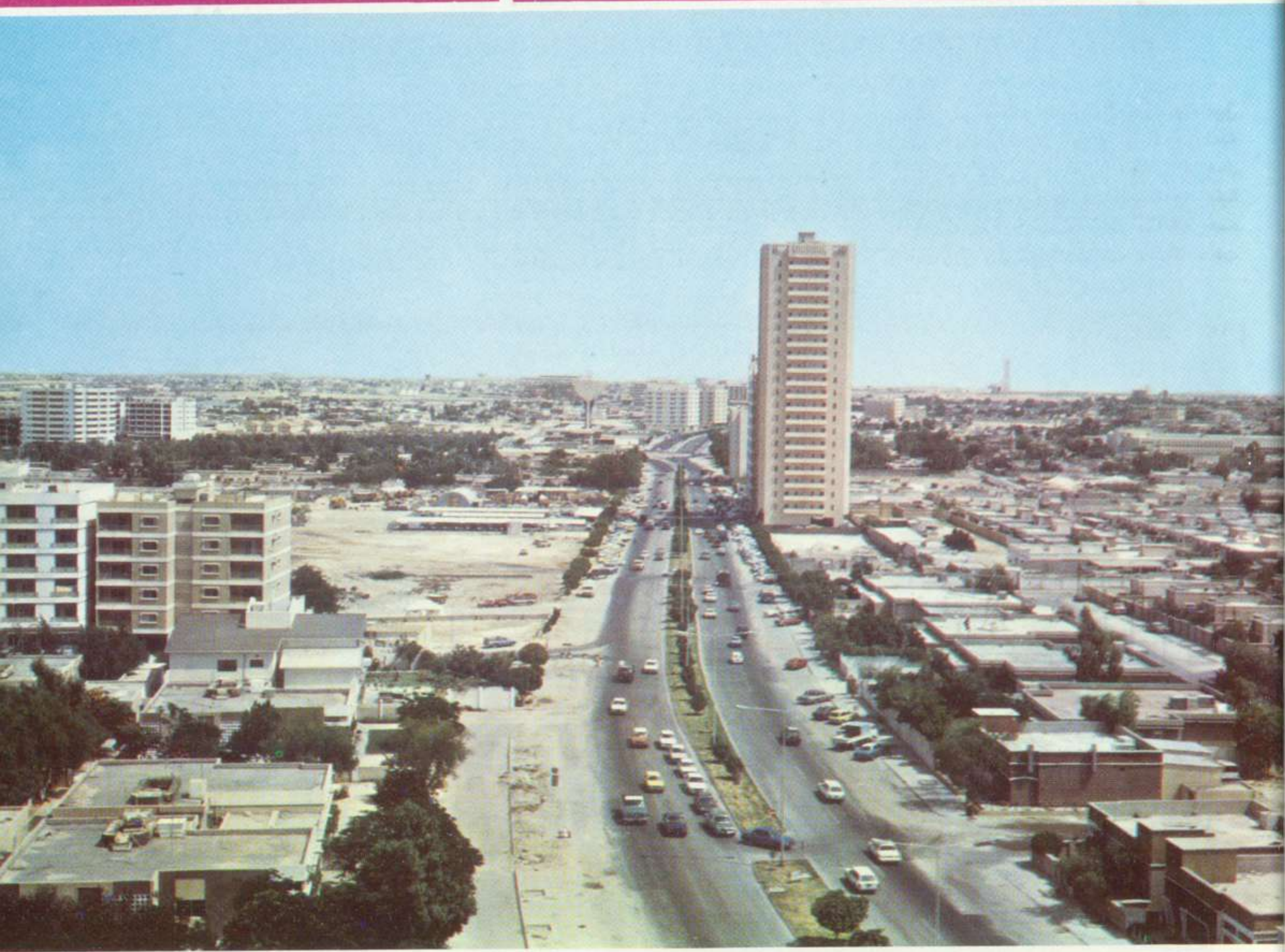
ماذا كتبت اليوم فى الرسالة الجديدةْ
لـ « إستير » البعيدة ؟
هل قلت : إني عائد قريباً ؟

الحرب سوف تنتهى قريباً
لم يبق الا خندق من اللهبْ
ومدفع ، وشارع ، وحفنة من المحاصرينْ
فوق كومة من الحطبْ
وتنتهى الحربُ التي تنجب حرباً تاليةْ
وهكذا ، وهكذا سوف تدور الساقيةْ
وتغسل اليدينْ ،
وكيف تغسل اليدينْ ؟
وقطعة الصابون رأس طفلْ !
والماء رمل الرملْ !
فكيف بعد الانْ
تسير فى أمانْ .. ؟

● ●

يا أيها الوجه السداسيّ
الذى يستوطن الوطنْ
الى متى تحارب الزمنْ ؟
الى متى تظل جثتى تذكارْ
تدق مثل ساعة الجدارْ
الى متى تظل خائفاً من كل موجة تلقى على الرمالْ
منديلَها ؟
الى متى تظل خائفاً من كل وردة تلقي على الجبالْ
قنديلَها ؟
الى متى تظل خائفاً من قدم الغزالْ
الى متى تظل خائفاً من برعم الزلزالْ ؟
الى متى تظل فى انتظاركْ
وفى انتظار لحظة انفجارنا
فى لحظة انفجاركْ
الى متى يظل هذا الماء موتا بيننا
والخبز موتاً بيننا
الى متى نموت ؟
الى متى نموت ؟
كأننا وجهانْ
لجثة واحدة ، وبيننا الطوفانْ !
الى متى تظل حاملا على اكتافك
التابوتْ ؟
يا صاحب التابوتْ
هل أنت فى أمانْ؟
هل أنت فى أمانْ؟

## جزء خاص :
## ١١ عامًا على استقلال دولة قطر



# مسيرة الاستقلال في الداخل والخارج

● ● منذ استقلال دولة قطر فى ٣ سبتمبر عام ١٩٧١ ، وهى تمضى فى مسيرتها التاريخية من أجل توطيد صرح الدولة الحديثة .. هذا الصرح الذى تقوم دعائمه على الجهد والعمل ، ويستند الى سياسة واعية فى الداخل تحقق التنمية الشاملة والاستقرار الاقتصادى ، وقواعد ثابتة فى السياسة الخارجية ، تستمد جذورها من الحرص المستمر على التعاون والتضامن مع الدول الخليجية والعربية والاسلامية ، ومناصرة كافة القضايا العادلة فى المجتمع الدولى ..

وقد استطاعت هذه السياسة الحكيمة أن تحقق لقطر خلال ١١ سنة من الاستقلال مكانة مرموقة فى الأسرة العربية والأسرة الدولية ، فى نفس الوقت الذى اتجهت فيه دولة قطر إلى بذل جهودها لتحقيق حركة انمائية شاملة من أجل اللحاق بركب عالمنا الحاضر وارتياد آفاق التقدم الانسانى المعاصر ..

إن قطر تخطو فى ظل الاستقلال عاماً بعد عام نحو التقدم والرخاء وأداء رسالتها العربية والاسلامية والانسانية على أفضل الأسس والمبادىء ، تحت قيادة أميرها المفدى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ● ●

١١ عامًا على استقلال دولة قطر

# من كلمات القائد في ظل الاستقلال

● لقد احتفلنا من قبل بتخريج خمس دفعات من جامعة قطر ، واليوم نحتفل بتخريج الدفعة السادسة التى يبلغ بها مجموع ما خرجته الجامعة من ابنائنا حتى الآن ما يقرب من ألفى خريج وخريجة فى مختلف الدراسات والتخصصات العلمية ، وهو عدد يمثل انجازاً جديراً بالتقدير ، ولا سيما أن عمر الجامعة لا يزيد على تسع سنوات .

( ٥ يونيو ١٩٨٢ )

● منذ أن حصلنا على استقلالنا وفزنا بسيادتنا الكاملة قبل عشر سنوات ، لم نتوان عن أن نرسى لكل من سياستنا الوطنية ، والقومية العربية والاسلامية ، والانسانية ، أسساً ثابتة ، ولقد تمثل نهجنا فى أن نستمد جوهر هذه الأسس من تعاليم ديننا الاسلامى السامى بحيث نحتفظ بذاتيتنا الاسلامية الأصيلة ، ونستنبط روحها من تقاليدنا العربية النبيلة ، بحيث نصون شخصيتنا العربية العريقة ، وفى ذات الوقت ، حرصنا على ضرورة الاستجابة القويمة لمتطلبات التحديث فى عالمنا الراهن للحاق بركب تقدمه العلمى والصناعى .

( ٢ نوفمبر ١٩٨١ )

● من الحقائق الثابتة أن الأسرة الدولية كلها أصبحت قوية الايمان بان إقامة السلام الشامل العادل فى الشرق الأوسط ، يرتهن بحل القضية الفلسطينية حلا شاملا عادلا ، لأنها تشكل جوهر النزاع فى المنطقة التى يهدد استمرار اضطراب حبل السلم والأمن فيها السلم والأمن الدوليين .

( ٢٩ نوفمبر ١٩٨٠ )

● لما كان من الحقائق الثابتة أن القوة الاقتصادية هى أقوى قواعد التقدم والازدهار وأكثرها قدرة على تحقيق الأمن والاستقرار الضروريين لحماية استقلال الدول وسيادتها وصون حقوقها وكرامتها ، لذلك نادينا ومازلنا ننادى بان أمثل مدخل إلى تحقيق تلك الأهداف ، هو بناء قوتنا الاقتصادية الذاتية المشتركة بافضل الطرق وهو طريق التدرج المرحلى المتانى نحو انشاء نواة لاتحاد اقتصادى بين دولنا العربية الخليجية ، واننا لنحمد الله على أن هذه الدعوة هى الآن دعوة استقر اجماع كل هذه الدول على تأييدها .

( ١٥ نوفمبر ١٩٨٠ )

● لقد باءت بالفشل كل مناشدات قادة العالم ومحاولات حكوماته ، خارج الأمم المتحدة ، لحمل اسرائيل على العدول عن اصرارها على استمرار عدوانها على الحق الفلسطينى ، الذى لا يمكن قيام سلام فى الشرق الأوسط الا برده لأصحابه .

( ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ )

● إن قدوم القرن الخامس عشر الهجرى يقف بنا نحن المسلمين على مفترق الطرق ، ويطالبنا أن نقف وقفة نراجع فيها انفسنا ونحدد بها ما يجب علينا نحو أمتنا ونحو العالم من حولنا .

( ٢٥ نوفمبر ١٩٧٩ )

● السياسة الداخلية لدولتنا تقوم على أسس علمية ، وتستند إلى قيم وطنية نستلهمها فيما نحن بسبيله من العمل للحاق بركب التقدم ، ومتابعة رحلة النمو من خلال الجهود التى نبذلها لاستثمار موارد أرضنا الطيبة على أحسن نحو ، وتنويع مصادر دخلنا ، وانماء امكاناتنا الصناعية وتوسيع رقعتنا الزراعية بكل القدر الذى نستطيع .

( ٢ نوفمبر ١٩٧٨ )

● أما عن الثروة البشرية ، فتنميتها تستهدف زيادة قدرة المواطن على الانتاج المثمر فى ميدان الفكر والعمل . وتحقيق هذا الهدف يتطلب فى أن واحد مواصلة رفع مستوى التحصيل العلمى والعمل للمواطن وتوفير الخدمات العامة والرعاية الاجتماعية الملائمة له . ولقد حققنا فى هذه المجالات جميعها انجازات كبيرة خطت خطوات واسعة إلى الأمام .

( ١٦ ديسمبر ١٩٧٥ )

● إن المرحلة التى نعيشها الآن مرحلة تاريخية مجيدة ، لأنها مرحلة بناء صرح دولتنا العصرية وتأمين موفور الهناء لشعبنا الطموح ، ولا يكتب الفلاح لهذه المرحلة فى حياة الأمم الا اذا ارتكزت على جهود خلاقة لعوامل التقدم منشئة لمقومات الارتقاء والرخاء .

( ١٨ نوفمبر ١٩٧٤ )

● لقد أشرق على بلدنا الغالى هذا اليوم .. عهد جديد نحرص بتأييد الله وتوفيقه على أن نجعله عهد يمن وازدهار وعدالة واستقرار .

( ٢٢ فبراير ١٩٧٢ )

● تنفيذاً لقرار اعلان استقلال بلدنا ، قررنا إنهاء العلاقات التعاقدية الخاصة وجميع الاتفاقيات والالتزامات والتنظيمات المرتبة عليها المبرمة مع الحكومة البريطانية . وبذلك تصبح دولة قطر دولة مستقلة استقلالا تاماً وذات سيادة كاملة . تمارس كل مسئولياتها الدولية بنفسها ، وتتولى وحدها سلطانها الكامل فى الخارج والداخل على السواء ، وسنبدأ فوراً باتخاذ الاجراءات اللازمة لانضمام دولتنا العربية الفتية إلى جامعة الدول العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة .

( ٣ سبتمبر ١٩٧١ )



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

# الشباب صانع حضارة الغد

من أجل مشاركة الشباب فى صنع حضارة الغد المشرق ، حرصت دولة قطر فى انطلاقتها الحضارية على بناء الشباب واعداده ليتولى مسئولياته فى مختلف مجالات الحياة بكل ما اكتسب من دراسة وخبرة ووعى وخلق قويم ينبع من الايمان بمبادىء ديننا الحنيف وتعاليمه السامية وقيمه النبيلة .

وأعطت الدولة الثقة للشباب فى أن يكرسوا ما كسبوه من معارف علمية وما ظفروا به من قدرات فنية للقيام بواجباتهم المقدسة نحو وطنهم والمشاركة بكل امكاناتهم فى تحقيق ما نصبوا إليه من نهضة شاملة .

وفى ظل هذه السياسة الحكيمة كان لابد أن تتوحد طاقات الشباب فى مسيرة هادفة، ولذلك تم انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب حتى يقوم بدوره فى إرساء أسس التخطيط الضرورية لمتابعة رعاية الشباب فى مختلف مراحل النمو ، وحتى يضيء لهم على كل ما ينهض بالمستوى الاقتصادي والفكري الذى يؤدى الى تنمية وجدانهم الوطني والقومي ، وترسيخ ايمانهم ، وتثبيت اعتدادهم بعقيدتهم ..

وقد عبر سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب عن هذه الأهداف بقوله : « المرحلة التى نعيشها هي مرحلة بناء الدولة العصرية ، وتامين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وانه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له أفضل تكوين روحى وعقلي وبدني ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ، ومركز الأماني فى اضطراد الرخاء والازدهار » .

ومن هذا المنطلق خطا المجلس الأعلى لرعاية الشباب خطوات واسعة نحو تحقيق أهدافه ، فنظم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الأجهزة الحكومية والأهلية وذلك بعد اصدار اللائحة الداخلية ، كما عمل على تدعيم وتوجيه هذه الأجهزة والتنسيق بينها من أجل تكوين المواطن الصالح وإرشاده الى ما يرفع مستواه المادي والمعنوي وما ينمي لديه الروح الوطنية والقومية والعقيدة الدينية ..

واهتم المجلس الأعلى لرعاية الشباب - أيضاً - باعداد لائحة موحدة للأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التربوية من انشائها .. واهتم بالبحوث والدراسات العملية بالتعاون مع الهيئات المختلفة فى الدولة ..

ومن كل ذلك ندرك مدى التطور الكبير الذى حدث في منشات رعاية الشباب منذ قيام المجلس حتى اليوم ووفقاً لسياسته وأهدافه .

ومن خلال تتبعنا لسياسة المجلس الأعلى لرعاية الشباب والمهمات التى تقع على عاتقه ، يتضح لنا عدة حقائق من بينها :

● عمل المجلس على تشغيل المنشات والمهمات القائمة حالياً باقصى طاقاتها ، وذلك عن طريق تنظيم وتنسيق الاستفادة مما هو قائم فى وقت انشاء المجلس ، بحيث تقوم بخدمة كل القطاعات بصرف النظر عن تبعيتها ..

● قام المجلس بالتعاون مع الأجهزة الحكومية المهتمة برعاية الشباب باعداد الملاعب الرياضية موزعة على جميع مناطق الدولة .

● بدأ المجلس فى تنفيذ صالة مغلقة وفقاً لاحتياجات الدولة ، كما تقوم أجهزته بدراسة انشاء حمام للسباحة وذلك استكمالا لمنشآت مدينة خليفة الرياضية .

● عمل على توفير مصادر التمويل السنوية المناسبة لتحقيق أهداف خطة المجلس ، وذلك بتضمنها ميزانية المجلس لرعاية الشباب وفى ميزانيات الهيئات الحكومية والأهلية التى تعمل فى مجالات رعاية الشباب .

● تشجيع الهيئات والأجهزة العاملة فى مجالات رعاية الشباب على تنظيم الدراسات لتدريب وصقل القيادات فى المجالات المتنوعة وارسال بعض الشباب القطرى للدراسة واكتساب الخبرة فى الخارج .

● تشجيع النوادى التى تهدف إلى مزاولة أى نشاط رياضى واجتماعى وتقديم المعونة والدعم الفنى والمادى لها لفتح مجالات جديدة لأنشطة الشباب .

● دعم العلاقات والروابط بين شباب دولة قطر والشباب العربى خاصة والعالمى عامة عن طريق الاشتراك فى المؤتمرات والمهرجانات الشبابية والرياضية والاتحادات الدولية .

● وذلك بخلاف الاهتمام بتكوين اتحادات اندية العلوم فى الدولة لتحقيق الأهداف التربوية التى تنمى قدرات الشباب وطاقاتهم الخلاقة المبدعة .

وهكذا نرى مدى الجهد الكبير الذى يبذله المجلس الأعلى لرعاية الشباب من أجل أن يقوم برسالته النبيلة التى تستهدف تنمية حب العلم والمعرفة بين الشباب ، ونشر الوعى الرياضى بانشاء النوادى الرياضية واللجنة الأوليمبية وتنظيم الأنشطة الخاصة بالشباب ورعايتهم .

ويساهم فى تنمية هذا الاهتمام وجود مدينة خليفة الرياضية التى تضم استاداً يسع أربعين ألف متفرج ، واقيمت في عام ١٩٨١م الدورة الادارية الثالثة التى شارك فيها خبراء من التنظيم الاداري للأندية الرياضية والثقافية ، وافتتح أول معرض لكتاب الرياضة والشباب ، وقدمت المكافات المالية للفرق الفائزة حتى ترتفع بمستواها، وحققت قطر نصراً عالمياً عندما فازت فى عام ١٩٨٢ بالمركز الثاني فى تصفيات كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا ، وكل هذا وغيره يجعلنا ندرك مدى الاهتمام البالغ الذى تعطيه دولة قطر لشبابها .



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

# ١١ عاماً على استقلال دولة قطر

# مستقبل التعليم

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم



في البداية لابد أن نوضح أن الأهداف العامة للتربية والتعليم فى دولة قطر تتمثل في الاستفادة القصوى من الشباب القطرى مع المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية وتحقيق آمال المجتمع فى أن يعيش حياة عصرية ، وبناء الشخصية المتكاملة الواعية للانسان القطرى وتحقيق التماسك الاجتماعى والاهتمام بالعنصر البشرى والانفتاح على الحضارة المعاصرة بانجازاتها العلمية والتكنولوجية وتوثيق العلاقات التربوية والثقافية بين قطر والدول العربية والاسلامية والاجنبية وتشجيع نشر الثقافة والتعاون فى دفع ركب الحضارة .

وترتكز السياسة التعليمية لدولة قطر على أن الانسان القطرى هو أهم ثروات البلاد وان التعليم حق لكل مواطن راغب فيه وقادم عليه ، كما انه دعامة اساسية من دعائم المجتمع تكفله الدولة وترعاه باعتبار أن الثروة البشرية هى أساس التنمية فى البلاد، لذلك فان الاهتمام بتنميتها معلم رئيسي من معالم السياسة التربوية والتعليمية للبلاد ، ومسيرة التربية والتعليم فى دولة قطر هى جزء أساسي فى مسيرة الحضارة التى تخطوها دولة قطر الفتية كما رسمها أمير البلاد المفدى وأكدها الدستور، والتى ترتكز على أن الانسان القطرى هو أغلى الثروات لذلك فان وزارة التربية والتعليم تعتبر نفسها مسئولة عن اعداد هذا الانسان تربوياً وثقافياً وروحياً ، ولايقتصر هذا الدور على المؤسسات التعليمية فى الداخل فقط ولكنها توفر سنوياً المنح الدراسية فى التخصصات التى تحتاجها البلاد وتقوم بالاشراف على البعثات العلمية فى الداخل والخارج .

## الأهداف التعليمية

وتعتمد وزارة التربية والتعليم فى خططها السنوية على عنصرين أولهما: مواجهة الاطراد الكمى السنوى فى التعليم وتدبير ما يحتاجه التوسع من حيث الأمكنه والأبنية المدرسية الجديدة وتعيين العدد الكافى من المدرسين والمدرسات وتوفير الكتب والقرطاسية والأدوات اللازمة لسير العملية التربوية على أكمل وجه واعتماد الميزانية الكافية لذلك .

وثانيهما : تحسين العملية التعليمية من حيث تطوير المناهج والكتب وتدريب المعلمين والتوسع فى استعمال الوسائل التعليمية وادخال النظم الحديثة التى تساعد الطلاب على حسن الاستيعاب وتساعد المدرس على حسن القيام بواجبه الى جانب الانشطة المدرسية المساعدة والتى يسهم فيها الطلاب بجهودهم .

## خطة العام الجديد

وتتضمن خطط وزارة التربية والتعليم خلال العام الدراسى القادم ١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ افتتاح ١٩ مدرسة جديدة ثانوية واعدادية وابتدائية بمختلف المناطق وتعيين ٤٠٠ مدرس ومدرسة والاستفادة من استخدام التلفزيون التربوى والوسائل التعليمية وتكثيف الدورات التدريبية للمعلمين والمعلمات أثناء الخدمة والتوسع فى استعمال وسائل النشاط المختلفة من رياضية وثقافية والاهتمام بالنواحى الخلقية والبدنية بين الطلاب وزيادة عدد المكتبات المدرسية وتحسين خدماتها وتزويدها بالمراجع والكتب المختلفة ، والاهتمام بصحة الطلاب وتزويد ادارة الصحة المدرسية بالكفاءات البشرية والمعدات والأدوات اللازمة لرعاية الطلاب ومتابعة علاج ما قد يعوقهم عن التحصيل الأمثل . ومن ناحية اخرى تقوم الوزارة بالبحوث التربوية ومواصلة تطوير المناهج والكتب الدراسية وطرق التدريس بحيث تكون عملية التطوير منسجمة مع طبيعة البيئة المحلية ومحققة لمتطلبات المجتمع القطرى العقائدية والاخلاقية والقومية والفكرية .



الطلبة أثناء اقبالهم على الاطلاع داخل المكتبات المدرسية

# في قطر


احتفالات يوم العلم

## تطوير المناهج

وقد تم هذا العام تشكيل ست لجان لتطوير المناهج حيث تتم عمليات التطوير بناء على نتائج الابحاث والدراسات الميدانية التى تجرى بصفة مستمرة . ومن أهم المواد التى جرى ويجرى تطويرها لتتناسب مع المتطلبات العلمية والثقافية المعاصرة مواد العلوم العامة والمواد الاجتماعية واللغة العربية والرياضيات الحديثة والاقتصاد المنزلى للبنات والعلوم الشرعية واللغة الانجليزية .

وقد روعى فى مناهج هذه المواد تحقيق التكامل الذاتى بينها تاكيداً للتدرج الموضوعى فى المعلومات ومنعاً للتكرار فى المواد المختلفة ومن المتوقع الانتهاء من كتب المواد الاجتماعية للمرحلة الاعدادية وكتب العلوم العامة للمرحلة الثانوية للعام الدراسى ١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ،كما تم الانتهاء من مناهج المواد الاجتماعية الثانوية وتم اعتمادها وبوشر تاليف الكتب الخاصة بها وكذلك مناهج اللغة العربية للمرحلة الأبتدائية .

## تطوير التعليم الفنى

وتسعى الوزارة جاهدة لتطوير التعليم الصناعى ودعمه وقد اعدت خطة متكاملة للنهوض بهـــذا النوع من التعليم كمـــا وكيفاً .. وقـــد استقدمت الوزارة عدداً من الخبراء والمختصين فى تطوير التعليم الفنى من الدول العربية ومن منظمة اليونسكو كما اصبح تطوير التعليم التجارى ايضاً أمراً لازماً،وقد اخذت نفس الجهود التى بذلت فى التعليم الصناعى مجراها فى التعليم التجارى الذى نامل فى أن نستمر فى تادية رسالته من حيث اعداد الكوادر المتوسطة وأن يتم البناء الجديد لجامعة قطر وتعزيزها بانشاء كلية للتجارة والادارة بحيث تستوفى حاجة البلاد من التخصصات الجامعية .

## تعليم الكبار

والى جانب التعليم النظامى النهارى تبذل الوزارة جهداً كبيراً فى مجال محو امية الرجال والنساء الذين فاتهم سن التعليم بافتتاح الفصول المسائية ليتسنى لهم اســتكمال دراستهم حتى فى المرحلة الجامعية .. ولا تتوقف جهود الوزارة عند هذا الحد بل انها تحاول جاهدة تحسين الاداء الوظيفى للموظفين العـــاملين بالدولة فى كل من معهد الادارة ومعهـــد اللغات المسائيين .

## التدريب المهنى

على أن الاهتمام بمحو الأمية ليس هو الجهد الوحيد المبذول فى سبيل تعليم كل من فاته القطار فهناك جهود اخرى فى نفس الاتجاه ، تهدف الى التركيز على التدريب المهنى ، ليشمل كل من لم يتمكن من الانخراط فى سلك التعليم النظامى العادى لسبب أو لآخر ، بحيث يكتسب هؤلاء عن طريق ذلك التدريب ، مهنة أو حرفة يجيدونها ويحققون ذواتهم من خلالها فيستطيعون انئذ أن يكونوا مواطنين عاملين واعضاء منتجين فى مجتمعهم ، وتعمل الوزارة على افساح فرصة الاختيار فى هذا الصدد فيتم تدريب الراغبين على حرف متعددة تلائم مختلف الميول والاتجاهات مثل : الحدادة والنجارة والطباعة والاعمال الكهربائية واشغال الراديو والتلفزيون وما اليها من أعمال فنية تلبى حاجة المجتمع الذى يستورد معظم العمالة فى هذا المجال من ناحية ، وتوفر للفرد عملا كريماً وحرفة مكتسبة من ناحية أخرى .

## الدعم الجاد

ولايفوتنا فى الختام أن نذكر شاكرين الدعم الجاد المخلص لهذه الأهداف التى نسعى الى تحقيقها من جانب حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى وتوجيهاتهما السديدة المستمرة للسير بالعملية التعليمية نحو الأهداف المرسومة لبناء دولة عصرية وبذل كل الطاقات من تخطيط ومتابعة حتى تضمن نجاح خططنا والوصول الى اهدافنا سواء على مدى المستقبل القريب أو المستقبل البعيد لصالح أجيالنا الحاضرة وأجيالنا القادمة .

محمـــد بن حمـــد آل ثانى

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

# المجالات الحيوية



سمو أمير البلاد المفدى أثناء مشاركته فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المملكة العربية السعودية




بقلم

الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني

وزير الدولة للشئون الخارجية


استطاعت دولة قطر خلال سنوات معدودة ان تبني لها مكانا مرموقاً بين أمم الأرض وذلك من خلال سعيها الدؤوب وعملها الجاد فى سبيل اللحاق بركب التقدم والتطور فى جميع الأصعدة وعلى كافة المستويات ، ويهمنى هنا أن أتناول مجالا من مجالات العمل فى دولة قطر الا وهو سياسة قطر بالدول المحيطة بها وبكل دول العالم .

لعل من المعلوم أن لكل دولة خطوطاً عريضة تسير عليها ولها مجالاتها الحيوية التى تتحرك فيها وأستطيع أن أحدد مجالات السياسة القطرية بما يلى :

أولا : المحيط الاقليمي : من بديهيات القول ان دولة قطر جزء من الخليج العربى تربطها بدوله علاقات مصيرية بذلت قطر وما زالت تبذل فى سبيل تمتينها وتنميتها كل ما تملك من جهد يحدوها الى ذلك أمل مشترك هو النهوض بهذه المنطقة ثم الابتعاد بها عن الصراعات الدولية وتجنيبها محاولات الاستقطاب العالمية .

ولعل من المساهمات الفعلية والفعالة التى قامت بها دولة قطر هو جهدها الكبير الذى بذلته وبكل المسؤولية مع بقية شقيقاتها دول الخليج العربية فى سبيل اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية كمنظمة سياسية تضم جهود دول المنطقة ومساهمتها المستمرة فى سبيل انجاح كل مساعيه الطيبة .

ولقد أكد سمو أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني هذه الحقيقة بالقول السديد « ان لدول الخليج قضية واحدة مشتركة هى قضية التقدم والاستقرار والأمن والاستقلال وان الجهد الجماعى المتضامن هو أفضل وسيلة لتناول هذه القضية بما يحقق الخير الذى تنشده دول المنطقة » .

من هنا كانت مشاركة دولة قطر وعلى مختلف المستويات وفى كل اللقاءات التى تحقق للخليج سيادته وأمنه واستقلاله وتجسد وحدته ، ولقد أصبح مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال سنة وبعض السنة رمزاً للتكامل فى مختلف الميادين ، كما أصبح منبراً من منابر الكلمة الواحدة الداعية الى استقرار المنطقة وازدهارها ورفعة شعبها بمناى عن الاحلاف والمحاور وليكون كذلك نواة لتضامن عربي أوسع فى محيط جامعة الدول العربية .

ثانياً : المحيط العربى : إن دولة قطر جزء من الأمةالعربية المجيدة وعلى هذا نص نظامها الأساسي على أنها عضو فعال فى جامعة الدول العربية وتبذل كل ماتستطيع فى سبيل رفعة امتها واستقرارها وتساهم مع شقيقاتها العربيات فى بناء مجد الوطن العربى من خلال اللقاءات والاجتماعات والمشاركة فى المحافل الدولية والمنظمات المختلفة .

ولقد لخص سمو الأمير هذه السياسة حين قال : « ان اوجب واجباتنا هو ان نبذل جهدنا من أجل تدعيم أواصر تضامننا وتوحيد مواقفنا القومية فى المجال الدولى لمواجهة التحديات التى تتعرض لها الأمة العربية » .

# في سياسة قطر الخارجية



كان لدولة قطر مساهمة واسعة ومؤثرة فى كل اجتماعات مجلس التعاون الخليجي

ودولة قطر تؤمن بأن التضامن العربى هو امضى الأسلحة التى يمكن للعـــرب استخدامها وتوظيفها لخدمة قضـــاياهم المصيرية وعلى رأس تلك القضايا قضية فلسطين التى تعتبرها دولة قطر القضـية الاساسية التى يجب على كل العرب ان يبذلوا فى سبيلها كل ما يستطيعون من تضحيات انقاذاً لأرض مغتصبة وشعب طرد من أرضه وحرم ابسط وسائل العيش .

وترى ان يقف العرب بكل امكانياتهم خلف منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني سعياً وراء عودة هذا الشعب لوطنه واقامة دولتــه المستقلة على ترابه الوطنى .

ثالثاً : المحيط الاسلامي : ان دولة قطر جزء من عالم اسلامي مترامى الاطراف وهى تعمل جاهدة على تنمية علاقاتها الطيبة بكافة الدول الاسلامية وتبذل فى سبيل ذلك النفس والنفيس ايماناً منها بقدسية هذا الدين الذى بعث الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً ، وكما لا يخفى فان العالم الاسلامى اليوم يشكل قوة سياسية عظيمة لها تأثيرها الواضح والملموس فى مجريات احداث العالم ، ودولة قطر تساهم مع بقية دول العــالم الاسلامى من خلال منظمة المؤتمر الاسلامى التى هى عضو فعال فيها فى سبيل تجنيب العالم ويلات الحروب ومشاكلها وتسعى سعياً حثيثاً لاشاعة الأمن والسلام ، كمـا يحث على ذلك الدين الاسلامى العظيم .

رابعاً : المحيط الدولى : ان دولة قطـر عضو فى المنظمـة الدولية الا وهى الامم المتحدة والتى ترى فيها دولة قطر المجال الحيوى الذى من خلاله تستطيع كافة الدول طرح جميع قضاياها ومشاكلها على ان يتم التوصل لحلول سلمية لها ترضي كافة الاطراف وتجنـب العالم الدمار وتبعد عنه شبح الحرب .

ولقد ساهمت دولة قطر وما زالت تساهم فى انجاح هذا الدور العظيم للامم المتحـدة وتعمل جاهدة مع جميع الدول المحبـة للسلام على ان تكون قرارات هذه المنظمة هى النافذة التى يشرق منها العدل على الأرض آملة ان تحترم كل الدول هـــذه القرارات وتعمل على تطبيقها لانها السبيل الوحيد لسلام العالم .

وهناك مجال آخر تساهم فيه دولة قطر وتعمل من خلاله وهو حركة عدم الانحياز حيث انها احدى الدول المنضمة لهــذه المجموعة قناعة منها بأن عدم الانحياز لأى من المعسكرين أو أى تكتل دولى آخر هو السبيل الامثل لحرية الحركة واتخاذ القرار المناسب .

ولا يسعنى فى نهاية هذه العجالة الا ان اتمنى ان نستطيع فى هذه الدولة الفتية ان نقدم كل الممكن فى سبيل تحقيق ذاتنا من خلال كل المجالات التى تحدثت عنهـا وان نحقق ما نصبوا اليه من آمال كبيرة فى الامن والاستقرار والتقدم لنا ولكافة دول وشعوب العالم .

أحمد بن سيف آل ثاني

# العمل الاجتماعي



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

فى عالمنا المعاصر يكتشف الانسان كل يوم أن انماط حياته تتحداهـا خبرات جديدة ، فايقاع الحياة يتغير بسرعة وخاصة فى المجالات الاقتصادية والفكرية ، وهذا يعنى بالضرورة أهمية توفر أكبر قدر من التوافق الاجتماعى بين الفرد والمجتمع حتى تكون هناك ضمانات لسلامة وتطور البنية الاجتماعية وتحقيق ما يلزمها من طموحات وقيم وقوانين مميزة ونظرة متطورة إلى الحياة تتمشى مع الواقع الملىء بالتحديات العديدة التى تقابلنا اثناء رحلتنا إلى التحديث المرتبط بجذورنا الضاربة فى الأعماق ..

ومن هذا المنطلق وجدنا اهتمام دولة قطر ببناء الانسان ورعايته اجتماعياً ، لادراكها بان قيمة الفرد وعمله وتاهيله التاهيل الصحيح هو الذى يبنى قوة الوطن وهيبته ومكانته ..

وقد رأينا طوال سنوات الاستقلال المجيدة ،كيف حققت دولتنا التنمية الشاملة ، على نحو يؤمن لها افضل صور الحياة العصرية المتطورة المتمسكة بمبادىء ديننا الحنيف وتراثنا العريق ..

ولأن العمل الاجتماعى يسير فى تلازم مستمر مع التنمية الاقتصادية فى البلاد ، فقد أصبحت مشروعات الرعاية الاجتماعية تحظى بالعناية والاهتمام الذى يوفر أفضل السبل واحدثها حتى لا يصبح العمل الاجتماعى محصوراً فى اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، وحتى يرتكز هذا العمل فى انطلاقته على توفير الامكانات والوسائل التى تؤدى إلى انطلاقة الطاقة البشرية والقدرات المادية إلى أقصى قدر ممكن ، وفى ظل رؤية واضحة للأهداف التى تحقق المستقبل المنشود ..

## فى ظل القيادة الواعية

ومن هذا المنطلق البناء اخذت وزارة العمل والشئون الاجتماعية على عاتقها ضرورة توفير شتى الخدمات للمجتمع القطرى والارتفاع بمستوياته على ضوء السياسة العامة للدولة وأهدافها ، ووضعت سياستها التنفيذية على أسس خاضعة للتخطيط العلمى والمتابعة الدقيقة والتقييم المتواصل لكل ما تنجزه من أعمال ــ خاصة ــ فى نطاق مسئوليتها المباشرة فى مجالات العمل والاستخدام والرعاية الاجتماعية والتعاونيات .

واستطاعت فى هذه المجالات وغيرها أن تحقق انجازات بالغة الأهمية ، فى ظل القيادة الحكيمة الواعية والرعاية الكريمة لسمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

ففى مجال العمل والاستخدام ، سعت الوزارة إلى تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين فى القطاعات المختلفة وتمكينهم من ممارسة العمل فى ظل القوانين التى تكفل لهم العدالة الاجتماعية وتعمل على تحسين مستويات المعيشة لهم وتحافظ على حقوقهم ، وفتحت مجالات عمل جديدة أمام المواطنين ..

وفى هذا المجال عملت الوزارة على تطوير وتنمية قسم التفتيش والعلاقات الصناعية حتى يحقق مسئولياته بنجاح ، ويوطد العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال ، ويراقب سلامة تطبيق احكام قانون العمل وتدابير اجراءات السلامة حفاظاً على صحة العمال وحمايتهم من أخطار المهنة وأمراضها واصابات العمل ..

وعملت ــ كذلك ــ على تطوير قسم الاستخدام، فاصبح يتعاون مع الأقسام المختلفة فى الوزارة ومع أجهزة الوزارات الأخرى والجهات المعنية فى وزارة الداخلية ، من أجل توفير الفرص للمتعطلين أو الراغبين فى الحصول على فرص عمل أفضل ، وتلبية احتياجات الشركات والمؤسسات من القوى العاملة اللازمة لها ، وتنظيم احضار العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل ، وتنظيم السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات العمل والعمال ..



المساكن الشعبية التى توفر بالمجان للمواطنين

# في ظل التنمية الشاملة



داخل احدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية

وكل ذلك – فى نفس الوقت – الذى انتهت فيه الوزارة من اعداد مشروع بقانون العمل الجديد الذى ينبثق من واقع تطورات التنمية التى حدثت فى البلاد ، والذى سيحل مكان قانون العمل رقم (٣) لعام ١٩٦٣ وتعديلاته ..

## الرعاية الاجتماعية

أما فى مجال الشئون الاجتماعية ، فقد عملت الوزارة على تنظيم قسم الضمان الاجتماعى من اجل تحقيق الاصلاح الاجتماعى الشامل ورعاية النشء وحمايته وسعت الى تدعيم جهازه الوظيفى الذى يقوم بالاشراف على الخدمة الهامة التى تقدمها الدولة لرعاية الفئات ذات الأوضاع الخاصة كالمعوقين والعاجزين عن العمل والأيتام والأرامل والمطلقات .. وقد بلغت قيمة المساعدات فى هذا المجال خلال عام ١٩٨١ اكثر من ٦٣ مليون ريال قطرى ، دفعت الى ٦٢٢٠ حالة .. كما تم افتتاح مكاتب فرعية لقسم الضمان الاجتماعى فى المناطق البعيدة مثل الخور والشمال ، وذلك لتقديم الخدمات للمواطنين على اكمل وجه فى أماكن اقامتهم الدائمة ..

وتتدعم هذه الرعاية بعدة مشروعات اخرى مثل انشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، وانشاء مراكز للتاهيل الاجتماعى فى مدن الدوحة والخور والشمال من اجل تاهيل الفتاة القطرية التى لم تنل حظها من التعليم ، حتى تساهم فى تطوير مجتمعها وتعتمد على نفسها من خلال تعلمها للمهن والحرف اليدوية التى تناسبها والتى تتدرب عليها خلال سنتين وتمنح اثناء تدريبها مكافاة شهرية قيمتها ٤٥٠ ريالا قطريا ..

## الحركة التعاونية والمساكن الشعبية

ومن واقع سياسة الدولة وتوجيهاتها بضرورة تنمية الحركة التعاونية وتشجيعها وتقديم كافة العون لها ، أعطت الوزارة كل عنايتها فى سبيل تامين كل مقومات النجاح للجمعيات التعاونية ، التى لمس الجميع نتائجها الطيبة فى الجمعيات التعاونية العاملة بمدينة خليفة والمنتزه والشحانية وغيرها ، والوزارة الآن فى سبيلها لانشاء مخازن مركزية لخدمات كافة الجمعيات التعاونية حتى تسهل من عملها فى خدمة المواطنين ..

كما أن الوزارة قامت فى السنوات الأخيرة بتدعيم جهازها الوظيفى فى مجال الاسكان الشعبى ، وتعاونت مع وزارة الأشغال العامة فى توفير المساكن المجانية للعجزة والمساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود ، بحيث تتناسب مع عدد افراد أسرة المنتفع وعاداتها الاجتماعية ، وقد بلغ عدد المساكن التى وزعتها الوزارة لذوى الدخل المحدود ٤٧٥٤ مسكنا حتى نهاية عام ١٩٨١ ، وهذا بخلاف ١٧٠٢ مسكنا مجانيا تم توزيعها على المواطنين العجزة ، اضافة الى ما تقوم به الدولة من خلال وزارة العمل لبناء مجمعات سكنية خارج الدوحة تشبه المدن الصغيرة الحديثة وذلك لسكنى أهالى القرى القديمة ..

## مسئولية الرسالة

وإذا كانت وزارة العمل والشئون الاجتماعية تبذل كل جهودها من اجل الوصول الى الأهداف المرسومة فى مجالات العمل ورعاية وتطبيق القوانين والتاهيل الاجتماعى وتوفير المسكن والجمعيات التعاونية ، فانها تحرص على أهدافها الأخرى ذات الأهمية الخاصة مثل دراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية ، وايقاظ الوعى والتوجيه والارشاد ، وخلق القيادات المحلية ، والنهوض بالصناعات الريفية ، والعمل على ادخال الصناعات الجديدة ، وغير ذلك من المسئوليات التى تباشرها نحو الأفراد والهيئات ..

وهذا الجهد ، مضافا اليه المشاركة فى النشاطات والحلقات الدراسية والمؤتمرات والمنظمات العربية والدولية التى تعقد فى أى مجال من مجالات العمل والشئون الاجتماعية ، ما هو إلا ترجمة صادقة للرسالة السامية التى تقع على عاتقنا ، والتى تتطلب الحركة الدائمة المتجددة ، والجهاد والطموح المتواصل الذى يؤدى الى تطوير البرامج وتحسين الأنشطة وتوسيع الآفاق وخدمة الوطن وأبنائه .

علي بن أحمد الانصارى

١١ عاماً
على استقلال
دولة قطر

# تنمية الثروة من أجل



البترول الذى يحظى بأهمية خاصة فى مجال بناء الاقتصاد السليم

بعد تأمين السيطرة الوطنية على الثروتين الطبيعيتين : النفط والغاز ، كان لابد أن تنطلق البلاد نحو دعم اقتصادها لاستكمال مقومات نهضتنها الشاملة .

فمنذ أن أصدر سمو أمير البلاد المفدى قراره التاريخى الذى يقضى بالسيطرة الوطنية الكاملة على ثروات البلاد الطبيعية وعلى رأسها البترول والغاز الطبيعى ، حظى قطاع البترول بأهمية خاصة فى مجال بناء الاقتصاد السليم الذى يعتمد على أنجع الوسائل من المصادر البشرية والموارد الطبيعية التى نملكها .

وقد استهدفت السياسة النفطية فى دولة قطر فى السنوات الأخيرة الحفاظ على معدل الانتاج الخام ، وانشاء الشركات الوطنية ومشروعات المنتجات البترولية التى تعمل على رفع مستوى معيشة المواطنين والانطلاق السريع بمناهج التنمية الشاملة لتواكب ركب التقدم العالمى فى مجال التصنيع .

وتقوم سياسة دولة قطر النفطية داخل منظمة الأقطار المصدرة للبترول ( أوبيك ) ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابيك) بدور بارز فى تعزيز التعاون الايجابى وذلك لمصلحة شعوب الدول المصدرة وشعوب الدول النامية ومن أجل استقرار الاقتصاد العالمى

وانطلاقاً من الجهود المبذولة لتنمية الثروة الطبيعية وتوظيفها على أحسن وجه فى مجالات التنمية الشاملة ، كانت ميزانية دولة قطر هذا العام تمثل تعبيراً حقيقياً عن التطور والنمو فى اقتصاد البلاد وارتفاع مستوى المعيشة والدخل واتساع نطاق الوظائف العامة والعاملة المنتجة وتنفيذ العديد من المشروعات الصناعية والعمرانية ومشروعات المرافق العامة والخدمات الاجتماعية .

وقد بذلت الجهود من أجل أن تأتى تقديرات هذا العام متفقة مع البرامج والاستراتيجيات المعلنة من قبل ، وأن تكون خطة طموحة واقعية فى نفس الوقت بحيث يمكن تحقيق التنفيذ بالقدر المطلوب فى الوقت المحدد خلال فترة الميزانية .

وقد ركزت موازنة الدولة فى هذا العام على ضرورة استكمال المشروعات التى

# التطور والنمو في اقتصاد البلاد

بدىء فى تنفيذها وتلك التى قاربت على الانتهاء حتى تحقق فائدتها وتعود على المجتمع بالخير والرفاهية ، كما أعطت أهمية خاصة للبدء فى تنفيذ العديد من المشروعات الجديدة التى تكفل الزيادة فى الانتاج الزراعى والصناعى ورفع مستوى الخدمات فى مجالات التعليم والاسكان والنقل والمواصلات والطاقة والخدمات الهيكلية الأخرى ، وذلك بالاضافة إلى رفع كفاءة التشغيل وتحقيق التوظيف الاقتصادى المناسب للموارد الذاتية فى البلاد .

ومن خلال بيان سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول ، استطاعت الأرقام الواردة بالموازنة الجديدة أن تعكس خطة الدولة فى استمرار دعم قدراتها الذاتية فى مجالات الانتاج والخدمات ، حيث بلغت بصفة خاصة أهمية الاعتمادات المدرجة لتنفيذ المشروعات الرئيسية والتى بلغت فى مجموعها ٧٨٠ر٧ مليون ريال قطرى ، يضاف إليها ما تم تخصيصه لتمويل احتياجات الصناعات الوطنية والقروض العقارية والمساهمات فى المؤسسات المحلية والأجنبية والتى بلغت فى مجموعها ٥٨٣ مليون ريال ، وبذلك يصل مجموع مخصصات موازنة المشروعات الرئيسية للدولة ٣٦٣ر٨ مليون ريال قطرى مما يدل على الرغبة الأكيدة ، المتطلعة دائما الى توجيه الموارد والامكانيات المتاحة نحو افضل استثمار اقتصادى واجتماعى ..



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول

وتغطى هذه الميزانية كافة أنشطة وقطاعات الدولة الاقتصادية والاجتماعية فى مجالات الصناعة والزراعة ، والاسكان والمبانى العامة ، ومشروعات الخدمات الاجتماعية ، والتعليم والصحة العامة ، والكهرباء والماء والمجارى ، والنقل والمواصلات والطرق ، وكافة النشاطات الأخرى ، مع التوفيق وايجاد نوع من التوازن بين متطلبات الحاضر ومستقبل الأجيال القادمة ، بحيث تتنوع المشروعات المنفذة بين ما هو خاص بتنفيذ الدورة الاقتصادية وتلبية الاحتياجات العاجلة للنهوض بالمجتمع القطرى وتلك الخاصة باستكمال البنية الأساسية وتنويع مصادر الدخل القومى التى تعتبر ذات أولوية قصوى .

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

# مسيرة الإعلام القطري

أصبح للاعلام فى عصرنا الحديث أثره الكبير فى تكوين الرأي العام حول حدث هام أو موقف من المواقف السياسية والاجتماعية ، وذلك بالاضافة إلى دوره الهام فى التوعية وبناء المجتمع ..

ويرى خبراء الاعلام أن الأمة فى الماضى كانت تجتمع بكامل هيئتها فى الساحات أو الميادين العامة لتطلع على أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ، كما كان الشأن فى روما وأثينا أو مكة والمدينة ، أما الجماهير فى يومنا هذا فقد اصبحت قادرة على أن تجتمع كل يوم مع أعمدة الصحف وأجهزة الراديو والتليفزيون وأصبحت تشاهد السينما والمسرح وتقرأ الكتب والمطبوعات التى تستطيع عن طريقها أن تكون رأيها وثقافتها الانسانية .

وهكذا نرى أهمية الاعلام ودوره فى إبراز التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها ، واتجاهاتها فى نفس الوقت .

ومن هذا المفهوم العلمي لمعنى الاعلام فى عصرنا الحديث ، انطلق الاعلام القطري طوال السنوات الماضية يتابع رسالته الوطنية ، ويقوم بدوره البناء من خلال قنوات واعية ، مستهدفاً ابراز المنجزات التى تحققت فى سنوات الاستقلال ، شارحاً لأهداف الخطة الطموحة التى تقيم على هذه الأرض حضارة انسانية عظيمة ، تستمد مقوماتها من القيم والمبادىء الاسلامية ، وتدعم مسيرتها بكل ما نملك من قيم وتراث ..

وإذا كان الاعلام القطرى قد تابع بصورة مشرفة خطوات المسيرة التاريخية فى البلاد ، فقد اتجه في نفس الوقت بكل ما يملك من قوة إلى الالتحام مع كافة القضايا المصيرية فى الوطن العربي والعالم الاسلامي ، وناصر كل القضايا العادلة فى العالم ، وحدد خطواته فى عدة أهداف نبيلة :

● تعميق الاحساس بالروابط المشتركة بين شعوب دول مجلس التعاون الخليجي ووحدة مصيرها ، واتجاه الجهد الاعلامي فى دولة قطر نحو تاكيد ترابط وتكامل وسائل الاعلام الخليجي عن طريق التعاون



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

والتنسيق وتبادل الخبرات المشتركة وابراز الأنشطة السياسية والثقافية والاقتصادية

● تدعيم القضايا العربية والاسلامية ومناصرتها فى كل المحافل الاقليمية والعربية والدولية ، وفى مقدمة هذه القضايا قضية فلسطين التى تابع الاعلام القطرى تطوراتها بكل دقة ووضع كافة امكانياته من أجل بلورة سياسة إعلامية عربية موحدة تتصدى لادعاءات الاعلام الصهيوني بصورة حضارية شاملة ، وهذا بالاضافة إلى سعيه المستمر لتحقيق التنسيق الاعلامي بين كل الدول العربية بعقد الاتفاقيات الرامية الى توحيد الجهود الاعلامية وتوطيد الصلة الفكرية بين كل أبناء الوطن العربي الكبير ..

● القيام بدور بناء فى شرح كافة القضايا العادلة فى العالم وفى مقدمتها قضايا التحرر فى أفريقيا ..

● الحضور الايجابي البناء فى كافة الاتحادات والاجتماعات والمؤتمرات والندوات الاعلامية

والواقع أن دعم الدولة ورعايتها المستمرة لمسيرة الاعلام القطري ، كان له الأثر البالغ فى تطوير أجهزته ومؤسساته وأداء رسالته الاعلامية بصورة مشرفة ..

فالاذاعة مثلا ، تميزت برامجها بكثافة المواد الاعلامية والأخبار والبرامج الثقافية ، ووصل ارسالها فى عام ١٩٨١ إلى أربعين ساعة يومياً باللغات العربية والانجليزية والأوردية ، وغطت دول الوطن العربي وآسيا وأوربا ، وقد بلغ عدد الاستوديوهات فى إذاعة قطر ١٤ استوديو كاملة التجهيز ، علاوة على استوديو أوتوماتيكي لبث الموسيقى الغربية ، ويحتوى المبنى الجديد للاذاعة على ثمانية استوديوهات مجهزة بأحدث المعدات والنظم الفنية ، كما يتم على مستوى البرامج التنسيق مع الاذاعات العربية فى نطاق التبادل الاذاعي للبرامج والمواد الاعلامية ، كما أن للاذاعة مراسلين فى معظم عواصم العالم ..

وما نراه من تطور فى الاذاعة ، نراه أيضاً فى التليفزيون الذى أصبح مزوداً بأحدث الأجهزة

ويوجد بالتليفزيون القطري حالياً خمس استوديوهات مجهزة باحدث المعدات ، ولعل أضخم هذه الاستوديوهات استوديو الانتاج الكبير البالغ مساحته ٦٠٠ مترمربع والمخصص للانتاج البرامجي المحلي والتجاري .. ويبلغ معدل ساعات البث الاخباري والبرامجي فى التليفزيون القطري على القناتين (١١،٩) حالياً ١١ ساعة يومياً ، أي ٧٥ ساعة أسبوعياً ، تمثل فيها البرامج المحلية نسبة ٤٥ فى المائة .. أما ساعات البث التليفزيوني على البرنامج الثاني للقناة (٣٧) فتبلغ ٥

# في ظل الاستقلال





لقطتان .. الأولى للمسرح القطرى الحديث الذى زود بأحدث الأجهزة والمعدات .. واللقطة الثانية لأحد الاستوديوهات الجديدة فى الاذاعة

ساعات يومياً ، وبذلك يصبح البث الاجمالي للتليفزيون ١٦ ساعة يومياً ، و١١٢ ساعة أسبوعياً تتميز بالتنوع والشمول ..

ويدعم جهازي الاذاعة والتليفزيون مركز التدريب الاذاعي ، الذى يعمل على تكوين جيل من الفنيين على مستوى دولة قطر والدول الخليجية بشكل عام ، للعمل بنشاط فى مجال الاذاعة والتليفزيون والمساهمة فى نهضة البلاد وتطورها عبر موجات الارسال الصوتية ..

وإذا كانت ادارة المطبوعات والنشر – باعتبارها أحد الروافد الهامة لوزارة الاعلام القطرية – تقوم بدور كبير على المستوى الداخلي والخارجي للتعريف بأنشطة الدولة وانجازاتها عن طريق الدراسات والبحوث واصدار الكتب والنشرات وتوفير الصور والمعلومات التى تخدم رسالتها ، فان الصحافة القطرية تؤدى رسالتها فى مختلف تخصصاتها مما يعكس الواقع الحضارى الذى تعيشه البلاد ..

وقد تم انشاء وكالة الأنباء القطرية فى مايو عام ١٩٧٥ لتقوم بمهمة الحصول على الأنباء الصادقة من مختلف المصادر الخارجية والداخلية وتحليلها واعداد التعليقات والدراسات ، وقد أصبح لهذه الوكالة مراسلون فى معظم الدول العربية وبعض العواصم الأوربية والآسيوية الهامة .. وتعتبر وكالة الأنباء القطرية الآن أول وكالة انباء عربية وخامس وكالة على المستوى العالمى تبث أخبارها العربية والانجليزية عن طريق الأقمار الصناعية ..

وإلى جوار كل ذلك نجد أن ادارة الثقافة والفنون تضطلع بمهمة الحفاظ على تراث قطر الشعبى ورعاية الحركة الفكرية والأدبية والفنية والمسرحية فى البلاد ، مع الاهتمام بالفنون التشكيلية .. وفى السنوات الأخيرة شهدنا ميلاد الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، والاشتراك فى الأسبوع الثقافى الخليجى الذى أقيم فى باريس ، واحياء المشغولات اليدوية الشعبية ، واقامة مسرح جديد يسع ٥٥٠ شخصاً بنى على أحدث التصاميم وزود بأحدث الأجهزة والمعدات ، واقامة المعارض العديدة للفنانين التشكيليين القطريين ، ورعاية المواهب الشابة عن طريق المرسم الحر ..

كما أن ادارة السياحة والآثار تقوم بدورها فى مجال تنشيط هذا القطاع الهام ورفع مستواه ، مستعينة فى ذلك بخبراء من الاتحاد العربى للسياحة لاقامة عدة مشروعات تتناسب مع طبيعة البلاد .. كما أن قسم الآثار التابع للادارة يعمل جاهداً لاجراء المزيد من عمليات الكشف والتنقيب والحفاظ على الآثار بالتعاون مع بعض البعثات الأجنبية .. وقد أنشىء متحف قطر الوطنى ليكون سجلا حافظاً للتراث القطرى

وفى مجال رعاية الفنون انشأت دولة قطر معهد الموسيقى التابع لوزارة الاعلام لتبنى البراعم الواعدة فى مجال العزف على الآلات الموسيقية والتلحين.

ومن كل ذلك وغيره ندرك مدى الدور الكبير الذى حققه الاعلام القطرى أثناء المسيرة التاريخية التى يقود خطواتها المباركة سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

# عندما تتكلم الأرقام

● اتجهت سياسة الدولة النفطية إلى تبنى أسلوب متوازن بين مستوى الانتاج وترشيد الاستهلاك ، والحفاظ على معدل سنوى للانتاج بلغ حوالى ١٧٣ مليون برميل من الزيت الخام سنوياً من الحقول البرية والبحرية ، وذلك بمعدل انتاج يومى مقداره حوالى نصف مليون برميل حسب احصاءات عام ١٩٨٠ .

● وصل انتاج مجمع الحديد والصلب فى منطقة أم سعيد خلال عام ١٩٨٠ إلى ٤٥٠ ألف طن من القضبان الحديدية بالمقارنة إلى ١٣٣ ألف طن فى بداية انتاجه ، ويعتبر هذا المجمع أول مصنع متكامل فى النواحى التكنولوجية فى منطقة الشرق الأوسط والخليج العربى .

● أقرت الخطة الصناعية انشاء مصفاة ثالثة لتكرير البترول بطاقة انتاجية تبلغ ٥٠ ألف برميل يومياً ، مع العلم أن المصفاة الأولى طاقتها الانتاجية ٦ آلاف برميل يوميا ، والمصفاة الثانية تعمل بطاقة انتاجية تصل إلى عشرة آلاف برميل يومياً .

● أصبحت طاقة انتاج مصنع الأسمنت فى عام ١٩٧٩ حوالى ٣٣٠ الف طن سنويا

● حققت صناعة الأسمدة الكيماوية أرقاماً قياسية فى الانتاج ، حيث وصل الانتاج عام ١٩٨٠ إلى ٥٨ الف طن من الأمونيا يومياً و ٦٢٨ الف طن من اليوريا يومياً .

● يعتبر مصنع البتروكيماويات هو أكبر مجمع من نوعه فى الوطن العربى ، وتبلغ طاقته الانتاجية السنوية ٤٥٠ الف طن من الاثيلين و ٣٠٠ الف طن من البولى ايثلين المنخفض الكثافة و ٤٦ الف طن من مادة الكبريت .

● من أحدث المشروعات الصناعية فى دولة قطر مصنع سوائل الغاز الطبيعى الذى تبلغ الطاقة التصميمية اليومية لوحدتيه ٢٣٧٠ طن بروبان و ١٧٥٠ طن بيوتان و ١٧٥٠ طن جازولين طبيعى ء و ٢٤٩٥ طن من الغاز الغنى بالايثان .

● ارتفع عدد المزارع الأهلية من ٤١١ مزرعة فى عام ١٩٧١ إلى حولى ٧٠٠ مزرعة فى العام الحالى ، وزادت مساحة أراضى المزارع المحصولية فأصبحت ٣٢ ألف دونم فى عام ١٩٨١ .

● ارتفع حجم انتاج الخضروات فى قطر خلال العام الماضى إلى ١٨ ألف طن ، ووصل انتاج اللحوم والدواجن إلى أكثر من ٢٠٠٠ طن ، ووصل انتاج البيض إلى ٦ ملايين بيضة ووصل انتاج الأسماك إلى ١٨٠٠ طن تغطى حوالى ٩٠ فى المائة من الاستهلاك السنوى .

● وصل عدد طلاب جامعة قطر خلال العام الدراسى ( ١٩٨١ - ١٩٨٢ ) إلى ٣٤٠٠ طالب وطالبة ، ومن المتوقع أن يرتفع الرقم فى العام المقبل إلى ٤ آلاف طالب وطالبة .

● اهتمت الدولة بتأمين الطاقة الكهربائية اللازمة لاحتياجات المواطنين والصناعات المختلفة ، فارتفعت إلى ٢٧٥٦ ميجاواط / ساعة ، وانشات وحدات تقطير مياه جديدة ليصبح إجمالى انتاج المياه يومياً ١٢٫٥٠ مليون جالون .

● تم استكمال أول سنترال هاتفى الكترونى يضم ٣٠ ألف خط ، وتجرى الاختبارات على البدالة الالكترونية الثانية لمنطقة الدوحة المركزية بسعة ٣٤ ألف خط .

● من أجل تسهيل الاتصالات الفضائية هناك مشروع لانشاء المحطة الأرضية الثانية للاتصالات الفضائية ، وقد بدأ العمل فيها ، وستعمل مع مجموعة الأقمار الصناعية التابعة للمؤسسة العالمية للاتصالات الفضائية شرق منطقة المحيط الأطلنطى .

● انتشرت المكاتب البريدية فى كل انحاء البلاد حتى أصبح عددها ٢٠ مكتب اضافة إلى مكتب مطار الدوحة الدولى ، وتعزز هذه المكاتب شبكة من صناديق البريد بلغ عددها ١٢ ألف صندوق .

● يتبنى مستشفى حمد العام خطة مستقبلية لايجاد جهاز طبى شامل يمكن العاملين فيه من توفير العناية للمريض فى مكان الحادث ، ويضم هذا المستشفى الطبى المتقدم وحدات علاجية متخصصة للرعاية الطبية والجراحية الدقيقة لأمراض القلب وطب العيون والعظام وامراض الأطفال ، وأهم أقسامه العلاجية : قسم الأمراض الباطنية ، وقسم الجراحة ، وقسم الأطفال ، وقسم الأشعة ، وقسم العيادات الخارجية ، وقسم الطوارىء والحوادث .

## فى الأعداد القادمة

- المسجد ودوره الحضارى فى دولة قطر : د . حسن عيسى عبد الظاهر .
- متحف قطر الوطنى عام ٢٠٠٠ : درويش مصطفى الفار .
- نهاية العصر الذهبى للغوص : أحمد العنانى .
- الجمهور والفن التشكيلى القطرى : محمد علي عبد الله .
- دراسة نقدية لكتاب الأدب القطرى الحديث : حسني شحاده .
- المرأة القطرية فى وسائل الاعلام : نعيمة المطاوعة .



بقلم : الدكتور محمد البهي

# "الفقراء"

يقول الله تعالى فى سورة فاطر : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » .. فيصف الله نفسه بأنه الغنى : فى وجوده .. وفى بقائه عن كل موجود عداه .. وأنه الذى يحمد ويثنى عليه ، لأن جميع ما سواه مرتبط فى وجوده وفى بقائه ، به سبحانه وتعالى . واذا كان الله له الكمال المطلق فى كل ما يتصف به فوصفه بالغنى الآن يقصد به : الغنى المطلق ، أو الغنى الكامل .

فاذا اخبرت هذه الآية ، فى جملتها الأولى : بان الناس هم أصحاب الحاجة إلى الله : فى وجودهم وفى بقائهم وفى أرزاقهم . وحاجتهم إلى الله حاجة ماسة وضرورية . لأن ذلك هو المقابل لغنى الله المطلق .

وعلى هذا النحو قوله تعالى : « ومن يبخل ( أى بالانفاق على غيره ابتغاء وجه الله ) فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى ، وانتم الفقراء » .. ففقر الناس فى الأرزاق هو حاجتهم الشديدة فيها الى الله . وغنى الله عن كل ما سواه : هو بعده المطلق عن الحاجة .

والفقراء اذن هم أصحاب الحاجة الشديدة والماسة الى غيرهم : فى وجودهم وفى ارزاقهم ، والى الله ، والى من سواه من أصحاب الثراء ، ان كان فقرهم فقر مال .

والفقر هو الحاجة الشديدة أو الماسة التى تلحق بالانسان . والانسان اذا سائل . وقوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » .. يريد بالسائل : الفقير أو صاحب الحاجة الشديدة . وما يطلبه القرآن هنا ليس هو اعطاء السائل .. وانما عدم نهره ورده بغلظة : « فلا تنهر » .. وقد لا يسأل الفقير متعففاً . ولكن يعرف فقره ، وتعرف حاجته الشديدة : فى وجهه .. وفى ملبسه . وقد وصف القرآن هذا النوع من الفقراء فى قول الله تعالى : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله ( أى الذين ضاق وقتهم بسبب الدعوة الى دين الله ) لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ( أى ومن أجل انشغالهم بالدعوة لا يتمكنون من السعى فى الأرض تجارة .. أو زراعة .. من أجل الرزق ) يحسبهم الجاهل : أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ( بتحول ابدانهم وشحوب وجوههم .. واهمال ملابسهم ) لا يسألون الناس : إلحافاً ( أى لا يلاحقونهم بالسؤال اينما ساروا .. واينما كانوا ) ... »

وجاء مفهوم الفقر فى القرآن بهذا المعنى فى قول الله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ( أى يخيل للذين ينفقون من أموالهم فى سبيل الله : انهم سيصبحون بسبب إنفاقهم : من ذوى الحاجة الشديدة . ولا يمكن لأحد التأثر بخداع الشيطان الا اذا خيل للمنافقين : انهم سيفقدون جميع ما يملكون — وليس بعضه — وان ايديهم ستلصق بالتراب ، ان هم انفقوا ) ويأمركم بالفحشاء ( وفى الوقت نفسه : يوجههم الى إنفاق اموالهم فى صنوف السوء والفحشاء ) ، والله يعدكم مغفرة منه ، وفضلا ( أى بينما الله يعدكم امرين ، على النقيض مما وعدكم به الشيطان : يعدكم بالعفو عن ذنوبكم الماضية وبالأخص عن البخل .. كما يعدكم بنمو أموالكم وزيادتها ، ان انفقتم فى سبيل الله ) والله واسع عليم ( واسع فى القدرة والفضل .. وعليم بمستقبل اموركم ، ومستقبل الوجود كله ) ... »

وهكذا : الفقير من لا ملك له .. ولا كسب له : لعجز .. أو لشيخوخة. والفقير يعطى من الصدقات — وهى الزكاة — ما يسد حاجته ، تطبيقاً لمبدأ التكافل .. وتخفيفاً عن حقده على من يملكون المال .. أو الصحة والقدرة على العمل .

وهكذا بالزكاة يدعو الاسلام الى الترابط على أساس انسانى .. وليس على أساس المبادلات فى المنافع ، والمتع المادية ، والمصالح الشخصية .

# بنديتو كروتشة

## ناقد عالمي يجهله العرب!

بقلم الدكتور: الطاهر أحمد مكي

مع نهضة العالم العربي الحديثة إنهارت الأسوار العالية التى تحجبه عما حوله من العالم ، فعرف ما عند الآخرين واهتضمه ، وتمثله ، وطوعه فى ضوء تراثه ، ليجىء نتاجاً عربياً ، وإن حمل طابع الحداثة واريجها ، وفى رحلته الى هذا الجديد عرف الكثيرين من علماء الغرب وأدبائه ونقاده ، وكانوا فى جلهم إما إنجليزاً أو فرنسيين ، بحكم أن انجلترا وفرنسا كانتا من أقوى دول الغرب ، وأوثقها صلة بمنطقة الشرق الأوسط بخاصة ، والعالم الاسلامى بعامة . واصبح مالوفاً فى جامعاتنا أن تتردد بين قاعات الدرس فى الكليات الانسانية ، وفى صفحات الكتب أسماء : سنت بيف ، وبرونتيير ، ودينان ، وتين ، وهازلت ، وكولردج ، وماثيو ارنولد ، وآخرون كثيرون من كبار النقاد والأدباء والفنانين ، الى جانب أسماء المانية قليلة ، كان حظها من الفلسفة والتنظير والأصالة كبيراً ، مثل : هيجل ، ونيتشه، وشوبنهاور وغيرهم .

وقد توقفت معرفتنا بالحضارة الأوربية عند هذه الدول ، والقليل الذى عرفناه عن اداب بقيتها ، جاءنا عنها ايضاً مترجماً الى لغاتها ، رغم ان بعضها ضارب فى العراقة ، وله اسهام مجيد فى تطور الانسانية ، والارتقاء بالأدب والفن ، وبعضها الآخر متواضع الحظ فى عالمنا المعاصر ، ولكن وراءه تاريخاً ثرياً ، وماضياً رائعاً . فنحن لا نعرف – مثلا – شيئاً عن الأدب اليونانى المعاصر ، لأن اضافة اليونان الحديثة محدودة وشاحبة وموقفنا من الأدب الايطالى ليس بأفضل كثيراً ، مع ان للايطاليين جهداً لاباس به ، وبخاصة فى مجال النقد ، وفى فلسفة الجريمة والعقوبة ، وانها اقرب الينا جغرافيا من اى بلد اوربى آخر .

ومرد ذلك فيما ارى ان ايطاليا كانت موزعة الى دويلات متناحرة فى مطلع القرن التاسع عشر ، فلما استكملت وحدتها بدأ الصراع بين القوى الكبرى فى أوربا على استعمار بقية العالم غير الأوربى ، فحاصرتها إنجلترا وفرنسا ثقافة ونفوذاً ، وعزلا الشعوب التى تخضع لهما عن اى تاثير ثقافى اجنبى غير ثقافتهما ، كل واحدة فى البلد الذى تستعمره ، وحين بدأت ايطاليا تستعمر ليبيا قبيل الحرب العالمية الأولى جاءت اليها بروح الاستعلاء الفاشى ، فلم تر فى اهلها خيراً ولم تقدر انها ستخرج منها يوماً ، فدفعت بهم الى الصحراء لياكلهم الجفاف والجوع والفقر ، وحين اتت الحرب العالمية الثانية على أوهام الفاشية ، وخرجوا مدحورين من ليبيا لم يتركوا وراءهم أثراً ثقافياً واحد يبقى لهم ويذكر .

وهكذا حرمنا من معرفة الاسهام الايطالى المعاصر فى عالم الفن والابداع ، بسبب الايطاليين انفسهم ، وبسبب خصومهم ، ولو أن اديبهم الكبير البرتو مورافيا ، ولايزال يبدع ويثرى الادب بقصصه ورواياته ورحلاته على مستوى عالمى ، أصبح معروفاً للقارىء العربى المثقف . لكن .. كم من المثقفين عندنا يعرفون بنديتو كروتشه ، ولا تفتح كتاباً فى النقد الأدبى الحديث ، فى اية لغة غير عربية ، إلا وقعت عليه يعرض فكرته أو يقول رايه ، أو يناقش غيره ، وله اراء جليلة ومتميزة وأصيلة فى النقد والفلسفة والفن ؟!

## الزلزال

ولد بنديتو كروتشه فى قرية تقع فى وسط شمالى ايطاليا ، فى منطقة جبال الألب الشهيرة عام ١٨٦٦ ، ونشا منذ طفولته يحب القراءة ، والروايات بخاصة وحين بلغ التاسعة من عمره كان قد قرا امهات الآثار الادبية الايطالية ، وبتاثير من امه احب الفنون والآثار القديمة منذ صغره ، إذ تعودت امه أن تصحبه معها الى كنائس نابولى ، وأن يقفا سوياً امام روائع اللوحات الفنية .

وفى الثامنة عشرة من عمره فقد ابويه واخته الوحيدة فى زلزال ، وظل هو نفسه تحت الانقاض ساعات طويلة ، وتعرض فى مراهقته لكثير من الهزات النفسية ، وفكر فى الانتحار غير مرة ، ثم وجد فى الكتب العزاء والسلوى فهرب اليها ووهبها كل وقته ، وامضى فترة قصيرة من حياته فى روما ، وعاد بعدها الى نابولى وفيها أمضى كل حياته ، وارتبط تاريخه بها ، وكتب بين جنباتها معظم قصصه ، وارخ لها سياسة واحداثا ومسرحا وادبا ، ودخل ميدان السياسة ، وانتخب عضواً فى مجلس الشيوخ ، وعين وزيراً للمعارف وكان له فى السياسة مواقف قوية ، وترك آثاراً واضحة فى فكر امته وثقافتها .

## الثقافة الايطالية

إجمالا يمكن القول أن كروتشه رفع الثقافة الايطالية كلها إلى أعلى مستوى أوربي ، وادخل فيها بجهد ثقافي لا يكل ولا يمل كل خمائر الثقافة العالمية ، الاكثر حيوية وفعالية منها ، ولم يقف بجهده عند الالتقاط فحسب ، وإنما كان ينتقى ، ويخضع ما يختاره لدراسة نقدية واعية ، وتقييم فني دقيق ، وادى لوطنه رسالة عظمى لا فى مجال السمو بالثقافة فحسب ، وإنما فى مجال الحياة المدنية والاخلاقية أيضاً .

انفق كروتشه اعوامه الاولى فى دراسات عميقة متنوعة ، فى نطاق المذهب الوضعى ، وادرك مبكراً احتضار هذه الفلسفة ، فانتقل من دراسة خصائصه الى دراسة المناهج التى تحكمه ، وادرك فى الحال عدم كفاية الفلسفة المعاصرة ، ومسلحاً بكفاءة عالية فى الكتابة ، وقدرة متمكنة من الأسلوب الرفيع ، قاد منتصراً حركة عاصفة متمردة ضد العقائد البالية وكل اشكال الثقافة الوضعية ، وتحت راية هذا الفكر الجديد ارتد الى الماضى ، وارتبط مع اشد الأساليب الرومانسية عمقاً ، واعمق التقاليد الثقافية الايطالية العظيمة .

## دراسة غريبة وجريئة

بدا كروتشه انتاجه الفلسفى والنقدى عام ١٨٩٣ ، بدراسة موجزة ، تحمل عنوان : «رد التاريخ الى مفهوم عام للفن» وانتهى فيها الى ربط قضية التاريخ بقضية الفن ، وكان ذلك كشفاً فجائيا ، واثارت دراسته عناية النقاد على غرابتها وجراتها . وفى العام التالى توسع فيها ، إثر مناقشة قامت بينه وبين عالم لغوى ، فكان كتابه عن «النقد الأدبى» . وبعده انصرف الى دراسة فلسفة التاريخ ، وكتب فيها سلسلة من الأبحاث على امتداد خمس سنوات كاملة ، بين عامى ١٨٩٥ و ١٩٠٠ ، ولما فرغ منها شعر أن آراءه فى فلسفة الفن اغتنت ، وانتظمت من تلقاء نفسها فى مذهب ، فحملها كتابه «فلسفة الفن» ، وانطوى على مذهب فلسفى كامل ، ومصدراً لمشاكل فلسفية جديدة ، قرر أن يمضى معها الى النهاية شارحاً ، ومفصلا ، وضارباً الامثال ، وذلك عن طريق إصدار مجلة فلسفية تحمل فكره الى القراء من مواطنيه وفى العالم ، الى جانب سلسلة من المؤلفات النظرية والتاريخية ، تبسط جوانب هذه الفلسفة على نحو ادنى الى الكمال والبساطة والوضوح .

## يقاوم الفاشية

وفى ٢٠ يناير من عام ١٩٠٣ م أصدر العدد الأول من مجلته «النقد» ، وسرعان ما فرضت نفسها على الفكر الأوربى اجمع وكان حظها من التاثير أبلغ من مؤلفات صاحبها نفسه ، واتخذ منها سلاحاً يكافح به ضد النقد التاريخى الخالص والاتجاه الوضعى ، ويبشر عن طريقها بنظريته فى الجمال كما عبر عنها فى مؤلفاته ، وبلغت من النفوذ قدراً تجاوز الأدب الى السياسة والفلسفة ، الى ان توقفت عن الصدور عام ١٩٤٦ م ، ولكن روحها واتجاهها واصل سيره عبر مجلة اخرى حملت اسم «كراسات فى النقد» .

والى جانب المجلة واصل نشاطه الثقافى مؤلفاً ، فكتب مجموعة من الأبحاث الأدبية والتاريخية القيمة ، تمثل مجتمعة دراسة منهجية عميقة لجوانب الحياة الفكرية فى ايطاليا ، فاصدر سلسلة «اعلام الفلسفة الحديثة» و «ادباء ايطاليا» و «مكتبة الحضارة الحديثة» ، بالاشتراك مع صديقه جنتيلى (١٨٧٥ - ١٩٤٤) ، الذى زامله فى تحرير مجلة النقد ايضاً ، ولو ان السبل تفرقت بهما فيما بعد ، ومضيا كل فى طريق ، فقد آثر جنتيلى أن ينضم الى الفاشية ، وامسك كروتشه بنفسه عن السقوط .

وفى عام ١٩٢٢ استولى الفاشيون الايطاليون على مقاليد الحكم ، وجثموا على انفاس الشعب الايطالى حتى هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣ ، وخلال ايامهم تاكدت شهرة كروتشه الواسعة ، وطوقه مواطنوه والعالم كله بالاجلال والتقدير ، لأنه قاوم طغيان الفاشية بقوة وإصرار وصلابة ، واتخذ منها على الدوام موقفاً ناقداً ومعارضاً ، واقام فى وطنه لم يبرحه أبداً ، رغم تعرضه لكل الوان الأذى ، ورغم كل الدعوات التى وجهت اليه من الخارج ، فظل المثل الهادى ، والفكرة الموحية ، لمثقفى إيطاليا وشبابها ، فى كل ساعات العسرة والضيق . وبعد أن تحررت ايطاليا من الفاشية والألمان شارك بايجابية ونشاط فى الحياة العامة ، وبقى دائماً ، فى استقامته وتلاحمه وتماسكه ، استاذاً قدوة ، ولم يتخل عن رسالته كاتباً أبداً ، رغم امتداد عمره ، ووهن قوته حتى آخر يوم من حياته وتوفى عام ١٩٥٢ .

كان ناقد إيطاليا الكبير صاحب اسلوب سهل ممتنع ، عذب وجميل ، لا فى الفلسفة وحدها ، وإنما فى التاريخ والنقد ايضاً وتميز بالثقافة العريضة الواسعة ، وجمع فى حواره بين اللطف والرقة والصلابة ، على نحو لا يتاتى إلا لقلة نادرة ، وجدد المفاهيم المتصلة بالفن واللغة والنقد الأدبى وتدوين التاريخ ، واصبحت أبحاثه جوهرية لفهم الثقافة الايطالية الجديدة ، وقواعدها الجمالية ، وناضل بقوة ضد نظريات المذهب الوضعى التى تحصر

# بنديتو كروتشة

## ناقد عالمي يجهله العرب!

الفن فى الواقع المحسوس فقط ، أو تعرضه ثمرة الجنون والشذوذ ، أو تجعل منه وسيلة لتلقين الحقائق ، أو الدعوة لموضوعات ذات طابع اجتماعى .

### الفكر والحقيقة

وانتهى كروتشه الى ان الفكر والحقيقة شىء واحد ، وان المعرفة ليست علاقة بين الفكر وموضوع مستقل عنه ، وإنما هى الفكر نفسه فى إدراكه لذاته . والفكر له صورتان ، أو لونان من النشاط : نظرى يتجه الى المعرفة ، وتطبيقى غايته الارادة أو هما بتعبير آخر العلم والعمل ، ولا يعنى بالارادة هنا معناها الفلسفى من انها أساس الكون ، ومبدأ الأشياء والواقع ، ولا معناها المجازى حين يراد بها كل فعل يقوم به الفكر البشرى ، وإنما باعتبارها نشاطاً للفكر يختلف عن التامل النظرى للاشياء ، وينتج أعمالا لا معارف ، ويكون العمل عملا حقاً بقدر ما يكون اراديا ، وإلا فهو حركة مجردة ، وواقعة مادية ، وإرادة العمل تتضمن بداهة إرادة العصيان .

والمعرفة لها صورتان : حدس وليد المخيلة ، وبه تدرك الصور الجزئية الفردية وهذا هو الفن ، وفكر يجىء عن طريق الذهن ، وبه تدرك العلاقات الكلية ، وهذا هو المنطق ، فهى إما مبدعة صور ، أو منتجة تصورات .

والتطبيق ، أو العمل ، له صورتان : اقتصادية تهدف الى تحقيق طموحات فردية ، غايتها النفع ، واخلاقية تستهدف غايات كلية تتجه نحو الخير .

ومن ثم يتالف من العلم والعمل ، بصورتيهما ، مفهومات أربعة تستنفد الحقيقة : الجمال والحق والمنفعة والخير . ويطلق على هذه الجوانب الاربعة من الحقيقة ، أو الفكر ، اسم اللحظات الاربع ، وهذه اللحظات ليست منفصلة فيما بينها ، وكل واحدة منها تمثل الحقيقة الواقعة كاملة ، ففى اللحظة الأولى تتمثل الحقيقة بكاملها جمالا ، وفى الثانية حقاً ، وفى الثالثة منفعة ، وفى الرابعة خيراً .

والنشاط الفنى أول خطوات الفكر ، وهو الصورة المبكرة له ، وهو حدس خالص ، والحدس هو الادراك المباشر لحقيقة فردية جزئية خالياً من اى عنصر منطقى ، والمعرفة الفنية ، أو الحدسية إن شئت ، تسبق المعرفة المنطقية ، وهذه تقوم على تلك ، ولكن الأولى لا تقوم على غيرها ، لانها فجر كل معرفة . وفى دراسته عن «الحدس المحض والطابع الغنائى للفن» ، ونشرها عام ١٩٠٨ ، استعاض عن مصطلح «الحدس المحض» ، بمصطلح جديد هو «الحدس الغنائى» ، وبذلك حل مشكلة العلاقة بين النشاط الاجتماعى ومحتواه .

واوضح كروتشه ان الفن تعبير عن شعور ، أو هو التكافؤ الكامل بين العاطفة التى يحسها الفنان وبين الصورة التى يعبر بها عن هذه العاطفة ، اى بين الحدس والتعبير ، ولذلك لا يمكن تصنيف الفنون والاجناس الادبية بصورة نهائية ، لان الحدس شىء فردى ، وجديد دائما ولا نهاية لعدده ، وليس للتصنيفات التى يضعها النقاد للفنون ، وفى داخل الفن نفسه ، قيمة ثابتة ، ومثلها القوانين التى يضعها النقاد الذين يلتزمون مذهباً بعينه تجريبياً أو نفعياً ، عقلياً او صناعيا ، اجتماعيا او نفسياً ، حقياً او اخلاقياً بوجه خاص ، ويرون قيمة الأثر فى التزامه القواعد ، أو إحداثه اللذة ، او توليده الحقيقة ، وما الى ذلك . وهم يرون – مثلا – أن الأثر الفنى الذى يخرج على قواعد الأخلاق قبيح ، مهما كان فى ابداعه جميلا

### الناقد فنان أيضاً

ويرى كروتشه أن الفنان مبدع لا اكثر ، أى انسان يحب ويعبر ، ومن حيث هو كذلك ليس عالماً ولا فيلسوفاً ولا اخلاقيا . وبداهة يمكن أن نصفه كانسان بالاخلاق وعدمها ، أما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع ان نطالبه باكثر من التكافؤ التام بين ما يبدع وبين ما يشعر به . وعلى الناقد ان يقف أمام مبدعات الفن موقف المتامل لا موقف القاضى او الناصح ، فهو فنان اخر يحس ما أحسه الفنان الأول ، ويعيش حدسه مرة ثانية ، والاختلاف بينهما أن الناقد يعيش واعياً ما عاشه الفنان غير واع .

وإذا كانت فلسفة الفن هى علم الحدس الخالص ، فان المنطق علم المفهوم المحض ، والحدس لا يقوم على المفهوم ، لانه اول صور المعرفة ، وعلى العكس يقوم المفهوم على الحدس ، لأن الحدس موضوع المعرفة العقلية ، ومجالها معرفة العلاقات القائمة بين الأشياء ، وهذه الأشياء هى الحدوس ، وبدونها لا يمكن وجود المفهوم ، وهو عند كروتشه يختلف عنه عند أرسطو ، فالأول يراه الفكر نفسه وقد بلغ مرحلة التعميم ، ويراه الثانى مفهوماً مجرداً لا يزيد على انه التعميم نفسه .

### المعرفة تساوي الارادة

وفيما يتصل بالجانب التطبيقي للحدس وهو العمل ، يرى كروتشة انه بدون معرفة لاتكون هناك إرادة ، وبوسعنا ان نعقل معرفة مستقلة عن الارادة ، اما الارادة المستقلة عن المعرفة فلا تعقل ، لأن الارادة الحقة لها عينان ، واما الارادة العمياء فليست إرادة . وانى لنا ان نريد إذا لم تكن أمامنا حدوس تاريخية ، اي إدراك للأشياء، وحدوس محضة ، اي تخيل للممكنات ، وروابط منطقية بين هذه الأشياء توضح طبيعتها . واني لنـــا الارادة الحقة إذا كنا لا نعرف العـــالم الذى يحيط بنا ، وأسلوب تحويل الأشياء بالتاثير فيها ؟ .

فالنشاط العملي ، أو الارادي ، لا يستقل عن المعرفة ، ويجيء فى صورتين تتضمن ثانيهما الأولى : النشاط النفعي ، أو الاقتصادي المحض ، والنشاط الأخلاقي ، ويهدف إلى غايات فردية ، وهو « جمال » الحياة العملية ، ويهدف إلى غايات فردية ، وهو « جمال » الحياة العملية ، ويهدف الثاني إلى غايات كلية ، وهو منطقها ،

وهذه اللحظات الاربع : الجمال والحق والمنفعة والخير ، يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً دائرياً ، فاللحظة الأولى شرط فى الثانية ، وتتوقف على الرابعة ، والثالثة تتوقف على الثانية وشرط فى الرابعة ، وهكذا تدور الحياة : حدس ، فمنطق ، فاقتصاد ، فاخلاق .

## الذوق والعبقرية

وفى ضوء هذه الأسس مضى كروتشه يوضح بالتدريج مفاهيم الذوق والعبقرية ، ووظيفة النقد ، وتاريخ الأدب ، والنشاط الجمالي ، والمضمون والصورة ، وحدد طبيعة اللغة ، وانها بالدقة ثمرة النشاط الجمالي فى لحظة الخلق الخالدة ، وميز التعبير الشعري بمعناه الدقيق عن بقية انواع التعبير الاخرى ، كالارتجال والخطابة ، وكلاهما ينتمي إلى الجانب التطبيقى ، وهو وليد النشاط الفكري الخالص ، وفيه يتدنى الخيال ليصبح كلمة أو رمزا على فكرة فحسب .

وهو يرى أن الأعمال الأدبية ، وتمثل الجانب الأعظم من ثقافة شعب ما ، شكل من الحضارة ، وتعبير عن ذوق الشعب ، ونموذج يومـىء إلـى روحـه ومدنيتـه الخاصـة ، وفيها لا يجب ان نبحث عن عبقرية المبدع المتفردة ، وإنما عن انتشار حضارة الحرف ، كاي جانب آخر من جوانب الحضارة ، فلسفية او سياسية او اقتصادية او غيرها ، ومثل هذه الأعمال نادراً ما تكون خلقاً عبقرياً خالصاً ، وكثيراً ما تعكس رؤى العبقرى ، وقد تمثل رغائب شعبه ، وتعكس فى الوقت نفسه حاجاته المشتركة ، أدبية وثقافية . والجانب الأكبر من الروايات والقصائد ، والمسرحيات بانواعها المختلفة ، ومثلها فى ذلك المعمار والموسيقى والرسم وغيرها ، اعمال حضارية ، تمثل الشعب بدقة فى لهوه وطربه وثقافته ، وليست مناط موازنة ، او منافسة ، بينها وبين صاحب الأصالة الشعرية الحقة .

ومثل هذا التمييز يساعدنا كثيراً على فهم تاريخ الحضارة الأدبية ، وعلى تكوين رأينا ناقدين .

## التاريخ والشاعر

كذلك عرض بطريقة بالغة الوضوح والروعة لقضية العلاقة بين الأخلاق والشعر ، ويرى ان الشعر بمعناه الدقيق لا يخلق حقيقة ولا خلقا ، ومع ذلك فهو يتغذى بكل ماتنطوى عليه نفوسنا ، وما تملكه شخصيتنا من ثراء ، وهي اخلاقية فى الجانب الأكبر منها . فليس من مهمة الشعر ان يخطب او يعظ او يستهدف اقناعات خلقية ، ولكن روح الشاعر لا يمكن ان تدير ظهرها لتجربة الروح الانساني الواسعة ، ولا يمكنها ان تستهدي غير النقاء ، اي الأخلاق ، وتزداد فتنة الشعر وروعته بقدر ما تكون شخصية الشاعر اشد تحليقا واكثر سمواً .

وفيما يتصل بالعلاقة بين التاريخ والشاعر حدد مفهومه من التاريخ ، وانه يعنى به الوقائع والمثل العليا للمجتمع ، سياسية او دينية فى عصر من العصور ، وانتهى إلى أن الخلق الشعري لشاعر ينتمي إلى هذا العصر حدث لا يصدر عن التاريخ ، ولا يحدد هذا مساره ، وكل خلق شعري كامل فى نفسه ، ومستقل عن اي شيء آخر ، ولكن المادة والفحوى ، فكرياً وإنسانياً ، يتوقفان على ما يتغذى به الشاعر ، ويثريان باتساع فكره ، وعميق صلته بالتاريخ ، وما يحمل فى اعماقه من اغذية خفية ، وخمائر فعالة ، ومن ثم فهي تعكس خفق الحقبة التاريخية التى عاشها الشاعر ، او الفنان .

فالتاريخ لا يحدد العمل الشعري ، ولا يشكله ، ولكنه يصنع الظروف التى تطوقه ، وليس ممكناً ان نتعمق فيه ، وان نفهمه جيداً ، دون ان ندرك واعين الظروف الأخلاقية والتاريخية التى ولد فيها ، ولونته ، دون أن تصبح له قيداً أو تحد من حريته .

## أشكال خاصـة

واخيراً يتحدث عن الرأي القائل بان هناك اشكالا فنية خاصة ، وان كل شكل منها لـه مفهومـه وحـدوده وقوانينـه الخاصة ، وكيف تجسدت هذه الفكرة فى مذهبين ، يعرف احدهما باسم نظرية الأجناس الأدبية ، وتقسم الأدب إلى غنائي ومسرحي وملحمي ، وروائي وقصصي ، وإلى ملهاة وغيرها . ويعرف الثاني باسم نظرية الفنون ، وتقسمها إلى شعر وتصوير ونحت وعمارة وموسيقى وتمثيل وغيرها . وفى بعض الاحيان يعدون النظرية الأولى جزءاً من الثانية، وهي تقسيمات تعود إلى الحضارة اليونانية ، ولا تزال شائعة فى أيامنا هذه ، وكثيرون من الكتاب يؤلفون فى فن المأساة ، وفن الملهاة ، وفن الفكاهة وغيرها ، إلا ان ضررهم محدود لأن الناس قلما يصغون إليهم ، فهم يكتبون لأنفسهم تسلية ، او ليحتلوا مركزاً علمياً ، ولكن الأدهى أن النقاد انفسهم يحكمون على الآثار الفنية بالنسبة إلى الجنس او الفن الذى تنتسب إليه فى رأيهم ، وهم فى هذه الحال لا يبرزون جمال الأثر او قبحه ، وإنما يبحثون عن التزامه القواعد او الخروج عليها ، وشاع هذا الاتجاه ، حتى أصبح تاريخ الأدب والفن تاريخاً للأجناس الأدبية والفنية ، وأدى هذا الى تجزئة اعمال الفنان الواحد ، وهي تكون وحدة فى الواقع مهما تكن الصورة التى جاءت فيها ، غنائية او قصصية او مسرحية ، ومن ثم يمكن – مثلا – ان نعد شاعراً مثل اريوست الأيطالي ( ١٤٧٤ – ١٥٥٣ ) بين رجال النهضة الذين تعهدوا الشعر اللاتيني تارة ، وبين الغنائيين الذين كتبوا بالعامية تارة اخرى ، وحتى بين كتاب الملاحم ، او الهجائيـن ، إلى آخر ماهنالك من اجناس ادبية ، يمكن ان نجد له مكاناً .

## الفن المجرد

مامن احد يجهل ان التاريخ الأدبي مملوء بالحالات التى يخرج فيها الفنان العبقري على الاجناس الأدبية والفنية المقررة ، فيحمل عليه النقاد ، ولكن حملتهم لا تطفىء إعجاب الناس به ، ولا تحد من ذيوعه ، ومن الزمن يجد النقد نفسه فى حاجة إلى أن يتساهل بازائه ، فيوسع

# بنديتو كروتشه

## ناقد عالمي يجهله العرب!

نطاق الجنس الادبي ليشمله ، او يقبله جنساً جديداً ، وهكذا تستمر عملية تحطيم القيود ، وقلب القواعد ، مع كل اثر عبقري جديد . ولكن من الحق ايضا ان هذه الشبكة من التصنيفات ذات فائدة ، لا تتصل بالابداع ، فهو عفوي وتلقائي ، ولا بالحكم عليه ، فهذا امر فلسفي ، وإنما من قبيل الحصر والاحصاء لآثار لا تنتهي ، وذلك شيء يفيد الذاكرة ، ويعينها على الانتباه ، وهو امر محمود ولا غبار عليه ، مادمنا لا نجعله مبدأ فلسفيا ، ولا مقياساً للحكم على الفن .

غير أن هذه الاصناف والاجناس تسهل المعرفة ، وتيسر التربية الفنية ، لانها فى مجال المعرفة اشبه بقائمة تذكر فيها اهم الابداعات الفنية ، وهي فى التربية مجموعة من النصائح الضرورية أوحت بها الخبرة العملية الفنية ، والمهم الا نخلط بين القوائم والواقع ، او بين الاحداث والأوامر الظنية وبين القواعد الصارمة ، وهو خلط نقع فيه بسهولة ، ولكن نستطيع ويجب ان نقاومه .

إن كتب الادب والبلاغة والنحو والعروض والموسيقى والتصوير وغيرها ، إنما هى اولا قوائم بالأعمال الفنية ، ومجموعات من النصائح ، وتتجلى فيها ، ثانيا ، ميول إلى تعبيرات فنية خالصة وفى هذه الحالة يجب ان نعدها من « الفن المجرد » الذى لا يزال فى مرحلة التاهب والتحضير ، ونجد فيها ، اخيراً ، محاولات لفهم موضوعها فلسفيا ، ولكن يفسدها خطا التقسيم إلى اجناس وفنون على نحو ما انتقدنا ، ومع ذلك فهي تناقضات تمهد السبيل امام النظرية الصادقة فى فردية الفن .

### أدب ايطاليا الجديدة

عبر هذا الطريق غذى كروتشه النقد وذكاء القارىء ، لكي يذهب هذا بمتعته إلى ماهو ابعد من مجرد قراءة الاعمال العظيمة واحكم مناهج النقد والتذوق بقوة ، وطور الثقافة الايطالية فى شتى جوانبها ، وانطلاقا من مبدأ ان الفلسفة منهج التاريخ أي انها تعيش فقط فى وحدة مع مشكلات الحياة المحددة ، قام بجهد نقدي عظيم وفعال ، وكتب العديد من المقالات عن اكبر الكتاب الايطاليين والأجانب .

وبين اعماله النقدية فان كتابه عن « أدب ايطاليا الجديدة » ، وجاء فى ستة مجلدات ، يجيء فى القمة إحكاماً وشمولا ، والفه بين عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ ، ويدرس الأدب الايطالي بعد الوحدة القومية ، اي بين عامي ١٨٦٠ ، ١٩١٠ تقريبا ، ويعتبر حتى اليوم اثري واعمق ما كتب عن هذه الفترة . ودرس إلى جانبه ، فى ابحاث عميقة مركزة ، كبار الكتاب والادباء من إيطاليين واجانب ، امثال : اريوست ، وشكسبير ، وكورناي ، ودانتي من بينهم بخاصة . ويتجلى فيها كلها عمق الناقد واصالته ، وطبق فيها منهجا خاصا اختطه لنفسه . وإلى جانب هذا كتب عن الشعر العامي والمثقف ، والقديم والحديث ، وادب ايطاليا فى القرن السادس عشر الميلادي وفى عصر النهضة وغيرها .

### استاذية ماهرة

وإلى جانب دراساته المتصلة بالادب والفن ، اقبل على دراسة التاريخ ، وما يتصل بتاريخ اللغة بخاصة ، والاقتصاد والتشريع ، وتاثير النظم الاجتماعية والسياسية فى الحياة ، ويأتي تاريخه لملكة نابولي فى قمة اعماله فى هذا المجال ومن خلال هذه الثقافات الواسعة المتنوعة، انتهى إلى مفهوم خاص به عن الحياة ، والصحة والعزيمة والواجب ، والايمان بتطور التاريخ ، وبالفن اداة لاشاعة التناسق والجمال .

ولا يستطيع المتحدث عنه ان يمر بلغته فى الكتابة ، واسلوبه فى التعبير مروراً عابراً ، إذ انه فى هذا المجال يجيء حداً فاصلا فى تاريخ اللغة الايطالية الحديثة ، فلغته منتقاة دون إغراب ، وجزلة دون تقعر ، ونموذج للرقة دون تهافت ، وتعادل فى استاذية ماهرة بين الحفاظ على جوهر اللغة قواعد وتراكيب ودلالات وبين اختيار ماهو موسيقى من الفاظها ، وتلتقطه اذن السامع وعين القارىء فى سهولة و بعدها تاخذ طريقها إلى الذاكرة فى يسر وسهولة .

تلك هي الخطوط العامة للافكار النقدية لهذا العالم الناقد ، وبسطها يحتاج إلى جهد ، لأن الرجل ، انطلاقا من وحدة الفن ، يمزج بين قضايا كثيرة ، وجانب لا باس به من آرائه يلتقى فيه مع كبار نقادنا القدامى، أمثال الجرجيان : عبد القاهر وعلي ، وابن الأثير ، وحازم القرطاجنى من بينهم بخاصة ، وقد اعود يوما إلى هذه الألوان من الموافقات .

د. الطاهر أحمد مكي

### صحائف تمنع الغضب

قال المعتمر بن سليمان :

كان رجل من الأتقياء يغضب ويشتد غضبه ، فكتب ثلاث صحائف . ثم أعطى كل صحيفة رجلا .

قال للأول : إذا اشتد غضبى فقم إلى بهذه الصحيفة وناولنيها .

وقال للثانى : اذا سكن بعض غضبى فناولنيها .

وقال للثالث : اذا ذهب غضبى فناولنيها .

وكان قد كتب فى الأولى :

– أقصر مما أنت فيه ، انك لست إلها . إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً .

وفى الثانية :

– إرحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء .

وفى الثالثة :

– أحمل عباد الله على كتاب الله ، فانه لا يصلحهم إلا ذاك .

# الموجة الجديدة في السينما

بقلم: محمد فتحي

**ظلت هوليود ـ مهد السينما ـ زهاء نصف قرن تتحكم فى أذواق الناس ؛ لا فى الولايات المتحدة وحدها ، بل وفى كثير من بلدان القارات الخمس . ثم آن لدولتها أن تدول ، فخوت عروشها ، وخيم الصمت والسكون على استوديوهاتها ، وكانت تضج بالحركة وتصاعد فى سمائها أعذب الألحان ، وتموج بأعلا درجات الحسن إناثاً وذكوراً ونتاجاً عبقرياً فى شتى طرز المعيشة من عمارة وزخرفة ورسوم ومشرب وملبس .**

**لم يغلق مصنع الأحلام أبوابه ، وإنما تضاءل وضمر حجمه ونازعه السلطان مراكز أخرى متعددة ، فى أميركا ذاتها وفى أوربا وافريقيا أيضاً ، ما كان أحد فى الثلاثينات يتصور أن ترث هوليود «هونج كونج» و «اليابان» و «الهند» !**

انتقل انتاج الفيلم من أيدى الشركات العتيدة ذات الاسم الرنان ، متروجولدوين ماير ، يونيفرسال ، بارامونت وفوكس .. الى أيدى فرق عديدة من المنتجين المستقلين الذين انبثوا هنا وهناك ينتجون إنتاجاً فردياً أو انتاجاً مشتركاً بين بلدين أو أكثر لم تعد تقيد نشاطهم الاستديوهات الثابتة فقد يسرت لهم التكنولوجيا العصرية (١) تجهيزات وأدوات دقيقة صغيرة الأحجام تنقل من مكان لمكان دون عسر أو مشقة . كذلك يسر لهم التعاون الاقتصادى بين أطراف الانتاج المشترك أمر رأس المال المطلوب .

هذا التحول الدرامى السريع فى صناعة السينما حدث نتيجة عاملين : الأول هو ظهور التلفزيون وغزوه كأداة جديدة أسرت ألباب الناس وأقعدتهم فى البيوت أسرى شاشتها الساحرة مما أدى الى انغلاق الاف الدور السينمائية بشكل ملحوظ فى أميركا وأوربا ومن ثم اهتز صرح الصناعة المنيف . أما العامل الثانى فهو الظهور التدريجى لجمهور جديد من عشاق السينما يختلف عن جمهور الثلاثينات والأربعينات وحتى الستينات ، ويتميز بفتوته وريعان شبابه . إذ قل أن تجد فيه من تزيد سنه على الثلاثين . أبناء العشرات من السنين أعز نفراً من أبناء وبنات العشرين . كما أنه متميز أيضاً فى درجة تعلمه ودرجة تخيره . هذا الجمهور الفذ ، بمزاجه واحتياجاته هو الذى خلق ما أسمى بالموجة الجديدة فى السينما .

يتضارب الرأى فى هذه الظاهرة أو فى هذه الموجة الجديدة فى السينما . يراها البعض فاتحة عصر ذهبى للسينما . والبعض الآخر يرى فيما تنطوى عليه من إباحة للجنس ومظاهر النزاع والعراك والشد والجذب ... واللامبالاة ـ انحداراً نحو هاوية التحلل ، ربما كانت الحقيقة غير ذلك . فالذى لا مراء فيه أن الأفلام الجديدة لا تعنى كسالفاتها بالمظاهر الخلابة ، والقصور وأهل القصور ، والكواكب ذات الأسماء البراقة الرنانة .. إنما عالمها الذى تصوره هو عالم الأزقة والحوارى والشوارع الخلفية .. والناس «اللي تحت» والناس «اللي فوق السطوح» .. والحانات الصاخبة .. وكهوف السر من مخدرات وغير مخدرات .. ثم ان أبطالها وبطلاتها نكرات .. لا وجود للسابحات الفاتنات عاليات الصدور أو لمارلين مونرو أو معبودى الجماهير من أمثال رودلف فالنتينو أو كلارك جيبل .. وإنما الأبطال والبطلات ذوو وجوه عادية ، كالحة فى أغلب الأحيان ، تعيش فى أطر غريبة غير مألوفة .

هذه الأجواء التى تصورها الأفلام

الجديدة تعكس وجهة نظر كاتبيها ومخرجيها الشبان . الكلمة فيها كلمتهم وليست كما كانت فى الماضى كلمة المنتجين الكبار اصحاب رأس المال . وطابعها شخصى بحت فهى تناقش فى جراة – تتجاوز احيانا كل الحدود – قيم المجتمع وممارساته السلوكية وتقاليده ، وتمثل بصفة عامة الرأى الرافض فى المجتمع . لا تعد الأفلام تصويراً لواقع قائم بقدر ما هى تلمس لفلسفة جديدة وأسلوب جديد من العيش ، أسلوب أفضل من هذا الواقع المرفوض .

## العدو هو المجتمع !

انفتح باب الانتاج السينمائى على مصراعيه وانشرخ صرح الاحتكار فى جميع أشكاله .. احتكار الاستوديوهات واحتكار الكواكب واحتكار ملكية دور العرض (٢) . وتشكلت أمام أنظار المواطن العالمى الموضوعات ، وتعددت الفلسفات ، وتباينت الأساليب والنماذج البشرية نتيجة تعدد مراكز الانتاج المشترك . ولانهيار نظام الكواكب وانتقاء الوجه الوضاء الذى ألفته السينما فى عهد مصنع الأحلام اتيح لأفراد الجمهور العالمى أن يتعرفوا على ذاتهم فى أبطال الفيلم وبطلاته من أصحاب الوجوه المتواضعة أمثالهم . وليس أبطال الأفلام متواضعى الوجوه فحسب . بل إن دور البطولة مختلف كذلك . فهو فى هذه الموجة الجديدة يقاس بمقياس أخر . لا مقياس القدرة على الظفر والنصر . وإنما القدرة على البقاء .. أن تظل حياً ترزق .. فى وجه مجتمع متحجر القلب ، شديد الباس لا يعرف الرحمة والتعاطف وهما قوام الانسانية والعدالة . البطل اليوم يناقش ويسائل ويتظاهر ويتمرد ، وكما قال أحد الكتاب الأميركيين (٣) : يدخل السجن ولا يدخل الجيش ليذبح الآمنيـن فى وطنهم ! (مشيراً الى حرب فيتنام) .

كان دور البطولة فيما مضى هو حماية المجتمع من أعدائه . أما اليوم فالعدو هو المجتمع !

وجه السينما الجديد وجه أخر من وجوه التجريب الانسانى المتلمس لحياة أفضل . ونحسب الانسان فى هذه الكرة الأرضية المتارجحة وقد رفض عدالة الأرض راح يتطلع الى عدالة السماء .. الى طرائق أخرى وعوالم أخرى . وأداته الاتصالية فى ذلك هما . التلفزيون الموحد والمعمل السينمائى العالمى .

## أفاق الفيلم السينمائى

نمو الفيلم مطرد :

مايزال الفيلم السينمائى محتفظاً بمكانته ودوره كأداة للترويح عن الناس على النطاق العالمى . صحيح أن السينما فقدت مكانتها فى بلدين كبيرين لهما تاريخ عريق فى صناعة السينما وفى تطوير الفن السينمائى وهما الولايات المتحدة وكندا . وسبب ذلك ، كما هو معروف ، راجع الى دخول التلفزيون وانتشاره وغلبته الأمر الذى أدى الى ضمور الانتاج فى هذين البلدين بالاضافة الى اغلاق العديد من دور العرض (٤) . غير انه باستثناء هذين البلدين يطرد نمو السينما سواء فى الانتاج أو فى انشاء دور العرض اطراداً ملحوظا ، كما نشهد تزايداً فى عدد الدول الجديدة التى تدخل فى مضمار الانتاج .

مراكز جديدة للانتاج :

لقد ظلت الولايات المتحدة الأميركية منذ مطالع هذا القرن متسيدة صناعة السينما أجهزة وانتاج أفلام وتسويقا . ولكنها من الخمسينات وللسبب الذى أشرنا اليه تخلت عن هذه المكانة ؛ وسرعان ما قفزت الى الصدارة بلدان لم تكن هنا أو هناك – نعنى فى هذا المجال – هونج كونج واليابان (٥) . كذلك نجد الاتحاد السوفيتى وعدداً غير قليل من الدول النامية مثل المكسيك والبرازيل والأرجنتين كما ظهرت فى بعض بلدان الكتلة الشرقية مثل هنغاريا وبولندة ويوجوسلافيا نماذج فيلمية مميزة جمعت بين الفلسفة وجمال التقنية جمعاً موفقاً . أما مصر والهند ولكليهما مكانة عريقة فى الصناعة فقد تارجح فيهما الانتاج بين القلة والكثرة وان اصطبغ بصفة اصطلاحية تقربه لقيم التجارة لا لقيم الخلق والابداع . كذلك تارجح انتاج الفيلم فى أوربا الغربية بين النمو والانكماش (٦) .

التوسع فى العروض السينمائية لا يقتصر على انشاء الدور الثابتة المقاعد التى تضاعفت منذ الستينات أكثر من ضعف (قدر عددها إذذاك بمائة الف دار) .



فالنتينـــو
جذب الجمهور فى فتـــرة مبكرة !

بل إن الوحدات المتنقلة وخاصة فى افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية زادت من جماهير السينما زيادة ضخمة بحيث يمكن القول استناداً الى آخر الاحصائيات بأن الجمهور الأسبوعى للسينما فى الوقت الحاضر يبلغ نحو ٤٠٠ مليون أى ما يزيد على ثمن سكان المعمورة .

## أفلام المعرفة

النمو فى الانتاج السينمائى لا ينصب على الفيلم الروائى وحده . فالأفلام التعليمية والتسجيلية ، وهما جانبا أفلام المعرفة ، تنتشر أيضاً فى انحاء العالم انتشاراً كبيراً وتنتجها بطبيعة الحال هيئات غير تجارية مثل الوكالات الحكومية المختصة فى شتى الشئون كالصحة والتعليم والزراعة والثقافة وما اليها . كما تتولى انتاجها المؤسسات التجارية والصناعية كشركات النفط والمحتكرة لغيره من المواد الخام والمؤسسات الخيرية ومؤسسات الخطوط الجوية وغيرها وينبغى ألا نستهين بهذه الأفلام غير الروائية فبعضها يبلغ من حيث الجودة والاخراج درجة عالية تضعه فى قمة الفن السينمائى المرموق . وواضح أن الفيلم أصبح وسيلة معتمدة من وسائل التعليم وجزءاً أساسياً من المنهج الدراسى .

## التقدم التقنى فى الانتاج والعرض

التقدم التقنى فى صناعة الفيلم لا



مارلين مونرو
كانت اسطورة في السينما !



كلارك جيبل
ظل متوجاً لسنوات على عرش السينما !

يتوقف . بل انها فى الخمسينات تمخضت عن تطورات جسام لعل الباعث على ولادتها هو ذلك التحدى السافر الذى واجهته عند دخول التلفزيون وغزوه . ففى مجال الانتاج تناول التطوير تصميم الكاميرا فنتجت كاميرات ٧٠ مم التى تصور أفلاماً للشاشات العريضة التى تخيل للمشاهد أنه جزء داخل فى البيئة التى يعرضها الفيلم . ومن ناحية أخرى طورت للهواة وممارسى التجريب كاميرا ٨ مم جامعة بين الصورة والصوت .

وظهرت السينما سكوب والسينراما والفستافيزيون وغيرها من أشكال الشاشات ، وعشرات التقنيات المتعلقة بالعدسات وبالقنوات الصوتية ونظم الصوت ونظم اللون مما جعل السينما أداة بهيجة خلابة تجذب ولا تنهزم أمام التلفزيون الغازى .

وفى جانب العرض سار التطور فى خط متواز مع الانتاج . اتسعت الشاشات فطالت وعرضت ، وللهواة والباحثين رخصت أجهزة عرض الثمانية مليمترات .

كذلك حدث تطور هام بالنسبة للمناطق الاستوائية وشبه الاستوائية فانتجت أجهزة عرض ببطاريات تعتمد لشحن طاقتها على الشمس حيث تتعذر الكهرباء .

## مجالات سينمائية مستحدثة

ادخل وتفرج ! :

من الانماط السينمائية المستحدثة التى جددت الشوق السينمائى وصبت فى جمهوره روافد جديدة ظهور بدعة استلهمها أصحابها من اعتماد الناس على السيارة وارتباطهم بها ارتباطاً جوهرياً فانشأوا فى الساحات الكبيرة أماكن لدخول السيارات يدعى أصحابها للدخول والتفرج (ادخل وتفرج !) فيجلس أصحاب السيارات هم وذووهم فى سياراتهم ويشاهدون الفيلم المعروض على الشاشة الكبيرة ولابأس من تناول المثلجات أو المدفئات وهم يستمتعون بالمشاهدة . وفى الولايات المتحدة بوجه خاص تجد هذه الساحات السينمائية الجديدة رواجاً واقبالاً معوضة على الصناعة بعض ما خسرته من جمهورها للتلفزيون . وهى تنتشر فى الضواحى التى يؤمها الناس للنزهة والترويح والتماس الهواء الرطيب وعطر الخضرة الفواح . كذلك تجدها فى بعض الأندية ذات الأراضى الفسيحة وفى مراكز التسويق الضخمة التى تقب فى أطراف المدن ، وعلى طول الطرق السريعة تخفيفاً عن المسافر وترويحاً له فى سفره الطويل وتجنيباً له من عناء التسويق فى المدن مع عسر إيجاد أماكن لانتظار السيارات .

## السينما والتلفزيون

ومن التطورات الأخرى التى تنبىء عن اتجاه مستقبلى هو أن مجمعات من دور السينما كانت ترتبط بدائرة مغلقة للتلفزيون بحيث يشاهد المتفرج الفيلم السينمائى مضافاً اليه ، الأخبار والاحداث التى تذاع على نفس شاشة السينما فى تليفزيون الدائرة المغلقة حتى ترتبط مئات الدور السينمائية فى البلد الواحد بمحطة تليفزيون واحدة ومن ثم يتم الدمج بين الشقيقتين السينما والاذاعة المرئية .

## بعث جديد للسينما

الحقيقة أن هذا المنحى يتحقق بالفعل فى مجال تكنولوجيا الفضاء ، فكاميرات التليفزيون الضيقة ذات الزاوية الواسعة يتزايد استخدامها فى التوابع الاتصالية والأرصادية والفلكية والعسكرية كما تستخدم فى مركبات ارتياد الفضاء . ويسود الاعتقاد بان عرض الأفلام المبثوثة مباشراً من الفضاء الخارجى والكواكب الى الأرض ، على الشاشات الفضية سيكون بمثابة بعث جديد للسينما . ولاشك فى أن مثل هذا الكشف المنشأ عن الكون وكواكبه تجربة يفضل الانسان أن يراها فوق الشاشة الكبيرة مع تجمعات كبيرة من بنى جنسه من أهل الأرض لا أن يشهدها بمفرده ، فى بيته ، عن طريق شاشة التليفزيون الصغيرة .

**محمد فتحى**

## هوامش

(١) ذكرت مجلة النيوزويك الأميركية بعددها الصادر فى ٧ ديسمبر ١٩٧٠ أن فؤاد سعيد المهاجر العربى احدث ثورة فى صناعة السينما باختراعه الاستديو المتنقل المعروف باسم مارك ٤ (سينى موبيل) وهو استديو متحرك طوله ٣٥ قدماً يحوى غرفاً وحمامات للممثلين ويسع خمسين شخصاً عدا الأجهزة الخفيفة الوزن ــ وهو فى شكل أوتوبيس كبير .

(٢) حكمت المحكمة العليا فى مهد السينما واقوى حصونها بعدم مشروعية ملكية الشركات المنتجة لدور العرض .

(٣) الروائى كين كيزى فى رواية «أمة عظيمة فى وقت ما» والتى أخرجت فى السينما أخيراً .

(٤) تذكر الاحصاءات أن انتاج الأفلام فى الولايات المتحدة الأميركية هبط من ٣٥٠ فيلما الى ٢١١ عام ١٩٦٠ كما هبط عدد دور العرض من ١٧ الف دار عام ١٩٥٢ الى ١٢٣٠٠ عام ١٩٦٠ . وفى كندا اغلقت ٤٥٠ دار ما بين ١٩٥٧ ــ ١٩٦٠ .

(٥) دخلت هونج كونج مجال الانتاج السينمائى على نطاق واسع منذ الستينات واصبحت منافسة خطيرة للهند واليابان فى منطقة جنوب شرقى آسيا . ولكن افلامها مثل سلعها الاستهلاكية ذات طابع تجارى صرف فهى تختص مثلا بأفلام المغامرات والكاراتيه وما اليها مما يقلل من قيمتها الثقافية الانسانية .

(٦) كان عدد الدول التى تنتج فى الستينات اكثر من ٢٠ فيلما سنويا لا تزيد عن ٢٦ دولة اثنتان فى اميركا الشمالية وهما الولايات المتحدة وكندا ــ ١٢ فى أوربا ــ ٨ فى آسيا ــ اثنتان فى أميركا الجنوبية ــ واحدة فى افريقيا وهى مصر ــ عن كتاب المواصلات العالمية لليونسكو .

# من كتاب حكمة الشرق

## ترتيب وتصنيف الكاتبة الألمانية : كريستيان دينر

ترجمة : الدكتور صالح الشماع

● الآراء كالمسامير ، كلما طرقها المرء اكثر زادها عمقا .

« حكمة صينية »

● المزاج غالباً ما يكون الكوة التى يصدر منها شعاع الحقيقة .

« حكمة يابانية »

● الحب هو القوة التى تخلق جميع الكائنات الحية .

« حكمة صينية »

● لا يضل المرء أبداً بسهولة إلا عندما يتصور انه يعرف الحقيقة

« حكمة صينية »

● من يجاملنى هو عدوى ، ومن يلومنى هو معلمى .

« حكمة صينية »

● الابتسامة التى تطلقها ترجع اليك من جديد .

« حكمة هندية »

● إعمل لا لتربح ، وابدع لا لتملك .

« لاوتسه »

● الكلام الغامض كالمرآة المعتمة .

« حكمة صينية »

● لا يغضب إلا الجاهل ، العاقل يتفهم .

« حكمة هندية »

● الذى ينظر الى نفسه ، لا يتعالى على الناس .

« لاوتسه »

● خير الأبواب الموصدة ، ذلك الذى يسعنا تركه مفتوحا .

« حكمة صينية »

من هو الأكمه ؟
الذى لا يمكنه ان يرى عالما اخر
ومن هو الابكم ؟
الذى لا يستطيع ان يقول قولا جميلا فى الوقت المناسب .
ومن هو المعدم ؟
الذى يطمع بكل صعب ونفيس .
ومن هو الغنى ؟
المطمئن القلب .

« حكمة هندية »

● قبل أن تعمل على تحسين أوضاع العالم ، سر فى منزلك نفسه ثلاث مرات .

« حكمة صينية »

● قد نتجرع الشاى البارد والرز ، اما الكلمات الباردة فلا يمكن ان تقف على قدميها .

« حكمة صينية »

● قل ما تريد أن تقوله ، صباحاً .

« حكمة يابانية »

● لئن حملت غصنا اخضر فى قلبى ، فلسوف يكون على الغصن طائر غريد .

« حكمة صينية »

● العرف والعادة يقضيان أن تكون اجتماعيا ، اما أن تعرف الناس فهذا يجعلك حكيماً .

« كونفو شيوس »

● كما لا يقف الماء على الجبل ، لا يستقر الثار فى القلب الكبير .

« حكمة صينية »

● لا تشعل ناراً ، لن تستطيع اخمادها إذا اردت .

« حكمة صينية »

● لا يكون أكثر بعداً عن الحقيقة كالذى يدعي العلم بكل الاجابات .

« تشوانغ تسو »

● كما لا يدوم السلم والراحة ابداً لا يكون الشقاء والنكبات نهاية كل شىء ، فلاذا صفى لهيب الرمضاء كل ما هو أخضر العود نبت العشب فى الصيف ثانية .

« حكمة منغولية »

● يبحث العاقل عما فى نفسه هو ، اما الأحمق فيبحث عما هو خارج نفسه (بعيداً عن قدرته) .

« كونفو شيوس »

● لا يكفى أن يؤتى الى النهر رغبة فى الحصول على سمك ، على المرء أن يجلب شبكة معه .

« حكمة صينية »

« حكمة صينية »

● اشعل مصباح الحب بحياتك .

« طاغور »

● من كان الله غايته ، وسعه أن يعيش فى العالم ، لا أن يعيش العالم فيه .

« راما كرشنا »

● لا يسع المرء أن يصل الى كثير ، إن لم يبدأ من البداية تماماً .

« كرشنا مرتي »

● اثمن خصائص المرأة ، قلب دافىء .

« حكمة صينية »



● الخيانة (عدم الاخلاص) علامة ضعف .

« مهاتما غاندى »

● من لا يرتقى الجبال العالية ، لا يعرف السهول .

« حكمة صينية »

● ان تنقذ حياة انسان اكثر قيمة من ان تبنى عمارة بسبعة طوابق .

« حكمة صينية »

● إذا احب المرء وجد حتى الماء عذباً .

« حكمة صينية »

● اجعل صداقتك لما عند الغير من طيبة ، لا لما عندهم من ممتلكات .

« حكمة صينية »

● للذهب سعر معين ، وليس للكتب سعر ، إلا ان الكتب اثمن من الذهب .

« حكمة صينية »

● كما لا يمكن الانسان ان يقضى الف يوم بصورة متصلة مرفهاً مرتاحاً ، كذلك لا يكون للزهر الرونق الطرى مئة يوم متصلة .

« تسنغ كوانغ »

● السمكة التى لا تريد اصطيادها هى سمكة كبيرة دائماً .

« حكمة صينية »

● من يضحك بدل أن يثير صخباً هو الأقوى دائماً .

« حكمة يابانية »

● طيبة الكلمات تعبر عن الثقة ، وطيبة الأفكار تدل على ما لها من عمق ، وطيبة الهدايا تظهر الحب .

« لاوتسه »

● للانسان ثلاثة طرق يكون فيها ماهراً حسن التصرف : طريق التبصر والفكر وهذا هو الانبل ، وطريق التقليد وهذا هو الأسهل ، وطريق التجربة وهذا هو الاكثر مرارة .

« كونفو شيوس»

● لا يسع المرء ان يرى اخطاءه إلا بعيون الغير .

« حكمة صينية »

● حتى وإن كان لك عشرة آلاف حقل فحسبك صحن رز فى اليوم ، وإن احتوت دارك على الف غرفة حسبك من المكان ثمانى اقدام لتنام .

« حكمة صينية »

● إذا عملت رعانى الله ، وإذا غنيت احبنى الله .

« طاغور »

● إذا انتظرت بصبر حصلت على اجمل طقس .

« حكمة يابانية »

● إذا حدث امر وانقضى فلا تتحدث عنه ، فالماء إذا انكب صعب جمعه من جديد .

« حكمة صينية »

● (يا إلهي) قدنى من الوهم الى الواقع ، ومن الظلمة الى النور ، ومن الموت الى الخلود .

« الاوبانيشاد »

● من لم تكن له رغبات وصل الى سكينة داخلية .

« لاوتسه »

● إن أردت الحق فاعمل على تجديد نفسك كل يوم .

« كونفو شيوس »

● رغباتنا هى كصغار الأطفال ، كلما تساهلنا معها اكثر زادت طلباتها منا .

« حكمة صينية »

● حيثما ذهبت ، فكن مع قلبك كله .

« كونفو تسه »

● تمام العمل ان يكون لنا الدافع الذى يبعثنا على الوصول الى الغاية لا الى مجرد الوصول .

« مهاتما غاندى »

● فى الحب تهمل وتنسى جميع مفارقات الحياة ، إذ فى الحب وحده فقط لا تكون الوحدانية والثنائية فى نزاع .

« طاغور »

● نمت وحلمت أن الحياة هى السعادة .
● استيقظت ووجدت أن الحياة هى الواجب .
● تعاملت وجربت ان الواجب هو السعادة .

« طاغور »

● خير لك ان تشعل شمعة من ان تشكو الظلام .

« حكمة صينية »

● لا تهم نفسك بما مضى ، وتوجه بذاتك لما سيكون ويأتى .

« تسنغ كوانغ »

● اطلب الكثير من نفسك ذاتها وتوقع القليل من الآخرين ، تبعد عنك كثيراً من الهموم .

« كونفو شيوس »

● من تعرف على الغير كان متعلماً
ومن تعرف على نفسه ذاتها كان حكيماً .
ومن انتصر على الغير كانت له عضلات قوية .
ومن انتصر على ذاته كان قوياً .
ومن كان مطمئناً فهو الغني .
ومن لم يضع طريقه الوسط دام .

« لاوتسه »

● كما لا يمتلىء البحر بالألف والآلاف من مياه الأنهار الجارية فيه لا يطمئن قلب الانسان مهما حول من حجارة الى ذهب .

« حكمة صينية »

● لما كان الماء الاجاج هو قنية العالم ، فمهما عب الانسان من الماء لا يطفىء ظماه .

« كاداتكو بيليك »

● ان تتطاير الهموم والوساوس فوق بشرتك ، هذا امر لا تستطيع له تغييراً ، لكن فى إمكانك ان تمنعها إذا ارادت ان تبنى اعشاشها فى شعرك .

« حكمة صينية »

# محمود فوزي

# آخر جيل الدبلوماسيين العظام

● روى شهادته في ثلاثة كتب
ورحل قبل أخطر جزء فيها .. !!

بقلم : محمود مراد



صورة نادرة للدكتور محمود فوزى فى شبابه .. عندما كان مندوبا لمصر فى هيئة الأمم المتحدة

**كان الانسان العادى جداً « الانسان كائناً من كان » هو هدف الرجل الرقيق ، المهذب ، دمث الخلق ، الصامت أبداً ، المثقف فى غير استعلاء .. الدبلوماسى صاحب السمعة الدولية : الدكتور محمود فوزى .. الذى خرج ألى الحياة نهار التاسع عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٠ وقطع مشواراً خصباً ثرياً حتى خرج من الحياة فى الثانى عشر من يونيو ١٩٨١ ، بعد مصارعة المرض على مدى جولات استمرت بضعة أعوام ! !**

كان مؤمنا بالله .. بالميلاد والنهاية .. لكنه كان يود لو استمر سنوات اخرى يفرغ فيها كل ما لديه .. تسجيلا حيا لكفاح أمة .. تجربة للشباب صاحب الغد كله .. شهادة صدق للتاريخ ! !

فى ذلك النهار .. فى السنة « الصفر » الفاصلة بين قرن مضى وقرن يجيء ، كان مولده ليصبح الابن الثانى لفقيه قرية « شبرا بخوم » مركز قويسنا بمحافظة المنوفية .. الشيخ دسوقى جوهرى .. الذى تخرج من مدرستى القضاء ودار العلوم وصارحجة أهل القرية واحد حكمائها العاقلين .. ولقد كان الأب يريد ابنه « محموداً » وقالت الأم .. بل « فوزى » .. وتم التوفيق بين الرأيين بجمعهما سوياً ليصبح اسم الوليد « محمود فوزى » .. ولتلد الام من بعده طفلا آخر . لكنه هو « الأوسط » كان من دون الاشقاء والاقرباء ميالا دائماً الى الهدوء ومجالسة الكبار .. يعكف على المذاكرة ويجتاز مراحل التعليم بتفوق ، وعندما وصل الى التوجيهية فى نهاية الثانوى سأله الأب ماذا تريد أن تكون يا محمود ؟ فرد بهدوء وثبات .. « أن أكون محامياً » !!

● ●

كان برغم هدوئه وميله الى العزلة ، أكثر

**● ليس من مهمة وزراء الخارجية أن يخطبوا ويلقوا الكلمات ● ● هات القوة وتفاوض هات القوة وتكلم ● ● ● نحن لا صفة لنا إلا أننا خدام الشعب ، وإذا انتفى عنا ذلك فلا صفة لنـــا ● ● ● نحاور من غير أن نساوم ، ونتمسك بالأساس ونترك للمرونة دوراً فى الأسلوب « محمود فوزى »**

الفتيان استشعاراً بالواقع الذى يعيشه وأولى دوائر هذا الواقع هو مجتمع محافظته المنوفية حيث الكثافة السكانيـة عالية ـ نسبياً ـ حيث الثراء الواسع متمثلا فى بضع عائلات تمتلك كل منها آلاف الأفدنة لكن بجوارها آلاف العائلات لا تمتلك كل منها سوى بضع أفدنة !! .. من هنا اتجه الناس الى تعليم ابنائهم .. وحرص الأبناء على الاستذكار ـ غير أن النسبة العظمى حائرة يطحنها الفكر بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون !! وهذه الأغلبية تتشكل من صغار المزارعين والحرفيين والمهنيين .. من عمال التراحيل .. من الانسان العادى . الانسان « كائناً من كان » الذى يحتاج إلى من يدافع عن حقوقه . ولذلك فعندما تولى لأول مرة مسئولية قيادة العمل التنفيذى وأصبح رئيساً للوزراء فى ٢١ أكتوبر ١٩٧٠ كان أول وعد قدمه للشعب هو : حل مشكلات عمال التراحيل !! ورداً على دهشة البعض لهـذه الأولوية التى يطرحهـا الرجـل « السياسى الدبلوماسى » الذى يتعامل مع الطبقة العليا وأصحاب الياقات البيضاء قال فى بيانه أمام مجلس الأمة لممثلى الشعب فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٠ : « ربمـا يدهش البعض اذ يسمعوننى بادئاً حديثى اليوم اليكم بمشكلة فى كلمتين « عمـال التراحيل » !! وقد نسمع قائلا يقول : عمال التراحيل !! .. وماذا عن السياسة الزراعية ، والصناعية والمالية والدفاعية ، والخارجية؟ وردى أن لهذه الأمور مكانتها الكبيرة فى تفكيرنا ، وفى برامجنا ولكنى أردد : بل عمال التراحيل ! .. بل الرحمة والعدل .. ويا للألم والشعور بالخجل حينما يقال : عمال التراحيل أم قطعان التراحيل !! اننا لا نريدهم مجرد فضلات عمالة .. انما نريدهم تحركاً طيباً وامتداداً محترماً للعمالة » ..

ولذلك .. اختار أن يكون محامياً ، لكنه بعد التخرج من الحقوق جاءته فرصة سانحة للعمل فى « السلك الادارى » بوزارة الخارجية حيث عمل فى قنصلية مصر بروما وكان هذا مناسبة لاستكمال دراساته العليا بجامعة روما حتى حصل على الدكتوراة فى القانون سنة ١٩٢٤ ليعود بعدها إلى القاهرة ليعمل فى النيابة العامة كمعاون ، ثم مساعد نيابة يتولى التحقيق ويدافع عن المجتمع .. وكان من الممكن أن يستمر لكن آفاقه امتدت ليشارك فى الدفاع عن المجتمع المصرى ضد العدو مجسداً فى « الاحتلال والنفوذ والسيطرة » باعتبار أن النصر فى هذه المعركة الكبرى هو طريق إلى حل مشكلات الداخل .. وبالفعل انتقل من النيابة إلى السلك الدبلوماسى سنة ١٩٢٦ ، سكرتيراً للقنصلية المصرية فى نيويورك ثم فى نيو أورليانز ثم نائباً للقنصل المصرى فى نيويورك ثم قنصلا فى اليابان التى سافر اليها فى اغسطس ١٩٣٠ ..

## وهنا نتوقف

أن رحلة العمل السابقة كانت تجربة واستيعاباً وتثقيفاً .. لكنها فى اليابان كانت أشمل وأوسع الى حد أن بقيت آثارها معه حتى النفس الأخير !!

لقد انبهر بما وصلت إليه اليابان .. غير أنه تجاوز صدمة الانبهار الى عمق التجربة ..أن هناك سمات مشتركة بين مصر واليابان كلاهما من بلاد الشرق المرتبطة بالروحانيات .. كلاهما بدأت نهضتها الحديثة فى القرن التاسع عشر .. لكن اليابان تفوقت ومع أن هناك أسباباً عديدة لذلك .. الا أن اليابان سلكت دروباً أصعب لكنها أقصر .. ومنها نظم التعليم .. ومنها معرفة الامكانيات والقدرة والانطلاق من أرض الواقع الحقيقى الى آفاق المستقبل .. ومع كل مادرسه الرجل خلال عمله هناك فلقد تعلم هوايتين ظلتا معه الى النهاية .. أولهما الرسم بالرمال الملونة الذى تعلمه وأجاده .. وثانيهما : المصارعة التى مارسها ووصل فيها الى درجة « الحزام البنى » .. واذا كان الرسم بهذا الأسلوب قد اتفق تماماً مع طبيعته المثابرة الدءوب .. المتأملة فى صمت ، فان المصارعة هى الأخرى قد اتفقت مع آرائه وأضفت اليها فهى ليست حركات عضلية وانما ـ على حد التعبير ـ « فن البحث عن نقطة الضعف فى الخصم » .. هى اذن .. ليست فن استخدام « العضلة » وانما « العقل » .. وبه يستطيع « الضعيف العاقل » أن ينتزع حقه من القوى .. وبتعبير سياسى : هى فن مواجهة الدول الصغرى للدول الكبرى !!

والفن هو « الفعل » وليس الكلام .. وتلك كانت قناعته التى كررها دائماً .. قالها فى مطار جنيف عند ما التف حوله الصحفيون فى ابريل ١٩٥٨ وكان وزيراً للخارجيـة .. : « قليل من الكلام ، ومزيد من العمل .. » وقالها ذات الشهر يوم ٢٩ بمطار موسكو : « انه ليس من مهمة وزراء الخارجيـة أن يخطبوا ويلقوا الكلمات » وقالها غداة تأليفه الوزارة فى أكتوبر ١٩٧٠ « سوف نكون ضنينين بالوعود الا ما ننوى فعـلا ونستطيع أن نفى به » وقال عن اللغات التى يجيدها حديثاً وكتابة وقراءة على مستوى رفيع .. « اننى أيضاً تعلمت كيف أصمت بها !! » ..

لقد كان الصمت أثيراً لدى الرجل !! كان يقضى ساعات طويلة صامتاً بغير كلام ، وكانت قرينته السيدة حسن شاه اسماعيل ـ التى توفيت فى ٢٧ مارس ١٩٦٨ ـ تعرف عنه هذا وتتفهمه منذ أن تزوجا سنة ١٩٣٧ .. كانت تجلس بجانبه ساعات طويلة بدون أن تنطق ـ أو ينطق ـ بكلمة .. وكان أصدقاؤه المقربون أيضاً يعرفون هذا .. كان يصمت وخلال الصمت يفكر ، ويتحدث مع نفسه ويكاد يتحاور مع من معه .. وكان يمشى لساعات فى حديقة بيته الصغير

محمود فوزي

# آخر جيل الدبلوماسيين العظام



الدكتور محمود فوزى عندما بلغ الرابعة والسبعين وقرر أن ينهى عمله الرسمى فى المجال الدبلوماسى الذى أعطاه كل حياته .



جمال عبد الناصر .. كانت لمحمود فوزى ذكريات معه تمثل أخصب فترات حياته ، وضمنها فى كتاب تحت النشر .

المختفى وسط الأشجار على حافة ترعة المنصورية يتامل البرتقال والموز والبيكان « الجوز المصرى » ، والمانجو والمشمش ، يتنفس شذى زهور التوليب التى زرعها بيديه .. يسمع شدو الطيور التى يقول عنها : أن غناء الطيور يذكرنى دائماً بالأديب الصافى ، فالأديب الحق كالطائر الذى ينطلق مغرداً فى ابداع دون أن ينتظر تصفيق المستمعين !! .

الابداع اذن ينبغى ان ينطلق بغير حدود .. بغير أن يضع عينيه على « غرض ما » يتوسل منه جائزة !! فان فعل فلسوف ينال الجائزة !! لكن .. هل هذا فى الادب فقط.؟؟

كتب « الرجل » فى أوتوجراف فتاة انجليزية هرعت اليه محيية معجبة عقب القاء خطابه امام مجلس الأمن خلال مناقشاته الحامية عن حرب السويس ١٩٥٦ : « ان الحق الذى دافعت عنه .. جعلنى أكثر من مندوبكم خفة وأسرع حركة » .. انه هنا يستخدم تعبير « الحركة والخفة » التى تذكرنا مباشرة بما تعلمه من المصارعة وفنون فلسفتها .. ومن نفس المنطلق كان - مثل قليل غيره من وزراء خارجية العالم البارزين - لا يعتمد فقط على تقارير السفراء - مع كل ثقة وتقدير لهم - انما يؤمن بضرورة الحركة والانتقال الى بؤر الأحداث ذاتها .. ايضاً كان مرتكزاً الى « الحق » يبحث عن نقط الضعف فى الخصم ليحاوره ، وينتزع منه الحق مركزاً على نقاط الحساسية واضعاً بحكم تجاربه وخبراته وثقافته نصوصاً اضافية فى دستور العمل الدبلوماسى السياسى . وعلى سبيل المثال ، فانه خلال المباحثات المكثفة التى اجرتها الأمم المتحدة ، بهدف حل مشكلة الشرق الأوسط واحداث لبنان وقتها .. وكانت باشراف داج همر شولد السكرتير العام فى أغسطس ١٩٥٨ .. اجرى « الأهرام » اتصالا تليفونيا مع وزير الخارجية المصرى بنيويورك وساله : ما هى العقبات الآن.؟

فقال الرجل : « الكرامة .. لا يريد أحد أن يبدو امام العالم انه كان على خطأ وبذلك يظهر ان الآخرين كانوا على صواب ، كذلك لا يريد احد أن يبدو أمام العالم وكانه خسر المعركة فذلك يجعل الآخرين كما لو كانوا قد ربحوا المعركة !! » .

سؤال : كيف يمكن ان نواجه هذه المشكلة.؟

جواب : « نحاور من غير أن نساوم .. نتمسك بالأساس ونحاول أن نترك للمرونة دوراً فى الأسلوب .

## هل أتضح اسلوب الرجل.؟

ان الحق هو الأساس الذى يتحتم التمسك به ولكن « المرونة » .. فقط فى أسلوب المعالجة ! ومن هذه المرونة تجىء المساومة لكنها ليست انتهازية كما يتبادر إلى الذهن عند سماع الكلمة .. ويؤكد الرجل هذا فى كلمته أمام الأمم المتحدة بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٧ - بقوله « لنكن رجالا يتسمون بالروح الرياضية حقاً ، ولنحترم بشرف قواعد اللعبة مثلما ينبغى أن نراعى المبادىء الأساسية وهى تشكل القاعدة العريضة التى تنبثق منها جهودنا » .

انها دستور للعمل الدبلوماسى وهى أيضاً - مثل كل خطبه وأحاديثه التى نتمنى أن يجمعها أحد فى كتاب - مدرسة البلاغة . فقد أحب « الرجل » لغتنا العربية وفضلها عن أى لغة أخرى وهو الذى يعرف كل اللغات الحية .. ونسمعه فى نقابة الصحفيين يقول ضمن محاضرة عن دور الفرد فى تنمية المجتمع فى نوفمبر ١٩٧٣ : « ان اللغة العربية ذات الجمال والأمجاد ، لغة القرآن التى بسطت رداءها السحرى على اقوام واقوام وبهتت جوارها لغات ولغات .. لغتنا الباهرة الكبيرة .. مالها تبدو - الا عند قليل من الكتاب والأدباء تفخر بهم وتدين لهم بالعرفان - مالها تبدو لدى الأكثرية منا كانها لا تصان كما يحق للحسان أن تصان.؟ ألم تشيع البريق فى مدنيات ودول؟ ؟ ماذا عن دورها القادم العظيم.؟ الا نرى انها ستعبر عن حضارة عربية كبرى متالقة فى تجددها ، عميقة الجذور فى أصالتها.؟ كم أغار اذن على هذه اللغة الحبيبة .. واعلم انكم تغارون».؟ ! يغار الرجل على اللغة باعتبار أنها ستعبر عن حضارة عربية كبرى يتوقع حدوثها غير منفصلة عن جذورها الأولى .. وهذا ليس فقط تنبؤاً من « سياسى » وانما رؤية مفكر مثقف يؤمن بأنه « لا يمكن أن تكون الثقافة بغير أصالة .. بغير جذور » أى يؤمن بالتزاوج بين الأصالة والمعاصرة بما يصنع الحضارة .. ويؤمن بمستقبل وطنه العصرى وأمته العربية .. والذى يصنع المستقبل هو - أو هم - البشر .. ومن ثم ينبغى الاهتمام به وحل مشكلاته حتى يحقق الآمال .. وعنه نسمعه يقول فى نفس المحاضرة بنقابة الصحفيين :

« ان البشر عندنا لازالوا بحاجة صارخة إلى صحة أوفر .. وتعليم أصوب .. وتدريب أتم .. ان الزراعة تدعونا دعوة ملحة أن نفتح لها أبواب العصر الحديث ونفسح لها

الآفاق فى مصر بسينائها وسواحلها وأراضيها الأخرى ، وتعاوننا مع أخوتنا وجيراننا فى البلاد الشاسعة العربية والأفريقية الذين هم أصدقاء أوفياء فى الرخاء والشدة ..

ان البشر عندنا وفى منطقتنا العربية من خير خلق الله فى أى مكان وزمان .. معدنا وأصالة وموهبة ..

ان البشر هو الذى به وله تكون التنمية والبناء .. هو الجدير بان يكون أول من ينمى وأول من يبنى » .

يعلن الرجل هنا ايمانه بالبشر وباحقيته الأولى فى أن يكون أول من تجرى تنميته وبناؤه .

كيف ..؟

قبل محاضرته تلك بسنوات عدة .. قال الرجل بعض خواطره فى جلسة خاصة : « داخل كل انسان منا بذرة تحتوى على أسرار عجيبة .. بذرة لها نمو ولها شكل .. لها أوراق ولها الوان .. لها تساقط وتجدد .. لها زهر ولها ثمر .. اليس عجيباً اننا نهتم ببذور القمح ونزرعها ولا نهتم ببذرة الانسان لنعمل على تنميته وبنائه ..؟ ! » .

كيف ..؟

للرجل .. اذا شئنا .. كلام كثير قاله فى مناسبات متفرقة ومنه ضرورة البدء بالاهتمام بالانسان فى مراحل الطفولة بتوفير الرعاية الصحية والغذائية والنظم التعليمية .. ثم تمشيا معه الى مرحلة الشباب .. ويقول فى حوار مع « محمد حسنين هيكل » نشر فى الأهرام أول نوفمبر ١٩٧٠ بعد توليه رئاسة الوزارة .. وهو الحديث الصحفى الوحيد له : اننى لا احب تعبير « اننا سننزل الى الشعب » .

أفضل عليه « اننا سنتلاقى مع الشعب » ولا أحب تعبير « اننا سننظم الشباب » افضل عليه تعبير « اننا سنتلاقى مع الشباب » .

« ان ثلاثة أرباع هذا اليوم ملك للشباب .. والغد باكمله ملك للشباب .. وهم أصحابه بغير شريك . اننا نقول احيانا .. ان الشباب تعوزه التجربة ولكنى أقول ان هذه ميزة ليست نقصاً .. انهم على الأقل ، ليسوا مكبلين ومختنقين بهذه التجارب التى تثقل الكواهل ، وانما هم متحررون وبالتالى منطلقون .. والشىء الآخر أن الشباب بالطبيعة الزمنية والروحية اكثر منا مقدرة على لمس زمانه وان ترى بصيرته من صور المستقبل وأن تتسع آذانه من صوت المستقبل .. مالا نراه ولا نسمعه نحن الذين كنا هنا قبله فى عصر غير العصر وزمان غير الزمان » .

وتنفيذاً لسياسته بدأ بجولة فى موقع الشباب ومنها زيارته لمدرسة شبرا الثانوية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ التى قال خلالها : أنه اذا كان اليوم ثلاثة ارباعه ملك للشباب .. فان الغد كله ملكه .. وعلى اكتافكم سوف يبنى الوطن .. لقد لقيت فى معهدكم ما كنا نتطلع اليه هو الربط بين نظرية العلم والتطبيق العملى له . وبلادنا فى حاجة قبل كل شىء الى التطبيق وإلى الأنتاج » .

هكذا تبدو نظريات الرجل فى العمل الداخلى برغم ما يبدو من استغراقه فى المشاكل الخارجية .. وهو فى ذلك له راى نكره فى مرحلة مبكرة .. فى أوائل عام ١٩٥٣ .. « ان السياسة الداخلية هى التى ترسم السياسة الخارجية » .

• •

كان عام ١٩٥٣ قد أصبح ومنذ سبتمبر من العام الذى سبقه وزيراً لخارجية مصر اذ اختارته ثورة ٢٣ يوليو فور قيامها سفيراً فى لندن ثم استدعته ليتولى المسئولية الوزارية بعد شهرين .. وقبلها كان قد قطع مشواراً طويلا منذ ان سافر لليابان سنة ١٩٣٠ اذ نقل بعد طوكيو ليصبح سكرتيراً أول للمفوضية المصرية فى باريس ثم عاد عبر البحر المتوسط ليكون قنصلا فى القدس سنة ١٩٤١ ثم قنصلا فى أديس ابابا ليعبر البحر والمحيط مرة اخرى إلى واشنطون مستشاراً فى سفارتنا هناك ثم مندوباً لمصر فى الأمم المتحدة ١٩٤٦ ثم بعد ثلاث سنوات مندوباً دائماً فى مجلس الأمن وظل يشغل موقعه هذا الى ان قامت الثورة .. ليصبح سفيراً فى لندن ثم يجىء إلى القاهرة .. ليصبح وزيراً للخارجية .. وليمارس اخصب فترات حياته كلها ..

ولقد كان له – مثلا – دور بارز فى محادثات جلاء القوات البريطانية عن مصر سنة ١٩٥٤ ضمن وفد مصر برئاسة جمال عبد الناصر .. وكان له دور فى الضجة العامة التى تلت كسر احتكار السلاح بالصفقة التى عقدتها القاهرة مع تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ .. ووقتها قال « الرجل » تعبيراً عن الحاجة الى القوة لا للقتال وانما دفاعاً عن الحق .. « هات القوة وتفاوض .. هات القوة وتكلم » ويعنى نلك بالطبع انه بدون قوة لا تجدى مفاوضات ولا يثمر الكلام !

وكان له دوره العظيم فى الامم المتحدة ومجلس الأمن بعد ان أعلن جمال عبد الناصر تاميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .. ثم خلال العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه انجلترا وفرنسا واسرائيل ضد مصر فى ٢٩ اكتوبر من نفس العام .. ثم محادثات التسوية بعد ذلك .. وبسبب مكانة هذه الأحداث التى عرضت باسم « حرب السويس » وقدرها فى التاريخ السياسى والعسكرى فى العالم ، إذ كانت الحد الذى انتهت عنده توسعات الامبراطورية البريطانية وسحبت قوتها شرقى السويس وفقد الأسد البريطانى أسنانه وذيله الى الأبد .. كما كانت البرهان العملى لكيف تقف دولة صغيرة ضد دول عظمى .. وكانت الضوء الأخضر لدول العالم الثالث لكى تنتزع استقلالها وحريتها وتسيطر بنفسها على مواردها وثروتها وتبحث جميعاً عن صيغة لتحالف مشترك غير منحاز .. وكانت بداية تحرير بقايا الأمة العربية المحتلة .. ثم وبسبب اسرار هذه الحرب منذ معاهدة سيفر – احدى ضواحى باريس – الى اعتزال ايدن للسياسة والى غير ذلك من الخبايا .. فان مئات الكتب قد صدرت عن « حرب السويس » واذا كانت مذكرات سير انطونى ايدن – رئيس حكومة بريطانيا وقتها – هامة .. فان وزراء خارجية الدول المشتركة فى الحرب قد كتبوا الأسرار – من وجهة نظرهم – عدا « الرجل » لقد كتب كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا .. وكتب سلوين لويد وزير خارجية انجلترا .. ومن اسرائيل كتب بن جوريون وديان لكنه هو .. وزير خارجية مصر لم ينشر بعد ! لذلك فان الرجل عندما تخلى عن العمل الرسمى سنة ١٩٧٤ .. عكف على اعادة ترتيب أوراقه وبدأ يكتب مذكراته .. وهى ليست مذكرات بالمعنى التقليدى وانما قسم الأحداث الى موضوعات .. وبالفعل كتب ثلاثة كتب الآن تحت يد ابنه يستعد لنشرها :

● « رحلة مسافر » .. يضم مذكراته عن الفترة من ١٩٢٣ حتى ١٩٥٢ .

● « وهنا قامت الثورة » .. يتحدث فيه عن ذكرياته مع جمال عبد الناصر واحداث مصر والعرب وزعماء العالم منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ أى وقت رحيل عبد الناصر .

● « حرب السويس » .. عن حرب ٥٦ الشهيرة .

• •

من أدواره البارزة أيضاً .. تلك المواقف التى هز بها المجتمع الدولى خلال احداث ١٩٥٨ عندما نزلت قوات مشاة الأسطول الأمريكى فى لبنان .. والقوات البريطانية فى الأردن .. وأحداث الثورة الجزائرية التى اشتدت فى ذلك العام .. ونادى « الرجل » من فوق منبر الأمم المتحدة داعياً الى الحرية .. الى السلام قائلا :

## محمود فوزي

« ان السلام يجب ان يقوم على أسس راسخة ولا يمكن ان يتم ذلك بالمشي على حبل مشدود فوق الجحيم مثلما يحلو للبعض أن يفعل .. كرياضة أو كهواية ! كذلك فان السلام لا يمكن ان يتحقق بالمسكنات والمهدئات أو بمجرد وجود الالتزامات » !

وفي سنة ١٩٦١ .. بالتحديد ١٨ اكتوبر .. كانت الأمم المتحدة تناقش المشكلة المزمنة وهي نزع السلاح ، والحد من التجارب الذرية .. ووقف : « الرجل » في جراة يقول :

« ان الأمم المتحدة يجب ان تتخذ اجراء ما والا أصبحت مجتمعاً خاملا عديم الجدوى ، ويثقل نفسه بمناقشات لا اهمية لها ! فلقد طالت الكلمات وأصبحت مملة .. وأسهب المتحدثون في بيانات يكررون بها انفسهم دون ان يحمل احدهم نفسه مشقة دراسة المشكلات قبل ان يقف ليتحدث ! » .

هكذا كان واضحاً وجريئاً يعبر عن رايه باقصر الطرق .. برغم رقته .. برغم صوته الهادىء جداً .. الوقور .. المتزن .. وهو بالنسبة لنبرات الصوت سواء في الخطابة او حتى في الكلام العادى .. له رأى يقول : « ان من الأصوات ما يشجي ويطرب ويريح ، ومن الرأى ما يطعم النفس من جوع ويرويها من عطش ويقنع ، ومن الحركة ما هو - بحق - بركة .. ومنها ما يفضله السكون !

ان الصياح ليس حجة ، وان النوبة العصبية ليست رأياً .. وأن حمل السلم بعرض الطريق ليس هو أسلوب السير الى الأمام ! » في تلك الفترة - حتى لا ننسى - كانت الوحدة قد قامت بين مصر وسوريا وظل الرجل وزيراً مركزياً للوحدة وفي ٢٤ اكتوبر ١٩٦٢ عين عضواً في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى وفي ٢ اكتوبر ١٩٦٥ عين نائباً لرئيس الوزراء للشئون الخارجية وظل محتفظاً بنفس مكتبه في مبنى وزارة الخارجية المطل على ميدان التحرير .. وفي ١٩ يونيو ١٩٦٧ عين مساعداً لرئيس الجمهورية للشئون السياسية ، على أن يحضر اجتماعات مجلس الوزراء لكنه استاذن في عدم الحضور بشكل مستمر وكان له ما أراد .. وفي ٥ مايو ١٩٦٨ عين رئيساً للجنة المشرفة على انتخابات الاتحاد الاشتراكى .. وفي ١٩٦٩ اختير أميناً للجنة وضع مشروع الدستور حيث عكف على هذه المهمة وجمع الدساتير المصرية السابقة ودساتير العالم للاسترشاد بها .. ثم .. وفي ٢١ اكتوبر ١٩٧٠ صار رئيساً للوزراء وبعد توليه المسئولية بايام قال « للأهرام » ( اول نوفمبر ١٩٧٠ ) « نحن لا صفة لنا الا اننا خدام هذا الشعب واذا انتفى عنا ذلك فلا صفة لنا » ..

ذلك سوف يكون تصرفي ازاء كل ما يجب أن لا يحدث . وسوف يكون تصرفي ، ازاء كل ما يجب أن يحدث .. وسوف افعل ذلك باعلى صوت لأنني لا أحب «الوشوشة» وقال معلنا بنفس الصراحة : « ان امامنا أشياء ثلاثة : المعركة، ثم مشاكل الرجل العادى، ثم ضرورات المستقبل .. » .

وبدأ يتحدث عن مشاكل الرجل العادى .. الرجل كائناً من كان ، مقتبساً هذا التعبير من جمال عبد الناصر ، منفذاً وصاياه ولذلك فقد كانت مشكلة عمال التراحيل .. أول وعد تقدمت به وزارته ، أيضاً كان اهتمامه - الذى أشرنا اليه - بالشباب .. وبالبشر وهو في ذلك يقول « ان أنفع استثمار هو استثمار الانسان . واستثمار الانسان مستحيل بغير التعليم والصحة » .

التعليم والصحة .. كانتا مثل غيرهما من ضمن « ضرورات المستقبل » وهو يقول ان « لا كرامة بغير قوة » و « العالم المتقدم عملاق .. عضلاته قوية وعقله جبار .. وذلك متاح له بالعلم واذا لم نتنبه فقد يدوسنا وهو لا يشعر ! وهذا أسوأ لأنه يضيف الاهانة الى التهديد .. » ويقول : « ان الصحة انتاج من أجل التقدم » .

ويضع تصوراته في فلسفة مختصرة « إن صراع الحياة كله يتلخص في عبارتين : أن نشد المستحيل لنجعله ممكنا،وأن نشد الممكن لنجعله واقعاً . وحتى نفعل هذا لابد من الاساليب العلمية الحديثة .. ولابد مثلا من « تقليل كمية الضائع من حياتنا أو العادم » كما يقول المهندسون . أما المعركة .. وبناء القوة ودورها واهميتها فقد عبر عن ذلك في ٩ ديسمبر ١٩٧٠ عندما ذهب يلتقى بالمقاتلين في الجبهة .. قال :

« سر بالكلمة اللينة والعصا الغليظة فانك ستسير كثيراً .. وهذا معناه انه بدون العصا لن يكون للكلمة اى صفة .. لابد من سند للكلمة وسندها هو القوة الرادعة . القوة المقنعة ونحن لا نخشى شيئاً .. اذ لا قيمة للحياة مع المذلة » وقال : انه ليس لدينا خيار في خوض المعركة .. لكن لدينا التصميم والفكر لخوضها » .. وعاهد المقاتلين على خط النار الأول بنفس ما يؤمن به دائماً « ان الصراحة هى العملة الوحيدة التى نتعامل معها » . وأجرى « الرجل » تعديلين في وزارته .. في ١٥ مايو ١٩٧١ .. ثم في سبتمبر من نفس العام .. وفي يناير التالى ترك المنصب ليصبح نائباً لرئيس الجمهورية .. وفي صباح يوم ٢٧ اغسطس ١٩٧٤ قدم كتاب استقالته الى رئيس الجمهورية :

« أرجو - والسنون اكثر مما رجوت منذ الثالث من اكتوبر عام ١٩٧٠ - ان تاذن لى بانهاء كل عملى الرسمى والاتجاه الى سواه في وقت لا يعدو الثامن عشر من سبتمبر القادم حين أكون قد بلغت - بحمد الله - الرابعة والسبعين وأمضيت في العمل أكثر من خمسين عاماً . وأنى اذ أفسح المجال لمن هم أوفر منى عافيه واقدر على حمل رسالة العمل الرسمى المقبل الكبير في ظروف النصر الجديدة » .

وفي ١٨ سبتمبر ١٩٧٤ .. كان له ما أراد ... وفي ٢٣ أكتوبر ١٩٧٤ .. وفي مجلس الشعب أمام ممثلى الشعب تسلم بعض تكريم الدولةله « قلادة النيل » أرفع الأوسمة .. وبعدها عاد الرجل الى بيته الصغير على ترعة المنصورية .. البيت الذى خلا منذ سنوات برحيل الزوجة التى انطبق عليها قوله هو ذات مرة .. « ان وراء كل عظيم امراة .. فاضلة » نعم .. ليست مجرد امراة وانما فاضلة .

منذ رحيلها ظل يعيش في البيت بمفرده مالكاً كل وقته لأول مرة في حياته وكم كان يود لو شاركته الرحلة .. لو شاطرته هذا الوقت .. لو جلسا معاً - كما كانا - يتحدثان .. تناديه - كما تعود « محمود » ويناديها - كما تعود - « حسن » .. ويسيران بين الأشجار وتحت اغصانها يسمعان شدو الطيور لكنها راحت .. !

وثقلت عليه الأيام .. واشتد المرض .. وسافر الى لندن للعلاج .. لكنه ومثل كل مرة سافر فيها .. كان يخرج عن طبيعته الهادئة ويطلب في الحاح وصياح العودة إلى مصر .. وعندما عاد هذه المرة - وبضغط الأطباء المعالجين - نقلوه من الطائرة الى مستشفى دار الشفاء بحي العباسية في القاهرة .. ومنذ أن وصل اليها أخذ يلح طالباً مغادرتها والعودة الى بيته الصغير وسط الأشجار ..

لقد كان يريد أن يسبق الزمن .. يريد أن يفرغ من كتاب جديد لم يبدأ فيه الا بضع صفحات متناثرة كتبها سرا واخفاها بعيداً عن كل عين ولم يتحدث عنها مع أحد .. كتاب عن الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حتى ١٩٨١ أى منذ رحيل عبد الناصر ، وماذا حدث بعده ؟ وكيف جرى الصراع على السلطة وماذا فعل خلال حكم انور السادات ورأيه في حرب أكتوبر وما أعقبها وغيرها .. لكنه لم يسبق الزمن بل صرعه الزمن ! وخيم الصمت على بيته وسط أشجار المنصورية ..

الآن .. توقف شدو الطيور ! الآن .. ذبلت زهور التيوليب ! .. لقد رحل صاحب البيت .. ذهب « محمود » يلتقى مع « حسن » بعد طول فراق !

محمود مراد

# إلى الزنبقة الغائبة

شعر: م. كجراي

الخرطوم

وهأنذا يا حبيبةَ قلبى أهزُّ الجدارْ
وأكتبُ أغنيةً عن بريق الشموسِ
تسلَّلَ من خلفِ نافذتى رغمَ كل الحصارْ
يحدثنى من ثُقوب النَّهــارْ
عن الموتِ والليلِ
عن خطواتِ الذبولِ وعن ساعةِ الاحتضارْ
تجرَّعتُ حتى الثمالــة كأسَ أسَايا
وجئتُ إلى الشَّاطىءِ السندسيِّ أقصُّ الحكايَا
أرى اليومَ موتَاىَ حين يطلُّون من قلبِ كلِّ المرايا
على دربكاليوم يختلطُ الوردُ والدَّم والنارُ
والأغنياتُ الأناشيد تبعثُ من خَنْدقٍ ضمَّ كلَّ الضحَايَا
وفى ساحلِ الذكريات الطويلْ
أصافحُ صوتكِ
أوَّاهُ صوتك سيدتى مثلما كانَ قبل الرحيلْ
وهأنذا مثل هام النخيلْ
إذا ما اشرأبَّ كقامةِ شيخ دهتْهُ الخطوبُ
فمدَّ العيونَ لعلَّ الصبَاحَ
يجىءُ على فرسِ المستحيلْ
لعل المواويل تَنسجُ أغنيةً لِلَهَاةِ الكنَارْ
فينطلقُ الشجْوُ فوق رؤوسِ النخيلْ
وعَبْرَ رئاتِ القَمارِى
مُغنّيك قلبى على ساحةِ العِشْقِ والانتظارْ

فلا العنكبوتُ يقيدنى بالشراكِ ،
ولا الريحُ تعرفُ كيفَ تصيحُ لتعلنَ عن إنكسَارِى
مغنيك سيدتى
صوتُه يتهدَّج فى دعوةٍ مستجَابَةْ
يسير على هدْيِ صوتكِ
لا يتلفَّتُ للزيفِ يعبر كلَّ خُطوط الغَرَابَهْ
وجاء البريدُ ، قرأناهُ فى لغة المطرِ المتساقِطِ
يا للبريدِ يفاجؤنا حين تهمى السَّحَابَةْ
رسالَة برقٍ تراقص فوقَ الحقولْ
وَعِينَا تفاصيلَها إذ تقولْ
هو الرعدُ يهدرُ فوقَ البرارى
فيمطرُ سهْلاً ويحرِقُ غابَهْ
فيا وجْهَ سيدتى القمرىِّ
دفنْتُ مع الليلِ خارطةً للكآبَهْ
فكلَّ الحروف تؤدى الى أرضِ قيْصَرَ
ما عادَ قيصَر يملؤ ثوبَ المهابَهْ
أقول لسيدتى دفْترى عربىٌّ الكتابه
وهأنذا يا حبيبةَ قلبى أهُزُّ الجدارْ
وأكتبُ أغنيةً عن بريقِ الشمُوسِ
تسلَّلَ من خلفِ نافِذَتِى رغمَ كل الحَصَارْ
لعَلِّى أراكِ
تُطلِّين زنبقةً كجبين النهارْ .

# أغطية الرؤوس في العالم العربي

بقلم: اللواء إبراهيم محمد الفحام

يعد العالم العربى – بمساحاته الشاسعة ، وأطرافه المترامية – من أثرى مناطق العالم بالأزياء المتنوعة ، التى تعكس الظروف الجغرافية والمناخية المتباينة لأقاليمه ، والرواسب التاريخية المتأصلة فى وجدان شعوبه ، وروابطهم الاجتماعية والاقتصادية بالشعوب الأخرى المجاورة لهم .

ولو أننا تصورنا متحفاً يضم نماذج من هذه الأزياء جميعاً ، لاستأثرت بانتباه زائريه – بوجه خاص – أغطية الرؤوس العديدة ، بأنواعها وأشكالها وألوانها المختلفة ، التى يعبر تباينها عن الانتماءات الاقليمية والعرقية ، والدينية والمهنية للابسيها ، فضلا عن مستوياتهم الاجتماعية والعلمية والوظيفية .

وفى السطور التالية ، سنعرض أمثلة لأكثر أغطية الرؤوس انتشاراً فى أنحاء العالم العربى ، فى زمننا الحاضر ، مع التأصيل التاريخى لكل منها .

## العمامة

العمامة – بغير شك – اكثر اغطية الرؤوس انتشاراً فى العالم العربى . فهى – بعكس الكوفية والعقال ، او الطربوش – مثلا – لا يقتصر استخدامها على مناطق منه دون اخرى . إذ لا تخلو دولة عربية من لابسى نوع او أكثر من انواع العمامة . ولا عجب فى ذلك ، فالعمامة – بدون جدال – اعرق البسة الأجداد حتى رددت ماثوراتهم ( العمائم تيجان العرب ) . وقد نسب ذلك القول الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وتحقق العمامة للابسها فوائد كثيرة . وقد ذكروا العمامة عند ابى الأسود الدؤلي فقال : « جنة فى الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفأة من العر ، ووقار فى الندى ( اى مجلس القوم ومتحدثهم ) ، وواقية من الأحداث ، وزيادة فى القامة . وهى بعد عادة من عادات العرب » .

وقيل لأعرابى : « إنك لتكثر لبس العمامة » ، قال : « ان شيئاً فيه السمع والبصر ، لجدير أن يوقى من الحر والعر » .

وكان سعيد بن العاص يقال له « ذو العمامة » لأنه إذا جعل على راسه عمامة ، لم يلبس قرشى مثلها ، حتى ينزعها .

وقيل ان ذلك اللقب لزم سعيداً كناية عن السؤدد . وذلك أن العرب تقول للسيد « فلان معمم » يريدون أن كل جناية يجنيها الجانى من عشيرته ، معصوبة برأسه .

وكان بعض فرسان العرب ، يميزون عمائمهم – عند القتال – بعلامات خاصة .



وكان حمزة يوم « بدر » معلماً بريشة نعامة حمراء .

وكان لبس العمائم وخلعها عن الرؤوس فى المناسبات المختلفة ، يخضع لآداب خاصة . أوضحها « ميخائيل عواد » فى مقالين أحدهما بالعدد ٤٥٣ من مجلة الرسالة ( سنة ١٩٤٢ ) والأخرى بالعدد ٢٨٥ من مجلة الثقافة ( سنة ١٩٤٤ ) .

وقد تطورت أشكال العمائم عبر العصور المتتالية . وأشار الجاحظ فى كتابه (البيان والتبين) إلى اختلاف أشكال العمائم فى عصره ، باختلاف الطوائف والطبقات الاجتماعية .

ومازالت لأشكال العمائم وألوانها ـ حتى الآن ـ دلالاتها المتعددة ، على انتماءات أصحابها ، فى كثير من أقطار العالم العربى ، بحيث يمكن الاستدلال بها على مواطن لابسيها ، أى ما إذا كانوا من أبناء إقليم معين ( أى من أبناء المناطق الجبلية أو الصحراوية أو الساحلية ) كما يمكن الاستدلال بها على أجناسهم . أى ما إذا كانوا من أصول عربية خالصة ، أم عناصر أخرى تشاركهم أوطانهم ، بل وعلى قبائلهم ، وعقائدهم الدينية ، ومهنهم ، ومراكزهم الاجتماعية ، وربما على أمزجتهم وأهوائهم الشخصية أيضاً .

ويكفى أن نذكر أن من أسماء اللغات المختلفة للعمائم التى عرفت فى العراق وحده ـ على سبيل المثال ـ اللغة الجراوية واللغة العصفوية ، واللغة الشبلاوية ، ولغة العدام ( أو القلعاوية ) ، واللغة المهداوية ، واللغة الفضلاوية ، واللغة المسماة ( سى لغة ) . وكان لكل من تلك اللغات دلالتها الخاصة .

وفى بعض الأقطار العربية يمكن التمييز بين الشريف الحسنى والشريف الحسينى ـ مثلا ـ من لون عمامته ، كما تستطيع التمييز بين أتباع الطرق الصوفية من ألوان العمائم أيضاً . فالعمامة الحمراء للأحمدى ، والخضراء للسعدى ، والبيضاء للشاذلى ، والسوداء للرفاعى .

كما يتميز الميرغنية والنقشبندية والتجانية ، بعمائم ذات أشكال خاصة .

والملاحظ أن أحجام العمائم ، قد تضاءلت كثيراً ـ فى عصرنا هذا ـ مع تضاؤل أحجام اللحى .

ويفهم مما ذكره كلوت بك فى كتابه « لمحة عامة إلى مصر » أن عمائم العلماء كانت ـ فى أوائل القرن الماضى ـ تتميز بالضخامة ، ويتكون منها حول رؤوسهم ما يشبه الكرات العظيمة ، كما كان بعضهم يحليها بوشاح من الكشمير أو الحرير الموصلى ، يهبط منه طرفان أحدهما يمس الصدر ، ويبقى معلقاً أمامه من ناحية أحد الكتفين ، ويمس الثانى الكتف الأخرى . وكانت تلك العمائم الضخمة ، تسمى الواحد منها ( المقلة ) .

وقد شجعت ضخامة تلك العمائم ، على استخدام طياتها فى حفظ بعض الوثائق والأدوات الخاصة .

ويروى محمد سعيد القاسمى في كتابه الذى نشر بعنوان ( قاموس الصناعة الشامية ) واقعة فى ذلك ، قال فيها :

- وحدثنى بعض أصفيائنا الأفاضل ما معناه أنه أبصر فى وسط القرن الماضى رجلا فلاحاً من أهالى التل « وهى قرية من قرى الشام » كان يتعمم بعمة كبيرة ، وأنه مرة أراد أن يظهر صكا فى بيع أو مشترى قال : فانزل من قمة رأسه عمته ـ التى هى كالبرج ـ إلى الأرض ، وأخذ يفتش فى ثناياها عن الصك ، فاخرج من الثنية الأولى أوراق الميرى ، ومن الثانية أوراق الذمم على أهل البلد ، ومن الثالثة مشطاً ، ومن الرابعة الصك المفتش عنه ، مع صكوك وحجج اخرى ) .

وعلق على ذلك قائلا : « فكانت عمامته كأنها خزانة أوراق ، أو صندوق الحوائج » .

كما ذكر أن لف تلك العمائم ، وفق الأشكال المطلوبة ، ذات الدلالات المختلفة كان يحتاج إلى دراية خاصة ، وكان هنالك أناس متخصصون ، يرتزقون من ذلك .

وكان بعض المتعممين من العلماء

# أغطية الرؤوس في العالم العربي

والأعيان ، يحتفظون فى منازلهم بحوامل خاصة ، توضع عليها العمائم عند خلعها ، صونا لها . وكان ذلك الحامل – الذى يسمى ( كرسى العمامة ) – يعد من اهم الأدوات التى يضمها جهاز العروس .

وكانت العمامة . ولا تزال – تحظى بقدر من الاحترام ، يفوق ما تحظى به غيرها من أغطية الرؤوس . ولذلك فان هناك شعوراً راسخاً ، بمسئولية المتعممين عن الحفاظ على المعنى الكريم الذى توحى به ، أو ترمز إليه ، العمامة .

ولذلك فقد اعتبروا سقوط العمامة عن رأس الرجل ، مخلا بكرامته ، واعتبروا نزعها عنوة ، أو إلقاءها على الأرض ، من الاهانات الشديدة ، التى لا تغتفر .

وقد حكى المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين – الذى عاش فى القاهرة فى أوائل القرن الماضى ، واقعة طريفة رويت له . وهى : « أن عالما سقط من فوق حماره فى شارع من شوارع المدينة ، وقد تدحرجت العمامة بعيدة عنه ، فتجمع المارة واخذوا يجرون وراء العمامة – وقد تركوا صاحبها – صائحين : ( ارفعوا تاج الاسلام .. ارفعوا تاج الاسلام » . فصاح يناديهم مغتاظاً : « انهضوا أولا شيخ الاسلام » .

وحدثت فى لبنان سنة ١٩٣٢ واقعة من أروع وقائع الثأر لكرامة العمامة . فقد كلف بعض خصوم السيد عبد الحميد كرامي زعيم طرابلس ومفتيها فى ذلك الزمن ، أحد الشبان بالاقدام على عمل يستهدف تحقيره وإهانته ، فتربص له ذلك الشاب ، حتى باغته ، عند ترجله من سيارته ، وانهال على رأسه ضرباً ، حتى أسقط عمامته على الأرض .

فسارع السيد عبد الحميد بالتقاط عمامته وتسويتها أولا ، ووضعها على رأسه ثم أخرج مسدسه ، وأطلق الرصاص على ذلك الشاب ، فارداه قتيلا على الفور ، وتوجه إلى دار الحكومة ، حيث أطلع المسئولين على المسدس ، وروى لهم ما حدث .

وتقديراً للأهانة الخطيرة التى استهدف لها ، اكتفت المحكمة بحفظ القضية ، وتكليفه باداء الدية فقط .

غير أن مكانة العمامة – كزى لموظفى الدولة – بدأت تتضاءل ، عندما قرر السلطان محمود الثانى العثمانى ، أن يستبدل بها الطربوش ، فى الوظائف العسكرية ثم الدينية ، وقمعت كل محاولة للتردد فى تنفيذ ذلك القرار ، أو الاعتراض عليه .

ويروى أن رؤوف باشا والى دمشق ، شوهد متعمماً ، عندما خرج على رأس موكب الحج أميراً عليه فى سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٧ ) م ، ثم صدر الأمر باستبدالها بعد ذلك ، فاستجاب له ، وشوهد عند عودته ، وهو يلبس الطربوش .

وكانت من أشد الحملات التى استهدفت لها العمامة فى عصرنا هذا ، تلك التى شنها طلاب دار العلوم بالقاهرة فى سنة ١٩٢٦ عندما أعلنوا تمردهم على زيهم الشرقى ، فعارضتهم الحكومة ، وخاصة بعد أن اعتصموا بالدار فى زيهم الجديد ، وقد استبدلوا الطرابيش بالعمائم ، وكلفت الشرطة باجلائهم عنها ، ولكن دعوتهم انتصرت فى النهاية .

وذكر الشيخ عبد العزيز البشرى فى مقال له بالعدد الصادر فى ٩ مارس سنة ١٩٢٩ من صحيفة ( السياسة الأسبوعية ) أنه لم يعد باقياً من الطلاب المحتفظين بعمائمهم فى دار العلوم ، سوى ثلاثة أو أربعة . وأن تلك الدعوة قد بدأت تمتد إلى القسم العالى بالأزهر أيضاً .

وكان الشيخ على عبد الرازق صاحب كتاب ( الاسلام واصول الحكم ) فى مقدمة من هجر العمامة ، من علماء الأزهر . وكتب فى عدد ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ من ( السياسة الأسبوعية ) رسالة بعث بها من باريس ، يناجى فيها عمامته ، ويعتذر لها عن تركه إياها ، ذاكراً أسباب ذلك .

وبرغم تخلى الكثيرين من خريجى الكليات والمعاهد الدينية عن العمائم ، فاننا نستطيع أن نحصى فى مصر – وفي غيرها من الأوطان العربية العشرات من أنواع العمائم ، ذات الأشكال والألوان المختلفة ، التى تعكس كل منها دلالة خاصة .

## الشاشية والطربوش

ونذكر الشاشية والطربوش معاً ، لأن الشاشية ليست سوى حلقة متقدمة ، من حلقات التطور التاريخى للطربوش . ونقصد بالشاشية غطاء الرأس الشائع الآن فى دول شمال افريقية ، وهى أشبه بالطربوش الأحمر القصير ، الذى يتعمم عليه علماء الأزهر فى مصر ، مع استبعاد الزر . وقد يطلق عليها فى الصحراء الغربية بمصر ( الشنه ) .

وما زال شيوخ القبائل العربية فى مصر الذين تمتد أصولهم وروابطهم القبلية عبر حدودها الغربية ، يتخذونه زياً مميزاً لهم ، مع احتفاظهم بزره الأزرق الكثيف ، ودون التعمم عليه .

وقد ورد ذكر ( الشاشية ) كغطاء خفيف للرأس ، فى مصادر ترجع إلى عصور الدولة العباسية على الأقل ، وهى تنسب لغوياً إلى نسيج ( الشاش ) الذى كانوا يتعممون عليها به أحيانا . وينسب هذا النسيج بدوره إلى بلدة فى أقصى الشمال ، اشتهرت فى الشتاء ببردها القارص .

غير أنه لا يوجد ما يؤكد تماثل الشاشية التى ذكرت فى تلك المصادر ، والشاشية المستخدمة الآن فى دول شمال افريقية .

وقد ذكر روجيه لوتورنو فى كتابه ( فاس فى عصر بنى مرين ) أن الصناع الأندلسيين ، الذين وفدوا على مدينة فاس هم الذين نقلوا إليها صناعة الشاشية فى هيئتها الحالية ، التى عرفت أولا فى بلادهم ، ثم انتشرت من فاس الى غيرها من أنحاء العالم الاسلامى ، فنسبت إليها ، وعرفت بالانجليزية باسم ( فيز ) ، وفى بعض البلاد العربية باسم ( فيشة ) .

والواقع أن صناعة الشاشية التى ظهرت فى تونس عن طريق الصناع الأندلسيين أيضاً ، لم تكن أقل ازدهاراً منها فى فاس .

ويذكر محمد بيرم التونسى فى كتابه ( صفوة الاعتبار ) أن والى تونس فى القرن الماضى كان يلبس فى المواكب الرسمية شاشية مركباً عليها ثلاثة نياشين كبار من الذهب ، على هيئة أوراق النبات ، وبوسطها ترصيع من الياقوت الأبيض .

ويرى العلامة المغربى عبد العزيز ابن عبد الله أن الزر الأزرق الذى يتدلى من مؤخرة الشاشية – وقد أسماه الشوشة – لم يعرف بالأندلس قبل العصر الذى تفشت فيه محاكم التفتيش ، عندما أجبر الأسبانيون العرب الذين أرغموا على التنصر ، بأن يتميزوا بعلامات زرقاء .

كما يرى القاسمى فى ( قاموس الصناعات الشامية ) أن الزر – وقد سماه الطرة – كان فى الأصل طويلا وعريضاً جداً ويتدلى على الرقبة والكتفين ( وكانت الحكمة منه – كما ذكر البعض – وقاية فقرات القفا من أشعة الشمس ، ولسع

الرياح ، ثم تضاءل حتى صار حلية للطربوش .

أما جورجى زيدان فيقول فى تاصيل زر الطربوش فى مقال له عن ( تاريخ الأزياء الشرقية ) نشر بعدد نوفمبر سنة ١٩٠٧ من مجلة ( الهلال ) انهم لبسوا الطربوش - فى البداية - مجرداً ، ثم تعمموا عليه . واستعاضوا بعد ذلك عن النسيج الذى كانوا يتعممون به على الطربوش بكساء من الخيوط الخضراء كالشراريب ، تعلق فى قمته ، وترسل إلى دائرة ، تغطيه لمجرد الزينة ، ثم حسروا ما يهبط إلى الجبهة من تلك الشراريب ، لئلا تضايق اللابس ، وجعلوها سوداء فاصبحت الشراريب تحيط بالطربوش من كل جهاته الا الأمام ، ثم ضموا الشرابة ضمة واحدة ، وهى الأمر المعروف .

ونشر مع المقال صورة لقائد عثمانى يدعى رشيد باشا ، وهو يلبس طربوشا ذا شراريب من الخلف ، من تلك التى تمثل - فى رأيه - مرحلة سابقة ، للشكل الحالى للزر .

ويقال فى تاصيل استخدام تلك الشاشيات المغربية فى الدولة العثمانية والمشرق العربى ، أن محمد خسرو باشا وزير الحربية العثمانى ، عاد من أحد أسفاره فى شمال افريقية ، ومعه عدد من الجنود التونسيين ، وعلى رؤوسهم ذلك الزى ، فأعجب به السلطان محمود الثانى - وكان يبحث عن غطاء رسمى ملائم للرأس ، ليستبدله بالعمامة - فأصدر أمره بتعميمه فى الجيش سنة ١٩٢٤ ، بعد أن حصل على فتوى بجواز ذلك من المشيخة الاسلامية ، وكلف أحد رجاله - وهو كاتب زادة مصطفى أفندى - بشراء ٥٠ ألف شاشية من تونس ، كما عهد إليه بانشاء أول مصنع للشاشيات فى الآستانة ، واستعان فى ذلك بخبراء من تونس وفاس . وعرف ذلك الزى باسم ( السربوش ) أى ( فوق الراس ) أو ( غطاء الرأس ) ثم اشتهر باسم ( الطربوش ) .

وتطور شكل الطربوش ، من هيئته الأولى - أى ما كان يسمى (الطربوش المغربى ) الذى يتعمم عليه الآن علماء الأزهر - حتى اتخذ شكله الأخير الأسطوانى الطويل فى عهد السلطان عبد العزيز ، الذى تولى الخلافة سنة ١٨٦١ هـ . فعرف باسم ( الطربوش العزيزى ) ، واشتهر خطأ انه زى تركى ، بينما هو ينتمى - فى الحقيقة - إلى أصل عربى اندلسى .

ولم يكن إسم ( الطربوش ) جديداً على اللسان العربى ، إذ كان يعرف فى الشرق العربى - قبل ظهوره بشكله الأخير - غطاء أخر للرأس يسمى ( طربوش دلح ) كان يصنع من نسيج أحمر ، إلا انه يتجاوز نصف الذراع طولا . وكانوا يتعممون عليه أحياناً .

كما ورد اسم ( السربوش ) - كغطاء للرأس - فى قصص ألف ليلة وليلة ، وفى كتابات عربية أخرى ، ترجع إلى العصر العباسى ، ككتاب ( بدائع البدائه ) لعلى ابن ظافر الأزدى ، الذى ذكره فى واقعة جرت فى أوائل القرن السابع الهجرى .

وكانت مصر من أوائل البلدان التى استبدلت الطربوش بالعمامة . ويذكر كلوت بك فى كتاب ( لمحة عامة إلى مصر ) أن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا كان أول من لبس الطربوش ، فاقتدى به كبار الموظفين والأعيان ، ثم جعل الزى الرسمى للجيش النظامى عند تشكيله فى سنة ١٨٢٣ . وانشىء فى العام التالى أول مصنع مصرى للطرابيش فى بلدة « فوة » بشمال الدلتا ، استعين فى انشائه وتشغيله بخبير تونسى يدعى محمد المغربى .

وقد تباطأ انتشار الطربوش فى المشرق العربى ، حتى أمر ابراهيم باشا - عند احتلاله لبلاد الشام - الأمير بشير الشهابى وأفراد أسرته بلبسه فى سنة ١٨٣٨ . فاستجابوا له ، واقتدى بهم الكثيرون ، ثم لم يلبث أن صار الزى الغالب فى تلك المنطقة .

ويذكر على ظريف الأعظمى فى كتابه ( مختصر تاريخ بغداد ) أن الطربوش فرض - كغطاء رسمى للرأس فى العراق - فى ولاية علي رضا باشا .

ويرجع انتشار الطربوش فى السودان الى عهد موسى حمدى باشا الذى عين حكمداراً له من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٥ فكان أول من الزم الموظفين السودانيين ، باتخاذ الزى الأوروبى والطربوش - بدلا من الجلباب والعمامة - أسوة بالمصريين والأتراك .

وقد استهدف الطربوش لحملة نقد عنيفة بالمشرق العربى ، منذ اندلعت الشرارة الأولى للثورة العربية فى سنة ١٩١٧ ، وتصاعدت الدعوة إلى التخلص من كل مظهر من مظاهر التبعية للأتراك ، ومنها الطربوش ، فتخلص الكثيرون منه طواعية ، قبل أن يصدر تشريع فى العراق بالغائه فى سنة ١٩٢٤ .

وكانت تلك الدعوة قد انطلقت فى تركيا نفسها ، فى غمار الرغبة فى التخلص من كل مظهر شرقى و فصدر تشريع باستبدال القبعة به ، فى سنة ١٩٢٥ .

وامتدت أصداء تلك الدعوة إلى مصر . فالى جانب دعوة بعض المتعممين إلى استبدال الطربوش فى أوساطهم بالعمامة ، كانت هناك دعوة أخرى للمطربشين إلى استبدال القبعة بالطربوش وافسحت صفحاتها للآراء المتباينة ، التى أثارتها هاتان الدعوتان . وقد عرض الدكتور خليل صابات فى كتابه ( موقف الصحافة المصرية من العمامة والطربوش ) تفاصيل المعارك الفكرية ، التى أثيرت حول ذلك الموضوع .

وكان قرار الجمعية الطبية المصرية الصادر فى سنة ١٩٢٦ - والذى افتى بأن الطربوش ضار - من الوجهة الصحية - بالرأس والعينين - من أهم الحجج التى استند إليها دعاة التخلص منه .

وفى السنة نفسها ، عقد الفلسطينيون - من المسلمين والمسيحيين - اجتماعاً فى القدس ، لبحث مصير الطربوش ، فاصدروا قراراً بانه ( ليس لباس الرأس العربى الوطنى ، ولا اهمية دينية له ) .

وقد بدىء فى التخلص من الطربوش فى مصر ، باستبعاده من زى ضابط القوات الجوية فى سنة ١٩٣٩ ثم من زى سائر قوات الجيش والشرطة سنة ١٩٤٧ ، وكان ذلك بالنسبة لأوقات العمل غير انه ظل يحتفظ بمكانته كزى للمناسبات الرسمية . حتى أخذت مكانته تتدهور - فى المجالين المدنى والعسكرى بعد قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، حتى أسدل عليه الستار نهائياً - كزى لجنود الشرطة .

وبينما ظلت قلة قليلة من المسنين ، تحتفظ بالطربوش ( بمظهره التركى أو العزيزى ) فى بعض الأوطان العربية ، وخاصة فى مصر ، وبعض دول المشرق العربى ، فان الشاشية ( أى الطربوش بمظهره المغربى ) لا تزال محتفظة بمكانتها فوق الرؤوس - كزى عربى أصيل - في دول المغرب العربى ، وبين الجماعات البدوية الأصل فى مصر ، التى تمتد أصولها وروابطها القبلية ، عبر حدودها الغربية . كما يتعمم الأزهريون على نوع منه .

## الكوفية والعقال

يشيع لبس الكوفية والعقال ، فى معظم

# أغطية الرؤوس في العالم العربي

لنحاء المشرق العربى ، ولا يكاد يستثنى منها سوى القطاع الجنوبى من الجزيرة العربية . ويمتد انتشارهما غرباً ، حتى يشمل شبه جزيرة سيناء كلها ، كما يشمل بعض المناطق المصرية الاخرى ، وخاصة بين الجماعات البدوية الأصل ، التى تمتد أصولها وروابطها القبلية ، عبر الحدود الشرقية للبلاد ، من سكان محافظات الاسماعيلية والشرقية والقليوبية والبحر الأحمر ، وقد عارض الأب انستاس مارى الكرملى ، فى بحث له نشر بعدد مارس سنة ١٩٤١ من مجلة ( المقتطف ) الاعتقاد الذى كان شائعاً بان الكوفية والعقال ، لم يظهر استعمالهما كزى عربى ، إلا منذ قرنين ، أو ثلاثة قرون على الأكثر . واثبت انها استعملا فى هذا الغرض ، قبل مولد السيد المسيح بعدة قرون . مستشهداً على ذلك بنص ورد فى سفر الملوك الثالث من التوراة ، وببعض النقوش والتماثيل التى ترجع إلى عهد حمورابى ، وشواهد اخرى ، منها بعض النصوص التاريخية واللغوية ، التى تؤكد استعمالها فى العصور الاسلامية الأولى .

وانتقد ما أورده « رينهارت دوزى » فى مؤلفه ( المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ) من إرجاع كلمة ( الكوفية ) إلى أصل ايطالى ، ورجح اشتقاقها من كلمة ( التكوف ) العربية ،التى تحمل معنى الاستدارة حول الرأس ، أو من اسم مدينة ( الكوفة ) التى اشتهرت بصناعتها .

وتضمن البحث كثيراً من الألفاظ التى تطلق فى أنحاء العالم العربى على الكوفية والعقال ، والتى تختلف باختلاف نقوشهما والوانهما ، والمنسوجات التى تصنعان منها ، والمناطق التى يشيع لبسهما فيها ، مع تحقيق أصولها اللغوية . ومن امثلة ذلك ( المحرمة ) و ( الحلالية ) و ( الشماغ ) – أو ( اليشماغ ) – و ( الدسمال ) و ( الضريبة ) و ( القزية ) و ( الصمادة ) و ( الخزام ) و ( العصابة ) و ( المريرة ) و ( الخزام ) و ( السب ) .

ثم نشرت المجلة فى عدد مايو سنة ١٩٤١ تعليقاً ضافياً من روكسى بن زايد العزيزى بشرق الاردن ، تناول فيه بالتصويب والاضافة ، بعض المعلومات والالفاظ التى تناولها ذلك البحث .

وكان اتخاذ الكوفية والعقال غطاء للراس ، يكاد يقتصر على الجماعات البدوية ، حتى بدأ الاقبال يتزايد على هذا الزى فى الأوساط الحضرية بالمشرق العربى ، منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى ١٩١٧ ، حتى شاع لبس الكوفية والعقال مع الزى الأوروبى .

وعندما رئي التخلص من الطربوش كرمز للتبعية التركية ، عقد اجتماع فى دار الأمير سعيد الجزائري بدمشق فى سنة ١٩١٩ لاختيار غطاء عربى عام للرأس ، فأعدت ثلاثة نماذج لاختيار احداها ،

ووقع التفضيل على تصميم مطور للكوفية والعقال ، يلائم الشباب وطلاب المدارس ، وأطلق عليه ( السعيدية ) نسبة للأمير سعيد .

وكانت الانتفاضات الشعبية فى أوطان المشرق العربى ، التى بليت بالاستعمار ، فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، يصاحبها تصاعد الاقبال على اتخاذ الكوفية والعقال زياً للمثقفين ، وخاصة عند اندلاع ثورة سنة ١٩٣٦ بالسودان .

وقد قاد شيخ العروبة احمد زكى باشا الدعوة إلى تعميم هذا الزى فى مصر ، بديلا للطربوش . وتبريراً لذلك ، ذكر – فى حديث له نشر بعدد ٢ مايو سنة ١٩٣١ من مجلة ( كل شىء ) ان الكوفية والعقال » إلى جانب فائدتهما صيفاً وشتاء ، وكونهما مظهراً من مظاهر القومية العربية ، تجمعان جلال المظهر ، وحسن الرواء » .

وكان هو نفسه فى مقدمة الذين تزيوا بذلك الزى ، قدوة لغيرهم .

## الطاقية والسدارة

تنتشر فى العالم العربى انواع اخرى من اغطية الرؤوس ، ابسطها ( الطاقية ) التى تعرف باسماء مختلفة وفقاً لأشكالها أو الوانها ، أو المنسوجات والمواد التى تصنع منها ، أو المناطق التى تنتشر فيها ، مثل ( الكوفية ) و ( الطاقية ) و ( اللبدة ) و ( التكلت ) و ( العرقجين ) – أو ( العرقية ) او ( العراقية ) – و ( المكاوية ) .

وقد تلبس احدى هذه الاغطية مجردة ، كغطاء للرأس ، أو يتعمم عليها من يشاء ، بنوع من العمائم المختلفة . وهى – إلى جانب كونها من ابسط أغطية الرؤوس ، وأكثرها انتشاراً ، على اختلاف أنواعها – فهى من اعرق هذه الاغطية ايضاً .

وقد ذكر المقريزى – فى معرض حديثه عن ( سوق البخانقيين ) بالقاهرة ، فى خططه – انه معد ( لبيع الكوافى والطواقى التى يلبسها الصبيان والبنات ) ثم قال : وقد كثر لبس رجال الدولة من الأمراء والمماليك والاجناد – ومن يتشبه بهم – للطواقى – فى الدولة الجركسية – يقصد دولة المماليك الجراكسة – وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ، ويمرون كذلك فى الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب ، لا يرون بذلك بأساً ، بعدما كان نزع العمامة من الرأس عاراً وفضيحة ، ونوعوا هذه الطواقى ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان .

والمقصود بالكوفية هنا – وقد تجمع على كوفيات ، أو كواف ، نوع من الطواقى ، وليس تلك التى تستخدم مع العقال .

وعندما انشا الملك فيصل الأول دولته العربية بالعراق ، استحدث غطاء للراس نسب إليه ، فاطلق عليه ( الفيصلية ) – وهو ما يعرف الآن بالسدارة – وقد استعير شكله من غطاء للراس ابتكره السياسى الفرنسى جورج كليمنصو ، كما كان الجنود الاسكتلنديون يتخذون زيا شبيها له فى الحرب العالمية الأولى .

وكان اشتقاق أسماء اغطية الرؤوس من أسماء القادة والحكام مالوفا من قبل فقديماً أعجب الخليفة العباسى المعتصم بالله بالقلانس الطويلة ( جمع قلنسوة ) ، فاتخذها زيا له ، تشبها بملوك الاعاجم . وامر بتعميم ذلك الزى فشاع استخدامه ، وسميت تلك القلانس ( المعتصميات ) .

وفى تركيا شاع غطاء للراس منسوب إلى وزير الحربية الاسبق بها ، فسمى ( الانورية ) . واستحدث الشاه

رضا خان بهلوى غطاء اخر للرأس فى ايران ، فاطلق عليه ( البهلـــوية ) ، واستحدث فى مصر غطاءان للراس فى الزى العسكرى ، فى عهد الملك فاروق فاطلق على احدهما ( الفاروقية ) نسبة إليه ـ وكان يشبه الفيصلية ـ وعلى الأخر ( الفؤادية ) ـ وهو ما يسمى الآن ( الكاب ) نسبة إلى ابيه .

ومن طريف ما يذكر أن امين الخولى استبدل بعمامته ـ عندما كان يتولى التدريس بجامعة القاهرة . (الفاروقية) وقد لبسها مع سائر زيه الأزهرى . وعندما ندب للتدريس بكليات الأزهر ، اقتدى به بعض طلابها . فنشرت مجلة ( المصور ) فى عدد ١٨ ابريل ســـنة ١٩٤٢ حديثاً لمندوبها مع شيخ الأزهر والمفتى ، عن رأيهما فى ذلك ، فاجاب شيخ الازهر بانه وان كان الـــــدين الاسلامى لم يفرض زيـــاً معينـــاً للمسلمين ( إلا أنه يرى أن للتقاليـــد احترامها ، ولا سيما فيما يختص برجال الدين ) واضاف ( ثم ان الزى لم يكن فى يوم من الأيـــام ، ولا فى عصر من العصور ، وسيلة من وسائل التقدم ، بل العبرة بالتربية ) .

وكان ذلك الزى فى الحقيقة مجرد بدعة من البدع التى ظهرت فجاة فى تلك الأونة ، ثم اختفت باسرع ممـــا ظهرت .

## القبعـــــة

لم تبدأ الدعوة إلى اتخاذ القبعة غطاء للرأس فى العالم العربى ، إلا بعد تقرير استبدالها بالطربوش فى تركيا فى ســـنة ١٩٢٥ . اما قبل ذلك ، فقد صدرت فتاوى متضاربة حول اتخاذ المسلمين العقبة زياً لهم ، أثناء وجودهم فى بلاد غير اسلامية .

وأشهر الفتاوى التى صدرت فى هـــذا الصدد ، تلك التى أصدرها الامام الشيخ محمد عبده فى سنة ١٣٢١ هـ . رداً على ثلاثة أسئلة بعث بها إليه بعض المسلمين من سكان الترنسفاد بجنوب افريقية ، فسمى رده عليها ( الفتاوى الترنسفالية ) .

وقد أثار ذلك الرد صدى عنيفاً فى الرأى العام الاسلامى بالبلاد ، عنى باذكائه الخديوى عباس ضمن حملته على الشيخ محمد عبده . وكان أول تلك الاسئلة ( يوجد افراد فى هذه البلاد يلبسون البرانيط ، لقضاء مصالحهم ، وعود الفوائد عليهم . فهل يجوز ذلك أم لا ؟ ) .

وكان رده على ذلك : (ان لبس البرنطية اذا لم يقصد فاعله الخروج من الاسلام ، والدخول فى دين غيره ، فلا يعد مكفراً . وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس ، أو دفع مكروه ، أو تيسير مصلحة ، لم يكفره ذلك ، لزوال معنى التشبه بالمرة).

وقد صدرت بعض الفتاوى والرسائل ، التى عارضت ذلك الراى ، واتهمت صاحبه بالكفر والتضليل . ومن امثلة ذلك الرسالة التى وضعها الشيخ يوسف الشرابخومى فى ١٣٢٥ هـ . ( ١٩٠٤ ) بعنوان ( التعاديل الاسلامية ، فى تخطئة حزب الفتـــاوى الترنسفالية) وكان من مؤيدى الأستاذ الامام السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار) ومحمد كرد علي الذى نشر فى عدد مارس سنة ١٩٠٤ من مجلة (المقتطف) مقالا بعنوان (لباس الرأس ) استشهد فيه بالحديث الشريف الذى روى عن ابن عباس ( كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان : سرف أو مخيلة ) وأورد تحقيقاً لغوياً ضافياً ، لتأصيل كلمة ( القبعة ) وبدء استخدامها فى اللسان العربى ، وإدراجها بالمعاجم العربية . ونشرت بعد ذلك بحوث أخرى ، حاول بعضها تاكيد أصلها العــــربى ، وأرجعتها بحوث أخرى إلى اصل لاتينى او يونانى .

والواقع أن القبعة ـ وان كانت دخيلة من الناحية اللغوية ـ فقد اتضح ـ من الناحية الواقعية ـ انها من الأزيـــاء المستعملة ـ ولو باسماء أخرى ـ فى بعض المجتمعات العربية المعاصرة ، التى اتخذتها غطاء للرأس ، لأسباب مناخية محلية ، وليس استجابة لأية مؤثــرات اجنبية .

وقد اشار إلى هذه الحقيقة ، احمد زكى باشا ( شيخ العروبة ) ضمن مشاهداته وخواطره التى سجلها فى كتابه ( السفر الى المؤتمر ) ، أثناء رحلته فى بعض أنحاء اوروبا ، حينما توجه الى لندن لتمثيل مصر فى مؤتمرالمستشرقين الدولى التاسع سنة ١٨٩٢ . وذلك فى معرض الشكوى من الأضرار الصحية للطربوش . فبرغم من معارضته اتخاذ الزى الأوروبى العام فى البلدان الشرقية ، إلا انه استثنى من ذلك القبعة التى وصفها بانها ( ليست محرمة ، لا شرعاً ولا عقلا . فضلا عن أن عرب مراكش ( يقصد المغرب ) لا يزالون إلى الآن ـ وهم على ما هم عليه من التمســك بالاسلام ، ويلبسون شيئاً شبيهاً بالقبعة ، له حواف تمنع وهج الشمس من الوجه ) .

ولأسباب صحية أيضاً ، عرض جورجى زيدان فى مقاله عن ( تاريخ الأزيـــاء الشرقية ) بعدد نوفمبر سنة ١٩٠٧ من مجلة ( الهلال ) اقتراحاً عجيباً يتضمن تفضيل الحفاظ على الزى الشرقى ، على أن تلبس معه العمامة عندما يشتد البرد شتاء والقبعة عندما يشتد الحر فى الصيف .

وتدليلا على أصالة استخدام القبعة فى بعض انحاء العالم العربى ، ذكر الأمير المصرى السابق محمد علي ـ ضـــمن مشاهدته فى رحلته الى شمال افريقية فى أوائل هذا القرن ـ أن بعض النساء فى منطقة الريف ، يتخذن أغطية للرؤوس من القش والخوص ، تشـــبه القبعات المكسيكية .

وفى الجزائر يستخدم غطاء للرأس على هيئة قبعة كبيرة من القش الجزائرى ، قد توضع فوق الرأس مباشرة ، او فوق العمامة . غير انهم يرفضون لبس أى نوع آخر من أغطية الرؤوس المماثلة ، ما لم تصنع محلياً ، وبالهيئة التى الفوهـــا ، تبرءاً من شبهة تقليد الأجانب .

وذكر الرحالة « بوركهارت » ، انه شهد أثناء رحلته فى بلاد النوبة والسودان سنة ١٨١٣ بعض الرجال والنساء من قبيلة الجعليين ، فى بلدة شندى ، يلبسون قبعات عالية ومدببة ، مصنوعة من القش ، ولها حواف عريضة ، وتثبت باربطة من الجلد ، أسفل الذقون .

كما ينتشر استخدام نوع من القبعات المحلية ، بين قبائل الزاندي فى السودان .

وذكر فؤاد حمزة فى كتابه ( فى بلاد عسير ) أن نساء قبيلة ( ربيعة اليمن ) يلبسن أغطية للرؤوس على هيئة قبعات من الخوص ، تسمى ( طقشة ) وهي نوعان : نوع ذو حافة عريضة ، ويختص به أهل تهامة ، حيث الشمس ساطعة ، واخر ذو حافة ضيقة ، تتوسطه اسطوانة بارزة ، يجعلها اقرب فى شكلها من القبعات الأسبانية ، لولا أن هذه من الحرير ، وتلك من الخوص .

وكان سلامة موسى من أكثر كتاب العربية اهتماماً بالدعوة إلى لبس القبعة ، وبلغ فى مغالاته فى تلك الدعوة ، أن ذكر في كتابه ( اليوم والغد ) تحت عنوان (القبعة رمز الحضارة ) : ( إن للمتحضرين عادات يتعارفون بها ، ويصطلحون عليها . واتخاذ القبعة من هذه العادات . فلسنا نحب أن نخرج على العالم المتمدين بلباس خاص ، يجعلنا فى مركز الشذوذ ، يجذب

## أغطية الرؤوس في العالم العربي

إلينا الأنظار ، فيعمد السائحون إلى تصويرنا كاننا أمة غريبة عن الامم التى جاءونا منها )

وكان احمد حسن الزيات ، من اشد الكتاب معارضة لتلك الدعوة . وقد ذكر في مقال له نشر بعدد ٧ يونية ١٩٣٧ من مجلة ( الرسالة ) : ( إن قيمة الغطاء هو فى الرأس الذى يحمله ، والشعب الذى يمثله لا فى أصله ، ولا فى شكله ، ولا فى لونه . والثوب – كما يقول الفرنسيون – لا يصنع الراهب ) .

وقد ظلت القبعة حتى الآن من الأزياء التى لا يتحمس لها الراى العام العربي . فلم يكتب لها الظهور إلا فى حالات ضرورية محدودة ، ترجع لأسباب صحية مؤقتة ، او مع الزى العسكري – وهو زي خاص مع تعديل شكلها ، واطلاق أسماء عربية عليها

### تعرية الرؤوس

من اعجب العادات المتبعة في بعض انحاء العالم العربى – وخاصة فى المجتمعات البدوية – الاكتفاء بتشكيل شعر الرأس – بعد إطالته – على نحو يغني عن تغطيته .

ففي الصحراء الشرقية بين مصر والسودان ، يشكل افراد قبائل البشارية ، شعر رؤوسهم الكثيف ، على نحو يجعلها أشبه بالعمائم الضخمة ، ويدهنونها بالشحم أو زيت الخروع ، لدعم تماسكها ، ويغرسون فيها أدوات حادة ، يستعملونها في بعض اغراضهم .

وذكر فؤاد حمزة ضمن مشاهداته في « بلاد عسير » أن بعض البدو هنالك كانوا يتركون رؤوسهم عارية ، ويضفرون شعورهم أو يتركونها على طبيعتها منفوشه ، على نحو يلقي الذعر في قلوب الأعداء ، وقد يربط الشعر – فى هيئته هذه – أحياناً باعواد من العشب ، أو غيره من النبات ، منعاً لتحريك الريح له .

والواقع أن ترك الرؤوس عارية ، قد أصبح الاتجاه السائد في كثير من انحاء العالم العربي . فالذين نزع اباؤهم عن رؤوسهم العمامة أو الطربوش أو السدارة ، أو غيرها اثروا ألا يستبدلوا بها أغطية أخرى .

والتاريخ بذلك يعيد نفسه فقد كان لهذه الظاهرة سابقة في بعض المجتمعات العربية التي عاصرها أجدادنا إذ ورد في كتاب (نفح الطيب) للمقري ، أن الأندلسيين انتهى بهم الأمر إلى ترك العمائم ، وخاصة في المشرق ، حتى رئى عزيز بن خطاب أكبر علماء مرسية (وقد خطب له بالملك فيها ، وهو حاسر الرأس ، وقد غلب شيبه على سواد شعره . أما الأجناد وسائر الناس ، فقليل منهم من يرى بعمامة في شرق منها أو غرب . كما شوهد بعض ملوك الطوائف أيضاً بدون عمامة .)

### وبعد

فهذه أمثلة لتعدد أغطية الرؤوس في مختلف أنحاء العالم العربي ، وما ينطوي عليه هذا التعدد من دلالات تاريخية وجغرافية ، واجتماعية .

ولعلنا نكون قد أثرنا – من خلال هذه السطور – حماسة القراء نحو تشجيع الدعوة إلى إنشاء متحف عام للملابس العربية الحالية ، وتوضيح مواطن انتشارها ، مع إبراز مراحل التطور التاريخي لكل منها ، ودراسة ما ينطوي عليه التنويع الظاهر في أشكال هذه الملابس ، من دلالات مختلفة ،

اللواء إبراهيم محمد الفحام

---

# قالوا

● المجد كالرزق . بعضه حلال وبعضه حرام

« زكى مبارك »

● ●

● يجب أن نوفر لكل إنسان نصيبه من الخبز ... ونصيبه من الشعر .

« تروتسكى »

● ●

● احترس من الكلب وانت تقتله ، إنه يعوى ويعض

« دستويفسكى »

● ●

● فاطلب العز فى لظى ودع الذل
ولو كان فى جنان الخلود

« المتنبى »

● ●

● متى احرجت ذا كرم تخطى
إليك ببعض أخلاق اللئيم

« البحترى »

من لى بانسان إذا أغضبته
وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من
أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه
وبسمعه ولعله أدرى به

« أبو تمام »

محمد مروان جميل مراد





# من ساعة بيج بن إلى برج لندن

● من الذى أقام ساعة بيج بن ؟ ● عندما حاول الألمان اسكات الساعة فى الحرب الثانية ● مليونير يعرض شراء الساعة بأى ثمن فترفض انجلترا ● برج لندن أقدم سجن فى انجلترا وأكبر معرض للمجوهرات ● وراء إنشاء جامعة كمبردج إعدام ثلاثة علماء ● مكتبة جديدة تتكلف ١٦٤ مليون جنيه استرلينى ...

● ● « عزيزتي بيج بن » .. أرجوك أن تعودي بخير ، لأستمع إلى صوتك المميز من جديد .. أنت مدهشة وعظيمة كما لا تتصورين ، وأنا أحبك » ..

لم تكن هذه الرسالة موجهة لصبية هجرت عاشقها ، بل كانت موجهة لساعة « لندن » الشهيرة ، حين توقفت عن العمل لمدة ٢٢ يوماً فى أغسطس ١٩٧٦ ، بسبب خلل طارىء .. ولم تكن الرسالة ، كذلك ، فريدة من نوعها بل كانت واحدة من آلاف الرسائل التى انهالت على ساعة « بيج بن » وكلها يستفسر عما أصاب الساعة ، واضطرها للتوقف .

« بيج بن » التى يسمع الناس دقاتها كل يوم ، من خلال الاذاعة ، والقائمة فى أعلى

# من ساعة بيج بن إلى برج لندن

برج « ويستمنستر » اخذت اسمها من الاسم المختصر لوزير الأشغال البريطاني « السير بنجامين هول » الذى أشرف على تصميم برج الساعة فى أواسط القرن الماضي .

وقد تم تصميم الجرس الكبير للساعة « ١٦ طناً » فى كليفلاند ، وتم نقله إلى لندن ، بعد رحلة متعبة ، وحين اختبر بواسطة مطرقة ضخمة ، أصيب بشرخ ، فاستبدل بجرس آخر ، ومطرقة أصغر ، ولكن على الرغم من أصابة الجرس الجديد بشرخ ، فقد تم تركيبه على البرج ، وأعطى الشرخ للجرس صوتاً مميزاً ، تدركه الأذن بسهولة .
عندما بدأت الاذاعة البريطانية ببث برامجها ، ثبت فى الساعة ميكروفناً لينقل دقات جرسها إلى العالم ، لكن الاذاعة استغنت عن الميكروفون خلال حصار بريطانيا ١٩٤٠ حتى لا ينقل دوى الانفجارات ويبث الرعب ، واستخدمت الاذاعة بدلا منه تسجيلا لدقات الساعة .

ولم يعرف الألمان بالأمر ، وراحت طائراتهم تقصف برج الساعة لاخماد صوت « بيج بـن » دون جدوى .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية ايضاً، أطفئت أنوار الساعة لأول مرة ، وفى عام ١٩٦٩ توقفت الساعة ، حين سقطت بالخطأ قضبان حديد ، واشتبكت باثقال الساعة وتم اصلاح الخلل بعد ٢٧ دقيقة .
أما الحدث الأكبر الذى كاد يعطل الساعة فعلا ، فقد وقع سنة ١٩٧٦ حين سقط أحد طبول الساعة ( يزن نصف طن ) بسبب تآكل فى المعدن ، واتلف معظم أجزائها الميكانيكية ، واوقفها بعد عمل متصل لأكثر من نصف قرن ، وأصلح العطل ، وتم اختبار كل الأجزاء الأخرى بأشعة اكس ، لتلافى أى خلل فى المستقبل وقد توقفت الساعة هذه المرة ٢٢ يوماً ، بينما صمتت الأجراس تسعة شهور كاملة ، انهالت خلالها الرسائل على ساعة ( بيج بن » والبطاقات ، تتمنى لها الشفاء والصحة الدائمة ، وكان من أطرفها تلك التى وجهتها : « ليزا كلير » من شمال لندن لتقول فيها : ساظل أهتف لك من الأعماق :

دينج دونج ، وبحرارة ، حتى تعود لك



اليزابيث « الأولى »
تعرضت للسجن فى البرج وكان المفروض إعدامها ولكنها نجت باعجوبة لتحكم بريطانيا ٤٥ عاما

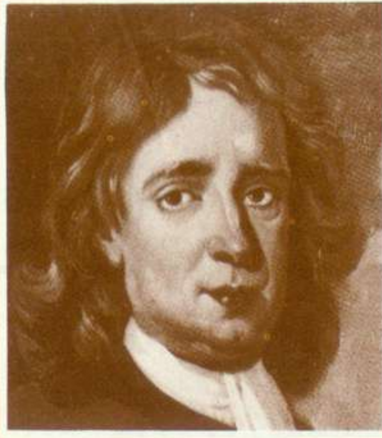
الصحة .. وقد عادت الصحة إلى « بيج بن » بتكلفة ٣٠ الف جنيه ، وصار صوتها أكثر قوة ووضوحاً ، لدرجة ان واحدة من محطات الاذاعة فى كنساس ، طلبت إلى « نيفيل ماكيفوي » وهو صاحب كافيتريا مقابل مجلس النواب البريطاني ، طلبت إليه أن يرفع سماعة الهاتف ، حين تدق « بيج بن » ١٢ دقة ، لتقوم الاذاعة بارسال الدقات إلى مستمعيها .. وقد نفذ صاحبنا المهمة ، ورفع سماعة هاتفه مقابل الساعة ، واستمع الناس فى امريكا إلى دقاتها بوضوح ، وأهدى « ماكيفوي » رحلة سياحية لمدة أسبوعين إلى الولايات المتحدة .

... على ان أطرف الأحداث التى شهدتها « بيج بن » ذلك الطلب الغريب الذى تقدم به ، منذ فترة قصيرة ، بعض اثرياء كاليفورنيا لشراء الساعة ، بالثمن الذى يحدد لها ، لكن دائرة البيئة البريطانية ، ردت بلباقة :

– « بيج بن » ليست للبيع ، لأنها جزء من تراثنا .

## ... وبرج لندن

● ● .. خطوات عديدة ، ويرتفع أمامك صرح أثري شهير .. برج لندن ! . لقد ذكرت نشرة سياحية مؤخراً أن عدد زوار البرج خلال العام الماضي ، بلغ بضعة وثلاثة ملايين شخص ، وقد طاف هؤلاء بأروقة القلعة المترامية ، وقلبوا صفحات التاريخ المدونة على جدرانها لتختصر احداث ٩٠٠



اسحق نيوتن
كان وراء انشاء جامعة كمبردج

سنة ونيف ، ثم خرجوا يستعيدون فى مخيلاتهم الحكايات التى شهدتها القلعة من يومها الاول .

فبعد اثني عشر عاماً من نزول قوات وليام الفاتح على شاطىء بريطانيا ( حوالي ١٠٧٨م ) أمر ببناء قلعة فى لندن ، يستطيع بها حماية المدينة ، والسيطرة على سكانها ، وارتفع برج القلعة من ذلك اليوم بلونه الأبيض ، ولكنه ما لبث بمرور الأيام أن اصطبغ باللون الأسود ، وهو يشهد الوف السجناء يدخلونه عبر سنوات طويلة من تاريخ بريطانيا السياسي ، إضافة الى الجرائم الوحشية التى دبرت فى أبهائه ، فأودت بحياة الأمير « ادوارد الخامس » وشقيقه عام ١٤٨٣ زمن حكم ريتشارد الثالث .

وقد دخل البرج « سير توماس مور » و سير « والتر رالي » وروبرت ديفيريه ، والملكة اليزابث الأولى ، وانتهى الجميع إلى نهاية مفجعة ، عدا الملكة اليزابث التى قدر لها الخروج حية ، لتذيق الكثيرين من نفس الكاس ، وتقبرهم أحياء فى البرج .

وكان آخر سجناء البرج « رودلف هس » نائب هتلر الذى نقل فيما بعد إلى سجن آخر .

وفيما بعد استخدم العديد من ملوك وملكات بريطانيا ، البرج كقصر مهم حتى أيام جيمس الأول . كما استخدم مقراً للحكم ، وخزانة للمجوهرات ، ومحكمة عليا ، وحديقة حيوان ملكية ، ولاتزال مجوهرات التاج توضع هناك إلى اليوم ، وبالرغم من سمعته السيئة ، يعتقد البريطانيون أن البرج هو أكثر الأماكن فى العالم اجتذاباً للسياح ، ويأملون أن يزداد عددهم عاماً بعد عام ..



رودلف هيس
نائب هتلر واخر سجين شهير فى برج لندن

## كلية بيتر هاوس

● ● هـل ينسحب القول المأثـور : « مصائب قوم عند قوم فوائد » على الاماكن والمعالم والمدن أيضاً ؟! لم لا ؟!

فى عام ١١٧٦ ، أصدر الملك هنرى الثاني أمراً ، حظر فيه على الكهنة والمثقفين الانجليز ، الدراسة خارج البلاد ، وكان ذلك القرار جزءاً من الصراع الذى كان محتدماً بين الملك ورئيس أساقفة كانتربري « توماس بيكيت » على انه لما كانت الجامعات الانجليزية ، موضوعة فى ذلك العصر ، تحت رعاية الكنيسة ، كان ذلك الأمر دون قصد من الملك ، بمثابة دفع للمثقفين الانجليز لعدم الالتحاق بجامعة باريس ، والتى كانت آنذاك ، أعظم مركز علمى فى أوروبا .

هنا ، كان لابد من إيجاد بديل لجامعة باريس ، فجاء البديل من خلال إنشاء جامعة فى « أكسفورد » نظراً لموقعها الملائم بين لندن العاصمة ، ومنطقة « ميدلاندز » الهامة ، وحدث فى عام ١٢٠٨ أن لفقت السلطات المحلية لمنطقة أكسفورد ، نكاية بالجامعة الجديدة ، تهمة لثلاثة من علماء الجامعة ، انتهت بالحكم باعدامهم ، وأثار الأمر ذعر المثقفين والعلماء ففروا إلى بلدة « كمبردج » لأنها أبعد عن مراكز العمران ، والسلطات الرسمية ، وأكثر أمناً من أكسفورد ، وكان تجمع العلماء فى هذه البلدة حافزاً لأسقف المدينة ، للايعاز بانشاء أول كلية فى كمبردج وهي كلية « بيتر هاوس » ..

وفى عام ١٦٣٨ اعترف البابا للكلية الجديدة فى كمبردج ، بمستوى جامعي إلا أن الملك هنرى السابع ، قام ببناء كنيسة ضخمة بالبلدة تعتبر حتى اليوم آية فى فن العمران ، وهـدم لتحقيق غايته شـوارع باكملها ، مما أذن بتشريد الكثير من السكان ومعظمهم من العلماء والمثقفين ، ولكن هؤلاء واصلوا الاقامة فى المدينة ، ومارسوا أعمالا تجارية ويدوية لكسب رزقهم ومتابعة تحصـيلهم ، وكان فى عدادهم « اسحق نيوتن » الذى أصبح فيما بعد أشهر عباقرة الرياضيات ومكتشف قوانين الجاذبية الارضية .

ومن الطريف أن معظم مواد الدراسة فى الجامعة ، كان يتناول ترجمة كتب الفلسفة من اليونانية إلى اللاتينية وبالعكس ، وحظر على الطلاب التحدث باللغة الانجليزية إلا فى فترات محددة ، ليتحسن مستواهم فى اليونانية واللاتينية واقتصرت مواد الدراسة على الفلسفة والدين ، ثم سمح بتدريس الرياضيات وصار النجاح فى هذه المادة منذ ١٧٧٢م إلزامياً للفوز بالشهادة الجامعية .

أما اليوم فقد أصبحت العلوم الطبيعية ، موضوع الدراسة الرئيسي فى هذه الجامعة التى وضع تقاليد دراسة العلوم فيها السير اسحق نيوتن .

وانطلاقاً من هذه التقاليد ظهر العلامة « رذفورد » الذى أنجز فى الثلاثينات من هذا القرن قدراً كبيراً من أسس علم الذرة ، ومن بين سائر الجامعات تكاد جامعـة « كمبردج » تفوز كل عام بانتظام بواحدة من جوائز نوبل للعلوم .

## إلى القراء فى العالم

● ● فى « إيسترن رود » وعلى مساحة أربعة هكتارات ، تقام المكتبة البريطانية المركزية الجديدة ، فى بناء روعيت فيه احتياجات القرن الحادي والعشرين .

وتركز الاهتمام عند تصميم البناء على أن يجمع محتويات مختلف المكتبات فى مكان واحد ، بحيث تتاح الاستفادة للجميع دون قطع مسافات كبيرة للوصول إلى مختلف المراجع ، وهكذا اختير موقع المبنى بحيث يمكن الوصول إليه من ثلاث محطات رئيسية للسكك الحديدية ، متصلة رأساً بخط تحت الأرض .

وحرص المهندسون على مزج الطابع الرئيسي للبناء الحديث بالطابع الفريد لمبنى محطة « سانت بانكراس » الحديدية التى بنيت فى القرن التاسع عشر ، وستكسى الجدران الخارجية بالقرميد والبلاط الطبيعي على سطح البناء ، أما القاعة المواجهة للمدخل ، فتتالف من جدران قرميدية ، ونباتات طبيعية ، تزين جوانبها ، وسقوف مانعة للصوت .

ويشكل مدخل « ايسترن رود » الباب الرئيسي ، ويقود إلى قاعة فسيحة تمكن الزوار من الولوج إلى غرف المطالعة بسهولة . ودون الحاجة إلى السير عبر ممرات أو منعطفات ، كما أنها تقود رأساً إلى صالة الطعام وقاعات العرض .

تستوعب قاعات المكتبة ٣٥٠٠ زائراً ، اضافة إلى ٢٥٠٠ موظف فيها ، أما عدد المجلدات فسيكون بحدود ٢٥ مليونا ، وستوفر المكتبة قاعات للعرض واخرى للمحاضرات والاجتماعات .

وستحتل خزائن الكتب حوالي ٣٠ من مساحة الغرف ، ويتم خزن الكتب الفائضة فى مخازن تحت الأرض ، أما الكتب المطلوبة للزوار فتصل إليهم عبر مسارب آلية ، ولم ينس المهندسون الاضاءة المناسبة ، فاهتموا بجعلها مطابقة للضوء الطبيعي إلى حد كبير .

واختصر المصممون كثيراً ، الاشارات التى تدل على الاتجاهات لئلا تسبب الارتباك للزوار ، واستعاضوا عنها بقاعة استقبال واسعة تقود أبوابها العديدة إلى القاعات المختلفة ، كما راعى المصممون استحالة استخراج الأوراق أو الكتب أو المجلدات من المبنى ، أو تلفها عند اعارتها للزوار أو اعادتها لأماكنها ..

لقد بلغت كلفة المرحلة الأولى من مبنى المكتبة المركزية الجديدة ٧٤ مليون جنيه استرليني ، لكن التكاليف الاجمالية ستتجاوز ١٦٤ مليونا . وذلك لتحقيق شعار تقديم الخدمات ، ليس للقاريء البريطاني وحسب بل للقراء من جميع أقطار العالم .

محمد مروان جميل مراد : الكويت

# الشاعر عدنان مردم بك
## يتحدث
## عن أبيه الخليل ومدرسة الوصف الشامية

بقلم الدكتور نسيب نشاوي

كنت على موعد مع الشاعر الدمشقي عدنان مردم بك للتداول في موضوع مسرحيته الشعرية «أبو بكر الشبلي» التي صدرت ببيروت ١٩٨١ م فوجدته يحدثني عن والده الشاعر خليل مردم بك ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩» بدلا من الحديث عن نفسه ، ومع أنني أعرف الكثير عن والده الخليل مؤلف النشيد السوري ورئيس المجمع العلمي بدمشق ورائد مدرسة الوصف الشعرية الشامية.. فقد اطلعت على شؤون خاصة بالخليل أحببت أن يشاركني القارىء فيها .

قال لي : كان ينبغي عليك أن تذكر في كتابك « المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر » الشعراء السوريين أو الدمشقيين في مدرسة يحق لها أن تسمى « المدرسة الشامية في الشعر الحديث » وعلى رأسها الشاعر خليل مردم بك .

وبعد أن بسط رأيه استشهد بتصنيف الثعالبي في «يتيمة الدهر» وأنه ـ أي الثعالبي ـ عرف الطريقة الشعرية الشامية وأشار اليها في القسم الأول من يتيمته ووصفها بأنها الطريقة المثلى وخص شعراء الشام بالاعجاب وفضلهم عن سواهم من شعراء الأقطار الأخرى لأنهم يكرهون اللفظ الساقط والتراكيب المهلهلة ، ولا يرتضون إلا المعاني الشريفة ذات الألفاظ الشريفة أيضاً .. وأن سائر شعراء العربية لا يصلون الى آفاقهم ومراتبهم لأنهم وحدهم وفروا لبيانهم الرفيع عنصري الشعر الرئيسيين :

- المعنى البليغ
- التعبير الفني المصقول

قال الثعالبي في اليتيمة : «والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولاسيما أهل الحجاز .. وسلامة ألسنتهم .. جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة .. انبعثت قرائحهم بالاجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام وأبدعوا ما شاؤوا» أ . هـ . أما أكثر الباقين فلم يكن في شعرهم غالباً سوى أحد هذين العنصرين فبعضهم من شعراء المعاني مثل أبي العتاهية الذي وفر لشعره جمال المعنى ولكنه أخلى ألفاظه من عنصر الصقل في مثل قوله الشهير المتداول :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أي مفسدة

وبعضهم شعراء ألفاظ وأنغام وأوزان كابن حمديس الصقلي القائل :

نثر الجو على الأرض برد
أي در لنحور لو جمد
لؤلؤ أصدافه السحب التي
انجز البارق منها ما وعد

بينما يمتاز أكثر الشعراء الشاميين بدءاً من البحتري وأبي تمام وديك الجن والعتابي وعدي ابن الرقاع والطرماح .. وانتهاء بالمعاصرين بعباراتهم الفنية والجمع والتوفيق بين عنصر المعنى الرائع وعنصر اللفظ الجميل .

### مدرسة الوصف الشامية الحديثة

كان الحديث حاراً ومنفعلا ، وكنت أعلم أنه يريد أن ينقلني الى «مدرسة الوصف الشامية الحديثة» لأن والده خليل مردم بك رحمه الله رائدها ومثبت دعائمها في الشعر الحديث ، فقد قدم الخليل دراسة موجزة عن «شعراء الشام في القرن الثالث» الهجري حين انتخب عضواً عاملا في المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٢٥ م في رسالة له عن أربعة شعراء شاميين هم : العتابي ، وديك الجن ، وأبو تمام ، والبحتري ، نشرها في العام نفسه . وكأنما أراد أن يجعل باكورة أعماله الأدبية اعترافاً ضمنياً بالجميل الى أولئك الذين استقى من معينهم الثر في رحلته الطويلة في عالم الأدب والشعر ولم يكن أتم الثلاثين من عمره آنذاك ، فقد كان معجباً بالبحتري ، وأبي تمام ، والعتابي ، الذين لم تصرفهم العناية بالمعنى عن تجويد اللفظ حتى بلغوا الذروة التي لم يصل اليها شعراء عصرهم ، وانه ليروي في كتابه «شعراء الشام ـ ص ٤٦» أن اسحاق الموصلي سمع أبا تمام ينشد شعراً فقال له :

ـ يا هذا شققت على نفسك إن الشعر لأقرب مما تظن .

ولم يكتف بهذه الدراسة للتعريف بالطريقة الشعرية الشامية فى القرن الثالث بل أراد أن يأتى بشواهد أخرى لشعراء شاميين عاشوا فى عصور مختلفة ولم يرزقوا شهرة أبى تمام ، والبحترى . ومع هذا كانوا فحولا ومن صياغ اللفظ الذين يوفقون ما بين المعانى والألفاظ .. ووقع اختياره على سبعة شعراء شاميين لم تحظ دواوينهم حتى سنة ١٩٤٤ م بعناية الباحثين ومنهم من لم يعثر له على ديوان مخطوط كعدي ابن الرقاع وبعضهم لم يبق من شعره سوى مقطعات متناثرة فى بطون الكتب الأدبية والتراجم .. فصنف كتابه «الشعراء الشاميون» الذى طبع مرتين ببيروت درس فيه شعر عدي ابن الرقاع ، والوليد بن يزيد ، والطرماح بن عدي وعبد الرحيم الحارثى ، وابن حيوس ، وابن الخياط ، وابن عنين . ذلك أن عاطفته نحو الشام قوية وهو الشامى الأصيل المغرم بتاريخ الشام وطبيعتها وأمرائها ، وتراجم أعيانها ، وسيرهم فكان الشام لديه قصيدة متميزة من حر الشعر ودمشق فيها بيت القصيد ولذلك صنع كتابه .

ثم سار فى وجهة أخرى إذ قرأ لسان العرب لابن منظور ، ومعجم الأدباء لياقوت ، والأغانى للأصفهانى ، وأمهات الكتب الأدبية ، وتكبد العسير الجليل للوصول الى الدواوين المخطوطة فى مكتبات أوربة ، وانكب على تحقيق دواوين ثلاثة شعراء شاميين وأخرجها الى النور ، وطبعها كلها مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمى العربى سابقا) وهى : ديوان ابن عنين القائل فى حنينه وتشوقه الى دمشق سنة ٥٥٧ هـ التى ولد بها (٥٤٩ ـ ٦٣٠ هـ) وكان منزله قبلى الجامع الأموى :

حنين الى الأوطان ليس يزول
وقلب عن الأشواق ليس يحول
دمشق فبي شوق اليها مبرح
وإن لج واش أو ألح عذول
ديار بها الحصباء در وتربها
عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل
فيا حبذا الروض الذى دون عزتا
سحيراً اذا هبت عليه قبول

ونشر الديوان عام ١٩٤٦ م ، وديوان الشاعر ابن الخياط ١٩٥٨ ، وديوان ابن حيوس ١٩٥١ م أما ديوان الخليفة الأموى الوليد بن يزيد فقد أتلف وزهد الرواة بحفظ أشعاره تزلفاً من خلفاء بنى العباس ناهيك عن غزوات التتار وإحراقهم المكاتب العامة فاكتفى بدراسته فى ٤٦ صفحة جمع فيها كثيراً من شعره ، يقول الدكتور سامى الدهان فى مقدمة ديوان خليل مردم بك : «وصدرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كل



احمد الصافي النجفي
شهادة ادبية فى حق الخليل

مقدمة منها خمسين صفحة .. لو جمع بعضها الى بعض ولو جردت من صدور الدواوين لكانت تاريخاً للأدب فى الشام .. وظل الخليل يعكف على هذه الطبقة المختارة من الشعراء يغذيها بقراءاته وبحوثه وجهوده فى جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر فى الشام حتى القرن السابع .. ولو قد مد الله فى عمر الفقيد لعمد الى طبع ابن منير الطرابلسى ، وابن القيسرانى ، وقد حدثنى عنهما وأطال الشوق الى اخراجهما فوفر لهما النسخ والمصادر ولكن المنية بالمرصاد ...»

وبعد أن حددنا سمات المدرسة الشامية وتاريخها شرع محدثى الشاعر عدنان يؤرخ لظهور المدرسة الشامية الحديثة أو المعاصرة فقال :

إن صاحب المدرسة الشامية المعاصرة والذى ثبت دعائمها هو الشاعر خليل مردم بك فقد أقام لها أسساً ثابتة تتجلى فى تركيز الشعر على عنصر الوصف وتقصى أبعاد الصور واللوحات والمشاهد ، فالوصف هو غرضه الرئيسى كما فى قصيدته «لطيف» ، وما قرأت قصيدته «الضحية» إلا اقشعر بدنى وفيها وصف للجزار يشحذ سكينة ويهوي بها على الكبش دونما رحمة كأنه ذئب ضار . أما الناحية الفنية فقد كان أسلوبه مشرقاً فى وصف الطبيعة الضاحكة (الشمس ـ البحر ـ الغوطة) كما فى قصيدتيه المشهورتين «فراشتان» و «حمامتان» والجامدة كما فى قصيدة «نهر بردى» وفيها قوله :

يا من رأى نهراً قد انشأت يده
بحراً يموج بأشجار وأدواح
يريك فى جريه من مائه صوراً
تبدو على ثبج منه وضحضاح
يختال فى موكب جذلى بلابله
يحكى بشاشة أعراس وأفراح

ثم جاء بعد تأسيس مدرسة الوصف الشامية من سار على منواله مثل الشاعر أنور العطار الذى أخرج ديوانه «ظلال الأيام» حافلا بمعانى الوصف وصف الطبيعة والأنهار والرياض وبردى والغوطة والخريف ..

## أحمد الصافى النجفى وأديب مظهر

قلت : ولكن الذى استطاع أن يوصل «مدرسة الوصف الشامية» الى أقصى غاياتها هو محدثى الشاعر عدنان مردم بك فى ديوانه «عبير من دمشق» ١٩٧٠ م و «نفحات شامية» ١٩٧٩ م ومسرحياته الاثنتى عشرة التى كتبها خلال خمسة عشر عاما .

قال لي : أنا أقدر الشاعر أحمد الصافى النجفى «١٨٩٧ ـ ١٩٧٧ م» كان من أصحاب أبى خليل مردم بك وكان يحب شعره ، أتى الشام قبل سنة ١٩٣٠ م وبقى فى جامع الخياطين بدمشق عشرين سنة ، وكانت وزارة الأوقاف السورية أعطته غرفة فى جامع الخياطين المذكور ليقيم فيها ، وأول ما تعرفت عليه عندما كان ـ أى الصافى ـ خارجاً من المستشفى الوطنى بدمشق بصحبة والدى ، فقد جاء من ايران مريضاً منهكاً وبقى شهراً بالمستشفى الوطنى بدمشق ، ثم تعرف بالمسكية (المسكية : سوق الكتب الدينية القائم على مدخل الجامع الأموى بدمشق) على الشيخ ياسين عرفة ، وهذا بدوره عرفه على كثير من الشعراء الشاميين ، وكان أبى الخليل أول من حباه بمعروفه ورعايته ، وكتب النجفى يومذاك مقالة انتقد فيها الشاعرين الكبيرين محمد البزم وشفيق جبرى رحمهما الله وقال : «لا شاعر فى سورية إلا خليل مردم بك» وهذه شهادة أدبية لوالدى .

ثم انتقل الى الحديث عن الشاعر اللبنانى أديب مظهر «توفى عام ١٩٢٨ م» وصحبته الخليل فقال : هناك شاعر رمزى كبير هو الطبيب اللبنانى أديب مظهر طبيب أسنان . كان صديقاً وفياً لوالدى فى العشرينات وكان الخليل فى تلك المرحلة الصوت الشعرى الأول المندد بالانتداب الفرنسى على سورية ثم تلاه صوت الشاعرين محمد البزم وشفيق جبرى فى الثلاثينات لأنهما من قبل كانا يخافان من التسريح من الوظيفة ، وعندما كتب البزم قصيدته المنددة بالانتداب ومطلعها :

غادر ويمم دار سلطانا
على السويداء لا تحفل بمن دانا

وهى فى تأييد الثورة السورية عام ١٩٢٥ م نشرها باسم مستعار (شاعر عربى كبير) حتى فى «ديوان الثورة» الذى طبعه ياسين عرفة سنة ١٩٢٧ م ولم يصرح فيه باسمه ، أما أبى فكان الفرنسيون يحقدون عليه بسبب أنه عاصر

# الشاعر عدنان مردم بك يتحدث عن أبيه الخليل ومدرسة الوصف الشامية

حكومة الملك فيصل بسورية وولي لها ديوان «تمييز الرسائل» والكتابات فيه باللغة التركية فكان لوالدى الفضل فى تعريب هذا الديوان، إذ صنع مع حكومة الملك فيصل مدرسة للتدريب على كتابة الرسائل باللغة العربية بدلا من التركية وعمره لا يجاوز الثانية والعشرين. وقد ذكر ذلك فى احدى رسائله الى المستشرق الانكليزى مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠ م)، وكثرت قصائد والدى المنددة بالانتداب واثارة الشعب عليه ورددتها دمشق، ولما قامت الثورة السورية ١٩٢٥ م وقام اللهب والحريق والقتل فى جنبات الغوطة الغناء ورحاب الفيحاء، وقصف الفرنسيون دمشق بالقنابل أطلق الخليل عاصفته الشعرية المدوية التى تناقلتها المجالس ونشرتها الصحف وفيها فضح لجرائم الانتداب وتصوير دقيق لطوفان النار الذى أتى على عاصمة الأمويين:

باتت دمشق على الطوفان من لهب
يا ويح قلبى من خطب يكابده
موج من النار لا تهدا زواخره
يمده آخر ما ارتد وافده
فى كل زاوية رام ومن نفروا
شيباً وحوراً وأطفالا طرائده
أما دمشق فلا ترجو لنجدتها
سوى فتاها الذى شاعت محامده

وصمم الفرنسيون على الزج به فى السجن فهرب الى بيروت وفيها استقبله الشاعر أديب مظهر وخبأه بقرية «المروج» وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه، فصنع له أديب مظهر جواز سفر ويسر له الفرار الى الاسكندرية ١٩٢٦ م، وبالاسكندرية وحلوان لقى شاعر الشعب حافظ ابراهيم وكتب عنه مقالين فى مجلة المجمع العلمى عام ١٩٥٦ م، ومن مصر قصد جامعة لندن وتخرج بشهادتها، وعندما سمع بوفاة الشاعر مظهر فى أب ١٩٢٨ م أسف عليه كل الأسف ونال منه الحزن كل منال.

## سلام على دمشق

وفي تموز ١٩٢٩ م عاد الى دمشق فحيا مسقط رأسه بقصيدته المشهورة «سلام على دمشق» بعد نزوح دام ٤ سنوات ونيف:

تراءت لي دمشق فقمت أرنو
فرد رواؤها بصرى كليلا
ووافاني القريض وكان حينا
إذا استلهمته كزاً بخيلا
رمت بي عن دمشق نوى شطون
غداة أشارف الحدث المهولا
نقمت من الأولى احتلوا حمانا
مدافعة الحقيقة والنكولا
ألح علي حب الشام حتى
رجعت الى الحمى نضواً هزيلا

وعاد الى مقارعة الفرنسيين فكتب عام ١٩٣٠ م قصيدة «يوم ميسلون» مجد فيها روح الشهيد يوسف العظمة وأمثاله وهى اليوم تدرس في كتب المرحلة الثانوية بسورية:

أدال الله (جلق) من عداها
وأحسن عن أضاحيها عزاها
فكم حملت عن العرب الرزايا
كذاك الأم تدفع عن حماها
أيوسف والضحايا اليوم كثر
ليهنك كنت أول من بداها
غضبت لأمة منها معد
فأرضيت العروبة والالها
مصيبة ميسلون وان أمضت
أخف وقيعة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق إلا
تمثل ميسلون وما تلاها
فسل عما تصبب من دماء
تخبرك الحقيقة غوطتاها
ولم أر جنة أمسى بنوها
وقود النار فائرة سواها

وفى عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م وضع النشيد الرسمى السورى وصف فيه ربوع الشام بأنها معقل العرب وعرش الشموس تزهو بنفوس أبنائها الأباة ذوى الماضى المجيد:

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام
عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

## الطبيعة والناس البسطاء

والحقيقة أن محدثى عدنان مردم بك تأثر بمدرسة الوصف الشامية التى أرسى والده الخليل دعائمها المعاصرة، وهو المحب له المقدر لجهوده العلمية والأدبية المتتلمذ على يديه .. ولكنه سار الى آخر الشوط فتعمق أسرار الوصف الشعرى ودقائقه وتحدث عن شؤون لم يسبق اليها فى وصف الطبيعة الجميلة الوادعة: البحر والشمس والقمر والثلج والغوطة .. والطبيعة الغضبى فى الصحراء والمحل والنار والمستنقع .. وأولى عنايته بالشئون الدمشقية الصرف وجعل لكل منها قصيدة مثل «ليالى رمضان» و «الليل فى دمشق القديمة» و «أسوار دمشق» .. ووصف الحرفيين الدمشقيين: الخباز ـ الجزار ـ الحطاب ـ الحائك ـ الخزاف ـ الحمال .. يقول فى ديوانه عبير من دمشق (ص ٩٩) يصف صانع الزجاج (وكانت بدمشق معامل تصنع الزجاج على الطريقة اليدوية المعتمدة على النفخ بالفم):

وتدور في كفيه طابات
تشعشع بالشهاب
وكأنه من صدره
يوري التهاباً فى التهاب
مازال يصقل دائباً
بتريث كتل التراب

وصف «بائع الصحف» يوم كان يدور على الناس بالجرائد، و «بائع الصبارة» أمام طاولته يبيع الناس .. ذلك كله تجلى فى ديوانيه «عبير من دمشق» ١٩٧٠ م و «نفحات شامية» ١٩٧٩ م.

ونالت الطبيعة الحية والجامدة بألوانها وسماتها من شعره فوزها العظيم سواء كان ذلك فى وصف الأمكنة التاريخية فى بلاد الشام مثل قصيدة «قلعة الحصن» و «تدمر التاريخ» أم فى وصف متنزهات دمشق الطبيعية كالربوة ودمر والنيربين والغوطة فى الربيع .. يقول فى قصيدة «الغوطة» من ديوان عبير من دمشق (ص٢٩):

عجبى لها من جنة أبوابها
للوافدين على المدى لا تغلق
الغوطة الخضراء ما من حاجب
يزع المشوق حيالها أو يرهق
أبوابها للوافدين تفتحت

حافظ ابراهيم
التقى بالشاعر فى الاسكندرية



احمد شوقي
ياتي الخليل من بعده فى المسرحيات الشعرية



فاذا الجموع ببابها تتدفق
والدوح مثل غمائم عصفت بها
ريح فراحت بالجناح تصفق
طابت منابت تربها وتالقت
عن كل زاهرة تروق وتعشق
وازاءها ماء يشوق كتابه
فيه الفخار مدبج ومنمق
سطر الفخار بهن كل عظيمة
عن غابر بشذا المكارم يعبق
بردى نشيد خالد عن غابر
تاه الزمان به وعز المشرق

وصف الفولكلور الشامي مثل سهرات الأسرة الدمشقية والمتحلقين حول النار في الشتاء ، بائع العرقسوس ، الباعة الذين يعيشون على هامش الحياة يتكسبون ببيع الصبارة أو العرقسوس أو شي الذرة .. وكان يمزج في وصفه ماساة المعذبين في الأرض مع وجدانه الشاف فيخرج الشعر ملوناً باصباغ العاطفة وبدائع الحكمة .. حتى أن الشاعر المسرحي المصري المعروف عزيز أباظة أرسل اليه يقول : «أشهد صادقاً انك بصف اخوانك شعراء الوصف الشاميين المبدعين أبي تمام والبحتري .. اتيت في قصيدتك بائع العرقسوس بشيء معجز ..» وقد نشرت هذه الرسالة في مجلة الأديب البيروتية .

ولكن الأجمل من هذا وذاك افتتاحيات دواوينه التي استهلها بقصيدة في مناجاة الله على طريقة والده الخليل ، يقول في قصيدة «الله» مطلع ديوانه عبير من دمشق :

(زحل) يسبح في مطالعه
لعلاك في شغف كمبتهل
والبحر يجار غير متئد
بدعائه في فحمة الأصل
والشمس أيتك التي سطعت
أياتها بالحق من أزل
قسماتها فتن تطالعنا
حار الأديب بها كمختبل
والكون مرآة طلعت بها
وجلوتها بالصقل عن خلل
سويت حين قضيت عن قدر
بين الورى بنوازع الأجل
الناس ما عاشوا النيام فان
ماتوا استفاق القلب عن خبل
سبحانك اللهم ما فتئت
زلاتنا وقفا على المقل

ولشاعرنا عدنان مردم بك اسهامات كبيرة في اغناء المسرح الشعري المعاصر دفعته الى مراتب متقدمة بعد أمير الشعراء أحمد شوقي ، والتفصيل في هذا الجانب من الفن المسرحي الشعري يحتاج الى دراسات مفردة نامل أن يقوم بها النقاد .

الدكتور نسيب نشاوي
سورية

# رسالة إلى شاعر

بشرى ناصر



ناظم حكمت
اغنيات مليئة بالمرارة

صديقي ناظم حكمت :

تؤلم ذاكرتي حروفك المكتوبة .. تلك الحروف النظيفة والنابضة ..

وما تزال القصيدة التي تستعصي على الحزن وتاخذه تحضرني .

وما أزال ابحث عنك حين تسقط اغنياتك الطافحة بالمرارة على برودة القلب فتغطيها بالارتعاشة وتتسلل الى حدائق الشاعر .. تماماً كالأنسام التي مازالت تعبق برائحة الطين والذكريات القديمة .

يا عزيزي : ها انا أبحث عنك في السجون التركية .. علني اجد حرفاً متعلقاً باصرار على الجدران .. اصرار نادر يشبه ذاك الذي يسكنك .

أطالع الباخرة التي اسلموك الى مراحيضها والتي يعلوها الوسخ الى متر ونصف .

انظرك تتقزز وتتقيا امعاؤك .. وانظرهم ينتظرون ان تستفرغ اعترافاً أو لحظة تداع واستسلام .

يريدونك ان تكون تعيساً .. وتريد أن تانف تنطلق اغنياتك من حنجرتك كعصافير ملونة .

وحين تقرر نفيك ، كنت تعرف جيداً انك في طريقك الى الحضن الدافىء الذي ستنعم فيه تجربتك الشعرية .

اذكرك حين قلت « أنا أؤمن بمستقبل الشعر .. أؤمن لأني أحيا في بلد يشكل فيه الشعر اكثر مقتضيات الروح لزوماً وضرورة ... »

تتحدث عن الشعوب وما تتحمل من آلام ومتاعب .. تمنحها صفة ولغة يصعب أن يتحدثوا هم فيها ..

لانك تعيش معهم بعقلك وروحك .. تراهم يفدون إلى السجون بتجمعات كبيرة .. يتنازلون عن رغبتهم في التبغ مقابل لقمة خبز .. يقدمونها لهم كوجبة واحدة يومياً .

تنقل إلينا اخبارهم .. وما أوصلهم الجوع إليه .. يلتقطون الحشائش من الأرض — يقربونها من أفواههم — يمضغونها — يقتلعون كل الحشائش تباعاً — ثم صاروا يسيرون على أربع كالدواب .

ها انت ياصديقي تغادر حظيرة الحياة .. ومازالت الأرض محملا للأموات والشحاذين والجوعى والوحوش المفترسة

لم تكن تكتب قصائد متعالية .. بيروقراطية ترتدي القفازات الطويلة .. وتدخن السيجار .

كل قصائدك تجلس بين الفقراء والمنهوكين تقاسمهم الحزن والجوع .

أردت ان تجعل من الوريقة الساقطة
قصيدة
أو وصية
أو املا أخضر

كي تواصل حياة الولادة كل يوم .

والآن .. انتظر أن يعود الزمان طفلا .. كما حلمت وحملت بقلبك الذي كلوزة مقشورة ..

استودعك وفي مجلس الأوراق والدفاتر لك مكان .. وهنا في الخافق لك أرض يلبسها الدمع وتفرش الكآبة لها بساطاً وتستريح .

# محطات

بقلم : عبد الله الشيتي

● صعدت إلى قمة الجبل ، وأطللت على جمهرة الناس ، فاذا هم من فوق فى حجم أسراب النمل .. يدبون على الأرض .

وأمس ، راقبت نملة ، راحت تجاهد حبة قمح ، تروم جرها واختزانها فى « بيت المؤونة » إذا مادهمها الشتاء ، وبدت لعيني انها فى عنادها واصرارها أضخم من .. الجبل !

● قرأت أن الحب يجعل الزمن يمضى ، وان الزمن يجعل الحب يمضى . وفى التجربة ، هناك نقيضان - تعقيباً منى على هذه المقولة - هى أن الحب يبقى ثابتاً حيث هو ، وكذلك الزمن ، فانه يدور حول نفسه ..

أما الذى يمضى ، فهو قطار العمر وحده .. والعمر محطات . ما أتعس واحدنا إذا فاتته « المركبة » الأخيرة من القطار ..

● تأمل فى هذه النتيجة الطبيعية ، وتبسم أو تألم : « الفتاة التى تحبها تملكها ، والفتاة التى تتزوجها تملكك !

مبروك ... !

● لم أعرف ماذا يعنى المثل القائل « باب النجار مخلع » إلا عندما زرت بالأمس قريبة لنا زوجها دكتور مشهور فى عالم الأطباء . كان ابنها مريضاً يعانى ، وسألتنى قريبتنا إذا كنت أعرف « طبيباً » يعالج ابنها . فلما استغربت وأنا اتساءل : أين أبوه .. قالت : مشغول مع المرضى ..

● فى رأيى أن الحب مرض خطير مدمر . أما الشفاء منه ، فمزيد من .. الحب !

● إذا كان الحيوان متوحشاً ، فان الانسان - أحياناً - أكثر وحشية .. الحيوان يكتفى فى يومه بوجبة واحدة يسد جوعه ، أما الانسان فلابد له من وجبات خمس .

أعرف صديقاً « صياداً » ربى على يده عصفوراً جميلا فى قفص ، وذات يوم جاع ، ولم يكن فى « ثلاجته » ما يأكله . وبدون أن يدرى ، امتدت يده بالسكين إلى نحر العصفور الجميل ..

● ساسة العالم عقلاء أغرقوا الدنيا فى بحر من القتل والدمار والجنون ..

ماذا لو أن المجانين حكموا هذا العالم .. الن يكون اكثر هدوءاً ومحبة ورحمة ..

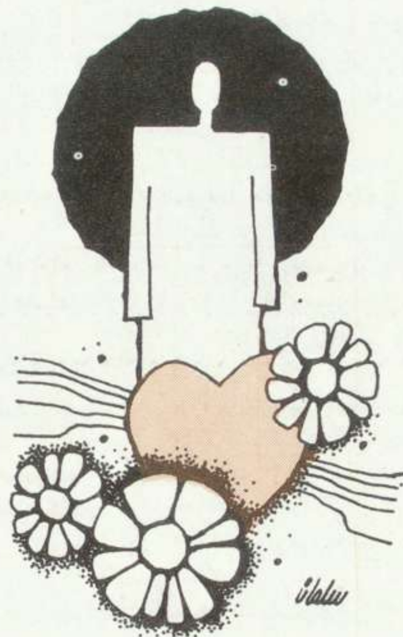
● ما أبدع ريشة أمين نخلة فى هذه الصورة النثرية من « مفكرته الريفية » :

تسأل الزهرة الشمس : كيف أستطيع أن أتعبدك .. فتجيبها : بنقاوتك وصمتك ..

● ظل يحارب المرأة سنوات عمره ويعتبر نفسه عدواً لدوداً لها .. ويوم شعر بالتعب وأراد أن يرتاح ، تزوج ..

● عاش عمره يحلم أن يكون غنياً وأن يمتلك ثروة طائلة ، ويوم تأتى له ذاك راح يبحث عن طرق انفاق المال .

● الفلسفة فى جملة واحدة : الموت ليس مشكلة ، الحياة هى المشكلة !



# أريد زوجة

## قصة بقلم:
## عبد الوهاب داود

الحركة الدائبة فى مصنع تعبئة الأرز ، لا يتتبعها مراد بعينية ، انما بخفقات قلبه فالمصنع هو كفاح عمره وثمن شبابه الغض الذى لم يعرف اللهو ، أو حتى الترفيه البرىء عن النفس .

فى ذلك المساء لم يكن مراد مهتماً بما يدور فى المصنع .. كان اقل احساساً بالزهو والتفوق وهو يتامل شارداً حماس العمال فى تعبئة الأكياس النايلون ، ولصقها ثم اعدادها للتحميل فوق العربة اللورى ، التى كانت تنتظر خارج المصنع .

كانت هناك مشكلة تعكر صفوه .. مهمة شاقة سيقوم بها هذه الليلة .. مهمة حساسة كما يعتقد ، مهمة لا يتحمس لها كل احد .. فالذهاب الى أسرة فتاة لخطبتها ليس بالأمر الهين .. خاصة وهو لا يعرف الفتاة ، ولم يسبق له رؤيتها من قبل ..

وسعل خافتاً عم يوسف مدير مصنعه الذى الذى كان يقوم بمهمة الخاطبة هذه الايام ، وهو يتامل وجه مراد الصعيدى الجامد القسمات ، وقد أكسبه النجاح والثروة مظهراً مهيباً جذاباً .. ثم ابتسم عم يوسف مقاوماً شعوراً جارفاً بكسرة النفس والخاطر ، شعور معظم الفقراء نحو أولياء نعمتهم .. ثم قال :

- هم ناس بسطاء يا مراد بك .. على قد حالهم .. فتوكل على الله .. ولا تتردد ..

ولم يدر أن ملحوظته هذه التى قصد بها أن تبدو عابرة مطمئنة ، هى نقطة الضعف فى الموضوع كله .. فقد كان مراد يتمنى زوجة من أسرة كبيرة .. ذات جاه ومنصب ومال .. لذلك أجاب غير مستريح النفس ، وهو يتململ فى جلسته .

- سوف نرى ..

ثم عاد يسأله بعد لحظات وهو يقف متظاهراً بعدم الاهتمام .

- هل تقول انها طيبة ؟

أجاب عم يوسف فى حماس وهو يضم ركبته الى بعضهما تزلفاً .. قائلا :

- هى كذلك .

ثم اسرع موضحاً ، وهو يتامل مراد بقوامه الفارع يتصوره عملاقاً لا يقف امامه عائق :

- ولكنها لا تمتلك عيادة خاصة .. أو سيارة ..

وأراد أن يشرح له المزيد .. فقال وهو يخرج فى اضطراب منديلا من جيبه دون حاجة اليه :

- تقاليد الأسرة المحافظة لم تسمح لها بذلك .. بالكاد سمحت لها أن تكون طبيبة موظفة .. والأمر مرهون إليك مستقبلا ..

ولم يجب مراد ، أكتفى بايماءة ملولة .. ثم شرد يجتر احلامه فى زوجة فاتنة شقراء .. شديدة الاعتزاز بنفسها .. ثم استدار الى عم يوسف لائماً ساخراً :

- الم تجد فى السوق عروساً خيراً من تلك ؟

أجاب عم يوسف فى ثقة وحماس :

- هى جميلة جداً .. وشقراء كما تحب ..

- كم عمرها قد نسيت ؟

- عشرون عاماً ..

قال مراد وهو يعلم أنه لا يقول الصدق .

- كنت أودها أكبر قليلا .. لتتناسب مع عمرى ..

تحمس عم يوسف فجاة .. قائلا :

مازلت يامراد بك شاباً تحلم بك الفتيات .. المراهقات

قال مراد ضاحكاً فى امتنان :

- اعتمدنا على الله ..

لم تكن المرة الأولى التى يذهب فيها مراد لخطبة فتاة .. كانت قد تكررت مثل هذه التجربة فى حياته عدة مرات ثم تدخلت ظروف واستجدت أمور لم تكن على بال ، فلم يكتمل المشوار .. وكان مراد يدرك أن معظم تلك الظروف كانت من جانبه هو .. فهو يعلم أن التردد - وهو آفته - كان العامل المشترك فى هذه الأسباب .. وكانت الرغبة فى بناء نفسه تسبق أولا كل الاحلام والامنيات .. وتحولت تلك الرغبة الدفينة الى إرادة لا تقاوم ، لم تتولد عنده من فراغ ، كان يتمثل أباه وهو يشكو الحياة .. وكيف شغلته أمور الاسرة عن السعى وراء المال .. وكانت سبباً فى عزوفه عن المخاطرة والمغامرة .. والثراء .. قانعاً بالوظيفة الحكومية ، يصعد درجاتها فى صبر وأناة .. تعرف قدماه الطريق .. وكأنه يسير معصوب العينين وسط قطيع من الموظفين لا يبدو له أول من آخر ..

استرد مراد بك بتلك الذكريات ثقته بنفسه .. والتفت الى عم يوسف مردداً :

- على بركة الله ..

قال عم يوسف فى لهجة غريبة مقصودة .. محاولا أن يضع الفتاة فى اطار جميل جذاب :

- كل ما أدعوه أن تقبل الفتاة هذه المرة

تساءل مراد فى عزة واستنكار :

- ولماذا لا تقبل ؟

أجاب عم يوسف مستمرئاً ذلك الاهتمام المفاجىء .

- تقدم اليها الكثير من قبل .. ولكنها رفضتهم جميعاً بأعذار واهية .. غير مقبولة .

قال مراد بعصبيته :

- لابد أنها تحب رجلا معيناً ..

واسقط فى يد عم يوسف ، فانبرى مدافعاً :

- لم يحدث .. انها تعرف ربنا جيداً .. تصلى وحدها طوال الليل .. وتعتقد أن الزواج سوف يعطلها عن صلاتها .

تساءل مراد ساخراً .. مزهواً بنفسه :

- ربما لم يتقدم اليها الشخص الذى تتمناه فى خيالها ..

# أريد زوجة

ثم فى لهجة أكثر غروراً وقسوة :

ـ الرجل الذى يملأ عينيها ..

وابتسم عم يوسف عن فم خـاوى الاسنان .. يطرى خفة ظل مـراد :

ـ سوف نرى ..

صاح مراد فى ضيق :

ـ سوف نرى .. ماذا سوف نرى ـ ؟

وانتظر قليلا .. ثم وقف .. قائلا .. آمراً . هيا بنا

فى العربة « البويك » الفاخرة ، جلس خلف عجلة القيادة مراد .. وهو يهمس إلى نفسه مقتنعاً .. « حقاً قد آن الأوان ان تخذ لى زوجة وافتح بيتاً .. فعلا قد آن الأوان يا مراد » ثم اختلس نظرة الى وجهه فى مرآة العربة الصغيرة .. ثم سوى بسرعة شعيرات راسه البيضاء .. فتذكر انه لم يستبدل بدلته منذ أسبوع مضى .. ولم يحلق منذ يومين .. فكر فى أن يعرج اولا الى بيته ليغتسل ويصلح من شان مظهره ، ولكنه خشى أن يتاخر كثيراً عن الموعد .. فتوكل على الله .. غير عابىء بشىء .

هبط عم يوسف من العربة أولا .. وانتظر واقفاً حتى اوقف مراد المحرك وخرج متثاقلا .. متسائلا فى ازدراء :

ـ هنـا ـ ؟

اجاب عم يوسف وهو يتقدمه .. فى لهجة توحى بالصبر :

ـ أتفضل يا مراد بك ..

وتبعه مراد فى غير حماس .. صدمته مظاهر الفقر والقذارة والزحام ، وتطل من محلات البقالة الصغيرة المتواضعة .. وتبدو من محل العجلاتى الذى علق على الحائط بعض الدراجات القديمة الكالحة تستريح بعد يوم طويل شـاق ملىء بالسباب .. كما تطل من ذلك المقهى الذى يحتل الناصية .. وتسمع منه « كركرة » الجوزة .. وصوت الملاعق الالمنيوم وهى تصطدم فى جوانب الأكواب ، تذيب السكر فى الشاى الأسود الثقيل ...

همس مراد بك الى نفسه متعجبـاً فلابد أن يوسف قد جن بلا شك .. كيف يقودنى لاتزوج من هذا الزقاق .. وبدأ يخطو من خلفه فى استياء شديد .. يكاد يدق يداً بيد أسفاً .. عم يوسف فقد عقله حقيقة ..

كان مدخل العمارة القديمة غارقاً فى الظلام .. تتحسسه بصعوبة الأقدام ، ولا ترى العين درجاته التى تاكلت من كثرة الدبيب عليه صعوداً وهبوطاً نصف قرن من الزمان ..

تساءل مراد دون ارتياح ، وهو يستند بيده على سور السلم الحديدى الذىاعتراه الصدأ والتراب :

ـ إلى أى طابق ستصعد يا يوسف ـ ؟

فاجابه بسرعة يطمئنه ويزرع فى قلبه الصبر .. قائلا .. مهونا :

ـ الأول .. الأول باذن الله ..

تذكر مراد فى الحال نلك القصر الذى دخله ذات ليلة منذ عشرين عاماً ، وهو فى عز رجولته ، ليخطب إحدى ربيبات الصون والعز والعفاف .. وتذكر كيف كانت الثريا ليلتها داخل القصر تضىء شارع العروبة فى مصر الجديدة .. بل تضىء القاهرة نفسها .. فاحس بالحسرة والندم انه لم يمض ايامها فى إجراءات ذلك الزواج ، بحجة انه لم يبن نفسه كما ينبغى ، وانه سوف يجد فى المستقبل من هى اكثر من تلك العروس جمالا وعزاً وجاهاً ..

وقف مراد أمام باب شـقـة العروس لحظات ، ريثما سمح لهما ـ هو ويوسف ـ بالدخول كان مراد يشعر بالسخط الشديد على يوسف ، الذى لم يعـرف ابسط ما يتمناه فى زوجة المستقبل ..

اجتاز مراد ومن خلفه يوسف صـالة واسعة ، خافتة الضوء عن قصد ، حتى لا ترى عين الغريب ما لا يجب أن تراه .. وسارا كانهما يتبعان خطاً مرسوماً قادهما مباشرة إلى حجرة الصالون ، فلا تقع عيناهما على غيرها من حرمات البيت ..

جلس مراد ووضع ساقاً فوق سـاق ، ينتظر قدوم من يرحب به ، غير هياب أو وجل ، فلم يعد حريصاً أن يبدو للعروس فى احسن حالاته حليق الذقن .. انيقاً .. معطراً .. ثم اشعل سيجارته راضياً عن نفسه مطمئناً ، كان ينتظر رفع الستار عن تمثيلية لا يهمه كثيراً رؤيتها ..

واخيراً دخلت سيدة عجوز ترتدى السـواد .. تقدمت منهمـا خطوات ، وصافحتهما ، ثم وقفت مترددة حتى اشار لها مراد ـ رحمة بهـا ـ أن تجلس ..

فجلست بعيداً عنه ، ترحب به فى ضوء خافت لايكاد يسمح بالرؤية ، والتفت مراد إلى مدير مصنعه فى نظرة ذات معنى ..

فتقلص الرجـل ، وضم ركبتيـه إلى بعضهما متخوفاً العـواقب .. وكانه يتوسل الى سيده بأن يتريث ، فلا يتسرع فى أحكامه ..

ثم لم تمض دقائق حتى انقلب ذلك الفتور رأساً على عقب .. ولم يعـد هناك رابط بين اللحظة الماضـية واللحظـة الحاضرة .. اهتزت كل الأشـياء فجاة .. وارتج على مراد وهو يتامل قمراً يهل عليه من الصالة ، ويدخل اليه فى ثبات واعتزاز .. حاملا صينية من فوقها بدت اقـداح ملونة .. مجهولة الاسـم والصنف .. والهوية ..

التفت مراد بسرعة إلى عم يوسف ، الذى اكتفى بان أغلق عينيـه .. كانه يقول له فى عتاب الم اقل لك يا مراد .. بانك سوف ترى ـ ؟

هب مراد من جلسته مبهوراً ، لم يكن يحلم انه يصادف هذا الجمال عمره .. وأسرع يتناول الصينية من العروس ، ويضعها على المائدة التى كانت تتوسط الصالون .. ناولته الفتاة يدها فى فتور وكبرياء .. وأسرعت الأم تدعوهـا إلى الجلوس ..

وأدرك مراد بانه مطلوب ـ فى مثل هذا الموقف ـ أن يتكلم ، ويقدم نفسه فى لباقه وألا يجلس هكذا صامتاً كالصنم .. سال العروس عن أسمها .. فاجابت بسرعة .

ـ صفاء ، العمر عشرون سنة .. أعمل طبيبة بالقصر العينى ..

ثم توقفت متسائلة وهى تشعر نحوه بالفتور :

ـ هل هذا يكفى ـ ؟

صاح مراد فى ثقل دم :

ـ يكفى وزيادة ..

وتطوع عم يوسف بالنيابة عن سيده .. فذكر لها ما يملكه مراد من مصنع وعقارات وانه لم يسبق له الزواج من قبل .. وانما بالطبع من أسرة عريقة بالصعيد البعيد .. وانه مستعد لتاثيث بيت الزوجية على أحسن طراز ..

وتدخل مراد فى عظمة وكبرياء ، فاوقف عم يوسف باشارة من يده ، وبدأ يقرر فى

زهو ما سوف يحققه للعروس من حياة رغيدة سعيدة ، وتعهد أن يشترى لها سيارة خاصة ، وأن يؤسس لها عيادة طبية فى وسط البلد .. مجهزة باحدث التجهيزات العصرية وأن .. وأن ..

تأملت العروس مراد وهو يتحدث عن نفسه فى خيلاء وعظمة كمن لا يهمها الأمر استرعى انتباهها الزبد الذى تكاثر على جانبى شفتيه القاسيتين الزرقاوين فى لون الحبر ، أحست بالغثيان .. لم تعد قادرة أن تسمع المزيد .. فانتهزت اول فرصة توقف فيها الحديث ، فاستأذنت فى حزم وغادرت الحجرة ، وتتبعا مرادوجلا ، وكأنها شمس الأصيل قد غربت ، ثم لم تلبث أن لحقت بها الأم تتعثر حائرة ..

تساءل مراد فى قلق :

– لماذا لا تريد أن تجلس معنا .؟

اجاب عم يوسف وهو يخفض من صوته موضحا الأمر ، مهونا وقعه السيء فى نفس الوقت :

– انها خجول كما ترى ..

ثم قطع همسهما تلك المحاولات التى بذلتها الأم فى سبيل اقناع العروس ان تدخل الصالون ثانية .. مرددة فى رجاء :

– أنت أكرم من ذلك يا ابنتى ..

بلا فائدة .. فقد أصرت الفتاة على موقفها ، ثم فقدت صبرها فى النهاية ، فقالت غير حريصة أن تخفض من صوتها ، غير عابئة أن تجرح مشاعر احد .

– انه شيخ مسن .. هرم ..

ثم فى توسل ورجاء :

– هذا ظلم كبير يا امى ..

انهارت آمال مراد .. وانصرف مدحوراً يتبعه يوسف آسفاً حزيناً لما حدث .. كان مراد يتلمس درجات السلم فى الظلام درجة درجة ، وكأنه يمضى أيام عمره الباقية الفانية .. فكر لحظة ان يقول لمدير مصنعه بأن الدنيا لا تهب احداً كل شىء .. ولكنه احجم .. قائلا .. آمراً فى كبرياء أن اكتب يا يوسف فى باب اعلانات الزواج فى الصحف ، إننى أطلب زوجة مقبولة الشكل .. لا يقل عمرها عن خمسة وثلاثين عاماً .. عانس .. أرملة .. او مطلقة .. تقدس الحياة الزوجية ..

عبد الوهاب داود



شـاعـر عـالمي من الأسـكندرية

# كفافيس

## قسطنطين ب. كافافيس ١٨٦٣ ـ ١٩٣٣

القصائد ترجمها عن اليونانية الدكتور نعيم عطية



الشاعر اليونانى كافافيس .. وهب نفسه بامانة وصدق للثقافة والفن

## هذا الشاعر العظيم

« كونستانتين كفافيس » شاعر يونانى ولد بالاسكندرية سنة ١٨٦٣ ، وتوفى بها سنة ١٩٣٣ ، ومازال بيته فى الاسكندرية قائماً حتى الآن ، ورغم ان الشاعر قد استقر معظم حياته فى الاسكندرية ، ولم يخرج إلا فى فترات قصيرة محدودة ، إلا أنه استطاع فى عصره أن يلفت الأنظار إلى شعره الانسانى العميق المتميز ، وقد وصفه أحد الأدباء المعاصرين له هو « جاستون زنانيرى » بقوله « كانت المنطقة التى يعيش فيها بالاسكندرية تعاكس بقبح منظرها جمال بيته الداخلى الممتلىء كتباً. وكان كفافيس يميل إلى التكلم فى التاريخ الرومانى والبيزنطى مضيفاً إلى معارفه العميقة خبرة وأفية فى الفلسفة ، وكان كفافيس معتزلا كالنساك المصريين القدماء . وكان شفيقاً على الناس محباً لهم ، وقليل الوهم والغرور ، يحمل رغائب غير مفهومة من محيطه وآمالا غير محققة ، ولذلك كانت تبدو على شعره فى الغالب مسحة حزينة ، وقد تساءل الناس هل كان كفافيس مؤمناً ، فكل المظاهر تدل على إيمانه ، أجل إنه فى البدء كان ضعيفاً ، ولكن الدين تأصل اخيراً فى قلبه ، وقد كان محدثاً لطيف المعشر يأخذ كلامه بمجامع السامعين لكنه أصيب فى نهاية حياته بداء هائل أفقده النطق فمات أبكم » .

هذه بعض ملامح شخصية الشاعر العظيم

كونستانتين كفافيس ، الذى ما إن مات حتى أخذت شهرته تتزايد ، وأقبل عليه الدراسون فى شتى أنحاء العالم . وأهتم به أكبر النقاد والباحثين فى أهم جامعات أمريكا وأوروبا ، وكفافيس على عمقه هو شاعر بسيط ، ليس فى شعره تعقيد ، كما أنه من الشعراء العالميين القلائل الذين يستطيعون أن يفرضوا روحهم المتوهجة المليئة بالاشعاع الوجدانى والفنى ، بعد ترجمتهم الى اللغات الأخرى ، فكثيراً ما يفقد الشعر تأثيره وقيمته بعد ترجمته من لغته الأصلية ، ولكن كفافيس يظل شاعراً عظيماً فى لغته الأصلية وفى كل اللغات التى تتم ترجمة شعره إليها ، وخاصة إذا اتيح له مترجم متمكن يفهمه ويتذوقه ويحس بعالمه الداخلى العميق المأساوى العذب ... وعلى هذه الصفحات نماذج من شعر كفافيس ، ترجمها عن اليونانية الدكتور نعيم عطية ، وهو أديب وفنان موهوب ، ومخلص ومثقف ، ابتعد عن الأضواء ووهب نفسه بأمانة وصدق للثقافة والفن ، وهو أحد المثقفين العرب القلائل الذين درسوا اليونانية القديمة والحديثة لغة وثقافة ، ومن هنا كانت ترجمته لكفافيس عملا لامعاً ، قد لا يستطيع أن يقوم به فى الأدب العربى المعاصر من هو أفضل منه وما أحوجنا ، فى شعرنا الحديث ، إلى الاتصال بهذا النبع الصافى الانسانى الجميل ، نبع : كفافيس العظيم .

رئيس التحرير

« .. جلست أخيراً والوقت مساء والجو جميل فى شرفة مطلة على النيل فى منزل صديقى الكاتب الفنان الأستاذ نعيم عطية وهو يقرأ لي ترجمة لنص قصائد كافافيس شاعر الاسكندرية المسكين . ما أسهل الكلمات . ما أبسطها . ما أعذبها . المعانى مبراة من التعقيد ومن الشطارة .

ليس المهم فى هذه القصائد ما تقوله ، بل ما تنم عنه ، تحسب أنك تقرأ حكاية من حكايات كل يوم ، عن لقاء عابر ، عن ليلة تضيئها الشموع ، فاذا بما تقرأ هو فى الوقت ذاته خلاصة مأساة الانسان إزاء قدره ، تلهفه على الموت وخوفه منه .. لم أر فى غير هذه الملعقة الذهبية الصغيرة التى يدنيها كافافيس إليك ، بها رحيق يسقيك به مثل هذا البحر الزاخر بالأحاسيس ، عنده كل ومضة شمس ، وكل قطرة عصارة ألف عنقود ، هذا هو الشعر فى بساطته وانسانيته ، أثره عند السامع لابد أن يتصاعد من الاعجاب الى الطرب ، الى اللذة الى النشوة ، ثم الى الهزة التى ترج الروح رجاً ، لتبحر نحو شاطىء يتراءى من بعيد نحو الضباب ، نحو السراب ، لا تدرى » .

يحيى حقى

فى كتابه « أنشودة البساطة » ص ٦٦

## النوافــذ

فى هذه الغرف المظلمة التى امضي فيها اياما ثقالا ، اروح واغدو باحثا عن النوافذ .

عندما تتفتح نافذة سيكون هذا عزاء . لكن النوافذ لا أثر لها ، او انني غير قادر أن أعثر عليها .

ربما كان من الأفضل الا اجدها ، ربما كان النور عذابا جديداً من يدري كم من أشياء جديدة ستظهر .

## أســوار

بلا تحفظ ، بلا حسرة ، بلا حرج ، بنوا حوالي أسواراً ضخمة عالية .

وها أنا أجلس الآن فى يأس ، لا افكر في شيء آخر ، ولو ان عقلي يمزقه ماحدث ، لان علي أن أقوم بالعديد من الأشياء فى الخارج .

آه ، كيف لم انتبه وهم يبنون الأسوار . لكني لم أسمع جلبة بنائين ولا صوتاً قط .

لقد عزلوني عن العالم الخارجي دون أن أشعر .

## أصــوات

أصوات خفية حبيبة ، أصوات أولئك الذين ماتوا ، أو أولئك الذين هم بالنسبة إلينا ضائعون مثل الموتى ، تتكلم فى أحلامنا ، وأحيانا فى الفكر يسمعها العقل .

ومع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد حياتنا الأولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

## الســفين

تشبهه بطبيعة الحال الصورة الصغيرة المرسومة له بالقلم .

انجزت على عجل . كنا على ظهر سفين ، ذات امسية ساحرة ، والبحر الايوني مترامى الأطراف يمتد حولنا .

تشبهه ، لكني أذكره على أي حال أكثر وسامة من صورته .

كان عاطفياً إلى حد المرض ، فيشع هذا ضياء على قسماته .

الآن وروحي تستحضر ذكراه عبر الزمن يبدو لي أكثر وسامة .

وعبر الزمن أضحت هذه الأشياء أيضــا ..

الصورة والسفين ، والأمسية ..

بالغة القدم .

## عندما تتقلب

تشبث بها ، واحتفظ ، أيها الشاعر ،
مهما كان قليلا ما يبقى
احتفظ برؤى حبك
سربهــا فى أبيات شعرك .
لــذ بها ، أيها الشاعر ،
عندما تتقلب بالليل فى رقادك
أو يصحو عقلك في وهج الظهيرة .

## من فرط ما تأملت

من فرط ما تأملت الجمال انتشت به عيناي

أجساد بديعة التكوين ، مشتهاة ، شفاه حمراء ،
خصلات شعر كما لو كانت لتماثيل أغريقية ، متهدلة وعلى الدوام جميلة ، تسقط
على الجباه البيضاء قليلا .
وجوه التقيت بها سراً فى ليالي
وجوه للحب ، كما أرادها شعري فى ليالي الشباب .

## نفائـس الدكان

نسقها ، ولفها بحرص فى حرير اخضر ثمين ،
لآلىء بيضاء ، وياقوت أحمر ، وأحجار بنفسجية نضدت زهراً .
كما أرادها وتصورها جاء جمالها تحفة . وليس مثل الطبيعة رآها وصممها.
فى الخزينة يودعها ، نموذجاً على براعة صنعته وجراتها .
فاذا ما دخل الدكان مشتر ، اخرج من الصناديق مشغولات اخرى يبيعها ،
أساور سلاسل وعقوداً وخواتم ـ حلياً بديعة ذاعت شهرتها .

## المغـــزى

سنوات شبابي ، طلبي للمتعة ، يتضح الآن مغزاهـــا .
كم كانت انشغالاتي فانية ، توافه تثير الندم ، وما كنت أدرى أنذاك مغزاهـا .
من مجـون شبابي تشكلت مقاصد شعري ، وارتسمت لفني مجالاتـه
لهذا فان ندمي لم يكن على الاطلاق قاطعاً ، وما كانت قراراتي
بان أغير من نفس تدوم سوى أسبوعين على الأكثر .

## أشيـــاء مرسومة

أحب عملي ، وأوليه اهتمامي ، لكن الخمول ثبط همتي اليوم ، وحال الاجهاد بيني وبين أن أواصل ابداعي .
كان للنهار تاثيره علي ، فقد ازداد محياه إعتاماً ، ومضت الريح تعصف تباعاً ، ولم يتوقف المطر .
فترت رغبتي للكلام ، وتقت أكثر أن أشاهد لوحاتي .
إلى هذه الصورة هناك ، يرنو الآن بصرى . صبي إلى جوار نافورة رقد . وياله من صبي مليح ، ويالها من رائعة تلك الظهيرة التى احتوته فى إغفاءته .
أجلس ، وأتأمل ساعاتطوالا هذه اللوحة .
وها أنا بالفن ذاته أستريح ، وأعود فاتخفف من عنائه .

## أن تُنَصَّب والياً

ياللكارثـة أن تكون لروائع الأعمال وكبيرها مؤهلا فيتنكر لك النجاح دائماً ، ويوقعك حظك العاثر فى صغائر وعادات رخيصة لامبالية .
وكم كان مفجعاً يوم أن استسلمت فشددت الرحال إلى عاصمة الفرس لاجئاً .

ذهبت إلى ملكهم ، فادخلك بلاطه مرحباً ، يعرض عليك ضمن ما يعرض أقاليم يوليك حكمها ، فتقبلها منقبض النفس ، يائساً .

أنت لا تريد هذه الأشياء ، وروحك تطلب غيرها . تبكي حسرة من أجلها ، من أجل كل ما هو صعب لا يقدر بمال ، من أجل حب الجماهير وثناء الحكماء ، من أجل كل ما هو عزيز المنال .
إن المحافل ، والمسارح ، وأكاليل الغار ، كل هذا الذى سيغدقه عليك ملك الفرس ، كل هذا الذى ستجده فى الأقاليم التى ستنصب عليها واليـاً ، كل هذا بالامكان أن تمضي حياتك بغيره .

## معاناة شـــاعر

شيخوخة جسـدى وهيئتي ، جرح من طعنة سكين رهيب ، لا طاقة لي على احتماله .
إليك أهرع ، يافن الشعر ، يامن تعرف من العقاقير ما يداوى ، وقد يكون لديك من الخيال والكلمة للآلام مسكن .
من طعنة سكين رهيب أعاني ، فلتجلب ، يافن الشعر ، أدويتك ، تزيل بها ـ لبرهة قصيرة ـ شعوري بالجرح ووقـع الالم .

## قســم

من أن لآخـر يقسم أن يبدأ حياة أفضل ، لكن عندما يأتي الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده ـ عندما يأتي الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطالب ، إلى الفرحة المحتومة يعود خاسراً من جديد .

## أرواح العجـــائز

فى أجسادها العتيقة المهدمة تجلس أرواح العجائز . مسكينة ، كم هي حزينة . كم هي ضجرة بالحياة التعيسة التى تحياها . كم ترتعد خشية أن تفقدها ، فكم تحب الحياة تلك الأرواح المبلبلة المتناقضة التى تقبع فى جلودها البالية الهرمة مثيرة للضحك والرثاء .

## المدينـــة

قلت « ساذهب الى أرض أخرى . ساذهب الى بحر اخر . مدينة أخرى ستوجد أفضل من هذه » . كل محاولاتى مقرر عليها الفشل ، وقلبى مدفون كالميت ، الى متى سيبقى فكرى فى الحزن . اينما جلت بعينى ، اينما نظرت حولى ، رأيت خرائب سوداء من حياتى حيث العديد من السنين قضيت وهدمت وبددت .

لن تجد بلدانا ولا بحوراً أخرى . ستلاحقك المدينة وستهيم فى الشوارع ذاتها . وستدركك الشيخوخة فى هذه الأحياء بعينها . وفى البيوت ذاتها سيدب الشيب إلى رأسك . ستصل على الدوام إلى هذه المدينة . لا تأمل فى بقاع أخرى . ما من سفين من أجلك ، ما من سبيل . وما دمت قد خربت حياتك هنا ، فى هذا الركن الصغير ، فهى خراب اينما كنت فى الوجود .

## شـــموع

أيام الغد تقف أمامنا مثل صف من الشموع الصغيرة الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة .

الأيام الماضيات تبقى فى الخلف خطاً حزيناً من الشموع المطفأة ، واقربها مازال الدخان ينبعث منها . شموع باردة ذائبة ومحنية .

لا أريد أن أراها ، فمرآها يبعث الشجن فى نفسى ويشقينى ان اذكر نورها الأول ، فانظر قدماً الى شموعى الموقدة .

لا أريد أن التفت ورائى خشية أن أبصر فيتملكنى الرعب وأن أرى الخط المظلم يمعن فى الطول ، والشموع المطفأة سرعان ما تتزايد .

## ايثــــاكا

إذا ما شددت الرحال إلى « إيثاكا » فلتتمن أن يكون الطريق طويلا حافلا بالمغامرات ، مليئاً بالمعارف . لا تخش الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ، فانك لن تلقاها فى طريقك ما دام فكرك سامياً والعاطفة الخالصة تقود روحك وجسدك . لن تقابل الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ما لم تكن قد جلبتها معك فى أعماقك ، وما لم تكن روحك قد اقامتها أمامك .

تمن أن يكون الطريق طويلا ، وأصبحة الصيف كثيرة ، تدخل فيها فرحاً مبتهجاً الى موانىء تراها لأول مرة .

توقف عند أسواق سورية ، واحصل على البضائع الجيدة ، أصداف ومرجان وكهرمان وأبنوس وعطور ممتعه من كل نوع . وعلى الأخص من العطور الممتعة خذ قدر ما تستطيع .

واذهب الى مدائن مصرية كثيرة لتتعلم وتتعلم من الجهابذة ..

لتكن « إيثاكا » فى فكرك دائماً ، والوصول اليها هو مقصدك ، لكن لا تتعجل فى سيرك . الأفضل أن يدوم السفر سنين عديدة ، وأن تصل الى الجزيرة عجوزاً غنياً بما كسبته من الطريق . لا تتوقع أن تعطيك « إيثاكا » ثراء .

لقد منحتك « إيثاكا » الرحلة الجميلة . فما كنت تخرج الى الطريق لولاها ، وليس لديها أن تعطيك أكثر من ذلك .

ولو وجدت « إيثاكا » فقيرة فهى لم تخدعك . وما دمت قد صرت على هذا القدر من الحكمة ، ولك كل هذه الخبرة ، فلابد انك قد فهمت ماذا تعنى « إيثاكا » وأى « إيثاكا » .

## فى انتظار البرابرة

ما الذى ننتظره فى السوق محتشدين ؟
أن البرابرة يصلون اليوم .
وفى مجلس الشيوخ ، لماذا هذا الأعراض عن العمل ؟
لماذا جلس الشيوخ لا يسنون التشريعات ؟
لأن البرابرة يصلون اليوم . وما الجدوى من أن يسن الشـــيوخ التشريعات ، طالما أن البرابرة عندما يحضرون سيســـــنون هم التشريعات ؟

لماذا صحا امبراطورنا مبكراً هذا الصباح ، وجلس عند البوابة الكبيرة فى المدينة على عرشه مرتدياً تاجه وزيه الرسمى ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . والامبراطور فى الانتظار ليستقبل رئيسهم ، بل وأعد الامبراطور العدة كى يمنحه شهادة فخرية يضفى عليه فيها رتباً والقاباً .

لماذا خرج الحكام اليوم فى مسوحهم الحمراء الموشاة ؟ لماذا لبسوا أساور ذات جواهر قرمزية وخواتم زمردية براقة ؟ لماذا يمسكون اليوم عصياً ثمينة مزينة بالذهب والفضة ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم ، ومثل هذه الأشياء تبهر البرابرة .

لماذا لا يجيء الخطباء المفوهون مثل كل يوم ليلقوا خطبهم ويقولوا ما ألفوا أن يتشدقوا به ؟ لأن البرابرة يصلون اليوم ، وهم يملون الخطب وتضجرهم البلاغة .

لماذا يبدأ فجاة هذا الانزعاج وهذا القلق ، ويرتسم الجد على الوجوه ؟ لماذا تقفر الشوارع والميادين بسرعة ويعود الجميع الى بيوتهم وقد استبد بهم التفكير ؟

لأن الليل قد اقبل ولم يحضر البرابرة ، ووصل البعض من الحدود ، وقالوا أنه ما عاد للبرابرة وجود .

ماذا سنفعل الآن بلا برابرة ؟ لقد كان هؤلاء الناس حلا من الحلول .

## البحر فى الصباح

فلأقف هنا ، ولأر أنا أيضا الطبيعة ملياً .
شاطىء بحر رائع ، أزرق أصفر ، فى صبح ، سماؤه صافية .
كل شىء جميل مفعم بالضياء .
فلأقف هنا ، لأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقا ولا أرى خيالاتى ، ومتعة وهمية .

## منـــذ التاسعة

الثانية عشرة والنصف . مضى الوقت سريعاً منذ أن أوقدت المصباح فى التاسعة وجلست هنا . جلست دون أن اقرأ ودون أن اتكلم . ومع من أتكلم وحيداً فى هذا البيت .

منذ أن أوقدت المصباح فى التاسعة جاءنى طيف جسدى فى شبابه ، وذكرنى بغرف مغلقة تفوح منها العطور ، وبمتع عابرة — وكم كانت متعاً جسوراً . كما مثلت أمام عينى شوارع لم تعد معروفة ، ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة ، ومسارح ومقاه كان لها وجود ذات يوم .

جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بالاحزان ايضاً . بالفراق وبحداد الأسرة على من مات من أفرادها . باحاسيس ذوى ، واحاسيس موتاى ولم أكن أقدرها من قبل حق التقدير .

الثانية عشرة والنصف . كيف مضى الوقت سريعاً .
الثانية عشرة والنصف . كيف مضت السنون وولت .

## أيام عـــام ١٩٠٣

لم أجدها مرة أخرى . ضاعت منى بسرعة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب .. فى ظلمة المساء المخيمة على الطريق ..

لم أجدها مرة أخرى — تلك التى ظفرت بها صدفة وأعرضت عنها غير مكترث ، ثم عدت أطلبها بلهفة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب ، وتلك الشفتان — لم أجدها مرة أخرى .

## مأساة أنطونيوس

عندما تسمع فى منتصف الليل فجاة ، فرقة من المغنين ، تمر فى الطريق غير مرئية ، بموسيقاها الصاخبة ، بصياحها الذى يصم الآذان ، كف عن أن تندب حظك الذى ضاع وخطط حياتك التى اخفقت ، وأمالك التى أحبطت . دع عنك التوسلات غير المجدية .

وكن كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، ودعها ، ودع الاسكندرية التى ترحل .

وبالأخص ، حذار أن تخدع . لا تقل ان الأمر كان حلماً ، وهما فى أذنيك وكذباً . آمال بالية مثل هذه لا تصدق .

كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، كما لو كنت أهلا لها حقاً ، أهلا لمدينة مثل هذه ، اقترب بخطى ثابتة من النافذة ، واستمع بحزن . ولكن بلا توسلات جبانة ، ولا شكاوى ذليلة .

استمع حتى النهاية إلى الأصداء المبتعدة ، واستمتع بها ، استمتع بالنغمات الرائعة من الفرقة الخفية التى تمضى الى الزوال .

ودعها ، ودع الاسكندرية ، الاسكندرية التى تضيع منك الى الأبد .

## الشـــمعدان

فى غرفة صغيرة جرداء ، بين أربع حوائط ،
مغطاة بكسوة خضراء ، جد خضراء ،
يتاجج شمعدان جميل بالأضواء .
كل شعاع من لهيبه ، يتدفق متقداً برغبة واشتهاء !
ليس على الاطلاق بالمألوف ذلك الضوء الذى يتالق فى الغرفة
الصغيرة العامرة بوهج الشمعدان المستعر .
فمتعة هذه الحرارة للأجساد الهيابة لم تخلق !

## أولى درجات السلم

جاء الشاعر الشاب أقمينيوس .
ذات يوم ، الى ثيوكرتيوس يشكو :
« سنتان مرتا الآن وأنا أكتب ،
والى غير قصيدة غزليه لم أتوصل .
عملى المتقن الوحيد هى .
واحسرتاه ، أرى سلم الشعر عالياً
عاليا جداً أراه .
ومن هذا الدرج الذى اقف عنده هنا
لن أرقى ، أنا المسكين ، أبداً »
قال ثيوكريتوس : « هذا الكلام تجديف
وغير لائق
وأن كنت عند أولى الدرجات ، فيجدر
ان تفخر بذلك وتسعد
فليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا
والذى أنجزت هو لك شرف كبير
وهذا الدرج الأول
عن عامة الناس يبعد الكثير
وكى تطأ قدمك ذاك الدرج
يجب أن تكون بحق
فى مدينة الفكر مواطناً
ومن الصعب فى تلك المدينة
بل ومن النادر أيضاً أن يقبلوك مواطناً
ففى السوق تجد واضعى قوانين
ليس بامكان أفاق أن يخدعهم
ليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا
والذى انجزت هو لك شرف كبير .

## المتعـــة

بهجتى ومنتهى حياتى ذكريات ساعاتى
التى لقيت فيها متعتى ، وبها تشبثت قدر مشيئتى
هى لى بهجتى ومنتهى حياتى ، أنا الذى
أعرضت فى متعة الحب عن كل رتابة .

## فى المكان ذاته

يا أيها الحى الذى به أحيا ، وألهو ،
وتجوس بين جنباتك عيناى
وبين أرجائك أسير يوماً بعد يوم ، وأسعى
فى لحظات فرحى وحزنى ،
ومن ثنايا شتى الخطوب والأحداث ،
أعدت خلقك
وما عدت ، بالنسبة لى ،
سـوى عالم ،
من صنع عاطفتى .

## رغبـــات

مثل أجساد جميلة ، لم تدركها الشيخوخة
ذرفت عليها الدموع ، وهى توارى ضريحاً فخم البناء .
على الهامات نضدت ورود ، ونثر الياسمين عند الأقدام
مثل أجساد كهذه هى الرغبات التى ولت
دون وفاء ، دون أن يقدر لها قط
ليلة من ليالى المتعة ولا حتى صباحاً من أصبحتها
العامرة بالضياء .

## الملك ديمتريوس

عندما تخلى عنه أهل مقدونية
واعلنوا انهم يفضلون عليه بيرو ،
لم يتصرف الملك ديمتريوس ( وكان ذا روح قوية ) لم يتصرف على الاطلاق مثلما يتصرف الملوك ـ هكذا قالوا ـ بل ذهب
يخلع جلبابه المذهب ،
ويلقى بخفه القرمزى
ثم ارتدى مسرعاً ثوباً بسيطاً
وتسلل خارجاً ،
مقلداً بذلك الممثل ، الذى يبدل ثيابه ما ان ينتهى العرض ،
ويرحل .

# دوحة الماضي

## مختارات من المجلات الأدبية القديمة

● العقاد يكتب عن تعدد الزوجات فى أوروبا ● ● فرقة تمثيلية يؤلفهـــا المشايخ
● ● ● لم ينجح أحـد فى الفنون الجميلة ● ● ● ● تجنيد الكلاب فى الحروب
● ● ● ● ● زكي مبارك يدافع عن الجاموس

## لم ينجـح أحـد

أعلنت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها أن تتدارك أسبابها أو أن تسترها على الأقل ! أما هذه الفضيحة فهى أنه لم ينجح أحد من طلبة قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا . وفى هذا القسم أربعة طلاب فقط موزعون على سنى الدراسة المختلفة ، ومعنى هذا أن هؤلاء الأربعة هم عدة الجيل للنحت فى مصر ، ويلحظ إلى جانب هذا أن المدرسة وقفت عليهم أساتذة أكثر منهم عدداً ، فاذا لم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع أن تتعهد أربعة طلاب نحاتين فماذا تستطيع أن تصنع ؟!

يقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع سببها إلى تنافر بين أستاذ النحت فى المدرسة « وهو سويدى » وبين ناظر المدرسة وصديق له مدرس بها . والناظر وهذا الصديق مصريان ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفواً وإنما أريد بها أن تحجم وزارة المعارف عن تجديد عقد الأستاذ الأجنبى هذا العام . وأن ترفع المدرس المصرى إلى درجة الأستاذية .

وإن كان مما يسعد كل مصرى أن يرى قسم النحت فى مدرسة الفنون الجميلة العليا يرأسه أستاذ مصرى فانه مما تشمئز منه الانسانية أن يعبث فى سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل أربعة من الطلاب وهم كما قلنا عدة الجيل فى هذا الفن .

زد على ذلك أن ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس متهمـــان فى مقدرتهما الفنية . فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى الحبشة فى زمن ما ورسم بعض الصور لنجاشيها ورؤوس دولتـه ، وأنه بعد ذلك رجل مهندم يتقن تقليد الفنانين فى حركاتهم وإشاراتهم ومظاهر « العصبية » التى تبدو عليهم ، والتى استطاع بها أن يقنع أهل الحكم فى الوزارة السابقة بانه يصلح لأن يكون ناظراً لأكبر معهد فنى فى مصر .

أما صاحبه المدرس فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته وأهله تعليمه لأن يكون مدرساً للصناع فى مدرسة الفنـــون التطبيقية لا أستاذاً للفنانين فى مدرســـة الفنون الجميلة العليا وشـــتان ما بين الصناعة والفن .

وانا أكتب هذا وقلبى يتمزق ، لانى انصر به أجنبياً على مصريين ، ولكننى أفضل هذا على التدليس باسم الوطنية الشفوية ، ولا ريب أن الاعتراف بالضعف مع السعى إلى استكمال أسباب القوة خير من المغالطة والادعاء وانكار الحق .

والآن ماذا تصنع وزارة المعارف فى مدرسة الفنون الجميلة ... إنه يحدث فيها أكثر مما ذكرناه ..

عزيز أحمد فهمى
« ١٠ يوليو ١٩٣٩ »

## فـرقـة تـمـثـيـلـيـة من المشـــايخ


علي الطنطاوى

نشرت مجلة « الرسالة » فى عددهـا الصادر فى ٢٤ يولية سنة ١٩٣٩ هذا الخبر بتوقيع « ص.م » :

« شهدنا فى دار الأستاذ على الطنطاوى بدمشق اجتماعاً تمهيدياً لتأسيس فرقـة تمثيلية تضم المشايخ المشتغلين بالعلم والأدب . الغاية منها إرشاد النـاس إلى المنهج الأخلاقى والعمل للاصلاح عن طريق التمثيل . وقد حضر الاجتماع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوى ، وقد تبرع أحد الوجهاء الذين حضروا الاجتمـاع بارض واسعة يبنى فيها مسرح عظيم ، وبالنفقات اللازمة للتمثيل . وسيقوم حضرات الأساتذة بالتمثيل فعلا فى الرواية الأولى التى يعدها الآن الأستاذ الشيخ على الطنطاوى » .



# العقاد يكتب عن: تعدد الزوجات في أوروبا

الكاتب الكبير عباس العقاد كتب هذا المقال فى أغسطس ١٩٣٩ ، أى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بأيام قليلة ، وكان عنوان المقال « ما رأيها ؟ » والخطاب فيه موجه إلى « الفتاة العصرية » وقد تحدث فى المقال عن الاتجاهات الأوروبية إلى « تعدد الزوجات » وفى مقدمة المقال يقول « إننى ما نويت أن احتكم فى هذا المقال إلى رأى الدين ، فقد عرفنا أن الاسلام يجيز تعدد الزوجات ، ولكنه لا يوجبه ، بل يكاد أن يمنعه بحضه على العدل واستكثاره أن يعدل الرجل بين امرأتين ولو حرص على ذلك » .

وهذه بعض فقرات مقال العقاد :

إذا احتكمنا إلى آراء الساسة المحدثين والقادة المعاصرين ، فربما كان من العبرة أن نعلم أن هؤلاء القادة لم يجدوا أنفسهم قط فى حالة كالتى كانت عليها الأمة العربية فى صدر الاسلام إلا خطر لهم تعدد الزوجات ، وأجازوا ما أجازه القرآن ، بل أوشكوا أن يوجبوه ، وربما كان هذا العلم من دواعى تصحيح النظر إلى أصول الشرائع والأخلاق التى عابها أناس ونسوا ما كان لها من بواعث وأسباب .

أقطاب « النازية » فى ألمانيا الحديثة ينصحون بتعدد الزوجات لأنهم يطلبون النسل ويكاثرون بالجنود ويتأهبون لليوم الذى يملأون فيه بطاح أوروبا الشرقية فاتحين مقيمين . فالأستاذ ارنست برجمان عميد قسم الفلسفة بجامعة ليبزج ينعى فى كتابه : « روح الأمومة » الزواج المفرد ، ويوجب تعدد الزوجات فى سبيل بقاء النوع ومنع انقراضه فيقول : « إن الزواج المفرد طوال الحياة يناقض الطبيعة ويضر بالنوع ، فيضمحل حيثما فرضت الزوجة الواحدة على الرجل . وإنما مثال الدولة الصالحة تلك الدولة التى تكون فيها المرأة بغير عقب وصمة عار . ولن يزال فى الأمم عدد من الرجال كاف وقابل لايلاد جميع الاناث . وما علينا إلا أن ننبذ سخافة الزواج المفرد فنعلم أن الطبيعة قد جعلت كل رجل كافيا لعشر أو عشرين من البنات اللواتى لم يقتلن فى نفوسهن غريزة الأمومة » .

والدكتور روزنبرج فيلسوف المذهب النازى ومقرر نظرياته ومبادئه يوصي بالرجعة الى اداب القبيلة الجرمانية فى مسائل الزواج ، ويقول إنه لولا تعدد الزوجات لما زخرت الشعوب الجرمانية فى القرون الماضية ، « ولولا تعدد الزوجات لبطلت مقدمات الثقافة الغربية ، إذ كان عدد النساء فى بعض الأزمان يربو كثيراً على عدد الرجال كما يوشك أن يكون الأمر فى الزمن الحاضر .. فهل يقضى على هؤلاء النساء أن يذهبن خلال أيام الحياة محرومات من حقوقهن الطبيعية مستهدفات للسخرية المزرية التى يلقاها العانسات ؟ وهل يؤذن للمجتمع المنافق القانع بما هو فيه أن يسلم هؤلاء البائسات لأضاحيكه ؟ » .

ورأى المفكرات الألمانيات قريب من رأى المفكرين الألمانيين فى هذا الباب . فاحداهن وهى السيدة « شولتز كلنك » تقول فى خطاب لها بين الصحفيات : « إن البنات الألمانيات يرجعن فى عصرنا الحاضر إلى غرائزهن الأصيلة ويصدعن بحكمها فى خضوع واغتباط عارفات أن هذه الغرائز إن هى إلا عطيه سماوية يملكن بها الدم والأرض ويصبحن بها نماذج للمرأة الألمانية الحديثة » .

وقبل الفلسفة النازية بقرن كامل من الزمان كان نابليون يحتاج إلى الجنود كما يحتاج إليها النازيون الآن ، وكان يغرى الأمة الفرنسية بالتناسل كما يغرى النازيون أمم الجرمان ، وكان يقول مثلما يقولون اليوم كلما رأى عدد النساء فى ازدياد وعدد الرجال فى نقصان .

فمن قوله فى هذا الصدد : « إننى صنعت كل ما استطعت لاصلاح حال اللقطاء المساكين الذين يساقون للعار والمهانة ، ولكن المرء لا يستطيع أن يغلو فى هذه الناحية مخافة على نظام الزواج ، وإلا لم تجد أحداً يقدم عليه » .

« وقد كان للرجل فى الزمن القديم سريات إلى جانب الزوجة ، فلم يكن الأبناء غير الشرعيين محتقرين كاحتقارهم فى أيامنا . ومن المضحك ألا يباح للرجل أكثر من زوجة فاذا هو كالأعزب إذا حملت أو مرضت » .

« إن الرجل لا يتسرى فى العصر الحديث ، ولكنه – فى أوروبا – يخادن الخليلات ، وهن خراب ، لهن كلفة ، أفدح من كلفة الزوجات ولقد درج الفرنسيون على إكبار المرأة ، وما ينبغى لها مساواة الرجال فما كانت بعد إلا آلة لاخراج الذرية ... » .

« ويطيق الرجل أن يتزوج كثيرات من النساء ولا يبدو عليه أثر ذلك . أما المرأة ، فاذا اقترنت مرة بعد مرة فلا محالة يدركها الذبول » ويقول نابليون عن المساواة بين الجنسين : « لا مناص من سيادة أحد الجنسين على الآخر ... فقد يختل نظام الأمة إذا اعتزلت المرأة مكانها المطبوع ، وهو مكان الطاعة والخضوع » .

## زكي مبارك يدافع عن الجاموس

كتب الدكتور « زكي مبارك » هذا المقال سنة ١٩٤٠ ، وفي المقال يدافع الأديب العربي الكبير عن الجاموس فيقول :

كتب إلي حضرة « م.ع.ف » يعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع أن في طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس
ياسلام ؟ ياســلام ؟

كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟؟

ذلك منطق هذا السيد الذى يشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد ؟ وعذر هذا السيد أنه قرأ في مجلة « آخر ساعة » كلمة جرت مجرى الدعابة فظن أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس وهو جاموس .

هو حقيقة جاموس يرعى البرسيم وياكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صنع الثروة المصريــة ، والاهتمام به لا يقل عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ .

فكيف يجوز لرجل أن يعد الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة .

المقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم ان تهتم بتحسين نسل الجاموس .

ويقول هذا السيد إن اشتغالي بالأدب صرفني عن مواجهة الواقع ، واقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلت لقراء فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن احد العرب قال :

لو كان لي ألف بعير فيها بعير واحد أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لا يغض من اقدار الرجال وإنما هو دليل على العناية باصول الاقتصاد .

ايها الغافلون من أهل هذه البــلاد . راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما تستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون انه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس .

وانت أيها الجاموس هل تحفظ هذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهل تحفظه انت ياجاموس ؟

وكيف نطالبك بحفظ الجميل وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فطرة العربي فى الصحراء الطف واصدق ، فقد نظم فى ناقته اجمل القصائد ، اما المصري فقد ظلم جاموسته اقبح الظلم ولم يذكرها بغير السخرية والاستهزاء .

فهل تكون للبداوى تلك المحاسن وتكون للحضارة هذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرف الناس باصول المنافع فعدوا البقرة من المعبودات ، لأنهم رأوها من صور الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدر عنها من الخيرات ، والجاموسة اغزر نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا ان يسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا باس فنحن فى زمن تغلب فيه السخرية من المنافع ، وهــو زمــن مقلــوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرسمنا الجاموسة بجانب الفلاح على ورق البنكنوت .

## تجنيد الكلاب في الحرب

تدرب الكلاب فى جميع انحاء العالم للخدمة فى الحروب ، ففى روسيا أنشئت مدرسة فى موسكو للكلاب ، وفى اليابان أعدت أماكن فسيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد اعدت ميادين خاصة فى بولندا وايطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها . وفى « استنيا » تلازم الكلاب طلائع الجيش ، أما فى فرنسا فهي تدرب مع الجنود فى كثير من الميادين .

وتستخدم الكلاب فى حمل الرسائل إلى الفرق الطبية . وفى توصيلها إلى الحرس ، حيث تجتاز الأماكن الوعرة ، وتعبر الأنهار الواسعة لتوصل رسائلها . وهي تدرك المرضين فى الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهي تستطيع أن تحمل المؤن على ظهرها وتسير بها إلى مسافات بعيدة .

وقد كانت الكلاب تستعمل فى الهجوم والدفاع منذ اقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيرس » كانت لديه كلاب يستخدمها فى الحروب . وفى كتاب « بلوتارك » أن الكلاب أنجت كتيبة « كورنيثية » من الهلاك .

وكان فيليب المقدوني يستخدم الكلاب فى حروب « أرجول » واستخدمها الرومان لحماية الجيوش ، وكان « السلت » يدربون الكلاب على مواجهة الخيل ، فتاخذها بخياشيمها وتسقطها فى ميادين الحروب .

أما فى القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض ، وقد كانت الفرق الاسكوتلندية تصطحبها على الدوام ، وكانت مدينة « سان مالو » تستخدم الكلاب فى حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠ ، وقد اتخذ نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود فى مدينة الاسكندرية ، واستخدم الألمان الكلاب لحماية الكتائب وحراسة الأقاليم والمعسكرات فى سنة ١٨٧٠ .

وفى سنة ١٨٩٥ قام كلبان بامداد كتيبتين بالذخائر أثناء الحرب على أكمل وجه .

وفى سنة ١٩٠٤ كان الجيش الألماني يستخدم ٦٠٠ كلب من الكلاب المدربة على الحروب وآلافاً من الكلاب الأخرى .

أمــا فرنسا فقد بدأت تجنيد الكلاب فى سنة ١٩١٦ ، وقد اجتمع فى باريس تسعة آلاف كلب نظمت فرقاً وأرسلت إلى الميادين للتدريب ، وقد قامت تلك الكلاب بخدمات عظيمة مما كان نكره موضع إعجاب المتحدثين .

« ١٤ أغسطس ١٩٣٩ »

# شخصية طريفة من تاريخنا الفني

# محمود صبح

## المطرب والموسيقار والملاكم الضرير

هذه شخصية من أطرف الشخصيات فى تاريخنا الفنى المعاصر، ولكنها مع ذلك تعتبر شخصية لامعة لا يعرف الجيل الحالى عنها شيئاً، فصاحب هذه الشخصية محمود صبح، فنان مبدع فى الغناء والموسيقى، وهو الى جانب ذلك كان يمارس رياضة شاقة هى الملاكمة، والأغرب من ذلك كله أنه كان «ضريراً»، وعن هذه الشخصية العجيبة، الغنية بالفن والموهبة والمرح والسخرية، كتب الأستاذ محمد السيد المويلحى هذا المقال سنة ١٩٣٩، وكان محمود صبح ما يزال على قيد الحياة :

قد يحمد الفنان إذا اعتز بنتاجه وسما به عن الابتذال والعرض والمقارنة، وقد يحمد إذا عرف لنفسه قدرها لأنه أدرى الناس بعبقريته وقوته، وأشدهم إيماناً بالهامه وتوفيقه، ولكنه لا يحمد ولا يثنى عليه إذا تدرج اعتزازه وإيمانه بقدرته إلى الأنانية التى تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع .. الجميع دون استثناء .. !

ومحمود صبح موسيقى مرهوب موهوب يلم بفنه إلماماً تاماً ويجيد العزف على العود والناى والبيان « البيانو »، وله لون خاص ينفرد به ويعجب جمهرة كبيرة .. ولكنه يعتقد بل يؤمن إيماناً عميقاً أنه مبعوث العناية الالهية لانهاض الرسالة الموسيقية، فعلى كل من ينتمى إليها بوشيجة أن يؤمن به إيمان العجائز فلا نقاش ولا جدال، ( لأن الذى يستطيع أن يناقشه أو يجادله لم يخلق بعد، ولأنه الله سبحانه لا يخلق رسولين فى عصر واحد وإلا فسدت الرسالة ) . هكذا يقول محمود صبح، الذى يذكرنى « بروبسبير » الذى آمن بعصمته فكان يعدم كل من يظن فيه المعارضة لآرائه ومبادئه لا لشىء إلا لأنه كافر بالعصمة والفضيلة .

قامة ربعة وإن كانت تميل إلى القصر، تشبه « شوال » الملح لوناً وشكلا وثقلا، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب . قامة، وإن حرمت من نور البصر، فقد وهبت قوة هرقلية تستطيع « بفضل الله » أن تجندل من تشاء بضربة فنية قاضية . قامة تجيد كافة الألعاب الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل أثقال ..

رأس أودع الله فيه كنزاً غنياً من الفن الأصيل المكين المبتكر . حاجبان كثيفان لو زرع شعرهما على عشرة رؤوس « صلعاء » لأصبحت غنية بالشعر القوى . انف كانف الصقر يهبط فى هدوء وتقوس حتى يستقر على شكل « هلب كبير » ... ! !

وجه ممتلىء، طالما زينته العمامة حتى ثار عليها، وأبى إلا أن يتطربش لتكمل أناقته ورشاقته .. فم وإن كان يذكر الله كثيراً ويجيد تلاوة كلامه .. إلا أنه لا يحب أن يغضب الشيطان فيهجر أوامره وإغراءه بل يندفع فى سبيل ترضيته فيصف « إخوانه » وزملاءه بوصف « مزخرف » مصنوع فى معامل « بولاق » و « حوش بردق » «١» .

أذنان حادتان صارمتان لا تعترفان إلا بنتاج صاحبهما، أما غيره ... فـ « صوء ... صوء، أعوذ بالله، يا ستار العيوب، إيه ده ؟؟ » يدان قديرتان ساحرتان، إذا صفا صاحبهما أسرتا وسحرتا، وخلقتا قوة وقدرة وفناً أصيلا نبيلا، يدان تنحنى لهما الموسيقى العربية « البحته » ويخضع لهما الفن العالى الذى لا يخضع إلا للقليلين .

صوت هائل كامل شهد له الجميع بالقدرة والعذوبة وقوة التاثير . اروع من يؤدى « الباص » وأبدع من يحسن « البريتون » وأرفع من يجيد « التينور » «٢» . يتكون من ديوانيين

كان فى « الحسينية » من خمس عشرة سنة « ١٩٢٤ » يعزف بعوده أمام حشد من مريديه ومحبيه ، فلما أخذته النشوة رمى « بعوده » وصرخ متمدداً :

ـ أغيثونى ... أدركونى !

ـ مالك يا مولانا ... مالك يا مولانا

ـ أغيثونى .. ادركونى .. أمسكونى جيداً .. سدوا « ودانى » .. سدوا « ودانى » ... !

هرع إليه هذا الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق فاذا بالشيخ محمود صبح يقول :

الجن عاوزه تخطفنى . رئيسهم كلمنى فى أذنى وقال : احنا عاوزينك يا محمود عشان بنتى حتتجوز .. امسكونى أحسن يخطفونى !

عصبى إلى درجة بعيدة . لا يطيق النقد ومن ظريف أمره أيام كان يذيع فى المحطات الأهلية أنه كان يجلس فى محطة « فؤاد » قائلا لهؤلاء الذين يكتبون عنه أو يتكلمون بمالا يحب :

يا ليل ، يا ليل ، سامع يا « فلان » يا ابن ... شايف الشغل إزاى ... يا ليل ، يا عينى ياليل ، « فلان » ، نحن محمود صبح ، قائب يا ابن الـ .... ياليل ياعينى ، لاح بدر التم أمان . أمان دوس يا لا للى ... يا بتوع ( ... ) يا أولاد ... اتعلموا وخلوا عبد الوهاب بتاعكم ينفعكم !

● ●

وبعد .. فمحمود صبح شخصية عظيمة ظريفة انحدرت من بيت عريق ، ومن أصل طيب . لا يعتمد فى معيشته على فنه بقدر ما يعتمد على إيراده الخاص الذى يكفل له عيشاً رغدا ، ولولا مغالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيماً نافعاً .



الفنان محمود صبح .. كان يجمع بين الموهبة الفذة فى الغنـاء والموسيقى ، والروح المرحة الساخرة !

ونصف تقريباً ، لا عيب فيه إلا خلوه من العيب .. صوت لو استطاعت محطة الاذاعة أن تهيىء له الجلسة الفنية المضبوطة أمام « الميكروفون » لكان آية ، ولخلا من تلك العواصف التى تكاد تصم الآذان .

صوت يقلد القطار أدق تقليد ، ويحاكى صوت « القلة » أتم محاكاة . ومن ظرف محمود أنه إذا صيفاً أسمعك صوت « العجين » وهو « يلت » حتى لتخاله امرأة منهمكة فى « ماجورها » ... أقدر من يلحن الموشحات ، ويكفيه فخراً وسمواً وخلوداً أن أعظم مغن بالغاً ما بلغ من القوة والقدرة لا يستطيع أن يحاكيه بواحد من موشحاته لتشعبها ، وكثرة أنغامها ، ووفرة حركاتها ، ودقة تركيبها ، وإن حاول فالفشل له بالمرصاد ... !

فنان موهوب مبتكر بصير بما يصنع ، خبير بفنه لا يحاكى ولا يقلد بل له لونه الخاص المعروف ، لأنه كما قلنا لا يؤمن إلا برسالته . لا يعرف شيئاً فى القواعد الغربية مع أن علم « التحسيس » «٣» . قد تقدم وأصبح يدرس فى كل مكان .

يجيد العزف على العود ، واللعب على البيان والنفخ فى الناى ، إذا سألته عن فلان المشهور قال : طز «٤» ، وعن فلانة المعروفة قال : طزين يا سيدى .والويل لك إذا سمعته وأعلنت سرورك وتقديرك بقولك « يا سلام يا شيخ محمود الله يزيدك » لأنه يلتفت إليك متهكماً متحفزاً صارخاً « هو لسه يا اخينا حيزيدنى ... حيخلينى إيه أكثر من كده ؟ » ، والويل لك أكثر وأكثر إذا أخذتك النشوة فنسيت أن تحييه لأنه يسكت فجأة ويخاطبك :

ـ حضرتك مش سامعنى يا فندى ؟

ـ سامع يا أستاذ دى حاجة عظيمة جداً

ـ أمال ساكت ليه ؟ ساكت ليه يا فندى ؟ ودانك بتوجعك ؟ والله ما أنا قايل حاجه إلا لو خرجت من هنا . اتفضل يا فندى وخدها وهى حلوة ... !

---

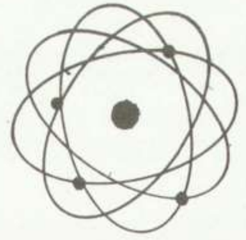
هوامش :

١ ـ بولاق وحوش بردق حيان شعبيان قديمان فى القاهرة .

٢ ـ الباص والبريتون والتينور ، اصطلاحات موسيقية عالمية لتحديد طبقات الصوت .

٣ ـ كلمة عامية شعبية من أصل غير عربى تعنى الاستهانة والاستهجان ، وهى لفظة غير خارجة .

٤ ـ علم « التحسيس » ، هو ما يسمى باسم طريقة « بريل » لتعليم العميان .



# العلم هو المستقبل

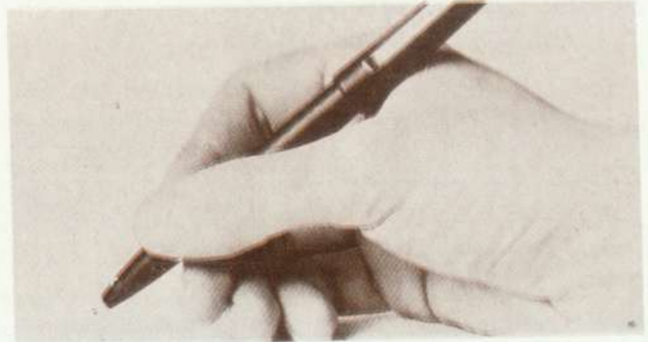
تقديم : لبنى الريدي

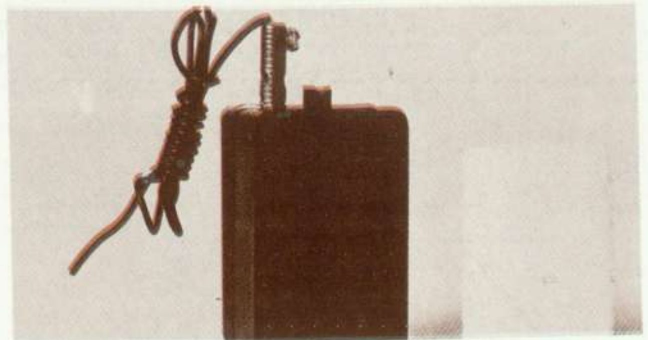
## احذر تكنولوجيا التصنت

ان التقدم المذهل فى مجال الألكترونيات وصغر حجم الأجهزة الألكترونية سهل عمليات التصنت مما قد يهدد الحرية الشخصية للانسان . فقد وصلت الطرق الفنية لتسجيل ما يدور فى اى مكان بالوسائل السمعية والبصرية إلى درجات عالية من الاتقان . فهى تستخدم كل انواع الاكتشافات الحديثة من اشعة تحت حمراء الى أشعة الليزر والموجات فوق الصوتية . فهناك جهاز تصنت لا يزيد حجمه عن حجم قالب السكر وجهاز ارسال مثبت داخل قلم حبر واجهزة تصوير توجه من بعد .

فهذا القلم ذو المظهر البرىء الذى يظهر فى الصورة عبارة عن جهاز ارسال ينقل اى حديث يدور فى الغرفة لمسافة عشرين متراً . اما اذا كان المطلوب الارسال لمسافة اطول فان جهاز ارسال اكبر بقليل من قالب السكر يسهل اخفائه فى جيب السترة خلال اجتماع هام مثلا بحيث يتم نقل المناقشات الدائرة فى غرفة الاجتماعات لمسافة تصل إلى واحد كيلومتر ولكي يصل مدى الارسال لعدة كيلومترات يكفى اخفاء جهازين كل منهما فى حجم علبة السجائر تحت الأبطين .

بل ان التليفون ذاته قد يكون من أدوات التصنت وذلك باجراء بعض التعديلات لتحويله الى ميكرفون . بحيث يمكن تسجيل الحوار الذى يجرى فى الغرفة الموجود بها جهاز التليفون وذلك بأن يطلب المتصنت رقم التليفون مع ارسال اشارة تمنع الجرس من أن يرن ولكنها فى الوقت نفسه تشغل دائرة الارسال المثبتة داخل التليفون أو فى السلك الموصل له ومن ثم ينقل الحوار الدائر فى الغرفة فى الحال الى مكان المتصنت مهما بعد .





## آلات تسمع وتتكلم

قد يفضل الانسان أن يتكلم اكثر من أن يستمع .. وهذه الحقيقة نفسها تنطبق أيضاً على الآلات .

فان التقدم التكنولوجي الذى تحقق فى مجال ، الدوائر الاليكترونية لتوليف الصوت مكن الآلات من التكلم ومن ثم اصبحت الساعات والآلات الحاسبة ناطقة بل وبعض السيارات تنبه سائقها إذا ما نقص الوقود أو الزيت الخ ..

غير أن التكنولوجيا اللازمة لجعل الآلة تتعرف على الصوت وتكسبها بالتالى القدرة على الاستماع لازالت [illegible]ة وباهظة التكاليف ، ولكن احدى شركات الالكترونيات اليابانية قد تحدث تغييراً جذرياً فى هذا المجال . حيث تمكنت من دمج الدوائر الألكترونية المسئولة عن ترجمة الصوت الأدمى الى نبضات تفهمها الآلة فى رقيقة واحدة . وتستطيع هذه الرقيقة أن تتعرف على ٦٤ كلمة مختلفة .

وتستجيب للأوامر التى تسمعها خلال فترة زمنية لا تزيد عن ٤ر٠ من الثانية الا انها لا تطيع أى صوت لأنها لا تتعرف إلا على الصوت الذى تم برمجتها به .

وقد تفتح هذه الأبحاث آفاقاً واسعة أمام تطبيقات متعددة لتحكم الانسان فى الآلة شفوياً . فعلى سبيل المثال تجرى إحدى شركات الكمبيوتر الامريكية تجارب على سكرتيرة آلية بحيث يملى عليها المدير ما يريد من خطابات وتقارير لتقوم على الفور بتحويل ما تسمعه إلى نصوص مكتوبة يتم عرضها على شاشة تليفزيونية . وبالضغط على زر يحصل المدير على نسخة مطبوعة من النص .

## برج مراقبة طائر



أجرى الجيش الامريكى تجارب على نقاط مراقبة طائرة وهى عبارة عن آلة تتسع لفرد واحد فقط .. تعمل بمحرك نفاث وتقلع وتهبط عمودياً مثل الطائرة الهليكوبتر ويستطيع هذا البرج الطيران بسرعة الف كيلومتر فى الساعة كما بامكانه التحليق فوق نقطة معينة أو التحرك على ارتفاع يصل الى ٣٠ متراً وهو ما يجعله فى مأمن من شبكات الرادار . اذ لا تستطيع أجهزة الرادار رصده نظراً لارتفاعه المنخفض .

وتتعدد استخدامات برج المراقبة الطائر سواء فى الجيش أو الشرطة اذ يناسب عمليات الاستطلاع ومطاردة الخارجين عن القانون ومراقبة حركة المرور

## علاج حصوة الكلى بدون جراحـــة

بعد نجاح أشعة الليزر فى العمليات الجراحية الدقيقة مثل جراحة العيون واستئصال الأورام فى المخ وفى علاج بعض الأمراض الجلدية المستعصية ، تؤكد هذه الأشعة نفعها فى مجال جديد ، وهو مجال جراحة المسالك البولية .

فلقد تمكن فريق من الأطباء البريطانيين من استخراج الحصى من كلى بعض المرضى دون إجراء جراحة . وذلك بادخال أنبوبة مزودة بمشبك ميكروسكوبي فى الكلى بحيث يمسك هذا المشبك بالحصوات وتقوم حزمة من أشعة الليزر بتفتيتها .

## الأليـــاف الضوئية تضبط حركة المرور

تتميز الألياف الضوئية بسرعة فائقة فى نقل الاشارات وبسعة أكبر بكثير من الكابلات العادية ، ولذلك فكر اليابانيون فى استخدام كابلات من الألياف الضوئية فى مراقبة حركة المرور وهي مشكلة مستعصية فى هذا البلد المكتظ بالسكان .

وبتجربة هذه الألياف فى مراقبة طريق يبلغ طوله ٣٥ كيلومترا استطاع رجال المرور متابعة حركة السيارات على شاشة تليفزيونية بحيث لا تفلت سيارة واحدة . فلقد ثبتت كاميرات وأجهزة التقاط لكل ٥٠٠ متر لنقل المعلومات خلال الألياف الضوئية إلى كومبيوتر مركزى بدقة وسرعة فائقة حتى أن المهندسين اليابانيين المسئولين عن التجربة يؤكدون انه باستطاعتهم إحصاء راكبي كل سيارة .

## الراديو الشمسى

تتعدد أشكال واحجام أجهزة الراديو وتتنافس الشركات فى انتاج اصغر جهاز راديو وفى الوصول إلى أعلى درجات نقاء الصوت . إلا ان احدى الشركات اليابانية رأت أن تجعل الراديو يعمل بأشعة الشمس ، وأنتجت بالفعل أصغر جهاز راديو يعمل بالطاقة الشمسية ، إذ لا يزيد حجمه عن ثلثى علبة السجائر اما وزنه فيبلغ أو نصه ونصف فقط وهو يعمل بفرق جهد ٢ر١ فولت .

ويشحن هذا الراديو بأشعة الشمس وأى مصدر ضوئى ساطع آخر . وبعد ساعة من التعرض للأشعة الشمسية يعمل بشكل متواصل لمدة ٤٠ دقيقة اما اذا استمرت فترة التعرض لمدة أربع ساعات فان هذا الراديو الستريو يعزف الموسيقى والأغـــانى الجميلة لمدة أربع ساعات .

ويضم الجهاز بطارية من النيكل والكادميـوم لاختزان الفائض من الطاقة الكهربائية المتولدة . وإذا ما تم شحن هذه البطارية بكامل طاقتها فانها تمد الراديو بالطاقة اللازمة لتشغيله لمدة ٢٥ ساعة متواصلة . ولا يكلف هذا الراديو صاحبه شيئاً ولكنه فى الجانب المقـــابل امكانياته محـــدودة فهـو لا يستطيع استقبال الموجـــات القصيرة .



## هدية للموسيقيين

يضطر المؤلف الموسيقى إلى التوقف مرات عديدة أثناء تاليف اللحن ليسجل على النوتـــة الحروف الموسيقية التى يضعها أولا بأول خوفاً من نسيانها عندوضع اللحن فى صورته النهائية التكنولوجيا اليابانية تقدم حلا لهذه المشكلة التى تواجــــه الملحنين . فقد أنتج اليابانيون آلة موسيقية الكترونية تسجل اتوماتيكيا انغام الموسيقى بمجرد أن يعزفها المؤلف .

وتضم هذه الآلة فى داخلها ميكروكمبيوتر يحول النبضـات الكهربية لأصابع البيــــانو الى اشارات تقوم بتشغيل طباعة ترسم على الورق كل العلامات الموسيقية لتعطى فى النهاية نوتة موسيقية للحن المعزوف . وتستطيع هذه الآلة طبع النوتة الموسيقية أثناء عزف المؤلف أو بعد انتهائه من تاليف اللحن بالكامل . وهى من ناحية أخرى تتيح لهواة الموسيقى تعلم كيفية كتابة اغانيهم الخاصة . تستطيع ان تعزف مجموعـــة متنوعة من الآلات الموسيقية ابتداء من البيانو الى الجيتار والكمان وهى صغيرة الحجم فطولها ٣١ بوصة وعرضها ٧ بوصات ولا يتعدى وزنها خمسة ارطال مما يسهل حملها ونقلها . من مكان إلى آخر .

# رسائل إلى المحرر

## ما الخطب يا أدبـــاء؟

قرأت فى المجلة مقالا للأستاذ حافظ احمد امين تحت عنوان « مسرحيات للقراءة واخرى للتمثيل » ، وفيه يتحدث عن مسرحيات كانت تكتب لتنشر فى كتاب للقراءة ، ومسرحيات اخرى كانت تكتب لعرضها على خشبة المسرح ، وذكر فى هذا الصدد مسرحيـــات بعـض الكتـــاب مثل مسرحيـــة « أهـــل الكهـف » التى نفدت منها طبعتان فى عام واحد ١٩٣٣م ، وعندما عرضت على خشبة المسرح كان عدد الحاضرين ٢٢ مشاهداً فقط .

وإذا كان الكاتب يفسر هذه الظاهرة التى سادت المسرح المصري فى الفترة المعاصرة بان المسرحية المقروءة ذات حبكة جيدة وشخصيات متفقة مع فكر المسرحية وموضوعها فى حين ان المسرحية المعروضة على خشبة المسرح ذات بناء من نوع أخر حيث تكون مشحونة بالشخصيات والصراعات الحية الواقعيـة التى تمس حياة المجتمع وتستغرق فكره واحاسيسه ، فان ماتوصل إليه الكاتب يكون صحيحاً إذا نظرنا إليه من جانب واحد هو المسرح الاجتماعي أو المسرح الواقعي .

والسر فى رأيه أن بناء وشخوص المسرحية المقروءة يختلف تماماً عن بناء وشخوص المسرحية المعروضة على المنصة .

وفي رأيي أن طبيعة الجمهور المصري من حيث درجة الثقافة ، الطبقة الاجتماعية ، العمر ، المهنة ، المستوى التعليمي ، ودرجة الوعي بالأدب والفن والثقافة عموماً ، قد فرضت نفسها على هذه القضية ، ولا يغيب عن ذهن القاريء العادى أن المسرح المصري بصفة عامة أصبح الآن مسرحاً كوميدياً بالدرجة الأولى يهدف إلى الاثارة والعبث والسخرية ... وإلا فما السر وراء مسرحيات مثل: أهلا يادكتو ر ــ حكاية الواد بلية ــ سك على بناتك ــ الدنيا مقلوبة ــ عش المجانين ــ الناس اتجننت ... » والكثير غيرها من المسرحيات ذات الأسماء المثيرة .. لاشيء وراءها سوى التجارة بالفن المسرحي »

إننى أردت بكتابة هذه السطور أن أؤكد أن قضية مسرحيات للقراءة وأخرى للتمثيل التى أثارها الاستاذ حافظ لا تتعلق بالمؤلف أو بناء المسرحية كما ذهب إلى هذا ، ولكنها تتعلق بنوعية هذا الجمهور وثقافته وطبقته الاجتماعية .

جاد محمد جاد رزق
كلية الاعلام ــ جامعة القاهرة

« ومجلة الدوحة » إذ تنشر هذه الرسالة ، تفتح الباب أمام نقاش واسع وكبير بين المهتمين بالأدب والثقافة والمسرح ، لأنه موضوع يدخل فى صميم حضارتنا الفكرية .. وفى انتظار رسائل اخرى »

## تعقيب على مقال "مسرحيات للقــراءة"



د . يوسف ادريس



أمل دنقل

قرأت ما كتبه الاستاذ رجـاء النقـاش فى عـدد يونيو ١٩٨٢ تحت عنـوان « لمـاذا نقتـل الشعراء » وقد اسهـب كثيراً فى الحديث عن الشاعر « أمل دنقل » فتحدث عن محنته ثم اشعـاره وانتاجه ، وقد اخذ ذلك كله حيزا كبيراً من مقالته ، وكان الأجدى ــ فى رأيي ــ أن يورده كمثال ثم يواصل مناقشة المقال كما جاء فى عنوانه .

كذلك قرأت ما كتبه الدكتـــور يوسف إدريس فى نفس العــدد عن « ورشة القصة فى نيودلهي » وأكاد أقول أن الدكتور يوسف قد خرج عن موضوع المقال فسر لنا ماساة ابنه وكم عمره وكيف كان حاله ، وكان الأجدر به ان يختصر فى ذلك .

وقد اورد فى موضوعه تفصيلات أرى انها غير مهمة ، منها أن البعض قد ذهبوا إلـى « الورشة » على نفقتهم الخاصة. واعتقد أن الدكتـور يوسـف إدريس لم يضع نقاطـاً محددة لموضوعــه .

عاطف عبد المجيد قناوي
بحري ــ السودان

## مسـجد الكتيبـة ومسـجد حسـان

أتابع أعداد « الدوحة » وماتنشره ، وأطالعه باهتمام كبير وحبذا لو امكنكم زيادة المساحة المخصصة لتوعية الشباب والمرأة المسلمة .

وقد لاحظت خطا ورد فى معلومات أرسلها القاريء طلعت حسن محمد جاد الله تحت عنوان« مسجد .. مواد بنائه خلطت بالمسك » ، فقد ذكر انه مسجد « الكتبية » الموجود فى الرباط ، ولكن الصواب هو أن مسجد الكتبية موجود فى مراكش ، أما مسجد الرباط فاسمه مسجد « حسان » .

الزريبي عبد الجليل
اليوسفية ــ المغرب

« شكراً للقاريء العزيز على اهتمامه . وأما اقتراحه بزيادة الصفحات المخصصة لتوعية الشباب والمرأة المسلمة فهو قيد الدراسة » .

« الدوحة »

## أحمد العاصى .. الشاعر المظلوم

شدت انتباهي ، تلك الدراسة القيمة التى قدمتها « الدوحة » عن الشاعر « أحمد العاصي » الذى مات منتحراً بسبب يأسه من الحياة .

إن الكاتب عودنا فيما يكتب على دراسة الأعمال الأدبية الحبيسة داخل نعوش النسيان ومجاهل النكران ، والتى لم تنعم بالشهرة حتى لو كانت تستحقها عن جدارة ، نتيجة فشل أصحابها فى نشر تلك الأعمال بسبب عوزهم المادي أو الاحباط النفسي الذى تسرب إلى نفوسهم .

إن هذه الدراسة لتقييم شعر المرحوم أحمد العاصي ، تعتبر مثالا للدراسات النقدية التى تقوم على منهج علمي صحيح ، فلقد ألقت الضوء على قصائد الشاعر ، وما كان يعانيه من آلام نفسية مزقت آماله ، حتى انه عاف العيش فى حياة ظن أنها ليست جديرة بأن يحياها انسان حساس مثله ، ولذلك وضع بيده نهاية لهذه الحياة ومات منتحراً .

لقد كان الشاعر سلبياً فى مواجهته للظروف الصعبة من حوله فلم يحاول كما أثبتت الدراسة أن يسلح نفسه بالثقافات الدينية والسياسية والاجتماعية التى تعينه على تجاوز تلك الأزمة ، وهذا الأسلوب السلبي هو الذى دفع بالشاعر إلى طريق النهاية المسدودة ، فاظلمت الدنيا أمامه ، ولم يستطع الشاعر أن يدين المجتمع الظالم إلا بالانتحار وهذا أسلوب الضعفاء .

وكشفت هذه الدراسة أيضاً عن الظروف الصعبة التى عاشها الشاعر فى مجتمع مفكك مضطرب ، أوقدت فى نفسه جذوة اليأس التى أحرقته فى ريعان شبابه .

إننا فى أمس الحاجة لمثل هذا النوع من الدراسات الجادة والمنصفة ، التى تطلق سراح الأعمال الأدبية الجيدة الحبيسة ، وتعطيها حريتها فى التعبير عن نفسها ، وتعيد إليها حقها المهضوم فوق الساحة الأدبية .

محمد عبد الهادى محمد
المدرس المساعد بكلية الآثار
جامعة القاهـــرة

## حول فكر العدو الصهيوني

إيماناً مني بالدور الرائد الذى تقوم به مجلة الدوحة فى الحياة الفكرية والأدبية فى العالم العربي أود أن أتساءل :

أليس من واجب « الدوحة » أن تلقي بعض الضوء حول الفكر الصهيـــوني أو « الأدب الصهيوني » إن جاز التعبير ، لنعلم حقيقة هذه العقلية التى بلغ بها الصلف أشده . ؟

حسام أبو عساكر
الرياض ــ السعودية

## مـاذا يفعـل كتابنا الشبان ؟

شبابنا العربي القادر على التأليف والكتابة بأنواعها ، يعيشون مشكلة لها أساس اقتصادي ومعنوى .

فامكانياتهم المادية لاتسمح لهم بطبع مؤلفاتهم ، كذلك فان دور النشر لا ترحب إلا بالمؤلفين والكتاب المعروفين ، حتى تضمن توزيع وبيع مطبوعاتها لأنها تقدم عملا تجارياً لا إسهاماً ثقافياً .

وقـــد سئل أحد الكتـــاب المعروفيـــن عـــن رأيــه فى هـــذه المشكلة فقال إنه لكي تظهر مؤلفات شبابنا الناشيء ، يجب عليهم أولا أن يتولوا بأنفسهم طبع إنتاجهم على حسابهم الخاص حتى ينتشر اسمهم ويعرف ، وبعدها سيذهب الناشرون إليهم يطرقون عليهم الأبواب .

ولكن .. من أيـــن لشبابنـــا بتكاليف الطباعة وقد أصبحت مرتفعة إلى حد معجز ؟

أمر آخر ألفت النظر إليه : لكي يرقى ويتعمق مستوى انتاج الشباب ، لابد لهم من القراءة .. القراءة الكثيرة .. والكتب أثمانها مرتفعة وفوق طاقة شبابنا .. فهل نطمع فى أن يزيد المسئولون من عدد « المكتبـــات العامـــة » ويتعهدوها بكل ماصدر ويصدر فى الأدب والفكر والفن والحياة لنتيح للشباب فرصة أكبر للقراءة والاطلاع . ؟

مهندس / السيد محمد شقيق
القاهـــرة

## لا .. يادكتور الشباب يعرف !

استوقفتني الورقة الأخيرة التى كانت تحت عنوان « عندما يغدو التراث مسرحاً يلعب فيه الصغار » للكاتب الدكتور عماد الدين خليل .

وقد خرجت من قراءتها وإمعان النظر فيها فلم أجد إلا حملة على طلاب يدلون برأيهم فى التراث ، والحملة مزودة بـ « دوجماطيقية » .. وإلا فهل يعقل تصور طالب جامعي تشغله مشكلة التراث والتجديد ، فينظر فى تراث الأقدمين ويخرج من ذلك بشيء يصلح لعصره ، خليق بأن يقذف به فى النار ــ كما أشار بذلك هيوم ــ !

هل يعقل أن مثل هذا الطالب لايعرف ــ على حد تعبير الكاتب ــ التسلسل الزمني للخلفاء الراشدين ، ولا فى أي سنة هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .. ولماذا ؟! . هل يعقل كذلك أن يسعى إنسان لأن يكون عربياً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ومع ذلك يريد أن يكون عربياً يعيش فى عصره ، ولا يعرف من هو طه حسين أو العقاد أو هيجل أو سارتر .!؟

كان الأفضل لو أن كاتب المقال ــ د. عماد الدين خليل ــ أدلى فى قضية الأصالة والمعاصرة برأي جديد ، أو يذكرنا بدرس نتعلمه من الأوائل .

صلاح اسماعيل عبد الحق
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

## ردود سريعـة

● الى الأديب الكاتب الكبير الأستاذ الدكتور كامل سعفان

يمكنكم رفع قضية أمام المحاكم ، وقد انصف القضاء كل الحالات المشابهة عندما عرضت عليه .

مع تمنياتنا الطيبة وتقديرنا الكبير لما تكتبون .

● سامى حسين محمد
إنشاص الرمل ــ مصر

يؤسفنا أننا لا نســـتطيع تزويدك بالأعداد الســـابق صدورها من المجلة ويمكنك أن تبحث لدى بعض المكتبات ودور النشر التى تقوم بمتابعة الأعداد وتجليدها وبيعها للراغبين .

● حسين عوض موسى
بكالوريوس علوم ــ طنطا

شكراً على كلماتك الرقيقة وشعورك الطيب . أما عن انتاج القراء فان المجلة تفتح صفحاتها لكل إنتاج ذى مستوى جيد .

● القارىء جمال ابراهيم يوسف ــ بركة السبع ــ ج. م . ع :
المجلة تهتم بالآداب العالميـــة ولو تصفحت الأعداد السابقة لوجدت هذا واضحا .

● القارئة الآنسة خضراء طلاح ــ تيسمسلت ــ الجزائر :
نشرت المجلة دراسة عن الشاعر نزار قبانى تجدينها فى الأعداد السابقة .

# عندما أصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم... فماذا قالوا...؟!

## إمرأة تدعى جولدا.. وأشياء أخرى مزعجة!

شهدت امريكا أخيراً ، الفيلم التليفزيونى الطويل « امرأة تدعى جولدا » الذى يؤرخ لحياة « جولدا مائير » .. الفيلم من جزئين .. كل جزء ساعتان !!

لعبت الممثلة السويدية العالمية ، « انجريد برجمان » دور جولدا .. فيما يقال عنه ، انه واحد من أهم أدوارها السينمائية .. فقد استطاعت ان تتقمص من خلال ماكياج دقيق ، وتدريب خاص على الحركة والكلام .. لتعطى نموذجاً مشابها تماماً لجولدا مائير ..

تم تصوير الفيلم بأكمله فى اسرائيل ..

أنفقت شركة « بارامونت » الامريكية ، أربعة ملايين دولار لانتاج هذا الفيلم ..

ضم الفيلم ٧٥ ممثلا اسرائيلياً ، فى ادوار رئيسية وثانوية .. وعمل أيضاً أكثر من ٧٠ اسرائيلياً فى مختلف الفروع الفنية للفيلم . مما شكل هذا العدد نسبة ٩٥٪ من مجموع العاملين فى الفيلم! !




بقلم: رؤوف توفيق

● اسرائيل .. واليهود مرة أخرى !!

انهم لا يكفون عن التذكير بأنفسهم .. معاناتهم .. واضطهادهم .. وبطولاتهم .. وانتصاراتهم .. وأهم شخصياتهم .. واحلامهم !

انهم لا يكفون عن الضجيج وقرع الطبول



انجريد برجمان ٦٧ عاماً اصطادوها فى اسرائيل

الممثلة « فاي دونا واى» فى اخر افلامها تلعب دور « ايفا براون » قبل ان ترتبط بالعمل مع المخرج الاسرائيلي .



.. وكأن العالم يجب ان يكون مشغولا بهم دائماً .. وألا ينساهم أبداً .. سواء فى الواقع اليومى .. أو فى الادب والفن . !

وها نحن نعود للحديث عن اسرائيل واليهود .. وكأننا على موعد .. فقد اكتشفت ان الصدفة وحدها .. هى التى جعلتنى على مدى أربع سنوات متتالية .. وفى شهر سبتمبر بالذات .. اكتب « للدوحة » عن هذا الموضوع .. وما يفعله اليهود داخل اسرائيل أو خارجها فى مجال الفن وبالذات .. السينما !

ففى هذه الأيام من كل عام ، أكون قد عدت من مهرجان « كان » السينمائى ، مشحوناً بهذه الرؤية الغنية لمختلف التيارات الفكرية والسينمائية فى هذا الملتقى العالمى مسنوداً بهذا الرصيد المتجدد من الكتب والدراسات واللقاءات والنشرات الصحفية عن مختلف ما تنتجه السينما فى العالم ..

ولابد ان يكون بينها اخر ما يفكر فيه هؤلاء القوم فى اسرائيل وخارجها .. وآخر ما يقدمونه من الأفلام .. وأيضاً ما يخططون له ! .

وفى هذا العام .. ومع احداث لبنان الدامية ، والغزو الاسرائيلى الهمجى القذر .. وصور الخراب والدمار الكاسح .. وجثث الشهداء والأطفال الابرياء ، والجرحى الذين فرض عليهم الحصار الوحشى .. تذكرت هذه الكتيبات والنشرات الصحفية التى كانوا يلقونها فى صناديق الصحفيين والنقاد المشتركين فى مهرجان كان .. وما كان يحفل به صندوقى كل يوم من بعض هذه المواد اللامعة المصقولة والمليئة بالدعاية لنشاطهم وافلامهم .

كنت قد قررت فى لحظات الغضب والأسى لما يحدث فى لبنان .. ألا أفتح هذه الأوراق .. وان أسقط من ذاكرتى بعض ما شاهدته لهم من افلام .

ولكنى عدلت عن قرارى .. لكى افهم أكثر كيف يتحركون فى العالم .. وكيف يؤثرون فى الرأى العام .. وكيف يبيعون السم فى الأشرطة السينمائية الملونة .

صحيح .. ان الذين يتعاملون فى سفك الدماء .. ويتفننون فى الخراب والابادة والقتل الجماعى .. لا يمكن ان يصنعوا فناً !

فالفن أساساً حب .. وجمال .. وتبشير بالحياة والأمل ..

ولكن مع اختلال الموازين فى العالم .. وسيادة روح العنف والارهاب .. أصبح الفن أيضاً يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم ! !




عندما أصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم... فماذا قالوا...؟!



انجريد برجمان أثناء تصوير الفيلم ، تجلس فى أقصى اليسار مع بعض ممثلي الفيلم ومنتجه !



المنتج الأمريكي « جين كورمان » الذى أعلن انه يفضل العمل فى اسرائيل لأنها أرخص بلاد العالم ( !! ) .

## ● الممثلة التى اقنعوها بحب « جولدا مائير »

انهم يتحدثون بفخر شديد عن فيلم « امراة تدعى جولدا » .. وعندهم عشرات من التفاصيل عن الموضوع .. وجولدا الزعيمة الاسرائيلية .. وجولدا الممثلة انجريد برجمان .. وعن الانتاج الامريكى .. وعن التصوير وبناء الديكورات للمواقع الاسرائيلية كما فى الحقيقة .. و .. و ..

انهم بارعون جداً فى الدعاية ..

يقولون فى نشرة الفيلم الاسرائيلى لهذا العام .. « ان اعداد قصة حياة شخصية معروفة .. أمر غير سهل .. وهو امر اكثر صعوبة فى حالة « جولدا مائير » حيث يجب ان توازن بين قوة امراة رائدة .. ورقة ام يهودية ..( !! ) » .

ويقولون .. ان الفيلم يغطى سبعين عاماً من حياة جولدا مائير ، منذ ان كانت طفلة صغيرة فى روسيا .. حتى هجرتها الى فلسطين .. وانضمامها الى الحركة اليهودية .. ودورها فى قيام دولة اسرائيل .. افكارها ، ومخططاتها ، ومعاركها حتى مرحلة تولى رئاسة الوزارة الاسرائيلية من عام ٦٩ الى عام ٧٤ .. ثم وفاتها فى ديسمبر ٧٨ .

وتقول انجريد برجمان التى سمحت ان يغيروا وجهها الجميل الهادىء .. الى نسخة اخرى من جولدا .. تقول : « قلبى سيطر على تفكيرى .. وسقطت فى حب جولدا مائير .. انها صادقة جداً ، مخلصة ، مرتبطة بالأرض .. وليس فيها اى شىء مزيف » ( !! ) .

وقد كانت انجريد برجمان فى زيارة سياحية لاسرائيل فى فبراير ٨١ .. وهى أول زيارة لها لاسرائيل ، وكانت بهدف رؤية بعض الأماكن الدينية المقدسة .. وهناك « اصطادها » المنتج الامريكى « جين كورمان » والذى أصبح شبه مقيم فى اسرائيل ، حيث يصور كل افلامه هناك .. وكان آخر افلامه « الأحمر الكبير » الذى اخرجه صمويل فولر ولعب بطولته « لي مارفن » واشتركت به امريكا فى المسابقة الرسمية لمهرجان كان ٨٠ ( راجع مقال الدوحة سبتمبر ٨٠ ) .

وبذكاء شديد طرح المنتج الامريكى

ممثلون مراهقون وموضوع يعتمد على الاثارة وافلام سريعة الربح .. هذا ما تفكر فيه الشركة الاسرائيلية .

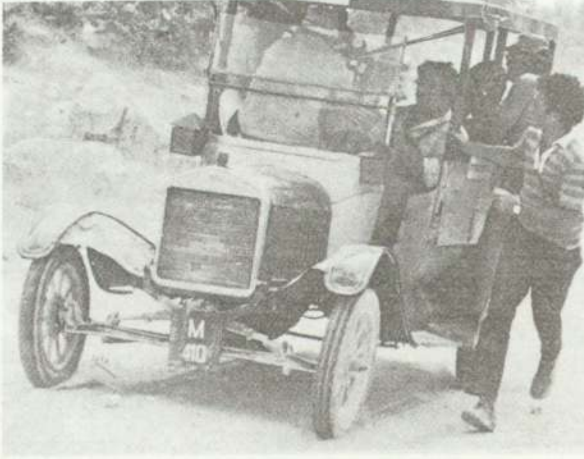


مشهد من فيلم « آخر فتاة امريكية عذراء » احدث افلام الشركة الاسرائيلية .





المخرج الاسرائيلي « مناحم جولان » على اليسار مع شريكه الجديد الذي يملك شركة انتاج تليفزيوني !



سيارة موديل علم ١٩٢٣ ، استخدموها لتركبها الممثلة التى تلعب دور جولدا مائير أثناء جولتها فى المستعمرات الاسرائيلية فى فلسطين !

« كورمان » على الممثلة الذائعة الصيت « انجريد برجمان » ان تلعب دور جولدا مائير .. ودبر مواعيد مع بعض المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية لاقناعها بالدور .. وعرضوا عليها مجموعة من الافلام الأخبارية عما كانت تفعله جولدا مائير .

بعد هذا بثلاثة أشهر .. كانت « انجريد برجمان » قد تلقت سيناريو الفيلم كاملا .. وبدأ الاستعداد للعمل . !

ويقال ـ كما نشرت جريدة نيويورك تايمز ـ ان صديقا لانجريد برجمان .. وهو « سيدنى برنستين » صاحب شركة تليفزيون انجليزية .. اقنعها بقبول الدور على أساس انه أفضل علاج لها من عذاب السرطان والخوف من انتشاره فى جسدها .. بعد ان اصيبت به عام ٧٤ .

وكما يؤكد المنتج « كورمان » الذى تولى انتاج هذا الفيلم ان انجريد برجمان شعرت بتعاطف شديد مع شخصية جولدا مائير .. وعلى حد تعبيرهم : « ان كلتيهما قد أصيبتا بمرض خطير .. وكلتاهما ضحتا بحياتهما الشخصية فى مقابل العمل .. جولدا مائير ضحت بزواجها لبناء الدولة الاسرائيلية .. وانجريد برجمان ضحت بزواجها واطفالها من اجل الاستمرار فى السينما .. » ( !! ) ويضيف المنتج قائلا : « لا يفهم تضحية امراة من هذا النوع .. الا امراة مثلها » ! .

وتؤمن انجريد برجمان على هذا الرأى فتقول : « اننى افهم عقدة الذنب عند جولدا مائير امام أطفالها .. فقد عشت هذا الاحساس بالذنب طوال عمرى » ! .

وهكذا اقنعوها ..

تقول فى نفس الحديث الصحفى بجريدة نيويورك تايمز .. انه بعد فيلم « سوناتا الخريف » الذى مثلته من اخراج انجمار برجمان .. لم تجد دوراً مناسباً يحمسها لان تلعبه : ( انهم لا يكتبون افلاماً لامراة فى سنى .. سوى ادوار الجدات اللاتى يعشن فى الاركان » .

ولهذا قبلت الممثلة المشهورة ـ والتى يتجاوز عمرها الآن ٦٧ عاماً ـ ان تمثل دور جولدا مائير لاقتناعها الشخصى باهمية هذه المراة : « انها امراة يعرف اسمها الجميع .. ولكنى أطمع فى ان يعرفونها اكثر » !! .

« عشيق الليدي شاترلي » رواية « د.هـ.لورانس » التى حولتها الشركة الاسرائيلية إلى فيلم لتكسب ـ فقط ـ الأرباح !



« سيلفيا كريستل » التى ارتبط اسمها بأفلام الاثارة .. وكما تبدو هنا فى فيلم « عشيق الليدي شاترلي »





« انجريد برجمان » فى اخر افلامها « سوناتا الخريف » قبل ان تمثل دور جولدا مائير






« شين كونري » هو الآخر يقبل العمل مع الشركة الاسرائيلية .

عندما أصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم.. فماذا قالوا...؟!

● ماذا فعلوا .. لكى يخلقوا الاسطورة .؟

وقد استدعى تصوير احداث هذا الفيلم .. ان يعيدوا بناء « الكنيست » داخل الاستوديو .. كما اعادوا بناء قطاع يمثل فلسطين فى الأعوام من ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ .. وأن يحولوا احدى معسكرات الجيش فى القدس الى معسكر يماثل ماحدث فى قبرص عندما نزل اليها عدد ضخم من المهاجرين اليهود فى طريقهم الى اسرائيل .. فاعتقلتهم السلطات القبرصية .. مما جعل جولدا مائير تسافر إليهم لترحب بهم .. ويصور الفيلم أطفال المهاجرين وهم يستقبلونها بالزهور المصنوعة من الأوراق .. حيث لا يستطيعون الحصول على زهور حقيقية للترحيب بها » !! .

وهكذا صنعوا الاسطورة .. ويبيعونها الآن للتليفزيونات العالمية !!

● الرجل الداهية .. فى امريكا

فى نفس الوقت الذى يتحرك فيه المخرج الاسرائيلى « مناحم جولان » بين مئات الملايين من الدولارات فى شركته السينمائية المعروفة باسم « كانون » والتى انشاها فى هوليود بالولايات المتحدة ..

لقد كان أكبر مخرج اسرائيلى وأكثرهم نكاء ومقدرة على تنفيذ مخططات الدعاية للحكومة الاسرائيلية .. اما الآن فقد أصبح العقل المدبر لشركة سينمائية امريكية .. تنتشر كالأخطبوط وبسرعة مذهلة من الولايات الامريكية الى أوربا واليابان .

وقد ذهب « مناحم جولان » الى مهرجان كان .. ليقيم أضخم حملة دعاية للنجوم الذين تعاقد معهم على بطولة افلام شركته .. لافتات وملصقات هائلة .. حفلات كوكتيل .. وسهرات باذخة .. وشراء صفحات يومية من جرائد المهرجان للاعلان عن افلامه .

واذا اردنا ان نتابع حجم اعماله .. نعود الى المقالات السابقة والتى كتبتها فى الدوحة ( سبتمبر ٧٩ ـ واكتوبر ٨٠ ) .. حيث أشرت فى مجال تحليل هذه الظاهرة اليهودية .. ان هذا المخرج الاسرائيلى اختار ان ينتقل الى امريكا .. « لأن امريكا هى نصف العالم .. وعلينا ان نتعامل على هذا الاساس » .. « أول انتاج للشركة ثمان افلام تكلفت ميزانية قدرها عشرون مليون دولار » .

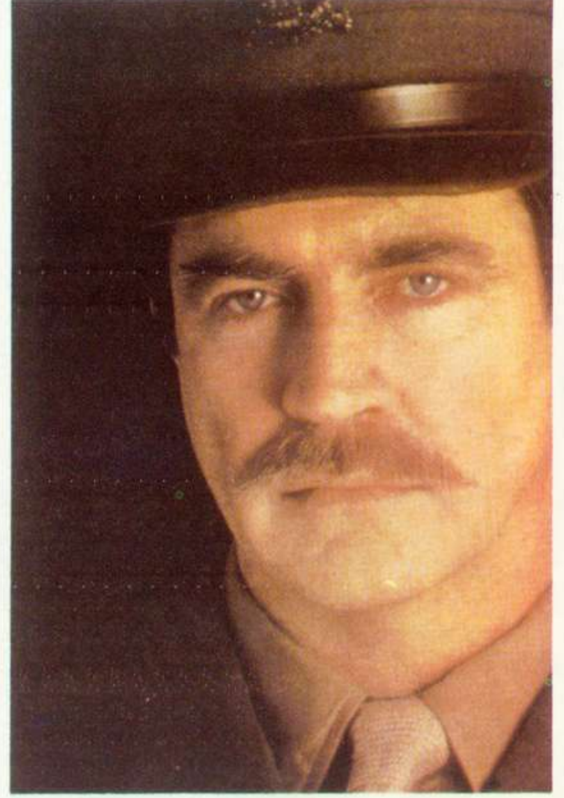
اما هذا العام .. فهو يصرح لمجلة « السينما الفرنسية » فى احد اعداد مهرجان كان .. بأن ارباح شركته فى العام الماضى وصلت إلى أربعة وعشرين مليون ونصف مليون دولار .. « وقد اضفنا هذه الأرباح على أصول شركتنا السينمائية لنتمكن من انتاج الافلام الكبيرة » .

● انه يقول :

يقول فى توضيح خطته : « نحن نعرف ان كل شخص فى العالم يرغب فى مشاهدة فيلم امريكى .. ولكن هذه الأفلام الامريكية الكبيرة لم يعد ممكنا الآن صنعها .. ولهذا قررنا نحن ان نصنعها .. ففى حين ان أغلب الاستوديوهات الامريكية خفضت انتاجها ٥٣٪ .. وأصبح عدد كبير من النجوم والفنيين بلا عمل .. ولهذا قررنا ان ننتج افلاماً كبيرة بميزانيات صغيرة .. وقد اثبتنا على اننا قادرين على البقاء فى السوق العالمى .. وقادرون على ان نكون عظماء » ( !! ) .

هكذا يتكلم .. ولنا ان نفهم معنى كلماته .. حينما يقول « فى اثناء فترة انعقاد مهرجان كان هذا العام .. استطعنا ان نعقد صفقات بيع لأفلامنا تجاوزت ٣٥ مليون دولار » ! ويضيف « فمادمت فى كان .. فانت داخل السوق السينمائى للعالم كله حيث يتجمع فى مكان واحد .. مما يعطى افلامك دفعة قوية .. وما علينا الا ان نتحرك » !

وقد نشرت الصحف الفرنسية اثناء فترة مهرجان كان .. ان صاحب شركة ( فياكون ) للانتاج التليفزيوني دخل شريكا مع شركة « كانون » بميزانية قدرها مائة مليون دولار



« الن بيتس » وافق على العمل مع الشركة الاسرائيلية لانه سيقبض ٥٠٪ من أرباح الفيلم !!



الممثلة « سيلفيا كريستل » كما يعدونها الآن لتمثل احد افلام الشركة الاسرائيلية فى امريكا وهو فيلم « ماتا هاري » الذى سبق وان قدمته من قبل « جريتا جاربو » ويعد من كلاسيكيات السينما الامريكية .

للانتاج التليفزيوني فى عام ٨٢ ـ ٨٣ .

● قائمة من النجوم .. تنضم إليه

ولكى نفهم كيف يتعامل هـــذا العقل اليهودى مع نجوم السينما .. علينا ان نقرأ هذا التصريح الذى أدلى به مناحم جولان حينما قال .. « ان شركتنا السينمائية تتكون من ٢٧ شخصاً فقط يتولون أعمال الادارة .. ومعنى هذا ان مصاريفنا الادارية منخفضة .. مما يمكننا من اعطاء نسبة أرباح عالية لمن يتعاون معنا .. ولهذا وافق بفرح شديد كل من « فاى دوناواى » و « آلان بيتس » لأن يعملا معنا بنسبة ٥٠٪ من الأرباح » !! .

وقائمة الممثلين الامريكيين النجوم الذين قبلوا العمل فى هذه الشركة التى يملكها هذا المخرج الاسرائيلى وزميله « جلوباس » المنتج الاسرائيلى أيضاً .. تضم القائمة عدداً يثير الدهشة .. فمن بينهم « شين كونرى » ـ « شارلز برونسون » ـ « روبرت ميتشوم » ـ « مارتن شين » ـ « سيلفيـــا كريستل » ـ « اليوت جولد » .

اما نوعية الافلام التى ينتجونها ـ حتى الآن ـ فهى اما أفلام بوليسية ـ أو افلام كوميدية ـ أو أفلام المغامرات والاثارة .. اى الافلام التجارية التى تغطى تكاليفها وتربح من الانتشار فى دور السينما الصغيرة وعلى مساحة امريكا كلها وأوربا واليابان ..

● صفقات .. صفقات

ومن ذكائهم انهم عرفوا ان احد ملوك دور السينما فى انجلترا يعانى أزمة ماليـــة .. فعرضوا عليه شراء ١٣٠ دار عرض سينمائى فى انجلترا مقابل ١٤ مليـــون دولار !!

يقول المخرج « مناجم جولان » عن هـــذه الصفقة :

« لقد كانت مشكلتنا اننا لا نملك دور عرض فى انجلترا .. اما الآن فقد اصبحنا من ذوى دور العرض بحيث يمكننا ان نعرض افلامنا كما نشاء .. وان نتولى ايضاً عرض افلام منتجين آخرين » !!

رجل بهذه العقلية .. يتشمم الصفقات الرابحة .. ويتحول من رئيس لشركة تتعامل بعشرين مليون دولار .. الى رئيس شركة تلعب بمئات الملايين .. ويستطيع ان يجند الى جانبه كبار الممثلين .. كل هذا فى ظرف عامين ..

ماذا يمكنه ان يفعل فى خمس سنوات ؟!
وهـــل سيكتفى بالأفلام الخفيفة المسلية .. ام أنه سيكشف عن هويته الحقيقية .. العنصرية اليهودية .. والتعاليم الاسرائيلية لغزو العالم فكرياً ؟

● السؤال الذى يجب ان يزعجنا

انهم يتحركون بسرعة .. وبخطه محكمة للانتشار ..

يطلقون الرصاص .. ويقتلون الابرياء .. ويهدمون البيوت .. ويسرقون الأرض .. وفى نفس الوقت يصنعون الافلام ويعزفون الموسيقى .. ويغنون .. !!

كيف يمكن ان يستوى هذا ؟ !

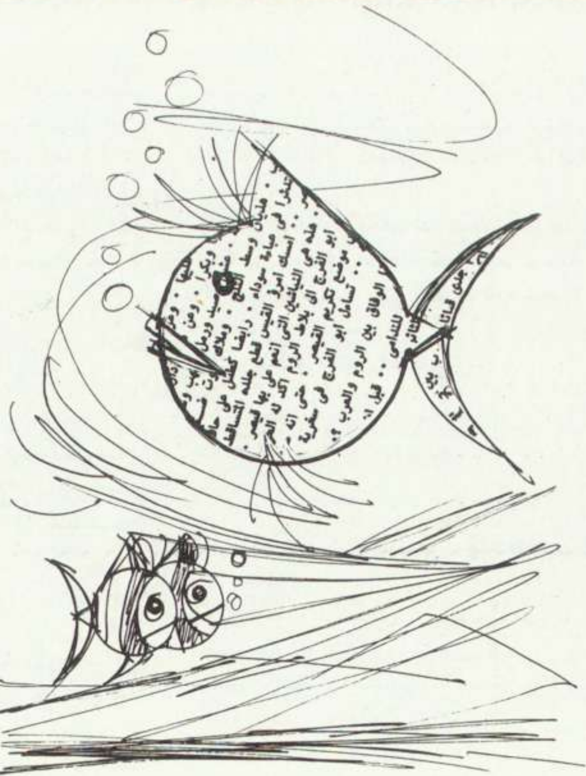
وماذا نحن فاعلون ؟ ! انه السؤال الذى يجب ان يزعجنا !

« رءوف توفيق »

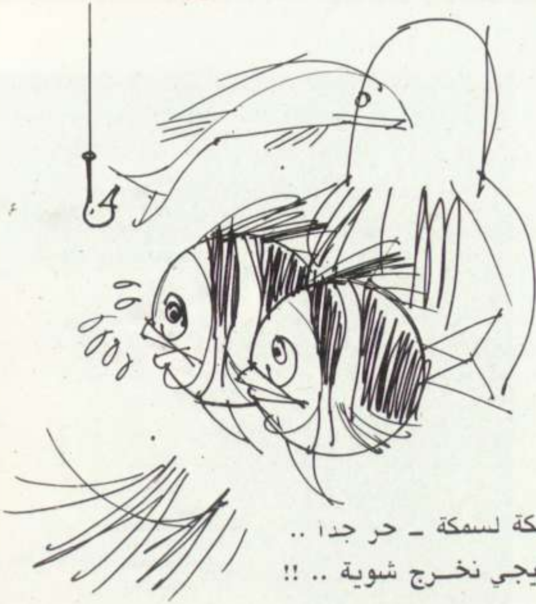
# ضحكات الشهر



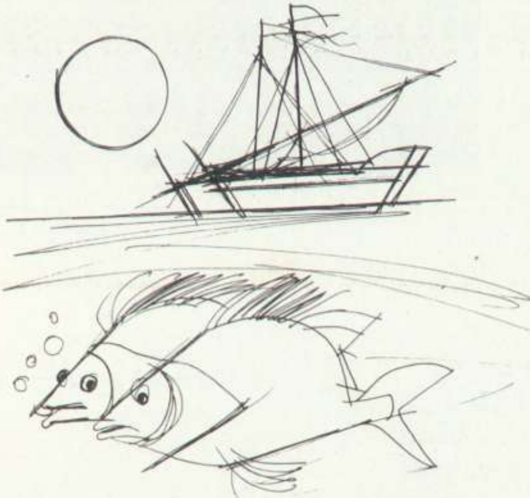


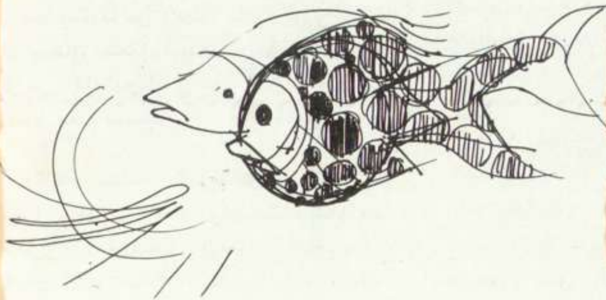
سمكة لتانيه : .. كلام عايم .. !!



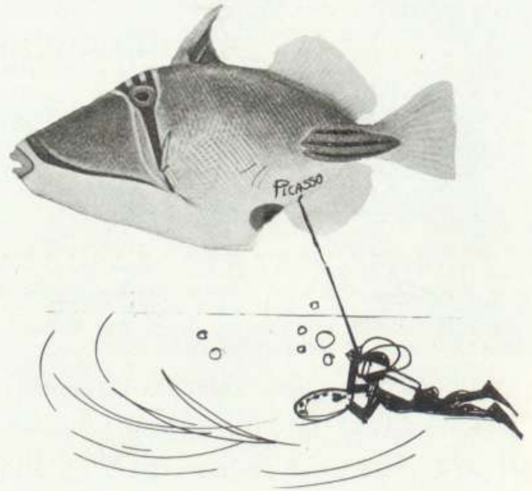
سمكة لسمكة ــ حر جدا ..
ماتيجي نخــرج شوية .. !!



سمكة لسمكة ــ أنا محتاجة « مخرج »
شاطر يقدمنى للجمهور ... !!



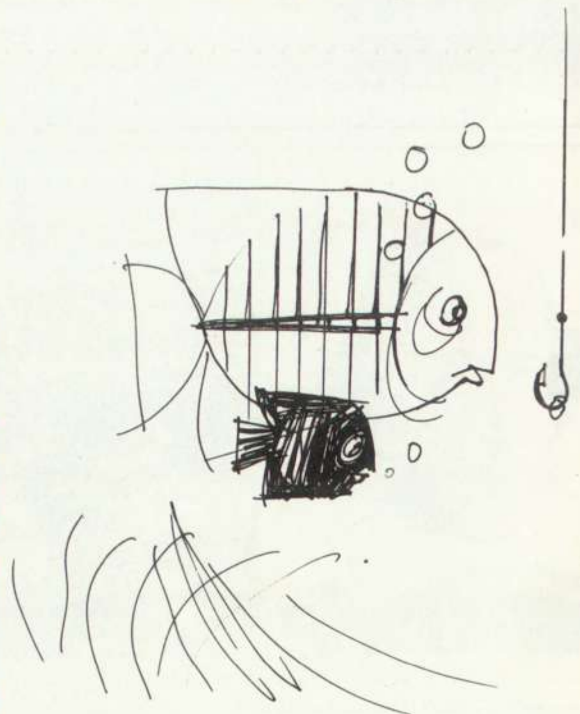
( السمك الراقص )
ــ مين اللي نقطـــك .. ؟؟



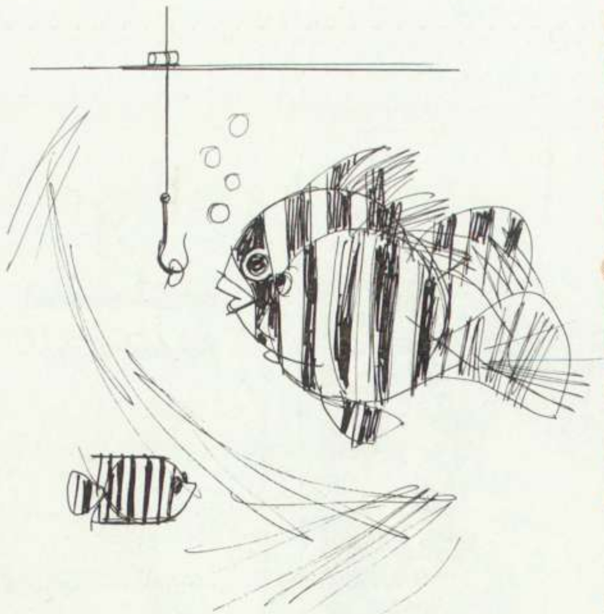

... !!



ـ صيد من بحور الشعـر .. !!



ـ خارجة اشتري لحمـه !!



ـ .. عيب ما تخرجيش بالبيجامـة .. !!



# دوحة القراء

برجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

## مسابقة الدوحة ؟ ؟ ؟ ؟

## حاول أن تعرف



هذه الجزيرة احدى بلاد الكومنولث المستقلة يعيش بها اليونانيون ، والأتراك وكثير من الجنسيات الأخرى .. تشتهر بانتاج النحاس وزراعة العنب وتعد من البلاد الجبلية ما اسم هذه الدولة . واين تقع ؟



هذه اللوحة من أعمال أعظم فناني النهضة الايطالية ، درس ومارس الرسم منذ صغره بفلورنسا ثم بروما ، زامل الفنان مايكل انجلو وليوناردو دافنشى ودرس اعمالهم وتلقى الكثير عنهم .. لم يستخدم الاوضاع الجامدة التى كان الرسامون المبكرون يتميزون بها ، بل ركز على شخصية الشخص الذى يرسمه . وقد توفى عام ١٥٢٠ فى سن السابعة والثلاثين .

## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٩



١ المملكة العربية السعودية وتقع فى قارة آسيا فى شبه الجزيرة العربية .

١ ـ خير ثابت احمد محمد ـ مصر

٢ ـ فؤاد سعيد ناشر ـ الجمهورية العربية اليمنية .



٢ الكاتب المسرحى الانجليزى وليم شكسبير

١ ـ عبد الوالى أحمد محمد ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ أحمد عثمان علي أحمد ـ السودان .

# لقطة الشهر




لحظة تأمل بريئة على الشاطئ

## لماذا أغلقوا الصحيفة؟

فقد مواطن انجليزي كلبه ، فنشر إعلاناً باحدى الصحف يتعهد فيه بدفع مبلغ مائة جنيه لمن يرد اليه كلبه الثمين ..

وعندما لم تظهر الصحيفة لدى الباعة في صبيحة اليوم التالي ذهب الى مكاتب تحريرها فوجدها مغلقة ، ولم يجد أحد سوى الحارس .

فسأله قائلا :

ألن تصدر الصحيفة اليوم - ؟ .

– كلا ياسيدي !

لماذا - ؟

– لأن المحررين ذهبوا للبحث عن كلب مفقود !

**محمود محمد طه**
**السودان**

## لماذا سمّوها جزر الكناري؟

قد يظن البعض أن اسم تلك الجزر مشتق من اسم الطائر المعروف ... ولكن المتتبع لتاريخ تلك التسمية يكتشف أن أول من اطلقها هو الكاتب الكلاسيكى القديم ( بلينى ) . وذلك لوجود اعداد كبيرة من الكلاب الضخمة التى تنتمى الى الفصيلة المسناه « كناريا » .

وجزر الكنارى مجموعة مكونة من سبع جزر رئيسية تقع فى المحيط الأطلسى قرب الساحل الأفريقى ، ويبلغ مجموع مساحتها حوالى سبعة آلاف وثلاثمائة كيلومتر مربع .. وتلك الجزر خصبة التربة ومناخها معتدل وينمو فيها البن وأشجار النخيل والحمضيات والموز وقصب السكر والتبغ والتين والبطاطا والعنب وغيرها .

وفى عام ٩٩٩ للميلاد نزل العرب جزر الكنارى وتاجروا هناك ... وهى تعد منطقة سياحية مزدهرة يبلغ عدد سكانها حوالى مليون ومائتى ألف نسمة .

وحتى عام ١٩٢٧ كانت تلك الجزر تشكل مقاطعة أسبانية واحدة ... إلا أنها قسمت فى تلك السنة الى مقاطعتين بسبب التنافس بين الميناءين الرئيسيين فيها : لاس بالماس وسانتا كروز .

**عائشة محمد شلش**
**مصر الجديدة**

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

## مَن ؟

حاكم مسلم عادل تربطه صلة نسب بحاكم مسلم عادل، حتى أصبحا المثل الأعلى فى التاريخ كله عدلا وقوة فى الحق وخشية لله.
اسمه من أربع كلمات فى أربعة عشرة حرفاً :
٩ ـ ١٠ ـ ١ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٣
طيب يستخرج من الحوت
٢ ـ ١٢ ـ ٦ ـ ١٤ ـ ١١
غير ثابت أو مستقر
٨ ـ ٤ ـ ١٣ إمارة عربية

## أين ؟

المدينة العربية التى اشتهرت بألف مئذنة ، وحفظت اللغة العربية من الضياع خلال عصور التأخر والانحطاط وبها نشأت أقدم جامعة فى العالم قاطبة . اسمها من سبعة أحرف :

١ ـ ٦ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٣ شدة التعب
٧ ـ ٢ أرض مرتفعة

## ما ؟

حادث فى صلب العقيدة الاسلامية هو الذى يربط قلوب بليون انسان معاصر بقضية فلسطين ويحفزهم إلى الاستشهاد فى سبيل تحريرها وإعادتها لحوزة الاسلام ، ألفاظه من خمسة عشر حرفاً فى كلمتين :
٩ـ٢ـ٣ـ١١ـ١٠ليس اليأس
٤ ـ١٣ ـ٦ ـ ١٥ اداة للنور
١٢ـ ٨ ـ٥ ـ ١ ـ ٧ لها عين واحدة فقط
٢ ـ ١٤ حرف نفي

## الإجابة الصحيحة

(١) ولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعد ميلاد المسيح عليه السلام سنة :
٥٧١ ـ ٦٤٢ ـ ٨٠١ م
(٢) « تقل كثافة الماء كلما انخفضت حرارته عن درجة أربعة مئوية »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟
(٣) نخلة البلح من النباتات :
وحيد الخلية ـ السرخسية ـ احادية الفلقة
(٤) ثلاثة من الشعراء ادناه من شعراء الفردوس الذى فقدناه ، الأندلس :
ابن عباد ـ ابن دراج القصطلي ـ ابن زيدون ـ ابن خلكان ـ ابن العميد .
(٥) تقع مدينة اسطامبول التى كانت عاصمة الخلافة الاسلامية على مضيق :
باب المندب ـ جبل طارق ـ البوسفور ـ ماجلان .
(٦) الخلفاء الراشدون هم :
هارون الرشيد ـ عمر بن الخطاب ـ أبو بكر الصديق ـ أحمد بن طولون ـ صلاح الدين الأيوبي ـ عثمان بن عفان ـ علي ابن أبى طالب ـ أبو جعفر المنصور .
(٧) توفى أمير الشعراء احمد بك شوقي سنة :
١٨١٢ ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٤٨ م .
(٨) الزاوية بين عقربي الساعة عندما يكون الوقت التاسعة والربع قدرها :
١٨٠ درجة ـ سبعون درجة ـ ١١١ درجة .
(٩) تقاس شدة التيار الكهربائي بوحدة تسمى :
الفولت ـ الأمبير ـ الجاوس ـ الفراد ـ الانجستروم
(١٠) سقى وادياً بين العريش وبرقة ....
أكمل البيت واذكر اسم قائلة ..

## حل مسابقة العدد ٧٩

الاجابة الصحيحة
١ ـ اللؤلؤ ـ المرجان ـ المرمر المصري
٢ ـ الجودوي
٣ ـ لا ليست صحيحة
٤ ـ الألومنيوم

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن أي به وعظات

٥ ـ قائل هذا البيت حافظ ابراهيم فى وصف اللغة العربية
٦ ـ الرخويات
٧ ـ ١٨٤٠
٨ ـ ١٩٠٤
٩ ـ ابن مكي الصقلي
١٠ـ ماكس بلانك .

من : أبو لهب
أين : غار حراء
ما : القلم

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ خيال من : د / طه حسين .
الفائزون : ـ ثاني علي عبد الله ـ قطر
ـ حلمى حلمي محمد المتولى ـ مصر
٢ ـ لوحة لم تتم : جان بول سارتر
ـ نواف يوسف الشبعان ـ البحرين
ـ شكرى البامومنى ـ تونس
٣ ـ لعبة الظلال : رقم ٣
عادل أحمد حسن أبو حسين ـ الأردن
عبد الله الدرمكى ـ الامارات العربية
٤ ـ لأقوياء الملاحظة فقط :
كمثرى ـ منقلة ـ خاتم ـ ريشة كتابة ـ مشط ـ بزازة طفل
ـ ياقوت خميس ياقوت حسين ـ مصر

## طمع أشعب

اشتهر اشعب بالطمع فكان لا يسمع بوليمة الا حضرها ، ولا يعلم ان قوماً اجتمعوا على الطعام الا وذهب اليهم وشاركهم فيما يأكلون
مر ذات يوم بقوم اجتمعوا على مائدة ، ولم يكن يعرفهم أو يعرفوه .. فسلم عليهم بقوله : « السلام عليكم يا بخلاء ! » فرد عليه القوم « لا والله بل نحن كرام » فثنى رجليه فى الحال ومد يده للطعام وهو يقول « اللهم اجعلنى من الكاذبين ، واجعلهم من الصادقين » — ولما سأله القوم عن اسمه وعرفوه ، ارادوا مضايقته فقالوا له : « احذر يا أشعب فنحن نأكل سماً » .



فرد اشعب : « نعم الطعام السم يأكله المرء مع اصدقائه ! ان الحياة بعدكم يا اخوانى حرام .. وهل يحلو لأشعب العيش بعدكم ، اذا متم بالسم يا أصدقائى ؟ » .
فضحك القوم .. وقال احدهم « تقول عنا إخوانك وأصدقاؤك .. فهل تعرف منا أحداً ؟
قال اشعب وهو يتبع لقمة بأخرى « نعم عرفت منكم أخاً وحبيبا وصديقا .. هو هذا » وأشار بيده الى الطعام الذى يأكله ! .

**إيدوز مصطفى**
**الدار البيضاء**

## من أقوالهم

— لاتتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا على الغنى فتتهم فى عفتك ، ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك .

« أحمد شوقى »

— ما تستطيع تقطيعه بواسطة الملعقة لاتلجأ إلى تقطيعه بواسطة السكين .
« تشارلز باستون »

— اذا كنت تبحث لنفسك عن مكان تحت الشمس فلا بد لك أن تتوقع لسعاتها .
« صان شاين »

— افلاطون استاذى وصديقى ، ولكن الحق أولى بالصداقة من أفلاطون .
« أرسطو »

— معاقبة الشر بالشر ، إضافة شر الى شر

« قاسم أمين »

— إن السعادة شيء سهل لأنها حالة طبيعية ... ولكن أن تتعلم الا تكون تعيساً فهذا أمر صعب ...

« واين دير »

حنان محمود غانم — دمشق

## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
● نديم ابراهيم الملاح — حلب — سوريا

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
● محمد الحسيني عبد الكريم . المنيا — مصر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
● محمد نجيب المسعودى — تونس .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ — خالد محمد أبو حميرة — ليبيا
٢ — وفاء اسماعيل حسن عامر — مصر
٣ — مايسة عباس محمد عامر — مصر
٤ — حافظ ابراهيم عبد الغفار — البحرين
٥ — حمزة بهلوان — المغرب
٦ — خميس الشاعر عوض — الامارات العربية
٧ — محمد المدلج — الرياض — السعودية
٨ — مصطفى محجوب عبد الله — السودان
٩ — صلاح جمعة — الأردن
١٠ — عبد الحميد أحمد الطاهر — السودان

## استراحة الدوحة العدد ٧٩

— يعقوب عبد الكريم — السودان
٥ — يخلق من الشبه أربعين : رقم ٤
— طه محمد فله — السودان
— ابراهيم أحمد أدهم — مصر
٦ — دورى الكاريكاتير : رقم ٦
الكرماط ليلى — المغرب
— مأمون عبد القادر عرفه — الامارات
٧ — أجمل تعليق .
مبروك دى حالة حمل !
— الدكتور / محمد صايل هليل — الأردن
— انته عندك انيميا حادة جداً لازم تتغذى كويس !
— ماجدة عبد الرحمن الرفاعى — مصر

# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

روّوف



## دوري الكاريكاتير



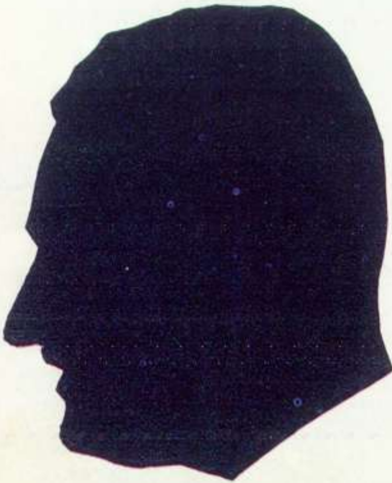
اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هُدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف وما رقم فانلته بدون الاستعانة بالقلم أو أصبعك ؟ ... اذا استطعت ارسل لنا الحل لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## المثل يقول




إن هذه الصورة الساخرة .. تعبر عن مثل شعبى سائد حاول معرفته وأرسله إلينا لتحصل على جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## خيال من ؟



● هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال ؟ مع العلم بانه لزعيم عربى فقدته الأمة العربية فى السبعنيات .. حاول ولك ( جائزة ٦٠ ريالا ) .

## يخلق من الشبه أربعين





















الصور الستة المنشورة هذا الشهر لستة أشخاص يشبهون السيدة أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند وابنة الزعيم نهرو ، إلا أنك لو دققت النظر لاكتشفت أن هناك إختلافات بسيطة موجودة فى هذه الصور فيما عدا صورة واحدة تشبهها تمام الشبه .. هل تستطيع التعرف عليها - ؟ .. حاول لتكسب ( ٦٠ ريالا ) .

## لوحة لم تتم !



● هذه اللوحة لشاعر مصرى كبير .. يعاني من المرض منذ فترة طويلة .. ولم يستطع المرض أن يحول بينه وبين قلمه .. هل عرفته - ؟ .. ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

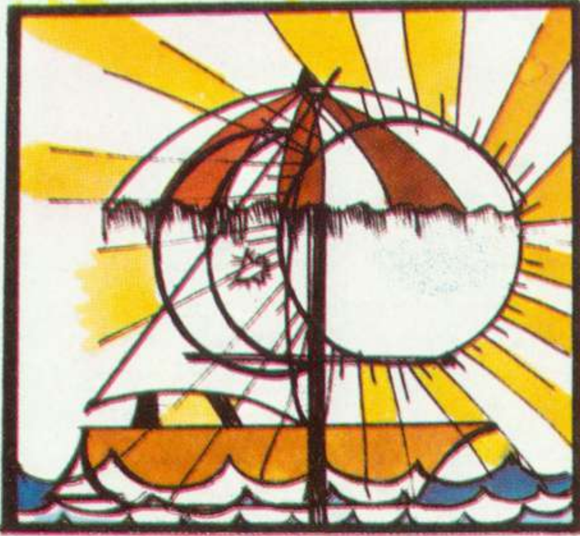
## لعبة الظلال






هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة - ؟ .. الجائزة ( ٦٠ ريالا ) .

## لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة اشياء متداخلة تستطيع التعرف عليها - ؟ اذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة ( ٦٠ ريالا ) .

# المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

## تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

**رئيس التحرير** **د. عبدالله العتيبي**

**مدير التحرير** **عبدالعزيز السيد**

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون ( الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ ) – الدراسات الاثارية ( الاركيولوجية ) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

**الاشتراكات السنوية**

| | داخل الكويت | في الخارج |
|---|---|---|
| – للمؤسسات | ١٠ د.ك. | ٤٠ دولاراً أمريكيا |
| – للأفراد | ٢ د.ك. | ١٥ دولاراً أمريكيا |
| – للاساتذة والطلاب | ١ د.ك. | ١٠ دولارات أمريكية |

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ ( الصفاة ) الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣




مشروب الجيل الصاعد



ثمار : للفنان نزار سليم

العدد ٨٢ ذو الحجة ١٤٠٢ هـ - أكتوبر ١٩٨٢ م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## عفواً.. أبا هُرَيْرَة

بقلم الدكتور محمد عبده يماني



## عمامة الشيخ محمد عبده



## مستشرق فرنسي في دفاع مجيد عن الإسلام

## لماذا الإلحاد؟.. بقلم: خالد محمد خالد

# بيروت

## القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون




ميرندا

بطعم البرتقال الطبيعي

# الدوحة

**مجلة شهرية ثقافية جامعة**
**تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر**

العدد ٨٢ - ذو الحجة ١٤٠٢هـ - أكتوبر ١٩٨٢م

## المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

## الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

## الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

## الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين


## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨/٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة د ديفان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCIO
SOCHEPREESS
P.O. BOX NNO. 683
CASABLAINCCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٣٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSSE
3 RUE DU MMOROC
B.P.N. 440 -- TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٥٠٥٤ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص.ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر


طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

# في هـــــــذا العـــــــــدد



خالد محمد خالد



عبد الله الجفري



د. محمد جابر الأنصاري



د. عبد السلام العجيلي



الفنان الأمريكي الذى اعتنق الاسلام وأصبح أستاذا متخصصا في تعليم الخط العربي فى جامعة « جورج تاون » ( ص ٧٨ ) .


● عفـوا أبـا هريـــرة ..........................................
د. محمد عبده يماني ٦

● الأضواء والظلال فى صورة العقاد المركبة ...............
د. محمد جابر الأنصاري ١٠

● ياسيدي الانســان ؟! ...........................................
عبد الله الجفري ١٤

● الناقــد .... القـط ! .........................................
محمود السعدني ١٦

● أراء حـــرة ..................................................

ـ داروين وفتنتـه النائمة ........................................
د. عبد الله العبادي ٢٠

ـ « بول كراوس » بين الفضيحة المالية والفشل العاطفي ...
د. نصار عبد الله ٢٣

● بين الشعبين المصـــري والفلسطيني .........................
اللواء ابراهيم محمد الفحام ٢٤

● جـدع وابن بلد ... ( قصيدة ) ................................
أحمد دحبور ٢٩

● لماذ الالحـاد والايمان حـق ؟ ..................................
خالد محمد خالد ٣٣

● دار الكتب الظاهرية بدمشق تتجاوز عامها المائة ..........
وجيه الشربجي ٣٦

● شذرات من الفكر الاقتصادي والاجتماعي في شعر شوقي
كمال النجمي ٤٠

● القصة العربيــة القديمة ......................................
عباس خضـر ٤٣

● فكتور هوجو : عبقرية هزت الحياة الأدبية ..................
جمال الكناني ٤٦

● عمامة الشيخ محمد عبده ....................................
فتحي رضوان ٥٤

● فصول أبي البهاء في خدمة الطب ............................
د. عبد السلام العجيلي ٥٨

● مشروع الكونجرس لانقاذ يهود أوربا ..........................
د. عاصم الدسوقي ٦٠

● الفنان الهائم بين جمال الفطرة وبراكين الطبيعة ..........
جمال قطب ٦٦

● اللوتــس : زهرة الحـــب والأساطير ........................
سمير عطـا ٦٨

● المسجد ودوره الحضاري فى دولة قطر .......................
د. حسن عيسى عبد الظاهر ٧٢

● فنان امريكي يبدع فى كتابة الخط العربي ...................
يوسف أحمـد ٧٨

● تعلموا عشق الفك المفترس ..........
مجدى نصيف ٨٢
● شهر في كندا ..........
نادية رزق ٨٦
● لقطات من الكون المثير .......... ٩٢
● العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم ..........
د. عبد المحسن صالح ٩٤
● وعود الاسلام ... ( كتاب الشهر ) ..........
عرض وتقديم : د. على حسن تقي ١٠٠
● دائرة المعارف القرانية ..........
د. محمد البهي ١٠٥
● كليوباترا : رمز الوطنية فى الأدب الشعبي المناهض لروما
د. احمد عتمان ١٠٦
● مجلس التعاون لدول الخليج العربية ..........
( بحث جامعي جديد ) ١٠٩
● رسالة لندن ..........
– أزمة المجلات الادبية فى الغرب ..........
– صناعة القواميس واجب وطني ..........
– صيني ، ولكنه فن عظيم ..........
علي شلش ١١٢
● السبع ... ( قصة ) ..........
مصطفى ابو النصر ١١٨
● ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الانسان ..........
د. عز الدين فراج ١٢٣
● علياء ذات القلب الصغير ... ( لوحة مسرحية ) ..........
نبيل الألفي ١٢٦
● مشكلة الجمهور والفن التشكيلي القطري ..........
محمد علي عبد الله ١٢٨
● بيروت : القصة الكاملة للمدينة الصامدة ..........
عصام شريح ١٣٠
● دوحة الماضي .......... ١٣٩
● العلم هو المستقبل ..........
لبنى الريدي ١٤٤
● دليل القارىء الذكي الى الكتب الجديدة ..........
حسني شحادة ١٤٦
● انهم يضحكون مع هذا الفيلم ..........
رءوف توفيق ١٤٨
● ضحكات هذا الشهر .......... ١٥٤
● دوحة القراء .......... ١٥٦
● استراحة الدوحة .......... ١٦٠



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الاشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العثمي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

# عفواً.. أبا هُرَيْرَة



بقلم :
الدكتور محمد عبده يماني

عندما يسود الساحة الثقافية مناخ عقلانى يتعامل مع عناصر الفكر والثقافة بأسلوب علمى راشد ، فان ذلك يعد من الظاهرات الصحية التى تزود عالم الأفكار بالعمق والاتساع ، وتصبح الأصالة أكثر رسوخاً ، وتتبدد من سماء الحياة العقلية المتصلة على الزمن ، غيوم أظلم بها الماضى ، وغابت فى ظلها نصاعة التراث بكل ما يمثله للتاريخ ، والحاضر والمستقبل .

والمتتبع للتراث الفقهى والعلمى والفكرى للأمة الاسلامية ، يشعر بما يختزنه من كنوز ومعارف ، تعكس صورة الحضارة الاسلامية وتطورها منذ البداية والانطلاق والجمود ، والانبعاث ، بكل الموجات والمراحل التى شملتها كل حقبة منها .

وسوف يلاحظ العقلاء ان هذا المد الحضاري كان يتعرض دوماً ، وحتى فى اوقات العنفوان ، إلى محاولات كابحة ، تستهدف ايقافه أو النيل منه أو تشويهه أو الانتقام مما يمثله ، وسوف يرون ذلك واضحاً منذ الاسرائيليات القديمة ، وحتى « الاسرائيليات المعاصرة » ابتداء من الطعن على المنطلقات والروافد ومروراً بمحاولات النيل من الاعلام والعلماء الذين كانوا رواد تلك الحضارة وعمدها ورسلها ثم بمحاولات وأده صليبياً .. ثم انكار الدور الاسلامي نهائياً .

وبعد عصر الاجتياح للعالم الاسلامي ، والتخلص المصاحب له من عقد النقص الغربية ظهرت بوادر الاعتراف بفضل المسلمين على الغرب ، الذى لم يعد يجد غضاضة فى ذلك وإلى جانب الذين انكروا ـ بالحقد ـ اي دور للمسلمين ، ظهر من يحصر فضلهم فى نطاق الترجمة والنقل لحضارة اليونان والرومان ، كما ظهر من تحرر من الرواسب والعقد والحقد وتحلى بالانصاف والعدالة ، فوصل إلى حد الاعتراف لهم « بتمدين أوربا » ونقلها من عصور الظلام والهمجية إلى فجر الحضارة ونورها .

واستمر الدور الحاقد ضد الاسلام ـ حتى وعالمه سادر فى نوم التخلف العميق ـ باعتبار الاسلام مصدر قوة لهذا العالم المترامي الاطراف ، وغرست بذور الحقد حتى فى مناهج التعليم الأوربية ، بما أضفى على الكراهية الموروثة من الحروب الصليبية طابعاً رسمياً ـ تشهد أوربا الآن بعض محاولات للتخلص منها ـ وبعد أن امتزجت تاريخياً بالكراهية « للدين » الذى كان عندهم مسئولا عن التاخر والجمود والعداء للنهضة ، انتقلت العدوى الى شعوبنا المتطلعة الى النهوض من رقادها الطويل فى شكل عداء مماثل للدين باعتباره مقاوماً للتقدم ، دون تمييز لدور الاسلام فى

تلقت « الدوحة » من الأديب والعالم الكبير الدكتور محمد عبده يماني ، وزير الاعلام السعودي هذا المقال الهام الذى يناقش جذور الغزو الفكري للشخصية الاسلامية والعربية ، ويتصدى لهذا الغزو بأقوى الحجج وأسطع البراهين ... وقد تلقت « الدوحة » مع هذا المقال الهام الذى يسعدها أن تقدمه الى القاريء العربي في كل مكان رسالة كريمة من الدكتور يماني موجهة الى رئيس التحرير يقول فيها : « أبعث أصدق التهاني لكم ولأسرة الدوحة على المستوى الرفيع الذى وصلت إليه ... وأسأل الله لكم مزيداً من التوفيق » ... والدوحة ـ من جانبها ـ تعتز بمشاركة الدكتور يماني فى تحريرها وتعتز بشهادته أعظم الاعتزاز .

رئيس التحرير

صنع الحضارة ، على عكس المسيحية . وعمق هذه الآثار السلبية أن تشربت بها كثير من الشخصيات التى نالت تعليمها فى أوربا ، وعلات لقيادة الحركة التعليمية والثقافية والتشريعية والاجتماعية ، وافرزت من يعتقد انه لا تقدم لعالمنا الاسلامي إلا بطرح الاسلام جانباً ، او عزله عن الحياة ، ومن يعتقد انه لابد من اتباع مناهج الغرب وحضارته .. بخيرها وشرها وحلوها ومرها .

وكانت الرؤية تشير إلى صعوبة استمرار الاحتلال العسكري لديار الاسلام وكان التخطيط يفضل استمرارية الاحتلال من خلال عالم الأفكار . بالاستيلاء على العقول ، التى تتولى ـ فى ظل تشويه الاصالة ـ ونيابة عن القوى المعادية للاسلام ، تكريس التبعية والولاء ، وهو ما لا يتاتى تحقيقه إلا باضعاف الاسلام وتحطيم رموزه واركانه ، ابتداء من الطعن على المنطلقات والروافد منذ « الاسرائيليات » والصليبيات القديمة ، وحتى المعاصرة .

وإذا كان سلاح الفكر ودعاوى العلمية ، وحرية الراي والنقد ، والبحث العلمي وما إليها ، أهم « سواتر » العصر فى محاولة النيل من الاسلام والمسلمين فاننا نلاحظ ـ ونفتح هنا قوساً-ان العدوان الاسرائيلي الاخير على الشعبين الفلسطيني واللبناني اثبت أن الغزو والقمع والابادة ، لم تستبعد من أساليب الحقد والعداء المتاصل وإنما كانت تعاد صياغتها بعناية فائقة ، لا لتتستر وراء عبارات عصرية زائفة ، ولكن لتستفيد بمكتسبات التكنولوجيا فى القتل والتدمير والتخريب والتصفية . واصبح وصف الابادة والمجازر الوحشية والهمجية ، بمثابة تبسيط للوقائع والحقائق التى يرقبها العالم المتحضر بدرجات متفاوتة من الرضى والحماس ، أو عبارات التنديد والاستنكار الجوفاء ، ونقفل القوس .

ونعود الى سواتر العصر فى التهجم على الاسلام ، ونجتزىء فى هذا المقال بنموذج يتمثل فى محاولة تقويض الشوامخ والاعلام وتجريحهم والطعن عليهم ، مع مثال تطبيقي ، والآثار الخطيرة لذلك .

وبادىء ذى بدء ، فانه من البديهي عندما تتعرض امة لمحاولة اعدائها النيل من ابطالها وشوامخ رجالاتها ، أن تنبري للدفاع عنهم ، فهم يشكلون رمزاً لجهادها ومعالم تاريخها وفكرها وتطورها فى كل مجال ، وهذه العملية فى جوهرها هي دفاع عن الذات وتشبث بمقوماتها واعتزاز بهـا ، وأي محاولة من هذا النوع تستثير وتستنفر ردود فعل عفوية بدافع الوعي بمقاصد الأعداء . ولكن عندما تتوجه هذه المحاولات ضد الأمة من الداخل ، وبواسطة ابنائها هي ، فانها تكون اخطر واشد فتكاً ، فهي تتسلل كالوباء الخبيث والناس عادة لا يتخوفـون ولا يخونـون اخوانـهم ، ولا يحسبون الماضي والحاضر او المستقبل إلا فى مامن ما امنوا عدوهم ، فاما حين يكون العدو من داخلهم ، فالتنبه لذلك يحتاج الى وقت ، كما يحتاج المرض الخبيث والعياذ بالله قبل اكتشافه ، وعلى قدر السرعة فى اليقظة والحسم فى المواجهة قبل فوات الأوان يكون الأمل .

وهذا ما ادركه اعداء الأمة فاعتمدوا الهجوم من الداخل ، وبعناصر تم الاستيلاء على عقولها وارادتها لتقوم بالدور المرسوم نيابة عنهم . وسوف اضرب مثلا واحداً بالتطبيق لهذه القضية وتوضيحاً لها .

هذا هو الصحابي الجليل الورع أبو هريرة رضي الله عنه ، لا يوجد مسلم إلا ويحفظ لهذا اليماني الدوسى العالم فضله بما حفظ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الى ذلك من هو فى صدق الايمان والتقوى والمروءة ورفيع الاخلاق والتادب بادب الله ورسوله ، وهو فى التعفف بما لا مزيد عليه بعد شهادة القرآن لأهل الصفة « يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف » وربما لم يتعرض احد من الصحابة لمثل ما تعرض له ابو هريرة من السباب والطعن والتجريح ، حتى لم يدع بعضهم نقيصه ولا جارحة من القول إلا لصقها به وحاول بها النيل منه . وهذه الحملات المتحاملة قديمة منذ « النظام » وامثاله ، قيض الله لها ابن قتيبة رحمه الله الذى استعمله الله سبحانه فى خدمة كتابه كما فى تاويل مشكل القران واستعمله فى خدمة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى كتابه « تاويل مشكل الحديث » الذى ذب فيه عن المحدثين وعن أبى هريرة على وجه الخصوص ورد عنهم غائلة المبتدعة وأعداء الدين . والحق أن امثال اولئك القدماء ، افرزوا مادة اخصبتها أحقاد وعداوة للاسلام تاصلت فى نفوس بعض الزنادقة ، ونفخ فيها المستشرقون وتابعهم عليها أسرى الغزو الفكري والتبعية وعقد النقص ، حتى لقد تطاول من لا نسميه إزدراء لشانه فسماه شيخ المضيرة تهكماً عليه . ولا يحسبن احد أن ذكرنا لما تهجم به البعض على أبي هريرة ترويج له حاشى لله ، فان من كان فى علو منزلته وسموق شانه لا ترتفع تلك الترهات الى مواطىء قدميه ، وإنما أردنا أن يعلم الشباب على وجه الخصوص أن الطعن باسم العلمية أو حرية النقد وما إلى ذلك ، ما هو إلا تستر زائف يخفى البغض للاسلام . وماذا على انسان من كان أن يعجبه لون من الطعام . مـاذا لو كان ابو هريرة تعجبه المضيرة وهي مريقة تطبخ باللبن المضير اي الحامض وقد تخلط بالحليب . اللهم لا شيء إلا ان تكون مدخلا للمبغضين حين يقولون :

« فياكل مـع معاوية فـاذا حضرت الصـلاة صلى خلف علي ، فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم واطيب والصلاة خلف علي افضل . » او يقولون انه كان يصلى فى جماعة علي ، ويأكل فى جماعة معاوية ، فاذا حمى الوطيس ( فى وقعة صفين ) لحق بالجبل ويقول : على اعلم ومعاوية ادسم والجبل اسلم . وليس هذا كلاماً أو نقداً علمياً لنتساءل كيف كان يتسنى لأبى هريرة ان يأكل المضيرة فى الشام ويصلى خلف على فى العراق بينما

# عفوًا.. أبا هُرَيْرَة

هو يعيش فى الحجاز وكيف استطاع ان يصانع متحاربين فى موقعة لم يشهدها حتى لو كان شهدها ( دفاع عن السنة — لفضيلة الشيخ محمد ابو شهبه ) .

المسألة ليست نقداً أو بحثاً علمياً ، لكنها فى المنطلق الطعن على واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لماذا ؟ تلك هى البداية فى محاولة تقويض الاسلام وليس فى ذلك ادنى مبالغة . لقد علمنا الاسلام ان نحترم الصحابة الذين كان لهم شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم عدول لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لهم خيرية وسبقا ثابتين بالقران « كنتم خير أمة اخرجت للناس .. » والآية تشملهم « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » وعلمنا رسول الله ان نعرف لهم كرامتهم ومكانتهم « لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده لو أنفق احدكم مثل احد ذهباً ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه» .

وقال : « الله .. الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً ، فمن أحبهم فبحبى احبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

والهجوم على واحد من الصحابة تقويض لهذه الدعامة ، ينفتح معها الباب على الفور للانقضاض على غيره من الصحابة وهذه هى الثانية ، والثالثة أن تجريح هؤلاء يمتد بالضرورة الى ما نقلوه الينا ورووه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قوضت السنة بالمطاعن على رواتها وثقاتها انهار الأساس الثاني للاسلام ، والسنة شارحة ومبينة للقرآن ومشرعة ، فقد بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام كتاب ربه ، وبين للناس ما نزل عليهم . انزل الله عليه الكتاب ، وانزل عليه الحكمة أى ان السنة منزلة كذلك كما اشار الى ذلك الاستاذ المحدث الشيخ السيد صقر فاذا جرحوا الشوامخ من حفاظها ورواتها ونقلتها الثقات والمحققين من الأفذاذ الذين نذروا حياتهم لحفظها وصيانتها ، فقد جرحوا شهودنا لابطال الكتاب والسنة ، وما ادق ما أورده فضيلة الشيخ ابو شهبه فى كتابه القيم « دفاع عن السنة » حين نقل مقالة الامام ابو زرعة الرازى حيث يقول : اذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق ، وذلك لأن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق وانما أدى ذلك الينا كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة » .

وليس غريباً ان الذين بدأوا بالهجوم على شخص ابى هريرة ، ثنوا بالتهجم على احاديث رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلثوا بالهجوم على السنة ذاتها والتشكيك فيها ، ثم انكشفوا نهائياً حين انتقلوا الى التهجم على القرآن الكريم وما زعموه فيه من الشعر ، الى غير ذلك من السفاهة والجهل وسوء الادب ، ليس غريباً ان تتناغم هذه الهجمات مع أكثر من « مايسترو » من المستشرقين على رأسهم بعض اليهود ، لتتواصل الاسرائيليات القديمة والاسرائيليات الحديثة وان اختلفت الاسماء .

ونسي هؤلاء جميعاً ، أو تناسوا ، ان الامة الاسلامية ، كما يقول د . محمد زيان عمر ، « لم تكن متأثرة بمجرد عاطفة النقل والرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وانما كان الهدف صيانة الحديث من التحريف وذلك عن طريق اتباع قوانين الرواية والتشديد على تقليل النقل والتثبت من الرواية ، وبذلك نشأ ميزان علم الرواة — الجرح والتعديل — الذى يعتبر العمود الفقرى لعلم مصطلح الحديث وذلك عن طريق دراسة السند والمراد به المحدثون الذين نقلوا الحديث واحداً ، واحداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وقد وضع علم مصطلح الحديث شرائط صارمة لتحقيق صحة المتن على أساس ميزان الجرح والتعديل للرواة ، أى اثبات جرحهم والتوائهم أو عدالتهم واستقامتهم ، وايضاً على أساس توافق المتن مع النصوص القرآنية وعدم مخالفته لروح الاسلام . وتعتبر هذه الشرائط اقوم فى اثبات صحة التاريخ من مناهج المؤرخين المحدثين التى تقوم على أساس اجتهاد المؤرخ ذاته ، وفلسفته ، والمعايير والقيم التى يؤمن بها بحيث انه يمكن القول ان التاريخ قابل لاعادة كتابته من جديد ولكن نتائج واستخلاصات مختلفة ، لأن الأحداث الثابتة تجوز عليها التفسيرات المختلفة اذا ما وضعت فى سياق جديد ، وأعيد ضبطها ضمن اطار يختلف باختلاف نظرات المؤرخين . ولا هكذا الحال فى علم الحديث ورواته وضبط متونه . فالرواية يحكمها الاسناد ، وقانون « الجرح والتعديل » وهو قانون صارم عادل لا يجرح به احد بغير سند ، ولا يعدل به راو بغير استحقاق والرواية الصحيحة تؤدى الى متن صحيح ولكن علم الحديث لا يكتفى بهذا وانما يحكم على النص بذاته ، ويقيمه بمضمونه وبمدى اتفاقه أو انحرافه عن النص القرآنى الكريم الذى لا يأتيه باطل ، أو عن روح الاسلام كما يفهمها ويتشربها الجلة والثقات من علماء المسلمين .

وما دمنا بصدد ابى هريرة ، وهو الصحابى الجليل ، فلابد ان نشير الى ان ثمة آيات كثيرة تشير الى عدالة صحابة الرسول الكريم فى القرآن الكريم ، وهى تجمع على طهارة الصحابة والقطع بتعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج احد منهم الى تعديل بعد تعديل الله تعالى المطلع على بواطنهم .

فلا يبقى بعد هذا الا ان التشكيك صادر عن هوى وليس عن أى تقييم موضوعى للمناهج الاسلامية فى التثبت من الاحاديث اسناداً ومتناً ..

ثم أليس غريباً ان يؤخذ على ابى هريرة انه أكثر من رواية الأحاديث فقد احتوى سند بقية بن مخلد على ٣٧٤ هـ من حديث ابى هريرة ( المرجع السابق ) بلى ان هذا يستوجب عداء خصوم الاسلام بقدر ما روى .

ويجب علينا ، فى هذا الصدد ان نؤكد على امرين يجعلان هذا الاتهام لغواً لا نفع فيه أو دساً قائماً على الهوى والغرض .

أولهما : أن أبا هريرة كان الزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بانه نشأ يتيماً وهاجر من اليمن مسكيناً وبقى أعزباً ، وظل ضيفاً على رسول الله وملازماً له طيلة ثلاث سنوات . وعلى ضوء هذه الظروف فليس غريباً ان يكون ابو هريرة أوفر حظاً من سائر صحابة الرسول رواية للاحاديث النبوية الشريفة . وكان ابن عمر يقول له انت يا أبا هريرة الزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمنا بحديثه » .

وثانيهما : اننا كما يقول الأستاذ محمد ضياء الرحمن الأعظمى فى رسالته القيمة عن ابى هريرة لو قسمنا هذه الاحاديث على تلك الأيام التى لازم فيها النبى صلى الله عليه وسلم نجد ان نسبة ما كان يتلقاه فى كل يوم حديثاً ونصف حديث بما فيها الصحيح والضعيف . وهذه نسبة معقولة جداً » (٢) .

وفى ضوء هذين الامرين نلاحظ ان تهمة الاكثار لا سند لها ، ولا أساس ثم ان الاكثار لو صح لا غرابة فيه ولا دهشة . على اننا نضيف الى ذلك أن قسطاً كبيراً مما رواه ابو هريرة منقول عن غيره من الرواة ، ومسند اليهم،واما الصحيح مما انفرد هو بروايته فلا يتجـــاوز مائتين وعشرين حديثا (٣) فهل هذا العدد من المرويات يدعو الى اتهام ابى هريرة بالاكثار ، فضلا عن ان يكون هذا الاكثار بالتزيد أو لغرض ، أو لانحياز وهوى .. ؟ وهذه شهادة لابن عمر عن ذمة ابى هريرة وامانته فى الحديث فقد سئل : هل تنكر مما يحدث ابو هريرة شيئا ؟ فقال : لا ولكنه اجترأ وجبنا .

ومع ذلك فالعمدة عندنا صحة الأحاديث وليس عددها ، ولقد كان من نعم الله علينا ان يتفرغ لمثل هذه المهمة الجليلة مثل ابى هريرة فى الوقت الذى شغل فيه غيره من الصحابة بالعمل أو التجارة . ولنستمع الى ما رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة فى هذا الخصوص ونحمد الله ان القضية كانت مطروحة لتضمن فى اثارتها فى ذلك الزمان الرد عليها فى هذا الزمان :

« ان الناس يقولون أكثر ابو هريرة ، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو قول الله عز وجل : « إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الـــــرحيم » ( البقرة ١٥٩ ــ ١٦٠ ) .

ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل فى اموالهم ، وان ابا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، يحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون .

وكان المسلمون يدققون فى التثبت من صحة حديث رسول الله ولا يجدون فى ذلك ادنى حرج أو غضاضة ، وعندما طلب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من ابى موسى الأشعرى ان ياتى بمن يشهد معه انه سمع حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أما انى لم أتهمك ، ولكنه الحديث عن رسول الله » وكأنى بمروان على نفس النهج ، ليس شكاً فى أبى هريرة ، ولكنه الحديث عن رسول الله كما قال عمر . يروى كاتب مروان انه ارسل الى ابى هريرة فجعل يحدثه .. » وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان فى رأس الحول ــ أى بعد عام ــ أرسل اليه فسأله وامرنى ان انظر ، فما غير حرفاً عن حرف » . اى امتحان هذا واى دقة هذه ؟ ورضى الله عن ابن عمر يقول له :«إن كنت لالزمنا لرسول الله واعرفنا بحديثه » ورضى الله عن الامام الشافعى حيث يقول « ابو هريرة احفظ من روى الحديث فى عصره » وهذا الغلام الدوسى الذى أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على دعائه حين سأل اللــه علماً لا ينسى كان بــالغ الرقة والبر بامــه مما ينبىء عــن عمــق ما في نفســه من الايمــان والخلــق ، عــن أبي مرة مولي عقيــل أن أبــا هريــرة كان يســتخلفــه مروان ، وكان يكون بذى الحليفة فكانت امه فى بيت وهو فى آخر . قال ، فاذا اراد ان يخرج وقف على بابها فقال : السلام عليك يا امتاه ورحمة الله وبركاته . فتقول وعليك يا بنى ورحمة الله وبركاته . فيقول رحمك الله كما ربيتنى صغيراً . فتقول : رحمك الله كما بررتنى كبيراً . ثم اذا اراد ان يدخل صنع مثل . ( الأدب المفرد للبخارى ) ويروى ان ذلك بعد نزول قوله تعـــالى « ... وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » .

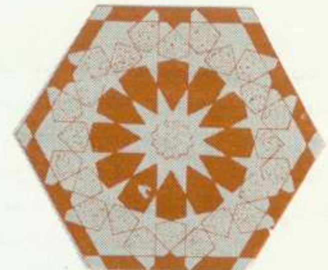
هل هو دفاع عن ابى هريرة ؟ اللهـــم لا فما اغناه عن ذلك ، وانما هى وقفة بين يدى قديم وحديث ، لا يغيب عن البـــال فيه ان الاستيلاء على بعض العقـــول وتوظيفها فى خدمة الاسرائيليــــــات والصليبيات القديمة والمعاصرة لا يجعـــل تشويه الاعلام والشوامخ هدفاً فى ذاته .

وانما المستهدف هو ما يمثلونه ، لتتداعى الهزائم النفسية والفكرية ، وتتهاوى اركان الدين ، وتنهار ثقة الأمة فى ذاتها وتاريخها ويتم تفكيك مقوماتها ، بعد تذويب الماضى ، وامة لا جذور لها ولا ثقافة ولا أصول ولا معتقد ، هى أمة مدمرة لا مستقبل لها ، ومؤهلة للذوبان فى شخصية الغازى الذى اغتال شخصيتها . ومع ذلك فلن تكون هذه وحدها النهاية « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

واذ قد كان الشاهد ذلك الصـــحابى الجليل ، فعفوا ابا هريرة ، لحسبى أن ازجى لك ما اثنى به عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم واورده لنا الامام البخارى فى صحيحه فى باب الحرص على الحديث عن ابى هريرة انه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة ان لا يسألنى عن هذا الحديث أحد اول منك ، لما رأيته من حرصك على الحديث : اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصــاً من قلبه أو نفسه » .

وليس بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لقائل أو زيادة لمستزيد .

**محمد عبده يمانى**



## هوامش

(١) كتاب « دراسات تاريخية » ص ٣٤ ومابعدهــا .
(٢) ابو هريرة فى ضوء مروياته ــ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .
(٣) المرجع نفسه .

تـراثـنـا الحـديـث .. من زاويـة مخـتـلـفـة

# الأضواء والظلال في صورة "العقاد" المركبة

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

**يلوح لي ان إعادة دراسة العقاد ، بقصد اكتشافه ، تمثل مدخلا طيباً لما نبتغيه من بعث جديد لتراثنا الأدبى والفكرى الحديث يعيننا على الخروج من أزمة العقم التى تمر بها ثقافتنا فى الوقت الحاضر .**

**فالعقاد – بالذات – يأتى فى مقدمة الرواد الذين تحتمل شخصياتهم وآثارهم تفسيرات متعددة ، وتقييمات متباينة ، يمكن أن يأتى الحوار حول أبعادهم المختلفة مفيداً ، وخصباً ، وحافلا بشتى النتائج المثمرة ، إذا عرفنا كيف نديره بانفتاح وسعة أفق .**

وقبل كل شيء أود أن اطمئن القراء – القراء المعجبين بالعقاد خاصة – بان العقاد علم بارز من أعلام الثقافة العربية وأنه مدرسة من مدارس هذه الثقافة . ثم إنه ينتمى للتراث العربى كله وللعرب اجمعين ، لا لبلد بعينه ، ومن حق الناطقين بالضاد فى كل اقطارهم التفاعل مع آثاره بكل حرية ، دون تحرج اقليمى ، فالعقاد لم يكن يعترف بالحدود وكان أكبر منها . بل إن العقاد يتجاوز العروبة الى النطاق الاسلامى الانسانى الرحب ، فهو كردى النسب من جهة الأم ، وهذا ما يجمع بينه وبين صلاح الدين الأيوبى ، الذى كان كرديا ، وكان عربياً مسلماً عظيماً فى الوقت ذاته . اضف الى ذلك أن العقاد اسلامى انسانى بفكره وروحه وآفاقه الرحبة ، وهذا ما يجعله ملكاً لنا جميعاً – عرباً ومسلمين – بما يتجاوز مدينته أسوان ، وموطنه مصر ، وما يجعل من حقنا أن نتفاعل مع أدبه وتراثه كأهله ومواطنيه ، فلقد كتب لنا جميعاً وأسهم بفكره فى تكويننا وصياغة فكرنا جميعاً ، صواباً أو خطأ ...

وعليه فإن إعادة تسليط الضوء على شخصه وآثاره بمنظار نقدى صريح لا تعنى




عباس العقاد
مطلوب تسليط الضوء على شخصه واثاره بمنظار نقدي صريح

المس بمكانته أو هدمها ، وإنما تعنى الرغبة فى الكشف عن الغنى المتنوع الذى انطوت عليه شخصيته ، واستجلاء مختلف الخطوط التى دخلت فى تكوين ونسج صورته المركبة ، سواء كانت تلك الخطوط متوهجة أو خافتة ، مشرقة أو داكنة ، ظاهرة أو خفية .

فكل شخصية فذة هى ، فى التحليل النهائى ، صورة مركبة ، ومعقدة ومتشابكة ومن السذاجة بمكان ان نظل نطلق عليها الأوصاف التبسيطية دون النفاذ الى ما انطوت عليه من تركيب جدلى (ديالكتيكى)، متفاعل ومتحرك ، بل ومتناقض فى بعض الأحيان .

إن إصرارنا على التمسك بالأحكام التبسيطية ذات البعد الواحد يمثل فى رأيى المتواضع سبباً من أسباب ضحالة ثقافتنا العامة الحاضرة ، كاكتفائنا بالقول ان هذا كاتب عظيم ، وذاك مفكر رائع الى آخر هذه الأوصاف التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ولا تعين على الفهم النافذ الى جوهر الحقيقة الأدبية فى تنوعها وتباينها وتشابك أبعادها .

ومثل هذه الاحكام يقع فيها احيانا دارسون كبار من باب المجاملة أو التعظيم أو المبالغة . يقول الدكتور عثمان امين فى مفتتح مقالة له عن أدب العقاد :

«العقاد اديب وفيلسوف باوسع معانى الأدب والفلسفة فى القديم والحديث ....» (راجع : العقاد ، دراسة وتحية ، ص ٤٩)

ومع احترامى لثقافة الدكتور عثمان امين ، صاحب الدعوة الجوانية ، فانى ارى ان مثل هذا الحكم الجارف لا يقدم ولا يؤخر من حقائق الاشياء ، وانه لا يؤثر إلا فى القارىء العامى الذى ينبهر به دون ان يتمثله أو يغربله فى ذهنه .

فاذا سلمنا بان العقاد اديب كبير ، ومفكر كبير ، فهل يصح أن نعتبره (فيلسوفاً وباوسع معانى الكلمة)؟ فاى نظام فلسفى اقام واى قفزة نوعية اضافها الى تطور الفلسفة ؟ وحتى فى الأدب ، فعلى الرغم من كونه ناقداً كبيراً وكاتب مقالة كبيراً ، فانه لم يكن بالفنان الخالق المبدع فى الشعر والرواية والمسرحية وإن تعاطى بعض هذه الفنون الادبية ، لذا فليس دقيقاً أن يقال انه أديب باوسع معانى الكلمة فى القديم وفى الحديث ايضاً .. حسب تعبير عثمان أمين .. إذا كان لكل كلمة فى البحث الأدبى معناها الدقيق المحدد .

وهذا ليس تقليلا من مكانة العقاد الحقيقية فى الأدب والفكر . ولكنه تساؤل حول قيمة هذا الحكم الجارف الذى يطلقه الدكتور عثمان امين من باب الحماسة والاعجاب فيما نظن : وهو نهج لا يوصل الى مكان .

مقابل ذلك ، نرى نهجاً آخر ، مختلفاً تماماً ، ينتهجه الأديب الفنان عبد الرحمن صدقى ، وهو ممن صحبوا العقاد صحبة مبكرة طويلة . فنراه يضع يده على جوهر ذلك التركيب الجدلى المتنوع فى الشخصية العقادية المركبة ، حيث يقول ، بعد وصفه لملامح العقاد وتكوينه الجسمانى : «هذه صورة العقاد فى حالة الوحدة والاستقرار لا خلاف فيها . فاذا جالسته لماماً دخلت على الصورة عوامل يختلف فيها الناس ، فيحملها كل جليس على المحمل الذى تمليه شتى المدارك والأمزجة ، تحت تاثير الحالات النفسية الطارئة ، فتاخذ الصورة الوانا بحسبها ، وتتسمى الظاهرة الواحدة اسماء عدة بعدادها ، وهذا شان الناس جميعاً فى فهم الشخصيات المركبة ، وهذا عذرهم الشفيع فى مغالاتهم وتناقض احكامهم على أصحابها» . ويخلص عبد الرحمن صدقى الى القول : «والواقع ان العقاد شخصية مركبة لانها حية تزدحم فيها كل نوازع الحياة ....»

ثم يوضح معنى التركيب فى شخصية العقاد بقوله : «والذى يلاقى العقاد يشعر لا محالة بعد قليل ان فيه ناحية مبهمة

# الأضواء والظلال
## في صورة "العقاد" المركبة

مجهولة تنطوى على أسرار روحية ، ومطامح دنيوية ، تغيب إحداهما فى الأخرى وتلابسها ، فلا يبين منه إلا الروح القوية العالية» .

اراد أن يقول إن هذه «الروح القوية العالية» التى تبرز للناظر الى شخصية العقاد تخفى وراءها فى الحقيقة ناحية مبهمة مجهولة وجانبا صراعيا بين الأسرار الروحية والمطامح الدنيوية المتمازجة المتلابسة .

وهنا سر «التركيب» فى شخصية العقاد وهنا منطلق الدراسة الخصبة المأمولة لهذه الشخصية وآثارها .

ويزيد الأستاذ عبد الرحمن صدقى هذه المسالة الهامة ايضاحاً بقوله : «وما من شك فى أن هذه النفس العميقة ، العامرة بالأسرار الروحية والمطامح الدنيوية ، فى التباس وغموض ، هى التى جعلت تلاميذه – حين كان مدرساً للتاريخ بالمدرسة الاعدادية – يلقبونه بالكاهن حرحور .... والكاهن حرحور هو شخصية قوية بين كهنة امون الأقوياء ، وسعت همته السلطة الروحية والسلطة الدنيوية ، فجمع بين السلطتين ، وافتتح عهد الكهنة المتملكين» (راجع مقالة «العقاد كما عرفته فى مطالع القرن العشرين» للأستاذ عبد الرحمن صدقى ، فى كتاب : العقاد تحية ودراسة ، ص ١٠٠ – ١٠٨) .

وهذه الصورة الحافلة لن تكتمل إلا إذا اضفنا اليها ملاحظات عبد الرحمن صدقى حول مزاج العقاد : «ذى الألوان المحددة الحامية ، والظلال المتداخلة الخافية» وما كان يؤدى اليه هذا المزاج من : «أزمات نفسية يكون فيها العقاد – على تماسكه وتلطفه – مهتاج الاعصاب ، سريع الامتعاض ، قليل الاحتمال» . ولا تقتصر هذه الحسلسية على الأزمات ، بل تظهر ايضا فى المجادلات الفكرية مع المخالفين : «فلا يمكن القول عن العقاد أن نبضه فى نهاية المناقشة كنبضه عند بدايتهــا» – (راجع المصدر المذكور ذاته) .

إذن فهذه الملاحظات المفيدة والذكية والصريحة لعبد الرحمن صدقى تصلح منطلقاً اساسيا لمن يريد دراسة العقاد فى حقيقته المركبة ليكتشف سر ذلك الصراع بين الأسرار الروحية والمطامح الدنيوية ...

من ناحية أخرى ، يسود الانطباع بان العقاد قد ابلى بلاء حسناً فى الدفاع عن القضايا الدينية والايمانية بمنطق قوى متماسك وحجة راجحة بالغة ، ومازال الكثيرون من القراء العرب يستمدون قناعاتهم الفكرية فى الدين من كتاباته الشهيرة الرائجة ..

ولكننا نجد باحثا معاصراً فى قضايا الفكر الدينى هو الدكتور محمد النويهى (استاذ جامعى مصرى) يخرج علينا براى مخالف تماماً وتقييم مناقض لهذا الانطباع السائد عن تماسك الفكر العقادى حيث يقول بعد حديثه عن تهافت فكر المعاصرين العرب فى دفاعهم عن قضايا الايمان بنهج لا يتماشى مع تطور العصر ، ولا ياخذ بحقائقه الصلبة المستجدة فى فلسفة الاديان ، متخذاً من فكر العقاد بالذات مثالا بارزاً على هذا التهافت ..

يقول الدكتور محمد النويهى : «لعل اقسى الأمثلة لهذه الظاهرة المحزنة ما فعله مفكرنا الراحل عباس محمود العقاد فى كتابه (الله) . إنه فى سبيل غرضه من إثبات الحقيقة الالهية قد ارتكب – واأسفا – من الادعاء ، والاكتفاء بانصاف الحقائق والتهرب والمواربة ، وغمط حجج الخصوم ما يسلب كتابه اى نفع إلا للجهلاء من قرائه ، اما العارفون بمجمل حقائق التاريخ وعلوم الأحياء ، والانثروبولوجيا ، والدراسة المقارنة للاديان ، الذين يلتمسون فى الكتاب مخلصاً من الشكوك ، ومنفذاً من الضلال ، فانما سيزيدهم الكتاب اضطراباً الى اضطرابهم واخشى أن ينتهى بعضهم منه الى الالحاد القاطع .» – (راجع ، مجلد «أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى» نشر جامعة الكويت ، ص ٣٨١ ، بالهامش ضمن مبحث الدكتور محمد النويهى المعنون : «الدين وأزمة التطور الحضارى العربى») .

ونحن نضع هذا التقييم للدكتور النويهى أمام الباحثين والقراء دون أن نتبناه بحرفيته ، ولكنا نرى فيه ، فى منطلقه العلم ، ما يصلح لغربلة الانطباع السائد حول قوة تفكير العقاد الدينى ، إما باثبات هذه القوة والوجاهة الفكرية لصالح العقاد ، وإما باعادة تقييمها والخروج بحكم آخر عليها ياخذ ببعض ما يطرحه الدكتور محمد النويهى حول طريقة العقاد ونهجه واسلوبه فى عرض قضايا الدين والدفاع عنها . ولعله من الخير أن نوضح هنا أن نقد الدكتور النويهى لا ينصب على الفكر الدينى من حيث هو ، وإنما يتناول طريقة العقاد ومنهجه فى المجادلة وفرض إرائه على خصومه ، ونسبته هذه الآراء والاجتهادات الى حقيقة الدين ذاته . وغنى عن البيان أن هناك فرقاً كبيراً بين الحقيقة الدينية كما هى ، فى أصولها ، وبين ما يطرحه العقاد ، أو أى مفكر دينى آخر ، على انه الحقيقة المنسوبة للدين ...

ولعل ما يمكن اضافته هنا الى مسالة منهج العقاد فى عرض القضايا الايمانية ، هو انه يتصدى للدفاع عنها كمحام بارع ، يستخدم مختلف الحجج والبراهين لاسكات الخصوم والمعارضين ، ولكنه مع ذلك يفتقد ، رغم براعة دفاعه ، تلك الحرارة الداخلية التى يبحث عنها المرء فى الكتابات الدينية تلمساً لجوهر الايمان الذى يتعدى الحجج والبراهين وينبثق من القلب انبثاقا .

ولايضاح ما نود قوله تماماً ، نلمح إلماحاً الى الفارق بين كتابات العقاد الدينية وكتابات سيد قطب الدينية دون أن ندخل فى مجال التفضيل بينهما .

فربما لمست فى كتابات العقاد حجة اقوى ، وفلسفة أبرع ، ولكنك تحس بحرارة الايمان وتوهجه اقوى لدى سيد قطب ، فيما يتعلق بذلك الشعور الداخلى الذى لا يلمس ولا يحدد ، ولا تكفى للتعبير عنه براهين الفكر وحدها ، مهما برعت . ولمزيد من الايضاح بين الرجلين نقول انه اذا كان العقاد يعرض القضية كمحام أو متكلم يريد أن يكسب قضيته بالبرهان المنطقى والقانونى ، فان سيد قطب هو القضية ذاتها ، يطرحها بحرارة الدم والشعور ، كداعية ملتزم ، وكشاعر ملتزم ، يسير مع قضيته الى النهاية ، نصراً أو استشهاداً .

ويرتبط بمسالة فكر العقاد الدينى ،

ويدخل فى صميمه ، قضية تحوله من اللامبالاة بقضايا الدين ، إن لم نقل من الشك والحيرة ، الى الايمان الفكرى الملتزم كما يظهر منذ بداية «العبقريات» حوالى عام ١٩٤٠ مع صعود الموجة الدينية بمصر والعالم العربى .

ويلاحظ الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه «عصر ورجال» أن : «العقاد هو ثالث مفكر فى مصر عرفته،بدأ حياته وكان العقيدة الدينية لا تشغل مكاناً فى قلبه ، ثم ينتهى به الأمر الى الدفاع عن الاسلام فى حماسة وحرارة ، والى الكتابة عنه فى مثابرة ومواظبة» . ثم يورد المؤلف روايات متعددة عن تشكك العقاد فى طوره الأول توحى بطبيعة بداياته الفكرية . (راجع الكتاب المذكور ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

والمسالة هنا لا علاقة لها بالبحث فى ايمان العقاد الشخصى ، فهذه مسالة بين الانسان وربه ، وليس من حق احد أن يبيح لنفسه الخوض فيها من قريب أو بعيد . ولكن ما يهمنا كباحثين هو تطور العقاد الفكرى تجاه القضية الدينية .

ويبدو لنا بهذا الصدد ، ان العقاد بدأ حياته الفكرية متسائلا ، حائراً كغيره من مثقفى جيله فى تلك الحقبة ذات الطابع العلمانى والتغريبى القوى ، وهذا ما يتطابق مع قول الأستاذ رضوان انه «بدأ حياته وكان العقيدة الدينية لا تشغل مكاناً فى قلبه» .

ولكنا نجد العقاد ، فيما يشبه التحول الفجائى ، رجلا مؤمناً ، مقتنعاً ، واثقاً ، وداعياً لليقين فى كل ما يكتب منذ بداية «العبقريات» .

وطبيعى أن يتحول الانسان المتفكر من حائر الى مؤمن الى داعية للايمان . ولكن السؤال المشروع الذى يمكن أن يطرحه الباحث المتتبع لتطور العقاد الفكرى والنفسى فى المسألة الدينية هو : كيف قطع هذه المفازة الطويلة ؟ وكيف اجتاز المسيرة الشاقة من الحيرة الى الايمان ؟ وهل وصل الى ايمانه فجاة ودون مقدمات ؟

وإذا كان إمام دينى سلفى كبير كحجة الاسلام الغزالى قد كشف عن تجربته فى التحول من الشك الى اليقين فى كتابه الشهير «المنقذ من الضلال» الذى يعد من روائع التراث الدينى الاسلامى الى اليوم، فلماذا لم يكشف العقاد فى عصرنا الحديث عن هذه التجربة ، وأين هو «منقذ» العقاد ، لماذا لم يكتبه ، ولماذا لم يحدثنا عنه وهو الكاتب المسهب الذى اسهب فى الحديث عن معظم قضايا العصر وخفايا النفس ؟

وهل بامكاننا الآن ، على ضوء الوقائع والوثائق الأدبية والتاريخية ، وباسلوب البحث العلمى ، أن نعيد رسم تلك المسيرة الشائقة بين حيرة العقاد ويقينه ، وان نتعرف بشكل حميم الى دقائق مسارها ... لنضيف الى تجاربنا الروحية تجربة متميزة شائقة كالتجربة العقادية الخصبة؟

والواقع انه على الرغم من النبرة اليقينية العالية التى تسود كتاباته الدينية فان العقاد ذاته قد كشف لنا فى لمحة عابرة ـ لكنها دالة ـ عن ذلك الجانب الغامض من معاناته الاعتقادية وحيرته بين الشك واليقين فى مقدمته لكتاب «عبقرية محمد» الصادر عام ١٩٤٣ ـ وهو الأول فى سلسلة اسلامياته ـ حيث يلمح بايجاز الى مامر به من قلق اعتقادي ، وكانه يعلل لعارفيه باختصار سبب تحوله من الكتابات العصرية غير الملتزمة بالموقف الدينى الى الكتابة اليقينية فى الدين ، ويشرح لمن عرفوا افكاره عن كثب ، سر هذا التغيير ...

يقول فى تقدمته لكتاب «عبقرية محمد» :

«أين كنا قبل تلك السنين الثلاثين (بين ١٩١٣ ـ ١٩٤٣) .. إنها مسافات فى عالم الفكر والروح لو تمثلت مكاناً منظوراً لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار ، وامتداد النظر بغير قرار . كم راى ؟ كم مذهب ؟ كم وسواس ؟ كم محنة ؟ كم مراجعة ؟ كم زلزال يتضعضع له الكيان ، وتميد معه الدعائم والأركان ؟ كم وكم فى ثلاثين سنة مما يطرق نفساً لا تعفيها الحياة من التجارب والعوارض لمحة عين فى نهار . وكم لذلك كله من أثر فى توطيد الراى وتهدئة الثوائر ، وتجلية الغبار» .

هذه السطور الوجيزة ، التى لا تقول أكثر مما تقول ، هى «خلاصة» منقذ العقاد من الضلال ، وهى سطور ترك لنا الامام الغزالى ما يوازيها صحائف طويلة مسهبة.

ولكنها سطور على قلتها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن العقاد مر بتجربة مماثلة ، لكنـه لم يشا أن يتحدث عنها بصراحة ـ كما فعل الامام الغزالى ـ ربما لأنه خشي أن يؤثر ذلك على صورته كمفكر مدافع عن الدين . فاكتفى بهذا التلميح ليرضى فضول عارفيه المدركين حقيقة أفكاره الأولى وليقطع عليهم طريق التساؤل عن سر التحول . ولكن هذا لا يمنع اهل البحث اليوم من العودة لطرح هذا التساؤل من جديد ... احياء لما نبتغيه من تجديد لحياتنا الفكرية الراكدة .

ومازلنا بعد كل هذا فى بداية الخيوط الأولى من الصورة العقادية المركبة . ومازالت امامنا خيوط كثيرة متشابكة : ـ

● لماذا رفض العقاد من منطلقه الروحى المادية الجدلية الماركسية وتقبل ، مع ذلك ، المادية التطورية الداروينية ، وماذا يقول تلاميذ العقاد فى هذا القبول ؟ وهل من فارق بين الماركسية والداروينية من حيث المبدأ المادى ؟

● هل تثبت الدواوين الشعرية العشرة التى أصدرها العقاد انه كان شاعراً بكل معنى الكلمة ؟

● هل كانت مواقف العقاد ومعاركه السياسية تعبيراً عن نضاله ، أم عن القوى السياسية التى كان ينطق باسمها ؟

● أين نجد العقاد الحقيقى،فى كتاباته النقدية والأدبية التجديدية أم فى كتاباته التراثية التقلية ؟ أم أن هناك حلقة مفقودة بين المرحلتين ، نجد فيها العقاد الذى نبحث عنه ؟

● وأخيراً كيف نفسر ظاهرة العقاد المجدد الذى أصبح شديد المحافظة ، والتقدمى الذى انقلب سلفياً ؟

هذه أسئلة نرجو الا يضيق بها صدر أولئك الذين احتفظوا لأنفسهم عن العقاد بصورة جامدة ساكنة غير قابلة للتوسيع والتكبير .

وسنكون أكثر من سعداء لو شاركنا المهتمون بدراسة العقاد واحياء تراثه عبء الاجابة عن بعض هذه الأسئلة .

د. محمد جابر الانصارى

# يا سيدي الإنسان؟!

بقلم: عبد الله الجفري

● يا سيدى الانسان :

انت ما تزال تنحت قلبى وتقلصه ، فليس سهلا ان يحب الانسان الحياة ويكره الأحياء . فالحب للناس هو الذى يجعل التفاؤل متواصلا والنبض يحلق كما النورس ، والامانى تكبر وتشيع كما الشمس ، وهذا هو الحضور الفعلى فى وريد الحياة الجميلة .. لأن الحب يخلق الفضائل ، ويهذب الاخلاق ، ويصهر السلوك حتى يستقيم ! !

ولكن يا سيدى الانسان :

أنت تشق عقلى كما محراث ، وتقلب تربته الأصيلة ، « وتكومها » . وتبعثر كل البذور من الأفكار الصاعدة .. فتشهق الأفكار فى العقل وتموت ! !

ها أنذا انسان .. أتصف بصفات الآخرين فى الامانى ، والتطلعات ، والرغبة والذاكرة ، والسأم ، والعبوس ، والضحك ، والاشتعال والانطفاء ، والانانية والتحدث عن الأثرة وحب الناس !

ها أنذا إنسان .. اتلفت من خلال أفكار العقل ، وحضور الوجدان ..

وفى تلفتى هذا أبحث عن « مستوى » الحياة فى سلوك الأحياء ! !

ولا أدعى أننى الانسان السوي ولكننى الانسان الذى يشعر أن الاشياء التى « تقد » ، من قلبى .. يفعلها الناس بوازع الانانية والأخذ المنحاز .. يتدافع عليها الناس الذين تتجمد أمانيهم فى الحياة ، وتكتئب فضائلهم . فينشرخ السلوك ويصدع ! !

اننى أكاد ألمس صدور الناس .. فاذا هى اسفنجة تمتص الوحشة ، وتمتص الكراهية ، وتمتص القبح ، وتفرغ ذلك الأمتصاص كله فى ترسبات النفس ! !

لقد أرتدينا ثوب اللامبالاة ، واعتمرت قلوبنا بالجفاف ، وتنكبت عقولنا الاصرار الأحمق .. انسياقاً مع المثل الشعبي القائل : « عنزة ولو طارت » !

● ● ●

● يا سيدى الانسان :

انك تسألنى الآن بهذه الغرابة على وجهك : ما الذى تود أن تقول .. ماذا تريد ؟!

أعرف أن ماديات الحياة قد نصبت المتاريس لاقتناص انسانية الانسان فى داخله ، وزرعت الثلوج فى وجدان الانسان .. فتردى مستوى الأخلاق نتيجة لأننا اصدرنا حكماً بالاعدام على الشعور بالجمال فينا ..

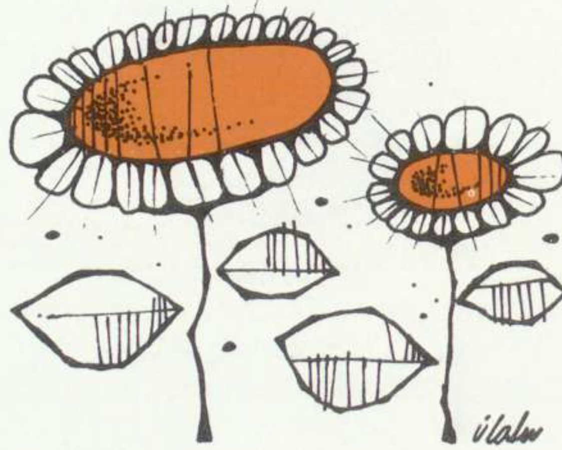
ان « الجمال » موجود فى حياتنا .. من حولنا .. فى الطبيعة . فى الاخلاق ، فى العاطفة ، فى الحب العاشق . فى الوسائل التى نطور بها شكل الحياة ، لكن الشعور بهذا الجمال صريع فى داخلنا .. مقتول فى نفوسنا بالمادة ، وبالأنانية ، وبالغرور الحينى ! !

ولقد قيل : « ان قيمة الفرد لاتقاس بنسبة علمه .. بل بنسبة مستواه الخلقى والعاطفى . فالعلم لا شىء بلا تهذيب ، والتهذيب هو الذى يكون الخلق ، وانه لمن الميسور ان نعلم رجلا همجياً فى بضع سنين ، ولكن تهذيب هذا الرجل وتكوين خلقه وذوقه قد يقتضى عدة أجيال ، وهذا هو الفارق بين العلم والتمدن » .

وهذه هى المشكلة الحقيقية ..

لقد انتشرت وسائل المدنية والحضارة وتقدمت بالانسان الى سهولة التناول لاشياء كثيرة .. لكن شيئا واحداً يبدو تناولنا له صعباً : وهو السلوك والذوق .. وكان من الممكن أن يشذب العلم الكثير من التهور واللامبالاة وانحراف الذوق ، ولكن ركض المدنية فى متناولاتنا جعلنا لا نقف لحظة للتفكير ، ولا نقف لحظة لتأمل جمال الحياة ، والبحث عن مزيد من الشعور بالجمال !

النفس الانسانية قد انغلقت ، فخرير المياه لا يثير الحس بتلك الاثارة العطوف الحانية على نبض القلب : والتفاؤل بالحياة ، وزقزقة العصافير نسيتها اسماع الناس . الذين يصحون مبكرين يركبون سياراتهم ، ويركضون وأغلب حوادث



الاصطدام تحدث فى الصباح .. اصطدام السيارات أو اصطدام انسان مع آخر وتلاحيه معه .. فالصباح لم يعد يعنى اليوم الجديد الحافل بالأمانى والتفاؤل ، ولكننا حصرناه فى نقطة محددة .. نجرى اليها برغبتنا المادية لنكسب ، وننتزع ، ونفوز ، ولا نعطى شيئاً ولا نتنازل حتى بالغضب ! !

الوجدان الانسانى قد انغلق .. لأن شره الماديات طمس العاطفة فيه .. انه لا أكثر من حصد لما فى داخلك ، وحصد ما فى داخلك لطموحك ، وصفائك ونقائك . ونحن الآن - بالمثال المباشر - تتركز اهتماماتنا كلها على الثروة .. كيف تشترى أرضاً وتبيعها بالضعف ، كيف توفر مبلغاً وتنميه ؟ وليس هذا عيباً فى التعايش .. ولكن العيب هو ان يشغلنا ذلك فيغمر كل عواطفنا ، وعفويتنا وطفولتنا وأمسنا ، فننسى ذلك ولا نذكر الا المادة التى تهلك نفوسنا ، وتنتصر دائماً للوجود الجاف الذى يلغى قيمة وفعالية منظر الشجرة وهديل الحمام ، وتدفق الشلال . وراحة الابتسامة ! !

وهذا هو ضعف الانسان أمام البقاء .. فالتكالب على هذا الصراع الذى نعيشه من الاسباب التى تؤدى الى الوفاة السريعة والمفاجئة ودخول الأمراض الغريبة الى اجسامنا والى عقولنا وإلى عواطفنا .. وكيف يمكن لأمة ان تبتكر الحياة الأحسن اذا كانت تعانى من أمراض النفس ، وأمراض العاطفة ؟ !

• • •

لقد فقد الناس طفولتهم ، والذى يفقد طفولته يخسر ماضيه ، وخسران الماضى يعنى ان الانسان لا يحيا الحياة المتواصلة ولكنه يولد كل يوم فى بداية الصباح ، ويموت كل يوم حينما ينام .. ويفقد طموحه وقدرته على العطاء لتحسين الحياة !

ان الانسان أصبح لا يشعر بالجمال فى الشارع الذى يمشى فيه ، فهناك الذين يقلعون الأشجار ، ويحطمون التحسين الملموس فى الشوارع الجديدة ، وهناك الذين يركبون عرباتهم كأنها صواريخ ويقتلون الآخرين ، ويحطمون الاشكال الفنية التى نزين بها أنظارنا .. وهناك الذين يضعون فى عيونهم الهدر ، وفى نظراتهم السفاهة ، ويطاردون الناس ويضربونهم ويشتمونهم .

ولكن .. ما هو العقاب ؟ !

ان العقاب هو فى أن يفهم ذلك اللامبالى انه أخطأ وانه لن يكرر سخافاته ومضايقته وأن يستعيد لنفسه الشعور بالجمال .. فالحياة الجميلة ليست أن تشتم الناس ، وان تركض فى الشوارع لتشعر الناس أن سيارتك « آخر صرخة » وأن شعرك يصل الى كتفيك .. ثم لا تعرف بعد ذلك أن تتكلم بفهم وتتصرف بذوق ، وتشعر بالحياة !

ان الذين جفت نفوسهم يتطلعون الى الأشياء الجميلة فلا يرون جمالها .. انهم لا يرون شيئاً سوى الشىء الواحد الذى حصر كل الشعور فى داخلهم وطمره ! !

وكيف نطالب بالفنون فى حياتنا .. اذا كنا لا نحس بها ؟!

كيف نريد أن نحول الشوارع الى حدائق ومنتزهات ،وفرحة وراحة للآخرين ،ولا نحرص أن نظهر أمام ادعائنا لأنفسنا بالحضاريين بمظهر الشعب المتطور .. المتعلم .. الذواق .. الشاعر بجمال الحياة ؟!

• • •

اننى أبحث عن الشعور فى داخل الانسان ، لئلا تتحول عواطفنا وأفكارنا واخلاقنا الى شىء من « التنك » الصدىء ! !

ابحث عن الشعور الذى يرى الجمال ويتذوقه ويحسه ، وينميه فى النفس وفى الحياة حتى لا تنغلق نفوسنا وعقولنا ووجداناتنا ، واذا انغلقت .. لا نقدر ان نضمن الصحة والعمر الطويل والذكريات الجميلة ، وهى ما يتبقى لنا ! !

عبد الله الجفرى

مسافر على الرصيف



بقلم :

محمود السعدني

# الناقد.. القط!

كان الدكتور عبد القادر القط احد مؤسسى ندوة « قهوة عبد الله » .. وكان لقبه العلمي بالاضافة إلى منصبه كاستاذ بجامعة القاهرة يضفى عليه سحراً خاصاً . وكان بالاضافة الى وسامته وعنايته بهندامه أطيب اعضاء الندوة قلباً واقلهم طموحاً وأكثرهم تواضعاً ورغبة فى مساعدة الآخرين وكان يقضى بعض الوقت فى مناقشة الادباء الموجودين ، ثم يستغرقه لعب الطاولة بعد ذلك ، كما انه على عكس انور المعداوي وزكريا الحجاوي ، كان من هواة لعبة كرة القدم ، وكان حريصاً على مشاهدة مبارياتها ! ولو أن عبد القادر القط كان حريصاً على دخول سوق الأدب لكان له شان آخر ، فقد كان فى وقت من الأوقات احد ثلاثة نقاد مسموعي الكلمة فى مصر بعد الدكتور مندور والدكتور لويس عوض ، ولكن بعض النقاد الموسميين مثل الناقد «.....» الذى استطاع أن يحتل مساحة فى تاريخ النقد العربي أكبر من حجمه ، وهو لم يصل إلى هذه المكانة بموهبته الأدبية ولكن بقوة حنجرته ، ففي العصر الاشتراكي ، كان هو « بابا » الاشتراكية ، وهو مفتي الواقعية الاشتراكية ، واحتل مناصب قيادية عليا فى الدولة ، فلما سقطت دولة الاشتراكية ، آثر الرحيـــل الى الخارج ، ونحى النقد جانباً واصبح الآن واحداً من « المبسوطين » فى مصر !!

ولكن عبد القادر القط ، الصادق مع نفسه ومع الناس ، آثر أن يختفي في زمن الجعجعة بينما تصدر المرحلة عشرات من النصابين ! وظل وفياً لندوة « قهوة عبد الله » ولمنصبه كاستاذ فى الجامعة ، وظل خفيض الصوت ، يتكلم نادراً ، وحتى فى هذه المرات النادرة ، كان يتكلم على استحياء ! ولم تكن له نزوات خاصة او شطحات من أي لون .

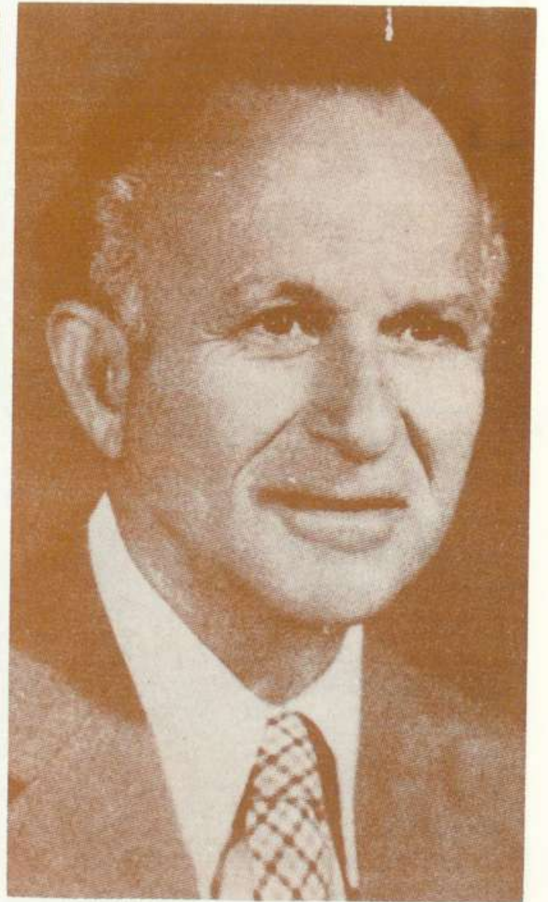
كان بيته فى الدقي ومجلسه فى قهوة عبد الله هما كل دنياه . وكان بسيطا وزاهداً على نحو ما . وحتى فى ايام «نعمة» الاذاعة والتليفزيون ومسرح الدكتور حاتم بقى فى الظل مع كتبه ومحاضراته . وحتى عندما فتحت دار النشر ابوابها لاستقبال انتاج جمال الدين الرمادي ، لم يسارع الدكتور القط كغيره الى هذه الأماكن ، مع انه لو فعل لقدم للناس انتاجا عظيماً وباهراً ومشرفاً له ولمصر ! وكان يكن احتراماً عظيماً لانور المعداوي ، ولكن نظرته إليه كانت تحمل شيئاً من الرثاء ، باعتبار أن المعداوي كان رجلا شديد المثالية فى عصر لا مثالية فيه ! عصر اصبح فيه احمد عبد العاطي صحفياً يشار ليه بالبنـــان ، واسماعيل عبد الجبار مؤلفاً يتردد اسمه عبر الاذاعات ! ولم تكن نظرته لما يجري حوله تحمل شعور المرارة الذى كان يحمله انور المعداوي ، كما انه لم يناصب المجتمع العداء كما فعل غيره ، ولكنه اخذ الأمور بهدوء ، وعلى أن ما كان سيكون ! وعلى الرغم من ذلك ، كان يحتفل باية موهبة جديدة ، وباية حركة تبشر بخير ، وهو



زكريا الحجاوي
عبقري أهدر انتاجه في الكلام !



انور المعداوي
كان رجلا شديد المثالية في عصر غريب



عبد القادر القط
كان صادقا مع نفسه ، ففضل الاختفاء في الظل !



يوسف ادريس
احتفل - ايضا - بباكورة انتاجه



صلاح عبد الصبور
احتفل « القط » بانتاجه المبكر

الذى قدم كتابي الأول « السماء السوداء » وحرض طلبته فى كلية الآداب على قراءته باعتباره نموذجا من الانتاج الأدبي الجديد . وهو الذى احتفل بانتاج صلاح عبد الصبور المبكر ، وبقصص يوسف ادريس التى نشرت فى السنوات المبكرة في الخمسينات وكان يحب زكريا الحجاوي حبا شديداً ، ويعتبره عبقرياً حقاً ، ولكن سوء حظ مصر أن هذا العبقري أهدر انتاجه فى «الكلام» ، فجاءت أعماله الخالدة مجرد طلقات طائشة فى الهواء ! وكان يحمل للشيخ عبد الحميد قطامش هوى خاصاً فى نفسه ، ويعتبره نموذجاً للعبقريات التى أهدرتها ظروف المجتمع السيئة .. فلو أن عبد الحميد قطامش وجد في بيئة اخرى كفرنسا ، لكسبت الانسانية اديباً عبقرياً ليس له نظير . وكان يستمتع بمسرح نعمان عاشور ويعتبره أبا للمسرح العربي الحديث . وكان الدكتور القط يتمنى لو اتيحت له فرصة للتاليف ، فهو احياناً كان يقرض الشعر ، ولكنه كان يختص نفسه وأصدقاءه المقربين بهذا الشعر ! وقد حاول أن يكتب قصصاً ثم اقلع عن ذلك فجأة لسبب لا أدريه ! وعندما انهدمت قهوة عبد الله فى بداية الستينات ، تشاءم الدكتور القط وانتابه هم شديد ! وعندما نقل ندوته مع انور المعداوي كان يزفر احياناً بلا مناسبة ، ويردد فى حزن بالغ « مش دى قهوة عبد الله » ! . وعندما هاجر انور المعداوي الى قريته فى ريف البحيرة ، ادرك أن الحياة قد أصابها حادث مؤسف ، وراح يتردد على المقهى مع محمود شعبان فترة ثم غاب هو الآخر ، ثم اختفى تماماً بعد موت انور المعداوي ، وكانه متعمد هذا الاختفاء ، تضامناً مع المعداوي الذى اختفى بالموت ، فاختفى هو الآخر بالحياة ! ولكنه عاد يلمع من جديد فى جامعة بيروت العربية ، وترك هناك تلاميذ اوفياء ، وحلقات ادبية شربت حتى ارتوت من ادبه ومن علمه . ثم لمع فى عهد السادات كعميد لكلية اداب عين شمس . ثم عاد من جديد الى الظل فى عصر كان اهم نقاده هو ثروت اباظة ، واعظم مواهبه الجديدة عبد العال الحمامصي ! .

والدكتور القط هو اكثر الناس شبهاً بالكاتب الكبير يحيى حقي . كانما هو حريص على الابتعاد عن دائرة الضوء . وهو مع مندور ولويس عوض يشبه عبد الرحمن شكري مع المازني والعقاد . عاش فى هدوء وذهب فى هدوء ، مع انه كان اغزرهم علماً وانعمهم موهبة . وميزة عبد القادر القط انه لم يلتحق بركاب احد ، ولم يمش فى تيار ، ولم يصفق لانتاج دون انتاج كان مع الانتاج الجيد من كل الألوان . وكان مع الأدباء الموهوبين من كل اتجاه . لم ينصب نفسه « بابا » للأدب ، ولم يوزع صكوك الغفران على الأدباء . وكان يحتفل بكل موهبة ولو كانت ضئيلة . وكان يرى أن الموهبة هي مصدر كل السلطات .. ذات مرة كنت اجلس معه فى المقهى ، وكان المعداوي

# الناقد.. القط!

يقرا لي قصة قصيرة ، وعندما انتهى منها قال لي وهو يضحك ضحكته الشهيرة «عيبك الوحيد يامحمود إنك مش مدرك قيمة ما تكتبه » !! ورد عليه القط فى هدوء .. « بالعكس ، لعلها ميزة محمود ، لو ادرك قيمة مايكتبه لفسد » !!

وعندما قرات عليه فصول اول مسرحية كتبتها « فيضان النبع » صمت قليلا ثم قال « حوارك ممتاز ، ولكن لابد لك من دراسة قواعد المسرح » ! . وبعد ايام جاءني بكتاب للاستاذ دريني خشبة ونصحني بدراسته . وللاسف لم استطع ان استفيد من هذا الكتاب في معالجة « فيضان النبع » . ولكن تاثيره كان عظيما عندما شرعت فى تاليف مسرحية « عزبة بنايوتي » ! وحضر الدكتور القط المسرحية التى اخرجها الخميسى عدة مرات ، وكتب عنها نقداً وفسرها بشكل لم يخطر على بالي قط ، فقد قال إن العزبة هي مصر ، وبنايوتي هو الأجنبي المحتل ، وكان التفسير هو التفسير الوحيد للمسرحية ، والصحيح ايضا ، وعندما صارحته بان هذا الأمر لم يخطر لي على بال قط ، قال بهدوء وبالحرف الواحد « انت مالكش دعوة انت تكتب وبس » !! وكان هو الذى نصحني مرات بالا ادع العمل الصحفي يطغى على انتاجي الادبي . وعندما قرا روايتي « عندما يعود القمر » نصحني بان اكتب رواية اخرى ، وبالفعل شرعت فى كتابة رواية اخرى ، ولكن لم استمر ، فقد استغرقني العمل الصحفي ثم العمل السياسى بعد ذلك ، وكان هذا هو اكبر اخطائي فى الحياة ! .

وهو بالرغم من صحته وزهده وعزلته ، كان شديد المتابعة لما يجرى فى الحياة . كان يسمع الاذاعة ويحضر عروض المسرح ويتردد على السينما ، ويزور الاحتفالات الشعبية ويقرا الصحف اليومية ، ويتابع الانتاج الادبي الجديد ! وعندما اذاع عبد الرحمن الخميسى « حسن ونعيمة » في حلقات ، كان شغوفا بها وحريصا على متابعتها بانتظام ، وكان يعدها عملا ادبيا رائعا ، بينما كان يعدها بعض النقاد الموسميين عملا من اعمال الاسترزاق ! . وكان حريصا فى شهر رمضان على الاستماع الى مسلسلة « من قصص القران » ويعدها عملا ادبيا دينيا عظيما ، بينما كان بعض النقاد « الأرزقية » يتعمدون الحط من شانها ، ويعدونها لونا من الوان الشعوذة والاحتيال ! وعندما كان عضواً فى لجان القراءة بالمسرح ، لم يرفض عملا مسرحياً لأديب على الاطلاق . وكان يرى ان كل جهد ينبغي ان يقدر ، ولكنه غالباً ما كان يشير باجراء تعديلات على العمل المسرحي ، إذا كان يحتاج الى هذه التعديلات . ولم تستطع الرقابة ان تستخدمه يوماً فى قطع الطريق على مسرحية مشاغبة . مع انها استطاعت استعمال غيره من اصحاب الأصوات التى احترفت العواء ! .

وكانت علاقته حسنة للغاية بالطلبة فى الكلية ، وعضواً فى اكثر من اسرة طلابية . وكان يعقد الندوات لبعضهم في منزله . ويرى ان العمل فى الجامعة يجرى على نسق العمل فى المدارس الثانوية ، وهو الخطا الأكبر الذى وقعت فيه الجامعات المصرية حتى الآن ! .

وبالرغم من عدم انتمائه إلى مذهب معين ، أو حزب من الأحزاب ، إلا انه كان محترماً من الجميع ، مهاباً بين الكل ، سمعته فى الوسط الأدبي كله « ابيض من اللبن الحليب » . فهو لم يسترزق ابداً ، ولم ينصب نفسه داعية لمذهب ما أو شخص ما، ولم يكن فى ركاب احد ، ولم يحاول ان يجمع ثروة ، ولم يمد يده طالباً منصباً ، وظل حريصاً على بقائه فى الجامعة كمجرد استاذ . وهو فى المقابل احتفظ برايه لنفسه ولم يدخل معارك عنيفة ، ولم يعرض نفسه للانتقام الشديد ، ولم يتعقب « الأرزقية » ولم يقف فى طريقهم ، ولذلك اسقطوه من حسابهم ، وهم يخوضون معركة الحياة والموت من اجل الاسترزاق ! .

وظل على الدوام راهبا فى دير مصر ، وقد كان دائماً مع وطنه لأنه كان مع العدل ومع الكرامة ومع الاستقامة ومع الشرف . ولأنه لم يتنازل ولم يزايد ، ولم يستخدم حنجرته مطية لبلوغ الأهداف ، ولذلك كان مع مصر ولكن كان على غير المعنى الذى يردده « الأرزقية » عندما يشرعون فى اغلاق باب الاجتهاد امام المصريين ! ، فقد كان يدعو كل الناس الى الاجتهاد من اجل مصلحة مصر ومستقبل مصر . ولو كانت الأحوال حسنة ، والظروف مواتية ، لكان عبد القادر القط هو قاضي قضاة مصر فى محكمة الأدب ، وهو أصلح من يشغل منصب سكرتير عام المجلس الأعلى للفنون والآداب . ولكن بعض الظروف التى مرت على مصر كانت تجعل من الحياة الأدبية قطة تاكل بنيها ، وخيرهم على الأخص ! .

وقد نجحت هذه الظروف فى ان تاكل الدكتور عبد القادر القط ، فانزوى اخيراً لا ادري اين ، ولكن بقاءه على قيد الحياة يجعله شاهداً على عصره ، واتمنى لو يتفرغ الآن لكتابة ذكرياته عن تلك الفترة المضطربة والقلقة من تاريخ مصر ! .

كما انه قطعة حية من ندوة « قهوة عبد الله » فهو احد المؤسسين ، وهو ايضا احد الأئمة الذين اشرفوا على الحياة الأدبية فى مصر ، وغمروها بالنور فى الأربعينات والخمسينات وجزء من الستينات فى هذا القرن .

وإذا كان انور المعداوي في الحياة الأدبية هو ضمير مصر ، وزكريا الحجاوي كان تراب مصر ، فالدكتور عبد القادر القط كان قبساً من روح مصر الناعمة والشفافة والحانية والمضيئة .

وإذا كان الدكتور القط قد سقط من قائمة المشاهير ، فهي عادة مصرية ، إذ سقط من نفس الكشف عبقريات عظيمة ومواهب فذة ابرزها ابراهيم المازني وزكي مبارك والشاعر اسماعيل صبري والشاعر احمد فتحي ، بينما لمع فى عصرهم من كانوا مثل الطين إذا سقطت عليها الشمس .

اما جيلي فقد عاش مع القط وتتلمذ عليه ، وتعلم على يديه ، وتشرف به ! وستبقى صورة الدكتور القط تلمع دائماً فى عيون مصر . !

محمود السعدني




إعـــــــلان

# مسـابقة لرسـوم الأطفـال

تعلن وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ مساهمة منها فى اكتشاف المواهب الفنية عن مسابقة لرسوم الاطفال وفق الشروط التالية : ـ

١ ـ المسابقة مفتوحة لكل الاطفال من سكان دولة قطر ومن جميع الجنسيات .
ـ ان تكون الاعمال المشاركة بالألوان .
٣ ـ ان تناسب الاطفال من سن السابعة وحتى سن الخامسة عشرة .
٤ ـ للطفل المتسابق حرية اختيار الموضوع والمقاس .
٥ ـ يحق لكل متسابق المشاركة بعملين فقط .
٦ ـ ترفض الاعمال التى يتدخل فى رسمها الكبار .
٧ ـ الاعمال التى تقدم للاشتراك فى هذه المسابقة لا تلتزم الادارة باعادتها لاصحابها فازت أم لم تفز .
٨ ـ يحق للادارة المشاركة بالاعمال الفائزة فى أى من المعارض الداخلية أو الخارجية التى تشارك بها الادارة .
٩ ـ تمنح الاعمال العشرة الفائزة جوائز مالية على النحو التالى : ـ

| | | |
|---|---|---|
| الجائزة الأولى | مبلغ ٢٠٠٠ | ريال |
| الجائزة الثانية | مبلغ ١٥٠٠ | ريال |
| الجائزة الثالثة | مبلغ ١٠٠٠ | ريال |
| الجائزة الرابعة | مبلغ ٨٠٠ | ريال |
| الجائزة الخامسة | مبلغ ٧٠٠ | ريال |
| الجائزة السادسة | مبلغ ٥٠٠ | ريال |
| الجائزة السابعة | مبلغ ٥٠٠ | ريال |
| الجائزة الثامنة | مبلغ ٥٠٠ | ريال |
| الجائزة التاسعة | مبلغ ٥٠٠ | ريال |
| الجائزة العاشرة | مبلغ ٥٠٠ | ريال |

١٠ ـ ترفق مع الاعمال المشاركة قصاصة مستقلة بها اسم المتسابق كاملا وعنوانه ورقم تليفونه اذا امكن للاتصال به وتسلم لقسم الفنون التشكيليه والمعارض بمبنى ادارة الثقافة والفنون وآخر موعد لقبول الأعمال المشاركة هو ظهر يوم الخميس ١٩٨٢/٩/٣٠ .

## آراء حـــرة

تؤمن « الدوحــة » بضرورة الحوار بين الآراء المختلفة ، فمن خلال الحوار الموضوعي الحر تظهر الحقيقة ، والمفكر الحقيقي الذى يمكن أن يخدم أمته هو الذى يقبل « الرأي المخالف » ويعارضه بسلاح واحد هو الرأي والمواجهة الفكرية الصريحـة .

# "داروين وفتنته النائمة"

## رَدٌّ على الدكتور عبد المحسن صالح

بقلم : الدكتور عبد الله العبادي

نشر مقال للدكتور عبد المحسن صالح فى مجلة « الدوحة » العدد ٨١ بعنوان : مات رجل وعاشت نظرية .

نذكر منها مقتطفات ثم نعلق عليها :

جاء في المقال « ورغم مرور مائة عام على موت داروين إلا أن نظريته لازالت حية بل إنها تزيد حيوية واشراقاً لا في عقول الناس بل في عقول العلماء الذين يفكرون بطريقة منتظمة مستمدين زادهم الفكري من قوانين الكون وشرائع الحياة ، إذ كلما مرت السنوات وتطورت البحوث ، وزادت حصيلة العلماء من الأسرار الكثيرة التي تنطوي فى خلق الكائنات ، كلما اصبحوا من حقيقة التطور قاب قوسين او ادنى » .

في هذه الأسطر يريد ان يثبت الكاتب أن نظرية داروين حقيقة ، ولها فضل كبير فى تغذية عقول العلماء ، واســتمرار استنتاجاتهم العلمية وتطور البحوث حتى يومنا هذا .

نقول للكاتب وامثاله : لماذ نتشبث بهذه النظرية الخاطئة بالذات دون النظريات الأخرى ، ونريدها ان تكون مثار جدل مستمر فيما بين القراء على صفحات الصحف والمجلات ، لماذا لا نتناول بالدراسة والكتابة النظريات الأخرى التى تفيد مجتمعاتنا ، وشعوبنا ، لماذا لا نتناول مثلا فى كتاباتنا مثلا قصة اختراع السيارات ، وتطوراتها ، ام لماذا لا نتناول دراسة اختراع الصاروخ وتطوراته ، او الطائرة ، وكيف مرت بمراحل إلى أن وصلت ما وصلت إليه اليوم ، بل لماذا لا نتناول صنع الابرة التى هي ابسط شيء فى عالم المصنوعات ، ونحن نستوردها حتى الآن ...

إن الهدف واضح ومرسوم ، وهو شغل المسلمين والعرب فيما لا جـدوى تحته ، ولا فائدة منه ، وإلا فمثل هذه النظرية الخرقاء لا تستحق كلاماً ، او كتابة ، او اقلاماً سائلة ، فهي فتنة كلما نامت ايقظها المغرضون ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « الفتنة نائمة لعن الله موقظها » .

واي فتنة اشد من هذه الفتنة التى تتعرض للآيات القرانية والأحاديث النبوية صراحة ، وتمس العقيدة فى الصميم وتستهزيء بعلماء الدين ؟ .

ثم لنسال الكاتب ماهي الاستنتاجات التى استنتجها العلماء من هذه النظرية حتى يومنا هذا ؟ وماهي الاختراعات التى اخترعوها استناداً على هذه النظرية ؟ وماهي الحقائق التى توصل اليها العلماء من وراء هذه النظرية ؟

لاشيء بالطبع من ذلك كله ، وإنما هو الكلام الذى لا طائل تحته والمراء الذى لا يرجع على هذه الأمة إلا بالخيبة ، والخسران .

ثم قال « والغريب أن جميع من ناقشوا النظرية وفندوها ، وهدموها لم يكونـوا رجال علم ... »

يقصد الكاتب بالطبع الذين ناقشوا النظرية هم علماء الدين الاسلامي ، وأن هؤلاء ليسوا رجال علم .

نقول للكاتب إذا كان رجال الدين ليسوا رجال علم ، فمن هم إذاً رجال العلم ؟ فلعله يقصد ان رجال العلم هم ايضاً هم انصار داروين ، وماعداهم فليسوا بعلماء ، اليس ذلك ما يدعو للسخرية ؟ .

ونحن نرى ان هذه المسالة مسالة دينية بحتة ، وتخص علماء الاسلام وحدهم ، ومن واجبهم الدفاع عن الاسلام وعن العقيدة . إلى أن قال « ولقد كان من الممكن ان تمر هذه الآراء مرور الكرام ، وان يكتفي الجميع بالقول بان نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، أو هي تناقض ماجاء فى بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن خلق الكائنات عامة ، والانسان خاصة ، هذا رغم ان القرآن الكريم يحثنا صراحة على البحث فى أصول الخلق ، وفي ذلك تاتي اشارة واضحة « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدا الخلق ... »

الست معي أيها القارىء أن هذا الكلام فيه تناقض ؟ ، حيث يعترف الكاتب ان نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، وهي تناقض بعض آيات القرآن الكريم ، ومن ناحية اخرى يستدل على نظرية التطور بقوله تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق .. » ، فهل كتاب الله يناقض بعضه بعضاً ، حاشا كتاب الله من التناقض . اما الكلام بان هذه النظرية تناقض آيات القرآن الكريم صراحة ، فذلك مما لا جدال فيه ، قال تعالى فى سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني اعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم ... الى قوله ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .. ) الى آخر القصة .

ويقول تعالى فى سورة الحجر ( وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حما مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .. )

وقوله تعالى فى سورة ( ص ) ( إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .. )

هذه الآيات وغيرها تدل على ان قصة خلق آدم عليه السلام وحواء خلق جديد على صورتهما الآدمية لم يكن لهما خلق آخر قبل ذلك ، وإنهما سكنا الجنة ، ثم هبطا الى الأرض بأمر اللـــه تعالى .

وكلمة « روحي » هنا ـ كما ذكر المفسرون ـ بمعنى الروح التى املكها ولا يملكها غيري ، والاضافة اضافة ملك كسمائي وارضي وبيتي ، وناقة الله ، وشهر الله ... ومثله وروح منه فى قصة خلق عيسى عليه السلام .

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، وهو أول مخلوق من هذا النوع . وهو أول انبياء الله ورسله فى الأرض ارسله الى بنيه على الصحيح وهو أول خليقة فى الأرض . فهل نصدق ماجاء فى الكتاب وماجاء عن الرســول صلى الله عليـــه وسلم أم نصدق داروين ومن شايعه ؟ .

ومن الآيات التى جاءت في تكريم الانسان ، وانه مكرم ومفضل على المخلوقات قوله تعالى ( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) الاسراء آية (٧١)

وقوله تعالى ( وصوركم فاحسن صوركم) التغابن آية (٣)

وقوله تعالى ( لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ) التين آية (٤) ، اما قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية (٢٠)

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. » فمعناه ـ كما جاء فى القرطبي ـ « قل لهم يامحمد سيروا فى الأرض (فانظروا كيف بدأ الخلق ) على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبائعهم ، وانظروا الى مساكن القرون الماضية ، وديارهم وآثارهم كيف اهلكهم ، لتعلموا بذلك كمال قدرة اللــه .

فمعناها سيروا فى الأرض وانظروا ماذا فعل الله بالأمم من قبلكم واتعظوا بذلك ، وليس معناها انظروا الى اصل المخلوقات كما فسرها الكاتب .

ثم قال « فالقول بان التطور مجرد نظرية وليس حقيقة علمية قول مجانب للحقيقة ، فالتطور ذاته حقيقة .. الى ان قال ثم ان نظريـــة التطـــور ليســت إلا واحـــدة مـــن النظريات العلمية التى تناولت فكرة خلق الكائنات .. »

فالكاتب هنا يخلط بين الحقيقة والنظرية ، والفرق ـ كما لايخفى ـ واضح بين الحقيقة والنظرية ، ثم ان كلمة « التطور كلمة حـــق اريد بهـــا باطل ، فالتطور فى خلق الله موجود وثابت ، ولكن ليس التطور الذى يقصده الكاتب ، فالتطور في خلق الانسان نفسه حاصل لكل فرد إذ يمر فى اطوار من الخلق بحيث يكون فى بطن امه نطفة ثم علقة ، ثم مضغة ثم عظاماً .. فهذه تطورات خلق الانسان التى جاء بها القرآن الكريم . يقول تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظم لحماً ثم انشاناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين ) المؤمنون آية (١٤)

والمعنى لقد خلقنا الانسان وقلبناه فى أدوار الخلقة واطوار الفطرة وكل طور فيها لا يمت إلى الآخر بصلة .

ثم يمر الانسان كذلك باطوار مرحلية اخرى غير تلك الأطوار . يقول تعالى ( الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ) الروم آية (٥٤)

فهذا التطور غير ذلك التطور الذى يقصده الكاتب .

وبعد أن تكلم الكاتب عن نظرية التطور وإنها حقيقة علمية وان داروين على صواب فيما يدعيه ياتي ليقول « ويبدو ان الناس قد جبلـــوا على القفز الى الاستنتاجات قفزاً فهم يخطئون عندما ينسبون الى داروين قوله بان أصل الانسان قرد ، وتطور ، رغم أن داروين لم يذكر ذلك حقاً لعلمه بالفجوة الواسعة التى تفصل بين القرد والانسان . الست معي ايها القارىء ان هذا الكلام يناقض بعضه بعضاً ؟ .

فبعد ان دافع الكاتب عن نظرية داروين وانها حقيقة ، وأن الناس لا يفهمون ، يرجع ليقرر إن داروين لم يقل بان اصل الانسان قرد ، وانه تطور بعد ذلك . إذاً لماذا كل هذا الكلام ، ولماذا كل هذه السخرية بالغير ، ولماذا هذه الردود ؟

إن المعروف أن داروين نادى بهذه النظرية الخرقاء ، وايده اناس من البسطاء وقصيري النظر . وإن لم يكن ذلك صراحة في باديء الأمر ، فانه قد قرر ذلك ضمناً ، وفي المرحلة التالية من دراسته قرر ذلك صراحة . لذلك لاقى انتقادات واعتراضات كثيرة فى زمانه .

ويترتب على هذه النظرية الجوفاء التي بنيت على الحدس والتخمين ـ حسبما يبدو لي ـ أمور منها :

١ ـ تاييد الطبيعيين فى اعتقادهـــم حيث يعتقدون أن كل شيء على وجه الأرض من صنع الطبيعة ، الى ان الأشياء كلها من اصل واحد توالدت من بعضها البعض ، وبالتالي تنفي قدرة الخالق العظيم المبدع الذى خلق كل شيء على حدة ، ومستقلا استقلالا تاماً فى خلقه ، وليس له ارتباط بالآخر ، فهذه الأنواع المتباينة من الخلق التى لا تعد ولا تحصى تدل على كمال قدرته تبارك وتعالى ، وعجيب صنعه . يقول تعالى فى سورة « طـه » آية (٥٠) « قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

والمعنى ـ كما يقول مجاهد امام المفسرين ـ المعنى انه لم يخلق خلق الانسان فى خلق البهائم ، ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً .

ومنه قول الشاعر :

ولـــه فـــي كـــل شيء خلقــــــه
وكذاك الله ما شاء فعـــل

٢ ـ إن الله تعالى يصرح فى القرآن الكريم انه خلق آدم خلقاً مبدعاً ليس له مثيل سابق ، وكرمه ، وأمر الملائكة لتسجد له تكريماً له ، ثم تأتي النظرية لتقول انه تطور عن حيوان حقير ، وهذا هو الالحاد بعينه .

٣ ـ هذه النظرية والتى يسمونها نظرية «النشوء والارتقاء» وهى الارتقاء من الأدنى الى الأعلى وليس العكس ، أو النظرية التى تولدت من هذه النظرية «البقاء للأصلح» نراها تخالف الواقع وامام اعيننا فاننا نرى أن الانسان نفسه ينزل من أعلى الى أدنى حيث يهبط من نشاط الشباب والقوة الى ضعف الشيخوخة والشيبة ، ثم الموت ، فليس بالضرورة أن يرقى الحيوان دون أن يهبط ، أو أن يعلو دون أن ينزل ، ونرى كذلك أن النظرية الثانية «البقاء للأصلح» لا تصلح أن تكون قاعدة لهذا الأمر ، ولو كان الأمر كما يزعمون لانمحى وجود القردة من الوجود وبقى نوع الانسان وحده لأنه الأصلح ، وهذا ما لا نراه فى عالم القردة .

إن هذه النظرية وما ترمى اليه من أبعاد عقائدية خطيرة جاءت على لسان شخص

أوربى ، فلذلك تشبث بها البسطاء ، ورفعوها ، ونادوا بها ، وصفقوا لها ، وكل يوم يعملون لها عيد ميلاد ، أما لو كانت صادرة من شخص عربى ، أو مسلم ، لماتت ، وذهبت مع أدراج الرياح ، ولا غرابة فى ذلك فان البعض منا قد جبل على حب كل ما هو آت من الغرب . ورغم أن الكاتب يرى أن نحيل كل أمر الى متخصص فيه إلا أنه قد حشر نفسه فيما ليس له فيه اختصاص ، فذهب يشرح الآية الكريمة «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» حسب ما فهمه وأملت عليه أفكاره .

ورغم مرور قرن على هذه النظرية المشئومة والتى فتنت كثيراً من الناس البسطاء فى مجتمعاتنا ، فان علماء الغرب حتى الآن لايثبتون هذه النظرية ، وتلاقي مصادمات ، وتضاربات ، واعتراضات حتى يومنا هـذا .

وفى ذلك يقول الأستاذ أحمد أبو زيد فى مجلة العربى العدد ٢٨٤ ص ٧٢ يوليو ٨٢ « والشيء الواضح من هذا كله هو انه على الرغم من كل ما قاله داروين وكل ما كتبه العلماء التطوريون طوال المائة والعشرين عاماً التى انقضت على ظهور كتاب «أصل الأنواع» فليس ثمة اتفاق بين العلماء على أصل الحياة وكيف بدأت ، وكيف تطورت فلاتزال النظريات العلمية تتضارب ، وتتعارض الى أبعد حدود التضارب والتعارض» .

وعلمـاء الغـرب العصريـون ، والمتخصصون انفسهم يردون على نظرية داروين ، ويثبتون عدم جديتها ، ومخالفتها للواقع !

فقد قال الأستاذ أحمد أبو زيد فى المجلة المذكورة ص ٧١ «كذلك يلقى تصور داروين للتطور على أنه عملية متصلة ، ومستمرة ، وإن كانت تتسم بشكل بطيء وتدريجى – اعتراضات كثيرة من جانب عدد من علماء «الانثربولوجيا الفيزيقية» المعاصرين ممن أتيحت لهم الفرصة للبحث الميدانى ، والتنقيب ، والعثور على بعض الحفريات القديمة التى قلبت كل النظريات السابقة رأساً على عقب ، ويكاد هؤلاء العلماء يجمعون الآن على أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم «التغيرات الصغيرة» خلال فترات طويلة جداً من الزمن ، كما قال داروين ، ولكنها كانت تظهر فجاة ، ثم تستمر فى الوجود دون أن يطرا عليها أى تغيرات كبيرة حتى تندثر ، وتختفى تماماً ، لكى يظهر من بعدها – وبطريقة فجائية أيضاً – أنواع أخرى تختلف عنها اختلافاً كبيراً ، ودون أن يكون هناك مقدمات ، أو شواهد فى الأنواع القديمة تبشر بظهور هذه الأنواع الجديدة الأكثر تطوراً ، وتمهد لها ، وقد استند أصحاب هذه النظرية الجديدة الى جانب الحفريات التى عثروا عليها الى وجود فجوات ، وثغرات واسعة جداً فى «السجل الحفرى» يمتنع معها إمكان تصور التطور على أنه عملية واحـدة متصلـة ، ومستمرة ....» .

ومن الجدير بالذكر أن «كارل ماركس» رأس الشيوعية والشيوعيين والذى كان يريد تعميم الالحاد فى العالم كله أراد أن يصدر الترجمة الانجليزية لكتابة «رأس المال» بعبارة اهداء الى «داروين» مما يعبر عن مدى اعجابه الشديد بهذا الشخص الجديد الذى خدم قضية الالحاد لأول مرة فى العالم ، ولكن داروين اعتذر عن ذلك وقد ظل «ماركس» متحمساً لكتاب «أصل الأنواع» ولنظرية التطور لدرجة انه كتب الى إنجلز يقول «على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج التطور بأسلوب انجليزى فج فانه يحتوى أسس التاريخ الطبيعى لنظريتنا» .

وأخيراً إذا كان هناك من يعتقد جدية النظرية ، ويصر على ذلك اصراراً ، فليعتقد كما يشاء ، وليحبذ تلك النظرية كما يشاء ، ولكن ليس من المنطق أن يفرض ، أو يعمم ذلك الاعتقاد ، أو تلك النظرية على الآخرين فان الناس ليسوا كلهم على درجة واحدة فى التفكير يقبلون كل ما يقال ، أو يكتب ، فمنهم من يكون سطحى التفكير ، ويتجاوب الى أبعد الحدود مع كل ما يسمع ، أو يرى ويصفق مع المصفقين دون أن يدرى ما هو سبب التصفيق ، ومنهم من رزقه الله الدقة فى التفكير ، والنضوج فى العقل ، فهو يعرف كيف يفكر ، وكيف يتدبر أمراً ما ، ثم كيف يتقبله أو يرفضه .

وصدق الله العظيم حيث يقول (فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الحج ٤٧ .

د. عبد الله العبادى
مشرف عام الشئون الثقافية
جامعة قطـر

## لست زعيمًا للشركس في عمَّان!

لدى تصفحي العدد (٨٠) اغسطس ١٩٨٢ من مجلتكم الغراء ، فوجئت بمقال بقلم الاستاذ ضياء الدين بيبرس تحت عنوان عادات وتقاليد ( ص ٥٢ ) ودهشت من المغالطات التى اوردها عن عادات وتقاليد الشركس فى الاردن .. لقد قلب الكاتب الحقائق إلى خيال وترك لقلمه العنان ليكتب ماشاء من اخطاء ، وكانه يكتب من جزائر واق الواق ، ونسى ان العالم أصبح صغيراً ، والبعيد صار قريبا والكلمة التى تقال فى ادنى الأرض يسمعها فى حينها سكان الأرض جميعا ..

إنني اقر بكل تواضع خطا ماجاء فى المقال ، فلست زعيما للشركس فى عمان كما ذكر الكاتب ، وكذلك إبنتي ليس لها دخل بالموضوع حتى يحشر اسمها معي ايضاً ، وكل مافي الامر إنني كنت رئيساً للجمعية الخيرية الشركسية بعمان ، ولما انتهت مدة رئاستي انتخب شخص غيري لهذا المركز ، ومدة الرئاسة فيها سنتان ..

أرجو التكرم بتكذيب ماجاء في المقال المشار إليه ، وان هذه العادات والتقاليد قد بادت كما باد الاولون ، وان الشركس ليسوا بجالية كما ذكر كاتب المقال ، وإنما هم جزء لا يتجزا من الشعب الاردني النبيل .

وفى الختام اعرب لكم وللمجلة عن عظيم شكرى وتمنياتي لها بمزيد من الازدهار .

فواز ماهر
الاردن – عمان

المستشرق اليهودي

# بول كراوس

## بين الفضيحة المالية والفشل العاطفي

**اخي رئيس تحرير الدوحة**

اهنئكم واشكر لكم مقالكم الذى كتبتموه حول انتحار شاعرنا القومى الكبير خليل حاوى، أشكر لكم هذه الاطلالة على عالم خليل حاوى فى وقت صمتت فيه الكثير من الاقلام عن الكتابة عن هذا الحدث الأليم .. لاعجب فصمت نقادنا عن الحديث عن خليل حاوى هو امتداد لصمت امتنا العربية وتقاعسها عن الدفاع عن مقدساتها وابنائها . ! .. وما هذا الصمت الصغير إلا وليد طبيعى لذلك الصمت الفادح ! .. كان من الطبيعى إذن أن يذهب خليل حاوى صريع صمت هذه الأمة قبل موته وبعد موته !

غير انى توقفت طويلا عند مقدمة مقالكم الذى عقدتم فيه مقارنة بين انتحار خليل حاوى وانتحار المستشرق اليهودى بول كراوس ، ويخيل الى أن هذه المقارنة قد يكون فيها شىء من الاجحاف بشاعرنا القومى الكبير . ففى حدود ما أعلمه عن المستشرق كراوس أقرر لكم أن حبه للعروبة ودفاعه عن القضية العربية هما عندى موضع شك كبير على الرغم مما حدثكم به . كما ذكرتم – أستاذنا الفاضل الجليل الدكتور عبد العزيز الأهوانى . وما وجهة النظر التى نسبتموها إلى الدكتور الأهوانى الا واحدة من وجهات نظر مختلفة لم أجد للأسف ما يؤيدها فيما سمعت من روايات المعاصرين لبول كراوس عن نزعاته واتجاهاته ، اذ تجمع هذه الروايات على انه كان حاقداً على الاسلام فى وقت كان الحقد فيه على الاسلام يعنى الحقد على العروبة ، اذ لم تكن الدعوة الاسلامية والدعوة العربية قد تميزتا كما هما الآن .

ومن ناحية ثانية فان تاريخ انتحار المستشرق بول كراوس كان سابقاً لقيام اسرائيل بعدة سنوات وليس لاحقاً عليها كما ذكرتم فى مقالكم نقلا عن الدكتور الأهوانى ذلك أن تاريخ انتحاره هو عام ١٩٤٤ كما تذكر فهارس مكتبة الجامعة الامريكية بالقاهرة ، أو عام ١٩٤٥ كما يذكر كشاف الاعلام فى ذيل كتاب « أسس الفلسفة للدكتور – توفيق الطويل » ، « الطبعة السادسة – القاهرة – دار النهضة العربية – ١٩٧٦ – ص : ٤٩ » .

اما عن سبب انتحاره كما حدثنى به أستاذى الفاضل د ، توفيق الطويل فهو فضيحة مالية شهدتها كلية الآداب بجامعة القاهرة ( فؤاد الأول فى ذلك الوقت ) وكان كراوس هو البطل الوحيد فى هذه الفضيحة ومؤداها أن الدكتور طه حسين عميد الكلية كان قد أوفده الى فلسطين لشراء بعض الكتب والمخطوطات من مكتباتها ، وحين عاد كراوس بالكتب والمخطوطات المطلوبة لاحظت ادارة الحسابات أن كراوس لم يتقدم بفواتير الشراء وأبدت قدراً كبيراً من الشك فى صحة الأثمان المزعومة ومن ثم فقد رفعت الأمر الى الدكتور طه حسين لكى يتخذ القرار المناسب ، وكان قرار الدكتور طه حسين هو تكليف رئيس قسم الجغرافيا الدكتور – مصطفى عامر – الذى كان يتأهب للسفر الى فلسطين لأمر ما – بمراجعة المكتبات التى اشترى منها كراوس هذه الكتب واحضار فواتير بأثمانها وقد كانت المفاجاة .. وهى أن كراوس قد اختلس معظم الثمن لنفسه ! وقد تعاصرت هذه الواقعة مع ما كان يتردد فى أوساط الجامعة من أن كراوس كان يخوض قصة غرام فاشلة فى الوقت الذى خاض فيه الفضيحة المالية .. ولم يحتمل كراوس هاتين المحنتين فيما يبدو فأثر إنهاء حياته وهكذا وجد ذات يوم متدلياً من حبل مشنقة هيأه لنفسه فى حمام منزله .

وبعد فاننى اذ اتقدم إليكم بهذه الرواية عن انتحار كراوس .. فاننى آمل أن اكون قد نفضت عن ذكرى خليل حاوى تراب مقارنة ظالمة فى أرجح الظن .

ولكم منى كل تقدير ،،،

**دكتور نصار عبد الله**
**مدرس الفلسفة المعاصرة**
**جامعة أسـيوط**

تعليق : أشكر الدكتور نصارعلى هذه الرسالة وأعتقد أن شخصية «بول كراوس» تحتاج إلى المزيد من الضوء الذى يكشف الحقيقة حول هذه الشخصية ، وأذكر أننى قرأت مقالا للدكتور يحيى الخشاب عن « بول كراوس » فى مجلة الثقافة المصرية القديمة ، وكان المقال مليئاً بالتقدير والاحترام لهذا المستشرق .. وأرجو أن يتفضل الأساتذة العارفون بالقضية إلى كشف الحقيقة الكاملة ، وفى مقدمة الذين نرجو منهم ان يتكلموا ، « أستاذنا الدكتور توفيق الطويل وأستاذنا الدكتور يحيى الخشاب . على أن لي ملاحظة اخيرة هي أن طه حسين لم يكن عميداً لكلية الآداب سنة ١٩٤٥ ، بل لم يكن عميداً للآداب فى أى سنة من سنوات الأربعينات ، فقد كان فى ذلك الحين مستشاراً فنياً لوزارة التربيـة والتعليـم ، أو مديـراً لجامعـة الأسكندريـة . فايـن الحقيقـة في هـذه القضيـة ؟ .

.. أرجو أن تفتح كلمة الصديق الدكتور نصار باباً لتوضيح الحقيقة الكاملة حول شخصية هذا المستشرق الغامض « بول كراوس » .

ر . ن

# بين الشعبين المصرى والفلسطيني

بقلم: اللواء إبراهيم محمد الفحام

يقول الأديب الفلسطينى عمر الصالح البرغوثى فى مقدمة كتابه (الوزيراليازورى) تحت عنوان (علاقة مصر بفلسطين) :

« إن أكثر من عشر سكان فلسطين يمتون الى أصل مصرى ، هاجرت عائلاتهم مع جيش إبراهيم باشا الى فلسطين ، ثم إلتجأت عائلات أخرى فراراً من السخرة والشدة فى حفر القنال ، ولاتزال تحمل الطابع المصرى فى الاسم ، مثل عائلات المصرى ، والدمياطى ، والزعبلاوى ، والشرقاوى ، والأنشاصى ، والعرايشى ، وغيرهم . وكذلك اللهجة المصرية ، والطعام المصرى ، واللباس الريفى ، والعادات المصرية فهى شائعة فى الساحل ما بين خان يونس وعكا» .

وتعرض عارف باشا العارف ، مؤرخ المدن الفلسطينية ، لتلك الظاهرة ، فى كتابه (تاريخ غزة) بقوله :

« لقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة ، على مر الأحقاب . وإن كنت فى شك من قولى هذا ، فما عليك إلا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة فى شارع من شوارع غزة فى هذه الأيام (سنة ١٩٣٤) .. تشابه فى الرداء واللهجة ، وفى العادات والعنعنات ، وفى الأفراح والمآتم ، وفى السحن وتقاطيع الوجه ، وفى الأبنية والمآكل ، وفى كل شىء » .

وأشار عباس العقاد الى تلك المظاهر ، ضمن الفصول التى نشرها عن انطباعاته خلال رحلته فى فلسطين فى صيف سنة ١٩٤٥ والتى أعيد نشرها فى كتابه (حياة قلم) سنة ١٩٦٤ . إذ قال :

« أحسب أن المصريين والفلسطينيين فى مجال الهجرة فرسا رهان ، أو فارسان متقاربان ، فمن فلسطين مهاجرون فى مصر ومن مصر مهاجرون فى فلسطين . وقد يعيش الفلسطينى زمناً فى مصر ، ثم يعود الى بلاده . وقد ترى بينهم من يلقب بالأنشاصى ، والبلبيسى ، والطنطاوى . كما ترى بيننا من يلقب بالغزى ، والرملى ، والعكاوى . وكأنهم يتسابقون ويتلاحقون فى حلبة واحدة ، لا يخرجون منها ، ولا يسرعون الى تبديل معالمها ، سواء فى التقاليد الاجتماعية ، أو معيشة البيوت ، حتى (الملوخية) وهى صحفة مصرية ، لا يتقنها الطهاة ، من غير وادى النيل ، قد أكلناها فى بيت أبى خضرة ، كما تؤكل على أفخر موائدها التى تعتز بتقديمها فى بواكيرها أو معقباتها ، لأن أبناء هذا البيت يحافظون على تراثهم القديم مذ كانوا بريف مصر ، ولاتزال لهم قرابة فيه » .

وقال العلامة السورى محمد كرد علي فى مقال له عن المصريين الذين توطنوا بلاد



ابراهيم باشا
هاجرت عائلات مصرية معه الى فلسطين



احمد لطفي السيد
تحدث عن تبادل الهجرات بين الشعبين



نابليون بونابرت
وجد اربعمائة مصري فى يافا



محمد علي
طلب من والي عكا إعادة المصريين فرفض

الشام ، نشر فى عدد أبريل سنة ١٩٤٠ من مجلة (الهلال) :

« ترك جيش ابراهيم باشا بن محمد علي الكبير فى الديار الشامية وما اليها ، ألوفاً من المصريين ، أصبحوا بعد حين من الدهر كأهل الشام ، فى مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة ألوف من المصريين ، وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية ، وكانوا السبب الظاهر فى إعلان محمد علي باشا الحرب على والي عكا ، بل على الدولة العثمانية ، لأنه طلب إرجاعهم الى مصر ، فأبى الوالي على محمد علي إعادتهم ، محتجاً بأن مصر والشام شىء واحد ، وكلتاهما تابع للدولة . وهؤلاء المهاجرون الأول تفرقوا فى أنحاء فلسطين ، وأحالتهم شاميين » .

وقد أسهمت الجماعات البدوية ، التى تقيم بعض فروعها فى مصر والبعض الآخر فى فلسطين — والتى تنتمى الى قبائل السواركة والتياها والترابين والأخارسة والمساعيد والسماعنة والرميلات والوحيدات والرتيمات — فى توطيد روابط القرابة بين الشعبين المصرى والفلسطينى حتى بعد أن تحضرت أعداد كبيرة من عائلاتها فى المدن والقرى المصرية والفلسطينية ، إذ ظلت زيارات التعارف والمجاملة ، وعلاقات التآزر فى السراء والضراء بين هذه العائلات البدوية منها والمتحضرة ، باقية الى عهد قريب ، بل وظلت باقية بين بعضها حتى الآن .

## الروابط الوثيقة

وقد ذكر لي صديق شرقاوى ، تنتمى عائلته الى قبيلة السماعنة ، أنه حتى زمن غير بعيد كانت تفد الى قريته جماعات عديدة ، من العائلات الفلسطينية لمشاركة أبناء عمومتهم المصريين احتفالاتهم بالمناسبات المختلفة كالزواج ، وختان الأولاد ، وأداء فريضة الحج ، وللعزاء والمواساة فى حالات الوفاة ، كما كانوا يتشاركون جميعاً فى تحمل الالتزامات التى يفرضها العرف البدوى ، فيما يتعلق بحماية المستجيرين وإيوائهم ، ومؤازرة الأقارب والحلفاء ، وذلك برغم تخليهم عن مظاهر الحياة البدوية ومن أظهرها الزى البدوى ، واندماجهم الكامل فى خضم المجتمع الريفى المصرى .

وقد شجعت تلك الروابط الوثيقة ، بين العائلات المصرية والفلسطينية ، التى تنتمى الى أصول قبلية مشتركة ، على تبادل الهجرة ، كلما تطلبت الظروف ذلك .

وتحمل بعض القرى المصرية ، والتجمعات السكانية الصغرى التى تتبعها (كالعزب والكفور) أسماء قرى أو عشائر فلسطينية ، وفدت بعض عائلاتها اليها وتوطنت فيها .

وقد ذكر محمد رمزى بك فى كتابه (القاموس الجغرافى للبلاد المصرية) فى معرض حديثه عن قرية (السماعنة) بمحافظة الشرقية : « والسماعنة جماعة من عرب فلسطين ، نزلوا بهذه الناحية ، فعرفت بهم ، كما ورد فى تاج العروس » .

وذكر أستاذ الجيل احمد لطفى السيد ، فى كتابه (قصة حياتى) أن قريته (برقين) بمحافظة الدقهلية ، يحتمل أن تكون قد سميت باسم قرية (برقين) الفلسطينية .

ولم يكن تبادل الهجرات بين العائلات المصرية والفلسطينية مقصوراً على الجماعات البدوية الأصل ، بل شمل جماعات أخرى كثيرة ، تحت وطأة ظروف وأحداث مختلفة .

ففى بداية الحملة الفرنسية على مصر — وخاصة بعد انتصار الفرنسيين فى معركة إمبابة — لجأ كثير ممن خشوا بطش القوات المحتلة بهم — الى فلسطين . وعندما استولى نابليون على يافا فى مارس سنة ١٧٩٩ وجد بها أربعمائة مصرى ، من بينهم نقيب الأشراف السيد عمر مكرم ، فأعاده الى مصر ، وحاول إلحاق الباقين بصفوف جيشه ، ولكنهم رفضوا ، فأمر بإعادتهم الى مصر . ولا يبعد أن بعضهم — ومعهم أعداد أخرى وفيرة من مواطنيهم كانوا فى أنحاء أخرى من تلك البلاد — لم تتح لهم فرص العودة الى مصر .

وعندما أخمد الفرنسيون حركة المقاومة المسلحة ، التى قادها حسن طوبار فى بحيرة المنزلة بالدقهلية ، نزح الى غزة ، والتف حوله كثير من رجاله المتعطشين للنضال ، حتى بلغ سلطات الاحتلال الفرنسى أنه يعد بتلك المدينة قوة ينوى نقلها فى خمسين سفينة الى دمياط

# بين الشعبين المصري والفلسطيني

لاحتلالها ، واستئناف أعمال المقاومة فى شواطىء دمياط وبحيرة المنزلة ، ولكنه لم ينجح فى العودة الى مصر إلا بعد جلاء المحتلين .

وكان نزوح الآلاف من الفلاحين المصريين الى فلسطين ـ تخلصاً من الأعباء التى ألقتها على عواتقهم أنظمة السخرة والضرائب والتجنيد التى استحدثت فى عهد محمد علي ـ السبب المباشر الذى تذرع به لشن حملته على بلاد الشام فى سنة ١٨٣١ ، وخاصة عندما طلب من عبد الله باشا والى عكا إعادتهم الى مصر فرفض ذلك .

وقد أشار عبد الرحمن الجبرتى فى الجزء الرابع من تاريخه المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ضمن حوادث صفر ١٢٢٥ هـ . الى ما عاناه الفلاح المصرى من قسوة الأساليب التى اتبعت فى تحصيل الضرائب منه ، وقال .. « فربما أداه الحال إن كان خفيف العيال والحركة ، الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية . وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر ، الذين جلوا عنها ، وخرجوا منها وتغربوا عن أوطانهم ، من عظيم هول الجور » .

وعندما أعاد محمد علي جيشه الى مصر سنة ١٨٤٠ تخلف الآلاف من جنوده عن العودة . ويقدر موريبه فى كتابه (تاريخ محمد علي) عدد أفراد ذلك الجيش ، ومن كان ملحقاً بهم من المدنيين قبل الانسحاب ٢٠٠ ألف نسمة ، بينما لم يصل منهم الى مصر سوى ٦٠ ألفاً فقط ، واندمج من كتبت له الحيـــاة من الباقين فى أبنـاء البلاد ، وإن ظلوا محتفظين بالكثير من عـــاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، فأضفوا بعض السمات المصرية ، على ملامح المجتمعات التى عايشوها .

## من مصر الى فلسطين .. وبالعكس

وتكرر نزوح الفلاحين المصريين الى الأراضى الفلسطينية ، عندما أرهقتهم أعمال السخرة فى حفر القناة ، وإقامة بعض المنشآت الأخرى المتعلقة بها .

وكانت قد استقرت فى أرجاء الريف المصرى ، كثير من الأسر الفلسطينية التى استعين بخبرتها فى زراعة أشجار الفاكهة ومن أصلابهم انحدرت كثير من الأسر الريفية المصرية التى استمرت تمارس حتى الآن هذا الضرب من التخصص الزراعى .

وقد صادفت ـ أثناء عملى بالشرطة فى شمال الدلتا ـ أسراً كثيرة ، من هذا القبيل يشكل بعضهم سكان قرى بأكملها ، ويشكل البعض الآخر نسباً متفاوتة من سكان قرى أخرى ، وقد نسى أفرادها من الجيل المعاصر ـ فى غمار انشغالهم بمتاعب الحياة وأحداثها المتوالية والمتراكمة ـ كل شىء تقريباً عن أصولهم ، ولكن تلك الأصول ظلت من الذكريات العريقة ، التى يعيها كبار السن ، وخاصة من يتمتعون بقدر من الثقافة التقليدية التى ترهف وعيهم التاريخى ، ويحتفظ بعضهم بما يؤيد ذكرياتهم هذه من الوثائق ، كما تؤيدها بعض الشواهد المتبقية ، كملامح الوجوه ، والأسماء والكنى والألقاب ، واللهجات والأمثال والأغانى ، والحكايات ، والملابس والأطعمة ، وسائر العادات الاجتماعية . وإن كانت هذه السمات تبدو باهتة فى الغالب ، تحت الصبغة المصرية الغالبة ، التى اكتسبوها مع الزمان .

وفى القاهرة ، وغيرها من المدن المصرية ـ وليس فى الريف وحده ـ تتوطن منذ أجيال عديدة ، كثير من الأسر الفلسطينية الأصل ، التى تمتهن التجارة ، وأغلبها من سلالة ( النبالسة ) و ( الخلايلة ) ـ أي أبناء نابلس والخليل ـ الذين كان أسلافهم يترددون على هذه المدن فى مواسم معينة للاتجار فى الصابون وزيت الزيتون ، ثم طاب لهم الاستقرار فيها ، وجمعتهم بمن خالطهم من المصريين روابط البيع والشراء من جهة ، والمصاهرة من جهة أخرى .

وقد دعيت منذ سنوات قليلة ، لحضور احتفال بعقد زواج يجمع بين فتاة مصرية وشاب فلسطيني من الخليل ، وحضر الحفل بعض أقاربه ، وكلهم من تجار القاهرة . وكانوا من الكثرة بحيث غلب على ظني أن تعداد أبناء الخليل فى القاهرة وحدها ، لايقل عن تعدادهم فى موطنهم الأصلي .

وفى مقابل ذلك فقد اســتقر فى المدن الفلسطينية ، كثير من التجار المصريين ، الذين كانوا يترددون عليها ، للاتجار فى المحاصـــيل والمصنوعات المصرية والفلسطينية معاً ، وخاصة ( البلابسة ) أي أبناء مدينة ( بلبيس ) بمحافظة الشرقية ، الذين يقال أنه لا تكاد تخلو مدينة فلسطينية من أسرة أو أكثر تنتمي إليهم .

وكانت هنالك روابط تجارية واجتماعية وثيقة بين أبناء مدينتي يافا ودمياط ، اللتين لم تنقطع بينهما رحلات السفن ، للتجارة أو حضور مجالس العلم .

ويرجع الفضل فى توطيد أواصر الأخوة الصوفية بين أبناء المدينتين إلى السيد قطب الدين عمر بن محمد البكري اليافي الدمياطى من أبناء الطريقة الخلوتية ، وقد ولد فى يافا ، ووصل إلى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، اســتقر فى دمياط فاكتسب فيها كثيراً من المريدين والاتباع ، ثم عاد إلى موطنه ، وتوفى بدمشق فى سنة ١٨١٨ وتأثراً بتلك الروابط ، آثر الاقامة فى يافا بعض المصريين الذين أبعدوا من بلادهم لادانتهم بالاشتراك فى أحداث الثورة العرابية ، كما حرص على التردد عليها الذين كتب عليهم أن يقضوا مدة النفى من بلادهم فى بيروت ، وذلك للالتقاء بمواطنيهم المقيمين فيها ، أو بأبنائها الذين تربطهم بمصر أوثق الصلات .

وقد تحدث الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي فى كتابه ( نفحة البشام فى رحلة الشام ) ـ الذى ضمنه ذكرياته خلال اقامته فى منفاه ببيروت بصحبة الشيخ محمد عبده ـ عن رحلة قام بها إلى مدن فلسطين ، والتقائه ببعض شخصياتها التى رحبت بمقدمه ، ومنهم الشيخ خليل التميمي الخليلي ، كما قابـــل فى يافـــا مصطفى أفندي الأرناووطي المصري الدمياطي ، الذى أقام له ـ ولمن معه ـ احتفالا دعا لحضوره عدداً من العلماء والتجار والأعيان . وذكر الشيخ القاياتى عنه أنه ( من جملة المنفيين معنا فى الحادثة المصرية ـ يقصد الثورة العرابية ـ وأقام ببندر يافا لقربها من ثغر دمياط ، حتى يكون ذلك أنجز لمقصوده فى إدارة حركته التجارية ، وأقرب المواصلات اللازمة لتلك الجهات ، فضلا عن ذلك ، فقد نال من لطف هؤلاء الســادة ، ما أذهب عنه وحشة الغربة وأنساه بلاده ) .

## عبد الله النديم .. فى الشام

عندما تقرر نفي السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية إلى بلاد الشام سنة ١٨٩١ أبحر من الاسكندرية إلى يافا ، فاستقبله فى مينائها حشد كبير من العلماء والأعيان ، واستضافه مفتى المدينة السيد على أبو المواهب ، فأقام فى بيته


عبد الرحمن الجبرتي
أشار إلى اسباب هجرة بعض الفلاحيين لبلاد الشام .


عبد الله النديم
أبحر من الاسكندرية الى يافا ليستقبله حشد من كبار العلماء .


سعد زغلول
أطلق أهل القدس اسمه على مواليدهم الجدد إعرابا عن حبهم له .


طلعت حـرب
استقبله الشعب الفلسطيني بترحاب شديد عندما زار فلسطين

شهراً ، ثم استاجر داراً خاصة لم تلبث أن صارت منتدى لعلماء المدينة وأدبائها .

وقد أشاد النديم في مقال نشر له في عدد ٢٣ مايو عام ١٨٩٣ من مجـــلة ( الأستاذ ) بما لقيه المصريون الذين نفوا إلى بلاد الشام من ترحيب أهلها وتكريمهم ويقصد ببلاد الشام مفهومها المصري الفسيح ، الذي يشمل كل ما يلي حدود مصر الشرقية حتى نهاية الحدود السورية في أقصى الشمال ، كما أشاد بما لقيه هو شخصياً من حفاوة طوال مدة نفيه التي قضاها في ربوع فلسطين ، فقال :

« إن كثيراً من المصريين أبعدوا إلى سورية والشام ، فما وجدوا غير إخوان كرام ، قابلوهم بوجوه مستبشرة ، ونفوس طيبة ، واحلوهم محل الكرامة والتجلة ، حتى قضى الكل مدته ، وهو في أحسن مايكون من الأنس والراحة ، ومنهم هذا الضعيف محرر الأستاذ ، فقد غمره أهل يافا والقدس الشريف بفضلهم ، وأروه من مكارم الأخلاق ، ما لا يحصى الثناء عليه ، فقد أجلوه وكرموه ، وبادلوه الزيارة والضيافة ، وساعدوه في تنقلاته وخدموه ، بما زادهم شرفاً وفضلا . ولم يقصر المسيحيون في مشاركة المسلمين في الزيارة والمودة ، حتى جئت ولساني يرطب بالثناء عليهم » .

وهكذا كان الشعب الفلسطيني شديد الانفعال باحداث مصر ، كما كان من أكثر الشعوب العربية تأثراً بالحركة الوطنية المصرية . وكان من مظاهر هذا التأثر اطلاق الوطنيين الفلسطينيين لقب ( الزعيم الجليل ) على اسحاق موسى الحسيني باشا ، رئيس الوفد الفلسطيني إلى لندن في سنة ١٩١٩ وهو نفس اللقب الذي أطلقه الوطنيون المصريون على سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري . كما تذكر فرنسيس إميلي نيوتين في كتابها (خمسون عاماً في فلسطين) أن الوطنيين الفلسطينيين رفعوا في سنة ١٩٢٠ علماً يشبه العلم الذي كان يرفعه الوطنيون المصريون في ثورة ١٩١٩ والذي يضم هلالا يحتضن الصليب . وكان تقـديـر الفلسطينيين لزعامة سعد زغلول يضارع تقدير اخوانهم المصريين لها .

يروى إميل الغوري في كتابه ( فلسطين في ستين عاماً ) الذي صدر في عام ١٩٧٢ بعض ذكرياته عن فجر الحركة الوطنية الفلسطينية فيقول :

« كنا نحن معشر الطلبة في ذلك العهد ( يقصد سنة ١٩١٩ ) نفاخر بسعد زغلول ونعتبره زعيماً عربياً عظيماً ، وتعلقنا به منذ أن بدأنا نسمع عن حركته ومواقفه ، وكثيراً ما كنا نهتف باسمه وباسم الوفد المصرى في المظـاهرات والمـواكب والاحتفالات التي كنا نشترك فيها . وأذكر أن صور سعد زغلول هو ورجال الوفد مثل مكرم عبيد ، ومصطفى النحاس ، وحمد الباسل ، ومرقص حنـا ، وواصف غالى ، ومحمود البسيوني ، وأحمد ماهر ، ومحمود النقراشي ، وغيرهم ، كانت ترفع في البيوت والمخازن والمقاهي العامة ، رغم أوامر السلطات البريطانية بعدم رفعها ، وأن الكثير من أهل القدس كانوا يطلقون اسم سعد زغلول على مواليدهم الجدد ، إعراباً عن تقديرهم وحبهم له » .

وأشار إلى تألم الفلسطينيين لتصدع الحركة الوطنية المصرية ، ومعاداة بعض الساسة المصريين لسعد زغلول ، وشبه ذلك بما أصاب الحركة الوطنية الفلسطينية من انقسام . ووصف موقف الرأي العام الفلسطيني من ذلك فقال :

« ومما هو جدير بالذكر أن القيادة الوطنية الفلسطينية التي كان الشعب بأكثريته الساحقة يؤيدها ، ويلتف حولها ، التزمت جـانب سـعد زغلول والوفـد المصري ، في حين التزمت جبهة المعارضين في فلسطين جانب الجماعات التي خرجت على سعد وحزب الوفد » .

وروى الغوري واقعة من ذكرياته ، تصور مدى حدة التأثر التي كان يتسم بها الشعور الوطني الفلسطيني نحو الظروف التي كانت تجتازها الحركة الوطنية المصرية ، وما تمخضت عنه من صراع حزبي عنيف ، فيقول :

## حفلة تكريم في القدس

« وأذكر أن اسماعيل صدقي ــ وكان من زعماء مصر المعارضين لسعد زغلول ــ زار فلسطين ، وكان رئيساً للوزارة المصرية ، وحل ضيفاً على المندوب السامي البريطاني فاحتفى به المعارضون حفاوة عظيمة ــ يقصـد معارضى الاتجاه الشعبي السائد



اسماعيل صـدقي
استقبله الشعب الفلسطيني وهو يهتف بحياة سعد والوفد المصري .



عمر مكرم
اعاده نابليون إلى مصر عندما وجده في يافا .

## بين الشعبين المصري والفلسطيني

فى فلسطين ـ ، واعد له رئيس بلدية القدس راغب النشاشيبي زعيم المعارضين حفلة تكريم كبرى ، فى قاعة المجلس البلدي . فلما وصل اسماعيل صدقى إلى دار البلدية ، هاجمه الشعب وهو يهتف بحياة سعد والوفد المصري . وقذفه بالبيض والبندورة ( أي الطماطم ) فاضطر إلى العودة من حيث أتى ، ولم تقم الحفلة».

وذكر أن الشعب الفلسطيني أعلن ـ عند وفاة سعد زغلول فى سنة ١٩٢٧ الحداد عليه ثلاثة أيام ، وارسل زعماؤه ومختلف مؤسساته وهيئاته ونواديه وجمعياته برقيات العزاء إلى أم المصريين وحزب الوفد ، وجللت صوره فى كل البيوت والمتاجر والأماكن العامة بالسواد ، وأرسل وفد يمثل الجميع إلى القاهرة لتقديم العزاء ، والمشاركة فى حفل التابين ، الذى أقيم بالنادى السعدى ، فلقى الوفد حفاوة عظيمة ، وخصص لأعضائه الصف الأول . وألقى إميل الغوري كلمة عبر فيها عن مشاعر الفلسطينيين .

وبمثل تلك العاطفة استقبل الشعب الفلسطيني طلعت حرب مؤسس بنك مصر عندما زار بلادهم فى العام التالي (١٩٢٨).

وفى الحفل الذى اقامته له الغرفة التجارية بيافا ، أبديت له رغبة الشعب الفلسطيني فى انشاء بنك مصري فلسطيني بفلسطين ، يشترك فى تمويله بنك مصر والفلسطينيون فرحب بتلك الفكرة ، كما أيدها أعوان طلعت حرب . ولكن الجهود التى بذلها أثرياء اليهود فى مصر ، حالت دون إنشاء ذلك البنك ، كما تعرض الممولون الفلسطينيون لضغوط شديدة بددت حماستهم لذلك المشروع .

وكانت فلسطين ـ استجابة لرغبة شعبها واصراره ـ من أولى الأقطار العربية التى انشئت فيها فروع لجمعية الشبان المسلمين ، بعد إنشائها فى مصر سنة ١٩٢٧ . ولم يقتصر إنشاء تلك الفروع على المدن الفلسطينية الكبرى ، بل امتد إلى بعض القرى الصغيرة أيضاً . وكان لتلك الفروع فضل عظيم فى توثيق روابط الفكر القومي بين الشعبين المصري والفلسطيني وبين هذين الشعبين وسائر الشعوب العربية والاسلامية ، فبدأت حكومة الانتداب البريطاني ، تعارض جهودها ، ووجهت منشوراً إلى دواوين الحكومة ، يدعو إلى منع الموظفين من الانتماء إلى تلك الفروع ، كما أغلقت فرعي الجمعية بكل من يافا وغزة .

وكانت تلك التصرفات من أهم الموضوعات التى ناقشها المؤتمر العام الذى عقدته الجمعية بالقاهرة فى يولية ١٩٣٠ ، وقررت ابلاغ احتجاجها على ذلك للمندوب السامي البريطاني فى فلسطين ، وإلى الحكومة البريطانية ، وعصبة الأمم ، والصحف العربية والانجليزية .

وكانت معالم الحياة فى مدينة يافا ـ بوجه خاص ـ مرآة صادقة للترابط الوثيق بين الشعبين المصري والفلسطيني ، بفضل الصلات التجارية المستمرة والعريقة بين أبنائها وأبناء الثغور المصرية وخاصة دمياط . وقد عبر المحامي المصري الأديب عبده حسن الزيات فى كتابه ( من يوميات محام ) عن بعض الانطباعات العميقة التى خلص بها خلال زيارته لمدينة يافا سنة ١٩٤٤ وأبدى تأثره من اطلاق أسماء مصرية على بعض مؤسساتها مثل « سينما فاروق » و « فندق رمسيس » و «الجمعية المصرية» كما تأثر برد الفعل الحماسى الذى بدر من المستمعين له ، أثناء القائه محاضرة عن المحاماة . وخاصة عندما تحدث فيها عن سعد زغلول كمحام .

### مشاعر شعبين

وقد ظل الشعب المصري بدوره ـ وسيظل دائماً ـ بالغ الحساسية ، شديد الانفعال بالظروف والأحداث التى يستهدف لها الشعب الفلسطيني . وقد تجلى ذلك دائماً فى مواقف الحكومات والهيئات والجماعات الصادقة التعبير عن مشاعر الشعب المصري وارادته .

وليس فى هذا ما يثير العجب ، فالرابطة بين الشعبين المصري والفلسطيني ليست من قبيل الروابط التى تستمد وجودها من الاتفاقات أو السياسات الرسمية للدول ، وحدها . بل هي رابطة واقعية بين شعبين يسهم كل منهما بنصيب وافر فى النسيج الاجتماعي للشعب الآخر ، فضلا عن إدراكهما الواعي لوحدة المطامح والآمال والمصائر .

ابراهيم محمد الفحام




# مسابقة
## بمناسبة افتتاح
## مركز الخور الثقافي

بمناسبة افتتاح مركز الخور الثقافي ـ يسر وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ الاعلان عن المسابقة الآتية :

## أحسن صورة فوتوغرافية لمدينة الخور

### شروط المسابقة :

١ ) الاشتراك مفتوح للجميع .
٢ ) ان تظهر الصورة جوانب الاصالة بمدينة الخور والذخيرة .
٣ ) ان تكون الصورة بالالوان الطبيعية .
٤ ) يحق للمتسابق الاشتراك بثلاث صور مختلفة .
٥ ) ان يكون مقاس الصورة ١٤ × ١١ بوصة ويرفق معها نسختين بالمقاس العادى .
٦ ) الصور لا ترد لاصحابها فازت أم لم تفز .
٧ ) يكتب اسم المتسابق وعنوانه على ورقة منفصلة على ان تحمل الصورة اى اشارة او رقم ويذكر بها وقت التقاط الصورة .
٨ ) آخر موعد لاستلام الصور هو يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٨٢ م .
٩ ) ترسل الصور بالبريد المسجل على العنوان التالى :

« ادارة الثقافة والفنون ـ ص . ب : ٣٣٣٢ ـ الدوحة »
« مسابقة احسن صورة »

### الجوائز :

| | | |
|---|---|---|
| الجائزة الأولى | ٣٠٠٠ | ثلاثة الاف ريال قطرى . |
| الجائزة الثانية | ٢٠٠٠ | ألفين ريال قطرى . |
| الجائزة الثالثة | ١٠٠٠ | الف ريال قطرى . |

كما انه سيقام معرض يضم جميع الصور المشتركة وذلك بقاعة المعارض بالمركز الثقافى بمدينة الخور بعد اعلان النتائج .

والله ولى التوفيق ..




# مسابقة
## بمناسبة افتتاح
## مركز الخور الثقافي

يسر وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون الاعلان عن المسابقة التالية :

# "أحسن مقال أو دراسة أو بحث يخص أحد معالم مدينة الخور"

## شروط المسابقة :

١ ) الاشتراك مفتوح للجميع .
٢ ) ان يكون الموضوع فى احد الجوانب التالية :
أ ـ دراسة أو بحث عن حياة شاعر من شعراء الخور .
ب ـ دراسة او بحث عن تاريخ المدينة .
جـ ـ دراسة او بحث عن احد الحرف الشعبية التى كانت تمارس بمدينة الخور .
د ـ دراسة او بحث فى نواحى الحياة بمدينة الخور .
٣ ) أن لا يقل الموضوع عن عشر صفحات فولسكاب .
٤ ) ان يكتب بخط واضح او مطبوع على ثلاث نسخ .
٥ ) ان يكتب اسم المتسابق على ورقة منفصلة .
٦ ) يحق للمتسابق الاشتراك باكثر من مقال .
٧ ) الموضوع لا يرد لصاحبه فاز أم لم يفز .
٨ ) ترسل المواضيع على العنوان التالى ( ادارة الثقافة والفنون ص .ب ٣٣٣٢ ـ الدوحة )
« احسن مقال »
٩ ) آخر موعد لاستلام المواضيع يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٨٢ .

## الجوائز :

| | |
|---|---|
| الجائزة الأولى | ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف ريال قطرى . |
| الجائزة الثانية | ٢٠٠٠ الفين ريال قطرى . |
| الجائزة الثالثة | ١٠٠٠ ألف ريال قطرى . |

هذا وسوف تضمن هذه المقالات كتاب عن مدينة الخور تصدره الادارة .
والله ولى التوفيق ،،

بسم الله الرحمن الرحيم




## دولة قطـــر
## وزارة الإعـــــلام
## إدارة الثـــقافـــة والفنـــون

---

تعلـــن ادارة الثقافـــة والفنـــون ـ قســم الفنـــون والصناعات الشعبيـــة عن رغبتهـــا فى اقتنـــاء المصنوعـــات الشعبيـــة . فكل من يمـــارس أو يمتلك قطعـــة مصنعـــة محليـــة من الصنـــاعات التاليـــة :

١ ـ النقـش على الجبـس .
٢ ـ الحفـر على الخشـب .
٣ ـ صنـــاعة السفن الخليجيـــة .
٤ ـ صناعة النسيج بالأساليب الشعبيـــة .

وكل ما لـــه علاقـــة بالصناعـــات الشعبيـــة يتقـدم بهـا الى رئيـس قســم الفنـــون والصناعـــات الشعبيـــة بمبنى ادارة الثقافـــة والفنـــون .

واللـــه ولي التوفيـــق ،،،،

مـــع تحيـــات

وزارة الاعـــلام

ادارة الثقافـــة والفنون

# جدع .. وابن بلد

شعر: أحمد دحبور

جدع ، وابن بلد
عندما يلقى التحية
يلتقى فى صوته المعدن ، والخبز ،
وجلابية السوق ،
وأسمنت البناء
فاذا ساءلته عن نفسه ،
بش طويلا ، وانفرد :
ـ عندما جئت من الاسماعيلية
جبهتي كان اسمها « تحرير سيناء العربية »
أصل سيناء شرفي ، والاعتداء
لم يكن ضد رمال وميادين فقط
غلط هذا ، غلط
فاحتلال الأرض يعني العرض ..
يعني ..
كيف يبقى ، بعد ، فى الوجه شوارب
والعدو احتلنا ..
قلنا نحارب

• • •

جدع ، وابن بلد
يوم خاض العملية
لمعت في رأسه أيامه الأولى وعادت فكرة :
سيناء أيضاً عربية
حيث لا يقتصر الأمر على هذى الرمال
انها الجرح الذى يمتد من جرح فلسطين ـ
الشمال
ويوافي بالسؤال :
أي معنى للمحارب
أن يكن يجهل أن الجرح أرض عربية

• • •

وبهذى الروح جاء
لم تكن صيدا سوى قاعدة ،
والعمق ميدان الفداء
عندما تسأله عن صحبه فى القاعدة
ينتخي وهو يجاوب :
إنهم أهلي .. فلسطين بلادي ،
والأعادى .. كل من يجهل هذى القاعدة

جدع ، وابن بلد
... وأرى بين الفدائيين ،
مالم يره مثلي أحد
فى البداية
كنت أخشاهم !!
فقد كان اعتقادي ..
انهم أقسى من الصخر ،
ولم لا ؟ انهم قد يأكلون الصخر إن جاعوا
ولكن حدثت هذى الحكاية :
مرة مر علينا الطيران
فانتشرنا ـ
ورأيت « الشبل » ينقض على المدفع ،
أعصاباً حديداً ،
فاعترى قلبي شعور بالأمان
ثم إني مرة ،
شاهدت فيه الخوف حتى الارتجاف
( عجباً ! « شبل » يخاف ! )
كان هذا عندما كدنا بسيارتنا ندهس طفلا
ثم ماذا .. ؟
جدع وابن بلد

• • •

ـ سقطت صيدا ، وما كنت هناك
كنت في ..
( يلعنها من ساعة ووفق لي فيها على هذى الأجازة)
ثم ماذا ؟
كان ، سيجارته تلسعه في فمه حين رماها ،
لم يكن يحمل حتى ثمن الوجبة
أو حتى الدخان
وهو ، فيما كان يبدي عذره لي ، عن قبول
الدعوة المرتجلة
قال : كل الأسئلة
لا توازي واحداً ..
كيف أعود الآن يا صيدا اليك
وعلمنا ، بعد هذا ، إنه حقق بالفعل الجواب .

# لماذا الإلحاد.. والإيمان حق؟!

بقلم: خالد محمد خالد

على الرغم من أن موجة الايمان عالية ، تحمل فوق ثبجهـا الكثير من المؤمنين والمتـدينين على اختلاف منازعهم ومشاربهم .

على الرغم من ذلك ، فان موجة الالحاد عالية هى الأخرى ، تحمل فوق ثبجها الكثير من المنكرين والملحدين .

وفى عصرنا هذا تتبنى الالحاد وتحض عليه منظمات كبرى ودول شاهقة ، وتسرى سمومه فى أوصال ذويه مجرى الدم ، ويجد فيه الكثيرون راحة من الضوابط التى يفرضها الايمان على سلوك الانسان ، أو راحة من المعاناة الفكرية التى تجعل الانسان حائراً صغيراً بين الايمان واللاإيمان ..

وفى رأيى أن الالحاد موقف فكرى بيد انه يتسم بالاحباط والضلال .. ومادام موقفاً فكرياً حيث يعجز عقل الملحد عن إدراك وجود الله ؛ فان طريقة التفاهم معه ينبغى أن تكون الحوار والمناقشة ..

إنه منذ تبين الرشد من الغي صار الاكراه على الايمان أمراً غير مرغوب فيه .

يقول الله سبحانه : «لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغي» ويقول مخاطباً رسوله عليه السلام . وكأنه يعاتبه : «افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»؟!

إن الأمر يبدو سهلا ويسيراً إذا كانت الخلافات بين المؤمن والمنكر ترجع الى الرغبة الصادقة فى الوصول الى الحقيقة لكنها تبدو عكس ذلك إذا كان الملحد يصدر فى إلحاده عن عناد ومكابرة ورغبة مضحكة فى تحدى الله العلي الكبير .

• • •

ومع تقدم الكشف العلمى ظهرت أسئلة كثيرة عن الله . هل هو موجود ؟ وكيف وجد ؟ وحسب كثير من المتعلمين ان العلم سيجهز على الايمان ، وسيرفع راية الالحاد لاسيما وهو يسأل بصوت مرتفع وبكلمات كبار إذا كان الله خلق الكون ، فمن خلق الله ؟

ونسي هؤلاء أن الله ليس مادة ؛ ومن ثم فمن غير المستطاع أن تصل اليه بالطرق المادية ، كما انه من المؤكد الذى لا يتطرق اليه الشك انه ليس هناك شيء مادى يستطيع أن يخلق نفسه ، والذين يقولون إن الكون خلق نفسه ، يصفون الكون بالألوهة ، ومعنى ذلك أنهم يعترفون بوجود إله .

يقول عالم الطبيعة الكبير «جورج إيرل دافيز» فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» :

«إنه كلما ارتقى وتقدم تطور المخلوقات ، كان ذلك أشد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق .. وإن التطور الذى تكشف عنه العلوم فى هذا الكون ، هو ذاته شاهد على وجود الله ، فمن جزيئات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشرى عن الاحاطة بمدى إبداعها ، وقد حملت كل ذرة من ذرات هذا الكون ، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حس ، ولا يتصور صغره وضآلته عقل قوانينها وسننها وما ينبغى لها أن تقوم به ، أو تخضع له» ..

أجل .. تلك من آيات ربنا الكبرى أن كل شيء فى هذا الكون حتى ما هو دون الذرة قد أعطاه الله قانونه ومنهجه ووظيفته .

يقول القرآن الكريم : «... ربنا الذى

أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى» أى أعطى كل شيء قانونه وجعل له وظيفته ثم هدى وأعطاه المقدرة على تنفيذ هذا القانون وإنجاز تلك الوظيفة .

وفى رأيى أن قضية الايمان ليست موضوع الدين وحده ، بل هى كذلك موضوع العلم والفلسفة والفكر والفن ، وموضوع الحياة كلها .

فجميع الكائنات العليا فى هذا الكون الكبير ، وبالتالى فى كوكبنا الصغير تدفعها قوى باطنة الى استشراف الغيب ، وتتبع الخيوط التى تهدى الى السر الأكبر . سر القوى الأعلى الذى خلق عالمنا الفذ ، والهمه سننه وقوانينه ونظامه المحكم الوثيق .

كل انسان تناديه هذه الأسرار .. فمنا من يسير اليها متتبعاً خطى العلماء .. ومنا من يسير متتبعاً خطى المرسلين والانبياء .

ليس معنى ذلك أن الايمان فى غنى عن الدين . بل معناه أن كل ما فى عالمنا الانسانى من فكر وعقل وروح يهدى الى الله ويدل عليه .

وإذا ضل انسان طريقه فليس العيب ماثلا فى عدم وجود الأدلة الكافية . بل العيب فى المنظار الذى يبصر به الحقائق ، وحين يضبط منظاره فانه يصادف حينئذ الكثير من الوضوح .

ولطالما نادى الله سبحانه قوانا المفكرة لتصل اليه وتراه من خلال عظمته وقدرته المتبدين فى الأرض وفى السماء .

يقول سبحانه : «أولم يسيروا فى الأرض فينظروا ..» .

«قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق» ..

«من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» ..

«أم من جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها انهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا» ..

«وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شيء» ..

«إن فى خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولي الألباب» ..

«وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . قال من يحيي العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم» .

آيات كثيرة خاطب الله بها العقل ليهديه بها اليه ، ويدله عليه ، وهذا يعنى أن الايمان تجربة قبل أن يكون إذعاناً ، ونظر بالعقل قبل أن يكون تلقياً بالشعور .

ومن أجل هذا ترك الله رسوله ابراهيم أبا الأنبياء يعانى بواكير التجربة وحده قبل أن يتلقى من الله وحيه .

«فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربى .. فلما أفل قال لا أحب الآفلين .. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى . فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ، هذا أكبر . فلما أفلت ، قال يا قوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» .

وهكذا يضع «ابراهيم» عليه السلام الفروض ثم يناقشها ويفحصها .

أى انه سلك طريق العلم اليوم . إذ العلم يقوم على الفروض لأنها توجه العمليات التى تكشف عن الحقيقة ..

والفروض – كما يقول جون ديوى – ليس هناك حدود لمداها ولا لعمقها – فمنها فروض ذات مجال محدود تكنيكى ، ومنها فروض تبلغ من السعة اتساع الخبرة نفسها .

وقد يسأل سائل : كيف نصل الى الله عن طريق العقل ، والشك أول وسائل العقل وأدواته ؟

والجواب : نعم والشك نفسه طريق الايمان .. لقد سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى .. فسأله الله : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى .

ويخبرنا الله سبحانه عن الأزمات النفسية العاتية التى كانت تلم بالرسل أنفسهم فيقول سبحانه : «حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا – بضم الكاف وكسر الذال – » .

ولقد شكا بعض أصحاب النبى ما يعتورهم من شكوك فى وجود الله ، فقال لهم الرسول مطمئنا : «هذا محض الايمان» أى قبل أن تقول الفلسفة : شك لتعرف ، بقرون طويلة جعل الرسول الشك طريقاً الى اليقين .

وهذا حق ، فالشك إنما ينبىء بوجود يقين يحاول اكتشاف نفسه . بل إن الشك كثيراً ما يفجره زحام اليقين !!



ولكن كيف يأتى الالحاد ؟!

إن له خلفيات كثيرة تدفعه الى إغراء النفس وإغوائها .

● من هذه الخلفيات والدوافع أننا تعودنا أن نسمع اسم الله مقروناً بالأمر والنهى .. فكل دعوة الى فضائل يشق على النفس إتيانها ، والى رذائل يشق على النفس تجنبها . إنما نبعت من الله ..

ونحن بني الانسان عالم نموج بالشهوات موجاً ، وكل قوة تحاول صدنا ، والوقوف فى وجه غرائزنا لا تقابل منا بالارتياح .

ومادمنا نفهم أن الله هو الذى وضع الشكائم لنا ، فهو إذن المسئول عن التناقض الوبيل الذى نعانيه فى علاقتنا بهذه الأخلاقيات فاذا استجبنا لها مزقتنا الشهوات المكبوتة المهتاجة ، وإذا انكصنا عنها حطمنا عذاب الضمير والخوف من عذاب الله ..

ودحض هذه الخلفية يسير ، فالأخلاق ليست وصية الدين وحده . بل إن الحياة الانسانية منذ وعت نفسها وهى توقن أن الاستمرار بلا أخلاق محال .

فهى – مثلا – لكى تنمو وتطرد لابد أن تمجد العدل وتضع الظلم .. تمجد الأمانة ، وتسقط الخيانة .. تحترم الصدق وتمتهن الكذب .. وتقاوم القتل والسرقة والفاحشة..

والقانون الخلقى ضرورة الحياة الانسانية . والكفر بالله لا يخلى من تبعات هذا القانون ومسئولياته .

وإنكار وجود الله لن ينجيك من العقاب الذى سينزله بك مجتمعك إذا خنت ، أو سرقت ، أو قتلت ، أو انتهكت حرمة ثابتة .

● من هذه الخلفيات أيضاً ، ارتباط الايمان بالدين . فالدين وإن لم يكن الصوت الأوحد الداعى الى الله ، إلا أنه أول الأصوات وأعلاها ولأن الدين قد تعرض لأزمات كثر ، وتطفلت عليه كثرة هائلة من الأكاذيب والخرافات ، فقد أصيب الايمان معه . وصار كثيرون ممن يرفضون الدين يرفضون الايمان أيضاً .

وهذا جهل بَيِّن وحيف عظيم ، فالفلسفة والفن ، والعلم وكل تراث العقل الانسانى قد تقحمه وتطفل عليه ما ليس منه . ولم يكن ذلك يعنى إنكارنا لأهداف هذا التراث وغاياته وحقيقته !!

لقد سبق الدين الى الهتاف بوجود الله ودعوة الناس الى الايمان به لكى يبلغوا بهذا الايمان أعلى مستويات الخير ورفعة النفس .

ولئن كان هناك تطفل على الدين من الأكاذيب والأساطير ، فان هذا التطفل لم ينل من الدين إلا بعض أشكاله الخارجية . أما روح الدين فقد بقي زاهياً صافياً نقياً ..

وروح الدين يتجلى فى الايمان باله واحد ، لا يحابى ولا يظلم .. وذلك يعنى تحرير الانسان وعقله من عبادة الآلهة المنحوتة والمصنوعة ، كما يعنى تحريره من أرباب الأرض الذين طالما ساموا الناس خسفاً ورهقاً ، وملأوا حياتهم فساداً وبغياً .

وروح الدين يتجلى فى الهتاف بخلود الروح الذى هو أعظم تكريم للانسان . إذ معنى هذا الخلود أن الانسان ليس مخلوقاً عادياً ، وأن الموت ليس فناء كلياً له .. بل هو انتقال الى عالم البقاء والخلود .

وروح الدين يتجلى فى اعلانه أن الانسان مستخلف فى الأرض إذ هو ارتفاع بالانسان الى أعلى مقامات الخلق ، وإرهاص بان هذا الذى نفخ الله فيه من روحه سيذهب صاعداً حتى يبلغ فى معراج الارتقاء ما لا يخطر ببال .

وروح الدين يتجلى فى دعوة الانسان الى الايمان بالغيب . إذ فى هذا الايمان تحطيم لقوى الحجر على المستقبل ، وتشجيع الانسان على اقتحام المجهول وكشف ما وراءه من أسرار .

● ومن الخلفيات أيضاً زحف العلم وتفوقه فكثير من الناس يظنون أن العلم قد ورث الدين ولم يعد للدين دور يؤديه . وهذا جهل فاضح بقدر ما هو واضح ، لأن العلم فى مفهومه الحقيقى تزكية للدين وتفسير له .

ولنطالع إذا شئنا كتاب «العلم يدعو للايمان» وهو لعالم يهودى شغلته قضية العلاقة بين العلم والدين فقال فى هذه العلاقة رأياً حصيفاً .

وهناك واحد وثلاثون عالماً من كبار علماء أوربا قد التقوا فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» وأثبتوا جميعاً أن العلم ليس ضد الايمان . بل هو صديق له وزميل .

● ● ●

وبعد ، فقد حدثنا عن الله كثيراً ، الأنبياء والمرسلون ، وهم اناس عاشوا حياتهم فى أعلى مستويات الصدق والخلق الرفيع . لماذا نصدق الذين يحدثوننا عن القوى النووية ، ونحن لم نر شيئاً من أشيائها ؟!

ولماذا نصدق الذين يحدثوننا عن الأشعة «تحت الحمراء» ونؤمن بوجودها ونحن لم نرها ؟!

لماذا نصدق الذين يقولون لنا : إن سرعة الضوء هى ١٨٦٠٠٠ ميلا فى الثانية الواحدة ونحن لم نشترك فى هذا القياس لماذا ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟

قد يقول قائل إن الأمر مختلف لأنك تستطيع التاكد من هذه الحقائق إذا اخذت مكانك فى اى معمل أو مرصد .

وهذا حق ــ بيد انا نستطيع ايضاً أن نتاكد من صدق الذين يدعوننا الى الله إذا اخذنا مكاننا فى معاملهم ومراصدهم ، ومعاملهم ومراصدهم من نوع آخر . نوع يستطيع كل انسان ان يمتلكه إذا جلا روحه وأيقظ كل قوى نفسه الفاضلة ، واستخدم المناطق المخبوءة من عقله وبصيرته .

إن الايمان الدينى كالايمان العلمى . كل منهما نوعان : إيمان رؤية .. وإيمان تصديق ..

فايمان الرؤية فى العلم ، هو إيمان العلماء الذين اكتشفوا النظريات والحقائق بانفسهم .

وإيمان التصديق فى العلم ، هو إيمان الملايين من البشر الذين لم يمارسوا التجربة بانفسهم ولكنهم صدقوها لأنها تحمل دلائل التصديق . كذلك إيمان الرؤية فى الدين هو إيمان الأنبياء والمرسلين والهداة الذين عاينوا ، وشاهدوا ، وذاقوا .

وإيمان التصديق فى الدين ، هو إيمان الكافة ، فاذا صممت على أن يكون إيمانك الدينى إيمان رؤية ، فاصنع إذن ما يجب عليك صنعه حين تريد أن يكون إيمانك بحقائق العلم إيمان رؤية .

مارس تجربة الايمان والعبادة بنفسك وتبتل اليها بكل قلبك وروحك . وابذل جهوداً مثابراً دءوبة ، فسوف يتجلى لك الله كما تجلى لغيرك !!

إن آلاف العصور والأحقاب التى عاشتها البشرية فوق هذه الأرض قد شهدت حنيناً دائباً من الناس ، وتطلعاً مستمراً الى الله

وفى كل فرد منا ــ إلا من شذ وابق ــ نزوع يذكرنا بان لنا خالقاً وبارئاً ومنشئاً .

أولا يدل هذا النزوع على شىء ؟ الا يدل تصميم الخلق مذ وجدوا على ان هناك قوة عليا ، عليهم أن يبحثوا عنها ويشدوا رحالهم اليها .. الا يدل ذلك على شىء ؟!

سيقال : لقد ظل الناس مذ وجدوا مصممين على ان الأرض مركز الكون حتى جاء يوم تخلوا فيه عن زعمهم وتصميمهم .

اجل .. ولكنهم تخلوا عن زعمهم القديم لأن العلم قدم لهم يقيناً عرفوا به حقيقة وضع الأرض .. فهل قدم العلم يقيناً مماثلا ينفى وجود الله .. ؟!

كلا .. بل إن العلم كلما امعن فى فتوحاته ازداد انبهاراً وازداد تواضعاً ، وازداد إيماناً بان ما يجهله اكثر مما يعلمه وان الأسرار الكبرى التى تتكشف له اكبر من ان تكون تلقائية النشاة عفوية المسير .

وبعض العلماء الذين تعجلوا الرأى وافتاتوا على الحق لم يزيدوا على أن اخذوا كل الصفات المنسوبة لله ، ونسبوها للمادة .. !!

فلماذا يسهل عليهم ــ وهم يرفضون الصدفة كمحرك للكون ــ أن يؤمنوا بمادة عليمة حكيمة قادرة ، ويصعب عليهم الايمان باله عليم حكيم قدير .. ؟!

● ● ●

إننا لا ندرك جمال الحياة وسموها إلا فى تلك الأوقات التى نحس فيها اننا مسيطرون تماماً على انفسنا ، وحياتنا ، ومصايرنا

ومن عجب انه لا شىء يتيح لنا ذلك مثلما يتيحه الايمان بالله وفق المفهوم الصحيح لهذا الايمان .

وإن فقدان الايمان بالله يدل ــ أول ما يدل ــ على فقدان الاستنارة والفهم ، وفقدان استقامة التفكير والضمير .

خالد محمد خالد

# ثروة نادرة من التراث المخطوط قدمها الإنسان العربي في عصور الازدهار

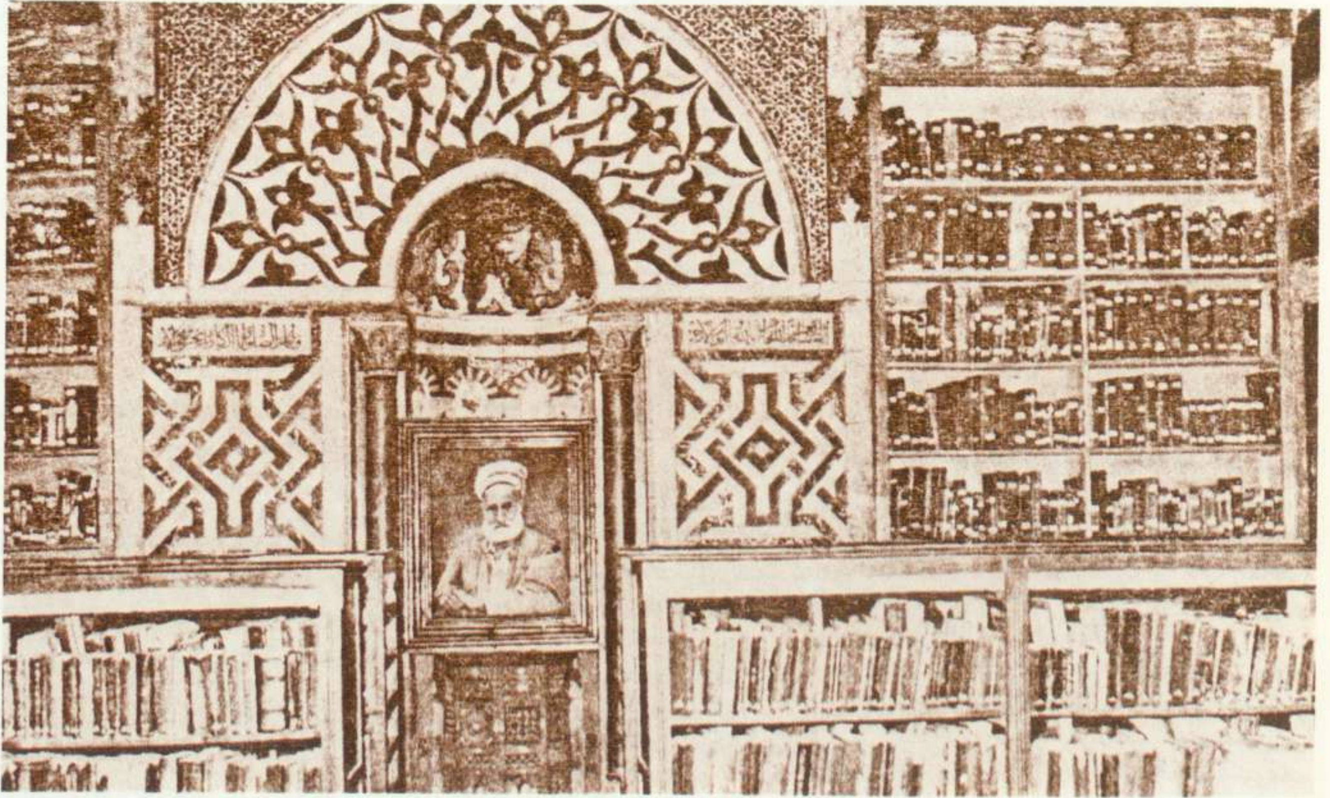
بقلم : وجيه الشربجي

تجاوزت دار الكتب الظاهرية بدمشق العام المائة من مسيرتها فى خدمة التراث العلمي العربى وحمايته ووضع أوثق مصادره وأقدمها بين أيدي الأجيال المتوالية من مختلف الجنسيات . وأصبحت مركزاً عربياً وعالمياً للمعرفة والاطلاع والتوثيق . يلجأ اليه كل باحث عن التراث ، أو مهتم بالغوص فى أعماقه المحتوية على كنوز المعرفة الاسلامية ، أو مؤلف يبحث عن مصادر نادرة لا سبيل الى الاطلاع عليها فى المكتبات والمراجع الميسورة .

وبعد أن كانت دار الكتب الظاهرية فى نظر بعضهم مكتبة قديمة تحتوى على كميات غامضة من الكتب الصفراء ، أصبحت محجة عربية تشتمل على ثروات ضخمة من التراث المخطوط الذى مازالت فى الجانب الأكبر منه أبعاد مجهولة من العلم والمعرفة . صنعها الانسان العربى خلال قرون الازدهار والابداع .

وقد أدى تسليط الأضواء على التراث العربى والاعتراف الانساني بعمقه وأهميته واتساع آفاقه الى بروز القيمة الكبرى لثروة دار الكتب الظاهرية من المخطوطات والكتب واعتبارها جزءاً عظيماً من الثروة الثقافية العربية والعالمية عبر العصور .

من هنا ..... تستحق دار الكتب الظاهرية فى ضوء التركيز الانسانى المعاصر على أهمية التراث العربى التعريف بها . وعرض لمحة عن تاريخها وكنوزها الضخمة من المخطوطات والمصادر والوثائق ، اضافة الى الحديث عن بناء دار الكتب الظاهرية نفسه بوصفه واحداً من أهم المبانى الأثرية فى مدينة دمشق القديمة . التى ترك المجد الاسلامى بصماته العميقة عليها .. فلا غرابة . فدمشق فاتنة التاريخ .



لقطة من داخل دار الكتب الظاهرية بدمشق ، حيث نرى جانبا من الكتب القديمة النادرة التى تحتوي على كنوز من المعرفة الاسلامية . وفي صدر هذه اللقطة صورة للمرحوم الشيخ طاهر الجزائري وهو من اوائل مؤسسي هذا الصرح الثقافي العظيم ( ١٢٩٨ هـ )

لابد لمن يؤرخ لدار الكتب الظاهرية بدمشق من أن يستهل حديثه عن البناء الأثرى الرائع الذى اتخذته مقراً لها . فقد أقيم هذا البناء المشيد بحجارة صلدة فى منطقة أشبه بما يسمى فى عصرنا بالمدينة الجامعية . نظراً لكثرة ما يوجد فيها من مدارس ومساجد ودور الحديث وحلقات العلم . وهى منطقة باب البريد الملاصقة للجامع الأموى الكبير والتى اشتهرت تاريخياً لكونها منطقة تدريس وعلم . كانت دائماً تعج بالطلبة من أقطار عديدة وتوجد فيها (المدرسة الصادرية) و (المدرسة الجقمقية) و (المدرسة العزيزية) مرقد السلطان موسى الأشرف . اضافة الى دار الحديث الأشرفية . ويحيط بالظاهرية هالة من الأوابد الأثرية العزيزة على الزمان .

فعلى بعد خطوات منها تتعالى ماذن جامع بني أمية الكبير الذى بناه الوليد بن عبد الملك وبقربها يرقد البطل العظيم صلاح الدين الأيوبى فى قبر متواضع مهيب . ويرتفع قبالة الظاهرية بناء المدرسة العادلية التى دفن بها الملك العادل شقيق صلاح الدين والتى أضحت منذ اثنين وخمسين عاماً أول مقر للمجمع العلمى العربى بدمشق .

وفى غربى الظاهرية وعلى مرمى سهم منها فقط . تربض قلعة دمشق الشهيرة فهى تضم فى كبدها محطات هامة من تاريخ القطر السورى القديم والحديث . فكل ركن منها يحكى قصة قائد من قواد الأيوبيين أو المماليك أو التتر أو العثمانيين وأبطال الثورة السورية عام ١٩٢٥ .

بذلك اكتسب قيام المكتبة الظاهرية فى دمشق القديمة التى تتصل قلاعها ومساجدها ومدارسها ببعضها على شكل حلقات دائرية . أهمية خاصة حيث أصبحت جزءاً حياً من هذه البيئة العلمية التى تتمتع بهالة دينية وتاريخية عريقة كما تكتسب من جوار الجامع الأموى الكبير تلك الروحية المتجلية على سائر المنطقة المحيطة بالأبدة الأموية الشامخة . فهى من روائع الخلود فيها الجمال والجلال يلتقيان .

## الظاهر بيبرس ينقل سراً الى الظاهرية

الظاهرية قبل عام ٦٧٦ هـ كانت قصراً للأيوبيين وشهدت مدارج صبا القائد الخالد صلاح الدين الأيوبى إذ كانت ملكاً لأبيه ومرتعاً لطفولة قاهر الصليبيين . فابتاعها السلطان السعيد ناصر الدين بركة بستين ألف درهم . وباشر بعمارتها عام ٦٧٦ هـ لتكون مدرسة للشافعية والحنفية وداراً للحديث الشريف وضريحاً فوقه قبة سامقة ليكون المثوى الأخير لوالده الظاهر بيبرس البندقدارى أبرز ملوك الدولة البحرية المملوكية ، تولى الملك عام ٦٥٨ هـ

وقد جاء فى بعض الروايات أن الظاهر بيبرس توفى مسموماً ودفن فى قلعة دمشق فطلب ابنه السلطان السعيد بركه الى نائب دمشق أن ينقل جثمانه الى المدرسة الظاهرية . فحمل تابوته سراً فى الليل وصلى عليه فى الجامع الأموى ودفن فى

## ثروة نادرة من التراث المخطوط
## قدمها الانسان العربي في عصور الازدهار

شهر رجب عام ٦٧٦ هـ فى الضريح الذى اقيم خصيصاً له فى المدرسة الظاهرية .

وفى منتصف شهر ذى القعدة من عام ٦٧٨ هـ توفى السلطان السعيد بركه ودفن الى جوار والده الظاهر بيبرس فى التربة الظاهرية . ومنذ ذلك التاريخ عرف هذا البناء بـ (المدرسة الظاهرية) .

### من مفاخر البناء المملوكى

تعد المدرسة الظاهرية التى آلت إلى دار الكتب فيما بعد ، من اجمل ما بناه المماليك فى دمشق . وقد شيد مدخلها الرئيسى بصفوف متعاقبة من الحجارة البيض والحجارة الوردية يعلوها نصف قبة من المقرنصات الرائعة ، وفوق الباب ثلاثة أسطر نقشت بالخط النسخى المزهر . وبعد المدخل باحة مربعة تطل عليها ابواب القاعات الكبيرة ذات السقوف الشامخة وتكسو جدرانها من الداخل الواح مزخرفة من المرمر الملون والمجزع وقطع من الفسيفساء الزجاجية المشجرة بالنقوش العربية التى تشير الى رقي المسلمين وعمق تفننهم فى هندسة ابنيتهم وزخرفتها .

### مرحلة الشباب فى عمر الظاهرية

ما إن اكتمل بناء الظاهرية وتم افتتاحها حتى انطلقت بخطى جادة وقوية نحو تادية رسالتها الثقافية مستقطبة فئة متميزة من فقهاء دمشق قد تصدوا للتدريس فيها بكل عزيمة واخلاص .

وكانت عبر ستة قرون ونيف منبراً لتدريس المذهبين الحنفى والشافعى ومنارة لكثير من علوم الدنيا والدين .

ومن اوائل الرواد الذين تحلق حولهم المريدون فى قاعات الظاهرية وأروقتها قاضى القضاة صدر الدين الأذرعى إمام الحنفية وصاحب الجامع الصغير ، والعلامة ركن الدين السمرقندى وهو ممن له حلقة فى جامع بنى أمية الكبير .

وتعاقب على إيوان الشافعية المفتى أبو حفص الفارقى الدمشقى والأمير عز الدين الظاهرى .

وتولى مشيخة دار الحديث الشريف أئمة أعلام انفردوا بعلو الرواية أبرزهم أبو اسحاق الحنبلى الواسطى (٦٠٢) هـ والشيخ عز الدين ابو العباس (٦١٤) هـ .

وفى أوائل عام ٧٣٩ هـ دوى فى رحاب الظاهرية صوت الفقيه الكبير جلال الدين القزوينى الشافعى خطيب دمشق وعالمها الجليل صاحب التلخيص والايضاح فى البلاغة العربية .

وواصلت الظاهرية وثبتها العلمية والثقافية الى أن أطل القرن الثالث عشر الهجرى وحكم الترك دمشق فتضاءل شانها وتقلصت أهميتها وآلت الى كتاب لتعليم الصبية . واقامت الحكومة العثمانية فيها مدرسة ابتدائية للصغار بعد أن كانت جامعة شهيرة تدرس فيها علوم الفقه وأصول الدين واللغة والتاريخ .

وحينما اشرف قرن العجمة والنكبات والأمية على نهايته وكادت الظاهرية تلفظ انفاسها الأخيرة ، أعاد الله الحياة اليها بثوب لغوى وعلمى متين وأصيل على يد فئة من المفكرين المخلصين فنهضت من جديد وتخلصت من سباتها العميق وتابعت مسيرتها الثقافية بعد أن تحولت الى دار كبيرة لكتب التراث الاسلامى يقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب .

### المدرسة الظاهرية تصبح مكتبة عامة

فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى لاحظ فريق من كبار علماء دمشق وفى مقدمتهم الشيخ سليم البخارى والشيخ طاهر الجزائرى تفـوق المخطـوطات الاسلامية القيمة والكتب النادرة فى مكتبات دمشق الخاصة ومساجدها ودورها وراعهم ما شاهدوه من فقدان بعضها وتسرب القسم الآخر الى جهات اجنبية . فانطلقوا بحملة واسعة لجمعها وانتشالها من أيدى الاختلاس والعبث والتهاون ولاقوا مقاومة عنيفة بلغت حد التهديد بالقتل من قبل أناس أباحوا لانفسهم الاستيلاء على الكتب والمتاجرة بالمخطوطات الثمينة .

. على أن هذا الفريق من العلماء الغيورين على التراث العربى ونفائسه الحضارية مضوا فى عمليه جمع المخطوطات الى أن تم لهم ما ارادوه فاحصوا ما جمعوه فبلغ ٢٤٥٣ مخطوطة ومطبوعة فسجلت فى سجل خاص جاء فيه (انشئت المكتبة العمومية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى وواليه حمدى باشا عام ١٢٩٨ هـ) ثم أودعت فى خزانة داخل قبة المدرسة الظاهرية .

### المكتبة بين الأوقاف والمعارف والمجمع

بعد أن تقرر تاسيس المكتبة العمومية الظاهرية عام ١٢٩٨هـ ربطت بدائرة الأوقاف الاسلامية بدمشق . ولما جاءت الحكومة العربية السورية الحقتها بديوان المعارف وسمتها ( دار الكتب العربية ) . وفى آذار عام ١٩١٩م عهد الى المجمع العلمي العربي بدمشق بادارة شؤونها ، ووضعت تحت اشرافه العلمي والاداري والمالي .

وانصرف المجمع بكل طاقاته ومن موقع المسؤولية القومية إلى رفع المستوى العلمي والفني لدار الكتب . ولم يتوان عن مدها بنفائس المخطوطات والمطبوعات والحوليات . وأرسل المجمع البعثات إلى أقطار عديدة بحثاً عما يفيد الظاهرية واستبدل بالفهارس القديمة فهارس حديثة وفى عام ١٩٦٧م اصدر المجمع نظاماً لدار الكتب العربية يوضح فيه سير العمل وصلاحيات الموظفين والمراقبين وسماهـا ( دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق ) وهو الاسم المعروفه به الآن .

### دار الكتب الظاهرية فى يومنا الحاضر

في حوار مع السيد الاستاذ ماجد الذهبي المدير الحالي لدار الكتب الظاهرية بدمشق حول أهمية التراث المخطوط او المطبوع وحجم ما تحتفظ به الظاهرية . قال : إن خزائن الظاهرية تحتوي على (١٢) الف مخطوط و (٦٦) الف كتاب مطبوع و (٤٤) الف دورية عربية واجنبية.

وتابع يقول : وتمتاز اكثر المخطوطات الاسلامية التى نقلت الى الظاهرية بانها مصححة بايدي علماء مشهورين وبعضها كتب بخط مؤلفيه .

ومن أقدم المخطوطات التى تحتفظ بها الظاهرية :

- مسائل الامام احمد بن حنبل كتـب في عام ٢٦٦ هـ .
- سنن النسائي كتب عام ٣٥٥ هـ .



وثيقة منقوشة عمرها ١٠٤ سنة .. وهي تتحدث عن واقعة تحويل المدرسة الظاهرية الى مكتبة .

– معاني الشعر لسعيد الاشناندانى كتب قبل علم ٤١٠ هـ

– غريب الحديث لقاسم السرقسطى كتب قبل علم ٤٩٩ هـ .

## آخر مخطوط حصلت عليه الظاهرية

وسالت الاستاذ الذهبي عن آخر مخطوط حصلت عليه الظاهرية . اجاب : خلال عملية البحث والتوثيق التى تجريها الظاهرية عثرنا اخيراً على مخطوطة فى اللغة عمرها نحو ٧٣٠ عاماً وهي من كتب العلامة الجواليقي حققت فوراً ونشرت لأول مرة على عالم المكتبات والمراكز الثقافية العربية . واضاف السيد مدير الظاهرية : هناك مسودات مخطوطة تحتفظ بها الظاهرية كثروة فريدة لكونها كتبت بايدي العلماء انفسهم منهـا :

– حديث ابو الفتوح الهروي ( لمحمد بن عساكر ٥١١ هـ ) .

– مسودة الامام ابن تيمية كتبت بيده عام ٧٠٠ هـ .

– كتاب المسلسلات لعبد الرحمن الجوزي كتب بخطه سنة ٥٨١ هـ .

– كتاب الأغراب فى احكام الكلاب ليوسف عبد الهادي كتبت بيده سنة ٨٩٧هـ

## مكافات تشجيعية للباحثين

يزداد اهتمام الظاهرية بالتراث الاسلامي المخطوط القابع فى خزائنها لتحقيقه ونشره من جديد . فتمنح المكافات المعنوية والمادية للباحثين العرب الذين يقومون بتحقيق كتب التراث ونشرها ضمن مطبوعات المجمع وتبذل جهداً مستمراً لفهرست التجمع المخطوطي وترقيمه . وإلى جانب الكتب المخطوطة تضم الظاهرية مجموعة ضخمة من امهات الكتب المطبوعة النادرة والتى طبعت منذ عهد الطباعة الأول فى العالم العربي ، كما انها تقتني عدداً كبيراً من المعاجم العربية والأجنبية والموسوعات العلمية والتاريخية وكتب التراجم .

## قسم تصوير المخطوطات وترميمها

قطعت الظاهرية شوطا واسعا فى ميدان التصوير ، فهى تمتلك الأجهزة الحديثة لتصوير الكتب والمخطوطات على الميكروفيلم وعلى الفوتوكوبي وهي جادة فى تصوير كل رصيدها المخطوط للاحتفاظ بنسخة ثانية عنه . وقد اقتنت اجهزة خاصة لقراءة الأشرطة ( قارئة ) وقسم التصوير فى الظاهرية يلبي جميع طلبات الباحثين فى العالم بتصوير ما يحتاجون إليه من وثائق ومخطوطات ، ولاسيما طلاب الجامعات .

وقد ندبت الموظفين المختصين من اجـل المخطوطات والمحافظة عليها من العوارض الطبيعية ومعالجتها بالوسائل الفنية لانقاذها من خطر التمزق والتلف .

## مديرو الظاهرية منذ عام ١٩١٩م

تعاقب على ادارة دار الكتب الظاهرية بدمشق أساتذة باحثون لهم باع طويل في التقصي والتاليف . فمنذ عام ١٩١٩م تولى ادارتها العلامة الشيخ سعيد الكرمي وتبعه الشيخ حسني الكسم ، والاستاذ المحقق عمر رضا كحالة ، والدكتور يوسف العش ، والدكتور عبد الهادى هاشم ، والدكتور عزة حسن ، وتلاهم الدكتور عبد الرحمن الباشا ، والسيدة الاستاذة اسماء الحمصي ، والاستاذ ماجد الذهبى المدير الحالي .

وهكذا ... جاء قيام دار الكتب الظاهرية بدمشق حماية لكنوز خلفها اجدادنا وصونا لوثائق الحضارة العربية الاسلامية من التبديد والعبث .

وكانت الظاهرية ولاتزال إلى يومنا هذا مفتاح المعرفة لرواد العلم فى مشارق الأرض ومغاربها . وهي ماضية فى احياء هذا الجانب الحضاري من تراثنا الخالد تمهيداً لتوظيفه فى إطار قضية نشر التراث والافادة منه فى الثقافة المعاصرة .

وجيه الشربجي

## المراجع


– كتاب ( دمشق الشام ) لجان سوفاجيه .

– الدارس فى اخبار المدارس : للنعيمي .

– السلوك لمعرفـــة دول الملوك : للمقريزي

– دار الكتب الوطنية : للسيدة اسماء الحمصي .

– حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر : للبيطار .

في الذكرى الخمسين لرحيل أمير الشعراء :

# شذرات من الفكر الاقتصادي والاجتماعي في شعر شوقي

بقلم : كمال النجمي

فى رائعتـــه التى نظمهـا فى دمشق ، ومطلعها :

قم ناج جلق وا شد رسم من بانوا .. مشت على الرسم أحداث وأزمـان

يقول أحمد شوقي :

والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة .. أو حكمة ، فهو تقطيع وأوزان .

فجعل شوقى الشعر ثلاثة أبواب : الذكرى ، والعاطفة ، والحكمة . ولو اتسعت تفعيلات بحر « البسيط » الذى نظم منه هذه القصيدة ـ وهو بحر واسع أصلا ـ لتفنن شوقي فى إضافة أبواب أخرى إلى أغراض الشعر ، يملأ بها شطري البيت . ! ..

ومع ذلك ، فأن الذكرى والعاطفة والحكمة ، أبواب كبرى ، تدخل فيها جميع معاني الشعر إلى الشاعر مادام قادراً على استقبالها . فكل شيء فى الكون يمكن أن يوحي بالشعر .. وما أكثر ما قيل ويقال عن الشعر وأغراضه من عهد أرسطو إلى عهدنا ، بل من عهد بنتاءور إلى عهدنا وما بعد عهدنا .. فمن الالياذة والشهنامة إلى مسرحيات شيكسبير وراسين ، إلى مسرحيات شوقى .. إلى قصائد الشعر العربي من عهد أمرىء القيس إلى يومنا هذا ، مما اعتاد النقاد العرب فى الزمن الأخير أن يسموه « الشعر الغنائي » .. ترجمة غير دقيقة ، ولا صحيحة ، لكلمة شائعة فى اللغات الأوربية .



الشاعر احمد شوقي
كان فكره الاقتصادي والاجتماعي في شعره ، متكاملا ، ثابتا ، واضح المعالم ..

وكأنما كان شوقي « يشرح » هذا كله ، إذ قال فى إحدى قصائده :

والشعر فى حيث النفـوس تلـذه
لا في الجديد ولا القديم العادي

وهذا معنى واسع جداً للشعر ، وتعريف فضفاض لا يضيق بشيء فى القول كله شعراً ونثراً .. فيدخل فيه على الرحب والسعة الشعر التفعيلي الجيد « الذى تلذه النفوس » .. ويدخل فيه الشعر المنثور العالي الطبقة ! .. ولا احد يدري ماذا كان شوقى يفعل لو امتد العمر به عشرين سنة أخرى حتى أدرك عصر الشعر التفعيلي ! ..

ولشوقى « تعريفات » أخرى للشعر ، ولكنها لا تخرج عما تضمنه هذان البيتان : بيت الذكرى والعاطفة والحكمة .. وبيت ما تلذه النفوس ! ..

ومن باب « الحكمة » أدخل شوقي إلى شعره شذرات غير مسبوقة فى الشعر العربي ، من الفكر الاقتصادي والاجتماعي دعك من الفكر السياسي ، فانه وإن اتسع فيه شوقى ، لكن غيره من معاصريه يشاركه فيه ، وإن فاقهم بالاجادة .. بل يشاركه فيه الشعراء القدماء على امتداد عصور الشعر العربي .

والمجتمع كما يراه شوقي ويصوره في الشعر ، هو الطابق العلوي للصرح

الاقتصادي .. أو « المال » على حد قوله : « بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم » ..

وهذا تصور للمجتمع والاقتصاد ، يقره عليه علماء الاجتماع والاقتصاد سواء تذوقوا شعره أو لم يتذوقوه . إلا أن شوقى لا يتصور على وجه الدقة علاقة الحياة الاجتماعية للناس - وبخاصة حياتهم اليومية ومعضلاتها - بذلك السقف الاقتصادي للبيت ، أو المجتمع الذى يضمهم جميعاً ، أغنياء وانصاف أغنياء وفقراء ومساتير يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف !

فان شوقى الذى ولد فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٨ وعاش إلى أواخر عهد الملك فؤاد سنة ١٩٣٢ .. لم تتح له ظروف مجتمعه أن يرى حركة المجتمع إلا فى تلك الصورة التى تبدو بسيطة كبساطة الأشياء فى عصرها ، لكنها عميقة وحكيمة!

فى عهد اسماعيل باشا صار محصول القطن المصري أعظم محصول للقطن فى العالم ، فقد انهمكت أمريكا فى حربها الأهلية « لتحرير الزنوج ! .. » فانخفض الانتاج الأمريكي من القطن انخفاضاً حاداً ، وقفز التجار البريطانيون إلى مصر يشترون لمصانع لانكشير قطن مصر كلها ، باعلى الأسعار .. فتدفقت ملايين الجنيهات الذهبية الى خزينة الدولة وخزائن الناس .

هذا الثراء الذى جاء به محصول القطن خلال الحرب الأمريكية ومقدماتها وعقابيلها هو الذى بنى مصر الحديثة التى وصفها اسماعيل باشا بانها « قطعة من أوربا » .

والقطن هو الذى حفر قناة السويس ! .. والقطن هو الذى جاء بالاحتلال البريطاني لأن اسماعيل باشا لم يقنع بما أفاءته عليه حقول القطن الذهبية الفضية ، فاستدان ، وأمعن فى الأستدانة ! ..

والقطن ، وقناة السويس ، والاحتلال .. ثلاثة أسباب تاريخية صنعت الأوضاع الاجتماعية في مصر وظلت حارسة أمينة عليها حتى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

وهذا الثلاثي التاريخي هو صانع التكوين السكاني ، وبخاصة فى المدن الكبرى : القاهرة والاسكندرية وغيرهما من المدن الكبرى ، فكثر الأجانب - أصحاب الامتيازات الأجنبية - فى القاهرة والاسكندرية وغيرهما ، وأوشكت مصر أن تتحول إلى قطر غربي مهدد بفقد عروبته شيئاً فشيئاً ، على غرار قطر « الجزائر » الذى احتلته فرنسا قبل عشر سنوات من تحالف أوربا ضد « محمد علي باشا الكبير » وتحطيم اسطوله فى نفارين ، ودخول أوربا برؤوس اموالها ونفوذها إلى مصر فى زفة تاريخية عجيبة ، مهدت لدخول القوات الأوربية المسلحة ! ..

رأى شوقى بعينيه منذ صباه هذا الشريط التاريخي السريع ، وعاش فيه ، وتاثر به ، وافاد منه بعض الفائدة حين قام اسماعيل باشا بتوزيع « العزب » و «الأبعاديات» وقطع الأرض الزراعية الكبيرة ، على أهل بيته وحواشيه ،

والأعيان والعمد وذوي الجاه ، وطوائف شتى من بقايا « أولاد الناس » والملتزمين الشركس الذين تغير فى أيامهم اسم «الالتزام» ولكن بقى فى قبضة يدهم السوط يلهبون به ظهر الفلاح الراسف فى أغلال الالتزام الزراعي ! ..

## العقل الاقتصادي لشوقي

وشوقى لم ينل شيئاً يعتد به من « الطين » وإنما كانت ثروته العقارية من اراض وعمائر ، هي ثروة زوجته ، ورثتها عن آبائها ! ..

ولبث شوقي غنياً بهذه الثروة ، واضاف إليها من عمله ، واتخذ لدائرته الزراعية أو تفتيشه الزراعي - كما كان يسمى - مكتباً فى عمارة تملكها زوجته فى شارع « جلال »

وسط القاهرة .. وخلف هذه العمارة شارع عماد الدين الشهير بملاهيه من بدايات القرن العشرين إلى أواخر الثلاثينات ! .. وقريب من المكتب مطعم الماجستيك الكلاسيكي فى شارع « الالفى » .. وفيه كان شوقي يتعشى كل ليلة ، ويقدم إليه الطعام على الطريقة الفرنسية ! ..

وقد زال هذا المطعم الآن ، وارتفعت فوق أرضه بناية شاهقة لا طعم لها ، ولا يمسكها فى عين رائيها إلا أعمدتها الخرسانية

المزعجة كبيت شعر تفعيلي رديء ! ..

فالعقل الاقتصادي لشوقى - إن صح هذا التعبير - هو عقل العهد الذهبي لبورصة القطن والبصل والأرز وما تلاه من تقلبات فى « البورصة » بلغت بالقطن وغيره حضيض الأسعار فى الأزمة العالمية سنة ١٩٢٨ والسنوات الخمس التى اعقبتها .

والعقل الاقتصادي لشوقى هو عقل الثراء العقاري .. وهو العقل الذى حكمته بصرامة ظروف مصر تحت الاحتلال البريطاني وشركة قناة السويس والامتيازات الأجنبية ..

ومن هذا كله تناثرت فى شعر شوقى شذراته البديعة التى تصور فكره الاقتصادي والاجتماعي .. وبهذا كله صار شوقى بعد عودته من المنفى فى العشرينات شاعر«النهضة الاقتصادية » فى مصر .. بل فى العالم العربي أيضاً .. إلى كونه شاعر النهضة الوطنية ..

فالى جانب الكفاح ضد الاحتلال وما جلبه على البلد من أرزاء ، كان هناك كفاح اقتصادي قاده محمد طلعت حرب باشا ،

وكان رمزه « بنك مصر » وشركاته المصرية الخالصة التى انشاها فى كل فروع الحياة، مزاحماً احتكار الأجانب الأقوياء المتحكمين المتعصبين ، وعلى رأسهم الاقتصاديون اليهود الأوربيون والمتمصرون .

ويشهد التاريخ أن بنك مصر وشركاته ، لو قيض لها استمرار النجاح والتطور ، لكانت مصر الآن فى مقدمة دول أفريقيا وآسيا الصناعية والزراعية ! ..

كان شوقي الذى سمى يوماً « شاعر الخديو » .. شاعر الكفاح ضد الاحتلال ، وشاعر الكدح المصري لبناء الصرح الاقتصادي صناعياً وزراعياً .. وكان فكره - باعتبار مرحلته التاريخية - فكرا ناضجاً متقدماً « حكيماً » ..

وشعره فى هذا المجال يدخل في بـــاب « الحكمة » بلا مراء ، فليست الحكمة مجرد بيت سائر يذهب مثلا على مر الأجيال ، ولكنها كذلك النظر الصائب والعمل الدائب والتعبير عن تقدم المجتمع ، ولو فى فترة قصيرة عابرة ..

فلم يكن عجيباً أن يكون آخر شعر نظمه شوقي فى ١٣ أكتوبر « تشرين الأول » سنة ١٩٣٢ .. شعراً « اقتصادياً » يشرح فيه أفكاره الاقتصادية باسلوب شعري .

وحين توفى شوقي فى اليوم التالي « ١٤ أكتوبر » كان شعره هذا يتلى فى حفل لمشروع « القرش » الشهير فى ذلك الوقت .

## تلك مصر الغد

كان هدف مشروع القرش جمع تبرعات صغيرة ولكنها وفيرة من أبناء الشعب ، لاتزيد على قرش واحد من كل فرد قادر على التبرع .. ثم بناء مصنع بما يجمع من هذه القروش الشعبية التى تبلغ حصيلتها ألوف الجنيهات ..

يقول شوقى يصف أحد الشبان المتطوعين لجمع القروش :

بسط الكف لمن صادفه
ومضى يقصر خطواً ويمد
يجعل الأوطان اغنيته
وينادي الناس : من جاد وجد
غاديا فى المدن أو نحو القرى
رائحاً يسأل قرشاً للبلد

فالقرش الذى يجمعه الشاب الوطني المتطوع ، هو قرش البلد كلها ، تبنى بها صناعتها المستقلة التى يملكها رأس المال المصري الوطني مزاحماً رأس المال الاجنبي الأوربي واليهودى .. أو الصهيوني ! ..

ولا يستهين شوقي بجمع قرش على قرش ، فمن القروش تجيء الملايين ! .. والملايين معناها صناعة للبلد وزراعة ، ومستشفيات للشعب الذى أكل الفقر عافيته .. وهو الوسيلة لزراعة محاصيل أخرى مع محصول القطن :

سيرى الناس عجيباً فى غد
يغرس القرش ويبني ويلد
ينهض الله الصناعات به
من عثار لبثت فيه الأبد
أو يزيد البر دارا قعدت
لكفاح السل أو حرب الرمد
تلك مصر الغد تبنى ملكها
نادت الباني وجاءت بالعدد
وأصارت بنك مصر كهفها
حبذا الركن وأعظم بالسند
ردها العصر إلى أسلوبه
كل عصر بأساليب جدد
أيها الجيل الذى نرجو لغد
غدك العز ودنياك الرغد
اطلب « القطن » وزاول غيره
واتخذ سوقاً إذا السوق كسد
نحن قبل « القطن » كنا أمة
تهبط الوادى وترعى وترد
قد أخذنا فى الصناعات المدى
وبنينا فى الأوالى ما خلد.

هكذا تمتزج فى هذه الصناجة الشوقية أفكاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ورؤيته المستقبلية ، وهو امتزاج واضح الدلالة على تقدمه الفكري .. فهذه الأمور كلها متشابكة لا تنفصل .. وهو ينظر إلى « الاقتصاد » نظرة من يبتغى بناء اقتصاد عصري جبار : « كل عصر بأساليب جدد » .

## بالعلم والمال

وذلك هو سر احتفاء شوقى ببنك مصر فى عهد طلعت حرب باشا ، فقد نظم فيه قصائد كثيرة مشهورة فياضة بالشعر مع أنها فى ظاهرها « شعر دعائي » لجانب من الحركة الوطنية ، هو الجانب الاقتصادي .

ومن أشهر وقفات شوقى فى هذا المجال وقفته فى الصف الأول من شهود حفلة الحجر الأساسي لبنك مصر فى مايو سنة ١٩٢٥ .. وفى هذا نظم قصيدته التى أولها:

نراوح بالحوادث أو نغادى
وننكرها ونعطيها القيادا

وفى هذه القصيدة يتغنى بالاقتصاد الوطني القوي ، ويراه سلاحاً للأمة .. ويصف بالشعر – لأول مرة فى الشعر العربى – دورة المال فى الأعمال المصرفية والاقتصادية وصفاً غير مسبوق :

نصون كرائم الأموال فيها
وننزلها الخزائن والنضادا
ونخرجها فتكسب ثم تاوى
رجوع النحل قد حملن زادا
ولم ار مثلها أرضاً أغلت
وما سقيت ولا طعمت سمادا
ولا مستودعا مالا لقوم
إذا رجعوا له أدى وزادا
ومن عجب نثبتها أصولا
وتلك فروعها تغشي البلادا

فهل رأيت فى جميع دواوين الشعر مثل هذا « التفكير الاقتصادي » المنظوم شعراً من أعلى طبقة ؟! .

وعندما افتتح بنك مصر بنايته الضخمة سنة ١٩٢٧ نظم شوقى قصيدته الرائعة التى مطلعها :

نبذ الهوى وصحا من الأحلام
شرق تنبه بعد طول منام

فان افتتاح هذا الصرح الاقتصادي فى ذلك الوقت كان عند شوقى صحوة لشعوب الشرق كلها لا للشعب المصري وحده ، فانظر إلى أي مدى كان شوقي يمد عينيه قبل خمسين عاماً ! .

وفى قصيدته التى أولها : قف بالممالك وانظر دولة المال » .. يقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقلال

فبناء البلاد الاقتصادي عنده لا ينفصل عن بنائها الاجتماعي والثقافي .

بل كانت لشوقي نظرة متقدمة إلى «العمال» .. فهو صاحب القصيدة التى أولها : « أيها العمال افنوا العمر كدا واكتساباً » .. وقد زعم بعض من لا علم لهم بالشعر ولا بافكار شوقي انه بهذه القصيدة يستحث العمال للكدح من أجل سادتهم .. وإنما أراد شوقى أن يستنهض مع رأس المال الوطني ، اليد العاملة الوطنية . وطلب أن يكون صوتها مسموعاً في « البرلمان » .. وقال للعامل حاثاً إياه على انتخاب من يعلي صوته فى البرلمان :

فكن الحر اختيارا
وكن الحر انتخابا
إن للقوم لعينا
ليس تالوك ارتقابا
فتوقع أن يقولوا :
من عن العمال نابا ؟
ليس بالأمر جديرا
كل من ألقى خطابا

إن نظرة شوقى – كما قدمنا – إلى البناء الاقتصادي والاجتماعي متكاملة ، يمكن أن يقال إنه عبر بها عن أكثر الاتجاهات جدوى وفاعلية وتقدما فى طبقته وعصره .

وحين نتأمل فكره الاقتصادى والاجتماعي فى شعره ، نجده فكراً متكاملا ثابتاً واضح المعالم ، وإن كان يتناثر فى شذرات وقصائد .. ولاعيب فى تناثره على هذا النحو فليس الشعر مقالات اقتصادية واجتماعية ..

ونسميها « شذرات » ثم نعتذر عن هذه التسمية إلى شاعرنا شوقي .. فالحقيقة ان حجم شوقي في شعره وعصره ، أكبر مما يخيل إلينا حتى الآن ! .. وليست كلمتنا هذه فى موضوعها إلا قطرة من بحر ! ..

كمال النجمي

# القصة العربية القديمة

بقلم : عباس خضر

**ليت شعرى .. أين الآن مفيد الشوباشى ؟ وأين عبد الرحمن الخميسى ؟ وأين ... وأين ... ؟**
**لم أعد أرى أحداً من أولئك الصحاب ولا أعلم عنهم شيئاً ، وعندما تتفقد أصحابك والذين كانوا يعاشرونك ، وحتى الذين كنت تعرفهم مجرد معرفة ، فلا تقف لهم على أثر عند ذلك ، فماذا بقى لك فى هذه الحياة ؟ ..**

ولكن – وما أسعدنى – وقفت على أثر لمحمد مفيد الشوباشى : كتاب من الكتب أو «الأرغفة الثقافية» التى كانت «تخبزها» وزارة الثقافة فى مصر غير مخلوطة ولا مغشوشة ولا ناقصة الوزن ، وتباع بقرشين ومثلها يباع الآن بجنيه أو بما حوالى الجنيه المصرى الذى هو عزيز قوم ذل .. ولحقت مصيبته فيما لحقت بالكتاب !

مكتبتنا العربية ليست فقيرة ، ولو لم يكن الكثير منها غير متداول ، فهى مثل الكنز المخبوء تحتاج الى من يبحث عنها فى مظانها أو مخازنها ، وقد تحتاج كما يحتاج الكنز الى كلمة سر مثل : «افتح يا سمسم» .

## الخميسى والشوباشى

ظهر كتاب «القصة العربية القديمة» فى سلسلة «المكتبة الثقافية» فى ابريل ١٩٦٤ وعقب ظهوره كتب عنه عبد الرحمن الخميسى فى جريدة الجمهورية ، وكانت مجلة «الرسالة» فى عهدها الثانى تصدر فى ذلك الوقت عن وزارة الثقافة ، وكنت أكتب فيها مع أستاذنا الأول أحمد حسن الزيات الذى عهدت اليه الوزارة برياسة التحرير .

ذهب ظنى – وبعض الظن إثم – الى أن الخميسى يقضى حقاً وجب عليه من مصاهرته للشوباشى ، إذ كان زوج ابنته «فاتن الشوباشى» التى توفيت وكانت وفاتها قاصمة الظهر للرجلين ، وانتابنا من الكارثة جانب لعلاقة حميمة بالرجلين ، كانت زهرة من زهرات الفن ، أحبها الخميسى وهى تعمل معه فى حقل التمثيل وتزوجها .

قرأت مقال الخميسى فقال لي الذى يركبني أحياناً : إنه يجامل صهره !

– وماذا تريد منى ؟

– هيا يا بطل .. يا رافع علم الحق !

– وما هى الثغرة التى انفذ منها اليه ؟

– ألا ترى الخميسى يقول إن الكتاب قائم على أساس أن القصة العربية القديمة تخلو أو تكاد تخلو من الطابع الأسطورى ؟

وكتبت ما كتبت ، فرد علي الخميسى ، ولم أكن أتذكر ما قاله لولا قصاصة قديمة تحوى رده وجدتها مطوية فى الكتاب ، كما وجدت الكتاب نفسه مطوياً بين الكتب . قال عبد الرحمن :

«سبق لنا أن عرضنا فى إحدى مقالاتنا كتاب «القصة العربية القديمة» وشاء الأستاذ عباس خضر أن يعقب فى مجلة الرسالة على ما عرضناه ، ولم يرجع فى تعقيبه – باعترافه هو نفسه – الى الكتاب ، ولكنه اكتفى فى فهمه لمحتويات الكتاب بما أوردناه فى مقالتنا ، ومن ثم وقع فى الخطأ الذى لابد أن يقع فيه من يكتب فى موضوع دون تمحيص»

## القصة والأسطورة

وقد كتبت مسرعاً دون أن أقرأ الكتاب ، لأنى لم أكن أقصد تقييم الكتاب نفسه ، وإنما أردت بيان نقطة معينة ، هى موقف

القصة العربية من الأسطورة ، قلت : «ألم تسمع عن «خرافة» العربى الذى غاب عن قومه مدة من الزمن زعم انه قضاها مع الجن ثم عاد يحكى عن الجن ما يحكى ؟» .

وقال الخميسى : «خلط ، السيد الناقد بين شيئين لا علاقة بينهما البتة .. خلط بيـن القصـص الخرافيـة والقصص الأسطورية» .

واقول الآن شيئاً : لم نعرف فى لغتنا فرقاً بين الأسطورة والخرافة كالفرق الذى يقول به الغربيون ، وفى العصر الحديث أخذنا عن الغرب مصطلح الأسطورة الذى يختلف عن مصطلح الخرافة بان الأول ينبنى على بيان حقيقة من حقائق الكون أو يفشي ظاهرة من ظواهره كما يتراءى لقائل الأسطورة ، ولكنا برغم ذلك الاخذ مازلنا نفرق بينهما أو مازال بعضنا . ربما كان ذلك راجعاً الى قول الله تعالى فى القران «تلك أساطير الأولين .. الخ» ولم يكن يقصد بالأساطير إلا الاقاصيص التى لا حقيقة لها وتروى كما روى «خرافة» عن الجن . بل إن القوم فى الغرب يقولون عن قصص إنها أساطير غير مقيدين بما يقولون فى ذلك التقسيم .

ومهما يكن من شيء فقد بقى فى نفسى ما يشبه الشعور بالذنب نحو الصديق الكبير الأستاذ محمد مفيد الشوباشى ، إذ توقعت أن يكون ما كتبته قد افسد الود القديم ، وإذ قلت إنى لم اقرأ كتابه ، ومن قسوة الأيام انى لا اراه الآن ولا اعلم اين هو ولا كيف حاله .. وتبا لما طرأ على حياتنا فابعد ما بيننـا وجعـل التواصـل عسيـراً إن لم يكن مستحيلا ..

ولكنى برغم ذلك استمتعت اخيراً بقراءة كتاب «القصة العربية القديمة» استمتعت فكريا وشعوريا ، إذ كنت فى خلال القراءة ، كما انى الآن ، اتمثل المؤلف العزيز وحديثه الطلي فى مجالس كانت ...

## مثال المثقف العربى

طاف الأستاذ الشوباشى فى هذا الكتاب ما طاف بالثقافات والآداب العالمية وقدمه ثابتة على أرض عربية صلبة ، فكان هو بهذا انموذجا ومثالا للمثقف العربى الحديث .

قرأت الكتاب مرتين : مرة لي ، ومرة لي ولك ايها القارىء العزيز .

يبدأ الكتاب بهذه الفقرة : «بيننا اناس ينكرون على العرب كل ميزة حضارية ، وينظرون بعين الاستهانة والازدراء الى اياتهم الباهرة فى ميادين الأدب والفن والعلم . وقد شملت استهانتهم وزرايتهم ، فيما شملت القصة العربية القديمة !» .

ثم يمضى فى دحض تيك الاستهانة والزراية بالدراسة العلمية المستنيرة المصحوبة والمدعومة بالامثلة المبينة من فن القصص العربى .

يبين أن العرب كانت لهم فى كل العصور قصة ، ليس هذا فقط ، بل إن القصص العربية اثرت فى قصص الغرب ، وكثيراً ما كان نشوء فن قصصى هناك اثر مثله هنا ، فهو يشير الى بعض ما ذكره مؤرخو الأدب الاوروبيين من أن بوكاشيو فى ايطاليا ، وشوسر فى انجلترا ، ودون جوان فى اسبانيا ، لم يتاثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ، ولكنهم اكتسبوا منها ونقلوا عنها ، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الأولى للقصة الأوربية الحديثة ، ومن ثم تكون قصصنا العربية الحديثة ، حتى فى حالة تاثرها بالقصة الاوربية ، متصلة بالقصة العربية القديمة .

ثم يمضى الى بيان ذلك التاثر وذلك الاخذ فيقـول إن قصائـد الشعـراء «الزوبادور» شاعت بين البلاد الاوربية فاثرت فى أدبها شعراً وقصة . والزوبادور خليط من العرب والأسبان واسمهم يدل على ذلك ، فهو مركب من الكلمة الاوربية تروب ، بمعنى الفرقة والكلمة العربية «تدور» .

ثم يعرض لتعريف القصة وينقل ما جاء فى بعض الموسوعات والمعاجم الأوربية فى هذا التعريف ، منها ما جاء فى معجم لاروس تعريفاً بالقصة وهو «القصة قديماً حكاية حقيقية او مصطنعة منظومة أو منثورة مصبوبة فى قالب قصصى . وهى اليوم عمل ادبى من نسج الخيال يصور بالنثر احداثا متخيلة مصطنعة منمقة بقصد استثارة القارىء وجذب اهتمامه» .

بعد ذلك يقول انه ظهر فى الأدب العربى القديم لونان من القصص ، لون منثور ، ولون منظوم ، فاما القصص المنثورة فقد بدأت سيراً وحكايات عن سلف العرب ، وكانت بطبيعة الحال بدوية بدائية . ثم ظهر القصص المنظوم من الأحداث الراهنة فوصف الحروب وابطالها .

ثم امتزج اللونان ، ونشا عن امتزاجهما لون جديد تطور حتى انتهى الى ظهور قصص كبيرة مثل «كليب» و «عنترة» و «البراق» .

## الصراع فى القصة العربية

قصة كليب – مثلا – صورت موقفاً دراميـاً لايزال الى اليوم منبعا لأمتع القصص العصرية .. هو موقف «جليلة» التى قتل اخوها جساس زوجها كليباً .. صورت القصة لأول مرة فى تاريخ القصة وقوع الانسان بين عاطفتين نبيلتين تتنازعانه وتشده كل منهما الى ناحية . والبطلة (جليلة) تصور حزنها وصراع نفسها ادق تصوير فى أبياتها التى تقول فيها :

فعل جساس على وجـدى بـه
قاصـم ظهـرى ومدن اجلـى
يا قتيلا قوض الدهـــر بـه
ســقف بيتى جميعـاً من عل
إننـى قاتلـــة مقتولـــة
ولعـل اللــه ان يرتـاح لـــي

ظهرت بعد ذلك بقرون قصة فى الأدب الاسبانى باسم «السيد» تقوم حوادثها على خصام نشب بين حبيب البطلة وابيها انتهى بان قتل الأول الثانى . ويرى المؤلف أن مسرحية «السيد» مقتبسة اصلا من قصة كليب ، وأن كتاب القصة الغربيين المحدثين اعادوا صياغة هذا الموقف الدرامي على كل شكل ولون .

## نتيجة هائلة

النتيجة التى تهدف اليها هذه الدراسة فى هذا الكتاب نتيجة هائلة .. قد تدهشك الى حد عدم التصديق .. وهى تتلخص فى «أن كل عمل قصصى ظهر فى اوربا إبان العصر الحديث ، وعده النقاد تحولا من عهد الظلمات الى عهد النور ، ينبع من أصل عربى ، ويصبح بدوره نبعاً لفيض من الأعمال الأدبية التى تلته ، وحققت لأوربا مجدها الأدبى» .

قد يذهب بك الظن الى ان تلك مبالغة ينساق اليها المؤلف بدافع قومى يورده موارد الشطط ، ولكنك سترى نفسك ، وانت تقرأ ، أمام اسانيد وحجج مقنعة بما لا يدع

مجالا للشك فيما يقول .

قصة عنترة مثلا هى الأصل لقصة «جيهان دى سنتريه الصغير» للكاتب الفرنسى «انتوان دى لاسال» التى رآها بعض مؤرخى الأدب الفرنسى فاتحة عهد القصة الحديثة ، لعزوف مؤلفها عن موضوعات القصص الاغريقية القديمة ، وعبرت عن الواقع المحيط بها ، وفضحت التمويه والتزييف ، بخلاف القصص القديمة التى كانت تدور حول الآلهة والملوك ومن إليهم . ولابد أن النقاد لاحظوا وجه الشبه فى ذلك بينها وبين قصة عنترة التى صدقت فى تصوير واقعها ، وهى الى ذلك تبرز مشكلة اجتماعية ازدادت الى اليوم احتداماً ، وتهتدى الى الحل ، هى مشكلة اللون والطبيعة .

وقصة عنترة ، وقصص العذريين بعدها تدل على أن العرب عرفوا الحب العذرى وعبروا عنه فى قصصهم ، بخلاف ما زعم بعض متعصبى الغرب أن العربى لم يعرف الحب إلا الجسدى منه ، وأساطير الاغـريق وملاحمهم هي التى تقطع بأنهم هـم الذين لم يعرفوا من الحب إلا لونه الجسدى .

وإذا اشبهت قصة عنترة قصة «جيهان دى سنتريه» فى مضمونها وهدفها ، فانها تشبه فى بنائها القصصى قصة رولان التى كتبت بعدها بعدة قرون ، واجمع النقاد على أنها ملحمة فرنسا الكبرى وفاتحة النهضة القصصية فى العصر الحديث . وليس من قبيل المصادفة أن يكون للفارس رولان جواد كالابقر جواد عنترة ، ورفيق يلازمه كشيبوب ، فارسنا العربى .

ويمضى مؤلفنا الشوباشى فى عرض القصـص العربيـة مبينـا خصائصهـا وميزاتها ، مسترعياً الانتباه الى آثارها فى القصص الغربية .

والكتاب بذلك يعد بحثاً فى الأدب المقارن ، الى جانب استيعابه للحركة القصصية العربية استيعاباً يمتد الى ألف ليلة وليلة والمقامات . ويتناولها جميعاً بالتحليل وبيان الخصائص ، وأحيانـاً يقتضى الأمر تلخيص الحوادث وأفعال الأبطال لالقاء الضوء عليهم .

## أصل القصة العربية الحديثة

هذا ولنا مع الأستاذ الشوباشى وقفة نختلف معه فيها اختلافاً لا يفسد للود قضية .

وذلك عندما بدا يناقش من يرون أن القصة العربية الحديثة ليست وليدة القصة العربية القديمة ، ولم تصل الى ما وصلت اليه عن طريق التطور الطبيعى ، ولكنها جاءت باديء الأمر محاكاة للقصة

الأوربيـة الحديثة ، ثم اخـذت تكتســب خصـائص ومقومـات ذاتيـة ومـع التسـليم الجـدلي بصحـة ذلك ، وهـو غـير صحيح على اطلاقـه ،

فاننا نرى وجهة نظرهم هذه انعزالية .

انتهى كلامه . ونراه يشعر بضعف وجهة نظره فى ذلك فيقول أولا «مع التسليم الجدلى .. الخ» ثم يلجأ الى لف ودوران فيقول «وقد أشار بعض مؤرخى الأدب الأوربيين الى أن بوكاشيو فى ايطاليا ، وشوسر فى انجلترا ، ودون جوان صاحب كتاب الديوان فى اسبانيا ، لم يتأثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ، ولكنهم اكتسبوا منها ، ونقلوا عنها ، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الأولى للقصة الأوربية الحديثة ، ومن ثم تكون قصصنا العربية الحديثة ، حتى فى حالة تأثرها بالقصة الأوربية متصلة بالقصة العربية القديمة من طريق مباشر وطريق غير مباشر» .

ويرى هذا الرأى أيضاً الأستاذ فاروق خورشيد وقد سبق اليه فى كتابه «فن الرواية العربية» وأنــا أخالفهمـا مـع المخالفين .

## اقتباس

أقول أولا : إذا كان ما ذكره الشوباشى من أن الاقتباس والنقل دليل على ما هو أكثر من التأثر ، فقد حدث ذلك فى مطلع النهضة القصصية العربية ، فان الرواد عندنا نقلوا واقتبسوا كثيراً من القصص الأوربية ، منهم من صرح بذلك ، ومنهم من لم يصرح ظناً منه أن احداً لن يدرى . وممن صرحوا محمد تيمور فى قصة عن موبسان جعل عنوانها «ربى لم خلقت هذا ؟» وجعل البطل الرئيسى شيخاً اسلامياً بدلا من القس المسيحى فى القصة الأصلية . وقد ترجم القصة الأستاذ احمد حسن الزيات بعنوان «فى ضوء القمر» ونشرها فى مجلة «الرواية» أخت «الرسالة» ثم فى كتاب مع قصص أخرى بالعنوان المذكور .

واقول ثانياً : إن معظم رواد القصة العربية الحديثة لم يكونوا على اتصال كاف بالتراث العربى الأدبى ، القصصى وغير القصصى ، مثل الدكتور محمد حسين هيكل عندما كتب الرواية العربية الأم «زينب» وهو فى باريس محاكاة تامة للرواية الغربية . ورأينا كذلك رواد القصة القصيرة العربية يصرحون بشغفهم بالفن الأوربى فى القصة وانهم يسيرون على دربه . محمود تيمور كان يجاهر بانه يتتلمذ على موباسان ، وقد رأيت فى عدد قديم من جريدة «السفور» قصة قصيرة كتب تحت عنوانها «بقلم صاحب العزة محمود بك تيمور موباسان مصر» .

وليسمح لي القاريء الكريم أن أنقل فقرة فى هذا الصدد من كتابى «القصة القصيرة فى مصر» :

«الواقع التاريخى بالنسبة الى الانتاج القصصى الحديث ينطلق بعكس ما ذهب إليه فاروق خورشيد (لم يكن قد ظهر كتاب الشوباشى) وسنرى فى الدراسة الآتية لمجموعات القصص وما كتب لها من مقدمات أن كتاب القصة ينهجون النهج الغربى الخالص ، ويصرحون فى كتاباتهم بانهم ياخذون شكل القصة الأوربية لينشئوا على غراره أدباً قومياً ، ولم نر أحداً منهم يلتفت الى شيء من قديم القصص العربية ، وكثير منهم لم يدرس الأدب العربى ، وحتى الذين ألموا بهذا الأدب لا علم لهم بالقصة العربية فى عصورها الماضية ، لاهمالها فى الدراسة التقليدية» الى أن قلت :

«والمسألة فى رأيى ليست مسألة قومية بمقدار ما هى حقيقة تاريخية ، ولا يضيرنا فى شيء أن ناخذ ونعطى ، فان اخذنا الآن عن الغرب فقد اخذوا عنا فى عصور ماضية إذ نقلوا عنا قصص ألف ليلة وليلة ، فترجموها من اللغة العربية الى لغاتهم ، وحاكوها فى قصصهم وتأثروا بخيالها فيما أنتجوه» .

واقول أخيراً :

إننا الآن – أو أكثرنا – نلبس البنطلون الذى أصبح عالمياً ، ولا نقول إنه متطور من السروال العربى .

عباس خضر

# فكتور هوجو

# عبقرية هزّت الحياة الأدبية في العالم

بقلم: جمال الكناني



فكتور هوجو .. العبقرية التى حققت شهرة واسعة بين الجماهير

كان "دون بدرو" امبراطور البرازيل فى زيارة لفرنسا عام ١٨٧٨ ، وراح فكتور هوجو اليه يقدم احترامه ، فلما رد دون بدرو الزيارة وتواجد مع هوجو فى بيته بشارع دى كليشى ، تبسط الامبراطور معه ورفع الكلفة ، بل انه قال لهوجو « طمئن خاطرى لانى رجل خجول ... وحقق مطمعى الوحيد وعرفنى بحفيدك جين .. وقدم هوجو حفيده للامبراطور» جين اسمح لى ان أقدمك لجلالة امبراطور البرازيل فقال الطفل هامساً فى شىء من خيبة الأمل ولكنه ليس فى زيه الرسمى ؟! « فقال الشاعر » مولاى اتأذن لى فى تقديم حفيدى لجلالتك ، « فأجاب الامبراطور » ليس هنا الا صاحب جلالة واحد .. هو فكتور هوجو ..

والحق أن فكتور هوجو عاش امبراطوراً بين أدباء عصره .. وعاش معبود الجماهير .. ولما أعيد عرض مسرحيته « هرناني » طالب شبان الجامعة بتذاكر لحضور العرض ، .. ووصف بودلير فيكتور هوجو بانه عبقرية بغير حدود ، وقال ثيوفيل جوتييه فى وصف « البؤساء » « انها ليست جيدة ، وليست رديئة ، فهى ليست من خلق انسان ولكنها ظاهرة من ظواهر القوى الطبيعية .. انها ملحمة فى النقد فيها دفعة المحيط ولها عمقه .. انها

حمم تتدفق فتبرز من جوفه تماثيل بالغة الضخامة تتوهج نيرانها » .

وقال لامارتين فى رواية «أحدب نوتردام » - أو كما سماها كاتبها « نوتردام دى بارى » وهى رائعة من روائع هوجو « انها عمل ضخم .. انها صخرة من عهد يسبق عهد الطوفان .. هى شيكسبير النثر الروائى وملحمة القرون الوسطى » .

لكن ترى ما كان رأى هوجو فى نفسه ؟ قال وهو فى سن ١٥ « مطمحى ان أكون شاتوبريان وإلا فلا » وقال ذات مرة لأنطوان فونتناى « لو ساورنى أدنى شك فى قدرتى على احتلال المقام الأول بين الأدباء ، أو أن أعلو وأرتفع عن جميع منافسى ، لهجرت الكتابة واحترفت المحاماة غداً » .. والحق انه كان فى عصره أعظم كاتب فى العالم بأسره ، وهو الذى قال فيه معلمه وهو فى العقد الثانى من عمره « اليوم آت لا ريب فيه حين تحتل مكانك بين أعظم شعرائنا .. انا احس فى شعرك باصداء راسين » .

على أن أول دليل مادى على تفوق هوجو وعبقريته ، كان ما احرز من نجاح فى مسابقة الشعر التى عقدتها الاكاديمية الفرنسية .. وكان الموضوع الذى عينته الأكاديمية هو « السعادة التى نستمدها من الدراسة فى كل ظروف الحياة » ..

كان هوجو الفتى يرى ان التفكير فى العمل هو أن يعمل ، فلما طافت فكرة المسابقة بخاطره ، جلس لتوه وكتب قصيدة من ٣٣٤ بيتاً .. ولم يفز بالجائزة ، اذ كان التاسع بين المتسابقين ، ولكن أعضاء الأكاديمية لم يصدقوا أول الأمر أن صاحب القصيدة التى قدمها هوجو حدث يافع .. وقال فولتير مخاطباً الشاعر الصبى : لابد ان يخلفنى واحد من الناس ، وانا احييك خليفة لي تحية حارة .

فكتور هوجو هو أصغر أولاد الميجور ليوبولد هوجو الثلاثة .. ولد فى يوم ٢٦ فبراير ١٨٠٢ ، وكان هزيلا ضعيفاً خيل للطبيب المولد انه لن يعمر طويلا ولكنه غافل طبيبه وضحك على ذقن الزمن وعمر حتى جاوز الثمانين .



هوجو وهو صبي .. فى هذه السن المبكرة اهتم بالكلاسيكيات حتى اصبحت تجري فى عروقه .

## من القانون إلى الأدب

اقتضت حياة ليوبولد هوجو العسكرية ان يقضى فترات طويلة فى أسبانيا وايطاليا بعيداً عن زوجته وأولاده ، ولم يمانع هو فى ذلك لأنه يهوى الجندية . ولكن هذه الفرقة قضت على حياة الزوجية ، وانفصلت عنه زوجته وكفلت أولادها الثلاثة واشرفت على تربيتهم وتعليمهم بينما نال الزوج حظه من الرتب العسكرية حتى وصل الى رتبة جنرال ، كما نال أكثر من نصيبه من الخليلات، على انه لم يهمل أولاده كلية بل كان يمد الأم بالمال بين حين وحين ، ويوجه دراسة أولاده كلما لاحت له فرصة .

ويجب قبل أن نترك الحديث عن الأب ، ان نشير الى حقيقتين هامتين لهما دلالة قوية فى حياة فكتور هوجو .. الحقيقة الأولى ان الأب رغم جنديته كان يهوى الأدب ويقرض الشعر ، وان كان شعره من النوع الذى لا يشير اليه تاريخ الأدب .. المهم انه كان من دعاة الأدب وانصاره ، ولهذا فانه لم يعارض لما استاذنه فكتور وأخوه فى التحول عن دراسة القانون إلى دراسة الأدب .

الحقيقة الثانية هى أن الميجور ليوبولد هوجو كان يتمتع بشخصية تجذب النساء بصفة خاصة .. وورث فكتور عن أبيه هذه الجاذبية وزاد عليها كثيراً فتحكمت فى حياته حتى بعد ان تخطى الثمانين .

فالمقرر اذن هو ان الأب غرس بذور



جوليبيت في شبابها ، وهي التي راها فيكتور هوجو لأول مرة وهي تلعب دوراً صغيراً في مسرحية .

الأدب فى طبيعة ولده فكتور وان الابن رعى تلك البذور وسقاها فنبتت وترعرعت واينعت فى خياله حتى شطرت حياته شطرين .. أدب ونساء .. فاذا به عبقرية بغير حدود .

بدأ فكتور هوجو تعليمه فى مدرسة خاصة كان يشرف عليها الأب لا يفيير الذى كان يعنى خاصة بتعليم اللاتينية واليونانية القديمة وترجم هو وتلميذه فكتور بعض كتابات فرجيل .. والملاحظ أن اسلوب هوجو ظل متاثراً طول حياته بشكل الجملة اللاتينية وحبكتها ..

على أن المعلم الحقيقى لهوجو كان هو الحديقة التى تعرف فيها على الطبيعة وما فيها من مختلف نواحى الجمال والرعب ..فيها الزهور بانواعها ومنها عرف كيف تفتك الفيران بصغار الطير وصغار الطير بالحشرات والحشرات بعضها ببعض .

ولم تفرط الأم فى تربية أولادها ووضعت لدراستهم برنامجا كان ينفذ حرفياً دون هوادة ، كانت تقرأ لهم وتكلفهم بالقراءة .. وغرق فكتور واخوه هابيل الى الآذان فى الكلاسيكيات حتى اصبحت تجرى فى العروق ..

لما أتم هوجو واخوه يوجين مرحلة التعليم الثانوى طلبا من ابيهما ان يسمح لهما بدراسة القانون . ووافق الوالد وبعث



جولييت فى شيخوختهـا .. فقد عاشت حتى وصلت الى السابعة والسبعيـن مـن عمرهـا ، وأوصـت بدفنها إلى جـوار ابنتهـا !.

بالمبلغ اللازم لتكاليف تلك الدراسـة .. وبعد عام أو بعض عام عدل الأخوان عن دراسة القانون لأنهما كانا قد قررا دراسة الأدب .. فكتبا الى أبيهما فى ذلك ، فلم يعارض كثيراً ، بل ولعله ارتاح إلى ذلك فى نفسه دون ان يعلن عن ارتياحه .

كان الأدب هواية أولاد هوجو الثلاثة ، هابيل ويوجين وفكتور ، وحاول ثلاثتهم نظم الشعر وملأ فكتور عدداً من الكراسات بما نظم من شعر ، فكان منذ البداية يميل الى الايقاع الكلاسيكى ، لكن ما كتب فكتور فى تلك الفترة من شعر لم يكن سليماً يلتزم بوزن أو بحر أو قافيه ، فكان يقرأ ما يكتب بصوت مسموع ويصحح الأبيات حسب ما تقبل أذنه من نغمات وايقاع ما يقرأ وبذا علم نفسه الأوزان والقوافى والبحور .

ودخل مسابقة الشعر التى نظمتهـا الاكاديمية الفرنسية كما ذكرنا ، وكانت القصيدة التى اشترك بها أول انتاج نظامى له فى الشعر . أما اهتمامه بالمسرح فقد بدأ وهو فى المدرسة الداخلية التى كان يديرها المسيو ديكوت . وفيها كتب فكتور مسرحيات أدى فيها دور نابليون ، كما كتب وهو فى الرابعة عشرة مأساة شـعرية « ارتامير » أهداها لأمه ، وكان موضوعها انتصار الملك الشرعى على المغتصب ، عبر فيها عن رأيه وهو أن من يكره الطغاة لابد

# فكتور هوجو

# عبقرية هزّت الحياة الأدبية

يحب الملوك ، « اى أن من يكره بونابارت لابد يحب لويس الثامن عشر » .. واخذت قدم فكتور هوجو ترسخ وتثبت ومكانته تعلو وترتفع فى ميدان الشعر والمسرحيات حتى أصبح بين ملوك الشعر امبراطوراً .

وليس فى مكنة هذا المقال ان يضيف جديداً الى ما كتبه النقاد فى جميع انحاء العالم ، وبمختلف اللغات عن شعر هوجو ومسرحياته التى كانت تهز فرنسا هزاً وتعصف برواد المسرح كما تعصف الريح ببواسق الشجر .. ولهذا نكتفى فى حديثنا عن ادب هوجو باشارات قصيرة الى بعض روائعه وعلى راسها رائعته الخالدة « البؤساء » .

## شخصيات أكبر من الحياة

كان هوجو يفكر فى كتابة رواية اجتماعية خالدة واختمرت الفكرة فى راسه ثلاثين عاماً أو يزيد ، بحث خلالها ظلم العقوبات التى يفرضها القانون ووسائل رد اعتبار المحكوم عليهم بعد توقيع العقوبات عليهم ومشاكل الفقر وغيرها .. وكتب فى ذلك عدداً من الروايات منها « أخر ايام محكوم عليه بالاعدام » ، وقصيدة « للفقراء » . فلما جاء دور رواية « البؤساء » قرر هوجو ان تكون احداثها مما يقوم على الواقع والحقيقى .. فاخذ من صميم الحياة شخصية المونسينور « موالى » ، وهو قس يعرفه الناس ، وبنى على اساسها شخصية المونسينور «ميريل» فى البؤساء .. وظروف الفقر التى يعيشها هذا القديس وشدة زهده وفرط احسانه ، وبساطة اللغة العظيمة التى يستعملها فى حديثه العادى هى ما يثير اعجابنا ويؤكد لنا حقيقة هذه الشخصية وواقعيتها . ويروى سكرتير المونسينور « موالى » ما حدث فعلا بينه وبين سجين واقعى حقيقى أفرج عنه وكيف رحب به بعد ان رفضته جميع النزل .. وهذا بالضبط ما حدث لجان فالجان فى رواية البؤساء والفرق الوحيد هو ان السجين الحقيقى لم يسرق الآنية الفضية كما سرقها جان فالجان فى قصة البؤساء .. والقارىء الذى يعرف شيئاً عن حياة هوجو يستطيع ان يلمح ذكريات المؤلف نفسه فى شخصيات الرواية واحداثها .. هوجو الصغير يلبس قناع ماريوس والجنرال هوجو يتقمص شخصية بونتمرس .. وماريوس يلاحق كوزيت كما لاحق هوجو « أديل » من قبل وهكذا ..

فى صباح ٣٠ يونيه ١٨٦١ انتهى فكتور هوجو من كتابة « البؤساء » ، وعرف بفطرته الأدبية أن الكتاب قيم وان جمهور القراء سيكون كبيراً .. فقرر ان يستغل دخل الكتاب فى تامين مستقبل اسرته من الناحية المالية .. فلم يتسرع فى اختيار الناشر .. ولم يختر صديقه هتزل ، بل اختار ناشراً بلجيكيا شاباً اسمه البرت لاكروا ... وتقدم الشاب بعرض بلغ ٣٠٠،٠٠٠ فرنك لقاء النشر لمدة ١٢ سنة وقبل هوجو المبلغ الذى لم يكن قد قبض نظيره من قبل .

والغريب ان العاطفة السياسية فى فرنسا اذ ذاك أعمت أبصار نقاد الأدب فلم يتحمسوا « للبؤساء » .. فكان لامارتين مثلا حذراً متحفظاً فى ملاحظاته على الكتاب ، فلما أحله هوجو من تورط الصداقة واطلق يده ليوجه من النقد ما شاء ، جاء نقد لامارتين مرأ كالحنظل .. « مدح الكاتب وسخر من الفيلسوف وقال هذا كتاب خطر فهو يشيع فى الجماهير عدوى قاتلة وتطلعات الى ما هو مستحيل » .

اما اليوم فقد اصدر التاريخ حكمه على « البؤساء » التى تعتبر واحدة من اعظم ما ابتكر خيال الانسان – كما ان شخصياتها – جان فالجان ، وماريوس ، وكوسيت ، وجافرت وفانتين وغيرها – احتلت مكانها بين أعظم الشخصيات مثل مدام بوفارى ، أوليفر تويست ، الأخوة كارامازوف وغيرها .. وشخصيات البؤساء آدمية حية ولكنها اكبر من الحياة لما فيها من حب واريحية .. وتتمتع كلها بشعبية هائلة رغم ما فيها من مبالغة .

## أحدب نوتردام

القصة الثانية من قصص هوجو التى لقيت رواجاً عالمياً هى «نوتردام دى بارى» التى عرفها الناس فى عدد من الأقطار باسم « أحدب نوتردام » .. اتم هوجو هذه القصة فى شهر يناير ١٨٣١ واستغرقته كتابتها ستة اشهر فقط لأنه كان قد صرف ثلاث سنوات فى اعداد ما يلزمها من بحوث ومستندات واستكشف خلالها واستقصى باريس لويس السادس عشر وعاين ما بقى فيها من بيوت قديمة وتعرف على كل ركن ، بل وكل حجر فى كتدرائية نوتردام .. وقرر هوجو أن تطابق القصة تاريخ العصر .. وفى القصة خيال مبدع وشخصيات تبدو أكبر من الحياة واكبر من الواقع ومع ذلك فقد حققت كل شخصية من شخصيات القصة لنفسها فى رأس كل قارىء مهما كان جنسه ، حياة خاصة بها .. وفكرة الرواية تنضح بشخصية هوجو واحداث حياته .. فكرة المنافسة الثلاثية الاركان فى الصراع القائم بين رئيس الشماسة ، والأحدب قارع الأجراس ، والكابتن دى شاتوبير ، حول الفتاة الغجرية .. على أن بطلة القصة الحقيقية هى كنيسة نوتردام فهى ببرجيها وصورتها التى تنعكس على سماء تتلألأ فيها النجوم ، تبدو كابى هول ضخم له راسان ، يرقد فى وسط العاصمة .

ليست قصة الأحدب قصة كاثوليكية او حتى مسيحية .. فلكم صدمت القراء حكاية قس حكمته الشهوة واسرته الرغبة فى فتاة غجرية .

لما قرأ لامينيه قصة احدب نوتردام امتدح ما فيها من خيال تصويري رائع ومدح جوتييه أسلوبها الذى تبلغ صلابته وقوته صلابة الجرانيت وقوة الصوان ، وقال فيها لامارتين كما اسلفنا « انها عمل ضخم ، قطعة من صخر من عهد يسبق عهد الطوفان ، هى شيكسبير النثر الروائى وملحمة القرون الوسطى » .

على ان فكتور هوجو لم يسعد بكتابة اى قصة أو قصيدة أو مسرحية بقدر ما سعد بكتابة قصة « ٩٣ » التى بدأ كتابتها فى ٢١ نوفمبر ١٨٧٢ فى غرفة مكتبه الزجاجية فى بيته بالمنفى فى جزيرة جيرنزى .. قال هوجو « بدأت اليوم اكتب المسودة الأولى لكتاب « ٩٣ » واخرجت لذلك المحبرة الكريستال الجديدة التى اشتريتها من باريس وفتحت زجاجة حبر جديدة وملأت منها المحبرة ثم اخذت رزمة من ورق جديد اشتريته خصيصاً لاكتب عليه هذا الكتاب وسحبت قلماً مجرباً اثق فيه وتهيأت لكتابة الصفحة الأولى .. سابدأ واكتب كل يوم ان شاء الله » .

وكانت تلك طريقته فى الكتابة أيام شبابه ، ولم تفتر همته او تخور عزيمته وهو فى السبعينات .. فالوحى مازال يتدفق ونذكر بهذه المناسبة أن هوجو اسر لأحد اصدقائه فى يناير ١٨٧٤ قائلا « ما اشبهنى بغابة تقطع أشجارها عدة مرات ومع ذلك تجد أن ما فيها من صغار الشجر اكثر قوة ونشاطاً .. قضيت نصف قرن سجلت فيه



اديل فوشيه .. زوجة فكتور هوجو التى عرفها صبية صغيرة تسكن فى بيت مجاور لبيت عائلته .

افكارى شعراً ونثراً اشعر وكانى لم اقل او اكتب واحداً من الف مما فى نفسي » .

قلنـا فى صـدر المقـال ان هوجـو كان عبقرية وكان شهوة .. والحديث عن شاعرية هوجو وادبه حديث معاد لا ينتهى .. ولكن الذى لا يعرفه بعض الناس هو الناحية الشخصية من حياة هذا العبقرى الفحل ..

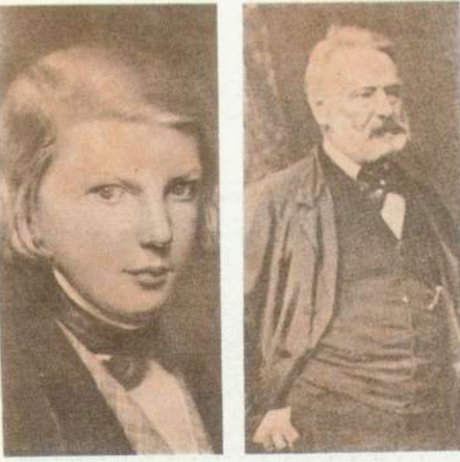
## هذا الضائع

اديل فوشية صبية صغيرة تسكن فى بيت مجاور للبيت الذى تسكنه مدام هوجو وأولادها .. وهى بحكم الجيرة تلعب مع غيرها من أولاد الجيران ومنهم فكتور هوجو واخوه يوجين الذى يكبره مباشرة ..

وانقطعت الصلة بين آل فوشيه وآل هوجو لما سافرت مدام هوجو وأولادها بعيداً عن باريس .. ولم تعد الصلة الا واديل وفكتور يافعان فى طور المراهقة .. لكن أم أديل ، مثل كثيرات غيرها من الأمهات ، لم تكن تدرك تماماً أن بنتها قد كبرت فلما زارهم فكتور طلبت منه أن يخرج مع أديل للعب والجرى .. لكنهما آثرا المشى والحديث .. فلما لمست يد اديل يد فكتور سرت فى الجسدين رعدة .. فالبنت الصغيرة قد اصبحت صبية رائعة الجمال .. وفى لقاءات تالية ، تقاربت الرؤوس وتواشجت الانفاس ولكن الحب ظل عذرياً لأن أديل كانت فتاة متدينة تتمسك باهداب الفضيلة وتطورت العلاقة الى حب ملتهب ، وانكشف المستور ، وحاولت مدام هوجو أن تفرق بين العاشقين لأنها كانت ترى ان اسرة الجنرال هوجو من طبقة اجتماعية أعلى من الطبقة التى ينتمى اليها آل فوشيه .. وتازمت الأمور وانفطر قلبان .. وفى العيد الثانى للقاء العاشقين ، وهو ما اسماه فكتور « عيد سعادتنا وياسنا » ، كتب فكتور لاديل .. « اليوم يبدأ العام الثانى لبؤسنا ترى هل اعيش حتى ادرك العام الثالث ؟ وداعاً مؤقتا يا أديلى .. الساعة متاخرة .. انت تنامين ولا تحلمين بخصلة من شعرك ، يضغطها زوجك ( اى فكتور باعتبار ما سيكون ) الى شفتيه كل ليلة قبل ان ينام » .

وحدث مالم يكن متوقعاً واصيبت مدام هوجو فجاة بمرض قضى عليها فى يوم ٢٧ يونيه١٨٢١ وهى فى احضان أولادها . وفى صيف ذلك العام انتقلت أديل واسرتها الى بلدة تبعد ٥٠ ميلا عن باريس .. ولم تقف هذه المسافة حائلا بين فكتور ــ وكان مفلساً لا يملك اجرة السفر ــ وحبيبته أديل فقطع المسافة مشياً على الأقدام ليسـعد من حبيبته بنظرة .. ومر هذا الغرام بعد ذلك بمراحل عاصفة ، واخيراً استاذن فكتور اباه فى الزواج من أديل ، فسـمح له ، وتزوجها فى ١٢ اكتوبر ١٨٢٢ . وفى ليلة الزفاف اصيب الأخ الثانى ــ يوجين الذى كان بدوره يعشق اديل ــ بلوثة نقل بعدها الى مستشفى للامراض العقلية ..

ورزق الزوجان بغلام اسمياه ليوبولد ، مات وهو فى المهد ، وعوضهما الله خيراً ببنت اسمياها ليوبولدين وشاءت الظروف والأقدار ان تتوطد الصلة بين فكتور هوجو وبين شاب من ألمع نقاد الأدب اسمه سانت بيف . وبدأ هوجو فى عام ١٨٢٩ يبذل مجهوداً جباراً فى عمله فكان يعمل اما النهار بطوله أو الليل بكامله ، وكان سانت بيف اذ ذاك يزور بيت هوجو مرة أو مرتين فى اليوم وكثيراً ما كان يجد أديل وحدها فيقضى زيارته فى حديث معها .. وعلى مر الزمن تمت لقاءات سانت بيف باديل بعيداً عن عين هوجو ورقابته فاخذ سانت بيف يلعب دور قس الاعتراف ، وعود أديل ان تسر اليه بمواجعها ومتاعبها .. كان اذا وجدها باكية يسالها عن السبب وعرف بالتدريج من اديل ، وكانت اذ ذاك اما لأربعة أطفال ، ان فكتور يلح فى ممارسة حقوقه الزوجية ، وانها تعجز عن ذلك .. وسانت بيف يهدىء من روعهـــا ويتظاهر بالدفاع عن صديقه فكتور فى الوقت الذى يعلن فيه انه كاديل نفسها



فكتور هوجو

# عبقرية هزت الحياة الأدبية فى العالم

نهب للبؤس والتعاسة . وارتاحت أديل لذلك الوضع ووجدت فى التفات سانت بيف ما يرضى كبرياءها .. وتطورت الأمور ، فكانت تستقبل سانت بيف فى خدرها . وأصبحت الخيانة نتيجة حتمية !! كل هذا وفكتور هوجو يعتز بانه الزوج المثالى الذى يهيم بحب زوجته والأب المثالى الذى يعيش لاولاده .. وتوقفت أديل عن حب زوجها نهائياً فى صيف ١٨٣١ ، واحس هو

بذلك فكان يشكو امره لسانت بيف فلما عرف أن اديل تخونه مع سانت بيف دب بين الأديب الشاعر وبين الناقد شقاق وخلف عنيف .. وحاول فكتور هوجو محاولة اخيرة لانقاذ زواجه فاختار لاسرته مصيفاً بعيداً عن باريس ولكن سانت بيف لاحق الزوجة وكان يراسلها بعنوان صندوق البريد .

كان فكتور هوجو قد وضع كل أماله وكرس كل حياته لهذا الحب الاول ، حبه لأديل ، التى عانى ثلاث سنوات قبل ان يفوز بها زوجة .. أديل التى كتب فيها اجمل مانظم من شعر الحب والغزل والتى عاش معها زوجاً ثمانية اعوام كان يعتقد خلالها انه هو معبودها الاوحد .. كانت كل احلامه تدور حول بناء بيت مثالى للزوجية فيه الرومانسية والعاطفة وفيه الطهر والبراءة .. وبقلب مطمئن انكب على عمله ، وخاض معركة الادب ولم يدر بخلده انه يعيش مع زوجة خاب امل قلبها ، وكرهت عش الزوجية الذى بناه هو .. ولما نزلت به الكارثة قال « ياويل من يُحِب ولا يُحَب ..

هذا أمر مزعج .. انظر الى هذه المراة وما فيها من سحر .. انها ناعمة بضه ، هى فى البيت حب ومتعة ولكنها لا تحبك . وهى لا تكرهك ، انها فقط لا تحبك وهـذا كل ما هناك .. اسبر ، لو توافرت لك الشجاعة ، غور هذا اليأس .. انظر اليها ، فلا تفهم نظراتك تحدث اليها .. فلا تسمعك .. انت تحبها ؟ اذن فانت ضائع لا محالة » .

قال هذا الضائع ، وهو هوجو ، عن نفسه انه مخلوق له اربع انفس «أوليمبو» شاعر العاطفة ، و « هرمان » العـاشق و « ماليا » المرح الضحوك و « هيبرو » الروح المكافحة .

وكافح هوجو أول الأمر ليستر زوجته فلما فشل بادل زوجته خيانة بخيانة .. ولعب القدر فى ذلك لعبته .. واختار مخرج احدى مسرحيات هوجو ممثلة شابة رائعة الجمال اسمها جولييت درويه لتلعب دوراً صغيراً فى المسرحية . ولاحظ هوجو أثناء القراءة الثانية للمسرحية تلك الممثلة تمعن النظر اليه وقرر فى نفسه انها لن تقاوم كثيراً اذا هو ابدى رغبة .. كان قلبه اذ ذاك حزيناً خاوياً وكان الشعور بينهما فورياً متبادلا .. وتحرى عنهـا .. كانت فى السادسة والعشرين ، ابوها خياط مات وهى فى المهد فرباها عمها .. التحقت لفرط جمالها ورشاقة قوامها باستديو مثال .. رزقت منه طفلة .. واحترفت التمثيل بعد ذلك .

## حل إلى الأبد

وتلاقيا .. وكانت بداية غرام دونه غرام روميو بجولييت وجميل ببثينه .. تميز حب جولييت لفكتور هوجو منذ البـداية بالتضحية المطلقة والوفاء الذى لا يحد ..

وظلت أمينة على حبها لفكتـور وبقيت صديقته الوفية حتى ماتت .. احبته حب عبادة ، كان هو فارسها وسيدها .. كان روحها ، كلمته لا ترد وأمره مطاع .. حياتها فداء له .. فلما خرج أيام المظاهرات التى سبقت ظهور الامبراطورية كانت تسير خلفه ـ دون علمه ـ لتضع نفسها بينه وبين اى رصاصة تطلق عليه .. ذاقت فى حبه المر والمهانة دون ان تتملل ، كان يخونها مـع غيرها من النساء فيتمزق قلبها وينفطر ، تغضب وتعتب ، ولا تحرك ساكنـاً ، خطاباتها اليه سجل لهذا الحب السماوى الذى أوحى لفكتور هوجو بمجلدات من أرق الشعر .. كانت هذه رسالتها الأولى اليه قبل ان يجتمعا فى خلوة :

« سيدى فكتور : تعال وزرنى هذه الليلة فى بيت مدام كرافت .. سأحبك الى ان اراك وأتذرع بالصبر .. حتى المسـاء .. »

كان فكتور بعد لقائها كالثمل .. أديل زوجته التى تمناها سنوات بلهفة وشغف لم تعطه الا ما تعطى عروس ذات خفر وحياء .. اما جولييت فكانت امراة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .. كانت طقوس الحب عندها كالشعر ، كلاهما فن ، وكانت هى تتقن ذلك الفن وكان اتقانه عليها فرضاً .. كانت تقدر وتعجب بما يكتب فيها من قصائد ، وتمتدح وتطرى ما يكتب .. وفى ذلك ما يرضى كبرياء العبقرية .. وكان كثيراً مايثيبها على ذلك بكلمة حلوه « ساكتب فى مفكرتى فى أول يوم من أيام السنة انى أحبك ، وفى آخر يوم من أيام السنة انى أعبدك وأهيم بك ، قبلاتك تجعلنى اقع فى غرام الكون كله ، وعيناك تجعلانى افهم نعيم الفردوس .. أنت فى كلمة واحدة ، انت ياحبى الوداع ، ملاك فى جحيم ..

وهبك الله ذكاء وجمالا ، ولو أن المجتمع عاملك كما عاملتك الطبيعة لكنت فى أعلى مقام ، ولكن لا تاسى ، فليس فى مكنة المجتمع أن يرفعك فوق مرتبة الملوك اما الطبيعة فقد وهبتك كل شىء » .

حدث ذات مرة أن اخذ هوجو صديقته جولييت فى جولة فى ضواحي باريس ، وبعدها بعثت اليه بوثيقة أو صك قانونى تقول فيه « أمس ٢٣ يوليه ١٨٣٤ كنت انا جولييت أسعد امراة فى العالم ، فلم اكن أحس قبل ذلك التاريخ . بكل ما يبعثه حبى لك وحبك لي من سرور فى نفسى .. وهذه الرسالة وثيقة قانونية تعرف حالة قلبى .. وثيقة التزم بها لآخر أيام حياتى ،



ففى ذلك اليوم والساعة والدقيقة التى تعيد فيها تقديم هذه الوثيقة الى ، اعدك غير حانثة أن أسلمك ذلك القلب فى نفس الحالة التى هو فيها اليوم ، اى انه سيكون مليئا بحب واحد ، حبك انت ، وبخاطر واحد ، انت وحدك » .

وكان هذا النعيم يستحيل أحياناً بؤساً وشقاء ، وتصبح تلك الجنة جحيماً .. كان هوجو رغم يساره يحاسبها حساباً عسيراً على كل فلس يعطيها إياه ويفرض عليها تقديم حساب يومى مفصل تبين فيه كل ما تنفق على الأكل ــ أكله هو فى الغالب ــ والشرب وغير ذلك وكثيراً ما كان يحرم عليها أن تشترى فستاناً جديداً اذا بلى فستانها ويقول « ما تلبس المرأة الجميلة لا يضيف الى سحرها شيئاً » . كان يحرم عليها الخروج الا فى صحبته أو باذنه ، ولعل خيانة زوجته علمته درساً .

وكان حب هوجو لجولييت يفتر أحياناً دون أن تخبو جذوته كلية ، فكانت تعاتبه وتصر على انها لا تريد العيش مع «فكتور مخلص» ولكن مع «فكتور العاطفة» فهى لا تطلب أكثر من ان تكون صديقته المحبوبة ولا ترضى ان تكون « حبه الماضى » .. وكانت لفرط غيرتها تقول له « لو كنت ملكة ما سمحت لك بالخروج بدون قناع حديدى احتفظ انا بمفتاحه » ! لكن كانت هى التى تعيش فى قفص يحمل هو مفتاحه .

ماتت ليوبولدين بنت فكتور هوجو غرقاً هى وعريسها بعد زواجهما بأيام . ونالت منه هذه الكارثة ولكنها لم تضع حداً لنشاطه .. ففى أوائل ١٨٤٤ نشأت علاقة غرامية جديدة بين هوجو وبين ليونى دونيه ، وهى فتاة قيل انها من اسرة نبيلة ، هربت وهى فى سن ١٨ وعاشت مع فنان اسمه فرانسوا بيار ، تزوجها فى عام ١٨٤٠ وانعم على هوجو بلقب فايكاونت ودخل مجلس الشيوخ فى ١٣ ابريل ١٨٤٥ ، وفى ٥ يوليه ١٨٥٤ هاجم البوليس بناء على طلب الرسام بيار ، شقة فى حى سان روش كان فيها هوجو وليونى زوجة بيار معاً وقبض على المرأة وخلى سبيل هوجو لما له من حصانة برلمانية ، وسجنت ليونى عقاباً على خيانتها الزوجية واشارت الصحف الى الفضيحة وتدخل الملك شخصياً وطلب من الرسام ان يتنازل عن شكواه ضد هوجو ووعده بعمل يدر عليه مبلغاً طيباً .

كان فكتور هوجو ينسى نفسه وينسى كل قواعد اللياقة فى سبيل الحصول على من يختار من النساء ومنهن أليس أوزى ، احدى جميلات باريس وصديقة تشالز هوجو ابن فكتور .. وحدث أن أبدت الفتاة رغبة فى الحصول على اوتوجراف الشاعر الكبير وبيت أو بيتين من الشعر بخطه . ورتب ابنه اللقاء .. وفازت العبقرية على الشباب ، ورضخ الشباب لما استحالت مقاومته وكتب تشالز لفتاته التى خانتـه مع ابيه « وقف الابن بقلبه البرىء وحبه العميق واخلاصه اللانهائى فى جانب ، ووقف الأب بعظمته وجلاله فى جانب ، فاخترت العظمة والجلال .. لست ألومك ، وليس فى العالم امرأة واحدة كانت تتصرف على نحو يختلف عن ذلك . على انى لست من القوة بالقدر الذى يمكننى من احتمال بؤس مقاسمة حبك مع غيرى » .

لما خرجت ليونى دونيه من السجن ارادت ان تنتقم من هوجو فبعثت بـكل رسائله اليها الى جولييت فاصابت من هذه المسكينة مقتلا فكتبت لهوجو فى ٣٠ يونيه ١٨٥١ « أشكر لتلك المرأة انها لم تتردد فى ارسال كل دليل على خيانتك .. لقد طعنت قلبى دون رحمة وغاص خنجرها حتى مقبضه ، خنجر حبك لها سبع سنوات طوال .. كان ما فعلت يتسم بالسخرية والوحشية ولكنها كانت أمينة .. وهى لذلك تستاهل ان تكون شانقتى » .

ونظراً لما ساد فرنسا من قلق سياسي رحل هوجو أو قل نفى الى جزيرة جيرزى ثم الى جبرنزى من جزر بحر المانش حيث قضى أياماً سعيدة زاد فيها انتاجه الفكرى زيادة ملحوظة رغم انه كان قد تخطى السبعين .. واحتفظ قلبه ، كما احتفظ عقله بفتوته ، فلما اختارت جولييت ــ وكانت تدير بيته هناك ــ خادمة تتولى غسل الملابس ، فى مارس ١٨٧٢ ، فحصها هوجو بعين الخبير .. وكانت الخادمة بلانش فى سن ٢٢ جميلة متوسطة الثقافة تحفظ الكثير من شعر هوجو عن ظهر قلب .. وقضى هوجو زهاء عام ينسج خيوطه حولها ، يلاطفها ويكتب فيها اشعاره وأخيراً وقعت فى حبه حتى كادت تجن من فرط هيامها به .

اكتشفت جولييت العلاقة فهيات لها سبيل الرحيل واقنعتها بعدم الاتصال به وادخلت الرعب فى قلب الفتاة لما شرحت لها ان هوجو مريض بالقلب وانه قد يسقط ميتاً بين ذراعيها .. وان الفضيحة قد تقضى عليها . وانضمت الفتاة الى عدد من غزوات هوجو السوالف اللاتى كن يطالبن ببعض المال أحياناً ، فيدفع لهن ما شاء ويقول « الذى يكسر القلوب ، يدفع الثمن » .

## أجمل زواج

فبراير ١٨٨٣ كان العيد الخمسين للقاء فكتور بجولييت ، وفيه أهداها صورته وكتب عليها « خمسون عاماً من الحب ، وهذا أجمل زواج » .. فى ١١ مايو ١٨٨٣ ماتت جولييت وهى فى السابعة والسبعين ودفنها فكتور حيث أوصت ، بجوار بنتها . ومات هو فى ٢٢ مايو ١٨٨٥ وهبت على باريس عاصفة بردية ونقلت رفاته فى موكب مهيب من ميدان « إتوال » الى «البنثيون» وشيع الجنازة أكثر من مليونى شخص وبكته فرنسا كلها .. كان من المشيعين من يحمل لافتات عليها اسماء بعض مؤلفات فكتور هوجو « البؤساء » ــ « أوراق الخريف » ــ « ٩٣ » .. على ان فرانسوا ــ فكتور ابن فكتور هوجو اصر دائماً على أن « اخطبوط البحر » كانت أعظم ما كتب أبوه .

جمال الكناني ــ لندن

## دور العمائم في تاريخ مصر الحديث:

# عمامة الشيخ محمد عبده

بقلم: فتحي رضوان

في تاريخ مصر الحديث، عمامة ضخمة، هي عمامة الشيخ محمد عبده. ونحن نعني بالعمامة، المكانة وبعد الأثر، والهيبة. فقد كان العلماء فى مصر كلما كبر مقامهم، وعلا نفوذهم، لبسوا عمامات كبيرة.

وقد كان لمحمد عبده نفوذ فى أكثر من مجال، وكان له أثر فى أكثر من جانب من جوانب الحياة. اشتغل منذ شبابه بالصحافة، وبالاصلاح الاجتماعي، ثم استدرج لعالم السياسة الهائج المضطرب، فنزل الى بحرها بقاربه الصغير، وعرف الأمواج العالية، والعواصف العاتية، ثم كابد الاتهام والمحاكم فالسجن والنفي، كما مر بتجربة الغربة الموحشة، والحنين الى الوطن، والعودة إليه، يتوجس منه الحكام ويخافون نوازعه وما يخفى فى أطواء صدره، ثم اتصل بالحكام، وجاورهم وظفر بصداقتهم ثم بعداوتهم. وكان فى كل هذا معتدلا، ينأى عن التطرف، ومتطرفاً لا يطيب له إلا الوصول الى اقصى الغايات، فكان وسطاً لا يخشاه أصحاب السلطة فثائراً يتعقبه الحكام ويصادرون ما يكتب. ورمي بالالحاد وضعف العقيدة، واعتبر إماماً يؤخذ بفتواه. ومن ثم كبرت عمامته، أي عظمت مكانته.

ويمكننا ان نقول بلا تجاوز إن محمد عبده تمثل جيله كله، كما لم يفعل احد من انداده أو معاصريه، سواء كانوا من اعدائه او خصومه، أو محبيه أو مريديه. محمد عبده، كان فلاحاً وازهرياً، وطلب العلم الغربي، واتقن الفرنسية، وملك ناصية اللغة العربية، وشغل الوظائف الصغيرة والكبيرة، وسافر الى أوروبا وأقام فيها، وعرف كبار الأجانب وصادقهم واتصل بكبار المصريين فكانوا اصحابه ولداته، وكانوا من محبيه واعوانه، ثم كانوا من اشد الناس كراهة له، وبغضاً لأسلوبه ومنهجه. ولم يتيسر لغيره كل ذلك، فسعد زغلول صاحبه الودود، التمس شيئاً من العلم فى الأزهر، ولكن لم يكن ازهرياً قط، فان القدر الذى حصله من العلم الأزهري، ضئيل، وصلته بالازهر لم تطل، ومصطفى كامل سافر إلى أوروبا، كثيراً، وعرف كبار الساسة والصحفيين، ولكن لم يتح له أن يعرف تجربة السجن والمنفى، ولا المرور من الأزهر الى الوظائف المدنية والدينية.

وهكذا كان محمد عبده، فريداً فى تاريخ مصر، ومن ثم استطاع ان يوزع على




الشيخ محمد عبده .. كبرت عمامته وعظمت مكانته حتى اصبح لـه نفـوذ وتـأثير في كـل مكـان

منابع عديدة فى حياة مواطنيه اثره .

ولد محمد عبده ، ابناً لفلاح ، فكان فلاحاً منذ عرف الحياة ، وكانت مصريته أصيلة ، ففى الريف يصنع اكثر المصريين ، ويرثـون صفاتهم ، وخصائصهم ، من صبر وجلد ، والمعية مدفونة ، ومواهب مطمورة .

وقد ظهر هذا اكثر ما ظهر فى محمد عبده ، فانه ولد فى قرية من أعمال محافظة البحيرة ، فارسله أبوه الى المعهد الاصيل ، اى الى الكتاب الذى تخرج فيه ، كل نوابغ وأفذاذ مصر ، الطهطاوى ، وعلي مبارك ، وعبد الله فكرى .. الى آخر القائمـة المجيدة .

وحفظ الغلام (محمد) القرآن ، وهذا الحفظ دور من دور التنشئة والتعليم ، يمر بها كل طفل فى مصر قبل أن يرقى الى الدرجات العليا . ثم ارسله ابوه الى المعهد الدينى فى طنطا ، فى مرحلة من عمر التعليم فى مصر ، كان التعليم الدينى ، عقبة كاداء فى طريق كل طفل نابه ، تزهده فى العلم ، وتنفره من الدراسة ، وتثبط همته عند التحصيل . ولم يشذ الأمر عند محمد عبده ، فقد كان عند لحاقه بالمعهد الدينى فى الخامسة عشرة من عمره ، وقضى فى المعهد عاماً ونصف عام ، فحاول أن يتعلم فلم يتعلم ، وجهد ان يفهم فلم يفهم ، فزهد فى التعليم ، وفى الوصول الى درجات اعلى من حياة القرية وفلاحيها ، عاد الى قريته كاسف البال ، حزيناً ولكنـه لم يعد مسلماً بالضعف والعجز ، فقد كان يحس انه فشل لان الفشل فى تحصيل ذلك النوع من العلم هو النجاح بعينه . وكره أبوه أن يعود ابنه الى القرية ، وهو الذى يتوسم فى ابنه النجابة والذكاء ، والقدرة على أن يتفوق ويمتاز كان يعقد عليه الآمال الكبار ، فحمله قسراً الى المعهد ، فما كان مـن الطفل (محمد) إلا أن فر من قرية ابيه ، ومضى الى قرية اخرى ، يعيش خاله فيها . وفى هذه القرية ، تغير مسار حياته ، إذ لقى هناك (الشيخ درويش) . والشيخ (درويش) كان ينتمى الى طائفة (المثقفين) . وانا اعتبر ان (المثقف) رجل غير (المعلم) . فالمعلم يعطى الناس شيئاً من المعرفة الفعلية ، فيتعلمون كيف يكتبون ، وكيف يعرفون جمع الأرقام وطرحها ، وضربها وقسمتها اى قواعد الحساب الأربع الأساسية . أما المثقف فلا يمنح الناس علماً إنما يمنحهم حباً للحياة ، ورغبة خفية فى تذوق اللذائذ العقلية ، فيسمع الشعر ويحفظه ، وينصت الى القرآن ، ويتفهم معانيه ، ويجالس الكبار يسمعهم ويكلمهم ، ويتلقى عنهم أشياء لا توجد فى الكتب ، فاذا هو انسان آخر . يبدو اكبر من عمره ، واكثر طموحاً من لداته وافصح لساناً ، وازكى وجداناً .. وبالجملة يصبح خلقاً آخر وتبارك الله خير الخالقين .

فالمثقف يصنع وجدان الناس ، وقد لا يكون هو ذاته قارئاً وكاتباً . كان الشيخ درويش غير متنطع ، ولا مبالغ . فكان إنساناً صالحاً ، وفاضت الدماء فى عروق محمد عبده فاصبح ينافس الشبان الآخرين فى الفروسية . وبدت الحياة اجمل مذاقاً ، والأمل فيها اعظم بكثير مما كان ، وعـاد ( محمد ) الى المعهد ، فاذا الغامض ينجلى ويتضح ، واذا المقعد المنفر يسفر عن وجه حلو جذاب ، وتحدث المعجزة ، فبعد ان كان ( محمد ) عاجزاً أن يفهم ولا أن يفهم نفسه ، أصبح يفهم زملاءه فيتحلقون حوله ويستمعون اليه .

# عمامة الشيخ محمد عبده

وفرغ الشيخ الصغير (محمد عبده) من طلب العلم فى المعهد الدينى ، وسافر الى القاهرة ، ليلتمس العلم الأزهرى ، فى اكبر جامعات الاسلام .

ولسنا نريد ان نحدثك عن حياته فى الأزهر ، فالاجتهاد فى صوغ هذه الحياة شاق ، إذ ان للحياة الأزهرية قوالب معروفة يدخل فيها جميع الطلاب ، سواء اتوا من ريف مصر ام من صعيدها ، وسواء كانوا مصريين او مغاربة او شواما او اتراكا او اكراداً . فكان يصحو عند الفجر ، فيصلى الصبح ، ويذهب الى الأزهر ليحضر درس الفقه ويستمر فى الدرس الى الضحى . التلاميذ يجلسون على الارض ، والأستاذ يقرأ من (كرسى) . هذا (الكرسى) هو المصدر للتسمية الحديثة فى جامعات أوروبا التى نقلت عنها مصر ، والتى تطلق على كبير الأساتذة فى العلم ، فالأستاذ صاحب الكرسى فى التاريخ او الجغرافيا ، هو الاستاذ الكبير ، نقل الاوربيون عنا هذه التقاليد باسمائها ، ونسينا نحن اننا المصدر ، فنقلنا عنهم ، والاصل عندنا ، ولله فى خلقه شئون .

وفى كل سنة يدرس كتاب ، وكل هذه الكتب ، من تاليف المؤلفين فى العصور المتاخرة ، حينما كان اكثر العلم حشداً ، ملؤه الخزعبلات والأباطيل .

وكان من شيوخ ذلك الزمان الذين يشار اليهم بالبنان الشيخ احمد الرفاعى ، والشيخ عليش الذى وفد الى مصر من المغرب ، ثم الشيخ البسيونى ثم الشيخ حسن الطويل .

فى هذا الجو عاش محمد عبده اثنى عشر عاماً من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٧ وقال عن نفسه انه قضى فى الأزهر اثنى عشر عاماً ، ولكنه قضى حياته كلها بعد ذلك يحاول تنظيف عقله مما حفظه فى هذه السنوات الأثنى عشرة .

وبعد أن اتم محمد عبده دراسته الأزهرية ، وخرج الى الحياة العامة وكان السيد جمال الدين الأفغانى ، قد وفد الى مصر ، وارتبطت اسبابه باسباب الشيخ الفتى ، فاوحى اليه بالدرس الأول فى الدعوة الى الاصلاح ، فصنع منه الداعية ، والرائد ، والثائر .

وإن كان جمال الدين الأفغانى هو صاحب الاثر الأكبر فى حياة محمد عبده ، إلا ان الشيخ حسن الطويل كان اثراً لا يمحى ، فقد علم الشيخ محمد عبده ، شجاعة فى إبداء الراى ، وجراة فى التعبير عن النفس ، وزهداً فى الحياة وجراة على أصحاب المناصب والمقامات . وقد جنت هذه الشجاعة عليه فطرد من استاذية دار العلوم ، وخلت يده من النقود فاواه صاحب مقهى بلدى واخذ ينفق عليه فلما عاد الى العمل ، وقبض مرتبه ، دفع بالمرتب الى صاحبه صاحب المقهى البلدى وطلب منه ان ينفق من المرتب على كليهما .

● ●

ومجيء جمال الدين الأفغانى ، مرحلة من مراحل الحياة العامة فى مصر . على الرغم من ان مصر فى تلك الحقبة وهى العقدان الأخيران من القرن التاسع عشر ، قد وفد اليها العديد من اهل البلاد العربية والاسلامية امثال عبد الرحمن الكواكبى ، واديب اسحق ، وفرح انطون ، وشبلى شميل ، وسليم نقاش ، وسليم تكلا ، إلا ان جمال الدين الأفغانى ، كان نجم تلك الايام الساطع ، ومصدر القلق الروحى عند اكثر المصريين والمبشر بالثورات والاضطرابات والانقلابات .

وانا وإن كنت لا انكر ضخامة الدور الذى لعبه جمال الدين الأفغانى فى اصطفاء محمد عبده ، وتاهيله للعمل العام بشقيه : الاصلاحى والثورى ، وفى إلقاء بذور الثورة التى تجسدت فى ثورة عرابى إلا اننى لا استطيع ان أدفع نفسى على القول بانه شخصية غامضة ، وإن اضطرابه وتنقله يثير الارتياب . وقد وضع الدكتور محمد حسين أستاذ تاريخ الادب المصرى الحديث رسالة ذكر فيها أن السيد جمال الدين لم يكن افغانيا بل كان فارسياً (ايرانيا) وأنه لم يكن سنياً بل كان شيعياً ، وانه كان يحيط نفسه اينما ذهب بيهود ، كان منهم يعقوب صنوع اليهودى المصرى الذى لا أخليه من دوافع صهيونية وهو يؤلب المصريين ضد الخديوى اسماعيل لتكمل الخطة التى ساهم فيها اليهودى دزرائيلى رئيس وزراء بريطانيا ، وروتشيلد كبير أعيان اليهود فى انجلترا ، و (جامبتا) اليهودى الفرنسى ورئيس وزراء فرنسا وهى الخطة التى انتهت باحتلال بريطانيا لمصر . وقد كان جمال الدين لا تطيب له الاقامة اينما ذهب إلا فى (الجيتو) اليهودى اى حارة اليهود ، حتى فى مصر ، وكان ماسونياً صريحاً ، وقد اقام محفلا للماسونية فى مصر . والماسونية هى إحدى شعب العمل الصهيونى . ولا يغير فى الأمر أن يكون جمال الدين ثائراً .



جمال الدين الافغاني لعب دوراً ضخماً فى تاهيل محمد عبده للعمل العام .

ولقد استوقف نظرى امران : اولهما ان بريطانيا حينما نفته من مصر ، أرسلت به الى الهند ، حيث ملأ من المسلمين من جهة وحيث ضمائر الثورة ضدها ، متوافرة ومتكاثرة . فهل يتفق هذا مع مصلحتها .

وقد استوقف نظرى كثيراً ، تردد السيد جمال الدين على بريطانيا ، بعد عودته من الهند . مع أن بريطانيا هى التى عالنها بالعداء ، واثار عليها اتباعها فى كل مكان .

ولما زار الأفغانى استانبول ، اكرم السلطان عبد الحميد وفادته . ولكنه وضعه فى قفص من حديد ، فقد كان يخشى لسانه ، وتحريضه على الثورة ، فى وقت كثر فيها اعداء تركيا ، الذين تزيوا بكل زى وظهروا فى كل مظهر ، وكان اكثرهم أذى لها دعاة الاصلاح ، والتحرر

ولكن لا يحسبن القارىء الكريم اننى اريد أن اقضى فى أمر المجاهد الكبير ، والثائر المتجدد ، السيد جمال الدين الأفغانى ، فى هذه السطور العجلى ، فهذا جرم لا اتورط فيه وخطا لا ارتكبه .

إنما هى خواطر ، تلح علي ، منذ قديم ، حاولت ردها عنى فلم استطع ، لغير هوى أو غرض ، وقد جاء موقعها من هذا الكلام هنا ، فلم أتردد فى ايرادها ، مؤملا ان ينهض أهل الذكر ، بابداء الرأى السليم ، وأصحاب الحجة القاطعة .

● ●



عبد الرحمن الكواكبي جاء مع العديد إلى مصر من البلاد العربيـــة والاسـلامية .

جاء جمال الدين الافغانى ، فوجد فى الشيخ محمد عبده ضالته المنشودة ، فقد خلق محمد عبده ، قوى الشخصية ، نافذ الأثر ، ميالا الى التغيير الكامل وإن كان به

الميل الى الاعتدال والاتئاد ، يصاحب غضباته الثورية ، ويعوله نحو الانقلاب ولو شابه عنف . وقد كان يشوب مزاجه عنف يغضب الناس ، وقد اجتمع هذا الميل فى كل من جمال الدين الافغانى وسعد زغلول وكانوا الثلاثة : حلقات فى سلسلة واحدة .

وقد جاء جمال الدين الافغانى يبشر بالثورة الاسلامية ، بحيث تنتظم هذه الثورة العالم الاسلامى كله ، فينتفض المسلمون فى الهند ، وفى الافغان ، وفى ايران ، وشبه الجزيرة العربية ومصر والسودان وشمال أفريقيا ، فيسقط فى يد الاستعمار ، ولا يرى لنفسه مخرجا ولا مناصا . وكان جمال الدين مهيئا لهذا العمل الضخم بثلاثة امور امتاز بها : لسان حاد ذرب ، يقذف بحمم الغضب ، كانها قذائف المدفع .

وطبع حاد ، لا يهدأ معه صاحبه ، ولا يخاف ، ويابى معه الاكتفاء بالغايات والأهداف القريبة .

وهمة مادية جسمانية ، تحبب له الانتقال ، والاتصال ، والسفر .

وقد كان محمد عبده فى مطلع حياته ، تواقا الى ما يستنفد حيويته ويرضى حبه للثورة ، ولو كان هذا الحب ، فكريا ذهنيا . وقد اتصل بهذا الزعيم المتاجج والمؤجج عدد من الناس ، لكن لم يقع الاتصال بين احدهم وبينه ليكون الوعاء الكامل ، لما يريده ويدعو اليه السيد جمال الدين إلا محمد عبده . فابراهيم اللقانى ، وابراهيم المويلحى ، ومحمود سامى البارودى تاثروا به جميعا ، ولكن وقفت به طباعهم عن المرتبة الدنيا من العمل السياسى الشامل . لا نستثنى إلا أديب اسحق الكاتب السورى الشاب الذى خطفه الموت فى التاسعة والعشرين من عمره ، وكان جديرا بان يكون خليفته .

ولما عين محمد عبده ، مدرسا فى دار العلوم ، لم يعلم تلاميذه المواد التقليدية ، بل كان يدرس لهم كتبا فى التاريخ ، تمكنه من الحديث عن الثورة والانقلاب والتغيير. فقرأ كتاب «تاريخ المدنية الاوربية» تاليف السياسى الفرنسى الكبير «جيزو» ، كما قرأ لتلاميذه «مقدمة ابن خلدون» طليعة الفكر الاجتماعى الحديث .

كانت نفس محمد عبده تمور بالغضب على كل ما يجرى فى بلاده من بنى قومه من تكاسل وتخاذل ، وبلادة حس ، وسكوت على الاهانة ، وكذب فى الموعد ، وخيانة فى العمل ، اما ما كان من امر السياسة فى مصر ، فكان عنده امر وادهى ، ففى هذه الفترة انشىء صندوق الدين والمراقبة الثنائية ورأى بعينى راسه ، كيف يتوغل الحكم الأجنبى فى بلاده ، مقوضا سلطتها، مبددا هيبتها ، مذلا شعبها ، والناس لاهون لا يحركون ساكنا ، ولا يردون اذى .

ورأى أستاذه جمال الدين الافغانى ، فى هذه الظروف المشينة والمهينة ، الفرصة السانحة ليقذف بحممه ، ويستثير الشعب على العدوان الصارخ عليه ، محرضا تلاميذه وفى مقدمتهم اديب اسحق ، ليكتب بكل ما أوتيه من حرارة قلم . وكتب محمد عبده فى جريدة الأهرام ، وهى بعد فى مطلع حياتها ، بل فى السنة الأولى من عمرها ، ولم يكن قد اتم تعليمه وحصل على اجازة العالمية .

ووصلت الأحداث الى قمتها فنزل الخديوى اسماعيل عن عرشه ، وجاء ابنه توفيق ، ولكن جاء معه رياض باشا رئيس الوزراء الذى كان تواقا الى اجراء اصلاح روحى واجتماعى ، فدعا بطرس البستانى اللبنانى الى مصر ، وشجعه على أن يطبع دائرة معارف عربية ، كما شجع اخوان صروف على اصدار مجلة المقتطف أول مجلة علمية ، كما حضر شبلى شميل الثائر والمبشر بنظرية النشـــوء والارتقاء الداروينية .

وأصبحت الحياة فى مصر تفيض بالحركة ، وتموج بالجديد ، تاليفا وترجمة واقتباسا ، وراحت الندوات تعقد ، وحلقات العلم والأدب والسياسة تتجدد فى المقاهى وفى دور الأغنياء والاعيان فيما يسمى بالمنادر جمع (منظرة) من الانتظار والاجماع .

وتوج هذا السعى الحميد كله ، باصدار (مجلة الوقائع المصرية) وفتحها لقلم الشيخ محمد عبده ولصديقه عبد الكريم سليمان وللشيخ محمد خليل وابراهيم الهلباوى . فقرأ المصريون لأول مرة فى مجلة واحدة لأقلام عديدة ، لا تخطىء فى النحو ، ولا فى الصرف ، ولا تسف فى الراى ولا النقد ، وتحلق فى سماء السياسة الكبرى ، باقوى الأجنحة .

ومكث الشيخ محمد عبده فى جريدة الوقائع المصرية يكتب وينقد ويقترح ويلهم بالأفكار ، ويوحى بالمشروعات ، حتى استطاع ان يجعل من هذه المجلة بداية لديوان المحلسبات يؤاخذ الموظفين ، ويضع يده على الأخطاء الجسيمة ، والهنات البسيطة ، وكبار الموظفين يخافونه ، ويحسبون حساب قلمه ، حتى استطاع ان يصدر قرارا وزاريا من رياض باشا يلزم جميع المصالح ، بان تكتب للجريدة عن الأعمال الهامة التى تنوى عملها ، كما الزم المحاكم ، بأن تنشر فيها جميع احكامها ، واطلق لسانه حتى فى وزارة الداخلية التى تتبعها (الوقائع المصرية) . وكان يصحح الأخطاء النحوية والاملائية فيما ياتى فى قرارات الدواوين ، ومديرى المديريات ، وقد نجحت هذه الحملة فالف مجلس اعلى لوزارة المعارف ، وقد ختير محمد عبده عضوا فى هذا المجلس الهام .

ولكن كان الى جانب المصلح محمد عبده ثوار ، يريدون الاصلاح طفرة ، ولا يقنعون بالتدرج .

فكانت الثورة .

فكيف كان موقف محمد عبده منها . لماذا أيدها ، ولماذا خالفها ، وكيف انتهى هو من الثورة الى الاعتدال ؟

أمور نتحدث فيها إن شاء الله فى العدد القادم .

فتحى رضوان



# فصول أبي البهاء في خدمة الطب

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

قال لي أبو البهاء عندما لقيته منذ أيام :

ـ فى آخر مقال لك وعدت قراءك بان تحدثهم عن فصولي التى دبرتها للآخرين بدافع العشق والغرام . أرجوك الأحاديث فى هذا الموضوع لم تعد تليق بي . فقد تجاوزت السن الذى يحلو فيه الكلام عن الحب وأحواله .

قلت ـ ولكنها مجرد رواية للذكريات القديمة ياأبا البهاء . ثم أن قرائي يطالبونني بمزيد مما أعرفه عن فصولك .

قال : لماذا لا تروي بعض تجاربي فى ميدان الخدمة الطبية ؟ لا تنس اني كنت موظفاً فى مديرية الصحة العامة ، وان كثيراً من معارفي لايزالون ينادونني بلقب دكتور .

قلت : ذكرني ببعض هذه التجارب ، وانا حاضر لروايتها .

قال : على عينى وراسى . هل سمعت بالمراة التى تدعى انها بلعت فى ذات يوم فرخ افعى ، تحول إلى حية تسكن جوفها منذ عشرة أعوام ؟ .

قلت : أذكر انى قرات مؤخراً تحقيقاً عن حكاية هذه المراة فى الصحف .

قال : ساروي لك ما أذكره عن واقعة تماثلها حدثت منذ اكثر من عشرين عاماً . حالة مرضية عجز عن معالجتها أطباء المستشفى الوطني والجراحون الكبار ، واضطروا فى النهاية الى الالتجاء إلي .

قلت مبتسماً فى شك : عجز الأطباء والجراحون ، ونجحت انت ؟!

قال : لا تعجب . عند اخيك أبى البهاء حل لكل عقدة . ساروي لك الواقعة بالتفصيل .

• • •

تلك الواقعة ، على ماروى أبو البهاء ، جرت لرجل من قرية قريبة من المدينة . رجل نحيل الجسم ، عصبي الحركات ، كان قد انفق كثيراً من المال فى التردد على عيادات الأطباء الخاصة وانتهى أخيراً ، لقلة ذات يده إلى مستشفى الحكومة الكبير فى المدينة يطلب عند أطبائه الشفاء من علته المستعصية .

عن علته ، كان الرجل يقول لكل من يلاقيه انها تعود إلى سنوات عديدة . ففى ذات يوم حار ، فى الظهيرة ، كان نائماً القيلولة فى الكرم فاحس ، وهو بين الحلم واليقظة ، بشيء يتسلل إلى بلعومه . انتبه من غفوته لهذا فلمحت عينه طرفاً دقيقاً ، كانه نيل زاحف ، يتلوى بين شفتيه ثم لا يلبث أن يختفى فى فمه . تصور انها حية دقيقة أخرجها حر النهار القائظ من جحرها واندست فى فمه المفتوح ثم دخلت إلى معدته . لقد احس بشيء يتحرك فى معدته حقاً ، فركض نحو القرية يستنجد باهلها ويقول لهم أن افعى دخلت بطنه .

أصيب أهل ذلك الرجل ، ولنسمه نحن موسى ، بالفزع فى أول الأمر . سقوه ماء فاتراً مذاباً فيه ملح ، ودسوا فى حلقه طرف حزام جلدي ، يريدون بذلك أن يجعلوه يتقيا فيخرج ما فى جوفه . ولما أفرغ كل ما حوته معدته لم يجدوا في ما أفرغ حية ، ولا حشرة ، لا صغيرة ، ولا كبيرة . قالوا له انه توهم شيئاً لم يحدث ، لعله راى حلماً واختلط عليه الأمر فظنه حقيقة . اما هو ، موسى ، فكان مصراً على انه ابتلع أفعى ، وعلى أن تلك الأفعى ترتع فى احشائه . صحيح انه فى الأيام التى تعاقبت بعد ذلك كان ياكل ويشرب ويعمل وينام كما يفعل الأصحاء ، ولكنه كان يقول لمن حوله أنه يحس بتلك اللعينة تنتقل فى بطنه من مكان إلى مكان ، مرة فى معدته ومرة فى خاصرته ، تلكزهنا وتدغدغه هناك . لا تؤلمه ولكنها لا تتركه فى راحة . وهذا ما ساقه إلى استشارة الاطباء واحداً بعد واحد ، دون أن يستطيع طبيب منهم انقاذه من بليته .

اولئك الأطباء ! ... كلهم اضجعوه على مناضدهم فجسوا بطنه وقرعوا صدره وظهره . منهم من أحاله إلى مخبر التحاليل أو ارسله إلى زميل له صوره بالأشعة . ومنهم من أدخل انبوباً فى بلعومه أو دس أصبعاً فى شرجه . وكلهم انتهوا إلى ان قالوا له بان جوفه خال من الحية التى يشعر هو بها تتنزه فى أمعائه . بعضهم كان يودعه بابتسامه اشفاق ، وبعضهم بضحكة استهزاء ، ومنهم من انتهره وطرده من عيادته طرداً . ما منهم من ساعده مقدار ذرة فى تخفيف شكواه ، وما منهم مع ذلك من تنازل عن فلس من أجر معاينته . وهذا ما أفرغ جيب موسى من محتواه ، واستنفد تلك القروش القليلة التى جمعها لأيامه السوداء ، وجعله فى النهاية يلجا إلى طلب العناية المجانية من مستشفى الحكومة فى المدينة الكبيرة .

وفى هذا المستشفى لقي موسى أبا البهاء . كان أبو البهاء آنذاك مجرد موظف اداري فى المستشفى ، إلا أن أساليبه الضاحكة فى حل المشاكل الادارية ، وأحيانا في تعقيد تلك المشاكل ، جعلت له شهرة خاصة بين زملائه

الموظفين ، وبين الأطباء ، وبين المرضى كذلك . استدعاه رئيس الأطباء فى المستشفى ذات يوم وقال له : ياأبا البهاء ، لابد أن لديك طريقة تقنع بها هذا الرجل الذى اسمه موسى والذى أزعجنا بتردده علينا وبالتوصيات التى يحملها إلينا من كل جانب تطلبنا بان نخرج الحية التى تعيش فى بطنه منذ عدة سنوات ، تقنعه بانه مريض بالوهم ، لا صورنا الاشعاعية ، ولا التحاليل المخبرية ، ولا تنظير الجهاز الهضمي ، كشفت لنا عن شيء غير عادي فى جوفه . لعلك بذلاقة لسانك تقنعه ان ما يشعر به هو مجرد تشنجات عصبية فى كولونه وقرقعة غازات فى أمعائه الدقيقة والغليظة ...

قال أبو البهاء : كنت أعرف جيداً حكاية موسى هذا وحكاية غلاظاته التى فرغ منها صبر اطباء مستشفانا ، فقلت لرئيس الأطباء حين حادثني بأمره :

– ياسيدي ، لقد رأيت ملازمة هذا الرجل للعيادات وسمعت توسلاته إلى السادة الأطباء ومشاحناته مع المرضى والحجاب . ما اظن ذلاقة اللسان تفيد فى اقناعه . فاذا اذنت لي خلصتك منه بطريقة اخرى .

قال : لك منى ما تريد . كيف تخلصني منه ؟

قلت : الأمر بسيط . افتح لك بطنه .

حسبنى رئيس الأطباء امزح ، فقال وهو يضحك : ليس إلى هذه الدرجة ... لا أريدك أن تخلصني من الرجل بان تقتله .

قلت : معاذ الله ياسيدي . انا تربية يدك . كل ما أريده أن تسمح لى باستعمال غرفة الجراحة عشر دقائق ، ولك منى بعدها أن أرى صاحبنا بعينيه تلك الحية التى لم تكتشفوها انتم وقد خرجت من بطنه ...

وتابع أبو البهاء روايته بقوله :

– كنت أعرف أن أطباء الدنيا كلهم لا يستطيعون اقناع موسى بأن ما من حية فى جوفه مادام يحس بها تتجول فى أمعائه ومادام يسمع ، كما يقول ، احيانا فحيحها باذنيه .

فى صباح اليوم التالي جلست فى غرفة المعاينة وطلبت من الحاجب أن لا يطرد موسى كما اعتاد أن يفعل كل صباح ، بل ليدخله إلي باعتبارى جراحا جديداً فى المستشفى . أنا كما ترى لا أقل في الأناقة وهيبة المظهر عن أنق اطبائنا واكثرهم رزانة . اضجعت موسى امامي بعد أن عريته من ثيابه ، ورحت افحصه بالقرع والجس والاصغاء من رأسه إلى اخمص قدمه . وبينما كنت أجيل يدي على بطنه الهزيل امسكت بعروة من عرى امعائه ، متشنجة تحت الجلد ، وصحت : هذه هي ؟ قال موسى : ما هي هذه ؟ قلت : انها حية ... لابد انك بلعت حية فى ذات يوم يارجل ! فتهلل وجهه فرحاً برغم ألم القرصة التى كنت الوي بها جلد بطنه وصاح : انت والله الطبيب الذى ما فوقه طبيب ... أبوس ايدك ، خلصنى منها ...

قال أبو البهاء : ولم يكن خلاص موسى من حيته أمراً عسيراً علي . أصدرت أوامري بلهجة الجراح الواثق من نفسه الى الممرضين بنقل موسى إلى غرفة العمليات .

التخدير فى تلك الأيام لم يكن يمارسه اختصاصيون بالات معقدة وأدوية متعددة كما فى هذه الأيام . وضعت على وجهه قناع الكلوروفورم فنام سريعا ، ولدقائق قليلة كانت كافية لأشرط بطنه بشق سطحي لايقل طوله عن عشرة سنتيمترات . هل تستكثر هذا على أبى البهاء ؟ لعلك لا تعلم انى ، فى سنوات عديدة ، كنت اساعد الدكتور مفيد فى مستوصفه الجراحي كل ساعات بعد الظهر . ثم إنى خطت ذلك الشق بخيط معقم حقا ، ولكنه كان اغلظ خيط وجدته تحت يدي فى ذلك اليوم . وبدأ موسى يفيق من أثر المخدر حين كنت اعقد الخيط على جرحه ، فكان لابد له أن يصرخ مما يحسه من ألم . غير أن صراخه تحول إلى ابتسامة ثم إلى ضحكة سرور حين اشرت له إلى طاولة كانت بجانب رأسه وإلى وعاء زجاجي مختوم على تلك الطاولة تلتوي فيه على نفسها حية غليظة مرقشة . كنت احضرت تلك الحية من صاحبي عبد الوهاب ، وهو صيدلي كان يحتفظ بها محنطة فى وعائها الزجاجي على أحد رفوف صيدليته منذ افتتاحها . قلت لموسى وانا أشير إلى تلك الحية فى الأناء :

– هذه أفعاك ياموسى . قبل يدك ظهراً وبطناً واشكر الله الذى أعانني فى انقاذك منها ...

• • •

قلت لأبي البهاء وانا معجب بطريقته فى الوصول إلى ما عجز عنه نطس الأطباء :

– وهكذا أعدت موسى إلى قريته معافي ، وارحت الأطباء من رؤيته صباح مساء .

فهز أبو البهاء رأسه ، كان عنده تتمة للحكاية وقال : الصحيح أن موسى شفى من كل أوجاعه منذ ما رأى ندبة الجرح العريض على جلد بطنه وعاين الحية ملتوية على نفسها فى الوعاء الزجاجي . إلا أنه مع ذلك لم يهجر المستشفى ولا ترك ملاحقة الأطباء . كان يقول لهم : كيف أتركهم وفضلكم فى عنقي وشفيتموني من هذه البلية ... أؤمروني ، اخدمكم بعيوني ! اصبحت ملازمته للمستشفى واطبائه وممرضيه بلية جديدة ، وكان علي أن اتدخل مرة أخرى ...

قلت : انت لها يا أبا البهاء ! وماالذى فعلته بموسى هذه المرة ؟

قال : هذه المرة لم أعالج موسى ، وإنما توجهت بمعالجتي إلى رئيس الأطباء نفسه .

وضحكت وقلت : ماذا هل شققت بطن الرئيس أيضاً ؟

فلم يتوقف أبو البهاء عند ضحكتي ، وإنما استمر قائلا : تحدثت إليه ، إلى رئيس الأطباء ، وافهمته بانه ، مادام موسى مواظبا على الحضور إلى المستشفى منذ الصباح حتى انصراف الأطباء إلى بيوتهم ، فمن الخير أن يعين عاملا باليومية . إنه قادر على العمل . وبذلك تصبح مواظبته قانونية ومفيدة فى أن واحد ...

قلت : اقتراح وجيه ، فهل اقتنع رئيس الأطباء بوجاهته ؟

قال : وكيف لا ؟ لقد الف المسكين موسى المدينة بشوارعها النظيفة وظلالها الكثيفة ، فما كانت معقولة عودته إلى ضيعته . أصبح موظفاً . وهكذا تراني حللت مشكلته بما أفاده وأفاد المصلحة العامة .

قلت : مرحى يا أبا البهاء . وماذا كانت مكافاتك على هذا الحل البديع ؟

قال : كانك لا تعرفني ياصاحبي . المكافاة يطلبها غيري ، أما أنا ، فانما نخدمكم لوجه الله لا نريد جزاء ولا شكوراً ...

قال أبو البهاء هذا بلهجته المترفعة اللامبالية التى يختم بها عادة حديثه عن كل فصل من فصوله ، وذلك قبل أن يودعني إلى لقاء قريب ورواية فصل جديد .

د . عبد السلام العجيلي

# وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

## في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

# مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربّا!

● لقد نفذ صبر اللجنة العاجلة ، ولم تعد تقتنع باجراءات انقاذ يهود أوربا من خلال اللجنة الدولية المشتركة ، أو من خلال الجهود المتقطعة التى تبذلها وزارة الخارجية الامريكية . وقد تأكد لها ذلك بعد ان تسربت انباء فشل مؤتمر برمودا لتنظيم جهود اللجنة الدولية المشتركة . ومن ناحية أخرى فان اللجنة العاجلة كانت ترى ان اللجنة الدولية اعجز من ان تحل مشكلة اليهود لأن مهامها كانت تنحصر فى توطين اللاجئين الدوليين بشكل عام وقبل ان يبدأ هتلر هجومه المكثف على يهود المانيا . ومن ثم فقد سعت الى فصل قضية اليهود عن قضية اللاجئين الدوليين . وكانت تخطط لأن تقوم الحكومة الامريكية بانشاء هيئة خاصة لمعالجة المشكلة تخترق الحواجز التى تضعها ادارة التاشيرات بوزارة الخارجية .

وتحقيقاً لذلك دعت اللجنة العاجلة لعقد مؤتمر طارىء بنيويورك فى يولية ١٩٤٣ (١) ، لمناقشة كيفية انقاذ اليهود ، انعقد لمدة ستة أيام . واشترك فى هذا المؤتمر امريكيون من كل الاحزاب والفئات . اذ اشترك فيه خبراء لدراسة المشكلات الفنية المتعلقة بانقاذ اليهود . ومن هؤلاء الخبراء قيادات عليا من الجيش والبحرية الامريكية بينهم الادميرال يارنيل Yarnell ، ومسئولون عن المواصلات ، وخبراء فى التخطيط الاقتصادى . كما اشترك فيه عدد من اعضاء مجلس الشيوخ ، وعدد من القيادات الدينية المسيحية بينهم الاسقف هنرى اسقف سانت جورج توكر Tucker ، ورئيس فيدرالية عمال امريكا ( المستر جرين ) ، ورئيس مجلس المنظمات الصناعية Congress of Industrial Organizations المستر موراى ( Murray ) ، كما كان رئيس شرف المؤتمر المستر سبنجلر Spangler رئيس لجنة الحزب الجمهورى بنيويورك . وحضره ايضا توماس واطسون من شخصيات الحزب الجمهورى المرموقة ، ووندل ويليكى Wendell Willkie المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسة الامريكية قبل رئاسة روزفلت .

وعلى هذا فقد كان الحزب الجمهورى اكثر نشاطاً من الحزب الديموقراطى فى هذه المسالة . وقد يرجع ذلك الى التنافس الحزبى بينهما ، ومحاولة الجمهوريين كسب أصوات اليهود لانتخابات الرئاسة الامريكية لأخذها من الحزب الديموقراطى .

لقد ضم المؤتمر اذن خبراء من كل جانب وانعقد فى شكل ندوات يناقش كل منها فرعاً من الفروع المرتبطة بالعملية ، مثل المواصلات والنقل والعلاقات الدولية . ولقد رأس ندوة العلاقات الدولية هوفر وهيرست ( عن غير اليهود ) ، وايكس Ickes وماكس ليرنر الأستاذ بكلية وليامز ( عن اليهود ) . وشارك فيها اناس يعرفون أوربا معرفة جيدة ، اذ كان بينهم الكونت سفورزا الذى كان لاجئاً فى الولايات المتحدة ، وأيضاً رئيس وزراء رومانيا السابق . ولقد عرضت فى هذه الندوة عدة اقتراحات لعلاج المشكلة أهمها ان تقوم السلطة التنفيذية المختصة فى الحكومة الامريكية بتعيين جهاز بشكل أو بآخر يكون مختصاً فقط بعلاج هذه المشكلة .

وقد انتهى المؤتمر الى امكانية التغلب على اية مشكلة تواجه عمليات الانقاذ ، وذلك بانشاء ملاجىء مؤقتة فى أراضى دول الحلفاء تقبل ايواء أى يهودى ينجح فى الهرب من أوربا ، واعتبار ذلك لجوءاً سياسياً لا يجب انكاره على الذين يواجهون خطراً ما حقاً .

وعلى هذا فقد قدمت اللجنة العاجلة بعد انتهاء المؤتمر اقتراحاً محدداً بشان تشكيل وكالة agency حكومية لانقاذ يهود أوربا باسم Government Agency to Save the Jews of Europe وقام المشتركون فى المؤتمر من أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ بصياغة مشروع قرار من واقع ذلك الاقتراح لتقديمه لكل من المجلسين . اما الذين اشتركوا فى هذه الصياغة فكانوا السيناتور جيليت

## بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

في العدد السابق تناولت هذه الدراسة مقدمات الاقتراب الامريكي من المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية ، وكيف ان هذا الاقتراب يعود الى عام ١٩٤٢ حينما أعلن هتلر عن سياسة « الحل النهائي » التي تتمثل في القضاء على اليهود . وإزاء هذا لم يجد يهود المانيا مفراً من الهروب خارج أوربا . غير أن « المكان » الذي يلجأ اليه هؤلاء الهاربون كان يمثل مشكلة كبرى لم تكن في الحسبان .. كانت فلسطين هدفهم .. لكن الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٩ ادى الى تضييق فرص هجرة اليهود الى فلسطين . وفي نفس الوقت ظهرت بالولايات المتحدة موجة معادية لهجرة الأجانب اليها منذ الأزمة العالمية ( ٢٩ / ١٩٣٠ ) وفي أعقابها .

وأمام هذا المأزق الذي وقع فيه يهود أوربا بدأت عناصر نشطة من يهود فلسطين التي دخلت الولايات المتحدة منذ ١٩٤٠ بهدف تحريك الرأى العام الامريكي نحو تفهم قضية يهود أوربا ومساعدتهم . وقد أسست هذه العناصر عدداً من المنظمات الصهيونية لهذا الغرض كان أهمها قاطبة « اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا » .

ثم اتجه نشاط المنظمات الصهيونية في امريكا الى اختراق السلطة التشريعية المتمثلة في الكونجرس وصولا الى تشريع رسمي بانقاذ يهود أوربا . وقد لعبت اللجنة العاجلة الدور الأكبر في هذه الخطوة ، وهذا هو موضوع الجزء الثاني من الدراسة بعنوان « الكونجرس ومشروع انقاذ يهود أوربا » .

Gillette ( عن ولاية ايوا Iowa ) ، والسيناتور تافت Taft ، وعضوا الكونجرس جوزيف كلارك بولدوين ( جمهوري ونائب نيويورك ) ، وويل روجرز ( ديموقراطي ونائب كاليفورنيا ) ، بل ان جيليت وتافت كان لهما الفضل الأكبر في الصياغة .

وطبقا لأسلوب العمل البرلماني بالولايات المتحدة لم يكن من الممكن تقديم مشروع واحد بتوقيع الأربعة الى كل من مجلس الشيوخ والكونجرس ، بل ان اسلوب العمل بمجلس الشيوخ لم يكن يسمح الا بوضع اسم واحد فقط على المشروع . ومن هنا تقدم السيناتور جيليت بالمشروع الى مجلس الشيوخ في نوفمبر ١٩٤٣ ، كما تقدم به للكونجرس كل من روجرزوبولدوين في نفس التاريخ ( ٩ نوفمبر برقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ لسنة ١٩٤٣ ) ومن هنا كان المشروع يعتبر مشروعا امريكيا قوميا اذ اشتركت فيه العناصر الديموقراطية والجمهورية والهيئات والمنظمات المختلفة .

غير ان المشروع المقدم للكونجرس اختلف عن المشروع المقترح من اللجنة العاجلة في مصطلح هام وجوهري . فالمشروع المقترح من قبل اللجنة كان ينص كما سبقت الاشارة على تشكيل وكالة agency . اما المشروع المقدم للكونجرس فقد استبدل الوكالة بكلمة هيئة commission لانقاذ يهود أوربا باسم Commission to effectuate the rescue of the Jewish people of Europe

ولم يكن هذا التغيير مجرد تغيير في الالفاظ ، ولعله يعكس محاولة امريكية لعدم الزام امريكا بالتورط في حل قضية اليهود بما يؤدي الى تعارض مع الوجود البريطاني في فلسطين ، خاصة ، وان الامريكيين كانوا يعلمون آنذاك نية الحركة الصهيونية في ضرورة فتح ابواب فلسطين وهو ما سوف نلمسه بالتفصيل فيما بعد .

وعندما اشار برجسون في شهادته امام لجنة الاستماع (٢) الى هذا التغيير الجوهري ، سئل عن الفرق بين الكلمتين ( وكالة وهيئة ) فقال ان « وكالة » تعني القيام بخطوات عملية تنفيذية وهو المطلوب ، اما « هيئة » فتعني القيام بمزيد من الدراسة حول الشيء . كما قال انه عمل على ان توضع كلمة لجنة Committee بدلا من هيئة ، لكنه اخفق في مسعاه .

اما مشروع القرار المقدم للكونجرس ولمجلس الشيوخ بتأسيس هيئة لانقاذ يهود أوربا باسم Commission to effectuate the rescue of the Jewish people of Europe فينص على ما يلي (٣) :

« لما كان الكونجرس الامريكي ومجلس الشيوخ قد عبرا عن ادانتهما في ١٥ مارس ١٩٤٣ لما قامت به المانيا النازية من مذابح جماعية لليهود رجالا ونساء واطفالا ، واعتبار ما حدث جريمة كبرى ادت الى التخلص من نحو مليونين من البشر يمثلون حوالي ٣٠٪ من اجمالي يهود أوربا وهي عملية تزداد وطأة وتركيزاً كلما شعرت المانيا بقرب هزيمتها ..

ولما كانت تقاليد العدالة والانسانية الامريكية تملي استخدام كل الوسائل الممكنة لانقاذ يهود أوربا الاحياء من هذا المصير ، وهم حوالي أربعة ملايين حرمها النازيون من المأوى ..

لهذا فان الكونجرس يطالب بتكوين هيئة يدعو الى انشائها رئيس الجمهورية تضم خبراء في الشئون الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية لوضع خطة عاجلة لانقاذ يهود أوربا الأحياء من الابادة على يد المانيا النازية » .

وغني عن البيان القول بان مشروع قرار الكونجرس هذا كان يهدف الى اجبار حكومة روزفلت على تجاهل الاجراءات القائمة بشأن اللاجئين الدوليين بشكل عام وانشاء هيئة ادارية جديدة تستطيع تحقيق اجراءات عاجلة لانقاذ اليهود الذين نجحوا في الهروب من البلاد الأوربية التي خضعت للقوات النازية .

# مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربا!

ولما كان المشروع يهدف بشكل محدد الى ايواء اليهود وليس اللاجئين بشكل عام ، فان اوضاع فلسطين قد فرضت نفسها على جلسات الاستماع ـ كما سنرى ـ من حيث القيود التى فرضتها بريطانيا على الهجرة الى فلسطين . غير ان رئيس هـذه الجلسات ( صول بلوم ) أعلن أكثر من مرة انه ليس من اختصاص هذه الجلسات مناقشة مثل تلك الموضوعات ، كما اعلن ان الكونجرس لا يفكر فى ممارسة ضغوط على بريطانيا فى هذا الخصوص اكتفاء بتنسيق التعاون مع انجلترا فى مواجهة الخطر الالمانى .

وقبل ان ننتقل الى ما دار فى جلسات الاستماع وما انتهت اليه ، تجب الاشارة الى انه لم يتم التصديق على مشروع القرار ابدا رغم حرص رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس ( صول بلوم ) على ان تقوم لجنته بعمل شىء ايجابى لاراحة اليهود من « آلامهم » ، وخوفاً من انتقاد العالم الخارجى فى الاذاعة والصحافة لهذه اللجنة اذا ما فشلت فى القيام بشىء .

●●●

وبينما لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس تعقد جلساتها لمناقشة مشروع القرار المقدم بشان العمل على انقاذ يهود أوربا ، وقع أمران دفعا برئيس اللجنة الى عقد جلسات استماع hearings للتعرف على مختلف الجوانب والاستماع الى مختلف الاراء ووجهات النظر من كل الاطراف المعنية دفاعاً عن « نزاهة » الكونجرس . وكان الأمر الأول يتلخص فى البرقية المطولة التى ارسلتها اللجنة العاجلة بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ لمختلف الشخصيات الامريكية والتى اشير فيها الى مشروع القرار المقدم للكونجرس بشأن تشكيل هيئة الانقاذ ، وكيف ان المطلوب هو « تحريك الرأى العام فى الولايات المتحدة لتمرير مشروع القرار بالقوة ومساعدة مكاتب اللجنة العاجلة فى واشنطون ولندن وفلسطين وتركيا لمواصلة العمل على نطاق واسع » .. كما اشارت البرقية إلى ان اللجنة العاجلة تترقب الاسهامات المالية ممن تصله البرقية (٤) .

على ان الذى اثار رئيس لجنة الشئون الخارجية حقيقة ما ورد فى البرقية بشان استخدام الأموال لتمرير مشروع القرار بالقوة بالضغط على الكونجرس للتصرف . وزاد من حساسية الموقف ان رئيس اللجنة صول بلوم يهودى العقيدة وان كان قد اعلن اكثر من مرة انه مواطن امريكى فى المحل الأول ، وانه لا يسمح باستخدام العقيدة سلاحاً للتشهير بنزاهته فى مثل تلك الأمور .

اما الأمر الثانى الذى جعل جلسات الاستماع امراً أكثر الحاحاً ، ما ورد فى البرنامج الاذاعى Confidentially Yours بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٤٣ ، حيث اشار مقدم البرنامج آرثر هيل A. Hale الى الخلاف بين المنظمات والمجموعات اليهودية حول ما يجب عمله لانقاذ يهود أوربا ، وان جلسات الاستماع المقرر عقدها يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، تعقد فى وقت غير مناسب قبل اعداد الشهود اللازمين ، وفى غيبة ويل روجرز فى كاليفورنيا وهو أحد مقدمى المشروع للكونجرس الذى عليه كما قال مقدم البرنامج الاذاعى ان يسرع فى العودة الى واشنطون لقيادة المناقشات حول المشروع . كما اشار البرنامج ـ وهذا ما اثار صول بلوم ـ الى ان عدداً كبيراً من المجموعات اليهودية تشارك صول بلوم الرأى فى معارضة اى اجراء تتخذه الحكومة الامريكية للمساعدة على انقاذ اليهود (٥) .

والحق ان صول بلوم كان قد دعا بالفعل لجلسات الاستماع فى اليوم التالى لتقديم مشروع القرار للكونجرس ( ١٠ نوفمبر ) . غير ان ويل روجرز أحد مقدمى المشروع طلب ارجاء الجلسات مؤقتا . فلما وضح أمر البرقية ، اتصل صول بلوم بروجرز ( الثلاثاء ١٦ نوفمبر ) واخبره بانه سوف يعقد جلسات الاستماع يوم الخميس ( ١٨ نوفمبر ) ، ثم تاجل الانعقاد الى يوم الجمعة ( ١٩ نوفمبر ) بسبب تواجد وزير الخارجية الامريكى كورديل هال فى جلسة دعا اليها الكونجرس يوم الخميس .

●●●

على كل حال .. ففى ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ ( يوم الجمعة ) بدأت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى عقد جلسات الاستماع . وكانت اللجنة برئاسة صول بلوم من الحزب الديموقراطي ( نائب نيويورك ) ، وتضم بالاضافة اليه أربعة عشر عضواً من الحزب الديموقراطي ، واحد عشر عضواً من الحزب الجمهورى (٦) .

اما الجلسات التى عقدتها فقد بلغت خمس جلسات خلال المدة من ١٩ نوفمبر الى ٢ ديسمبر ١٩٤٣ استمعت خلالها الى شهادات وبيانات أربعة عشر شخصاً يمثلون مصالح مختلفة على النحو التالى :

ـ جلسة الجمعة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ حيث استمعت فيها الى كل من : دين الفانج أحد رؤساء اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا ، وويليام زيف W. Ziff ويعمل ناشراً وكاتباً ويقيم فى بورت توباكو بولاية مريلاند بواشنطون ، وبيتر برجسون احد رؤساء اللجنة العاجلة ، وجوزيف كلارك بولدوين نائب الكونجرس عن نيويورك واحد مقدمى مشروع القرار ، وهربرت مور احد نواب رؤساء اللجنة العاجلة .

ـ جلسة الثلاثاء ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ وقد خصصت للاستماع الى بيتر برجسون فقط للمرة الثانية .

ـ جلسة الأربعاء ٢٤ نوفمبر حيث استمعت إلى كل من : السيدة فرانسيز جونثر زوجة المعلق الصحفى جون جونثر وامينة صندوق اللجنة العاجلة ، وفيوريللو لاجوارديا Fiorello La Guardia عمدة نيويورك .

ـ جلسة الجمعة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ وقد خصصت للاستماع الى بريكنريدج لونج مساعد وزير الخارجية الامريكى .

ـ جلسة الخميس ٢ ديسمبر ١٩٤٣ حيث استمعت الى كل من : ويل روجرز نائب كاليفورنيا واحد مقدمى مشروع القرار وآرثر هيل الاذاعى فى Mutual Broadcasting System, WOR Artists Bureau ومقدم برنامج Confidentially Yours الذى سبقت الاشارة اليه ، ولويز هاينز عن فيدرالية عمال امريكا ، والحاخام ستيفن وايز رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى American Jewish Conference ، وادوين جونسون عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كولورادو ، وكيرمت ابى Ebby عن مجلس المنظمات الصناعية ، وبيتر برجسون للمرة الثالثة .

• • •

كان دين الفانج أول المتحدثين امام لجنة الاستماع حيث القى بيانا مطولا (٧) وقد قال فى بيانه ان تاسيس «هيئة الانقاذ» بمعرفة الحكومة الامريكية جاء متاخراً جداً وبعد ان نجح هتلر فى ابادة ما يقرب من مليون يهودى .. وان اخفاق امريكا فى معالجة هذه الأزمة يعد تخليا عن سياستها الانسانية التى اتسمت بها منذ زمن طويل . ثم أخذ يقارن بين خسائر اليهود وخسائر سائر الشعوب الأوربية التى اضيرت من الحرب ووصل الى نتيجة تقول ان خسائر بريطانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا اقل من ــ من خسائر اليهود الذين فقدوا ما يقرب من ٣٠٪ من اجمالى عددهم فى اوربا او ما يساوى ١٥ مليون من البريطانيين ، و ٦٠ مليوناً من الروس ، و ٤٠ مليوناً من الامريكيين .

ثم اشار الفانج الى ان البيانات التى صدرت عن الحلفاء سواء فى موسكو أو فى اوتاوا أو فى اى مكان اخر ،تجاهلت ذكر اليهود بالاسم وما يعانونه من اضطهاد ، وان اشارت اجمالا الى ضحايا هتلر من الاوربيين بشكل عام ، فى الوقت الذى لم ينس فيه هتلر ابداً ان يهاجم اليهود فى اى خطبة أو بيان له .

ثم اشار الى الجهود التى تبذلها اللجنة العاجلة التى يمثلها ، والى انها وضعت خطة محددة لانقاذ البقية الباقية من اليهود وعددهم أربعة ملايين . وبعد ان اشار الى مشروع القرار ( رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ ) المقدم للكونجرس ، وان الخطوة الأولى التى يجب ان تتخذها الولايات المتحدة فى سبيل انقاذ اليهود هى التصديق على مشروع القرار واعطاؤه الصفة القانونية اللازمة ، قال ان الخطوات التى يمكن ان تتخذها اى وكالة أو هيئة حكومية فى هذا الخصوص تتكون من شقين اساسيين :

الشق الأول ويتلخص فى اجبار المانيا النازية على ايقاف القتل الجماعى الذى تمارسه .

والشق الثانى يتلخص فى نقل اليهود من البلاد الخاضعة للنازية الى اقاليم خارج نطاق سيطرتهم .

وفيما يتعلق بالشق الأول قال الفانج انه يجب على دول الحلفاء اصدار بيان محدد يتعلق بالتعذيب الوحشى الذى اقترف ضد اليهود ، وتحذير كل من رومانيا وبلغاريا والمجر وحكومة فيشى الفرنسية من تعريض انفسهم للعقاب اذا ما ارغموا مواطنيهم اليهود على الخروج ليقعوا فى قبضة النازى .

واما بخصوص الشق الثانى فقد قال الفانج ان على كل البلاد الأوربية والاراضى التى تتبع دول الحلفاء ايواء أى يهودى يتمكن من الهروب من « مصيدة موت النازية » ، وان على الدول المحايدة ان تفتح ابوابها امام اليهود ، وان تقيم فيها معسكرات خاصة لاقامة كل اليهود الذين يهربون من المانيا . وهذه الدول كما حددها الفانج هى : تركيا والسويد وسويسرا والبرتغال واسبانيا ومراكش والجزائر وليبيا . وعندما يتم هذا تصبح مشكلة هؤلاء اليهود جزءاً من مشكلة اللاجئين الدوليين التى تدخل فى اختصاص اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . ومن هذه المعسكرات الخاصة وبمساعدة اللجنة الدولية يمكن نقل اليهود الى مختلف الأراضى المحايدة واراضى الحلفاء ليعيشوا فيها وبصفة خاصة فلسطين التى يمكن ان تستوعب ستمائة ألف يهودى .

على ان الفانج ينبه سامعيه بأن هناك فرقاً جوهرياً بين مشكلة اليهود ومشكلة اللاجئين الدوليين ، لأن اللاجئين يتم انقاذهم ــ كما يقول ــ بتوفير الطعام والدواء لهم ، اما اليهود فانقاذهم لا يتم الا بنقلهم الى معسكرات إيواء خاصة . وهو يذكر فى ثنايا كلامه انه ليس مهما الآن ما إذا كان البعض يعتبر اليهود أمة nation أو جنساً race أو أصحاب عقيدة دينية معينة . فمثل هذه التوصيفات لا تتصل بموضوع انقاذهم خاصة وان هتلر ــ فى رأيه ــ يبيد اليهود لأنهم مجرد يهود .

وبعد ان انتهى دين الفانج من القاء بيانه بدأت المناقشة معه بسؤال من تشارلز ايتون ( جمهورى ) مركزاً على كيفية تخليص يهود أوربا من قبضة الالمان واخراجهم عبر الحدود الى المناطق التى قد تقترح ويتفق عليها ، وما هى الاطراف الدولية الأخرى التى يمكن ان تشارك فى هذا المشروع . فاشار الفانج الى المبادرة التى قامت بها السويد عندما اعلنت استضافتها لليهود المضطهدين ، وما نتج عن ذلك من دخول ستة الاف يهودى اليها من الدنمرك عبر الممرات المائية . ثم اشار الى امكانية استخدام تركيا كمعبر برى ليهود بلغاريا ورومانيا ثم نقلهم على سفن تركية الى الملجأ الذى ينتظرهم وهو فلسطين ، لأن فلسطين هى « الوطن الطبيعى » لليهود homeland ففيها ستمائة ألف يهودى ويمكن ان تستوعب ستمائة ألف أخرى (٨) ، وان الكونجرس الامريكى اذا وافق على مثل هذا الاجراء سوف يضغط الرأى العام على انجلترا ويرغمها على تعديل سياستها بالنسبة لهجرة اليهود الى فلسطين .

ولما سأله ايتون عما اذا كان اقتراح فلسطين كملجأ لليهود يثير عصبية العرب الدينية وحميتهم السياسية ، قال الفانج انه لا يعنيه ذلك ، وان مسألة اليهود لها اسبقية على موضوع السياسة . فما كان من ايتون الا ان قال له ان الوضع السياسى فى فلسطين متفجر وكأنه حربة مشهرة ، وعلينا مواجهة حقائق الموقف .

ويبدو ان ايتون قد اثارته حماسة الفانج وتعاطفه المتشدد مع اليهود فسأله عما اذا كان منتميا للعقيدة اليهودية ، فقال الفانج انه ارثوذكسى يتبع الكنيسة اليونانية . وهنا طلب منه ايتون ان يقول رأيه فيما اذا كان اليهود يمثلون أمة أم عقيدة دينية أم جنساً . وحاول الفانج ان يتهرب من الاجابة على اساس ان السؤال خارج عن موضوع الحوار ، الا انه صرح أخيراً بأن اليهود تاريخيا يعتبرون أمة لعبت دوراً فى صياغة تفكير وثقافة نصف العالم خلال فترة معينة من الزمان ، وليس هناك من مبرر لأن لا نعتبرهم أمة الآن اذا ما اعترفنا بأن فلسطين هى وطنهم الطبيعى .

ثم انتقلت المناقشة الى كيفية القيام بانقاذ اليهود ، والى الأهمية التى يعلقها الفانج على اعتماد الحكومة الامريكية لمشروع القرار المقدم للكونجرس بتأسيس هيئة الانقاذ ، فقال الفانج ان تبنى مشروع القرار فى حد ذاته والاعلان عن ذلك للعالم سيكون له قيمة سيكولوجية هائلة تجعل هتلر واعوانه يدركون اعتناء الولايات المتحدة بمصير هؤلاء الناس .

وهنا تدخل لوثر جونسون (ديموقراطى) مشيراً الى أن البيانات المتشددة والخطب الحماسية لا تؤدى الى أى أثر سيكولوجى كما يتصور الفانج ، بل على العكس قد تزيد من التمادى . واعطى مثالا لذلك بالبيان الذى صدر عن مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو ( نوفمبر ١٩٤٣ ) بادانة الجرائم النازية دون جدوى (٩) ، وقرار مجلس الشيوخ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٣ بهذا الخصوص ايضاً (١٠) .

## مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربا !

وازاء هذه الحجج والبراهين اضطر الفانج الى التراجع قائلا ان ما يقصده بكلامه يتلخص فى عدم اتخاذ اية خطوة عملية لتطبيق النوايا الطيبة ، فقد « عبرنا عن تعاطفنا وعن اسفنا بشكل دقيق جداً ، ولكننا لم نقدم على شيء لترجمة شعورنا الى واقع عملى » . وان ما يعنيه بترجمة الشعور الى الواقع العملى هو التصديق على مشروع القرار الخاص بتاسيس هيئة الانقاذ . وهنا ابتدره ايتون متسائلا عن « الخطوة الأولى العملية التى يجب القيام بها فى حالة تشكيل هذه الهيئة وبصفة خاصة مصادر تمويلها والواجبات التى سوف تناط بها » .

وهنا تدخل رئيس الجلسة ( صول بلوم ديموقراطى ) قائلا ان الكونجرس قد خصص لمشكلة اللاجئين ٨٥ مليون دولار ، انفق منها حتى الآن ٦٠ مليونا ، وما يزال الباقى ( ٢٥ مليونا ) مودعاً فى خزانة الدولة لاستخدامه فى هذا الغرض أو أى غرض اخر اذا ما رأى رئيس الجمهورية ، أو أية ادارة حكومية أخرى ضرورة لذلك (١١) .

غير ان هيرمان ايبرهرتر (ديموقراطى) هب قائلا ان هذا المبلغ مخصص ـ طبقاً لشروط انفاقه ـ لمساعدة رئيس الجمهورية لشراء المواد التموينية والطبية للولايات المتحدة فقط . وهنا أوضح رئيس الجلسة المسالة بقوله ان هذا يتعلق بشراء تلك الحاجيات من داخل البلاد ، اما توزيعها فيمكن ان يتم فى الخارج . واعلن على مسئوليته انه « يمكن استخدام اى مبلغ من هذه المخصصات لأى غرض يتعلق باعانة هؤلاء اليهود لاخراجهم من بلادهم والانفاق على حمايتهم » فى البلاد التى قد ينقلون اليها من حيث توفير الطعام والدواء وذلك بمعرفة اية ادارة رسمية . ثم اضاف محدداً ان هذا « قد يعنى عدم تحمل نفقات اية وكالات أو منظمات أو لجان أخرى كتلك التى يمثلها الفانج مثلا » .

والتقط الفانج الفرصة ليقول ان الحكومة الامريكية يمكنها « اعارة » هيئة الانقاذ المعنية الأموال اللازمة ثم تقوم الحكومة باستردادها من الالمان الذين « سرقوا من اليهود ثلاثة بلايين دولار » ، وهذا يعنى فى النهاية ان اليهود هم الذين سوف يتحملون النفقات فى نهاية الأمر .

ولم يعلق أحد على ما قاله الفانج فى موضوع التمويل هذا حيث عاد ايتون بالمناقشة الى كيفية اخراج اى مشروع لحيز التنفيذ بصرف النظر عن موضوع التمويل وضرورة اقتناع الكونجرس والشعب الامريكى بقابليته للتنفيذ . واشترك معه فى نفس الملاحظة جيمس ريتشاردز ( ديموقراطى ) ، واديث نورز روجرز ( جمهورية ) التى سبق أن قدمت مع روبرت واجنر مشروع قانون الطفل اللاجيء ١٩٣٩ كما سبقت الاشارة . فكرر الفانج ما سبق ان ذكره فى بيانه من ضرورة اقامة معسكرات ايواء خاصة فى البرتغال واسبانيا وشمال افريقية لاستقبال اليهود حيث تقوم اللجنة الدولية المشتركة بترحيلهم الى البلاد المختلفة .

**وعند هذه النقطة تدخل رئيس الجلسة ليوضح دور اللجنة الدولية المشتركة وكيف انها كانت متوقفة منذ عام ١٩٣٨ الى سبتمبر ١٩٤٢ بعد انعقاد مؤتمر برمودا حين اشتركت الارجنتين وفرنسا فى مجلسها التنفيذي « لأسباب معينة » .. وقال إن المشكلة التى تواجه هذه اللجنة هي كيفية تدبير الفي دولار قيمة تكاليف استقدام اي مهاجر الى اي دولة اخرى تشمل اطعامه وإيوائه والايفاء بكل ضرورياته ثم اعادته لبلده الأصلي فيما بعد . وهذا يعني الحاجة الى مائتي مليون دولار لاستقدام مائة الف مهاجر .**

**ومن خلال المناقشة نعرف ان اللجنة الدولية المشتركة تقوم بعملها فى سرية تامة بواسطة مندوبيها فى مختلف البلاد حتى لا يعرف النازيون بخططها فيفسدون عملها مثلما حدث فى رومانيا حيث اعتقل مندوب اللجنة هناك وأودع السجن بعدما أتم الاتفاق على تاجير سفن تاخذ خمسة آلاف طفل يهودي من رومانيا وبلغاريا يصحبهم خمسمائة شخص بالغ الى معسكرات التجميع فى شمال أفريقيا وراء خطوط العمليات الحربية .**

**ورغم أن الفانج ابدى اعجابه بما تقوم به هذه اللجنة من أعمال إلا انه كان حريصاً فى كل مرة يتكلم فيها على ضرورة التمييز بين مشكلة اللاجئين الدوليين بشكل عام ومشكلة اليهود المضطهدين بشكل خاص . كما انه رفض بيانات المسئولين الأمريكيين التى تدور حول أن الطريقة الوحيدة لانقاذ اليهود تتمثل فى القضاء على هتلر واقتلاع جذور النازية من أوربا ، وما يقال من ان اشتراك القوات الأمريكية فى الحرب العالمية الدائرة هي الطريق الحقيقي لانقاذ يهود اوربا . وعاد ليذكر المجتمعين بان مشروع القرار المعروض للمناقشة والخاص بتاسيس هيئة الانقاذ هو الحل الحاضر للمشكلة .**

د. عاصم الدسوقي

الجزء الثالث في العدد القادم

الهوامش :

(١) جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ من شهادة برجسون

(٢) جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ .

(٣) سوف نشير الى هذه الهيئة فيما بعد باسم « هيئة الانقاذ » على سبيل الاختصار .

(٤) نص البرقية كما اثبت فى جلسة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ :

« ان حملة انقاذ الشعب اليهودى فى اوربا من التشريد التام فى سباق مع الزمن ، اذ ابرق الينا مندوبونا فى انجلترا وفى فلسطين وفى تركيا بالاحتمالات الممكنة لعملية الانقاذ .. وانهم يحتاجون الأموال اللازمة لعملهم فى تلك البلاد ، وان مجهوداتنا ونشاطاتنا المبهرة فى الولايات المتحدة تستنفد الأموال المتاحة . وكانت جهود الاسابيع القليلة الماضية متعلقة بحركة الالتماسات العامة للوجهة الى السويد والدنمرك . وفى خلال الأسبوع الأخير اعربت ستة الاف كنيسة مسيحية عن تعاطفها مع المشكلة ، وحدثت احتجاجات ضد تجاهل بيان موسكو للكارثة اليهودية ، وهو البيان الصادر بشأن العمليات الوحشية . وقد تكللت هذه المواقف

لمس بتقديم مشروع قرار فى الجلسة المشتركة بين السناتو والكونجرس لتكوين هيئة حكومية فوراً بشأن مشكلة انقاذ يهود أوربا . والمطلوب تحريك الرأى العام فى الولايات المتحدة لتمرير مشروع القرار بالقوة ومساعدة مكاتبنا فى واشنطون ولندن وفلسطين وتركيا لمواصلة العمل على نطاق واسع . ويجب الاسراع فى جهودنا . ونحن نلتمس منكم تحديد العون والتأييد ، فكل يوم يمر يزيد فى موت الآلاف . ونحن نعتمد على كريم اسهامكم . نرجو ارسال الشيكات باسم : مسز جون جونثر امينة الصندوق ، ودين الفانج ، ومدموازيل سيجريد اوندست من الرؤساء على عنوان اللجنة العاجلة : ١ شرق شارع ٤٤ ، نيويورك » .

وفى أولى جلسات الاستماع ( ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ ) واجه صول بلوم رئيس الجلسة دين الفانج ( احد رؤساء اللجنة العاجلة ) بأمر البرقية ومجافاتها للواقع ، وبأنها تظهر لجنة الشئون الخارجيـة بالكونجرس بأنها تتقاضى اموالا لتمرير مشروع القرار مما يسيء الى سمعة ونزهة الكونجرس . وقد اعتذر الفانج مسرعا ومعترفا بأن صياغة البرقية غير مناسب ، وان كان قد تعلل بأنها امليت عليه بالتليفون وكان منشغلا بالحديث مع البعض فلم يستطع تمييز العبارات المملاة بدقة ووافق على ابراقها . واضاف قائلا انه لو ادرك حقيقة تلك العبارة ما كان قد وافق على ابراقها . هذا الى ان برجسون قال فى شهادته امام اللجنة (٢٣/١١/١٩٤٣) ان هذه البرقية قد ارسلت قبل ان تظهر فى الافق فكرة عقد جلسات الاستماع . كما قال ايضا ان هذا المشروع ليس بحاجة الى مثل هذه الجلسات ، والمطلوب ان يعرض على التصويت بنعم او بلا دون مناقشة لوضوحه .

(٥) نص البرنامج الاذاعى كما اثبت فى جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ والذى بثته اذاعة :
Transradio News Features, Inc.,

« ان الاختلاف بين المنظمات والمجموعات اليهودية حول ما يجب عمله لانقاذ اليهود الذين ما يزالون على قيد الحياة فى أوربا قد وصل الى مرحلة الانشقاق العلنى . ويتضح ذلك من المناورة الفاجئة التى قام بها صول بلوم رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس حين دعا اللجنة لعقد جلسات استماع عامة تبدأ يوم الجمعة فيما يتعلق بمشروع القرار الذى قدم مؤخراً الى الكونجرس والسناتو ، والذى يهدف الى مطالبة الرئيس روزفلت بانشاء هيئة مشتركة لبحث مشكلة يهود أوربا اللاجئين . ولقد قدم مشروع القرار هذا الى الكونجرس بواسطة ويل روجرز نائب كاليفورنيا وجوزيف كلارك بولدوين نائب نيويورك . وفى مجلس الشيوخ تقدم به السيناتور جيليت نائب ولاية ايوا . وكان فى حسبان مقدما المشروع اعطاء فرصة من الوقت لاعداد الشهود والخبراء الذين سوف يستقدمونهم للادلاء بشهاداتهم حول مشروع القـرار عندما تعقـد الجلسات . غير ان صول بلوم فرض حلا معينا بتحديد يوم الجمعة لبداية جلسات الاستماع بينما ويل روجرز مايزال مرتبطا ببعض الامـور الهامة فى كاليفورنيـا . وهذا يعنى ان عليه ان يترك جانبا هذه الأمور ليلحق بأول طائرة الى واشنطن ليصل فى وقت مناسب ليقود المناقشات التى تدور وصولا الى اجراء فورى وفى صالح انقاذ اليهود الباقين فى أوربا والمقرر ذبحهم قبل ان يفوت الأوان . ويقال ان عدداً كبيراً من المجموعات اليهودية تشارك صول بلوم الرأى فى معارضة اى اجراء تتخذه الحكومة الامريكية للمساعدة فى انقاذ مواطنيهم . ومع ذلك فلم يجرؤ اى متحدث باسم هذه المجموعات ان يعلن على الملأ اسباب معارضة سياسة الانقاذ . ومن المحتمل ان تكشف جلسات الاستماع التى ينظمها الكونجرس الآن ( لجنة الشئون الخارجية ) عن السبب الحقيقى لهذه المعارضة » .

وعند المناقشة مع آرثر هيل فى جلسة ٢/١٢/١٩٤٣ حاول المناقشون عبثا معرفة الشخص المسئول عن مادة هذا البرنامج .. وكل الذى قيل ان عدداً من الخبراء الذين يشتغلون فى المحطة الاذاعية قاموا بذلك . ولكن من خلال المواجهة ثبت ان كثيراً من الحقائق التى وردت فى هذا البرنامج كانت مغلوطة حيث اتضح ان روجرز لم يكن فى كاليفورنيا ، وانه لم يكن مرتبطا باعمال هامة غير اعماله الخاصة ، وانه لم يكن مرغما على ركوب أول طائرة للعودة الى واشنطون فى الوقت المناسب ، وانه كان على علم بكل الخطوات التى اتخذت بشأن عقد جلسات الاستماع يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، وانه كان على صلة بذلك الترتيب طوال الوقت . ولعل هذا يوضح ان يداً خفية صهيونية كانت تمسك بخيوط الاحداث وصولا لدفع الكونجرس الى الموافقة على المشروع .

(٦) اعضاء لجنة الشئون الخارجية لدور الانعقاد رقم ٧٨ لعام ١٩٤٣/١٩٤٤ كما يلى :

الديمقراطيون : صول بلوم ( نيويورك ) رئيسا ، ولوثر جونسون ( تكساس ) ، وجون كى ( فرجينيا الغربية ) ، وجيمس ريتشاردز ( كارولينا الجنوبية ) وجوزيف بفيفر Pfeifer ( نيويورك ) ، بيت جارمان Jarman ( الاباما ) ، وبـورجين ( كارولينا الشمالية ) ، وبرت كورتنى ( تينيسى ) ، وهرمان ايبرهيرتر ( بنسلفانيا ) ، وتوماس جوردون ( الينوى ) ، وهوارد مكموراى ( ويسكونسن ) ، وويل روجرز ( كاليفورنيا ) ، ووليـام فولبرايت ( اركانساس ) ، وما يك ما نسفيلد ( مونتانا ) ، وجيمس رايت ( بنسلفانيا ) .

الجمهوريون : تشارلز ايتون ( نيوجيرسى ) ، اديث نورز روجرز ( ماسا تشوستس ) ، روبرت شيبرفيلد ( الينوى ) ، وجون فوريز ( اوهايو ) ، وفوستر ستيرنز Stearns ( نيوهامبشير ) ، وكارل موندت ( داكوتا الجنوبية ) ، وتشارلز جرلاك ( بنسلفانيا ) ، واندرو سخيفلـر Schiffler ( فرجينيا الغربية ) . وكاتب الجلسة بويد كراوفورد ولقد تغير اسم هذه اللجنة فيما بعد الى لجنة العلاقات الدولية .

(٧) انظر نص البيان بالملحق رقم (١)
وقد قال الفانج اثناء الحوار معه انه يعمل فى اللجنة العاجلة بصفة شرفية ، ومتطوعا ولا يتقاضى اجراً مثلما كان يعمل مديراً لمنظمة اغاثة المتضررين من الحرب فى اليونان Greek War Relief وعدد من المؤسسات الخيرية الأخرى . وقد احتج هربرت مور على عقد هذه الجلسات دون حضور ويل روجرز احد مقدمى المشروع . ولكن قيل له ان روح اللجنة العاجلة التى يمثلها دين الفانج هى التى وراء مشروع القرار المقدم وبالتالى فليس هناك افضل من دين الفانج لتوضيح مرامى ومقاصد المشروع .

(٨) تقول التقديرات الرسمية البريطانية استناداً الى احصاء عام ١٩٣١ ان يهود فلسطين يبلغون ٥٠٢٩١٢ نسمة فى نهاية ١٩٤٣ . بينما تقدر الوكالة اليهودية العدد فى نفس التاريخ بـ ٥٣٧٠٠٠ نسمة وفيما يتعلق بعدد سكان فلسطين تحت الانتداب انظر : A Survey of Palestine الذى اعد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية لجنة التحقيق الامريكية الانجليزية ، المجلد الأول ص ١٤٠ _ ١٦٤ .

(٩) جاء فى هذا البيان ان المؤتمر « كان فرصة لتوجيه اعلان مقدس عام من رؤساء الحكومات الثلاث ( امريكا وبريطانيا وروسيا ) فيما يتعلق بالجرائم التى لم يسبق لها مثيل فى الوحشية والتى ارتكبها زعماء النازية ضد سكان الاقاليم المختلفة ، وضد الناس من كل العناصر والاديان وخاصة اليهود الذين اختصهم هتلر بابشع أنواع العذاب .. ولسوف يقع العقاب المستحق على مرتكبى هذه الجرائم » . فقرة من بيان وزير الخارجية الامريكى ( كورديل هال ) امام الكونجرس _ وكان قد عاد لتوه من مؤتمر موسكو _ ، دور انعقاد رقم ٧٨ ، الجلسة الأولى ١٨ نوفمبر ١٩٤٣ ، ص ٩٦٧٨ _ ٩٦٧٩ .

(١٠) جاء فى هذا القرار ما يلى : « لما كان الشعب الامريكى ينظر بعين السخط الى التعذيب الوحشى الذى انقض على الاهالى المدنيين فى البلاد التى تحتلها القوات النازية وخاصة القتل الجماعى رجالا ونساء واطفالا .. ولما كانت تلك السياسة النازية قد اوجدت حكماً من الرعب والقسوة فى بولندة وفى بلاد اخرى فى وسط وشرق اوربا .. لهذا فقد قرر مجلس الشيوخ ان هذه القسوة وانتهاك الحرمات الذى يرتكب ضد ملايين الضعفاء رجالا ونساء واطفالا يجب ادانته . بل لقد ادينت تلك الاعمال باعتبارها شيئاً حقيراً ترتكبه اى أمة او دولة تدعى انها متحضرة . واكثر من هذا فان مبادىء الشرف والانسانية التى قامت من اجلها الحرب تتطلب ايقاف هذه المذابح وسوء المعاملة التى لا مبرر لها ، وانه من مبادىء هذا المجلس العمل على محاسبة هؤلاء المذنبين على ارتكاب تلك الجرائم سواء بطريق مباشر او غير مباشر ، ومعاقبتهم بشكل معادل لما ارتكبوه » .

(١١) وفى هذه اللحظة تلى مستر كراوفـورد (كاتب الجلسة ) تقريراً ماليا جاء فيه : « ان الرصيد غير المنصرف والمخصص لاعانة اللاجئين الذين تشردوا من ديارهم بسبب العدوان او بسبب الغزو وقدره خمسون مليون دولار ادرج فى القسم رقم (٤٠) من قانون الاعانة المالية الطارئة لسـنة ١٩٤١
Emergency Relief Appropriation Act
واما مبلغ الخمسة والثلاثين مليون دولار المخصصة لاعانة الحرب فى الخارج فقد ادرج فى قانون الملحق الثالث لتمويل الدفاع القومى لسنة ١٩٤٢ Third Supplement National Defence Appropriation Act وقد تم دمجها معا فى ميزانية واحدة تسرى بدءا من ١٧ ديسمبر ١٩٤١ وهو المبلغ الذى سيكون فى المتناول حتى ٣٠ يونيه ١٩٤٣ للصرف منه على كل المشروعات والاغراض الخاصة ببنود الميزانية الموحدة . واما الأموال المخصصة « لاعانة الحرب فى الخارج » فقد ادرجت فى القانون الثانى للعجز المالى لسنة ١٩٤٢ Second Deficiency Appropriation Act وما تزال سارية المفعول حتى ٣٠ يونيه ١٩٤٤ » .



من روائع الفن العالمي

جمال قطب

# الفنان الهائم
## بين جمال الفطرة وبراكين الطبيعة



بول جوجان

في أواخر عام ١٨٩٤ طلب جوجان من صديقه الشاعر الشهير اوجست ستربندبرج ان يكتب له مقدمة ( كتالوج ) معرضه الذى كان منهمكاً فى الاعداد له فى قاعة ( دريو ) بباريس ، ولكن الشاعر - كمعظم مفكري عصره آنذاك - اجهد نفسه عبثاً فى محاولة لفهم الفنان او تذوق فنه .. واخيراً كتب هذه القطعة التى تعتبر اغرب ما كتب فى سجلات المعارض :

« لقد اردت منى أن اكتب مقدمة كتالوج معرضك .. وكم وددت ان اقدم لك هذا التذكار ، ولكني أصارحك بانني لا استطيع او قل لا اريد ! . فانا لا افهم فنك ، وليس فى مقدوري أن احبه ، وانا اعلم ان هذا الاعتراف لن يدهشك ولن يسيئك ، لأنك - كما يبدو لي - تستمد من كراهية الناس قوة لنفسك ! . لقد حاولت جاداً ان اضعك فى مكانك وأبين مكانتك .. وحاولت جهد طاقتي أن أفهم أسلوبك وفكرك وتطورك .. ولكن عبثاً .. فلوحاتك وحشية ذات شمس محرقة وأشجار غريبة وبحر يمكن ان ينفجر منه بركان ، كما أن سماءك القانية الملتهبة لا يمكن أن تسكنها الملائكة ! . أما فتياتك اللاتي ترسمهن .. ارى فيهن حواء التى تخالف الصورة المألوفة للجمال .. والسمات التى أحبها فى النساء ! . إنك جوجان الوحش الذى يكره المدنية ، ويؤثر سماءه الحمراء القانية على سمائنا الزرقاء الصافية .. إنك على وشك أن تبدأ رحلتك الى جزر المحيط البعيدة .. عد إلينا ثانية ، فقد أستطيع فى المرة القادمة ان اكون اكثر فهماً لك » .

وهكذا كان جوجان .. قصة طويلة مع الصراع والقلق والمعاناة .. مما جعله يميل الى البدائية هرباً من قيود الحياة وقسوة متطلباتها .

ولد فى باريس عام ١٨٤٨ .. وفى طفولته .. اضطر ابوه الصحفي الى الهجرة مع عائلته الى بيرو .. ومات الأب فى تلك الأراضي النائية .. والتحق الابن بالبحرية وعاش مشرداً فى رحلات الى آفاق بعيدة .. واشتد حنينه الى الاستقرار .. فعمل فى بنوك باريس .. ولكن حبه الشديد للرسم ساقه الى مجالس أهل الفن وندواته وبهرته كلمات ( بيسارو ) ودعوته الى التحرر وتذوق الجمال والاستمتاع بحياة التجوال والفكر والابداع ! ، فترك جوجان عمله فى البنك .. وهجر زوجته الدانمركية وأطفاله الاربعة .. وهام على وجهه فى طرقات باريس يبحث عن شيء ضائع فى داخله .. وظل يبحث عن هذا الشيء المفقود حتى مات بائساً يعاني من الفقر والمرض فى جزر الدومينيك السحيقة ، وقضى نحبه فى تلك الغربة الموحشة عام ١٩٠٣ .

حياته قلق وصراع دائم مع الحياة . ومع فنه ، ومع التطلع للمجهول والهجرة الى الجزر السحيقة فى متاهات المحيط اللانهائية .. وقضى معظم حياته القصيرة المثمرة فى جزر تاهيتي وجزر الدومينيك .. حيث الدفء وجمال المرأة الفطرية ولهيب الشمس يصبغ حواسه وألوانه وعواطفه باحر المؤثرات والانفعالات النفسية الثائرة ولذلك تميزت أعماله وألوانه بصراحتها وصرامتها ووحشيتها الصارخة فى بعض الأحيان .

أما هذه اللوحة المنشورة فى الصفحة المقابلة ، فقد رسمها جوجان عام ١٨٩٠ فى باريس لفتاة تدعي ( ماري ديريان ) حيث كان الفنان متأثراً بفن ( سيزان ) آنذاك ومحاولا أن يدور فى فلكه حتى اننا نلحظ فى خلفية اللوحة تقليداً للوحة سيزان الشهيرة التى تتكون من زهور وفواكه وغير ذلك .

إن فن جوجان فريد فى نوعه ، ويعرف فى تاريخ الفن باسم الوحشية أو الحوشية .. وقد أسماه الفنان نفسه : تجريد مستمد من الطبيعة .

وعلى اية حال ، فان نقاء الوان جوجان وحلاوة الفطرة فى رؤياه وتبسيطه للشكل واللون .. كل هذا ، قد ساهم فى اقامة مايعرف فى الفن باسم ( التجميع البنائي ) الذى كان من أهم رواده : سيزان وفان جوخ .. ثم قاد مسيرة الابداع بعد ذلك الى التكعيبية .. وإلى آفاق رحبة معاصرة كثيرة .

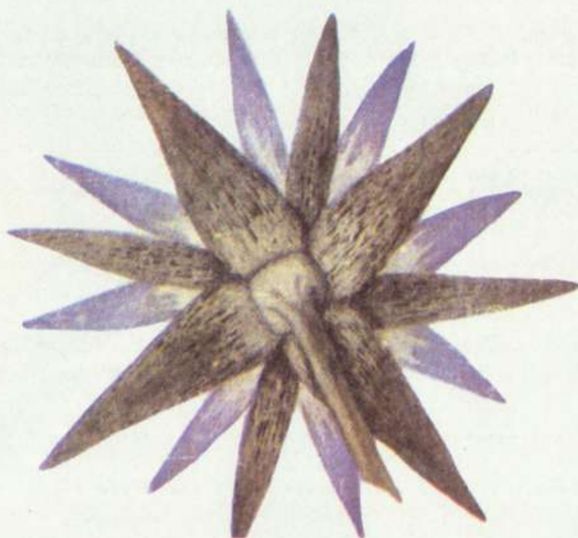
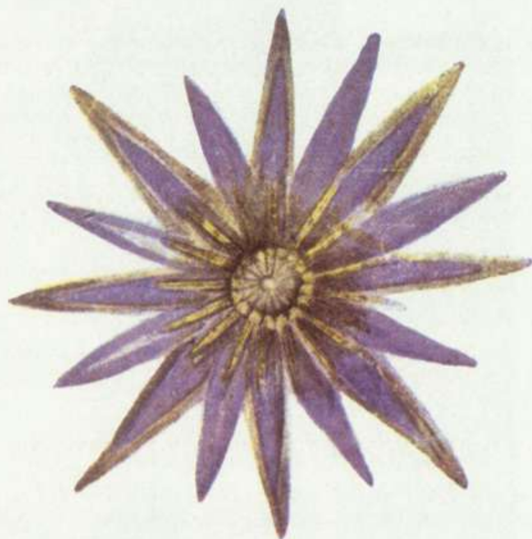
جمال قطب



«ماري ديريان» من روائع بول جوجان (عام ١٨٩٠)

# اللوتس
# زهرة الحب والأساطير

بقلم : سمير عطا

عرفت الحضارات القديمة فى الهند والصين واليونان زهرة اللوتس ... غير أنها ارتبطت باسم مصر أكثر من غيرها من دول العالم القديم لما كان لها من تأثير فى كثير من مجالات الحياة المصرية القديمة . وهناك أنواع متعددة من زهرة اللوتس وإن كان أشهرها ثمانية أنواع رئيسية عرفت جميعها منذ عهد الاغريق باسم Lotos واللاتين باسم Lotus وعرفت مصر نوعين من هذه الزهرة .. هما زهرة اللوتس البيضاء وزهرة اللوتس الزرقاء .. أما زهرة اللوتس الحمراء فقد وصلت مصر من الهند عن طريق فارس .

## اللوتس البيضاء

وقد عرف نبات اللوتس الأبيض فى مصر قبل عصر بناة الأهرام .. وكان المصريون يسمونه « سشن » أو « شن » أو « سن » ومنها جاءت كلمة « سوسن » المعروفة فى اللغة العربية كما يعرف أيضاً باسم بشنين الخنزير أو عرائس النيل .. وذكر فيكتور لوريه فى كتابه ( النباتات الفرعونية ) أن هذا النبات كان مستعملا عند المصريين القدماء كمرطب فضلا عن استعماله للزينة فى البيوت والحفلات .

كما ذكر أن المصريين كانوا يأكلون جذوره مشوية ومسلوقة . ويشير هيرودوت الى انهم كانوا يطحنون بذوره بعد جمعها وتجفيفها ويصنعون منها - على النار - خبزاً وفطيراً يأكلونه كحلوى .. وجذور البشنين مستديرة الشكل بها قليل من الحلاوة مما يجعلها مستساغة للأكل .

وتتميز هذه الزهرة عموماً بانها تنمو على جذع هش ضعيف قد يبلغ من ٤ الى ٨ أقدام طولا يمتد إلى اعلا فى الماء ثم يرتفع الى مسافة قصيرة جداً فوقه ، وتنتشر أوراقه على سطح الماء وقد تبلغ القدم عرضاً .. وتتميز بانها مسننة . وللزهرة بتلات بيضاء سبلاتها خضراء وشكلها نصف دائرى تقريباً وتنتمى الى عائلة « نيمفيا » أو الحورية المعروفة فى الأساطير الاغريقية القديمة التى تقول إن هرقل قد هجر حورية فالقت بنفسها من الحزن فى الماء فتحول جسدها الى زهرة اللوتس .

## اللوتس الزرقاء

أما نبات اللوتس الأزرق فقد عرفه المصريون القدماء باسم « ساربات » ويعرف الآن باسم البشنين العربي أو قاتل النمل لأنه يقتل النمل الذى يقترب منه فوراً

ويبدو أن معظم الاكاليل التى كانت توضع فوق رؤوس السيدات كانت تصنع من هذه الزهرة .. ويرجع تفضيل المصريين لها على وجه العموم الى ما تتميز به عن الزهرة البيضاء من رائحة منعشة .

## اللوتس الحمراء

وقد قدس المصريون القدماء هذا النبات وكانوا يسمونه « نخب » وعرفه العرب باسم الفول المصري أو الباقلي القبطي .. وهو من أصل هندي كما أشرنا .. وزهرته تشبه زهرة اللوتس المصري وإن كانت تتميز باللون الاحمر وهي عطرية الرائحة .. وأوراقه درقية مستديرة يبلغ عرضها حوالي ٣٠ سنتيمترا وترتفع فوق سطح الماء الى ارتفاع قد يبلغ متراً فى بعض الأحيان .. قال عنها ثيوفراستوس قديماً

( ٣٧٢ ـ ٢٨٧ ق.م ) إن ورقتها تشبه قبعة تساليه ( نسبة الى اقليم تساليا ) وقد عثر على رأس طفل مصري من العصر الروماني فى الفيوم يضع فوق رأسه قبعة من ورق اللوتس الهندي ..

وينتشر هذا النبات فى البحيرات والمستنقعات فى الصين واليابان والهند الصينية والهند وشواطىء بحر الخزر .. ورغم أن هيردوت قد ذكر اللوتس الهندي ووجوده فى مصر منذ القدم ووجدت آثاره فى مقابر هوارة من العصرين الاغريقي والروماني ووجد على عصبة نفرتوم وصنع منه مهد حورس فى صباه ( حورس بن بتاح وسخمت رمز الشمس المشرقة ) . كما وجد على رؤوس أغلب العمد فى الهياكل والدور والتى كانت تقام على شكل اللوتس الاحمر ـ إلا ان اثر هذا الوجود لم يتزايد إلا منذ العصر الروماني المتاخر ثم بدأ يتوقف عند بداية العهد المسيحي ..

ويندر وجوده فى مصر اليوم فيما عدا القليل منه فى حدائق الأسكندرية والقاهرة والاسماعيلية .

## فى حياة الناس

لم يكن نبات اللوتس مجرد نبات يبهج المصريين القدماء بمنظره أو يسرهم برائحته او يتخذون من جذوره غذاء لهم ، وإنما كان رمزاً لعملية الخلق انعكس على حياتهم وأفكارهم وبلغ من سمو مكانته لديهم أن شبهوا به الملك . فهم يقولون « إن الملك مثل نفـرتم كزهرة اللوتس عند انف رع » .

وحين كانت المناقع تغمر ارض مصر ويخيم عليها السكون تخيل المصري القديم الماء الأزلي فيها ، وقد نشأ منه الكون وفى وسطه تخرج زهرة جميلة تستقبل الشمس فى الصباح حين تنفتح زهرة اللوتس ثم تنغلق على نفسها فى الغروب وتغوص ليلا تحت الماء . فاضفى ذلك عليها نوعاً من الرمزية جعلها ترتبط بالشمس وحركتها وربطها المصري القديم بسيد الشمس نفرتم فهى تتخذ الماء عرشاً لها وبذورها تمزق الغلاف الذى تنبت فيه . والزهرة تشبه الدائرة التى هي قوة العقل والذى هو بدوره مظهر للقوة ولأن حوريس ذا العقل حاكم السماء ولأن اللوتس رمزت الى الشمس فقد أصبحت تمثله أيضاً بصفته حاكماً للسماء التى فيها الشمس

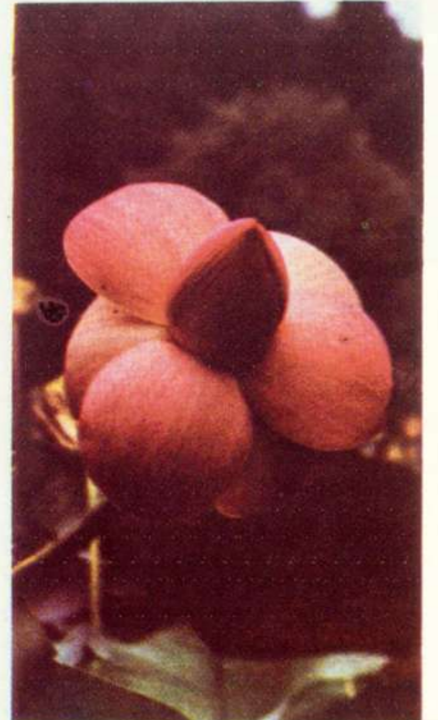
وقـد اعتقـد القدمـاء ـ كـذلك ـ أن الموتى المعمدين سوف يولدون ثانية من زهرة لوتس تلك التى تنتمي الى العالم الآخر .. لذلك كانت زهرة اللوتس من أهم ما يقدم قرباناً فى المعابد والموتى فى قبورهم.

وهكذا تحولت الرمزية الى عقيدة دينية كان لها أثر كبير فى حياة المصريين يبدو لنا فيما تركوه من آثار ونقوش تمثلهم وهم يقدمون القرابين من زهرة اللوتس ( كما كانوا يقدمونها للأحباء تعبيراً عن مشاعرهم ) ، ثم تنوعت النقوش فى الفن المصري القديم واستعلمت زهرة اللوتس باشكال مختلفة ولاغراض متعددة وأصبحت من أشهر الأشكال فى الرسومات والزخرفةحتى لتكاد لا يخلو أثر مصـري من أي شكل من أشكالها ، فاستعملت فى الأفاريز كما استعلمت رأسية الوضع أو فى أشكال حلزونية ، أو بوضع منعكس كما استخدم شكل الزهرة الطبيعية ذات الأربع أوراق باعلاها التويج الأبيض أو الأزرق تحيط بمجموعة من اعضاء التذكير والتانيث ، كما رسم مسقطها الجانبي أو الأفقي فى تكرارات متعددة ، أما برعم الزهرة فقد استخدم شكله فى تزيين رءوس العواميد وتيجانها حتى قال العالم «بتري» : إن العالم مدين فى زخارفه للمصريين الذين أوجدوا أول مدنية على الأرض .


استخدم المصريـون القدماء زهرة اللوتس كوحدة زخر فية فى تزيين الأعمدة !


زهرة اللوتس فى الهند .. ارتبط اسمها بالأساطير والكتابات القديمة .

على ضفاف نهر الأندوس يستخدمون زهرة اللوتس كطعام للسكان !



# اللوتس
## زهرة الحب والأساطير



تفصيلية من كتاب الموتى لطبيب مع زوجته يبدو فيها واضحا زهور اللوتس رمز الحياة !.

### رمزية اللوتس

هكذا كان المصريون أقدم من استخدم اللوتس للتعبير الفني على أساس من الرمزية التى انتشرت من مصر الى معظم الحضارات القديمة لاسيما الهندوسية والبوذية حيث تلاقت فكرة الخلق المصرية ورموزها عن الخصب مع مثيلاتها من رموز تدور حول الحياة لدى هذه الحضارات .. وبالتالي تعددت المعاني التى أصبحت ترمز لها اللوتس فى الحضارات المختلفة فاصبحت ترمز الى

– الأساس الأنثوي للحياة او الرحم أو القوة الخلاقة للانتاج .

– الخصب والاثمار والسعادة والرخاء والازدهار والحياة الطويلة والصحة والشهرة .

– فكرة الخلق أو القوة الخالقةوفعل التولد الكوني الذاتي وفكرة الام والعضو المنتج للحياة فى الأنثى والنيل واهب الحياة .

– القداسة او الميلاد المتميز عن البشرية أو التوالد الخالد .

– الخلود والبقاء وحفظ الحياة والميلاد الجديد وشروق الشمس وكاس الشمس والزهرة التى تفتح أرواح الموتى ومقام بوذا الذى يجد فيه راحته .

– النقاء والصفاء والطهارة وحفظ القانون والحكمة الىى تؤدى الى النيرفانا روح المعرفة .

من كل هذه المعاني والأفكار يمكننا إدراك الاستخدامات العديدة لزهرة اللوتس فى التقاليد والأساطير والفن حتى لقد أصبحت مثالا للراحة والصحة والجمال والسحر والحب والتفاؤل .

### الزهـرة عند الهنود

وترتبط فكرة الخلق في اللوتس ارتباطا كبيراً عند الهنود بالناحية الجنسية باعتبارها أساساً للخلق ..

فالخلق بالنسبة للهنود ( والذى يعتمد على فكرة ظهور العالم من المياه العالمية او من الفراغ الذى ينام عليه المارد فشنو ) مبنى على أسس كونية وإن كانت زهرة اللوتس تقوم فى ذلك بدور الوسيط حيث انها رمز الجنس .. و « فشنو » الذى هـو « سرة اللوتس » أو أن اللوتس هي « سرته» خرجت من جسده زهرة لوتس وحيدة عملاقة تلك التى جلس عليها براهما المولود من اللوتس .

وهذه اللوتس العملاقة ببتلاتها الألف الذهبية تنمو بسعة العالم كله .. ومن هذه البتلات تبرز الجبال وتنبع المياه .. بينما الشياطين والحيات تكمن تحت هذه البتلات .. وبتتابع الكالبا Kalpa ( وهي اليوم الواحد بالنسبة لبراهما ويعادل ١٢ الف سنة سماوية ) يولد براهما من جديد على زهرة اللوتس من « سرة فشنو » .

وفى الأساطير المرتبطة ببراجاباتى ( فى البراهمانا ) قيـل انـه راى ورقة لوتس فى مياه الفيضان العالمى فغطس تحت سطحها وأحضر قطعة من الأرض ونشرها فوق الورقة أو أنه – ثانية – ظهر بنفسه فوق هذه الورقة .. وفى ( البراهما ) كذلك – ٨٠٠ ق.م – أشير الى اللوتس بانها الرحم وأنها رمز « اليونى » عضو الانسال فى الأنثى « الأم العالمية » – أو اللوتس الكونية ( رحم الخلق ) أو مقعد ( منبع ) القداسة أو القوة الروحية

واقدم مظهر للوتس ظهر فى الهند عثر عليه فى « دوهنجو – دارو » بوادى الاندوس منذ خمسة آلاف عام ، فى شكل سيدة بسيطة ذات اكفال عريضة ترفع ثديها بيدها كما تفعل ( الأم ) فى كثير من المناطق وترتدى فى شعرها برعم زهرة اللوتس .. وكثيراً ما ظهرت هذه السيدة فى النقوش وهى فوق حجر فشنو أو تداعب قدميه .. وكانت تسمى « بادما » وهى كلمة تعنى اللوتس أو « لا كشمى » أو « سرى » واعتبرت لا كشمى هذه زوجة لفشنو ورمزاً للخصب . وتقول احدى الاساطير انها جاءت الى الحياة من زهرة لوتس نبتت أصلا من جبهة فشنو .. ونجد فى الكتابات القديمة أوصافاً أو تشبيهات لها متنوعة كعبارات الغزل التى تعرفها النساء فى كل العصور فهى توصف بانها ولدت من اللوتس أو أنها تقف على زهرة لوتس أو انها تحيط نفسها دائماً بزهر اللوتس أو انها عنق اللوتس ولها عين كزهرة اللوتس وغير ذلك .. وتظهر النقوش الخاصة ببادما منذ القرن الأول قبل الميلاد هذه الشخصيات وهى تقف فوق زهرة لوتس وتحيط بها الفيلة من الجانبين حيث تصب عليها الماء من خراطيمها وعلى الزهرة التى تقف عليها .

.. وفى الصين

وينبع أثر اللوتس فى الفن الصينى من اعتقادهم بوجود بحيرة لوتس مقدسة فى السماء القريبة ويظهر ذلك كثيراً فى مناظر المعابد ويعتقدون ان كل روح لها شجرة لوتس خاصة فى البحيرة تظهر عقب موت صاحبها ولا تتفتح الا فى الوقت المحدد لها .. وحياة المرء فى دنياه هى التى تؤثر على حالة اللوتس فى البحيرة فاذا كان نقياً أو رجلا صالحاً فهى تتفتح مباشرة بعد موته لتسمح لروحه بالمثول امام الخالق .

ولقد كانت اللوتس منذ القدم زهرة مقدسة لدى الصينيين وتحظى بمكانة كبيرة وتعد احد المخلوقات الثمانيـــــة الخالدة فى الديانة الطوائية كما يقرر الكاتب الصينى « هو هسين – كو » . وتعد اللوتس زهرة فصل الصيف من بين الزهور الأربع لفصول السنة .. وهى رمز للطهارة لأنها تبرز من بين المياه – مهمـــا كانت كدرة – نظيفة زاهية كما انها لا تنبت فى الأرض .. وهى رمز الأنسال والقوة ومازالت بعض المجتمعات الريفية تحرق البخور لروح اللوتس لمنع أذى الأرواح الشريرة .

اللوتس والبوذيـــة

وعندما انتشرت البوذية فى كل من الهند والصين تداخلت فيها معتقدات كل من الهنود والصينيين حول اللوتس فانتقلت اليها بكثير من مظاهرها القديمة فى هذه البلاد .. فأصبح عرش اللوتس عنـــد البوذيين يرمز الى الطهر والميلاد المقدس ولما كان اللوتس ينمو تحت الماء ثم يبرز فوقه فهكذا ولد بوذا فى النقاء ثم برز بنوره الى العالم .. وازهار اللوتس فى البوذية الصينية هو ميلاد جديد لبوذا ، وفى الهند يرون ان كل خطوة من خطى بوذا تعطي أو تخلف وراءها زهرة لوتس .. وفى الهند كما فى الصين تجلس تماثيل بوذا والكهنة البوذيين على اللوتس .. واللوتس الكاملة المتفتحة تضم بين جوانحها قوة شمسية هائلة وفى حين تعتبر أوراقها جزءاً أو خزاناً لأشعة الشمس يعتبر ساقها علاجاً كونياً هاما . ويزين الصينيون زهرة اللوتس عادة بالشرائط التى ترمز لأشعة الشمس ..

وفى الديانة البوذية نجد أن العصور البوذية تبدأ بظهور زهرة لوتس تشير الى المكان الذى كانت فيه شجرة بوذا المميزة .. وفيها انه اذا كان العصر ( أى زمن من الأزمنة ) فراغاً – أى لا أثر للبوذية فيه – فلا تزهر براعم اللوتس ، وهذه اشارة الى قدم البوذية قدماً مطلقاً . ويقولون انه فى بدء احدى العصور ظهرت ألف برعم لتدل على عدد شخصيات بوذا التى سوف تظهر فى الوجود .. ويوصف فردوس بوذا بأنه المكان الذى يولد فيه كل انسان وكأنه سيد على زهرة لوتس .

وفى احدى مذاهب البوذية ( البوذية التنترية ) تؤدى اللوتس دوراً هاماً فهى كامرأة تتحد مع الرعد الذى يقوم بدور الرجل ( فاجر ) .

فى الشرق والغرب

وفى اليابان فان من يأكل زهرة اللوتس أو ساقه فان ذلك يكسبه قوة جسدية . وما زال أثر اللوتس موجوداً الى الآن فى بلاد شبه جزيرة الهند الصينية ومن الأغنيات الشهيرة التى يتغنى بها بعض الفنانين فى فيتنام اليوم أغنية « أجمل زهرة هى زهرة اللوتس » .

ولقد ظهر اللوتس على الأختـــــام الأشورية القديمة فى مظهر يوحى بالقداسة .. ومن البحر الأبيض والشرق انتشرت المعتقـــدات الخاصـــة باللـــوتس فى الميثولوجيا الكلاسيكية فى بلاد الاغريق وفى العالم الغربى فظهرت فى بعض الاساطير رواية وعلى بعض العجلات والميداليات والحليات الدائرية كنقش أو رسم وهى تمثل للعقل الغربى سحر الشرق الغامض .



أكثر الرسوم المصريـة القديمة تحتوي على زهور اللوتس ضمن زخارف الجدران !

وعند العرب

ولقد وصف كثير من الكتاب والعشابين العرب زهرة اللوتس التى عرفوها باســـم النيلوفر .. ويقول داود الانطاكى ان الاسم أصله فارسى وان كان الصحيح انه انحدر من المصرية القديمة وانتشر فى لغات الشرق ، فالزهرة لجمالها سميت فى عصر الدولة الحديثة باسم « نانوفر » وهى كلمة تعنى « الجميل » ثم حرفت الكلمة الى نيلوفر ونينوفر .. ويقول الزبيدى عنه ان العوام فى مصر كانوا يسمونه « نوفر » . وقد ذكر ابن البيطار اللوتس الأحمر باسم « الفالس القبطى » و « الجامسة » . وقد ذكروا للوتس فوائد كثيرة فيذكر الزبيدى انه صالح للسعال وأوجاع الجنب والرئة والصدر وانه اذا عجن أصله ( جذره ) وطلى به البهق مرات أزاله واذا عجن بالزفت ازال داء الثعلبة أما الانطاكى فيذكر انه أجود ما استعمل لقطع الحمى واللهيب والحرارة والعطش شرباً والقروح والخفقان والصداع والنزلات والبرص والبهق وداء الثعلبة والنزيف والأورام اذا خلط بالخل ، وهذا فضلا عن استخدامة كمرطب وكنوع من العطور .

الزهرة والآداب الحديثة

وفى الآداب الحديثة تستخدم عبـــارة « آكل اللوتس » للتعبير عن الشخص الفاقد الذاكرة أو الشخص الذى يبنى قصوراً فى الهواء .. وليس للوتس دخل حقيقى فى انتشار هذه العبارة فلقد كانت نباتات العائلة « النيمفية » كلها تؤكل وقت المجاعات طبقاً لما تركه لنا الكتاب القدامى والكتاب العرب انما هى ترجع الى احدى الاساطير الاغريقية عن شعب من الناس كانوا يعيشون فى ليبيا وقيل ان طعامهم كان يتكون فقط من ثمار وبراعم شجرة تسمى اللوتس وهى شجرة شحرية كان كل من يأكل منها ينسى وطنه وكل ما يربطه بأسرته واصدقائه . وقد وصف « تنيســون » تأثيرها فى أشعاره تحت عنوان « آكلى اللوتس » ، وتحدث هوميروس عنهم عند وصفه لرحلة « أوليس » .. وفى آدابنا نحن فقد انحدرت الينا فى لهجاتنا الحالية كلمات مثل « نفر » بمعنى شخص وأصلها « جميل » و « سوزان » و « سوسن » ذات الأصل القديم « شوشن » أو « سوشن » .. وحين يصف شخص شخصاً آخر بأنــــه « شربات » لا يدرى انه يقول له انــــه « كالسيد نفرتم » السيد الجميل الذى يضع فوق رأسه زهرة اللوتس الزرقاء المســـماة « ساربات » ..

سمير عطا



الجامع الكبير بالدوحة .. منارة اشعاع وهدى .. وجامعة للعبادة ودروس العلم والاعتكاف والمواسم الثقافية والمكتبات المتنقلة .

# المسجد
## ودوره الحضاري في دولة قطر

بقلم: الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

الحديث عن المسجد ودوره الحضارى فى دولة ( قطر ) حديث قديم وجديد نو شجون وافانين .

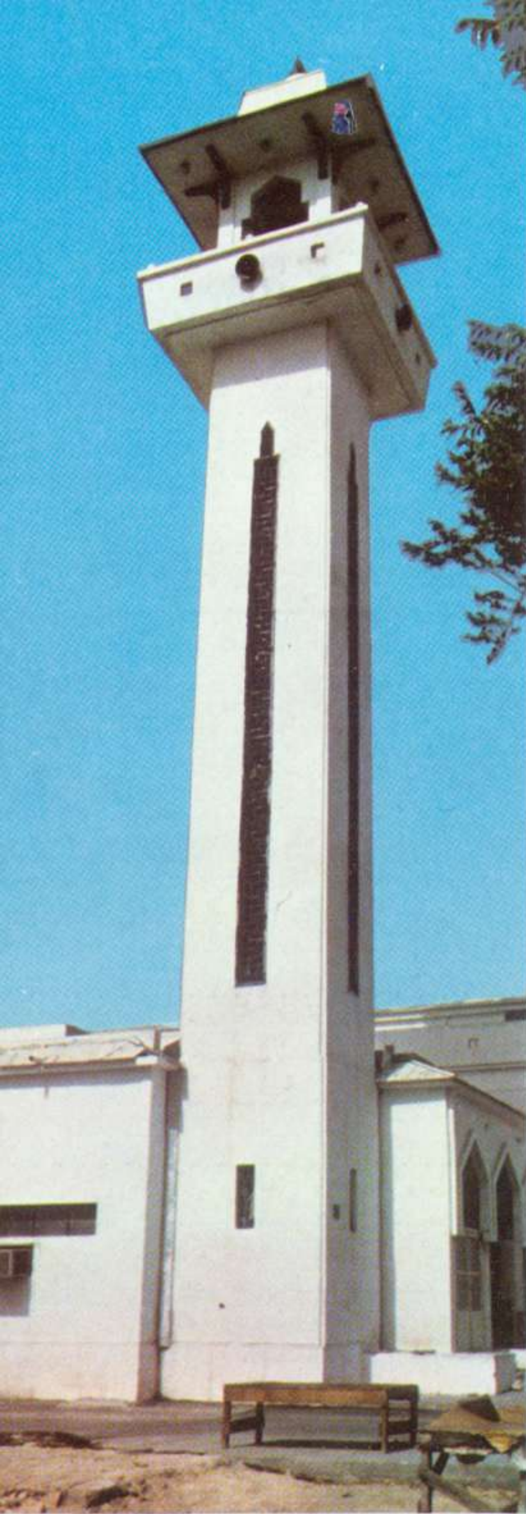
ذلك أن ثانى مسجد بنى فى الاسلام بعد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واقيمت فيه أول جمعة خارج المدينة المنورة بعده كان فى قرية ( جواثا ) بالقرب من سيف البحر ( الخليج ) غرب ( قطر ) فى ( ربيعة ) فى بطن منها فى قبيلة ( عبد القيس ) فى السنة الرابعة من الهجرة النبوية .

ومن هذا يعرف مدى قدم الدور الذى قام به المسجد من فجر الاسلام فى هذه المنطقة ، وحتى الآن .

وإذا عرفنا أن المساجد فى الأرض تتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض عرفنا مكانة المسجد ومنزلته فى بناء المجتمع ، وكيف تتجه إليه القلوب وترتبط به العقول ، وتتالف عليه العواطف وتنمو فيه المعارف ، وتربو الحضارة ، من

أجل هذا وغيره كان الاهتمام بالمسجد عمارة ورسالة يشكل جانباً حضارياً خصباً فى حياة المجتمع الاسلامي وبنائه .

ومن هذا المنطلق انبعث الاهتمام بالمسجد فى ( قطر ) ديناً وحضارة للدنيا والآخرة .



هذا المسجد يروي بماذنته الشامخة لونا من العمارة الحديثة .

مسجد قديم يحكي بعمارته الاصالة والوقار والسكينة .

## مظاهر الاهتمام

ويأخذ الاهتمام بالمسجد فى ( قطر ) اتجاهين متساوقين ومتناسقين :

الاتجاه الأول : يدور حول عمارة المسجد

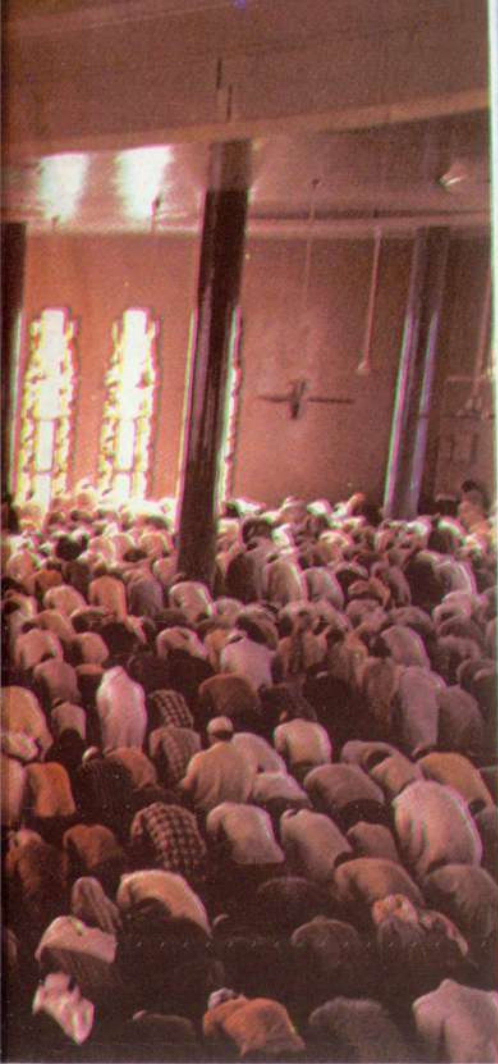
والاتجاه الآخر : يدور حول رسالة المسجد .

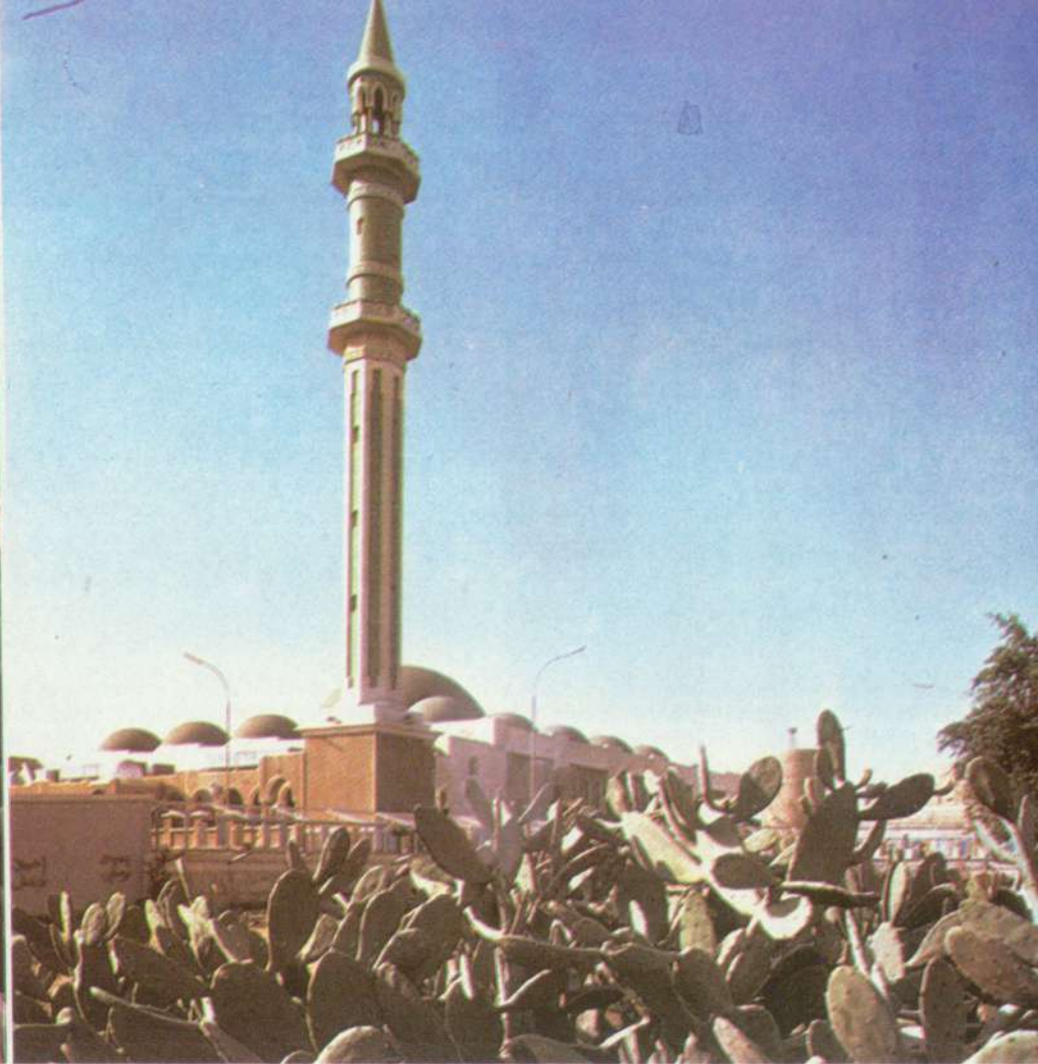
وأيما يممت وجهك فى بادية أو حاضرة فى مدينة أو قرية تجد كلا الاتجاهين بارزاً على المستوى الحكومى وعلى المستوى الشعبى ، اهتمام مزدوج ينشد الأحسن دائماً من كلا الجانبين .

## عمارة المسجد فى قطر

وتتسم عمارة المسجد فى ( قطر ) بسمات واضحة ومتميزة منها : البساطة بشكل هادىء غير معقد ، فالزخارف بشتى أشكالها من مكتوبات ومحفورات وبارزات وتعدد الألوان والعقود إلى غير ذلك تكاد تكون مستبعدة تماماً فى عمارة المسجد إلا ماجد اخيراً فى بعض المساجد المستجدثة وفى الشكل الخارجى فقط .

واختفاء مثل هذه المظاهر وان كان من الوجهة الفنية وعلى مستوى الفن المعمارى





الجامع الكبير بقبابه المتعددة النادرة ، التى تحتضن تحتها أندر وأكبر الثريات فى العالم .. ثم مظهر آخر من داخل المسجد لجموع المصلين مع كل فريضة .

للمسجد قديماً وحديثاً وفى مختلف البيئات والعصور الاسلامية يعد بعداً عن الناحية الفنية أو الشكلية الا انه من جانب آخر أهم يفرغ المسجد لطابعه ورسالته الخاصة مما يعين رواده على أداء العبادة بعيداً عن الاشتغال بمعنى آخر غيرها ، فما تكاد تقع عينك على مسجد منها الا وتحس بمعنى الوقار والبساطة ، وتشعر أنك أمام مسجد لا أمام متحف أو قطعة فنية تسبق إلى العين بمعنى الفن فى المقام الاول .

ويبدو هذا بشكل أوضح داخل المسجد ، فلا نقوش ولا زخارف لا ملصقة ولا ثابتة ، ولا بارزة ، ولا محفورة بحيث لا يجد المصلى ما يستقطب نظره غير الهدف الذى جاء من اجله وهو العبادة ، ولا يمنع ذلك أن تقع عينك خارج المسجد على الوان من الفن الأصيل بادياً فى صور المآذن المتعددة الأشكال والرسوم والجامعة – تقريباً – لكل انواع الفن المعمارى القديم والحديث من شرق العالم الاسلامى وغربه ومن مختلف العصور والبيئات من أندلسية ومغربية ومصرية وشامية وفارسية وهندية فى تناسق بديع يضفى الجمال والبهجة وهى تتراءى فى السماء متلألئة بالأضواء فى الليل وبخاصة للمحلقين بالطائرات فى سماء قطر .

ومنها : التكامل الجيد : بمعنى أن المصلى يجد كل ما يحتاجه ويعينه على العبادة بخشوع فهناك الأماكن المعدة للتطهر اعداداً كاملا وجيداً .

وهناك التكييف الكامل داخل المسجد بصورة يحس معها العابد براحة تعينه وتحببه لمواصلة عبادته فى خشوع .

وهناك الأثاث الجيد النظيف ، الأضواء الكاملة ، وأجهزة الاستماع التى تصل الى كل أذن فى المسجد .

كل هذا فى إطار من الحفظ ، والصيانة المتجددة فى كل وقت .

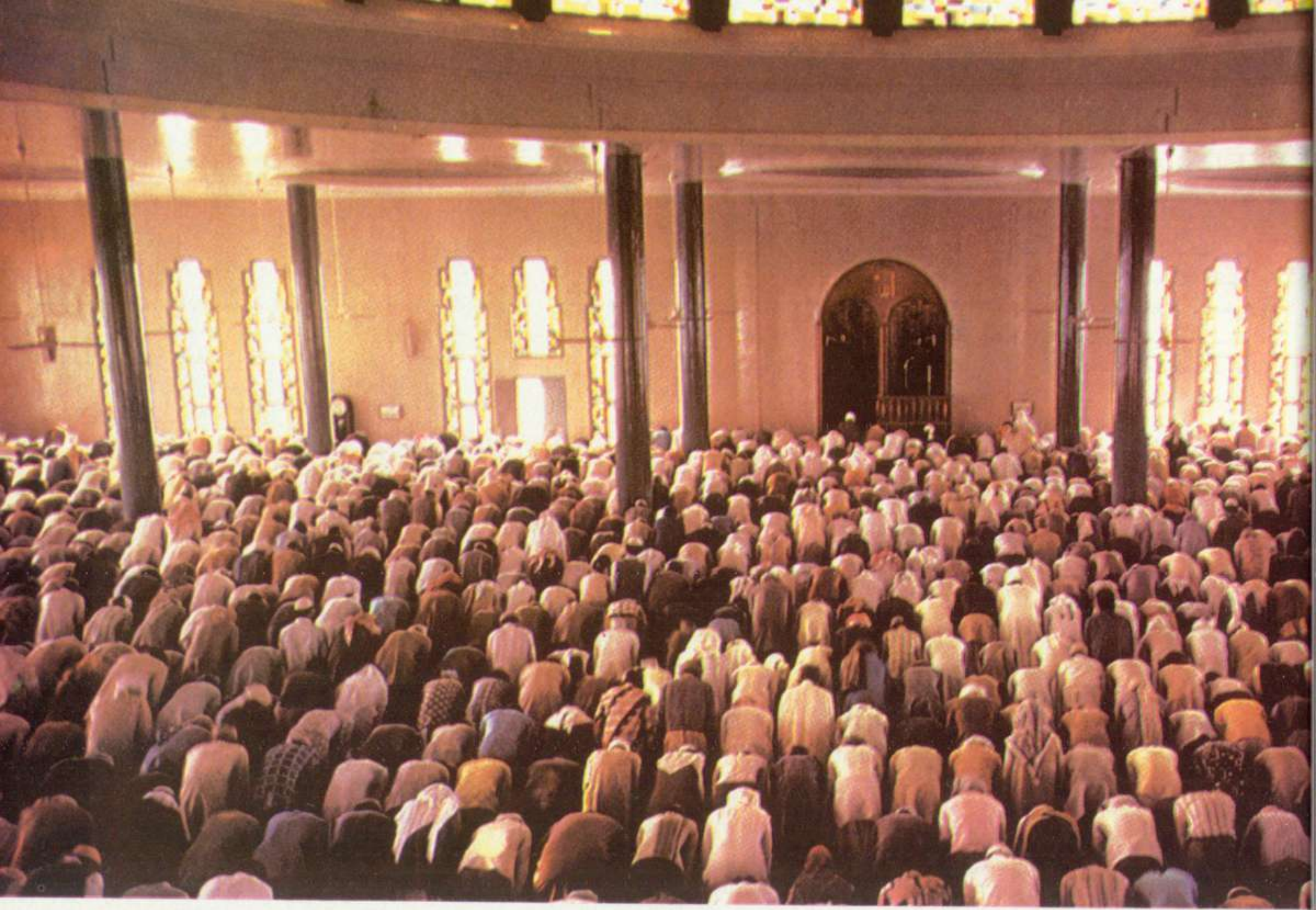
ولا يكاد يخلو مسجد من مبردات لماء الشرب فى الصيف وسخانات لماء الطهر فى الشتاء مما يجعل المسجد مكاناً محبباً إلى النفس ، ويجعل اداء العبادة فيه عملا مريحاً للروح والجسد معاً - ويلحق بكل مسجد ( سده ) فسيحة فى شرقه تستوعب العشرات بل المئات من المصلين إذا ضاق المسجد برواده ، وفيها يؤدى بعض المصلين بعض نوافل العبادات من صلاة وقراءة قرآن ، واحتباس للصلاة وغيرها .

وبدولة ( قطر ) أنواع من المساجد إذ فيها :

● المسجد الجامع : ويتسع للمئات بل للآلاف ، وفيه تؤدى الجمعة والجماعات وتقوم حلقات التلاوة ، ودروس العلم ، ولا يكاد يخلو حي أو ( فريج ) من مسجد جامع لأهل الحي جميعاً يوم الجمعة ، ومثل هذه المساجد الجامعة معدة إعداداً كاملا لذلك ففيها المنبر وغالباً ما يكون دكه أو مكاناً مرتفعاً داخل تجويف المحراب غير بارز فى الصف الأول ويصعد إليه الخطيب على درجات مبنية فى شكل دائرى ومجهز بأجهزة الارسال الكافية .

● مسجد الفريضة : وهذا النوع من المساجد صغير نسبياً ومنتشر بشكل كبير لا يكاد يخلو منه شارع أو زقاق ، وتؤدى فيه الفرائض الخمس فى جماعة .

● المساجد الخاصة : بمعنى أن كل مؤسسة تحرص على إقامة مسجد للعاملين بها وكل مدرسة بداخلها مسجد للمدرسين



والتلاميذ ، وبالقسم الداخلى مسجد للساكنين من الطلبة ، وفى الجامعة مسجد للطلبة ، وآخر للطالبات ، بل وفى البيوت الكبيرة وداخلها مساجد لا يحجب عنها أحد .

● مساجد الشيعة والحسينيات :

وهى موجودة فى بعض الأحياء ، ويؤدى فيها الشيعة الشعائر على مذهبهم من أذان وصلاة .

والمساجد بعامة سواء كانت جوامع أو مساجد فريضة تكتظ بالمصلين فى كل صلاة ويتوافدون إليها زرافات ووحداناً مع دخول وقت كل فريضة وحين يؤذن لها ، ويحرص كل مصل على حضور الجماعة فى المسجد بصفة دائمة وعامة ويأخذ ذلك مأخذ الواجب الحتمى ، ويقام لصلاة الفريضة بعد الأذان بوقت يكفى المستمع أداء التطهر والسعى إلى المسجد ـ وغالباً ما يتراوح ذلك بين ثلث الساعة ونصفها .

## رسالة المسجد

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » ولذا كانت « أحب البلاد إلى الله مساجدها » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدم من سفر إلا نهاراً فى الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين .

ومن المسجد كان توجيه المجتمع الاسلامى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال : انثروه فى المسجد . فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرد أحداً إلا أعطاه فما قام وثم درهم ، وما ألم بالمسلمين أمر ذوبال ، ولا عرض لهم عارض فى شأن دينهم ودنياهم إلا نودى ( الصلاة جامعة ) وتداعوا إليه يتشاورون .

وعلى أرض المسجد وحول أعمدته نبتت بذور الحضارة الاسلامية وأينعت وسطرت أنضر صفحات فكرها وثقافتها ، وفيه تربت الأجيال من مهد الصبا إلى الشيخوخة والكبر ، فالمسجد هو المثل والنموذج للمجتمع والبيئة والوطن الاسلامي ، فيه يدرب المسلم على ممارسة الحياة بوضوح واستقامة وطهر وخير ، وحين يفقه المسلمون رسالة المسجد على هذا النحو تستقيم لهم وبهم الحياة ، هكذا كانوا ، وهكذا يجب أن يكونوا .

ومن هذا المنطلق والفهم يجب أن تتأصل رسالة المسجد فى كل نفس وبيئة .

ونظرة إلى دور المسجد ورسالته فى مجتمع ( قطر ) نجد الدلائل والمؤشرات تتجه نحو تحقيق الكثير من هذا الدور والرسالة ويبدو ذلك فى المعالم التالية :

## العبادة

وفى الذروة منها الصلاة ، وفى جماعة ، ولا يكاد يخلو مسجد صغير أو كبير فى حي أو زقاق من المصلين وبكثرة ، فى كل فريضة يحثون الخطى إليها عند سماع الأذان ويتوافدون من كل صوب متطهرين أو عازمين ، عليهم السكينة والوقار ، وتقام الجماعة صفوفاً متراصة كالبنيان فى سمت خاشع بوقار العبادة

وزينة الايمان ، من بين مواطن ووافد ومقيم ومرتحل تجمعهم عقيدة واحدة ورباط واحد وقبلة واحدة وان تباينت الأشكال والأجناس واللغات لا ترى إلا وقاراً ولا تسمع إلا سلاماً ، ولا تحس إلا طهراً ، فهذا قطرى ، وأخر فارسى وثالث هندى ورابع عربى وخامس أفغانى هكذا من اجناس وشعوب تعارفت بالاسلام واتحدت قلوبها وصفوفها على الايمان .

## التلاوة والأذكار

وقبل الصلاة وبعدها يدوى المسجد فى وقار وسكينة بترتيل القران فى انتظام وتناسق وبصفة دائمة ، وعقب الصلاة لا ينصرف مصل قبل ختمها بالمأثور من السنن .

حلقات التلاوة : ولا يكاد يخلو يوم من حلقات القران فى مسجد أو أكثر بصفة منتظمة تضم الدارسين والمدرسين من كل عمر وثقافة ، ويقوم عليها قارىء مجيد يسمع ويوجه ، وتجرى فى كل عام المسابقات بين الدارسين وتمنح الجوائز للمتفوقين ، وبكل مسجد مئات من المصاحف من أجود الطبعات وأجملها مهياة ومعدة لكل مصل وقارىء .

وتهدف هذه الحلقات إلى تعليم التلاوة وإجادتها ، وتشجيع الحفظ لتعليم القارئين والمدرسين والمحفظين تلك الأحكام وهناك مجلس دائم كل يوم خميس بعد صلاة المغرب بمسجد الندوة للتلاوة وتعليم احكام التجويد ، ويكتظ كل أسبوع بالدارسين .

## دروس العلم

وحلقات الدروس والوعظ بالمساجد منتظمة طوال أيام الأسبوع ويقوم بها علماء مخصصون وتجمع بين دروس التفسير ، والحديث ، والفقه ، والوعظ ، وهناك محاضرات ثابتة ودائمة فى بعض المساجد ، من أبرزها محاضرة ( الأثنين ) فى مسجد ( خليفة ) بعد صلاة العشاء ، ومحاضرة الأربعاء فى مسجد القسم الداخلى ، ومحاضرة الخميس فى مسجد ( السلطة ) ودرس الجمعة فى مسجد ( إسحاق ) وغيرها كثير .

وللمساجد الخاصة داخل كل مدرسة دور هام فى تعليم النشء وتهذيبهم حيث يصحبهم مدرس متخصص قبل صلاة الظهر يعلمهم الوضوء والصلاة وبعض الأحكام ويشترك معهم صفوة من المدرسين والمشرفين فى مظهر طيب يأخذ منه التلاميذ القدوة الطيبة ، كذلك يقام فى بعض المساجد دروس بغير العربية للجاليات الأفغانية ، والباكستانية ، والهندية ، ويؤديها بعض أبناء هذه الجاليات المتفقهين .

## المكتبات فى المساجد

وبكل مسجد مكتبة يتفاوت حجمها بتفاوت حجم المسجد ، وتضم مئات الكتب فى الثقافة الاسلامية بعامة ، وبعض التفاسير وكتب الحديث والفقه بخاصة وكذا كثير من المسجلات من المصحف المرتل وخطب الجمعة والدروس والمحاضرات وهى معدة ومهياة لكل مصل يرغب فى القراءة ، وبعض المكتبات يضم بعض المطبوعات بلغات أردية ، وفارسية لخدمة المصلين الذين لا يجيدون العربية .

## نشاط ديني واجتماعي

ولا تخلو المساجد الكبيرة من بعض وجوه النشاط الدينى الاجتماعى ، ومن ذلك النشاط القائم حول فريضة الزكاة تفقيها ، وتوجيهاً ، وجمعاً ، وتوزيعاً ، فهناك التوجيه الدائم لها فى الخطب والدروس ، وهناك الصناديق المعدة فى المسجد لجمعها وتجمع الحصيلة وترد على مستحقيها ويشرف عليها صندوق ( قطر ) الاسلامى للزكاة بالبنك العربى ، ويبدو هذا النشاط ملحوظاً فى شهر رمضان بخاصة ، كذلك لا يمر أسبوع من وجود ( وفد ) أو أكثر من مختلف انحاء العالم الاسلامى لجمع التبرعات لاقامة مشاريع اسلامية من مساجد ومراكز ومدارس وغيرها من مرافق لخدمة الجاليات الاسلامية وتجد هذه الوفود ضمن ما تجد من رحابة الصدر وسعة الانفاق مجالا خصباً فى المسجد وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يبادر المصلون بتبرعاتهم الكريمة ، وتجمع هذه التبرعات وتصرف لهم تحت اشراف رئاسة المحاكم وادارة المساجد ، كذلك للمسجد دور هام فى معونة المجاهدين فى أفغانستان وغيرها وقد كان للشئون الدينية دور مشكور فى هذا الجانب .

## المسجد فى رمضان

ولشهر رمضان فى دولة ( قطر ) سيما مميزة ، ومعالم بارزة يحس بها كل مسلم ، وبخاصة فى المسجد ، فخلال الليل والنهار لا تخلو المساجد من مصلين ، وعاكفين ، وقارئين ، ودارسين ، ومزكين .

ويتضاعف عدد المصلين حتى لتضيق



مسجد خليفة الذي يقام فيه الموسم الثقافي طوال العام بمحاضرات يوم الاثنين .

ليلة بالكثير من الكتب لمكتباتهم الخاصة . وتتضاعف حلقات تلاوة القرآن فى ذلك الشهر فى المساجد بعامة وفى مسجد الندوة بخاصة ، وبعض هذه الحلقات تدرس فيها أحكام التجويد وبعض القراءات .

## المسجد والمرأة

وللمرأة مجالها الطيب فى المسجد فى (قطر) حيث خصص لها مكان بارز يحاط بالحواجز الساترة فى جانب منه ؛ أو تخصص لها الطوابق الثانية الموجودة فى بعض المساجد كالجامع الكبير .

وتواظب المرأة على حضور دروس العلم المنتظمة كدرس الاثنين فى ( مسجد خليفة ) ، كما تواظب على صلاة التراويح ثم صلاة القيام فى العشر الأواخر من رمضان ولا يكاد يخلو مسجد منهن وبأعداد كبيرة فى صحبة المحارم حتى ليبلغ عددهن بالمئات كما يشاهد ذلك فى الجامع الكبير ، ولهذه الظاهرة أثرها الكبير والطيب فى كثير من الأسر والبيوت ،

## المسجد والطفل

ويحرص الآباء على اصطحاب أولادهم إلى المساجد تربية وتدريبا لهم على الصلاة فى جماعة حتى فى قيام رمضان بعد منتصف الليل وكذلك حضور مجالس العلم .

هذا فضلا عن حلقات تحفيظ القرآن التى تضم بين جنباتها عشرات بل ومئات الأطفال والصبيان فى مختلف ساعات النهار والليل .



مسجد الوكرة يحكي بشموخه البساطة وجلال القدم .

بهم بعض المساجد على كثرتها وسعتها ، وبخاصة فى صلاة الليل ، حيث تبدأ صلاة التراويح بعد العشاء فى وقار وسكينة وخشوع وطمأنينة وبعض المساجد يختم فيها القرآن كله خلال الشهر فى صلاة الجماعة فى التراويح مثل المسجد الكبير ، ويتخلل الصلاة درس أو محاضرة لا تقتصر فائدتها على رواد المسجد فقط بل ينقلها المذياع عبر الأثير ، وفى العشر الأواخر من رمضان تبدأ صلاة القيام فى المسجد ابتداء من منتصف الليل تقريبا الى قبيل الفجر بقليل ، وينتظم فى صفوفها الشيب والشباب من كافة الأعمار فى خشوع وتبتل وصلاة طويلة يتلى فيها جزءان من القرآن كل ليلة .

كذلك تتضاعف دروس العلم والوعظ فى رمضان عصراً وعشاء وفجراً لايكاد يخلو منها مسجد من العلماء والوعاظ ، وبعضهم يستضاف لذلك من بعض البلاد الاسلامية وتنقل الاذاعة هذه الدروس من المسجد الكبير فى الفجر والتراويح والقيام وفى آخر رمضان ينشط المصلون لأداء فريضة الزكاة ، وزكاة الفطر . كذلك تقيم بعض المكتبات العامة سوقا للكتاب على أبواب المساجد الكبرى ويتزود المصلون منها كل

إن للمسجد فى ( قطر ) مكانته ودوره الذى لا ينكر ، والاهتمام به على المستوى الرسمى والشعبي اهتمام ملحوظ وبارز لاسيما الاهتمام الدائب فى اختيار الخطباء وتدريب الأئمة ويبدو ذلك فى إنشاء معهد تدريب لهم يقوم على التدريس به صفوة من العلماء .

هكذا يقوم المسجد فى ( قطر ) معلماً اسلامياً وحضارياً بارزاً وأصيلا قديماً وحديثاً عمارة ورسالة ، ديناً ودنيا .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

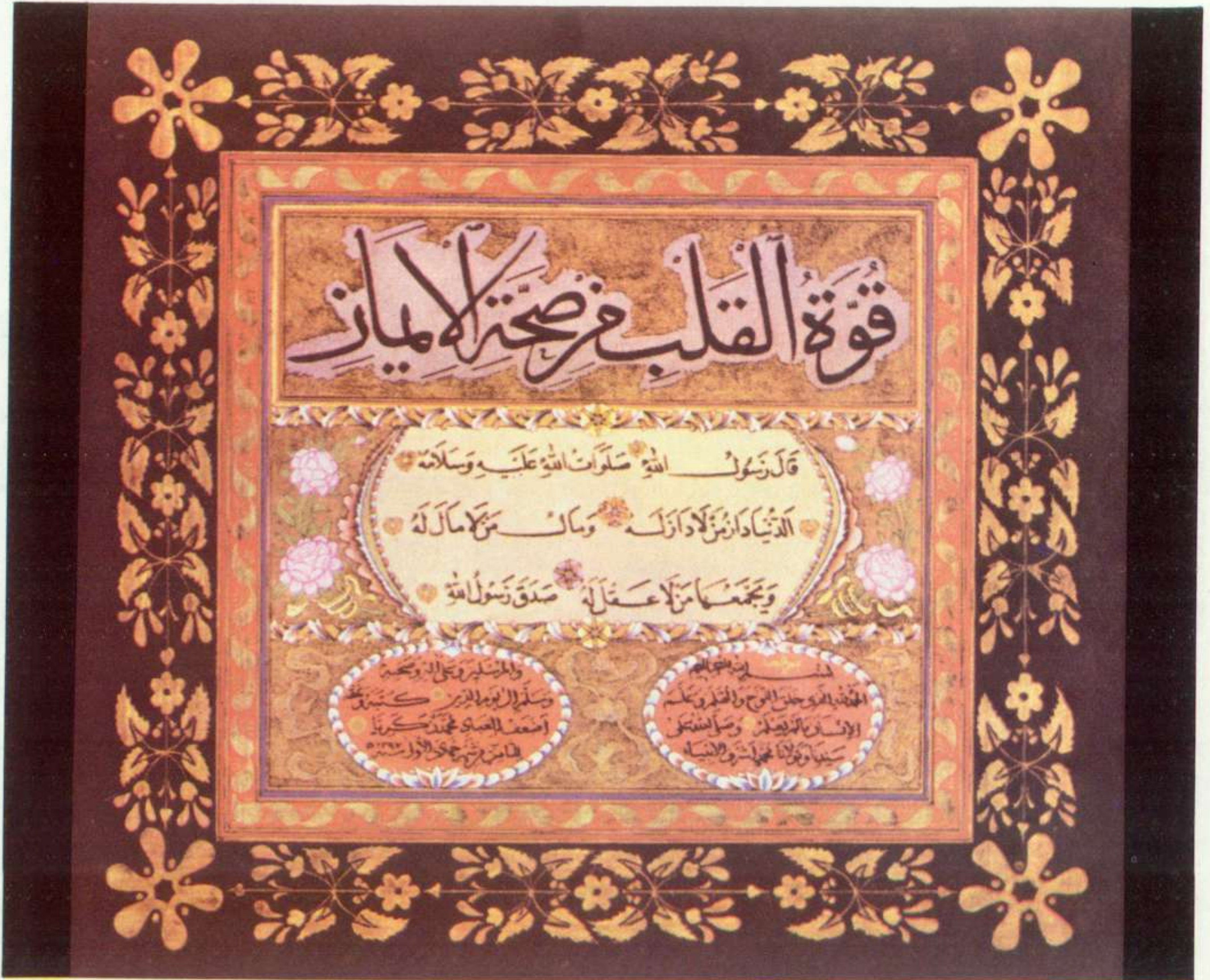
الفنان الأمريكي الشيخ محمد زكريا اثناء انهماكه فى كتابة الخط العربي .

الفنان الأمريكي المسلم مع زوجته وإبنه فى حديقة بيته !



# فنان أمريكي يعتنق الإسلام ويبدع في الخط العربي

بقلم : يوسف أحمد




لوحة رائعة من اعمال الفنان الامريكي المسلم ، وقد اهتم فيها بالزخارف الاسلامية والمساحات اللونية التى تعكس جمال وروعة الفن الاسـلامي

قصة هذا الفنان تؤكد لنا أن الفن كنشاط انسانى عظيم هو الذى يقـرب المسافات بين الشعوب ويعرفهـا على العادات والتقاليد التى قد تكون غائبة عن الأذهان ..

وكما نعرف فان الفن يلعب باستمرار دوراً هاماً فى نقل مفاهيم النـاس ومعتقداتهم والمزج بين كثير من الأفكار والآراء ، ولذلك فان أهمية هذه الرسالة ازدادت مع تقدم وسائل الاعلام التى جعلت من السهل علينا أن نتعرف فى نفس اليوم على المعارض الهامة التى أقيمت فى هذه المدينة أو تلك ، أشرطة الفيديو والشرائح الشفافة والكتب ذات الطباعة الفاخرة التى أصبح فى مقدورنا من خلالها أن نرى أهم المعارض الفنية ، والتى جعلت هذا العالم الكبير يبدو أمامنا وكأنه لا يحمل بين أرجائه تلك المسافات البعيدة ، فكل شىء أصبح فى متناول اليد ـ وبسرعة رهيبة ـ بداية من الأخبار والأحداث إلى اللوحة الفنية !

## البداية كتاب مطبوع

ان حياة الفنان الأمريكى الشيخ محمد زكريا انقلبت رأسا على عقب ، عندما اهتم بقراءة كتاب مطبوع عن الفن الاسلامي فى المتحف البريطانى ، فمن وقتها أخذ يبحث فى كل مكتبة عن الكتب التى تناولت موضوع الفن الاسلامى الذى انتج هذا الفن الرفيع ، خاصة وأنه لا يعلم عنه أى شىء ، وبدأ يقرأ ـ فعلا ـ عن الاسلام فى شوق ورغبة عارمة للتعرف على كافـة تفاصيل هذا الدين العظيم ..

وقد حدث هذا فى الخمسينات ، عندما رحل هذا الفنان من مدينته « لـوس انجلوس » بجنوب كليفورنيا إلى أوربا على ظهر باخرة اقلته من شرق الولايات المتحدة الأمريكية .

وترك خلفه أثناء هذه الرحلة ذكرياته أيام صباه ، عندما كان معجباً بنمط الحياة السائد بعد ظهور موضة « الهيبز » واتساع نطاق الرغبة فى الاسترخاء والسلبية وعدم المشاركة فى تحديث المجتمع ..

وكثيراً ما كان فى تلك الفترة يضيع وقته فى اللهو مع اصدقائه بقيادة الموتوسيكلات بسرعة جنونية هرباً من الملل والرغبة فى التجديد !

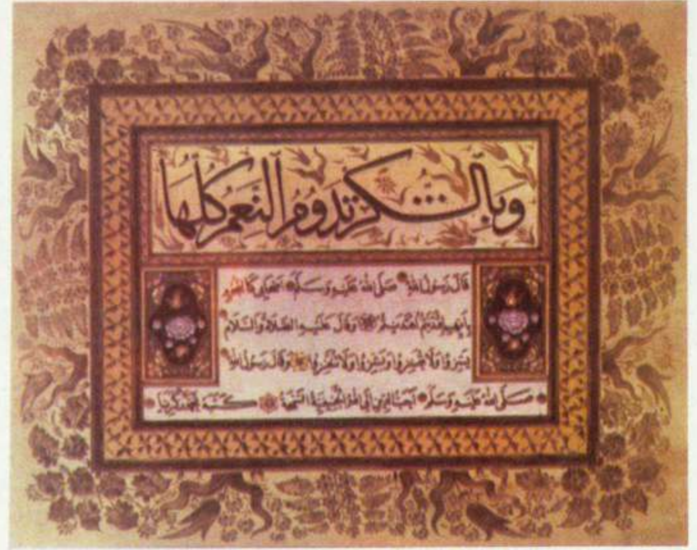
إلا أن حياته هذه غير المستقرة سرعان ما شعر نحوها برغبة فى التغيير ، خاصة وأن ظروفه الخاصة وتأملاته المعينة جعلته يبحث عن وسيلة تعطيه الأمل فى

# فنان أمريكي يعتنق الإسلام ويبدع في الخط العربي




كاتب المقال مع الفنان الامريكى








مجموعة من لوحات الخط العربي التى قدمها لنا الفنان الأمريكي المسلم ، ملتزما بقواعد الخط المتوارثة .. ثم نموذج لساعة اسلامية قديمة برع الفنان فى صنعها .

مستقبل مشرق بعيداً عن هذا النوع من اللهو الرخيص !

وهنا قرر أن يقوم برحلة أوربا ، طمعاً فى البحث عن الأشياء التى افتقدها داخله ..

## رحلة للمغرب

ورتبت له الصدفة موعداً مع مطالعة كتاب الفن الاسلامى ، وموعداً آخر مع فنان عربي مصرى هو الخطاط علي نور ، الذى بدأ يلازمه ويقاسمه حياته ويعرفه على الكثير من مميزات وروحانيات الدين الاسلامي وكنوزه التشكيلية المعجزة المتمثلة فى فنون الزخرفة والخط العربى بجميع انماطه الابداعية من ثلث ورقعة ونسخ وديوانى ، وغير ذلك من أساليب الكتابة العربية .

وبعد أن اعتنق فناننا الامريكى الاسلام قرر السفر الى المكان المناسب والبيئة الخصبة للاسلام ، ووقع اختياره على المغرب هذا البلد الساحر الذى عشقه من قبله فنانو أوروبا فى القرن السابع عشر مثل ديلاكروا وغيره وأصبح مسرحاً لممارسة الكثير من المدارس الحديثة مقتبسين حياة الشرق وسحره والابهارات اللونية التى تزخر بها بلاد المغرب .

لم يدخل فناننا الامريكى الذى أصبح اسمه محمد زكريا أي معهد أو مدرسة لتعليم الخطوط ، ولم يكن يعرف حرفاً من العربية قبل هذا التحول الخطير الذى دفع فناننا لأن يجعل شغله الشاغل هو اقتناء الكتب والمجلات التى تعنى بالخط العربي وفنونه واسراره ؟!




هذه اللوحة البديعة استخدم الفنان فى كتابتها الوانـا واحبارا صنعهـا بنفســـه .

## الخط حياته !

لقد حاول فى بادىء الأمر تقليد انماط الخط العربى ، ومكث السنوات العديدة فى التعرف على اسرار هذا الفن يعمل ويتعلم فى جدية لا مثيل لها .

اخذ يدرس بامعـان كل ما وقعت عليـه عيناه فى معاهد الخط العربى ومكتبته ووثائقه التاريخية والمستحدثة ، وما أن احس بأنه قد استوعب كل هذه المؤثرات حتى بدأ فى اتجاه جديد ، حاول أن يشق لنفسه اسلوباً مميزاً يجمع بين كلاسيكيات الخط وقواعده المتوارثة وبين أسلوبه وشخصيته المميزة مازجاً بين الزخارف والخطوط والتشكيلات الفنية (الا ابيسك) ولكن أهم تلك الملامح الى تسـتحق التسجيل هو ما عنى به أكثر من غيره من صناعة ألوانه وأحباره واوراقه بنفسه ..

كان كالناسك المتعبد فى محراب الفن الاسلامي الذى ملك عليه حياته ووجدانه ، وعاماً بعد عاماً استطاع أن يتمكن من اتقان هذا التخصص الرائع ..

واخيراً قفل راجعاً الى امريكا ليبدأ حياة حديثة كلها عطاء وتالق ، خاصة وأنه يعتبر حدثاً فريداً من نوعه فى المحافل الثقافية والفنية الامريكية .

وتهافتت المؤسسات الفكرية على انتاجه وتسـابق جامعو التحف الاسلامية والمهتمين بالتراث العربي وفنون الخط بالذات الى الاستفادة من خبراته واقتناء أعماله ، وأسرع المسئولون فى قسـم الدراسات الشرقية بجامعة « جورج تاون » بالعاصمة الأمريكية الى التعاقد معه ليصبح استاذاً متخصصاً فى تعليم الخط العربي .

## لقاء مع الفنان

وعندما سمعت عنه قررت زيارته ، فذهبت الى محراب عمله ، واستقبلني بكل سماحة المسلم ومثاليات الفنان المؤمن ، وأطلعنى على المساحيق القديمة التى قرأ الكثير عنها فى الكتب الاسلامية القديمة والتى أخذ يطبقها فى صنع أحباره بيده .

وعرفت أثناء لقائى به أن هذا الفنان برع فى صناعة الساعات الاسلامية القديمة بنفس الطريقة التى كان المسـلمون يستخدمونها فى الماضى ، وهو يعتمد على هذه الساعات فى تحديد الوقت الى درجة أننى صليت وراءه صلاتي العصر والمغرب على توقيتها الدقيق !

وقد بدأت أخيراً المؤسسات الثقافيـة تعترف بهذا الفنان المبدع ، وبدأت جامعة جورج تاون فى طباعة ونشر كتاب كامل ضمنه أربعين شكلا من أشكال الخط العربي ، كما أنه بدأ يمارس رسالته فى تعليم عشاق الخط العربى من الأوربيين والأمريكيين كافة التفاصيل التى تجعلهم يتذوقون بصورة أكبر هذا الفن الجميل ..

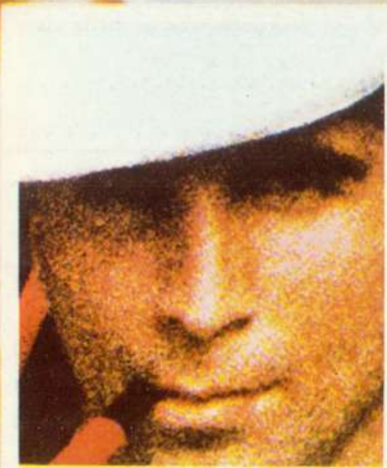
اننى اذ أقدم هذا الفنان الامريكى المسلم الى القارىء العربى ، فان كل أملى أن تهتم به المؤسسات العربية والخليجية وتقيم لأعماله معارض على أرضـها ، ويا حبذا لو استضافته دول الخليج وفى مقدمتها وزارة الاعلام بدولة قطر ، ليتعرف جمهورنا على هذه الظاهرة الفريدة من خلال معرض متكامل لخطوطه العربية الغاية فى الجمال والدقة ، ويمكننا أثناء استضافته أن نستفيد من معلوماته عن الخط العربى وصناعة الأحبار عن طريق إقامة ندوة حول هذا الموضوع الهام ، وكل ذلك ـ بالطبع ـ إضافة إلى اننا نتيح أمامه بهذه الزيارة فرصة اللقاء باخوانه المسلمين فى الوطن العربى .

**يوسف احمد**

بقلم
مجدي نصيف

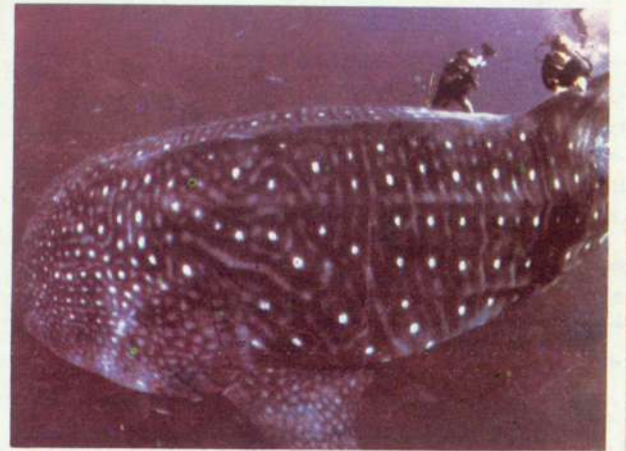
أستاذة جامعية تقول لنا:

# تعلموا عشق الفلك المفترس!



سمكتان من أسماك القرش فى احد الكهوف تحددان مكان الفريسة لتنطلقا نحوها ، وإلى أسفل « القرش النمر » وقد ظهرت أسنانه الحادة .
والى اليمين « القرش الحوت » اكبر سمكة قرش فى محيطات العالم ويصل طولها ١٨ متراً لكنها لا تهاجم الانسان

تقوم البروفيسور « ايوجين كلارك » الأستاذة « بالمعهد البحرى » بكيب هيز بفلوريدا بدراسة خاصة عن سمك القرش .. ولذلك عرفت بين زملائها باسم « سيدة سمك القرش » لأنها تعتبر نفسها صديقة لهذا الوحش السلاب النهاب الذى يذرع المحيطات وينشر الرعب بين الصيادين والمصطافين ، حتى لقد بنيت عليه أسطورة « الفك المفترس » التى نجحت على الشاشة الفضية وحققت كفيلم أرباحاً خيالية ، رغم أنها قصة مبالغ فيها !





اصغر انواع اسماك القرش ويطلق عليه للسخرية اسم « القرش الشيطان » ولا يزيد طوله عن ٣٠ سم فقط . ويعيش على عمق مائتين وخمسين متراً حيث يرى بعينيه الحادتين فى ظلام الأعماق .



نوع من سمك القرش يطلق عليه اسم « القرش الخنزير » يعيش فى قاع البحار ويأكل نجوم البحر والحيوانات الصدفية ويصل طوله الى حوالى المتر

تقول البروفيسور ايوجين كلارك مدافعة عن « القرش » .

– « لقد بالغ الناس كثيراً فى تصوير سمك القرش كآكل للبشر ، ولعبت الأفلام مؤخراً دوراً كبيراً فى هذا التصور .. اننى أريد أن أقول انه حتى « سمك القرش » يستحق بعضاً من التعاطف ومن الخطأ القول أن سمك القرش نوع فتاك رهيب مسلح بانياب حادة وله شهية مفتوحة دائماً .

## الذكاء والأصل

فبعد ثلاثين عاماً من الدراسة العلمية يظهر سمك القرش ككائن لم نقيمه التقييم المضبوط . ففى فلوريدا قامت الاستاذة كلارك بتدريب سمك القرش على قرع الجرس حين يجوع . وتقول الاستاذة .

– إن سمك القرش ذو ذكاء حاد وذاكرة جيدة ، وهو يتعلم بنفس السرعة التى تتعلم بها فئران التجارب فى المعامل ، وله ذاكرة تستفيد من الأخطاء » .

واذا ما قمنا بمقارنة الانسان بسمك القرش ، فالانسان ليس الا محدث نعمة على هذه الكرة الأرضية بالنسبة له . لقد تواجد سمك القرش فى محيطات أرضنا منذ أكثر من ٣٠٠ مليون سنة ، بينما تواجد الانسان منذ ثلاثة ملايين عام على أكثر تقدير علماء الأجناس البشرية . اسماك القرش إذن هى « حفريات » حية ، مزودة بكل ما تحتاجه لتقوم بدورها « كمفترسات تجوب البحار ، وهى لم تتغير منذ نشاتها ، بينما استمرت معظم الحيوانات الاخرى فى التطور ، استمر سمك القرش « ماكينة مفترسة » بحرية متحركة .

ويعكس التشريح الأولى لسمك القرش أصله القديم . وأول ما يلفت النظر أن كل أسماك القرش غضروفية ، أى ليس بها عظام . وسمك القرش البالغ له خمسة ازواج من الخياشيم المنفصلة ( كالجنين البشري عندما يكون عمره ثلاثة اسابيع ) . وجلده خشن – كورق « الصنفرة » – مكون من ملايين الأشواك المكونة من مادة الأسنان ، فهي بذلك عبارة عن ملايين الأسنان . وأسنان سمك القرش تتكون من نفس المادة ، لكنها ليست مثبتة باللثة ( كما هو الحال فى الانسان ) ، وإنما تنمو دائماً كما ينمو الشعر والأظافر ، وهي تنمو فى صفوف تتحرك دائماً إلى الأمام لتحل محل ما فقد أو تاكل من الأسنان الأمامية .

## الحاسة السادسة

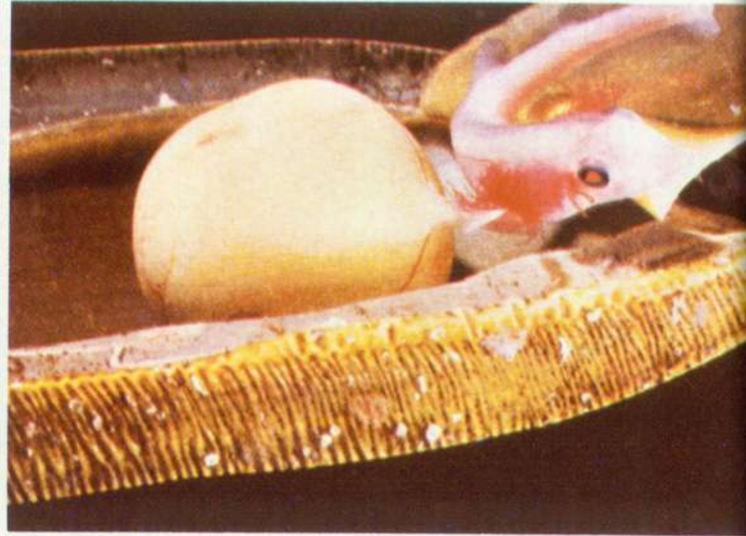
وسمكة القرش عبارة عن جسم – او بالأحرى ماكينة متحركة ذات حساسية فائقة . ان حاسة الشم عند القرش يمكنها أن تدرك رائحة عصير سمك التونا عندما يكون تركيزه فى الماء جزء من أكثر من نصف المليون . ويمكنه أن يشم رائحة دم حيوان من على بعد نصف كيلومتر . لكنه يستطيع أن يعرف ما اذا كانت تلك السمكة التى تبعد عنه مسافة ٣٠٠ متر ، مريضة أو سليمة ، برصد ذبذباتها ، عن طريق نهايات أعصاب حساسة للغاية موجودة تحت جلده !

هذه الحاسة السادسة هى التى تجعل سمك القرش صياداً مفترساً مميتاً . إنه يستطيع حتى أن يحدد مكان السمك « المسطح » الذى يدفن نفسه تحت الرمال ، بالاتجاه نحو الاشارات الالكترومغنطيسية التى تصدرها كل الاسماك . ويعتقد بعض العلماء أن اسماك القرش قادرة على التقاط الاشارات الاليكترومغنطيسية من الارض ، والاستعانة بها للابحار فى رحلاتها لمسافات هائلة فى المحيطات .

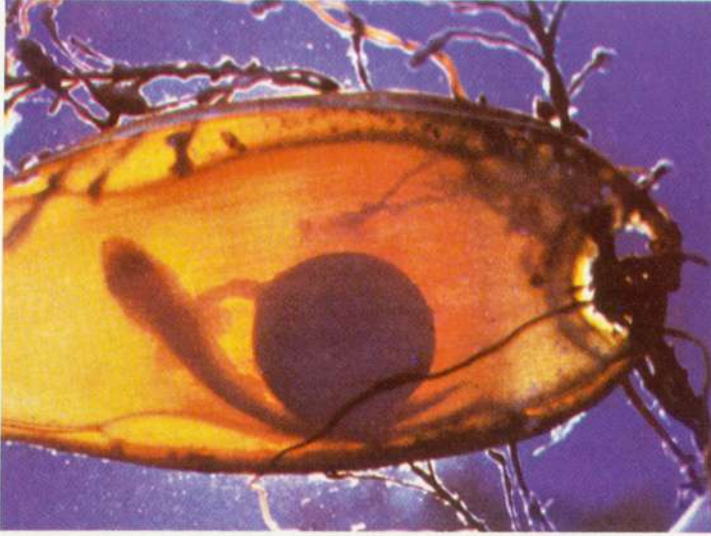
وعينا سمكة القرش لا تغمضان أبداً . ويؤكد الدكتور صموبل جروبر من جامعة ميامي أن حاسة الرؤية عند سمك القرش قوية للغاية ، بل إن بعض الانواع وهو مايطلق عليه اسم « قرش الليمون » تصل حاسة الرؤية عنده إلى عشرة اضعاف تلك الحاسة عند الانسان . ويضيف الدكتور جوبر قوله :

– إن القرش يمكنه ايضا التفرقة بين الألوان . ونامل من خلال قيامنا ببعض التجارب أن نصل إلى الألوان التى يفضلها أكثر من غيرها !

وبدأ العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية برنامجا لمعرفة تحركات اسماك القرش ، ومنذ بدأ البرنامج العام الماضى ، تم الامساك بـ ٣٠ الفا من هذه الاسماك



جنين سمكة القرش عن قرب . الكيس داخل البيضة يطعمه لمدة عام كامل



جنين سمكة قرش تحيط به كبسولة للحفاظ عليه . وقد ثبت الجنين بقطعة من صخور المرجان وتقوم الكبسولة بحماية الجنين وتغذيته حتى يفقس .

ووضعت عليها علامات مميزة وارقام ، ثم اخذت النتائج تتوالى بعد ذلك . ظهر أن سمك القرش يسبح ويسير لمسافات خيالية فى بحثه الدائب اللانهائي عن الطعام . وأعطى لقب «بطل المسافات الطويلة» ، « للقرش الأزرق » وطوله ثلاثة امتار . وقد امسك باحد هذه الأسماك عند الشواطىء الشرقية للولايات المتحدة ، ثم امسك به مرة ثانية بعد عام فقط ، عند « جبل طارق»

## الانسان أخطـر

وهناك ٣٥٠ نوعاً على الأقل من اسماك القرش مدونة لعلماء الأحياء ، ويزداد عددها كل عام . ففى عام ١٩٦٧ تم اكتشاف نوع جديد سمى بـ « الفم الضخم » على شواطىء هاواي ، بعد ان ابتلع خطا مرساة سفينة ، وتشع فكاه الغائرتان لمعانا فسفوريا ، تمكنه من ان يرى بوضوح فى احلك الأعماق . لكنه رغم مظهره الهائل لا ياكل إلا الكائنات البلانكتونية العالقة بالماء .

وأكبر سمكة قرش فى العالم هي النوع المعروف باسم « قرش الحوت » ، وهو نوع يصل طوله فى بعض الأحيان إلى ١٨ متراً. وأصغرها النوع المعروف باسم « قرش الشيطان » ، والنوعان ياكلان البلانكتون اي العوالق . هناك نوع اخر صغير الحجم اسمه « قرش المطبخ » لانه ياكل اي شيء فى طريقه ، ولحسن حظ البشرية ان هذا النوع لايزيد طوله عن النصف متر فقط ، لكن شهيته هائلة بل عنيفة ، فهو يستطيع ان يقضم قطعاً وافرة من اسماك اكبر منه بكثير ، ثم يختفى قبل ان تلحق به ضحاياه . وفى إحدى المرات قضم احدها غطاء مطاطيا لاحد اجهزة الغواصات النووية الأمريكية .

إن مثل هذا الشره ، وتلك الأسنان ، والحركة الدائبة السريعة ، هو ما يجعل سمك القرش خطيراً للغاية . ويمثل « قرش الحوت » بالذات خطراً حقيقيا وسجلاته تشهد بذلك . ولكن نسبة حدوث حوادث هجومه إلى الناس مبالغ فيها جداً . لكن الانسان يمثل خطورة على سمك القرش اكثر من خطورة سمك القرش على الانسان، إذ يقتل الانسان ٣٠٠ سمكة قرش سنويا ، بينما تذكر سجلات معهد سميشونيان بان عدد المرات التى يهاجم فيها سمك القرش الانسان لا تتعدى ٢٠ هجوما كل عام فى كل محيطات وبحار العالم . حتى ان احتمال الموت بسبب عاصفة برقية اكبر بكثير من احتمال الموت عن طريق هجوم لسمك القرش ! .

## مهاجمة الصيادين

وإذا كان عدد انواع سمك القرش يصل إلى أكثر من ٣٥٠ نوعا ، وليس فيها أكثر من ثلاثين نوعا هي الأنواع الشرسة تضم « النمر » و « رأس المطرقة » و « ماكو » و « الممرضة الرمادية » و « الثور » . وأكثرها شراسة هو « رأس المطرقة » .

تقول الاستاذة الدكتورة كلارك مدافعة عن اسماك القرش :

— « إن اكثرها شراسة وهو « راس المطرقة » يفضل تجنب البشر . فهو لا يهجم إلا حين يستفز . ومن الحظ السيىء أن حركة السابح فى الماء تولد موجات ضاغطة يفسرها سمك القرش بانها علامات ضيق ، فيتجه نحو ضحيته المنتظرة » .

وطبقا « لمكتب هجوم القرش » بالولايات المتحدة فان اكثر الأوقات خطورة بالنسبة للسابحين حين ترتفع درجة حرارة الماء عن ٢١ درجة مئوية لأن الماء الدافىء يزيد من سرعة التمثيل الغذائي فى سمك القرش ، ومن ثم احتياجه للغذاء . لذلك ففى بريطانيا التى يصطاد فيها الهواة والصيادون اربعة الاف سمكة قرش سنويا تقلل برودة المياه إلى حد كبير من هجوم سمك القرش . ورغم ذلك تتجول « الماكو » حول شواطىء بريطانيا ، وهناك حوادث مسجلة حول هجومه على الصيادين .

ورغم كل ما يقال من حواديت حول اسماك القرش ، تظل الحقيقة أن الانسان يصطاد كل عام ماوزنه ٣٠٠ الف طن من سمك القرش ويعطى كبده زيتاً مشهوراً جداً فى صناعة مستحضرات التجميل التى تستخدم من بين اشياء اخرى لصنع احمر الشفاة .

• • •

إن الاستاذة الأمريكية « ايوجين كلارك » تتعاطف بشدة مع سمك القرش ، ولا تنظر إليه نظرة الخوف التى ترعبنا ، وهى دائما تقول لكل الذين يقابلونها :

— تعلموا عشق الفك المفترس .. ولا تصدقوا خيالات الذين ينشرون الرعب بين الصيادين والمصطافين ! .

مجدى نصيف

## شهر في كندا

# شعب دءوب يعشق العمل.. والحياة

بقلم: نادية رزق

من يرى الكنديين فى الصيف بحماسهم وحبهم للحياة والعمل .. لا يعتقد ابدأ انهم أنفسهم الذين يعيشون سبعة اشهر فى العام وكانهم داخل ثلاجة ، وإن كانوا يمارسون حياتهم كالمعتاد . فهم يذهبون الى أعمالهم والأولاد لدراستهم وجميعهم يخرجون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع .

والحقيقة ان توفر الخدمات عامل مساعد فى سهولة الحياة وسط الثلوج .. فوسائل المواصلات تسير فى مواعيدها . التليفونات تعمل كالمعتاد ، ومثلها الكهرباء .. والحياة تسير بنفس القوة والارادة بالرغم من الانخفاض « الرهيب » فى درجة الحرارة التى تصل احيانا الى ٢٥ ، ٣٠ درجة تحت الصفر . فما ان ياتي الصيف حتى يبدأ الكنديون فى تعويض فترة الشتاء القاسية حيث يذهبون الى المصايف والحدائق ، وتنتشر الخضرة داخل وخارج البيوت وكأنها تعويض للعين والنفس عن فترة الجدب والبرد !

ORBIS PUBLISHING London

الثلوج من المناظر العادية فى كندا ، حيث تستمر سبعة أشهر فى العام ، لا تتوقف أثناؤها الحياة ، فالكل هنا يعمل فى جد ومثابرة ، فهم يعشقون العمل والحياة رغم الثلوج والبرد الشديد ! .

● « سوق الحميدية أيضاً في كنـدا ! ● ● تعاطف الكنديين واضح تماماً مع القضية الفلسطينية ! ● ● ● ماذا يطلب العرب فى كندا من جامعة الدول العربية ؟ ● ● ● ● من هم المحظوظون فى هذه البـــــلاد ؟ ● النهضة الاقتصادية من أسباب نمو الفنون بكندا ! ● ● الكتاب والأدباء الكنديون ... لماذا تتجاهلهم البلاد العربية ! ● ● ● مهرجان سنوي للدراما يقام بكل مقاطعة كندية ! ● ● ● ● المشاهد فى كندا يستطيع استقبال ٧٩ قناة تليفزيونية !· ● شوارع كندا كأنها مبنى الأمم المتحدة ، تجمع كل جنسيات العالم ! .



بـرج تورونتـــــو الشهيـر كمـا يبـدو في الليـــل وخلفــه ناطحـــات الســحاب .

## شهر في كندا

ولو تتبعنا جودة الخدمات المتوفرة لسكان كندا لعرفنا صعوبة القيام بها وسط هذا الجو « المثلج » والظروف البيئية الصعبة . فكندا قطر كبير جداً يمتد من المحيط الأطلنطي حتى شاطىء المحيط الهادى ، ومن حدود الولايات المتحدة حتى القطب الشمالي ، وهي قدر مساحة انجلترا سبعون مرة ، ولا يفوقها فى المساحة سوى الاتحاد السوفييتي ، ولكن متوسط كثافة السكان بها أقل من ٩ أشخاص فى الكيلومتر الواحد ..

وفي هذه المساحة الشاسعة نجد تفاوتا كبيراً فى المناخ ، فاربعون بالمائة من مساحتها تقع داخل المناخ شبه القطبي .. ولهذا السبب يتركز اغلب السكان فى الجنوب .

وتعتبر كندا بلاد الجبال المرتفعة ، وتمتد الجبال بها من الشمال الى الجنوب وهى جبال « الكورديلليرا » الغربية .. وإلى الداخل تمتد جبال الروكي التى تصل جنوباً حتى الولايات المتحدة ، ولها قمم ترتفع لأكثر من ٣٣٣٣ متراً وتتمتع البلاد باكبر عدد من البحيرات فى العالم : بحيرة متشجان ، وبحيرة سوبريور ، وبحيرة هورون ، وايري ، وبحيرة أونتاريو . بالاضافة الى نهر سانت لورانس الذى يستمد ماءه من البحيرات الخمس ويكونون أكبر طريق مائي فى العالم .

### الثروات المتعددة

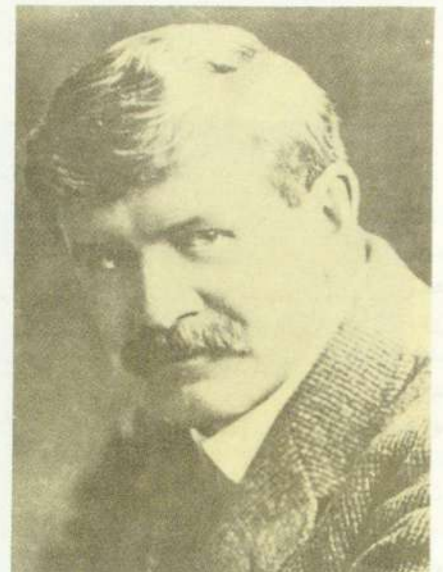
أما مصادر الدخل هناك فعديدة ومتنوعة وأهمها تاتي من الاخشاب حيث يوجد بها أكبر غابات العالم التى تشتمل على الكثير من أنواع الأشجار . يكفى أن نعرف أن نصف الورق الذى تطبع عليه جرائد العالم كله ياتي من كندا .. كما أن الثروة المعدنية بها ضخمة جداً ، فبها النيكل ، وتعتبر ولاية « البرتا » مصدراً هاماً فى العالم لانتاج البترول ، ويوجد اليورانيوم فى اجزاء متعددة منها ، كما تتمتع بكمية هائلة من اليورانيوم ، كما تستخرج الفحم . إلا أن بعد المسافة بين المراكز الصناعية ومصادر الطاقة يهبط بالانتاج .

وقد أدى قلة عدد السكان مع توافر مساحات كبيرة من الأرض إلى ضرورة تنمية الميكنة الزراعية فى كندا .. غير أن المناخ السائد فى معظم انحاء البلاد لا يسمح سوى بفصل زراعي قصير . وبالرغم من ذلك تعد من الدول المصدرة للطعام فى العالم ، والمحصول الرئيسي هو القمح ، ولا يفوقها فى تصديره سوى الولايات المتحدة كما يزرع الشعير والبطاطس وفول الصويا والتفاح والدخان .

وتقوم كندا بتصدير الثلثين مما يتم صيده من السمك كل عام ، وتعد الثالثة فى هذا المضمار بعد اليابان والنرويج .

واهم الأسماك السالمون .. وهو يصطاد من المحيط الهادي .. وتستخدم صناعة صيد السمك الكندية نحو ١٥٠٫٠٠٠ شخص ، وبها أكثر من ٩٠٠ مصنع لتعليب الأسماك.

أطفال كندا الذين يمثلون كل شعوب العالم .. إنهم أصحاب الجنة الحقيقية فى كندا ! .



ستيفن ليكوك .. أديب كندي اشتهر بكتاباته الكوميدية الراقية التى يعشقها الجمهور .



الكاتبة مازو . د . لاروش أصدرت سلسلة من الكتب القيمة التى تبحث فى الأدب الكندى .

## سياحة من الهواء

عرفت كندا كيف تجعل من نفسها بلداً سياحياً يؤمه الآلاف سنوياً ، وهي أصلا لا تتمتع بمعالم سياحية ـ كالتى توجد فى العالم العربي ـ سوى شلالات نياجرا وتوجد على الحدود بين كندا والولايات المتحدة الامريكية ، والقسم الكندى منها على شكل حدوة حصان . وقد استطاع القائمون على استغلاله سياحياً أن يجعلوا منظر الشلالات خلابة خصوصاً فى الليل باضافة الأضواء والظلال ، وإنشاء مدينة حولها بها كل ما يريده السائح من فنادق وألعاب ومحلات ويؤمها آلاف من السياح ليستمتعوا بمنظر اندفاع ملايين الأطنان من المياه التى تستعمل فى توليد الطاقة الكهرومائية .. وكل المشروعات السياحية قائمة على الأفراد والشركات الخاصة ، فهناك حديقة الحيوان المفتوحة (السفارى)

# شهر في كندا

.. ويعد « برج أونتاريو » ــ ويبلغ ارتفاعه حوالي ٥٥٦م ــ من المعالم السياحية بكندا ايضاً حيث توجد اسفله مدينة كاملة من الألعاب .. أما الكنديون فيفخرون بقلعتهم التاريخية وتدعى « كزالوما » التى بناها حاكم كندا منذ ١٥٠ عاماً ليستقبل فيها ملكة بريطانيا اثناء زيارتها لكندا ، وتبدو القلعة من الداخل عادية قياساً على الآثار الموجودة بالبلاد العربية ، ولكنهم عرفوا كيف يجذبون السائحين لرؤيتها ..

## مع التاريخ

فى عام ١٤٩٧ اكتشف كندا رحالة يدعى « جون كابوت » ، وبعدها تطلع الفرنسيون لاستعمارها ، فانشاوا المستوطنات فى منطقة تدعى « نوفاسكوتيا » عام ١٦٠٤ ،

وفى منطقة « كوبيك » عام ١٦٠٨ . وسرعان مابدأ الصراع بينهم وبين البريطانيين للسيطرة عليها فنشبت الحرب الفرنسية الهندية عام ١٧٥٤ ــ ١٧٦٣ التى انتهت بتخلى فرنسا عن الاراضي الكندية لبريطانيا بموجب معاهدة باريس عام ١٧٦٣ . وفى عام ١٨٦٧ اتحدت مقاطعات كندا وشكلت ما يعرف بـ « دومنيون كندا » ، وعند انشاء الكومنولث انضمت إليه عام ١٩٣١م ومازالت الى الآن صورة ملكة بريطانيـــا على الدولار الكنـــدي ، وفى الدوائر الرسمية إلا أن تبعيتها لبريطانيا اصبحت شكلية ، وتدور حالياً مناقشات فى البرلمان الكندي ، لاستقلال كندا تماماً عن بريطانيا .

وقد اشتركت كندا فى الحربين العالميتين إلى جانب الحلفاء .. وبعد الحرب الثانية بدات كندا تاخذ وضعها معتمدة على الولايات المتحدة التى يرتبط اقتصادها بها حتى الآن .. وهناك كثير من رؤوس الأموال الأمريكية التى تجد مجالا واسعاً للاستثمارات بكندا ، إلا ان هذه التبعية الاقتصادية لا تروق للاقتصاديين الكنديين ، حيث يرون انها سبب للتضخم الموجود حالياً بسبب ارتفاع الأسعار ، وازدياد نسبة البطالة ، مما اضطر الحكومة الى وقف كثير من المساعدات التى كانت تقدمها إلى بعض الفئات مثل « الضمانات الاجتماعية » للمتعطلين عن العمل ، وزيادة الضرائب .

وما يثير الرأي العام الكندي هذه الايام هو فرض ضريبة على الماكولات بنسبة ٧٪ بعد أن كانت معفاة تماماً من الضرائب ولا يمر يوم دون أن تسير المظاهرات من المستهلكين وأصحاب المطاعم ومحلات الطعام للمطالبة بالغاء هذه الضريبة بعد أن قل اقبال الناس على الشراء .

ولكن الحكومة الكندية مسئولة عن الخدمات الهامة مثل العلاج ، ورصف الطرق ، وانشاء الحدائق. ومواردها تاتي عن طريق الضرائب . وتتميز كندا بشبكة ضخمة من الطرق والكباري العلوية ومترو الأنفاق الذى يربط كل مقاطعة من جهاتها الاربع .

## هل يتحقق الانفصال ؟

مازالت مسالة انفصال كوبيك الناطقة باللغة الفرنسية تؤرق بال السياسة الكندية ، ومازالت هناك دعوات من اعضاء برلمان تلك المقاطعة تنادي بالانفصال عن كندا الأم ، وتكوين دولة مستقلة ، إلا ان الاستفتاء الذى طالب باجرائه « بيير ترودو » رئيس الوزراء فى العام الماضى ، واسفر عن رفض سكان تلك المقاطعة الانفصال مفضلين البقاء تحت راية كندا الموحدة ، قد شجع على ابتعاد شبح الانفصال ولو مؤقتا . وحجة الحكومة الكندية فى ذلك أن الدولة مكونة من جنسيات متعددة من المهاجرين ، ففيها الصينيون ، والفرنسيون ، والانجليز ، والأفارقة ، والعرب .. ولو طالبت كل جنسية بانفصالها لتفتتت كندا ، ولساعد ذلك على ظهور دعوات انفصالية فى كل المقاطعات ... وتعتبر كندا مثل هيئة الأمم المتحدة ، فهي تضم جنسيات من كل انحاء العالم ، ويتمتع الجميع بنفس الحقوق دونما تفريق .

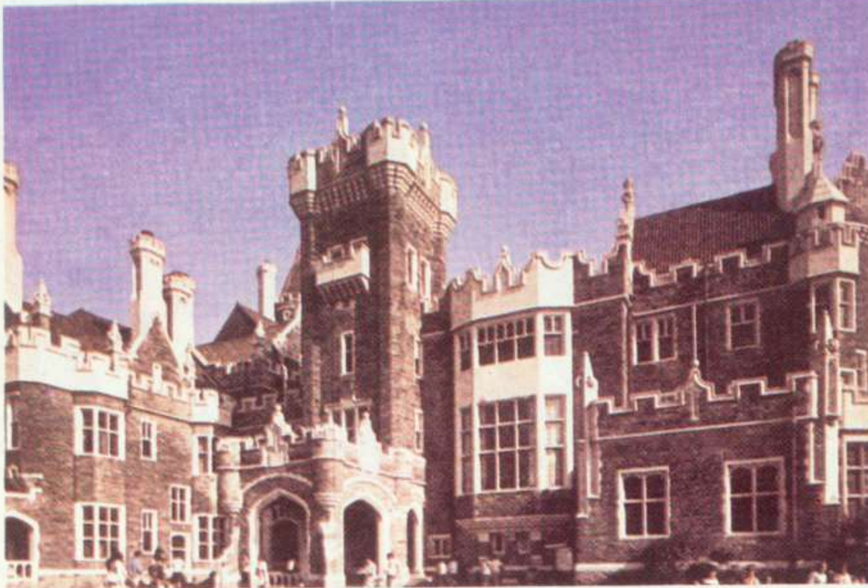
## والعرب فى كندا

ولو تتبعنا المهاجرين العرب الى كندا لوجدنا لهم وجوداً متمثلا فى اكثر من شكل سواء على الصعيد الرسمى أو الاجتماعي أو الاقتصادي والاجتماعي ، فالهجرات العربية بدات ما بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٠ من لبنان ، ثم نشطت بعد الحرب العالمية الأولى ،وازدادت عام ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٠ عندما بدا بعض العرب مثل المصريين والعراقيين واللبنانيين من الاطباء والمهندسين والخبراء فى الاتجاه لكندا ، بلغ عددهم وقتها حوالي ١٥ الفا ، واغلبهم يشغلون حالياً مناصب هامة فى المجتمع الكندي . ومعظم العرب يعملون فى إدارة المصانع والتجارة ، وهم يشكلون نسبة ٩٠٪ من عمال المصانع فى مونتريال ، و٦٠٪ لباقى كندا .

وتقول التقارير الرسمية الكندية إنه ما بين عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٧٦ كان يصل لكندا حوالي ١٢٠٠ عربي سنوياً .

وعندما كنت أسير فى شوارع كندا كانت تطرق أذني كلمات عربية ، فكنت اسمع احدهم يسال زميله « الساعة كام ؟ » ،

قلعة « كازالوما » التى يصل عمرهـــا إلى ١٥٠ عامـــا فقط ، ومع ذلك فان كندا تخلق من « الحبة قبـــة » فى أثـــارهـــا !



« اسرع قليلا » .. وقتها كنت أشعر انني لست في « آخر الدنيا » .. كما يقولون !

والاعلام الكندي محايد ، فعندما بدأ الهجوم الاسرائيلي على بيروت ، كانت محطات التليفزيون تعرض الأفلام ، وترسل مراسليها للقاء ياسر عرفات وغيره من قادة المنظمة .

ويتعاطف الشعب الكندي مع القضية الفلسطينية . فيظهر هذا واضحاً في تعليقات الصحف والاذاعة والتليفزيون ، ولكن هذا لا ينفي وجود دور للصهيونية في كندا حيث يوجد كثير من رجال الاعمال اليهود ، وهؤلاء لهم ثقلهم في البرلمان .. إلا أن موقف الحكومة الكندية يبدو واضحاً الى جانب العرب .. وخاصة عندما نقلت كندا سفارتها الى القدس ، حين كان جو كلارك رئيس الوزراء في الحكم ثم اعادتها مرة أخرى الى تل أبيب . كما تقيم كندا علاقات اقتصادية كثيرة مع العالم العربي .

وتنتشر النوادي العربية بكندا . منها الاجتماعية والثقافية . ويوجد عدد من المساجد في كل مقاطعة .. كما تنتشر المحلات العربية التي تحمل أسماء مثل « خان الخليلي » و « سوق الحميدية » و « العربي » . وتبيع البهارات والملوخية والخبز العربي .

إلا أن الشكوى التي سمعتها في أماكن متعددة من العرب المهاجرين إلى كندا ، هو عدم وجود رابطة واحدة تضمهم جميعاً ، ويطالبون جامعة الدول العربية بالقيام بدور في هذا الصدد ، خاصة فيما يتعلق بانشاء مدارس لتعليم العربية لأبناء المهاجرين حتى لا يفقدوا صلاتهم بوطنهم الأم .

## المحظوظون في كنـــدا !

الأطفال في كندا يتمتعون بكل شيء ، وحسب القانون لابد من إيجاد أماكن خاصة للعبهم مثل حمامات السباحة الملحقة بالعمارات الضخمة والحدائق العامة المزودة بالعاب مجانية .. وتستطيع العائلات الاستفادة من ملاعب المدارس وحدائقها في الأجازات حيث انها بدون أسوار .. والطفل الكندي يستطيع أن يناقشك في الاقتصاد .. والفضاء .. والتاريخ ..

والمرأة أيضاً من الفئات المحظوظة بكندا على عكس مثيلاتها في كثير من الدول الأوربية ، فلها نفس حقوق الرجل ، وتعمل بكل الوظائف دون تمييز .. وقد فتحت مواطنة كندية تدعى بين سميث الباب امام زميلاتها للعمل كشرطية إطفائية وذلك



تمثال من فنون الهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين .

عندما رفعت قضية وكسبتها ضد شرطة الاطفاء التي رفضت استخدامها عندما حددت شروط القبول للرجال فقط ، واستطاعت بحكم المحكمة ان تدخل الامتحان وتنجح ..

ولكن بالرغم من المكاسب التي حصلت عليها المرأة الكندية ، إلا أن هناك صيحات تطالب النساء بالاهتمام بأولادهن وبيوتهن وتدعو لاعادة النظر في الضغوط النفسية التي تقع على النساء نتيجة لبقائهن طوال اليوم خارج المنزل مما يسبب التفكك الأسري .

## فنون الهنود الحمر

يرجع نمو الفنون والحياة الثقافية في كندا إلى التغيرات السريعة العلمية والثقافية في البلاد ، ومنذ عام ١٩٥٠ كانت النهضة الاقتصادية سبباً كبيراً في استمتاع غالبية الكنديين بالفنون ، هذا بالاضافة لوجود مهاجرين قادمين من مناطق متعددة من العالم .. أصحاب الثقافات القديمة أمثال الصينيين والعرب

وفي كل مقاطعة يوجد مجلس أعلى للفنون تساهم الحكومة في انشائه . وهناك العديد من الأدباء الكنديين الذين قدموا أعمالا لاقت رواجاً في العالم ، وإن كان مازال الكثيرون منهم لا يعرفهم القراء العرب من أمثال « مارك لسكاربوتس » و «روبرت وي » و « ستيفن ليكوك » و «توماس رادال ومـــازو . د . لاروش وآخــــــرون

والذي يزور المتاحف الكندية يرى آثاراً واضحة للأعمال الفنية المكتشفة في الأماكن التي كان يقطنها سكان كندا الاصليون من الهنود الحمر في الساحل الشمالي ابتداء من عام ١٨٨٠ . هذا بالاضافة إلى ما تشمله الجامعات الكندية المتعددة من مجموعات هامة مماثلة لأغراض البحث العلمي .

وتعطي الحكومة اهتماماً خاصاً للمسرح في كندا منذ بداية عام ١٩٢٠ ، ويقام سنوياً مهرجان للدراما في كافة المقاطعات تتبارى فيه الفرق في تقديم أعمال عالمية ومحلية .

أما السينما فقد بدأت تظهر عالمياً عندما اشتركت كندا في المهرجانات بأفلام من انتاجها ، وبدأ جمهور المشاهدين في العالم يتعرف على الأسماء الكندية من امثال « بيير جاسمان » و « ليلي مارفن » .. ويوجد في جامعات كندا ٣٢ قسماً لدارسة وأبحاث الموسيقى ، كما لا ننسى أوركسترا مونتريال السيمفوني الذي قام بجولة أوربية عام ١٩٨٠ ، وشد انظار واسماع معظم العواصم التي زارها .

أما الارسال الاذاعي والتليفزيوني فهو ملك لشركات وأفراد ، ولا تمتلك الحكومة الكندية سوى محطة واحدة رسمية ، وعلى سبيل المثال يوجد بمقاطعة تورونتو فقط ٤ محطات إرسال تليفزيوني ، بالاضافة لاستمتاع المشاهد ببرامج تليفزيونية لأكثر من ٧٩ قناة .

وعند عودتي وأثناء الرحلة الطويلة فوق المحيط الهادي والتي استغرقت حوالي ٨ ساعات ، كنت أفكر في هذا الشعب الدؤوب الذي يحب عمله ويستمتع به ، كما يستمتع باوقات فراغه ، وجمال بلاده سواء في أثناء الثلج أو الحـر . !

نادية رزق



## من الصنبور إلى الخرطوم

الصنبور صغير ، والخرطوم كبير ، والماء المنساب قليل ، لكن القليل مع القليل كثير ، أو ان شيأ خير من لا شيء على أية حال .. وهكذا توصل صاحب هذا الخرطوم الضخم إلى وسيلة للشرب لم يعرفها آباؤه ولا اجداده ، ولن يهتدوا إلى مثله أبداً ، لأن صاحب الخرطوم فيل ، وعندما رأى الماء يتسرب من الصنبور ، هدته غريزته إلى الاستفادة بما يضيع من الماء على الأرض هباء ، وبهذا يروى عطشه بماء نقي صاف من صنع الانسان .. وكل مخلوق يتعلم ، حتى الحيوان ، ودون تدخل من الانسان !



## برافو .. للبقرة

فلنقدمها أولا .. اسمها بيتشر أرليندا ايلين .. بقرة من سلالة هولشتاين ، ومملوكة للسيد هارولد بيتشر وزوجته من ولاية انديانا الأمريكية .. وسر شهرة البقرة أنها تفوقت على كل ابقار العالم فى ادرارها للبن ، ففى غضون عام ١٩٧٥ ، درت هذه البقرة ٢٥٢٤٧ كيلوجراماً من اللبن على مدى ٣٦٥ يوماً بمعدل حلبة واحدة فى كل يوم ، أو بما يساوى ٧٠ كيلوجراماً فى المتوسط يومياً ، ولم يتحقق هذا الانتاج السنوى لبقرة أخرى حتى الآن .. هذا ومما يذكر ان بقرة فريزيان بريطانية تدعى جارسدون مينى قد درت فى يوم واحد ٨٩,٩٢ كيلوجراماً ، وهو رقم لم يتحقق منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن .. وصفقوا معنا لهذه الأبقار ، وكذلك للانسان الذى يقف وراء تحسين مثل هذه السلالات ، التى تنطوى على العطاء والخيرات .

## أغرب ماكياج .. وأوهى دواء!

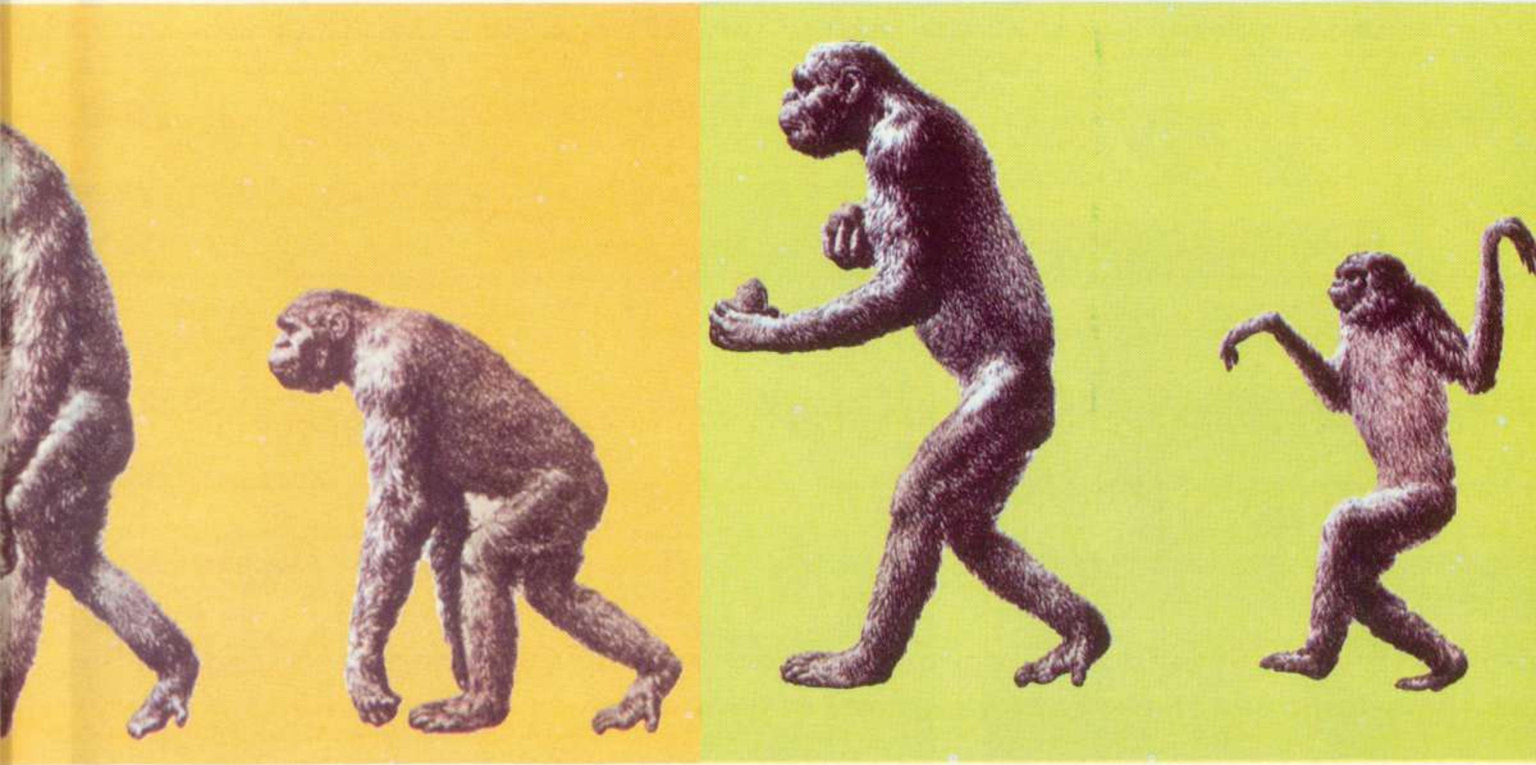
ليس ذلك للزينة ، أو لجذب الأنظار ، بل لطرد الأرواح والأشباح .. ولهذا جاء الماكياج مخيفاً على مستوى البشر ، وأيضاً على مستوى الأرواح – على حد اعتقاد بعض قبائل استراليا البدائيين ، فلقد مات عم هذا الرجل ، ومهمته أن يطرد روحه الى الأبد ، حتى لا تعود الى القبيلة ، وتسبب لها المتاعب ، ولهذا يقضى الساعات الطويلة فى دهان وجهه وبعض اجزاء جسمه بالفحم ، أو بالأصباغ المختلفة التى تراها هنا على ذراعيه وصدره وكانما هى رداء ( وليست هى كذلك حقاً ) ، ثم يضع على رأسه ريش طير والياقاً نباتية ، وعلى وجهه لحية مستعارة من ريش خفيف ملون ومثبت بشمع النحل ، ومن عنقه تتدلى كرة من نفس ريش اللحية ، ومثبتة بشعر مجدول من شعور النساء ، وهو على أهبة الاستعداد للقيام برقصات تشنجية ، تصحبها أصوات مدوية مختلفة بدقات الطبول ، وصراخ النساء ، حتى تخاف روح العم وتهرب الى غير رجعة .. وكم على الأرض من خرافات تختلف باختلاف المجتمعات .



## لعبة التخفي "الاستغماية"!

هذه اللقطة قد لا تجذب الانتباه .. لكن دقق النظر جيداً ، علك تصل إلى سرها ، لأن الطبيعة هنا تلعب لعبة دقيقة ومثيرة .. صحيح اننا نرى فرعاً اكبر يحمل فرعين صغيرين ومبتورين من أعلى .. لكن أحدهما ينتمي إلى عالم النبات ، والآخر ينتمي إلى عالم الحيوان ، .. فأيهما النبات ، وأيهما الحيوان ؟ .. تظنك الآن قد توصلت إلى سر اللعبة ، فالفرع الصغير الأيمن جزء من الفرع الأكبر ، لكن الأيسر دودة اتخذت وضع وشكل ولون وحجم الفرع النباتي ، لتخدع أنظار الطيور التى تستطعم لحم هذا النوع من اليرقات ، وأيضاً تخدع أنظارنا ، لأنه من الصعب علينا اكتشافها على الطبيعة ، وهذه إحدى الوسائل الفعالة التى قدمتها الطبيعة لبعض كائناتها ، لتحميها وتعوضها عن ضعفها .. « صنع الله الذى اتقن كل شيء » .

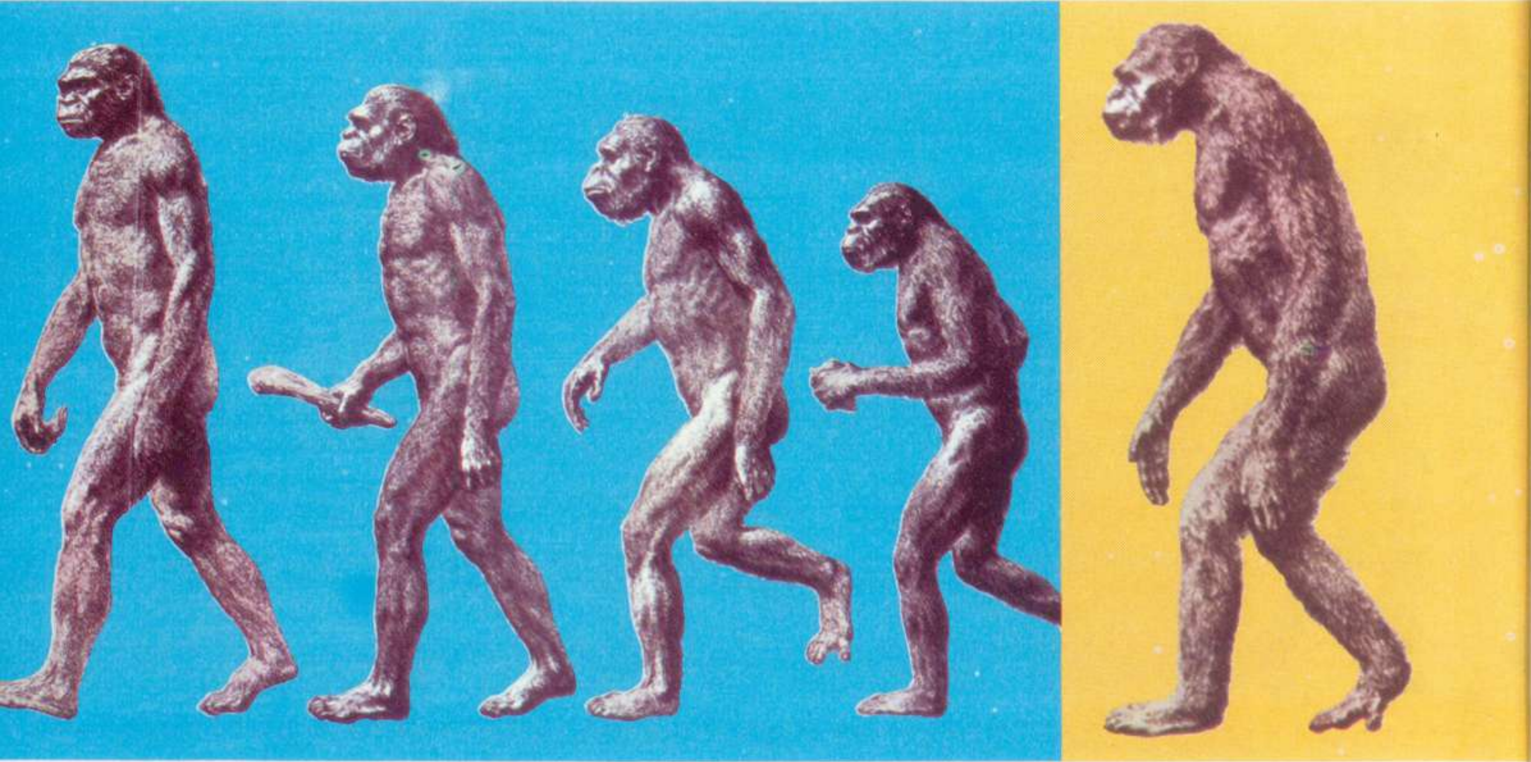
بقلم: الدكتور عبدالمحسن صالح



# العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم

فى أوائل هذا العام ، وبينما العلماء يحيون ذكرى مرور مائة عام على وفاة تشارلز داروين ، صاحب نظرية التطور الشهيرة ، ظهر لهم فى الأفق ما يكدر صفوهم ، ويعكر مزاجهم ، ويحول بعض اهتمامهم فيما يكتبون ويعلقون على اراء العملاق الذى يرقد منذ قرن من الزمان فى هدوء وسلام .. فهناك قضية مرفوعة أمام إحدى محاكم ولاية كاليفورنيا تهاجم نظرية التطور ، والتطوريين ، والذى رفعها ضدهم مجموعة من الناس المتعصبين ، وهم الذين يطلقون على أنفسهم « جماعة الخلق المستقل» .. أى أن الانسان لم يتطور عن قرد ! .

على هذه الصفحة ، وفيما يتلوها من صفحات ، تستطيع أن تشهد وتقارن « الموكب » المثير والغريب للكائنات التى ادت الى ظهور الانسان الحكيم فى رحلة طويلة عمرها حوالي ٢٥ مليونا من الاعوام ، وهي تشير الى الحلقات التطورية الناقصة التى تنبأ بها داروين منذ أكثر من قرن وثلث قرن من الزمان ... ولقد أشار إليها دون أن يشهد فى حياته اثرا لأي كائن منقرض منها ، فكل هذه المخلوقات التى نراها هنا قد كشف علماء القرن العشرين عنها الحجاب على هيئة حفريات فى القارة الافريقية ، وهي الدليل الوحيد الذى يستند إليه العلماء الآن فى رسم صورة شبه متقنة لأسلاف الانسان ، وهي ـ بلاشك ـ قابلة للتحوير والتعديل والتطوير ، كلما زادت حصيلة العلماء من الكشف عن حلقات اخـرى من الحفريات ... أما كيف توصلوا الى اظهار هذه الكائنات الحفرية بالتصور التى نراها هنا ، فذلك يرجع الى منهج علمي له أصوله ومقوماته ، وهو ما سنتعرض له فى دراسات اخرى قادمة .. لاحظ أن البداية كانت مخلوقات أشبه بالقرود ، ثم اعتدلت قاماتها ، وكبرت رؤوسها ، وارتفعت جباهها ، وكلما مر الزمن ، تحولت من اشباه القرود الى أشباه الانسان .



ولقد شغلت هذه القضية أجهزة الاعلام التى بالغت فيها ، لتشغل بدورها الرأي العام ، فطغت أحداثها على مناسبة احياء ذكرى الرجل الذى هوجم كثيراً فى حياته ، وبعد مماته ، وإلى يومنا هذا ، فربما يستمر ذلك إلى أجيال قادمة .

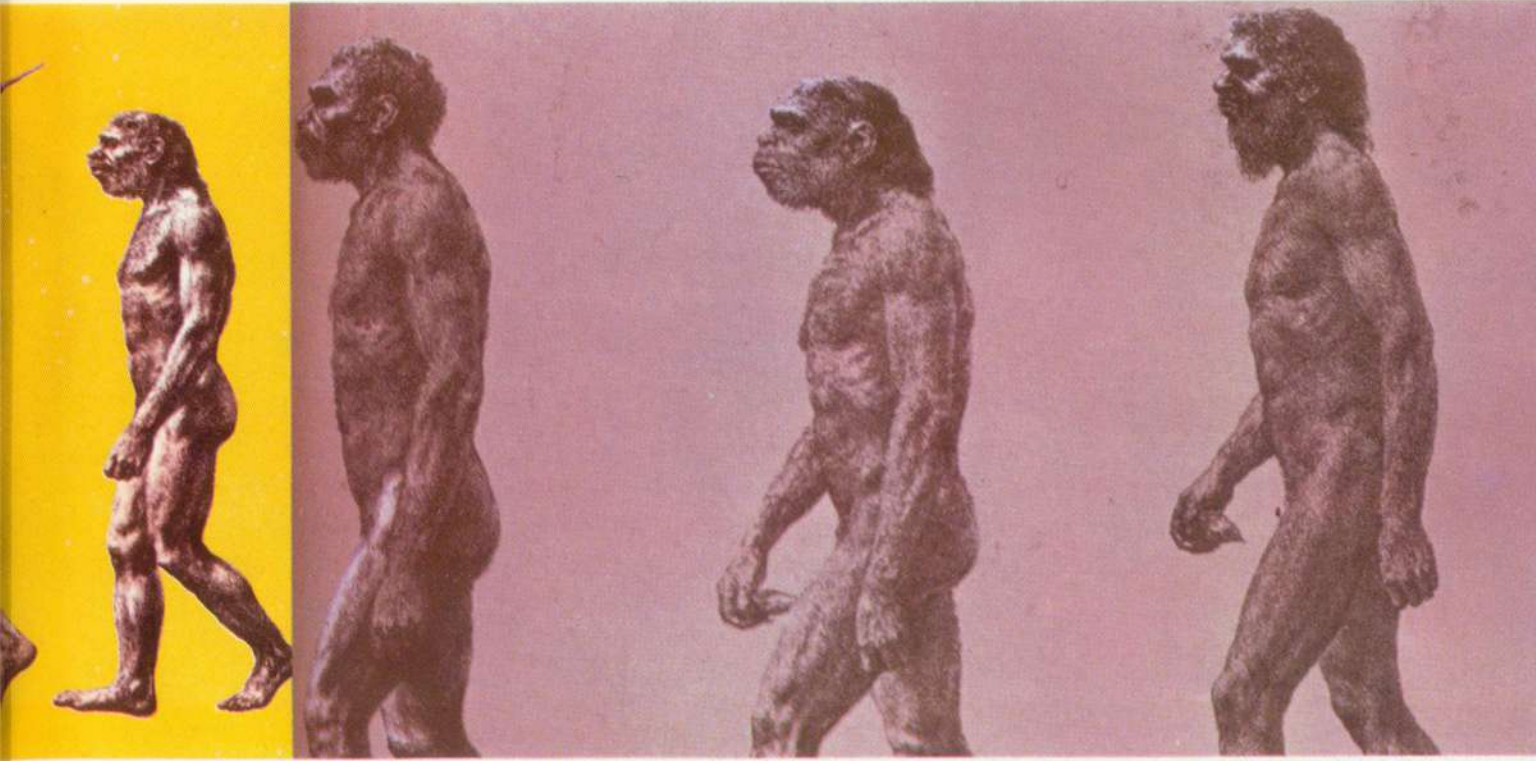
ولم يحدث فى تاريخ العلم أن تقدم نظرية علمية لتمثل أمام القضاء فى قفص الاتهام إلا هذه القضية المعروفة باسم نظرية التطور والنشوء والارتقاء والاختيار الطبيعي ، فالمعارضون للنظرية هم أصلا من خارج ساحة العلم ، وهم الذين يطلقون على أنفسهم أنصار أو جماعة « نظرية » الخلق المستقل ، ودليلهم الوحيد الذى يستندون إليه هو ما جاء فى أسفار العهد القديم والجديد ، وهو أن الله قد خلق الانسان خلقاً مستقلا قائما بذاته ، ولا تربطه بالكائنات الأخرى أدنى رابطة ، ومن أجل هذا يعترضون على تدريس نظرية التطور فى المدارس حتى لا تصبح مفسدة لعقول النشء ، ومخيبة لآمالهم فى عقائدهم .

## جدل مستمر

ففى أوائل هذا العام ، أفردت معظم المجلات العلمية صفحاتها لعرض نظرية التطور بمفهومها الدارويني ، ومفهومها الحديث ، خاصة بعد أن زادت الحصيلة العلمية وتطورت على ايدي كثير من العلماء الذين جاءوا من بعد داروين ، ولقد شهدوا للرجل شهادة حق ، ولم يكن ذلك عن طريق مجاملة ، لأن المنهج العلمي لا يحتمل المجاملة أو النفاق أو التدليس على حساب الحقيقة العلمية ، فهم ـ أي العلماء ـ الحراس والأمناء على محراب العلم من أي دنس أو تلوث ، ولو حدث ، فسوف يكتشفونه إن آجلا أو عاجلا ، لأن كل حقيقة علمية لاحقة ، قد تأسست على حقيقة سابقة ، ولهذا فان لبنات البناء العلمي ذاته هي الحقائق ، وطريقة البناء تتمثل في النظريات والمعادلات والقوانين ، وهذه لم تنشأ من فراغ ، بل من نظام الخلق ذاته .. والنظام حق ، والخلق حق ، لأنه من الحق ، ومن أجل هذا تقدم العلماء ، فتقدمت شعوبهم تبعاً لذلك .

وفى أوائل هذا العام أيضاً ، نشرت عدة مجلات علمية تفاصيل هذه القضية التى رفعها أصحاب فكرة الخلق المستقل ضد نظرية التطور ، فتجيء مجلة علمية بريطانية ( نيوساينتست ـ العالم الجديد ) لتكتب تعليقاً مستفيضاً بعنوان « انتصار العلم ـ على الطريقة الأمريكية » ، وفيه تناولت عرضاً للقضية ، وتبعتها بعد ذلك بشهرين من نفس العام مجلة « العلم ـ ٨٢ » الأمريكية بمقال تحليلي عنوانه : التطور ـ منذ عصر داروين ، وفيه تناولت أيضاً نفس القضية بالتحليل ، كذلك أفردت مجلة « الكشف » العلمية الأمريكية مقالين ، أحدهما بعنوان : المنادون بفكرة الخلق المستقل فى مجابهة خطرة مع التطوريين ، والثاني بعنوان : التطور كحقيقة ونظرية وهى أيضاً فى موضوع القضية ورغم حساسية الموضوع ، إلا أن القاضي لم يجد حرجاً ـ نظراً للأدلة القوية التى قدمها العلماء ـ فى

# العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم



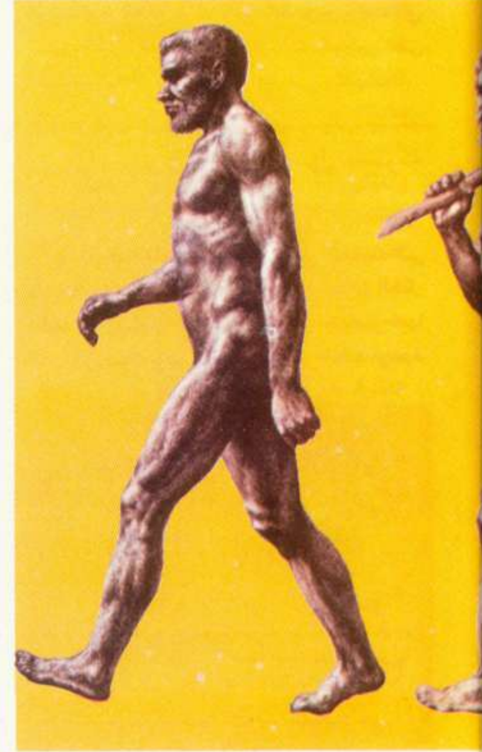
الحكم لصالح النظرية الداروينية ، وعلى هذا تعلق إحدى الصحف الأمريكية : « الدين فى مجابهة العلم .. مرة أخرى » .. وهي بذلك تشير الى محاكمتين أخريتين جرت أحداثهما فى أمريكا عامي ١٩٢٥ ، ١٩٦٨ ، وجاءت الأولى من جراء شكوى تقدم بها بعض أولياء التلاميذ فى إحدى مدارس ولاية تينيسي ضد أحد المدرسين — لأنه يفسد عقول التلاميذ بتدريس نظرية داروين المخالفة لنصوص الانجيل ، ولقد عرفت هذه القضية باسم قضية القرد ، وصدرت عدة تشريعات قانونية تنظم هذه العملية ، لكنها لم تنفذ إلا فى أضيق الحدود ، ثم فقدت فاعليتها بمرور الوقت ، وعلى هذا يوجه محامى المتهم كلارنس دراو الى هيئة المحكمة سؤالا واقعياً : أليس من الصعب على العقل أن يتقبل أنه بالامكان اجراء محاكمة من هذا القبيل فى القرن العشرين وأين ؟ .. فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟! .. ومغزى هذا السؤال لا يخفى على لبيب ، لأنه يعنى جموداً فكرياً فى عالم أخذ بأسباب العلم . لكن مما لاشك فيه أيضاً أنه من الأصعب على العقل أن يتصور ذلك فى نهاية القرن العشرين ، وخاصة فى مسالة علمية يجب أن تناقش من قبل جهات علمية ، لا قضائية ، ورغم ذلك فقد ناصر القضاء رأى العلماء ، وقال القاضى أوفرتون فيما قال : ان نظرية الخلق المستقل ليست نظرية علمية ، وهى لا تستطيع أن تقف ضد نظرية التطور ، ولقد كسب العلم هذه الجولة ، لكن العلماء فى قرارة أنفسهم يعلمون تماماً أنها لن تكون الجولة الأخيرة ، طالما أن الناس يجهلون معنى النظرية ، ومعنى الخلق الذى قامت عليه النظرية .

## خلط مشين

ولاشك أن معنى النظرية فى عقول الناس ، غير معناها فى عقول العلماء ، فهى فى عرف الناس ظن وتخمين ، أو هى حقيقة زائفة ، أو قد يذهبون الى أبعد من ذلك فيستنتجون أن العلماء «يخترعون» النظريات لتغطية عجزهم فى الفهم والادراك ، وهذا — بدوره — قد يؤدى الى انطباع مشوش ربما يهوى بمعنى النظرية العلمية فى عقولهم الى الحضيض ، فالحقيقة فى زعمهم أقوى من النظرية ، والنظرية وليدة الافتراض ، والافتراض ناشىء من التخمين ، أى كأنما العلم فى عرفهم مجموعة من التخمينات ، تمخضت عن نظريات ، وبهذا المنطق الساذج والزائف ينشرون فتاواهم على الناس فيريحون ويستريحون .

وتختلط هذه المفاهيم الخاطئة أكثر فى عقول الناس الذين يهاجمون نظرية التطور ، وذلك عندما يتشدقون بأن النظرية لازالت غير مستقرة بدليل أن العلماء أنفسهم لايزالون يثيرون كثيراً من الجدل حولها ، وهذا وحده ، كفيل باسقاطها ، وبرهان قوى على فشلها (البعض يفضلها عفونة !) ، وعندئذ «يفركون» أيديهم سعادة وطرباً علامة على الانتصار .

وقد يكون ذلك صحيحاً من حيث المظهر ، لكنه ليس كذلك من حيث الجوهر ، لأن الجدال أو النقاش فى المسائل العلمية ليس دليلا على الفشل ، إذ لو صح ذلك عند الذين يرددونه ، لأسمينا المؤتمرات العلمية «مؤتمرات الفشل» ،



لأنها تقوم أيضاً على الجدال والمناقشة وتبادل وجهات النظر ، واختلاف الآراء ، ليس فى مسائل سياسية أو عقائدية أو فلسفية أو اجتماعية وما شابه ذلك ، بل فى حقائق الكون ذاته ، والاجتهاد هنا ليس فى الحقائق ، بل فى ادراكنا لهذه الحقائق ، وليس العلماء – بطبيعة الحال – نسخة واحدة فى الفكر ، بل لكل منهم فكره الخاص عن أية ظاهرة أو حقيقة تخضع للدراسة والتجربة والتمحيص ، ولاشك أن عرض الآراء المختلفة ، وتناول وجهات النظر ، والاختلاف فيها وعليها ، لاشك أنه ينطوى على عملية صقل وتطوير وارتقاء بالمفاهيم ، وعندما ينفض الجمع يذهب كل منهم – بأفكار طازجة – الى معمله ومعهده ، ليبحث ويجرب ويستنتج ، ويعود بحصيلة ما جمع الى مؤتمر قادم ، وهكذا تسير الأمور ، وتتطور المفاهيم ، وترتقى المعرفة بحقائق الكون وأسراره ، ومن أجل هذا يعطينا العلم باستمرار كل ما هو جديد ومتطور .

ومن خلال هذه المفاهيم لن تجد أدنى عناء فى معرفة أصول نظرية التطور ، لأنها أيضاً خضعت للتطوير بمرور الزمن ، وهى لازالت باقية وصامدة لأن أساسها سليم ، وكل ما يضاف اليها ، يزيدها شموخاً ورونقاً وأصالة ، وهى هنا كأى بناء آخر ، فاذا انهار البناء باضافة أدوار زائدة ، فلاشك أن الأساس عليه أساس واه وضعيف ، وعكس ذلك صحيح .

ثم ان العلم ليس كلاماً يتردد ، بل منهجاً أصيلا له مقوماته وتطبيقاته التى نراها مجسدة فى حياتنا ، ومن هنا تنبع أصالته ، وهو بهذا يختلف عن أى كلام آخر ، فما أكثر ما نصح الفصحاء وتحدث الخطباء ، وكتب الحكماء ، لكن كل هذا لم يتمخض عن تطبيق يطور حياة الناس او على الأقل يجعلهم أرقى سلوكاً ، وأكثر تآلفاً ، وأعظم تعاطفاً ، لكن حالنا – للأسف الشديد – يشير الى غير ذلك ، رغم الكلام الذى يتردد ليل نهار ، وربما كان العيب فى الناس ، وليس فى الحكم والنصائح أو أى منهج آخر يعتمد على كلام كثير نستهلك فيه وقتنا وطاقتنا دون اضافة حقيقية تعلي شأننا !

## لكل شيء بداية متواضعة

ولاشك أن نقد أية نظرية وتقييمها ، يستلزم ممن ينتقدها الماماً عميقاً باصولها ، ولهذا إذا أردنا أن نعرف قيمتها ، فلنرجع الى المشتغلين فى حقل الكائنات الحية ، أو بالتحديـــــد فـــى تطورها ، وهم كثيرون ، ولناخذ منهم واحداً كان قد أدلى بدلوه فى قضية القرد الأخيرة ، فنراه يعلق على تلك المحاكمة الغريبة فيقول : عندما أجلس لأفكر أننا لازلنا نقع مرغمين مرة اخرى فى شراك الصراع القائم على واحدة من أحسن النظريات المؤسسة على الأدلة المدعمة بالحقائق ، ومن أعظم المفاهيم الواضحة فى مجال كل العلوم ، فاننى لا أعرف أن كان ذلك يدفعني لكي أضحك أو لكي أبكي ! .

ويذكر دكتور ريتشارد دوكينز بقسم علم الحيوان – جامعة أكسفورد فى مقال له بعنوان « الداروينية المطلوبة » .. يذكر « إن نظرية داروين فى الوقت الحاضر قائمة ومدعمة بكل الدلائل التى لها صلة وثيقة بالموضوع ، ولا يشك فى صحتها الآن أي عالم من علماء الحياة المتمكنين » .

وفى مقالة له بعنوان « التطور منذ عصر داروين » يقول د. بويس رينسبيرجر رئيس تحرير مجلة العلم – ٨٢ « .. لو أن نظرية داروين التطورية ظلت بدون مجابهة أو تغيير طوال المائة عام التى انقضت بموت الرجل ، لكانت واحدة من أندر وأرفع الانجازات التى تمت فى العلوم ، فهى التى بصرتنا بالكيفية التى تقوم عليها الحياة ، كيف نفهمها ونصفها بدقة منذ اللحظة التى أعلنت فيها لكن المجابهة التى حدثت بين العلماء حول النظرية ، لم تكن بالتشكيك فى مدلول التطور ذاته ، بل فى الكيفية التى نعمل بها من خلال النظرية » .. وهو بذلك يعني أن الاختلاف فى الوسائل ، وليس فى الهدف ، لأن التطور ذاته لا خلاف عليه .

وحتى القاضي أفرنون الذى حكم هذا العام لصالح النظرية يشير إلى أن « التطور هو حجر الزاوية فى العلوم البيولوجية الحديثة ، ولهذا فان كل طالب يحرم من تدريسه ، فلاشك اننا ننكر عليه جانباً هاماً من المنهج العلمي » !

ولسنا هنا متحيزين لداروين ولا لنظريته تحيزاً أعمى ، ولسنا كذلك فى موقف المدافع عنه أو عنها ، لكن التحيز الحقيقي ينصب أساساً على ما درسناه ، وكذلك على الحقيقة العلمية التى تمتهن على أيدي أدعياء العلم ، إذ لو درسوا وتعمقوا ، لأدركوا أن التغيير شيء متوارث فى طبائع الكون والحياة ، وأن هذا التغيير يسير نحو هدف أو أهداف لا خـــلاف عليها ، ثم أن كل شيء يبدأ بسيطاً ، وبمرور الزمن يتعقد ، أو بمعنى آخر يتطور ، ليس فقط على مستوى الكائنات الحية ، بل على مستوى الكون ذاته بما فيه من سدم ونجوم ومجرات ، ومن وراء ذلك سنن وشرائح تغير وتبدل وتطور ، ولهذا فانه من الصعب على العقل أن يتصور – مجرد تصور – أن يبقى كل شيء على حاله ، فذلك يعنى الجمود ، ولا ندري حقاً كيف يعادي بعض الناس سنة التطور ، ويفضلون عليها فكرة الجمود ، اللهم إلا إذا كانت العقول ذاتها جامدة غير متطورة بتطور العصر الذى نعيش فيه ، فهذا يعنى التخلف ، ومن تخلف ، بافكاره تجمد ، فلا يلومن إلا نفسه ؟ ولن يضير العلم فى ذلك فى قليل أو كثير .

وحتى فكرة التطور قد بدأت أيضاً بداية متواضعة ، ثم تطورت ، وكذلك الأديان التى انتهت فى آخر مراحلها بالاسلام ( هل هناك اعتراض على ذلك ؟ ) ، فلقد أشار طاليس الفيلسوف الاغريقي الذى عاش فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد إلى أن بداية الخلق قد ظهرت فى الماء ومن الماء ، ويجيء أرسطو بعده بقرنين من الزمان ليقارن بين بعض السمات التشريحية لبعض الحيوانات ، ويشير إلى وجود صفات مشتركة ترتقى بارتقاء رتبة الكائن الحي ، وحتى جد داروين نفسه – دكتور ايرازموس داروين – الطبيب والشاعر والعالم – قد ألف كتاباً فى عام ١٧٩٤ خصص جزءاً منه لعلم الأمراض ، والجزء الأخير عن توالد الأجيال فى الحيوان ، وفيه تعرض لشرح الحياة ذاتها من خلال نظرية تطورية ، فنراه يتساءل : هل نستطيع أن نتجرأ كثيراً ونتصور على مدى عصور جد طويلة ، أي منذ أن بدأت الأرض فى التكوين ، ربما بملايين العصور التى سبقت ظهور الجنس البشري .. هل يمكن أن تكون لدينا الجراة الكافية لنتصور أن كل الحيوانات ذات

# العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم

الدم الحار قد نشأت من خيط واحد حى ..؟!» ..
ولقد كانت « جراته » على التصريح بهذا القول ناشئة من تخوفه من افكار عصره الذى عاش فيه ورغم أن كتابه هذا قد ترجم الى عدة لغات ، إلا أن احداً لم ياخذ ماجاء فيه محمل الجد ، على عكس ماجاء به حفيده تشارلز داروين ، فلقد كان جريئاً غاية الجراة بالنسبة لعصره أيضاً ، ويرجع ذلك ـ فى المقام الأول ـ الى وقوفه على أرض صلبة ، وتسلحه بحقائق كثيرة ، أمضى فى تحقيقها سنوات طويلة ، حتى أنه كان يصف نفسه بقوله « لقد سعيت بثبات لكي أجعل تفكيري حرا غير متحيز ، وبحيث لا أجد غضاضة فى التخلى عن أية نظرية أصل إليها ، مهما كانت قريبة مني ومحببة الى نفسي ، طالما جدت حقائق مناقضة لها » .. وهـذه صفـة محمودة ، لأن التحيز لرأي بدون دليل يسانده ، سوف يصطدم لا محالة بمن يفنده ويهدمه ، وهو حرص واجب فى مجال العلوم التجريبية .

ويجيء العالم الطبيعي الكبير لامارك الفرنسي ( ١٧٤٤ ـ ١٨٢٩م ) وهو واحد من أشهر عالمين طبيعيين فى فرنسا ـ ليدرس ويصنف الحيوانات اللافقارية الى انواع واجناس وعائلات ، ووجد بينها علاقات تطورية ، وبحيث تبدو وكأنما هي ترتقى فى حلقات أو درجات ، ولهذا كتب يقول : أي مواطني .. ابدأوا بأبسط كائن ، وانتهوا بأعقد كائن ، وعندئذ ستتوصلون الى الخيط الحقيقي الذى يربط بينهما جميعاً ، وستتوصلون أيضاً الى الفكرة المتقنة التى تدل على ارتقائها فى سلاسل تطورية ، وستقتنعون تماماً أن أبسط الكائنات قد تمخضت عن كل ما عداها » ( أي ما فوقها ) .

وطبيعي أن داروين قد اطلع على كل هذه الآراء ، ودفعته دفعاً الى مزيد من البحث والتقصى والملاحظة ، وقدم لنا ثروة علمية هائلة ، فاقت كل ما حصله السابقون كماً ونوعاً ، ولقد فسرها بما يتلاءم مع امكانات عصره المتواضعة ، وهي تختلف حتماً عن الامكانات المذهلة التى يعيش فيها علماء القرن العشرين ، وبها تعمقوا فى باطن الخلق ، فتطورت أفكارهم بتطور الحصيلة العلمية الهائلة التى تتعاظم مع مرور الزمن .

## بين الظاهر والباطن

ولاشك أن الخلق ينطوى على ظاهر وباطن ، والظاهر للناس ، والباطن للعلماء ، إذ يرونه ـ أى الباطن ـ بعين غير عيونهم التقليدية ، ولقد توصل كل من داروين ووالاس الى حقائق التطور من خلال نظرتهما ودراستهما للظاهر ، أى الى الصفات التى يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكن ليس كل من نظر بقادر على أن يستنتج ، بل إن ذلك يستلزم استعداداً خاصاً واستيعاباً جاداً ، وفكراً منظماً ، ومنهجاً علمياً محدداً ، وتدويناً له أصول ، وحصيلة تحتاج الى ترتيب ، ثم ربط كل هذا فى نسيج من المعرفة .. هو النظرية العلمية .

وغنى عن القول ان الخلق منظم ، ولقد انعكس نظامه على فكر منظم كذلك ، ومن أجل هذا يحقق العلم أهدافه ، ويصل الى انجازات لا يستطيع الوصول اليها هؤلاء الذين يقفزون الى الاستنتاجات قفزاً ، أو يحكمون على النتائج العلمية حكماً غوغائياً ، أو ياخذون الأمور أخذاً عشوائياً ، ذلك أن الاستنتاجات العلمية بمثابة مخاض عقلى صعب ، أو ولادة عسرة تخرج من العقول المهيأة لها بعد تمحيص عظيم ، وصقل جميل ، وطبيعى أن أى عالم جاد يدرك مقدماً أن نظرياته أو استنتاجاته سوف تخضع إن آجلا أو عاجلا الى اختبارات مستمرة من العلماء الآخرين ، فاذا حققت الهدف ، تقبلوها قبولا حسناً ، وإذا كان غير ذلك ، فالى سلة المهملات !

ولقد اعترف داروين بعجزه عن ادراك بعض النقاط التى قابلته فى دراسة الكائنات وتنوعها وارتقائها فى حلقات ، ولابد أن نعطيه عذره ، إذ لا يمكن لانسان أن يتوصل الى معرفة كاملة ، ولقد عرف العلماء الذين جاءوا من بعده ما غاب عنه ، وخاصة علماء النصف الثانى من القرن العشرين ، لأنهم درسوا الظاهر والباطن بتفصيلات أكثر ، وعرفوا أن تنوع الكائنات وارتقائها إنما هو نتيجة لفكرة رائعة أرسى الله قواعدها فى الباطن .. فى لب الكائنات ، والفكرة تكمن فى شفرات وراثية لم يكن داروين يدرى عنها شيئاً ، ولا كذلك العلماء الذين عاشوا فى عصره ، ولو عرفها ، لكانت نظريته فى أصل الأنواع أتقن بناء ، وأكثر اشراقاً فى العقول ، لكنه مع ذلك حقق الكثير من خلال دراسات مقارنة بين الأنواع ، وتوصل الى وجود علاقات واضحة تربطها فى حلقات ترتقى وتتطور بمرور الزمن .

وطبيعى أن الذين ينظرون الى الكائنات نظرة سطحية يجدون أنه من الصعب جداً على الفهم والادراك أن يتقبلوا علاقة هذه الكائنات ببعضها أو اشتراكها فى أصل واحد ، ولهم عذرهم ، فما هى الصلة مثلا بين سمكة تسبح ، وثعبان يتلوى وطائر يطير ، وحيوان يمشى على أربع ، وآخر ينتصب معتدلا على ساقين ؟ .. ومن هذه المقارنة السطحية تنبع فكرة الخلق المستقل لكل نوع من الأنواع ، ومع ذلك فالعلم لا يستقى منهجه من آراء الناس ، بل إن مرجعه الأصيل الذى يرجع اليه ، هو «كتاب» الخلق ذاته ، أو «القاموس» الصادق الذى يحوى المفردات ، والمفردات تنعكس على الصفات الظاهرية التى نراها فى الكائنات ..

## أصول مشتركة

ويمثل هذا المفهوم المبسط ينظر العلماء الى كل الكائنات ، بما فى ذلك الانسان بطبيعة الحال فكلها من عناصر هذه الأرض ، والعناصر فيها جميعاً واحدة ، وهى تتجمع حسب خطط موحدة

### تعريف بأسلاف الانسان التى انقرضت ، وهي التى تراها فى العرض المصاحب لهذا المقال :

١ ـ بليوبيثيكس : الأصل الذى تسلسل عنه قرد الجيبون .
٢ ـ بروكونسول : الأصل الذى تسلسلت عنه القردة العليا (مثل الشمبانزى)
٣ ـ دريوبيثيكاس : لازال عليه جدل فى صلته بالكائنات الشبيهة بالانسان .
٤ ـ أروبوبيثيكاس : مشكوك فى صلته بالجذور القديمة لأشباه الانسان .
٥ ـ رامابيثيكاس : بداية أصول أشباه الانسان ، وظهر منذ ٥ مليون عام .
٦ ـ اوسترالوبيثيكاس : طور متقدم عن سابقه ، وكان يمشي منتصبـاً على قدمين .
٧ ـ بارانثروباس : من اشباه الانسان ، وظهر من حوالي ٣ مليون عام .
٨ ـ اوسترالوبيثيكاس الأحدث : جاء بمخ أكبر وعرف استعمال الاحجـار كادوات .
٩ ـ هوموإريكتس (أي الانسان المعتدل): أول بشائر عائلة الانسان .
١٠ـ نوع مبكر وبدائي يتبع الجنـس البشري ، وبدأ ظهوره منذ ٤٠٠ الف عام وانقرض .
١١ـ انسان جاوة ـ يحمل صفات بشرية ومشكوك فى نسبه ، وانقرض .
١٢ـ انسان روديسيا : أرقى من الانسان المعتدل ، لكنه انقرض .
١٣ـ انسان نيندرتال : عاش متجولا حول حوض البحر الأبيض وانقرض .
١٤ـ انسان كرومانون : أقرب الى الانسان الحديث أو الحكيم ، فقد كان أول من عرف الرسم على جدران الكهوف .
١٥ ـ الانسان الحديث ( هوموسابينس ) جاء متوجاً للمشوار الطويل .

ونظم مقدرة ، ومنها تنشأ الشفرة ـ شفرة الحياة والشفرة أيضاً واحدة ، لكن من أهم صفاتها الطفرة ، والطفرة تعنى تغيراً أو حيوداً عن الأصول ، ومن هذا السر الذى كشف العلم الحديث عنه الحجاب ، يمكن تفسير التنوع الهائل فى طوفان المخلوقات ، والتنوع والتغير يحمل فى طياته بذور التطور ، ولاشك أن حصيلتنا العلمية عن أسرار الشفرة الوراثية ، والتكوينات الخلوية ، والتفاعلات الكيميائية ، والعمليات الفسيولوجية ، والهندسة العضوية التى تقوم عليها حياة المخلوقات حصيلة هائلة لها وزنها ، ومن خلالها نستطيع أن نتتبع مسارات التطور وأصوله ، لكن هذا موضوع آخر سوف نفرد له دراسة مستقلة ، لنوضح فيها الفكرة البديعة التى وضع الله أسرارها فى كل مخلوقاته ، فخلق يقوم على فكرة مذهلة أحق أن نتدبر فيه ، ونسعد به ، ولا يقدر ذلك إلا العلماء العالمون ببواطن الأمور .

وطبيعى اننا لا نستطيع أن نتعرض هنا لكل الأصول الموجودة فى الخلق ، ولا كذلك الأصول التى قامت على أساسها نظرية التطور ، فما عرض منها ، وما قيل عنها ، لا تكفيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن يكفى أن نشير هنا الى ظاهر الخلق ، فهو أقرب الى تصور الناس ، وهو أيضاً الذى دفع داروين الى صياغة نظريته ، ولكن بدراسات أعمق غوراً ، واستنتاجات أعظم تنظيماً .

فهناك علم قائم بذاته يتناول تقسيم المخلوقات الى ممالك وقبائل وطوائف ورتب وعائلات وأجناس وأنواع وسلالات ، ولابد من هذا التقسيم ، لأنه فى حد ذاته ينطوى على تنظيم ، خاصة وأن لدينا حصيلة هائلة من أنواع الكائنات ، فعددها يربو على المليونى نوع ، غير ما انقرض واندثر ، وهو كثير ، ولهذا يقدر العلماء أن عدد الأنواع التى انقرضت يزيد على عشرة ملايين نوع ، وفى تقدير آخر عشرون مليوناً ، ومعظمها اكتشف على هيئة حفريات محفوظة أو مطبوعة على الصخور .

إذن .. كيف يمكن دراسة هذه الملايين من الأنواع ، وايجاد علاقات بينها ، فنحيل هذه الفوضى الظاهرية الى نظام ؟

الواقع أن النظام موجود ، لكنه يحتاج من يرتبه ويصنفه فى مجموعات تجمعها صفات مشتركة .. وربما كان القرآن الكريم قد ألمح الى ذلك بطريقة مختصرة «والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجليه .. ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء» (النور / ٤٥) .. وعلى هذا الخلق ينكب العلماء فى تقسيمات كثيرة كما ألمحنا .. فهناك مثلا الحيوانات الفقارية ، أى التى لها سلسلة ظهرية تتكون من فقرات والحيوانات اللافقارية أى التى بدونها ، ولهذه وتلك قبائل وطوائف ، فمن الفقاريات مثلا تبرز طائفة الثدييات ، أى التى تدر لبنها فى غدد (حلمات) لترضع بها مواليدها ، ونحن من الثدييات ، لأننا نرضع كغيرنا ، وغالباً ما يكون لاناثها أرحام لتحمل فيها أجنتها ، ومن هنا كانت لنا بعض صفات مشتركة مع ما دوننا .. كذلك تنقسم الثدييات الى ٣١ رتبة ، ولنا رتبة تسمى الأوليات وتشترك معنا فيها على سبيل المثال لا الحصر عائلات قرود العالم القديم والجديد والقردة العليا (الشمبانزى وانسان الغاب والغوريلا) وهى أقرب الأنواع شبهاً بالانسان ، ومع ذلك ، فالعلماء متفقون على اننا لسنا من سلالتها أو أصولها ، لأن شجرة النسب قد تفرعت من أصل آخر قديم ، وسوف نعود لنوضح ذلك بشىء من التفصيل فى دراسة قادمة .

هذه إذن قطرة من بحر ، لأن علم التقسيم يقع فى مجلدات من فوق مجلدات ، فلو اننا أفردنا لكل نوع (حى ومنقرض) نصف صفحة فقط للتعريف به ، فان ذلك يستلزم ما بين خمسة وعشرة ملايين صفحة ، تشغل خمسة آلاف مجلد (على أقل تقدير) ، فى كل مجلد ٢٠٠٠ صفحة .. و «يخلق الله ما يشاء» ، ليدرس العلماء ليل نهار .

وقد يبدو اننا خرجنا من موضوع الى موضوع ، وما ذلك بخروج ، بل أوردنا ما أوردنا ليتبين لنا كيف يتعامل العلماء مع هذا الطوفان من أنواع المخلوقات ، ومنهم داروين بطبيعة الحال ، لكن ذلك لا يوضح لنا كيف تسلسلت كل هذه الكائنات من بساطة الى تعقيد ولا كيف اشتقت من أصل واحد ، تمخض بعد ذلك عن أصول ، ثم كيف يمكن تصور أن هناك علاقة ما بين الديدان والحشرات والبرمائيات والأسماك والزواحف والطيور والحيوانات الثديية بما فيها من خنازير وخيول وجاموس وفئران وقطط وكلاب وقرود .. وبشر ؟

إنه تصور صعب وردىء ، ومع ذلك ، فان كل من يدرس ، لابد أن يستنتج ويدرك ، وهذا ما فعله داروين ، أو من جاء قبله وبعده ، ومن هذه الأصول نشأت نظرية التطور ، لتفسر التطور والتنوع ، لكن لابد أن نشير أن النظرية ذاتها قد أخذت عليها بعض المآخذ ، لكن ليس معنى ذلك أنها فى جملتها خاطئة أو زائفة ، بل يعنى أن مفهومنا الأكثر تطوراً للتطور ذاته قد أعطانا زاداً فكرياً أكبر ثراء ، لنحكم حكماً أكثر صواباً ، ونرتقى بها الى الصيغة المناسبة لأنماط التفكير العلمى المعاصر .

وماذا تمخضت عنه بحوث العلماء الحاليين عن أصل الانسان وحسبه ونسبه ؟ .. وهل تخلوا عن الفكرة التى نادى بها داروين من قبل ، ونسب الانسان الى رتبة القرود ؟

الواقع أن داروين لم يقل ذلك صراحة ، بل أشار الى أن الانسان ـ بطبيعة اشتراكه فى صفات كثيرة مع صفات الرتبة ـ له أصول قديمة اشتق منها ، لكن هناك فجوة واسعة ، أو حلقات تطورية ناقصة بين الانسان وأقرب الكائنات الحية شبهاً به ، نعنى عائلة القردة العليا ، وهو لم يستطع طيلة الخمسين عاماً التى قضاها فى البحث أن يشير الى حلقة واحدة ، واعتبر ذلك نقصاً معيباً فى نظريته ، لكنه ـ مع ذلك ـ أشار الى امكان الكشف عن بعض هذه الحلقات التطورية أو كلها ، وقال : ان القارة الافريقية ربما تكون هى الموطن المناسب للبحث عن هذه الأصول فربما وجد من يأتى بعده ما أسماه بأشباه الانسان .

ولقد تحققت نبوءته ، واكتشف علماء الحفريات ثروة لابأس بها من مخلوقات حفرية مثيرة ، فلا هى ببشر ، ولا هى بقرود ، لكنها تتدرج من صفات القرود الى صفات الانسان الحالى ، وأصبح للانسان عائلة قديمة تضم عدة أنواع ، انقرضت جميعاً ، بعد أن عبرت عليها الحياة مشوارها الطويل ، لتنتهى بالانسان ، وهو ما تراه فى الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، ففيها ما يغنى عن الكلام فى مثل هذا المجال ، لكنك تستطيع أن ترى بنفسك أن الأنماط شبه البشرية تختلف أعظم ، كلما باعدت بينها حقب زمنية أطول ، وهى تقدر هنا بملايين السنين .

وقد يخالج الكثيرون الشك فى طبيعة هذه الكائنات ، وقد يتساءلون بمرارة : ومن أين جاء العلماء بهذا ، وهو ما لم يره أحد على الاطلاق ؟.. وقد يستطردون فيقولون : ان الأمر يبدو وكأنما هو «تلفيق» متقن لشىء غير موجود أساساً ، وإلا فأين الدليل الذى يوضح ذلك ؟

صحيح أن أحداً لم ير مثل هذه المخلوقات ، لكن العلماء اكتشفوا الكثير منها فى القارة الافريقية .. اكتشفوها حفريات محفوظة ، ورأوها عظاماً مدفونة ، وعاينوها هياكل تنبىء عن الأصول .. كيف ؟

لهذا دراسة أخرى قادمة نوضح فيها الأمور ، ونقرأ منها «كتاب» التاريخ المطبوع على صفحات الصخور .. فالصخر أحياناً أصدق أنباء من الكتب ، ومن الناس ، «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

د. عبد المحسن صالح

كتاب الشهر

عرض وتقديم :
الدكتور علي حسن تقي



المستشرق الفرنسى « روجيه جارودى » الذى يحتوى كتابه عن الاسلام على معلومات جيدة مطلوب الاطلاع عليها للدراية والمعرفة

نشرت الصحف فى الفترة الأخيرة خبراً عن المستشرق الفرنسى الكبير « روجيه جارودى » يقول أنه قد اعتنق الاسلام بعد أن قضى سنوات طويلة فى دراسة الفكر الاسلامى .. وعلى هذه الصفحات عرض لآخر كتاب كتبه جارودى فى الدفاع عن الاسلام !

مستشرق فرنسي في دفاع مجيد عن الإسلام

# وعود الإسلام

## للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

فى كل عام تصدر فى فرنسا عشرات الكتب عن العرب والاسلام . بعض هذه الكتب جيد وبعضها سيء ، ولكن معظمها لا يصل إلى القارىء العربى لعدم المعرفة باللغة الفرنسية أو لتعذر التسويق . كما أنه لا يترجم الى اللغة العربية إلا القليل جداً من هذه الكتب . ومن بين ما صدر مؤخراً من كتب جيدة عن العرب والاسلام هو كتاب « وعود الاسلام » للفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه جارودي . وجارودي ليس غريباً عن الاسلام والعرب فموقفه من الاستعمار الفرنسي فى المغرب العربي معروف وكذلك موقفه من الثورة الجزائرية . فعندما كان الاستعمار الفرنسي فى الجزائر يمنع على العرب المسلمين تعلم لغتهم وثقافتهم ودينهم كان صوت جارودى يأتي ليساعد الجزائريين على الوقوف ضد محو ثقافتهم الأصلية وضد "التفرنس" كما يتذكر ذلك الدبلوماسي الجزائري محمد البجاوي الذى قدم لكتاب « وعود الاسلام » ، كما أن جارودى قد ساند جميع حركات التحرر فى العالم .

لقد ظل الاسلام فى نظر الغرب مشوهاً لمدة طويلة . فقد اقترن بالفقر والجهل والتخلف والتعصب ونسي عهود الاسلام المشرقة . وحتى كتابات الشعراء الرومانسيين الغربيين مثل جوته وستندال وجوتييه وجيرار دى نيرفال الذين أعجبوا بالعرب والشعراء المسلمين لم تغير كثيراً فى نظرة الغربيين للعرب والمسلمين .

ولقد ظل الامر هكذا حتى هذه السنوات الأخيرة . ولكن فى السنتين أو الثلاث الماضية اخذ الغرب يهتم مرة أخرى بالاسلام وبصورة جدية ومباشرة .

إن الاسلام هو دين الأغلبية فى كثير من بلدان اسيا وافريقيا والشرق الأوسط كما أن هناك اقليات اسلامية كبيرة فى الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية . ولا ننسى أن الشرق الأوسط يأخذ أهمية خاصة بالنسبة للغرب فهو يقع على أبواب أوربا كما أن البلاد العربية التي تشكل أكبر رقعة من الشرق الأوسط تحتل المرتبة الأولى فى انتاج وتصدير البترول علاوة على كونها سوقاً للمنتجات الصناعية الغربية .

لقد أدت كل هذه العوامل الى اهتمام الغرب بالعرب والاسلام من جديد . فتوالت الدراسات والكتابات عن هذه المواضيع . وكما قلنا فى أول هذا المقال فانه يصدر فى فرنسا وحدها سنوياً عشرات الكتب عن العرب والاسلام .

إن من الأهمية بمكان أن نطلع على هذه الكتب والدراسات التى تصدر فى الغرب أولاً : من حيث أن بعضها يحتوي على معلومات جيدة يجب على العربي والمسلم أن يطلع عليها للمعرفة والدراية وثانياً : أن كثيراً من هذه الكتب توضح لنا نظرة الغرب الى العرب والاسلام وموقفه منا .

ان كثيراً من هذه المواقف خاطئة ومبنية على أحكام مسبقة توارثها الغرب منذ العصور الوسطى . فكثير من الغربيين ينظر الى الاسلام على أنه دين متعصب وعدواني ، وأن العرب هم شعب من المتعصبين وفيهم خطر كبير على أوربا خاصة لمركزهم الجغرافي فى جنوب البحر الأبيض المتوسط . والغربيون يتذكرون العرب في الأندلس لا على انهم أمة متمدنة قدمت للعالم حضارة متكاملة وسابقة للحضارات الغربية بل على أنهم غزاة .

كما أنهم يعتبرون هزيمة العرب فى بلاط الشهداء ( معركة بواتييه فى فرنسا ) على أنه نصر للغرب المسيحي المتمدن على الغزاة العرب المسلمين . كما أن الحروب الصليبية من جهة أخرى قد عمقت هذه النظرة الغربية للعرب والمسلمين . وأخيراً لا أخراً فهم لا زالوا يتذكرون الامبراطورية العثمانية وحصارها لفيينا وتهديدها للغرب فى البحر الأبيض المتوسط .

## تصحيح بعض الأخطاء

هذه النظرة الغربية للعرب والاسلام تحمل كثيراً من المغالطات المتوارثة بعضها متعمد والبعض مبطن . فالعرب لم يكونوا غزاة ظالمين للأندلس بل على العكس حيث أن شعب شبه الجزيرة الأيبيرية هو الذى أيد العرب ليخلصوه من حكامه الظلمة . فأسس العرب فى أيبيريا مدنية قلما وجد مثلها فى التاريخ . كما أن معركة بلاط الشهداء لم تكن غزوة من قبل العرب لفرنسا كما يؤكد ذلك روجيه جارودي وإنما كانت زيارة ودية لفصيلة من الجند العرب بدعوة من أمير فرنسي فهاجمها بعض الفرنسيين ، فضخمت المعركة وبولغ فيها إلى أن جعلوها من أهم الأحداث فى تاريخ فرنسا بل وفى تاريخ الغرب عامة .

لقد أن الأوان لتبديد جميع هذه المغالطات وإحلال الحقيقة محلها . فكما أن العرب بحاجة الى أوربا فان أوربا كذلك بحاجة الى العرب . إن أوربا المسيحية هي أكثر ما تكون اليوم بحاجة الى معرفة الاسلام على حقيقته ، كما أن أوربا الصناعية هي أحوج ما تكون الى معرفة الشرق الأوسط الذي يحمل المواد الخام والذي يحمل معه كذلك المستقبل . وهذا ماأراد أن يفعله الفيلسوف الكبير روجيه جارودي فى كتابه الجديد « وعود الاسلام »

## مصدران ؟ أم ثلاثة ؟

لفترة طويلة اعتبر الغربيون أن حضارتهم قد جاءت من مصدرين لا ثالث لهما . الأول : هو الحضارة اليونانية الرومانية ، والثانى : هو الوحي الالهي لأنبياء اليهود وآخرهم المسيح بن مريم عليه السلام . وبالرغم من أن هذه النظرة قد برهنت خطاها وكتب عن ذلك بعض الكتاب قبل روجيه جارودى إلا أن جارودى يعيد البرهنة على خطأ هذه النظرية ببراهين كثيرة ودامغة . فالحضارة اليونانية الرومانية لم تكن حضارة نمت من لا شيء وإنما سبقتها حضارات أخذت عنها واستفادت منها . فحضارات وادى الرافدين ووادى النيل ووادى الأندوس فى الهند كانت أقدم من الحضارة اليونانية وقد أصبح واضحاً الآن أن هذه الحضارات كانت على اتصال بعضها ببعض وأن الواحدة تأثرت بالأخرى . أما المسيحية فانها كذلك لم تكن بمعزل عما كان يجرى فى جميع بلدان الشرق الأوسط فاليهود كانوا فى بابل وفى مصر وهناك أنبياء عرب الى جانب أنبياء اليهود وان ابراهيم الخليل عليه السلام كان أب العرب واليهود على حد سواء .

## الاسلام وتراث الغرب

لقد نمت الحضارة الغربية الحديثة وتطورت بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى العالم وبعد قيام الامبراطورية العربية الاسلامية فى الأندلس وصقلية فلماذا لا يعتبر الغربيون الاسلام مصدراً ثالثاً لحضارتهم . لقد رفض الغرب هذا الارث الثالث وهذا الرفض يؤدى بالتالى الى فقدان الوحدة بين الشرق والغرب حيث أن العرب هم همزة الوصل فى هذه الوحدة وهم بناتها . ان أول نهضة أوروبية حدثت فى اسبانيا بعدة قرون قبل تلك التى ازدهرت فى ايطاليا ، وحتى النهضة الايطالية جاءت فى بادىء الأمر من جزيرة صقلية التى عاشت تحت حكم العرب المسلمين فترة طويلة فازدهرت فيها الحضارة وتقدمت المدنية .

إن معرفة ما يدين به الغرب للاسلام ليست مهمة المؤرخ أو العالم بل انه واجب كل فرد تهمه الحقيقة والمستقبل . فالاسلام بالنسبة للغرب لم يعد ذلك الدين المخيف كما كان الحال أيام الحروب الصليبية وحرب الجزائر . الاسلام هو هذه الرؤية لله والعالم والانسان الذى يخصص لكل علم وفن ولكل انسان ومجتمع خطة بناء عالم ربانى وانسانى يحتوى على البعدين الأساسيين البعد المتسامى والبعد الاجتماعى .

## نقد الحضارة الغربية

فى هذه المقدمة لكتابه يقرر جارودي أيضاً الحقائق الهامة التالية :

# وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

أولا : ليس هناك نظام اقتصادي عالمي جديدبدون نظام ثقافي عالمي جديد .

ثانيا: أن مصيبة الغرب اليوم سواء فى البلاد الراسمالية او الاشتراكية هو اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف انساني او اخلاقي . هذا الواقع قد ادى الىمشاكل كثيرة ويؤدى بالتالي الى استعباد الآخرين والسعي وراء الهيمنة واستغلال العالم الثالث .

ثالثا: أن المسالة الأساسية والحية لعصرنا هذا ليست هي الصراع بين الراسمالية والاشتراكية التى تسعى كلاهما الىالهيمنة واستغلال الآخرين بل ان المسالة هي فى خلق مجتمع يتعدى الفردية المشوهة التىتفصل بين الفرد ومجتمعه ويتعدى أيديولوجية التقدم الذى يفصل بين العلوم والتكنولوجيا وبين الحكمة . انها في بناء مجتمع اخلاقي يجمع بين البعدين الأخلاقي المتسامي وبين مفهوم الأمة .

لقد حطم الاسلام الامبراطوريات القائمة فى زمانه ليس بقوةالسلاح فقط وإنما بقوة الدعوة الاسلامية التى دعت الىالمساواة بين البشر فجعلت شعوب هذه الامبراطوريات تتقبل الاسلام بسهولة لتخرج من الظلم والاضطهاد الذى كانت ترزح تحته فى ظل هذه الامبراطوريات .

## مفهوم الجهاد

ينتقل جارودي بعد ذلك الى شرح مفصل عن وضع الجزيرة العربية قبل الدعوة الاسلامية وكذلك حالة الدول المجاورة فى ذلك الوقت ، وكيف ان شعوب هذه الدول كانت تعاني من الظلم والاستعباد ، فلذلك كانت على استعداد لتقبل الدين الاسلامي الذىيدعو للمساواة والاخاء والعدل . وبهذا الخصوص يتحدث جارودي عن مفهوم الجهاد فى الاسلام حيث ان الغربيين قد شوهوا الدعوة للجهاد وجعلوا منه ( بعبعا ) مخيفا . فالجهاد فى عرفهم لا يعني إلا القتل المتعصب والحرب المدمرة . لذلك فان جارودي يتوسع فى الحديث عن مفهوم الجهاد لكي يوضح للغربيين معناه الأساسي . « فالجهاد » لايعنى القتل والقتال حيث أن هناك كلمة اخرى لذلك وهي كلمة « الحرب » وإنما كلمة « الجهاد » جاءت من الجهد وهي تعني الجهد والاجتهاد فىسبيل الله . فالقرآن الكريم واضح حين يقول « لا اكراه فى الدين » . إن القتال فى سبيل الله ليس سوى الوجه الآخر من الجهاد . فالاسلام يميز بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر ، والجهاد الأكبر هو الجهاد ضد النفس للسيطرة على شهواتها وانانيتها وغرائزها وهذا هو الجهاد الأكثر صعوبة . وقد ميز النبي صلىالله عليه وسلم بين الجهادين فى حديث شريف .

يختتم جارودي مقدمة كتابه بالقول انه قبل التحدث عن الاسلام فى الوقت الحاضر وعن اثره على النهضة فى اوربا وما يمكن أن يقدمه للمستقبل فانه حرىبنا ان نتبين ما قدمه الاسلام فى السابق من صفحات مشرفة .

فى الفصول التالية من الكتاب يعرض جارودي بشكل مختصر انجازات الاسلام فى شتى الميادين .

## انجازات الاسلام

فى الفصل الأول من كتابه يتحدث جارودي عن الصوفية . ويبدا بالقول بان الصوفية هي بعد من ابعاد العقيدة الاسلامية . فهي بعدها الداخلي . وان اية محاولة لجعلها تيارا مستقلا أو عملا منفصلا يسيء اليها بالضرورة . فالاسلام الذى هو دين الوحدانية لا يفصل بين التامل والعمل ، بين الداخل والخارج . فالصوفية وهي شكل اسلامي للروحانية هي في الأساس توازن بين الجهاد الاكبر (أي الجهاد ضد كل الرغبات التى تبعد الانسان عن مركزه ) وبين الجهاد الاصغر أي العمل لوحدة وتناسق الأمة الاسلامية ضد كل اشكال الوثنية سواء وثنية السلطة أو الثروة او المعرفة الخاطئة التى تبعده عن طريق اللـــه .

## أصالة التصوف الاسلامي

إذن فانه من الخطا جعل الصوفية مطابقة للباطنية المسيحية أو التامل الهندي . صحيح انه مع انتشار الاسلام حدث هناك بعض الاتصال بالباطنية المسيحية والتقشف البوذي ولكن المنبع العميق للصوفية هو القرآن الكريم .

يتحدث جارودي بعد ذلك عن الحب الصوفي وعن الشعر الصوفي فيقول ان الشعر الصوفى هو قمة الشعر العالمي ، وأن الشاعر جلال الدين الرومي هو احد القمم الشعرية العالمية إن لم يكن اعظمها . ويستعرض الكاتب اهم الشعراء الصوفيين . ثم ينتقل الى نقد الحضارة الغربية حيث الفرد الغربي فقد كل وحدة فى علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله .

ويستطرد جارودي فى نقده للمجتمع الغربي منذ النهضة وحتى الآن ويقول إن الاسلام بامكانه ان يقدم الخميرة للصراع ضد الغربة وضد السيطرة على الانسان من قبل ،، ضرورات ،، قادمة من الخارج تسحب الانسان خارج نفسه وخارج مركزه ، لقد استطاع الاسلام ان يوجه الدور التحرري ضد الاستعمار والغربة التى فرضها الاستعمار وان الذين ينتقدون الأنظمة السياسية التى تدعى الاسلام يجب عليهم أن يسالوا انفسهم هذين السؤالين :

١ ــ ما هو نصيب الغرب الاستعماري فى تعصب بعض الأنظمة الاسلامية ؟

٢ ــ انه من النبل بمكان ان لا نقارن بين نظام اسلامي كما هو ونظام مسيحي او اشتراكي كما يجب ان يكون فليس هناك اليوم مجتمع اسلامي مثالي كما ليس هناك مجتمع مسيحي أو اشتراكي مثالي .

## الاقتصاد .. والقانون .. والمراة

فى الفصل الثاني من كتابه ينتقل الكاتب الى مسالة العقيدة السياسية ، وهو يتبع نفس الطريقة فى عدم فصل مشاكل العقيدة عن مشاكل المجتمع وذلك بالمحافظة على الوحدة بين التسامي والأمة بين الوحدة ومظاهرها .

أ) ففى الاقتصاد يقول جارودي إن اهم شيء فى الاسلام هو أن الملكية ليست للفرد أو للجماعة او للدولة ، وإنما هي فعل اجتماعي . فالمالك ليس سوى منفذ وعليه ان يقدم حسابا بذلك للأمة مهما كانت صيغة الملكية سواء فردية او اجتماعية او حكومية . فالقرآن الكريم يندد بالذين يجمعون المال ويعددوه أو يخزنونه كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بان ملكية الأرض هي للذى يعمل بها .

ب ــ أما فى القانون فكما ان الله هو

المالك الوحيد فانه هو المشرع الوحيد . وهذا هو المبدأ الاساسي لنظرة « التوحيد » فى الاسلام . فالتعاليم القرآنية الأساسية بعكس الفردية الغربية الهوجاء هي أن الفرد ليس حقيقة معزولة وإنما يكون جزءاً من كل أعظم هو الأمة وأن الأمة محدودة بغايات أعلى منها . وبهذا الخصوص يتعرض جارودي الى مسالة حالة المرأة فى الاسلام فيقول انه يجب أن نفرق بين أمرين أولا : التفريق بين التعاليم القرآنية الكريمة والتطبيق فى الدول الاسلامية . وثانياً : المقارنة بين التطبيق الواقعي للشعوب المسيحية والتطبيق الواقعي للشعوب الاسلامية ( وليس بين النظرية بالنسبة للبعض والتطبيق بالنسبة للآخرين ) . ثم يبين جارودى بعض النقاط حول الموضوع وهي نقاط معروفة ولا داعي لتكرارها .

## زيف الديمقراطية

ج) اما فى السياسة فحيث انه فى المنظور الاسلامي ليس هناك سلطة إلا لله فكذلك فى السياسة تقودنا هذه النظرية إلى نتائج شبيهة بتلك التى بيناها فى الاقتصاد والقانون . فبجعل السلطة نسبية ( الله اكبر ) فان الاسلام لا يمكن ان يكون مطابقاً لا للتيوقراطية ( حكم رجال الدين ) ولا للملكية المطلقة ( الملكية المقدسة كما فى الغرب ) ولا الديمقراطية البرلمانية . فالقرآن يبعد على سبيل المثال الملكية



الشاعر الألماني جوته .. رغم كتاباته عن العرب واعجابه بالشعراء المسلمين ، فان ذلك لم يغير من نظرة الغربيين للعرب والمسلمين !

الدينية او حكم رجال الدين لأنه لا توجد فى الاسلام كنيسة كما هو الحال فى المسيحية تحكم باسم الله . كذلك فان الاسلام يبعد بنفس الطريقة الديمقراطية البرلمانية القائمة على فردية المواطنين والتى ليس لها غاية إلا تحقيق مصلحة مجموعة دون أخرى بدون مراعاة مصلحة الأمة . كل تمثيل هو مزيف ، فليس هناك فى الاسلام بديلا عن الشعب . فالديمقراطية إما أن تكون مباشرة أو لا تكون .

ويختتم جارودى هذا الفصل بالنقاط التالية :

١ ـ لا يمكن اقامة اشتراكية داخل النظام الغربى المبني على النمو الأعمى بدون هدف انساني .

٢ ـ لايمكن اقامة اشتراكية انطلاقاً من فرديتنا الغربية والتى تشكل الراسمالية أساسها وتعبيرها .

٣ ـ لا يمكن أن تتحقق اشتراكية بدون تسام وبدون امكانية مستمرة للتخلص من مصائرنا المقررة ومن غربتنا .

كل ثورة سيكون مصيرها الفشل إن لم يغير الانسان نفسه كما قال الله تعالى : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

## العلم والحكمة

فى الفصل الثالث والرابع والخامس والسادس من كتابه يتحدث جارودى عن العلوم الاسلامية والفلسفة الاسلامية واللغة الاسلامية والشعر الاسلامي .

يبدأ جارودى فصله هذا بالقول بان تاريخ العلوم والتكنولوجيا كما هو معروف فى البلاد الغربية يرتكز على فريضة وهى قياس تقدم العلوم والتكنولوجيا انطلاقاً من معيار واحد هو فاعلية هذه العلوم والتكنولوجيا لتحقيق السيطرة الكبرى على الطبيعة والانسان حتى ولو أدت تلك السيطرة الى تدمير الطبيعة والانسان . ان ذلك فيه خطر كبير على الانسان فالعلم يجب أن لا يفصل عن الابعاد الأخرى للانسان كالحب والخلق الفنى وتأمل الحياة والرغبة البسيطة فى التوازن والاتساق فى علاقتنا مع الطبيعة وفى علاقاتنا الانسانية . فى ضوء هذه الابعاد يدرس جارودى العلوم الاسلامية فيقول انه يجب أن لا نقع فى الخطأ الذى وقع فيه بعض المؤرخين الغربيين الذين اعتبروا أن العلوم الاسلامية لم تكن سوى نقل لما حققه الفرس والهنود والصينيون وانها مجرد اكتشافات سبقت العلوم الأوربية الحديثة ، من هذا المنظور يجب فهم العلوم الاسلامية فى خصوصيتها ومعناها بانها لا تفصل بينها وبين العقيدة الاسلامية التى حددت غايات هذه العلوم . فمبدأ التوحيد ، وهو مفتاح التجربة الاسلامية الآلهية ، ينفى فصل العلم عن العقيدة . كل شىء فى الطبيعة هو آية من آيات الله لذلك فان معرفة الطبيعة تصبح ، كالعمل ، شكلا من أشكال العبادة وتقرباً من الله .

## الفلسفة والتنبؤية

يبدأ جارودى فصله عن الفلسفة الاسلامية بالتفريق بينها وبين الفلسفة الغربية . فيقول ان المسالة الاساسية فى الفلسفة الغربية قد أصبحت : كيف تكون المعرفة ممكنة ، بينما المسالة الأساسية فى الفلسفة الاسلامية قد أصبحت : كيف يكون التنبؤ ممكنا . فالقرآن الكريم قد اتى بطريقة جديدة لرؤية الله والعالم وكذلك بقانون عمل يختلف عن الفلسفة اليونانية . فالوحى القرآني قد أثار ثلاث مسائل جديدة جداً :

١ ـ مسالة معرفة الحقيقة . ما هو الحقيقى ؟ فكل شىء لا يمكن أن يرى الا بالله والله نفسه هو فى كل شىء .

٢ ـ ما هو قانون العمل الذى يتبع هذه النظرة ؟ العمل والقانون للمسلم هو الظاهر الخارجي للعقيدة . العقيدة هى الداخل والقانون هو الخارج . وليس هناك ازدواجية بين الواحد والآخر .

٣ ـ حسب القرآن الكريم فان الله لا يكشف عن ذاته وانما يكشف فقط قوله وشريعته .

بعد ذلك يستعرض جارودى الفلسفة الاسلامية منذ بدايتها فيتحدث عن الكندى والرازى وابن سينا والسهراوردى وابن عربى الخ ...

## الفن الاسلامى

يقول جارودى ان الفن الاسلامى ، كالعلم الاسلامي والحياة الاجتماعية والفلسفة الاسلامية ، لا يمكن فهمها إلا من خلال مبدئها الأساسى وهو العقيدة الاسلامية . لقد حاول البعض أن يرد الفن الاسلامى الى أصول غير اسلامية وأن يرى فيه نفوذ الفنون الأخرى . ولكن جارودى يؤكد أن ذلك غير صحيح . فنظرة بسيطة على الأعمال الفنية الكبرى الاسلامية فى

# وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

العالم تؤكد لنا وحدتها واصالتها . لقد قيل انه فى الاسلام كل الفنون تقود الى المسجد والمسجد يقود الى الصلاة . فالمسجد هو المركز الذى انطلقت منه الفنون وهو مركز العالم ويمثل وحدة الأمة .

## الشعر .. والشعر الصوفى

ان الادب الاسلامي هو فى غالبيته شعر وهذا الشعر هو شعر تنبؤى . شعر قراني . وبعد نبذة مختصرة جداً عن المعلقات وعن ابى نواس يرجع جارودى الى الشعر الصوفي . وكما قلنا سابقاً فان جارودى متاثر جداً بالصوفية ولذلك فهو يهمل الشعر غير الصوفي فى العصور الاسلامية ويركز على الشعر الصوفى والشعراء الصوفيين . وفى حديثه عن الشعر الصوفى يورد اهم الشعراء الصوفيين كجلال الدين الرومي والجامي ثم يستعرض كلا من الجرجاوي والنظامي . ويتحدث عن أثر الشعراء الاسلاميين على الشعر الغربي فيورد امثلة لذلك كاثر الشعر النبيل على شعراء الأوكستان التروبادور .

يعرض جارودى بعد ذلك لفترة الانحطاط فى الشعر العربى أثناء السيطرة العثمانية حيث لم يخرج شاعر واحد جيد حتى القرن التاسع عشر . ففى النصف الأخير من هذا القرن ظهر فى مصر بعض الكتاب الذين تحرروا من نير السيطرة العثمانية . وهكذا ينهى جارودى فصله عن الشعر العربى بالتعرض للشعر العربى الحديث فيقول ان الشعر العربى الاسلامي الحديث قد ابرز أمام التاريخ والسياسة المشاكل الرئيسية للتاريخ والسياسة ، فهو قبل أى شىء اذن شعر تنبؤى .

## الخاتمة

يبدأ جارودى خاتمته بالقول بان كتابه ليس كتاب تاريخ وانما هو كتاب يهم مستقبلنا جميعاً وانه محاولة جديدة لفهم الاسلام وبالتالى العالم الثالث ، لذلك فهو يثير مسالة الاسلام كقوة دافعة حية ليست فى ماضيه فقط وانما فيما يمكن ان يقدمه اليوم وللمستقبل. لقد ظل الغرب لمدة الف عام يخاف من الاسلام ويخشاه وقد آن الأوان ان ينظر الى الاسلام بمنظار جديد .

## دعوة لنبذ التعصب

ينهي جارودى بعد ذلك كتابه بالقول بان المسألة الاساسية اليوم تطرح نفسها على مستوى العقيدة بشرط ان نعمل ضد النظرة المسيحية المتعصبة التى تنظر الى الاسلام على انه نقيض ومعاد لها وكذلك بشرط ان نعمل ضد التعصب الذى يميز بعض المسلمين والذى هو مخالف لتعاليم الدين الاسلامي المجيد ولروح الاسلام الذى يجعل من المسيحية جزءاً من العقيدة الدينية . ان الحل هو بالحوار والتفاهم . وحبذا لو تحقق حلم جميل وهو ان تقوم الأمم الغربية وبالأخص تلك التى تاثرت بالثقافة والعقيدة الاسلامية بان تخلق فى المدن التى انتعشت فيها تلك الثقافات ، فى قرطبه وباليرما وباريس ، مراكز للحوار واللقاء والبحث والنشر الواسع لما يمكن للغربيين ان يقولوه للمسلمين .

## التعليق والنقد

فى نهاية هذه المقالات اود ان اورد بعض الملاحظات الشخصية التى تكونت لدي عند قراءة الكتاب :

أولا : من الملاحظ أن جارودي لم ينصف الحضارة الأوربية كما يجب ، فهو ياخذ على الغرب قيامه على قاعدة النمو المستمر . وانطلاقاً من رفضه لهذا المبدأ ينتقد جارودي الحضارة الغربية كلها . ونحن إذ نتفق مع جارودي فى ان النمو المستمر قد أدى الى عواقب وخيمة وانه ربما يؤدى فى المستقبل الى كوارث أشد خطراً ، إلا اننا نود ان نقول بان النمو المستمر كان فيه الى فترة ما فى الماضي شيء ايجابي فهو الذى دفع بعجلة التقدم الى ما هو عليه الآن . فالأزمة التى يمر بها الغرب الآن لا يجب ان تعمينا عما حققه الغرب فى ميادين كثيرة . ويجب ان لا ننسي ما قدمه الغرب من تطور فى العلوم والطب وعلم الفضاء وكذلك فى الآداب والفنون . وهذه الأمور لا يمكن رفضها او تجاهلها مهما تعقدت الأزمة فى الغرب اليوم .

إن جارودي يؤكد ان الحضارة الأوربية هي وليدة الحضارة الاسلامية الى حد كبير إذن لماذا نرفض الحضارة الأوربية وبها أشياء كثيرة من الاسلام . إننا نعتقد ان الغرب قد قدم الكثير للعالم ولكنه يمر منذ فترة بازمة وعلينا جميعاً الخروج من هذه الأزمة التى لا تهدد الغرب وحده وإنما تضر بالعالم اجمع . وعلى كل الحضارات والثقافات ان تساهم بنصيبها فى حل هذه الأزمة وعلى راس هذه الحضارات والثقافات الحضارة والثقافة الاسلامية . إننا نتفق مع جارودى بان الغرب يمكنه ان يتعلم الكثير من الاسلام ، ولكننا فى نفس الوقت نقول إن المسلمين يمكنهم ان يتعلموا كثيراً من الغرب .

ثانياً : لقد ابدع جارودي فى فصله . عن الصوفية ، ولكنه فى فصله عن الشعر يعود فيتحدث مرة اخرى عن الصوفية . إننا نجد ان فصله عن الشعر ضعيف ويبدو أن جارودي ينقصه الاطلاع الجيد على الشعر العربي . فالبرغم من ان الشعر الصوفي يشكل قسماً كبيراً من الشعر العربي ، إلا ان هناك جزءاً كبيراً من الشعر العربي غير الصوفي . وهذا مالم يتعرض له جارودي . ولا نستطيع القول ان الشعر العربي غير الصوفي يقل جمالا او عظمة عن الشعر الصوفى ، فالشعراء مثل المتنبى وابو تمام والبحتري وابن الرومي لم يكونوا شعراء صوفيين ولكنهم يشكلون قمما من قمم الشعر العربي . لذلك اعجب من ان جارودي لم يتحدث عنهم فى كتابه .

ثالثاً : يدمج جارودي العالم العربي فى العالم الثالث . وقد آن الأوان ان نميز بين الاثنين وألا نخلطهما خلطاً سطحياً غير دقيق . فالعالم العربي ولو انه جزء من العالم المتخلف إلا انه يختلف عنه اختلافاً كبيراً . فالعالم العربي هو حلقة الوصل بين الشرق والغرب وهو يقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط . وهناك وشائج كثيرة بين العرب والاوربيين وخاصة الأوربيين الجنوبيين بحكم المجاورة والتبادل الثقافي والحضاري . فكما ان هناك علائق كثيرة بين العرب والصين مثلا فان هناك علاقات أوثق بين العرب وأسبانيا .. بين العرب وصقلية .. بين العرب واليونان .. الخ .

هذه هي بعض الملاحظات التى بدرت لي عند قراءة كتاب « وعود اسلامية » لجارودي ، ولكنها لا تقلل من قيمة الكتاب ومن أهميته للقاريء العربي ، وعسي ان يكون هذا العرض مدعاة للاطلاع عليه خاصة وانه سيترجم قريباً الى اللغة العربية .

د. علي حسن تقي



بقلم : الدكتور محمد البهي

# "العُسر واليُسر"

ياتى هذان المفهومان فى بعض آيـــات القرآن مرتبطين بمعنى الرافة وعدم الحرج لمفهوم اليسر .. وبمعنى المشقة والمكروه لمفهوم العسر . فيقول تعالى فى ســـورة البقرة :

فمن شهد منكم الشهر ( اى شهر رمضان ) فليصمه .

ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر ( اى فرخص له بالافطار على ان يعيد صوم ما افطره فى ايام أخرى لا يكون فيها مريضاً . ولا مسافراً ) .

يريد الله بكم اليسر ( اى يريد بترخيص الأفطار فى هاتين الحالتين : الرافة وعدم الحرج لكم فى حياتكم ) .

ولا يريد بكم العسر ( اى ولا يريد بكم المشقة ، والزامكم بما من شـــانه : ان لا يحتمل ) ..

ويأتيان فى بعض آيات اخرى مرتبطين بمعنى : الانفراج والسهولة ، وينتهى الى رضاء الله لمفهوم اليسر .. وبمعنى الشدة والتعقيد ، وينتهى الى العذاب فى الآخرة لمفهوم العسر . يقول تعالى فى سورة الليل:

فاما من اعطى ( اى اعطى لصاحب حاجة معه فى امته : من ماله .. او علمه .. او صحته .. او جـــاهه ) واتقى ( اى وتجنب المنكر .. والجرائم..والآثام ) . وصدق بالحسنى ( اى وآمن بالقيم العليا فى حياة الانسان .. آمن بالمودة ، والأخوة والتعاون ، والرحمة .. الخ ) . فسنيسره لليسرى ( اى فسيصير امره فى حياته : الى السهولة فى معاملة الناس له وسلوكه معهم ، لأنه يعطى من نفسه .. ويصدق بالعلاقات الطيبة معهم .. وينتهى امره فى الآخرة الى رضاء الله ونعيمه ) .

واما من بخل ( فتحكمت فيه انانيته .. وامسك عن الآخرين وعاش لنفســـه فقط مع طاقاته العديـــدة التى تفيض عن حاجته ) واستغنى ( اى بنفسه .. وطاقاته .. وماله .. وعصبيته عن الناس والترابط الطيب معهم ) وكذب بالحسنى ( ومن اجل واستغنائه بنفسه عن الآخرين : لا يؤمن بالمودة ، والأخوة ، والتعاون .. وبقية القيم العليا فى حياة الانسان ) فسنيسره للعسرى ( اى فسينحدر امره فى حياته الى الشدة والتعقيد فى معاملة النـــاس له وسلوكه هو معهم .. سيجره وضعه فى الحياة الى ان يكون مكروها منهم .. مساء فهمه .. ومصوباً اليه حقدهم عليه .. وينتهى مصيره فى الآخرة الى غضب الله عليه وعذابه اياه ) ..

وفى سورة الشرح قوله تعالى :

فان مع العسر يسراً . ان مع العسر يسراً .. ياتى العسر بمعنى الأزمة والشـــدة .. واليسر بمعنى الانفراج وزوال الضـــيق والحرج .

واقتران اليسر بالعسر هنا : « فان مع العسر يسراً » .. وتكرار هذا الاقتران : ان مع العسر يسراً » .. ليفيد : ان مبدأ الحياة الانسانية كقانون يحكمها ويمثل ارادة الله هو : أن مع وجود الأزمة والضيق فى حياة أى انسان توجد بالفعل فى حياته أيضاً : حالة الفرج واقتراب زوال الضيق والحرج . فالعسر لا يوجد وحده منعزلا عن فرج الله ويسره . وانما العسر كظلام الليل يتحول قليلا قليلا الى ضياء الفجر .. ثم الى ضياء النهار . فكذلك العسر يتحول تدريجياً وعلى ممر الوقت الى يسر وخلاص من الضيق . ومن ثم لا يأس فى حياة أى انسان . بل الأمل قوى فيها . والعامل الرئيسى فى تبديد اليأس .. وفى الانتقال من العسر الى اليسر .. أى فى الانتقال من الأزمة والشدة والخروج منهما : هو عامل الايمان ، الذى يعتبر الصبر فيه ضرورة لوجوده .

وما ينتهى اليه هنا مفهوم العسر : من الأزمة والشدة .. وكذلك ما ينتهى اليه مفهوم اليسر : من الانفراج وعدم الضيق : يكاد يكون الأصل فى كل منهما . وما جاء بعد ذلك فى الآيتين السابقتين هو توضيح لذلك حسب مقام الحال الذى يكتنف كل آية منهما .

وعبادة الصوم هى لتعويد الانسان على الصبر فى اجتياز العسر .. والاعتدال فى المسلك وعدم الاسراف فى امكانيات الحياة هو لامتداد أجل اليسر فى حياة الانسان .

# كليوباترا

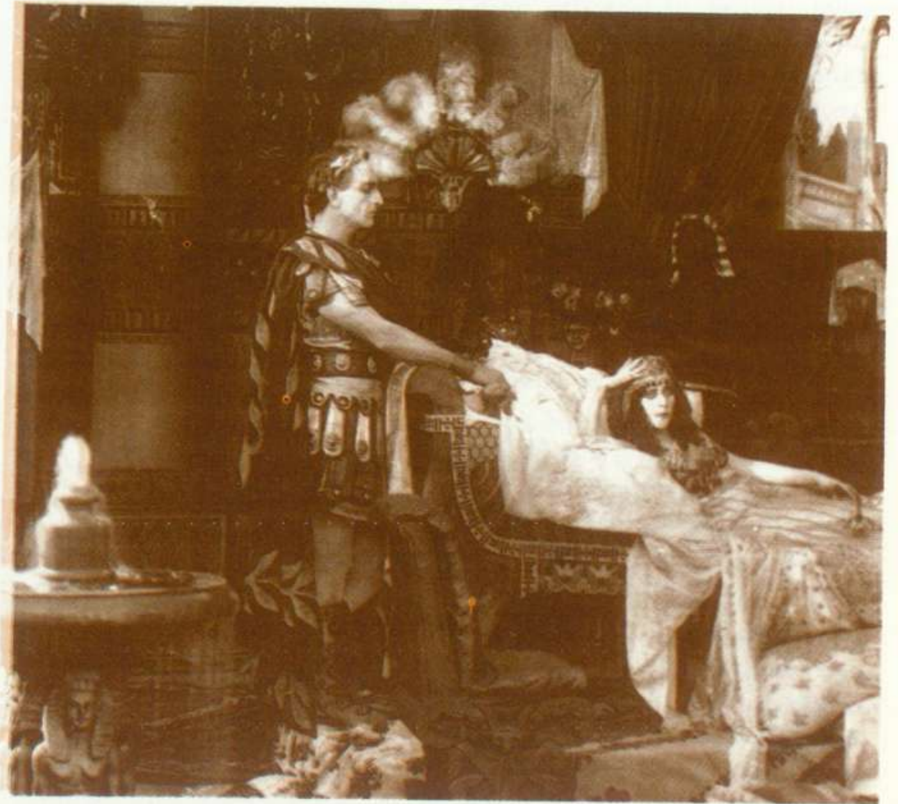
## زعيمة الشرق ورمز الوطنية في الأدب الشعبي المناهض لروما

بقلم : الدكتور أحمد عتمان

في كثير من الأحيان تستطيع شفافيه العبقرية الابداعية عند الأدباء والشعراء الوصول إلى جوهر الأشياء وحقائق التاريخ السحيق برغم ما قد يلف الماضى البعيد من إبهام وإلغاز أو ما قد يكتنفه من تلفيق وتزييف . وقد لا يحتاج الأديب أو الشاعر إلى كثير عناء فى الدراسة والبحث لكى يصل الى مثل هذه الحقائق ، وإن كان مؤكداً أن عمله الإبداعى سيكسب أبعاداً جديدة ويصيب أهدافاً عديدة ويتميز بتأثيرات خاصة وفريدة لو أنه جمع بين شفافية العبقرية الابداعية من ناحية والخلفية الثقافية الدالة على طول البحث والفحص ، من ناحية أخرى .

ومثل صارخ للشاعر الذى استطاع أن يصل إلى جوهر الحقائق التاريخية دون معاناة طويلة فى البحث يمكن أن نجده فى أمير الشعراء احمد شوقى عندما نظم أفضل مسرحياته « مصرع كليوباترا » فلقد تغنى بهذه الملكة البطلمية كزعيمة وطنية برغم أن التراث الادبى والتاريخى لا يحفظ لنا إلا الجانب السيىء من شخصية هذه الملكة حتى صارت صورتها التقليدية الراسخة فى الأذهان هى صورة عاهرة تجيد فن الهوى . هكذا صورها شعراء العصر الأوغسطي فى روما بايعاز من أوكتافيانوس ( ت أوغسطس ) عدو كليوباترا اللدود ، وبالمثل صورها بلوتارخوس فى « سيرة انطونيوس » عاشقة ماكرة وقادرة على سجن انطونيوس فى أحضانها وحبسه فى دائرة لا يملك الفكاك منها . هى معه أينما حل فحتى لو تزوج فى روما ألف مرة حتما سيعود إلى عشيقته الساحرة التى تشده إليها بخيوط من ذهب . وتعكس هذه الصورة وجهة النظر الرومانية الشعبية والرسمية عن كليوباترا . فاذا أضفنا إلى ذلك المخاوف السياسية التى انتابت أهل روما من طموحات هذه الملكة فهمنا مدى الحقد الذى تنضح به كتابات أدباء ومؤرخى ذلك العصر تجاهها . ولقد آن الأوان لكى يعيد الباحثون عندنا صياغة تاريخنا الذى زيفه المغرضون أو من كانوا يتحكمون فى مصائرنا . ولو تحقق لنا ذلك ستنعكس آثاره على أعمال مؤلفينا المبدعين حيث ستتوفر لهم مادة تاريخية يسهل عليهم استلهامها . ومن أهم الموضوعات التى تحتاج إلى إعادة نظر موضوع كليوباترا الذى نحن بصدده .

لقد ظهرت هذه الملكة فى وقت كانت فيه الدولة البطلمية قد وصلت الى الحضيض وكانت على وشك أن تتهاوى وتتلاشى . ولقد أثبتت الأحداث فعلا أن الازدهار الذى أصابها على عهد كليوباترا كان بمثابة وهج الشمس أو الشفق الذى يزداد بريقاً ورونقاً كلما اقتربت لحظة الغروب . لقد امتد سلطان كليوباترا ولاسيما بعد هدايا انطونيوس الى رقعة فاقت ممتلكات البطالمه السابقين بل ضمت أقاليم لم يحلم بها أحد من الملوك الثلاثة الأوائل مؤسسى الامبراطورية البطلمية بقوة سواعدهم وببذل أقصى جهد ممكن . أما الآن فها هى حفيدتهم كليوباترا تقيم صرح امبراطورية بطلمية جديدة معتمدة على



كليوباترا .. الملكة البطلمية التى يحتاج تاريخها إلى اعادة نظر من الباحثين حتى تتوفر لمؤلفينا المبدعين المصادر البعيدة عن الزيف والتلفيق .

سلاح الجمال والفتنة وهو سلاح أثبت التاريخ فعاليته فى كثير من فترات الزمن . وينبغى أن نتذكر هنا أن كراهية الرومان وخوفهم لم يولدا مع قصة حب انطونيوس وكليوباترا . ولكن ظهرا للوجود عندما استولت كليوباترا من قبل على قلب يوليوس قيصر . فعندئذ خشى الرومان أن يحول هذا العاهل الكبير جمهوريتهم الى مملكة هيللينسنية يتربع على عرشها جنباً الى جنب مع كليوباترا . وتردد القول فعلا بأن يوليوس قيصر كان ينوى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية الى الشرق . فان دلت هذه الاشاعات على شىء فانما تدل على مدى سيطرة كليوباترا على يوليوس قيصر الذى لم يعد فى نظر أصحاب هذه الشائعات رومانياً بل حاكماً شرقياً . زد على ذلك ان كليوباترا كانت تعتبر نفسها زوجة يوليوس قيصر وسجلت على أحد المعابد انهــا انجبت قيصرون من أمون رع الذى خالطها فى صورة يوليوس قيصر . ويبدو أن الاخير قد اعترف بأبوته لقيصرون وانه اقام تمثــالا من الذهب لكليوباترا فى معبد فينوس الوالدة أو راعية الولادة.

ولو كانت كليوباترا تشك فى نوايا يوليوس قيصر لنسب طفلها الى زوجها وأخيها بطليموس الثالث عشر ( ٦٣ ـ ٤٧ ق.م ) الذى توفى قبل ميلاد قيصرون بستة شهور فقط .

وعندما ذهبت كليوباترا لتقيم فى روما بالقرب من يوليوس قيصر اثارت موجة عارمة من الاستياء فى الأوساط الرومانية . ففى ذلك الحين وعلى وجه التحديد عــام ٤٦ ق.م قاد يوليوس قيصر موكب انتصاره حيث سيقت فيه أخت كليوباترا الصغرى أرسينوى الأميرة العنيدة وحملت صــوراً لبوثينوس واخيلاس ، وتمثالا للنيل والفنار تمجيداً وتخليداً لانتصار يوليوس قيصر فى الحرب السكندرية عام ٤٨ ق.م . ولقــد شاهدت كليوباترا هذا الموكب بعينيهــا مما أثار سخط الرومانيين الذين تأثروا أيما تأثر بمنظر ارسينوى الأميرة المكبلة بالقيود بسبب اخلاصها ووطنيتها . وقارنوا بين هذا المصير البشع وبين حيــــاة كليوباترا الماجنـــــة التى أسرت عاهلهم يوليوس قيصر وجاءت بنفسها الى ضفاف نهر التبير وكأنها تسعى للسيطرة على روما نفسها .

فلما وقع انطونيوس فى بحر الحب الذى سبح فيه من قبل يوليوس قيصر زاد الطين بلة ولما وهب كليوباترا هدايا الأرض والالقاب ضاعف من ذعر الرومانيين . وفى نفس الـــوقت تخلــق تحت الأرض أدب النبوءات الذى شاع فى بلدان الشرق الأوسط شيوع النار فى الهشيم . ويتخذ هذا الأدب موضوعاً أساسياً هو أن الشرق سيتفوق يوماً ما على الغرب مهما طال الزمن وأن منقذاً عظيماً سيظهر من بين أبناء شعوب هذه المنطقة وستأتى على يديه نهاية الغطرسة الرومانية . فلما حصلت كليوباترا على ما حصلت من مكاسب توسعية وشهرة عالمية تحول هذا الأدب اليها متخذاً منها الشخصية المحورية فبدت الملكة المنقذة التى ستعيد أمجاد الشرق الهيلينى والهيللينستى الى سابق عهدها . فلنتوقف قليلا عند صفحات هذا الأدب الغامض .

## الرومان مهزومون لا محالة

هناك نبوءة تنسب الى تاريخ ما قبل عام ١٠٠ ق.م ويطلق عليها اســم « نبــوءة البرايتور المجنون » نسبة إلى احد المناصب الرومانية وهى تنذر الرومان بأن جيشــاً قوياً سيأتى من مشرق الشمس أى من آسيا بهدف استعباد روما واذلالها . وفى القرن التالى تنبأ رجل اغريقى شرقى أو متأغرق من الشرق يــدعى هيســـتاسبيس ( Hystaspes ) وربمـــا حكيماً فارسياً بأن الحكم والسلطان سينتقل بالعنف من روما إلى يد منقذ من الشرق . وبلغ من ذيوع هذه النبوءة وخطورتها أن الرومان فرضوا عقوبة الموت على كل من تخول له نفسه قراءتها أو ترديدها . ولكن أخطر النبوءات واكثرها إزعاجاً لرومــا والرومانيين هى تلك التى جاءت فى الكتب السيبيلية ولا أدل على مدى الانزعاج الذى أصاب الرومان مما تحويه هذه الكتب من أنهم لم يحتفظوا الا بنسخة مختـــارة ومنقحة لها ثم اعادوا تعديلها وتشذيبهــا عام ٨٣ ق.م فيما يمكن ان نعتبره نسخة رسمية للنبوءات السيبيلية . ولكنها ظلت فى الأماكن التى انبثقت منها أصلا فى سوريا واماكن اخرى بالشرق تحمل النذير لروما والبشرى المريحة لشعوب الشرق بأن الحكم الرومانى لن يبقى أبد الدهر .

وترجع بعض هذه النبوءات السيبيلية الى عصر بعض الملوك الهيللينستيين مثل سيليوكوس انطيوخوس الرابــع الملقب بالظاهر ( ١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م ) الذى كان قد أحيا الآمال فى سقوط روما . وتتحدث بعض فقرات هذه النبوءات عن بؤس بلاد الأغريق بعد أن وقعت تحت براثن الحكم الرومانى عام ١٤٦ ق.م وبعضها يمجد عدو

روما اللدود ميثريداتيس السادس الذى مات عام ٦٣ ق.م وتصفه بأنه المنقذ . ويورد أثينايوس الرواية الأسطورية التى ذاعت عن ولادته وفحواها أن مذنباً فلكياً توهج فى كبد السماء عندئذ واستمر كذلك لمدة سبعين يوماً . وتحدثت النبوءات أيضاً عن قرب ظهور ملك محارب سيمهد بسيفه الفتاك الطريق لسقوط روما وقيام العصر الذهبى .

وأهم من ذلك الاشارات الغامضة التى وردت فى أدب المقاومة التنبؤى هذا عن امرأة ستجلب الخلاص للشرق . فعندما ستكون فى ذروة المجد والقوة كما يؤكد العرافون ستتضاعف الخيرات وستكون الحياة وكافة الممتلكات ملكاً للجميع ولن تكون هناك أسوار ولا استحكامات على ظهر الأرض التى ستحمل ثماراً أوفر مما حملت من قبل وستنفجر فيها ينابيع اللبن الصافى والعسل الشافى . فاذا شك بعض المؤرخين أو القراء فى أن هذه النبوءة تشير بطرف خفى الى كليوباترا فان النبوءة التالية باشارتها الواضحة لحكومة الائتلاف الثلاثى ستعينهم على التغلب على شكوكهم . تقول النبوءة : « وعندما ستكون روما مترددة فى فتح مصر ستظهر الملكة القوية بنت الملك الخالد بين الرجال .. وثلاثة سيخضعون روما لقدر يبعث على الاشفاق .. » . وأكثر من ذلك فان النبوءات تتحدث عن هذه المرأة المنتظرة على انها أرملة مما يزيد رقعة التشابه بينها وبين كليوباترا التى عزلت اخاها وزوجها بطليموس الرابع عشر عام ٤٤ ق.م وخرجت على التقليد البطلمى المعروف أى أن يكون الحكم فى يد الزوج الملكى شركة . تقول النبوءة :

« وعندئذ سيخضع العالم الواسع كله لحكم امرأة وسيدين لها بالولاء فى كل شىء وحدها ستكون هذه الأرملة ملكة العالم الواسع كله سيقذف الاله بالذهب والفضة الى البحر وفى الماء أيضاً سيقذف السيوف البرونزية لهؤلاء الرجال الفانين فى عمر يوم من الأيام . وعندئذ ستصبح كل عناصر الكون بائسة مترملة ولكن الاله العلى فى الأثير سيطوى السموات على السجل للكتب وستسقط السماء الزاخرة بالنجوم على الأرض القدسية وعلى مياه البحر . وتتساقط ألسنة اللهب من عل ودون توقف . سيحرق الاله الأرض والبحر بلعنة منه . الأيام والسموات الزاخرة بالنجوم وكل الكون سيتحول الى شىء واحد الى طهارة خالصة . والنجوم الضاحكة المضيئة ستصمت وستخبو فلن يكون هناك ليل ولا فجر ولن تكون للهموم سهام عديدة بل لن



## كليوباترا

### زعيمة الشرق ورمز الوطنية فى الأدب الشعبي المناهض لروما

تكون هناك هموم قط ، لا ربيع ولا صيف لا شتاء ولا خريف وسيأتى حساب الاله القدير فى كل شىء بهذا العصر العظيم القادم وعندها ستسقط كل هذه الأشياء »

وتضيف النبوءة « ولكنك لن تكونين بعد أرملة فسوف تتزوجين الأسد » . وهنا ينبغى أن نتذكر أن الأسد فى الأساطير الاغريقية هورمز بطولة هرقل الذى لم يكن يرتدى من ملبس سوى جلد الأسد فاذا أضفنا إلى ذلك أن انطونيوس كان حريصاً كل الحرص على أن يظهر بمظهر هرقل أصبح للنبوءة مغزى عميق . فالأرملة التى ستتزوج الأسد هى كليوباترا عشيقة وزوجة وحليفة انطونيوس المتشبه بالبطل الأسطورى هرقل .

وهناك نبوءة أخرى طويلة تقول « هائلة تلك الأموال التى دفعتها أسيا جزية الى روما ، ولكن روما ستدفع ثمن ذلك ثلاثة أضعاف لكى تتطهر من غطرستها القاتلة . وفى مقابل كل رجل من رجال آسيا خدم سيداً ايطاليا سيتعذب فى أغلال العبودية عشرون ايطاليا وسيدخل قفص الاتهام والادانة آلاف عديدة منهم . أى روما ذات السلالة اللاتينية أيتها العذراء المتزينة بالألوان والأصباغ الزخرفية ، أيتها المنتشية فى أحضان مئات العشاق ستضعين فى يديك سلاسل الأسر والعبودية . سيذهب عنك البهرج وسيقصون شعرك الناعم بأمر صارم من سيدة قوية وستلقى بك من السماء الى الأرض تلك التى بيدها تمسك العدالة ولكنها سترفعك بعد ذلك الى أعلى لأن السلام الوديع سيعود الى آسيا وستسعد به أوربا وسيمنح الهواء حياة أطول وقوة ، وطعاماً أوفر وستتزايد طيور الأرض وحيواناتها وستختفى العواصف والأعاصير . بارك الاله فى الرجل وبارك الاله فى المرأة اللذين سيشهدان هذا الزمان . انهم وكالفلاحين الذين لم يروا حياة القصور من قبل سيصعقون من الدهشة لرؤية الثروات . ذلك أن نظاماً واحداً حقيقياً وقانوناً واحداً حقيقياً سينزل من عالم النجوم ومعهما سيأتى أيضاً ليقطن من البشر الشىء الذى طالما تمنوه وفضلوه على كل شىء . اى الوفاق والانسجام المتين والمقبول وكذلك الحب الأخوى بين كافة بنى البشر . وسيهرب الفقر من العالم وستذهب الحاجة والفوضى بلا رجعة وستختفى فى ذلك اليوم مشاعر الحسد والحقد ، الغضب والحمق وكذا المعارك الفتاكة والنزاعات والسرقات والتدمير وكل أنواع الشرور » .

ولقد تم فعلا قص شعر روما الناعم على يد سيدة مسيطرة هى كليوباترا التى تلقت من انطونيوس هدايا الأرض والولايات الخصبة على حساب الامبراطورية الرومانية . ومن الملاحظ ان هذه النبوءة مفعمة بمشاعر الغضب والرغبة فى الانتقام من غطرسة الرومانيين ، كما انها تنم عن عطش الشرق المغلوب على امره للحرية والعدالة . فالنبوءة تمد المطحونين من أهل الشرق بالآمال الحالمة فى أن عجلة الحظ لن تتوقف بل ستستمر فى دوراتها العادية والمنتظمة وستعطيهم ما اخذت منهم وسيدفع الثمن فى المستقبل القريب من ظلم وتكبر . وهكذا توضح هذه النبوءة بما لا يدع مجالا للشك المعنى العميق لهدايا الأرض والألقاب التى اكتسبتها ملكة مصر كخطوة أولى نحو إعادة أمجاد الشرق والقضاء على تعسف الحكم الرومانى . وترسم لنا هذه النبوءة الجنة التى كان أهل الشرق يحلمون بها ، إنها جنة السلام والانسجام ، يتساوى فيها الاغريق والرومان ، ويتعاون فيها الشرق مع الغرب متآخين متحابين .

ولقد كان هذا الحلم بعيداً كل البعد عن مجرد أن يخطر بذهن روما واوكتافيانوس ولكنه كان مجسداً تمام التجسيد فى سياسة انطونيوس وكليوباترا . ومن المؤسف ان بلوتارخوس المتحمس بشدة لدعوة التآخى بين الاغريق والرومان ولفكرة الجمع بين العبقرية الاغريقية والعسكرية الرومانية لم يتفهم سياسة انطونيوس وكليوباترا التى كانت فى الواقع تسعى الى تحقيق الهدف نفسه وإنما على أسس انسانية من الحب والتآخى بين بنى البشر جميعاً .

د . أحمد عتمان

بحث جامعي جديد

# مجلس التعاون لدول الخليج العربية





تأليف :

لميعة عبد العزيز الجاسر ( جامعة الملك سعود )


« مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، بحث قدمته لميعه عبد العزيز الجاسر ـ الطالبة فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ـ المملكة العربية السعودية ، وقد أشرف على هذه الرسالة الجامعية الدكتور طه عثمان الفـرا .

يعتبر البحث ذاته ، دراسة جديدة فى موضوع حديث جداً ، إذ من المعروف أن « مجلس التعاون الخليجي » ولد كمنظمة اقليمية عربية بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٥ ، أي انه لم يمض على قيام هذه المنظمة أكثر من سنة وبضعة اشهر ، مما يسبغ على البحث أهمية خاصة . وعلى الرغم من اقتصار بعض الفصول على السرد تقريباً دون تحليل واستنتاج كافيين ، فان البحث يعتبر بشكل عام محاولة ناجحة فى وضع « مجلس التعاون الخليجي » في اطار تاريخي أولا ، ثم فى تلمس العوامل القومية والاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشوئه فى ظل ظروف اقليمية ودولية موضوعية .

وقد قامت الطالبة لميعة عبد العزيز الجاسر بتقسيم دراستها إلى خمسة فصول ، تناولت فى الفصل الأول منها موقع الدول الخليجية وموقع الخليج العربي وتضاريس منطقة الخليج ، كما قدمت فى هذا الفصل العوامل التاريخية والاجتماعية فى وحدة المنطقة ، والصفات المشتركة بين دول الخليج العربية التى تقرب مابين شعوب هذه الدول .

وفى الفصل الثاني تحدثت عن الوضع السكاني فى المنطقة من حيث النمو السكاني والزيادة الطبيعية فى السكان والهجرة ثم التركيب السكاني النوعي والعمري والمهني .

وتناول الفصل الثالث فى الدراسة الحديث عن الاقتصاد الخليجي قبل وبعد ظهور البترول ثم مرحلة انتاج البترول وتطور هذا الانتاج ، واحتياطى النفط وصادراته فى دول الخليج العربية الست الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجي .

أما الفصل الرابع فقد تناول الموضوع الجوهري للدراسة ، بعد التمهيد السابق فى الفصول الثلاثة الأولى ، وتناول هذا الفصل الأسباب التى دعت الى قيام المجلس ومراحل تكوينه من خلال مؤتمر قمة ابو ظبي الأول ومؤتمر قمة الرياض الثاني .

واختتمت لميعه عبد العزيز الجاسر بحثها هذا ، بفصل خامس تحدثت فيه عن النتائج والفوائد التى اسفر عنها انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربيـــة .

## العوامل الوحدوية

حاولت الباحثة فى الفصل الأول تسليط الأضواء على العوامل الوحدوية التى مهدت لقيام مجلس التعاون الخليجي ، فركزت على جملة من العوامل أهمها التشابه الاقتصادي والاجتماعي بين شعوب المنطقة ( قطر ـ المملكة

بحث جامعي جديد

# مجلس التعاون لدول الخليج العربية

العربية السعودية – دولة الامارات العربية المتحدة – البحرين – الكويت – البحرين – سلطنة عمان ) ، ثم على الانتماء القومي المشترك ، ووجود النفط فى دول الخليج العربية جميعها ، مما أضفى بدوره تشابها فى طبيعة التطور الاجتماعي والاقتصادي لشعوب هذه الدول ، اضافة الى العامل المناخى الواحد .

وبالنسبة لعامل الانماء القومي المشترك ، اشارت الباحثة إلى وحدة اللغة والدين والجنس التى صهرت شعوب المنطقة فى بوتقتها ، وقالت فى هذا المقام « إن دول الخليج كلها عربية منذ القدم ، وذلك من خلال القبائل والعشائر العربية التى جاءت وسكنت شواطئه ( الخليج ) ، باعتبارها امتداداً طبيعياً للوطن العربي الذى مدته شبه جزيرته العربية الأصلية ، بالفيض السكاني عبر الهجرات المتتابعة ، وتمتد جذور هذه الأواصر الاجتماعية والتاريخية الى فجر الاسلام ، وبظهور الرسالة المحمدية اندمجت القبائل وأصبحت أمة واحدة تمتاز بالوحدة فى الدين واللغة . »

واشارت ايضا إلى أن هذه الأواصر الاجتماعية والدينية والقومية كانت لها حوافز موضوعية ملموسة بين حكام وشعوب دول الخليج العربية ، شبيهة تماماً بتلك الحوافز العربية الأولى التى شهدتها الجزيرة العربية فى التعاون والتحالف وعقد الاتفاقيات والمواثيق والعهود بين القبائل العربية بهدف رد ومواجهة جميع الأخطار الخارجية . وقالت الباحثة إن العوامل الوحدوية السابقة ، هي التى دفعت شعوب المنطقة وقادتها منذ مطلع السبعينات الى اعادة اكتشاف الروابط الوطنية والتاريخية والاجتماعية والثقافية وتجميع كل الامكانات السياسية والاقتصادية والثقافية لايجاد صيغة وحدوية جـديدة تتناسب مع الظروف الموضوعية فى المرحلة الراهنة وتتكفل بمجابهة الأخطار الخارجية .

## الوضع السكاني

خصت الباحثة الفصل الثاني من دراستها بموضوع السكان فى منطقة الخليج العربية ، واشارت الى أن نسبة الوافدين الى السكان المحليين مرتفعة فى كل من دولة قطر والكويت ثم أبو ظبي ودبي ، أما بالنسبة الى المملكة العربية السعودية ، فان عدد السكان الاصليين اكبر من عدد الوافدين ، كما أن اكبر مجموعة من الوافدين هنا ، مؤلفة من اليمنيين الشماليين .

كما لاحظت الباحثة أن توزيع الفئات العمرية لسكان بلدان الخليج العربية الست ، تشير إلى أن مجتمعاتها هي مجتمعات فتية ، وأن قاعدة الفئة السكانية من الأطفال عريضة وواسعة ، واستنتجت من خلال هذا الواقع ، أن هذه القاعدة السكانية العريضة ستغذى خلال فترة تتراوح مابين خمس الى عشر سنوات ، المجموعة السكانية القادرة على العمل ، باعداد وفيرة من العمال والموظفين ، وبالتالي تجعل « خلجنة » الأعمال والمهن والوظائف المختلفة ، أمراً ممكناً فى المستقبل ، لكن الباحثة تشترط لذلك اتخاذ الخطوات المناسبة للتنمية السكانية ثقافياً وفكرياً واجتماعياً وصحياً ونفسياً .

## الاقتصاد الخليجي

تتناول الباحثة فى الفصل الثالث موضوع الاقتصاد الخليجي قبل وبعد اكتشاف البترول ، فتشير الى أن المحور الأساسي للاقتصاد الخليجى فى مرحلة ما قبل النفط كان يعتمد على التجارة بالدرجة الأولى الى جانب انشطة اخرى كالزراعة وصيد الأسماك والغوص وتربية الحيوانات الداجنة ، ولكن اكتشاف النفط اسهم بصورة غير مباشرة فى تعزيز حياة الاستقرار ونشوء المدن على حياة البداوة والغوص وتجارة البحار .

وفى هذا المجال تذكر الباحثة أن البترول يشكل حالياً المصدر الرئيسي للدخل فى دول الخليج الست ، وبالنسبة لدولة قطر فان النفط يؤمن نحو ٩٠٪ من ايرادات الدولة .

وتقول ان النفط الذى اكتشف فى دولة قطر فى عام ١٩٣٨ واستخرج فى عام ١٩٣٩ ، قد تمت السيطرة الوطنية على شؤونه منذ عام ١٩٧٦ بانشاء الهيئة القطرية العامة لانتاج البترول ، وبذلك أصبحت مادة النفط التى هي أهم ثروات البلاد تحت سيطرة الدولة بشكل كامل .

وتشير الباحثة فى هذا الفصل الى أن الدول الخليجية رأت انها لايمكن أن تعتمد دائما على مصدر طبيعي واحد قابل للنفاد والنضوب وهو البترول ، لذلك اتجهت الى تنويع قاعدة الانتاج بهدف إيجاد ثروة ومصادر اخرى للدخل بشكل ثابت ، وتتمثل هذه المصادر فى التنمية الصناعية والزراعية والاهتمام بالثروات الطبيعية الأخرى ، مستندة فى ذلك على عوائدها النفطية المتزايدة في كل عام .

ونظراً لتشابه اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي ، اتجهت هذه الدول الى أسلوب التنسيق والتعاون على شكل اتفاقيات ثنائية أو جماعية ، من اجل القضاء على احتمال التنافس فى استغلال مواردها وفى تصريف انتاجها ، وسعياً وراء التكامل الاقتصادي . أما التعاون الجماعي فى هذا السبيل فهو يتم من خلال اتفاقيات تشترك فيها أكثر من دولتين . ومن الأمثلة على ذلك اتفاقية انشاء بنك الخليج الدولى (١٩٧٥) الذى ساهمت فيه سبع دول خليجية ( بما فيها العراق ايضاً ) ، وقد حددت أهداف هذا البنك فى تحقيق التكامل والتنسيق والترابط الاقتصادي للدول الخليجية عن طريق تمويل المشاريع الاقتصادية الخليجية ، وتنسيق الجهود مع المؤسسات المالية الخليجية لخلق جبهة اقتصادية تساعد على تنمية دول المنطقة . وكان من مساهمات هذا البنك فى التمويل ، مساهمته فى تطوير شركة البترول الوطنية بالبحرين بقيمة ٧٥ مليون دولار .

ومن الاتفاقيات التى تشترك فيها أكثر من دولتين تذكر الباحثة أيضا الاتفاقية الخاصة بانشاء « شركة الملاحة العربية » (١٩٧٦) ، والاتفاقية الاعلامية الخاصة بانشاء « مؤسسة الانتاج البرامجي والاذاعي المشترك لدول الخليج » (١٩٧٦) ، واخيراً الاتفاقية الخاصة بانشاء « منظمة الخليج للاستثمارات الصناعية » (١٩٧٦) ايضـاً .

ومن خلال ما تقدم يتضح أن قيام مجلس التعاون الخليجي – كما تقول الباحثة – قد سبقه مسار خليجي شمل عدة مجالات من خلال جملة من الاتفاقيات الثنائية والجماعية ، مما أوجد أرضية قوية لبناء المجلس .

## قيام مجلس التعاون

كان قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية إذن نتيجة لعوامل وحدوية متعـددة ( العوامل الطبيعية – العوامل التاريخية والاجتماعية – الصفات المشتركة بين دول الخليج – الاقتصاد الخليجي المتشابه وأثر البترول عليه – امكانيات التعاون بين الدول الخليجية لتحقيق تكامل اقتصادي فيما بينها – الخصائص السكانية الواحدة تقريبا لدول الخليج العربية ) .

وفى اطار فاعلية وضغط هذه العوامل مجتمعة ، اضافة الى العوامل الخارجية المتمثلة فى المطامع والتنافس الدولي على منطقة الخليج الغنية بالبترول ، كان لابد لدول الخليج العربية من الاتجاه بدأ واحدة نحو صيغة جديدة من الاندماج الخليجي ومواجهة التحديات المتعاظمة مع تعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط .

وفى هذا الجو المشبع بروح العمل الجماعي فى المنطقة والتكاتف والتآزر بين دولها بدأت أولى الخطوات التنفيذية لانشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، بعقد اجتماع لوزراء خارجية دول المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/٤ ، حيث وقع الوزراء الستة فى ختام ذلك الاجتماع على وثيقة اعلان قيام مجلس التعاون الخليجي معلنين بذلك بداية مسيرة التعاون بين الدول الست . وقد تحددت أهداف المجلس فى بيان لاحق صدر فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/١٤ عن طريق دول الخليج العربية الست ، ويمكن اجمال تلك الأهداف - كما توردها الدراسة - فى تحقيق التناسق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء فى جميع الميادين وصولا الى وحدتها ، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها فى مختلف المجالات ووضع انظمة متماثلة فى مختلف ميادين الحياة ، ودفع عجلة التقدم العلمي والتقني فى مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية ، وإنشاء مراكز بحوث علمية ، واقامة مشاريع مشتركة ، وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوب دول المجلس .

## القمة الخليجية الأولى

أما الاعلان رسمياً عن إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، فقد تم فى البيان الذى أذيع فى أعقاب القمة الخليجية الأولى التى ضمت زعماء الدول الست الأعضاء فى المجلس ، والتى عقدت فى أبو ظبي فى ١٩٨١/٥/٢٥ ، حيث وقع هؤلاء الزعماء النظام الأساسي لمجلس التعاون .

## الاتفاقية الاقتصادية

وكان من أهم ثمرات انشاء مجلس التعاون الخليجي إقرار وزراء مالية دول المجلس مشروع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٦/٨م ، وأهم سمات هذه الاتفاقية البالغة الأهمية أنها جاءت لكي تستبدل الاتفاقيات الثنائية بين الدول الأعضاء بالمجلس باتفاقية اقتصادية وتجارية ومالية موحدة ، بما فى ذلك تنسيق خطط التنمية الوطنية والسياسة البترولية فى جميع مراحلها ، وعمليات التصنيع والمشروعات الصناعية ، بما يمنع الازدواجية أو المنافسة الضارة ، اضافة الى تنسيق الخطط فيما بين الدول الأعضاء بالنسبة لاستثماراتها فى الداخل والخارج .

وإضافة الى ما تقدم فان مجلس التعاون أعرب عن عزمه ( البيان الختامي لاجتماعات الدورة الأولى للمجلس الوزاري للمجلس بالطائف فى ١٩٨١/٩/٢ ) ، على تعزيز التنسيق الأمنى والسياسي بين الدول الأعضاء لمواجهة الأخطار المحيطة بالمنطقة .

## القمة الخليجية الثانية

بعد مضي حوالي ستة شهور على مؤتمر القمة الخليجي الأول عقدت القمة الثانية لدول المجلس فى الرياض بتاريخ ١٤ محرم ١٤٠٢هـ . وتشير الباحثة فى دراستها الى أن هذا الفاصل الزمني القصير نسبياً بين انعقاد القمتين يؤكد على حرص زعماء دول المجلس على المضي قدماً وبخطى ثابتة وواثقة لتحقيق الأهداف التى تضمنها البيان الختامي للقمة الخليجية الأولى ، كما يؤكد أيضاً على مدى ما يتمتع به زعماء دول المجلس من قدرة عملية على تحقيق الأمن والرخاء والاستقرار لشعوب هذه المنطقة .

## النتائج والفوائد

تخلص الباحثة من دراستها الى النتائج والفوائد التى أسفر عنها انشاء مجلس التعاون الخليجي ، فتقول : إن أهم الانجازات على الصعيد الاقتصادي كانت اقرار مشروع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول المجلس ، والتى تقضي كما اشرنا انفاً الى تنسيق السياسات النفطية والتصنيعية بما يمنع الازدواجية أو المنافسة الضارة .

وعلى الصعيد الأمني والعسكري ، فقد أكد قيام مجلس التعاون استقلالية دول المنطقة وبعدها عن المحاور العسكرية الدولية ، ورفضها لأي تواجد عسكري فى منطقة الخليج ، وقد جاء قيام مجلس التعاون ليشكل وعاء تنظيمياً لامكانات دول المجلس الست على الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية تحقيقاً للسلام والاستقرار فى منطقة الخليج العربي .

وتختم الباحثة دراستها عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية بطرح سؤال حول الامكانيات المتوفرة لنجاح فكرة المجلس وتحقيق الأهداف التى قام من اجلها ؟

وتؤكد أن هناك عوامل عديدة تؤكد نجاح كيان المجلس اكثر امكانيات النجاح المتوفرة للسوق الأوربية المشتركة ، أهمها كون دول الخليج تشكل منطقة جغرافية واحدة ، تكاد تكون كلا واحداً ، اضافة الى انتماء شعوب المنطقة الى قومية واحدة هي القومية العربية .

أما بالنسبة للاضافة التى يشكلها قيام مجلس التعاون ، فهي فى نظر الباحثة ، أن هذا الكيان التنظيمي الجديد سيدعم انتماءه العربي ويساعد أكثر فأكثر على خدمة القضايا العربية والاسلامية ، كما أن المجلس سيحمل آثاراً اقتصادية لابد وأن تؤثر على المسيرة الاقتصادية لدول العالم كافة ، بالنظر للامكانيات الاقتصادية العديدة لدول المجلس ، وأهمها الفوائض النقدية الضخمة الموزعة على مصارف عالمية متعددة ، اضافة الى الانتاج النفطي لهذه الدول وما تملكه من احتياطي كبير وبالغ الأهمية من هذه المادة الحيوية .

## تقييـم

في رأينا ، يكتسب البحث أهمية خاصة ، باعتباره محاولة جادة لتسليط الأضواء على « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، بما يمثل قيام هذه المنظمة العربية ، من محاولة للقفز على عوامل التجزئة والتقسيم التى اقامها الاستعمار فى منطقة الخليج العربي قبل رحيلـه ، وبما يمثل أيضاً من طموح ونزوح نحو قيام وحدة عربية بين دول المجلس ، بحيث تصب هذه الوحدة فى تيار الوحدة العربية الشاملة فى نهاية المطاف ، اضافة الى المحاولات الناجحة للتنمية بشتى وجوهها فى هذه الدول ، وتسخير الطاقات النفطية والمالية التى تملكها فى خدمة القضايا العربية والاسلامية ، والسلام العالمي .

ونشير اخيراً إلى أن الدراسة اعتمدت السرد التاريخي أحياناً ، دون الغوص فى التحليل والاستنتاج المطلوبين ، كما أن الهنات التى تؤخذ على الباحثة اعتمادها على المراجع والمصادر العربية دون الأجنبية ، ولكن نود أن ننوه الى أن الدراسة كانت مكتنزة أحياناً - وخاصة فى الفصل الثاني منها - بالجداول والبيانات الاحصائية ، وهي ضرورة لا مندوحة عنها للباحث الموضوعي أو الأكاديمي .

ع . ش

رسالة لندن من:
علي شلش

● أزمة المجلات الأدبية في الغرب!

# أزمة المجلات الأدبية في الغرب

يبدو ان المجلات الأدبية فى العالم الغربى قد أصبحت مثل الديناصور الذى انقرض ولم يترحم عليه إلا المشتغلون بالمتاحف والحفريات . ففى مثل هذا العالم المكتظ بالامكانات المادية الهائلة تتراجع المجلات الأدبية شيئا فشيئا لتحل محلها - على أحسن الظروف المجلات الثقافية العامة ، وهى مجلات شبيهة بالبوتيكات التى تعرض ألف صنف وصنف ولكنها لا تحدث حركة ولا تحيى أثرا ولا تكتشف موهبة . ولكن الغربيين - والحق يقال - واعون بهذه الأزمة التى تعانيها المجلات الأدبية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ومن مظاهر هذا الوعى إثارة القضية بين حين وآخر ومناقشة جوانبها المختلفة وتلمس الحلول لها . وهذا أضعف الايمان فى بلاد تمارس الديموقراطية وتخلو من أمية العقول . وهذا أيضا ما فعله الملحق الأدبى لصحيفة التايمز حين طرح القضية واستكتب لها عددا من المختصين فى بعض دول أوربا وامريكا .

تحت عنوان « دور المجلة الأدبية » كتب ستة من الباحثين ورؤساء التحرير السابقين والأدباء من انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة . وكان السؤال الذى طرحته الصحيفة على هؤلاء الكتاب الستة هو : ما دور المجلة الأدبية فى بلدك وهل تراه متحققا اليوم ؟ أما الجواب فقد تنوع بالطبع ، ولكنه تجمع فى النهاية عند نقطة واحدة تتعلق بالشق الثانى من السؤال . فقد أجمع الكتاب الستة على أن دور المجلة الأدبية لم يعد متحققا اليوم !

وكان أول المشتركين فى الرد على السؤال أديبا انجليزيا بالطبع ، هو ريموند وليامز . وقد أشار فى مطلع حديثه إلى أهمية ارتباط المجلة الأدبية بالبلد الذى ينتجها ، بمعنى أن تعكس المجلة الأدبية الطابع القومى للبلد الذى يصدرها . ثم ناقش وليامز دور المجلة الأدبية بشكل عام . وكان مما ذكره :

« ان أهم وظيفة للمجلات الأدبية - فى اطار الهيمنة الثقافية الراهنة والمتزايدة - هى ان تتيح العديد من الفرص للتجارب والمحاولات الاولى للكتاب ، وكذلك للتبادل والتجريب بين الأدباء ، وهذه كلها عمليات يمكن ان تتحقق من خلالها الطوابع والهويات الحقيقية التى تختلف عن الطوابع والهويات التجارية القائمة على المنافسة وأخلاقيات السوق ... وتعد ضغوط السوق الأدبية اليوم قاسية ومتزايدة على الجميع . فالتغير فى حركة رأس المال ونفقات التوزيع ، الذى يؤثر تأثيرا خطيرا على الكتب ، قد حدد المجلة الأدبية ووضعها على الهامش مالم تستطع الارتباط بعملية الترويج للكتب عن طريق عرضها والتعريف بها أو البحث عن انحياز سياسى أو شبه سياسى » .

ومن انجلترا أيضا رد جون ويتمان الذى يشكل مع ريموند وليامز ثنائيا مرموقا فى عالم الأدب والنقد الانجليزيين الراهنين . ولكن رده اختلف وتميز بالاحاطة . وكان مما قاله :

« إذا أخذنا تعبير « المجلة الأدبية » بمعنى الدورية التى تعنى بالانتاج الأدبى الفعلى للعصر ، وتقوم بالنسبة للأدباء مقام الندوة ورف الكتب ، وتمكن الامزجة أو « المودات » الأدبية الجماعية من الثبات ، وتحمى القيم الأدبية من طغيان التجارة أو السياسة ، فلا أعتقد أن فى انجلترا أو فى أمريكا - فى الوقت الحالى - أية صحيفة رئيسية ومركزية من هذا النوع » .

ثم عرض ويتمان للمجلات الأدبية الحالية فى انجلترا وأمريكا بما فى ذلك الملحق الأدبى للتايمز نفسه ولكنه لم يجد خلال عرضه هذا أى تحقق لتصوره السابق للمجلة الأدبية . فكل هذه المجلات الكثيرة التى عرض لها لا تعكس فى رأيه المناخ السائد وسط جماعة الأدباء ، وإنما تعكس الهموم التى تشغل بال الجمهور العريض من المثقفين والصحفيين والمهنيين والقراء من كل نوع . بل انها لا تهتم فى رأيه الا بتصنيف وتقييم ما يقع فى دائرتها من أدب معاصر ، ولا تشغل نفسها على نحو ايجابى بخلق بيئة مثمرة من التبادل الأدبى المشترك ، ولا تستقر عند منبع الأدب بمقدار ما تستقر عند نقطة توصيله ، وهى أيضا - على حد تعبيره - أشبه بمحلات البقالة الممتازة لا بالمشاتل المفيدة!

وقارن ويتمان بين المجلات الراهنة فى انجلترا وأمريكا وزميلاتها قبل عقدين أو أكثر فوجد القديم أفضل من الجديد والسابق أقوى من الراهن . بل لم يجد وراء المجلات الراهنة شخصيات أدبية قوية تحركها وتوجهها مثلما كانت الحال فى الماضى حين حرك أندريه جيد مجلة «الروح» فى فرنسا ، أو.ت . اس . اليوت الذى حرك مجلة « المعيار » فى انجلترا ، على الرغم من أن المجلات الأدبية القديمة كانت تعنى بالسياسة والدين قدر عنايتها بالأدب .

وانتقل ويتمان بعد ذلك إلى نقطة جديرة بالتأمل فى هذا الموضوع . فهو يجد أن المجلة الأدبية تواجه عادة خطرا من نوع غريب ، هو خطر الوق[illegible] فى « الشللية » ، فتصبح تحت رحمة « عصبة » أدبية أو

تؤدى كما يقول الفرنسيون إلى خلق «الارهاب» الأدبى والفكرى مما يبعدها فى النهاية عن النبض الحقيقى لعصرها . فالأديب الشاب الذى ترفض انتاجه دار نشر أو مسئول فى صحيفة قد يحتمل ذلك من قوم ليسوا من جنسه ، ولكنه سيضيق حتما اذا جاء ذلك الرفض من قوم ينتمى هو اليهم . « والارهاب أيضاً يخلق مدارس واتباعاً وسياسات أدبية وغير ذلك من الوان الضلال الجماعى يؤدى بدوره إلى الثرثرة الأدبية ويخلق ثروة من الركود وانعدام الوقائع الأدبية » .

ومع ذلك يعتقد ويتمان أن مزايا المجلات الأدبية الحقيقة تفوق ما يمكن أن تواجهه من خطر الانحراف فى أداء وظيفتها . بل انه يشعر بافتقاده ما سبق أن أشار إليه من المجلات الأدبية الجادة صاحبة الرسالة . ويحاول أن يجد سبباً لهذا الافتقاد فيراه أحياناً فى طغيان التجارة وأحياناً فى طغيان وسائل الاتصال العصرية بالجماهير مما يؤدى فى النهاية الى ضياع الأدب الجاد ووقوعه فى أزمات الخلق والتعبير .

ومن فرنسا يأتى رد للكاتب الباحث موريس نادو يتفق فيه مع الرأيين السابقين حول غياب المجلة الأدبية الأصيلة والمتميزة فى بلد عريق فى تاريخه مع المجلات الأدبية كانجلترا . وقد عرض نادو لما كان فى فرنسا من مجلات أدبية راقية ومؤثرة ابان الثلاثينات والأربعينات حتى وصل إلى مجلة « العصور الحديثة » التى كان يحركها سارتر فلم يجد فى المجلات الراهنة ما يشفى غليله .

قال نادو عن دور المجلة الأدبية :

« تنشأ المجلة الأدبية بشكل عام من الحاجة التى تشعر بها حفنة من الأدباء لتجميع القوى حول فكرة جديدة أو مفهوم جمالى ، يريدون أن يقدموه فى كتبهم وأن ينتفع به قراؤهم . ومن ثمة تفتح المجلة الأدبية الطريق أمام هذا الجمهور من القراء فتعده وتشكله مقدماً ، لتقبل الفكرة الجديدة أو المفهوم الجديد . وهذا ما حدث فى رأى نادو لمعظم المجلات المعروفة فى تاريخ الأدب الفرنسى منذ « المجلة البيضاء » التى أنشأها الرمزيون ودعاة الحركة الرمزية فى الأدب فى أواخر القرن الماضى .

وضرب نادو المثل بمجلة أدبية راقية لم يعد لها نظير اليوم ، وهى « المجلة الفرنسية الجديدة » التى أثرت فى مجرى الأدب الفرنسى فى فترة ما بين الحربين . فقد كان ضمير تلك المجلة ـ كما يقول نادو ـ هو أندريه جيد وناشرها هو جاستون جاليمار الذى نشر لفاليرى وكلوديل وبروست . وكانت المجلة نفسها ذات أثر بالغ . فقد احتضنت المواهب الجديدة عند ظهورها مثل جيونوومالرو . وكانت أيضاً احدى « المؤسسات الثلاث » التى أشار السفير النازى أوتو أبيتس على «الفوهرر» وقتها بأن يستولى عليها الألمان إذا لزم اخضاع الفرنسيين للنظام . وقد استولى عليها الألمان بالفعل وقت احتلالهم لباريس ولكنهم لم يستطيعوا اخماد صوتها الحر !

وقد طرح نادو نقطة أخرى طريفة تتصل بما يجده فى فرنسا من دور نشر تحتضن مجلات أدبية . ويرى أن هذا النوع من المجلات يأتى أولا بهدف العثور على مؤلفين جدد باستمرار . وقد اتبعت هذا التقليد دار النشر الفرنسية المعروفة «جاليمار» حين أصدرت « المجلة الفرنسية الجديدة » ، ودار « مينوى » ( منتصف الليل ) التى أصدرت مجلة باسمها هذا . ولكن الزمن قد تغير فى رأى نادو . فقد مضى الزمن الذى كان فيه المؤلفون الشبان يتمرنون على النشر قبل أن يواجهوا القراء فى كتب مستقلة . والسبب فى ذلك هو نهضة وسائل الاتصال العصرية من اذاعة وصحافة وتليفزيون ، وتشجيع هذه الوسائل للشبان وعدم تقيدها بلمعان الاسم فى كثير من الأحيان .

واختتم نادو مقاله بالاشارة إلى نوع جديد من المجلات الأدبية بدأ يظهر فى السوق الفرنسية ، وهو ما يسميه : « مجلات الهواة » التى تطبع على ورق فاخر بأعداد محدودة ، ويشارك فيها الفنانون التشكيليون بالتعبير عن الأعمال الأدبية المنشورة ، أو تطبع أيضاً على ورق بسيط بطريقة التصوير وتوزع باليد فى كثير من الأحيان . ويوجد من هذا النوع مئات المجلات التى يصدرها الشباب فى الغالب . ولكنها لا تحل أزمة المجلات الأدبية فى فرنسا ولا تستقطب حولها حركات عميقة أو مؤثرة .

ومن الولايات المتحدة كتب الناقد ارفنج هاو ، فتحدث عن قوة تأثير المجلات الأدبية فى امريكا خلال العشرينات ، وكيف كان الناس ينتظرون صدور أعدادها بفارغ الصبر ، ولا سيما مجلة « المزولة » بالرغم من أنها لم تعمر طويلا . وضرب مثلا آخر بمجلة « مجلة النصير » فى أواخر الثلاثينيات التى كانت كما يقول أهم مجلة فى البلاد فى حينها ، ثم تساءل : هل يمكن أن نجد شاباً فى الولايات المتحدة اليوم ينتظر صدور العدد الأخير من مجلة أدبية ؟ ويجيب عن سؤاله بقوله : اشك فى هذا !

وقد أشار هاو إلى نقطة لم يتطرق إليها من سبقوه فى الموضوع ، وهى نقطة جمهور المجلات الأدبية . وهو يقسم هذا الجمهور إلى ثلاث فئات : الكتاب . النقاد . المدرسون . ويضيف بأنه جمهور متعطش بالطبع لقراءة المجلة القيمة ولكنه لا يرى أى دليل على وجود مثل هذه المجلة بالرغم من أنه لا يوجد نقص فى كم المجلات فى بلاده . ويضيف مرة أخرى بقوله :

« ان مجلاتنا الأدبية قد أصبحت جزءاً من المنظر المقبول والمألوف . انها مثل الأقارب المسنين ، يتفق الجميع على احترامهم ولكن أحداً لا يزورهم كثيراً » ، لا لأن المادة التى تقدمها هذه المجلات أقل من غيرها فى الثلاثينيات أو الأربعينيات ، وانما لأنها أصبحت أقل اثارة وأقل التزاماً ومصيرها العام هو افتقاد التأثير وانعدام الاهتمام بها بعد أن لم تعد هى نفسها مركزية فى اهتمامها أو حيوية فى قضاياها الثقافية . ويرى هاو أن ما تحتاجه المجلة الأدبية أساساً هو وجهة النظر والقدرة على تصعيد قضية ثقافية أو حتى قضية اجتماعية لم تكسب أو تحل بعد أو تكون قد أهملت . ثم تحتاج بعد ذلك إلى رأى قوى حول « الموقف » ، والمواقف كثيرة على قارعة الطريق إذا صح التعبير العربى .

ويختتم هاو رده ، أو مثاله بمعنى أدق ، فيشير إلى الوضع الراهن فى المجلات الأدبية الامريكية . ويرى أنه نتيجة

للتوسع فى التعليم الجامعى وانشاء الجامعات فى الخمسينيات والستينيات لم يعد الادب والأدباء محصورين فى مدينتين أو ثلاث . ففى كل مدينة جامعة وفى كل جامعة مجلة على الأقل ، ولكن هذه المجلة قد لا تصل إلى ابعد من حدود الولاية التى تصدر فيها . وأحياناً تعمل هذه المجلات الجامعية على تشجيع المحلية والاقليمية ، ونادراً ما تعمل على توحيد الضمير أو الوعى القومى .. لقد فقدت المجلات الأدبية اثرها ونفوذها ، « وهذه هى الحقيقة » كما يقول .

ومن الولايات المتحدة أيضاً يأتى دافيد بروميتش ، فيضيف عنصراً آخر فى أزمة المجلات الأدبية فى بلاده ، وهو عنصر يتمثل فى برامج ومناهج الابداع الأدبى التى انتشرت فى الجامعات الامريكية فى العقدين الأخيرين ، وعوضت الطلاب أو الأدباء الناشئين عن السعى وراء النشر فى المجلات الأدبية . وهو يرى أن هذه البرامج قد امتصت الرغبة العامة فى النشر أو متابعة ما ينشر . بل أصبح عدد طلابها أكثر من عدد القراء المنتظمين لأية مجلة أدبية . ومعنى هذا – كما يقول – أن عدد الأدباء المحتملين أو الذين تحت التمرين أكبر من عدد القراء العاديين للمجلات الأدبية ممن تحدوهم الرغبة فى الكتابة والابداع .

وأخيراً يأتى رد من ايطاليا حول هذه الأزمة الغربية العامة فى المجلات الأدبية . وهو رد كتبه جامعى وناقد اسمه ما سولينو داميكو . وقد اتفق مع زملائه فى كثير من النقاط التى أثاروها . وقال ان فى ايطاليا عدداً كبيراً من المجلات الأدبية ، منها ١٠ مجلات راسخة ، أكثر من ١٠٠ مجلة صغيرة ، وان متوسط توزيعها جميعاً محدود . فمعظمها يوزع بضع مئات ، وقليل منها يوزع أكثر من الف نسخة . وخلص الناقد الايطالى الى ان وضع المجلات الحالى لا يتيح لها ان تلعب الدور الحقيقى الذى يجب أن تلعبه المجلة الادبية ، أو الذى كانت تلعبه فى الماضى القريب فى ايطاليا نفسها .

وربما ينطبق هذا الاجماع بعد ذلك كله على كثير من بلدان العالم اليوم : فالشكوى من هبوط مستوى المجلات الادبية وضعف اثرها أصبحت شكوى عامة تقريبا فى العالم الغربى ( الأول ) والعالم الثالث أيضاً . ولكن السؤال الذى قد يفرض نفسه الآن هو : ما العمل ؟ كيف يعالج هذا الهبوط أو الضعف أو الانقراض ؟ أما الجواب فلم يشر إليه احد من الكتاب الستة الذين اشتركوا فى هذا الاستطلاع الطريف . ولاشك أن الاجابة على مثل هذا السؤال تعد مرحلة متقدمة لابد أن تسبقها مرحلة فحص الظاهرة وتشخيص أعراضها وهذا ما نجح الاستطلاع فى تصويره . وربما يكون ذلك مشجعاً لنا على أن نفحص وضع مجلاتنا الادبية الراهنة وتشخيص حالتها . وأخشى أن أقول : ان ما تقدم من رأى الغربيين فى مجلاتهم قد ينطبق كثيراً على ما عندنا نحن الشرقيين من مجلات أدبية . ولكن اذا كانت الحال من بعض الحال ، اذا صح تفصيح التعبير العامى عندنا ، فلا أقل من البدء بالفحص والتشخيص !

# صناعة القواميس واجب وطني

قد يقال ان وضع القواميس عمل ممل ، ولكنه بالقطع عمل مفيد . فليس من الضرورى ان تطور القواميس اللغة ، ولكنها تحفظها بلاشك ، وتسجل تطور استخدام الألفاظ فيها . ومع ذلك فاللغة – ولا سيما فى الالفاظ والمفردات – تتطور أسرع من تطور المعاجم والقواميس . واذا لم تحاول هذه المعاجم والقواميس اللحاق بتطور اللغة فانها لا تعدو عندئذ أن تكون « أرشيفاً » قديماً .

وبعض بلادنا ، مثل مصر وسوريا ، فيها مجامع للغة تقوم بملاحقة تطورات العصر فيما يختص بالمفردات والتراكيب والاستعمالات الجديدة . ولكن بعض البلاد الأوربية مثل انجلترا لا يوجد فيها مجمع للغة ، وانما توجد فيها صناعة ضخمة للمعاجم والقواميس ورجال أفنوا أعمارهم فى أقسامها منذ دكتور جونسون فى القرن ١٨ الى دكتور روبرت برشفيلد الذى سنتحدث عنه هنا . فقد قضى برشفيلد الأعوام الخمسة والعشرين الأخيرة فى عمل جزئي محدد من أعمال صناعة القواميس ، وهو وضع ملحق لقاموس أوكسفورد الكبير بعد أن توالت السنون على ظهوره وزحفت الى اللغة مئات بل الاف الكلمات الجديدة من كل اتجاه . وفى الأسابيع الأخيرة كان برشفيلد سعيداً بظهور الجزء الثالث من الملحق وبقى عليه أن ينجز الجزء الرابع والأخير المقرر ظهوره عام ١٩٨٥ . وربما سعد برشفيلد ايضاً بظهور طبعة جديدة لقاموس أوكسفورد الوجيز فى ذات الوقت وان كانت من وضع معجمى آخر .

لقد نشر الملحق الاسبوعى لصحيفة « التلجراف » تحقيقاً طريفاً حول ظهور الجزء الثالث من هذا الملحق ، جاء أن برشفيلد يقود طاقماً من الشباب فى شقة صغيرة وسط مدينة أوكسفورد ، وان عمله هو الاشراف على انجاز ملحق القاموس الكبير الذى تنشره مطبعة جامعة أوكسفورد . وقد جاء برشفيلد من نيوزيلندا قبل ثلاثين عاماً ليعمل بتدريس اللغة فى الجامعة ، ثم اختير منذ ٢٥ عاماً لانجاز هذه المهمة التى أوشكت على الانتهاء .



د. روبرت برشفيلد ومساعدوه أمام مكتبهم في اوكسفورد .. انه مع هؤلاء الشباب يقود عملا هاما لانجاز ملحق القاموس الكبير الذى تصدره مطابع جامعة اوكسفورد .

وقد بدأت أجزاء « قاموس اوكسفورد الكبير » فى الظهور عام ١٨٨٤ . وتم ظهور اخر الأجزاء الاثنى عشرة عام ١٩٢٨ ، دون أى ملاحقة للجديد فى الكلمات أو فى استعمالاتها . وكان القاموس يعاد طبعه على هذا النحو ويباع منه سنوياً نحو الف مجموعة ( بلغ سعر المجموعة حاليا ٤٠٠ جنيه استرلينية عدا الملحق ) ومن هنا ظهرت الحاجة إلى وضع الملحق .

اما المنهج الذى يسير عليه د. برشفيلد ( ٥٩ سنة ) فهو منهج يقوم على الأساس التاريخى لدخول الكلمة الاستعمال الانجليزى مع بيان طريقة هذا الدخول .

على أن تكون الكلمة الجديدة قد مضى على استخدامها خمس سنوات إلا ما كان واسع الانتشار بدرجة ملفتة مثل عبارة : « اية الله » التى شاعت منذ ثورة الخومينى وأصبحت ترسم فى كلمة انجليزية واحدة .

وقد قسم الرجل مجموعة العاملين معه ( ٢٤ باحثا ) الى تخصصات مختلفة مثل : العلوم الانسانية . الطبيعة . الميكانيكا . النبات ، الخ . أما كيف يحصل هؤلاء على الكلمات الجديدة فالطريقة هى أن يقرأ كل منهم كل ما كتب فى تخصصه من مؤلفات وأبحاث جديدة ، ويقوم فى الوقت نفسه بالتقاط الكلمات التى ليس لها ذكر فى القاموس الكبير ، ثم يستخرج المقتطفات التى وردت فيها هذه الكلمات ، وبعدها يقوم بتخزين الحصيلة التى جمعها فى دواليب خاصة تشغل غرفة بأكملها .

ويعاون هؤلاء الباحثين عدد اخر من القراء المتطوعين فى الغالب ويصل عددهم الى ١٠٠ قارىء فى انجلترا وامريكا . وهؤلاء مهمتهم جمع الكلمات الجديدة التى يقرأونها أو يسمعونها ثم يرسلون بها الى برشفيلد . وأكثر هؤلاء المتطوعين من كبار السن والمتقاعدين . ،بعضهم من نزلاء المصحات . بل ان منهم سيدة أمريكية ثرية تعيش فى امريكا وتتنقل بسيارة مزودة بحجرة نوم لتتابع أسماء الطيور والأشجار التى تصادفها فى تنقلاتها . وحين تصل الى المكتب هذه المعلومات من المتطوعين وغيرهم يقوم العاملون فيه بالكشف عنها فى القاموس الاصلى . فاذا لم توجد تصنف ويضاف اليها الدراسة اللازمة عن أصل الكلمة وتاريخها ونطقها ثم تقدم الى برشفيلد لاتخاذ القرار ، وبعدها تدخل فى سجلات الملحق .

انه عمل مرهق بلاشك ، ولكن الرجل سعيد به ، برغم كل المضايقات والمشكلات التى يتعرض لها من الشعراء الذين يثيرونه باللعب بالألفاظ ، والعلماء الذين يزعجونه بالاشتقاقات الجديدة التى لم يسمع عنها ، والمتهوسين الذين يعدونه صديقا لهم كما يقول !

والأهم من هذا كله فى مثل هذه الصناعة أن تجد صدى لمنتجاتها . وهذا فى الحقيقة مما يلفت النظر هنا . فبمجرد ظهور الجزء الجديد من هذا الملحق ، وظهور الطبعة الجديدة أيضاً من « قاموس أوكسفورد الوجيز » ( التى تظهر كل ٦ سنوات ) ، بدأت الصحف والاذاعات فى مناقشة العملين وتقييم الجهود المبذولة فيهما واقتراح نقاط جديدة لم يتم الالتفات اليها . وقد ذكرنى هذا بعمل مشابه ظهر فى القاهرة منذ عام ولم يعطف عليه أحد حتى الأن بمناقشة أو رأى . فقد أصدر مجمع اللغة العربية قاموسه « الوجيز » الذى وضعه صديقنا الأستاذ مصطفى حجازى ، وبذل فيها مجهوداً مرهقاً بلاشك . ولكن الثواب عند أهل الثواب فيما يبدو ! سؤال يستبد بى الأن ولا مفر من طرحه :

متى تلتفت احدى جامعاتنا العربية المتكاثرة الى مثل هذا الذى التفتت اليه جامعة أوكسفورد ؟ وسؤال أخر :

اليس من حقنا على الجامعة العربية أن نطالبها بقاموس عربى كبير حديث ؟

ان صناعة القواميس والمعاجم واجب وطنى وقومى قبل ان تكون هواية . أليس كذلك ؟





# صيني.. ولكنه فن عظيم

لوحتان .. الأولى عنوانها « الفيلسوف يتامل فى السماء والماء » للفنان « بان تيان شو » .. والثانية بعنوان « سيدة نهر شيانج » للفنان « فاو باوشى »

لا أدرى كيف عششت فى أذهاننا فكرة ان فن التصوير اختراع أوربى ، وان فن التصوير الصينى مجرد ظاهرة واحدة لا تتغير ، سواء فى الموضوع الواحد الذى يتكرر رسمه ، أو فى الأسلوب الواحد الذى يعبر به الفنان المصور عن هذا الموضوع . ولكن الذى أدريه أننى شاهدت فى لندن معرضاً غير فى ذهنى ما عشش فيه من افكار كهذه حول فن التصوير .

والصحيح ان المصورين الأوربيين قد طوروا فن التصوير ولكنهم لا يمكن أن يكونوا مخترعيه ، لأن الفن ــ ببساطة ــ ظاهرة انسانية ليست وقفاً على قوم أو حكراً على بعض دون البعض الآخر . وما الفرق الا فى الدرجة .. درجة ممارسة هذا الفن أو ذاك .

المعرض هو الاول من نوعه فى انجلترا . فهذه أول مرة يشاهد فيها البريطانيون معرضاً للتصوير الصينى الحديث . ولكن المعروضات التى بلغت ١٠٠ لوحة تمتد ١٠٠ سنة ابتداء من ١٨٦٦ إلى ١٩٦٦ . وهذه اللوحات المائة لخمسة فنانين لا اكثر منهم أربعة من المخضرمين الذين شهدوا عهد ما قبل ثورة الصين ثم عاشوا فى ظلها أولهم ووشانج شو وهو أيضاً اكبرهم سنا فقد ولد عام ١٨٤٤ ، يليه هوانج بن هونج الذى يصغره بعشرين عاماً ، ثم فاو باوشى ( ١٩٠٤ ــ ١٩٦٥ ) ، شن زينو ( ١٨٩٦ ــ ١٩٦٢ ) ، وأخيراً : بان تيان شو ( ١٨٩٧ ــ ١٩٧١ ) .

أما المكان الذى أقيم فيه المعرض فهو : الأكاديمية الملكية للفنون . وأما المعروضات المائة فالحق ان فيها سمات مشتركة كثيرة اهمها : عشق الطبيعة ، والارتباط بالشعر لا فى الرؤية فحسب وانما فى التعبير المباشر عن القصائد . استخدام خامات واحدة تقريبا مثل : الورق والحرير ، مع التنوع الكبير فى الأدوات مثل : الفرشاة والريشة والأصابع وراحة اليد ، وتفضيل الحبر ( ولا سيما الأسود ) .

ويعد ووشانج شو ( ١٨٤٤ ــ ١٩٢٧ ) صاحب نفوذ على فن التصوير فى هذا



مياه الينابيع الشافية .. للفنان : شن زينو



وادى العطر .. للفنان : ووشانج شو

القرن . وقد بدأ حياته شاعراً وخطاطاً . أما التصوير فقد جاءه على كبر حين تعلق بدراسة النقوش والحفر على البرونز والحجر . ومن موضوعاته الأثيرة : الصخور والزهور التى ترتبط دائماً فى الصين بمعانى الفصول المتعاقبة والعمر المديد والسعادة والنجاح والرخاء . كما يعد هوانج بن هونج ( ١٨٦٤ ـ ١٩٥٥ ) أكثر هؤلاء الخمسة تعلقاً برسم القصائد الشعرية حتى ، فى مناظره الطبيعية وهو تقليد سيطر على الفن الصينى منذ القرن ١٤ . ويستخدم فرشاة الخط عادة ، ولكنه يتميز بالمقدرة على تحقيق عدة طبقات من الظلال بالفرشاة . وعلى هذا النحو يرسم زميله فاو باوشى مع تنوع أكبر فى اختيار المشاهد الطبيعية وابراز آثار الضوء والظل ومن موضوعات شى المفضلة القصص والحكايات وهو أسلوب يرجع إلى القرن الرابع فى التصوير الصينى . أما شن زيفو فيهوى العصافير والزهور ويرسمها بألوان زاهية ، ويلجأ الى أسلوب الزخرفة الذائع فى بلاده منذ القرن ١٢ مع العناية الشديدة بالتفاصيل . وأما بان تيان سو فيرتبط أكثر بالأشياء العادية فى الحياة ولكنه لا يتخلى فى سعيه وراء البساطة عن التحكم الشديد فى التفاصيل الصغيرة .

أهم شىء فى هذا المعرض أيضاً أنه يؤكد ما أشار إليه كثير من مؤرخى الفن فى شرق آسيا وجنوبها الشرقى من أن التصوير فى الصين كان له آثار قوية وواضحة فى التصوير اليابانى منذ قرون عديدة . وقد لفت نظرى أن معظم رواد المعرض فى ذلك اليوم كانوا من السياح الأمريكيين . وقد أصبح الأمريكيون ـ بعد الأوربيين ـ من أنصار ما يمكن أن نسميه : الفن قبل السياسة أو : الأصالة قبل المعاصرة ! ولم لا ؟ لقد ترجمت مؤخراً ـ ولأول مرة ـ « دائرة المعارف السوفيتية الكبرى » .. ترجمت إلى الانجليزية بأجزائها الثمانية والعشرين ونشرتها دار ماكميلان فى انجلترا وامريكا عام ١٩٧٦ !

ـ علي شلش

• قصـــــة •

# السَّبُع

بقلم: مصطـفى أبو النصـر

عادة ، يكون الموقف مهماً إلى حد ما – على الأقل – بالنسبة للعابرين . والنظـــرة العادية أو القصيرة لا تكفى ، لأنه مضطر – فى بعض الأحيان – أن يقدر مدى طول القافلة ، كما يتحتم عليه أن يخمن زمن عبورها . هذا من ناحية ، أما الناحيـــة الأخرى ، فبنظرة سريعة وفاحصة ، عليه أن يدرك قدرة العابرين : هل من بينهم أعمى أو عجوز أو طفل ؟ عندئذ يخطو بخطوات جادة وحازمة ، وفى اللحظـــة ذاتها ، ينتفخ خداه لينطلق الصفير صارخاً وهو يشير بذراعيه للسيارات ، وعلى الفور تتوقف مذعنة . على أنه إذا أخلى الطريق للعجوز أو الأعمى ، فهو لا يكتفى بذلك نحو الطفل ، فما يكاد يلمح طفلا حتى يندفع تجاهه ويأخذ بيده الى الرصيف الآخر ، فاذا ما اطمأن عليه ، ربت على كتفه فى رقة بالغة مودعاً إياه بابتسامة حانية . وقد يحدث أن تندفع سيارة فى رعونة جنونية ، فلا يملك إلا ان يلتقط رقمها فى غمضة عين وفى أثنـــاء عودته الى موقفه الأول يكون الرقم قد استقر فى دفتره ، وقد دون أمامه ميعاد مرورها .

يتكرر هذا المشهد كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . ولم يكن فى أى من هذه الأوقات ، يفكر أو يحاول النظر إلى ظاهر يده اليمنى على الرغم من انه يكتب بهـــا أرقام السيارات ، أو يبسطها جانباً من حين إلى آخر . أما الآن فقد تغير مكانه تماماً : الهواء البارد يلفح وجهه ، والشمس من خلفه صاعدة فى عرض السماء ، وتجاهه مباشرة – عبر الشارع – كتلة من حجر الجرانيت ، كتلة ضخمة ، قوية ، ثابتة ، يستطيع – لو أراد – أن يلمس حافتهـــا العليا دون جهد ، ولكن هل فى مقدوره أن يتهاون – ولو لحظة – فيعبر الشارع ويلمسها ؟ لا أحد يدرى ما الذى قـــد يحدث ؟ وقد تجىء « الطوبة فى المعطوبة » وتقع حادثة بشعة فالكل مجانين ، والكل متعجل ، وسيكون هو حتماً المسئول ، وامتد بصره بعيداً : المياه المخضرة الداكنة لمعتها فضية يشوبها سواد ثقيل . فجاة يتلاشى كل شىء من أمامه ، ويندفع إلى منتصف الشارع ، وتمتد ذراعه تمنـــع السيارات ، وبدون قصد ، يلمح ظاهر يده . لا شىء غير مألوف أو شاذ ، وتتحول عيناه بسرعة إلى المارة ، يحثهم على الاسراع فى العبور ، وإذ يطمئن إلى أن الجميع قد عبروا فى سلام ، يترك ذراعه تســـقط بجانبه ، وهو فى طريقه إلى مستقره الأول وتنطلق السيارات : تبدأ فى بطء ثم لا تلبث أن تتوالى فى ليونة وسرعة ، وزجاجها يعكس بريقاً لامعاً من فعل أشعة الشمس الصاعدة .

لاشك أن المصادفة وحدها ، هى التى جعلته يرى المنظر الرهيب ، فقد اعتقد للحظة أنه فى حلم ، أو أن ما يراه الآن لم يكن موجوداً من قبل ، وانه ظهر فجاة ، هكذا بسرعة وبدون مقدمات ، ولكن تلك هى الحقيقة : كيف لم ير الأسد الرابض فوق الكتلة الجرانيتية ، هو الذى يستطيع أن يقرأ أرقام السيارات من بعيد ؟ كيف لم يستطع أن يلحظ ما فوقها وهى تواجهه تماماً وكأنها تراقبه ؟ هل أصاب نظره شىء ما ، أم ماذا ؟ ولكن لا سبيل الى انكار ما يرى . ها هو الأسد يرمقه بعينيـــــه ، لا يقول شيئاً ، ولكنه بالتأكيد يراقبه . عليه أن يتجاهله ، يهمله ، لا ينظر إليه وكأنه غير موجود ، ثم ما قيمة أسد كهذا ؟ هز كتفيه مستهزئاً وأشاح بوجهه ، مولياً بصره الى السيارات التى تمرق أمامه .

كان الأسد قد اختفى ، والأرجح أن قاعدته الضخمة قد غطست به فى أعماق النيل ، فرأى الأفق المنبسط خالياً من أى شىء ، ومع ذلك فهو لا يستطيع أن ينطلق أو يغير من وقفته هذه : خطوات معدودة إلى المنتصف ، وما هى إلا دقيقة واحدة حتى يرجع ثانية فوق مربضه هذا . أحياناً كان يتخيل أنه يقف فوق قمة جبل ، غير أن هذا الجبل لم يكن إلا ذلك المسطح الخشبى الذى يقف عليه . كثيراً ما كان يضرع إليه الجميع ، هناك ، تحت ، عند الســـفح ، طالبين منه العفـــو ، وكان إذا تحقق من شخصياتهم ، واكتشف حقيقتهم ، وجدهم سائقى سيارات الأجرة ، ولكن لمذا يغفر ؟ لماذا يعفو عن اخطـــائهم وتهورهم واستهتارهم ؟ انهم فى الحقيقـــة لا يستهينون به ، انه فقط ممثل للسلطة ، عليه أن يحميهم من أنفسهم ، كما يحمى الناس من شرهم . وظل يرقب الضوء الأخضر ، حتى إذا ما انطفأ فجاة ، وتوهج الضوء الأحمر ، انحدر من الجبل ، واتجه إلى الوسط رافعاً ذراعه . فى هذه اللحظة نسي كل شىء ، وظل محدقاً فى الفراغ ، وتوالت أمام عينيه أقدام العابرين فى سرعة وكأنها أرانب مذعـــورة ، وكانت أحذيتهم صغيرة ورقيقة ولامعة ، وحانت منه التفاتة فوقعت عيناه على حذائه الأسود الضخم ، لم يكن الحذاء لامعاً ، بل كانت تكسوه طبقة خفيفة من غبار الشارع ولمح به شقاً جانبياً ، وإذ دقق فيه النظر ، فقد وضحت له معالم المأساة : سيضطر إلى اصلاحه وليس ذلك ســـهلا على أى حال .

حدث لحذائه السابق أن شق من نفس المكان ، فوق اصبعه الصغير ، ولكنه لم يهتم ، ظن أن المسألة لا تحتاج إلى أكثر من غرزة أو غرزتين . وعند انتهاء نوبته ، عرج على دكان اسكافي وناوله الحذاء ، وما

كاد يضعه تحت الابرة ويدير العجلة ، حتى انكسرت الإبرة . شعر بالحرج وتأمل ملامح الاسكافى فاذا هى قد تحولت إلى غيظ مكتوم وهو يختلس النظر إلى بدلته الرسمية . حاول أن يعتـــــذر له ، ولكن الاسكافى كان صموتاً فاخذ يفحص سن الابرة المغروزة فى الجلد ، وبكماشة صغيرة انتزع السن ، ثم تحسس الجلد بيده ، ورفع بصره إليه وكأنه يشهده على مقدار ما تجشم فى سبيل خدمته ، ثم مد به يده قائلا : لا مؤاخذة جلده سميك جداً .

دوى صوت « موتوسيكل » ثم توقف أمامه ، وبالعادة اعتدل فى وقفته ، وامتدت يده الى جيبه الأعلى واخـــرج دفتر المواعيد ، وقدمه إلى راكب « الموتوسيكل » لم يستغرق التوقيع أكثر من نصف دقيقة رجع بعدها إلى مكانه فوق القاعدة . تأمل التوقيع لحظة ، ثم رفع يده ثانية ليضع الدفتر فى جيبه . الآن وضح كل شىء ، أصبحت الصورة أمامه مباشرة . ربما يكون قد دهش فى أول الأمر ، وربما حاول ألا يدهش ، ولماذا يفعل ؟ أليس السبع شاهر السيف مرسوماً على ظاهر يده منذ كان طفلا ؟ أغلق الجيب باحكام وربت عليه مرة أو مرتين ، مجرد عادة يطمئن بها على أن الدفتر قد استقر فى موضعه ولم يسقط منه .

قال له أبوه إنه سيصحبه إلى أرض الخفير ، ليشهد الاحتفال بالمولد النبوى . وبين الحواة والرفاعية والأراجوز ، قضى فترة عجيبة ، وعندما رأى صندوق الدنيا تسمرت قدماه فى الارض وأصر على أن يتفرج ، وعاش فيما يقصه الرجل عن بطولة عنترة وجمال ست الحسن والجمال ، وفجأة ظهرت تلك الصورة : السبع العجيب شاهر السيف . كان المنظر فريداً ، بل لا يذكر أنه شاهد أجمل منه أو أروع . وانتهت الفرجة ، ولكن الصورة علقت فى ذهنه فراح يكلم أباه عن هذا السبع العجيب . وسأله أبوه وهو يضحك ان كان يرغب فى سبع مثله ، وكأنما كان ينتظر مثل هذا السؤال ، فتعلق بجلبابه ، واخذ يضرب الأرض بقدميه باكياً ، ويصرخ قائلا انه يريد سبعاً مثله . حار أبوه ماذا يفعل ؟ غير أن مشهداً غريباً ظهر أمامه كان فيه الخلاص . الأبر تنغرز فى ظاهر يده ، أبوه قد أمسك به ووضع رجله على نصفه الأسفل حتى لا يستطيع الحركة . كان أبوه يضحك وفى نفس الوقت ينهره قـــائلا : « ألم يكن هذا طلبك ؟ ها قد صرت تمتلك سبعاً شاهراً سيفاً ».

كان الضوء قد تحول إلى الأحمر ، فاندفع إلى منتصف الشارع ، ورفع ذراعه يمنع السيارات . عندئذ ، نظر الى ظاهر يده ، كان السبع تحت أشعة الشمس يبدو أخضر داكناً ، وليس للسيف أية لمعة أو بريق ، ولكنه اضطر إلى خفض ذراعه ، حينما انبثق الضوء الأخضر أمام عينيه . وإذ صار شديد الرغبة فى تأمل السبع ، فقد رفع يده ثانية محدقاً فى الصورة ، ما هذا ؟ مجرد حيوان ذى قوائم أربع لا يمت إلى الأسد بأدنى صلة . ايقن انه أمام اكذوبة ضخمة ، اكذوبة كانت فيما مضى صغيرة ، ثم لم تلبث أن كبرت وتضخمت حتى حجبت عن عينيه الرؤية الحقيقية . كان قد بدأ يلحظ شيئاً ما ، أسود ، يملأ الفضاء كله ، غير أنه لم يكن قد تحقق منه تماماً . حاول أن يخمن دون أن ينظر إلى كيانه فلم يستطع ، وبشجاعة فائقة حول بصره ليجد الأسد الرابض فوق النصب الجرانيتى يتأمله بعينين حادتين ، وكأنه يسخر منه ومن سبعه المزعوم .

كان اللونان يتواليان ، فجعلاه مشتت الفكر زائغ البصر . صارت المشكلة هى تلك الفترة الطويلة التى يمكنه فيها أن يتملى من حقيقة هذا الأسد الضخم ، وفشل فى مقاومة النظر إلى ظاهر يده . كانت المهزلة واضحة فى أجلى صورها ، لا يمكن الشك فيها أو انكارها ، وبداله أن يعقد مقارنة ولكنه – فى نفس الوقت – كان متردداً . كيف يمكن لمقارنة كهذه أن تنتهى لصالح المغرور حامل السيف ؟ ثم ما معنى هذا السيف ؟ أليس السبع مكتفياً بذاته وقوته عن أى شىء ؟ وارتسمت على شـــفتيه ابتسامة مليئة بالهزء والسخرية . ليس هذا أسداً على أى حال . كيف أمكن إذن أن ينخدع فيه كل هذه السنين ؟ والأعجب أن الجميع قد انخدعوا كذلك حتى امـرأته لا تناديه إلا بالسبع .



فى الليالى المقمرة حينما يجتمـــــع بأصدقائه ، وتدور الجوزة ، يحلو للكل أن ينادوه بالسبع ، عندئذ تتراءى له الصـــور الرهيبة فيبدأ فى الزئير وقد انتابه شعور التفرد والامتياز ، فينقل بصره بينهم ليختار فريسته ، وفى النهاية تجيء الفريسة إليه بنفسها مقدمة أشلاءها ، فيعلو الصياح ويتبادلون الشتائم والنكات وتدوى القهقهات ، ويشوب الجوزرقة خافته وتضيق الغرفة المكتومة وتثقل الرؤوس . وإذ تخبو الجمرات تنداح الغمة وتشرئب الرقاب باحثة عن نسمة هواء نقي ، ولكن لا أمل . الجميع مرتكزون بأجسادهم المخدرة على الجدران المتقاربة وانوفهم تشمشم عن سحابة ضالة ربما اختزنت شيئاً من الحذر. وفى طريق عودته إلى البيت يحاول أن يتذكر ، ومن خلال محاولاته ، تبدأ مخيلته فى استرجاع بقايا الليلة المغبشة ، وتتمايل رأسه وتبحث عيناه عن الحارة المظلمة ، ثم تبحث عن البيت المتداعى ، ثم يصل إليه صوتها هادئاً رفيقاً ولكن من بعيد : لماذا تأخرت يا سبعى ؟ ويتوه عن الدنيا ومن فيها .

انتبه على أصوات ابواق السيارات مدوية فى غيظ وانفعال . كانت مجموعة من السيارات قد اختنقت فى عرض الشارع . وقف لحظة مأخوذاً ، ثم هبط من عليائه واندفع بينها محاولا الوصول إلى عقـدة الاختناق .

كان اتوبيس سياحى قد انعطف يساراً ولم يستطع الحركة لوابل السيارات المندفع عن يمينه . لا سبيل إلا أن يوقف التيار اليمينى حتى يتمكن الأتوبيس من السير . فى هذه اللحظة كان هو الوحيد الذى يستطيع باشارة منه أن يتخذ هذا القرار ، وإذ امتد بصره إلى الصف الطويل فقد أدرك على الفور أنه لو تهاون ثانية واحدة لتوقف المرور فى الاشارة السابقة أيضاً ، أما إذا ارتج عليه ، واضطرب من هول المشهد ، فمن المؤكد أن تتعطل الحركة الى ما لا نهاية . وبنظرة خاطفة أمكنه أن يحدد مكان البدء ، فأسرع تجاه سيارة أمام الأتوبيس وطلب من سائقها أن يصعد بها فوق الرصيف ، ثم اتجه الى اليمين وحث السيارات على الاسراع قليلا محولا اتجاه السير ، ولم تمض دقيقة إلا وكان الأتوبيس قد أخذ طريقه جهة اليمين ، ثم أخذت السيارات تتحرك من خلفه منطلقة فى طريقها الطبيعى .

# السّبُع

وقف يتأملها وهى تسير فى تؤدة وحرص ، حتى إذا ما اطمان الى سلامة خطته اتجه عائداً الى قاعدته الخشبية فاعتلاها . عندئذ تنفس فى ارتياح ، وجال ببصره فى المكان ليشعر بمزيد من الاطمئنان ، غير انه فوجىء بالأسد يواجهه تماماً وقد بدت من خلفه أعمدة المصابيح القائمة على الكوبرى وكانها مصباح واحد قد انغرز فى رأس الأسد ، ولأن هذا الوضع لم يكن طبيعياً ، فقد انتزعه من راسه ، وقدمه اليه ، فتناوله الأسد منه مبتسماً وشهره عالياً .

الآن ، يستطيع أن يعقد المقارنة . ما بال الأسد يبدو قوى العضلات ، ثابت النظرات تتميز وقفته بمواجهة صريحة ، فى الوقت الذى يبدو فيه سبعه كفار مبتل ذيله الرفيع المنسرب من نهاية ظهره كفتلة دوبارة . حدق فى الأسد تحديقاً شديداً ، ومال بجسمه محاولا أن يرى ذيله ، ولكنه لم يتمكن . لابد انه طويل غليظ ينتهى بذؤابة مكسوة بشعر غزير توحي بالقوة الحقيقية لصاحبه . لم يكن يتصور – فى يوم ما – انه سيقف وجهاً لوجه أمام تمثال للأسد . والعجيب فى الأمر انه حينما شاهد الأسد فى حديقة الحيوان ، لم تخطر على باله فكرة المقارنة بينهما ، ولكن ما بالها الآن تبدو شديدة الالحاح على نفسه . انتابتـه حيرة طاغية ، هل يعبر الشارع ويذهب إليه ليعاينه عن قرب ، أم يترك هذا العبث؟ ولكن نظرة ثابتة إلى الأسد جعلتـه لا يتوانى فى الاتجاه نحوه متجاهلا ما قد يحدث نتيجة ذلك .

دار حوله محاولا اكتشاف جميع جوانبه غير أن نظراته كانت سريعة وخاطفة ، فما كاد يرى شعر لبدته الكثيف وقد انحدر حتى نصف ظهره ، حتى انتقلت عيناه إلى قدميه الخلفيتين وقد ارتكز جسمه عليهما

فاعترض بصره الذيل ، وقد التف فى كبرياء حول مؤخرته واستقر بجانبه فامتدت يده لتلمسه ولكنه تلفت حواليه فعدل عن هذه الرغبة واتجه بسرعة عائداً إلى مكانه ، وما كاد يستقر فوق القاعدة الخشبية ، حتى حانت منه التفاتة إلى ظاهر يده ، فاشاح بوجهه عنها .

كان الملل قد تسرب إلى نفسه ولم يعد فى استطاعته أن يتحمل أكثر من ذلك ، فنظر إلى ساعته . كانت الشمس قد عبرت السماء تجاه الغرب ، ولم يعد فى نوبته إلا دقائق معدودة ، فاخذت عيناه تبحثان عن زميله المرتقب ، وكأنما يقينه من قرب انتهاء نوبته قد أمده بنشاط غير عادى فى حركاته ، جعله يتنقل من القاعدة إلى الوسط فى حيوية ونشاط عجيبين . ولم تمض لحظات حتى وصل زميله ، فدون له فى دفتره ساعة حضوره ، وتخلى عن مكانه مختـــاراً سعيداً .

• • •

استقبلته امرأته كما اعتادت أن تفعل كل يوم ، ولكنه تجاهلها ومضى إلى الحجرة دون أن ينظر إليها . وكان عادة يجلس على الأريكة فى الصالة ويمد رجليه منتظراً . أما هى فتعرف ما يريد ، وما يجب أن تفعل : تذهب إلى الحمام لتأتيبالقبقاب وتضعه بالقرب من قدميه ، ثم تجلس على الأرض أمامه وتعاونه فى خلع الحذاء ، ثم تحضر الطشت ممتلئاً بالماء الساخن . كانت تلك الفترة هى دائماً الفرصة الوحيدة لتبادل الحديث والمناوشات قبل الأكل والنوم . ولكنه فى هذا اليوم بدا على غير عادته ، فتبعته صامتة محاولة أن تقرأ فى وجهه أى معنى يفسر لها ما فعل .

كان قد افترش أرض الحجرة ، وامتدت يداه للحذاء فوقع بصره على ظاهر يده ، فاختلس نظرة إليها ، فاذا هى تحدق فيه واجمة وكأن مصيبة قد حلت بها ، تجاهل نظراتها ، وهب واقفاً ليخلع البدلة ، وكان دائماً يفك الأزرار دون أن يفكر كيف أو بأى يد يفعل ؟ ولكن فى هذه المرة كان حريصاً أن يستعمل أصابع يده اليسرى متجنباً النظر الى اليمنى أو تحريكها . ولاحظت امرأته تعسره فى فك الأزرار ، فانزلق بصرها على اليدين محاولة فهم ذلك الاضطراب الواضح عليه ، وما أن ارتدى الجلباب حتى كان وجهها قد امتقع وايقنت أن شيئاً ما قد أصابه .

كانت طوال هذه الفترة صامتة تماماً ، واقفة بالقرب منه تتأمله تريد أن تستشف هذا التغيير المفاجىء الذى انتابه ، وجال خاطر غريب سيطر على تفكيرها ، فهزت رأسها مرة أو مرتين وتمتمت قائلة : «اللهم اخزك يا شيطان» . إلا أن الفكرة أخذت تكبر حتى صارت أكبر من أى مصيبة وقعت على رأسها من قبل .

كان السبع قد استلقى على السرير ، وتعمد أن يضع كفه اليمنى تحت رأسه ، وراح يحدق فى السقف ، وبين لحظة وأخرى يسرق نظره الى وجهها فقد بدأ يلحظ ذلك التغيير فى ملامحها ونظراتها مما جعله يفكر فيما يمكن أن يدور برأسها . وسألته فى صوت ناعم ولكنه مليء بالشك والحذر :

– مالك يا سبع ؟

فاجاه السؤال ، أو بالأحرى تلك الكلمة الأخيرة . اخترقت أذنه وكأنها لدغة ثعبان . اعتدل على جنبه ، وتأملها هنيهة ،



ثم بجهد واضح رسم على شفتيه ابتسامة مغتصبة قائلا :

ـ لا شيء .

ـ هل أنت متعب ؟

أجابها وهو يحول بصره عنها :

ـ قليلا .

الآن اتضح لها كل شيء . لماذا يشيح بوجهه عنها ؟ لماذا لم يطلب منها الماء الساخن ؟ هل هذا ممكن ؟ ولكن خيالها صور لها مأساة جديدة . وهمت بالجلوس على حافة السرير العالى بالقرب من قدمي السبع ، ولكنها ترددت ، ثم عدلت عن ذلك وجلست على الأرض . اندهش السبع من هذا التصرف . ما الذى غيرها ؟ هل اكتشفت أن ما رسم على ظاهر يده لا يمثل إطلاقاً السبع الحقيقى فى كثير أو قليل ، وانها كانت مخدوعة طوال هذه السنين ؟ غير أن ما كان يجول فى خاطرها كان شيئاً آخر تماماً . لقد فاجأها هذا التغيير غير المسبوق : هل فكر فى الزواج ؟ ولهذا بدأ فى وضع وتنفيذ خطة مرسومة . ولكنها لم تعرف كيف أو تجرؤ على سؤاله مباشرة ، فابتسمت ابتسامة باردة وسألته :

ـ هل أعد لك الأكل ؟

كان وجهه قد امتقع ، وبدت فيه واضحة غضون غائرة فاغتصب الرد قائلا :

ـ نفسى مصدودة .

لم يكن على بينة مما يدور فى داخله ، كان يريد أن يصرح لنفسه بشيء ما ، غير أنه لم يفعل ، وكلما حاول التفكير فى هذا الأمر ، وجد نفسه يبتعد شيئاً فشيئاً ، مؤثراً تجاهل الموضوع ، وظل محدقاً فى السقف . وإذ وجدته لا يهتم بالحديث معها لو المناوشة التى اعتادها كل يوم فقد غادرت الحجرة وتركته نهباً لأفكاره التى أخذت فى النمو وراحت الصور المزعجة تتماثل أمامه ، حتى شعر كما لو أن إبراً تنغرز فى جسمه كله ، فهب من نومته وأخذ يتلفت فى حيرة وقد بدأ الجوع يقرصه . ولكن المشكلة كانت صعبة . انه يأكل بيده اليمنى ، وهذا سيجعل السبع ماثلا أمام عينيها ، هل يأكل منفرداً أم يتوكل على الله وليحدث ما يحدث ؟

# السبع

نادى على امرأته ، وطلب منها اعداد الأكل ، وقام متثاقلا متردداً لا يدرى ما الذى يفعله ؟ ولكنه كان قد صار أسيراً لموقف ولا سبيل الى التراجع . جلس أمام «الطبلية» منتظراً امرأته ولكنها لم تجلس .

— ألن تأكلى ؟

ردت عليه فى برود :

— نفسى مصدودة .

ماذا ؟ هل تسخر منه ، أم أنها فعلا مصدودة النفس ؟ ولكن فى أعماقه شكر لها هذا الموقف . قطع الخبز وبدأ فى الأكل وكلما مد يده الى الطبق ، اختلس نظرة الى امرأته فيطمئن الى أنها لا تنظر تجاهه على الاطلاق . كانت جالسة بعيدة عن «الطبلية» شاردة الذهن محدقة أمامها ، وقد أسندت خدها على كفها . ساوره القلق . هل اكتشفت الحقيقة ؟ لم يستطع التفكير فى شىء آخر . ليكن شجاعا وليسألها مباشرة ، وبدون مواربة ، ودفع اللقمة التى وقفت فى حنجرته بجرعة ماء من القلة ، ثم تجشأ . كان صوته طبيعياً ولكن خيل اليه أنه لم يكن كذلك ، لقد اكتشف فيه بعض الخفة والحدة ، ليس هذا صوته الطبيعى . كل يوم حينما يشرب يتجشأ فى قوة وخشونة ، ولكن ما بال الصوت يصدر فى هذه المرة ضعيفاً تافهاً ؟ لقد بدأت حقيقته تتكشف ، ولن يطول الوقت حتى تدرك أنه لم يكن فى يوم ما سبعاً ، وأن الهيبة التى أحيط بها ، لن تلبث وتتمزق وتظهر الحقيقة عارية لها وللجميع . لم يعد يستطيع أن يأكل بعد ذلك . لم يكمل رغيفاً واحداً ، هو الذى كان يلتهم رغيفين أو ثلاثة . ستلاحظ ذلك حتماً وقد تسأله عن السبب ، بماذا سيتعلل ؟ وتحامل على نفسه ، وحاول مضغ لقمة أخرى ، وبصعوبة بالغة بلعها ، وعاد يجرع من القلة . حار كيف يقوم ؟ كيف يذهب الى السرير ؟ هل ستسأله لم لم يأكل ؟ فى هذه اللحظة شعر أنه قد بدأ ينهار . شعر بالندم يصعد الى رأسه . ما الذى يستطيع أن يقوله أو يفعله ؟ إنها بالتأكيد تفكر فيما أصابه أو على الأقل فيما جعله يغير من عاداته اليومية . هم أن ينطق إلا أن لسانه لم يطاوعه ، ظل يتلفت محاولا أن يدرك موقفه الحقيقى . وقع بصره على امرأته ، لم تكن تلتفت اليه ، كان وجهها ينم على تفكير عميق وربما عن حزن أيضاً . كان لا يفتأ يمسك ببعض فتات الخبز ، موحياً أنه مازال يأكل ، وأخيراً سألها دون أن ينظر اليها :

— مالك اليوم ؟

رفعت وجهها اليه ، ورمقته بنظرة غريبة ثم قالت فى تساؤل :

— مالي !! وهل حدث شىء ؟

لم يعرف بماذا يجيبها ؟ هل يصرح لها بما يدور فى رأسه أم يكتفى بما قالت ؟ لقد لاحظت تغييره ، وكان يمكن أن تسأله فى جرأة وشجاعة ، ولكن ما الذى كان يستطيع أن يجيب به ؟ أراد أن يومىء لها بأن شيئاً مهماً لم يقع ، وبأنها تفكر فيما لم يخطر على باله ، فوجد أنه من الأسلم أن يحاول أن يبدو طبيعياً فتظاهر بالابتسام قائلا :

— تعالى كلى .

ردت ابتسامته لها الروح ، ابتسمت فى هدوء ، واقتربت من «الطبلية» وبدأت تأكل على استحياء . كان يريد أن يعرف ما فى رأسها ، ولكنه لم يجد فى نفسه الشجاعة لسؤالها مباشرة . ماذا لو حاول أن يستدرجها فى الكلام عساها أن تبوح له بمكنونها ؟ هل لاحظت محاولاته فى اخفاء يده اليمنى ؟ هل فكرت فى إمعان النظر فى السبع لتعرف حقيقته ؟ فجاة ، اعتقد انها ربما تنبهت الى الحقيقة مادام جالساً امامها . هب واقفاً ومضى يغسل يديه ، ثم دخل الحجرة واستلقى على السرير ، بعد أن خطف «الترانزستور» من على الرف ، ودخل تحت اللحاف ، وفتح «الترانزستور» فانطلقت اغنية لم يعجبه نغمها ، فجعل يحول المفتاح الى محطات أخرى ولكنه عاد ثانية الى الأغنية التى كانت على وشك الانتهاء وحاول أن يركز انتباهه الى كلماتها فلم يستطع وبين اللحظة والأخرى كان يتأمل ظاهر يده فى شبه خوف لئلا تفاجئه امرأته وهو يفعل ذلك . فجاة انبثقت فى رأسه فكرة . لم لا يزيله بماء النار ؟ بعض العسكر يفعلون ذلك فى العصفورتين المرسومتين على جانبى الجبهة . ظل فترة يتأمل هذا الخاطر ولكنه استبعده بسرعة . إن أغلبهم يتصور أنه قد محا من الوجود العصفورتين إلا أن أثرهما يبقى ماثلا ينم على أنه كان فى هذا المكان عصفور أخضر . وتراءت له يده مشوهة لامعة الجلد . ألا يكون فى ذلك مدعاة للتساؤل إكثر مما هى عليه الآن ؟

كانت ثمة أغنية أخرى قد اخذت تتردد ، ولكنه كان شارداً لا يكاد يسمع شيئاً . دخلت امرأته الحجرة ، وألقت عليه نظرة عابرة ، ثم همت بالجلوس على الأرض ، إلا أنه أدركها قائلا :

— اطلعى على السرير .

استقرت بجانبه تحت اللحاف . كانت صامتة تماماً . كان يحاول التركيز فى كلمات الأغنية التى تتردد . كان قد وضع «الترانزستور» على المخدة بين راسه وراسها . حاول أن يقرب قدمه من قدميها إلا أنها بسرعة جذبت قدميها . شعر بأنها فوجئت . ماذا يفعل ؟ هل يغلق «الترانزستور» ويضعه تحت السرير ، ثم يبدأ فى الزحف تجاهها ، أم يتركها هكذا نافرة منه وكأن شيئاً ما قد وقع بينهما ؟ ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا . ظل محدقاً فى السقف وقد خبأ يده اليمنى تحت اللحاف . إنها الآن لا ترى يده . لا تستطيع أن تكشف ما إذا كان المرسوم على ظاهرها سبعاً يمثل السبع الحقيقى ، أم أنه مجرد مسخ توهم راسمه أنه سبع حقيقى . حول بصره تجاه امرأته ، كانت شاردة فى السقف مثله . ظل يتأملها فترة ثم سألها بصوت خافت تعمد أن يبدو رقيقاً :

— فيم تفكرين ؟

اجابته دون أن تحول بصرها تجاهه :

— لا شىء .

— غير معقول .

— لماذا ؟

ارتعشت شفتاه ، ولكنه كان يريد أن يعرف كل شىء .

— أعرف فى ماذا تفكرين .. فى السبع أليس كذلك ؟

نظرت اليه بطرف عينها ، وفى نبرات ساخرة أجابته :

— أتعتقد أنك مازلت سبعاً ؟!

ما كادت هذه الجملة تخترق أذنيه ، حتى ارتجت أركانه تماماً ، وبسرعة أغلق «الترانزستور» وساد بينهما السكون ، ثم لم يلبث أن هم من استلقائه قليلا ، وامتدت يده الى مفتاح النور وأطبق الظلام والصمت ، وانزلق تحت اللحاف غير أنه شعر بالحرارة فى جسمه ، فأخرج يديه من تحت اللحاف وقد أمسى فى مأمن من أن ترى امرأته ظاهر يده . وأخذ يفكر فى تلك الجملة التى قالتها : «أتعتقد أنك مازلت سبعاً ؟» ترى هل اكتشفت الحقيقة الآن فقط ، أم أنها كانت تعرفها منذ زمن ؟

وفى هذه الليلة لم يغمض له جفن .

مصطفى أبو النصر

# ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الإنسان !

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

التغذية الصحيحة ليس معناها أن نتناول غذاء قليلا محتوياً على جميع المركبات الغذائية الضرورية لبناء الجسم ونشاطه ووقايته فحسب ، بل معناه أيضاً أن نتناول غذاء نظيفاً خالياً من الطفيليات والجراثيم المسببة لأشد الأمراض وأخطرها .

وليست نظافة الغذاء مظهرها الخارجى فقط ، بل فى داخله أيضاً ، لأن جراثيم الأمراض التى تسبب تلوث الغذاء وعدم نظافته كائنات صغيرة جداً ، تعيش داخل جسم المريض ، وتخرج من افرازاته ، وتصيب السليم بالمرض إذا تلوث به طعامه أو شرابه .

والجراثيم كائنات حية دقيقة الى درجة لا نستطيع أن نراها بالعين المجردة ، ويمكن أن تجمع مليون منها بسهولة على رأس دبوس ، والجراثيم موجودة فى كل مكان ، فى الهواء وفى الأتربة ، وفى الأقذار ، وعلى ملابسنا ، وعلى جلدنا ، وخاصة على أيدينا ، وفى الأنف والحنجرة وهى تختلط بطعامنا بطرق كثيرة ، ويكفى عطسة قوية أو سعلة شديدة أن تنقل ما فيها من جراثيم الى الطعام ، والبصق أيضاً ينقل العدوى الى الطعام مباشرة ، أو بطريقة غير مباشرة عندما يجف البصاق وتذروه الرياح ، ويحمله الهواء الى الطعام المكشوف ، وكذلك الذباب فهو أعظم ناقل لهذه الجراثيم الخطرة الفتاكة ، على أن أخطر شىء هو يد الشخص المصاب بالاسهال أو الديدان .

## الماء والصابون والفرشاة

ولكي نقضى على هذه الجراثيم ينبغى علينا ألا ندعها تصل الى طعامنا ، فعندما نمس الطعام لاعداده للأكل أو لتناوله أو لتقديمه ، ينبغى علينا أن نتأكد من أن أيدينا وخاصة أظافرنا وثيابنا نظيفة قدر المستطاع ، وعندما نمس شيئاً غير نظيف كالشعر أو الأنف ينبغى ألا نعود إلى تناول الطعام دون أن نغسل أيدينا أولا .

وعندما نغسل أيدينا ينبغى أن نستخدم الصابون والماء الساخن ، وأن نفرك أظفارنا بالفرشاة ، حتى نتخلص من القذارة التى لا تزول بمجرد وضع الأيدى فى ماء بارد ، ويتحتم كذلك أن نغسل أيدينا بعد التبول أو التبرز .

وعلينا أن نلاحظ أن تكون جميع الأكواب والصحون وأوانى الطهو والسكاكين والملاعق والشوك ، مغسولة غسلا جيداً فى ماء ساخن ، والماء المغلى أفضل لأن الغليان يقتل الجراثيم ، ومن الأفضل ان نستخدم الشوكة أو الملعقة بدلا من الأصابع عند تناول الطعام ، لأن فى مقدورنا تنظيف الشوك والملاعق فى ماء ساخن .

وينبغي علينا ألا نترك الطعام مكشوفاً أو معرضاً للغبار والذباب ، وخاصة اذا كان مطبوخاً ومعداً للاكل ، حتى لا تتاح فرصة للجراثيم للوصول الى الطعام على الاطلاق ، وحتى لا يتاح الوقت لهذه الجراثيم أن تتكاثر فيه ، وعلينا أن نغسل خضروات السلطة بالماء الجارى عدة مرات وألا نقنع بازالة الطين العالق بها ، هذا مع غمسها مدة دقيقة فى ماء مغلى ، أو نقعها فى مدة ربع ساعة فى محلول برمنجنات البوتاسيوم الذى يمكن اعداده باذابة نصف ملعقة صغيرة منه فى لتر من الماء ، مع اضافة عصير الليمون الى « السلطة » بسخاء لأن ما فيها من حموضة يقتل ما بقى من جراثيم الأمراض .

## مواعيد منتظمة

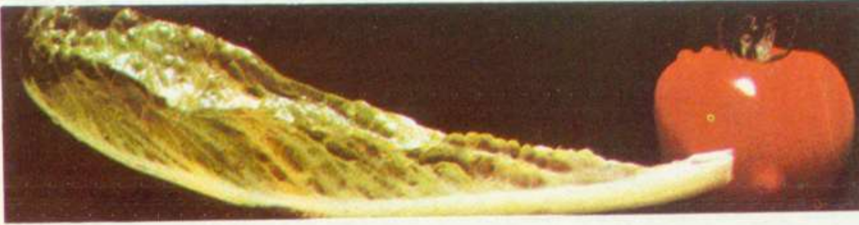
وليست التغذية مجرد امداد الانسان بالغذاء النظيف الذى يضم جميع المركبات الغذائية اللازمة بالقدر الكافى فحسب ، بل ينبغى أن يتم تناول هذا

رغم المظهر الجذاب لهذا الطعام ، الا انه مطلوب منا أن نتأكد من عدم اتاحة أى فرصة لوصول الجراثيم إليه ، وهى موجودة فى كل مكان

# ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الإنسان !



يفضل كثير من الناس اضافة عصير الليمون بسخاء إلى « السلطة » لقتل ما بقى من جراثيم الأمراض .



الغذاء النظيف الكامل فى أوقات منتظمة ، وفى جو يسوده الهدوء والطمانينة ، مع جودة المضغ ، فلا شىء يعطل الهضم ويفسده أكثر من عدم تناول الطعام فى مواعيد منتظمة ، فبعض العاملين يذهب الى عمله من غير فطور ، ويتناول طعام الغذاء فى مواعيد مختلفة غير ثابتة ، تارة يتناوله فى الساعة الثانية ، وتارة فى الساعة الواحدة ، وتارة فى الرابعة بعد الظهر ، وليس لوجبة العشاء عندهم موعد ثابت ، ومثل هذا الاختلاف فى مواعيد الطعام يسبب سوء الهضم وارتباكه ولهذا كان من الضرورى أن نحدد مواعيد منتظمة ثابتة ، لتناول وجبات الطعام ، حتى تعتاد غدد الجهاز الهضمى أن تعمل بانتظام ، فتنتظم تبعاً لذلك عملية هضم الغذاء ، وتتم على خير وجه .

وخير ما ينصح به عند الاحساس باضطراب معدى نتيجة وجبة ثقيلة فى حفل ، أو تغيير موعد الطعام ، وما الى ذلك أن يمتنع الانسان عن تناول الوجبة التالية ، فاراحة المعدة بعد الاثقال عليها أو إثارتها تهيىء لها فرصة طيبة لاستعادة نشاطها ، واعادة تنظيم وظائفها .

وللرياضة صلة بعملية الهضم ، فالرياضة العنيفة . أو الجهد البدنى الكبير ، بعد الأكل مباشرة ، يعطل عملية الهضم ، فى حين أن الرياضة المعتدلة بعد الأكل بساعة تساعد على الهضم ، اما الراحة بعد الوجبات لفترة قصيرة فمن العوامل المهيئة لقيام المعدة بتادية وظيفتها على وجه كامل .

**ولو أن ربة المنزل قضت اغلب وقتها فى انتاج طعام نظيف كامل ، وبذلت قصارى**

يجب ألا نقنع بإزالة الطين أثناء غسل خضروات السلطة ، ولكن علينا أن نغسلها بالماء الجارى عدة مرات والماء المغلى لدقيقة واحدة !



أنواع مختلفة من الأطعمة .. هذه الأطعمة اللذيذة ، النظيفة ، المفيدة .. قد يضيع أثرها إذا تناولنا الطعام فى جو من القلق والمشاحنات !







جهدها فى ترتيب المائدة وتنسيقها ، ثم راحت فى أثناء جلوسها على المائدة تذكر الأخبار المحزنة والأفكار السقيمة أو تنهمك فى جدل أو مناقشة لافائدة ترجى من ورائها ، لكانت النتيجة ملل الآكلين وإضعاف شهيتهم للطعام وارتباك هضمهم. وكنتيجة لهذا كله يتلاشى فضلها وتضيع جهودها وينكر نشاطها لأنها نسيت أن النفس تتغذى بحلو الحديث ، كما تتغذى العين بحسن الترتيب والمعدة بجودة الطعام .

وما يقال للزوجة يقال لجميع افراد الأسرة ، إذ على كل واحد منهم أن يتجنب المناقشات والمجادلات وإثارة المشاعر أثناء الطعام ، لأن ذلك يولد السخط والغضب . وهذا بدوره يعطل الهضم ويفسده .

لقد اراد العلم أن يثبت تأثير المرح والسرور على عملية الهضم ، فاجرى تجربة على قطة كانت قد دعيت الى وليمة فاخرة ، وتناولت فيها طعاماً من كبد الأغنـــام ، وبعد أن تناولت القطة هذا الطعام الشهي استلقت على منضدة ، فاذا بأحد العلماء يستخدم الأجهزة الكاشفة ، فوجد أن هضمها يسير سيراً عادياً ، لا يعوقه عائق ، وفجاة دارت اسطوانة فى جهاز خاص تحت المنضدة فانطلق منها صوت كلب ينبح ، فخافت القطة واضطربت ، ووقفت على قدميها ، وقد تقوس ظهرها ووقف شعرها ، وبرزت مخالبها .

وهذا التحول العجيب فى مظهرها لم يكن شيئاً يذكر بجانب ما حشت فى بطنها فقد انقبضت عضلاتها ، وباتت قطعة كبد الأغنام اللذيذة فى جوفها كأنها قطعة من حجر ، لهذا كان من الضروري تناول الطعام فى جو من الهدوء والطمأنينة والمرح والسرور ، مع تجنب كل ما يثير القلق والغضب والمشاحنات .

## لماذا يضطرب الهضم ؟

وبجانب تنظيم الطعام وخلق جو هادىء مرح حول المائدة ينبغي أن نعني بعملية مضغ الطعام عناية كبيرة، فالتهام الطعام دون المضغ الكافي يعطل الهضم ويؤخره ، أما المضغ الجيد فهو أحد العوامل الهامة الواقية من اضطرابات الجهاز الهضمي ، فجميع أنواع الطعام ينبغي ألا يبتلعها المرء قبل أن تتحول فى فمه – عن طريق المضغ – إلى عجينة تكاد تكون سائلة ، ومزج الطعام باللعاب من شانه تحويل النشا إلى سكر ، والمضغ الجيد يسهل المعدة لافراز العصائر الهاضمة ويحول دون سرعة التهام الطعام والافراط فيه دون وعي ، وليس أدعى لاضطراب الهضم من تناول الفطور على عجل أو تناول وجبة الغذاء فى المكتب أثناء العمل .

فانت إذ تمضغ الطعام جيداً تقنع منه بكميات أقل ، وتجد فى نكهته ومذاقه متعة أكبر ، حتى الأطعمة التى يبدو أنها ليست فى حاجة لمضغ ، ينبغي أن يتناولها المرء ببطء مثل المثلجات أو اللبن ، ذلك لأن المضغ الجيد ضروري بوجه خاص للأطفال والمسنين .

د. عز الدين فراج

# علياء

## ذات القلب الصغير

لوحة مسرحية قصيرة للشباب ، مطعمة - إلى جانب الحوار التمثيلي - بشيء من الموسيقى ، والغناء ، والرقص ، والتمثيل الصامت .

تأليف : نبيل الألفي

**الشخصيات :**

- الفتـــاة
- الخادمـــة
- الحارس ( البواب )
- كورس من خمسة شبان

**الكورس :**

يتابع الحدث ، ومنه ينفصل « الخطاب » بالتعاقب فى التوقيت المطلوب ، بعد ان يضع كل منهم « وحدة ملابس » تعطي الطابع المميز للشخصية .

**الحارس :**

يصعد بعد كل زيارة ليحضر وعاء الحليب ثم ينصرف ، كمـا لـو كـان بحضوره يؤكد تجزيء المشاهد وتغييرها .

**المنظر :**

شجرة كبيرة مورقة الاغصان ، فى ظلها اريكة خشبية بحديقة بيت من بيوت الرفاهية .

**الوقت :**

عند البداية ربيع .. وعند النهاية خريف.

الفتـــاة : ( تنتقل فى رفق بالحديقة بين الورود والزهور ... )

الكورس: فتاة جميلة ،
قلبها مفعم بالكبرياء ، وبعض الغرور .
تحلم بان يكون زواجها : من شاب ، ممشوق القوام ، وسيم ، وله اسلوبه الجذاب ...
ليس بارداً ، وليس غيوراً .
وهي تريده ـ فوق ما تقدم ـ ان يكون غنياً ، بالوراثة ، وبالفكر ...
ولكن ،
من ذلك الذى يمتلك من الدنيا كل شيء؟!
إه ! من يدري ؟
لعل القدر يظهر تعاطفه مع مطالبها ،

فيحقق لها فى احد خطابها كل ماتتمنى ..

( يدخل شاب من الوجهاء ، يقدم التحية ، ويبقى على مبعدة )

الفتاة : (تنادى خادمتها) يازكية !

الخادمة: ( مقتربة ) سيدتي !

الفتاة: اسالية عن ثروته .

الخادمة: ( تذهب وهي تحجل في مشيتها ، وتتبادل مع الوجيه حواراً بالاشارات الصامتة ، ثم تعود إلى سيدتها تحمل إليها الاجابة ) يقول إنه يملك القناطير المقنطرة .

الفتاة: عظيم . اساليه عن اسم عائلته .

الخادمة: ( يتكرر ذهابها إلى الوجيه على غرار ما سبق ، ثم تعود إليها ) يقول إنه من العائلة الشركسية العريقة .. عائلة « رستم باشا زاده » .

الفتاة: عظيم .. اساليه الآن عن مهنته .

الخادمة: ( بالطريقة نفسها ، ثم تعود ) يقول إنه دبلوماسي .

الفتاة: رائع ! ( واخيراً تمد يدها الى الوجيه وهي فى قمة الارتياح لهذه الاجابات ، فيتلقف يدها بحرارة – ويصح ان يركع أمامها – مشبوب العاطفة ، بينما هي تدمدم بطرح سؤال جديد : ) لقد تشرفت باسم العائلة ، ولكني لم اتشرف بعد باسمك شخصيا.

الوجيه: اسمي « بلبع »

الفتاة: ( ممتعضة ) نعم ؟

الوجيه: بلبع ، بلبع رستم زاده .

الفتاة: بلبع ؟! إن فتى الأحلام لا يكون اسمه بلبع ! فتى الأحلام يكون اسمه يونس ، أو قيس ، أو كثير ، أو جميل ... فتى الأحلام يكون اسمه شهاب الدين ، أو سيف الدولة ، أو قمر الزمان ... ( ثم وهي تصرفه عنها بجفاء ) بلبع؟! لا.لا.لا

الكورس: ومع ذلك ، « بلبع » اسم انسان ! ليس شائعا ، ولكنه مطروق .

الحارس: ( وهو يدخل ثم ينصرف ) الحليب يا آنسة !

( يسمع غناء ، ثم يدخل « المغني » فيتخذ مكانه فى مواجهة الفتاة ، ويغني مقطعاً من الآهات العاطفية ... لدى نهاية المقطع تبدو فتاتنا مسحورة .)

المغني : ( يتحمس ، ولكنه يعاني النطق وتسيطر على كلامه المأماة والبأباة والفأفاة ) انا م م م من م م م م مدة طويلة ب ب ب باحب ب ب بك .. احبك ! م م م مشغول الب ب ب بال ب ب ب بك .. الخ .

الفتاة: ( يصيبها الدوار ، تطلق صرخة ، تتهاوى ... )

الخادمة: سيدتي ! سيدتي علياء ! افيقي ... رباه! ماذا الم بها ؟! ( تعاونها ، وتجعلها تفيق ) .

المغني : ( وهو مازال مسمراً في مكانه ) لست اف ... لست اف اف اف شيئا ! (يقصد : لست افهم شيئا ) م م م م مطلقا !!

الفتاة: ( تحتشد ، وتعمد الى صرفه عنها بلهجة صارخة ) انصرف من هنا ! انصرف سريعا !!

المغني : ( يكرر وهو يبتعد منصرفا ) اب ب ب بدأ ما ما ما ملكنت اتصور ! فا فا فا فاجاتني ... الخ .

الفتاة : ( تبدو عصبية ، تطلق زفرة ، ثم تستعيد لنفسها الهدوء ، ولمظهرها الجمال ... )

الحارس : ( بالطريقة نفسها..) الحليب ياآنسة !

( يظهر « الرياضي » : نجم كرة قدم وبطل العاب قوى ، لا يضع اي ملابس على النصف الأعلى من جسمه ، خطواته وتوقفاته مقرونة بايقاعات من « البالتري » ... ) .

الرياضي : ( يدور حول الفتاة فى دائرة عريضة ، ثم يتوقف اثناء ذلك عدة مرات متخذاً بعض الأوضاع الرياضية الاستعراضية ، ثم يستانف الدوران حولها من جديد . )

الفتاة: ( تستوقفه ) آه ! أهذا انت ؟
( يتخذ الرياضي هيئة النجم المرموق تستوقفه المعجبات، تشير إليه الفتاة أن يقترب فيقترب ، وفي حركات صامتة يتبادلان بعض الوعود ، ثم يستاذن الرياضي فى الانصراف ويستدير مبتعداً عنها ... )

الفتاة: لحظة من فضلك ! ( تستوقفه وتقترب رويداً رويداً لتقرا على ظهره الوشم التالي :
« لك يافيفي مدى الحياة »

(ثم بعد أن قرات الوشم بوضوح وتاكيد للكلمات تقول ) :
حسن ياسيدي ! وداعا .

الرياضي: (يرفع كتفيه ويخفضهما ، ويخرج . )

الحارس: (بالطريقة نفسها ..) الحليب يا انسة .

الكورس: بعد الفرص العريضة ،
والشخصيات اللامعة ،
ياتي بسطاء الناس ،
ياخذون دورهم فى صفوف المتقدمين .

( يدخل مع الموسيقى « محاسبان » ... يمارسان حول الفتاة لوناً من الرقص الآلي ، ثلاث دورات وتحية .. ثم تتكرر ... الفتاة مستغرقة فى القراءة ، لا تلتفت إليهما ولا تكاد تشعر بوجودهما ... المحاسبان يتوقفان ، يتفقان بالنظرات على مايعتزمان فعله ، ثم يستانفان رقصتهما التى تنتهي هذه المرة بتحية جميلة امام الخادمة ... وتبتسم الخادمة لذلك ابتسامة عريضة فيلتقط كل منهما إحدى ذراعيها ، ويخرجان بها فى حركة راقصة ... )

( تتساقط من الشجرة الكبيرة اوراق كثيرة تغطي ارض الحديقة بلون ذهبي ... )

الفتاة: ( تستفيق من القراءة ، تنحي كتابها جانباً ، ثم تتطلع حولها ، فلا تجد احداً ... إنها وحيدة ، وحيدة تماما ... يحوطها الفراغ والصمت ... )

( يدخل الحارس ومعه وعاء الحليب ، تهرع إليه الفتاة وتعانقه باندفاع ، بينما يترنح الرجل الطيب من هول المفاجاة . )

( ويسدل ستار الختام . )







مجموعة من اللوحات ، تمثل بعض النشاط الفنى الذى يعرضه الفنانون التشكيليون القطريون فى معارض داخل الدوحة وبقية المدن القطرية

# مشكلة الجمهور والفن التشكيلي في قطر

بقلم : محمد علي عبدالله

لكل منطقة جغرافية فى العالم مشاكلها الثقافية مثل : الغزو الثقافي ، والنضوب الثقافي والركود الثقافي . وفى المقابل هنالك المناطق الجغرافية فى العالم التي تعيش النهضة الثقافية وحركتها .

ومنطقتنا العربية عموماً ، تعيش مرحلة الازدواجية بين تراثها والغزو الثقافي الغربي ، والذى بدأ منذ حملة نابليون فى القرن الثامن عشر على مصر ، والذى لم يهدأ حتى الآن .

وهذه الازدواجية بين المفكرين لم تخلق سوى جو من السلبية بين هذا الجمهور الذى فقد ثقته بمفكريه ونتاجاتهم . ولا أعرف إلى أي مدى كانت هذه الازدواجية خلف سلبية جمهورنا فى قطر تجاه الحركة التشكيلية والوقوف خلفها .

## الاهتمام بالجمهور

فالجمهور هو أحد أركان الفن ، بكل ما تعنى هذه الكلمة من معنى ، فالفن عبارة عن انعكاس ذات الفنان ، ليبرز هذا الانعكاس فى شكل لوحة يقدمها أمام الجمهور الذى يرى نفسه من خلال عين الفنان .

ومعنى ذلك باختصار أن الفن هو حصيلة تفاعل بين الفنان والمجتمع ، وأن الابداع الفني لا لا يتبلور إلا إذا كانت هناك مشاركة ومعايشة وتقييم لأي عمل فني جاد نراه على طول ساحتنا الثقافية ..

ولعل هذا التصور يقودني إلى القول بأن أي

معرض فني بدون جمهور لابد أن ينطبق عليه المثل الشعبي القائل « يؤذن فى خرابة » أى ينادى فى الأطلال ، فالفنان فى حاجة دائماً إلى تشجيع جمهوره ، والفن بلا جمهور يصبح – بالقطع – بلا هوية وبلا مشاكل تعطى لذة للعمل وطعماً للعرق المتصبب طوال فترة اعداد اللوحة !

واهتمامي بالجمهور ، لا يعني أن نهبط إلى الفن التجاري ، ولكني اقصد الجمهور الذى يتذوق ، وينقد ، ويقيم ، ويتحمس ، ويشجع ، ويحس بمدى معاناة الفنان فى عمله ، ونحن اليوم فى كافة دول العالم الثالث فى أشد الحاجة إلى خلق نوع من التذوق الفني لدى الجمهور حتى يستطيع الفنان أن ينتج بدون عزلة عن مجتمعه !

## واقع المشكلة

إنني هنا – فى قطر – كثيرا ما أتساءل : لماذا لانرى أعداداً كبيرة فى معارضنا الفنية ؟ .. هل لأن الفن التشكيلى القطري دون مستوى الجمهور ولذلك فان الناس لا يكلفون أنفسهم عناء حضور المعارض ؟! أم أن الفن التشكيلي أرفع من مستوى الجمهور الذى يجد صعوبة فى فهم هذا الفن ، فلا يكلف نفسه عناء المجيء لرؤية ألغاز ومدارس تسمى أنفسها بمسميات عجيبة ؟!

والواقع يقول أنه من خلال المعارض التى تقام سنوياً فى قطر يتضح لنا أن الفنان القطرى يضع كل طاقته ليبرز نفسه بجانب زميله الفنان فى أي معرض . فهو لا يريد أن تضيع أعماله بجانب الأعمال ذات المستوى الفني الرفيع . ومن هنا أعتبر الأعمال التى تعرض فى المعارض هي أفضل أعمال الفنانين القطريين ، وهي أفضل مؤشر لقياس مستوى الفن بشكل عام فى قطر ، ومن خلال حضورى لبعض المعارض ، تفاوتت اللوحات فى المستوى ما بين ممتاز وجيد ، وضعيف .

وليس المقصود هنا باللوحة الممتازة ، باللوحة التى تضاهي الصورة الفوتوغرافية ، وليست التى تختفى تحت اسم مسميات المدارس الحديثة ، وهي منها براء ، ولكني اقصد فى العمل الممتاز ، تلك اللوحة التى استطاع الفنان أن يتميز فيها باختياره للموضوع ، والتقنية اللونية ، وقدرته على الرسم ، والتركيب ، وحتى إبراز اللوحة فى اطار له شان في رفع أو خفض مستوى اللوحة .. وبقدر وعي الفنان لهذه العناصر ، وربطها برباط قوي ، يستطيع أن يحافظ على مستوى أعماله .

## هدف الفنان

إلا انني الاحظ أن بعض الفنانين القطريين يسقطون أحياناً فى شراك اللاموضوعية ، رغم ادراكهم بأن الفن التشكيلى فى قطر حديث النشاة ، ولذا لابد أن ناخذ بيد الجمهور ونجعله يشعر بجـــدية الفن ووظيفته الانسانية فى المجتمع ..

ان اختيارنا للأسلوب المناسب لمخاطبة الجمهور فى فترة النشوء ، تجعلنا اكثر قرباً من المجتمع وأكثر التصاقاً باحاسيسه ومشاعره الانسانية .

إن علاقة الفنان بجمهوره يجب أن تكون مثل علاقة الشاعر بقرائه ، ولذا فلا مانع من أن نرسم فى معارضنا لوحات بأسماء تعارفنا على تسميتها تحت عناوين : منظر بحرى ، منظر صحراوى ، سفن ، طبيعة صـــامتة .. هـــذا مطلوب .. ولكن اين الفكرة فى الفن ؟ .. أين وجـــدان الفنان الـــذى يهز مشاعر المتفرج بما يقدمه من أعمال انسانية تخاطب البشرية فى أى مكان وزمان ؟

إن تحديد هدف الفنان أثناء العمل فى لوحته هو أول العناصر التى يجب أن نهتم بها ونعطيها أولويات فى العناية ، وتحديد هدف الفنان – بالطبع – يحتاج الى بحث ودراسة وتأمل ، فعلى الفنان أن يجد هدفه من الواقع الاجتماعى أو السياسى الذى يعيشه وطننا العربى ، ولا يكتفى بمجرد الهدف الجمالى البحت ، فصحيح أننا مطالبون بتكثيف الاحساس بالجمال لدى الجمهور ، لكن يجب ألا نغرق فى متاهاته ، وألا نكتفى بمجرد تقديم لوحة جميلة داخل اطار جميل ، ففكرة اللوحة ومعالجتها بصورة تلهب خيال الجمهور المتلقى وتتفاعل مع واقع هذا الجمهور ، هو أمر غاية فى الأهمية لكل الذين يبحثون عن طريق للابداع الفنى الذى يظل فى الأذهان ويحفر فى الذاكرة أعظم المعانى وأرقاها وأسماها انسانياً ..

## رغبات الجمهور

ولعل ذلك يقودني الى أمر هام لابد أن يتنبه له كافة الفنانين وهو عدم تلبية احتياجات الجمهور للفن التجارى ، فكثيراً ما نرى بعض الفنانين ينساقون الى موضوعات أشبه بتلك التى تعرض تجارياً فى محلات عمل الاطارات مثل موضوع طفل يبكى فى ضوء شمعة أو فتاة مع قطتها أو غير ذلك من الأعمال الهابطة التى قد يتجه لها البعض غير مدركين أنهم بهذا الاتجاه يسيئون الى قيمتهم الفنية ويتجهـون بالفن الى وجهة تجارية رخيصة ..

وإذا كنا نطالب الفنان بعدم الانسياق الى رغبات الجمهور والاتجاه الى معالجة قضاياه الهامة ، فاننا فى نفس الوقت نرفض تماماً أى محاولة لفرض الأساليب الغريبة على الجمهور دون ادراك لواقع المجتمع وتقبله لهذه الأساليب ..

إذن .. المطلوب فى الحركة التشكيلية فى قطر وهى تشق طريقها الذى يقاس عمره بسنوات قليلة ، أن تبنى جمهورها بنفس القدر الذى تبنى فيه معالمها الفنية وأساليبها .. وأن نلتفت بوعى الى اختيار الموضوع وطريقة المعالجة التى تناسب الجمهور ومستواه الثقافى .. فعدم توازن هذه العناصر لن يؤدى الى حركة فنية صحيحة .. وعدم توازن الفنان فى ربط جميع عناصر لوحته برابط قوى من حيث التقنية اللونية والخطوط والفكرة لن يفتح المجال لبداية ظهور مدارسنا الفنية النابعة من بيئتنا ومن تراثنا الزاخر بكل ما هو أصيل وجميل وجذاب .

محمد علي عبد الله
أوهايو – أمريكا



# بيروت

## القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

بقلم : عصام شريح

لمع اسم بيروت خلال مراحل وحقب تاريخية مختلفة ، كمدينة سلام وحب وحرية وانفتاح عقلي ، ولعبت هذه المدينة العظيمة دوراً بارزاً فى صياغة أوضاع المنطقة المحيطة بها أحياناً ، والمنطقة العربية أحياناً أخرى ، لكن بيروت العظيمة ، كانت تدفع جزية باهظة من دمها وجسدها وروحها أحياناً كثيرة ، فدية عن دورها الطليعي ورسالتها الحضارية والقومية الخالدة . وازاء هذا الواقع المشرق والمشع أحياناً ، والدامي والمبكي احياناً أخرى ، فان العويل والتفجع لم يكن أبداً نهاية الطريق امام البيروتيين ، بل الصراع والنضال دون هوادة ، من أجل كتابة مستقبل مضيء حافل بالسلام والحرية والحب والمعرفة والثقافة والحضارة بشتى وجوهها ... وذلك فى يقيني هو دور البطل ، الذى قد يخسر معركة أو أكثر ، لكنه يأبى إلا ان يربح الحرب ... أجل .. تلك هى بيروت .. وذلك هو دورها فى التاريخ العربى ، ومن لا يصدق هذا ، فليقرأ ماذا يقول التاريخ عن بيروت الخالدة .

## بيروت فى العهد الفينيقي

لم تتمتع بيروت فى عهد الفينيقيين باى شهرة ، والمرة الاولى التى لمع فيها اسم بيروت كان فى الفترة التى تسلم فيها عرش مصر الملك اخناتون فى عام ١٣٧٧ ق.م ،حيث كان النفوذ المصرى واسـعـاً فى بـلاد الكنعانيين ، وقد ورد ذكر بيروت عندمـا هرب اليها ملك جبيل ( الواقعـة على الساحل اللبنانى إلى الشمال من بيروت ) ، واسمه « رب عدي » بعد تدبير مؤامـرة لقلب نظام حكمه على يد « عزيرو ابن عبد عشرتا » الأموري : نسبة للأموريين ( ، وقد لجا « رب عدي » إلى بيروت ، بعد ان دب اليأس الى قلبه من امكانية تلقيه مساعدة مصرية ضد خصومه ، ولان حاكم بيروت « عمونيرا » كان ذا قرابة له عن طـريق المصاهرة ، وكان أمير بيروت هذا يبعث برسائل الى الفرعون المصري تنم عن الخضوع والولاء ، وتطالب بمسـاعدات عسكرية مصرية للدفاع عن المدينة ضـد الأمير عزيرو الأموري ، وعندما أصبحت بيروت مهددة فعلا غادرها امير جبيـل « رب عدي » الى صيدا ، لكن امير هذه المدينة كان قد انضم الى الاموريين فوقع « رب عدي » فى يد عزيرو الذى قتله بسبب ولائه للفرعون المصري .

والمهم هنا ، ان بيروت ، لم يرد لها اسم كمدينة ذات أهمية تذكر طوال هذا العهد ، وقد وصلت ذروة عصرها الذهبي فى العهد الروماني .

ويقول « الدكتور فيليب حتي » فى كتابه « لبنان فى التاريخ » « ان كلمة بيروت تعني الآبار ، وان أول مرة ظهر فيها اسم بيروت فى التاريخ كان ضمن قائمة اسماء ذكرها الفرعون المصري تحوتمس الثالث ، ولم يرد لها أى ذكر فى أسفار ( التوراة ) العهد القديم » .

أم مع أولادها أثناء القصف العشوائي .. ولقطة أخرى لبيروت تحترق نتيجة القصف الوحشي من قوات العدو



## بيروت فى العهد الروماني

كانت بيروت المدينة الوحيدة بين المدن الساحلية على الشاطىء اللبناني ، التى تمتعت بمركز ثقافي ، وذلك جزاء ولاء ومعاضدة أهالى بيروت للامبراطـور الروماني « سبتموس سـفيروس » فى حروبه ضد خصمه ومنافسه على العرش « نيغر » . غير أن بيروت كانت أقـدم

# بيروت

## القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

مستعمرة رومانية فى بلاد الشام إطلاقاً ، فقد اقام فيها ( حوالى سنة ١٧ ق . م ) جنود متقاعدون كانوا ينتمون الى الجيشين الرومانيين الثالث ( مقدونيا ) والخامس ( غاليا أوفرنسا ) ، بقيادة احد ضباط الامبراطور اغسطس قيصر ، فكانت اشبه بحصن يجهز حاكم الولاية بمزيد من الجنود عند الحاجة . فقد امكن بيروت ـ على سبيل المثال ـ ان تمد القائد الروماني « فاروس » ـ حاكم سوريا فى عهد اغسطس قيصر ـ بالف وخمسمائة جندى عندما مر فى المدينة وهو فى طريقه لمحاربة اليهود فى فلسطين ، وقد اطلق على بيروت اسم « مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة ـ بيروت » وذلك تيمناً باسم « جوليا » ابنة الامبراطور اغسطس قيصر . وكانت بيروت قاعدة الأسطول الروماني فى الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وبما انها كانت مستعمرة رومانية فقد كان سكانها يتمتعون بامتيازات وحقوق يمنحها القانون الروماني ، كالحكم الذاتى ، والاعفاء من ضريبة الرؤوس وضريبة الخراج وعندما اصدر الامبراطور كركلا ( ٢١١ ـ ٢١٧ ) قانونه الذى منح بموجبه حق المواطنية لجميع المواطنين « الاحرار » . ( غير الأرقاء ) فى امبراطوريته ، أصبحت تلك الامتيازات التى كانت تنعم بها بيروت فى حكم الملغاة ، إلا أن بيروت أصبحت إلى جانب مدينة بعلبك ( الواقعة فى سهل البقاع بشرق لبنان ) مركزاً للحياة الرومانية فى بلاد هلينية الحضارة ، وفى عهد « أغريبا الاول » ( ٤١ ـ ٤٤ ق . م . حفيد هيرودس ( الوالي الروماني على بلاد الشام ) ، كرم هذا بيروت ، وجملها ببنائه مسرحاً فيها على غاية من الجمال والعظمة كما بنى ملعباً مستديراً للرياضة ، وحمامات عامة وابنية عامة ذات أروقة مسقوفة ، وقد انفق على بنائها بسخاء وإسراف ، ورافق الحفل الذى اقامه لتدشين هذه الأبنية ، حفلات موسيقية والعاب فى المبارزة ، ولكي يزيد فى حماس الجماهير ، فقد اطلق فى الملعب المستدير ألفاً واربعمائة مجرم زوجاً ـ زوجاً ، لكي يتقاتلا حتى الموت .

وأثناء الحروب التى شنها الامبراطور فسبسيان ضد اليهود ، نصبه جنوده امبراطوراً ، واعلنوا خبر تسلّمه العرش فى مدينة قيسارية ( فى عام ٦٩ ب . م ) ، وعندما قفل عائداً إلى روما ، عرج على بيروت ، وبقى فيها يتقبل تهاني الوفود التى جاءته من أطراف بلاد الشام ، وقبل مغادرته بيروت ، عين الامبراطور فسبسيان ابنه طيطس قائداً على الجيش الروماني لكى يتابع الحرب ضد اليهود المتمردين فى فلسطين ، وبعد سقوط القدس فى قبضته ( عام ٧٠ ب . م ) . وهدم هيكل سليمان فيها ، عرج طيطس على بيروت ، واقام فيها مدة لكي يحتفي بانتصاراته وبعيد مولد ابيه الامبراطور ، وقد اقام بهذه المناسبة حفلات وأعياداً لم تشهد لها بيروت مثيلا ، بينها حفلة قذف الأسرى من اليهود إلى الوحوش المفترسة ، ( فى ملعب اغريبا ) ، ثم دفع مجموعات أخرى منهم للاقتتال حتى يفني بعضهم بعضاً .

أما اغريبا الثاني ، فقد بنى له قصراً خصصه لاقامته فى بيروت ، كما بنى مسرحاً فخماً كانت تقام فيه الحفلات السنوية ، وتوزع خلالها الهبات والأعطيات من الزيت والحنطة على الفقراء ويقول المؤرخ اليهودى « يوسيفوس » ، ان اغريبا الثاني جمل بيروت كلها بالتماثيل ورفع فيها الصور التى رسمها الفنانون القدماء ، « وقد ظلت الحفلات التمثيلية والألعاب الرياضية التى عرفت بها بيروت شائعة حتى القرن الرابع الميلادي » ، وعندما يحفر البيروتيون فى ايامنا هذه فى الأرض لانشاء مبان وعمارات جديدة ، يعثرون دوماً على اعمدة من الجرانيت أو على اجزاء منها محطمة مصدرها مصر العليا ، وهى تدل على عظمة الابنية التى كانت تزدان بها بيروت .

### معهد الحقوق فى بيروت

وقد اشتهرت بيروت بكونها مركزاً ثقافياً فى العهد الروماني ، حيث كان فيها اشهر وأعظم معهد روماني للقانون فى الامبراطورية خارج إيطاليا ، وكان معهد الحقوق فى بيروت قبلة أنظار طلاب القانون من جميع انحاء الشرق ، حيث كانت دراسة القانون إحدى الشروط الأساسية للوظائف الرفيعة فى الحكومة . وقد تخرج من معهد الحقوق فى بيروت عدد كبير من القضاة والحكام فى المقاطعات الشرقية للامبراطورية الرومانية . وفى رأى المؤرخ الفرنسي « بول كوليني » ان من المرجح أن يكون الامبراطور سبتموس سفيروس ( وهو لبناني الأصل ) ، هو باني معهد الحقوق فى بيروت ، ويضيف ان هذا المعهد كان الأكثر شهرة بين معاهد مماثلة فى أثينا والاسكندرية وبعض المدن الأخرى فى المقاطعات الرومانية . وقد تحول معهد بيروت الى مركز فكرى خلاق ، وجذب اليه افضل العقول من الاساتذة والطلاب ، الذين قدموا فى حقل التشريع تقدمات عظيمة للتراث الروماني الأكثر شهرة ـ القانون الرومانى أو الشرائع الرومانية ، وكان من أشهر المشرعين الذين قاموا بمهنة التدريس فى المعهد ، العالمان الشهيران : إيميلوس بابنيانوس ، و دوميتيوس اولبيانوس ، وكان بابنيانوس من مدينة حمص ( فى سوريا ) ومن أقرباء « جوليا دومنا » زوجة الامبراطور سبتموس سفيروس ، وقد استدعاه هذا الامبراطور الى روما ليكون مستشاره القانوني ، كما اشتهر من أساتذة معهد الحقوق فى بيروت كل من أنطوليوس و دوروثيوس اللذين قاما بجمع القوانين لما عرف فيما بعد بمجموعة يوستنيان ، وكان الامبراطور يوستنيان نفسه يطلق على بيروت لقب « أم الشرائع ومرضعتها » .

وكما كانت بيروت « معهداً » يتثقف فيه رجال الحكم والدولة ، كذلك كانت مركزاً للدراسات اللاهوتية لرجال الكنيسة المسيحية الذين كانوا يؤمونها من أطراف بلاد الشام وآسيا الصغرى .

وقد ضربت عدة هزات أرضية مدينة بيروت ، فقد وقعت الهزة الاولى فى العهد الرومانى فى سنة ٣٤٩ ، واسفرت عن هدم بعض اجزاء المدينة ، ووقعت هزات أخرى فى عامى ٤٩٤ و ٥٠٢ نجم عنها بعض الاضرار المادية ، فيما أصيب بسببها كل من مدينتي صور وصيدا بدمار كبير . وفى الفترة الواقعة ما بين ( ٥٥١ ـ ٥٥٥ ) وقعت سلسلة من الزلازل العنيفة فى لبنان دمرت المدن الساحلية بشكل يكاد يكون شاملا ، ولا سيما بيروت ، كما طغت أمواج بحرية عارمة إثر زلزال وقع فى عام ٥٥١ ، مما تسبب فى وقوع ضحايا وتدمير فى الممتلكات فاق ما احدثه الزلزال بكثير ،



عرفات فى مكتبه بحي الفاكهاني الذى يضم معظم مكاتب المقاومة الفلسطينية .. ويجلس على يمينه هاني الحسن وعلى يساره شفيق الحوت .

ويروي بعض المؤرخين ان مياه البحر تراجعت عن شاطىء بيروت مسافة تقرب من ميل واحد ، ثم اندفعت على شكل موجة عالية غمرت المدينة كلها ، فاغرقت البنايات والمنازل وهدمتها ، كما غرقت المراكب أو تحطمت على الشواطىء وغمرت الأشجار ، ويرجح ان تكون مباني معهد الحقوق فى بيروت قد دمرت بسبب هذا الزلزال ، وذكر ان نحواً من ٣٠ الف نسمة من سكان بيروت لاقوا حتفهم بسبب الزلزال ، اما البقية منهم فقد هربوا تاركين مدينتهم قفراً وكانها مدينة اشباح ، وقصدوا مدينة صيدا فى الجنوب ، وهناك كان اساتذة القانون الناجين يعطون دروساً بشكل مؤقت فى انتظار إعادة بناء بيروت ومعهد الحقوق فيها ثانية . لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فخلال عملية اعادة البناء ، وقع حريق هائل فى بيروت التهم معظم الأبنية الجديدة فى المدينة ، فكانت هذه المأساة بمثابة ضربة قاصمة قضت على المعهد وعلى مستقبل المدينة الى أجل طويل .

وقد رثاها محام . إغريقي من آسيا الصغرى ، كان معاصراً لتلك الاحداث المفجعة ، بقوله : « بيروت ، أجمل المدن ، الدرة فى تاج فينيقية ، فقدت لألاءها ورونقها ، ابنيتها التى تعد آيات فى فن العمارة ، تداعت وسقطت ، ولم يبق فيها جدار واقفاً ، سوى الأساس » . وقد كان لهذه الفاجعة صدى تردد فى جميع انحاء الامبراطورية الرومانية ، مما دفع شاعراً إغريقيا آخر ( اسباني ) الى رثاء بيروت بقصيدة قال فيها : « هانذا .. المدينة التاعسة .. كومة من خراب ، ابنائي أموات يا للحظ العاثر المشؤوم ، إلهة النار احرقتني بعد ان هزت إلهة الزلزال اركاني ، يالتعاستي ، بعد ان كنت مجسم الجمال ، غدوت رماداً ، هل تبكون على ايها العابرون السائرون فوق اطلالي ، هل تسكبون على دمعة حزن ، هل تاسون لمجد بيروت .. بيروت التى لا وجود لها بعد .. ايها الملاح لا تمل بشراعك نحو شاطيء ، ولا تنزل شراع مركبك ، فان المرفا الأمين قد أصبح ارضاً يباباً ، وأصبحت بيروت لحداً موحشاً .. مل عني سر الى الموانىء الفرحة التى لا تعرف البكاء ، الى موانئها سر على صوت قرع المجداف ، هكذا شاء الاله بوسيدون ، إله البحر والزلازل ، وهكذا شاءت الآلهة السمحاء .. وداعاً يا ملاحي البحار ، وداعاً أيتها القوافل الآتية من وراء الجبال » .

اما بالنسبة لآخر زلزال ضرب المدينة ، فقد وقع فى ١٦ آذار ( مارس ) ١٩٥٦ ، وقد نجت منه بيروت بأعجوبة ، لكنه أسفر عن أضرار جسيمة فى قرى الجبال المجاورة .

## بيروت خلال الحروب الصليبية

كانت بيروت قد صالحت الصليبيين حين مرورهم أمام المدينة فى عام ١٠٩٩ ، وقدمت إليهم بعض المساعدات ولم يعترض الامراء التنوخيون ( بني تنوخ ) فى الغرب سبيل القوات الصليبية الغازية والمتوجهة نحو فلسطين ، ولكنهم فى السنة التالية ، حين مرور « بودوان » — أحد قادة الحملات الصليبية . بالساحل اللبناني متوجهاً الى القدس ، وبعد وفاة شقيقه ، كمن له التنوخيون بقيادة الأمير عضد الدولة علي ، وذلك بتحريض من الملك السلجوقي فى دمشق — الملك دقاق ، فكانت معركة نهر الكلب بين الفريقين لكن بودوان نجا منها واكمل طريقه الى فلسطين . وقد تركت جراة عضد الدولة التنوخي أثراً مستحباً لدى السلاجقة ، فولاه الملك دقاق بالاضافة الى إمارة الغرب وبيروت ، إمارة صيدا ، وأمره بتحصين البلدتين . وكانت بيروت تتلقى مساعدات متواصلة من سلاجقة دمشق ومن الأسطول الفاطمي فى البحر . ويبدو أن وجود التنوخيين فى الجبال المشرفة على بيروت منع الصليبيين من محاصرتها كما فعلوا بمدينة طرابلس ( بشمال لبنان ) ، ولذلك مرت الفترة الأولى من الوجود الصليبي فى الشرق ( حوالي عشر سنوات ) دون ان تقع حوادث مهمة بالنسبة لبيروت ، ولكن سقوط مدينة جبيل فى سنة ١١٠٤ قرب الخطر الصليبي من بيروت ، وعندما سقطت طرابلس انتقل النشاط الصليبي نحو الجنوب ، وفى الوقت ذاته وصلت قوة بحرية فاطمية كبيرة لتنجد السواحل اللبنانية ( وصلت بعد ثمانية ايام من سقوط طرابلس ) ، فابعدت هذه القوة بشكل مؤقت خطر سقوط بيروت وصيدا ، حتى كانت سنة ١١١٠ .

بدأ الصليبيون هجومهم على بيروت فى شباط ( فبراير ) عام ١١١٠ بزعامة بيرتران دي سانجيل بمساعدة الملك الصليبي بودوان ، ويصف المؤرخون حصار بيروت وسقوطها بيد الصليبيين على الوجه التالي :

« شرع الصليبيون فى بناء برج ونصبوه على سور بيروت ، ولما اتموا صنعه زحفوا به ، ولكن أهل بيروت قذفوه بحجارة المجانيق فكسروه ، فشرع الصليبيون فى بناء غيره ، وتمكن بيرتران من صنع برج آخر ، ثم وصل أسطول فاطمي كبير مؤلف من ١٩ سفينة حربية ، فتغلب على مراكب الفرنج ( الصليبيين ) واستولى على بعضها ، وبذلك تمكن المصريون ( الفاطميون ) من فك الحصار عن بيروت ومدها بالمؤن ، فارتفعت معنويات أهل المدينة ثانية ، وفشل الحصار الصليبي » .

ولكن الملك بودوان استنجد بالأمراء الصليبيين وبالسفن الجنوية ( نسبة لمدينة جنوا الايطالية ) ، فقدمت اربعون سفينة جنوية وقدم الموارنة من الشمال ، كما قدمت قوات صليبية من جنوب لبنان ،

وقد ركز الصليبيون هجومهم على منطقة الغرب أولا ( اى منطقة عالية – سوق الغرب الجبلية ) ، فسيطروا على المنطقة وقتلوا عدداً كبيراً من اهلها ، وفى الوقت ذاته جرت معركة بحرية بين الأسطولين الجنوي والمصري ، فانتصر الأسطول الجنوي ، وبذلك انكشفت بيروت بحراً وجواً ، مما ساعد الصليبيين على تشديد هجومهم ، وتمكنوا من احتلال بيروت فى ٢٧ نيسان ( ابريل ) من عام ١١١٠ ، بعد ان دام حصارها حوالى شهرين ، شهدت المدينة فى نهايتهما مذبحة رهيبة قام بها الصليبيون ، ولم تستقر الأوضاع فى المدينة إلا بعد جهود مضنية بذلها الملك بودوان – كما تزعم بعض المراجع التاريخية .

وبقيت بيروت فى ايدي الصليبيين حتى حررها منهم المماليك ، فى عام ١٢٩١ ، حيث أرسل السلطان الاشرف خليل قائده سنجر الشجاعي الى بيروت ، فاخذها سلماً واجلى عنها الصليبيين الى دمشق ثم الى مصر ومنها ارسلهم الى قبرص ، وقد هدم المماليك تحصينات بيروت بعد استيلائهم عليها .

## بيروت فى الحرب العالمية الأولى

عرفت بيروت أول نشاط عربي قومي وسياسي منظم فى تاريخ العرب الحديث ، فى عام ١٨٧٥ ، حيث أنشأ عدد من الشبان الذين كانوا يدرسون آنذاك فى الكلية البروتستنتية ببيروت ( أصبحت تعرف فيما بعد بالجامعة الامريكية ببيروت ) ، انشأوا جمعية سرية ، هى الأولى من نوعها فى العالم العربى فى تلك الفترة ، وكان هدف الجمعية حض العرب على مقاومة السياسة العثمانية ، وقد تجلى نشاط هذه الجمعية السرية بصورة خاصة فى لصق المنشورات على جدران بيروت فى هداة الليل ، مما شجع الشبان العرب فى دمشق وطرابلس وصيدا على القيام بعمل مماثل . وكانت تلك المنشورات تتضمن تنديداً عنيفاً بمساوىء الحكم التركي ، وتهيب بالسكان ان يثوروا عليه ويطيحوا به ، مما اصاب حكام القسطنطينية بالذهول ، ودفع بهم إلى إنزال جام غضبهم وبطشهم ضد الابرياء ، لعجزهم عن اكتشاف أعضاء الجمعية السرية التى بقيت دون اسم معين .

وقد ورد فى المنشور الثالث الذى الصق على جدران بيروت فى ليلة ٣١ كانون الأول ( ديسمبر ) ١٨٨٠ – كما يقول جورج انطونيوس فى كتابه « يقظة العرب » – ورد فيه برنامج قال واضعوه « اننا سننفذه ولو بحد السيف اذا اقتضى الأمر » ، وأهم النقاط فى ذلك البرنامج : منح سوريا الاستقلال متحدة مع جبل لبنان – الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد – رفع الرقابة والقيود الأخرى التى تحد من حرية التعبير ونشر التعليم – استخدام القوات المجندة من أهل البلاد فى المهام العسكرية الداخلية فيها فقط .

اما فى السنوات التالية التى سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى فقد كانت بيروت والقاهرة مركزين لألوان من النشاط الثقافى والسياسي كان له دوي ورجع صدى فى سائر العالم العربى . وخلال السنوات ١٩٠٩ – ١٩٠٣ ، تأسست ثلاث جمعيات سرية عربية مناهضة « لسياسة التتريك العثمانية » هى : « الجمعية القحطانية » و « المنتدى الادبي » و « جمعية العربية الفتاة » ، التى أسسها طلبة عرب كانوا يدرسون فى باريس فى عام ١٩١١ ، وبعد تخرجهم وعودتهم الى بلادهم نقلوا مركزها الى بيروت فى عام ١٩١٣ . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى بين دول المحور ( ومنها تركيا ) والحلفاء ، تصاعد خوف العثمانيين من نشاط الوطنيين العرب المطالبين بالحرية والاستقلال ، فخنقوا الحريات وفرضوا رقابة شديدة على المطبوعات – وخاصة فى بيروت – وبثوا

## بيروت .. أهم الأحياء والشوارع

خلال الحرب الأهلية ثم خلال الغزو الاسرائيلي ، طغت على وسائط الاعلام اسماء عشرات الأحياء والشوارع فى مدينة بيروت ، وخاصة فى القطاع الغربي منها بفعل الحصار والغارات والقصف الاسرائيلي المتواصل الذى شعل فى الثامن من آب ( اغسطس ) الماضي ٢٤ حياً ، والتي تلقت حوالي خمسين الف قذيفة اسرائيلية خلال إحدى عشرة ساعة فقط . وسنحاول فى السطور التالية وضع صورة لهذه الاحياء والشوارع امام القارىء .

منذ نشوب الحرب الأهلية فى عام ١٩٧٥ انقسمت بيروت إلى شطرين : بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، وكان الخط الفاصل ( الأخضر ) بينهما ، والذى مايزال قائماً حتى الآن هو الخط الذى يبدأ من نقطة تقع جنوب مرفا بيروت ، اي من الشارع الذى يلي « بناية فتال » ويصعد بشكل متعرج وضمن شوارع فرعية قصيرة إلى شارع سوق الخضار المجاور لبناية سينما ريفولي ، ومن هناك يصعد الخط بشكل مستقيم تقريباً الى ساحة الشهداء ، فشارع بشارة الخوري ، الى جسر فؤاد شهاب ثم شارع الحرش الذى يوصل الى مستديرة شاتيلا ، وهناك يلتقى « الخط الاخضر» بشارع اخر متفرع عن « جادة سامي الصلح » . لكن « للخط الاخضر » خط فرعي يبدأ بطريق الشام ابتداء من ساحة الدبلس وصعوداً إلى طريق رأس النبع – فرن الشباك ويمر هذا الخط ببوابة او ممر المتحف ، وبعد استكمال طريق فرن الشباك يصعد الخط الى منطقة الحازمية ، حيث يلتقى بفرع اخر للخط الأخضر متفرع من شارع صيدا القديم ثم بوابة جاليري سمعان .

اما بالنسبة لبوابات العبور بين قطاعي بيروت الغربي والشرقي فهي اربع : بوابة المرفا – بوابة السوديكو – بوابة المتحف ثم اخيراً بوابة جاليري سمعان ، ونود ان نشير للقارىء الذى لا يعرف بيروت جيداً او لا يعرفها البتة ، ان هذه البوابات ليست بوابات حقيقية ، وإنما هي تقاطعات طرق اخذت اسماءها من مرافق عامة او اسماء حوانيت أو بنايات شهيرة في نفس المنطقة التى تقع فيها ، وعلى سبيل المثال فان بوابة جاليري سمعان اخذت اسمها من حانوت لبيع المفروشات يقع عند تقاطع الطرق بين منطقتي عين الرمانة والحدث .. الخ .

اما أهم الاحياء فى بيروت الغربية فهي ابتداء من ساحل البحر حي الرملة البيضاء ، ويليه حي البونسكو فحي المزرعة حتى مستشفى البربير وشارع المحكمة العسكرية وميدان سباق الخيل الذى ينتهى عند بوابة المتحف ، ويتفرع من حي المزرعة احياء المقاصد والفاكهانى (حيث توجد مقار فصائل المقاومة الفلسطينية إضافة الى مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية) ومخيم صبرا الفلسطينى (وهو عبارة عن شارع طويل يضم بيوت عائلات فقيرة ومبان متواضعة ويتصل حي الفاكهانى بالمدينة الرياضية من الشرق ثم بمخيم شاتيلا الفلسطينى من الجنوب الشرقى) .

وعلى امتداد الشاطىء يطالعنا حي




بيروت ١٩٧٠ : ازدهار وحركة ونشاط

جواسيسهم وعملاءهم لجمع اسـماء الوطنيين وتتبع نشاطاتهم .

وقد وقع بين يدي السلطة العسكرية التركية ( جماعة الاتحاد والترقي ) اسماء عدد كبير من هؤلاء ، فأحال « جمال باشا » اصحابها الى الديوان العرفي فى عاليه – شرق بيروت – الذى غص سجنه بالاحرار العرب ، وكان هذا الديوان عبارة عن محكمة صورية تنفذ أوامر ورغبات جمال باشا – الحاكم العسكري التركي على بلاد الشام أنذاك . وحين مني الجيش العثماني بالهزيمة فى معركة السويس الأولى عام ١٩١٥ ، عزا جمال باشا سببها الى « فرار » اللبنانيين والسـوريين من الجيش ( الجندرمه ) ، والى انصراف رجال لبنان وسوريا عن التعاون معه ، فقرر اعدام عدد من هؤلاء ، وشملت القائمة الأولى منهم ١١ شهيداً ، أعدم ثلاثة منهم فى ساحة البرج ببيروت التى دعيت فيما بعد بساحة الشهداء ، واعدم الباقون فى ساحة المرجة بدمشق بتارخ ٢٠ آب ( اغسطس ) ١٩١٥ . لكن إعدام هذه القافلة من الشهداء أدى الى تاجيج المشاعر الوطنية والقومية لدى العرب ، مما دفع بجمال باشا الذى اصبح يعرف باسم « جمال السفاح » لارتكابه مجزرة جديدة ضد الشخصيات الوطنية ضمت نخبة من الأحرار والمفكرين العرب ، فكانت القافلة الثانية من الشهداء التى ضمت ١٤ شهيداً اعدموا فى السادس من أيار ( مايو ) ١٩١٦ فى ساحة الشهداء ببيروت . وقد جعل اللبنانيون من هـذا اليوم مناسبة لتكريم أولئك الشهداء الأبطال كل عام ورفعوا فى ساحة الشهداء بقلب بيروت نصباً للشهداء تخليـداً لذكراهم . وعندما انتشرت المجاعة فى لبنان فى السنتين التاليتين ، غصت بيروت بالمهاجرين من القرى الجبليـة والجنوب والشمال ، الذين انضموا الى المتسولين فيها الذين كانوا يطوفون الأسواق والبيوت للاستجداء ، وينقبون فى اكوام القاذورات بحثاً عن أى شىء يؤكل ولو كان قشور الموز والبطاطا والليمون . وقد انتشرت الأوبئة والأمراض السارية فى بيروت وكل لبنان ، مما ادى إلى موت أو نزوح ثلث سكان لبنان آنذاك .

## بيروت فى الحرب العالميـة الثانية

خلال الحرب العالمية الثانية ، تعرضت بيروت لكارثة حقيقية بسبب انقسـام

الروشة المجاور لحي الرملة البيضاء ، والروشة معروفة بمطاعمها ومقاهيها وملاهيها الأنيقة والتى لم تكن تنام قبل الحرب ، ويقع خلفها مباشرة حي قريطم الذى يمتد حتى فندق بريستول ، وبعد هذا الفندق يقع حي الصنائع الذى توجد فيه وزارة الاعلام اللبنانية ودار الاذاعة ، ويتفرع من حي الصنائع حي القنطارى ، وهو اخر الاحياء التى تطل على الخط الاخضر فى هذه المنطقة ، اما الى الشرق والجنوب الشرقى فيتفرع حي عائشة بكار وحي الظريف وزقاق البلاط ، ثم البسطة التحتا التى تمتد حتى ساحة رياض الصلح المطلة على الخط الاخضر فى سـاحة الشهداء ، وصعوداً هناك حى البسطة الفوقا وحي المصيطبة الذى يطل على كورنيش المزرعة ونزولا حي الخندق الغميق . وعلى امتداد الشاطىء وإلى الجنوب من حي الروشة نجد منطقة الحمام العسكرى ومدينة الملاهى وبعض المسابح ، ويقع وراء هذه المنطقة حي المنارة فحي رأس بيروت وشارع الحمراء الشهير بحوانيته التجارية الأنيقة ومقاهيه ومطاعمه وملاهيه وفنادقه الصغيرة ، ويتصل حي الحمراء جنوبا بحي الصنائع .

اما على امتداد بقية الشاطىء – اى بعد منطقة الحمام العسكرى – فيواجهنا حي عين المريسة ، الذى يتصل بدوره بمنطقة الزيتونة المشهورة بفنادقها الفخمة «فندق فينيسيا – فندق هولداى إن وقد دمرا» ، كما تشتهر منطقة الزيتونة بالملاهى والمقاهى التى لم تكن تعرف النوم ابداً قبل الحرب ، وتبلغ منطقة الزيتونة نهايتها عند مشارف مرفا بيروت او ما يعرف حاليا ببوابة المرفا .

اما بالنسبة للضواحى ، فاهمها على الشاطىء ضاحية الاوزاعى فضاحية خلده . وأهمها جنوبا ضاحية برج البراجنة القريبة من المطار ، والضاحية الجنوبية تضم فى الواقع عدة مناطق تحيط ببرج البراجنة هى الغبيرى والشياح ، وهذا الحي الاخير ملاصق لطريق صيدا القديم (الخط الاخضر) ثم منطقة الرمل العالي ومخيم برج البراجنة الفلسطينى ، فحي عين السكة ، ومنطقتى الرويس والرادوف ثم منطقة المريجة ، فحي السلم وحي الليلكى ، ومن الجهة المقابلة توجد كلية العلوم – إحدى كليات الجامعة اللبنانية – ويتفرع عن حي برج البراجنة احياء صغيرة اخرى اهمها : حارة حريك ، وبير العبد وحي ماضى .

يبقى أن نشير الى الأحياء المهمة فى بيروت الشرقية الخاضعة لسيطرة حزب الكتائب ، فاهم الاحياء فيها هو حي الأشرفية ، ويشتمل هذا الحى على مجموعة من الأحياء الصغيرة : حي السريان وحي السيوفى ، وحي السيدة ، وحي مار متر .. الخ . وتتصل الأشرفية بحي الجميزة من جهة الغرب ثم بحي مار تقلا ، الذى يذهب شرقا لكى يتصل بدوره بحي البدوى (سكانه فى معظمهم من الارمن) ومن جهة البحر بحي المسلخ والكرنتينا ، وقد مسحت هاتان المنطقتان من الوجود خلال الشهور الأولى للحرب الأهلية فى عام ١٩٧٥ على أيدى الكتائبيين .

اما الضواحى الشرقية لبيروت فهى تلك الواقعة الى الشرق من نهر بيروت وجسر برج حمود ، وهى احياء سن الفيل والدكوانة والزعتر والنبعة وبرج حمود والدورة . وبصورة عامة ، فهذه خارطة عامة لاهـم احياء وشوارع وضواحى بيروت .


الدمار والخراب في حي الرمل العالي قرب مطار بيروت .

القوات الفرنسية بين ديغولية يؤيدها الحلفاء وفيشية تؤيدها دول المحور . وكانت القوات الفرنسية الموجودة فى لبنان وسوريا خلال هذه الفترة من انصار المارشال بيتان ، وكان الجنرال ديغول يرى ضرورة الاسراع فى استرجاع سوريا ولبنان ، قبل ان تصل اليها القوات الالمانية والايطالية ، عبر تركيا التى كانت متحالفة مع ألمانيا انذاك . وقد لبى الحلفاء طلب الجنرال ديغول ، وبدأ هجوم القوات البريطانية والقوات الفرنسية (الديغولية) على لبنان انطلاقاً من فلسطين فى صبيحة ٨ ـ ٦ ـ ١٩٤١ ، وتمكنت هذه القوات من انزال هزيمة قاسية بقوات فيشي ، وبسط سيطرتها على الأراضى السورية واللبنانية فى ٨ ـ ٧ ـ ١٩٤١ ، ثم جرت مفاوضات بين القوات الديغولية والقوات الفيشية فى مدينة عكا الفلسطينية دامت عشرة ايام ، وانتهت بتوقيع اتفاق الهدنة فى ١٤ تموز ١٩٤١ ودخلت الجيوش الحليفة (البريطانية والديغولية ) بيروت فى ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٤١، فيما رحلت قوات فيشي عائدة

إلى فرنسا طبقاً لاتفاق عكا ، وفيشي كما نعرف بلدة فرنسية جعل منها المارشال « بيتان » عاصمة لحكومته .

لكن بيروت قاست الأمرين خلال هذه الفترة ، إذ بينما كانت معارك عنيفة تدور على طول جبهة الدامور الممتدة من الشاطيء الى مرتفعات بلدتي دير القمر وبيت الدين كانت الطائرات البريطانية تغير على بيروت كل ليلة دون انقطاع ، وقد استهدفت هذه الغارات أول الأمر المراكز العسكرية ومستودعات الذخيرة لقوات فيشي ، ثم خزانات البترول فى محلة الدورة والبواخر الراسية فى مرفأ المدينة ، لكن عندما لقيت الطائرات المغيرة مقاومة من نيران المدفعية التى كانت منصوبة فى بعض الأحياء البيروتية ، ومن الدبابات المتجولة فى الشوارع ، كان جوابها ان ألقت قنابلها على المدينة فأصابت قصر الصنوبر ـ وهو حالياً مقر السفارة الفرنسية فى العاصمة اللبنانية ـ وكان هدف الطائرات قتل الجنرال دانتز قائد القوات الفيشية فى لبنان ، لكن هذا كان قد غادر لتوه قبيل الغارة بقليل للمبيت فى مكان آخر ، وقد أصابت الطائرات بقنابلها بناية البلدية ، كما القت عدداً من القنابل على المدينة ، فدمرت منازل عديدة فى أحياء مختلفة منها ، وامام هذه الغارات الوحشية هجر البيروتيون منازلهم هاربين الى الجبال طلباً للنجاة والأمن ، ولم يبق فى بيروت سوى عدد قليل من سكانها .

وكانت وفود البيروتيين خلال هذه الفترة قد طالبت الجنرال دانتز ان يعلن بيروت مدينة مفتوحة ، لانقاذها من الدمار لكن الجنرال رفض هذا الطلب باصرار ، إلا ان تدهور الوضع العسكرى لقواته بعد يومين فقط ، اضطره لأن يطلب وقف القتال .

## بيروت خلال احداث ١٩٥٨

احدث المد الذى رافق الثورة الناصرية فى العالم العربى فى أواخر الخمسينيات ، انعكاساً مثيراً فى لبنان بين مؤيد ومعارض وكانت العاصمة بيروت الضحية الأولى لهذا الانقسام وخاصة بين المسلمين الذين يؤيدون الناصرية ، وبين المسيحيين الذين يعارضونها . أما لبنان الرسمى ( الرئيس كميل شمعون ) فقد كان من أشد المناهضين لتيار الناصرية ، وقد زاد الطين بلة ، اصدار الحكومة قانوناً جديداً للانتخابات النيابية ، مما أثار حفيظة بعض الأقطاب السياسيين كان على رأسهم رئيسا الحكومة السابقين صائب سلام فى بيروت ورشيد كرامي فى طرابلس ، وكان هذا القانون الذى استهدف ضرب القيادات الاسلامية التقليدية والمجيء بنواب موالين للرئيس شمعون ، بداية الشرارة التى اشعلت ثورة عام ١٩٥٨ . وقد اشتعلت تلك الثورة بالفعل أثر حادث اغتيال الصحفي نسيب المتني صاحب صحيفة « التلغراف » المعارضة فى ٨ ـ ٥ ـ ١٩٥٨ ، وبدأت أعمال العنف فى لبنان وكان نصيب بيروت منها الشيء الكثير ، وكانت هذه الأعمال تقوم فى المرحلة الأولى على تفجير العبوات الناسفة فى اماكن غير آهلة خلال الليل ، دون ان توقع ضحايا ، لكنها تبدلت فى المرحلة الثانية ، وصارت العبوات الناسفة تنفجر فى الأماكن الآهلة والمكتظة وفى حافلات الترام والحوانيت ، فتقتل وتجرح دون تمييز .

وقد وقع الصدام الأول فى ٩ ـ ٥ ـ ١٩٥٨ . حيث خرج المصلون من الجامع العمري الكبير بوسط بيروت فى تظاهرة حاشدة ، ومالبث المتظاهرون ان اصطدموا بقوات الأمن مما أسفر عن وقوع ٢٥ قتيلا و ١٦ جريحاً ، وقام المتظاهرون باحراق مكتب المعلومات الامريكي ، والمدرسة الامريكية ، وتبع هذا الصدام حفر الخنادق واقامة المتاريس فى الأحياء الغربية لمدينة بيروت ، وبدأ القتال بين بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، ولم تنته أعمال العنف إلا فى ٣١ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ ، اى بعد وصول المبعوث الامريكى الخاص إلى بيروت « روبرت مورفي » الذى تم بمساعي

الوساطة التى بذلها لدى الزعماء المسلمين، والزعماء المسيحيين ، انتخاب رئيس جديد للجمهورية هو قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب .

وكان الأسطول الامريكي السادس فى البحر المتوسط قد انزل بعض قواته على الشاطىء اللبناني ( فى المنطقة الشرقية ) بتاريخ ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ وذلك تحسباً لأحداث متوقعة فى منطقة الشرق الأوسط فى اعقاب وقوع ثورة عسكرية فى العراق فى ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ .

لكن حصلت بعد انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً ، توترات متفرقة فى بيروت ، كان اشدها واخطرها قيام بعض الموتورين من الانعزاليين فى بيروت الشرقية ، بالرد على احتفال بيروت الغربية بعيد الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢١ ـ ٢ ـ ١٩٥٩ ، بكتابة عبارات مسيئة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومؤيده للرئيس كميل شمعون على حافلة ترام تسير بين المنطقتين الشرقية والغربية ، فكانت ردة الفعل فى بيروت الغربية احراق حافلة الترام ، وقيام تظاهرة غاضبة اتجهت الى ساحة رياض الصلح بقلب بيروت ، حيث أضرم المتظاهرون النار فى حافلة اخرى وحطموا ثالثة ، لكن العقلاء من الجانبين ( المسلمين والمسيحيين ) تدخلوا لوقف تصاعد أعمال العنف ، ونجحوا فى تطويق مضاعفات هذه الحادثة وهدأت الحالة فى بيروت وفى كل لبنان بعد ذلك .

## بيروت من احداث ١٩٧٥ الى الغزو الاسرائيلي

ونصل الآن الى الأزمة الراهنة ، فهذه الأزمة بدأت فعلياً فى لبنان بشكل عام ، وفى بيروت بشكل خاص مع أحداث عام ١٩٧٥ ، وبالتحديد بحادثة « عين الرمانة » الشهيرة ، حيث تصدى مسلحون انعزاليون فى حي عين الرمانة هذا لحافلة ركاب كانت تقل لبنانيين وفلسطينيين كانوا عائدين من المنطقة الغربية من بيروت بعد ان حضروا احتفالا اقامته احدى المنظمات الفلسطينية الفدائية هناك ، نقول كانوا عائدين إلى منازلهم فى مخيم تل الزعتر الذى كان قائماً فى الضواحي الشمالية الشرقية لبيروت . وقد قتل فى تلك الحادثة ثلاثون شخصاً من اللبنانيين والفلسطينيين بينهم اطفال ونساء وشيوخ .

وكانت حادثة عين الرمانة الشرارة التى فجرت الحرب الأهلية فى لبنان ، والتى استمرت سنتين تقريباً ، انقسمت خلالها بيروت إلى شطرين متحاربين : بيروت الغربية وبيروت الشرقية . وكان أصعب ايام هذه الحرب الشريرة ، يوم السبت بتاريخ ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٧٥ ، حيث قامت عناصر انعزالية بقتل أكثر من ٢٠٠ شخص من المسلمين ، بعد ان اختطفتهم من مكاتبهم فى دوائر الحكومة ، وخاصة شركة الكهرباء التى يقع مبناها ضمن بيروت الشرقية ، وقد عرف هذا اليوم باسم «السبت الأسود» وفى مطلع عام ١٩٧٦ وقعت مأساة مخيم تل الزعتر الفلسطيني ، الذى صمد فى وجه الحصار والهجمات الانعزالية عليه أكثر من خمسين يوماً ، وعندما سقط المخيم فى ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٧٦ قام الانعزاليون بمجزرة ضد سكانه قتلوا خلالها آلاف الفلسطينيين دون تمييز .

فى ١ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ ، دخل الجيش السوري لبنان ، وكان هذا اليوم بمثابة منعطف رئيسي فى الحرب اللبنانية ، وكان مفترضاً ان تتوقف الحرب ، لكن تمسك طرفيها بأهدافهما الأساسية ، جعل من المستحيل التوصل إلى تسوية لها على اساس وفاق وطني شامل . وكان احد الأسباب فى انتقال الأزمة من وضعها العسكرى الى وضعها السياسي ، هو وقوف اسرائيل وراء الانعزاليين ، واقتطاعها منطقة الشريط الحدودي تحت ستار كاذب لأقامة دويلة طائفية صغيرة بقيادة الضابط اللبناني المنشق سعد حداد .

وكان الهدف الذى رمت إليه اسرائيل من

## معالم بارزة

تعتبر بيروت مدينة فريدة من نوعها بين العواصم العالمية ، فهى تقع فى تقاطع طرق بين القارات الثلاث : افريقيا واسيا واوروبا ، كما انها ملتقى للثقافتين الشرقية والغربية .

وقد ادى موقعها المثالى على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، حيث تحميها جبال لبنان من الشرق ، الى اجتذاب معظم القادة التاريخيين الذين كانوا يمرون ببيروت وهم فى طريقهم لغزو بلدان اخرى فى اوروبا او اسيا ، ومن هؤلاء : رمسيس الثاني ، وسرجون وداريوس والاسكندر المقدوني ، وقياصرة الرومان ، وصلاح الدين الايوبي ، وتيمورلنك ، وهولاكو ، ونابليون بونابرت ، وقد ترك معظم هؤلاء القادة التاريخيين بصماتهم على بيروت وغيرها من المدن اللبنانية .

ومن المعالم البارزة فى بيروت (الغربية) مطارها الدولي الذى كان يشهد قبيل نشوب الحرب الأهلية مائة رحلة جوية يومياً ، كانت تنطلق الى القارات الثلاث : اسيا وافريقيا وأوروبا ، وكان يعمل فى مطار بيروت ٤١ شركة خطوط دولية للطيران . كما كان فى بيروت ٧٤ بنكا معتمداً بصورة رسمية ، منها ٣٧ بنكا اجنبيا لديها فروع أو ممثلون عنها ، ومعظم هذه البنوك كانت تعمل انطلاقاً من مراكزها فى بيروت (الغربية) .

كما ان من معالم بيروت البارزة جامعاتها وصحفها ودور النشر المختلفة باللغات الثلاث العربية والانكليزية والفرنسية ، ومراكز الابحاث والدراسات ومعظمها يتمركز فى القطاع الغربي من بيروت ، ويكفي ان نشير فى هذا المجال الى ان ثلاث جامعات من اصل اربع جامعات فى بيروت تقع فى القطاع الغربي وهى : الجامعة الامريكية والجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية ، اما الجامعة الرابعة وهى الجامعة اليسوعية ( او جامعة القديس يوسف ) فتقع فى حي الاشرفية بالقطاع الشرقي من المدينة ، وفى بيروت الغربية ايضا مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية . ومن معالم بيروت الشهيرة ايضا متحفها الذى يقع عند نقطة التقاطع بين شطري المدينة ، وهو يضم تماثيل واثارا تعود الى جميع العصور القديمة والوسيطة والحديثة ، ابتداء من الكنعانيين والفينيقيين وانتهاء بالعصر العربي فالعثماني .

وبيروت التى بلغ عدد سكانها قبيل الحرب الأهلية حوالي مليون نسمة تضم الى ذلك عشرات الفنادق والمطاعم واندية اللهو من الدرجة الاولى .

وراء دعمها للانعزاليين هو إبقاء الجرح اللبناني مفتوحاً ، ليتسنى لها أن تلعب فيه ساعة تلوح لها فرصة مناسبة ، ولكي تقوم بمحاولة القضاء على المقاومة الفلسطينية وقياداتها ومؤسساتها فى بيروت ، والقضاء على بيروت نفسها التى تعتبر مفتاح لبنان الحضاري ، ووجهه العربى المشرق .

وقد ظنت اسرائيل ان هذه الفرصة ، لاحت أمامها فعلا فى السادس من حزيران ( يونيو ) ١٩٨٢ ، متخذة من محاولة اغتيال سفيرها فى لبنان على أيدي عناصر فدائية قبل ذلك التاريخ بيومين فقط ، ذريعة لشن هجوم شامل على لبنان .

وبعد احتلالها لمنطقة الجنـــوب بصعوبة بالغة ، بسبب المقاومة العنيفة التى واجهتها فى صور ثم فى صيدا ، اندفعت الى الشمال نحو الدامور ، وبعدها نحو ضواحي بيروت فى خلده ثم الاوزاعي كما اندفعت إلى منطقة بعبدا والحدث وممر غاليري سمعان كما تقدمت قـــوات اسرائيلية مدرعة جاءت من ميناء جونيه الذى يسيطر عليه حزب الكتائب الانعزالي وتابعت تقدمها الى بيروت الشرقية وسط ترحيب حار من الانعزاليين ، ووصلت الى بوابتي بيروت الاخريين فى منطقة المتحف ثم منطقة المرفا، وبذلك احكمت الحصار على بيروت الغربية والقوات الفلسطينية – اللبنانية – السورية المشـتركة فى المدينة .

وكان أشد أيام الحرب هولا بين القوات المشتركة وقوات العدو الاسرائيلي ، عندما شن الاسرائيليون هجوماً شاملا على بيروت الغربية بتاريخ ١ – ٨ – ١٩٨٢ ، واشتد هذا الهجوم فى يومه الرابع ، لكن اعنف ايامه كان فى ١٢ – ٨ – ١٩٨٢ ، حيث اشتركت القوات الاسرائيلية البريه والجوية والبحرية فى هجوم صاعق من جميع الجهات على المدينة المحاصرة ، وقامت أكثر من ٦٠ طائرة اسرائيلية خلاله بأكثر من مائتي غارة على مدى احدى عشرة ساعة متواصلة ، وكانت نتائج هذا الهجوم سقوط أكثر من خمسمائة شخص ما بين قتيل وجريح فى بيروت الغربية ، اضافة إلى تدمير ستمائة منزل وتصدع اكثر من الف منزل اخر .

لكن الهجوم فشل فى تحقيق الهــدف الرئيسي منه ، ألا وهو اقتحام معاقل القوات الفلسطينية والقوات المشتركة وتدميرها ، وامام هذا الاخفاق والفشل لم يجد العدو الاسرائيلي امامه من سبيل سوى الاذعان للمفاوضات السياسية والحل السياسي لأزمة بيروت .

## خلاصـــة :

لقد صمدت بيروت أخيراً وقـــاتلت بأسنانها وأظافرها ، ورفضت الاستسلام والخنوع والركوع أمام الأعداء ، وكانت هذه سنة بيروت وشرعتها ومذهبها فى الحياة والصراع ، وكانت بيروت العظيمة تؤمن بعد كل هذا أنها إذا كانت يجب ان تموت ، فلتمت واقفة رافعة الرأس ، لكي تتعلم الأجيال الصاعدة من البيروتيين أبداً أن الحياة وقفة عز فقط .

عصام شريح

## الميثـــــاق الوطـــــني

يجمع معظم الباحثين في الشـــؤون اللبنانية ، على أن الحرب الأهلية التى هبت نارها على بيروت فى نيسان ( ابريل ) ١٩٧٥ وانتقلت منها الى جميع أرجاء لبنان ، انما كانت بسبب اختلال التوازن فى الحقوق والواجبات بين المسلمين والمسيحيين ، حيث اعتبر المسلمون الميثاق الوطني الذى كان بمثابة « الوثيقة الدستورية » التى حكم لبنان بموجبها منذ عام ١٩٤٣ وحتى انفجار الحرب الأهلية ، لم يعد صالحاً ولا كافياً لتحقيق العدالة والمساواة بين الطوائف سواء على صعيد الحكم والسلطات العليا فى البلاد ، أو فى مجالات الحياة العامة .

ولذلك كنا نرى المسلمين يرفعون شعاراً اساسياً بالنسبة إليهم قبل الحرب الأهلية ، وهو « المشاركة فى الحكم » ، حتى ان احد قادة المسلمين السيد ابراهيم قليلات اعلن فى الشهر الماضى ان « حركة المرابطين » التى يتزعمها لن تتنازل عن مبدا المشاركة فى الحكم وعن المطالبة بتغيير ميثاق عام ١٩٤٣ ، بحيث يصبح من حق المسلمين ان تكون رئاسة الجمهـــورية لهم وليس للمسيحيين ( الموارنة ) كما هو الحال فى الميثاق القديم ، لأن المسلمين يمثلون اكثرية الشعب اللبناني .

اما الميثاق الوطني نفسه ، فليس له صيغة معينة مكتوبة ، وانما هو عرف جرى الالتزام به ، بحيث يجري توزيع السلطات فى الدولة اللبنانية على اساس حصص طائفية ، فللموارنة رئاسة الجمهورية ، وللسنة رئاسة الحكومة ، وللشيعة رئاسة مجلس النواب ( البرلمان ) ، وللكاثوليك ( أو الروم ) وزارة الخارجية ، وللدروز وزارة الدفاع .

اما فكرة الميثاق الوطني ( غير المكتوب ) فقد لخصها السيد إميل البستاني فى عام ١٩٥٨ بما يلي :

إن المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم فى عام ١٩٤٣ على الاستقلال عن فرنسا والتعايش المشترك ، قبلوا بما يلي :

يتخلي المسيحيون عن مشـــاريعهم الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الأجنبية ، ويوافقون على التعاون مع الدول العربية ، مقابل تنازل المسلمين (والعروبيين) عن مطالبتهم بضم لبنان او اجزاء منه الى كيان عربـــى أكبـــر .. اى ان المسيحيين بتخليهم عـــن فكـــرة الحمايـــة الأجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان ( فى حدود لفظية ) ، فيما تخلى المسلمون عن فكرة ضم لبنان لكيان عربي أو سوري ، وقبلوا بلبنان فى حدوده الراهنة وطناً نهائياً لهم .

# دوحة الماضي

## مختارات من المجلات الأدبية القديمة

● ولا ساجل عني ●● من فكاهات العهد التركي في بغداد
●●● اللورد لويد والاسلام ●●●● الحمد لله على نعمة الاسلام

# طال بعدك ولا ساجل عني

أكتوبر ١٩٤٣

بقلم : زكي مبارك



تقدم محطة الاذاعة من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى ليلة أشياء تسميها الأغاني الشعبية ، وهى اغان يغلب عليها السخف ، لأنها تحاول دائماً أن تجعل لغة الشعب المصري لغة بعض أبنائه من أهل الصعيد ( !؟ )

والخطأ ظاهر فى هذه المحاولة ، لأن اللغة العامية للشعب المصري هى لغة أهل القاهرة ، كما أن اللغة العامية للشعب الفرنسى هي لغة أهل باريس .

وقد كان للصعايدة لغة خاصة يوم كانوا لا يتصلون بالعاصمة إلا بعد سفر يطول حتى يخترم أسابيع وأسابيع ، فكيف تكون لهم لغة خاصة بعد أن صارت المسافة بين القاهرة ودمياط إلا بدقائق ، والمسافة هنا وهناك يقطعها القطار فى مدة أقصر مما بين « باريس » و « ليون » ؟ .

سمعت فى مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول « سبتمبر » مغنياً يقول :

« طال بعدك ولا ساجل عني »

و « ساجل » هي « سائل » فهل سمعتم فى أي أرض عربية أن الهمزة تنطق جيماً إلا على السنة الجهلة من أصحاب الأغاني الشعبية فى محطة الاذاعة المصرية ؟ . (١)

إن لغة الخرطوم هي لغة القاهرة بالضبط الصحيح ، فهل ترون الخرطوم أقرب إلى القاهرة من أسيوط ؟ .

**اتقوا الله ياجماعة المتحذلقين من انصار العامية ، فما يقول « ساجل » وهو يريد سائل إلا سخيف بلغ سخفه حد لا يطاق .**

« طال بعدك ولا ساجل عني »

ذلك ما هتف به مغن فى محطة الاذاعة ولي عليه شهود ، فماذا يبتغى هذا الظريف ؟ أيزعم أن الصعايدة يجعلون الهمزة جيماً وذلك زعم سخيف ؟

إن لغة المصريين ارتقت رقياً عظيماً ، وصار فى مقدور صغار العوام عندنا أن يفهموا ما تنشره أعظم المجلات الأدبية بأيسر مجهود .

ولكن محطة الاذاعة لا تفهم هذا القول .

وأين محطة الاذاعة ؟ حدثوني فقد غاب عنوانها عني !

إن جاريت المطرب الذى فرحت به فهي محطة « القذاعة » بالقاف ، ولن التفت إلى « سقالها » إن وجهت إلي « السؤال » !

الاغاني الشعبية فى محطة الاذاعة هي ردة سخيفة إلى عهود لا نحب أن تعود .

إن كانت محطة الاذاعة تريد أن تكون محطة بهلوانية فهي وما تريد ، على شرط أن تصرح بأن أغانيها الشعبية عبث أطفال .

الجد هو دستور الحياة ، ولو كان فى صورة الهزل ، فجدي يامحطة الاذاعة تكوني صوت الحق فى هذه البلاد .

زكي مبارك
أكتوبر ١٩٤٣

---

هامش :

١ - « بعض الصعايدة يقلبون القاف جيماً ، وليس الهمزة »

# من فكاهات العهد التركي في بغداد

بقلم: أحمد حسن الزيات
يوليو ١٩٣٩



احمد جسن الزيات

تركية القديمة ـ غفر الله لها ـ كانت فى دول الأرض معنى من معانى الارهاب حروف لفظه السم واليم والسجن والسيف والسوط ! جمعت فى يدها القوية اطراف الشرق والغرب ، ثم ادارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لجلالها الوجوه ، وخشعت لسلطانها الأفئدة ؛ ولكنها لم تستطع ان تثبت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب ، فظلت واقفة أمام شعوبها الثائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف ، فحرمها نلك الموقف نصيبها من طمانينة السلم ومدنية العلم ونعمة الثقافة . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة وينشرون الرهبة ويحصدون الأموال والأنفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل . فاذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أوفى الاصلاح دل على فهم بليد وغفلة عجيبة !

كنا ذات يوم نتحدث فى هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس فى ندوة السيد صبحى الدفترى محافظ بغداد يومئذ ، وهى ندوة تقوم فى داره المضياف ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع فيندو اليها الوزراء والزعماء والأدباء والقادة فيكون لكل طائفة منهم حلقة وحديث . ولكن الزهاوى إذا تكلم اصغت إليه الدار وتحلقت عليه الندوة ؛ لأن جميلا كان آية الله فى فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة العبث . وكان له فى إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان المشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع .

* * *

كان الحديث أول ما بدا دائراً بينى وبين السيد ناجى الأصيل على أن الحرب وأوزارها استقلت بمواهب الترك فلم تدع لهم كفاية للسياسة والثقافة ؛ واخذنا نضرب الأمثال على ذلك مما جرى فى العراق ومصر . وكان المرحوم الزهاوى بجانبى ، ولكنه كان مشغول

الأذن بكلمة منافقة فى العقاد والرصافى ألقيت اليه فى خفوت وخبث . فلما تشربها سمعه واجاز عليها القائل ببسمة وهزة وسيكارة ، اقبل علينا فسمع طرفاً من الحديث نبض له نابضه فقال : هوهوه ! إذا حدثتك مولانا عن حمق الولاة من الترك لا ينتهى الحديث ولا ينقضى العجب !

ثم أرسل نكتته الحاضرة وضحك ضحكته الساخرة فتنبه المجلس الى ان الزهاوى سيتحدث ، فسكت المتكلم وأصغى المستمع وتهيات النفوس للسرور الشديد والضحك المتصل ، واخذ الشاعر يقول :

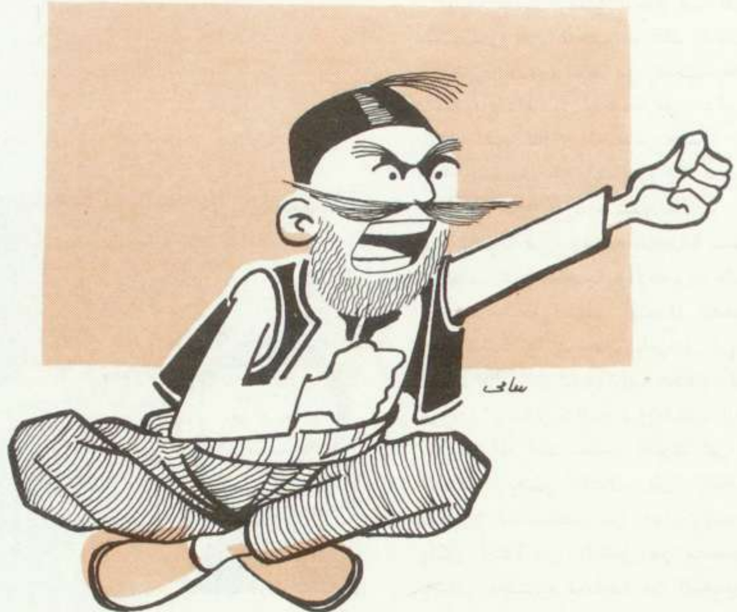
أرسلت الينا الدولة العلية بعد جفاف الريق والمداد من شكوى الجهل والفساد ، والياً يسير بالعراق فى طريق العمارة والعلم ، فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل . وكان لي يومئذ يد فى ادارة التعليم كما تريده الدولة ، فقال لي الوالى ذات يوم : إنا نريد أن ننشىء مدرسة للبنات فابحثوا عن دار تصلح ان تكون لها مكاناً . وكان تعليم البنت فى ذلك العهد املا من امال المصلحين تتقارع حوله الأقلام بالحجج فى غير طائل . فقلنا إن الرجل رحب الباع فى الاصلاح ، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة ، فكان كلما دخل داراً قال إن الأبصار تجرح البنات من هنا ، والأسماع تسرق الأصوات من هناك ؛ حتى لم يدع فى بغداد داراً إلا عابها هذا العيب من طريق التوهم أو التخيل ! وظهر من تصرف الرجل أن به بلاهة وغفلة ، فخطر لي أن أتداعب عليه لأكشف حاله للناس فلا يستنيموا الحكمة . فقلت له : افندم ! لم يبق فى البلد كله إلا مكان واحد أرجو أن يقع من هواك موقع الرضى . فقال : امض بنا اليه . فذهبت به الى (منارة سوق الغزل) وصعدنا فوقها ، فلم تكد قدمه تستقر على شرفتها العليا ، وعينه تقع على سطوح بغداد وهى متطامنة تحت المأذنة العالية ، حتى شهق من الفرح وصاح بملء فيه : نعم ! نعم ! هذا هو المكان المناسب !

ثم نزل وفى نيته أن يتخذ الأهبة من المقاعد والأدراج ليفتتح المدرسة ! فقلت له : مولانا ! لابد أن تجمع الناس قبل الافتتاح لتقنعهم بتعلم بناتهم فانهم سيئو الراى فى ذلك التعليم . ونجاح الأمر موقوف على أن يعتقدوا فيك التقى والورع . وسادلك على اقرب الطرق لتحقيق هذا الاعتقاد :

إذا اجتمع الناس واكتظ بهم الديوان جلست أنت فى الصدر ، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف ؛ ثم تشعل (شبقك) وتامر كلا منهم ان يفعل فعلك ؛ ثم تبتدىء فتذكر الله بصوت موقع على ضربات كفى وانت تميل رأسك من الشمال الى اليمين تارة ، ومن الخلف الى الأمام تارة ، وانا والحافون من حولك نتابعك فى كل كلمة وفى كل حركة . ثم حاول أن تاخذك الحال ويستخفك الذكر ؛ فكلما ازبد الفم وارعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم ، كان ذلك أحمل للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتقودهم صاغرين الى ما تريد .

وصدق الوالى كل ما قلته له تصديقاً لا تتخالجه فيه شبهة . وجاء يوم الجمع واحتشد الأعيان والوجوه يسمعون ماذا يقول الوالى . وجلس الباشا وانا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله ، وامر فاشعلت (الغلايين) الطويلة ، واخذ يذكر ويترنح وانا أرسم له ، والشيوخ يذكرون معه . ثم غمزته بعد حين فتهور و (تطور) وأرغى .

وتظاهرت انا بجذبة الوجد وسكرة التجلى فقرعت غليونه بغليونى ، ثم اخذت بلحيته البيضاء وراسه الأصلع ففعل بى مثل ما فعلت به ، واخذنا نتدحرج على البساط ، فمرة اكون فوقه ومرة يكون فوقى ، والشيوخ يعجون بالذكر ، والناس يضجون بالضحك ، وانا والوالى قد ملكتنا حميا الولاية فدخلنا فى صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفس . فجلسنا مسترخيين نلهث من الاعياء وكلانا ينظر الى صاحبه نظر الديك المنتوف الى الديك المهيض . وذلك يا مولانا هو الوالى الذى اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض !



# تحذير غريب من عالم أمريكي

## نوفمبر ١٩٣٩

القبلة هى إحدى الطرق الانسانية النفيسة التى ابتدعها الحب ، فما هو تاريخ ظهورها بين بنى الانسان ؟

المعروف عند عامة الناس ان التقبيل نشأ مع الشهوة الجنسية وهذا مخالف للحقيقة ، ويحملنا على الاعتقاد بان هذه العادة لم تكن من الغرائز الانسانية الأولى ، أن كثيراً من الامم لا يعرفها على وجه الاطلاق ، وان بعضها ينظر اليها بالمقت والامتعاض .

ومن المحقق ان قبائل الاسكيمو والمورا لا يعرفون التقبيل . وقد مضت قرون عديدة قبل أن تعرف هذه العادة فى الصين واليابان ، أما فى أيامنا الحديثة فالصينيون يعرفون التقبيل ولا يرون بأساً من انتشاره بينهم ، ولكن اليابان يحرمونه ويبالغون فى تحريمه ، حتى انهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الأفلام الأوربية والامريكية التى تعرض فى بلادهم .

وقد عرضت رسوم رودان فى معرض طوكيو سنة ١٩٤٢ فظهرت جميع رسومه المشهورة ما عدا اللوحة التى تحمل صورة القبلة فقد القى عليها غطاء كثيف . وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك فاجابه رئيس البوليس بان مجموعة رودان كان من الواجب أن توضع جميعها تحت غطاء من اجل صورة القبلة فالتقبيل عادة أوربية ممقوتة تمنعها اليابان بأى ثمن ، ولولا عظمة رودان وما له من الشهرة بين أمم العالم لمنعت جميع رسومه من الدخول الى اليابان لأجل هذه الصورة .

أما تاريخ التقبيل فغير معروف على التحقيق وإن كان لبعض القبلات تاريخها وشهرتها ، ومن القبل المشهورة قبلة «فلورنتين» وتنسب الى «نابليون الأول» ، وقد بيعت قبلة واحدة فى إحدى المناسبات بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه ، وكان ذلك فى البرت هول سنة ١٩١٥ فى حفلة لاعانة الجرحى عرضتها الممثلة المشهورة «مورلوب» عن طريق المزايدة ؛ فلما وصلت المبالغ المعروضة الى ٨٠٠٠ جنيه كف جميع المتنافسين عدا اثنين هما الثرى الكبير هتشنسن ودوق ارسنت البانز ؛ وقد فاز الدوق فى النهاية بهذه القبلة . ومما يذكر فى هذه المناسبة أن الدوق طلب الى الممثلة ان تقبل ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بدلا منه ...



وتعد القبلة فى بعض احياء الولايات المتحدة عملا مخالفا للصحة ، وتعريض صحة انسان ما للمرض جريمة يعاقب عليها القانون . اما اغتصاب القبلة من امراة اية كانت فهو عمل يعاقب عليه القانون فى سائر الاحوال .

وإذا كانت القبلة اليوم هى التعبير الجسدى عن الحب ، فقد كانت فى الأزمان الخالية نوعاً من التحية فحسب كالتلويح بالمنديل للمسافرين ، وقد ظلت كذلك الى القرن الخامس عشر ، وكان يباح للضيف ان يقبل زوجة مضيفه ، وكل فرد من أفراد عائلته .

وكانوا فى روما القديمة يقبلون لأسباب غير التحية والاحترام فقد كان النبيذ محظوراً على النساء تعاطيه ، ومن ثم كانوا يبيحون للرجل ان يقبل المراة إذا كانت له بها اية علاقة ، ليتاكد من أنها لا تشرب النبيذ وتخالف القانون

وقد قام احد علماء اميركا فى الأيام الأخيرة يحذر العالم من التقبيل ، ويعلن انه ينقص من أجل الانسان ، ولكن احداً من الناس لم يصدقه أو يجعل لتحذيره نصيبه من التقدير .

# اللورد لويد والإسلام

يوليو ١٩٣٩



اللورد لويد جورج
خطبة فى لندن عن التطور الاسلامي

القى اللورد لويد خطبة فى اجتماع عقد بلندن فى الأسبوع الماضى قال فيها : يجب على الحكومة ، حينما تبحث المسالة الفلسطينية أو مخاوف مسلمى الهند من الاضطرابات التى يثيرها الهندوكيون ، أن تبحثها على ضوء الاعتبارات التى شهدناها فى العشر أو الخمس عشرة أو العشرين سنة الماضية والتى تدلنا على أن العالم الاسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الاسلامى العظيم من قوة ، مضافاً الى التعاليم الحديثة .

وختم اللورد لويد خطبته قائلا : «إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الاسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حساباً دقيقاً» .

# الحمد لله على نعمة الإسلام

أغسطس ١٩٣٩

امتاز الاسلام من بين سائر الديانات بميزة جميلة جداً ، هي رفع الوساطة بين الله والناس ، فلكل مسلم الحق فى أن ينظر إلى الله والوجود كيف شاء فى حدود المنطق والعقل ، ومن حقه ان يخاطب الله بلا وسيط من الأشياخ او الأحبار أو الرهبان .

اقول هذا وقد قرات في «الرسالة» كلمة يقول كاتبها إن من حقي أن اتكلم فى الأدب لأني دكتور فى الآداب ، وليس من حقي ان اتكلم فى الدين لأني لست دكتوراً فى الدين .

وهذا الكلام يدل على ان قائله بعيد عن فهم الغرض من الرسالة الاسلامية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام بعث لرفع الكلفة بين الناس وبين خالقهم ، بعد ان كانوا يتوهمون ان بينهم وبينه حجاباً لا يرفعه غير الأحبار والرهبان .

ولو اني انتظرت الاذن من رجال الدين لكان من المحتوم ان تضيع الجهود التى بذلتها فى الدراسات الاسلامية ، وهي جهود سالقي بها الله وانا مرفوع الراس ، لأنه عز شانه لا يضيع أجر المحسنين .

والذين استكثروا ان اتكلم في الدين فاتهم اني صححت أشنع خطأ فى تاريخ التشريع الاسلامي حين بينت بالأدلة والبراهين ان كتاب « الأم » لم يؤلفه الشافعي ، وإنما الفه البويطي المصـري ، وتصرف فيه الربيع بن سليمان .

وهم كذلك ينسون اني صاحب كتاب « التصوف الاسلامي » وهو كتاب سادخل به الجنة وسادخل معي على حسابه الوفا من الأدباء المحرومين ، كما أوحى الله الى الزيات أن يقول ، وهو رجل صادق الايمان ، ورجاؤه فى الله مقبول .

والحق اني أعجب من الذين يصرون على التشكيك فى عقيدتي . فلو كانت قلوب هؤلاء عرفت معاني النور لعرفوا أن في مؤلفاتي نفحات هي أنفاس حرار من وهج الايمان الصحيح .

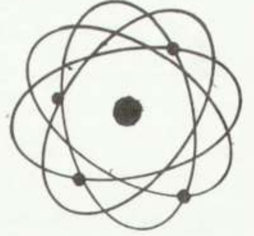
وما يهمني أن ازكي نفسي ، فالله يعلم ما بينه وبيني ، وإنما يهمني أن يقلع بعض الناس عن اغتيابي فى السر أو مهاجمتي فى العلانية فى امور متصلة بالدين فاني اخشى ان يغضب الله عليهم فلا يبوءوا بغير الخسران .

وإني لخليق بأن ارجو لهم المغفرة متمثلا بالقول المنسوب إلى الرسول :

« اللهم اهد قومي ، فانهم لا يعلمون » .

وإلى الله ارفع الرجاء فى أن يصيرني من المعفو عنهم ، وأن يجعلني بفضله من عباده الصالحين ، وأن يمنحني من العافية كما أملك به الصبر على خدمة الأدب والدين .

زكي مبارك



# العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

## ● التليفزيون ـ الساعة ●

ابتكرت الصناعة اليابانية اصغر جهاز تلفزيون في العالم ، فهو ساعة معصم مزودة بشاشة تلفزيونية ابيض واسود مصنوعة من البللورات السائلة ، ولا تتعدى مساحة شاشة هذا التليفزيون ثلاثة ارباع البوصة فى بوصة واحدة ، ووزن التليفزيون والساعة معاً اكثر بقليل عن وزن الساعة التقليدية .

ويقترن تشغيل هذا التليفزيون الساعة بزوج من السماعات الستريو الخفيفة الوزن وتتصل هذه السماعات بجهاز استقبال وزنه سبع أونصات هو وحدة البطارية . وبدون جهاز الاستقبال الصغير يتحول التليفزيون ـ الساعة الى ساعة رقمية لها شاشة مستقلة لعرض التاريخ .

واستخدمت الشركة اليابانية المنتجة لهذا التليفزيون تكنيكاً مختلفاً عن انبوبة اشعة كاثود التقليدية حيث زودت هذه الساعة بشاشة مسطحة تستهلك كمية اقل من الطاقة صنعت من البللورات السائلة .

كما انها ركبت الشاشة مباشرة فوق رقيقة كومبيوتر صممت خصيصا لهذا التليفزيون بدلا من وضع الدوائر الالكترونية حول الشاشة . وتتحكم هذه الرقيقة الصغيرة فى حوالي ٣٢ الف عنصر من عناصر الصورة على الشاشة فان الصورة واضحة تماما بحيث تتيح للمشاهد قراءة اية كلمات مكتوبة بسهولة ويسر . ومن المتوقع أن يطرح هذا التليفزيون ـ الساعة فى الأسواق مع بداية عام ١٩٨٣ .

## ● أصغر آلة كاتبة حاسبة ●

يقدم اليابانيون اصغر آلة كاتبة إذ لايزيد وزنها عن خمسة أرطال بحيث يمكن حملها بسهولة فى حقيبة أوراق عادية فان عمقها ثمان بوصات وارتفاعها بوصتان وبالتالي فهي تستحق لقب ارق آلة كاتبة .

إلا أن حجمها الصغير ليس ميزتها الوحيدة فهي ليست آلة كاتبة عادية ، فهي تضم ذاكرة اليكترونية تتسع لستة عشر حرفاً . كما أنها مزودة بشاشة رقمية صغيرة . وهي تستطيع القيام بالعمليات الحسابية البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة مثلها مثل اية آلة حاسبة

وتستخدم هذه الآلة الكاتبة الحاسبة شريط كربون صغير ليتناسب مع حجمها ولكنها تستطيع الطبع بدونه كطباعة حرارية ، كما انها تتميز بصوت خافت فهي لا تسبب الضجيج الذى تحدثه الآلات الكاتبة عادة فهى اقرب لأن تكون صامتة .

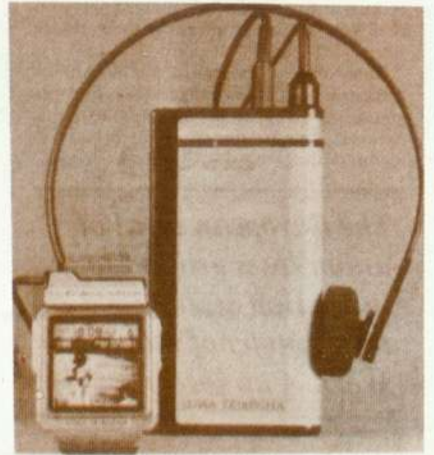
وهي أول آلة كاتبة بهذا الحجم تعمل بالكهرباء إذ يكفي لتشغيلها أربع بطاريات كما يمكن توصيلها بالتيار العادى .

## ● فانوس سحرى مزدوج العدسات ●

كلنا نعرف الفانوس السحرى العادى فهو من اوائل الأجهزة المرئية ، ولكن هذا الفانوس السحري مزود بمجموعة بصرية مزدوجة بحيث يستطيع عرض الشرائح الفوتوغرافية بطريقة المزج اي باحلال صورة محل اخرى تدريجياً كما يمكنه عرض الشرائح بشكل مجسم او بشكل بانورامي مزدوج العرض .

وبالاضافة إلى ذلك فهو مزود بنظام ذاتى لتوزيع واسترجاع الشرائح . إذ يتم ترتيبها تبعاً لترتيب عرضها على الشاشة وهي الطريقة المتبعة فى الفانوس السحري الاحادي العدسة ، إلا أن هذا النظام المبتكر يضم أربعة ممرات متوازية لوضع الشرائح ومتعامدة على محوري المجموعتين البصريتين التى تمر خلالها الشرائح كل اثنتين معاً . وهذه الممرات مزودة باداة توجيه لضبط حركة مرور





الشرائح التى تم عرضها وتقودها الى ممرات الرجوع وبالتالي تعود إلى نفس الخانات التى خرجت منها .

أما عملية المزج فيتم تحقيقها بواسطة ملف مقاومة مزدوج متصل بجهاز اليكتروني

## ● الجيتار الضوئي ●

تؤثر الاختراعات والاكتشافات العلمية على الفنون بوجه عام وعلى الموسيقى بوجه خاص . فلقد أوجـــدت الدوائر الالكترونية المتطورة جيلا جديداً من الآلات الموسيقية الالكترونية ابتداء من الجيتار الى الاورج .

كما أصبح الكمبيوتر من الأجهـــزة الضرورية فى التسجيلات والتوزيـــع الاوركسترالى بل ان الكمبيوتر أصبح فى امكانه التلحين .

والآن وبعد انتشار استخدام الاليـاف الضوئية فى مجال الاتصالات اللاسلكية والأجهزة العسكرية المتطورة جاء دور الموسيقى لتستفيد من هذا الاكتشاف . وبالفعل تم تصميم جيتار اوتاره من الالياف الضوئية .

وتؤكد التجارب التى اجريت عليه ان اوتار الجيتار المبتكرة والتى تعتمد على انتقال النبضات الضوئية أكثر حساسية للترددات العالية والمنخفضة على حـــد سواء كما انها أقل تأثراً بأى مجال كهربى خارجى عن الاوتار المعدنية التقليدية .

ويفضل استخدام كابل من الاليـاف الضوئية ايضا لتوصيل الجيتار بجهاز تكبير الموجات المرتبط به وبمجموعة مكبرات الصوت لانها تنقل الاشارات بدرجة عالية من النقاء ولمسافات أطول من العادية . وإذا زود نظام تكبير الموجـات بمجموعة من الفلاتر الالكترونية يستطيع هذا الجيتار الضوئى تقليد صوت آلات موسيقية أخرى .

ومن المتنظر ان تحل الألياف الضوئيـة مع نهاية العام الحالى محل النظـــام الكهرومغناطيس المستخدم فى الجيتار الكهربى حاليا .



## ● صور تتشكل كما تريد ●

قد يصعب اســـــتخدام الصـــــور الفوتوغرافية فى الديكور والزينة نظراً لسمك الورق الأبيض الذى يمثل دعامة للفيلم الحساس وسهولة تلفه . الا ان احدى الشركات الفرنسية انتجت ورق طبع للصور الملونة يمكن نزعه بعد انتهاء عملية التحميض فالطبقة الحساسة للفيلم صبت فوق طبقه رقيقة جداً من البلاستيك المرن بحيث لا يلتصق هذا الغشاء البلاستيك بورق الطبع الا ســـطحيا وبحيث يمكن فصلهما بسهولة بالبدء من ركن الورقة كما يظهر فى الصورة .

ويمكن لصق هذا الغشاء البلاستكى الذى تستند اليه الصورة بعد ذلك على دعامة من الخشب أو الحجر أو المعدن والعديد من المواد الأخرى . وبما ان الغشاء رقيق ومرن فهو يتشكل بشكل السطح الذى يلصق عليه .

ولكن معالجة الصورة الفوتوغرافية تتم بالطرق التقليدية كما يصلح هذا الورق لعمليات التكبير .

## ● حقيبة ضد اللصوص ●

اطلق السويديون على حقيبة أوراق صممت خصيصاً لحفظ الأوراق والوثائق الهامة اسم الاخطبوط . حيث انها تنثر على محتوياتها الثمينة نوعا من الحبر الخاص اذا ما حاول أحد فتح هذه الحقيبة قسرا .

وهى لا تحتاج لأى حماية خاصة من حاملها اذ يكفى اغلاقها وإذا ما حدثت أى محاولة لتعطيل اجهزة الرصد المزودة بها فان ذلك يكفى لتشغيل رشاشة الحبر . اما اذا حاول اللص تعطيل نظام الامان الالكترونى المبيت داخلها بتعريض الحقيبة للحرارة أو البرودة فان البطارية الموجودة داخلها سوف تحتفظ بكمية كافية من الطاقة لنثر الحبر .

ولكن الحبر لا يتلف المستندات وانما يحدث علامة فى النقود بحيث لا يستطيع اللص تصريفها .

# دليل القارئ الذكي



● لم أكن نائماً ... لكنه الواقع والحلم
ديوان محمد الظاهر
نشر دار الكلمة للنشر ببيروت

منذ بداية الستينات ، والشعر الفلسطيني في الأردن ، يرسم في دأب متواصل ، خطوط هويته الحاضرة الخاصة في خريطة الشعر الفلسطيني ، داخل وخارج الأرض المحتلة ، هذه الملامح التي عجلت ظلال نكسة حزيران ١٩٦٧ ، في تفجيرها ، وطرحها بحدة بالغة القسوة .

محمد الظاهر ، صوت شعري شاب ، تفتح وعيه ، أوان انتفاضة شعبه ، معمداً بالفعل وبالحلم ، ولكنه حين آفاق ذات يوم وجد نفسه في الساحة وحيداً ، فاخذ يغني وانزوى بعض سنوات ليكتب .

قصائد الديوان ، تشيع جواً من البساطة القريبة الى النفس ، وإن قراءة سريعة لها ، تضع المرء على سر هذه الينابيع ، ألا وهو : بساطتها المحببة ، وايحائيتها الهادفة في مفرداتها وتراكيبها . يقول :

لا تتركوا الوقت يذبل في صدرنا
ولا تزعجوا سرنا بالهتاف
انتموا للضفاف
من الماء للماء هذا دمي
فاسجدوا .. واشهدوا

شعر محمد الظاهر في هذه المجموعة ، يحمل الكثير من صدى خصوصية التجربة الفلسطينية ، وتشكيلها كهم أساسي في حياة الشاعر ، وتتجلى هذه الخصوصية في أرقى اشكالها ، في عودة هذا الشعر إلى موروثه الشعبي ، لأن كل نهضة قومية ، لابد أن تعود الى موروثها الشعبي ، تستبقى منه وتستلهم روحه ، في إضاءة جوانب الواقع المظلمة ، من العذاب والفجائية التي لونت حياة الشعب الفلسطيني ، وانعكس ذلك على الشعر .

رغم نثار الدم الذي يلون أبيات قصائد هذا الديوان ، فان للشاعر مطلباً واحداً ، هو : توحيد جسمه بهذا الدم الذي يعبر عن أفقه ، ليعود يسحب على وتره هذا الهدوء الجياش في جوهره فيقول :

دعيني أوحد أجزاء جسمي بهذا الدم العابر الآن افقي
دعيني أجدد عشقي
فمن غيرك الآن يعطي لحنجرتي صوتها
وأوردتي دمها
وخارطتي حجمها
ويعيد التوازن للأرض كي تستفيق لتكمل دورتها !

قصائد هذا الديوان محاولة لرسم الواقع وتجاوزه . انها احتجاج ضد هذا الواقع ، وصراخ داخلي ، وايذان بالولادة الآتية ، فهو يقول :

يا وطني
يا وطن القلة
من يلتفون بثوبك .. يرتدون عليك
تجار في الليل
وزوار في الفجر
وانا في الفجر
وانا اتفيأ برد الزمن
وأعلن أن اللعب على الأوطان مذلة
وأعلن ان الزمن الماضي مهزوم
والزمن الحاضر مهزوم
وشهود العصر الآتي آتون



● الخط العربي
تأليف محمد ظاهر الكردي
نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٢

قضية الخط العربي . ودراسة تاريخه ، تشير الى انه كائن يتصف بالحيوية والنمو وأنه مر بتطورات ، حتى اكتسب شكله الحالي ، وأن جذوره موغله في الكيان العربي الثقافي ، وتتمثل هذه الحيوية والمرونة في اشكاله المختلفة ، التي تلائم الأغراض الثقافية والفنية .

أولى العرب الخط عناية خاصة ، تتمثل في بحث أصوله وبدايته ، وفي تجويده والتفنن في رسمه ، وافرغوا الكثير من قابلياتهم الفنية في تزيينه ، فلم يعد مجرد أداة للكتابة بل أيضاً وسيلة للنقش والتزيين ، كما صارت الكتابات في المساجد وعلى الأبنية من أبرز مظاهر الفن الاسلامي .

للخط العربي صلة وثيقة باللغة العربية من حيث اشكاله وتطوره ، كما انه وثيق الصلة بالتطور الثقافي عامة ، ومن هنا كان الخط العربي جزءاً مهماً من التراث الحي للأمة العربية .

ولعمري فان هذا ما حدى الأستاذ العلامة محمد ظاهر الكردي بتاليف كتابه هذا « تاريخ الخط العربي وآدابه » وهو كتاب تاريخي ، اجتماعي ، أدبي . مزين بالصور الخطية ، والرسوم الفوتوغرافية ، ويقول في مقدمة الكتاب :

« لما كان الخط من أوائل وسائل التقدم والعمران ، وشرف منزلته بين جميع الأمم لا يحتاج الى برهان ، حتى عدوه من أدق الفنون الجميلة ، وأحسن الاشكال الهندسية الجليلة ، أحببت أن أضع كتاباً أتصدى فيه لتاريخه ، وذكر تراجم من اشتهر من الخطاطين السابقين والمعاصرين وما أبرزته أناملهم من التحف والنوادر الفريدة ، وما يوجد من الآثار الخطية قبل الاسلام وبعده ، إلى غير ذلك من المباحث القيمة » .

يقع هذا الكتاب في ٥٥٢ صفحة ، ولم يتم تقسيمه الى أبواب أو فصول ، بل الى مواضيع ، وله فهرست مفصل ، يوصل الباحث الى الموضوع الذي يريده .

أما مواضيع الكتاب ، فهي جامعة وموسوعية ، بعيده عن التكلف والتعقيد ، ولم يسبق أن وضع كتاب للخط العربي بهذا القدر ، من المعلومات والبحوث ، وتجميله بصور مشاهير الخطاطين ، ومما زاد في قيمته ، اشتماله على كثير من صور الآثار الخطية ، ورسوم الكتابات القديمة ، واشكال وأنواع الخطوط في عصرنا هذا ، وصور الخطاطين المشهورين .

# إلى الكتب الجديدة ● ●

عرض وتقديم :
حسني شحادة

● التسرب فى التعليم الابتدائى فى دولة قطر
تأليف ابراهيم علي هاشم الساده
طبع عام ١٩٨٢

اصبح التعليم من اهم الاستراتيجيات القومية الكبرى فى حياة الشعوب المتقدمة والنامية على السواء ، لما له من أهمية فى الدور الذى يلعبه فى إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لتحقيق الأهداف التى تنشدها الأمة .

إن مستقبل العملية التربوية ، مرهون بالفكر الابداعى للمثقفين وما هذا الكتاب الذى اعرضه ، إلا انموذجا جيداً لمعالجة مشكلة خطيرة تعانى منها اغلب نظم التعليم فى الدول النامية ، وتعمل على التغلب عليها ، الا وهى مشكلة تسرب التلاميذ ، التى تشكل العامل الاكبر فى إعاقة جهود هذه الدول لحل مشكلة الأمية .

ومما يزيد هذا البحث أهمية ، أن المؤلف رجل واكب العملية التربوية فى جميع مراحلها ابتدائية واعدادية وثانوية ، تعليماً وتنظيماً وادارة ، فكان هذا الجهد ، جهداً ميدانياً فى الدرجة الأولى ، حيث وضع يده على الحقائق التى قلما يظفر بها المنظرون من ابراجهم العالية فجاء تعليق الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى ، عميد كلية التربية بجامعة الأزهر ، والمشرف على هذا البحث ، ترجمة حقيقية لجهد المؤلف ومدى تحقيق هدفه ، فيقول : «تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الرائدة فى هذا المجال ، وقد استطاع - المؤلف - بما توفر لديه من بيانات واحصاءات ، ومن خلال عمل ميدانى قام به لجمع بيانات لم يتوفر نشرها من قبل أن يقدم دراسة جادة لهذه المشكلة ، ارجو أن يستفاد بها فى تلمس سبل علاجها فى دولة قطر الشقيقة وفى مختلف الدول التى تتشابه ظروفها مع ظروف دولة قطر» .

يقع الكتاب فى حوالى مائتى صفحة ، ويتضمن ستة فصول ، ذكر فى الفصل الأول أهم الدراسات حول ظاهرة التسرب فى




دولة قطر وفى دول الخليج العربية ، وفى الدول العربية عامة .

وفى الفصل الثانى القى المؤلف الضوء على تنظيم التعليم وإدارته فى دولة قطر ، مبتدئاً بنبذة تاريخية عن تطور التعليم ، والسلم التعليمى والتنظيم الادارى ، وتمويل التعليم فى قطر .

اما واقع التعليم الابتدائى فى قطر ، وتطوره الكمي والكيفي فقد عالجه المؤلف فى الفصل الثالث .

وفى الفصل الرابع عالج المؤلف حجم التسرب فى المرحلة الابتدائية فى دولة قطر والعوامل المؤثرة فيه ، سواء كانت اقتصادية او اجتماعية او ثقافية وتربوية .

الدراسة الميدانية لظاهرة التسرب هى الفصل الخامس من الكتاب حيث حدد أهداف الدراسة ، ومراحل اعداد اهداف الدراسة ،ومراحل اعداد الاستبيانات ووصف ادوات الدراسة المستخدمة ، وعينة الدراسة ، ونتائجها .

وقد خلص المؤلف فى الباب السادس ، الى النتائج التى توصل اليها من هذا البحث ، وصاغها فى مقترحات لعلاج ظاهرة التسرب فى المرحلة الابتدائية ، وهى مقترحات المديرين والمديرات ومقترحات المؤلف .

لقد دعم المؤلف «ابراهيم علي هاشم الساده» هذه الدراسة بالجداول والاحصائيات التى بلغت اثنين وخمسين جدولا ، وبالمراجع من كتب وتقارير ودوريات عربية واجنبية بلغت نيفاً وستين مرجعاً .

إن هذا المؤلف جدير بالدراسة والاهتمام لان المشكلة التى يعالجها مشكلة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للتنمية القومية ، والمؤلف لازال يعمل بجهد دائب ونشاط كبير ، فقد سجل هذا العام ١٩٨٢ رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى الادارة والتخطيط التربوى من كلية التربية بجامعة الأزهر .

وإننى إذ أرجو له التوفيق الدائم ، اتمنى ان يحذو الباحثون التربويون هذا النهج ، لتحقق العملية التربوية أهدافها الكبرى ، ومراميها العظيمة فى خدمة الأمة والمجتمع الانسانى .

● ● ●

● الطريق الى بلحارث
تأليف جمال ناجي
نشر مطابع الدستور التجارية بعمان

هذه رواية أردنية جديدة ، لأديب جديد هو جمال ناجي ومع طراوتها فانها غرسة متطاولة ، يلفت الانتباه ، باخضرارها المعافي ، وقوامها المنسق .

العمود الفقرى لهذه الرواية المتميزة هو السفر . السفر فى الأرض والتجربة ، وكل مسافر فيها ، تتقاطع طريقه مع طرق الآخرين ، ولا يسير أثنان فى درب واحده .

كل هذا يجرى فى بلدة « بلحارث » ، تتسلق الجبل ، كانها تسافر نحو قمته ، أو تضعف لتستحم فى مياه البحر الأحمر ، أو تضيع فيه ، وبين المسافتين ، يلهث الناس فيها مسافرين فى كل اتجاه .

وجميع المسافرين فى هذه الرواية يدفعون الثمن او يقبضونه حسب تعاملهم مع « ظفره » ، أو قربهم منها ، أو بعدهم عنها ، أما الذين تعبوا ، وتأكدوا أن الهدف لا يستحق كل هذا العناء ، فقد تراجعوا بكثير من الخسارات.

وتبقى هذه الرواية إضافة نوعية جديدة للرواية العربية فى الأردن .




بقلم: رؤوف توفيق



« ايميه » المحقق التليفزيوني أثناء زيارة الوفد للمستشفى .. إنه يتخفى في صورة مريض حتى يحصل على السبق !

## في مهرجان كان

# إنهم يضحكون مع هذا الفيلم "مستشفى بريطانيا"

## رؤية شديدة السخرية لعالم مليء بالغباء والجنون

« الحياة .. نوع من الكوميديا ، لهؤلاء الذين يفكرون .. ونوع من المأساة ، لهؤلاء الذين يتعاملون بالمشاعر » .

أنها كلمات أوسكار وايلد .. وهى تحدد نوع الكوميديا فى فيلمى ( مستشفى بريطانيا ) .

« فالتصرفات المنافية للعقل ، لانسان هذه الأيام ، ونحن نتحرك للقرن الواحد والعشرين .. هى منتهى التناقض .. ومنتهى الخطورة .. لاتسمح لنا برفاهية العواطف أو الدموع .. ولكن عندما ننظر للانسانية بمنطق ـ وبلا غفران ـ نأمل أن نحاول الانقاذ .. ومن يضحك قد يساهم فى هذا » !

الطبيب الجراح داخل المصعد ، ومعه مساعدته .. وفى الخلف اثنان من عمال النظافة ، احدهما المحقق التليفزيوني المتنكر .



الطبيب الجراح يرفع يديه محاولا اقناع المتظاهرين على باب المستشفى .

هكذا لخص المخرج الانجليزى الشهير « ليندساى اندرسون » فلسفته لآخر فيلم اخرجه بعنوان ( مستشفى بريطانيا ) .

والفيلم – بالفعل – يدعوك للضحك فى كل مشهد منه .. ولا تكف عن الضحك حتى بعد نهاية الفيلم .. إنه الضحك الذى يدفعك للتفكير والتأمل .. وكأنما هذا المخرج الانجليزى الساخر يريد أن يؤكد لك وجهة نظره .. إن أفضل طريقة لمواجهة أحداث العالم المتضاربة ، العنيفة .. أن تضحك لها وعليها ..

وفيلم ( مستشفى بريطانيا ) .. عرض فى مهرجان كان السينمائى الأخير ، ممثلا لمخرجه الانجليزى ، وممثلا لانجلترا !!

والمثير تماماً أن الفيلم يسخر تماماً من الوضع الحالى لانجلترا .. وسهام السخرية تصيب العائلة الملكية .. كما تصيب الطبقة العاملة ونقابات العمال .. والاضرابات المتكررة .. والمظاهرات .. وتمتد السخرية الى أكثر ما تشتهر به انجلترا فى نظام العلاج والمستشفيات .. ويتوقف المخرج طويلا ليضحك من الأطباء والمرضى والممرضين .. وكأنما أراد أن يقدم الجانب الآخر من هذه الصور اللامعة !

وقد وصف كثير من النقاد الذين شاهدوا الفيلم فى مهرجان كان .. بأنه « ملحمة هجاء » .

ومع ذلك .. فالفيلم إنجليزى .. ويمثل انجلترا فى المهرجان .. ومعنى هذا أن أحدا لم يعترض على عرضه بحجة انه




يسيء الى سمعة البلد .. هذه الحجة التقليدية العاجزة التى تلجأ اليها كثيراً أجهزة الرقابة الحكومية فى الدول المتخلفة.

هل هذا نوع من الديموقراطية ؟ أم نوع من الحضارة ؟

مهما كان الأمر .. إلا انه شيء يدعو للدهشة والحسرة .. خصوصاً من أمثالنا الذين يعانون من تسلط أجهزة الرقابة فى بلادهم !

## سطور الجريدة

وموضوع الفيلم كما يقول مخرجه «ليندساى اندرسون» ماخوذ عن حادثة حقيقية نشرت فى جريدة « ديلى ميرور » الانجليزية عندما أضرب طاقم الأطباء والممرضين عن العمل فى واحدة من أكبر مستشفيات انجلترا ، احتجاجاً على اقسام العلاج بأجر، وهؤلاء المرضى « المخصوصين » والذين يحصلون على ميزات لاتتاح للمرضى بالمجان ..

وقع هذا الاضراب منذ خمس سنوات فى مستشفى « شيرنج كروس » بلندن .. وطالب موظفو المستشفى بطرد هؤلاء المرضى « المخصوصين » .

وظلت هذه الحادثة عالقة بذهن المخرج .. يطورها وينميها بخياله الخصب الساحر .. ويقول :

« لقد كانت هذه الحادثة تحمل عناصر الكوميديا والمأساة .. ككل الحوادث والمواقف والمشاكل التى نتعرض لها فى حياتنا اليومية .. ومن هنا فكرت أن أصنع فيلماً .. ليس فيلماً عن مستشفى .. بل تلعب المستشفى فيه دوراً رمزياً .. قد تكون بريطانيا أو العالم كله .. ومن هنا تبلورت الفكرة .. وأصبح ( مستشفى بريطانيا ) فيلماً عن بريطانيا – اذا أردت أن تصفه – ولكن أيضاً عن كل الغباء والجنون فى عالمنا » !!

## هذا النهار الطويل

وأحداث الفيلم كلها تدور فى نهار ذلك اليوم .. الذى تحتفل فيه هذه المستشفى الضخم بمرور خمسمائة عام على انشائها .. وايضاً افتتاح القسم الجديد لعلم الجراحة المتقدمة حيث سيقدم هذا الطبيب العالم تجربته المثيرة التى ظل يعمل لها فى صمت وسرية شديدة .. وهذه التجربة العلمية تتلخص فى صنع انسان من تجميع اعضاء بشرية مختلفة واعادة زراعتها ولصقها (!!) .

وتكريماً لهذه المناسبة .. قررت الملكة الأم فى بريطانيا .. أن تحضر مع بعض افراد الأسرة الملكية الى المستشفى !

ويبدأ الفيلم .. ودقات ساعة «بيج بن» تعلن السادسة صباحاً .. والفناء الخارجى للمستشفى يموج بمظاهرة من عمال وموظفى المستشفى يحملون اللافتات المكتوب عليها « لا .. للمرضى المخصوصين » .. « لا .. للعلاج المخصوص » ..

موظفو المستشفى يقيمون المتاريس ويقفون على الباب الخارجى للمستشفى يمنعون دخول أى فرد .. وسيارة اسعاف مسرعة تطلق سارينتها المميزة .. وتحاول أن تخترق الحصار لتدخل الى المستشفى .. ولكن العمال يمنعونها من الدخول .. وسائق سيارة الاسعاف يتناقش معهم .. ويفتح باب السيارة .. لنرى انساناً عجوزاً يصارع الموت .. ويبدو من ملابسه انه انسان فقير .. فيقرر العمال السماح لسيارة الاسعاف بالدخول ويتحرك المرضون داخل السيارة بحمل العجوز على نقالة الى قسم الاستقبال بالمستشفى .. لنرى الأطباء مندمجين فى لعب الكوتشينة .. ولاأحد منهم يحاول النظر للمريض .. أو حتى السؤال عنه .. ويتخلص ممرضو عربة الاسعاف من هذه المهمة ، بالقاء المريض على نقالة أخرى والخروج بنقالتهم .. والمريض يتأوه ويئن فى ألم شديد .. وممرضة تشعل سيجارتها فى لا مبالاة وهى تردد أن ميعاد عملها لم يبدأ بعد .. وينظر الأطباء الى ساعتهم .. وينصرفون .. بينما المريض وحده ملقى فى ردهة قسم الاستقبال .. يصارع الموت .. ينظر حوله .. فلا يجد احداً .. فيلفظ أنفاسه الأخيرة .. ويموت !!

خلال هذه الدقائق السريعة الساخنة .. يحدد المخرج أسلوبه السينمائى الساخر ، ممهداً لشخصيات موضوعه ، والذين اختارهم بعناية شديدة ، أشبه ما تكون بشخصيات رسوم الكاريكاتير ..

## الطبيب والمغامرة

أول شخصية .. هو ذلك الطبيب الجراح العالم الذى سيقدم مفاجآته العلمية بصنع انسان جديد ( !! ) انه رجل واثق جداً من نفسه .. يتحرك بخيلاء شديد .. خليط من الجنون والمعرفة .. ( يلعب الدور الممثل الانجليزى جراهام كرودن وهو أحد نجوم مسرح الأولد فيل وله رصيد كبير فى التليفزيون الانجليزى ) .

انه يقتحم حصار المستشفى بسيارته الصغيرة .. غير مبال بطابور المضربين ولا نداءاتهم .. حتى انه يكاد يدهسهم تحت عجلات سيارته المسرعة .. ودون ان يكلف نفسه بالنظر إليهم أو السؤال عما يحدث .. يركن سيارته فى مكان الانتظار كما أعتاد .. ويسرع الى داخل المستشفى .. ليستقل المصعد الى القسم الخاص به ، ترافقه سكرتيرته التى تتحرك آلياً خلفه تنفذ له كل تعليماته .

يشاركه المصعد ، اثنان من عمال النظافة .. **ينظر لهما بتأفف شديد** .. واحداً منهما ليس عامل نظافة بحق وحقيقى .. انما هو المحقق التليفزيونى الذى أراد ان يحقق سبقاً تليفزيونياً فاختار ان يتنكر فى هذا الزى .. وقد أخفى داخل ثيابه كاميرا فيديو صغيرة الحجم تتصل اليكترونياً بعربة التليفزيون الرئيسية التى تقف مختبئة فى شارع جانبى .. !

داخل عربة التليفزيون .. اثنان من الفنيين .. شابان يبدآن عملهما بالاقراص المخدرة وزجاجات البيرة .. ويتسليان بمتابعة برامج التليفزيون العادية من خلال جهاز تليفزيون خاص بهما ، ثبتاه فى مؤخرة العربة .. وأعطيا ظهريهما لجهاز الفيديو المتصل بزميلهما المحقق الذى يخوض مغامرة داخل المستشفى ( يلعب دور المحقق التليفزيونى الممثل الانجليزى « مالكولم ماكدويل » ) .

انه يحاول ان يتتبع الطبيب الجراح واللمسات الأخيرة التى يقوم بها لتصنيع الانسان الجديد ..

يتسلل المحقق التليفزيونى خلف النوافذ مصوباً كاميرته وينتقل الى داخل معمل الطبيب مستغلا علاقته الخاصة بالممرضة المساعدة للطبيب والتى تنقذه من محاولة اكتشاف أمره .. فتضعه على نقالة وتغير ملابسه ليبدو كاحد المرضى .. ثم يتفتق ذهنها على ان تخبئه داخل الثلاجة الزجاجية التى يحتفظ بداخلها الطبيب بأعضاء بشرية مقطوعة ومصنفة حسب نوعيتها !!

انه جو شديد الغرابة .. والجنون !!

## المرضى الخصوصيون

خارج المستشفى .. فى احياء لندن هناك مجموعات أرهابية – غير معروفة انتماءاتها – تفجر القنابل .. وصفارات البوليس تدوى .. ومطاردات ومصادمات عنف ..

والتليفزيون ينقل هذه الأحداث فى نشراته الاخبارية الصباحية .

وداخل المستشفى .. الموظفون والعمال يحاصرون ابواب المستشفى .. والاضراب يتحدد معالمه أكثر داخل قسم المطبخ الذى رفض تقديم وجبة الأفطار المعتادة لمرضى



بروفة لاستقبال الوفد الرسمي والاطمئنان على قواعد الاتيكيت .. إنها لقطة من الفيلم ! .

القسم المخصوص ..

وتتحرك الكاميرا لتستعرض نماذج المرضى بالقسم المخصوص .. انها أجنحة غاية فى الفخامة وليست غرف مستشفى ! الاثاث الفاخر والديكورات التى راعت كل ما يحتاجه النزلاء من رفاهية حتى زجاجات الشمبانيا والسرائر الوثيرة المبطنة من كل جانب والستائر المشغولة ومعدات المائدة الفضية .

ونزلاء هذا القسم يبدو عليهم الثراء الواضح .. ليسوا مرضى بالمعنى المعروف .. ولكن كأنهم فى خلوة استجمام .

## جنرال أفريقى مطرود !

وفى أحد الأجنحة نتعرف على هذا الجنرال الافريقى ، المطرود من بلاده بتهمة الديكتاتورية .. انه هنا بحجة العلاج .. ولكنه فى أتم صحة يحيطه بعض حرسه الخاص .. وفى الغرفة الملحقة بجناحه تقيم زوجته ـ أو احدى زوجاته ـ مع عدد كبير من اطفالهما .. يجلسون على الأرض فى شبه دائرة .. وحبل الغسيل منشور داخل الغرفة وعليه ملابس مبتلة !! منتهى التهكم والجرأة . !!

فعلاقة انجلترا بحلفائها تشوبها الحساسية الشديدة .. ولكن فى هذا الفيلم يسخرون بوضوح من هؤلاء الجنرالات والسياسيين المطرودين من بلادهم والذين تحتضنهم انجلترا تحت مسميات مختلفة .. منها العلاج !!

ويسخرون أكثر من هؤلاء الجنرالات والسياسيين من ناحية تخلف بلادهم وبدائية وهمجية تصرفاتهم وعاداتهم !!

## اضراب المطبخ

وتجرى مفاوضات بين ادارة المستشفى ، وقسم المطبخ لاعداد الطعام لمرضى القسم المخصوص .. **ولكن العاملين فى المطبخ اغلقوا** معدات القسم وأمسكوا بالمعالق والشوك والسكاكين يدقون بها على الأوانى فى ايقاع منتظم . ومنهم من وقف فوق المناضد والدواليب يضبطون الايقاع بالغناء . يرفضون العمل مالم تتحقق مطالبهم بزيادة رواتبهم وطرد المقيمين فى القسم المخصوص ..

وتضطر ادارة المستشفى الى تقديم حبة برتقال الى كل مريض بالمستشفى بديلا عن وجبة الطعام ..

وتوزع اطباق البرتقال بين مرضى المجان ومرضى القسم المخصوص .. الفرق الوحيد ان مرضى المجان داخل عنابرهم ، ومنهم من تسيل دماؤه ولا أحد يعالجه .. أما مرضى القسم المخصوص فهم داخل اجنحتهم الفاخرة ، وحبة البرتقال تقدم لهم على صوان من الفضة يحملها جرسونات يرتدون القفازات البيضاء وينحنون فى أدب بالغ !!

وتستعد ادارة المستشفى لمواجهة استمرار اضراب المطبخ ، بالاتصال بأحد المطاعم الفاخرة فى لندن لاعداد وجبات ساخنة للمرضى .. وتاتى عربة المطعم محملة بالوجبات المطلوبة .. ولكن عمال المستشفى يرفضون تفريغ العربة .. ويصرون على تنفيذ اضرابهم بالكامل ولا يقبلون أى محاولات لأفساد تضامنهم .. ويهتف أحد العمال بموقف العامل الانجليزى ، فتنبهه احدى العاملات ان المرأة العاملة لها نفس الموقف .. فيصحح العامل هتافه تحية للعامل والعاملة الانجليزية ! .

ويتفتق ذهن أحد رجال الادارة فى المستشفى على كسب ود ممثلى نقابة العمال من أفراد قسم المطبخ بأن يهمس لهم بأنه سيدرج أسماءهم فى كشف المستقبلين للأسرة الملكية التى ستزور المستشفى .. وهنا تلمع وجوه ممثلى نقابة العمال ويقررون من شدة السعادة القيام بأقناع زملائهم بتأجيل الاضراب !!

وهكذا يقدم الفيلم نهاية الأغنية الحماسية التى يشترك فيها العمال !

## وعصير المخ فى أكواب

والمحقق التليفزيونى المتنكر يسجل من مخبئه العمليات الجراحية التى يجريها هذا الطبيب الجراح فى محاولة لصنع انسان جديد .. نرى الجراح وهو يمسك بخرطوم الاوكسجين الذى يغذى احد مرضى القسم المجان ، ويخلعه بقسوة ، فيموت المريض ويأتى الجراح بمنشار كبير ليمزق جسد المريض ويختار منه ما يحتاجه من اعضاء بشرية !!

ثم نراه ـ هذا الطبيب الجراح ـ وهو يشرح لبعثة التليفزيون الرسمية من تليفزيون ( ب . ب . س ) كيف يصنع انسانه الجديد .. يتكلم بثقة شديدة .. ويختار البوزات المناسبة للتصوير .. وبالطبع لا احد يناقشه ولا يقاطعه .. ثم يمسك بمخ انسان ويضعه فى خلاط كهربائى ، ويدلق العصير فى أكواب ، ويشرب أحداهما بنهم !!

ومصور تليفزيون ( ب . ب . س ) يسجل هذه اللقطات بحرص شديد .. والمحقق التليفزيوني المتنكر المختبىء داخل صندوق زجاجى يحاول ان يسجل وسط رعبه وخوفه كل ما يحدث .. بينما مساعديه فى عربة التليفزيون الخارجية .. قد غابا عن وعيهما بفعل الأقراص المخدرة وكميات البيرة التى شرباها .. ولم يعد يهمهما ما يفعله زميلهما داخل المستشفى !

## الهتاف ضد الجنرال

والفيلم يمضى فى ايقاع سريع .. ينسج من هذه المشاهد الغريبة والمجنونة ، لوحة ساخرة لا تترك شيئاً فى هذا البناء الانجليزى ، الا وتخرج منه مادة متفجرة للضحك .. ففى داخل غرفة مدير المستشفى ينعكس كل ما يحدث على تصرفاته .. فيبدو مرتبكا ، عديم الحيلة ، يتصرف بتناقض شديد وبخوف أكبر فموعد الزيارة الملكية يقترب !!

وهناك وفد من القصر الملكى وأحد كبار




رجال بوليس اسكوتلاند يارد يطمئنون على اجراءات استقبال الملكة الأم .. والتزام افراد المستشفى بقواعد الاتيكيت اللازمة فى هذه المناسبة الهامة . !! وتجرى اختبارات الاتيكيت وطريقة الانحناء للملكة .. بينما المظاهرات فى الخارج يشتد صوتها ، ويكتشفون من خلال نافذة غرفة المدير ان هناك مجموعة ضخمة من ابناء هذا البلد الافريقى يهتفون ضد الجنرال الهارب والمقيم فى المستشفى بحجة العلاج .. ويطالبون بتسليمه لهم ..

وينضم الى هؤلاء المتظاهرين ، مجموعات من الشباب الانجليزى لهذه القضية ، وأى قضية أخرى ، المهم ان يمارسوا الغضب والعنف !!

## محاولة ساخرة

ومن اطرف مشاهد الفيلم .. هذا المشهد الذى يقرر فيه رجل بوليس اسكوتلاند يارد ان يتصل بالقصر الملكى ليلغى الزيارة فى هذا اليوم المضطرب .. فيمسك بجهاز التليفون ويدق نمرة القصر الملكى .. ويغلق الخط .. ويكرر نفس العملية مرة أخرى .. ليعلن فى النهاية بضيق شديد ان النمرة غلط فى كلتا المحاولتين !

وعندما يقترحون عليه ان يتصل بتليفون سيارة الملكة الأم .. يعلن لهم أن تليفون السيارة معطل ! .

وأخيراً يقترحون عليه ان يتصل برؤسائه لتجهيز طائرة هيلكوبتر لايقاف سيارة الملكة .. يرد ببساطة شديدة .. وكيف تطير الهيلكوبتر لتهبط فوق السيارة فى شوارع لندن !

وهكذا يعجز بوليس اسكوتلاند يارد عن الاتصال بالملكة !!

ووسط هذا الارتباك .. يقرر مدير المستشفى ان يهادن المتظاهرين .. وان يعلن استسلامه لطلباتهم .. ويمزق الثوب الأبيض لسكرتيرته ليصنع منه راية استسلام بيضاء ، يخرج بها ليعلن للمتظاهرين الغاء القسم المخصوص فى المستشفى .. ويهتف المتظاهرون بالانتصار .. وفى هذه الأثناء تدلف سيارة اسعاف تدق أجراسها بشدة .. لتفتح ابوابها .. ويسرع الممرضون لحمل ركاب سيارة الاسعاف على النقالات والكراسى المتحركة .. لنكتشف ان هؤلاء الركاب هم الوفد الملكى ومن بينهم الملكة الأم !!

## الفزع فى كل جانب

بينما داخل المستشفى يسرع الطبيب الجراح فى استكمال تصنيع الانسان الجديد .. لقد اكتشف الطبيب وجود المحقق التليفزيوني المتنكر ، داخل صندوق زجاجى فى معمله .. وببساطة شديدة ينهال على عنقه بالساطور ليفصل رأسه عن جسده .. ويلصق الرأس بالجسد الذى صنعه من اعضاء مختلفة ..

ويطلب الطبيب من الانسان الجديد الذى صنعه ، ان يتكلم .. فلا يستجيب له .. وبعصبية شديدة يحاول الطبيب فتح فم هذا الانسان حتى يخرج لسانه ويتكلم .. فما كان من الفم الا ان ينطبق على يد الطبيب .. ويصرخ الطبيب من الألم .. يحاول الطبيب تخليص يده من بين هذه الاسنان الحادة ويجذب يده بكل قوته .. وتكون النتيجة هو تفكك اجزاء جسد هذا الانسان المصنوع .. الرأس فى جانب والجسد فى جانب اخر يتحرك ويضرب فى كل اتجاه ويثير الفزع ويطبق على عنق مساعدة هذا الطبيب الجراح لخنقها !!

## كيف ينتهى الفيلم ؟

المظاهرات فى الخارج تطالب بتسليم الجنرال الافريقى الهارب .. ويخرج الجنرال مستسلماً ، محمولا على هودج يمشى به حراسه الخصوصيون .. ومن ورائه متعلقاته ، ومن بينها زجاجة شمبانيا !!

ويتحرك بقية طابور مرضى القسم المخصوص .. كل منهم بأبهته ومتعلقاته المتميزة ..


المخرج «ليندساي اندرسون» .. قدم فيلما اخذه عن حادثة حقيقية .

ويكتشف المتظاهرون ان الملكة الأم ، ووفداً ملكياً موجود حالياً داخل المستشفى .. فيشتد صراخهم وهتافهم .. وتزداد حركات العنف فى محاولة لاقتحام المستشفى .. ويسرع البوليس لتطويق المتظاهرين مستخدماً العصى الغليظة وكعوب بنادقهم .. ويسقط الجرحى فى دمائهم .. ويشتعل الموقف .. ويستخدم المخرج موسيقى السلام الانجليزى على مشاهد العنف والضرب والدم .. فى مزج شديد السخرية ما بين الصورة التى نراها والموسيقى التى نسمعها !!

ويخرج للمتظاهرين ، الطبيب الجراح يخطب فيهم « هل تؤمنون بالمستقبل ؟ » . يصيح احدهم « نعم » .. يشير اليهم الطبيب يدعوهم للدخول .. « تعالوا معى نرى المستقبل يتحقق امامنا الآن . انه الميلاد الجديد .. بداية عصر رائع من العلم ! » .

ويسرع الجميع الى قاعة ضخمة .. يجلسون على المقاعد .. ويواجهون نموذجاً هائلا لمخ الانسان صنعه هذا الطبيب الجراح بكل تفاصيل الاعصاب والشرايين والذاكرة والنطق .

وبعد خطبة حماسية عن العلم والمستقبل .. يبدأ فى تشغيل هذا المخ الذى صنعه .. وينبعث الصوت من السماعات الموزعة داخل القاعة ..انه صوت المخ .. ينطق بصوت متقطع ، متحشرج : « ماأسهل ان تصنع انساناً » .. ويتوقف الصوت عند الكلمة الأخيرة .. يرددها اكثر من مرة .

**لقد تعطل الجهاز .. وتحول الصوت الى ما يشبه الاسطوانة المشروخة ! .**

**وينتهى الفيلم ! .**

**أو بمعنى أدق تنتهى خدعة ذلك العلم .. والحلم المستحيل بالمستقبل ..**

**فكيف نصنع المستقبل وسط كل هذه الفوضى والجنون والانهيارات الداخلية والخارجية ؟ .**

**وكيف نؤمن بعالم مجنون يستخدم كل اسلحة العنف والهمجية ليحقق معجزة المستقبل ؟ .**

**إن المخرج يضع كل سخريته .. ويركزها .. ويلخصها فى مشهد النهاية .**

## هل هو فوضوي

والمخرج «ليندساى اندرسون» يصنفه بعض النقاد داخل اطار الفوضوية .. حيث

الخمسينات .. له دراسات نقدية هامة .. وقدم عدداً من الأفلام التسجيلية والقصيرة استحق بعضها جوائز عالمية .. وتولى منصب مدير معهد الفيلم البريطانى .

أول افلامه الطويلة .. اخرجه فى عمر الأربعين .. كان هذا عام ٦٣ .. وكان الفيلم بعنوان «هذه الحياة الرياضية» .. وعرض الفيلم فى مهرجان كان .. وحصل ممثله ريتشارد هاريس على الجائزة الكبرى فى التمثيل .

وفاز هو بالجائزة الكبرى لمهرجان كان عام ٦٩ عن فيلمه «لو» الذى قدم فيه اكتشافه للمثل الموهوب «مالكولم ماكدويل» والذى استمر معه فى افلامه التالية حتى فيلمه الأخير «مستشفى بريطانيا» .. ونفس الحال مع كاتب السيناريو «دافيد شيروين»

ومن أشهر أفلامه «ياله من رجل محظوظ» عام ٧٢ .

والواضح هو نسبة افلامه القليلة .. فقد اخرج ستة افلام خلال عشرين عاما .. وإن كان له نشاط واضح فى الاخراج المسرحى والاخراج التليفزيونى .. واحيانا التمثيل .. والمونتاج ..

سالوه اخيراً عن السينما الانجليزية .. فقال : (فى انجلترا لا توجد عملية خلق فنية .. ولكن يوجد نقاد كثيرون .. ومن هنا وجدنا انفسنا مدفوعين الى ركن معزول ، نفكر فى انفسنا كاشخاص صغار لا يحققون الربح مثل مخرجى امريكا .. ولا يحققون الفن مثل بعض مخرجى فرنسا .. وفى الحقيقة عندنا مجموعة صغيرة من النقاد لا يؤثرون فى الملايين .. ولكنهم فى النهاية عندهم قدرة غريبة على خلق جواً من عدم الثقة) .

وعن مدى ارتباط السينما الانجليزية بالواقع .. يقول : «بريطانيا ترفض ان تواجه الحقيقة ..» !

وبالنسبة لفيلمه الأخير (مستشفى بريطانيا) والسخرية الشديدة من المجتمع الانجليزى .. قال بصراحة شديدة :

«الانجليز أصبحوا شديدى الحساسية .. انهم لا يحبون الآن أن يضحكوا على انفسهم .. وربما كانوا لا يحبون هذا منذ زمن طويل .. ما عدا أن يحسبوا انفسهم .. وفى هذا الوقت بالذات ليس مجدياً أن نهنىء الجنس البشرى على كل ما يحدث حولنا» !

إن عيبه الواضح .. انه شديد القسوة .. لاذع السخرية !

«رءوف توفيق»



المحقق التليفزيوني الذى اراد ان يحقق سبقا تليفزيونيا داخل المستشفى .. قام بالدور الممثل الانجليزي « مالكولم ماكدويل » .

كل شىء بالنسبة له عبث .. الثورة .. والعلم .. والحاضر والمستقبل !

وقد نوافق على هذا التصنيف .. وقد نرفضه .

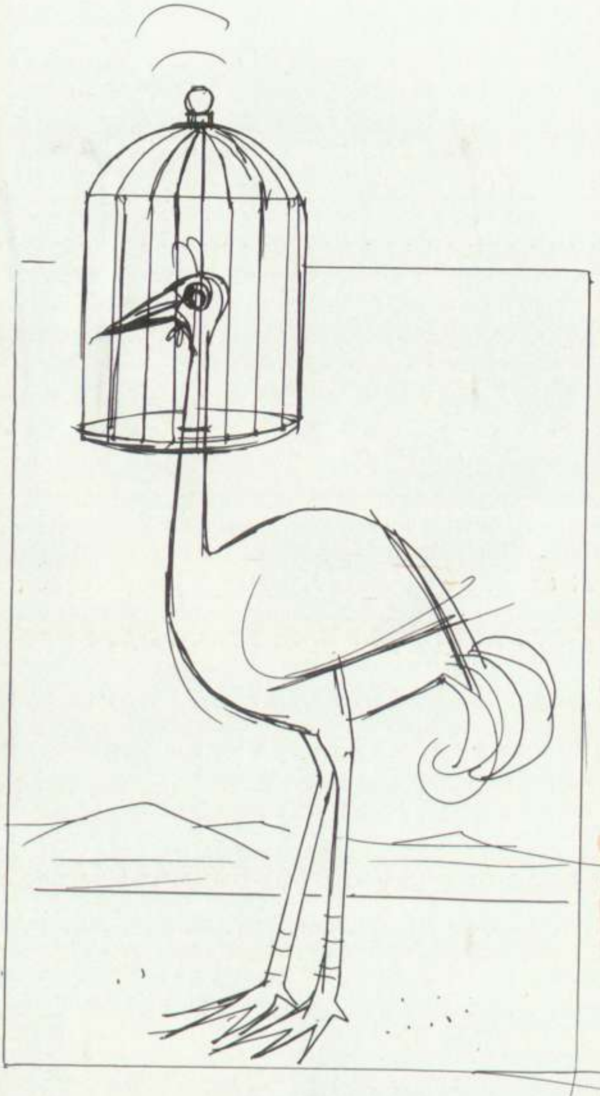
ولكن المخرج «اندرسون» يقول عن نفسه : «اعتقد اننى عاطفى بشدة .. وأيضاً مثالى بشدة بدرجة حساسة .. وربما احاول ان اضع التوازن بين هذا وذاك .. ببعض السخرية والتشكل» ! .

## هذا المخرج الساخر

والمخرج «اندرسون» واحد من رواد حركة السينما الحرة بانجلترا فى



# ضحكات الشهر مع صلاح الليثي



بدون كلام .. !!



ـ كوكو واوا .. يعنى بالعربي دجاج فسدان .. !!



ـ .. واحد مات من الضحك لما عرف ان اسمه بالعربي الفصيح .. هاتف .. وهو صامت .!!



بياع جرائد ـ .. الحق الملحق .. حل
مشكلة الشرق الأوسط .. !!



بدون كلام .. !!



( أحداث لبنـــان )

ـ .. من هيروشيما لبيروت ..
ياقلبي لا تحزن .. !!



( نزلات البرد )

مسجون لمسجون : ماأقدرش
أخرج .. لسه واخد دوش .. !!

## حـــــــاول أن تعـــــــرف •••



لهذا العالم مؤلفات فى الفلسفة والرياضة والطب واللغات ، كما برع فى ابتكار الآلات الموسيقية ، ووضع مؤلفاً ضخماً باسم « كتاب الموسيقى الكبير » جمع فيه اسرار هذه الصناعة من ناحيتها العلمية والفنية وقد توفى فى دمشق عـــام ٣٣٩ هـ .. من هو هذا العالم ؟ ..



هذه اللوحة من أعمال رسام ونحات شهير ، ولد فى توسكانيـــا ١٤٧٥ م – كان يستطيع وهو فى الستين ان يصنع تمثالا من الرخام فى خمس عشرة دقيقة ، يحتاج لجهد ثلاثين من الشبان يعملونه فى ساعة كاملة .. اشتهرت تماثيله ورسوماته بالدقة اذ تعبر عن التأمل ، والنعاس والسعادة أو الذعر أو البراءة .
من هو الفنان ؟



# دوحة القراء



## مسابقة الدوحة



يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٠



صورة (١) الدولة هي الجزائر وتقع في شمال أفريقيا .

أسماء الفائزين : محمـــد موسى محمـــد السودان
هالة مـــروان موسي الامـــارات العربية المتحدة .



صورة (٢) العالم هو تقي الدين المقريزى .

أسماء الفائزين :
عبده على الهربيطي مصـــر
راشـــد مبارك الخليفي قطـــر

# لقطة الشهر



من سينتصر؟

ـ فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارىء جان بطرس الخورى ـ لبنان .

## هل تعلم؟

هل تعلم أن الانسان خلال ٢٤ ساعة يقوم بالأتى :

- التنفس ٢٣٫٠٠٠ مرة .
- استنشاق ٤٢٥ مكعب هواء منها ٨٥ مكعب اكسجين .
- يفرز لترأ من العرق .
- يفرز ربع رطل ثانى اكسيد الكربون
- يأكل حوالى ٤ أرطال طعام .
- يشرب فى المتوسط حوالى لترين من السوائل .
- يفرز ربع لتر من اللعاب .
- يدفع بـ٦ لترات من الدم خلال أوعيته الدموية التى يصل طولها الى ٦٠ الف ميل .

**د . أحمد خليفة الديك**
**الأسكندرية**

## ابن المقفع



ابن المقفع هو الأديب الشاب الحكيم الذى اشتهر بالعقل والتفكير ونفاذ **البصر** فى الأمور ، كان فارسياً ، وقد اراد ان ينقل الى لغة العرب حكمة الهنود واليونان والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة ، فترجم «كليلة ودمنة» وجمع كتابى الأدب الصغير ، والأدب الكبير وتعنى كلمة «ادب» فى نظر ابن المقفع التهذيب الخلقى والرياضة النفسية . قال النبى « صلى الله عليه وسلم » أدبنى ربى فأحسن تأديبى . لذلك اطلق ابن المقفع على كتابيه اسم الأدب لأنهما يتناولان أموراً أخلاقية فى جوهرهما .

**موسى حميد ـ اليمن**



# دوحة القراء

# مسابقة الدوحة

## مَن ؟ أين ؟ ما ؟

من : الأثر الوحيد الباقي من عجائب الدنيا السبع اسمه مكون من سبعة أحرف :
٧ ـ ٤ ـ ٥ حيوان للركوب ٤ ، ٥ ، ٦ ، والهمزة فى الحرف الثالث بمعنى الضحك

أين : مكان تلقى فيه الأسطول الأمريكي ضربة خاطفة لن ينساها : اسمه مكون من كلمتين من تسعة أحرف .
١ ـ ٨ الاسم الرمزي لممثلة مشهورة .
٨ ـ ٢ ـ ٩ مكان لجلب الماء

ما : كلمة مفتقدة فى الأمة العربية لو وجدت الآن لما استباح اليهود الأرض العربية مكونة من ٦ أحرف
٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ تمثل رقماً .
٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٦ عمل فني

## الإجابة الصحيحة

١ ـ اول انسان هبط على سطح القمر كان في يوم ٢١ يوليو :
١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ ـ ١٩٦٩
٢ ـ ظلت مدينة استانبول عاصمة تركيا والخلافة العثمانية ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة انقرة: سنة ١٩١٩ ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٢٣
٣ ـ أشهر دار للاوبرا فى العالم اوبرا لاسكالا حيث توجد :
باريس ـ ميلانو ـ لندن
٤ ـ ولد الموسيقار الألماني العالمي بيتهوفن فى مدينة بون عام :
١٧٨٠ ـ ١٧٧٠ ـ ١٧٧٥
٥ ـ جاء اسم مصر فى القرآن الكريم :
٤ مرات ـ ٥ مرات ـ ٣ مرات .
٦ ـ اول من الف معجما لغويا عربيا هو :
ابو الأسود الدولي ـ سيبويه ـ الخليل بن احمد .
٧ ـ الحرب الأهلية الامريكية وهي النزاع الذى نشب بين الولايات الشمالية والجنوبية بسبب رغبة الجنوب فى الانفصال بدات سنة ١٦٨١ وانتهت :
١٨٧٠ ـ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٥
٨ ـ الاستاتيكا فرع من فروع العلم يبحث فى تاثيرات القوى على الأجسام عندما تكون فى حالة :
حركة ـ سكون ـ انعدام
٩ ـ ساعيش رغم الداء والأعداء اكمل البيت وانسبه الى قائله .
١٠ ـ « إن اختياري محمداً ليكون الأول فى قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ الذى حقق اعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي »
هذه الفقرة من كتاب المائة الأوائل لمؤلفه :
برترند راسل ـ خيرى حماد ـ مايكل هارت .

## حل مسابقة العدد ٨٠

من : اريل شارون
اين : لبنـــان
ما : الوهـــن

الاجابة الصحيحة :
١ ـ ذات الفلقة الواحدة
٢ ـ بريـا
٣ ـ فـارس
٤ ـ ٦ مـرات
٥ ـ جونيه وبحمـدون
٦ ـ توفى الملك عبد العزيز آل سعود فى عام ١٩٥٣م
٧ ـ ١٣٠ مليون سنة
٨ ـ هذه العبارة صحيحة حيث ان اسحاق انجب يعقوب ويعقوب انجب الاثنى عشر سبطاً من اليهود .
٩ ـ واحتمل الأذى ورؤيـة جانيـه .
غذاء تضوي به الأجسام .
لأبي الطيب المتنبي
١٠ ـ ابو الفتح الشهرستاني

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ دوري الكاريكاتير : الحل ( رقم ٤ )
الفائز : صديق احمد عبد القادر الهند
حافظ ابراهيم عبد القادر البحرين
٢ ـ لعبة الظلال ( رقم ٢ )
الفائزة : ريم راشد محمد خميس قطر
عبد السلام دسوقي كنعان الأردن
٣ ـ لوحة لم تتم : عباس العقاد .
الفائز : وسامة عقاد السعودية
على محمد رشاد اليمن الشمالي
٤ ـ يخلق من الشبه اربعين ( رقم ٦ )
الفائز: خميس سيف راشد سلطنة عمان
فلاح جاسم نايف الكويت
٥ ـ المثل بيقول : ضرب الحبيب زى اكل الزبيب .

## سمعت — الشـــــــــــاي

الشاى معروف فى موطنه الأصلى الهنـد واليابان وسيلان من زمن قديم ولكن أول دولة عرفته هى الصين وأول انسان شرب الشاى هو امبراطور الصين « شن توانج » سنة ٢٧٣٧ قبل الميلاد .

ثم انطلق الشاى من الصين الى ارجـاء العالم لكنه لم يعرف فى أوروبا الا منذ حوالى ٣٦٠ سنة .

والشاى أصلا نبات ذو ساق طويلة وأوراق مسننة صغيرة دائم الخضرة وله زهرة بيضاء اللون . وهو نبات معمر ، ولا تقطف أوراقه الا بعد ثلاث سنين من زرعه ويجنى الشاى عدة مرات فى السنة .

ويختلف الشاى طعماً ونكهة من منطقة لأخرى لاختلاف أشجاره المتعددة .

والشاى نوعان احدهما الأخضر والاخر ما يسمى بالشاى الأسود وهو أنواع فمنه السيلانى والهندى والصينى .

وبالطبع للشاى فوائد ومضار فمن فوائده احتواؤه على مادتى الكامنين والتيوفيللين اللتين تعتبران من المواد المقوية للقلب والمنبهة للاعصاب .



اما عن بعض اضرار الشاى فهو يحتوى على مادة التانين التى تعمل على الامساك وتناول الشاى يسبب الأرق والاستعداد للبدانة

**سامي عبد الله كريشان**
**عمـــان ـ الأردن**

## قرأت — مالك بن نبي

مفكر جزائرى كبير ، تخصصت كتاباته فى دراسة مشاكل العالم الاسلامى وخاصة الاستعمار والقابلية للاستعمار ، واشتهر عنه قوله انه لكى لا نكـــون مستعمرين يجب أولا ألا نكون قابلين للاستعمار .

وقد اقترح فكرة كومونويلث اسلامى لحل مشاكل المسلمين . من أهم مؤلفاته « الظاهرة القرآنية » ـ وجهة العالم الاسلامى ـ شروط النهضة ـ فكرة الافريقية الآسيوية ـ مشكلة الثقافة .

ومن أشهر أقواله الخالدة :

« ان ارادة الشعوب طاقة من طاقات الطبيعة التى تقلب التقديرات،طاقة لا يمكن أن يقاومها سد مهما كان متيناً محكماً . وان انتصار ارادة هذه الشعوب على محاولات الكبار لهو قدرحتميمن أقدار التاريخ » .

يحياوى فاقع
سطيف ـ الجزائر

## أسـماء الفـائزيـن

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري ، واشتراك لمدة نصف سنة : القاريء : محمد فراس كمال الامارات العربية المتحدة

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء خالد صلاح الدين عبد العزيز ـ مصر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري القاري : مرشدي محمد زهران . المملكة العربية السعودية .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ طبـاق نزهـة — المغـرب
٢ ـ يعقوب هجو احمد — السودان
٣ ـ يوسف سليمان داود — قطـر
٤ ـ محمد الحسن عباس — السودان
٥ ـ أحمد محمد السلكاوي — مصـر
٦ ـ محمد عبد الله احمد السيد . مصـر
٧ ـ مامون سعد الموسى . الامارات العربية المتحدة
٨ ـ عبد الرحمن عقيلة — ليبيـا
٩ ـ أكـرم زعـل — الأردن
١٠ـ عبد الوهاب علي الارياني . قطـر

## استراحة الدوحة العدد ٨٠

**الفائز: محمد ناصر محمد علي. السودان**
**عبد الله محمد بدوي — مصـر**
**٦ ـ أصل وصورة :**

**١ ـ قرص الشمس ٢ ـ شـعر عروس البحر ٣ ـ ملابس عروس البحر ٤ ـ السمكة الصغيرة ٥ ـ شارب الشـاب**
**٦ ـ قدم الشاب ٧ ـ عدد القلوب .**
**الفائز : خالد على بن رابحة — ليبيـا**
**يسري حسن قطـاطو — الأردن**
**٧ ـ اجمل تعليق :**

**ـ طال انتظاري على جمر ناري ، ولا انت داري .**
**دكتور : ابراهيم فهمي موسى — مصـر**

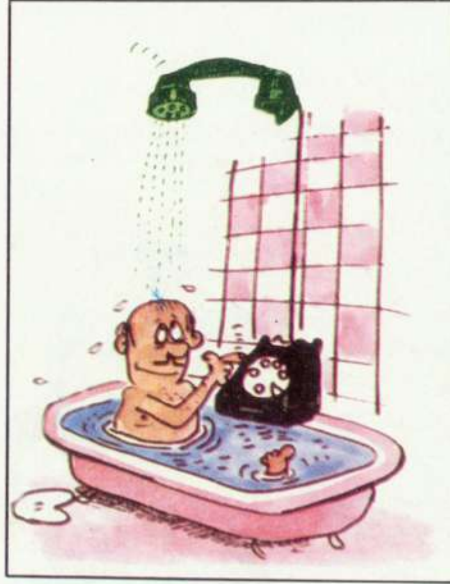
# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

دودو



## أصل وصورة





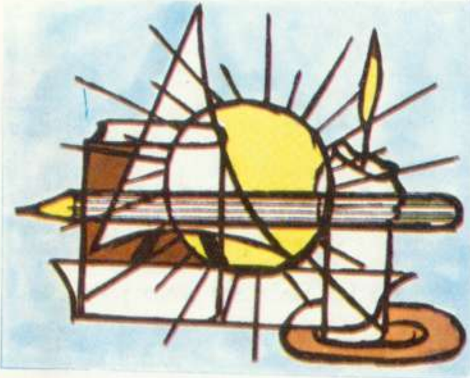
هناك سبع اختلافات بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى الساخر .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## المثل يقول




هل تعرف المثل العربى الذى ينطبق على هذا الرسم الكاريكاتيرى الساخر ..؟ اذا عرفت ماذا يقول المثل ( لك جائزة ٦٠ ريالا )

## لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة اشياء متداخلة هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله الينا . لتحصل على ( جائزة ٦٠ ريالا )

## دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ . وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف وما رقم فانلته . بدون الاستعانة بالقلم . ؟ اذا استطعت فجائزتك ( ٦٠ ريالا ) .

## لعبة الظلال




هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى الحصول على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة- ؟ . ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## يخلق من الشبه أربعين










الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الفنان الكبير محمود المليجى .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى- ؟ حاول وأرسله الينا لتفوز بجائزة ( ٦٠ ريالا )

# المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

## تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

| | |
|---|---|
| رئيس التحرير | د. عبدالله العتيبي |
| مدير التحرير | عبدالعزيز السيد |

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون ( الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ ) - الدراسات الاثارية ( الاركيولوجية ) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

### الاشتراكات السنوية

| | داخل الكويت | في الخارج |
|---|---|---|
| - للمؤسسات | ١٠ د.ك. | ٤٠ دولاراً أمريكيا |
| - للأفراد | ٢ د.ك. | ١٥ دولاراً أمريكيا |
| - للاساتذة والطلاب | ١ د.ك. | ١٠ دولارات أمريكية |

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :ـ

ص.ب : ٢٦٥٨٥ ( الصفاة ) الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣



زي من الخليج

العدد ٨٣ - محرم ١٤٠٣هـ - نوفمبر ١٩٨٢م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

## ● لماذا التطرف الديني ؟
خالد محمد خالد

## ● من الحوار الحضاري إلى المذبحة
د. محمد جابر الأنصاري

## ● في الانتحار..
الدكتور عبد السلام العجيلي



## أشهر الجميلات في الشرق والغرب

# الدوحة

## مجلة شهرية ثقافية جامعة
## تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٣ - مُحرم ١٤٠٣هـ - نوفمبر ١٩٨٢م

### المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

### الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

### الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

### الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين


## مكاتب توزيع الدوحة


● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص ب : ٢٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديبتان وزنقة سان سانس .
ص ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص. ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص. ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص. ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص. ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الأردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبأ العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص.ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .


● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أولم تنشر


Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

# في هذا العدد

● الدكتور ماهر حسن فهمي يكتب عن الشوقيات في الذكرى الخمسين لوفاة أمير الشعراء ( ص ١٦ )

● خالد محمد خالد يكتب عن التطرف الديني ومغزاه ( ص ٢٤ )

● « الدوحة » تنتقل إلى بيت شكسبير في مدينة « ستراتفورد » ببريطانيا حيث ولد الفنان العبقري ( ص ٧٦ )


د. محمد مندور


يوسف الخطيب


د. ماهر حسن فهمي


هارون هاشم رشيد


● من الحوار الحضاري إلى المذبحة ! ..........
د. محمد جابر الانصاري ٦

● لمن تلد النساء ؟ ... « قصيدة » ..........
يوسف الخطيب ١٠

● المستشرق اليهودي والحقد على الاسلام ..........
د. توفيق الطويل ١٢

● الاستيطان حرب على الارض والماء والانسان ..........
ابراهيم السمان ١٤

● أصول الشوقيات ..........
د. ماهر حسن فهمي ١٦

● وقفة مع الفكر الديني ..........
خالد محمد خالد ٢٤

● الساخر العظيم ..........
محمود السعدني ٢٧

● أت أنا والشعر .. ياقطر « قصيدة » ..........
هارون هاشم رشيد ٣٠

● التحضر فى المجتمع القطري ..........
أحمد العناني ٣٤

● عمامة جريئة بين الامة والحكومة ..........
فتحي رضوان ٣٦

● فى الانتحار ..........
د. عبد السلام العجيلي ٤٠

● مشاكل البيئة المصاحبة لمشروعات التصنيع والتعمير ....
د. محمد عاطف كشك ٤٢

● البروفسور « يوفال نعمان » رئيس حزب سياسي جديد يتبنى أشد الأفكار تعصبا ..........
عصام شريح ٤٦

● شرلوك هولمز بين الحقيقة والخيال ..........
جمال الكناني ٥١

● الدلالة القومية للفلكلور العربي ..........
محمد ابراهيم الفحام ٥٦

● نداء العاشق ... « قصيدة » ..........
حسن طلب ٥٨

● الوجه الآخر ... « قصة » ..........
كلثم جبر ٦٠

● محمد عبد الملك فى مجموعته القصصية الثالثه ..........
عبد الله خليفة ٦٢

● رينوار بين جمال الطبيعة وبهجة الحياة ..........
جمال قطب ٦٦

● باريس : عاصمة النور والفن والسياسة والحرية ..........
جمال الغيطاني ٦٨

● لقطات من الكون المثير ..........
٧٤

● « الدوحـــة » فى بيت شكسبير ..........
مجدي نصيف ٧٦
● مرايـا الزمــان ... « قصيدة » ..........
محمد ابراهيم أبو سنه ٨٣
● من دير ياسين إلى صبرا وشاتيلا .. اختلف أسلــوب المذابح والهــدف واحـد ..........
حمدي الكحلوت ٨٤
● بين أطلال ياميت ..........
درويش مصطفى الفار ٨٨
● عاصفة حول انقاذ يهود أوربا من النازية ..........
د. عاصم الدسوقي ٩٠
● جلباب صغير أخضـر ... « قصة » ..........
ابراهيم أصلان ٩٦
● دمون ... « قصيدة » ..........
د. محمد فوزي مصطفى ٩٧
● الميلاد فى أزمنة الموت ... « قصيدة » ..........
محمد صالح الخولاني ٩٨
● مع الفنان غازي الخالدي ..........
نادر أصفهاني ١٠٠
● الكشف عن الحلقات المفقودة فى نسب الانسان ..........
د. عبد المحسن صالح ١٠٤
● فنانون هواة ينافسون الفنانين المبدعين ..........
مريم آل سعد ١١٠
● أوراق خضراء .......... ١١٥
● خيوط العنكبوت ... « قصة » ..........
عبد الرحيم أبو عوف ١٢١
● مذكرات نابغة النصابين ..........
كمال النجمي ١٢٤
● لوحة الغلاف الاخير : الحرم الابراهيمي فى الخليل ..........
يوسف الخطيب ١٢٧
● قصة سيجارة وفنجان قهوة ..........
د. عز الدين فراج ١٢٨
● دائرة المعارف القرآنية « البيع » ..........
محمد البهي ١٣١
● سجاد الحرانية : التجربة والأصول ..........
صبحي الشاروني ١٣٢
● رسائل الى المحرر .......... ١٣٨
● من تراثنا المعاصر : أشهر الجميلات ..........
د. محمد مندور ١٤٠
● العلم هو المستقبل ..........
لبنى الريدي ١٤٦
● المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في أفلام مثيرة ..........
رءوف توفيـق ١٤٨
● ضحكات الشهـــر ..........
صلاح الليثي ١٥٤
● دوحة القراء .......... ١٥٦
● استراحـة الدوحـــة ..........
رؤوف ١٦٠



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير
التحرير : النور عثمان أبكر
عبدالله جابر
مريم آل سعد
نادية رزق
ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبدالله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

أيـــن يقفـــ فكـــرنـــا .. وأيـــن وصـــل واقعنـــا ؟

# من الحـــوار الحضـــاري .. إلى المـــذبحـــة

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

هل تذكرون «حكاية» الحوار الحضارى مع اسرائيل التى دعا اليها بعض كتابنا وأدبائنا الكبار .. عفا الله عنهم ؟

لابد ــ أمام المذبحة ــ أن نذكرها ونتذكرها بوضوح ، وبصوت مرتفع لأنها أحد أسباب المذبحة .. أحد أسبابها المعنوية والأخلاقية الهامة .

نعم .. فاسرائيل لم تتجرأ على العرب بهذا الشكل ، ولم تسترخص الدم العربى بهذه الوحشية ، إلا بعد أن وجدت عقولا عربية كبيرة وأقلاماً عربية شهيرة تمد اليها اليد بسخاء وكرم تتقبل طابعها العدواني التوسعى كما هو ، وعلى علاته ، وتتقبل مفهومها الصهيونى للسلام ، ثم تصوره على أنه حوار حضارى متمدن ، وعلى أنه انعطاف تاريخى الى غير ذلك من شعارات لا تقل زيفاً عن شعارات المزايدين بالقضية الفلسطينية على الطرف الآخر ...

نعم .. فاسرائيل قد هزمت العرب عسكرياً بشكل كاسح سنة ١٩٦٧ وكان بامكانها حينئذ الوصول الى أى مخيم فلسطينى ، والى أى مدينة عربية ، وذبح من شاءت من المدنيين العزل ؛ ولكنها لم تجرؤ وقتها على اقتراف ذلك ، لأن العرب لم يكونوا قد انهزموا من الداخل .. بعد . لم يكونوا قد انهزموا بعد فى الارادة والفكر والقلب والضمير .

وأمام الهزائم العسكرية والسياسية يضطر السياسيون والعسكريون للتلاؤم مع الظروف لاصلاح ما يمكن اصلاحه حسب اجتهادهم. وهذه مسألة أخرى تخرج عن نطاق بحثنا الأدبى هذا ..

ولكن الأدباء وأهل الفكر لهم شأن آخر وواجب آخر ، فهم بعد تشخيص أسباب الهزيمة ، عليهم أن يرفضوها ويهيئوا السبل المعنوية والفكرية والأخلاقية للتصدى لها ، ودفع الأمة لتجاوزها .

ولكن ما حدث ، بالنسبة لهذا النفر من الأدباء ، ان الهزيمة المعنوية الذاتية قد تحققت كاملة لديهم ، فقاموا بمباركتها تحت شعار الحوار الحضارى والتبادل الثقافى ولم يفرقوا بين تكتيك أهل السياسة المرتبط بظروفه وحساباته المرحلية وبين واجب أهل الفكر القائم على الحقائق الثابتة والقيم الراسخة والنظرات البعيدة ، والمواقف المبدئية قبل كل شىء .

## نموذج من فرنسا

عشية انهزام فرنسا أمام الألمان عام ١٩٤٠ قرر المارشال بيتان - كعسكرى وسياسى - أن يهادن الألمان ليتجنب المزيد من الخسائر فى الأرواح الفرنسية ، والمزيد من التخريب فى الأراضى الفرنسية على غير طائل فى حينه .

ولكن .. تصوروا لو أن الأديب والمفكر الفرنسى جان بول سارتر - مثلا - حذا حذو بيتان ، ودعا الى الحوار الودى مع النازية وقابل هتلر أثناء زياراته لباريس ، ليتحدث معه فى «السلام» ؟!!

أى هوة سحيقة كان سيقع فيها سارتر لو فعل ذلك ؟ لا بل ان مجده الأدبى والنضالى قد تأسس على أنه رفض ذلك بشدة وقوة ، ولولا هذا الموقف لما انتشرت فلسفة سارتر «الوجودية» ولما التفت اليها أحد . فالأفكار والفلسفات هى مواقف تاريخية قبل كل شىء ، وليست مجرد براعة ذهنية وبيانية وفنية منفصلة عن واقع الأمة وأعمق تطلعاتها وآلامها . وللحقيقة التاريخية ، فان بعض الأدباء الفرنسيين الصغار الذين هادنوا العدو النازى فى كتاباتهم - أثناء الاحتلال وتحت ضغط الظروف ربما - قد جوبهوا بأقسى الأحكام من حكومة فرنسا المحررة بعيد الحرب ؛ ولم يشفع لهم أنهم أهل كلمة فحسب وأنهم لم يستخدموا السلاح لصالح العدو أو أنهم «مضطرين» الى غير ذلك من الأعذار والتبريرات .

ومعيار الحكم ، بالنسبة لأهل الكلمة ، فى هذه الظروف هو الحديث النبوى المأثور : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه . وهذا أضعف الايمان» .

فالأديب ، على أضعف الايمان ، يمكنه أن يلوذ بالصمت والسكوت لأن صمته فى مثل هذه الظروف فيه بعض المعانى لمواطنيه ، أما أن ينطق ويعمل بطريقة عكسية ومضادة لجوهر رسالته ، فهذه هى الهزيمة المعنوية الداخلية التى أشرنا اليها والتى جرأت العدو علينا أكثر مما جرأته هزائمنا العسكرية السابقة .

وبعد المذبحة الجسدية التى تعرض لها إخوتنا فى صبرا وشاتيلا ، والمذبحة المعنوية التى أصابتنا ، نتيجة لذلك ، من الخليج الى المحيط ، فلابد أن نقرر أن شعار الحوار الحضارى مع العدو والتبادل الثقافى مع الفكر الصهيونى كانا من أسباب إزالة ذلك «الحاجز النفسى» الذى منع حكام اسرائيل من ذبح العرب بهذه الطريقة من قبل .

لقد زال هذا الحاجز لديهم تماما وأصبحوا طليقى اليد والنفس فى تحقيق هدفهم الأساسى الدفين ، والذى أصبح ظاهراً الآن : وهو إزالة كل وجود عربى من هذا العالم .

أجل .. ذلك هو «الحاجز النفسى» الوحيد الذى أزيل بسبب هذه الدعوة .. إنه الحاجز الذى منع اسرائيل من ذبح العرب طوال هذه الفترة . أما الحاجز النفسى الآخر الذى تحدثوا عن إزالته ، فليفتحوا أعينهم اليوم جيداً ، إن كانوا مايزالون قادرين على الرؤية السليمة ، ليروا كم جثة عربية عزلاء معلقة عليه فى صبرا وشاتيلا ، لعلها تتحول الى أجراس تقرع الضمائر الغافية وتوقظها من نومة أهل الكهف .

وصحيح أن هذه المذبحة هى المحصلة الصارخة لوضع العرب جميعاً ولتقصيرهم الشديد فى مختلف المجالات ، ولكن هذا لا يلغى المسئولية عن كاهل رجال الكلمة الذين باركوا نتيجة التقصير ، ولم يروا فيها ظرفاً سياسياً محدوداً باطاره ، وإنما انطلقوا يفلسفونها للأمة حواراً حضارياً وانفتاحاً ثقافياً قبل ظهور أية بوادر مقنعة من جانب العدو ، بل مع ظهور بوادر مهينة واستفزازية من جانبه قد يتحملها السياسى لكن يستحيل قبولها على الأديب .

## أين الحقيقة

فى أكتوبر ١٩٨٠ وافق عدد من رجال الثقافة والأدب بمصر على الاجتماع برئيس اسرائيل اسحاق نافون . ولا يهمنا الآن تعداد أسماء هؤلاء السادة ، ولكن ما يهمنا حقاً هو محصلة ذلك اللقاء الذى وصفه د. حسين نصار فى مقاله بالأهرام عدد ٣٠/١٠/١٩٨٠ بعنوان «الرئيس الاسرائيلى والكاتب المصرى» .

يقرر كاتب المقال - وأحد المشاركين فى اللقاء - أن هؤلاء الكتاب ختموا اجتماعهم: «بالاشادة بالرئيس اسحق نافون الذى يشعرون فيه بالاعتدال وحب السلام والرغبة فى الفهم والتفاهم . (لقد تحقق ذلك كاملا فى صبرا وشاتيلا !!) - وبعد العشاء قال أحد كبار معاونيه للوفد ان الحديث كان رائعاً ، وأن كل كلمة قالها الكتاب وصلت الى قلب الرئيس ، فقلنا لأنها صادرة من قلوبنا» .. !!

«صادرة من قلوبنا» .. ؟؟

ما هذه التى صادرة من قلوبهم ؟

الآن عرفناها . بعد صبرا وشاتيلا عرفناها جيداً بوضوح الدم المتدفق والعيون الجاحظة والرقاب المقطوعة

# من الحوار الحضاري.. إلى المذبحة

للنساء والأطفال .

هذه «الصادرة من قلوبهم» لم تكن سوى أصداء هزيمتنا المعنوية التى أزالت «الحاجز النفسى» لدى العدو ليفتك بنا كيف شاء .

والآن .. بعد المذبحة .. ما رأى هؤلاء السادة الأفاضل من أهل الكلمة ؟

نعتقد أنهم مدينون للحقيقة بكلمة . إن لم يكن للأمة فللحقيقة المجردة على أضعف الايمان .. الحقيقة المجردة التى يصرخ بها اليوم الأوربى والأمريكى واليابانى مستنكراً بل يستنكرها قسم كبير من الاسرائيليين أنفسهم ، فالمسألة تجاوزت الاقليميات والحساسيات والاتجاهات من كل نوع .

فلينطق هؤلاء السادة ليقيموا ما حدث ، خاصة وأنهم من شهوده ومن المشاركين أدبياً وأخلاقياً فى حدوثه من بداية حكاية الحوار الحضارى .. الى .. نهاية المذبحة ، إن كانت قد انتهت ..

إن مسئولية الأديب الأخلاقية والمعنوية أكبر بما لا يقاس من مسئولية السياسى . فالناس – كما قلنا – يغفرون للسياسى أحياناً تراجعاته ، ويتفهمون انحناءه للظروف الوقتية ، من أجل تغيير الأمر الواقع مستقبلا ، كما فعل النحاس باشا عندما وقع اتفاقية ١٩٣٦ ووصفها بأنها معاهدة الشرف والكرامة ، ثم ألغاها تجاوباً مع موقف شعبه عام ١٩٥١ لأنها أصبحت – مع التجربة المرة – مخلة بالشرف والكرامة .

أما الأديب فانه قبل كل شىء «موقف» .. موقف أخلاقى وضميرى وفكرى وتاريخى . والمواقف ليست مناسبات ظرفية عابرة وليست وظائف رسمية يؤديها الأديب بحكم إدارته لهذه المؤسسة أو عضويته فى ذلك المجلس ، ثم يغيرها عندما تتغير الظروف والحسابات .

وسارتر كما أشرنا كان موقفاً قبل أن يكون صانع رواية ومؤلف فلسفة ..

وبيرترند رسل كان موقفاً قبل أن يكون رياضياً كبيراً وفيلسوفاً مبدعاً ، وغسان كنفانى كان موقفاً قبل أن يكون كاتباً وروائياً ..

والفن لا قيمة له إن لم يدعمه موقف واضح فى الحياة . هكذا علمنا أولئك السادة أنفسهم من دعاة الحوار الحضارى مع اسرائيل .

هكذا علمونا عندما كانوا معلمين ومرشدين لعالم عربى واسع وقبل أن يتحولوا الى مجموعة ترجمات بالعبرية ، يعلوها الغبار ، فى بعض المكتبات الجانبية باسرائيل ...

## مسئولية الجمهور

إن أى فنان أصيل من شيمته دائماً أن يفكر بجمهوره الذى أحبه وارتبط به حتى عندما يحدث تعارض وقتى بين اعتباراته الشخصية ومشاعر جمهوره العريض من أبناء شعبه وأمته .

فهل فكر هؤلاء السادة الأدباء فى جمهورهم العريض وفى مشاعره وأحاسيسه ، احساسه بالكرامة خاصة ، عندما اندفعوا فى مسألة الحوار الحضارى والثقافى مع اسرائيل قبل أن تتضح النتائج العملية لمفهومها فى السلام ، وقبل أن يأخذ الحل العادل الشامل مداه الكامل ؟؟

وها هى النتائج العملية الآن أكثر من واضحة .. فما هى الحكمة أو الفائدة المترتبة على مواقفهم تلك التى خلخلت الوجدان العربى وزادت العدو تطرفاً فى عدوانيته ؟

هل يمكن أن يوضحوا لنا كيف حدث ذلك ، وكيف انخدعوا وتخدروا وهم أهل المعرفة والتحليل والوعى ؟

هل يمكن لأستاذنا توفيق الحكيم أن يكتب لنا اليوم – مرة أخرى – عن «عودة الوعى بعد المذبحة» ؟ أم انه مايزال مكتفياً وسعيداً بعودة وعيه الحالى إليه بعد خروجه من تحت تأثير سحر عبد الناصر ، كما قال ؟

ألا يخامره أى شك الآن انه ربما فقد وعيه أو بعض وعيه من جديد تحت تأثير السحر الأسود لمناحيم بيغن وبقية كهان الهيكل ؟!

أما الأستاذ نجيب محفوظ فكم كان رقيقاً ومهذباً فى رسالته الى الاسرائيليين بمناسبة عرض «ثرثرة على النيل» على أحد مسارح اسرائيل بالعبرية فى ابريل ١٩٨٢ .

قال سيادته : «أرجو أن تكون هذه المسرحية رمزاً للصداقة وسبيلا الى تحقيق السلام الشامل فى الشرق الأوسط . فان أعجبتكم هذه المسرحية فالفضل فى ذلك يرجع الى العالم الاسرائيلى سوميخ الذى أوصى بها ، والى الأستاذ الذى ترجمها ، والى الفنان الذى قام بتمثيلها . أما إذا لم تعجبكم فاللوم كان يقع على المؤلف . لذلك فأبادر بالاعتذار» .

لا نظن أن الأستاذ نجيب محفوظ قد خاطب جمهوره المصرى والعربى – قط – بمثل هذه الرقة والعذوبة رغم كل «العشرة» الطويلة بينهما ورغم كل الاعجاب الذى أحاطه المصريون والعرب بفن نجيب محفوظ . ولاشك أن الكاتب مخلص فى دعوته للسلام الشامل العادل ، ومخلص فى استمالة الاسرائيليين لهذا السلام بأسلوبه الرقيق المهذب . ولكن هل يعتقد الآن الأستاذ محفوظ انه وضع تهذيبه ورقته فى مكانهما ولدى أهلهما ؟ أو كما قال المتنبى : «وإن أنت أكرمت اللئيم .. تمردا» ؟

وأياً كان الأمر ، فان الاسرائيليين قد شهدوا مسرحية «الثرثرة» بالعبرية على مسرحهم ثم مروا بها مرور الكرام وهم فى الطريق الى حربهم بلبنان بلا سلام شامل ولا عادل ولا هم يكترثون ..

وأما نحن فقد أكلنا «المذبحة» على مسرح صبرا وشاتيلا – وبالعبرية أيضاً – فهل بادر أحد من الاسرائيليين بالاعتذار للأستاذ محفوظ ، رداً على اعتذاره المهذب لهم عن مسرحية «الثرثرة» ؟ على الأقل من باب التكافؤ فى الحوار الحضارى العتيد ؟ وشر البلية ما يثير السخرية فى زمن المذابح .

وحتى لا نقصر عرضنا لموقف الأستاذ محفوظ من خلال هذه المفارقة الفاجعة ، مفارقة الثرثرة – المذبحة التى فاجأته بها اسرائيل – فانا نورد تصريحه بالنص لمجلة أكتوبر العدد ٢٨٧ بتاريخ ١٩٨٢/٤/٢٥ ، ص ٧٩ :

قال الأستاذ : «اننى من أنصار السلام ومن دعاته . وان السلام اسم من أسماء

الله تعالى ، لأن السلام هدف وغاية ، وهو منحة من الله يجب أن نتمثل بها . كما أنى من دعاة التطبيع للعلاقات لأن مفهوم التطبيع يتمثل المعنى الحقيقى للسلام . ولابد لنا من السير فى مجال التطبيع وبلا تردد ، خاصة بعد نهاية ابريل . والتطبيع الثقافى أمر هام لأن فيه تلاقى الفكر فى إطار من النقاء والصفاء ، عند ذلك تذوب سحب التقاتل والصراعات التى تثير جواً من القلاقل وفقدان الثقة» .

وبعد تذكير الأستاذ محفوظ ان الله سبحانه له تسع وتسعون صفة ، السلام إحداها ، ومن صفاته أيضاً ، كما لا يخفى عليه ، القوة والعزة . وهذه الصفات الالهية جميعاً جوهرها واحد ـ كما قال علماء الكلام ـ ولا يمكن أن تكون احداها نقيضة للأخرى . فهل الاستاذ على ثقة أن السلام الذى يتحدث عنه هو السلام الوارد فى صفات الله عز وجل ، وهل السلام الذى يتحدث عنه متفق مع صفات الله الأخرى ؟ نقول بعد تذكيره بهذا نود أن نعترف أن دعوته للتبادل الثقافى ، وبلا تردد ، هى موقف صريح واضح لا لبس فيه . وفيها شجاعة الوقوف أمام التاريخ بالحق أو الباطل .

ولكن .. حبذا لو انسحبت شجاعة الموقف هذه على مذبحة صبرا وشاتيلا ليقول لنا رأيه فيها .. كانسان فقط .. لا كصاحب اتجاه عربى أو اقليمى ، يسارى أو يمينى ، لأنه فيما يبدو لم يكن عنده شىء يقوله عندما سئل عن رأيه فى القصف الاسرائيلى الشامل للمدنيين فى بيروت قبيل خروج المقاومة منها ، رغم الموقف المشرف لعدد كبير من الأدباء والفنانين المصريين من القضية ..

فهل مازال يعتقد أن السكوت عن جرائم اسرائيل مازال من ذهب حتى بعد المذبحة التى أثارت قسماً لا يستهان به من جمهوره الاسرائيلى نفسه الذى شهد مسرحيته «ثرثرة على النيل» ؟

نقول له هذا ليس من باب الاحراج ، لأنه أمام اللحم البشرى الممزق فى مخيمات اللاجئين ، يسقط الاحراج وتسقط المجاملات ، وتسقط اختلافاتنا جميعاً وترهاتنا جميعاً وأمجادنا جميعاً .. ولكن لأنه تحدث وسجل مواقف فكرية بالنسبة للانفتاح الثقافى على اسرائيل ذاتها صاحبة المذابح .. فهل له رأى فى هذه المذابح أم لا ؟ وهل يرضى أن يدخل التاريخ كأديب تحدث عن الانفتاح والتبادل وسكت عن الذبح ؟ نحن لا نرضى له ذلك ، حرصاً على روائعه الثلاثين أو الأربعين فى التراث العربى . فهذه كلها لن تترجم الى العبرية . وإن ترجمت فلن يقرأها احفاد شارون . لن يقرأها إلا أحفاد الناجين من صبرا وشاتيلا يوم تبدل الأرض غير الأرض ويخلصنا الله من هذا الوضع الأليم الذى يقودنا الى هذا التجادل المرهق والمؤسف .

ولكن لا مهرب من أن نقول له بصراحة ومحبة ان حكمه كان خاطئاً تماماً ـ هو وزملاؤه الأخرون ـ بالنسبة لفهم طبيعة الكيان الاسرائيلى والفكرة العنصرية الصهيونية التى تجسدها اسرائيل . والذى نعرفه عن الأستاذ نجيب محفوظ أنه تقدمى علمى يمتد بصلة الى الطليعة الوفدية المستنيرة المناضلة ، فكيف يتلاءم ذلك والتحاور مع فكر عنصرى يمينى فاشى يرفضه التقدميون فى اسرائيل نفسها ؟

إننى أطلب منه فقط أن يضع أقواله فى الدعوة الى «تلاقى الفكر .. فى إطار من النقاء والصفاء لتذوب سحب التقاتل والصراعات ...» أن يضع هذه الأقوال تحت صور المذابح فى صبرا وشاتيلا ليرى معناها كاملا ، وليرى مفعول حديثه عن «النقاء والصفاء» فى نفوس الاسرائيليين وهل ذابت «سحب التقاتل والصراعات» من نفوسهم أم أن الذى ذاب حقاً هو أوهام الداعين للحوار الحضارى قبل حل المشكلة الأساسية والجوهرية التى تدور حولها سحب التقاتل والصراعات ؟

## مصر .. قيادة وشعباً

ومن لطف الله بهذه الأمة ، وبما تبقى لديها من أحاسيس أن مصر العربية ، قيادة وشعباً ، قد أوقفت هذه الدعوة الى هذا الحوار الحضارى المشئوم وأوقفت «السير فى مجال التطبيع وبلا تردد» على حد تعبير الأستاذ نجيب محفوظ ، وأخذت تزيد الاقتراب من أمتها العربية ، وتتصلب بكرامة فى وجه المعتدى ، بما يبشر بانبثاق فجر جديد إن شاء الله .

وإذا كنا قد أدنا تحت إلحاح الواجب الأدبى اجتهاد ذلك النفر من الأدباء ، فلابد بالمقابل أن نشيد بمواقف الفنانين والأدباء الذين وقفوا بشرف مع اخوانهم الصامدين الفلسطينيين طوال المحنة ، ومايزالون ، معبرين عن الروح الحقيقية لأرض الكنانة .

كما نشد على أيدى أولئك الحاملين لشرف القلم ، المدافعين دائما عن عروبتهم واسلامهم وكنانتهم العزيزة دون تراجع ولا تلون من خالد محمد خالد الى اسماعيل فهمى الى لطفى الخولى الى أحمد عبد المعطى حجازى الى رجاء النقاش الى يوسف ادريس وسواهم من هذا الحشد الكريم الذى يمثل وجهنا الحقيقى الذى نصبو اليه .

وكم كان بودنا لو لم يحوجنا الأمر لطرح هذه المشكلة الأدبية . ولكن بعد هذه المذبحة الجسدية والمعنوية لم يعد من الجائز السكوت عن خطأ أياً كان ، خاصة فى نطاق الثقافة والفكر لأن الانحطاط يبدأ من هنا ، والصعود ينطلق من هنا .

فهل نلتقى جميعاً ، خاصة مع الاخوة الذين اختلفنا معهم حول مبدأ «عفا الله عما سلف» لنعمل معاً من أجل المستقبل حتى لا نتعرض لمزيد من المذابح والاذلال والدمار ؟ وحتى لا يبقى أدبنا وفكرنا فى هذه الحالة المخيفة من التشتت والتحلل والافلاس ؟ ولكن بشرط أن تكون المبادىء واضحة والمنطلقات بينة .

حبذا لو نوّرنا أساتذتنا الكبار الذين نريدهم أن يبقوا لنا أساتذة . وأن يبقوا كباراً .

د. محمد جابر الأنصارى

هـذه مقاطـع من قصيـدة طويـلة للشـاعر العربي الفلسطيني الكبير يوسـف الخطيـب وسـوف تظهـر هذه القصيـدة الرائعـة بصورتهـا الكاملـة فى ديـوان جـديد للشـاعر الكبيـر يصـدر قريبـاً :

# لِمَنْ تَلِدُ النساء..؟!

شعر: يوسف الخطيب



## (١)

سُدًى تتبرَّجُ الكلماتُ يابيـروتُ
ليس يمـوتُ
عصـف النـارِ ، والأعصار
غير الظلم .. والظلمـة ..
وتبقَيْنَ البشـارةَ .. والمجيءَ ..
ولهفـةَ الميـلادِ .. والعُـرْيَ المضيءَ ..
ووحـدك العـذراءُ ..
فامتلئي بأبكارِ الـرؤى نعمـه ..
سُدًى تتغيَّثِينَ مناهـلَ الصحراءِ
لا وعـدٌ على بريَّـةِ الأحقافِ
غير مدافـن الأسـلافِ ..
لا بـرقٌ يشـقُّ أنوثـةَ الغيْمَـه
هنا التأمَـتْ « صـلاةُ الغائبِ العربيِّ »
ثم قـرأتُ فاتحتي
لِأضرحـة .. الشهامـةِ .. والفـداءِ ..
عليهمـا الرحمَـهْ ..
أسيـدتي .. كأن حريقَ هذا الكهفِ
يصقل منـك حـدَّ السيفِ
يُنْشِبُ من لهيب أصَابـعِ الشهـداءِ
كل أظافـرِ النقْمَـهْ
كأن غـداً يدقُّ رِتَاجَ هذا البـابِ
يغسلُ حُرْقَـةَ الأهـدابِ فى فَـرَحٍ
ومن قُـزَحٍ
يُفسِّـرُ في دهاليزِ الدُّجَى حُلُمَهْ
كأن جِـرَاحَ من سَقَطُـوا
تصيـرُ براعِـمَ الرمَّـانِ
أشعلهـا بجبهَتِكَ الصبـاحُ
وحُمَّـت الأقداحُ بين عرائـشِ الكَرْمَـه
وأُقسم بالنـدي ، والشمس ، يابيـروتُ
إذ يتضـرَّج النَّعْمَـانُ في دَمِـهِ
فمـن فَمِـهِ
يشع التوأمان .. الجرحُ .. والبسمه ..
وأحـدس أن قلبي الآن ذو نبضيـنِ
أصبـاه .. وأنضجه .. العـذابُ ..

كأن لـذعَ النار طعمُ قصائدي
وتفتَّحَـتْ في رأسِيَ الحِكْمَـهْ ..

أقول لكُمْ ..
« إذا كان الإمـامُ بلا وضُـوءٍ
« لن تَجُـوزَ صلاتُها الأمَّـهْ ..

أقول لكم ...
« تباركَ شعبُنَـا العربيُّ ، بعْدَ اللهِ
« غيْرُ جبينه من يحمِلُ الوصْمَهْ ..
........
........

(٢)

مَذَاقُ النصرِ فى قاموسِـكَ العربيِّ
فاكهـةٌ محرَّمَـةٌ
وطعـمُ القهـر .. كبريتٌ .. وملحٌ ..

وتنحبـس الغيومُ على حلاقيـمِ التُّلومِ
وجرحُ شعبك فاغـرٌ
من ألفِ فاجعةٍ يَسِـحُّ

سألتُ اللهَ .. عفوَكَ ..
كم تنـزُّ قروحُنـا عَبَثَ الريـاحِ
ولم يَمَسَّ القـومَ قَـرْحُ

أتنهـدم القبـورُ على القبـورِ
ويَمَّحى بأديمِ هـذي الأرض آدمُهـا
وما ينهدُّ للطاغـوتِ صرحُ
........
........
ويقوم بين النـاس أكثرُ من مسيْلمةٍ
وتلتمـعُ الدُّمَى
ويَعُمُّ هذا الكـونَ قبـحُ

لمن تَلِـدُ النسـاءُ إذَنْ ..
إذا لم يغزُ ليلَ القدسِ .. قدّيسٌ ..
ولم يُنجِـزْ على الطاغـوتِ رمـحُ

بلى .. حَبِلَـتْ .. فأثقلت الخيامُ
فثمَّ فى بطـنِ الظـلامِ
يهمُّ بالميـلادِ .. تكوينٌ .. وصبحُ ..

تكاد تفيضُ بالآتينَ أرحـامٌ
وتأزفُ .. من مخـاضِ القهر .. أيامٌ
وأعـلامٌ مجنَّحَـةٌ .. وفتْحُ ..

لأنَّاغيْـثُ رائعةِ المواسِـمِ
حيثُ نسقيها جوارحَنَـا
سيُمْرِعُ فى الربى .. وردٌ .. وقمْـحُ ..

ستومِـضُ ، بعدُ ، أشـواقٌ
وتنهَـلُ من رحيق الشمس أحداقٌ
ويالنهارِ عمـلاقٍ سيصْحُـو ..

ويطلُـع ، بعدُ ، فى قاموسك العربيِّ
أجـراسٌ .. وأقواسٌ ..
وفـوحٌ يغزل الرؤيـا .. وبَوْحُ ..

(٣)

أظنُّ هناك إخباريَّـةً عن نبضِ قلبِي
فى أضابيرِ المباحِـثِ
أنَّ جِنًّا من طيـوفِ القدْسِ تَسْكُنُنِي

أظنُّ هناك تعميمـاً على كل المخافرِ
أنَّ وزْنَ حقَائبي
أوزانُ أشعارٍ .. وأحلامٌ تؤرِّقني

أظنُّ هناك ملصوقاً بجدرانِ المدينةِ
يستحِـلُّ دَمِي
وأن سماحَةَ المفتي يُزَنْدِقُني

لذلك يشرب العشاقُ خَمْرَ قَريحَتي
وأهْرِبُ الآمالَ ، فى الآلامِ
ذَوْبَ الشَّوق .. فى الشَّجَنِ

فما هَمِّيَ إذا لونْتُ بالأضـواءِ
احداقَ النجوم على أساريرِ السماءِ ..
هل الرقابةُ بعدُ تشطُبُنِي ؟! ..

رضيتُ جـزاءَ عصياني ..
ويُعْرَفُ من هُمُ الشعراءُ
لا من خلعـةِ السلطانِ ..
بل .. من فادحِ الثَّمَنِ !! ..

تظلُّ لي السماءُ ، وخَفْقُ أجنحتِي
ومزمـارِي .. وأغنيتي ..
ومعنى الروحِ تُرْعِشُ هيكَلَ البَـدَنِ

لأنِّي لم أبعْ ، بمزادهم ، قَلَمِي
وما بَـدَّلْتُ جِلْدَةَ وجْهِيَ العَرَبِيِّ ..
لم أسقط .. ولم أخُـنِ ..

ولكنْ ، صُغْتُ نَبْضَ الحَرْفِ ،
وَهْجَ السَّيفِ
واستبقيتُ لي عُمْـراً ، وَرَاءَ العُمْـرِ
إنْ وَغْدٌ سيقتلني
........
........
........
........

يوسف الخطيب
دمشق ـ تموز ١٩٨٢

## أضـــــواء جـــديـــدة

# المستشرق اليهودي والحقد على الإسلام

بقلم: الدكتور توفيـق الطويـل

**تلقى رئيس تحرير الدوحة هذه الرسالة الهامة من الأستاذ الجليل الدكتور توفيق الطويل أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية، وأحد كبار أعلام الفكر العربي المعاصر، والرسالة تتناول شخصية المستشرق اليهودي «بول كراوس» الذى انتحر فى القاهرة فى الأربعينات .. وما تزال شخصيته وانتحاره من الأمور الغامضة، وهذا هو نص رسالة الدكتور الطويل :**

عزيـزي رئيس التحرير :

تحية الله وسلامه وبعد : فقد قرأت فى عدد أكتوبر من مجلة الدوحة تعليقكم على رسالة الدكتور نصار عبد الله، وفيه تطلعتم إلى مزيد من الضوء على شخصية «بـول كراوس» والتعرف على رأيي فى سبب انتحاره، وانا أقرر في مستهل الحديث أن هذا المستشرق اليهودي كان أثناء حياته مثاراً لجدل يتراوح بين تقدير مسرف، واستخفاف بالغ .. ! ومن بين الذين ناصبوه العداء ونالوا من علمه وخلقه اعضاء بعثات كلية الآداب الى باريس فى عهدها الأول، إذ قضوا فى باريس عشر سنوات لم يوفق احد منهم فى الحصول على دكتوراه الدولة - التى تتطلب دراسات جادة شاقة فى اليونانية واللاتينية، فأعادهم الدكتور طه حسين عميد الكلية فجاة الى القاهرة وأساءت الكلية معاملتهم فقررت تعيينهم معيدين احدث عهداً فى سلم الوظيفة من المعيدين الجدد الذين عينوا بليسانس ذلك العام ..! وأشارت أصابع الاتهام الى «كراوس» الذى كان قد عاد من رحلة الى باريس، وقيل إنه أوغر صدر الدكتور طه حسين بحديث طويل عن استخفاف هؤلاء المبعوثين بالدراسة، وانغماسهم فى اللهو والعبث مع الفتيات الباريسيات .. !! واشهد ان كان بين تلاميذ هذا اليهودى فى ذلك الوقت من كان يسرف فى تقديره، الى حد ان بعض طلاب قسم الفلسفة بكلية الآداب اتفقوا بعد موته على أن يذهبوا الى مثواه الأخير مشياً على الأقدام ليضعوا على قبره باقة ورد تقديراً له وإعجاباً بعلمه .. !! وانا أشهد - وانا لم أكن من المقربين اليه المحبين له - أن «بول كراوس» كان يلفت النظر بصغر سنه وحدة ذكائه ووفرة نشاطه وغزارة انتاجه وسعة علمه بالتراث العربى الاسلامى، وأن الله قد وهبه ذاكرة قوية يعرف قيمتها المشتغلون بالدراسات العلمية، فكان اذا سئل عن نص أورده مستشرق مترجما فى كتاب بالفرنجية دون أن يشير الى مصدره العربى، بادر «كراوس» بالعثور على النص فى أصله العربى فى مكتبة الدراسات (العربية) الشرقية التى كان له وحده فضل انشائها فى المكتبة العامة بجامعة القاهرة .. !

أما عن مسالة انتحاره فليس فى سببها يقين لا يرقى اليه شك، والذى عرفته بعيداً عن الذين يضمرون له الكراهية هو ما أشار اليه الدكتور نصار عبد الله فى رسالته اليك، مع ملاحظة أن رئيس قسم الجغرافيا كان يتاهب للسفر مع زميلين آخرين لحضور مؤتمر فى القدس - ولم يسافر بتكليف من الدكتور طه - والمعروف أن الدكتور طه كان إذا احب أسرف فى حبه فاذا تبين فيمن احبه خللا أخلاقياً نفر منه واشتد غضبه عليه، ولم يكن هذا بالأمر الهين على «كراوس» الذى عاش فى حماية الدكتور طه وفى ظل نفوذه - عميداً للكلية كان أو مجرد أستاذ بها .

أما عن حبه للعروبة ودفاعه عن قضيتها فانى أميل - فى حذر - الى رأى الدكتور نصار فى رسالته، فان «كراوس» كان يبدو - وهذه وجهة نظر خاصة - حاقداً على الاسلام، فى وقت كان الحقد فيه على الاسلام يتضمن الحقد على العروبة .. ! إن



طـه حسين



د. توفيق الطويل



د. عبد الرحمن بدوى

ن بحوثه العلمية بحوثا يبدو منها
صه الشديد على إحياء رسائل كتبها
ة الملحدين فى عصر الالحاد والزندقة
الاسلام ، وإن كنت انبه مقدما الى ان
يهتم بدراسة الالحاد ويؤرخ له لا يتحتم
يكون ملحداً او ميالا الى نشر الالحاد
ن الناس ، إذ ربما كان الدافع الى هذه
راسة علمياً محضاً ، ولكن الحال عند
ا المستشرق اليهودى قد يبدو على غير
ا الوجه ! فقد عنى اشد العناية بائمة
لحدين الذين اعتصموا بالعقل واعتزوا
نطقه ، واستهانوا بالايمان الدينى
ستخفوا به ، فمن اشهر الرسائل التى جد
البحث عنها ونشرها بعد دراستها رسائل
بن الراوندى» وكانت طعنا سافراً فى
سلام وهدماً صريحاً للنبوة وإبطالا
رسالات وسخرية بالمعجزات ، واستخفافا
عجاز القرآن حتى جعل فصاحة أكثم بن
يفى تفوق فصاحة القرآن .. !! وهكذا كان
ن الراوندى يبطن الزندقة ويقصد الى
زعة الاسلام فى نفوس أهله .
وكان من أحب المفكرين الاسلاميين الى

قلب ذلك المستشرق اليهودى : «محمد بن زكريا الرازى» حقيقة انه كان اعظم اطباء عصره غير منازع ، فيما قال مؤرخو الطب العربى من ادور براون ووليم أوسلو وجاريسون وكاميل وغيرهم ، كما كان اعظم رواد الكيمياء فى عصره حتى عده «الدومييلى» مؤسس الكيمياء علماً تجريبياً طبيعياً ... ولكن «كراوس» قد اهتم به ملحداً شغل نفسه بهدم النبوة استناداً الى قيمة العقل ومنطقه ، وتصدى لهدم الاديان كلها .. ! - ربما لان ذلك خطوة الى زعزعة العقيدة الاسلامية فى نفوس اهلها .. ! - ونقد الرازى الكتب المقدسة وأبان عن فسادها ، وهاجم إعجاز القرآن الكريم نظماً وتاليفاً ومعنى ... ! وهكذا سار سيرة سلفة الملحد «ابن الراوندى» .

ونشر كراوس رسائل «جابر بن حيان» الذى كان يعده البعض مفخرة العرب فى العلم الطبيعى ورائد مناهج البحث التجريبى العلمى ، فاعتبره «كراوس» شخصية خرافية وليست شخصية تاريخية واقعية ، وان كان هذا ما ذهب اليه المعاصرون من المستشرقين من امثال الدومييلى وبرتيلوو غيرهما . واهتم «كراوس» بان يثبت الصلة بين كتبه المنحولة وآراء غلاة الشيعة الاسماعيلية ... الخ

ولكن هذا الذى نقوله - تصريحاً او تلميحاً - لا يرضى صديقنا الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي ( وهو بجامعة الكويت الآن) إذ كان اخلص اصدقاء «كراوس» ، واقرب محبيه الى قلبه ، وقد ترجم له الكثير من بحوثه ودراساته وهو فيما اعلم لا يطيق ان يسمع عنه كلمة سوء .. !!

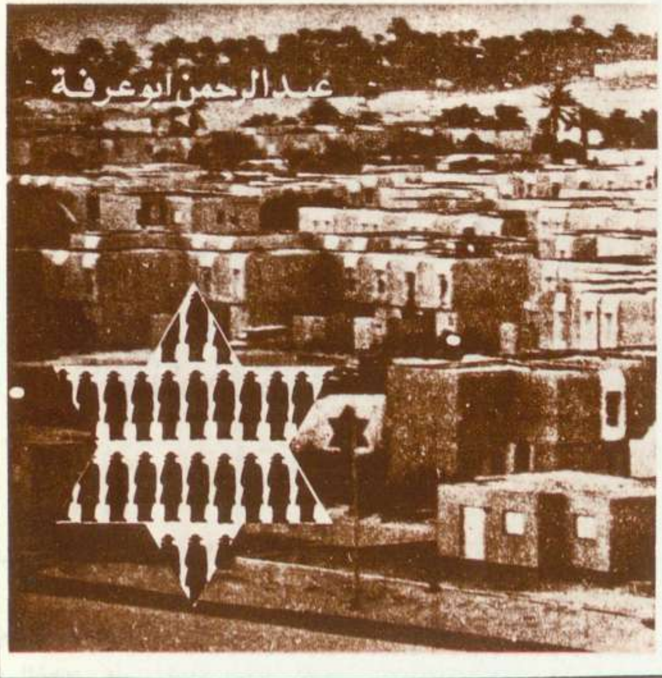
هذا بعض ما بدا لي انه قد يلقى بعض الضوء على شخصية هذا المستشرق اليهودى ، ولعل فيه بعض الانصاف من الحملات الجائرة التى شنها عليه خصومه - وما كان اكثرهم .. !

د. توفيق الطويل

إبراهيم السمّان

# الاستيطان:

# حرب على الأرض والماء والإنسان




غلاف كتاب « الاستيطان » الذي صدر مؤخراً حول هذه القضية الخطيرة المتعلقة بالأرض والانسان والمياه

ليس الاستيطان الاسرائيلى فى فلسطين ، كما يبدو للبعض ، موضوعاً جديداً أو حلقة تضاف اليوم إلى مسلسل الصراع العربي الصهيوني فى القضية المقدسة ، فالاستيطان هو جوهر هذا الصراع منذ أواخر القرن التاسع عشر . وقد عمدت الحركة الصهيونية منذ نشوئها إلى التخطيط المدروس لدعم حركة الاستيطان بمختلف الوسائل الممكنة منتهزة الظروف الاستعمارية التى عاشت فيها فلسطين تحت سيطرة الانتداب .

وقد صدر مؤخراً كتاب جديد عنوانه ( الاستيطان ) من تاليف الأستاذ عبد الرحمن أبو عرفه . وهو من أبناء مدينة الخليل ومن سكان مدينة القدس المحتلة اليوم . وهو كتاب تناول الاستيطان الصهيوني من مختلف زواياه وميزة صاحب هذا الكتاب هى متابعة هذه القضية الخطيرة عن كثب لأنه عاش مأسى الاحتلال . وهو أول كتاب من نوعه يقوم بكتابته انسان مختص فى داخل الأراضى المحتلة . وقد اعتمد الكاتب فى عرضه هذا الموضوع الأسلوب العلمى فجاءت محتويات الكتاب مدعومة بالأرقام والاحصاءات المستندة الى عدد كبير من المصادر باللغات العربية والانكليزية والعبرية . فهذا الكتاب كما يقول مؤلفه فى مقدمته ، هو محاولة لدراسة ظاهرة الاستيطان لأنها تمثل فى حقيقتها التطبيق العملى للصهيونية .

فالباب الأول من الكتاب يتحدث عن عناصر الاستيطان وهى الأرض والانسان والمياه .. فالأرض باعتبارها القاعدة الاساسية للاستيطان ، كانت هدفاً أولياً للحركة الصهيونية . فمن خلال امتلاك الأرض يمكن تنفيذ « الانقلاب الديمغرافي » المتمثل فى طرد العرب وتوطين اليهود . وبرغم التغطية الاعلامية التى رافقت عمليات الاستيطان الصهيونية الأولى ، والتى استندت الى عبارة « فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، فان الصهيونيين يعترفون بعكس ذلك تماماً حيث يقول أحد المسؤولين الاسرائيليين فى محاولة السيطرة على الأراضى « رأينا آثار الحضارة الزراعية الأصلية الجذور التى خلفها النازحون وراءهم ، ولقد تملكنى الهم من ذلك ومن واقعنا الحالى ، فمن أين لنا بطاقات بشرية كافية لمواصلة

هذه الحضارة ولمتابعة تعميقها وتوسيعها ومتى نستطيع حشر الاف اليهود لكى يبقى الجليل على ازدهار ؟

ولقد ركزت المؤتمرات الصهيونية على مبدأ تأميم الأرض واعتبارها أساس الدولة اليهودية . واعتبرت استملاك الأراضى امرأ بالغ الأهمية وقد جاء فى المادة الثالثة من دستور الوكالة اليهودية « تستملك الأراضى كملك لليهود وتسجل باسم صندوق رأس المال القومى اليهودى وتبقى مسجلة باسمه الى الأبد ، كما تظل هذه الاملاك ملكا للأمة اليهودية غير قابل للانتقال » وقد مارست حكومة الانتداب البريطانى دوراً هاماً فى نقل ملكية مساحات واسعة من الأراضى الى اليهود .

## العنصر الثانى

وأما عنصر الاستيطان الثانى وهو الانسان . فقد كان هدفاً رئيساً من أهداف المخططات الصهيونية . وقد تمثل ذلك فى شقين : الأول جمع أكبر عدد من اليهود فى العالم وتركيزهم فى (اسرائيل) والثانى التخلص من العرب بتهجيرهم وحملهم على ترك أوطانهم بمختلف الوسائل . وقد وصل أمر إخلاء العرب الى حد ارتباطه بوجود الدولة اليهودية ذاتها انطلاقاً من ايمان السلطات المحتلة بحقيقة : أن لا صهيونية بدون استيطان ولا دولة يهودية بدون اخلاء العرب وبدون مصادرة الأراضى » .

ويعدد المؤلف الهجرات الصهيونية المتتالية الى فلسطين اعتباراً من الهجرة الأولى ( ١٨٨٠ ـ ١٩٠٣ ) وحتى الهجرة السادسة ( ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ ) مع وصف لموجات هذه الهجرة وجنسياتها ومصادرها . ثم هنالك الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد الاحتلال . كما يبدى ملاحظات حول احتمالات الهجرة اليهودية الى اسرائيل فى السنوات القادمة وعلاقة ذلك بالاستيطان ، وفى الباب الذى يتناول عنصر الاستيطان الثالث أي ( المياه ) يتحدث الكتاب عن مصادر المياه الموجودة فى فلسطين واستغلال اسرائيل الضعف العربى العام لتحويل مصادر المياه الخارجية لارواء الأراضى التى تسيطر عليها . كما يبين مشاريع المياه والرى التى قامت بتنفيذها ... وكذلك التجارب التى أجريت لتحلية المياه وزرع الغيوم وتحويل اتجاهها نحو بحيرة طبريا من أجل زيادة كمية الامطار فوق البحيرة .

## تناقص متواصل

وأما فيما يتعلق بالمواطنين العرب ، فان الأرقام تشير الى تناقص متواصل فى ساحة الأراضى الزراعية يرافقها تناقص مماثل فى عدد العاملين فى الزراعة وكميات المياه الضئيلة الموردة للمزارعين العرب ، وتوجه عادة لزراعة محاصيل معينة لازمة للاقتصاد الاسرائيلى أما القرى العربية فيتم توريد مياه الشرب اليها فقط بموجب اتفاقيات تنص على عدم استعمال المياه للصناعة أو الرى وان غالبية القرى العربية تعانى من نقص كبير فى مياه الشرب اما بالنسبة للري فالوضع أسوأ بكثير .

ومن أجل تنفيذ مشاريع الاستيطان أقامت سلطات الإحتلال مجموعة من الأجهزة التخطيطية والتنفيذية . وتشعبت أعمال هذه الأجهزة لتشمل شؤون التخطيط والتمويل والادارة . وتوجد اليوم شبكة من المؤسسات والهيئات اليهودية المختصة بموضوع الاستيطان تعمل بصورة متناسقة ضمن السياسة الاستيطانية العامة لاسرائيل . ولكل هيئة مهامها المحددة التى يتم بمجموع جهودها تنفيذ الخطط الاستيطانية .

ويعرض كتاب الاستيطان أنماط الاستيطان ومراحله ومنظماته وأنظمته وأسلوب الحياة فى المستوطنات ، ثم يدخل فى تفاصيل إقامة المستوطنة ابتداء من مرحلة تخطيطها ثم توزيع الأراضى والمنازل والمياه فيها وحقوق وواجبات مستوطنيها .

واما الباب الثالث من الكتاب ، فقد تناول فيه المؤلف تاريخ الاستيطان فى فلسطين ابتداء من الحكم العثمانى عندما كان عدد جميع اليهود فى فلسطين لا يتجاوز خمسة وعشرين ألفاً يقطنون فى التجمعات المدنية .. ثم يتناول الاستيطان خلال الانتداب البريطانى وحجم الاستيطان فى المناطق المحتلة من فلسطين ، وينتهى الكتاب بفصل عن الاستيطان فى سيناء والجولان ..

ولعل أهم ما تتميز به المعلومات التى انطوت عليها هذه الدراسة العلمية الدقيقة هى وسائل الايضاح التى اشتملت على المخططات وجداول الاحصاءات والاشارات الى مصادر المعلومات ومراجعها مع فهارس الجداول والخرائط والأشكال والأسماء .

هذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم المتوسط يعتبر من خلال ما جاء فيه موسوعة صغيرة غنية بأدق وأحدث المعلومات عن الاستيطان الاسرائيلى بمختلف أبعاده ..

ابراهيم السمان



فى مستوطنة صهيونية فوق الأرض المغتصبة حيث يقوم بعض الصهاينة بتثبيت لافتة تحمل اسم المستعمرة الجديدة

## أحمد شوقي في ذكراه الخمسين

# أصول الشوقيات

بقلم: الدكتور ماهر حسن فهمي

أمير الشعراء احمد شوقى الذى تحتفل الأمة العربية بذكراه الخمسين ، فقد توفى فى ١٤ اكتوبر عام ١٩٣٢



عندما أصدر «علي مبارك» كتابه «علم الدين» قبل وفاته بقليل (١) ، ك
يهدف الى استغلال فن المقامة فى تصوير حياة وعادات جديدة ،
النفوس لا تحب الحقائق الجافة : «وكثيراً ما تميل الى السير والقصص
وملح الكلام ، بخلاف الفنون البحتة والعلوم المحضة ، وقد تعرض ع
فى كثير من الأحيان ، لاسيما عند السآمة والملال من كثرة الاشتغال ، و
أوقات عدم خلو البال ، فحدانى هذا الى عمل كتاب أضمنه كثيراً من الفو
فى أسلوب حكاية لطيفة ينشط الناظر الى مطالعتها ، ويرغب فيها رغ
فيما كان من هذا القبيل ، فيجد فى طريقه تلك الفوائد ، ينالها عفواً بلا ع
حرصاً على تعميم الفائدة ، وبث المنفعة ، فجاء كتاباً جامعاً ، اشتمل ع
جمل شتى من الفوائد المتفرقة فى كثير من الكتب العربية والافرنجية
العلوم الشرعية والفنون الصناعية» .

فهدف الكاتب نفعى عملى والعرض الأدبى وسيلة لنقل العلم مثا
صنع الجاحظ فى كتاب «الحيوان» على سبيل المثال ، على أن هناك لمح
قصصية وردت خلال وصف حياة «علم الدين» فى الأزهر ووصف حفلا
الزواج والأعياد والمكاتبات والملاحة والتعليم ، وهو اتجاه لابد منه
يكتب لجمهور فى بداية النهضة ، بل لقد استعمله الغربيون التعليميو
حين قصدوا اذاعة آرائهم مثل «روسو» فى كتابه «اميل» .

وهذه المحاولة قد وجهت جيلا الى استغلال المقامة وأسلوب القـ
فى عرض قضايا العصر ، ووجهة نظر الأديب فيها ، مثل «شيطان بنتاو
لأحمد شوقى ١٩٠١ ، «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحى ١٩٠٧
«ليالي سطيح» لحافظ ابراهيم ١٩٠٦ ، «ليالى الروح الحائر» لمحمد لطف
جمعة ١٩١٢ وغيرها .

وإذا كانت اللغة من حيث هى مقدرة ووسيلة وهدف فى آن واحد
وضحت فى كتاب شوقى فان تمكنه منها قد أسعفه فى الاطناب حيث ير
الاطناب وفى تعادل الاقسام حيث يريد والسجع حيث يرغب .



احمد شوقى فى شبابه .. كان عصره امتداداً لعصر احياء الشعر واللغة العربية بعد سنوات طويلة من التدهور

يقول أحمد شوقى فى رمسيس الثانى :
كنت كالفلك لا تسكن ، وكالمنية لا تدفع ، وكالصخرة لا تستخف ، وكالسماء لا تطاول وكالدهر لا تنام ، وكالنجم لا تعيا ، وكالسيف لا تروى ، وكالدنيا لا تكره ، وكالحياة لا تمل ، وكالصبح لا تخفى ، وكالشمس لا تستزاد ، وكالسهم لا ترد ، وكالبحر لا تزخم ، وكالذهب لا تراب ، وكالليث لا تهاب ، وكالطيب لا تكتم ، وكالنار لا تدنس ، وكالعارض لا تعارض ، وكالريح لا تسابق ، وكالطود لا تصادم ، وكالماء لا تعوض ، وكالهواء لا تستبدل ، وكالحق لا تغلب ، وكالسعادة لا تعادل ، وكالسلامة لا تفاضل ، وكالبدر لا تواسم ، وكالليل لا يدرى ما تاتى ... (٢)

والسجع بالنسبة له أيسر شانا لان محصوله اللغوى الذى يسعفه فى القوافى الشعرية ، هو الذى يسعفه فى السجع ، وهى مقدرة على أية حال تلفت النظر الى تمكن هذا الجيل ، وتروع القارىء وتدفعه دفعاً الى مواصلة القراءة لا لكى يستفيد من المحصول اللغوى فحسب ، ولكن لان المحتوى الفكرى نفسه حي نابض بالحياة .

## التحدى الحضارى

والقضية الأساسية التى عرض لها هذا الجيل بعمق وجدية هى قضية التحدى الحضارى ، والبحث عن الهوية أو الشخصية المصرية ، وسط الدعوات الغربية والاسلامية والعربية والفرعونية ، ودراسة أسباب الضعف وسبل القوة . والحقيقة أن «محمد توفيق البكرى» قد عرض لهذا الموضوع فى كتابه «المستقبل للاسلام» الذى صدر عام ١٨٩٣ ، فدفع غيره الى التفكير فيه .

وقد ذهب بعض الغربيين الى أن طبيعة ارض الشرق بجوها الحار مفسدة للهمم ، فهي نقمة بدلا من أن تكون نعمة . ويتناول البكري هذا الرأي مفنداً ، فيستشهد برأي ( فولتير ) ، إذ لو سلمنا به ولو كان سليماً ما قامت الحضارات فى الشرق الذى ساد الدنيا زمناً بل ما ضعفت أمة بعد قوتها ، والواقع غير ذلك «فها هى ذى الامم الغربية نفسها وارضها لم تتغير وجوها لم يتبدل ولكن الذى تبدل فيها اخلاق أهلها» . ويستمر فولتير قائلا : كان من عادة «شيشرون» الخطيب الرومانى ان يهزا بالانكليز حتى انه كتب مرة رسالة لاخيه (فانتوس) الذى كان ضابطاً مع قيصر فى غزوته التى غزاها بانكلترا يساله مستهزئا ان كان قد وجد ثمة فلاسفة كباراً أو رياضيين عظاماً . فهلا علم شيشرون انه نشا بعده فيها اعظم فلاسفة العالم ورياضيه، تحت تلك السماء المظلمة بعينها ؟ هذه كلها أمثلة تدل على انه ليس للاقليم اثر يذكر فى ارتفاع الامم وانخفاضها ؟ (٣) .

من الواضح إذن أن الجو لا علاقة له بالتقدم والتاخر ، وأن راسمال الاسلام كبير من حيث الأرض الطيبة وعدد السكان ، ولكن الا يعبث المستعمر الأوربى بهذه الأرض ؟ أليس من الجائز أن يستوطنها الدخيل الأجنبى ويستولى على رأس المال ؟ هنا يلجأ البكرى الى علوم الحياة فيقرر أن الحيوان والنبات والانسان لا يستطيع أن يعيش فى وسط غير مماثل لما نشا فيه ، فلا يمكن للأسماك أن تعيش فى الصحراء ولا للناقة أن تدوم فى الماء ولا للنخيل ان ينبت بين الجليد ، وينقل راى (لوبون) فى كتابه (الفسيولوجيا) حيث يقرر أن التاريخ اثبت مراراً عجز أهل الشمال عن الاقامة الدائمة فى أرض الجنوب ، وهذه هى مصر حكمتها امم كثيرة فاكلتهم وبقى الفلاح المصرى كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا افريقيا مع انهم استوطنوا اسبانيا وفرنسا وجعلوها بلاداً لاتينية .

وينتقل الى الفصل الثانى من كتابه فيتناول أسباب انحطاط الأمة الاسلامية ، والحديث كان يدور حول هذه الأسباب ، فقد ارجعها صاحب «السبب اليقين» الى البعد عن تعاليم الاسلام وارجعها الكواكبى فى «طبائع الاستبداد» الى الظلم ، وأتى الكواكبى فى كتابه «ام القرى» بعدة أسباب اخرى منها الجهالة وسيطرة الأوربيين . ولكن البكرى لا يدخل الى الموضوع مباشرة وإنما يتحدث عن القوانين العامة التى تخضع لها الامم جميعاً فى ضعفها وارتقائها ، ففريق من العلماء يرى أن هناك ناموساً طبيعياً تخضع له الأمم مثلما يخضع له الأفراد . والفرد إذا جاء زمن مشيه مشى وحده وإذا جاء زمن النطق نطق وكذلك المجتمعات الانسانية مسيرة بقانون ازلى وكل مجتمع هو نتيجة حتمية لماض طويل يحمل بذور التحول .

أما الفريق الثانى ومنهم افلاطون

# أصول الشوقيات

وأرسطو فيرون الأمة كالشمعة المذابة يمكن تشكيلها بالارادة كما فعلت اليابان .

ولكن ما السر وراء تحريك الارادة ؟ يقول «ديدرو» (علة العلل فى ارتقاء وانحطاط الأمم هو العلم والجهل) فالجاهل الآن كالأعزل فى القرون الوسطى ، فمن كان اكثر علماً كان أكثر قوة ، وهذا هو رأى البكرى .

## الماضى والحاضر

وتناول الشاعر «احمد شوقى» فى «شيطان بنتاءور» نفس الموقف الذى ينظر الى الماضى ويتطلع الى الحاضر فى حوار بين «هدهد» و «نسر» أما النسر فهو الشاعر الفرعونى بنتاءور وأما الهدهد فهو شوقى نفسه ولعله رمز للأول بنسر لأن النسر يعمر ولأنه فى نفس الوقت يدل على البأس ، ومهما كان السبب فى اختيار الهدهد رمزاً له فان التاج على رأسه يدل على احساسه بمكانته بين شعراء عصره .

«ثم وقفت أتأمل قبور الملوك العظام ، وأذكر عبث الأنام لا الأيام ، وأعجب للأهرام ـ وهى من عمل الأسرة الرابعة وبنيان المصرى فى أول عهده بالحياة وبداية دخوله فى الحضارة ـ كيف رسخت فى الأرض رسوخه فى العلم ، ووقفت للدهر وقوفه فى الفن ، وكلما تأملتها جزتنى العبرة عن النظرة ، والعظة عن اللحظة ، فرأيت النعيم كيف يزول ، والحال كيف يحول ، والدولة كيف تدول ، والملك الكبير إلام يئول ... وأدمت النظر الى الأهرام ، لا لعظم فى الجرم وفخامة فى البنيان ، ورسوخ فى الأرض وطول زمان فان استعظام رؤية الاجرام من خلائق الصبيان ـ لكن كمرآة أرى فيها قدماء المصريين كما هم فى الأعصر الأول ، ولما يكتملوا دولا أربع ، فلا أرى إلا صوراً واضحة ، وأشباحاً لائحة ، ثم أنظر فيها المصريين الاحياء وكأنما أتأملهم فى مرآة محدبة مقعرة : صور ممسوخة وأشباح معوجة ، وأعضاء كمختلط الأشلاء من ضياع التناسب ، وما اختلف الزجاج لكن هى الأخلاق تحسن وتقبح ، وتعلى وتسفل وتقوم وتعوج ، وتريك من قوم ما لا تريك من آخرين ، ما أبعد ما بين الأصل والفرع ، وشتان ما بين الوالد والمولود ، ذلك قبيل شاد وساد ، وأجار من البلى الأجساد ، ونشر سلطانه على العباد ، وأخذ لآثاره من بعده ميثاقاً من الآباد ، حياته للموت وموته للحياة ، يعمل للذكر ويهيىء للأحاديث ، ويترك للابناء ، ويعلم أن السير حياة ثانية ، فى هذه الدار الفانية» (٤) .

وشوقى يطرح هنا موقفاً يوازن فيه بين الماضى والحاضر ، الماضى بجلاله ، الماضى الذى نعتز به حين لا نجد فى حاضرنا ما يدعو الى الفخر وسط هذا التمزق والعجز ، كأننا نحيا بالصدفة فلا نحن عملنا للدين ولا للدنيا ، ثم يرجع ذلك الى فقدان القيم التى ظلت تتقلص بمرور الزمن ذهبت مع الأيام ، القيم الخلقية والقيم التربوية ، والقيم السلوكية . وقد ظل يدور حول هذا المفهوم فى شعره طيلة حياته :

قم ناج أهرام الجلال وناد
هل من بناتك مجلس أو ناد
نشكو ونفزع فيه بين عيونهم
إن الابوة مفزع الأولاد

ونبين كيف تفرق الاخوان فى
وقت البلاء تفرق الأضداد
يا نجم سوريا ولست باول
كم ذا نمت من نير وقاد
اطلع على يمن هنالك فى غد



احمد شوقي عندما كان يدرس الحقوق فى باريس

وتجل بعد غد على بغداد
سترى الديار على اختلاف ربوعها
نطق البعير بها وعى الحادى

وظلت الفكرة الأخلاقية تدور فى شعره دورانا متصلاً حتى كانت موضع نقد الرافعي رحمه الله حين قال : إن له بيتاً يدور فى شعره دوران الحمار فى الساقية وهو هذا البيت :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا
فليس وراءها للعز ركن

ويفسر الأخلاق بأنها القيمة الحقيقية لعمل الانسان وسلوكه من اجل امتداد فكره حين يترك شيئاً نافعاً للانسانية :

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثان (٥)

وهو يؤكد كل ذلك حين يطوف بخاطره أمجاد الفراعنة فى التاريخ البعيد ومفاخر العرب فى التاريخ القريب ، ويذكر مقولة «الرشيد» لغمامة ظللته ولم تمطر وكان يرجو أن يستدفع الحر بمطرها : «(امطرى حيث شئت فان خراجك سوف يجيىء الي) وفى ضوء هذا الفخر سرى الاسبانيون فى أيام دولتهم حيث زعموا الشمس لا تغيب عن أملاكم ، ثم زالت هذه الكلمة عنهم الى الانكليز فهى آية ملكهم اليوم .

## لا حساسية فى العلم

ويعود مفصلا الرأى فى هذا الموقف من زاوية أخرى ، زاوية الباحث عن الهوية ، بين العلم الشرقى والعلم الغربى ، والعادات الشرقية والعادات الغربية والحياة هنا وهناك واختلاف الناس فى ذلك كله : «هكذا العلماء لا يغنى عنهم علمهم ولا تثبت لهم هذه الصفة العالية فى نظر الجماعة ، حتى يجمعوا بين المدارك والهمم وتنقاد بأزمتهم الحياة العملية فى الأمم ... فما باله أصبح يحمله من لا يبذله ، وصار يدعيه من ليس يعيه ، وما للمسلمين مختلفين فيه : فريق يرى النافع الرافع منه ما كان مقصوراً على الشريعة ، منحصراً فى فقهها ، والتقى النقى من هذه الفئة من عادى لغات الغربيين ، وهى التى ينهى بها فينا معاشر الشرقيين ويؤمر ، واحتقر علومهم وفنونهم وهى التى نفاضل بها فنفضل ، ونقاوم بها فنخذل ، وتقتلنا كل يوم بلا قتال (٦) . وفريق يهجرون علوم الدين وآداب اللغة العربية الى لغات لم تجربها ألفاظ آبائهم ، وآداب لم تقم عليها


صورة نادرة لسعد زغلول اثناء زيارة احمد شوقى فى منزله

حياة أجدادهم ، ولم تؤلف بعد فى بلادهم ، وان أمة لا تجتمع على لغة ، ولا ترجع الى جامعة من الآداب القومية ، ولا رابطة من الأخلاق الملية ، ليست على شيء من الحياة» (٧) .

ومن الواضح انه من دعاة التوفيق بين المتطرفين هنا والمتطرفين هناك ، فهو لا يغمض عينيه عن الفكر الغربى والعلم الغربى ، لأن الغربيين انتصروا بذلك العلم علينا ، ولأن الأمم تأخذ العلوم وتستفيد من خبرات الدول التى سبقتها دون أدنى حساسية . وهو فى نفس الوقت لا يمكن أن يترك لغة بلاده وآداب دينه وقيم مجتمعه لأن الأمة التى تنخلع من جذورها تصبح بلا أصل وتذوب شخصيتها فى الشخصية الغالبة ، وهو نفس الاتجاه الذى وضح فى شعره ، فهو يستفيد من المسرح الغربى ، لأن الأدب العربى لا يعرف فن المسرح وهو فى نفس الوقت يديرمسرحه على مضامين شرقية (مجنون ليلى ـ الست هدى ـ عنترة ـ أميرة الأندلس ـ علي بك الكبير ـ قمبيز ...) . ثم يلتفت الى شعر الأطفال متأثراً بلافونتين وهو فى نفس الوقت يربى الأطفال على قيم القوة والشجاعة قيم العصر الحديث الذى لا يعرف للضعيف حقاً :

فخذ هاك بندقة نارها
سلام عليك إذا تسعر
ففيها الحياة لمن حازها
وفيها السعادة والمفخر

وهو نفس المبدأ الذى ظل يردده طيلة عمره وان كان أصله يرجع الى شيطان بنتاءور «يبقى الحيف ما بقى السيف» (٨).

وهو على أية حال يشكل مرحلة بعد البارودى اتسعت فيها دائرة الشعر السياسى والاجتماعى ، بل نبتت فيها هنا وهناك براعم من الشعر الذاتى مثل (غاب بولونيا ، ومصاير الأيام ، والشعر التاريخى ) ، فكان بذلك جسراً عبر عليه الشعر من مرحلة الاحياء الى المرحلة الرومانسية ، بل لقد رأس جماعة أبولو التى أصلت الاتجاه الرومانسى فى الشعر العربى الحديث .

هذا هو الاتجاه الذى خطه فى الأدب وهو قد كان يرى الأدب روح الأمة ووجدان الجماعة ومن هنا كان الأديب صاحب مبدأ ، ومبدأ شوقى أن بناء الانسان أخطر من بناء الآلة وأن ذلك البناء يرتفع بالقيم والسلوك ومعرفة الذات وأهدافها ، ولذلك قال : «احفظوا انفسكم ، وضيعوا ما شئتم» (٩) .

ومن هنا يناقش ما يراه الناس من المسلمات ويراها من الأوهام فيقول : «قال بعضهم فينا (اتفقوا على أن لا يتفقوا) (١٠) ، فاحفظت عبارتى الأستاذ ـ أى بنتاءور ـ وقال : ما هذا السم فى الدسم ، ومن ذاك الذى يثبط الهمم ، وهذا ومثله من الأوهام ، وانها لتخامر العقول فتعقلها ، وتدخل النفوس فتقتلها، الأوهام داء الأمم ، ومنية الشعوب ، إذا تمكنت من قوم كانت كالفاس فى الأساس ، وكالنار فى الشعار ، وكالحبل فى الخناق ، وكالعلة فى القلب ، لا يخفق معها إلا الى حين ـ قال لكم رجل قولا فوهمتهم فمتم أحياء ... الأمة تصح ثم تعقل ثم تصح ، تتجدد من حيث تبلى وتقوم من حيث تسقط ، وتصح بالعلل (١١) ... يا بنى ان العلم والبيان ، خلقا ليكونا حرب الأوهام ، ونوراً يخرج اليه الأمم من الظلمات ، وان حاملهما مطالب بالعمل والدعوة الى العمل حتى النفس الأخير من الحياة ، فمن ثبط هممكم من علمائكم وعظمائكم فالووا الوجوه عنه ، وانفروا بالاسماع منه ، ومن دعاكم الى حياة فذلك داعى الخير ، فاستمعوا له وانصتوا .» (١٢) ثم يضرب المثل باليابان وكيف استطاعت خلال سنوات أن تقيم حضارة شامخة .

## الطريق للنبوغ والخلود

ويعيد الكرة مرة ثانية كانما لا يمل تكرار عرض مشاهد القيم والمثل العليا وسلوكيات الأمم الفتية فيقول : «والذى يميز علماء الأمم على غيرهم ، ويجرى بهم الى الغايات ، ويكفل لهم السبق ، ويجعلهم أساتذة وقتهم ومصابيح عصرهم ، أنهم يطلبون العلم لذاته ، ثم لأنفسهم ، ثم للأحاديث من بعدهم ، وهذه الثلاثة ما قامت بنفس طالب علم ورزق الحجا والذكاء وفسحة الأجل إلا نبغ فى حياته ، ثم جاوز ذلك الى رتبة الخلود بالذكر بعد مماته ... محب العلم يطلبه لذاته ، وهذا أول

# أصول الشوقيات

التوفيق فى طريق التحصيل ، وسبب النجاح الأوثق ، لأن النفس حيث رضاها ، وحيث يجعلها هواها ، ومن رضيت نفسه بالعلم قسماً من أول يوم ، وامتلأ فؤاده من حبه ، أقبل عليه ، وضن به ، وانقطع له ، وألفى التعب راحة فى تحصيله ، واستوى عنده السلامة والعطب فى سبيله ، ثم لا يلبث العلم أن يعرفه قدر نفسه ، وانه ما خلق فى هذا التقويم سدى ، ولا ساد نوعه على هذا الوجود عبثاً ، فتاخذه من ذلك عزة بالحق ، وتنزل نفسه فى عينه منزلتها الحقيقية ، فيطلب العلم لها ، ويستكثر منه لأجلها ، ويجرى فيه الى الغايات فى سبيلها ، لما استقر عنده من أن العلم يحيى النفوس ويهذبها وهذه هى المنزلة الثانية فى العلم يقف عندها سواء العلماء ولا يجاوزها إلا آحاد يسخرهم الاله بهذا الوجود فيعملون فيه العمل العظيم ثم يموتون عن تراث فى الفضل جسيم .. »(١٣)

ولذلك لم يتحدث شاعر عن العلم كما تحدث شوقى حتى جعل المعلم فى مرتبته قريباً من الأنبياء «كاد المعلم أن يكون رسولا» وهو قريب من الحديث الشريف «العلماء ورثة الأنبياء» والمدلول الذى يقصد اليه شوقى مدلول واسع فحرب الأوهام من مهمة العالم والأديب ، أو بعبارة أخرى ان العالم يستطيع أن يقرع الحجة بالحجة وأن يدحض الفرية وأن ييسر سبل الحياة للناس بعلمه ، والأديب له دور حيوى وهو ايقاظ الأمة كلما أوشكت أن تغفو والعالم لا يستطيع ذلك لأن الأديب يخاطب روح الأمة ووجدان المجتمع وارادة الفرد ولذلك يقول : «وما الشعر والبيان إلا عنوان الأمم يستدل بهما عليها» (١٤) . وذلك هو تفسير العبارة المشهورة (الشعر مراة حياة العرب) . ومادام الشاعر معلماً فلابد أن يكون حكيماً وذلك هو نفس الدور الذى لعبه الشاعر العربى قديماً ومن هنا قال شوقى :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

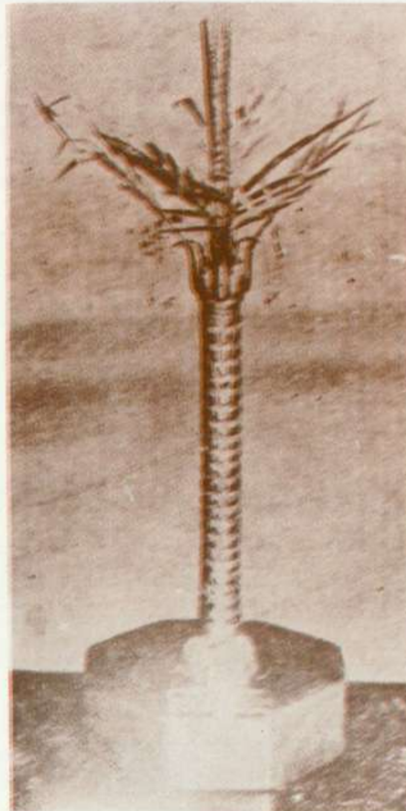
## ينابيع الحكمة

والحكمة فى نظره هي البحث عن الحقيقة ياخذها من مخالطة الناس ومن التامل فى الطبيعة والتاريخ . (١٥) .

ـ « واشتقت الى عبرة مرموقة ، وحكمة من نفسها مسوقة ، اخذها ولو من سوقة » . ولذلك كان يكبر شعر المتنبي ويستشهد به كثيراً ويضمن معانيه فى نثره (١٦) . ويدير حواراً فيه من الحكمة ما ينبىء عن ثقافة الشاعر وخبرته فى سنه المبكرة .

ـ « ما هي الفضيلة ؟ قال : ترك الرذيلة . ـ قال : وما الرذيلة ؟ قال : جاران فى دار ، الجهل والبطالة فى الشباب ...

ـ « من العالم ومن الحكيم ومن الطبيب؟ قال : العالم من لا ينام ، والحكيم من لا يطعم والطبيب من لا يموت ، قال : هذا هو المستحيل ، فما تريد بهذه المبالغة ؟ قال : أردت أن العالم من علم بالنهار وتعلم بالليل ، والحكيم من زهد فى هذه الدنيا وقنع منها بكسرة والطبيب من ترك طباً



نخلة من الذهب .. هدية الخليج الى شوقى فقد أهداها وقتئذ أمير البحرين الشيخ عيسى بن حمد ال خليفة ( ١٨٩٨ : ١٩٣٥ ) إلى أمير الشعراء أحمد شوقى

يعيش به الناس بعد موته ... ليس للعلم وطن ولا للحكمة دار ، بل العاقل من له على كل أرض مدرسة ، وعلى كل طريق استاذ ، المدرسة تقيم العقل فى طريق العلم ولا تتكفل بوصوله ، كالمعبد يمد السريرة فى الاعتقاد ولا يتكفل لها بكشف الغطاء ، فرب عابد من نفسه وصل ، ومتعلم من نفسه حصل . عرفت صفوف العلم ، فلم أر كالفلسفة ياخذها المرء من نفسه ، ثم من حيث التفت فراى ، وكلما قيل له فسمع : من حديث المتكلم إن صدقا وإن كذبا ، وصموت الصامت إن بكامة وإن بكما ، ونعيم المنعم وبؤس البئيس ومشية المستكبر وهذيان المهوس وعربدة السكران ومن النمل فى مشاغلها والنحل فى معاملها والذر ( الغبار ) فى مستثاره والبرق فى مستطاره ، والزهر اقباله وأدباره ، والفلك ليله ونهاره ، والبحر مضطربه وقراره » (١٧) .

وتكتمل الفكرة بوقفة عند الطبيعة يفتتها الى مجموعة صور فاذا كلها تسبح بتمجيد الاله ، كاننا امام قصيدة الشاعر ميخائيل نعيمة ( كحل اللهم عيني بشعاع من ضياك ، كي تراك ، فى جميع الخلق فى دود القبور .. ) أو كان ميخائيل نعيمة ينقش قصيدته من محراب شاعرنا شـوقي (١٨) .

## أوسع الدوائر في شعره

ثم ينفذ الى الدائرة الثانية بعد الأولى ، فاذا كانت الأولى خاصة بتاريخ مصر القديم وعظمته ، فان الثانية تختص بتاريخ مصر الاسلامي وجلاله : « اعلم أن المجد والعظم في الدول والامم ينتهيان الى بناة الفسطاط وانهم خير من ورث النيل بعدي ، ظلمت وعدلوا وتطرفت واعتدلوا ، وأسرت وأطلقوا ، واستعبدت واعتقوا ، وخلفت بعدي الحجر ، وخلفوا بعدهم السير ، ذهبت الديانات ودينهم هو الدائم ، وبادت اللغات ولسانهم فى مصر قائم ، واربيت كل أمة فى وادى النيل ، وذكرهم فيه سالم جميل ، وشقى الغريب فيه بغيرهم ، وغمر من أول يوم بخيرهم ، واستوى السوقة والملك على عهدهم ، وما تساويا من قبلهم ولا من بعدهم (١٩) .

وشوقي شاعر الاسلام في العصر الحديث ، يرى أن كل المثل العليا انتهت الى الاسلام فقومها واضاف اليها ، ولذلك كانت أوسع الدوائر فى شعره ، فتارة يقدم عظماء الاسلام ( دول العرب وعظماء الاسلام ، صقر قريش ) وتارة يحيى المدائح

بينهما فى الدار ، ثم في المدرسة ثم فى الحياة ، تلك المدارس الثلاث الكبر ، فأما الدار فالأستاذ فيها المرأة ، أما المدرسة فالمعلم فيها الرجل ، وأما الحياة فالمربي فيها الزمن ، فابدأوا بالنساء فعلموهن فى الصغر ، يعلمنكم فى الكبر ، وربوهن فى الطفولة يربينكم فى الكهولة » (٢٠) .

ثم يكمل حديثه فى اللغة من زاوية عملية فيقول : « هذه محدثات الغربيين ، تجلب الى مصر فيتهافت الاغنياء على اقتنائها ، ولم يتفق علماء اللغة على تسميتها حتى الآن ، ولعلهم لا يتفقون ، فان القوم اخترعوا الاتوموبيل من كل حجم وشكل ، واتخذوا منها دوارع في البر ، ونحن لا نرضى عمن سماها السيارة ، ولا عمن دعاها بالجوالة . قال النسر : اللسان يابني من حيث هو مضغة ، مرآة الصحة ، ومن حيث هو لغة ، مرآة الأمة ، ولا غرابة في ان تقعد بكم اللغة وتخونكم فى ميسور الأمر وعسيره ، فهي إنما تاخذ بنصيب من هذا النقص العام وتتاثر بهذا العجز الشامل ، لأنها للعلم مثل الظل للشبح يتضاءل بتضاؤله ويطول بطوله ، والعلم فى التجارة وفى الصناعة وفى الزراعة مثل ما هو فى الشروح والمتون ، فكلما ظهرت آثاره على هذه الأشياء فى مجموعها ، اتسعت اللغة من مادة ، وازدادت من حياة » .

والقضية كانت مطروحة ومازال ، حول تعريب المصطلحات من ناحية واستخدام العربية لغة للتعليم بجميع مراحله ، ومن الغريب ان يتفق شوقي مع قاسم امين فى عدم الاقتناع بترجمة المخترعات الحديثة وأن يضرب كلاهما المثل بكلمة السيارة ، ومن الواضح اننا نستعمل الكلمة الآن كما نستعمل الهاتف وغيرهما مما يؤكد ان الاستعمال هو المحك الحقيقي لبقاء الكلمة او فنائها وأن الاشتقاق قد يغني عن التعريب متى وجدت الكلمة الدالة ، ومن الغريب ايضاً اننا فى نهاية القرن العشرين مانزال نتناقش حول امكانية اللغة العربية فى التدريس بالكليات العملية بعد قرن كامل من طرح القضية . ومازلنا نعقد المؤتمرات للنظر فى التعريب ونتخذ التوصيات ولا ننفذ شيئاً ، مع أن اسرائيل قد احيت لغتها العبرية الميتة وأصبحت لغة العلم والتدريس والحديث والاعلام خلال جيل واحد ، وهذا هو الذى دفع شاعراً مثل حافظ ابراهيم الى الدفاع عن اللغة العربية كأنها بحاجة الى دفاع :

رموني بعقم فى الشباب وليتني ... عقمت فلم اجزع لقول عداتي



لقطة تجمع بين امير الشعراء احمد شوقي وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، الذى وقف على مسرح الأوبرا فى حفل شعراء العرب ليلقي قصيدة بايع فيها شوقي على امارة الشعر .

النبوية فى العصر الحديث بهمزيته ونهج البردة وغيرهما وتارة اخرى يتبنى قضايا المسلمين ويدفع عن الاسلام الطعنات التى توجه اليه ( ضج الحجيج ، الخلافة ) . وهو في نفس الوقت لا يرى باساً في الاعتزاز بالتاريخ الفرعوني فلا يوجد تناقض بين الموقفين كما يحلو للبعض ان يتصور فذلك تاريخ بعيد له عظمته الباقية، ولا يمكن أن يلغى مجيء الاسلام كل محاولات الانسان الماضيه لاثبات وجوده ، كما أن مجيء الاسلام لم يلغ العصر الجاهلي ، فمازلنا نتمثل بشعره كما كان ابن عباس يتمثل به أو يستشهد به فى تفسير القرآن نفسه ، ذلك هو موقف شوقي من الزمان .

## الشاعر وقضايا العصر

ثم يعرض للدائرة الثالثة وهي مصر الحديثة ، ومن خلالها يتناول قضايا العصر ( مشكلة اللغة ، مشكلة الاستعمار ... ) فهو مصري مسلم أو مسلم من مصر ، وقضايا مصر هي قضايا كل مصر من الأمصار العربية ، قضايا ثقافية وقضايا اجتماعية وقضايا سياسية وقضايا اقتصادية . والقضية الأولى التى يتناولها هي قضية اللغة العربية . « اللغة رأس مال الأمة فى العلم والعرفان ، والدين رأس مالها فى التربية والأخلاق .. فاجمعوا

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

ثم يطرق موضوع الهوية المصرية والشخصية السوية ، ويتفق فى رأيه هنا مع رأي « البكري » الذى رأيناه سابقا ، فلايتردد طويلا بين الآراء المطروحة ، ولكنه يقرر واثقا ان البيئة لا تؤثر تأثير التربية : « أيذهب مع القائلين بفعل البيئة فى الأمم وتأثير الاقليم فى الشعوب ، وسلطان المقام على المقيم ، فيحكم ان جار الليث اسد وجار العير وتد . أم يجاري الذاهبين الى ان اختلاف الطبائع ليس إلا نتيجة اختلاف الأجناس أم يعتمد على رأي القائلين بأن العقل البشري والنفس ـ مركز القوى المدركة فى الانسان ، ومهبط الفضائل أو الرذائل ـ ليسا إلا هبتين يشترك فيها أصناف العباد ، وان تفرقوا فى أطراف البلاد ، وإنما يصح العقل بالتعليم الصحيح ، وتقوم النفس بالتربية الحقة ؟ على انني الى هذا الثالث أميل ، وعليه فى اعتقادي المعول ... » (٢١)

ومن هنا اهتم بقضية تربية المـراة « ولا تنشئوا مدرسة واحدة للرجال إلا وقد انشأتم اثنتين للنساء » (٢٢) . وقد كانت قضية المراة مطروحة ، وقول حافظ فى نفس الموضوع مشهور ( الأم مدرسة إذا اعددتها ، اعددت شعبا طيب الأعراق ) ، على أن القضية عند شوقي تتناول موقف الموجه من قضية تربية المراة فلا اختلاف على تعليمها ولا على تهذيبها ، لكن الخلاف حدث عندما دعا قاسم امين الى تحرير المراة . وشوقى فى أول الأمر يقف من السفور موقف الحذر ( حرصي عليك هوى ومن يحرز ثميناً يبخل ) ، ثم يؤيد المراة بعد أن تطورت الحياة نفسها وانتفى الحذر من الطفرة فقال قصيدته :

قل للرجال طغى الأسير
طير الحجال متى يطير

وهو قد كان يعارض قاسماً فى حياته ولذلك يسجل بعد مماته :

لقد اختلفنا والمعاشر قد يخالفه العشير
في الرأي تختلف العقول
وليس تضطغن الصدور

ولكنه ظل إلى نهاية عمره يرى ان العلم بلا وطن ، اما العادات والتقاليد والقيم والاعراف فلها وطنها ، ومن هنا فقد لا يصلح لنا ما يصلح للغربيين من قيم ، ومن هنا ايضاً ظل يبحث عن المثل الأعلى والقدوة الحسنة التى تهدي ولا تضلل :

فى ذمة الفضلى « هدى » (٢٣)
جيل الى هاد فقير
اقبلن يسألن الحضارة
ما يفيد وما يضير
ما السبل بينة ولا
كل الهداة بها بصير

ويلتفت بنفس المنطق الى تربية النشء: « فان اردتم ببنيكم خيراً ، وضعفت قلوبكم أن تتمادوا فى الجناية عليهم ، فربوهم منذ الصغر على الاقدام » . (٢٤) ولذلك كان يقول لابنته مخاطباً من خلالها الجيل الجديد ، حين اتته تساله لعبة ، إن خير ماتحمله يدها فى الصغر « بندقية » . وهذا الرمز فيه معنى التدريب على القوة منذ الصغر ، والاقدام في الكبر .

وبنفس المنطق ايضاً يوجه الأمة ، والعاملين فيها فيقول : « فاستبقوا نفوسكم وهذبوها ، وحافظوا على ابدانكم وربوها ، واعدوها ليوم تدعوكم الأوطان لتقربوها ... ياحملة السلاح ، لاتقتلكم فى السلم الراح ياحملة العلم ، لا تغلبكم الخمر على الحلم ، يامعاشر الصناع ، من كان الوقت رأس ماله ، والصحة سبب رزقه ، والكسب قوت عياله ، فليهجر الخمرة ، فانها مضيعة الوقت ، مضرة الصحة ، آفة النشاط »(٢٥)

وهو نفس المعنى الذى عبر عنه فى شعره بعد ذلك حين اتجه الى العمال يحثهم على اتقان العمل ، وهجر الخمر لأنها تدمر رأس مال العامل ، وهذا الموضوع لهج به النديم فى صحفه التى أصدرها ، وقد كانت الخمر من ابشع سيئات الاستعمار ، رخص لحوانيتها في كل مكان .

أيها العمال أفنوا العمر كداً واكتسابا
واهجروا الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتابا
ترعش الأيدي ومن يرعش من الصناع خابا

والواقع ان شوقي نفسه كان ضحية من ضحايا الخمر ، ولذلك كان حديثه عنها حديث مكلوم يعرف أضرارها ولا يقوى على الخلاص منها . ومن هنا كان هتافه من أعماقه عل الله أن يغفر له ، فان امله فى العفو كبير :

وأنت ولي العفو فامح بناصع
من الصفح ماسودت من صفحاتي

ثم ياتي الى لب القضية ، قضية الاستعمار ومقاومته : « دع عنك يابني ماتسميه المحاكم المختلطة وما تدعوه الامتيازات ، ودع القناصل وما تزعم لهم من حول وطول ... وهب أن الملك ادوارد وقيصر والملوك الآخرين ملكوا عليكم البحر بالأساطيل ، ثم ملكوا عليكم البر بالجيوش زاحفة ، اكانوا قادرين على اذلالكم إن كان لكم من انفسكم عزة ، أو تفريق كلمتكم إن كان لها منكم جامع ، أو تضييع حقكم إن كان له منكم طالب ، أم كانوا ضاربين على ايديكم ان لا تتداولوا اشياءكم فيما بينكم ، وتنشطون الصانع منكم بالاقبال ، وتشجعون التاجر بالتهافت على بضاعته ، فانكم لاتزالون عراة حتى تلبسوا مما حكتم وخطتم ، ولا تزالون حفاة حتى تنعل ايديكم ارجلكم ، ولا تزالون مشاة حتى تركبوا فيما صنعتم ، ولا تزالون تتوسدون الثرى حتى تسكنوا ما بنيتم .. أمة عارية ، كل أشيائها عارية . » (٢٦) . وهذا هو محور كل شعره السياسى بعد ذلك .

## الشوقيات : ملامح عصر كامل

ثم ينتهي الكتاب بحوار بين الشاعرين « وتقدمت إليه فقلت : سعد النيل بشاعره فى الزمان الأول ، قال وسعدنا به يابني ،



احمد شوقى مع ولديه علي وحسين فى المنفى باسبانيا

إنه سموأل الأنهار ، الوافي على الأدهار ، الجاري بالليل والنهار ، عبد قديماً واله ، وقدس وجه الدهر ونزه ، وأوى النبيين في المهد صبيين ، فجرى التابوت فيه بموسى ، وبلغ الفطام لديه عيسى ، ولا يعلم إلا مجريه كيف انفجر ، ثم جرى وانحدر ، ثم كفله الشمس والمطر ، وكم قرية عمر ، واخرى دمر ، وهيكل نثر ، وديانة قبر ، وكم أفنى من زمر ، ممن نهى وأمر وتكهن وسحر ، وفتح وانتصر ، الا وإنه المنهل العذب ، اقتتل عليه القاهرون فوق البشر ، فانتهى اليه قمبيز بغاراته ، فالاسكندر بفتوحاته ، فقيصر بانتصاراته ، فابن الخطاب بغزواته فسليم بحملته ، فنابليون بتجريدته ، هذا يابني عظه من التاريخ ، لا ينافسه فيه نهر ، ولا يزاحمه عليه بحر ، على أن حظه من الطبيعة أوفر ، وقسطه من نعمائها اكبر ، شمس تزهر ، وافق أنضر ، وواد اخضر ، وجو لا يستعر ولا يخصر ، ونسيم يخطر ، ومطر يندر ، ورزق بايسر السعي يحضر ، وسهل صعب على العدو ، ولجة تستعصى عليه على ما بها من هدو ، لو وجد من يمنعه من الدنو ، وفوق هذا وذاك هو القائم على الناس بالأقوات ، إذا فاض احيا ، وإذا غاض امات ، ولايزال ياخذ من البر للبحر ، فتتسع مصر بفضله من سهل وواد ، وقرى وبلاد . » (٢٧) .

« مصر هبة النيل » عبارة قالها هيرودوت ثم رددها التاريخ حتى اليوم ، فمصر الفرعونية ومصر الاسلامية ومصر عبر الزمان يتحكم فيها المكان ، سهل يطمع الطامع إن لم يكن أهلها مستعدين ، والنيل فيها عماد حياتها ، فمهما تطورت الصناعة والتجارة ومهما ظهرمن بترول – وهو ثروة نافدة – سيبقى النيل منبع رزقها الأول ، وهو نبع لا ينفد ، عطاؤه بلا حدود ، المهم أن نعرف كيف نستفيد من كل قطرة ماء فلا نظما ومن كل ذرة طمي فلا نجدب . وهذا هو المحور الذى دار حوله فى قصيدته الخالدة « من أي عهد فى القرى تتدفق ؟ » .

وتظهر ثقافة شوقي وهو فى هذه السن المبكرة ، فمعارضاته التى ظهرت في الشوقيات بعد ذلك لها اصولها فى «شيطان بنتاءور » فى كثير من الاحيان ، وعلى الأخص المتنبي ، الذىاعتبره نبي الشعر فى مقدمة الطبعة الأولى منّ الشوقيات ، يطول التفاته اليه واستشهاده بشعره كذلك يذكر ابا العلاء فى اكثر من موضع لاعجابه بحكمته (٢٨) ، ولا يكاد يرد ذكر الاعمى حتى يتوارد على خاطره قوائم من مشاهير العميان فيقول : ( تراه « شمسون » في الهيكل انبعث ، ام « المعري » قام من الجدث ، أم « يعقوب » ابيضت عيناه ، من الحزن على فتاه ، أم « بشار بن برد » ، قام من اللحد ، أم « ابو العباس الأعمى » ام « دريد ابن الصمة » ، ام الخليفة « القادر » فى أيام محنته ، ام « حسان بن ثابت » فى أخر مدته ، أم « الشطبي » ، أم « طوبيا النبي ، أم « هومير » الشاعر اليوناني ، أم « ملتون » الشاعر الانكليزي ، أم « مرصفي » هذا الزمان ، صاحب « الوسيلة » والكلم الثمان ... أم « ابن سيده » ، أم « الطليطلي » ) ويظل يتتبع العميان حتى يكاد يتستقصى .

هذه الجذور ، امتدت بشكل أوسع وادق فى الشوقيات ، فكانت باجزائها الاربعة ، ملامح عصر كامل ، فى السياسة والتاريخ والاجتماع كما نلاحظ فى الجزاين الأولين ، ومراثى العظماء فى الجزء الثالث ، ثم ديوان الاطفال في الجزء الرابع ، وبذلك حدد اهدافه من زمن ، وصدح بنبضات عصره ووجدان بيئته ، فكان شاعراً ملتزماً التزاماً نابعاً من احساسه بالمسئولية الادبية وبقيمة فنه .

د. ماهر حسن فهمي

هوامش

(١) توفى عام ١٨٩٣م
(٢) ص ١٦٢/١٦٣ راجع ايضا ص ٢٢ ، ص ٣٦
(٣) محمد توفيق البكري ( تاليف د. ماهر حسن ) ص ١٧٧ ومن المؤكد ان جمال الدين الافغاني كان الرائد اواخر القرن الماضى .
(٤) شيطان بنتاءور ص ٢١/١٨
(٥) من قول المتنبي : ذكر الفتى عمره الثاني
(٦) من قول المتنبي : وتقتلنا المتون بلا قتال
(٧) شيطان بنتاءور ص ٢١٠
(٨) نفس المرجع السابق ص ٤٣
(٩) شيطان بنتاءور ص ١٧٠
(١٠) تنسب للسيد جمال الدين الافغاني .
(١١) من بيت المتنبي : فربما صحت الأجسام بالعلل
(١٢) شيطان بنتاءور ص ٧٥ وما بعدها .
(١٣) شيطان بنتاءور ص ١٤٠ وما بعدها .
(١٤) نفس المرجع السابق ص ١٨٩
(١٥) نفس المرجع السابق ص ١٨٥
(١٦) نفس المرجع السابق ص ١٨٦
(١٧) نفس المرجع السابق ص ٨٥ وما بعدها .
(١٨) نفس المرجع السابق ص ١٣٢
(١٩) نفس المرجع السابق ص ١٦٧ والحديث للملك رمسيس .
(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٢٠٢
(٢١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٠ / ٢٠١
(٢٢) نفس المرجع السابق ص ٢٠٣
(٢٣) هدى شعراوي رائدة المراة المصرية
(٢٤) شيطان بنتاءور ص ١٧٩
(٢٥) نفس المرجع السابق ص ٩٧ / ٩٨
(٢٦) نفس المرجع السابق ص ٢٥٦
(٢٧) نفس المرجع السابق ص ٢٢٧
(٢٨) نفس المرجع السابق ص ١٨٥ / ١٨٦

لمـــــاذا التطـــــــــرف ... الآن ؟

# وقفة مع الفكر الديني

بقلم : خالد محمد خالد

منذ ظهرت أحداث التطرف الديني ، وفاجات العالم الاسلامي فى مناسباته المختلفة والمفكرون المسلمون ـ على قلتهم ـ يضربون اخماسا فى أسداس مذهولين واجمين . بعضهم راض قرير العين ، وإن كان يخفي رضاه وراء قناع من التساؤل والدهش والانزعاج .. وبعضهم ينكره إنكاراً حقاً ويحاول تمحيصه واستشراق أبعاده

غير أنه كان من الواضح لكل من يقف ، وينظر ، ويسمع ، أن جوهر الأزمة والمشكلة ماثل فى عجز الفكر الديني عن القيام بمسئوليته عن تجديد نفســه .

لقد ملأ الفكر الاسلامي ذات يوم أرض الاسلام خصوبة وهياها للعطاء العظيم .

وحتى فى العصور والحقب التى كان الاستبداد السياسى يحكم البلاد والعباد ، لم يتوقف هذا الفكر عن العطاء ـ وكان الاجتهاد وما يستدعيه من اختلاف فى الرأي يملأ حياة المجتمع الاسلامي توهجاً وذكاء ونوراً .. !!

وفجاة وقف الفكر الاسلامي وتجمد ، وسدت الغوغائية أمامه المسالك ، ومضى الفكر يتملق الغوغاء ، ويخاف من الجهر بالحقيقة . والنصف الثاني من القرن العشرين يعطينا البرهان على صدق ما نقول ..

كان هناك قلة من العلماء والمفكرين خرجت على السائد المالوف . وأرادت أن تؤدى واجبها فى تجديد الفكر الديني . بيد أن جهادها وجهودها كادا ، أو هما قد ضاعا فعلا في خضم الزبد الراغي والموج المزبد المهتاج .

• • •

واليوم يزداد الفكر الديني جمـــوداً ولامبالاة، ويقف أمام التفسيرات الخاطئة للدين موقف الأرنب التى تقف مذهولة أمام الأفعى !! وقد تولد هذه الاستكانة شعوراً بمرح اليائس ورضا الخانع ، لكنها فى نهاية الأمر تدفع بالفكر الديني كله إلى الهوة التى يخيل إليه انه يبتعد عنها !!

والمجتمع الاسلامي الذى كان من واجب الفكر الديني المتجدد أن يقوده تاخذ الحيرة بتلابيبه ، ولا يدري « أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً » .. !!

ولكن أين الرشد إذا كان الفكر الذى هو وسيلته وسبيله قد تاه فى الظلمات ؟!

يقولون : إن باب الاجتهاد مغلق ، ومن ثم فلا سبيل لكي يجدد الفكر الديني نفسه .. متى أغلق هذا الباب ، ومن الذى أغلقه؟ إنها إحدى الطرائف والفكاهات !!

فباب الاجتهاد فى الاسلام مفتوح منذ نزلت آية : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » الى يومنا هذا .. والى الغد .. وإلى الأبد .. !!

ولابد للفكر الاسلامي حتى لا يأتـــسن

من أن يجد نفسه ويقهر كل عوامل الركود والتخلف .

إن هناك عادات تفشت فى المجتمع الاسلامي حتى صارت طبيعة ثانية له .

من هذه العادات كراهية الذكاء !!

إن كثرة هائلة من العلماء يخافون ذكاء أقرانهم ويحاربونه . ويؤلبون عليهم العامة إذا كتشفوا للفكر الديني طرائق جدداً .

ولا تصاب أمة فى حاضرها وفى مستقبلها بمثل ما تصاب به نتيجة لمقاومتها الذكاء فيها .

وهذه آفة تجتاح كثيرا من المجتمعات البشرية التى لا تشجع هذا الذكاء إلا حين يكون طريقها الى الرفاهية ، أو إلى المزيد من مخترعات الموت والحرب والدمار !!

ثم هي تحاربه إذا أراد أن ينفخ فى الدين روح الحياة بما يصطنعه من وسائل حرة لتجديد الفكر الديني وترشيده .

بيد أن هذه الآفة – محاربة الذكاء – لها فى المجتمع الاسلامي طابع الشدة والحسد والافتيات ..

وإذا كان بعض علماء أوربا فى العصر القديم قد سيقوا إلى السجون والمقاصل لمحاولتهم تفسير الدين بالعلم ، فقد انتهى ذلك اليوم ، وحل بديلا عنه رعاية الجهود التى تتوخى هذه الغاية وتشجيعها .. لكن فى مجتمعنا الاسلامي لاتزال الأحكام بالكفر تطارد الأحياء بل والأموات إذا حاولوا أن يخرجوا الاسلام العظيم من التقوقع الذى يريده له الجاهلون .

• • •

أنا لا أعالج هنا قضية التطرف ، ولو كنت أعالجها لوجب أن نضع فى حسابنا روح العصر الذى نعيشه ، فالتطرف يغطي وجه الأرض .. واختطاف الطائرات والأفراد نظير فدية يفرضها المختطفون أقرب دليل على هذا .. والأعمال الجنونية والاجرامية التي تقوم بها دولة اسرائيل دليل على أننا نعيش فى عصر مخبول – التطرف أبرز سماته .

يجب ألا ننسى أننا نعيش فى عصر الذرة بكل ما يكتنفه من أهوال .. وهذا وحده كاف لأن يعيش الناس بغير عقول ماداموا يسمعون – مثلا – أعظم رواد هذا العصر « أينشتين » يقول : « إن إطلاق تيارات ضخمة من النشاط الأشعاعي قد يؤدي الى إبادة الحياة كلها فوق الأرض »!!

يجب أن ندخل روح هذا العصر التعس الذى يتخذ التطرف فيه شكلا وبائياً سواء من الأفراد أو من الدول فى حسابنا .. إن العواطف – كما يقول علماء النفس – معدية .. وما يحدث فى أقصى الشمال مساء يوم ، ينتقل الى أقصى الجنوب فى صباح اليوم التالي .

فليكن ذلك فى حساب الذين يعالجون مشكلة التطرف ، ولنعد نحن الى حديثنا عن الفكر الديني ووجوب تجديده وترشيده

قلنا : إن كراهية الذكاء والحقد عليه يلعبان دوراً كبيراً وسيئا فى قمع الفكر الديني المتجدد .

يقول « برتراند رسل » : « إن الخوف من الذكاء العام هو أحد الأخطار الكبرى فى عصرنا الحاضر ، وهو من الأمور التى يجب أن تعالجها المدارس والجامعات قبل غيرها .. فلو أن المعلمين والمسئولين عن التربية كانوا أشد إدراكاً لنوع الشخص الذى يحتاج إليه العالم الحديث ، لاستطاعوا خلال جيل واحد أن يكونوا الراي الذى يقلب وجه الأرض . ولكن مثلهم الأعلى فى الشخصية الانسانية لايزال عتيقاً ؛ فهم أشد ما يكونون إعجاباً بالصفات التى تكسب صاحبها القيادة فى عصابة لصوص » !!

إن ما ذكره « رسل » عن العواقب الوخيمة لاضطهاد الذكاء الانساني فى محاولته تكوين الرجل المثقف . هو تماما مايصادفنا أثناء اهتمامنا بتكوين الرجل المتدين .

فالمقود لا ينبغى أن يوضع فى أيدي العامة أبداً . بل يجب أن يبقى ويظل فى أيدي قادة الفكر الديني يجددون ويخلقون ويبدعون .

يجب أن تتواكب أهداف الدين مع أهداف الحياة ، لأن كليهما – الدين والحياة – حق . ولا يعارض حق نفسه أبداً

وفى ظل هذه الحقيقة نستطيع أن ندرك ماذا نريد بتجديد الفكر الديني .

إن ارتفاع الانسان من بداياته الغامضة الى عظمته الماثلة ، لايمكن أن يتهدم وينتكس بقوة الدين ولا بتوجيهاته .. وإنما نحن الذين نريد ذلك بغبائنا !!

ولأضرب لهذا مثلا قريباً ..

خذوا الطريقة التى يدعو بها الوعاظ والعلماء والمؤلفون إلى أخلاقيات الاسلام سنجد الاهتمام على النواهي الصارمة ، والدعوة إلى انكار الذات وإدانتها .. وكأن التدين والحياة الفاضلة لا يتحققان إلا بهذا الأسلوب من الادانة والتحقير ، وإلا بهذا القدر الرهيب من الرعب القاتل .

إن إدمان الاحساس بالذنب عمل غير صالح ، ولا يمكن أن يكون طريقاً إلى حياة ناجحة .

وإن الاسلام مهما تكن الكوابح والزواجر التى يقاوم بها التسيب الخلقي ، لأيدع هذه الكوابح وتلك الزواجر تعمل بمعزل عن رغبته الصادقة فى تحرير الناس من الخوف ..

لننظر مثلا قول الرسول عليه السلام : « كل ابن آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون »

وقوله : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » ..



محمد اقبال
طالبنا بأن نتناول المعرفة المعاصرة بروح الاستقلال



اينشتاين
أعظم رواد العصر .. حذر من أهوال عصر الذرة



برتراند راسل
تحدث عن العواقب الوخيمة لاضطهاد الذكاء الانسانى

وقوله ، وقد مر واصحابه على أم تضم رضيعها الى صدرها فى حنان رطيب : «اترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟؟. قال أصحابه : كلا يارسول الله .. فقال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده ، لله أرحم بعبده من هذه بولدها » !!

ولننظر قول القرآن العظيم : « الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش إلا اللمم .. إن ربك واسع المغفرة . هو أعلم بكم إذ أنشاكم من الأرض ، وإذ انتم اجنة فى بطون أمهاتكم » .

فقوله سبحانه « إذ انشاكم من الأرض » يشير إلى المؤثرات البيولوجية التى تعمل فينا بوصفنا خلقنا من تراب وطين .

وقوله سبحانه : « وإذ انتم اجنة فى بطون أمهاتكم » يشير إلى قانون الوراثة الذى يعمل فينا عمله النافذ المهيمن .

ويعجبني فى هذا المقام حكمة قالها كاتب أوربي : « كل امريء منا عربة كبيرة ، يركبها جميع أسلافه » !!!

فهذه النصوص وكثير معها يستطيع الفكر الديني المتجدد أن يقود بها النفس البشرية قوداً جميلا وديعاً الى مرفا الفضيلة والخلاص .

إن كثيرين من الوعاظ والعلماء يشعرون بغبطة طروب عندما يظنون انهم ادوا واجبهم وحققوا السعادة لأنفسهم بانزال الألم والحسرة بالآخرين .

ثم إننا بحاجة الى طرق للتفكير تتلاءم مع تقدمنا العلمي — غير متزمتة ولا متشككة فى الفكر والعقل ..

إنه لولا التجديد الهائل للتفكير الديني الذى اضطلع به فقهاء الاسلام الكبار وائمته العظام لظل الاسلام يعيش داخل ثياب ضيقة ، وافاق مغلقة .

ويجب أن ندرك اننا بالحجر على الفكر الديني وعدم تجديده وترشيده إنما نحمل وزر معظم الملحدين والمتشككين الذين يعطون ظهورهم للدين .

يقول الفيلسوف الهندي « رادا كرشنان » « إن المثقفين فى هذا العصر الحديث يلخصون الموقف فى هذه العبارة : يعتقد بعض الناس أن الله موجود ، ويعتقد بعضهم انه غير موجود ، والأمر لا يهمنا فى كلتا الحالتين » !!!

ثم يقول : « وكثيراً ما دل الشك وإنكار الله على اننا نمر بلحظة من لحظات الجدل فى تاريخ الدين ، وعلى أنهما — الشك والانكار — من الوسائل التى استخدمها الانسان ليستزيد من معرفته بالله ، ويحرر نفسه من الآراء الدينية المعوجة » .

فكم يسدي الفكر الديني للتائهين من صلاح ونور إذا هو عاش فى واقع الحياة واخذ بايدي الحائرين ، وقدم لهم جوهر الدين كما أراده الله هدى وجمالا للحياة ؟!

كم يعجبني دعاء الأوبنشاد الهندى : « اللهم اخرجني من غير الواقع الى الواقع .. ومن الظلام الى الضياء .. ومن الموت الى الخلود » ..

وعلينا أن ندرك أن العقائد التى تتحدى العلم إنما تتضمن في نفس الوقت ولنفس السبب إقرارها بالافلاس .. بيد انه لابد ايضاً من إدراك ان العلم ليس من حقه اصدار احكام نهائية فى قضايا وحقائق عالجها الدين ، ولم يصل هو إلى كشفها بعد ..

اجل ، ولا ينبغي ان نضيع تراثنا الروحي فى سبيل قضايا لا يملك العلم دليلا قاطعاً على نفيها .

وإن اتساع خبراتنا العلمية دون أن يقابل ذلك نمو فى الحكمة الدينية دليل على تقهقرنا لا على تقدمنا .

• • •

على المسلمين إذن أن يدركوا — قبل فوات الأوان — انهم في حاجة شديدة وأكيدة الى تجديد التفكير الديني وتقديم الاسلام فى أبهائه الواسعة الرحبة العظيمة .

وعلى مفكريهم أن يدركوا روح العصر بنفس القدر الذى يدركون به روح الدين .

يقول الفيلسوف والشاعر المسلم « محمد إقبال » : « ليس أمامنا سوى أن نتناول المعرفة المعاصرة بروح الاجلال والاستقلال والبعد عن الهوى . وأن نقدر تعاليم الاسلام فى ضوء هذه المعرفة ، ولو أدى ذلك بنا الى مخالفة المتقدمين » ..

ويقول فى نبوغ وضيء : « إن النبوة فى الاسلام لتبلغ كمالها الأخير فى إدراك الحاجة الى أنها النبوة نفسها »

أجل .. وهذا هو معنى أن « محمداً » خاتم الرسل ، وأن الاسلام خاتم الأديان . فليس بعد سيدنا « محمد » رسول ، ولا بعد الاسلام دين .. إنما هو الوحي والعقل .. الوحي الذى يتمثل فى كلماته الخالدة ، والعقل الذى يفتح سبلا جديدة للمعرفة فى ميدان التجربة الدينية .

إننا نبحث عن عالم اسلامي جديد . ولابد لهذا العالم الجديد أن ينشا وينهض وسبيلنا لذلك تجديد الفكر الديني . وتشجيع الملكات الاسلامية على الاجتهاد والابداع ، والكشف عن التخوم المشتركة بين روح الدين وروح العصر .

واللحظة التى ندرك فيها ذلك ، هي اللحظة التى نجد فيها سعادتنا العظمى ، ونجتاز بنجاح اكبر امتحان لنا .

ولقد كانت حركة التجديد والترشيد للفكر الديني الخلاق ازهى ما تكون فى صدر الاسلام .

وحسبنا أن نرى هذا الفكر الثاقب يجد الحرية التى يناقش بها أكثر القضايا إثارة للاهتمام .

فمثلا ، نجد أعلى مناصب الدولة ، وهي « الخلافة » موضوعاً يغدو فيه الفكر ويروح فيرى أهل السنة أن اقامة رئيس لدولة الاسلام « الخليفة » واجب شرعاً .. ويرى المعتزلة انه واجب عقلا .. ويرى الأباضية وهي فرقة من الخوارج انه غير واجب ، لاشرعاً ولا عقلا .. وأن المجتمع إذا استطاع تنظيم نفسه فى مؤسسات تقوم بتوجيه حياته ورعاية مصالحه لم يعد للخلافة مكان .. !!

ومن عجب أن هذا الرأي هو الذى نادى به « ماركس » و « انجلز » عندما ذهبا الى أن المجتمع البشري سيظل يتطور وينمو حتى يستغنى عن الدولة وعن كل مظاهرها وينظم المجتمع نفسه في مؤسسات مدنية بعيداً عن كل مظاهر الدولة من حكومة وجيش وشرطة !!!

فماذا أصاب الفكر الديني فى الاسلام حتى تبلد وتجمد وجفت منابعه ..؟!

هذا الفكر الذى اقتحم بجراته النادرة وبامله الباسل كل القضايا الدينية والدنيوية .

ان مستقبل الاسلام رهين بعودة هذا الفكر المتجدد المتحرر والجريء الوثاب .

وعندما يعود من غيبته وغربته سيشهد المسلمون يوم بزوغ فجرهم الجديد .

خالد محمد خالد

مسافر على الرصيف



بقلم: محمود السعدني

# الساخر العظيم

**عبد الحميد قطامش واحد من أعلام قهوة محمد عبد الله .. وهو بالقطع وحيد زمانه وفريد أوانه ولم أصادف فىحياتى شخصية أخرى من نفس الطراز . وهو واحد من فحول الأدباء وإن كان لم يكتب أدباً . ولكن موهبته الحقيقية كانت فى الكلام .**

كان محدثا ربما لم يخلق مثله ، وهو يمزج الفصحى بالعامية فى مهارة الصائغ العظيم ، فياتى حديثه كانه مسبوكة عظيمة تضم أغلى الجواهر وأندر الأحجار ! وكان حساساً وذواقة وصاحب نكتة ومعقداً الى حد كبير ! كان يبدأ الناس دائما بالعدوان ، وبعد سهرة واحدة يصبحون من أعز الأصدقاء ! وكان يكره النساء ويحبهن فى أن واحد ، وهو لانه كان شيخاً معمماً فى صباه ، وايضاً لأنه كان من طبقة الفقراء ، فقد كان مرفوضاً لدى النساء . ولعل ذلك هو سر حقده عليهن ، وسر شغفه بهن أيضاً ! وقد عاش الشيخ قطامش حياته منفصلا عن زوجته ، وتفرغ لتربية ابنائه ، والسهر طول الليل مع احد الأصدقاء . والطواف فترة الصباح على المحاكم ، فقد كان واحداً من أقدر المحامين على الاطلاق . وكان يكسب كثيراً وينفق قليلا ، ولم يشاهد قط خارج مكتبه أو بعيداً عن نطاق قهوة عبد الله ، إلا نادراً . وكانت له صلات عريضة ، وأصدقاؤه يعدون بالألوف ، ومن كل الطبقات ! وكان هذا يتيح له سهرة فى كل ليلة من الزمالك الى سوق السلاح ! ولكنه أبداً لم يتنكر لانتمائه الطبقى ، ولم يقطع صلته باصوله الأولى ، وظل شبح رهيب يطارده طول العمر ، وهو خوفه من العودة الى أيام الفقر الأولى وزمن التعاسة المتناهية !

وكانت تلك الأيام المبكرة من حياته لا تفارق ذاكرته ، وكان يعود اليها فى كل سهرة ، وكان باستطاعته دوماً أن يلوى عنق الحديث الى نشاته الأولى فى ريف الجيزة ، حيث كان أهل قريته يصيبون وجبات الطعام بالصدفة ، ويعيشون بلا مناسبة ، ويموتون بلا سبب ! وكان من الطبيعى أن يكون فلاحاً يعيش مغروزاً فى الطين والبؤس والياس أيضاً ! ولكنه قاتل قتال المستميت لكى يرسله أخوه الى الأزهر . وكان أخوه بينه وبين الأزهر عداء ، فهو نفسه كان طالباً فى معهد القاهرة الدينى وقضى سنوات فى دراسة النحو والفقه والشريعة . ولكنه سئم حياة التلمذة فهجر معهده وعاد الى القرية ليعمل فلاحاً فى الأرض ، ولكنه ظل يتميز عن زملائه فى القرية بلقب «شيخ» واحتفظ لنفسه بالعمامة حتى آخر يوم من حياته ! ولذلك رفض الاستجابة الى رغبة عبد الحميد قطامش ولكنه رضخ في النهاية استجابة لشفاعة بعض الأقرباء وإلحاح عبد الحميد . وفجاة وجد عبد الحميد نفسه طالباً فى الأزهر ، وفى القاهرة ، لا قريب له هنا ولا حبيب ، وليس معه شىء إلا نصف جنيه ، وعليه أن يدبر أموره بهذا النصف جنيه خلال السنة الدراسية ! ولو كتب عبد الحميد تلك الفترة كما كان يحكيها لترك لنا عملا أروع من طفولة جوركى وأكثر ألماً من أيام طه حسين ! واكتفى هنا بلمحة رواها لي عبد الحميد حين

## الساخر العظيم

كان طالباً . وفى نهاية العام الدراسى كان عليه أن يعود الى قريته ، ولم يكن معه نقود فقرر أن يذهب الى بلدته سيراً على الأقدام . ولأنه كان يرتدى زى مشايخ الأزهر وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة فقد كان موضع سخرية الأطفال الذين يمر بهم فى شوارع القاهرة ، ولأنه كان مفلساً فقد شعر بالضياع ، ولأنه كان ضائعاً بالفعل فقد بكى عندما وصل الى امبابة فى طريقه الى المنصورية قريته . وسار قطامش فى التراب والغبار واحياناً فى الوحل خمسة عشر كيلو متراً تحت شمس محرقة ورطوبة لزجة حتى وصل اخيراً الى الدار وعندما جلست على المصطبة وخلعت حذائى ، اكتشفت أن الجورب الذى كنت أرتديه لم يكن مكانه فى قدمى» !! وليس هناك صورة اكثر صدقاً وسخرية من تعليق عبد الحميد ! وحكى لي ذات مرة عن قصة غريبة حدثت له عندما كان فى كلية الشريعة ، فقد ذهب ببطاقة توصية حصل عليها واحد من أهل الخير موجهة الى احد باشوات زمان هو محفوظ باشا رشوان . ويبدو أن بطاقة التوصية كانت من رجل مدع لا علاقة له بالباشا ، ولذلك رفض محفوظ رشوان مقابلة عبد الحميد . إلا انه عاد فقبل مقابلته تحت إلحاح وإصرار واستماتة عبد الحميد ! وعندما وصل عبد الحميد نفسه أمام الباشا راح يحكى ظروفه ، والغريب انه وهو الشديد اللماضة ، فقد تلعثم وأصيب بالكتمة أمام الباشا العجوز . المهم أن عبد الحميد نطق ببعض الكلمات «وانا طالب علم وأبحث عن أى عمل يعيننى على طلب العلم» !! ولم ينس طبعاً ترديد بعض العبارات المحفوظة مثل جعلك الله يا سعادة الباشا ذخراً للفقراء والمتعلمين !! وألقى عليه الباشا نظرة حائرة ثم طلب منه أن يعود فى الغد . ولم ينم عبد الحميد تلك الليلة . فقد تصور نفسه كاتباً منفوشاً كالديك الرومى فى إحدى المحاكم الشرعية أو مستوظفاً فى إحدى دوائر الحكومة ، أو مصححاً للغة فى إحدى دور الصحف . إن نفوذ الباشا باتع وهو حتماً سيجد له وظيفة تكون حلا لجميع مشاكله فى الحياة ، وفى الموعد المحدد ذهب عبد الحميد مسرعاً الى مكتب الباشا محفوظ رشوان . واستقبله السكرتير بلا اهتمام . وناوله مظروفاً صغيراً وقال له «الباشا ترك لك هذا المظروف» . وتناول عبد الحميد المظروف وأدع الوصف لعبد الحميد قطامش «حملت المظروف على أكف الراحة كأننى أحمل أمنية طال اشتياقى اليها ورحت أهبط الدرج وقلبى يسبقنى وتكاد دقاته المرتفعة تغطى على وقع اقدامى . وعندما أصبحت فى الشارع لجأت الى أقرب عامود نور لكى أتمكن من قراءة بطاقة التوصية



التى تركها لي الباشا ، وربما هى موجهة الى أحد الوزراء أو أحد العظماء ، ولابد أنها بالقطع ستكون بوابة الخير الى عالم الاستقرار والحياة المنشودة . وفتحت المظروف برقة ولم أجد بطاقة توصية ولكن وجدت ورقة مالية من فئة الخمسة وعشرين قرشاً ، وانتفض جسمى كله ، وأرعشت المفاجأة جلدى ووقفت ساهماً ، أفكر فيما يجب على أن أفعله . ووجدت نفسى فى حيرة شديدة ، هل أعود الى مكتب الباشا وأرد له المظروف وألقنه درساً فى احترام أولاد الناس خصوصاً عندما يكونون طلاب علم فى الأزهر ؟ أم .. ؟ أم أمضى فى طريقى وأحتفظ بالربع جنيه ؟ وهو كاف لكى أركب الترام بدل السعى على الأقدام ، والحصول على عشوة فاخرة عند الكبابجى ، وعلبة دخان من صنف ممتاز أو شرب الشاى على مقهى العمال مع الحجاوى بالسيدة زينب ! وترددت لحظات بين كرامتى ومصلحتى . بين شموخى وجوعى ، بين أنفتى وحاجتى . ولم يطل ترددى ، عدت أدراجى بقوة الى القهوة والكباب وركوب الترام وتدخين السجاير ، وأدركت لحظتها أن الفقراء ليس لهم كيان وليس لهم كرامة . وأن التشبث بهذه الخرافات بالنسبة لمن كان مثلى ، أشبه بمحاولة الطيران بأجنحة من طراز عباس بن فرناس ..!!»

إنها صور من حياة عبد الحميد قطامش أيام التلمذة رواها لي بنفسه . وقد أخذتها من بين صور كثيرة للدلالة على ما صادفه عبد الحميد من عنت وما عاناه من مكاره ، وما ابتلى به من أهوال . ولذلك كان حصوله على شهادة العالمية من جامعة الأزهر ، أشبه بوصول أول رائد فضاء الى القمر . ودفعه هذا الانجاز الذى لم يكن يتوقعه الى طبع بطاقات تحمل اسمه على النحو التالى «عبد الحميد قطامش عالمية الأزهر وعبد الحميد الديب ليست له مؤهلات» !! وقد رد عبد الحميد الديب على قطامش فيما بعد فطبع بطاقة هو الآخر كتب عليها .. عبد الحميد قطامش المحامى الشرعى .. وولده رمزى» !! والغريب أن عبد الحميد قطامش رغم انطلاقه الى أبعد الحدود ، ورغم ولعه الشديد بالمرح ، إلا أنه كان غاية فى الانضباط خلال ساعات العمل . وكمحامى شرعى كان واحداً من الأعلام ، وكان يدخر تسعة أعشار دخله ، ليس بخلا من عبد الحميد ، ولكن الفلوس تحولت فى نظره الى درع الأمان ، والسد العالى ضد الفقر والجوع وأيام الضياع . وبالرغم من عصريته وكمحام كان لا يؤمن بالبنوك . وكانت نقوده كلها تحت البلاطة ، وحافظته كانت دائماً متخمة بالنقود ! وغالباً ما كنت أراه يتحسس حافظة نقوده وهو جالس معنا فى المقهى ، وكان يبدو سعيداً للغاية كلما مر بيده على الحافظة المنتفخة ، فقد كانت هذه الحافظة هى علاقة السيادة والقوة فى دنيا الناس . وكان يتمتع بقدرة فائقة على إضحاك الحجر . ونكتته كانت لاذعة ، وتعليقاته كانت جارحة ، ولسانه كان أشبه بسيف مسلول . وبالرغم من ذلك كان يبدو ضعيفاً الى حد الانسحاق أمام رجال السلطة من الوزير الى الخفير . ولذلك آثر طول العمر أن يبتعد عن أى عمل جاد ضد السلطة . وكان يطلق لسانه أحياناً ببعض النكات ضد الحكومة ، فاذا تأزمت الأمور ، لزم داره ، وقبع فى سكون . ولذلك نجا عبد الحميد من المقصلة التى قطعت رؤوس كل أبناء جيله ، فلم يسجن يوماً ولم يقطع رزقه يوماً ، ولم يعان على أى نحو وفى كل العهود !

وما أشد عقد عبد الحميد قطامش وما أعقد تناقضاته فبالرغم من نشأته الفقيرة إلا أنه كان يكره الفقر والفقراء أيضاً !! وبالرغم من نشأته الريفية إلا أنه كان يكره الفلاحين ولم يقم بزيارة واحدة لقريته خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة من حياته . وكان يحب السهر فى بيوت الأثرياء ، ويعشق الحياة المترفة والأنيقة ، ويسعى للتعرف على طبقة الضباط والقضاة ورجال الادارة . ولكنه كان يكره المشاهير من الأدباء والفنانين ويحتقرهم ، وكان يردد دائماً «المشاهير هم مجرد فقاقيع على وجه المجتمع» . وبالرغم من بخله الشديد على الأصدقاء إلا أنه كان على استعداد لانفاق آخر قرش من ثروته إذا وجد لمسة حنان عند امرأة جميلة ! ولكن هذه كلها تبقى صفات شخصية لعبد الحميد ، أما الجانب العام فيه وهو الذى يشغلنا فى الأصل ، فلاشك أن عبد الحميد قطامش كان واحداً من أعظم الظرفاء الذين أنجبتهم مصر فى هذا القرن . وكانت له جولات وصولات مع عشرات من رجـال الأدب والفن والظرف فى مصر ، وسهراته مع زكريا الحجاوى وعبد الحميد الديب وعباس الأسوانى تصلح مادة لتدريس الفكاهة فى جامعات الظرف . ونكاته لم تكن قفشات لفظية فقط ولكنها كانت أشبه بمسرحية صغيرة ، الحوار فيها مركز والحركة مرسومة وأحياناً يستخدم الديكور ويحرص على وجود مشاهدين ! ذات مساء فى أواخر الأربعينات خرج معنا زكريا الحجاوى وأنا من منزله فى السيدة زينب ليرافقنا بعض الطريق ونحن فى طريق عودتنا الى الجيزة . ولكن لأن الحديث ذو شجون فقد نسي عبد الحميد نفسه ، ليكتشف فجأة أنه ذهب معنا الى الجيزة . ولم يكن يرتدى إلا جلباباً وفى قدميه نوع رخيص من الشباشب . وفكرنا فى أن نعود معه الى السيدة ، ولكن الرأى استقر على أن نوفر له ربع جنيه مصرى يكفى لتوصيله بالتاكسى الى منزله فى السيدة ، وبعد أن استقل التاكسى وودعنا باشارة من يده ، أمر السـائق بالتوقـف فجـاة ، ونـزل مسرعاً ليهمس فى إذن زكريا «خد رقم التاكسى يا زكريا» ولما سألناه عن السبب أجاب بجدية متناهية «أحسن السائق يقتلنى ويسرق الفلوس» !!

هذه كانت عينة من نكاته ، قصة قصيرة موحية ولها أبعاد ، وتقطر سخرية من الموقف كله ، ولا ترحم أحداً ، وكان أحياناً يقسو بشدة على نفسه ، ربما ليتسنى له الحصول على إذن بالقسوة على الجميع .

**محمود السعدنى**

# آتٍ أنا والشِّعرُ .. يا قطرُ

شعر: هارون هاشم رشيد

( عندما تلقيت الدعوة من وزارة الاعلام «بقطر» الشقيق أعددت هذه القصيدة
التى حالت ظروف لبنان دون أن القيها .. وقد كتبت قبل الغزو الصهيونى للبنان)

«١»

آتٍ أنا والشعرُ يا "قَطَرُ"
فَلأيِّنا الأشواقُ تنتظرُ

آتٍ كما تدرين، يحملني
الاغترابُ المُرُّ، والسفرُ

أقلعتُ من زمنٍ فما بلدٌ
إلا وفي قلبي له أثرُ

وركبتُ هوجَ الرِّيحِ منتجعًا
دربَ النضالِ، وقلتُ أنتصرُ

«٢»

آتٍ وَدِدْتُ لَوَانَّ من وطني
شيئًا لأهديه لمن حضروا

لأقول: من "يافا" أجيءُ لكم
والبرتقالُ معي: الزهرُ والثمرُ

لأقول: من "حيفا" على عجلٍ
هذا الصنوبر هلَّ ينهمرُ

لأقول: هذا الموز أحمله
وشذا "أريحا" منه ينتشرُ

لأقول: في الأقصى إمامكم
صلَّى بنا، وأظل أفتخرُ

«٣»

لكنني آتٍ، ولي ألمُ
وفؤاديَ المكلوم يُعْتَصَرُ

آتٍ مراراتُ الأسى ملأت
قلبي ففاض الحزن والكدرُ

آتٍ ولي وطن تناوشه
الغاضبون بشعبه غدروا

الاحتلال يحطّ في بلدي
والغاصبون هناك قد فجروا

آتٍ وأهلي، وحدهم صمدوا
للنائبات ووحدهم صبروا

ظلوا قرابين الفداء فما
يومًا تقاعس منهم نفرُ

قالوا: وأمّتنا ظهيرتنا
سنظل في الميدان ننتشرُ

سنواجه الدنيا بأمّتنا
فبها، يكون الفوز والظفرُ

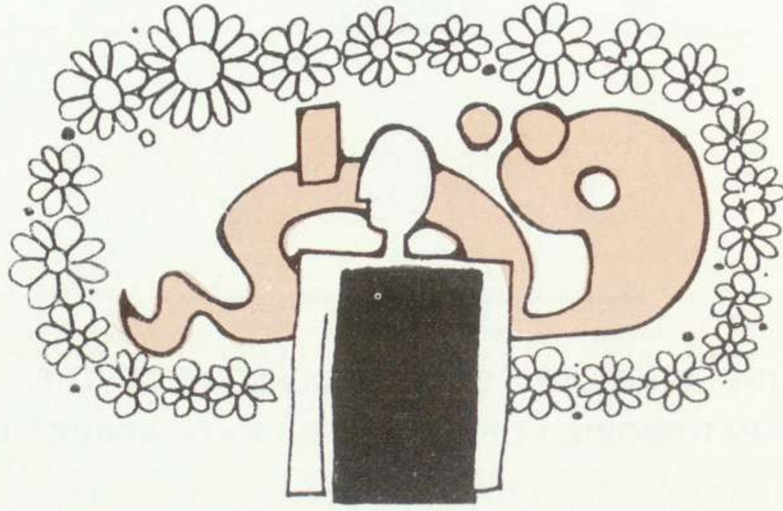
وتلفتوا فإذا الدّيار أسىً
من حولهم، والصمت والحذرُ

الاقتتال يدورُ ما بلدٌ
إلا وفيه عليه من سعروا

الاقتتال شعار أُمّتنا
عرب .. على عرب إذا قدروا

أمّا إذا ما الوحت لهموا
أرض الفداء، ونادت النُّذُرُ

وإذا فلسطين، ومسجدها
هتفا، فإنّ العُرْبَ تعتذرُ



"٤"

قِمَمٌ .. وأقطابٌ ، وجامعةٌ
وتظل "إسرائيل" تنتصرُ

قمم ، وأقطاب ، وجامعة
والمسجد القُدسيُّ ينكسرُ

قمم ، وأقطاب ، وجامعة
وسماؤنا والأرضُ تُختصَرُ

أقداسُنا مَرعًى لمَنْ غدروا
وديارُنا بالذل تأتزرُ

يِمُنَا على أوهام مارسموا
يَلْهوبِنَا التَّهويم والخَدَرُ

ضربوا "مُفاعِلَنَا" فما فَعَلَتْ
"دولاتنا" هل هزَّها الخَبَرُ ؟

حَطُّوا على أرض الجَنُوب فما
من قرية إلا بها عَبَرُوا

قالوا "الخيبر" هزَّنا شَغَفٌ
وإلى المدينة شَدَّنا وَطَرُ

قالوا بمكةَ عند مسجدها
يوم اللقاء هناك ننحشرُ

قالوا من "النيل" الذي عرفوا
حتى "الفرات" ستلتقي الزُّمَرُ

وتظل في الأحلام أُمَّتُنا
ونظل نستجدي وننتظرُ

"٥"

عرب بماذا ؟ والديار غَدَتْ
نهبًا لمن كبروا ومن صَغُروا

عرب بماذا ؟ لا يُوحِّدُهم
شيء فلا سِلم ولا خطرُ

هم يعلمون بأن قاتلهم
بالفُرْقَةِ الشوهاء ينتصرُ

"٦"

آتٍ إليكم ، ما أُحدِّثُكم
ماذا معي ، لا شيْءَ يُنتظرُ

فأنا أُعايِشُ كلَّ ثانيةٍ
هذي العروبة وهي تنحدرُ

وأرى بعين الغَيْب نَكْبَتَها
لوظَلَّ هذا الحال ينتشرُ

آتٍ إليكم والحنينُ معي
والشوقُ ، والآمالُ والذِّكَرُ

أدري بأنَّ الأَهْلَ مِنْ وَطَني
في داركم بالحُبِّ قد غَمروا

وبأنَّكم "كنتم" وما زلتُمْ
معَنَا .. تلاقى الفِكْرُ والنَّظَرُ

وبأنَّ هذا الحُبَّ نحفظه
في صدرنا عَهْدًا ونأتَزِرُ

وبأنَّنا في يوم عَوْدَتِنا
ستكونُ في أحداقنا "قَطَرُ"

بسم الله الرحمن الرحيم

# مركز التراث الشعبي

لـــدول الخليـــج العربيـــة

THE ARAB GULF STATES FOLKLORE CENTRE
CENTRE DE PATRIMOINE POPULAIRE DES PAYS ARABES DU GOLFE

# مسابقة تصميم شعار للمركز

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية أن يتوجه بالدعوة الى كافة المبدعين فى مجال الفن التشكيلى والمشتغلين بكافة أنواع الرسم والخط من مواطنى : دولة الامارات العربية المتحدة ، دولة البحرين ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، المملكة العربية السعودية ، سلطنة عمان، ودولة قطر ، للمشاركة فى مسابقة فنية لتصميم شعار خاص بالمركز حسب المواصفات والشروط التالية :

## أولا - مواصفات التصميم المطلوب

١ ـ أن يعبر عن المركز ، كمؤسسة خليجية مشتركة ، تعنى بالتراث الشعبى للمنطقة المتمثل فى فنون الأدب الشعبى ، العادات والتقاليد ، الموسيقى وفنون الغناء والرقص الشعبى ، الحرف والصناعات الشعبية .

٢ ـ أن يكون دالا على هذا التراث ، ومستوحي من أحد جوانبه الفنية خصوصاً ما أعطته الثقافة المادية الشعبية المتمثلة فى كل ما أنتجه الفنان الشعبي بمجالات الرسم والنحت والتصوير ، وما ابتدعه من فنون معمارية ووحدات زخرفية وما أنتج من أدوات ومعدات استلزمتها طبيعة الحياة البسيطة على مر العصور .

٣ ـ أن تكون فكرته جديدة ، وتنفيذها مبتكر ولم يسبق له أن طرح أو تداول بأى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف أنواعها .

٤ ـ أن يكون بسيطاً ، وقابلا للتنفيذ الفنى بواسطة الطبع والحفر والنحت والتجسيم الهندسى .

٥ ـ يفضل أن يكون الشعار بلونين فقط .

## ثانياً ـ : شـــروط الاشـــتراك

١ ـ أن يكون المشارك من مواطنى احدى الدول الأعضاء فى المركز .

٢ ـ لا يحق لأى مشارك تقديم أكثر من تصميم واحد .

٣ ـ ينفذ التصميم على الورق المقوى الخاص بالرسم قياس ٥٠×٤٠ سم أو ما يقارب ذلك . على ألا يذكر على التصميم اسم المتسابق أو ما يدل عليه ، ويكتب الاسم والعنوان البريدى ورقم التليفون على قصاصة منفصلة ترفق بالتصميم .

٤ ـ يمنح التصميم الفائز جائزة مالية قدرها ستة آلاف ريال قطرى ، تدفع بعد اعلان نتيجة المسابقة .

٥ ـ التصميم الفائز يعتبر ملكاً دائماً للمركز يستخدمه فى كافة أغراض عمله وبالشكل الذى يراه مناسباً ، وتسقط تبعاً لذلك جميع حقوق الملكية الفنية ، العائدة للمصمم .

٦ ـ جميع الأعمال الفنية التى لم تفز لا ترد الى أصحابها ، ويحتفظ المركز خلال شهر واحد من تاريخ اعلان النتائج بحقه فى أولوية الاستفادة من أى منها فى أغراض فنية أخرى خاصة بمجال عمله ، وذلك مقابل مكافأة مالية يتفق بشأنها مع المصمم .

٧ ـ ستشكل لجنة تحكيم خاصة بمستوى فنى رفيع ، لتقييم الأعمال المشاركة . سيكون من بينها ناقد فنى ، مؤرخ فنى ، فنان تشكيلى من أوائل الرواد ، مهندس معمارى ومندوب مختص بالتراث الشعبى الخليجى من المركز .

٨ ـ تعلن نتائج المسابقة فى أواخر ديسمبر ١٩٨٢ م بواسطة النشر فى الجرائد والمجلات والاذاعة والتلفزيون .

٩ ـ آخر موعد لقبول الاشتراك هو مساء يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢ م .

١٠ ـ ترسل التصاميم المشاركة الى العنوان التالى :

مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية
الدوحة ـ ص . ب ٧٩٩٦
دولة قطر

## دراسة علمية من جامعة الإسكندرية

# التحضّر في المجتمع القطري

تأليف: محمد أحمد عبد الرزاق غنيم
مراجعة: أحمد العناني

من أفضل الدراسات الانثروبولوجية التى صدرت عن قطر هذه الدراسة التى جهد لهافاحسن اعدادها السيد محمد أحمد غنيم واستحق بها مرتبة تقدير ممتازة من معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية ..

والواقع ان المواهب الخاصة والقدرة على التركيز والصبر الجميل تبرهن دائماً على نجاعة حقيقية فى رفع بعض الشباب الى مصاف الكهول إحساناً واتقاناً ، وهذا ما ينطبق على السيد غنيم الذي تردد على قطر فترات كافية ليجمع ويدرس ويشاهد على الطبيعة ، وليسعى للمعرفة حيثما وجدها ، وليحتفظ مع ذلك كله بطابعه الخاص فى فهم الحقائق ومناقشتها .

والدراسات الانثروبولوجية فى مناطق الزيت بشرقي شبه الجزيرة العربية تعتبر من الزم الدراسات واحقها بالاهتمام والرعاية ، وذلك لما هو معروف من التغير السريع لأنماط الحياة الاجتماعية ، واختلاف نوعية الانتاج وادواته ، واكتساب مختلف الأنشطة الحياتية وجوداً ، وإن لم يقطع صلته بالماضى ، إلا أنه وجود جديد بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وبكل ما ينطوي عليه الجديد المفروض كالقدر النازل من تحديات وطيبات

وإذا استثنينا الدراسة الجادة التى وضعتها الدكتورة جهينة سلطان العيسى من جامعة قطر ، والدراسة الوجيزة التى أرادتها السيدة روز ماري سعيد أن تكون دراسة اقتصادية اجتماعية فجاءت فى معظمها دراسة تاريخية مفتقرة الى الكثير الكثير من الأرقام والحقائق عن المجتمع القطري الجديد ، اقول إذا استثنينا تينك الدراستين ، فاننا لا نجد خارج ذلك النطاق الضيق – وعلى احسن ما اعلم – سوى دراسات ذات طابع يتراوح بين الصحفية المحضة ، والصحفية التاريخية الى حد ما كما هو الحال فى دراسة هيلجا جراهام الانجليزية باسم « آلة الزمن » وكتاب ناصر العثمان « السواعد السمر » على التتالي ... وكذلك دراسة الدكتور ليفون ميلكيان بعنوان « جاسم » .

وثمة بحث فى حدود خمسين صفحة بالانجليزية لكاتب هذا المقال كتبه بعنوان « قطر قبل الزيت وبعده » استجابة لدعوة من جامعة حيدر أباد . ولكنه بحث لم ينشر وإن صدرت له خلاصة بالانجليزية من تلك الجامعة ..

وبذلك يمكن القول دون تردد إن بحث الدكتورة جهينة « التحديث فى المجتمع القطري المعاصر » ، وهذه الدراسة لمحمد غنيم « التحضر فى المجتمع القطري » هما العملان الوحيدان حتى الآن اللذان انطلقا من منطلق انثروبولوجي منهجي » ، مستخدمين المعلومات الجغرافية والتاريخية كمجرد خلفية للتوصل الى نتائج محددة ، وهي نتائج توصل كل منهما لها بناء على متابعة واستبيانات ودراسات منهجية . ولقد احسن غنيم بما اشار له فى مستهل دراسته من إفادته من الدكتورة جهينة وبجهدها الكبير الذى ضارع جهد الاستاذ الجليل المشرف على هذه الدراسة الدكتور علي احمد عيسى من جامعة الأسكندريـــة ...

ومع أن الحقيقة اهم من مشاعر التواضع مهما كانت دوافعه ، وهي أن قسم الوثائق والدراسات بمكتب سمو الأمير بالدوحة كان له فضله ودوره الهامان فى تمكن المؤلف من اعداد مقدمته الجغرافية والتاريخية ، ولكن السيد غنيم هو الذى جعل تلك المساعدة امراً ممكنا بمثابرته

جامعة الاسكندرية
كلية الآداب
معهد العلوم الاجتماعية
شعبة الانثروبولوجيا

التحضر فى المجتمع القطرى مع التركيز على مدينة الدوحة
دراسة أنثروبولوجية

رسالة مقدمة من
محمد احمد عبد الرازق غنيم

إلى
معهد العلوم الاجتماعية « شعبة الانثروبولوجيا »
كليـة الآداب — جامعـة الاسكندرية
للحصول على دبلوم معهد العلوم الاجتماعية

إشـــراف
الأستاذ الدكتور على احمد عيسى

١٩٨١

اهداء
يشرفني أن أتقدم باهداء أول بحث عن دولة قطر
إلى
حضرة صاحب السمو الشيخ خليفه بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر
وصاحب اليد الطولى فى تقدم المجتمع القطري وتحضره

غلاف الرسالة التى اعدها محمد احمد عبد الرازق غنيم ، والتى استحق بها درجة امتياز من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .. وقد اهدى الباحث دراسته إلى سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير دولة قطر

وحسن سعيه فى جمع الحقائق والافادة القصوى من هذا القسم الذى اتشرف برياسته . فلقد مر بنا كثيرون غير غنيم ينشدون العون لكن سرعة ضجرهم ورغبتهم الجامحة فى اعتساف الأمور ، وقلة صبرهم حالت دون إفادتهم من موجودات وجهود هذا القسم .

وبسبب ذلك كله اصبحت رؤية غنيم مهمته رؤية واضحة بكل أبعاد الكلمة ، فجاء تقسيمه للبحث تقسيماً منطقياً متسقاً ، وذلك فى مقدمة وخمسة فصول أولها عن مفهوم التحضر ومعايير الأبحاث الانثروبولوجية الحضرية ، وثانيها عن التفاعل الأيكولوجي أو البيئي مع التركيز الواضح على مدينة الدوحة بالذات ، ثم تناول فى الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وما تعرضت له فى قطر من عوامل التغيير شاملا ذلك بالطبع علاقات القربى كما صاغتها الثقافة الاسلامية وبعض الأعراف العربية ووسائل التربية والتعليم وما طرا عليها من تبديلات جوهرية بادخال النظم الحديثة للتربية والتعليم .

وفى الفصل الرابع عالج المؤلف فى حوالي ثلاثين صفحة موضوعاً يعتبر بالنسبة لقطر بخاصة أهم موضوعات البحث كله الا وهو الحياة القبلية وما اعتراها من تطور على المستوى السياسى وهو تطور متعلق دائماً بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية .

أما الفصل الخامس فقد جعله الباحث لمجموعات الأمور التى لابد من اثباتها في كل عمل علمي منهجي ولا سيما بالنسبة لشاب جامعي ينشد تاكيد اتصافه بكل مواصفات الدارس الباحث على هدى وبصيرة — فهناك تفصيل كامل للمراجع العربية والأجنبية وملاحق شملت نماذج من مقابلات واستبيانات ونظرات فى الأدب الشعبي المعبر عن خصائص الحياة القطرية الى جانب بيانات أخرى لابد منها فى مثل هذا البحث بالذات . كالخرائط والصور التوضيحية .. الى آخر ذلك ..

ومع علمي بما بذله الباحث فى إعداد هذه الرسالة التى ناهز حجمها الأربعمائة صفحة لكني لا اسوغ له ، ولم اكن لأرضى له معاودته التاكيد مراراً لما بذله من جهد وكان الأفضل أن يترك للقارىءأن يعطيه ما يستحقه من التقدير ، وهو مستحق لذلك بالفعل ، لكنه يهون من هذا الأمر . انه شاب جامعي وشاب متحمس ويريد أن يرى منه استاذه المشرف وغيره ما فعله وبذله .

ولا ارغب اطلاقاً فى أن أقدم أي انطباع يقلل من سائر النواحي الرائعة فى بحث غنيم ، ولكن ذلك لا ينبغي ان يحول دون ايراد كل تحفظ على عمله ، فهو فى الفصل الأول عن مفهوم التحضر أسرف كثيراً فى الجانب الفقهي من الموضوع ، إذ أن اهم مما قراه عن وجهات نظر الآخرين ونظرياتهم ما توصل له هو من استنتاجات ذاتية . وعندي فى هذا الامر وجهة نظر قد اجنح فيها الى شيء من الاسراف ، وهي وجهة نظر تتعلق بالمعرفة ، اهدافها وغاياتها فى مجتمعنا العربي باسره حيث مايزال التركيز على الحفظ والكم يفوق العناية بتربية المزيد من الاصالة والاقتدار على توليد الأفكار الجديدة من معطيات المعرفة سواء ما توفر منها في الكتب والوثائق أو ما جمع بالجهد والبيانات وبالمشاهدات الفاحصة ايضاً ..

إن أهم واجب لعالم الانثروبولوجيا فى تصوري هو اقتداره على رصد التوجهات الاجتماعية الخاطئة التى تنقص من فاعلية المجتمع وانتاجيته وسرعة ودقة استشرافه مستقبلا افضل على ضوء القيم السليمة لدنيته ومؤسساته ، وهذا ما يحفظ رسالته فى اطار النفع فان ما ينفع الناس هو ما يمكث فى الأرض كما أن العلم النافع هو العلم الذي يرضاه الاسلام العظيم لنا لسعادتنا فى الدارين .

لقد أردت بهذه العجالة أن انوه بعمل علمي كاد يبلغ حد الاتفاق التام فى منهجه واستيفائه كل متطلبات البحث الجاد لتكون هذه الكلمة بين يدي كتاب السيد غنيم الذى هو بسبيله الآن للنشر ، ولا يسعني إلا ان أشد على يده وأن ادعوه للسير قدماً فى عمله ليكون منه باذن الله عالماً اجتماعياً ينتفع الناس بعلمه . والله الموفق وهو الهادي الى خير سبيل ..

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث:

# عمامة جريئة بين الأمة والحكومة

بقلم: فتحي رضوان

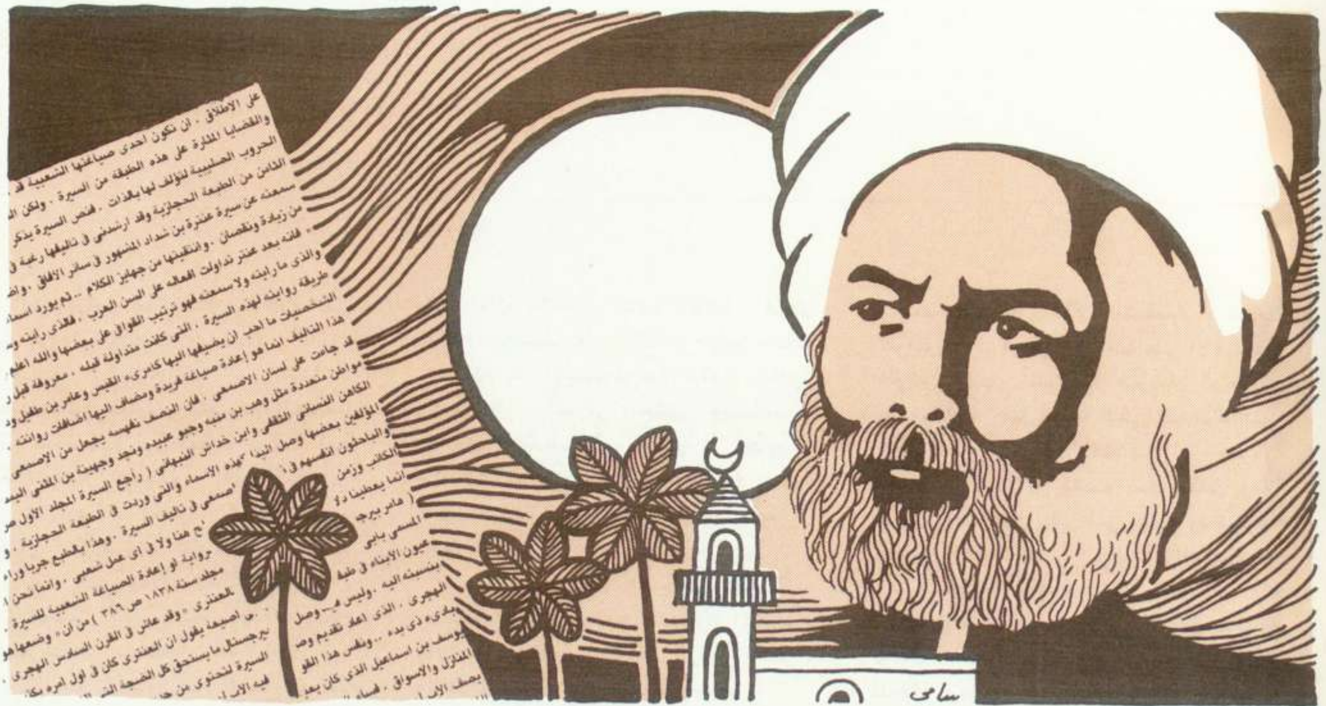
● لما اخترت « دور العمائم فى تاريخ مصر » خيل إلي اننى ابتكر موضوعاً جديداً من موضوعات الدراسة التاريخية العامة ، وأن الخاطر الذى حفزني الى اختيار هذا العنوان ، وموضوع العنوان ، كان خاطراً جديداً ، لم يشغل احداً من قبل ، ولكن كم كانت سعادتي حينما وقع نظري فى كتاب المرحوم الدكتور عثمان امين الصادر فى سنة ١٩٤٤م ضمن سلسلة اعلام الاسلام ، على عنوان نصه : « يالها من عمامة ! » .

ثم رأيت تحت هذا العنوان ما نقله المؤلف عن تلميذ الشيخ محمد عبده ونعني به الشيخ محمد رشيد رضا ونصه : « العجب حقاً ـ أن ترى صاحب عمامة ازهرية يدخل فى حكومة مطلقة ، بعيدة فى أعمالها عن رجال العلم والدين ، فيشرف من نافذة غرفة التحرير للجريدة الرسمية على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها . فيصلح لعمالها ما يكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الأمة . » .

وما يعنيه الشيخ رضا ، فى واقع الأمر ، عجب يدل على أن محمد عبده لم يكن منذ بداية حياته العامة ، فرداً يتميز بالذكاء وقوة الشخصية ، يتفوق على سواه بما حصل من العلم ، وهو فى مطلع حياته ، واسبغ الله عليه نعمة الكلمة النافذة ، والحجة الصادقة والبيان المبين ، بل إنه كان جماعة كبيرة ، تتوق الى تغيير حال امته ، والوقوف فى وجه ما درجت عليه من استسلام للحاكم ، وإذعان للسائد من التقاليد والأوضاع ، والدور الذى لعبه فى تحويل مجلة «الوقائع المصرية» الى ديوان للمحاسبة ، وجهة للمراقبة ، ومصدر للتوجيه ، ومنبر للاصلاح . ولم يستثن احداً من نفوذه ، فالحكام الكبار من الوزراء ومديرى المديريات ، ورؤساء المصالح كعامة الشعب يخضعون لنفوذ هذه الجريدة ، فقد وضع محمد عبده ، تنفيذاً لأمر رئيس الوزراء (النظار) رياض باشا ، لائحة لجريدة الوقائع المصرية ، تكلف جميع مصالح الحكومة وإداراتها بان تخبر الجريدة بما قدرت من مشروعات ، وما انجزت من هذه المشروعات ، كما تلزم المحاكم بان ترسل الى الجريدة ما اصدرته من احكام ، واعطت اللائحة لرئيس تحرير الجريدة أو محررها الاول ، الحق فى أن ينتقد ما يراه جديراً بالانتقاد من الأعمال او المحررات التى كتبتها الجهات الرسمية .

ولم يقنع رئيس التحرير بكل هذه المهام الخطيرة ، فقد انشا قسماً شعبياً ينشر فيه هو وينشر فيه غيره من المحررين والقادرين على الكتابة ، ما يرسلونه الى الجريدة من المقالات فى مختلف الشئون العامة .

وبالجملة فان جريدة او مجلة «الوقائع المصرية» ، اصبحت بفضل التعاون بين رئيس الوزراء (ناظر النظار) وبين شيخ ازهرى شاب ، لم يتجاوز آنذاك مطالع الحياة العامة ميلاد مؤسسة لا نظير لها فى تاريخ مصر ، ولا فى تاريخ الحكومات فى



الشرق او الغرب ، إذ لم يسمع الناس عن محرر جريدة رسمية بالغاً ما بلغ من الحكمة والنضوج أن يقيم نفسه مرشداً ومربياً وموجهاً لا لعامة الناس ، وهذا ليس بالشىء القليل ، إنما للرؤساء الكبار والمسئولين ذوى الصدارة ، وعلى هؤلاء جميعاً أن يسمعوا ويطيعوا ، وقد ثار احد مديرى المديريات على ما وجهته اليه الجريدة من نقد لاعماله فى مديريته فمنع الجريدة من دخول المديرية ، وشكا الى وزارة الداخلية من النقد الذى وجه اليه ، وبرر شكواه بان نقده على رؤوس الأشهاد ، من شانه أن يحط قدره أمام مرؤوسيه وأمام المواطنين ، فرفضت وزارة الداخلية شكواه واعادتها اليه ، ونشرت ما صدر منه فى منشور عام ، اعلنت فيه الوزارة أن سلطة الجريدة الرسمية فوق سلطة المديرية .

وقد قلت إن هذا شىء غير مسبوق ، وخارج على كل قواعد الحكومة ، وخروجه اظهر وادعى الى الدهشة والتساؤل بالنسبة لتعرض الجريدة لأحكام المحاكم ، فاحكام القضـــاء، يعرف أنها عنـــوان الحقيقة اولا ، وانها معصومة من اعتراض او احتجاج او تساؤل سلطات الحكومة ، ولاسيما ما كان منها ادارياً ، دع عنك اعتراض جريدة رسمية ، يحررها شاب لم يجلس مجلس القضاء ، ولم يبلغ مبلغ نضوج الرجال ، فالطعن فى الأحكام له سبل موسومة فى القوانين ، ومقصور على سلطات قضائية اكبر ، فلا يسوغ لجهة حكومية ، ولا لجريدة ولو كانت رسمية ، أن تجلس القضاة مجلس التلاميذ ، وتصحح لهم اخطاءهم وبخاصة ما كان منها متعلقاً بموضوع الحكم ، وإظهار حيدته جادة الحق ، وحسن الاستدلال ، فضلا عن اخطاء اللغة التى تكشف عن جهل القضاة بقواعدها ، مما يحط فعلا من اقدارهم ، ويزرى بهم ، ولقد اطلنا الوقوف أمام هذه المرحلة من حياة محمد عبده ، لانها جديرة بأن يطيل المؤرخون التامل فيها ، واستخراج معانيها ودلالاتها ، والحق أن اكثر من كتب عن تاريخ الشيخ محمد عبده ذكرها ، ولكن بغير تمعن كاف فيما تكشف عنه .

ونحن سنبين فيما يلى ، أن هذه الحقبة فى حياة الشيخ ، تدل على مدى حرصه على الاصلاح ، والتهيؤ له ، والايمان به ، مما يجعل العمل الثورى شاقاً ، وغير سائغ المذاق فى فمه ، فقد كانت اعمال محمد عبده فى فترة رياسته للوقائع المصرية ، إعلاناً كاشفاً عن الزعيم المصلح الذى يريد أن يعمل فى هدوء وأناة ، منتظراً ثمار أعماله ، بعد جيل او اجيال غير متعجل .

وقد حدثنا الشيخ عن آثار جريدته التى رأس تحريرها فقال :

«وكان أول ما بدأت الجريدة بانتقاده طريقة التحرير التى كانت متبعة فى النظارات والادارات ، فاخذت تبين وجه الخلل فيها ، واضرارها لفهم المعانى المطلوبة وانقضائها بطول المخابرات فى الاستفهامات التى لا طائل تحتها ، ثم ترسم الطريقة الفضلى التى يجب السير عليها ، فلم تمض اشهر قليلة حتى ظهر فضل الالمام باللغة العربية من موظفى الحكومة ، وحضهم لرؤسائهم بمكاتبة الجريدة الرسمية ستراً لعيوب الادارات واضطر الجاهلون باللغة والتحرير الى استدعاء المعلمين أو المبادرة الى المدارس الليلية ليتعلموا كيفية التحرير ، وقد انـذر الشيخ مدير جريدة شهيرة بتعطيل جريدته إذا لم يبادر باختيار مصحح لها فى مدة حددها له فاذعن صاحب الجريدة ونفذ الامر ، وادى هذا الى ظهور طائفة من الكتاب والمحررين ممن كانوا مغمورين من قبل ولعلهم بقوا فى ميدان التحرير والكتابة فى الصحف والمجلات التى توالى ظهورها بعد ذلك حتى اتصلت هذه الفترة بفترة رواج الصحف الكبيرة فى اخريات القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ونعنى بها اللواء لمصطفى كامل ، والمؤيد لعلي يوسف ، والجريدة للطفي السيد .

وإذا كنا قد أشرنا الى التانيب الذى ناله مدير مديرية (بنى سويف) حينما اعترض على النقد الموجه لأعمال مديريته ، فلا يفوتنا أن وزيراً اعترض نفس الاعتراض ، حينما تعرض لهجوم الوقائع عليه ، وكان يحسب أن منصبه الخطير سيعصمه من هذا الهجوم ولكن رئيس الوزراء على العكس حمى الجريدة ومحررها من غضب الوزير ، واقر النقد الموجه اليه ، وطلب منه أن يدافع عن نفسه إن استطاع ، ولاشك في أن هذه (الثورة) الاصلاحية اضطرت مختلف ادارات الدولة على أن تجرى تنافساً فيما

# عمامة جريئة
## بين الأمة والحكومة

بينها ، لفهم مرامى الدعوة الاصلاحية التى تبنتها جريدة الحكومة الرسمية ، فدبت فيها جميعاً روح جديدة من النشاط والحمية ، والحرص على المصلحة العامة .

وإذا كانت هذه هى ثمار ما دعت اليه جريدة الوقائع المصرية ، التى تجاوزت العمل الادارى ، ونظرة الموظفين الى المواطنين ، ونظرتهم الى الأعمال التى يمارسونها ، فقد جددت اللغة العربية ، ومهدت السبيل الى نهضة أدبية . ولكن هذه الجريدة كان لها فضل آخر ، وهى أنها كشفت لنا عن أعماق فكر الشيخ محمد عبده ، وقد كان من بين ما نشر مقال خطير عنوانه: «إنما ينهض بالشرق مستبد عادل» «وقد وصف هذا المستبد فقال : مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجىء الأهالى الى التراحم ، ويقهر الجيران على التناصف ، ويحمل الناس على رأيه فى متابعتهم بالرهبة ، إن لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة ، عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى الى شعبه الذى سيحكمه ، فان عرض خطالنفسه ، فليقع دائماً تحت النظرة الثانية ، فهو لهم أكثر مما هو لنفسه» .

ثم قال :

« خمس عشرة سنة يثنى فيها أعناق الكبار ، الى ما هو خير لهم ولأنفسهم يعالج ما اعتل من طباعهم ، بانجع أنواع العلاج ومنها البتر والكي ، إذا اقتضت الحال ، وينشىء فيها نفوس الصغار على حاجة العزيمة نحوه ، ويسدد بناتهم بالتثقيف ، ويتعهدها كما يتعهد الفارس شجرة .. خمس عشرة سنة تحشد له جمهوراً عظيماً من أعوان الاصلاح .. إذا صح الشعور ، واستقامت الأفكار ، أباح لهم قدراً من الحرية ، وأول ما يكون ذلك بتشكيل المجالس البلدية ، ثم بعد سنين تأتى مجالس الادارة ، لا على أن تكون آلات تدار بل على أن تكون مصادر للآراء والأفكار ، ثم تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية » .

إن هذه السطور القليلة هى خلاصة فكر الشيخ محمد عبده ، فهذه العمامة الفياضة بالحيوية ، القادرة على التأثير ، المهياة والمخلوقة لحث الناس وإمامتهم ، لا يتصور التغيير المطلوب إلا مقروناً بحاكم ، فان لم يكن القائم بالتغيير حاكماً بذاته ، فرجل مصلح هو محمد عبده بالذات ، يلوذ بحاكم ويحتمى به ، ويستمد منه القوة والنفوذ والسلطان ، فيأمر الناس وينهاهم ، ويؤدبهم ويعاقبهم ، ولكن لا يحاورهم ولا يجادلهم ، ولا يوحى اليهم ، ولا يدعهم لأنفسهم أبداً ، لأنه لا يثق بهم ، ولاسيما إن كانوا شرقيين .

ولننظر فى هذه السطور القليلة ، ولنستخرج منها وحدها الفاظ : الاكراه ، والالجاء ، والقهر ، والحمل ، وثنى العنق ، والبتر والكي .

فقد قال ما نصه : «مستبد ، يكره المتناكرين على التعارف» «ويقهر الجيران على التناصف» «ويحمل الناس على رأيه في متابعتهم بالرهبة» «خمس عشرة سنة يثني فيها أعناق الكبار» .. وهذه السطور تدل أولا على أن محمد عبده ، كان مؤمناً بالاصلاح ، الى أعماق ذاته ، وأنه كان مأخوذاً بمثل الدكتاتور ، من منبت شعره الى أطراف أصابعه . فما وصفه فى هذه السطور هو الدكتاتورية ، كما يؤمن بها ويدعو لها دعاتها . فالدكتاتورية ليست ظلماً ، ولا عسفاً ، ولا اغتصاباً للسلطة لفرد يتمتع بها ، ويعلو على الناس بسلطانها ، فيخلو له الجو ، فيسلب وينهب ، فالمستبد الذى يدعو اليه محمد عبده ، رجل يفنى فى المصلحة العامة ، وينذر نفسه لها فلا ينظر أول ما ينظر إلا الى مصلحة الناس ، ورفاهية الجماعة ، ولكن أفراد الناس ، ولاسيما فى مجتمعات شرقية ، انحط فيها معنى السلطان ، وتدهورت فكرة الحكومة ، وفسد فيها النظام الادارى العام بشهوات الحاكم ، وميله الى تمتعه بالراحة والثروة والنفوذ . ومن هنا فلابد أن يهب الله الشعب ، حاكماً مستبداً حاسماً حازماً يثنى الأعناق ، ويكره المتخلفين ، ويقهر المتناكرين ، ويثقف الجهلاء ، بأمر منه وبرهبة شخصه وسلطانه . ولكن لم يخبرنا الشيخ كيف يأتى هذا الحاكم (المستبد العادل) ومن سيسويه للشعب ويخلقه ، ويضفى عليه كل هذه الفضائل .

ولعل الشيخ كان متفائلا ، فظن أن الحصول على هذا (المستبد العادل) ميسور لأنه ظفر برياض باشا رئيس الوزراء ، وكان حاسماً حازماً ، قوى الشكيمة ، شديد المراس ، وقد فرض إصلاحاً على الأغنياء ، ففرض على أطيانهم ضريبة لم يكونوا يدفعونها من قبل ، كما ألغى السخرة التى كانت مفروضة على الفلاحين ، يجبرون بأحكامها على أن يعملوا بلا مقابل وبلا راحة ، ولا أعياد ، فى شق الترع وتطهيرها وتطهير المصارف ، وإقامة الجسور ، وحراستها عند الفيضان .

ولعل ما هو أعظم وأكبر ، إذ وثق بالشيخ محمد عبده ، فجعل منه (مفتشاً عاماً) للدولة وهو منصب كان موجوداً فى عهد الخديو اسماعيل ، وكان يشغله اسماعيل باشا المفتش ، عينه مفتشاً عاماً حينما عينه المحرر الأول فى جريدة الوقائع ، وفرض – كما مر بنا – على الوزراء والمديرين والقضاة ، أن يسمعوا للشيخ ويطيعوه ، كلما بدا له أن يوجه لهم نقداً ، أو يصلح خطأ . ولكن كانت خيبة أمل الشيخ عظيمة ، حينما سقط رياض باشا من وزارته بعد سنتين على الأكثر . فصرخ الشيخ : واأسفاه حال دون بلوغ تلك الأمانى أمور : منها ما كان منشؤه رياض باشا نفسه وبعض النظار ، ومنها ما له علاقة بالجناب الخديوى ، ومنها ما سببه امتداد السلطة الأجنبية الجديدة ، ومنها نهوض الساخطين لاستعمال ما وجدوا فى ذلك من الوسائل لاثارة الفتنة ، ولقلب وزارة رياض باشا على حد عبارة المرحوم الأستاذ عثمان امين .

وقد وصف الأستاذ احمد أمين ، رياض باشا ، المستبد العادل ، الذى عرفه (محمد عبده) وتعاون معه ، وتمنى أن يبقى فى الحكم خمس عشرة سنة ، يتدرج خلالها الشعب المصرى ، من طاعة المستبد العادل وإلا ثنيت أعناقهم ، وأكرهوا وأجبروا ، وأخيفوا حتى يستقيموا على الجادة ، ثم يتمتعون بحكم مجالس المديريات ، فالمجالس التشريعية (أى البرلمانات) التى لعله يعنيها حينما يقول (مجالس الادارة) .

قال احمد أمين :

«كان رياض يريد الخير لمصر ، ولكن من طريق التدرج ، ويعتقد أن المصريين فى حالة تدعو الى الاشفاق والأخذ بيدهم فى هوادة ، وهو فى هذا قوى جبار ، ينفذ ما

يريد فى عنف ، له لازمه هى (هيه) .. إذا قالها رعب من حوله ، لا يعبأ إذا اقتنع بشىء من إصلاح أو بشخص من الأشخاص أن ينفذه ويؤيده ، مهما كانت النتائج ، والى ذلك يعتقد فى الأجانب من انجليز وفرنسيين القوة ، ويسالمهم ويرى الطريق الوحيد هو التفاهم معهم .

فتالبت عليه الجموع ، منهم من كرهه لصلفه ، ومنهم من كرهه لعدله فى إبطال السخرة ، والضرب بالكرباج ، ومنهم من كرهه لسيرته مع الاجانب ، حتى سموه (رياضستون) على وزن (جلادستون) ، ومنهم الطموح الذى كرهه لرجعيته ، وشعر الناس بغضب الخديو توفيق عليه ، لانه يعارضه فى بعض اغراضه وتصرفاته فشجعهم هذا على محاربته ، وتخصصت جرائد لتجريحه وسبه ، مع انه كان يؤيدها من قبل» .

الجملة أن البطل الذى جسد لمحمد عبده حلمه (فى المستبد العادل) هوى ، وكان هذا جديراً بان يحمل الشيخ على مراجعة نظريته ، أو على الأقل يتساءل :

أولا : كيف يخلق هذا المستبد العادل ،

وثانياً : اذا خلقناه ، هل يبقى فى مكانه مصوناً ، مثابراً على خطته أم سينحرف فى أحد اتجاهين : إما أن يبدأ فى الفساد فيطمع فى المال العام ، وفى نفوذ السلطة الذى حصل عليه ، وإما فى تسرب الضعف اليه ، فيمالىء الفاسدين ، ويحالف الأقوياء خصوم الشعب ، وأعداء الحكم الصالح .

ثانياً : ماذا يحدث لو أن الجماعة لم تنقد لهذا المستبد العادل ، فثارت عليه ، وثارت به أو التوت فى يديه فلم تذعن لأمره ولم تجر على خطته .

ثالثاً : ما الذى دعا الشيخ الى استبعاد المشاركة الشعبية مع المستبد العادل ، لتلقن مبادىء الحكم الصالح ، والايمان بان للرعية حقاً على الراعى ، وانها تملك محاسبته ، وإنزال العقاب إن فسد ، أو اجترأ على المال العام أو المصلحة العامة .

على أن محنة الشيخ تفاقمت ، فالمستبد العادل كما تخيله وتمناه ، لم يسقط فقط ، بل قامت بعد ذلك ثورة ، وثورة اجتاحت مصر كلها ، وغيرت مفهوم الحكم فى مصر ، فجعلت مصدره جماعة غير الحاكم الوارث للسلطة ، وأسندتها لضباط من الجيش ، قالوا إن الشعب يسندهم ، وإنهم يتكلمون باسمه ويعملون لحسابه .

هنا بـدت حقيقة الشيخ التى عبر عنها فى هذه السطور التى نقلناها اليك ، وأعماله كمحرر اول لجريدة الوقائع المصرية يجلس بفضلها حكام مصر كلهم أمامه ، كما يجلس الصبيان أمام المعلم ، فيعلمهم ويؤدبهم ويخيفهم ، ويثنى أعناقهم ويلوى رءوسهم ، ويشد آذانهم ، يوبخ هذا ويؤنب ذاك ، علناً ، وكلهم صامت صابر ، لاينبس ببنت شفه . وهو أسلوب مهما كان خيره ، فهو خلط عجيب بين حكم الشعب ، وحكم الفرد ، وسلطة الحاكم المطلق ، وسلطة الفقيه الذى يتوخى شرع الله وفقه الدين .

وأحمد أمين يرى أن محمد عبده ، «رجل هادىء الطبع (لا المزاج الشخصى) فهو متى اتصل بالأستاذ جمال الدين الأفغانى ، فنارى من ناره ، وثائر من ثواره ، وعاطفى من حرارة وجدانه ، فاذا انفصل عنه ، عاد الى حكم العقل والمنطق ، وزالت ثورته وخفت حدته» .

وقال فى موضع آخر عن محمد عبده ، بعد فشل الثورة العرابية : «سكن الشيخ محمد عبده ببيروت ، فانقطع عنه مدد الثورة والهياج السياسى الذى كان يمده به السيد جمال الدين ، وعاد الى طبيعته من ميله الى الاصلاح العقلى ، والدينى ، وتجنب السياسة» .

ثم يقول :

«لو حكمنا منطق الواقع ـ بعد أن كانت الثورة العرابية ـ لقلنا إن الشيخ محمد عبده لا ينغمس فى هذه الثورة العرابية ، مطلقاً ، لا فى أولها ولا فى آخرها ، لانه لا يؤمن بالحكم النيابى السريع ، ولأنه يشايع رياض باشا (والثوار العرابيون طلبوا عزله ، وهو قد وعد الخديو بقمعهم) ولأنه لا يرضى أن تكون الثورة بيد العسكريين ، ولأنه يكره عرابى باشا ، ويعتقد أنه نهم فى الكلام ضعيف فى الحرب ، يحتكم الى المناحات أكثر مما يحتكم للعقل ، أليق به أن يكون واعظاً للعوام من أن يكون زعيم أمة» .

ونحن اذا أخذنا بهذا الكلام أو ببعضه ، فان محمد عبده ، وهو رجل إصلاح لايحب الثورة ، ولا يؤمن بها ، ولا يدعو اليها ، ولا يشارك فيها ، وهو بالذات لايؤمن بالثورة التى تدعو الى حكم نيابى فى مصر فى العقد الثامن من القرن التاسع عشر ( ١٨٨٠ ) ففى هذه الفترة كان الشعب المصرى فى رأى الشيخ ، متخلفاً ، قليل الحظ من الثقافة ، لايحسن الكتابة بلغته ، ولايعرف كيف يحسن التعبير عن نفسه بها ، ومن ثم فهو غير أهل لحكم نفسه فى مجالس نيابية تبرم وتنقض ، وتشرع وتعدل ما تشرعه ، وتحاكم الحكام وتحاسبهم ، ويقتضى الوصول إلى هذه المرتبة سنين طويلة من التدريب البطىء ، والتدرج الوئيد .

ومحمد عبده اصلا ، يكره أن يكون ثائراً ، ولا أن ينخرط فى جملة الثوار ، لانه رجل عقل ومنطق ، يؤثر الجدال ، ويحسنه ، ويحب أن يستمع الناس اليه ، ويعجبوا ببيانه ، فهو ضائع فى هياج الثورة ، غير محسوس به الى جانب خطيب الشعب أحمد عرابى ، الذى يقول ما يعجب الجموع الصاخبة ، ولكنه لايعجب الفقيه العالم محمد عبده ، ويرى ما يعد به ، لوناً من التهريج ، ولا يراه أسلوباً من أساليب التأثير على الجموع والجماهير .

**وإذا كان محمد عبده قد بدا ثائراً ، وكتب مايعد طرازاً ممتازاً من الأدب السياسي والثوري** فى أعداد مجلة العروة الوثقى الثمانية عشر والتى صدرت فى سنة ١٨٨٤ فى باريس ، يوجه سياستها ويملى خطتها جمال الدين الأفغانى ، ويحرر مقالاتها محمد عبده . فما تأجج فى هذه المقالات ، من هياج الثورة ونارها ، فلم يكن الا صدى نفس وقلب جمال الدين الافغانى ، فلما انقطع مدد الثورة عن محمد عبده عاد الى همومه الاصلاحية ، ونهجه المتسم بالاتئاد والحكمة .

ولكن محمد عبده خالف الثورة العرابية فى بدايتها ، وكان من زعمائها ، حتى لقد صاغ لضباطها يمين الاخلاص للثورة ، فبماذا تفسر ذلك ؟

لعلنا نستطيع الرد على هذا السؤال فى حلقة تاليه باذن الله .

فتحي رضوان

# في الانتحار

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

تييرى دو مارتيل جراح فرنسى كبير تراس المدرسة الفرنسية لجراحة الجمجمة العصبية حينما اخذت هذه الجراحة تحتل مكانها المتميز فى الثلث الأول من هذا القرن كانت له أعماله الرائدة فى أكثر من واحد من مجالات الطب ، ولايزال جراحو اليوم يستعملون أدوات تحمل اسمه ويتبعون فى الوصول الى الدماغ من خلال عظام الجمجمة الأسلوب الذى ابتدعه . وهو فوق ذلك سليل عائلة عريقة فى ارستقراطيتها يعرف السوريون اخاه الكونت دومارتيل مفوضاً سامياً لفرنسا فى بلادهم فى عهد الانتداب البغيض ، وتعرف الأوساط الثقافية أمه الكونتس دو مارتيل ، حفيدة ميرابو الكبير ، الأديبة المشهورة التى كانت توقع كتابها باسم مستعار هو «جيب» .

كان هذا الجراح الأستاذ الارستقراطى النبيل في ذروة منزلته العلمية والاجتماعية حين نشبت الحرب العالمية الثانية وعندما تهاوت فرنسا مستسلمة أمام ألمانيا الهتلرية ، أراد الفرنسيون فى تلك الأيام ان ينقذوا عاصمة بلادهم من الدمار فأعلنوا باريس مدينة مفتوحة أمام العدو المجتاح . وفى ذلك اليوم المشهود من شهر حزيران سنة ١٩٤٠ ، يوم دخول الفيالق الألمانية باريس ، كان تييرى دو مارتيل يقف وراء ستارة مسدلة على نوافذ منزله فى تلك المدينة ، متطلعاً من خلالها الى صفوف الجنود الألمان وهم يقرعون باعقاب احذيتهم أرض عاصمة فرنسا فى زهو الظافر المختال . ولم يملك جراح الأعصاب الكبير أعصابه لما رات عيناه ، فرفع يده الى راسه بمسدسه ، وأطلق على نفسه رصاصة قضت عليه فى الحال ...

• • •

عادت الى خاطرى واقعة مصرع تييرى دو مارتيل ، أعنى انتحاره ، حين نقلت الينا الاذاعات فيما تنقل الى العرب من انباء النكبات والرزايا خبر انتحار خليل حاوى ، الشاعر اللبنانى العربى ، إبان اجتياح اسرائيل للبنان وزحفه نحو بيروت ليحاصرها ، ثم ليدمرها على رؤوس ساكنيها .

اذكر انى التقيت بخليل حاوى مرة واحدة فى مطلع السبعينات . كان ذلك فى بيروت ذاتها ، وفى دار العودة للنشر ، فى منطقة «عالسور» حيث تزدحم المكتبات وتتجمع مكاتب الناشرين وادارات الصحف والمجلات . شاهدته أنذاك يتحدث فى حدة مهذبة ، ثائراً على منضد الحروف فى المطبعة التى تطبع احد دواوينه ، لأن ذلك المنضد أخطا فى ترتيب الفواصل بين الكلمات فى الصفحات التى صحح هو مسوداتها من ذلك الديوان . كان انساناً حاد التقاطيع عصبى حركات اليدين . وبدا لي متشدداً حتى السوداوية فى طلب الكمال مادامت له كل هذه الثورة على خطا فى رسم كلمات على الورق . فكيف ثورة هذا الشاعر الحاد الطباع ، الذى هو فى نفس الوقت أستاذ جامعى ومثقف واسع المعرفة حين يبصر ثرى وطنه تدنسه اقدام غاز لئيم ، ويبصر ابناء قومه تهدم منازلهم على رؤوسهم ويشردون ويذبحون ؟

كيف تصرفه حين يرى الخطا متمثلا لا فى نقل فاصلة من مكانها على طرس مكتوب ، بل فى واد الحق وتحطيم العدالة وانزال الصغار بالقيم السامية والمثل العليا

وما الذى يفعله هذا الانسان المرهف الحس ، الذى لا غبار على وطنيته وشعوره القومى ، حين يلتفت الى نفسه فيجد انه كمثقف فرد أعزل ، لا سلاح بيده غير معرفة بعيدة عن أن تصد رصاصة غادر، وغير افكار أعجز من أن تحول مسيرة الأحداث قيد شعرة ؟!

لعله من الطبيعى ، أو من المحتمل ، أو من المنتظر ، أن يكون الجواب على هذه التساؤلات ، حين يسد السبيل الايجابى أمام من هو مثل خليل حاوى ، هو ما فعله خليل حاوى .. أعنى الانتحار .

• • •

لقد درج الناس على اعتبار الانتحار ، فوق كونه معصية للخالق ، هشاشة عصب فى معركة الحياة المستمرة ، وجبناً ، وجناية لا تغتفر بحق النفس الانسانية . وأنه لكذلك فى أغلب حالاته التى يكون دافعها من مثل حزن على فراق حبيب ، أو خسارة فى سوق المادة ، أو هزيمة فى ميدان التنافس .

إلا اننا نجانب الصدق والانصاف إذا انكرنا أن لبعض صنوف الانتحار جانباً بطولياً نتردد معه فى أن نعيب على أصحابها جنايتهم على انفسهم . الرهبان البوذيون مثلا ، البونز ، أولئك الذين كانوا فى زمن الحرب الفيتنامية يشعلون النار فى أجسادهم احتجاجاً على احتلال الأجنبى لبلادهم واستنكاراً للفرقة المستحكمة بين ابناء قومهم ، لم يكونوا يفعلون ذلك عن جبن وهشاشة عصب . التزامهم بمبدأ اللاعنف تجاه بنى البشر الآخرين ، أصدقاء كانوا أو أعداء ، سد طريق العمل الايجابي امامهم فماوجدوا سبيلا للتعبير عن ارادتهم إلا فى إحالة اجسادهم جذوات مشتعلة تحرق الأرض تحت اقدام

العدو وتنير الطريق للصديق . فهل نستطيع أن ننكر ما فى انتحار أولئك الرهبان من شجاعة وتضحية ؟

ولست أزعم هنا أن دوافع خليل حاوى الى اطلاق الرصاص على شخصه هى نفس الدوافع التى حملت ذوى الأردية الزعفرانية من الرهبان البونز على الانتحار بالنار . ولكنى احكم بأن دوافعه لا تقل نبلا عن دوافعهم . كان سهلا عليه كمثقف من ذوى الياقات البيض أن يستمر فى حياته على ظهر البسيطة ، وأن يستمر فى العيش فى وطن مدنس باحتلال الغزاة وممزق بفرقة الأبناء وخذلان الأشقاء ، وأن ينظم القصائد فى البكاء على بيروت ويقبض ثمن شعرها ممن تخلوا عن نصرة بيروت أو عملوا فى السر والعلن على تدميرها . إلا أن تكوين خليل حاوى النفسى والفكرى لم يسمح له بذلك . ولذا آثر أن يفارق الحياة فى انتحار بطولى حين لم يتهيأ له بذلك التكوين أن يفارقها فى بطولة انتحارية .

• • •

اقول هذا لأن ثمة بطولات لو احسن الانسان تقديرها لرآها ضرباً من الانتحار أو القضاء على النفس بالنفس ، ثم لم تمنعه صفتها الانتحارية من رفعها الى درجة من الاكبار تقارب التقديس .

انقل هنا ، فى معرض الحديث عن البطولات الانتحارية ، مقاطع من كتاب ساطع الحصرى «يوم ميسلون » ، وفيها يتحدث عن هجوم الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال غورو على سورية ، فى صيف عام ١٩٢٠ ، وعند مصرع يوسف العظمة وزير الحربية فى الحكومة السورية العربية على مشارف دمشق ، فى ضاحية ميسلون .

فبعد أن يبين ساطع الحصرى كيف تكشفت ، فى مساء الثالث والعشرين من تموز ، يوليو سنة ١٩٢٠ ، مناورات غورو السياسية عن نيته المبيتة فى احتلال سورية عسكرياً ، يقول :

«... وبعد العشاء جاء يوسف العظمة يودعنا قائلا بانه سيتوجه الى الجبهة . ولكنه قبل أن يغادرنا انتحى بى زاوية من الغرفة وقال لي بصوت تخنقه العبرات :

ـ أنا ذاهب ! إنى أترك ليلى أمانة لديكم أرجوكم أن لا تنسوها .

وليلى المقصودة بكلامه هذا هى ابنته الوحيدة التى كانت جاءت من الاستانة مع أمها قبل أسبوعين ...

ولقد أدركت حالا ما كان يقصد من كلامه هذا : انه يتوجه نحو الجبهة موطداً العزم على أن لا يعود منها أبداً .

... إن بدء اليوم الرابع والعشرين من تموز كان موعد انتهاء الهدنة التى عقدناها مع الجنرال غورو . فكان من الطبيعى أن يبدأ هجوم الفرنسيين على ربى ميسلون فى فجر ذلك اليوم ...

وما كنت أستطيع أن أمنى نفسى باى أمل فى الانتصار بعد أن علمت ما علمت من أحوال جيشنا ، وشاهدت ما شاهدت من عدد الجيوش الفرنسية وعددها ...

وردت الأخبار قبل الساعة العاشرة بانكسار الجيش واختراق الجبهة .

وقالوا : يوسف العظمة قتل فى ميسلون

فقلت : بل انه انتحر هناك ! .. واستشهد ، على كل حال» .

• • •

كان استشهاد يوسف العظمة ، أو انتحاره كما سماه ساطع الحصرى ، أو بطولته الانتحارية كما نسميها نحن ، حين واجه بصدره العارى زحف جيوش فرنسا الجرارة ، كان ذلك الاستشهاد الجذوة التى قبس منها عرب سورية نيران نضال استمر خمسة وعشرين عاماً ولم يهدأ إلا بجلاء آخر جندى محتل عن تراب وطنهم .

وكانت الاجسام المتقدة لهباً من رهبان فيتنام البوذيين مشاعل أضاءت لأبناء قومهم طريق التوحد وسبيل الخلاص من الاحتلال الأجنبى البغيض .

وكان انتحار تيبرى دو مارتيل تعبيراً عن نقمة لم يجد وسيلة للتنفيس عنها بكفاح فعال . أنها النقمة التى ملأت صدر كل حر من مواطنى ذلك الجراح الكبير ، وتحولت على يد رجل اسمه ديغول الى نضال ايجابى باشره ذلك الرجل بعناد حتى أنهض فرنسا من كبوتها وأعاد اليها كرامتها ومكانتها .

وانتحار خليل حاوى ، مهما قلنا وتاولنا فى دوافعه النفسية ، ينتسب بلاشك الى رمز هذه الانتحارات البطولية والبطولات الانتحارية ، انه تصرف مثير جدير بتقديرنا لحساسية ضمير الشاعر وصدق انتمائه الوطنى ولابائه الضيم والهوان . واذا كانت مغادرة خليل حاوى للحياة على هذه الصورة لم تحرك من نفوس أبناء امته ما حركت الانتحارات البطولية التى ذكرتها آنفاً ، فليس هذا ذنبه . علينا أن نبحث عن سبب ذلك فى تبلد احساس أولئك الأبناء وقصر نظرهم وهزال تفكيرهم ، فهم يرون أشجع مقاتليهم يواجهون الموت فى معارك انتحارية ويرون أطهر مثقفيهم وجداناً يغادرون الحياة بطوعهم نقمة واشمئزازاً ويظلون هم ، أبناء هذه الأمة اعنى ، سادرين فى الفرقة والتواكل أو ذاهبين فى الصغار الى درجة الخيانة والتآمر .

عبد السلام العجيلى



خليل حاوي
ماذا يفعل هذا الانسان المرهف الحس ؟



يوسف العظمة
كان استشهاده جذوة اشعلت النفوس

تكاثرت مشاكل البيئة الانسانية ، وتصاعد الاحساس بحدتها وخطورتها ، نتيجة سعى معظم دول العالم الى دفع عمليات التنمية بها خطوات واسعة ، واستخدامها فى ذلك أنماطاً من الأساليب التكنولوجية المتقدمة واصبح من الواضح ان هذه الأســاليب التكنولوجية المتقدمة بما لها من قدرة فائقة على تغيير البيئة ، تساهم بقدر كبير فى تدمير وتخريب البيئة الانسانية . وأصبح فى حكم الضرورى الا تقبل أى اسلوب أو وسيلة تكنولوجية الا بعد فحصها فحصاً مدققاً لمعرفة ما سوف تؤدى اليه من تغيرات نافعة أو ضــارة .

وفى هذه الدراسة نعطى أمثلة لأنواع المشكلات البيئية المصاحبة للنشاطات الانسانية فى عدة مجالات من مجالات التنمية ، فنرى ما فعلته التكنولوجيا بالبيئة فى مجالات الصناعة والنقل والمواصلات والتوطين والاسكان .

# مشاكل البيئة المصاحبة لمشروعات التصنيع والتعمير

بقلم : الدكتور محمد عاطف كشك

## أولا ـ الصناعة

لا يزيد عمر الثورة الصناعية عن قرنين من الزمان . وفى هذه الفترة القصيرة نسبياً احدثت الصناعة فى العــالم تغيرات عديدة وخطيرة فى كافة المجالات .

فهناك إجماع عالمى على أن الــدول الصناعية المتقدمة تساهم باكبر نصيب فى تلوث البيئة والضغط على المــوارد الطبيعية . أما فى الدول النامية فان التلوث الناتج عن الصناعة يمثل امكانية فى المستقبل أكثر منه واقعاً فعلياً عند هذه المرحلة من مراحل التنمية فى دول العالم الثالث . لذلك فان الدول النامية تتمتع بميزة نسبية وهى انها فى سعيها لتنمية مجتمعاتها يمكن أن تستفيد من الاخطاء التى وقعت فيها الدول المتقدمة نتيجــة الجهل ـ أو التجاهل ـ للمشاكل البيئية الناتجة عن الصناعة ، فالدول النامية الآن يمكن ان تستفيد من المعرفة المتاحة حول المشاكل البيئية وتتخذ قرارات سليمة فيما يتعلق بمواقع المراكز الصناعية وكيفيــة التخلص من مخلفات الصناعة وسن التشريعات التى تهدف إلى حماية البيئة ، كذلك يجب اختيار وخلق التكنولوجيا الملائمة لظروف الدول النامية واستغلال ميزتها النسبية وهى توفر قوة العمل الرخيصة التى يمكن ان تتيح أنواعــا من التكنولوجيا كثيفة العمالة وهذا يقلل كثيراً من التلوث .

ونوع التكنولوجيا المستخدمة يحتــل أهمية خاصة عند كلامنــا عن الأثر البيئى للصناعة . فقد أوضح بارى كومنر فى كتابة : « الدائرة المغلقة » ان زيادة السكان وزيادة الاستهلاك لا يمكن ان تكون مسئولة كلية عن الكمية الضخمة من التلوث التى حدثت فى السنوات العشرين الماضية .

ففى الفترة التى زاد فيها الانتاج القومى فى الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ١٢٦٪ زادت كمية التلوث فيما بين ٢٠٠ ، ٢٠٠٠٪ ومثل واحد يوضح هذه النقطة :

ففى عام ١٩٣٧ كانت كمية الطــاقة المستخدمة لصنع سيارة واحدة عبارة عن ١٧٩ كيلو وات / ساعة . لكنها وصلت إلى ٨٠٧ كيلو وات / ساعة فى عام ١٩٦٧ بزيادة قدرها ٣٩٥٪ . كما ان كفاءة استعمال الجازولين فى المحركات مازالت منخفضة جداً فهى حوالى ١٠ ـ ٢٠٪ والباقى يخرج فى شكل عوادم تلــوث الهواء .

واذا كنا نتكلم عن الصناعة فاننــا لا يمكن ان نرجع مساهمتها فى التلوث إلى زيادة استخدام الآلات أو استعمال أساليب تكنولوجية خاطئة فقط . لكن الصناعة تساهم فى تدهور البيئة بشكل اخر عن طريق انماط الاستهلاك التى تفرضها فى المجتمع ، وكلنا يعرف نمط المجتمــع الاستهلاكى المصاحب للمجتمعــات الصناعية المتقدمة . وفى مصادر مختلفة نجد إحصاءات عديدة تشير جميعها إلى



من اجل مواجهة الانفجار السكاني فى العالم سعت معظم دول العالم الى استخدام التكنولوجيا المتقدمة ، إلا ان هذه الاساليب رغم ما لها من قدرة فائقة على تغيير البيئة ، قد ساهمت ـ ايضا ـ فى تدميرها وتخريبها

الزيادة المخيفة فى استهلاك سلع واجهزة مثل السيارات واجهزة التكييف والثلاجات وماكينات الغسيل .. الخ . وانتشار هذه السلع بجانب اثرها المباشر على التلوث ( كما هو واضح فى حالة السيارات ) فانها تستهلك قدراً كبيراً من الموارد الطبيعية فى تصنيعها وقدراً كبيراً جداً من الطاقة والوقود فى ادارتها وصيانتها .

## ثانياً ـ الأعمال الهندسية الكبرى :

تعتبر الأعمال الهندسية الكبرى من الوسائل المفضلة فى عملية التنمية والتى تنتج عنها فوائد عديدة اقتصادية واجتماعية . وفى كثير من دول العالم زادت كمية هذه المشروعات الهندسية واصبحت تضم مشروعات ضخمة جداً مثل مشروعات تنمية وديان الأنهار ومد شبكات الطرق والمواصلات . وقد اثبتت التجارب العملية فى اكثر من مكان أن الفوائد الضخمة لمثل هذه الأعمال قد تغطى عليها التكاليف البيئية والاجتماعية المصاحبة لها والتى غالبا ما كان يتم تجاهلها أو التقليل من شانها . وقد امكن فى السنين الأخيرة احراز تقدم ملموس فى طرق تقييم هذه المشروعات والتنبؤ باثارها البيئية بحيث يمكن إدخال الجوانب البيئية والاجتماعية فى عملية التخطيط لمثل هذه المشروعات واختيار مواقعها . ومع ذلك فانه مازال هناك عجز خطير فى طرق التقييم والتنبؤ بالآثار البيئية . فاذا كانت معظم الآثار البيئية الأولية والتى تحدث فى المدى القصير يمكن التنبؤ بها بقدر معقول من الدقة فان الآثار البيئية بعيدة المدى والتى يمكن أن تستمر فى الحدوث حتى بعد ان تكون فترة حياة المشروع قد انتهت ، هذه الآثار مازالت مستعصية على الفهم الصحيح ولا توجد طرق دقيقة للتنبؤ بها وتقييمها . وهناك جهود عديدة تبذل لتطوير الطرق العلمية المناسبة لتقييم الآثار البيئية المصاحبة للمشروعات الهندسية الكبرى . ودور العلماء فى هذا السبيل يتمثل فى تقرير عدة نقاط هامة مثل :

● الجزء من البيئة الذى يتاثر بالعمل الهندسى .
● طبيعة التاثر .
● سرعة التاثر ومداه وانتشاره ومصدره وامكانية تصحيحه أو التحكم فيه .

وهناك تصنيفات عديدة لأنواع الأعمال الهندسية الكبرى المقصودة فى هذا المجال وهذه تشمل أنواعاً عديدة مثل شبكات الطرق السريعة والشوارع ، الموانىء والمطارات ، السدود والخزانات ، إقامة المرافق والمصانع ، مشروعات التنمية الزراعية ، مشروعات الترفيه ، مشروعات التعدين وتصنيع المواد الخام .. الخ .

ويصاحب انشاء وتنفيذ هذه المشروعات عدد من التغيرات فى الخواص والعمليات البيئية الأساسية سواء فيما يتعلق بالتربة أو نوعية الماء والهواء أو الحياة النباتية والحيوانية والانسانية . وبالاضافة إلى الآثار البيئية للزراعة والصناعة وتنمية وديان الأنهار التى ذكرت فيما سبق فاننا نذكر فيما يلى أهم الآثار البيئية المصاحبة لنوعين أساسيين من المشروعات الهندسية الكبرى كما وردت فى التقرير النهائى للمشروع رقم ( ١٠ ) من مشروعات « برنامج الانسان والمحيط الحيوى » التابع لليونسكو .

أ ـ الآثار البيئية لشبكات النقل والمواصلات .

● تاثيرات على الحياة البرية : مثل زيادة فرص الصيد والقنص وتغيير البيئة الطبيعية وغلق طرق الهجرة .
● مشاكل التلوث : مثل مشاكل التخلص من المخلفات والتاثير المتراكم لتلوث الماء والهواء والتربة .

ب ـ الآثار البيئية للمشروعات التعدينية .

● تاثيرات على نوعية المياه : مثل زيادة ايونات المعادن الثقيلة وزيادة كمية الرواسب والعكارة والتغيرات فى نظم الصرف والتغيرات فى كمية وانواع الكائنات الدقيقة التى تعيش فى المياه .
● تاثيرات على سطح الأرض : مثل فقد الغطاء النباتى والتغيرات فى ثبات الطبقات الأرضية التحتية والتغيرات فى المناظر ذات القيمة الجمالية .
● تاثيرات على نوعية البيئة : مثل التاثير المتراكم لتلوث الهواء والماء والتربة ومشاكل التخلص من المخلفات .

والقائمة السابقة ـ مثل غيرها من قوائم المشاكل البيئية المصاحبة لأى نشاط انسانى ـ هى لمجرد التوضيح فقط اذ لا يمكن ان تكون كاملة . فهناك مشاكل بيئية كثيرة أخرى يمكن ان تصاحب مشروعات التنمية منها مشاكل « قانونية » كما يحدث فى حالة ما يكون المشروع هو لمجرد اثبات حق قانونى اكثر منه لتحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية . ومنها مشاكل « اجتماعية » مثل التناقضات التى تنشا

## مشاكل البيئة المصاحبة لمشروعات التصنيع والتعمير

من استفادة مجموعة من السكان من مزايا المشروع وتحمل مجموعة أخرى لتكاليفه البيئية والاجتماعية » قد يستفيد سكان القاهرة مثلا من مزايا مشروع سد اسوان العالى أكثر من غيرهم بينما هم لا يتحملون كثيراً كما تحمل سكان النوبة عندما اضطروا الى ترك اراضيهم ومنازلهم أو عندما تحمل الفلاح – عندما تدهورت أراضيه وزادت فرص اصابته بالبلهارسيا »

وقد تكون المشاكل « اقتصادية واجتماعية » كما يحدث عندما يتسبب مشروع فى منطقة معينة من اغلاق فرص التنمية فى مناطق اخرى أو عندما يكون مفيداً لجيل وكارثة على جيل اخر من السكان .

### ثالثاً – النقل والمواصلات :

ان الاختيار الاساسى فى عمليات النقل العام يمكن ان يكون بين وسائل النقل العام والعربات الخاصة . وفى الدول الصناعية المتقدمة كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية ودول أوربا الغربية واليابان فان الاعتماد يكاد يكون كاملا على العربات الخاصة لنقل الأفراد وهذا الاتجاه تنشا عنه مشاكل بيئية حادة منها تلوث الهواء بأخطاره المعروفة والحوادث المتزايدة ، والضغط الشديد على المدن ... الخ وبعض الدول النامية تحاول أن تستورد نموذج الدول المتقدمة فى النقل والمواصلات ، رغم أن التركيز على وسائل النقل العام فى الدول النامية بجانب توفيره للموارد والطاقة وفائدته فى تقليل التلوث فان له أهمية فى تقليل واحد من أهم الفروق المنظورة بين الطبقات الاجتماعية . ويكفى هنا ان نناقش هذه النقطة من ناحية كفاءة استخدام الموارد المتاحة . فان « جالونا » من الوقود يكفى لنقل شخص فى الاتوبيس لمسافة ١٢٥ ميلا بينما يكفى لنقله مسافة ٣٢ ميلا فقط عند استعمال السيارة الخاصة . أى انه يمكن توفير ثلاثة أرباع كمية الوقود أو نقل أربعة أضعاف العدد من الناس لو اعطينا أولوية مطلقة لوسائل النقل العام فى الدول النامية وفى نفس الوقت نكون قد ساهمنا فى نقص تلوث الهواء وحل مشاكل النقل والمواصلات لعدد كبير من الناس ، وساهمنا فى توفير حاجة أساسية لهم تساعدهم على الانتاج والاستمتاع بالحياة .

### رابعاً – التوطين :

ان الجزء الأكبر من سكان الدول النامية مازالوا يعيشون فى المناطق الريفية ويشتغلون بالزراعة ، وفى معظم الحالات فان المناطق الريفية فى الدول الفقيرة تعانى من مشاكل ضخمة وعديدة مثل المشاكل الصحية والغذائية فمازالت بعض الأمراض تنتشر فى البيئات الريفية الفقيرة بشكل وبائى . ومعظم سكان الريف يعانون من نقص التغذية وعدم تكامل الوجبات الغذائية وخاصة ما يتعلق بنقص البروتين الحيوانى . كما ان الجزء الأكبر من المناطق الريفية يعانى من مشاكل مياه الشرب وعدم توفرها كما ونوعاً وغياب او عدم كفاية وسائل الصرف الصحى بالاضافة الى عدم توفر المسكن المناسب .. الخ . كما أن نقص المرافق والخدمات الزراعية مثل النقل والتسويق والتسليف والأرشاد من الملامح السائدة فى المناطق الريفية من الدول النامية ، وهذه كلها ينتج عنها ضعف مستوى الانتاج وانخفاض مستوى الدخول . والخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية تكاد تكون غائبة تماماً . وجميع هذه المشاكل البيئية التى يطلق عليها احياناً « تلوث الفقر » تزيد وتتراكم وتتضخم نتيجة زيادة السكان التى تمثل أعباء اضافية على البيئة الريفية .

ونتيجة لسوء الظروف فى القرى وتدهور البيئة الريفية يحدث ميل شديد للهجرة الى المدن . والمدن فى الدول النامية ليست أفضل كثيراً من القرى . وتسبب الهجرة من الريف إلى المدن زيادة الظروف الحضرية سوءاً فوق سوئها . كما ان ضغط مشاكل المدن قد يتسبب بدوره فى زيادة الانفاق الحكومى فى المدن واهمال أكثر للمناطق الريفية . كما أن تركز كل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والترفيهية فى المدن يسبب زيادة فى التكدس وزيادة فى التلوث وارتفاعاً فى معدلات البطالة .

ومن الضرورى أن تاخذ عملية التخطيط فى اعتبارها كل هذه المشاكل . فمع المعدلات المرتفعة للنمو السكانى تواجه الدول النامية جميعها مشاكل متفاوته الحدة فيما يتعلق بخلق فرص جديدة للعمالة. ومن المستبعد جداً ان تستطيع النشاطات الاقتصادية فى المد[ن] – مثل التصنيع والخدمات المرتبطة به . توفير فرص العمالة لكل قوة العمل المتاح[ة] وبالتالى فان جزءاً كبيراً من السكان والقو[ى] العاملة سوف تدفعه الظروف الى البقاء فى الريف . ومن الضرورى ليس فقط توفي[ر] فرص العمل المنتج فى المناطق الريفية ، بل لابد من تحسين كل عناصر البنا[ء] الاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الريف وهذا يلقى مزيداً من الاعباء على البيئ[ة] الريفية . وتواجه الدول النامية معضل[ة] حقيقية . فالمشاكل كثيرة فى الريف والمدن على السواء . وفى احيان كثيرة يكون الاختيار هو الاهتمام بالمناطق الحضرية على حساب تنمية وتطوير القطاع الريفى لأسباب مختلفة . والنتيجة الحتمية لمثل هذا الاختيار هو أن تظل المدن والقرى فى نفس الظروف السيئة ، ويزداد التلوث وتدهور البيئة على نطاق واسع .

ومع التسليم بأن نمو المدن يمكن ان يكون مصحوباً بزيادة الرخاء الاقتصادى والاجتماعى،كما أن المناطق الحضرية يمكن ان تؤدى وظيفة محاور أو أقطاب التنمية مساهمة بذلك فى زيادة الرخاء فى كافة اجزاء الوطن .. مع التسليم بكل ذلك . إلا ان هناك ضرورة للتوازن الدقيق بين التنمية الحضرية والتنمية الريفية ، وبين الصناعة وتنمية الزراعة . ففى حالة غياب هذا التوازن فان البناء كله يصيبه خلل شديد . وهناك نقطة اخرى فى هذا المجال لا يمكن تجاهلها ، فالمدن الكبرى فى معظم الدول النامية يقطنها عدد من السكان يفوق كثيراً قدرتها على الاستيعاب . وليس من المستبعد أن نجد مدينة لا تزيد قدرتها على ان تستوعب اكثر من مليونى نسمة ومع ذلك يعيش فيها – بطريقة ما – سبعة أو ثمانية ملايين ( مدينة القاهرة مثل واضح لهذه الحالة ) وفى مثل هذه الحالات يمكن ملاحظة أعراض تدهور البيئة فى انتشار الأمراض ونقص امداد المياه والكهرباء والصرف الصحى وتدهور الاسكان والمواصلات والمرافق ، زيادة عن التلوث الكيماوى للماء والهواء .. الخ . ويمكن فى حالات خاصة وباساليب مختلفة زيادة قدرة بعض المدن على استيعاب سكان اكثر ، لكن هذه القدرة لا يمكن مطها بلا نهاية ، وما إن يزيد سكان المدينة عن قدرتها على استيعابهم حتى يحدث التدهور بسرعة شديدة ويصبح علاجه بمحاولات جديدة لمط قدرة المدينة وامكانياتها امراً لا يزيد فى جدواه عن محاولة علاج السرطان بالمسكنات .

وقد وجدت بعض الدول حلا لا بديل له

لمشاكل تدهور المدن عن طريق بناء مدن جديدة ومراكز جذب صناعية مخططة جيداً ( المثل على ذلك ايضاً هو البدء فى بناء عدد من المدن والمجتمعات الجديدة فى مصر لوقف الضغط والتدهور فى المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية ) ولكن يجب فى مثل هذه الحالات مواصلة العمل فى خطوط موازية حتى تنجح هذه السياسة وضمن هذه الخطوط – بل ربما كان اهمها – التخطيط الجاد لتحسين ظروف المعيشة فى البيئة الريفية .

## خامساً – الاسكان :

ان مشكلة نقص المساكن وتدهور مستوياتها مشكلة عالمية لكنها فى كثير من الدول النامية مشكلة خطيرة للغاية . فهناك نقص ضخم فى المساكن . والفجوة بين ما هو مطلوب وما يمكن اتاحته تزداد باستمرار . كما ان ظروف السكن ابعد ما تكون عن تحقيق الحد الادنى لما يجب ان يكون عليه سكن الانسان ، بل أحياناً تكون الظروف غير مناسبة حتى لسكن الحيوان . وللأسف فان هناك اعترافاً بان الحيوان لكى ينتج جيداً فلابد له من سكن مناسب ويتم تجاهل تاثير السكن على قدرة الانسان على الانتاج . وسواء فى مدن او فى ريف الدول النامية فان الحالة أبعد ما تكون عن تحقيق الرضى عنها . والاحساس بحدة المشكلة يتزايد لدى الجماهير العريضة التى تحلم بسكن مناسب ، وايضاً لدى الجهات الحكومية المسئولة عن توفير هذا السكن . لكن الكلمات التى تقال أكثر من الأفعال والكلمات التى تتخذ لحل مشاكل الاسكان فى الدول النامية كثيراً ما تزيد المشاكل تعقيداً بدل ان تعمل على حلها . وليس هنا مجال التفصيل فى مشاكل الاسكان وعلاقتها بالبيئة لكنه قد يكون مناسباً أن نذكر عدة محاور يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند التخطيط لحل مشاكل الاسكان فى الدول النامية :

● التركيز على مواد البناء المتوفرة فى البيئة والرخيصة والتى لا تمثل ضغطاً على الموارد الطبيعية . وهنا يتضح دور البحث العلمى فى ايجاد البدائل المناسبة لمواد البناء .

● حتى مع توفير مواد بناء بديلة تحقق الشروط المطلوبة فان الخطوة الأولى يجب أن تكون هى رفض تلك القيم السقيمة التى تعتبر السقف المصنوع من الالمنيوم أو من الحديد والأسمنت هو دليل على التحضر والرقى حتى فى المناطق الفقيرة واحياناً تكون معظم هذه المواد مستوردة بأسعار عالية جداً وقد لا تناسب المناخ السائد . وهذا هو مجرد مظهر من مظاهر التسليم الاعمى بمزايا التكنولوجيا المستوردة .

● تطوير عملية التشييد نفسها بالعودة الى الأساليب التقليدية فى البناء ودراستها وتحليلها واختيار أفضل ما فيها من عناصر وأفكار . وليس ذلك دعوة الى التصلب فى الحفاظ على الأساليب التقليدية ايا كانت . بل معناه ان دراسة الأساليب التقليدية واستيعاب مميزاتها وعيوبها هى الطريق السليم لاكتشاف وابتكار اساليب جديدة تحافظ على المميزات وتتخلص من العيوب وتكون ملائمة لظروف البيئة .

● ضرورة تكامل الاعتبارات البيئية والاجتماعية فى التخطيط العمرانى للمدن وغيرها من مناطق التوطن البشرى .

والأمثلة على الحماقات والاخطاء العديدة فى التخطيط العمرانى فى المدن والقرى وفى مواد البناء وطرق البناء .. الخ الأمثلة على ذلك ماثلة بكثرة تثير الدهشة فى معظم الدول النامية . وبغير تناول المشكلة بشكل ابداعى فانه لا يكفى حتى ان ترصد الدولة النامية كل مواردها لحل مشكلة الاسكان . وفى دول كثيرة فان كل ميزانية الدولة لا تكفى لبناء مساكن جديدة للعدد المتزايد سنوياً بالطريقة التى يتم بها بناء المساكن حالياً . ويمكن ان اضرب مثلا بحجم المشكلة فى مصر والمنهج الذى يجب اتباعه عند تقييمها . وقد لا تكون الأرقام المستعملة دقيقة لكنى افترضها لمجرد التوضيح واعتقد انها قريبة من الصحة . لنفرض ان الزيادة السنوية فى عدد السكان مليون نسمة .

ولنفرض أن كل خمسة افراد يحتاجون الى وحدة سكنية ، ولن نبالغ في مواصفات السكن بل نكتفي بافتراض أن الوحدة السكنية المطلوبة مكونة من حجرتين وصالة ، نفرض أن تكاليف هذه الوحدة خمسة آلاف جنيه . إذن فان المبلغ المطلوب لاقامة مساكن جديدة سنوياً هو مليار من الجنيهات أى ألف مليون جنيه (٢٠٠ ألف وحدة سكنية مضروبة فى خمسة آلاف جنيه) . وهذا الرقم بالطبع معرض للزيادة لأننا لم نحسب فى اعتبارنا حساب المنازل التي تنهار ولم نحسب ما هو لازم لسكان هذه المنازل من مرافق وخدمات مثل مبانى المدارس والمستشفيات والمساجد والجمعيات التعاونية والطرق والأسواق ... حتى نصل الى المدافن فى آخر القائمة .. وبالطبع فان امكانيات مصر – مثلها مثل أى دولة نامية ليست مشاكل المساكن إلا جزءاً من مشاكلها – لا تستطيع أن تفي بمثل هذه المبالغ . وحتى لو افترضنا ربع هذه المبالغ فقط فان الأمل فى الحل ضعيف للغاية . والحل بالتاكيد ليس سهلا وليس قريباً ما لم يكن التفكير فيه يتسم بقدر كبير من الثورية الحقيقية وقدر أكبر من الخيال والابتكار .

## وبعد

فالتكنولوجيا التى يمكن أن تساهم فى حل كثير من المشاكل وترفع بذلك معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . هذه التكنولوجيا يمكنها أيضاً أن تساهم فى خلق كثير من المشاكل التى لم تكن معروفة من قبل . وما لم نواجه كل الأساليب التكنولوجية المتقدمة بالنقد والفحص والاختيار ، وما لم نكن قادرين على بناء قدرة تكنولوجية خاصة بنا ، فلن نستطيع اختيار التكنولوجيا الملائمة . وفى هذه الحالة فاننا بدلا من أن ندفع بمعدلات التنمية الى الأمام ، فاننا نواجه بكثير من المشاكل الجديدة التى خلقتها لنا التكنولوجيا الخاطئة غير الملائمة وتتعثر خطى التنمية أو تسير بخطوات بطيئة للغاية او تكون على حساب المحافظة على البيئة .

محمد عاطف كشك



الاعتماد على استخدام العربات الخاصة فى نقل الأفراد ادى الى تلوث الهواء والحوادث المتزايدة فى الدول المتقدمة



يوفال نعمان .. من اكثر الداعين لضم الأراضي العربية المحتلة الى الكيان الصهيوني

# البروفسور "يوفال نعمان"

## رئيس حزب سياسي جديد يتبنى أشدّ الأفكار تعصباً

بقلم: عصام شريح

جاء انضمام البروفسور « يوفال نعمان » الى حكومة الليكود برئاسة مناحم بيغن في منتصف تموز ( يوليو ) الماضي ، ليعزز القناعة المتولدة لدى الكثيرين من المسؤولين والمفكرين العرب حول استحالة السلام مع الكيان الصهيوني ، حيث أن هذا الرجل الذى تولى « وزارة العلوم والتطوير » في حكومة بيغن ، معروف بكونه « صقر الصقور » فى اسرائيل ، وهو وحزبه المعروف باسم « هتحياه ـ أي النهضة » يقفان في أقصى اليمين الصهيوني المتطرف .

ومع أن البروفسور نعمان كان يصف حكومة بيغن بأنها مجموعة من الحمائم التى لاتتورع عن تقديم تنازلات فى الأراضى العربية المحتلة فى سبيل صفقة السلام الوهمية ، فانه انضم الى هذه الحكومة مؤخراً ، بحجة أنه « سيقاوم من داخل الحكومة نفسها اقامة دولة فلسطينية » ، وقال أن حزبه قرر اتباع سياسة تشجيع التوسع فى اقامة المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة ، والدعوة الى ضم هذه الأراضى الى الكيان الصهيونى ، وأضاف أن ما أسماه بحدود « منطقة الأمن » التى تصر اسرائيل على اقامتها فى جنوب لبنان ، يجب أن تصل الى ضفاف نهر الزهرانى الى الجنوب من صيدا .

وبالطبع فنحن العرب الذين خبرنا الصهيونية ، وما تفرزه من نماذج وظواهر شاذة ، لانستغرب أن تلد الصهيونية مسخاً جديداً اسمه يوفال نعمان ، الذى لن يكون المسخ الصهيونى الأخير على أية حال .

لكن من الأهمية بمكان أن نتعرف الى شخصية البروفسور نعمان ، ما هى معتقداته ؟ وكيف يفكر ؟ لأن معرفتنا الوثيقة بعدونا ، هى دليلنا العلمى والعملى للانتصار عليه ، ومن هذا المنطلق ، فاننا سنحاول من خلال هذا البحث تقديم صورَة لهذه الشخصية الصهيونية التىجعلت شعارها ، التوسع والاستيطان فى الأرض العربية ، واقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل .



فرانسوا ميتران

اعتقد « نعمان » بان فرنسا ستكون اكثر حذراً فى عهده !



هنرى كيسنجر

ماذا راوا فى الصيغة التى قدمها من اجل تحقيق السلام ؟

فى عام ١٩٧٩ ، بذل نعمان جهوداً كبيرة ، من أجل استقطاب أكبر عدد من الشخصيات الصهيونية المتعصبة والتى تقف فى أقصى اليمين ، من أجل تأسيس حزب جديد يتلخص طموح مؤسسيه فى أن يشكل في المستقبل القريب .. بديلا لحزبي العمل والليكود ، وبالفعل تمكن البروفسور نعمان الى جانب غيئولا كوهين من استقطاب عدة شخصيات معروفة بنزعتها العنصرية والفاشية اليمينية المتطرفة ، وخاصة من حزب حيروت ومن حركة « غوش إيمونيم » ( حركة الايمان ) و « حركة أرض اسرائيل الكاملة » .

ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال: موشيه شمير ، وتسفي شيلواح ، وحنان بوراث ، وغرشون شفاط ، و افرايم بن حاييم .. الخ . وتمكن نعمان من تأسيس الحزب الجديد في ١٩٧٩/٨/٣١ ، وفي مطلع تشرين الأول ( أكتوبر ) من نفس العام ، عقد الأعضاء المؤسسون لحزب « هتحياه - النهضة » مؤتمرا صحفيا بتل أبيب ، أعلنوا فيه عن قيام حزبهم الذى يعارض اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية ، ويدعو في المقابل الى تهويد جميع الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ باعلان « السيادة الاسرائيلية » عليها . وفي هذا المؤتمر تحدث يوفال نعمان فقال: إن حزبه يعمل على ما وصفه بـ « بعث الصهيونية » . ولذلك فان من بين مؤسسيه أشخاص انتموا الى جميع المجموعات التى دعت الى قيام حلف « الأوفياء لأرض - اسرائيل » !! ، أما الخط الأساسى الذي يوجه حزب « هتحياه » - كما يشير الى ذلك نعمان - فيتمثل في أنه « لا بديل للمناطق » العربية المحتلة ، ولذلك فان اعادتها في العصر التقني الحالي ، يعني تدمير اسرائيل . ومن هنا فقد وقف نعمان وبقية الرهط فى قيادة حزبه ضد الانسحاب الاسرائيلي من سيناء في نيسان ( ابريل ) الماضي (١٩٨٢) ، لأن هذا الانسحاب على حد ادعائه سيشكل سابقة سوف تقود الى انسحابات أخرى من بقية الأراضي العربية المحتلة ، ولذلك نراه يحذر سلفاً في أواخر عام ١٩٧٩ من الانسحاب من سيناء الذى وصفه بانه قد بدأ فعلا منذ ذلك الوقت ، وقال : ولهذا فان اسرائيل « أصبحت قريبة من التنازل عن يهودا والسامرة والقدس » اضافة الى أن جميع الاتفاقيات التى عقدتها اسرائيل في اعقاب حرب عام ١٩٧٣ وخاصة مع مصر « سوف تعطي ياسر عرفات خياراً لاقامة دولة فلسطينية » ! .

## أهداف الحزب

بتاريخ ٣ /١٩٧٩/١٠ ، تحدث يوفال نعمان خلال مؤتمر صحفي لقيادة حزب « هتحياه » عقد بتل أبيب أيضاً ، وكان مما قاله فى هذا المؤتمر ، ان الحزب يسعى الى ما وصفه « بسلام غير مستباح » ، وإلى اعلان « سيادة اسرائيل » في مناطق الجولان ويهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة ، ثم استئناف الاستيطان فى كل انحاء « أرض - اسرائيل » !! .

وانطلاقاً من هذا الخط العام فان نعمان حدد الأهداف السياسية لحزبه على الشكل التالي : « إعادة النظر فى اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية - الاسرائيلية ، وتعطيل أي انسحاب أخر من المناطق العربية المحتلة » .

وتحدث نعمان في ذلك المؤتمر عما أسماه بالتدهور فى كافة المجالات فى اسرائيل ، فقال إنه منذ ست سنوات ( منذ حرب ١٩٧٣ ) ، تتدهور « الدولة » في جميع مجالات الحياة الى شفير الهاوية ، وأضاف إن التدهور بدأ مع الانسحابات في فترة حكومة المعراخ ( أي التجمع المشكل من حزب العمل وحلفائه ) ، واستمر بشكل أشد في فترة الحكومة الحالية . وبحسب رأي نعمان فان اسرائيل ستتقلص حتى تصل الى حدود عام ١٩٦٧ ، وهو ما توضحه اتفاقية كامب ديفيد ، التي تنص (حسب قوله ) على أن « الاتفاق مع مصر » - معاهدة الصلح - التى استردت مصر بموجبها كل سيناء ، هي نموذج لتسويات مشابهة مع بقية الدول العربية ، بما فيها تسوية لمسالة « الحكم الذاتي الفلسطيني » الذى هو ( حسب كلامه ) ، « مرحلة نحو

# البروفسور يوفال نعمان

## رئيس حزب سياسي جديد
## يتبنى أشد الأفكار تعصبا

اقامة دولة فلسطينية » .

ويرى نعمان أن هذا التدهور والتقلص في « حدود اسرائيل » سوف يعيد الاسرائيليين الى وضع لا يستطيعون معه مواجهة العرب ، ومن الاشارات التى استشهد بها نعمان على هذا الوضع المتردي ، يقظة عرب ١٩٤٨ ، « فالأقلية العربية داخل « الخط الاخضر » تظهر الآن معارضة لوجود اسرائيل » .

وكان نعمان قد حذر من « الانهيار » في حديث نشرته صحيفة «يديعوت احرونوت» بتاريخ ١٩٧٩/٨/٣ ، حيث قال في مجال تبريره تشكيل حزب جديد ، إنه بصفته عالم طبيعة يرى أمام عينيه « إنهياراً واضحاً للبناء كله ، إذا استمرت سياسة الأمن الحالية .. » ، واضاف مكرراً افكاره السابقة أن اتفاقية كامب ديفيد مع مصر هي مرحلة أولى وسوف يحين دور مرتفعات الجولان والقدس ، واشار الى ان المسالة هنا مسالة وقت ليس إلا « وعندها تضيع الدولة .. ذلك ان أذكى القادة العسكريين لن يستطيع صد هجوم تقوم به الف دبابة في السهل الساحلي ( لفلسطين ) الذى لا يزيد عرضه عن عشرة كيلومترات » ، والنتيجة التى يتوقعها نعمان في أعقاب هجوم عربي كهذا هي « مسادا على جبل الكرمل » مع مائة الف قتيل .

وأمام هذه « الأخطار » التى يراها يوفال نعمان تلوح فى افق اسرائيل ، فان مواجهتها تكون ـ كما حدد ذلك في اجتماع عقده الأعضاء المؤسسون لحزب «هتحياه» في القدس المحتلة بتاريخ ١٩٧٩/١٠/٨ ـ باحتفاظ اسرائيل بالأراضي العربية المحتلة ، وقال بالنص في هذا المعنى : إنه لا بديل للمناطق « المحتلة » ولا حتى في عصر الحرب الاليكترونية..» ، ودعا إلى انتهاز أية مناسبة ذات مظهر « استفزازي » من جانب الأردن وسوريا لتهويد الضفة الغربية وهضبة الجولان ، والشروع فوراً في تطبيق سياسة استيطانية واسعة ، وخاصة في الضفة الغربية ، حيث « يتم فوراً توطين عشرات الألوف من الأزواج الشبان في « السامرة » ، ممن يعيشون في القطاع الساحلي .. وستكون الفائدة مزدوجة : حيث يتم القضاء على مشكلة الاسكان ، وتصبح « السامرة » جزءاً لا يتجزأ من « دولة اسرائيل » .. أما بالنسبة لمشروع الحكم الذاتي « فسيجرى البحث عن اسلوب ممتاز لالغائه » . وأما بالنسبة لما أسماه « بمشكلة اللاجئين الفلسطينين » فقد اقترح نعمان حلا غريباً حقا ، يقوم على إجلاء الفلسطينيين عن مخيماتهم ، وارسالهم الى المملكة العربية السعودية ودول النفط العربية الأخرى المتعطشة ـ حسب قوله ـ للأيدي العاملة !! .

وضمن هذه الرؤية «التوراتية » المتزمتة دأب البروفسور الصهيوني المتطرف يوفال نعمان ، على التنديد باتفاقية كامب ديفيد باعتبارها إطاراً لتنازلات اسرائيلية ـ على حد قوله ـ ستؤدي في النهاية الى قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وفي هذا الاطار دأب نعمان بعد عام ١٩٧٩ ( الذى وقعت فيه اتفاقية الصلح المصرية ـ الاسرائيلية ) على الدعوة الى تكثيف الاستيطان اليهودي في الأراضي العربية المحتلة ، من أجل اجهاض أية تسوية يمكن أن تفرض على اسرائيل ( من الخارج ) تتضمن انسحاباً من الضفة والقطاع وتفكيك المستوطنات تمهيداً لاقامة الدولة الفلسطينية المقترحة .

فبتاريخ ١٩٨٠/٩/٧ عقدت كتلة حزب « هتحياه » البرلمانية ( ٣ نواب في الكنيست ) مؤتمراً صحفياً بتل ابيب وتحدث فيه البروفسور نعمان فقال منتقداً سياسة الحكومة « المتباطئة » في عملية الاستيطان ، « لو كنت عربياً لفهمت الآن بشكل واضح أنه قد تقرر عملياً أن يهودا والسامره وغزة لن تكون يهودية في اي وقت » . واضاف إن تصريح مناحم بيجن عن أن أربع مستوطنات اخرى (فقط) ستقام خارج « الخط الأخضر » ، هو بمثابة موافقة عملية على تكريس عروبة الضفة الغربية وقطاع غزة . ودعا الى تكثيف الاستيطان خارج « الخط الأخضر » ـ أي ضمن المناطق العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ـ واصلاح ما وصفه بالميزان السكاني ( بين العرب واليهود فى الضفة والقطاع ) عن طريق اقامة مستوطنات مدينية كبيرة ، وعدم الاكتفاء بالمستوطنات الصغيرة

## احتلال الجنوب اللبناني

في تصور يوفال نعمان ، أن اسرائيل لا تستطيع أن تتحاشى الحرب الدائمة ضد المقاومة الفلسطينية خاصة والعرب عامة ، وأن السياسة الوحيدة المطلوبة منها ، هي التقدم واحتلال مزيد من الأرض العربية ، للقضاء على الفدائيين ، ومن هذا المنظور فان نعمان لم يكن لديه اي « حل » للنشاط الفدائي الفلسطيني المنطلق من جنوب لبنان ضد اسرائيل ، سوى صيغة وحيدة هي احتلال الجنوب حتى الزهراني ( أي مشارف مدينة صيدا ) .

ويفلسف مقولته هذه بالادعاء أن بالامكان أن تعرض اسرائيل احتلالها للرأي العالمي ، باعتباره أمراً معقـــولا ، ولأن اسرائيل مضطرة للاقدام عليه ، ويقول نعمان ان باستطاعة اسرائيل أن تبيع للرأى العــام احتلال المنطقة وتسليمها إلى الميليشيات الانعزالية التى يقودها الضابط المنشق سعد حداد بسهولة أكبر من قتل النساء والأطفال عن طريق قصف مدينة بيروت مثلا ، لأن هذا القصف سبب ضرراً لاسرائيل دون أن يسفر عن شيء مفيد لها ، والقصف في حد ذاته أمر عابر ، وفي المقابل فان احتلال اسرائيل للأرض يعني احتفاظها بها ـ وهذا ليس أمراً عابراً ، كما أن باستطاعة اسرائيل أن تبرر احتلالها لجنوب لبنان باعتباره أمراً انسانياً جداً ـ على حد زعمه ـ ويضيف ان احتلال جنوب لبنان حتى الزهراني يعني أولا حماية المستوطنات بشمال فلسطين المحتلة وجعلها بعيدة عن مرمى صـــواريخ الكاتيوشا الفلسطينية ، ثم أن الاحتلال يعني انه أصبح في يد اسرائيل « ثروة مهمة »، لكن نعمان يرى أن احتلال جنوب لبنان يجب أن يترافق مع التصميم على ما يصفه « بالصمود السياسي » : أي رفض الانسحاب الاسرائيلي إذا طلب ذلك مجلس الأمن الدولي ، أو غـــيره .

## حرب الاستنزاف

والاحتـلال مبرر مـن وجهـة نظـر البروفسور نعمان ايضاً ، لأنه يجنب اسرائيل خوض حرب استنزاف ـ كما يدعي ـ والتى هي أخطر بكثير من الحروب التقليدية بين الجيوش ، لأن اسرائيل سريعة التأثر بالنسبة للطاقة البشرية ، فعندما يقتـل احـد جنودهـا ، ينفعـل



اسحاق رابين
رفضوا نهجه وفضلوا نهـج الأمـــن



مناحم بيجن
تكثيف الاستيطان خارج الخط الأخضر!

الاسرائيليون كثيراً ، في حين ان العرب اقل انفعالا لموت جنودهم ، بسبب طاقتهم البشرية الهائلة ، بينما طاقة اسرائيل البشرية محدودة جداً ، وخوفاً من وقوع اسرائيل في مصيدة حرب الاستنزاف هذه فان نعمان يدعو ابداً الى استراتيجية الاحتلال والتوسع ، لكنه يتحاشى هنا الاشارة من قريب أو بعيد الى امكانية وقوع حرب استنزاف فى الأراضي المحتلة حديثاً !! .

ويتهرب البروفسور الصهيوني من صورة كهذه بالقول ان العالم العربي يشهد تغيراً مستمراً ، تفرضه سياسة اسرائيل في المنطقة ، ويقول في هذا الصدد بالنص في حديث لصحيفة « يديعوت أحرونوت » نشرته بتاريخ ١٩٨١/٧/٣١ : « في الشرق الأوسط تحل المشاكل لخمس وحتى عشر سنوات ، وفي هذه الأثناء نعود للبحث عن حلول أخرى ، ففي هذه الحالة ، ستحل اسرائيل مشكلات ( الفدائيين ) في جنوب لبنان ، ولكن ستظهر مشكلات جديـــدة أيضاً » .

ومن الواضح هنا أن نعمان يحاول الخلط بين ما يسمى بالدواعي الأمنية الاسرائيلية ، وسياسة التوسع والاحتلال التى انتهجتها جميع الحكومـــات الاسرائيلية المتعاقبة حتى الآن ،والتى تشكل عملياً العمود الفقرى فى النظرية الصهيونية ، وهذه المحاولة تبدو فى ظاهرها تبريراً لحماية المستوطنات اليهودية بشمال فلسطين المحتلة فى حين أن جوهرها وصلبها هو الاحتلال والتوسع فى الأرض العربية .

## التهديد النووى

وصف البروفسور نعمان المفاعل النووى العراقى الذى قصفته طائرات اسرائيلية بتاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨١ ، بانه يشكل «خطراً مريعاً يوشك أن يهب على اسرائيل من العراق» ، خصوصاً وأن اسرائيل لاتستطيع بناء أمنها على سباق نووى مع العرب ، ويعرب نعمان عن اعتقاده انه حتى فى حال افتراض أن اسرائيل دخلت مع العرب فى سباق كهذا ، فانه لا توجد ضمانة بشان عدم استخدام السلاح النووى من قبل العرب ضد اسرائيل .

وبحكم كونه عضواً فى «لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية» ، فان البروفسور نعمان يتكلم من موقع العارف والمطلع على الأسرار ، لذلك فهو يشير بلهجة قاطعة وبوضوح مثير ، الى أن اسرائيل لن تسمح للعرب بامتلاك التقنية النووية ، بحيث تبقى اسرائيل هى الوحيدة فى المنطقة التى تملك هذه التقنية ، ويقول في هذا المجال بالنص : « لقد انشات اسرائيل لنفسها قبل نحو عشرين سنة بنية تحتية نووية بمستوى علمى وتقنى متطور ، ومن جهة أخرى ، فان جميع الكتب التى ظهرت منذ أوائل الستينات وشملت اسرائيل فى عضوية «النادى النووى» لا معنى لها ، وسبب ذلك أن لاسرائيل مصلحة حيوية فى عدم تسريع مسار التسلح النووى فى الشرق الأوسط !» .

أما عملية قصف المفاعل النووى العراقى فيبررها يوفال نعمان بخوف اسرائيل من امكانية امتلاك العراق قنابل نووية عبر تصنيعها فى «محطة تموز» خلال سنتين أو ثلاث ، ويشير فى هذا الاطار الى أن قصف المفاعل العراقى قد اخر هذا المسار لثلاث سنوات على أقل تقدير ، أى أن العراقيين يحتاجون مدة كهذه لاعادة بناء المفاعل والوصول الى المرحلة التى كان عليها المفاعل قبل قصفه فى السادس من حزيران ١٩٨١ . ويعرب نعمان عن اعتقاده بانه لو لم تنفذ عملية القصف لبدأ العراقيون فى تحويل اليورانيوم الطبيعى الى مادة مشعة ، ولأصبح لديهم خلال سنتين أو ثلاث سنوات ، عدد من القنابل الذرية . أما بالنسبة لاعادة بناء المفاعل العراقى ، فان نعمان يعتقد بان فرنسا فى عهد الرئيس فرانسوا ميتران سوف تنتهج خطا اكثر حذراً واعتدالا فى هذا المضمار ، ويبقى أن باكستان هى البديل المنظور لفرنسا والتى يمكن أن تزود العراق بالخبرة اللازمة فى مجال استخـــدام وتصنيـــع اليـــورانيوم والبلوتونيــوم ، ولذلك فان البروفســـور الصهيوني يطـــالب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بممارسة الضغط المناسب الـذى يمنع تقديم مساعدة باكستانية للعراق فى هذا المجال .

## مفهوم الأمن

يبرر نعمان دعوته للتوسع واحتلال مزيد من الأرض العربية كلما لاحت فرصة مناسبة لذلك ، بمفهوم الأمن والحدود الآمنة لاسرائيل ، ومن الطريف هنا أن البروفسور الصهيونى يكشف النقاب عن أن خطة التوسع واحتلال قطاع غزة وسيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان فى عام ١٩٦٧ ، كانت قد بحثت فى عام ١٩٥٣ ، ويقول فى هذا الصدد أنه ترأس انذاك لجنة لتخطيط حدود اسرائيل القادمة ، وأن هذه اللجنة توصلت الى تعيين الحدود نتيجة دراسة « لجميع العوامل المؤثرة ـ بما فى ذلك مثلا عيوب السيطرة على سكان معادين فى الأماكن التى يتواجدون فيها » ويضيف أنه فى تلك الأيام من عام ١٩٥٣ تقرر ، أنه فى حال خوض اسرائيل حرباً شاملة مع الدول العربية فى وقت ما !! فيتوجب على الجيش الاسرائيلى « ان يطمح للوصول الى حدود قناة السويس ـ

# البروفسور يوفال نعمان

## رئيس حزب سياسي جديد يتبنى أشد الأفكار تعصبًا

نهر الأردن ـ نهر الليطانى » باعتبار هذه الخطوط هى الأمثل من الناحية الأمنية !!

ويروى نعمان أن هذا المفهوم الأمنى لحدود اسرائيل القادمة ، كان أمراً مستجداً فى هيئة أركان الجيش الاسرائيلي ، حيث لم تكن توجد بعد فى تلك الأيام المبكرة من مطلع الخمسينيات ، حتى خرائط جيدة لشبة جزيرة سيناء ، وقد عرضت خطة الحدود الجديدة ونوقشت بجدية مع وزير الحرب أنذاك « بنحاس لافون » ثم مع خلفه « دافيد بن غوريون » الى أن وافق عليها ، ويشير نعمان الى أن هذه الخطة التوسعية فى الأرض العربية كانت قد ترسخت جيداً فى وعى الجيش الاسرائيلى مع حلول عام ١٩٦٧ ، وعندما لاحت الفرصة لتحقيقها فى حرب الخامس من حزيران من تلك السنة ، سار كل شىء طبقاً للخطة الموضوعة .

وبالطبع فان الخطة التى يشير اليها البروفســـور الصهيوني نفــذت بالنسبة لسينـــاء حتى قناة السويس والضفة الغربية حتى نهر الأردن وهضبة الجولان السورية ، لكن الخطة لم تنفذ بالنسبة لجنوب لبنان ومجرى نهر الليطانى وحتى نهر الزهرانى جنوب صيدا ، لأن لبنان لم يشترك فى حرب ١٩٦٧ من جهة ، ولأن الظرف الدولى والأوضاع الداخلية فى لبنان ( بين المسلمين والمسيحيين ) لم تكن تسمح بعملية توسع باتجاه لبنان الجنوبى وقد ارجىء تنفيذ الجزء الخاص بلبنان من خطة التوسع الموضوعة فى عام ١٩٥٣ ، حتى السادس من حزيران ( يونيو ) الماضى ( ١٩٨٢ ) ، وهو ما يكشف تهافت الحجج والذرائع الاسرائيلية حول الغزو الأخير للبنان .

وفى سياق المنطق التبريرى الذى يستخدمه البروفسور الصهيونى بكثافة ملحوظة خلال حديثة عن نظرية الأمن الاسرائيلية ، التى هى خطة التوسع والاحتلال عينها ، يقدم لنا نموذجين من التفكير السياسى والأمنى فى الكيان الصهيونى :

● الأول هو ذلك النهج الذى يفترض أن منطق التنازل من قبل اسرائيل يحقق السلام ، وهذا النهج ـ كما يقول نعمان ـ دشنه اسحق رابين فى ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٥ بدعم من وزير الخارجية الامريكية الأسبق هنرى كيسنجر ، وهو نهج رفضه قادة الليكود آنذاك الذين كانوا يشكلون المعارضة فى اسرائيل ( وقد استقال نعمان من العمل فى وزارة الحرب حينذاك احتجاجاً على هذا النهج ) ، ولكن قادة الليكود ما لبثوا أن غيروا موقعهم بسرعة بعد صعودهم الى سدة السلطة ، وقد كتب البروفسور نعمان فى صحيفة « معاريف » بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٨١ قائلا بهذا الصدد : « أن نهج التنازل من أجل السلام حظى بمزيد من الدفع بقيادة مناحيم بيغن وهذا ما أدى الى خلط فى الأوراق مابين التجمع ( حزب العمل وحلفاؤه ) والليكود ( حزب حيروت وحلفاؤه ) ، بحيث أصبح النهج واحداً لكليهما ، وهو نهج التنازل من أجل السلام » ، أما ما هو بين الحزبين ، فليس أكثر من عملية تجاذب سياسى ... فى حين أن «حزب هتحياه» الصغير ( عددياً ) هو الذى يقف فى وجه هذا النهج منفرداً ، منطلقاً في ذلك من النهج الصهيوني الأصيل الذى يرفض التنازل ويتمسك بنظرية الأمن

● الثانى هو ذلك النهج الذى يفترض انه لاتوجد في الشرق الأوسط فرص سلام حقيقى فى العصر الحاضر ، وبناء على هذه الفرضية ، فمن واجب اسرائيل أن تفضل نهج الأمن ( أى نهج الاحتلال والتوسع فى الأرض العربية ) .

ويقول نعمان من ضمن منطقه التبريرى الخبيث ، ان هناك وجهاً منطقياً فى النهجين ، أما وجه الاختلاف بينهما فهو فى الفرضية الأساسية فقط ... « فنهج التنازل من أجل السلام » ، يفترض أن الشرق الأوسط يسير فعلا نحو الهدوء والاستقرار ، واخماد روح العداء ، والتسليم من قبل العرب بوجود اسرائيل ... فى حين أن النهج الذى يأخذ بمقولة الأمن ( أو نهج أرض اسرائيل الكاملة ) هو نهج غير مضمون النتائج . ويتساءل يوفال نعمان : ما هى الضمانات لكى لا تنشأ تهديدات جديدة لأمن اسرائيل ولوجودها فى المستقبل ، فى حال تقديمها تنازلات من أجل السلام فى المنطقة ???

ويذهب الى ما هو أبعد من إثارة شكوك حول جدوى السلام مع العرب فيزعم أن اسرائيل ذهبت بعيداً فى دوامة التنازلات ، فعلاوة على الانسحاب من سيناء من أجل السلام مع مصر ، فسوف تجد نفسها أمام ضغوط شديدة تطالبها بالانسحاب غداً من الضفة الغربية وقطاع غزة من أجل اقامة دولة فلسطينية .

### من هو ؟

يعتبر يوفال نعمان من «الصابرا» ـ أى أنه من جيل ولد فى فلسطين ـ فقد ولد فى تل أبيب فى عام ١٩٢٥ ، وهو خريج معهد «التخنيون» فى حيفا ـ وهو معهد أنشىء فى عام ١٩١٢ لتدريس العلوم التكنولوجية ـ كما أن نعمان خريج معهد «امبيريال كولدج» فى لندن ، وقد حصل على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن ، كما درس فى المدرسة الحربية العليا بباريس ، وتخصص أيضا فى علم الفيزياء ودرس هذه المادة فى عدة جامعات ومعاهد فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، وحاز على عدة جوائز علمية ، وهو عضو فى عدد من المعاهد والأكاديميات الأميركية وقد تقلب فى عدة مناصب علمية ، منها عضوية الأكاديمية القومية للعلوم ، وكان عضواً فى اللجنة الاسرائيلية للطاقة النووية (١٩٦٠ ـ ١٩٦١) ، كما كان عضواً فى مجلس امناء جامعة تل أبيب ، ثم أصبح رئيساً ثانياً لذلك المجلس فى عام ١٩٧٦ . وفى عام ١٩٧٥ عينه وزير الحرب آنذاك شمعون بيرس مستشاراً له بوزارة الحرب وعالماً رئيسياً للوزارة ، لكنه استقال من هذين المنصبين فى أواخر عام ١٩٧٥ احتجاجاً على توقيع اتفاقية سيناء الثانية وفى تلك الفترة أعلن عن عزمه على تشكيل حزب سياسى جديد . وبعد تاسيس «حزب هتحياه ـ النهضة» فى عام ١٩٧٩ ، انتخب رئيساً للأمانة العامة لهذا الحزب ، وفى تموز (يوليو) الماضى (١٩٨٢) دخل حكومة بيغن وزيراً للعلوم والتطوير ، بعد أن انضم حزبه الى تحالف الليكود .

وبعد :

فهذا هو يوفال نعمان ، الذى يعميه الحقد على العرب ، والتعصب لمفاهيم متحجرة مستولدة من أساطير بائدة ، ونعمان ليس سوى نموذجاً للصهيونى «الوفي» لصهيونيته ، الذى لا يخفى أفكاره ومعتقداته الراسخة تحت ستار التعابير الدبلوماسية أو الكلام الذى يحتمل أكثر من تاويل .

عصام شريح



شارلوك هولمز الحقيقي : « د. جوزيف بل » المحاضر فى علم الجراحة بجامعة ادنبره ، والذى تاثر به « دويل » واتخذه نموذجا لشرلوك هولمز !



« ارثر كونان دويل » عام ١٨٩٢ ، عندما بدات شخصية شرلوك هولمز تظهر فى رواياته

### الطبيب الذي أصبح أشهر كاتب قصة بوليسية في العالم

# شرلوك هولمز بين الحقيقة والخيال

بقلم : جمال الكناني

لم يكن السير «أرثر كونان دويل» كاتباً ينشد جلال العبارة أو جمال الكلمة ولكنه كان يركز اهتمامه على الفكرة وعلى الشخصية ... فلا عجب إذن أن معرفة الناس بشرلوك هولمز تفوق بكثير معرفتهم بالطبيب الكاتب الذى ابتكر هذه الشخصية البوليسية العالمية الخالدة .. ويكفى أحياناً أن نذكر العبارة المشهورة «أمر بديهى يا عزيزى واطسون» ليعرف الناس أن المتحدث هو شارلوك هولمز .

والرأى السائد فيما يتعلق بأصل هذه الشخصية هو أن آرثر كونان دويل تأثر أيام دراسته للطب بجامعة أدنبره بشخصية «جوزيف بل» محاضر فى علم الجراحة ، كان قوى الملاحظة يستعين بالاستقراء والاستنباط على التعرف على خصائص مرضاه وميزاتهم وطبيعة عملهم ..

# شرلوك هولمز
## بين الحقيقة والخيال






اربع شخصيات معاصرة « لدويل » : اعلى إلى الشمال « جيمس باين » الذى نشر اول قصصه ، وإلى اليمين « جيروم . ك . جيروم » مؤلف « ثلاثة رجال في قارب » ، وإلى اسفل يساراً « روبرت بار » الذي كتب قصصا بوليسية ينافس بها شارلوك هولمز ، ثم يمينا الروائي « هول كين » فى رسم كاريكاتيري

فى اول الأمر ، اختار كونان دويل لشخصيته البوليسية اسم «شربخفورد هوب» ، مقتبساً اسم سفينة من سفن صيد الحيتان عمل على ظهرها لفترة ، وهو طالب يدرس الطب .. واختار بعد ذلك اسم «هولمز» وهو لقب اوليفر ويندل هولمز ، رائد فى ميدان الطب وعلم النفس الجنائى ، كان كونان دويل يعجب به أيما إعجاب لأنه ابتكر العديد من وسائل البحث والاستقراء التى انتهجها دويل (عن طريق هولمز) فيما بعد . اما اسم شرلوك فهو لقب عازف الكمان المشهور «الفرد شرلوك» الذى كان يتقن لعب الموسيقى الألمانية التى يحبها دويل .

وتروى بعض السير التى كتبت عن السير آرثر كونان دويل انه قرر محاولة تاليف القصص البوليسية القصيرة بعدما قرأ العديد منها ورأى انه قادر على كتابة ما هو أفضل منها وامتع ، لأن ما نشر من تلك القصص كان فى الغالب لا يعتمد على ما فيها من شخصيات ، ولا على منطق الحوادث وتسلسلها ، وإنما كان يعتمد على الصدفة المجردة ... وكان الكاتب كلما تعثرت فكرة روايته أو جمدت ، أو كادت تموت فى يده أقحم فى القصة شخصية المرأة الغامضة التى يجللها السواد ، أو الرجل الصينى الذى يعمل فى خفاء وغموض ليثير اهتمام القارىء من جديد .

وهناك ممن أرخوا للسير آرثر كونان دويل من يقول انه احترف الكتابة لأنه لم يصب نجاحاً فى مهنة الطب التى زاولها فى عيادة متواضعة كادت تتجرد من الأثاث ، لا يقصدها من المرضى إلا كل معدم أو مفلس فلم تكن تدر عليه ما يكفى لسداد الايجار وسد الأود .. فلما أثقل الدين كاهله ، قرر أن يجد وسيلة سريعة لكسب المال فلجا الى كتابة القصص ... ولسنا نؤيد هذا الزعم أو نقره ، لأن الثابت هو أن عيادته كانت قد بدأت تدر عليه رزقاً معقولا أيام قبلت دار «وورد أند لوك» نشر أولى قصصه «دراسة قرمزية» ، ودفعت له أجراً قدره خمسة وعشرون جنيهاً .

### شعبية هولمز

ابتكر كونان دويل لنفسه طريقة للكتابة وبناء القصة البوليسية ، التزم بها ولم يحد عنها طول حياته الادبية .. كان يفكر أولا فى حل عقدة الجريمة ثم يطور بقية القصة على أساس ذلك الحل مستعيناً بفنه وقدرته على إخفاء الحل على القارىء حتى آخر صفحة من صفحات القصة ... وكان من عادته أن يبدأ الكتابة فى الصباح الباكر قبل أن يبدأ العمل فى عيادته ، ثم يستانف الكتابة فى المساء بعد فراغه من العيادة ، وأحياناً فى الفترات بين الكشف على مريض وآخر . وكان على عكس أغلب

الاطباء يكتب بخط جميل مقروء وقلما كان يغير حرفا مما يكتب .

ويعبر دويل - على لسان هولمز - عن الطريقة التى يتبعها فى تفسير ما يشكل على الناس ويقعدهم عن حل عقد الجرائم التى ينجح هو فى حلها ، إذ يقول «يستطيع المناطقة أن يستدلوا من قطرة واحدة من الماء على احتمال وجود محيط مثل الاطلنطى او شلال مثل نياجارا دون ان يكونوا قد رأوا هذا او سمعوا بذاك .. والحياة ما هى إلا سلسلة ضخمة ، نعرف طبيعتها حينما تقع ابصارنا على حلقة واحدة من حلقاتها ... خذ مثلا اظافر اى شخص ، او كما من اكمام سترته ، او حذاءه ، أو سرواله ، أو الجلد الجامد الذى يتواجد على سبابته وإبهامه ، او تعبير وجهه ، تجد ان هذه ، فرادى او مجتمعة ، تكشف لك عن مهنة أو حرفة ذلك الشخص وعن بعض اخلاقه أو حالته الاجتماعية وما الى ذلك .

نالت شخصية هولمز من الشعبية قسطا كبيراً فى جميع انحاء العالم وكانت هى وصاحبها موضوع فكاهات عديدة ، يسمر بها الناس .. نذكر من هذه ان كونان دويل ركب ذات مرة احدى سيارات التاكسى فى باريس فقال له السائق «الاحظ انك زرت استنبول مؤخراً ، وعندى ما يؤكد انك كنت فى بودا وانك كنت على مقربة من مدينة ميلان ...»

فقال دويل «هذا مدهش حقا .. خمسة فرنكات أدفعها لك إذا قلت لي كيف عرفت سر تحركاتى ..»

فقال السائق «أمر بديهى يا عزيزى المستر دويل .. قرأت البطاقات الموجودة على حقائبك» .

## حياة مريرة

فى قلب مدينة ادنبرة ووسط صخبها وضجيجها والروائح الكريهة التى تنبعث من مدابغ الجلود ومصانع الفراء ، وفى يوم ٢٢ مايو ١٨٥٩ ولد آرثر كونان دويل ونشأ وهو يحس بمرارة الحياة وظلم الاقدار له ... كان أبوه ، تشارلز دويل ، يعمل مهندساً معمارياً فى ادارة الأشغال العمومية براتب قدره ١٨٠ جنيه فى السنة زيد الى ٢٠٠ جنيه فى عام ١٨٥٩ وكان هذا الدخل يكاد لا يكفى لاطعام اسرة مكونة من ثلاث بنات وولد بالاضافة الى الابوين ، ولهذا كان الأب يستعين بهوايته ، وهى النقش على الخشب والمعادن ، على زيادة دخله السنوى بحوالى ٥٠ جنيهاً يكسبها لقاء ما يبيع من نقوشه ..

دربت الأم ابنها آرثر على ريادة مكتبة الحى فكان يلتهم ما فيها من كتب بسرعة ادهشت امينها . وبين السابعة والتاسعة التحق آرثر بمدرسة فى أدنبرة ، كان يديرها معلم له عصا لا ترحم ظهور تلاميذه .. وبعد عامين اى فى ١٨٦٨ التحق بمدرسة اعدادية وبعدها بمدرسة الآباء الجزويت وفى عام ١٨٧٧ دخل آرثر كونان دويل جامعة ادنبره ليدرس الطب ، ولكنه توقف فى وسط الدراسة ليعمل طبيباً (هكذا كان يلقب) على ظهر سفينة لصيد الحيتان . وقضى فى البحر فترة عاد بعدها مليىء الجيب ميسوراً فاستطاع ان يعطى امه ٥٠ جنيهاً يوم عاد لمواصلة دراسته .

وكتب كونان دويل قصتين وهو طالب يدرس الطب ، كانت احداهما بعنوان «قصة امريكية» والثانية بعنوان «لغز وادى ساساسا» وهى قصة عن ثلاثة شبان فى جنوب افريقيا عزموا على اقناع الأهالى ببطلان خرافة كانت شائعة عن عين حمراء تكبر فى الظلام وترعب الأهالى .

بدأ دويل حياته العملية طبيباً شاباً قوى البنية وسيم الخلقة ، فكان رغم قلة حاله محط انظار طالبات الزواج .. وفى صيف ١٨٨٥ استدعته السيدة إميلى هوكنز لعيادة ابنها الذى اصابه صداع مفاجىء مصحوب بغثيان وحمى ... وشخص كونان دويل المرض بالالتهاب السحائى وقرر نقل المريض لعيادته حتى يكرس لعيادته اكبر وقت ممكن .. ورغم ما بذل دويل من مجهود ، مات المريض .. وكان دويل قد شعر بميل شديد تجاه لويز ، اخت المريض ... وأحست الأم بذلك فشجعت ذلك الاتجاه ... وكتب دويل لامه يستاذنها ويسأل رأيها فى الزواج فوافقت وتم الزواج فى ٦ اغسطس ١٨٨٥ ... وحالف التوفيق الدكتور آرثر كونان دويل ، إذ وجد فى لويز زوجة مثالية رغم عدم ثقافتها ، فاحبها حبا عميقا .

واقبل المرضى على عيادته بعد زواجه وراجت حالته المالية ، وذاق طعم سعادة حقيقية ، وانعكس ذلك على صحته وعمله وكتاباته ... وبدأ أول قصصه التاريخية «ميكاب كلارك» وهى شخصية أشبه ما تكون بشخصيته هو ، كما أن شخصية «روث الوديعة كانت تحاكى شخصية لويز زوجته ...

ومرت السنون وتعقدت الأمور واعتلت صحة لويز ، كما أن آرثر كونان دويل نفسه وقع فى غرام فتاة تدعى «جين ليكى» ... وتدهورت صحة لويز فى صيف ١٩٠٦ .. وفى صباح ٤ يولية ماتت الزوجة الوفية ولم تكن قد بلغت الخمسين من عمرها ... ورغم العلاقة الغرامية التى اشرنا اليها ، وقع موت لويز على آرثر وقع الصاعقة فحزن حزنا شديداً .. ولعل موتها كان من اقوى الأسباب لاتجاهه الى الروحانيات ودراستها والكتابة فيها ...

## التأثر بالروحانيات

كان دويل يرى أن الأرواح اشبه ما تكون بالحيوانات البرمائية ، تنتقل فى يسر من هذه الدنيا الى العالم الآخر كما تنتقل السلحفاة المائية من اليابسة الى الماء ... وقام دويل بتحليل طبيعة العالم الآخر فى عدد من مؤلفاته ومقالاته ، وقال إن الانسان قد يفقد الوعى لفترة قصيرة بعد الموت مباشرة ثم يصحو ليجد اول الأمر انه لا يستطيع أن يتصل خلال الأثير بالآدميين لأنهم مهيئون لمؤثرات وحوافز اكثر خشونة وصلابة من الأثير ، اللهم إلا إذا كانوا من الوسطاء الروحانيين ... وقال ان الميت يحس تدريجياً بوجود غيره فى الغرفة او الحديقة التى يتواجد فيها فاذا رأى شخوصا لها وزن الأحياء فانه يدرك ان هؤلاء كانوا من بين من احب وفقد من الناس . وقد يحس الميت ان هناك من يعانقه او يمسك بيده ويتمكن بمساعدة دليل ملائكى وضاء من أن يتحرك مخترقا الجدران او ينفذ خلال جذوع الأشجار التى قد تعترض سبيله فى حياته الجديدة .

ولم ير كونان دويل الشخص الميت على انه كائن ينطوى على ملاك او على شيطان ، ولكنه كان يرى أن الميت يحمل معه متاعاً من قوته وضعفه .. من عقله وحماقته ...

دويل كان يؤمن بأن استمرار الحياة بعد الموت هو أساساً استمرار لحياة العقل ، كما أن الوجود الأرضى هو حياة الجسد .. ولا وجود فى العالم الآخر لطعام أو نقود او جنس ، إلا ان فنون الموسيقى والرسم بالألوان ونظم الشعر والنثر الجميل تزاول هناك باستمرار ، وكان من رايه كذلك أن الموتى يعيشون فى عشائر وأن الزواج فى العالم الآخر روحانى بحت ، وأن بلوغ السعادة التى فاتت معظم الأحياء أمر ممكن فى العالم الآخر الذى هو غير جسمانى مجرد عن الوزن ، نقى خالص مقدس .

وعبر دويل عن رايه - فى غير كتبه - يوم وصل الى نيويورك عام ١٩٢٢ والتف الصحفيون حوله وكان متعباً بعد رحلة شاقة فقال لهم ان الحياة بعد الموت تخلو من كل الم جسمى وأن الزواج فى العالم الآخر زواج افلاطونى صرف ، ولهذا

# شرلوك هولمز
## بين الحقيقة والخيال

فالأطفال لا تولد فى الآخرة .

والمعروف عن كونان دويل منذ صباه انه كان يهتم بكل ما يجرى حوله ، فليس غريباً إذن انه تأثر بحركة الروحانيات التى شاعت فى انجلترا فى ثمانينات القرن التاسع عشر ... وحدث أن استمع لحديث وسيط أمريكى ثم اتصل بجماعة ممن احترفوا الروحانيات ... وتحمس الناس إذ ذاك لحركة الروحانيات وخاف العلماء من اثرها على عقول الناس فشكلوا جمعية البحوث الفيزيائية ، التى وعدت باختبار وفحص الوسطاء الروحانيين وفضيحة كل وسيط يحاول خداع الناس .

وتعرف كونان دويل فى مدينة بورتسماوث بالجنرال دريسون الذى كان يعقد جلسات روحانية فى داره . ودعى دويل لحضور تلك الجلسات التى كان يقوم فيها بدور الوسيط زوجة «إشرجى» ـ عامل الاشارة ـ فى السكة الحديدية ، وكانت تتخصص فى مفاجاة من فى الجلسة بابراز اشياء غريبة غير محتملة مثل الواح الثلج ... وتأثر دويل بما راى فنشر مقالا فى مجلة الروحانيات «لايت» واتصل به واحد من أعضاء جمعية البحوث الفيزيائية وطلب منه الاشتراك فى البحوث التى تجريها الجمعية ، ولكن دويل كان قد حدد هدفه المستقبلى فى هذا المجال وهو «كسر حاجز الموت» .

وحدث بعد أن مات ابن دويل واخوه ، ان الف كتابين احدهما بعنوان «رؤيا جديدة» ١٩١٨ والثانى بعنوان «رسالة حيوية» ١٩١٩ ـ أوضح فيهما موقفه من الروحانيات وقال «عندما شبت الحرب شاعت فى قلوبنا لهفة وملأتها جدية .. فاخذنا نفحص معتقداتنا بعناية اكثر ونعيد معايرة قيمنا . وفى عالم معذب نسمع فيه كل يوم بموت شبابنا وهم فى مقتبل العمر ، ونرى فيه الامهات والزوجات فى حيرة لا يدركن تماماً أين راح من يحببن تبينت فجاة أن موضوع الروحانيات الذى طالما لمست أطرافه وحواشيه ، ليس دراسة تقتصر على قوة خارجة عن قواعد العلوم ولكنه فى الواقع أمر ضخم بالغ الأهمية ، هو تحطيم الجدر التى تفصل بين عالمين ، ورسالة مباشرة من العالم الآخر لا يمكن أن ينكرها احد ، ونداء الأمل وتقويم الانسانية وحسن توجيهها وهى تمر باتعس أوقاتها» .

راى دويل فى «الجسم الروح» ما يقابل «الجسم الأرضى» القديم تماماً ، إلا أن المرض والضعف والنشوة تختفى تماماً بعد الموت .. وعندما يموت الانسان فان «الجسم الروح» يقف أو يطفو بجانب الجسم القديم وهو يدرك وجوده ووجود ما يحيط به ، والميت ـ ذكر أو انثى ـ لا يستطيع الاتصال بمن خلف وراءه .

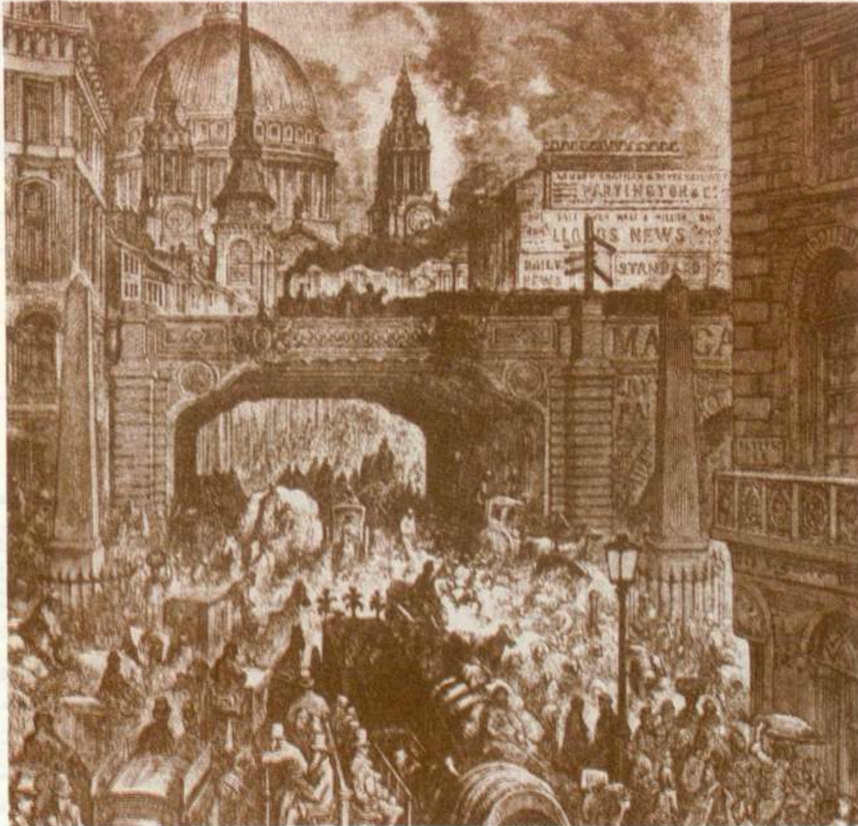
لأن الأعضاء الحية غير مهياة إلا لاستقبال المؤثرات الأخشن . ويجد الجسم الروح نفسه بين من سبقوه الى العالم الآخر ، يرحبون به ، ثم يروح فى سبات قد يتراوح بين أيام قلائل ، وبين أشهر عدة ، ويتوقف ذلك على ما صادفه الميت فى حياته من متاعب .

وتفيق الروح فتجد نفسها فى محيط مناسب ، قد تتواجد فيه لفترة اختبار محدودة إذا كانت أقل حظاً ، وقد تتواجد فيه لفترة استشفاء إذا كانت من الأرواح الضعيفة .. أما الأرواح الأعلى أو الأسمى فيمكنها أن تعلو وتهبط .. وعلى الأرواح الأبطا أن تبذل جهداً لترتفع فوق محيطها ... والحياة الروحية أساساً حياة عقلية ، لا طعام فيها ولا نقود ولا شهوة ولا الم ... والأرواح تغطيها الملابس وتعيش فى عشائر ، والشعوب فى العالم الآخر تعيش منفصلة عن بعضها إلا أن اللغة لا تقف حائلا بينها لأن الفكر هو طريق التفاهم والحوار .

### الحادث الهام

ونشير إلى حادث كان له أثر على تشكيل فكرة دويل واقناعه بأن الروحانيات ليست من باب الخيال وانها موضوع يستاهل البحث والدراسة .. كانت زوجة دويل الأولى تستضيف سيدة مريضة فقيرة ، وتقنعها أن الأطفال بحاجة الى رعايتها رغم وجود المربية حتى تقبل المسكينة تلك الضيافة دون أن تشعر بانها تعيش عالة على الأسرة .

وكانت هذه السيدة ـ ليلي سيموندز ـ قد حذقت فن الكتابة الأوتوماتيكية ... كان قلمها فيما يبدو يتحرك بقوة خفية ويخط رسائل واضحة ، مصدرها ـ على حد قولها ـ العالم




لندن فى بداية عام ١٨٧٠ كما رسمها « جوستاف دوريه » .

الآخر .. ولم يأبه دويل بذلك ، بل إن الزوجة

احست بشيء من الحرج فاخذت تقنع « ليلي » بالعدول عن الكتابة على ان دويل بدا يهتم بهذه السيدة ، لأنها ــ فى حضرته ــ كتبت

رسالة نصها « امر مزعج .. مزعج سيكون له اثر كبير على سير الحرب » ... وفى نفس اليوم أغرقت السفينة الامريكية « لوزيتانيا » وأمن دويل ان غرقها سيكون سبباً فى اشتراك امريكا فى الحرب .

وفى عام ١٩١٥ ، مات أشقاء « ليكى » فى الميدان كما مات « مالكولم » شقيق زوجة دويل ...

وحدث ذات يوم ، ودويل يتحدث الى « ليلى » أن بدأت تكتب بخط يماثل خط « مالكولم » الذى مات فى الميدان ، وقالت إنها على اتصال به ، ووجد دويل فى ذلك فرصة لاتعوض ، وكان قد دار بينه وبين ذلك الميت منذ سنوات ، حوار حول موضوع خاص لم يعلم به مخلوق غيره ، فاخذ يسال « ليلى » عن بعض تفاصيل ذلك الحوار ، فكانت تعود بالاجابة الصحيحة في كل مرة ... واقتنع دويل بان وراء الاكمة ماوراءها وان « تحت القبة شيخ » ، وقرر ان يكرس بقية حياته للروحانيات ... ولم يحاول ــ كما كان شانه من قبل ــ بعد ذلك تجنب تصوير الروح فوتوغرافيا ، أو الخوض فى موضوع الاكتوبلازم ، وهو الاسم الذى اطلق على مادة بيضاء غريبة شوهدت تنبثق من الوسيط إيفا كاريير عام ١٩٠٣ ، وكان البعض يطلق عليهــا اسم « تلي بلازم » أو « إيديو بلازم » ... وكانت هذه المادة معروفة قبل ذلك على أنها مادة شبه مضيئة على هيئة بخار كثيف يخرج من جانب الوسيط أو من فمه كسحابة زغبية ، أو بخار رمادي / ابيض ، أو كعمود من الضباب .. والاكتوبلازم هو المادة التى تتكون منها هياكل الأرواح أو وجوهها . ولما كانت هذه المادة تنسحب حال تعرضها للضوء او لمسها ، فقد كان من الصعب الحصول على عينة منها ، ولكن أمكن ذلك بعد فترة . فلما احترقت واستحالت رماداً خلفت وراءها رائحة تشبه رائحة قرون الحيوان ، ووجد من بين عناصرها ملح الطعام العادي وفوسفات الكلسيوم .

ولكونان دويل عديد من المؤلفات فى موضوع الروحانيات ، لم تعد عليه بنفع بل لعلها كانت السبب فى حرمانه من لقب اللوردية رغم معرفته الأكيدة بالملك جورج الخامس ورئيس وزرائه لويد جورج ، وونستون تشرشل ..

وإلى جانب العديد من الروايات البوليسية ، كتب دويل مئات القصص القصيرة .. وله كذلك مؤلفات تاريخية جيدة منها « الظل العظيم » و « وســـام البريجادير جيرار » و « اللاجئــون » و « رودني ستون » وغيرهــا .. على أن الذي اكسبه الشهرة ، وكتب له الخلود ، هي قصص هولمز البوليسية .

وفى يوم ١٥ مارس ١٨٩٧ ، قابل كونان دويل « جين ليكى » فى حفلة ساهرة ، وكانت تصغره بحوالي ١٣ عاماً فوقع فى غرامها ... وكان الحب متبادلا من اول نظرة .. ولكنه على غير مالوف عادة بعض الادباء من معاصريه ، كان رجلا ذا ضمير حي يفرق بين ماهو خطا وما هو صواب ... وكان إذ ذاك رب عائلة ، وزوجته إذ ذاك مريضة بالسرطان .. فظل حب دويل لهذه الفتاة عذرياً حتى ماتت زوجته فى عام ١٩٠٦ وتزوجها فى عام ١٩٠٧ بعد ان مر بتجربة قاسية اثبت فيها متانة اخلاقه .. واشار الى تلك المحنة فى قصيدة له بعنوان « تجلد » قال فيها :

عندمــا يمــلا الخوف نفوســـــنا
وعندما يصــبح طريقنــا قفراً ممــلا
وعندما تهب الريح صرصرا قارســة
وعندما يكون السبيل وعرا طويـــلا
تجـــلد

فى ١٨ سبتمبر ١٩٠٧ بنى دويل بزوجته الثانية « جين ليكى » وقضيا شهر العسل فى رحلة فى البحر الأبيض المتوسط زارا خلالها جزر اليونان ومصر وتركيا حيث انعم السلطان عبد الحميد على دويل بالوسام المجيدي ، وعلى زوجته بوسام اخر ... وابدى عبد الحميد اعجابه بشخصية شرلوك هولمـز وقصصــه .

استغل دويل قدرته على التحري والاستقصاء فى رفع الظلم عن عدد ممن ادانتهم المحاكم بغير وجه حق .. وكانت اشهر ماعالج دويل من القضايا قضية شاب هندي كان يزاول مهنة المحاماة في برمنجهام ... كان البوليس قد وجه إليه من قبل عدداً من التهم التافهة ، فلما تكررت فى المنطقة حوادث قتل الغنم والبهائم ببقر بطونها ، القى البوليس القبض على هذا الهندي واسمه جورج إدلجي وعثر فى بيته على أربعة امواس عليها بعض البقع كما عثر فى داره على زوج من الاحذية ملطخ بالطين وبنطلون ازرق وسترة مبللة عليها بعض البقع ... وكانت اخر الجرائم تتعلق بحصان صغير بقرت بطنه قريباً من دار الهندي ، وفحص الطبيب الشرعي ملابس الهندي ، فوجد على كم السترة نقطتين من الدم . وكان البوليس قد تسلم خطاباً من مجهول ينسب الجريمة للهندي ، وشهد خبير الخطوط بان الهندي هو كاتب الخطــاب ، يتهــم نفســه بارتكاب الجريمــة ليبعــد الشبهة عن نفســه

واحيل الهندي للمحاكمة وحكم عليه بالسجن سبع سنوات ... وبعد فترة كتب السجين لكونان دويل يؤكد براءته .. وبعد فترة اقتنع دويل بتلك البراءة فتعمق فى بحث القضية وزار مكان الجريمة وعرف ان ارتكابها يقتضى من الهندي ان يعبر خط السكة الحديدية وان يتسلق سوراً ويعبر حقولا مغطاة بالوحل مما كان يترك حتماً على ملابسه آثاراً لا يخطئها انسان .. وكان مستحيلا على الهندي إدلجي ان يقوم بتلك الرحلة فى الليل لانه كان مصاباً بقصر نظر شديد .. وبهذا اثبت دويل انه يستحيل ان يكون الهندي هو الذى ارتكب الجريمة ، بل أنه اثبت ان الشخص الآخر الذى اتجهت إليه الشبهة اثناء التحقيق كان هو المجرم .. فقد كانت له ، بوصفه قصاباً ، دراية ببقر بطون البهائم .

واثبت دويل كذلك براءة الماني يهودي اسمه أوسكار سليتر كان قد اتهم وأدين بقتل عجوز ... وكان اوسكار لاشك من المشبوهين الذين ارتكبوا عدداً من الجرائم ولكنه كان بريئاً من تلك التهمة المعنية ... وقضى اوسكار فى السجن ١٦ عاماً قبل أن يثبت دويل براءته

وعرف عن آرثر كونان دويل اهتمامه بالألعاب الرياضية وولعه الشديد بلعبة الكريكت وبكرة القدم ، كما انه مارس ركوب الدراجات والجولف والبلياردو والملاكمة وصيد السمك والوحوش وغير ذلك ... وكان من المعجبين برياضى آخر هو الساحر هوديني الذى كان يكبل بالسلاسل ويوضع تحت الماء مكبلا فيخلص نفسه من قيوده ويسبح الى السطح فى دقائق معدودات ... وتوطدت بين دويل وهوديني صداقة استمرت ماعاشا .

ولما اعتلت صحة دويل بعد اشتراكه فى حرب البوير نصحه الاطباء فى عام ١٩٠١ بالقيام باجازة طويلة ، قضاها على يخت صديقه اللورد كرومر وشفى من نوبات الحمى المترددة والاسهال والأرق ، وعاش بعد ذلك ثلاثين عاماً فى صحة طيبة ، ولكنه أصيب فى عام ١٩٢٩ بمرض الذبحة الصدرية التى كانت تعاوده بين حين واخر حتى قضت عليه فى ٧ يوليو ١٩٣٠ . وهكذا مات السير آرثر كونان دويل وعاش شرلوك هولمز يمتع الملايين فى أنحاء العــالم ... ولا تســل عن الســبب :

« فهذا أمر بديهي ياعزيزي القاريء »

جمال الكناني

# الدلالة القومية للفلكلور العربي

بقلم : محمّد إبراهيم الفحّام

كلما تابعت على شاشة التليفزيون ، بعض الأغاني والرقصات الشعبية التي تؤديها الفرق التابعة لاحدى الدول العربية ، عاودني شعور بأنني استمعت اليها ، وشاهدتها من قبل . وعادت بي الذاكرة الى حيث ولدت ، وأمضيت مرحلة الطفولة ، وجل مرحلة الصبا من حياتي ، في أحد الأحياء التي يغلب عليها الطابع الشعبي ، بمدينة الاسكندرية . وكانت تشاركنا سكنى ذلك الحي عشرات من الأسر التي تنتمي الى أقطار عربية مختلفة ، فضلا عن الأسر المصرية الصميمة . وكانت العلاقات بين تلك الأسر ، تجعلها تبدو جميعاً ، كما لو كانت عائلة واحدة مترابطة ، تتقاسم معاً الاحساس بلذات الحياة ومراراتها .

وكان يطلق على أبناء الأقطار التي تلي حدود مصر الغربية جميعا تعبير (المغاربة) ، ويطلق على معظم أبناء الأقطار التي تلي حدود مصر شرقاً ( أي فلسطين ، والأردن ، وسورية ، ولبنان) تعبير (الشوام) . كما يطلق على أبناء العراق (البغدادية) . أما أبناء الجزيرة العربية فكان يطلق على سكان الجنوب منهم (اليمنيون) ، ويطلق على من عداهم (العرب) . فكانت صفة العربي مقصورة على من يتزيى بالكوفية والعقال وكانت تلك الصفة تشمل بدو الشام والعراق وسكان شبه جزيرة سيناء أيضاً . أما السودانيون فكانوا يعرفون باسمهم هذا الذي لم يتغير .

ثم صارت تطلق بعد ذلك تعابير مميزة لتحديد أوطان المغاربة والشوام ، فيقال (طرابلسي) لكل من ينتمي الى القطر الليبي ، ويقال (تونسي) أو (توانسي) أو (جزايري) و (مراكشي) لمن ينتمي الى تونس والجزائر والمغرب على التوالي . كما حددت مواطن الشوام بذكر المدن التي ينتمون اليها فيقال (غزاوي) أو (يافاوي) أو (مقدسي) أو (عكاوي) أو (حموي) أو (حلبي) أو (بيروتي) . ويقال (طرابلسي شامي) للتمييز بين أبناء (طرابلس الشام) وأبناء (طرابلس الغرب) . أما المنتمي الى دمشق فيقال له (دمشقي) أو (شامي) .

وكان معظم المغاربة يمتهنون صناعة الطرابيش ، والشموع والحبال والأطعمة المغربية ، وخاصة (الكسكسي) ، والاتجار فيها . كما كانوا يمتهنون ضفر الخيوط وعقدها ، لاستخدامها في تطريز الملابس وتزيين فتحاتها ، وهي مهنة (العقادة) - بكسر العين - ، ويسمى ممتهنها (العقاد) ، وقد اشتهر بها التونسيون خاصة .

كما كان معظم الشوام يمتهنون صناعة الحلوى والجبن والصابون والاتجار فيها . فكان أكثر الحلوانيين والبقالين منهم .

أما سائر أرباب الأسر العربية ، فكان يغلب عليهم الاتجار في التوابل والنباتات الطبية ، والشاي والبن والمغات ، والمواد العطرية كالعنبر والمسك .

وقد ضاعفت المصاهرات المتبادلة ، من عوامل الترابط بين تلك الأسر ، واستقرارها بالمدينة .

وكانت حفلات الزفاف أشبه بمهرجانات شعبية حافلة ، تعرض فيها الرقصات والموسيقات والأغاني الشائعة في أوطان المشاركين في هذه الحفلات من المتصاهرين ومدعويهم . كما كانت هذه الحفلات تعكس العادات والتقاليد التي كانوا يتبعونها في أمثال تلك المناسبات ، في أوطانهم .

وكانت تلك المهرجانات تعقد أيضاً في مناسبات أخرى ، كالاحتفال بختان الأولاد ، والاحتفال بتوديع المتجهين لأداء فريضة الحج ، ثم الاحتفال باستقبالهم بعد أدائها .

وقد اشتهرت بعض التونسيات والحلبيات بالبراعـــة في ترديد أغاني الزفـاف والحج (توديعاً واستقبالا) .

وكانت تبذل في بعض الأحيان ، محاولات مرحة ، لتضمين بعض الأغنيات المصرية جملا لحنية على النمط المغربي أو الشامي .

كما اقتبست الايقاعات التي اشتهر بترديدها أبناء الطريقة العروسية (التونسية الأصل) وأبناء الطريقة السلامية المتفرعة منها (وهي ليبية طرابلسية الأصل) في مواكب الزفاف ، والتي تتميز خاصة باستخدام الدفوف الكبيرة ، التي تسمى (البنادير) جمع (بندير) وهي كلمة أندلسية الأصل أخذت مع مسماها عن سكان إقليم الباسك .

وكان كل جيل من تلك الأسر العربية المتوطنة ، أكثر انشغالا بأعباء الحياة ، عن ذكريات الماضي من الأجيال السابقة ، فاندمج الجميع تباعاً في مجتمع المدينة ، وأسهمت ظروف الحرب العالمية الأخيرة وأحداثها ، في قطع ما بقي من الصلات الواهية ، لبعض أفراد تلك الأسر - وخاصة الكهول منهم - بأوطانهم الأولى .

ولكنهم - مع اندماجهم هذا - قد أسهموا بنصيب وافر ، في تشكيل الملامح العامة للمجتمع الشعبي في هذه المدينة ، وإكسابه بعض السمات الخاصة التي يتميز بها .

فقد كان للأجيال المتعاقبة من تلك الأسر ، تأثيرها الواضح ، والمتوالي ، في العادات والمعتقدات والتعابير والمأثورات الشعبية المحلية .

وقد تبين لي بعد ذلك ، أن ما حدث في الحي الذي ولدت ونشأت فيه ، قد حدث ما يماثله في كثير من الأحياء الأخرى بالاسكندرية ، ثم أن مدناً كثيرة أخرى ، قد جرى فيها مثلما جرى في تلك المدينة . ولم أعد أشك في أن ما حدث في هذه



استعراض البمبوطية .. إنه وغيره من الأغاني والرقصات الشعبية يجعلنا نبدو جميعا كما لو كنا عائلة واحدة ..

فيها التعابير والايقاعات المصرية ، بما يماثلها فى الأقطار التى قدموا منها . وهناك كثير من العائلات التى تعتز بانتمائها الى أولئك الشيوخ أو الى اتباعهم .

كما استقر فى بعض أنحاء الصعيد ، من بقى على قيد الحياة من الجماعات المسلحة ؛ التى قدمت من الجزيرة العربية ، عبر البحر الاحمر ، أثناء الاحتلال الفرنسى لمصر ، لتعزيز حركة المقاومة الشعبية التى استهدفت لها قوات الاحتلال فى الصعيد .

وتعي بعض العائلات التى تتوارث العلم بأنسابها ، الأصول القبلية أو الموطنية لأجدادها ممن أسهموا فى تلك الحملة .

المدن المصرية قد حدث ما يماثله فى كثير من المدن العربية الأخرى .

وعندما التحقت فى أوائل الخمسينات بأعمال الشرطة فى مناطق مختلفة من الريف المصرى ، واجتذبت انتباهى بعض الفوارق فى العادات واللهجات ، وأشكال الملابس ، بين أبناء بعض القرى المتجاورة ، بل ــ وأحيانا ــ بين أبناء الأسر التى تتجاور دورها فى القرية الواحدة ، وشغفت بتقصي أسباب ذلك ، ببحث أصول العائلات التى تشملها تلك الفوارق ، قادنى البحث الى التحقق من انتماء أجيال سابقة لكثير من هذه العائلات الى أقطار عربية مختلفة . وقد صهر الزمان كلا منها فى بوتقة المجتمع المصرى الذى عايشته . وساعد على ذلك حنين الدم العربى الواحد ، الذى يجذب بعضه ــ تلقائيا ــ نحو البعض الآخر .

● ●

وقد فتح المجتمع المصرى أحضانه ــ عبر أجيال عديدة متعاقبة ــ لجماعات كثيرة من أبناء الأمة العربية ، على اختلاف مواطنهم ، عندما وفدوا اليه تحت وطأة ظروف سياسية أو اقتصادية ضاغطة ، أو صراعات قبلية أو عائلية ضارية . كما حضر الكثيرون منهم لترويج المحاصيل والمصنوعات ، التى اشتهرت بانتاجها أوطانهم . أو للاستعانة بخبراتهم فى انتاج أمثالها فى مصر مثلما حدث فى عهد محمد علي من وفود بعض أبناء الأقطار المغربية ــ وخاصة من تونس ــ لاستثمار خبراتهم فى صناعة الطرابيش ، ووفود غيرهم من الأقطار الشامية ، لاستثمار خبراتهم فى زراعة أشجار الفاكهة ، وفى صناعة المنسوجات الحريرية من شرانق دود القز الذى يتغذى من أوراق شجر التوت .

كما تطلبت تلبية احتياجات الجيش ، وأعضاء الأسرة الحاكمة ، وغيرهم من القادة والأعيان من الخيول الأصيلة ، الى وفود كثير من التجار النجديين ووكلائهم ، الذين انشغل بعضهم بتجارة الخيول وانتفع بخبرة البعض الآخر فى العناية بالخيول وتربيتها وترويضها ، وقد استقر بعضهم فى مصر بعد ذلك بعد أن كانوا يترددون عليها من وقت الى آخر .

كما استقر فى مصر كثير من شيوخ الطرق الصوفية ــ مع أسرهم وأتباعهم ــ وكانوا يكتفون ــ قبل ذلك ــ بالتردد عليها فى مواسم معينة ، لنشر الدعوة للانضمام الى طرقهم ، أو لاحياء روابط التعارف والتآزر بين الجماعات المتباعدة من أنصارهم ، وتحصيل ما تجمع لديهم من أموال النذور . ثم طاب لهم المقام فى بعض أنحاء البلاد وقضوا ما بقى لهم من العمر فيها . ثم صارت أضرحتهم ــ بعد وفاتهم ــ مزارات لأتباعهم من أبناء مصر ، أو من أبناء أوطانهم الأولى ، وغيرها من الأقطار العربية ، وصارت ذرياتهم وأتباعهم موضع الاحترام حتى لحقوا بهم .

ويضم تراب مصر أجداث الكثير من أولئك الشيوخ الدعاة ، الذين قدم بعضهم من أقطار المشرق العربى للدعوة الى الطرق الرفاعية ، والنقشبندية ، والسعدية ، والمسلمية ، وقدم البعض الآخر من أقطار المغرب العربى للدعوة الى الطرق التجانية ، والسنوسية ، والشاذلية ، وفروعها كالعروسية والسلامية والمدنية ، كما قدم آخرون من السودان للدعوة الى الطريقة الميرغنية .

وعندما كان المغاربة يسلكون ــ لأداء فريضة الحج ــ طريق الصعيد ، ثم يجتازون البحر الأحمر من ميناء عيذاب ، ذهابا وعودة ، تخلف الكثير من شيوخهم مع أفراد أسرهم وأتباعهم فى بعض أنحائه لأسباب صحية ، أو استجابة لتوسلات المواطنين ، الراغبين فى التبرك بهم ، والاستفادة من علمهم ، وأخذ آداب الطريق عنهم ثم أدركتهم الوفاة حيثما أقاموا . ويعد ما يروى وما يغنى به من سير أولئك الشيوخ ، وما يدور من المزاعم حول مآثرهم وكراماتهم ، لونا من أرق ألوان الآداب والفنون الشعبية ، التى تختلط

● ●

تعاودنى هذه الذكريات والحقائق جميعاً ، كلما ارتفع صوت أحد المتجاهلين يتساءل ــ بصيغة التحدى والاستنكار ــ عن روابط الشعب المصرى بالشعوب العربية الأخرى .

وإذا كنت أجد فيما كتب كثيرا عن هجرات القبائل العربية الى مصر مع الفتح الاسلامى وبعده ، ما يثبت أصالة هذه الروابط وعراقتها . فاننى أجد فيما رويت بعضه من الذكريات والحقائق ، ما يؤكد حيوية هذه الروابط واستمرارها .

وكما ذكرت من قبل ، فقد أدى الاندماج المتوالى لجماعات كبيرة وكثيرة من أبناء الأقطار العربية المختلفة ، فى المجتمعات المصرية ، المدنية والريفية ، الى التأثير ــ بأقدار متفاوتة ــ فى العادات والآداب والفنون الشعبية ، الشائعة فى هذه المجتمعات .

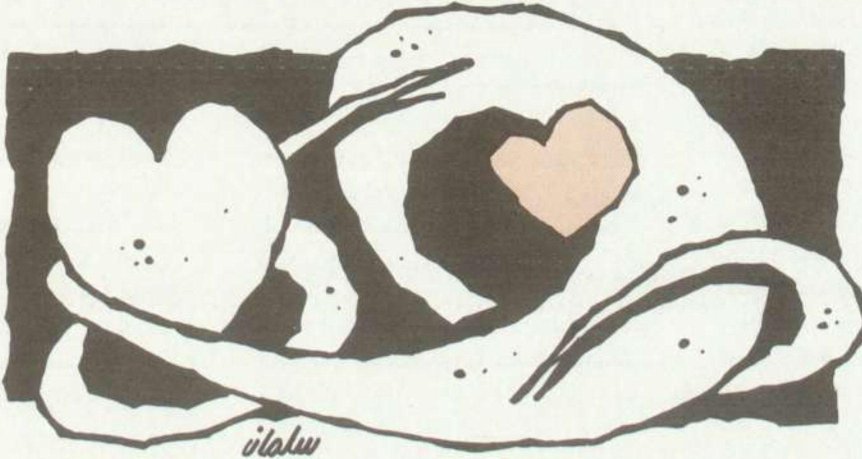
ويتجلى هذا التأثير فى الملابس والأطعمة والأشربة ، وفى الأسماء والألقاب والكنى ، وفى اللهجات والأمثلة والحكايات ، وفى الأغانى والموسيقات والرقصات . وفى أساليب الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية (كالزواج والولادة والوفاة) وفى المناسبات الدينية «كالمولد النبوى ، وموالد الأولياء ، وموسم عاشوراء ، وإحياء ليالى رمضان ، والاحتفال بالعيدين ، وتوديع الحجاج واستقبالهم» .

وليس هنالك ما يبرر استبعاد وجود تأثيرات مماثلة ، فى مجتمعات الأوطان العربية الأخرى ، التى تنغلق على نفسها ، والتى لم تنقطع التأثيرات المتبادلة ــ أخذا وعطاء ــ بينها وبين سائر المجتمعات العربية .

ولاشك أننا لو تناولنا العادات والآداب والفنون الشعبية فى مجتمعات الشعوب العربية المختلفة ، بالبحث الذى يجمع بين العمق والشمول ، ويقوم على التأصيل والمقارنة ، لخلصت لنا كثير من الحقائق ، التى تجمع فى النهاية على تأكيد وحدة الوجدان العربى .

# نداء العاشق

شعر: حسن طلب




أنا ما أحببتُكِ - لا في الغالبِ
- بل قطُّ
سأوغلُ في عينيْكِ وأشتطُّ
ولستُ الآن أُحِبُّكِ - لا تقريباً
- بل قطعيّاً
ساحاولُ في عينيكِ وأنحلُّ جزافيّاً

•••

ياوجهَ صباباتَ إليَّ إليّْ
زِدْ زِنةَ الحزنِ بعينيّْ
ياوجهَ صباباتَ تعالَ تعالْ
جِدْ لِي انشودةَ عشقٍ .. وسؤالْ
ياوجهَ صباباتَ هَلُمَّ هلُمّْ
لِدْني في الأسطورةِ ثُم أمِتْني في الحُلمْ

مَا أحْببتُك قطُّ
فما بالِي الآنَ أُناجيكِ ولستُ أُناجَيُ منكِ ؟

على الشّحطِ أُناديكِ ولستُ أُنادَى منكِ ؟(١)
تعاليْ : أُلبسكِ الحالَ اللاّمرئيّ وأكسوكِ
تعاليْ : أعرُوكِ(٢)

•••

سَأُذكِرُكِ وأُنسيكِ
وأُظهِرُكِ وأُخفيكِ
تعاليْ : أفنيْ فيكِ ولا أُفنيكِ
ولا أُعطيْ منكِ وأُعطيكِ
تَعاليْ .. سَأُريكِ وأَستريكِ
وأُهديكِ وأستهديكِ
تعاليْ .. سَأُحَيّيكِ وأستحييك
وأُصفيكِ وأستصفيكِ
تَعاليْ سأُغنّيكِ
وأنسخُ بالشّعرِ معانيكِ
تعَالي .. سأمنّيكِ
وأمـلأُ بالعطرِ أوانيك

تعاليْ : أُغنِيـكِ وأُدْنيكِ
وَافنيْ فيـكِ ، تعاليْ بأمانيـكِ
تعاليْ بحَكَايـاكِ وحُلو أغانيـكِ
تعالي بتَوارِيـخِ شجَـاكِ
سَـألعَبُ فوق الشـطّ وإيـّاكِ
تعاليْ بخطايـاكِ .. سأهْـوَاكِ
وأرسِـمُ فـوق الرّمـلِ مُحيـّاكِ
تعاليْ .. سَأجـرّبُ عينيـكِ اللّيْلكَتيْنِ
تعاليْ .. ستجـرّبُني عيْنـاكِ
فَلا عاشِـقَ في هذا الزّمنِ الآبِـقِ إلاّيَ
ولا معشُوقَـةَ إلاّكِ
سَـأهْواكِ واهـواكِ واهـواكْ
يَـا وجْهَ صباباتَ إليّ وَزدْ
يـا وجْهَ صَبابات تعالَ وَجِدْ
يـا وجهَ صباباتَ هَلُمّ وَلِـدْ

• • •

مازلتُ أُناديكِ على المـلأ :
تعاليْ كالرّشَـا
تعاليْ كاللّيْـلَكِ أو كالْكَـلأ
تعالي كالحُمّى الإفريقيـّةِ
أو كالحَمَـأ
سآخُذُكِ إلى الرّيّ من الظمَأ
تعـاليْ :
تِي مَملكةُ العشقِ تُناديـنَـا(٣)
فتعاليْ نَمْتلِكُ ونتّـرِكُ
وَتي مَعركةُ الشوقِ تُواتينـا
فتعاليْ نعتـرِكُ ونَشتبكُ
تعالي نعرف في الحبّ جَنانيْنَا
أيْ نعتـرفُ

تعالىْ نَصِـفُ الحبّ لذاتيْنَـا
أيْ نتّصِـفُ
تعاليْ نـعْتكِفُ
فلا عاشـقَ في هذا الزمَـنِ الآبقِ إلاّيَ
ولا إلاكِ الهدفُ
تعاليْ :
قد نَقِفُ ونقْتطِفُ ونأتلفُ ونختَلِفُ ..



يَـا وجْهَ صبابـاتَ إليّ إليّ
زِدْ زِنـةَ الحـزنِ بعينيّ
يـا وجْهَ صبابـاتَ تعالَ تعالْ
جِدْ لي أُنشودةَ عشقٍ وسؤالْ
يـا وجه صبابـاتَ هـلمّ هلمّ
لِدْني في الأُسطورةِ ثم أمِتني فى الحُلمْ
يـا وجهَ صبابـات إليّ وزدْ
يـا وجه صبابات تعالَ وجدْ
يـا وجه صبابـات هلمّ ولدْ
زدْ
جدْ
لِدْ

### هوامش

(١) الشحط : البعد ، وكذلك الشحوط ، قال النابغة الذبياني :
فكل قرينة ومقر إلف مفارقه الى الشحط القرين

(٢) اعروك : يقال عراه الشوق ، اي الم به واصابه ، وكذلك : اعتراه .

(٣) تي : اسم اشارة للمفردة المؤنثة ، وكـذلك ذى وذه وتـا .

# الوجه الآخر

قصة بقلم: كلثم جبر

مهداه للدكتور « كمال آغا ». الاستاذ بجامعة قطر « مبدع الفكرة الأساسية بهذه القصة ».

(١)

من خلف المرايا المتداخلة واجهت وجهاً آخر لا انتمي إليه ... يسكن مدينة اخرى لم تطاها قدماي يوماً ما .. جدرانها زجاج .. وحجارتها بللورية تتزحلق فوقهما قدماي فاسقط مترنحة متهاوية المرة تلو الأخرى ورغم ذلك لم تطاها قدماي قبل ذلك ...

مددت يدأ مرتجفة احاول القبض على تلك الملامح المتجمدة المتعفنة اشدها الى حيث اقيم ولكن نداء آخر ياتي من خلف الضباب يداعب الاحلام الوردية بمخيلتي ويزرع نبتة أمل من مواسمي الجافة .. فانكفىء فوق وجهي الآخر .. وابكي حزناً متراكماً .

(٢)

الوجوه من حولي تبتسم بشماتة غريبة ...

ووجهي الآخر يقبع بينهم ملفعاً بالياس صامتاً .. ينتظر .. عينان تبزغان .. طال الحنين اليها .. إطلالتهما رشفة باردة تندى .. أرضاً جافة تطلب الغيث .. هذا الصمت يحرك مرثية رذاذ الدورق. مرسومة هذه المرثية بالذاكرة. خطت باحرف من نار .. !

خطواتي كتل جليدية تلتصق بالأرض حيناً وتتزحلق وانا اجاهد مترنحة أن اخطو اكثر وأمد يداً مرتعدة الى خالتي ...

ـ كيف انت ياابنتي .. ؟

هززت رأسي بالايجاب .. مدت خالتي يدين. عانقت وجهي الآخر قطرات حارة اشعر بها فوق صفحته .. نهجت خالتي كثيراً وضمتني الى صدرها طويلا وهمست بحزن ...

ـ سلامتك ياابنتي !

يداها ودعت وجهي وجسدي وغادرتا مع قدميها منزلي وتركت السؤال معلقاً فوق شفتي يستصرخ الحزن عن وجه طال الحنين إليه عيناه بعد تحولي من حضنها اتجهتا الى مباشرة .. تلك العينان اللتان احفظهما عن ظهر قلب حينما يحدق من فيها فوق وجهي ويهمس بعمق أعيشه .. « عيناك ووجهك مملكتي أرتع فيهما اقدس وجهك كثدي والدتي حينما كنت طفلا . عيناك نبع أرتشف قطراته حليباً دافئاً كحليب أمي .»

اين عيناه اليوم ياخالتي .. ؟

قدماه دبيب صداه يقرع طبول الحزن بداخلي بعدما كان يقرع اجراس الفرح وثوبي الأبيض يستصرخ شفتيها كعيني الغائمتين وراء ضباب الأسى وينعي وجوده بين بقية الأثواب الأخرى .. وجوده بدولابي بارد أيعني أنوثة هادرة تفتتت تحت قدمي .. وباتت حلماً يراود أمسياتي القرميدية . « في الذاكرة .. يمتزج الثوب الأبيض والأدثرة البيضاء الضمادات البيضاء .. وصدى الصوت الهادر المتلفع بالبياض من خلف زجاج نظارته يطل على « الطبيب » بنظرة جامدة لا تحوى شيئاً يلقي كلمات مدروسة احفظها جيداً » ..

« ـ الحقيقة ابنتي .. واقع يمارسه الانسان المؤمن . وانت فتاة مؤمنة مثقفة تدركين جيد اما يعني الايمان بالقضاء والقدر وقدرك ابنتي ان تصابي بهذه الحروق .. ولكن الأمل متواجد طالما أن الفرد يملك المقدرة على اجتياز أية عقبة . »

(٣)

اليوم استمع الى الأصوات المتقطعة وانقاد بخطوات احسبها واثقة .. أحسد نفسي عليها .. واحسب انني شيء متحرك أ ينقاد بقوة عجيبة خلف الكلمات المتداخلة يحاول اثبات شيء ما وهو القدرة على اجتياز العقبات ولكن هيهات لهذه الأقدام الثابتة ان تسير في هذه الاروقة ثانية كما كانت من قبل تحمل وجهاً فاتناً مليئاً بالأمل .. ولكن اليوم احمل وجهاً آخر اجتاز به السيقان المتلاصقة والعيون الهادرة الضاحكة والباب الزجاجي واتوجه الى « معمل الكيمياء » في الكلية .. حيث صدى الكلمات تنبثق من خلف الباب المغلق والرائحة الحمضية تتسلل بهدوء عجيب فتلتصق بثيابي قبل ان ادير مقبض الباب لأدخـل ..

قدماي تخلتا عن ثباتهما وباتتا ترتجفان اشعر بهما ترتجفان . احاول ايقاف هدير الرعدة باعماقي . « المعمل » ورائحته يد اخطبوطية تمتد تضغط على عنقي من خلف الباب المغلق تخنقني .. « ومرثية الدورق » ورذاذه المغلي المتناثر فوق وجهي يتجسد بذهني صورة بشعة تمد انيابها تصرخ بي فارتجف واحس بغليانه حارقاً فوق وجهي واهوي بين الطالبات صارخة ...

ـ « وجهي .. انقذوا وجهي فانا لا املك وجهاً آخر غيره » .. الرائحة القوية المنبثقة من داخل المعمل ووجه استاذي الذي بزغ من خلف الباب المغلق أطاحت بالمرثية من ذهني وأعادتني الى واقع وجهي الآخر .. وابتسامة استاذي العريضة هزتني من كابوسي المخيف واقترب مني بوجه دافىء حتضن يدي وهمس بصدق

ـ الحمد لله على سلامتك .

(٤)

ـ أود كوباً من الشاي !

فرحت امي .. وضحك ابى .. وتنهدت اختى براحة عجيبة انطلق هذا الطلب كطلقة مدفع عمت بالفرح أرجاء المنزل ، بكت أمى .. عانقها ابى .. وهمس بحب وهو يتجه إلي ...

ـ أريدك دوما ناطقة مستبشرة .

اشعر كان ثقلا يجثم فوق صدرى واحاول الإبتسام جاهدة حتى يعم الفرح منزلى والصوت القوى ياتينى احس به باعماقى مترددا ..

– ابنتى هل ستاتين معنا فى منزل خالتك ؟

– سافعل .

تجهم وجه امى وانذر بالبكاء والقت نظرة مليئة باللوم على شفتي ابي لكزته بعنف وقادته الى الداخل بعيداً عن مسامعي ...

الحلم بالعينين .. ومرئية الدورق .. والامل .. و ...

ونهضت واقفة متجهة الى غرفتى .. دولابى .. انتقى ثوبا للعشاء اذهب به وابى الى منزل خالتى .

«٥»

اتشبث بذراع ابى بخوف عجيب ... قدماى لم اعد اشعر بهما انى احلق فوق عالم اخر لا اتواجد به .. عيناى غامتا وراء حزن ضبابى .. شلال من الدمع بداخلى اود بكاءه عمرى كله .. اعلم انى ضعيفة وخائفة حتى الموت .. والمواجهة فى حد ذاتها تقتلنى ..

وجه خالتى حزين جداً .. اعرفه جيداً .. يدها المرتجفة احسها ... صدى كلماتها مطارق تهوى بداخلى ...

– مرحباً ابنتى تفضلى .. !

هذا الفزع الذى اغتالها لحظة تواجدى لم تتوقعه اعلم ان عينيها لم تتوقعا تواجدى هنا وبنفس اللحظة والمكان الذى يتواجد ابنها فيه ولكنه قدرى فكيف أهرب منه ... وعلي ان اضع حلا لثوبى الأبيض المستصرخ انوثتى بين الأثواب الأخرى . خطواتها تزتجف كخطواتى ... تقودنى وابى للداخل . تنحنى حتى تلامس المقعد وقطرات من العرق ترشح من خلال جبهتها المعروقة .. تهمس بحشرجة ..

– سادعو احمد .

اتشبث اكثر بيد والدى .. انكسرت نظراتى وانا استمع لخطواته القوية التى تطرق الأرض وجله خطواته كخطواتى ووالدته . مد يداً مرتجفة لا تكاد تلامس يدى حتى سحبها ثانية .. همس ونظراته الزائغة ..

– الحمد لله على سلامتك .

«٦»

زغردت والدتى .. وبكت .. وعانقتنى .. ونفحت الخدم نقوداً .. طلبت نثر الزهور فوق المقاعد وخلفها .. وفتح النوافذ واجابت على تساؤلات الأفواه الفاغرة ...

– ابنتى .. سوف تتزوج ابن خالتها. احمد عاد وطلبها ثانية بعد الحادثة .. ابنتى ..

وتواريت قبل سماع البقية فقد كنت اعرفها جيداً وهاتان العينان اللتان احلم بهما فى امسياتي المسهدة باتتا اشد اقترابا سوف يحتوينى وهما منزل اخر نقبع به كما كنا نحلم دائماً .. سوف .. ناتي باطفال جميلي الطلعة واسعي العيون .. سوف .. و .. ألف سوف باتت قريبة جداً .. جداً ...

ولكن .. ؟؟

و .. ثوبى لن يستصرخ انوثتى بعد اليوم فسوف يستقر فوق جسدى بعد ايام .. واجراس الفرح ستبعد قرع طبول الحزن بداخلى وطبول الفرح سوف تقرع فى منزلى يوم زفافى ...

ستعانق اصابعى يديه .. وسابكى على كتفه واهمس له ...

(احبك كما كنت دائماً)

ولكن .. ؟؟

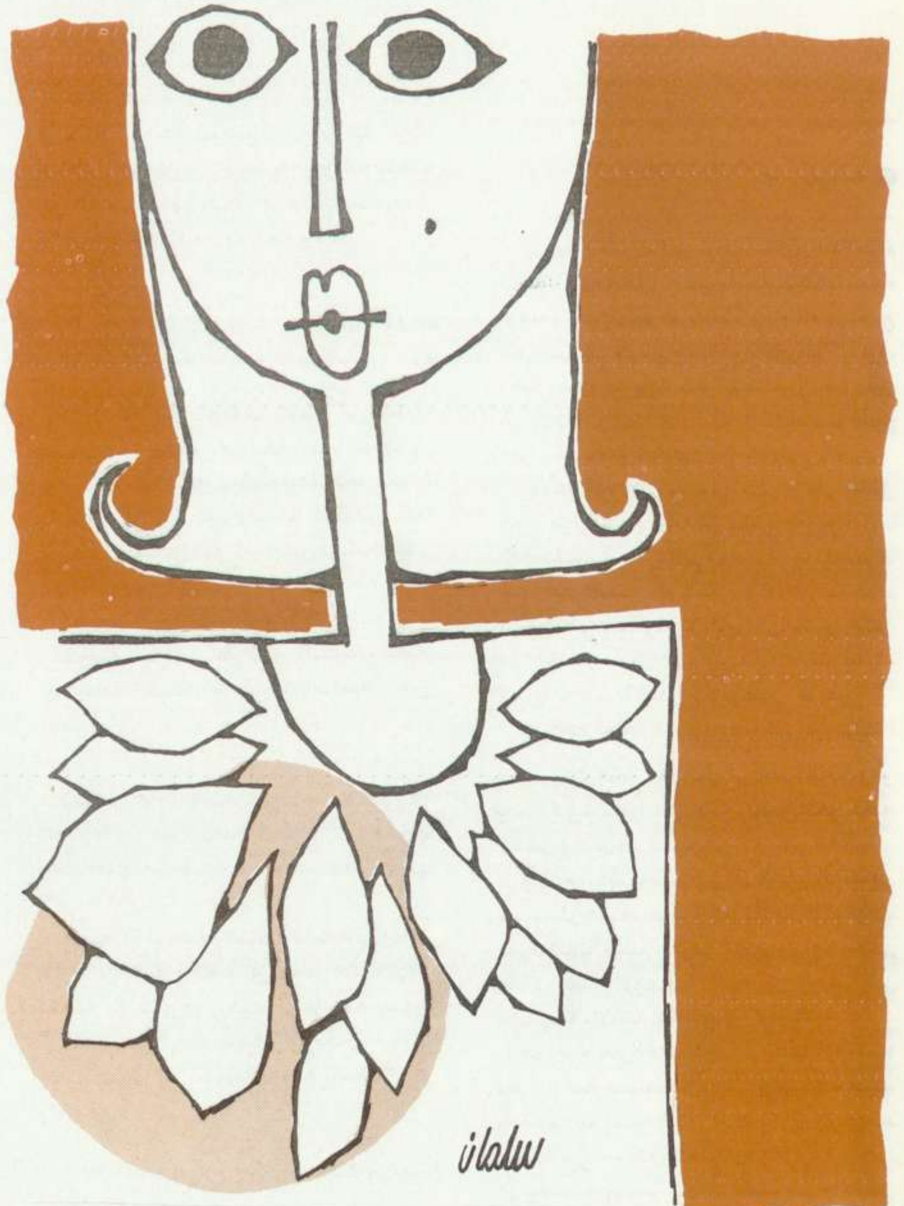
سوف ينسى قصة وجهى المحروق .. ويهمس ثانية (وجهك مملكتى ارتع فيها اقدسه كقدى أمى حينما كنت طفلا) .

ولكن .. ؟؟

يداى تفتحان الدولاب .. تخرجان الثوب الأبيض .. تجره يدى على الأرض يجتاز الباب .. الأبواب .. يقف امام والدتى متعجرفا .. جميلا .. نقيا .. كما كنت سابقاً ...

اتناول بهدوء عود الثقاب من حضن والدى .. اشعله .. اقربه من الثوب اللهب يعلق به .. يحترق ببطء .. تدهش العيون .. يشتعل الثوب .. تصرخ الافواه .. يشتعل الثوب .. ينتشل من يدى .. يطفا من قبل ايد اخرى تحيط به .. اهمس بحزن ..

– لن اتزوج .. امى .. فانا لا املك وجها يعرفه احمد .. انه يخاف وجهى اليوم .. وانا أمى .. اعتز بهذا الوجه الآخر .




«كلثم جبر»

# محمد عبد الملك

## في مجموعته القصصية الثالثة

بقلم: عبد الله خليفة



محمد عبد الملك .. قصصه ليست بعيدة عن هموم الناس ولكنها لا تتضمن ابعــادا عميقــة !

● «ثقوب فى رئة المدينة» هى المجموعة القصصية الثالثة التى صدرت للقاص والروائى البحرينى محمد عبد الملك . وهذه المجموعة ربما كانت لا تمثل تطوراً فى مسار الكاتب القصصى ، وربما كانت تاكيداً لحضوره الأدبى الدائم فى ساحة القصة البحرينية الجديدة فحسب ، ولكن مرورها فى هذه الصحراء النقدية المخيفة يمثل تقاعساً من المهتمين بالأدب فى مناقشة ظاهرة جديرة بالتحليل والرصد .

إننا لن نناقش كل أعمال الكاتب الأدبية ، وحتى لن نحلل المجموعة من كافة زواياها ، بل سنختار زاوية صغيرة نطل فيها على هذه القصص ، محاولين من خلال هذه الزاوية أن نلقى نظرة شمولية على إبداع الكاتب المتجسد فيها .

ثمة تفاصيل كثيرة ، ولكننا سنحاول أن نكتشف قانون الظاهرة الأدبية ، لأنه فقط ببحث الجوهرى والأساسى يمكن ترتيب كل الجوانب الثانوية والصغيرة الأخرى . وباكتشاف التناقض العميق السائد فى المجموعة يمكننا أن نرى جوهر المشكلة الابداعية المتجسمة فى هذا العمل ، وأن نرى أن ثمة آفاق لحلها ، وليس كما قال أحد النقاد عن ابداع محمد عبد الملك انه وصل الى مرحلة الجمود والتكلس ، فقط لأنه لم يجر وراء الشعارات البراقة للشكلية ، وقد ظلت تشده جذوره الراسخة فى أرضه ، ورغبته الحارة فى التعبير عن قضايا مجتمعه .

سوف نتناول كيفية تشكيل الكاتب لشخصيته الفنية ، باعتبارها قضية محورية ، منطلقين منها الى الرؤية الفكرية التى ساهمت بتشكيل المادة الخام على هذا النحو . وسنرى أنه تشكيل يقع فى تعرجات وانكسارات سببها البحث عن الوجه المعبر والحقيقى للانسان . وقد تكون هذه الصيغة أو تلك مجرد محطات للوصول الى أقرب تمثل للوجه البشرى ، وقد تكون حيرة ومساراً عفوياً لم يخضع لنور الوعى الساطع . ولكنه فى كلا الحالتين يمثل هجس الفنان الدائم لاكتشاف واقعه .

### ● القديم ●

أغلب قصص المجموعة تنتمى الى أسلوب سابق اتبعه القاص فى مجموعتيه السابقتين بوفرة ، وهذا الأسلوب يتسم بخصائص محددة أغلبها تعيق من تطويره لبنائه القصصى . هذا الأسلوب عبارة عن صورة لشخص ما ، تتخذ نفس أبعادها ومقاييسها فى الحياة .

وهذه القصص هى :

الرحلة ، الفزاعة ، آخر العمر ، الكارثة ، اللقمة ، تحت سماء المدينة ، ذو الضحكة الذهبية ، الحزن الأخرس .

نجد أن هذه القصص تاخذ حيزاً كبيراً فى المجموعة . فهى السائدة كمياً ، وأسلوبها وخصائصها هى البارزة فى ابداع الكاتب . انها

ليست بعيدة عن هموم الناس وقضاياهم ، ولكنها عبارة عن صور وثائقية عن بعض مشكلاتهم ، منتزعة من جذورها الحية ، ومطروحة بصورة عادية لا تتضمن أبعاداً عميقة ، ولا تحمل اضاءات وظلالا كثيرة ، فهى تتسم بالجمود والضعف الفنى والفكرى .

علينا الآن أن نقوم بمناقشة أمثلة من هذه القصص .

### ● الفزاعة ●

فى هذه الصورة يقدم المؤلف مسحاً شاملا لحياة البطل . ملف وثائقى يتناول أسباب وكيفية نشوء مرضه النفسى . فقد شب ونشا واستقام عوده مع أمه ، التى كانت كل شىء له . وهو مذعور منذ البداية . وحين تموت أمه يزداد ذعره وهلعه . وهكذا عاش بين الأحياء والأموات ، يشكو من كل شىء ، وجميع أجزاء جسمه تؤلمه .

وتمضى الصورة فى السرد ، الى أن يقرأ البطل خبراً هز كيانه ، فقد قرأ خبراً بوصول أحد الأخصائيين فى الأمراض الباطنية ، وهنا استعاد قدرته على التفكير مثل البشر ، وكف عن استخدام الأدوية ، ، وبدأ يفكر فى الذهاب الى الدكتور ، ولكن هذا التفكير تحول الى التردد والاكتفاء بشراء الجريدة التى تتضمن خبر وصول الدكتور .

ثم يقطع الكاتب السرد ، ويقدم خبراً من جريدة ، يتضمن قيام البطل بالدخول الى أحد الفنادق وهو يحمل أدوية كثيرة لكن خدم الفندق ألقوا عليه القبض وأحيل الى مستشفى الأمراض العقلية .

ويتابع الكاتب وضعه فى المستشفى ، ثم ننتقل بعدئذ الى حالته بعد خروجه . لقد ظل كل سنوات عمره التالية كئيباً ، غريباً ، مذعوراً . ولا يكتفى الكاتب بهذه الأوصاف العامة بل ينطلق الى تجسيدها بالأمثلة والتفاصيل الدقيقة .

ثم يعرج على ذهابه للوظيفة وكيف هرب منها بعد أن صار مضغة للأفواه ، وهدفاً للسخرية والضرب . ثم أصبح شعور الموت يلازمه ، ويتجسد له فى كل شىء ، فانفجرت مشاعره وأمراضه ، وأحب أن يستسلم ويشعر بالأمان فاسترخى وأغمض

عينيه وافترض الموت ، فالعالم يموت ، والحارة تموت . وقد مات فعلا .

هذه هى القصة ، عبارة عن ملف قصير عن إنسان ما ، القاص يتتبع كل الجزئيات وينطلق فى سرد لا قيمة له . لم يصغ حدثا ملتهبا ، جعل البطل فى محوره ، بل قدم سيرة عنه فتتبعه منذ ولادته الى وفاته . ورغم هذا التتبع الطويل فالبطل ليست له أية جوانب أخرى ، غير هـذا الجانب النفسى البحت ، بل هو يتركز فى عاطفة واحدة لا يكاد يخرج منها . «إنسان» لا يحمل فى ذاته أية دلالات أكبر من هذا الواقع النفسى المباشر والمحدود .

وهو ليس انسانا أو شخصية فنية ، لأن الشخصية الفنية ، فى القصة القصيرة ، لابد لها من انتقاء الهام والمؤثر فى بنائها ، وليس كل هذه التفصيلات السقيمة ، ولابد من رؤيتها فى حدث ساخن يكشف نوعيتها ، بايجاز ولمحات فنية كاشفة أما هذا السرد عن حياتها كلها فهو موضوع وليس قصة .

## ● الكارثة ●

حكاية «الكارثة» صورة أخرى ومباشرة لحدث آخر ، ربما كان فظيعا ولكن الطريقة العادية الفوتغرافية جمدت الحدث ولم تتغلغل فيه . الكاتب يستخدم أسلوب الاثارة منذ البداية .

المرض فى أقصى لحظات الذهول والدكتور أصيب بدهشة ، وكان سبب ذهولهما هو انطلاق صرخات وأصوات غريبة تندفع من زوايا البهو الخفية . هذه الأصوات كانت نباح كلب أثارت فزعا حقيقيا فتجمهر جمع من المرضى والممرضات والأطباء مذهولين ، واستمر الدكتور حائرا ، ومضى المؤلف فى الضرب على وتر الفزع والدهشة فى تطويل وتكرار مملين ، الى أن تتضح الصورة ، ويدخل الجسم الغريب سائرا على أربع مجتازا المسافة الفاصلة بين البهو وغرفة العيادة . انه رجل ذو حواجب طويلة ، وشعر طويل أشعث ، وهيئة قذرة ويمضى الكاتب فى رصف التفاصيل الصغيرة ، واحداث جو من التساؤل والاستغراب الذى لا ينجح بسبب كثرة الالحاح ، وتنكشف حالة الرجل ـ الكلب من خلال حديث الأخ الأكبر ، الذى يقوم بذكر تاريخ الحالة هذا الكلب كان انسانا يوما ما . كان فى الثلاثين ، قبيحا ، مكروها من النساء ، وقد راح يحبو على أربع مع الكلاب خارج المزرعة ، وحين اندمج فى الجماعة الحيوانية تعرض لضرب أخيه ، وفقد النطق ـ أيضا ـ حين شاهد عاملا يعمل معه يسقط من مرتفع . وجىء به أخيرا الى هذا المستشفى كى يمنح الحرية فى عالم المجانين ، كما قال الدكتور .

الصـــورة الفوتغرافيـــة ذات العناصر الميلودرامية لم تتوهج بحرارة الحياة ، فقد صارت نقلا مباشرا . لم يتحول الأبطال المصورون فيه الى نماذج قوية ، حية ، فقد نقلوا آليا من الواقع ، دون اعادة الخلق .

البطل له مشكلة خاصة ، ووضع محدد ، غير أننا نجهل تكوينه النفسى العميق ، الذى هو وحده يجعله شخصية حية . اننا عرفناه كحالة ، شخصية من الخارج . لأن الكاتب اختار لحظة فقدانه الوعى ليتكلم عنه ، وحينئذ ، فى جو الاستعراض السائد فى القصة ، لم نقابله . ان تشكيل القصة بهذه الصورة أدى الى التركيز على غرابة الحادث وصار الدكتور والممرضون والأخ أدوات لخلق هذا الموقف غير المفيد فنيا . فكل هذا التصميم الهش لم يكشف «الانسان» . بقى كل ذلك زخرفة وديكورا خارجيا لأنه خارج بؤرة الحدث الحقيقى .

ليس مهما جلبه الى مستشفى وإثارة كل هذه الجلبة ، المهم هو اكتشاف لقطة أخرى هامة وحاسمة تكشف القاع الذى وصل اليه البطل . وهذه اللقطة ستكون قبل أن يفقد وعيه ، فى أثناء صراعه مع عوامل الظلام والجنون ، لقطة ربما كانت صغيرة وبلا نباح مستمر ودكتور ذاهل ، لكنها ستتغلغل فى تكوينه النفسى وصراعه . حينئذ تترتب الجزئيات بشكل آخر ، لها ظلال تقربه من الجنون ، ولها ظلال تكشف واقعه ، ولها ظلال تكشف مقاومته وصراعه ضد الجنون والواقع المرير ، ولن يكتفى الكاتب فى هذا التشكيل بالواقع المباشر بل سوف يعيد تكوين البطل والواقع تماما .

فى القصتين الســـابقتين نرى البطلين الرئيسيين فى مستوى متدن تماما ، فكلاهما مريض ، ولم تكن لهما أية قدرات خلاقة ، متحددان فى شىء ضيق خاص ، سلبيان ، لا نجد فيهما ملامح العلاقات الاجتماعية التى كونتهما ، ولا يحملان أية صفات عامة .

## ● الرحلة ●

وملامح «مرجان السعيد» تبدو غامضة أيضا فى هذه القصة ، صحيح أننا نرى قامته الافريقية الطويلة ، وسحنة وجهه المغبرة الأبنوســـية ، ولحيته البيضاء ، وطوله ، ونظراته . إلا أننا لم نقترب من أعماقه ، تبدو صورته من بعيد ، يتحدث عن شخص لا نعرفه ، وهو الراوى الدائم الحضور ، أى القصاص نفسه ، الذى يستقى أخباره وحكاياته من أحاديث الناس ، فيتحول الى ضمير جماعى مبهم ، يفتقد المبررات الفنية لوجوده . إن مرجان السعيد يظل شخصية غامضة ، ليس بسبب صمته فحسب ، بل لطريقة نظرة الكاتب اليه . فهو مادة خام ، لم يعالج معالجة فنية مبتكرة ، تكسر هذه العزلة التى يعيشها عن القارىء ، كما يعيشها عن أهل حارته .

تفاصيل الوجه عديدة ، وعاداته المختلفة أكثر ، ولا يكتفى القاص بذلك بل يقحم شخصية بدران الحسينى كراوية للحدث الرئيسى فى القصة . البداية كانت الضمير الفردى ـ الجماعى الذى يروى الحكايات ويعرف التفاصيل الدقيقة عن الحارة ، ثم يظهر بدران الحسينى كراوية آخر ومحدد للحكاية . إن هذه الجزئية تبدو كاقتحام ونتوء فى البنية الفنية لأننا يجب أن نرى الحكاية منذ البداية من خلال عدسة هذا الراوية الشعبى حتى تحدث الوحدة العضوية للبناء . اننا عبر بدران ، الشخصية الفنية الجديدة يجب أن نرى البطل ، ملامحه ، أعماقه ، وعبر هذه الرؤية سنلمح كيفية رؤية الراوى للحدث ، فنكتشف نوعيته أيضا لتظهر حينئذ علاقة حية بين الشخصيتين ، ويتحول الراوى من مشجب يروى على لسانه الحدث ، الى شخصية مشاركة فى البنية الفنية المتكاملة .

الكاتب يحول القصة الى سرد لتاريخ حياة ، فى الوقت الذى يجب أن تساهم التفاصيل الصغيرة والاسترجاعات الزمنية فى القاء الضوء على الحدث البؤرة . بهذا التركيز وبعدم تفريغ الشخصية من جذورها الاجتماعية ، من الممكن أن نلتقى بشخصية حية وقصة عميقة .

إن مرجان السعيد يفتقد هذا التركيز . إن القصة مكونة من حدثين رئيسيين . الأول هو لحظة انقاذه للبحار الآخر من براثن الموت وأنياب النوخذا وهى لحظة مفعمة بالشجاعة والبطولة الفردية . والحدث الثانى هو رحلته الى الشمال وانضمامه الى الجيش الحلفاء واحتفاظه برصاصة فى صدره من الحرب وهى لحظة أخرى لا تضيف شيئا الى الحكاية الأولى . ومن الممكن أن تضاف اليها عشرات الجزئيات الأخرى ، وتظل هذه الاضافات مجرد تراكم لا يضيف شيئا الى ملامح الشخصية ، مع افتقاد الحدث .. البؤرة . بالاضافة الى أن هذا التراكم يسلب القصة القصيرة طابعها النوعى ، ويحيلها الى الريبورتاج أو التاريخ أو أى شىء آخر .

إن اللحظة الرئيسية ، وهى لحظة «الغوص» هى فقط التى تعطينا الخيوط الرئيسية كلها . وكان من المفترض أن تأتى التفاصيل والجزئيات لتعطيها سطوعا وبريقا ، ومن خلال تعبيرات الراوية ، لتتركز كلها حول الحدث والشخصية ونموهما .

والبطل أيضا ، انسان لم يتوضح توجهه الاجتماعى كذلك . فهو فى غمرة فعل سريع مفاجىء ، لم نتحسس نموه وتشكله ، ينقذ البحار ويجبر النواخذا على الاستجابة لطلب العودة الى البر .

# محمد عبد الملك

## في مجموعته القصصية الثالثة

في الوقت الذي يقف فيه البحارة الآخرون عاجزين عن الفعل . إن هذه البطولة الفردية لم تتطور الى شيء آخر أنضج ، فالكاتب يقود بطله الى ممر آخر ، ليس فيه نمو للفكرة والحدث ، ونجهل دواعيه ومبرراته .

إن عرض الجزئيات لم يستند الى رؤية ترصفها بشكل معين وخاص ، لتجسد وتخلق بلحم ودم رؤية فكرية عميقة الى الحياة .

نستنتج من ذلك خلل البنية الفنية وتضارب عناصرها ، مما أدى الى عدم خلق الشخصية .

### ● اللقمة ●

الوصف الطبيعي في هذه القصة لا يأتي تمهيداً للحدث ، ولا يلعب دوراً في تنمية الحدث أو الشخصية ، فهو ليس من صلب البنية ، لهذا يأتي خارج وعي الشخصية ، فلا يكشف لنا المؤلف عن نظرة هؤلاء البشر الى الطبيعة ، انه وصفه هو ، وهو وصف خارج نيران الحدث .

إذ الوصف الطبيعي والذكريات والحدث الآني لا تتمازج جدلياً ، ان كل عنصر يقف في مكانه المحدد ، غير قادر على التفاعل المشترك ، لتكوين البنية الحديثة للقصة القصيرة .

إن مرزوق ، البطل ، لا يكاد يرى إلا اللوح الخشبي الذي يسير فوقه وهو يحمل كيس الرز الثقيل لتوصيله الى الرصيف . وعندما يهتز هزات عنيفة ويندفع في انحناءة مفاجئة الى الأمام ، تتركز كل حركته من أجل أن يصل الى الرصيف .الحمالون يدعونه بحماس الى القاء الكيس في البحر ولكنه يصمم على الوصول الى هدفه .

ويقطع المؤلف الحدث ، ويجمد مرزوق عند نقطته الدرامية تلك ، ليؤرخ لحياته . مقدماً كلمات عامة عن تاريخه . ان العودة الى الماضي لا تأتي من خلال وعيه ، فهي لا تلون اللحظة المأزومة ، معطية إياها أبعاداً وأعماقاً ، متفاعلة مع الحدث الآني ، والطبيعة والبحر والسفن والبشر ، بل هي قطع غير جدلي ، تعبر عن رؤية سكونية لكل هذه العناصر .

ثم يعود الكاتب للحدث . ويستمر مرزوق في التحدي ، ان نظرات الفزع تحيط به ، وينطلق صوت من الحشد ينبيء بانه لن يصل الى الأرض حياً ، عندئذ يقف مرزوق ويلقي نظرة تحد ويستمر . ويبدو البطل تحت وطأة الاهتزاز كأنه شجرة عزلاء تغزوها ريح عاصفة .ولكنه يصل . فترتفع الاصوات ضاجة بالتحية ، وترمى أغطية الرؤوس في الهواء بفرح . وهنا يقرر المؤلف : ولكن مرزوق لم يعد فتى ، لقد سلبته الحياة كل شيء . ان مثل هذه الجمل إضافات غريبة على البنية الفنية ، إن المؤلف أمام الانتصار الصعب الذي أحدثه مرزوق يجد نفسه مدفوعاً لتقرير النتيجة الحقيقية للحدث ، عوضاً من أن تأتي هذه النتيجة من خلال الحدث نفسه .

وبالفعل يحس الحمال العجوز بالانطفاء . ويظل الحمالون يشيعونه بنظرة وداع أخيرة .

البطل شخصية فردية ، يحيا حياته بتفاعل ضئيل مع الآخرين ، فيبقى وحيداً في صراعه مع الحياة . ان هذه العزلة الغريبة تعكس التجـزؤ والانفصال في رؤية الكاتب . لقد التقطت هذه الرؤية الحدث ، ولم تنمه بماض خلاق ، تركزت حول اللحظة الصغيرة وحول مرزوق الى شخص بلا علاقات حميمة مع الآخرين ، وحتماً توصل هذه النظرة الى بقائه وحده .

### ● تحت سماء المدينة ●

**نجـــد الوصف يتسع في هـذه القصة ،** ولا يكون الكاتب حدثاً ساخناً تنهمر الدلالات من خلاله . انها صورة بحار ابتعد عن البحر ، والقسم الأعظم من هذه الصورة هو في تفصيل أسباب هذا الابتعاد وأسباب التالف السابق .

نحن نطل على البطل من خلال الضمير الجماعي المتغلغل دائماً في الحارة ، فقد كنا نراه واقفاً والشراع فوق صدر القارب وهو يتوغل في سواد الليل أو تحت ضوء القمر ، ومع خيوط الضوء الأولى عند الفجر . وكان الكثيرون من الرجال قد ذابوا في المدينة وتناثروا في المباني الكثيرة ، وارتدوا ملابس غير ملابسهم ولكن بقي جبران الى أن غدر البحر . اننا لا نعرف الصورة الحقيقية لهذا الغدر ، غير أن جبران انتزع بقوة قدرية غامضة ، فامتصته المدينة وبدأ رحلته نحوها .

لا نجد الحادثة المتنامية المبنية بناء فنياً بل نجد صورة عادية لرجل تغيرت مهنته السابقة ثم اتجه الى عمل آخر ، فاتجه الى المكاتب ورأى الات لا يعرفها ، وجلس على مقعد لأول مرة في حياته ! وانضم الى شركة مقاولات فاصبح عاملا . وكان الضمير الجماعي ينتظره ، انهم يتخوفون من تحوله الى شخص يلبس البدلة الكاكية ، وحين يغدو عاملا يغمرهم شعور بالنشوة وتمتد قاماتهم عالياً .

إن هذه الصورة البسيطة ـ ككل الصور ـ بعيدة عن البنية القصصية ، فالحدث المطول عن علاقة جبران بالبحر قاد القصة الى التاريخ .لم يضع الكاتب البطل وجهاً لوجه مع الواقع ، لم يشكله في الحدث ، قام بسرد عام عنه ، وككل الأبطال الذين من هذا النوع لم نتعرف على ملامحه النفسية ، على تعبيراته الخاصة ، على هواجسه وطموحاته ، بدا بعيداً ، بدا كصدى باهت لمشكلة اجتماعية معينة ، دون أن يكون شخصية حقيقية .

ان هذا التشكيل الاخباري الوثائقي يعدم الشخصية تماماً كالتحليل المجرد أو السريالي الغرائبي الذي لا يعتني بالملموس والخاص .

البطل يواجه المدينة عامة ، يواجهها كشيء مجرد ، كقوة غير مفهومة ومطلقة . انه فرد وحيد يواجه تغيرات اقتصادية واجتماعية غير معروفة لدية . صحيح ان الضمير يعضده ، ويتعاطف معه ، لكنه تعاطف خارجي ، غير نابع من العلاقات الداخلية في القصة .

« والوعي » الذي « يمتلكه » جبران لا ينمو ، لا تتكشف له المدينة على حقيقتها ، لا يدرك القوى السائدة فيها ، لا يلمح القوى التي تقف معه . هو فرد مفرغ من التجربة الخصوصية والنظرة والموقف .

الأسلوب الاخباري الوثائقي غير قادر على اكتشاف اعماق الشخصية وخصوصياتها ، اسلوب يقف عند الخارج ، ولا يتوغل في المادة البشرية الساخنة . والجمل الشاعرية الجميلة حين ترفرف في هذا الاسلوب ، لا تساعد على الاغناء . بل على العكس ، تجعل القفز على الحدث المتطور أمراً هيناً . إن كل كلمة ، منذ البداية ، يجب أن ترصد الحدث والبطل في تفاعلهما المستمر المتنامي ، لا أن تلغي الحدث .

**ولهذا تبدو مثل هـــذه الصـــور مجرد** استكشافات لأعمال فنية لم تتم بعد . ان الطريقة التشكيلية تعتمد على « النسخ » . فالبطل لا يمتلك الأبعاد الفنية والفكرية المتطورة ، لا يزال كعلامة تدل على شيء خارجي قريب . المسافة بين البطل والواقع المباشر قصيرة جداً ، لهذا لا يمتلك هذا البطل دلالات متعددة وغنية ، فهو محدود ضئيل .

بمعنى آخر ، ان طريقة الانعكاس الية وليست معقدة ومتطورة . فغدا الفن انعكاساً مباشراً للواقع ، وليس انعكاساً يمتلك استقلاله النسبي ، وله قوانينه الخاصة .

قوانين خلق الشخصية الفنية لا تعتمد على النسخ ، ولا النقل ولا التكرار ، بل هي اعادة




ـلق للشخصية الواقعية حسب المنظور الفنى اذى يمتلكه الكاتب ، ويفوق النسخ الى تشوه اشخصية الواقعية الحقيقية ، بعدم ثراء وخصب وواقعة الشخصية الفنية ، فتسقط على صعيد الفن والواقع .

## ● تحول ●

رأينا كيف خلق الكاتب ابطـــالا ذوى اعاد ملموسة مباشرة ، لا يتجاوزونها الى ملامح فكرية عامة ، وهذا الضعف الأساسى فى قصصه ، يحاول الكاتب ان يخرج منه ، فيطرح ابطالا جددا ، يحملون دلالات غنية ولا يقفون عند هذا الواقع الملموس والمحدود .

ولكن كيف تم الانتقال ؟

## ● القمر وجهه أزرق ●

الحارة فى هذه القصـــة ، اسمهـا حـــارة الذهب . تنقسم ليس بشكل اجتماعى ، ولكن بشكل غريب . فعوض الريحان يقف فى جهـة ، وقية « سواد » الحارة يقف فى جهة ثانية . ليس بينهما تعارض طبقى ، فهذه التكوينات المختلفة غائبة عن الحضور المباشر فى اللوحة المشكلة .

إن عوض ليس شخصية عادية أو نموذجية ، انه يرتفع الى مستوى الرمز المباشر ، دون أن يكون أولا وكحلقة تمهيدية كشخصية من لحم ودم ، وهذا الارتفاع أو التجاوز عنصر تجريدى مدمر للتكون النموذجى للشخصية .

إنه يغنى ، ويركع ، ويأكل وينام مثلنا . ولكن كيف وأين ينام ؟ ذلك سر لم يكشفه احد . رغم بعض الأقاويل التى تنتشر عنه والتى تقول انه ينام فى خرابة الجن .

إن أهمية عوض تظهر حين تنقسم الحارة اجتماعيا . فقد اقبل الغريب فوق حصان غريب وتحدث بلغة غريبة ، فصدأ الذهب ، وصدأت القلوب .

والغريب أيضاً بلا تشكيلة محددة ، ويبقى كرمز مباشر ، مثله مثل البطل .

إن انقسام الحارة أدى الى التشوه الجسدى والروحى لسكانها . وقد سرق القمر من السماء ، كرمز مباشر آخر وواضح ، مما أدى الى أن يقوم عوض الريحان بمهمته : إعادة النور واعادة الوحدة المفقودة الى الحارة واعادة التكوين الرائع والجميل للبشر .

وحركة القصة هى قصة بحث البطل ذى الملامح المجردة عن هذا النور الغامر ، فسافر الريحان خلف الزمان والمكان ، وطرق الأبواب ، وغاب فى المدن والأزقة والموانىء والحانات ، وشكل علاقة تختلج بالحياة والتدفق مع سكان الوادى الأخضر ، ثم عاد مجدداً الى حارة الذهب فرأى البشر « ينامون ، يقفون ، ويثبون كالضفادع ، لاحكايات ، لا شواطىء ، لا غناء لا عود لا طرب » فلم يلبث ان اندفع فى رحلته المثيرة ، وغدا أسطورة تبعث فى الحارة الدهشة وليس الفعل .

إن التناقض الذى تشكل فى سطر واحد بين الغريب والحارة تلاشى ، وبقى المشوهون فى حالة عجز كامل ، بينما تركز الفعل والبحث والتحول عند البطل الفرد ، فهو الذى سوف يجلب النور أخيراً ، ليشعر الناس باطرافهم تتشكل من جديد ، ولتتوقد جمرة الفرح أخيراً .

إذن ملامح البطل المجردة نتاج الموقف الفنى الذى شكل اللوحة بهذه الأبعاد والزوايا . إن الرؤية الفردية أعطت اهتماما رئيسياً للبطل فى رحلته خارج الصراع المحدد فى الحارة . فلم يعد البطل شخصية من لحم ودم ، وفى علاقة وثيقة مع الناس ، وفى موقف صراع ساخن مع الغريب ، بل هو قناع ورمز للبطل الاسطورة .

إن رؤية الكاتب الفردية اعتمدت على العناصر السريالية لتتشكل بهذه الطريقة ، فابتعدت الشخصية عن ان تكون نموذجاً ، ولجت فى المجرد والخارق ، فقد شاهد أهل الحارة عوض الريحان يعبر كالانبياء تحت ضوء القمر ، لقد أعطاهم الضوء والفرح كأى رجل خارق ، بينما ظل الناس أدوات ومواد خام للأبطال والنخبة ، يصوغون لهم ، أو منهم ، التاريخ والحياة .

إن الرؤية الفردية باستخدامها هذه العناصر السريالية أدت الى تدمير الشخصية الواقعية ، قطعت الامكانيات الكبيرة الناتجة من التفاعل الخصب بين البطل والآخرين ، بين الشخصية والواقع . وعوضاً عن أن يتفجر صراع بين أهل الحارة والغريب ، اندس الغريب فى زوايـــا الاهمال ، وبدأ بحث أسطورى خارج الأرض الملتهبة . لنفقد بالتالى الحل الحقيقى للصراع ، وتكونت شخصية البطل تكونا واقعياً .

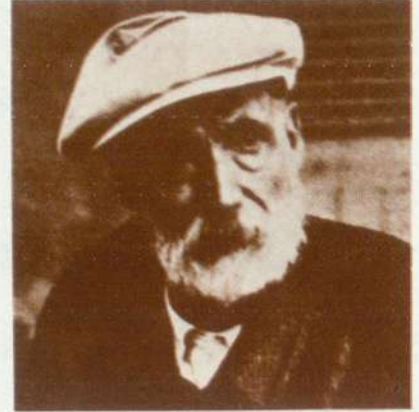
**عبد الله خليفة**

**بقية الدراسه فى العدد القادم**




جمال قطب

# رينوار
## بين جمال الطبيعة وبهجة الحياة


اوجست رينوار

عندما يذكر اسم ( أوجست رينوار ) أو **(كلود مونيه) فانما يتمثل فى الأذهان مجموعة** الشبان الفنانين الذين أسسوا تلك الحركة الفنية المتحررة والتى سميت فيما بعد بالتأثيرية . كان لقاؤهم فى مقهى ( جيربوا ) بباريس حيث كانوا يجتمعون فى حلقة كبيرة حول الفنانين الرائدين يلقيان عليهم تعاليمهما وآراءهما الجديدة .. وقد سجل الفنان ( فانتان لاتور ) فى لوحته الشهيرة (مرسم باتينيول ) ذكرى هذه اللقاءات وصور أبرز شخصيات تلك الجماعة : مانية ، رينوار مونيه ، بازيل ، إميل زولا .. وغيرهم !

وليس غريباً أن تقود هذه المجموعة حركة التحرر في الفن العالمي الحديث وقد قدم رينوار من بلدته ( ليموج ) الى باريس ليدرس الرسم فى إحدى أكاديمياتها حيث اتيح له لقاء مونيه وسيزلى وبازيل وفى صحبتهم عرف مجموعة مقهى الجيربوا ، وقدر له أن يشارك فى صنع هذا التحول العظيم . وعاش رينوار فى رفقة ( بازيل ) يقاسمه مرسمه فى الباتينيول ، ويقضيان الليل في نقاش لا ينقطع مع أهل الفن والفكر والأدب والشعر والسياسة . وبموت بازيل فى الحرب السبعينية هجر الفنانون مقهى الجيربوا ، الذى خيم عليه جو من الكآبة والقتامة ، وتفرقوا فى حى البيجال الى أن جمعهم مرة **أخرى مقهى (أثينا الجديدة) وقدر لهذا المقهى** أن يدخل التاريخ حيث أمه الفنانون الاحرار الهائمون بجمال الطبيعة ونور الشمس والتعبير الساخن عن الضوء والدفء والحياة ! وفى هذا المقهى كان **يجلس** فناننا **رينوار الذى تعرف فيه على** ( ديران رييل ) وهو من أشهر تجار اللوحات فى باريس وأحد خبراء الفن المرموقين فى العالم أجمع .. وكان للصداقة التى تربطهما أكبر الأثر فى تألق رينوار وتشجيعه وتألق أسلوبه المعبر عن الشكل الانسانى .. وهو تخصص صعب بالنسبة لزملائه ( التأثيريين ) الذين برعوا فى رسم المناظر الطبيعية .

وكما لعبت ( مدام ريكامييه ) أهم الادوار فى حياة فنانى عصر الامبراطورية ، نجد أن الفنانة (بيرت موريسو ) قد قامت بنفس الدور مع مجموعة التأثيريين وحركتهم الجديدة .

وكان معرضهم الأول عام ١٨٧٤ حدثاً ذا أهمية بالغة .. فقد أفرز فناً متحرراً من القيود الأكاديمية **وكلاسيكيات** القرون الماضية .. وقاد الى المذاهب ذات الطابع الخاص من رمزية ووحشية وتكعيبية وتجريدية .. الى أن تكونت السيريالية التى تعبر عن عالم الاحلام واللاشعور والغوص فى الدراسات النفسية والفلسفية .

نعود الى رينوار لنجد أن الصور الشخصية عنده غالباً ما عبرت عن بهجة الحياة ووضاءة وجمال المرأة .. فقد كان الفن فى نظره - قبل كل شىء - صناعة بارعة وصياغة مبهرة .. ولم يؤمن كثيراً بالنظريات والغوص فى الفلسفة المستترة لتلك المنظورات ! وكان يلائم ببراعة بين الواقع والالهام والوجدان .. حيث نرى فى ابداعاته تجسيداً وصوراً حسية وضاءة تزخر بالحياة ليس فيها افراط فى الرومانسية الأدبية ولا جفاف المذاهب الواقعية .. وهذه هى عبقرية رينوار الفذة المعجزة .

وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة حمل الى متحف اللوفر ليملأ أنظاره بلوحاته الرائعة ، لتكون آخر متعة له فى الحياة . ومات رينوار عام ١٩١٩ عن ثمانية وسبعين عاماً مثمرة انجز خلالها أكثر من خمسة الاف لوحة .. تعمر بها متاحف العالم وقاعاته وبيوتاته ومعارضه .. ولاتقدر اليوم بثمن ! وإذا ما رأينا اليوم لوحة لرينوار ، وبخاصة تلك اللوحات التى يمثل فيها جمال المرأة وايحاءاته الملهمة .. يتمثل فى وجداننا أبرع مبدعى الفن الحديث ممن وهبوا أنفسهم لابراز الطبيعة وجمالياتها الرائعة والتغنى بالمرأة وعالمها الساحر كرمز من رموز العطاء والالهام الدائم فى الحياة .

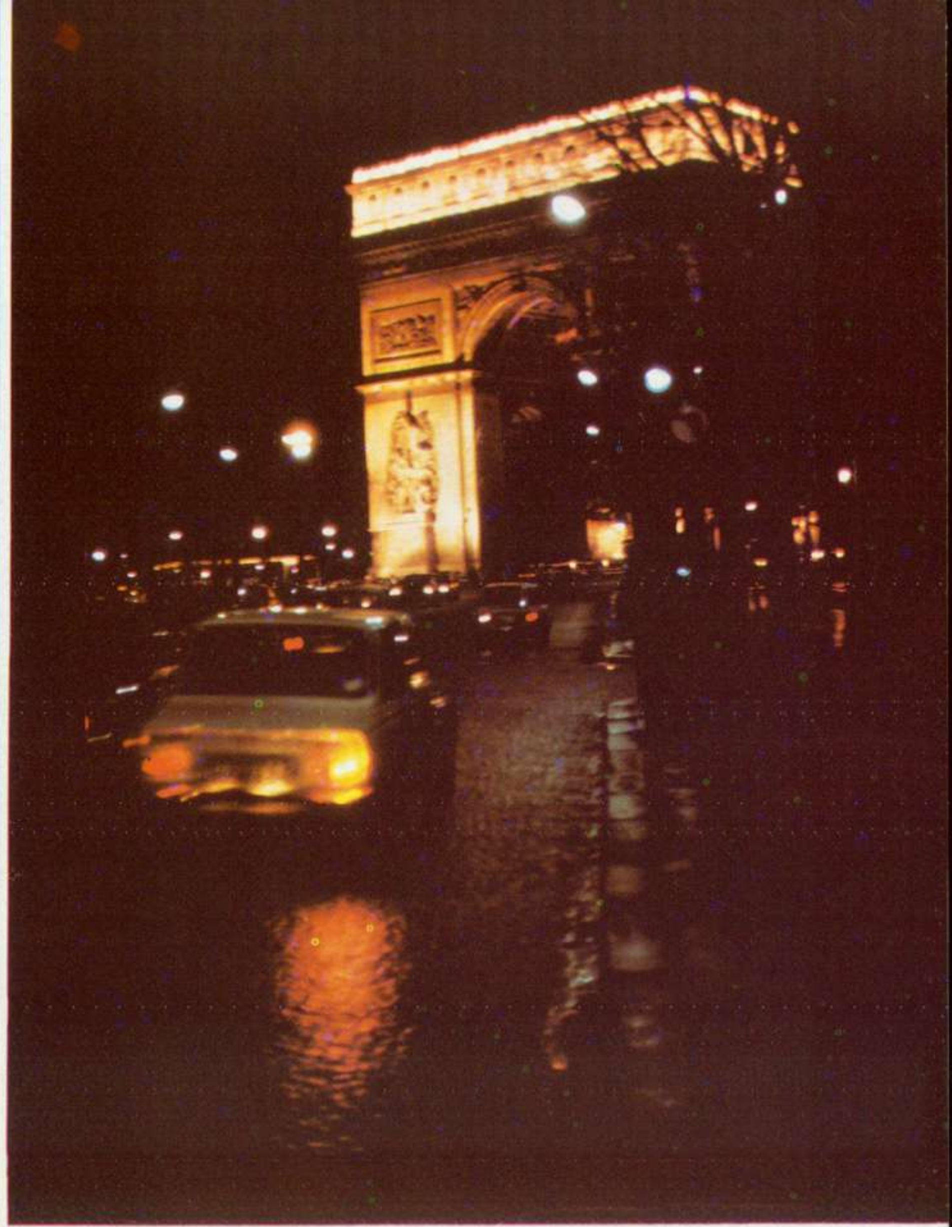
جمال قطب



فتاة .. للفنان الفرنسي أوجست رينوار

جمال الغيطاني

# باريس
## عاصمة النور والفن والسياسة والحرية



قوس النصر .. الذى يلامس زرقة السماء .

« .. باريس للمرة الأولى .

كان ذلك فى عام ١٩٧٩ . ما أسرع مرور الزمن ، فقد مضى ثلاث سنوات كاملة منذ نلك الحين ، وخلال هذه الفترة ترددت على باريس خمس مرات ، وفى كل مرة كنت أقضى مدة تتراوح بين خمسة عشر يوماً ، وشهراً ، وكانت الزيارة الأخيرة فى فبراير الماضى ، كنت شأن معظم ابناء جيلى ، لم تتح لنا فرصة التعليم فى أوروبا الغربية كما اتيحت لعدد من كتاب الأجيال الماضية الذين كانت ظروف أسرهم تسمح بارسالهم الى الغرب على نفقتهم ، أو من خلال البعثات الدراسية .

### مقاهى باريس

باريس مدينة تستقر بالقرب من سقف العالم ، تلك السماء المفتوحة ، المضيئة ، حتى فى أيامها الشتوية ، الرصاصية اللون ، تذكرك بعبارة « مدينة النور » ، هذا الوصف الذى قرأناه فى لغتنا العربية مراراً ، فى النهار يتدفق الضوء حتى الى الشوارع الضيقة .

وفى الليل تتلألأ المدينة بالأضواء الصاخبة ، الطرق ، المبانى الآثار التاريخية وان كانوا أخيراً بدأوا فى اطفاء العديد من هذه الأضواء قبل منتصف الليل توفيراً للطاقة ، وهكذا يتحول برج ايفل الى شبح هائل فى الظلام تلمع فوقه لمبة حمراء لتحذر الطائرات المقتربة فقط .

فى الزيارة الأولى التقيت بالصديق الكبير احمد بهاء الدين ، قال لى ضاحكاً .

ـ لكم أود ان اسمع انطباعاتك عن باريس ..

كان يعرف القاهرى القديم الكامن فى اعماقى ، والذى يرى هذا العالم الفسيح بعين ابن الجمالية ، وقصر الشوق ، وصحبته طويلا خلال شوارع الحى اللاتينى ، والمقاهى ، لقد كان دخولى الى باريس ، وجواز مرورى الى قلب المدينة ، أو جواز مرورها الى قلبى ، تلك المقاهى ، عندما تجولت فى لندن ، شعرت بان ثمة شيئاً ينقصنى ، شيء مبهم غامض ، ثم عرفته فى باريس ، لندن مدينة بلا مقاهى ، والمقهى عندى يعنى الرصيف والونسة والفرجة على العالم ، والرائح والغادى ، صحيح أن الانجليزى له عالم خاص ، ولكنه مغلق ، مفتوح الى الداخل ، والزبائن فيه يتبادلون الحديث أو يصمتون ، ولكنهم يقفون ولا يجلسون ، القاعدة هناك الوقوف وكثيراً ما كنت اتأمل احد الانجليز ، يمسك بكوبه الضخم ، ويقف وحيداً ، صامتاً ، ينقل ثقل جسمه من ساق الى أخرى ، بينما يحملق الى الفراغ ، أو ينظر الى بعض المتحدثين بينما تتغير ملامح وجهه من حين إلى حين ، وكأنه يشاركهم الحديث بالنظر ، وأحياناً تجيء فتاة فتجلس فى ركن معتم قليلا ، وتشرب بسرعة من فنجان



داخل متاحف باريس تلمس مدى الحرص على التراث الانساني

القهوة ، وتقلب مجلة بسرعة ، ثم تمضى . فى باريس يختلف الأمر ، ، فثمة عدد كبير من المقاهى ، تمد فى الصيف مقاعدها فى العراء ، وفى الشتاء يرى الجالسون فيها المارة من خلال حاجز زجاجى شفاف انيق ، المقاهى الباريسية انيقة جداً ، خاصة تلك التى تقع فى الشانزليزية ، ومونبارناس ، وميدان الاوبرا ، كثيراً ما قرأت مقالات عديدة لكتابنا حول تلك المقاهى ، وقد امدتنى بامكانية الجلوس فوق الرصيف ، والتطلع الى المارة ، أو لقاء بعض الاصدقاء ، ولكن فيما عدا ذلك فقد ازداد حنينى الى المقهى العربى ، فى القاهرة اعتدت ارتياد عدد من المقاهى ، الزبائن يعرفون بعضهم ، وصاحب المقهى يبلغ رسالة من هذا لذاك ، ويستفسر عن زبون اختفى اياماً ، بالطبع اتحدث عن المقاهى القديمة العريقة . فى المقهى القاهرى يمكن للزبون ان يقضى ساعات طوالا لم يتناول فيها الا مشروباً واحداً ، شاى قهوة ، نرجيلة ، يمكنه ان يشترى طعاماً من مطعم مجاور ويأكل ، وبمجرد ان يلمح الجرسون لفافة الطعام يأتى على الفور باكواب المياه ، ولكن فى مقاهى باريس يختلف الأمر ، فالفترة الزمنية التى يقضيها الجالس لابد ان تصاحبها نسبة معقولة فى عدد الطلبات ، والمقاعد الأنيقة جداً ـ معظمها يتخلله الخيزران ومذهبة ـ مصفوفة بحيث ان كل الجالسين ينظرون الى الامام مباشرة ، ولايتواجهون ، اما الجرسون نفسه فمنظره انيق ، باختصار « بك » ، ولاحظت ان نوبات عملهم تتغير كل ساعتين تقريباً ، اين ذلك من مقاهينا نحن ، حيث تمتد النوبة الى اثنتى عشرة ساعة ولكن هناك ثمة فروق طفيفة بين عدد من المقاهى ، فالمقاهى التى يرتادها السياح ، أى ما يطلق عليه فى مصر « مقاهى الزبون النقالى » ، تجد فيها الخدمة سريعة ، وبدون عناية ، والوجوه متجهمة دائماً ، أمّا المقاهى غير المطروقة من جانب الاجانب ، وتلك موجودة فى الضواحى ، أو فى الأحياء البعيدة عن البؤر السكنية ، فتلك يمكن .. يمكن ان تشعر فيها ببعض الدفء خلال التعامل ، ولكنه دفء لا يصل الى حد التواصل ، المثقفون فى العاصمة الفرنسية يشيرون باعتزاز الى بعض المقاهى ، هذه المقهى فى مونبارناس كان يجلس فيها سارتر ، وهذا المقهى فى مونمارتر كان يرتاده بلزاك ، وهناك مقاهى معروفة ببعض الرواد دون غيرهم !

ومن الواضح ان أشهر المقاهى الباريسية يستمد قيمته من التاريخ ، من الكتاب والفنانين .

## الحياة فوق الأرصفة

كنت اقف على رصيف المترو ، عندما ظهر فجأة قبل الرصيف بمسافة قليلة بينما يمتد النفق المظلم فى جوف الأرض الى مسافات بعيدة ، العجلات مغطاة بطبقة



حدائق باريس تتخلل البيوت والشوارع حيث الأرائك لراحة المارة

من الكاوتشوك حتى تخفف من تاثير الضجة التى تحدث عندما تحتك بالقضبان لكن عند اقترابه يصدر عنه صوت ثقيل الوطاة يتوقف ، تفتح الأبواب ، اسرع بالصعود الى العربة ، أملا فى الجلوس . ولكننى ارى عدداً من المقاعد الخالية ، وكثرة من الواقفين ، فى المرات الأولى جلست ، ولكننى لم اشعر بعد ذلك بالحاجة الى الجلوس الا اذا كنت متعباً ، فى المترو يجلس أو يقف الجميع ، محملقين الى الامام ، الاحاديث المتبادلة نادرة ، الجميع صامتون .

بمجرد أن يفتح الباب ، يندفعون كان آلات خفية مخبأة فى اجسادهم ، الخطى سريعة ، ايقاعها متشابه ، نفس الاندفاع الى السلالم المتحركة ، حيث تؤدى الممرات الى خطوط مترو أخرى . او الى سطح الأرض . ارى أحياناً بعض العازفين كمان أو جيتار فى الاغلب ، يؤدون بعض المقطوعات ، ثم يمرون على الركاب ، يمدون كيساً صغيراً من القماش لتلقى قطع معدنية صغيرة ، فى خطوط المترو الباريسية يبدو التقسيم الطبقى واضحاً والذى يجعل من باريس عدة مدن فى مدينة واحدة ، لاحظت ان عربات المترو التى تعمل على خطوط الاحياء الانيقة احدث طرازاً ، وانظف اما العربات التى تمر بالأحياء الفقيرة ، فمن طراز متخلف ، وتبدو أكثر قذارة ، وتعمل هذه العربات على الخط الذى يمر بمحطة بارباس حيث يوجد تجمع للعمال الجزائريين والمغاربة الفقراء ، وتتغير ايضاً نوعية الركاب فى خطوط المترو طبقاً للاحياء التى يمر بها ، ويبدو التقسيم الاجتماعى الحاد هنا ايضاً من خلال التجول فى احياء المدينة ، فى منطقة بلفيل الفقيرة حيث ولدت «اديث بياف» المغنية الكبيرة ترى الوجوه غير حليقة اللحى ، والقمامة فوق الأرصفة والسحن متعبة ، هنا يتواجد العمال المهاجرون من بلاد عديدة ، خاصة شمال افريقية ، وهنا ايضاً يتواجد عدد كبير من اليهود ، اما فى بارباس التى تقع على بعد عشرات الامتار من البيجال ، حيث المولان روج وغيره من الحانات ، يتدهور المستوى الاجتماعى الى حد كبير ، سكان المنطقة اغلبيتهم من الفقراء ، والى أعلى تطل على المنطقة كنيسة القلب المقدس التى تطل ايضاً على حى موغارتر ، حى الرسامين ، وهكذا تتجاور المناطق الفقيرة والغنية فى باريس ، ولكن ثمة خط غير مرئى يفصل كل منطقة عن الاخرى ، وإن لم يمنع هذا تداخلهم احياناً ، ذات ليلة فى شارع الشانزليزيه اشهر شوارع الدنيا ، فى خضم المارة واعلانات السينما ، وتلؤلؤ الأضواء ، رأيت رجلا عجوزاً يبحث عن بقايا طعام فى احدى علب القمامة ، وفى محطات المترو ، خاصة فى الليل ، يتمدد الكثيرون فوق المقاعد المتجاورة ليقضوا ليلهم ، وهؤلاء اما أغراب بلا مأوى ، أو من هذه الطائفة التى يسمونها هنا «الكوشار» ، وهم يعيشون فى انفاق المترو ، وانفاق المجارى ، فى محطات المترو يصبح الشعور بالأمان ضعيفاً ، خاصة فى الليل ، فوق الأرصفة شبه الخالية الا من المتسكعين .

## الآلة وملكة التفكير

فى باريس ، أو لندن ، كنت الاحظ اننى عندما اسأل احد المارة عن شارع قريب ، كان يقف ويفكر طويلا ، ثم يعتذر بانه لا يعرف ، أو يخرج الخريطة من جيبه ، وبعد تدقيق كبير اكتشف ان الشارع الذى اسأل عنه على بعد خطوات ، وتذكرت فتاة انجليزية سألها احد زملائها عن حاصل ضرب ٥ × ٦ ، فاخرجت الآلة الحاسبة ، وبدأت تضغط الأزار ، تذكرت ابن البلد فى مصر عندما تسأله عن شارع معين ، فيصفه لك بدقة اذا كان يعرفه ، وقد يسألك ، (عايز مين هناك ؟) ، وإذا ذكرته له ، تكتشف فى معظم الأحيان انه يعرفه ، اعتقد ان دخول الآلة الى الحياة الغربية ، بدأ يضفى نوعاً من الكسل على ملكة التفكير ، وشيئاً فشيئاً تنوب عن العقل

الانسانى ، الة حاسبة ، والة تدفع اليها بالعملة فينزل منها المشروب الذى تريده ، والة تدفع اليك بتذاكر المترو ، والة تقدم لك الساندويتش ، والة اخرى لزجاجـــات الكوكا كولا ، وتتدرج الآلة حتى تصل الى تلك العقول الالكترونية التى تدير كل شىء فى المفاعلات الذرية ، وتصلح الخلل فى الطائرات الجبارة اثناء الطيران .

## المسلة والميدان الشهير

الكونكورد ، من اجمل ميادين العـــالم وافسحها ، تتوسطه المسلة المصريـــة المشهورة ، استقرت فى معبد الأقصر لمدة ثلاثة آلاف وثلثمائة سنة ، ثم اقتلعت فى عهد محد علي باشا ، واهداها الى شارل العاشر ملك فرنسا فى عام ١٨٢٩ ، واقيمت فى باريس فى عهد الملك لويس فيليب ، تزن مائتين وعشرين طناً من الجرانيت ، وعلى قاعدتها رسم مذهب يوضح الطريقة التى نقلت بها عبر البحر ، المسلة هى مركز الميدان ، واذا وقفت خلفها ونظرت باتجاه قوس النصر ، عبر شارع الشانزليزيه الشهير ، ستجد ان كلا الاثرية الهامين ، القوس ، والمسلة ، يقعان على خط واحد ، يبدأ الطريق صعوده من امام المسلة ، وينتهى عند قوس النصر ، الذى يلامس زرقة السماء ، فيبدو من هنا وكأنه بوابة مؤدية الى اللانهائية ، اطوف بالمسلة ، واتذكر بأسى احوال آثارنا المهملة فى مصر والتفريط فيها ، وتبديدهـا ، فى المتحف البريطانى توقفت طويلا امام المومياءات المصرية ، امام الاقنعة المسيحية المنتزعة من مقابر الفيوم ، فى متحف الانسان بباريس توقفت وقتاً اطول ، امام المومياءات الفرعونية ، التى كشفوا عنها أغطية التوابيت وبدت الأربطة الكتانية ، والجلد البشرى ، فى نفس هذا المتحف رقدت مومياء ملك مصر رمسيس الثانى ، عندما فرط فيها رئيسها السابق ، وامر بقرار منه بسفرها الى باريس بحجة العلاج ، وفى احدى الغرف التى تقع فى هذا المتحف دخل موشى ديان وزير حرب العدو الاسرائيلى على مومياء رمسيس الثانى ، ولا ادرى ماذا فعل ، ولا أى شىء قاله ، ما اعرفه ان اليهود يظنون انه هو الملك الذى اخرجهم من مصر ، وعادت المومياء الى مصر ، وحتى الآن لا يدرى احد ماذا جرى لها بالضبط .

توقفت امام الموميـات المصرية فى متحف اللوفر ، هل كان هذا الانسان الذى عاش منذ آلاف السنين . ثم انفق أهله على تحنيط جسمه ما انفقوا ، هل كان يظن انه سيعرض يوماً ما فى لندن ، فى باريس ، فى بودابست ، فى الاميتاج بلينتجراد ؟ عندما مات لم تكن هذه المدن قد ظهرت الى الوجود بعد ، ومن يدرى .. ربما توقف طويلا احد احفاده امام مومياءه ، تأمل باعتباره سائحاً ، ثم مضى ، ان رؤية الاثر الذى ينتمى الى بلدى فى مدينة اجنبية تضفى ابعاداً عديدة على تلك الرؤية ، توقفت طويلا امام تمثال صغير من الخشب لأم مصرية تحتضن طفلا ، التمثـــال لا يتجاوز طوله عشرون سنتيمتراً ، لكنه اثار عندى الحنين الى الأمومة كما عرفتها ، وكما رأيتها على ضفتى النيل ، لكم حزنت فى البداية وانا اتامل تلك التحف الرائعة التى نهبت منا ، وتذكرت حملة اليونسكو لاعادة هذه الآثار الى اصحابها ، ومن حنقى وغيظى على ما يجرى لآثارنا من تلف وسرقة ، واهداءات ، لشدة حنقى ، فقد قلت لنفسى ، اننى ضد حملة اليونسكو هذه ، ان الآثار لمن يحفظها ويصونها وليست لمن يملكها ، للأسف وصلت الى هذه الدرجة من اليأس وانا اتجول فى اللوفر . ومتحف الانسان ، بباريس .

اعادو النظر الى المسلة المصرية فى ميدان الكونكورد ، الميدان فسيح ، وكثير من الذين يمرون فيه ، قد لا يعلمون انه كان من اشهر ميادين الثورة الفرنسية ، شهد الميدان زواج لويس السادس عشر ، ومارى انطوانيت ، وفى يوم الأحد ٢١ يناير عام ١٧٩٣ ، نصب الجيلوتين فى نفس الميدان فى موقع احد التماثيل التى تقف الآن ، واليه ساقو الملك لويس السادس عشر عبر الشارع الملكى ، وبخطوات بطيئة صعد سلالم الجيلوتين ، ويقال انه لفظ عدة كلمات تعنى ( يا شعبى ، انا برىء من كل الجرائم التى اتهمت بها ، دمائى من اجل سعادة فرنسا ) . وفى نفس الموقع قطعت مئات الرؤوس ، منها رأس مارى انطوانيت مدام بارى ، وشارلوت كورواى . ودانتون ، ومدام رولاند ، وروبسبير ، خلال هذا الزمن البعيد ، كان اشهر صوت يسمع فى الميدان صوت نزول المقصلة ، تفصل الرقاب عن الاجساد . الآن ، يموج بجميع اجناس الأرض ، وخطو العشاق ، وانبهـــارات السائحين ، من ميدان الكونكورد . تبدأ حدائق التويلدى ، والآن اللون الأخضر يتقلص فى عواصم بلادنا ، وتحل محله مواقف السيارات ، فقد قضيت وقتاً طويلا فى حدائق باريس ، حدائق التويلدى ، وحديقة النباتات التى يوجد بها متحف كبير جمع نباتات الأرض كافة ، وحديقة البالاس رويال الرقيقة التى تقع قريباً من متحف اللوفر ، حديقة رقيقة ، لاشجارها



برج إيفـل .. قمة من العمل المعماري الرائـع الذى جعـل السواح يضعونه فى مقدمـــة برنامجهم اثناء زيارة المدينـــة

خضرة زاهية ، تتوسطها نافورات صغيرة ، ويخيم عليها هدوء معقم ، اما ارضها فمغطى بحصى صغير ، وحديقة اللوكسمبورغ فى حى السان ميشيل . وهذه الحدائق الصغيرة التى تتخلل البيوت ، والشوارع ، حيث الارائك لراحة المارة ، والتى لا تخلو من العجائز ، الرجال والنساء ، يقضون الساعات الطوال ، ويحملقون فى الفراغ ، ويصحبون كلابهم فى هذه الحدائق الجميلة ، والملاحظ هنا ذلك التدليل الذى تحظى به الكلاب ، والعناية ، والحرص الشديد على اصطحابها لتنسم الهواء عصر كل يوم . وإن كان ذلك يعكس فى رأيى الاحساس بالوحدة الانسانية الشديدة

فى حدائق باريس ، كثيراً ما كنت أرقب امرأة عجوزاً ، أو شاباً أو رجلا ، فى تلك الحدائق يجلس صامتا ، محملقاً الى الفراغ ، الصمت تام ، والجسور مقطوعة ، فى الخريف حيث اللون الاصفر يتسلل الى احداق الأشجار ، بينما ضباب خفيف يتخلل الفراغات ، وتكتسب الأشياء لون الحلم ، واضع يدى على مصدر الاتجاه التأثيرى فى الرسم ، اتذكر لوحات سيزان ، وبيسارو ، وفان جوخ ، التى توقفت امامها طويلا فى متحف الانطباعيين ، تماماً كما ذكرتنى وجوه الغانيات فى البيجال بلوحات تولوز لوتريك اقرب الفنانين الفرنسيين الى نفسى ، وهنا يبدو الفن انعكاساً صادقاً للواقع ، فى هذه الحدائق

رأيت الأصل الواقعى للعديد من تلك اللوحات ، وفهمت ايضاً احد اسرار عزلة الفن التشكيلى فى وطننا العربى ، عندما نقل بعض الفنانين هذه المذاهب الفنية وقلدوها بشكل ميكانيكى ، واغفلوا العناصر المحلية ، والتراثية ، فى واقعنا ، ويستمر رحيلى عبر الحدائق الفرنسية ، غابات بولونيا ، وتلك الضيعة الجميلة التى تقع فى الريف الفرنسى القريب من باريس ، ضيعة ( المولان ) حيث توجد اقدم طاحونة مائية على نهر السين ، ومجموعة من البيوت الخشبية الجميلة ، تملكها مركيزة حقيقية ، اى تنحدر من اسرة ارستقراطية قديمة ، المكان جميل ، انفاق من الخضرة ، واشجار متشابكة ، وسلالم حجرية منحوتة فى الحجر ، وثمار الكمثرى ملقاة على الأرض ، لاتجد من يتناولها ويأكلها ، ونهر السين يتدفق مستكيناً ، هادئاً ، ولكن ليس فى هيبة النيل ، ولا فى عنفوان دجلة ، تأملت الطبيعة الجميلة ، وقطرات الندى التى تبلل اوراق الأشجار ، واسراب الطيور التى تتجمع فى السماء



عائلة فرنسية صغيرة اثناء قضاء اجازة نهاية الأسبوع

## نماذج انسانية

فى باريس لازال بعض الاصدقاء المصريين الذين يعيشون هنا منذ سنوات يحتفظون بالزمن العربى الجميل فى اعماقهم وفى حياتهم ، ويبدو التناقض واضحاً فى اسلوب الحياتين المتجاورتين ، فى منزل معظم اصدقائى ومعارفى العرب فى باريس تبدأ السهرات بعد التاسعة ، وفى السابعة اسمع اصطدام الملاعق بالاطباق فى الشقق المجاورة ، اصوات العشاء عند الأسر الفرنسية ، حيث ينام الجميع مبكرين ، واذ نبدأ نحن سهرنا ، وتعلو اصواتنا بالحديث ، يشير صديق قائلا ، اخفضوا اصواتكم ، ان الجيران نائمون . ونوم الجيران يجب ان يحترم ، فلاضحك بصوت عال ، ولا مشى الا على اطراف الاصابع ، وفى بعض المنازل التى ترق فيها الجدران يصبح الاستحمام بالدش فى المساء امراً صعباً ، لأن الجيران من حقهم ان يستدعوا البوليس لمعاقبة مصدر الضجة .

.. فى باريس التقيت بالدكتور مصطفى صفوان ، عالم النفس المشهور ، وصاحب السمعة العالمية الناصعة ، تأملت ملامحه العربية ، واسلوب نطقه للغة العربية المشبع بروح اسكندرانية لم تتغير برغم السنوات الطوال التى قضاها فى الخارج ،

فى باريس ، الرجل الذى اصبح العلم بمثابة وطن له ، فى احدى الامسيات اصطحبنى الى مطعم انيق ، عتيق ، ولاحظت ان الخدم يعرفونه ، ويحيونه بود كبير ، جاءت قائمة الطعام ، ولاحظت انه عند الاختيار تحدث مناقشة طويلة بين الجرسون والزبون ، مناقشة حول نوع اللحم ، ودرجة شيه ، وشكل تقديمه ، ويكتسب وجه الجرسون تعابير جادة اثناء المناقشة ، ثم يبدأ تقديم الطعام .

بعد انتهاء الطعام يجيء لوح من الخشب يشبه « قرمة » الجزار ، عليه انواع شتى من الجبن ، والجبن الفرنسى اصنافه عديدة ، قال شارل ديجول يوماً ، كيف احكم شعباً يأكل ثلاثمائة نوع من الجبن ؟ . وهنا يبالغون فى مسألة التغليف قطعة الجبن الصغيرة التى تؤكل بلقمتين من الخبز تجدها ملفوفة فى البلاستيك ، ثم فى ورق معدنى شفاف ، اما السندويتش السريع فيوضع فى علبة انيقة من مادة تشبه الفير ،

فى باريس تعرفت الى الدكتور جمال الدين بن شيخ ، استاذ الأدب العربى بجامعة باريس الثامنة ، تعرفت اليه بعد

ان علمت انه اختار روايتى ( الزينى بركات ) للترجمة الى اللغة الفرنسية ، ولم نكن قد التقينا من قبل ، انه جزائرى الاصل من الشعراء المرموقين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، كما انه يتقن اللغة العربية اتقاناً رفيعاً ، وهمه الأكبر ، تقديم الأدب العربى الى القارىء الفرنسى ، انه واحد من العلماء العرب الذين لم تهن روابطهم بجذورهم ، بل على العكس . وفى مقابلة تذكرت كاتباً عربياً اضطر الى الاقامة فى باريس ، التقيت به فى احدى العواصم العربية ، كانت غرفته الى جوار غرفتى ، ولاحظت منذ الوهلة الأولى انه طلق الوطن من داخله ، وان كان يبدى بعض الملاحظات التى اعتبرها من الحنين المسكن او الحنين المظهرى ، طرقت باب غرفته يوماً فقال بالفرنسية ـ انتريه ( ادخل ) ، قلت ربما اعتاد لسانه الفرنسية مع اننا فى بلد عربى ، وفى اليوم التالى كنا نجلس بينما تدور المناقشات ، وفجاة قال معرباً عن دهشته ـ « أو .. لا لا لا .. » وهو تعبير فرنسى عن الدهشة ، فيه بالنسبة لى ميوعة ، وعندما اسمعه خاصة من عربى استهجنه ، البعض ممن قابلتهم انغمس تماماً فى الحياة الفرنسية ، واصبحت اهتماماتهم بما يجرى فى الوطن الأم مثل اهتمامات صحفى فى اللوموند ، اهتمامات خواجا ، والبعض لا يبدى اهتماماً ،

نموذج آخر ، لفتى فى السادسة عشرة ، سنوات تكوينه عاشها فى باريس ، ودرس فى أرقى المدارس الثانوية ، ومع ذلك فانه رافض تماماً للحياة فى فرنسا ، ويحلم فى مصر ، فى الاجازة الصيفية يسأله والده عن البلد الذى يريد قضاء الاجازة فيه . ويختار نبيل الشوباشى مصر ، يفضل المجيء اليها بدلا من سويسرا والمانيا ، وفى مصر تتحسن صحته ، ولا يشكو الاوجاع ، ويبدو منطلقاً ، يفيض بالحيوية ، وكثيراً ما كنت ارقبه محاولا تلمس هذه الجذور غير المرئية لذلك الشعور بالانتماء القومى ، هذا الفتى الذى رضع اللغة الفرنسية مع اللغة العربية ، وعاش سنوات مراهقته فى باريس ، ومع ذلك تعلق قلبه بفتاة مصرية لا يراها الا مرة فى السنة .

كثيرة تلك النماذج الانسانية التى التقيت بها ، وكان الحنين الجارف الى الوطن حاداً فى حياتهم ، والحقيقة التى لمستها ، انه مهما اندمج الانسان بالحياة الاوروبية ، مهما حقق من نجاحات ، مهما تفرنس ، أو انجب اطفالا من امراة أوروبية ، فيظل الشعور داخله بانه اجنبى ، وتبقى مسافة لا تصله تماما بهذا العالم ، ومن ناحية ذلك الواقع نفسه تمتد ايضاً هذه المساحة الفاصلة .



رسامة في حي مونمارتر الذي يطلقون عليه حي الرسامين

## قيمة الأثر المعماري

يستمد الأثر المعماري قيمته من خلال الموقع الذى يوجد فيه ، وهكذا طبقت شهرة كنيسة نوتردام الآفاق . وظل مسجد السلطان حسن مجهولا فى بلده ، لم تبهرني العمارة القوطية ، أعجبت بنوتردام ، هذا حقيقي ، بعمارة قصر فرساي ، وعمارة كنيسة القلب المقدس ، ولكن هذه العمارة فى مجملها ضاعفت عندي احساساً بقيمة العمارة الاسلامية فى القاهرة ، العمارة الاسلامية شاهقة ، هذا صحيح ، ضخمة نعم ، ولكنها تاخذ بالانسان فيصبح شاهقاً معها ، تاخذه إلى أعلى ، لا تجثم فوقه ، ولا تشغله بالتفاصيل ، حتى المنمنمات المغربية تحدث في النفس تاثيراً صافياً ، ونشوة ، وداخل المساجد العربية الضخمة ، تجد الصحن الفسيح ، والفراغ الذي تبدو منه السماء ، بدون أن تقسمه حواجز ، ولكن داخل كنيسة نوتردام لا يمكنك أن ترى مساحة الصحن الداخلي فى نظرة واحدة ، إنها اقسام طولية وعرضية حيث الأعمدة الضخمة والحواجز الخشبية .

لماذا أصبحت كنيسة نوتردام اشهر من مسجد السلطان حسن فى القاهرة ، أو مسجد الزيتونة فى تونس ، أو المسجد الأموي فى دمشق ، أو القرويين فى المغرب ؟

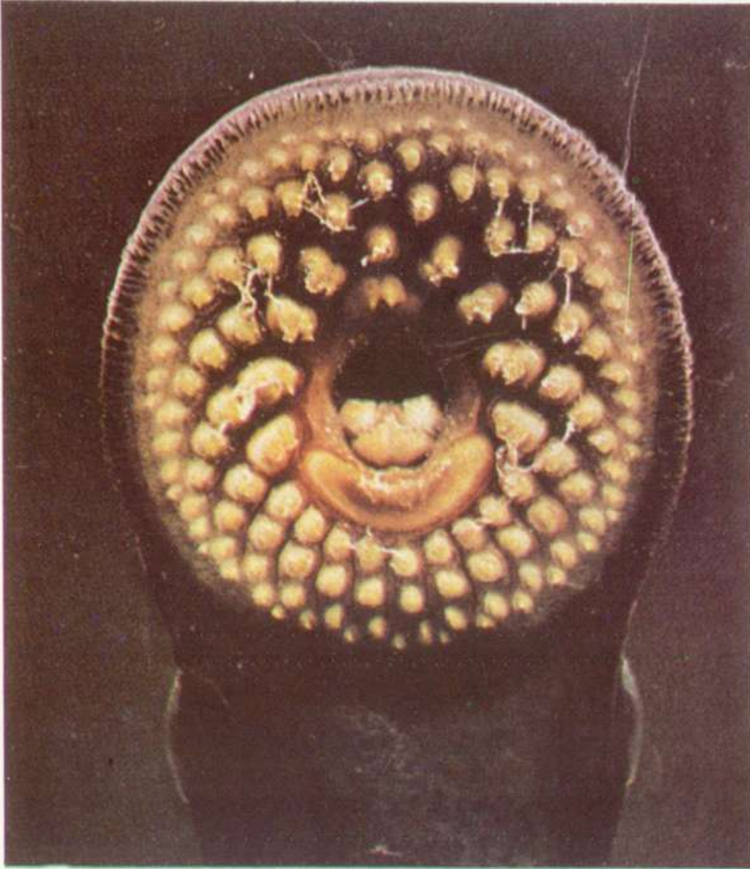
لأن البلد الذى تقع فيه كنيسة نوتردام يحتل موقعاً أهم على خريطة العالم ، ولأن ناس هذا البلد عرفوا كيف يبرزون مالديهم، وكيف يحافظون عليه ، أما نحن فنهمل كل ثمين لدينا ، ونكثف ظلال الاهمال والنسيان . ويكفي جولة واحدة فى مناطق القاهرة القديمة لكي تتاكد من صحة ماأقول .

فى طريقي إلى المطار . كنت أفكر فى باريس . باريس المضيئة . حيث أن الفن والثقافة والسياسة والحرية . وكل انسان يفعل ما يحلو له . يمكنه أن يصبح مناضلا سياسياً فى المقاهي ، يمكنه أن ينفلت من كل قيد . يمكن للانسان أن يجيء فقيراً ، وأن يعمل فى أحد الأعمال ، وإلى جانب ذلك يواصل الدراسة ، حتى يتخرج من أرقى الجامعات ، وقد رأيت شباناً عرباً جاءوا معدومي الحال ، وهم الآن اساتذة فى الجامعات الفرنسية ، ورأيت مثقفين كباراً وأساتذة فى جامعاتنا ، جاءوا الى باريس وتحولوا الى شظايا ادمية ..

كما تريد من باريس ستعطيك .

جمال الغيطاني

# لقطات من الكون المثير



## ● مخلوق للدماء ! ●

● كل مخلوق قد جاء لما هو له ميسر ، حتى لو كان يسره فى امتصاص دماء غيره ، والصورة توضح فماً غريباً وبشعاً لسمكة تعرف باسم الجلكي او «لامبري» Lamprey ، وهي من الاسماك العظمية البدائية ، ولقد جاءت بهذا الفم المستدير المزود بصفوف من النتوءات الحادة ـ التى تشبه المبارد او الاظافر او المخالب الدقيقة ـ لكي تسطو به على ضحيتها من الاسماك الاخرى الأكبر حجماً ، فتلتصق به على جلدها ، وتنهش فى لحمها ، حتى يسيل دمها ، فتمتص منه وجبة دموية كبيرة ، تكفيها لساعات طويلة ، وعندما تشبع ، يتخلى فمها القارض الماص عن الجسد لتسقط الى القاع ، حيث تختبىء فى الطين ، فاذا جاعت عادت ، وهكذا أصبح لكل عالم منغصاته .. لايختلف فى هذا عوالم البحر ، عن عوالم البر ! .



## ● انسجام تام ! ●

● استسلم هذا الزوج برأسه لزوجتيه، وكانما هو قد راح فى حالة اغفاءة خفيفة ، أو ربما احلام سعيدة ، إذ ليس من هو أسعد منه ( بين القرود طبعاً ) عندما تقوم الزوجتان بتخليصه من الحشرات التى تضايقه . (لاحظ أن القرود تمارس عادة تعدد الزوجات ، أو ربما الأزواج) .. فواحدة « تمشط » له شعر رأسه ، والاخرى تمشط له لحيته وعلى وجهه ظهرت تعبيرات قريبة من تعبيرات البشر ، ومع ذلك ، فدرجة هذا التعبير أو صدقه متروك لتقديرك ! .

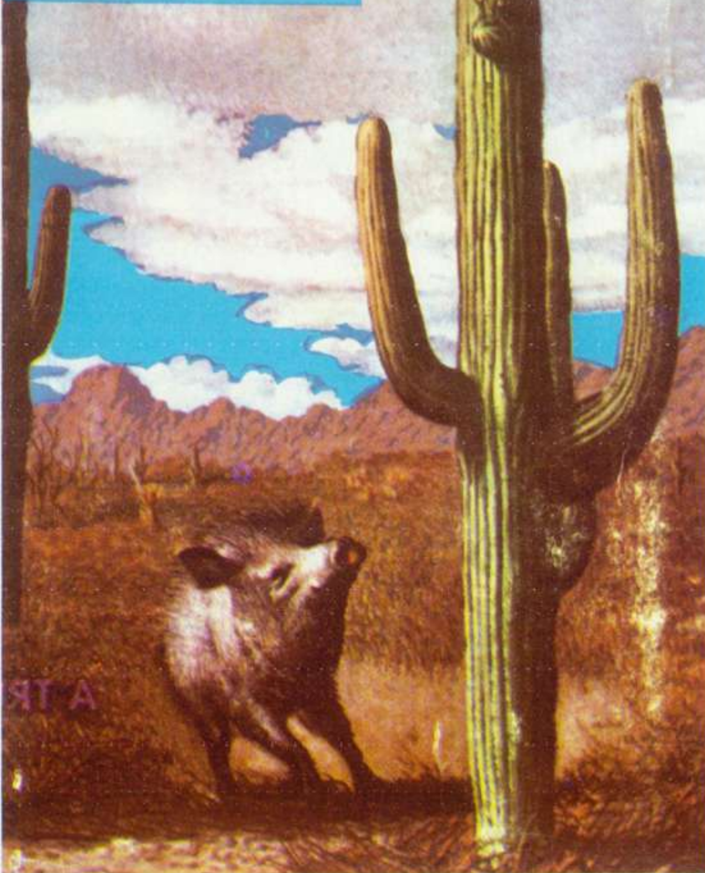
## ● أضخم قطة فى العالم ! ●

● لم تصل قطة منزلية مستانسة الى ماوصلت اليه هذه القطة من سمنة مفرطة ، إذ بلغ وزنها فى أوج صحتها ١٩٫٥ كيلوجراماً ، ومحيط رقبتها ٣١٫٧ سنتيمتراً ، وخصرها ٨٣٫٨ سم ، ووصل طولها الى ٩٤ سم ، وفى سبتمبر عام ١٩٧٩ ، أصابها اضطراب هرموني وهي فى عامها العاشر ، فنقص وزنها الى ١٠٫٣ كيلوجراماً ، ومما يذكر أن متوسط وزن القط العادي يتراوح مابين كيلوجرامين ، ٤٫٥ كيلوجراماً ، هذا وتعيش تلك القطة الآن فى مقاطعة ايسكس بانجلترا .



## المضطر يركب الصعب !

● بعد أن كان هذا القط في موقف الجاني ، أصبح الآن فى موقف المجني عليه ، فهذا الذى يتربص به من تحت خنزير صحراوي . أراد القط مهاجمة طفله الصغير بينما كان يسير منه غير بعيد ، وعندما صرخ الطفل مستنجداً بوالديه ، اسرع الخنزير الأب مهاجماً القط بضراوة ، ولما لم يجد امامه ما يحميه من الهجوم . لجا الى أقرب نبات صحراوي ليتسلقه ، حتى وصل الى قمته ، متعرضاً فى ذلك لوخزات أشواك هذا النبات من عائلة الصبار ، لكن الوخزات أهون من معركة قد تنتهي بموته ، فكان هذا التصرف السريع ، والقرار الحكيم ، وفى النهاية ينفد صبر الخنازير المنتظرة ، فتذهب الى غير رجعة ، ويعود القط من عليائه الى أرضه ، عله يوفق






الميدان الرئيسي وسط المدينة التى ولد بها شكسبير

# الدوحة
# في بيت شكسبير
## هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم

مجدي نصيف يكتب من ستراتفورد ببريطانيا



وليم شكسبير : اقرب الصور شبها بالشاعر ، وهي محفوظة بالمتحف الوطني بلندن



تمثال تذكاري من البرونز ، أهداه احد اللوردات فى عام ١٨٨٨ لمدينة شكسبير

" ستراتفورد ". هنا ولد شكسبير الشاعر والكاتب المسرحى ، واحد من أعظم من أنجبتهم البشرية ، ظلت مسرحياته وأشعاره حية على مدى الأربعمائة سنة الماضية ، وستظل حية طالما استمرت البشرية تتطور على الكرة الأرضية .

هنا ولد وشب وأحب وتزوج وأنجب ، وأخذ أنطباعاته الأولى التى ظلت فى قلبه لتترك بصماتها فى معظم أعماله ، وربما كتب عدداً من مسرحياته هنا أيضاً ، وعندما ترك عائلته وذهب الى صخب لندن ومسارحها ، ظل وفياً لبلده ، فاشترى منزلا عاد اليه ليقضى فيه شيخوخة هادئة .

وعائلة شكسبير تضرب بجذورها هنا ، فوالده ووالدته من صغار ملاك الأراضى وزوجته وأهلها من هنا ، واستقر أولاده هنا أيضاً ، ليس بالضرورة فى مدينة ستراتفورد ولكن فى المنطقة حولها ، هناك « اتوبيس » خاص يأخذك فى رحلة اليها .

وستراتفورد بوسط انجلترا ، تقع على نهر أفون .

وليس لمدينة أخرى تاريخها الملفت للنظر ، فهى فى مفترق عدة طرق ، توالى عليها الرومان والسكسون ، وبسبب موقعها كانت سوقاً تجارياً لكل القرى المحيطة بها ، لكنها تحولت اليوم الى مركز فنى واحد من أكبر مدن الفنون فى العالم ، مما يجعل لها طابعاً وجواً مميزين ، فالى جانب جمال النهر تحافظ شوارعها ومبانيها على تاريخها الذى تفخر به ، وحتى أسماء شوارع منتصف المدينة ظلت كما هى عليه أيام شكسبير ولم يصبها غير تغير طفيف ، فجسر كليبتون شيد منذ خمسة قرون ، وهناك منازل تحتفظ بطابعها منذ القرن الخامس عشر ، وعدد آخر من المنازل من العصر الاليزابيثي واليعقوبي تنتصب جنباً

# في بيت شكسبير

## هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم



تزوجت الابنة الكبرى لشكسبير من طبيب معروف اسمه «وليم هول» وعاشت فى هذا المنزل



المدرسة التى تلقى فيها شكسبير دروسه الأولى



هكذا يحافظون على تراث شكسبير بكافة الوسائل، بما فيها ذلك المعرض الذى يضم عرائس لملابس شخصيات مسرحيات شكسبير

الى جنب مع المنازل المبنية من الآجر والطوب .

لكن ماجعلها مقصداً للفن حقيقة ، هى أنها مدينة شكسبير التى تضم ممتلكات العائلة ، ومسرح شكسبير الملكى . ومهرجان شكسبير الشعرى السنوى ، وتقدم مسرحياته فى المسرح الكبير على نهر أفون على مدار العام ( باستثناء الاجازة السنوية لمدة شهرين) لمشاهدين من جميع أنحاء العالم ، ولان البريطانيين عندما ارادوا تخليد ذكرى شاعرهم العظيم ، حولوا المدينة الى مركز لنشاطات ثقافية وأكاديمية ، وهكذا يخلدون عظماءهم .

### المدينة أيام شكسبير

أيام وليام شكسبير كانت مدينة ستراتفورد لا تزيد عن مائتي منزل يسكنها ألفى شخص ( الآن مائتي ألف ) ، وباستثناء الكنيسة التى ما زالت موجودة حتى الان ،كانت المباني نصفها من الخشب ، الذى يأخذه السكان من غابة أردن المجاورة ( والتى ذكرها شكسبير فى مسرحية « كما تحب » )

ولأن المدينة كانت مفترق طرق ، منها الطريق الى مدينة أكسفورد ولندن العاصمة ، فقد كانت مركزاً تجارياً وتعليمياً أيضاً ، كانت السوق تمتلىء بالمنتجات الزراعية والأبقار والأحصنة والخراف ، وكذلك بالصناعات اليدوية والريفية ، ومن بينها صناعة القفازات التى عمل جون شكسبير والد وليم فى مجالها .

فى شارع هنلى ستراتفورد ، وفى شهر ابريل عام ١٥٦٤ ولد وليم ، أمه مارى أردن ابنة روبرت أردن من قرية ويلمكوت، المجاورة ومن صغار ملاكى الأراضى ، أما والده فقد كان احد سكان ستراتفورد البارزين الناجحين ، فى تلك الأيام كانت نسبة وفيات الأطفال أكبر مما هى عليه الآن ، وهكذا توفيت اختا وليم اللتان ولدتا قبله ، لكن وليم عاش رغم الوباء الذى اجتاح البلاد فى نفس عام ميلاده .

والذى لاشك فيه أن وليم شكسبير ذهب الى « مدرسة الأجرومية » بستراتفورد والتى ما زالت قائمة حتى الآن ، ففى مسرحية « كما تحب » تتحدث احدى شخصياته ( يعقوب ) عن الدراسة فى المدرسة ، صحيح أن سجلات المدرسة ليس بها اسمه ، وحروف اسمه الأولى و . ش . W S. لم توجد محفورة على احد أدراج الفصول ، لكن فى الأغلب تعلم هنا وتعلم علومه الأولى ، فقد كان صديقة بن





أي زائر يستطيع أن يرى شخصيات مسرحيات شكسبير داخل المعرض الموجود فى مقر « مؤسسة ميلاد شكسبير » الذى جمعت تكاليفه من محبي الشاعر فى جميع انحاء العالم ، وافتتح فى ٢٢ ابريل عام ١٩٦٤ بمناسبة الذكرى الـ ٤٠٠ لميلاده

جونسون وهو كاتب مسرحى شهير أعجب به الى حد كبير ، أنه «كان يعرف بعض اللاتينية وقدراً أقل من اليونانية »

والذى لاشك فيه أن وليم كان ضجراً من الدراسة غير راغب فيها ، كما يظهر فى المسرحية ، وله عذره ، ذلك أنها كانت تبدأ من الساعة السادسة صباحاً والعمل ساعتان أو ثلاث قبل الافطار فى التاسعة ، ثم فسحة من الوقت الساعة الحادية عشرة قبل الغذاء ، ثم يبدأ العمل من الواحدة وحتى الخامسة مساء .

في هذا الوقت كانت الفرق المسرحية المتجولة ، تلف المدن بعيداً عن لندن ، وقد أثار هذا بطبيعة الحال خيال وليم الطفل ، ولا يعرف شيئاً عن الفترة التالية من حياته إلا أنه أحب « آن هيث أواي » التى كانت تكبره سناً حيث كانت فى السادسة والعشرين من عمرها ، بينما كان هو فى التاسعة عشرة من عمره ، وهى ابنة أحد صغار ملاك الأراضى أيضاً وكان منزله يبعد ميلا واحداً عن ستراتفورد . وقد نسجت العديد من قصص الحب بين وليم وفتاته التى تزوجها فيما بعد . لكن الذى لاشك فيه أنه أخذها ليعيشا بمنزل والده بشارع هينلى ، وهو نفس المنزل الذى ولد فيه . ولا يعرف المؤرخون كيف كان يكسب عيشه خلال تلك الفترة ، ربما كان من خلال مساعدته لوالده فى صناعة وتجارة القفازات أو الصوف أو الجزارة ، أو ربما عمل مدرساً باحدى القرى المحيطة لبعض الوقت . ومن الممكن أن يكون قد عمل «كاتب محامى» فى أحد مكاتب المحامين التى انتشرت بنمو التجارة والصناعة ، حيث التقط هناك التعبيرات القانونية التى نجدها فى ثنايا مسرحياته . وفى هذه الفترة أيضاً أنجب ثلاثة أطفال : سوزانا اكبرهم ، والتوأمان هيمنت (صبى) وجوديث (بنت) .

والذى لاشك فيه أنه اختلط باحدى الفرق المسرحية المتجولة التى وصلت الى مدينته ستراتفورد ، وعرف ممثليها الذين صادق بعضهم ، فقد قرر عام ١٥٨٧ أن ينتقل الى لندن ليبدأ حياته الخصبة العظيمة كواحد من أعظم الشعراء وكتاب المسرح الذين انجبتهم البشرية . وقد يكون سبب قراره هذه الأزمات المالية التى لاحقت والده . يقول مايكل سانت جون باركر فى كتيبه الصغير عن وليم شكسبير ، ان والده جون كان يعد أحد شخصيات ستراتفورد البارزة ، وعندما نجح فى أعماله فكر فى أن يعمل بالعمل العام ابتداء بعام ١٥٥٧ قبل ميلاد وليم بعدة سنوات ، ووصل الى قمة المراكز عام ١٥٧٠/٦٩ عندما أصبح «عمدة المدينة» المسئول عن ممتلكاتها ومصالحها ،



هذا هو المنزل الذى اشتراه شكسبير ، وقضى فيه بقية ايام عمره بعد اعتزاله الكتابة حتى توفى عام ١٦١٦ ، وكان واحداً من اكبر منازل المدينة

# في بيت شكسبير

## هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم

والمسئول عن النظام والادارة ، واستمر هكذا حتى عام ١٥٧٦ عندما أصابته ضائقة مادية قد يكون سببها انشغاله بالعمل العام وإهماله لمصالحه ، فانقطع عن الحياة العامة وانسحب من مجلس المدينة ، وأصبحت الحياة صعبة ... كل هذا كان له تاثيره على الابن ، وليم . لقد استفاد من الأزمة التى أصابت والده ، فغامر بالذهاب الى لندن ، حيث حالفه النجاح ، فاشترى ممتلكات فى ستراتفورد واستثمر نقوده ليقضى شيخوخة هادئة ، بعد حياة المسرح الصاخبة .

هكذا ذهب وليم الى لندن ، ربما على أمل أن يصبح ممثلا ، بغض النظر عن ميله للشعر ، «فالدراما آنذاك كانت» ـ كما يقول الدكتور أ.ل. روز ـ «نشاطاً على المستوى القومى ، بكافة أشكالها» . كانت المسرحيات الكلاسيكية تمثل فى المدارس بهدف تعليمى ، وكانت الفرق المسرحية المتجولة تجوب البلاد ، تقدم مسرحياتها ، وخاصة فى الاجازات والأعياد . كانت هذه الفرق تسافر وتتجول تحت رعاية أحد النبلاء (ايرل أوف ووريستر أو ايرل أوف واوويك ، أو ايرل أوف ايسيسكس ، أو أحد اللوردات) أو تحت رعاية الملكة شخصياً . كانت هذه الرعاية ضرورية حتى لا يلقى القبض على الممثلين وبقية أعضاء الفرقة ويلقى بهم فى السجن بتهمة التشرد . ومن سجلات مدينة ستراتفورد نرى حضور عدد من الفرق ، وصل عددها الى خمس عام ١٥٨٧ ، عندما وصلت الأزمة المالية بعائلة شكسبير الى الحضيض ، وهو نفس العام أيضاً الذى قرر فيه وليم الانتقال الى لندن . وتقول سجلات المدينة أيضاً ان فرقتين على الأقل من هذه الفرق ، كانت تنقصهما «الأيدى العاملة» . لكن ليس هناك ما هو مؤكد ، وإن كان من المحتمل أن وليم شكسبير قد التحق باحداهما ، وعلى الأغلب الفرقة التى كانت فى رعاية اللورد ليستر ، وكانت تقوم بجولة فى المنطقة ومرت بمدينة ستراتفورد ، ثم عادت فى النهاية الى لندن فى الخريف .

## الحياة فى لندن

كيف كانت لندن شكسبير الشاب ؟

كانت لندن قبيل العقد التاسع من القرن السادس عشر ، أى عندما وصل اليها شكسبير ، تتوهج ببهاء انجازات عصر إليزابيث . كانت بريطانيا «العظمى» قد هزمت الأرامادا الأسبانى عام ١٥٨٨ ، على يد «دريك»*، خلال الصراع الرهيب بين القوى الأوربية آنذاك . وخلال حكم الملكة إليزابيث الذى استمر ما يقرب من نصف قرن (٤٥ عاماً) ازدهرت التجارة والفنون ، وتوهج رسامون وموسيقيون وشعراء وكتاب ففى هذا العصر عاش وليم شكسبير ومارلو بيرد ودولاند ، فرنسيس بيكون وسبنسر ـ وقدموا فى وقت واحد ـ انتاجهم الخالد .

كانت لندن أكبر عواصم أوربا آنذاك ، عدد سكانها ثلثمائة ألف من البشر (عددهم الآن فوق السبعة ملايين) . كانت مدينة كبيرة بمقاييس عصره ، يحوطها سور له بوابات مازالت أسماء بعضها موجودة حتى الآن (بيشوب جيت أى بوابة بيشوب الخ). كانت مدينة ذات شوارع ضيقة ، تموج بالحياة والضوضاء على مدى ٢٤ ساعة ، تسمع أجراس كنائسها المائة وعلى رأسها كاتدرائية سانت بول القديمة ، التى احترقت فى «الحريق العظيم» الذي أصاب لندن فيما بعد عصر شكسبير عام ١٦٦٦ ، ثم شيدت الكاتدرائية الحالية بدلا منها . وكانت أحواش هذه الكنائس أفضل مكان لاستعراض الموضة والأناقة ولصفقات التجار والأعمال .

كانت لندن أكبر مركز للتجارة الدولية مع أوربا على وجه الخصوص ، وكانت السفن تصل الى نهر التيمز حتى قلب المدينة ذاته ، فكان نهر التيمز يموج بالحركة والعمل ، وكان اللندنيون يفضلون الانتقال بالسفن النهرية ، فالمدينة كانت تعج بالناس والمتشردين والشحاذين والقاذورات .

لم يكن هناك غير جسر واحد لعبور النهر هو جسر لندن الشهير ، وكان الجسر نفسه أحد شوارع لندن الرئيسية تملؤه الدكاكين والبضائع ، مداخله أقبية ، وله واحد وعشرون رصيفاً .

وكان اللندنيون يعيشون فى منازل ترتفع عدة طوابق ، دعاماتها من الخشب المملوء بالطمى الذى يكسى بالجص ، تبرز ادوارها العليا كثيراً فتمنع ضوء الشمس عن الشوارع الضيقة . وكانت المنازل متلاصقة ، فلا عجب أن تنتشر الأوبئة بسرعة البرق . ولم تكن لندن تعرف التعقيم الحديث ، فكانت المياه تاتى من النهر أو تستخدم الآبار ، وكلها مليئة بانواع الميكروبات . وكانت الاضاءة بالشموع ، فكانت الشوارع مظلمة ليلا فيما عدا بعض «الفوانيس» الخافتة والتى تتدلى أمام بعض المنازل .

كانت هناك ثلاث طبقات فى لندن إذن . طبقة النبلاء وتقاليدهم الفروسية ، والبلاط وعلى راسه الملكة إليزابيث ، ثم طبقة التجار البازغة المزدهرة . وأخيراً طبقة المتشردين والفقراء ...

وكانت هذه هى لندن بطبقاتها وتقاليدها التى انعكست فى مسرحيات شكسبير مع بعض لمسات هنا وهناك من ستراتفورد .

كان «المسرح» قد بزغ فى انجلترا لتوه كاهم شكل من أشكال التعبير الفنى ، بمعنى أن النشاط المسرحى الذى كانت تموج به لندن آنذاك كان «خميرة» لما بعد ذلك ، أكثر مما كان انجازات مسرحية بالمعنى المفهوم ، وإن كان يتطور بسرعة



المنزل الذى ولد به شكسبير ، وليس هناك ما يدل على تاريخ تشييد المنزل ، لكن سماته الهندسية توحي بانه قد شيد فى اواخر القرن الخامس عشر

مذهلة . فتطورت مسرحيات تراجيدية وكوميدية عديدة فى أواخر خمسينات القرن وفى عام ١٥٨٧ بالتحديد كان هناك كريستوفر مارلو كنجم جديد بارز . وكان هناك عديدون مازالوا يرفضون المسرح كعمل فنى ، واعتبره المتطهرون (البيوريتان) الذين نشطوا فى مدينة لندن وفى البرلمان الانجليزى ، رجس من عمل الشيطان . ورغم ذلك تطور المسرح وأصبح فى مقدمة «النهضة» الجديدة ، وأصبح تحت حماية بعض النبلاء وعلى رأسهم الملك . وكانت احدى الفرق تكرم بعض مسرحياتها فى أعياد الكريسماس أمام البلاط الملكى . لكن المسرح لم يكن رغم هذا مسرح الارستقراطية ، على العكس كان شعبياً . فكانت المسرحيات تعرض فى الهواء الطلق ، إما فى فناء بعض الفنادق ، وإما فى «مسارح» خاصة شيدت خصيصاً على الضفة الغربية لنهر التيمز بعيداً عن المدينة . وعندما وصل شكسبير الى لندن ، كان هناك ثلاثة مسارح ، ثم فى عصره شيد ما ينيف على العشرة . أما المتفرجون فيصل عددهم الى عدة مئات وأحياناً الى الألف . أما خشبة المسرح فكانت بسيطة ، تنتصب وسط المتفرجين بدون ستائر أو كواليس . ولم تكن المرأة تشارك فى المسرحيات ، لذلك كانت الأدوار النسائية تسند الى الصبية . ولم يكن هناك تاثيرات مسرحية ، وإن ساعدت الموسيقى أو التاثيرات الصوتية فى بعض الأحيان ، خاصة فى مناظر المبارزات أو المعارك أو الرقصات . لكن المسرحيات كانت تعتمد فى تاثيرها أساساً على اللغة . وهذه هى الاثارة الرئيسية التى تحيط بالمسرح «الاليزابيثى» . فهو لم يكن مسرح حركة أو خيال ، بل مسرح لغة ، بل فى الحقيقة مسرح شعر ، يجوب بأبياته وقوافيه حدود العقل والعواطف ، فى وقت كانت فيه هذه الحدود تتسع كل لحظة ، وعندما كان العقل «الانجليزى» بل واللغة الانجليزية ذاتها تتطور وتاخذ أشكالا جديدة ، كان النظارة ينفعلون ، فيضحكون ويبكون ويصرخون ، متاثرين أساساً باللغة المسرحية ، بالشعر المسرحى .

## البداية والقمة

وبدأ وليم شكسبير العمل فى المسرح منذ بداية السلم ، حتى وصل الى القمة . وهناك قصتان ترويان عن البداية . أولاهما تقول انه بدأ بالعمل «أمام» المسرح فكان يتسلم أحصنة المتفرجين الذين يحضرون الى المسرح على ظهور الجياد (حيث لم تكن العربات التى تجرها الجياد قد انتشرت بعد فى ذلك العصر) . أما القصة الثانية فتقول أنه بدأ العمل « منادياً » للممثلين ، حيث كانت وظيفته إخطار كل ممثل بوقت ظهوره على خشبة المسرح ليلعب دوره . وربما كانت كلتا القصتين غير صحيحة . لكنه على أى الأحوال بدأ بعد ذلك كممثل على خشبة المسرح ، وككاتب مسرحى . ولاشك أنه بدأ بتحطيم بعض أشكال المسرح الاليزابيثى السائدة مما عرضه لهجوم الكتاب والنقاد ، الذين كانوا آنذاك من خريجى الجامعات ، وجامعة كمبردج على وجه الخصوص ، والذين كانوا يحتكرون الكتابة المسرحية . لكنهم كانوا فى الجانب الخاسر ولم يذكر التاريخ معظمهم . فى نفس الوقت كانت هناك حاجة لمسرحياته ، فما أن حل عام ١٦٠٠ ، حتى كان هناك أكثر من عشرين كاتباً مسرحياً يكتب كل منهم مسرحيتين أو ثلاث فى العام الواحد . وعلى أى الأحوال فقد تغلب عليهم جميعاً بلطفه ودماثته وبخفة دمه ، والأهم بعبقريته الخلاقة ، بمسرحياته وبفنه الذى لاقى إقبالا . ويمكننا أن نرى خفة الظل هذه فى جميع مسرحياته وأعماله . فهو لم يكن شاعراً متشائماً منقبضاً منعزلا عن الحياة ، رومانسياً يتلوى من الجوع فى غرفته وحيداً ، على العكس من ذلك تماماً ، كان سهلا صريحاً ، لاذعاً وعملياً .

بدأ عمله بكتابة مسرحيات تاريخية ، تتبع الاطار التقليدى الذى يعمل فيه الشعراء الآخرون . لكنه فى عامى ١٥٩٣ و ١٥٩٤ تجاوز هذا الاطار وشق طريقه الى الشهرة بسرعة عندما قدم «فينوس وأدونيس» و «اغتصاب لوكريس» ، فتقدم على الشعراء خريجى الجامعات ، وشعراء البلاط . لقد لقيا نجاحاً هائلا ، مما جعل الايرل ساوثهامبتون يضعه تحت رعايته . وكتب شكسبير فى هذه الفترة ألطف مسرحياته فى منتصف تسعينات القرن ، وعلى رأسها «هنري الخامس» ، ولاشك أنه استخدم فى مسرحياته التاريخية «حوليات هولينشير» ، لكن موهبته الشعرية حولت هذه الحقائق التاريخية الى شعر هائل يجرى فى كل مسرحياته كما يجرى عرق من الذهب الخالص . وطبقاً لما يقوله الدكتور روز ، فانه «من الممكن أن نتتبع فى مسرحياته التى كتبها فى تلك الفترة ، قصة علاقة شكسبير بالايرل ساوثهامبتون ، وعشقهما لنفس المرأة ـ التى ظلت مجهولة الهوية ، وقصة منافسته لزميله الكاتب كريستوفر مارلو» .

**ارتبط شكسبير اساساً كممثل وكاتب بالمسرح الذى يرعاه اللورد سترانج ، ثم اللورد شامبرلين بعد وفاة الأول عام ١٥٩٤ ، كان المسرح يدار كشركة مساهمة ، فاشترى شكسبير فى عام ١٥٩٥ احد الأنصبة دفع مقابلها ثلاثون جنيهاً ( كانت ثروة آنذاك ) ، ولاشك أن نصيبه هذا أدر عليه أرباحاً لا بأس بها ، إذ اشترى في عام ١٥٩٩ نصيباً من عشرة أنصبة في مسرح «جلوب » Globe ودفع مقابل ذلك مائة جنيه . ومن الواضح أن استثماراته هذه ، تشير الى محاولة استقلاله عن « الايرل اوف ساوثهامبتون » ، وكان هذا ضرورياً على أي حال ، ذلك انه كان مندفعاً في مغامرات سياسية خطيرة ، ولم يلبث أن**




منزل جد شكسبير ، وقد ظل مستغلا للسكنى حتى عام ١٩٣٠ عندما اشترته « مؤسسة ميلاد شكسبير »

الى ستراتفورد معتزلا المسرح بمنزله « نيو بليس » الذى اشتراه قبل ذلك ، حيث بدأ يقضي معظم وقته وخاصة اشهر الصيف ، وكان قد بدأ أول أعماله عام ١٥٩٠ .

ولقد قال بعض الكتاب والنقاد في الماضي إن شكسبير لم يكتب هذه الأعمال بنفسه ، ونسبوها إلى هذا الكاتب أو ذاك ، اشهرهم فرنسيس بيكون الفيلسوف والمحامي والكاتب . الذى قال المعجبون به المؤمنون بما يعرف بإسم « النظرية البيكونية » إنه هو كاتب كل مسرحيات شكسبير . لكن هذه النظرية انتهت وقضي عليها . والذى لاشك فيه أن شكسبير ، مثله مثل اي عبقري خلاق ، استفاد مما كان موجوداً في عصره وما قبل عصره ، فاخذه وتمثله واستخدمه كله كمادة خام خلطها بموهبته وقراءاته التاريخية وخبرته . اما إذا كانت هناك أعمال اقل مستوى من اعمال اخرى فهذا طبيعي ، وعلينا أن نتذكر السرعة التى كان يعمل بها على المسرح .

اشترك عام ١٦٠١ فى محاولة الانقلاب التى قام بها «الايرل أوف ايسيكس » الذى فقد رأسه ، اما الايرل ساوثهامبتون فقد ألقى به في السجن .

وعندما توفيت الملكة اليزابيث الأولى عام ١٦٠٣ ، كان وليم شكسبير قد اصبح الشاعر وكاتب المسرح الأول فى زمانه ، وبوفاة منافسيه مبكراً ، واهمهم مارلو الذي قتل بمشاجرة في حانة عام ١٥٩٣ تأكدت هذه المكانة . وعندما توج الملك جيمس ، اخذ مسرح تشامبرلين » تحت رعايته هو شخصياً ، فاصبح شكسبير احد « موظفي البلاط » ، وعندما سار فى موكب التتويج عام ١٦٠٣ كان قد هجر التمثيل وتفرغ للكتابة فقط وإن لم يستمر طويلا في ذلك . كان دخله من استثماراته كبيراً ، وخاصة بعد أن اشترى نيو بليس New Place فى ستراتفورد ، بحديقته الغناء عام ١٥٩٧ وهو المنزل الذى قضى فيه بقية حياته بعد اعتزاله العمل والكتابة تماماً .

لكن مع صعوده شهد فيما بين عامي ١٦٠١ ـ ١٦٠٣ فترة مضطربة ، كانت فترة عصيبة ايضاً في حياة الأمة ، فعام ١٦٠١ شهد محاولة الانقلاب الفاشلة التى كان « الايرل أوف ساوثهامبتون » ضالعاً فيها . وانعكس هذا على أعمال شكسبير ، في الظلمات واللهجة الحزينة في مسرحية « هامليت » والمرارة في « ترويلاس وكريسيدا » . لكن مع وصول الملك جيمس الى السلطة استقرت الأحوال . واستغل شكسبير خبراته فى سنوات الاضطراب كأساس لاكتشافاته العظيمة في التراجيديا والعواطف الانسانية ، في مسرحياته الثلاث : « عطيل » و « الملك لير » و « ماكبث » ، ليصل الى قمة المنجزات البشرية .

## ذبول العبقرية

والذى لاشك فيه أن المضامين الجديدة التى قدمها شكسبير حتى تلك المرحلة ، لعبت دورها في أن تكون هناك بداية جديدة فى تاريخ الدراما ، إذ شهد عام ١٦٠٨ ـ ١٦٠٩م ميلاد المسرح « المغلق » بمعناه الحالي ، كانت التذكرة اغلى وجمهور المشاهدين اقل من « المسرح المفتوح » ، وأكثر تفهماً للغة المسرح . وكان هذا يتطلب اسلوباً جديداً في كتابة المسرحيات . استثمر شكيسبير على الفور ـ جزءاً من أمواله فى هذا المسرح الجديد ، وكان بين أول من كتب له . ويمكننا مشاهدة هذا التغير بشكل ملحوظ فى مسرحية « العاصفة » بسحرها وتالقها .

لكن أن لهذا الوهج من العبقرية ان يبدأ فى الانطفاء ، رغم انه لم يكن كبير السن حتى بمقاييس ذلك العصر . إذ يقول الذين ارخوا لحياته ، إن مسرحياته الأخيرة تحمل علامات التعب والارهاق العقلي ، بل لقد ذهب بعضهم الى حد افتراض اصابته بانهيار عصبي كتفسير لهذه الظاهرة . وعلى اي الأحوال فمن المقطوع به انه سكت تماماً عن الكتابة عام ١٦١٣ ، وعاد

## مازالت مقبرته موجودة

والمؤكد أن شكسبير لم يكن ذلك الكاتب الذي يجلس فى برج عاجي ، ليكتب شعره ومسرحياته عدة مرات ، ثم يصقلها فى النهاية مثلما يصقل الفنان تمثاله الرخامي ليضفي عليه لمساته الأخيرة ، على العكس من ذلك تماماً ، كان فى غمار العمل المسرحي كاتباً وممثلا ، يعبر عن عبقرية البشرية بتعقيداتها وتنوعها ومداها وعمقها . إن كل الحياة الانسانية والعواطف والاحاسيس البشرية فى مسرحياته ، بعظمتها وقوتها ، بضعفها واخطائها .

لهذا أثر شكسبير على المسرح العالمي على مدى القرون الأربعة التى انقضت على ميلاده ، وترجمت أعماله الى جميع لغات العالم الحية ، ومازالت مسرحياته تقدم على جميع مسارح العالم ، وتحولت الى افلام بعدة لغات . لقد اثر على كل من كتب ويكتب للمسرح ، وسيظل هكذا حياً الى نهاية البشرية .

ومات شكسبير فى ٢٣ ابريل عام ١٦١٦ وهو نفس الشهر الذى ولد فيه ، عن اثنين وخمسين عاماً ، بعد سهرة بمنزله مع جونسون ودرايتون ، ودفن فى فناء «كنيسة الأبرشية » التى مازالت موجودة حتى الآن .

مجدى نصيف

# مرايا الزمان

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

الزمان اختلف
فالبرىء انتهى واللبيب احترف
لم يعد ينقذ الآن من الموت ..
.. ان تلزم المنتصف
لم يعد ينفع الآن أن تعتكف
والخيول التى كان وقع
حوافرها
يصنع الحلم . تسقط فى المنعطف
والحمام الذى كان يهدل ...
.. فوق غصون الطفولة
... أصبح لا يأتلف

والبلاد التى كنت تهوى منازلها
كل هذي البلاد : رقاب وسيف
طاش بعد العناء الهدف
آن ان تعترف
الزمان اختلف

• • •

لم يعد للنجوم التى كان يحملها
القلب إلا الرحيل الى الغور ..
... حيث الحدائق سوداء ..
.... حيث المرايا صخور
لم يعد للأمل
من شواغل تشغله
غير حصر القبور
وامتداد المسافات فى الشوك
لا ينتهي
فوق هذا القتاد المسير
لا تبح بالذى في الفؤاد
فالذى يتراءى لعيني كثير .

• • •

قال لي صاحبي :
التقط موجة من هدير البحار
واتجه للنهار
فالظلام الذى سوف ياتي
غابة من سعار

• • •

للأمام السماء
للوراء البكاء

• • •

إننى قادم من دموع الحقول
للرفاق الحيارى ، أقول
مارسوا المستحيل
مارسوا المستحيل

• • •

سيدي من تكون ؟
وسط هذا الظلام اللعين
مارد أم ملاك حنون
قلت إني المطر
فى الشتاء الحزين
والغد المنتظر
فى ضمير السنين

• • •

الزمان اختلف
خاسر من يقف

من دير ياسين إلى صبرا وشاتيلا

# اختلف أسلوب المذابح والهدف واحد

بقلم: حمدي الكحلوت

ليس فى مقدور احد أن يتنبأ بالظواهر وردود الفعل التى ستتمخض عنها مذبحة القرن فى مخيمي صبرا وشاتيلا على مدى المستقبل المنظور . ولكن من المؤكد والثابت أن هذه الجريمة الكبرى لن تمر بغير عقاب وردود وانعكاسات تترك آثارها على صعيد القضية الفلسطينية والمنطقة باسرهـا .

وعلى امتداد رقعة الصراع العربي الاسرائيلي كانت سلسلة المذابح التى نفذتها الأيدي الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني نقاط تحول ومعين للألم والغضب يغذي شعلة النضال بالمزيد من الاصرار والوضوح على الدرب الطويل . ومن الملاحظ فى كل هذه المذابح أن الأساليب فيها تتباين ولكن ينظمها هدف واحد لا يتغير فى كل مرة وهو إبادة هذا الشعب واقتلاعه من المنطقة ، لأن مجرد تواجده يمثل شاهد إدانة لوجودهم وعلامة حق تبطل دعاواهم .

ورغم ان كل التفاصيل والملابسات التى احاطت بالمذبحة الكبرى فى صبرا وشاتيلا لازالت تتكشف كل يوم ، فان من الواضح ومنذ اللحظة الأولى لتسرب الانباء من هناك انها جريمة خططت ونفذت مع سبق الاصرار والترصد من قبل نفس العقول المدبرة لمذبحة دير ياسين فى التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ ولنفس الهدف الذى مازال يرقد في ضمائر الارهابي بيجن وتلاميذه وإن اختلف اسلوب التنفيذ فى كل مذبحة عن الأخرى .

## دير ياسين

ففى مذبحة دير ياسين لم يكن هناك كتائبيون او حداديون ليستخدموا كمخلب قط أو كصفار فعلة وماجورين للتمويه على القاتل الحقيقي .. بل كانت منظمتي « اتسل » و « ليحي » تتوليان تخطيط المجزرة وتنفيذها بشكل علني وسافر لدرجة ان زعيم العصابة بيجن يفتخر بهذه المذبحة فى كتابه : « الثورة » ويرجع اليها الفضل فى إحداث رعب ساعد على افراغ القرى العربية من سكانها فى عام ١٩٤٨ وسهل مهمة منظمة « اتسل » وبقية المنظمات اليهودية فى ذلك الوقت .

ولكن الحال مختلف فى مذبحة صبرا وشاتيلا .. فالارهابي بيجن هنا يقف على رأس دولة ويلبس مسوح الساسة والزعماء وينكر صلته بجريمة صابرا وشاتيلا ويهدد بالاستقالة إذا ما صوت برلمانه لصالح إجراء تحقيق رسمي فى المذبحة لأن ذلك في رأيه يعد ادانة لحكومته واتهاماً غير مباشر لها . وينسى او يتناسى كل تهديداته بابادة الفلسطينيين وسحقهم اينما وجدوا .. وتصريحات تلميذه شارون عن اقتحام بيروت والبحث عن الفدائيين وتصفية المخيمات .

ولم يتجاوز عدد القتلى فى مذبحة دير ياسين بضع مئات من النساء والشيوخ والأطفال اجهزت عليهم عناصر العصابات اليهودية بالخناجر والرشاشات والقنابل فى منازلهم . فى حين تراوحت الأرقام المعلنة حتى الآن عن مجزرة صبرا وشاتيلا بين ١٥٠٠ الى ٣٢٩٧ بين قتيل ومفقود .



التاريخ يعيد نفسه .. هكذا قالت كل الصور التى التقطت لمذبحة القرن العشرين في مخيمي شاتيلا وصبرا في بيروت الغربية .. إن الهدف من هذه المذبحة والمذابح التى سبقتها هو إبادة الشعب الفلسطيني

● صبرا وشاتيلا : ردم البيوت على الجثث ومنع الصحفيين.

● دير ياسين : منع الصليب الأحمر من الدخول او الاسعاف .

● كفر قاسم : محاصرة القرية وعزلها بعد المذبحة.

● خان يونس : مقابر جماعية تتكشف بعد رحيل القتلة .

وقد حاول المجرمون اخفاء معالم الجريمة بتشغيل الجرافات طول الوقت لتردم الانقاض فوق الجثث فيصعب انتشالها او التعرف على معالمها وأعدادها كما تم اختطاف اعداد لا يعرف مصيرها الى الآن .

### كفر قاسم

ونفس هدف الابادة والاقتلاع كان يخيم على مجزرة كفر قاسم فى ٢٩ تشرين اول عام ١٩٥٦ وإن اختلف الاسلوب هذه المرة ايضا وجاء على شكل فرض نظام منع التجول على بعض القرى العربية فى شمال فلسطين اثناء العدوان الثلاثي على مصر .

مع العلم المسبق بأن الكثير من ابناء هذه القرى يعمل خارج قريته ويعودون فى المساء وليس لديهم اي علم بامر منع التجول فيتم حصدهم على موجات دون اي انذار سواء كانوا من النساء او الرجال او الأطفال بمجرد ان يثبت انهم من قرية كفر قاسم ودون ترك اي جريح فى المجزرة حسب الأوامر .

وفى المحاكمة التى تلت مذبحة كفر قاسم يحاول احد القتلة المسؤولين عن تنفيذها ان يبرر جريمته بهذه العبارة التى تصب فى هدفهم الواحد وهو التخلص من الفلسطينيين :

« امر منع التجول كان خطيراً جداً ، ولا يحتمل التاويل ، فبموجبه كان علينا ان نقتل كل حي من رجال ونساء واطفال إذا وجدوا خارج بيوتهم فى ساعات منع التجول ، وكان شعوري ان الحرب ستقع على حدود الأردن ، وان هدف الامر هو ان يهرب ابناء « الاقليات » هربا جماعيا الى ماوراء الحدود . » (١) .

على ان ثمة اوجه شبه حتى فى الأسلوب احيانا ، فالقتلة فى مذبحة صبرا وشاتيلا بعثوا برسالة الى القيادة الاسرائيلية يوم الخميس ، كما افادت صحيفة الجيروسلم بوست الاسرائيلية يفيدون فيها عن عدد الضحايا التى تم الاجهاز عليهم من سكان المخيمين ، وكان حتى تلك الساعة حوالي (٣٠٠) ثلاثمائة انسان اعزل ما بين طفل وشيخ وشاب



ام مع طفليها ، استطاعوا النجاة بمعجزة من المذبحة التى نفذت مع سبق الاصرار والترصد



طفل من الضحايا الأبرياء الذين ثبت بالدليل القاطع انهم تعرضوا للقتل خنقا

وامراة تنوع اسلوب قتلهم بين البندقية والسكين والآلات الحادة الى القنابل والديناميت ، وحتى اسلوب القتل خنقاً لبعض الأطفال كما ظهر كل ذلك فى الأشرطة التليفزيونية المرسلة من موقع الجريمة .

ونفس التصرف قام به القتلة فى مذبحة كفر قاسم عام ١٩٥٦ . فقد كان الملازم « دهان » يبلغ قادته بعد كل موجة من المدنيين العائدين الى بيوتهم يتم حصدها برشاشات قواته ، وسجلت عنه هذه العبارة الموجزة :

« ناقص (١٥) خمسة عشر عربيا (٢) » . ورغم قلة كلمات العبارة ففيها المعنى الكامل للهدف الواحد لهم جميعا وللحقد الكامن فى نفوسهم على كل ما هو عربي .

ومن نقاط التشابه ايضا والالتقاء فى جرائم الصهاينة محاولة التعتيم الكامل على كل ما يجرى والتضليل والكذب لأطول وقت ممكن معتمدين على عنصر الزمن فى تخفيف هول الصدمة للراي العام ، وهذا ماحدث تماما في صبرا وشاتيلا حيث قطع اي اتصال بين المخيمين والعالم الخارجي بواسطة الدبابات وحاملات الجنود الاسرائيلية التى اقفلت المنطقة تماما وحتى بعد انتهاء ايام المجزرة حاولت منع الصحفيين والمراسلين من الدخول او ابعادهم عن الحقائق فخرجت التقارير الأولية تحمل ارقاما ساذجة عن المذبحة وغير محددة فكنا نسمع من الاذاعات العالمية ان القتلى يبلغون « العشرات » فقط .. ناهيك عن الانكار الوقح لأية صلة بالمذبحة ورفض اي تحقيق فيها قبل الرضوخ لذلك .

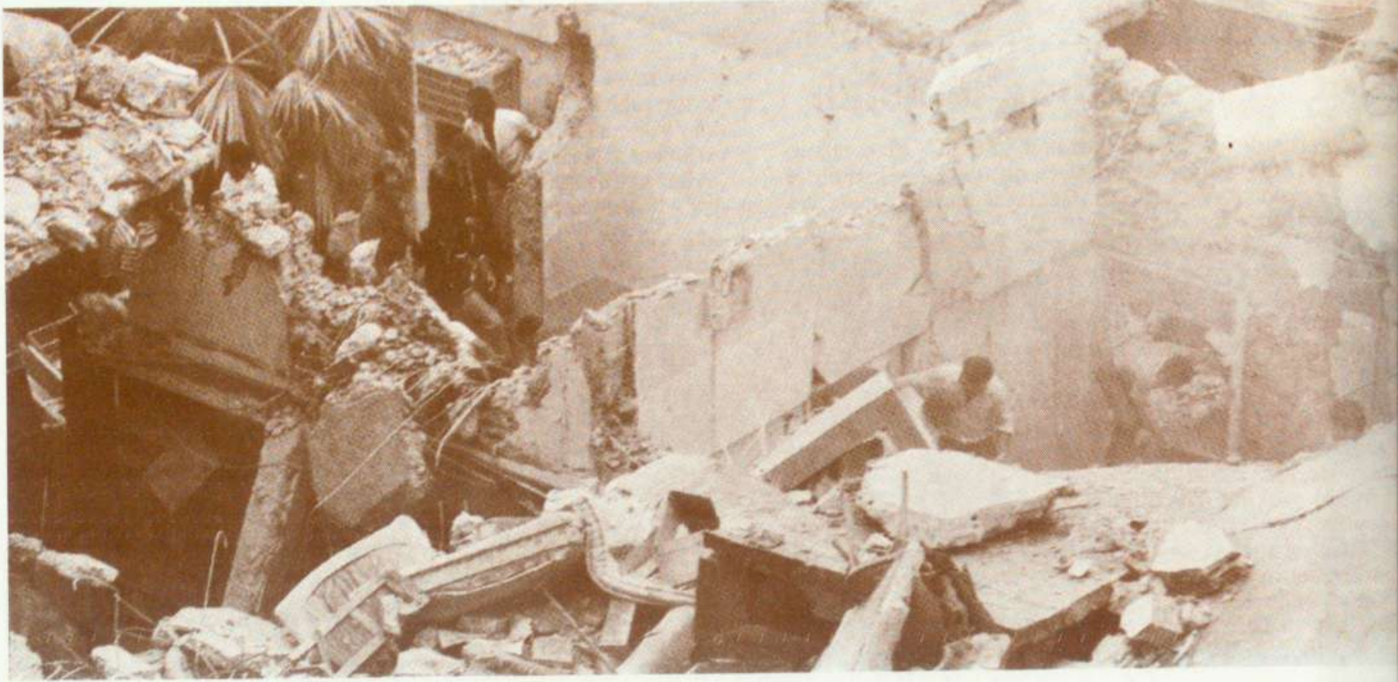
## جرائم طي الكتمان

وفى مذبحة دير ياسين تحاول العصابات الصهيونية عرقلة مهمة رئيس الصليب الأحمر الدولى فى فلسطين فى ذلك الوقت هو جاك رونييه بل إنه يقول : «لم يرفضوا مساعدتى فحسب وإنما رفضوا ايضاً ان يتحملوا المسؤولية لما يمكن ان يحدث لي (٣)» ولكنه يتمكن اخيراً من دخول القرية مع مساعديه ورغم مضايقة السفاحين له فانه يسجل ملاحظاته وينفذ مهمته الانسانية :

«حاولت دخول احد المنازل فاحاط بى اكثر من ١٢ جنديا مصوبين بنادقهم الرشاشة نحوى ومنعنى ضابطهم من التحرك قائلا إذا كان ثمة موتى فسيحضرونهم لي . فاثار كلامه غضبى الشديد فقلت لهؤلاء المجرمين رايى فيهم وهددتهم ودفعتهم جانبا ودخلت المنزل : كانت الغرفة الأولى مظلمة وكل شىء مبعثر ولم يكن هناك جثث . وفى الغرفة الأخرى المليئة بالاثاث الممزق وكافة انواع الشظايا رايت بعض الجثث الباردة . هنا تمت التصفية بواسطة الرشاشات والقنابل اليدوية والسكاكين . وتكرر الأمر نفسه فى الغرف المجاورة وعندما هممت بمغادرة المكان سمعت أصوات تنهدات ، بحثت عن مصدر الصوت مقلباً الجثث فعثرت بقدم صغيرة حارة . كانت فتاة فى العاشرة من عمرها مزقت بقنبلة يدوية لكنها لاتزال على قيد الحياة عندما هممت بحملها حاول احد الضباط منعى من ذلك فدفعته جانباً حاملا كنزى الثمين » (٤)

وفى مذبحة كفر قاسم تظل الجريمة طي الكتمان حتى تتسرب بعض تفاصيلها الى الصحف العبرية وصحيفة الاتحاد العربية فتضطر الحكومة فى ٥٦/١١/١١ الى اصدار بيان مضلل يلقى المسؤولية على احدى وحدات حرس الحدود التى انيط بها فرض منع التجول «للمحافظة على حياة الناس» بعد تزايد اعمال الفدائيين ، «واصيب» نتيجة ذلك بعض السكان وتجرى لذلك محاكمة صورية لامتصاص ردود الفعل المحلية والعالمية ويتقرر صرف «تعويضات»مالية لأسر الضحايا .

ولكن رغم الحصار والتعتيم والتضليل تتكشف حقائق المذبحة وابعادها واعداد القتلى والجرحى واسماء واعمار كل منهم ويسجل كل ذلك من شهود العيان ومن سكان القرية نفسها ويسرب الى الراى العام العالمى والمحلى فينكشف العمل على حقيقته ولا ينفع إرهاب من بقى حيا فى القرية وتردد اصداء الجريمة وذكراها فى كل عام الى ان تلتحم فى احداث مذبحة



هدم البيوت والمخيمات على من فيها ، كان ضمن المخطط الذى نفذ بدقة أثناء القيام بالمذبحة التى أثارت الراي العام العالمي

اخرى ترتكب لنفس الهدف وهو الاقتلاع من الأرض والابادة وتظل ذكرى احداثها تعرف الى اليوم باسم يوم الأرض فى ٣٠ مارس من كل عام .

## خان يونس

وفى مذبحة خان يونس يظل مصير الشباب الذين جمعتهم القوات الصهيونية اثناء حصارها وتفتيشها للمدينة مجهولا الى ان يعثر عليهم الأهل فى مقابرهم الجماعية بعد فترة طويلة من وقوع الجريمة فيما يسجل على انه حدث اثناء مقاومة المدينة من وجهة النظر الاسرائيلية يضيع ضمن تفاصيل العدوان الثلاثى الغاشم وما صاحبه من شهداء وضحايا فى كل من مصر وفلسطين ... ولكن هيهات ان يسقط الشعب قوائم الشهداء الأبطال من ذاكرته الخصبة وعبثا يحاولون ..

فى نفس العام الذى حدثت فيه مذبحة كفر قاسم (١٩٥٦) كانت هناك مذبحة فى خان يونس وبعد ان احتلت القوات الاسرائيلية المدينة الباسلة ارادت ان تعاقبها على مقاومة ابنائها لزحفهم الشرير فطافت بمكبرات الصوت تامر الرجال بالخروج الى ساحة بالمدينة وهناك اخذت تطلق عليهم النار دون أى استجواب او تحقيق يميز بين المدنى والعسكرى أو بين الشاب والشيخ .. بل انهم امروا مجموعات من الشباب بان يحفروا قبورهم بانفسهم فى مدافن جماعية . وقبل ذلك وبعده كانت هناك غارات متكررة على السكان فى مختلف انحاء القطاع بحجة الانتقام من الفدائيين من جماعة مصطفى حافظ الذى استشهد فيما بعد بطرد ناسف ارسلته اسرائيل الى مكتبه فى غزة .

وفى عام ١٩٦٧ ورغم سقوط قطاع غزة من الناحية العسكرية فى قبضة الجيش الاسرائيلى بعد الالتفاف عليه من سيناء وقطع اتصاله بمصر إلا ان القوات الاسرائيلية ركزت مدفعيتها على سكان المخيمات واخذت تقصفها لساعات طويلة بحجة «تطهيرها» من المقاومة فسقط مئات القتلى والجرحى وفتحت الحدود على طول نهر الأردن بعد ذلك لتهجير الآلاف من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بتسهيل من السلطات الاسرائيلية وتشجيعها ولتحقيق هدفها المعلن بانها تريد الأرض العربية بغير سكانها .

وهكذا تتم المذابح فى كل مرة باسلوب همجى مبتكر ولكن الهدف فى كل مرة يعلن عن نفسه ويكرر ذاته سواء فى هذه المذابح او فى غيرها مما يضيق المجال عن ذكرها جميعاً .. ولكن يبقى السؤال الذى لابد من طرحه .. هل تحقق للصهاينة ما ارادوه من كل هذه المجازر على المدى البعيد ؟ .. يقيناً انه لا باستطاعتهم ولا باستطاعة اعوانهم القضاء على هذا الشعب العنيد ولا اقتلاعه بعيداً عن ارضه رغم كل هذه الأساليب الوحشية .. بل إن ردود الفعل تكون فى كل مرة من النضال والتجذر حول تراب الوطن حتى يتحقق النصر والسلام العادل لشعب مصمم على الحرية والحياة الكريمة بعون الله وتاييده مهما تخاذل القوم وقست قلوب الجبناء السفاحين قتلة النساء والأطفال والشيوخ ، وكما قال الاخ ياسر عرفات لشارون مؤكداً على الثار والنصر : «نحن وانت والزمن طويل» (٥) .. ومن يعش .. ير .

حمدى الكحلوت

### اشارات ومصادر :

(١) ص ٨١ كفر قاسم المجزرة ـ السياسة ـ اميل حبيبى
(٢) ص ١٨ نفس المصدر السابق .
(٣) ص ٣٢ مناحم بيجن من الارهاب الى السلطة ـ مركز الدراسات الفلسطينية .
(٤) ص ٣٣ المصدر السابق .
(٥) العدد ٢٩٢ مجلة المستقبل .

# بين أطلال ياميت

بقلم: درويش مصطـفى الفـار



طفل عربي مذهول بحثا عن حقيقة السلام بين اطلال ياميت !!!

كان لابد لي ان ازور اطلال ( ياميت ) بعد غيبة قهرية دامت خمسة عشر عاماً عن ربوع سيناء .

وبينما انا اتجول خلال الانقاض مذهولا، استشف مقدار الحقد المر ، والكراهية المتاصلة ، التى ادت الى اتخاذ ، بني قريظة ، قرار هدمها وتدميرها ، مضحين بمغانم اعلامية مؤكدة ، على مستوى العالم ، لو انهم ، بدل تحويلها الى خرابة ، يعاف البوم سكناها ، اهدوها الى الشعب المصري ، لاسيما وانهم ، ولاشك ، قد ابتنوها بطريق غير مباشر ، من دخل بترول سيناء الذى ظلوا يعبون من اباره سنين طوالا ...

واثناء استرسالي بالفكر عبر التاريخ محاولا العثور على مثل ذلك الصنيع الكريه لمحت خلال الحطام احد (الخواجات) وكانه يقرا كتابة عبرية منقوشة على جدار (الكنيس) الذي تركوه سليماً دون كل منشات ياميت ، فظننته قريظيا ، وتقدمت إليه لمناقشته ... وحين وجدت انه نصراني من « نيوزيلندة » عرفته بنفسي ، وعرفني بنفسه ، واعلمني انه حفيد احد ضبـــاط ( الانزاك ) الذين كانوا مع جيش الامبراطورية البريطانية فى حملة الجنرال اللنبي لغزو فلسطين سنة ١٩١٦ وان جدته قد قصت عليه ان جده قد لقى مصرعه عند بير ( ابي شنار ) على مقربة من ياميت ، فجاء لزيارة الثرى الذى بذل جده دمه عليه فى غير سبيل اللـــه ...

وتنـــاول الحـــديث مـــع الرجـــل النيوزيلندي ، طوال ثلاث ساعات ، السلام والحرب ، واطماع اسرائيل التوسعية ، وتفكك الارادة العربية ، وموضوع خطاب كنت قد ارسلته لسكرتير الأمم المتحدة ، الدكتور كورت فالدهايم ، منذ سنوات ...

وتخلل ذلك الحديث الطويل نبل من الرجل تمثل في القائه اللوم كله على صانعي السياسة البريطانية فى النصف الأول من القرن الحالي بالذات ، وانهم للحقيقة والتاريخ هم ، ومن والاهـم ، المسئولون عن بذور ما يسمى اليوم بقضية الشرق الأوسط ، تزييفاً للتاريخ ... وعندما قلت للرجل ، مازحاً ، إن جدك الذى جئت اليوم لتزور مكان مصرعه ، قد ذهب دمه لبنة فى صرح هذه المشكلة التى وضعتمونا فيها ، اليس كذلك ؟ . هنا اطرق الرجل لحظات ، ثم رفع راسه وانبرى يقول لي :

إنني افكر فى حل حقيقي لهذا الصراع الدامي المرير ...

قلت له هات ما عندك ، فقال الرجـــل النيوزيلندي :

لعلك لا تملك اعتراضاً وجيهاً ، على ان فلسطين ، ارض مقدسة لدى المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، واعتقد انك تشاركني الراي فى أن ما يعانيه البشر على سطح الأرض اليوم من متاعب ، راجع بالدرجة الأولى الى اتساع الهوة بين قدرات الانســـان العلميـــة والتكنولوجية وبين احساساته الروحانية والجمالية ، واننا اليوم ، كل سكان الأرض ،



فى حاجة الى ان تعود ( فلسطين ) مرة اخرى فى التاريخ الانساني حاملة لواء تضييق الهوة بين المادية الطاغية والروحانية الضائعة . وفى هذا المجال اقترح :

● أن يتفق عقلاء العالم على ان تسمى فلسطين مرة اخرى باسم (الأرض المقدسة) كما هي مذكورة فى قرانكم وفى التوراة والانجيل .

● أن ينقل مقر الامم المتحدة ، وكل فروعها ، الى الأرض المقدسة حيث لا يرتفع هناك سوى ( علم ) الأمم المتحدة ، مرفرفاً فى سمائها ...

● أن يكسب جنسيتها ، كل من ولد هناك أو ابواه او احد هما .

● أن يمنع دخول ( السلاح ) إليها قطعيا ، حتى ولو كان للصيد .

● أن تكون مفتوحة لكل سكان الأرض للسياحة الروحية والاستجمام الوجداني ، والهروب من مباذل ورذائل الحياة المعاصرة فلا مجال فيها للربا ، والزنا ، والميسر ، والعربدة ، ومساويء الاخلاق .

● أن تساعد الأمم المتحدة على تنمية مواردها وانتاجيتها وزراعة كل شبر فيها واستغلال كل ذرة من الخير فى ارجائها .

● أن تنشيء الأمم المتحدة فى القدس (جامعة علمية ) كبرى ، لجميع فروع البحث العلمي والآداب والفنون ، يحمل علماؤها لواء الدعوة الصادقة الى ضرورة عدم استخدام منجزات العلم فى ( الأذى والشر ) بل فى سبل إسعاد بني البشر جميعا على سطح الأرض ، وتوفير الطعام والدواء والكساء والمسكن فى كل ارجاء الدنيا .

● ● قلت للرجل النيوزيلندي ، إن هذا كلام جميل جداً ، وحلم من احلام اليوتوبيا او المدينة الفاضلة ، ولكن المشكلة ياصاح أن الروح العدائية الاجرامية ، تلك المتمثلة امامك فى هذه الانقاض ، هي صاحبة الأغلبية الغالبة لدى القوم هناك ، ولن يتسنى تحقيقها ، طالما ظل المسيطرون بينهم هم ذلك الطراز من البشر الذين قرروا رغم دعاواهم بالرغبة فى السلام والجوار الآمن ودفن الاحقاد ، قرروا هدم ياميت ونسفها ، حتى لا تفيد منها مصر العربيـة شيئا ... فاذا ضمنت أن القوم هناك مستعدون لتغيير تفكيرهم ونبذ عنصريتهم ودفن احقادهم الكامنة فانني ابشرك بامكان عودة فلسطين ارضا مقدسة ومنارة تضيء للانسانية طريق الحق والعدل والجمال والاخاء ...

وافترقنا ، ودارت عجلة الصراع ، وحدثت مجزرة ( صبرا وشاتيلا ) فارسلت للرجل النيوزيلندي خطابا اذكره فيه ببعض مادار بيننا لدى اطلال ياميت منذ اسابيع ، واساله إذا ما كان بعد يعتقد بامكان تحقيق اماله ، ولعله يرد مستمسكا بتلك الآمال عاملا على نشر فكرتها ، تكفيراً عن ذنب جده الذى قضى على مذبح الصهيونية العالمية لدى بير ابى شنار سنة ١٩١٦ قرب اطلال ما كان يسمى ياميت !!!

# وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

## في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم: الدكتور عاصم الدسوقي

# عاصفة حول إنقاذ يهود أوروبّا من النازيّة

في العدد السابق تناولت هذه الدراسة دور اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا - وهي لجنة صهيونية - في صياغة مشروع قرار في نوفمبر ١٩٤٣ قدم للكونجرس بشأن تشكيل هيئة تسعى لانقاذ يهود أوربا، وكيف أن صياغة هذا المشروع نبتت من المؤتمر الطاريء الذي دعت إليه اللجنة العاجلة وانعقد بنيويورك في يولية ١٩٤٣ واشتركت فيه شخصيات من الحزبين الجمهوري والديموقراطي وممثلون عن الهيئات والمنظمات المعنية بالولايات المتحدة.

ثم عرضت الدراسة للملابسات والظروف التى دفعت بلجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الى عقد جلسات استماع بشأن مشروع القرار ودفاعاً عن نزاهة الكونجرس. ورأينا أن هذه الجلسات قد بدأت فى ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ وانتهت فى ٢ ديسمبر من نفس العام استمعت خلالها الى أربعة عشر شخصاً يمثلون مصالح مختلفة. وكان دين الفانج أحد رؤساء اللجنة العاجلة أول المتحدثين أمام لجنة الشئون الخارجية حيث ركز فى بيانه على ضرورة اجبار المانيا على ايقاف القتل الجماعي الذى تمارسه ضد اليهود، والعمل على نقل اليهود الى أقاليم خارجة عن سيطرة المانيا. وكان حريصاً أمام مناقشيه على ضرورة التمييز بين مشكلة اللاجئين الدوليين بشكل عام ومشكلة اليهود المضطهدين بشكل خاص.

وفي هذا الجزء نستكمل المناقشات التى دارت فى جلسات استماع لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس.

فى عصر اليوم نفسه (١٩ نوفمبر ١٩٤٣) عقدت الجلسة للاستماع الى شهادة وليام برنارد زيف. (١٢) وقد قال عن نفسه انه لا يمثل اية جهة او اي منظمة وانه مجرد مواطن امريكي يشتغل بنشر بعض المطبوعات مثل مجلة فلاينج Flying وراديو نيوز Radio News، وانه يقيم فى بورت توباكو بولاية مرلاند.

ولما كان يعمل بالنشر والكتابة فقد لجا فى عرض افكاره الى محاولة التاثير العاطفي على اذهان السامعين مذكراً اياهم بالدور الانساني الذى قامت به الولايات المتحدة على مدى تاريخها فى تقديم يد العون والمساعدة للشعوب التى حلت بها كوارث مثل زلزال طوكيو ومذابح الأرمن على يد الاتراك. وانه من ثم لا يوجد مبرر - فى رايه - لتغاضي الولايات المتحدة عما يلاقيه يهود اوربا على يد النازيين.

ثم اشار الى ان مشروع القرار المقدم للكونجرس والخاص بانشاء هيئة الانقاذ يعد شيئاً منطقياً، وان الموافقة عليه شيء تفرضه المثل الاخلاقية التى ترعاها الولايات المتحدة حتى ولو لم يكن هناك امل فى التوصل الى نتيجة عملية من وراء ذلك ثم انتقل بعد ذلك الحديث عن المؤتمر الذى نظمته اللجنة العاجلة فى نيويورك فى

● المطالبة بإجبار ألمانيا على إيقاف القتل الجماعي

● ماهي العُقد التي كانت تحكم الانتداب البريطاني من وجهة نظر اليهود؟

● الكتاب الأبيض البريطاني ١٩٣٩م يثير غضب اليهود

● اليهود يرفضون التوطين في كندا أو في الأمريكتين

يوليه ١٩٤٣ واشاد بما انتهى إليه .

ومثلما فعل الفانج ـ الشاهد الذى سبقه ـ اشاد زيف بموقف السويد لاستقبالها ٨٠٪ من يهود الدنمرك . ثم قال بامكانية انشاء الملاجىء الخاصة فى الشرق الادنى أو فى شمال افريقية وليس فى الأمريكتين مثلا وذلك لبعدهما . وهذا يعكس تنسيقاً واضحاً بين الشاهدين فى التعرض للمسالة ، إذ اننا نعرف بعد قليل انه يقصد بالشرق الادنى منطقة فلسطين التى « يملك فيها اليهود حقاً شرعيا » كما يدعي الشاهد . وأن العقبة الوحيدة امام ذلك لاتتمثل فى عجز اليهود عن الخروج من البلاد الواقعة تحت الحكم النازي ، أو رفض هذه البلاد اخراجهم ، بل أن العقبة الوحيدة تتمثل فى العقد التى تحكم السياسات البريطانية فى فلسطين .

ثم انطلق بعد ذلك يشرح كيف ان انتداب بريطانيا على فلسطين قد تم التوصل إليه « لصالح الشعب اليهودي وإعداد فلسطين لحالة طارئة كهذه الحالة التى نحن بصددها » . وهو بهذا يشير إلى ان صيغة الانتداب التى صدرت عن عصبة الامم فى يوليو ١٩٢٣ تضمنت فى ديباجتها تصريح بلفور المشهور . ومع ذلك فان بريطانيا ـ كما يقول ـ «لا ترتاح الى توطين اليهود فى فلسطين ، على الرغم من التعهدات والالتزامات الدولية التى التزمت بها عندما قبلت الانتداب » .

ثم يبدو أكثر صراحة عندما يقول ان ما يسمى بشرق الاردن هو المكان الوحيد في العالم الذى يخلو من اليهود ، وانه فى الواقع جزء من فلسطين وبالتالي فهو يخضع للانتداب الذى على فلسطين . وهو بهذا يريد أن يوسع من امكانية المساحة التى تستوعب اليهود عند انقاذهم . ثم هو بعد ذلك يرد على ما أثير فى الجلسة من ان هجرة اليهود الى فلسطين قد تثير العرب ، قائلا ان ذلك من باب الخرافة برغم وجود مجموعة من القادة العرب وعلى راسهم مفتى القدس يناصرون المحور . وهو يستند فى ذلك الى أن الامير فيصل ملك العراق قد عكس فى خطاب له «التفهم الكامل للعرب مع المشروع الرامى الى انشاء فلسطين اليهودية » (١٣) .

ثم انتقد ايضاً وبشدة الكتاب الابيض البريطاني الصادر فى ١٩٣٩ والخاص بتقييد الهجرة الى فلسطين وبملكية الارض فيها قائلا انه صدر دون موافقة وكالة الانتداب التابعة لعصبة الامم ، وان تشرشل نفسه رئيس الوزراء البريطاني استنكره عند عرضه على مجلس العموم حيث قال « إنه اخلال كامل بالعهد وفسخ لالتزام مقدس من جانب واحد » . ثم يذهب الى امكانية دخول الواحد وثلاثين الف يهودى الى فلسطين طبقاً للكتاب الأبيض مع ان بريطانيا تمنع نزول اليهود فى اراضي الدول المحايدة والدول التابعة للمحور المتاخمة لفلسطين . (١٤)

واختتم بيانه بالقول بضرورة فتح ابواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية دون قيود . ومطالبا الحكومة الأمريكية باستخدام مساعيها الحميدة لدى بريطانيا فى هذا الخصوص ، خاصة وان الولايات المتحدة تعتبر طرفا فى نظام الانتداب من خلال الاتفاق الانجليزي الأمريكي بشان فلسطين عام ١٩٢٤م .

## حوار كله مراوغة

وبعد ان انتهى وليام زيف من القاء بيانه ساله كارل موندت (جمهورى) عن الاسباب التى دفعته لالقاء هذا البيان ، فقال لأن ذلك يتفق مع معتقداته ، ولأن اللورد ويدجوود Wedgewood سبقه فى التعبير عن هذا الراى أمام البرلمان البريطانى عندما بدا اليهود يتعرضون لعمليات «الذبح» ، ولأن قليلا من العناية قد وجهت لهذه المسالة بينما هى تحتاج الى جهود جماعيه للتدخل بطرق سرية أو علنية ، وبشرط أن تتميز هذه الجماعية بالمقدرة وبالتعاطف فى آن واحد مع المشكلة .

ثم دار بعد ذلك حوار شيق وطريف بين الشاهد ورئيس الجلسة (صول بلوم) يتميز بالمراوغة وبمحاولة كل منهما دفع الآخر الى مازق لايستطيع منه الفكاك ليرغم كل منهما الاخر على القبول بوجهة نظرة الدفاعية فى الموضوع .ولاباس من ايراد هذا الجزء من الحوار بين الاثنين بنصه والذى استطال دون ان تتدخل اطراف اخرى فيه :

« الرئيس : الا تظن أن المشكلة يمكن ان تنحصر الان ، أو يجب أن تنحصر فى موضوع الواحد وثلاثين الفا المراد ادخالهم فلسطين اذا كان ذلك ممكنا ، بدلا من أن نتناول موضوعاً آخرا .

زيف : قد يكون ذلك حقيقياً ياسيدى ولكن هناك بعض الحقائق التاريخية فى هذا الأمر تتطلب مدخلا جديداً لتناول الموضوع . ومن هذه الحقائق ما حدث للسفينة ستروما Struma التى ابحرت العام الماضى حاملة من رومانيا خمسين من اليهود اللاجئين تعساء الحظ ومعظمهم من

# عاصفة حول إنقاذ يهود أوروبا من النازية

الأطفال .. والذى حدث أن السلطات فى فلسطين رفضت ادخالهم فبقيت السفينة فى المياه الى أن تعرضت للنسف من جراء لغم بحرى بالقرب من الشواطىء هناك . ولم يكن هناك مكان ينزلون فيه أو مكان يقبل دخولهم . واعتقد انهم عادوا ادراجهم الى مجازر رومانيا (١٥) .

الرئيس : أنا اعلم ذلك ولكنى كنت أظن أن نركز الاهتمام على انقاذ أكبر عدد ممكن من اليهود على قدر الامكان ، وأن نتكلم عن الواحد وثلاثين الفاً المسموح لهم دخول فلسطين بمقتضى الكتاب الأبيض .. أليس ذلك صحيحاً .

زيف : ولكن ياسيدى الكتاب الأبيض غير مشروع .. فالمفروض أن يدخل جميع يهود أوروبا الى فلسطين .

الرئيس : اعرف ذلك ولكن ....

زيف : ان واحداً وثلاثين الفاً أفضل بالطبع من لاشىء كما هو الحال الآن .

الرئيس : طبقاً للكتاب الأبيض فهناك واحد وثلاثون الفاً ممكن دخولهم الى فلسطين اذا استطاعوا الوصول هناك .

زيف : ياسيدى .. لايمكننى الاعتراف بوسيلة غير مشروعة (الكتاب الابيض) خاصة وان عصبة الأمم المسئولة عن الانتداب تقول بذلك ايضاً .

الرئيس : يبدو انك لاتريد الجواب على السؤال .. ان الفكرة تتلخص فى اننا نحاول انقاذ اليهود ..

زيف : نعم ياسيدى .

الرئيس : اذا استطعنا تجميع واحد وثلاثين الفاً لارسالهم الى فلسطين فسوف يدخلون هناك بناء على الكتاب الأبيض غير المشروع كما تقول والمعمول به الآن .

زيف : اذا توصلنا الى ذلك حقيقة ياسيدى فسيكون ذلك شيئاً عظيماً ، وتكون لجنتكم هذه ( لجنة الشئون الخارجية للكونجرس) قد فعلت الكثير من أجل الانسانية ، وبدون الجدل فى الهواء الطلق الذى قد يمتد لسنوات . واذا استطاعت اللجنة التوصل الى ذلك مرة واحدة ، واذا اعلنت السلطات البريطانية فى خلال الثلاثين يوماً القادمة « اننا سوف ناخذ الواحد وثلاثين الفاً فور مجيئهم » ، فانى اعتقد ان المسئولية سوف تقع على عاتق ادارات أخرى لتبحث طلبات هذا العدد عند حدود فلسطين للدخول .

الرئيس : لا شىء يمنعهم من دخول فلسطين اذا ما وصلوا هناك .

زيف : ان الكتاب الأبيض يمنعهم من شراء الأرض ويمنع دخولهم .

الرئيس : السؤال يتلخص فيما يلى : اذا استطعنا تجميع الواحد وثلاثين الفاً لدخول فلسطين فليس هناك ما يمنعهم شرعاً من الدخول .

زيف : نعم .. هناك يا سيدى ما يمنعهم ، فالسلطات البريطانية لم تسمح باعطائهم تاشيرات الدخول . من الناحية النظرية يمكن دخولهم ، ولكن ليس لديهم التاشيرات التى تسمح لهم بذلك عملياً .

الرئيس : يبدو اننى اعجمى غير مفهوم.

زيف : ربما لم افهم يا سيدى ما تقصده .

الرئيس : طبقاً للكتاب الأبيض الذى تنتهى صلاحيته فى نهاية مارس ١٩٤٤ على ما اظن ، فثمة عدد معين من اليهود يمكن دخولهم فلسطين أو هم مؤهلون لذلك فعلا .

زيف : هذا صحيح .

الرئيس : ثم قام البرلمان البريطانى بتمديد أجل الكتاب الأبيض ، وعرفنا ذلك فى مؤتمر برمودا على ما اظن ـ حتى يمكن السماح لهذا العدد ( ٣١ الفاً ) بالدخول الى فلسطين بصفة شرعية .. ان موعد انتهاء اجل هذا الكتاب هو نهاية مارس ١٩٤٤ ولكن الحكومة البريطانية مدت فاعليته الى أجل غير مسمى الى ان يستطيع هؤلاء دخول فلسطين (١٦) .

زيف : ان هذا « الأجل غير المسمى » هو المشكلة يا سيدى . فالسلطات لم تصدر التاشيرات اللازمة ، اذ يجب ان يحصل الشخص اليهودى على هذه التاشيرة قبل كل شىء (١٧) .

الرئيس : هل صدرت لليهود تاشيرات لدخول المكسيك مثلا .

زيف : لكن البريطانيين لا يصدرون تاشيرات لدخول اليهود فلسطين الا اذا ادركوا ان فلسطين مثل المكسيك .

الرئيس : الا يحتمل ان لا يكون فى استطاعتهم ذلك اذا ما زاد العدد عن الواحد وثلاثين الفاً ؟ .

زيف : لا يا سيدى .

الرئيس : اذا كانت لديك طريقة ما لتجميع هؤلاء الواحد وثلاثين الفاً للذهاب الى فلسطين فانا اضمن لك دخولهم

زيف : عظيم .. سوف اذكر بعض الأمثلة سوف اذكر لك حالة مهندس من احسن المهندسين العالميين اختبا فى حجرة اعلى سطح احد المنازل فى مرسيليا خوفاً من ان يرسل الى المجازر فى بولندة . وكان بامكانه الخروج من مرسيليا ، فتقدم للحصول على تاشيرة دخول الى اى مكان وهو يائس تماماً فلم يتمكن من ذلك . وقد التمس منى تدبير تاشيرة له من خلال اصدقاء لنا من غير اليهود . ولم استطع تسهيل حصوله على تاشيرة لفلسطين ولا الى اى مكان اخر واعتقد انه الآن فى مجازر بولندة .

الرئيس : هل لى ان اسالك اين تقدمت بطلب الحصول على التاشيرة ؟ .

زيف : لست اعرف ماذا كانت قنوات الاتصال فى هذا الموضوع . وكل ما اعرفه ان الطلب قد قدم ولكن لم نحصل على التاشيرة .

الرئيس : لقد وافقت السلطات البريطانية على قبول خمسة الاف طفل من اى بلد من البلاد الخاضعة للاحتلال الالمانى ، وانا اود ان لا اكون ظالماً للبريطانيين .

زيف : هل تعلم يا مستر بلوم كنه السياسة البريطانية ؟ .

الرئيس : اسمح لى ان اكمل كلامى من فضلك . لقد وافق البريطانيون على السماح لخمسة الاف طفل يصحبهم خمسمائة شاب بالغ بالدخول الى فلسطين اذا ما كانوا جاهزين لذلك . وأكثر من هذا ابدوا استعدادهم للمساعدة على اخراجهم من البلاد التى يقيمون فيها .

زيف : لقد قدم البريطانيون هذه المساعدة فعلا .. لقد منعوهم من المرور عبر العراق وهم يسيطرون على مقدرات العراق .

الرئيس : اوه .. لقد دخلنا فى موضوع اخر الآن .

زيف : لا أظن ذلك يا سيدى .

الرئيس : ما دمت ذكرت العراق وتركيا فنحن قد تقدمنا بطلبات لتركيا للحصول على التاشيرات اللازمة ، وردت السلطات التركية بانها تسمح بمرور خمسة فى اليوم فقط خلال اراضيها . وهذا كل ما يمكن لتركيا ان تسمح به لنا .

زيف : هل هناك سبب لهذا التقييد .

الرئيس : لابد ان لدى الاتراك اسباباً .

زيف : هل تركيا مستقلة عن السياسة الامبريالية البريطانية فى هذا الجزء من العالم ؟ هذا ما اعنيه فعلا .

الرئيس : ان الحكومة التركية تسمح فقط بمرور خمسة يومياً خلال اراضيها

( ترنزيت ) . اما الأسباب التى وراء ذلك الوضع فلست اعرفها . وانا لست محل ثقة الحكومة التركية حتى تفضى الى باسرارها ولكنى اعلم يقينا ان هذا هو الوضع هناك .

اما اذا كانت لديك طريقة ما بخصوص تجميع هؤلاء الواحد وثلاثين الفا المرخص بدخولهم فلسطين فارجو اخبارى . ولعلك تعلم ان لكل دولة من الدول قوانين خاصة بالهجرة من حيث ضرورة فحص المهاجرين بدنيا ، واثبات انهم يتمتعون بصحة جيدة وان احوالهم بشكل عام لا باس بها . ونحن ايضا كبلد ( فى امريكا ) لنا نفس هـــذه القوانين كما هو الحال فى غيرها .

زيف : عظيم .. اننى مستعد لذلك الآن اذا ما كنت ترغب .

الرئيس : عظيم .. هات ما لديك من معلومات .

زيف : اذ كان لا يضايقك هذا فانا احب ان نكون افكارى واضحة عما سوف اجيب عنه أولا .. هل تعتقد حقيقة ان اليهود الذين تقدموا للحصول على تاشيرات لدخول فلسطين يمكن ان يدخلوا وفقا لنفس الأسس التى يتعامل بها العــرب الذين يعبرون الحدود فقط دون اجراءات رسمية ودون التعرض للفحص البدنى الذى ذكرته فى كلامك .

الرئيس : لا اعرف شيئا بخصـوص الاجراءات الرسمية .

زيف : أو هـــل يجب عليهم طلب التاشيرة وهم فى برلين مثلا .

الرئيس : كيف يمكنهم طلب ذلك من برلين . سوف اسالك سؤالا محدداً .. هل بامكانهم الحصول على تاشيرة وهم فى برلين ؟

زيف : لا اعرف ذلك يقينا . فالالمان شعب لا يمكن التنبؤ بما يقدمون عليه .

الرئيس : ولا انا كذلك . لنفرض انك تريد الحضور الى هذا البلد وانت تعيش فى برلين ، فاولا يسمح لك بذلك ثم تطلب تاشيرة الدخول وانت فى برلين .. فهـــل لا تحصل عليها .

زيف لا يا سيدى .. ان الظروف غير متطابقة تماما . ففى حالة فلسطين فانت رهن ظروف خلاصتها ان هناك هجرة جماعية من اناس يتعرضون لخطر قاتل ، ويواجهون رعبا قاتلا ايضا ، ويعيشون فى ظروف لن تمكنهم من المرور من الفحص الطبى الذى قد يجرى عليهم كما تقول . انهم محرومون من الفيتامينات ومن كل انواع الطعام ، ولا يتناول الواحد منهم الا رغيفا من الخبز الأسود فى الأسبوع . هؤلاء الناس يعيشون هياكل عظمية . لقد رايت صورة لهم بهذه الحالة .

الرئيس : لا احد يناقشك فى هـــذا ، فالوضع غاية فى الرعب والفزع ولا يحتاج الأمر لعرض صور معينة ، فالعقل يستطيع ان يتخيل منظراً أكثر رعباً مما تصوره الكاميرا .

زيف : ولكن الممكن يا سيدى ان توضع العقبات امام حركة الناس . وكل ما اذكره فى هذا المجال انه عندما تتوافر النيات الطيبة فى امة عظيمة مثل السويد وجدنا ان ٨٠٪ من يهود الدنمرك يتمكنون من الهرب اليها . ولقد تمكنوا من ذلك لاسباب مختلفة : فهناك مكان يلجأون اليه وهذا هو أهم الأسباب قاطبة . ولم يكن عليهم ان يتعرضوا للفحص البدنى أو التعرف على الجنس الذى ينتمون اليه ، أو كان عليهم ضرورة الحصول على تاشيرات أو اى شىء اخر من المتطلبات العديدة الأخرى التى يجب أن يستوفوها قبل ان يرحلوا .. لا بل قبل ان يتحركوا . كما ان الأوربيين تعاطفوا مع اليهود واعتبروا قضية اليهود قضيتهم فمثلا انطلق البلغاريون والهولنديون فى شوارع مدنهم يخبئون اليهود فى منازلهم . اما الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا فقــد خبأت الاطفال فى الأديرة حتى لا يقعوا فى قبضة النازى فى الغارات التى شنوها على اليهود . لقد تعاون هؤلاء جميعاً على اخراج اليهود سالمين .

يجب إذن ان نضع هذه الفكرة موضع الحركة . أما إذا بقيت الفكرة هكذا فى النطاق الأكاديمي دون ان يكون لها رأس محرك ونقطة محورية تدور حولها ، فقل على الأرض السلام . يضاف إلى ذلك انه لايوجد مكان متفق عليــه لتهجير هؤلاء الناس إليه . وإذا كان كل شىء يجب أن يدخل فى دائرة المفاوضــات .. فالموضوع إذن يدعو الى الياس ولا امل فيه منذ البداية . ان العقبات جد ضخمة ، وإذا كان هناك مكان مثلا يتم التفاوض بشانه ثم توقفت هذه المفاوضات عند نقطة معينة فلاباس من ذلك التوقف ، لانه يعنى وجود امكانية للتوصل الى تسهيلات وان الأمر كله قابل للحركة والعمل . إما أن يكون الأمر كله غير قابل للحركة ففى هذه الحالة يجب ان نتخلى عنه ونطرح الفكرة جانباً وتبقى مجرد تلويح بالنيات الطيبة . إن هذا الشىء مؤلم للغاية إذا ما انتهى الى ذلك . يجب إذن أن نترك هؤلاء الناس لقدرهم ولنقل انهم اطفال هذا القرن المفقودون ولينصرف كل منا الى عمله .

يجب علينا انشاء ادارة مركزية لهذا العمل فى اى مكان ، يقوم بالعمل فيها شخص او اشخاص تكون مسئوليتهم البحث عن الامكانات المتاحة فى ضوء الحدود القائمة للحركة الآن .. وما الذى يمكن تحقيقه . وهذا العمل المقترح لا يؤثر بدرجة أو باخرى على المجهودات الحربية لاننا يجب ان نسلم جميعاً بان المجهودات الحربية لها أولوية على كل ما عداها . ولا يمكن تحقيق اى شىء من هذا ما لم تكن هناك سلطة مسئولة ينحصر عملها فى هذا الموضوع ولا شىء غيره .

## المكان أم تسهيل الخروج

ثم انحصرت المناقشة مع الشاهد بعد ذلك فى قضية اخرى طريفة ، وهى ايهما اجدى واكثر قابلية للتطبيق : توفير المكان الذى يهاجر اليه اليهود أولا ، أم تسهيل خروجهم من البلدان الأوربية الخاضعة للألمان ثم توفير المكان بعد ذلك .

لقد كانت وجهة نظر الشاهد تتلخص فى توفير المكان أولا ، وليس هناك من مكان فى رايه سوى فلسطين ، وليس هناك من عقبة امام ذلك سوى السياسة البريطانية وكتابها الأبيض . اما اعضاء لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الذين يتحاورون معه فقد كان رايهم العكس ، ويتلخص فى ضرورة الاطمئنان أولا الى خروج اليهود من البلدان الأوربية الخاضعة للنازيين وتامين وصولهم الى المكان وليكن فلسطين ثم تبحث الاجراءات المتطلبة للدخول بعد ذلك .

ولقد كان حوار اشبه بالحوار العقيم الابدى حول ايهما اسبق فى الوجود : البيضة أم الكتكوت . فالشاهد يقول ما قيمة خروج اليهود دون ان يعرفوا المكان الذى يتوجهون اليه ، واعضاء اللجنة يقولون : وما قيمة المكان إذا لم يكن فى استطاعة اليهود الخروج وراء الحدود .. إذا خرجوا فلن يكون هناك فرق بين مكان واخر .

ومن الملفت للنظر فى هذا الحوار ان جوزيف بولدوين احد مقدمى مشروع القرار كان فى صف الشاهد وبالتالى فى صف اللجنة العاجلة ، وهى لجنة صهيونية كونها بيتر برجسون اليهودى الفلسطينى كما سبقت الاشارة . فهو يقول ان كيفية خروج اليهود من أوربا أمر تبحثه هيئة الانقاذ المقترحة فى المشروع . ولكن «تبقى الحقيقة إن هؤلاء الناس يخرجون عندما يجدون مكانا يذهبون اليه كملجا مؤقت» . وضرب مثلا باسرة يهودية تعيش فى رومانيا منذ ثلاثمائة عام اصبحت تعيش فى رعب قاتل من مصيرها على يد النازية ، وان هذه الأسرة اذا ما عرفت انه بامكانها الهرب الى تركيا ، وان هناك معسكراً معداً

# عاصفة حول إنقاذ يهود أوروبا من النازية

لاستقبالها بصفة مؤقتة فسوف تكون لديها القدرة على الهرب .

وواضح ان فكرة الشاهد من توفير المكان اولا تقوم على ان يعلن بصفة رسمية ان كل يهودى يستطيع الدخول الى فلسطين خلال الثلاثة شهور القادمة إذا ما استطاع الهرب بطريقة او باخرى من البلد التى يعيش فيها تحت ضغط الاحتلال الألمانى . ذلك أن الشاهد يعلم أن هناك عدداً من اليهود يتجولون خفية فى انحاء أوربا كلها لكنهم يخشون الذهاب الى فلسطين لعدم وجود تاشيرة تسمح بدخولهم حسب التعليمات البريطانية . وهو يشعر بان العدد المؤهل لدخول فلسطين من اليهود (٣١٠٧٨) شخصاً طبقاً للكتاب الأبيض وحتى مارس ١٩٤٤ لن يتحقق من الناحية الواقعية ، لان الانجليز ـ فى ظنه ـ سوف يمنحون خمسة الاف تاشيرة فقط خلال الخمسة شهور الباقية على ٣١ مارس ١٩٤٤ (نوفمبر ١٩٤٣ ـ مارس ١٩٤٤) يقتطعون منها ٥٠٪ خاصة بالعناصر التى دخلت الى فلسطين بطريق غير شرعى حيث اعتبرتهم السلطات البريطانية لاجئين غير شرعيين . وهذا يعنى فى رأى الشاهد أن بريطانيا لن تصدر إلا الفاً وخمسمائة تاشيرة من الناحية العملية .

ويرفض الشاهد فكرة توطين اليهود فى كندا أو فى الامريكتين او فى أى مكان آخر عدا فلسطين . ذلك أن توطينهم فى غير فلسطين تصحبه مشكلات وعقبات هائلة فى الوصول الى هذه الأماكن ، وعقبات اخرى فى التكيف والتوافق مع هذه البيئات الجديدة ، فضلا عن أن هذه الأماكن (غير فلسطين) لن ترضى باليهود ويحتاج الأمر الى التفاوض بشأن كل واحد منهم بمفرده لادخاله . والغريب انه لا يعترف بمثل هذه المشكلات بالنسبة لفلسطين من حيث التكيف والتوافق مع البيئة لأنهم فى رايه «فى وطنهم حيث يستطيعون بناء حياتهم من جديد بما يملكون من مؤهلات لذلك العمل» . كما انهم «نعمة كبرى» للغرب إذ انهم عناصر تفهم التكنولوجيا، وتقيم الصناعة فى الشرق الادنى الذى يمثل اهمية حيوية لجيوش الولايات المتحدة فى هذا الجزء من العالم . وقد وصل الأمر به الى حد اتهام بريطانيا بمعاداة السامية وخاصة فى الادارات والأجهزة المختصة بموضوع هجرة اليهود الى فلسطين .

وحاول رئيس الجلسة أن يحرج الشاهد فيما يتعلق بادانته للسياسة البريطانية فقرأ على المجتمعين البرقية التى أرسلت الى النيويورك تايمز فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ والتى تشير الى ما حدث فى البرلمان البريطانى بشان بقية اليهود المراد السماح بدخولهم الى فلسطين بمقتضى الكتاب الأبيض . وقد جاء فى البرقية ما يلى :

«أعلنت الحكومة البريطانية اليوم أن الواحد وثلاثين الفاً وثمان وسبعين (٣١٠٧٨) يهودياً المقرر دخولهم فلسطين بطريقة شرعية ولم يتمكنوا من ذلك بسبب الحرب سوف يدخلون فلسطين عندما تسمح الظروف بذلك . وقد اعلن الكولونيل أوليفر ستانلى وزير المستعمرات الذى ألقى بيانه امام مجلس العموم أنه لن يحدث تغيير فى السياسة التى وضعت فى الكتاب الأبيض الصادر فى مايو ١٩٣٩ . وقال مذكرأ البرلمان ان الكتاب الابيض يسمح بدخول خمسة وسبعين الفاً من اليهود المهاجرين الى فلسطين خلال خمسة أعوام تنتهى فى ٣١ مارس ١٩٤٤ وذلك بناء على السعة الاقتصادية لفلسطين التى يمكن أن تستوعب هذا العدد . وقد رؤي امكانية تخصيص حصة سنوية مقدارها عشرة آلاف مهاجر . كما رؤى ايضاً السماح لخمس وعشرين الفاً آخرين بالدخول الى فلسطين بالاضافة الى ذلك مساهمة فى حل مشكلة اللاجئين اليهود . غير أن الحرب حالت دون تنفيذ هذا البرنامج بالكامل . وقد بلغ عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين بطريق شرعى أو بطريق غير شرعى ٤٣٩٢٢ شخصاً حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣ من اجمالي لخمسة وسبعين الفاً المقرر دخولهم بمقتضى الحصة المقررة سلفاً . وهكذا يتبقى من اجمالى الخمسة وسبعين الفاً المقررة ٣١٠٧٨ يهودياً المفترض وصولهم فلسطين قبل مارس ١٩٤٤ لولا ضرورات الحرب . وقد قدرت الحكومة البريطانية هذا الوضع وتوصلت الى أن اغلاق ابواب فلسطين امام هؤلاء الأشخاص ليس عدلا فى ضوء الظروف القائمة» .

غير أن الشاهد (وليام زيف) احتج بشدة على هذا التصريح الذى يدعو الى السخرية فى رايه ، لأن بريطانيا تعترف بحقيقة المهاجرين الذين دخلوا فلسطين بطريق غير شرعى بينما تضع العقبات امام المطلوب ادخالهم بطريق شرعى . ولعل الذى دفع الشاهد الى هذا التعليق أن النيويورك تايمز نشرت ما ورد بالبرلمان البريطانى ، قد اغفلت ذكر الفقرة الأخيرة الخاصة بامكانية دخول الـ ٣١٠٧٨ .

حاول رئيس الجلسة بعد ذلك اغراء الشاهد بتقديم ما لديه من معلومات تفيد امكانية اخراج اليهود من البلاد الخاضعة للاحتلال النازى توطئة لنقلهم الى فلسطين لوضعها أمام اللجنة الدولية المشتركة ، أو أمام الحكومة الامريكية للتصرف فى ضوئها ، إلا أن الشاهد ابى قائلا ان اللجنة الدولية المشتركة لن تقوم بشىء لأنها اسقطت عمداً فلسطين من الاماكن المقترحة للتوطين .

ثم نهض أندرو سخيلفر (جمهورى) محاولا دفع الشاهد الى الجدار سائلا إياه عما اذا كانت لديه فكرة بشان اقتراح قد قدم الى وزارة الخارجية الأمريكية أم لم يقدم ، وذلك تمشياً مع اعلان الوزارة استعدادها للنظر بعين الاعتبار الى اى اقتراح بشان انقاذ يهود اوربا (١٨) . فاشار الشاهد الى أن مستر برجسون الذى يحضر الجلسة اقدر منه على الاجابة على هذا السؤال .

وبيتر برجسون احد رؤساء اللجنة العاجلة وهو مؤسسها كما سبقت الاشارة . وقد ذهب فى ١٢ اغسطس (١٩٤٣) ـ بعد رسالة كورديل هال الى المؤتمر اليهودى فى ٢٦ يولية ـ ومعه وفد من اللجنة العاجلة يضم دين الفانج ، وجو دافيسون احد رؤساء اللجنة لمقابلة وزير الخارجية ومساعده لونج حيث اشترك الجميع فى وضع خطة محكمة تحتوى على كل التفاصيل للعرض على الوزارة . وقد اقترح فى هذه الخطة انشاء «وكالة خاصة لانقاذ يهود أوربا» ، وذلك قبل تقديم مشروع قرار الكونجرس بهذا الشان . ومنذ ذلك الوقت استمر وفد اللجنة العاجلة على اتصال بمستر لونج الذى خصصه وزير الخارجية لمعالجة المشكلة حيث تم تقديم مذكرة اخرى لوكيل الوزارة المستر استيتينوس Stettinius

وقد اقترحت اللجنة العاجلة على وزارة الخارجية الأمريكية تقديم التسهيلات المناسبة لايفاد وفد من اثنين او ثلاثة خبراء من اعضائها الى تركيا أو الى الحدود التركية ـ البلغارية للبرهنة على امكانية اخراج أكبر عدد ممكن من اليهود

من اوربا عبر تركيا . وقد ابدت الوزارة قبولا لهذه الفكرة ولكن فى غضون اغسطس (١٩٤٣) ارسل مساعد الوزير (المستر شو Shaw ) الى اللجنة العاجلة يفيدها بعدم امكانية السماح لوفد من هذا القبيل بالذهاب الى المنطقة المقترحة .

واكتفت اللجنة العاجلة بهذا الرد واستمرت على اتصال بالوزارة ، ولكن دون الدخول فى مفاوضات مرة اخرى بشان الموضوع ، ودون الاتصال بوزارة الحربية ووزارة الخزانة بخصوص الجوانب الاقتصادية والعسكرية فى الموضوع ، وذلك لاعتقاد اللجنة بان الاتصال بهاتين الوزارتين لم يحن اوانه بعد ، حيث ان الصعوبات التى تواجه مشكلة انقاذ اليهود تتعلق بالتصور السياسى للامر بشكل رسمى اكثر من تعلقها بالمسائل الفنية . ومع هذا فقد اتصلت اللجنة العاجلة ببعض الضباط العسكريين الامريكيين الذين قالوا بامكانية التغلب على الصعوبات ، وان كانت المحادثات معهم تمت بشكل غير رسمى . ولقد حاولت لجنة الاستماع الحصول من برجسون على اسماء هؤلاء الضباط العسكريين ولكن دون جدوى .

## موضوعان مختلفان

على أن اللجنة العاجلة قد ادركت فى مرحلة لاحقة انها ووزارة الخارجية الامريكية يتحدثان فى موضوعين مختلفين فاللجنة تريد من الوزارة العمل على انقاذ اربعة ملايين يهودى يعيشون داخل اوربا ، والوزارة تتحدث بشان ما تقوم به نحو اللاجئين خارج اوربا . وعندما كانت اللجنة تذكر الوزارة بان ما قام به مؤتمر برمودا يعد انجازا عظيما لنقله اثنين وعشرين الفا من اسبانيا الى المكسيك والى شمال افريقيا (بينهم ستة الاف يهودى) ، وان موضوعها يتعلق بالاربعة ملايين يهودى فقط ، كانت وزارة الخارجية تشير دائما الى اعمال اللجنة الدولية المشتركة والى اجتماعاتها المستمرة .

ومع كل هذا فقد قدمت اللجنة العاجلة خطة مفصلة لوزارة الخارجية الامريكية بشان اخراج اليهود من اوربا . غير ان شيئا من ذلك لم يحدث . وكانت الخطة تقوم على اعتبار اليهود الذين سيتم اخراجهم من اوربا جزءا من نطاق عمل اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين .

## هوامـــــــش

(١٢) انظر نص البيان بالكامل بالملحق رقم (٢) ص ٨٠ .

(١٣) تذكر وثائق الكونجرس ان الامير فيصل قد عقد تحالفا مع حاييم ويزمان على اساس حصول فيصل على دعم اللوبى الصهيونى فى بريطانيا لانشاء دولة تحت زعامته تضم سوريا الكبرى . وقد ادى هذا الى عقد اتفاق رسمى بين الرجلين تاريخه ٣ يناير ١٩١٩ وبمقتضاه يؤيد فيصل الهجرة اليهودية الى فلسطين على نطاق واسع . ومع هذا فقد اورد فيصل تحفظا على هذا الاتفاق مؤداه انه فى حالة احباط امال العرب القومية فلا يجب ان « يسئل عن الفشل فى تحقيق هذا الاتفاق » . وقد ارسل فيصل خطابا بتاريخ ٣ مارس ١٩١٩ الى فيلكس فرانكفورتر Frankfurter المسئول عن المنظمة الصهيونية فى امريكا عبر فيه عن تاييده للاستيطان اليهودى وعن التطلع « الى مستقبل نساعدكم فيه كما تساعدونا انتم ايضا » . ولقد حدث ان فشل مشروع سوريا الكبرى واصبح فيصل ملكا على العراق فى ١٩٢١ . ولكن نمو الشعور المعادى للصهيونية بين العرب الفلسطينيين على نحو ما حدث فيما بعد جعل فيصل « ينكر » هذا الاتفاق القائم ، بل اعلن فى ١٩٣١ ان « جلالته لا يتذكر انه كتب رسالة بهذا المعنى » . ( انظر كتـــــاب . W. Laqueur, ed., The Arab-Israeli Re ader, N. Y., 1969 الذى نشر اتفاق فيصل ـ وايزمان ومراسلات فيصل ـ فرانكفورتر ) . على ان محاولة سحب خذه المراسلات على الموقف القائم فى فلسطين عام ١٩٤٣ امـر غير منطقى ومشكوك فيه على احسن تقدير .

(١٤) اشارت الفقرة (١٦) من الكتاب الابيض البريطانى لعام ١٩٣٩ الى الحاجة الى تحديد حيازة اليهود للارض « اذا كان على المزارعين العرب ان يحتفظوا بمستوى معيشتهم الحالى ، واذا لم تكن فى النية ايجاد نسبة لا يستهان بها من السكان العرب الذين لا يملكون شيئا » ( انظر كتـــــاب '( فيما يتعلق بنص الكتاب الابيض ) . ولقد اكدت قواعد انتقال الأرض الصادرة فى فبراير ١٩٤٠ تلك السياسة حيث قسمت فلسطين الى ثلاثة مناطق وضع لكل منها قواعد خاصة بانتقال الملكية من العرب الى غير العرب أو حظرها بطريقة او باخرى . وفيما يتعلق بتحليل تفصيلى لهذه القواعد والصراع الذى دار بتحليل تفصيلى لهذه القواعد والصراع الذى دار حول كيفية تنفيذها انظر : التقرير الذى اعد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ ليكون امام نظر اللجنة الانجليزية الامريكية للتقصى وهو بعنـــــوان A Survey of Palestine, Vol. I, Ch. VIII

(١٥) غادرت السفينة ستروما ميناء كونستانزا Costanza برومانيا فى طريقها الى فلسطين فى ١٦ ديسمبر ١٩٤١ حاملة ٧٦٩ لاجئا . وقد ارتطمت بالصـــــخور بالقرب منْ اســــــتانبول ، وقـــــد رفضت السلطات التركية السماح للركاب بالنزول ما لم تصدر تاشيرات بريطانية لدخول فلسطين . وبعد مفاوضات طويلة وافقت بريطانيا على منح تراخيص دخول للاطفال اقل من ١٦ سنة . وقد جاء ذلك متاخرا لان السلطات التركية كانت قد سحبت السفينة خارج الميناء ثم غرقت فى البحر الاسود فى ٢٣ فبراير ١٩٤٢ ربما لاصطدامها باحد الالغام البحرية ولم ينج الا واحد فقط .

(١٦) انظر هامش رقم (١) من الفصل الاول ، ص ٢ من هذا الكتاب .

(١٧) بعد اصدار الكتاب الابيض فى ١٩٣٩ اتخذت السلطات البريطانية عددا من القواعد الادارية التى حددت منح تاشيرات دخول للعدد المتفق عليه وهو ٧٥ الفا . ثم عززت هذه القواعد بقرار مصلحة الهجرة رقم ٥ لسنة ١٩٤١ الذى نص على ان : التاشيرات لن تمنح الى اللاجئين القادمين من المانيا او من اى بلاد واقعة تحت الاحتلال الالمانى فيما عدا الاشخاص الذين لديهم تراخيص هجرة صالحة صدرت قبل اندلاع الحرب . ثم حدثت تسهيلات بسيطة بعد ذلك حين سمح بهجرة واطفال للمهاجرين الذين يتولون وظائف ذات مسئولية معينة والاطفال حتى سن الخامسة عشرة ، ومجموعة اصطلح على تسميتها بالعناصر المحاربة الصهيونية العاملين فى الوكالة اليهودية فى اوربا ، وعناصر اخرى ذات وضعية خاصة رات الوكالة اليهودية انها تستحق مساعدة خاصة . وفى ١٩٤٢ منحت ستة الآف تاشيرة لليهود الذين تمكنوا من الهروب الى تركيا وتم تفتيشهم بدقة ومراجعة حالتهم من الناحية الامنية . وبناء على هذه الظروف والشروط المختلفة اصبحت الهجرة غير الشرعية هى الطريق الوحيد لعدد كبير من اليهود الذين تمكنوا بالفعل من الهرب من اوربا . وعلى هذا ففى خلال المدة من اول ابريل ١٩٣٩ الى ٣١ ديسمبر ١٩٤٢ دخل فلسطين ١٩٠٠٥ يهوديا بطريق شرعى بينما دخلها ١٩٩٢٥ يهوديا متسللين وبدون تاشيرات . وعندما اعلن البرلمان البريطانى فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ عن مد العمل بالكتاب الابيض فان مواد هذا التمديد ( انظر هامش رقم ١ من الفصل الاول ) خلت من تعديل مواد تقييد الهجرة الصادرة فى ١٩٤١ بمعرفة مصلحة الهجرة . ويتضح هذا من المناقشة التالية التى جرت فى البرلمان البريطانى :

الآنسة راثبون : هل تنوى الحكومة ايضا الغاء القيود المحددة لاعداد البالغين الذين يدخلون فلسطين طبقا للحصة المقررة للهجرة لانه على ما يظهر حتى الآن فان القول بان الاغلبية يجب ان يكونوا من الأطفال الصغار الذين يصطحبهم نفر من البالغين يمثل العقبة الرئيسية لدخول العدد المسموح به اصلا .

الكولونيل ستانلى : هذا سؤال جد مختلف وربما توافق السيدة المحترمة على ادراجه فى اللائحة او السجلات ( انظر مضابط البرلمان البريطانى ، مجلس العموم ، المجلد رقم ٣٩٣ ، عمود ١١٥٢ ـ ١١٥٣ ) .

وهذه التفاصيل المتعلقة بقواعد الهجرة والقيود الأخرى التى وضعت فيما بعد بخصوص حصص الهجرة المقررة والتى اوضحها الكتاب الابيض بدون لبس ، لم تكن معروفة خارج فلسطين الا على نطاق ضيق فى وقت انعقاد جلسات الاستماع هذه .

(١٨) فى ٢٦ يوليه كتب كورديل هال وزير الخارجية الامريكى الى الدكتور ماكس ليرنر رئيس ندوة العلاقات الدولية فى المؤتمر اليهودى المنعقد فى فندق كومودور بنيويورك جاء فيه « ان انقاذ الشعب اليهودى والشعوب الاخرى بالطبع المعرضة للذبح بواسطة الوحشية النازية هو امر تحت البحث المستمر بمعرفة وزارة الخارجية التى سوف تنظر بعين الاعتبار الى اى اقتراح يوصلنا الى هذا الغرض » .

**الجزء الرابع**
**فى العدد القادم**

# جلباب صغير أخضر

بقلم: إبراهيم أصلان

محمد افندي الرشيدي طلع على سطح البيت ، ونظر من فوق على عربة ابنه المركونة امام الباب ، وام حسين البقالة المشغولة ببيع العيش .

محمد افندي رفع دماغه بشعره الخفيف ، ورأى أسطح البيوت الخالية إلا من حبال الهدوم المنشورة ، وقال إن ام حسين الحمارة ضيقت الشارع كله بالاقفاص ، واية عربة تريد أن تمر من هنا وتذهب الى السوق ، لازم تقوم من مكانها وتسحب هذه الاقفاص لغاية عتبة الدكان .

ومال برأسه حتى راى شارع فضل الله عثمان من أوله ، وعندما وجده خاليا ولاتوجد فيه اية عربة قادمة ، احس بالضيق ، وغادر مكانه ووقف امام الصبارة المتربة فى ركن السطح ، ورأى طينها الذى جف وتشقق داخل أنية الفخار المدورة ، وفكر ان يذهب الى الحمام ، ويملأ كوب الماء الكبير من الحنفية ويرويها ، وراح ينزل السلم على مهله ، دون ان يلتفت إلى باب شقته المفتوح ، وعندما وصل الى الدور الارضي ، وقف أمام المدخل الموارب ، ومد أصبعه ، ونقر على زجاج الشراعة المقفول :

« ادخل ياللي بتخبط » .

محمد افندي وضع كفه على الباب ، ودفعه بهدوء وهو يستمع الى صريره البطيء ، ولبث واقفا حتى تعودت عيناه على عتمة المكان ، ورأى الكنبة اليمنى ، والسيدة العجوز التى تجلس على طرفها من هذه الناحية ، وتقدم وجلس على الكنبة الاخرى ، وهو يلم حجر جلبابه ويقول :

« مساء الخير ياست أم عبده » .

« أهلا ياسي محمـد ، اهلا وسهلا » ، ونظرت بعينيها الدقيقتين الى سلسلة الساعة المعدنية وهي مثبتة بعروة الزرار ومدلاة على صدره ، وقالت إن احداً من الأولاد ليس هنا : « كان عملك كباية شاى »

« مفيش لزوم ، همه كلمتين ورد غطاهم » .

« خير إن شاء اللـه ؟ » .

محمد افندي رفع وجهه إلى صورة المرحوم محمد افندي عثمان المعلقة على الجدار القديم ، ثم نظر الى قدميه ، وسالها إن كانت عرفت انهم اشتروا عربة فيات ١٢٨ ، والست ام عبده قالت : « امال إيه » ، واخبرته إنها التقت بام اصلاح فى المنور وهي تسقى الفراخ ، وقالت لها مبروك : « تاني يوم على طول » .

محمد افندي قال إنه سمع بذلك : « لكن أنا زعلت قوى لما لقيت ابنك بيفضى الهواء من العجلة » .

« ابني ؟ »

« يوماتي على اللـه » .

« وده مين فيهم ياترى ؟ عبد الرحيم ، ولا حسين ، ولا محسن ؟ »

« أهو أي واحد فيهم »

ولكن الست ام عبده قالت كيف ذلك ، إذا كان كل واحد فيهم يعيش فى بيته ، مع زوجته وأولاده ؟

« لكن بيزوروكي » .

« وافرض ؟ دول رجالة يابو اصلاح » .

محمد افندى قال إن عبد الرحيم وحسين ومحسن أولادنا ، ولو كانت المسالة عبارة عن يوم أو يومين : « كنت قلت وماله ، يلعبوا زي ماهم عايزين » . ثم اوضح لها ان هذا شيء يطول امره ، لانها عربة ١٢٨ ، موتورها بالعرض : « آل ١٢٨ كده » ، موتورها بالعرض . وهي عربة ملاكي فعلا ، وأي واحد يراها أمام الباب يقول إنها ملاكي : «لكن إحنا ناويين نقلبها تاكسي » ، ونعمل لها عمره ، وهذا شيء يحتاج إلى مصاريف كبيرة ، وقد تاخذ شهراً ، او سنة لو الله أعلم : « وطبعاً عيب قوي يفضلوا طول المدة دى ، يفضوا العجلة ، واحنا ننفخها ، وهمه يفضوها ، وإحنا ننفخها » .



والست أم عبده ، نزلت من على الكنبة وهي تقول إن هذا الكلام لا يصح أبداً ، وإنه زاد عن حده ، واسرعت بمغادرة الصالة ، ووقفت فى الحوش ورفعت رأسها وراحت تنادي : « ياام اصلاح ، انت ياام اصلاح » .

ومحمد افندي تركها تنادي ، وغادر الشقة ، ونزل الدرجات القليلة ، ووقف في مدخل البيت عند مؤخرة العربة المركونة وظل هكذا حتى سمع صوت الصفير المكتوم وتقدم قليلا ، ورأى البنت الصغيرة التى تجلس بجلبابها الحريرى الأخضر عند العجلة الامامية ، وفي يدها عود من كبريت الخشب ، كانت تحشره داخل البلف ، والهواء المحبوس يندفع ويغلق عينيها ، ويطير شعرها الناعم . وراح يعبر الطريق متمهلا ، ووقف امام ام حسين البقالة ، التى تضع النقود فى صدرها ، : صباح الخير ياست أم حسين » .

ام حسين مسكت الرغيف القريب ، والقت به فى الناحية الاخرى من القفص « أهـلا وسهـلا » .

« البنت بنت حسين ابنك ، يوماتي على الله ، تفضي الكاوتش بتاع العربية » .

ونظرت أم حسين ناحية البنت وقالت : « اضربها » .

« لا ياست أم حسين ، قبل كده او كده ، فيه ناس كبيرة لازم الواحد يرجع لهم ،

وانت دلوقت الكبيرة بتاعة الدكان » .

« ولما انا الكبيرة بتاعة الدكان ، أسيب البيع والشراء ، وأقوم أجرى ورا عيلة ؟ »

« طيب والحل ياست أم حسين ؟ »

« ما أنا بقولك مش عاجبك . لما تلاقيها بتعمل كده ، امسكها اقطم رقبتها » ، ثم صاحت : « قومي يا بنت من عندك ، أنا عارفه إيه اللى عاجبك فى المخروبة دي » .

والبنت قامت ، وراحت تجري ضاحكة . ومحمد افندي قال إنها لو كانت مسالة يوم لو يومين ، كان تركها تلعب كما تريد ، ولكنها مسالة طويلة : « الست أم عبده عندها فكرة كاملة عن الموضوع » ، والتفت الى الناحية الاخرى من شارع فضل الله عثمان وقال : « هيه الضهر أدنت ولا لسه ؟ » .

وقالت أم حسين إنها لم تسمع : « ماهي حاجة تقلب الدماغ » .

واستدار محمد افندي ودخل البيت ، ومد يده بهدوء ، ودفع الباب الخشبي الموارب وهو يستمع إلى صريره البطىء ، ورأى الست أم عبده وهي تجلس على طرف الكنبة من هذه الناحية ، وحافة برواز صورة المرحوم محمد افندي عثمان ، ثم رفع الجلباب ، وراح يصعد السلم لغاية ما وصل الى السطح ، كان ابن بنته اصلاح قد رفع جلبابه عن بطنه الصغير المنفوخ ، ووقف يبول على الصبارة : « آه ياكلب » . وراح الولد يجري ضاحكاً دون ان يترك الجلباب أو يكف عن التبول . وظل محمد افندي يتطلع إليه صامتاً ، ثم اتجه الى السور مرة أخرى ، ونظر على فضل الله عثمان ، ورأى العربة مركونة أمام الباب ، وأم حسين البقالة ، ولمح البنت الصغيرة وهي تاتي من هناك ، فتراجع على الفور وخبأ نفسه جيداً ، وفكر ان يتركها حتى تطمئن ، وتلعب في العجلة ، ثم يذهب إلى الحمام ، ويملأ كوب الماء الكبير من الحنفية ويصبه عليها من هنا ، وتطلع إلى الصبارة الصغيرة المتربة ، ورأى آثار البول وقد تناثرت على أوراقها الممتلئة ، وبينت لونها النظيف الغامق ، وقال إنها تجلس الآن على الأرض بجلبابها الحريرى الأخضر ، فى يدها عود الكبريت ، والهواء المحبوس يندفع ويطير شعرها الناعم ، وهز راسه موافقاً ، واقترب على أصابع قدميه حتى التصقت بالسور ، ومال بنفسه فجاة ، ولكن محمد أفندى الرشيدي ، لم يستطع ابداً ، ان يراهــا .

# دَمُّــون

عندما علم أمرؤ القيس خبر مقتل ابيه قال :

تطـاول الليــل علينـــا دمـــون ،
دمـــون إنـــا معشـــر يمانـــون
وإننـــا لأهلنـــا محبـــون

و « دمون » هي القرية التى أقسم فيهـا امرؤ القيس أن يثار لأبيــه .

شعر : الدكتور محمد فوزي مصطفى

مازال الليـــل طويـــلا
يا دَمُّـــــون
مـــازال الحـــق دفيـــنا
في قبـــو مكنـــون
وعلى الخـــدين ســـؤال وملامـــة
وصغـيرى فى صـــبرا
فى كومـــة انقـــاض مدفـــون
وحصـــادي يازمـــني
أشتـــات أشتـــات
وعلامـــة نصـــر ثكلى
لا تخـــفى عـــني لحظـــات
وعجـــوز تـــبكي وتنـــوح
فالابـــن يمـــوت
والأم تمـــوت
والحـــق يموت
والكل يغـــني يا دَمُّـــون
مـــازال الليـــل طويـــلا
ماعـــاد القـــوم .. يمانـــون



# الميلاد في أزمنة الموت

شعر: محمد صالح الخولاني

وهاهي تمت فصول الروايــــة
وأسدل ليل الأسى فى النهايــة
وعدتم أشقــاءه من جديــد
لترووا عن الذئب والدم فوق القميص .
وتنتحلون المعـاذير زيفـاً
وتستمطـرون الدمـوع الكواذب فوق التـراب
« فانـا ذهبنـا به ميعـة
وعدنـا به مزقـة من ثيـاب
ولوثــــة دم »

• • •

أشقــاء يوســـف
يـا من نفيتـم أخاكم الى ظلمـة الجب فـرداً
أمـا يعلم الآن فيكــم أخ
بـأن الــذي غـاص فى ظلمة الجـب أنتم جميعـاً
وهيهـات من ظلمة الجـب أن تخرجـوا .

• • •

أشقاء يوســـف
أيقـــدر فيكم أخ أن يقـول
إذا لهفـة الحـزن فى عين يعقـوب تسـال
أيقـدر أن يرفـع الزيف والكلمات الصفيقـة
لتهتـك في القلـب نـور الحقيقـــة

• • •

أشقـــاء يوســـف
لقـــد كان يحلم فـيكم شموســـاً
تضيء له ظلمـات الزمـن
وتدفـع عن ساعديـه الوهـــن
تشـد الخطى المتعبات الكليلـة
لتدنـو من ليلـه المستكن
تباشير لحظتـه المستحيلـــة
وهاهـــو ذا الحلـم أضحى سرابـــاً
وأضحـــت ينابيعـه المترعات الخصيبـة
خـــرابا خـــرابا .

• • •

أشقـــاء يوســـف
أتلك كمـا كنتمو تحلمـون النهايـة
شبعتم نكايــــة
شبعتم زرايــــة
شبعتم ترصـون فى المحفظات الأنيقـة
مقالات شجـب تريقون فيها حُمَيّا الغضـب
وتندلعـون انتحابـاً وحـزناً
فمـن يعلم اليـوم ماقد يكـون
لعل السنيـــن
تسائلكم يـوم يـورق فى ساعديها الغضب
فتلتجئـون الى ما تعي المحفظـات الأنيقـة
وتستنطقـون الحـروف الصفيقة
فتبـرأ من فورها سـاحة المذنبين .

• • •

مريدي النبي يسـوع المسيـح
بـكم بعتم الأرض والعرض والوطن المستباح الجريح
لوجه يهوذا الزريّ القبيـح
بكم بعتم الدار والمزرعـــة
وفى الزمن المـر كنتم معـه

• • •

لكم لحـم لحـم أكتافه أولمـه
سقـــاكم دمـــه
وعـــدتم تبيعـــون وجه النبي
ببخسٍ كبيـع سفيهٍ غبي

بكم بعتمو طرقات المدينة
لأقـدام جيش التتـار اللعينة
وكـم من سبيّـة
أبحتم .. سفحتم دماهـا الزكية
وأهدرتها الكبريـاء العصيّة
فما أحـوج الليل حين تضـاء شموع المدينة
وتنسلُّ عن مقلتيها الدمـوع الحزينة
الى أن تضـاء وجوه المرايـا
بجيـش السبايا
وتولـم للأعيـن الجائعـات
مآدبهـا من لحوم الصبايـا

• • •

أحباءنا فى الأماسي الرخية
وفى الزمن المورق المستظـل
حملتم الينا هداياكم المترعات السخية
حروفـاً مزوقـةً منتقاه
عن النصرة البطـل العنتريـة
وعن سبحات المنى اليعربيـة
عن الشجب يقطـر سُماً نقيعاً
وتحترق الأرض فيه جميعـاً

• • •

حملنا هداياكم المنتقـاة السخية
إلى حيث ينبت فينـا الغضـب
ليالي سهـد ورعد ودم
سنابل .. أجنحة من لهـب
نطير بها فـوق متن الرياح
ونعدو بهـا فى الدروب الحزينـة
ليستيقظ الفجـر ريـان يومـاً
ونشهـد فيه انبـلاج الصباح

• • •

أحباءنا فى السنين الجديبـة
وخلف الخطى المجهـدات العصيبة
بحثنـا عن الموعـد فيما تضم الهدايا
عسى أن نرى
لبعض الذى حُمّلتْ من بقايـا
وجدنـا حروفاً حروفاً حروفاً
تقاد وياللأسى والهـوان
«بليل» . وكنا قديماً .. وكان

• • •

حراس جرحنا الذى مازال ينزف الصديد
يـا وجه أمسنا الممـزق الشريـد
ونور فجرنـا المضمـخ البعيـد
أقـرأ فى أسفار موتكم صحائف الميـلاد
وأشهـد اندلاعة المخاض فى المرافيء الحزينة
وأقـرأ التاريخ مرتين .

• • •

لأشهد انكسار جرحنا المهيض مرةً
ومرةً لأرصد انتفاضة الأرحـام بالأجنة العنيدة
فأرضنا وإن تنافرت ظـلالها
لـم تزل مرارة السنين تستفز جرحها القديم
ومايزال في العيون قدرة على التطلع العنيد
وفي الأكف ماتزال تنحني
أصابع معقوفة على الزنـاد

( محمد صالح الخولاني )



الفنان غازي الخالدي في مرسمه الذى خرجت منه كل لوحاته التى استوحى موضوعاتها من واقع حياته المعاشية ورؤيته الخاصة للانسان



## مع الفنان غازي الخالدي

# أصالة المدينة جعلتنى أرسم حارات دمشق

أجرى الحوار : نادر أصفهاني

بين غازي الخالدى والابداع الفني علاقة أكثر من حميمة ، هو ابن الحارة الدمشقية العريقة ، والغنية بتنويعاتها التشكيلية ، لهذا جذبته إليها ، وسجلها هو عبر لوحاته وألوانه بشوق وحب ، وهو أيضاً كائن اجتماعي نشيط ، ولهذا – أيضاً – فهو يقيم حواراً دائماً مع مشاهدي لوحاته ، وتراه يخبرهم بشيء ما ، أمام لوحاته أنت بانتظار حوار سوف يبدأ بعد لحظات ، تتوقف أكثر ، فتشعر أن الحوار بدأ ، وقد لا ينتهى بسهولة .

الانسان حاضر دائما فى لوحاته ، وحتى عندما يغيب شكلا ، تشعر أنه مختبىء وراء ذاك الجدار ، أو تلك النافذة ، في لوحاته الشعبية تشعر بالانسان وراء الظلال .

أيضاً فى معالجته التشكيلية للمواضيع الوطنية ، ينفرد بكونه يخبر مشاهده تشكيليا بما يريد لا اخباريا ، يصوغ طريقته فى الاحاطة بالموضوع الذى يريد ، ولهذا فان لوحته تقرأ على أكثر من مستوى .

اثنان وثلاثون عاماً هذا هو عمر التجربة الفنية للفنان السورى غازي الخالدى ، وفى أعماله التى رسمها خلال هذه الفترة سجل علاقة حميمة مع شخصيات وأماكن لوحاته ، تسترعى انتباهه الأجواء الواقعية ، ومعها مفردات الطبيعة وعلاقتها بالانسان ، وأكثر من هذا وذاك المواضيع الوطنية .

يسجل عبر لوحاته موضوعه كاملا ، اللوحة عنده قصة فى بعض الأحيان ، المواقف الانسانية يتأملها ويستوعبها ثم يحركها مرة أخرى في لوحته ، عودته الى الحارة الشعبية هو افتخار بكل ما هو أصيل وعميق التجذر بالأرض .

الطفل ، الأم ، الحصان ، كلهم يتعشقون الوطن فى اللوحة ، انفعالاتهم يسجلها الخالدى ، وهو نفسه يعيش علاقة خاصة جداً مع الناس ، ومع الفن بالاطار العام .

تواضعه مذهل ، ترتاح له منذ البداية ، وتتعبك حركته الدائمة ، كثيرة الأشياء التى يريد أن يقولها ، وانفتاحه هذا يشجع على محاورته .

### حياته الفنية

فى دمشق كان لـ ( الدوحة ) معه هذا الحوار :

● غازى الخالدي ، ماهي المراحل الفنية التى مررت بها ؟

– مراحل العمل الفنى التى مررت بها يمكن حصرها فيما يلي :

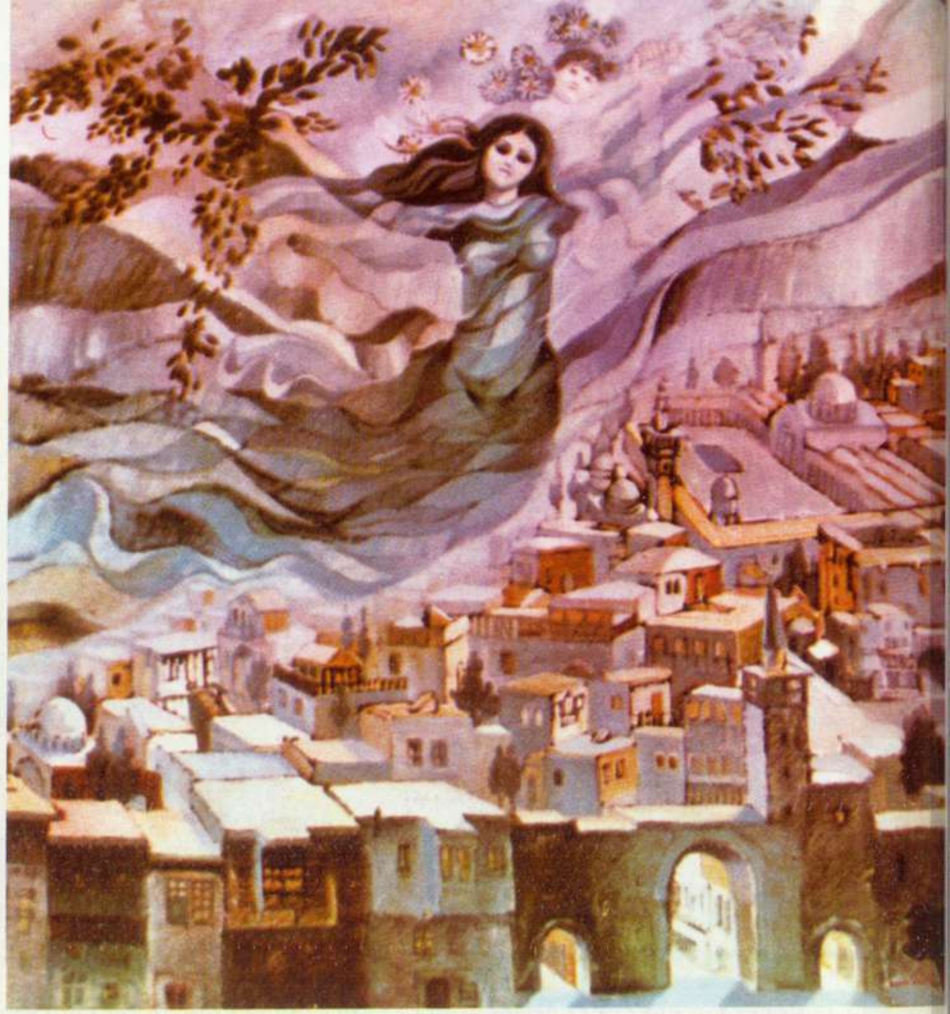
المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل الدراسة فى كلية الفنون الجميلة . وتبدأ من ١٦ آذار ١٩٥٠ تاريخ اقامة معرضي الأول وتاريخ اشتراكي فى أول معرض جماعي اقامته الدولة فى المتحف الوطني عام ١٩٥٠ . وكانت مرحلة اعتمدت على التجربة الشخصية والتأثر بأساتذة الفنون فى المدرسة الثانوية .

المرحلة الثانية : مرحلة الدراسة فى كلية الفنون الجميلة فى القاهرة عام ١٩٥٨ ولغاية عام ١٩٦٢ . وهي المرحلة التى تعلمت فيها مباديء أكاديمية ضرورية لكل فنان اختار هذا الطريق . وتتلمذت على يد بيكار وحمودة ودرويش وهم من كبار فناني مصر .

المرحلة الثالثة : مرحلة مابعد التخرج ، وتبدأ من عام ١٩٦٢ وحتى ١٩٧٢ ... حيث اقمت فى هذه الفترة معرضين ، واستطيع

لوحتـان للفنـان .. الأولى بعنوان : دمشق ..
واللوحـــة الأخرى بعنـوان : امـــراة ..





أن أعتبر معرض ١٩٧٢ كنقطة تحول أساسية فى اللون والموضوع وطريقة تناول الموضوعات ، فقد ترسخ عندى حب اللونين الأساسيين في جميع لوحاتي الفيروزي والعنابي أي / الأزرق السماوي ، والأوكر أي العسلي .

والمرحلة الرابعة : بعد عام ١٩٧٢ وحتى الآن ... بدأت تظهر عندي النزعة الأساسية في مضمون اللوحة ، فى توضيح علاقة المرأة الأم بالشجرة والبيت ، والحصان ، والطفل ... هذه أصبحت عناصر أساسية استخدمها فى أكثر أعمالي كرمز اطلالة على فكرة الوطن ، الوطن بمعناه الكبير ، الوطن الذى يجب أن نحبه وندافع عنه عبر نضال أمتنا العربية لتحقيق وحدة الوطن العربي كله .

## لمن تنتمي ؟

قلت لغازي الخالدى :

لو تحدثنا عن الجيل الفني الذى تنتمي إليه تجربتك القديمة ، ما الذى يخطر فى ذهنك الآن ؟

– موضوع الجيل الفني الذى تنتمي إليه أعمالي يمكن أن أقول ان مجمل الزمن الذى عشته فى تجربتي بدأ من عام ١٩٥٠ ولغاية اليوم ، أي حوالي اثنين وثلاثين عاماً ... وهذا يعني أن مفهوم الجيل يعني فترات زمنية غير متباعدة ، ولكن إذا كان المقصود من السؤال هو التجربة الفنية ذاتها ، فانني أقول : إننى أميل الى الفكر الواقعي من خلال الرمز ، فجميع لوحاتي واقعية ، أما الصياغة ففيها هذه الخصوصية التى تعتمد على الايحاء غير المباشر ، أي على الرمز .

● بين الواقعية المؤثرة / الحارة الشعبية / والواقعية التى تستعير أشياء من الاعلان السياسى ، تدور أعمالك ، حدثنا عن هذه الملاحظة ؟ .

– هناك فرق أساسى بين الاعلان السياسى ولوحة التصوير الزيتي ، فالاعلان السياسى من أهم شروطه أن يعبر عن زمان ومكان محددين بالضبط ، أي انه يعكس موقفاً محدداً من حدث معين ، وينتهي دوره بانتهاء الحدث ، وبمجرد مرور الزمن عليه ، ويشترط فيه أن يكون ملفتاً للنظر ، مؤثراً وبشكل مباشر على الناس .

أما اللوحة الزيتية السياسية فهي تعتمد على الايحاء غير المباشر ، ولا تعتمد على تسجيل الحدث فى زمان أو مكان محددين ، كما أن دورها يبقى ، ولا تنتهي بمجرد انتهاء الحدث أو المضمون الذى عبرت عنه .

ولوحاتي ليس لها علاقة بالاعلان السياسى إنها فقط تطرح مضامين سياسية ، ذات طابع قومي قائم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، ومستمر مع استمرار نضالنا حتى التحرير والنصر ، وهذا فرق كبير بين اللوحة والاعلان السياسى .

● ولكن لوحتك كيف تتم عملية الخلق الفني لها ؟

– اللوحة لا ترسم بقرار ، ولا يتم رسمها بقرار مسبق ، اللوحة هي المكان الذى تتجسد فيه مجموعة معاناة طويلة أو قصيرة ، يعانيها الفنان عبر حياته اليومية وقد نجد انفسنا نرسم خاطرة فى يوم وليلة واحيانا نجد انفسنا نرسم مجموعة دراسات ونحضر مجموعة اسكتشات و / كروكيات / عديدة من أجل بناء لوحة كبيرة أو صغيرة ، وقد نوفق أو لا نوفق ، إلى أن نقتنع ولو جزئياً ، ثم نقول إننا رسمنا لوحة .

إن رسم اللوحة أمر صعب ، وفيه كل معاني الخبرة والصبر والاستيعاب للفكرة التى سنعبر عنها فى اللون و الخط ، وإذا لم يرافق كل ذلك حب حقيقي للفن ، وايمان صادق بالفكرة ، فان اللوحة تكون مجرد ألوان ومجرد زخرفة ، ومجرد صفحة ملونة ليس لها علاقة بالفن على الاطلاق .



على اليمين لوحة من اعمال الفنان فى عام ١٩٥٧ وهي بعنوان : تكوين .. واللوحة الاخرى بعنوان : نار فى القدس .. القلب ... وفيها يبدو ارتباط الفنان بقضايانا الوطنية



# مع الفنان غازي الخالدي

● إلى أي مدى يمكن اعتبار أعمالك تسجيلا فنيا لاحداث جرت فى سورية ؟

ــ ليست مهمتي التسجيل ، وليست مهمتي التاريخ ، وإنما ارسم لأنني ابن هذا العصر ، واحاول بكل صدق أن أتمثل هذا العصر الذى نعيش كل أبعاده ... الانسانية ، والقومية ، الوطنية ، الجمالية وانا أفهم الوطن من خلال معطياته البشرية والحضارية والسياسية . إذا ما رسمت هذا الأمر فانني أعكس جانبا أو جوانب منه ، وأما مفهوم التسجيل ، فهو نقل كل وقائعه بشكل حرفي ، بينما عندما أرسم هذا العصر ، فانني أرسمه من وجهة نظري ، ومن خلال قناعاتي وليس من خلال ما هو واقع فعلا ، أو هو حرفي فعلا .

وهنا أقول : ما هي قيمة العمل الفني إذا لم يكن فيه رأي الفنان وموقفه الصريح والصادق من محيطه .

● تقترب من الحارة الشعبية ، بل إنك تغوص فى مفرداتها ... أين أنت من الحارة الشعبية الدمشقية ؟؟

ــ عندما رسمت الحارة الدمشقية الشعبية ، لم أقصد أن أفرق بين حارة شعبية وحارة دمشقية ...

إنني أفهم أن الذي يحب مدينته يحب وطنه ، ومن يحب وطنه يدافع عنه ، ويقاتل من أجل حمايته .

هكذا فهمت موضوع رسم الحارة الدمشقية القديمة ... قدم التاريخ ، العريقة عراقة العرب وأصالتهم ...

إن رسمي لحارات دمشق القديمة هو جزء من ايماني بأصالة هذه المدينة ، وأصالة أهلها ، فهي جزء هام من تاريخ شامخ وعريق وأصيل لهذه الأمة المناضلة .

أنا أرسم البيوت ، ومن خلالها أحس بالناس وبالحب وبالمعاناة التى يعيشها الناس ، خلف هذه البيوت ، وفي هذه الحارات .

● معرضك الأخير الذى أقيم فى دمشق منذ شهور ضم هذه المرة القديم والجديد ؟

ــ لكي أعطي فكرة لمن يعرف تجربتي القديمة ، الى أين وصلت تجربتي الجديدة بالمقارنة مع أعمالي القديمة ، أما الذين يتعرفون علي وعلى أعمالي لأول مرة ، فمن المفيد أن يطلعوا على أعمالي القديمة ليتاح لهم أن يعرفوا ماضي الرسام وتجربته وحتى يكون لديهم الرأي والقناعة بمدى فشل أو نجاح الرسام على ضوء الأعمال التى بين أيديهم مباشرة دون الحاجة الى وسيط .

## القصة فى وجداني

وهنا كان لابد أن نتطرق الى القصة فى لوحاته ، قلت له :

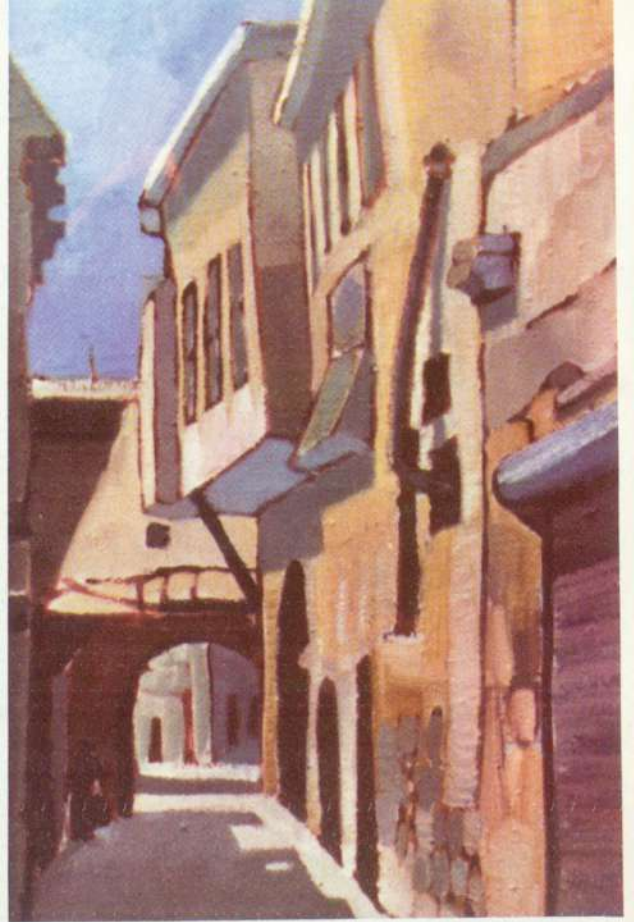
● في لوحاتك قصص ، هل جربت رواية القصص بغير الأسلوب التشكيلي ؟

ــ نعم ، كتبت قصصا قصيرة فى مطلع الخمسينات ، ونشرت عددا كبيرا منها فى

**من هــــو ؟**

- من مواليد دمشـــق ١٩٣٥ م
- خريج كلية الفنون الجميلة بالقاهـــرة عام ١٩٦٢م .
- مدير مركز الفنون التطبيقية بدمشق من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٨ .
- أمين سر نقابة الفنــون الجميلــة من ١٩٧١م ــ ١٩٧٤م
- أمين سر الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب حتى ١٩٧٩م .
- نقيب الفنون الجميلة فى سورية من ١٩٧٤ وحتى أوائل عام ١٩٧٩ م
- رئيس مكتب الفنون الجميلة فى منظمــة الطـــلائع .
- مدرس تاريخ الفن وفلسفة الجمال فى المعهد العالي للفنون المسرحية .

حارة من دمشق .. لوحة للفنان عبر فيها عن تعلقه بالاصالة والشموخ فى البيــوت القديمة .. ثم لوحة أخرى بعنوان : بيت من الشام .. وهي تسجيل للتراث النابض بالحياة فى المدينة القديمـــة .





الصحافة السورية والعربية . وشاركت فى مجموعة قصص صدرت عن دار الجمهورية فى القاهرة باسم « ١٥ قصة سورية » ، وكان لي مجموعة قصص تحت الطبع بعنوان « ناس من بلادي » قدم لها الدكتور عبد القادر القط ، وصمم الغلاف الفنان المعروف كمال أمين ، لكن لم تصدر المجموعة .

المهم أن فكرة رواية القصة موجودة فعلا فى وجداني دائماً ، ولكني احرص دائماً أن أقدم القصة من خلال موقف واضح من احداثها ، وليس من خلال موقف محايد .

● بين عام ١٩٥٠ وأيامنا هذه فسحة كبيرة ، رؤيتك الفنية فى تطورها خلال هذه الفسحة . ماالذى أثر فيها ؟

– بين هذين العامين حوالى اثنين وثلاثين عاما ، وهذا يعنى مرور مجموعة اجيال مرت وتمر عبر مسيرة الحركة الفنية

ان أهم ما اعتبره مؤثراً في تجربتي الفنية ، هو شعوري بمزيد من المسؤولية فى تناول اي موضوع ، وبالتالي ، الابتعاد بقدر ما أستطيع عن اللهجة الخطابية ، عن الصراخ فى طرح مضمون اللوحة .

كما أن اهتمامي بالأمور الشكلية والتقنية ، اختلف كثيراً عما هو عليه فى معرضي عام ١٩٧٢ ، فقد كان يشغلني ملمس اللوحة كثيراً . والآن يشغلني جو اللوحة العام ومضمونها ، ومحاولة ربط الانسان بالأرضية ربطا عضوياً ومتكاملا .

● إذن الى اي مدى يؤثر المفهوم التشكيلي الشعبي فى لوحاتك ، وما هي الابعاد الجديدة فى استخدامك لهذا المفهوم ؟ .

– لا اعتقد انه يوجد شيء اسمه مفهوم تشكيلي شعبي (...) وإذا كان المقصود هو الحارات والمدينة القديمة ، فهي جزء من حضارة الشعب ، وجزء من تراثه وماضيه واصالته . ولكنه لا يسمى مفهوما تشكيلياً شعبياً ... وإنما هو مضمون لحياة الشعب، وما قصدت ابعد من ذلك ، حياة الناس ، وبيئتهم ، وبيوتهم ، هذه الحياة الصادقة والجميلة والمتميزة ، والتى تعطي هوية المدينة ... بالمقارنة مع اية مدينة اخرى .

● هل ترسم فى ذهنك تجارب فنية جديدة ؟ ، ماهي ؟ وإلى اين يذهب طموحك المستقبلي ؟ .

– لا أستطيع أن احدد مسبقا تجارب فنية جديدة ، فالتجربة كما هو معروف تاتي من الممارسة العملية ، ولكنني استطيع أن اقول إنني لم ارسم اللوحة التى أريدها بعد ، واتمنى من كل قلبي قبل أن أموت أن أرسم واقدم عملا كبيراً وهاماً وجيداً ومتميزاً لوطني ولشعبي ، يساعد على توضيح جانب من جوانب التطور الحضاري لوطننا الغالي .

نادر أصفهاني – دمشق

**معارضـــــه**

المعرض الأول ١٩٥٠ / أذار فى دمشق – بمنزله .
المعرض الثاني ١٩٦٤ / حزيران ١٩٦٤ / فى صالة الفن الحديث العالمي بدمشق .
المعرض الثالث ١٩٧٢ / نيسان / فى صالة الشعب للفنون الجميلة
المعرض الرابع ١٩٧٤ / أيار / فى صالة الشعب للفنون الجميلة
المعرض الخامس ١٩٧٦ / تشرين١ / فى صالة الشعب للفنون الجميلة .
المعرض السادس ١٩٧٨ / كانون١ / فى صالة الشعب للفنون الجميلة .
المعرض السابع ١٩٨٢ / شباط / فى صالة الشعب للفنـــــون الجميلة .

مات رجل
وعاشت
نظرية

بقلم : د. عبد المحسن صالح

# الكشف عن :
# الحلقات المفقودة في نسب الإنسان

عندما ينظر الناس للخلق نظرة سطحية ، فالأغلب الأعم أن يسألوا أسئلة سطحية كذلك أو قد تبدو تساؤلاتهم أحياناً بغير ذات معنى ، فكثيراً ما يتردد بينهم سؤال ساذج مؤداه : اذا كان المعتقدون فى تطور الكائنات يزعمون أن انساب البشر تعود الى سلالة من القرود ، فلماذا لم نشهد حقاً قروداً تحولت الى بشر ؟

والجواب ببساطة شديدة : ان التطور له أصول وجذور موروثة فى لب الكائنات ذاتها ، ومع ذلك ، إذا أرادوا أن يشهدوا تحول نوع الى نوع آخر فى التو واللحظة ، فليرقبوا السحرة أو الحواة ، ليروهم وهم يحولون العصا الى حية ، والحية الى طير ، والطير الى أرنب .. ومن الممكن أيضاً - لو أرادوا - تحويل قرد صغير الى صبى صغير .. وعندئذ لا يملك المشاهدون إلا إظهار إعجابهم بالتصفيق الحاد .. يصفقون لمن خدعهم ، وهم يعلمون أنها خدعة !

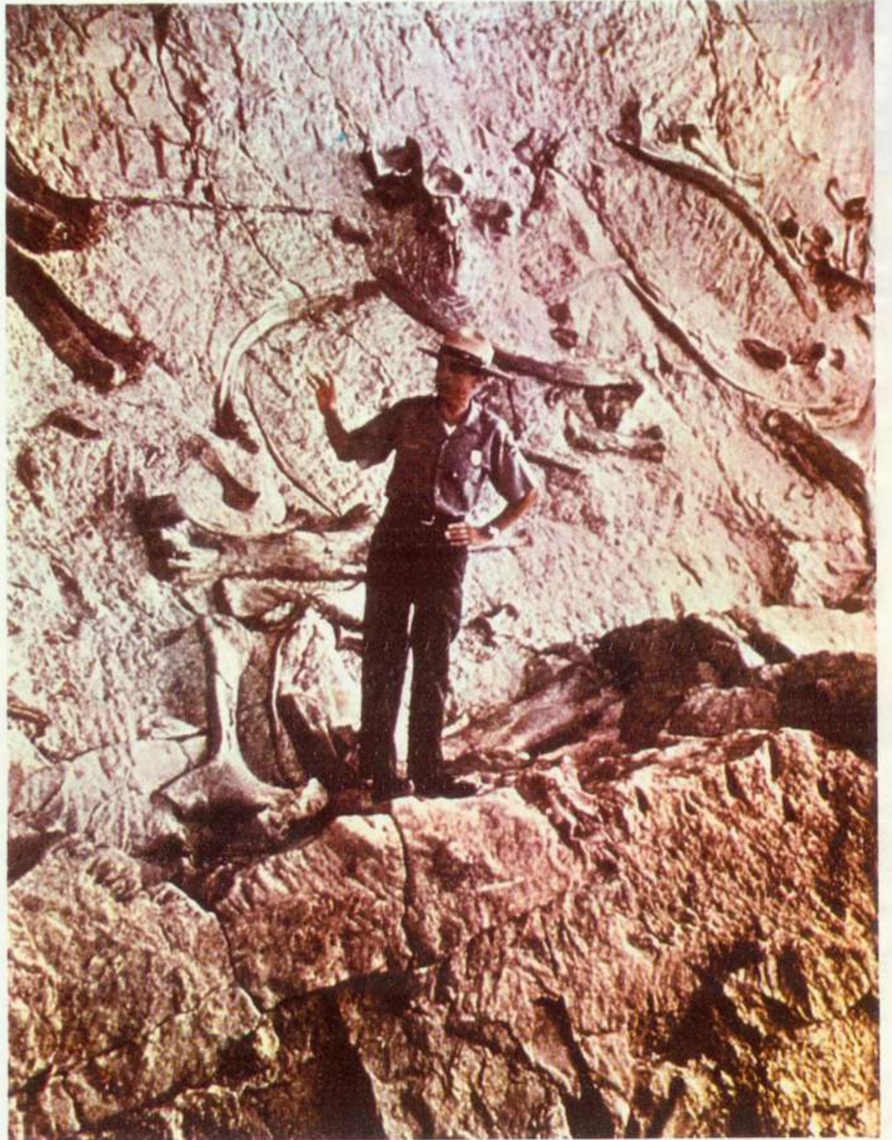
أوليس هذا مزاحاً ثقيلا ؟ .. ربما ، لكن ما حيلتنا إلا فى مثل هذه الاجابة التى تناسب ذاك الحال .. ومع ذلك ، فان الناس لا يرون «لعبة» الحياة الخالدة ، وهى تحول الأنواع ، لأن العملية جد بطيئة ، خاصة مع الكائنات الأرقى ، أى أنها لا تحدث فى مائة أو ألف أو عشرة آلاف عام ليشهدها الناس ، بل لابد من مئات الألوف أو ملايين السنين ، وهى بمفهومنا زمان جد طويل ، لكنها بالنسبة لعمر الحياة على الأرض ليست إلا لحظة خاطفة ، كاللحظة التى يخدعنا فيها الحاوى ، ويحول الأشياء من صورة الى أخرى ، لكن التحول أو التنوع فى الكائنات ليس خدعة ، ولا يمكن أن يقارن بتمويه السحرة ، لأن أصول التنوع محكومة بالطفرة ، وهى التى لعبت لعبتها الخالدة على هذا الكوكب منذ أن ظهرت فيه «بذور» الحياة البدائية - أى منذ حوالى ٢٥٠٠ مليون عام !

## تلك آثارنا تدل علينا

والذين يقولون انهم لم يروا تحول المخلوقات من أصول سابقة الى أصول لاحقة ، حتى يحكموا ويصدقوا ، لهم بعض العذر فيما استنبطوا ، ثم انهم يستندون على ذلك من دليل جاءت به الآية الكريمة «ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق انفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً» (الكهف / ٥١) .. **وهذا حق** ، ذلك أن أحداً لم يكن حاضراً أو موجوداً ليرى بدايات الخلق ، لكن لكل شىء آثاراً تشير اليه ، وتدل عليه .. نحن مثلا لم نشهد الله جهرة ، ولا نستطيع .. لكن آياته فى الأرض والسماوات هى «آثاره» التى تأمل فيها الانسان من قديم الزمن ، وهدته فطرته السليمة الى وجود خالق مقتدر ، فكل شىء يشهد على تجلياته فى خلقه .

تحضرنا بهذه المناسبة رواية سمعناها ، وهى هادفة بالنسبة لموضوعنا الحساس الذى سنتناول فيه أصل الانسان .. تقول **الرواية** : « **مر رجل غير مؤمن على رجل** يصلي ، وبعد أن فرغ من صلاته ، سأله : ماذا كنت تفعل ؟ .. فأجاب : كنت أصلي لله .. قال : وما دليلك عليه ؟ .. قال : سبحان الله ، بعرة تدل على البعير ، وآثار أقدام تدل على المسير ، وتلك أرض مبسوطة وجبال منصوبة وسماوات مرفوعة . أفلا يدل ذلك على الله القدير» .

وبمثل هذا المفهوم البسيط ، يسير العلماء أيضاً على نفس الطريق ، ذلك أن





طبقات الصخور بمثابة صفحات كتاب مطبوع ، وفيها نستطيع ان نرى اثار الحياة الغابرة ، وعلى هذه « الصفحة » او الطبقة توجد عظام احد الديناصورات الضخمة المنقرضة .. صحيح اننا لم نشهد ديناصوراً حياً يعيش الآن معنا ، لكن أثاره تدل عليه

لكل شيء بداية وجذورا ، والجذور كامنة فى الصخور ، وفى الصخور نستطيع أن «نقرأ» صفحات كتاب مسطور ، لكن سطوره ليست كلاماً مكتوباً ، بل صوراً مطبوعة ، وأخرى مجسدة ، وهى دليلنا على أحداث حياة غابرة ، وكائنات منقرضة ، ليس لها مثيل فيما بين أيدينا من مخلوقات حية حاضرة ، ولهذا كانت مرشدنا عن الحلقات التطورية الناقصة ، ومنها – بطبيعة الحال – الحلقات التى تضيق الفجوة الواسعة بين القردة العليا والانسان .

وطبيعى أن آثار الحياة الغابرة آثار مهلهلة ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نجد كائناً منقرضاً بحالة متكاملة ، لكن يكفينا منه جمجمة ، أو جزءاً من جمجمة ، أو حتى ناباً أو ضرساً ، أو عدة فقرات غير مترابطة أو عظام حوض أو كتف أو ذراع أو ساق أو كف .. الخ .. الخ ، فهذه أو غيرها تمهد لنا الطريق لمعرفة النوع أو الجنس أو العائلة أو الرتبة التى ينتمى اليها الحيوان المنقرض بما ترك بين الصخور من آثاره الدالة عليه .

وهو استفسار وجيه على أية حال ، لكن ما قول المعترضين فى أنه بالامكان الآن الكشف عن حقيقة الجرائم التى تقع فى كل آن وحين ؟ .. إن كشف الجريمة قد يعتمد على شعرة ، أو قطرة دم ، أو بصمة ، أو رصاصة ، أو مسحة من دهان ، أو أى شيء آخر ترك فى مسرح الجريمة ، ولا يشكل بالنسبة لنا فى الكشف عنها أية قيمة ، لكنه ذات قيمة كبيرة فى الدراسات المقارنة التى يقوم بها علماء الكشف عن الجريمة ، أو حتى عند الأعراب المتمرسين على اقتفاء الآثار ، فيعرفون أى نوع من الكائنات تركت خطواتها على الرمال .

**كذلك الحال مع علماء الحفريات ،** فمن الدراسات المقارنة بين هياكل الحيوانات الحاضرة والمنقرضة ، يستطيعون تحديد إن كان هذا الفك لقرد أو شمبانزى أو ثعلب دفن منذ ملايين السنين ، وهل يشبه من قريب أو بعيد فك أحد الحيوانات التى تعيش الآن . أم أنه كان لنوع آخر انقرض ، دون أن يترك ذرية تواصل الحياة مع الكائنات الأخرى ، كذلك يعرفون – الى حد بعيد – نوع الطعام الذى كان يتناوله الكائن المنقرض عن طريق أنيابه أو ضروسه وأسنانه .. المهم أن كل من مارس هذه الدراسات خبير فيما يبحث ، ومع ذلك فالعلماء فى الوقت الحاضر يختلفون فى أشياء ، ويتفقون فى أخرى ، ثم انهم يضيفون كل عام الى حصيلتهم العلمية الكثير من العينات الحفرية ، وكلما كانت الاضافات أكثر ، جاءت الاستنتاجات أقوم ، والنظرة الى الجذور نظرة أتقن وأسلم !

ومن حسن حظ العلماء أن أسنان وجماجم الكائنات المندثرة ، كانت أكثر مقاومة لعوامل التآكل والتعرية ، وذلك بحكم طبيعتها الصلبة ، وتكوينها وتراكبها الذى يساعد على حفظها بطريقة شبه جيدة ولقد جمع العلماء منها حصيلة لاباس بها ، ولايزالون ينقبون بين طبقات الأرض ، بحثاً عن المزيد الذى سيمهد لهم تكوين صورة متكاملة عن الحلقات التطورية المفقودة فى مملكتى النبات والحيوان .

## أصول مشتركة

وكاليتيم الذى فقد أحد والديه أو كليهما ثم راح يطوف الآفاق بحثاً عنهما ، عله يهتدى الى أصله ونسبه ، يذهب العلماء الى أبعد من ذلك ، ليس لأنهم أيتام ، بل يريدون معرفة أصل الانسان ، أى هل جاء الى الحياة كنوع «يتيم» ووحيد ، أم أن له حسباً ونسباً وأصولا وجذوراً تضرب فى أعماق الزمن ؟

إن الذين ينادون بفكرة الخلق المستقل ، أى أن الانسان جاء خلقاً قائماً بذاته ،

الكشف عن :

# الحلقات المفقودة في نسب الإنسان

وليس له أصول مشتركة مع ما سبقه ، يأخذون الامر أخذاً ميسراً ، فيريحون ويستريحون ، ولكن العلماء لا يريحون ولا يستريحون ، ليس ذلك لأنهم يتبعون مبدأ خالف تعرف ، ولا حباً فى العناد والاعتراض ، بل يرجع ذلك أساساً الى وجود فكرة مسبقة تشير اليهم بأن الخلق جميعاً تجمعه صفات مشتركة ، وان هذه الصفات ترتقى فى الكائنات بمرور الزمن ، حتى يأتى الانسان فى النهاية متوجاً لهذه الفكرة التى أرسى الله قواعدها فى كل المخلوقات ، فما من نسيج أو عضلة أو عضو من الأعضاء التى تظهر فى المخلوقات الأرقى ، إلا ولها أصول نشأت منها فى المخلوقات الأدنى .

خذ على سبيل المثال رأس الانسان ، وقارنه ظاهرياً برأس الحيوانات التى تليه فى مرتبة أدنى ، نجد أنها تحتوى على مخ وعينين ولسان وشفتين وأذنين وأنف وأسنان وأنياب .. الخ .. الخ ، فالأجزاء مشتركة ، والوظائف واحدة ، والأنسجة متشابهة ، لكن النسب مختلفة ، وكلما تعمقت فى أساس هذا الخلق أكثر ، وجدت التشابه فى الأصول أعظم ، أى عليك أن تنظر على مستوى الخلايا ، ثم على مستوى الجزيئات المكونة لهذه الخلايا ، تجد أن ٩٩٪ من العمليات الكيميائية الحيوية متشابهة بين انسان وقرد أو ما دون ذلك .. لكن هذا موضوع أخر كبير قد نعود اليه لنوفيه حقه .

ومع ذلك ، فالعلماء متفقون مع الناس على أن الفجوة واسعة جداً بين قرد وانسان ، ولا يمكن والحال كذلك أن يكون الانسان قد نشأ عن هذه الأسلاف التى نراها اليوم فى شمبانزى أو غوريلا ، وفكرة التطور التى يعتقد فيها العلماء لا تفسر لنا معنى هذه القفزة الهائلة ، إذ لا يمكن أن يجيء مخلوق بقامة معتدلة ، وتناسق واضح ، وعقل راجح ، ولسان فصيح ، ووجه مليح ، وجسم أملس (نسبياً) ، ونهود بارزة فى الاناث ، وغير ذلك من الصفات الراقية التى لا يمكن أن تظهر هكذا فجاة وبدون مقدمات ، ولابد ــ والحال كذلك ــ أن يحنى العلماء رؤوسهم لأصحاب فكرة الخلق المستقل .

وحتى داروين نفسه أجرى مقارنة تشريحية بين رأس الانسان وحجم مخه ، وبين رؤوس وأحجام أمخاخ القردة العليا ، وأدرك أن مخ الانسان أكبر حجماً ، وأرقى تكويناً ، وأعظم استيعاباً ، وأكثر تطوراً فى مراكز الاحساس والعاطفة والذاكرة والادراك .. الخ ، من أى فرد من أفراد القرود العليا ، فحيث يصل حجم المخ فى الغوريلا الى حوالى ٤٨٠ سنتيمتراً مكعباً فى المتوسط ، وفى الشمبانزى ٣٦٥ ، وفى انسان الغاب ٣٧٥ ، نجد أن حجم مخ الانسان يصل فى المتوسط الى حوالى ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب .. انها فجوة واسعة لا تنفع فى تفسيرها نظرية التطور التى تستلزم عمليات تدريجية ، تؤدى الى أمخاخ تصبح أحجامها وسطاً بين القردة العليا وبيننا ، وهذا ما يسعد حقاً المنادين بفكرة الخلق المستقل .

ثم انك لو عدت الى الأصول التى نشأت على أساسها الأطراف فى الانسان والقردة أو ما دون ذلك ، لوجدت صفات كثيرة مشتركة ، لكن الهوة واسعة بين يد الانسان وقدمه ، وبين يد وقدم القرود ، فالانسان ــ بعقله المتميز ــ صاحب حضارة لكن عقله لن يسعفه فى صنع الأدوات والرسم والنحت ، ما لم تكن العضلات والعظام التى كونت يديه وذراعيه قد امتلكت حرية هائلة فى الحركة ، وبحيث تساعده على أداء انجازات ضخمة لا يستطيعها أى حيوان اخر ، وهذا ما أشار اليه داروين أيضاً ، واعترف به ، ومع ذلك ، فقد كان لا يساوره شك فى ان الانسان له أصول قديمة .

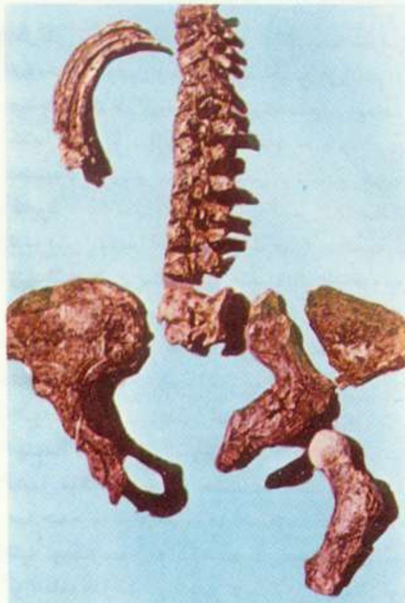
## التنبؤ بالأصول

**ورغم ان داروين ــ في زمانه ــ لم يكن يعرف حلقة واحدة من الحلقات التطورية الناقصة ، والتى يمكن أن تساعد على سد الفجوة الكبيرة التى تفصل الانسان عما دونه ، رغم ذلك ، فلقد هدته بصيرته الى**

إحدى الحلقات المفقودة التى عثر عليها العلماء واخذوا يدرسونها بعناية فائقة وصولا للحقيقة العلمية



من بقايا هذه العظام المتحجرة استطاع العلماء ان يتوصلوا الى معرفة نوع الكائن المنقرض وجنسه وعائلته ورتبته .. فمن خلال بعض فقرات العمود الفقري وبعض الضلوع وعظام الحوض وراس عظمة الفخذ ، يمكن التوصل الى ان هذا التكوين ليس لانسان ، ولا لاحد القردة العليا ، بل هو لكائن كان يمشي على ساقين ، اكتشفوه فى افريقيا الجنوبية ، واكتملت الصورة بالكشف عن جمجمة هذا الكائن





احدى الجماجم التى اكتشفها رايموند دارت لطفل عمره ست سنوات واعتبرها بمثابة الحلقة المفقودة . ولقد توصل الى هذه الحقيقة لان تكوين الجمجمة ليس له مثيل فى الكائنات التى تعيش معنا الآن .. اي ليست لقرد ولا لانسان ، بل حالة وسطية في تكوين الفكين والاسنان وحجم المخ ... الخ



رائدان من الرواد الأوائل فى التنقيب عن الحلقات المفقودة ، هما دكتور رايموند دارت ( يمين ) ودكتور لويس ليكي ، وامامهما حصيلة من الحفريات المكتشفة فى جنوب وشرق القارة الأفريقية ، وبها يحددان إن كانت هي لمخلوقات اقرب الى القرود او اقرب الى البشر .

نبوءات أملتها عليه الدراسات الكبيرة التى اجراها على كثير من الكائنات الحية ، وبعض الكائنات المنقرضة ، ومنها توصل الى استقراءات ثبت – بعد ذلك – ان معظمها صحيح ، من ذلك مثلا أن داروين كان مقتنعا تماما بان اسلاف الانسان قد انتصبت قاماتها ، ومشت على ساقين ، قبل أن تتطور امخاخها ، وتاخذ وضعها بنفس الدرجة ، أي أن الأطراف لابد وأن تكون قد سبقت الأمخاخ فى عملية التطوير .

ثم أن انتصاب القامة يستلزم تحويراً كبيراً فى العمود الفقري ، وفى عظام القدمين والساقين والمفاصل وما يتصل بها من عضلات تساعد على المشي والجري ، بدلا من تسلق الأشجار ، والتعلق بالأغصان ، كما تفعل القرود ، ولا يمكن أن يتم كل هذا فى خطوة واحدة ، بل لابد من حلقات تطورية يتم فيها ذلك بالتدريج .

ويشير داروين الى أن القارة الأفريقية قد تكون أكثر القارات مهداً طبيعياً للبحث عن هذه الحلقات ، وفى هذا يقول « فى كل منطقة كبيرة من العالم تبدو الحيوانات الثديية اقرب شبهاً بالحيوانات المنقرضة ، ومن اجل هذا ، فانه من المحتمل ان تكون قارة أفريقيا قد ضمت فى الماضي قردة عليا منقرضة ، وذات صلة وثيقة بالغوريلا والشمبانزي ( وهما النوعان اللذان لا يزالان يعيشان فيها حتى الآن ) .. وأن هذين النوعين هما اقرب الحيوانات الحية شبهاً بالانسان ،ولهذا فانه يبدو لي أن أسلافنا الأوائل ربما عاشوا فى القارة الأفريقية أكثر من أي مكان آخر » ! .

لكن داروين لم يكن يقصد من ذلك أن الانسان قد جاء من سلالة القرود ، أو القردة العليا ، بل يعني « بالأسلاف » حيوانات تدرجت فى الصفات ، لتصبح وسطاً بين الانسان وبين أصل قديم انفصل منذ ملايين السنين عن باقي القرود ، ومنه اشتقت « شجرة العائلة » التى ننتمي إليها ، ولقد تفرع منها نوع من وراء نوع ، وفي كل حقبة زمنية طويلة ( مئات الالوف أو ملايين السنين ) ، يتميز النوع اللاحق عن النوع السابق بصفات تجعله اقرب الى البشر منه الى القرود ، أو هي ما نطلق عليها أشباه الانسان .

لكن مهما افتى داروين وتكلم فى أصل الانسان ، ومهما تحدث الذين جاءوا من بعده ، وكتبوا واطنبوا فى آراء تبدو أمامنا كخيال ، فان العبرة ليست بكلام يتردد ، ولا تكهنات تطلق ، بل لابد من ادلة صحيحة ومقنعة ومجسدة ومرئية ، وإلا كان كل ماقدمنا فاوجزنا بمثابة زبد يذهب جفاء ، أو هشيم تذروه الرياح .

## أول الغيث قطرة

وطبيعي اننا لن نتعرض هنا إلا للأسلاف القريبين منا ، أي لعائلة اشباه الانسان ، وهي التى كشف العلماء عنها الحجاب ، ليس ككائنات حية ، بل ككائنات منقرضة أدت دورها على مسرح الحياة لعدة ملايين من السنين ، ثم بادت ، وربما كان الانسان الأول الذى جئنا من صلبه (البعض يفضلونه آدم – لاباس !) كان سبباً فى ابادة اسلافه ، لكن ذلك موضوع آخر قد يباعد بيننا وبين ما نحن بصدده ، وطبيعي أن لأسلافنا أسلافا .. ثم اسلاف ترجع جذورها الى حوالي ٤٠ مليونا من الأعوام ، لكن ذلك أيضاً موضوع آخر .

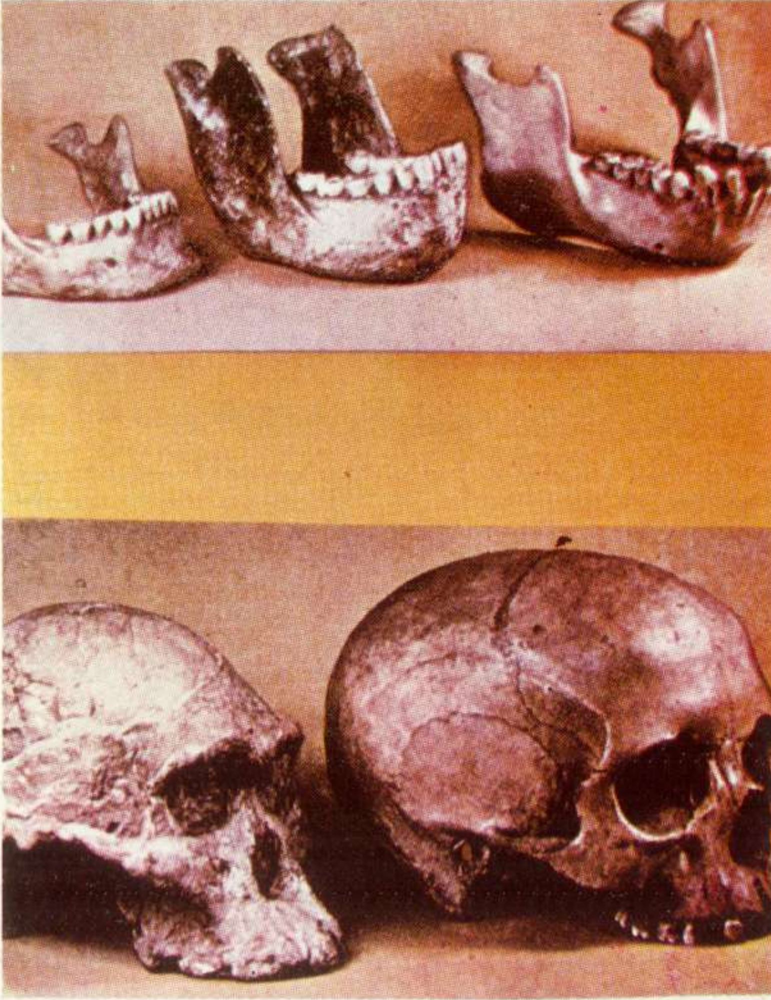
ولاشك أن الوسائل التى يتبعها العلماءللكشف عن هذه الأصول مجهدة وعويصة وتحتاج لذكاء وصبر وزمن ، ثم معرفة باصول الكائنات الحية التى تعيش الآن بيننا ، حتى يمكن عمل مقارنة واستنباط سليمين بين الحي والمنقرض .. فكشف الأصول أو الحلقات الناقصة يستلزم النبش والتنقيب فى طبقات الأرض وهي عملية شاقة ، وفيها تلعب الصدف دوراً هاماً ، فقد يستمر التنقيب سنين طويلة ، دون الوصول الى نتيجة ، وقد يلعب الحظ لعبته السعيدة ، فياتي الكشف على غير ما يتوقع النابش .

إن أول كشف هام ، عن مخلوق حفري لا هو قرد ولا هو انسان ، وقد اعلن عنه رايموند دارت Dart فى عام ١٩٢٥ ، و « دارت » كان يشغل وظيفة استاذ للتشريح فى جامعة ويتووترزراند فى افريقيا الجنوبية ، لكنه – فى الوقت ذاته – كان مهتماً بالبحث فى الحفريات ، ولقد وصله صندوق خشبي مشحون ببقايا عظام وصخور قديمة ، وكانت المفاجاة عندما اكتشف بينها كتلة متحجرة وكانما هي مصبوبة داخل فجوة الراس ، لانها اتخذت شكل المخ تماماً ، ولقد كان كل أمله ان تكون مخاً لقرد متحجر ، لكن لدهشته كانت اكبر من حجم مخ أي قرد معتبر بحوالي ثلاث مرات ، واكبر كذلك من حجم مخ الشمبانزي بشكل واضح ، وفجاة لمعت فى راسه فكرة ، وتساءل : هل يمكن ان يكون ما بين يدي الآن احدى الحلقات التطورية الناقصة ؟ .

وعاد دارت للبحث فى الصندوق ، عله يجد بقايا الجمجمة المتحجرة التى ربما تكون قد تهشمت أثناء قطع الأحجار من محجر قريب ، ومن حسن حظه وجد ضالته وظل أياماً طويلة وهو يعالج بقايا الجمجمة بعناية بالغة ، عله يزيل منها الصخور المتحجرة ، ثم جمع اجزاءها واحدة بجوار الأخرى ، حتى صارت جمجمة شبه متكاملة ، واغرب من ذلك أن المخ المتحجر قد شغل تماماً فراغ الجمجمة ( انظر الشكل الدال على ذلك ) .

ولقد ظل دارت ينظف ويزيل كل ماترسب على فكي وعظام الجمجمة ثلاثة شهور متواصلة ، وكلما اتضحت المعالم اكثر ، كلما زاده ذلك اقبالا على العمل اعظم ، وهو كاستاذ للتشريح المقارن ، لم يجد عناء فى تحديد عمر صاحب الجمجمة ، إذ تبين انها

الكشف عن :
# الحلقات المفقودة في نسب الإنسان



ثلاثة فكوك سفلية ( إلى اعلى ) .. احداها ( الى اليمين ) لانسان الغاب ( الاورانج اوتان من عائلة الشمبانزي ) . والتى الى اليسار فك إنسان ، وفي الوسط فك إحدى الحيوانات المنقرضة وهي حالة وسطية او انتقالية ، اي انها ارقى تكوينا من فكوك القردة العليا ، واقل تطوراً من فك الانسان .. وفى الصورة السفلى جمجمة كاملة للانسان الحديث ( الى اليمين ) والاخرى ( الى اليسار ) جمجمة الكائن الذى اكتشف فى جنوب افريقيا

لطفل يبلغ من العمر حوالي ست سنوات ، فلقد اكتملت على فكيه الأسنان اللبنية ، وبدأت الضروس في الظهور ، اما الانياب فكانت صغيرة كانياب طفل الانسان ، كما اوضح قاع الجمجمة انها لمخلوق كان يمشي منتصباً على قدمين .

لكن هذا الكشف كان مميزاً عن كل الكشوفات السابقة التى اكتشف فيها علماء آخرون جماجم كانت اقرب الى جمجمة الانسان شكلا وحجماً وتكويناً ، ولقد اطلقوا عليها اسماء على حسب المواقع التى اكتشفت فيها ، فهذه لانسان بكين ، وتلك لانسان جاوه ، وغيرها لانسان نيندر- نسبة الى فرع من نهر الراين بالمانيا يسمى بهذا الاسم ، وهي جميعاً لبشر يحملون بعض صفات القردة العليا ، لكنها وضعت تحت جنس الانسان كانواع اكثر بدائية من الانسان الحكيم او المدرك .. ( في علم التقسيم نطلق على انفسنا الاسم العلمي هوموسابينس . Homosapiens

وهومو اسم الجنس ، وسابينس اسم النوع ، وسوف تتضح لنا الأمور اكثر ، كلما توغلنا في الموضوع ) .

## وثار جدل كبير

لكن جمجمة طفل دارت كانت بالتاكيد لجنس آخر غير الجنس البشري ، ولهذا لم يتردد مكتشفها فى اطلاق اسم لاتيني فج هو « اوسترالوبيثيكــوس افريكانــوس »

( « اوسترالوس » تعني جنوبي ، و «بيثيكوس» تعنى قرداً من القردة العليا ) - أي قرد جنوب افريقيا ، لكنه قرد ذو مخ كبير ، وقامة معتدلة ، ثم انه يجمع بين الملامح البشرية وملامح الشمبانزي ، اي ارقى من عائلة القردة العليا ، واحط من الانسان .

ولم يتردد دارت فى كتابة تقرير علمي مفصل عن هذا الكشف المثير ، وارسله فى فبراير عام ١٩٢٥ الى المجلة العلمية المشهورة « نيتشر » ( الطبيعة ) ، وتضمن خطابه الى المجلة عبارة لافتة للنظر تقول :

« إن العينة من الاهمية بمكان ، لانها توضح سلالة منقرضة ، تقع فى مرتبة وسط بين القردة العليا والانسان » ..

ويبدو ان المجلة قد اعتبرت ذلك تسرعاً في الحكم ، ولهذا اجلت نشر الموضوع الى ان يفحصه ويعلق عليه بعض العلماء المتخصصين فى هذا المجال ، لكن صحيفة « جوهانسبرج ستار » التى تصدر فى جنوب افريقيا قد هزها النبا ، فسارعت بنشره بطريقة صحفية مثيرة ، وبعنوان بارز « كشف الحلقة المفقودة بين القرد والانسان » .. وتناقلت الانباء الخبر ، لتنشره فى معظم صحف العالم ! .

وعند هذا الحد بدأ النقد والهجوم على هذا الكشف ، وخاصة من علماء افذاذ مثل « سير » آرثر كيت ، و«سير» آرثر سميث وودورد ، واليون سميث وغيرهم ، وقيل ضمن ما قيل ان الجمجمة ليست إلا لشامبانزي ، ولكنها جاءت بطريقة مشوهة، وعندئذ لزم دارت الصمت ، ولكن امله تجدد عندما وصله خطاب تهنئة على كشفه من دكتور روبرت بروم ، وهو طبيب

اسكتلندي كانت له اهتمامات عظيمة بعلوم الحفريات ، مما جعله يكرس معظم وقته فى علميات تنقيب ادت الى الكشف عن الحلقات المفقودة بين بعض رتب الكائنات الأقل تطوراً من الحيوانات الثديية ، ثم ان بروم لم يستطع ان يكبح جماح شغفه بفحص ما توصل إليه دارت ، فكان أن حزم أمتعته ، وترك اسكتلندا متوجهاً الى جنوب افريقيا ، قضى أياماً فى معمل دارت وهو يفحص الجمجمة فحصاً دقيقاً ، واقتنع ان دارت كان على حق ، ومن ثم أرسل الى مجلة نيتشر تعليقاً على صحة الكشف ، ومع ذلك فقد تحفظ العلماء فى ابداء رأي قاطع ، خوفاً من التسرع والوقوع فى خطا قد يجر عليهم المتاعب . وبعد ذلك باربع سنوات ، اي فى عام ١٩٢٩ نجح كل من دارت وبروم فى فصل فكي الطفل المتحجرين بعد عناء وحرص شديدين ، ولأول مرة يتضح امامهما تكوين

الاسنان بشكل يؤكد انها وسط بين الشمبانزي والانسان ، وخاصة فى الأنياب التى جاءت أكبر من انياب الانسان .

ولقد تحمس بروم لهذا الكشف تحمساً شديداً ، وتمنى لو قدر له أن يكشف عن مخلوق متحجر بالغ من هذا النوع ، او حتى على جمجمة أو فك ، ولقد ذهب حماسه الى أبعد من ذلك ، وقرر هجر وطنه اسكتلندا للتنقيب في مناجم ومحاجر أفريقيا الجنوبية بحثاً عن ضالته التى يتوق اليها ، وشجعه على ذلك الفيلد مارشال ج . ك سمتس Smuts رئيس وزراء افريقيا الجنوبية وقتذاك ، وعينه اميناً لمتحف ترانسفال ببريتوريا وكمقيم او أستاذ لعلوم الحفريات الفقارية والانثروبيولوجيا الطبيعية ( وهو علم يبحث فى تاريخ الجنس البشري ) ، ولقد تعرف وقتذاك على ج . و . بارلو مدير المناجم والمحاجر هناك ، وكان مشرفاً ايضاً على المحجر الذى اكتشفت فيه جمجمة الطفل قبل ذلك ، وهو الذى بعث بها الى دارت ، ثم أن لديه معرفة مبدئية عن معنى الحفريات التى قد تنشق عنها طبقات الأرض اثناء عمليات الحفر ، ولقد رجاه بروم أن يحيطه باي شيء حفري يمكن ان يكون محتفظاً به ، أو يظهر اثناء التنقيب ، فاسر إليه بارلو انه كان يبيع لزوار المنجم فى ايام الآحاد حفريات مما يجذب اهتمام الناس ، ووعده بان يكون خير معين له فى هذا المجال .

## كشف آخر مثير

بعد تسعة أيام ، حضر المدير الى الاستاذ ، وقدم اليه شيئاً وسؤالا : هل هذا الذى تريده ؟ .. وامسك بروم بين يديه كتلة صخرية متحجرة ، ولكن شكلها يدل على انها بمثابة « قالب » لثلثي جمجمة قديمة ، وظل يعالجها ويفتتها بعناية بالغة ، الى ان اتضحت له بعض معالمها ، واستخلص منها قاع جمجمة ، وشقى فك علوي وبعض عظام الراس .. وظل بروم يوفق بين ماحصل عليه من اجزاء متناثرة ، الى ان اتضح له انه بالفعل امام جمجمة مخلوق بالغ ، ومن نفس نوع جمجمة الطفل المكتشف قبل ذلك .

وظل بروم يتردد على المحاجر والمناجم طيلة ثلاث سنوات ، عله يعثر على شيء هام ، وجمع ثروة من الحفريات لم يكن بينها انسان ولا اشباه انسان ، وفى احد ايام يونيو عام ١٩٣٨ تقابل معه بارلو ، واخبره بان لديه اخباراً طيبة ، وقدم له فكاً علوياً لأحد أنواع أشباه الانسان ، وبالفك ضرس وحيد ، وساله بروم عن مصدره ،



الكائن الذي اكتشفه دارت في جنوب أفريقيا ، وكان يسير منتصباً على قدمين وملامحه أقرب إلى القرود ...

فقال مدير المناجم انه حصل عليه من أحد تلاميذ المدارس الثانوية الذى يسكن فى مزرعة غير بعيدة ، وأسرع بروم الى منزل التلميذ ، فعلم أنه فى المدرسة ، وانطلق اليه هناك ، وتحدث معه عن قصة الفك ، فاخرج الصبى من جيبه ـ وكما يصفها بروم ـ «أربعة من أروع الأسنان التى عثر عليها فى تاريخ هذا العالم» ثم صحب الصبي عالم الحفريات الى الموقع الذى وجد فيه الفك والأسنان ، وأخرج من مخبا صغير ـ كان يضع فيه أدوات التنقيب ـ قطعة نادرة من الفك الأسفل لنفس المخلوق ، وخلال يومين نبش كل من بروم والصبى الموقع الذى وجدت فيه هذه العينات ، فوجدا عدداً من العظام المتناثرة وبعض الأسنان ، وعاد بروم الى معمله بهذا الصيد الثمين ، وظل أسابيع فى عمل متواصل ، لينسق ما أفسدته عوامل التآكل وخرج من ذلك بجمجمة ذات وجه أعرض ، وفكين أسمك ، وأسنان أكبر من العينة التى حصل عليها من قبل ، وأهم من ذلك أن الجمجمة كانت أقرب الى جماجم الانسان الحديث ، لكنها لازالت تحمل بعض بصمات القرود !

ونشر بروم بحثاً مستفيضاً ، وفيه قارن بين العينات المكتشفة ، أى جمجمة الطفل ، والجمجمة التى أهداها له بارلو ، وجمجمة التلميذ ، وأمام هذه الأدلة المجسدة ، بدأ العلماء المتخصصون يأخذون الأمور بشيء من الجدية الممزوجة بشيء من الحرص ، خاصة عندما أشار بروم الى أن العينات الثلاثة ترجع الى أزمنة متفاوتة ، فجمجمة الطفل يرجع عمرها الى حوالى مليونين من الأعوام ، وجمجمة بارلو مليون ومائتى ألف عام ، وجمجمة التلميذ الى حوالى ٨٠٠ ألف عام ، ونظراً للاختلاف الملحوظ بين الجماجم الثلاث ، فقد ذهب بروم الى أبعد من ذلك ، ووضع كلا منها فى جنس مستقل بذاته ، وضمها فى عائلة أسماها أشباه الانسان ـ أو عائلة البشر القرود الجنوب افريقية (Amstralapthecinae)

ويبدو أن عقول العلماء كانت غير مهياة لتقبل مثل هذه الأنباء المثيرة والمتلاحقة والسريعة ، إذ كيف يمكن التوصل الى كل هذا بمجهودات فردية ، وفى أزمنة قياسية ، وفى منطقة محدودة من جنوب القارة ، ولقد تهكم بعضهم على ذلك ، وقال : ان بروم قد يتحفنا فى القريب العاجل ، بجنس رابع ، أى كانهم يتشككون ، والشك أول درجات اليقين ـ كما يقولون .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وشغلت الناس ، وهبطت حمى الجدل التى ثارت بين العلماء عن أنواع البشر القرود ، وحقيقة وضعهم فى المملكة الحيوانية ، وصلة القرابة بينهم وبيننا وبين القردة العليا ، لكن بروم لم يضيع وقته ، وجاءه من يشد أزره فى أبحاث متواصلة ، إذ أصبح ج .هـ. شيبرز ساعده الأيمن ، واظهر تفوقاً مع أستاذه فى ربط الحقائق المهلهلة المدفونة فى طبقات الأحجار والصخور ، وبعد عشرين عاماً كاملة ، خرجا على العالم بكتاب جميل متكامل ، وعليه يعلق روث مور فى كتابه الممتع «التطور» .. فيقول «ان العلم قد استيقظ من سباته بالصدمة التى احدثها كتاب بروم وشيبرز ، ذلك أن النتائج المدونة لم تكن تحتمل الشك فى صحة هذه الحفريات الدالة على أن هذه الكائنات المكتشفة كانت أشباه بشر ، وهى تمثل مرحلة هامة فى التطور للوصول بالانسان الى وضعه الحالى ، ومع ذلك ، فان وضع هذه الكائنات الحفرية بالنسبة لنا ظل موضع نقاش ، فلا أحد يعرف وقتها ان كانت هى أسلافنا أو أولاد عمومتنا» !

لكن فصول كتاب الحفريات المسجل على طبقات الصخور لم تكتمل بعد ، إذ أن فصولا أخرى هامة قد اكتشفت فى أواسط افريقيا والحبشة ومحافظة الفيوم بمصر ، ولها دراسة أخرى قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم عن أسلافنا الذين مهدوا الطريق لظهورنا ، حيث تركوا مسرح الأحداث للانسان الحديث ، لكى يبحث وينقب عن أصله ونسبه ، عله يهدأ ويرضى ، أو قد تنهال عليه اللعنات مع انسان آخر يغمض عينيه ، ويصم أذنيه ، حتى لا يرى الحقيقة ولا يسمعها ، ومع ذلك فالعلم يسير !

د. عبد المحسن صالح

في المرسم الحر..

# فنانون هواة ينافسون الفنانين المبدعين!

بقلم: مريم آل سعد



جيل الهواة الجدد داخل المرسم الحر حيث يعبرون عن مواهبهم المبكرة في مجال التشكيل.

● الفتاة القطرية أكثر التزاماً واقبالا على الرسم من الشاب القطري .

● الجائزة الثانية فى مسابقة ٢٢ فبراير الماضى .. كانت من نصيب المرسم الحر .

● تم تخريج ٣٠٠ منتسب ومنتسبة من المرسم أصبحت لديهم قاعدة من التفهم والوعي لشمولية الفن ...

لن يقف أحد من المهتمين بالفنون التشكيلية ــ بعد اليوم ــ فاغراً فاه ، أمام لوحة أو تحفة فنية ، عاجزاً عن استيحاء جمالها وتذوق لغتها الابداعية ، ولن يعجز احساسه عن استشفاف رموزها ومعانيها العميقة ، وإن امتدت به اهتماماته ليبحر فى عالم هذه الخطوط والألوان والأشكال ، فلن يتأخر مركبه فى الابحار على أمواجها الهادئة ، وذلك إذا أمضى فترة بعد الظهر ولأيام معدودة من الأسبوع منتسباً للمرسم الحر التابع لادارة الثقافة والفنون فى وزارة الاعلام القطرية .



زهور .. لوحة من أعمال الفنانة المنتسبة منى محمود

## جيل متذوق للفن

ورحلة المرسم الحر ابتدات منذ عام ١٩٧٩ وظهر الوجود النسائي فى عام ١٩٨٠ .

والانضمام الى المرسم الحر لا يتطلب سوى أن يكون العمر ابتداء من الثالثة عشرة فاكثر . والاختيار مفتوح لكي ينضم كل هاو الى ما يجذبه من انواع الفنون المختلفة .

والملاحظ على المرسم صغر حجمه نسبياً ، حتى يستوعب مجالات خدماته التى تتسع وتتشعب . ــ وايضاً ــ قلة الموجهين والاساتذة ، حيث يقتصر المرسم حالياً على خبير فى الفنون التشكيلية ، ومساعدة له تختص بالمنتسبات من الدارسات ..

وحيث أن من أهداف المرسم الحر ، تشجيع الاهتمامات المختلفة للهواة المنتسبين ــ كالنحت والفخار (السيراميك) والتصميم والديكور ــ فان النقص فى أساتذة هذه الفنون ، قد يشكل حائلا دون تطويرها وترسيخ وجودها ، الى جانب الأعمال الابداعية فى الرسم ، والتى نبغ فيها عدد كبير من الهواة من كلا الجنسين .

وتنظيم العمل فى المرسم الحر ، يستوجب وجود إدارة داخلية فى نفس المبنى ، ليتم التلاحم ما بين التوجيه والمتابعة ، وبين العمل والانتاج .

ومن الحوافز الجيدة تخصيص مكافات شهرية لجميع المنتسبين الهواة ، مما كان له الأثر الايجابي فى انضمام اعداد لاباس بها لصفوف المتدربين ، وإن لم توجد جذوة الموهبة في بعضهم . ولكن مهمة خلق جيل متذوق للفن ، متعرف على قواعده الأصلية ، مستشف لمعانيه وصوره الريادية ، لا تقل اهميتها عن تكوين الفنان الملتزم نفسه .

لأنه لا فن مؤثر بدون قاعدة متفهمة ، تعكس أبعاد وعيها على مضامين الفن المعروض عليها .

وايضاً كان لوجود المواصلات وتوفيرها فى خدمة اعضاء المرسم الحر ، مردودها الايجابي فى نجاح هذه الفكرة .

## بداية الفكرة

يقول جمال قطب الخبير فى الفنون التشكيلية والمشرف على المرسم الحر : المرسم الحر فكرة وردت من الغرب ــ من

في المرسم الحر..

# فنانون هواة ينافسون الفنانين المبدعين!

عصر النهضة ـ حيث اقام الفنانون المتفرغون فى فرنسا وايطاليا ومختلف الدول الأوربية مراسم حرة ، لكل فنان يرغب فى تطوير أسلوبه ، وبلورة مفاهيمه وموهبته .

من الدول العربية نجد اهتمام مصر والكويت بتكوين مثل هذه المراسم . وفى قطر كان الموعد لتنفيذ فكرة انشاء المرسم الحر فيها منذ حوالي ثلاث سنوات ..

ويضيف جمال قطب :

قامت فكرة انشاء المرسم الحر على اتاحة الفرصة امام الكفاءات وتشجيعها ، ولم تقيد طلبات الانضمام الى المرسم إلا بشرط واحد وهو السن .

بحيث يبدأ من الثالثة عشرة فاكثر ، حتى لايتحول المرسم الى فصل فى مدرسة ابتدائية .

والمنتسب إلينا تكون لديه الموهبة او الرغبة فى تعلم الرسم ، ويختار كل مشترك الفن الذى يميل اليه سواء نحت أو رسم ، وهو أنواع وتشعبات ، مثل الحفر والتصوير والزخارف وفنون العمارة .

## العنصر النسائي

وعن افتتاح باب التسجيل للعنصر النسائي تقول نجاح المدني : كانت البداية فى ٦ يونية ١٩٨٠ ، وفى نفس هذا المبنى ، ولكن فى ايام تختلف عن أيام البنين ، حيث تم التخطيط يومان فى الأسبوع للبنات وثلاثة ايام اخرى للبنين .

ونحن نواجه حالياً أعداداً كبيرة من الفتيات يرغبن بالالتحاق به ، وتعتبر الفتاة القطرية أكثر التزاماً واقبالا على الرسم من الشاب القطري .

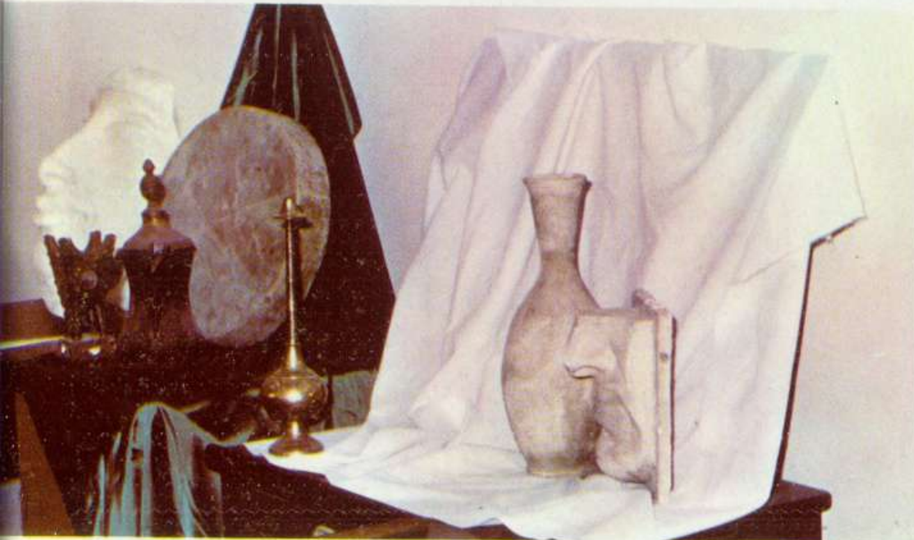
حيث تنوى الكثيرات منهن على دراسته اكاديمياً مستقبلا ، بينما تعتبره فتيات اخريات هواية يحاولن تنيمتها بالاضافة الى دراستهن أو أعمالهن فى مجالات اخرى وهناك فئة من الفتيات ياتين لقضاء



بعض الدارسات فى المرسم الحر فى لحظة انهماك مع الريشة والألوان .



احد الدارسين فى المرسم الحر امام بعض لوحاته .



نماذج من واقع البيئة

## العطاء الفني

ولا يعتمد المرسم الحر فى علاقته مع المنتسبين إليه على منهج دراسي محدد ، أو ملازم وكتب مقررة ، فيقول بصدد ذلك جمال قطب :

الكتب والملازم ممكن أن تكون موجودة فى تعامل المرسم الحر كمطالعات ، ولكن ليست كمناهج ، لانه ليس هناك مرسم حر ياتي بكتب وإلا تحول إلى معهد نظامي .

ومهمة المرسم فتح السبل والآفاق أمام المنتسبين لتنمية هواياتهم الفنية والاطلاع على أصول فن الرسم والظلال والتكوينات والاضاءة والتمييز بين الالوان ، وذلك من خلال المحاضرات التى تاخذ طابع الجلسة فى إحدى قاعات المرسم ، حيث تدار بعدها المناقشات الحرة ، ويتم تبادل طرح الأسئلة والأجوبة .

وتتيح مكتبة المرسم - للمنتسبين - متابعة مايرغبون من مواضيع من خلال كتبها المختارة ، وذلك على حسب أعمارهم ومستوياتهم الدراسية والثقافية .

وتضيف الآنسة نجاح المدني :

والمرسم مقتصر على الهواة المتفاوتين فى مستوى أعمارهم وثقافتهم ومستوياتهم الدراسية لذلك تكون الدراسة شبه اكاديمية تعدهم لتكوين أسلوبهم واتجاههم الخاص بهم .

ويفصل المنتسبون الجدد فى قاعة اخرى عن من سبقهم من الهواة ، حتى لا تسبب عبارات التوجيه أو ابداء الملاحظات إزعاجاً لهم وخصوصاً عندما يندمج بعضهم فى مشروع لوحة جديدة .

## هل الموهبة مطلوبة ؟

وتقول نجاح المدني :

ليس شرطاً أن تملك الفتاة المنتسبة الى المرسم الحر موهبة الرسم .

وتضيف : نستطيع تطوير جزء بسيط من احساسها الفني ، وسوف تكتسب من مرانها وعمق ممارستها ، معرفة الأصول الأساسية لموضوع الرسم ،وكونه ينطلق من زاوية علمية فى تحديد الخطوط الرئيسية ومعرفة الالوان وعملية الخط .. الخ .

وليس المطلوب من كل الموجودات تحقيق الابداع الكامل .



موهبة ناشئة تحاول أن تعبر عن مشاعرها الفنية فى هذه اللوحة



نجاح مدني .. المشرفة على قسم البنات فى المرسم الحر

وقت فراغهن فى تعلم فن جمالي مفيد كالرسم ، ويحاولن الاستفادة من المعلومات الفنية التى يحصلن عليها من خلال ممارستهن لهذه الهواية أو احتكاكهن بالجو الفني داخل المرسم .

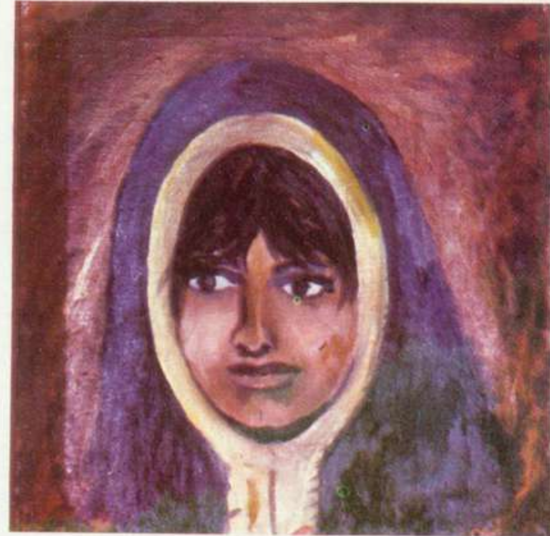
معظم الفتيات أتين على أساس الرغبة الأكيدة فى التعلم والاستفادة والتطوير ، ومهما يكن من استعداد الفتاة فعلى مسؤولية شدهن الى هذا المجال وترغيبهن فيه ، واشعارهن بان الرسم ليس فقط تمضية وقت فراغ ، ولا حتى اشباع هواية، بل هو رسالة اجتماعية ثقافية تؤدى دورها كاي مجال آخر .



طبيعة صامتة الخطوة الأولى للاحساس باللون

في المرسم الحر..

# فنانون هواة
## ينافسون الفنانين المبدعين!



وجه طفلة .. من أعمال أحد المنتسبين للمرسم الحر

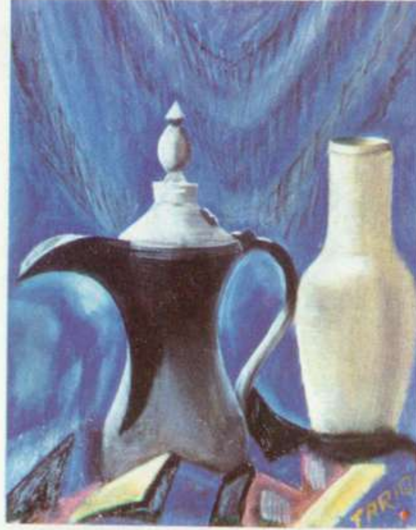
وعدد المنتسبات يصل تقريباً الى خمسين فتاة ، معظمهن يأتين بانتظام الى المرسم ، وبعضهن – لظروف معينة – تكون متابعتهن بيتية ، بحيث يأتين لأخذ الألوان والمواد الخام ويتزودن بالارشادات المطلوبة . ومنهن العاملة والطالبة وربة البيت المتزوجة والأم .

وهناك مواهب ممتازة تمنيت تواجدهن فى المرسم ، ولكن ظروفهن الاجتماعية تمنعهن من ذلك – كما أخبرنني – والغريب أن بينهن مدرسات قطريـات .

ومع أنهن يتعاطينه كمهنة ، ولكن لا يستطعن ممارسته بعيداً عن نطاق التربية والتعليم وذلك بسبب صرامة القيود الاجتماعية التى مازالت تعتبر الفن أداة غير مثمرة ولا جادة .



لمسات لونية جريئة يتدرب عليها المنتسبون للمرسم الحر .




هذه لوحة للمنتسب « طارق » الذى يبشر المشرفون على المرسم الحر بموهبته المبكرة

### معرض الهواة الأول

وفى الشتاء الماضى كان هناك معرض الهواة الأول الذى شارك فيه المرسم بـ ١٦ لوحة من أعمال المنتسبين .

وفى مسابقة ٢٢ فبراير الثانية كان حضور المرسم الحر قوياً حيث حصل أعضاء المرسم الحر على الجائزة الثانية وجوائز أخرى ايضاً .

وكان معرض الهواة الأول يحمل نوعاً من التشجيع للمشتركين والمشتركات ، وتعويدهم على المشاركة فى عالم المعارض بما يحمل من شعور بالفرحة ، وبما ينتج عنه من تقييم حقيقي لأعمال المساهمين .

والمرسم حالياً يتطلع الى الدخول في المعارض الخارجية حتى يتعرف المهتمون بالرسم على هذه الحركة الفنية الشابة فى قطر ، الساعية إلى الأفضل دائماً .

وقد ساهمت المكافات الشـهرية التى خصصت أخيراً للمنتسبين الى المرسم فى حجم الاقبـال الواضـح الـذى لاحظناه على المشاركين فى المرسم ، وذلك بعد الاعلان عنها ، لأنه لا يمكن أن نطالب الآخرين بالانضمام الى عملية تفرغ فني دون تحقيق الظروف المادية المناسبة لهذا التفرغ .. خاصة وأن المؤسسات الأخرى كمعهد الموسيقى والفرقة الشعبية والجامعة نفسها توفر هذه المكافات ..

### نظرة إلى الامام

وينفى المسئولون عن المرسم الحر بعض الأقوال التى تشيع بأن المرسم يتوقف – عادة – عن ممارسة نشاطاته لفترات طويلة فالمرسم الحر بالنسبة للفتيات لم يتوقف نشاطه إلا فى فترة الامتحانات التى تؤثر فى عدد المشاركات ، لارتباطهن الدراسي فى هذه الفترة الحساسة من مستقبلهن .

ويؤكد هؤلاء المسئولون نجاح رسالة المرسم بحيث يبدو ذلك ظاهراً فى تخريج ٣٠٠ منتسب ومنتسبة ، أصبحت لديهم قاعدة عريضة من التفهم والوعي لماهية الفن .

كما تؤكد نجاح المدنى على فنية سبع منتسبات للمرسم الحر ، وتتنبأ لهن بمسار فني ناضج ، حيث بدأت أبجديات موهبتهن تخط لهن طريق الابداع .

وتتابع المشرفة على الفتيات فى المرسم الحر حديثها :

أرجو أن يبرز المرسم الحر كمركز فني من خلال وجودنا والامكانيات المتوافرة ، والتزام الموهوبين والموهوبات وتعاون الجمهور معنا .

ويتابع الخبير فى الفنون التشكيلية موضوع المستقبل قائلا : سوف تكون هناك حوافز أسبوعية ، سيارات رسم للمناظر الخارجية ، ميزانية لشراء احتياجاتنا من مكتبة وشاشات عرض وقاعة محاضرات مجهزة . وفي التخطيط الجديد للمبنى سيكون هناك أقسام للخزف والنحت والديكور والرسوم المتحركة . وهذا يتطلب خبراء وأساتذة زوارا ، وكادراً قطرياً مؤهلا من خلال البعثات ، أو من الكفاءات التى نزكيها – من أعضاء المرسم – للدراسة في الخارج .

مريم آل سعد

# أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● نابليون في منزله ●● أبو كلثوم الوفدي ●●● العبقرية ٩٩٪ عرق
●●●● أطفال كبار ●●●●● نقود ذهبية من عهد العباسيين

## نابليون في منزله

كان نابليون من ذوي العبقريات الحربية النادرة التى عرفها العالم ، وكان من أعظم رجال السياسة والادارة الذين عرفهم التاريخ . وقد اشرفت شخصيته الجبارة على أوربا ولما يبلغ الخامسة والثلاثين . فماذا عسى ان تكون حياته المنزلية ؟ .

كان نابليون يستيقظ من رقاده فى أي ساعة من ساعات الليل ، فيستحم بالماء الساخن ، وكان يجلس فى حوض الماء وعلى راسه لفافة كالعمامة يتدلى طرفاها على عنقه . وكان يامر بتدليك صدره بفرجون من الحرير فى كثير من الأحيان .

ويقوم خدمه بالباسه فى الوقت المعتاد . فاذا اراد ان يحلق لحيته ، غمر كل شيء فى وجهه بالصابون إلا منابت الشعر ، ويتناول « الموسى » فى تعسف ، فلا يكاد يمر بها على وجهه ، حتى يملأ خده الناصع بالجروح . وكثيراً ما كان يشرد لبه وهو يقوم بهذا العمل ، فيترك جانباً من وجهه كما هو ، ويخفى الجانب الآخر .

ولم تكن احذيته انيقة المظهر ، او جيدة الصنع ، ولكنها كانت دائماً مبطنة بالحرير . اما قبعاته فكانت مهدمة الأركان ممزقة من بعض النواحي إذ أن القبعات الجديدة كانت تحز فى جبهته وتجلب الى راسه الصداع . ولم



نابليون بونابرت

يكن نابليون يلبس الحلى أيا كان نوعها ولم يكن يحمل كيساً للنقود أو يضع فى جيوبه شيئاً منها .

وكان يحب من الذين يقومون بخدمته ان يجيبوه أجوبة سريعة حازمة ، وإن كان قل أن يصغى الى ما يقولون . فاذا كان معتدل المزاج فلا باس من أن يفرك لاحدهم اذناً او يصفعه مداعباً على خده . وكان نابليون سريع الغضب فى اكثر الأحيان ، وكثيراً ما كانت تعتريه نوبات نفسية عنيفة تطغى على اخلاقه ولكنه كان سريعاً إلى الهدوء سريعاً الى الصفح .

وكانت تصيبه نوبات عنيفة من سوء الهضم لعدم عنايته بمضغ الطعام فيستلقى على الأرض وتاخذ زوجته برأسه فتضمه على صدرها وتدلك بيديها على جبهته وصدره ، وكان يكره تناول العقاقير على اختلاف انواعها .

ومن عادته أن يلعب الورق مع زوجته وأصدقائه عقب الغداء ، إذا لم يكن مصاباً بعسر الهضم .

وكان يقرا الكتاب ، فاذا لم يعجبه مافيه ، القى به الى النار . فاذا رأى احداً من أصدقائه يقرا فى كتاب لا يوافقه ، اخذه من يده ودفع به الى النار .

وكان نابليون سريع التاثر بالبرد حتى إنه ليامر بتدفئة فراشه بالطرق الصناعية فى جميع فصول السنة . وكان مصاباً بعادة قرض الأظافر . ومن المعروف عنه انه كان يغار على زوجته الى درجة تشبه الجنون إلا انه كثيراً ماكان يخضع لها ويسالها العفو وإن كان الخطا فى جانبها .

هذه صورة مصغرة لحياة الرجل الذي هزم ايطاليا وهو فى السادسة والعشرين وفتح مصر وهو فى الثامنة والعشرين ، وكان دكتاتوراً لفرنسا فى الثلاثين وسيداً لأوربا فى الثانية والثلاثين من عمره : نابليون بونابرت .

ابريل ١٩٤٠

# أبو كلثوم الوفدي



للدكتور زكي مبارك
١٩٣٩

ما كنت انتظر ان اجد في « شبرا » ما رايت هذه الليلة .. فشبرا حي صخاب لا مثيل له فى الحركة والضجيج بين احياء القاهرة . هو في الأصل من الضواحي الهادئة الوادعة المجملة الشوارع باشجار الجميز والتوت ، ثم تحولت فى مدة قليلة الى محلة مزدحمة بالتجار وارباب الأعمال .

كانت سهرة هذا المساء في منزل صديق عزيز يسكن تلك المحلة ، وكانت السهرة مثقلة بالحديث عن مشروعات وزارة المعارف ، فلم يكن فيها جانب واحد من جوانب الهدوء والصفاء .

ومن عيوب رجال التعليم فى مصر انهم يحملون شواغلهم فى كل مكان ، حتى لتحسب ان تلك الشواغل هي كل ما يملكون من زاد الحديث فى سهرات الأندية والبيوت ... لطف الله بكم يازملائي ! .

وزاد في عنف الجدل ان معالي النقراشي باشا "١" كان تحدث مع جريدة المقطم فى اشياء تفتح المجال للنظر والتامل ، وتقدم للمشتغلين بالتعليم فرصاً كثيرة لحركة الأفكار والعقــول .

واردت ان اخرج قليلا من ذلك الميدان الذى كنت اركض فيه وقت الصباح ، ونويت ان اخلص من شواغله وقت الليل ، فاقترحت ان تتفضل « روحية » فتقرا علينا حديث النقراشي باشا بصوتها الذي يشبه بغام "٢" الظباء ، وانا ارجو ان احول تلك المعضلات التعليمية الى مشكلات وجدانية .

ولكن روحية تلحن "٣" حين تقرا ، واللحن من مثلها لا يغتفر : لانها طالبة باحدى كليات الجامعة المصرية ، ومن البعيد ان اطرب لكلامها الملحون ، فقد كان المقام مقام تعليم ، ولم يكن مقام تشبيب "٤" ، وإن كنت قصدت ان يفيض صوتها على ذلك الموضوع الجاف نفحة من نفحات الوجدان .

فهل غيرتني الأيام حتى صرت أعد اللحن من ذنوب الملاح ؟! معذرة ، ياروحية ، فان عمك نقله الزمان من حال الى احوال ! .

خرجت مكروب الصدر افكر فى اشياء واشياء ، ولكن القمر طالعني بوجه اصبح وهاج ، فنظرت إليه برفق وحنان ، وكدت انسي ما في الصدر من هموم واثقال ... والشعراء كالأطفال ينسون اشجانهم الفوادح فى لحظات !

قال رفيقي : اين تقع هذه الليلة من الشهر ؟

فنظرت فى المقطم على نور القمر فرايتنا فى مساء اليوم الثالث عشر من شوال ، فقلت : هذه ليلة البدر ، يارفيقي !

وما هي إلا لمحة حتى كان المذياع يصـــافح آذاننــــا بجلجلته من منزل بعيد فهرعت إليه وانا ماخوذ ، فجذبني الرفيق من يدي وهو يقول : إن لم يكن بد من السماع فارجع بنا نسمع المذياع فى البيت ؟ .

فقلت : اريد ان اسمع من قوم لا يعرفون وزارة المعارف، ولا يفكرون فى المناهج ، ولا تهمهم مصاير التلاميذ !

وقفت اسمع كما وقف ابن عبد ربه يسمع اكثر من تسعة قرون ، ولم اخف مما وقع لابن عبد ربه ؛ فقد طردوه باسلوب قبيح رموه بجرة من الماء ليحرموا اذنيه الحان الغناء !

ثم نظرت فرايت الدنيا حولي تذكر بمحلة الصدرية فى بغداد هي والله محلة الصدرية بمنازلها المنثورة بلا نظام ولا ترتيب ، وفي ثناياها نخلات طوال تخيلتها نقلت من هناك .

قال رفيقي : إن المذياع فى بيت ليس فيه ضياء .

قلت : إنه يغني اهل البيت فى لحظة صفاء .

فقال : الا يكون من الأدب ان ننصرف ؟ .

فقلت : ومن الخير ان ارجع الى داري لأكتب كلمة عن ابي كلثوم الوفدي ، فقد تذكرته حين رايت فى شبرا صورة الصدرية فى وطن الأهل والأحباب "٥" ، إن بقى لي فى الدنيا اهل واحبـــــاب !

• • •

فمن هو ابو كلثوم الوفدي ؟

هو ابو كلثوم : لأنه مفتون كل الفتون باغاريد ام كلثوم

وهو يهذي بها فى كل وقت .

وهو وفدي : لانه حقاً وصدقاً من اشياع الوفد المصري"٦" وهو يهفو إليه فى كل حين .

فمن هو ابو كلثوم الوفدي الموزع القلب بين القاهرة وبغداد ؟ .

هو الأخ العزيز الأستاذ محمد باقر الشبيبي احد الشعراء المجيدين في العراق .

وماكان باقر الشبيبي أول من فتن باغاريد ام كلثوم ، فقد فتن بها الزهاوي والرصافي والبناء ، ولهم فى الهيام باغانيها قصائد جياد ، وربما جاز القول بان ام كلثوم شغلت جميع شعراء العراق ، فمن النادر أن تمر اغانيها هناك بلا تشوف . وقد زاد الاهتمام بام كلثوم عند اهل العراق بعد ان عرفوا ان حنجرتها مسروقة من الحمامة الموصلية التى تقيم باحدى نوافذ المنارة الحدباء .

لم يكن باقر الشبيبي اول المفتونين باغاريد ام كلثوم ، ولكن هيامه بها قد اتصل بنزعة نبيلة هي الجزع من الانشقاق الذى وقع فى الوفد سنة ١٩٣٢ وخرج به على الزعامة ثمانية اعضاء "٧" .

فى تلك الأيام ذهبت ام كلثوم لزيارة بغداد فاستقبلها الشاعر بخفقة من القلب والروح وهو يهتف :

على الشاطىء صيداح — هنيئاً لك يادجلة
سارعى النجم للصبح — واحيي الليل فى الحفله
فاهلا ظبية النيل — ومرحى جارة الرمله
وبوركت على السير — وهنئت على الرحله

هنيئاً لك بغداد — فهذي ام كلثوم
من الغيد الأعاريب — اتتنا ، لا من الروم
لقد احيت لياليك — بتغريد وترنيم
فعذراً فرحة النفس — إذا قصر تكريمي

اعيدي السجع والصدح — وغنينا الى الفجر
فهذى الأنجم الزهر — مطلات مع البدر
فغني أروع الشعر — وصوغيه مع السحر
فمن نحرك للثغر — ومن ثغرك للنحر

اطلي بنت فرعون — على المسرح والملعب
ورفقاً ربة الصوت — باحشائي أن تنهب
فانت الكاعب الرود"٨" — فما الظبي وما الربرب"٩"
خذي روحي إلى مصر — فمصر الوطن الاقرب

ثم تثور النزعة الوفدية فى صدر الشاعر فيصيح :

سلي قلبي عن الحب — فقد ذاب من الوجد
فكم لاب"١٠" على الروض — وكم حام على الورد
سليني شاحب اللون — فمن سهد الى سهد
خذى قلبي للوفد — فاني فى الهوى وفدي

ولم يكتف « وفدي الهوى » بهذه الزفرة ، بل انتقل الى انشقاق الوفد وهو يصرخ :

عجبا أم كلثوم — من الحادثة الكبرى
لماذا انقسم الوفد ؟ — ومن ذا بيت الأمرا ؟
الا من يجمع الشمل ؟ — الا من يطرد الشرا ؟
خذى حذرك يا مصر — وردي الكيد والمكرا

وتوجع الشاعر لما صار اليه سعادة الأستاذ محمد نجيب الغرابلي باشا فقال :

رأيت الخصم جذلان — بما جد من الخُلف
احقاً فصل الوفد — « نجيباً » وهو فى الصف
فهذا الحادث البكر — ارانا موطن الضعف
إلى الوحدة يامصر — إلى الاشفاق والعطف

• • •

نظمت تلك القصيدة فى مثل هذه الأيام من سنة ١٩٣٢ فهل كانت آخر زفرة من زفرات الأستاذ باقر الشبيبي فى التشوق إلى ام كلثوم وإلى الوفد المصري ؟ .

إليكم هذا الخبر الظريف :

في بواكير الربيع من سنة ١٩٣٨ اجتمع نادي القلم العراقي بمنزل سعادة الدكتور فاضل الجمالي ، وكانت الجلسة برياسة معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، وكانت الكلمة يومئذ للأستاذ عبد المسيح وزير ، فما الذى قال ؟ اخذ يقرا قصة من قصصه ، فاشتركت مع الاستاذ عباس العزاوي فى السخرية من خياله الجميل ! وعند نهاية القصة طلبت الكلمة لاحاسب « القارىء » ، ولكن معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي خشي عاقبة الهجوم على الأستاذ عبد المسيح فاقترح ترك التعقيب ، ثم قال إن عنده موعداً وانصرف .

واستؤنفت الجلسة برياسة الدكتور الجمالي فقلت : إن معالي الرئيس اغلق باب التعقيب لانه مشغول ، وهو قد انصرف ، فانا اطلب الكلمة من جديد ، ثم قلت : إن

# أبو كلثوم الوفدي

الغرض هو إلقاء محاضرة ، لا قراءة قصة ، فكيف جاز للأستاذ عبد المسيح وزير أن يحبسنا ساعة لنشهد طريقته فى التلاوة ؟ . فقال الدكتور عقراوي : الأصل ان يلقى العضو محاضرة ، ولكن ما الذي يمنع من ان يقرا شيئاً من اثاره الادبية ؟ إن الادب هو الاصل والتعليق عليه هو الفرع ، فالقصة كالقصيدة لون من الأدب الصرف

وقال الدكتور الجمالي : فليكن هذا تقليداً جديداً من تقاليد نادي القلم العراقي ، ومن حق الشعراء من اعضاء نادي القلم ان ينشدوا بعض قصائدهم فى الجلسة المقبلة ، وستكون فرصة نسمع فيها صوت الدكتور زكي مبارك ، فقد سمعت انه شاعر ، وله ديوان .

فقال الدكتور عقراوي : ولا يشترط ان يكون الشعر جديداً ، فالدكتور مبارك شاعر مقل ، وعليه واجبات فى دار المعلمين العالية قد تعوقه عن نظم قصيد جديد .

وبهذه المحاورة نجا الأستاذ عبد المسيح من لساني ، وما كاد ينجو ، مع انه ابو إيناس .

انـــا شـــاعر مقـــل ؟

هذا صحيح ، ولكن كيف القى نادي القلم العراقي بقصيد نظمته منذ سنين ؟ وكيف اضيع الفرصة فلا اقرع اسماع بغداد بقصيد جديد ؟ ومضيت وانا احاور شيطاني فنظمت قصيداً ( فى احد عشر ومئة بيت ) عنوانه :

« من جحيم الظلم فى القاهرة الى سعير الوجد فى بغداد » . وانشدته فى الأسبوع التالي بالرستمية . فقال معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي : كيف استجزت يادكتور قتل هذه الشاعرية ؟ فقلت : قتلها التاليف ، وهو يشغل الفكر عن الغناء .

وصاح الدكتور الجمالي : سيجيبه الأستاذ باقر الشبيبي حين نجتمع فى منزله بالزوية فى الأسبوع المقبل ،

واجتمعنا فى الزوية فى مساء مقتول النسيم ودجلة تصغى إلينا فى تودد وترفق ، والاخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي ، فهتف البلبل :

وفاء بعهدي أو نزولا على وعـــدي
وقفت احيي معشـري وبنـي ودي
وقفـت احـيي عصبـة عربيـــة
بها نستبين الرشـد حقاً ونستهدي
فاهلا بكم فى روضة الحب والصفـا
واهلا بكم عند المسرة أو عنـــدي
وهيجني فى الرستمية شـــاعر
به مثل ما بي من انين ومن ســهد
به من هوى ليلى رسيس من الهـوى
وبي لهب لا ينطفى من هوى هنـد

وما كاد يصل الى هذا الحد حتى حدثني القلب بانه سيتحدث عن ام كلثوم والوفد لان القافية دالية ، فقلت : اراهن انك ستعلن انضمامك الى الوفد ! فضحك ضحكة كادت تزلزله من مكانه ، ثم مضى يقول :

وذكرنى عهد الصبـا فى نشيـده
سلام على عهـد الصبا فى ربا نجد
هواه على اجراف دجلـة وافــد
وامـا هـوى قلبي فللنيل و « الوفد »

فصاح الاعضاء : صحت فراسة الدكتور مبـارك فـي « الوفد » فهل تصح فى « ام كلثوم » ؟ فمضى الشاعر فى النشيـــد :

فلا تحسبوه شـارد اللب وحـده
ولا تحسبوني سادراً فى الهوى وحدي
صريع الغوانـي ، لا تلمني فانني
صريـع اغاني ام كلثوم لا دعـد
سلام على تلك الاغاريـد إنهـا
اغاريـد من وحي الصبابة والوجد

اما بعد فهذا حديث ابي كلثوم الوفدي ، اعزه الحب ورضيت عنه العروبة المصرية والعراقية ، فان كنت فضحت هواه فلا يلمني « فاني فى الهوى وفدي » وربما صرحت فقلت إني عالمي فى الحب : فلي صبابات تغرب فتصل الى باريس ولواحق باريس ، وتشرق فتصل الى بغداد ولواحق بغداد من حواضر العراق ، وهل تركتني دمشق وبيروت بلا عقابيل ؟ .

إن حـــالي لعجيـب — ما يرى اعجـب منـه
كل أرض لـــي فيهـا — غائـب أسال عنـه

زكي مبارك

# العبقرية ٩٩٪ عرق

بقلم: الدكتور إبراهيم ناجي



العمل قوام الحياة ، والدعامة التى تقوم عليها . بل هو الدريئة التى نستتر وراءها لننسى متاعبنا واشجاننا ، فمادمنا نعمل ، فنحن فى شاغل من عملنا ، لا نبالي بسفالات الناس ، ولا باقاويلهم ، ولا بسخافاتهم . ولكن هل مجرد العمل يكفي ؟

كلا ، لابد أن يكون العمل مثمراً ، لابد من الجني الشهي ، لابد من الراحة بعد التعب ، والراحة ذلك الجني الشهي !

حقيقة إن المواهب تختلف ، وان الله ينعم على هذا بالعبقرية ، ويجعل ذلك فى مستوى عادي .

ولكن حتى العبقرية تموت ، إذا لم يتعهدها العمل المنظم .

فقد كان « جيته » لا يخجل من ترتيب عمله .

وكانت ساعات عمله منظمة ، وهو العبقري المشهور ، وكان لا يخجل ان يطرد عنه الزائر البغيض ، وكان يقول للذي يشغله فى جراة : ارجوك ان تنصرف ، فاني مشغول .

وفى الأمثال : أثقل الثقلاء من شغل مشغولا !

ولكننا نتورط ، ونجامل ، وبذلك نضيع وقتنا .

ومن اسرار السعادة ، ان نتبع الأفضل ، ولانتبع سبيل المجاملة ، وقد قال المرحوم احمد عبد الوهاب باشا : إن من اسرار النجاح ان تقول « لا » حين يجب أن تقولها .

إن هذا التورط ضرب من الفوضى ، ضرب من قلة الضوابط التى يتبعثر بواسطتها الزمن ، وتتمزق الجهود ،

وقد قال احد عظمائنا : إن افة الشباب عندنا ، انهم يجاملون وسطاً فيه « فرامل » لا يستعملها اهلها ! .

قال اديسون : إن العبقرية ٩٩٪ عرق !

يعني أن العبقرية لا تعني الكسل ، بل الجهد الدائم ، والحيوية المتدفقة . ولقد يخيل للذي يرى أثر العبقرية فى الفنون ، أن القصيدة او الرسم ، الذى يقوم به العبقري فى ساعة أو بعضها ، من نتاج العبقرية وحدها . وهو واهم ، فان خطاً واحداً يرسمه مصور ، هو جهد سنين ، وبيت شاعر قد يلوح بسيطاً ، ولكن هاته البساطة خلاصة عهود وأزمان من النصب والتعب .

ويشترط فى العمل ان تتخلله الراحة ولا يهزان احد بذلك ، ولا يتخيلن احد ان الانسان فى راحته تنقطع الصلة بينه وبين عمله ، ... كلا ، فالعقل الباطن يشتغل دائماً ، والانسان فى الراحة يستجم .

هذه هي أسرار الحياة ، وفنها الرفيع فلعلي أكون قد اصبت الحقيقة .

ابراهيم ناجي

مايو ١٩٤٩

هوامش

١ ـ محمود فهمي النقراشي كان وزيرا للمعارف فى مصر عند كتابة هذا المقال سنة ١٩٣٩ .

٢ ـ بغام : صوت والظباء : الغزلان .

٣ ـ تلحن : على وزن تغضب من اللحن أي الخطا فى إعراب الكلمات .

٤ ـ التشبيب : الغزل

٥ ـ بلد الأهل والاحباب إشارة الى بغداد التى قضى فيها زكي مبارك عاماً دراسياً سنة ١٩٣٨ وكتب عنها الكثير وتغنى بحبها فى اكثر من كتاب اشهرها كتاب « ليلى المريضة بالعراق » .

٦ ـ حزب الوفد المصري الذى انشاه سعد زغلول وتولى زعامته من بعده مصطفى النحاس .

٧ ـ وقع انشقاق في حزب الوفد صيف سنة ١٩٣٢ حيث خرج على الحزب ثمانية اعضاء هم : نجيب الغرابلي وفتح الله بركات وحمد الباسل ومراد الشريعي . وكان هناك نكتة سياسية حول هؤلاء المنشقين الثمانية حيث اطلق عليهم اسم حزب « السبعة ونصف » حيث ان اشهرهم هو نجيب الغرابلي باشا وكان قصيراً جداً ، فاعتبرهم الساخرون سبعة ونصفاً بدلا من ثمانية ، وقد كان لهذا الانشقاق فى الوفد اثر سيىء على الحركة السياسية الوطنية .

٨ ـ الرود : الجميلة الحسنة

٩ ـ الربرب : بقر الوحش ويضرب به المثل فى الجمال عند العرب .

١٠ ـ لاب : اي ظمىء وعطش .

# أطفال كبار...

لا يختلف الطفل فى امريكا الجنوبية عن الشباب البالغ ، إلا بانه اقل سنا واقصر قامة . ولكنه لايختلف عنه من الناحية النفسية على الاطلاق ، والطفل فى كل مدينة وفي كل اقليم يشترك فى مظاهر الحياة العامة على اختلافها . ومن المظاهر المالوفة فى « كويتو » ان يرى الطفل البالغ من العمر ست سنوات يطوف الشوارع فى ثيابه الرسمية وعلى قبعته الرقم الذى يشير إلى وظيفته فى الخدمة العامة .

فاذا بلغ الطفل الثالثة من عمره اخذ أهله فى تدريبه واعداده للمزاحمة فى الحياة . ويشاهد الأطفال فى تلك البلاد وهم فى الخامسة من اعمارهم فى الأسواق العامة يبيعون السجائر والفاكهة والمجلات وانواع الحلوى . ويرى المكاريون والسعاة من بين الأطفال الذين فى الثامنة او التاسعة من اعمارهم .

والطفل فى امريكا الجنوبية فى السنتين الأوليين من حياته ، يعد لعبة طريفه عند والديه ، يلبسانه ثياب الخز والديباج ويعرضانه فى زهو وعطف على اصدقائهم . فاذا بلغ الثالثة او الرابعة من سنه ، بدأ يتبع نسق الحياة الذى اتخذه والداه . فاذا كان من الطبقة الفقيرة كان عليه ان يكسب بعض النقود عندما يبلغ الخامسة من عمره .

وقد تشاهد فى منتصف الليل كثيرا من البنات اللاتي لم يتجاوزن السابعة من اعمارهن على عرض الطريق يبعن الحلوى والأزهار . وكذلك الغلمان فى هذه السن وهم يحملون اوراق النصيب او علب الورنيش . ولا ينقطع هؤلاء عن الشارع فى الليل او النهار ، فلا تعرف في اي وقت يخرجون وفي اي وقت ينصرفون ؟! .

والطفل فى جنوب امريكا يعد عضوا عاملا فى أسرته ، يرتدي زي الكبار ، وله مالهم من الحقوق . فالبنت الصغيرة مثلا تتحلى بالخواتم وتلبس الأقراط ، وترتدى ثياب الحرير وتضع الطلاء وتتعطر بالروائح الزكية . وتصفف شعرها كما تفعل امها على حد سواء . وكذلك يتزيا الصبي بزي ابيه ، فيلبس القبعة الفاخرة ويرتدى الملابس الطويلة ويقتني الحلى والجواهر .

إن جهاد هؤلاء الأطفال فى الحياة العملية ليدعو حقا إلى الاعجاب . فقد رايت طفلا فى العاشرة من عمره يقوم بعمل حارس الليل فى سفينة على نهر « كاتالمبا » فى فنزويلا . حيث الملاريا والحمى الصفراء والدوسنطاريا والتماسيح ، لا يساعده فى هذه العزلة الموحشة إلا امراة واحدة ، وهو بعد مسئول عن صحة الركاب الذين لايقلون عن مائة شخص ، مسئول كذلك عن راحتهم ، ويقوم باعمال الندل فى بعض القطارات اطفال فى العاشرة والحادية عشرة من اعمارهم ، ويدير مصلحة تنظيف الشوارع فى مدينة « كويتو » اطفال فى السابعة ويقومون بعملهم على احسن وجه .

ابريل ١٩٤٠

# نقود ذهبية من عهد العباسيين

بينما كان احد الفلاحين يستخرج السماد من بعض التلال الأثرية بناحية سيدي سالم بمديرية الغربية ، إذ عثر على ١٩ قطعة ذهبية يرجع عصرها الى الخلفاء العباسيين وقد صكت في عهد هارون الرشيد والمامون والمهدي .

وقد ابلغ الامر إلى إدارة حفظ الآثار العربية فى مصر فاوفدت احد مفتشيها فتسلم القطع الذهبية التى عثر عليها .

وقد نقش على احد وجهيها بالخط الكوفي « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ونقش على الوجه الثاني « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وارخت بالتاريخ الهجري وهي من الذهب الخالص فى حجم القطعة الفضية ذات القرشين ولكنها اثقل منها وزنا .

القاهرة ـ فبراير ١٩٤٠

# خيوط العنكبوت

قصة بقلم : عبدالرحيم أبوعوف

كان من المتوقع ان تنتهي دراستنا الجامعية دون ان يلحظ احدنا زميلنا الطالب «ح» لولا ما حبته به الطبيعة من مظهر وسيم وقوام رياضي ملحوظ ، فلم يعرف عن زميلنا «ح» انه اشترك طوال ايام دراستنا الجامعية فى اى نشاط جماعى من اى نوع سواء فى الحفلات او المباريات او الأنشطة الاجتماعية والثقافية الاخرى التى كانت تملأ حياتنا خلال تلك الفترة من دراستنا ، وكان من المعروف عنه انه لم يتبادل مع اى طالبة او طالب من الزملاء كتاباً او كراسة او اى منفعة اخرى يمكن تبادلها كقرض صغير او دعوة على كوب من الشاى او قلم زائد عن الحاجة ، فهو من ناحية لم يطلب اى شيء من اى انسان فاذا طلب منه زميل اى طلب سواء اكان خدمة او شيئاً مادياً فانه كان يعتذر ويتباعد بابتسامة رقيقة ولكن بشكل حاسم ملحوظ .

ولا يعنى ذلك انه كان شاذاً او متباعداً فى علاقاته الاجتماعية فلقد كانت له قدرة محببة على ان يتحدث مع اى زميل او زميلة ببساطة وود وقد جعلته صفاته هذه يحظى باعجاب الفتيات من الزميلات فسعت اكثر من فتاة لاكتساب صداقته الثابتة ولكنه لم يكن يسمح بمثل هذا الارتباط باسلوب زئبقى حصيف .

ولقد احتفظ بنفس الأسلوب مع زملائه من الفتيان ، فعلى الرغم من وجود علاقات ود متعددة مع زملائه إلا انه لم يتح لاحداها أن تتطور لتصبح صداقة وطيدة ، فلم يتح الفرصة لأى من زملائه ان تتبسط الأمور بينهما بحيث تسمح لزميله ان يمر بمنزله حيث كان يعيش وحيداً بعد ان فقد والديه فى ظروف غامضة لم تكن معروفة لنا ، وقد شاع بين الزملاء خبر زميلنا الذى مر على « ح » فى منزله وبصحبته زميلتان ليصحبوه الى حفل راقص حيث قابله « ح » بفتور واعتذار مهذب حاسم جعل زميلنا لا يعيد المحاولة مرة اخرى كما نبهنا جميعاً الى حدود العلاقة التى يقبلها «ح» .

ولما كنت منذ شبابى المبكر فضولياً ، وهى احدى المقومات التى جعلت منى كاتباً بعد ذلك ، فلقد كانت تصرفات «ح» وشخصيته تستلفت نظرى ، فبينما كان يملك كافة الصفات التى تمكنه من الاستمتاع بحياة مرحة دافئة ناجحة كان يبدو غير حريص على تحقيق هذا النجاح .

وقد حركت واقعة معينة فضولى إذ أراد مدرب العاب القوى أن يضمه الى فريق الكلية الرسمى وهو شرف يتمناه كل طالب إلا أن «ح» سارع بالاعتذار معللا رفضه بانشغاله فى دراسته ، ولم تسفر بعد ذلك جهود المدرسين والزملاء عن اى نجاح لدفعه الى تغيير قراره ، وكنت أعلم كما يعلم الكثيرون من الزملاء وكذلك مدرب العاب القوى أن زميلنا «ح» يحضر يومياً فى الصباح الباكر وقبل بدء الدراسة الى ملاعب الكلية حيث يمارس رياضات العاب القوى منفرداً ، وانه كان اثناء التدريب يتغلب على كل اعضاء فريق الكلية

# خيوط العنكبوت

لألعاب القوى سواء فى مسابقات الجرى او الحواجز او القفز او فى العاب الرمى دون أن يبدو عليه حرصه على تحقيق هذا الفوز أو اهتمامه به ، وكان إذا انطلق فى نهاية تدريبه وهو يجرى بسرعته القصوى حول الملعب يبدو خلابا بعضلاته الانسيابية حتى شبهه البعض بالحصان العربى الأصيل .

حادثة اخرى تالية اشعلت فضولى ، فلقد اعلنت ادارة الكلية عن تشكيل جمعية لرعاية العجزة وسارع جميع الطلاب بالاشتراك فيها بتبرعات صغيرة كما شكلت لجان لاقتراح انشطة مختلفة لتحقيق اهداف الجمعية ، وفاجانا جميعنا «ح» برفض الاشتراك فى الجمعية مما كاد يسىء الى صورته بين الأساتذة والطلبة ولكنه تبرع للمشروع بخمسة اضعاف ما تبرع به كل منا دون أن يوافق على الاشتراك فى الجمعية او حمل شارتها مما اربكنا جميعا.

عقب هذه الواقعة مباشرة قررت مقابلته واشباع الفضول الذى بدا يثقل صدرى ، ولكن بدلا من أن اسعى الى اكتساب صداقته لعلمى بانه سوف يرفضها فلقد ذهبت ذات ليلة الى منزله دون موعد سابق وبمجرد أن فتح لي باب شقته الصغيرة حييته باقتضاب وانسللت الى داخل الشقة فى هدوء حيث وجدت شقة صغيرة تتكون من غرفة واحدة واسعة فتوجهت الى المقعد الوحيد بها وجلست ، وظل «ح» يتابعنى بنظره وهو لايزال يقف بجانب الباب ، ثم اغلق الباب فى هدوء ودخل الى الغرفة وهو ينظر إلي نظرة متسائلة لم تخل من الدهشة وان خفف من وطاتها بشبح ابتسامة على زاوية فمه ، واحس «ح» أنه لن يتخلص منى بسهولة فتوجه الى المطبخ الصغير وعاد ومعه زجاجتان من عصير الفواكه ناولنى احداها فى صمت ثم سحب كرسيا صغيرا من أمام مكتب فى ركن الغرفة وجلس وقد زادت ابتسامته وضوحا كانما قد اثارتها تصرفاتى .

كانت الغرفة المتسعة تضم أثاثا قليلا بسيطا إلا انها كانت تبدو شديدة النظام والاناقة ، ولفتت انظارى سجادة صغيرة فاخرة تتوسط الغرفة ولوحة زيتية لمنظر طبيعى داكن تحتل الجدار المواجه لي ، فقد بدتا غير منتميتين الى هذا المكان .. وكانت الغرفة تتناثر فيها الأضواء والظلال برقة بالغة مريحة ولاحظت لأول مرة ملامح وجهه التى يختلط فيها بشكل جذاب رضا واطمئنان وثقة بالنفس مع حزن عميق هادىء دفين .

واحسست وانا احتسى عصير الفاكهة الذى قدمه لي ببعض الحياء من اعتدائى بشكل ما على عالم خاص لانسان متفرد الصفات ، ولكن بعد ان انهيت شرابى ووضعت الزجاجة الفارغة على منضدة صغيرة امامى ـ استجمعت ارادتى .. وتغلبت على حيائى ونظرت اليه ـ «تدهشنى .. كما تدهش الكثيرين من اساتذتنا وزملائنا بتصرفاتك ..» هكذا بدأته الحديث ، ولم تتغير تعبيرات وجهه فتابعت حديثى «إنك تملك مزايا متعددة تمكنك بكل بساطة ويسر ان تتبوأ مركزاً رائعاً بيننا ، فانت دائماً من أوائل الناجحين ، وانت رياضى متميز ولقد وهبك الله مظهراً حسناً وذكاء ولطفاً ومع ذلك فانت تتباعد عن كل فرصة تتاح لك لتتبوأ مركزاً متميزاً بيننا .. فلماذا .. ؟» وظلت تعبيرات وجهه على ثباتها ولم يتاثر بالمديح الذى قلته له بحماس افلت منى بلا قصد ، واجاب بعد فترة صمت كادت تطول «هل هذا حديث صحفي او شيء من هذا القبيل ؟» وسارعت بالنفى مؤكداً اننى أريد ان اعرف لأشبع فضولى الشخصى خاصة وانا اعجب به . وابتسم لزجاجته التى لم يكن قد انتهى من شربها بعد ابتسامة هادئة ثم رفع إلي نظراته قائلا .. «اننى اعرف فيما اظن ما تريد .. وانا اعرف نوعك من الناس .. واطمئن اليك ..» وعلى عكسه دفعت مجاملته الدماء الى وجهى حياء ... واستمر «ح» بنفس نبرته الهادئة والتى تناسبت بشكل كامل مع الاضاءة الخافتة التى احاطتنا .. «هل تعرف كيف مات والداى ؟» ولأول مرة اكتسبت نظرته ثباتاً وهو يحملق فى وجهى بطريقة احرجتنى .. وتنحنحت لأخفى ارتباكى ثم اجبته بصوت خرج خافتاً «لا» .. ، وسقطت راسه فى هدوء واطال التحديق فى السجادة الصغيرة الفاخرة التى تنتصف الحجرة ثم رفع راسه مرة اخرى وقال «لقد انتحر والدى .. وبعده بيومين انتحرت والدتى» واصابنى دوار ، وتوقف عقلى عن العمل ، ولم استطع حتى التفكير فى العلاقة بين هذا الأمر وتصرفاته الحالية .. وطال الصمت لحظات اخرى وهو لايزال يحدق فى السجادة .. ثم اكمل بصوت واضح خافت .. «لقد كان والدى رجلا عذباً لا تجد له مثيلا بين البشر ، كان شديد الحنان يسبغ حنانه على كل من حوله وكان شديد الارتباط بالآخرين يحمل على اكتافه معاناتهم ويسعد لسعادتهم ، كان سخياً كريماً ولم يعرف طوال حياته أن يقول لا ..

ودفعه ذلك الى ان يشارك العديد من اصدقائه فى مشاريعهم ومغامراتهم المالية .. كما كان يدين الكثيرين منهم بمبالغ كبيرة وصغيرة ، ولم يكن يتابع فى حرص استرداد هذه الديون إلا حين اقتدارهم وقيامهم بسدادها دون سؤال .. وهو ما لم يتوفر للكثيرين منهم ، وعلى الرغم من نجاح والدى فى اعماله إلا انه بحكم ارتباطاته المتعددة وما شكلته من أعباء مالية جعلته يلجا الى الاستدانة .. وكشخص عف النفس .. استدان من البنوك ونظراً لأن البنوك لا تملك قلباً يحركها فلقد ظلت ديونه تتزايد بتدرج شيطانى زاد تاثيره مع الأيام» .. وصمت قليلا وبلل شفتيه برشفة من زجاجته .. ثم قال ..

«وبدلا من ان يلجا والدى الى مدينيه ويقسو فى الطلب فان قلبه المرهف الحس لم يطاوعه واخذ يضاعف جهوده لتوفير الأموال اللازمة لسداد ديون البنك ، وعاش أعوامه الأخيرة فى عمل مرهق ليل نهار ، ولقد منعته رقته من أن يشرك احداً حتى أمى فى مشاكله ،ثم بدأ المحضرون القانونيون يزورون منزلنا لتوقيع الحجز على ممتلكاتنا ، وكان ذلك فى وقت بدات اتفتح فيه على الحياة وأفهم ما يجرى حولي ، ولم تحاول امي ان تتدخل ، وقابلت مايجرى حولها بهدوء وطيبة واستسلام ، فلقد كانت تعرف أن كلامها لن يغير من طبيعة والدى ، كما ارادت أن تحافظ على



مشاعره المرهفة ، ولقد كانا يتبادلان حباً عميقاً واحتراماً صامتاً وحناناً بالغاً .. وظللت فى صباى الاحظ بعيون دامعة حجرة المكتب المضاءة التى يسهر فيها والدى الى وقت متاخر ، وحجرة النوم المطفأة الانوار التى كانت تتسرب الى اذنى منها تنهيدات امى ودعواتها» .. وصمت «ح» طويلا وخفت صوته وإن ظل واضحاً فى هذا الهدوء المثير .. ثم اضاف .. «ويبدو ان والدى قد وجد نفسه امام موقف صعب ... وفى ليلة سوداء ايقظنى من النوم قبيل الفجر صوت طلق نارى اخذ يدوى فى اذنى منذ ذلك الحين .. ومازلت اسمعه حتى الآن .. وعلمت من دموع امى التى ظلت تنهمر بدون انقطاع شفقة ولهفة على والدى الحنون حقيقة ما حدث ، وخلف دموعها كانت امى تنظر إلي فى شفقة وجزع لم استطع تفسير سببها إلا بعد ثلاثة ايام من موت والدى حيث افتقدت حتى دموع امى بعد ان قطعت شرايين يدها وهى متحصنة بغرفة نومها ، فقد كانت اكثر رقة من ان تواجه قسوة هذا العالم وحدها » ..

وصمت «ح» طويلا والتمعت عيناه بالدموع دون ان يتاثر صوته او يتهدل .. ثم رفع راسه إلي وقال .. «منذ ذلك الحين عاهدت نفسى أن أسير فى حياتى وحيداً بلا ارتباط .. فكل ارتباط بالآخرين خيط عنكبوت يصيد ويعيق حركتنا فى الحياة .. وكلما زاد الارتباط زادت خيوط العنكبوت قوة وتماسكاً .. لقد اكتشف احد اعمامى الذى قام بتصفية التركة وبجمع ديون والدى لدى اصدقائه وسداد ديون البنك ان والدى كان قادراً على مواجهة ازمته المالية لو كان قد الح فى طلب ديونه لدى أصدقائه ، بل وبقيت لي هذه السجادة الصغيرة وتلك اللوحة الزيتية وبعض الأموال التى تكفينى حتى انتهاء دراستى .. وهكذا اتضح لي ان والدى قد وقع فى لحظة اختيار بين ارتباطاته العميقة بالآخرين وبكل مشاعره المرهفة .. وبين حياته .. ووجد بأن التضحية بحياته كانت اخف وطأة على نفسه من تمزيق ارتباطاته» ..

بعد لحظات من الصمت اضاف «ح» وانا اعي تماماً اننى اقاوم غريزة انسانية عميقة .. ولكننى اعي فى الوقت نفسه اننى بامتيازى فى عملى احقق الاستغناء عن طلب المساعدة من الآخرين ، اما مساعدتى للآخرين فانا احاول دائماً الا يعتاد من حولى الاعتماد علي ، (وان يكون عملى وانتاجى فى المستقبل هو اسهامى الأساسى فى خدمة المجتمع والآخرين) ...

وعلى عكس والدى حرصت دائما ان اقول .. لا .. وحتى اخفف من قسوتها فاننى اقولها دائما بصوت خافت .. وبكل ما املكه من رقة موروثة» .. وصمتنا طويلا .. وقد اجهد « ح » الحديث وسالت بصوت خافت: «والزواج ؟ هل ستعيش حياتك وحيداً بلا زواج ؟» .. واجاب بعد فترة صمت ... «إن الزواج ارتباط شديد القوة .. يحتوى الافاً من خيوط العنكبوت ... والأبناء ارتباط اعمق واشد .. وانا لا افكر فى ذلك حالياً فامامى وقت طويل .. ولكن يبدو انه ارتباط لا مفر منه .. وعندما يحين وقته اعتقد اننى سوف ابحث حولى عن عيون امى الحنونة .. وعندما اجد فى عينى فتاة هذه النظرة الواعية الحنونة الهلوعة .. فاننى سوف اتزوج ..»

على باب منزله وهو يودعنى .. قال فى ثقة .. «اننى اعلم انك سوف تصون سرى .. ولن تجعله مضغة فى الافواه .. ولكن ارجو أن تكون لقاءاتنا القادمة إذا اردت فى ملعب العاب القوى بالكلية فانا لا امانع فى ان نمارس الرياضة سوياً .. وخاصة العاب القوى .. فهى لعبة فردية كما تعرف» .. وفهمت ما يريد قوله ... واحترمت ارادته .

عبد الرحيم أبو عوف

طريقتنا فى تحويل هذه المادة التاريخية الى مقالة قصصية ، هى ان نكتبها في شكل مذكرات شخصية على السنة أبطالها ، يلتقى الخيال فيها بالحقيقة ، مع احتفاظنا بالقدر المناسب من طرائق القدماء فى التعبير ، استحضاراً « للجو التاريخي » عند نظرتنا المعاصرة الى اولئك القدماء على اختلاف أدوارهم التاريخية ..

# مذكرات نابغة النصّابين

بقلم: كمال النجمي

ـ ١ ـ

● أنا والله نابغة النصابين جميعا ! ..

إن كنت لاتصدقنى فاسمع قصتى ! ..

الناس يسموننى احمد النصبى ، وانما انا احمد النصاب ، فليس على ظهر الارض من يبارينى فى فن النصب ! ..

اسمى احمد بن اسامة الهمداني « ١ » من صميم قبيلة همدان العظيمة .. عشقت الغناء ، فقيل : هذا هو العاشق الغاوى ! .. وما غويت ـ والله ـ ولكنى وجدت فى الغناء لذة للنفس والقلب تكتمل بها اللذة التى أجدها فى سماع الأشعار الجيدة ، وليس فى الغناء ولا في الشعر ما ينتقص من المروءة شيئا ..

ولقبى « النصبى » الذى التزق باسمى ، ماخوذ من « النصب » ـ بسكون الصاد ـ وهو ضرب من الغناء الرقيق يشبه الحداء وما هو بالحداء ، ولا هو بالغناء الذى لايصلح إلا بالضرب على العود ..

هذا « النصب » انا صاحبه ولا فخر ! .. اخترعته اختراعا ، وغنيته على الطنبور ، واحدثت فيه الحانا كثيرة بارعة يعجز عن مثلها جميع الطنبوريين ، بل يعجز عنها اصحاب الغناء المتقن ، اولئك الذين تنتفخ أوداجهم وهم يضربون بالعيدان ويتمايلون طرباً ...

فلما كثرت الانصاب التى غنيتها على الطنبور ، قال العارفون بقدري فى هذه الصناعة : هذا هو النصاب الذى كثرت انصابه حتى اوشكت ان تتعلق كالاقراط بكل اذن امراة ، أو رجل أو غلام فى العراق والشام والحجاز ! ..

وظن الطنبوريون أن النصب صناعة سهلة ، فقلدونى فى غناء « النصب » فلم يجيئوا بصناعة حسنة فيه ، لانهم جهلوا سر الصناعة التى انا وحدى صاحبها ، الخبير بسرها ..

وبلغنى أن ابن مسجح وابن نحرز وابن سريج « ٢ » سمعوا انصابى من بعض الرواة فاعجبتهم .. وحسبك باعجاب هؤلاء المغنين الفحول من شهادة لى ولنصبى ، مع أنهم يغنون على العود الغناء المتقن ، ورايهم أن الغناء على الطنبور عمل باطل لايدخل فى صناعة الغناء ! ..

هؤلاء وغيرهم كسبوا من خدمة الكبراء والعظماء ، اما انا فلم اخدم بغنائى حاكماً ولا والياً ولا قائداً ، ولا نظمت الشعر وإن كنت أعشق سماعه ، وانما اغنى اكثر غنائى فى شعر صديقى وقريبى أعشى همدان الذى لم أزل مواخياً له منذ الصبا .. لأنه همدانى مثلى ، وشاعر مفلق فى طليعة الشعراء ! ..

وكثيراً ما يقول لى الأعشى :

ـ ما أراك زهدت فى خدمة الكبراء والوزراء والأثرياء بغنائك هذا الجميل ، إلا اكتفاء بما أفاء الله عليك من اليسار .. ولو كنت محتاجاً الى المال لدخلت فى خدمتهم كما دخل غيرك ! .. وقد تعلم يانصاب ماأجتناه مغنو مكة والمدينة ودمشق من الثمرات بغنائهم فى مجالس هؤلاء السادة الكرام ، وانت مقيم بالكوفة لاتقصدهم ! ..

فاقول للاعشى :

ـ بلى والله ، فانى لاأقصدهم ولا اغنى الا تلذذاً بالغناء ، وهبنى قصدت أحدهم فامرنى أن اغنيه الغناء المتقن على العود ، فقلت له عندئذ : إنما انا نصاب لا اغنى إلا النصب على الطنبور ! .. فماذا يحدث لو طردنى أو امر غلمانه فدفعونى فى قفاى دفعاً ؟! ..

يضحك الأعشى ويقول :

ـ دع ذا عنك ، فانك انما استغنيت بما تحصل عليه من الربا ؟! ..

اغضب وأصيح فى وجهه :

ـ والله ما انا كذلك ، وقد زعم اهل الكوفة انى شديد البخل وانى اقرض الناس بالربا ! .. وهذا بهتان ، فما أنا بالبخيل ولا المرابى ، ولكنى رجل حريص لا اجاوز بالمال موضعه الصحيح من الانفاق ، ولا أعطي من يسالني بغير حق ! وكل من رمانى بنقيصة فليس يخلو فى أن يكون كاذباً أو حاقداً .. فانا رجل كريم ، شجاع حاربت فى عسكر الحجاج بن يوسف الثقفى وأبليت أحسن البلاء ، وما زلت اجيب كل دعوة الى القتال ، وإن الحجاج كما تعلم لكثير الحروب لكثرة الخارجين عليه لظلمه ، وما انا بالمحب لسياسته ولكنى مقاتل لا اقعد مع القاعدين ! ..




الطنبور آلة موسيقية قديمة ، يسميه أهل الشام «البزق» وفى الغرب يسمونه «تامبور» وهو آلة وترية من عائلة العود ، ولكن له اربعة أوتار مفردة بدلا من أوتار العود الخمسة المزدوجة ، وكان الغرب يسمون العزف على «الطنبور» باسم «النصب» أما العازف على الطنبور فاسمه عند العرب «النصاب»

— ٢ —

● عدت من غزوة فى بلاد بعيدة ، وكان **اعشى همدان معي فى المقاتلة وهم كثيرون من** جميع القبائل ، فلما فرغنا من الغزو أخذنا طريقنا عائدين الى الكوفة ، فنزلنا فى بلدة «ساباط المدائن» على رجل كريم هو سيدها واسمه صالح بن سعد العنبرى ، فأحسن الرجل استقبالنا ، واطعمنا واسقانا ، وأمر لدوابنا بعلوفة .. ثم سامرنا ساعة واستأذن فى الانصراف ليبيت فى سطح منزله ، وكان مبيتنا نحن فى أحسن حجرات المنزل ..

فلما انصرف قلت للأعشى :

ـ أما رأيت جميل صنع هذا الرجل بنا ؟! .. إنه والله لسخى ذو مروءة يستحق أن تمدحه بشعرك ! ..

قال الأعشى :

ـ نعم .. وكرامة ، ولكنى اشترط عليك أن تصنع لحنا فى هذا الشعر ، تغنيه لنا فنتسلى حتى ننام ، أو نسهر على اسماعه حتى مطلع الفجر ..

ثم تحرك الأعشى فأخذ ينشد شبه مرتجل قصيدة طويلة فى مدح الرجل ، أخذت منها الأبيات الأولى وهى فى الغزل :

يا أيها القلبُ المطيعُ الهوى
أنّى اعتراكَ الطربُ النازحُ
تَذْكُرُ جُمْلًا فاذا ما نأَتْ
طار شَعَاعًا قلبُكَ الطامحُ
ياجُمْلُ ما حُبِّى لكم زائلٌ
عنى ولا عن كبدى نازحُ

فلحنت الابيات وغنيتها وانا اضرب بقضيب على دواة ، والأعشى يصرخ طربا ويستعيدنى ، حتى ظننت ان اهل الحى كلهم قد استيقظوا من نومهم ، فقلت له مستنكراً أو معاتباً :

ـ ايقظت بصياحك الناس ، ولا أستطيع تسكيتك ، واخشى أن يسمعنا صاحب الدار فيستخف بنا ، ويستحقر مروءتنا ، وينحى على نفسه باللوم والتغليظ إذ انزلنا فى بيته ! ..

قال الأعشى غير مبال بكلامى :

ـ ومن الذى يسمع انصابك هذه ياأحمد ولايصيح من حرقة الطرب ؟! .. فاسكت انت عن الغناء ، اسكت انا عن الصراخ ، فانما صياحى وصراخى من اثر غنائك فى قلبى ! .. كأنك ـ والله ـ أوقدت فى سويدائه ناراً ! ..

فبينا نحن كذلك دخل علينا صاحب المنزل ، وقد اصفر وجهه وتهدج صوته فقال

ـ سمعت شعراً ما سمعت احسن منه ، وغناء لايقدر على مثله احد من حذاق المغنين .. فهلا أخبرتمانى ـ أمتع الله بكما ـ من أنتما .. زادكما الله فضلا ومروءة ؟!..

قلت له :

ـ أما الشعر الذى سمعته فلهذا الرجل ، وهو الشاعر المشهور اعشى همدان .. وأما الغناء فانه غنائى ، وانا احمد بن اسامة الهمدانى المعروف بالنصبى ! ..

فانكب الرجل على رأس الأعشى فأشبعه تقبيلا وقال وهو يكاد يبكى تأثراً وسروراً :

ـ ياسيدى .. مدحتنى بشعر تتمنى مثله الملوك ، وما صنعت لك شيئا استحق به مدحك !

ثم تحول ناحيتى فأشبع رأسى انا ايضاً بقبلاته وقال لى :

ـ ياسيدى .. والله ما ظننت أن زمانى يبلغنى هذا الأمل.. فأسمع غناءك في شعر يمدحنى به اعشى همدان ! .. فقد ذهب والله عمرى كله وراء ظهرى ، وبقيت لى منه هذه الليلة وحدها ، إذ خولتمانى فيها هذا الفخر العظيم ، فضلا منكما ، لم ابذل فى سبيله شيئا ! ..

فقمت فأقعدت الرجل وهدأت من روعه ، وقلت :

ـ والله ما صدق الأعشى قط فى مدح احد ، صدقه فى مدحك ، لأنه جاء من طبعه ومحبته ، لامن جائزة ينتظرها ..

قال الرجل :

ـ كتمتمانى انفسكما ، واوشكتما أن تفارقانى ولم أعرفكما ولم أعلم خبركما ، ولو حدث هذا لذهبت نفسى وراءكما حسرات ، ووالله ما تطيب الآن نفسى برحيلكما عنى أبداً ..

## مـذكـرات نابغة النصّابين

فأقمنا عنده شهراً ، ثم حملنا الرجل على فرسين فارهين ، وقال :

ـ خلفا عندى دوابكما ، فانى اظنكما راجعين الى الغزو فى جند الحجاج ، فاذا عدتما سالمين غانمين ان شاء الله ، نزلتما عندى ! ..

انصرفنا .. وكان الرجل ذكياً اذ عرف اننا راجعان الى الحرب التى كنا فيها منذ مدة .. ووالله ما نغشى هذه المواقع المهلكة امتثالا لأمر الحجاج الثقفى الذى لاتنتهى حروبه ، بل رغبة فى راب صدع الاسلام والمسلمين فى هذا الزمن الذى كثرت فيه فتوق الخوارج ، وكل ذاهب مذهباً لا يعرف المسلمون له اصلا ! ..

ـ ٣ ـ

ينسى المرء فى الحرب الطاحنة كل مباهج السلام ، فلا يذكر الشعر ولا الغناء ولا الحب ! .. فان ذكر شيئاً من ذلك مر على خاطره مرور الغيمة السوداء ، تكون حجاباً على نور الشمس وعلى نور القلب ! ..

ويتذكر المقاتل فى ساعة راحته المتوترة ، ماضيه كله ومستقبله الذى اختلط بالماضى فصارا كأنهما قطعة واحدة من الزمن ذهبت الى غير رجعة ! ..

وقد يهجم المحارب على الأعداء وهو يرتجز ويهز الرمح ، ولكن الشعر الحقيقى لايولد فى غابة الرماح التى تمطر دماً .. وكل خفقة سيف على عنق رجل ذبيح ، تذبح معها معنى الشعر فى قلب صاحب هذا السيف المنتصر ! ..

كذلك الغناء ! .. فانى أنسى فى المعركة ، وقبل المعركة ، وبعد المعركة ، أننى مغن وأن لى مذهباً خاصاً في الغناء ، وطنبوراً اغنى عليه .. وانسى أسماء المغنين والمغنيات الذين سمعتهم فى حياتى وامتلأت من غنائهم طرباً حتى ظننت أن الدنيا هى الغناء وأن الناس هم المغنون !.

جلست مع الأعشى عقب اشتباك دموى مع الأعداء ، وقد حجز الليل بين المتحاربين ، فقلت له :

ـ أتذكر يا أعشى قصيدتك فى ذلك الرجل الكريم سليم بن صالح العنبرى ؟!

ـ نعم .. وكيف أنساها وقد غنيتنى فى بعض أبياتها ؟!

ـ هل تذكر قولك فى مدحه :

إنى لمن سالمت سلم ومن عاديت أمسى وله ناطح
فى الرأس منه وعلى انفه من نقماتى ميسم لائح

فانت تزعم أنك تسالم من يسالم سليم بن صالح ، وتنطح من يعاديه حتى يلوح على انفه وفى راسه ميسم من نطحك الشديد ! .. فماذا تفعل لو دعاك الحجاج الى هجاء سليم بن صالح ونطحه على رأسه وانفه ؟!

تفكر الأعشى لحظة مطرقاً عابساً .. ثم لَجْلَجَ قائلا :

ـ لا أراه يدعونى الى مثل هذا ،، وانما يحتاج الحجاج الى سيوفنا لا الى السنتنا !.. وماذا بينه وبين سليم بن صالح مما يدعوه الى طلب هجائه أو قتاله ؟! ..

ثم تضاحك الأعشى قائلا :

ـ ما أظن أن الحجاج يخطر بباله أن مغنياً عظيماً مثلك يحارب فى صفوفه ، وأن له مذهباً في الغناء اسمه « النصب » .. وأنه نابغة النصابين جميعاً وكبيرهم الذى يعلمهم هذا السحر ! ..

ـ ٤ ـ

بعد المعركة قلت للأعشى :

ـ نمر على ديار سليم بن صالح العنبرى كما وعدناه ، وأسالك اذا بلغنا منزله أن تمدحه بقصيدة جديدة ، ولئن فعلت لأغنينك فى أبيات منها إن شاء الله ..

فلما شارفنا منازل سليم بن صالح رأيت على سطوحها ثعالب ، فدهشت وتوجست خيفة ، لأن عهدى بديار هذا الرجل انها معمورة محروسة ، فكيف طرقتها الثعالب وصعدت فوقها ..

حدثت الأعشى بمخاوفى فوجم وقال :

ـ لئن صدقت مخاوفك فما بقى فى البلدة أحد ! ..

ـ وكيف يقع مثل هذا الحادث العجيب الرهيب ؟!

ـ الطاعون أصابهم ! .. أو ما هو شر من الطاعون ! ..

ـ فكيف ندخل قرية أصابها الطاعون ؟!

ـ إن الطاعون لايبقى فى قرية بعد أن يقتل أهلها ! ..

مشينا خائفين محزونين فى طرقات القرية فلم نلق إلا شيخاً حطمته الأيام والأحزان حتى ظنناه أول ما رأيناه شبحاً أو عفريتاً من الجن !.. سألناه عن خبر القرية .. قال وهو يجود بنفسه وقد حضره الموت :

ـ إن الحجاج الثقفى قبض على شيخنا سليم بن صالح وطالبه بمال عظيم لايملك منه شيئاً ، فلما عجز عن ادائه ، صادر أملاكه وأملاك أهله أصحاب هذه القرية فخربت ، وتفرقوا ، بعد أن أمات الحجاج اكثرهم ، وأعمل فيهم النهب والسبى كأنهم من كفرة الروم !..

ـ وما كان مصير سليم بن صالح ؟!..

قال الرجل وقد غاب صوته فى احتضاره:

ـ باعه الحجاج عبداً فى سوق الرقيق !

أذهلنا هذا النبا المروع ، وصاح الأعشى مستنكراً وقد جن غضباً :

ـ كلا !.. وهل يحل له هذا البيع ، وانما سليم بن صالح رجل حر لم يمسه الرق ، ولم يأسره الحجاج فى حرب مع الكفار ؟!..

وأمسك الأعشى بتلابيبى يسالنى ، كأننى أملك من الأمر شيئاً :

ـ ايسبى المسلم ويباع فى دار إسلام ؟!..«٣»

قلت للأعشى مهدئاً إياه وقد اعترانى انكسار شديد ..

ـ ويحك يا أعشى !.. أهذا منطق تواجه به ذلك الطاغية ؟!..

لم نكد نعود الى الكوفة حتى فوجئنا بسليم بن صالح يخرج من بعض منازل أشرافها وعليه ثياب حسنة ، ومعه بعض أقاربه ، فطرنا اليه نقبل رأسه ونبكى ونسال عن قصته ..

قال صالح :

ـ لا باس علينا والحمد لله ، انا ومن بقى من قومى ، فان صاحب هذا البيت الكريم قد « اشترانى » و « اشتراهم » وأعتقنا جميعاً لوجه الله تعالى ..

**كمال النجمى**

هوامش

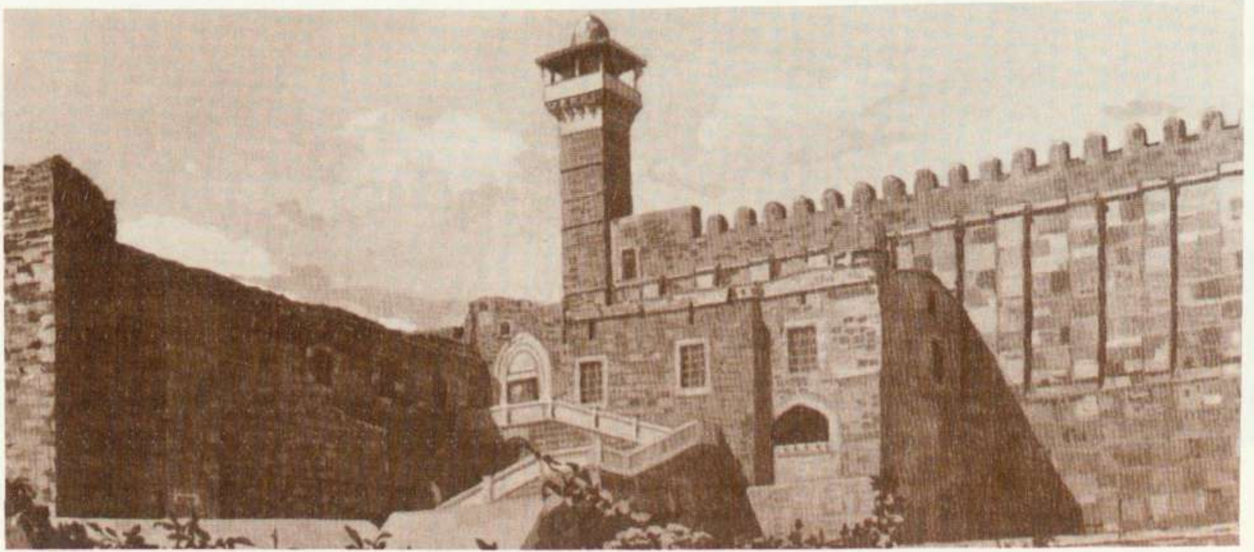
(١) ترجمة النصبى فى الجزء السادس من كتاب الأغانى ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) هؤلاء شيوخ الغناء المتقن فى العصر الأموى .

(٣) بحثنا عن تكذيب لهذه القصة فى كتب التاريخ فلم نجد تكذيباً ، ولم يبق إلا تصديق ما رواه كتاب الأغانى .. وليست القصة بكبيرة على « الحجاج » فهو اكبر منها !..

# الخليل : الحرم الإبراهيمي

بقلم : يوسف الخطيب
إعداد الفنان : عزيز إسماعيل



يبلغ عمر مدينة الخليل مايزيد على خمسة وخمسين قرناً ، أي ماينهاز عمر أهرام مصر .. وقد بناها منذ ذلك الزمن السحيق الزعيم العناقي « الاربع أبو عناق » وظلت المدينة تعرف باسمه « قرية أربع » زهاء عشرين قرناً . والعناقيون هم أحد بطون الموجة العربية الكنعانية التى استوطنت فلسطين منذ فجر تاريخها المعلوم ، وقد بسطوا سلطانهم على مثلث مابين الخليل وغزة وبئر السبع وعرفوا فى التوراة والقرآن بشدة الباس والجبروت لدرجة أن جواسيس النبي موسى الذين أوفدهم من سيناء لاستطلاع مداخل فلسطين الجنوبية ، قد أعلنوا تمردهم عليه ، ورفضوا أن يدخلوا فلسطين من جانب أرض العناقيين : « قالوا : ياموسى إن فيها قوماً جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » و « قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ( سورة المائدة ـ الآيتان ٢٢ و ٢٤ ).

ثم مع اجتياح اليهود القدامى لأرض كنعان ، على يد « يوشع بن نون » فلقد اقطعها هذا لأحد قادته العسكريين « كالب بن يفنه » الذى بدل اسمها باسم أحد أولاده « حبرون » وقد ظلت المدينة تعرف باسمها اليهودي الدخيل هذا ، الى ان غلب عليها مع الفتح العربي ، اسمها الحالي « الخليل » نسبة الى خليل الرحمن النبي ابراهيم ، الذى يرقد واسرته فى مدفن تحت حرمها الشريف .

تظهر لنا هذه الصورة جانباً من الحرم الابراهيمي . منظوراً إليه من الجنوب الغربي باتجاه الشمال الشرقي ، والثابت لدينا الآن أن الكتلة السفلى من هذا البناء الحجرى العملاق ، ترجع الى عصر هيرود الكبير الذى يسمى عادة « ملك اليهود » رغم أن أباه أدومي من شرقي الأردن وأمه أميرة عربية ، وهو الحاكم الفولاذى القبضة الذى انتدبته روماً ملكاً على فلسطين ، وكان شديد الولع بتشييد القلاع والحصون العملاقة على أطراف البادية بوجه خاص ، بما فى ذلك قلعة مسعدة الشهيرة التى رفعها على الكتف الجنوبي الغربي للبحر الميت ، وحشر فيها اليهود الزيلوتيين « المتحجرين » حتى نهايتهم ، وإلى هذه القلعة تعزى « عقدة مسعدة » التى قد يكتبها بعض المترجمين عندنا « عقدة مسادا » وهي تعني بالنسبة لليهودي « النهاية والاضمحلال » . فكتلة الحرم السفلى إذن هي من بناء هيرود الكبير ، بينما بنيت كتلته العليا فى عصور عربية اسلامية لاحقة ، خاصة عندما جلس المهدي على عرش مصر ، وكان الدخول الى الحرم الابراهيمي عبر جدرانه الحجرية الصماء شبه مستحيل : « فامر بفتح باب فيه ، وزينه ، وفرشه بالسجاجيد ، وادخل على عمارته اصلاحاً كثيراً » ( ناصر خسرو ـ سفرنامة ـ ص ٣٢ ) .

من ابرز اعلام جبل الخليل ، القائد الفلسطيني الفذ موسى بن نصير الذى شارك فى فتح الاندلس مع طارق بن زياد ، وكذلك أبو الفضل الربيع بن يونس وزير أبي جعفر المنصور ، ومن ثم ابنه الفضل ابن الربيع الذى تولى ، من بعد تصفية البرامكة ، وزارة هارون الرشيد .

يوسف الخطيب

# قصة سيجارة وفنجان قهوة!

السيجارة التى تدخنها بحكم العادة رغم خطورتها كان أول من عرفها هم الأسبان فى القرن السادس عشر .. أما فنجان القهوة الذي يؤثر على الأعصاب والصحة عند الذين يتناولونه بصورة منتظمة فقد كان أقدم من شربوه هم الأحباش ! .

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

لم تعرف عادة تدخين لفائف التبغ إلا بعد اكتشاف أمريكا ، فقد اعقب هذا الحادث الجغرافي العظيم حركة انتقال السكان ، وحركة تبادل المزروعات والمنتجات . وكان التبغ فى طليعة النباتات التى حملت من هذا العالم الجديد الى العالم القديم . ويعد الأسبان أول من عرفوا نبات الدخان ، إذ كان قد احضره لهم القنصل الفرنسي « جان نيكوت » فى القرن السادس عشر فنسبت إليه مادة النيكوتين.

ولم يكن يدر بخلد « جان نيكوت » ان عادة تدخين أوراق هذا النبات ستصبح مالوفة الى حد ان تصبح نسبة باعة التبغ إلى باعة الخبز كنسبة ١٠:١ ، وعندما زرع التبغ لأول مرة فى اسبانيا تفتحت عيون أهلها على نبات جديد يعلو إلى طول الفرد العادي أو اقل قليلا ، وينتهي بازهار طرفية الوضع محمرة اللون ، اما اوراقه وهي الجزء الاقتصادي الهام ، فيتراوح طولها بين ١٥ و ٣٥ سنتيمتراً .

وانتهت مرحلة استيراد نبات التبغ واقلمته بان استقرت زراعته فى اقطار معينة يلائم مناخها انتاج اجود الاصناف . وفى هذه الاقطار ، احتكرت حكوماتها زراعة هذا النبات و منحت حق احتكاره لشركات نظير دخل سنوي معين . اما الحكومات التى لم تنجح بلادها فى انتاج اصناف جيدة من التبغ فقد منعت زراعته بصفة رسمية واكتفت بفرض ضريبة على الدخان الجيد المستورد .

ويلذ لنا ان نعرف نتائج التجارب التى اجريت على اعقاب السجائر لتقدير النسبة المئوية للنيكوتين الذى تحجزه الأعقاب اثناء عملية التدخين . ويمكن تلخيص ذلك بان الأعقاب تحتوى حوالي ١٣, فى المائة نيكوتين إذا قورنت بالنسبة الأساسية وهي ١,٨٣٪ .

وعلى هذا فان متوسط عشرة أعقاب تحجز ما يقرب من ثمانية ملليجرامات من النيكوتين بينما يحتوى دخان السجائر العشرة على مايقرب من ١٦٠ ملليجراماً ، وإذا كنا نحسب حساباً للرطوبة التى يحتفظ بها العقب وكذلك للمواد الأخرى غير النيكوتين امكن القول إن الأعقاب تحجز من ٥ ـ ٨ فى المائة من النيكوتين الموجود فى الدخان الذى يحترق .

اما الدخان المتصاعد فيحتوي على طائفة من المواد الصلبة سابحة فى بعض الغازات ، كمايحتوى على دقائق صغيرة من مواد سائلة سابحة وسط المخلوط المعقد التركيب . ومن أهم هذه المواد نذكر : ثاني اكسيد الكربون ـ أول اكسيد الكربون ـ كبريتور الايدروجين ـ غاز حمض الهيدروسانيك ـ غاز النوشادر ـ نيكوتين ـ مواد قطرانية ـ مواد صمغية ـ مشتقات الفينول . وإذا أمعنا النظر فى تلك الطائفة من المركبات التى يتكون منها الدخان نجد ان اغلبها ضار بالصحة ، وقد اجمع الأطباء على أن التدخين يسبب زيادة حموضة المعدة ، كما يسبب قرحة فيها . أما أطباء العيون فمتفقون على أن ضعف النظر وتصلب الأوعية الشعرية تنشا فى بعض الأحايين عن عادة التدخين .

## مواجهة النيكوتين

ويحدث الادمان على التدخين التهابات فى الحنجرة والأجزاء العليا من القنوات التنفسية . فتسبب خشونة الصوت وتزيد من افرازات الغدد المخاطية . والسبب في




ذلك استمرار التاثير عليها بابخرة قلوية .

كذلك يحدث التدخين التهابات مماثلة فى اللسان ، وعلى الأخص فى تدخين الغليون حيث يلمس الدخان الساخن اللسان باستمرار ، وهذا يسبب تعرض اللسان للاصابة بالسرطان . اما اثر النيكوتين الذى يبلع من الفم فهو فقدان الشهية وعسر الهضم ونقص الوزن ، وذلك يرجع الى تهيج موضعي يحدثه النيكوتين المبتلع من اللعاب .

وبالرغم مما يحدثه التدخين من الضرر على الصحة ، فان من منافعه انه قاتل للميكروبات . فاكثر الناس يرى الأطباء يدخنون حتى لا يتعرضون للعدوى . وقد دلت الأبحاث على أن الدخان المتصاعد من السيجارة إذا مر فى محلول مخفف من اللعاب ، فانه ينقص البكتريا الى ٣٥٪ ، اي انه يقتل ٦٥٪ منهـــا .

مما سبق يتضح انه يحتوى على بعض المواد الضارة بالصحة ، ولذلك فكر الكثيرون فى إيجاد طرق صناعية للتخلص من كل هذه المواد أو بعضها ، وقد هداهم التفكير الى مواد تمتص تلك المواد الضارة، بوضعها فى طريق الدخان ، فتحجزها ويصل الدخان الى الفم مرشحاً وخالياً من كثير من تلك المواد الضارة .

وأهم ما استعمل من تلك المواد الماصة للنيكوتين مادتا السيلكا الغروية والألمنيـــا الغروية . وتستخدم مبدئياً خواص الامتصاص الموجودة في الألمنيا الغروية ، وذلك بوضعها فى انبوبة الغليون أو فم السيجارة . وهذه المادة عبارة عن أكسيد الألمنيوم الحبيبي شديد الامتصاص .

علاوة على تلك المواد المستعملة السابقة الذكر ، تستخدم بعض الطرق الاخرى كقطعة من القطن أو سيجارة من صنف رخيص توضع بداخل الفم المصنوع بطريقة خاصة ليتسع لوضع سيجارة كمرشح بداخله . وهذه الطريقة الأخيرة لوحظ انها عظيمة النفع إذ أن السيجارة الموجودة بداخل الفم يمر عليها تيار الدخان فيمتص نسبة كبيرة من النيكوتين ومحتويات الدخان الأخرى غير المرغوب فيها كالقطران .

وقد درس « بال » العالم بالطرق الاحصائية معدل الذين يبلغون السبعين من العمر بحوالى ستة آلاف فرد منذ أن كانوا فى الثلاثين ، فوجد أن ٦٤٪ من غير المدخنين عاشوا الى السبعين ، مقابل ٤٥٪ من المدخنين باعتدال ، ٣٠٪ من المدخنين بكثرة .

## قصة فنجان القهوة

نحن مدينون بفنجان القهوة إلى شجرة البن ، تلك الشجرة الدائمة الخضرة ، التى قد يمتد عمرها ثلاثين عاما أو اكثر . وتبدأ هذه الشجرة فى اعطاء باكورة اثمارها فى العام الخامس من عمرها ، واكبر محصول لها يبدأ من العام الثامن ، وتزهـر شجرة البن أزهاراً بيضاء جميلة تتحول فى وقت قصير الى ثمار خضراء ، تتحول بدورها الى اللون الأحمر الذى يعتريه السواد تدريجياً حتى يعم كل الثمرة . ومتى تم هذا التحول فى اللون وجب قطف الثمار ، وترك مالم يتم نضجها ، لأن ثمار الشجرة الواحدة لا تنضج عادة فى وقت واحد .

اما كيف استخدمت ثمار هذه الشجرة لأول مرة ، فهناك قصص عديدة مسلية ، تنسب إحداها الى احد الآباء المارونيين ، عندما لاحظ ان اغنامه اكلت من ثمر شجرة معينة لم يغمض لها جفن ، واخذت ترقص طيلة الليل . وتقول قصة اخرى إن احدى طوائف الدراويش قد ادخلت عادة شرب القهوة الى البلاد العربية ، فقد كانت تريد قضاء الليل فى عبادة مستمرة ، فاهتدت الى أن شرب القهوة ، هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا الغرض ، دون أن يتطرق النوم لأحد من رجالها .

وتاريخ القهوة من اعجب التواريخ ، فقد كان الأحباش أقدم من شرب القهوة ، وكان اليمنيون يسافرون الى الحبشة للتجارة فعرفوا منها القهوة وحملوا البن الى اليمن فى القرن الخامس عشر ، ومن اليمن انتقلت القهوة الى الحجاز ومصر حيث قوبلت بضجة كبيرة .

## مقاهي العالم

ووجدت القهوة سبيلها الى أوربا عن طريق الاستانة حيث انتقلت الى ايطاليا . ويقال إنها رؤيت لأول مرة فى البندقية عام ١٦٢٤ .

وأول مقهى افتتح فى باريس ، كان لأرمني يدعى مهران ، فغشيها السوقة يضجون ويصخبون فازدراها العلية وكثرة رجال الادب والعلم القعود فيها للحديث والنقاش . فانشا « بروكوب » رجل من البندقية اشتهر بحسن الذوق وكمال الأدب مقهى فى منزل قائم بنفسه حوله حديقة ، واقتصر على القهوة والمثلجات . وتعاقب افتتاح المقاهي ، على درجات من البذخ والترف ، ثم عم باريس صنوف منها .

ولعل اشهر مقاهي باريس فى القرن الثامن عشر هو المعروف باسم « دي لورانت » فقد كان يختلف إليه نخبة أدباء العصر ومفكريه وعلى راسهم جان جاك روسو .. وروسو ناري المزاج هجاء بالسليقة ، صريح يقدس حرية الراي ، فثار على زبائن هذا المقهى الارستقراطي ، وبسط فيهم لسانه ونظم قصيدة هجا فيها جميع من يحتسون القهوة ، فكانت قصيدته ذريعة الى نفيه من باريس الى سويسرا وروما . وفى عام ١٦٥٢ افتتح أول مقهى فى لندن ، وسرعان ما انتشرت المقاهي واصبحت منتديات الطبقة الراقية ، يؤمها رجال السياسة والاجتماع والثقافة يتبادلون فيها الآراء والأفكار .

وكانت المقاهي الانجليزية فى أول أمرها هي المقر الأول للأحزاب السياسية ، فكانت هناك مقاه لا يستطيع دخولها عضو من حزب الاحرار ، وأخرى لا يستطيع دخولها عضو من حزب المحافظين . وهذه المقاهي الانجليزية هي الأصل الذى تفرعت منه نوادي لندن المشهورة التى نجدها اليوم مؤسسات اجتماعية وسياسية ثابتة الاركان.

ولم تنتشر عادة شرب القهوة فى المانيا إلا بعد أن غمرت أكثر اقطار اوربا ، ولكنها لم تلبث أن تمكنت من الشعب الى درجة حملت فردريك الأكبر على أن يقول متذمراً : إن الزيادة المضطردة فى استهلاك القهوة عدت أمراً لا يطاق ، فما من احد من عامة الناس وفقرائهم إلا وينفق جزءاً كبيراً من اجره فى اجابة هذه العادة المرذولة .

ووصلت القهوة الى روسيا عن طريق تركيا من ناحية ، وعن طريق النمسا من ناحية أخرى ، ولكنها كانت هناك عزيزة المنال لغلو ثمنها فلم تنتشر بين عامة الناس كما انتشرت فى سائر اوربا .

وتعد القهوة هدية العالم القديم الى العالم الجديد ، فامريكا لم تعرف نبات البن حتى حوالي عام ١٧٢٠ ، فعندئذ حمل أحد الضباط الفرنسيين معه ثلاث شجيرات من البن وهو فى طريقه الى جزر المارتنيك . وبينما هو على ظهر السفينة هبت عاصفة عاتية عاقتها عن المسير وحجزتها فى عرض البحر بعض الوقت ، ومنعتها من الوصول الى هدفها فى الموعد المقرر . وقد تسبب عن هذا التاخير نقص الأغذية والماء عن حاجة ركابها ، فاضطروا الى تخفيض حصصهم من الماء العذب ، فما كان من هذا الضابط ، فى سبيل المحافظة على هذه الشجيرات الثمينة ، إلا أن حرم نفسه حصته من هذا الماء ليروي بها هذه الشجيرات فوصل بها سالمة الى جزر المارتنيك فكانت الأولى ، واعجب بها الزراع وراحوا يتسابقون فى جلب هذا الشجر من موطنه والاكثار منه ، فتحولت مراكز انتاجه من العالم القديم الى العالم الجديد .

## مناطق النمو

وقد يدهش القاريء من أن هذا النبات لايزرع فى كل مناطق الشرق الأوسط مع أنه غزا العالم الجديد بهذه السرعة الفائقة ! فاقول لهم إن هذا النبات لاينمو إلا إذا توفرت الظروف الملائمة لنموه ، وهو ينمو بنجاح في أي مكان فى المنطقة الحارة بين المدارين بشرط توفر خواص معينة فى التربة والحرارة والرطوبة . واصلح تربة لنموه هي التربة الغنية بعنصر البوتاسيوم ، ولذلك نجد ان زراعته قد ازدهرت على سفوح منحدرات بركانية . ومع أن هذا النبات ينمو فى درجات من الحرارة المرتفعة ، ، فانه يجب وقايته من لفحة الشمس ، بان يزرع فى كنف نباتات اخرى تسبقه فى النمو فتظلله وتحميه .

وجودة المحصول لا تتوقف فقط على نوع التربة التى انتجته ولا على حالة الطقس التى احاطت به ، بل ترجع كذلك الى طريقة جنيه وطريقة تجفيفه . وخير طريقة لجنيه هي أن تقطف الأيدي ما نضج من ثمره عندما يصير لونه اسود أو أرجوانياً ، وتدع مالم يتم نضجه ومايزال لونه ضارباً الى الخضرة والصفرة . وثمر الشجرة لا ينضج كله فى وقت واحد ، بل فى فترات متعاقبة . ولهذا كان أجود أنواع البن ، مالم يختلط الناضج منه بغير الناضج ، فان قليلا من هذا كفيل بان يفسد مذاق كمية كبيرة من البن الناضج . ولهذا سيبقى البن من المحاصيل التى يفضل جنيها بالأيدي لا بالآلات ، فان هذه لا تفرق بين الناضج والنيىء ولا بين الأسود والأخضر من حباته . اما طريقة تجفيفه فهي تعريضه للهواء والشمس . ولكن حيث لا تشرق الشمس اللافحة يلجا الناس فى تجفيفه الى الأفران والمواقد ، وهذه تنال كثيراً من مذاقه ورائحته .

د. عز الدين فراج

# دائرة المعارف القرآنية



فقد العالم الاسلامي في الشهر الماضي عالماً جليلا هو الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق في مصر ، الذى كان قد خص مجلة الدوحة بهذا العمل الجليل منذ أكثر من عام ، والذى نوالي نشره ، حتى لا نحرم القراء من متابعة هذا العمل الكبير الذى تعرفنا من خلاله على أهم المفردات التي جاءت في القرآن الكريم ، والتى وضعها الدكتور البهي تحت عنوان : دائرة المعارف القرآنية .

بقلم : الدكتور محمد البهي

# "البيع"

● ياتي : « البيع » في بعض أيات القرآن الكريم ، ويراد به التبادل المعنوي أي القيام بامر ومباشرته في مقابل جزاء متعادل معه . يقول الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين : انفسهم وأموالهم ، وبان لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقاً في التوراة والانجيل والقران ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم ، وذلك هو الفوز العظيم » .. فسمت الآية هنا : الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال مقابل جزاء للمجاهد بالجنة في الآخرة بيعاً : ووصفت الانسان المجاهد بانه بائع ، كما وصفت جزاء الله له بانه شراء وكان هنا صفقة فيها بيع وشراء ، وفيها بائع ومشتر .. وكان هنا عقداً بين طرفين :

فيه مبادلة متعادلة . وما تذكره الآية هنا على هذا النحو هو تقريب لوضع الجهاد ولكل عمل في سبيل الله ، وتوضيح : انه لايمر بغير مقابل مجز من الله . بل أن الذى يباشره لو كان يتعاقد عليه مع آخر ويبتغى الربح من ورائه : لكان ربحه هنا من الله أعظم : « وذلك هو الفوز العظيم » .

ومن هنا جاءت : « المبايعة » . كما في قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .. فالمبايعة هنا عطاء ، واخذ .. هي عهد على الايمان بالله والنصرة له من جانب ، والوفاء بالجزاء على العهد من جانب آخر : « ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .. واستعمال المبايعة هنا كذلك هو للتقريب والتوضيح ، واستبعاد : أن يكون هنك بخس في التعادل بين المؤمن بالله وجزاء الله له .

● ويأتي البيع أيضاً في بعض آيات القرآن الأخرى : المبادلة المادية والعطاء والأخذ ، والتسليم والتسلم الماديين . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .. فما أمر المؤمنون بتركه هنا وقت الجمعة : هو صنوف المبادلات المادية من أجل الرزق والمعيشة ، على أن يستانفوا بعد الصلاة كل وسائل السعي في سبيل الرزق . ومنها المبادلة أو التجارة .

● وإذا أخذ مفهوم البيع الآن : معنى المبادلة ، أي التبادل بين العطاء والأخذ ، والتسليم لشيء وأخذ شيء آخر بدلا منه .. فانه جزء من مفهومه كذلك : التعادل بين ما يعطى وما يؤخذ . يقول الله تعالى : «وأحل الله البيع وحرم الربا » .. ففي تحريم الربا وهو الزيادة بين طرفي المبادلة : ما يعطى الصورة لطبيعة البيع الحلال . وهو قيامه على التعادل ، حسب استطاعة الانسان في التقدير . وعلى الأقل : قيامه على عدم البخس الظاهر في المعادلة والتعادل إذن إن كان السبب في حل مبادلة البيع .. فالزيادة في أحد طرفي المعادلة في عقد الربا هي السبب في حرمته . ولكنها زيادة مشروطة بانها ناتجة عن اكراه الحاجة وقبول المحتاج في عقد المبادلة .

وهكذا : البيع كما ياتي في القرآن تعبيراً عن مبادلة معنوية ، ياتي كذلك تعبيراً عن مبادلة مادية ، كصورة من صور التجارة في الأخذ والعطاء في سبيل تحصيل الرزق ولقمة العيش .

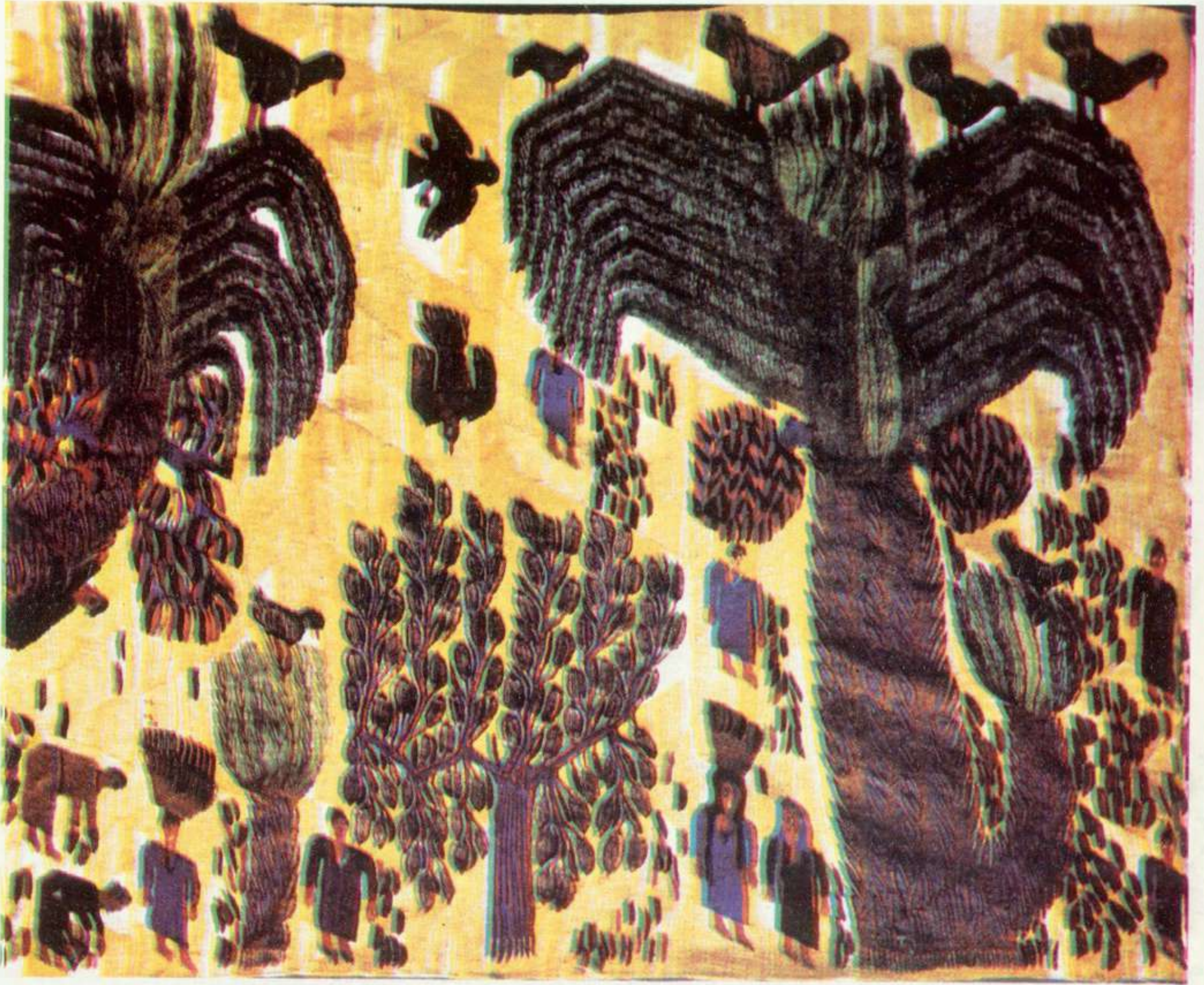


سجادة حائط مقاسها ٩٥ × ١٤٠ سنتيمتر ، وهي من إعداد الفنانة عطيات سليم التى اطلقت على العمل الفني اسم : الحديقة

الصناعات الشعبية العربية تغزو العالم

# سجاد الحرانية
## التجربة والأصول

بقلم : صبحي الشاروني



سجادة من اعداد الفنانة روحية علي .. مقاسها ١٥٠×٢٣٥ سنتيمتر .. وهي من النسيج اليدوي المشغول بزخارف أصيلة وقوية التعبير

الطريق من القاهرة الى « سقارة » — ـيث آثار الدولة القديمة وهرم زوسر المدرج ـ يمر بقرية الحرانية تحت سفح الهضبة لتى تحمل اهرام الجيزة الشهيرة .. أهل ـذه القرية يعرضون على العابرين نتاجهم المتميز من السجاد والكليم لنسوج يدوياً والمشغول بزخارف ورسوم ظرية شديدة الاصالة والحيوية وقوة لتعبير .

إن قرية الحرانية تدين بشهرتها فى هذا ليدان الى « بيت الفن » الذى انشاه لهندس المرحوم رمسيس ويصا واصف فى ـذه القرية ، وظل قائداً ومنظماً لهذا لانتاج لمدرسته طوال حياته يعد وفاته خرج عدد من تلاميذه من أهل لقرية لينتجوا بأنفسهم لأنفسهم ، بينما ستمر بيت الفن فى الحرانية فى أداء رسالته فى استخلاص الكنوز الفطرية الكامنة فى أعماق نفوس الفلاحين المصريين .. بعضهم تجاوز الخامسة والثلاثين ولكنهم جميعاً احتفظوا بكل العناصر المتفوقة في فنون الطفل وقدموها فى لوحاتهم المنسوجة بخيوط الصوف . نلك لأن قائد هذه المدرسة حرص على خلق دائرة فنية مغلقة معزولة عن المؤثرات الخارجية سواء التعليمية أو الثقافية أو الاعلامية التى تؤدي إلى اخراج هذه الفنون الفطرية عن نطاقها وعن براثنها الى نطاق فنون الكبار .

## بداية التجربة

بدأ المهندس « رمسيس ويصا واصف » هذه التجربة عام ١٩٤٢ عندما قام بالاشراف معمارياً على تنفيذ مبنى مدرسة تابعة لاحدى الجمعيات الخيرية ، وخلال تردده على المكان اقترح أن يتولى تدريس مادة التربية الفنية بنفسه ، وقد أعطيت له الفرصة فلم يلجأ إلى الأوراق والألوان ، بل احضر عدداً من الأنوال البسيطة وكمية من الصوف صبغها بعدة أصباغ نباتية بدائية ، وبدأ الانتاج .. وعلى الرغم من أن كل انتاج هذه التجربة بيع في السوق الخيري السنوي للجمعية ، إلا أن هذه النتائج لم تقنع المشرف على المدرسة وطلب من المهندس المفكر أن يجعل التلاميذ يقومون بتكبير بعض التصميمات الخاصة بالنسيج القبطى الأثرى .. ورفض « رمسيس ويصا » ذلك الطلب وترك المكان .. وقد استمر معه فى هذه التجربة ثلاثة تلاميذ فقط .. هم فايق نقولا ومريم هرمينا



قطعة من سجاد الحرانية الذي استطاع ان يؤكد اصالة الفن التلقائي الشعبي بكل ما فيه من تراث وتعبير صادق عن البيئة



بعض انتاج تلاميذ « حبيب جورجي » الذي اول من خاض تجربة الفن التلقائي عند الأطفال المصريين

وفنه فكري ..

وباستمرار نجاح التجربة فكر المهندس رمسيس ويصا أن يبني مكانا مستقلا يستطيع أن يحقق فيه فكرته بحرية كاملة .. فاختار قرية الحرانية لتكون مكانا للتجربة بشكل اوسع عام ١٩٥٥ .

فى ذلك الوقت كان قد تزوج من « الآنسة صوفى حبيب جورجي » ابنة الفنان المربي « حبيب جورجي » أول من خاض تجربة «الفن التلقائي عند الأطفال المصريين » وكان قد أعلن نتائج تجربة عام ١٩٥٢ فكان لها دوي عالمي فى أوساط المهتمين بالتربية الفنية .. فاستمر رمسيس ويصا فى مشروعه مستعينا ومستفيداً بنتائج تجربة سلفه الباهرة .

## تجربة حبيب جورجي

« صبية فى سن السابعة .. أمام كل منهم قطعة من الصلصال ، واستاذ التربية الفنية الفنان حبيب جورجي يقول لهم : «اصنعوا أى شيء » .. وظل الصبية فترة من الوقت لا يعملون شيئا .. وفجأة قال أحدهم في رأيي أن أصنع أسداً ، فرد عليه الآخر قائلا : ان الأسد يأكل الناس .

ولم يكن الأطفال قد رأوا الأسد من قبل ، ولكنهم أخذوا يصنعون أسوداً خيالية تشبه الى حد بعيد وحوش ما قبل التاريخ . ثم استمروا .. فصنعوا أشكالا نصف انسانية ، وتحول الأسد الى انسان ثم الى انسان يصرع الأسد .. ثم تدرجوا الى صنع اكواخ تقى الانسان هجمات الأسود ، ووصلوا فى النهاية الى بناء القرى التى تحمي الانسانية .. ولقد خطط هؤلاء الصبية مراحل التاريخ من المخلوقات البدائية الى الانسان الذى يصرع الأسد منتهين الى المراتب الحديثة فى الحضارة المصرية بوحي من نور باطني يصعب ادراكه . ».

بهذه الكلمات بدأت « ايليتز مايكلسون » محاضرتها التليفزيونية التى نشرتها عام ١٩٦١ فى مجلة روزيكرشيان دايجست » فى انجلترا ولخصت فيها نظرية حبيب جورجي الفلسفية فى التربية بقولها : « فى نفس كل انسان يكمن نظام الخليقة الذى يحكم الوجود ، ولا تستطيع العوامل الخارجية أن تؤثر فى هذه النفس ما لم تكن هذه العوامل منطوية على نظام مناسب ، فكل نفس بشرية يكمن فى ذاتها طابع لا يمحى لنظام دائم هو الذى يؤثر فى الانسان منذ بدء الخليقة .

والانفعالات المستقرة في الأعماق هي التى تكيف الاحساس ، أما المؤثرات الخارجية العارضة فانها تمر دون أن تترك أثراً ، وعندما ينبع التعبير بالوسائل التشكيلية من النظام الكامن فى النفس ، يولد الفن . وتتبلور أصالة الفنان وحريته عندما تخرج الرغبة فى التعبير من هذا النبع الأصيل مجتازة صحراء الغريزة خلال الطبقات التى أرستها القوانين البدائية فى أعماق الانسان » .

وعلى أساس التخلي تماما عن الارشاد اللفظي أو توضيح كيفية تشكيل المادة .. مع مراعاة أن العمل يجب أن يخرج من نطاق التصور الذى تعكسه الأماكن المغلقة كلما أمكن ذلك ، ولا حاجة لشحن رؤوس الأطفال بالمعلومات فانها تخنق الابتكار .

وهكذا قام حبيب جورجي بعزل هؤلاء الأطفال بقدر الامكان عن المؤثرات الحضارية والتعليمية واكتفى بتلقينهم دروس القراءة والكتابة وراح يرقب النماذج التى حققت أبهر النتائج .

وعندما نشر نتائج أبحاثه واقام معرضاً يوضح السبيل الذى سارت فيه التجربة بانجلترا وفرنسا قوبلت نظريته بالدهشة والشك ، وقد تحداه بعض النقاد فى الجانب الخاص بتعميم هذه النظرية على النطاق العالمي بعد أن وضعوا فى الاعتبار أن الأطفال المصريين من سلالة الفراعنة ولا يمكن تطبيق هذه النظرية فى أي بلد آخر .

وهكذا استقر فى ريف انجلترا ستة أشهر حيث أجرى نفس التجربة على اطفال لم يتأثروا بالدراسة الأكاديمية ، ونجحت التجربة هناك حيث أعطت نفس النتائج فأثارت ضجة كبرى فى جميع الأوساط التربوية ..

وهكذا تغيرت مناهج التربية الفنية فى جميع أنحاء العالم من العناية بتدريس الفنون القديمة الى الاتجاه لفتح



هذه السجادة قدمتها لنا الفنانة « سميحة احمد » وهي من ضمن الأعمال التى
تعكس بعمق صور الحياة فى منطقة الريف النائمة تحت سطح الاهرامـــات

« صنابير » العقل اللاواعى لدى الأطفال لتفيض بانتاج مذهل ينبع من اعماقهم المليئة الزاخرة .. وإلى جانب أعمال الطين المحروق قدم حبيب جورجي انتاج الأطفال من السجاجيد التى نسجتها أيد تتراوح أعمارها بين العاشرة والرابعة عشر وهي التى لقيت اعجاباً شديداً فى كل مكان .

ولكن حبيب جورجي لم يستمر فى تجربة السجاد على أساس فكرة فلسفية متعلقة بنظريته فى الفن التلقائي عند الطفل .. تتلخص هذه الفكرة فى أن الطين الطري يبدو وكانما وهب نفسه للتكوين ذى الأبعاد الثلاثة .. أي أنه أقرب الى الطبيعة المعبرة لأنه مثل جسم الانسان فى ليونته .. طيع سهل التشكيل . أما الرسم ذو البعدين كالتصوير والزخرفة المتبعة فى المدارس التقليدية ، فانه يبدأ غالباً بفكر غير واضح يثير مشاكل فنية لاختلاف المسطح الفنى عن الواقع المجسم مما يؤدى الى التشكيك فى قدرات الطفل على الأداء .. فنحن نعيش فى عالم الأبعاد الثلاثة .

## سجاد الحرانية

فى هذا الموقف من خامة التشكيل التى تقدمها للطفل يقع الخلاف والاختلاف بين حبيب جورجي وصهره رمسيس ويصا واصف الذى يرى أن صراع الطفل مع الخامة واستمرار تقدمه فى طريق السيطرة عليها يوماً بعد يوم ، وعملا بعد عمل ، يؤكد ويعمق ثقته بنفسه وبقدراته ، ويحميه من التقليد ، ومن تأثير الأشكال الفنية التى قد تواجهه خلال تعرفه على العالم الحضاري خارج قريته .. بعكس خامة الطين السهلة الطيعة المماثلة للواقع ذى الأبعاد الثلاثة .. انها تحرضه على افراز كل شحناته التعبيرية فى سهولة ويسر وبسرعة ، فيتحرك نحو الاكاديمية والنقل الحرفي عن الواقع بمجرد تخطيه سن المراهقة .. ولهذا حقق حبيب جورجي نتائج باهرة فى بحثه العلمي ولم يحقق استمراراً في انتاج الفن التلقائي .. فى حين حقق رمسيس ويصا معجزة فى الانتاج الباهر لهذا الفن النادر الوجود دون أن يهتم بالابحاث ووضع النظريات التربوية ..

وقد سبق أن عرضت أعمال اطفال الحرانية فى جناح المعارض بمتحف اللوفر بباريس عام ١٩٦٥ ، كما شاهدها جمهور عدد من البلاد الأوربية منذ عام ١٩٥٨ عندما عرضت فى مدينة بال بسويسرا ثم بمتحف الفن الحديث فى ستوكهلم عام ١٩٦٠ وبعد ذلك فى هولندا والنرويج ثم ميونيـخ والسـويد وتشيكوسلوفاكيـا وسويسرا مرة أخرى وفى لوزان عام ١٩٦٧ ثم السويد ولندن ... وكان آخر معرض اقامه « بيت الفن فى الحرانية » خارج مصر بعد وفاة مؤسس هذا البيت ضم ٣٧ سجادة وقطعتين من الباتيك وأقيم متجولا فى مدن المانيا الغربية مصاحباً لمعرض مجموعة الآثار الفرعونية التى عرضت هناك عام ١٩٧٨ تحت اسم « ملـوك الفراعنة » .. وبعد هذه الجولة انتقل معرض سجاد الحرانية ليعرض فى مدينة نيس بفرنســـا ..

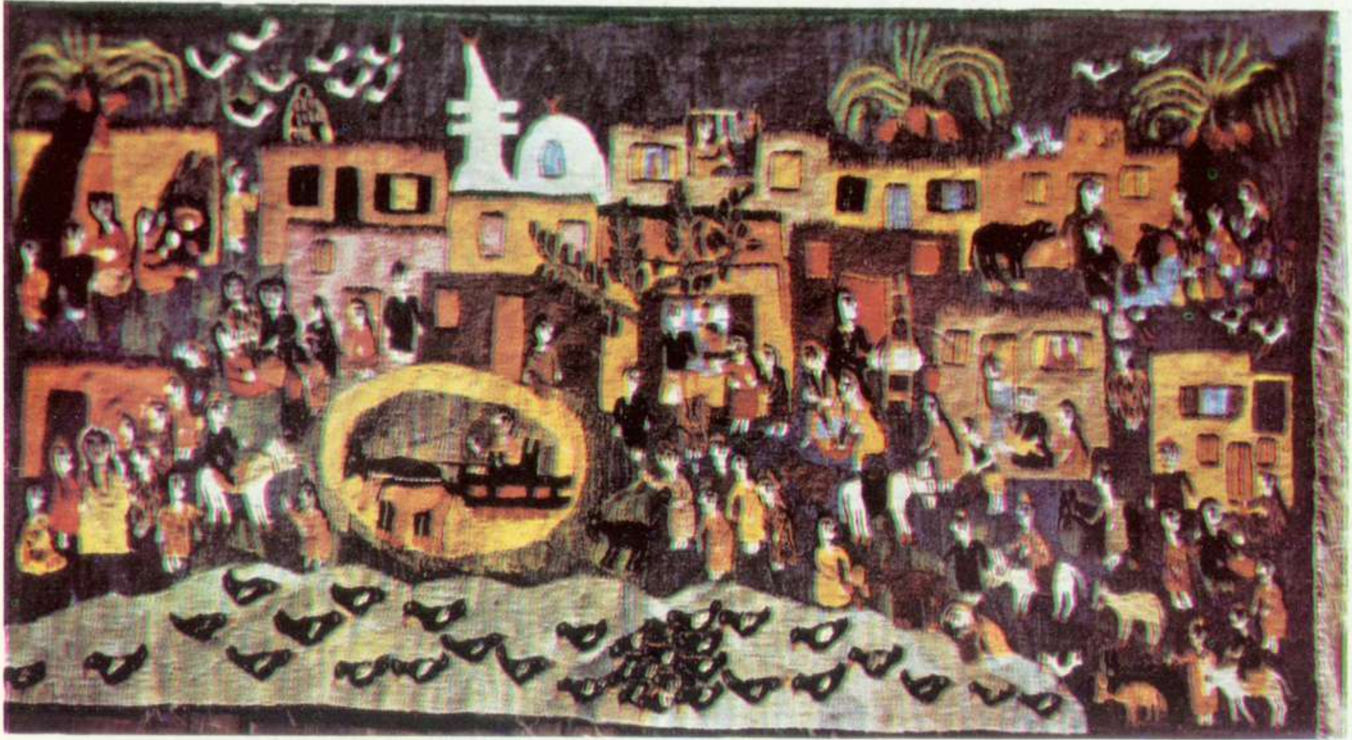
## تقدير عالمي

تؤكد هذه التجربة الرائدة اصالة الفن التلقائي الشعبي الذى يحمل عراقة التراث القديم وروعة التلقائية المعبرة فى العصر الحاضر ..

وهي تمثل انطلاقة واعية موجهة للقدرات الفنية الطبيعية للشعب المصري

ويبالغ النقاد العالميون فى الاهتمام بهذه الأعمال الى حد اعتبارها معجزة فنية برزت فى السنوات الأخيرة فى مجال رسوم الأطفال ، وأنها أصدق تعبير عن البيئة .. كما يرونها الى جانب ذلك بداية لانطلاق طاقات خلاقة كامنة يمكن استخلاص أهم النتائج من متابعتها والتعرف على سمات مراحل التطور التى تتابع مع أعمار هؤلاء الأطفال .. وهم يجدونها أيضاً عاملا فعالا لقيام حركة حقيقية لبعث هذا الفن المصري الأصيل .. واعادة كيان الفنان المصري القديم ( الفرعوني ) المعروف فى أحفاده .

كل هذا التقدير يرجع الى النتائج الباهرة التى تحققت على أيدى أطفال الحرانية ، فهي تتضمن من الناحية





القريـــة .. هـــذا هـــو الاســـم الـــذى أطلـــق على السجـــادة الصوفيـــة التى أعدتهـا جاريـه محمـــود
ثم نـــــرى لقطـــــة أخـــرى بعنــــوان : القطيـــع .. وهـــي لسجـــادة حائـــط مليئـــة بالحـــركة والحيويـة

# سجاد الحرانية

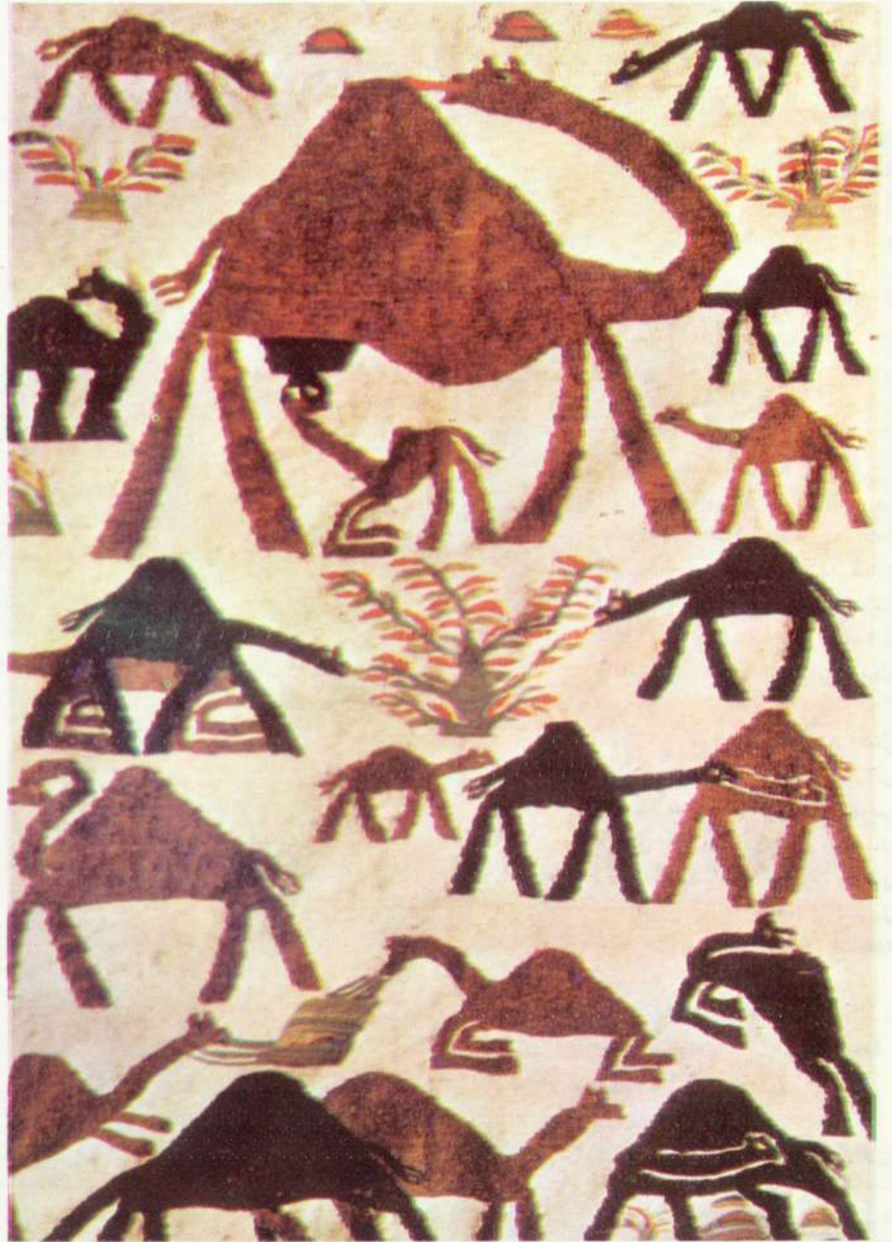
## التجربة والأصول

التنفيذية ثورة على الطريقة التقليديـة لصناعة النسيج التى تعتمد على تطبيق رسوم هندسية أو أشكال طبيعية مرسومة أصلا على الورق قبل تنفيذها على النسيج ولا يتحتم أن يقوم بتصميمها او تنفيذها شخص واحد بالذات ، وهي على هذا الأساس تفتقد الشخصية الفنية المتكاملة وحيوية وحرارة العمل الفني العظيم .

كما ترتفع الأهمية الفنية الخالصة لهذه التجربة بسبب طريقة تنفيذها التلقائية الفورية ، بغير تصميم وضع قبلا على الورق ولا شيء عند الطفل عندما يبدأ العمل غير الفكرة تتفاعل وتتصارع فى خياله وهي تنمو خلال التنفيذ فى تشعب على السطح الذى يعالجه الطفل باصبعه .. خلال مزج خيوط الصوف الملونة على نول النسيج مباشرة حتى تصل الى قمة الاكتمال .

أما الأسباب الكامنة وراء هذه الحفاوة العالمية بتجربة أطفال فلاحين مصريين ، فهى تكمن فى دأب واصرار راعيها المهندس الفنان رمسيس ويصا واصف صاحب هذه المدرسة .. فقد كان يؤمن ايمانا راسخا بالملكات والمواهب الفنية الخلاقة لدى أطفال هذه البيئة البسيطة فى الريف المصري وما تتضمنه من امكانيات واسعة بغير حدود فى الابتكار والخلق إذا أمكن سد حاجتها الاقتصادية وتوفير خامات التصنيع على أن نوفر لها حرية اختيار الوسيلة الأكثر طواعية للتعبير .. وإذا أمكن أخر الامر توثيق العلاقة العاطفية بينهم وبين جميع مظاهر البيئة التى يحيون فيها ، وحمايتهم من زيف الثقافات التى تجرفهم الى هاوية التقليد : فان النتائج تكون مضمونة النجاح .

وبالنسبة لاطفال الحرانية بالذات يتأكد فى جميع الاعمال التى ينتجونها صدق التعبير وبعمق عن صور الحياة فى تلك المنطقة العريقة من الريف، النائم تحت سفح الأهرامات ، وبشكل لا يمكن أن يحققه فنان أخر من الذين يتوقون الى تحقيق حيوية وبساطة الفن البدائى وجراته



الجمال .. إنها سجادة حائطية اخرى بالغة الروعة .. من إعداد شحاتـه حمـزة ... وفيهـا تظهـر قدرات الانسان ودوافعه الفنية الطبيعية التى لا تتحقق إلا فى جـــو من الطمانينـة والحريـــة

وسذاجته .. ولكنه يفشل بسبب قيود الدراسة الأكاديمية التى تحدد اندفاعاته الطبيعية وتعوقه عن تلقائية التعبير .

والسبب الآخر فى نجاح تجربة الحرانية يقوم على أساس الايمان بقيمة الانسان وقدراته ودوافعه الفنية الطبيعية التى لا تتحقق إلا فى جو من الحرية والطمانينة .. وقد أتيحت كل هذه العناصر الهامة لمجموعة من أطفال هذه القرية ، فقد توفرت فى مجتمعهم البساطة وسرعة الاستجابة للطبيعة .

وكانت مهمة رائد هذه المدرسة وزوجته السيدة « صوفى حبيب جورجي » ، بل وكان رائدهم عند اختيار دفعة من أطفال هذه المنطقة ، أن يعيشا معهم بكل طاقاتهما الانسانية وأن يزوداهم بشحنات التشجيع وغرس حب الحرية مع الصداقة والحب وحسن المعاشرة والمرح ودفعهم الى الاستمتاع بوقت فراغهم فى اللعب ثم توجيههم الى العمل الجاد بعد ذلك كمورد للكسب المحبب .. فتكون مهنتهم هي هوايتهم .. وقد أحضر لهم الأنوال ليعبروا من خـلال خيوطهـا عـن خيالاتهـم وأحاسيسهم ، مع اعداد المكان المناسب الذى يتسع الآن لعشرات منهم ..

وقد وصلت التجربة إلى تمام نضجها بوصول هؤلاء الأطفال الى درجة عالية من التمكن وارتفاع الخبرة اليومية التى اصطنعوها بأيديهم ، مما ساعدهم على الوصول الى درجة مثالية من التعبير عن كل ما يدور حولهم .. فكانت لهم هذه الأشكال المنسوجة من واقع الطبيعة فى قريتهم ومن حكايات ذويهم الفلاحين البسطاء ، ومن الأساطير والمعتقدات التى توارثوها ، ثم التقاليد خلال الأفراح وغيرها من المناسبات .

وهكذا ظهرت لوحاتهم المنسوجة على سجاد الحائط بصور النخيل الذى يطاول السماء والمراعي ، والجنة والنار ، ثم الأبقار والجواميس والخراف والماعز والقط والكلب وغير ذلك .

وتكاد روعة وقوة التعبير فى أعمال أطفال الحرانية أن توحي للعين باستحالة تحقيق تلك الأعمال على هذا النحو المعجز وذلك بسبب المفهوم السائد عن عجز كبار الفنانين عندما يحد من ابداعهم التخوف من نقد الآخرين .

إنهم يقومون بتحقيق هذه الأعمال استجابة لدوافعهم الشخصية فى التعبير وليس اتباعاً لأحد المذاهب الفنية ، كما لا تفرض عليهم فكرة أو أسلوب ،ذلك لأن الفكرة تأتيهم من خلال بيئتهم وحوادث حياتهم . أما الاسلوب فيتحقق من خبرتهم اليومية الخاصة وخلال استمرارهم في العمل .

وقد قال رمسيس ويصا واصف وزوجته صوفى ان :

« الفكرة من انشاء هذه المدرسة الفنية « الدار » هو اعتقادنا أن قيمة الحرية للانسان تاتي عندما يتاح له فى سن مبكرة أن يملكها ، ويشعر أنه قادر على مزاولتها لبناء كيانه ، وأن هذه الفكرة جديرة بأن توضع محل الاختبار وخاصة فى مجال التربية الفنية .

وقد أدخلنا هذه التجربة الى حيز التنفيذ مع أفراد قلائل فى انحاء مختلفة من مدينة القاهرة ( يشير رمسيس ويصا الى تجربة الفنان الراحل حبيب جورجي والد زوجته التى بدأها عام ١٩٣٩ ) وبعد ذلك فكرنا فى الابتعاد عن المدينة والتوجه الى الريف ... »

إن كل زائر للقاهرة لا يتاح له أن يقضى خلال زيارته ساعة أو ساعتين فى دار الفن بالحرانية يضيع عليه الكثير ، حتى لو شاهد كل آثار القاهرة ومعالمها .. لأن فن أطفال الحرانية يقدم وجهاً للقاهرة فريداً ومعاصراً .. لن يتاح لزائر القاهرة أن يرى بديلا أو مشابهاً له فى أي بلد من بلاد العالم .

**صبحي الشاروني**



# رسائل إلى المحرر

## الوحدة أو الفناء

● قرات فى العدد ٨٠ من مجلتكم الصادرة فى شهر أغسطس ١٩٨٢ م موضوعاً شد كل انتباهى ، الا وهو الموضوع الذى كتبه درويش مصطفى الفار تحت عنوان «الوحدة او الفناء» .

فالفكرة التى تضمنها الموضوع لاشك فى أنها فكرة مثالية امينة متطلعة الى وحدة الصف العربى تحت لواء الاسلام حتى ولو أنها وضعتنا بين إختيارين احلاهما مر . ومن هنا اقول له ان الأمة العربية لا تستطيع أن تختار الشتات والفرقة والفناء حتى وإن أراد البعض ذلك لما يربطها من أواصر العقيدة الاسلامية والأواصر السياسية ووحدة المشارب الثقافية وكثير من المصالح المشتركة فى شتى المجالات .

ولا يسعنى فى ختام هذه الرسالة إلا ان اقول لامتنا العربية خاصة والأمة الاسلامية عامة فيم التناحر والتنافر .

أليس من الأولى أن نتحد ونوجد لنا مكانة تاوينا وتحمينا وتجنبنا الشقاق والفرقة وتكفل لنا العيش الكريم . نحن نعلم أن ذلك ممكن ولكننا نسعى بانفسنا لحتفنا والانتحار هروب من الواقع فى عرف الناس وجريمة فى عرف الله .

عبد اللطيف خير الله خالد
السودان ـ الخرطوم

## فرانسواز وليس فرانسوا

● سؤال عابر ومنكم نستفيد أعرف أن في الفرنسية «فرانسوا» هو اسم الرجل و «فرانسواز» هو أسم المراة . ولكني لاحظت أن الدوحة غيرت الاسم فى مقالي حوار مع « فرانسواز سيجان » إلى « فرانسوا سيجان » فهل من سبب ؟ .

جمال الكناني



فرانسواز ساجان

● الحق ما قاله الاستاذ الكناني والخطا من تحرير الدوحة ونؤكد أن صحة الاسم هو « فرانسواز » لا « فرانسوا » .

« الدوحة »

## أقدم لكم بعض الاقتراحات !

● رغم الجهد الجبار الذى تبذلونه لتخرج مجلة « الدوحة » على هذه الصورة الرائعة التى تعد مفخرة للثقافة العربية والأدب العربي ، إلا أنني استميحكم عذراً فى أن أبدي بعض ملاحظاتي وأقدم بعض المقترحات :

ـ لاحظت طغيان الفن القصصي على الشعر ، وهما فرعان من شجرة الآداب ، أرجو الا يطغى احدهما على الآخر .

ـ تتناول بعض مقالاتكم احد جوانب القرآن الكريم بالشرح والتحليل ، فلماذا لا تنشر بعض المقالات أيضاً حول السنة النبوية الشريفة .

ـ لماذا لا يتناول احد النقاد المعروفين القصص التى تنشر أو بعضها بالتعليق والنقد لتكون مدرسة لشباب الادباء العرب .

ـ حبذا لو ادمج بابا « دوحة القراء » و « استراحة القراء » فهما يحملان مضموناً متقارباً .

ـ الا يمكن أن يتفرغ احد كتاب المجلة أو محرريها ليتفحص انتاج أصدقاء وقراء المجلة ثم ينشر منه ما يصلح مع تعليق وتوجيه .

السيد محمد بدوى
كلية دار العلوم ـ القاهـرة

## من أجل دعم الصلة الثقافية !

● أنشانا بمنطقة « كركوج » الواقعة بالشاطىء الشرقي من النيل الأزرق ـ السودان ـ رابطة ثقافية ومن بين أهدافها تبادل الآراء حول القضايا الثقافية المختلفة . ودعم الصلة بالروابط والنوادي الثقافية ببلدان العالم العربي .

ونحن نوجه نداءنا ـ على صفحات مجلة الدوحة ـ الى اخوتنا فى أرجاء الوطن العربى الكبير والذين يهتمون بقضايا الثقافة والفكر من أجل أن نتبادل وإياهم الحوار تمهيداً لتبادل الزيارات بهدف خدمة الثقافة العربية .

وعنواننا كالتالي :
جمهورية السودان الديمقراطية
مديرية النيل الأزرق
منطقة كركوج
الرابطة الثقافية بمدرسة كركوج المتوسطة للبنين .

## أين أبواب الشباب ؟

● انا قاريء من عشاق «الدوحة» التى تعتبر بحق قمة المجلات العربية الآن ، وتضم موضوعات رائعة مثل السينما والرياضة والمسابقات .

ولكن باعتباري شاباً فاني أرجو أن تهتموا بتخصيص باب للشباب يناقش قضاياهم ويعرض بين صفحاته الموضوعات التى تهم شباب اليوم مثل الموسيقى والهوايات .

السيد عبد المجيد عبد المطلب
المحلة الكبرى ـ ج ٠ م ٠ ع

## حول انتحار الشاعر خليل حاوي

● إن ما يدور على الساحة العربية ، يوجع القلب فعلا ، فاننا كعرب نتحول إلى حرق وجدنا ، وضرب عقولنا في الصميم ونعيش الياس القاتل، وما فعله الشاعر اللبناني « خليل حاوي » ، باطلاق الرصاص على نفسه ، مأساة شخصية وادبية ، وعربية وقومية ، وللأسف .. فان الانتحار ليس حلا والاسلام يأمرنا بالجهاد .. ويسحب الرحمة عن المنتحر .

لم تتحرر ( فيتنام ) حين أحرق الكهنة انفسهم فى الشوارع .. احتجاجا على الغزو الأميكي لبلادهم .. وإنما بالجهاد ، بالاصرار والروح القتالية ! .

نشأ المناضل الفيتنامي حين وضحت الرؤية له .. والطريق لحقوقه ! .. وعرف بوضوح كاف من هو عدوه الحقيقي .. ولم يضع فى فلسفته ( الممكن والمستحيل ) ! .

وقد يكون العدو الشرس .. بيننا .. فى واقعنا اليومي .. وفى طريقة تفكيرنا .. وفى تركيبتنا الاجتماعية .. وفى ( التوليفة ) التى تهدد حياتنا .. أكثر من هجوم القنابل العنقودية والطائرات إف ١٥ ، إف ١٦ .. وبقية الأسلحة المتطورة والمهلكة

وبعد .. رغم عدم اقتناعي ان (الأدب لن يحل مشكلتنا)وحده .. ولكنى اقتنع أن الانسان بفكره يغير الدنيا .. والأدب مرآه .. إذا صدق .. وبشير .. إذا ارتفع لمستوى التبشير ..

ولذلك فانني كنت اتمنى ان يساهم خليل حاوي بانتاجه الفكري والأدبي فى إذكاء الروح الوطنية وفضح همجية العدو ، بدلا من اللجوء الى الانتحار ! .

**أحمد عبد الله متولي**


خليل حاوي

● قرات منذ فترة وجيزة خبر انتحار الشاعر اللبناني « خليل حاوي » احتجاجا على الغزو الاسرائيلي الغاشم على بلاده .

وقد حاولت جهدي أن أتعرف اكثر بهذا الشاعر ، ولكن المصادر التى تحت يدي لم تيسر لي ذلك ، فرأيت ان الجأ إليكم لعلكم تستطيعون تقديم ترجمة كاملة لحياة هذا الشاعر مع نماذج من أعماله وأشعاره .

ولقد حفزني لذلك المقال الرائع الذى نشرتموه بعنوان « لماذا نقتل الشعراء » ، واعتقادي الجازم أن ما حدث للشاعر «حاوي» وثيق الصلة بما يحدث الآن للشاعر الكبير « أمل دنقل ».

**اسماعيل عبد العزيز شطا**
**القاهرة**

## حول سيد قطب

● كتب الأستاذ محمود السعدنى فى العدد ٧٩ مقالا تحت عنوان «المعداوى بين رشدى صالح وسيد قطب» عقد فيه مقارنة بين الاثنين من حيث الثبات على المبدأ والتضحية من اجله ، وقد فوجئت بكاتب المقال يصف سيد قطب بانه كان «اشتراكيا اسلاميا» ، ومن خلال قراءاتى حول ما كتب عن حركة الاخوان المسلمين وعن زعمائهم فانى لم أجد أحداً قد وصف سيد قطب بانه اشتراكى مسلم لا من المؤيدين ولا من المعارضين للحركة ، ولا أعرف من أين ولماذا اتى الكاتب بهذه الصفة ليلصقها بالشهيد سيد قطب ؟ بالرغم من وضوح فكرته التى تنص على انه لا يجوز إلصاق صفة الاشتراكية أو غيرها بالاسلام لأنه منهج متكامل مستقل بفكره وشريعته كما لم يرد ذكر تقسيم الاسلام - فى القرآن - الى يسار ولا الى يمين ولا الى اشتراكية او ليبرالية ولا الى غيره ، وإنما قال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» وقال : «إن الدين عند الله الاسلام»، وهذا موضوع نوقش فى مجالات أوسع وهذا ليس بمجال مناقشته إنما ردى هذا إنما هو توضيح وتأكيد بان الاسلام لا يسار فيه ولا يمين ، ولا اشتراكية ولا ليبرالية إنما هو دين واحد ومنهج واحد متكامل غير قابل للانقسام وغير محتاج للاضافات وهكذا كان سيد قطب مسلماً موحداً ، يتميز منهجه بالفكر الصحيح النقي من أية شائبة ، ورحم الله سيد قطب فهو خير من ادراك هذه الحقيقة وعمل بها طوال حياته .

وكل مسلم واع يعلم علم اليقين أن هذه المصطلحات والألفاظ الغريبة إنما ادخلت على الاسلام بقصد تشويهه وتمزيقه وهى ما ليس منه أبداً .

أرجو أن ينشر ردى هذا للتوضيح ولي وطيد الأمل فيكم .

**عبد الله الريامي**
**مسقط - سلطنة عمان**


سيد قطب

## ردود سريعة :

● **القارىء : رأفت سليم عطية - طنطا - ج.م.ع**

- باب « رسائل الى المحرر » هو نفسه الباب الذى تطلب استحداثه فى المجلة . وآخر موعد لاستلام حلول المسابقات هو العشرون من كل شهر .

●●●

● **القارىء : محمد محمد المنشليني - بنك القاهرة - الاسكندرية .**

- ما أرسلته لنا بداية . اقرا كثيراً من دواوين الشعر . المجلة تفتح صفحاتها دائما لكل انتاج جيد .

# من تراثنا المعاصر

# أشهر الجميلات

بقلم : الدكتور محمد منـــدور


كليوباطرة


اللادي هاملتون


مدام ريكامييه


سارة برنار


ايزادورا دونكان




سارة برنـــار .. كان مصـــدر سـحرها الأول هـــو موهبتهـا الخاصـة فى القـــاء الشـــعر !

لعل المصادفة قد لعبت فى الشهرة بالجمال ، خلال عصور التاريخ المختلفة ، دوراً أكبر مما لعبته فى كافة انواع الشهرة الأخرى ، وذلك لأن الكثيرات ممن احتفظ التاريخ بذكر جمالهن إنما افلتن من طوفان النسيان الذى لا يبقى ولا يذر ، لأن حياتهن اتصلت بحياة عظيم من العظماء ، او شاعر مدله أو نحات بارع ، أو مصور من الموهوبين ؛ وإن لم يخل الأمر من جميلات عرفت لهن مواهب أو اقدار كانت خليقة بان تنقذ ذكراهن من الفناء .

ولو اننا أردنا الحديث عن الجمال المطلق لاستحال الحديث ، فلربما غلفت أغشية الزمن ، باحدى القرى المهجورة أو الصحارى الجرداء أو الجزر النائية ، فتيات لا يتسامى إلى جمالهن جمال ممن لانزال نردد حتى اليوم ذكراهن ، أو نستعرض صورهن ، كما خططها يراع شاعر أو ريشة مصور ، حتى لتعاود النفس تلك الفقرات الخالدة « لتوماس جراي » فى « مرثية فى مقبرة بالريف » : « كم من جوهرة نقية الشعاع ، صافية ، ظلت مخبوءة فى أعماق المحيط ؛ وكم من زهرة تتفتح بعيدة عن الأبصار ، ثم ترسل هدراً عبيرها الى بيداء الفضاء ! » .



بولين بونابرت .. كانت تمثالا رائعا للجمال ، إلا انها لم توح لأحد بعاطفة دافعة أو حب متتـج !

## بين الحقيقة والخيال

على أن النفوس الشاعرة ، وهي فيما نحسب مصدر الخلود لكثيرات ممن توقظ أسماؤهن فى النفس اليوم كافة صور الجمال وآياته ، لم تكن دائماً ـ بل قلما كانت ـ من نقاد الجمال وعارفيه بالمعنى المألوف . فكم من واحد منهم هام بامراة لايرى فيها الناس جمالا إذا قيس الجمال بالأوضاع والنسب ، بل كم من واحد منهم احب شبحاً صوره خياله ، ثم أعطى الشبح اسماً ، ولربما أعطاه جسماً ، فاختار امراة ـ كائنة من كانت ـ على نحو ما فعل « دون كيشوت » يوم اتخذ له فتاة ، إحدى بنات قريته ، وأطلق عليها اسماً نبيلا رائعاً هو « دولسيني دي توبوزو » . وما دام مثل هذا الأسم لا يطلق إلا على النبيلات ، فقد كان فى خيال دون كيشوت ما يكفي لأن يقيم من الريفية دولسيني ، التى ينازل الأبطال إذا لم يقروا بجمالها عن يد وهم صاغرون !

لقد صاحت يوماً إحدى تلك النفوس القلقة الشاعرة بقولها وهي تستعرض سجل حياتها الحافل بالمغامرات : « أين تلك المراة التى كانت موضع مغامراتي ؟ يخيل إلي انها لم تكن واحدة بل مائة ! وأن نفسي التى كانت تحلق عالية لم تتأثر باية واحدة منهن » . ومن يدرينا ، لعل كل واحدة من أولئك المائة قد كانت فى اللحظة الراهنة اجمل من تقل الأرض ، ولعل شاعرنا قد جمع فيها بخياله كل ما كان يحلم به من جمال .

## ليلى أو الهوى العذري

وفي أدبنا العربي لفظ جميل هو لفظ ليلى ، الذى لا ندري من أين تأتيه العذوبة، أمن ليونة الأصوات التى يتالف منها ، أم من ذكريات الشعر الذى خلفه المجنون في العامرية ، وتوبة فى الأخيلية ، واخيراً زكي مبارك فى ليلى المريضة بالعراق ، حتى نسلم من لسانه .

قال الشاعر :

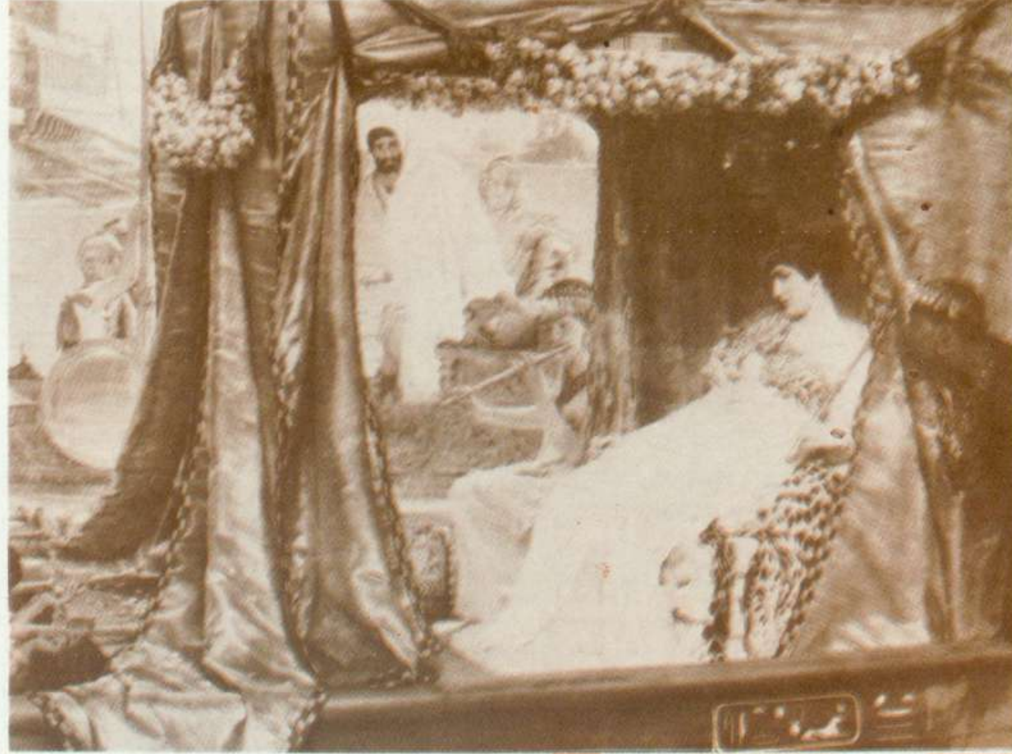
كأن القلب ليلة قيل يغدى
بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح

وتساءل الرواة عن هذه الفتاة التى يعلق بها القلب فاذا به كقطاة هزمها الشرك



من تراثنا المعاصر

# أشهر الجميلات



كليوباطرة .. كان سحرها القوي يخالطه دهاء جعل انطونيو يبدو إلى جانبها وكأنه طفل صغير !



فأخذت تجاذبه تبغى الفكاك ، ولكن انى لها به وقد علق منها الجناح ؟!

وأجاب الرواة بانها كانت ليلى العامرية ، فيما يزعم البعض ، « وانها كانت من أجمل النساء واظرفهن ، وأحسنهن جسماً وعقلا ، وأفضلهن أدباً ، وأملحهن شكلا . وكان قيس بن الملوح - المجنون - كلفا بمحادثة النساء ، صباً بهن ، فبلغه خبرها ، ونعتت له ، فصبا إليها ، وعزم على زيارتها ، فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجل جمته ومس طيباً كان عنده ، وارتحل ناقة له كريمة برحل حسن ، وتقلد سيفه وأتاها فردت عليه السلام ، وجلس إليها فحادثته وحادثها ، فأكثر ، وكل واحد منها مقبل على صاحبه معجب به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف الى أهله فبات باطول ليلة مشوقا إليها ، حتى إذا أصبح عاد اليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى ، واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك فأنشأ يقول :



نهاري نهار الناس حتى إذا بدا
لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
لقد ثبتت فى القلب منك محبة
كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

وذاع أمر حبهما فى بني عامر كلها حتى خاف أبوها العار وقبح الأحدوثة فزوجها من غيره ، وبرحت بقيس آلام الحب المنكوب ، حتى طارت بصوابه ، فهام على وجهه فى القفار ، وهو يهذي بأروع الشعر حتى وجده أهله يوماً فى واد كثير الحجارة خشن ، وهو ميت بين تلك الحجارة ، فاحتملوه وغسلوه وكفنوه ، ولم تبق يومئذ فتاة إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه ، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء ، وينشجون عليه أشد نشيج ، وأبوها معهم ، فكان أشد القوم جزعاً وبكاء عليه ، حتى مارئي يوم كان أكثر باكية وباكياً على ميت من يومئذ . »

وباستطاعتنا اليوم أن نمعن البصر فى أوصاف ليلى فلا نجد إلا أنها كانت من «أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلا وأفضلهن أدباً وأملحهن شكلا » كما قال الرواة . ولكن هذه كلها أوصاف عامة لاتحدد جمالا ولا تميز سحراً ، ومع ذلك تطرب النفس لذكر ليلى ، وما يتردد فى القلوب صدى لما قيل فيها من شعر حتى تبتهج وتتراقص أمام البصر أطياف كأنها ورود الربيع . إنه الهوى العذري ! .

## بلقيس أو مكيدة

ولو أننا أرسلنا البصر الى ملكة سبأ ، التى يسمونها بلقيس أحياناً ، ومكيدة Makeda أحيانا أخرى ، لما استطعنا أن نلمح منها غير الساق ، وحتى هذه الساق لم نلمحها إلا لأن لها قصة تستحق أن تروى لتكون رؤيتنا لها على بينة .

قالوا : عندما أتت بلقيس الى سليمان ( قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) .

ويقول المفسرون : إن سليمان أمر قبل قدومها ، فبنى له قصر من زجاج أبيض ،



وأجرى من تحته الماء ، والقى فيه من دواب البحر : السمك وغيره ، ووضع سريره فى صدره ، وهكذا انخدعت بلقيس فكشفت عن ساقيها .

ويضيف أهل الذكر أن الجن هم الذين تسببوا فى بناء هذا الصرح الممرد ؛ إذ ان أم بلقيس كانت فيما يقولون جنية ، وكان الجن يخشون ان يكون لسليمان منها ولد يفرض عليهم حكمه ، وهو الخبير بأسرارهم ، فيقسو فى ذلك الحكم ، ولذلك راحوا يزعمون لسليمان أن بلقيس امرأة شعراء ، ولكن سليمان أراد أن يستوثق من الأمر بنفسه ، فأمر ببناء الصرح ، وكشفت بلقيس عن ساقيها فاذا بهما أجمل السيقان ، ولا أدل على ذلك مما يرويه الأحباش الذين يزعمون أن سليمان كان له ولد من مكيدة ، وأن هذا الولد هو رأس الأسرة المالكة لبلادهم .

على أن جمال الساق له نظائره فى وصف الحسان عند القدماء ، فكم من مرة تحدث « هوميروس » عن « أندروماك » البيضاء الأذرع ، وعن « هيلانة » العميقة المنطقة أي الناحلة الخصر ، وكم من مرة وصف شعراء العرب فى الجاهلية محبوباتهم « بريا المخلخل » ... الخ .

وللساق – عند هواة النساء فى العصر الحديث والعارفين بأسرار جمالهن – قيمة خاصة ، حتى ليرون فى جمالها دليلا على جمال القوام كله وانسجام أوضاعه .

ولقد الهبت قصة مثول بلقيس بين يدي سليمان خيال المصورين بنوع خاص ، وباستطاعتنا أن نتأمل اليوم فى متحف تورين لوحة زيتية رائعة « لبول فيرونيز » ، وصورة حائطية خالدة فى إحدى مقاصير الفاتيكان « لرافاييل » نفسه ، وفي الناشونال جالري بلندن لوحة زيتية أخرى « لكلود لوران » ، وفى كثير من الكنائس صور حائطية كثيرة ، تصور كلها نفس الأقصوصة الجميلة .

## بين الطرفين

وإذا كان التاريخ لم يمكنا أحيانا إلا من أن نلمح فى جميلاته نظرات خاطفة ، فكم كنا نود لو استطعنا تسقط نغمات نفوسهن فى معارك العاطفة التى أشعلنها أو أكتوين بنارها ، ولكننا عندئذ نطلب فيما يظهر ماتاباه طبيعة المرأة التى يقول عنها بحق أحد كبار المفكرين : « إنها تلزم دائما الصمت الرهيب عن لحظات السعادة والآلام المبرحين » .

وفى الحق إننا لا نملك للنساء « اعترافات » كاعترافات « روسو » ، ولا « أوراق حشائش » كأوراق « والدويتمان » ، حيث يطلعنا الرجال على أدق خفاياهم النفسية وأشد موجاتها جموحـــا .

ومن هنا كان باستطاعتنا مثلا أن نتحدث عن آلام « موسيه » وأغانيه أكثر من حديثنا عن آلام « جورج صاند » وأغانيها ، وإن تكن جورج صاند من الأمثلة النادرة التى نطقت فيها المرأة ، فكشفت بعض الشيء عن جوانب نفسها ، وباستطاعتنا أيضاً أن ننقب فى « بيت الراعي » عن ماساة « الفريد دى فني » فى حبه العاثر للممثلة الشهيرة «مدام دورفال» ولكن أين نجد اعترافات تلك المرأة التى ألقت بالشاعر العظيم بين أحضان الطبيعة يلتمس فيها محراباً ينتظر العزاء بين رحابه ، ويود لو شاركته الحياة فيـــه « إيفا » – رمز دورفال – التى أضنت فؤاده وألهبت خياله ؟!

انظر الى موسيه وهو يقص في « ليلة أكتوبر » تلك الذكرى الأليمة ، ذكرى انتصاره فى غسق الظلام لجورج صاند ، بإحدى شرفات فندق فى البندقية ، موجها الحديث الى ربة الشعر :

« أذكر ، ربة الشعر ، اننا كنا فى ليلة محزنة من ليالي الخريف ، ليلة تكاد تشبه ليلتنا هذه ، وقد أخذت همسات الريح بحفيفها المضطرب الممل ترنح فى عقلي المضنى حالك الآلام . وقفت بالنافذة انتظر عودتها ، وقد رهف منى السمع . فاذا بضيق شديد يأخذ بالنفس وينذرني بخيانتها ، وكان الطريق قاعاً موحشاً إلا من بعض أشباح مرت وبيدها مشاعل ، والريح تهب من حين الى حين ببابي المنفرج قليلا ، فيصل الى نفسى ما يشبه أنين البشر .

لست أدرى عندئذ إلى أي هواجس أسلمت نفسي ، ولكني عبثاً حاولت أن استجمع قواي المتخاذلة ، ودقت الساعة فسرت بي رعدة قوية ، ولكنها لم تعد . وظللت محني الرأس ، أقلب البصر بين الطريق وجدران المنازل . آه ! ذلك انني لم أطلعك على تلك النار القاسية التى أضرمتها تلك المرأة اللعوب بين جوانحي . لم يكن بقلبي حب غير حبها . وكان الموت أحب إلي من يوم لا أقضيه الى جوارها ، ومع ذلك أذكر انني حاولت بكل قواي أن أحطم أغلالي ، فدعوتها ألف مرة بالخائنة الحانثة ، وأخذت أعدد كل ما انزلت بي من محن ، ولكن ذكرى جمالها – لسوء طالعي – ماكانت تمر بخاطري إلا هدأت جميع آلامي وتبددت محني . »

نعم ! انظر الى هذه الاعترافات وما فيها من شجاعة وصراحة لا تجد لها مثيلا في « أنا وهو » الذى حاولت جورج صاند أن تقص فيه تاريخ مغامراتها مع موسيه وتبرر غدرها به ، وكيف تريد من المرأة أن تقهر كبرياءها وتعترف بكل هذا الضعف ، بل الهذيان ، الذى اعترف به شاعرنا المسكين .

## دور الجمال

ومع ذلك فهؤلاء الجميلات اللائي لم يستطعن – كنساء – أن يقهرن كبرياءهن فيكشفن للرجال عن حقائقهن النفسية ، قد اكتسبن بهذا العجز الغريزي الفطري ، أو الاجتماعي الطارىء أو الارادي المقصود ، قوة وسيطرة على الرجال الذين وقعوا في أسر جمالهن .

ولقد حفظ التاريخ من أسماء أولئك الجميلات الكثير . وما نظننا فى حاجة إلى أن نعود فنقص أنباء كليوباطرة التى احتالت لتعود من منفاها بالشام الى الاسكندرية ، حيث كان يوليوس قيصر ، وإذا بها تدلف بين يديه من سجادة مطوية، وإذا بقيصر الجندى الصلب الفؤاد يبهره جمالها الخارق ، وحركة نفسها الدائمة الغليان ، ونغمة صوتها الذى كان يفصح عن أدق الخوالج فى لغة لاتينية سليمة تزيدها جمالا نبرة اللغة اليونانية العذبة ، لغة كليوباطرة الأصلية .

والذى لاشك فيه أن طموح كليوباطرة ، الذى لم يكن يعرف حدوداً ، قد كان ذا أثر فعال فى تاريخ الامبراطورية الرومانية كلها فهي التى أغرت يوليوس قيصر على الملك ، وهي التى دفعت أنطونيوس من بعده الى نزعة الاستئثار بالأمر دون زميليه ، حتى انتهت به الى الهزيمة على صفحات المياه فى معركة أكتيوم الشهيرة ؛ وأخيراً ساقته إلى الانتحار .

لقد صدق « باسكال » عندمـــا قـال في « الأفكار » : « لو أن أنف كليوباطرة كان أقصر قليلا مما كان لتغير وجه المعمورة » ، ولكن ما حيلتنا وقد كان أنفها خالياً من كل قصر ، بل كان – ولا يزال – مضرب الأمثال فى جمال الأنف الذى ينحدر فى محاذاة الجبهة ، والذى لا يزال حتى اليوم يوصف فى قاموس الجمال بأنه الأنف الاغريقي .

أي قوة كانت تنبعث من جمال تلك المرأة ؟ وأي دهاء كان يخالطه سحرها ؟! لقد بهرت أنطونيو يوم خفت إليه فى سفينته كانها أقلت كل ما على الأرض من













من تراثنا المعاصر

# أشهر الجميلات

بذخ ، وقد اضطجعت فى مخدع حريري ، ومن حولها الوصائف فى غلائل كامواج البحر ، ليحكين رباته ، وغلمان كانهم جميعاً « كوبيدون » إله الغرام باجنحته الخفيفة الطائشة ! اي قوة كانت تنبعث من جمال تلك المراة ؟ واي دهاء كان يخالط سحرها ، يوم كانت تطوف باحياء الاسكندرية ، وإلى جانبها انطونيو ، احد حكام روما الثلاثة ، وكانه طفل صغير ، ليدقا معاً نوافذ وابواب المنازل ، ثم يهربا فى عبث دونه عبث الصغار ؟!

وما نظننا ايضاً في حاجة الى ان نعود فنقص تلك المغامرة الشهيرة التى كانت لامير بحر عظيم كنلسن ، الذى لم يكد يحرز فى سنة ١٧٩٨ اكبر انتصار حربي له على اسطول نابليون فى ابى قير ، ويعود الى ايطاليا ، حتى وقع فى حبائل اللادي هاملتون ، زوجة سفير انجلترا العجوز فى نابلي ، تلك المراة العجيبة التى لم تحل نشاتها خادمة في إحدى الحانات دون ان تتزوج سفيراً ، بعد حياة مليئة بالمغامرات ، ثم تسيطر على أمير عظيم ، وإن يكن سوء الحظ قد لازمها فى اخريات حياتها ، إذ توفى زوجها سنة ١٨٠٣ ، ولحق به نلسن فى سنة ١٨٠٥ ، فاحتاطها البؤس بعد وفاتهما ، وضيق عليها الدائنون الخناق حتى انتهوا بها الى السجن سنة ١٨١٣ ، وتركت السجن الى كاليه بفرنسا حيث وافاها اجلها سنة ١٨١٤ .

هذه هي إما « اللادي هاملتون » التى لم تخلد لسيطرتها على نلسن فحسب ، بل لتلك الصورة الزيتية الرائعة التى رسمها لها مصورون خالدون « كرينولـــــدز » و « رومني » الذى يقول المؤرخون إنه قد اضنى خياله فى اختيار أوضاعها ، وتسجيل نفثات السحر التى كانت تنبعث عن جمالها .

وكم من جميلات غير كليوباطرة واللادي هاملتون قد الهبن مشاعر الرجال ، ففتقن من مواهبهم أو اضنينها . ولعل امـــــراة « كمدام ريكاميه » لا يجدر أن يهمل ذكرها عند الحديث عن جميلات التاريخ ، فلقد كان لمجالس تلك السيدة بباريس أثر بالغ فى الحركة الفكرية بفرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر . وكانت مدام ريكاميه ، التى تربت تربيتها الأولى فى أحد الأديرة ، تعرف كيف تعامل الرجال فتلزمهم احترامها دون أن تجرح لهم احساساً أو تشعرهم بغلظة . وباستطاعة القاريء أن يعود إلى قصة « مدام دى ستايل » المسماة « كورين » ليلم بالمعالم النفسية لمدام ريكاميه التى لتخذت منها الكاتبة الفرنسية بطلة لقصتها ، ومع ذلك فقد اصطفت من بين جميع المعجبين بها كاتبين كبيرين همــا « بنجمان كونستانس » و « شاتو بريان » ، وكانت لها بهما أوثق العلاقات ، بحيث يمكن القول بان المتتبع لآثارهما الأدبية لابد واجد آثار تلك المراة الرائعة الجمال الساحرة الحديث ، تلك المراة التى خلف لنا المصوران « دافيد » و « جيرار » لوحات خالدة لملامحها .

## الجميلات والجماهير

وثمة أثر آخر كان للجمال النسائي ، وهو أثرهن فى الجماهير ، نضيفه إلى أثرهن فى الأفراد لنلم بالجوانب المختلفة لذلك السحر الفعال .

لقد انبعث هذا التاثير من الممثلات والراقصات بنوع خاص ، ولعلنا نستطيع أن نكتفى بالاشارة هنا إلى اثنتين منهن ، طبقت شهرتهما الآفاق ، وهما الممثلة « سارة برنار » والراقصة الأمريكية « إيـــــزادورا دونكان » .

لقد كانت سارة برنار ، ذات الوجه الجميل الدقيق الشاحب ، والشعر الذهبي المنتثر كالغلالة ، والقد المرن الممشوق ، تملك موهبة خاصة فى إلقاء الشعر ، لعلها كانت مصدر سحرها الأول ، حتى لقد وصف احد النقاد تلك الموهبة بقوله : « إنك لا تستطيع أن تمتدحها لأنها تجيد إلقاء الشعر ... لقد تجسمت فيها إلهة الشعر ذاتها ، ولم يكن للذكاء ولا للفن فى ذلك اي دخل . لقد كانت تقودها غريزة خفية . كانت تلقى الشعر كما يتغنى العندليب وتئن الرياح وتهمس المياه ، كانت تلقيه كما كان يلقيه لامارتين وهو في شيخوخته » .

ومن الغريب أن مظهرها الخارجي كان كله ينطق بالشعر ، حتى لقد وصف هذا المظهر فقال : « إنها كانت نفثة من دخان ، وهبة من ضباب . كانت لمحة خاطفة لملامح رقيقة تغطيها خصلات من شعر وغلائل كالسحب » .

هذه هي سارة برنار التي كانت تلوح للجماهير من فوق المسرح كعمود من ضوء . هذه هي التى سحرت المتزمتين انفسهم فرقت قلوبهم لـ « غادة الكاميليا » عندما تقمصت شخصيتها تلك الممثلة البارعة ، فاظهرت « الغادة » المسكينة فى ثوب النبل الذى كانت تستحقه بفضل ايثارها وتضحيتها ، وإن كانت الاقدار قد شاءت أن تسقط قبل أن تتعرف الى « أرمان » هذه هي التى لم تفقد سحرها فى الجماهير ، حتى عندما اقتضاها الفن أن تتنكر لتمثل دور ذلك اليافع الخالد ، دور « النسر الصغير » لـ « إدموند روستان » فكان نجاحها مدوياً رائعاً .

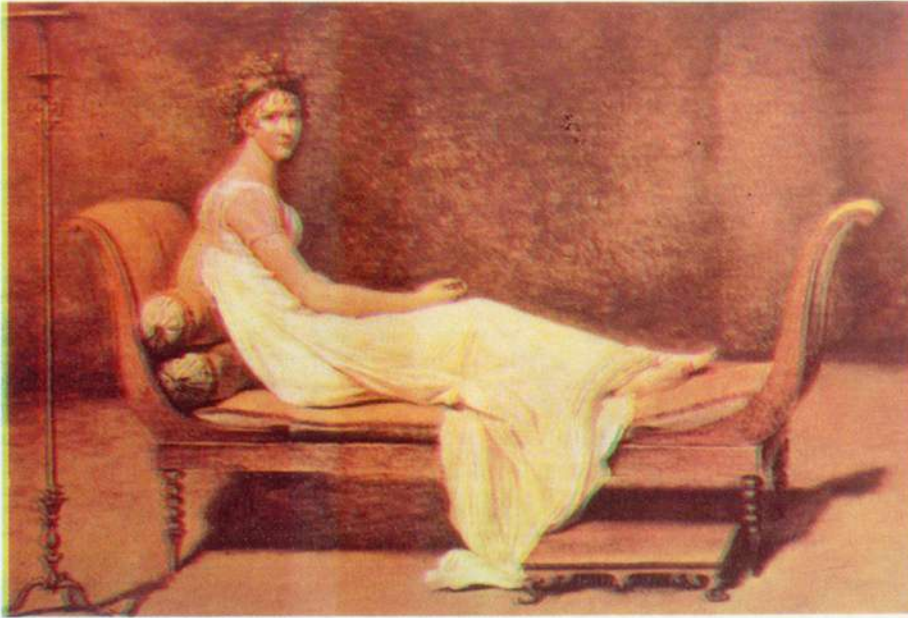
وأما ايزادورا دونكان فبالرغم من إحداثها ثورة فى الرقص الكلاسيكي ، وبالرغم من خروجها على كافة أوضاعه ، ونقلها لحركاته من أوضاع الجسم وانحناءاته الى خلجات النفس . نعم ، بالرغم من كل ذلك سحرت ايزادورا الجماهير فى نيويورك ولندن وباريس وفيينا وبودابست ، وفى كل عاصمة من عواصم العالم الكبرى التى حلت بها .

لقد ترجمت ايزادورا إلى همسات راقصة عيون الموسيقى التى ما كان احد يظن انها وضعت للرقص مثل : « بركتك ياماريا » لـ « شوبرت » و « مولد المسيح » لـ « برليوز » و « السيمفونية السابعة » لـ « بيتهوفن » ، و « السيمفونية العاطفية » لـ «تشيكوفنسكي» بل و «المرسييز» نشيد فرنسا القومي ، الذى طالما رقصت على أنغامه إبان الحرب العالمية الأولى ، والرجال يلفظون الحمم ، فالهبت القلوب واضرمت المشاعر .

تعلمت ايزادورا الرقص من محاكاة أمواج البحر ، إذ ولدت على شاطئه في سان فرانسيسكو ، ثم زارت بلاد الاغريق ، وتأملت تماثيلهم ، مما خلفوا من صور على أوانى الفخار ، واخيرا احبت الطبيعة وأولعت بجمال حركاتها كما تسقطتها فى حفيف الأشجار وتغريد الطيور وخرير المياه كل ذلك إلى موجات هي عندها العنصر الأول للرقص .

واستجابت الجماهير لنظرتها الفنية فسيطرت عليها الراقصة الجميلة سيطرة أوحت الى الكثيرين من النقاد والكتاب والشعراء والفنانين بالتعصب لها ، والانتصار لفنها فى المعركة الضروس التى خاضتها ضد الكلاسيكيين ، الذين كانوا يظنون أن فى استطاعتهم أن يطامنوا من نجاحها عندما كانوا يرمونهـــــا بانهـــــا رومانتيكية النزعة .

أما « بولين بونابرت » التى خلدت فى



مدام ريكامييـــــه ... المـــرأة الرائعـــة الجمـــال التى خلـــف لنـــــا المصـــوران « دافيـــد » و « جيـــــرار » لوحـــــات خالـــــدة لملامحهــــا

التاريخ باسم اميرة بورجيز ودوقة جاستالا ، فلم يكن خلودها لأثر احدثته فى الرجال الذين اتصلت حياتها بحياتهم ، فانها وإن تكن قد تزوجت في الحادية والعشرين من عمرها بقائد نابه من قواد نابليون هو الجنرال « لكلير » فى سنة ١٨٠١ - إلا أن زوجها لم يكـــد يهـــزم البرتغاليين ، ويستولى على جزيرة سان دومنج فى ثلاثة أشهر ، حتى أصيب بالحمى الصفراء ، فعادت بولين وحدها أرملة بعد أشهر من زواجها ، وإذا كانت قـد تزوجت بعد ذلك بقليل من دوق بورجيز - رأس الأسرة الرومانية الشهيرة بهذا الاسم - فقد كان هذا الزواج غير موفق ، وإن يكن قد ترتب عليه انضمام زوجها الى الحزب الفرنسى ، والى الحرس القنصلي ، ثم حكمه هو وزوجته لامارة جاستالا ، ثم ولاية بيمونتى فى المدة التى اصبحت فيها تلك الولاية فرنسية ، أي من سنة ١٨٠٧ الى سنة ١٨١٤ .

وأما تاثيرها فى « نابليون » أخيها الخالد الذكر فلا يكاد يذكر ، وذلك لانها لم تلازمه إلا فى الفترة التى قضاها منفياً بجزيرة إلبا . وكل ما يروى من تاريخها عن تلك الفترة هو اصلاحها للعلاقة بين أخيها وبين « ميرا » زعيم الثورة المعروف ، تمهيداً لعودة نابليون ، تلك العودة التى لم تلبث أن انتهت بكارثة « واترلو » وأفول نجم ذلك الامبراطور العظيم .

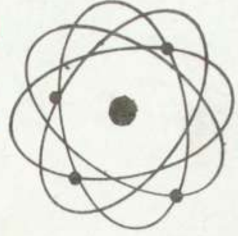
لم يكن لبولين بونابرت إذن أثر واضح فى الرجال ، لأنها لم تـوح لأحد بعاطفة دافعة أو حب منتج ، وإنما كانت بولين تمثالا رائعا للجمال والجانب الأكبر من شهرتها كامرأة يرجع - بنوع خاص - الى اشراق هذا الجمال من جهة ، والى سهولة أخلاقها من جهة اخرى ، وذلك فى مجالس باريس وروما ، حيث كانت تتردد بالرغم من زواجها بدوق بورجيز الذى انفصلت عنه نهائياً سنة ١٨١٥ وانقضت المدة الباقية من حياتها فى فلورنسا حيث توفيت سنة ١٨٢٥ .

لقد كانت بولين إذن تمثالا رائعاً للجمال وقد بددت سحر هذا الجمال بين الرجال . وتلك هي الفكرة التى أوحت بها الى المثال العظيم كانوفا فنحت لها هذا التمثال الرائع الذى يراه القراء مع هذا المقال .

● ● ●

والآن ، وقد استعرضنا بعض العناصر المتشابكة المتفاعلة من تاريخ الجمال والجميلات وسر شهرتهن الباقية على مـر الزمن ، وما كان لأولئك الجميلات من تاثير فى الأفراد والجماهير ، نستطيع أن نطمئن الى صحة ذلك البيت الخالد الذى قالــــه « كيتس » : « الشيء الجميل بهجة أبدية » وذلك لأن الجمال ، وإن تسبب فى بعض الآلام ، إلا أنها آلام قلما كانت عقيمة ، فكم من مرة تفجرت عن انبل الأعمال وأجمل الشعر وأروع اللوحات وأرق نغمات الموسيقى .

د . محمد مندور



# العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

## قلادة الحياة

ابتكرت إحدى الشركات الأمريكية سجلا طبياً على شكل قلادة يحملها المريض معه اينما ذهب. وهو عبارة عن اسطوانة طولها نصف بوصة مزودة عند طرفيها بعدسة مكبرة بينما تضم داخلها ميكروفيلم مسجل عليه تفاصيل الحالة الصحية للمريض بحيث يستطيع طبيب الطوارىء اتخاذ القرار المناسب فى حالة تعرض المريض لازمات مفاجئة.

ويضم هذا السجل المبتكر الذى يمكن وضعه فى سلسلة حول العنق بعض المعلومات الشخصية مثل اسم المريض وسنه وعنوانه واسم الطبيب المعالج بالاضافة الى المعلومات الطبية الحيوية مثل نوع المرض الذى يعاني منه الشخص والأدوية التى يتناولها موضحا جرعة كل منها وحالة ضغط الدم وفصيلته.

كما يذكر السجل إذا كان المريض يعاني من حساسية معينة تجاه انواع من الأدوية مثل البنسلين او السلفا. الخ ..

وقد يضم السجل ايضاً معلومات اضافية كان يذكر استخدام المريض لعدسات لاصقة او درجة تجلط الدم إذا كان ممن يعانون من خطر سيولة الدم.

وبذلك يستطيع طبيب الطوارىء بمجرد النظر من خلال عدسة هذه القلادة معرفة كل المعلومات اللازمة لانقاذ المريض والتى قد تتوقف عليها حياته.

## جهاز الفيديو يتحاور مع المشاهد

لم يعد جهاز الفيديو مجرد جهاز تسجيل واسترجاع للصورة والصوت. فلقد اصبح مزوداً بنظم متطورة من التوجيه عن بعد وبرمجة تسجيلات الارسال التليفزيوني والبحث عن محطات الارسال مما قد يجعل عملية تشغيلة عملية معقدة بعض الشيء.

ولكن لا داعي للقلق فجهاز الفيديو الجديد يتحاور مع صاحبه موضحا له طريقة عمل اجهزة الضبط المختلفة والمفتاح الذى عليه استخدامه فى كل مرة. فهو يكتب على الشاشة كل وظائف واوامر التشغيل، بل وطريقة تعديل الأوامر او حتى الغائه.

كما انه يساعد المشاهد على التاكد من عناصر العمل الذى يبرمجه، فتظهر على الشاشة التعليمات الذى حددها لعملية التسجيل بحيث يمكنه مراجعتها قبل رقم الأسبوع، واليوم، وساعة التسجيل لكي يقوم الجهاز بالتسجيل اوتوماتيكياً، بالاضافة الى اسم القناة التى سوف تبث الارسال وساعة انتهاء البرنامج.

ويتمتع هذا الجهاز الحديث بجميع المميزات التقليدية الأخرى مثل البرمجة على مدى اربعة أسابيع ولتسع برامج تلفزيونية مختلفة، والبحث الاوتوماتيكي عن ١٦ محطة ارسال، فضلا عن التحكم عن بعد باستخدام الأشعة تحت الحمراء.

## جهاز يغنى عن اليوجا



فى هذا العصر يعاني اغلبية الناس من التوتر العصبي فيلجا البعض الى ممارسة اليوجا او انواع اخرى من رياضة التامل فى محاولة لتخفيف التوتر ووصولا الى الهدوء النفسي والصفاء الذهني المنشودين

إلا ان هذه الوسائل لا تناسب أماكن العمل وهي التى يحتاج فيها الشخص عادة الى مثل هذا الهدوء والصفاء. ولذلك فكر العلماء فى انتاج جهاز يحقق ذلك اطلق عليه اسم «رياضة روحية» وهو لا يحتاج الى تدريب او تعليمات معينة، فهو عبارة عن جهاز صغير يولد نماذج من الأصوات كفيلة بازالة اي توتر. فما على الشخص سوى أن يضع سماعات الجهاز على أذنيه ويستمع لمدة عشر دقائق لدورة من الأصوات الالكترونية تبدأ باشارات صوتية عالية تخف تدريجياً الى ان تصبح ناعمة مثل صوت المطر.

اما بالنسبة لمن يعانون من الأرق فان هذا الجهاز يساعدهم على النوم، إذ لا تسبب سماعاته الصغيرة أية درجة من الازعاج بحيث يمكن الاحتفاظ بها طوال الليل.

## « ربوت »
## يسمع ويرى ويتكلم :

بالرغم من تاكيد الخبراء على أن «الربوت» لا يشبه الانسان ، وبالتالي فان تسميته بالانسان الآلي ليست بالتسمية الصحيحة فان اليابان تقدم إنساناً آلياً ارتفاعه متر ومزود بذراعين وساقين . كما انه يسمع ويطيع الأوامر التى يصدرها له الانسان شفوياً ، بل ويتحاور معه بصوت الكتروني خاص بالاضافة الى تمتعه بنعمة البصر .

وعيون هذا الربوت عبارة عن زوج من المرايا التى تعمل بالكومبيوتر وتدور معاً للتركيز على الأشياء التى يقابلها فى مساره بينما تنقل الألياف الضوئية الرؤية الى شاشة فيديو لمراقبة حركته .

وتميز عيون الربوت الطريق حول المصنع بتتبع علامات على الأرض فى حين يقوم نظام للرادار بتحذير هذا الانسان الآلي من التصادم مع اي جسم أو شخص فى طريقه .

كما يستطيع حتى الآن التعرف على ٤٨ امراً مختلفاً ، فعندما يصدر إليه أمر معين كان يتقدم الى الامام او يلتقط شيئاً بالذات فانه ينفذ الأمر على الفور . إلا انه قد يتوقف فى منتصف الطريق ليقول « لا أستطيع التقدم .. هناك عائق امامي .. احتاج الى امر جديد » . ولذلك يعتبره اليابانيون أول ربوت ذكي في العالم ، ومن المتوقع انضمامه الى القوى العاملة فى المصانع اليابانية بعد عامين .






## كاميرا فيديو تحت المـاء :

نجحت كاميرات الفيديو فى الغوص فى اعماق البحار لتنقل لنا صورة حية لهذا العالم العجيب . فالكاميرا الجديدة تستطيع التصوير على عمق مائتي قدم تحت سطح الماء ..

وهي مزودة بميكروفون لالتقاط وتسجيل الأصوات فى قاع البحر . ولا تحتاج هذه الكاميرا من الغواص إلا الضغط على زرار لكي تسجل كل شيء اوتوماتيكيا ، كما تتيح له تصوير لقطات عن قرب ، والتركيز على ادق التفاصيل . وهي تضم مصباحاً للأعماق للقيام بدور الفلاش فى حالة عدم توفر كمية كافية من الضوء .

ولقد روعى أن تكون مادة هذه الكاميرا مقاومة للماء . وسوف يتم طرحها فى الأسواق مع بداية العام القادم .

## نسيج يشفى الجروح :

قد يحدث ظهور الجيل الثالث من منتجات النسيج تغييراً لأسلوب حياتنا خلال السنوات المقبلة .

ويقصد بالجيل الأول النسيج الطبيعي من صوف وقطن وحرير .. الخ . بينما الجيل الثاني هو جيل النسيج الصناعي مثل النايلون والبوليستر ، أما النسيج الذى يتميز بصفات بيولوجية فهو يمثل الجيل الثالث .

ويعتمد هذا النوع من النسيج على مكونات من الجيلين السابقين ، تم تطعيمها بجزيئات خاصة مثلما يحدث بالنسبة لتطعيم الأشجار ، اي بان جعل الباحثون هذه الجزيئات الخاصة تنمو عليها . وبذلك نتج نسيج ذو مواصفات فذة ، فهو مضاد للماء بمعنى انه لا يسمح بنفاذ الماء ، ولكنه يسمح فى الوقت نفسه بنفاذ الهواء . كما انه مطهر ومبيد لأنواع عديدة من البكتريا ، بل ومعالج أيضاً .

ومن ثم ، فان ارتداء قميص أو سروال من هذا النسيج كفيل بان يشفى الجروح والالتهابات .

وفى اليابان تلقى الجوارب المصنوعة من خيوط النايلون والمعالجة بمواد مطهرة لازالة الروائح الكريهة رواجاً منقطع النظير ، إذ تمتزج المواد المطهرة بخيوط النايلون وتظل ملتصقة بها حتى بعد أن يبلى الجورب .



# المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في أفلام مثيرة

## سينما.. ماوراء السينما

نور الشريف يتقمص شخصية يوسف شاهين فى فيلم باب الحديد .




بقلم : رؤوف توفيق

إذا كانت مشاهدة الأفلام ، متعة لها سحرها الخاص ، الذى لم تفقده على مر السنين .. فان صناعة الأفلام فى حد ذاتها عملية أكثر متعة ، وأكثر غموضاً للذين وهبوا حياتهم لهذا الفن ..

فقد أصبح التغلب على مشاكل التنفيذ .. والوصول الى تحقيق الحلم الذى تصوره المخرج فى فيلمه .. مسالة تزداد تعقيداً كل يوم ، وتتطلب من المخرج قدراً هائلا من الحكمة والوعي والصبر كي يمكنه التوفيق بين كل الأطراف المتضاربة .. والنجاة بفيلمه – وبنفسه أيضاً – من هوة التنازلات .. والاستسلام القاتل للقوى الضاغطة . لهذا أصبحت عملية اخراج الأفلام ليست مرهونة فقط بقدرة المخرج على الخلق والابداع الفني بل أيضاً مرهونة على قدرته في حل المشكلات الاقتصادية التى تتعرض لها صناعة السينما ككل .. وأيضاً على براعة فى الافلات من ضغط المؤسسات السياسية ، والمحاولات المستمرة للوي ذراعه والرضوخ لأفكارهم ، ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد .. بل أصبح على المخرج أن يكون أيضاً طبيباً نفسياً ، لكي يستطيع أن يتعامل مع النجوم والممثلين .. يذيب الخلافات التى تنشأ أثناء العمل ، وقد يكون سببها الغيرة الفنية ، أو الاحساس بالتفرقة فى الاهتمام والرعاية .. بالاضافة الى مسالة تشتت الممثلين بين أكثر من عمل فى وقت واحد .. مما يجعل مهمة المخرج فى اصلاح هذا الخلل النفسى ، وتهدئة الأعصاب المتوترة ، والمزاج المتعكر .. مهمة أكثر صعوبة من اصلاح أي خلل طاريء فى المعدات والأجهزة والمعامل !

فالتعامل مع البشر .. أكثر تعقيداً من التعامل مع الآلات .. خصوصاً إذا كانت نوعية هؤلاء البشر من فئة الفنانين ، أو رجال المال الذين يتحكمون فى صناعة السينما ككل !! .

### الكواليس والاثارة

ومن هنا .. كان ما يحدث وراء كواليس السينما ، وأثناء الاعداد لاخراج الأفلام .. مادة مثيرة للانتباه ، وغنية بالتفاصيل الغريبة ، ربما أكثر من موضوعات الأفلام نفسها .. ولهذا فكر بعض المخرجين فى تحويل هذه التجارب والمعاناة ، الى أفلام تحكي عما يدور خلف الستار !

وظهرت أفلام كثيرة عن الحياة الخاصة للممثلين .. وعن متاعب المخرجين .. وعالم شركات الانتاج .. ومراحل العثور على فكرة وبناء السيناريو والتعديلات الكثيرة التى تتم لارضاء كافة الأطراف .. وما يصاحب كل هذا من حالات انهيار عصبي أو مادي .. أو نشوة الفرح وتحقيق حلم الشهرة والمجد . !

### أربعة أفلام هامة

وفى هذا العام فقط .. شهدت السينما العالمية ، أربعة أفلام هامة تدور

لقطة من فيلم عاطفة الذى قدمه المخرج جان لوك جودار وفاز بجائزة التصوير .



المخرج يوسف شاهين الذى اهتم النقاد بفيلمه « حدوتة مصرية » فى مهرجان فينيسيا الدولي

موضوعاتها داخل كواليس السينما .. وعرضت تلك الأفلام الأربعة فى أكبر مهرجانين للسينما .. وفاز ثلاثة منها بجوائز متميزة ! .

ففي مهرجان « فينسيا » السينمائي الدولي ، الذى عقد فى الأيام الأولى من شهر سبتمبر الماضى ، محتفلا بمرور خمسين عاماً على انشائه .. أعطى جائزته الكبرى ( الأسد الذهبي ) للمخرج الألماني الشاب « فيم فاندرز » عن فيلمه « حالة الأشياء » الذى يحكي فيه عن حالة صناعة السينما الآن ..

وفى نفس المهرجان ، دخل مسابقته الرسمية الفيلم المصري « حدوتة مصرية » للمخرج يوسف شاهين ، الذى يحكي فيه عن تجربته مع السينما والمهرجانات .. وأثار الفيلم ردود فعل قوية .. واهتم به النقاد العالميون ، وافاضت الصحف الايطالية فى الحديث عنه .. وعن ممثله الأول « نور الشريف » .. ورشحوه لجائزة أحسن ممثل .. وخرج الفيلم من المهرجان بلا جائزة وإن كان قد ترك انطباعاً مؤثراً لدى جميع من شاهدوه ..

وشهد مهرجان كان السينمائي الدولي – النصف الثاني من مايو هذا العام – فيلمين لاثنين من أكبر مخرجي السينما العالمية المخرج الايطالي « مايكل أنجلو أنطونيوني » وفيلمه « التعرف على امرأة » الذى اختار أن يكون بطل موضوعه ، مخرجاً سينمائياً يعيش فى روما .. وكما يقول « أنطونيوني » عن النموذج الذى اختاره فى فيلمه : « إنه يبحث عن امرأة .. ليست امرأة نموذجية .. ولكنها وجه نسائي متميز ليلعب بطولة فيلمه .. وأفكاره مازالت مضطربة وغير واضحة .. وفى أثناء بحثه يتعرف على نموذجين مختلفين من النساء .. مما يزيد الاضطراب فى تفكيره .. حيث انه من السهل أن تحول الحقيقة الى خيال .. ولكن من الصعب أن تحول الخيال الى حقيقة .. فهناك دائماً بالنسبة لهذا المخرج صراع بين نفسه وبين المرأة التى اختارها .. وصراع بين نفسه وخياله .. وصراع بين نفسه وحياته ككل .. وهذا هو أساس الفيلم » .

وعندما سألوه هل هذا النموذج للمخرج فى فيلمك .. يشبه لك فى بعض أفكاره ؟ .. هز المخرج « أنطونيوني » رأسه موافقاً وقال بثقة واضحة : « بلاشك يشبهني أحياناً » .

وقد أراد أنطونيوني أن يجعل فيلمه رحلة نفسية داخل المخرج .. أفكاره ..

# المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في أفلام مثيرة




( على اليمين ) المخرج الأمريكي « نيكولاس راي » مع المخرج « فاندرز » أثناء تصوير فيلم « اضواء على المياه »

شكوكه .. قلقه .. خوفه .. وقد فاز الفيلم بجائزة المهرجان الخامس والثلاثين .. وذكرت لجنة التحكيم فى بيان جوائزها .. أن المخرج « انطونيوني » قد استحق الجائزة « لروح البحث والمعاصرة الدائمة لمجموع أعماله » .

وفى نفس المهرجان أيضاً .. قدم المخرج الفرنسى « جان لوك جودار » فيلم « عاطفة » .. واختار أيضاً أن يكون بطل موضوعه مخرجاً سينمائياً بولندياً يصور فيلماً فى سويسرا ، مستلهماً من لوحات المتاحف ، تشكيلات بشرية تعيد من خلال التطابق الشديد فى الشكل والملابس والديكور ، نفس موضوعات اللوحات القديمة .. وفى نفس الوقت الذى يستعرض فيه مشاكل التصوير .. ومشاكل اقامة بعثة الفيلم داخل أحد الفنادق .. يربط الفيلم بين علاقة ممثلة بزوجها .. وعلاقة زوجها بالمصنع الذى يديره .. وعلاقة إحدى عاملات المصنع بالمخرج البولندى بطل الفيلم .. وتتشابك كل العلاقات لينتهي الفيلم .. وكل المشاكل معلقة بلا حل .. فتصوير الفيلم لا يتم .. والممثلة تنفصل عن زوجها . واضراب المصنع لا يصل الى نتيجة .. وكأن كل شيء بلا نهاية .. والعرض مستمر !!

وليس من السهل تحليل مغزى الفيلم .. فالمخرج « جودار » لا يحب النتائج المحددة .. ويهوى تعقيد الأمور بالنسبة للمتفرج ، كأنه يضعه فى امتحان عسير .. وقد فاز الفيلم بجائزة التصوير « للمصوّر راءول كوتار » وهي الجائزة الكبرى التى أعطتها اللجنة الفنية العليا للسينما الفرنسية .

## تحدى الانتظار

نعود الى مهرجان فينيسيا الأخير .. وسينما ما وراء السينما .. !

فالمخرج الألماني « فيم فاندرز » عمره الآن ٣٦ عاماً .. ويعتبر من أهم مخرجي السينما الألمانية الجديدة .. عاشق حقيقي للسينما .. عنده اصرار قوى للتغلب على كل مشكلات العمل بل وتحويل هذه المشكلات الى فن يستمتع به الجمهور !

ففى السنوات الأخيرة – وبالتحديد منذ أربعة أعوام ونصف – دخل فى مشروع اخراج فيلم بعنوان « هاميت » .

« وهاميت » كان مخبراً بوليسياً لعدة سنوات .. ثم بدأ يكتب القصص البوليسية فى مجلة « بيبول » ويتقاضى أجره بالكلمة .. وتدور أحداث الفيلم عام ١٩٢٨ .. و «هاميت» مازال كاتباً غير معروف .. كل أمنيته أن يعود مرة أخرى الى عمله كمخبر بوليسي .. والفيلم يبدأ بفكرة خيالية عندما تقتحم مكتبه إحدى شخصيات قصصه البوليسية لتناقشه فيما يكتب ، وتورطه فى جريمة ، ويجد نفسه مدفوعاً للعودة الى عمله الأصلى كمخبر تحيط به كل الشخصيات الخيالية التى خلقها فى قصصه .

والفيلم يخرج عن نطاق تسجيل حياة لكاتب ، يعتبر أول من بشر بالرواية البوليسية .. ليصبح الفيلم رؤية خيالية بين الكاتب وشخصياته .. وعندما تتحول السطور المكتوبة إلى لحم ودم .. ويحدث الصراع بين فكر ودهاء تلك الشخصيات في مواجهة دهاء المؤلف !

وقد تعرض هذا الفيلم الى مشاكل كثيرة فى التنفيذ .. ربما أهمها مشكلة البحث عن التمويل اللازم .. وتغير كاتب السيناريو أكثر من مرة مع تغير الجهة التى تعرض التمويل .. ولكن بقى المخرج « فيم فاندرز » مصمماً على اخراج الفيلم بالصورة التى يحلم بها .. حتى انقذه أخيراً المنتج المخرج الأمريكي اللامع « فرانسيس كوبولا » الذى عرض القيام بتمويل وانتاج الفيلم .. إيماناً منه بعبقرية صديقه المخرج الألماني ، وتشجيعاً له على الاستمرار ! .

وبالفعل تم تنفيذ الفيلم – بعد مرور أربعة أعوام ونصف من الانتظار والقلق – وعرض الفيلم فى المسابقة الرسمية لمهرجان كان هذا العام .. وقوبل بترحيب شديد ، واعتبره النقاد واحداً من أهم الأفلام التى عرضت بالمهرجان .. ولكن لم

محمد منير .. اكتشاف مذهل فى التمثيل .. وهو صاحب صوت مميز فى أغنية البداية والنهاية لفيلم « حدوتة مصرية »

المخرج « فاندرز » والجائزة الكبرى فى مهرجان فينيسيا

يحصل الفيلم على أية جائزة .!

اشير تماماً فى شخصية المخرج الألماني الشاب « فيم فاندرز » انه استغل فترة تريثه عن العمل فى الفيلم .. فى اخراج فيلمين اخرين على جانب كبير من الأهمية.

## مخرج يواجه الموت

الفيلم الأول « أضواء على الحياة » – عام ٨٠ – يعرض فيه تجربة سينمائية فريدة فى نوعها .. حيث نعيش ما يقرب من الساعتين – مدة عرض الفيلم – مع الأيام الأخيرة للمخـــرج الأمريكي الكبيـــر « نيكولاس راي » وهو يصارع السرطان الذى انتشر فى جسده .. مستسلماً بارادته الكاملة ، وبحب حقيقي أمام كاميرات وأجهزة الصوت التى وزعها المخرج الألماني « فاندرز » فى أرجاء المنزل الذى يقيم فيه .. ليسجل تفاصيل مواجهة الموت وآخر ما يفكر فيه المخرج الأمريكي .

ويحكي المخرج الألماني « فاندرز » عن بداية العمل فى هذا الفيلم فيقول :

« فى عام ٧٨ وبدايات ٧٩ .. أجريت لنيكولاس ثلاث عمليات جراحية .. بعد أن تسلل السرطان من الرئة الى المخ .. وذهبت لزيارته عدة مرات فى المستشفى .. ولقد كانت مفاجأة لي أن أراه وهو يقاوم المرض بشجاعة .. ويحاول أن يحتفظ بتألقه ، وقد كان ذكياً ، ملحاً ، شجاعاً كما كان دائماً .. ولكن كان واضحاً أنه لا يقوي على صنع أفلام أخرى .. وفى محادثة تليفونية معه جاءت فكرة أن نخرج فيلماً سوياً .. وبدأ كل منا يعمل فى موضوع مختلف .. ولكن ذات يوم بدأنا العمل فعلا .. خارج نطاق الحزن ، وبلا أي سيناريو جاهز ، وأيضاً بلا نقود !!

فى ذلك اليوم صحبت نيكولاس الى كلية فاسر فى نيويورك ، حيث دعي لالقاء محاضرة .. وعندما بدأ التصوير كان واضحاً أنه سيكون فيلماً تسجيلياً .. ولكن فى اليوم التالي قررنا أن يكون الفيلم روائياً .. وبدأنا الفيلم من خلال مناقشاتنا .. أن يكون الفيلم عنا نحن الاثنين .. وعدت مرة أخرى الى كلية فاسر وأعدت التصوير ، لم أصور المحاضرة .. ولكن ما حدث فى القاعة فى ذلك اليوم خلال المحاضرة ..

وكانت هذه هي البداية .. وهكذا أصبح الفيلم عن صانعي الأفلام .. ومع التدهور السريع فى صحة نيكولاس .. تحول الفيلم الى ( رؤية لانسان يحاول أن يجمع شتات نفسه قبل أن يموت ) كما قال نيكولاس عن نفسه فى الفيلم .. أما بالنسبة لي .. فلم أكن أشعر إلا برغبة نيكولاس واحتياجه للفيلم .. لكي يساعده على الموت !

وهكذا كان الفيلم .. لم يكن الفيلم حول موضوع .. ولكن الفيلم كان هو الحياة والموت » !!

هذا ما قاله المخرج الألماني « فاندرز » عن ظروف العمل بالفيلم .. وقد أتيح لي أن أشاهد ذلك الفيلم فى مهرجان كان ٨٠ .. وأعترف انه منذ اللحظة الأولى لبداية عرض الفيلم .. أصابني نوع من الانبهار لأسلوب تنفيذ المشاهد ، وتلقائيتها البارعة .. وبالتدريج تحول الانبهار الى شعور عميق بالمشاركة .. فالموضوع قريب من القلب ، وهذا المريض الذى يصارع الموت .. هو فى النهاية شخص نعرفه مر بهذه التجربة ولم نشعر به .. أو نقترب منه مثل هذا الاقتراب الحميم الذى صنعه الفيلم !

والمفاجأة الحقيقية هو فى الفيلم ذاته .. حيث لا ممثلين على الاطلاق .. فالمخرج الألماني الشاب يلعب دوره الحقيقي فى اخراج هذا الفيلم .. والمخرج الأمريكي العجوز .. هو المريض الذى يواجه الموت .. وهو الشريك أيضاً فى اخراج الفيلم .. واخراجه من حيث إنه يصنع نفسه تماماً بين المصورين ومسجلي الصوت وفناني المونتاج الذين يظهرون بشخصياتهم الحقيقية وهم يؤدون عملهم .. ويتناقشون فى التفاصيل .. والمريض يشترك معهم فى المناقشات وتحديد الزوايا للتصوير .. واختيار أفضل اللقطات التى صورت !!

والحوار تلقائي غير معد على الاطلاق .. فلا شيء جاهز قبل التصوير .. إنما العمل يتم لحظة بلحظة .. فكيف يمكن إعداد خطة عمل لانتظار الموت .. إن الموت قد يأتي فى أية حركة .. ومع أي نزيف مفاجيء ..

ويأخذ الفيلم فترة زمنية من ٨ ابريل ٧٩ الى ١٦ يونيو ٧٩ حيث مات « نيكولاس راي ».

ويتخلل مشاهد الفيلم .. لقطات لمركب صغير ، لا يركبه أحد .. يتهادى فى مياه نهر هدسون بخليج فرانسيسكو .. والمركب يتماوج تحت أشعة الشمس التى تسقط على المياه .. فتعكس أضواءها ..

إن هذا المركب .. هو الحلم الذى طالما تمناه المخرج الأمريكي « نيكولاس راي » ليبحر به الى الصين ليكتشف الأعشاب السحرية التى تشفى السرطان !

وينتهي الفيلم بمشهد المركب يتهادى فوق المياه المتلألئة بضوء الشمس .. ولكن فى هذه المرة ، يحمل المركب آلة تصوير سينمائي .. وآلة مونتاج .. ومجموعة من شرائط الأفلام تتطاير فى الهواء .. والمركب يمضي فوق المياه يبتعد الى الأعماق !



لقطة من فيلم « هاميت » الذى استغرق اعداده أربع سنوات ونصف .



المخرج الفرنسي « جاك لوك جودار » أثناء تصوير فيلم « عاطفة » مع الممثلة « هان شيجولا »




# المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في أفلام مثيرة


لقطة من فيلم التعرف على امرأة


إحدى شخصيات « هاميث »


الممثلون يحاولون تقليد التشكيل المرسوم فى احدى اللوحات بالمتحف ( فيلم عاطفة ) .

ومن هذا المشهد الرمزي الذى يعبر عن رحلة هذا الفنان الأمريكي فى الحياة والفن .. جاء عنوان الفيلم « اضواء على المياه » !

## حالة الأشياء

أما الفيلم الثاني الذى أخرجه « فيم فاندرز » فى سنوات الانتظار حتى يتم مشروعه « هاميت » .. هو فيلم « حالة الأشياء» الذى فاز أخيراً بالجائزة الكبرى لمهرجان فينيسيا السينمائي .

وقد تم تصوير هذا الفيلم فى البرتغال .. بدون سيناريو مسبق .. بل كان الفيلم يكتب يوماً بيوم كما يقول المخرج .

الموضوع عن السينما .. أو حالة السينما الآن .. وبالذات السينما الأمريكية .. حيث تتضخم المشاكل وراء الكواليس عن ميزانيات الأفلام وطرق التمويل واصرار بعض المخرجين على تصوير أفلامهم بالأبيض والأسود احتجاجاً على معامل الأفلام الملونة بعد اكتشاف تغير الألوان مع مرور الزمن .. وإيماناً منهم أيضاً بأن الأبيض والأسود يعطى امكانيات أكبر فى التصوير .

وقد تم بالفعل تصوير فيلم « حالة الأشياء » بالأبيض والأسود .. وفى زمن قياسي وصل الى عشرين يوماً فقط .. ومن خلال حصيلة ما تم تصويره بدأ توليف الفيلم .. وكما يقول المخرج « فاندرز » :

« إنه فيلم عن السينما .. وعن بعض تجاربي فى هوليود .. إنه ليس فيلماً خاصاً عن متاعبي فى صنع فيلم هاميت .. بل هو فيلم عن التجربة الأمريكية فى السينما » .

ويقول أيضاً : « إن تصوير فيلم حالة الأشياء بدون سيناريو .. سهل لنا الكثير من صعوبة العمل بعد ذلك فى فيلم هاميت .. حيث أتيحت لي فرصة اعادة التعرف على نفسي والتأكد من قدرتي على تحويل أفكاري الكثيرة الى افلام سينمائية رغم نظم التصوير المعقدة فى الاستوديو » !

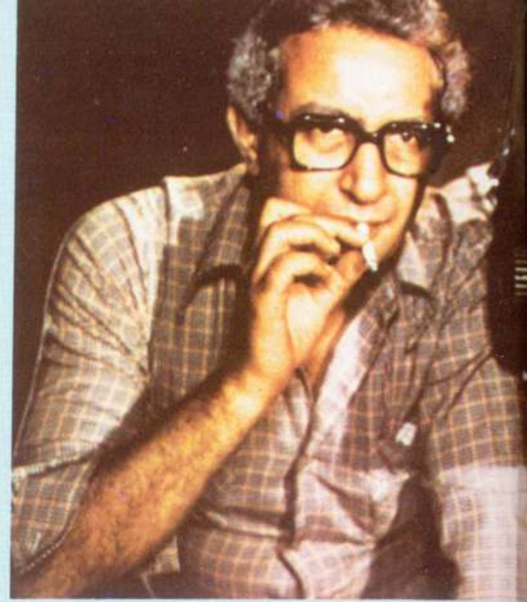
وقد علق بعض النقاد على قرار لجنة تحكيم مهرجان فينيسيا السينمائي بمنح فيلم « حالة الأشياء » الجائزة الكبرى بأنه قرار من أشخاص يعانون نفس المشاكل فى السينما . والمعروف أن لجنة التحكيم ضمت سبعة من كبار مخرجي السينما العالمية .

## يوسف شاهين والسينما

وفى مهرجان فينيسيا .. برز فيلم حدوتة مصرية للمخرج يوسف شاهين .. الذى اختار أن يستكمل مسيرته الذاتية بعد فيلم « أسكندرية .. ليه » .. ليبدأ فيلمه الجديد بلحظة الألم التى شعر بها يوسف شاهين أثناء اخراجه لفيلم « العصفور » .. وأكتشافه فيما بعد انه مصاب بالقلب ، وعليه أن يجرى جراحة عاجلة لاستبدال الصمامات التالفة .. وفى هذه اللحظات الحاسمة بين الحياة والموت .. يستعيد المخرج طفولته .. ويخضع لمحاكمة شاملة يقيمها الطفل الكامن فى أعماقه .. ومن خلال هذه المحاكمة .. يستعرض المخرج علاقاته مع والديه .. ومع زوجته .. وشقيقته .. وأحلامه الطموحة فى السينما من غزو هوليود .. الى غزو المهرجانات



نور الشريف مع يسرا وهو يحزم حقائبه للسفر لإجراء الجراحة



نور الشريف يمثل دور يوسف شاهين كمخرج



المخرج « انطونيوني » اثناء تصوير فيلم « التعرف على امراة »

السينمائية الكبرى .. الى قناعة خاصة بان هذه المهرجانات لعبة سياسية .. تدعمها الاتصالات والدعاية الباهظة ورصيد هائل من الأموال .. ويوسف شاهين فى هذا الفيلم .. يبدو فى افضل حالاته .. جريئاً كعادته .. متميزاً بأسلوبه الخاص ..

وأيضاً مرتب التفكير لا يقفز فوق التفاصيل .. ولا يدمجها فى تشويش .. بل يتوقف امامها بالتامل والحكمة والسخرية .

ولقد كانت سخريته شديدة المرارة .. شديدة الصدق فى نفس الوقت .. إنه يعترف فى إحدى مراحل حياته بعدم وعيه السياسي الذى يصل الى درجة الأمية ..

ولكنه بدأ يدرك الحقائق وينضج على نار حادثة دفع ثمنها سنوات من عمره .. ورأى احلامه تجهض بشراسة .. وتحمل كل هذا اعصاب تحترق يوماً بعد يوم .. وقلب ينوء بالاجهاد والقلق ..

وقصة الفيلم كتبها الروائي المتفجر دائماً بالحيوية والشجاعة الدكتور يوسف ادريس بعنوان « انا القاتل » .. وقد استلهم المخرج يوسف شاهين فكرة القصة ليلبسها حياته الشخصية وتجربته فى السينما .

ومن خلال جلسات مناقشة طويلة بين الدكتور يوسف ادريس والمخرج يوسف شاهين .. تبلور خط الفيلم .. فكلاهما خضع لجراحة دقيقة فى القلب .. وتعرض للحد الفاصل بين الحياة والموت .. وكلاهما يعرف كيف يستثمر هذه التجربة فنياً ..!

ولاشك أن اجتماع هاتين القمتين الفنيتين .. اثمر هذا العمل الممتع والمشرف للسينما المصرية .

واختار يوسف شاهين ممثليه بعناية شديدة .. ووضعهم فى قلب الحدث ، وراقب انفعالاتهم بحنكة المخرج المجرب .. فأعطوا نموذجاً رائعاً فى فن التعبير ..

لعب الفنان نور الشريف دور يوسف شاهين فى حياته .. أعطى كل ملامح الشخصية دون أن يتحول نور الشريف الى نسخة مكررة .. بل أعطى لمساته الشخصية فى براعة واستاذية .. إنه فنان قدير بلاشك كذلك قدمت سهير البابلي وماجدة الخطيب ويسرا معزوفات بلا نشاز فى لحن مكتمل .

وعلى الجانب الآخر نجد محمود المليجي ومحمد منير وسيف فى مباراة ليس فيها من الحرفية بقدر ما فيها من الصدق والاحساس . لقد جمع يوسف شاهين فى هذا الفيلم عناصر وجبة فنية راقية لها مذاق خاص .. ولكن كما تنبأ فى فيلمه .. وكما يبدو أنه اقتنع بهذا .. أن المهرجانات ليست مقياساً حقيقياً للتنافس فى الفن .. وهكذا خرج يوسف شاهين بلا جائزة .

## أعذب الأصوات

وبالرغم من كل العذابات الصغيرة والكبيرة فى عالم صناعة السينما .. يظل صوت حركة الكاميرا وهي تعمل .. أجمل وأعذب الأصوات للذين وهبوا انفسهم لهذا الفن ..

ومهما كانت المتاعب .. إلا ان السينما لا تتوقف .. ونحن كمتفرجين لا نكف عن الذهاب الى دور العرض .. وهذا سحرها المتجدد .

« رءوف توفيق »



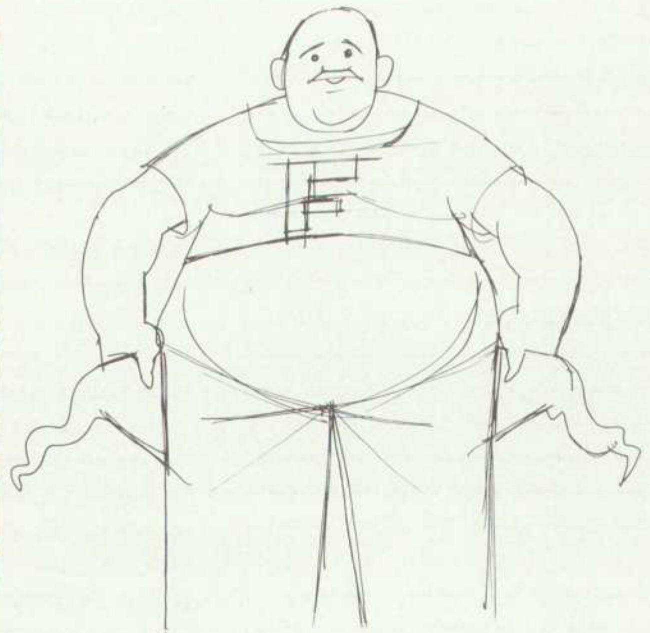
# ضحكات الشهر مع

صلاح الليثي

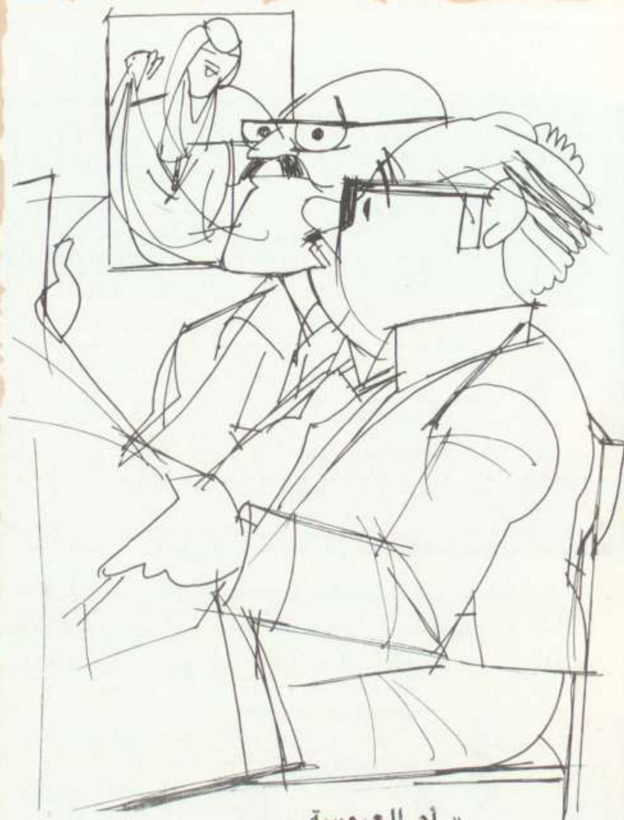


خفير ـ .. مين هناك .. حترد .. ولا أتكلم فى المليان ..؟!



ـ .. المخـــرج عاوز كده .. !!



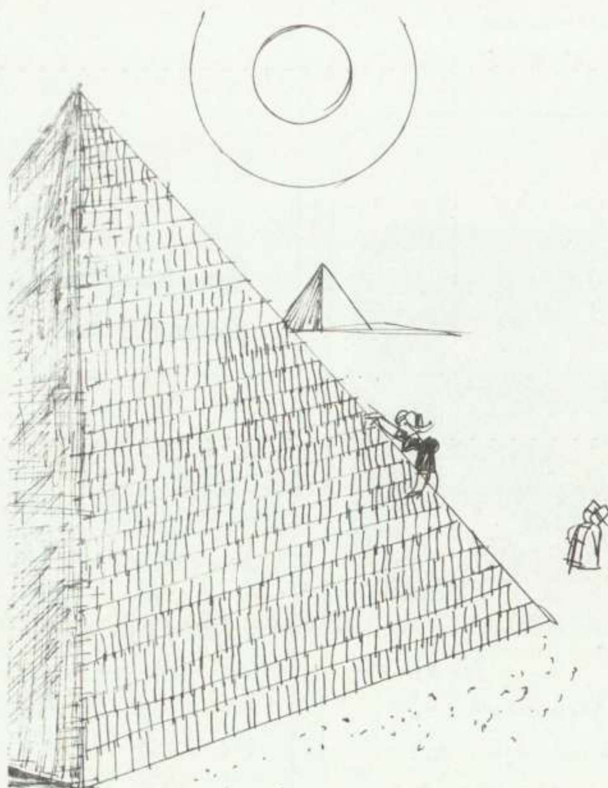
« أم العروسة »
ـ مثل اعلانات الوظائف بالجرائد ...
فاضية ومشغولة .. !!



الست لجوزها ـ .. ٣٠ جنيه مواصلات فى
الشهر .. ليه ؟؟ ... فيليب حبيب .. !!



بدون كلام .. !!



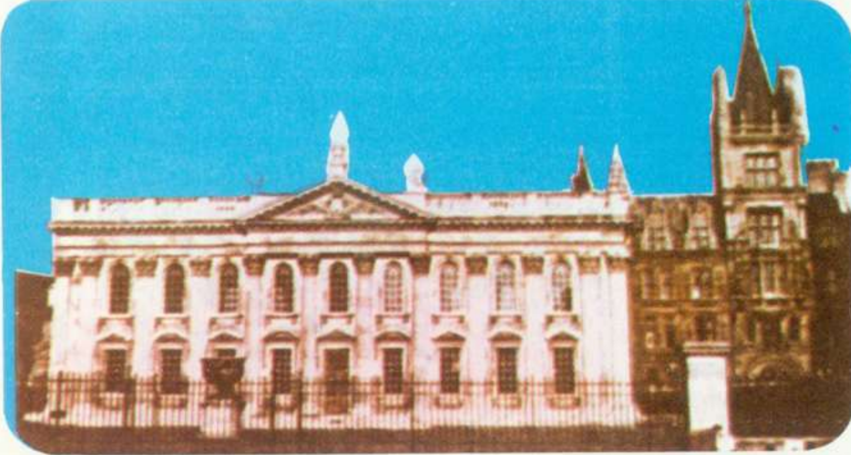
ـ .. «طالعة» القرافة على الأسرة السادسة .. !!



# دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## حاول أن تعرف



جامعة بريطانية تخرج منها كثير من ساسة العالم، أنشئت علم ١٢٨١ ، وتتميز بنظام خاص بمقتضاه يشارك الطلبة فى ادارة كلياتهم ، كما لا تجبرهم على حضور المحاضرات .. وتمنح — درجة بكالوريوس فى الفنون ماسم الجامعة ؟ .



● من أعظم أطباء القرون الوسطى .. جمع بين علوم الطب والكيمياء ، واستخلص الكحول ، أهم مؤلفاته الطب الروحاني ، والحاوي وهو من أعظم كتب الطب التى الفت حتى الآن ، وكتاب « الأسرار فى الكيمياء » .. من هو هذا العالم ؟

## ؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

### حل مسابقة
### حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعـــدد ٨١





**الصورة الأولى :**
جزيرة قبرص وتقع شرق البحر الأبيض
١ — مروان نايف أبو نزابـــه — سوريـــا
٢ — بوميـــه محمـــد — المغـــرب .

**الصورة الثانية :**
الفنان الايطالي روفائيـــل سانزيـــو
١ — منى عبد الخالق نـــدا — مصـــر
٢ — نبيل على البلوشي — الكويـــت

## المفيلسوف الضاحك



لا تكاد أمة تخلو من شخصياتها الأسطورية التى تعيش معها جيلا بعد جيل ، وكل جيل منها يرسم لنفسه صورها كما يتخيلها ، ويكسبها من الملامح النفسية والعقلية ما يجعلها تبدو وكأنها تعيش معه ، وتشعر بمشاعره وتفكر بأسلوب تفكيره ، فهي بالنسبة الى كل جيل صورة لشخصية هذا الجيل ، أو هي مرآة يعكس عليها صورته الخفية الباطنية .

ومن شخصيات الأساطير العربية شخصية منفردة تكاد تكون وحيدة فى مميزاتها وملامحها العقلية والنفسية وهي شخصية جحا ( الفيلسوف الضاحك الساخر ) الذى يقوم بتمثيل فلسفته فى قوالب تشبه المسرحيات ذات المغزى الواضح ، وهو في مواقفه التمثيلية ظريف دائماً .. مرح دائماً .. يبدو وكأنه مهرج ويتصرف أحياناً تصرفاً شاذاً عن المألوف حتى كأنه ذو لوثة من الجنون ، ولكنه يلمس الضعف الانساني ويكشف عن نواحي الظلم أو النفاق ، وهو أقرب الى الرثاء والمواساة منه الى الحقد . فشخصية جحا ( ذات فلسفة انسانية ) تختفي تحت المظهر الضاحك الساخر ، وقد نشأت من شدة الألفة العربية لشخصية جحا أن الشعب يتصورها وكأنها تعيش بينهم وتشاركهم وتفكر معهم فى شئون حياتهم.

خالد عبد الله السعدني
جامعة الزقازيق

## لقطة الشهر



**عودة الصيادين**

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال .
القارىء رأفت فهمى ـ القاهرة .

## نفس كبيرة !



كان يزيد بن المهلب مسافراً فى البرية مع ابنه معاوية ، فمرا بامرأة بدوية ذبحت لهما عنزة .. فلما أكلا قال يزيد لابنه .. ما يكون معك من النفقة ؟ .. قال مائة دينار .. قال اعطها إياها .. فقال له ابنه : هذه فقيرة يرضيها القليل وهي لا تعرفك . فقال يزيد : إن كان يرضيها القليل ، فأنا لا يرضيني إلا الكثير .. وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسى ؟ .

حمادة السيد
الاسكندرية

# دوحة القراء

## مسابقة الدوحة



### مَن ؟

راهبة قتلها الرومان بالأسكندرية في القرن الرابع ، وسمي باسمها الدير الوحيد في العالم الذى يوجد بداخله مسجد للمسلمين فى المكان الذى يقال بان سيدنا موسى عليه السلام ناجى فيه ربه : الاسم من كلمتين فى عشرة أحرف :

١ ـ ٥ ـ ٨ ـ ٢ ـ ١٠ ثمل

٧ ـ ٩ ـ ٣ فاكهة مذكورة فى القرآن الكريم .

١ـ٦ـ٤ـ٨ بمعنى حاجز

### أين ؟

مكان تقدسه الأديان الكتابية الثلاثة ، لايزال مجهولا جغرافياً رغم آلاف الكتب والمقالات التى تعرضت له ، وسوف يظل مجهولا إلى آخر الدهر . اسمه من خمسة أحرف :

٥ ـ ١ ـ ٤ ـ ١ قاعدة بناء

٢ ـ ٣ عملة نقدية معاصرة

### ما ؟

طبع تنكره الأديان في حقيقتها جميعاً هو الذى دفع الأعداء الى قتل الآلاف من أخواننا وأبائنا وأمهاتنا وأخواتنا غدراً في مخيمات صبرا وشاتيلا كما سبق أن فعلوا فى دير ياسين ، الكلمة من خمسة أحرف :

١ ـ ٣ ـ ٥ نداء ظل يردده سيدنا الصحابي بلال ابن رباح وهو يعذب بالرمضاء

٤ ـ ٢ فعل أمر .

## الإجابة الصحيحة

١ ـ أهم الأملاح التى تستخرج من البحر الميت هي املاح :
البوتاسيوم ـ الليثيوم ـ السيزيوم

٢ ـ « يتكون وبر الابل مثل الياف القطن من مادة السليولوز »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً

٣ ـ « من يهن يسهل عليه الهوان
اكمل هذا البيت وانسبه الى قائله

٤ ـ أول قطر عربي اكتشف فيه البترول فى أواخر القرن ١٩ الميلادي هو :
مصر ـ العراق ـ قطر ـ جيبوتي

٥ ـ تصدر مجلة « ناشيونال جيوجرافيك » الشهيرة في :
أوسلو ـ واشنجطون ـ بيروت ـ الأحساء .

٦ ـ الثعابين من جماعة الحيوانات المسماة :
الحشرات ـ القوارض ـ الزواحف ـ الديدان .

٧ ـ أحد الموسيقيين العالميين الآتية اسماؤهم أصيب بالصمم وانتج وهو أطرش أروع الحانه هو :
سيد درويش ـ بتهوفن ـ تشايكوفسكى ـ ابراهيم الموصلي

٨ ـ كانت المحاولة الاولى لاحتلال البريطانيين لمصر على يد الجنرال فريزر الذي هزمه المصريون شر هزيمة في دمياط سنة :
١٧٠٧ ـ ١٧٠٨ ـ ١٩٠٧

٩ ـ الحجاج الذى كان عاملا لبني امية على العراق ينتهي نسبه إلى قبيلة :
الحويطات ـ بلى ـ ثقيف ـ بني مرة ـ الهواجر .

١٠ـ الوزن الذري لعنصر الكالسيوم هو :
٤٠،٠٨ ـ ٦٥،٠٠٨ ـ ٧٧،٠٩٥

## حل مسابقة العدد ٨١

من : عمر بن عبد العزيز
أين : القاهرة
ما : الاسراء والمعراج

الاجابة الصحيحة

١ ـ ٥٧١ م

٢ ـ هذه العبارة صحيحة علمياً .

٣ ـ احادية الفلقة

٤ ـ ابن عباد ـ ابن دراج القصطلي ـ ابن زيدون .

٥ ـ البسفور .

٦ ـ ابو بكر الصديق ـ عمر بن الخطاب ـ عثمان بن عفان ـ على ابن أبي طالب .

٧ ـ ١٩٣٢

٨ ـ ١٨٠ درجة

٩ ـ الأمبير

١٠ ـ سقى وادياً بين العريش وبرقة ...
من الغيث هطال الشابيب هتان .
قائلة البهاء زهير .

## أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ خيال من : الزعيم جمال عبد الناصر

١ ـ حسن يوسف السليطي ـ قطر
٢ ـ عبد الناصر مفتاح شعيب ـ ليبيا

٢ ـ لوحة لم تتم : الشاعر أمل دنقل .
١ ـ حسن احمد نعمة ـ البحرين
٢ ـ عبد الله عبد القادر ـ السودان .

٣ ـ لعبة الظلال : رقم ( ٣ )
١ـ محمد العيدة ـ الامارات المتحدة
٢ ـ عبد المنعم الطيب عمارة ـ السودان

٤ ـ لاقوياء الملاحظة فقط : القارب ـ الشراع ـ الشمس ـ الشمسية ـ البحر ـ الهلال .

## قــرأت — عـلـمـوا أولادكـم الأدب!

امر الحجاج صاحب الشرطة أن يطوف ليلا ، فمن رآه سكرانا ضرب عنقه .. واثناء سيره وجد ثلاثة فتيان يتمايلون وعليهم إمارات السكر فقال لهم :
« من انتم حتى خالفتم امـر الأمير ، وخرجتم فى مثل هذا الوقت .. »
فقال اولهم :

انا ابن مــن دانــت الرقـاب لــه
مابين مخزومهــا وهاشمهــا
تاتيــه بالــرغـم وهـي صاغـرة
فياخــذ من مالهـا ومن دمهــا

فامسك عنه قائلا « لعلــه من اقارب امير المؤمنين » .. ثم سال الثاني « وانت من تكون ؟ » .. فقال :

انا ابن من لا تنـزل الأيـام قـدره
وإن نــزلت يوماً فسوف تعـود
ترى الناس افواجا الى ضوء نـاره
فمنهـم قيـام حولهـا وقعــود

فامسك عنه وقال « لعله ابن اشرف العرب .. » .. ثم قال للثالث : « وانت من تكون ؟ » .. فانشـد :

انا ابن من خاض الصفوف بعزمــه
وقومهــا بالسـيف حتى استقامت
وركباه لا ينفـك رجـلاه منهمـا
إذا الخيل يوم الكريهــة ولــت

فامسك عنه ايضاً ، وقال فى نفسه « لعله ابن اشجع العرب .. » واحتفظ بهم حتى الصباح ، فرفع امرهم الى امير المؤمنين ، فاحضرهم وكشف امرهم .. وكانت المفاجاة .. فان الأول ابن « حلاق » ، والثاني ابوه « يبيع الفول » ، والثالث ابـن « حائك » . . فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه :
« علموا اولادكم الادب ، فوالله لولا فصاحتهم لضربت اعناقهم » .

جمال سعيد غربال — تونـس

## سـمعت — فـراسـة شـعـريـة

حكي ان رجلا كثير المال ، اصطحب معه عبدين فى سفر له ، فلما توسط الطريق ، هم العبدان بقتل سيدهما وسلب امواله ، فلما ايقن السيد ماعزما عليه قال : اقسم عليكما إن كان لابد من قتلي ، ان تذهبا الى داري وتنشدا ابنتي هذا البيت .. قال العبدان وما هــو :
فقال : من مبلغ بنتي ان اباهما     لله دركما ودر ابيكما
فقال احدهما للآخر : مانرى فيه من باس ! ـ فلما قتلاه ، وبعد عودتهما الى ديارهما ، ذهبا الى بيته وقالا لابنتيه : إن اباك قد لحق به مايلحق بالناس ، وإنه امرنا أن نخبركما بهذا البيت من الشعر ، وانشداه .
فقالت الصغرى وكانت اديبة لبيبة .. هذان العبدان قتلا ابي يامعشر العرب ..
قالوا .. وما الدليل ؟
قالت .. المصراع الاول يحتاج الى ثان .
والثاني يحتاج الى ما يكمله ، ولايليق احدهما للآخر .. قالوا : فما ينبغى ان يكون ؟ . قالت : ينبغي أن يكون هكذا

من مبلــغ بنتي ان اباهمــا
امســى قتيـلا بالفـلاة مجنـدلا
للــه دركمـا ودر ابيكمــا
لايبرح العبـدان حــتى يقتــلا

نهيد محمد — تونس

## أسـماء الفـائزيـن

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
ـ الدكتورة/ هناء مصطفى الصواف
القاهـرة / جمهورية مصر العربيـة

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
ـ صلاح الدين التكريتي
الدوحــة / قطــر

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
ـ صالح سعيد درويش
الرياض/ المملكة العربية السعوديـة

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ خليل قطب محمد ابو قورة ـ مصر
٢ ـ محمد صبحي الناطور ـ سـوريا
٣ ـ مجد محمـد مـراد ـ الكويـت
٤ ـ توفيـق رزق اللــه ـ السـودان
٥ ـ زهيـر مصـطفى ـ المغـرب
٦ ـ رسمي ناجي حســان ـ الاردن
٧ ـ صــوفيا شلوي ـ الجـزائـر
٨ ـ عــلاء الدين غنيـم ـ مصــر
٩ ـ زكريــا عبد الله مبارك ـ قطــر
١٠ ـ زيد رويعي النهالي ـ الامارات العربية المتحدة

## استراحة الدوحـة العـدد ٨١

١ ـ حسن على جعفر ـ سلطنة عمان .
٢ ـ اشرف احمد عبد الهادي ـ مصــر
٥ ـ دوري الكاريكاتير : اللاعب رقم ١٠
١ ـ نجــوان حبيــب ـ ســوريــا
٢ ـ احمـد بن ابراهـيـم ـ المغـرب
٦ ـ يخلق من الشبه اربعين : رقم ٥
١ ـ مديحة عيد ابو العـلا ـ مصــر
٢ ـ هاشم احمد ابراهيم ـ السـودان
٧ ـ المثل بيقول : ياواخد القرد على كتر ماله بكره يزول المال ويبقى القرد على حاله !
١ ـ ايهـاب عبد الحليم كشك ـ مصـر
٢ ـ قاسم ذيب الطوبـرجي ـ الاردن

# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

## أصل وصورة




بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ ( الجائزة ٦٠ ريالا )

## لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لبطل عالمي مسلم تربع على عرش رياضتـه فترة طويلة ...
مشكلة اللوحة أنها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذا اللاعب فى انتظارك جائزة (٦٠ ريالا)

## يخلق من الشبه أربعين



● الصور الأربع المنشورة تحت صورة الفنان شكري سرحان لأربعة أشخاص شديدو الشبه به .. لكن واحداً منهم فقط يشبهه تماماً .. هل تستطيع التعـرف عليـه .. ؟ الجائزة ٦٠ ريالا

## هات أجمل تعليق :



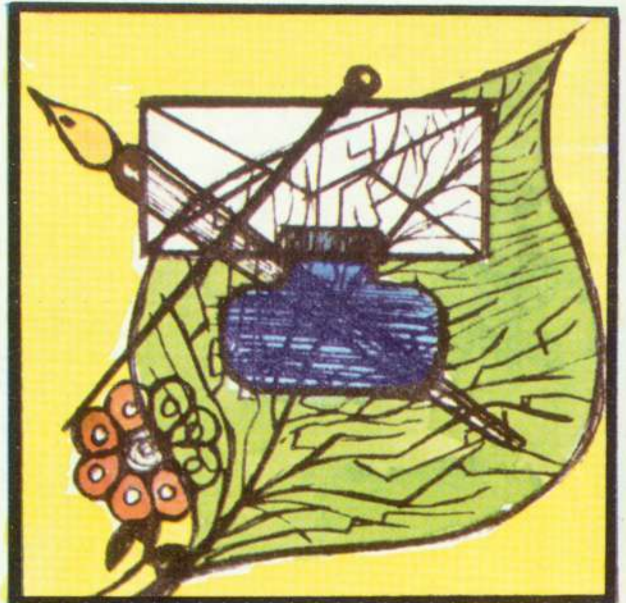
حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري . فقد يسعدك الحظ وتفوز بالجائزة (٦٠ ريالا)

## لعبة الظلال




هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى معرفة ظله الحقيقي ؟
الجائزة ( ٦٠ ريالا )

## لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك ستة أشياء متداخلة . هل تستطيع أن تتعرف على كل منها .. إذا عرفت ارسل الحل .. ( الجائزة ٦٠ ريالا ) .

## المثل يقول



● إن هذه الصورة الساخرة ... تعبر عن مثل شعبي .. حاول معرفته ولك ( جائزة ٦٠ ريالا ) .

# المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

## تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١



- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون ( الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ ) - الدراسات الاثارية ( الاركيولوجية ) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

**الاشتراكات السنوية**

| | داخل الكويت | في الخارج |
|---|---|---|
| - للمؤسسات | ١٠ د.ك. | ٤٠ دولاراً أمريكيا |
| - للأفراد | ٢ د.ك. | ١٥ دولاراً أمريكيا |
| - للاساتذة والطلاب | ١ د.ك. | ١٠ دولارات أمريكية |

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :-

ص.ب : ٢٦٥٨٥ ( الصفاة ) الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣




إرو عَطشَك مَع


الحرم الابراهيمي بالقدس
للفنان : عزيز إسماعيل
إصدار : دار فلسطين
Palestine Publications House

العدد ٨٤ - صفر ١٤٠٣هـ - ديسمبر ١٩٨٢م



# الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

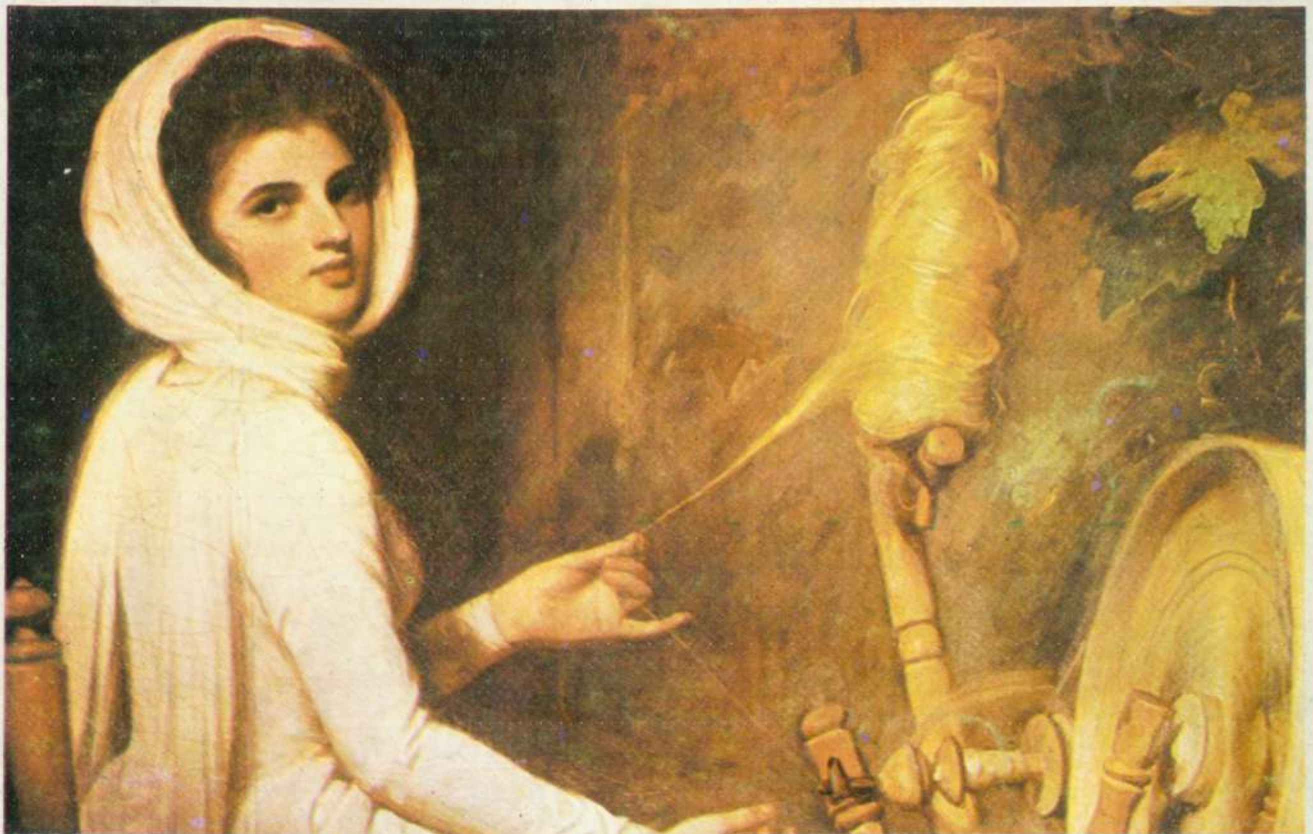
## ● اتصالات فاروق بالألمان

## ● حوار خاص بالدوحة مع المفكر الفرنسي جارودي

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

## ● ارفضوا الواقع قبل أن ترفضكم الحياة

بقلم: خالد محمد خالد



قصة الفاتنة التي أسرت بطل البحار




إجعَل نهارك عيد مَع



الجمعية القطرية للفنون التشكيلية

## مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديبان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ضياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والأنباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص.ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الأمارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .


# الدوحة

## مجلة شهرية ثقافية جامعة
## تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٤ - صفر ١٤٠٣هـ - ديسمبر ١٩٨٢م

### المراسلات :
التحرير والادارة : ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير :
مدير التحرير :
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

### الاشتراكات :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

### الإعلانات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

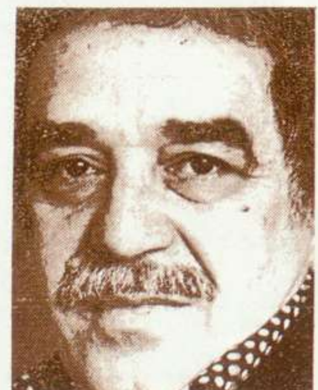
### الأسعار :
قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين


● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر


طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة .

طبعت بمطابع على بن على **Ali Bin Ali Printing Press - Doha**

# في هـــــــــذا العـــــــــدد



الفائز بجائزة نوبل هذا العام
( ص ٣٢ )



من هنا تبدأ السينما القطرية
( ص ١٠٠ )



اتصـــالات فاروق بالالمـــان
( ص ١١٢٠ )

## ● دراسات ومقالات ●


● ارفضوا الواقع قبل أن ترفضكم الحياة ..................
خالد محمد خالد ٦

● سارة برنار لم تفقد ذاكرتها ..................
عبد الله الجفري ١٤

● مصر وفلسطين في العصر العثماني ..................
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ١٦

● العمامة المتمردة تتجه الى الاعتدال ومهادنة الاحتلال ....
فتحي رضوان ١٩

● غراميات سيبويـــه ..................
محمود السعدني ٢٩

● تراثنا العربي يفتقر الى التفسير والفهم ..................
نعمان عاشور ٣٧

● أهارون أبو حصيرة والأزمة الطائفية في لبنان ..................
عصام شريـح ٤٠

● الحصان .. عندما يتحرر من قيود الانسان ..................
حسام جميل مدانات ٥٨

● فصول أبي البهاء : حلاقة ارتين ..................
د. عبد السلام العجيلي ٧٠

● باول كراوس : صورة علمية مشرقة حاربتها الصهيونية بعنـــف ..................
د. محمد طه الحاجري ٧٢

● أخلاقيات الطـب ..................
د. خليل قطاطـو ٨١

● رسالة لنـدن :
العالم العربي في متحف لندن ..................
المريخ هو الكوكب الوحيد الذي يمكن أن يستقر عليه الانسان ..................
مجدي نصيف ٨٢

● أشباه الانسان : لوسى والولد الغالى ..................
د. عبد المحسن صالح ٩٤

● ليدى هاملتون : الفاتنة التى أسرت بطل البحار ..................
جمال الكنانى ١٠٨

● لماذا طال الحوار حول هجرة يهود أوربا الى فلسطين .....
د. عاصم الدسوقى ١١٦

● اتصالات فاروق بالألمان ..................
د. السيد فهمى الشناوى ١٢٠

● قلب الطفل (حوار مع طبيبة عالمية) ..................
ليلى الحريرى ١٣٤

● اطلال قلعة الجندى ..................
درويش مصطفى الفار ١٣٨


## ● اسلاميات ●


● روجيه جارودى ورحلة فكر من المادية الى الاسلام ..................
د. محمد جابر الأنصارى ١٠

● رسالة فى الاصلاح الدينى ..................
حسين احمد امين ٢٢

● مسلمة امريكية تتحدث عن الاسلام (كتاب الشهر) ........
ترجمة : كروان السكرى ٥٢

● دائرة المعارف القرآنية : البخـــل ..................
د. محمد البهي ١١٥


## ● دراسات فى شئون الخليج ●


● فنان كويتى يلفت أنظار نيويورك وباريس ..................
حسن الملا ٦٢

● حدث فنى هام : من هنا تبدأ السينما القطرية ..................
مريم آل سعد ١٠٠

● اضواء على ادب الخليج : محمد عبد الملك فى مجموعته القصصية الثالثة ............
عبد الله خليفة ١٢٨
● من أحلام اليقظة للشاعر القطرى علي ميرزا محمود ......
سنان المسلمانى ١٣٢
● رحلة فى عقل ام ............
د. زهرة المالكى ١٦٢

## ● أدب وفنون ●

● الجسر (قصيدة) ............
شعر : د. غازى القصيبى ٩
● من عجائب الطب : العلاج بالموسيقى وهم ام حقيقة ؟ ....
د. عز الدين فراج ٢٦
● الفائز بجائزة نوبل هذا العام : جابرييل جرثيه ماركيث ...
د. محمد عبد الله الجعيدي ٣٢
● رسالة مـا ... ( قصة ) ............
علي المك ٤٤
● من روائع الفن العالمى : الابتسامة الغامضة وخلود العبقرية ............
جمال قطب ٦٤
● حوار مع كاتب «خليها على الله» : يحيى حقى ............
مفيد فوزى ٦٦
● هل يمكن الغاء الموسيقى العربية ؟ ............
كمال النجمى ٧٨
● العذراء العانس (قصيدة) ............
شعر : محيي الدين فارس ٩٩
● شهادات على سياج الضمير (قصة) ............
حمدى الكحلوت ١٠٦
● الدم (قصة) ............
فؤاد قنديل ١٣٣
● حكايات من السينما المصرية بمناسبة عيدها الأول ......
رءوف توفيق ١٤٨

## ● أبواب ●

● حتى لا ننسى : جامع الجزار فى عكا ............
يوسف الخطيب ٥٠
● لقطات من الكون المثير ............ ١٠٤
● قف : هل تعلم ؟ ............
عبد العزيز السيد المصرى ١٤٠
● أوراق خضراء ............ ١٤١
● العلم هو المستقبل ............
لبنى الريدى ١٤٦
● ضحكات الشهر (كاريكاتير) ............
صلاح الليثى ١٥٤
● دوحة القراء ............ ١٥٦
● استراحة الدوحة ............
رءوف ١٦٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا
الاشراف الفني : نائلة محمد فتحي
سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب
البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي
التصوير : أمين بدوي الحامدي

# ارفضوا الواقع

## قبل أن ترفضكم الحياة

بقلم : خالد محمد خالد

هذا المقال ليس مقالا فى الفلسفة ، إنما هو كبقية مقالاتى التى تحدوها « الانسانيات » التى أومن بها وأهش لها .. لقد أتى على الانسان العربى حين من الدهر كان من سادة الأرض ، إن لم يكن سيدها جميعاً !!

وحين نستشرف الأسباب التى جعلت منه ذلك السيد المهيب ، نجدها ماثلة فى «ارادة التقدم» التى كانت تحمله على تخطى الواقع والتطلع بعينين مفتوحتين ، وعزم أيِّدٍ وشديد الى المستقبل .. لقد حل الانسان العربى المسلم فى عصر نهضته الأزمنة القائمة بين «فكرة التقدم» و «فكرة الواقعية» .. حلها قبل أن يحلها الأنسان الأوروبى بزمان .

وأختار الوقوف الى جانب «فكرة التقدم» ورفض علماؤه وفلاسفته وفنانوه ، بل وقواد فتوحاته .. رفضوا جميعاً أن يكبلهم الواقع بقيوده ، ويحتجزهم وراء سدوده . وحين نتذكر من علمائنا المسلمين أمثال ابن مسكويه ، وابن النفيس ، وجابر بن حيان ، والخوارزمى ، وأبى بكر الرازى .. حين نتذكر هؤلاء وأمثالهم معهم نرى صفوة تطلعت الى المستقبل فى شغف ، ومضت ترتاد أرضه المجهولة . وأمنت بفكرة التقدم ، ولم يسلبها الواقع رؤيتها ولا عزمها ولم يصب العرب والمسلمون بما هم فيه من تخلف واستكانة إلا يوم سمحوا للواقع أن يشد اليه ابصارهم وبصائرهم ، ويقعد بعزمهم الذى كان جسوراً وقديراً ، وينسيهم تبعاتهم تجاه المسيرة التى بدأها أباؤهم .. مسيرة التقدم والنهوض .

لقد كان الانسان العربى فى مساعيه العلمية والاجتماعية وفى فتوحاته العسكرية انساناً تخلص نهائياً من هيمنة الواقع عليه ، ورفض أن يخضع له أو أن يخلد اليه ..

وبنى ذلك الانسان عالما كان قبل قيامه يبدو حلماً من أغرب الأحلام !!

وعلى الرغم من أنه لم يحقق كل أهدافه إلا انه حقق جميع الممكن من هذه الأهداف

وبجهوده استطاع الانسان عامة أن يدرك – لأول مرة فى التاريخ – أن اقتحام المستقبل واخراج خَبئه لم يعد حلماً ، وأن السيطرة على دوافع التقدم الانسانى صارت فى قبضة الانسان .

وانه لولا الانسان العربى والمسلم بجسارته وبهمته الماضية كالسيف المرهف لظلت فكرة التقدم وهما على مدى دهر طويل !!

. وإن أوروبا لاتنكر أن الحضارة الأسلامية العربية هى التى أمدتها بالقدرة وبالشجاعة للقيام بالأعمال الكبرى التى انجزتها ...

ولقد تعلمت أوروبا من آبائنا وروادنا تخطى الواقع الى الممكن وحمل لواء إرادة التقدم .

كان العقل العربى جبارا فى خطواته التقدمية الهائلة ، وكانت ثقته بنفسه تفوق كل حد .

وكانت «شجاعة المعرفة» سيماه التى ميزته ومنحته الثقة بالعلم وحطمت الشك النامى فى قدرة الانسان الذاتية على أن يكون شيئاً عظيماً ، كما علمته الا يتجنب الوحى من أجل العقل ، والا يهمل العقل من اجل الوحى .

وكان ذلك من أعظم منجزات ذلك الأنسان ، ومنجزات الحضارة الأسلامية كلها ..



ولما كانت القيم والمعايير ضرورية للحياة الأنسانية ، فقد استلهم الانسان العربى قيمه ومعاييره من الوحى والعقل معاً .

وأدرك أنه لكى يعرف ما هو الخير للانسان وما هو الشر له ، عليه أن يعرف أولا طبيعة الانسان .

ومن هنا أخضع اخلاقياته لفكرة التقدم ذاتها .. مدركاً أن فضيلة واحدة أو بضع فضائل لاتدلنا على الرجل الفاضل ، وأن رذيلة واحدة أو بضع رذائل لاتدلنا على الرجل الشرير .. وسبق الفلاسفة من آبائنا علماء النفس فى عصرنا الحديث ، سبقوهم الى أن الموضوع الحقيقى للبحث الاخلاقى هو الشخصية الفاضلة والشخصية الشريرة ، وليس هو الفضائل المجردة ولا الرذائل المجردة ..

وأعانهم على هذا الفهم الكثير من نصوص القرآن والسنة التى تنظر الى الانسان ككل ، والتى ترفض تبعيضه ، كما ترفض أن تنهدم شخصية بأسرها ، لأن لها نقاط ضعف فى سلوكها .

ولعل الفيلسوف «إريك افروم» الألمانى المولد . الأمريكى الجنسية كان متأثراً بهذه النظرية لفلاسفتنا وهو يقول :

« إن علم الشخصية الذى يقوم على أساس التحليل النفسى برغم حداثته لاغنى عنه لتطور النظريات الأخلاقية .. ولامناص من أن تبقى جميع الفضائل والرذائل التى يعالجها علم الأخلاق التقليدى غامضة ، لأنها كثيراً ما تدل بلفظة واحدة على مواقف إنسانية مختلفة وعلى شىء من التناقض ، وهى لاتفقد غموضها إلا اذا فهمت من حيث علاقتها ببناء شخصية الفرد الذى تعزى اليه الفضيلة أو الرذيلة .. »

« إن الفضيلة المنفصلة عن محيط الشخصية قد تكون عديمة القيمة كالتواضع الذى ينشأ عن الخوف ، أو الذى يعوض به صاحبه عن كبرياء مكبوته .. كما أن الرذيلة قد تدل على شىء آخر اذا فهمت فى محيط الشخصية كلها كالكبرياء التى تعبر عن فقدان الطمأنينة أو عن شعور المرء بانحطاط قدره .. »

« وهذا الاعتبار له بالأخلاق علاقة وثيقة .. ومعالجة الفضائل والرذائل منعزلة باعتبارها صفات مستقلة معالجة مضللة ..

إن موضوع الأخلاق هو الشخصية ، ولايمكن أن تقوم صفات منعزلة أو أعمال منفصلة دون الاشارة الى بناء الشخصية بأسرها »

إن القيم والمعايير لم تكن قيود كبت وقهر عند فلاسفتنا الأولين لأنهم تعلموا من دينهم السمح أن الله حين خلق العقل قال له : أقبل . فبك احاسب وبك أحاكم .

ولانهم تعلموا أن الاسلام لم يعزل العقل باسم الوحى ، بل ايد الوحى بالعقل .

واذا كانت مشكلة الأخلاق والسلوك لاتزال تمثل مشكلة كبرى للبشرية ، فقد حلها اسلافنا من العلماء والفلاسفة بالتوفيق السديد بين العقل والوحى . وكان سبيلهم لهذا إيمانهم العميق بفكرة التقدم ، وبعدهم عن التنطع فى فهم مرامى دينهم وجوهر أهدافه .



وبايمان آبائنا بالتقدم واحتضانهم فكرته واتخاذه مبدأ للعقل وللحياة استطاعوا أن يشيدوا حضارة سامقة فى كل المجالات ..

والتحقيقات العلمية الرائعة التى قدمتها العقلية العربية هى التى منحت أوروبا والغرب نور المعرفة .

وان أعظم المخترعات التى تبهرنا اليوم يرجع الى آبائنا الذين أحيوا فى انفسهم ارادة التقدم ورفضوا الأذعان للواقع .. يرجع اليهم قبل سواهم فضل الأرهاص بها وتحقيق بداياتها الناجحة . وحسبنا مثلا واحدا تحكيه لنا مؤلفة كتاب «شمس العرب تشرق على الغرب» فتقول :

« اننا نقف مشدوهين متعجبين أمام تطور فن الصواريخ العظيم دون أن نسأل أنفسنا الى من ندين بهذا الاختراع ؟؟ » ثم

# ارفضوا الواقع

## قبل أن ترفضكم الحياة

تثبت أنهم علماء العرب والاسلام الذين يدين لهم الشرق والغرب بهذا الاختراع ، إذ كانوا أول من وضع نظرية تركيب البارود المندفع فى القرن الثانى عشر ... !!!

والرائد العظيم «البيرونى» هو الذى سبق «كوبرنيكس» وغيره بخمسمائة عام الى اكتشاف أن الأرض تدور حول نفسها ، وأنها وكواكب أخرى تدور حول الشمس .. ومن دورة الأرض هذه ينشأ الليل والنهار .

واظننى قد سقت فى أحد مقالاتى السالفة الكثير من البراهين ومن الشخصيات التى كان لها فضل كبير فيما تحياه البشرية اليوم من رفاهية وحضارة .

خلاصة الحديث أن انساننا العربى والمسلم قد ناصر فكرة التقدم على فكرة الواقع فأعطى غَدَقًا وأعطى كثيراً ..

وأن هذه المناصرة كانت فخر حياته ومجدها ، وبها استطاع أن يقدم لقومه وللعالم من بعده أذكى أدوات العمل من أجل النهوض والارتقاء

فعل ذلك فى عالم القيم والمعايير ، وفعله فى عالم المخترعات وفعله فى مجال الفتوح .

لم يكن ينظر الى أمسه ، ولايقف عند يومه ، بل كان يرسل بصره وعقله وعزمه عن طريق الغد مؤمناً بان العمل من أجل تقدم قومه وعالمه جزء من عبادته وتقواه !!

• • •

فماذا دهى الأسلاف حتى أمسوا عبرة ومثلا .. ؟!

دهاهم أنهم لاذوا بالواقع واستسلموا له وخروا سجداً صاغرين تحت اقدامه .

وعلى الرغم من أنه واقع ذليل ومهين ومتهتك ، فانهم عشقوه عشق الجاهلى لأطلال حبيبته ، أو اطلال قبيلته !!

أدر بصرك فى ربوع عالمنا العربى والاسلامى تجد هذه العلة القاتلة .

تجد أقواماً يستكينون للواقع ، ويلوذون بالواقعية ، ويقولون فى تبرير خيبتهم وعجزهم : هذا هو الواقع ولاحيلة لنا فيه ..!! ولاأحد يهزم الواقع أو يتحداه ...

أو لم يعلموا أنه كان لهم آباء وأسلاف هزموا الواقع وتجاوزوه الى الممكن ، بل أحياناً الى المستحيل فى استبسال عظيم ؟!

فى كل أمر من أمورنا نستسلم للأمر الواقع ، ولا نحاول التصدى له ، ومجاوزته الى غد أكرم وحياة أفضل ..

مفكرونا وحكامنا وزعماؤنا .. كلنا أصبحنا أسرى الواقع ، وفقدنا ملكة التمييز وإرادة التقدم .

نصف العالم الاسلامى شعوب تفتك بها المجاعة ، ونصفها الآخر شعوب قتلها الترف .

وكلا الفريقين — هؤلاء وأولئك — بسطوا ايديهم وأرجلهم للواقع يطوقها بسلاسله وأغلاله .

ثم ماذا .. ؟؟

أقول : لاباس .. أجل لابأس فلا يزال الطريق أمامنا مفتوحاً ، والفرصة مواتية لكي نوقظ قدرتنا وننفق منها على حاضرنا ومستقبلنا .

هناك حكمة قالها فيلسوف أوروبى .. هى ذى :

« إن القدرة على العمل تخلق الحاجة الى استخدام هذه القدرة وإن الفشل فى استخدامها ينتهى بشل العضو عن اداء وظيفته ، كما ينتهى بالبؤس والشقاء .. ويمكن أن نتبين صحة هذا المبدأ بسهولة بالنسبة لوظائف الانسان الفسيولوجية فانسان — مثلا — لديه القدرة على المشي وعلى الحركة ، فاذا ما حيل بينه وبين استخدام هذه القدرة نشأ عن ذلك المرض والعجز الجسمانى» ..

إن صحة هذا المبدأ تظهر فيما يتعلق بقدرات المرء النفسية والعقلية . كما تظهر فيما يتعلق بقدراته الجسمانية فهل نحن قادرون على العمل من أجل تقدمنا وخلاصنا .. ؟؟

إن أعداءنا لايصنعون بنا أكثر من أن يحولوا بيننا وبين استخدام قدراتنا وذلك عن طريق تخويفنا وإرهابنا وزرع اليأس فى نفوسنا ، وبث الفرقة بين صفوفنا .. !!

إننا قادرون .. وبكل التفسيرات والاحتمالات فنحن قادرون ..

وآفتنا اذن لا تتمثل فى عدم القدرة ، بل فى عدم استخدام هذه القدرة .

وهذه النقطة من الحديث بالغة الأهمية .. فشعورنا بالعجز شعور كاذب ، آت من عدم استخدامنا لقدراتنا ، وليس من افتقادنا هذه القدرات ..

نحن نملك الثروة ، ونملك التاريخ ، ونملك المواقع الاستراتيجية النادرة ، ونملك الأعداد الهائلة من البشر .

نملك العقول المفكرة ، والادارة المهياة ، واليد العاملة .. ومعنا القدرة على التحكم فى جميع الظروف والدول والاشخاص الذين يلهون بمقدراتنا ويحقدون علينا ويسعون لتدميرنا .

فلماذا لانستخدم هذه القدرات جميعاً لأننا واقعيون !!!!

انى لأكاد أجزم بأن اسرائيل قد انتهت من التخطيط لخمسين عاماً مقبلة ..!!!

ولقد داست كل واقع يشل حركتها ، وانها لتستخدم جميع قدراتها وترنو الى المستقبل فى عشق المراهق المدله واستخدامها قدراتها وعدم استخدامنا قدراتنا هو الفارق الحقيقى بيننا وبينها ..

فيامن صنع آباؤكم التاريخ ..

يامن قهر آباؤكم الواقع وجاوزوه الى المستقبل فى قدرة وشجاعة وذكاء .

أرفضوا الواقع ، قبل أن ترفضكم الحياة ...

خالد محمد خالد

الشاعر الكبير الدكتور غازي القصيبي ألقى هذه القصيدة الجميلة فى مساء الخميس ١١ نوفمبر ١٩٨٢ بمناسبة حفل وضع حجر الأساس للجسر الذي يربط بين السعودية والبحرين :

# الجسر

شعر :
الدكتور غازي القصيبي



ضَرْبٌ من العِشْقِ لادَرْبٌ من الحَجَرِ
هذا الذي طارَ بالواحاتِ للجُزُرِ

ساقَ الخيامَ إلى الشُّطآنِ فانْزلَقَتْ
عَبْرَ المياهِ شِراعاً أبيضَ الخفرِ

ماذا أرى ؟.. زورقاً في الموج مُنْدَفِعاً
أم أنّه جَمَلٌ ما مَلَّ من سَفَرِ

وهذه أغنياتُ الغَوْصِ في أذني
أم الحُداةُ شَدَوْا بالشِّعْرِ في السَّحَرِ؟

واستيقظَتْ نَخْلةٌ وَسْنَى تُوَشْوِشُني
مَنْ طَوَّقَ النَّخلَ بالأصْدافِ والدُّرَرِ؟

نَسِيتُ أيْنَ أنا .. إنّ «الرِّياضَ» هُنا
مَعْ «المنامةِ» مشغولان بالسَّمَرِ

أَمْ هذه «جُدَّةٌ» جاءتْ بأنْجُمِها
أمْ «المُحَرَّقُ» زارتنا مع القَمَرِ

وهذه ضحكاتُ الفجرِ في «الخُبَرِ»
أم «الرِّفاعُ» رَنَتْ في موسمِ المَطَرِ

أم أنّها «مَسْقَطٌ» السمراء زائرتي
أم أنها «الدَّوْحَةُ» الخضراءُ في قَطَرِ

أمْ «الكُوَيْتُ» التي حيَّتْ فَهِمْتُ بها
أم أنها «العَيْنُ» كَمْ في العَيْنِ من حَوَرِ

بَدْوٌ وبَحّارةٌ ما الفَرْقُ بينهما
والبَرُّ والبَحْرُ ينسابان من مُضَرِ

خليجُ .. إنّ حبالَ اللهِ تَرْبِطُنا
فهل يُقَرِّبُنا خيطٌ من البَشَرِ؟

محاورة خاصة بالدوحة

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

# المفكر الفرنسي روجيه جارودي ورحلة فكر

# من المادّية إلى الإسلام

– من العمل المسيحى البروتستانتى المتحرر ..
– الى ليبرالية يسارية اجتماعية ..
– الى التزام ماركسى كامل متقيد بالنظرية وبالحزب ..
– الى ثورة ضد الماركسية فى النظرية وفى الممارسة ..
– الى عودة للدين فى جوهره الصوفى الكونى الانسانى ، مع ميل خاص الى صوفية ابن عربى فى كونيته وانسانيته .
– الى اهتمام متزايد بالاسلام كنظام شامل يجمع بين الايمان والعمل ، وبين الانسانى والالهى ، ويجعل للتقدم الحضارى هدفاً متسامياً يتجاوز النمو المادى الى الآفاق الروحية .. مع رفض الصيغة الراهنة للحضارة الغربية الانمائية المادية ..
– الى ... اعتناق كامل وعلنى للاسلام !



المفكر الفرنسى روجيه جارودى

من يقدر على هذه المسيرة المتشعبة الشاقة ؟

من يتحمل هذه التجارب الفكرية والروحية المتباينة والمتناقضة ؟

قليلون – حتماً – من يستطيعون فتح الروح والقلب والعقل لهذا العدد المتسع من التجارب الكيانية الخطيرة بحثاً عن الحقيقة ...

وأقل من هؤلاء من يجرؤون على التصريح بتحولاتهم مرحلة بعد مرحلة ، والتحدث عنها بصدق وأمانة أمام الآخرين .. وأمام التاريخ .

ولكن هذا ما يفعله اليوم المفكر الفرنسى روجيه غارودى الذى مر بكل هذه التجارب التى أحصيناها واحدة بعد الأخرى الى أن وصل الى محطته الأخيرة .. فاشهر اسلامه رسمياً – بعد أن اعتنقه نظرياً وقلبياً لبعض الوقت – فدخل بذلك تلك السلسلة الشهيرة من رجالات الفكر الانسانى فى التاريخ الذين مروا بعقائد ومذاهب مختلفة ثم وجدوا فى الاسلام ضالتهم فاعتنقوه عن قناعة ومحبة وأضافوا الى تراثه الانسانى الخصب تجارب جديدة .. فريدة ومتميزة ..

رجل كهذا يثير فى النفس فضول الفكر ، فيود أن يسبر أغواره ليرى سر هذه التحولات المتعاقبة التى لا تهدأ ولا تتوقف

التقيه بباريس فى جلسة خاصة .. أحاول أن أدعه يسترسل فى الكلام دون سؤال محدد .. لأن السؤال يحصر الحضور الانسانى فى بوتقة ضيقة .. أريد أن أكتشف شاغله هو كما يعبر عن نفسه بعفوية دون استثارة الأسئلة فى بداية رحلة التعارف والحوار ..

## ● أرسطو .. كارثة !

يبدأ بالقول :

«فلسفة أرسطو كارثة ! .. وكذلك فلسفة

# المفكر الفرنسي روجيه جارودي ورحلة فكر
# من المادية إلى الإسلام



ابن رشد فى الاسلام .. وفلسفة توما الاكوينى فى المسيحية !»

فهمت ما يعنيه ـ من منطلقه الصوفى الروحى الجديد ـ ولكنى وجدت الآن الفرصة سانحة لعاصفة من الاسئلة ..

ـ كيف ؟ هؤلاء الفلاسفة العظام فلسفاتهم «كارثة» ؟ وقد دخلت فى تاسيس الحضارة العالمية ؟

يرد : «هؤلاء ظنوا ان بالعقل ، وبالعقل وحده ، يعيش الانسان . كم كانوا مخطئين ! .. العقل يدرك فقط الحدود بين الأشياء . لكنه لا ينفذ الى جوهر الأشياء لابد من ملكة اخرى .. غير العقل .. وفوق العقل .. لتجاوز الجزئيات اللامتناهية فى هذا الكون ، والنفاذ الى ما هو كلى فيه .. ولكن الماساة ان الحضارة الحديثة اعتنقت ما قاله ارسطو ، وابن رشد ، والاكوينى عن العقل واهملت الاتجاه الآخر .. فانتهت الى الطريق المسدود ..»

اسال : اى اتجاه اخر تقصد ؟

يجيب : افضل اتجاه ما قبل سقراط ، فى الفلسفة الاغريقية ، ذلك الاتجاه فوق ـ العقلى المتاثر بالفلسفة الروحية الهندية ..

ـ لماذا تذهب بعيداً الى الفلسفة الهندية ولديك الفلسفة الروحية المسيحية؟

يجيب : «آباء المسيحية تاثروا تاثراً عميقاً بالفكر الهندى . هذه الحقيقة الراسخة يحاول الغرب التهرب منها تحت تاثير الدعاية اليهودية . لقد رسخت اليهودية فى العقل الغربى الادعاء القائل ان المسيحية كملت اليهودية واتمت رسالتها . هذا خطا تماماً . المسيحية نقيض لليهودية وثورة عليها . خذ «موعظة الجبل» وهى اهم واكمل نص فى التراث المسيحى .. انها تناقض التعاليم اليهودية وتقترب كثيراً من الروح الهندوكية ..»

ـ هل تعتمد فى ذلك على التحليل والاستنتاج ام لديك شواهد تاريخية محددة بشان تاثر المسيحية بالروح الهندية ؟

يرد : «التاريخ كله بحاجة الى اعادة كتابة . لقد كانت منطقة الشرق الأدنى تعج بالمؤثرات الروحية الهندية زمن المسيح وما قبله . حتى الافلاطونية المحدثة فى التراث الهيلينى متاثرة بالصوفية الهندية . وبواسطتها ، وبالتاثير المباشر ايضا ، استمدت المسيحية الطابع الروحى العميق من تراث الهند ..»

## ● كيف طمس اليهود دور مصر ؟

«اليهود لم يرق لهم ذلك ، فعتموا على هذه الحقيقة . وعملوا على الربط المتعسف بين التراثين اليهودي والمسيحي واعتبارهما تراثاً واحداً متواصلا لجعل اليهودية نقطة البداية فى تاريخ الغرب ، وفى تاريخ الانسانية . ولماذا نذهب بعيداً .. الا يزعم اليهود بانهم اصحاب فكرة «التوحيد» فى التاريخ الانسانى ؟ وهذا كذب صريح لأن المصريين القدماء ـ كما هو ثابت تاريخياً ـ هم أول من طرح فكرة التوحيد كفكرة محورية فى الديانة والحضارة والحياة بعامة . ولكن الدعاية اليهودية اسقطت دور مصر ايضاً لتحتكر وحدها شرف اكتشاف هذه الفكرة ..»

يصمت روجيه غارودي قليلا ..

واحدث انا نفسى بصمت : «إذن فعداء اليهود وعداء اسرائيل التاريخي لمصر اقدم من قضية فلسطين .. واقدم من الصراع العربى ـ الاسرائيلى .. إنه عداء عميق الجذور متصل بصميم الوجود الحضارى للطرفين . كما اخذت اسرائيل دور مصر فى التوحيد ونسبته الى ذاتها ، تاخذ اسرائيل اليوم دور مصر فى قيادة المنطقة لتحتكرها لذاتها وتحيط مصر بسياج من العزلة والنسيان والاختناق .. متى ندرك ذلك ؟! .. متى ندرك أن الصراع بيننا وبين اسرائيل ، هو صراع وجود ، لا خلاف حدود ؟!» .

واعود من همنا الى هموم غارودى لأسأله :

ـ حدثنا عن تحولاتك وتجاربك الفكرية المتتالية كيف توالدت ؟

يقول :

«كنت فى شبابى مسيحياً مؤمناً بالاختيار لا بالوراثة . وكنت رئيساً للطلبة المسيحيين البروتستانت . وامنت بالدين على انه عمل وفعل وتحرك والتزام . ثم تحت تاثير قراءاتى تحولت فكرياً الى الماركسية . كان تحولا فكرياً . اما فى الشعور القلبى فقد بقيت مؤمناً ، وكان همى فى الحزب الربط بين الايمان المسيحى والفكرة الماركسية على اساس ، ان الماركسيين يناضلون فى الأرض ليجد المسيحيون بداية السماء .. ولكنى وجدت بالتجربة أن الواقع فى الحزب الشيوعى شىء آخر مختلف عن تصورى هذا ، فانفصلت عنه . ويقول البعض عنى اليوم باننى اكتشفت الدين متاخراً . ليس هذا صحيحاً . الدين كان حاضراً فى وعيى منذ البداية . الدين كايمان جوهرى ، لا كنصوص حرفية وطقوس محددة .. لقد لازمنى هذا الايمان فى أشد مراحل التزامى بالماركسية» .

## ● خالد محيي الدين تأثر به !

هنا تذكرت تاثير غارودى فى الفكر العربى حينذاك .. وكيف كان هذا الجمع بين الايمان والجدلية المادية يجد صداه ايضاً لدى بعض الشباب العربى بالأربعينات والخمسينات ..

اذكر على سبيل المثال ما قاله السيد خالد محي الدين بهذا الصدد : «لقد بدأت فى الاخوان المسلمين . فقد كونا تنظيماً من الضباط اقمنا عن طريقه صلة بحركة الاخوان .. وفى احدى المرات جاءنى ضابط واعطانى كتاباً فى الماركسية ، هو : «الاقتصاد محرك التطور الاجتماعى» لجارودى ، وقد تاثرت بهذا الفكر ، ولم أجد تعارضاً بينه وبين الاسلام» .

ايا كان الأمر فقد تطور فكر غارودى نفسه ووصل الى حد اعتناق الاسلام . فهل يتطور ، بالمثل ، الفكر العربى الذى تاثر به ايام ماركسيته ؟

هذا سؤال لا يستطيع الاجابة عليه غارودى . وهو متروك للمعنيين به من رجال الفكر والسياسة العرب ..

ولكن غارودى معني جداً بالاجابة على سؤالنا :

– لماذا انقلبت ضد الماركسية .. وضد الحضارة الغربية الراسمالية وصرت تدعو الى نظام جديد ؟

## ● ماذا بعد «النمو» ؟

يقول : «الخطيئة الكبرى فى الحضارة الغربية انها اعتمدت صيغة النمو المادى التراكمى .. نمو الانتاج ونمو الاستهلاك كمعيار اوحد للتقدم وللسعادة وللعمل الانساني . ولكن ماذا بعد ؟ ماذا بعد المزيد والمزيد من انتاج السيارات والماكنات واجهزة الكومبيوتر ؟ ماذا بعد المزيد والمزيد من البنوك والارباح المالية ..؟ ماذا بعد المزيد والمزيد من المدن والطرق والمصانع؟ إلى اين سنصل بعد ذلك .. واين النمو فى القيم والأخلاق والمعاملات والسعادة الحقيقية ؟

إن النتيجة الوحيدة لنظرية النمو التراكمية الحالية ان العالم اصبح يملك وسائل تدميره وليس مرة واحدة ولكن مئات المرات . دون « نمو » مقابل فى الضوابط والروادع الاخلاقية والروحية التى من شانها كبح قوى الدمار .. وجاءت الماركسية لترتكب نفس الخطا باسلوب اخر . اعتمدت الماركسية نظرية النمو المادي الراسمالية ذاتها مقياساً للتقدم ، ومعياراً للسعادة الانسانية ، بل واتخذت وصف النمو الراسمالي قانوناً دائماً بالنسبة لنمو الاشتراكية ذاتها ، فوقع النظامان فى سباق واحد . سباق الانتاج المادي المتزايد إلى ما لا نهاية وإلى ما لا غاية . والفارق فقط فى الأسلوب بين نظام يعتمد المبادرة الفردية ونظام اخر يعتمد الدكتاتورية الجماعية . ولكن التاريخ لا يعود إلى الوراء ولا يكرر نفسه . ولابد من نظام آخر للنمو . فمن المؤكد فى نظري أن لا إشتراكية حقيقية بنظرية النمو المادي الحالية . فلا إشتراكية بدون تسام وتعال روحي فوق المادة وفوق النمو الاقتصادي المحض . وتحقيق ذلك مستحيل فى النظام الراسمالي وفى النظام الماركسي لأن الاثنين واقعان فى نفس الخطا وهو محاولة اقامة حضارة بدون ايمان وبدون تسام.» . »

احدق في وجه غارودي .. يخيل إلي ان قائل هذه العبارات الأخيرة هو سيد قطب . فقد كان هذا المفكر العربي يؤكد على هذه المقولة ، خاصة فى كتبه الاخيرة .. ولاشك أن قطب كان سيتقبل اعتناق غارودي للاسلام كخاتمة طبيعية لا مفر منها ..

يقطع غارودى تاملي الصامت بملاحظة جانبية !

« هل تعلم ان آخر مقالة للينين فى « البرافدا » كانت بشان تطبيق الجماعية فى الريف . ولكن النظام السوفياتي اهمل ذلك وابتعد عنه .. »

يشرد بعيداً ثم يقول : « حتى الفلسفة ماتت فى الغرب لأن التقدم المادي قضى عليها . هيغل كان آخر الفلاسفة العظام . ومن بعده اتجه نيتشه الى الشعر ، واتجه ماركس الى السياسة والاقتصاد ، وانتهت الفلسفة كبحث عقلي حر خاضع لقوانينه الذاتية وتطوره الطبيعي » .

ويضيف : « فى الحضارة الاسلامية لم يحدث هذا الفصل وهذه التجزيئية بين الأشياء . فى الاسلام العلم متصل بالدين والعمل مرتبط بالايمان ، والفلسفة مستوحاة من النبوة ، والنبوة متصلة بالعقل ، والأرض غير بعيدة عن السماء ، والسماء على اتصال بالارض . والتقدم الحضاري يسير صعداً نحو الله .. هذه الوحدانية فى مفهوم الحضارة ومفهوم الجماعة يحتاج إليها عالم اليوم المجزا فى كل شيء .. وهذا ما جذبني نحو المفهوم الاسلامي للوجود .. »

اتركه بلا اسئلة ، كما فعلت فى البداية ، لانه بلغ حالة من الصفاء لا تحتاج الى سؤال ..

يواصل : « أريد ان يصبح الابداع الفني الشعري وفعل الايمان ، وفعل العمل السياسى فى كائن واحد .. هكذا يبلغ الانسان الكمال .. وهذا ما يفتقر إليه اليوم ساسة الغرب ومفكروه ، واجده متجسداً لدى المتصوف المسلم محي الدين بن عربي الذى اعتبره اعظم من عبر عن وحدة الحضارة الانسانية فى التاريخ .. كما اعتبر الشاعر جلال الدين الرومي اكبر شاعر فى العالم .. »

– ولكن هل تعتقد ان الشعر قادر على مواجهة العصر ؟ .

– « نعم .. الشعر بمعناه الحدسي .. بمعنى الرؤية النافذة الى جوهر الأشياء واعمقها . الشعر ، كالرؤيا الصادقة ، يستوعب العالم فى كليته وشموله ، اما الفكر العقلاني فيتعامل معه فى جزئياته فلا ينفذ إلى روحه الكلية . الشعر يدرك الحقيقة البعيدة . اما اللاهوتي – على سبيل المثال – فياتي للشرح والتعليق على تفاصيل تلك الرؤيا الكلية . وهناك مثل بوذي يقول : عندما يرى الغبي احداً يؤشر باصبعه الى القمر ، لا يرى إلا الاصبع ! .. هذا ما يفعله اللاهوتي . »

قلت له : نرجو أن نكون ممن يرون القمر ولا يقفون عند رؤية الأصبع !

قال : هذه ماساة حضارتنا اليوم . انها لاترى غير الأصبع ..

قلت : رغم انها وصلت الى القمر ..

ضحك قائلا : « لكنها لم تصل الى قمر الحقيقة الذي تحدث عنه ابن عربي وجلال الدين الرومي .. »

واحسست انه غاب معهما فى مكان ما ثم تهيا لكلمة الختام :

– « هناك رسالة واحدة ابدية خالدة فى هذا الكون .. وقد جاءت النبوات المتعددة فى مراحل مختلفة لتقدم الأشكال المناسبة من تلك الرسالة الواحدة ، كل فى مرحلته وبطريقته واسلوبه . والاسلام يقر بوجود هذه الرسالة الواحدة وينطلق منها ويعمل لاكمالها . وعلى المسلمين اليوم استيحاء روح الاسلام لتطبيقها على المرحلة الجديدة بالشكل المناسب الذى يلائمها . لابد من استنباط هذا الشكل الجديد المتلائم مع روح العصر . تلك هي المهمة التى تنتظرهم .. »

وبلهجة لا تخلو من العتب ذكرنا فى النهاية : « الدراسات الاسلامية فى الغرب لاتنال ما تستحقه من رعاية . بينما الدراسات المعادية للاسلام تنال التشجيع الصهيوني الرسمي مثل كتاب نيبول المسمى « غسق الاسلام » والذى ترجم الى اكثر من لغة .. »

قلت : ولكن رغم تقصيرنا هذا .. فان المفكر روجيه غارودي قد اعتنق الاسلام !

د. محمد جابر الانصاري

# "سارة برنار" لم تفقد ذاكرتها

بقلم : عبد الله الجفري

تذكرت أننى تخيلت مرة أن ذاكرتى فقدت ، أو أننى أنسان بلا ذاكرة !!

برغم تخيلى .. فأنى أتذكر تلك المرة وكان الفصل ربيعاً .

لابأس ـ ثانية ـ انى أجلد ذاكرتى لتنشط ، وتحس ، وتستعيد !

كنا فى زيارة لعاصمة الضباب والبيوت السوداء القديمة الشاهقة ، والمنازل الكوخية المحدودبة الأجورية .

كنا مجموعة شباب يعتنى بذاكرته ، ويحشدها ، ويحاول إثراءها بصور التجارب ، والأفكار ، والمعرفة .

وعبر بنا القطار ـ ذلك اليوم ـ وسط بيوت ريفية على الجانبين ، والحشائش الخضراء تكسو وتغطى الأرض الممتدة المريحة للنظر ، وطرحنا مطلباً لايبدو صعباً على الذين دعونا وتكلفوا باطلاعنا على بلاد الانجليز .

ـ قلنا : نود أن نرى الريف الانجليزى ، وقلت وحدى مستطرداً : وندخل بيتاً من بيوته لمشاهدته من الداخل !!

وجاءت إجابة فى اذنى نادرة : أنتم تعرفوننا أكثر مما نعرف أنفسنا !

ـ وأجبت بصوت منخفض يلائم هدوء ذلك الجو : لكننا ايضاً نريد أن « نعرف » نفوسنا !!

ودخلنا بيتاً ريفياً .. كان يلوح من الخارج فقيراً .. متواضعاً جداً ، ورأيناه من الداخل بسيطاً رائعاً ، ومنظما مغريا ، ومريحا فاتنا .. إنه خلاصة ذوق ، أو كما قال « جاك بيرك : إن الذوق قمة الحضارة !!

ووقفت عند نافذته القريبة من الأرض مبعداً الستائر .. أكاد أخرج ساقى ، واقفز الى خارج البيت لأجرى على هذه الحشائش .. أجرى حتى اضيع ويتأكد أن لايمكن العثور على ، وأهيم بلا حدود .. بلا ظنون !

وعند وقوفى .. اقترب منى زميل يقول : انى اتمنى شيئاً مريحاً ، ورائعاً هذه اللحظة !؟

ـ قلت : ماذا تتمنى بهذه الشجاعة المتناهية ؟!

ـ قال : أتمنى أن افقد ذاكرتى !!

ـ قلت : ساتناول قضيباً من الحديد ، وبضربة « ذات مقاس » أهوى بها على رأسك ، ليس الى درجة الموت ، وسوف لاتموت ، وتخرج من المستشفى فاقداً للذاكرة !

ـ قال : دعنى أكتب لك اقراراً .. أن ماستفعله بى هو برغبتى !

ـ قلت : تريث .. لا أوافق أن اعطيك فرصة للراحة وحدك !

ـ قال : حتى فى الضرب والايذاء ؟! .. صدقنى انها تجربة عظيمة ، وغامرة بالسعادة .. أن تفقد ذاكرتك ، فانت مولود جديد !!

ـ قلت : ما الذى أوحى اليك بهذه الخواطر

ـ قال هذه الجنة على الأرض !

ـ قلت : وعدنا الله بأحسن منها فى الآخرة !

ـ قال : يبدو أن موعد موتى بعيد .. فدعنى أختلس من هنا الآن !!

ـ قلت : واذا فقدت ذاكرتك ؟!

ـ قال : سأبدأ حياة جديدة ... أنسى فيها كل ما يقرع ذهنى من مشاكل الانسان ، وكل ما يخرم صدرى من معاناة والآم الأرض . سأكون أنساناً جديداً أستطيع أن أبنى لنفسى واقعاً يغاير ما هو « شىء » ذاكرتى اليوم !

ـ قلت : ولاتتمنى بعد ذلك أن تفقد ذاكرتك من جديد ؟!

ـ قال : الذين يعيشون فصولا متعددة مابين باردة ، وحارة ، ودافئة .. هم وحدهم الذين يتمنون ذلك الذى تتحدث عنه ، لكنى حينما افقد ذاكرتى فلن تكون حياتى بعد ذلك إلا فصلا واحداً .. إما شتاء مستمراً ، شديد البرودة ، وإما صيفاً ساخناً لايتركنى أستعيد أنفاسى ، وإما دافئاً رغيداً أعيش فيه كهذه العجوز صاحبة هذا البيت الريفى .. تعرف ماذا تفعل عندما تستيقظ ، وماذا يتسلسل ويتعاقب فى ساعات اليوم ، وتعرف متى تنام !

ـ قلت : هذه دعة ، وشيخوخة !

ـ قال : خطأ .. هذه هى السعادة ، اسالها كم مرة أحبت ؟ .. انها لاتتذكر سوى انها مرتاحة الآن .. وانها كانت جميلة وعشقها الكثيرون ، وتزوجت الرجل الذى أحبت ، ولم تبك عليه يوم مات .. لأنها مقتنعة أنها استمتعت معه كل أيامه التى عاشها معها ، وانه لم يتبق لها ماتريد .. فهى كالذى فقد ذاكرته ، و .. استلقى على سرير متحرك يريه كل ما فى الجهات الأربع ، وما عليها !

ـ قلت : لكنك شاب ، وخلفك صغار ، وحياة لم تتكامل بعد ، وكفاح مرير من أجل لقمة العيش ، وتحقيق أحلام الحياة الرغدة !

ـ قال : اذا فقدت ذاكرتى شعرت أننى ملك الأرض ، وملك المطر ، والشمس ، والنجمة ، والعشب المنسرح .. أما بهذه الذاكرة فالغرور طاغ ، والرغبات لاتنتهى ،



سارة برنار

والمتابعة من الآخرين تتحول ظلا لكلماتك .. أشعر أن الأرض ملكى ، وأن المطر يجب أن يسقى هذه الأرض ، والشمس تدفئها ، والنجمة تزين ليلها ، والعشب يتحول الى نخلة تطرح جنيا ، أو هكذا أريد !

قلت : وهذه هى الحياة .. الأرض ملك لك اذا ما حافظت عليها ، والمطر يروى كل الأرض ، والنجمة فى السماء الواحدة . انك تتحدث كانك أسطورة ، أو كانك زمن سابق لأوانه !

ـ قال : لم اقصد هذا .. فانا لا أهتم بالتفاصيل . إنى فقط اتخلص من الشواغل ، وأبدو أنسانا جديداً .

قلت : تستطيع .. اذا أحسنت تربية نفسك وتاديب خلقك ، واضاءة ذهنك !

ـ قال : ذلك كله ممكن ، وسهل فى دنيا الناس ، المرهق فقط اننا لانقدر أن نتخلص من اخطائنا ، انى اتمنى أن افقد ذاكرتى حتى أئد كل اخطائى ، واغسل سوءاتى ، واتذكر فقط انه ينبغى أن أكون انسانا !

ـ قلت ضاحكا : تريد أن تتعاطف مع الاستطلاع النفسى الذى أجرته على نفسها مرة « سارة برنار » .. فرغم أنه قيل : ( كان الارجنتينيون يصنعون لها بساطا من مناديلهم الموشاة المطرزة فى بيونس أيرس ) .. الا انها كانت دائما تود الهروب من هذا التواجد الملح والعنيف .. حتى انها ذات مرة ، وهى تفكر فى الاختفاء من عيون الناس واعجابهم ، وحقدهم .. قالت لفيكتور هيجو :

« فيكتور أيها الأديب الرائع : انك تكتب المسرحيات التى أمثلها ويصفق الناس لى لنا ، وانت كاتب حوارها ، لكنك لم تقل لى مرة : أحبك ياسارة ! .. لأنك تجامل خجلك ، ولأنك تحب نفسك كثيراً . كم أتمنى يا فيكتور لو افقد ذاكرتى ، وأهيم فى الحقول ، ثم أصادفك عابراً فاتعرف عليك .. انسانين مجهولين يعرفان بعد ذلك كيف يحب كل منهما الآخر » !

وأراد أن يجيب الكاتب الكبير .. لكنها وضعت يدها على فمه برفق ، وقالت له مستطردة :

« دعنى أكمل .. أعرف ما تريد أن تجادلنى به ، وتبرره . أنت تعرف ـ بير لوى ـ أديب فرنسا . لقد كتب الى يقول : اننى مجنون .. لم أعد ادرك ماذا افعل .. اننى أبكى .. أرتجف . سارة .. اننى احبك ! »

كان من الأجمل والأمتع أن أحبه ايضا .. لكنه كان صاحب ذاكرة فظيعة . يا الهى .. لو فقد ذاكرته ، كنت احببته !!

وتطلعت الى وجه زميلى ، وكان صامتا ومغمضا ، ومنصتا ..

وسكت انتظر حواره ، أو جدله ، لكنه لم يتكلم ، فقلت :

ـ ما بالك.؟! .. لم تجب على ما رويته لك .. ما رأيك فى سارة برنار ، وفيكتور ، وبير لوى .. فى هذه الحادثة ؟!

ـ ورفع رأسه وقال : حتى طلب فقدان الذاكرة مشكلة ، لقد كانت « سارة » تبحث عن شىء خيالى .. كانت مجنونة فى حالة عقل تعيش . وكان فيكتور معذبا بين الجنون والعقل . أما بيير لوى فقد كان عاقلا فى حالة جنون !!

ـ قلت : فما الذى تبحث عنه ؟!

ـ قال بذهول : لا أدرى !!

ـ قلت : تبحث عن دفء الربيع فوق خط استواء دائم . اننا نفقد ذخائرنا فى لحظة اشتغالنا ، أو فى شتاء نفوسنا القارس .. اننا لايمكن أن نكون مجانين كليا ، أو عقلاء ، باستمرار ! .. ان فيكتور هيجو لم يفرط فى حب سارة برنار ، وأيضا لم يبل صادية نفسه من الحب ، ويستمتع به ! هؤلاء هم : « نحن » .. هؤلاء هم الناس ..

إننا نحتفل بالربيع فى الصيف ، ونرتعش من البرودة والشمس ساطعة فى كل مكان !

• • •

وسرت قشعريرة خفيفة فى كيانى .. طغت على الدفء ، واكتشفت اننى لم أفعل اكثر من التذكر ، وأن عنقى تصلب من كثرة « نهوضه » بين كتفى .. والليل يحمل فكرة **الربيع . والمباشرة في الرؤية اعمق من وجوه البشر .. ينبغي إذن أن اريح راسي وأنـــام !! .**

**عبد الله الجفري ـ جدة**

# مصر وفلسطين في العصر العثماني
## من خلال وثائق المحكمة الشرعية المصرية

بقلم : الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
جامعة قطر

علاقات مصر بفلسطين فى العصر العثماني الأول ( ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م ) ، تعتبر امتداداً تاريخياً وطبيعياً ، للعلاقات التى كانت قائمة بينهما ، منذ أقدم العصور ، والذى يعنينا فى هذا البحث ، وضع لمسات على هذه العلاقات ، وبخاصة فى **المجالات** الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، والتى يتبين منها للباحث ضخامة الدور الذى كان يقوم به أبناء المدن والقرى الواقعة فى الجزء الجنوبى من بلاد الشام ( فلسطين ) «١» فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، بل والسياسى . خلال هذا العصر .

ومن المعروف أن بلاد الشام بأقاليمها المختلفة ، كانت فى العصر المملوكى تكون جزءاً من الدولة المملوكية . وكان حكام أقاليمها نواباً للسلطان المملوكى بالقاهرة ، ولم تكن هناك حدود أو حواجز سياسية تفصل بين الاقليمين ، وبانهيار النظام المملوكى ، دخلت كل من مصر وبلاد الشام فى حوزة دولة واحدة وهى الدولة العثمانية ، وظللت الصلة بين الاقليمين قائمة ، حيث لم يعرفا كذلك الحدود السياسية بالمعنى المعروف لنا اليوم ، والباحث فى مصادر تاريخ العصر ، سواء منها الكتابات المعاصرة أو وثائق المحكمة الشرعية ـ التى تعتبر تسجيلا دقيقاً للحياة اليومية آنذاك ، فانه يجد كماً وافراً من هذه الوثائق التى تتعلق بأبناء المدن والقرى والمناطق الجنوبية من بلاد الشام ( فلسطين ) ونشاطاتهم المختلفة فى المدن والقرى المصرية ، وهذا ما يعنينا فى هذا البحث وبخاصة فى المجالات السابق الاشارة اليهـــا «٢» .

أما عن الارتباط السياسى بين مصر وفلسطين ، فقد سبقت لنا معالجة هذا الجانب ، فى بحث آخر ضمن علاقات بلاد الشام بمصر فى العصر العثمانى ( ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ ) . وتكفى الاشارة هنا الى أن ارتباط أحداث البلدين السياسية خلال العصر العثمانى ، وبخاصة فى النصـف الثانى من القرن الثامن عشر ، حيث ازداد نفوذ القوى المحلية ، فى كلا الاقليمين ، وحدث تنسيق فى العمل بين هذه القوى المحلية ضد الحكم العثمانى (٣) ، وارتبطت أحداث البلدين ارتباطاً وثيقاً ، **كما هي مسجلة في كتابات التاريخ السياسي** الذى سبق لنا معالجته ، ولذا فان تركيزنا هنا منصب على المجالات الأخرى من واقع سجلات المحكمة الشرعية .

### أولا : العلاقات الاقتصادية :

لعب أبناء المدن والقرى الفلسطينية ، دوراً بارزاً ، فى تاريخ مصر الاقتصادى ، خلال العصر العثمانى ويوجد كم ضخم من وثائق المحكمة الشرعية ، التى تتعلق بنشاط الفلسطينيين الاقتصادى فى مصر خلال هذا العصر . وترسم هذه الوثائق



رأى الأزهر الشريف اعدادا ضخمة من العلماء الفلسطينيين الذين تلقوا تعليمهم داخل أروقته .

صورة تفصيلية وواضحة للعلاقات الاقتصادية التى كانت قائمة بين المنطقة الجنوبية من بلاد الشام ( فلسطين ) وبين مصر ، كما أن هذه الوثائق توضح دور أبناء فلسطين فى تاريخ مصر الاقتصادى ونوعية **هذا الدور وضخامته ، فقد اتيحت لأبناء المدن والقرى الفلسطينية ـ كما هو واضح من نسبتهم إلى هذه المدن والقرى ـ فرص الاشتغال بالنشاط التجاري في** داخل مصر ، وفى شتى أرجاء شمالها وجنوبها على السواء ، كما عمل بعضهم على ممارسة هذا النشاط ما بين مصر وبلاد الشام ، وقد شمل نشاطهم مختلف السلع التى كانت رائجة فى مصر ، وبلاد الشام فى تلك الفترة ، فمن بين السلع التى يرد ذكرها فى هذه الوثائق ، الأقمشة القطنية والحريرية ، البن ، التبغ ، الصابون ، المشروبات ، الحلوى ، وغير ذلك من السلع الأخرى (٤) . وتمكن بعض الفلسطينيين عن طريق ممارسة النشاط التجارى ، من تكوين رأس مال ضخم استثمره فى تكوين شركات تجارية كبيرة ، أو فى تملك العقارات فى المدن المصرية المختلفة أو فى التزام الأراضى الزراعية ، أو فى بعض الصناعات المحلية . ويكفى أن يقف الباحث من خلال هذه الوثائق على علو نسبة التجار من أبناء فلسطين الذين كانوا يمتلكون محلات تجارية فى سوق الصاغة بالقاهرة . وكذلك فى سوق الحمزاوى ، وهى السوق التى كانت متخصصة فى تجارة الأقمشة المحلية والمستوردة ، وبصورة خاصة الأقمشة الحريرية والقطنية (٥) وفى نفس الوقت فان هذه السلع كانت من بين السلع التى تستورد من بلاد الشام ، كما ذكر ذلك شابرول أحد علماء الحملة الفرنسية ضمن قائمة البضائع المستوردة إلى مصر عام ١٧٧٥ م (٦) وقد كان إقبال الشعب المصرى على السلع الشامية فى ذلك العصر كبيراً ، كذلك اشتغل بعض الفلسطينيين بالمتاجرة فى الحلوى وصناعتها وكذلك عمل البقسماط (٧) هذا الى جانب اشتغالهم بالحرف المهنية الأخرى مثلا : الحلاقة والحياكة . وصناعة الأسلحة وبخاصة فى مدينتى القاهرة والأسكندرية (٨) والمتتبع لخريطة القاهرة العمرانية فى العصر العثمانى ، من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، يجد كثيراً من الوكالات التجارية التى كانت قائمة آنذاك ، والكثير من أحياء القاهرة ، كانت عامرة بالشوام الذين ينتمون إلى القرى والمدن الفلسطينية ، وامتد نشاط هؤلاء الفلسطينيين الى التجارة الخارجية ، فمارسوا عمليات الاستيراد والتصدير من مصر وإليها وأصبح لهم وكلاء تجاريون ، يعملون باسمهم فى موانى البحر الأحمر ، مثل جدة والمخا والسويس كما كان لهم وكلاء ببلاد الشام ، ولم يقتصر نشاطهم على التجارة فى السلع الشامية وإنما امتد الى جميع السلع المستوردة من أوروبا وبلاد الشرق فشمل البن والأقمشة الهندية والأسلحة والحلى وغيرها (٩) .

ومن واقع وثائق محكمة القسمة العسكرية بأرشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة ، يستطيع الباحث أن يقف على ضخامة التركات والثروات التى خلفها أبناء فلسطين لورثتهم سواء الموجود منهم بمصر أو ببلاد الشام ، حيث أن حجج إعلام الوراثة ، وتحديد الورثة كانت فى كثير من الأحيان تصدر من محاكم بلاد الشام ، ويقرها القضاء فى مصر بعد ثبوت صحتها (١٠) ولما كان المجتمع فى ذلك الوقت يقوم على أساس التنظيم الطائفى ، فابناء كل مهنة يكونون طائفة لها شيخها ووكيلها ، وكذلك المشتغلين بالتجارة ، فتجار كل سلعة يكونون فيما بينهم اتحاداً أو طائفة لها شيخها ووكيلها كذلك بهدف حماية السلعة والتحكم فى أسعارها ، فان كثيراً من الشوام الذين ينتمون الى المناطق الفلسطينية أساساً تمكنوا من الوصول إلى منصب مشيخة الطائفة التى ينتسبون إليها . فقد استطاع الخواجا محمد الشامى الفلسطينى الأصل أن يصبح « شيخ الشرب » « بسوق الشرب » ، واستطاع الحاج أحمد الفلسطيني الشامى أن يصبح « شيخ طائفة القطانين » أى المشتغلين بصنع الملابس القطنية فى وكالة القطن ببولاق . وهناك عدد كبير تسجل الوثائق

# مصر وفلسطين
## في العصر العثماني

أسماءهم كشيوخ لطوائف المهن التى يعملون بها ويوصفون بوصف الفلسطينى الشامى (١١) .

وقد كان هؤلاء التجار والحرفيون كما يتضح من الوثائق ينتمون إلى جميع المناطق الفلسطينية ، فنجد من بينهم الغزى **والحيفاوي** والنابلسى والخليلى والصفدى ، والقدسى . والرملى واليافى وغير ذلك من البلدان الفلسطينية التى كانوا ينتسبون إليها (١٢) .

أما عن استثمار هؤلاء الفلسطينيين لرؤوس الأموال التى تكونت لديهم ، فقد استثمروها بحرية كما يتضح من الوثائق فى كل أوجه الاستثمار الممكنة ، مثل شراء العقارات والدور فى القاهرة وغيرها من المدن المصرية ، وفى التزام الأراضى الزراعية فى مختلف أنحاء مصر ، وفى عمليات الاستيراد والتصدير ما بين مصر وبلاد الشام واليمن والهند ، حتى انه ليصعب على أى باحث فى تاريخ مصر الاقتصادى فى العصر العثمانى أن يغفل الدور الاقتصادى البارز الذى لعبه التجار الفلسطينيون فى هذا التاريخ ، وبذلك حافظ هؤلاء التجار على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين فى ذلك العصر (١٣) .

### ثانياً: العلاقات الثقافية

يكفى للباحث كى يدرك ضخامة العلاقات الثقافية بين مصر وفلسطين أن يرجع إلى كتب التراجم وسجلات المحاكم الشرعية ، ووثائق العصر ، وبخاصة ما يتعلق منها بالأزهر فانه ولاشك سوف يقف على سلسلة كبيرة ومتصلة الحلقات من المثقفين الفلسطينيين الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر ، كما أنه سوف يجد من بين علماء الأزهر كثيراً من الفلسطينيين حيث أن بعضهم تصدى للتدريس والافتاء بالجامع

**الأزهر بعد ان اجيزوا من علمائه ونعتوا بانهم « من أعيان أهل الافادة والافتاء » بالجامع الأزهر» بل ان هناك علماء فلسطينيين** جمعوا بين وظيفتى التدريس والافتاء فى نفس الوقت مثل الشيخ « حسن **المقدسي الحنفي** ، فقد ذكرت الوثائق أنه كان « من أعيان أهل الافادة **والافتاء** والتدريس بالجامع الأزهر » (١٤) .

وقد كان للشوام رواقهم الخاص بهم فى الجامع الأزهر ، عرف باسم رواق السادة الشوام ، وكانت مشيخة هذا الرواق ونظارة أوقافه توكلان الى أحد علماء الشوام باختيارهم ، بشرط أن يكون ممن يشتغلون بالتدريس فى الجامع الأزهر (١٥) ، وتسجل الوثائق ذلك فتذكر أن « الشيخ الامام العلامة الهمام شهاب الملة والدين مولانا الشيخ أحمد الفالوجى ، شيخ رواق السادة الشوام المجاورين بالجامع الأزهر - الشافعى عين أعيان أهل الافادة والتدريس بالجامع الأزهر (١٦) و « الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم الشيخ عنبر الشامى شيخ رواق السادة الشوام بالجامع الأزهر (١٧) » ، هكذا نرى أن الذى يتولى مشيخة رواق السادة الشوام ، كان ولابد أن يكون شامياً ، ومشتغلا بالتدريس فى الأزهر ، حتى يستطيع أن يشرف على المجاورين ( طلاب ) الشوام إشرافاً دقيقاً وصادقاً ، وقد كان رواق الشوام من أكبر اروقة الأزهر جميعها وقد اوقف عليه بعض الأمراء المماليك ، منذ عصر السلطان قايتباى كثيراً من الأوقاف وقد كان العلماء الشوام فريقين ، أحدهما : ولد ونشأ وتعلم فى مصر ولكنه ظل يحتفظ بنسبه إلى بلاد الشام ، مثل إبراهيم بن ابى بكر بن اسماعيل العوفى .

**كان من اعيان الأفاضل له اليد الطولى** فى الفرائض والحساب ، مع التبحر فى الفقه وغيره من العلوم الدينية ، وهو حنبلى المذهب ، نشأ بمصر وأخذ الفقه عن العلامة منصور البهوتى ، والحديث عن جمع من شيوخ الأزهر ، وأجازه غالب شيوخه وألف مؤلفات منها شرح على منتهى الارادات فى فقه مذهبه فى مجلدات ، ومناسك الحج فى **مجلدين** ، ورسائل كثيرة فى الفرائض والحساب ، وكان لطيف المذاكرة، حسن المحاضرة ، قوى الفكرة ، واسع العقل ، وكان فيه رياسة وحشمة موفورة (١٨) ، ومروءة .

**والفريق** الثانى من هؤلاء العلماء ، كان يأتى الى مصر للالتقاء بعلماء أزهرها ، والأخذ عنهم فى بعض العلوم وإجازتهم ، وكانت مدة اقامتهم فيها لفترات قد تطول وقد تقصر ، حسب قدراتهم التى تمكنهم من الحصول على الاجازة المطلوبة مثل غرس **الدين محمد بن احمد الازدي الخليلي** ١٦٤٧ **و ياسين بن محمد الخليلي كذلك المتوفى** ١٦٧٥ م ، والعلامة شمس الدين حامد الصفدى الشافعى المتوفى ١٥٨٢» وغيرهم كثير ، وأحياناً كان نفر من هذا الفريق يشتغل الى جانب طلبة العلم ببعض الأمور التى تمكنه من كسب عيشه مثل ابراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدى الذى كان « يأكل من كسب يمينه ، ويتردد الى القاهرة للتجارة ولقي بها الجلة من العلماء مثل النجم الغيطى صاحب المعراج والاستاذ محمد البكرى والشمس الرملى والبنوفرى واخذ عنهم » (١٩) بل ان البعض من هذا الفريق آثر الاستقرار بمصر والاشتغال ببعض الأمور التى تدر عليهم بعض الرزق الذى يكفى لمعاشهم ، مثل كتابة الحجج فى المحكمة الشرعية وغير ذلك حتى أن بعضهم استطاع التدرج فى السلك القضائى حتى تولوا نيابة القضاء فى مصر مثل القاضى السيد نجم الدين بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن عبد الله التمرتاشى الغزى الحنفى الذى ذكر عنه الجبرتى أنه تولى « نيابة أبيار بالمنوفية ، ومرسومات بنظارات أوقاف ، فاقام بأبيار قاضياً نيفا وعشرين سنة ، وهو يشترى نيابتها كل دور ، وابتدع فيها الكشف على الأوقاف القديمة والمساجد الخربة التى بالولاية وحساب الواضعين أيديهم على أرزاقها ، وأطيانها حتى جمع من ذلك أموالا ، ثم رجع الى مصر (القاهرة) واشترى داراً عظيمة بدرب قرمز بين القصرين ، واشترى المماليك والجوارى ، وترونق حاله ، واشتهر أمره وركب الخيول المسومة وصار من عداد الوجهاء ، ثم تولى **نيابة القضاء بمصر فى سنة ( ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م ) ، فازدادت وجاهته وانتشر صيته وابتكر اموراًمنها تحليف الشهود ، وغير ذلك ووصل به الأمر إلى حد انه جعل مملوكه على أفندي يتولى نيابات القضاء في المحلة ومنوف وغيرها . (٢٠) اما الفريق**

الذى عاد الى بلاده بعد اجازته فى علوم الفقه والحديث والعربية ، فقد حمل رسالته فى نشر ما تعلمه بين ابناء وطنه او تولى مناصب الافتاء والتدريس أو نيابة القضاء فى احدى محاكم بلاد الشام واذا ما واصلنا تتبع هؤلاء العلماء من كتب وتراجم العصر **ووثائقه منذ القرن السادس عشر ، وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، لخرجنا بالملاحظات التالية :**

أولا – نجد أن معظم العلماء الذين برزوا على المسرح الثقافى فى بلاد الشام عامة ، وفلسطين بخاصة تلقوا علومهم أساسا فى مصر فى أزهرها الشريف ، وأجيزوا على يد علماء مصريين فى مختلف علوم الدين واللغة ، وظل هؤلاء العلماء كما تذكر المصادر على صلة بأساتذتهم فى الأزهر ، يرسلون اليهم طلابهم أحيانا ، ويناقشونهم ويستفتونهم عن طريق المراسلة فى بعض المسائل الأخرى .

ثانيا : أن بعض هؤلاء العلماء حسنت لهم المعيشة فى مصر ، فاستقروا بها ، وتصدوا للتدريس فى الأزهر وحازوا على مكانة عالية بين علماء عصرهم مثل مرعى ابن يوسف الحنبلى ، الذى ينتمى الى قرية طولكرم من قرى نابلس ، وكذا ابن أخيه الشيخ احمد بن يحيى بن يوسف الحنبلى وقد استطاع بعض هؤلاء العلماء خلال القرن الثامن أن يصل الى منصبى مشيخة الأزهر ورياسة القضاء فى مصر .

ثالثا : تذكر المصادر ووثائق المحكمة الشرعية فى صدر ترجمتها لهؤلاء العلماء كثيراً من الالقاب التى تدل على النباهة والذكاء مثل ألقاب « الامام ، الفقيه ، العلامة ، المحدث ، الباحث ، الأديب ، اللبيب ، النجيب ، المفوه ، الفهامة ، شهاب الدين والملة » وغير ذلك من الالقاب التى تدل على مكانة هؤلاء العلماء العلمية كما تدل فى نفس الوقت على اعجاب علماء عصرهم بهم (٢١) وهكذا نجد انه عن **طريق هذا الوجود الثقافي الفلسطيني** الشامى فى مصر ، أصبحت علاقة مصر ببلاد الشام عامة وفلسطين خاصة فى هذا المجال علاقة تاثر وتاثير ، أخذ وعطاء ، أى وجود تكامل ثقافى بين الاقليمين .

## ثالثاً : العلاقة الاجتماعية

يتميز دور الفلسطينيين الشوام فى الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر العثمانى بأنه ذا شقين :شق ايجابى ، وشق سلبى .

أما عن الشق الايجابى : فيبرز واضحاً حيث استقرت غالبية فلسطينية شاملة شامية فى القاهرة والمدن المصرية الأخرى والعديد من القرى المصرية ، وتتضح ايجابية هذا الدور مما تسجله لنا وثائق المحكمة الشرعية ، فان اشتغال الفلسطينيين الشوام بالتجارة وبالحرف المهنية جعلهم على علاقة قوية بطوائف المجتمع المصرى الأخرى والاندماج مع هذه الطوائف والتأثر بها والتأثير فيها ، والامتزاج معها دما ومعاملة ، فنعثر بين هذه الوثائق على كم ضخم من عقود الزواج التى تمت بين فلسطينيين شوام ومصريات ومغربيات والعكس بالعكس . ومن السمات البارزة فى هذه العقود ان شهودها معظمهم إن لم يكونوا كلهم من الفلسطينيين . كذلك نجد فى دفاتر محكمة القسمة العسكرية التى كانت تسجل فيها تركات المتوفين من رجال الأوجاقات كثيراً من الفلسطينيين الشوام الذين اندمجوا فى الأوجاقات العسكرية التى تتكون منها الحامية العثمانية فى مصر ، وتمتعوا بامتيازات رجال هذه الفرق ، واندمجوا فيها وصاهروا بعض أسرها إدراكاً منهم لأهمية الاندماج الاجتماعى مع الفرق العسكرية (٢٢) .

وتذكر المصادر المعاصرة لبعض الشوام الذين طابت لهم المعيشة فى مصر فاستقروا فيها وتخلقوا بأخلاق أهلها وتزيوا بزيهم ، وترك هذا الوجود الفلسطيني فى مصر بصماته الواضحة على المجتمع المصرى وذوقه ، حتى وصل اعجاب المجتمع المصرى ببعض الأطعمة والملبوسات الشامية الى درجة تفوق مجرد الاعجاب العادى ، فالشاشات الشامية والملابس الحريرية كانت لها شهرة واسعة فى مختلف أوساط المجتمع المصرى ، ومن جانب أخر ان الفلسطينيين الشوام الذين استقروا فى مصر علماء وتجاراً ، أعجبوا بالشخصية المصرية واندمجوا وتخلقوا باخلاقها وأصبحوا مصريين فى سلوكهم شاميين فى أصولهم ، وحمل بعضهم صفة المصرى الى نسبة الشامى « مصرى الاقامة » شامى الأصل . » هكذا كان دور الفلسطينيين الشوام الايجابى فى حياة المجتمع المصرى تاثيرا وتاثرا أخذا وعطاء (٢٣) » أما عن الشق السلبى : من دور الفلسطينيين الشوام فى المجتمع المصرى ، فيتمثل فى دور العربان البدو ، الذين كثيرا ما أغاروا على ريف مصر وقراها يسلبون وينهبون وبخاصة فى ريف الوجه البحرى ومصر الوسطى ، واعتداءاتهم المتكرر على قافلة الحج المصرى وسلب ما تحمله ، حتى اضطرت سلطات القاهرة الى تعيين قائد من الأمراء المماليك لحماية قافلة الحج أصبح يحمل لقب « أمير الحج » وصار هذا المنصب من أكبر المناصب التى يتنافس عليها الأمراء المماليك ، ويصدر به فرمان من السلطان العثمانى ، ومع ذلك استمرت عمليات هؤلاء العربان العدوانية حتى دخول الحملة الفرنسية الأراضى المصرية ، وقد قام علماء هذه الحملة بتسجيل هؤلاء العربان والمناطق التى كانت تتعرض لعدوانهم والمناطق الجنوبية من بلاد الشام التى ينتمون إليها ومحاولة استقرارهم ، ذلك هو الجانب السلبى المتمثل فى عمليات العربان الفلسطينيين العدوانية ضد المجتمع المصرى ، خلال فترة الحكم العثمانى (٢٤) .

• •

## تقويم :

**هكذا نرى ان الفلسطينيين ، قد قاموا بدور كبير فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، واذا كان الاقليمان يكونان فى ظل الحكم المملوكى جناحين لجسم واحد هو الامبراطورية المملوكية ، ولا توجد قيود تحد من العلاقة بينهما ، ورغم انهيار هذه الامبراطورية ، والتغيير الذى حدث فى السلطة الادارية والسياسية فان العلاقة بينهما فى ظل الحكم العثمانى بقيت قائمة ،**

# مصر وفلسطين
## في العصر العثماني

ولذا بقيت الصلة بين الاقليمين مستمرة ، وظلت أحداث كل منهما وأحواله تتأثر بأحداث الاقليم الآخر وتؤثر به ، فالعلاقات الاقتصادية استمرت على حالها ، وظلت السلع الشامية توزع فى المدن والقرى المصرية على يد أبناء فلسطين . وقد سجل علماء الحملة الفرنسية ذلك كما سبقت الاشارة ، وكذلك فعلت وثائق المحكمة الشرعية مدللة على ضخامة حجم السلع التى كانت تستوردها مصر من بلاد الشام ، من دمشق وحلب وطرابلس وبيروت وصفد والقدس وغزة على يد هؤلاء التجار الفلسطينيين كما تسجل لنا هذه المصادر أن بعض التجار الفلسطينيين استطاع أن يكون رأس مال ضخم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الروابط الثقافية بين الاقليمين رغم ما يقال عن التخلف الذى أصاب الحياة الثقافية فى ظل الحكم العثمانى فان التراجم التى سجلتها المصادر المعاصرة ووثائق العصر للعلماء الفلسطينيين الشوام الذين أتوا الى مصر وتعلموا فيها وعلموا ودرسوا ، ثم ارتحلوا الى بلادهم وتصدوا للتدريس فيها لتثبت قوة هذه العلاقة ونشاطها بل وازدهارها ، فكثير من المصادر ، والتراجم والمصنفات من مختلف فنون العلوم النقلية والعقلية وضعت على يد هؤلاء العلماء .

أما العلاقات الاجتماعية بين الاقليمين فكانت نتاجاً طبيعياً للعلاقات الاقتصادية والثقافية ، فلاشك ان إقامة بعض طوائف الفلسطينيين فى مصر وارتحالهم منها وإليها ادى إلى امتزاجهم وتاثيرهم في المجتمع المصرى وتأثرهم به ، وتأثر عادات وتقاليد وذوق كل من الاقليمين بعادات وتقاليد وذوق مجتمع الاقليم الآخر ، وظل هذا التأثير قائماً حتى يومنا هذا ولم يعد قصراً على العصر العثمانى كما سبقت الاشارة .

خلاصة القول ان العلاقة بين الاقليمين كانت علاقات تأثر وتأثير ، أخذ وعطاء بين إقليمين من أمة واحدة مهما اختلفت صورة الحكم والهيئة الحاكمة .

د. عبد الرحيم عبد الرحمن

## مصادر البحث


اولا : وثائق المحكمة الشرعية المصرية ( غير منشورة ) :

توجد هذه الوثائق بأرشيف المحكمة الشرعية ، المحفوظ بمقر الشهر العقارى المصرى بشارع رمسيس بالقاهرة ، والسجلات التى استعملت فى البحث هى :

١ ـ سجلات محكمة القسمة العسكرية .

٢ ـ سجلات محكمة الصالحية النجمية .

٣ ـ سجلات اسقاط القرى .

ثانيا : المخطوطات غير المنشورة :

١ ـ البكرى ( محمد بن أبى السرور ) . اللطائف الربانية على المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ( ٨٠ ) تاريخ .

٢ ـ يوسف الملوانى .
تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، ونسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٢٣ تاريخ ، مصورة عن النسخة الأصلية المكتوبة بخط المؤلف والمحفوظة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج تحت رقم (٨٠) تاريخ .

ثالثا : المصادر المطبوعة :

١ ـ البكرى ( محمد بن أبى السرور ) كشف الكربة فى رفع الطلبة تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن المجلة التاريخية المصرية « مجلد ٢٣ » سنة ١٩٧٦ م .

٢ ـ الجبرتى : (عبد الرحمن بن حسن) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء طبع القاهرة ١٩٠٤ م .

٣ ـ خفاجى ( محمد عبد المنعم ) الأزهر فى ألف عام ، الجزء الثانى ـ القاهرة .

٤ ـ شابرول ( ج . دى ) دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، وصف مصر ، الترجمة الكاملة ، ترجمة زهير الشايب ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٩ م .

٥ ـ رافق ، عبد الكريم ( دكتور ) بلاد الشام ومصر ، من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ ـ ١٧٩٨ م ، الطبعة الثانية ، دمشق سنة ١٩٦٨ م .

**٦ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) ، الريف المصري في القرن الثامن عشر ، طبع جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤م**

٧ ـ عبد الغنى ( أحمد شلبى ) أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشيات تحقيق وتقديم دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧٩ م .

٨ ـ عوض ( عبد العزيز محمد ) ، دكتور الادارة العثمانية فى ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ م ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ م .

٩ ـ المحبى ، خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، طبع بيروت بدون تاريخ .

١٠ ـ المرادى ( محمد خليل ) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، طبع بغداد ، مكتبة المتنبى .

# هـــــوامـــــش

(١) بخصوص التقسيمات الادارية في بلاد الشام في العصر العثماني ، انظر : عوض ، عبد العزيز محمد ، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ ص ٦١ ـ ٦٣ .

(٢) على سبيل المثال لا الحصر ، نعثر فى سجل واحد من سجلات محكمة القسمة العسكرية ، وهو السجل رقم (١٧٥) ، الخاص بالفترة من ٢٢ ربيع الأول ١١٧٧هـ ـ ٢٠ ذي الحجة ١١٧٧هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٧٦٣م/ ٢٠ يونية ١٧٦٤م ، على الوثائق التالية المتعلقة بالتجار الشوام من أبناء فلسطين ، وثيقة رقم ٣٤٦ ص٢٤٢ ، رقم ٤٢٧ ص٣٠٦ ، رقم ٤٣٤ ، رقم ٥٨٢ ص٤٣١ ، رقم ٥٨٣ ص٤٣١ ، رقم ٥٨٤ ص٤٣٥ ، رقم ٦١٨ ص٤٥٩ . وهكذا دواليك في كل سجلات المحاكم الشرعية المصرية ، والتي قمنا بحصرها وحصر سجلاتها فى كتاب « الريف المصري فى القرن الثامن عشر » ، ص٣٩ ، وعددها (١٦) محكمة وعدد سجلاتها (٢٠٦٦) سجلا .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :رافق ، عبد الكريم ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ ـ ١٧٩٨م) ص٣٤٥ ـ ٤١٨

(٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة الصالحية النجمية سجل (٥١٩) ص٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦، سجلات القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، ص ٣٠٦ مادة ٤٢٧ سجل ٦٨٤ ، ص٦ ، وثيقة ١٥ ، ص ٨٢ وثيقة ١٧٩ ، ص ١٠٦ ، وثيقة ٣٢٧

(٥) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، مادة ٣٨٣ ، ص ٢٧٠ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ١٠ ، ١١ ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، سجل ١٦٥ قسمة عسكرية ، ص ٢٠٢ ، مادة ٧

(٦) ج . دى . شابرول دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ضمن ابحاث وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، الطبعة الثانية ، طبع القاهرة ١٩٧٩ م ص ٢٣٨ ـ ٢٤٣ .

٧) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية سجل ٦٨٤ ، ص ١٠٦ ، وثيقة ٢٢٧ .

٨) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية سجل ٦٨٤ ، ص ٦ ، وثيقة ١٥ ، ص ٨٢ ، وثيقة ١٧٩ .

٩) أرشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٦٥ ، ص٢٠٢ ، وثيقة ٣٠٧ ، سجل ١١٤ ص٤٨ ، وثيقة ٣٨ ص ٥٣ ، وثيقة ٤١ ، سجل ١٤٥ ، ص ٤١ وثيقة ٣٨ ، سجل ٦٨٤ ص ٨٢ ، وثيقة ١٧٩ ، ص ١٠٦ وثيقة ٢٢٧ ، سجل ١٧٥ ، ص ٣٠٦ وثيقة ٤٢٧ ، ومحكمة الصالحية النجمية سجل ٥١٩ ، ص ٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦ ، انظر كذلك بخصوص التجار الشوام من ابناء فلسطين ومناطق انتشارهم فى القاهرة ، المصدر القيم الذى كتبه البروفسور أندريه ريمون عن الحرفيين والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر .

١٠) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ٧ ص ١٧٩ ، وثيقة ١٨١ ، سجل ١٦٥ ص ٤٨ وثيقة ١٠٣٨ سجل ١٧٥ ص ٤٣١ ، وثيقة ٥٨٢ سجل ١٤٥ ، ص ٧١ وثيقة ٩٥ وسجلات اسقاط القرى ، سجل ٧ ، ص ٧٩ ، وثيقة ١١٨ ، وسجل ١٨ ، ص ١١ بدون رقم للوثيقة ، سجلات الديوان العالى ، سجل رقم ١ ، ص ٨٥ ، وثيقة ١٧٦ ، ص ٣٠ ، وثيقة ٥٧ .

١١) ارشيف المحكمة العسكرية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ٧ ص ١٧٩ وثيقة ١٨١ . سجلات الديوان العالى ، سجل ١ ص ٨٥ ، وثيقة ١٧٦ ، قسمة عسكرية سجل ١٧٥ ص ٣٠٦ ، وثيقة ٤٢٧ .

١٢) ارشيف المحكمة الشرعية ، قسمة عسكرية ، سجل ١٧٥ وثائق رقم ٣٤٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، سجل ١٦٥ وثيقة ٣٨ ، سجل ١٤٥ ، وثائق ٣٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، هذا على سبيل المثال لا الحصر .

١٣) ارشيف المحكمة الشرعية ، سجل اسقاط القرى ، رقم ٧ ، ص ٧٩ وثيقة ١٨١ سجل ١٨ ، ص ١١ قسمة عسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٤٣١ ، وثيقة ٥٨٣ ، سجل ١٦٥ ، ص ٤٨ ، وثيقة ٣٨ الصالحية النجمية ، سجل ٥١٩ ، ص ٢٧٠ مادة ٥٥٦ ، قسمة عسكرية ١٤٥ ، ص ٧١ وثيقة ٩٥ ، ص ٧٤ ، وثيقة ٩٩ .

١٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ص ٢٤٢ ، وثيقة ٣٤٦ .

١٥) انشا هذا الرواق السلطان قايتباى (١٤٦٨ ـ ١٤٩٦ م) وزاد فيه الأمير عثمان كتخدا ، وعبد الرحمن كتخدا فى القرن الثامن عشر حتى صار اكبر من رواق الصعايدة ، وكان باعلاه حوالى الثلاثين حجرة لمجاورى الشوام ، وبه خزانة كتب ، وقد اوقف عليه كل من الامير عثمان والأمير عبد الرحمن كتخدا اوقافا ظلت جارية حتى حل هذه الأوقاف ، وكانت فيه بئر وحنفية ، انظر ، محمد عبد المنعم خفاجى «الأزهر فى الف عام ، الجزء الثانى ، ص ٩٩ ـ ١٠٠» .

١٦) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٣٣٥ ، وثيقة ٤٦٦ .

١٧) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٢ ، ص ٣ وثيقة (٥) .

١٨) المحبى ، خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، ج ١ ، ص ٩ .

١٩) المحبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١ .

٢٠) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ ٢ (حوادث ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م) ، ص ١٢٧ .

٢١) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٢٤٢ ، وثيقة ٣٤٦ ، ص ٣١١ ، وثيقة ٤٣٤ ، ص ٣٣٥ ، وثيقة ٤٦٦ ، سجل ١٧٢ ، ص ٣ ، وثيقة ٥ ، ص ٨٣ ، وثيقة ١٢١ . وكذلك كل الوثائق التى وردت بسجلات المحاكم المشار اليها سابقا

وبخصوص كتب التراجم انظر ، المحبى ، خلاصة الأثر ، جـ١ ، ص٩ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ص١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٣٦٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٨٩ جـ٢ ، ص ٢١ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤ ، ٤٣٤ ، جـ٣ ، ص١٤ ، ١٢٢ ، ٣٩٠ ، ٤٧٥ ، جـ٤ ، ص ٣٤ ، ٤٣٣ . السيد محمد خليل المرادي ، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، جـ١ ص ١٩ ، ٣٠ ، جـ٢ ، ص٨٣ ، ٣٥٤ ، ٢٩١ ، جـ٣ ، ص ٣ ، ٨٣ ، جـ٤ ، ص ٥٩ ، وكذلك فعل الجبرتي في تراجمه .

(٢٢) أنظر الوثائق المشار إليها ، حتى أن معظم الوثائق المتعلقة بالتجار الشوام سجلت بسجلات محكمة القسمة العسكرية ، التى كانت تختص بتركات ومخلفات كل المنتمين الى الفرق العسكرية .

(٢٣) انظر تراجم الشوام السابق الاشارة إليها في المحبى ، والمرادي ، واحمد شلبي ، وابن ابي السرور ، والجبرتي ، وتحفة الأحباب ، (مخطوطة) ليوسف الملواني .

(٢٤) المصادر المعاصرة المشار إليها وكذلك دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ـ الريف المصري فى القرن الثامن عشر ، ص١٥٧ ـ ١٦٧ .




بسم الله الرحمن الرحيم

# اعـــــلان

# مسابقة وضع النشيد الوطنى لدولة قطر

تتوجه وزارة الاعلام بدعوة جميع الشعراء المبدعين من ابناء قطر للمشاركة فى مسابقة عامة لوضع كلمات النشيد الوطنى لدولة قطر، مع مراعاة الاسس التالية :

١ ـ ان يعبر النشيد عن الروح العربية للشعب القطرى واعتزازه بالقيم الاسلامية وتفانيه فى حب الوطن وسعيه لمجده ورفعته .

٢ ـ ان يكون النشيد دالا على اصالة الانسان القطرى ومستوحى من تجربته التاريخية وبيئته المحلية عاكسا لاوجه التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد .

٣ ـ ان تكون كلمات النشيد بسيطة ومركزة قوية وعميقة حتى يسهل تلحينه وغناؤه وترديده .

٤ ـ ان تكون فكرته جديدة ومبتكرة لم يسبق طرحها او تداولها من قبل باى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف انواعها .

٥ ـ ان يكون النشيد باللغة العربية الفصحى وان يستوفى جميع الاصول الفنية المتعارف عليها لكتابة الشعر .

٦ ـ يحق لاى مشارك تقديم اكثر من نص واحد .

٧ ـ يمنح النص الفائز جائزة مالية قدرها ٢٠ ألف ( عشرون الف ريال قطرى ) .

٨ ـ النصوص الجديدة التى لايقع عليها الاختيار سيتم نشرها فى كتاب تصدره وزارة الاعلام ( ادارة الثقافة والفنون ) بعنوان « فى حب قطر » .

٩ ـ النص الفائز سيلحن وستعتمده الجهات الرسمية نشيدا وطنيا للدولة .

١٠ ـ اخر موعد لقبول النصوص هو يوم ٣١ ديسمبر ١٩٨٢م .

١١ ـ ترسل النصوص المشاركة بالبريد المسجل باسم السيد وكيل وزارة الاعلام الى العنوان التالى :

وزارة الاعلام

الدوحة ص . ب ١٨٣٦

ويكتب على المظروف من الخارج [ مسابقة النشيد الوطنى ] ■

# العمامة المتمرّدة: تتجه إلى الاعتدال ومهادنة الاحتلال!

بقلم: فتحي رضوان

يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ( زعماء الاصلاح ) عن الشيخ محمد عبده ، ماسبق أن نقلناه فى الفصل الأول من صفحة ٣٠٩ :

« لو حكمنا منطق الواقع فيما سيحدث لقلنا إن الشيخ محمد عبده لا ينغمس فى هذه الثورة العرابية مطلقاً لا فى أولها ولا في آخرها لأنه لا يؤمن بالحكم النيابي السريع ، ولأنه يشايع رياض ، ولأنه لا يرضى أن تكون الثورة بيد العسكريين ، ولأنه يكره عرابي ... » .

فالشيخ محمد عبده ، وجد موانع تحول بينه وبين الانضمام إلى الثورة ومشايعتها ، ومع ذلك فان الشيخ انضم إلى الثورة ، وتحمس لها ، وشارك في كثير من مواقفها ، بحرارة تكاد تكون حرارة الايمان بها وبمبادئها وأهدافها ، بل وبوجوبها وباستحالة البعد عنها ، أو التخلف عن موكبها . ثم مالبث أن عاد إلى منطق لأنه ولأنه ولأنه ولأنه ، اي منطق الموانع الأربعة ، فأصبح من خصومها ، خرج عليها ، ولعنها ، واستبرأ من تحمل نتائجها .

فما هو تعليلذلك الانتقال من اليسار إلى اليمين ، أو من النقيض إلى النقيض ؟ .

هل يكون الشيخ ممن تجرفهم الأحداث ، وتدفعهم فى طريقها اندفاعات الجماهير ؟ أم يكون حسب الأمر ، عندما اندلعت الثورة ، فهداه حسابه إلى أنه أمر حتمي ، قضت به ظروف شرف الأمة والدفاع عن وجودها ، ومال إلى الأمل في نجاحها ، فلما انكشف غبار الثورة ، عن زعماء ضعفاء ، لا يحسنون التدبير ، وعن عمل طائش لا يؤدي إلى الخير ، اسف على ماكان منه ، واعلن موقفه من الثورة فى غير تحفظ أو احتياط .

يعني ان الشيخ لم يكن وصولياً انتهازياً ، بدت له الثورة ناجحة فانضم إليها ، ثم فشلت ، فاعلن بكل وسيلة انه ليس بسبيلها ، التماساً للنجاة من عقاب الفاشلين الذين كانوا جديرين بأن يرفعوا إلى منصات الحكم فوق رءوس الجماهير ، لو كتب لهم النجاح . لأنه بالطبيعة لا يثور ، فاسلوبه يعتمد على التفكير ، وحسن التدبير والأناة وطول التامل ، وعمله هو التطور الهادىء ، وإن كان تطوراً حاسماً وحازماً ، يعرف غايته ويذهب إليها بلا تردد .

ويقول احمد أمين في تعليل هذا الانتقال من جانب الشيخ : فالشيخ محمد عبده رأى كل الامه فى ناحية الثورة ، واشترك فيها المسلمون والأقباط واليهود ، ولم يشذ عنها إلا احد رجلين .. رجل لا في العير ولا النفير ، وهو لابد أن يكون في العير والنفير ، ورجل انضم إلى الخديوي توفيق يشايعه . وتوفيق باشا فى نظر الشيخ محمد عبده لا يصح ان يكون احد بجانبه بعد أن استعان بالدول الأجنبية لاخماد الثورة ، ومالأ الأجانب على قومه . اضف إلى ذلك أن الأمر أخراً لم يصبح أمر حزب أمام حزب ، بل أمر مصر أمام الانجليز ، فلابد أن يكون مع قومه .

والرأي عندي ، أن الثورة هي تيار جارف ، لايدع لأصحاب الرأي أن يترووا ، ولا للمفكرين أن يفكروا ، بل حتى ولا للجبناء أن يجبنوا ، ولا لأصحاب المصالح أن يتفقوا على أن تتعرض مصالحهم للبوار . وليس سر شدة دفع الثورة للناس ، انها تيار عنيف ، لا يدري احد من اين يصدر ، بل لأنها تيار ينبعث من نفوس الناس ، أي من أعماق لا شعورهم ، ومن باطن المضمر المكبوت من أمانيهم ، ومخاوفهم ، فهم إذ تتدفق جموع الناس ، يتقدمهم - كما يقول جوستاف لوبون في كتابه ( روح الثورات ) - ذواتهم ، فهم يهتفون وكأنهم منومون ، ويحطمون الأبواب ، ويتسلقون الأسوار ، وقد يستبيحون حرمات البيوت ، ودماء النساء وأرواح الأطفال ، وهم مسيرون بقوى مجهولة ، فاذا هدأت الثورة ، وتباطأ دفعها عاد كل انسان إلى أصله ، وثاب كل فرد إلى طبيعته . فاذا قيل للذين شاركوا في التحطيم والاجتياح ، انهم فعلوا كذا وكيت ، أنكروا

صادقين أن شيئاً مما ينسب إليهم ، قد صدر عنهم .

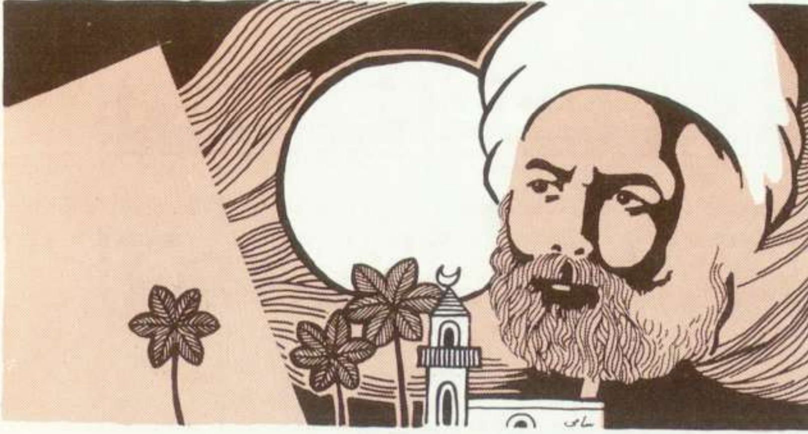
ولو قرأت قوائم زعماء ثورة ١٩١٩ ، لوجدت ضمنها عدداً كبيراً جداً من باشوات مصر الخليقين بأن يتجنبوا تيار الثورة ، وأن يقفوا على جانب طريقها - يشاهدون اندفاعاتها ، ويرون تدفق أمواجها وارتفاعها وهم هادئون ، يسخرون ممن قادوها ، ومما فعلته .

ولاشك في أن الشيخ محمد عبده ككل المصريين من العامة والخاصة كان في أطواء نفسه شيء من الميل إلى الثورة ، والفرح بمقدمها ، والسرور بالجري في مضمارها ، والهتاف بشعارها ، والمبالغة في رفع لوائها ، فهو ولا شك يكره زحف الأجانب وتدخلهم في شئون مصر ، وإقامتهم صندوق الدين الدولي . وهو يكره وزارة نوبار التى ضمت اثنين من الوزراء : ريفرز ولسون الانجليزي ، والمسيو دي بلينيير الفرنسي .

وكان العنف يرضيه ويريح أعصابه ، فلما هدأت حماسة الجماهير ، تحت وطأة الهزيمة ، عاد كالآف غيره من الناس ، إلى مراجعة كل ما قيل وفعل ، وانتابه من الحسرة والكآبة ، ما سجله وهو فى السجن في قصيدة طويلة .

ولكن ماذا كان دور (الشيخ) فى هذه الفترة ؟

لقد كان له دور التحضير للثورة ككل المفكرين ، الذين يقيض الله لهم الوجود قبل عصور الهياج والانقلاب . يحضرون الوقود لنارها ويهيئون الثقاب لاشتعالها ، بما يكتبون ويقولون . وقد تحدث الشيخ فى الصحف ، ومع الذين يرتادون داره ، ويسمعون كلامه ، فملأهم سخطاً على الحال السيىء الذي كان قائماً قبل سنة ١٨٨٢ ، وزاد من إحساسهم بوجود الاصلاح الشامل ، وكان الناس يرونه في مجلس رياض باشا رئيس الوزراء ، وفى مجلس على مبارك ، ومحمد سلطان الذي اختير رئيساً لأول مجلس نيابي فى الثورة ، وفى مجلس عرابى نفسه بل وفى سراى الخديو حيث كان يتردد على هذا المجلس . وكان في كل هذه الأماكن يتظلم ، ويندد ، ويقترح ، ويجادل الذين يخالفونه ، وهو حسن الحديث ، حلو العبارة ، مؤثر جذاب وإن لم يكن خطيباً ، ولاشك انه دعا إلى الثورة ، صراحة من حيث لا يدري ، ولا يحتسب ، ولعلنا لو حذفنا ما قال ، وما كتب فى فترة الحمل الثوري ، لفقدت الثورة



العرابية أحد أكبر دوافعها .

يشبه زميله فى التحضير والاعداد ، ونعني به البطل الملهب والملهم ( عبد الله النديم ) .، مع فارق فى الطبيعتين ، وخلاف في المنهجين ، محمد عبده ، يتسلل إلى النفوس ، ويعرف كيف تكون مداخل القلوب ، أما عبد الله النديم ، فيهجم على ماهو مستقر ومعترف بشرعيته ، فما يزال يضرب فى أسسه بالفاس والبلطة حتى يتفتت وينهار ويتهاوى .

وفشلت الثورة ، وقبض على محمد عبده وزج به إلى السجن ، ليقضي فيه ثلاثة أشهر ، وتعتبر فى حساب المجاهدين والثوار شيئاً كثيراً . وهي إذا قيست بما كابده النديم من السجن والهرب والتشرد ، والجوع والخوف ، لكانت جزاء خفيفاً ، ولكن الشيخ ، اهتز كثيراً للسجن ، وشكا طويلا من محنته ، وهو موقف بلا شبهة ، يكشف عن حقيقة معدنه ، فليس بالخوار ، ولا الفرار ، ولكنه أيضاً ليس بالجلد الذي يقوى للشدائد ، ويصبر عليها . وليس السجن ، واحتمال العذاب ديدنه ، مثله فى ذلك مثل تلميذه سعد زغلول الذى لم يكن له دور يذكر فى ثورة عرابي ، وحين زج به الى السجن ، كان ذلك من قبيل اختلاف الخصوم ، ودس الكائدين ، لا لنشاط مارسه ، ولا لعمل يغضب السلطات قارفه .

وحكم على (الشيخ) بالنفي ثلاث سنوات ، وكان هذا النفي خليقاً بأن يكون شيئاً من قبيل تغيير الجو ، وانتجاع الصحة ، فقد قصد إلى بيروت وأقام فيها ، لا ثلاث سنوات النفي المحكوم بها بل ست سنوات ، بدا فيها الشيخ على حقيقته - عالم يدرس - وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره . وفي سنة ١٨٨٣ ، أي وهو فى عنفوان شبابه حين تبلغ رغبة الشاب فى الحركة وميله إليها ، وحرصه على المصادمة والاثارة أقصى الحد .

ولكنه لو ترك لشأنه ، لما أثار ، ولا حرض ولا كتب شيئاً يغضب أصحاب النفوذ ، وقد فعل ذلك ، بعد أن عاد من باريس عقب دعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني .

## الشيخ في باريس

دعاه جمال الدين الأفغاني إلى باريس ، فلبى وهو يكاد يطير ، فهو فى بيروت ، مهما كانت الطمأنينة والراحة ، مشوق إلى أستاذه من جهة ، وبه ميل - وإن كان ضعيفاً - إلى استئناف الحركة خضوعاً لأحكام السن . وإرضاء لطموح الشباب .

سافر الشيخ إلى باريس ، فوجد هناك أعز ما يحرص عليه ، وأجمل ما يهواه . فهو كاتب ، وهو شديد الشغف بالصحافة ، وهو لا يمل الدعوة إلى إصلاح حال المسلمين والعرب ، وهو داعية إلى النقد . وقد وجد أستاذه يحدثه عن إصدار مجلة ، اسمها (العروة الوثقى) ، وطلب منه أن يحررها . ولا بأس فيما إذا كانت الجريدة ، لا تجد مقراً لها إلا حجرة فى سطح منزل .

وأثرت عليه باريس تأثيراً عظيماً ، بل أن تأثيرها عليه كان أشد من تأثيرها على مصطفى كامل الذي قصدها وأقام فيها واتخذها مقراً لحملاته ضد الاستعمار ابتداء من سنة ١٨٩٣ حتى سنة وفاته ١٩٠٨ . وقد ظهر هذا الأثر مادياً على (الشيخ) فقد تخفف من العمامة ، ولبس الطربوش ، وأطال شعره كما كان يفعل السيد جمال الدين الأفغاني ، وكما رأى كتاب باريس ، وفنانيها ، الأمر الذى قلده

فيما بعد محمود مختار أول مثال مصري فأصبح له شعر يسدل على ظهره وزاد من سرور (الشيخ) أن (جمال الدين) كان يمده بالأفكار ، ويرسم له الخطط فكان يتلقفها ، فيصوغها بقلمه ، على وجه يزيدها جمالا وبهاء وتأثيراً ، فذاعت المجلة فى العالم العربى ، والعالم الاسلامى ، ودخلت الى مصر ، متسللة بعد ان منع (نوبار) رئيس الوزراء دخولها الى البلاد ، وكان منعها واضطهادها سبباً فى زيادة تأثيرها ، وشدة انجذاب الرأى العام اليها ، وحرصهم على اقتنائها وتداولها سراً .

وحس محمد عبده انه يخاطب العالم الاسلامى كله . حقيقة كان اسم مصر ، وطنها فى قلبه وخياله ، وهو يكتب ، ولكنه كان يرى العالم الاسلامى كله فى مصر هذه . ويرى أن إقالة عثرتها وتحرير تربتها وتطهير سمعتها، تحرير للهند والسند ، ولايران والافغان ، ولكن الاضطهاد الذى سلطته دوائر الاستعمار وفى مقدمتها بريطانيا ، قصف قلم الشيخ محمد وعقد لسان (السيد) جمال الدين ، وتوقفت مجلة (العروة الوثقى) بعد ثمانية اشهر ، صدر خلالها ثمانية عشر عدداً ، ولكنها بقيت الى اليوم ، رصيداً للثورة العربية الاسلامية ، وتراثاً لأدب النضال والمقاومة وعلماً للساخطين المتمردين .

وعاد الشيخ الى بيروت ، وبعد عن جمال الدين ، فبدا فى صورته الحقيقية اشتغل بالتأليف ، فشرح (نهج البلاغة) ، ومقامات بديع الزمان ، وراح يشرح القرآن ويفسره فى مسجدين من مساجد بيروت ثم درس فى المدرسة السلطانية ، فارتقت المدرسة ، وارتفع مستوى التعليم فيها ، وأصبح واسطة العقد فى حركة ادبية وفكرية شملت بيروت كلها ، وتجاوزتها الى الشام ، وبلغت آثارها مصر ، ونواحى عديدة فى العالم الاسلامى ، وانتهز فرصة صدور قانون من سلطان تركيا ، قصد الى اصلاح التعليم فى المدارس الدينية ، فوضع تقريرين عن اصلاح هذا التعليم رفع احدهما الى شيخ الاسلام فى تركيا ، كما كتب تقريراً لوالى سوريا بين فيه سبيل اصلاح الامور ، وكانت قد تردت الى اسوأ حال ، من جراء ضعف الحكومة ، وكثرة المدارس التبشيرية التى قسمت البلاد ، ووزعتها على الطوائف والمذاهب التى تسندها وتعززها أوروبا .

وعاد الى مصر ، بفضل وساطة الاميرة نازلى ، وكانت على صلة طيبة باللورد كرومر معتمد الاحتلال البريطانى . وقد كانت عودته الى وطنه بغير هذا السبيل ، مستحيلة ، إذ أن الخديو وصله سوء رأى الشيخ فيه ، فنقم عليه واصر على استبعاده عن مصر ، ولكن كرومر ، ضغط على الخديو ، فارغمه على أن يأذن بعودة (الشيخ) الى مصر فكان ذلك عربون مودة وحسن علاقة بين الشيخ وبين اللورد كرومر ، وقد بقيت هذه العلاقة ثابتة ومستقرة حتى توفى الشيخ الى رحمة الله فى ١١ من يوليه سنة ١٩٠٥ .

ولقد أفسدت هذه العلاقة ، صلة محمد عبده ، بالسيد جمال حتى أرسل اليه يعنفه فى شدة . كما أفسدت علاقة محمد عبده بمصطفى كامل ، وبالوطنيين كافة . ويروى الشيخ مصطفى عبد الرازق انه لاحظ فى أحد الاجتماعات الكبيرة ، انه حينما ذكر اسمه ، أمسك الحاضرون عن التصفيق وكانوا يصفقون لدى ذكر كل زعيم من زعماء الوطنية أو الثقافة .

ولا شك أن من أسباب سوء ظن المصريين بالشيخ محمد عبده في عهدي الخديو عباس والزعيم مصطفى كامل ، حسن صلته باللورد كرومر الذي كان رمزاً للاحتلال ، والذي كان شديد الوطأة في مطاردة الحركة الوطنية ومخاصمة زعمائها وكان الخديو عباس قادراً على أن يغذي الحملة ضد محمد عبده ، ولا سيما حينما كان الخديوي خصماً لكرومر ، وعدواً للاحتلال مما قربه الى قلب الشعب ، ونفره من كل من يعاديه أو يخالفه . فقد خاصم الشيخ فى ذلك الوقت شيوخ الأزهر المحافظين ، لما ذاع من آرائه فى إصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والدراسة الدينية فى المدارس المدنية وإدارة الأوقاف ، وقد أسرف خصوم الشيخ فى مهاجمته والحملة عليه واستغلوا بعض فتاويه منها فتوى لأحد المسلمين فى جنوب افريقيا بعث يسأل ، هل يجوز للمسلمين المقيمين فى السنغال ان يأكلوا من لحم بقرة تضرب بالبلطة حتى تضعف ثم تذبح ، وقد أفتى الشيخ بحل أكل هذا اللحم ، فهاج خصومه ، وألبوا عليه الشعب ، واتهموه بالمروق من الدين ، ولفقوا صوراً له تضم جماعة من الافرنج يلبسون القبعات ومعهم سيدات أجنبيات سافرات .

ولاشك فى أن الحملة على (محمد عبده) كانت مغرضة ، وان اكثر ما دعا اليه فى شأن الدين أو الأزهر أو اللغة العربية أو العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى دنيا المسلمين ، صلاح لا فساد فيه ، ولا عيب . ولكن العيب الذى تورط فيه الشيخ ، وأسرف ، والذى يؤاخذ عليه ، بلا تحامل ولا إدعاء ، هو حسن ثقته بالانجليز ، وعلى رأسهم كرومر ، واحتماؤه بنفوذ هذا الاخير فى حربه مع الخديو عباس . ثم استدراجه بعد ذلك الى محاربة الحركة الوطنية ، وعلى رأسها مصطفى كامل ، والسخرية من مبادىء هذه الحركة ، والهزء بها ، الأمر الذى أصبح ديدن جماعة من اغنياء وأعيان ووزراء المصريين الذين الفوا حزب الأمة ، ومالوا ميلا واضحاً لسياسة بريطانيا ، ودافعوا عن منهج عميدها فى إدارة البلاد ، وأشادوا بما أشاعه من عدل ، وما حققه من خير . وقد كان ذلك كل ذلك ، خطأ فى خطأ ، فكرومر لم يصلح شيئاً فقد حارب مجانية التعليم ، بعد أن كانت هذه المجانية فى عهد الخديو اسماعيل بفضل جهود علي مبارك ووطنيته ، شاملة لدرجات التعليم كلها ، وقد أفاد منها أبناء الفلاحين وخرج من صفوفهم أمثال علي مبارك وعبد الله فكرى وصالح مجدى وابراهيم اللقانى ..

أما السياسة المالية التى كانت جوهر فخر السياسة البريطانية فكانت وبالا على مصر ، أفقرت الخزانة المصرية لاعتمادها على سندات الخزانة البريطانية وكوبوناتها التى كانت تتعرض للهبوط ، ولا تدر دخلا كبيراً ، مع مطاردة كل مشروع مصري ولاسيما إذا كان ذا صلة بانشاء الصناعة فيها . فوقوف محمد عبده مع عميد البريطانيين ، كان يخالف كل ما دعا اليه فى مجال الدين أو الوطنية ، وكان أنصاره يعلنون عندما أشيع عزل الشيخ محمد عبده من منصب الافتاء أن كرومر أعلن أن الشيخ باق فى منصبه ما بقي الاحتلال البريطانى ، وكان تلاميذ الشيخ وأعوانه يغيظون الوطنيين بترديد هذه المقولة المرذولة ولا يدركون ما فيها من جرح للشعور الوطنى وإهانة للعاطفة القومية .

ولقد خرج الشيخ من كل محاولاته معفر اليدين ، لم يحقق للأزهر ولا للفكرة الاسلامية ، ولا للغة العربية ، شيئاً مما تاق اليه ، وتمناه ، ولم تنفعه ممالأته لكرومر ، وحسب عليه طعنه فى الحركة الوطنية ، وبعده عن جمال الدين ، وكرهه لمصطفى كامل .

فتحى رضوان

« ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء ، وما كلمت أحداً وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسـانه »

الامان الشافعي

# رسالة في الإصلاح الديني

بقلم: حسين أحمد أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اعاننى الله على شكرك إذ كتبت إلي ما كتبت ، وأصلحك واصلح على يديك ، وجعلك وإيانا ممن يحتمل ثقل العلم ، وممن يقول بالحق ويعمل به وينقطع اليه ، ثم يسعى بعد ذلك الى إيصاله الى أهله دون سواهم ، مؤثراً إياه على ما عداه ، ومحتملا فى سبيله ما شاء الله أن يمتحن عبده به .

اما بعد :

فانى قد عرفتك منذ أيام الحداثة ، تصفحت اخلاقك وتاملت شيمك ، ووزنتك فعرفت مقدارك ، وقومتك فعلمت قيمتك . وقد زادتنى المؤانسة فيك رغبة ، وطول العشرة لك محبة ، وامتحانى أفاعيلك تفضيلا . فلا غرو أن أجزع إذ أشتم فى رسالتك الأخيرة غضباً وموجدة أثارتهما فيك مقالاتى فى الدين ، أو بالأحري منهاجى فى هذه المقالات . غير أنى زعيم لك بأن هذا الغضب منك ليس فى طبقة ذنبى ، ولا هذه المطالبة من شكل الجريمة . وأعلم بعد هذا كله أنك إمرؤ متى رأى الزلل غفره وسعى الى تقويم صاحبه ، ومتى رأى صواباً وعاه ، وأعلنه ورعاه . وقد سمعتك مراراً تردد قول الشافعى رضى الله عنه «ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء ، وما كلمت أحداً وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه» . فلتأذن لي إذن أن أسطر هنا ردى ودفاعى ، وأن أبسط أمام ناظريك حقيقة عرفتها بالتجربة والابتلاء ، لا بالدرس والنظر فى الكتب . ولتعلم يقيناً أن دفاعى ليس عن أنفة من أن أقر بالخطأ . فقد يعترينى فى كتاباتى من الغلط ما يعترى الأب فى ابنه . ولست كمناظرى زماننا هذا ممن تسود وجوههم إذا أفحموا واتضح الحق على لسان

خصومهم . فان أحسنت فى إيراد حجتى فان احسانى صغير فى جنب إحسانك ، إذ كنت المثير له من مراقبه ، والباعث له من مراقده . فلذلك صار أوفر النصيبين لك ، وأمتن السببين مضافاً إليك .

## قماط المومياء

تقول – تولاك الله وحفظك وجعلك من الفائزين برحمته – إنك قد لمست فى مقالاتى تهيباً ووجلا من المكاشفة بالحق الصراح ، ومداراة وتحايلا إن كانا يخدمان اغراض رجال السياسة والعهادة (١) ، فهما يقيناً ليسا مما يتحلى به امرؤ قد اختار الاصلاح الدينى له هدفاً . ثم همست فى أذنى انك قد أحطت بالكثير من مواقفى وآرائى من خلال أحاديث دارت على انفراد بينك وبينى فى الدين ، فاذا هذه المواقف تبدو عند تسطيرها للنشر وقد تقنعت بألف قناع ، وإذا هذه الآراء وقد اقدمت على إيصالها الى جمهور المؤمنين تظهر مقمطة فى قماط المومياء ، تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، وكأنما هى تسعى فى آن واحد الى أن تكشف عن نفسها وتستتر ، وتسفر عن وجهها وتحتجب . وذكرت – أبقاك الله – أن عرضى لهذه الآراء وإن لم يرق الى مرتبة الكذب والخديعة ، تعوزه الاستقامة الصريحة التى يتوخاها صاحب الدعوة ، ويفتقر الى اللهب الذى يتوهج فى كتابات المصلح الثائر .

وقد أذنت لنفسى هنا أن أجعل من همستك صيحة ، وأن أعلن ما أسررت به إلىّ على رؤوس الأشهاد . فعساى ألا أكون قد أخطأت فى تفسيرى للهمس على أنه مراعاة منك لدواعى المودة ووشائج الاخاء ، وحفاظاً من جانبك على سمعتى من أن يتطرق اليها ما أكره . وهو تفسير يضع أمر الاعلان أو الكتمان فى يدى ، ويجعل منى صاحب الخيار . وإنى لأحمد لك إشفاقك وشدة عنايتك وفرط أكتراثك . غير أنى اخترت الاعلان سبيلا ثقة منى فى طيب نواياى ، وعن اعتقاد راسخ باننى لست ممن يقولون الزور ويتقربون بالباطل . أعاذنا الله وإياك من الأمرين ، وأسعدنا جميعاً بطاعته ورضاه .

ثم إنك قلت فى كتابك : إن الهدم أحياناً يفوق البناء فى القيمة ، وإن التشكك له ما للايمان من أهمية ونفع . إذ كيف يمكن للمرء أن يقبل الحق عقيدة إن كان عقله وقلبه لايزالان قانعين بالكثير من البهتان والزور ؟ وقلت إنه لا سبيل الى تطهير الأنام ، إلا بتطهير دين العامة مما علق به من أوهام ، وبتنقية العقيدة مما شابها وخالطها من أدران . فالحكمة كالعروس ، تريد البيت خالياً . والقلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشائش نبت فيها صنوف الزرع والرياحين ، وإن هى لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك .

وقلت إنه إن شاء امرؤ أن يضطلع بمهمة إرشاد الناس الى الحق ، كان عليه بادىء ذى بدء أن يتصدى لهذه الشوائب فى عقيدتهم بالسحق والمحق ، وإزالة ما فى الأرض التى ينوى البناء عليها من قمام . فان صاح صائح بأن من القسوة اجتثاث عقائد كاذبة تعلقت بها قلوب العامة وأحبتها ، وأراحت نفوسهم وأسعدتها ، قلنا بل هى قسوة نبعها المحبة ، وشدة باطنها الرحمة ، وعسى الله أن يغفر لنا بعد هذا ما تسببنا فيه من إيلام . وتساءلت عن أى الأمرين إذن أولى بأن نبادره بالعناية : إثارة الشك أم غرس اليقين ، وتطهير الموقع أم إشادة الصرح ؟

## أوهام العامة

ومضيت فسردت فى رسالتك حشداً من الأمثلة على أوهام العامة : كتقديس الأولياء الذى يناقض عقيدة التوحيد ، والاسترشاد بأحاديث قد نسبت كذباً الى الرسول الكريم ، وتسمية كل تطوير يهدف الى مسايرة احتياجات العصر بدعة ، وخلعهم سمت الاسلام على التصوف وغير التصوف من مذاهب وفرق ، وإقدام البعض فى جراة عظيمة على تفسير القرآن تفسيراً لا نخرج منه بغير حقيقة واحدة : انهم قوم يرون أن القرآن لا يعنى ما يقول ، وإنما هو كتاب يقول ما يعنون ! وذهبت الى أن هذه الترهات وغيرها فى حاجة الى معاول لا تهدأ ، وتكاتف من صفوة المفكرين المؤمنين وجهد من جانبهم لا يعرف الكلالة أو الملل ، وصراحة لا يتطرق اليها الوجل ، وصرامة لا يعتورها إشفاق أو مداراة .

وقد عرضت كل هذا فى بلاغة لا بأنف بليغ أن يقصر دونها ، وضمنت رسالتك علماً لا يخشع عالم أن ينهل منه . فان كانت الحدة هى طابع رسالتك فهى حدة لا تشين مادام الدافع إليها هو الاخلاص للدين . وهى بعد هذا حدة وراءها ما يفسرها ، ألا وهو الغضب إذ كانت تلك الأوهام والخرافات التى تحدثت عنها من أضخم العراقيل التى عاقت ولاتزال تعوق أمة المسلمين عن التقدم وعن فهمها لحاضرها ، وتشلها عن اللحاق بسائر الأمم فى مجالات التمدين وميادين العمران . ثم اتسع نطاق هذه الحدة حتى مستنى لهيبها ومس من وصفتهم بأمثالى من المفضوحين فى الدنيا والآخرة ، وأسميتنا بأصحاب الحلول الوسط ، والنازلين منزلة بين منزلتين ، ووصفتنا بصفات أخرى كثيرة ، أخفها المتوانين المتوقفين المترقبين المتخوفين . وقلت إننا نريد أن نجهر بما نعلم ، ثم يضطرنا الخوف الى أن نسره ، وأننا فى مقالاتنا إنما نحاور الحمقى ، وأن العاقل يضل عقله يقيناً عند محاورة الأحمق . وتمثلت ببيت البحترى :

عَلىَّ نَحْتُ القوافى من مقاطعِها
وَمَا علىَّ إذا لَمْ تَفْهَمِ البَقَـــرُ

ثم ختمت رسالتك بقولك إن العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله . وكما انه لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ، فانه لا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه . واستشهدت بحديث نبينا عليه الصلاة والسلام : «ما آتى الله عالماً علماً إلا واخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه» . فان كان هناك من العلماء من قنع بأن يسخر سراً من أوهام العامة ، فعليه جانب من تبعة انتشارها إذا لزم إزاءها الصمت . وكيف

# رسالة في الإصلاح الديني

يكون الصمت أنفع ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ؟ وتساءلت : إذا سكت العالم طلباً للسلامة والجاهل يجهل ، فمتى يتبين الحق ؟

## سبيل تقويم المعوج

وقد هزتنى رسالتك التى أوجزت هنا اغراضها هزاً عنيفاً تساقط له من قلمى هذا الرد . فان رأيت فى إيجازى لقوى حججك إخلالا بمعانيك فمغفرة وصفحاً . وإن تبينت فى ردى تقصيراً عن الغاية ، فانا المضيع دونك . وعلى أى الحالين فان فضلك اظهر ، وحظك أوفر ، لأنى لم أنشط لهذا الحديث إلا بك ، ولا كان اعتمادى فيه إلا عليك .

وابدأ ـ جعلت فداك ـ فاقول إننى وإن لم ابلغ بعد مبلغ العلماء فلست ممن يسكت على ما يعلم ، ولا كنت يوماً من طالبى السلامة . ولو كنت ممن يداهن ويطلب السلامة لما كانت حالى على ما هى عليه وعلى ما تعرف من العوز والفاقة ، ولما كنت القى فى سبيل نشر مقالاتى ما القى من عنت ورهق ، مع ما اوتيت من قوة بيان . فليطمئن إذن قلبك الى أن الحقيقة لاتزال قبلة قلبى . بيد أن التجارب التى شاء الله لي أن اخوضها قد ازالت غشاوة قاتمة كانت تجثم فوق عينى ، فاذا حيرة المراهق وعجب الأبله ينقلبان الى فهم الراشد ونفاذ نظر الأريب . وإذا بى أدرك أن الحق فى قلب العالم إذ هو قابع يفكر فى داره ، قد يستحيل الى باطل متى رأى واجباً عليه أن يخرج به إلى السوق وأن ينشره بين العامة حتى يقوم المعوج من عقيدتها ، ويقوض السخيف من اوهامها .

ولاحاول الآن أن أبدد ما يعتور هذه العبارة الأخيرة من غموض ، فهو قول ليس من اليسير أن يفهم القصد منه غير من نصب نفسه لتحقيق هذه الغاية :

تقول فى رسالتك إننى أشد احتفالا بالتعليم منى بالحق . غير أنى زعيم لك بان الترفق والتدرج فى تعليم العامة هما السبيل الأوحد الى إصلاح عقائدهم ، والاقتراب بهم من الهدف المنشود ، وأن مجابهتهم دفعة واحدة بحقيقة منزهة مطهرة ، قد أزيلت منها الشوائب كافة من شانها أن تجعل الحق غير قابل لأن يعلم ، وأن تجعل التعليم غير صالح لأن يكون طريقاً الى بلوغ الحق . حينئذ يحق لنا مساءلة الداعى عن مناهجه ، وعن إغفاله أن يسأل نفسه قبل أن يبرى لنشر رسالته: أكان من الأوفق أن اقبع فى دارى محتفظاً لنفسى بما هدانى إليه عقلى وحكمتى من حق مجرد ، تاركاً العامة غارقة فى أوهامها أم أنه كان لزاماً علي أن أسعى الى تقريبها منه خطوة خطوة ، آخذاً سذاجتها وعمايتها فى الحسبان ، مقدراً تعقها بالمحسوسات ، ومدركاً لصعوبة استيعابها لكل ما هو منزه عن الأدران .

قال الله تعالى يخاطب نبيه : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» كما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى» . وقد كان الرسول نفسه أروع وأرفع وانصع مثال للتأنى والصبر ، وأعلم الخلق بطبائع الخلق ، وأرفقهم أخذاً بأيديهم إذ ينتقل بهم من طور الى طور ، وأدراهم بمقتضيات الحكمة والسياسة ، مع التزامه دوماً بالهدف الأسمى الذى يتوخاه . وقد كان يدرك على نحو لم يدركه احد قبله أو بعده ، أن السياسة والكياسة لازمان لنشر الدين ، وأن غرس العقدة الجديدة لابد له من درجة فائقة من الترفق واللين . فهو لم يصدم بالحقيقة كاملة مشاعر الجاهليين ، ولا نزل الله القرآن عليه دفعة واحدة ليبلغه القوم المشركين ، ولا تحرج من أن يؤلف بالبذل والعطاء قلوب ضعيفى الايمان والمنافقين . وكان يعلم حق العلم أنه ليس ثمة تناقض بين المعرفة الخالصة وبين مراعاة طبائع البشر حوله وأحوال عيشتهم ، وأن التدرج والمداراة فى سبيل الهداية ليسا بالضرورة قيدين على الحق أو حاجبين له ، وأنه فى هذا العالم المجبول على الجهل والنقص والخطيئة وسائر أوجه القصور فى النفس البشرية ، لابد من وسط عدل بين نشدان الحق واحتمال النقائص ، ومن مزج المعرفة بالحكمة . كذلك فقد سمعنا المسيح عليه السلام يوصى حوارييه بأن يكونوا حكماء كالحيات ، وبالا يلقوا بالدر فى أفواه الخنازير . ولاشك عندى فى أن التاريخ لم يعرف قط نبياً واحداً كاشف العامة منذ بداية دعوته بجميع ما يعرف ، أو أطلع جموع الناس على كل ما أحاط به خبراً .

## الخاصة والعامة

إنما كان الأنبياء يعلمون قومهم ما فى وسعهم تقبله واستساغته والعمل به متى بذلوا بعض الجهد ، واعملوا ما أوتوا من قدرة على التفكير ، ومارسوا قدراً من كبح جماح النفس والشهوات . أما ما عدا هذا من أمور لا تدركها سوى عقول الخاصة وأصفياء الله ، فقد أحيطت بالرموز وغللفت بالأسرار ، وأسدل بينها وبين العامة أكثف ستار . فهى أمور ليس فى وسع هؤلاء الانتفاع بها أو الانقياد لها ، بل وقد يجرهم الخوض فيها وتناولهم إياها بغليظ أناملهم إلى ما لا يحمد عقباه أو ما يعرف منتهاه . فاعلم إذن ـ هداك الله ـ أن ثمة من المعارف ما لا ينبغى لجمهور المؤمنين أن يرغبوا فيه ، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال .

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم» ، تنبيهاً الى أن حفظ العلم ممن قد يفسده ويضره أولى ، والى أن الظلم فى إعطاء غير المستحق ليس باقل من الظلم فى منع المستحق . وقال النبى عليه السلام : «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم» . وقال : «ما احد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم» . وقال علي بن أبى طالب مشيراً الى صدره : «إن ههنا لعلوماً

جمة لو وجدت لها حَمَلَة . فقلوب الأبرار قبور الأسرار . ولا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم الى كل أحد» . وروى أن الشافعى سئل مرة عن مسألة فسكت ، فقيل له : «ألا تجيب رحمك الله ؟» قال : «حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى» .

ثم امضى فاذكرك بأن من لان عوده كثفت أغصانه ، وأن النبات إنما يسلم من الريح العاصفة بلينه وانثنائه معها . وقد نعلم أنك امرؤ تنكسر ولا تنحنى ، تابى أن ترى فى الغاية تبريراً للوسيلة ، وتحسب كل مداراة موجبة للشجب ولو أدت الى صلاح.

أما عنى فان شعارى أنه متى أضرت النوافل بالفرائض لزم رفضها ، وأن المرء متى أراد العدل الأكبر فلا بأس ببعض الظلم . ألا ترى الى الذهب لا يصلح لأن يستخدمه الناس حتى يخلط بما دونه من المعادن ؟ نعم إن الدين هو الحقيقة ذاتها ، غير أن الجموع العريضة فى زعمى ليس بمقدورها تقبله حتى يتخذ صورة مبسطة هى فى متناول أذهانها ، بل وحتى تقحم فيه بعض أوهامها وضلالاتها . وقد تقرنى على تشبيهى للحقيقة فى الدين ببعض العناصر الكيميائية التى هى فى صورة غازية متى انفردت واستقلت عما سواها .

حتى إذا رمنا الاحتفاظ بها أو استخدامها فى أغراض الطب ، لزم أن نخلطها بغيرها لنحولها الى أقراص صلبة ونحول دون تشتتها فى الهواء . أو قل إن هذه الحقيقة فى الدين هى كالماء ، لا يحمل إلا فى إناء . وما أنت وغيرك ممن يحرص على إهداء الحقيقة وحدها صافية لا مزاج لها إلا كمثل من يكسر الاناء ليصيب الماء وحده .

إن المرء قد يفرط فى الحكمة كما يفرط فى الحماقة . وفى الفضيلة كما فى الرذيلة. وما أكثر من رُدّ صالحُ دعوته بسبب تجاهله الواقع الحي . والواقع الحي الذي لن يكون فى وسعك انكاره هو أن الله قد خلق الناس أطواراً ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وأن الشطر الأكبر من البشر هو من أولئك الذين» يكدرون الماء ويُغلون السعر ويضيقون الطريق» ، قد خبا ذكاؤهم ، وضاق أفقهم ، واقتصرت أغراضهم على ما هو مادى بحت . وقديماً قال الحسن البصرى : «لو كان للناس كلهم عقول هربت الدنيا» . فعملهم المضنى فى الصناعة وفى فلاحة الأرض سيظل دوماً لا غنى عنه من أجل إشباع حاجات الناس . وهذا العمل الجثمانى المضنى لا يحرمهم من فرص الدراسة والتأمل والنظر فى الحقيقة فحسب ، وإنما هو أيضاً مدعاة الى تبلد الذهن ، وسبب للانتقاص من ذكاء الروح بالنظر الى ما نعلم عن العداء الراسخ بين العقل والجسد . وسيظل مع ذلك لدى هؤلاء – أو لدى شطرهم الأعظم – حاجة ملحة الى التفسير الدينى لهذه الحياة ، والى حل مقبول ميسر للغز الكون ، وقواعد مبسطة هادية للسلوك ، وعقيدة تجلب لهم الراحة فى لجة الشقاء ، والقوة فى خضم الصراع والعزاء فى مواجهة الموت .

## الساق الخشبية

ولابد لهذا التفسير من أن يكون من السهولة بحيث تستوعبه الأذهان المكدودة والآفاق المحدودة . ولابد لهذه الأذهان المكدودة من أن تقحم فى هذا التفسير بعض ما توارثته وتعلقت به جيلا بعد جيل من الأوهام الكاذبة . ولابد لهذه الأوهام الكاذبة من أن تبوئها العامة فى كثير من الأحيان منزلة تعلو منزلة صالح الأعمال ونبيل المشاعر ، حتى ترى التوسل الى الأولياء أيسر عليها من مساعدة الجار ، والدعاء على الظالم أسهل من التصدى بالمقاومة «الظالم جبار . ومع هذا فان الحقيقة التى لا مراء فيها أن هذا كله شر لابد منه ، وكذبة بيضاء لا غنى عنها . فمادامت حال البشر على ما هى عليه ، فان المتيقن أنهم لن يقبلوا على الدين ما لم يقحموا فيه ما شاءوا إقحامه من باطل . والويل الويل للبشر إن اطرح هذا الشطر الأعظم الدين بأسره وراء ظهره متى نجحت محاولتك ومحاولة نظرائك أن تبددوا أوهامه ، وتسلبوه خرافاته .

ولعل الرجل الذى لا ساق له واجد منفعة عظيمة فى ساق خشبية يدب عليها ويسعى بها الى رزقه . غير أنى أبادر فأنفى عن نفسي ما قد ترميني به من تهمة التشاؤم فلست باليائس من أن يصل البشر فى زمان قريب أو بعيد – بفضل نشر التعليم والدعوة المستنيرة المتأنية ، وبفضل ما قد ينجم عن التوسع من استخدام الآلة من تخفيف أعباء العمل الزراعى والصناعى – الى قدر من النضج يصبحون معه قادرين على تقبل الحقيقة مجردة من الخرافة والترهات ، بل وحتى من الرموز والأسرار . يومئذ نرى تلك الأوهام التى لا تناسب البشرية إلا فى طفولتها ، وهى تودع الخلق وداع المربية لطفل فى رعايتها متى شب عن الطوق ، ودعت الحاجة الى أن يتجه الى معاهد العلم .



هذا مبلغ ما رأيت من وعظك وحضرنى من نصحك ، أملا أن يوافق ما توخيته لك ورجوته فيك من القبول والفهم . أعانك الله على درك الحق وشرح صدرك له ، وألهمك كلمة العدل لتؤثرها فى أمورك وأحوالك ، وتقف عندها فى أقوالك وأفعالك ، وزين فى عينك الانصاف ، وكره إليك المراء فى الباطل ، وأعاذك من أن تكون كمثل ذلك الذى عناه الحكيم القديم إذ يقول : ما خاض امرؤ فى جدل دون أن تحدوه الرغبة فى إدراك الحق ، إلا خرج منه على سالف رأيه !

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

صدق الله العظيم

حسين أحمد أمين

هامش

(١) العهادة : الديبلوماسية

# العلاج بالموسيقى

## وهم أم حقيقة؟

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الانسان لا يعيش بالطعام وحده ، بل لابد من غذاء روحي ينقله من ميدان الحياة العادية الى آفاق السعادة والهدوء النفسي . لاشيء يحقق ذلك غير الفنون الجميلة ، وفي طليعتها الموسيقى .

وبالموسيقى تلين الطباع الجامدة ، وتهدأ الأعصاب الثائرة ، وترق وتتآلف النفوس الشاردة ، وتعتدل الأمزجة الغاضبة ، فتطيب الحياة وتصفو .

وبالموسيقى أيضاً تثور النفوس الهادئة الخاملة المتبلدة وتتحرك العقول النائمة ، وتغلي الصدور الساكنة ، فتحطم قيودها ، وتحرر نفسها ، وتخلص وطنها .

ولهذا وجدنا بعض رجال السياسة فى ايطاليا فى منتصف القرن التاسع عشر ، يلحون على « فردي » أحد أعلام الموسيقى بايطاليا ، ليستغل أنغامه وموسيقاه فى تحريك مشاعر الشعب ، لتحرير سهول لمبارديا واجلاء الجيوش النمساوية عنها .

لقد لحن لهم « فردي » أغنية وطنية حربية تنشد فى الميدان ، وفى أثناء القتال ، لا بمصاحبة الأوتار والأنغام ، بل بمصاحبة طلقات المدافع .

وأصبحت الموسيقى الآن ركناً أساسياً لتنظيم الجيوش ، فما من جيش إلا وله فرقة موسيقية تلازمه فى الحرب والسلم ، تقف بجانبه ، تثير فيه الحمية والشجاعة ، وتعزف له نشيد الفداء والنصر .

وإذا كانت الموسيقى تحرك النفوس الثائرة ، وتشجع الجنود المقاتلة ، فانها أيضاً تهدىء هذه النفوس ، وتخمد شعلة الغضب الكامنة فى طيات صدرها ، وفيما يلي قصة شتراوس وكيف استطاع أن يخمد ثورة بنغماته الهادئة الحلوة العذبة :

بينما كان شتراوس يسير بجوار أحد أصدقائه همس قائلا :

يخيل إلي أني ساضع نغماً جديداً الليلة .

فقال له صديقه :

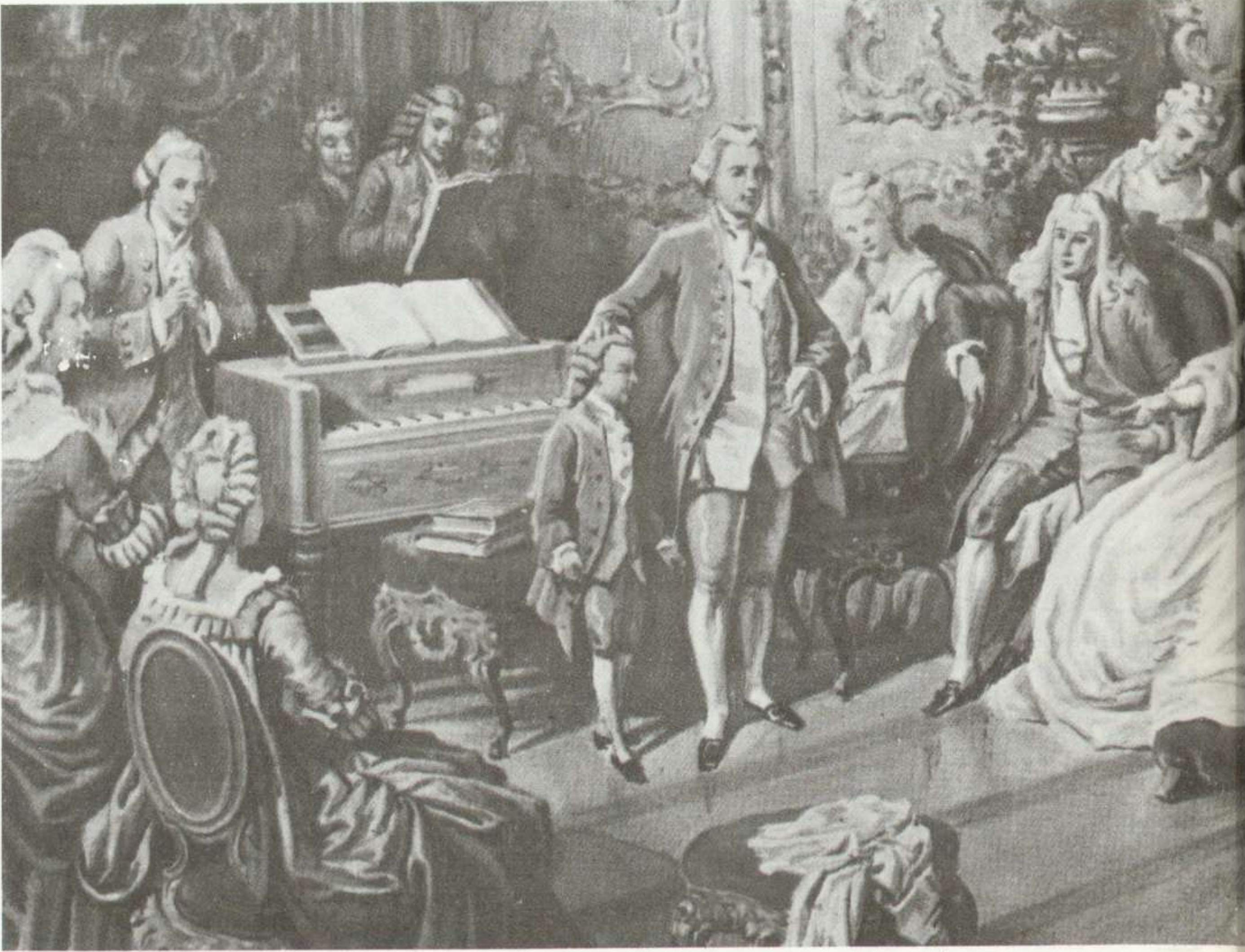
من دواعي الغبطة أن تكون من الفنانين فى هذا الزمان ، فحياة الفن اليـوم أهدأ من حياة السياسة .

ولكن « شتراوس » لم يكن ينصت إلى مايقوله صديقه إذ كان ذهنه مشغولا بنغم هبط عليه فى هذه اللحظة .

وفى دقائق معدودات ترك شتراوس صديقه وعاد الى بيته ، فوجده هادئاً ، وقد نام أهله ، فدخله على أطراف أصابعه ، وسار إلى غرفته فى أعلى البيت ، وأشعل المصباح ، وفتح النافذة .

واخذ «شتراوس» يروح في الغرفة ويجـيء ، حتى إذا اطمان إلى النغم الذي يخاطره ، جلس الى المعزف « البيانو » وأخذ يوقعه عليه بصوت واطىء حتى لا يزعج النائمين .

وقد مكث يوقع لحظة ، ويكتب أخرى ،



«موزارت» الموسيقي الصغير يسحر بانغامه كبار القوم فى المانيا والنمسا

ويغير ما لا يعجبه حتى طلع الفجر ، وطلع معه اللحن الجديد .

وفى الصباح ذهب الى غرفة الموسيقى فى القصر الامبراطوري وراح يوقع اللحن مرة بعد مرة .

وفى نفس اليوم قامت في فيينا ثورة كبيرة ، وذهب الثوار الى القصر الامبراطوري ، ليعلنوا مطالبهم فى قسوة وعنف . واقبل أحد رجال القصر الى شتراوس ليستنجد به وهو يصيح قائلا : النجدة !.. النجدة !!. الجماهير تحطم زجاج النوافذ ... ولم يعد الحرس قادراً على صدهم .

فما كان من شتراوس إلا أن خرج مع فرقته الموسيقية ، وبدأوا يعزفون أمام الثوار هذا اللحن الجديد ، فخمدت حماستهم ، ونسي بعضهم ما جاؤوا من أجله ، فتفرق شملهم ، والتفوا بشتراوس وفرقته .

ولما رأى « شتراوس » هذا النصر ، سار بفرقته والجموع خلفه ، من شارع الى شارع ، بعيداً عن القصر الامبراطوري .

وهكذا أخمدت الثورة بلا سلاح ، وبلا ضحايا غير سلاح الموسيقى .

## الموسيقى وتحريك النفس

ودرس الكندي الفيلسوف العربي - يعقوب بن اسحاق - الصلة بين الموسيقى وأنغامها المختلفة وبين تحريك النفس وما يناسب احوالها ، فهناك موسيقى تبعث السرور وثانية تحرك المرح والطرب ، وثالثة تشعرك بالحنين والمحبة وغير ذلك .

فاذا عرفنا ذلك في مقدورنا أن نعالج بعض الأمراض النفسية بنغمات الموسيقى المناسبة ، التى تهيجه وتهدئه والتى تثيره وتسكنه .

ويبدو أن يعقوب بن اسحاق الكندي كان من أوائل فلاسفة العرب الذين عالجوا بعض مرضاهم بالموسيقى ، ولكن العبرة بوضع طريقة يطبقها الطبيب ، لا على كل مريض ، بل العبرة بتطبيق علاج الموسيقى على المرضى الذين لا ينفعهم غير هذا العلاج ، والعبرة أيضا بتحديد النغمات الموسيقية الخاصة والمناسبة للمريض .

والقصة التى نرويها الآن تدل على براعة الكندي فى الطب ، كما تدل على براعته فى اختيار العلاج بالموسيقى المناسبة لبعض الأمراض ، فقد روى «القفطي» فى أخبار الحكماء :

« ومن عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحق الكندى هذا ، انه كان فى جواره رجل من كبار التجار موسع عليه فى تجارته وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه ،

# العلاج بالموسيقى

## وهم أم حقيقة؟

فعرض لابنه سكتة فجاة ، فورد عليه من نلك ما أذهله ، وبقى لا يدرى ما الذى له فى أيدي الناس ، وما لهم عليه ، مع ما دخله من الجزع على ابنه ، فلم يدع بمدينة السلام طبيباً الا ركب اليه واستركبه لفحص ولده ، ويشير عليه من أمره بعلاج فلم يجبه كثير من الأطباء لكبر العلة وخطرها الى الحضور معه ، ومن أجابه قال له : انت فى جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة ، فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب ، فدعته الضرورة إلى أن يرسل الى الكندى باحد اخواته ، فالح عليه بالحضور ، فاجاب وسار إلى منزل التاجر .

فلما رأى ابنه ، واخذ بجسه ، أمر بان يحضر اليه من تلامذته فى علم الموسيقى من اتقن العزف على العود ، وعزف الطرائق المحزنة والمزعجة والمقوية للقلوب والنفوس ، فحضر اليه منهم أربعة ، فأمرهم أن يضربوا بالعود عند رأسه ووضع لهم موقع النغم من أصابعهم ، فراح كل منهم يضرب عوده ويعزف عليه و « الكندى » آخذ مجس الغلام ، وهو فى نلك يقوى نبضه ، ويرجع اليه نفسه شيئاً فشيئاً الى ان تحرك ، ثم جلس وتكلم ، والعازفون يعزفون بالطريقة التى اتفقوا عليها .

عندئذ قال الكندى للأب :

سل ابنك عن علم ما تحتاج الى علمه وما لك وما عليك ، فجعل الرجل يسأله وهو يخبره .

فلما أجابه عن كل شيء غفل عن تلك الطريقة التى كانوا يضربونها ، فعاد الصبى إلى حالته الأولى وغشيه السكات ، فطلب الوالد معاودة الكرة ، فقال الكندى :

كان فى العمر بقية فاستطعنا أن نقوى روحه ونحرك نفسه ، أما الآن فقد استوفى أجله .

### الموسيقى تصطاد الأسماك

وحكى أبو نصر الفارابى فى كتابه « السماع » ما معناه أن أحد ملوك اليونان قد رأى أن ناحية من نواحى بلاده دخل نفوس أهلها الكسل والجبن فبعث إليهم بفريق من الموسيقيين ، أسمعوهم الحاناً معينة فأيقظوا بها ما كان عندهم من كسل .

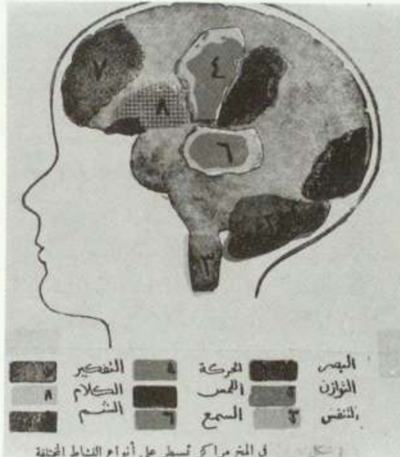
وقال افلاطون : من حزن فليسمع الموسيقى .

وقال صاحب العقد الفريد : النغم الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتهتز له الجوارح .

لقد سايرت الانغام الجميلة القرآن والآذان ومزامير داود ، واعترف بها المفكرون بآثارها ونتائجها ، واستعملها الأطباء علاجاً للحزن والكآبة والخوف ، واستخدمها الفلاسفة لتهدئة النفوس الثائرة .

والحيوانات أيضاً تطرب بنغمات الموسيقى ، وقد بحث بعض علماء اليابان تأثير الموسيقى والأغانى على الأسماك ، وانتهت أبحاثهم بأن هناك انغاماً خاصة تجتذب الأسماك وأنغاماً أخرى تنفر منها وتبتعد عنها ، وأنه فى الامكان استغلال هذه الانغام فى اجتذاب الأسماك وصيدها على أوسع نطاق ، وبأكبر قدر مستطاع ، والأمر الذى يدعو إلى العجب ان العرب عرفوا ذلك واستخدموه منذ مائتين وألف سنة ، وقد ذكر الجاحظ هذه الناحية تحت موضوع « تأثير الصوت » فقال :

بالأصوات والانغام ينوّمون الأطفال ، والدواب تصر آذانها اذا غنى المكارى ، والابل تصر آذانها إذا حدا فى أثرها الحادى وتزداد نشاطاً ، وتسرع فى مشيها ويجمع بها الصيادون السمك فى حظائرهم التى يتخذونها له ، وذلك انهم يضربون بعصى معهم ، ويعطعطون ، فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار مصغية الى تلك الأصوات والأنغام حتى تدخل الحظيرة التى أعدت لها فيتم صيدها .



في المخ مراكز تسيطر على أنواع النشاط المختلفة

### هل يمكن علاج السمنة بالموسيقى ؟

يتناقش الآن أطباء الجسم وأطباء النفس .. سبب هذه المناقشات ، نظرية حديثة لأحد العلماء النمساويين ، تعلن أن سماع الموسيقى الكلاسيك ثلاث ساعات يومياً يؤدى الى التخلص من الوزن الزائد ، وتحقيق الرشاقة المنشودة ... بلا خضوع لآلام الرجيم وذلك بعد أن أثبت العالم النمساوى البروفسور برامر : ان التجارب على مئات السيدات والرجال ، اثبتت أن الموسيقى تساعد على علاج السمنة ، وان جميع الذين أجريت عليهم التجارب استجابو للعلاج ونقص وزنهم الى الحد المطلوب .

وعلماء النفس يقدمون تفسيراً لأسباب السمنة ، ويوافقون مع نظرية علاج السمنة بالموسيقى .

والمجلة الطبية البريطانية نشرت دراسة هامة ، تؤكد العلاقة بين السمنة والقلق النفسى . وتشير التجارب لأصحاب هذه الدراسة الى أن معظم المترهلين والمكتنزين وأصحاب الكروش البارزة ، مصابون بحالة من القلق النفسى ، وأن نسبة انتشار الأمراض بين السمان تفوق بكثير نسبة انتشارها بين النحاف .

ويعتمد أنصار التفسير النفسى لظاهرة السمنة الى حقائق يصعب الخلاف عليها ، وهى ان النفس والجسم وحدة لا تتجزأ يتحكم فيها المخ .

ولأن المخ يتحكم فى مختلف النشاطات العضوية والنفسية والفكرية ، فمن الطبيعى ان تنطوى أقسامه على عشرات المراكز المتخصصة .. تشرف على مختلف الظواهر والحالات ، مثل الانفصام والنوم واليقظة والجوع والشبع والحركة وغيرها من النشاطات النفسية والعضوية .

عز الدين فراج




بقلم: محمود السعدني

# غراميات سيبويه

**عاش الشيخ قطامش ومات ، لا يصدق شيئاً ، ولا يؤمن بشيء ، فالحياة أكذوبة ، والناس مجرد أكاذيب ، والنجاح صدفة ، والفشل قدر ، والأعمار بيد الله صحيح ، ولكن فى أمر الحياة والانسان سر ما لا يفهمه قطامش .**

**وكان شديد الايمان بالله ، ولكنه كان مؤمناً متعاظماً فى الوقت نفسه ويعتقد أنه قريب جداً من الله ، الى الحد الذى ليس محتاجاً بعده لتقديم الدليل على صدق ايمانه .**

وكان أحياناً ، عندما يخلو لنفسه ، أو إلى صديق حبيب .. كان يبكي بكاء شديداً وكنت أشعر فى تلك اللحظات ، بعمق جراح الشيخ عبد الحميد ، وغزارة نزفه .

وكان فى ساعات صفوه يردد حكمة أثيرة لديه : (لن يغفر الله لأمثالنا) . وعندما أسأله عن السبب يقول : (لأننا خالفنا ما جاء فى اللوح المحفوظ !) ، وأسأله : ماذا فى اللوح المحفوظ بالنسبة لنا ، فيجيب : (نأكل مرة واحدة فى اليوم . ولكننا خالفنا الأمر ، وأصبحنا نأكل ثلاث مرات ، ونبقى أميين ، ولكننا تعلمنا ، ونظل فقراء ، ولكننا أصبحنا أثرياء) ! وأقول له ساخراً : أثرياء !! فيجيب : نعم ، إنك تملك سيارة فولكس فاجن ، وترتدى بدلة ، وتدخن ، وتسافر للخارج فى مهمات صحفية ، وهذا بالنسبة لما هو مكتوب لك ثراء فاحش . وأسأله : وعلى ذلك سنخلد فى النار ؟ .. فيجيب ساخراً : لا أظن ، لأن المحسنين سيدخلون الجنة ، والمخطئين سيدخلون النار ، ولكن أمثالنا ـ أنا وأنت وزكريا الحجاوى ـ فلا مكان لهم فى الدنيا ولا فى الآخرة بإذن الله .

وكان يؤمن إيماناً عميقاً بأن ضربة حظ

اصابت أصدقاءه ، فاصبح زكريا الحجاوى فنانا شعبيا ، واصبح نعمان عاشور كاتبا مسرحيا ، ومحمود الشريف ملحنا مشهورا وان هذا الذى حدث ، كان من باب سخرية الأقدار ! . ولذلك لم يقرا قطامش حرفا واحدا من انتاج اصدقائه . لم يشاهد مسرحية لنعمان ، ولم يقرا حرفا لزكريا ، وبالرغم من احترامه الشديد لأنور المعداوى ، إلا انه لم يكلف نفسه عناء قراءة مقال واحد له .

ويبدو ان طريقة التعليم فى الأزهر – على زمانه – طغت على اى رغبة عنده للقراءة، فقد كان عليه أن يحفظ عن ظهر قلب كتبا تزن عدة اطنان ، وكان عبد الحميد يعلق على ما حدث قائلا : «لقد قضيت زهرة العمر فى حفظها ثم اكتشفت فى النهاية اننى لم استفد شيئا» . وساعده على عدم القراءة ، إصراره على الهروب من الوحدة وتجنبها ، وإلقاء نفسه فى بحر الناس ، فلم اشاهده وحيدا قط ، ولم يكن يلزم داره إلا إذا كان عاجزا عن الحركة ، وعندئذ كان يقوم باستدعاء الأصدقاء ، ليقضوا الليل حول فراشه .

ولكن اخطر نقطة فى حياة عبد الحميد هى علاقته بالجنس الآخر ، فقد عاش اعزب بالرغم من انه كان متزوجا ، ولكن زواجه تحطم فى أولى مراحله ، وبقيت الزوجة فى الريف على ذمته ، وعاش هو وحيدا مع أولاده فى القاهرة . وكان يكره المراة كراهية شديدة ، والأكيد ان هذا الموقف كان راجعا الى فترة شبابه ، حيث كان شيخا معمما ولم يكن طلاب الأزهر فى قائمة فتيان الأحلام لبنات ذلك العصر ، ولذلك لم يجرؤ مرة واحدة فى حياته على مغازلة امراة ، ولم يكن لديه الشجاعة للافصاح عن شعوره للطرف الآخر ، وكان يحلم دائما بامراة تغازله ، وتطارده ، وتقع فى هواه . وكان إحساسه بالحب احساسا سينمائيا ، فهو يبحث دائما عن حب من هذا النوع الذى يظهر فى افلام السينما ، وينتهى غالبا بماساة !

وكان يكتب خطابات غرامية احيانا ويرسلها لنفسه ، وكان حريصا على قراءة هذه الخطابات لي ، وعندما كان يبدو علي احيانا اننى غير مصدق ، وعندما يغلب علي الضحك ، يقوم الشيخ قطامش وينهال علي شتما . وكنت احاول تهدئته ، واقول له مداعبا ، إن الخطاب يا عبد الحميد مكتوب باسلوب لا يمكن أن يكون لامراة ، فهو مستوف لكل الشروط التى وصفها الفراهيدى وابن منظور ، وصاحبة الخطاب لابد وان تكون خريجة كلية اللغة العربية بالأزهر (لم يكن فى الأزهر طالبات فى ذلك الحين) .

وكان يضحك بعمق عندما اساله : هل وقع سيبويه فى غرامك ؟ ولكنه بالرغم من هذا الموقف الحاد من الجنس الآخر ، كان يبدو سعيدا للغاية إذا ضمه مجلس به سيدات . وكان على استعداد للزحف على ركبتيه ليلبى إشارة من امراة تعامله بشىء من الحنان او تبدى نحوه شيئا من الود ! وبالرغم من حرصه الشديد ، كان على استعداد لان ينفق اخر قرش فى جيبه لتلبية اى طلب ياتى من جانب امراة .

وهذه النفس المعقدة الحساسة الى درجة شديدة ، كانت هى حجر الزاوية فى ظاهرة قطامش ، فقد كان لا يفتح فمه بكلمة إذا ضم مجلسه فردا واحدا لا يعرفه معرفة وثيقة ، وكان لا يسب إلا من يحبهم من اصدقائه . وكان يخشى الحكومة ، ولكنه لا يستطيع الكف عن نقدها . وكان مثاليا ، ولكن تصرفاته الشخصية اكثر من واقعية . وكان يتجنب رؤية الدماء والأشلاء ، فى الوقت الذى كان فيه شديد القسوة لا يرحم.

صندوق المتناقضات الذى فى داخله ، هو الذى انتج فى النهاية هذا الرجل الساحر الساخر ، الذى لم يكن له مثيل فى زمانه على الاطلاق .

وكان دائم المزاح مع أصدقائه ، ويلجا احيانا الى مزاح من نوع ثقيل ، يؤلم ويجرح ، إذا عاتبه صديق اجاب بانه لا يقصد شيئا إلا المزاح ، وان النكتة «حبكت» وان الفرق بين الصديق والعدو ، هو ان الصديق يبلع لصديقه اخطاءه المقصودة فما بالك بالخطا غير المقصود . ولكن الويل لمن تسول له نفسه المزاح مع عبد الحميد بنفس الطريقة ، لقد قاطع صديق عمره زكريا الحجاوى ثلاث سنوات متصلة بسبب مزاح بداه عبد الحميد فرد عليه زكريا بنفس الأسلوب ، فكانت القطيعة !

واصل الحكاية ان زكريا الحجاوى كان جالسا فى مقهى عبد الله مع مجموعة من أصدقائه وتلاميذه ، ولم يكن من بينهم احد من اصدقاء عبد الحميد ، وفجاة دخل عبد الحميد المقهى ، والقى نظرة على الجالسين ، فهب زكريا فى احترام مبالغ فيه ، وهى عادته عندما يكون فى جلسة مع بعض معارفه الجدد ، ورحب زكريا بعبد الحميد بكلمات تحمل كل الاحترام والتقديس . ووقف قطامش بعيدا عن زكريا وهو فى غاية الجد وقال : (لسه قاعد بتنصب يا زكريا ، يا حقير بنى اميه ، يا ابن الـ ...) ، ثم بصق على زكريا وانصرف !

موقف لاشك عانى منه زكريا بعض الوقت ، وبالتاكيد لم يجد تبريرا لهذا الموقف ، وخصوصا وأن الذين كانوا يجلسون معه كانوا يعرفون زكريا قليلا ، ولا يعرفون قطامش على الاطلاق .

ومرت شهور طويلة بعد ذلك ، ثم سنحت فرصة لزكريا الحجاوى لينتقم ، فقد صعد زكريا الى « الباص » عند محطة الباشا فى منيل الروضة ، وكان « الباص » مزدحما والجو خانقا ، وشديد الحرارة . ولمح زكريا وسط الركاب الشيخ قطامش يقف مع مجموعة من المحامين الشرعيين . واقترب زكريا من أحدهم وساله « هوه الاستاذ اللى واقف هناك ده يبقى عبد الحميد قطامش المحامى الشرعى ؟ » فاجاب الشيخ بالايجاب ، وصرخ زكريا صرخة شديدة « يالص ، ياكذاب ، يامنافق يا قطامش . تذهب اليك زوجتى بتوكيل خاص ، لترفع لها قضية طلاق منى فتغازلها غزلا معيبا يا منافق ياشيطان » . وبهت المشايخ جميعا ، فقد كانت هذه التهمة هى أم الكبائر فى مهنة تقوم اساسا على احترام اعراض واسرار الناس ولم يكن للقصة أصل من الحقيقة طبعا ولكن زكريا اندفع فى تمثيل الدور وعبثا يحاول المشايخ تهدئته دون جدوى وثار الركاب الآخرون على الشيخ قطامش وكادت تحدث كارثة ، وانتهز زكريا فرصة



عبد الحميد قطامش

الهرج الشديد الذى حدث فقفز من «الباص» واختفى .

وعبثاً حاولت الصلح بينهما دون نتيجة كان قطامش شديد الغيظ مما حدث ، وكان يقسم كلما فاتحته فى الموضوع انه لن يخاطب زكريا حتى الموت ، ولكنى انتهزت فرصة مواتية ، وتعمدت استفزاز قطامش عندما قلت له : يخيل الى أن هناك سبباً لا ندريه فى موقفك المتشدد والغريب من زكريا وقال قطامش عندك حق . فانا وجدتها فرصة لأقاطع زكريا الحجاوى الى الابد ولما سألته عن السبب الحقيقى ، تنهد فى أسى وقال : إن زكريا يحقد على حقداً شديداً وارتسم شبح ابتسامة على شفتى ، ولكنه واصل حديثة فى جد شديد : لاتظن أنى أمزح أو أعبث يا محمود ، الحقيقة أن زكريا يحقد على حقداً شديداً ، والسبب أنه عديم الأصل وفقير ، وهو لم يتعلم شيئاً ولم يستفد شيئاً ، كما أنه ضائع وصائع ... ثم هدأ انفعاله قليلا ، وصمت لحظة ، ثم قال فى هدوء : «وأنا كمان كده ياأخويا ، وهو عاوز يبقى كده لوحده ! عشان كده بيحقد على . » وضحك قطامش ضحكة عميقة وصافية نابغة من القلب ، ونهض معى الى بيت زكريا الحجاوي ، وكانت سهرة لا تنسى .

ولقد ظللت خلال رحلة ضياعي بعيداً عن مصر ، أشعر بحنين شديد الى أربعة من الأصدقاء ، زكريا الحجاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، ومحمد عودة ، وعبد الحميد قطامش . وقد رأيت « الخميسى » كثيراً فى المنفى ، وسعدت برؤية محمد عودة مرات ، وسافرت الى الدوحة خصيصاً لرؤية عمنا زكريا الحجاوى ، ومن غرائب الصدف أنه مات بعد زيارتى له بالدوحة باشهر قليلة ، غير أن الفرصة لم تتح لى أبداً ، لرؤية عبد الحميد قطامش ، فهو لم يخرج من مصر قط وأنا لم أذهب الى مصر طوال مائة شهر وشهر . ولذلك كنت أحياناً أتذكر قطامش فى غربتى ، وأشعر بخوف شديد أن يموت قطامش دون أن أراه .

ومنذ أشهر قليلة التقيت المستشار الثقافى الكويتى بالقاهرة ، واكتشفت أنه كان يبحث عنى بشدة ، فقد كان يحمل خطاباً من قطامش الى العبدلله ، وقرأت سطوره وبكيت : « يا محمود عد بسرعة ، فانا فى حاجة اليك . لقد مات كل الاصدقاء ولم يبق إلا أنا وانت . لقد رحل أنور المعداوي . ورحل محمود حسن اسماعيل ، ورحل زكريا الحجاوى ورحل عبد العظيم بدوى ، وهاجر محمد على ماهر والخميسى واختفى نعمان عاشور لا أدرى أين ؟ ... عد حتى أراك ، فانا أشعر فى داخلى أن العمر قد ولى ، فاخشى أن أموت دون أن أراك ! » .

وأمسكت بالقلم وكتبت كلمات قليلة لعبد الحميد : « اثبت أيها الرجل ، فسيكون فى استطاعتى أن أراك قريباً عندما يأتى الفرج من عند الله ، وانت تعرف الظروف التى تمنعنى من العودة ، ولكنى واثق أنها ستزول قريباً باذن الله الواحد القهار اثبت ياعبد الحميد ولاتكن نذلا كعهدى بك فترحل قبل أن أراك !! » .

وبعد شهور قليلة من تحريرى هذا الخطاب ، عثرت على ورقة من صفحة قديمة من جريدة الجمهورية المصرية تحولت فى النهاية الى قرطاس يحوى بعض الفاكهة . ولا أدرى ما الذى جعلنى اتفحصها واقرأ سطورها ، وخفق قلبى بشدة على نعى الشيخ عبد الحميد قطامش منشوراً على استحياء .

يالها من لحظة خاطفة تجسدت وتبلورت فيها ذكريات عشرات الأعوام والغريب أننى انفجرت باكياً بشدة عند سماعى نبأ وفاة زكريا الحجاوى ، ولكن مع قطامش كان الامر يختلف ، لم ابك ، ولم تختلج عضلة واحدة فى جسمى ، كأنما أصابنى شلل مفاجىء وبقيت هكذا فى حالة انعدام وزن عدة أيام

لقد انطوت بوفاة الرجل ، صفحة كاملة خطيرة ومثيرة وحافلة ، فما كان أعرض حياته وأعمق صلاته ، وكم شهدت ليالى القاهرة سهراته التى كانت تجلجل فيها ضحكاته ، وتطيش خلالها تعليقاته ولذعاته ، وقفشاته ، ونكاته التى تجرح وتسيل الدم . ولا أعتقد أن ركناً فى مدينة القاهرة لم يشهد سهرة لقطامش ، ولا أعتقد أن أحداً من الذين عاشوا فى القاهرة خلال **هذا النصف قرن الأخير لم يتعرف على قطامش أو لم يسمع به .**

**وبالرغم من ذلك مات فى هدوء وانسحب من الحياة فى صمت ، ونعيه نشر فى جريدة الجمهورية فى عدة سطور لا تلحظها العين .**

**مسكين عبد الحميد قطامش .. عاش كالمهراجا ومات كالصعلوك ، لأن الزمن الذى مات فيه ، هو أردأ زمن مر على مصر ، زمن لمع فيه الطين ، واختفت فيه النجوم . لم يكن هذا زمان قطامش ، ولكنه كان زمن توفيق عبد الحي ، ورشاد عثمان . ولعل الموت كان أعظم هدية لقطامش الذى لم يستطع احتمال الحياة فى مصر ، ولم يستطع أن يغادرها ، وقنع اخيراً بعدة أشبار فى تراب مصر .**

**محمود السعدنى**

# جابرييل جرثيه ماركيث

بقلم : الدكتور محمد عبد الله الجعيدي
الأستاذ بكلية الآداب والفلسفة/جامعة مدريد

شاع اسم « ماركيث » بين الكتاب العرب على أنه « جابرييل جارثيا ماركيز » . ولكن النطق الصحيح للاسم بالأسبانية هو كما ورد فى هذا المقال : « جابرييل جرثيه ماركيث » .

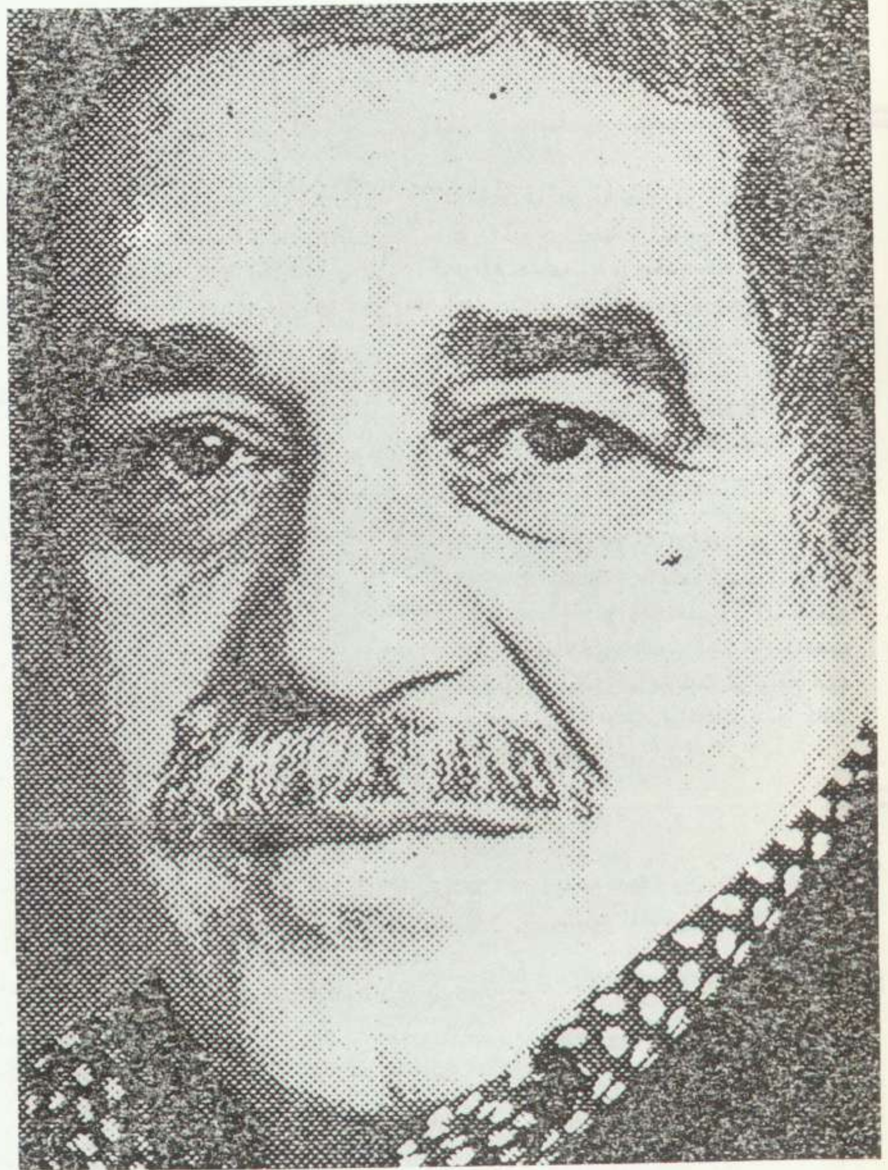
فى قرية أراكاتاكا التابعة لدائرة ماجدالينا (كولومبيا) ولد جابرييل جرثيه ماركيث سنة ١٩٢٨ ، وعاش فى مسقط رأسه حتى التاسعة من عمره فى كنف جديه لأمه ، وهناك أنهى السنوات الأولى من تعليمه الابتدائي ، وبعد ذلك أخذه والداه لكي يعيش معهما فى مدينة بارانكية الواقعة على الساحل الأطلسي حيث درس سنتين من المرحلة الثانوية ، وهي مرحلة شرع خلالها فى كتابة بعض القصائد والأقاصيص ، وبحصوله على منحة دراسية خرج ليواصل تعليمه فى مدينة ثيباكيرة القريبة منبوجوتا ، فأنهى تعليمه الثانوي ومنها انتقل الى بوجوتا ليواصل دراساته الجامعية فى الحقوق ، وهي دراسات راح يواصلها فى مدينة كارتاخينا الأطلسية أيضاً . ولكنه لم يكمل هذه الدراسات لأن الأدب قد ملك عليه كل كيانه وعرضه إلى نقد جارح من أقرب الناس إليه .

في يوم احد من سنة ١٩٤٧ كتب الروائي إدواردو ثلاميا بوردا ، المحرر الأدبي لصحيفة الاسبيكتادور « المتفرج » البوجوتية فى الزاوية الأدبية التى يحررها تعليقاً يصر فيه على أن الجيل الأوربي الجديد فى كولومبيا يتسم فى مجموعه بالعقم وانه لا يلوح في الأفق ما يبشر بظهور نتاج ادبي كولومبي ذي بال ، بالمقارنة مع اقطار امريكية لاتينية اخرى . قرأ جابرييل هذا التعليق الرؤيوي ، وللتو استيقظ فى نفسه شعور بالتضامن مع جيله الأدبي . وفي الأحد التالي كنوع من التحدي لذلك التعليق الجارح جلس ماركيث وكتب اول اقصوصة له بعنـوان « للمرة الثالثة خضوعاً للقدر » وأرسلها لادواردو الذي نشرها فى عدد الأحد التالي بصورة مبرزة فى الصفحة الأولى من الملحق الأدبي الاسبوعي للاسبيكتادور مذيلا ذلك باعتذار عما قد سلف منه فى التعليق سالف الذكر ويتكهن بمستقبل وضاء لكاتب الاقصوصة .

إثر هذه اللفتة التشجيعية واصل ماركيث الكتابة حتى جمع نتاجه سنة ١٩٥٢ فى مجموعته « عيون الكلب الازرق » التى اعطته شيئاً من الشهرة داخل بلاده ، الأمر الذي جعل « الاسبيكتادور » تتخذه معاوناً من معاونيها . وفى خضم ضجة المطابع يكتب روايته الأولى « الأوراق الذابلة » التى يظهر فيها تأثير الكاتب الأمريكي وليم فوكنر — وبخاصة فـى « عندما ألفظ انفاسي الأخيرة » — وتتحدد فيها معالم أسلوب ماركيث وأصالته .

فى سنة ١٩٥٥ وبعد أن تمرس فى حقل الصحافة أرسلته « الاسبيكتادور » مراسلا لها فى أوربا فاتخذ من باريس مقراً لاقامته . وفى هذه الفترة يقوم الدكتاتور جوسابو روخاس بينيا باغلاق الصحيفة ، فينقطع مورد ماركيث وينتقل إلى إيطاليا فيدرس فن السينما ويعود إلى باريس سنة ١٩٥٧ وحرب التحرير الجزائرية على أشدها فيتعرض — لشبهه بالجزائريين — لمضايقات الشرطة . ووسط هذه المصاعب السياسية والاقتصادية كتب روايته « ليس لدى العقيد من يكاتبه » ، عمل قصير لكنه ذو قيمة فنية حقيقية .

ومن فرنسا ينتقل الى فنزويلا فيعمل مراسلا للعديد من الصحف ، وفى نفس الوقت يكتب مجموعته القصصية الثانية



جابرييل جرثيه ماركيث .. الروائي الذي دافع عن الانسان كقيمة اخلاقية

« ماتم الأم الكبرى » التى تتخذ من عنوان إحدى قصصها التى تعتبر من حيث الشكل والطبيعة استلهاماً لروايته « مائة عام من العزلة » .

وبعد إقامة ملأها النشاط الصحفي والأدبي والاعلامي فى بلاده ينتقل ماركيث سنة ١٩٦١ الى المكسيك ليعمل بصورة رئيسية فى حقل السينما والاعلان دون أن يبتعد عن عالم الابداع الأدبي فينشر روايته الثالثة « ساعة النحس » الحاصلة على الجائزة الوطنية الكولومبية للرواية .

## خدمة إنسان العالم الثالث

وبين العامين ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ مرت حياة ماركيث الأدبية بفترة جذب ، حيث خلا خلواً تاماً لتقييم أعماله السابقة تقييماً ظهر أثره سنة ١٩٦٥ فى قيمة أعماله وإحدى قمم الرواية العالمية المعاصرة : « مائة عام من العزلة » وهي رواية اراد كتابتها فى الثامنة عشرة من عمره ، إلا أن افتقاده للنضج الأدبي حينئذ حال دون ذلك ، ويبدو لي أن ماركيث قد تطرف فى الحكم على أعماله السابقة لهذه الرواية عندما اعتبرها تمريناً للوصول إلى كتابة « مائة عام من العزلة » ولو أن تواصل أعماله وانسجامها الذي يوحي للقارىء بأنه يقرأ عملا واحداً فى مجلدات متعددة يجعلنا أميل ـ فى بعض الأحيان ـ للبحث عن مبرر لذلك الحكم .

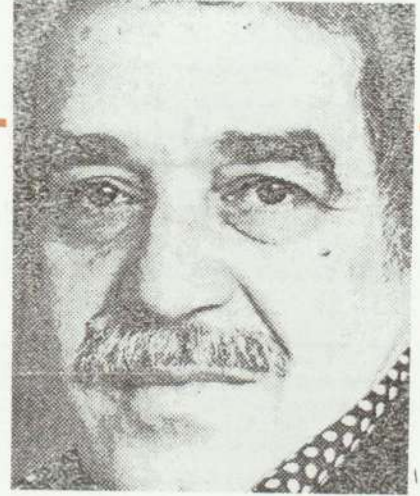
فبينما كان ماركيث متوجهاً من مدينة أكابولكو إلى المكسيك العاصمة اتخذ قراره بكتابة الرواية التى ظل يؤجل كتابتها طوال ثمانية عشر عاماً ، فيوكل شؤون بيته إلى زوجته « مرثيدس برتشة » ويتفرغ هو نهائياً لكتابة الرواية ، ست ساعات يومياً ، من التاسعة صباحاً حتى الثالثة مساء ولمدة عام ونصف العام ، خرج منها محاطاً بكل أنواع العوز . ولكن الرواية ذاع صيتها عالمياً واعتبرت من القمم الادبية ، فدرت على كاتبها سعة مالية مكنته من تحقيق حلم غال على نفسه هو العيش فى مدينة برشلونة الأسبانية ليكرس نفسه تماماً للابداع الأدبي .

وفى ظل الشهرة وسعة العيش ، وبعد ست سنوات من الكتابة وتمزيق ما يكتب ، ينشر سنة ١٩٦٨ روايته « خريف البطريرك » التى تحاول باسلوب الشعر الغنائي أن تقدم للقارىء صورة حية لظاهرة الدكتاتورية العسكرية فى أمريكا اللاتينية ، وهي ظاهرة داب الروائي على درسها بعمق وروية .

وكانت حياة ماركيث وواقع بلاده واطلاعه الواسع على الأدب العالمي معيناً لا ينضب لأعماله الأدبية . فالحديث عن قريته وجديه يحدد طابع أعماله ، فجدته « ترانكيلينا جواران » قصت على مسامعه كثيراً من الأساطير والخرافات القديمة ، فارته الحياة من وجهها الخرافي . اما جده « نيكولاس ماركيث » الكولونيل الليبرالي الذي شارك فى « حرب الألف يوم » الأهلية ( ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ ) فقد روى له كل ملابسات هذه الحرب واضرارها وهو لا يزال فى الثامنة من العمر ، فاراه الواقع الذى حدث بالفعل . فقد كان جابرييل مشدوداً إلى بيت جديه وعالمه « بخيط رفيع غير مرئي » حتى تجسد جده فى صورة الكولونيل بدون اسم فى « الأوراق الذابلة »

وقد أدى إنحدار أجداد ماركيث من أصل جاليقي وانتمائه لساحل كولومبيا الكاريبي ذي الأثر الافريقي إلى استيحاء هذا الاقليم الأسباني وتلك القارة السمراء فى أعماله .

ويمكننا القول بان تكوين ماركيث الأدبي قد قام على عنصرين : السياسي الاجتماعي الذي عاشته بلاده من اضطهاد وقهر . والعنصر الأدبي من خلال قراءاته وممارسته ميدانياً للعمل الصحفي حيث تكشف اقصوصة « الغريق » عن علاقة نظام الحكم الكولومبي بحركة التهريب . وقد أدى نشرها فى « الاسبيكتادور » إلى إغلاق الصحيفة ونفي كاتبها فى أوروبا سنة ١٩٥٧ . وإن كانت القصة فناً لاستقراء الواقع ، فان ماركيث يرى أن مصير الانسانية سوف



# جابرييل جرثيه ماركيث

يؤول إلى العدالة والحرية . ومن هـــذا المنطلق كتب روائع مثل « مائة عـــام من العزلة » و « خريف البطريرك » . وجند موهبته الصحفية لخدمة الانسان فى العالم الثالث وقضاياه التحررية .

## تأثره بالأدب العربي

أما تأثير قراءات ماركيث فى أعماله الأدبية تأثيراً عميقاً جعله « يعدل تصورات معينة لديه عن العالم » فيمكن استيعابه لأعمالهم مثل « كافكا » و « وليم فوكنر » و « كونراد » و « سينت أكسوبيري » و « سوفوكليس » و « دانييل ديفـوي » و « بروس » و « فرجينيا وولف » و « بابلـــو نيرودا » .

فعندما كان ماركيث فى التاسعة عشرة من عمره قرأ قصة « المسخ » لكافكا فتأثر بواقع بطلها الذي يفكر بفكر إنسان فى حين انه ممسوخ فى صورة جعران ضخم . وربط بين واقع جريجوريو سامسا بطل القصة وبين ما روته له جدته فاهتدى إلى المادة الأولية التى تستخدمها جدته خامة ويستخدمها « كافكا » فى قالب فني . وبهذا كان كافكا ملهماً لماركيث فى قصته « الاقامة الثالثة » وفاتحاً الطريق امامه .

اما « وليم فوكنر » المنحدر من جنوب الولايات المتحدة الأمريكية ، منطقة تغص بالراسماليين والاقطاعيين المستغلين للفقراء والفلاحين الذين أخذ من واقعهم مادة لأدبه ، فقد رأى ماركيث فى واقع أدبه ما يشبه واقع قريته أراكاتاكا التي كانت

## • من أقــوال ماركيــث •

## من كتاب عزلة جابرييل جارسيا ماركيث

ترجمة : ناديا ظافر شعبان

«كل رواية جيدة ، سبر لأغوار العالم . وقد اخذ النقاد على عاتقهم مسؤولية حل رموز روايتى ، وإنى لمنتظر ان يفعلوا ! ... لا ألمح بالطبـــع إلى الايمـــاءات اللاشعورية الخاصة فى «مائة عام من العزلة» ، التى يستطيع أصدقائى الحميمون أن يكتشفوها فحسب : فكل تاريخ يوافق عيد ميلاد احدهم ، وإحدى الشخصيات تفكر مثل زوجتى . ويرغب احد زملائى فى أن يسمى أبناءه بأسماء ابنائى . ثمة أمور أخرى كثيرة لا سبيل الى اكتشافها بمطالعة الكتاب السطحية .

«يؤلمنى ان احداً من النقاد لم يشر الى واحدة من التناقضـات الاثنتيـــــن والأربعين التى اكتشفتها شخصياً بعد أن نشرت الكتاب . لم يذكر ناقد خطا واحداً من الأخطاء الكبيرة التى ذكرها لي مترجمى الايطالى ، والتى يجب ألا أصححهـا في الطبعـــات الجديدة أو الترجمات ، لأن ذلك عمل غير نزيه» .

• •

«أصر النقاد على أثر فوكنر فى كتبى ، حتى لقد اقنعونى بذلك . الواقع أنى كنت نشرت قصتى الأولى «ما يتساقط من الأوراق» قبل أن اشرع فى قراءة فوكنر وبمحض الصدفة أردت أن أعرف ما يستند اليه النقاد في نسبة تأثري بفوكنر سافرت بعد سنوات الى جنوب الولايات المتحدة . ظننتنى ساعثر على الجواب الذى لم أجده فى الكتب . تأثرت بتلك الدروب المليئة بالغبار ، والقرى المحترقة البائسة .. كان ناسها يعيشون دون أمل . وكانوا يشبهون الناس الذين وصفتهم فى أقاصيصى . وأعتقد أن التشابه بين الطرفين لم يكن صدفة . لقد ساهمت شركة الموز الأمريكية الشمالية فى بناء القرية التى ولدت فيها . «لا يزعجنى أن أتأثر بفوكنر . بل اعتبر ذلك مديحاً لأن فوكنر من أعظم روائيى كل العصور . لكنى لا أفهم سبيل النقاد الى إثبات هذا التأثير . فالكاتب الذى يجيد ما يعمل ، يحاول ألا يشبه أحداً وان يلغى تأثره بكتابه المفضلين فلا يقلدهم» .





• •

« ليس لدي كتاب مفضلون على أن ثمة كتباً تعجبني أكثر من غيرها . مع أنهـا لا تعجبني كل يوم . ثـــم إن اعجابي بها لا يعني انني أفضلها على غيرها ، فاسباب الاعجاب مختلفة ، ويصعب على تحديدها دائماً . خـذ ، هذا المساء ، هذه اللائحة : أو ديب الملك لسوفوكـــل . أماديس دي جاولا . البرص الصغير لتوريس . مذكرات سنة الطاعون لدانييل ديفو . رحلة أولى حول الكـــرة لبيجافيتا ، طرزان القـرود لبوروز . وقد أتذكر كتابين آخرين أو أكثر . لا أدري ما تعني هذه الكتب فى نظر النقاد . لكنها قيمة هذا المساء ، وقد لا تكون كذلك مساء الغد . منذ سنوات لم

تستغلها ويستغل موزها شركة «يونايتد فروت كامبني » الامريكية ، فكانت قصص فوكنر هادياً لماركيث فى اعماله .

أما « فرجينيا وولف » فقد تعلم من روايتها « مسس دالوي » كيفية استخدام الزمن ، وصرح ذات مرة بانه لو لم يقرا هذه الرواية لما أصبح على ماهو عليه اليوم من عظم الشان فى عالم الأدب .

أما « رامون بيا » القطلوني الأسباني الجمهوري الذي كان منفياً فى الخمسينات فى كولومبيا فقد يسر للشاب ماركيث فى تلك الفترة الحصول والاطلاع على الكتب المتعلقة بالأدب اليوناني القديم والادباء اللاتين والأنجلوسكسونيين مثل « جويس» و «بروس» ، ولهذا نجد ماركيث فى نهاية «مائة عام من العزلة» يشير إلى « رامون » بلقب « العلامة القطلوني » اعترافاً بفضله.

هذا بالاضافة الى تاثير التراث العربي متمثلا في أمهات أعماله الادبية ذات الشهرة العالمية مثل الف ليلة وليلة التى أعلن الكاتب بنفسه عن اعجابه بها وتاثره بسحرها .

ومع هذا كله يكون من الصعب تحديد مؤثر بعينه فى أدب ماركيث لأن هذا الأخير ياخذ من كل بستان زهرة ليشكل بـــاقة رواياته التى تقوم على صياغة الواقع فى ثوب فني .

## ماركيث كاتباً ناشئاً

وكان على ماركيث ككاتب ناشيء أن يشق طريقه الصعب عبر عالم النشر . فعندما أرسل مخطوط « الأوراق الذابلة » لـــدار « لوسادا » للطباعة والنشر بالأرجنتين أعادوا إليه المخطوط مع ملاحظة بقلـــم « جييرمو دي توري » الناقد الأسباني ينصحه فيها بترك الكتابة والتفرغ لأي عمل « حتى ولو كان بيع البطاطا » . أما روايته « ليس لدى العقيد من يكاتبه » فقد نشرتها مجلة أدبية دون الحصول على إذن منه أو أن تبعث له بالمكافاة ظانة بانها قد قدمت له معروفاً بنشرها لعمل استصغرته دور النشر ! .

وتتغير الأحوال بظهور « مائة عام من العزلة » التى نفذت طبعتها الأولى الصادرة عن دار امريكا الجنوبية للطباعة والنشر . وفي مدينة بيونس أيريس وحدها

احتمل فوكنر وتضجـــرني الروايات عموماً . أَعْنِيَ منذ سنوات باخبار البحـّــارة فحسب . » .



« أكتب في غرفة هادئة مدفأة جيداً ، فالأصـــوات والبرد هي الأمر الوحيد الذي يزعجني . أدخن أربعيـــن سيجارة سوداء خلال ساعات العمل . واقضي بقية النهار محاولا شفاء نفسي من التسمم . يعتقد الأطباء أنني أنتحر ، وأؤمن أن كل عمل يشغفنا ، انتحار بطريقة ما .

« قلما يجهد الكاتب في عمله . فبمقدار ما يبطيء ، تاتي النتيجة أفضل . لذلك كان تاليف الرواية احب من كتابة القصة . فانت تستريح منها دفعة واحدة . بينما عليك ، كلما شرعت فى كتابة قصة ، أن تبذل الجهد نفسه الذى تبذله لكتابة رواية . ثمة مناسبات استطيع فيها أن انكب على عملي فترات طويلة . مع ذلك اعرف اني أقدر على كتابة الأشياء فى اليوم التالي ، بعد أن أستريح وقتاً كافياً ، لا أفكر ، خلال الليل والنهار ، إلا بما اكتب . احدث به أصدقائي الحميمين ، من يتفهمون نفسيتي ، ولكني لا أقرأ عليهم سطراً واحداً منه ، ولا أسمح لهم بقراءة أو بلمس مسوداتي ، لانني اعتقد ، تطيراً . ان نتاجي ، عندئذ ، يضيع إلى الابد .

لا ! لا أدون الملاحظات إطلاقاً ، إلا من إشارة إلى برنامج العمل اليومي . فقد علمتني التجربة اننا إن قضينا الوقت نفكـــر فى الملاحظات المدونة نسينا الكتاب ، ومسار الكتابة .

حين استفيق ، أبدأ أول ما أبدأ ، بتصحيح نتاج اليوم السابق ، بحبر أسود . ثم أنسخ ما كتبت ، ثم أصحح النسخة الأصلية كاملة ، وأعطيها لسكرتيرتي لتطبعها على الالة الكاتبة ، لاني لا أحتفظ بنسخة مما أكتب ، فاذا فقدت ورقة ، خلال تنقلاتي ، أعدت كتابتها فى يوم واحد .

« اقرأ المسودات احتياطاً . سمح لي الناشر أن أغير ما أشاء فى ( مائة عام من العزلة ) ولكنى لم ابدل إلا كلمتين . والحق ان الكتاب يفقد إلى الابد أهميته لدى منذ أن أنتهى من مراجعة النسخة الأصلية التى رضيت عنها » .

● ●

« مايريده احدنا أن يكون كاتباً ، لذلك ينكد عيشه ان يقوم بعمل ثانوي . ارفض ما كان يقال عني سابقاً من ان على الكاتب أن يعاني الضيق المادي والبؤس ، حتى يغدو كاتباً ناجحاً . واعتقد ان الأديب أقدر على الكتابـــة والابداع إذا كانت مشاكله البيتية والاقتصادية محلولة وأولاده وزوجته بصحة وعافية ، ووازت متطلبـــات العيش دخله المتواضع ! لا ليس صحيحاً ان سوء وضعه الاقتصادي مساعـــــد على الابداع ! لأنه لا يريـــد أن يقوم بعمل غير الكتابة . وافضل ما يساعده على الكتابة أن تكون مشـــاكلـــه محلولة .

« اذكر أمراً آخر . كـــان ممكناً أن احل مشاكلي لو قبلت المنح والمساعدات المادية ، أو إحدى تلك الصيغ التى اخترعت لمساعدة الأديب . رفضت كـــل ذلـــك رفضاً قاطعاً . واعرف ان كل الكتـــــاب الأمريكييـــــــن ــ اللاتينيين يؤيدون موقفي . فنحن نؤمن ــ وخوليـــو كورتازار مثل لنا ــ إن كرامة الأديب تمنعه ان يقبـــل الاعانات ليكتب . فكل إعانة مادية ، مهما كانت وسيلتها ، تسيء إلى سمعته » .

# جابرييل جرثيه ماركيث



خلال خمسة عشر يوماً . أما روايته الأخيرة « وقائع موت معلن عنه » فقد صدر من طبعتها الأولى فى ٢٨ ابريل ١٩٨١ مليونان ومئة وخمسون الف نسخة . وبعد أسابيع صدرت طبعتها الثانية . وما كاد عام ١٩٨١ يشرف على نهايته حتى ترجمت الى اثنين وثلاثين لغة ، من بينها العربية التى نشرتها مجلة الدستور اللندنية فى خمس حلقات خلال شهر اغسطس من نفس العام وهي ترجمة مباشرة عن الأسبانية .

## العزلة .. دائماً

وإن كان ماركيث قد كتب ـ كما صرح ـ كتاباً واحداً مفرقاً في عدة أعمال ، فان العزلة بمختلف اشكالها هي موضوع هذا الكتاب . فالعزلة فى أعمال « ماركيث » كالضياع فى أعمال « كافكا » والمأساة فى أعمال « جويس » والآلام فى أعمال « دستويفسكي » . إنها عزلة أمريكا اللاتينية داخل أسوار سياسات القهر والاضطهاد والاستغلال والهيمنة الاجنبية وهي ليست بعزلة الانسان الشخصية وإنما هي عزلة فرضتها الظروف الحائرة على الانسان مانعة إياه من التطور ، ومن تأكيد هويته ووجوده بحرية ، وهي عزلة الشخصية المركزية فى « الأوراق الذابلة » حيث تموت فى عزلة مطبقة . وهي عزلة الحياة اليومية فى « مائة عام من العزلة » وفي « خريف البطريرك» يحاول ماركيث النفاذ الى عزلة السلطة الطاغية التى تفرط فى حقوق شعبها إنسياقاً وراء النفوذ الأجنبي . وفي « ساعة النحس » تتمثل العزلة فى عزلة المحافظ الذي انصرف عنه الناس ولم تبق بجانبه إلا عرافة تكشف له المستقبل . وبغي يتحادث معها على أمل الخروج من هذه العزلة . وفي « ليس لدى العقيد من يكاتبه » نجد العقيد وزوجته وديكه ينتظرون كل يوم جمعة مكافاة تقاعد أبداً لن تصل .

وهكذا تمثل العزلة بمختلف صورها ورموزها وبطابعها السياسي الاجتماعي العمود الفقري لأعمال ماركيث . فالعزلة عند ماركيث مضادة للتضامن المفقود بين البشر ، وتكاد تشبه تلك العزلة التى اتسم بها شعر ثيسار باييخو (١٨٩٢ ـ ١٩٣٨) ، إذ أن الانسان فى عزلة لا لأنه اراد ذلك وإنما لأن الظروف التاريخية قد قهرته ووضعته فى هذا المحك . فالطاغية يفقد طريقه فى غيبة التضامن البشري التى فرضتها القوى الاستعمارية الغازية المحتكرة التى عاملت الطاغية كعميل وليس كصديق .. وبهذا ارتضت له كل ما من شانه ان يفيدها حتى ولو اضر بمصالح شعبه ووطنه ، حتى إذا ما لفظه شعبه تخلت عنه هذه القوى الاستعمارية وعندها يقع فى براثن هذه العزلة المفروضة عليه من الخارج .

ومن المؤكد ان شهرة جابرييل جرثيه ماركيث قد قادته الى مواقع أكثر تقدماً على خط النضال السياسي انطلاقاً من إيمانه المبدئي فى الدفاع عن الانسان كقيمة أخلاقية وقد عبر عن ذلك النضال حسب قناعاته السياسية بتاسيس مجلة « التيرناتيبا » التى ظلت تصدر فى بوغوتا طوال سنوات خمس .

وحالياً بعد ان فر بنفسه واسرته من شر السلطة العسكرية فى بلاده ، ومن مقر إقامته بكيرناباكا بالمكسيك ، وبعد أن نشر روايته الأخيرة « وقائع موت معلن عنه » يكرس الروائي الكولومبي جهوده لكتابة التقارير السياسية التى تنم عن فهم عميق لظروف العالم المعاصر اساسه علاقات صداقة قوية ربطته بمشاهير الساسة مثل فيدل كاسترو، فرانسوا ميتران ، وعمر توريخوس ( رئيس بنما ) . وفى نفس الوقت لا يتوقف عن تطوير عمله الأدبى الذى سيتبلور هذه المرة فى مجموعة قصصية تتخذ من الظروف القاهرة والمصائب التى تعيشها قارته إثر تصادم الثقافات والعقليات المختلفة فيها موضوعاً لها . وسيكون عنوان المجموعة : «أيام متعاقبة هى الحياة» .

محمد عبد الله الجعيدى

## ماركيز يرفض مليون دولار !

● من أنباء الفائز بجائزة نوبل جابرييل جارسيا ماركيز أنه رفض مليون دولار تقدم بها إليه الممثل العالمى انطونى كوين ، وذلك مقابل تحويل روايته الشهيرة «مائة عام من العزلة» الى فيلم سينمائى !!

# تراثنا العربي

## يفتقر إلى التفسير والفهم!

بقلم : نعمان عاشور

**وأنا جالس أرصد بخيالي المشهد العام لحياتنا الثقافية وأمامي عشرات الكتب التى يستعصى علي قراءتها لأنها لا تستحق القراءة .. ومن حولي البرامج التليفزيونية التى تحاصرني بمسلسلاتها المتشابهة المكررة وافلامها المتلاحقة المضنية المزهقة للأفكار والتى أصبحت تطمس كافة القيم .. تلمع فى خاطري حيرة مباغتة حول أهمية الفكرة وقيمتها .. ما الفرق بين الفكرة الجيدة ذات القيمة والفكرة الرديئة التافهة التى لا قيمة لها .. وما الذي يميز فكرة ما عن فكرة أخرى ؟ وكيف يمكننا أن نوازن بين حقائق الأفكار ونفعها أمام هذا الكم المتلاحق من الترهات التى ترجم بها عقولنا وأفهامنا صباح مساء . وطال بي التأمل كالمعتاد فرحت أمنطق القضية بتفاصيل أرهقت عقلي المكدود إلى أن وصلت الى بديهية كان يجب أن أصل لها من البداية .. الفكرة ذات القيمة هي تلك التى تصمد على مدار أجيال وأجال فلا تضعف ولا تنمحي مع تلاحق الزمن بل تثبت وترسخ حتى تتحول من مجرد كونها فكرة لها دلالتها المعنوية الى حقيقة مادية لها أثرها الملموس وبحيث لا يبلى تاثيرها اليوم عما كان عليه تاثيرها بالأمس !! .**

كنت اقرأ من أيام طرفاً من كتاب يتضمن واقعة يرويها صاحبها صاحب الكتاب .. عن مفكرنا الاسلامى الكبير وقائد نهضة الشرق فى منتصف القرن التاسع عشر .. السيد جمال الدين الافغانى .. يقول المؤلف .. « حدث أن ارتحل الافغاني الى الاسكندرية بدعوة من تلميذه أديب اسحاق لمشاهدة مسرحية «شارلمان» التى ترجمها عن الفرنسية وكانت تقدمها فرقة سليم النقاش فى أوائل السبعينات من القرن الماضى .. وشاهد الأفغانى المسرحية وأعجب بها واهتز لهذا اللون من الوان الفن الذى كان لايزال فى باكورة وجوده عندنا .. وهو فن المسرح فلما عاد الأفغانى الى القاهرة بعدها بأيام .. بعث برسالة شكر الى أديب اسحاق وسليم النقاش جاء فيها بالحرف الواحد .. «الحذر كل الحذر من الانسياق وراء التفاهات لأن من طبع الجهالة أن تدفع الناس الى التكالب على التفاهات .. والمكسب الحقيقى فى التشخيص هو توعية الجمهور باحوال معيشته وحقيقة حياته وذلك يكون بضرب الامثال وليس بالنصيحة الفارغة والعظة الجوفاء»



جمال الدين الأفغانى

هذه الفقرة كتبها الافغانى منذ مائة عام .. وفى رسالة من رسائله الخاصة .. وربما تاثر بها من كتبت لهم ..ولكن الغريب العجيب اننا لو حللنا هذه الفقرة تحليلا دقيقاً .. ثم حاولنا أن نطبقها على ظروف المسرح وتطوراته خاصة مسرحنا الراهن هو وبقية قوان التعبير الدرامى السائدة مثل السينما والاذاعة والتليفزيون لوجدناها مطابقة كل الانطباق فى تشخيصها لواقع الحال وفى تبينها لما أدت إليه من نتائج وابرازها لحقيقة الحل الواجب الذى يردده الأفغانى على صورة تحذير !!!!
كلمة يكتبها صاحبها منذ أكثر من مائة عام تظل حية بمضمونها ومدلولها ومغزاها لتعبر الأجيال حتى تصلنا ناضجة نقية طازجة وكانها وليدة اللحظة وبنت الساعة .. أكيد كان الأفغانى يرى بثاقب نظره وبفكره الفاحص المدقق ما يجرى أمام عينيه وليس له سابقة عهد ولا معرفة بالمسرح ولا بفنون الدراما وذلك منذ أكثر

# تراثنا العربي
## يفتقر إلى التفسير والفهم!

من قرن كامل .. ما أصبحنا نراه اليوم ولا نستطيع أن ندرأ شره وخطره ومغبته على حياتنا الثقافية وعلى فنوننا المعاصرة فكيف تاتى له ذلك ؟!!

### حقيقة المسرح

ليس أجدى أن نبدأ بتحليل تلك الفكرة التى جادت بها عبقرية الرجل بالقياس الى ظروفها ودواعيها حتى يمكننا أن نصل الى قيمتها وحقيقتها .. شيخ معمم يقارب الستين من العمر أخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى إنهاض الأمم الشرقية الاسلامية ودفعها فى مسار التطور الحضارى على أساس من ماضيها الشامخ التليد .. يدعوه بعض تلاميذه من الذين تأثروا بمنطلقات الثقافة الحديثة فى فنونها الذائعة وربما يكون قد شاهد المسرح من قبل أو سمع به أو قرأ عنه .. ولكنه أكيد لم يره ويشاهده ويلمسه على هذه الصورة المباشرة المجسدة إلا بعد زيارته للاسكندرية وحضوره لعرض مسرحية «شارلمان» .. كيف يمكنه بعد هذه المشاهدة التى لايمكن أن تكون قد زادت عن مدة العرض أى ثلاث أو أربع ساعات على أكثر تقدير .. كيف أمكنه أن يلم كل هذا الالمام بحقيقة المسرح لا فقط فى ايجابياته كفن مباشر لاصق التجاوب بجمهور مشاهديه .. ولكن كفن يرتبط أساساً وبخلاف كافة الفنون الأخرى ويعتمد اعتماداً كلياً وحتمياً على الجمهور المشاهد .. فالجمهور فى المسرح ليس مجرد عنصر متفرج وانما هو يدخل فى مكونات العرض المسرحى كعنصر رئيسى .. قيمته وأثره من قيمة النص وقيمة الممثل وقيمة المخرج .. ناهيكم عن بقية وسائل العرض الأخرى من الموسيقى الى الأضاءة الى الديكور ..

لاعجب أن يبدأ الأفغانى بالتحذير من الانسياق وراء التفاهات لأنها من طبع الجهالة التى تدفع الناس الى التكالب عليها .. أى أن مستوى الجمهور نفسه ومدى تذوقه للعرض واحساسه به هو الذى يحدد قيمة العرض .. وهذا صحيح .. ثم أو ليس هو التبرير السائد اليوم والذى يقدمه أصحاب مسارح التسلية والاضحاك للمستويات الهابطة التى يقدمون بها عروضهم ؟؟ أليست هذه نفس المزاعم التى تدفعهم الى تكرار الجهر بأن «الجمهور عاوز كده» .. إنها الدعوة المرفوعة كشعار لأكثر من عشر سنوات لتبرير كل ما يقدم على خشبات مسارحنا من إسفاف واستهتار


برناردشو


تشيكوف

بكافة القيم متخفية وراء نزوات الجمهور وهو نفس ما رصده الأفغانى من أول مشاهدة «الانسياق وراء التفاهات التى تولدها الجهالة» .. هذا ما نهى عنه الافغانى فى أول عباراته وكأنه كان يقرأ فى كتاب مفتوح الصفحات بارز الحروف لا على المسرح السكندرى منذ أكثر من قرن .. ولكن على المسرح المصرى والمسرح العربى عامة بعد أكثر من قرن كامل من الزمان وهو يكرر نفس البديهية الأولى التى نهى عنها ...

### فهم حقائق الحياة

لكن الأفغانى لا يقف بفكرته الثاقبة عند هذا الحد .. بل إنه ليعدوها الى ما هو أجل وأقيم منها فى التعريف بحقيقة فن المسرح وقيمته ونفعه .. فنراه يتبع ما حذر منه كعامل سلبى أساسى كامن فى طبيعة المسرح كعرض جماهيرى مباشر التجاوب مع مشاهديه الى الجانب الايجابى الذى يمثل ويشكل جوهر رسالة المسرح بالنسبة لجميع المشاركين فيه وعلى رأسهم الجمهور نفسه فيقول «والمكسب الحقيقى فى التشخيص هو توعية الجمهور بأحوال معيشته وحقيقة حيأته» .. فقرة مبهرة يركز فيها الأفغانى تركيزاً نفاذاً على المفهوم الصحيح للمسرح وهو المفهوم الذى يميزه كفن تشخيص والذى اهتدت به كافة الحضارات التى عرفت المسرح عصوراً عديدة قبلنا من عصر اليونان حتى عصرنا الحاضر .. انه المفهوم الذى بنى عليه أرسطو نظريته وهو نفس المفهوم الذى قام عليه المسرح عند شكسبير الانجليزى ، وموليير الفرنسى ، وإبسن النرويجى ، وتشيكوف الروسى وبرنارد شو الايرلندى ، وبيرانديللو الايطالى ..

فماذا يقول الأفغانى عن هذا المفهوم ؟!

إنه يستبق ويهضم ويحتوى التعريف الصحيح للمسرح فهو فن لابد أن يحمل رسالة قوامها تمكين الناس من فهم حقائق حياتهم والوعي بأحوال معيشتهم وعلى حسب آخر وأدق وأشمل تعريف للمسرح «فن الفنون والمؤسسة الثقافية التى تنصب فيها الرؤية الحقيقية للكون والحياة الى جانب أنه منبر توعية ومنار مشع للمثل والقيم والتطلعات الانسانية جميعاً ..» وهذا ما نفذ اليه الأفغانى بفكره الثاقب عن المسرح ، لكن كيف يمكن للمسرح أن يحقق رسالته ؟!

هنا أيضاً تتكشف ألمعية مفكرنا الكبير .. فوسيلة المسرح تعتمد جوهراً وأساساً على ضرب الأمثال .. أى على التشخيص والتصوير الموضوعى الذى يستوفى كافة الشرائط الفنية المحكمة الأكيدة .. وليس مجرد اطلاق النصائح الفارغة أو الألفاظ الجوفاء .. وهو ما يعنى اتقان الفن بحيث تتوافر من خلاله المتعة العقلية الى جانب المتعة الحسية التى تحمل للمشاهدين ما يساعدهم ويعينهم ويقنعهم على تبين الخير من الشر والحق من الضلال وتمييز الصالح من الطالح ..

وهكذا تتأكد حقيقة النظرة الثاقبة من خلال الفكرة ذات القيمة . الفكرة التى لا تقف بقائلها عند حدود الجهر بها لتضيع فى الهواء .. وإنما يمتد بها الزمن لتكون أثبت على الزمن من حياة صاحبها نفسه ولو كان ما قاله الأفغانى وحاولنا تحصيله وتفسيره ومقارنته بواقعنا الراهن .. لو كان مجرد رأى عابر أو فكرة طارئة لما كانت حفاوتنا بها الى هذه الدرجة التى تجعلنا نقدمها لكم كدليل واضح أكيد .. على أن الفكرة .. كما أسلفنا من قبل أثبت على الزمن من أن تظل مجرد فكرة سيما إذا كانت فكرة جيدة ناضجة ثاقبة لأنها بالفعل وبهذه المواصفات تتحول الى حقيقة مادية ملموسة من الحقائق الباقية الحية التى تقاس بها قيمة الأشياء . فما بالكم إذا كانت فى مجال الفن وهو مجال نادراً ما تثبت فيه التعريفات ؟!

### الافادة من التراث

وقد تسألونى عن الهدف من وراء عنايتى واهتمامى بمثل هذا التحليل الذى قد يعتبره البعض فرعياً أو ثانوى الدلالة .. فأجيبكم بأن هذا النهج الذى اختطه



ابن خلدون

معكم إنما يمثل أقوم ما يجب أن نحتفى به فى الافادة من تراثنا الغامر الضخم .. لا بنثره مفصلا فى عشرات الكتب والمجلدات بل بمحاولة التنقيب عما يحويه فى تفاصيله فضلا عن مجمله من الأفكار الحية النابضة الناضجة التى سجلت ورصدت وكان يمكن أن تكون عبر الأجيال أبرز ما نهتدى به فى دعم تقدمنا لولا ما غام على حياتنا قرونا وقرونا من الجهالة والغفلة التى حجبت عنا تراثنا الحى فى غياهب الظل .. إن الدعوة للارتكان على التراث يجب أن تنبعث .. لا على أساس مجرد إعادة طبعه ونشره وإنما بهدف دراسته وتفسيره التفسير المنهجى الصحيح الذى يجلو ما علاه من صدأ فيما يحويه من أفكار وآراء هي بمثابة اللؤلؤة المخبوءة داخل الأصداف .. وليس فى مقدورى أن أضرب الأمثلة أو أستدعى الشواهد فتراثنا العربى تراث ضخم مليء بما لم يدركه التفسير أو الفهم .. لكن أى تفسير ؟!

## الاحياء كيف يكون ؟

إن هذا هو السؤال الذى تتحتم الاجابة عليه بموضوعية خالصة ، لأن الذى يحدث عادة .. أن يقع قارىء أو باحث متحمس للتراث على فكرة أو تصور حول فقرة فى كتاب أو حتى عن موضوع بكامله تناوله أحد الشعراء القدامى أو جرى به قلم أحد المفكرين فاذا به ينطلق على الملأ كافة .. أن هاكم تراثنا الذى سبقنا به العالم كله .. وتكون النتيجة أن يتبلد تقييمنا للمكتشف من التراث بحيث نقف به عن حد الفخر بالسبق .. بدون أدنى محاولة لمتابعته فيما استجد فيه أو تطور منه فى سجل تراثنا



أرسطو



شكسبير



موليير



إبسن

المتلاحق بعده .. وتكون الصدمة الكبرى حين نتبين أنه تراث مبتور أو بالاحرى .. سابق لم يدركه لاحق .. وبدلا من أن نتابع تحليله والتعرف على قيمته وأهميته ناهيكم عن بعده وامتداد مداه .. نقفز الى مقارنته بما يشابهه فى التراث او الفكر او الابداع الحضارى القائم ..

اى نعم .. كان لنا فضل السبق .. ولكن هل نكتفى بهذا الفضل ونحيله الى تراكمات متوارثة ليتجمد فى داخل أرصدة الكتب كتراث ثابت راسخ .. واخشى أن أقول كتراث مختزن .. أم أن من واجبنا معاودة استكشافه واستلهامه ومقارنته وبحثه وتحليله على ضوء ما استجد عليه أو أضيف اليه من منجزات الحضارات الأخرى التى ازدهرت بعدنا فطورته الى ما تطور اليه ليصبح لاصقا بها متلاحما معها مجاوبا لحاجاتها منه . بينما نظل نحن نردد أنه من الأصل تراثنا الذى سبقناهم فيه وأوجدناه قبلهم .. إنما تكون العبرة بما يمكن أن نفيده من هذا التراث .. لا بربط ماضينا بحاضرنا .. بل فى تقويم حاضرنا على ضوء ما أدخل عليه واستجد فيه من جانب الحضارات التى تلت حضارتنا المنبثق منها .. وهنا تكون الأصالة هى العنصر الفعال فى ارتباطنا بتراثنا الخابى الذى توقفت حضارتنا به ولم تتابع تطويره

إحياء التراث إذن لا يكون باعادة نشره فقط ولا باثبات أحقيته فى السبق وإشهار أقدميته فى التواجد .. ولناخذ مثلا تراث ابن خلدون وما استبق به كافة المفكرين بعده فى اكتشافه علم الاجتماع وقواعده وأصوله ومعالمه وقوانينه الخ ... أكيد أنه صاحب أثر نفاذ على كافة وجوه المعرفة الاجتماعية التى تلته وسواء كان هذا الأثر مباشراً أو غير مباشر فان له امتداداته القيمة فى التعرف على الكثير من حقائق المعرفة الاجتماعية التى أتى بها أو توصل اليها بقية المفكرين الاجتماعيين الغربيين . وقد طوروه وضاعفوه وأضافوا اليه الكثير الكثير مما لم يصل اليه صاحبه .. فاذا نحن أردنا أن نعود الى هذا التراث .. وهو فى الأصل تراثنا .. فما هو السبيل لأن نرتد له ؟! بالتدليل على أننا سبقناهم فيه وأوجدناه قبلهم .. أم بمعاودة استكشافه بحثا وتحليلا وتفسيراً للافادة مما حواه وأوجده ولم يأخذوا هم به .. وتبين ما لايزال راسباً فيه وصالحاً لنا منه .. بدون تجاهل منجزاتهم بل مع الاهتداء بها وبما طوروه منها فى الربط بيننا وبينه .. وكيف يمكن أن ندرك حقيقة تراثنا ونقنع بقيمته إلا إذا اهتدينا فى تبنينا له وتعرفنا عليه وعودتنا اليه بما لحقه ولحق حقائقه من منجزات وتطورات يستحيل إدراكها إلا على ضوء العصر الذى نعيشه ..

من أسابيع وأنا غارق فى قراءة « الف ليلة وليلة » .. هذه هي المرة الرابعة التى أرتاد فيها سجلنا القصصي العامر .. وأكتشف بعد ما انقضى من العمر والتجارب والمعارف شيئاً لم أدركه من قبل في هذه الملحمة الشعبية الضخمة ! انها باسلوبها وحكاياتها ومضامينها وما حوته من أفانين وأخيلة تسبق كافة فنوننا الابداعية المعاصرة بكل مدارسها واتجاهاتها الواقعية والرومانتيكية والانطباعية والسريالية الخ .. الخ من ألوان الابداع .. لكن هل معنى هذا وفى رجوعنا إليها وارتدادنا لها .. أن نتجاهل أو ننكر أو ننحي جانبا .. الافادة مما درسناه وأدركناه ومارسناه من فنون ابداعية حديثة هي نبت لاصق متطور بمنجزات الابداع الفني والفكري للحضارة المعاصرة القائمة .. وهل يعيبنا ذلك في محاولة الارتباط بتراثنا بعد أن انقطعت صلتنا به ؟!!

ونرجع الى ما بدأنا به وهي مقولة الأفغاني عن المسرح وتعريفه له حال تعرفه عليه ونفاذه إلى حقيقته وغور أبعاده كفن .. مثل هذا هو ما يجب أن ننقب عنه فى التراث .. أن يكون هناك من بين رواسبه مايرسخ على الزمن فنفيد منه فى حاضرنا .. ربما أكثر مما كانت فائدته هو نفسه قبل أن يصبح تراثاً .. وأخشى ألا أكون واضحاً .. ولكن مجمل القول .. اننا فى حاجة وأشد حاجة الى منهج واقعي صحيح لاحياء التراث .. يتجاوز بنا مراحل الاكتفاء بتصحيحه وتسجيله ويجعلنا نخطو بما فيه إلى أبعد من اننا سبقنا به غيرنـــا .

**نعمان عاشـور**


أهارون أبو حصيرة

بقلم : عصام شريح

# أهارون أبو حصيرة والأزمة الطائفية في لبنان

**تجتاح الكيان الصهيونى منذ فترة عاصفة طائفية عاتية تهدد بانقسام بين الاسرائيليين ، قد يكون قاتلا بالنسبة لكيانهم ، وكان أبرز رموز هذه العاصفة ، وزير الأديان السابق ، ووزير الشؤون الاجتماعية الحالى ، أهارون ابو حصيرة ، الذى تحولت محاكمته بدعوى السرقة وتوزيع الرشاوى الى قضية بل الى أزمة طائفية حقيقية . والشىء الملفت للنظر أن العرب لم يفعلوا شيئاً لاستثمار هذه الأزمة عن طريق تعميقها بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين فى نضالهم ضد الصهيونية .. لكن لعل فى فتح ملف أبو حصيرة ، والأزمة الطائفية فى اسرائيل ، ما يساعد على أن يتنبه العرب لما ينبغى عليهم أن يفعلوه فى هذا المجال .**

ولد أهرون أبو حصيرة فى المغرب فى عام ١٩٣٨، وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٤٩ ، وتابع دراسته فى مدرسة دينية ثم فى دار للمعلمين ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة «بار إيلان» الدينية .

وقد بدأ أبو حصيرة حياته السياسية بالعمل رئيساً لبلدية مدينة الرملة فى عام ١٩٧١ ، وفى عام ١٩٧٣ انتخب عضواً فى الكنيست للمرة الأولى على قائمة مرشحى حزب المفدال (الحزب الوطنى الدينى) ، الذى يرأسه الدكتور يوسف بورغ ، وقد لمع اسم أهارون أبو حصيرة كزعيم لكتلة الشباب داخل هذا الحزب فى مطلع عام ١٩٧٧ ، مما جعله يفوز بعضوية الكنيست التاسع فى نفس العام ، وقد اصبح أبو حصيرة ممثلا لليهود الشرقيين داخل حزب المفدال ، حيث تتمتع عائلته بمكانة دينية مرموقة ، مما أهله لتولى منصب وزير الأديان فى حكومة مناحيم بيغن الأولى ، لكن فى أواخر عام ١٩٨٠ ، وجهت اليه تهمة التلاعب بالأموال العامة وتلقى رشوة مما أثار عاصفة فى الكيان الصهيونى حول اختلاسات كبيرة من اموال وزارة الأديان ، إلا أن أبو حصيرة دفع هذه التهمة جانباً ، وقدم استقالته من منصب وزير الأديان ، قائلا إنه مجرد ضحية لانه يهودى شرقى ليس إلا ، واضاف أن رئيس حزب المفدال يوسف بورغ يقف وراء هذه التهمة مع أنصاره ، بسبب حقده على اليهود الشرقيين .

وإزاء هذه التهمة وإحالة قضيته على المحكمة ، انشق أبو حصيرة عن الحزب الوطنى الدينى (المفدال) ، واقدم قبل شهر تقريباً من موعد انتخابات الكنيست العاشر (٣٠ - ٦ - ١٩٨١) على تأسيس حزب سياسى جديد باسم «حزب تامى» .

ويقول أبو حصيرة عن حزبه : «نحن حركة تراث ، فجميعنا رجال محافظون ، يهود متدينون ومحافظون ، نريد خلق جسر بين اليهود المتدينين واليهود المحافظين » ، وقد احتل حزب تامى ثلاثة مقاعد فى الكنيست العاشر (الأخير) ، وأهرون أبو حصيرة هو احد النواب الثلاثة عن هذا الحزب .

## أبو حصيرة .. سارقاً

بتاريخ ١٩ - ٤ - ١٩٨٢ ادانت «المحكمة الاسرائيلية العليا» وزير العمل والشؤون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين أهارون أبو حصيرة بتهمة الاحتيال والسرقة وإساءة استخدام منصبه ، وصدرت عن المحكمة أحكام بالسجن مع وقف التنفيذ بحق ابو حصيرة ، تصل فى مدتها الى واحد وخمسين شهراً . وقالت رئيسة المحكمة فكتوريا اوستروفسكى كوهين ، انها قررت خفض عقوبة المتهم ، لأن هذه هى المرة الأولى التى يحاكم فيها رجل سياسى فى اسرائيل بسبب مخالفات مالية ، واضافت أن «أبو حصيرة» أدين بتهمة خداع المجلس البلدى فى مدينة الرملة عن سابق تصور وتصميم ، عندما كان رئيساً لهذا المجلس ، ووصفت كوهين إدارة خزينة البلدية من قبل أبو حصيرة ، ومساعده موشى غاباى الذى أصبح فيما بعد مديراً عاماً لوزارة الشؤون الدينية ، بانها كانت أشبه ما تكون بادارة عقار خاص حيث لم تحفظ أى سجلات محاسبة ، كما أن الحوالات المصرفية كانت تؤخذ من

الخزينة للاستخدام الشخصى ، وغالباً ما كانت هذه الحوالات توضع تحت تصرف اصدقاء أبو حصيرة والمقربين اليه . وكان اهرون أبو حصيرة قد قدم للمحاكمة امام القضاء للمرة الأولى فى عام ١٩٨٠ ، وصدر ببراءته آنذاك لعدم كفاية الأدلة .

ونعود الى اصل الاتهامات التى وجهت ضد أبو حصيرة عندما كان يشغل منصب وزير الأديان فى الفترة ما بين ١٩٧٧ ـ ١٩٨١ ، فبتاريخ ٧ ـ ٩ ـ ١٩٨٠ ، نسبت صحيفتا «هارتس» و «جيروزاليم بوست» الى مصادر فى الشرطة الاسرائيلية قولها إن مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية اختلست من وزارة الأديان واودعت فى حسابات مرقمة فى البنوك السويسرية ، واضافت الصحيفتان أن شخصيات دينية وسياسية كبيرة ضالعة فى عملية الاختلاس هذه ، وبتاريخ ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ اشارت صحيفة «هارتس» الى ان ازمة داخل حزب المفدال ، قد نشبت ، إثر إقدام وزير الأديان أهرون أبو حصيرة على إقصاء مدير عام الوزارة يسرائيل ليبل عن منصبه ، وقد اتهم ليبل الوزير أبو حصيرة باستخدام اقاربه فى الوزارة ، واستغلال منصبه كوزير لتعزيز نفوذه داخل حزب المفدال ، وغض النظر عن فضائح واختلاسات مالية كبيرة ، وقدم مدير عام الوزارة وموظفون كبار متضامنون معه أدلة تثبت أن وزارة الأديان تدفع مخصصات مالية تقدر بمئات الآلاف من الليرات الاسرائيلية لمدارس دينية وهمية ، ولتلاميذ غير موجودين إلا فى جداول مزورة .

وبتاريخ ٢٢ و ٢٨/٨/١٩٨٠ ، كشفت صحيفة «يديعوت احرونوت» النقاب عن قيام الشرطة الاسرائيلية باقتحام مكاتب وزارة الأديان ثلاث مرات وعلى مدى ثمانية أيام ، حيث صادرت خلال ذلك العديد من الملفات والوثائق ، فى محاولة للتحقق من الشبهات المتعلقة بارتكاب بعض موظفى الوزارة مخالفات وعمليات رشوة بمبالغ مالية كبيرة .

ومن خلال التحقيقات التى أجرتها الشرطة ، أخذت الشبهات تحوم حول تورط وزير الأديان نفسه ، وحصوله على مبالغ مالية كبيرة كرشوة لنفسه ، ثم حول مصادقته على رصد مخصصات ومنح مالية للمقربين منه ، لغرض دفع رشاوى فى الانتخابات للمجالس المحلية .

ولخصت «يديعوت احرونوت» الاتهامات المنسوبة الى اهرون ابو حصيرة وثلاثة من كبار معاونيه بما يلى :

● وصول بعض الاموال المخصصة للمدارس الدينية الى جيوب بعض الأفراد .

● ان بعض الأموال المخصصة للمؤسسات الدينية استخدمت لشراء الأصوات فى المعارك الانتخابية فى بعض السلطات المحلية (مجالس محلية او ما شابهها) .

● هناك شبهات تفيد بان احد اقرباء العاملين فى الوزارة قد حصل على عدد كبير من الأصوات فى انتخابات احد المجالس المحلية بوسط «اسرائيل» ، وفاز بنيابة رئاسة المجلس ، بعد ان قدم تعهدات ووعود للناخبين المتدينين ، بتقديم دعم مالى من وزارة الأديان وحزب المفدال لعدد من الكنس (المعابد الدينية اليهودية) ، فى تلك المدينة .

كما أشارت «يديعوت احرونوت» الى ان الشبهات على صعيد وزارة الأديان ، تحوم حول ارتكاب المخالفات التالية :

● حصول بعض المدارس الدينية وغيرها (علمية وأدبية ومهنية) ـ والتى لا وجود لها أساساً ـ على مخصصات مالية من الوزارة على امتداد عدة سنوات ، ثم وصول تلك الأموال الى جيوب بعض الأفراد .

● تحويل المعونات المالية المخصصة للمدارس الدينية ، والمدارس الاخرى ، الى حسابات بنكية خاصة .

● تقديم لوائح الى وزارة الأديان ، هى فى الواقع من نسج الخيال وتتضمن تلك اللوائح قوائم باسماء طلاب وهميين فى تلك المدارس ، بهدف زيادة مخصصات الدعم المالى لهذه المدارس .

● قبول أحد موظفى الوزارة رشوة مالية .

## ردود فعل

أثارت ادانة وزير الأديان السابق أهرون أبو حصيرة (حالياً وزير العمل والشؤون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين) ، أثارت ردود فعل عنيفة بين اليهود الشرقيين ، فقد اتهم انصار الوزير المدان «العدالة» فى اسرائيل ، باتخاذ موقف متحيز ضد «أبو حصيرة» الذى ينتمى الى أسرة من الحاخامات أصلها من المغرب . وقال أقاربه انه مستهدف لأنه شخصية سياسية يهودية شرقية .

وأضافوا أن «العدالة» تتغاضى عن مخالفات أكثر خطورة يرتكبها يهود من أصل أوروبى غربى . وعقبت أوساط اليهود الشرقيين على محاكمة «أبو حصيرة» وادانته ، بالقول انها كانت جزءاً من محاولة للنيل من اليهود الشرقيين من قبل اليهود الأوروبيين . ونقلت صحيفة «عال همشمار» (٢٩/٨/١٩٨٠) عن بعض اعضاء الكتلة البرلمانية فى حزب المفدال قولهم : ان الحملة التى تشنها وسائط الاعلام الاسرائيلية ضد «أبو حصيرة» ، هى جزء من مسلسل قديم له طابع طائفي بحت ، واعتبر هؤلاء هذه الحملة موجهة بقصد الاساءة الى زعماء الطوائف الشرقية بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية ، واستشهدوا على ذلك بمحاولات التشهير التى شنت فى السابق ضد بعض هؤلاء ، من امثال رئيس بلدية ديمونا جاك عيد ، ورئيس العمال فى ميناء اشدود يهوشع بيرتس وغيرهما .

## أزمة طائفية

فى الواقع بدات أزمة طائفية تبرز فى الكيان الصهيونى منذ السنوات الأولى لاقامة هذا الكيان على ارض فلسطين المغتصبة ، وكانت هذه الأزمة تكبر وتتضخم سنة بعد اخرى ، وقد عبرت عن نفسها بظواهر مختلفة ، كظاهرة التذمر الواسعة التى اجتاحت صفوف اليهود المغاربة (١٩٥٩) ثم ظاهرة الفهود السود في اسرائيل (١٩٧١) ، لكن ظاهرة الوزير اهرون أبو حصيرة ، كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ، وكشفت عن عمق الهوة الطائفية فى الكيان الصهيونى ، وصعوبة ـ إن لم يكن استحالة ـ ردم هذه الهوة . وقد جاءت الانتخابات العامة الاسرائيلية للكنيست العاشر (الكنيست «البرلمان» الحالى) لتفضح ـ أكثر من أى انتخابات سابقة ـ عملية الاستقطاب الطائفى بين الأحزاب الاسرائيلية المتنافسة فى هذه الانتخابات ، حيث اثبتت عملية الانتخاب أن الناخبين اليهود من أصل أوروبى واميركى ، اندفعوا فى غالبيتهم للتصويت للمعراخ (التجمع) ـ أى حزب العمل وحلفائه ، فيما اندفع الناخبون من أصل آسيوى وافريقى فى

# أهارون أبو حصيرة والأزمة الطائفية في لبنان

غالبيتهم للتصويت لليكود (التكتل) ـ اى حزب حيروت وحلفائه .

وقد كتب إيلى تابور فى «يديعوت احرونوت» ١٧ ـ ٧ ـ ١٩٨١ ، كتب معلقا على نتائج الانتخابات العامة التى جرت فى الثلاثين من حزيران (يونيو) ١٩٨١ ، فقال : «.. ففى هذه الانتخابات وصل الى أوجه ، مسار بدأ فى معارك انتخابية سابقة وبرز بوضوح لأول مرة فى ايار (مايو) ١٩٧٧ ، فى انتخابات الكنيست التاسع ، فالأكثرية الساحقة من ناخبى الليكود فى هذه الانتخابات ، كانت من ابناء الطوائف الشرقية ، فيما كان معظم ناخبى المعراخ من ابناء الطائفة الاشكنازية ( اليهود البيض من أصل أوروبي وأمريكي ) . »

وأضاف تابور قائلا : «ان توزع الناخبين وفقاً لأصولهم الطائفية ، كان بمثابة صفعة لجميع أولئك الذين حاولوا فى الماضى الادعاء ، أن التصويت الطائفى ـ السياسى هو أمر عرضي وعابر ، ففى هذه المرة ، اتضح بما لا يدع مجالا للشك ، ان العكس هو الصحيح ، فالتصويت الطائفى هو ظاهرة آخذة بالتفاقم ، بل إن هذه الظاهرة قد تحولت الى تيار جارف ، مما يستدعى إشعال أضواء التحذير الحمراء ، وقرع أجراس الانذار ، لأن ما ظهر فى المواجهة السياسية ، هو شاهد على أن مرضاً مزمناً وقديماً فى المجتمع الاسرائيلى قد أخذ يتطور بوتيرة متسارعة» .

## مظاهر من الازمة

إن الهوة الطائفية التى عبرت عنهـا انتخابات الكنيست العاشر ، وقضية الوزير أبو حصيرة ، ولو بشكل جزئي ومحدود ، تتجلى فى الكيان الصهيوني منذ مدة فى عدة مظاهر اهمها :

الوضع الثقافي : ويعبر عن هذا المظهر بصورة رئيسية ما يسمى بثقافة «المعبروت» بالنسبة لليهود الشرقيين ، وفي الواقع فان عملية الاستقطاب الطائفي بدأت مع ظهور « المعبروت » هذا فى عام ١٩٥٠ ، اي بعد قيام اسرائيل بسنتين فقط ، والمعبروت هو فى العربية « المعبر » أو مكان الاقامة المؤقت ، وقد اقيم لمواجهة تيار المهاجرين اليهود الوافدين على فلسطين المحتلة ، ووصل عدد « المعبروتات » فى أوجه الى ١٤٠ ، وكان فى البداية مخصصاً للمهاجرين البيض القادمين من أوروبا وامريكا وللسمر والسود القادمين من آسيا وأفريقيا على حد سواء ، لكن سرعان ماأخذ تواجد البيض فى المعبروت يتقلص رويداً رويداً ، لكي يقتصر فى أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات على اليهود الشرقيين فقط ، الذين اخذت اقامتهم فيه تمتد إلى سنوات طويلة ، لعدم توفر المساكن أو المستوطنات الجديدة ، أو العمل ، وهكذا ولد جيل كامل وترعرع فى المعبروت الذي لم يكن في الواقع اكثر من معسكر من الخيام والمساكن المصنوعة من التنك ... وعندما كانت تتوفر الظروف لمغادرة المعبروت الى المستوطنات أو المساكن فيما أطلق عليه اسم « مـدن الأعمار » ، كانت جميع التشوهيات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، أو ما يمكن تسميته « بثقافة المعبروت » ، تنتقل مع المهاجرين الجدد إلى اماكن سكنهم الجديدة ، وكان من الملفت للنظر فى عملية الانتقال هذه ، أن غالبية المهاجرين من اليهود الشرقيين قد تم اسكانهم فى « مدن الاعمــار » وفي الموشــافيم ( المـزارع التعاونية ) في حين تدفق اليهود الغربيون على مراكز السكان القديمة في المدن الرئيسية ( تل ابيب ـ حيفا ـ القدس ـ يافا ـ ... الخ ) ، اي أن عملية تمييز عنصري قد بدأت تاخذ مجراها فى اسرائيل من المعبروت الى المدن والمستوطنات ، فقد كان هناك فرز حقيقي بين الشرقيين والغربيين فى المعبروت ، وقد انتقل هذا الفرز إلى اماكن السكنى الجديدة ، وكانت هذه العملية الخطيرة تنفذ احياناً كثيرة بصورة منهجية ورسمية . يقـول « اشـر عيدان » ـ محاضر فى الفلسفة بجامعة تل أبيب ـ « ... عندما اخرج والداي مـن « المعبراه » قالوا لهما إنهما سياخذونهما إلى مدينة « بئر السبع » ، لكنهم اخذوهما الى الصحراء ، وعندما رفضا النزول من الشاحنة ، ارغموهما على النزول فى الموشاف بعد جولة قصيرة حيث كانا يتعيشان من ثلاث بقرات ... وفي الموشاف المحاذية ، هناك أشخاص مازالوا حتى اليوم يروون كيف جلبوهم الى اماكن سكناهم الحالية ، وعندما رفضوا النزول ، رفعوا رافعة السيارة ورموهم على الأرض » .

ويقول « أشر عيدان » : « إن هذا جزءاً من الاحباط النفسي الذي يعاني منه اليهود الشرقيون » .

ولم يتوقف التميز العنصري عند هذا الحد ، بل ان اليهود الشرقيين اخذوا يتحدثون صراحة عن وجود حضارتين وثقافتين فى اسرائيل ، وبتعبير آخر اصبح الحديث عالياً فى الكيان الصهيوني عـن « هم ـ ونحن » .

ومن مظاهر صيغة « هم ـ ونحن » ما يقوله حاييم ، وهو أديب وكاتب مسرحي من مواليد المغرب : « انت تشعر ( كيهـودي شرقي ) بانك تافه وعاقر ويتيم ومعزول وذليل ومضطهد ، انت انسان غير مرغوب فيه ، ولا احد يهتم بثقافتك ، فموسيقاك ليست موسيقاهم ، وقصائدك ليست قصائدهم ، وبالطبع فقيمك ليست قيمهم ... فكل ابطال التليفزيون هم اشكناز ، أصحاب الأفكار والمنتجين كلهم اشكناز ، وانا كلي اصغاء ، وابحث لأرى متى يبدأون ببلورة بطل مغربي على سبيل المثال ، او تونسي او جزائري ... واحيانا تكون مصغياً ويبدو لك أن كل ما هنالك ، هو انهم يبثون إليك عبر هوائيات موجودة فى بلاد اخرى ، وانت تستقبل بجهاز لدولة اخرى .. الاتصال مفقود .. »

ويقول دافيد حمو : « عندما ارى على شاشة التلفزيون برنامجاً لنعومي شيمر ، انادي على زوجتي الاشكنازية : هناك برنامج للاشكناز . إن اي قصيدة لنعومي شيمر لا اجد فيها نفسي ، وبالنسبة إلى ، فعشية كل عيد وفى مساء كل يوم جمعة اجلس امام تليفزيون الاشكناز ، فاشكنازي هو الذي يتحدث عن مشاكلي ، وبمضمون اشكنازي وليس اسرائيلياً .. »

ويقول « يوحنان بيرس » ـ عالم اجتماع ـ إنه لا توجد في اسرائيل حضارتان متساويتان فى القيمة ، وتثري كل منهما الأخرى ، بل ان هناك حضارة سائدة ، وإلى جانبها حضارة مسودة » .

ويضيف إنه « بينما اقتربت الطوائف الاشكنازية من بعضها البعض الى حد ذوبان الحواجز فى الجيلين الثاني والثالث ، فان الطوائف الشرقية بقيت فى الأساس فى إحساسها بالغبن ، فالتشابه فى انماط حياة هذه الطوائف يلاحظ عندما تقارن ببعضها ، ولكنه لا يشكل اساساً للمشاركة فى مضامين الحضارة » .

اما عالمة الاجتماع « دفورا بيرنشتاين »

فتقول: « .إن الزعماء وعلماء الاجتماع والمفكرين والموظفون ، قد نظروا الى ابناء الطوائف الشرقية كاشخاص بحاجة الى عملية تحويل حضاري حاسمة ، وكمتخلفين تعوزهم القدرة على التحكم بالذات ، ويفتقرون الى النضج » . وتضيف « إن الاحصائيات الرسمية فى اسرائيل تؤكد قاهرياً الزعم بان ابناء الطوائف الشرقية ليسوا من مستهلكي الثقافة ، ومن هنا يستدل على تدنيهم الحضاري » .

## سيطرة اقتصادية

وإلى جانب التمييز الثقافي والحضاري ضد اليهود الشرقيين ، هناك ايضاً تمييز اقتصادي ، ولكن على اساس طائفي ، حيث يوجد فى اسرائيل توزيع طائفي للموارد الى جانب التوزيع الطائفي للعمل ، على حد تعبير عالم الاجتماع الدكتور شلومو سبيرسكي فى كتابه « ليسوا ضعفاء بل مستضعفين » .

وقد توصل الدكتور سبيرسكي الى استنتاج مؤداه ، انه من الواضح انه تكون فى اسرائيل توزيع عمل طائفي ، يحتل فيه الشرقيون قوة العمل ، بينما يحتل الاشكناز مواقع السيطرة والادارة فى كافة المرافق ، ويشير هذا التوزيع الى ان توزيع العمل الطائفي اخذ فى التازم ، فكلما مرت السنوات يتضح ان نسبة التقدم والترقية فى اوساط الاشكناز ( البيض ) من المراتب الدنيا في سلم العمالة الى المراتب العليا منه ، أكبر بكثير من نسبة التقدم والترقية فى اوساط الشرقيين ، ويشير « سبيرسكي» إلى أن توزيع العمل بين الغربيين والشرقيين بهذا الشكل غير المتكافىء « قد يتجذر مع مرور الوقـــت » .

« فالشرقيون فى غالبيتهم ، يفتقرون الى راس المال ، ويقدمون العمل فى المراتب الدنيا لسلم العمالة ، وهم ممثلون بصورة ضئيلة نسبياً فى أروقة القوة السياسية ، ويمكن القول ان جوانب اساسية في تطورهم مرتبطة بالقرارات التى تتخذ فى منظمات ومؤسسات ، يمثل الاشكناز فيها المواقع العالية والمناصب الرفيعة ، فتطورهم تبعي ، وهو مرتبط بمشاريع الانماء للمجتمع باسره ـ مجتمع تتجسد فيه قيم وطموحات وانماط عمل اشكنازية فى اساسها » .

## سيطرة الاشكناز

إن الانقسام الطائفي فى اسرائيل ، يلقي بالاضافة الى اصوله الضاربة فى عمق تاريخ اليهود ، يلقى تشجيعاً ومتابعة دؤوبة ومنهجية لتكريس سيطرة اليهود الغربيين على اليهود الشرقيين . ويستشهد الدكتور « سبيرسكي » على هذه السيطرة المنهجية بفقرة من اقوال يهودي شرقي من اصل عراقي اسمه « عزرا » ، وهو عضو فى لجنة العمال باحد المشاريع الحكومية ، وفيها يقول : « هناك طائفة فى البلاد مسيطرة تماماً على كافة نواحي الحياة فى هذه الدولة ، وانا لا اخجل من قول ذلك ، وهذه الطائفة هي الطائفـــة البولندية ـ رجال الهجرة الاولى او الهجرة الثانية ، فلو تمعنت فى مكاتب الحكومة ، فستجد انهم جميعاً من اصل بولندي ، وكل واحد منهم ياتي بالآخر الى هذه المناصب البارزة ، اما الطوائف الشرقية التى انتمي إليها ، فلا ترى وجوداً لها هناك ، انهم رجال العمل الأسود » .

ويضيف عزرا : إن الهستدروت ( اتحاد نقابات العمال ) هي للبولنديين ، وان الجامعات للاشكناز ، وان البيض يسدون جميع الطرق والمنافذ امام اليهود الشرقيين

## هل تقوم حرب طائفية ؟

وإزاء تفاقم المشكلة الطائفية فى اسرائيل ، فان البعض بدا يطرح اسئلة محرجة حول امكانية قيام حرب طائفية بين الشرقيين والغربيين ، خاصة وان عملية الدمج او الاندماج التى سعت إليها حكومات اسرائيل المتعاقبة ، قد فشلت خلال اكثر من ثلاثين سنة . وهاهي ذى انتخابات الكنيست العاشر ، وقضية الوزير أبو حصيرة ، تكشف عن التهاب المشكلة الطائفية وليس ضمورها .

ويقول « حنـــان انـــوش » في مجلـــة « عراخيم » ـ كانون الأول ( يناير ) ١٩٨٠ ـ العدد السادس ـ إن أبناء « اسرائيـــل الثانية » يقصد اليهود الشرقيين ـ قد نقلوا دعمهم السياسي من المعراخ (التجمع) إلى الليكود ( التكتل ) ، حيث تجمع الاحزاب المندمجة فى الليكود التطرف القومي بالديماغوجية الاجتماعية الواسعة .

ويقول إيلي تابور ( يديعوت احرونوت ـ ٣ ـ ٧ ـ ١٩٨١ ) : إن حزب الليكود الذي يقوده مناحم بيغن حالياً ، بقي فى نظر المنحدرين من أصل افريقي وآسيوي ، وفى نظر الأجيال الطالعة بالذات ، حزباً معارضاً يستطيعون بواسطته التعبير عن احتجاجهم ضد الحزب الذي كان في نظرهم الحزب الحاكم الذي اساء إليهم وإلى آبائهم ...

وبالفعل ، فان اليهود الشرقيين قاموا بعمل قاطع هو التصويت فى انتخابات الكنيست التاسع ( ١٩٧٦ ) ثم الكنيست العاشر ( ١٩٨١ ) ، الى جانب حزب الليكود ، لا حباً في الليكود وإنما انتقاماً من المعراخ الذى حكم اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٦ ، وقد ادى الاستقطاب الشرقي حول الليكود الى استقطاب غربي مضاد حول المعراخ فى هذه الانتخابات ، مما جعل البعض في اسرائيل ( الدكتور سبيرسكي مثلا ) يحذر من مواجهة طائفية مكشوفة عن طريق الأطر السياسية الكبرى فى اسرائيل ، ومما دفع عالم الاجتماع حنان بيرس إلى القول « .. فاذا لم نقلص الهوة الطائفية ، فان الاحساس المتعاظم بالغبن قد يقود إلى انفجار مدمر . » ، خاصة ، وان البعض من الأشكناز يحذر من خطر تحول اسرائيل الى دولة شرقية ، ويستشهد هؤلاء على ذلك بتنامي التوجه الطائفي ، لدى اليهود الشرقيين ، وانصرافهم بشكل مكثف الى السلفية الدينية ، حيث يشكلون اكثر من ٧٥ بالمائة فى المدارس الابتدائية الدينية الرسمية ، و ٨٢ بالمائة فى المراحل الاعدادية الخاضعة للاشراف الرسمي الديني ، و٩٧ بالمائة فى المدارس الاعدادية التابعة لنظام « التعليم المستقل » التابع بدوره للحزب الديني المتطرف والمعروف باسم « اغودات اسرائيل » .

وأخيراً .. وليس آخراً .. هل يعي العرب حقيقة الهوة الطائفية والنزاع الطائفي المغلف حالياً فى اسرائيل ، والمرشح لان يتحول الى صراع قاتل ومدمر للكيان الصهيوني ، وان يعملوا على تغذيته واستثماره من اجل وضع حد للمهزلة الصهيونية على أرضهم ؟!! .

عصام شريـــح

# رسالة ما

قصة بقلم: علي الملك
بريشة الفنان: تاج السر أحمد

عزيزي .....
تحياتي ... وبعد ..

يا معشر الرجال . سلمنا من قبل ، ذاك الذى سلم واستسلم من النساء جيل ، ونحن جيل . هن قد صدقن ان هذه البلاد الفسيحة لكم وحدكم . تسيحون فيها ما شئتم . تجتمعون تسمرون ، تتفرقون . شانكم المرح الفياض . ثم قنعن مرغمات بالحجرات : مضيئات ، مظلمات ، لاشىء يهم .

والدنيا كلها انباء رجال . فان رفعت امراة راسها قالوا وقالوا وقالوا . وإن اتت أمراً يستحق الاحتفاء ، أو ربما الانتباه ، تحرك فيهم ذلك التسلط الذي يعربد داخل ذواتهم ، عللهم كله ، وانه لا له ذكر .

ليلى خالد : اتذكر خبرها ؟ اختطفت طائرة لأجل فلسطين . ونبحت كل وكالات الأنباء : هَوْ .. هَوْ .. هَوْ .. وتنبع امراة اخرى . وتنبح وكالات الأنباء : هَوْ .. هَوْ .. هَوْ .

ومنكم قد جاء علماء ، وطفقوا يتحدثون عن الفرق بين الرجل والمراة .. يندر أن تصاب امراة بقرحة المعدة ، قالوا . الا ترى انهم يحسدوننا ؟ جاء العلماء كلهم : علماء التشريح وعلماء وظائف الأعضاء ، واطباء الباطن والظاهر ، وأهلات علم النفس والطب الوقائى ، والحشرات . واهل المسالك البولية اجتمعوا فى مكان ما بكندا واعلنوا ان تجاربهم على نبات (اليوهمبين) الافريقى أثمرت ، وبفضله ـ ذاك النبات ـ سيزداد الرجال قوة فوق قوة، وبعد هذا الاكتشاف المذهل قال المعلقون انه لن تخون امراة خلها لضعف ما ! وناس التوليد والعقم ، وعلماء الغابات والحيوان والعلوم السياسية ، والكيمياء ، والنحو والعروض ، والاحصاء ، وتعليم الكبار ! وسائر الجراحين من غير اهل المسالك .

وقالوا إن انثى الجراد تقتل الذكر بعد قضاء الوطر ، وانثى البعوض تقتل الملاريا وانثى البشر تنقل الكلام من بيت لبيت ! وزعموا أن الحصان أجمل من الفرسة . وان المراة تبكى لضعفها . أما أهل الوقار فقد لاذوا بمعامل الوقار ، وخرجوا بكلمات ثلاث : (إن كيدكن عظيم) ! الا ترى أن هذا زمان الأنباء ؟

إذن فكيف تمضى امراة مثلى ـ هذا ما علمت ـ الوقت حين تحاول أن تقطع صلة متينة مع من كانت تود أشد ود ؟ أحدثك عن تجربة يوم واحد ، شهدت فيه طرفاً من الشروق . ما أدركت غرته ، بصرت بالشمس من خلف المداخن والسقوف الزنك المائلة آن تنهار بفعل المطر ، والعمال آن يثورون . ثم رقبت الغروب جله ، والشمس تسقط فى مستقر لها ، ربما هو أمدرمان . كرة أبدية النار الى موطنها ، تظن هادئة وشبه خامدة تؤوب . انجزت عمل يومها . يا شعراء المدينة انكم تنفقون بمثل هذا التامل زمان الوجود . مضت ايام لا أراك فيها ، اقول يا لحسرة الفؤاد ؟ أم ماذا اقول ؟ كل مدمن يعيش أوان شدة وباساء .. يرجو بعدها ان يصفو دمه ، ان كان هو ذا عزيمة . ومن يدرى ؟ لعل .. عسى .. ربما ..

● ● ●

هل أشكر لك ، أم هل اشكر لنفسى ؟ ساوفيك من الثناء حقك كاملا . لا تخف . أقل شىء : ما هو من ذلك قريب . كانى أشهد عينيك تتسعان . مزيداً من الضوء يا رب ! فيهن شبكة من عروق الدم لا تخفى : عارية. مثلما انت تتوقع ان يتفجر الكلام من فمى فيهد حصونك هدأ . انت دائما كذلك .. اليس كذلك ؟

انت لاريب تستغرب الآن انى صرت أكتب . اليك الفضل يعود ، كلتا القراءة والكتابة من صنع نصحك الدعوب ، ألم اقل إنى أشكر لك ؟

إنى أشكر لك ؟ أم هل اشكر لنفسى كونى مادة تتشكل ، تصير ، تتنفس تحيا بك ، قالوا ، ثم قالوا وقالوا . هذه المرونة في ومني ، وما علم القائلون ذلك . إذن فانى اشكر لنفسى أيضاً .

وأبصر بانفاسك المبهورة ، صدرك



الرحيب بهن يرتفع ويهبط .. حين اضع وجهي عليه : ذلك الصدر ، احس انى بقلعة حصينة الشان الوذ . هذا حق لا مراء فيه .

اردت أن اقول هذا ، فمازلت احس اننى لا احسن الكلام المنمق ، وهذا الكلام صناعتك وبضاعتك ، تقول انك صرت تفقد منابر عزتك واحداً إثر واحد ، إلا هذا الواحد الباقى : الكلام ، تركته لك . حين تقرا هذه القطعة من حديثى ابتسم او فلتضحك .. قصدت الى ملحة طريفة ، لماذا استرضيك ؟ اقول لك : او فاعبس .

استطردت : معذرة ، صدرك قلعة حصينة الشان لهذا الحديث أعود من جديد . أتضحك من نسيب امراة عاشقة ؟ يشفع له ـ هذا الكلام ـ انى قائلته ، ليس كالشعر الذى كنت تنشده لي : بعضه لعشاق شعراء الصحراء ، وبعضه من انشاء شعراء الحضر ، وبعضه لعشاق ماتوا وما تركوا ولا يعرف التاريخ لمحبوباتهم اسماء .. غرام شعرائك الأثيرين مثل الطعام المعلب لا يرام إلا حذلقة مدنية ، وحديثى طعام طازج .. احر وانقى ، فيه خشونة ملمس الدمور ، والحيطان حين يكون طلاؤها الرمل ، وعبيرها عبير الأرض أن تستقبل العهدة . هذا كلامى .. هل تطاولت يا أمير الفنون ؟ معذرة !

حقاً انى احسن مخاطبتك حين اكون بعيدة عنك . طفل وشب عن الطوق . اعرف انك حين تبلغ هذا الموضع من خطابى ستغضب . ولن تستطيع الاتصال بى .. التليفون فى بيتنا لا يعمل ، اصم ، ابكم ، (بلا حرارة) يقول الناس ، اه يا لجلال التعبير .. ولذلك ولامحو عن روحك الغضب ساحكى لك نكتة :

جاء خادم ليعمل فى بيت ساله صاحب البيت :

ـ هل تعرف الغسيل والمكوة ؟

ـ أيوه .

ـ تنظف البيت ، وتحضر الرغيف ، الصف طويل طبعاً !

ـ جداً .

ـ عارف البيت كبير جداً ومواجه غبار العالم كله ، ياتى به من قرونه .. ولازم تنظف كل يوم ؟ .

ـ حاضر ..

ـ كان لازم أكلمك لانه الصراحة راحة .. فعلا بيت كبير .. حدادى مدادى ..

ـ طيب مفهوم ..

ـ بالمناسبة عندك دفتر ؟

ـ نعم يا سيد فى بطاقة شخصية ، الدفاتر انتهى زمانها .

ـ عال . طيب تعرف تشفط بنزين ؟!

ـ لا يا افندى إلا دى ..

ـ طيب ما فى فايدة مع السلامة !

هل ضحكت ؟ كل صديقاتى اهتززن ضحكاً حين سمعنها .. هذه واحدة لتريح اعصابك من بعد ان كنت ـ لاريب ـ غضبان ، ولكنى اعرف فيك طمعاً انت فلان (البريد روحه) ، لو ان الناس تضحكها نكتة واحدة ، انت تريد نكتتين .. انت كبار كبار .. كتار كتار .. ، حتى الأدوية تتضاعف عندك ، قال لك الطبيب تناول قرص (فنرقان) يومياً اتذكر ؟ انت تريد قرصين ، حبوب وجع الراس عندك مثل التسالى . تلتهمها التهاماً . طماع يا محمد الطماع صاحب الجبب . فى كتاب المطالعة القديم ، كان من اساتذتنا من يحكى قصة محمد الطماع هذه ، وحكاية فرعون وقلة عقله .

على كل فانى صرت عاشقة للراديو ، هل أسرد عليك آخر الانباء ؟ الدنيا كلها مهمومة ببولندا . ستقول لي وما الغريب فى هذا ؟ افغانستان كانت اغنية العام الماضى سازحم اذنيك وعينيك بالاخبار ايها الطماع كأن الدنيا كلها زعيم تضامن ، امس قالوا رزق زعيم التضامن طفلا . يا عينى وأبوه فى الحبس . كم امراة ولدت فى العالم الثالث وزوجها يرى الضوء متصلا بالقضبان ، وبعض الأزواج فى التراب .. قبل هذا سمعت أن التضامن انشات مكتباً فى نيويورك ، يا سلام ، قلب العالم



السامق . موضع القلب هناك معلق على قمة ناطحة سحاب ، لأن نيويورك هى قلب العالم السامق ، لا النابض . فهمت ؟ هذه نكتة ثانية . لا تعبس .

هل مازلت تروم النوم والراديو عند اذنيك ؟ سميع درجة أولى ، كما يقولون ، هل مازال الارق يفضى بك الى القاهرة : الاذاعة تنتقل الى مسجد الحسين آن صلاة الفجر ؟ وتسمع القرآن والتواشيح ؟ وهل ترضى بصوت لا يعدل صوت الشيخ مصطفى اسماعيل ؟

نيويورك ؟ قال الخواجات الكبار فى الأخبار أنهم يهددون ، وانهم فاعلون كذا وكذا ، بعض خواجات أوروبا ذهبوا لأمريكا مما تسميه انت النزهة السياسية ، الا ترى انى احفظ جل ما تقول عن ظهر قلب ؟ .. وحين حلوا امريكا قالوا نقاطع ونحارب ، لابد لوكالات الأنباء من عمل ، فان لم تكن هناك انباء ، صارت الوكالات الى بوار ، اغرس الصواريخ بعيدة المدى ، قصيرة المدى ، مدى المدى ، ليس عندكم قمح ها ها ولا تكنولوجيا متقدمة ، ليس مهماً ، عندنا غاز طبيعى ، وكافيار ، التضامن اتركوها لتفجر بولندا ، رحمة الله على فريدريك شوبان ، انه الحرية ، والله لو عاش فى هذا العصر لصار زعيم (التضامن) وربما هرب الى باريس على كل حال ، والله لو انه ادرك هذا الزمان لما كان فريدريك شوبان ، ما هى الحرية يا أولاد ؟ وربما مات على ثلاث سنين وليس على تسع وثلاثين ، لأنهم يعالجون السل اليوم ! هذا زعيم غضبان ، وذلك زعيم أسوان ، ليس عندكم قمح ، امنعوا عنهم العقول الألكترونية ، ليس مهماً عندنا عقول ومواهب ، (لازاربيرمان) (اميل قيللز) .. وكان عندنا (اويستراخ) .. اصنعوا كل ما استطعتم من موهبة ونحن نسرق منكم ، سرقنا (اشكنازى) و (روستروبوفتش) .. البيانو أهم من اشكنازى فلاديمير ، والشيللو أهم من روستروبوفتش .. هربا سرقناهما وما الشيللو وما البيانو ! مصانع ، مصانع ، مصانع بشر ، ومصانع آلات .. مصانع ..

هل تستمع للراديو فى الليل ، موجته المتوسطة والأخريات القصار ، لتزعج روحك أم لتريحها ؟ أم لاحساسك أن العالم كله يغنى ويعزف ، ويتكلم . ليهدهدك فتنام ؟

• • •

اضبط ! اجزخانة فى امبدة أم هى امدرمان الجديدة ؟ وجدوا عندها كل دواء يبعث على النوم ، آه يا لبهاء النوم اللذيذ .. كل المدينة سهرانة .. آه يا لبهاء النوم اللذيذ ، كل المدينة سهرانة ، واللصوص ناموا حين غنموا ، والذين يغشاهم الأرق ، ارقوا لأنهم لم يغنموا .

استيقظ هذه الأيام مبكرة . من يستيقظ لابد أن يكون قد نام ، حكمة بالغة ! ثم قلت اتسلى بالاذاعة ايضاً .. امى تجعل المؤشر دائماً على امدرمان ، ولسبب وجيه . فهى تقول ان بعدها عن أهلها فى الشمال يجعلها تستمع لنشرات الأخبار لتعلم امر من عاش ، وامر من مات ، هذا هو مغزى الأخبار فيما تظن . كانت اليوم الى جوارى حين بدأ المذيع باعلان الموتى . حصيلة اليوم سبع نساء متن ، اربع منهن زوجات وأمهات لزيد وعمرو ، وثلاث عرفن بانهن شقيقات فلان وعلان ، وسلم الرجال هذا الصباح . اذكر انك تقول ان النساء يعمرن ويدرك الموت الرجال لأنهم يعملون ، وينصبون ، ويتعاركون ويعشقون بلا امل ، ويتعرضون بسبب هذا للأذى والمرض . تذكرنى بهذا حين يحتدم بنا صراع ما ، فابكى واقول (دعنى .. اعصابى تلفت واحس بهبوط عام .. وانى اشرف على الهلاك) . ثم يهجم عليك غيظ اراه ، وتكبح جماحه . ثم تهتف بى (وكيف عرفت ما بك من علة ؟) . واتاوه اهمس بدمعى اقول ( لأن راسى فيه فوران وأن قدمي لاتستطيعان الوقوف ، فذاك ما اعنى ) لا تصدقنى . ثم تصمت ، تنظر إلي ، لا اعرف ما يقول القوم أهل الفن عن صفة النظرات ، كان يقال نظر اليها ملياً ، تعجب منها ، إيه وإيه وإيه ، ولكنك تنظر إلي على كل حال ، متبعاً نظراتك بالقول :

ـ بل سياتى يوم تعلمين فيه انى لست كاذباً وانى احبك حقاً .. هذا يكون يوم أموت ، ويذاع خبر موتى فى الناس نشرة الصباح ، إذ احدس انى اموت فى الليل ..

واقول لك دائماً (سلامتك) وتكون هذه نهاية الشجار . لهذا ـ تصور ـ استمعت الى نشرة الصباح ، وقلبى يجرى خافقاً دق .. دق .. دق .. دا .. دق .. دا . وفى سرى اخشى أن يتحقق كلامك ، ويصدق كلا الحب والنبوءة ! لحظات ضعف وقصار .

• • •

وما أنا ؟ ان لك وطناً وداراً تلجىء نفسك اليها .. لديك ما تقطع به الليل فى مركبة اصدقاء فماذا لدى كلما لقيتك زادت حاجتى اليك .. حين نفترق امامى وحشة ، والليل العتمور .. لهذا قر عزمى أن ابتعد عنك .. ساحترق نهائيا : حسناً ، هذا خير من أن يتبدل جلدى مرات ..

إن في الحياة بعيداً عنك تتجسد معانى الوحدة ، لقد صرت أعرف الآن مثلا ان فى جدار حجرتى شرخاً دفيناً .. وان سقفها قد عبد لبعض عنيف المطر سبيلا فسال على الجدران دموع طين . ما كنت لأراها لولا هذه الوحشة المطلقة . آه كيف لا يعرف السجين سجنه ؟ ولاريب انهم نقلوا اليك امر حسان .. وخبر حسان ، كما ترويه مدينة الآذان والعيون ..

حسناً حتى حسان المتفائل الذي لايسكن قلبه خوف لم يكن بقادر ان ينزع عن نفسى هذا الاحساس بالسجن ، لعلها لعنة زواجى الأول قصير العمر ، طويل المآسى . اخذنى حسان مرات الى حفلات ، ورقصنا ، وجففت الأضواء الباهرة عرق الخوف الذى غرسته انت بجوفى .. خوفك انت لا خوفى. وبقى فى وجدانى هذا السجن . هل انا مشروع ثائرة تدافع عن حقوق النساء كلهن ؟ ربما ..

ومم أخاف ؟ وما الذى تخشاه امراة تريد ان تستقر وتحيا ؟ تظن انني استعجل .. نعم لدرجة انني ذهبت لرجل صالح ومبروك ليفتح لي الكتاب . كانى بهذا اريد ان اطوى صفحات الأيام طياً لأصل الى ما هو من الغيب مجهول . سرى فى المدينة ان بركة ذلك الرجل تجعل الماء لبناً ، هكذا بالحرف .. وقد تقول لي بسخريتك اللاذعة .. أن الماء نفسه غير موجود فى اكثر انحاء المدينة ! لن اهتم بهذا الكلام .. قلت رجل ومبروك وصالح ، يحدس بما يشبه اليقين . يتقاطر عليه طلاب الحاجة من كل مكان .. موظفون قالوا ببركته اصبحوا وكلاء وزارات . ورؤساء مؤسسات ، وتفجرت لديهم عيون الرزق ينابيع وشيدوا البيوت . ونساء عقر انجبن ، بما زاد اهل المدينة عدداً . وطالبات زواج ادركن المنى . وإن كانت نسبة هؤلاء اقل !

جعلت اقتراح خالتى نفيسة موضع تنفيذ ، وافقت ان تاخذنى للشيخ الصالح دون تردد . اولا لأننى بحاجة للاستقرار وثانى الامور اننى احبها حقاً : خالتى نفيسة ، الا ترانى بعد التضامن البولندية والصواريخ . وصلت الى الأنباء المحلية !

كانت خالتى نفيسة تقول لي دائماً (هناك شيء ما يجعل من سهلك امراً عسيراً .. لأنك سمحة ، هناك لابد عمل دفن لك فى مكان ما ، انت أجمل البنات . وتستاهلين السعد والخير والبركات والاحواش الفسيحة والفلوس والانجاب ..) .

تحسست صدرى هذا الذى كنت ابذله لك . لأنى اكتشفت ان خالتى كانت تطيل اليه النظر .. امراة غريبة الشان .. ذهبت معها طائعة الى الشيخ ذى البركات . كان امام داره سيارات ، وداخل الدار قوم ينتظرون . جلهم من النساء . تذكرت حديثك عن مستشفى الخرطوم . حين ذهبت لأخذ صورة للمرارة ، وسقوك اللبن الساخن والبيض النيء .. حتى إذا اشرفت على الموقع لقيت بضعاً وعشرين امراة . ورجلا واحداً هو انت .. تحكى هذه القصة كثيراً وتنسى انها دليل على نقيض ما تذكر عن مرض النساء !

فى فناء دار الشيخ طلاب الحاجات والبركات ينتظرون ، نساء كثيرات ورجال اقل عدداً . بصر القوم بجمالى .. حاولت اخفاء وجهى بالثوب ، افلحت إلا قليلا .. ليس مهماً ، سينشغلون وانا معهم بالقادم الجديد ، يطلب البركة : سنة الحياة .

صبرت . جاء دورى .. كان وجه الشيخ الصالح ريان ، مثلما ينطق بجودة الغذاء .. خالتى معى ، وجهها كله يذكر بكلماتها : تستاهلين السعد ، والخير ، والاحواش الفسيحة والانجاب ... تستاهلين ..السعد .. الاحواش .. الانجاب .. وحجرته .. آه فجاة غشيتنى حمى الجدران ، جدار الشيخ ، الذى يتجه إلي ببصره ، به شرخ .. لست وحدى إذن . والى السقف ارتفعت عيناى ، صمد للمطر والشمس . الحمد لله. اننا نبحث عن من يعين فان لم يكن ذا صمود ، ضاعت الآمال . اغفر لهذا الشرخ تطاوله على الجدار . كان الشرخ فى جدار حجرة الشيخ إلي ينظر . شرخ ظاهر ينظر الى شرخ باطن . احس ان شرخ جدار الشيخ هو مجموع شروخ ارواح من يختلفون اليه . مد الجدار لسانه – اراه – لاريب إلي يقصد ، وربما الى الشيخ الذى اولاه ظهره . واليه بوجهى اتجهت ، اما روحى فقد كانت تتلمس الحجرة والمكان . ابيقى الشرخ بعد أن ينفض الناس يحدق ؟ فيم يحدق افى الشيخ ، ام فى الفراغ ؟ ام فى الرمل الندى على أرض الحجرة ؟ بسطت خالتى للشيخ قضيتى ، كتابه بين يديه ، غمغم ، همهم ، بسمل ، حوقل .. اختصر الزمان المقبل .. قال (ستزوجين من هو خير منه) . انتهت المقابلة ، عدت بالبصر الى الشرخ على الجدار ، خيل إلي انه لم يعد مكانه ، ذاب ، انمحى ، لعله كان مشكلتى مس عليها الشيخ ببركته فزالت . مكانه قام وجهك كبيراً ، اسمر .. وغير بعيد منه وجه حسان يزاحم ، يدفع ، يصر ، صباح ، صباح ، صباح .. عيناك شبه حمراوين ، عيناه عسل ، روحى سياحة بين العسل والدم . (ستزوجين خيراً منه .. ستزوجين خيراً منه) قال الصالح الرجل صاحب البركات . خرجنا الى فناء الدار ، فالشارع ، ماذا يريد اصحاب هذه السيارات المترفة ؟ فى عيون خالتى اقرا : يريدون مزيداً من السيارات المترفة ! (ستزوجين من هو خير منه) ، قال الرجل الصالح ، ما الذى يريده اصحاب هذه السيارات المترفة ؟ امزيداً من السيارات المترفة ؟ من هم الذين اقطعوا الارض ؟ هل أعود للنكات ؟ هل حان وقت الحديث عن العسكر والحرامية .. يحكى أن صرافاً ، عصرته الحياة عصراً ، امتدت يده واختلس ، أسموا الدريهمات مالا عاماً ، ولم يكن عصرئذ يسمى ما يماثلها المال العام ، الصراف ومعه حق .. هل سمعت فى القانون الجنائى بقضية (ابو علي) الذى اقتبس المعزة ولم يسرقها ؟ اسال فقهاء القانون ! على كل فان الذي اخذه الصراف لم يكن اسمه المال العام . كانت تفاصيله كما يلى : مرتب ثلاثة مراسلات وايرادات متنوعة ، وأمانات ، وهو بند للنهب مشاع ، ولهذه الصفة فانه لا يكون إلا مالا خاصاً ، لانه مخصص لفلان وفلان وعلان ، ولكن المحكمة لم تاخذ بهذا الدفاع المقنع ، فانزل الرجل السجن . واحزنه ذلك حقاً ، ومرة لقيه من يعرفه ، ولم يكن عالماً بامر سجنه كبير شيء ، وكان السجين ساعتها فى فرقة مساجين يحفرون جداول المطر : طورية ، ازمة ، عتلة ، ويونيفورم ابيض صاح صاحبنا وقد افزعه المشهد :

– المسالة شنو يا فلان لا حول ولا قوة إلا بالله مالك ؟

– والله السياسة ما خلت زول !!

هذه نكتة اضحكت صديقاتي ، واضحكتهن ايضا قصة خالتي نفيسة .. زمانها – خالتى قالت – كان زمان عرافين وعرافات وستات ودع . كان وقتا تنظر فيه الى نفيسة الأنوثة من قريب وتنظر هي إليها من قريب ، وتميز رائحة الرجال ، قريبين ، بعيدين .. وتحلم بل تنام لتحلم .

قالت لها ست الودع ( يانفيسة سيتعلق بك رجل طويل وليس عريضاً ، اخضر اللون وله انف هو اخص معالم وجهه ، ليس لأنفه صفة ، لا افطس هو ولا طويل ، ولكنه انف متفرد بشكل لا يوصف ، كفاه عريضتان ، لكان الواحدة منهما تحمل هيناً من التمر .. ارى رزقه سيكون قدر كفيه ) .

زمان يطل تميز نفيسة فيه رائحة الرجال قريبين ، بعيدين ، وتحلم وقت تنام بايد تعبث بشعرها ولا ترى وجه احد ، ولكنها ترى الكفين دائماً دائماً ..

( هذا حامد ابن عمتك .. ) تقول فى نفسها ( حامد ، حامد ، هو حامد . الحلم



الحقيقة ، البعيد واضحى قريباً . وا حلالي وا حلالي .. الرزق ان كان قدر كفيه او لم يكن فهو ليس مهماً .. ليس مهماً .. ما لهذا خلقت كفاه ! ) . يسرح بها الخيال ، اقالت اخضر ؟ نعم اخضر . اقالت طويل وليس عريضاً ؟ وا حلالي ، وا حلالي . هو نفسه ، هو نفسه ، هو نفسه !

الكفان والفتهما زائرين في المنام ، وخشونة الملمس فيها تعرفها ، تنظر الى قطع الودع على الرمل أمام المراة ، حين وصفت رجل الأحلام ، كانت هناك قطعة ودع وقد وثبت على الأخرى واستقرت عليها . واستحقت ست الودع ( البياض ) ، وكان عصرئذ ملاليم ..



ومن عجـــب ان المدينة ههنا حين نشات لم تكن كسائر المدن ، كان يقال هذه قامت على تلال سبعة ، أو شيدها الخليفة العباسي على ضفاف دجلة ، أو أن تحت ارضها كنوز معادن لا تنضب ، أو أن هواءها منعش .. لا لا .. مدينتنا نشات على شائعة هنا ، وشائعة هناك . مثلما ان تلالها وسهولها والنهر الذى تشرب منه ، آذان ، وانها لعيون . ولا ريب انهم نقلوا اليك خبر حسان ، كان ذاك خبر الموسم تقتات به المدينة .. أحدثك عن حسان .

حسان وانا : ركبنا سيارته ، وقفنا فى صف البنزين ، مد الشارع لسانه لنا ، تلفتت الأشجار مكتئبة الأرواح ، عطشي .

ترقب تنتظر ، لم اعرف وسامة حسان إلا حين وقفنا للبنزين ، اخبرني انه سيجازف، ليس عنده بطاقة . وعمال محطات التموين أصبحوا سلطة ، وهناك شرطي . جاء دورنا ولم اكن أعلم انه على هذا القدر العظيم من وسامة مقنعة . ثوان وتخال دهوراً .. جعلت انظر لشعر حسان حين كان عامل الطلمبة يدس رأسه ينظر لشعر حسان ، خرطوم فى يده ، يمنع الحركة عن السيارات ويهبها .

« ليس عندي بطاقة » ، قال حسان فيما يقارب همساً . جعل العامل يعاين وجه حسان ، قسماً قسماً .. اتبع بنظري عيون العامل تعاين وجه حسان .. سياحة متاملة اعجاب وفريد . كنت ولاشك انظر الى اصرار حسان : عنيداً كان اصرار حسان .

ولربما كان اصراره يبدو للعامل ، مثلما أراه انا مقيماً ، ماثلا ، وربما ذا لجاجة . صرفت هذه الفكرة من عيني وذهني لحين .

انسكب بصري على قميصه . لقيت بصر العامل سبقني الى هناك ، اقام . ( يالجراة على باطل صراح ) . اقول لنفسى ، والعامل حائر . وقت لزج . لا يمر . احس به الشرطي . جاء . قميص كاكي متعب . حزام غليظ . نظر الى . ما استوقف عيناه تسعيان لحسان ، شيء . بصره وصل لحسان والمشكلة والجدال . كرة روليت واستقرت على رقم بعينه . عرفت طريقه لا تخطىء . اعجاب وفريد . قلت فى نفسى ( لقد صرت على هامش الأمور ، انظري ما اهتم بجمال ثوبك احد ، ولا شعرك الذى اكلت جل ساعات اليوم تسويه عند الكوافير .. لا فائدة فترجى ) .

عيون ست واتحدت ، واحاسيس لا تقاس بالأرقام . هي الآن تسبح ، كلها تطوف حول حسان ، وجه حسان ، بعض حسان ، جل حسان ، اي جانب منه تراه . لا يهم .

قميص كاكي طفقت اتامله ويتاملني ، بث لي عذابه : القميص ، وكل عين انصرفت عني، رايت القميص الكاكي يريد يتنازل عن صفته رمزاً للعمل ، وان ينهي نوبة العمل ، ليكون قميصاً كاكيا حراً ، كانه رصيفه النبيذ ، حر ، لاعرق ، عليه ولا ملح ، لكانه يريد يطير لقميص حسان ، تبدا نزهتهما اي بقعه ، اي مكان . والحزام العريض يبغى الحرية لنفسه ، يبدا أولى خطواتها فينفي عن نفسه صفة الغلظة ، أو انه رمز لعمل ما ، ونوبة عمل ما .. يريد يصير حراً . كل شيء بدا لي انه يعشق نظيره ويشتهيه .. يالجمال الجمال .. اصرار مذهل . ذاك حسان :

ـ ممكن ؟

اخرجها الكلمة ، وقد تبين لي تماماً انها لن ترد ، وانه عرف تماماً طريقه لينال ما يروم ، عرفت لحظتها اصراره العنيد كل أمر من اموره ..

ولكن اهل المحطة ارادوا للمشهد ان يطول رغم أن عيونهم كانت قد اذنت لصديقي بما أراد . كان الصف طويلا ، وامضينا فيه ساعة وتزيد ، والصف يطوق عدداً من البيوت ، وكانه فى بصر الشارع ثابت ولا حراك ، وانه لهذا ثقيل وطاة على الشارع وبه ينوء . ولعل الشارع قد بثنى لوعة عذابه المقيم سنين . ولعل الشقوق التى عليه والحفر البثور على وجهه بعض اثار الزمان . وانه ايضاً مغلوب .. يصيح ولا صوت ( اني مغلوب مغلوب .. اني مغلوب .. اني مغلوب ) .. فرج مدرار قادم ؟ لا لا ! فما هو كمثل نوح : الشارع آثم .

حين أحس الرجال فى السيارات طول وقوفنا انطلقت اشارات التنبيه واحدة بعد واحدة ، يطول صوتهن ، يقصر ، هي ، صاحبها مطلقها ، ( اني مغلوب ) كلهن يصحن .. غليظات صوت ، ورخيمات وبعضهن صوت مخنوق . ابواب تخرج السائقين ، أصوات : (اتحرك .. إيه المسالة ؟ خيار وفقوس ؟ هلله ،

رســالةٌ مَـا

هالله ، لينا الله وعيشة السوق !) واصرار حسان العنيد يكون ، ينال ما يريد .

• • •

وتعلم ، ياهول ما علمت ان فى البيوت نساء ينتظرن بقايا الرجال يعودون من البنزين والرغيف والكونكان . معهن ينتظر البخور العبق والدخان ، الصندل والطلح والشاف .. اجساد تكتسب النداوة والبريق المتئد .. والجمال . ينتظرن اوبة الرجال من الكونكان أو البنزين أو المخابز الآلية ، والأخرى التى تغتذي بالحطب ريان وعطشان ، اكلت كل غابة حتى الأبنوس .

وهل أتاك حديث ( أبو ماهر الكونكاني ) ؟ ليلة بعد ليلة يعود الى داره وأهلها نيام . بالمناسبة : يقال إنه كان جعلياً ، ثم رأى انها نسبة لا تقوى على مصارعة الزمان ، فارتاح لقولهم ( أبو ماهر الكونكاني ) ، وهي كما ترى قد صارت الى اكبر قبائل السودان .. قبيلة الكونكان .. وأهلها ينتشرون القطر كله ، المهم أب أبو ماهر ليلة ، نصال من أوراق اللعب استقرت بروحه ، وتعب مهلك .. ورائحة الحياة افسدت حاسة شمه ، فرغب عن الصندل لا يميزه . تلك ليلة أمسى فيها راسه وسادة من الكرى . فاعجب لوسادة فوق اخرى آه يريد أن ينام . لقيته ( الحاجة ) أم الاولاد فى البيت يقظى ، نظر اليها بعض نظر ، وفهم . قالت نفسه ( تلقيها عند الغافل ) ، عياله السبعة ناموا ، قالت نفسه ( تلقيها عند الغافل ) ، هناك ما يشبه الحصار . كان ابو ماهر ليلتها مثخنا بجراح هزيمته باسياف حظه العاثر : وبانتظار بصفوف تاكل ملح الأجساد . الماكينة تصلبت ما بها من زيت ، والأجساد تصلبت ، جفتها الأملاح . ياأولاد ! أبو ماهر يا أبو ماهر ، العشاء يا أبو ماهر قالت . ( يالبهاء النوم اللذيذ ، من بعد العناء ) تقول وسادة الكرى فى رأسه . ( تتعشى ) ؟ الحت ، ردت عيونه .. ( عارف ، عارف ، يطلع الرغيف أول خبزة مع صلاة الصبح .. ان شاء الله نصلى الصبح حاضر ، ونحضر الرغيف ) !! يالبهاء النوم اللذيذ .

• • •

عجيب أمر هذه الدنيا ، بل عجيب أمر التاريخ ينسى ويتذكر . لم أكن أتصور أن يوماً يجيء أصدق فيه ما كنت تقص على بصراحتك المعهودة ، اذ أن فى الأرض رجالا كمثل الفقيه الأصفهانى ، وصاحبه جميل بغداد ، محمد ابن جامع الصيدلانى . ذلك الذى كان يبيع العطر ، وكان من أجمل أهل زمانه ، تقول قال الشيخ داؤد الأنطاكى !

وكم من مرة حدثت عن أشواق بيتر ايلتش تشايكوفسكى ، أشواق هى وفى باب المحرم دخل . وما ذكر ذلك عنه شقيقه ( موديست ) حين ترجم له فصوره ملاكاً نبوى الخلق ، وما حدثت عن ( تنسى ويليامز ) الذى سجل فى ذكرياته يقول : يا دنيا أنا كذلك فاعلمى ! وما ترك لكتاب السير والأخبار شيئاً يحدسون يعلقون ، ينالون به الدرجات العلمية .

وجاء ( كين رسل ) فى روايته السينمائية وجعل بيتر ايلتش شاذاً .. بيتر ايلتش شاذ .. شاذ .. لا ليس شاذاً .. هو ليس كما ذكرتم .. أتنسون له الست السيمفونيات ؟ وكونشيرتو الكمان ؟ وروميو وجولييت ؟ لا .. لا .. لقد اسرفتم أهل الغرب .. لا ياأهل الشرق بل نحن منصفون .. أسالوا قلندا جاكسون . يقول أهلات الغرب .. أتدري ماذا فعل (فيسكونتي) برواية ( الموت فى فينيسيا ) ؟ لتوماس مان ؟ جعل بطلها فون أشنباخ الأديب الكاتب الى ما يشبه الموسيقى (قوستاف مالر) .. الفن واحد .. الفن واحد موسيقى ، أديب ، لايهم .. وكان فون أشنباخ علق فتى بولنديا لقيه فى فينيسيا واسمه (تادزيو) . بولندا أيضاً .. الا ترى ؟ حسنا للعدالة صورنا مالر شاذاً .. يعنى واحداً بواحد .. مفهوم مالر وبيتر ايلتش ، هذه هى الديمقراطية .. عاشت .. تعيش ، عاشت ! حسان ، الفقيه البغدادى ، تادزيو ، بيتر ايلتش . مالر . رجال منتصرون وضحيتان : امرأة مالر ، وامرأة بيتر ايلتش .

على ذكر تادزيو توماس مان ، قالوا رزق زعيم التضامن فى بولندا طفلا وأبوه فى الحبس ، إني شديدة ولع بالأطفال . (حذار!) ستقول أنت . فانت تراه دأب كثير من ساسة العالم ، يحبون أن تلتقط لهم الصور يحيط بهم الأطفال كل جانب ، ليقوى فى بصر الدنيا أنهم أهل عطف وعدل . وأنهم وأنهم .. ألا ترى أنى أعرف ما تنوى أن تقول قبل أن تقول ؟

لفترة ما ، رأيت أطفالى حلماً فى عينى حسان ، وكنت أظن أصراره العنيد سينبسط على سعادة واستقرار روح ، وأطفالا لهم عيونه .. وماذا قلت عن شعر الغناء زمان الثلاثين والأربعين والخمسين ، وكم من الشعر ونظم فى صفة العيون ؟ خبر حسان كان مما لاتبث الموجة المتوسطة ، ولا الموجات القصار ..

اليك آخر الأمر : النشرة الجوية ..

أذاعوا فى الناس أن دنقلا نالت درجات عشر . برد وزمهرير ، ويزحف الشتاء كما أحسه الى حجرتى فتزيد ضيقاً ، وما كانت بذات سعة أصلا ، حجرتى ذات الشرخ ، جاء الشتاء الينا ههنا . هذا أوان يرتدى المثقفون ، الذين نعموا بعهد من بعثات الدراسة السترات الصوف ، وربطات العنق عليها رنوك جامعات بيرمنجهام ؟ شارلس ؟ ستانفورد ؟ ويجتمعون يتحدثون عن زمان الصديقات والبيرة ، صنوفها والوانها اليس التشيك أبرع أهل الأرض ، وانهم أسرار صناعتها .. والروس ملوك الفودكا والآيس كريم ؟ بل أهل الغرب أبرع : الطليان فى الآيس كريم ، والألمان سادة البيرة . بالمناسبة اين موقع أولاد جون من المجد ، لماذا تحب الروس كل هذا الحب ؟ التشيك لا لا الألمان ، اي شق من المانيا ! هناك المانيا واحدة بالطبع لايمكن .. لايمكن .. : الطليان .. كذاب . بل الأغريق .. لا لا .. الله الله . وهل شهدت باريس فى الليل ؟ سلام ياسلام .. ياسلام .. زمان والله يازمان . ما الذى ارجعنا الى هذه ( الحفرة ) ؟ ضحكوا كبير ضحك ، وشربوا كثير شراب .. الحفرة .. الحفرة .. ما أجبركم على العودة ؟ اذهبوا الى العمرة .. فى واقع الأمر كان الأجدر بكم أن تبرموا العقود وانتم فى البعثات تمتص دماء دافع الضرائب !! تصور فصلت من الخدمة فى الوزارة وأعلنوا اسمى بالجريدة فى قائمة فيها سائق جرار وأربعة مراسلات !! يالمهانة العلم ! ألم يبرع التشيك فى صنع البيرة ؟ هل هاجر صناعها الى ألمانيا ؟ لماذا تحب الروس كل هذا الحب ! حليل زمن الصديقات والبيرة ..

• • •

انى أرقب الشروق بعضه ، والغروب جله . لكأن الطبيعة ذات الجلال تحابيكم بما تهب من ذاك الأملال السرمدى ، وقد يفضي هذا التأمل ، ان هو قد طال ، الى ما هو قريب من أمر أهل الفن الرجال : ينفقون فى هذا كل زمان الوجود .

وقد أكتب من يدرى ؟ وقد انتظر أوبة بقايا رجل فى الذهن ، ليس كمن رأت خالتى نفيسة فى الأحلام يزور ، ولا هو أبو ماهر الكونكانى وهو ليس عبداً للظروف مثلك . وما عدت أرى «حسان» . وما ينبغى لى . أن عالمه باهر فى غرته ولكن .. هناك شيء ما يحدث فى نفسي ، مثلما الشرخ في جدار حجرتى دليل بليغ على ما يمكن لها أن تحتمل دون رياء ، وهل تعيب الشروخ النفوس دائماً ؟

ثم هاك موجز النشرة : التضامن البولندية وضعت طفلا ، أبوه فى الحبس ، الصيدلانى والفقيه ظهرا فى بغداد ، بيتر ايلتش : جلسة مطمئنة أمام الكونسيرفاتوار ، توماس مان مات ، يستحق أن يترجم له فى ( وفيات الأعيان ) . شرطى يؤدى نوبة عمل في موقع لاينبغى أن تحرسه بندقية ، قميصه الكاكى من سيمفونية مالر الالفية . عامل الطلمبة فون أشنباخ .

علي المـــك

حتى لا ننسى :

# جامع الجزار في عكا

بقلم : يوسف الخطيب
إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

تعتبر مدينة عكا من اقدم الموانىء العربية الكنعانية التي انشاها اسلافنا القدامى على ساحل « أرض كنعان » ، أي فلسطين ، فهي تستمد اسمها الحالي من أصله الكنعاني السحيق « عكو » بمعنى الأرض الرملية الحارة ، الرمضاء . ولعل أول ما يطالعنا اسم عكا ، فى نصوص التاريخ المدون ، في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وذلك في عداد المدن الفلسطينية التى افتتحها تحتمس الثالث ، اثر انتصاره في معركة « مجدو » الشهيرة في الشمال الغربي من مرج بن عامر . ولربما كانت مدينة عكا – جنباً الى جنب مع القدس نفسها – من احفل المدن الفلسطينية اطلاقاً باحداث التاريخ ، وأمجاده ، وأهواله ، على حد سواء . وفي الحديث النبوي الشريف : « طوبى لمن رأى عكا » .

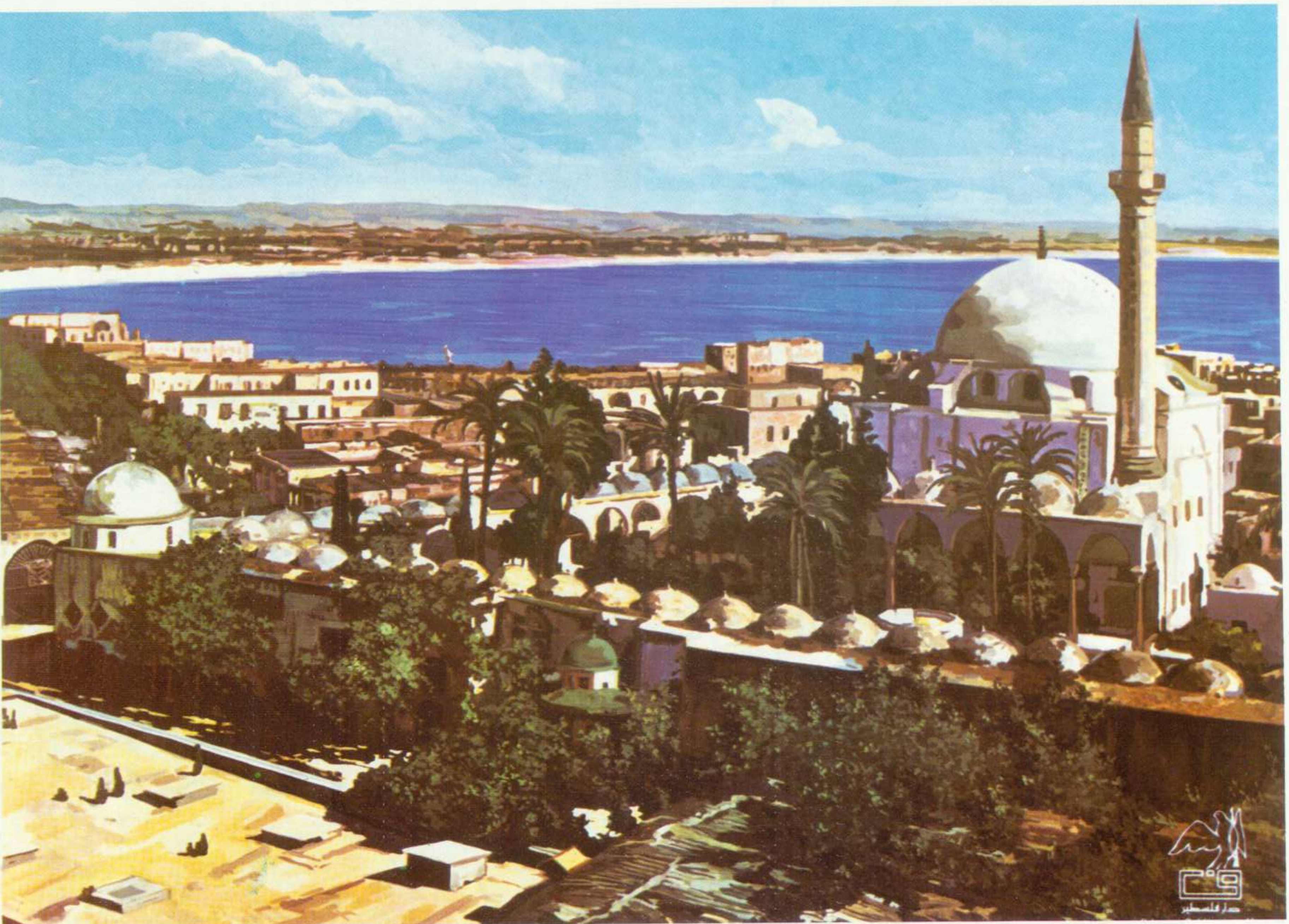
فى هذه اللقطة الجزئية للمدينة ، وهي مأخوذة من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي ، يبدو لنا بصفة أساسية جامع الجزار الذى يعتبر بحق ثاني أبرز معالم المدينة بعد سورها التاريخي العملاق . ثم اننا نشاهد خلف الجامع جانباً من الخليج متصلا بذلك الشريط الساحلي الضيق الذى يفضي إلى مدينة حيفا جنوباً ، على بعد ١٥ كيلومتراً بواسطة السكة الحديدية أو على مبعدة ٢١ كيلومتراً عن طريق الأسفلت . وفيما وراء هذا الشريط الساحلي نشاهد أخيراً ( باللون الأزرق الفاتح على خط الأفق ) العتبات القريبة الواطئة لجبال الجليل ، وهي التى تتذارى صعداً باتجاه الشرق ، فيما وراء المنظور ، حتى تبلغ أعلى قمة لها فى جبل الجرمق الذى يرتفع ١٢٠٨ أمتار الى الشمال الغربي من صفد ، وهو فى الوقت نفسه أعلى جبال فلسطين .

كان الثائر الفلسطيني الكبير الشيخ ظاهر العمر ( وهو من سلالة زيد بن الحسن ابن على بن أبي طالب ) قد أفلح في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فى أن يحقق بعضاً من احلامه القومية العريضة ، بالاستقلال ببلاد الشام عن حكم العثمانيين . فلقد خاض سلسلة من المعارك الظافرة ، وبسط نفوذه بعض الوقت على رقعة مابين طبرية ، ونابلس ، وحيفا ، وبيروت ، ودمشق ، متخذاً من مدينة عكا عاصمة له ، مما دفع بهذه المدينة المتواضعة فجاة إلى مقدمة المدن الشامية فى ذلك الحين . ذلك إلى أن اغتيل الشيخ العمر بيد الغدر فى سنة ١٧٩٥ ، وعين السلطان والياً جديداً مكانه على عكا هو احمد باشا الجزار .

اكتسب أحمد الجزار لقبه هذا عن استحقاق ، من شدة جبروته وبطشه بالناس ، ولكن ، كما هو حال معظم الطغاة ، فلقد كان يتقمص فى داخله روح مهندس معماري دؤوب ، حيث بنى في مدينة عكا وحدها – اضافة الى هذا الجامع الذي يحمل اسمه – العديد من الأبنية والحدائق العامة ، وسوراً هائلا من ناحيتيها الشمالية والشرقية ، وهو السور الذى ارتد عنه نابليون خائباً ، من بعد أن حاصر الجزار في داخله سنة كاملة ، من ١٩ آيار ١٧٩٨ حتى ٢٠ آيار ١٧٩٩ .

واخيراً ، إذا ما استمتعنا يوماً بقراءة قصة للأديبة الراحلة سميرة عزام ، أو للروائي الشهيد غسان كنفاني ، فلنتذكر أن مسقط رأسيهما هنا فى عكا ، على هذا الخليج الفلسطيني الرائق كصفحة زرقاء ، الجياش فى أعماقه بأعنف ذكريات التاريخ .

يوسف الخطيب



جامع الجزار الذي يعتبر ثاني أبرز معالم مدينة عكا ...

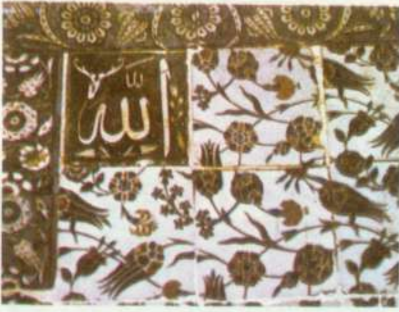
كتاب الشهر

ترجمة وإعداد: كروان السكري

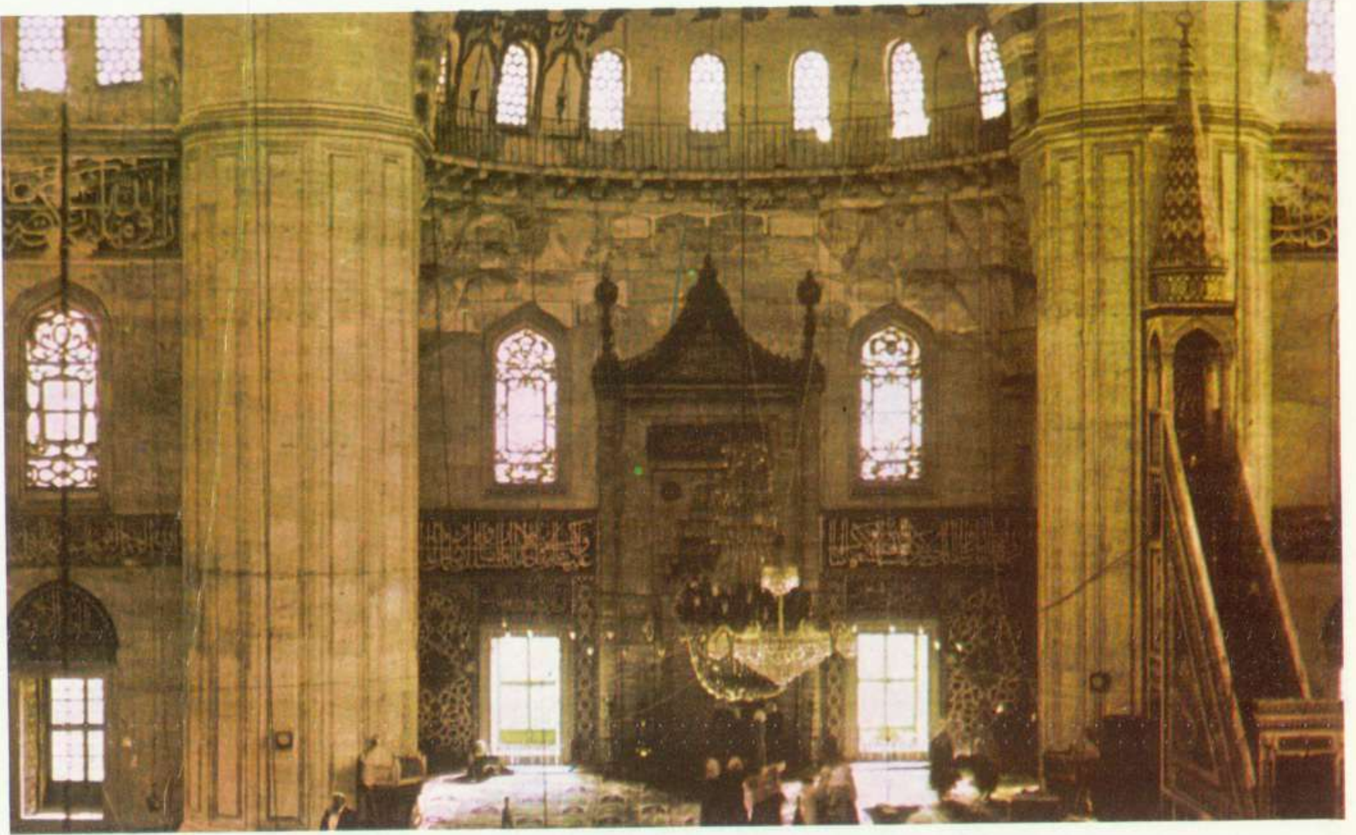
# مسلمة أمريكية تتحدث عن الإسلام

WHAT EVERYONE
SHOULD KNOW ABOUT
ISLAM AND MUSLIMS

BY
SUZANNE HANEEF



عائلة أمريكية مسلمة ضمن العائلات العديدة التى اعتنقت الاسلام .



لقطة من داخل مسجد السلطان سليم فى تركيا حيث نرى روعة المعمار الاسلامي .



مجموعة من الفتيات الصغار يتدربن داخل فصول المدارس العربية على الآداب الاسلامية .

اسمها الحالى «سوزان حنيف» ، وقد كانت حائرة مترددة فى صباها ، قبل ان تكتشف الاسلام عن طريق الاحتكاك بالمسلمين ، والقراءة المستمرة .

تجولت كثيرا فى العالم الاسلامي ، فكانت حصيلة تجاربها وسنوات دراستها ومعايشتها للدين الاسلامي الحنيف .. تاليف كتاب وضعت عنوانا له : « ماذا يجب أن نعرف عن الاسلام والمسلمين »



منظـر عام تضمنـه كتـاب المسلمـة الأمريكيـة للخيـام المنصوبـة في « منى » أثنـاء الحـج .

وبعد قراءتي لهذا الكتاب القيم .. والاطلاع على شدة التعلق الفكري والروحي الذى أظهرته المؤلفة الأمريكية « سوزان حنيف » بتعاليم ديننا .. وجدت ضرورة نقل مقاطع منه ، أرى أنها تكفي لتلقى الضوء على حقيقة أن هذا الدين الاسلامي العظيم إنما جاء ليكون نبراساً للانسان أينما كان ، وفي كل زمان .

الاسلام والعالم الاسلامي : لابد أن نطلع على ما يجري فى العالم الاسلامي اليوم ، إذا أردنا أن ندرك ما يحدث للمسلمين . فمنذ بداية القرن التاسع عشر أصبح العالم بأسره يشهد اضطرابات ضخمة وخاصة فى ميادين الدين والقيم . وقد عانت أوربا ، كما عانت امريكا ، ضياعاً عميقاً مس إيمان الانسان بدينه . وكان ذلك عائداً الى الصراع القاسي مابين العلم ، والكلمة التى أنزلها الله .

ومن جهة اخرى ، طرات تحولات جذرية على القيم السائدة وفى أساليب التفكير عند الناس ، نتيجة للتغيرات الضخمة التى احدثتها الثورة التكنولوجية ، واثر ذلك على نماذج المعيشة . في ذلك الوقت أيضاً ، كان العالم الاسلامي يعاني من أزمات حرجة فى عالم الدين والقيم .

خلال تلك الفترة ، وبسبب التفاعل المعقد للقوى ، في الوقت الذي كان التمسك بالمسيحية يضعف الغرب ، والاسلام فى الشرق كذلك ، فقد حرم بعض المسلمين من الرؤية الحقيقية الصادقة لايمانهم .. حتى أن بعضاً منهم راح يفكر بالتقاليد السائدة فى المجتمع آنذاك ، على أنها الاسلام نفسه وكان بعض تلك التقاليد مستقى من الاسلام ، والبعض الآخر من مصادر اخرى .. أما استيعابهم للاسلام كنظام حي شامل للحياة ، فقد تقلص حتى بقي منه مجموعة من الأعراف الشبه إسلامية الملتبسة .. وبقايا أخرى من الأخلاق والقيم الاسلامية الذابلة .. بحيث لم يتجاوز ذلك في أحسن الأحوال : الصلاة والصيام ، وقراءة القرآن الكريم على شخص ميت ، والاحتفالات فى الأعياد . كما ذهـب البعض الآخر في الاتجاه المعاكس تماماً .. مشدداً على مظاهر العبادة فى الاسلام ، متجاهلا كل ماعداها من تعاليمه ، وخاصة تلك المتعلقة بالجهاد ، وطلب المعرفة وتطوير الثروات ، والمسؤوليات السياسية ، والنظافة .. الى ماهنالك .

أما الأطفال المسلمون الذين يعيشون خارج العالم العربي ، فقد تلقوا العلم على يد تقاة – ولكنهم جهلة – ، فتدربوا على لفظ كلمات قرآنية دون أن يفهموا معانيها التى هم بعيدون عنها . وفى أماكن اخرى ، شب الصغار اكثر جهلا بالاسلام ، ظناً منهم أن هذا الدين يخص الجيل الأكبر ... دين على الصغار أن يحترموه ، ليس إلا ! إذ ليس له صلة أو مكان فى الحياة المعاصرة .

## الحضارة الأصيلة

وفى الوقت ذاته ، اخذت رياح الغرب ومؤثراته تبرز في العالم الاسلامي شيئاً فشيئاً ، ثم تنمو بقوة متزايدة . في الماضى ، كان هذا المد يغذيه الاستعمار الغربي وانتشار المسئولين الاجانب والمبشرين المسيحيين الذين كانـت غالبيتهـم من السكان أنفسهم ممن تشبعوا بالثقافة الغربية بعد أن مكثوا فى أوربا وأمريكا ردحاً من الزمن . حينذاك ، وجدت المصالح الصناعيـة والتجاريـة سوقاً جاهـزة وعجل خبراء العالم الاسلامي المتحمسون فى تقدم تلك العملية . وأصبح المسلمون إذ ذاك يساورهم إدراك مشوب بالقلق وهم يلحظون تاخرهم المادي وغياب العصرية فى مجتمعاتهم عند مقارنتها بالتقدم الملموس فى الغرب . ومما ساعد وهيا لذلك الادراك ، احتكاكهم وتعاملهم مع البضائع الغربية وأسلوب الحياة هناك مع كل ما يكتنفه من إغراء تنقله وتبثه وسائـل الاعلام والدعاية والأفلام الغربية فى جميع انحاء المعمورة . ولهذا بات الغرب فى نظر تلك المجتمعات صورة ساحرة وتجسيداً للمدينة الفاضلة ، فدرجت على تقليده وشاع تبني بعض من زخارف ثقافته والظهور بها على أنها احدث ما توصل إليه التقدم وأدوات العصر . وإذ بالعديد من المسلمين



جانب من مدينة استنبول التى تحتفظ بعدد ضخم من المساجد الاسلامية العريقة .

يتقبلون ، بفعل ذلك التاثير الغربي ، راي ذلك المجتمع فى أن الدين والقيم الأخلاقية والسعي وراء المعاني ليست بالأهمية التى تستاهل إصرار الناس ، وأصبح ميزان الغرب يتجلى في أن الحضارة هي تقدم مادي واهمال للقيم التقليدية ، قبلوا بها كمقياس حقيقي لعظمة المجتمع دون أن يمسكوا بالحقيقة الجوهرية القائلة بان الحضارة الأصيلة يجب أن تقوم على أساس متين من المبادىء الروحية والأخلاقية السليمة .. وبدونها يصبح التقدم المادي ، ببساطة ، شيئاً من اللاحضارة واللاإنسانية بل والدمار .

## ثلاثة نماذج للمسلم

وهكذا شهدت الحقبة الحالية ظهور ثلاثة نماذج للمسلم ، لهم مايشابههم فى المعتقدات الأخرى . اما الأول ، فهو ذلك الفرد الذي يرى فى الاسلام مجرد تقليد غامض ، يفضل التنصل منه فى أغلب الأحيان . وهو الذي يسمى مسلماً على جواز سفره فقط ، لأنه ببساطة ليس مسيحياً ولا بوذياً ولا أي شيء آخر . فربما يوحي علناً باحترامه للاسلام ، وربما يرفضه نهائياً . وفي جميع الأحوال ، فانه لا يحاول أن يجعل الاسلام سبيلا ومنهجاً لحياته فيمارسه باخلاص .. إنه ينظر إلى من يفعلون ذلك على انهم حمقى متخلفون !

فى ضوء هذه الحقيقة ، ينكشف بشكل ثابت أن أفراداً كهؤلاء تنقصهم معرفة الاسلام وفهمه كرؤية عالمية شاملة ونظام متكامل للحياة .. واكثر من ذلك . ربما لم يتسن لهم احتكاك أو معرفة باي شخص مسلم يضرب لهم المثل على الفهم والالتزام الحقيقيين للاسلام . فهذا المسلم ربما لم يُصَلِّ مرة واحدة فى حياته كلها ، او حتى يجهل شعائر الصلاة لانه لم يتعلمها . فالاسلام بالنسبة له أثر قدسي من التاريخ الغابر ، وربما خالجه شعور بالفخار بتراثه الاسلامي إذا ذكر احياناً أو دافع عنه إذا هوجم . وقد يفكر مرة بالدين وهو امام حادث وفاة ، فيقول لنفسه : « إلى اين ساذهب إذا حدث لي هذا ؟ لا باس . إن الله غفور رحيم » . وقد اخذته مشاغل الحياة اليومية : عائلته ، ممتلكاته . مسراته إلى درجة لم يعد يستطيع الاستمرار فى التفكير بهذه الطريقة . كما أصبح العديد من المشاكل اليومية سمة لحياة العديد من هؤلاء المسلمين ، منها ارتفاع فى نسبة حوادث الطلاق ، والحرية الجنسية ، وتناول المشروبات الروحية ، وضياع كامل للقيم والاتجاهات .

هؤلاء هم مسلمون بالاسم وليس بالجوهر ، لأنهم لا يختلفون بمبادئهم وتصرفاتهم عن الناس الذين ليس لهم دين أو قيم ، لأنهم فى الحقيقة ، لا يملكون أياً منها . وأكثر من ذلك ، هم معادون للاسلام وللمسلمين الذين يخلصون لدينهم حق الاخلاص .

والنموذج الثاني للمسلم ، هو الذي ينتمي لجماعة المسلمين التقليديين ، الذين ربما تفهموا المبادىء الأساسية للاسلام ، وربما حصلوا أيضاً على درجة من المعرفة الاسلامية تمكنهم من اتباع تعاليم الاسلام الى حد ما ، ومع ذلك كله ، لا يفهمونه كنظام حي كامل متكامل لجميع مظاهر حياة الانسان . وهم فى الوقت نفسه لا يخلصون للتعاليم الاسلامية باستمرار ، وفي جميع نواحي حياتهم باعتبار ذلك مسالة مبدأ والتزام . الاسلام فى عقول هؤلاء هو على الأغلب مختلط بالعديد من الممارسات الاسلامية الزائفة التى اعتادها مجتمعهم ، والتى هي معاكسة تماماً للتعاليم الاسلامية الصرفة ، وذلك بالرغم من حصولهم على نوع من التطبع الاسلامي المشوب بالكثير من الطرق الغربية فى التفكير والحياة أيضاً . إنهم ، لاشك ، يؤمنون بالله والاسلام ، ولكن بطريقة نظرية تخلو من القناعة الكافية .. تلك القناعة التى تحركهم بثبات واستمرارية نحو تاهيل إسلامي وأسلوب معيشة متكاملين ، فهم لا يتصورون الاسلام كنظام كامل لجميع اتجاهات الحياة .. انهم فى الغالب ناقدون أو مقللون من قيمة أولئك الذين ذهبوا بعيداً فى قضية الدين .

أما النموذج الثالث ، فهم الفئة التى



مجموعة من المسلمات فى أمريكا يؤدين الصلاة داخل المسجد .

تتالف من أولئك المسلمين الذين يفهمون الدين الذى يؤمنون به كنظام كامل ، وقد صمموا بوعي أن يسيروا حياتهم وفقاً له .. فالاسلام مرجعهم ورؤيتهم العالمية .. طاعتهم وولاؤهم وتقواهم هي لله وحده .. هدفهم هو الآخرة .. وجماعتهم هي جماعة المؤمنين . من بين هذه الفئة ، كثيرون يتمتعون بثقافة عالية ، حصلوا عليها نتيجة تامل عميق فيما يجري حولهم فى هذا العالم . انهم صحبة فريدة وجزء من جماعة صغيرة ولكن قوية تؤمن بالله وتعيش فى طاعته منذ أن سار آدم نبياً على هذه الأرض .. مطيعاً لارشاده عز وجل .

ومع ذلك ، فالنزوع نحو الغربية والعصرية قوي جداً ، لدرجة أن قليلا من الناس فى العالم الاسلامي أدركوا الحقيقة الجوهرية وهي أن التقدم المادي لا يؤدي بالضرورة إلى احترام الذات والقناعة الحقيقيتين ، وانه لم يجلب السعادة الحقة ولا الصبغة الانسانية الى عالم الغرب ، بل ، على العكس من ذلك ، دل التقدم المادي على انه نظام مربك وغير محكم يسبب مشاكل اجتماعية وبيئية واضحة ، كونه بعيداً عن الآفاق الروحية والخلقية التى هي ، كالناحية المادية تماماً، جزء مكمل لطبيعة الانسان .

وبينما المسلمون من النموذج الأول يعيشون حياتهم اليومية منشغلين بما يملكون ، وبمسراتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وتضخيم رؤوس أموالهم ، نجد المسلمين من الطراز الثاني فى منتصف الطريق مابين الضياع التام للقيم الاسلامية ومابين التقيد بها ، مبررين ومدافعين عن تقصيرهم في الالتزام بها بمختلف الطرق .

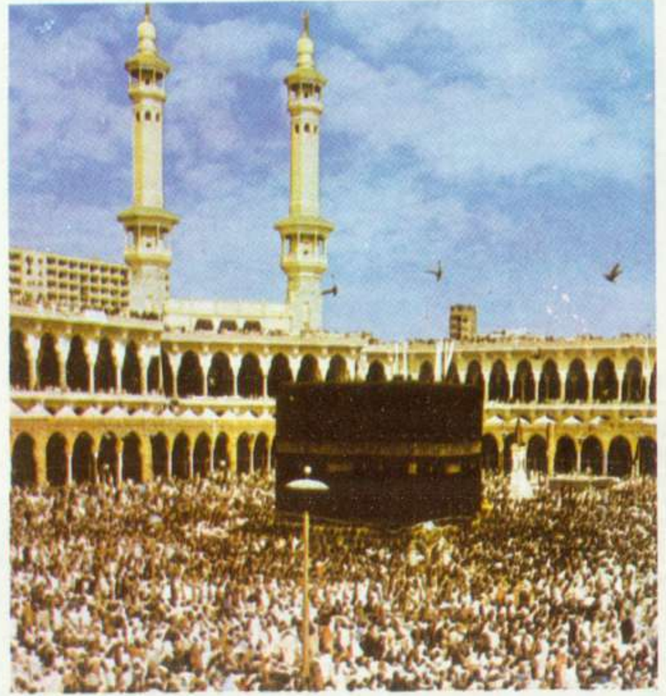
أما المسلمون من الفئة الثالثة فهم متمسكون بثبات بالمباديء والقيم الاسلامية مساعدين في ذلك على إيجاد قوة متوازنة ضد التقدم العشوائي والتبني غير المتجانس للأخلاق والممارسات التي لا تناسب المسلمين والتي تصيب مجتمعاتهم باضرار بالغة . وبسبب قناعاتهم الأكيدة بحقيقة الاسلام ، نرى أن هؤلاء الأفراد لا يمكن أن يتارجحوا فى اتجاه نظام مثل الشيوعية كما يفعل غيرهم من المسلمين الذين فقدوا القناعة الاساسية وأصبحوا غير قادرين على مواجهة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى بلدانهم فى الوقت الحاضر .

## الاسلام هو الحل

واليوم ، وعلى الرغم من تلك الظروف الصعبة ، بدانا نشعر بموجة من الوعي والاعتزاز الاسلاميين ضمن العالم الاسلامي . فلعديد من السنوات ، كان يوحي لشعوب هذه المنطقة ، بطريقة صريحة أو بتحفظ ، بانها متخلفة ومتدنية، وبان الطريق الوحيد للنهوض بها من هذا الوضع هو بترك الدين والتقاليد وتبني الأسلوب الغربي . ولقد صدق هذا كثير من الناس .. وهاهم يسيرون الآن باتجاه المادية .

أما الآخرون ، فقد ألقوا على المجتمع الغربي نظرة جيدة فاحصة ، وأدركوا شركه ، ومن ثم أدركوا الحقيقة الاساسية وهي أن التقدم المادي والرفاهية لا يحققان كامل طبيعة الانسان ، ولا يعدانه بالجنة الموعودة على الأرض . وبعد أن يحصل الانسان على كل هذا ، هاهو يسأل : « وماذا بعد ؟ » إن الرفاهية – مثل الفقر تماماً – يمكن أن تترك الفرد فارغاً من الداخل . ولقد أيقن هؤلاء أن بني الانسان – بحكم طبيعتهم الانسانية – يجب أن يهتموا بما هو أكثر عمقاً وأكبر مغزى من المحسوسات .. بالمعاني وليس بمجرد الماديات . وبسبب كل هذا ، توصلوا إلى قناعة عميقة وثابتة ، وهي أن فى التراث الاسلامي ما هو أكثر قيمة بالنسبة لوجود الانسان ، وأن دينهم يتفوق بثرائه وأسلوبه على أي نظام أو معتقد آخر . وقد برز ذلك مرافقاً لليقين الواضح بان المشاكل التى يواجهها العالم الاسلامي اليوم ، هي النتيجة المنطقية والمباشرة لسقوط المسلمين بعد أن ابتعدوا عن دينهم . ولا يمكن لهذه المشاكل أن تحل إلا بالرجوع المخلص إلى الاسلام والمباديء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يقوم عليها ، والتى لا تنسجم مطلقاً مع الأخلاق الهمجية الانتهازية السائدة ، القائمة على استغلال الانسان لأخيه من أجل غايات أنانية صرفة .





الكعبة المكرمة .. يطوف حولهـا الحجـاج من كل جنـس ولـون .. ولقطـة اخـرى داخـل مسجـد الرسـول الكريم فى المدينـة المنـــــورة .

لكن مباديء هذا الدين العظيم تنسجم مع أعظم وأنبل مباديء الحضارة الانسانية ، تلك الحضارة التى مافتئت تسعى لايجاد حلول لأمراضها المعقدة .

وبين جميع الاتجاهات الواضحة فى العالم الاسلامي اليوم ، الرأسمالية منها أو الوطنية ، الاشتراكية أو الشيوعية ، يقف الاسلام ممسكاً بالوعد الأكيد ، لأن يحمل لشعوب هذه المنطقة – فيما لو طبق بإخلاص وتعقل – حالة الاستقرار والسلام التى تنشدها تلك الشعوب بعد أن عاشت السنوات الأخيرة فى خضم اضطرابات ضخمة .. داخلية وخارجية . وبدون أدنى شك ، فالاسلام وحده هو الذي يستطيع أن يكبح تهديد الشيوعية الزاحف ، والمتمثل بمحاولاتها الخطرة والمتزايدة لاقتطاع أجزاء من العالم الاسلامي لحسابها .

فالالتزام غير الجدلي بالمعتقدات والقيم الاسلامية يشكل الدفاع الوحيد والأكيد ضد الأطماع المختلفة فى البلدان المسلمة ، وخاصة فى أوضاعها الراهنة غير المستقرة وعلى نحو أوسع ، ربما نلاحظ أن الشيوعية والامبريالية ، وكل النظم الأخرى التى تنكر أو تقلل من قيمة طبيعة الانسان الروحية أو تركز على أحد الجوانب فى طبيعة الانسان على حساب الجوانب الأخرى ، يجب أن ينظر لها أخيراً على أنها محاولة يائسة قام بها الانسان بغية أن يفهم ذاته ويجد الاتجاه الصحيح معتمداً على قدراته المنظورة والمحدودة .

ومنذ مسيرة الانسان المبكرة على هذا الكوكب ، صعدت أديان وفلسفات ونظم وأفكار عديدة – بما فيها تلك التى تسيطر علينا اليوم – صعدت مسرح التاريخ ولعبت دورها . وعندما نمعن النظر فى هذا التاريخ والتراث والاتجاهات السائدة فى العالم اليوم ، يبدو واضحاً أن أياً منها لم يفلح في حل الصراعات والمعضلات الجوهرية التى تنخر فى الشخصية البشرية ، لأنها إجمالا ، بشكل أو بآخر ، غفلت النواحي الأساسية فى علاقة الانسان مع الحقيقة الالهية ، أو أنها أعطت أولوية لواحد من مظاهر الحياة الانسانية على حساب المظاهر الأخرى . وبذلك عملت على خلق اختلاف مخيف وغير متجانس داخل الأفراد والمجتمعات التى يعيشون فيها ، مما جعلها قاب قوسين أو أدنى من تدمير المجتمع الانساني برمته .

وفى كل ذلك الخضم ، برز الاسلام نظاماً وحيداً فى العالم ، ينظر إلى الانسان من الزاوية الأشمل ، ضمن إحاطة كاملة بالحقيقة الالهية ، وفهم صادق لطبيعة الانسان الخالصة ، مزوداً إياه بتوازن تام مابين جانبيه المادي والروحي على حد سواء .. وما بين آمال وحاجات الانسان الدنيوية وهدفه الأبدي فى الآخرة ... إنه النظام الوحيد الذى يخضع الانسان وحياته كلية إلى الله ... الله الذى منحه هذه الحياة ، والذي لا يستحق خضوعه إلاه . إنه النظام الذي حرر هذا الانسان من ظلمات عبوديته .. ومن قيم ونظم ورغبات من صنع البشر .. ليكتشف أن الله وحده هو مولاه الحقيقي ولا أحد سواه ..

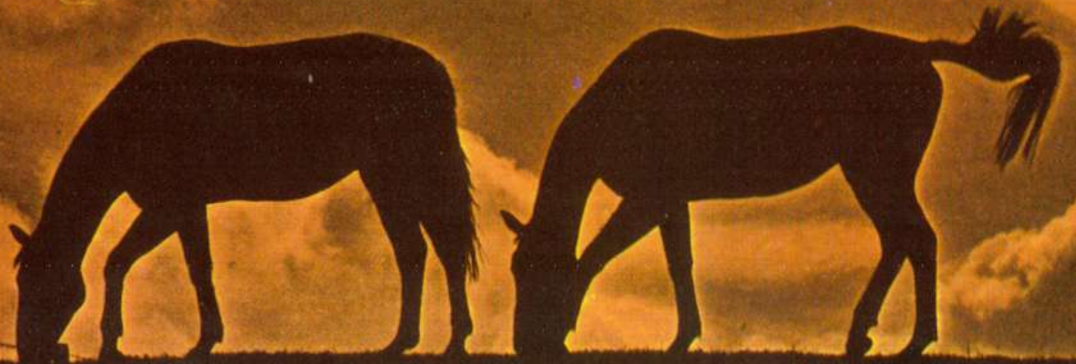
لم تعد عظمة الاسلام خافية ، ولم يعد نبل هذا الدين من الأشياء التى يجهلها البشر .. إلا أن قلة الاحتكاك ، والتحامل ، والاختلافات الثقافية كلها أوجدت صعوبات اعترضت إلمام الغرب به وبمعرفته عن كثب .

كثيرون ، وكثيرون جداً ، ينضمون إلى جماعة المسلمين اليوم .. مؤمنين بأن هذا الدين يكشف لهم عن الحقيقة ويدلهم على طريق الحياة المثلى التى دأبوا يبحثون عنها – ربما لسنوات – دون جدوى ، لأن بحثهم كان ، على الأغلب ، فى الاتجاه المعاكس تماماً .

ويعتقد كثيرون بأن الاسلام سيكون موجة المستقبل . إنه تراث الانسانية جمعاء وإن لم يوضع فى مكانه الصحيح منذ أمد بعيد . أرسله الله للبشر جميعاً وليس لمجموعة واحدة على الأرض التى نزل فيها . إن الهنا ، إله السموات والأرض ، يعد البشرية – فيما لو اتجهت إليه بإخلاص ووفاء – أن يدلها ويثبت أقدامها علـــى الطريـــق الصحيحـــة التي توصلهم الى الاستقرار والتوازن ، ويعدها بأن يمنحها – أفراداً وجماعات – التحول نحو الأفضل ، فالنظم التى أوجدها الانسان بعيداً عن طاعة الله ، لن تنجح أبداً .

كروان محمد السكري





# الحصان..

## عندما يتحرّر من قيود الإنسان!

بقلم: حسام جميل مدانات

رذاذ الماء يتطاير خلف حوافر «فحل الخيل» الذى نفر مبتعداً، جاذباً خلفه قطيعه من إناث ومهور، وفى مكان آخر يشب حصانان صغيران فى صراع لا يخلو من عنف، وحوافرهما الأمامية تعلو وتهبط بسرعة ...

إنها لوحة رائعة للخيول البرية فى ضباب الصباح الذى يعلو المستنقعات.

يتكرر هذا المنظر فى عدة مناطق معزولة تتوزع فى عدة أماكن من العالم: فى بعض الجزر المجاورة للشاطىء الشرقى للولايات المتحدة، وفى هضاب وأودية الغرب الأمريكى، وفى سهوب منغوليا، فى الأراضى البعيدة القاحلة فى أستراليا وفى المكسيك، وحتى فى أوربا.

خلال العقود الماضية، قام العديد من العلماء بالذهاب الى هذه الأماكن، التى لا يسكنها بشر. وقاموا بمراقبة الخيول، فى محاولة لفهم بيولوجية وسلوك الحصان، هذا الحيوان الذى ساهم بشكل كبير فى تطور الحضارة الانسانية خلال خمسة آلاف عام من تهجين الانسان له. وخاصة دوره فى المعارك التى كانت تجرى بين الشعوب والقبائل منذ القدم، ومن ذلك دوره فى الفتوحات العربية الاسلامية على إمتداد مناطق واسعة.

لقد اكتشف علماء الحياة، أن سلوك الحصان يتغير سريعاً ليناسب الظروف الجديدة. ويبدو أن الأجيال الطويلة المروضة سيختفى تأثيرها وبسرعة، عندما يطلق العنان لحصان، ليعيش حراً فى البرية. إنه يظهر تكيفاً سريعاً وبشكل مذهل لظروف حياته الجديدة المتحررة من





على هذه الصفحة والصفحة المقابلة اربع لقطات للخيول المنتشرة في مناطق عديدة في العالم .. والتي سعى إليها خلال العقود الماضية مجموعة من العلماء في محاولة لفهم سلوكها خارج حضارة الانسان .. اي قبل أن تستأنس !

قيود الانسان .

وتظهر فى جميع قطعان الخيول البرية ، علاقات ذات طبيعة معقدة ، سواء العلاقات بين الذكور فى نفس القطيع ، أو طرق تودد الذكور للاناث ، او وسائل وأشكال القتال بين الذكور .. إنها تظهر جميعاً متشابهة فى جميع مناطق المعيشة الحرة للخيول . وقد دفع هذا الامر علماء الحياة للاعتقاد بأن هذه التصرفات تحكمها غرائز كامنة ، تتغطى ظاهرياً فى الخيول المروضة فى عالم الانسان .

وقد كان تكيف الخيول سريعاً لظروف صعبة جديدة ، مثل : ندرة مفاجئة للطعام بالمقارنة مع الظروف الغذائية السابقة والسهلة تماماً ، حيث لم يكن على الحصان أن يشغل نفسه مطلقاً بأمر البحث عن الطعام . وهذا التكيف يجعل العلماء يميلون الى وضع الحدود واضحة بين الغريزة والقدرة على التكيف . إن الخيل تبدى مرونة عالية فى مواجهة الظروف المتغيرة ، وهذا ما يجعلها ذات ميزات هامة كحيوانات مدجنة .

ومعظم ، إن لم يكن كل الخيول البرية المتواجدة فى العالم اليوم ، ذات أصل مدجن أليف ، حيث كانت اجدادها مروضة وعاشت مع الانسان لقرون طويلة . والصنف الوحيد الذى لم يروض أبداً هو الحصان المنغولى . ونجده اليوم ، فى حدائق الحيوان فقط ، حيث يعتقد انه أبيد تماماً فى موطنه الأصلى فى سهوب آسيا .

## الدراسات الحديثة

«رولف هوفمان» ، عالم حيوان من جامعة ديوك الأمريكية ، وهو يدرس الآن الخيول البرية فى جزر «بيردشول» ، و «شاكل فورد» ، بالقرب من سواحل كارولينا الشمالية . وتثير دراسته الاهتمام ، من حيث أن الخيول فى هاتين الجزيرتين ، تختلف عن بعضها فى الوقت الحاضر ، رغم أنها تنتمى لنفس الأصول التى وضعت هناك عام ١٩٤٠ م .

لقد تكيفت هذه الحيوانات فى الجزيرتين مع ظروف البيئة الجافة ، وتعلمت حفر الأرض بحوافرها للحصول على الماء الموحل الغائض فى الرمال من بقايا المستنقعات الجافة . إنها تكتفى بكمية من الماء اقل بكثير مما تحتاجه الخيول المستانسة . وحتى أنها حققت تكيفاً مذهلا لا تقدر عليه الثدييات عادة ، الا وهو انها تشرب أحياناً الماء المالح إذا لم تجد غيره .

ويقوم «هوفمان» ، بدراسة التغيرات الفسيولوجية التى يتطلبها مثل هذا التكيف . ويظهر تنوع التكيف المتحقق لملائمة البيئة الجديدة فى جزيرة «بيردشول» ، حيث يظهر نظام الحريم كنظام وحيد تقريباً . فهذه الخيول البرية تعيش فى قطعان تحوى إناثاً يتراوح عددها بين إثنين وثمان ، ولكن العدد قد يصل الى الخمسين . ويسيطر عليها كلها فحل خيل واحد . وتتمتع فحول الخيل الأكثر عدوانية بالعدد الأكبر من الاناث . وتسيطر على مساحة اكبر من ارض الرعى لحريمها وصغارها .

ورغم سيطرة حصان ذكر واحد على القطيع ، فان نظام معيشة القطيع لا يتصف باستبداد هذا الذكر ، بل توجد علاقات اجتماعية معقدة تلتزم بها الاناث . فمثلا إذا تفرق قطيع لسبب ما ، أو إذا مات الفحل القائد ، فان الاناث تعمل على المحافظة على ترابط القطيع وبقائه . وإذا



بعض سلالات الخيول القديمة المستأنسة وهي موجودة اليوم في المانيا



هذا «المهر» إذا فصلنا بينه وبين امه فان النتيجة التى ستواجهنا هي عديد من المشاكل عندما يكبر!

خطفت فرس من قبل أحد الفحول المنافسة، فانها عادة ما تعود الى قطيعها فيما بعد. ولكن الاناث لا تعارض إذا تركت صغارها الاناث، عند بلوغها القطيع لتنضم الى قطعان أخرى. ولهذا ميزة تحقيق التهجين بين القطعان المختلفة.

ولكن يمكن القول ان القوة المحركة لقطعان الخيل هى صراع جنسى عنيف. ففى جزيرة «بيردشول»، نجد ستة مجموعات من الحريم التى يتبع كل منها فحلا. وتعيش هذه القطعان فى أماكن متجاورة، ولا مفر من إحتكاكها ببعضها أثناء بحثها عن الطعام أو الماء. ويحصل بين الوقت والآخر، صراع بين فحل وحصان صغير بالغ غريب، يحاول الحصول على أنثى من القطيع.

## محاربة الخيول

إن هذا النظام الاجتماعى يتميز بالمرونة وهو ليس بقاعدة ثابتة رغم الظروف. ففى جبل «مكدونلد» فى استراليا، نجد الخيل تتجول منفردة أو فى أزواج. والسر فى هذا النظام الاجتماعى الذى انعدمت فيه حياة الحريم والقطعان الكبيرة، أن المزارعين هناك ينظرون للخيول باعتبارها آفات زراعية تهاجم حقولهم وتأكل محاصيلهم. ولهذا فانهم يطلقون عليها النار أينما وجدوها. وهكذا كان الأسلم للخيول أن تتخلى عن حياة القطعان والعيش مفردة أو أزواجاً، حيث تصبح أهدافاً أصعب للمزارعين. وتشبه الخيول فى معيشتها غير الاجتماعية هذه، أقارب لها آخرين، مثل: حمار الوحش جريفى فى كينيا والحمير البرية.

ونتيجة لارتفاع نسبة المواليد الذكور فى «بيردشول»، نجد حصول تعديل فى طبيعة تكوين وتنظيم القطعان، تعديل يدل على مرونة النظام الاجتماعى. إذ نجد فحولا أخرى تابعة فى القطيع، غير الفحل المسيطر. ويحصل أحياناً أن يقوم الصراع بين الفحل المسيطر وفحل آخر تابع، تكون نتيجته أحياناً، تخلى الزعيم عن مكانه للفحل المتحدى. ولكن الذكور عند بلوغها تترك قطيعها وتتجول فى مجموعات. وتبلغ الذكور جنسياً فى سن الثالثة. وقد تضطر أن تمضى فترة تطول الى خمس سنوات فى

هاجمهما فجأة ، ودفعهما باتجاه البحر .
في هذه المرة انسحب المتطفل ، ولكن في مرات أخرى يحصل قتال قد يكون عنيفاً .

## الصراع بين الخيول

وتقوم فحول الخيل المتصارعة بالتحديق في بعضها ، وتضرب الارض باحد حوافرها ثم تشب للأمام فجأة وقدميها ترفس مهددة . وعندما تصبح وجهاً لوجه ، تأخذ بشم بعضها ، ثم تحمحم وتأخذ بالعض والرفس بأقدامها الأمامية ، وتتجنب أن تتعرض لرفسة من الحافر الخلفي القوي . وبعد صراع لا يستمر طويلا ، ينفصل الخصمان ، ويتبرز كل منهما فيما يمكن أن يدل على محاولة لتحديد ملكيته في الأرض وعادة يعودان بعد ذلك ليتابعا القتال .

ولكن يبدو أن الخيول تمضي وقتا أطول في انشاء علاقات الصداقة أكثر مما تمضي في إنشاء علاقات العداوة . فداخل القطيع نجد روابط الاناث مع بعضها قوية وحميمة وقد يكون السر في هذه العلاقات ، حفلات الغزل والتزاوج الجماعي التي يقوم بها الفحل المسيطر في القطيع . وتمضي الفرس وقتاً طويلا في لعق مهرها حديث الولادة ، مما يقوى علاقة بينهما تقوم أساساً على حاسة الشم . ونجد نفس الظاهرة في الخيول المستأنسة . ويبدو أن الفصل بين الفرس ووليدها ، أو منعها من لعقه ، يؤدي الى مشاكل في سلوك المهر المروض عندما يكبر .

وفي الغرب الامريكي ، يعتبر الحصان البري رمزاً للحرية ، حتى انه أصبح رمزاً وطنياً لها في أمريكا كلها . ويبلغ عدد الخيول البرية الآن بين خمسين الفاً وستين الفاً في ولايتي «ويومنغ ، ونيفادا» ، حيث الصحراء التي تشبه لحد ما صحارينا العربية .

وهنا ، قد يثير الاهتمام ، أن نطرح تساؤلا حول تاريخ الحصان في وطننا العربي ، وفي الجزيرة العربية بالذات .. هل كان هناك في أي وقت من التاريخ خيول برية في صحارينا ؟ وهل من الممكن تخصيص أماكن محمية للخيول البرية في بلادنا ؟

حسام الدين مدانات





في هاتيــن اللقطتيــن تعبيــر صادق عن أسمى لحظــات الأمومــة عند الخيــول

«المنفى» في أطراف الجزيرة ، حيث يقل الظل والماء الصالح للشرب ، قبل أن تتمكن من الحصول على إناث خاصة بها وتأسيس قطعان جديدة .

## ملاحظة علمية

وقد لاحظ «هوفمان» يوماً رد فعل زعيم القطيع على تسلل حصانين مغتربين لقطيعه في محاولة منهما للحصول على إناث .. كانا يقتربان بحذر ، وكان رد الفعل عند الفحل فورياً ، فقد إتخذ وضعاً مهدداً ، إذ أخفض رأسه قليلا ، ووجه أذنيه للخلف وفي تلك اللحظة قامت إحدى الاناث بالتبرز فأخذ الفحل يشم مخلفاتها على الأرض ، ثم رفع رأسه عالياً ، وثنى شفته العليا للخلف محركاً خياشيمه تمدداً وتقلصاً . ويبدو أن هذه العملية تمكن الحصان من استنشاق الرائحة بقوة لتصل الى مركز شم ثان حساس في نهاية مجرى الأنف . والهدف من هذه العملية أن يتمكن الحصان من تمييز روائح معينة . ثم يبول الحصان على مخلفات الأنثى فيما يبدو انه تأكيد لحقه في إمتلاك هذه الأنثى ضمن حريمه . ثم قام الفحل بقيادة حريمه بعيداً ، بينما الحصانان المتطفلان يراقبان المنظر بهدوء ، ثم أخذا يشمان مخلفات الأنثى ، ولكنهما لم يقوما بوضع مخلفاتهما عليها .. إنها لا تتبع لأي منهما . وعندما أخذا يتبعان القطيع وصل الصبر حده بالفحل الذي



أهلا وسهلا



لوحة للفنان الكويتي عنوانها : « حياء بنت ١٦ »



الفنان الكويتي : عبد الرسول سلمان

## عبدالرسول سلمان
# فنان كويتي
# يلفت أنظار نيويورك وباريس

بقلم : حسن الملا

هو من أبرز الفنانين التشكيليين فى الكويت .. عرفناه من خلال لوحاته الفنية التى اثارت الانتباه على المستوى العربي ، واشترك بها فى عدة معارض دولية فى الهند وباريس ونيويورك ، كما انه استطاع أن يثبت جدارته فى مجال النحت منذ

طرحت جمعية المعلمين الكويتية فى عام ١٩٧٥ مسابقة للفنانين الكويتيين لعمل نصب تذكاري للمعلم ، فما كان من الفنان عبد الرسول سلمان إلا أن تقدم مع عدد من الفنانين المحترفين لهذه المسابقة ، وكانت المفاجاة عندما فاز على الفنانين المحترفين

ليصبح اسمه مرتبطا بالنصب التذكاري الموجود الآن فى ساحة المقر الرسمي لجمعية المعلمين الكويتية !

وإضافة الى الرسم والنحت ، فان الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان ، برع فى تصميم الكثير من الشعارات والأوسمة


تحـدي

والميداليات ، كما قام بتاليف كتابين : احدهمـا عن الفنان محمد الدمخي وهو احد رواد الفن التشكيلي فى الكويت ، والكتاب الثاني عن الفنون التشكيلية فى الكويت ، وهو يستعد حالياً لاصدار كتاب عن الحركة التشكيلية فى دول الخليج ، خاصة وانه احد اعضاء اسرة تحرير مجلة عالم الفن الكويتية وامين سر جمعية الفنون التشكيلية الكويتية .. !

وعندما ننظر الى اعمال الفنان عبد الرسول سلمان ، سيتضح لنا ان التراث والاصالة هما النهر الذي يرتوي منه الفنان، فاعماله تجمع بين التراث القديم وروحانية الاسلام وتقنية العصر الحديث .. فلوحاته تتميز بالألوان الهادئة التى تتخللها خطوط منحنية تشكل حروفاً وكلمات مقروءة فيها ترتيل لآيات من الذكر الحكيم مضيئة بنورانية كنور الفجر المتدفق الذي يكتسح فى طريقه اي ظلام ..

إنك لو تمعنت في تلك اللوحات لوجدت عبارة « بسم الله » و « سبحان الله » وغيرها تعطيك انطباعاً داخل العمل الفني بعظمة الخلق فيما خلق ، وتجعلك تدنو من الأرض الواسعة والسماء الصافية التى تتخللها بعض الخيوط الشريطية التى استطاع بها الفنان أن يربط أعماله بعضها ببعض متموجة كامواج الخليج العربي !

ولأن فناننا هذا قد ربط نفسه بالبيئة وتاثيراتها ، فان اعماله فى مجموعها تنهل من الأسلوب الواقعي الذي يستخدم الرؤيا المعاصرة التى يستوحيها مما يدور حوله من اساليب متنوعة وعديدة .. فمثلا في لوحته « أنشودة من الماضي » نرى واقعية تميل إلى السريالية ، وإن كان التعبير الدقيق لها فى نظري ، واقعية خارجة عن المالوف ، فاللوحة تمثل بخنق « اي غطاء » ترتديه الفتاة فى الخليج العربي فوق الرأس والجسم وهو موشي بالطرز والزخارف الذهبية ، إلا انه غير مستخدم فوق رأس الفتاة ، لانه مدلي من سفينة وكانه الماء المسكوب الذي يمنح الجدول ماء لا ينضب ويظل متدفقاً فى كل ايام المستقبل .. إنه في هذه اللوحة لا يقدم تسجيلا تراثياً ، ولكنه يعطينا دفعة نحو التفكير والتامل فيما تعرضه اللوحة من أفكار تخاطب الحاضر والمستقبل !

إن الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان الذي ولد فى الكويت عام ١٩٤٦ ، حاز على جوائز وميداليات ذهبية فى المعارض المحلية ومعرض الكويت للفنانين العرب .. كما أنه شارك فى عدة معارض فى بغداد والقاهرة وليبيا وتونس والجزائر والمغرب .. وهذا بخلاف المعارض الدولية . إنه بكل ما قدم من أعمال فنية يستحق ما اطلقه عليه النقاد الكويتيين .. فهم يسمونه الفنان الرسام وأحد عمالقة الفن التشكيلي في الكويت ..

حسن الملا



من روائع الفن العالمي

جمال قطب



ليوناردو دافنشي

# الابتسامة الغامضة وخلود العبقرية

في عام ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية فى أيدي الأتراك وانهارت الدولة البيزنطية .. وكان هذا الحدث الهام رمزاً لنهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث . وقبل ذلك بعام واحد ، أي سنة ١٤٥٢ ولد « ليوناردو دافنشي » وقد وصفه المؤرخون بانه رائد الأسلوب الجديد في فن التصوير فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر .

وفي الحقيقة ان ما نعرفه عن حياة الفنان الأسطورة .. يعتبر قليلا جداً بالنسبة إلى ما خفي من سيرته الغامضه . وقد اعتاد ان يدون مذكراته وخواطره وأراءه وبحوثه المختلفة فى كراسات ووريقات مبعثرة ، على أمل جمعها وتصنيفها بعد ذلك .. ولكنها تشتت اثر وفاته فى عام ١٥١٩ ، وضاع معظمها ، وما تبقى منها موزع الآن بين مكتبات ميلانو وباريس ولندن ووندسور .. وغيرها من المتاحف ودور الوثائق . وإننا لنعجب ونتعجب من هذه العبقرية الفذة عندما نتدارس مذكراته تلك ، فنراه قد لمح بفكره الثاقب كثيراً من النظريات التى أثبتها العلماء بعد ذلك ، مثل نظرية دوران الأرض حول الشمس ، ونظرية ( نيوتن ) فى الجاذبية ، ونظرية ( وليم هارفي ) فى الدورة الدموية .. كما أنه سما بخياله وثاقب فكره فصمم بعض المخترعات التى تحققت بعد ذلك بمئات السنين مثل الطيارة والغواصة والدبابة والقنابل المشحونة بالغازات السامة !

وكان منهج ليوناردو فى البحث يختلف كل الاختلاف عن المثقفين فى عصره .. فهو لم ياخذ بالنزعة المثيولوجية ، ولم يحاول قط الرجوع إلى فلاسفة الاغريق أو الرومان .. وإنما اعتمد على التجربة الحسية المباشرة بعيداً عن كل نظرة ميتافيزيقية ؛ فنراه يقوم بنفسه بتشريح جسم الانسان ، ويراقب حركات الطيور فى طيرانها ، ويدرس هبوب العواصف وتلاطم الأمواج وتجمع السحب ، كما ينكب على علوم الهندسة والمنظور والميكانيكا ... وغير ذلك في دأب وتفهم ، ويسجلها فى رسوم دقيقة تدل على قوة الملاحظة والصبر الطويل .

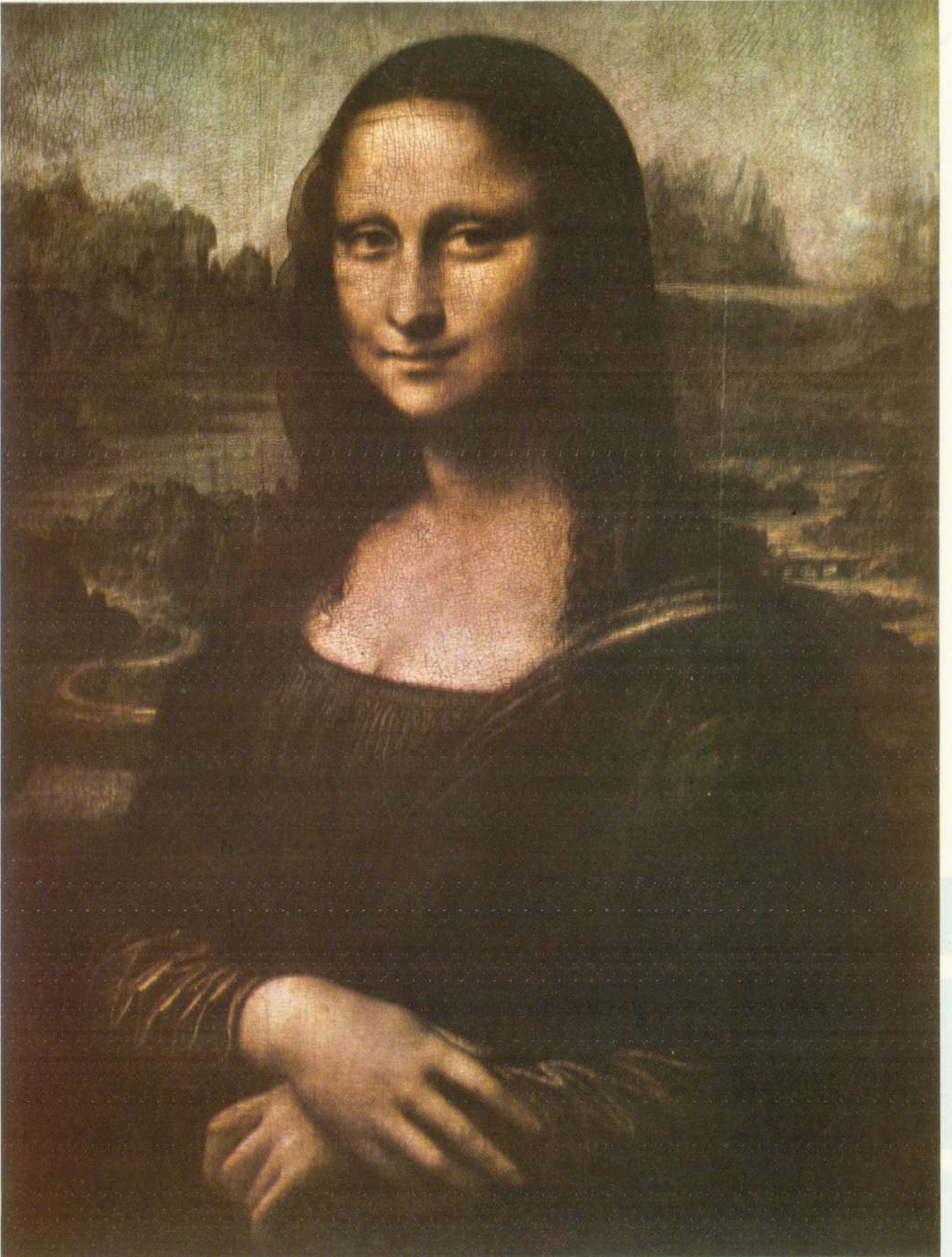
أما فنه ، فقد اعتمد على تجربته الباطنة الخاصة ، وبصيرته ذات الرؤى العجيبة ، وهي التى أضفت على لوحاته غلالة من السحر والاثارة المبهمة ، فبدت مجسماته فى بروز لطيف رقيق ، وكانها خارجة من عالم غامض مجهول ! .

أما لوحته التى يراها القاريء على الصفحة المقابلة فهي أشهر لوحاته – إن لم تكن أكثر اللوحات العالمية شهرة على الاطلاق – الجيوكوندا أو الموناليزا (أي السيدة ليزا ) وهي صاحبة التحفة الخالدة رسمها ليوناردو دافنشي فى نحو أربع سنوات بدأها فى عام ١٥٠٣ .. وخرجت معجزة فنية بكل المقاييس ، ولا شك أن صلة وثيقة كانت تربط الفنان بهذه الفاتنة وبزوجها التاجر الفلورنسي ( فرانسسكو دي بارتولوميو دل جيوكوندو ) .. مما جعل ليوناردو يعكف على هذه اللوحة سنوات أربع ، ويعتز بها كل هذا الاعتزاز !

وقد كتب عن الجيوكوندا ما لا يمكن حصره من التحليلات والآراء والتقييم الفني ، واعتبرها الفنان نفسه أروع ماأبدع فى حياته ، حتى أنه كان يحملها فى أسفاره دون غيرها من اللوحات ، خوفاً عليها من تركها فى مرسمه فى فلورنسا مع باقي لوحاته الأخرى .

والحق انها آية فريدة فى نوعها من آيات الفن الرفيع .. وهي ليست مجرد صورة شخصية لأمرأة معينة ، ففيها التقت الرؤية بالرؤيا ، والخيال بالخيال ، كما التقت أغوار النفس بأسرار الطبيعة .. نقف مبهورين أمامها .. فنحتار فى وصف الابتسامة اللائكية أو الشيطانية ، وهاتين العينين الساحرتين ذات النظرات الهائمة الوادعة الحالمة .. لم نستطع أن نحدد عمر ليزا وقت أن أبدع لها الفنان صورتها .. رسمها فى أربع سنوات .. فاسقط عن ملامحها معالم الزمن وبصمات السنين .. إنها ترتسم فى مخيلتنا كأسطورة رائعة ، تتراقص كأطياف سحرية تسري في وجداننا بأنغام من الهمس الشاعري ، يخرج من بين شفتيها المطبقتين على أسرار الفتنة الغامضة .

جمال قطب



أشهر لوحة فى العالم ، رسمها « دافنشي » للسيدة مونا ليزا زوجة التاجر « جيوكوندو » .. ومن هنا عرفت اللوحة بالاسمين معاً : « موناليزا » أو « جيوكوندا »

حوار بقلم:
مفيد فوزي

- سأموت يوماً وأنا مستور وهذا يكفي ..
- كتبي ليست من ذلك النوع: كتب رف مكتبة
- أقول للكاتب الناشىء: لا تكتب بفمك
- عرفت وأنا شاب صعوبات النشر
- نكبتي الكبرى: اعتداء المصححين على تراثي
- القصة ليست تسجيلاً لحادثة جنائية

## كاتب "خليها على الله"

# يحيى حقي

## الإرادة أفضل الفضائل...

من الآخرين ، عرفت «الاصغاء الجاف» ، ومنه .. عرفت بل عشقت «الاصغاء الحنون» ! وفى ذهنى مثل صينى يقول الاصغاء الجيد ، حديث جيد !

●

له فى نفسى مكانة خاصة ، ربما لسبب شخصى بحت ، فضلا عن مكانته المرموقة فى شارع الادب ، وتميزه الخاص جداً فى «عطفة» القصة . اما ذلك السبب الشخصى فهو اننى اذكر جيداً عندما قابلته فى فجر حياتى العملية ، محاوراً . ايامها لم اكن احمل شيئاً سوى قلم حبر . وكان يجيب على أسئلتى وهو يذكر اسمى «المتواضع» . فكان رنين اسمى على أذنى يمس شغاف نفسى ويداعب أوتار غرورى المبكر !

●

الكاتب الفنان : يحيى حقى ، ومن سواه ؟!

●

حين جلست اليه منذ أيام أحاوره . صمت وقال : انت تطلب منى أن اتحدث عن نفسى . يا لها من لذة ساحرة تواضعها زائف ! على اى حال ، صورتى .. هى جلسة أمام فوتوغرافى محترف .. يسلط علي أضواء أعشى لها ، وقد اعوج رقبتى لكى تعتدل فى نظره وربما ابتسم بلا سبب . اما صورتى فى هذه الأحاديث فهى ماخوذة كما ترى خطفاً ، احياناً وانا فى مباذلى ، فهى أصدق !

وقلت ليحيى حقى ، ربما لاغرائه اكثر على الحديث «تبدو سعيداً» .

قال «لا ولوج الى ساحة السعادة — فى اعتقادى — إلا من احد أبواب ثلاثة : الايمان ، والفن .. والحب . لا شىء يشع بها مثل الخشوع الذى أراه فى المعابد . وإذا كان الحب هو أكثرها التصاقاً بالصلصال وبالزمان والمكان والصدف ، فانه شرط ارتفاع الانسان عن مرتبة الحيوان ، وكان الايمان أكثرها طموحاً لانه يطلب الله لا الناس . الخلود فى الآخرة لا العبور فى الدنيا . وسيبقى بعد هذا ، الفن وسطاً جامعاً للطرفين ويا لها من منزله.!.»

وقلت ليحيى حقى وهو يعطينى إصغاء حنوناً ويضع يده على أذنه ليلتقط كل ما أقوله وكأنى أنطق الدرر ..

«لست أدري لماذا أشعر أنك أب للقصة ، فانت تحنو عليها وترعاها ونحس جميعاً بابوتك لها وأنت رجل عزوف لانك فنان حقيقى . ولهب الفن لا يغيب عن محرابك ويعجبنى قولك : اننى ممن يدخلون معبد الفن من أشد أبوابه ضيقاً ، ولهذا كنت من المقلين ، أسمعهم أحياناً يعيبون هذا علي كانهم يطلبون منى أن أكون من المدلسين وانا يكفينى الصدق . واحس — إذا اذنت لي — أن القصة عندك ليست ترفاً شعورياً ، إنما غاية . والغاية هى الاعلاء من شان الارادة وجعلها أساساً . فانت ترى أن الارادة أساس لكل الفضائل . يستوقفنى هذا المعنى كثيراً .

ويتسلل صوت يحيى حقى بنعومة وبابوة ليقول «صدقنى يا مفيد إن العالم عندى معركة ولابد لنا من خوض هذه المعركة بسلاح الارادة.!.»

وحين قلت : كيف كنت دبلوماسياً ، يوماً ما ، ولم تستخدم سلاح الدبلوماسية فى معركة الحياة ؟

ضحك وقال : ما كنت دبلوماسياً فى نقدى ، أو عرضى للتجارب الفنية . أطلق ما شئت عليها من أوصاف . قل امانة ، قل ما شئت لكنى اقول ما احس وما ارى ، وأجرى على الله !

● اقول ليحيى حقى : تبدو كالنهر العظيم عند المصب . ورؤيتك لأعمالك عبر التدفق .. تثير فيك الشجن . أليس كذلك ؟

يقول يحيى حقى بصوت فيه ارتعاشة التواضع الجم «قولك كالنهر لحظة المصب تزيد أشجانى لا جدال . ولكن هل يليق للكاتب أن يتحدث عن أعماله . أنا لا أريد أن أستعمل الكلمات الطنانة واقول ان مبادئى ترفض ذلك . إنما أقول ان حساسيتى تنزعج وتضج من ذلك . ومع ذلك استجيب — رغماً عنى — لطلبك ومن يدرى ، ربما صار ما أقوله الآن مرجعاً .. حين أسكن التاريخ . نحن مهتمون فيما أتصور بتاريخ أدبنا الحديث ، ويجب فى نظرى أن يستمر البحث ولا يكف . ولكن مما يحزننى أننا ننشغل بانفسنا حتى يسقط منا سهواً ما هول غال ! هل تسمع عن اسماعيل مظهر ؟ اسماعيل مظهر الذى كان رئيساً لمجلة العصور . الذى كتب القاموس الانجليزى العربى . الذى كان من أوائل المنادين باتخاذ النظرة العقلانية فى أمور حياتنا . هل يتذكر أحد اسماعيل مظهر ؟ هل يعرفه الشباب ؟ هذه سيرة تعتبر من القمم الأدبية الكبيرة ولا احد يدرى حتى .. أنت ! هل سمعت عن «حسن محمود» الذى كان لصيقاً بطه حسين ، وكان مديراً لمكتبة الجامعة ورئيساً لتحرير مجلة الكاتب المصرى . لقد اشدت مراراً وتكراراً بقصة له اسمها «الجدة الصغيرة» تعتبر فى نظرى من روائع الادب الحديث . هل سمعت عن «وسيم خالد» الذى كتب عن تجاربه فى الجهاد ، ووصف لنا ، كيف أمسك بالمسدس لأول مرة ، ومعنى الحوار بالكلمات ، ومعنى الحوار .. بالرصاص ! على أى حال عزائى أننى ذكرت أسماء هؤلاء فى كتابى «فجر القصة المصرية» فصارت أسماؤهم تتداول فى كتب النقد . تكلمت عن مصطفى عبد الرازق فى عطر الأحباب . ومازلت أراه قيمة أدبية ومازلت أناشد النقاد الجادين : هذا أول الخيط ، خذوه واتبعوه وادرسوا مصطفى عبد الرازق لأن لا أحد يعرفه من بين كتاب القصة . لقد سئمت الكلاشيهات ليس من المعقول أن يقول انسان بشكل تقليدى كانه كلاشيه محفوظ (اقرا لطه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ) . نحن محتاجون لهذه «الحفريات الأدبية» وحديثى هذا ، بمثابة شهادة .

● تعب يحيى حقى من الاستطراد المشحون بالحماس . ولم أشا أن اقاطعه . بيد أنه عاد يقاطعنى ، وكانه أمسك بخيط . مازال يشده من ذهنه المتوقد ، رغم العمر ، ورغم الرأس البيضاء ورغم شكوى الجسد وإن لم يفصح عن الشكوى !

قال يحيى حقى «فى أوربا — يا مفيد — هذه الشهادات كثيرة جداً . أما عن طريق الكتاب . المؤلف يكتب كتاباً أو يدلى بحديث طويل طويل للصحفى ، يستجوبه . خذ مثلا : الموت فى فينسيا لتوماس مان . ليس العبرة فى هذه القصة انه راح لفينسيا والطاعون ومات الولد . لا . هذا الكتاب يعبر عن كاتب أحس فى يوم من الأيام ، انه يكتب كلاماً مرصوصاً لا يعبر عن أعماقه وشعر أنه هبط الى مستوى نفاق القراء . وقرر فى لحظة الا يخدعهم . فكيف يواجه هذا المازق . ذهب الى فينسيا وواجه الطاعون . انتحر ! وخذ مثلا آخر ، القصته «تونيو تروجر» . لقد أعجبتنى فترجمتها . انها صورة لمعاناة الفنان فى الحياة الاجتماعية . الشاعر ، كيف يعامل الناس ، وكيف يعاملونه . ليس فى الكتاب حدوتة ، ولكن هناك وصف رائع لمعاناة انسان وصدماته !

قلت ليحيى حقي : جئت أسال النهر عن ( أعماله الأدبية ) فراح يعدد لي أعمال الآخرين ! .

قال وهو يبتسم : حديثي عن الآخرين ، بمثابة الشهادة . ومن يدري ، ربما كنت أقاوم الحديث عن نفسي . ومع ذلك انا ياسيدي — فى لحظة المصب كما قلت — اعترف أن لي ١٦ كتاباً لو جمعتهم معاً لما زاد حجمهم عن حجم جزء واحد من الثلاثية . ولقد ظهرت هذه الكتب فى طبعات رخيصة .. وتلقى بعد القراءة على

## كاتب "خليها على الله"

# يحيى حقي

## الإرادة أفضل الفضائل...





الأرصفة وعزائي انها قرئت ، ثم تجمع . فكان من النادر أن تدخل مكتبة ، نعم اعترف لك انك لا تجد لي كتاباً فى مكتبة . ليس مثل هذه الكتب ما يمكن أن يسمى كتاب رف لمكتبة !

هل تتصور أننى عانيت فى النشر كثيراً ؟ !

●

القى لي يحيى حقى باعتراف ، فما كان منى إلا أن قلت « عد الى الوراء بذاكرتك » فقال : كنت أراسل الصحف بالبريد . وكنت بعيداً عن العاصمة . نشروا اغلب قصصي قبل أن يروني . كنت أضع فيها عصارة قلبي ، وأدفعها فى صندوق بريد كالح . لكني كنت اقرؤها بمتعة . وحين جئت أطبع أول كتاب « قنديل أم هاشم » وجدت صعوبة كبيرة . وظللت أحمله وأطوف به .. حتى شعرت أن الكتاب قد تعذب ، وبدأ يشكو كثرة الطواف به .. وعذاب المرور على الناشرين . وكاد يتركني ، اذهب وحدي دونه !! لولا أن الدكتور طه حسين كان يعرفني وكان يشرف على دار المعارف وصديقي محمود شاكر ، تضامن مع طه حسين ، وقلما يتضامن .. وأوصى بي خيراً وأخيراً قبلوا طبع الكتاب . وربما شعرت أن الصفحات كانت « تزغرد » وهي فى طريقها الى المطبعة ! .

اعترف لك ولشبان الجيل الذى لم يعرفني بعد . انني كنت أرسل للناشر ، مسودات قصصي ، وكنت اكتشف انه يختصرها للنصف ! ومازال عندي مادة للكتابة . فهل يمهلني العمر . لا أدري ! لكن الواقع – وانا اعترف لك ولشبان الجيل الذى لم يعرفني بعد – أجد نفسي أعبر عن حزني الشديد لما تعرضت له كتبي من اعتداء !

قلت همساً : اعتداء ؟! تقصد سرقة . اعادة نشر دون علمك ؟ قال بأسى : ليت الاعتداء كان كذلك ! لكنه اعتداء من المصححين . خرج معظم ما كتبت مشوهاً . وهذه نكبة لتراثى الأدبي الذى لم يسلم منه إلا جـزء يسير جداً .

●

قلت ليحيى حقي : كتبت مرة تقول إنك تضيق بشدة عندما يقول احد إن القصة مجرد حادثة جنائية . والحقيقة انه لا علاقة بين القصة والحادثة الجنائية .

قال النهر : القصة عندي ، موقف لحظة . تامل . شعور .

قلت : والقصة عندك « وعاء فكري » .

قال بسرعة : أرجوك احمني من الكلمات الطنانة . فانا انسان وبي ضعف ! ربمـــا قصدت اهتمامي باللغة . وانا اعترف لك فى لحظة لا يستحب معها إلا الاعتراف بمثابة الشهادة إنني في قصصي – يامفيد – أردت أن احول الأسلوب العربي من الزخارف والزيادات والرنين وأشياء اخرى من هـذا القبيل الى التزام الدقة المتناهية بحيث لا تستطيع أن تستبدل كلمة باخرى ابداً لانك انت ككاتب بالمعنى لا بالكلام . انتهز فرصة حواري معك لأقول للكتاب الناشئين : راعوا المعنى لا الكلام . لأي كاتب يحاول السباحة فى بحر الكتابة انصحه « ما تكتبش ببقك » !! أريد أن أقول أن الرنين والبلاغة اللغوية خطر ، مطلوب أن يجدوا المعنى ، فيجب الا يكونوا خاضعين لسيطرة الرنين والجرس . إنني احيانا أسرح واتامل . وافكر ! لقد ثبت علمياً كما تعرف أن أوتار الحنجرة لا تكف عن العمل حتى ونحن صامتون نفكر . ومن المؤلم فى تاريخ الانسان على الأرض انه لا يستطيع أن يفكر إلا من خلال لغة ، كان الأمل أن يتجاوز الفكر .. اللغة ! إن اللغة قيود . هي التى حبستنا فى قفصها ! هل يحبس الفكر داخل القاموس ؟ اننا نفصل بين الأوتار والاذن . أنا اقول لألم الموضوع ، فلنلتزم بالمعنى ، وبعد ذلك سياتي الجرس الموسيقى على مهل !

●

قلت ليحيى حقي .. كيف احاورك وانسى ترجماتك ؟! لقد سبحت فى بحار الترجمة كثيراً .. ووصلت الى شواطئها !

قال : بالقطع ، لن تنسى . وربما يسقط منك ذلك سهواً . وإذا نسيت سوف اغضب لماذا ؟ لأن الترجمة فى رايي ، خدمة للغة العربية . الترجمة نافذة . رؤية ، وممارسة للغة . أحيانا وانا أبحث عن المعنى الذي يطابق الكلمة الانجليزية ، اخبط راسي فى الحيط . إنه الالتزام .. لا التدليس على القاريء . ولعل أسوأ ما نعانيه الآن ، هو هذه المترجمات الركيكة ! واعترف لك أن ترجماتي ايضاً ، فتافيت . ماذا افعل ؟ الدنيا ظروف !

قلت ليحيى حقي وانا اركب موجة اعترافاته إن صح التعبير ! :

– لماذا لم يكتب يحيى حقي روايـــة طويلة . هل نفسك فى القصة قصير ؟

ضحك يحيى حقى ، وأسند رأسه ، وقال :

– لم يحدث لي أن كتبت شعراً – يامفيد

ـ ولم يحدث أن كتبت رواية طويلة ! حتى « صح النوم » مجموعة لوحات .. لان الانسان يجب أن يلتزم الصدق . يخيل إلي وأنا أفكر معك بصوت عال ، ان ميلي بالغريزة ليس إلا قص حكاية ربما اجد في هذا عملا غير مرن . قد اضيق بالتفاصيل . من يقول لي إنه نزل من المحطة وشال الشنطة وخرج من المحطة ونادى سواق تاكسي و .. و .. هذه اشياء اضيق بها للغاية . انا احب وصف الشخص ووصف المكان . انا تحولت من القصة القصيرة لكتابة ما أسميه باللوحات لكي تكون عندي حرية التعبير دون ان اكون مقيداً بحكاية وتفاصيلها ! انقد نفسي بنفسي . بيدي لا بيد عمرو !

●

ـ يحيى حقي ، يتهمونك فى الوسط الادبي انك ناقد تاثري !

رد بسرعة : لامانع . دعهم يتهمونني . انا لا أستطيع ان افصل فى هذا الموضوع لأني لم أدرس النقد فى الجامعة ، ولا تحتوي مقالاتي النقدية على مصطلحات علمية من تلك التى اصطلح عليها النقاد . اناأعتبر النقد عملا ادبياً . النقد عمل ادبي ينبغي ان يقرأ بلذة . النقد ليس صنعة وليس محاضرة . الذي يريد أن ينصفني يقرأ « خطوات فى النقد » يجدني اقول : لا لزوم لأن اتقيد بمذهب واحد فى النقد . البعض يقولك : لا .. لازم ! انا ازعم ان الكتاب هو الذى يقود الناقد إلى المدخل الذي ينقد به .

قلت : الدارس لأدبك .. سيقول إنك « تمجد » قيمة الارادة . وأن من يتعرض لقصصك بتجسيدها للسينما أو التليفزيون لابد وأن « يسيد » هذه القيمة ..

قال يحيى حقي .. حرصت أن احذر من فضيلة سلبية . عندما يقولون فلان هذا رجل طيب . ماذا يقصدون بالطيبة ؟ هل هي الضعف ؟ هلي هي الغفلة ؟ هذه ليست فضيلة ! ربما كانت الطيبة نتيجة انك رجل لا ارادة لك . ومن هنا ، أرى أن الارادة أم الفضائل وافضلها . وتتبع هذا في قصصي « نهاية الشيخ مصطفى » و « أم العواجز » و « السلحفاة » ! إننى أرى الارادة تتبلور فى القدرة على الجذب . فكل منا خزانة مغلقة لا يعرفها أحد . وسر الحياة فى الجذب . قلت مرة فى إحدى قصصي « لم يكن له إرادة ولم يكن له قدرة على شيء . كان عاجزاً . عجزت يده عن الامتلاك » . إنني هنا ، أصف أشخاصاً تضيع منهم محافظهم وأموالهم وزوجاتهم لافتقارهم للقدرة الايجابية على الجذب .

قلت ليحيى حقي .. لكنك تعزف ، وفى العزف .. نغمة ساخرة !

قال وهو يهز رأسه : ربما لأن من صفاتي الشخصية التنبه الدائم لمفارقات الحياة ، وأول هذه المفارقات جبروت الانسان وضعفه فى آن واحد . وكان رد فعل في نفسي ، نغمة السخرية الواضحة فى كتاباتي !

قلت : أكاد أحس أن رواية « صح النوم » هي أحب أعمالك إلى نفسك ؟ .

قال يحيى حقي : « إذا أردت شهادتي قلت لك نعم . لأنها باختصار تطبيق صارم لمبدأ التزمت به وهو الدقة والعمق فى أسلوب الكتابة» .

●

قلت ليحيى حقي : لماذا تكتب ؟ ماغايتك من الكتابة ؟

قال وهو يتنهد : أرفض اللت والعجن فى الكتابة . وإذا حدثتني عن الكم والكيف فى الكتابة ، قلت لك هذا يتوقف على ثراء الكاتب فى اطلاعه على اللغة . فاذا كان لدى هذا الكاتب « منجم » لغوي سار الكيف والكم معاً ! لكن غايتي الحقيقية من الكتابة ان اضع القارىء أمام احساس بالفن . فاذا تملكه الفن ، استطعت ان أدعوه ليغير حياته ! الفن ياسيدي يلعب دوراً فى حياة الانسان ليس ببسيط . الفن اقرب الطرق الى الدين . صدقني . الفنان اقرب الى الله . صدقني . الفنان حتى وهو يكتب عن أشياء كونية . يقربك من الله . ويبصرك بالجمال . وعندما اتكلم عن غايتي من الكتابة ، لابد لتكتمل شهادتي ان اقول لك عن ينابيعي ! من احد ينابيعي ، صعيد مصر الذى جعلني اتعاطف مع الحيوان واذكره بالخير فى قصصي . ومن هذه الينابيع ، الأضرحة والأحياء الشعبية التى عبرت عنها فى قنديل ام هاشم . واكتشفت ان نداءات الباعة ودقات اطباق بائع العرقسوس تستحث القدر على الرزق !! .

●

تتوارى اسئلتي ، ولا أسمع سوى صوت يحيى حقي ..

● ..........................

ـ يسعدني كانسان أن يمسني سلك كهربائي مكشوف اسمه ، الفن .

● ..........................

ـ للأسف ، المدرسة « أماتت » يدي . هذه شهادتي عن التعليم فى زماني ، حيث كان الضرب على اليدين والقدمين بحد المسطرة .. مع أن اليد جزء من ذكاء الانسان .

● ..........................

ـ تبكيني العواطف الجميلة المهدرة .. حتى بدون ذنب من اصحابها !

● ..........................

ـ تزوجت مرتين ، ماتت الأولى ، والثانية زوجة فرنسية ، أعيش معها . وليس فى حياتي نتوءات أو مطبات ، وأعتبر المرأة رمز الحنان .

● ..........................

ـ فاتني الكثير في مشواري الفني ، اتمنى أن أعيش لأحققها ، إنها أحلام الكاتب !

● ..........................

ـ تربوياً ، النظرة عندي أكثر تأثيراً من الكلمات !

● ..........................

ـ إذا كانت الألوان مادة الرسام ، فالكلمات واللغة مادة الكاتب وربما كان هذا سر اهتمامى بالقواميس على وجه التحديد وليس هناك لغة خدمت مثل اللغة العربية.

● ..

ـ نعم ، إن الجوار من الأشياء يقتل اللهفة اليها ، وربما هذا الذى فطنت اليه من خلال ترجمة كتاب عن النيل . نراه كل يوم وقد لا نحس به ، فاذا ابتعدنا عنه قليلا ، اشتقنا اليه . إنها المسافة بينك وبين الشىء !

● ..............

ـ تسالنى عن الموت ، أقول لك ، إنه شىء لابد أن نؤمن به وإنه آت ! ولحسن الحظ ، يستطيع الانسان قبل أن يموت أن يتهيا الى هذا بان يتخلص من كل الغرائز والشهوات والتكالب ، ويشعر الانسان انه قادم على لقاء مع حبيب فيستعد للقاء ، وهو انقى جسداً ! وساموت يوماً وانا مستور . الا يكفينى هذا ؟!

قلت للأستاذ يحيى حقي ابن محمد حقي ابن ابراهيم حقي :

ـ تعال نختم حوارنا ! لقد شعرت انى ارهقتك !

قال وهو يسند يديه على عصا افريقية :

ـ أنا رجل أرجو رحمة الله ، وأن يغفر لي حين ادخل بيته !

مفيد فوزى



# فصول أبي البهاء : حلاقة أرتين

بقلم
الدكتور عبد السلام العجيلي

مررت مؤخراً على الأستاذ سهيل في مقر وظيفته فذكر لي انه قرأ ما كتبته عن فصول أبي البهاء، وكنت اعرف انه صديق قديم له، وقال:

– فاتك أن تذكر الدافع الخيري لبعض فعلاته. دافع الاحسان والتطوع لمساعدة من هو بحاجة الى مساعدة.

قلت: كل تصرفاته إنما اتاها بدافع خدمة الآخرين. هذا ما يردده دوماً علينا. إذا لم ينقذ أصدقاءه من مازقهم فهو على الأقل يسوق البسمة الى شفاههم والمرح إلى نفوسهم.

قال: ما اقصده شيء آخر. اعرف له فصولا خدم بها اناساً لا صلة له بهم ... قام بها حسبة لله، ولكن بطريقته الخاصة.

قلت: مثـلا ؟

قال: مثل قصته مع ارتين، الخادم الأرضي في فندق قصر الحمراء .. اظنك تعرف قصر الحمراء. وكنت اذكر ذلك الفندق الذى كان ملكاً لوالد سهيل، والذى تولى فيه سهيل العمل الكتابي في مطلع صباه. لقد هدم منذ زمن وقام مكانه مقهى ووراءه مطعم.

قلت: – أعرف الفندق، إذ طالما ترددت عليه لزيارة نزلائه من ابناء بلدي. واظنني اذكر أرتين ايضاً. ولكني لا اعرف القصة. تكرم وأروها لي.

فمضى يقص علي هذه الحكاية التى ماكنت سمعت بها من حكايات صاحبنا.

• •

قال الأستاذ سهيل:

– كان ارتين، كما تذكر، واحداً من خدم فندقنا ذاك، كهلا ضاوي الجسد شاحب البشرة، تملأ وجهه التجاعيد ولحية مهملة ما كنا نقنعه بحلاقتها بين الأسبوع والآخر إلا بجهد.

كان منظر وجهه النحيل المصفر اشبه بوجه ميت، وهذا ماساق أبا البهاء الى أن يجعله طرفاً في الفصل الذى اخبرك به.

ففي ظهيرة احد تلك الأيام البعيدة تطلعت من نافذة مكتبي في مدخل الفندق، تلك الغرفة الصغيرة التى تقع في نهاية سلم المدخل مباشرة، فرأيت أبا البهاء يصعد الدرج وهو يدفع أمامه شخصاً غريباً، لم تقع عيني عليه من قبل، تبينت في الرجل واحداً من الحلاقين الشعبيين، أولئك المزينين الجوالين الذين يحملون عدتهم في حقائبهم المهترئة، متنقلين في الأسواق، حتى إذا ظفروا بزبون اجلسوه حيث التقوا به، في زاوية مقهى أو على رصيف شارع، وتولوا منه قص الشعر او حلاقة الذقن. اتجه ابو البهاء بمرافقه نحو الصالة الكبيرة فاجلسه على احد مقاعدها ثم عاد إلي. وقبل أن اتوجه إليه بالاستفهام بادرني بقوله:

– أرتين ... أين أرتين ؟

اجبته: إنه في الطابق الثاني ... يجول كعادته بين فنانات ملهى بالاس اللواتي ينزلن في تلك الغرف. مالذي تريده منه ؟

قال: تعال معي إليه. أريده أن يموت.

لو أن غير أبي البهاء قال هذه الكلمات، وبلهجة الجد التى تعرفها له، لتوجست شراً ولخفت منه على أرتين. ولكنني كنت أعلم الناس بصاحبنا. لحقت به دون تردد إلى الطابق الثاني فوجدنا أرتين في غرفة المطبخ منهمكاً في إعداد القهوة لنزيلات ذلك الطابق من فنانات الملهى القريب. وناداه أبو البهاء، وراح يخاطبه عائبا عليه لحيته الشائكة التى جعلت وجهه أشبه مايكون بظهر قنفذ، ثم قال له إنه مستعد أن يخلصه من تلك اللحية مجاناً، على يد حلاق ماهر، لقاء أمـر بسيـط. فساله أرتين، قائلا بلكنته الارمنية: وماهو الأمر البسيط يامعلمي ؟ قال: ان تطاوعني، انا ومعلمك سهيل، وتموت لنا قليلا ...

وبدا أن هذا الكلام لم يعجب الخادم الكهل فهز كتفيه باستهانة وادار لنا ظهره عائداً الى مطبخه، بينما التفت انا الى ابي البهاء وقلت له:

– كانك تضحك علي انا ايضاً. قل لي ماهي لعبتك اليوم ؟

فهز صاحبي راسه كالمتذمر وقال: صدقني، ليست هي لعبة بل عمل خيري أردت أن أصيد بها عصفورين بحجر ... اخلصك من لحية أرتين البغيضة، وانفع هذا الحلاق البائس، عليك ان تقنع خادمك بان يموت ... ساعدني في هذا.

ضحكت وقلت: ليس قبل أن تكشف لي عن قصدك الغامض.

قال: لك ماتريد. الأمر وما فيه اني قادم لتوى من عملي في مديرية الصحة. عندما وصلت الى مكتبي في الصباح تطلعت من النافذة فرأيت الرجل الذى تركناه في

الطابق تحتنا ، ذلك المزين ، يحمل حقيبته فى يده ويضع منشفته على كتفه ، وهو يجول على رصيف دائرتنا عارضاً خدماته على المراجعين من فقراء المرضى وعلى المارة في الطريق . لم يفتح الله عليه كل ساعات قبل الظهر بزبون واحد . وظلت هذه حاله حتى أوان انصراف الموظفين من عملهم . وعندما خرجت من الدائرة مررت بالقرب منه فادركتني عليه الشفقة . وتلمست جيبي فوجدت فيه خمساً وعشرين ليرة قطعة واحدة ، وخطر لي ان القيها فى الصحن المقور الحافة ، صحن الحلاقة النحاسي الذى يضعه تحت ذقون زبائنه ، ولكني ترددت . خفت أن اجرح شعوره . انه رجـل اختار ان يكسب عيشه بجهد يده فى هذه الصناعة العقيمة ، وليس شحاذاً . عند ذاك جاءتني فكرة أن أعطيه هذه الليرات العشرين والخمس لقاء عمل يقوم به من صميم مهنته ... لقاء حلاقة ذقن أرتين .

ضحكت انا مرة ثانية وقلت : خمس وعشرون ليرة دفعة واحدة ؟! صحيح إنها لحية تزعجنا ، ولكن ليس إلى هذه الدرجة .

قال : لم أردها حلاقة عادية ، بل فى شروط خاصة بينتها للرجل . وقفت على رأسه وهو مقرفص على رصيف الدائرة ، وقلت له إني ابحث عن حلاق شجاع لا ترتجف يده فى الموقف الحرج ، اعطيه خمساً وعشرين ليرة لقاء حلاقة ذقن انسان معين . ظن المسكين اني اسخر به ، فلما تيقن من اني أعني ما اقول أبدى استعداده لحلاقة تلك الذقن ولو كانت فى وجه عفريت من عفاريت سيدنا سليمان . أفهمته عند ذاك أن قريباً لي ، يقيم فى احد الفنادق ، ادركته المنية فى هذا الصباح بعد مرض طويل ، وإني لا أريد أن اضعه فى تابوته قبل أن يأخذ كامل زينته ، وأول هذه الزينة حلاقة لحيته التى طالت بطول أمد المرض .

قلت لصاحبي : ولهذا تريد من ارتين ان يموت ، وأن يموت قليلا ...

قال : تماماً . واين اجد وجهاً اصلح لتمثيل الموت من وجه ارتين وهو على قيد الحياة ؟ ناده الآن لنبين له ماذا عليه أن يفعل وكيف يتقن دور الجثة الهامدة .

وارتين ، على سوء منظره ، لم يكن خلوا من حس الدعابة ، فسهل ذلك قبوله بالمشاركة فى اللعبة بعد أن بينا له الغاية منها . وانضم إلينا فى التمثيل بعض الفتيات من نزيلات الطابق ، فاخذن دور القريبات الحزينات المجتمعات عند باب غرفة أسدلنا ستائرها على الخادم المتماوت ، بينما اضجع هذا فى سريره نصف عار تحت ملاءة بيضاء من ملاءات الفندق . وجرت التمثيلية فى مجراها المرسوم كما خطط لها أبو البهاء .

● ●

قلت لسهيل عندما بلغ من قصته هذا المبلغ ؛ :

– وحلقتم لحية ارتين الشائكة ! اما قدر ابو البهاء أن يجد طريقة اخرى ، اقل تعقيداً من هذه ، لأداء صنيعه الخيري ؟ .

قال : ليس هذا كل شيء . اسمع التتمة . رأيت أبا البهاء ، قبل ان ينزل لياتي بالحلاق ، يسر للخادم ببعض الكلام فيهز هذا رأسه موافقاً . وتلقت نزيلاتنا الفنانات الحلاق بولاويل حزينة واصوات نحيب تقطع القلب . كان هذا وحده كافياً ليقبض صدر المسكين ويجعله يقبل على عمله فى تخوف ، فكيف إذا انضاف إليه جو الغرفة الجنائزي وجثة الميت المزعوم مسجاة فى وسطها ؟! وبدا لي ان قدميه لم تكونا تطاوعانه في الدخول ، إلا ان ابا البهاء لم يمكنه من التراجع ، فقد دفعه الى الغرفة واغلق عليه الباب ، ثم عاد إلينا ليتطلع معنا من خلال فروج الستائر على ما يجري في الداخل .

كنا نكتم ضحكاتنا لئلا تبلغ سمع الحلاق ونحن نراه يخرج ادواته من حقيبته بيدين ترتجفان ، ويرغي الصابون على وجه أرتين بحركات سريعة ومضطربة . وبتلك الحركات نفسها راح يجري موساه على ذقن الجثة المزعومة . بدا لنا وجه أرتين فى تلك الاثناء شمعياً فى ضوء الغرفة الشحيح ، وبدا لنا احتماله عجيباً حين كان يكتم نفسه فى صدره لفترة طويلة إمعاناً منه فى تمثيل دور المفارق للحياة . أو لعله فزع الحلاق الذى ماكان يترك له مجالا ليدرك أن الراس الملقى على الوسادة امامه هو رأس انسان حي .

مفارقة حادة كانت بين جو الرهبة فى داخل الغرفة وجو المهزلة فى خارجها . وبلغت المفارقات ذروتها حين قارب المزين البائس إتمام مهمته على ذقن الجسد المطروح أمامه . إذ بينما كان يجمع ادواته ليدسها فى حقيبته حانت منه التفاتة الى السرير فبوغت بما لم يكن يتوقع او يتصور لقد فوجىء برؤية ما رايناه نحن معه ... فوجىء برؤية عيني زبونه الميت تنفتحان فى وجه واسعتين ، وبراسه يستقيم على عنقه ، وبجذعه يرتفع ببطء بنصفه العلوي فوق السرير ... عينان في رأس على جذع تتحرك كلها فى هدوء وثقة ، وهي التى كانت قبل لحظات لجثة لا حياة فيها ولا روح !

لك أن تتصور بعد هذا ما حدث . انطلقت من حنجرة الحلاق المروع صرخة ثاقبة ، وسقطت حقيبته من يده فتبعثرت أدواتها في جوانب الغرفة ، وقفز هو منفلتا من الباب ، لا يوقفه شيء ، ينهب الأدراج منحدراً فى تعثر . وتحولنا نحن ، سهيل وانا ونزيلات الطابق الثاني ومن انضم إلينا من الخدم ، الى جوقة ضاحكة تكاد تتفجر حناجرها قهقهة . حتى ارتين ، الذى ماكان مرحه يتجاوز تكشيرة ينقبض لها وجهه ويسميها هو ابتسامة ، تعالت ضحكته وهو يرفع عنه الملاءة التى كانت تكفن جسده النحيل العاري .

الوحيد الذي لم يستخفه المرح فراح يتطلع إلينا فى رزانة ووقار كانه يستخف بعقولنا ويستسخف تصرفاتنا ، كان صاحبك أبو البهاء ...

● ●

وانهى سهيل بهذا حكايته فقلت له :

– ربما كان لكم الحق فى ان تضحكوا من هذا الفصل . اما أبو البهاء فاني اراه زادها قليلا . فحقيبة المزين كانت تحوي بلاشك مايزيد ثمنه عن خمس وعشرين ليرة تصدق بها عليه .

قال : رجع الرجل إلينا فى اليوم التالي فاعطيناه حقيبته بما فيها . من ناحيتي لمت انا أبا البهاء ، كما تلومه انت الآن على فعله به ، فقال : الحلاق هو الذى جلب الشر على نفسه ... فعندما كنت افاوضه فى أمر لحية ارتين واحس بحاجتي إليه اخذ يساومني في تشدد طالباً الزيادة عما قبل به فى الأول . حدثتني نفسى حينذاك بأن انغص عليه فرحته بما أعطيه ، فكان مارايتم ...

وأضاف سهيل قائلا : وقنعت بما قاله ، كما وجدت عبثاً أن اخطئه فى أمر أتاه . فانت تعرف أبا البهاء . لكل فعلة عنده تبرير أو تفسير أو فلسفة .

د. عبد السلام العجيلي

## أضواء جديدة على حقيقة المستشرق اليهودي الذي انتحر في القاهرة سنة ١٩٤٤م

# باول كراوس

## صورة علمية مشرقة حاربتها الصهيونية بعنف وقسوة

بقلم : الدكتور محمد طه الحاجري

قرأت الفصل القيم الذي كتبه الأستاذ رجاء النقاش ، وتناول فيه بالحديث والتحليل المستقصى ذلك الحدث البارز من احداث ما ظلت تعانيه بيروت فى هذه الأيام من غزو غادر فاجر ، وما لا يزال يمثل فى تاريخ العروبة أخطر ما تعرضت له ومنيت به من محن . ذلك هو انتحار خليل حاوي ، أحد أساتذة الجامعة الأمريكية . وإذا كان الجزء المباشر من قصة هذا الحدث مايزال مطوياً ، فان ما تنم عنه الآثار الشعرية التى خلفها وراءه ، والتي حاول الأستاذ رجاء أن يتغلغل فيها ، ليقرأ ما عسى أن تتضمنه من خوالج ، تعني أن وراء هذا الذي تريد السياسة أن تستغله روحاً عربية أصيلة هي هذه التى تململت ، ثم دفعت به الى ما أقدم عليه فى العشرين من شهر يونيه .

وليس لي فى هذا الفصل أن آخذ في شيء من الحديث عن هذه المأساة ودلالاتها، وإنما الذي يدعوني إلى كتابته هو مأساة أخرى غير منقطعة الصلة بها ، وإن كانت قد وقعت في حي الزمالك بالقاهرة منذ ثمان وثلاثين سنة . والذي اثارني إليه هو ما عرض به لهذه المأساة الاستاذ رجاء وهو يبدأ حديثه عن مأساة هذه الأيام ، لما يعتبره بين الاثنين من صلة ، وإنها لكذلك عندنا ، مما يحفزنا الى التوقف عندها ، وتأمل الملابسات التى كانت تلابسها وتدفع إليها ، إذ هي تمثل – فى حقيقة الأمر – حلقة من حلقات ما كانت الصهيونية تتمثله فيها وتختطه لها ، وتعبر به عما كانت منطوية عليه ، متجهة إليه ، عاملة له ، مقتحمة كل شيء فى سبيله .

وما كان للاستاذ رجاء ، وهو بصدد فيما ذكر عن مأساة الزمالك عما كان بقي عالقا بذاكرته مما كان قد سمعه من الدكتور عبد العزيز الأهواني ، رحمة الله عليه ورضوانه ، إلا أن يتعرض لما قد يصيب الذاكرة من وهن ، وما يعرض لها من اختلاط ، وإن بقيت شخصية من يحكى عنه في مكانها من نفسه ، من وثاقة الخلق وسعة المعرفة ورهافة الحس العربي ، وبقي كذلك ما يعرفه من انه كان من أقرب تلاميذ كروس إليه وأحبهم لديه واشدهم صلة به ، ومن ذلك كان هذا الذي حكاه عنه من « أن السبب الرئيسي فى انتحار بول كروس هو قيام اسرائيل ، وحرب سنة ١٩٤٨ بين اليهود والعرب . وكان بول كروس يعارض قيام اسرائيل ، ويرى فى ظهور هذه الدولة خطراً كبيراً على العرب واليهود معاً . وقد توقع بعد حرب ١٩٤٨ أن يصبح بقاؤه في مصر صعبا .وكان قد احب مصر ، واحب تلاميذه وكتبه فيها . فاعتبر أن حياته فقدت معناها ، وانتحر محتجاً متألماً » .

فاماً أن كروس كان يرى فى قيام دولة بني اسرائيل ، متحدية مشاعر العرب مناهضة لهم ، خطراً داهماً على هؤلاء وأولئك ، فممـا لم يكن أحد من أصحابه وتلاميذه يشك فيه . ولا ريب أنه كان يعلم من أمر ما تسعى جماعات الصهاينة إليه ما لعله لم يكن عندنا غير أوهام تمر بخواطرنا ثم لا تلبث أن تنحسر عنها ، وانه كان دائم التوجس من أن يتحقق لها ذلك ، مقدراً ما لا بد أن يترتب عليه من محذورات ومخاوف ، فكان ذلك دائم التاريق له وإثارة قلقه . ولعله ، فى بعض فترات مقامه فى مصر ، جعل يدرك أنه قد تورط فى بعض ما كان ينبغي أن يكون حذر القادة ، مقدراً

ما كان للصهيونية من تدبير فى توريطه فيه ليكون صنيعة من صنائعهم واداة من أدواتهم ، مما نرجو ان نعرض بعد له ، فكان فى ذلك ما ضاعف قلقه ، ورأى فيه الربقة التى عقدت له جعلت تضيق حوله ليكون طوع أيديهم ، لا يملك أن يستعصى عليهم . مهما حاول أن يعتصم من ذلك باستغراقه فى الدرس وإمعانه فى مسائل العلم ، وانصرافه انصرافاً تاماً يملك عليه وقته وجهده إلى معالجة بعض ما يثيره من مشاكل يبدو أنها شديدة الاستعصاء . فكان من عاقبة هذا المازق الذي جعل يضطرب فيه ، أن عرضت على حين غفلة منه لحظة ضعف انقاد لها واستسلم إليها إذ سولت له أن يزهق روحه بيده ، ويخلص من هذا الذي تدبره الصهيونية له .

مثلت فى خاطري هذه الصورة وتدافعت الي جزئياتها وتفصيلاتها ، وانا اقرا ذلك الفصل الذي كتبه الأستاذ رجاء النقاش ، ثم مالبثت أن تداعت من ورائها طائفة أخرى من الصور . فاذا أنا منها إزاء عالم زاخر بين الذكريات ، يتالق بمشاهد من الحياة العلمية والفكرية التى كنا ننعم بها فى تلك الأيام ، وقل أن نظفر اليوم بما يمثلها لنا إلا فى عالم الاحلام .

وإذا كانت هذه الذكريات ، بما تمثله من ذلك العهد المنصرم ، تهيج فى قلوبنا المغالاة به والانجذاب إليه ، وذلك بما تعرض منه من مثل الخلق العلمي الوثيق ، يرسم لنا المنهج الذي ينبغي أن نتبعه ولا ننحرف عنه فيما نحن بسبيله ، ويصنع لنا المبادىء التى ينبغي أن نقف عندها ولا نخرج عليها ، فانها ، فى مثل ما نحن فيه من هذه الدراسة ، تعرض علينا صورة متكاملة ، يتفاعل بعض عناصرها مع بعض ، من النفس الانسانيـــة بجميع قواهــا ، بين ما ينبعث منها وما يعترض سبيلها ، منذ أقبل كروس على مصر فى خريف سنة ١٩٣٦ ، إلى أن غادر الحياة كلها فى أواخر صيف سنة ١٩٤٤ ، صراع دائم خفي وظاهر ، لا يكاد الدارس يرسل وراءه خياله حتى يرى ما يتمثل فيه من أساليب الكر والفر ، والهجوم والدفاع ، والاكتنان والمجاهرة ، تمثيلا ما كان له أن ينتهي إلا باحدى نهايتين : أن يستسلم كروس لما يراد منه ، مضحيا فى ذلك بمثله ، أو أن يغادر الحياة ، مضحيا بنفسه ، فاثر الثانية على الأولى .



طـه حسين
ساعد المستشرق اليهودى الذى قتلته الحركة الصهيونية

وهكذا انتهت هذه الحياة ، وانتهت بانتهائها هذه الصورة الرائعة من صـــور النشاط الاستشراقي .

ومنذ مثل لي ذلك ، وقد تجمعت مع الزمن أجزاؤه ، والتقت أطرافه ، واتضحت مع الأحداث دلالاته ، وجعل يتقلب أمامي فى وجوهه المختلفة ، مثل معه ما أحس أنه من واجبي إزاءه . واجبي باعتباري ، رجلا من رجال التاريخ الأدبي ، أتيح له ، على وجه ما ، أن يعاصر هذه الصورة من صور النشاط العلمي ، وأن يتعرف بذلك بعض دخائلها ، ثم هو يخشى ، فى الوقت نفسه ، ما يبدو أنها متعرضة له من دثور معالمهــا وإمحاء ملامحها . وواجبي باعتباري مــن أبناء هذه المرحلة العصيبة التى تمــر العروبة بها وتعاني ويلاتها ، وأن عليه أن يشارك ، بقدر ما يملك من جهد ، فى كشف ما دأبت الصهيونية عليه من كيد ، منذ نجحت فى أن تجد لنفسها فى فلسطين موطىء قدم ، وما كان لها فى ذلك من سوابق بذلت فيها كل ما تستطيع . ومن ذلك هذا الذي تصدت به لكروس ، وأرادت به أن تستهويه وتجتذبه ليكون من عملائها .

## (كراوس .. في مأزق)

لقد كان كروس رجل علم ، تلك كانت صفته الأولى التى اتجه إليها من كانت نشاته الأولى فى براغ ، ثم تاكدت بعد أن تحول إلى برلين ، ثم اخذت تتفتح وتزدهر حين ذهب إلى باريس وحاضر فى السوربون ، واتصل ببعض المستشرقين يشـــاركهم نشاطهم ، كما كان شانه مع ماسينيون . فاذا جاء إلى مصر ، وهو في الثانية والثلاثين من عمره ، فقد تدفق نشاطه ، وبدت هذه الصفة من صفاته فى غاية بهائها وتالقها . ولم يكن مثل ذلك لتغفل عنه عيون هؤلاء الذين ما يزالون ينتقلون بين فلسطين ومصر ، أو بين تل أبيب والقاهرة ، فكانوا مايزالون يزورونه فى بيته ويجلسون إليه . متذرعين أول الأمر بما كان لهم من صفة تعليمية . يدبـون إليه مضمرين فى أنفسهم ما يخالجهم نحوه . وطبيعي ، حين يتكرر مثل ذلك ويتواتر ، وحين يجد مجالا له فى نبض النفوس الحاقدة ، أن يثير حوله بعض الريب ، في بعض الأوساط المصرية . فاذا قضى نحبه ، وفرغ أصحابه من الحزن له والحديث عنه، لم يعد هنالك من يذكره ، لا ممن كانوا ينكرون عليه ، ولا ممن لم يكونوا يرون فيه غير البراءة ، على الرغم من هذه السنوات الثمانية التى امضاها بينهم ، لم يدع فيها اداة من أدوات الاتصال الفكري إلا اصطنعها، ولا طبقة من طبقات المثقفين إلا واتجه إليها ووصل اسبابه بسبب منها . لقد كانت تيارات الخصومة بين مصر والصهيونية قد عمرت كل شيء . وكانت هذه التيارات قد بلغت غايتها فى هذه الفترة . فاحترفت كل شيء ، وسيطرت على كل فكر . نكرت كل ما يمكن أن يكون طيباً ، وطمرت كل حسنة يمكن أن تقال ، وأحاطت بالريبة كل كلمة يمكن أن يراد بها وجه الحق .

ومثل ذلك أو قريب منه كان شأن ذكراه عند أبناء ملته ، وخاصة هؤلاء الصهاينة الذين كانوا يرجونه ليكـــون أداة من أدواتهم وصنيعة من صنائعهم ، فخيب بانتحاره رجاءهم . فلم يكن الا أن يعرضوا

# باول كراوس

## صورة علمية مشرقة

عنه ، حتى لم يعد له مكان بينهم ، وكأن لم يبق له موضع فى ذاكرتهم .

وهكذا كان أمر كروس بعد وفاته . فكان ذلك مما أوجب علينا أن نحاول الانتصاف له . والوفاء بحقه وحق الحياة العلمية فى مصر عامة ، بأن نبوئه مكانه الجدير به بقدر ما يمكن لرجل مثلى لا يستطيع أن يدعى انه كان منه بحيث يستطيع أن يؤدى صورة وافية دقيقة له ، فما يشك فى أن هنالك من كانوا أقوى صلة به ، وأكثر مداخلة له ، وهم بذلك أقدر على الوفاء بحقه . ولكن ذلك لا يجعلنى أعفى نفسى من أداء ما أستطيعه فى انتظار أن يتقدم غيرى ممن هم اجدر منى . والله تعالى هو وحده المسؤول أن يسدد خطانا ، ويمهد لنا سبيلنا ، ويهدينا الى سواء السبيل .

### طه حسين يبشر بمقدمه

ولست اذكر أن اسم ( باول كـروس PAUL KRAUS ) كان من اسماء المستشرقين التى كانت تتردد فى بعض ماكنا نتلقى من محاضرات فى مرحلة الليسانس ، كأسماء ماسبنيون دمرسيه ، وبلا شير ، أو الذين كنا نجلس اليهم ونتعلم منهم كيوسف شاخت ، أو الذين كنا نسعى للاتصال ببعض آثارهم كدوزى . انما كان أول ما عرفنا عنه وسمعنا باسمه بعد التخرج فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، والتطلع الى ما ينبغى أن نسلك فى الحياة من سبل ، كل بحسب ميوله العقلية وظروفه المعيشية . وكان ذلك فى مجلس لنا مع طه حسين ، وقد ذهبنا إليه نزوره ، عقب عودته من رحلة الصيف فى أوربا .

وفى هذا المجلس أخذ يحدثنا عن بعض ما أتيح له فى هذه الرحلة ، وعن بعض ما اتفق له فيها مما يرجو أن يتهيأ منه لكلية الآداب نصيب موفور . وهو يعنى بذلك هذا الشاب الذى عرفه هنالك . انه شاب تشيكى اتخذ الاستشراق منهجاً له ، لم يكد يتحدث اليه حتى أعجب بسعة افاقه ومرونة تفكيره ، وما يملك من أدوات علمية لابد منها لمن اتخذ ذلك المنهج ، تتمثل – إلى جانب ما يعرفه من اللغة العربية – فيما يحيط به إحاطة جيدة من اللغات الأدبية القديمة ، واخصها اللغة اليونانية ، واللغات السامية القديمة كالعبرية والسريانية والآرامية . وقد اعانته هذه الآلات على أن يمضي فى الموضوع الذى استهواه وشغل به فكره وهو التاريخ للفكر العلمى عن العرب ، يتحرى شواهده وينقب عن نصوصه .

وخرجنا من لدن استاذنا الكبير ، ولايكاد حديثنا عن مجلسه يتجاوز ما جعلنا نعلق به على ما بشرنا به من قدوم هذا المستشرق ووشك بلوغه مصر ، ومشاركته فى وجوه النشاط العلمى المختلفة بالكلية ، وقسم اللغة العربية . وما هو مرجو أن يكون مصدر ثراء له . وربما كان من جمله ما جعل حديثنا يتطرق اليه ونخوض فيه هو ترديد بعض الأصداء التى كانت ما تزال تثير انتباهنا عن الحياة السياسية فى أوربا ، وخاصة ما كان منها متصلا بالروح النازية فى المانيا ، وما يصطنعه هتلر من بعث الروح الجرمانية ، لتسترد سلطانها وتفرض سيادتها ، وتسيطر بها على كل ما يمت إليها ، مما كانت الصحف والمجلات دائمة الحديث عنه والتنويه به .

ولم تكن الجامعة فى معزل عن الاحساس بما كان هتلر يتخذه من إجراءات ويفرضه من نظم ، كذلك الذي جعل يتردد فى أوساط الطلاب عندما تاخر الدكتور شخت عن موعد بدء العام الجامعي ، واضطرار الكلية إلى ان تلتجىء إلى مستشرق آخر يدعى فنكلر ، كان يعمل فى بعض قرى الصعيد ، يسجل لهجاتها ، ويجمع ما يتاح له من تراثها ، ان ذلك إنما كان خضوعاً من شخت لما كان هتلر يفرضه على الجامعات الألمانية من نظم . فقد كان من الطبيعي ان ينحو الطلاب فى تعليقاتهم الى مثل هذا المنحى وأن يفسروا استجابة كروس لما عرضه طه حسين عليه بانه كان يستشعر انه واجد فى مثل هذه النقلة نوعاً خاصاً من الخلاص مما كانت التوجسات تحوم حوله ، وانها جديرة أن تظفره بما يتطلع إليه مما يعينه على تحقيق ما هو بسبيله من تاريخ بعض وجوه النشاط العلمي عند العرب . وذلك بما هو واجد فى مثل دار الكتب المصرية فى القاهرة من ذخائر المخطوطات .

ولم يمض غير قليل حتى رأينا هذا الذي بشر طه حسين به فى طرقات الكلية وساحاتها ، وفي بعض ماكان يتاح لنا أن نغشاه من مجالسها . وعرفناه بما كنا نتوسمه فيه من سمات : انه شاب يفيض نشاطاً وحيوية وتوثباً وتالقاً ، يبدو ذلك منه فى حركاته وإشاراته وفى خطواته ، وفيما يتدفق به فى حديثه ، ولم يكد هذا الحديث يتجاوز فى أول أمره الفرنسية ، غير ما كان يشوبها فى بعض الأحيان من كلمات يحاول أن يؤديها بالعربية . وعلى ما كان يبدو عليه من اعتداد بالنفس فقد جعلنا نحس انه يريد أن يعقد صلاته بنا ، منذ عرف اننا تجاوزنا مرحلة الليسانس ، وقد فسرنا ذلك برغبته فى أن يتيح لنفسه ما يتمكن به من ممارسة العربية حتى يمرن عليها لسانه .

لم نلبث بعد ذلك حتى رأيناه يريد لهذه الصلات أن تتخذ وجهاً آخر لم يكن لنا عهد به من قبل . وقد اتفق مع الكلية أن ترتب لنا لقاء معه فى بعض قاعات الدرس ، فارتقينا فيها ، فاذا به يقدم علينا ومعه نسخ أعدها لنصوص من التراث العلمى العربى ، جعل يوزعها علينا ويطلب منا أن ننظر فيها ، وما كدنا نتبين غرضه من ذلك ، وانه إنما يريد أن يقارن هذه النصوص بعضها ببعض ، وأن نجد فى ذلك بعض المرانة على قراءة الخطوط المختلفة ، حتى اقبلنا على ذلك ، وجعلنا نتبادل الحوار والمناقشة ، حتى يتاح لنا أن نطمئن الى أولى القراءات التى بين أيدينا بالقبول . وكان ذلك أول نوع من هذا النمط من الدرس نعالجه ، وأول تعريف لنا بما يجب أن يكون عليه نقد النصوص على الأسلوب الأمثل ، الى جانب ما فيه من عقد نوع من الصلة بيننا وبين هذا اللون من تراثنا . وهو التراث الذي كان هو نفسه معنياً به فيما يعالج من درس .

ولعل مثل هذا اللقاء كان من أول ما اتيح لنا معه ، وما انفتح به ما بيننا وبينه . ولعله يدل على انه كان لايزال متاثراً بما كان يعالجه فى باريس قبل أن يقدم الى القاهرة ، وانه كان يتطلع الى أن يجد فى مثل هذه العقول الجديدة ما يسدده فى سبيله . وإن من الخير – الى جانب ذلك – أن يثير فى نفوس طلابه النزوع الى ذلك التراث ، والتطلع الى آثار هذا الفكر ، وأن ياخذهم بما ينبغى أن يكون عليه شانهم منها ، تحقيقاً لها ، ووقوفاً عندها . ولا أذكر الآن كيف مضت هذه المحاولة ، والى أى مدى استمرت . ولكن الأمر الذى لا أكاد أشك فيه انها فتحت لبعضنا باباً الى ذلك المنهج فى تحقيق النصوص لا يحسن اغفاله . وإنها – من ناحية أخرى – أباحت

له أن يزيل ما بينه وبين اصطناع العربية فى الحديث من جفوة ، وانها مكنت له ـ الى حد غير قليل ـ من ان يملك زمام التعبير بها ، وان يتغلب على عقباتها وصعوباتها .

### اهتمامه بالحياة العلمية الاسلامية

وشىء آخر اتيح له فى هذه الفترة ، ذلك هو ما استحدثه طه حسين ، وقد صار عميداً لكلية الآداب ، من إسباغ بعض المظاهر الجديدة على مجالس الدراسات العليا ، مما يجعلها اكثر ملاءمة ، وابعد من الشكليات ، فكان يعقد هذه المجالس فى مكتبه بالكلية ، فى اصائل بعض ايام الأسبوع ، متحررة مما جرى العرف به من قيود . ترفرف عليها روح المودة وتسودها الألفة . وكان يشهد هذه المجالس ، الى جانب الطلاب ، من يعنيهم حضورها والمشاركة فيها وادارة الحوار حول ما يلقى بها . فكانت هذه الحلقة تثير فى انفسنا ما كنا نتمثله فى مجالس البصرة . وكان كروس من أول الذين كانوا يحرصون على شهودها ، وعلى أن يتيح لنفسه فيها فرصة المشاركة الجادة .

وكان هذه المجالس قد اتاحت له ان يمضى فيما كان يشغله ويسيطر على تفكيره من أمر الفكر العربى الاسلامى ، وما كان يصدر عنه من ينابيع وما كان يرفده من روافد تمده ، وما كان يتعرض له من ملابسات مختلفة تترك طابعها عليه ، فيتناوله من بعض جهاته ، فكانت الجهة التى اختارها ليجعلها موضوع حديثه فى هذه المجالس هى رسائل إخوان الصفا .

ولا ندرى أكان من قبيل الصدفة المحضة أن يكون اختيار كروس لهذا الموضوع ما يلتقى به مع طه حسين فى المقدمة التى كان كتبها لهذه الرسائل ، فكان فيما أراد أن يعالجه من مسائله ما يمكن ان يكون تحريراً لبعض ما ذكره طه حسين أو تفسيراً له .

إن رسائل إخوان الصفاء هى خير ما يعبر عن الحياة العلمية الاسلامية فى القرن الرابع للهجرة . ويمثل الامدادات المختلفة التى امدت بها . وقد كان طبيعياً أن يبدأ كروس حديثه عنها بما ابتدأت هى به من الكلام عن الرياضيات ومكان رجل مثل فيثاغورس منها . فذلك متصل أوثق اتصال بما يجيده من الثقافة اليونانية ، وجدير به أن يقيم بمثل هذا الحديث ما ينبغى أن يكون من صلة بين العلم العربى فى القرن الرابع الهجرى ، والعلم اليونانى فى القرن السادس قبل الميلاد . وان يستند فى إقامة هذه الصلة على ما تحقق له من معرفة وثيقة مفصلة ، وان يتطرق فى حديثه الى غير فيثاغورس من أساطين العلم اليونانى . وكان مثل هذا الحديث يحفزنا الى متابعته ، بقدر ما كان يثير فى انفسنا من نزوع قوى الى التغلغل وراء ما نراه مبثوثاً فى كتبنا ، ومن تقدير ما تمكن منه معرفة اللغات القديمة من متابعة التطور العلمى ، فى شتى صوره ، الى ان بلغنا اخيراً فى مثل هذه الصورة التى نراها فى رسائل اخوان الصفا .

ولم يكن كروس فى مثل هذه الندوات وما يشارك به فيها إلا منطلقاً مع ما كانت تفيض به نفسه من معرفة رفيعة دقيقة كانت هى الغالبة عليه ، الى جانب ما كان موكولا اليه من دروس نظامية ما كان له ان يتخلى عنها او يفرط فيها .

فما كانت تبدو له فرصة عمل علمى يمكن أن يشارك بنفسه فيه إلا بادر اليها ، وإلا بذل ما يمكن له ان يبذله لها ، كما حدث عندما اتجهت كلية الآداب الى أن تقوم بواجبها نحو بعض نواحى النشاط الأدبى الذى لم تكن اتيح لها ان تدرسه ، كالأدب الأندلسى ، وما كان لها ان تسلك فيه مسلك العرض السريع العابر حتى إذا أتيح لها أن تظفر ببعض اصوله المعتبرة ، فى مثل كتاب الذخيرة لابن بسام حتى بادرت اليه ، واتخذت من الاجراءات ما هو فى حاجة اليه لتحقيق نصه ، والاعداد لنشره ، حتى يكون فى ايدى الدارسين مادة يقيمون عليها دراساتهم . وكان من ذلك ان الفت لذلك لجان علمية .

وعلى الرغم من أن كروس كان بطبيعة ما هو مختص به فى منأى عن مثل هذا العمل ، إلا ان جده كان يغريه بان يقاربه ويكون على صلة ما به ، فاذا بعض هذه اللجان تتوقف عند كلمات فى النص لا تهتدى الى الوجه فيها ، ويبدو له ان هذه الكلمات ينبغى ان تكون مما يستعمله الأطباء والمتطببون . فلا يتردد فى أن يمضى بها الى مستشرق المانى مقيم فى القاهرة ، متمرس بقراءة المخطوطات ، معنى بدرس الطب العربى فى نصوصه الأولى ، ذلك هو الأستاذ الدكتور ماكس ماير هوف ، لينظر فيها . ويتبين منه ما ينبغى ان تكون . فاذا اتضح له أمرها عاد الى اللجنة بها . وكانما كان بما صنع من ذلك شارك فى عمل اللجنة نوعاً من المشاركة ، إذ اتخذ من صلته بماير هوف ، ومن تخصص هذا المستشرق فى طب العيون خاصة ، ما مكن له من ان يجلو ما كان يحيط به ببعض المفردات من غموض أو اضطراب .

ومهما أنسى فلن انسى أن كروس كان صاحب الفضل الأول فى تعريفى بهذا العالم الجليل . إذ استصحبنى اليه ذات مرة فى داره التى كان يقيم بها فى القاهرة ، والتى كانت تقع على ناصية شارع فؤاد الأول وشارع عماد الدين . وقد اتاحت لي هذه الزيارة ان أرى فيه صورة رجل من جلة رجال العلم : تواضعاً وسماحة ، وبساطة مسلك ورقة جانب ، ومعرفة مبسوطة تبدو فى حديثه . وكان إذ ذاك شيخاً قد جاوز الستين من عمره . كما اتاحت لي هذه الزيارة أن أرى من ملامح هذه الدار ما يعبر أقوى تعبير عن الروح العلمية التى تجللها فى مثل ما كانت جدرانها تزدان به من مكتبة ضخمة ، وما كانت هذه المكتبة تتيه به من امهات المراجع بشتى اللغات ، وفى مكان ظاهر منها مجلة ايزيس . وقد خرجت من لدنه وانا مبهور بشخصه وبعلمه وبخلقه . إنه عالم من ذلك الطراز الذى لا غرابة فى أن نجد رجلا مثل كروس شديد التعلق به . وإذا كان كروس قد استهواه تاريخ العلم عند العرب والمسلمين فاستغرق فيه ، فان ماير هوف لم يصرفه ما كان يصطنعه من طب العيون عن متابعته فى تاريخه ، وعن البحث فى مصادره ، كما نرى صورة من ذلك فيما صنعه فى كتاب العشر مقالات فى العين ، المنسوب الى اسحاق بن حنين ، وما كتبه عن اسحاق هذا ، مما يجلو صفحة مجيدة من صفحات حياته ، ويضعه فى مكانه الجدير به بين العلماء الذين كانوا يرباون بانفسهم عن الارتطام فى موبقات السياسة الصهيونية . كما نعتقد أن ذلك كان شأن كروس .

### من على منبر الشرق

لقد كان كروس رجلا شديد المغالاة بمكانته العلمية ، شديد الطموح الى كل ما

# باول كراوس

## صورة علمية مشرقة

يتصل بها ، ويحقق له خير اداء لها . وما كان ليكتفى من اللغة العربية ان تطوع له ويمرن عليها لسانه ، وإنما كان حريصاً على أن تكون له لغة كتابة كما هى لغة حديث ، وكما يؤدى بها ما يوكل اليه من محاضرات عامة يلقيها على جمهور عربى ، كذلك ينبغى ان يكون فى مستطاعه ان يؤدى بها من الفصول ما يحقق اتصاله بطوائف القراء . وكذلك اتجه الى ان يتخذ من مجلة الثقافة التى كان يراس تحريرها الأستاذ احمد امين مجالا يجول فيه بسلسلة من الاحاديث ، اتخذ لها كلمة : (من على منبر الشرق) عنواناً يظهر به ، حريصاً على أن يكون لها طابعها العلمى .

وهذا الذى استطاع كروس أن يحققه لنفسه ويؤكد به كلا من مكانته العلمية ومقدرته التعبيرية كان مما لفت انظار تلاميذه اليه ، إذ كان مما ميزه عندهم عن غيره من المستشرقين الذين عهدوهم ، كما كان - فيما يبدو - مما رشحه لدى الكلية ليشارك فى فحص الرسائل التى جعلت تقدم إليها ومناقشتها . وكان من ذلك رسالتي التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير ، سنة ثمان وثلاثين ، عن كتاب البخلاء للجاحظ ، دراسة له ، وتحقيقا لنصه : وقد كان من المألوف المتعارف عليه أن يتحفظ اعضاء لجنة المناقشة فى لقائهم للطالب ، إذا اتيح لهم ان يلقوه قبل المناقشة . اما كروس فقد كان مما اثار دهشتى انه لم يكد يلقانى حتى شد على يدى ، معبراً عن تهنئتى بما وفقت اليه فى الرسالة . لقد دل بذلك على بعض سمات شخصيته الصريحة ، كما كان من دلائل ذلك اكتفاؤه فى بعض المواطن التى تحتاج الى المناقشة بالايماء اليها ، والاشارة الى أن من الافضل لها أن تكون مناقشتها فى مجالس خاصة بها .

ولم يكن كروس حتى ذلك الوقت إلا صورة رائعة من الاقبال على العلم والاخلاص للفكر ، وقدوة صالحة تدعو الى الاقتداء بها والسير فى سنتها . وكان ما ذكره فى جلسة المناقشة عن المواطن التى تحتاج الى مجالس خاصة لمناقشتها لم يكن فى حقيقته إلا دعوة لي لأصل حبله بحبلى والف معه شملى . وكذلك صار امرى منذ ذلك الوقت معه . فقد توثقت صلتى به ، وكثرت المواعيد التى نتفق عليها لالقاه فى داره ، واجلسه فى بيت كتبه ، وهو قاعة واسعة ، يتوسطها مكتب كبير يواجهه أرفف بطول الحائط وارتفاعه ، رصت عليها طائفة كبيرة من الكتب ، عربية وفرنسية والمانية ، ومجموعات غير قليلة من كتب النصوص القديمة . وكثير من هذه الكتب كانت هوامشه مليئة بتعليقاته وملاحظاته.

بل إن كتاباً من هذه الكتب هو النسخة الالمانية من كتاب تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، أثر أن يغير وضعه ، بان اقحم بين كل صفحتين من صفحاته ورقة بيضاء يدون فيها كل ما يتفق له فى قراءاته ومراجعاته ، مما فات بروكلمان أن يقف عليه ويدونه ، فيستدركه عليه ، وقد بلغ من حرصه على اثبات كل ما يمكن أن يقع له ان كان جيبه مزوداً دائماً بمجموعة من القصاصات البيضاء ، بحيث تكون تحت يده يدون بها ما يعرض له ، فى اى مكان يكون فيه ، حتى إذا عاد الى مكتبه وضع كلا منها فى المكان الخاص به ، أو نقله الى ما ينبغي ان يكون موضعه اللائق به .

وكل ذلك كان من فرط حرصه على تحقيق الصفة الأولى التى اتجه اليها منذ بدء حياته ، والتى كانت تؤهله لها مواهبه وملكاته ، والتى كانت ماتزال مستغرقة فى ذلك الموضوع الذى استبد به ، وكان مايزال يجمع مادته ويوفر أسبابه . وربما كان فيما عرض له من امر الجاحظ ما نبهه الى ما ينبغى ان يكون له فى ذلك الموضوع من شان ، وخاصة ما جاء فى كتاب الحيوان من نصوص منقولة عن ارسطو صاحب المنطق لابد انها تدخل فى صميم ما يعالجه ، ولابد له ، تبعاً لذلك ، أن يجعلها بين ما يعنى به.

### رسائل الجاحظ

ولكنه ما يكاد يبلغ القاهرة ويمضى بها نحواً من عامين ويستثار امر الجاحظ من مكمنه ، ويتبين له أن الظروف مواتية ليشرع فيه بمشاركة الطالب الذى كان يناقشه ، حتى يعلم ان أستاذاً آخر قد سبقه ، هو الأستاذ عبد السلام هارون ، وقد جعل من مكتبة الجاحظ مشروعاً متكاملا ، ظهر طليعته ، وهو الجزء الأول من كتاب الحيوان ، فما بُدٌّ من أن يراجع نفسه . ولكن هذه المراجعة اتخذت صورة علمية تعتمد على النظر فى هذه النشرة على ضوء ما اجتمع لدينا من مادتها ، وما استقر عليه الراى فى تحقيقها ، وبرزت هذه المراجعة فى مقال يحمل توقيعينا ، نشر فى مجلة «الثقافة» . وربما كان هذا أول عمل علمى التقيت عليه معه . كما كان هذا هو كل ما أتيح لنا أن نؤديه لكتاب الحيوان الذى مضى الأستاذ هارون فى اخراجه فى عزيمة صادقة وأسلوب علمى قويم .

ولم تكن هذه اللفتة لتذهب عبثاً ، فاذا لم يقدر لنا أن نمضى فيما كنا نخطط له أولا ، فان للجاحظ جوانب اخرى تقتضينا ان نجلوها ، وان نوليها عنايتنا . فلناخذ فى تحقيق بعض آثاره التى لم تنشر بعد ، فنكشف بها من جوانب الحياة العلمية والأدبية ما ظل مستوراً ، ونقرر بمثل هذا العمل من مبادىء التحقيق العلمى ما هو جدير أن يتقرر . وعلى هذا قر رأينا وبدأنا طريقنا .

وفى خلال هذه الفترة التى كنا منكبين فيها على ما يقتضيه هذا العمل من جمع المادة ، ومقابلة النصوص ، والمقارنة بين القراءات المختلفة ، فى اناة ودقة ، والأمل يغمرنا أن يكون فيما نؤديه من ذلك ، ونصب اعيننا ما استخلصناه من صنيع اسلافنا ، ما يمكن ان تتحقق به الصورة المثلى التى تسيطر على خيالنا العلمى من صور تحقيق النصوص ، إذا بى افاجأ ، وانا اقضى بعض ايام اجازتى ، بانى من الذين اختارهم القائمون على انشاء جامعة الاسكندرية لتكوين هيئة التدريس فيها ، وأن علي أن اتخذ ما ينبغى لمثل هذا التحول الذى يتناول كثيراً من صور حياتى المادية والعلمية ، بما يتضمنه من تبعات جديدة ، وما يقتضيه من واجبات مختلفة عديدة . وما لبثت أن رأيت نفسي فى هذه المدينة أواجه من شؤون الحياة فيها ، ومن تبعات العمل الجامعي الجديد ، ما يكاد يستغرق كل وقتي وجهدي .

وكان طبيعياً أن يتاثر هذا العمل العلمى بمثل هذا التحول ويتحمل بعض جرائره ، ولكنه مضى على كل حال الى بعض غايته . وقد قام البريد فى صلة ما بين كروس وبينى مقام اللقاء ، وكروس مشغول بطبيعة الحال بشواغل أخرى ، الى أن اتيح له أن يظهر أخيراً ، فى سنة ثلاث وأربعين ، باسم (مجموع رسائل الجاحظ) ، عن لجنة التاليف والترجمة والنشر ، صورة من صور التحقيق الذى رجونا ان يكون دقيقاً ، مصطنعاً ما يقود المحققون الأوربيون اصطناعه من رموز ، فى نشر الآثار اليونانية ، مراعياً فى

التنسيق والترقيم ما يشير الى اسلوب الجاحظ الموسيقى فى تاليف الجمل ، وان فاته ما كان مقدراً أن يصحبه من درس وتحليل يؤدى بهما بعض الغايات المرجوة من إيضاح بعض جوانب الحياة التى صدر عنها ، فى انتظار أن يتاح لنا بعد اداء ذلك.

ولم تدع لي هموم حياتى الجديدة فى الجامعة وفى هذه المدينة من فراغ الوقت وهدوء البال ما يمكن لي من مواترة لقاء كروس ومجالسته ، ورسم الخطة التى ينبغى أن نختطها ونمضى عليها ، إنما هى لقاءات عابرة قليلة تتاح لنا فى خلال مجيئه الى الاسكندرية مجيئاً خاطفاً . وقد كان ابى ما عرض عليه أن يكون فى جامعة الاسكندرية عمله ، لأن أعماله العلمية تربطه بالقاهرة وما فيها من دار الكتب التى لا يستغنى عنها ، ومن الهيئات العلمية التى هو وثيق الصلة بها .

## و .. جابر بن حيان

والحق أن حياة كروس كانت فى هذه الفترة خاصة مشحونة بالعمل الدائب والجهد المتصل يحمل به على نفسه اشد الحمل . انه لم يغفل قط عما كان اخذ به نفسه وانطلق فيه ، وهو فى باريس ، من درس تاريخ العرب العلمى ، وما اتيح له هنالك ، فى سبيل ذلك ، من اخراج تلك المجموعة المختارة من رسائل جابر بن حيان ليبنى عليها عمله . حتى إذا جاء الى مصر كان من أكبر ما يدعوه اليها أن يتاح له فيها من المادة العلمية ، ومن هدوء البال فى حياته المعيشية ، ما يمكن له من المضى فى هذه السبيل التى انتهجها ، ولابد ان يبلغ غايتها . وما كانت احاديثه عن رسائل إخوان الصفا فى الندوات التى كان طه حسين ينظمها فى الكلية إلا من اجل ذلك . وما كان اتجاهه الى الجاحظ وما صدر به عن أرسطو وما مثل به بعض صور الثقافة السائدة فى ايامه إلا من هذا القبيل ، وما كانت صلاته بالمجمع العلمى الفرنسى يجالس رجاله ويتحدث اليهم ، ويعد بعض المحاضرات يلقيها عليهم ، ويتلقى فيها آراءهم ، إلا من اجل هذه الغاية الكبرى التى تشغله وتستبد به .

وها قد آن له أن يفرغ من بعض شانه فى هذا الميدان ، وكانما كان يمس فى أعماقه بما كان كثير الترديد له فى غير مناسبة من أن العمر قصير والعمل كثير . فلم لا يتقدم بما تم له درسه عن جابر بن حيان الى هذا المجمع الذى توثقت به صلاته ، واطردت باعضائه ورجاله علاقاته حتى لم يعد يشك فى مبلغ تقديرهم له وإعجابهم به ، وما يشك فى انهم سيتقبلون هذا الذى يعرضه عليها فى غير قليل من الترحيب به ؟

وهكذا تم له ما أراد من أن تكون دراساته العلمية المستقصية عن جابر بن حيان كتاباً مستقلا من الكتب التى تصدر عن هذا المجمع متوجة باسمه . وما من شك فى أن اعداد هذه الدراسات وتقديمها للطبع ، واضحة المنهج مطردة الفكر مضمونة بمراجعها ومصادرها حسبما يقتضيه الأسلوب العلمى الدقيق لم يكن من الأمور الهينة ، فاذا أضيف الى هذا ما كان يصدر اليه من اعماقه من وجوب أن يتم هذا العمل بقدر ما يمكن من السرعة والدقة معاً استطعنا أن نتمثل على وجه ما مبلغ ما كان يسيطر عليه ويستبد به من مشغلة وقلق .

ولعله كان من ذلك إرجاء طبع الجزء الأول من هذا الكتاب الى ما بعد طبع الجزء الثانى وظهوره ، حتى يتاح له أن يستكمل ما لابد من استكماله من شرائط الأسلوب العلمى . فكان من ذلك أن ظهر الجزء الثانى فى سنة اثنتين واربعين ، فى حين ظهر الجزء الأول سنة ثلاث واربعين .

وبتمام ظهور هذا الكتاب البارع فى موضوعه ، بجزأيه الكبيرين ، يمكن أن يقال ان كروس وجد فى نفسه ما يمكن ان يسمى بالروح .

ولكنه مع ذلك لم يخلص من هموم التفكير العلمى الذى كان مايزال يتجاذبه من جانب الى آخر ، متدسساً الى اعماق نشاته العلمية ، وعناصر حياته الفكرية ، منذ كان عليه أن يدرس اللغات السامية الشرقية الى جانب اللغـات القديمـة الأوربية .

وأنا ما أزال أذكر كيف كان مما لفت نظره فى أسلوب الجاحظ ، ونحن نقرؤه معاً ، هذه المزاوجة التى تكاد تكون من لوازمه ، والتى تجعل الجملة فى لفقين (١) متناظرين ، مما كان يراه أثراً من آثار الأسلوب الشعرى ظهر فى الكلام النثرى ، فكان مما اقترحه أن يكون لهذه الظاهرة الفنية من الطبع ما يبرزها لأنها جديرة بذلك . فكان من هذا ما اتفقنا عليه ووجهنا المطبعة اليه ، من أن يكون بين كل لفق من هذين اللفقين بياض .

أذكر هذا الآن وأنا أصل الى المرحلة الأخيرة فى حياته ، وقد سيطرت عليه ، فيما يبدو هذه الفكرة . وقد اعتبر هذه الظاهرة التى استوقفته فى أسلوب الجاحظ سمة من سمات اللغات السامية ، وينبغى أن تكون كذلك فى الكتاب المقدس . فلم يلبث أن قر فى ذهنه أنه فى صميمه مطبوع بمثل هذا الطابع الشعرى ، وأن له موسيقاه التى طمرها ما اعتبرناه فيه . وإذ كان الأمر كذلك فان عليه أن يكتشف حدود هذه الموسيقى ويبين معالمها ويبرز خصائصها فاذا كاشف أعضاء المجمع العلمى وجمهوره بهذا الذى يفترضه وجد من الاعتراض عليه والانكار له ما زاده اصراره عليه ، ومحاولة اثباته وتاكيده .

ومنذ ذلك الوقت ، أقبل ـ كما حكى لي عنه من اصدقائه وثيقى الاتصال به ـ على الكتاب المقدس يعيد قراءته ، وياخذ فى كتابة نصوصه كتابة جديدة ، يتاح للأوزان الشعرية ، كما كان يتمثلها أن تكون السائدة فى تلك العصور الأولى ، أن تظهر فيها . وطبيعى أن يكلفه مثل هذا العمل أن يسخر له قواه العقلية واللغوية والذوقية والعصبية تسخيراً لابد أن يكون له أثره فى حياته كلها ، حتى لقد قيل انها أصبحت وقفاً على ذلك فى يقظته ومنامه .

وما كان ذلك ليتاتى لولا روح الاصرار التى كانت غالبة عليه ، وطبيعة العناء التى كانت جزءاً من كيانه . وما ندرى لعله إنما كان يتجه بمثل ذلك الى نوع من الهروب مما كان يؤرقه فى أعماق نفسه ، ومحاولة الخلاص من هذا الذى كان مايزال يلوح له من قبل الصهيونية ، وما كان يخيل اليه أنها تدبره ، بعد ذلك الذى ورطته فيه.

ومن بين هذا وذاك كان لابد أن تعرض له لحظة ضعف ، تتهافت فيها قواه ، ويغلب عليه الياس من هذه الحياة ، فاذا هو مندفع الى أن يخلص نفسه بنفسه ، لينجو من هذا الذى يحاصره . فكانت فى ذلك نهايته فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر ، سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف .

ولعلنا نستطيع أن نعود الى هذا الحديث مرة أخرى ، عسانا نتبين بعض العوامل التى كانت تعمل فى حياته ، حتى أدت به الى هذه الغاية ، وهو بعد فى الأربعين من عمره .

د. محمد طه الحاجرى

هـامش

(١) لفقان متناظران : مقطعان متساويان مما يشبه الشطرين فى أبيات الشعر العربي العمودي .

# هل يمكن إلغاء الموسيقى العربيّة؟!

بقلم: كمال النجمي

قديماً تقطعت السبل بالثقافة العربية ، عندما اقتحم هولاكو بغداد فى منتصف القرن السابع الهجرى «منتصف القرن الثالث عشر الميلادى» .. وقتل سكانها ، وأحرق مدارسها وبيوتها ، وذبح الأدباء والعلماء والفنانين ، وأباد ذخائر المكتبات العظيمة التى تراكمت كالجبال خلال القرون الطوال ..

ولكن الثقافة العربية ، وإن تقطعت بها السبل يومئذ ، لم تندثر .. ونهض الفكر العربى من تحت الأنقاض فى الموسوعات والمؤلفات الكبرى التى تكاثرت فى المشرق العربى ، ولبثت تتكاثر فيه حتى إن كتباً ضخمة تعتبر من أمهات الكتب مثل «نفح الطيب» للمقري .. و «تاج العروس» للزبيدى ، ظهرت فى مصر بعد سقوطها فى أيدى العثمانيين بزمن طويل ، والثقافة العربية حينذاك فى ذل شديد تحت سنابك خيل المماليك الجهلاء الذين جعل السلطان العثمانى مصر طعمة لهم ! ..

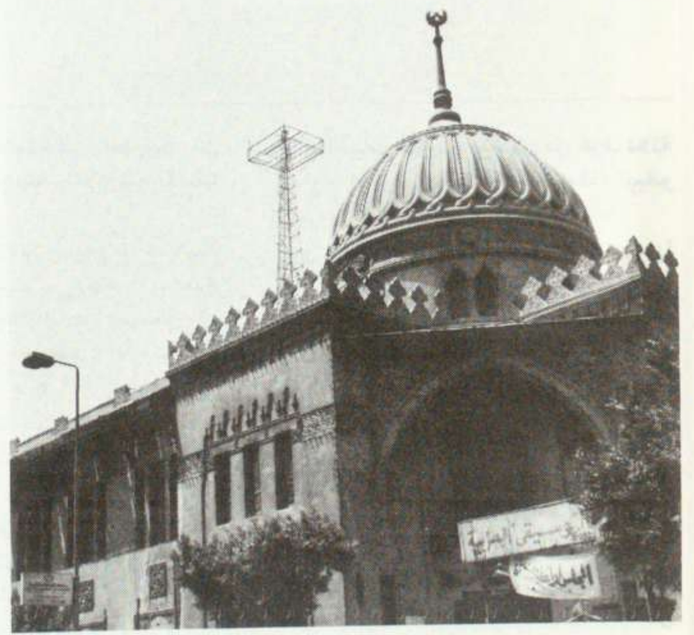
كذلك لم تنقطع المؤلفات فى الأندلس ـ أقصى المغرب العربى ـ حتى سقطت غرناطة ، وضاع آخر موضع قدم للعرب فى الأندلس سنة ١٤٩٢ .. وصارت الكتب العربية رماداً فى محارق القشتاليين ، إلا بقايا مخطوطات بائسة تقتلها الغربة الآن فى مكتبة الاسكوريال الشهيرة فى أسبانيا ! ..

والغناء العربى المتقن الذى عاش منذ انبعاثه فى القرن الأول الهجرى بمكة والمدينة ، والى آخر أيامه فى بغداد تحت حكم هولاكو ، كان أكثر فروع الثقافة العربية والتراث العربى كله ، تأثراً بنكبة المشرق واندثار المغرب الأندلسى ! ..

فان علماء الدين والأدب واللغة والتاريخ سارعوا الى جمع شتات كتبها ، كواجب دينى فى أكثر الأحيان .. أما الغناء فانه سقط ولم يجد سنداً إلا من جهود فرديةمحدودة ، لأن فن الغناء ـ على رأى ابن خلدون ـ هو أول شيء يحل به الخراب والسقوط ، عند سقوط الأمم وخرابها ! ..

ولكن الغناء العربى ينتمى الى أمة تضرب بجذورها فى أعماق هذا الكوكب الأرضى ، ولهذا نهض رجل واحد هو الموسيقى صفي الدين عبد المؤمن الأرموى ، بما تنهض به العصبة من الرجال ، فذاد الرجل التشويه والتبديل حين أوشكا أن يمسا الملامح الأساسية للغناء العربى ، ثم ترك آثار جهده فى مؤلفاته الرائعة التى بقي بعضها حتى الآن ، وفيه الدليل على هذا الجهد الفردى الفائق ! ..

كان صفى الدين مغنياً للمستعصم آخر خلفاء بغداد ، وأميناً لمكتبته الحافلة ، وكاتباً مشهوراً بجودة الخط والكتابة .. واليه انتهت علوم الأولين فى الغناء والموسيقى ، وصار فيها حجة بمؤلفاته وأعماله ، واشتهر اسمه حتى بلغ مسامع الطاغية هولاكو وهو على حصار بغداد قبل سقوطها ، فأمر بامساكه حياً عند فتح المدينة ، وحمايته من القتل ، وإعفاء داره من النهب والتخريب والفتك والهتك ، وكان



واجهة مبنى معهد الموسيقى العربية



فرقة السماح للموسيقى العربية

هذا عجيباً من هولاكو السفاك الذى قتل فى هذه المدينة مليوناً ونصف مليون من البشر وأباح لجنوده كل شىء فيها ! ..

التحق صفى الدين بحاشية هولاكو ، وأسمعه الغناء العربى فادخل عليه السرور وإن كان هذا الغازى المجنون لا يتكلم ولا يفهم إلا الرطانة التترية ! .

ثم تعلم على يد صفى الدين مطربون من التتر والفرس والديلم والترك والأجناس الأخرى فى دولة هولاكو وأمرائه ، فتغيرت أسماء آلات العزف ، كما تغيرت أسماء الأنغام العربية وأجناسها وأصولها ، وتحورت فى حلوق هؤلاء الأعاجم ملامح غنائنا ، ولكن بقي جوهره العربى يبرق فى صدحاتهم الأعجمية ، شاهداً بأصله العربى ! ..

## لا شرقية ولا غربية

وبعد عهد التركمان والجركس فى مصر والشام ، جاء العثمانيون فانحدر الغناء العربى الى الحضيض ، إلا أنه لبث يقبض بيديه على الجمرة التى تنم عن أصله ، وتهدى اليه كبصيص النور الذابل ، حتى شاءت المقادير له أن ينهض من جديد منذ أكثر من مائة عام نافضاً عن نفسه غبار السنين ، ونهضت معه الأرض العربية بتراثها من الفكر والعلم واللغة والفنون .. وارتفع فى وقت واحد صوت المغنى العربى وصوت الشاعر العربى الذى صعد بادائه فوق ركاكة العهد العثمانى ! ..

ولكن ماذا حدث فى غنائنا وموسيقانا بعد مائة سنة من العمل على تخليصها من شوائب العجمة ؟!

تطورت الموسيقى العربية ، ونطقت المقامات فى غنائنا نطقا جديداً لم تكن تعرفه .. ولكن قومنا فى نهضتهم الآن لا يغضون الطرف عن أن الأصل عندنا فى السماع هو «الغناء» لا العزف بالآلات .

وهذا ما لا يجهله أحد من قديم ، ولا عيب فيه علينا ، فلكل أمة طبيعتها ووجدانها ، وليس لأحد من خارجها أن يفرض عليها طبيعة ووجداناً من خارج ذاتها التى صنعها التاريخ العميق ! .. ولا يمكن إلغاؤها بمرسوم ولا بحيلة من الحيل ، ولا بالقوة القاهرة ! ..

إلا أننا نعرف الآفاق الرحبة للموسيقى الخالصة ، كما نراها فى الموسيقى الأوربية من السيمفونيات مثلا .. ولكن ما صنعه مؤلفونا الموسيقيون فى هذا المضمار حتى الآن ، لا يخرج عن حدود التقليد الحرفى الذى يصادر أذواقنا ، ولا يلقى إعجابا من الأوربيين انفسهم ، لأنهم أصحاب «الأصل» الذى يقلده المقلدون ! ..

إن الموسيقى العربية كيان قائم بذاته ، لا هى «شرقية» كموسيقى الصين والهند .. ولا هى «غربية» كموسيقى أوربا وأمريكا ..

وليس هذا موقفاً عاطفياً لموسيقانا ، وإنما هو موقف فنى محض ، أساسه اختلاف عدد درجات السلم الموسيقى وتركيب المقامات وخصائصها ، وكسور الأصوات والتعامل معها ، والايقاعات وعلاقتها بالأنغام .. وما لا يحصى من القضايا الأخرى الأساسية ! ..

الموسيقى الصينية – مثلا – ليست متطورة إذا نظرنا الى الموسيقى الشعبية هناك لا الى ما صنعوه تقليداً لموسيقى الباليه والأوبرا وما الى ذلك .. مع أن للموسيقى الصينية كان لها السبق على العالم كله ، وكان سلمها يتألف من خمس درجات هى : «دو .. رى .. مي .. صول .. لا» .. وهى الدرجات المشهورة الآن فى الموسيقى الأوربية .. وهى المفاتيح الخمسة السوداء فى البيانو الأوربى الذى ظل

# هل يمكن إلغاء الموسيقى العربيّة ؟!

الأوربيون يطورونه مئات السنين ! ..
والموسيقى الهندية ، لها الآن سلم يتألف من اثنين وعشرين جزءاً ، فهى أقرب الينا ، لأن موسيقانا استقر سلمها على أربعة وعشرين جزءاً .. ومع ذلك فالفرق كبير بين موسيقانا وموسيقاهم .. ولا يمكن للحنجرة الهندية أن تؤدى الغناء العربى ..
اما الموسيقى الأوربية ذات المقامين الكبير والصغير ، فنحن نعرفها جميعاً ، ونعرف انها برغم فقرها المدقع في النغمات ، شديدة الثراء فى تنوع التركيب الذى نراه فى الهارمونى والكونتروبوينت والانواع المختلفة لتعدد الأصوات ، والقوالب الكثيرة للغناء والموسيقى كالسوناتا ، والكنتاتا ، وموسيقى الصالون ، والكونشرتو ، والقصيد السيمفونى ، والمتتابعات الموسيقية ، والأوبرا بالوانها ، والأوبريت ، والموسيقى الخفيفة .. وما لا يمكن إحصاؤه فى هذا المجال ..
لهذا نحن نختلف «فنياً» عن موسيقى الشرق الأسيوى والغرب الأوربى .. والاختلاف هنا سببه تعدد أذواق الشعوب منذ القدم ، كتعدد اللغات ، وتعدد طرائق الحياة ، ولا يمكن إجلاس الناس فى صفوف متراصة وإسماعهم لوناً واحداً من الموسيقى والغناء .. وقديماً قيل إن لكل شعب لغة يحبها ونغمة يلتذها وطعاماً يشتهيه .. فلا ضرر هنا من الاختلاف ، بل الضرر فى محاولة إفراغ جميع شعوب الأرض فى قالب موسيقى غنائى واحد ! .. ومن الجهل أن يؤمر قومنا بسماع داليدا بدلا من أم كلثوم ، أو الاعجاب بسيناترا بدلا من عبد الوهاب ، أو إنكار جهود الشيخ أبى العلا محمد وزكريا أحمد ، اكتفاء بالانحناء لعبقرية بيتهوفن وموزار !.
ولكنا وقد نجحنا فى إحياء غنائنا القومى وموسيقانا القومية وإنقاذهما من براثن العجمة ، ينبغى ألا نغفل عما تطرحه علينا ضرورات التطور الدائم من مسائل هامة تفتقر حتى الآن الى من يجد لها حلا فى غنائناوموسيقانا ، مستعينين بتجارب غيرنا فى موسيقاهم ، سواء كانوا أوربيين أو غير أوربيين .. مادمنا حريصين على بقاء موسيقانا حية ، بعيدة عن متاحف التاريخ ! ..
إن الموسيقيين ذوى الجنسيات العربية المتفرنجين أو «المستخوجين» يتحمسون للموسيقى الأوربية أكثر مما يتحمس لها «خواجات» أوربا وأمريكا أنفسهم ! .. هؤلاء يرون أن نضع الموسيقى العربية فى القمامة ، ونأخذ الموسيقى الأوربية بقضها وقضيضها .
هذا هو الحل الأمثل لديهم لما يسمونه «أزمة الموسيقى العربية» ولكنه حل مبتذل يقدر على الاخذ به كل من يستحل أن يغترف من «نوتة» الموسيقى الأوربية بلا رقيب ولا حسيب مدعياً أن هذا الذى يغترفه هو من بنات افكاره ! ..
وحسبك هذا ابتذالا للفن ، بل لتاريخ الفنون والآداب والعلوم كلها قديماً وحديثاً ! .. فما من أمة فى التاريخ كله نزعت عن جسدها كل ثيابها ، وارتدت ثياباً مستعارة ، لا تملكها ، ولا تعلم من أى قماش نسجت ، فلابد لها فى كل وقت من أن تمد يدها وتقول للناس : «أعيرونى ثياباً» !. أو تعيش عارية ! ..

## لماذا التجرد من الطابع القومي ؟

الحل العلمي هو تطوير الموسيقى العربية ـ ونعني بهذه الكلمة ضمنا الغناء العربي ـ بطريقة تناسب تكوينها المستقل ، وتزيده ثراء وجمالا ، فتصبح موسيقانا علمية وعربية فى وقت معاً . !! وتتحطم اللافتات التى يرفعها بعضهم فوق رءوسهم مطالبين باعتقال الذوق العربي ، ووضع الوجدان العربي في قمقم ! .. وتدمير الموسيقى العربية جملة وتفصيلا .. من مقام الراست ،، الى مقام راحة الأرواح ! .
ويقولون : ماذا نصنع فى مشكلة ربع الصوت أو ثلاثة أرباع الصوت ؟! ..
أيها السادة .. لقد رأيتم ورأينا زملاء لكم لم تستعص عليهم أرباع الصوت ، لأنهم جمعوا بين العلم « التام » بالموسيقى العربية ، والعلم الصحيح الواعي بالموسيقى الأوربية .. أما انتم فقد درستم الموسيقى الأوربية ، وتجهلون غيرها من ألوان الموسيقى ، وبخاصة الموسيقى العربية ، فالشأن فيها إذن لغيركم لا لكم ! .. فدعوهم فى عملهم الطيب المثمر الذي سوف يعود عليها بما يصلحها ولا يفسدها، وبما يبقيها لا بما يلغيها ! ..
الموسيقى العربية تريد تطوير وضبط آلاتها الخاصة كالقانون والناي والبزق والدف ، وتحسين البيانو العربي ليحل مكان البيانو الأوربي ويتمكن من عزف ثلاثة أرباع الصوت التى يقف أمامها البيانو الأوربي عاجزاً ..
والموسيقيون العرب يحاولون أن يقدموا على خشبة المسرح أشكال الغناء المصري والعربي كالموشح والموال والطقطوقة والدور ، فليس المسرح ـ أعني المسرح الغنائي ـ وقفاً على الصراخ الأوبرالي ..
ولا باس باستخدام النافع المفيد من أساليب التعدد الصوتي ، لا تقليداً ، بل استجابة لبواعث التجديد فى موسيقانا ذاتها ، وباساليبها .. وبدون الخروج عن كيانها .. فليس حتماً أن ننقل أساليب الكونتر بوينت والهارموني نقلا حرفياً من أوربا .. بل الحتم الا نفعل هذا ، لأن الموسيقى لغة ثانية يتكلمها الشعب مع لغة الكلام التى يتمثل فيها تاريخه الطويل ويكمن وجدانه وأشواقه وأشياؤه الصغيرة الدقيقة التى يحسها وحده وقد لا يأبه لها الآخرون ..
وإذا كان الهدف هو صناعة موسيقى أوربية فى مصانع مصرية أو عربية .. فما أهون الهدف ! .. وما أبهظ الثمن ، لأن الثمن هنا هو التجرد من الطابع القومي فى أخص خصائصه بعد اللغة ! .. ومن الذي يضمن لنا الا يقول لنا هؤلاء الذين جردونا من موسيقانا : تجردوا من لغتكم أيضاً
المدهش أن بعض الدول التى لفقتها الظروف تلفيقاً تكافح لتخلق لنفسها غناء وموسيقى .. بينما بعض الناس منا يحاولون إلغاء الموسيقى العربية والغناء العربي ، وهما نهر الألحان الفياض الذي سوف يقصده العالم كله يوماً ليغترف منه أو يتذوقه ، أو يقف على شاطئه متنسماً طيب هوائه ! ..
إن الموسيقى العربية ستتطور دائماً ، وتبقى الى الأبد ، وتقهر أعداءها جميعاً ، من أجانب متربصين تملأ قلوبهم البغضاء ومن ابناء عاقين ينظرون اليها حاقدين كأنهم عصبة من المبشرين الأجانب ! ..
ولكن هؤلاء وأولئك لن يستطيعوا إلغاء الموسيقى العربية ، أما هى .. فتستطيع إلغاءهم ! ..
وليقرأوا جميعاً هذا المقال من أول كلامنا عن هولاكو المجنون ! ..

كمال النجمى

# أخلاقيّات الطب

## بقلم: الدكتور خليل قطاطو

الأخلاق وعاء حضاري وانساني . وهي موجه للسلوك . والأخلاق نبع داخلي وضمير قبل أن تكون عرفاً أو قانوناً . والحياة بدون أخلاق ليست مستحيلة ، ولكنها بائسة وكئيبة ، إذا فالاخلاق تكسب الحياة طابعاً روحانياً شفافاً بعيداً عن الطابع المادي الجاف ، وتكسب النفس الانسانية سمواً .

كثيراً ما يتردد على السنة العامة ان الطب مهنة انسانية ، وأن على الطبيب ان يتحلى باخلاق تتناسب والمهنة التى يمارسها ، ولكن هؤلاء بقولهم هذا نسوا الجانب الأكبر من الحقيقة . نسوا أن كل المهن انسانية مادامت تؤدي خدمات للناس وللمجتمع ، ولهذا فالأخلاق مطلوبة من كل فرد في المجتمع مهما كان موقعه .

القانون والمحاماه مهنة إنسانية ، بمعنى أنها إذا فقدت الأخلاق أصبحت المحكمة غابة ، البقاء فيها للأقوى أو بحراً يأكل السمك الكبير فيه الصغير ، فأين العدالة ؟

التعليم أيضاً مهنة إنسانية ، والمعلم الذي يرمي بالأخلاق جانباً ويعتقد أن العلم نظريات وحقائق ومعلومات فقط ، يخرج للمجتمع « كمبيوتر » بدلا من الانسان ، وقد يخرج أيضاً مجرمين ، فالتعليم إن لم تصاحبه التربية سقط فى الحضيض .

لا أريد أن أستعرض المهن واحدة تلو الأخرى ، للتدليل على أهمية الأخلاق . ولكن دعونا نستعرض مثالين آخرين فقط قبل أن نتكلم عن الطب وأخلاقياته ، المثال الأول هو التجارة . قد يبدو للبعض أن مفهوم التجارة وما تقوم عليه من مبدأ الربح والخسارة تتناقض مع مفهوم الأخلاق ، وفي هذا قصر نظر . فالربح المشروع غاية كل انسان ، ولكن هذا الأمر نسبي بمعنى أن الربح الفاحش الناتج عن الاستغلال والاحتكار اصبح بمفهوم الأخلاق أمراً غير مشروع ، لذلك كانت الأخلاق ضرورية لممارسة العمل التجاري ، حتى تتحقق غايات الناس ، وحتى ينمو المجتمع ويتقدم على أسس راسخة ومتينة.

أما المثال الثاني ، فهو السياسة ، وإني اتخيل الآن علامات الدهشة والاستغراب ترتسم على وجوهكم ، غير معقول ! سياسة وأخلاق يجتمعان ! نعم أيها السادة يجب أن يجتمعا إذا كان هدف السياسي هو خدمة وطنه وأمته ، وإلا فالسياسي بلا أخلاق ، تستطيع ان تسميه "منافق" أو "مخادع" أو ... ولكنه ليس سياسياً بالمعنى الانساني للكلمة .

بعد كل هذه الاطالة ، نعود إلى موضوعنا الأصلي ، أخلاقيات الطب ..

الطب يتعامل مع الانسان فى حالات خاصة ، أي عندما يكون الانسان في وضع معاناة ، سواء هذه المعاناه ناتجة عن الم ، أو عن اضطرابات جسدية مختلفة ، أو اضطرابات نفسية ، وواجب الطبيب ان يخفف من هذه المعاناة بقدر استطاعته ، بما أوتي من علم وخبرة ، وهذه أخلاقية أولى .

الجانب الأكبر الذي يدفع الناس للحديث عن الطب والأخلاق هو المادة ، إنه لمن السذاجة القول بأن الأطباء يتمنون أن يمرض الناس حتى يرتزقوا ، إن ابسط بديهات الحياة تقول إن المرض موجود أبينا أم رضينا ، في مجتمع متخلف أو فى مجتمع متحضر . وصحيح أيضاً أن الطبيب يرتزق من المرضى ، فتلك مهنته ، وهذه سنة الحياة . ولكن النقطة الجديرة بالتوضيح هي أن المريض الذي لا يجد ثمن الدواء ليخفف معاناته أو حتى لينقذ حياته ، نقطة سوداء كبيرة فى ضمير الأطباء وفى ضمير المجتمع . وتبرز الأخلاق هنا لتحل المشكلة ، فاذا ضاعت الأخلاق ، ضاع المريض ، وضاع المجتمع ايضاً ، وانهارت أركانه ، وإن كان هذا لا يحدث فى يوم أو سنة ، ولكن الخراب إذا دب في الأساس ، تقوضت أركان البناء مالم نسارع الى تدعيمه وتثبيته .

الطبيب الذي يصحو من نومه ، ويفقد لذة متابعة أحلامه ، ويغادر فراشه الدافىء من اجل انقاذ حياة مريض ، لاتعوضه الأموال فقدان لحظة راحته ، ولكنه يفعل ذلك بوازع من ضمير ، وباخلاقيات المهنة التى اختارها ، واختار معها عذابه !!

اخلاقيات الطبيب تصنع منه انساناً يؤتمن على أسرار مرضاه ، النفس الانسانية ضعيفة ، ومن منا لم يبح باسرار استودعها إياه الناس لأناس آخرين ثم ندم واعتذر ؟ ولكن أسرار المرضى هي من نوع خاص ، والطبيب الذي يتسع صدره لها ، إنسان يقوى باخلاقه أن يبوح بها لأحد .

الطب وأخلاقياته موضوع طويل وشائك وليس ببساطة ان الطبيب أقسم يوم تخرجه أن يلبي نداء الواجب ، وأن تقوم علاقاته مع مرضاه على أسس الطهر والعفة ، وأن يحفظ أسرارهم ، وأن ، وأن ، ولكنه النبع الداخلي المتدفق ، والضمير الحي .

الدكتور خليل قطاطو
عمان ـ الأردن

رسالة لندن من :

مجدي نصيف

# العالم العربي في متحف لندن

## لوحات رائعة من وحي البيئة للفنانين الأوروبيين في القرن الماضي



علي بن نصر منصور .. ابن احد شيوخ قبائل صحراء سيناء ( يناير ١٨٥٨ ) .. واللوحة من اعمال الفنان كارل هاج .

هذا المعرض هو بالفعل معرض الفنان العظيم «كارل هاج» رغم أن هناك أعمال عدة فنانين آخرين ، لأن هاج أعظم أساتذة فن الرسم بالألوان المائية من جهة ، واحد أوائل رواد هذا الفن الذين رسموا العالم العربى بصدق فى القرن التاسع عشر . صحيح أن المعرض لم يكن للوحات كارل هاج بمفرده ، لكن رسوماته كانت الغالبة والسائدة ، لذلك أطلق على المعرض اسم «معرض كارل هاج ومعاصروه» .

ومن رأى برايان ماكدرمون رئيس المتحف «أن العالم العربى يعتقد اليوم أن الكثيرين من فنانى القرن التاسع عشر الأوربيين كانوا ميالين الى التخيل والرومنتيكية عند رسمهم للشرق الأوسط ، فى حين كان «الطوبوغرافيون» الأوائل أمثال «لير» و «روبرتس» أقرب الى الصدق والحقيقة . غير أنه مع مرور الزمن ، كتبت الغلبة للشعراء والرومنتيكيين ، مما ألهم الرسامين رسم مشاهد لم يكن باستطاعتهم مشاهدتها عن كثب» .

لذا يقول السيد ماكدرموت ان «اللوحات المعروضة فى هذا المعرض بمتحف جاليرى قد اختيرت نظراً لدقتها واتقانها ، فضلا عن جدارتها الفنية» .

إن الألوان المائية هى وسيلة هامة تمكن الفنان من تحقيق نتائج فريدة بالألوان الزاهية . وقد بلغ هذا الفن فى انجلترا بالذات فى القرن التاسع عشر ، درجة الكمال من ناحية استخدام المواد الثابتة من ناحية ، والمهارة الفنية من جهة ثانية . هناك مثلا لوحة «تشارلز روبرتسون» التى اطلق عليها اسم «بيع السجاد فى القاهرة» ، والتى تنم عن قدر بالغ من دقة التعبير وقوة الألوان ، بحيث توحى أنها تكاد تكون لوحة زيتية . كما أن لوحة الفنان أوريللى المسماة «مشهد للحريم» ، بالوانها المثيرة وتوليفتها الرائعة ، يمكن أن تقارن بلوحات «دويتش» و «جيروم» الزيتية .

ولقد عرف القرن التاسع عشر ، عدداً كبيراً من فنانى الرسم بالألوان المائية من الايطاليين ، مثل «جوليو روزاتى» و «فريد ريكو بارتولينى» و «انريكو تارينجى» ، وهؤلاء بالذات اشتهروا بأعمالهم المميزة الفريدة من نوعها .

كذلك كان لفرنسا نشاط ملحوظ فى هذا المجال ، إذ قامت فيها «جمعية فنانى الرسوم المائية» . لكن الملفت للنظر ان كارل هاج ـ الألمانى الأصل ـ فضل المجىء الى لندن بدلا من باريس عاصمة الفن كما كان يطلق عليها . لكن هذا ليس غريباً ، فانجلترا هى التى ترعرع فيها وازدهر العرف التقليدى العظيم للاشتغال بالرسوم



منظر في الدوار .. لوحة للفنان فريد ريكو بارتوليني الذي اشتهر فى اواخر القرن التاسع عشر .



بيـــع السجـــاد فى اســـــواق القاهــــــرة .. إحــــدى روائـــع الفنــــان تشـــــارلز روبرتســــــون ( ١٨٤٤ - ١٨٩١ )

المائية ، وقام فيها فنانون أمثال «فريدريك لويس» و «تشارلز روبرتسون» و «ديفيد روبرتس» وكثيرون غيرهم ، قاموا بتمهيد الطريق لفنانى الرسم بالألوان المائية اللاحقين من أمثال «فارلى» و «تولبوت كيللى» و «لامبلاد» .

وقد اقيمت فى انجلترا «جمعية فنانى المائيات القديمة» ، وأصبحت تعرف فيما بعد باسم «جمعية فنانى المائيات الملكية» ، ونظمت هذه الجمعية معارض عديدة اجتذبت جامعى اللوحات ورعاة الفن وهواة الشراء من سائر أنحاء العالم . لكن اللوحات التى رسمت بالألوان المائية عن بلدان الشرق الأوسط لها جاذبية خاصة ، من هنا أيضاً جاذبية هذا المعرض فى لندن والذى استمر لشهر كامل بين منتصف أغسطس وحتى منتصف سبتمبر . أو كما يقول برايان ماكدرموت «لقد خلق سحر الشرق ، ممزوجاً بفن الرسم بالألوان المائية القاعدة لانتاج فنى بالغ الأهمية والقيمة» .

## هذا الفنان

ولد الفنان هاج فى ايرلانجين ببفاريا فى ٢٠ أبريل عام ١٨٢٠ . ورفض أبوه طلبه بأن يعطيه أحد المدرسين دروساً فى الرسم رغم أنه كان يرسم على كل ما يمكن الرسم عليه فى المنزل ، من حيطان الى اثاث .

وكان من رأى الأب أن من الأفضل أن ينتظر ما يفعل بنفسه قبل أن يلقنه احد أفكاراً جاهزة مسبقاً . وقد انغرست هذه المبادىء فى وعي الشاب ، واستمرت معه ، فادخل سمات جديدة مذهلة وملفتة للنظر فى تطور الفن الانجليزى للرسم بالألوان المائية ، هذا رغم أنه تلقى دراساته فى سنه المبكرة بأكاديمية نورمبرج وأكاديمية ميونيخ . وفى عام ١٨٤٦ ، عندما كان فى السادسة





محارب عربي .. إحدى لوحات الفنان جون فريدريك لويس الذي عاش فى الفترة مابين ( ١٨٠٥ ـ ١٨٧٦ )

والعشرين من عمره ، قرر أن يرى العالم . فترك ميونيخ على أساس أن يذهب الى باريس ، لكنه بدلا من ذلك ذهب الى أنتيرب وبروكسيل ، وطلب منه البعض رسم صورهم فاستجاب لهم ، وبذلك ظل فى بروكسيل خمسة أشهر . لكنه بدلا من أن يتجه الى باريس كما كان قد قرر ، اتخذ خطوة أثرت فى كل حياته فيما بعد ، لقد قرر فى ابريل عام ١٨٤٧ الذهاب الى انجلترا .

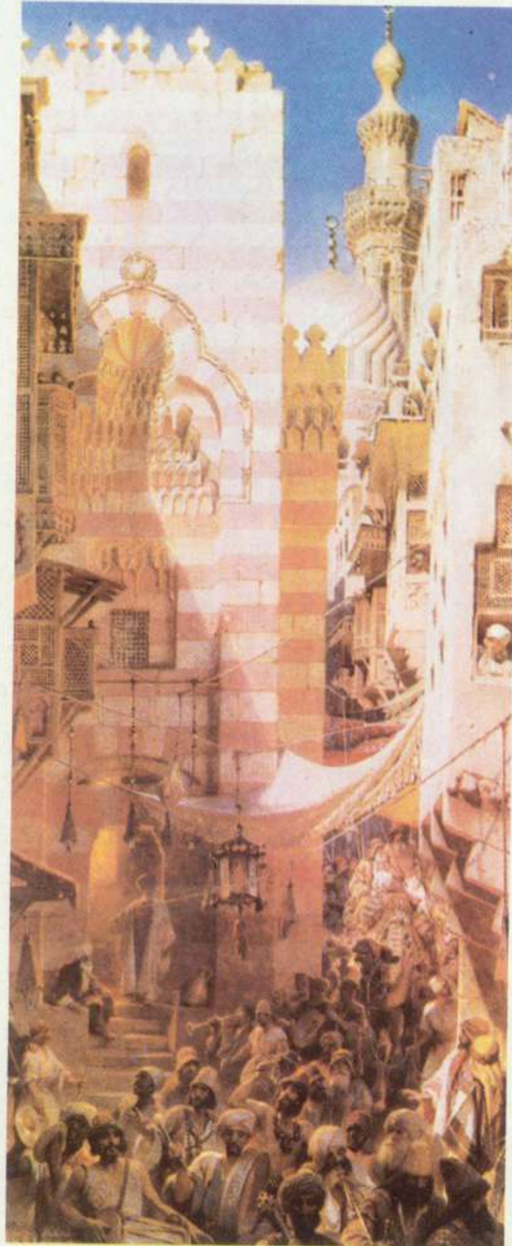
كان الهدف الأساسى من زيارته لانجلترا أن يشاهد عن قرب التكنيك البريطانى لفن الرسم بالألوان المائية ، وهو تكنيك كان قد اكتسب شهرة واسعة فى الخارج ، وإن لم «يصدر» الى خارج انجلترا بعد ، حتى يتأثر به عدد من الفنانين فى أوربا . وبعد أن زار «هاج» جميع معارض فن الرسم بالألوان المائية التى كانت موجودة آنذاك ، خرج بنتيجة أن فن الرسم بالألوان المائية بانجلترا ، هو فن أصيل فى مفهومه وأنه ليس استمراراً لـ «الأصل القديم» . وقرر أن يستمر فى انجلترا لكشف أسرار هذا التكنيك الفنى الأصيل . فبدأ يدرس على طريقته . وبمساعدة صديقه الحميم السير فريدريك أبيل ، قام بتحليل الألوان التى يستخدمها الفنانون الانجليز ، وتوصل الى أسرارها وأصولها ، ثم قام بتحليلها . والنتيجة : أنه اختار مجموعة من الألوان المعدنية ظل يستخدمها طوال حياته .

لم يكتف بهذا ، بل أخذ يراقب نفسه لتطوير تكنيكه الخاص . كان الرسم بالألوان المائية الخالصة وبطبيعتها الخاصة ، يختلف تماماً عن الرسم بالجواش الذى كان معروفاً آنذاك فى أوربا. وكانت أفكار «هاج» نفسه ، تقع فى مكان ما بين الاثنين . فلم يكن يخلط الألوان على الاطلاق ، كان يحتفظ بها فى حالة نقية .

وفى ديسمبر عام ١٨٤٨ قابل «هاج» حادثة كادت تنهى عمله ، وتضع حداً لمواهبه الفنية ، وإن أصبحت بعد ذلك ذات فائدة له . كان يسهر مع أحد أصدقائه فأخذا يلهوان بمسدس ، باطلاقه على ضوء



راعي الجمال ..لوحة بالألوان المائية رسمها الفنان كارل هاج عام ١٨٥٩



عودة الحجاج من مكة إلى القاهرة فى عام ١٨٩٤ .. وهي لوحة واقعية سجلها الفنان « كارل هـــاج »



مقهى فى القدس .. لوحــة عمرها اكثر من مائة سنــة للفنــان « جوزيف أوستين » الذي عرضت اعماله في ( ١٨٦٥ ـ ١٨٨٦ )

شمعة . لم يستخدما طلقات رصاص وإنما استخدما خراطيش ، لكن بعد أن تركه صديقه انفجرت قنينة البارود ـ بطريقة غامضة ـ فى يده اليمنى . ووجد السير بريسكوت هيويت الجراح بمستشفى سانت جورج ـ وهو رسام هاو بالألوان المائية أيضاً ـ وجد أن «يد الفنان قد تمزقت فيما بين أصبع السبابة والأوسط وحتى الرسغ أما الابهام فقد انخلع ولم يعد يربطه بالمفصل غير الأعصاب وحدها» ، وقدمه السير بريسكوت بعدها الى الكولونيل بيرنانت الذى أصبح اللورد بينرين فيما بعد ، الذى كان أول من رعى فنه .

وقرر عام ١٨٥٨ بعد أن عاد الى انجلترا من رحلة شتوية قضاها فى ميونيخ ، أن يبدأ رحلة أعظم : فيبدأ فى شهر يناير بالقاهرة ، ثم يزور فى شهر أكتوبر اليونان فتركيا ، ثم يعود مرة أخرى الى القاهرة فى شهر نوفمبر . فارسل خطاباً الى جينكينز سكرتير «جمعية الرسوم المائية القديمة» يوضح له أنه لم يرسل شيئاً الى الجمعية لتعرضه ، لأنه يقضى كل وقته يجمع المادة فى شكل « اسكتشات». وكتب الى جينكينز يقول :

ـ «قل لهؤلاء الذين يبحثون عن مادة جديدة لموضوعاتهم يرسمونها بريشتهم ، إن هناك «قاهرة» واحدة ليس غير ، وأن على الفنانين أن يروها» .

كان يعيش فى القاهرة مع صديق آخر فنان هو فريدريك جودول (١٨٢٢ ـ ١٩٠٤) ، وكانا يقومان برحلات الى الصحراء على ظهر الجياد .

وفى ابريل ١٨٥٩ ، قرر «هاج» أن يسافر الى القدس ، فوصل اليها فى أعياد القيامة. وأخذ يرسم الأماكن البارزة : «البوابة المقدسة» و «جامع سيدنا عمر» و «الكهف تحت الصخرة المقدسة» . وظل فى القدس حتى شهر يونية ، ثم سافر من هناك للجليل ثم الى دمشق . ثم عاد الى القاهرة ليبدأ شتاءه الثانى فى مصر .

خلال هذه الرحلات الطويلة ، درس ملامح وسمات القبائل التى عاشت فى



وقت الراحة ... لوحة بديعة رسمها الفنان « جوسيبي أورسيللي » بالالوان المائية

الصحارى ، وتعلم أخلاقهم ودرس عاداتهم وتقاليدهم ، وانعكس كل ذلك على لوحاته التى رسمها بدقة تفوق الوصف ، والتى ظهرت فيها القبائل المختلفة .

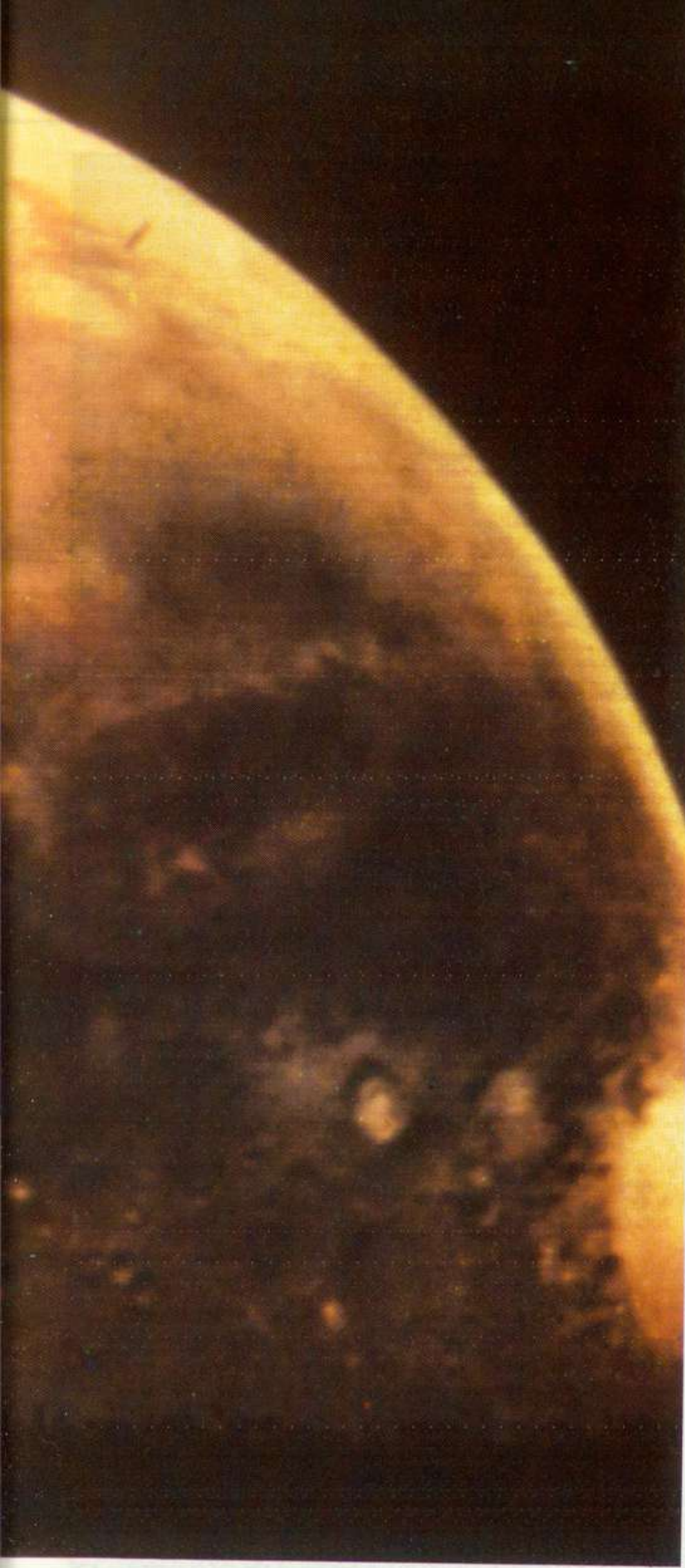
## العودة الى لندن

وعندما عاد الى لندن عام ١٨٦٠ ، كان يمتلك ثروة عظيمة ، مادة هائلة للوحاته ، وقد أضاف الى كل هذا بطبيعة الحال مخالطته للناس والحياة فى البلاد التى زارها ، وعلى الأخص مصر ، ثم مهارته كفنان ، مما جعله أحد الفنانين الرواد الذين رسموا الحياة فى دول الشرق الأوسط ، فى وقت كانت فيه صور الفنانين عن الشرق ، تلقى رواجاً كبيراً . وقد قام باقامة أربعة معارض لرسومه بالجمعية ، فى عام ١٨٦٠ .

وفى عام ١٨٦٦ ، تزوج ابنة الجنرال بوتنر الوحيدة ، وبعد زواجه بقليل اشترى منزلا بحى هامستيد وأطلق عليه اسم «فيلا ايدا» ، وهو اسم زوجته ، وأقام «ستوديو» بمنزله ليعمل به ، وكانت ديكوراته كلها مصرية ، استخدم فيها المشربيات والسجاجيد الشرقية الخ .

وعاد الى القاهرة عام ١٨٧٣ ليجمع مادة جديدة للوحاته ، وقابل خديوى مصر بتقديم أمير ويلز . وظل مقيماً بالقاهرة حتى أوائل عام ١٨٧٤ ، وظل يرسم ويعمل دون كلل ، حتى قرر أن يعتزل عام ١٩٠٣ ، وتوفى بعدها باثنى عشر عاماً ، عام ١٩١٥ .

لقد عرض «هاج» أعماله خلال حياته فى معارض ومتاحف عديدة ، ضمت أكثر من أربعمائة من رسومه . وحصل على كثير من الميداليات والجوائز فى لندن وباريس وبرلين وفيينا ، وتتناثر أعماله فى العديد من المتاحف . فى بريطانيا وحدها توجد فى متحف بلاكبيرن ، ومتحف بريستول ، ومتحف مانشستر ، ومتحف فكتوريا ومتحف ألبرت بلندن ، وهناك مجموعة بقلعة وندسور .



صــور نــادرة
من الفضـــاء

# المرّيخ..

## هو الكوكب الوحيد الذي يمكن أن يستقرّ عليه الإنسان

فى الدوران الأبدى لكوكبى الأرض والمريخ حول الشمس ، تسنح الفرصة مرة كل ٧٨٠ يوماً ، لاطلاق سفن الفضاء من الأرض نحو كوكب المريخ . ويطلق الفلكيون على هذه الفترة اسم «النافذة المطلة على المريخ» ، وهى الفترة التى يستفيد فيها العلماء من وجود المريخ فى أقرب نقطة من مداره الى الأرض . وتدوم هذه الفترة ثلاثة أشهر .

بدأ العالم يستفيد من هذه النافذة لأول مرة فى أول نوفمبر ١٩٦٢ ، حين أطلق الاتحاد السوفيتى صاروخاً ضخماً فى مدار حول الأرض ، أرسلت بعدها إشارة لاسلكية من إحدى المراكز الأرضية ، فاندفعت سفينة الفضاء «المريخ ـ أ» (وزنها ٨٩٣,٥ كيلو جراماً) من هذا الصاروخ نحو الكوكب الأحمر . لكن هذه المحاولة الأولى باءت بالفشل ، بعد قليل ، إذ فقد العلماء



لقطة مثيرة للمريخ على بعد ٥٦٠ الف كيلومتر ، ويظهر بركان « الاوليمب » فى قمة الصورة .. ونظهر كذلك جبال « نارسيس » وهي سلسلة من ثلاثة براكين اخرى ! .

السوفيت اتصالهم بالسفينة ، لاسلكياً بعد أن كانت قد وصلت الى مسافة ١٠٦ كيلو متراً من الأرض ، وبعد أن اتصلوا بها ٦١ مرة ، نقلت خلالها معلومات ثمينة عن الفضاء البينكوكبى حولها .

وتوالت المحاولات بعد ذلك .

أطلق العلماء الأمريكيون سفينة الفضاء «مارينر ٣» فى نوفمبر ١٩٦٤ ، وكان برنامجها طموحاً . كانت ستمر بالقرب من المريخ وتسجل الاشعاعات والمجالات المغناطيسية والشهب الدقيقة التى تسبح فى الفضاء البينكوكبى حول المريخ ، وتلتقط صوراً للكوكب ، وتقيس الضغط الجوى . لكن العلماء فقدوا الاتصال بالسفينة بعد إطلاقها بتسع ساعات فقط ، وبدا أن المشروع الطموح قد أصابه الفشل .

وبدأ سباق رهيب للانطلاق نحو المريخ .

أطلق العلماء الأمريكيون سفينة الفضاء «مارينر ٤» فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٤ من قاعدة كيب كينيدى ، ثم فقدوا الاتصال بها هى أيضاً . عندئذ أطلق العلماء السوفييت سفينة الفضاء «زوند ٢» فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٤ نحو المريخ . وأصبح من المؤكد أنها ستكون أول سفينة من صنع بنى البشر تصل الى المريخ . لكن حدث أمر غريب .. فقد العلماء السوفييت اتصالهم بالسفينة «زوند ٢» بعد عدة أشهر من اطلاقها ، وكان

صور نادرة
من الفضاء

# المرّيخ..

## هو الكوكب الوحيد الذي يستقرّ عليه الانسان

من المفروض ان تصل الى المريخ فى يوليه ١٩٦٥ . وصحح الأمريكيون مسار «مارينر ٤» بعد أن استعادوا اتصالهم بها ، فكانت أول سفينة فضاء «أرضية» ، تصل الى المريخ .

وقد اطلقت كل سفن الفضاء التى ذهبت لغزو المريخ من الأرض ، من اقمار صناعية انطلقت الى مدارات حول الأرض ، بعد أن ثبت أن هذه هى الطريقة المثلى - علمياً واقتصادياً - ذلك أنه لو انطلقت السفينة من الأرض مباشرة لاحتاج الأمر ان تكون سرعتها ١١,٢ كيلومتراً فى الثانية . اما لو اطلقت من قمر صناعى يدور فى مدار حول الأرض ، فلن تزيد سرعة إطلاقها من هناك عن اربعة كيلومترات فى الثانية ، لانه عند هذه المسافة تتضاءل قوة جاذبية الأرض الى حد كبير .

### الكوكب الغامض

هكذا كان المريخ أول كوكب من كواكب المجموعة الشمسية تنطلق اليه سفن الفضاء الأوتوماتيكية من الأرض ، وبذلك سيكون أول كوكب يغزوه رواد الفضاء ليضعوا اقدامهم على تربته بعد ان يتم غزو القمر تابع الأرض .

فما الذى يحمله هذا الكوكب بين أضلعه من أسرار ؟

أطلق القدماء اسم «مارس» على هذا الكوكب . ومارس هو سيد الحرب عند الرومان . وأول مرة ارتبط اسم الكوكب بالدمار كان عند البابليين منذ ثلاثة آلاف عام مضت ، حيث أطلق عليه الفلكيون اسم «نيرجال» سيد الموت والطاعون عندهم . أما قدماء اليونانيين فقد أطلقوا عليه اسم « أريس » وهو سيد المعارك عندهم . كل هذا بسبب لونه الأحمر فى السماء . وفى القرن العشرين زود كوكب المريخ ، كتاب القصص الخيالى العلمى بمادة غزيرة عن غزو الكواكب وسكان الكواكب الاخرى ، فانتجت عشرات الافلام فى السينما والتليفزيون فى الأربعينات وما بعد ذلك .

ويبلغ قطر المريخ حوالى نصف قطر الأرض ، وكتلته $\frac{1}{10}$ كتلتها . وبهذا لا تزيد جاذبيته عن ٣٨٪ من جاذبية الكرة الأرضية . وكل هذه الظروف الطبيعية تجعل من الصعوبة بمكان ان يوجد حول المريخ غلاف جوى كبير ، كما هو حال «الغلاف الجوى» حول الأرض . ويتكون غلافه الجوى أساساً من غاز ثانى أكسيد الكربون الذى تسرب ببطء من قشرة الكوكب وباطنه خلال فترة وجوده منذ ميلاده . وأكدت الوسائل السبكروسكوبية وجود بخار الماء وغاز أول أكسيد الكربون ولكن بكميات ضئيلة للغاية . ورغم أن الغلاف الجوى «رقيق» بالمقاييس الأرضية إلا أن هناك سحباً تتغير خلال فصول السنة ، وتتحرك بسرعات كبيرة بالنسبة لسحب الغلاف الجوى الأرضى .

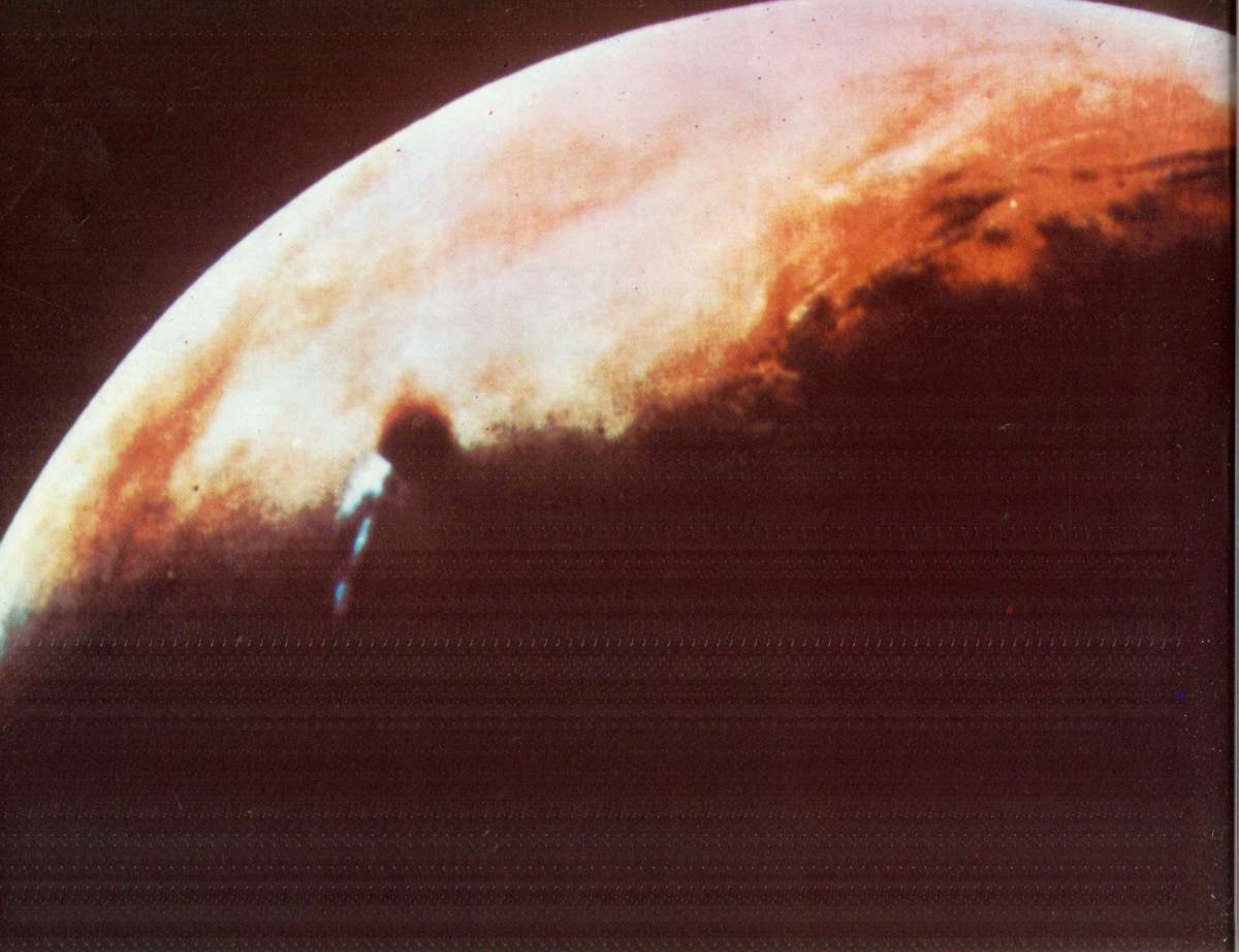
كان كوكب المريخ لغزاً بالنسبة للفلكيين القدامى ، الذين حيرتهم حركته المربكة فى السماء ، الى أن حل جوهان كيلر هذه المسالة عام ١٦٠٩ الذى وضع قوانين حركته ، وبهذا شق الطريق أمام نظرية الجاذبية الحديثة للمجموعة الشمسية . وقال كيلر : «... إن كوكب المريخ وحده يمكننا من اختراق أسرار الفلك ، وبدون هذا كان سيظل مغلقاً علينا» .

لقد لعب كوكب المريخ دوراً رئيسياً فى تطور «علم الفلك الكوكبى» أى الخاص بالكواكب . لقد ظل فى دائرة الجدل بخصوص وجود حياة على سطحه . وانطلقت اليه العديد من سفن الفضاء الأوتوماتيكية . ومنذ إطلاق السفن الأولى - التى تحدثنا عنها فى بداية هذا المقال - والمعلومات تتجمع . ويقول العلماء ان المعلومات التى تجمعت منذ الستينات تفوق كل المعلومات التى تجمعت حوله منذ وجه الفلكيون أرصادهم نحوه .

هناك الكثير من المسائل التى حسمتها المعلومات والصور التى أرسلتها سفن مارينر ٤ و ٦ و ٧ ، ثم الفايكنج التى حطت بهدوء على سطح الكوكب : فايكنج الأولى ثم الثانية . وقد تكلف مشروع فايكنج الأمريكى وحده الف مليون دولار .

رحلة «مارينر ٤» على سبيل المثال انتهت بنجاح فى ١٤ يوليه ١٩٦٥ ، وكانت قد بدأت فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٦٤ ، أى أنها استغرقت ٢٢٨ يوماً قطعت فيها ٥٢٦ الف كيلومتراً ، بخطأ لم يزد عن ٠,٠٠٣٪ ، وكان مسارها يصحح باستمرار من المحطات الأرضية لتصل الى هدفها المرسوم . وعندما أصبحت السفينة على بعد ١٦ الف كيلومتر من الكوكب انطلقت الأوامر من الأرض ، تامرها بالتقاط الصور . سافر الأمر عبر الفضاء بسرعة الضوء ليصل الى السفينة بعد ١٢ دقيقة ، فالتقطت آلات التصوير المثبتة بها ٢١ صورة نقلتها كلها إلى الأرض بنجاح ، هذا بالاضافة إلى المعلومات التى ترسلها باستمرار . وعندما عبرت السفينة الكوكب ، اخترقت اشاراتها الغلاف الجوى للمريخ لتصل الى الأرض ، ودلت قياساتها على أن جو المريخ أخف - على الأغلب - من جو الأرض ٥٠ مرة ، أى مثل جو الأرض على ارتفاع ٣٠ كيلومتراً من سطحها . وكبرت كل الصور التى التقطتها ليدرس العلماء فى كل منها ٤٠ الف نقطة ! ومنذ اكثر من ثلاثة قرون شاهد جاليليو القمر اكبر ٣٠ مرة مما تراه العين البشرية ، عندما وجه أول منظار الى سطحه . كانت هذه بداية ثورة فى علم الفلك . أما صور مارينر فقد كبرت سطح المريخ ٣٠ مرة من اكبر مناظير القرن العشرين على سطح الأرض ، وكانت هذه هى الثورة الثانية فى علم الفلك .

أما الفايكنج فكانت أعظم انجاز فى



هذه الصورة التقطتها سفينة الفضاء الأمريكية « فايكنج الأولى » لكوكب المريخ ، وهي تبين الفجر فوق سطح المريخ !.

تاريخ الفلك قاطبة ، ذلك أن كل سفينة دارت حول المريخ واخذت ترسل الصور والمعلومات من على بعد ١٥٠٠ كيلومتراً فقط . ثم أرسلت من كل منها سفينة صغيرة لتحط على سطحه بهدوء ولتستمر فى الارسال الى الأرض .

## هل هناك حياة ؟

ظلت مسالة الحياة على المريخ تشغل بال العلماء . اعتقد بعضهم أن الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية – غير الأرض – الذى قد نجد به شكلا من اشكال الحياة .

بدأ الجدل والمناقشات حول هذا الموضوع منذ أكثر من قرنين ونصف قرن . فبعد أن وجه جاليليو منظاره الى السماء بعدة سنوات ، أعلن جيوفانى شياباريللى ، الذى كان يعمل بمرصد ميلانو ، عن رؤيته لقنوات على سطح المريخ ، وقال انها قنوات صناعية شقتها كائنات حية عاقلة . لقد شق الفلاح المصرى قناة السويس ، وطولها ١٦٠ كيلومتراً فى عشر سنوات . أما طول هذه القنوات المريخية فيصل الى ١٦٠٠ كيلومتراً . كان معنى هذا أن هناك جنساً راقياً – ربما أكثر رقياً من الجنس البشرى – يعيش فى المريخ ، شق مهندسوه تلك القنوات .

كان هناك علماء مشهورون يؤمنون بوجود كائنات حية وعاقلة تعيش على المريخ . بعضهم وضع مشروعات للاتصال « بهم لويل » على سبيل المثال شيد عام ١٨٩٤ مرصداً ضخماً واعلن : « ان أهل المريـــخ يستحقون هذه التكاليف» وحاول تشارلس كروسن أن يقنع الحكومة الفرنسية بان تسمح له بتشييد مرآة مقعرة ضخمة ليستخدمها فى إرسال إشارات الى اهل المريخ . وافترض العالم الرياضى الشهير كارل جاوس أن الخطوط المتقاطعة التى تشكلها الغابات وحقول القمح الشاسعة فى سيبيريا تأخذ أشكالا هندسية ، تماماً كما تشكل قنوات المريخ أشكالا هندسية ، صفراء اللون على أرضية سوداء .

وكان الفلكى الفرنسى انتويناذى أول من هاجم نظرية القنوات الصناعية ، واثبت أنها ليست خطوطاً ، وإنما نقطاً صغيرة ، وإن كان الناظر اليها يراها خطوطاً كاملة . وهاجم علماء آخرون فرض شياباريللى ، ودعموا قولهم بأن الغلاف الجوى للمريخ يتكون أساساً من غاز ثانى اكسيد الكربون وليس به الأوكسجين عصب الحياة العاقلة – التى نعرفها على الأقل – وبهذا فان جو المريخ طبقاً لمفاهيمنا «البشرية» غير مناسب على الاطلاق لتطور حياة عاقلة على سطحه .

ورغم ذلك فان العلماء الذين يختلفون حول وجود «حياة عاقلة» على المريخ ، يقولون بامكانية وجود شكل من أشكال الحياة الأدنى . وقام العالم الامريكى سينتون بابحاث هامة ودراسات طيفية ، قال بعدها بامكانية وجود مركبات ايدروكربونية ، وقد يعنى هذا امكانية وجود بعض الكائنات الحية الدقيقة .

صور نادرة
من الفضاء

# المرّيخ..

## هو الكوكب الوحيد الذي يمكن أن يستقر عليه الإنسان

### هل حلت الألغاز

وقد حسمت الكثير من القضايا والفروض التى اثارت جدلا مازال قائماً حول الغاز المريخ ، وخاصة بعد رحلتى الفايكنج الأولى والثانية . وستظل المعلومات عن المريخ وغيره من الكواكب تتدفق الى ما لا نهاية ، لانه لا نهاية للمعرفة ، وهو ما عبر عنه العالم الأمريكى جيرالد صوفين ، احد المسئولين عن مشروع فايكنج عندما قال :

– «كم مرة وصل كولمبوس الى هدفه ؟ مرة واحدة فحسب ! أما نحن فسنصل عدة مرات ، وهذه هى «مرتنا» الأولى».

لقد اختلفت صورة المريخ الحقيقية عن الصورة التى رسمها كتاب القصص الخيالى العلمى ، هـ ج . ويلز ، وادجار رايس بوروز ، وراى برادبورى وغيرهم . غير ان بقايا من هذه الصورة مازالت موجودة فى اذهان الناس حتى الآن ، تلهب خيالهم : صورة سكان المريخ ذوى البشرة الحمراء والعيون الذهبية . ومازال هناك من «يؤمن» بوجود «حياة عاقلة» على سطح الكوكب ، وان البشرية ستتصل بها ... يوماً ما . لقد تحولت هذه التصورات الى حقيقة عند بعض الأمريكيين ، ما لبثت أن أدت الى يقين ، ثم الى ظهور بعض «المذاهب» و «الشيع» المؤمنة بهذا ، ويشكل جزءاً من طقوسها .

اعتقد العلماء إذن ، انهم على وشك الوصول الى حل الغاز الكوكب بمشروع «الفايكنج» . فموضوع الحياة وشكلها على المريخ ، لم يكن هو «لغز» الكوكب الوحيد . فالمعلومات والأرصاد التى جمعها العلماء على مدى عشرات العقود عن هذا الكوكب ، كانت محيرة للغاية ، بل ومتناقضة ، أثارت كل منها الجدل والخلافات . وكان من المنتظر ان تحل الفايكنج العديد من المشاكل ، وتحسم الكثير من الجدل الدائر . لكن «فايكنج الأولى» ، زادتهم حيرة وتناقضا ، وبالذات حول القضية الأساسية الا وهى مسالة الحياة على المريخ ، حتى لقد قال العلماء الامريكيون ، «إن المريخ يمارس معنا لعبة الاستغماية» ، ذلك أن احتمالات الحياة عليه ظلت تتارجح ، دون ان يتاكد وجودها بشكل حاسم .

وذكر الدكتور هارولد كلاين رئيس فريق علماء البيولوجيا تعقيباً على نتائج التحليلات التى ارسلتها «فايكنج الأولى» :

– «إننى مندهش . انها نتائج رائعة لاشك فى ذلك ، لكن حتى يمكننا ان نقطع برأى حول احتمالات وجود حياة على سطح الكوكب ، لا نملك سوى نصف المعلومات التى نريدها . إن ما أود ان أؤكده ، هو اننا لم نكتشف بعد وجود حياة على المريخ ، ولكن ما ينبغى ان نضعه فى الاعتبار ، هو ان المعلومات التى لدينا ، حافلة باحتمالات ذات أصل بيولوجى» .

### ما هى الحقائق الجديدة التى جمعتها «الفايكنج» ؟

● يحتوى الجو المحيط بالكوكب على كمية من بخار الماء ، تكفى لتكوين طبقات رقيقة من الثلج على سطح سفينة الفضاء .

● أعلن متحدث باسم معمل الفضاء الأمريكى أن القراءات الماخوذة من أجهزة التحليل الطيفى (داخل السفينة) عن درجات الحرارة وكمية بخار الماء على الكوكب ، لا تتطابق مع النظريات السابقة المعروفة لدى العلماء .

● اعلن فريق العلماء المشرف على الرحلة ان جو المريخ يحتوى على ٣٪ من النيتروجين ، وهو احد الغازات المكونة للحياة . وقال الدكتور مايكل ماكلورى أستاذ الفضاء بجامعة هارفارد ، ان المعلومات تشير الى ان المريخ كان يتمتع بجو مشبع بالنيتروجين منذ مليارات السنين ، وأن النسبة الموجودة به حالياً – وإن كانت تبدو ضئيلة مقارنة بجو الأرض (٧٨ ٪) ، إلا أن جو المريخ قادر على تفتيت هذه النسبة الى ذرات نيتروجين ، وهو الشكل الذى تحتاج اليه الكائنات الحية . ذلك أن نسبة ٣٪ من ذلك الغاز ، كافية لوجود الحياة ، إذا ما كانت بقية الظروف مواتية .

● يشير وجود غاز الأرجون فى جو المريخ بنسبة ١,٥ ٪ ، الى أن الكوكب كان يتخلص من الغازات الموجودة فى باطنه الساخن ، بمعدل أقل ٢٥ مرة من الأرض . كما يشير الى أن المريخ فقد كمية من الماء ٢٥ مرة عما فقدته الأرض منها .

● إذا كان المريخ يحتوى على كل هذه الكمية من الماء . فان معنى هذا انه يختزن كميات هائلة منها تحت سطحه .

### ما رأى العلماء فى هذه الحقائق الجديدة ؟ وما معناها ؟

قال الدكتور هارولد كلاين :

– «إننى لا أرى سبباً لاستبعاد وجود حياة فوق المريخ . ليس بالضرورة أن تكون نوعاً من النباتات أو الأشجار أو الحيوانات وإنما قد تكون نوعاً من الميكروبات فى التربة ، أو حتى كانت اكثر تطوراً من الميكروبات !» .

وقال الدكتور فاروق الباز العالم الجيولوجى :

– «إذا وجدت الحياة على المريخ ، فستكون غريبة علينا ، إذ أتوقع أن نشاهد انواعاً من الحياة لكائنات دقيقة ، كالميكروبات . ان المعدات والاجهزة فى «الفايكنج» ، تشير الى أن هناك ماء على سطح المريخ ، كذلك الى وجود انهار ومجارى ماء . وإذا وجد الماء ... وجدت الحياة» .

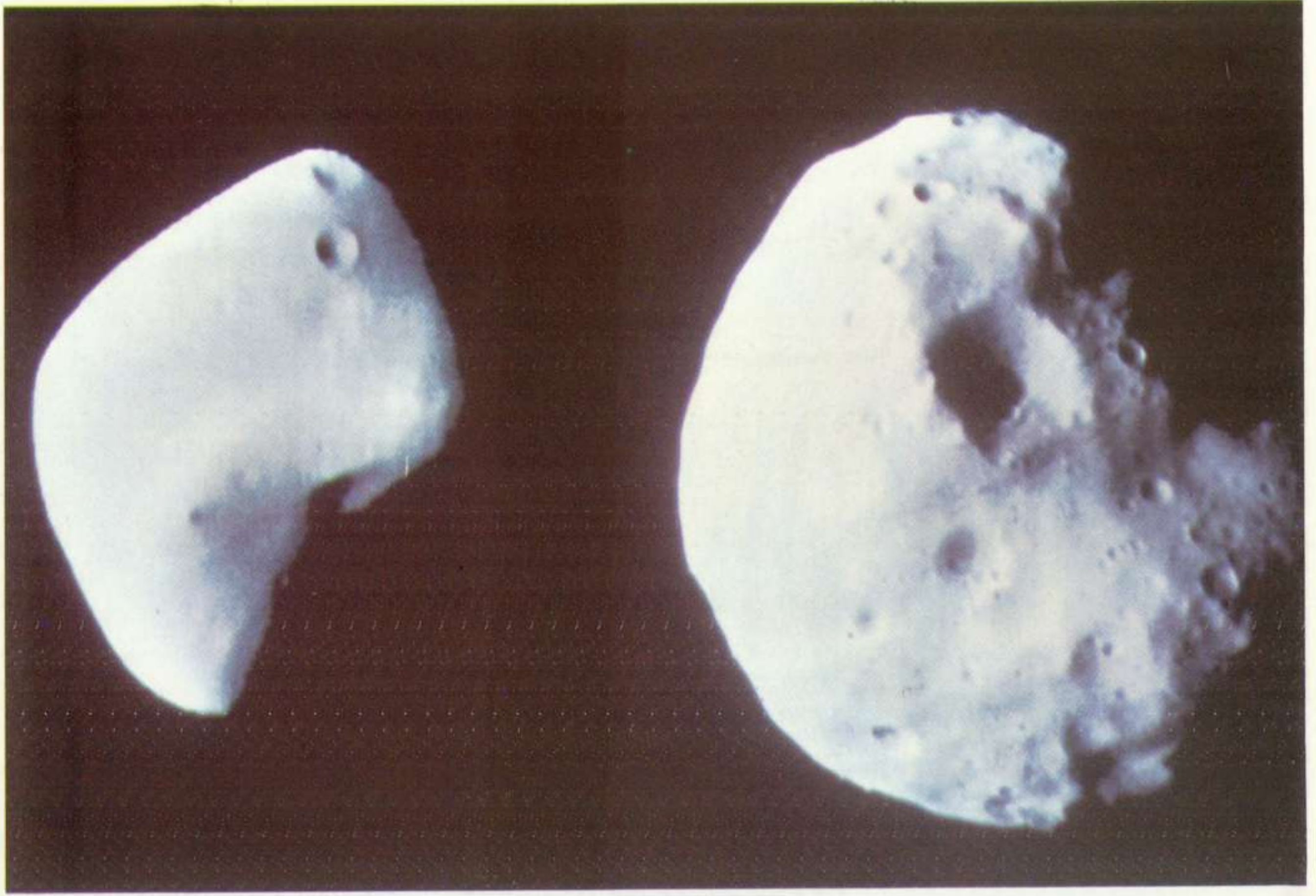
وقال الدكتور جيلبيرت بيفين عضو فريق البحوث البيولوجية فى باسادينا :

– «اثبتت تجارب الغازات ، انه مع تسخين تربة المريخ ، خرج غاز الأوكسجين بنسبة تزيد عما توقعناه ١٥ مرة . وربما كان هذا بسبب صدمة السائل على تربة المريخ أثناء اجراء التجربة . وقد يكون إشارة هامة لوجود الحياة على سطح الكوكب . وإذا ما تحقق هذا ، فهو ثورة علمية» .

### «الخوف» و «الفزع»

لكن مازال هناك الكثير الذى يجب أن نكشف عنه من أسرار ذلك الكوكب الغامض وضمن هذه الالغاز ، قمرا المريخ . فاذا كان لأرضنا قمر واحد هو «القمر» ، الذى يبعد عنها ٣٨٤ الف كيلو متر ويبلغ طول قطره ٣٤٥٣ كيلو متراً ، فهو تابع كبير الحجم بالنسبة لقمرى المريخ .

وقد أطلق على هذين القمرين اللذين اكتشفا عام ١٨٧٧ م اسم «فوبوس» (التى تعنى «الفزع») و «ديموس» (التى تعنى «الخوف») . وفوبوس هو الأقرب الى المريخ والأكبر فى نفس الوقت ، ومع ذلك فقطره لا يزيد عن خمسين كيلومتراً ، ولا يبعد عن كوكبه المريخ باكثر من تسعة آلاف كيلومتر. وهو يدور حوله مرة كل ٧ ساعات و ٣٩



صورة نادرة لقمري المريخ واللذين يطلق عليهما : الخوف ، والفزع !

دقيقة . وهذه فترة قصيرة ، وهى تعنى ان «فوبوس» يدور حول المريخ مرتين كل يوم «مريخى» . وهكذا ، فانه إذا قدر لرائد فضاء أن «يعسكر» على سطح المريخ ، فانه سيشاهد «شروق» فوبوس ، مرتين كل يوم «مريخى» وسيشاهد غروبه مرتين أيضاً بطبيعة الحال .

أما «ديموس» الأخ الأصغر «لفوبوس» ، فلا يزيد قطره عن ١٦ كيلومتراً ، ويبعد عن المريخ ٢٣,٢٠٠ كيلومتراً .

ولم يكن العلماء ، يعرفون الكثير عن القمرين حتى رحلات «مارينر» و «فايكنج» ، وقد عرفوا أن شكلها غير منتظم ، ويملأ سطحهما حفر وشقوق وفوهات . وأدى صغرهما وقربهما من المريخ وعدم انتظام دورانهما مع دوران بقية أفراد المجموعة الشمسية ، أدى ببعض العلماء الى القول بانهما قمران صناعيان ، وقد ثبت أن هذا غير صحيح بطبيعة الحال ، إذ معنى هذا أن هناك كائنات حية عاقلة متقدمة تكنولوجياً عن الجنس البشرى ، قد أطلقتهما ، كما أطلق علماء الأرض أقماراً صناعية حول الأرض ، ابتداء من أكتوبر عام ١٩٥٧ .

لكن هناك بعض العلماء من يعتقد بانهما من النجيمات التى تدور فى حزام حول المريخ ، ذلك الحزام الذى تدور فيه وتتحرك آلاف الجسيمات الصغيرة ، وخلال حياة المريخ منذ ولادته ، استطاع فى فترة ما أن يجذبهما اليه .

وعلى أى الأحوال ، فالذى لاشك فيه ، أن البشرية ستستخدم هذين القمرين كمحطتى فضاء لرواد الأرض عندما يقومون بغزو المريخ ، إذ يسهل هذا كثيراً مشكلة الهبوط على سطح المريخ . ولايشك العلماء ومنهم باتريك مور ، فى أنه فيما لو استقرت البشرية على كوكب آخر ، وانشات حضارتها التى ستتطور على سطحه ، فالذى لاشك فيه أن هذا الكوكب لن يكون غير المريخ .

لندن ـ مجدى نصيف

## المراجـــــــــــع


1. Encyclopaedia Britanica. الجزء ١١
2. Samuel Glasstone: The Book of Mars, NASA SP-179, 1969.
3. N. W. Cunrinflam & H. M. Schurmeier: Mariner - Mars 1969. Preliminary Report, NASA SP-225.
4. R. B. Leighton: The Surface of Mars - Scientific American 222: 10, 26-41, 1970.
5. Arthur Koestler: The Sleepwalkers. A History of Mars Changing Vision of the Universe. 1959.

٦ ـ أصل الأرض والكواكب ـ تاليف ب . ليفين ـ ترجمة مجدي نصيف ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .

ماتت رجل
وعاشت نظرية

د. عبدالمحسن صالح

# أشباه الإنسان:
# لوسي والولد الغالي

بينما كان دكتور لويس ليكى يعانى من حمى الزمته سريره فى خيمة منصوبة بالعراء، سمع صوت عربة «جيب» آتياً من بعيد على غير المتوقع، فتوجس خيفة، إذ خرجت زوجته مارى منذ ساعتين الى منطقة معزولة لتنبش الجبال علها تبوح بما يتوقان اليه من أسرار، وعودتها غير المتوقعة قد يكون من ورائها مصيبة أو لدغة حية، وعندما توقفت العربة قرب الخيمة، سمع زوجته تصرخ باعلى صوتها «لقد حصلت عليه .. لقد وجدته»!

وقبل أن تلج مارى الى الخيمة، قفز هو من سريره من هول الفرحة، فالذى «حصلت عليه» زوجته لابد وان يكون الانسان البدائى، أو الحلقة المفقودة بين الانسان والقردة العليا .. وصح ما توقعه.

المكان .. اخدود ضيق يعرف باسم اخدود «اولدوفى» فى تانزانيا، والزمان احد ايام يوليو عام ١٩٥٩، و «الكنز» الذى وقع عليه الزوجان هو «الولد الغالى»، أو هكذا وصفاه، لأنهما كانا يترددان على هذه المنطقة منذ الثلاثينات من هذا القرن، وظلا ينبشان فى طبقات الجبال، طيلة ربع قرن من الزمان، ولقد عثرا على حفريات كثيرة من حيوانات منقرضة، لكنهما لم يجدا اى اثر لأشباه الانسان، ومع ذلك تحليا بالصبر، ولم يفقدا الأمل، واخيراً تحقق الأمل الغالى فى الولد الغالى.

## المهد الأول للأسلاف

واحياناً ما تلعب الصدفة دوراً هاماً فى الكشوفات العلمية، خاصة اذا كان ذلك يستلزم البحث عن أثر فى أخاديد وجبال وتلال وما شابه ذلك، فكانما الانسان هنا يبحث عن ابرة فى كومة كبيرة من القش، وقد يجدها - لحسن حظه - بعد وقت قصير، أو قد يجدها بعد عناء شديد، أو ربما لا يجدها على الاطلاق.



بعثة التنقيب عن اسلاف الانسان، وترى دكتور ليكي وقد استلقى أرضاً لينبش فى الارض بعد ان وجد بقايا عظام متحجرة، علّه يحصل عليها بحالة جيدة فيعيدها الى أصولها.

لقد ظل الزوجان يبحثان سنين طويلة دون جدوى، لكن «الولد الغالى» هو الذى اعلن عن وجوده، إذ برز منه جزء صغير لفت نظر مارى بينما كانت تتسلق منحدراً، لكن الصدفة قد تمر دون أن يتحقق الغرض ما لم يصاحبها شىء من قوة الملاحظة، وتقدمت مارى وركعت على ركبتيها، وبدأت فى النبش حول الجزء الذى ظل مدفوناً حقباً طويلة، لكنه برز بفعل عوامل التعرية الى أن يعلن عن نفسه لمن يستحقه .. ولقد عرفت مارى انها تتطلع الآن الى جزء من جمجمة متحجرة، لكن لمن تكون؟ .. وما عمرها؟ .. انها لا تعرف، إذ لابد من «تحريات» علمية هادفة، قبل أن يستنتج الانسان شيئاً.

ولقد هدتها بصيرتها أن تنبش قليلا حول الجمجمة، علها تكشف جديداً، وبالفعل وجدت ضرسين شبه آدميين، ولم تستطع صبراً، فانطلقت الى زوجها لتزف البشرى، ونسي الرجل مرضه، وانطلق عائداً مع الزوجة الى حيث تكمن الجمجمة وجلسا أمامها وأمام الضرسين، وبحرص شديد التقط هو ضرساً، وهى الضرس الآخر، ونظرا .. ثم نظرا، وبعدها تلاقت عيناهما، ولندع لويس ليكى يعبر بنفسه عن هذه اللحظة فيذكر «ونظرت الى مارى، ونظرت إلي، وعندئذ انطلقت صيحاتنا وصراخنا المصحوبين بالفرحة الكبرى، وكانما قد اجتاحت نفسينا عواطف جامحة لا تتاتى إلا نادراً فى الحياة، فاخيراً حققنا هدفنا بعد طول رجاء وتضحية وعناء، لقد توصلنا الى الكشف عن اقدم انسان معروف للعلم»!





الصورة العليا جزء من اخدود اولدوفي بتنزانيا حيث عاش نوع من أسلاف الانسان ، والصورة السفلى توضح الموقع الذي اكتشف فيه كل من دكتور لويس ليكي وزوجته العظام المتحجرة « للولد الغالي » أو الكائن القرد الذي عاش هناك منذ حوالي مليوني عام .

وطبيعى انهما لم يحملا الضرسين وقطعة الجمجمة البارزة ، ويتركا المكان ، بل ظلا فى الموقع ١٩ يوماً ، وبمساعدة من رجال المنطقة غربلا اطنانا من فوق اطنان من الحصى والرمال التى كانت تكمن عند قاع التل ، فلعلها تحوى بقايا من عظام هذا «الغالى» ، إذ ربما تكون قد انفصلت وتدحرجت واختفت .. المهم انهما حصلا على أكثر من ٤٠٠ قطعة ، وهنا يبدأ العمل الحقيقى ، والصبر الجميل ، والمعرفة بكل التفاصيل ، حتى يمكن ان يتحول هذا الشتات المتناثر الى شىء متكامل ، يمكن تصنيفه ووضعه فى مكانه الصحيح بين الكائنات .

ولقد تمخض كل هذا ـ باختصار شديد ـ عن وجود كائن يمشي على قدمين .. مخلوق لا هو قرد ولا هو انسان ، وإن كان أقرب الى الانسان منه الى القرود ، ولقد تبين بعد ذلك من فحص الأسنان ، أن «الولد العزيز» كان يبلغ من العمر حوالى ١٨ عاماً ، وأنه قد جاب هذه المناطق من شرق افريقيا مع قومه أشباه الانسان منذ حوالى مليون ونصف مليون عام ، ويبدو ـ من دراسة هذه المنطقة ـ أن هذه المخلوقات كانت تعيش حول بحيرة قديمة ، ثم غاض ملؤها وجفت ، ولقد تركت آثاراً تنم عن جانب متواضع من الحياة التى عاشوها فى الأزمنة الغابرة ، ثم دفنت وحفظت ، وبعدها برزت بعوامل التعرية ، أو بالتنقيب الذى يقوم به الانسان بحثاً عن أصله ونسبه ، ويبدو انها كانت أنساباً غير مشرفة ، لأن الخلف يستنكف ما عاش عليه السلف ، فهذه الكائنات قد اكلت السحالى والضفادع والفئران والجرذان والحيات والطيور والخنازير .. الخ .

لكن .. كيف عرفنا أنهم أكلوا ما أكلوا ، رغم أننا لم نشهد حياتهم ولا طعامهم ؟

وهذا سؤال وجيه ، فنحن حقيقة لم نشهد ، لكن الآثار تشهد ، إذ كانت بعض عظام الهوام والحيوانات التى أكلوها موجودة فى مناطق محددة ، لكنها متفرقة ، وأقرب تصور لذلك هو ما قد نراه نحن الآن فى الأماكن الخلوية المعزولة من بقايا زجاجات ومعلبات وطعام تركته مجموعة من الناس حول المعسكر الذى كانت تقيم فيه .. صحيح أنهم هجروا المكان ، لكن الآثار التى تركوها تنم عن وجودهم ، وتفصح عما أكلوه وشربوه ، ثم لو تهيأت الظروف ودفنت هذه الأشياء فى طبقات الأرض وحفظت كما هو الحال مع الحفريات القديمة لعشرات الآلاف من السنين ، ثم جاء الخلف لينقبوا عما تركه السلف ، لقالوا ان أسلافنا مثلا قد عرفوا المعلبات والمشروبات الغازية والروحية .. الخ منذ ثلاثين الف عام ، هذا لو حدث التنقيب بعد ثلاثين الف عام من الآن !

ويذهب العلماء الى استقراءات أخرى أبعد من ذلك ، فيذكرون ضمن ما يذكرون أن هذه المخلوقات البدائية شبه البشرية كانت متواضعة الادراك ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب ، منها مثلا أنها استخدمت أدوات صخرية بدائية (وجدت أيضاً مع بقايا العظام التى تركتها بعد أن نهشت لحم الصيد) لتعالج بها صيدها ، أى لابد أن تكون قد استخدمت أيديها أكثر من عقولها ، ولو حدث العكس ، لاستطاعت أن توقع الحيوانات الأكبر حجماً ، والأغنى لحماً فى حبائلها ، ودليل ذلك أن العظام الموجودة ، كانت جميعاً لصغار الحيوانات وليست لكبارها ، عدا عظام نعامة صغيرة ، كما أن أشباه البشر هؤلاء كانوا يأكلون اللحم نيئاً بدليل انه لم توجد أى آثار لرماد إذ لم يكونوا يعرفون كيفية استخدام النار .

ولابد من وضع اسم لهذه المخلوقات .. أى تحديد جنسها ونوعها ، وكان ان اختار ليكى وزوجته اسم «زنجانثروباس بواساى» وزنج كلمة عربية أطلقها العرب قديماً على السكان الحاليين لهذه المنطقة ، وهى التى ننطقها «زنجى» وانثروباس تعنى فى اللاتينية أشباه الانسان (وأحياناً الانسان) وبواساى ترجع الى رجل أعمال انجليزى اسمه «تشارلز بواس» ، اعترافاً بفضله فى التمويل المالى لاجراء هذه البحوث .

ولنترك هذا الكشف الى حين ، لنتعرض الى كشف آخر جديد ، كان له صدى واسع

أشـــباه الإنســـان :

# لوسي والولد الغالي

بين العلماء خاصة ، والمهتمين بهذه الكشوفات عامة .

## قصة فتاة اسمها لوسى

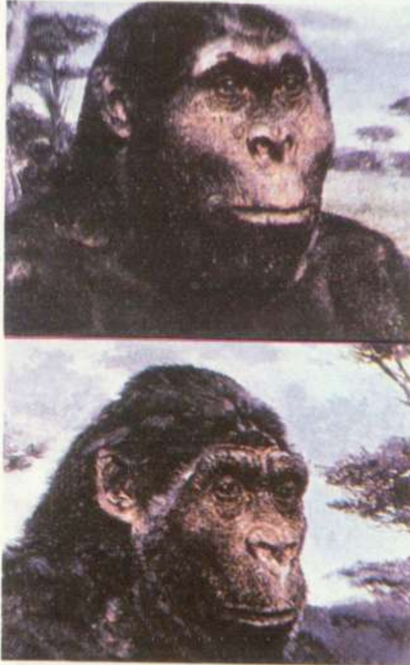
لقد كان اول لقاء لكاتب هذه الدراسة مع «لوسى» بمنزل طبيب مصرى استضافه فى بيته الواقع بناحية بوسطن الأمريكية ، وكانت لوسى هناك ، واخذتها بين يدى لأتصفحها .. إذ لم تكن لوسي – فى الواقع – من لحم ودم ، بل كانت كتاباً مكتوباً ، لأن لوسى ذاتها كانت فى يوم من الأيام تخطو وتنطلق على شاطىء نهر «عواش» بالحبشة ، وبالتحديد فى منطقة «حضر» .. ثم ماتت فى عز شبابها بعد أن عاشت هناك منذ حوالى ثلاثة ملايين عام ، واكتشفها كل من دونالد جوهانسون وموريس طيب على هيئة عظام ، ورغم ان ما اكتشف من هيكلها العظمى المتحجر لم يكن ليتعدى ٤٠٪ فقط من الهيكل كله ، رغم ذلك ، فان هذا الكشف المثير قد اعطانا صورة شبه متكاملة عن قوم لوسى ، أشباه الانسان (انظر الشكل الدال على ذلك) .

ولقد سميت الفتاة بهذا الاسم تيمناً باغنية كانت تنطلق من جهاز تسجيل حملته بعثة التنقيب معها فى هذه المناطق القاسية الوعرة ، ففى الوقت الذى ظهرت فيه بشائر المخلوقة القردة ، تردد ايضاً مطلع اغنية «لفرقة الخنافس» .. «لوسى مع اللالىء فى السماء» .. فسميت الفتاة الحفرية بهذا الاسم ، وفى الوقت ذاته رقص كل من جوهانسون وطيب حول الهيكل المكتشف رقصة الفرح والبشرى بامجاد علمية سوف تنتظرهما عند الاعلان عن كشفهما (الواقع ان مكتشفى الحفريات النباتية والحيوانية لم يكتسبوا شهرة وأمجاداً مثل زملائهم الذين يحققون الكثير من المكاسب العلمية والمادية لاكتشافهم الحفريات التى توضح أصل الانسان وأشباه الانسان ، فكتاب لوسي الذي وقع بين يدى ثمنه عشرون دولاراً ، ووزع منه مئات الآلاف من النسخ ، وكتبه كل من جوهانسون ، م . أ . ايدى ، ويقع فى ٤١٠ صفحة ، وهو يتناول أصل الانسان عامة ، وقصة الكشف عن لوسى خاصة) .



دكتور لويس ليكي وزوجته ماري ، وقد امسك كل منهما بجمجمة لمخلوقين منقرضين من اسلاف الانسان ، وهما من جنس واحد ، ولكنهما لنوعين مختلفين فاحدهما نوع نحيف والآخر نوع اضخم ويتميز بهيكل عظمي أشد واقوى

وطبيعى ان لوسى لم تكن كفتيات اليوم ولا حتى كفتيات القبائل البدائية ، أو الفتيات اللاتى خطون على هذا الكوكب منذ آلاف السنين ، فهى لم تكن تعرف معنى الأنوثة ولا الدلال ، ولا التغزل فى فتى الأحلام ، ولا كذلك ملبساً وزينة ومخدعاً ، لأنها ببساطة لم تكن تدرك من هذا شيئاً مذكوراً .. فمخها صغير ، ووجهها أقرب الى وجه الشمبانزي ، وأبعد عن وجه الانسان الحالى ، ومع ذلك فقد كانت تمشى منتصبة على ساقين ، وتستخدم يديها وذراعيها بشكل أكثر كفاءة من القردة العليا ، واقل من الانسان بطبيعة الحال ، وكان طولها – رغم أنها مكتملة النمو والأنوثة – ما بين ١١٠ – ١٢٠ سنتيمتراً ، ووزنها ما بين ٣٥ – ٤٥ كيلو جراماً (الوزن متروك لتقديرك فى كونها بدينة او نحيفة) .. لكن الاهم من ذلك هو تقاطيع الوجه .. صحيح أن اللحم قد تحلل وراح ، لكن العظام تنبىء عن العضلات ، والعضلات تنبىء عن الملامح ، ولقد كانت ذات قد غير مليح ، لأن عظام الفك وسقف الحلق أقرب الى الشمبانزى منه الى الانسان ، كما أن فحص الأسنان قد حدد عمرها بعشرين ربيعاً ، وغير ذلك من الصفات التى حملتها بنت «هدر» ، فهى التى قادت من اكتشفاها الى تحديد أى الأنواع من الكائنات تنتمى ولقد أطلقوا عليها اسماً علمياً ثقيلا .. والاسم : «أوستر الوبيثيكاس افارنسيس» .. والترجمة الحرفية له هو القرد الجنوبى العفارى – نسبة الى عفار بالحبشة ، والجنوبى هنا تشير الى افريقيا الجنوبية ، هذا رغم أن تلك المخلوقات قد اكتشفت فى شرق افريقيا ، ومع ذلك فالأسماء العلمية



من شكل الجمجمتين فى الصورة السابقة ، امكن استنباط الملامح الرئيسية التى جاء بها النوعان إلى الحياة ... فالصورة العليا للنوع النحيف والسفلى للنوع الضخم أو الغليظ

فى التقسيم لا تهتم بالمناطق الجغرافية قدر اهتمامها بالصفات المشتركة بين أشباه الانسان فهذه المخلوقات الحبشية تشبه مخلوقات أخرى كانت قد اكتشفت قبل ذلك فى بداية الربع الثانى من القرن العشرين بجنوب افريقيا على يدى عالم للتشريح المقارن اسمه رايموند دارت ، وطبيب مهتم بالحفريات يدعى روبرت بروم (انظر

دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة)

إن اشباه الانسان فى شرق القارة وجنوبها تنقسم الى نوعين ، لاختلافهما فى بعض الصفات ، لكنهما يشتركان فى صفات اخرى بحيث وضعهما العلماء فى جنس واحد ، ومثال عابر يوضح لنا ذلك تماما ، فالكلب والذئب وابن آوى يجمعها جنس واحد ، فبينها صفات مشتركة لتكون جنساً واخرى مختلفة ، لتعطى أنواعاً ، والانواع قد تتمخض عن سلالات واصناف ، وهو ما نراه واضحاً فى مئات السلالات من الكلاب .. والنمر والأسد وبعض انواع القطط المتوحشة يجمعها جنس واحد .. فالنمر اسمه العلمى «بانثيرا تيجريس» ، والأسد «بانثيرا ليو» ، والبوما (نمر الجبال) «بانثيرا اونكا» .. والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، ولاشك ان الذى يلاحظ طوفان الكائنات ، يستطيع أن يرى تشابهاً بين انواع ، واختلافاً كبيراً بين أنواع أخرى ، لكن مهمة العلماء أن يرتبوها ويقسموها الى انواع واجناس وتحت عائلات وعائلات ، وتحت رتب ، ورتب .. الخ ، ويستوى فى ذلك الحى والمنقرض ، وما أكثر ما انقرض .

## حصيلة لابأس بها

ولقد تمخض النبش والبحث عن اشباه الانسان عن حصيلة كبيرة وصلت الى أكثر من الف عينة حفرية ، وشهدت السنوات العشر الأخيرة فقط ، اكتشاف حوالى ٦٠٠ عينة ، ويأمل الباحثون فى الكشف عن آلاف أخرى فى السنوات القادمة ، إذ كلما كانت الحصيلة اوفر ، كانت الصورة أوضح والاستنتاجات أقوم ، والتعرف على اسلافنا أصح !

وتعتبر منطقة شرق القارة الافريقية من اغنى المناطق الحفرية فى القارة خاصة ، والعالم عامة ، إذ تتركز الأنواع شبه البشرية المنقرضة حول نهر أومو بالحبشة وفى منطقة حضر بنفس الدولة ، كذلك اكتشفت حفريات أخرى فى كينيا ، وبالتحديد فى منطقة كوبى فورا الواقعة شرق شاطىء بحيرة رودلف ، وهناك موقعان فى تانزانيا ، ولا يفصلهما سوى مسافة تقدر بحوالى ٥٠٠ ميل ، ولقد عاش فيهما نوعان شبه بشريان ، احدهما شمال بحيرة صغيرة تعرف باسم «أياسى» ، ووجدت فيها حفريات يرجع تاريخها ما بين ثلاثة ملايين ومائة الف عام ، وثلاثة ملايين و ٧٥٠ الف عام ، والموقع الثانى فى أخدود كبير كان بحيرة ثم جفت ( أخدود أولدوفي) وعمر الحفريات هناك حوالي مليون و ٧٥٠ الف عام ، وترجع اهمية هذا الموقع الى اكتشاف أول مخلوق من هذه المخلوقات ، جاء على هيئة تختلف عنا ، إذ انه اقل منا شانا ، ولهذا وضعوه فى نوع مستقل ( انسان هابيل Homo Habilis ونحن الانسان الحكيم Homo Sapiens .. وهذا يعني ان لنا عائلة مستقلة تفصلنا عن العائلات شبه البشرية التى سبقتنا ، وللعائلة البشرية عدة انواع ، وسوف نعود لتوضيح ذلك بشيء من التفصيل .

والغريب ان مخلوقين مختلفين قد عاشا فى نفس الحقبة حول البحيرة ( التى أصبحت الآن اخدوداً ) .. احدهما انسان

« لوسي » أو بالتحديد ٤٠٪ من عظام هذه الشابة التى اعطتنا صورة شبه متكاملة عن نوع منقرض من اسلاف البشر كان يعيش متجولا على شواطىء نهر عواش بالحبشة منذ حوالي ثلاثة ملايين عام ... القامة قامة بشر ، لكن المخ صغير ، والوجه مستطيل .. وتعتبر من الحلقات الهامة المفقودة التى كتب عليها الانقراض



هابيل والآخر المخلوق القرد (أو القرد الجنوبي الافريقي) ، ولهذا ايضا عائلة تضم عدة انواع اكتشف منها حتى الآن ثلاثة ، بالاضافة الى مخلوقات وسط بين هذه الانواع ، ولا يزال عليها جدال ، لوضعها فى الوضع الصحيح من التقسيم .. فهناك المخلوق القرد الذي اكتشف في عفار بالحبشة ( وهو نوع سبق الاشارة إليه ) . ويعتبر من اقدم المخلوقات التى ظهرت على الأرض منذ حوالي ٣,٨ ـ ٤ مليون عام ، ويعتقد بعض العلماء ان هذا النوع القديم قد انشق الى نوعين احدث وارقى ، احدهما ظهر بعده بحوالي مليون عام ( اي منذ ٢,٨ مليون عام ) وهو القرد الجنوبي الافريقي واكتشف في مناطق افريقية كثيرة ، بداية من الحبشة شمالا الى جنوب افريقيا ، كما ان الحصاد الحفري فيه كان وفيراً ، وتتميز مخلوقات هذا النوع باجسام اصغر وارق ( النوع النحيل Gracile ) ، واكتشفه دكتور ليكي وزوجته ، وهو يختلف عن نوع آخر اكبر واغلظ واقوى ( يسمى روبستاس Robustus اي النوع الشديد ) ، ويثور الجدل الآن حول هذين النوعين ، ففريق من العلماء يعتقد ان نسبنا يمتد الى النوع النحيل ، فى حين يرى فريق آخر ان الجذور ترجع الى النوع الغليظ ، ثم يذهب فريق ثالث الى أبعد من ذلك ، ويقول : إن كلا النوعين قد وصلا الى طريق مسدود ، فلا نحن من سلالة هذا او ذاك ، بل يبدو ان التطور قد سار فى طريق آخر انشق وحاد عن الاصول ، وتمخض عن مخلوق ارقى من هذه القرود البشرية ، ادى الى ظهور انسان هابيل .

والواقع ان انسان هابيل الذى ظهر منذ حوالي مليوني عام هو أول من استخدم الأدوات ، ويقال إنه ربما صنع ادوات بدائية من الحجارة والصخور ، ولقد اكتشفت هذه الادوات فى المناطق التى كان يزاول فيها نشاطه ، ولهذا سمي بالانسان الصانع .

ورغم ان انسان هابيل يشترك شكلا مع شبيه الانسان النحيل او الثقيل ، إلا انه يختلف عنه فى الطول وحجم المخ ، إذ وصل طوله الى حوالي ١٥٠ سنتيمترا ، وحجم مخه ما بين ٥٥٠ ـ ٧٥٠ سنتيمترا مكعبا ، وهذا ما اعطاه بعض الادراك ليتجمع على هيئة جماعات ، والخروج لصيد الحيوانات الصغيرة والكبيرة ، مستخدما فى ذلك العصى والاحجار . ومع ذلك فلم يستخدم النار ، وطبيعي ان مثل هذه الاستقراءات نابعة من التنقيب فى المواقع التى عاشت فيها تلك المخلوقات .

# أشباه الإنسان :
# لوسي والولد الغالي

## أقرب الأنواع

وبعد انسان هابيل ظهر نوع آخر اقرب الينا من سابقه ، ولقد سمى النوع الجديد – الذى بدأ ظهوره منذ حوالي مليون ونصف مليون عام – الانسان المعتدل او المنتصب أو الواقف (Homo Erectus)

ولقد جاءت هذه التسمية فى غير محلها لأن الأنواع السابقة عليه كانت ايضاً منتصبة القامة ، ولكن التسمية سبقت ، لأن الكشف لهذا النوع قد سبق غيره ، ومن ثم كانت التسمية المبكرة ، ولكن ذلك ليس مهماً بقدر ما يهمنا صفات النوع ذاته ، إذ جاء فراغ الجمجمة اكبر ، وهذا يعني ان مخه اكبر ، إذ وصل حجمه الى حوالي ٨٠٠ سنتيمتر مكعب ، ولقد ادى تطور حجم المخ الى تطور فى عظام الراس ذاتها ، مما انعكس على عظام الوجه كذلك ، وبحيث ظهر ذلك على تقهقر او نقص فى استطالة الفكين ، وبروز فى عظام الوجنتين ، فكان الوجه اكثر استدارة .

ثم اننا لو سرنا مع الزمن عبر مليون عام أو يزيد ، لوجدنا أن جماجم هذا النوع قد اكتسبت تطوراً او تغيراً تدريجياً بطيئاً ، وبحيث بدأ حجم المخ يكبر تبعاً لذلك ، فهناك جماجم للانسان الواقف يدل تقدير اعمارها أن اصحابها قد عاشوا منذ حوالي ٤٠٠ الف عام ، ووصل حجم المخ فيها الى حوالي ١٣٠٠ سنتيمتر مكعب ، وهي قريبة من حدود امخاخنا الحالية ، وهذا ينبئك ان الحلقات التطورية كانت تسير هينة لينة .

ومن القياسات التى اجريت على عظام الجماجم المتحجرة ، اتضح أن المخ فى تطوره لم يكن يزيد فى الحجم فقط ، بل ان التطور قد انصب على اجزاء خاصة ، فارتفاع جباه هذه المخلوقات الحديثة نسبياً ، دليل على افساح فراغات مناسبة لنمو الفصوص الأمامية والصدغيــة ( او الجانبية ) .. والمعروف ان نمو هذه الفصوص بدرجات اكبر فى امخاخنا قد اعطانا القدرة على التحكم فى كثير مــن



جمجمة انسان هابيل ، وهي اقرب جماجم الحلقات التطورية المفقودة في نسب الانسان ... ولقد جاء بمخ اكبر ، ووجه اكثر استدارة ، ولهذا تعتبر نوعا من انواع الجنس البشري التى انقرضت منذ حوالي مليون ونصف مليون عام ، وانشق منها نوع اكثر تطورا ورقيا ... وفى الصورة التالية ترى جمجمة الانسان المعتدل او المنتصب ، وهي اكثر تطورا من جمجمة انسان هابيل ، وتستطيع ان تلاحظ ارتفاع الجبهة ، مما يدل على كبر حجم المخ ، كما ان الوجــه اكثر استدارة من وجه انســان هــابيل .

حركاتنا ، والتركيز على الأهداف ، وحل المشاكل اليومية التى تحتاج – بلا شــك – الى ذكاء وحسن تصرف .

ولقد حاز الانسان الواقف بعض هذه الملكات العقلية ، ولهذا استطاع ان يستخدم النار ، ويهاجر من مكان الى مكان ، وينتقل من بيئة صعبة الى اخرى ميسرة ، ومن اجل هذا بدأ هذا المخلوق فى هجرات جماعية ، فتركت بعض جماعاته القارة الأفريقية ، وهاجرت الى آسيا واوربا ، كما تدل الاكتشافات الحفرية على ذلك .

ولقد دلت الدراسات التى اجريت فيما تركه الانسان الواقف من أدوات بدائية ، انه قد بدأ يدرك معنى التناسق ، خاصة فى مراحله المتاخرة التى انتهت بانقراضه منذ حوالي ٤٠٠ الف عام .. من ذلك مثلا انه استطاع أن يصنع أشياء من الصخور تشبه الحراب المدببة أو القواطع ذات الحواف الحادة ، وهو ما لم يسبقه إليه اي نوع آخر ظهر قبله ، وطبيعي انه كان يستخدم ذلك فى القنص والصيد وتقطيع ما اصطاد ، وربما صاحب هذا الادراك فى تناسق الادوات ، تناسق فى أصوات بدائية قد تكون بداية لظهور اللغة التى تطورت فيما بعد فى الأنواع التالية الأكثر رقياً وتطوراً ، ويعتقد بعض العلماء ان انتشار الانسان القائم فى انحاء متفرقة من العالم ، قد ادى الى تكيفه بالبيئات الجديدة التى حل بها ، وربما أدى ذلك الى انبثاق سلالات من نوعه لتتاقلم مع المناخ السائد .. وهي – بطبيعة الحال – تختلف عن السلالات البشرية المميزة التى نشهدها الآن فى النوع البشري المعروف باسم الانسان المدرك أو الحكيم .

## من نكون ؟

ومن خلال هذه الرحلة الزمنية الطويلة التى استمرت ما بين ثلاثة واربعة ملايين عام ، وانتهت بظهور اقرب المخلوقات شبهاً بالانسان منذ حوالي ٤٠٠ الف عام ، بدأ العلماء يتساءلون : متى ظهر الجنس البشري الحالي ؟ .. ومن اي نوع انبثق ؟ .. وكيف تطور ؟ .. الخ .

الواقع ان هناك فترة طويلة نسبياً تقدر بحوالي ٣٠٠ الف عام ، وهي التى تفصل بين نهاية الانسان القائم وبين ظهور الانسان الحالي ( لقد ظهر نوعنا منذ حوالي مائة الف عام فقط ) وفى هذه الفترة ( اي الثلث مليون عام الأخيرة ) حدثت امور كثيرة ، وبدأت اصناف اخرى من الانسان تظهر تباعاً على هذا الكوكب ، ورغم انها من جنس الانسان ، إلا انها مع ذلك تختلف عنا فى بعض الصفات ، من ذلك مثلا أن عظمتي الحاجب كانت اكثر بروزاً من عظمتي الانسان الحالي ، كما أن ملامح الوجه كانت الى حد ما مختلفة ، وكذلك درجة الذكاء ، ولقد اكتشف العلماء حفريات كثيرة لهذا الانسان المبكر ، ولم يكن موطنها افريقيا فحسب ، بل اكتشفت فى الشرق الأوسط ، والشرق الأقصى وأوربا ويعتقد العلماء ان الانسان الذى ظهر منذ ٣٠٠ – ٤٠٠ الف عام هو من سلالة الانسان القائم الذى ظهر قبله بحوالي مليون عام ، وعندما هاجر الانسان القائم من افريقيا وانتشر شرقاً وغرباً ، ثم مات ، ودفن وتحلل ، بقيت بعض هياكله المتحجرة لتكون دليلنا على نوعه ، ولقد اطلق المكتشفون على هذا الانسان المبكر اسماء بحسب موقع الاكتشافات ، فهناك مثلا انسان نيندرثال ، وانسان بكين ، وانسان جاوه ، وانسان كرومانون .. الخ .

وما صلتنا نحن بكل هذا ؟ .. ولمــن ننتمي ؟ .. وماذا حدث فى الأربعمائة الف عام الأخيرة ؟ .. الى آخر هذه الأسئــة التى سنفرد لها دراسة قادمــة .

والله ولي التوفيق ،،،

د. عبد المحسن صالح

# العذراء العانس

شعر : محيي الدين فارس
( الخرطوم )

باعَتْ قِلادَتَها . وقُرْطَ الماسِ ماتركت .. سوى قممٍ هَزِيله
باعت أنوثَتَها .. وكلَّ جماجِمِ الموْتى
وصنْدوقَ العشيرةِ .. وانتماءَاتِ القَبيلَه
ونخيلَها العِمْلاقَ .. والجُزُرَ العشِيقَةَ
.. والبحيراتِ الجميلَهْ
حتَّى سُيوفَ النصرِ .. والدَّرَقَاتِ .. والقِيمَ النبيلَهْ
ورمت خِمَارَ العِزَّةِ الشَّمَّاءِ ..
وارْتَدَتِ المُلاءَاتِ النَّسِيلَهْ
فَبَدَتْ مفَاتِنُهَا لثوْرِ الليلِ والجامُوسِ .. فاعْتَرَكَا
وكلُّ ظَامِىءُ الشَّهَوَاتِ .. كي يروي غليله
ناديْتُها والليلُ يحفِرُ فى أضَالِعِهَا
ويُنْشِبُ فى مجَاسِدِهَا .. أظافِرَه الطَّوِيلَهْ
كيف احتَمَلْتِ غُروبَ تاريخ .. ؟
وكيف رضِيتِ بالطّرقَاتِ مأْوًى .. والجِرَاياتِ الهزيلَهْ
عيناك ما طَرَفَتْ لضوءِ الشمْسِ ..
ما انْسَدَلَتْ أمامَ الموْتِ
ما انكفَأَتْ على أرض .. ذليله
أنا لا أصدِّقُ أن وجْهَكِ لم تَعُدْ فيهِ بَرَاءَاتُ الطّفولَهْ
كم خمَّشتْهُ الريحُ .. ما احتجَّتْ ملامحُهُ النّبيله
كانت بلا حُزْنٍ .. تحدِّقُ فى الفَرَاغَاتِ المهُولَهْ
وتهدَّلَ الشَّعْرُ الجميلُ ..
جديلةً .. تبكي جَدِيلَهْ
... ولمسْتُهَا .. كانت ثُلوُجُ الموْتِ
تمشي .. في مفاصِلِهَا النحيلَهْ ..
أوَ أنْتِ هازمة المغولِ الفاتحين ؟
فأين تَاجُ الشّمْس .. والحرَسُ المدجّجُ ..
بالنّيَازِكِ .. والنياشينِ الصّقيلهْ
كانوا إذا ما النّهْرُ دَقّ طبُولَه
يحْمُون فى فَرَحٍ طبُولَهْ
وإذا تدافَعَتِ الخيولُ مُغِيرةً
والليلُ قد أرْخى سُدُولَه
يتسلّقُون جِبَالَهُ الشّمّاءَ ..
يلتهمُونَ .. فى غضَبٍ ..خيُولَه
ويرابطون أمامَ بابِ الشرق
يغتَسِلُون بالنيرانِ .. إن طرقَتْ نوافِذَك .. الأعاصيرُ الوبيلَهْ
كان النخيلُ مسافراً فى الأُفْقِ
يرصدُ ماوراء الأفْقِ .... ينتظرُ السّحَابَاتِ الثقيلَهْ
والآن أطْرَقَ ذاهِلاً
نَسِىَ البطولاتِ القديمةَ .. واحتفالاتِ القَبِيلَهْ





تدريبات على البرامج التسجيلية والوثائقية أثناء الدورة التى انعقدت عام ١٩٨٢ في مدينة الدوحة

## حدث فني هام

# من هنا تبدأ السينما القطرية

تحقيق : مريم آل سعد

- أول فيلم روائي قطري يبحث عن فكرة جيدة .
- تدريب المذيعين والمذيعات قبل تعيينهم سوف يمنع تاثرهم بنمط خاطىء يصعب تغييره .
- « التعليم » و « مياه الشرب » و « الأزياء فى قطر » افلام تسجيلية فى طريقها الى المشاهد .

ملفات المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني تقول : إن هذا المركز انشيء عام ١٩٧٦ ، ويبلغ مجموع الدورات التدريبية الاقليمية التي نسقها سواء فى دولة المقر أو الدول الخليجية الشقيقة ٢٣ دورة، استفاد منها أكثر من (٦٠٠) شاب ، ممن يعملون فى جهازي الاذاعة والتليفزيون من دول الخليج العربية .

ومنذ بداية عام ١٩٨٠ اصبح شهرا يونيو وديسمبر من كل عام ، موعداً لاجتماع مسئولي التدريب الاذاعي والتليفزيوني لدول الخليج العربية ، فى مقر المركز الخليجي لتنسيق التدريب .

وقد شارك المركز الخليجي فى جميع المؤتمرات الخاصة بوزراء الاعلام لدول الخليج العربية .

وفي المؤتمر الرابع لوزراء الاعلام لدول الخليج العربية الذى عقد فى دولة البحرين فى فبراير ١٩٧٩ اتخذ المجتمعون فيه التوصية التالية :

هذا ويقوم المركز المحلي للتدريب الاذاعي



لقطة من الفيلم القطري القصير « حارس الفنار » الذي قام ببطولته الممثلان القطريان : محمد البلم وحسن ابراهيم



فريق العمل الذي أشرف على دورة الاخراج التليفزيوني التى قامت بتدريب بعض المخرجين فى التليفزيون القطري

والتليفزيوني فى الدوحة بالعمل كمركز لتنسيق التدريب فى المنطقة ، واقتراح خطط التدريب السنوية وتعميمها على الدول الخليجية

## متطلبات التدريب

من وظائف المركز : عمل الدراسات الدورية فى إذاعات وتليفزيونات دول الخليج ، لمعرفة المتطلبات المتجددة لنوعيات التدريب واقتراح الخطط اللازمة لمواجهة هذه المتطلبات بالاشتراك مع المسئولين عن التدريب فى الدول المختلفة ، مع عمل تقييم للدورات ومدى نجاحها عقب الانتهاء من كل دورة .

كما يتم تجميع مايلقى من محاضرات وبحوث فى الدورات والندوات وطبعه فى كتب وكتيبات ونشرات دورية ، هذا بخلاف تجميع ماتم انتاجه فى المحطات العالمية من أفلام وشرائط مرئية وشرائط صوتية ، تتصل بالتدريب الاذاعي والتليفزيوني لتعمم على المحطات المختلفة للاستعانة



اسماعيل عبد الرحمن العباسي



صورة تذكارية لبعض الأساتذة الزوار للمركز وبعض المتدربين فى دورة المعلمين فى برامج الأطفال

## من هنا تبدأ السينما القطرية

به فى مجالات التدريب .

واحدث مشروع كان فى اكتوبر الماضي ، ويتضمن دورة عن « عناصر التشويق فى العمل الدرامي » ، قام بالاشراف عليها مجموعة من الأساتذة المتخصصين في الاخراج الاذاعي والتليفزيوني ، التصوير ، المونتاج الاليكتروني والسينمائي ، الصوت الديكور ، كتابة النص ، ... وقد عقدت في عاصمة المقر - الدوحة - لتدريب الاعلاميين الخليجيين فى هذه المجالات الفنية .

### الاستعانة بالخبرات

ويتحدث عن كيفية تنفيذ هذه الدورات ومراحل الاعداد لها ، مدير المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني ، وايضاً مدير المركز الاذاعي والتليفزيوني ورئيس وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية اسماعيل عبد الرحمن العباسي ، فيقول ان الفرق بين المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني وبين المركز الاذاعي والتليفزيوني هو أن الأول مختص بالدورات الاعلامية المتعلقة بالتدريب الاذاعي والتليفزيوني بشقيه الهندسى والبرامجي لخدمة ابناء دول الخليج العربية .

والثاني يتولى تخطيط وتنفيذ الدورات الخاصة باجهزة الاعلام القطرية .

ويضيف اسماعيل عبد الرحمن العباسي قائلا :

- بناء على توصيات اجتماع خبراء التدريب ترفع تقارير سنوية عن المركز الخليجي الى مؤتمر وزراء الاعلام لدول الخليج ، الذين يقومون بدورهم بالاطلاع على هذه التوصيات والتقارير الواردة ، ويؤشرون بالموافقة على الدورات التى يرون تنفيذها ، في حين تؤجل بعض البنود الى اجتماعات قادمة ..

وإذا استقرت الموافقة على دورة ما ، مثل دورة « التصوير السينمائي والاليكتروني » ناتي بعشرين اسماً لذوي الاختصاص فى الوطن العربي بموضوع الدورة ، ثم ندرس هذه القائمة ، وانتاج وتاريخ كل شخصية ، وماذا قدمت فى هذا المجال ، لنبدأ على أساس ذلك اختيارنا لطاقم التدريس المناسب فى كل المجالات ، التصوير ، الاضاءة ، الصوت .. وغير ذلك ..

بعد ذلك نعطي هؤلاء الأساتذة فكرة تمهيدية عن المستوى الدراسى للمتدربين ، ومدة خبرتهم في العمل الاذاعي أو التليفزيوني ، حتى يكون هناك تنسيق منظم بين اعضاء مجموعة الدورة الواحدة .فنحن نطالب فى الدورات بان تكون مستويات المتدربين متقاربة كالمراحل الاعدادية أو الثانوية ، أما الاعلى من ذلك فمستحيل الجمع بينهما .

### الاذاعيون الموهوبون

ثم يوضح مدير المركز الخليجي اسماعيل عبد الرحمن العباسي علاقة المركز بالدورات الاعلامية الخليجية فيقول :

- مثلما يتم إعدادنا للدورة الاعلامية داخل دولة المقر - قطر - ، يكون اعدادنا للدورات - التى تفرض مواضيعها - على حسب احتياجات اجهزة إعلام الدول العربية الخليجية الأخرى . فتكون مهمتنا ربط دول الخليج بشبكة من المعلومات عن الدورات ومواعيدها ونوعيتها والأساتذة المشاركين فيها ، وتوفير المناهج والكتب والسكن والمكافات والتنقل والتلكس .

كما نعمل على تنظيم اللقاءات والندوات بين العاملين فى دول الخليج لمناقشة ودراسة كل جديد في عالم الفن الاذاعي والتليفزيوني .

● ولكن ماهو دوركم بالنسبة لاختيار وتحديد موهبة المذيعين والمذيعات ، وصلاحيتهم لهذا العمل قبل تعيينهم ؟ .

قال لي :



فن الماكيـــاج .. علم قائـــم بذاتـــه .. كان لـــه دورات خاصـــة



التراث القديم الذى ساهم فى ديكور الفيلم القطري

– بالنسبة للمذيعين والمذيعات يجب ان يمروا بفترة اختبار وتلقين قبل استلامهم للعمل وظهورهم على الشاشة ، لأن ذلك سيوفر مدة تدريبهم وحتى لا يتعودوا على نمط خاطىء يصعب تغييره ، لكن لقاؤنا معهم – عن طريق الدورات – لا يتم إلا بعد فترة طويلة من تاريخ ممارستهم للعمل .

● وماذا عن مقر المركز .. إنه يبدو ضيقاً لاستيعاب جميع العناصر المتدربة فى كل دورة ... هل استطعتم التغلب على ذلك ؟ .

– فى الوقت الحالي بالتعاون مع الاذاعة والتليفزيون هناك تغطية فى القاعات ، لدينا فى مقر المركزالخليجي قاعة واحدة ، كما يمكننا الاستعانة بالقاعة الموجودة بالاذاعة . وتليفزيون قطر يفتح لنا ابواب استديوهاته ويجيب كل طلباتنا .

● إذن ماهي نتائج هذه الدورات على نشاط المتدربين ؟ .

– لقد لمسنا هذا التطور بالنسبة لوكالة الأنباء القطرية ، بعد دورة الصحافة المحلية التى عقدناها وحضرها محررو الوكالة ، حيث ارتفعت خدماتها الاخبارية لدرجة ملحوظة ، تصل الى حوالي ٤٠ فى المائة وهذه النسبة معقولة بالمقارنة مع مدة تدريب تبلغ شهراً ونصفاً فقط .

## أهم الأفلام

● ولكن .. هل هناك أوجه نقص فى المركز الخليجي يحد من تقديم نشاطه ؟ ..

– المركز ينقصه مبنى خاص مزود بالاجهزة الفنية اللازمة ، ومهيىء بكـادر من المدرسين المتخصصين ، وبدلا من حصر المدة الزمنية للدورات فى شهر او شهرين ، يجب أن تمتد الى الستة أشهر كاقل تقدير ، حتى يرتفع الاستيعاب من ٢٠ فى المائة الى ٧٠ فى المائة ..

● وماذا عن مجموعة الأفلام التسجيلية التى تجرى عليها الدراسة لتنفيذها فوراً ؟

– الفيلم الأول عن « التعليـم فى قطـر » ( ١٩٠٠ – ١٩٨٢ ) .

والفيلم الثاني عن « صيد الأسمـــاك » قديما وحديثا .

والفيلم الثالث عن « مياه الشـــرب في قطـــر » .

وهناك كذلك فكرة فيلم عن « الأزياء فى قطـر » قديماً وإلى الوقت الحاضر ، تاريخ كل زي ومصدره ومناسبته ومن الذي يرتديه وقد تم الاستعانة فى ذلك بمصادر كثيرة للتاكد من صحة المعلومات التى تعود الى التاريخ القديم ..

مثلا الفيلم الذى يتناول مراحل التعليم فى قطر منذ بدايتها ، رجع كاتبها الى ١٢ مصدراً مكتوباً يستقى منها المعلومـــات التاريخية . كما تحول النص بعد كتابته الى لجنة مختصة قامت بدراسته والتاكد من صحة بياناته . وأرسلت نسـخ منه الى الشخصيات التى عاصرت هذه الفترات التعليمية لتعطي رأيها حول ما ورد به .

إن مدة الفيلم نصف ساعة لكن عملية إعداده استغرقت ستة اشهر من العمل المتواصل .. وهو يعتبر عمل متميز من ناحية الموسيقى التصويرية ، والتصوير والمونتاج .. وغير ذلك ..

وقد اصبح لدى المركز امكانية تحقيق فيلم روائي ، لكن افتقار الموضوع الجيد اجل تنفيذ هذا المشروع .

## معهـد للاعـلام

وطموحات المركز – حاليا – تنحصر في أن يتحول مركز التدريب الى معهد إعلامي له مناهجه الخاصة واسلوبه المتميز .. فقد أعدت مناهجه بالاتفاق مع الجامعة ووزارة التربية والتعليم ، وسوف يكون القبول للحائزين على شهادة الثانوية العامة ، لتكون دراستهم للاعلام بجميع فروعه وتخصصاته لمدة سنتين .

وفى سبيل انجاز هذا المشروع تشكلت لجنة من جامعة قطر وهيئة اليونسكو ووزارة التربية والتعليم ، اطلعت على خلاصة الاجتماعات والدراسات التى تم التوصل اليها حول هذا الموضوع ، وابدت الموافقة على ماورد بها .

ومن كل ذلك وغيره ، نرى كيف ان هذا المعهد الاعلامي الهام سوف يخدم ابناء قطـر والدول العربيـة الخليجيـة .

مريم آل سعد

# لقطات من الكون المثير

## شقاوة طفولة

بعد أن تناولت هذه الطفلة من فصيلة القردة العليا وجبتها الغذائية من اللبن المقدم إليها في هذا الوعاء ، راحت تلهو به وتلعب ، إلى أن هداها « تفكيرها » الطفولي الى اتخاذ الوعاء بمثابة لباس رأس ، وعندما ذهبت لتتعلق بفرع شجرة ، خافت على « قبعتها » المعدنية من السقوط ، فكان أن امسكت بها بوضع اقرب الى السلوك البشري ، وكأنما هي تتزين كما تتزين نساء البشر بقبعاتهن ، مع الفرق بين اناث واناث .. بقى أن تعرف أن هذه الطفلة عمرها سبعة اشهر ، وهي من نوع انسان الغاب أو « الأورانج أوتان » .. أقرب الحيوانات صلة بالانســــان ! .



## قلب كيوبيد !



لقطة طريفة لزوجين شابين من إحدى المقاطعات الصينية الواقعة على الحدود الفاصلة بين الصين والاتحاد السوفييتي ، ولقد استخدما هذه الوسيلة من وسائل المواصلات نظراً لأنها هي الوسيلة المتاحة فى هذه المناطق الجبلية المعزولة .. ترى ، ماذا سيكون عليه حال الزوجين إذا رزقا بمواليد جدد ، خاصة وأن الدراجة هنا كاملة العدد ؟ .. لاحظ أن الأطفال الثلاثة قد وفدوا الى الحياة فى فترة زمنية لاتتجاوز الأربع سنوات . ولازال الزوجان شابين .. إنها مشكلة على مستوى الدراجة وعلى مستوى العالم الذى يعاني من أزمات الانفجار السكاني على كل المستويات ، وفى الصين بالذات ، لأنها تمثل وحدها ربع سكان العالم ! .

## كامل العدد !

تشكيل فريد تتخذه بعض انواع الحشرات ، وبحيث ترسمان بجسميهما شيئاً اقرب بقلب كيوبيد ، ولطالما رأى بعضنا هذه الظاهرة التى تستمر ساعات طويلة ، دون أن يحدث الانفصال فى حالة التوقف أو الطيران ، ولقد جذبت تلك الظاهرة انظار بعض العلماء ، فكان أن درسوها ، وعرفوا سراً ما كان ليخطر لنا على بال ، فعملية التلقيح بين الحشرات لا تستمر إلا للحظات أو دقائق معدودات ، ولكن استمرارها لساعات ، امر غير وارد مع هذه الكائنات ، فالذكر هنا يستمر مع أنثاه كل هذا الوقت الطويل ، متخذاً مثل ذلك الوضع المثير بعد انتهاء التلقيح ، ليضمن عدم خلط الأنساب ، ولايزال هكذا ، حتى تضع الأنثى بيضها .. وكأنما الحشرات قد عرفت هذه القيم قبل أن يعرفها البشر ! .

## جمال مدفون !

تجود علينا البحار بمخلوقات ليست متاحة للانظار ، لأنها تلتصق دائماً بالقاع ، فلا تظهر إلا للغواصين الباحثين عن كائنات البحار .. فاول ما يلفت النظر ان هذا الكائن البحري الرخو يشبه الريشة ، ولهذا أطلقوا عليه اسم « ريشة البحر » ، وهو اسم على مسمى .. الغريب أن هذا الكائن الحي إذا تعرض لما يثيره أو يهدده، أسرع بطرد نسبة كبيرة من الماء الذى يحتفظ به فى جسمه الرخو ، وكأنما هو « بالونة » منفوخة انكمشت فجاة من جراء ثقب ، وبعدها تدفن نفسها فى الرمال ، لتختفي عن الأنظار ، والغريب أيضاً أن هذه الريشة إذا لامسها شيء ، فان جسمها يتوهج بضوء أخضر جميل ، ولهذا يعرضونها أحياناً فى محطات الأحياء البحرية ، ليستمتع الناس بجمالها وأضوائها وحركاتها .



# شهادات على سياج الضمير

قصة بقلم : حمدي الكحلوت

(١)

كان اخر ضوء فى نهار ذلك الخميس .. ولم يكن كاي خميس فى ايلول .. وكنت اغذ السير فى طريقي الى اقرب دكان لبيتنا .. دكان ابي رشيد .. اتوكا على عصا .. أهرش الشعرات البيضاء الباقية على جانب الراس .. افكر في ثمن المطلوب ..

بعض علب الخضروات وقليل من الارغفة .. تسكت الأفواه التى نسيت طعم الأشياء وروائحها .. ولم يعد لها من مطلب الآن سوى بعض الخبز .. وقليل من الامن .. اه .. اين الامن ؟ لم يوفره لي ابي .. ولم أستطع توفيره لأولادي فى الغربة .. القلب يتوجس والعين المثقلة بالحزن تتلفت .. فى الجو روائح ونذر .. ليس قليلا ما حدث .. والآتي اكثر ..

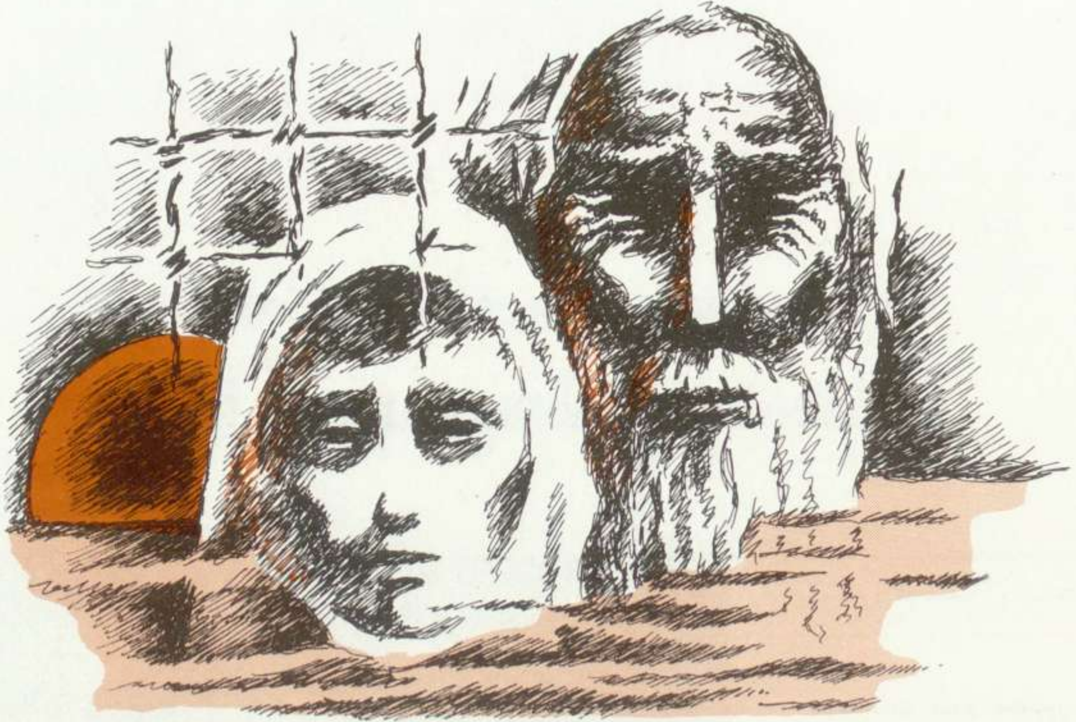
عندما ودعتهم .. كان طعم الدمع مرأ .. طارق ورفيق ومنذر .. ثلاثة كالسهام المشرعة .. لأول مرة تذوب صلابتهم فى قطرات من الدمع .. اجهشوا على كتفي .. انفجرت شهقاتهم كصليات رشاشاتهم .. «لأول مرة نغادر شاتيلا .. الى المجهول .. سامحنا يا ابي .. نلقى بالحمل كله عليك .. خد بالك من الوالدة .. ومن الأخت الصغيرة والزوجات وبراعمنا الحبيبة » وحبات دمع وحبات رصاص .

لا عليكم .. انتبهوا لانفسكم .. نحن بخير .. ويمتزج ذوب الحزن .. يفضح الكذب .. لن نكون بخير بدونكم .. ودعتكم عشرات المرات .. كنتم تعرفون وجهتكم .. لم يرتجف لي جفن .. كانت ابتساماتكم تشع من حبات العيون .. واعده بالعودة لي ومعكم حبة ليمون أو حفنة رمل .. فيتجدد العمر وتزهر خلايا الجسد المتهالك .. لكن الحال الآن غير الحال .. « ياويلنا من بعدكم » تنوح امراة من بعيد .. وتنشد بمواويل حزينة .. فيرتفع النشيج .. «اسكتي ياامراة .. بالطيف من فالك » .. وفى القلب توقر كلماتها وتستقر .. محققة انت ايتها العجوز المحنكة . فى القلب توجس وريبة وهوة ضياع اتية بعرض الأفق .. وفى عرض البحر تنعق سفينة .. تحث على العويل .. تفتح فاها القبيح .. تلتهم فلذات الكبد .. وتبتعد .. تبتعد .. ويصبح الأفق اياد ملوحة .. تصغر السفينة .. تصغر .. تصبح فى حجم دمعة .. وتذوب فى الغسق .. تتلاشى .

كنت اغذ السير متوكا على عصاي .. وكان الزقاق المفضي إلى دكان ابي رشيد يقترب من نهايته ، ملتويا كثعبان مرقط .. تتخلله الحفر وبقايا الفضلات .. وتحفه الأشجار المهيبة على الجانبين .. ومع اقتراب الغروب يزداد وحشة وكابة .. وكان هدير مركبات ثقيلة ياتي من بعيد .. ربما على طرف المخيم .. او فى المدينة المجاورة .. التى سمعنا فى الاخبار انهم اخيراً دخلوها .. يزداد دبيب التوجس في الأعماق .. وسحابة قاتمة من السكون والترقب تلف صفيح المخيم وازقته .. تمتد يدي الى جيب معطفي المهترىء .. اشير الى ما احتاج باليد الاخرى .. يفهم ابو رشيد ماأريد .. نتبادل النظرات الغاضبة المقهورة فى صمت .. ادس الأشياء فى كيس وادفع عكازي فى طريق العودة .. لم يعد فى العمر بقية .

يا احلك الساعات .. ماذا تخبئين ؟! .. لمن هذه الرشقات .. والشهقات ؟ وعامود دخان يتصاعد من بيتي ؟!! ويمتزج الكل بضحكات همجية ؟!! وإذن وقع حدسك ياقلبي .. وتحقق نواحك ياعجوز الوداع .. « قف .. تعال هون » كانوا اربعة .. ولباساً غريباً ولكنة مالوفة .. وعيون ذئاب .. وايد تقبض على رشاشات وسواطير ..

وزجاجة خمر تدور بينهم وانا .. ياأحلك الساعات .. لم يعد فى العمر بقية لأي شيء و.. و .. ويدفعني الأول .. فيتلقاني الآخرون .. يدوسونني .. عفوكم ايها الآدميون .. انا شيخ عجوز .. رحمة بشيخوختي .. بمرضى .. بحزني .. يقهقهون .. تنهال الاتهم الحادة على جسدي .. تقطع اجزاء من جسدي .. أصرخ .. اتلوى الما .. يمتزج



صراخي بضحكهم وصخبهم وبالصمت الرهيب الذى يلف المخيم مع الظلام .. ارفرف كعصفور ذبيح .. ازحف من بينهم وانا اجر معي بركة الدم .. افسد عليهم متعتهم .. يغضبون .. تسكت ضحكاتهم .. تصرخ رشاشاتهم فى ساقي .. في كتفي ..

ذراعي .. واتخبط فى دمي .. ويغرق كل شيء فى الظلام وفى انعدام الحس والحركة وسائل دافىء احمر يغطي البصر.

(٣)

الحاسة السادسة .. والقذائف المضيئة .. يدفعاني الى المخيم .. شيء ما يجرى هناك .. لابد ان احقق ضربة .. سبقاً ..

خزياً اشتم رائحته من بعد .. رشقات رصاص .. شهقات مكتومة .. صورة من بعد .. قف .. من قال لك أن تدخل .. هات الصورة .. اخرج .. انفذ بجلدك .. احمد ربك انك لست منهم .. لماذا تعطفون عليهم ؟! .. ياللعار .. إذن انتم تذبحون الجميع .. بدم بارد .. رسالة تبشير جديدة من عالمنا الحر .. كيف انام الساعات الباقية من الليل . ؟ اصوات القتلة تطاردني .. اشباح القتلى تفزعني .. لابد أن الامر جسيم .. اتقلب .. ادون بضع كلمات .. رسالة مستعجلة إلى صحيفتي ..

هناك امور هامة تحدث قربي .. ساوافيكم بالبقية بعد ساعات الصباح .

صباح السبت .. « شبات شالوم » .. عليك يا شاتيلا .. ياإلهي .. ماهذا ؟! اكوام البشر .. واكوام الاسمنت .. وعيون مفقوءة وبطون مبقورة .. وحبال فى الايدي والارجل .. واطفال .. وشيوخ .. ودماء ..

ودماء .. وذباب ازرق .. وصمت .. لاشيء .. سوى طنين الذباب الازرق ..

« عودوا إلى مساكنكم .. لا تقلقوا » .. الموت فى انتظاركم .. تحت قناديلنا المتوهجة .. اغيثونا .. انهم يذبحوننا ..

« لا ...لا .. نحن لا نتدخل في شؤونهم الداخلية » .. لاتقلقوا .. سيكون كل شيء على مايرام .. لن تشعروا بشيء .. عودوا لمساكنكم .. لن اكمل الرسالة اليوم ..

ساوافيكم بتفاصيل اخرى فى المرة القادمة .. اشعر بدوار .. بغثيان .. بحمى .. ماذا سيقولون ؟ كجمع من اللصوص .. من القتلة .. سيشير كل إلى الآخر ويكون الشيطان رابعهم .. وسيغضب الشيطان ..

ثم يباركهم .. سيقهقه الشيطان .. ويهمس لهم .. هذامهم للامان .. احسنتم وساصدر لارضيهم هم بيانا .. مجرد بيان ...

(٣)

قرات .. قرات .. سمعت .. سمعت .. ذهلت .. صدمت .. صداع وغضب .. ومذياع وتلفاز وحبة اسبرين .. وفي الصباح .. نظرت الى المرآة .. بصقت ..

عاجز .. حقير .. خرجت الى الشارع .. لاشيء .. صمت .. جلدتني النظرات .. لململت شعري .. ثياب النوم .. وعدت ..

اضرب بقبضتي على الطاولة .. اكتب .. اكتب .. امزق واشطب .. كلام .. كلام .. كلام .. أدب .. مقال .. خطب .. بيان ..

شجب .. ادان .. وبركة الدم تعلو الركب .. مباشر .. عميق .. قصة .. شروط وفن ..

ونقد .. وتسطيح .. ورفض وتقعير وتجريح وفلسفة وزعيق .. وتعلو بركة الدم فوق الجباه .. ويظهر قرص الشمس .. وتمضى الحياة .. الملم اوراقي .. امزق .. شهاداتي .. وأرمي بها على السياج ..

حمدي الكحلوت

# ليدي هاملتون
## الفاتنة
## التي أسرت بطل البحار!

بقلم: جمال الكناني

قصة «إما» ليدى هاملتون ، فيها من الغرائب والماسى ما يغنى كاتبها عن كل مبالغة أو تانق فى الأسلوب أو صنعة يستهوى بها القارىء أو يجذب انتباهه .. فالقصة غنية عن كل ذلك ، تبدأ من الحضيض وترتفع الى السماء ثم تهبط الى أسفل سافلين ... تبدأ بجوار الكير ثم تنتقل الى القصور وتنتهى فى السجون ... أولها فقر وضعة ووسطها عز وجاه وآخرها ذل ومسغبة .

والخير أن نبدأ القصة من البداية .

لما ولدت زوجة حداد فى قرية من قرى شمال انجلترا طفلة ، لم تتحرك فى القرية كلها شعرة واحدة ولا أحس بالمواودة غير أمها انسان .. بل ولم يعلم أبوها بمولدها حتى عاد من دكانه فى آخر النهار .. ولسنا نعرف تاريخ هذا الميلاد .. لأن الوليدة «إما» لم تقيد فى سجل المواليد ولكنها عمدت فى الكنيسة فى ابريل ١٧٦٥ تحت اسم «إميلى» ... ومات أبوها قبل أن تتم العام الأول من عمرها وكانت أمها تخدم فى البيوت حيناً وتحترف الخياطة حيناً آخر بينما كانت الجدة تشرف على تربية البنت .

ولحكمة لا ندريها غيرت الأم اسمها الى مسز «كادوجان» وغيرت البنت اسمها من «إميلى ليون» الى «إما هارت» .. فلما بلغت العقد الثانى من عمرها لم تجد صعوبة فى الحصول على عمل فى لندن ، فدخلت «إما» خدمة المنازل وهى فى الثالثة عشرة ... وبدأت العمل فى بيت الدكتور «رتشارد بد» حيث كانت تخدم «جين باول» التى أصبحت فيما بعد من أشهر الممثلات فى انجلترا .



الأميرال لورد هوراشيو نلسون الذي كتب آخر رسائله «لاما» أثناء معركة الطرف الأغر في ١٩ اكتوبر عام ١٨٠٥



« إمـــا » او ليـــدي هاملتـــون التى كانـت لهـا جـاذبية خـاصة ، جعلـت الفنانيـن يلاحقونهـا ويطلبون رسمها وتصويرهـا

وبقال إن إما خدمت بعد ذلك فى احد المتاجر ثم فى «حان» وعملت بعد ذلك رفيقة لامراة مشبوهة السمعة ، ويقول البعض إن «إما» نفسها سارت على ذلك الدرب حيناً ، ولكن العارفين ينفون ذلك تماماً ويبرئونها من تلك الفرية .

## أبواب المجتمع

كان المجتمع البريطانى فى القرن الثامن عشر ، لا يحرم على المتزوج ـ من الاغنياء خاصة ـ اتخاذ صديقة له ، وكان المألوف إذ ذاك ، و «الموضة» الشائعة ، هى أن يتباهى الرجل بصديقته ، مما أرغم حتى الأمناء من الأزواج على اتخاذ صديقات «بالاسم فقط» لكى لا يتهمهم الأصدقاء بالرجعية والتخلف ... فكان هدف الفتيات الفقيرات هو الحصول على رجال اغنياء يتخذون منهن صديقات ، وخاصة وان هذه الحالة كانت مقبولة لدى المجتمع !!

بدأت «إما» تنضج وتتفتح اكمامها ويبهر جمالها الأنظار ، وحصلت على صديق ريفى هو السير «هارى ستون هاو» وكان من سادة الريف يقيم حفلات الصيد فى المواسم ويدعو السادة والنبلاء ، رغم ما كان يتصف به من عبط ... وتعلمت «إما» ركوب الخيل والاختلاط بعلية القوم ومنهم ابن «ايرل اف واريك» وهو تشالز فرانسيس جريفل .

وكان جريفل هذا أصغر أولاد «الايرل» ولذا لم يكن له الحق فى أن يرث لقب أبيه أو ممتلكاته ، فكان يعيش على راتب ربطه له أبوه ، وهو حوالى ٦٠٠ جنيه سنوياً يضاف اليه ما كان يتقاضى من وراء شغل بعض الوظائف الحكومية الصغيرة ، يساعده فى الحصول عليها خاله السير وليام هاملتون ، سفير بريطانيا لدى بلاط الملك فردیناند ملك نابولى .

ولفتت «إما» نظر جريفل وأسال جمالها لعابه ، فاستغل غفلة السير «هارى» صاحب «إما» واخذ يغازلها ويتودد اليها حتى استطاع ان يفوز بقلبها .. وساورت الشكوك السير هارى رغم غفلته ، فثار لكرامته فقرر طرد «إما» فى ديسمبر ١٧٨١ وهو يعلم أنها فقيرة معدمة وانها حامل ولكن كان عنده من الأسباب ما اقنعه بانه غير مسئول عن ذلك الحمل ، وأن الجنين الذى تحمله «إما» ليس من ظهره .. فخرجت من داره باكية لا تلوى على شىء .

وضاقت بها السبل فكتبت لصاحبها جريفل فى يناير ١٧٨٢ ، وكان قد شجعها من قبل على الكتابة اليه واعطاها ظروفاً معنونة باسمه ، ولعل فى ذلك ما يبرر أو

# الفاتنة التي أسَرَتْ بطل البحار!



يؤكد ما كان بينهما من علاقة ويوجه أصبع الاتهام اليه ويعزز شكوك السير هارى .. قالت فى خطابها لجريفل انها كتبت سبع مرات تستجدى السير هارى وتطلب مساعدته ولكنه تجاهل رسائلها وتمنت لو انها أصبحت صديقة جريفل وملك يديه كما ملكها السير هارى من قبل ، وطلبت منه أن يعينها فى محنتها ، دون أن تفصل اسباب المحنة مما يوحى بان جريفل كان يعرف انها حامل ، بل ولعله كان يعرف انه هو المسئول .

كان رد جريفل على «إما» غاية فى البرود اتسم بالصلف ... نصحها بان تحاول اصلاح ما فسد بينها وبين السير هارى ، فاذا فشلت واختارت ان تكون صديقة له ، فانه لن يسمح لغير امها من أفراد أسرتها ـ أو أطفالها ـ بالعيش فى بيته ...

وضع جريفل هذه الشروط رغم انه كان يتلهف على صحبتها ولكنه كان يعرف أن الصديقات غاليات يكلفن الكثير من المال ... ولم يكن ماله كثيراً وهو فوق ذلك بخيل بفطرته .

ولدت «إما» فتاة أسمتها «إما الصغيرة» هى لاشك بنت جريفل ، فوكلت أمر تربيتها لجدتها الطيبة «مسز كد» ورضى جريفل ان يربط لها جعلا شهرياً لقاء ذلك .. وكانت الجدة الحنون تنفق على الصغيرة اكثر من ذلك الجعل بكثير ..

كانت «إما» وامها صفقة رابحة بالنسبة لجريفل فقد وجد فى «إما» صديقة رائعة وفى امها مديرة حكيمة مدبرة لبيته فهبطت نفقات البيت الى ١٥٠ جنيه فى السنة ولم يزد ما كان يعطيه «لاما» أسبوعياً عن جنيه واحد يغطى جميع نفقاتها الشخصية .

لم يكن جريفل لين العريكة ولا كان سمحاً متساهلا فى معاملة «إما» ، يعيب عليها جهلها وعدم تهذيبها وعدم إلمامها بقواعد اللياقة والأصول المرعية فى المجتمع ، فكانت كلما أخطأت اغلظ لها القول وقسا عليها ولكنها ، لفرط حبها له ، كانت تغتفر له قسوته وتتقبل ما يفرض عليها من عقوبات بصدر رحب .

بدأ الرسامون والفنانون يلاحقون «إما» ويطلبون رسمها وتصويرها ، فزاد احساسها بما لها من جاذبية وأثر على الرجال ، وانها واحدة من فاتنات عصرها تنهال عليها العروض من أشخاص لهم فى المجتمع مراكز مرموقة ... ولكنها رغم كل المغريات ظلت مخلصة وفيه لصاحبها جريفل الذى لم يعاملها معاملة الخليلات ، فلا أهداها ماساً أو جواهر ولا قدم لها الهدايا .. فقد كانت تعجب به كل الاعجاب وتخلص له وتحبه بكل جارحة فيها .

## الخطة الجهنمية

عاد السير وليام هاملتون ، السفير البريطانى لدى بلاط الملك فردیناند ملك نابولى ، وهو كما قلنا خال جريفل الذى يكبره بعشرين عاماً ، عاد الى انجلترا لقضاء اجازته السنوية فى عام ١٧٨٤ وكان إذ ذاك أرملا فى الرابعة والخمسين من عمره ، لا ولد له ولا بنت ، فكان يعتبر جريفل ابنه ، حتى انه قرر أن يكون هو وريثه الشرعى .

كان السير وليام رجلا رياضياً يحب المشي ويحافظ على صحته فكان يبدو أصغر سناً من سنه بكثير وخاصة انه كان مرحاً بفطرته يحب النكتة الحلوة ويجذبه الوجه المليح .. فلا عجب انه ارتاح «لاما» ورضي عن المحاولات التى بذلتها للترحيب به ارضاء لصاحبها جريفل الذى كان يتطلع لوضع يده على ثروة خاله ويحرص على أن لا يتيح له فرص الزواج لكى لا يعقب خلفاً يحرمه من الميراث .

استطاع السير وليام هاملتون أن يطمئن جريفل على مستقبله المالى بان تعهد بضمان أى قرض معقول يريد جريفل أن يحصل عليه .. وبذا تفتحت أبواب فى وجه جريفل وتحسنت فرص زواجه وبذا فترت علاقته بصديقته وبدأ يفكر فى سبل الخلاص منها واستبدالها بزوجة غنية ... والتقاليد تحرم الجمع بين الزوجة والصديقة تحت سقف واحد .

وفكر فى إغراء «إما» وتشجيعها على قضاء عطلة طويلة فى دار السفارة فى نابولى ، ضيفة على خاله السفير ، تصحبها أمها ، وهو على يقين من أن خاله لابد يتخذها صديقة له فلا يفكر فى الزواج فبدأ جريفل يمهد لخطته الجهنمية فى حذر تام ، ويحدث خاله ـ كلما لاحت فرصة ـ عن جمال إما وإقبال الفنانين على رسمها ومحاولة علية القوم ان يتقربوا منها ، ويتفاخر بانه هذب سلوكها ونبه وعيها بالآداب الاجتماعية .. فلما عاد السفير الى نابولى اخذ جريفل يلاحقه برسائله يطالبه بدعوة

«إما» وأمها لقضاء عطلة طويلة فى نابولى .. ورضخ السفير .. وقبلت «إما» السفر على مضض لأنها كانت تكره فراق حبيبها جريفل .

وصلت «إما» ومعها أمها الى نابولى يوم ١٦ ابريل ١٧٨٦ وهى فى الحادية والعشرين من عمرها ، اكثر ما تكون جمالا وأروع ما تكون سحراً وجاذبية .. واحسن السفير استقبالها هى وامها واكرم وفادتهما ولكنها احست بحنين قاتل فاخذت تكتب لجريفل تبثه أشواقها وتطالبه بالكتابة اليها ولكنه تجاهل رجاءها .

بدأت «إما» فى السفارة حياة جديدة .. حياة الطبقات العليا فاخذت تتردد على المسارح ودار الأوبرا والحفلات الموسيقية فى صحبة السير وليام ... ولكنها لم تنقطع عن الكتابة لجريفل تؤكد له أن الحياة بدونه موت ولكنه لم يأبه بالرد عليها .. وفى كل حب من يقبل ومن يسمح لنفسه بأن يقبل وفى كل حب قلبان احدهما دافىء والآخر بارد .. للبارد قيمة لا تقدر ، والدافىء عديم القيمة جزاؤه ان يطرح بعيداً .. ولقد طرح جريفل قلب إما ورماه بعيداً ..

وبدأت علاقة السير وليام الأفلاطونية تجاه إما تسخن وتتغير .. كان دبلوماسياً دربا محنكاً .. فتمهل ولم يتعجل .. تقرب اليها بحذر ولم يعترض ابداً على كتابتها لجريفل .. وبدأت هى من ناحية اخرى تدرك أن فى علاقة جريفل فتوراً شديداً فحاولت أن تثير فى قلبه الغيرة وبدأت تعدد فى رسائلها اسماء من وقعوا فى غرامها من الكبراء والنبلاء ... الملك نفسه يرفع قبعته تحية لها .. ولم تدرك أن جريفل باعها يوم ركبت السفينة الى نابولى ... وبعد فترة وجه جريفل اليها طعنة فى الصميم واهانها أعظم إهانة إذ طلب منها أن تقدم نفسها لخاله وقال «حاولى ارضاء السير وليام» ... وطار صوابها وردت عليه تقول «لو كنت أمامى فى هذه اللحظة لقتلتك وقتلت نفسى .. لن أرضى إلا بالعودة إليك » ...

وانهمرت دموعها بعد ذلك اياماً .. وواساها السير وليام وطيبت أمها خاطرها .. وتغير الحال وبدأت إما تهدد جريفل بأنها قد تتزوج السير وليام ... واخذت تسعى لذلك جاهدة ووجدت ان امر الزواج من السير وليام جد عسير لانه كان يعتز بمركزه وحياته فى السلك السياسى وكان يرى فى وضوح الفرق بين ان تكون «إما» صديقته وأن تكون زوجته .. هل يقبلها ملك بريطانيا زوجة لسفيره ؟ وهل يرضى بها ملك نابولى وملكتها والكل يعرف أنها من اصل متواضع وأن سمعتها لا ترتفع فوق الشبهات ...

وكانت هى بذكائها الفطرى تدرك ذلك كله ، وترى أن السير وليام قد يعمل على راحتها وسعادتها دون أن يطلب يدها .. فاخذت ترتب وتدبر لتحقق رغبتها فى الزواج من السفير .

## الصدفة المدبرة

كان بين مبنى السفارة البريطانية فى نابولى وبين القصر الملكى أرض فناء فيها الكثير من الأشجار والخمائل ، اطلق عليها اسم الحديقة الانجليزية ... وكانت «إما» تعرف يقيناً أن ملك نابولى كثيراً ما يخرج للنزهة فى تلك الحديقة .. وخرجت «إما» ومعها تابع ، للنزهة فى نفس الحديقة .. وهناك اقترب منها رجل بادرها بالكلام .. وعرفته «إما» ولكنها تظاهرت انها لم تعرف الملك الذى كانت تعده من بين المعجبين بها .. وصدت الرجل صداً اقرب ما يكون للدعوة .. وعرف الملك انها غير جادة ، وإلا لعادت لتوها للسفارة بدلا من ان تتجه الى خميلة منعزلة ... واعطى الملك تابعها بعض المال وصرفه ... وتقدم «لاما» باقتراح لا ترضاه امراة شريفة فقالت له انها لا يمكن أن تعير الاقتراح اى التفات إلا إذا كان مكتوباً ... وقدمت له ورقاً وقلماً فكتب الملك ما أراد ...

ومن البديهى أن «إما» قد دبرت تلك الصدفة وذلك اللقاء ، لأن النساء لا يخرجن مزودات بالورق والاقلام ... وحملت «إما» اقتراح الملك المكتوب وراحت تبكى للملكة تشكو من أن رجلا غريباً لا تعرفه دهمها فى الحديقة واقترح عليها ما خطته يده .. وعرفت الملكة خط زوجها ، وكانت تعرف الكثير عن سلوكه ومطاردته للنساء ... ورأت الملكة فى «إما» الجميلة خطراً داهماً فاخذت تدبر لدرء ذلك الخطر .

وبعد تفكير وروية قررت الملكة أن سبيل الخلاص من «إما» هو أن تيسر لها الزواج من السير وليام ... واخذت تتحين الفرص لتلمح للسفير البريطانى بأن بلاط نابولى يرحب بإما زوجة للسفير .

وفى ١٧٩١ سافر السير وليام الى انجلترا وطلب من الملك جورج الثالث الاذن له بالزواج من إما ... وامتعض الملك ولكنه وافق على مضض وعلى شرط أن لا تدخل إما أى قصر من قصور ملك بريطانيا وأن تستقبل فيها ... وتم الزواج فى لندن ..

## لم يكن أول لقاء

وفى يناير ١٧٩٣ اطاحت الجليوتين برأس لويس السادس عشر ملك فرنسا لاتهامه بالتآمر ضد سلامة الدولة .. واطاحت المقصلة ذاتها براس أخته ورأس ملكته بعد ذلك وسرعان ما شبت الحرب بين فرنسا وانجلترا .

وكتب نلسون حال قيام الحرب ، الى الأميرالية يلتمس أن يعطى سفينة حربية مهما كان نوعها واعطته الأميرالية سفينة من الدرجة الثانية وصدرت له الاوامر بالانضمام للاسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت مهمته إذ ذاك ضمان حبس الأسطول الفرنسى داخل موانىء جنوب فرنسا فاشترك نلسون فى حصار جزيرة كورسيكا ، واصيبت عينه اليمنى أثناء إحدى المناوشات وفقدت جل بصرها دون أن يتشوه شكلها .

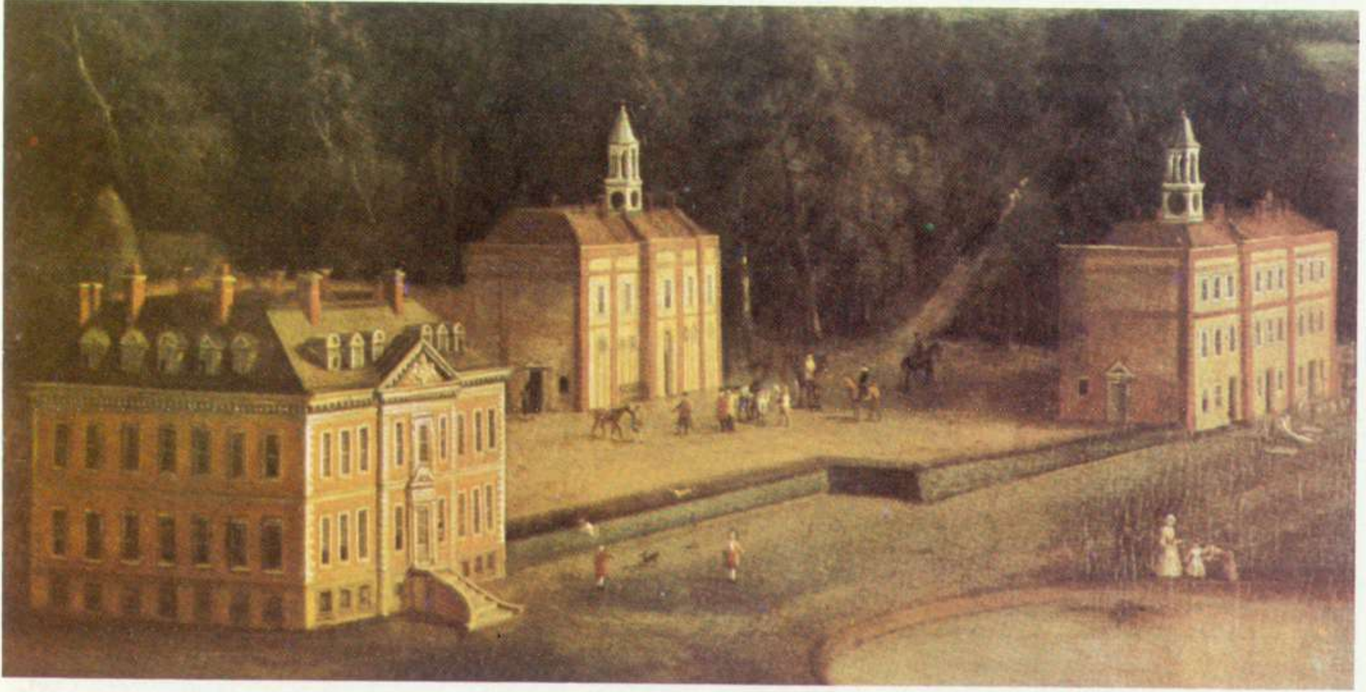
أخذت جيوش نابليون تفوز فى المعركة بعد المعركة ، فطردت النمساويين من شمال ايطاليا واقتربت من نابولى ، وعلم ملكها فرديناند من شقيقه ملك اسبانيا ، أن فرنسا قد تحالفت مع اسبانيا .. وكانت الصداقة قد توطدت بين ملكة نابولى وبين إما هاملتون ، فاخبرتها الملكة بما تم من تحالف بين فرنسا واسبانيا ، وبذا تمكن السير وليام من ابلاغ الحكومة البريطانية بذلك .

فلما تمت هزيمة النمسا وانسحبت بروسيا من الحرب وانضمت اسبانيا لفرنسا وقفت بريطانيا وحدها امام نابليون فاستدعى الأسطول البريطانى من البحر المتوسط لحماية سواحل الجزر البريطانية. وانضم نلسون الى الأميرال السير جون جارفس الذى كانت سفنه تراقب سفن الأسطول الأسبانى الذى بدأ يتحرك لينضم للاسطول الفرنسى فى برست . ووقعت بين الأسطولين معركة سانت فنسانت ، احرز فيها البريطانيون نصراً مبيناً وأبلى فيها نلسون بلاء حسناً فمنح لقب الفروسية .

وفى صيف نفس السنة صدرت الأوامر لنلسون بغزو تاناريف ووضعت تحت قيادته قوة بحرية لا تتناسب مع المهمة التى وكلت اليه . وحدث أثناء اشتباكات لم يوفق فيها نلسون أن فقد ذراعه الأيمن .

وما ان حل عام ١٧٩٨ حتى خيل لنابليون أنه البطل الذى لا يهزم ولا يقهر ... وقرر أن يغزو مصر ليتخذ منها قاعدة يغزو منها الهند ... وعاد نلسون الى البحر الأبيض المتوسط فى مايو ١٧٩٨ بعد ان صدرت له الأوامر بالعثور على الأسطول الفرنسى واعتراضه حتى لا يتمكن من الهروب .

وبعد بحث دام شهراً كاملا نقص تموين سفن نلسون لدرجة مقلقة فاراد أن يلجأ الى سيراكيوز ، ميناء صقلية ، يلتمس منها ماء أو ميرة ولكن محافظ الميناء لم يسمح



القصـــر الــــذي خدمـــت فيـــه « إمـــا » لأول مـــــــرة في حياتهـــــــا

له بالدخول . وعلم السير وليام هاملتون بذلك ، وما كان من «إما» إلا أن ضغطت على صديقتها ملكة نابولى فسمح للاسطول بالدخول ... واتجه نلسون بعد ذلك الى «أبو قير» وهناك حطم الأسطول الفرنسى فى موقعة النيل وفيها اصابت شظية جبين نلسون فتهدل جلده حتى غطى عينه وظن انه قد فقد بصره .. فلما رد الجلد الى موضعه استرد نلسون بصره ولكن هذه الاصابة كانت السبب فيما كان يحس به من صداع دائم بعد ذلك .

لما عاد نلسون الى نابولى بعد بلائه فى موقعة النيل استقبلته «إما» ودموع الفرح تنهمر من عينيها ، ثم غابت عن الوعى .. ولم يكن ذلك أول لقاء بين ليدى هاملتون ونلسون لأنه كان قد زار السفارة من قبل .

كان نلسون إذ ذاك فى الأربعين وكانت إما فى الثالثة والثلاثين . والمعروف عن نلسون انه يتمسك بأهداب الشرف والفضيلة وأنه كان متديناً كل التدين ولم يكن من المعقول أن رجلا هذه صفاته له ما لنلسون من شجاعة ، يخون صديقاً له فى زوجته ... ومن ناحية أخرى كانت إما قد ذاقت طعم السمعة الطيبة لما غطى رداء الزوجية ما وقع منها فى الماضى وما ارتكبت من أخطاء ، فلم يكن من المعقول أن تسعى وراء فضيحة جديدة ... ولكن كلا منهما وقع فى غرام الآخر رغم كل ذلك ، وخطا معاً فى كتاب الغرام قصة من أروع قصص الحب وأكثرها ألما وإيلاماً .

## فى ضيافة ليدى هاملتون

كان من الممكن بل ومن المحتمل أن تختفى صورة «إما» وتطوى فى لا شعور نلسون وأن ينسى حتى اسمها لو أن سفنه رست بعد موقعة النيل فى ميناء غير نابولى ، وكان من الممكن أن يعتبر نلسون انه رد لاما جميلها لما أهداها أمة نوبية جاء بها من مصر . ولكن شاءت الأقدار أن ترسو سفن نلسون فى نابولى ، وأن تكون سفينة القيادة نفسها قد أصيبت بعطب يستلزم الاصلاح مما اضطر نلسون أن يطيل اقامته فى نابولى ، فى ضيافة ليدى هاملتون ... أو فى أسر سحرها .

لم يكن سير وليام هاملتون فى غفلة ... فاختار بين أمرين أحلاهما مر ... اختار بين الصمت والفضيحة ... وآثر الديبلوماسى ، وكان قد بلغ الثامنة والستين واعتلت صحته وهيض جناحه ، أن يغمض عينيه ويتشاغل بمصير نابولى التى عرضت نفسها لسخط فرنسا لما قدمت العون للاسطول البريطانى ، وأصبح من الواضح لكى ينجو ملك نابولى وملكتها فلايصيبهما ما أصاب لويس السادس عشر ومارى انطوانيت ، ضرورة الهروب الى مكان أمين لا يمكن أن يهاجم إلا عن طريق البحر وبذا يمكن الأسطول البريطانى أن يدافع عنه ...

وكانت صقلية هى المكان المناسب فاهلها يكرهون الفرنسيين ويحبون الملك فرديناند.

وتم نقل الأسرة المالكة وحاشيتها من نابولى الى صقلية فى سرية تامة ، وفى معيتها السير وليام وزوجته إما ... ولكن ترى هل فكرت إما فيما يكنه المستقبل ؟ لقد وقعت فى حب نلسون معبود بريطانيا فهل فكرت كيف تلقى زوجته الشرعية «فانى» ؟

انتشرت الأخبار وعرف العالم ان نلسون على علاقة غرامية باما ، ليدي هاملتون ... وكتب الأصدقاء ينبهون نلسون فى لباقة ويرجونه أن يعني بصحته ... وأدرك نلسون انهم يوصونه لسمعته خيراً ، وكان هو بدوره يهتم بسمعته ... ولكن إما .. امراة مغامرة ، فى نشوة الحب ، فاخذت تكثر من الحفلات ليراها الناس الى جانب بطلها ومعبودها وكانها تتحدى العالم وتقول « ندموا ماشئتم » ، ومن يدري فلعلها كانت تعرض على العالم قوامها قبل أن يدركها السمن الذى يدهم بعض النساء فى الثلاثينات وبعدها .. أو لعلها كانت تخشى السمن لعلة أخرى تعرفها هي وحدها .

اعتبر السير وليام هاملتون انه أتم مهمته فقدم استقالته التى قبلت فوراً ... وكانت الملكة ماريا كارولينا ، ملكة نابولي قد قررت فى أوائل صيف ١٨٠٠ أن تزور النمسا وأن تكون إما وزوجها فى صحبتها ... وراق ذلك « إما » لأن نلسون كان قد اضطر للعودة الى انجلترا بطريق البحر ، ودعته الملكة لمرافقتها فى الرحلة .. بذلك



إحدى اللوحات التى رسمها لها الفنانون .. اللوحة عنوانها : غازلة الصوف



## الفاتنة التي أسرت بطل البحار!

يتحقق لاما ان تعود باطول طريق فى صحبة نلسون بعيداً عن اعين الرقباء الذين قد يكشفون سراً دفيناً كانت تحمله فى بطنها .. وهو ثمرة علاقتها بنلسون وسبب خوفها من زيادة وزنها وترهل جسمها .

استقبل الناس نلسون في فيينا استقبالا شعبياً وكانوا يتهافتون على اي مسرح أو مكان يزوره . وانتقل الركب الملكي وفيه بطل موقعة النيل الى براغ ثم الى درزدن وفيها ذاقت إما طعم اول اهانة توجه اليها من اسرة حاكمة ، إذ أن حاكم درزدن وجه الدعوة لنلسون وحده .

ووصلت إما الى انجلترا بسلام .. وفى اواخر ١٨٠١ لزمت الفراش بحجة انها مصابة ببرد شديد ، وفى الأسبوع الأول من فبراير حملت إما وليدها الى بيت سيدة تدعى مسز جبسون .. واعلنت اسمها وطلبت من السيدة أن تتولى تربية الوليدة وادعت إنها ولدت فى شهر اكتوبر من العام السابق ١٨٠٠ محاولة بذلك ابعاد الشبهة عن نفسها لأنها كانت إذ ذاك على سفر فى صحبة الملكة ولكن عيني المسز جبسون ادركت أن عمر الوليدة لا يزيد عن اسبوعين او ثلاثة ... وعرفت المربية أن اسم البنت « مس هوراشيا» دون أي لقب .. وكان نلسون فى البحر إذ ذاك ، فلما علم بمولد بنته طار لبه فرحاً .

لم تنل الأيام من عمق أو حرارة الحب الذى جمع بين قلب نلسون وقلب إما . ولعل فترات غياب نلسون في البحر حدت من احتمالات سوء التفاهم .. كانت الأخطاء تنسى وتغتفر أثناء الفراق وكان كل لقاء شهر عسل جديد ... كان نلسون يعرف أخطاء إما وعيوبها ويعرف اسرافها وميلها لصحبة العامة وفتور شعورها تجاه بنتهما هوراشيا .

اعتلت صحة السير وليام هاملتون فى عام ١٨٠٣ وكان قد بلغ الثالثة والسبعين فلما أحس بوطأة المرض وهو على سفر عجل بالعودة الى داره ... ومات الديبلوماسى العجوز ونلسون وإما بجوار فراشه وذهب البعض إلى ان حزن « إما » على موت زوجها كان مصطنعاً ، ولكنها عبرت عن شعورها بدقة إذ قالت إنها بموته فقدت صديقاً وأباً .

حملت « إما » مرة ثانية ، ولكنها هذه المرة وضعت مولوداً ميتاً واستعانت بمسز جبسون على دفن الوليد سراً . أما الذي لم تستطع اخفاءه على الناس فهو وزنها الذى زاد بعد الوضع الثالث زيادة استغلها رسامو الكاريكاتير الى ابعد حد .

### ضياع الحب العظيم

يقال إن الانسان يشعر بقرب المنية قبل بدء اية معركة حربية ، ولكنه لا يابه بذلك . والمعروف أن نلسون كتب آخر رسائله لاما وهو على ظهر السفينة « فكتوري » أثناء معركة الطرف الاغر يوم ١٩ اكتوبر ١٨٠٥ عدد فيها خدماته لوطنه ، وكرر نفس المعنى فى مذكراته ، إذ قال « لو اني كنت اثاب على تلك الخدمات ، لطلبت ماشئت من بلادي ، ولكني على البعد ، أودع ليدي إما هاملتون امانة فى ذمة ملكي ووطني ليوفروا لها مايكفي ويزيد لكي تحيا حياة تناسب مقامها ومركزها ... وأودع فى ذمة وطني كذلك بنتي بالتبني هوراشيا نلسون طومسون وأمل أن تقتصر مستقبلا على اسم نلسون » .

هكذا احس نلسون بدنو الأجل .. فهل كان موته انتحاراً أم قضاء وقدراً .. ؟ لم جعل من صدره هدفاً لرصاص العدو ولم غطى صدره بكل ما يملك من أوسمة ، رآها صاحبه الوفي هاردي تلمع فادرك أن نلسون يريد أن يتحدى الفرنسيين ويقول هانذا نلسون ، سددوا رصاصكم لصدرى . فطلب هاردي من أميره أن يغير سترته فتعلل بقصر الوقت ولكنه أخذ يطوف برجاله يشجعهم ويشد أزرهم.فى ظهر ذلك اليوم حطمت رصاصة العدو فقرة فى وسط ظهر نلسون وحمله رجاله الى كبينته حيث أسلم الروح .

ونقل الخبر لاما فخرت مغشياً عليها ، فلما افاقت اخذت تسال فى ذهول .. ماذا أفعل ؟ كيف اعيش ؟ نعم .. كيف تعيش بغير حبها العظيم ؟ .

اغدقت الحكومة العطاء على شقيق نلسون وشقيقاته .. وأهملت عشيقته وبنته فلم ينلهما أي خير ولم يرحم القدر إما بل أضاف الى همومها فى عام ١٨٠٦ لما أعلنت أولى بناتها « إما الصغيرة » انها بنت ليدي هاملتون فدوت أصداء الفضيحة ولاكتها الألسن .

الحت الأزمة المالية واذلت عشيقة نلسون فاخذت تكتب العرائض والشكاوي للحكومة وتذكر الدولة بما قدمت من خدمات وما أوصى به نلسون ولكنها لم تجد من يستمع لها أو ياخذ بيدها .. فاستمرت فى بيع ما تملك دون أن تكبح زمام اسرافها .. فحملت هم الدين ومذلته وطاردها الدائنون ... كانت تخرج من ازمة مالية لتدخل أزمة مالية تالية ... وضيق الدائنون عليها الخناق .. وانتهى بها الأمر فى سجن المدينين ومعها بنتها من نلسون ، وكان ذلك في يناير ١٨١٣ . وتقدم اهل الخير لنجدتها وجمعوا من المال ما مكنها من الخروج من السجن مؤقتاً ... ولكنها عادت تسرف وتبذر وتقترض ، وزج بها فى معتقل المدينين فقضت فيه عاماً كاملا ، فلما خرجت اضطرت ، تحت ضغط الدائنين ، الى الهرب مع بنتها الى كاليه بفرنسا فى يونيه ١٨١٤ . وهناك نزلت فى افخم فندق أملا منها أن تلقى هناك من أشراف الانجليز من ياخذ بيدها أو من يتزوج بنتها ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث فاضطرت الى الاقامة فى بعض بيوت الريف وواصلت الكتابة لكل من تعرف من عظماء انجلترا فكان البعض يتصدق عليها بجنيهات معدودات تنفقها على نبيذ تشربه ليتلم حدة آلامها وينسيها ما انحدرت اليه بعد العز والجاه .

وتدهورت صحة إما ونال المرض منها ولكن علتها الرئيسية كانت روحها المحطمة التى افقدتها الرغبة فى الحياة .. فماتت غير ماسوف عليها فى ١٥ يناير ١٨١٥ وتولت القنصلية البريطانية فى كاليه أمر دفنها وسددت ديونها وكان آخرها ٧٧ جنيهاً لتاجر الخمور .

كان في جنازة إما رغم بساطتها ، أمر واحد لابد كان يسرها .. نالت إما هاملتون فى حياتها شهرة وطاردها العظماء والملوك يطلبون القرب منها ، ونالت سمعة عالمية سيئة بسبب ما أحاط بحياتها من فضائح ، وصادقت ملكة وذاقت احتقار ملكة أخرى ، وانفقت المال دون حساب وبعثرت منه الكثير وماتت فى فقر ومسغبة ، ملابسها في دكان الرهونات ... أحبت بلادها ، انجلترا ، وخدمتها باخلاص وتنكر لها الوطن فماتت فى قطر أجنبي ومع ذلك فقد لبس كل بحار وقبطان فى كاليه افخر ماعنده وساروا جميعاً وراء نعشها يشيعون جنازتها ... رجال أشداء عاطفيون لا يابهون للقيل والقال .. نلسون هو بطلهم وهي ـ كما كانت دائماً ـ معبودته إما .

جمال الكناني ـ لندن



بقلم : الدكتور محمد البهي

# "البُخْل"

يجيء البخل في آيات القرآن الكريم بمعنى : الامساك والمنع عن انفاق المال على النفس ، أو على الآخرين ، وليس بمعنى الطبع المؤدي للمنع ، الذي هو الشح .

فيقول الله تعالى فى سورة الليل : وأما من بخل واستغنى ( أي أمسك عن انفاق المال ، ورأى الاستغناء بامساك المال وجمعه : عن الناس ، وعمل الخير ) وكذب بالحسنى (وتبعاً لما رآه من الاستغناء بجمع المال وعدم انفاقه : يكذب باثار العمل الخير وبما يحسن الى الآخرين ) . فسنيسره للعسرى ( أي فسينتهي أمره الى الشدة والأزمات فى علاقة الآخرين معه فى مجتمعه ، بسبب حقدهم عليه وتربصهم للنيل منه ، فضلا عن شدة العذاب المرتقب له فى الآخرة ) .. فالبخل أتى هنا بمعنى انفاق المال بوجه عام .

ويخاطب القرآن المؤمنين فى سورة محمد – عليه السلام – بقوله : ياأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، ولا تبطلوا أعمالكم . إلى أن يقول : انما الحياة الدنيا لعب ولهو ( أي لا ثبات لها ولا اعتداد بها ) وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ( والأجور هي جزاء الايمان والتقوى فى الآخرة ) ولا يسألكم أموالكم ( أي لا يطلب منكم فى دنياكم مع الايمان والتقوى : التنازل عن الأموال ، بحيث يخل التنازل عنها جميعاً بمعاشكم . ولكن ما يطلب من أموال المؤمنين هو جزء يسير منها لمعاونة أصحاب الحاجة فى مجتمعهم ) . إن يسألكموها فيحفكم ( لأن الله يعلم : انه إذا طلب منكم المال فان الطلب سيكون له كله ) تبخلوا ويخرج أضغانكم ( وعندئذ إذا ما طلب المال كله منكم فانكم تبخلون به أي تمنعونه وتمسكونه عن الاعطاء وفى الوقت نفسه سيظهر مافي أعماق نفوسكم من الكراهية لدين الله ولرسوله عليه السلام حقداً عليهما ، بسبب احراجكم فى اموالكم بالتنازل عنها جميعها) . هاانتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ( باخراج الزكاة فى حدود ما يساوي ربع العشر للمال ) فمنكم من يبخل ( ومع ذلك فبعض منكم يمسك عن الانفاق والعطاء فكيف إذا طلب المال كله ؟ .. أو على الأقل تراوده نفسه بالتردد فى الانفاق ) ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه (ولكن من يمسك عن انفاق هذا الجزء اليسير – وهو ما يعبر عن الزكاة الواجبة – فانما فى واقع الأمر : ضرر امساكه يعود على نفسه وحده . أي أن عقوبة الامساك للمال عن الانفاق فى سبيل الله تعود على الممسك وحده)

وقد جاء التصريح بذلك فى قول الله تعالى : ولا يحسبن الذين يبخلون ( أي من المؤمنين ) بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة .. والله الغني وانتم الفقراء ( ولم يكن طلب هذا الجزء القليل من اموال المؤمنين كزكاة لأصحاب الحاجة بينهم .. بسبب احتياج الله سبحانه وتعالى . بل الله هو الغني دائماً ، ومن عداه من الناس جميعاً هم فقراء إليه دائماً . ولكن بسبب الترابط بين أفراد الأمة وعدم حقد صاحب الحاجة على مافى يد صاحب الثراء ) .

وجاء البخل كذلك بمعنى الامساك ومنع الانفاق للمال على العموم فيما يقصه القرآن من شأن المنافقين كصفة من صفاتهم فى قول الله تعالى : ومنهم ( أي من المنافقين ) من عاهد الله : لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به ( أي امسكوه عن الانفاق ) وتولوا وهم معرضون ( أي عن طاعة الله وتنفيذ ماعاهدوه عليه ، من الانفاق والصلاح ) فاعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه ، بما اخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون .

وإذا كان البخل بمعنى الامساك ومنع المال يأتي من المؤمن والمنافق .. فان الشح وهو طبع للانسان يكون من المادي الذى يؤمن بنفسه وحدها ، دون أن يؤمن بالله واليوم الآخر .

# وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

## في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

# لماذا طال الحوار حول هجرة يهود أوربّا إلى فلسطين ؟

فى العدد السابق استعرضنا شهادة وليام برنارد زيف أمام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى موضوع انقاذ يهود أوربا . وقد بدأ زيف من حيث انتهى الشاهد الذي سبقه ( دين الفانج ) ، فوجه نقداً مريراً للسياسة البريطانية فى فلسطين وخاصة للكتاب الأبيض (١٩٣٩) ، كما اتهم تلك السياسة بمعاداة السامية . ولقد وصل الحوار معه إلى مأزق طريف عندما أصر على أن يهتم الكونجرس بتوفير المكان الذي يلجأ إليه اليهود المهاجرون أولا ويعني به فلسطين ، بينما أعضاء الكونجرس يرون ضرورة أن يسبق ذلك تسهيل خروج اليهود من أوروبا أولا وتأمين وصولهم الى المكان .

ورفض الشاهد فكرة توطين اليهود فى كندا أو فى الأمريكتين أو في أي مكان آخر عدا « وطنهم » فلسطين . كما رفض فكرة إحالة المشكلة الى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين على أساس أن مشكلة اليهود تتمايز عن مشكلة اللاجئين الدوليين وهي نغمة مسيطرة على شهادة الموالين للصهيونية .

ونتابع فى هذا العدد الجزء الأخير من جلسات الاستماع ..

دارت المناقشات حول قضيتين محددتين من أعمق المشكلات التى تمس موضوع انقاذ يهود أوربا من هتلر وموضوع فتح أبواب فلسطين كملجأ يؤسسون فيه وطناً قومياً لهم .

وفيما يتعلق بالقضية الأولى نشأ اتجاه بين أعضاء لجنة الشئون الخارجية حول ضرورة توسيع مهمة هيئة الانقاذ المقترحة بحيث تشمل كل الأقليات والعناصر التى تعانى اضطهاداً فى أوربا بشكل عام دون أن تركز فقط على اليهود . وقد تزعم هذا الاتجاه روبرت شيبرفيلد (جمهورى) ، وكارل موندت (جمهورى) ، وجيمس وادزورث (جمهورى) . ولا يبعد أن تكون هذه محاولة من الجمهوريين لاحراج الحزب الديموقراطى الحاكم وافشال تبنيه لمشروع القرار الخاص بانقاذ اليهود .

وكانت البداية عندما وجه شيبر فيلد سؤالا لعمدة نيويورك (لاجوارديا) (١٩) ، عما إذا كان لا يمانع فى توسيع مشروع قرار الكونجرس ليشمل الأقليات والعناصر التى تعانى اضطهاداً فى أوربا بشكل عام

**● هل كان اليهود وحدهم هم الذين اضطهدهم هتلر ؟**

**● عضو في الكونجرس يطالب بالدفاع عن كل الشعوب المضطهدة من النازية بدلا من التركيز على اليهود وحدهم .**

**● اتجاه ـ لم ينجح ـ في الخارجية الأمريكية يدعو إلى عدم الموافقة على إقامة دولة اسرائيل**

دون التركيز على اليهود فقط . فقال لاجواردیا انه لا يمانع فى ذلك . وهنا التقط موندت الخيط وساله عما اذا كان لا يمانع إذن فى تعديل مشروع القرار بحيث تحذف «اليهود» من المشروع وتحل محلها كلمة «الشعوب المضطهدة» أو كلمة «الاقليات المضطهدة» ، أو الجمع بين الاثنين حيث أن البولنديين مثلا وهم مضطهدون لا يعتبرون أقلية فى بولندة بطبيعة الحال . فقال العمدة ان هذا يحتاج الى دقة وحرص ومهارة فى الصياغة والتعديل حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه . غير أن رئيس الجلسة وهو ديموقراطى تدخل فى الحوار مشيراً الى أن حذف كلمة «اليهود» قد يساوى عدم الموافقة على المشروع برمته . ولكن الابقاء عليها واضافة كلمة «الشعوب المضطهدة» لا يضر بالمشروع .

ثم اقترح موندت (جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣) ادخال تعديل على مشروع القرار بحيث يشمل برعايته كل اللاجئين والمضطهدين بصرف النظر عن جنسياتهم . وعرض هذه الفكرة على مساعد وزير الخارجية (لونج) عندما كان يلقى بيانه أمام اللجنة طالباً منه وجهة نظر الخارجية الأمريكية تجاه فكرة من هذا النوع من حيث مدى القبول أو الاعتراض . فلم يمانع لونج من توسيع المشروع ليشمل كل المضطهدين بصرف النظر عن الجنس والمعتقدات الدينية والسياسية . ولكنه أوضح أن المشروع كما هو معلن خاص بانقاذ اليهود فقط ما لم يدخل الكونجرس تعديلا آخر . وفى هذه الحالة قد تكون هناك مشكلة ما بشأن هذا التعديل عند الجانب اليهودى .

وقد قال موندت شارحاً مقصده ان المشروع بصيغته المقدمة يعد سابقة خطيرة فى تاريخ الولايات المتحدة تقوم على استثناء فئة معينة من البشر بالاهتمام والرعاية . وهى بهذا تفعل نفس ما يفعله الألمان بصورة عكسية .. فالألمان اختصوا فئة معينة بالاضطهاد ، وأمريكا تختص هذه الفئة نفسها بالرعاية . ومن ناحية اخرى ـ كما يقول موندت ـ فان التركيز على انقاذ اليهود فقط قد يجعل الألمان يسرفون فى قمع اليهود والقضاء عليهم .

وعندما قال موندت انه بعد التفكير فى تقديم اقتراح بالتعديل اتصل به بعض الشهود راجياً منه أن لا يقدم التعديل «على أساس أن كل مجموعة من المجموعات المضطهدة فى أوربا اليوم لها هيئة رسمية تمثلها فى أى مكان آخر من دول الحلفاء ( في المنفى) فيما عدا الشعب اليهودى الذى لا يتمتع باية هيئة من هذا النوع .. وان مشروع قرار الكونجرس قد يؤسس لليهود هذه الهيئة الخاصة التى تمثلهم ...» . وهذه الهيئة قد توحى بانها حكومة فى المنفى سوف تتولى بحث مشكلات اليهود بعد الحرب وهى مشكلات لابد وأن تتصل بفلسطين . ومن ثم فهو يسأل لونج .. هل الحكومة الأمريكية لديها الاستعداد للتعامل مع مشروع القرار الذى يرمى الى انشاء هيئة الانقاذ لتقوم بمسئوليات اليهود بعد الحرب فيما يتعلق بفلسطين وبانشاء وطن قومى لليهود هناك .

فى اجابة لونج نلمس انه لا يشجع مثل هذا الاتجاه ، إذ يقول اننا فى الولايات المتحدة لا نفرق بين الناس على أساس العقيدة ، فاليهود موجودون فى كل مكان كمواطنين وفى كل الوظائف التشريعية والتنفيذية ، ولهم كل الحقوق وعليهم كل الواجبات . ولكننا لا نعرف سياسة الحكومات الأخرى تجاههم . ولا يوجد من اليهود من يعاني وضع المواطنة سوى فئة قليلة لا تتمتع بحقوق المواطنة فى البلاد التى تعيش فيها ، أو بمعنى آخر ليس لها حكومة مسئولة عنهم Stateless ، وهي المجموعة التى كون لها برجسون جيشاً خاصاً كما سبقت الاشارة . وهؤلاء الناس يؤخذون الآن الى بلاد مختلفة كلاجئين ، ويمكنهم البقاء فى هذه البلاد كمواطنين إذا ما رغبوا ، بل وبامكانهم أن يكونوا كذلك هنا فى الولايات المتحدة التى ادخلت الى أراضيها ستمائة شخص من أولئك الـ Stateless خلال الستة شهور الماضية .

ومن هنا يمكن القول إن الخارجية الأمريكية على لسان مساعد وزير خارجيتها ترفض انشاء دولة يهودية تقوم على الدين الواحد ، وانها تفضل ذوبان اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها كمواطنين .

ثم جاءت الضربة الأخيرة من وادزورث حينما طلب من مساعد وزير الخارجية الأمريكي ( لونج ) أن يذكر التعديلات المقترح اضافتها الى مهام اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين ، وهي تعديلات كانت ما تزال سرية حيث لم تكن قد عرضت بعد ( حتى ٢٦ نوفمبر ٤٣ ) على جميع الدول المشتركة فيما عدا بريطانيا

والولايات المتحدة اللتان وافقتا على التعديل . فقال لونج إن التعديل المقترح كما يلي :

« إن اللجنة بتفويض من الدول الأعضاء تقوم بالتفاوض مع الدول المحايدة ودول الحلفاء والمنظمات المختلفة لاتخاذ الخطوات اللازمة للمحافظة على هؤلاء الأشخاص المطرودين من ديارهم ، ورعايتهم ، ونقلهم بجهودها الخاصة للهروب من المناطق التى تتعرض فيها حياتهم وحريتهم الى الخطر بسبب الجنس الذى ينتمون إليه أو بسبب معتقداتهم الدينية والسياسية . وسوف تتسع عمليات اللجنة لتشمل كل البلاد التى يخرج منها مهاجرون بسبب حالة الحرب فى أوربا أو في أي مكان آخر تجد فيه لاجئا . ولسوف تفوض اللجنة التنفيذية فى استلام الأموال الخاصة والعامة التى تصل اليها وانفاقها على الأهداف التى سبق ذكرها » .

وهنا قال وادزورث انه إذا ما وافق عدد معقول من الدول الاعضاء فى هذه اللجنة على هذا التعديل بشكل اغلبية ، فان هذا « يمثل إجابة كاملة لكل المشكلة التى نحن بصددها أكثر مما يعني به مشروع قرار الكونجرس لأن التعبيرات المستخدمة فى هذا التكليف أو مهام اللجنة الدولية المشتركة واضحة ومحددة وقوية بحيث أن نشرها على الملا سوف يعيد تأكيد كل الجهود التى يحاول الكونجرس التوصل إليها ، وافضل من ابقائها سرية ، وافضل من استمرار لجنة الشئون الخارجية فى تلك المناقشات .» .

ثم حدث اختلاف بين المجتمعين من اعضاء لجنة الشئون الخارجية بين اذاعة هذه النصوص وبين ابقائها سرية أو اذاعتها فى وقت واحد وباتفاق جميع الدول الأطراف . وقد تزعم وادزورث وموندت فكرة اذاعتها .

ان هذه المناقشات من جانب الأعضاء الجمهوريين فى اللجنة تبين بوضوح انهم كانوا ضد تخصيص هيئة بعينها للعمل على انقاذ يهود أوربا ، وانهم كانوا يفضلون ايكال هذه المهمة الى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين ، وهى اللجنة المسئولة عن كل اللاجئين الدوليين دون تمييز عنصرى أو دينى أو سياسى . اما القضية الثانية فهى خاصة بمدى علاقة مشروع قرار الكونجرس بفتح ابواب فلسطين لتهجير اليهود اليها . وكان الشهود الذين يمثلون اللجنة العاجلة ( وهى لجنة صهيونية للتذكرة ) قد قالوا فى شهاداتهم امام جلسات الاستماع ان مشروع القرار يعنى فتح ابواب فلسطين لليهود وانشاء وطن قومى لهم هناك ، وان لجنتهم سوف تمارس ضغطاً على هيئة الانقاذ المقترحة لكى تبادر بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

غير ان اعضاء لجنة الشئون الخارجية للكونجرس من الديمقراطيين والجمهوريين على السواء نفوا بشدة ان يكون للمشروع اتصال من قريب أو بعيد بفتح أبواب فلسطين للهجرة امام اليهود . وشاركهم فى هذا الاتجاه الشهود الآخرون من غير التنظيمات الصهيونية .

وكان هربرت مور أول من نبه الاذهان الى خطورة اقحام المسالة الفلسطينية أو العربية فى موضوع مشروع القرار من حيث ضرورة ارغام بريطانيا على فتح ابواب فلسطين ( جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣) ونادى بضرورة ان تنحصر المناقشة فى اخراج اليهود من أوربا دون تحديد بلد معين ينقلون اليه . ويكفى - كما يقول - القول بأن البرتغال وأسبانيا والسويد وفنلندة وسويسرة وتركيا ، يمكنها استضافة اليهود ، ودون تخصيص نسبة معينة لكل منها خاصة وان بلدأ مثل اسبانيا اخذ بالفعل عدداً من اليهود ثم نقل بعضهم الى المكسيك وبوليفيا والدومينيكان . كما قال هربرت مور ان الذين يقحمون المسالة الفلسطينية بهذا الشكل يقومون بدور تخريبي لجهود الكونجرس ، ويعملون على احراج امريكا مع حليفتها بريطانيا .

وعندما سئل مساعد وزير الخارجية الامريكى ( لونج ) عن ذلك نفى ان يكون للمشروع اتصال بفلسطين بشكل محدد فيما عدا ان الاشخاص الذين يخرجون من افريقية مصادفة يمكنهم ان يدخلوا فلسطين اذا كانت الفرصة قائمة ( جلسة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ ) .

اما فرانسيز جونثر فرغم انها تعمل امينة صندوق اللجنة العاجلة ، الا انها أبدت اقتناعها اثناء الحوار معها ، بان يكون دور هيئة الانقاذ المقترحة ترتيب معسكرات مؤقتة فى بلدان مختلفة لاستقبال اليهود واقامتهم مدة الحرب ، وانه ليس من ضرورة للتدخل فى شئون السياسة البريطانية فيما يتعلق بفلسطين (١٩) .

وعندما انتهى الحاخام ستيفن وايز رئيس المؤتمر اليهودى من القاء بيانه (٢٠) ، طالب بتعديل مشروع القرار باضافة ملحق أو نص يسمح بفتح أبواب فلسطين امام اليهود المهاجرين . وعندئذ قال له بورجين ( ديموقراطى ) : هل يعنى ذلك انه اذا ما تمت الموافقة على المشروع وتعيين « هيئة » خاصة لهذه العملية ، ان يتضمن ما يشير الى الاصرار على ان تفتح الحكومة البريطانية ابواب فلسطين . فاجاب وايز على ذلك بقوله ان هذا يتعلق بالفهم الذى يجب ان يكون بين اعضاء هذه اللجنة واعضاء الكونجرس ، وحريتهم فى مناقشة موضوع ابقاء ابواب فلسطين مفتوحة بواسطة الحكومة البريطانية . كما قال انه لا يعنى بذلك ارغام بريطانيا بالقوة على ذلك ، بل يجب ان يكون واضحاً فى ذهن اعضاء اية هيئة سوف تعين لهذا الغرض ، وبحيث لا تبحث هذه الهيئة فى فتح ابواب بلغاريا أو يوغسلافيا أو مراكش بل تبحث فى فتح أبواب « الوطن القومى لليهود ( فلسطين ) كما نفهمه وكما كان خلال قرون التاريخ ، وكما أشير اليه فى الانتداب البريطانى » .

ونظراً لأن الحاخام وايز يمثل نسبة كبيرة جداً من المنظمات والجمعيات اليهودية فى الولايات المتحدة (٦٥ منظمة) فقد استطال الحوار والجدل معه حول هذا التعديل الذى يريد اضافته للمشروع . اذ قال له هيرمان ايبرهيرتر (ديموقراطى) ان الربط بين مشكلة انقاذ اليهود من أوربا وهى مهمة عاجلة ، وانشاء وطن لهم فى فلسطين ليس عملا مناسباً الآن وقد يفسد القضية الاساسية وهى قضية الانقاذ . فوافقه الحاخام على ذلك ، ولكنه قال انه لا يتكلم عن وطن قومى لليهود فى فلسطين ولكنه يطالب بفتح ابواب فلسطين فقط لأنها أقرب مكان ليهود أوربا الهتلرية من امريكا اللاتينية ومن انجلترا ومن أى دولة أخرى ، خاصة وان البحر المتوسط تحت

سيطرة امريكا وبريطانيا وليس تحت سيطرة هتلر وموسوليني ، ومن الممكن القيام بذلك بكل سهولة لو ان هناك ارادة واعية مصممة . وعندئذ قال ايبرهيرتر انه يرفض تضمين مشروع القرار اية عبارة عن فلسطين أو الوطن القومي لليهود أو الكومنولث اليهودى .. فأكد الحاخام مرة اخرى انه يريد فتح ابواب فلسطين . فعاجله ايبرهيرتر بقوله « .. للاقامة المؤقتة .. » ، فقال الحاخام يمكنك ان تقول ذلك ، ولكنى اخبرك بان اى يهودى تطأ قدمه أرض فلسطين فلن يغادرها مرة أخرى مهما كانت الأحوال « لأنه ظل ينتظر هذه اللحظة الفى سنة منذ تحطيم هيكل أورشليم فى القرن الأول على يد تيتوس وفسبسيان .. » .

وهنا اضطر روجرز مقدم المشروع الى القول ان الهدف من انشاء « هيئة الانقاذ » ان تقوم بالاجراءات التى لم تقم بها اى من الهيئات أو الأفراد آنذاك ، حيث لا توجد فى الولايات المتحدة وكالة واحدة تكرس وقتها كله لكيفية اخراج الناس من البلاد التى تحتلها المانيا . وهو يقول ان هناك وكالات أخرى وخاصة اللجنة الدولية المشتركة تختص بمباشرة أمور اللاجئين عندما يصلون الى أراضى الدول المحايدة أو اراضى دول الحلفاء . وعلى هذا فان هدف « هيئة الانقاذ » اخراج الذين يعانون اضطهاداً لكى يصبحوا لاجئين تتولاهم بعد ذلك الوكالات الأخرى المتخصصة . ولما كانت مشكلة اللاجئين مشكلة كبرى ومعقدة ، فان مشروع القرار — كما قال روجرز وزميله بولدوين مقدمى المشروع — يختص بجانب صغير من جوانب هذه المشكلة وهو بهذا لا صلة له بفلسطين بأى حال من الأحوال .

ثم طلب روجرز من الحاخام وايز رأيه بشكل محدد فيما اذا كان يعتقد بوجود صلة ما بين المشروع كما هو موضوع وبين فلسطين ، فاجاب الحاخام انه أساساً يعترض على عدم وجود هذه الصلة اصلا ، وهو أمر غير مفهوم عنده ، فقال روجرز ان المشكلة تنقسم الى شقين مختلفين : الأول يختص بانقاذ اليهود ورعايتهم وهذا هو هدف المشروع ، والثانى ويختص بالمكان الذى يذهب اليه هؤلاء وهذا من اختصاص هيئات أخرى مثل اللجنة الدولية المشتركة . واشار على الحاخام بان يتقدم اليها باقتراح فتح ابواب فلسطين ، وان كان ذلك لا يعنى الفصل بين الشقين ( الانقاذ ودخول فلسطين ) من الناحية النظرية . ولكن فتح ابواب فلسطين لم يكن فى ذهنه أو ذهن زميله بولدوين عند صياغة المشروع .

وهنا انتهز رئيس الجلسة الفرصة وقال حيث ان اللجنة الدولية المشتركة تقوم ايضاً بانقاذ المضطهدين سواء كانوا أو يهوداً أو غيرهم ( الشق الأول ) وتختص بالبحث عن المكان الذى تنقلهم اليه ( الشق الثانى ) ، فلماذا لا يكون الشق الثانى ايضاً من مهام « هيئة الانقاذ » المقترحة فى المشروع . فقال روجرز بحدة ان البحث عن اماكن للاجئين تقوم به جهات ومنظمات متعددة . اما اخراج اليهود من اوربا فلا توجد له هيئة مختصة وما يحاوله المشروع هو تحويل اليهود المضطهدين الى لاجئين ليكونوا بعد ذلك من مسئوليات اللجنة الدولية المشتركة .

واستمراراً فى الحوار مع الحاخام وايز قال تشارلز ايتون ( جمهورى ) لعل موقف بريطانيا من عدم فتح ابواب فلسطين امام اليهود الآن راجع الى ان هذا قد يؤدى الى انتفاضة بين المسلمين هناك تنتهى الى اوضاع غير مستقرة كما هو حادث فى الهند حيث الصراع بين المسلمين والهندوس ، ومن هنا تحاول بريطانيا بهذا الموقف تاجيل اشعال نار من هذا النوع ريثما تستقر نار الحرب العالمية المشتعلة لتتمكن من التعامل مع المشكلة بعد ذلك . فقال الحاخام رداً على هذه الملاحظة ان خطر انتفاضة بين المسلمين لهو محض وهم وخيال كثيراً ما اسيء استخدامه وفهمه فى العلاقات الدولية ، اذ ليس هناك خطر من انتفاضة المسلمين . واشار الى ان احد المسئولين من الحكومة الامريكية وكان فى شمال افريقية ، قال له ان المسلمين فى شمال افريقية لا يعرفون بالوجود العربى . فليس هناك اتصال بين الشعوب العربية ، وكل منهم يقف منفرداً ومنعزلا عن الآخر . فالسعودية مثلا لا تهتم بشرق الأردن ، وشرق الأردن لا يهتم بسوريا ، وسوريا لا تهتم بفلسطين . كل منهم فى واد ، ثم قال ايضاً انه لا يود اثارة مشكلات مع العرب ، ولكن يمكن لانجلترا ان تقول لهم فى تبرير فتح ابواب فلسطين : « عليكم ان تساعدونا فى حل المسالة التى تمس ضمير العالم المتمدين .. ليس فى وسعنا ان نترك ملايين اليهود بلا وطن على الأرض » . وان على اللجنة الدولية المشتركة ان ترسل اليهود الى المكان الذى يختارونه بأنفسهم ( فلسطين ) ، وليس الى المكان الذى تختاره اللجنة لهم .

وخلال المناقشات الحادة حول رغبته فى اضافة تعديل يشير بفتح ابواب فلسطين للمهاجرين اليهود ، قدم اندرو سخيفلر ( جمهورى ) اقتراحاً بصيغة للتعديل كما يلى : « ان يقوم الرئيس الامريكى بمقتضى التفويض المخول له بتعيين هيئة commission تضم خبراء دبلوماسيين واقتصاديين وعسكريين للتعاون مع وكالة اللجنة الدولية المشتركة التابعة لوزارة الخارجية لوضع خطة تهدف الى العمل على انقاذ من تبقى من الشعب اليهودى من جراء ابادتهم على يد المانيا النازية ، والمطالبة بفتح ابواب فلسطين فوراً لأى عدد من اليهود التعساء الذين نجوا من الموت » . وقد اعلن الحاخام موافقته على هذه الصيغة .

وعند هذا الحد انتهت جلسات الاستماع التى استعرضنا جوهر ما دار فيها من مناقشات . اما البيانات التى القاها كل من لويز هاينز مندوب فيدرالية عمال امريكا ، وكيرمت ابى Eby مندوب مجلس المنظمات الصناعية ، فهى لم تثر اى جدل أو نقاش لأنها كانت بيانات قصد بها محاولات انقاذ اليهود دون الدخول فى تفاصيل تثير الجدل والخلاف . ولا ننسى ان هذه المنظمات تمثل قطاعاً كبيراً فى المجتمع الامريكى الا وهو قطاع العمال واصحاب الصناعات المختلفة .

**د. عاصم الدسوقي**

**هوامش**

(١٩) جلسة ٢٤ نوفمبر ١٩٤٣ .

(٢٠) انظر نص بيانها امام اللجنة فى ٢٤ نوفمبر ١٩٤٣ بالملحق رقم (٣) . ومن الملاحظ ان بيانها لم يثر اسئلة جوهرية معها حتى لقد اعربت للحضور عن اسفها ، لكن رئيس الجلسة قال ان هذا دليل مدح لك وتحية لأن بيانك كان واضحا .

(٢١) انظر الملحق رقم (٤) ، بنص البيان كاملا .

**الجزء الخامس فى العدد القادم**

## من وثائق التاريخ المعاصر

# اتصالات فاروق بالألمان

بقلم : د . السيد فهمي الشناوي

**عندما قامت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كان فاروق ملك مصر فى ذلك الحين ، قد عاد منذ ثلاث سنوات (١٩٣٦) من مدرسة بريطانية ، هى المدرسة الوحيدة التى دخلها فى حياته والتى لم يتم فيها إلا بضعة شهور ..**

**وكان فاروق يجلس على عرش اعتاد الانجليز أن يختاروا الجالس عليه ، فهم الذين خلعوا عباس الثانى وأجلسوا حسين كامل بقرار من نائب السفير (تشيهام) وهم الذين خلعوا اسماعيل وأجلسوا ابنه توفيق باشا .**

وكان رئيس الوزراء فى هذه الفترة هو احد ثعلبى السياسة المصرية علي باشا ماهر (والآخر هو اسماعيل صدقى) خرج علي ماهر (بك) من الوفد فى أوائل حياة الوفد لما وجد أن لعبة السياسة لها أطراف ثلاثة هى الوفد والسراى وقصر الدوبارة . وانه يمكنه الاستفادة من التناقضات والاختلافات بينها فى تكوين مستقبله السياسى . وكان احب شىء اليه أن يعتبر «رجل الساعة» . لا رجل الأمة ولا رجل السراى ولا رجل الانجليز . فهو الذى تولى الوزارة عندما كان فؤاد يحتضر . ثم هو الذى تولاها عندما تلبدت السماء بغيوم الحرب العالمية الثانية . ثم هو الذى تولاها بعد حريق القاهرة مباشرة . وأهم من هذا كله انه هو الذى تولاها بعد خلع فاروق وبتكليف من رجال الثورة !

مثل هذا الرجل كانت السراى تعتبره رجلها . وكان الانجليز يجدونه احب اليهم من الوفد والطف نوعاً من السراى وكان الوفد يراه اقل شراً من السراى ومن الانجليز وفيه بعض الأثر القديم الوفدى .

وعندما قامت الحرب كان يجب أن تفهم جميع الأطراف المعنية أن هذا الرجل «رجل الساعة» لابد أن يرنو الى المنتصر فى الحرب بعين مفتوحة اثناء نومه . لأن طبيعته السياسية لا تستطيع غير هذا . ولكن لم تكن صورته «كرجل الساعة» بهذا الوضوح أمام كل الأطراف . ثم أن كل طرف كان لا يكف عن الأمل فى هذا الرجل أن ينضم الى معسكره غداً أو بعد غد .

وعندما دخلت ايطاليا الحرب – وكانت تحتل ليبيا عسكرياً بينما السنوسى ملكها فيما بعد لاجئاً فى مديرية البحيرة يتقاضى مرتباً شهرياً من السفارة البريطانية جنيهات قليلة معدودة (قرات مرة انها خمسة جنيهات !!) . عندما أعلنت ايطاليا الحرب سئل علي ماهر ما هو موقف مصر وهل ستعلن الحرب على ايطاليا كما هو متوقع لوجود معاهدة صداقة مع بريطانيا . وكان دخول ايطاليا هذا لم يحدث إلا بعد اجتياح هتلر لبولونيا ثم هولنداء بليجكا وفرنسا وكانت باريس على وشك السقوط وسقطت فعلا فيما بعد . فكان طبيعياً أن يراود علي ماهر عقله مرات ومرات . أجاب علي ماهر اجابة لها معناها ولا تنفى تطلعه للشمس المشرقة وتحوله عن غروب القمر البريطانى : قال «الله معنا» . وطبعاً لم يعمر كثيراً فى الوزارة .

قبيل هذا التصريح وفى اثنائه وبعده **كان هناك اتصالات أكيدة وفعلية بين فاروق والألمان** لم تتضح فى وقتها على الأقل للمواطنين فى مصر . وحتى الانجليز لم يتوسعوا إطلاقاً فى الاعلان عنها لا فى وقتها ولا بعدها كنوع من حفظ هيبتهم . ولكن جاء الاعلان عنها بعد انتهاء الحرب ذاتها ومن المصادر الألمانية ذاتها .

### المراجع التى كشفت هذه الاتصالات

لابد أن تكون هناك مراجع كثيرة . ولكن الذى وقع فى يدى فقط هو كتاب الأستاذ لوكاس هرسزوسك بالألمانية . ومؤلفه هو أستاذ مادة الشرق الأوسط فى جامعة وارسو . وكذلك بعض كتابات الأستاذ

العراقى الأصل مجيد خدورى بالانجليزية وهو أستاذ الدراسات الدولية بجامعة جون هوبكنز فى امريكا وكذلك ورد فى مذكرات شيانو وزير خارجية ايطاليا وريبنتروب وزير خارجية المانيا عنها . ولكن أهم من هذا كله هو الوثائق النازية التى كان قد استولى عليها الحلفاء بعد هزيمة المانيا والتى اعادتها روسيا الى حكومة المانيا الغربية . وهناك بعض النتف التى وردت فى مذكرات الانجليز والألمان والطليان واليهود .

أما ما يكون قد ورد فى مذكرات شخصيات عربية فانها تكاد تكون معدومة لأن السياسيين فى مصر لا يكتبون مذكراتهم وان كانوا فى العراق أو سوريا يكتبونها فعلا . ولا يوجد فى المصادر المصرية شىء إلا ما ورد فى مذكرات صليب سامى باشا الوزير فى وزارة حسين سرى .

## رواية صليب باشا سامى

يقرر صليب سامى فى وضوح قاطع ودقيق ماشابه بالأحكام القضائيـــة في ثلاث وقائع عاصر هو بنفسه كل واقعة منها ومن ثم لا نرى أى محل للشك فى روايته .

١ ـ واقعة محطة الارسال : قال انه كان هناك محطة ارسال فى قصر عابدين بالقاهرة . وان الانجليز طالبوا حسين سرى رئيس صليب سامى فى الوزارة بانتزاعها بنفسه من القصر مهددين بمهاجمة القصر وانتزاعها بالقوة فاخطر حسين سرى لنزعها بنفسه . فكان ذلك من عوامل الجفاء بين الانجليز والملك وبين الملك وحسين سرى . هذا ويبدو لنا أن بدء فكرة مهاجمة القصر بالدبابات نشات من هذه اللحظة .

٢ ـ واقعة بدويين فى الصحراء : شكا فاروق لحسين سرى من أنه لا يدرى شيئاً عن شئون الحرب بينما هى تدور فى بلاده وهو سيد البلاد . نقل حسين سرى هذا الى الانجليز كمحاولة للتقريب بينهما وإزالة اثر واقعة اللاسلكى السابقة واقترح حسين سرى أن يكاشفوا الملك بخطط الحرب . قابل الملك بعد ذلك قائداً من الانجليز واذاع له انهم شرعوا فى القيام بهجوم كبير عام يوم كذا . وبعد بضعة أيام عثر الانجليز فى الصحراء الغربية على اثنين من البدو يحملان كتاباً من سفير فرنسا فى مصر (وكانت خاضعة لهتلر) يشير فيه الى هذا الهجوم وموعده . طبعاً كان الهجوم مفتعلا من الانجليز وبقصد اختبار الملك . ويفهم من الواقعة انه سرعان ما صدق الخبر وافشاه لسفير فيشى المتعاون مع الالمان



الملك فـاروق أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة .. كانـت لـه علاقـة بالألمـان انتهـت مـع هزيمـة هتلـر وسـقوط النازيـة

# اتصالات فاروق بالألمان



كان فاروق فى الحرب العالمية الثانية مطمئن البال وواثقا من عجز الانجليز وضعفهم امام الالمان

والأخير أراد توصيله الى رومل فارسله مع بدويين فى الصحراء .

٣ ـ واقعة قطع العلاقات مع حكومة فيشى فى غيبة الملك : هذه هى أهم الوقائع التى أوردها صليب سامى لأنه هو وزير الخارجية وقتئذ ولأنه هو وحده فقط الذى اصطلى بالواقعة وأهم ذلك أنه يعطيها تفسيراً لما حدث فى ٤ فبراير ٤٢ .

يقول ان سرى باشا استدعاه وقال له ان الانجليز طالبوه مراراً بقطع العلاقات السياسية مع فيشى لأنها حكومة المحور وتابعة لألمانيا وحكومة معادية . وان الملك رفض على الدوام هذا القطع . وأن السفير البريطانى اطلع سرى باشا على برقية ايدن طالباً فيها من السفير أن يبلغه فى ظرف ٢٤ ساعة بأن العلاقات مع فيشى قد قطعت وينص صليب سامى على «كنا نخشى فعلا إذا بلغ الخلاف أشده فى هذا الموضوع أن يصر الانجليز على خلع الملك وتنصيب أمير من العائلة يميل اليهم بل كنا نخشى إعادة اعلان الحماية البريطانية على مصر بحجة أنها ضرورة حربية . كما فعلوا فى الحرب الأولى . ولذلك وافق سرى باشا على عرض الأمر على مجلس الوزراء حتى اذا أصدر قراراً بقطع العلاقات أخذت الوزارة على عاتقها تنفيذ هذا القرار قبل الملك تلافياً لمسئوليته واتقاء للأخطار التى قد تهدد الوطن ومراعاة لمصلحة الملك بالذات» . «وقد وافق مجلس الوزراء بالاجماع وفوض لي تنفيذه . وابلغت زملائى اننى سانفذه على خطوات مراعاة للظروف حتى اخفف وقع القرار على الملك بقدر الامكان ثم مراعاة لمصلحة الفرنسيين الذين لا ذنب لهم فى تصرفات حكومة فيشى الخاضعة للألمان ثم اقترح على السفير البريطانى أن يكتفوا بجعل حكومة فيشى تستدعى سفيرها . فقال السفير لا يكفى الاستدعاء هم لا يريدون أى سفير لفيشى فى مصر لا هذا ولا من ياتى بعده . فسجل صليب سامى عليه قوله هذا .

وافتى بان يكون الحل هو وقف العلاقات السياسية بين مصر وفيشي لا قطعها .

والفارق الذى افتى به هو أن الموقف يعنى ايقاف التمثيل الدبلوماسى دون اعتقال الفرنسيين أو الاضرار بهم كأعداء . ولما قيل له ان القانون الدولى لا يعرف وقف علاقات ولكن يعرف القطع فقط قال ان القانون الدولى هو حصيلة ممارسات دولية وان الوقف ممارسة جديدة يمكن ابتداعها واضافتها وتصبح من القواعد الدولية.»

وانتهز صليب سامى فرصة غياب الملك عن القاهرة فى رحلة فى البحر الأحمر وقام بتنفيذ قرار مجلس الوزراء . وعاد الملك غاضباً واستدعاه ودافع عن فرنسا بانها عاونت مصر منذ أيام محمد علي وهى أول دولة ساعدت مصر على نشر التعليم وردد حججاً كان قد كتبها سفير فيشى بالاشتراك مع محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ يومئذ فرد صليب سامى بأن فرنسا هى التى سحبت أسطولها عند ضرب الاسكندرية عام ٨٢ وهى فرنسا نابليون التى احتلت مصر وحاربها جدكم وهى فرنسا لويس التاسع الذى احتل مصر فى الحروب الصليبية . وهى فرنسا التى حطمت فى نفارين أسطول جدكم . وقال صليب سامى انه تعمد اتخاذ القرار وتنفيذه فى غيبة جلالته ودون علمه وذلك لمصلحته . فقال له الملك لو كنتم فى بلاد ديكتاتورية لعرفتم كيف يكون مصيركم !! ثم قال له لا تخافوا من الانجليز ليس فى وسعهم فى ظروف الحرب هذه أن يقوموا على أمر خطير مثل خلعى الذى تشير اليه.

ثم يذكر صليب سامى ما هو أخطر من كل ذلك بكثير وربما كان فيه التعليل الحقيقى لحادث ٤ فبراير : يقول انه منذ وقف (أو قطع) العلاقات مع حكومة فيشى والملك يجتمع فى عوامة فى النيل لأحد كبار رجال الدين (هل هو يقصد المراغى ويتحرج



الجنرال مونتجمرى قائد معركة العلمين الذى واجه قوات المحور فى العلمين



هتلر .. أعلن أن مصر من نصيب ايطاليا !



روميل .. سعى للدخول الى مصر بجيوشه المنتصرة



علي ماهر باشا .. فكر في استقبال روميل !

عن ذكره بالاسم) يجتمع فيها مع اثنين هما علي ماهر ومحمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ .

ويخطط لطرد حسين سرى وإسناد الوزارة الى محمود خليل اسماً ، وفعلا الى علي ماهر وينسق بينهما على ذلك . ومحمود خليل كان شخصية تقبل أن تلعب دائماً الدور الاسمى فكان مثلا وفدياً بالاسم للتكتكة السياسية وها هو يجتمع مع الملك .

وكان الانجليز فى نفس هذه الفترة يراقبون الملك بشدة وذعر معاً . فهم فى الصحراء الغربية يتلقون اللطمات من روميل ثعلب الصحراء حتى أصبح أسطورة وشبحاً مرعباً للجندى المعادى . وها هو الملك أو بالادق على ماهر يطبق عليهم من ظهرهم . وكان واضحاً ومتداولا بين وزراء سرى وغالباً بين جميع الساسيين فى البلد ما ذكره صليب سامى من أن الانجليز يخططون لخلع الملك واسناد العرش الى الامير محمد علي الموالى لهم ويخشى الكثيرون منهم إعلان الحماية للمرة الثانية فى تاريخ مصر .

وكان سبق لهم من مدة قصيرة اقتحام القصر فى عابدين ليس باشخاصهم ولكن بواسطة حسين سرى وبالاكراه .

وكان فاروق بطبعه مقامراً . وكانت هذه المرة مقامرته على أن الانجليز لابد من انهزامهم وأنه واثق لدرجة أن يراهن بالعرش على ذلك . وكان احمد حسنين باشا كبير الأمناء يوحى للملك وللسياسيين وبخاصة الصحفيين بان الوضع الحربى الضعيف للانجليز ضمان لعجزهم عن أن يمسوا الملك . وكان هذا صحيحاً الى حد كبير جداً ، فقد خلع عباس حلمى الثانى لما هو اتفه من ذلك بكثير جداً . ولم تبك عليه عين واحدة رغم انه كان يساند بالشعور والمال والعمل التيار الشعبى الوطنى متمثلا فى مصطفى كامل . ورغم انه ملأ القاهرة منشئات عمومية من مستشفيات ومدارس وبنى حى العباسية وخلافه . والحقيقة انه كان يستصغر شان الشعور الشعبى لدرجة انه قال لمصطفى كامل «أى شعب هذا الذى تتكلم عنه . أنا لو لبست برنيطة ومشيت فى وسطه ما انتقدنى احد ولصفقوا لي!!.»

وسبق لهم خلع الخديوى اسماعيل وهو الذى انشا امبراطورية مصرية شملت السودان وكينيا وزامبيا وأوغندا ومالي والنيجر وكل وسط إفريقيا وأيضاً لم تبك عليه عين واحدة . ولو انهم خلعوا فاروق ما بكى عليه مخلوق ، ولما كان ٤ فبراير قد

اتخذ هذه الأهمية ولا أثار هذه الضجة . ولكنها الضربة التى لم تكتمل استغلها المضروب الذى لم يضرب وهو فاروق أحسن استغلال ربما فى تاريخ الدعاية والاعلام العالمى .

• • •

هكذا يبدو ان علي ماهر الذى تولى الوزارة عند وفاة فؤاد وعند اعلان الحرب وعند حريق القاهرة وعند قيام ثورة يوليو كان يحلم أن يتولاها فى مناسبة أكثر بريقاً وهى عند دخول رومل مصر ! وأحلام هذا الرجل كانت واسعة وكان دائما يحققها من خلال الملك . الملك أسهل له من الشعب ومن الانجليز . فبعد ثورة يوليو كان من وثائق عابدين التى ضبطت تخطيط منه يبين أنه يزمع تزويج شقيقات فاروق من شخصيات هامة فى المنطقة المحيطة بمصر (ولا شك عندى أيضا فى انه هو صاحب فكرة مؤتمر انشاص أول مؤتمر قمة عربى) . ولكن تدبيره فى استقبال رومل هذا لم يفشل فقط ولكنه اعتقل بعد أن أحيط به فى داخل مجلس الشيوخ . وظل معتقلا فى تفتيش السرو فى محافظة دمياط طوال الحرب العالمية الثانية .

## المراجع الأجنبية تكشف اتصالات فاروق تفصيلا

قلنا إن الكتب والأبحاث الأجنبية عن هذا الموضوع أكثر كثيراً جداً من الكتب العربية . ولكن لاشك عندى أن وثائق عابدين — التى لم تنشر حتى الآن — لابد أن يكون فيها القول الفصل . وهذه مهمة المصريين .

## أسماء عملاء الملك فى الاتصالات

تحدد المراجع الأجنبية بأن رجال الملك الذين كلفوا بأن يكونوا حلقة الاتصال هم القائم بالأعمال المصرى فى برن فى سويسرا عسل بك . والبرنس محمد ابراهيم . والقنصل المصرى فى اسطنبول حافظ عمرو . وسفير مصر فى طهران وهو حمو الملك — ذو الفقار باشا وشقيقه أيضاً . وكان هؤلاء الأشخاص فى هذه المراكز فى طهران واسطنبول وبرن يتصلون بالمراكز الدبلوماسية الألمانية فى نفس المدن وجميعها بلاد محايدة . ويرجع تاريخ الاتصال الى ما قبل هجوم ألمانيا على روسيا .

أما سمير بك ذو الفقار شقيق حمو الملك فقد كان اتصاله مباشرة مع فون بابن فى ترابيا عن طريق البعثة الدبلوماسية المصرية فى فيشى .

## أهم الاتصالات

عندما قابل ذو الفقار باشا سفير مصر فى طهران فون إتل رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية فى طهران وصف ذو الفقار هذا الاجتماع بانه اجتماع رسمى وأنه بتكليف من فاروق وأنه يجتمع معه باسم الملك فاروق وبتعليمات مباشرة منه . وأنه أى فاروق يشكو اليهم أنين فاروق من الضغط البريطانى المتزايد يوماً بعد يوم والذى لا يعوضه أى عطف من الشعب فالشعب كله مع الوفد . وأن فاروق إذن لا يجد جهة ولا شخصاً يؤمل فيها وينتظر منها ويحترمها إلا ألمانيا وهتلر . وأنه يتمنى النصر لألمانيا وواثق من قدومه . وأنه فى هذه النقطة بالذات — نقطة النصر للألمان — فان كل الشعب المصرى رغم شعوره السلبى نحو الملك إلا أنه ينقد حماسه للألمان . وانهى كلامه بأن «الملك والشعب يتمنى وينتظر رؤية جيوش هتلر قادمة لتحرير مصر بأسرع ما يمكن.»

فى أبريل ٤١ تلقى ذو الفقار باشا رد ألمانيا على الرسالة السابقة وكان رداً رسمياً . سلمه إتل رسميا الى ذو الفقار باشا وهو «ريبنتروب (وزير خارجية ألمانيا) يؤكد للملك باسم هتلر أن حرب ألمانيا ليست موجهة ضد مصر ولا ضد أى دولة عربية ولكن فقط ضد انجلترا . وأن خطة ألمانيا صريحة وهى خلع بريطانيا من أوربا ومن الشرق الأوسط . ثم إقامة نظام دولى جديد مبنى على احترام حقوق الشعوب . واقترح ريبنتروب أن يكون الاتصال بين فاروق والألمان إما عن طريق تركيا أو رومانيا لانه طبعاً كان يتوقع تمزيق إيران بين روسيا والغرب .

ولكن ذو الفقار باشا كان يريد لنفسه أن يكون هو — وهو وحده — الواسطة وحلقة الوصل بين مصر وألمانيا دون غيره .

وظل فاروق على اتصال مستمر مع الألمان طوال عام ٤١ . ففى ٤١/٦/٢٩ أرسل يحذر إتل من أن الانجليز سوف يحتلون آبار بترول ايران .

ولكن طوال هذا الوقت كان الألمان يضعون ثقة كبيرة فى الوفد ويحاولون الاتصال به . كان الوفد فى هذه الفترة هو المعارض القوى لحكومة حسين سرى . وكانت حكومة حسين سرى تبدو عميلة للانجليز وكان الوفد يبدو كأنه يزلزل الأرض تحت أقدام الانجليز . وكان الألمان يرون ان هذه القوة الشعبية الموجهة ضد الانجليز هى التى يبحثون عنها . بل ظلت هذه الرغبة لدى الألمان حتى بعد تولى الوفد الحكم بعد ٤ فبراير عام ٤٢ (انظر وثيقة ملشر ترجمة رقم ٢٢٦/١٧٣٦٢٨ — ٣٠ برلين. من وثائق الخارجية الألمانية . وانظر مقال ولز ساكر فى ٤١/٩/٢ فى صحيفة دوتش انفور ماشنيفل) .

فى ٤١/٧/٢ قابل اتل سفير ألمانيا فى طهران ، ذو الفقار باشا سفير مصر حاملا من حكومة ألمانيا استفساراً عن مصير ومكان عزيز المصرى وعبد الرحمن عزام وعلي ماهر .

فى ٤ أكتوبر قابل الدكتور سمير بك ذو الفقار شقيق حمو الملك قابل فون بابن فى ترابيا متكلماً باسم وبأمر فاروق ووصف نفسه بانه مندوب ثلاثة أحزاب هى الوفد والحزب الوطنى والأحرار الدستوريين طالباً تأكيداً رسميا بتمام استقلال مصر وانها لن تضم الى منطقة نفوذ ايطاليا . وطالب بوقف الغارات على القاهرة وأعطى معلومات عن الجيوش البريطانية وبعض المنشئات فى مصر .

هذه المقابلة خطيرة جداً . هل عندما أحس فاروق أن الألمان يأملون أن يتصل بهم الوفد أو هم يتصلون به ، جعل مندوبه يزعم انه الى جانب كونه المندوب الشخصى لفاروق فانه مندوب هذه الأحزاب جميعاً . أم هل فعلا كلفته هذه الأحزاب بهذه الرسالة أو على الأقل هل حدثت أية اتصالات فعلية مع الوفد ؟ إن ظهور المقال الذى ذكرناه فى ٢ سبتمبر ٤١ باسم ولز ساكر بتمنى الاتصال بالوفد . ثم حدوث هذا الاتصال فى أكتوبر يوحى اما بحدوث اتصال فعلا أو بأن الملك أسرع بجعل مندوبه يزعم للألمان انه أيضاً مندوب الوفد .. للأسف لم يكتب رجال الوفد أو الأحزاب مذكراتهم !

أما خشية مصر من أن تضم الى أملاك إيطاليا التى وردت فى رسالة هذا الاجتماع



الخديوي عباس الثاني
خلعه الانجليز بقرار من نائب السفير البريطاني

فتجعلني أرجح أنه فعلا كان هناك اتصال تم مع الوفد . لأن ايطاليا كانت دائماً ذات علاقات متصلة مع السراي . فافندينا اسماعيل نفى واختار منفاه فى ايطاليا وليس فى تركيا . وابنه احمد فؤاد - الملك فؤاد - تعلم فى المدرسة الحربية فى تورينو بشمال ايطاليا . وملك ايطاليا البرتو عندما خلع من العرش جاء الى مصر بل ودفن فى مصر . ومعظم حاشية الملك من مهندسين ومربى الخيل وسياس الخيل كانوا طلاينة . وكانت تصريحات موسولينى نفسها صريحة فى أنه يطمع فى مصر لدرجة أنه أعد حصاناً أبيض مخصوصاً ليدخل به الى شبرد فى ميدان الأوبرا فى القاهرة .

## الاتصال بالمصريين فى أوربا

مما يجعلنا نشك فى وجود اتصال فعلى من الألمان مع الاحزاب فى مصر انه كان هناك اتصال فعلى بين الألمان وبين المصريين فى أوربا كانت هناك جمعية طلبة برأسها الدكتور الطيب ناصر . وكان اسمها الجمعية المصرية الوطنية بل وجعلوا ايطاليا تناصر هذه الجمعية بشدة . وكان هناك اتصال مع شخصية مصرية خطيرة تعيش فى أوربا هو عباس حلمى الثانى . فهل كان يمكن أن تحدث مثل هذه الاتصالات الهامشية ولا يحاولون الاتصال بالأحزاب خاصة الوفد .

اتصالاتهم بعباس حلمى الثانى لها طابع خاص وأهمية خطيرة . هذا الخديوى خلعته بريطانيا العظمى عام ١٤ ومن ثم فهو عدو جاهز ضد الانجليز . ثم انه هو نفسه كان صديقاً شخصياً لرجال الصناعة الألمان ولقيادات النازى وكان نشطاً وطموحاً وهو الأب المؤسس للحزب الوطنى. ولكنّ أراءه كانت خليطاً من الواقعية السياسية والغرور الارستقراطى . ورغم أن وجوده فى أوربا كان يقلق باستمرار "فؤاد" ثم "فاروق" إلا انهم ارضوه مادياً حتى كف عن المطالبة بالعرش عام ٣١ لنفسه ولكنه ظل يطالب به لابنه الأمير عبد المنعم زوج الأميرة نسل شاه . وطبيعى أن يتصل الألمان بهذه الشخصية الهامة والخطيرة والكارهة للانجليز والحاملة ثاراً لهم بالمطالبة بالعرش والتى تعيش فى وسط أوربا ربع قرن كامل بعد الخلع .

ظلت الاتصالات به قائمة بين سفارة المانيا فى باريس وبينه . وزار هو برلين حيث الرياسة العليا من يوم ٢٥ سبتمبر الى ٢٨ سبتمبر ٤١ . وقد سببت هذه الزيارة قلقاً بالغاً لدى القصر الملكى فى القاهرة .

وكنتيجة لقلق فاروق البالغ من هذه الاتصالات أمر ريبنتروب بعدم اجراء أى اتصالات به ولكن قوى صديقة لعباس حلمى ألغت هذا الخطر ولكن ايضا ظل عباس حلمى يلاقى صعوبات فى محادثاته مع الألمان . ويبدو أن فاروق كان يراقب اتصالات الألمان بعباس وكذلك كان عباس يراقب اتصالاتهم واحس الألمان انهم قد يفقدون الاثنين معاً . فقرروا فى النهاية عدم ترشيح أحد لعرش مصر عند دخول مصر .

## ٤ فبراير

صمم الملك على اخراج صليب سامى من الخارجية رغم انه اقتنع به فى مناقشته عما جنت يداه من قطع العلاقة مع فيشى فى غيبة الملك . ولكنه صمم على اخراجه حتى يستقيل حسين سرى نفسه . وهو يريد إخراج حسين سرى حتى يعهد بالوزارة الى علي ماهر فعلا ولكن تحت اسم محمد محمود خليل . سيَّر علي ماهر مظاهرات من الطلبة الذين كان يتصل بهم من عناصر الأزهر ومصر الفتاة تهتف: الى الأمام يا روميل. وكان الجو مهيئاً فى أن يردد هذا الهتاف آلاف الناس خلف أى واحد يؤدى الهتاف لأن حسين سرى مفصول فلن يتعرض للمظاهرات ولأن الغضب يغلى بالشعب بسبب صعوبات التموين ولأن انتصارات الألمان فى ليبيا وهزائم الانجليز والأمريكان فى الشرق الأقصى كفيلة بكتم انفاس الانجليز .

استقال حسين سرى فى ٢ فبراير . والسفير البريطانى زار الملك فى ٣ فبراير طالباً تكوين وزارة يراسها مصطفى النحاس وهو يعلم تماماً أن النحاس يرفض رياسة أى وزارة ائتلافية كمبدأ منذ سنوات والملك أيضاً يعلم شرط النحاس هذا . تلكأ الملك فى الرد على السفير بحجة انه يجرى اتصالات . وعندما اجرى الاتصالات أوحى للاحرار والسعديين بالمطالبة بوزارة ائتلافية وهو يعلم أن النحاس يرفضها . كان الملك يتلكأ توقعاً لانتصار ألمانى جديد يحدث ، ويخرجه من الأزمة بطلا .

والوفد نفسه كان الى هذه اللحظة يطالب بجعل القاهرة مدينة مفتوحة والحياد بيـن الانجليز والمحور ويوجه انتقادات عديدة للانجليز تتزايد يوماً بعد يوم . ولم يكن فى موقفه أى تضاد ضد الألمان لو دخلوا . ولو أن الألمان دخلوا وتعاونوا مع الوفد بدلا من الملك لما كان عجباً وربما كان عباس حلمى يعاد الى العرش . وكانت هذه هى أرجح الاحتمالات

بعد ظهر ٤ فبراير أنذر السفير البريطانى ملك مصر بأن يتحمل النتائج إذا وصلت الساعة ٦ دون أن يتولى النحاس الحكم . لم يستجب الملك . حضر السفير بنفسه ومعه الجنرال ستون وفرقة مشاة و ٣ دبابات خفيفة . بعد ساعة اخطر الملك الأحزاب عن عزمه بتكليف النحاس بالحكم .

## موقف المحور من الملك والوفد

١ - ايطاليا كانت تعتبر الوفد عدواً منذ عقد معاهدة ٣٦ . وانحازت فى التعليق على حادث ٤ فبراير مع الملك عن طريق وكالة أنبائها «ستيفانى» وكانت العلاقات العائلية بين قصر عابدين وروما أقوى من الأحزاب فى البلدين .

٢ - ألمانيا كانت تعتبر أنه من السابق لأوانه قبل دخول جيوشها مصر اتخاذ أى موقف فى النزاع بين الملك والوفد .

ولكن مذكرات ملشر فى برلين فى ٤٤/٢/٩ (٥ أيام بعد الحادث) تقول ان حكومة الوفد حكومة وطنية وحكومات الأقليات حكومات انجليزية حتى لو كانت خارج الحكم وحتى لو ادعت معاداتها للانجليز .

رفضت ألمانيا موقف ايطاليا الدعائى الصريح ضد الوفد . هذا رغم اتصال

الحكومة الايطالية بسفيرها ماكنزن (سفير المانيا فى روما) ورفضت نشر الوثائق التى قدمتها ايطاليا لالمانيا للنشر ضد الوفد .

كاد الموقف أن ينفجر بين ايطاليا والمانيا بسبب الوفد : الايطاليون يطالبون سفير المانيا فى روما ماكنزن والمندوب الخاص فون بسمارك بنشر الوثائق كاملة . وذلك لأن ايطاليا كانت حساسة جداً فى الشئون الافريقية وتعتبر أن افريقيا هى مجالها الحيوى أما مجال المانيا الحيوى فهو أوربا. ولقد كان فقدهم للحبشة ثم هزائمهم فى شمال افريقيا ذا تاثير شديد على الشعب الايطالى . كان موسولينى شخصياً يريد اعتبار الشرق ميداناً خاصاً لايطاليا دون المانيا لدرجة أنه عارض طويلا فى اشتراك الألمان فى حرب شمال افريقيا وكلما زاد دور المانيا وزادت انتصارات روميل كلما زادت شكوك موسولينى وغيرته . وزاد غيظه هذا موقف الألمان من الوفد والنحاس .

## التخطيط المحورى لمستقبل مصر

ظل هتلر يعلن أن مصر وقنال السويس يجب أن يكونا من نصيب ايطاليا . بل انه قرر أن تكون روما هى مركز البروباجندا الموجهة لمصر والعرب جميعاً . ولكن هذه الاذاعة (مقرها بارى بجنوب ايطاليا) تجاهلت أى اعتراف باستقلال مصر فى حالة الغزو .

صدرت تعليمات من وايز ساكر فى برلين الى فون توراث فى قيادة روميل بأنه فى حالة الغزو يجب إعطاء فاروق صورة ومركز الصدارة فى أول الامر ثم بعد ذلك يعاد تشكيل الصورة . وأصدر هتلر أوامره الى ادارة «أوسوارتج أمت» باتخاذ احتياطات ضد خطف الانجليز لفاروق وحملهم له معهم عند انسحابهم .

ثم أرسل وايز ساكر (وكان سكرتير هتلر الخاص) تعليمات بان النحاس والوفد هم أعداء للسراى ولايطاليا فقط وليس لالمانيا . وانه رغم انه حزب وطنى إلا أنه فى حالة الغزو سوف ياخذ فى اعتباره رأى الوفد — مدى القوة الألمانية الرادعة كما هو ياخذ الآن مدى القوة الرادعة البريطانية داخل بلاده . وان كل المطلوب الآن هو ضمانة أن يظل الوفد وكذلك الجيش المصرى سلبيين فى النزاع بين المانيا وايطاليا .

فى يوم ٢ يوليو ٤٢ صدر اعلان من المحور بالحاح من ايطاليا على المانيا يقول «فى هذا الوقت الذى تتقدم فيه قوات المحور المنتصرة نحو مصر يهم المحور أن يحترم ويؤكد استقلال مصر ، إن قوات المحور داخل مصر ليست قوات فى أرض معادية ولكنها قوات تهدف الى طرد الانجليز وتحرير الشرق من نفوذ انجلترا . ان سياستنا هى مصر للمصريين» . واضح أن هذا الأسلوب أسلوب ايطالى وليس المانيا. ويلاحظ أنه خلا من نص الاستقلال الكامل والسيادة التامة لمصر وهو النصر الذى كانت تحرص عليه الدوائر المصرية والذى كانت قد وجهت المانيا مثيله للعراق أثناء ثورة الكيلانى — كما لم يحتو الاعلان شيئاً عن آمال العرب ولا عن وحدة مصر والسودان وهى من أساسيات السياسة المصرية .

ولما كان ريبنتروب فى توجيهاته للدعاية الألمانية يركز دائماً على ضرورة الاشارة الى الوحدة العربية والوعد بها من جانب المانيا فلنا الحق أن نعتبر الاعلان السابق الصادر فى ٢ يوليو هو من وضع ايطاليا أساساً . ومعنى هذا تنازل من الدعاية النازية الى الدعاية الايطالية .

هذه التنازلات توقفت حالا . إذ أن الألمان كانوا قد بدأوا اتصالات مباشرة مع مصر بعد أن كانت هذه الاتصالات قد توقفت بفشل تهريب عزيز المصرى على يد الضباط الأحرار . فلقد أسقط الألمان جاسوسين قرب الفيوم ومعهما جهاز لاسلكى قام بتشغيله أنور السادات .

وطوال شهر يوليو وأثناء تقدم الجيش الألمانى فى الصحراء حاولوا تجديد الاتصال بفاروق ذاته لنقل رسالة من هتلر وريبنتروب اليه محذرين إياه من مؤامرات انجلترا لخطفه معهم عند انسحابهم وداعين إياه الى الهرب من مصر الى القيادة الألمانية في كريت . وطالبوا باقامة وسيلة اتصال دائم مع الملك واقترحوا استعمال الاذاعات الخاصة بكل من البلدين فى هذه الاتصالات . طلبات الألمان هذه جميعاً كانت من وراء ظهر الطليان !!

هذه الاتصالات الألمانية مع فاروق أعلم بها واشترك فيها كل من الحاج أمين الحسينى ووكيل القمصان الخضراء (مصر الفتاة) الدكتور مصطفى الوكيل . كانت موجة القمصان الملونة هى طابع النشاط الشبابى المتعاطف مع النازية فى العالم كله . تفاصيل هذا الدور لمصطفى الوكيل هو أنه فى ٣٠ يوليو ٤٢ طار حاملا باسبور باسم كورت هوفمان صادر من ادارة «اوسوارتج إمت» ومعه العميل الألمانى شرينر ومعهما رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية فى طهران وهو الشخص الرئيسى فى موضوع اتصالات فاروق واسمه إتل . طاروا جميعاً من برلين الى صوفيا . ثم من صوفيا بالقطار الى اسطنبول . حيث وصلوها يوم ٢ يوليو . قابلهم زوج اخت المفتى واسمه اسحق درويش ونصحهم بمقابلة قنصل مصر أمين بك زكى . بعد هذه المقابلة مباشرة طار أمين زكى الى القاهرة عن طريق أطنة القاهرة وفى طائرة بريطانية !! حيث انه كان يحمل توصية خاصة بريطانية تسمح له بركوب الطيران الحربى البريطانى وهو الطيران الوحيد الشغال . هل كانت هذه غفلة من الانجليز أم كان تغافلا لمراقبته وتغافلا مقصوداً ؟

وصل أمين زكى القاهرة يوم ٥ يوليو . وقابل فاروق . يوم ٩ يوليو كان أمين زكى فى اسطنبول يحمل رد الرسالة ومؤدى هذا الرد أن «فاروق تلقى الاشارة المرسلة اليه ووصلته فعلا» . ثم فى يوم ٢٣ يوليو طار اتل من طهران الى اسطنبول وقابل أمين زكى حيث نقل اليه هذا الأخير رسالة فاروق الشفوية وصلبها هو «فاروق يشكر هتلر على اعلان المحور بخصوص مستقبل مصر ولهذا فانه يرفض مغادرة مصر الى مقر روميل أو الى كريت . وانه فى اللحظة الحرجة بالنسبة للانجليز عند انسحابهم سوف يختفى فاروق بحيث لا يمكنهم اختطافه ولن يكون عندهم وقت كاف للبحث عنه بينما هم فى عجلة من أمرهم . وكل ما يطلبه من الألمان فقط أن يعطوه إنذاراً مباشراً صريحاً قبل هذه اللحظة الحرجة» (فاروق يقصد أن ينبئوه بموعد الضربة القاضية ضد الانجليز !) .

فى نفس هذا الشهر يوليو الساخن وفى يوم ٦ يوليو بالذات هرب ضابط طيارهو أحمد سعودى حسين من مصر الى قيادة روميل بتخطيط من فاروق . ولكن مدافع روميل أسقطته ميتاً . ومع ذلك ففى اليوم التالى مباشرة ٧ يوليو هرب صول الطيران محمد رضوان ونجح فى اجتياز المدفعية المضادة للطيران لدى كل من الانجليز والألمان . لاحظ أن هذه المدفعية كانت بدائية جداً على مستوى العالم كله لدرجة أن البكباشي عبد المنعم رياض المعار للانجليز أثناء الحرب كان هو احسن مدفعجى ضد الطيران فى الجيش

الانجليزى كله .

حمل الألمان صول الطيران محمد رضوان من شمال افريقيا الى برلين يوم ٢٠ يوليو . ولكن وثائق «الولهمستراس» تقول ان سؤال رضوان كشف انه لا يحمل اية معلومات سياسية أو حربية ذات قيمة .

ولكن رضوان قرر لهم انه عضو فى تنظيم سياسى سرى فى مصر يعتمد على خلايا كل خلية من ٥ أفراد . وطالب فى تقريره الموجود فى ادارة «اورسوارتج إمت» نصاً الآتى «لابد من اعطاء العمال والفلاحين فى مصر وسيلة تعبير عن انفسهم . ووصف فاروق بانه تركى ولا يهمه مصر ولكن تهمه ثروته الخاصة فقط . ثم عارض الوفد وجميع الاحزاب القائمة ونادى أن يقوم حكم عسكرى» . وهناك تعليقات بخط محرر المحضر مع رضوان تبين أنه لا يوافق على اراء رضوان لأن خط المانيا السياسى هو استخدام فاروق والطبقة الحاكمة المصرية .

أعيد رضوان الى تركيا . وعمل مع الفيلق الألمانى كمترجم . بعد نجاح ثورة يوليو دلت بعض الدلائل على ان سعودى ورضوان كانا مبعوثين من الضباط الأحرار. وأن الضباط الأحرار كانوا على اتصال بالقيادة الألمانية فى ليبيا طوال عام ٤١ ولكن قطعت الاتصالات بعد فشل هروب عزيز المصرى .

## الاتصال بالاذاعات

عندما عاد أمين بك زكى قنصل مصر من مصر الى اسطنبول قابل اتل وحمل اليه رسالة من فاروق . رسالة شفوية تقول ان فاروق أمر طياراً وصولا بالطيران ، بالهرب سرا الى روميل !؟ وأن معهما خرائط هامة ! وطلب فاروق فى حالة وصول سعودى أن تذيع اذاعة الرايخ الموجهة للعرب فى افتتاح الصباح سورة الاخلاص . واذا وصل رضوان تذيع سورة الفلق . ولكن من المهم الذى تؤكده الوثائق الالمانية ان الألمان لم تصلهم اى خرائط . وان الألمان ساورهم شك شديد حول سعودى ورضوان . وقد اذيعت سورة الفلق يوم ١٣ أغسطس وبعد عدة تأجيلات . ويبدو أن فاروق كان عنده مندوبون خلاف سعودى ورضوان . ومازال سراً غامضاً هل هو فعلا الذى أرسلهم أم كانت حيلة منه ليعرف من الألمان أسماء أى مصريين يكونون على اتصال بالألمان بعد ان فوجىء بهرب هذين الشخصين . هل كان يراقب الضباط الاحرار أو يراقب الأحزاب .

كان هناك تجهيز لاحتلال المحور وهنا رفض الألمان اعطاء أى تنازلات للطليان بل رفضت اعطاء روما أى تصورات عما تنويه. كانت المانيا قوية فى شمال افريقيا وكانت هى التى تحتمل عبء المجهود الحربى كله فى عملية الغزو المزمع .

كانت القيادة العليا معقودة لروميل . ولكن لا احد يعرف حقيقة غريبة وهى ان روميل كان عليه رئيس ايطالى اسمه باستيكو . كان باستيكو مكتفيا بالادارة المالية فقط ! وكان الألمان واثقين بانهم بعد الغزو سوف يكونون متمتعين بحرية كاملة فى التصرف دون الطليان . وكان الألمان يزمعون أن يتركوا الادارة وشئون المال للطليان بعد غزو مصر ولكن تظل الشئون الحربية فى يدهم وحدهم . وكان تقدير الألمان أن تغذية الشعب المصرى والانفاق عليه تحت ظروف الحصار البحرى الذى تفرضه الحرب مسالة صعبة تترك لايطاليا لتوحل فيها .

وكان الطليان يدركون هذه الصعوبة . فقد عقد موسولينى مع شيانو يوم ٢ يوليو اجتماعا لدراسة هذه المشكلة . وكان موسولينى يستعجل الغزو يوميا بل كل ساعة وكان يتوقع دخوله شخصيا كانه يوليوس قيصر الرومانى القديم وفى صورة اكثر تفوقا وبريقا .

قرر موسولينى وشيانو فى هذا الاجتماع أن يظل روميل قائداً عاماً بعد الغزو ولكن يظل خاضعاً لباستيكو هذا . وقررا أن تؤلف حكومة مدنية خاضعة لادارة الـ «دلجاتوبوليتكو» . وأن يراس هذه الأخيرة الكونت مازولينى سفير ايطاليا فى مصر ويكون معه ضابط اتصال المانى ليتفاهم مع روميل . أرسلت هذه المقررات الى هتلر . رفض هتلر كل هذا باعتباره سابقــاً لأوانه . لكن ظلت ايطاليا تضغط الى أن وافق ريبتروب عليها جميعاً .

كان ترتيب الألمان أن يتولى روميل القيادة وأن يكون فون فوراث ضابط اتصال بالطليان ولكن رفض الألمان ذكر بند «فون نوراث» هذا حتى يظل روميل الممثل الوحيد . كان هذا رأى هتلر . وكان يرى أن اية مشاكل بين الألمان والطليان تحل عن طريق واحد هو السيطرة الحربية . اما من الناحية السياسية فكان لا يعارض فى اعطاء ايطاليا دوراً بارزاً وربما الدور الأول ليس فى مصر وحدها ولكن فى كل البلاد العربية أيضاً .

كانت المفاوضات بين المانيا وايطاليا بخصوص توزيع الغنائم ليس فقط على المستوى الحكومى ولكن كاتفاقات محلية بين ضباط وجنود كلا الجيشين مع بعضهما البعض . كان رأى الطليان أن غنائم مصر لهم وأن غنائم الشرق الأوسط خارج مصر للألمان . وعندما عرض هذا على هتلر قال ان القاعدة العملية هى أن الغنيمة ملك من تقع فى يده ! أما روميل فقد رفض اى رقابة اقتصادية عليه من ايطاليا . ولكن ايطاليا احتجت بان هناك اتفاقية رسمية منذ شهور (١٤ مارس ٤٢) طبقت على الفرق الايطالية التى شاركت هتلر فى غزو روسيا وكانت السيطرة الاقتصادية عليه فى يد الألمان . وبالتالى طالبوا أن تكون السيطرة الاقتصادية على الالمان بصفتهم مشتركين فى الغزو مع ايطاليا تحت قيادة ايطالية (باستيكو) . المهم أن الطليان ذكروا الألمان بانهم لا يتقنون الادارة المدنية والمالية وذكروهم بمجاعة اليونان بعد الغزو وحذروا من تكرارها فى مصر .

## فاروق ينقلب على الألمان

بـدأ مونتجومـري هجومـه يـوم ٤٢/١٠/٢٣ وكانت المعركة الفاصلة يـوم ١١/١ . فقد روميل ٤٥٠ دبابة من ٦٠٠ وعشرة آلاف قتيل وخمسة عشر الف جريح وثلاثين الف أسير ويوم ١١/٨ تمت حركة الكماشة المسماة «تورش» التى سحقت روميل بعد ١٨ يوماً فقط من بدء هجوم مونتجمرى أى يوم ١١/١٩ هاجم الروس هتلر وسحقوه .

تقوضت آمال فاروق بل إنه ارتعش وانتابته حالة نفسية . أدرك أن هتلر لم ينهزم فى شمال افريقيا فقط ولكن فى روسيا وداخل أوربا . بدأ يمالىء الانجليز . قدم لهم قصر راس التين ليكون مستشفى . فتح كل قصوره لجرحاهم وجنودهم . رقص مع جنودهم . نقل اتصالاته الى تشرشل بل الى المخابرات البريطانية نفسها .

وهذا حديث آخر .

د. السيد فهمي الشناوي

# محمد عبد الملك

## في مجموعته القصصية الثالثة

بقلم: عبدالله خليفة


محمد عبد الملك

●● فى العدد الماضي نشرت « الدوحة » الحلقة الأولى من هذه الدراسة حول الكاتب البحريني محمد عبد الملك من خلال مجموعته القصصية الثالثة «ثقوب فى رئة المدينة» وفى الجزء السابق من الدراسة قدم الناقد نظرة عامة الى المجموعة وتناول بعض قصصها ، وهو فى هذا الجزء يواصل مرحلته النقدية مع المجموعة مبتدئاً بقصة «الطائر الأبيض» ●●

### ● الطائر الأخضر ●

« مختار القادري » رمز واضح مباشر . انه ليس شخصية ، بل قناعاً فنياً يحمل دلالات الخير والضوء والربيع . هو يسكن ذات الحـــارة باسم اكثر اشراقاً « حارة الوفاء » ، ولكنه - ايضاً - ليس انساناً عادياً ، فحين يسقط أسمه فى مجالس الحارة تتفجر الأسئلة . من اين جاء ؟ متى جاء ؟ ما هى وجهته ؟ ولا احد يمتلك اجابة محددة .

علاقته بام سعد علاقة ذات خصوصية ما . هى امرأة بلا زوج ، تسكن مع ابنها سعد فى نهاية الحارة عند شواطىء القمر ، وكان القادري ياتي لزيارتها فى الليل .

وينفجر خبر فى الحارة : سياتى القادري هذا اليوم ، فتزغرد أم سعد ، وتنشر الخبر ، وتفتح الفتيات شبابيكهن وقلوبهن ويعلقن الزهور ، ويعد الشباب مجلساً للشراب ، ويفتح سعد صندوقه وينتزع صورة مهداة اليه من القادري نفسه قبل سنوات . وامتنع البحارة القدامى عن دخول البحر وانتظروا قدومه .

ولكن القادري لم يات لأسباب مجهولة . فظلت الأكواب فارغة فى مجلس الشباب ، وتجمدت أم سعد وجلست تفكر ، ورقد سعد عند عتبة الباب وذبل الياسمين فى صدور العذارى ، ودخل البحارة القدامى البحر ، ولم يظهر الطائر الأخضر .

ومضت شهور ، وفى الليلة التاســعة والتسعين ، اقبل طارق غريب وسلم أم سعد رسالة ومضى فى الظلام . وفتحت الورقة فسقطت صورة القادرى بعينه الذكية ووجهه الصبوح .

فتحت الشبابيك ، واضيئت المصابيح وخرج سرب الأطفال يغني ويدور فى الزقاق ، وعادت البنات يتراشقن بالياسمين من النوافذ ، ودارت أم سعد بثوبها الابيض ، وتواصلت الاغنية فوق السطوح .

اقبل الطـائر الأخضر من الشـــمال ، شاهدوا وجهه تحت ضوء القمر ، شعلة عينه المتقدة ، وتوجه الجميع إلى طريق واحد .

مختار القادري يظل إذن لا شخصية . مجرد رمز ينبىء بعالم أخضر قادم ، كل أهل الحارة يتوقون الى قدومه ، وهو يغيب ويتاخر كثيراً ، غير انه حتماً قادم ، ليس مثل الاسطورة الغربية عن « الذى ياتى ولا ياتى » بل هو حنين الفنان الشعبى الى العالم الأفضل القادم حتماً .

الأدوات المنفذة للفكرة بسيطة تماماً ، عبارة عن توزيع ما لأغنية شعبية ، تعبر عن إحساس عميق ودفين بقدوم شىء رائـــع يوماً ما .

إن الكاتب لم يوسط النماذج للوصول إلى الظلال ، فبقيت الشخصيات مجرد أدوات للوصول إلى هذه اللوحة . ليس ثمة شخصية حية ، فيظل القادرى فكرة بلا تجسيد .

إننا ندهش لكون القادرى بهذا السحر العجيب . فمن اين يمتلك هذا التاثير ؟ لم يستطع الكاتب ان يحيله الى شخصية ، ويقيم له صلة حدثية حقيقية بالحي ، ان قدرته على ان يشكل العالم بلون أخضر ليست لها حيثيات فنية تؤكدها ، فبقى المعنى العام بدون تشكيل مقام على عناصر القصة .

إن وجهه المتالق وشاربيه وعينيـــه البراقتين ملامح مادية لا تفيد معنى الحكاية ولا تضيف شيئاً . فقط علاقات اخرى ، هامة وذات صلة عميقة بالناس ، يمكن أن تعطي شيئاً .

وعلاقته باهل الحارة علاقة هامشـــية سطحية لا تضرب جذوراً عميقة بالأرض . وهى لا تتعدى علاقة سعد به . فهذا الطفل يتصور قدوم القادرى وهويدخل البيت ، يراه وهو يعانق أمه ومن ثم يرفعه إلى أعلى ويقبله ويقذفه فى الهواء مرات فيطير ، ويضحك بصوت جهوري ، وتتحرك اصابعه فوق شاربه فى انتظام ورتابة .

لا تتعدى تصورات الشخصيات هــذا المستوى المحدود من العلاقة . وذلك بسبب التصور السائد فى هذا النوع من القصص ، حيث يتشكل النـــاس إلى مجموعتين ، مجموعة النخبة وهم افراد قلائل بمثابة رموز تجسد النور والطهـــارة والخير ، ومجموعة الناس العاديين الذين ينتظرون فى واقعهم المؤلم مجيء هؤلاء المخلصين .

ان القادري لا يتشكل باعتباره إنساناً ، بل يظهر كشىء خارق ، وحينئذ تتتالى كل النتائج الاخرى .

لاشك ان مثل هذه القصة تمثل تقدماً عن قصص التصوير المباشر ، ففيها أراد الكاتب ان يكسر طريقته العادية الرتيبة ، فحول

الأغنية الشعبية الى قصة ، فحلق ، وهشم المنظور العادى ، وخلق حكاية تقترب من الأسطورة ، وفى ظل هذا المستوى ليس من السهل خلق شخصية فنية . إن هذا التكسير هو حلقة الى الامام بالنسبة الى القصص السابقة . ولكن الى أين ؟ وما هى قوانين هذا التقدم الفنى وما هى وجهته ؟

إن هذا التكسير شيء إيجابى ، فى ظل رتابة فنية معينة ، ولكن يجب أن يتجه اتجاهاً صحيحاً . فالبطل غدا مجرد عباءة فكرية وليس شخصية حية ، وفى الوقت الذى يجب على الفنان ان يكسر رتابته ، عليه ان يخلق شخصيات حقيقية .

هذا الترابط الوثيق بين العام والخاص ، بين الموضوعي والذاتي ، مفتقد فى شخصيته . ففى الوقت الذى يعبر فيه البطل عن معنى عام لابد ان تكون له ملامحه الشخصية . واذا كان رمزاً فلابد ان يضمر هذا الرمز داخل الشخصية .

بهذا يقترب البطل من الأرض والبشر . إن تكسير الرؤية التقليدية أصبح أمراً ضرورياً فى أدب الكاتب ، ولكن ليس فى إضاعة الملامح الواقعية للانسان ، بل من اجلها .

## ● امكانية حل التناقض ●

لقد رأينا كيف توزعت ريشة الفنان بين أسلوبين فى خلق الشخصية . الأول يعتمد على التقاط المواد الخام المباشرة من الحياة وطرحها بصورة لا تتضمن إعادة الخلق الفني ، وتضمينها أبعاداً جديدة ، ووضعها فى مسارات اكثر تطوراً وتوغلا فى فهم الحياة وإعادة خلقها على اسس اخرى .

ولاشك أن هذه الشخصيات العادية لم تؤخذ بصورة عفوية ، ان اهتمام الكاتب منصب على بسطاء الناس ، وهذا ما يشكل جسراً كبيراً بينه وبينهم ، ان ابداع الكاتب كان دائماً يطمح الى تجسيد معاناتهم وطموحاتهم ، واصفاً التاريخ الماضى والتغيرات الجديدة ، لكنه يكتفي بعرضها بمواصفاتها « الطبيعة » . نتيجة لتمرسه الطويل على هذا النوع من العرض التصويرى ، ولعدم حدوث تغيرات كبيرة ، وانعطافات فى رؤيته .

إن هذه الطريقة من التشكيل تعجز عن اكتشافات الصراعات الجوهرية فى المجتمع وتبقى فى حدود الثانوي والسطحي ، على الرغم من موافقتها لمستوى أكبر عدد من القراء الآن ، ولكن الفنان محمداً ذاته يبدو كأنه يحاول تمزيق هذا الثوب الضيق عليه ، ويحاول ان يتغلغل اكثر فى الحياة وصراعاتها ، لهذا يبحث عن شخصيات أكثر غنى تحمل هموماً جديدة وآفاقاً اكثر تقدماً . بالاضافة الى بقاء جسر التوصيل . إن الاتجاه الشكلى فى البحرين لا تهمه كثيراً هذه المسائل ، لكنها بالنسبة للكتاب الواقعيين قضايا هامة .

لهذا تأتي شخصيات مثل « عوض الريحان » و « مختار القادرى » كتجليات لمحاولة الخروج من مأزق الشخصيات المباشرة المحدودة . لقد رأينا منه الرموز تحمل ابعاداً جديدة وكبيرة ، لقد صارت تحمل دلالة التغيير والثورة ، فاذا كانت الشخصيات السابقة تعجز من الوصول إلى هذا المستوى ، فان هذه راحت تحمل هذه القيم الجديدة ، ولم تعد المقاييس الصغيرة تشكل صورتها ، بل كسرت الخطوط المحدودة والخانات الضيقة وانطلقت الى مستويات أكثر تعقيداً ولن تستطيع ردها إلى الواقع المباشر .

ولكن الوصول إلى هذا المستوى لم يتم بطريقة صحيحة ، ان الفنان انتقل بضربة سريعة من الخاص المحدود الى العام المجرد من الشخصية المباشرة الى الشخصية المجردة أو اللاشخصية .

إن هذه الشخصية المجردة غدت مجرد قناع فني لفكرة عامة . ان تقديم شخصية عادية وحية تتضمن ابعاداً عميقة هو وحده التركيب الجدلي للتناقض الذى يشمل هذين النوعين من القصة .

إن الاتجاه الشكلى فى القصة بتركيزه على « المجرد » و « العام » وتثوير الشكل وحده يدفع فى طريق إعدام الشخصية الفنية الحقيقية ، ويؤدى إلى دمار الشكل ذاته لأن هذا لا يغتني إلا بعقد علاقة حية مع الواقع ، وابطال الحياة .

والتركيز على الخاص والمحدود يتضمن خنق الشخصية أيضاً ، لأنه يتركها بلا أبعاد ولا يربطها بمجريات تطور المجتمع .

إن محمداً نفسه يحاول ان يتلمس مواقع الحل . ولقد كان ادبه محاولات لاكتشاف الواقع ، وقد شكل علامة مضيئة فى الكتابة القصصية والروائية فى البحرين عموماً ، وحاول ان يقدم بعض الحلول للتناقضات التى تعاني منها القصة القصيرة عندنا . ففى قصة « قوس قزح » فى مجموعة « موت صاحب العربة » قدم شخصية نموذجية ، يتآلف فى كيانها الصراع الاجتماعى ، وتلتهب بلغة مضيئة مكثفة ، وتتشكل فيها الرموز وعلامات التاريخ . وتمثل هذه القصة علامة من علامات التطور فى قصتنا عموماً .

وقدم شخصيات نموذجية اخرى فى مجموعته « نحن نحب الشمس » بشكل اكثر تماسكاً وإيجازاً . ففى قصته « فى القرن العشرين » قدم لحظة قصيرة متفجرة ، وقابل بين شخصيتين ، وكشف اعماقهما بصورة فريدة .

واذا اتينا الى مجموعتنا هذه سنجد ان ثمة استمراراً لتلك المحاولات وان كان محدوداً جداً .

## ● الجبــل ●

قصة « الجبل » تمثل احدى العلامات المضيئة فى هذه المجموعة ، مهران عامل البترول السابق والعجوز الذى يحلم ، ويرى نفسه فى أول شبابه ، انه يقود فرقة الاستكشاف فوق قمة جبل الدخان وينشر اعلاماً ، ويرفع مطرقة ، وهو يحلم فعلا ، فيتزاوج الماضى الموغل بعيداً والحاضر والمستقبل ، يحلم فيأتى اسفل الجبل قطار اخضر طويل يصعد فيه احفاده العشرة ، ويشاهد ليلة عرسه ، ووسام النجمة الميت على صدره ، ورجال يصفقون ، وكانت ابتسامته تكبر حتى تغطى كل مساحة وجهه .

إن مهران متكور على نفسه ، جفناه دافئان ، وهو فى لحظته هذه يستكشف ، ليس الجبل الذى فجر منه النفط ، بل ايضاً التاريخ والحاضر . وكانت الأحذية تقترب ، وأصوات تنطلق من الخارج ، ولكنها من الداخل أيضاً : « إن الطريق الى الجنة طويل .. » ويرى نفسه يدخل فى حفرة ، مربوطاً من وسطه بحبل ، وفى الأسفل قاع بلا نهاية ، وظلمة ، وفى يده راية ومطرقة ، وتوغل . وتلاشى فى الظلام ، وانقطع الحلم واقترب من حفيده « حسين » وراه يتقدم منه وشمل البوابة ، التى يتجمد عندها حارساً ، الهدوء ، وشاهد وجهه فى احتفال وحمل نجمة من فضة ، وانطلق اسمه عالياً ، وعاد مهران الى النوم والوعى ، واقتربت منه اقدام ، وكان ثمة شاب يضحك ، وتردد الصوت « ان الطريق الى الجنة بعيد » ، ورأى نفسه مجدداً يمضي فى درب الصحراء الطويلة ، الشاسعة ، ومرة اخرى يرى

« حسين » الطفل السابق دون نمو هام يغني العملية المتطورة المتشابكة ، وتاتى الضربة الأخيرة حاسمة ، فمرة أخرى نراه فى أعماق الجبل وكان الذين يقفون فى أعلى الجبل يقولون « هو الآن فى قبر دقه بيده .. » لكنه خرج من الجبل مصفر الوجه ، غرس الراية فى اعماق الجبل ، وانحنت له قبعات اجلالا وشيدت مدن ، وقمر ابيض ، ورأى كفه فارغة وظل عند البوابة عجوزاً يحلم ، يقول له الحفيد « اتبعنى » فلا يستطيع ، « سر » ولا يستطيع ، وتلك لوحة صغيرة مكتملة ، عناصر متباينة تتازر ، وتشكل شخصية حية ليس ثمة تجريد وقطع للانسان عن جذوره وتعليقه فى الهواء . ولا إعدام للخصوصيات البشرية الصغيرة ، مزيج جدلى ، تحركه لغة شفافة ، غنية بالايحاءات ، لا تتجمد عند التفصيلي بل تخطو به الى الهام .

المعطف الذى يلبسه ، والبوابة التى يحرسها ، وجو الشتاء الجميل وظلال الصحراء وصيحات الشباب ، ومصنع التكرير الهرم الذى يبدو كشبح فى عينيه ، وهو يتوغل فى الجبل ، رمزاً لجيل توغل واطلق الثروات من باطن الأرض ، وحسين الذى ياتيه فى الحلم رمزاً للغد ، ولمواصلة السير ، كل هذه الجزئيات المختلفة من صور ولغة وذكرى تكون شخصية حية ، يتضافر فيها تاريخ طبقة وشعب وإنسان .

وقد استطاع أن يخلق هذه الشخصية فى قصة مكثفة ، مازج فيها بين القضية المحلية والهموم الانسانية العامة ، فغدت شخصية البطل لنموذج واسع تجري فيه عملية الاستغلال . لم يبق شخصية محلية فقط ، بل إنسانية ، بسبب ذلك . وهذا التوليف ، الذى يبدو عادياً فى القصة العربية والعالمية عامة ، فانه يبقى مفتقداً أو شحيحاً فى القصة القصيرة البحرينية ، حيث يتركز توجه لالغاء الوجه المحلى لحساب أساليب فنيـــة مجردة يؤدى استعمالها ضمن هذا التوجه الى تدمير الشخصية الفنية الحقيقية ، محلياً وانسانياً .

## ● اصحاب الكهف

فى قصة « اصحاب الكهف » تشكيل حدثى متطور وجميل ، نعثر فى بدايته على سكان عمارة « النهر الأزرق » الذين لا نعرف من اين جاءوا ، ولكن نميز فيهم هذا العلو الاجتماعي ، فها هم قد تعلقوا بالشرفات وفتحوا النوافذ ، واطلقوا من شقوقها الملونة المضيئة الموسيقى الصافية ، وقد جذبت هذه الأضواء والموسيقى الشق الثانى من التكوين الاجتماعى ألا وهم الفقراء . وكان يمكن ان تكون المناسبة وقتاً جميلا للجانبين حيث يبقى الذين يجلســـون فى الأعلى مستمتعين فعلا ، ويظل الذين يقفون فى الأسفل مشاركين على « الريحة » فحسب . ولكن الصراع يتسلل الى الموقف على شكل نكتة سوداء تتغلغل فى العمارة . وهـــذا ما يفسد جو العائلة المنتظر .

· إن ثمة شائعة تقول إن مجنوناً تسلل إلى العمارة ، وقد فر الحارس صوب المخزن ، وتجمد هناك . ويدب الذعر فى سكان العمارة ويتصل المجنون فعلا باحدهم ويامره ان يضحك فيضحك وان يبكى فيبكى وان يحطم السماعة وينام على بطنه فيفعل ويسود الصمت .

وإذا كان سكان العمارة مجرد قناع لطبقة ما ، أو خط مجرد لا يدل إلا على شعار عام ، فان الفقراء اكثر وضوحاً . و « الشيلان » رجل شعبى متسكع فى المقاهى يرمق العمارة بفضول ويتساءل مع صـــديقه « الربعي » عن المجنون المتسلل ، وفي الوقت الذى يبدى الربعي خوفاً يسخر الشيلان من الخوف والمجنون وسكان العمارة . وهو يحلم بحبيبته ويرى رموش عينيهـــا السوداوين وهى تدعوه للتقدم اليهـــا ، للاقتحام ، فيسخر من رواد المقهى الجبناء الذين اختفوا خلف الصناديق الفارغة ، ويتجه إلى العمارة بكل هدوء ، رغم تحذيرات الرواد المذعورة .

وكانت « العبارة » ـ ما أثقل الأســـماء المستخدمة ! ـ تجلس مع ولدها كحارسة لعمارة النهر الأزرق أيضاً . لم تتسلل الى اى مكان ، ظلت تحاور ابنها منتزعة منـــه مشاعر الخوف والتوجس ، مضيفة الى حركة الشيلان ـ التى لا علاقة مباشرة بينها وبينه ـ بعداً أخر ، يتمثل فى إلقاء ضوء حول أصل الخوف ودلالته الاجتماعية . ولكن هذه المرة وابنها لا علاقة مباشرة لها بالحدث فتظل تعليقاً خارجياً عليه ، وهنا من الممكن ان تضـاف تعليقات عديدة اخرى ، ولكن هذه التعليقات المرسومة والمجسمة لابد من تضفيرها مع الجزء الآخر الهام من الحدث ، حتى تعثر على مبررها الفنى وتكتسب ولادة شرعية .

و « الشيلان » نفسه تظل علاقته السريعة بالحبيبة بعيدة عن الحدث وسخونته ، ان طرحها ربما كان بهاجس إيجاد ملمح خاص للبطل وهذا الذى لم يتشكل بصورة فنية نابضة . والحوارات العديدة المنبثة فى القصة لم توظف من اجل إضاءة البطل ، فعدة سطور من الحوار كان من الممكن ان تكشف اشياء كثيرة بدلا من تكرار الكلمات مع صديقه بلا طائل . أى أن أجزاء عديدة من البنية لم تستغل لتطوير الشخصية وتنامى الحدث وتماسكه .

إن الصراع الدائر بين سكان العمارة واهل الشارع لم يصور بشكل اكثر قوة لضياع تاثير العديد من الجزئيات التى كان من الممكن ان تستغل للتعميق ، ولكون البطل لم يصور بشكل يجعل منه شخصية ورمزاً فى آن واحد . فاقتحام العمارة كان من الممكن ان يفجر دلالات أقوى ، نفسيـــة واجتماعية ، بدلا من أن يتبعثر ويضيع فى مسارب بعيدة .

ان اختفاء سكان العمارة بعد ان عادت الحياة من جديد إلى المقهى والرصيف يشكل قفزة غير مبررة ، ولا يشكل رؤية حقيقية للصراع لقد تحول هؤلاء إلى نماذج هشة فارغة بسبب التهويل الميلودرامى .

ان هذا ليس « حياداً » فنياً ، فمنـــذ البداية وقف الكاتب بوضوح مع أهل الرصيف .

● التناقض عميق فى المجموعة ، ولهذا نجد بعض الارهاصات الأولية التى تنبىء بالقدرة على حله فى القصتين الأخيرتين ، ولكن هذا التجاوز الحقيقى يتطلب وعياً كبيراً ومهارة وقدرة تكنيكية عالية .

إن هذه الارهاصات القليلة تعني ان الفنان استراح الى أسلوبه السائد ، فلم ير فى الواقع تحولات كبيرة تستدعي التحول والاكتشاف . اكتفى بما هو كائن ولم يتغلغل فى صيرورة هذا الواقع .

ان النماذج البشرية هى تجسيد لهذه الصيرورة ، هى اكتشـــاف الصراعات والاتجاهات الاجتماعيـــة فى النـــاس ، واكتشـاف فاعلية هؤلاء الناس فى هذه الصراعات .. إن استيعاب ذلك يتطلب نفاذاً عميقاً الى الحياة واستخدام رؤية علمية فى إدراك الطبيعة والمجتمع والانسان .

## ● نتائج أخيرة ●

(١) ان ملامح الشخصية الفنية متنوعة

في المجموعة . ففى الوجه السائد نرى ملامح شخصية محدودة ، ذات سمات مادية خاصة ، ولها موقع معين فى الحياة الاجتماعية . ربما كانت شخصية مجنونة ، لا وعي لها ، تجلس فى أدنى السلم عند مرتبة الحيوانات ، أو ربما كانت انسانا تعذبه الوساوس والمخاوف وليس ثمة نوافذ اخرى مضيئة فى حياته ، أو رجل عجوز منعزل يجتر ذكرياته التى لا يقولها لأحد بل نسمعها من رواية الحي ، الذى عاش معه فى الغوص مرة ، أو رجل محترم عادي ينقلب فجاة إلى راقص فى حفل ويظهر أمام امراته كرجل « حقيقى » لا تسيطر عليه هى ، أو فراش فى ادنى السلم الاجتماعى يريد ان يسلط الأضواء على نفسه قليلا ويجعل هؤلاء الموظفين يحترقون بعض الوقت ريثه' ينقل اليهم الخبر ، أو بحار نادراً ما ابتعد عن البحر لكن البحر ابتعد عنه وغدا الصيد مهنة لا تطال ، فاتجه الى المدينة بحثا عن عمل .

هذا الوجه عبارة عن لقطة جزئية ، قطعة ما من الحياة العريضة ، استل من واقعه المعقد المتشابك وقدم الى المسرح فى لحظة سريعة . ملامحه ، وتاريخه ، وحارته ، قدم كل ذلك بصورة وثيقة أضيفت الى ارشيف غريب يقع بين الفن والتاريخ .

إن هذا الالتقاط السريع قد جمد الشخصية عند مستوى محدود من البناء الفنى والفكري . فبقيت شخصيات ضحلة ، وليست « بسيطة » فالشخصية البسيطة غير موجودة ، أحادية الجانب ، لا تخدم غرضا فكريا عميقا . ان القارىء حينما يقلب هذا الأرشيف يجد أن هذا البطل هو هذا الشخص أو ذاك ، فالمسافة بين الواقع والقصة قصيرة جداً ، ان هذا القصر نتاج الطريقة السريعة فى الانتاج الادبى ، بمعنى ان « الانسان الواقع » لابد له من فترة غنية وناضجة حتى يتحول الى « الانسان فى الفن » . اعادة تملك هذا الانسان وتغييره واضفاء ابعاد جديدة قد لا تكون محمولة معه بالضرورة ، هذا هى الطريقة التى تغير من عملية نسخ النماذج الحياتية .

يجمد الكاتب عند هموم صغيرة فى حياة البطل ، لها ارتباط بالحياة الاجتماعية ، غير أنا نراها متاطرة بشخصه . ان البطل فى هذا القسم لم يعد كالعديد من ابطال مجموعتيه السابقتين يحمل روحا متدفقة بحماس يدعو للنهوض والتغيير ، بل نراه فى جنون مطبق أو فى ضحكات هستيرية أو يعانى من وسوسة رهيبة أو يمتلك وعياً محدوداً تماماً .

ان هذه النماذج لم تعد تطرح زخم الواقع وحرارته وتطوراته المتدفقة دائماً . لانها نماذج لاتختار بدقة لتجسد أعماق الحياة ، فهى هامشية محدودة ، لا تمتلك فى ذاتها بؤراً غنية بالظلال والدلالات .

(٢) يحاول الكاتب ان يخرج من المحدود الى الواسع . من الخاص الضيق إلى العام الغني بالرؤى . ان قصة مثل « القمر وجهه ازرق » أو « الطائر الاخضر » تطرحان العديد من الملاحظات :

● أولا ، ثمة تميز هنا ومحاولة للخروج من صيغة مالوفة الى عالم محدود وثرى بالأصداء والأضواء ، مع البساطة المرهفة واللمسات الشاعرية والاقتراب من الحكاية الشعبية واستخدام الاغنية .

لقد اتسعت المسافة بين الفن والواقع ، ولم يعد الأبطال علامات ملخصة لأشخاص احياء أو أموات عاشوا هنا أو هناك ، بل صاروا رموزاً منتزعة من اشياء كثيرة قاسية وباهتة ومن آمال عميقة مزروعة فى صدور بحارة وصبايا ، فغدا هؤلاء الابطال ثمرة للتطلع الى عالم جديد ، مضيء ، أخضر .

هنا محاولة للخروج من محدودية الأبطال الذين أسر الكاتب نفسه بينهم ، استقى منهم مادته ولم يرتفع عنهم ، فكرياً ، محاولة لمسك ابطال أكثر خصوبة وتجسيداً للهموم الاجتماعية .

● ثانياً ، ولكن هذه المحاولة لم تكن مكتملة فنياً وفكرياً . فقد تحول البطل المحدود الى وجه بلا ملامح ، بطل بلا سمات ولا شخصية ، وانتقل الى دور القناع الفكرى . لم يخرج من اعماق البطل السابق بوجهه المحدود ، ليجعله أكثر اتساعاً ، بل تجاوزه إلى النقيض ، إلى إزالته .

وإذا كان الناس سابقاً هم مادة القصص فقد غدوا الآن موضوعاً للأبطال ومادة للتغير . هذه الرؤية فى رفعها للنموذج الرمز الى هذا المصاف تبرز طابعها الفردي . وأن المازق الاجتماعى الذى تعانيه الحارة لابد له من منقذ فذ .

● ثالثاً ، هذا يشير الى خفوت لغة الصراع فى هذه المجموعة ، والتى رايناها ساخنة فى مجموعتيه السابقتين . فالشخصيات تعيش اغلب لحظاتها سلبية ، حتى مرجان السعيد الذى واجه النوخذا في سفينة الغوص واشترك فى حرب ، جلس صامتاً كحجر . وتتفجر الصراعات النفسية الداخلية مدمرة قدرات الأبطال ، اذا استثنينا زهرة بطلة « أول الحب » لهذا يبحث القاص عن أمل فى هذا الليل الدامس فيجده فى رجل غريب يحمل النور للمقيدين فى دياجير الظلمة .

(٣) ويحاول الكاتب فى نماذج قليلة اخرى ان يخرج عن الصيغتين السابقتين ، ومن الملاحظ ان هذا الخروج نادر فى المجموعة . بسبب ان القصاص لم يحدد لنفسه اهدافا جديدة اخصب واعمق .

إن قصة مثل « الجبل » قد تمثل طريقاً جديداً فى تشكيل الشخصية والحدث وقد تضاف الى محاولات اخرى جيدة لم تحدث فعلا انقلابياً فى عالمه الفنى . ظلت كاشارات مضيئة لم يتابعها الكاتب ، وانساق الى اسلوب سهل يرضي الكثير من القراء لكنه لا يرضي الفن وتطور الناس والحياة .

الجبل تقدم إنساناً ، وتاريخاً كاشفاً بلغة شفافة هى لغة الحلم والواقع المرير ، وتتزاوج الحياة الخاصة والعامة ، المحلية الشديدة الخصوصية والهموم الانسانية الكبيرة ، ليس ثمة تعسف فى بناء الحدث ، فهو ينساق ببساطة ، متخذاً حركات تذكر وأحلام العجوز مهران ، ضافراً بين جلسته الحالية الجامدة ، وتحجر مكانته الاجتماعية ، وبين الثروات التى فجرها والجبل الذى اقتحمه مطلقاً منه كنوزاً لا تحصى . المرارة تتحول الى امل فى غد أروع ، ولكنه غد يعجز عنه العجوز ويدعه لحفيده حسين .

لماذا تشكل أمثال هذه القصة لحظة تخطٍ ؟

إن العديد من الكتابات القصصية لدينا تضع هدفاً لها هو تحطيم الشخصية النموذجية . فثمة قطع لجذور هذه الشخصية وافقادها سماتها الخاصة الحميمة ، واعتبار هذا القطع شرطاً للتطور والكتابة الواقعية الجديدة وهذا يؤدى الى غياب ليس الشخصية الوطنية المحلية بل الشخصية الانسانية أيضاً . لأن الأولى لا تظهر إلا من خلال الأولى . وأية شخصية مطلقة مجردة ، لا تستند أولا على النموذج المحلي الخاص فذلك يؤدى الى دورانها فى الفراغ ، وموتها فنياً وانسانياً .

وميزة محمد عبد الملك من بين مميزاته انه حاول السيطرة على هذا القانون الفنى ، ويبقى ان تتعمق هذه السيطرة وتنتشر .

**عبد الله خليفة ــ البحرين**

# قراءة في المجموعة الشعرية

# من أحلام اليقظة

## للشاعر القطري علي ميرزا محمود

بقلم : سنان المسلماني



غلاف المجموعة الشعرية


على ميرزا محمود

« من أحلام اليقظة » مجموعة شعرية جديدة نشرت للشاعر الفنان علي ميرزا محمود ، انتظرناها بشغف ولاقيناها بود .

وهذه المجموعة تعد المجموعة الثانية للشاعر بعد مجموعته الأولى « أماني فى زمان الصمت » نشرت فى ١٩٧٩ ، وهى تضم مجموعة من القصائد باللهجة العامية الخليجية .

ويعكف الشاعر الآن على تنسيق مجموعة قصائد جديدة ليصدرها فى مجموعة ثالثة تحت عنوان : « الرحيل فى عيون الذكريات » .

وعندما تعيش مع قصائد الشاعر علي ميرزا فى مجموعته الجديدة ، ستشعر أن قلب الشاعر يقفز بين السطور ، فالجرح غائر ، والألم شديد يشيع فى أعماقه حزن بحجم البحر .

ستحس أن القصائد تتواصل فى رباط متين رباط الحب ، الذى يشملها وينفذ خلالها ظاهراً أمام عينيك دائماً ، مؤكداً لك أن الشاعر استطاع أن يقدم أحاسيسه الفياضة الثرية ، التى تعكس ذاته الضائعة الحائرة الحزينة .

وأول ما تلاحظه فى المجموعة الثانية أن قصيدة « إني أنا الفتى » تقطر نرجسية بصورة تجعلنا نرى أنه كان على الشاعر أن ينحيها عن المجموعة اذ يبدأها علي ميرزا بقوله :

أنا صاحب العلياء فيها فهللوا
وغنوا غداة البين لما تحاملوا

وهى قصيدة لها ظروف خاصة قاسية ، أليمة ، نظمت فى تجربة معاناة خاضها الشاعر ، إلا أن وجودها دخيل على قصائد المجموعة ، ولرنة الفخر والحماسة الزائدة أثر في احساسنا بعدم تلاؤمها مع باقى قصائد المجموعة ، لذا كنت أتمنى أن تحتل القصيدة الثانية « عشتار والوجه الغائب » مقدمة المجموعة ، لأنها تمثل نوعية مختلفة تظهر قدرة الفنان الشعرية وحساسيته المفرطة وحزنه المتوثب دائماً ، الساكن فى أعماق نفسه .

يقول :

سنابك خيل الحسان
تمر أمامى
وتهوي الأعنة بين يدى
وبعض الوجوه على راحتي
يقولون خذنا
وودع زمانك في مقلتينا
ودع حزن عينيك بين يدينا
وسلم زمام الركاب إلينا
وخذنا ..
تدثر بنا في ليالي الشتاء اليتيمة
فانا على شدو حزنك من غابرات
العصور أتينا

يرى متابع القصيدة هذا الحزن القابع فى عينى الشاعر الذى يلون دائماً سطوره ، فالوجوه تدعوه فقد أتت من العصور السحيقة الغابرة تحث الخطى على شدو حزنه ، ذاك الحزن المتوثب أبد الدهر ثم ينساب الحب كالمطر ، ليغسل كل الجراح .

وتبكى السماء .. على حزنك السرمدى الأثر
فينهمر الحب ..
من شدو حور العيون المطر .. ويثمر بستانك
الحزن فوق الشجر .. سياتي المطر
سيغسل قلب الليالى الحزينة
ويسكن فى مقلتيك القمر
ويأتى المطر

تدعوه الوجوه فى تلك القصيدة ، وتعده أن تضمه كل الجفون ، ويسافر أنى يشاء فى كل العيون ، وسوف تعطر أجسادها فى ليالى الشتاء اليتيمة بعطر **اغانيه** .. « تلك الأغانى الحزينة » .

يعذبه الرحيل ، فعيناه ترحلان فى كل الأمكنة تبحث عن كوكب بعيد ، تعذبه الوحدة ، يتهاوى يتساقط ، يموت ويزرع بين الصخور حروفاً تنادى إذا ما أتى الليل محبوبته عشتار تلك التى فى رؤوس الجبال تمارس فى نشوة الحب قرع الطبول .

وحين تقرأ القصائد الأخرى فى مجموعة الشاعر علي ميرزا تتراءى أمام عينيك مفرداته المتكررة دائماً والتى تعكس ذاته مثل « الوب » « أبكي » « يبكي » « بكى » « أجرى » « أموت » ، وصيغه وصوره التى تعبر عن روحه المتألم ، ذاك الروح التائه المتعب « وأنا اليتيم » « قلبى المكلوم » « مازلت أبحث بين المعاني » « وتفجرى يا نفس » « يا فقراء العالم .. لو كان بوسعى كنت زرعت لكم قلبى سنبلة .. قنبلة فى وجه الطغيان . سداً فى وجه الطوفان » .

وتجرحك أسئلته الحائرة ، بعد أن أضناه البحث « متى سوف تنهار كل البرازخ .. حتى تفيض جميع البحار » ثم يصرخ مطالباً « هدوا البرازخ .. كي يغسل البحر وجه حبيبى » .

وقارىء المجموعة سوف يلاحظ أن شعر الفنان يعكس بعض النرجسية أحياناً ويعبرها ويتجاوزها أحياناً أخرى ، وهى قد تقبل من الفنان .

ونحن لا نقف طويلا عند ذلك ، إذ أننا لا نستطيع أن نصادر احساس الشاعر وحقه فى التعبير عن بعض خلجات ذاته ، كما لا نستطيع الافراط فى رصد أناه الثمينة .

وهو لم يصل بحال من الأحوال إلى طغيان الذاتية أو النرجسية ، بشكل بارز مرضي .

إذ أن طغيانها يخنق انطلاق الشاعر إلى آفاق أرحب وأخصب .

الحق أن لهذا الفنان الشاعر عدة قصائد مؤثرة ، بالغة الروعة تضعه فى مقدمة الشعراء الخليجيين الشباب ونحن مع آخر كلمة لنا ، نشكر الزميل علي ميرزا على هذا الاصدار متمنين له التوفيق فى مجموعته الشعرية الثالثة « الرحيل فى عيون الذكريات » التى ستقدم لنا الشاعر – بدون شك – مع تجربة جديدة أصقلتها الحياة والخبرة .

# الـــــــدَّم ..

## قصة بقلم : فــؤاد قنــديل



عندما وضعت قدمى على أول درجة من درجات السلم الحجرى ، استوقفنى للحظة منظر دم .. نقط من الدم ، لكنى لم أهتم فكل شىء ممكن حدوثه ، والاهتمام يكون بقدر الانفعال .. والانفعال يكون بقـــدر الخصوصية .

لكنى مع درجة أخرى وجدت نقطاً أخرى من دم .. ثم درجة ثالثة ورابعة .. كلما صعدت وجدت الدم يسبقنى . توجست بدأت الأسئلة تدق رأسى .. ما هذا الدم ؟ وهل تراه دم دجاجة أو انسان .. أم دم قط أم دم ... أم مجرد لون .. سائل أحمر .. وإذا كان دماً بشرياً فهل يخصنا ؟

ثقل دق الأسئلة وطرق الأفكار على رأسى .. هل يخصنى ؟ .. دق قلبى .. زوجتى وابنتى نهى ودينا .. فى هذه الحالات يسرع العقل فى طريق التشاؤم ، حتى يتخيل مثلا أن مخلوقاً من السماء جـــاء خصيصاً ليذبح ابنه ، وقد يتصور الانسان أن رصاصة خاطئة أصابت زوجته .. زوجته هو بالذات من دون كل الزوجات ربما نكون نحن ضمن هؤلاء المجانين .. لم تعد التصرفات الخرقاء فى هذا العصر مقصورة على الهمجى دون المتعلم أو الريفى دون الحضرى .. لا .. لقد غدت الأنهار بلا جسور .

ولكن أنا بالذات دق قلبى بعنف .. وانا بالذات لم أفكر فى المجانين ، ولم تشغلنى رصاصة طائشة ولكن ..

شلغتنى رصاصة حقيقية .. رصاصة تترقبنى طويلا لتنطلق إلى صدرى فتصيب وتدمى ، وتنهى قضية .

فجاة تصورته أمامى .. ارتسم فى رأسى وقلبى وجهه الشرس وشاربه الضخم ونظراته القاتلة .. فجاة احاطنى من كل جانب ، لفتنى نظراته كثعبان .. قيدتنى . شنقتنى وقفت على السلم مجمداً .. ثم درت حول نفسى مذعوراً .. هل جاء ؟ . هل عرف مكاننا . ؟

لا يصعب عليه شىء ، إنه داهية .. ياتى من أسيوط إلى رشيد بحثاً عنـــا ليصب رصاصاته فينا ويرتاح ، لا تسال كيف عرف .

يستطيع أن يبلغنا ـ وله عيون ـ حتى لو ابتلعتنا الأرض أو اختبانا فى بطن الحوت .. يستطيع أن ينفذ من ثقب الابرة .

ما هذا الدم .. دمهم ! . هل يمكن أن يكون قد .. ؟ .. لا اظن .

دق قلبى بعنف .

قفزت أتابع الدم .. الدم يقفز معى إلى أن بلغ شقتى وانتهى هناك .. نفذ تحت عقب الباب .. توقفت أقلب الأمر .

لم أطرق الباب . بلغنى صراخ ابنتى . فتحت بسرعة واندفعت فى اتجاه الصوت .. ألفيت ديناً الصغيرة غارقة فى دموعها ، لكن لا أثر للدماء على ملابسها .

ـ أين ماما ؟

لم ترد ولكنها كفت عن البكاء .. زادت حيرتى .. أوشك عقلى أن يطير شظايا .. عدت إلى الدم . سرت فى أعقابه ، تصورته خطاً دموياً إلى مالا نهاية .. نقط حمراء ممتدة إلى نهاية العمر .. لها أسنان تنهش .. انتهى طابور الدم عند المطبخ دون بحيرة ودون منطقة تجمع واسعة كما كنت أتوقع وكالمفروض .. انتهى فى صمت وبلا نتيجة محددة . كدت أجن .

فجاة بعد التزام الصمت والحـــذر والسكون أخذت أقفز فى الشقة كالمذبوح ، أدفع الأبواب وأرتمى تحت السرير والمقاعد افتح الدولاب واحدق .. لم يعد لى رأس أفكر به . أسرعت أهبط الدرجات . إنعطفت إلى البواب . دفعت بابه . نهض من فراشه وتثاءب .

ـ أين الأولاد ؟

ـ أولادك !

ـ نعم .. أين ذهبوا ؟

ـ وكيف أعرف .

صعدت السلم فى قفزتين إلى الشقة المقابلة .. طرقت الباب بعنف .

ـ أين الأولاد ؟

ـ أليسوا بالشقة .

قفزت السلم هابطاً .. فوجئت بزوجتى تجتاز باب العمارة ، تحمل ابنتى نهى ويدها مربوطة بالشاش . توقفت . جلست . تنهدت قالت : امسكت الصغيرة بالسكين وحاولت الكبرى ان ..

ليلى الحريري

حوار مع طبيبة عالمية

# قلب الطفل..

## لماذا يكون أحيانا مسرحا لنزوات الطبيعة ؟

● ١ ٪ من عدد المواليد بقلوبهم عيوب خلقية ولكن الجسم يتغلب عليها خلال مراحل النمو .

● علاقة حميمة بين التهاب اللوزتين المتكرر وبين اصابة قلب الطفل .

القلب .. ذلك الخافق الصغير والذى يبدو فى براءة الطفل الوليد .. هل يمكن أن يكون حقيبة كبيرة لمزيد من المتاعب والآلام ؟ .. وهل يمكن أن يكون فى بعض حالاته مسرحاً لنزوات الطبيعة كالعيوب الخلقية التى يولد بها بعض الأطفال ؟

إن كل آلة فى بعض أجزائها ومواضعها عرضة للتفكك والتصدع نتيجة الاستعمال والاجهاد .. والجسد الانسانى هو أكثر هذه الآلات تعقيداً دون استثناء . وأحد اجزائه الذى يتكرر تصدعه ويشيع عطبه ، هو غالباً ذلك العضو الصغير الذى يشبه ثمرة الكمثرى فى شكله إلى حد بعيد ، ويحتل له موقعاً فى الجهة اليسرى من التجويف الصدرى بين الرئتين .

ولكن .. إذا صحت القاعدة السابقة ، لماذا يولد أطفال بقلوب مضيفة لبعض العيوب الخلقية وهي حالات غير نادرة ؟ .. النسبة تمثل ١٪ من عدد المواليد ومع ذلك ما من أحد يعلم بالتأكيد الأسباب حتى الآن ..فهل يدعو ذلك إلى التشاؤم ؟

الطب يقول لا .. لأن نسبة كبيرة أيضاً من هذه العيوب يتغلب عليها جسم الوليد خلال مراحل نموه إلى مرحلة البلوغ .. أما المتبقى منها ففى أغلب الحالات يعالج دوائياً أو جراحياً وبنجاح مطرد مع التقدم الطبى .

فما هى أكثر عيوب القلب الخلقية شيوعاً .. وما هى الأنواع الأخرى المكتسبة والتى قد تصيب الأطفال ذوى القلب السليم ؟ ..

ما هو نصيب العوامل الوراثية أو البيئية فى نسبة إصابة بعض الأطفال بمرض فى القلب ، وهل يمكن تفادى الأسباب التى تؤدى إلى ذلك . ؟

هل يمكن للطفل المصاب أن يمارس مفردات طفولته بشكل سوي كسائر الأطفال ؟ أم انه يخضع لنظام طبى وحياتى صارم يحرمه منها .. ؟

أسئلة كثيرة كلها تدور حول قلب الطفل ومعاناته تجيب عليها اخصائية عالمية فى هذا المجال .



الاخصائية الاستشارية د. جين سمرفيل

الدكتورة چين سمرڤيل اخصائية استشارية فى أمراض القلب الخلقية عند الأطفال والمراهقين، وعضو فى المستشفى القومى لأمراض القلب بلندن وهو مستشفى يختص بالتدريب فوق الجامعى. وقد استطاعت الدكتورة چين من خلال مساهماتها الطبية فى هذا المجال أن تثبت حضوراً لفت الانظار إليها على المستوى الدولى. أسرتها جراحة القلب فى بعض مراحل حياتها العملية الأولى لأنها تتناول الحالات الشاذة،ثم اكتشفت أنها لن تقوى على الوقوف كل تلك الساعات التى تتطلبها العمليات الجراحية .. والأهم من ذلك أنها تبينت أن قدراتها الذهنية أفضل بكثير من قدراتها اليدوية. ومن هنا .. اتجهت مرة أخرى إلى الدراسة والتخصص فى موضوع فرعى دقيق هو تشخيص ومعالجة أمراض القلب عند الأطفال منذ ولادتهم وحتى يصلون إلى مرحلة البلوغ. هذا التخصص مثير جداً من وجهة نظر الدكتورة جين لأنه أضفى عليها تميزاً فى حياتها العملية.

وهى كام لاربعة أبناء تشعر بالأسى تجاه أى أم يعانى طفلها - إن كان الاول على وجه الخصوص- من مرض خطير فى القلب، ويزداد الأسى عندما تجد أن الظروف لا تسمح بعلاج قلبه بصورة كاملة فقد تجرى له عملية لانقاذ حياته .. ولكن البقاء حياً ليس كافيا بحد ذاته.

كانت الطبيبة العالمية د. چين سمرڤيل فى زيارة لمستشفى «حمد العام» فى الشهر الماضى .. وفى الدوحة كان هذا الحوار معها.

تقول د. چين سمرڤيل ..

أمراض القلب عند الأطفال نوعان .. اما أن تكون خلقية أى أن يولد الطفل ومعه هذا العيب الخلقى الذى تكون خلال مرحلة تشكل القلب الجنينية داخل الرحم. أو أن تكون مكتسبة اى أصابته خلال مرحلة الطفولة.

وأكثر أنواع العيوب الخلقية فى قلب الطفل شيوعاً وأشدها تاثيراً عليه وان كانت لا تعيق نموه، هو وجود ثقب صغير بين الجدار الفاصل لأى من غرف ضخ الدم فى القلب. ومع ذلك هناك أنواع أخرى من العيوب الخلقية مثل ضيق الاقنية والصمامات، أو أن يكون اتصال احدها بالقلب غير صحيح فى موضعه سواء فى دخوله إليه أو خروجه منه.

وقد يولد الطفل أحياناً دون أن يكون هناك حاجز فاصل فى جزء من أجزاء قلبه وبالتالى بدلا من أن يضم أربع غرف كما هو تكوينه الطبيعى ( الأذينان والبطينان ) نجد به ثلاث غرف أو غرفتين فقط .. أو قد يكون به تشوهات خلقية مجتمعه فى آن واحد.

وحالات أمراض القلب الخلقية عند الأطفال معروفة فى العالم أجمع حيث أنها تمثل نسبة ١٪ على الأقل من عدد المواليد وليس لها علاقة بالمنطقة الجغرافية او بأى من العوامل الأخرى. وهذا عكس أمراض القلب المكتسبة التى تصيب الأطفال عادة فى سن الدراسة.

والصورة ليست قاتمة كما تبدو هكذا تؤكد الدكتورة چين .. فليس معنى أن يتاثر طفل واحد من بين مائة طفل مولود

# قلب الطفل..



ثقب فى القلب .. اكثر حالات التشوه الخلقي شيوعاً

بمرض فى القلب أن الأمر خطير .. فكثيراً ما يقفل الثقب الموجود فى قلب الطفل من تلقاء نفسه عندما يكبر ودون مساعدة طبية . أو قد يظل موجوداً بقلبه ولكنه لا يعيق نموه ولا يحول دون ممارسته لحياته الطبيعية ، هذا اذا لم يحدث أى التهاب للأغشية المبطنة للقلب لأنها تشكل بعض المخاطر .

أما حالة ضيق الصمام الرئيسي الذى يسمح بخروج الدم من القلب ، فهو ضعيف الأثر فى مرحلة الطفولة ، ولكن بمرور الوقت والتقدم فى العمر يمكن أن يترسب على جدرانه مادة الكالسيوم فيصبح أكثر ضيقاً .. وهنا يتدخل مشرط الجراح .

## الأسباب مازالت مجهولة !

كم من حقائق نعرفها بالنتائج ولكن قلما نعرف الأسباب الحقيقية التى تؤدى إلى تلك النتائج .. وهذا ينطبق على الأسباب التى تؤدى إلى العيوب الخلقية فى القلب التى يولد بها بعض الأطفال .

الدكتورة چين سمرڤيل تقول .. نحن لا نعرف سوى القليل من هذه الأسباب الا أن بعضها تشكله عوامل البيئة المحيطة مثل إصابة المرأة الحامل فى فترة مبكرة من حملها ببعض الأمراض كالحصبة الألمانية أو الجديرى ، أو التهاب الغدة النكفية ، أو بعض الالتهابات الحادة الناجمة عن عدوى فيروسية لبعض أنواع الانفلونزا الحادة وهى ليست شائعة لحسن الحظ . كما وأن النسبة ترتفع بين الأطفال المولودين لأمهات مصابات بداء السكرى .

ومن الأسباب الأخرى التى تؤدى إلى اصابة قلب الطفل بعيوب خلقية ، تعاطى المرأة الحامل لبعض الأدوية بكثرة خاصة المهدئات النفسية ، وبعض الهرمونات النسائية أو تناول الكالسيوم أو حقن الفيتامينات لغير ضرورة . وفى جميع الأحوال على الحامل الا تتناول أى نوع من الأدوية الا اذا تقررت لها طبياً ، كما عليها الامتناع نهائياً عن تناول المشروبات الكحولية أثناء الحمل . وهناك الأعراض المتزامنه الأخرى التى قد تؤدى هى الأخرى إلى اصابة قلب الطفل بعيوب خلقية حيث تكون الكروموزومات غير طبيعية كما فى حالات البله والضعف العقلى (المنغولية) .

ويلعب عامل الوراثة دوراً ثانوياً فى الاصابة بأمراض القلب الخلقية وهو يقترن عادة بعوامل بيئية أخرى خاصة تلك التى تصاحب التزاوج داخل الأسرة بين بنات وأبناء العمومة . فان تكرار مثل هذا الزواج قد يزيد نسبة الاصابة بمرض القلب

الخلقى إلى ٧ أو ٨ ٪ .

## الأمراض القلبية المكتسبة

وتضيف الدكتورة چين: هناك نوع آخر من أمراض القلب يصيب بعض الأطفال ذوى القلب السليم فى سن الدراسة يسمى الأمراض القلبية المكتسبة . وقد يعاودهم خلال فترة المراهقة وحتى أوائل سن البلوغ .

أهم الأمراض القلبية المكتسبة وأكثرها خطراً وشيوعاً فى نفس الوقت خاصة بين دول العالم الثالث ، هى الحمى الروماتيزمية ( الروماتيزم القلبى ) حيث تبين أن هناك علاقة حميمة بين التهاب اللوزتين المتكرر وبين إصابة القلب وخاصة الصمامات .

من الأمراض القلبية المكتسبة عند الأطفال أيضاً إصابة العضلة القلبية بالتهاب ناتج عن بعض الفيروسات . وهذا الأخير يمكن التغلب عليه نهائياً باتباع العلاج السليم . ولكن اهماله يجعله عرضة للمضاعفات ويسبب اعتلالا دائماً فى العضلة القلبية . وتنتشر أمراض القلب المكتسبة بين دول العالم الثالث على وجه الخصوص حيث ينتشر الفقر ، عدم توفر الشروط الصحية فى السكن ، الزحام ، كثرة عدد المواليد ، سوء التغذية . النقص فى التعليم ، عدم وجود الرعاية الصحية الكافية .. إلى آخر هذه المفردات التى ترتبط عادة بالبيئة والتى يمكن أيضاً العمل على تحسينها . ولكن .. هذا لا يعنى أن جميع الأطفال عرضة للاصابة بعدوى أحد أمراض القلب المكتسبة لأى من العوامل السابقة .. هكذا تؤكد الدكتورة چين .. فالذى يمكن انتقاله هو الجرثومة التى تسبب التهاب اللوزتين أو الحمى القرمزية وهى معدية .. أما مسألة استجابة المرء لتلك الجرثومة فيعتمد على المناعة الشخصية للانسان نفسه .

وأمراض القلب المكتسبة عند الأطفال ليست مشكلة مثل أمراض سوء التغذية ، والدفتيريا والأمراض المعدية واسعة الانتشار كالملاريا ، وبالتالى فان التغلب عليها يتوقف على مدى فهمنا للمشكلة ذاتها .

أما الوقاية وخاصة فى حالة الحمى الروماتيزمية فتكون بمعالجة التهابات اللوزات والبلعوم . لأن نسبة اصابة القلب تزداد أضعافاً بتكرار هذه الالتهابات .

## أعراض يمكن ملاحظتها

هل يتعرض قلب الطفل فى بعض حالاته للسكتة القلبية كما يتعرض لها الكبار . ؟

تقول الدكتورة چين .. إن السكته القلبية أو مرض القلب التاجى لا يحدث للمواليد والأطفال الا فى ظروف استثنائية للغاية ولأسباب تختلف عما يصاب به البالغون وبالتالى هى ليست مشكلة بالنسبة للأطفال بنفس المعنى عند الكبار . ومع ذلك ، يمكن أن تحدث السكته فى حالات أمراض معينة بالقلب ولأسباب غير طبيعية مختلفة كما هو الحال فى مرض القلب الأزرق الذى يسبب تقلصات شديدة أو ربما يصاب الطفل باضطرابات فى انتظام ايقاع قلبه والتى تجعله مريضاً بشكل مفاجىء .. ولكنها فى جميع الظروف حالات نادرة جداً .

ولتفادى العواقب الوخيمة التى قد تنجم عن اصابة ولو بسيطة فى قلب الطفل هناك بعض الأعراض يمكن للأم ملاحظتها فتسارع بعرض طفلها على الطبيب المختص .

تقول د . چين سمرڤيل انه فى حالات التشوه الخلقى يتأثر قلب الطفل بطرق عدة .. مثلا فى حالة وجود ثقب به ، يختلط الدم الأحمر المشبع بالأكسجين من خلال هذا الثقب مع الدم القاتم الوريدى وبالتالى تزداد كمية الدم الذاهبة إلى الرئتين فيؤدى ذلك إلى امتلائهما مما يسبب ضيقاً حاداً فى التنفس . فاذا لم يستطع الطفل التنفس بشكل جيد فان ذلك يعيقه عن تناول غذائه . لذا فان أول ما ستلاحظه الأم أن طفلها يتغذى ببطء شديد مع سرعة فى التنفس وأن وزنه لا يزيد .

مثل هؤلاء الأطفال الذين تزيد كمية الدم برئاتهم عن الحجم العادى ، عادة يكونون عرضة لكثير من العدوى مثل التهاب الرئة الحمى ، سرعة التنفس ، الكحة .. الخ .

وفى بعض أمراض القلب عند الأطفال تكون الزرقة هى العارض الأول والبارز الذى تلاحظه الأم . وقد تكون هذه الزرقة خفيفة لا تظهر الا بعد جهد البكاء أو الرضاعة ، وقد تكون شديدة يمكن للأهل تمييزها حتى أثناء راحة الطفل أو نومه . وهى تصيب الطفل أحياناً بالأغماء وتقعده عن الجرى والحركة . وقد تنتابه تقلصات وضغوط فى قلبه فتشعره بألم حقيقى مثل الكبار ولكنها حالات نادرة .

فى جميع الأحوال ، وجب على الأم عرض طفلها على الطبيب المختص فى أقرب وقت ممكن . ولحسن الحظ فان أغلب هذه الأمراض أصبح من الممكن تشخيصها حتى خلال الأيام الأولى من حياة الطفل ووضع خطة لمعالجتها سواء كانت دوائية أو جراحية .

## الجسم يتغلب على معظم المتاعب

ولقد كانت أمراض القلب قبل سنوات قليلة مرادفة للعجز بسبب معتقدات خاطئة تسود أذهان الناس — أما الآن فان د . چين تقول .. ان من الحماقة القول بأن الطفل المصاب بمرض فى قلبه سواء كان خلقياً أو مكتسباً لا يجوز له أن يمارس حياته العادية . ان القلب عبارة عن عضلة كسائر العضلات لابد من استعمالها حتى لا تصير ناعمة ومترهلة . ولكن المشكلة فى الأمهات اللآتى يغالين فى حماية أطفالهم المرضى فيحيلون حياتهم إلى جحيم . والغريب فى الأمر أن الطفل المريض يكون عادة أكثر تعقلا وأكثر قدرة على التأقلم مع حالته الصحية أثناء ممارسة الحياة أكثر مما يتصوره الأهل .

فى النهاية أقول ان كثيراً من أمراض القلب عند الأطفال لا تحتاج إلى علاج على الاطلاق حيث يتغلب الجسم عليها مع النمو وحتى مرحلة البلوغ حتى وان ظل القلب غير طبيعى . وبالطبع يمكن لأصحابها أن يعيشوا حياة عادية سليمة .

ولكن .. هناك حالات معينة خاصة تلك التى يتم علاجها بعملية جراحية فى مرحلة مبكرة من حياة الطفل حيث يزداد احتمال تعرض نسلهم للتشوه الخلقى . وتزداد هذه النسبة إلى عشرة أضعاف من الحالات التى تكون فيها الأم نفسها ذات قلب مصاب بمرض خلقى ومن النوع الخطير ولكن احتمال ذلك أقل فى حالة الأب المصاب .

على كل حال .. من كانت بهن علل فى القلب بحاجة إلى نصح طبى سليم فيما يختص بتناول أقراص منع الحمل ، والزواج ، قيادة السيارات ، العمل ، والتأمين على الحياة .

ولحسن الحظ فان إصابة أحد الأطفال فى عائلة ما بمرض فى القلب لا يحتم حدوث مثيل له عند باقى الأطفال الذين سيولدون فى المستقبل .

ليلى الحريرى



هل يمكن ان تتضافر الجهود العربية لتصبح سيناء غابة كثيفة من النخيل تمشيا مع برامج الأمن الغذائي العربي ؟؟ بادئين بقلعة الجندي فى سيناء ...

# أطلال قلعة الجندي

بقلم : درويش مصطفى الفار

كان لزاماً علي فى ايام قليلة معدودة ، ان استعيد مع جيولوجيي مركز تعدين شمال سيناء ، ذكريات اعوام طوال بين جبال سيناء واوديتها ، وان اتفقد معهم مواقع عديدة كانت ، ولا تزال ، مثار جدل اكاديمي ، ومواطن اخرى تكمن فيها رواسب ذات نفع اقتصادي ممكن ، وان نتحرى بصمات الاحتلال التى تركها الاسرائيليون لدى الارض ومن عليها على مدى خمسة عشر من الأعوام الثقال الطوال ...

ولقد حملتنا فى هذه الجولة سيارات روسية ، واخرى امريكية ، إذ لا توجد حتى الآن سيارات (عربية) لحماً ودماً ، تستطيع اجتياز دروب سيناء وشعابها ... ناهيك عن الطرق المعبدة فى كل المدن العربية دون استثناء ...

انطلقنا من العريش (رينوكولورا الفراعنة والرومان) صوب بئر الحسنة مخلفين وراءنا سهل السر وريـان عنيزة وجبال الحلال ولبنى والابرقين والمغارة ويلق والمنشرح ، ميممين صوب (جبيل حسن) الذي ترجع أساطير البدو تسميته إلى ان غلاماً من البدو خطب ابنة عمه فاشترطت الا تقبل به زوجاً إلا إذا اثبت فروسيته باختطاف ابنة أمير الحاج ، وكان اسمها (حسن) بكسر الحاء وتسكين السين ... جهز الفتى حصانه وسلاحه واختبا فى اكمة من أشجار الرتم الكثيفة قرب ذلك الموقع ، واستطاع ان يفك رسن الجمل الذي يحمل هودج حسن ، فلما استيقظت ، وقد انتحى بها جانباً ، لم تبد انزعاجاً او هلعاً ، بل رحبت به ، وأشارت عليه ان يختبىء معها بعيداً عن الطريق ، وطلبت إليه أن يصعد ذلك الجبل الصغير المسمى باسمها اليوم ، ليراقب الطريق ويطمئن إلى أن أحداً من القافلة لم يعد يبحث عنها ، ففعل ، ولما عاد وجدها قد ركبت حصانه وامتشقت بندقيته وسيفه ، وامرته بكل رباطة جاش أن يركب البعير ويسير أمامها على قدميه ، حتى أوصلها صاغراً إلى القافلة عند بئر المرة ، ثم اذنت له بالانصراف بعد أن بصقت عليه ، فعاد خائباً ، وسمى التل بعد ذلك باسم جبيل حسن ، الذي تركنا قبالته طريق (نقب ام إثلة) متجهين إلى الجنوب قاطعين أودية ابي ثمير والغدري صوب ما يسمى على الخرائط (راس الجندي) ، حيث توجد بقايا قلعة حصينة فى اعلى الجبل ، تقول اللوحة المكتوبة على بابها إنه قد أمر ببنائها (صلاح الدنيا والدين) فى جمادي الآخرة سنة ٥٨٣ هـ اى بعد معركة حطين بثلاثة اشهر ، فى ارجح الأقوال ...

يطلق البدو على هذه القلعة اسماء (قلعة الباشا) او (معصى الجندي) اي المكان الذي يتصورون أن احد القواد قد خرج على طاعة السلطان ، واعتصم به وعصى ، ويسمونها احياناً (قلعة الجندي) ... ولكن احداً منهم ، يقيناً ، لا يعرف انتماءها فى التاريخ الى مجدد عزة هذه الأمة السلطان صلاح الدين الأيوبي ...





اطـلال قلعة صلاح الدين قرب عين صـدر ، هل يعمـل العـرب لانقاذها وإحيائها كرمـز لفتـرة شـامخة فى تاريخهـــم لا ينبـغي ان ينطفـىء نورهـــــا ؟





صعدنا إلى القلعة الخالدة على نفس الدرب التى نعرفها منذ قبل حرب ١٩٦٧ ، وهنالك ، تذكرت كل شيء يحدث بين المحيط والخليج ، واخذت اترنم بقول العماد الكاتب بعد نصر حطين وطبرية :

حططت على حطيـن قـدر ملوكهم
ولم تبق من اجنـاس كفرهم جنسـا
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهـم
ولم ترض ارض ان تكون لهم رمسـا
وقد طاب ريانـــا على طبريـــة
فيا طيبهــا ريــا ويا حسنها مــرسى

وساءلت نفسي ، كم ترى من المسئولين ، بل والمؤرخين ، واهل العلم ، من يعرف ان لصلاح الدين الأيوبي ، رحمه الله ، قلعة بناها سنة حطين ، فى هذا الركن من سيناء وأن هذه القلعة إن لم تدركها يد العناية والاهتمام ، سوف تصبح فى فترة قصيرة من الزمان مجرد كلمة على الخريطة ... وتساءلت عن السر فى إهمالنا لآثارنا الاسلامية بالذات جملة وتفصيلا ... الا تستحق بقايا قلعة صلاح الدين الايوبي ، التي قد تكون (قلعة صدر) التي اشار إليها بعض المؤرخين ، من الاهتمام والعناية بالترميم وإحياء المعالم ما تستحقه آثار الفراعنة والبابليين والآشوريين والانباط والرومان ؟؟

وهنا يطيب لنا أن نقترح ، على الراي العام العربي ، بل والاسلامي ، الاكتتاب في مشروع تعميري يقضي :

● بترميم قلعة الجندي بسيناء ، وجعلها معلماً سياحياً اساسياً وإصلاح الطريق إليها حتى اعلى الجبل .

● تاليف بحث علمي شامل عن تاريخها ومخططها واهميتها في التاريخ العربي والاسلامي ، إذ انه على حد علمي ، لم يتصد للكتابة عنها حتى اليوم باسلوب علمي سوى المرحوم الدكتور حسن صادق باشا فى بضع ورقات نشرها المجمع العلمي المصري بالقاهرة فى أواسط العشرينات .

● زراعة غابة من اشجار النخيل المستجلب من كل الأقطار العربية المشهورة بالنخيل ، الجزائر وتونس والسودان والعراق والاحساء وعمان ، بحيث تصبح المنطقة بين عين صدر وعين تيسار الملح وراس الجندي مغطاة بالنخيل المثمر تماماً .

ولعل في مثل هذا المشروع ، ضوءاً ، ولو خافتاً ، على طريق التعاون المثمر معنوياً ومادياً بين الأقطار العربية ، لأن إحياء آثار صلاح الدين الايوبي بالذات ، في اي مكان ، واجب مقدس فى هذه الحقبة المكفهرة من تاريخ العرب والمسلمين .



# هل تعلم

قف

عبد العزيز السيد المصري

## عجائب العالم السبع .. هل مازالت موجودة ؟

لقد كان من الصعب على شعوب العالم القديم أن تتصور أن الآثار الكبرى التى سموها عجائب العالم السبع قد تفنى إلا واحدة منها فقط ، لأن جميع هذه العجائب اختفت ولم يبق منها غير أثر واحد وهو هرم خوفو فى الجيزة بجوار القاهرة الذى بنى منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة ليكون قبراً لفرعون .

العجيبة الثانية .. كانت أسوار بابل العظيمة «حيث يوجد العراق الآن» ، وقد بناها الملك نبوخاتنصر من الطوب بارتفاع ٣٣٥ قدماً حوالى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ولم يبق منها الآن غير أكوام من الأنقاض .

العجيبة الثالثة .. تمثال زيوس فى أوليمبيا ببلاد اليونان والذى صنعه المثال الاغريقى فيدياس ، وكان ارتفاعه حوالى ٤٠٠ قدم باحزمة من الذهب ولحم من العاج وعيون من الجوهر ، ولم يبق أثر لهذا التمثال .

والعجيبة الرابعة .. هى معبد الآله ديانا فى إميقوس التى هى الآن تركيا وكان يحمل السقف عواميد من الحجر ارتفاع كل منها ٦٠ قدماً ، وكان المعبد يحتوى على كثير من الأعمال الفنية اليونانية الثمينة ، وقد أحرق المعبد فى أثناء الغزو الغوطى سنة ٢٦٢ بعد الميلاد .

والعجيبة الخامسة .. كانت المعبد المقام فى مدينة هاليكادناسوس فيما يسمى بتركيا الآن ، وكان قد بنى للملك «ماو سولوس» الذى مات سنة ٣٥٣ ق . م ، كان بناء رائع الجمال وتكلف انشاؤه كثيراً من المال ولذلك فاننا الآن نطلق على كل بناء قد اتقن تزيينه «ماوسوليم» أى المزار الفخم .

والعجيبة السادسة .. كانت كلوساس روديس . وكان تمثالا من البرونز لهليوس ارتفاعه حوالى ١٠٥ اقدام ويقف على جزيرة روديس وقد حطمه زلزال حدث سنة ٢٢٤ ق . م .

العجيبة السابعة .. كانت آخر الأعاجيب وهى «فنار فاروس» الذى بدأ حوالى سنة ٢٨٣ ق . م . على جزيرة فاروس أمام شواطىء مصر ( المعروف باسم فنار الاسكندرية ) ويعتقد انه كان على ارتفاع ٦٠٠ قدم فوق الأساس الذى اقيم عليه ، وكانت فيه نار مشتعلة فى القمة تهدى السفن الى الميناء ( الاسكندرية ) ، وظل المنار يخدم حوالى ١٥٠٠ سنة قبل أن يحطمه زلزال .

## لماذا كان الذهب معدناً ثميناً ؟

منذ أن عرف الانسان وهو يعتبر الذهب شيئاً ثميناً وربما يكون أول معدن عرفه الانسان .

والذي جذب الانسان البدائى للذهب هو أنه كان يوجد فى حالة نقية .. ومعنى ذلك انه كان يوجد فى قطع صغيرة تسمى «الركاز» غير مختلط بغيره من المعادن أو الصخور ، ولأنه كان يتميز بلونه الأصفر الناصع ومظهره اللامع ، فان الانسان الأول كان يحب أن يقتنيه وأن يصنع منه زينته .

وقد ارتفعت قيمة الذهب عندما تحقق الناس انه أسهل المعادن التى يمكن شغلها ، فركيزة الذهب يسهل طرقها حتى تصير رقيقة لينة بالقدر الذى يمكن ثنيها بدون أن تكسر ... وهذا يعنى أن الانسان الأول استطاع أن يشكل الذهب على أى صورة أحبها .. ففى وقت ما كان يصنع منه أطواقاً لثنى الشعر وربطه ، ومن هذه الفكرة ظهرت فكرة تيجان وأكاليل الذهب .

والكمية التى كان يمكن الحصول عليها من الذهب بسهولة كانت كمية محدودة صغيرة .

ولذلك فان الناس الذين لم يكونوا يستطيعون الحصول على ذهبهم من الأرض كانوا يقايضون عليه ببعض الأشياء التى يملكونها ... وهذا ما يوضح كيف أصبح الذهب واسطة التبادل .

ولقد لاحظ الانسان أن المواد التى يقتنيها تفنى ما عدا الذهب ، ولذلك صار الذهب هو الوسيلة للاحتفاظ بالقيمة المدخرة للمستقبل ، ومقياس الثمن والقيمة . وبعد قرون مرت صنعت النقود من الذهب كطريقة مريحة لتحديد وزن وجمال المعدن وقيمته وأخيراً صار الصيارفة يحفظون الذهب فى خزائنهم للمحافظة عليه ويعطون صكاً مكتوباً بانه يدفع عند الطلب .. من هذه الفكرة بدأت الحكومات تصدر العملات أو النقود التى هى ببساطة صك لدفع مبلغ معين من الذهب عند الطلب .

وبهذه المناسبة ربما يهمك أن تعلم أن حوالى نصف الذهب المستخرج من مناجم الذهب فى العالم اليوم تملكه الولايات المتحدة الأمريكية .

## من أين تأتي البكتيريا ؟

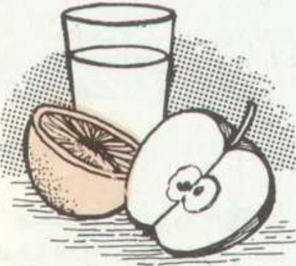
البكتيريا كائنات حية (عضوية) وهى صغيرة جداً لا نراها إلا بالمجهر «الميكروسكوب» الذى يكبرها عدة مئات من المرات ، ولهذا نسميها الأجسام المجهرية .

وقديماً قبل أن يرى الناس البكتيريا كانوا يعرفون آثار وجودها ، فاللبن يحمض ، والنبات والحيوان الميت يتعفن .

ونحن اليوم نعرف أن البكتيريا حولنا من كل جانب : في الهواء ، والطعام ، والجلد ، وحتى داخل الجسم . وتتكاثر البكتيريا بالانقسام ، أي أن كلا منها تنقسم الى اثنين . فليس بين البكتيريا نكور وإناث .

والبكتيريا لها خلية واحدة اشبه بخلية النبات منها بخلية الحيوان ، ولها غطاء خارجي يشبه الجلد لا يحميها من الماء ، والداخل مليء بمادة تسمى البرتوبلازم وهي ـ عادة ـ ليس لها مركز مفرد أو نواة .

والغشاء الخارجي للبكتيريا مهم جداً لأن أية مادة كيميائية تستخدم للقضاء على البكتيريا



لابد لها أن تنفذ من هذا الغشاء ... وحول الجميع مادة مخاطية لزجة تستطيع أن تغير الشكل وهي غالباً ما تكون ذيلا دقيقاً يشبه الخيط يسمى « السوط » وتستطيع البكتيريا أن تتحرك بالرغم من أنها ليس لها أقدام .. فالبعض يتحرك بتحريك هذا السوط كحركة الموج ، والبعض يبدو أنه يتحرك بتقصير الخلية وتطويلها بنفس الطريقة التى تتحرك بها الدودة .

وتسبب البكتيريا الأمراض التى نسميها « العدوى » . ولكن هناك أنواع من البكتيريا يمكن أن تكون معاونة ونافعة جداً للنوع الانساني .

# أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● طه حسين وتلميذه .. ●● اعترافات مؤمن ●●● براڤو .. وكلمات أخرى
●●●● عالم يعض كلباً ●●●●● جائزة ألف جنيه لتيسير الكتابة باللغة العربية

## طه حسين وتلميذه ..



طه حسين



سيد درويش

وبالطول شقائى بالدكتور طه ! الناقد الجبار الذى لم يستطع أن ينقدنى أنا ! كنت أنقش وأنا فى العباسية الثانوية على أركان كراساتى وكتبى أربعة أسماء ... نقشتها على كل كراسة وكل كتاب هى : « مصر . سعد . طه حسين . سيد درويش » . وكان أساتذة اللغة العربية فى العباسية الثانوية ينهوننى عن الدكتور طه ، فكنت أثور وأعرض نفسى لسخطهم وعقابهم ما لم تنقذنى شفاعة من أحد الأساتذة الثلاثة المستنيرين الذين كانوا يحبون معى الدكتور طه وهم : محمود مرعى ، ومصطفى السقا ، وأحمد الشايب . وسمانى زملائى فى الثانوية باسمه من فرط ما كنت أقلده فى تفكيره وأسلوبه . وأحسب نفسى إلى اليوم مطبوعاً بطابعه ، ولما كنت فى كلية الآداب كنت أضع على عينى منظاراً أسود إمعاناً فى « الطحسنة » وفى معهد التربية كان زملائى وبعض أساتذتى يجلسوننى إليهم ويطلبون منى أن أحدثهم أى حديث وأنا الدكتور طه ... وعندما كان الأستاذ الههياوى مشرفاً على أول عهدى بالكتابة كان يقول لي : إنى أخاف عليك أن تكون نسخة ممسوخة من الدكتور طه . وعاب علي الأستاذ الزيات يوماً أننى أفقد توازنى أحياناً فيما أكتب فاضمحل وأذوب ويتبلور من بقاياى بعد ذلك طيف من الدكتور طه يكتب هو ويقول ما يريد .

والدكتور طه الذى غزانى هذا الغزو لا أدرى كيف لم يشعر بى . وكيف لم يعطنى من نفسه ولو عشر ما احتل من نفسى .. كلما أقبلت عليه صدنى ، وكل ما قيل له عنى فيه صدقه ... وإلا فأى شىء كان يبغضه فىّ ... لقد كان من أثر ذلك أنى تابعته بالذى تعلمته منه ... الصد بهجر ، والنكران بخدش .

وأين أنا من أستاذى الذى إذا كره امرأ حرض الناس عليه حتى إذا رآهم أجمعوا على كراهيته معه ، عاد هو فكره أن يكون معهم فى إجماعهم فراح يعلن حبه لهذا الأمر ويحرض الناس على حبه حتى يعودوا إلى حبه معه ، فيعود هو فيكرهه ويحرضهم على كراهيته ... وهكذا .

عزيز أحمد فهمى
١٩٤٠

# اعترافات مؤمن



بقلم: الدكتور محمد مندور
١٩٤٥م

لا يستطيع مثلى ان يتنكر لجلال الفكر البشرى ، وهو منبع شقائنا وعزائنا على السواء ، ولكنني احسب ان هناك انواعاً من ذلك الفكر ، فالمرء قد يفكر بعقله وقد يفكر بخياله وقد يفكر بقلبه . فالتفكير بالعقل هو ما ينفر منه طبعي وذلك لانه مالم يحلق الفكر إلى عالم الصور الجميلة بخيال قوى أو يرسب إلى اعماق القلب بحرارة حية لم تهتز له نفس ولا اطمان إيمان ، وإن كنت لسوء الحظ مضطراً كغيرى من البشر ان اكسر فى بعض الاحايين جناح الخيال وان اطفىء حرارة القلب حين لا يكون بد من ان نتناول الامور ببرودة العقل اللصيق بالأرض .

منذ ازمة الايمان التى صادفتنى فى اليفاعة كما احسبها صادفت غيري وانا دائم التفكير فى حقيقة ذلك الايمان . ولقد مرت بي عقب تلك الازمة مباشرة اعوام كنت اناقش فيها كل من القى عن المشاكل التى يثيرها العقل عن وجود الله وكيف كان ذلك الوجود وعن علاقته بهذا العالم وما فيه من خير وشر . ولا شك اننى كنت ابحث عندئذ على غير وعى منى عن يقين اطمئن اليه ، ولكننى اعترف فى بساطة اننى ما قرات ولا سمعت ما يوجب ذلك اليقين ، حتى اصابنى ما يشبه الملل فلم اعد اطيق الحديث فى هذه الامور واصبحت كلما سالنى عنها سائل او تحدث بها متحدث رميته بالتفاهة وذلك بوعي منى او غير وعي ، ولكنها تفاهة لا يمكن ان اعفيه منها مهما بلغ سؤاله او حديثه من عمق او اصالة . ولقد حاولت غير مرة ان اتبين السر فى موقفى هذا فوجدته ، او خيل إلى انى قد وجدته ، فى امرين : اولهما ان العقل نفسه نشاطه الاكبر موجه الى تقويض ذاته ، فهو لا يزال يبحث عن حدود قدرته ويتناول بالشك ما يصل إليه من آراء ونظريات يعاود فيها البحث فيقوضها حتى اصبح نقده لنفسه خليقاً بان يهدم الثقة فيه . وثانيهما اننى كنت احس دائماً فى غموض ان تطاول العقل إلى مالا يستطيعه دليل ضعف فيه لا قوة ، ولهذا كم كانت فرحتى يوم سمعت عميداً لكلية الطب بباريس يقول : «إن من امارات الضعف العقلى ان نبحث بعقولنا عما لا نستطيع ان ننفذ إليه ، والعقل القوى هو الذى يعرف حدود قدرته » . لقد خيل إلى عندئذ ان هذه الالفاظ قد اضاءت مظلماً فى نفسى فرايت بوضوح ما كنت احسه غامضاً .

ومنذ ذلك الحين امنت بتفاهة من يناقشنى فى الايمان بعقله فهذا رجل ضعيف العقل مبدد لنشاطه هدراً .

انا إذن لا احب الحديث عن الايمان ولا اؤمن بالدعوة إليه ، ولكننى مع ذلك مؤمن إيماناً راسخاً ، وليست لى فى الحياة قوة غير هذا الايمان ، فقد تهب اعاصيرها ومن الممكن ان تتنكر لى يوماً عناصرها ذاتها ، ولكن ذلك لا اظنه ينال منى شيئاً ، وذلك لا اعتزازاً منى بعروض حياة او مواهب نفس ، ولكن لاننى مؤمن باله عادل اطمانت إليه نفسى بحيث لا اذكر اننى قد اتجهت إليه يوماً فلم اجد تاييده ، وعند ما ادعوه يسكت فى نفسى طنين الفكر فلا احس غير الصمت الساكن ولا افكر حتى فى وسائل القوة التى ابغيها ، وإنما اساق بعد ذلك فى غير وعي إلى تلك الوسائل كالآلة المسيرة وهى تعرض لخاطرى فى لمحات خاطفة فاسير إليها دون ان اتبين حتى مواقع اقدامى ، وإنما اكتفى بما استشعر من ثقة من اننى مادمت قد تركت السكون إلى الحركة فاننى فى سواء السبيل . ومهما تكن بعد ذلك من صعوبات ، فلا يمكن ان يساورنى شك فى انها ستذلل ولو فى اللحظة الاخيرة وذلك هو الايمان الهادى .

من اين لى بهذا الايمان وقد لقيت ضروباً من الناس وقرات الواناً من الكتب ودرست انواعاً من اللغات والثقافات ، بل وخبرت الحياة هزلها وجدها فى كافة الاجواء وتحت مختلف السموات . أستطيع اليوم بعد أن نضجت ملكاتى أن أقول اننى لم يقنعنى احد به ، ولا اكتشفته فى بطون كتب ، ولا تلقيته من افواه بشر ، بل ولا غرسته بمواصلة القيام بشعائره كما تغرس فى النفس مختلف العادات بدوام مزاولتها وإنما هو إحساس قديم مكنت له فى نفسى حوادث صغيرة كانت بينى وبين ابى .

ولا أرى ضيراً من أن اقص طرفاً منها على القراء فتلك تجارب بشرية قد تكون اجدى فى إلقاء بعض الضوء على مشكلة خطيرة هى مشكلة الايمان من كثير من موسوعات علوم التوحيد والكلام ، ولها على الأقل ميزة الصدق النابض بالحياة ، وهي صادرة عن نفس فيها من القـــوة مالايصرفها عن أن ترد كبار الأمور إلى صغائر الأشياء عندما تؤمن ان تلك الحوادث الصغيرة هى الأسباب الحقيقية التى تتضاءل إلى جوارها كبرياء العقـــل ومغالطات الاحساس .

عندما أخذت أدرك علمت أن والدى قد بنى باحد حقوله « خلوة » لا منفذ لها غير الباب وانه قد هجر زوجته وابناءه اربعين يوماً ليقيم فى تلك « الخلوة » يعبد الله فيها آناء الليل واطراف النهار لا يرى احداً ولا يراه احد ، وإنما يحمل له الطعام من خصاص الباب . ولقد أثار هذا الخبر خيالى فكنت الاحق أبى بالسؤال عنه ولكنه رجل كتوم لسره فلم احظ منه بجواب غير أن دافعه كان عبادة الله وكفى . ثم علمت أن الشباب كان قد ساقه فى مهاويه فلم يجد عصمة خيراً من معاهدة احد علماء الدين على التوبة إلى الله . وكان هذا العالم نقشبندى المذهب وكان رجلا خيراً ، فلم يعد تاثيره على والدى حد توجيهه نحو تجنب الاثم ، وعبادة الله ، والاحسان إلى الناس وقراءة كتب الدين.ولكم من مرة حاولت أن أعرف شيئاً عن هذه الطريقة فكان أبى يرفض الادلاء ، مكتفياً بأن يخبرنى بأن تلك أسرار لا يجوز أن تباح ، ومن غريب الأمر اننى علمت منذ ثلاثة أشهر فقط أن لفظة نقشبند معناها النقش على القلب . واستنتجت من ذلك أن سر هذه العبادة هو أن يستشعر الفرد دائماً أن اسم الله منقوش على قلبه . ولقد لاقيت والدى منذ أيام فاخبرته فرحاً مسروراً أننى قد عرفت معنى اللفظة دون بحث عنه ، ولكن بتوفيق من الله ساقه إلى سوقاً ، فدهش الرجـــل وقال : « هو هذا وهو سر العبادة » وإذن فقد خلا أبى لعبادة الله اربعين يوماً ، وتحرك خيالى لتلك الخلوة ، ولكننى لم يُكشَف لى عن سرها ، واقتنعت بأنه لا يجوز لى أن اتطاول إلى معرفة هذا السّر ، ولقد آمن أبى سنين طويلة بانه قد نقش اسم الله على قلبه واتخذ من هذا النقش سبيلا إلى حمده منعماً وسالباً ، وسمعت بذلك ، ولكنى أيضاً لم اكتشف سر هذا الحمد ، وأمنت انه لا يجوز لى أن اتطـــاول إلى كشفه ، وهكذا تهيأت نفسي إلى الايمــان بالمجهول والاطمئنان إليه والثقة به ، واكبر ظنى أن الخير ما أراد الله . فلو أن أبى بصرنى بما أردت لخلت نفسى من الأسرار ولأصابها العقم . واتفق أن أبى لم يستطع أن يتم حجه فى بعض المرات إذ أصيب بنقرس شديد فى السويس وانا عندئذ فى السادسة من عمرى ، والزمه المرض الفراش عامين كاملين قاسى فيهما من الالم الوانا حتى لا أزال حتى اليوم كلما ذكرت انينه اقشعر جلدى . ولست ادرى لأى سبب ارتبط هذا المرض فى نفسى بالايمان حتى لأحسبه ثمن ما أفاض الله على والدى منه ، ولا زلت منذ ذلك أؤمن بانه لابد أن يبتلى الله المؤمن ليختبر إيمانه وأن المرء لابد ناج ما سلم الايمان فى قلبه .

وعندما اختارتنى الجامعة لبعثتهـــا حدث حادثان صغيران كان لهما فى نفسى أبلغ الأثر : أولهما أننى قبل سفرى رتبت كتبى فى صندوق كبير وبغير وعي منى وضعت « المصحف » على قمة الكتب ، ورأى والدى ذلك عرضاً فسر سروراً لم اقصد إليه ، ولربما جاء بتوفيق من الله . وحدث إخوتى عما رأى قائلا « إن إخاكم فلان سيكون الله دائماً معه وسيوفق فى كل ما يعمل » فسالوه « ولم ذلك » فاجـــاب « لأننى لاحظت أنه وضع كتاب الله فوق كل كتاب » ثم إننى فى يوم السفر فوجئت بهدية من والدى أوصاني أن احتفظ بها مدة غيبتى وأن أعود بها إليه ، وكانت تلك الهدية عبارة عن منديل للشيخ العــــالم النقشبندى الذى عاهده والدى على الهدى ولقد اخذت المنديل واحتفظت به تسعة الأعوام التى مكثتها بأوروبا وعدت وهو لا يزال إلى اليوم بين ملابسى . ولا أستطيع أن أزعم أننى قد علقت به إيماناً خاصاً أو قوة معينة بل ولا فكرت فى ذلك ، ولكنه نوع من الاطمئنان السلبي المريح . وقد اختلطت فى نفسى قيمة الهدية بمحبتى لمهديها وإيماني به ، وكان لهذين الحادثين فضل دائم فى ردى إلى الايمان كلما تجهمت لى الحياة .

ولقد اتخذ الايمان فى نفسى وجهـــة الاحسان إلى الغير ، حتى لأحسب اننى عاجز عجزاً أصيلا عن بغض احد ، فقد يقسو قلمى وقد يلذع لسانى ، ولكننى ما عدت إلى نفسى إلا احسست بفيض من التسامح لا أستطيع دفعه . واكبر ظنى أن هذا الاتجاه كان أيضاً لاشعاع من والدى ، وليسمح لى القراء أن اقص حادثاً عائلياً كان له فى هذا الاتجاه اكبر الأثر .

كان لوالدى تسعة إخوة وكان يحبهم جميعاً حباً قلبياً صادقاً حتى لقد كان يذهلنى عندما يموت احدهم أن أراه وهو الشيخ الكتوم لسره يبكي بدمع حار ، وكان أصغر إخوته رجلا كريماً متلافاً ، وكان والدى يهتز فى دخيلة نفسه لكرمه وإن أحزنه إتلافه لماله ولقد هدد هذا الاتلاف ثروته حتى أوشكت أن تضيع ، وكان والدى يحرص على أن يستنقذ من تلك الثروة ما يستطيع ، وحدث ذات يـــوم أن الح الدائنون بالمطالبة وكان الوالد يستطيع عندئذ أن يسكتهم ببعض ماله الخاص ولقد فعل ، وكنت عندئذ فى السابعة عشرة من عمرى وكانت والدتى ككافة الأمهات تحرص على أن يستبقى الوالد امواله لأبنائه ، وكان اخى الأكبر يناصرها فى الرأى فانتحى بى والدى فى الليل ناحية وأسر لى بنيته طالباً إلى أن اخفي الأمر عن والدى وأخى . ولقد رأيت فى هذه الحركة ثقة بى برغم حداثة سنى أثرت فى نفسى أبلغ الأثر ، فتحمست منذ ذلك اليوم لعمل الخير وأمنت أنه جزء من الايمان حتى استقر بى الرأى إلى أن عون الملهوف وإسداء المعروف إلى الناس لابد أن يخلفه الله بالخير على صاحبه ، ولازلت حتى اليوم أعتقد أن بركة الله قد حلت بمال والدى منذ ذلك الحين . وذلك لانه مال لم يطهره بالزكاة فحسب ، بل زكاه بالاحسان .

هذه هى عناصر الايمان فى نفسى ، اطمئنان إلى المجهول ، وعدم تطاول بالعقل إلى مالا يستطيعه ، وربط للأخلاق بالايمان ، وتسامح مع الناس ، وعمل للمعروف حيث نستطيعه . وأما منابع ذلك الايمان فهى كما ترى لم تكن محاجة عقلية ولا إثارة عاطفية ولكنها حوادث صغيرة كانت أبلغ فى تمرسه بالنفس من كبار الموسوعات وطوال الخطب .

# برافو .. وكلمات أخرى

## عباس محمود العقاد

« من مقال للعقاد بعنوان لوازم الحديث نشره في مايو ١٩٤٧ »


عباس العقاد

خطرت لي لوازم الكلام عند اكثر المتحدثين ، فسالت نفسي : ايها ياترى خير وافضل . «لا» هذه التى تقال في كل جواب ؟ أو «نعم» ومرادفاتها التى تعود بعض الناس ان يعقبوا بها على النقيضين فى مجلس واحد ؟ .

ـ حبذا لو خلت مصر من الاحزاب .

ـ صحيح .

ـ ولكن الاحزاب ضرورية فى الامم الديمقراطية.

صحيح والله !

إلا أن الديمقراطية قد تستغنى عنها فى بعض أوقات التطور والانتقال .

ـ معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى امثال هذا التعقيب في كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءهم هذه الموافقات وهم ينتظرون الشجاعة الادبية من ذوي الرأى فلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟ .

إن كانت هناك « نعم » شر من «لا» فهذه النعم شر من جميع اللاءات وجميع أدوات النفي على الاطلاق .

ومن اللوازم ماهو اعجب من الموافقة والانكار على هذا المنوال ؛ لانها لازمة تلقي على المستمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هي لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يحدثك عن رجل لا تعرفه ولعلك لم تذكره قط فى حياتك ، فاذا به يقول : «على رأيك إنه رجل لئيم » .. ويمضي فى تحميل رأيك المظلوم تبعات هجائه وإنحائه وانت لم تر شيئاً مما اتهمك برؤيته ، ولم يفكر هو بعقله فى إسناد التهمة إليك ، وإنما جرت التهمة «البريئة» على لسانه من حيث لا يريد .

وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين اتجه اليهم الحديث مستغيثاً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات ؟ وهل هو رأيك أو رأيى الذى تحكيه وترويه ؟

وضحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بادب الحديث أن أقول : هذا رأيى ! هذا رأيى ! فى كل ما أرويه واحكيه ؟

ومن اللوازم ما يبعث الضحك ولا يبعث الفزع كهذه اللازمة التى يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك الحزين إذا غلبت عنده روح الفكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لأحد القضاة المشهورين يرددها وهو ذاهل عما يسمع وذاهل عما يعنيه . وهى لازمة «برافو برافو» التى يتخلص بها من التفكير فيما يقول .

ولقى شاباً كان يعرف أباه فساله : اين انت الآن ؟ قال : موظف فى هذا الديوان ...

قال : برافو برافو . وأين أبوك ؟

قال : تعيش .. مات منذ شهور .

فلم يلبث أن حيا اباه تحية الاستحسان . لأنه مات ! لكن اللازمة البغيضة حقا تلك اللازمة التى تضطرك الى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كانك فى محضر تحقيق .

ـ اخذت بالك ؟ «فاهمنى ؟» .

ولابد من الجواب ، ولابد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يغنى عنه الايماء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدى لك الرأى ثم يسالك :

هل انا غلطان ؟

فتقول مثلا : معاذ الله . بل انت على صواب .

فلا يكتفى بذلك ويعود سائلا : إن كنت غلطان قل لي . هل أنا غلطان بالله ؟

ـ لا لست بغلطان .

ـ لا لا ، إن كنت غلطان فقل لى ولا تخف الحقيقة عنى . انى رجل صريح ، أليس هذا الواجب ؟

ويكررها : أليس هذا الواجب ؟ أليس هذا الواجب ؟ حتى تفض المشكلة بقسم غليظ .. فيصدق انك آمنت بانه ليس «بغلطان» .

وقد تكون اللازمة التى من هذا القبيل عقلية تاتى من نقص الوعى

والادراك ولا يقف بها الامر عند حب التكرار والاعادة مع فهم الحديث المعاد تسأل أحدهم : هل لقيت فلانا ؟

فاذا هو قد أعد كلمة الاستفهام فى منتصف السؤال وبادرك مستفهماً : نعم

– هل لقيت فلانا ؟

– فلانا ؟

– أى نعم فلان !

– ماله ؟ أو ما باله ؟ أو علام تسأل عنه .

ولايعى أنك تسأله عن لقائه إلا بعد السؤال الثالث أو الرابع على هذا المنوال . وهى عادة غالبة على الطبقة الجاهلة فى بلاد الريف على الخصوص مرجعها بطء الحركة الذهنية وإهمال الكلام واعتباره لغواً لا يرتبط بالتفكير ولا يجعل معناه إلا مع التوكيد والترديد .

وبعض هذه اللوازم لازم فى الحديث المفيد ، لأنه يعينك على تتبع الحديث والوقوف على مراحله وغاياته . كلازمة «نهايته» فى موضعها الصحيح ، أو لازمة «علىكل حال» أو «لاتؤاخذنى» إذا كانت تهيىء الذهن حقاً لسماع شىء يحتاج الى الاستئذان أو طلب السماح ، فهذه اللوازم فى المحادثات أشبه بعناوين الفصول والأبواب فى الكتب والمخطوطات . ولكنها قد تتواتر وتتكرر حتى تفقد معناها ولا تتعدى أن تكون حشواً بغير دلالة ... ومن قبيل ذلك فنان قدير فى فنه تلازمه كلمة «ثانياً» حين يقيم الأدلة على صحة فكرة أو مذهب من المذاهب الفنية فاذا «بثانياً» هى أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً الى آخر العشرة أو تزيد !

وكفى بمراقبة هذه اللوازم أنك تستمد منها سبباً للاصغاء الى الاحاديث سواء منها ما استحق الاصغاء وما استحق الاعراض ... لأنك تسمع على الأقل «لوازم» تصلح للتفكهة وتصلح للدلالة على الفوارق بين «الشخصيات» والفوارق بين أساليب الألسنة وحركات العقول .

## جائزة ألف جنيه لتيسير الكتابة باللغة العربية

يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد خصص جائزة مقدارها الف جنيه تمنح لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية على الا يكون لأعضاء المؤتمر الحق فى دخول المسابقة ، وقد تحدد آخر اكتوبر سنة ١٩٤٦ موعداً لقبول المقترحات ، وترسل باسم المجمع بعنوانه شارع قصر العيني رقم ١١٠ بالقاهرة . وسيطبع المجمع كل ما قيل حول تيسير الكتابة فى مؤتمره الذي انعقد سنة ١٩٤٤ ، ويتخذ الوسائل لنشره .

ملحوظة :

هذه المسابقة أعدها مجمع اللغة العربية « وكان اسمه قبل الثورة مجمع فؤاد الأول » وكان إعلان المسابقة فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، ومن الواضح أن المسابقة « قد مر عليها حتى الآن سبع وعشرون سنة » لم يكن لها نتيجة ، ولم يواصل المجمع جهوده المطلوبة والضرورية فى سبيل تيسير كتابة اللغة العربية منذ ذلك الحين حتى الآن ... فهل يتذكر المجمع هذه المسابقة ؟! .

## عالم يعض كلبا

كان أنحى من أخذ عن أبى على ، وأرواهم لشعر شاعر ، حتى قال له أبو على يوماً : «ما بقى شىء تحتاج إليه ، ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو » .

وكان أحسن ما كتب ، وأجدره بالتقدير ، شرح كتاب سيبويه ، إلا أنه غسله ، وذلك أن طالباً نازعه فى مسألة فقام مغضباً ، وأخذ هذا الشرح ، وجعله فى إناء ، وصب عليه الماء ، وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول – تعريضاً بالطالب – « لا – والله – لا أجعل أولاد البقالين نحاة » .

وكان مبتلى بقتل الكلاب ، وكسر سوقها « أى أرجلها » .

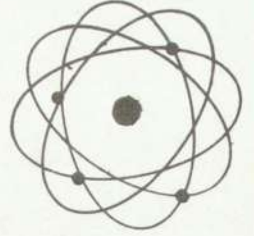
وكان يحضر درسه من الأكابر وعلية القوم من يقدرون فضله ، ويغضون عن سقطاته ، فاستتم الدرس ذات يوم ، وقال فجود ، فلما هم القوم بالانصراف استأناهم ، وسألهم أن يمضوا معه على خيولهم ففعلوا ، وهو سائر على قدميه يأبى أن يركب ، فلما بلغوا ما شاء وقف عند إحدى الخرائب ، وأطل من بعض الكوى ، ونظر الجماعة فاذا أستاذهم يواثب كلباً ، والكلب يواثبه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه ، فعاونوه ، وأمسكوا الكلب فجعل يعض الكلب عضاً شديداً ، والكلب يعوى ويتململ ، فما تركه حتى اشتفى .

ثم نظر إلى الجماعة وقال : هذا عضنى بالأمس ، فأردت أن أخالف فيه قول الأول :

شاتمنى كلب بنى مسمع
فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له
من ذا يعض الكلب إن عضا ؟
هأنذا أعض الكلب إن عض !

ذلك هو علي بن عيسى الربعى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

كامل السيد شاهين
١٩٤٥



تقديم : لبنى الريدي

## ● مدينة بلا نقود ●

تجرى حالياً تجربة فريدة فى ثلاث من المدن الفرنسية لالغاء استخدام النقود أو الشيكات في المعاملات التجارية .. واستبدالها بما يطلقون عليه « بطاقة الدفع الالكترونية » .

وهي عبارة عن مستطيل صغير من البلاستيك ينقسم الى قسمين :

القسم الأول عبارة عن ذاكرة ثابتة لها بيانات الهوية الشخصية .

أما القسم الثاني فهو ذاكرة متغيرة مسجل فيها رقم يمثل الحد الأقصى للانفاق خلال الشهر .

ويتعامل حامل هذه البطاقة مع محال تجارية لديها خزانة تحصيل إلكترونية من نوع خاص بحيث يضع بطاقته فى فتحتها بعد الشراء فتخصم قيمة المشتريات من الرصيد .

ولا تتعامل هذه الخزانة مع البطاقة إلا بعد أن يضرب على لوحتها الرقم الكودي الخاص بصاحبها . فاذا أراد شخص آخر استخدام البطاقة ولكنه يجهل هذا الرقم الكودي فان البطاقة تتلف نفسها ذاتياً بعد ثلاث محاولات متتالية . حيث أن هذا الكود الشخصي غير مسجل على البطاقة ومن ثم فعلى صاحبها وحده حفظه عن ظهر قلب .

ومع بداية كل شهر يعدل العداد الموجود داخل البطاقة الرصيد أتوماتيكياً . وفي مساء كل يوم تقوم المحال التجارية بتحصيل قيمة مبيعاتها بتوصيل الخزانة الالكترونية بالكمبيوتر المركزي لمجمع المصارف فى المدينة .



الخزانة الالكترونية عند إدخال البطاقة

## ● آلة تكتب وتسجل ●



إنها أول آلة لمعالجة النصوص يمكن حملها في حقيبة أوراق عادية .. فحجمها أصغر قليلا من حجم عدد من مجلة « الدوحة » .. وهي يابانية الصنع . وتضم هذه الآلة الجديدة بالاضافة الى لوحة مفاتيح عادية مثل أية آلة كاتبة ، شاشة تتسع لأربعة سطور بحيث يضم كل سطر ٢٠ حرفاً ، وطابعة صغيرة حجم السطر فيها ٢٤ حرفاً . كما أنها مزودة بشريط مغناطيس صغير يتسع لتخزين ما يوازي مائة ورقة ولا يتعدى وزن هذا الجهاز ككل ١,٦ كيلوجرام . وهو بالتالي يتيح لصاحبه العمل فى أي مكان يريد .. لأنه مزود ببطارية تمده بالطاقة اللازمة لتشغيله لمدة خمسين ساعة متواصلة .

وعند العودة الى المكتب يمكن توصيل الجهاز بشاشة التليفزيون أو أية شاشة أخرى لعرض ما تم كتابته ولكن بخط مكبر. كما يمكن توصيله بالهاتف لارسال ما سجل على شريطه من رسائل .

## ● السيراميك وعلاج الأورام السرطانية ●

إن تأثير الحرارة على الأورام السرطانية معروف منذ عدة سنوات . بل ان نقوش قدماء المصريين على المعابد تؤكد استخدامهم للحرارة فى علاج بعض الأمراض .

ولكن بالرغم من فاعلية مثل هذا العلاج الذي يعتمد على رفع درجة حرارة الخلايا المصابة بحيث يؤدي ذلك فى كثير من الأحيان الى تلاشي الورم أو على أقل تقدير الى تناقص حجمه وانكماشه .. فانه يواجه مشكلة جوهرية نظراً لأنه يستحيل حصر التأثير الحراري على منطقة الورم وحدها . وبالتالي فان التأثير الحراري يمتد الى الخلايا السليمة المجاورة .

ولقد دفع ذلك فريقاً من الباحثين الأمريكيين إلى إيجاد حل لهذه المشكلة عن طريق إدخال جزيئات من السيراميك متناهية الصغر الى منطقة الأورام ، ثم تعريض هذه الجزيئات لمجال مغناطيسي بحيث تحدث ارتفاعاً فى درجة حرارة الورم دون غيره .

وعلى عكس الطرق الفنية الأخرى المستخدمة للعلاج بالحرارة والتى تعتمد على الموجات القصيرة أو الموجات فوق الصوتية فان هذا المجال المغناطيسي يسمح بتسخين الورم الى درجة حرارة محددة مسبقاً بينما تظل الخلايا المجاورة عند درجة حرارة الجسم العادية .

يجرى حالياً إعداد الأجهزة اللازمة لتوليد المجال المغناطيسي المطلوب . ولقد أثبتت التجارب التى أجريت على الفئران أن هذه الطريقة تؤدي إلى شفاء ٥٠٪ من الأورام .

## • الفيزيوفون •

يشهد العام القادم دخول التليفون المرئي الى مدينة « بيارتز » الفرنسية . والفضل فى ذلك يرجع إلى شبكة كابلات الألياف الضوئية وإلى أشعة الليزر .

إذ تعمل هذه الألياف الزجاجية التى لايزيد سمكها عن بضعة ميكرونات ( الميكرون يساوي واحد على ألف من المليمتر ) على نقل الاشارات الضوئية لشعاع الليزر . ومن ثم فهي تتمتع بطاقة إرسال خيالية سواء من حيث الكم أو النوعية .

وتستطيع هذه الألياف نقل الصوت والصورة ، والمعطيات الاعلامية . كما أنها ثنائية الاتجاه بحيث تسمح باجراء حوار بين طرفين . بالاضافه الى كل ذلك فان الارسال خلال هذه الألياف لا يتاثر بأي تشويش .

ويظهر فى الصورة جهاز « الفيزيوفون » أو التليفزيون المرئي الفرنسي . وهو مجرد بداية يتوقع الخبراء أن يتطور شكله وحجمه ليصبح أصغر ، وتنمو امكانياته ليستقبل المكالمات الدولية .

## • الجناح الحلقي •

تتنوع الابتكارات فى مجال هندسة الطيران بهدف تحسين أداء الطائرات وتوفير استهلاك الوقود .

وتركز هذه الابتكارات على شكل وتصميم الأجنحة بشكل خاص . فبعد الأجنحة المثقبة والأجنحة المتحركة مثل الطيور تقدم صناعة الطائرات الأمريكية الجناح الحلقي ، الذي يبدو فى الصورة وهو يحيط بالطائرة فى شكل حلقة .

ويرتفع الجناح الحلقي المصنوع من قطعة واحدة أعلى الطائرة بمسافة كافية محيطاً بالنصف الثاني منها ، وذلك لتسهيل عمليات الهبوط والاقلاع ولزيادة التحكم فى الطائرة أثناء الطيران .

وبينما تلتحم الحلقة بهيكل الطائرة من أسفل ، فان دفة متحركة تصل بين الجناح الحلقي والطائرة من أعلى .

ويؤكد مهندسو الطيران الأمريكيون الذين صمموا هذا الجناح المبتكر ، أن هذا التصميم يخفف من وزن الطائرة ويقلل من عوامل المقاومة وهو مايؤدي إلى خفض استهلاك الوقود .



الفيزيوفون الفرنسى



طائرة ذات الجناح الحلقى

ولكن دون أن يكون ذلك على حساب امكانيات الشحن على الطائرة .

ولقد اجريت التجارب المعملية على ماكيت لهذه الطائرة وكانت النتائج مرضية للغاية .

## • معدة صغيرة للتخسيس •

ابتكر جراح كندي طريقة جديدة لعلاج السمنة المفرطة تعتبر حلا سحرياً لمن لا يستطيعون التحكم فى أنفسهم واتباع نظام غذائي محدد .

وتعتمد هذه الطريقة على إجراء جراحة بسيطة تؤدي الى الحد من الشهية تلقائيا دون اللجوء الى عقاقير أو أدوية . إذ يتم تقسيم المعدة الى قسمين غير متساويين بواسطة مشابك معدنية بحيث لا يزيد حجم الجزء العلوي الذي يتخذ شكل كيس صغير عن حجم كرة التنس . ويتصل هذا الكيس بالجزء السفلي عن طريق فتحة ضيقة .

وبالتالي فعند تناول أقل كمية من الغذاء تمتلىء المعدة الجديدة الصغيرة سريعاً ويشعر من يعاني من السمنة بأنه متخم على الدوام . في حين يمر الغذاء ببطء خلال الفتحة المتروكة بين جزئي المعدة . ومن ثم لا يشعر الشخص بالرغبة فى تناول المزيد من الطعام وهو مايؤدي الى تنظيم شهيته بشكل ذاتي .

ولقد أدت تجربة هذه الجراحة مع إحدى السيدات إلى إنقاص وزنها لأكثر من النصف . إذ كان وزنها قبل الجراحة ١٥٧ كيلوجرام ، ووصل بعدها الى ٦٤ كيلوجرام فقط .

سينما

## بين الماضي والحاضر..

# حكايات من السينما المصرية بمناسبة عيدها الأول..

بقلم: رءوف توفيق

احتفل السينمائيون في مصر ، بالعيد الأول للسينما المصرية في الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر الماضي ..

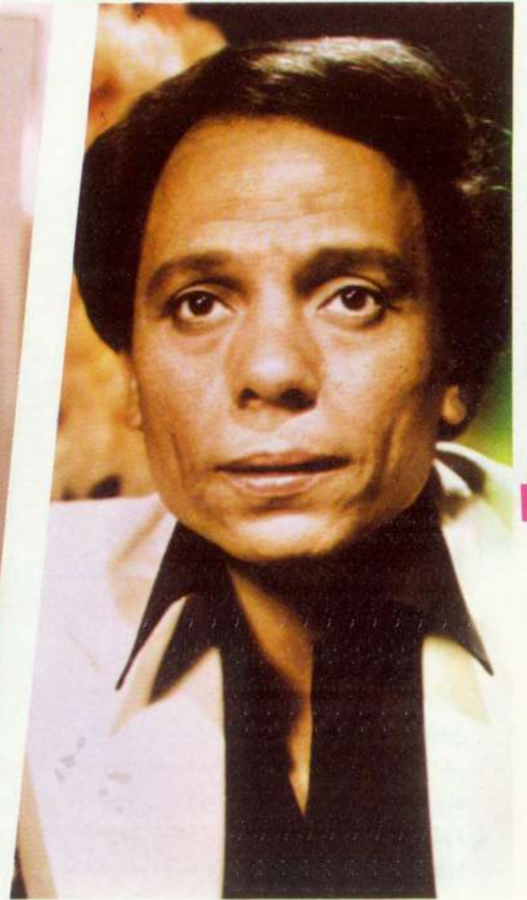
نظمت الاحتفال ، ودعت إليه ، نقابة المهن السينمائية التي يرأسها الكاتب الفنان سعد الدين وهبة .

واختارت النقابة أن تكون مناسبة هذا الاحتفال ، هو ذكرى انشاء « استوديو مصر » ، قلعة السينما المصرية ، التي اقامها الاقتصادي الوطني « طلعت حرب » .. وقد تم افتتاح هذا الاستوديو في يوم ١٢ اكتوبر ١٩٣٥ .. ومن هنا كان اختيار هذا التاريخ ، كعيد سنوي للسينما المصرية ، يتم فيه تكريم رواد السينما ، وتوزيع الجوائز على أحسن فروع الفن السينمائي من خلال الأفلام التي عرضت في الموسم الأسبق .. والجوائز مادية وأدبية .. وتبدأ من خمسة الاف جنيه لأحسن فيلم ..إلى أحسن اخراج .. وأحسن تمثيل .. إلى أن تصل لجوائز الماكياج والصوت ، والمؤثرات الخاصة .

وفي احتفال هذا العام ، وهو أول احتفال بهذه المناسبة ، أعيد بناء ديكور فيلم « العزيمة » داخل استوديو مصر .. وأخرج العرض المخرج الفنان كمال الشيخ .. وشارك في الاحتفال ما تبقى من جيل الرواد الأوائل الذين قامت على اكتافهم صناعة السينما المصرية ..



فاطمة رشدي وحسين صدقي في فيلم العزيمة للمخرج كمال سليم الذي قال عنه المؤرخ الفرنسي «جورج سادول» انه يستحق أن يقارن بانجح الأفلام الفرنسية الكبيرة التي ظهرت قبل الحرب العالمية الأخيرة



عادل امام .. النجم الذى يتنافس عليه صناع الأفلام .. فرفع أجره الى ٣٥ الف جنيه فى الفيلم الواحد ..



سعاد حسنى .. النجمة التى يكفى اسمها لبيع الفيلم قبل تصويره .. تواجه مؤشرات جديدة فى السوق السينمائى وتحاول البحث عن طريق وسط هذه المؤشرات

## العصر الذهبى

ولا يختلف أثنان من المؤرخين أو النقاد على دور ( استوديو مصر ) فى السينما المصرية .

مثلا المؤرخ السينمائى الأستاذ أحمد كامل مرسى فى كتابه الهام ( معجم الفن السينمائى ) .. يتوقف عند الفترة من عام ١٩٣٦ الى ١٩٤٠ .. ليصفها بأنها مرحلة العصر الذهبى للسينما فى مصر .. ويقول محللا رأيه « ان الفضل فى هذا يرجع الى « استوديو مصر » ، الذى جهز بأحدث المعدات الآلية والكفاءات الفنية ، وسار العمل فيه الى الأمام نتيجة التعاون الصادق بين الخبراء المصريين والأجانب ، من أجل تقديم الأفلام المصرية ، ذات القيمة الفنية والموضوعية ، وقد حذت حذوه الشركات والاستوديوهات الأخرى .. وزاد الاقبال على مشاهدة الأفلام المصرية عاماً بعد عام ، سواء فى مصر أو العالم العربى » .

والناقد السينمائى المرحوم الأستاذ سعد الدين توفيق فى كتابه « قصة السينما فى مصر » .. يقول عن فترة « استوديو مصر » إنها أهم مرحلة من مراحل تطور الفيلم المصرى .. « كان هذا الاستوديو بمثابة مدرسة جديدة فى السينما المصرية .. وهى مدرسة نقلت الفيلم المصرى خطوات واسعة الى الأمام .. اذ أنه كان أول استوديو للسينما مجهزا تجهيزا كاملا » .

## الأوراق القديمة

واذا تصفحنا بسرعة الأوراق القديمة للسينما المصرية .. لابد أن نتوقف بالتأمل والاعجاب لمنطق رجل الاقتصاد الأول فى مصر بتلك الفترة « طلعت حرب » ، الذى انشأ أول بنك وطنى فى مصر « بنك مصر » وامتد نشاط البنك وخدماته فى كافة فروع الاقتصاد الوطنى من صناعة وزراعة .. وبتفكير متقدم جداً ، وبوعى كامل للتطور الحضارى ، قرر طلعت حرب أن يمتد نشاط البنك ليشمل رعاية الفن سواء مسرح أو سينما .. ففى مارس ١٩٢٧ ، افتتح بنك مصر رسمياً شركته الجديدة « شركة مصر للتمثيل والسينما » .. بعد أن ظلت هذه الشركة تعمل تحت التجربة لمدة عامين داخل أربعة غرف فوق سطح مبنى مطبعة مصر بشارع نوبار ( الدواوين حالياً ) .. وكانت هذه الغرف تحتوى على معمل لتحميض الأفلام .. وكان أهم ما تنتجه هذه الشركة فى بدايتها .. مجموعة من الأفلام القصيرة والاخبارية والدعائية .

فى تلك الأيام .. عاد « محمد كريم » من ايطاليا والمانيا بعد رحلة خاصة لدراسة أصول الفن السينمائى .. بعد أن ظهر كممثل فى فيلم « شرف البدوى » عام ١٩١٧ .. وكان أول مصرى يقف أمام الكاميرا كممثل .. ولكنه قرر أن يتجه للاخراج .. وعندما عاد من رحلته الدراسية انضم الى شركة مصر للتمثيل والسينما .. ليصبح فيما بعد من رواد السينما المصرية الأوائل




بين الماضي والحاضر..
حكايات من السينما المصرية
بمناسبة عيدها الأول..



أم كلثوم واحمد علام فى فيلم « وداد » أول انتاج لاستديو مصر .. حقق الفيلم نجاحا كبيرا .. وذاع صيته من الهند إلى امريكا الجنوبية

.. والذى استحق لقب « شيخ المخرجين » .

فى هذه الفترة أيضاً .. انضم الى شركة مصر للتمثيل والسينما المصور « محمد بيومى » الذى قام بأول تجربة مصرية فى التصوير فى فيلم « الباشكاتب » عام ١٩٢٣ .. ويعتبره بعض مؤرخى السينما المصرية بأنه أول مصرى فكر فى صنع فيلم مصرى .. فقد أهتم بتأسيس استوديو صغير بالاسكندرية ، كانت كل معداته من تصنيعه الخاص ما عدا الكاميرا .. وقدم فيلم « الباشكاتب » وجريدة « آمون » السينمائية .. ولكنه لم يستمر فى الاخراج واكتفى بأن يكون مصوراً .

## أول بعثة

فى وسط كل هذه الظروف المليئة بتجارب النجاح والفشل .. والارهاصات المتعددة لقيام صناعة السينما فى مصر .. والتى شهدت أول فيلم مصرى ( ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ ) .. وهو فيلم ( ليلى ) لعزيزة أمير .. ثم فيلم « زينب » لمحمد كريم ( عام ٢٨ ) .. ومحاولات يوسف وهبى فى الاستوديو السينمائى الخاص به ( رمسيس ) والذى انشأه فى بداية الثلاثينات متخطيا كل عقبات صعوبة استيراد أدوات الاضاءة وآلات تسجيل الصوت .. ورغم كل هذه العقبات اخرج أول افلامه ( الدفاع ) عام ٣٥ .. وايضاً محاولات آسيا وبهيجة حافظ فى شركاتهما السينمائية .

فى هذه الظروف .. قرر « طلعت حرب » أن يضمن لشركته السينمائية بداية مستقرة تقوم على الدراسة والعلم .. ولهذا أوفد أول بعثة دراسية لدراسة السينما فى الخارج عام ٣٣ .. وكانت البعثة تتكون من أحمد بدرخان وموريس كساب لدراسة الاخراج فى باريس .. ومحمد عبد العظيم وحسن مراد لدراسة التصوير فى برلين ..

## مقالات ترشحه للبعثة

كيف كانت تمضى الحياة الفنية فى ذلك الوقت . ؟

من المثير ان نقرأ بضع فقرات من مقال كان قد كتبه الفنان الراحل المخرج أحمد بدرخان فى مجلة السينما التى كان يرأس تحريرها ، والتى كانت تصدرها مؤسسة السينما المصرية ..

تاريخ المقال نوفمبر ٧٦ .. ومناسبة المقال الاحتفال بمرور ٤٠ سنة على السينما المصرية ..

كتب أحمد بدرخان فى ذلك المقال يقول :



أحمد كامل مرسى



أحمد بدرخان

« دفعتنى هوايتى للسينما ، أن ألتحق بمدرسة للمراسلة بباريس لدراسة ( فن السينما ) .. وبدأت أترجم دروسى للعربية وانشرها تباعا فى مجلة ( الصباح ) لمدة ثلاثة أعوام .. وكنت فى ذلك الوقت ايضا أتردد على مسرح رمسيس لا كمتفرج .. بل كهاو أشاهد البروفات وكيف كان أستاذنا الكبير « عزيز عيد » يكون البراعم الفنية الجديدة بعبقريته الفذة .. ولعل هذه الفترة كان لها أكبر الأثر فى تكوينى الفنى .. واننى لأعترف هنا ان ما جنيته من مسرح رمسيس لا يقل بحال عما جنيته من بعثتى الفنية التى أوفدنى فيها بنك مصر الى الخارج لدراسة فن السينما مع ثلاثة من الزملاء هم الأستاذ موريس كساب ، وقد درس معى الاخراج فى فرنسا .. والاستاذين محمد عبد العظيم وحسن مراد لدراسة التصوير بألمانيا .. وقد تم اختيارى فى هذه البعثة بينما كنت أدرس القانون بكلية الحقوق .. فقد قرأ المغفور له طلعت حرب مجموعة مقالاتى فى مجلة الصباح .. فأستدعانى لكتابة تقرير عن انشاء استوديو للأفلام الناطقة .. وكان الزميل نيازى مصطفى يدرس الاخراج فى جامعة ميونيخ بألمانيا ، فأستعنت به فى اختيار المعدات اللازمة لهذا الاستوديو ووقع الاختيار على تقريرى للتنفيذ .. وكانت مكافأتى ارسالى فى بعثة لدراسة الاخراج على حساب البنك ..

« وأثناء بعثتى أرسل الى الاستاذ أحمد رامى قصة ( وداد ) لأقوم بعمل سيناريو لها .. وفى سنة ٣٤ بدأ استوديو

فريد شـوقى .. مازال متربعـا على القمـة .. يعرف كيف يخاطب جمهـوره

مصر انتاجها وقامت ببطولتها كوكب الشرق أم كلثوم .. ويعتبر هذا الفيلم نقطة التحول فى تاريخ السينما المصرية » !

## أخلاق الفنان

( ملحوظـة ) أجـدنى مضطراً للتوقف عن نقل سطور بعض ما جـاء فى هذا المقال .. لأشيد بهذه الروح العالية التى تجاوز فيها أحمد بدرخان الصدمة الأولى ، والقاسية ، التى واجهها بعد عودته من بعثته الدراسية ليفاجا بعد ان كان مرشحاً لاخراج فيلم وداد .. انه استبعد من اخراج الفيلم ليقوم الخبير الألمانى « فريتز كرامب » بهذه المهمة على أن يساعده جمال مدكور .

وقد اختلفت التفسيرات حول هـذا التصرف .. وقيل من ضمن ما قيل .. ان احمد سالم والذى كان يدير استوديو مصر



محمود ياسين .. بعد فترة من الانتشار بدأ يراجع نفسه ليحتفظ بمكانته الفنية



عادل أدهم .. أحد النجوم الذين ارتبـط بهم الجمهور فى أدوار ابن البلد

اقنع المسئولين عن الاستوديو بخطورة اسناد هذا الفيلم الى مخرج ناشىء مثل احمد بدرخان .. ونجح أحمد سالم فى حملته بعد أن كان أحمد بدرخان قد استعد تماماً لاخراج الفيلم وانتهى من كتـابة السيناريو وتقطيع المشاهد لتصويرها ..

وتفسر هذه التعديلات ان وراء حملة أحمد سالم ضد أحمد بدرخان .. أسـباباً نسائية كانت تربط أحمد سالم بالخبير الالمانى « كرامب » .

ولكن أحمد بدرخان عندما يعود بذاكرته للوراء ليحكى ما حدث .. يسقط هـذه المسائل من حسابه .. ويتعامل مع الأمور بكثير من الترفع والسمو ..

إنها اخلاق الفنان الحقيقى .. والـذى لا يجد أى غضاضة فى الاعتراف بالنجاح الكبير لفيلم « وداد » .. هذا النجاح داخل مصر وخارجها حيث عرض فى مهرجان فينيسيا السينمائى عام ٣٦ .. وعرض لمدة اسبوعين فى لندن .. وعرض أيضاً فى الهند وامريكا الجنوبية .

ان الاعتراف بالنجاح ليس مسالة شخصية . ولكنه أمانة التاريخ التى يجب أن تقال بموضوعية .

## الود المفقود

ونعود إلى مقال أحمد بدرخان .. نسترجع معه الذكريات وروح العمل الفنى فى ذلك الوقت .. كتب يقول :

« فى نفس العام أصدرت أول كتاب عن فن السينما باللغة العربية باسم (السينما) .. وعاد نيازى مصطفى من بعثته وانضم الى استوديو مصر ، كما تعرفت بصديقى الراحل الاستاذ كمال سليم ضمن شلة من الادباء كنا نجتمع فى ندوة الأستاذ عباس محمود العقاد التى كانت تعقد بمنزله بمصر الجديدة عصر كل يوم جمعة ، وكانت تضم الاساتذة أحمد خورشيد ( المصـور السينمائى ) والزميل أحمد كامل مرسى والفنان صلاح طاهر ( الرسام المعروف ) والموسيقى حسن الشجاعى ، والأديب سيد قدرى ، والشاعر السودانى معاوية نور ، وكنا نخرج من هذه الندوة الى مرسم صلاح طاهر الذى أقامه على سطح العمارة التى كان يسكنها بمصر الجديدة ، وهنالك كنا نتناقش فى كافة الفنون وكل منا يقص على زملائه ما قرأ .. وفى هذه الندوة سمعنا لأول مرة قصة فيلم ( العزيمة ) .

« ثم انضم الأستاذ كمال سليم بعد ذلك الى استوديو مصر ، ككاتب سيناريو .. ولعل أجمل الأيام هى تلك الأيام التى قضيتها مع كمال سليم ونيازى فى غـرفة واحدة ، وكانت تضم مكاتبنا الثلاثة بأستوديو مصر .. ولقد كان التعاون بيننا نحن الثلاثة صادقاً .. فكنا ننقد افلامنا بقسوة وهى مازالت بعد كلمات على الورق .. ولعل المستوى الفنى الذى كانت تمتاز به افلام استوديو مصر فى ذلك العهد يعود الى هذه الجلسات التى كان يسودها الود والنقد البناء .. الشىء الذى تفتقر اليه السينما المصرية فى هذه الأيام » !

## تعليق مراقب يقظ

ونتوقف عند هذه العبارة من شريط الذكريات .. ونغمض أعيننا على صورة الزمن الجميل .. وكأنما نريد أن نستبقى الحلم ، قبل أن يجبرنا الحاضر على مواجهة زمن التسابق الرهيب المجنون من



فريد شوقى وتحية كاريوكا فى فيلم « السقا مات » آخر ما أخرجه صلاح ابو سيف فى مصر ( عام ٧٧ ) ثم اختفى من السينما المصرية




بين الماضي والحاضر..
حكايات من السينما المصرية بمناسبة عيدها الأول..

اجل الربح .. الذى أصبح سمة واضحة فى أغلب تعاملات الوسط السينمائى فى مصر الآن .

فهناك رغبة جامحة لدى معظم صناع السينما المصرية فى تقديم أفلام تجارية سريعة ، تحقق أكبر عائد مادى فى أقصر وقت . !

وهذا الصراع أدى بالضرورة الى سحق علاقات الحب ، والود ، والاحساس بالمشاركة ، فى أسلوب التعامل اليومى بين صناع السينما وفنانيها ..

وكما يردد دائماً المؤرخ السينمائى أحمد كامل مرسى فى نبرة حزن وأسف : « لقد فقدت الأسرة السينمائية الروابط التى تجمعها .. وتفرق كل انسان فى طريق .. وضاع الحب الذى كان يجمع الفنانين .. وجاء الجشع والصراع من أجل جمع الأموال .. حل الطمع محل الطموح ، وانعكس هذا كله على الفن .. فلم يعد هناك مستوى ولا حماس ولا غيرة للتجويد والابتكار .. » !!

وهذه المرارة التى يتحدث بها الآن الأستاذ أحمد كامل مرسى .. هى وجهة نظر مراقب يقظ عاش مراحل صناعة السينما المصرية .. وشارك فيها كمخرج وكناقد ، وكصديق شخصى لاغلب رواد السينما الأوائل .. الى آخر جيل من المخرجين الشبان الذين يلجأون إليه يسألونه الرأى والمشورة فيما يواجهون من مشاكل العمل .. وهو حتى هذه اللحظة مازال الحكم الأمين على المستوى الفنى للأفلام .. ولهذا تسعى إليه الجمعيات السينمائية فى مصر ، وأيضاً أجهزة وزارة الثقافة ، ليرأس لجان التحكيم فى مسابقات الأفلام .. فهو لا يعرف المجاملة .. ولا تشويه أية شائبة من المصالح الخاصة أو الغيرة الفنية .. فقد اعتزل العمل السينمائى كمخرج منذ عام ١٩٥٥ .. واكتفى بالبحث والقراءة والمتابعة عن بعد ..

## النجاح بمقياس الايرادات

واذا حاولنا أن نحدد العوامل التى تؤثر فى صناعة السينما المصرية الآن .. لوجدنا أنفسنا أمام حقيقة هامة .. وهى أن الفيلم المصرى اصبح يغطى تكلفته من السوق المحلى بعد أن كان إلى زمن قريب يعتمد على السوق الخارجى بنسبة تصل الى ٦٠ فى المائة من ايراد الفيلم ! .

وأصبحت قوائم ايرادات الأفلام تشهد أرقاماً قياسية فبعض الأفلام تحقق فى الأسبوع الأول من عرضها فى دار سينما واحدة بالقاهرة .. ايراداً يتروح ما بين ١٨ ألف إلى ٢٢ ألف جنيه !!

وقد يهبط الايراد فى الأسبوع التالى بمقدار ألفين أو ثلاثة آلاف جنيه .. ولكن مع أستمرار عرض الفيلم على مدى عشرين أو ثلاثين أسبوعاً وأحياناً أكثر - هذا فى دار عرض واحدة بالقاهرة بخلاف عروض الأقاليم - وبخلاف طبع الفيلم على شرائط فيديو وتوزيعها على نطاق واسع وبأرقام ايرادات تبدأ من ثلاثين ألف جنيه ! .

وبعملية حسابية بسيطة نكتشف أن الفيلم يغطى تكلفته من السوق المحلية فى خلال شهور قليلة ثم يصبح أى عائد بعد ذلك هو ربح صاف يدخل جيب صناع الفيلم .

وإذا أضفنا إلى هذا الحساب ، قيمة بيع نسخ الفيلم إلى الأسواق العربية لوجدنا ان صناعة الأفلام أصبحت مسألة رابحة تماماً !

## جمهور السينما

وهذا بالطبع ينطبق على بعض الأفلام .. وليس كلها ..

ومن هنا ظهر تعبير « الأفلام الجماهيرية » وهى الأفلام الموجهة أساساً إلى جمهور السينما الدائمين وأغلبهم من العمال الحرفيين والفئة الوسيطة فى أعمال التجارة والنقل والخدمات والذين يشكلون ما أتفق على تسميته فى مصر بأصطلاح « الطبقة الجديدة » .. هذه الطبقة التى استفادت من النمط الاستهلاكى وأرتفعت دخولها بمعدلات كبيرة سمحت لهم بأرتياد دور السينما والمسرح وشراء شرائط الكاسيت ..

وهذه الطبقة شكلت بذوقها الخاص مستوى الفن الذى يسعى إليها .. سواء أكان هذا الفن ، فيلماً أو مسرحية أو أغنية ..

واستغل تجار الفن فى مصر ، هذه الظاهرة الاجتماعية .. وأغرقوا السوق بكل ما يرضى ذوق هذه الطبقة .. وتسابقوا فى الانحدار به ..

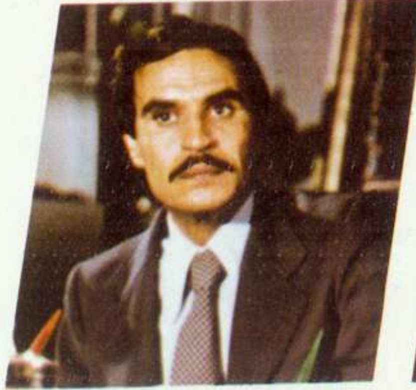
فاذا كان امبراطور الغناء الشعبى فى مصر اسمه أحمد عدوية يحقق الأرقام الخيالية فى شرائط الكاسيت التى يغنى فيها « السح الدح امبو » .. « واحنا اللى دهنا الهوا دوكو » و « حبة فوق وحبة تحت » ..

فلماذا لا تكون الأفلام السينمائية على نفس المستوى .. وأيضاً بنفس الطراز من هذه العناوين « مرسى فوق .. مرسى تحت » .. « مخيمر دايماً جاهز » .. حسن بيه الغلبان » .. « مرسى فوق الشجرة » ؟ ! الخ . ! !





نور الشريف .. نجم القمة فى التمثيل والذى أصبح ينافس نفسه فى كل فيلم



عزت العلايلى .. قرر أن يخوض تجربة الانتاج حتى يقدم نوعية الأفلام التى يرضاها لنفسه ولجمهوره

أحمد زكى .. الموهبة الجديدة التى انطلقت كالصاروخ .. وارتبط اسمه بالأفلام الجيدة

وأدرك صناع هذه السينما أن جمهورهم الذى يمكن أن يدفع عشرين ألف جنيه فى الأسبوع الواحد .. هو فى أغلبه جمهور يخرج من عمله مرهقاً يرغب فى التسلية والضحك .. وعلى حد تعبير أحد أفراد هذا الجمهور المواظب على السينما .. « مش معقول الواحد يدخل سينما علشان يفكر ويعيط ويحل رموز .. احنا عايزين نضحك وننبسط » !! .. من هذا المنطق حشد صناع هذه السينما فى أفلامهم نجوم الكوميديا .. ونجوم الغناء الشعبى .. داخل توليفة من الضحك والمغامرات .

وتسابق صناع هذه السينما على نجوم مسرحية « مدرسة المشاغبين » عادل امام وسعيد صالح ويونس شلبى .. وأصبحت تفصل الأفلام على مقاسهم ليضحكوا الجمهور كل حسب مقدرته ..

وانضم الى هؤلاء النجوم .. سمير غانم واسعاد يونس ليصبحا من صانعى الضحك فى الأفلام .

ولا مانع بالطبع من وجود أحمد عدوية وفاطمة عيد وبعض الأغانى الشعبية لاستكمال الوجبة المسلية ..

وهكذا أصبح الاتجاه الى اعتبار السينما وسيلة تسلية تخاطب الأجساد المرهقة .. ولا تقترب من العقول !

## الصعود والاختفاء

وكان من نتيجة هذا الاتجاه .. حدوث اختلال واضح بين نجوم التمثيل والاخراج .. فقد رفع نجم الكوميديا عادل امام أجره الى ٣٥ ألف جنيه عن الفيلم الواحد .. بينما توارت فاتن حمامة ونادية لطفى .. وتعثرت سعاد حسنى .. فى نفس الوقت الذى اطلقت فيه نادية الجندى على نفسها لقب « فنانة الجماهير » بعد النجاح التجارى الساحق لفيلمها « الباطنية » .. وتجنى الآن نفس النجاح بفيلم « وكالة البلح » .

وأصبح المخرج الشاب « محمد عبد العزيز » هو المخرج المضمون لمثل هذه الأفلام السريعة .. بعد أن كان يبشر بالخير فى فيلمه « انتبهوا أيها السادة » .

وشهدت قائمة المخرجين أكبر صدمة بانحدار المخرج « بركات » الى قبول اخراج افلام مثل « حسن بيه الغلبان » و « العسكرى شبراوى » .. وهو المخرج الذى أبدع فى يوم من الأيام « دعاء الكروان » .

وواجه « حسن الامام » الفشل فى أفلامه الأخيرة .. وهو الذى كان يعلن دائماً فى مواجهة النقاد انه أكثر مخرج يفهم الجمهور .

واختفى « صلاح أبو سيف » من الساحة المصرية .. كما اختفى « عاطف سالم » داخل نفسه !

## ماذا يقول المتفائلون ؟

ولكن رغم ضجيج ظاهرة الأفلام الجماهيرية .. يبقى للسينما المصرية بعض حراسها الذين مازالوا يؤمنون بدور السينما فى ايقاظ المشاعر واضاءة العقل .

ويبقى للسينما المصرية هذا الرصيد المتجدد دائماً من الفنانين فى التمثيل والاخراج .. ومن الفنيين فى التصوير والمونتاج والديكور والموسيقى الفنية وخصوبتها مهما تناثرت الشوائب هنا وهناك ..

ويقول المتفائلون .. يكفى السينما المصرية أن تقدم خمسة أفلام جيدة على المستوى الفنى والفكرى من مجموع انتاج يصل الى خمسة واربعين فيلماً كل عام .. فهى نسبة متعارف عليها عالمياً .. فالسينما الامريكية رغم امكانياتها وانتشارها ونفوذها .. والسينما الايطالية رغم صراع فنانيها للتغلب على مشاكل العمل .. لا تصل نسبة الأفلام الجيدة فى انتاجها الى عشرة فى المائة من مجموع ما يقدمانه من أفلام كل عام .. هذا اذا ادركنا ايضاً أزمة السينما الفرنسية والسينما الانجليزية والتى تهددها الأزمات بالتوقف

يقول المتفائلون .. لا تنزعجوا مما يحدث فى السينما المصرية الآن فالمشاكل فى كل مكان .. والأزمات عالمية .. والظواهر غير الصحية تطبق على الأنفاس من كل جانب ..

ونحن لا يسعنا الا أن نتعلق بحبال الأمل .. وأن نكون متفائلين .

وكل عام والسينما المصرية بخير .. وأفضل مما هى عليه الآن .

« رءوف توفيق »



# ضحكات الشهر

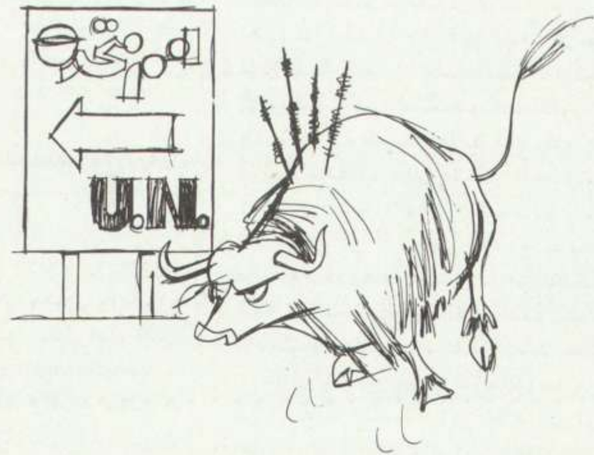
أندلس

SPAIN

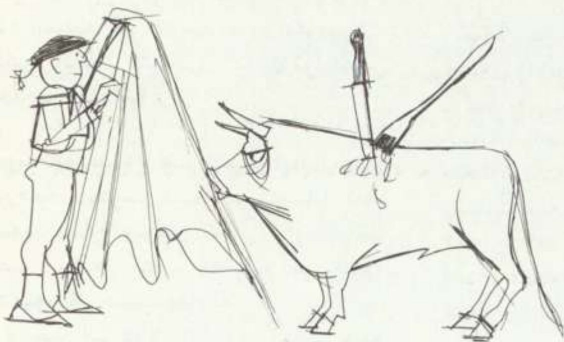
أخرى



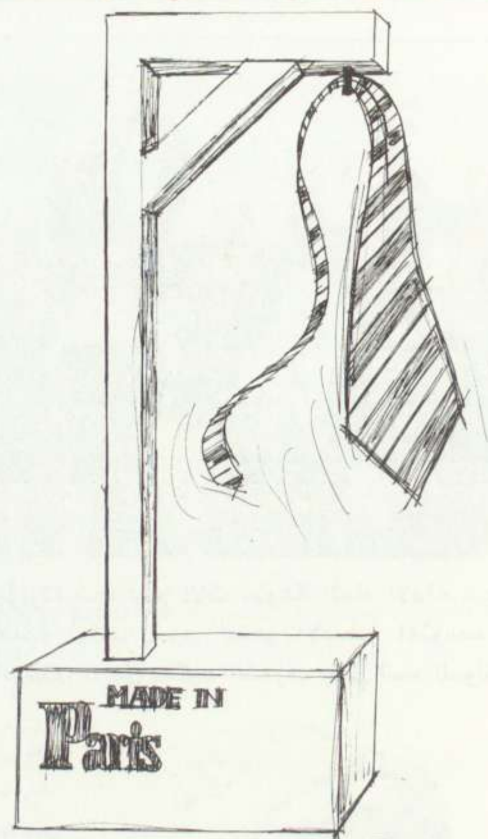
ـ .. بدون كلام .. !!




ـ .. بدون كلام .. !!!



ـ .. بدون كلام .. !!




« المشانـــق » .. !!



ـ .. رقبتي .. سدادة .. !!




طارق بن زياد ـ زيارتها بـ ٤٠٠ .. وفتح الاندلس بكام .. ؟ !




تور ـ تشتري .. OXTAIL !!



# دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء الـــذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

## حاول أن تعرف



فرقة شعبية بملابسها المتوارثة تستخدم آلات منوعة أثناء الأداء .. هذه الفرقة من جنوب دولة اسلامية تواجه شرق البحر الابيض المتوسط من الجنوب والبحر الأسود فى الشمال .. هل يمكنك التعرف على اسم الدولة ؟



كانت جارية واعتقها محيي بن خالد البرمكي ، تتلمذت على يد كبار أعلام الغناء بالعصر العباسي أمثال ابراهيم الموصلي ، وابنه اسحاق ، وابن جامع .. لم تكتف بالغناء بل سعت الى التأليف والتصنيف فجمعت خلاصة أغاني مدرسة فنية كبيرة .. من هي ؟

## مسابقة الدوحة

### حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٢



الصورة رقم (١) : الفارابي

- خالد أحمد جابر - قطر
- جابر محمد علي - مصر



الصورة رقم (٢) : مايكل أنجلو

- سمية أحمد القطان - الكويت
- خالد القصوري - تونس

## قـالوا في الـزواج



ـ الزواج نهاية المأساة !

« أحمد أمين »

ـ الزواج أجمل تذكار للحب . !

« هيلين رولاند »

ـ المناقشات الزوجية كالمشرط فى يد الجراح . !

« أندريه موروا »

ـ الزواج غزو واخضاع ..

ـ يدفعنا جهلنا بالمشاعر الانسانية الى تشجيع الزواج بوصفه العقار الوحيد المهديء .

« جين أوستن »

ـ الزوجة العاقلة هي التى تبتسم فى هدوء وتقول لزوجها إن دورها لم يكن اكثر من مجرد زوجة لرجل ناضج شق طريقه بجهده وعرقه . !

« جيمس باري »

ـ أسعد زوجة ليست تلك التى اقترنت بأفضل زوج ، بل تلك التى صنعت من الرجل الذي وجدته أفضل زوج .

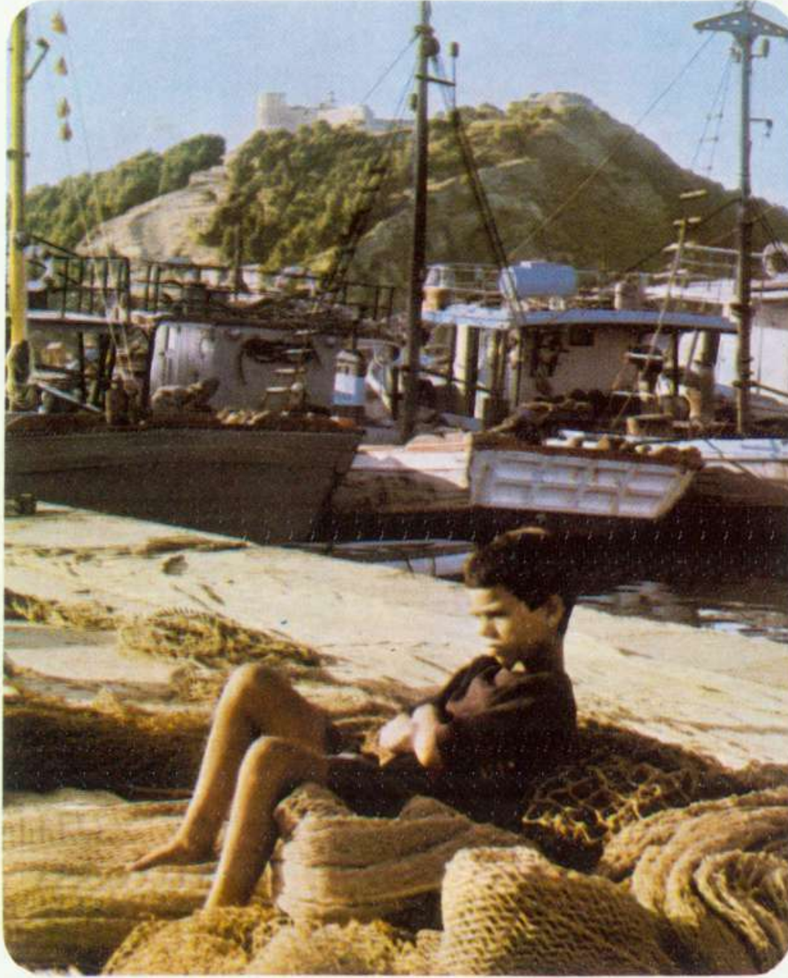
« الزا ماكسويل »

ـ قبل الزواج تعرف المرأة كل الأجوبة ، وبعد الزواج تحفظ المرأة كل الأسئلة ! .

« برنارد شو »

سعاد بحراوي
المغرب

## لقطة الشهر



بعد رحلة الرزق في البحر
صياد صغير من تونس

## البرديّات الطبّية

هي أحد مصادر معرفتنا بالطب والصيدلة عند قدماء المصريين ، وهي تحتوي على معلومات محددة تمثل وصفات الأمراض المختلفة مثل امراض الظهر وآلامه ، وأمراض القلب والأمراض الباطنية ، كما تحتوي على تقسيم للامراض حسب خطورتها كما تبين العلاج .

وهي مكتوبة على عرائض مصنوعة من ورق البردي الذي يصل طوله أحياناً الى اكثر من خمسمائة متر . ومن أشهر هذه البرديات الطبية بردية برلين التى عثر عليها بجوار هرم سقارة ، ويبلغ طولها ٥١٦ متر وتحتوى على ١٧٠ وصفة . وبردية « هيرست » وتحتوي على ٢٦٠ وصفة . وبردية « أدوين سميث » وطولها ٤,٦٨ م ، وترجع أسماء هذه البرديات الى مكتشفيها او للمكان الذي وجدت فيه .. !

د . حسام الدين محمود
الاسكندرية

# دوحة القراء



## مَن ؟

ملاح عربي يرجع إليه الفضل في تعريف الأوروبيين بطريق رأس الرجاء الصالح والملاحة في المحيط الهندي . اسمه من ثلاث كلمات فى عشرة حروف :

٨ ـ ٦ ـ ٤ ـ ٧ ـ ١ ـ ٩ امتزاج أو اتحاد تام

٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١٠ بشكر وامتنان .

## أين ؟

قطر عربي عريق نشأ بـه ذلك الملاح الشهير . اسمه من أربعة أحرف :

٢ ـ ٤ حرف جر

١ ـ ٣ ـ ٢ طفا



## ما ؟

صفة أحلك من الظلام وأعفن من القبر واضيع من التيه فى الصحراء لو تفشت فى أمة فقل عليها العفاء . تتكون من خمسة أحرف :

١ ـ ٣ ـ ٥ نعم

٤ ـ ٢ للاستفهام

## الإجابة الصحيحة

١ ـ امن تذكر جيران بذي سلم .. أكمل البيت وانسبه إلى قائله .

٢ ـ امير الشعراء احمد بك شوقي يرجع نسبه الى أصل :
عربي ـ فارسي ـ جركسي ـ هندي

٣ ـ مؤلف الكتاب الرياضي العظيم المسمى بالقانون المسعودي هو :
أبو الريحان البيروني ـ ابو الأسود الدؤلي ـ أبو العباس التيفاشي .

٤ ـ تقع جزيرة صنافر فى مدخل خليج :
سلوى ـ العقبة ـ المكسيك ـ هدسون .

٥ ـ « ولد الامام الشافعي رضي الله عنه فى الفسطاط بمصر ودفن فى غزة بفلسطين »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟؟

٦ ـ الغدة المتصلة بالكبد هي :
الصفراء ـ الكظرية ـ النخامية

٧ ـ هزم صلاح الدين الأيوبي الصليبيين فى معركة حطين فى سنة ١١٨٧ ـ ١٢١٩ ـ ١٣٠١م

٨ ـ الصحراء التى نشا بها التتار القدامى هي صحراء :
سيناء ـ منغوليا ـ كالاهاري

٩ ـ نبات الجرجير يتبع المجموعات النباتية فى الأسرة :
الباذنجية ـ الصليبية ـ الزنبقية

١٠ ـ تقع مخيمات ( صبرا وشاتيلا ) فى منطقة :
بيروت الغربية ـ صيدا ـ صور ـ الدامور .

## مسابقة الدوحة ؟؟ ؟؟

## حل مسابقة العدد ٨٢

من : الأهرام
أين : بيرل هاربر
ما : الوحدة

الاجابة الصحيحة

١ ـ ١٩٦٩
٢ ـ ١٩٢٣
٣ ـ ميلانو
٤ ـ ١٧٧٠

٥ ـ خمس مرات
٦ ـ الخليل بن احمد
٧ ـ بدأت سنة ١٨٦١ وانتهت سنة ١٨٦٥ .
٨ ـ فى حالة سكون
٩ ـ ساعيش رغم الداء والأعداء ...
كالنسر فوق القمة الشماء
أبو القاسم الشابي
١٠ ـ مايكل هارت

## أسماء الفائزين فى مسابقة

١ ـ أصل وصورة : الحل : شمس ـ مركب ـ كتاب ـ قلم ـ شمعة ـ طبق ( صحن ) .
الفائز : كريمة النجار / قطر
منقذ عطوة البيول / ليبيا .

٢ ـ دوري الكاريكاتير : الحل : اللاعب رقم (٩)
الفائز: سيروان عبد الرحمن العراق .
باهر خورسند / قطر .

٣ ـ لعبة الظلال : الحل رقم (٣)
الفائز : أزنزار الحسين / المغرب
محمد عبد الواحد رمضان / ج.م.ع

٤ ـ المثل يقول : الحل : « ابن الوز عوام »
الفائز عبد الرسول على القلاف / البحرين
أحمد لطفي عبد المطلب / أبو ظبي

## العنكبوت لا يقتل الإنسان

لا يوجد مكان فوق الكرة الأرضية خال من العنكبوت ، من سواحل البحار حتى قمم الجبال ، في الغابات والمروج وفى المستنقعات والصحاري ، حتى في المغاور وأعماق الكهوف .

إن وجود نوع سام ، من العناكب ، جعل الناس تخشاه ، والحقيقة ان جميع العناكب غير سامة ماعدا نوعين منها ، لها غدة سامة ، ولكن هذا لا يعني انها تؤذي بالضرورة الانسان . إن الغدة السامة لدى العنكبوت موضوعة تحت مراقبته وهو يستعملها بطرق خاصة .

فمثلا العناكب التى تغزل شباكاً لتصطاد بها فرائسها لا تستخدم سمها ، أما تلك التى تختفي داخل الزهور وتمسك الحشرات بارجلها فهي التى تستخدم سمومها لقتل ضحاياها .

وعلى أية حال إن جميع العناكب ، عند الدفاع عن ذواتها ، تعمد الى استخدام سمومها . فهي عندما تقع في المازق الحرجة التى لا مهرب لها عندئذ تلجا الى استخدام سمومها ، وهي تفعل ذلك كاخر سهم فى جعبتها .

والعناكب التى تعتبر خطراً على الانسان قليلة جداً ، من العناكب الخطرة المدعو - الأرمل الأسود - ويبلغ طول جسمه ١,٥ سم تقريبا ولونه اسود براق وعلى بطنه بقع حمراء .

إن عضة العنكبوت قد تسبب الما وحتى مرضا ، وبعض العناكب التى تصنف عضتها بانها سامة تعيش فى استراليا ، منها العنكبوت الضخم المدعو بالقاتل .

وفي الحقيقة ان العناكب لم تتسبب فى موت إنسان بعد بالرغم من ان عضتها مؤلمة جداً وقد تسبب انتفاخاً كبيراً يصحبه الم شديد ، إلا ان الألم لا يلبث ان يزول ويعود الجسم الى حالته الطبيعية خلال بضعة ايام . وخطر جميع العناكب لا يتعدى خطر الدبور الاحمر .

والشيء البارز عند العناكب هو قوتها الفائقة على نسج شباكها ، والخيوط الدقيقة التى تنسجها العناكب هي نتاج عصارة سائلة ، تجمد لدى ملامستها الهواء مباشرة ، بواسطة غدة تقع فى تجويف عند مؤخرتها الدقيقة عندما تضغطه العناكب لتصنع شباكها كما وان هنالك العديد من انواع الخيوط إذ ان لكل نوع من انواع العناكب خيوطاً خاصة به .!

محمد ياسر منصور
سوريا

## كلمات عاشت

● إن سر الاحساس بالشقاء والألم ، هو أن يتوفر لديك الوقت لكي تتساءل فيه : أسعيد أنت بحياتك أم تعيس .. ؟

« برنارد شو »

● إن أعظم دواء شاف للقلق ولا شك هو الايمان .

« وليم جيمس »

● إن الذي يسجد لجميع الآلهة لا يؤمن بأحدها .

« أيليا اهر بنورج »

● الاعتذارات المتكررة لا يمكن أن توصد الباب فى وجه خطأ جديد .

« شكسبير »

سمر سليمان
حلب

## أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
- ماهر يوسف منصور - دمشق .سوريا

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
- حمادة عبد العظيم عثمان - الاسكندرية - مصر .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
- حسين عبد الله حردان - المحرق - البحرين .

## الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ - محمد معن مروان مراد - الكويت
٢ - احمد قدري الريدى - السعودية
٣ - مصدق محمد نصر - ج . م . ع
٤ - نواف يوسف الشبعان - البحرين
٥ - محمد منذر حسين - الامارات
٦ - افنان فخري عبد السلام - الأردن
٧ - توفيق بوسمة - تونس
٨ - راغب مصطفى عبد الهادي - ج . م . ع
٩ - أحمد محمد واصف التونسي - سوريا
١٠ - أحمد يحيى الاكوع - اليمن الشمالي

## استراحة الدوحة العدد ٨٢

٥ - لأقوياء الملاحظة : العيون - سلك التليفون - أرقام لتليفون - الشعر - أصابع اليد - الماء خارج الحوض - الماء الساقط من الدش
الفائز : لطفي دمق / تونس
سامي عبد الله عبد الغفور/ اليمن الشمالي

٦ - يخلق من الشبه اربعين الصورة رقم (٦)
الفائز : فراس زهير الجيرودي / سوريا
عيسي سليمان العامري - سلطنة عمان .

٧ - هات أجمل تعليق : ومن الحب ماقتل
الفائز : خالد أحمد جابر / قطر
التعليق : حاسس بمصيبة جايالي .. بالطيف
الفائز : وفيق أحمد بطيخ عزوز/ ج . م . ع




# استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف



## دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفاً قوياً في مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تعرف رقم فانلة صاحب الهدف .. بدون الاستعانة بالقلم الرصاص أو أصبعك ؟ .. إذا استطعت فجائزتك هي .. شهادة منا بأنك قوى التركيز والملاحظة .. وذلك بالاضافة لحصولك على (٦٠ ريالا) .

## المثل يقول




هذه الصورة الساخرة .. تعبر عن مثل شعبي ... حاول معرفته لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

## خيال من ؟



هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال .. مع العلم بأنه لفنان كوميدي احتل القمه فى السنوات الأخيرة ؟ ..
الجائزة (٦٠ ريالا)

## لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى معرفة ظله الحقيقي ؟
الجائزة ( ٦٠ ريالا )

## لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. هل تستطيع التعرف عليها إذا عرفت الحل ارسله إلينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

## يخلق من الشبه أربعين



الصور الأربع المنشورة لأربع لوحات مقلدة للوحة الجيوكندا « للفنان العالمي ليوناردو دافنشي من بين هذه اللوحات الأربع واحدة فقط تشبهها تماماً ، وفى الباقي اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا)

## هات أجمل تعليق




حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. فقد يسعدك الحظ وتفوز بالجائزة (٦٠ ريالا).

من أدب المرأة في قطر

# رحلة.. في عقل أم

بقلم: د. زهرة المالكي

وتمضي الأيام بنا فى سيرها الابدي المتواصل الذي لا يمل .

كل يوم يمر ، يعجل فى إطلالة الحدث العظيم في حياتي . وأظل ارتقب مسيرة الأيام بمشاعر مختلطة متناقضة .. فيها القلق والخوف . وفيها الفرح والسرور . فيها الرغبة وفيها الرهبة . واحياناً اتمنى أن تظل فى مكانها لا تتحرك ولا تتبدل . وبين امتزاج مشاعري المتناقضة ، تتوالد الأماني والأحلام فى نفسي . أحدث نفسي بان القادم الجديد الذى سيزورنا لأول مرة سيكون طفلا . واقضي الساعات الطوال أبحث له عن اسم جميل تالفه الأذن وتسعد به الشفاه حين تنطلق بحروفه .. ثم اتخيل وجهه وقسماته ورنة ضحكته إذا ضحك ، وصدى بكائه إذا بكى ... واراه يكبر ويترعرع أمامي ليصبح شاباً ينهي دراسته ويخوض مجال العمل ، ثم ياتيني ذات يوم ليقول لي فى حياء وإطراق : أماه .. أريد أن اتزوج . وتشتعل البسمة فى صدري ، وانظر إلى وجهي فى المرآة ، فاراه فعلا كأن هذا واقعاً ، لا مجرد خيال أم لم تر ابنها فعلا !!

لكني أعود وأحدث نفسي من جديد : من يدريني أن القادم سيكون طفلا ؟ ربما يكون طفلة . هذا أفضل لو تحقق فعلا . فتربيتها تصبح أسهل وأيسر . إذن لابد من اختيار اسم لها .. ماذا تراني أسميها ؟ كل الأسماء التى ترد على ذهني الآن أسماء مألوفة معتادة ، تكررت آلاف المرات . وأنا أريد لطفلتي اسماً جديداً مبتكراً . سأؤجل البحث عن اسم صغيري حتى أن آخر ، وعلي أن أفكر في أشياء أخرى قد تكون أهم .

ياطفلتي العزيزة التى لم تولد بعد .. سأخيط أثوابك بنفسي وازينهابالشرائط الحريرية الملونة . وسأختار لك الكثير الكثير من الدمى واللعب الجميلة حتى تسعدي وأنت تقضين معظم أوقاتك معها ، تناجينها وتخترعين لها اسماً ووجوداً وحركة لا يحس بها سواك . وحين تكبرين قليلا ستذهبين إلى المدرسة . ولن أكتفي بتعليمك المدرسي ، بل ساعلمك كيف تصبحين سيدة بيت ممتازة فى المستقبل عندما تتزوجين وتتركينني أنا وأباك وحيدين . نرنو إليك وإلى زياراتك التى نسر لها أيما سرور .

وتتحرك الأيام فى سيرها بينما أحيا أنا فى عالم خاص أفرشه أحلاماً وأمنيات . وتأتي اللحظة الموعودة التى انتظرتها طوال تسعة شهور كاملة باعصاب مشدودة . ويطل المولود على الدنيا بلا بكاء ولا صوت كبقية المواليد حين يأتون عالمنا للمرة الأولى . وأقول فى نفسي وجسدي نهب للآلام التى لا ترحم : إن مولودي يبدو عليه الهدوء والتعقل منذ لحظة ميلاده . وفي عناء ومشقة شديدين أفتح عيني ، وأحرك لساني لأسأل : هل المولود طفل أو طفلة ؟ ولا يأتيني الجواب .. بل أرى يداً تمتد نحوي لتربت فى حنان على وجهي ، وأفهم من لمسة تلك اليد الحنون أن مولودي العزيز قد جاء الى الدنيا ميتاً بلا حياة !



زيّ شعبيّ
من البحرين